

MILL
367





بك ايكي يوز التمش التي سنه سنده ايلش بكي
... افندي مطالعه
ايتمشدر

١٢٦٦ ١٧

بكك
بكك ايكي يوز اللي سنه سنده
بك ايكي يوز اللي بشنجي سنه سي
قبوجي محمد افندي مطالعه
مطالعه اوردي ١٢٥٥

بك ايكي يوز اللي ... سنه ... قبوجي ... مطالعه اوردي

١٢٥٩ سنه سي قبوجي محمد افندي مطالعه اوردي

بك ايكي يوز اللي ... سنه
١٢٥٧

بيك اوچيوز يتمش ...
الحاج ... احمد ...
مطالعه ايلمشدر

بك ايكي يوز التمش ...
قبوجي علي افندي مطالعه
ايتمشدر

بك ايكي يوز التمش ...
سنه سنده قبوجي
علي افندي
مطالعه ايتمشدر

ملك كاتبه [illegible] محمد ادهم

من كتب الفقير السيد ... العلية العثمانية







بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر

الحمد لله الذي نور الخافقين ببعثة النور المبين • وجعلها شفا لما في الصدور وهدى ورحمة
للمؤمنين • فازال ظلمات الضلال المدلهمة فاذا همت افواه الاباطيل باطفاء نوره ابى الله الا
ان يتمه • حتى اشرق به مصباح الهداية وقد كاد ان يهم بالانطفا • وانفتح منهج الحق
بعد ما اندرس رسمه وعفا • برسالته التي شرح الله بها الصدور وشفا • وانهار به
ركن الباطل بعد ما صار من الغواية على شفا • فاكمل الله به المنة على البرية • واحيى به
موؤودات المعارف الالهية في فترة الجاهلية • فصلى الله وسلم عليه وزاده تبجيلا
وتكريما • كما امر بذلك فقال صلوا عليه وسلموا تسليما • وعلى عترته وصحبه الذين باعوا
له ارواحهم بالجنة وسلموها تسليما • ما ذر مسك المداد على كافور الطروس • فعطر
اردان الاذهان والنفوس • هذا وان كتاب الشفا • بتعريف حقوق المصطفى • كتاب قدره
جليل • وهو على جلالة مصنفه ادل دليل • فانه كما في مطمح الانفس اجل اعيان الاندلس
جاها على قدره • وسبق لنيل المعالي وابتدره • فاستيقظ لها والناس نيام • وورد
ماها وهم صيام • فتحلت به للقلوب نحور • وتجلت لديه منها عرايس حور • كانهن الياقوت
والمرجان • لم يطمثهن انس قبله ولا جان • والحقته بالاصالة رداها • وسقته درها
واندآها • والقت اليه الرياسة مقاليدها • وملكته طريفها وتليدها • وهو على اختصاصه
بهذه المرتبة الرفيعة • واعتنائه باعلاء معالم الشريعة • يعتني باقامة اود الادب
وينسل اليه اربابه من كل حدب • مع عفاف وصون • اعدم الفساد بعد الكون • وقد

ووف

وفي تبيان بعض ما يجب من اياته • وننشر علي كاهل الدهر الوية الثنا بين يدي صفاته • مما
يحق له ان يكتب بالنور في صحايف وجنات الحور • ويجعل بقلم العقل معانيه • ويخط علي الواح
الاذهان لاطفال الارواح مبانيه •

صحفا ترعت بشهد حلا في • كل ذوق لذاك كان شفا •

ولعمري لقد نثر الدر فيه من فيه • وبلغت امانيه ما كانت تنويه من التنويه • حديث
لو ان الميت نودي باسمه • لاصبح حيا بعد ما ضمه القبر وقد كنت قديما وحديثا يحثني
حادي الشوق نحوه حثيثا • وقضيب الصبا غضة مورقة الافنان • ورياضه الزاهر
محفوفة بروح وريحان • لانتحي بصفاته وموصوفه • وطرفي بسماع تليده وطريفه
ممنلا نجيا شفت عنها ظرو فحروفه • لا ازال اقفو العين بالاثر منشدا وقد ناب السمع عن البصر

فانني ان اري الديار بطرفي • فلعلي اري الديار بسمعي •

وكان يصد لي عنه ما في الباع من القصر • وزمان لا يعرف فيه ورد من صدر ثم قلت
لضعيف الفكر خير الطعام ما حضر • وخير انوار الربيع ما ابتكر فلما رايت له شروحا
ربما تنشرح لها الصدور • وان لم تخل قصورها المشيدة من قصور • وفي بعضها اغاليط
وتطويل ممل وتخليط • الا ان تقليد الناس لبني صرح بداتها • والبحث قد اسس علي دعايمها
فنلا لي ما فيها من تلاعب الظنون • قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما
يجمعون • فسودت بعض الامالي • رجالان يبيض بها صحف اعمالي • فيسر لها كاتب اليمين
وترفعها ايدي الكرام الكاتبين • فلما راه بعض الاصحاب • سالني ان ابرز مخدراته من خلف
الحجاب • والح علي في ذلك دفعة بعد دفعة • وانا اقول له هذا ياسمين لا يساوي جمعه
وهو يمد يد امله لاقتطاف وردة له لا تجتني • ويهم بذوق ثمراته الغضة الجنا وقصبه

يرنح القبول ما ترنحت • ووردته بنسيم السحر ما تفتحت •

كعذراء ابصرها مبصر • فغطت باكمامها راسها •

ثم عرض لي بغتة ما عرض • مما اضر بجوهر القوي من العرض • فقصدت شفا الروح
والبدن • بامداد الجسم الضعيف لحديثه الصحيح الحسن • رجا اللظفر بسعادة الدارين • مما
فيه من عين القرة وقرة العين • لنشتفي به امراض القلب اذا اتت الساعة • فتلت منه بحمد
الله نزرا قاهجرا وبرء ساعة • ولما انجلي علي منصة التمام • وفض منه مسك الختام
سميته نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض • رجا ان يهب عليه ريح القبول وان كانت
نسمات الاهمال عليلة • وتشمله نفحة من نفحات الرسول صلى الله عليه وسلم فتنشفي من الظما غليله
واعلم ان سندي في هذا الكتاب وغيره من كتب الحديث سلسلة الذهب من طرق عاليه
اعلاها واتي له عن خاتمة المحدثين الشيخ ابراهيم العلقمي • وهو عن اخيه الشمس العلقمي
شارح الجامع الصغير • عن مؤلفه الجلال السيوطي بقراءته عليه من اوله الي اخره بالجامع الازهر
وسند السيوطي رحمه الله اشهر من الشمس في رابعة النهار • وعن شيخ الاسلام شافعي زمانه
الشيخ العلامة شمس الدين محمد الرملي عن والده الشيخ احمد بن الرملي عن شيخ الاسلام زكريا
الانصاري • وعن والدي قدس الله روحه عن الشيخ شهاب الدين بن حجر الهيتمي • وهكذا كابرا
عن كابر الي المصنف رحمه الله • وهو عياض بن موسى • بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي
السبتي الغرناطي المالكي قاضي سبتة بالمغرب مدة طويلة ثم انتقل الي قضاء غرناطة في سنة

احدي وثلاثين وخمسماية ولم نبطا امدة بها ثم ولي قضا سبتة ثانيا وكان مولده بسبتة في شهر شعبان سنة ست وسبعين واربعمائة فهو سبتي الدار والميلاد اندلسي الاصل فان اصوله نشاوا قديما بالاندلس ثم انتقلوا الي مدينة فاس وكان لهم استقرار بالقيروان وانتقل بعضهم الي سبتة بعد سكنى فاس فهو صاحب التصانيف الجليلة كشرح مسلم وغيره كالمشارق اي في تفسير غريب حديث الموطا والبخاري ومسلم وضبط الالفاظ والتنبيه علي بعض مواضع الاوهام والتصحيفات وضبط اسما الرجال فهو كتاب لو كتب بالذهب او وزن بالجوهر لكان قليلا في حقه فيه انشد بعضهم •

مشارق انوار تبدت بسبتة • ومن عجب كون المشارق بالغرب •

وله تبحر في العلوم النقلية والعقلية وامامة ادبه وبلاغة شعره فحدث عن البحر ولا حرج ووفاته يوم الجمعة بمراكش في جمادي الاخرة سنة اربع واربعين وخمسماية وما قيل من انه قتل لا اصل له وفيه يقول علي بن هارون •

ظلموا عياضا وهو يحلم عنهم • والظلم بين العالمين قديم •
جعلوا مكان الراء عينا في اسمه • كي يكتموه وانه معلوم •
لولاه ما فاحت اباطح سبتة • والروض حول فنائها معدوم •

وفي طبقات ابن فرحون لعلما المالكية انه كان اماما في الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم خطيبا بليغا وذكر من تاليفه نحو ثلاثين تاليفا جليلة وانشد له رحمه الله

الله يعلم اني منذ لم اركم • كطاير خانه ريش الجناحين •
ولو قدرت ركبت الريح نحوكم • وان بعدكم عني جناحين •

وقوله انظر الي الزرع وخاماته • يحكي وقد ماست امام الرياح •
كتيبة خضرا مهزومة • شقائق النعمان فيها جراح •

قال واليحصبي بفتح المثناة التحتية وسكون الحا المهملة وتثليث الصاد المهملة نسبة الي يحصب بن مالك ابو قبيلة باليمن والغرناطي نسبة الي غرناطة بفتح الغين المعجمة وسكون الرا المهملة ونون والف بعدها طا مهملة وها ويقال اغرناطه بالف قبل الغين ايضا انتهي وياتي لذلك مزيد بيان وسبتة مدينة مشهورة وقرات في ديوان ابن المقري اليمني الشافعي رحمه الله ان كتاب الشفا مما شاهدوا بركته حتي لا يقع ضرر لمكان كان فيه ولا تغرق سفينة كان فيها وانه اذا قراه مريض او قرئ عليه شفاه الله وهو مما جرب وكان ابتلي بمرض فقراه فعافاه الله منه وقال في ذلك

ما بالكتاب هواي لكن الهوي • امسي بمن امسي به مكتوبا •
كالدار تهدي الف شوق بذكرها • شغفا بها لثوى بها المحبوبا •
ارجو الشفا تفاولا باسم الشفا • نحوي لشفا وادرك المطلوبا •
ونقد حسن الظن ينفع الفتى • لا سيما ظن يصيب مجيبا •

ويأتي لذلك مزيد بيان وانا ممن جرب بركته وشاهدها ولله الحمد وانا الرجو فوق ذلك مظهرا واعلم ان في الشفا بعض احاديث ضعيفة وقليل ما قيل من انه موضوع تبع فيه ابن سبع في شفائه وقد نبه علي ذلك كله الجلال السيوطي في كتابه مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا ولم ينصف الذهبي في قوله انه محشو بالاحاديث الموضوعة

والتاويلات

والتاويلات الواهية الدالة على قلة نقده مما لا يحتاج قدر النبوة له ثم قال فعليك بدلا يل
النبوة للبيهقي رحمه الله فانه كله نور وهدى ونور وقال الذهبي ايضا انه قلد فيما ذكره ابن سبع وكفى
المرء نبلا ان تعد معايبه وهو مما لا ينبغي وسترى ان شا الله ما ذكره في محله فانا لم نترك
شيا يحتاج اليه قاري هذا الكتاب انشا الله تعالى [illegible] ابتدا بالبسملة ثم ردفه
بالحمد له عملا بالحديث المشهور وهو كل امر ذي بال لا يبدا فيه بالحمد لله فهو اقطع وفي رواية ببسم الله
الرحمن الرحيم وفي اخرى بذكر الله والاشكال في تعارض هذه الروايات مشهور وكذا التوفيق
بينها بحمل الابتدا على العرفي الممتد او تجريد التقديم على المقصود وهما متعارضان وكذا ما قيل
من ان رواية البسملة يرد عليها الاذان والخطبة ونحوهما من بعض الامور المهمة مما لم يبدا بها
فيه واجيب بان المراد في الروايات كلها الابتدا بكلاهما او بما يقوم مقامه بدليل الاكتفا
تارة بالبسملة وتارة بالحمد له وتارة بغيرهما فاندفع الاشكال واشكال التدافع ايضا او يحمل
المقيد على المطلق وهو ذكر الله والكلام على هذا اشهر من قفا نبك فلا فايدة في الاعادة
وههنا اشكال ابداه شيخ مشايخنا السيد عيسى الصفوي رحمه الله وتلقاه من بعده بالقبول
من عامة من رايناه وهو ان جملة البسملة لا تخلو من ان تكون خبرية او انشائية ويتجه على
الاول ان من شان الخبر الصادق ان يتحقق مدلوله بدونه في نفس الامر ويكون الخبر حكاية عنه كما
اتفقوا عليه وما نحن فيه ليس كذلك لان مصاحبة الاسم والاستعانة به من تتمته وهما لا يتحققان
الا بهذا اللفظ اللهم الا ان يجوز مثل ذلك في نحو قولك انا متكلم او اقوم متكلما مخبرا انه تكلم حصل هذا
اللفظ وفيه توقف وعلى الثاني ان من شان الانشا ان يتحقق مدلوله به واصل جملة البسملة
ليس كذلك غالبا اذ الاكل والسفر ونحوهما مما ليس بموقوف لا يحصل بالبسملة فان كانت لانشا
المصاحبة او الاستعانة يلزم ان تكون الجملة لانشا متعلقها او الاصل غير مقصود بوجه ولو قيل
ان المعنى ابتدا وافتتح اي اجعله بداية الفعل والجملة لانشا الجعل وانه بداية كل شي كما نقل
عن الامام لا يلزم ما مر الا انه خلاف المشهور ولا يتم ايضا على تقدير الخبرية لان المصاحبة
والاستعانة به من تتمة الخبر وهما لا يتحققان الا بهذا اللفظ وهو شان الانشا على انه
لا يجري حقيقة الا في نحو التاليف مما يمكن ان يكون بداية له حقيقة واجراوه فيما سواه
يحتاج للمسامحة في جعله بداية له اقول الظاهر ان هذه الجملة انشائية لانشا التبرك الموقوف
على التلفظ بالبسملة وما توهمه هذا القايل على تقدير الانشائية من الخيالات الواهية
والاوهام الفارغة وقوله الا حينئذ لانشا المتعلق ومثله في غاية البذور عدم صحته في
غاية الظهور الا ترى ان ادوات الاستفهام باسرها تدخل على الجمل المتحقق مضمونها حالا
فتصير بجملتها انشا كما يقول لمن راي شخصا قايما لم يحط بتشخصه واحواله خبرا من
قام او على اي حال قام وهكذا مما لم يحط به نطاق الحصر ولم يجر حوله البذور ولا يقال
انه مع تحقق القيام في الخارج انه لانشا المتعلق وكذا كم غلط وقع منك ورب صواب
صدر من غيرك كما صرح به الرضي واما كونه لانشا الجعل فتعسف من غير داع لارتكاب
مثله وانا اعجب من هذا الفاضل كيف زعم ورود ما قال وممن ارتضاه بعده من فحول
الرجال وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما ان عين السخط تبدي المساويا
وفي النسخ قال القاضي الفقيه الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بكسر العين
المهملة وفتح اليا المثناة وبعدها الف وضاد معجمة اليحصبي رضي الله عنه قال في القاموس يحصب

ونورد على الاول

في الواقع

مثلث الصاد حي والنسبة مثلثة ايضا لا بالفتح فقط كما زعم الجوهري وكيضرب قلعة بالاندلس
انتهى وفي لباب الانساب لابن الاثير اليحصبي بفتح اليا وسكون الحا المهملة وكسر الصاد المهملة
وقيل بضمها وكسر البا وهذه النسبة الى يحصب وهي قبيلة من حمير سميت باسم ابيها يحصب
ابن مالك **قلت** هكذا ضبطه ابو سعيد بالصاد المكسورة والصحيح فتحها الان يحصب بالكسر
فلتفتح في النسب كنمري وتغلبي انتهى وبهذا عرفت ان رد صاحب القاموس على الجوهري
مردود لا لانه قول بل لانه القياس المطرد في امثاله وما خالفه شاذ لا يعول عليه وهذه
الاوصاف ليست من كلام المصنف رحمه الله وانما كتبها من بعده نوفيرا له ولقب بابي
الفضل كما قيل

ابا الفضل من اجري الى الفضل يافعا ❊ فصار به يدعى وصار به يكنى

الحمد هو الوصف بالجميل على الجميل الصادر بالاختيار حقيقة او حكما على وجه
التعظيم ظاهرا وباطنا بان لا تقصد ما يخالفه ولا يلزم اعتقاد اتصاف المحمود بالجميل المذكور
عند متاخري المحققين وفي هذا المقام كلام طويل الذيل ليس هذا محله والله اسم للمعبود
بحق المستوجب جميع المحامد وفي علميته وفي اصله ما يغنيك عن ذكر شهرته والمراد ان جنس
الحمد وجميع افراده مختصة به تعالى فان قلنا الاختصاص الذي يدل عليه اللام بمعنى
الانحصار وضعا او بمعونة المقام يحمل الاختصاص الذي ذكر على الفرد الكامل اما على
المبالغة تنزيلا لغيره منزلة العدم او منزلة حمده تعالى لانه مبدء كل جميل او على
الحقيقة لان المحمود عليه بحسب مبدوه بالاختيار بالذات ولا اختيار لغيره بالذات
عند البعض وهذا ابنا على حمل الاختيار على الحقيقي الذاتي والاول بنا على حمله على العرفي
الظاهري ولكل وجهة ولو اريد بالاختصاص هنا العلاقة والمناسبة الكاملة فلا تكلف
على ما فصله شراح المطول والعضد وفي شرح السيد ان جملة الحمد لانشا الحمد لانها من
صيغ الحمد شرعا ولذا لا لانها على الاتصاف بجميل ولو عرفا فيصدق تعريف الحمد عليها
وفيه نظر **وهاهنا بحث** ابداه ابن الهمام رحمه الله في شرح البديع فقال
جملة الحمد صيغة انشا يعني كصيغ العقود وبالغ بعضهم في انكار كونها انشا لما
يلزم عليه من انتفا الاتصاف بالجميل قبل حمد الحامد ضرورة ان الانشا يقارن معناه
لفظه في الوجود ويبطل من قطعيين احدهما ان الحامد ثابت قطعا بل الحمادون والاخر
انه لا يصاغ لغة للمخبر عن غيره من متعلق اخبار اسم قطعا فلا يقال لقايل زيد ثبت له
القيام قايم فلو كان الحمد اخبارا محضا لم يقل لقايل الحمد لله حامد ولا ينبغي الحامدون
وهما باطلان فبطل ملزومهما واللازم من المقارنة انتفا وصفه لواصف المعين
لا الاتصاف وهذا لان الحمد اظهار صفات الكمال الثابتة لا ثبوتها نعم ينتراى لزوم
كون كل مخبر منشيا حيث كان واصفا للواقع ومظهرا له وهو توهم فان الحامد ماخوذ
فيه مع ذكر الواقع كونه على وجه ابتدا التعظيم وهو ليس جزء ماهية الخبر فاختلف
الحقيقتان وظهر ان الغفلة عن اعتبار هذا القيد جزء ماهية الحمد وهو منشا
الغلط اذ بالغفلة عنه ظن انه اخبار لوجود خارج يطابقه وهو الاتصاف ولا خارج
للانشا وانت تعلم ان هذا خارج جزء المفهوم وهو الوصف بالجميل وتمامه وهو المركب
منه ومن كونه على وجه ابتدا التعظيم لا خارج له انتهى **اقول** هذا اسنو ما مر

في البسملة وهو تعسف لا وجه له فان هذه الجملة يجتمع فيها الخبرية والانشائية من غير ارتكاب لمثل
هذه الاوهام فان انكار الانشا لانه يلزم منه الاتصاف بالجميل وايجاده لانه انما ابني الوصف لا الاتصا
وشتان ما بينهما وقد كفانا بيانه مؤنته واما ابطاله الخبرية بقولهم حامد وجاد فمغالطة
عجيبة لانه ليس نظيره من قال زيد قايم بل نظيره من قال زيد متكلم فانه مخبر ويصح ان يوصف
بانه متكلم ايضا لاتصاف المخبر بما اخبر به عن غيره ومشاركته له في ذلك كما ان المخبر عن الحمد
والاتصاف بالجميل واستحقاقه للتعظيم مع اعتقاده لذلك ظاهرا معظم فهو حامد وواصف له
وهو ظاهر لمن نور الله بصيرته وقوله ان الحامد الخ ممنوع فانه انما يوجد فيه ذلك اذا لم
يتمحض للاخبار فحينئذ يكون التعظيم وابتداؤه لازم له لا جزؤه وقد بسطنا هذا في العناية
فحسبك من القلادة ما احاط بالعنق المتفرد قال الراغب الفرد الذي لا يختلط بغيره وهو اعم
من الوتر واخص من الواحد وجمعه فرادى قال تعالى لا تذرني فردا اي وحيدا ويقال
في الله فرد تنبيها على انه مخالف للاشيا كلها في الازدواج المنبه عليها بقوله تعالى ومن كل شيء
خلقنا زوجين وقيل معناه المستغني عما عداه فهو كقوله تعالى ان الله لغني عن العالمين
فاذا قيل هو فرد فمعناه متفرد بوحدانيته مستغن عن كل تركيب وازدواج تنبيها على انه
مخالف للموجودات كلها ومتفرد في كلام المصنف رحمه الله ضبط بالنون والتا الفوقية من باب
الانفعال والتفعل ومعناه ما مر وقد يخص ايضا بعدم مشاركة غيره في ذاته وصفاته وكل
ما يختص به من نعوت جلاله والمراد هنا تفرد مخصوص بمتعلقه الاتي واطلاقه على الله تعالى
اما للتوقيف كما يشعر به كلامهم او للاكتفا بورود ما يشاركه في مادته ومعناه او بنا على جواز
اطلاق ما لا يوهم نقصا مطلقا او على سبيل التوصيف دون التسمية كما ذهب اليه الغزالي
رحمه الله والانفعال للمطاوعة والمراد انه بدون صنع منفرد بذاته لذاته وكذا التفعل
للصيرورة بدون صنع ايضا كتحجر الطين اي صار حجرا صلبا من غير مدخل للغير كتكون وتولد
وكذا التوحد لا انه قيل فيه انه في الاصل للتكلف فاريد به غايته وهي الكمال والمبالغة
لان المتكلف يبالغ فيما تكلفه ويتانق فيه كما قيل في المتكبر باسمه الاسمى الباسلة المنفرد
والاسم اما من السمة بمعنى العلامة او من السمو كالعلو لفظا ومعنى قيل وفي قولها الاسمى
ايما الى الثاني والبا اما للتعدية لانه يقال تفرد والفرد بكذا اذا اشتغل به او للملابسة
والارجح الاول ورجح الثاني بافادته التفرد المطلق وتضمنه الرد على من يقول بمشاركة ذاته
لساير الذوات في الماهية وتميزها بالصفات العلية والاسمى افعل تفضيل بمعنى الاعلى
من السمو وهو العلو والاضافة تاتي لما تاتي له اللام فان كانت للعهد بان يراد به لفظ
الله لاشتهار انه اسم الذات وما سواه اسما صفات فالمفضل عليه ما سواه من اسمائه
الكريمة وفيه اشارة الى انه الاسم الاعظم كما ذهب اليه كثير وفيه اقوال اخر مشهورة
او للجنس فالمراد به اسماؤه المختصة به كالرحمن والرزاق او مطلق اسمائه لاختصاصها به
في الحقيقة وان اطلق بعضها على غيره كالملك فانه بمعنى اخر وفي البدايع لابن القيم اسماؤه
تعالى التي تطلق عليه وعلى غيره كحي وسميع هل هي حقيقة فيه تعالى مجاز في غيره
او مجاز فيه حقيقة في غيره او حقيقة فيهما اقوال اظهرها الاخير فتدبر وعلى الثاني
المراد ان كل اسم من اسمائه اشرف مما سواه وشرف الاسم بشرف مسماه فان قلت قال ابو
حنيفة رحمه الله في الفقه الاكبر اسما الله تعالى وصفاته مستوية في العظم والفضل

لا تفاوت بينهما وهو مناف لما ذكر قلت مراده وروح الله وروحه الخاص حيث اضافهما الي المسمي
والموصوف لان مسمي جميع الاسما والموصوف بجميع الصفات واحد وهو الله تعالي وهذا
لا ينافي التفاوت في حقايقهما من حيث ان بعضها في حيطة بعض لتقدمه رتبة وبحسب
الظهور كالالوهية التي تشمل حيطتها اكثر الصفات والعلو وقد صرحوا ايضا بتفاوت الصفات
في نفس معانيها وحقايقها كالعلم بالنسبة للقدرة والقدرة بالنسبة للارادة فعدم التفاوت
بين الاسما ليس الا استواها بحسب الاضافة الي الذات كما فصله الشيخ بها الدين في شرح
الفقه الاكبر وفيه ايضا ان ايات القران متساوية في الفضل قال الشارح لنا وبها من
جهة القرانية واضافتها الي الله وان كان لبعضها فضيلة الذكر والمذكور كاية الكرسي واية
القصص وعليه يترتب ما روي في فضايل السور المختص اختص يكون لازما ومتعديا
يقال اختصصته بكذا فاختص فيجوز في المختص ان يكون اسم فاعل ومفعول علي التقديرين فيه
قبل الادغام والاظهر انه اسم فاعل من اللازم بمعني منفرد ومستقل وفي الصحاح خصه
بالشي خصوصا وخصوصية والفتح افصح وخصيصا واختصه بكذا خصه به وفي شرح السيد عين
القاموس ان تدخل البا التي هي صلة الاختصاص علي ما لا يوجد الشي في غيره فتقول المختص به الملك
كما يقال اختص السواد بزيد وكثيرا ما تدخل علي ما لا يوجد في الغير كما فعله المصنف
رحمه الله وهو صحيح ايضا والمعني علي التقديرين واحد اي هذا الملك لا يكون لغيره ه
والثاني اكثر استعمالا والاختصاص حينئذ مجاز عن التمييز اي تميز عن غيره بالملك وهذا
ملخص ما قاله القوم كما في شروح الكشاف وحواشي المطول وهو مع اشتهاره وتلقيه
بالقبول عند من يري التقليد شريعة منسوخة غير مقبول وفي شرح المفتاح للسعد
ادخال البا في المقصور عليه هو الاستعمال العربي العامي وادخالها في المقصور هو
الاستعمال الشايع العرفي وقال قدس سره الاصل في لفظ التخصيص والاختصاص والخصوص
ان يستعمل بادخال البا في المقصور عليه فيقال اختص الجود بزيد اي صار مقصورا
عليه الا ان الاكثر في الاستعمال ادخالها علي المقصور بناء علي تضمين ذلك معني التمييز
والافراد وقيل انه مجاز صار بمنزلة الحقيقة لشيوعه هذا زبدة ما محصته الافكار
**وانا اقول** هذا الكلام غير محرر لان الظاهر انه يسند حقيقة لكل منهما وقد يترجح
احدهما بحسب المقام فان الفاعل الحقيقي من قام به الفعل لا من اوجده كما حقق في
الاصول فاذا اسند الي احدهما حقيقة تعين دخول البا علي الاخر لان قيام الاختصاص
به اما بحسب نفس الامر والاستحقاق او بفهم وتغلب فعلي الاول يسند حقيقة
للمقصور لانه اختص بنفسه وعلي الثاني يسند للمقصور عليه حقيقة لانه بفعله
مثاله لو مات رجل عن ابن وخال يختص المال بالابن فتقول اختص مال فلان بابنه
دون خاله فلو كان له ابنان حاز احدهما المال كله تغلبا فاللايق ان تقول
اختص الابن بالمال فيتعين دخول البا علي المقصور عليه وفي الثاني بالعكس فالظاهر
ان كلا منهما فصيح صحيح لغة حقيقة فيهما وليس المعني فيهما واحدا كما تقرر وزعمه
مع هذا انه مجاز خبط وفي كلام اللغويين ما يصرح بما قلناه ثم ان قوله تعالي يختص
برحمته من يشا يختص فيه مفتعل واسناده الي الله وادخال البا علي الرحمة اشارة
الي انه بمحض كرمه ولطفه ولو اسند لمن او للرحمة اوهم خلافه فتامله فانه دقيق

جدا

جدا بالملك الظاهر انه هنا بضم الميم وان جوز فيه الكسر والفتح وهو ابعدها وهو الاختصاص
بقدرة التصرف في الامور المملوكة بتنفيذ الاوامر والنواهي وفسر بالاحتوا على الاشيا قادرا
على الاستبداد بها وقد يراد به الاشيا المحتوي عليها والعظمة والفرق بين المضموم والمكسور
له تحقيق بديع في كشف الكشاف وبينهما عموم وخصوص فان الاول السلطنة والثاني ملك
الاعيان وقد يجتمعان ويأتي ان الملكوت فسر بالملك والسلطنة وتاوه للمبالغة كرحموت
وجبروت وقد فرق بينهما بان الملك عالم الشهادة والاجسام والملكوت عالم الغيب والامر
وهو فرق لغوي وقيل اصطلاحي لاهل الحكمة والتصوف والباء داخلة على المقصور وقد
سمعته انفا الاعز افعل تفضيل من العز والمنع قال الراغب العز حالة مانعة
للانسان عن ان يهان او يقهر ويغلب من قولهم ارض عزاز اي صلبة كانه في عزاز اي محل
يصعب الوصول اليه كالجبل الشامخ وهذا مما قاله اهل اللغة قاطبة ومن لم يقف عليه
قال في شرحه معنى كونه اعز ان احتواه عليه اغلب من كل احتوا ولا ينبغي ان يفسر الاعز هنا
بالاشد لانه لا معنى لوصف الملك بالشدة والصلابة الاحمى افعل تفضيل من حميته حماية
فهو محمي وحمى اذا منعته والمحمي مصون واصله ارض ممنع من قطع نباته ورعيه وكانوا
يفعلونه في الجاهلية كما يريدون فلما جا الاسلام نهى عنه صلى الله عليه وسلم فقال
لا حمى الا لله ورسوله فلذا منع شرعا الا باذن الامام لمصلحة واحمى اسم تفضيل على خلاف
القياس ان كان بمعنى المفعول كاشغل من ذات النحيين او على القياس بمعنى الفاعل بجعله
كانه يحمي نفسه لعظمته ان يصل اليه احد فحمايته اعظم من حماية كل حام لملكه كجوهرة
نفيسة وجدها فقير لا يسعه ان يدعي انها ملكه لعظمة قدرها عنه كانها حمت
نفسها عن تملك مثله لها كما قيل في مقدمة الكتاب اذا كانت من قدم المتعدي كانها
قدمت نفسها وهو المناسب لقوله الاعز فاسناده مجازي والمعنى على الاول ان ملك
غيره اذا كان محميا فملكه تعالى يحمي بحماية اقوى من كل حماية لانه ملك لا يصير لغيره
الا الى الله تصير الامور ولا حاجة لتجريده عن معنى التفضيل على انه وما قبله بمعنى
العزيز المحمي كقوله • بيت دعايمه اعز واطول • على راي وان قيل بانه نقيض •
لان المسموع خلافه كقوله • • •
اكر واحمى للحقيقة منهم • واضرب منا بالسيوف القوانسا •
وما قيل من انه على القياس من غير حاجة لما مر لان ملك الله واحتواوه على العوالم اكثر
منعا لغيره من التوصل اليه واشد منعا لغيره من التوصل اليه بما يضره فهو اشد
منعا من سائر املاك المالكين لا محصل له ولا وجه له لانه ان اراد الادعا فهو بعينه
ما قدمناه وتوهم ان غيره من قلة التدبر وان ادعى غيره لك فلا معنى له الذي صفة
لله او للملك يعني مالك ملك لا شي قبله ولا بعده ليس دونه دون لها معان قال
الصاغاني يكون بمعنى عند ونقيض فوق وبمعنى امام ووراء فهي من الاضداد ويكون
بمعنى غير وبمعنى خسيس وشريف والاول مشهور وعليه قوله •
اذا ما علا المرء رام العلا • ويقنع بالدون من كان دونا •
ولا فعل له وقيل يقال دان يدون دونا وهي هنا بمعنى فوق وامام ويجوز ان
يكون بمعنى ورا او غير منتهى اسم مكان او مصدر ميمي من انتهى اذا بلغ النهاية ويكون

عزيز

عزيز

انتهي بمعني انزجر والكف كما في قوله

لا تلتهي الانفس عن غيها ● ما لم يكن منها لها زاجر

ويكون اسم مفعول مع لزومه ولا صلة معه تكلف بغير داع ولا وزراه وزر القبيص قدام ويكون بمعناه ايضا فهو من الاضداد وهو ما واري عنك غيرك او واراك عن غيرك فهو مشترك بينهما اشتراكا معنويا وليس من الاضداد ويكون بمعني بعد وبمعني غير مركب بميمين مفتوحتين بينهما رآء مهملة ساكنة وهو مقصور مفعل من الرمي وقد ورد استعمال هذا اللفظ بعينه واطلاقه في حق الله تعالي في الحديث فروي المصنف رحمه الله في مشارقه وابن الاثير في نهايته ليس وراء الله مرمي وتكلمت به العرب العربا وبما هو بمعناه قديما كقول النابغة

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة ● وليس وراء الله للمرء مطلب

قال في النهاية اي ليس بعد الله لطالب مطلب لان العقول وقفت ثمة فليس وراء الله ولا وراء معرفته والايمان به غاية تقصد انتهي كما قيل

علي نفسه فليبك من ضاع عمره ● وليس له منه نصيب ولا سهم

وفي المشارق ليس وراء الله مرمي اي مطلب لطالب والمرمي الغرض الذي يرمي اليه واليه ينتهي سهم الرامي وبه يحوز السبق كما في الله انتهت العقول ووقفت فليس وراء معرفته والايمان به ملتمس ولا غاية يرمي اليها انتهي فالذي ان كان صفة للملك فالمراد انه ليس قبل ملكه شي ينتهي اليه ويتصل اخره باوله وليس بعده شي تتصوره العقول وان كان صفة لله فالمراد انه الذات الواجب الوجود وما عداه فهو حادث او جزء وابدعه فهو بمعني الاول الاخر فينفصل بما قبله اتصالا ظاهرا وعلي الاول يكون كالاحتراس المتمم لما قبله لانه لما ذكر اختصاصه بالملك الاخر قد يتوهم مشاركة غيره او اختصاصه بملك غير اخر فقال ليس قبل ملكه شي ولا بعده شي فهو مالك كل ملك وحاويه فلا يخرج شي عن حوزة ملكه وعلي كل حال فالمرمي محل الرمي والهدف واريد به الغرض الاقصي الذي ترمي له الامال وتتوجه نحوه وجوه التضرع والابتهال فهو استعارة تمثيلية استعيرت من حال الرامي في توجهه لاصابة المرمي بحال العارف الذي معرفة الله اقصي مطالبه ومطمح خواطره كما قيل

يا مطلبا ليس لي في غيره ارب ● اليك آل التقصي وانتهي الطلب

ولك ان تقول ان كلام المصنف رحمه الله في فاتحة خطابه كقول رب العزة في فاتحة كتابه فان قوله الحمد لله المختص الي اخره اشارة الي المبدا الفياض وان الكل منه وله كالحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وقوله وليس دونه منتهي الي اخره اشارة الي المعاد كقوله مالك يوم الدين ولما كان ذكره بصفاته وانعامه في الدارين المقتضي للتوجه اليه بكل وجه حتي يصير كالمشاهد المحسوس الذي يوجه اليه الخطاب كقوله اياك نعبد الي اخره والي هنا بما هو منزلته وهو قوله ● الظاهر هذا هو المناسب للمقام وبما ذكرناه من انه علي سبيل التمثيل لا يرد عليه انه وراء ودون وما معهما امور تقتضي التحيز والجهة ومثله لا يجوز استعماله في حقه تعالي لان الاستعارة التمثيلية لا تجوز في شي من مفرداتها واجزائها وما قيل من ان معناه ليس تحته محل انتهاء ولا بعده ومرمي ومنتهي بمعني مجاز مرسل كمرمي لانه مقصد الرمي اريد به مطلق القصد صحيح لكن ما ذكرناه انسب بالمقام

ابن الحنبلي

وَاوْلى بِاَدَا المرام وَمَا قيل عَليه من انه خطا لانه لابد فيه من كونه فردا من افراد المطلق والعد
قد لا يكون مقصودا مع انه لا الاثير رحمه الله جعل العلا فقه فيه المتابعه كلام لا وجه له
ولا مقابل تحته لان الهدف ذاتا يقصد للرمي والقصد بالفعل ليس بلازم وما قاله ابن
الاثير رحمه الله مخالف للجمهور ولا يلزمنا اتباعه وقيل المعنى انه ليس في جهة ولا حيز
فنفي الشي بنفي لازمه والظاهر من اسمائه تعالى وهو في الاصل اسم فاعل من ظهر اذا بدا
ولم يخف ويقابله الباطن ثم عم كل محقق معلوم بالبصر او البصيرة وهو المراد هنا لمقابلته
بالباطن ويصح ان يفسر بالغالب من ظهر عليه اذا غلبه وقد صح وسمع كما ورد انت الظاهر
فليس فوقك شي وفي شرح المواقف الظاهر المعلوم بالادلة القاطعة فهو صفة اضافية
وقيل الغالب فهو صفة فعلية من ظهر عليهم اذا قهرهم والباطن المحتجب عن الحواس بحيث
لا يدرك اصلا فهو صفة سلبية وقيل العالم بالخفيات انتهى وقال الراغب الظاهر الباطن
من صفات الله ولا يقال الامرد وجا كالاول والاخر فالظاهر قيل انه اشارة الى معرفته
البديهية فان الفطرة تقتضي في كل نظر انه موجود ولذا قال بعض الحكما طلب معرفته كطلب
المرئي الافاق ما هو معه والباطن باعتبار معرفة حقيقته وذاته ولذا قال الصديق
غاية معرفته القصور عن معرفته وقيل هو ظاهر باياته باطن بذاته وقال المرتضى تجلى لعباده من
غير ان راوه فاراهم نفسه من غير ان يتجلى لهم انتهى **اقول** قد عرفت مما ذكرناه ان الظاهر
اذا اطلق على الله معناه هو باعتبار بعضها مقابل للباطن ولا يستعمل حينئذ الامرد وجاوبا عتبا
الاخر يطلق عليه منفردا فما قاله الراغب رحمه الله ليس على اطلاقه وفيه كلام حققناه في
شرح اسما الله الحسنى • لا تخيلا ولا وهما يعني ان ظهوره تعالى متحقق مكشوف للعقول ويقين
صادق عند من له بصيرة لقيام الادلة القاطعة والبراهين البينة الدالة على وجوده ووحدانيته
لا بحسب التخيل والوهم وقيل لا بحسب الظن او السهو وقيل لا بحسب الطرف الراجح او المرجوح اولا
بحسب ادراك القوة المتخيلة او الواهمة فان من شانهما ادراك ما لا تحقق له فغلب المتخيل
والموهوم على كل ما لا تحقق له فنفي ان يكون ظهوره كذلك انتهى وهذا الاخير هو الاصوب
وذكر السهو لا وجه له وان وقع ذلك في كلام اهل اللغة لان الاستعمال على خلافه وقال
الراغب التخييل تصوير خيال الشي في النفس والتخيل تصوره وخلت بمعنى ظننت يقال
باعتبار تصور خيال الشي المظنون في النفس وفي حواشي شرح المطالع الفكر حركة النفس
في المعقولات والتخيل حركتها في المحسوسات والوهم خطرات القلب ومرجوح طرفي التردد
والغلط وفي المقتفي الوهم بسكون الهاء وفي الصحاح وهمت في الحساب اوهم وهما بسكون الهاء
اذا غلطت فيه وسهوت ووهمت في الشي بالفتح اهم وهما بسكون الهاء اذا ذهب وهمك اليه
وانت تريد غيره وقال ابن القطاع وهمت الى الشي ووهم واوهم بمعنى ونصبهما على الحال
او التمييز او بنزع الخافض فالمعنى ما مر وقيل المراد ان معرفته بحسب اليقين لا بادراك
القوة المتخيلة او الواهمة التي تدرك ما لا تحقق له والفرق بينهما ان المتخيلة هي القوة
المتصرفة في الصور والمعاني بالتركيب والتفصيل كتصور شخص براسين واختراع ما لا
حقيقة له كالغول والواهمة القوة المدركة للمعاني الجزئية الموجودة في المحسوسات
كادراك الشاة عداوة الذيب ورد بان هذا مبني على فلسفة لا يرتضيها اعلام اهل السنة
الا ان يقال انما بطال ونفي له ولا ضير في مثله وليس في وصف الله بانه ظاهر ما يدل على

ان ذاته معلومة للبشر بالكنه وان الخلف في وقوع ذلك وامكانه على ما فصل في الاصول فلا حاجة
للتعرض له هنا على انه في الكشاف يقوله الباطن ما يدل على خلافه لانه بمعنى الذي لا يدرك بالابصار
ادراك احاطة لقوله لا تدركه الابصار كما حقق في محله وقد وقع في اكثر النسخ بدون عاطف كما
ذكرناه وهو الصحيح رواية لان الصفات كلما وقعت متصلة بدون عطف لما بين المفرده
والمخصص من كمال الاتصال ولما بين الظاهر والباطن من التقابل فلو عطف هنا توهم انهما
لا يجتمعان كما في قوله عز وجل مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات
وابكارا فان عطف الصفتين الاخيرتين بينهما لعدم اجتماعهما وهنا ليس كذلك لان المراد انه
في حالة واحدة ظاهر بكثرة الادلة وقوتها ونعوت ذاته وافعاله التي لا تخفى باطن
خفي عن ادراك كنه ذاته وحقيقة صفاته وحجب انوار اللاهوتية في عالم الغيب والشهادة
عن مشاهدته وهذا مما فصله اهل المعاني في مباحث الفصل والوصل بل في كلام بعضهم
ما يدل على خلافه وقد تعرض له بعض المتاخرين رحمه الله واشار اليه العلامة الزمخشري
في مواضع من كشافه كاول سورة غافر وقال السيد عيسى الصفات الجارية على واحد قد تذكر
بالعطف للمناسبة والتصريح بالاجتماع وقد يترك عطفها اشعارا باستقلال كل منهما وقد
يذكر في موضع ويترك في بعض تفننا فانه يوجب توجه الذهن او زيادة مناسبة ورعاية
الانسب ابلغ او الابلغ انسب ولما كان الظهور والبطون متقابلين كان التصريح بالاجتماع
انسب انتهى وهذا بناء على ما في النسخة الاخرى من ذكر العاطف ولا يخفى ما في توجيهه من
القصور لان عدم العطف لعدم الاجتماع كما مر في ثيبات وابكارا وكانه اغتر بما وقع له في قوله
تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي
الطول والذي ذكره الزمخشري فيه نزعة اعتزالية كما نبه عليه شراحه وليس هذا محل
تفصيله وقد علمت مما قلناه معنى الظاهر والباطن وقال السهيلي معناه العالم بما ظهر
وبما بطن تقدست الاؤه اي تنزهت اسماؤه كاعراب ما قبله والتقدس تفعل من القدس وهو الطهارة
والتنزه اي انه بطونه وخفاه لتنزهه وعلوه عن ان تحيط به البصائر والابصار لا لكونه معدوما
او غائبا اولا من جهة عدمه او عدم كماله بل لقصور غيره وتنزهه عن ان يحيط بكنهه
ان اريد بالباطن الخفي عن البصر في الدنيا فالتقديس التنزه عن مشابهة الحوادث عن قبول
الرؤية فيهما والعدم بضم فسكون من عدمه منه اعدمه كعلمته اعلمه علما وعدما بفتحتين
بمعنى فقدته واختار الاول هنا للسجع وما قيل من ان معنى العدم هنا الفقر كما في الصحاح
اي ليس خفاؤه لافتقاره كما يختفي بعض الفقراء الفقر فهذيان مجموع ولبعض الشراح هنا كلام
لا معنى له تركناه لانه غني عن النقد والتزييف ووسع كل شيء رحمة وعلما العلم مطلقا معلوم
وفي صفات الله تحقيقه في الكلام والرحمة ميل الطبع ورقته وهو مما لا يوصف الله تعالى به
فيعتبر باعتبار غايته ولازمه فيراد به الانعام او ارادته وذهب الباقلاني رحمه الله
الى انه يجوز به عن معاملته معهم معاملة الراحم لمن يرحمه وذهب الاشعري رحمه الله
الى انه يجوز به عن ارادته لذلك فعلى راي القاضي يجوز ان يقال اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك
وعلى راي الشيخ لا يجوز وفي القران مواضع تناسب كلا من الرايين فقوله ربنا وسعت
كل شيء رحمة وعلما يناسب بحسب الظاهر الارادة لاقترانها بالعلم الذي هو صفة ذاتية
وقوله هذا رحمة من ربي اشارة الى ان السد يناسب الاحسان كذا في شرح الاربعين

الزملكاني

سيد عيسى

ابن الحنبلي

الدنية

الرازية للقرافي ولبسط الكلام فيه مقام اخر يأتي في اوايل الباب الاول ووجه ارتباط هذا بما
قبله انه لما كان مطمح نظره في هذا الكتاب بيان شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم وانه النعمة العظمى
على جميع المخلوقات بدا بحمد الله تعالى ونعته بما يدل على عظمته في ذاته وان الملك له لا تصرف
فيه لاحد سواه ثم ثنى ببيان حال خلقه في ملكه وما يعاملهم به على وجه ينساق الى المراد
فقال وسع الى اخره ولو قال الذي وسع كان اولى والسعة ضد الضيق استعيرت للشمول
والشيء الموجود مطلقا او اعم منه على الخلاف المشهور فيه وهو هنا ما سوى الله وان
صح اطلاقه عليه كما في قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله لان شمول الرحمة للذات
لا يصح وان شمله العلم فيما سواه ظاهر لان كل شيء منعم عليه حتى المعذب بتوكد الاسند
والمعد وهو رحمة وعلما منصوبان على التمييز والجملة مستانفة وتعلق العلم بكل شيء كليا
وجزئيا مبرهن عليه في الاصول وفي شرح السيد هنا نقلا عن التفسير الكبير انا لا نعلم
كنه صفات الله كما لا نعلم كنه ذاته وانما المعلوم لنا انا لا نعلمها الا بلوازمها واثارها
وذاته لم تكمل بها لان الذات كالمبدا لها فيلزم استكمال الذات بالممكن بالذات بل كمال
الصفات يستلزم الصفات وفي عوارف المعارف اجمع الصوفية على ان الله تعالى صفات
ثابتة لا بمعنى انه محتاج اليها ويفعل بها بل بمعنى نفي الضد وثبوتها قايمة به وهذه
مسئلة نفيسة سكت عنها الاصوليون وربما اوهم كلامهم خلافها وذو فيها الله لا اختيار
له تعالى الى الصفة الموجودة في تحقق اثرها بل لو لم تكن موجودة كان الاثر بحاله الا ان
وجودها اكمل لاقتضا كمال الذات لها ويدفع قول الحكيم الكمال بالذات اعلا من الكمال بما
سواه لاستلزامه الاستكمال وظهر انه مذهب اهل السنة اعلا عقلا ونقلا الا ان فيه ايهام
تعطيل الصفة ويدفعه ان مجرد وجودها فايدة وان سلم فليكن شيئا عاديا كالاثار كاثر
الاسباب عند الاشعري رحمه الله فلا استكمال ولا تعطيل فتدبر واحفظه فانه عزيز انتهى
**اقول** قوله لا استكمال الذات بالممكن بالذات اشارة الى ما قاله في تعليله لان الخلق هو
الايجاد بعد العدم مطلقا ولذا لا يقال صفات الله تعالى مخلوقة لانها لم تسبق بالعدم
وان كان التحقيق انها ممكنة بالذات مطلقا مكان الصفات اي محتاجة الى الغير لان كل محتاج
ممكن فليست واجبة بالذات بذاتها والا لزم تعدد الواجب لذاته وذلك لا يجوز والصفات
ليس شيء منها مسبوق بالعدم بل موجودة ازلا وابدا وان جاز ان يقال في سايرها انها
مخلوقة وان الذات خلقتها واوجدتها ونحوه لكن بمعنى انها محتاجة الى الذات لا انها
اوجدتها بعد العدم لكنهم يتحاشون عن استعماله وان كان صحيحا ويرون العوض في مثله
سوالا وجوابا بدعة لعدم وروده في الشرع فلا محذور في ترك التعرض له الا اذا كانت
له الضرورة ولذا قال في التفسير الكبير الذات المقدسة كالمبدا للصفات وقد استشكل
ظاهره لانها ان لم تكن مبدا لم تكن الصفات ممكنة بل واجبة فيلزم تعدد الواجب وهو
لا يجوز **واجيب** بان المتبادر من المبدا انه موجد بعد العدم والصفات
غير مسبوقة بعدم بل لم تزل موجودة الا ان الذات تقتضيها وتحتاج اليها وتتوقف عليها
فالذات بالنسبة اليها كالمبدا لا مبدا لها مما تنتهي **واعلم** ان بعض علما المغاربة قال ان
الفلاسفة اجمعت على نفي الصفات لشبه تقرب مما قالته المعتزلة فقالوا لو وجدت الصفات
لزم افتقارها للذات لاستحالة قيامها بنفسها وبعضها شرط لبعض كالحياة للعلم

عيسى

صاحب السويه

فيلزم الافتقار والتاخر وهو مناف للوجوب **واجيب** بمنع الملازمة فان الافتقار للغير
ان كان في افادته الوجود كان حادثا ونحن لا نقول في هذا بل نقول جميع صفاته واجبة الوجود
غنية عن مقتضي الوجود فان عنيتم بالافتقار عدم الانفكاك فهو لا ينافي الوجوب ولما
اعتقد الامام رحمه الله صحة قول الفلاسفة ان الافتقار مطلقا يوجب الامكان وان
وجود الصفات تقتضي التركيب والمركب مفتقر لجزئيه فلا يكون الا ممكنا واستشعر النقض
بصفاته تعالى فقال نستخير الله في القول بامكانها لذاتها مع جزمه به وواه بكلمة والعياذ
بالله تعالى لم يسبق اليها فقال هي ممكنة باعتبار ذاتها واجبة بوجوب ذات الله
والذات قابلة لصفاتها وفاعلة لها وهي زلة شنيعة **اقول** هذا من نفايس الذخاير
المستودعة خزاين القلوب وقد تكلم فيها قدما الحكما والمتكلمين كما نقله الامام في المسايل
الاربعين عن الرئيس وجزم بان علة الامكان الافتقار ونازعه فيه العلامة القرافي
في حواشيه على هذه المسايل فقال الصفات يجب قيامها بالموصوف ويستحيل عليها القيام
بنفسها فان عنيتم بالافتقار هذا القدر فمسلم لكن العبارة ردية ولا يلزم منه الامكان
اذ الافتقار على هذا التقدير في القيام لا في الوجود ولا يلزم من الافتقار في القيام
الافتقار في الوجود فان العرض مفتقر للجوهر في قيامه ومستغن عنه في وجوده فانه
من الله فلا يلزم من مطلق الافتقار الامكان فبطل قوله كل مفتقر ممكن بل المفتقر يكون
افتقاره باعتبار تركيبه وباعتبار قيامه ومنه افتقار الصفة لموصوفها وباعتبار وجوده
كافتقار الاثر للموثر وهذا هو المقتضي للامكان فالافتقار اعم والامكان اخص والاستدلال
بالاعم على الاخص غير مستقيم انتهى **اقول** تحرير محل النزاع مع بيان الحق فيه ان مطلق
الاحتياج للغير مستلزم للامكان او الاحتياج في الوجود فقط فالرئيس ومن حذا حذوه
جزموا بالاول والقرافي ومن تبعه كالسنوسي منعوه وقالوا بالثاني وشنعوا
على من خالفهم ولا يتم لهم هذا السلامة الامير فان كل ما احتاج لسواه حاجة ثابتة
لا يوجد بدونه سواء كان علة او شرطا لوجوده كالجوهر للعرض مثلا لا يمكن وجوده بدونه
فيلزم امكان عدمه بالذات وان لم يكن حادثا وهذا لا محذور فيه في صفات الله القايمة
به وان كان الادب ترك التصريح به كغيره وهذا من مخدرات الاسرار التي لا تدرج لغير
محرم فنقول الذات المقدسة غير مفتقرة للصفات التي ليست عينها بل الصفة مفتقرة
للذات لاستنادها اليه وعدم صحة استغنائها عنه بديهة واذا كانت الذات غير محتاجة
للصفات ولا مستكملة بها لا يلزم تعطيلها ايضا لان وجودها فايدة لكونها صفات كمال
فليست مؤثرة بالذات ولا واجبة بالذات بل بالاسناد للذات التي هي كالمبدا لها لانها قديمة
ليست منفكة لكن وجوبها ليس لذاتها بل لغيرها وهذا لا ينافي الامكان ولا يقتضي الحدوث
الزماني وبقولنا كالمبدا ظهر ان قول المعترض انها مبدا وفاعل تقول عليه وقال
الاسنوي في شرح منهاج البيضاوي بعد ما نقل قول الامام في الاربعين ان صفات
الله ممكنة لذاتها واجبة الوجود لوجوب الذات فقد تلخص مما قاله ان الصفات
واجبة للذات لا بالذات اي واجبة لاجل الذات المقدس لا ان ذات الصفات اقتضت
وجود نفسها انتهى وقال بعض فضلاء العصر فكون الصفات ممكنة في حد انفسها
معللة بالذات القديم لكن يجب ان يكون الذات موجبا بالنسبة اليها وان كان

تخطئة للامام

ابن سينا

قنالي زاده

مختارا

مختارا بالنسبة الى ما سواها من مخلوقاته والا لزم الخلف وبنا بنا على ما تقرر من ان القصاد من
الجمار خادمة البنية انتهى واسبغ اي اتم وكل ما هو في الاصل صفة للدرع والثوب الطويل
استعير من الطول والسعة لما ذكر ثم صار حقيقة فيه لشيوعه على اوليائه جمع ولي فعيل
بمعنى فاعل او مفعول اي موالي او موالى ويطلق على الله وعلى غيره نحو الله ولي الذين امنوا
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهو من الموالاة وهي الاتصال والقرب ويكون
ذلك في النسب والدين والصداقة والنصرة وله معنى يعم كل مومن واخر يختص بمن اخلص لله
دولاه امره واخص منه وهو من افاض الله عليه ما فضله به على غيره من اسرار ومعارف الهية
انار بها بصيرته حتى يشاهد صنعه وينكشف لنفسه القدسية خفايا الملك والملكوت
وهو مرتبة جليلة وباب لذلك مزيد بيان وكل نبي ولي ولا عكس وقيل ولاية النبي افضل
من نبوته كما ان نبوته افضل من رسالته ولا يلزم منه تفضيل الولي على النبي كما توهم والمراد
هنا الاول او الثاني ويحتمل ان يكون الاسباغ هنا على حقيقته بان يشبه النعم المسبغة
بملبس يصونه على انه استعارة مكنية وتخييلية كما في قوله

اذا ما غزا دهري وخفت خطوبه ◦ على درع من نداه سوابغ

نعما جمع نعمة وهي ما انعم الله به واعطاه من فواضل احسانه ويكون بمعنى الانعام
والاحسان والحمد على الانعام امكن من الحمد على النعم كما فصل في محله عمّا هو بعين مهملة
مضمومة وميم مفتوحة مشددة تليها الف اما زائدة كالف زيد في قولك رايت زيدا بحالة
الوقف فالعين زائدة او بدل من التنوين كما في ساير المنصوبات المنونة او هي الف مقصورة
كالف حبلى ومعناه عميمة اي عامة شاملة لكل شيء من الاجزا والجزئيات قال ابن عصفور
في شرح شواهد الايضاح عند الكلام على قول الشاعر

طافت به الورس حتى بدا ناهضها ◦ عمّ لنخل لقاحا غير منتشر

العمّ الطوال من النخل واحدة عميمة عن ابي حاتم ويعقوب وكانه خفف من عمم ثم
ادغم لاجتماع المثلين وقال اللحياني نخلة عم ونخيل عم اي طوال فعم على هذا مصدر وصف
به الواحد وغيره ويبعد ان يكون من باب ذلك لقلته وقال ابن دريد العم العظام ه
واحدها عمى كحبلى وهذا اقيس الوجوه انتهى واقتصر في التسهيل على انه فعل بضمتين
فسكون جمع عميمة لان فعيلة تجمع على فعل قياسا مطردا وفي كتاب النبات للدينوري
بكسر الدال وفتح النون في باب النخل العمة النخلة التي يصعد اليها اذا اجتنيت ومن العميمة
ايضا والنخل العم الذي استحكمت وكملت وطالت وكذا في جميع النبات وفي العم يقول
الانصاري

فعم كعمكم نافع ◦ وطفل لطفلكم يومل

اي كبار يلحق نفعهم ككباركم وصغار تومل لصغاركم فشبه صغارها اطفالا انتهى ومما
قصصناه عليك علمت ان قول المص رحمه الله عمّا اما منون او غير منون مقصور
وانه يجوز فيه ان يكون جمعا ومفردا بمعنى عظيمة او عميمة شاملة فافاد وصف نعم الله
بالزيادة في الكم والكيف وللشراح رحمهم الله فيه كلام غير واف بحق المقام ثم لما كانت
بعثة الرسل اجل النعم واجلها بعثة خاتم الرسل عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام
عطف على قوله اسبغ الى اخره قوله وبعث فيهم من عطف الخاص على العام لبراعة

الاستهلال وما قبله تمهيد له والبعث في الاصل الاثارة او الايقاظ من النوم وبمعنى الاحيا
والنشر من القبور وبمعنى ارسال الرسل وهو المراد هنا فاذا تعدي بفي فمعناه انه جعله
بين اظهرهم واذا تعدي بالى فمعناه انه مرسل لدعوتهم سواء كان فيهم ام لا وقد يستعمل
كل منهما بمعنى الاخر وضمير فيهم للاوليا بمعنى المؤمنين من غير تكلف لانه ليس قبله
ما يصلح للرجوع له غيره والمراد مطلق المؤمنين وبعثه صلى الله عليه وسلم فيهم لا يقتضي
تخصيص البعثة بهم فينبغي ان لا يجعل في بمعنى الى حتى يرد عليه ان البعثة عامة للثقلين
غير خاصة بهم وانه ينبو عنه قوله الاتي عربا وعجما وقيل ان ضمير فيهم يفسره قوله الاتي
عربا وعجما وليس راجعا لغيره وقيل انه راجع لكل موجود من الثقلين المفهوم من قوله
قبل كل شيء وقيل بعث بمعنى ارسل فيما بينهم بان اوحي اليه بتبليغ الشرايع والبعث
وان كان في الكفار فان كثيرا منهم قد علم الله انه سيصير من اهل ولايته ومنهم من اشرف عليها
وهو المراد بالاوليا او هذا ليس بيانا لاول البعثة ثم قال البعثة انما هي في العرب بل في
اهل مكة والمبعوث فيهم جماعة هو بين اظهرهم فضمير فيهم لاوليا العرب وضمير انفسهم
الاتي للعرب والعجم لقوله عربا وعجما فلا تكون الاوليا مرجعا لهما الا بالتكلف بان يقال
كان فيهم العجم والاوجه انه استخدام او اريد بالبعثة فيهم وجودهم في زمنها او يكون
مبعوثا في الكل او في بمعنى الى او يراد مطلق الاوليا اعم من الكل والبعض والبعثة باعتبار
فرد والانفسية باعتبار المجتمع اقول هذا التعسف كله في غنية عنه فالحق انه لما ذكر عموم
الرحمة اتبع ذلك ببيان ان رحمته الكاملة الشاملة مخصوصة باوليائه وهم مطلق
المؤمنين وان من اعظمها عليهم بعد الايمان بالله بعثه هذا الرسول صلى الله عليه وسلم
فيهم واتباعهم له ولا يلزم منه تخصيص الرسالة بهم كما في قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم كما ياتي وهو مبني على ان مطلق النعمة عامة للبر والفاجر
والنعمة التامة مخصوصة بالمؤمنين وليست العامة مخصوصة كما قيل لا نعمة لله على كافر
وعموم رسالته صلى الله عليه وسلم مشهور معلوم من غير هذا وقوله رسولا مفعول
بعث ولم يذكر المرسل اليهم اشارة الى عموم رسالته صلى الله عليه وسلم بمعنى المرسل وهو
نبي اوحي اليه ما امر بتبليغه والنبي من اوحي اليه مطلقا فبينهما عموم وخصوص مطلق
وذهب صاحب القاموس رحمه الله الى انه وجهي وفيه نظر وسياتي تفصيله عند كلام
المص عليه في الباب الرابع من القسم الاول من انفسهم بضم الفا جمع نفس ولها معان
منها العين والذات الشاملة للروح والجسد ومنها الروح ومرجع الضمير كالسابق
والمراد انه من جنس البشر وانما امتاز عنهم بالرسالة والخصايص المودعة في ظاهر
عنصره التي اهله الله بها لان يكون اهلا لامانته ولم تنفسه بما فسر به قوله تعالى لقد
من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم بانه من جنسهم عربي مثلهم لان
المخاطب ثمة العرب امتنانا عليهم واقامة الحجة لديهم وان فسر ايضا بما هنا ولكل مقام
مقال لانه لا يناسب التعميم بعده وفيه تجنيس لما بعده وبعثه في الجنس يجعل ما للبعض
للكل كما يقال بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم فلا ينافي كون المبعوث فيهم
طايفة مخصوصة وبعضهم فتح هنا الفا قالوا وهو خطا رواية ودراية انفسهم
بفتح الهمزة والفا والنصب على البدلية من قوله رسولا لجواز ابدال المعرفة من النكرة

او

سيد عيسى

او بتقدير عامل له ويجوز رفعه على انه خبر مبتدا مقدر وجره على البدلية من الضمير قبله ورجح
بانه المروي والموافق لقراءة الآية وفيه اشارة الى القرآني وهو افعل تفضيل من النفاسة
من نفس بالضم صار مرغوبا فيه فهو نفيس عظيم في النفوس يحرص عليه وقيل الانفس الاعلى
والاشرف ومنه الحديث سئل صلى الله عليه وسلم اي الرقاب افضل قال انفسها عند اهلها
اي افضلها وفيه نظر وهو قريب مما قبله عربا وعجما بضم اوّلهما وسكون ثانيهما لغتا للفاصلة
وفيه لغة اخرى بفتحهما والعرب الجيل المعروف والعجم من عداهم وهو المراد او غلب على
صنف من فارس والعرب اسم جنس جمعي واحده عربي وقيل لا واحد له وقد يختص بسكان
القرى والامصار منهم كما يختص الاعراب بسكان الاخبية والبوادي ولذا قيل انه لا واحد
له لان العرب مغاير لهم او اعم فلا يصح ان يكون مفرده حتى غلط سيبويه رحمه الله في القول
به وقال الراغب في توجيهه الاعراب جمعه في الاصل ثم صار اسما لسكان البادية والغلبة
بعد الجمعية كالانصار ولذا النسب له بلفظه فلا يرد ما قالوه وسميت العرب لسكناهم في بلدة
تسمى عربة كما قاله الازهري وما قيل من ان اولهم اسماعيل صلى الله عليه وسلم وكلهم من
نسله ليس بمقبول عندهم لانهم كانوا قبله بنواحي اليمن وابوهم قحطان وانهم جرهم
والعمالقة واسماعيل صلى الله عليه وسلم تزوج منهم فتكلم بالعربية كما يأتي بيان ذلك
والعرب قسمان عاربة ومستعربة فالعاربة بمعنى الخلص وعرب عاربة كليل اليل والمستعربة
ولد اسماعيل عليه الصلاة والسلام ومن بعده طرات عليه العربية وعليه حمل انه اول العرب
اي المستعربة وقحطان ابنه شالخ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وكونه من ولد
اسماعيل عليه الصلاة والسلام غلط نشا من اشتراك مسمي كما في الروض الانف وغيره
ونصبهما على التمييز او بنزع الخافض وازكاهم افعل تفضيل من الزكاة وهي الزيادة
محسوسة كانت او معنوية والطهارة الحسية والمعنوية ايضا اي هو صلى الله عليه وسلم
اكثرهم عبادة وتقوى ومعرفة بالله وشرفا واطهرهم وانزههم عن القبايح عنصرا وخلقا
وخلقا العصمته صلى الله عليه وسلم من دنس البشرية كما سياتي محتدا بفتح الميم وسكون الحا
المهملة وكسر التا الفوقية واخره دال مهملة وهو والجرثومة والارومة والمنصب والعنصر
والضيضي بمعنى وهو اصل النسب كما في فقه اللغة وفي الصحاح حتد بالمكان محتدا اقام
وثبت والمحتد الاصل وفي القاموس من معانيه الاصل والطبع فاصل معناه الاصل
مطلقا وظاهر كلام الثعالبي ان حقيقته اصل النسب فكانه مشترك وعلى كل فما في
شرح المواقف من انه مكان القائم به والعرب تقول لله بلد اطلعتك يعنون به شرف
النسب كقولهم لله دركك لا يخلو مما فيه من القصور لمن تدبر والمراد انه صلى الله عليه
وسلم اشرف العرب والعجم واعظمهم نسبا فما قيل من انه لا يناسب عموم التفضيل
ليس بشيء يحتاج للرد ومنمي بميمين مفتوحتين بينهما نون ساكنة اسم زمان او
مكان او مصدر ميمي من نميته اذا نسبته او من نمي المال اذا زاد اي انه حسبه
صلى الله عليه وسلم ونسبه الذي انتمى اليه ازكى من جميع الاحساب واشرف من
ساير الانساب فلا وجه لما قيل ان المراد به انه ازكى من جميع المومنين الذي بعث
فيهم او ان محل نمايه اي مكة او المدينة ازكى مما عداه لازدياد الدين وظهوره بها
ويجوز ان يراد ان ذاته في نما العمر والصبا الطاهر على انه مجاز عقلي لما عرف منه

صلى الله عليه وسلم في صغره ليغسله من نزغة الشيطان منه وشق صدره ورفع خفة الصبا عنه ولا
يرد عليه ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا في الصغر كما قيل وتنصيبهما على التمييز ايضا
وارجحهم عقلا رجحان العقل زيادته ووصفه به مشهور في الكتب القديمة وسياتي ويقابله
الخفة والنقص وهو في الاصل يستعمل في الوزن وقد صار حقيقة عرفية في مطلق الزيادة
الممدوحة تمثيلا او مجازا مرسلا او استعارة مكنية من رجحت كفة الميزان اذا زيد ما فيها
فاريد به لازمه والاستعارة فيه احسن كما قال الاخطل

واذا وزنت حلومهم الى الصبا • رجح الصبا بحلومهم فمالا •

وفيه اشارة لما في الحديث كما ياتي من انه صلى الله عليه وسلم لما شق صدره قال احد الملكين
للآخر زنه بعشرة الى ان قال لو وزنته بجميع اهل الارض رجح والوزن فيه كما قالوه
اعتباري والرجحان انما هو في الفضل وفائدة فعل الملكين ذلك ليعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم
وامته والعقل يقال للقوة القابلة للعلم ولما يستفاد بواسطتها وقيل هو نور روحاني تدرك
به النفس ومحله القلب او الدماغ او هو مشترك بينهما وفيه خلاف مشهور ويقال العقل عقلان
مستفاد ومكتسب ومطبوع ومسموع وهو من عقل الدابة لمنعه الانسان عن القبائح كما قال
الشاعر في التلميح لاسله قد عقلنا والعقل اي وثاق وصبرنا والصبر مر المذاق وحلما هو قوة
توجب الصبر على الاذى وقال الراغب الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب وقيل الصبر على
الاذى وقيل الحليم من عفا بعد ما قدر وقيل من لا يعجل بالانتقام واورد عليه الرازي
ان من لا يعجل بالانتقام ان عزم عليه فهو حقود وان عزم على عدمه فهو عفو عفو فاين
الحلم ومعناه الا ان يقال انه من يعزم على ان لا ينتقم البتة بشرط ان لا يظهر ذلك فان اظهره
فهو عفو وهذا يظهر الفرق بين الحلم والعفو وقد فهم من كلام السلف ان الحلم صفة تعارض
الانتقام وتمنعه ومنع الانتقام وحده هو العفو وقد يمنع الحليم تعجيل العقوبة مع
القدرة عليه وتوخ لحكم خفية ويفار فيه بان صاحبه لا يقدر على الانتقام حالا مع انتظاره
للفرصة ولا يخفى ما فيه وهو في صفات البشر ان يملك نفسه فلا يغضب اذا اوذي ورأى
ما يكره مع تمام الوقار فاذا وصف به الله اريد غايته لامتناعه عليه فهو ترك الانتقام
او تعجيله مع القدرة عليه ومغايرة الاول للحقد والعفو ظاهر واما الثاني فلا منافاة
بينه وبين الحقد فانه تعالى لا يوصف به وكذا مغايرته للعفو بحسب المفهوم وبحسب
الماصدق فانه قد يحلم ولا يعفو كما في حلمه على الكفرة في الدنيا وقد يقال عفوا له ولا يقال
حلم فتدبر وا وفرهم اي اكثرهم واتمهم من الوفرة وهي الكثرة والوسعة علما وفهما
العلم هو الادراك الجازم وحصول صورة الشيء في العقل او الصورة الحاصلة فيه او
عنده مفردا كان او مركبا وقد يراد به المعلوم الحاصل في الذهن والملكة والنسبة
والكلية ظاهرة والفهم هيئة للنفس يتحقق بها ما يحس قال تعالى ففهمناها
سليمان وقول الجوهري كغيره الفهم العلم على عادتهم في التسامح فليسا مترادفين
حتى يكونا هنا كقوله

والفى قولها كذبا ومينا • اذا العلم مطلق الادراك والفهم سرعة انتقال النفس
من الامور الخارجية لغيرها فالمعنى انه صلى الله عليه وسلم اعلم الناس واحذقهم
وفيه اشارة الى ان علمه صلى الله عليه وسلم كعلم غيره من البشر ضروري وكسبي

وقوله

وقول بعض الصوفية ان العلوم كلها بالنسبة اليه ضرورية فذرده الشيخ رحمه الله وفق بانه ان حمل على ظاهر
لزمه ان ينتفي عنه التكليف لان العلوم الضرورية لا يكلف بها ولا يؤجر عليها وان اريد انه لشدة
ذكائه ونفسه القدسية علمه بالكسبيات كغيرها فهو صحيح وافقواهم يقينا اليقين والايقان اتقان
العلم بنفي الشبه عنه فلا يوصف به الضروري ويتفاوت قوة وضعفا ولذا قال المصنف رحمه الله
اقواهم ويشهد له الوجدان وقيل انه لا يتفاوت وانما التفاوت في اثاره ولذا قيل لو كشف
الغطاء ما ازددت يقينا ونسب للحنفية وامام الحرمين فما يتخيل انه اقوى انما هو اجلى عند
العقل وعزما العزم والعزيمة عقد القلب على امضاء الامر يقال عزمت الامر وعليه وبه
ومنها اولوا العزم من الرسل لقوة باسهم ومضاء عزمهم في تنفيذ اوامر الله وتبليغ شرايعه
فمن توهمه معنى اخر فقال ليس المراد بالعزم مطلق عقد القلب بل ما في قوله تعالى فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل لم يصب وعزم الله ايجابه وفي التهذيب عزمة من عزمات
الله اي حق من حقوقه وواجب مما اوجبه والعزم الصبر وقول السيد عيسى قال المرزوقي
والعزم توطين النفس وعقد القلب على ما قصد فعله ولا يجوز اطلاقه على الله والعرب
تمدح به لدلالته على قوة الطبيعة وعدم التزلزل في الراي والتدبير والا لربما
بطل لرويته غير ما عزم عليه فيتردد وقد علمت ما يخالفه من انه ورد اطلاقه على الله كما
ورد في مسلم وصححه شراحه الا ان يريد انه لا يطلق بالمعنى المذكور ولا يخفى بعده وا شدهم
لهم رافة ورحما الرحم بضم الراء وسكون الحاء المهملتين يقال رحمه رحمة ورحما كقفل ورحمى
كرجعى فهو هنا منصوب او مقصور والرحمة العطف والشفقة والانعام والرافة
بمعناه فذكرها للتاكيد او هو عطف تفسيري والرافة اخص لانها اشد الرحمة كما في
الصحاح وغيره وعلى هذا قدم الاخص للاعلى في الاثبات على عكس المعروف في استعمال البلغا
للفاصلة كما قاله الشراح تبعا للقاضي في التفسير وغيره لا وجه له كما بيناه في حواشيه
لان الرافة حيث قارنت الرحمة قدمت عليها ولو في غير فاصلة كقوله تعالى رافة ورحمة
ورهبانية ابتدعوها حيث قدمت في الحشو والذي غرهم كلام الجوهري وغيره والحق
تغايرهما حيث اجتمعا فان معنى الرحمة الانعام او ارادته والرافة التلطف والمعاملة
برفق لانه يقابله العنف والتجبر كما يعرفه من يفهم كلام العرب فلا بد من تقديمها
على الرحمة كما قيل في المثل الايناس قبل الابساس وكما قال اما حكضيق قبل انزال رحله
وقال الحسن الكرم التبرع بالمعروف قبل السؤال والرافة مع البذل ويوضحه قول قيس
الرقيات • ملكه ملك رافة ليس فيه • جبروت منه ولا كبريا •
ومن تتبع مواقعه وعرف مقابله جزم بما قلناه وياتي لهذا مزيد بيان ايضا في الباب الاول
وقال اشد هنا تفننا وايضا للمطابقة كقوله تعالى اشدا على الكفار رحما بينهم
زكاه روحا وجسما التزكية التطهير والتقديس والتنمية والزيادة اي خلقه زايدا
على من سواه منزها عن دنس البشرية ووسخ العناصر والكلام على الروح وانه جوهر
مجرد او سار في البدن سريان ما الورد في الورد او هي ما لا يدرك كنهه ولا ينبغي الخوض
فيه مبسوط في تاليف مستقل به والنفس تكون بمعنى الروح ايضا وتزكيته صلى الله
عليه وسلم كونه في اكمل تقويم واحسن صورة مكملا بالقوى الظاهرة والباطنة مطهرا
من حظ الشيطان ودنس في نفسه وبدنه بشق قلبه وغسله كما سياتي وفضل هذا

الجملة وَاتي بها فعلية لانها كالموكدة لما قبلها وَلتلوين الخطاب وحاشاه فعل مَاض يقال
حاشاه يحاشيه قال ولا احاشي من الاقوام من احد وَليس هذا ماخوذا من حاشا الاستثنائية
فانها مشتركة بين معان ثلاثة فتكون فعلا متصرفا بمعنى جنب وَباعد وَاداة تنزيه
كما في قوله تعالى حاش لله وَيكون للاستثنا وَاحكامها مفصلة في بابها وَليس هذا محلها وَهل
هو بمعنى اخرج او بمعنى نزه فنصب مَا بعده على نزع الخافض اي من عيب او عن عيب او
بمعنى جنب فنصبه على انه مفعول به وهذا اقرب سوا ورد عن العرب ام لا وهذا الخير
او تضعيف فمعناه منزه وعزله عن النوع الانساني الذي هو عيبة العيوب وَالضمير
راجع للرسول صلى الله عليه وسلم وقيل نصب ما بعده على التمييز كامتلا الانا وفي
الحديث اسامة احب الناس الي مَا حاش فاطمة وَليس هذا محل الكلام فيه فالمعنى جنبه
عيبا وَوَصما اي كل عيب وَوَصم لان النكرة في سياق النفي معنى للعموم مع ان النكرة قد
تعم في الاثبات وَالوصم بفتح الواو وَسكون الصاد المهملة ان فسر بالعيب فهو من عطف
احد المترادفين على الاخر اطنابا في مقام الخطابية تتميما للفاصلة وَان فسر بالعار
كما في القاموس فهما متغايران وَالتوصيم في الجسد كالتكسر وَالفترة وَالكسل فعلى
هذا يفسر بالتواني وَهذا ابلغ وَالمعنى ان الله نزهه عن العيوب الحسية والمعنوية
وَوفقه للجد في اموره من غير توان لتوفيقه للجد في اموره وَاتاه بالمد بزنة اعطاه
وَمعناه فيتعدى لمفعولين حكمة في القاموس انها العدل وَالحكم وَالنبوة والعلم والقران وَالحلم
وَهي من احكمه عن كذا اذا منعه لانها تمنع صاحبها عن النقايص ومن حكمة الدابة وقال
وَقال البيضاوي هي في عرفهم استكمال النفس الانسانية باقتباس النظريات وكسب الملكة
التامة وَالمدا ومة على الافعال الفاضلة بقدر الطاقة البشرية قيل وَلما لم يشمل ما ذكره القاضي
في تعريفه حكم الله قال بعض المحققين انها العلم بالاشيا كما هي وَالعمل به كما ينبغي وفيه نظر سيد
وَحكما اي قضا وَفصلا للامور على الحق سوا كان الزاما للغير ام لا وَيجوز ان يراد به خطاب
الله المتعلق بافعال المكلفين وَالاول اظهر ولذا اقتصر عليه الشراح ويكون بمعنى الحكمة
وَليس مرادا هنا وَهي مساوية لها للاشتقاق السابق وَبينهما نوع من الاشتقاق يجوز ان
يكون من جناس التحريف وما فيه من السوال وَالجواب بعدم النظر لها امر سهل لا ينبغي
تكثير السواد بمثله وفتح به اي بسببه او آلة للآلة اعينا جمع عين وَفتح العين بمعنى فتح ابن الحنبلي
اجفانها وهو كناية او مجاز عن جعلها مبصرة بعد ان لم تكن كذلك او هو عبارة عن كونه
وَاسطة في نيل سعادة الدارين بسبب دعوته صلى الله عليه وسلم وَقيل انه سبب عادي
لان الله تعالى جعل ارسال الرسل عليهم الصلاة وَالسلام امارة لخلق الهداية فيمن عصري
ارسل اليهم كالشبع وَالري الاعين جمع قلة وكان مقتضى المقام جمع الكثرة لكنه اتبع
اللفظ الوارد فيه كما ستراه وَجمع القلة قد يكون للكثرة كعكسه او هو هنا النكتة
كعده قليلا بالنسبة لقدرته تعالى او لكونها كانت قليلة في الابتدا وَسياتي
تخفيفه وعميا جمع عميا وَيكون جمع اعمى وَهو صفة من العمى وَهو عدم البصر عما هو
من شانه فان لم يرد المعنى فهو استعارة لا تمثيل وَتشبيه جعلت الحواس التي لا ينتفع
لها كالمفقودة فمن توهم ان ذكر الاعين المشبهة مانع من الاستعارة لم يفتح عينه رمي
وَليس هذا كقول المتنبي انا الذي نظر الاعمى الي ادبي * وَاسمعت كلماتي من به صمم *

تلبيسا

لان معناه ان كلامه لبلاغته وحسنه شاع وذاع وملأ الاسماع حتى كان الاعمى يراه والاصم
يسمعه وقلوبا غلفا جمع قلب وهو العضو المعهود ويراد به العقل وقد فسر به هنا وهو
الظاهر لقوله غلفا بضم الغين المعجمة وسكون اللام جمع اغلف بمعنى ذي غلاف وغطاء
في اكنة ومنه غلام اغلف بمعنى اقلف من غلفت السيف ونحوه ويكون جمع غلاف واصله غلف
بضم اللام فخفف وبه قرئ قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف وتبيع ارادته هنا على انه بدل
اشتمال فيكون المفتوح غلافه وغطاؤه وعلى الوجه الاول الاولى عطفه على الاعين المفتوحة
تغليبا او بتقدير وازالته غباوة قلوب غلف على نهج قوله متقلدا سيفا ورمحا
وهذا مبني على ان القلب محل العلم والقوة المدركة قائمة به لا بالدماغ وتغطية الجهل لها
تغطية ما فيه ومعناه ان قلوبهم كانت محجوبة عن الهداية فازال النبي صلى الله عليه وسلم
حجابها وكشف غطاءها حتى اهتدت ففيه استعارة تمثيلية او تخييلية ومكنية كما حقق
في الكشاف وشروحه وهو لا ينافي قوله تعالى وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم لانه فيمن
طبع على قلبه وهذا في غيره او المنفي الدلالة الموصلة والمثبت مطلق الدلالة والاول اولى
واذانا صما اذان جمع اذن بضمتين وتسكن تخفيفا وهي الجارحة المعروفة وصما بالضم ثم التشديد
جمع صم كعمي وعميا ويجوز فتح صاده على انه مفرد مؤنث ممدود وقصر للوقف وصف به الجمع
كجبال راسية والصمم آفة تمنع السمع وفتحه ازالته مجاز مشهور ويقال في مثله اسندت
استعير هنا العدم الاذعان للحق والانتفاع به لانها لم تسمع السمع المعتد به فنزل سمعها منزلة
العدم فلما ارشد والحق وكشفت عنهم الحجب المظلمة وانقادوا وامنوا بعد ان كانوا كمن زال الصمم
فامن به اي بالنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقة الايمان تجعل الغير في امان فهو متعد بنفسه ثم
ضمن معنى الاقرار والاعتراف فعدي بالباء كامن بالله بمعنى صدقه واعترف به وقد يعدى باللام
وهو في الشرع التصديق بما علم مجيء النبي صلى الله عليه وسلم به ضرورة تفصيلا فيما علم تفصيلا
واجمالا فيما علم اجمالا والتلفظ القادر به شرط له فمن اخل به فهو كافر فهو كالعمل خارج عنه وذهب
بعضهم الى انه جزء منه داخل في حقيقته الا انه عند بعض المحققين جزء لا يلزم من عدمه عدمه
كالشعر والظفر من الانسان والاوراق والسعف من الشجر كما ذهب اليه بعض السلف وتفصيله
في كتب الكلام وعزره ونصره بعين مهملة وزاي معجمة ثم راء مهملة بمعنى وقره وعظمه ويكون
بمعنى اعانه على عدوه والاول المراد لما فيه من التاسيس واصل العزر بفتح فسكون المنع واستعمل
فيما ذكر لما فيه من المنع عن الاهانة ونحوها وكذلك التعزير المعروف واطلق عليه لمنعه عن
العود للجناية ولم يعدل عنه لايهامه المعنى الاخير لدفع السياق له ويرجحه موافقته
للقران في قوله عز وجل وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه مع ما فيه
من الاعتماد على اقوى الدليلين وهو اللفظ والفعل ولا يلتفت لما قيل لولا القران
لكان الاولى ان يقال عززه بمعجمتين احترازا عن المشترك بين الاهانة وضدها
وسياتي انه قرئ بهما في اية الفتح والنصر الاعانة والدفع عنه ما يضره ويقال نصرت
السحابة اذا امطرت ونصره اذا اعطاه وقدم التوقير على النصر لموافقة الواقع ودفع
الاحتمال وقوله من موصول تنازعه الفعلان جعل الله له اي قضى وقدر كما علم بالنقل
كقوله اولئك هم المفلحون وكل ميسر لما خلق له واذا اراد الله سعيدا لاناس فانهم سعدا
وليس في هذا ايجاب ولاجبر كما توهم في مغنم السعادة مغنم كمقعد بمعنى الغنم والغنيمة

وهو الفوز بما يطلب من الخير ونحوه ويطلق على ما يغتنم من كل شيء والسعادة ضد الشقاوة وتحقق بالفوز بالنعيم الاخروي واضافته الى المغنم بالمعنى المصدري لامية وهي بيانية ان كان بمعنى ما يغتنم ويجوز ان يكون بمعنى اللام كما قيل وهو حسن لان المغنم والغنيمة ما اخذ من العدو قهرا فكان المومنين لما اختصوا بالسعادة دون غيرهم كانهم سلبوهم اياها والجامع بينهما ان كلا منهما له فايدة عظيمة لا تحصل الا بجد وجهد ولا وجه لما قيل ان وجهه خفي او اقوى في المشبه فانه ظاهر لمن له ادنى تامل قسما بكسر القاف بمعنى الحظ والنصيب ويجوز فتحها قال في المصباح قسم من باب ضرب والقسم بالكسر اسم مصدر ثم اطلق على الحصة والنصيب ومناسبته للمقام ظاهر وكذب به يقال كذب بكذا تكذيبا اذا انكره وجحده وكذبه اذا جعله كاذبا في كلامه هذا هو المعروف في الفرق بين المتعدي بنفسه وبالباء فالمراد انه انكره انه صلى الله عليه وسلم من حيث النبوة والرسالة ولم يقل كذبه لانه بمعنى ما بعده فمن فسره بانه جعله كاذبا او انكره فقد خالف الظاهر وقيل المراد ان هذا الوعيد والشقا الابدي ثابت لمن انكره كان وصفه بغير صفته كاسودا وغير قرشي فقد فسره بغير مراده وصدف بمهملتين وفا بمعنى اعرض عن اياته جمع اية وهي العلامة والامارة وايات القران العلامة منه ذات مقطع ومبدا وتكون بمعنى المعجزة التي هي علامة النبوة ويجوز ارادة كل من معانيه هنا ووزنها فعلة ساكنة او محركة او فاعلة وياتي بيان ذلك مع زيادة اي اعرض عن تدبر علامات نبوته صلى الله عليه وسلم مكابرة كما قال تعالى فمن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها والايات تضاف الى الله والى الرسول صلى الله عليه وسلم كما هنا لانه جاء بها وجرت على يديه فتصديقها له صلى الله عليه وسلم من كتب الله عليه الشقا حتما كتب بمعنى حكم وقدر في الازل او اوجب او كتب في اللوح المحفوظ وقيل انه يكتب السعادة والشقاوة في بطن امه على جبينه او بين عينيه او في ورق لا يرى في عنقه كما ورد وهو اما تمثيل لتحقق شقاوته وسعادته او هو على حقيقته وظاهره وحتما بمعنى لازما وواجبا لا بد منه ولما كان الشقي لا يهتدي لعمى بصيرته نبه على حاله مقتبسا من القران فقال ومن كان في هذه الدار الدنيا اعمى عن مشاهدة الايات الظاهرة فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا اتى بالصيغة البديعة من الاكتفا للتسجيع وعماه لعدم [illegible] طريق النجاة وهذه اشارة للدنيا اي من كان في الدنيا اعمى القلب والبصيرة لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى عن طريق النجاة لا يراها واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد او لان الاهتدا بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل اعمى الثاني افعل تفضيل كاجهل وابله ولذا لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فالفه في حكم المتوسطة كالف اعمالكم بخلاف النعت فان الفه متطرفة لفظا وحكما فكانت عرضة للامالة من حيث الخفا تصير يا في التثنية واما اهلها حمزة والكسائي وورش على اصله بين بين فيهما او ورد عليه انه ينتقض بمثل قوله الذي هو ادنى والكافرين الا ترى ان حمزة والكسائي وابا بكر اما لوهما في الموضعين مع قيام هذا الاحتمال في الثاني ويمكن ان يقال مراده ان الفه في حكم المتوسطة والوضع اللايق للامالة اخر الكلمة حيث تصير يا عند التثنية فنبه ابو عمرو ويعقوب على الفرق بين الكلمتين بامالة الاول دون الثاني او يقال من امال الثانية اي المشاكلة

بينه

بينه وبين اصله وهو المعنى الحقيقي وفي بعض الشروح قالوا لكونها اسم تفضيل امال ابو عمرو الاولى
دونه لان الفه غير متطرفة لما مر كما قاله الراعي وقال الجعبري وفيه انهما الواو ولا اد في مرة لك
مع التصريح بمن فلا يميلوه اذا قدرت معناولي واحرى **اقول** ذكروا للامالة اسبابا كمجاور
الكسرة او الها ولا يشترط فيه تطرف وكونها منقلبة عن يا او تصير يا في التثنية ونحوها وهذا
يشترط فيه ان تكون الفه متطرفة كما في التسهيل الا الطرف قالوا اسباب الامالة مجوزة لا موجبة
فاذا اتصل بهما ما يجعلها في حكم المتوسطة وقارنت ما لا يتطرف فحقيقة فتركا امالته اذا
اميل الثاني للفرق بينهما الا رجح من الامالة فيه فسقط ما ذكر برمته لانهم لم يعبروا ان افعل
التفضيل مع من ظاهرة او مقدرة فيه مانع من الامالة بل مرجح لتركها لا يتهامع فقيد الفرق
بين افعل التفضيل وغيره وليس فيما ذكرنا اباه واما الاول فلا حاجة للعذر ... فان
قلت شرط افعل التفضيل ان لا يصاغ وصفه على افعل فعلى كالعيوب وما قابلها والالوان
لان حق فعله ان يكون ثلاثيا وفعل هذا النوع افعل المشدد اللام ولذا صحت عينه اذا كان ثلاثيا
كعور رعاية لاصله وقال ابن مالك رحمه الله الاقرب ان يقال لما كان بنا الوصف من هذا النوع
على افعل كاعور لو بني منه اسم تفضيل لالتبس احدهما بالاخر **قلت قد اجيب**
عنه بانه في العيوب الظاهرة وهذا من العيوب الباطنة وهذا على التعليل الاول ظاهر واما
على الثاني فغير تام الا ان يقال حق وصفه ان لا يكون على افعل فعلا ويشهد له قول
الجوهري عمي وما افعله محمول على غيره شذوذا فاذا اريد بالعمي عمى البصيرة فلا اشكال
فيه فان اريد عمى البصر فعقوبة لهم فوجه التوفيق بينه وبين قوله فاذا هم قيام ينظرون
ان في القيامة مواقف مختلفة باختلاف احوالهم والاقتباس هنا مبين لما قبله ومثبت
له وعطفه رعاية للنظم واما لما ذكر ان من كذبه واعرض عن اياته ملحق بهم الشقاوة عقبه
بما يدل عليه من كلام الله وفي الكشاف ان العمى حقيقة في البصر والبصيرة والعمه
مخصوص بالثاني فحينئذ يجوز بنا اسم التفضيل منه فان كان حقيقة في البصر فقط لم
يتجه بناؤه كما في درة الحريري لان ما يمتنع في الحقيقة يمتنع في مجازها الا انا اذا قلنا
لا يجوز بنا التعجب من الموت لا يصح ان يقال ما اموته فمن منع بنا التفضيل من الالوان
والعيوب لا يجوزه بعد التجوز فيه واما القول بانه تمثيل ولا يجدي الا الفساد اذ لا
يحسن في مفرداته فهو غفلة من قايله وسياتي الكلام على الاقتباس في اخر الخطبة ولما
ذكر انه صلى الله عليه وسلم وصل الى اعلى مراتب الكمال وان كمال غيره انما هو بهدايته
والاقتباس من نور شريعته ناسب ان يعظمه ويدعو له اداء لبعض حقه وتوسلا به
الى الله في قبول حمده واتمام قصده فقال صلى الله عليه وسلم والصلاة في العرف عبادة
معروفة وفي اللغة الدعا وفي اشتقاقها كلام مفصل في محله سياتي بعض الكلام عليه
وما اشتهر من انها من الله رحمة ومن الملايكة استغفار ومن الادميين تضرع ودعا
صح عن السلف وبه تمسك الشافعي في الجمع بين معنيي المشترك ورده صاحب التوضيح
بما هو مذكور في كتب الاصول ولما فيه من معنى التعطف عدي بعلى للمنفعة
مع تعدي الدعا بها للمضرة وعقب الحمد بالصلاة لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك
فان السلف فسروه بلا اذكرا لا وتذكر معي كما سياتي في الكلام عليه ولذا ذهب كثير
من الشافعية الى كراهة افراد الصلاة عن السلام لفظا وكتابة او هو خلاف الاولى كما

سيأتي بيانه والسلام اسم مصدر بمعنى التسليم وخص الانبياء عليهم الصلاة والسلام
بالصلاة والسلام استقلالا كما خص الصحابة رضوان الله عليهم غالبا بالترضية وغيرهم
بالترحم لما سيأتي في محله وان الاصح انه لا يكره الدعاء بالرحمة للنبي صلى الله عليه وسلم
كما لا يكره التسليم على الصحابة رضي الله عنهم وان كان من اداب الشريعة تركه رغما للشيعة
في التسليم على ال البيت وعندي انه يكره الدعاء بالرحمة للنبي صلى الله عليه وسلم من
العامة في موطن لم يؤثر فيه لا سيما مستقلا كذا في غالب النسخ كما قاله
التلمساني وفي بعضها تنمي بفتح المثناة وكسر الميم وتنمي بضم التاء الفوقية وفتح الميم
وفي المقتفي ان الاول اوضح واصح رواية ودراية وفي المصباح نمى الشيء ينمي من باب رمى نماء بالفتح
والمد كثر وزاد وفي لغة نما ينمو من باب قعد ونميته الى ابيه نسبته نميا وانتمى
انتسب وضبط الثاني على الرواية الاولى بفتح المثناة والميم مضارع نما ينمي كأتى يأتي
وعلى ضمة ثانيه وفتح ميمه وهو مجهول من نما الحديث ينميه اي رفعه وبلغه فالمراد
بالاول انها تكثر وتضاعف تضاعف الحسنات او هو دعاء بتكثيرها الى غير النهاية والثاني
بمعنى [illegible] العلا الاعلى لقبولها اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
وقيل تنمي الاول بصيغة الحروف اي تزيد وترفع بنفسها كالشجرة وفي نسخة صحيحة
تنمو بالواو وضعف بان صاحب الصحاح ضعفه ويرده حكايته في القاموس وغيره
انتهى والظاهر ان تنمو الاول بمعنى تزيد والثاني بمعنى تبلغ وترفع وتبلغه لما
سيأتي من ان لله ملائكة تبلغه صلى الله عليه وسلم صلاة من صلى عليه فلا حاجة لما
قيل من ان الثاني بصيغة المجهول اي يزاد عليها بانضمام مثلها معها فانه فعت
المنافسة بان كل رحمة تنمى فهي تنمى على انه يحتمل التأكيد انتهى فانه تعسف انت في غنية
عنه بما قدمناه وكذا ما قيل من ان المطلوب صلاة مستغرقة مستمرة تنميها فتنمو
وتزيدها فتزيد وهذه الجملة للانشائية والخبرية كما نبهنا كذا عليه وعلى آله عطف
على قوله عليه وقيل على المجرور وفسر بهم فيما سيأتي وباعادة الجار واصل معناه
الاتباع ولذا فسر بهم فيما سيأتي ولم يضف في الاكثر المطرد الا الى العقلاء الاشراف
ومن يفيد الذكور واهل اعلى بقولهم آل الله وآل البيت قال
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
فهو اخص من الاهل وخص في العرف ببني هاشم وبني المطلب وقيل هم عترته واهل
بيته وقيل هم جميع امته كما سيأتي في كلام المصنف مع الكلام عليه واختاره الامام
مالك والنووي والاصح جواز اضافته الى الضمير وان زعم المبرد انه من لحن العامة
وانه اذا اضيف يقال اهله واصله اول من آل يؤول الى كذا اذا رجع اليه بقرابة
ونحوها لان الكبير يرجع اليه في المهمات وقيل اصله اهل فقلبت الهاء همزة والهمزة
الفا واستدل بتصغيره على اهيل ولا دليل فيه لانه قيل اهل واهيل وآل واويل
قيل كان ينبغي ذكر الصحب مع الال لان الصلاة تستحب عليهم واجيب
بان معناه هنا الامة او الاتقياء منهم فيشملهم مع الاختصار وهو مذهب مالك
والمصنف مالكي المذهب وقد تفرد ابن عبد السلام رحمه الله بانه لا يستحب الصلاة
الا على من ورد ذكره في الحديث من الآل والازواج والذرية وهو غير مرضي

وسلم

وسلم تسليما سلم بصيغة الماضي او الامر وهذا مجموعه في اكثر النسخ وفي بعضها سقط بعضها كما في بعض النسخ
وهو يحتمل ان يكون تسليما على مؤكد لما قبله تاكيدا للعصب لفعل ابتدائي مصدر او التسليم وعلى آله
بعطفه على صلة الصلاة السابقة على السلام فيقتصر بكونه في حين اصل الصلاة والتسليم تمييزا
لشرفه وعلو قدره ولما كان المستحب ان لا يفرد الآل بالصلاة عن السلام اردفه به تتميما للمقام
كما ارتضاه الشارح الفاضل ويحتمل ان يعتبر العطف المشترك في الصلاة والسلام اي على النبي
وآله اذ لفظ سلم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليس من كلام المص وان اقتضى كلام الشارح
انه ثابت في كلامه ويكون ما ذكر تاكيدا له وهذا احسن المقصود به تعظيمه صلى الله عليه وسلم
ومعناه السلام عليه او جعله سالما من النقايص والآفات والقنا تاكيدا للسلام بالمصدر دون
الصلاة اقتدا بالنظم المجيد فلان الصلاة من الله والملايكة رحمة وتعظيم وواقعة منهم بلا
تردد واما البشر فلما صدر عن بعضهم كالكفرة ما صدر من اذيتهم وتنقيصهم امروا مع الصلاة
بالتسليم من النقايص والانقياد وأكد لوقوع الانكار وما يخالفه وهذا اخفى على بعض الناس
وقال الكرماني الصلاة لما اكدت بالاعلام بان الله وملايكته يصلون عليه ويتقيد بها اعتنا
بشانها ولا كذلك السلام حسن تاكيده بالمصدر جبرا له وهو لا يجدي هنا كما توهم لانه
اخبر ان الله عز وجل صلى الله عليه بقوله صلى الله عليه فيكون قوله بعد وسلم بصيغة
الامر اي سلم اي اوجد السلام عليه فيطابق الاية لفظا ومعنى وهو تحقيق غني عن الرد
ثم ان المص رحمه الله اتى بسجع الخطبة على روي واحد ولم يجعل لكل فاصلتين على حدة
وهو اسلوب من اساليب السجع ثم ذيله بما هو خارج عن السجع ومثله كثير في الخطب
فمن توهم انه منه واورد عليه انه يطول بعض فقره وهو معيب فقد وهم اذ لا يتوهم
ان تسليما كالقافية هنا الا بتكلف اما بعد اما حرف شرط لوقوع الفا بعدها لفظا او تقديرا
وتوكيد لان معناها مهما يكن من شيء فقد علق شرطها على وقوع شيء ما في الكون مما
لا يخلو عنه ضرورة فكانه قال انه واقع على كل حال البتة وتفصيل غالبا او دايما بتقدير
معادل فيما لم يذكر ويفصل بينها وبين الفا بامور ذكرها النحاة منها الظرف كبعد هنا
والعامل اما الفعل المقدر او ما في حيز الجواب وهو مبني على الضم كغيره من الظروف
المقطوعة عن الاضافة واجاز هشام فتحه من غير تنوين وقال ابن النحاس انه غير معروف
وروي عن سيبويه رفعها ونصبها كما فصل في محله واما بعد قيل انها فصل الخطاب
واختلفوا في اول من تكلم بها على اقوال اشرق الله قلبي وقلبك اشرقت الشمس ونحوها
بمعنى اضاءت وهو لازم كما قال تعالى واشرقت الارض بنور ربها وقد استعمل متعديا
في كلام المولدين كما هنا فيكون اما حملا له على اضا لانه بمعناه والشي يحمل على نظيره ومثله
واضا جا متعديا ولانه لما كان سرجوا به او هو متضمن معناه او معنى التصيير اي صير الله
قلوبنا مشرقة كما قيل به في قوله

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها • شمس الضحى وابو اسحاق والقمر

والخطاب هنا للسايل الآتي وهذه جملة دعائية معترضة بين الشرط والجزا لانه بعد
ذكر الظرف لا بد من فاصل آخر والقلب معروف ويطلق على العقل والروح وما قيل انه لطيفة
ربانية لها تعلق بالقلب الجسماني لا يوقف على حقيقتها ابتدع فيه بعض الصوفية وكان المراد
الاخير ثم ان المص رحمه الله بدا بنفسه وقد وقع ما يخالفه كثيرا فقال الزركشي

ابن الحنبلي

الكازروني في حاشية القاضي

ع مخ

عصري

عليه السلام ان دعوة اخيه لاخيه المسلم بظهر الغيب مستجابة وكان المدعو به واحدا فان تفاير فهو محتمل وقال النخعي رحمه الله
كانوا يقولون اذا دعوت فابدا بنفسك فانك لا تدري في اي دعائك يستجاب لك فيتبين العلة
فيه وليس هذا مخصوصا بالحديث الآخر وهو انه صلى الله عليه وسلم اذا ذكر احدا من الانبياء
عليهم الصلاة والسلام بدا بنفسه فقال رحمة الله علينا وعلى اخي كذا افاده الزبيدي كما للتخصيص
وفي شرح العقيدة البرهانية للنفوسي انه يقدم الدعا للاخوان ايثارا لهم لما ورد في الحديث
ان العبد اذا دعا لاخيه المسلم قال الله تعالى لبيك عبدي وبك ابدا فاي فضيلة تلتمس
وراء هذه وهي كونه مبدوا وابدي في الاجابة فمقام الايثار مقام عال شريف فان شا بدا بنفسه
وان شا بدا بغيره انتهى فهو دعا لهما قالوا انه اذا دعا لنفسه وغيره في الافضل من طرقه
الفوائد فيجمع بينهما بانها تنتسب لمقام ولكل امرئ ما نوى بانوار اليقين الانوار جمع
نور وهو كالضوء الا ان بينهما فرقا ولذا قال الله تعالى جعل الشمس ضيا والقمر نورا وفيه
تفصيل ذكرناه في حواشي البيضاوي وهل هو جرم او لا فيه كلام في كتب الحكمة فقيل
عرض يحصل في الاجرام عند مقابلة النير بتوسط جرم شفاف كالهوا والما والمفيض له
المبدا الفياض للنفوس بالشروط المعدات للافاضة فلولا قصور البشرية ما احتاج للواسطة
وقد قيل ان مشاهدة كل ما يرى بتوسط نور النار بمثابة علم اليقين ومعاينة جرم النار
المفيض للنور على ما يقبل الاضاءة بمثابة حق اليقين والاتصال به عين اليقين ثم
ان النور لما كان ظاهرا بنفسه مظهرا لغيره شاع اطلاقه على ما شابهه كالرسل والعلم
والعقل فان فهمت فنور على نور واليقين ايقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال
ولذلك لا يوصف به علم الله والعلم الحضوري والضروري فنور اليقين اما من قبيل
لجين الما اي اليقين الذي هو كالنور في قوة الظهور وقيل المراد الادلة المبينة
له استعارة او العقل اي ارزقنا الله عقلا سليما نهتدي بنوره الى سبل الرشاد
وشرح مشكاة صدورنا بالتعلم خلو تمانا فقلة شاطعة البرهان ودعا بذلك لان كماله
يتوقف عليه وقيل المراد بنور اليقين العلم اللدني وهو معرفة الذات والصفات
مشاهدة كشفية لا بمجرد ادلة عقلية ونقلية ومنه علم الخضر عليه الصلاة والسلام
وهذه مرتبة فوق مرتبة الايمان بالغيب ولا يخفى بعده ولطف بي وكذا لطف كقعد من
اللطف وهو الرفق والرافة وهو من صفات الله وفيه تفاسير منها التوفيق والبر
والاحسان او معاملة عباده بذلك وما يصل اليه من حيث لا يشعرون ولذا يوصف بالخفا
وجعل تذييلا لقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير
ومن ثمة قيل انه من اللطافة المقابلة للكثافة وقيل انه العلم بالدقائق التي
لا يهتدي لها والمشهور تعديته بالبا كقوله الله لطيف بعباده وجا تعديه باللام
في قوله ان ربي لطيف لما يشا لما فيه من معنى التوفيق والتيسير او تضمين لهذا
او لمعنى الايصال كما ذهب اليه صاحب العمدة والراغب وذهب صاحب المجمل الى انه
حقيقة وفي النهاية يقال لطف به وله اذا رفق والى اشار من قال هو اجتماع
الرفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها لمن قدرت له ولذا اجمع المصنف
رحمه الله بينهما في التعدية فقال بما لطف به لاوليائه المتقين وهو انما يتعدى
باحدهما فاما ان يقدر لاحدهما متعلقا او تجعل البا سببية لا معدية وفي نسخة

بما

ابن الحنبلي

بما لطف به بعباده بالباقية مما هو فيه من البشارات فلا تبديل على ما كان عليه وفي الاولى باجمع وطيب
وقيل بمعنى كما قال لانه من الالهية او بمعنى تحقيق لا محالة تعالى في الحياة وله معنى عام فهو كل
مسلم منقاد لانه وخاص وهو المخلص بالله وصفاته المحافظ على طاعته المجتنب للمعاصي
المعرض عن اللذات والشهوات المستغرق في شهود الذات المتجلي بالخلق محمود وله مراتب الا
انه لا يشترط فيه ان يكون له الكرامة وقال الدقاق هو المتقي العارف بالله وصفاته المتوجه
بكليته قلبه الى جناب قدسه قال والمراد بالمعرفة ما كان عن كشف صحيح بعد التهذيب
ملاحظة ذاته وصفاته في كل احواله وعند الصوفية هو الفاني في الله الباقي به والفناء
الاستغراق في مشاهدته الغيبية حتى لا يشعر بغيره حتى بنفسه وعدم شعوره وهو انتها
السير اليه والبقاء به لكونه مظهرا لافعال الله ومراده انه من غير اختيار في عين الفناء له
والمتقين صفة كاشفة او المراد بها معنى خاص لان المتقي اسم فاعل من الوقاية وهي
الصيانة وفي العرف من يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله مراتب اولها التوقي من العذاب
بالتبري من الشرك وعليه قوله والزمهم كلمة التقوى وثانيها التجنب عما يؤثم فعلا
وتركا حتى الصغاير عند قوم وعليه قوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا وثالثها
ان يتنزه عما يشغله عن الحق فيتقطع اليه بكليته وهو المراد بقوله اتقوا الله حق تقاته
وهو دعا بانه يؤويهم لتبليغهم الجنة الذين بشرهم الله عز وجل منزل قدسه الحلول في الاصل
المكان العالي نقل لعلو الرتبة والحلال والمنزل بضمتين وتخفيف بتسكين ثانيه وهو
الفضل والريع في الطعام ويقال للطعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وهو ايضا
ما يهيأ للضيف اذا نزل به وقيل للطلق الزاد والكرامة وهذا هو المراد هنا ويكون بمعنى
المنزل والمسكن قال تعالى كانت لهم جنات الفردوس نزلا ويصح ارادته ايضا والقدس
بضمتين وتخفيف ثانيه مصدر بمعنى الطهارة ومنه جبل المقدس لطهارته بالعبادة
فيه والقدوس من اسماء الله بمعنى المنزه عما لا يليق به والمبارك وقدسه الله وحظيرة
قدسه الجنة وهو المراد اي بشرهم باكرامه لهم في جنته او باسكانه اياهم فيها او
بكرامته وتطهيره اياهم او يجعل الطهارة نزلا على الاضافة البيانية كما قيل والحاصل
انه خصهم بتشريفه وعلو منازلهم وتطهيره لهم عن النقايص ولتقدم التخلي
على التحلي عقبه بقوله وأوحشهم عن الخليقة بانسه في صحبة من بدل عن واوحش
ما من بمعنى صيرهم في وحشة ونفرة عما لا يلايم ومنه الوحش والانس ضده وهو
التقرب مع الانبساط لما يهوى ولذا قيل الانس ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة وقيل
هو انبساط المحب الى المحبوب والوحش بالسكون والوحش بكسر الحاء صفة منه بمعنى
المتوحش وشاع في العرف ولذا انطرق القايل
وحشة لم تزل عن كهفها ● بيد النوى فهي دايما وحشه ●
والخليقة بمعنى الخلق والناس ويكون بمعنى الخلق والطبيعة وبمعنى الجديرة
يقال خليقة بكل مدح خليقة وبانسه صحبته يعني انه انسهم بالله واستغرقهم
في مشاهدته نزههم عن سواه والانس هنا روحاني كما قيل ●
فالجسم مني للجليس مؤانس ● وحبيب قلبي في الفؤاد انيس ●
وخصهم من معرفته من بيانيه مبينة لما الاتية انه قلنا بجوازه تقديم البيان على

المبين كما ذهب اليه بعضهم انه اي الطابع تعلق معنوي لهم مقدر والاتى تفصيل لما اجمل واحل في ذلك الموهم ومعرفة الله معرفتها بهوية ذاته بوجه ما ولها مراتب وهذا مما لا خلاف فيه انما الخلاف في معرفة الذات بالكنه هل هي واقعة ام لا ممكنة ام لا كما فصل في الكلام ومعنى المعرفة معروف ومشاهدة الغيب ملكوته المشاهدة المعاينة من الشهود وهو الحضور والملكوت مبالغة الملك كالرحموت من الرحمة وقد يخص بما يقابل عالم الشهادة ويسمى عالم الامر كما ان مقابله يسمى عالم الشهادة وعالم الملك قيل وهو المراد هنا لانه ما غاب عن الخلق وقيل بل المراد هنا الملك الشاهد ومن في قوله من بعد فيما ابتدائية لا بيانية اي ان الله خص اولياءه بما سرهم وولههم لانهم لما عرفوه نظروا الى عجائب مصنوعاته فتشاهدوا بما لاحهم نضرة وسرورا ثم نزلت بهم حيرة فتيت الطمع في الوصول واليأس

حيرة تمت فاي فتى ❁ رام عرفانا فلم يحر ❁

ومن يحمل البيانية بناء على جواز تقدمها كما مر ففيه ان لان لكل منهما وجهة وانارة قدرته اثاره والمراد جميع اثره واثار القدرة المعدومات البارزة في الوجود بعد تعلق القدرة بها من بين الممكنات وقد حمل هذا على عالم المشاهدة المحسوس وما قيل على عالم الغيب كما سمعته انفا وهو الاحسن من حمله على الثاني بما ملا قلوبهم حبرة بفتح الحا المهملة وسكون البا الموحدة ويجوز فتحها كما قاله التونسي ثم را مهملة تليها ها ثابتة وملا مهموز ضد فرغ والحبرة السرور وهو منصوب على التمييز وما الموصولة عبارة عما انكشف لهم من المعارف الالهية من مطالعة صحف الموجودات ولطائف المصنوعات والقلب معروف وتفسيره بالطيفة الربانية تكلف كما مر وولهت عقولهم في عظمته حيرة وله مثلث اللام فعل من الوله يقال وله يله ولها من باب تعب وفي لغة قليلة من باب وعد والذكر والانثى واله ويجوز في الانثى والهة كذا في المصباح والوله الحزن او ذهاب العقل الناشي منه وفي المصباح وله اذا ذهب عقله من باب فرح او حزن وقيل الوله لغة نفس الحيرة والعقل قوة للنفس بها ادراك الانسان وتمييزه عما سواه ❁ لولا العقول لكان ادنى ضيغم ❁ ادنى الى شرف من الانسان ❁

والحيرة بفتح الحا المهملة وسكون المثناة التحتية والرا المهملة قال في المصباح حار في امره يحار حيرا من باب تعب وحيرة الامر لم يدر وجه الصواب فيه فهو حيران وقال الازهري اصله ان ينظر الانسان الى شي فيغشاه ضوؤه فيصرف بصره عنه وفي الصحاح الوله ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد وهو في العرف كونه مبهوتا واقفا بين المعرفة والذهول فان اعتبر فيه العقل او الحيرة فلا بد فيه من التجريد والا فلا وهو منصوب على انه مفعول مطلق لوله او تمييز والمعنى انهم تحيروا عن ادراكها فكلما ازدادت العظمة ازداد العقل تحيرا وتبورا فان العظمة جلال الله وكبرياؤه التي تقف العقول دونها وفي التعبير في حديث الكبرياء ردائي والعظمة ازاري اشارة الى الفرق بينهما وهو ان الكبير من هو في ذاته كبير سواء استكبره غيره ام لا وسواء عرفت هذه الصفة ام لا والعظمة عبارة عن كونه بحيث يستعظمه غيره فالصفة الاولى ذاتية لا الثانية

عرنب

عرب

رد على السيد عيسى

والذاتية

والذا ابتغا اعلى واشرف فلذا جعلنا الواو للعطف ... وقيل لا ... كقولهم ... وفيه
العبارة تجنيس ولعل ونشران قلنا الاول ... القلوب ... هو الذي حير العقول
عجايب ملكوته واثار قدرته لان من ... لعبوديته وترقب فيضه والعبد هو
على مقدار مولاه واثر تلك المشاهدة الوله والحيرة لا تعيون البصاير لاتطيق النظر لاشعة
انوار القدس فجعلوا همهم به واحدا الفا تعقيبية او تفريعية والهم في الاصل مصدر
بمعنى الحزن والعزيمة والارادة ولا مطلوب ... ولا من المعاني غير الاول
جابز هنا اي لما شاهدوا اثار قدرته وتحيرت ... في كبريا عظمته غفلوا عما سواه
بلا شي فوجهوا جميع وجوه الارادة والعزيمة ... فجعلوا ... واحدة فلا مراد
لهم سواه لاشتغالهم به عما عداه

تملك بعض حبي كل قلبي • فان ترد الزيادة هات قلبا •

وفي التفسير الكبير ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من جعل همومه هما واحدا
كفاه الله هم الدنيا والاخرة فكان العبد يقول همومي في الدنيا والاخرة غير متناهية
فلا يقدر عليها الا الموصوف بقدرة غير متناهية فانا لا اقدر على دفع حاجاتي ولا تحصيل
مهماتي بل القادر عليها الله سبحانه فانا الذي لكن اجعل همي مشغولا بفكره ولساني وقفا
على ذكره فاذا فعلت ذلك كفاني برحمته مهمات الدنيا والاخرة وقلت انا في معناه

من صير همته جميعا هما • يكاد به السرور يكيل احما •
والحرفي بتراك حتما هما • من يسع لا يخاف نحراطما •

وبا به سببية لا صلة الهم اي جعلوا قصدهم واعتناهم به تعالى حال كونه واحدا في
القصدية فلا مقصد سواه او حال كون قصدهم واحدا او المال واحد وقيل المعنى
انهم جعلوه واحدا فلم يريدوا منه الا اياه الا ان فيه قصورا فعرفوا انهم لم يبق لهم
طلب ومطلب فقصدوه لا لشي وهذا معنى قولهم اخر ما يخرج من الصديقين حب
الجاه فتجلى لهم جمال ذي الجلال حتى نسوا انفسهم ونسيانهم وهو كلام نفيس لكنه لا يناسب
كلام المص والجار والمجرور يجوز ان يكون مفعولا ثانيا لجعل وواحدا حالا من الضمير
المجرور او من الضمير المستتر في الجار والمجرور وهو الاولى ولم يروا حقيقة لا مجازا
وقيل لا حقيقة ولا مجازا في الدارين الدنيا والاخرة واصل معنى الدار معروف وقد
شاع في لسان الشرع استعماله فيما ذكر حتى صار حقيقة فيهما فكانهما القلتهما عند الله
بمنزلة دار انزل فيها بعض عبيده والغافل يظنه مجانا سكنها وتقدم كراها غيره
مشاهدا الضمير لله وجملة لم يروا معطوفة على جملة جعلوا الا انهم اذا لم يهتموا
بغيره ذهلوا عما عداه ويحتمل عطفها على اول الجمل وهذا يحتمل لمعنيين الاول ان يريد
ان في الكون مشاهدا سواه ولكن العارف المستغرق في مشاهدة جماله وجلاله
لا يراها وهذه مشاهدة المتدين بغيره وتسميها الصوفية الفاني التوحيد والثاني انه
يريد انه ليس في الوجود غيره لان كل شي هالك الا وجهه وكان الله ولا شي معه وهو
الان كما كان على ما قاله ارباب الشهود فالمراد انه لا مشاهد حتى يروه على حد قوله
لا ترى الضب بها ينجحر • ورجح بعضهم الاول والمشاهد اسم مفعول بمعنى المدرك
بحاسة البصر من الشهود وهو المعاينة او الحضور وفي الشروح هنا كلام طويل

الخاصة لنا به فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون الجمال الحسن الذاتي لا الصوري والبهاء
من الحسن الثاني و اما الاول فيوصف به الله بدون تقييد وورد وصف الله به في الحديث فقال
ان الله جميل يحب الجمال والبهاء المشاكلة كما فعله شراحه والجلال العظمة يعني
انهم يشاهدون جماله بهم والنوار فانهم يعيون النصائح والبصر في
الاخرة يرونه دون احاطة كرؤية غيره ويومي اليه جعل المشاهد نفس
الجمال والتنعم النزهة والتلذذ ولا تعبير لهم بغير تلك المشاهدة كما قال
تعالى ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم ولم يخلق الجن والانس
الا للعبادة وهي انما تصفية الباطن وشغل الحواس حتى يعبد الله كانه يراه
وقوله بمشاهدة متعلق بيتنعمون قدم عليه للحصر ولرعاية الفاصلة وفي
نسخة كماله بدل جماله والتنعم بالجمال والكمال ظاهر واما بالجلال فقيل
انه يقتضي الادب والخوف ولا يناسب التنعيم فيحتاج للتاويل او التغليب
وليس كذلك فان القرب ممن عظم وجل من ان يقترب لحظاير قدسه
العظم وقعا من غيره فان من تقرب من سلطان جليل يسر ويفتخر
بقربه وفي حكم ابن عطاء الله النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو لشهوده
واقترابه والعذاب وان تنوع انما هو بوجود حجابه وبين النار قدرته
اي مقدورانه وعجايب عظمته يترددون يعني انهم قايمون في مقام جالبة فيه
افكارهم لا يفترون عن الجري في ميادين الاعتبار فتذهب تارة الى بدايع مصنوعات
المشاهدة في مرايي اثار باهر قدرته وتارة ترفي لسرادق عظمته فتظل
اعناقهم خاضعة والتردد المجي والذهاب فشبهت حركات الافهام
المعنوية بحركات الاجسام الحسية ومنه التردد بمعنى الشك قال ابن عمر
لا تنكرن عدم الزيارة سيدي فالمحب طبع بغير تردد
والمراد انهم مواظبون على التفكر في عظمة الله ففيه استعارة تمثيلية
وبالانقطاع اليه الانقطاع مطاوع قطعه اذا فصله وانقطع مشاع
في التوجه لاحد شي لامر وترك غيره وهو المراد هنا ولذا عداه بالي ويتعدى
باللام ايضا يعني انهم لما توجهوا الى الله ظاهرا وباطنا وقطعوا علايق
الخلايق لتوكلهم عليه ورضاهم بما قضاه وقدره وجعلهم امورهم
مفوضة الى الله عزوا او تقووا لان عبد الملك العظيم الملازم لسدته
قوي عزيز ولذا ورد في الحديث من خاف الله خاف منه كل شي والتوكل عليه
يتعززون والتعزز تفعل من العز ضد الذل ويكون بمعنى القوة ومنه
قوله تعالى فعززنا بثالث وملا المعتنين خبر هنا لمحبين جمع لهج بزنة
حذر اي ملازمين مداومين لذكر الله وقولهم هذا من اللهجة بفتح الها
وسكونها وهي في اللغة اللسان او طرفه ويطلق على الكلام يقال هو فصيح
اللهجة ولهج بالشي من باب تعب اولع به ولزمه كما في المصباح تصادف
قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون يعني ان هؤلا المخلصين لله المختصين
به الذين شغلوا ظاهرهم وباطنهم بمحبته وردهم دايما ذكر الله والاعراض

عما سواه متمثلين بهذه الاية يحتمل انهم اقرّوا بانه معبود عن غيره فلذا امر ورد الفسهم
او بامر بعضهم بعضا بما ذكر والمراد فيما يفهم من الجملة الخبرية للواقع مع الاعتقاد كما هو معروف
وصيغة هذه الجملة الانشائية به نظر لما فهمتم او المقول مقدر كرمنا الله ونحوه اولا للتارك
ما له نحن لا نعبد ربكم ومقصود المصنف رحمه الله التمثيل به كما تمثل به الشبلي رحمه الله
لمن قال له اوصني فقال عليك بالله ودع ما سواه وكم معه ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
ولهذا اسقط ما اورده الشراح من انه كيف وقع الانشاء العطف وان الاية ليست
مناسبة هنا فانها هكذا وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل
من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون
كثيرا الخ اي قل الله الذي انزل التوراة او انزلها الله فامره بان يجيب عنهم بانه منكري الوحي اما
لتعين الجواب او تنبيها على انه لا يمكن غيره او تنبيها على انهم مبهوتون لا يقدرون
على الجواب ثم قال له ذرهم في اباطيلهم فما عليك الا البلاغ وجملة يلعبون حالية
فتمثل بها المصنف رحمه الله لترك ما سوى الله والانقطاع له كما تمثل بها الشبلي وان
كان سببا فيها في التلاوة لمعنى آخر اذ يكفي لمثله المناسبة بوجه ما وقيل وصف هذا القول
بانه صادق وصف له بصفة صاحبه مثل كتاب صادق وقيل الصدق هنا هو الخلوص او
البيان والكمال كصادق الحلاوة ومنه الصداقة ولا حاجة اليه لما مرّ واضافة
صادق لجرد قطيفة واستعارة الخوض من المشي في الما للاقتحام في الباطل كما قرره
المفسرون وكذا استعارة الخياض وفي بعض النسخ بعد قوله تعالى وهي جملة معترضة
او حالية للتعظيم والتنبيه والاشارة الى ان ضمير اليه لله فليس هذا اقتباسا كما توهم
لان شرطه ان لا يذكر انه من كلام الله ثم انه قيل ان معنى هذه الاية قل يا محمد جوابا لهم عن
قولهم من انزل التوراة الله انزل ثم ذر الكفار في اباطيلهم وهو لا يناسب هذا المقام الا
ان يقال ما له الامر بقول الحق والاعراض عن الباطل **اقول** ما ذكروه يتراءى في بادي
النظر وليس بشيء لما مرّ وان سلمه الشراح واجابوا بان المراد التمثيل بمثل هذا اقتدا
بقوله تعالى في دفع المنكرين المغرورين بالدنيا التي امورها لهو ولعب باطل الا ما
فيها من ذكر الله فيتم الاقتباس من نور التنزيل ويناسب المقام ومقام المصنف اجل من
ان يخفى عليه مثله وهو على طرف الثمام وههنا بحث وهو انه قيل ان ذكر الله بتكرير
الجلالة بدعة لا ثواب فيها قال الحطاب في شرح مختصر الشيخ خليل سئل العز بن عبد
السلام رحمه الله عمن يقول الله الله مقتصرا على ذلك هل هو مثل سبحان الله والله
اكبر ونحوه فاجاب بانه بدعة لم ينقل مثله عن احد من السلف وانما يفعله الجهلة
والذكر المشروع لا بد فيه كله من ان يكون جملة مفيدة والاتباع خير من الابتداع
ونحوه ما افتى به البلقيني رحمه الله في قوم لا يزالون يقولون محمد محمد كثيرا
ثم يقولون في اخره مكرم معظم فاجاب بانه ترك ادب وبدعة لم تنقل ولا يثاب
عليها وكذا قولهم على محمد وتابعه عليه كثير من العلما **اقول** ما ذكره في اسم النبي
صلى الله عليه وسلم مكررا من كونه بدعة ظاهر لانه مع كونه لم يتعبد بمثله داخل فيما
نهي عنه لقوله لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا كما سياتي بيانه ولم
يرد تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم الا بالدعاء له والصلاة والسلام عليه فلو عظم

بمنزلة ذلك كان مراعيا للشفقة ولو ذكر احد سلطانا بابه بهجره واهانوه فما بالك باشرف الخلق
واعظمهم واما ذكر الله تعالى فقد ورد الامر به ووعد ذاكره بالثواب في ايات
واحاديث لا تحصى كقوله تعالى الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وفي الحديث القدسي
من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين الى غير ذلك مما لا يحصى
ولم يقيد بقيد على ان الذاكر قصده التعظيم والتوحيد فهو اذا قال الله ه
ملاحظ للمعناه فكانه قال معبودي واجب الوجود مستحق لجميع المحامد ولم يزل
اهل الله من العلما والصلحا يفعلونه من غير نكير وكان الاستاذ البكري رحمه الله
يفعله ويقول استغفر الله مما سوى الله وكل شي يقول الله وفي مجلسه اجلة العلما
والمشايخ وهذا هو الحق وقد صنف في رد مقالة ابن عبد السلام هذه عدة من سائل
رايناها وممن صنف فيها القطب القسطلاني والعارف بالله المرصفي والشيخ عبد
الكريم الخلوتي وبه افتى من عاصرناه اللهم احشرنا في جملة الذاكرين ولا تجعلنا
من الغافلين فانك جواب اما واكده لان المسئول عنه يحسن توكيده والخطاب لسائل
معين محقق سأله او لغير معين مفروض وما قيل من ان مقام المص رحمه الله اعلا من
ان يعرض سائلا يخاطبه وان قوله الاتي كررت السؤال وما بعده يا باه ليس بشي
لانه كثيرا ما يقع من المصنفين مثله وفرض الامور لنكتة واقع في القران والحديث
كثيرا كقوله ولو ترى اذ المجرمون وغيره مما لا يحصى ويجوز ان يكون من باب التجريد
كقوله طحا بك قلب في الحسان طروب وما بين اما والجواب معترض كررت السؤال
التكرار اعادة ذكر الشي مرة فصاعدا ويطلق على الذكر الثاني والاول ومجموعهما
على في مجموع الجار متعلق بكررت لما فيه من معنى الالحاح والسؤال الطلب ويكون
سؤال استفهام وسؤال استعطاء وهما معروفان والمجموع اسم مفعول من
الجمع ضد التفريق وفي العرف كتاب يجمع من كلام الغير كما في قوله ه
لله مجموع له رونق • كرونق الحبان في عقدها •
كادت مجاميع الورى عنده • تنوب للمخلة في جلدها • ٥ •
وفي عبارته هضم لنفسه بانه ليس له فيه الا الجمع والتقدير في تاليف مجموع
وتقدير في شان مجموع ركيك وفي متعلقه بالسؤال لا بكررت لانه لا يتعدى بفي
خلاف السؤال فانه يتعدى بنفسه وبعن ومن وفي اذا كان بمعنى الرجا والشفاعة
دون الاستعطا فتقول سالت الامير في كذا ويحتمل ان يكون للتعليل كدخلت امراه
النار في هرة فيصح تعليقه بكررت ايضا يتضمن التضمن جعل الشي في ضمن الشي
وداخله والتعبير به لانهم يجعلون اللفظ ظرفا للمعنى لانه المقصود منه او هو
من ظرفية الكل للجز لما فيه من زيادة شرح وبيان وغير ذلك وقد يعكس
كما فصل في شرح المفتاح فالمعنى انه يحتوي عليه وتفسيره ببيتضمن منه
وتبسيط فيه لتسمح التعريف تقدير المصطفى التعريف الاعلام واصله جعل
الغير عارفا والتعريف في الميزان معروف ويجوز ارادته هنا على بعد فيه وقدر
الشي مقداره غلب في رتبته شرفه واصله تقدير الشي بوزن ونحوه والمصطفى
المختار المنتخب افتعال من الصفوة وهو صفة غلبت على النبي صلى الله عليه وسلم



سيد عيسى وابن الحنبلي والعرضي

سيد رد على ابن الحنبلي

ولم يبلغ لحد العلمية كالرحمن ولو كان علما بالغلبة لزم تعريفه باللام او الاضافة وليس كذلك
والايراد في الاسما لانهم لم يخصوها بالاعلام كما سياتي فما قيل من انه لقب وصفي او بالعلمية
واللام للمح الاصل ليس بشي لانه لم يسمع في عهده واسماوه صلى الله عليه وسلم توقيفية
على المشهور كما سياتي قيل ولو قال بعض قدر المصطفى صلى الله عليه وسلم كان احسن
ولايجني انه لا يلزم من سواله وقوع سيل لعموله اقال فيما ياتي حملني امرا امرا على انه
اريد الاجمال سقط القيل والقال عليه الصلاة والسلام وفي نسخة صلى الله عليه وسلم
لانه لم يقصد التسجيع حتى يرد عليه ان الاوفق بالسجع الاولى وانه يلزم طول القرع
الاخيرة ويعتذر له بانه اشارة لجوازه والامر فيه سهل واسناد الصلاة له كما ياتي
اكثر تعظيما وما يجب له من توفير تعظيم واكرام افعال الكرم بمعنى النفس وعز اي
عده موقرا معظما لمحبته وتعظيم اله واصحابه وما حكم من لم يوف اي يتمم ويكمل
من وفاه حقه اذا اعطاه اياه وافيا تاما والحكم ما حكم به العلما فيه او خطاب الله
المتعلق به واجب عظيم ذلك القدر اي مقامه الشريف وهو من اضافة الصفة لموصوفها
اي القدر العظيم واضافة واجب لامية واحد مفعولي يوف محذوف اي لم يوفه
او يوف النبي صلى الله عليه وسلم او لم يوف واجب قدره حقه فالمحذوف الاول او
الثاني او هو بمعنى يتمم ويكمل فلاحذف لتعديه لواحد وما يجب في محل نصب
معطوف على تعريف وكذا ما حكم وما استفهامية اي يتضمن جواب هذا السوال وقيل
موصولة والعايد مقدر وعلى الاول المضاف المقدر هو المفعول وهو وان
اكتسب الصدارة مما اضيف اليه لا يصح عمل ما قبله فيه الا انه قصد به لفظه على طريق
الحكاية اي جواب قولك ما حكم الى اخره فلا يلزمه عمل ما قبل الاستفهام فيه ولا تعليق
العامل عن المعطوف دون المعطوف عليه وتعليق يتضمن وليس من افعال
القلوب فيجاب بانه ضمن معناه وذلك من وضع الظاهر موضع المضمر ولا تعليق
العامل بواسطة حرف حتى يجاب باثبات النحاة له كما في شرح التسهيل ومنه تعليق فكر
ونظر نحو فلينظر ايها ازكى طعاما المتعدي بهما بفي والواجب ما يجب اعتقاده في حقه
صلى الله عليه وسلم او فعله في حق منصبه الجليل التقصير والاقتصار ترك ما لا
بد منه وفي المحكم قيل قصر عنه اذا تركه وهو لا يقدر عليه واقصر اذا تركه وهو يقدر
عليه وحقه ما يستحقه مما لا بد منه والمنصب بفتح الميم وكسر الصاد المهملة في كلام
العرب بمعنى الحسب والشرف كما ذكره اهل اللغة واستفاضه في كلام الفصحا كما قال
ابو تمام [illegible]
ومنصب نماه ووالده سا به [illegible]
وفي المصباح يقال له منصب وزان مسجد اي علو ورفعة وفلان له منصب صدق
يراد به المنبت والمحتد ومن لم يقف على هذا قال انه المرجع ويطلق على الرتبة وقيل
القدر فكانه من نصب اذا جد وارتفع واما المنصب بمعنى العمل فمولد لم يرد في
كلامهم اصلا كقوله [illegible]
نصب المنصب اوهى جلدي وعناي من مداراة السفل
فكانه لانه نصب فيه للنظر في الامور او هو من النصب والحيلة والطاقة كذلك

على ما يوضع عليه القدر كقول ابن نباتة
كم قلت لما فار غيظا وقد ٭ ازعج عن منصبه المحتسب
لا تعجبوا ان فار من غيظه ٭ فالقلب مطبوع على المنصب

وفيه مع استعماله المولد غريب آخر فلامة ظفر اي تقصير قليل بمقدار قلامة ظفر فنصبه لا قامته مقام المصدر او بنزع الخافض بعد حذف المضاف وقلامة فعالة من القلم وهو القطع من الاطراف سواء كانت من ظفر او من غيره كالشجر ولذا سمي القلم به لقطعه وهو قبل القطع براع وقصبة كما ذكره اهل اللغة واضافته الى الظفر لامية كيد زيد فلا وجه للقول بانه بحر بدون نة فعالة يكون لما يلقى من الشيء كالقمامة والكناسة ويشد منه الخلاصة مع ما فيه والظفر للانسان معروف وفيه لغات افصحها ظفر بضمتين وتسكن للتخفيف وجمعه اظفار وربما جمع على اظفر وتقال ظفر بزنة جمل واظفور كاسبوع وقول الجوهري انه جمع اظفور سهو او من طغيان القلم اراد ان يقول اظفر فزاد الواو وقلامة الظفر كناية عن القلة والحقارة كما قال ابو نواس
ايها المدعي سليمى سفاها ٭ لست منها ولا قلامة ظفر
وتقلامة الظفر يشبه الهلال وتظرف فيه سعد الدين بن عربي حيث قال
ناديت من اهواه وهو مقلم ٭ اظفاره يا نزهة المتامل
ابعدت ظفرك وهو بعضك فالذي ٭ يهواك احدر بالبعاد الاطول
فاجابني انظلني قلمتها ٭ عن حاجة لكن لمعنى عن لي
لا زيك يا من بالهلال تقيسني ٭ ان الهلال قلامة من انملي

يعني انه حقير مستند عنده والمراد بعدم توفية حقه ترك ما حقه ان يذكر كله او بعضه والتقصير ترك ذكره على ما ينبغي فهو مغاير لما قبله فلا يلزمه عطف الخاص على العام باو وفيه لاباه النحاة او يعتذر بان الاول بمعنى كثيرا وهذا بمعنى قليلا ونحوه وان اجمع لك ما للاسلاف جمع سلف وسلف جمع سالف وهو من مضى من اصولك واقربايك ثم عمم لكل متقدم من الناس والمراد من تقدمه من العلماء وهو المتبادر عند الاطلاق وهذا في محل جر معطوف على مجموع وايمتنا اي ايمة الدين المقتدى بهم من اصحاب الكتب والمذاهب جمع امام واصله أأممة بهمزتين فابدلت الثانية ياء قيل ويجوز ان يراد ايمة مذهب المالكية من مقال بيان لما وابينه بتنزيل صور وامثال ابين بالنصب عطف على اجمع اي يوضح ما ينقله عن المتقدمين بذكر بعض افراده او صفاته او امثلته فاستعير التنزيل وهو الاهباط من علو الى سفل لذكر الافراد الخارجية فان الكلي لعدم تحققه في الخارج بعيد عن الافهام كالعالي والجزئي محسوس فهو كالسافل والصور بزنة كبر بصاد مهملة جمع صورة وهي النوع او الصفة او الفرد كما ذكره اهل اللغة ومنه قول العلماء صورة المسئلة كذا او الامثال جمع مثال او مثل وفي بعض النسخ سور بسين مهملة كما ذكره ابن ارسلان قال والمراد به الايات من تسمية البعض باسم الكل مجازا والتنزيل معروف والفرق

بعينه

بينه وبين الامرال مشهور على ما رويته وقيل انه هنا بمعنى الترتيب كما ذكر وهذا كله تكلف
فالحق انه بالقياد فان المراد توضيحه بتصوير بما يحاكيه في الخارج وذكر نظاير فاعلم اي
اذا لم ترجع عن الحاكة في الطلب فاعلم امره بالعلم لصعوبة ما طلبه قبل الشروع فيه
ليلقي فكره له وسمعه اعتنا به وتحوا ابو وكثيرا ما ياتي به المصنفون لذلك ويلقى الكلام
عليه وانه قد استعملته العرب كما في قوله
فاعلم فعلم المرء ينفعه • ان سوف ياتي كلما قدرا •
فلذا خصته بالدعا له بالاكرام فقال اكرمك الله لبعد ما دعي لنفسه وله سابقا وهي جملة
معترضة دعائية اي جعلك الله تعالى معززا مكرما لحسن سوالك وعظم ما سالته
وكونك باعثا لي على تدوين مثله وتجمعه اذ يقال انه اكرمه بسواله له لاعتقاده انه
اهل لما طلبه منه مخصوص به في عصره فلذا اجازاه بهذا الدعا انك حملتني بالحا المهملة
اي كلفتني ما يشق تحمل الاثقال فهو استعارة تمثيلية كما في قوله انا عرضنا الامانة على
السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها من ذلك الانسان المسئول عنه ومن بيانيته على احد
القولين في جواز تقدمها على المبين كما مر وابتدائية لان حمله لذلك ابتدا بما طلبه منه
ثم انتهى الى الزيادة ويحتمل ان تكون تعليلية امرا إمرا امرا الاول بفتح الهمزة
واحد الامور ويحتمل ان يكون واحدا الاوامر والاول اولى والثاني بكسرها وهو بمعنى
عظيما ومنكرا وعجيب والكل محتمل هنا الا ان الاول اولى اي كلفتني امرا عظيما لا اصفه
او منكرا عندي او عجيب طلبه مني لاني لست باهل له فيه تواضع وهضم لنفسه
وارهقتني بنا الخطاب والارهاق والرهق تكليف ما لا يطاق واصل معنى رهقته غشيه
وقد فسروه له ولا ترهقني من امري عسرا بلا تكلفني امرا صعبا لا اقدر عليه وهو
التحفظ عن التقصير فيما سالته فيما ندبتني اي طلبته مني ومنه المندوب وعسرا بوزنه
فعلى وهو الامر العسير وارقيتني من الرقي وهو الصعود للمكان العالي اي الجاتني اليه
بتكرير سوالك والحاحك على في طلب الاجابة بما كلفتني ما مضى دربة اي بتكليفك
ما سالته وهو من الكلفة وهي المشقة والتكاليف المشاق وكلفته الامر حملته مشقة
ويتعدى لمفعول ثان بالتضعيف والكلف تغير في الوجه كالبهق كما قلت في قصيدة
للبدر قلت وقد حكى وجماله • فضح التكلف شيمة المتكلف •
مرتقى مصعدا او صعودا صعبا وعرا شاقا ملا قلبي رعبا خوفا وتحرعا وفيه استعارة
مكنية وتخييلية وفي جعله عاليا اشارة الى علو قدره وشرفه فان الكلام في ذلك المسئول
وهو تعليل لما ذكر من الصعوبة والمشقة ليستدعي تقرير اصول اي يقتضي ما لا بد
منه من التقرير وهو التحقيق والتثبت وفي النهاية التقرير ترديد الكلام على المخاطب
حتى يفهمه ومنه تقرير الدرس للطلبة واصل معناه جعل الشيء قارا في مكانه والمراد
قراره في الذهن او الخارج والاصول جمع اصل وهو في اللغة الاساس وفي الاصطلاح
ما ينبني عليه غيره والقاعدة الكلية والدليل ويصح ارادة كل منهما هنا وتعديه على
ما بعده ظاهر وتحرير فصول اي تهذيب امور مفصلة والفصول جمع فصل بمعنى
فاصل او مفصول وتحرير الشيء تلخيصه واظهار زبدته واصل معناه جعل الشيء
حرا اي خالصا ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه وحر الطين ما لم يخالطه غيره كالحر

مقابل العبد واما النجوم جمعي الكناية لحامق اريد به عامر واصله الكناية الملحقة اوكناية العناقة والحرية كما في كشف الكشاف والكشف اي الاظهار والتبيين وهو منصوب معطوف على مفعول يستدعي لاعلى الكلام كما توهم فانه تعسف لركاكة المعنى والغوامض جمع غامض اوغامضة وهو خلاف الواضح واصله المكان المنخفض من الارض فاريد به ما ذكرلخفايه وجعله غامضة ليناسب الحقايق في التانيث امرنا فه لا يلتفت لمثله لان فاعل الصفة لا يجمع على فواعل لانه مخصوص بصفات من يعقل بشرط اما شمول الاجناس وصفاتها ما لا يعقل فيجوز فيها فجعلها بمنزلة الاسماء غفلة ودقايق من علم الحقايق جمع دقيقة فعيلة من الدقة وهي خلاف الغلظة اوصغر الحجم فاستعير لما يصعب ادراكه ثم شاع حتى صار حقيقة عرفية لان الدقيق كذلك والمراد به بعض احواله التي لا تدركها العقول القاصرة مما يدرك بالكشف ومشاهدة عين اليقين الصافية فليست هي الغوامض لتنافيه لا سيما اذا فسرت بامر قبل البعثة فليستا بمعنى لان المقام يغتفر فيه التكرار وكيف يتاتى هذا مع قوله من علم الحقايق وهي جمع حقيقة وهي الذات والماهية المركبة من الذات او العلوم المدركة بتصفية الباطن كما اصطلح عليه ارباب السلوك وهي غير منافية للمعنى الاول وهي في كلام العرب الامور التي يجب حمايتها او الانفة عن تركها من الروسا وقال الخليل الحقيقة ما يصير اليه حق الامر ووجوبه كما قال

الرتراني قد حميت حقيقتي • وباشرت حد الموت والموت دونها •

قاله المرزوقي مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم بيان لما قبله وقيل انه بيان للمكشوف وما يجب له كالعصمة وعموم الرسالة وشرفه ذاتا وحسبا ونسبا ونحو ويضاف اليه اي ينسب له ويوصف به وعطفه لانه غير مقابل لما قبله وهو كالعبد له وقيل المراد به خصايصه صلى الله عليه وسلم ولا يرد عليه ما يتبجح به لمناسباتي او يمتنع عليه كالعيوب والنقايص وما لا يليق بمقام الرسالة او يجوز عليه من امور البشر كالاسقام والاعراض التي لا تورث نفرة ونحو وما بعده معطوف على الصلاة لا صلة موصول محذوف كما جوزه الكوفيون في نحو قوله •

امن يهجو رسول الله منكم • ويمدحه وينصره سوا •

كما بين في محله ومعرفة معنى النبي والرسول والرسالة والنبوة والخلة والمحبة روي بالنصب عطفا على مفعول يستدعي وروي بالجر عطفا على ما يجب لا على دقايق كما في المقتفي وقيل على المضاف اليه تعزير والمراد بالمعرفة هنا معناها المشهور لا التعريف وان جاز وانما استدعي الحال معرفة هذه لا بتنا كثير من صفاته صلى الله عليه وسلم عليها وخصايص هذه الدرجة العلية مجرور معطوف على النبي والدرجة واحدة الدرج وهي المراقي والمراد بها هنا رتبة النبوة والرسالة لنبينا صلى الله عليه وسلم وغيره ولذا لم يقل خصايصه وقيل الجامعة لهذه الصفات كلها والخصايص ما يختص به ولا يتعداه لغيره جمع خاصة او خاصية على كلام فيه في شرح المفتاح وكما هنا

مهامه

تلمساني

سيد عيسى

سيد عيسى

الحلبي

مهامة هاهنا اشارة الى المسلك الذي سلكه للوصول لمقصده والمهامة جمع مهمة كجعفر
وهو القفر والمفازة البعيدة قيل انما سميت بها لانها لكونها مخوفة يجفض فيها الاصوات
فيقول كل لرفيقه مه مه كما سميت المفازة امست فيح بفا مكسورة ويا ساكنة وحا مهملة
جمع افيح او فيحا وهي الارض الواسعة والمهمة يذكر ويؤنث كما قال
ومهمه مغبرة ارجاؤه • وفي هذا الاستشهاد نظر وهذه استعارة تمثيلية فيه
بيان ما ذكر لصعوبته بفلاة لاحتياجه لسعة الاطلاع وتوقفه على انظار دقيقه
في معرفة مقام النبوة فانه قد يقع فيها ما لا يليق به صلى الله عليه وسلم او يتبعه
بما ليس فيه فيدخل في زمرة من كذب عليه صلى الله عليه وسلم وهذا من عطف
القصة على القصة لبيان صعوبة ما كلفه السائل بطريق اخر حيث جعله اولا
جبلا شامخا وعرا صعوده ثم بعد النزول منه بمفازة بعيدة كما قيل
كيف الوصول الى سعاد ودونها • قلل الجبال ودونهن حتوف
ومما يقضي منه العجب ما قيل انه جواب سؤال مقدر اي كيف زعمت انك كلفت امرا
عظيما صعبا وهذا امر لا صعوبة فيه فاجاب بانه كيف لا يصعب وسالكه محتاج
لاقتحام مهامه فيح هذا اسالها وكيف يصح جعله جوابا للسؤال المقدر مع
اقترانه بالواو ومع انه لا وجه للسؤال ولا للجواب سوى تسويد وجه الصحف
يحار فيها القطا حار يحار كخاف يخاف اذا لم يهتد لمقصده وضمير فيها للمهامه
والقطا طائر معروف واحدته قطاة وهي توصف بسرعة الطيران والاهتدا
في الظلمات والتبكير حتى يقال انها ترد الماء من مسيرة عشرة ايام ثم تعود من ليلتها
فلا تخطي صادرة ولا واردة ولذا ضرب بها المثل فقيل اهدى من القطا كما قيل
والناس اهدى في القبيح من القطا • واضل في الحسنى من الغربان •
وهذا اما داخل في التمثيل او ترشيح له للمبالغة في بعد هذا المقصد والمراد
انه مما يضل ارباب الهداية وتتحير فيه وقيل انه استعارة اخرى يقصر تحيّة
وتقصر عنها الخطا وفي نسخة بها بدل عنها وتقصر بفتح التا وسكون القاف
وضم الصاد مضارع قصر بزنة كرم ضد طال والخطا بضم الخا جمع خطوة بضم
الخا وفتحها وهي ما بين القدمين والمعنى ان هذه المهامة مع سعتها وكونها
لا يعلمها سالكها وغيره او لكونها وعرة ذات شوك وصخور تمنع الماشي فيها
من مد الخطا وبابها بمعنى في او سببية وعلى النسخة الاخرى فقصرها عنها بمعنى
العجز عنها المامر او لطولها او هو على حد قوله ولا ترى الضب بها ينجحر فالمراد
انها لا تسلك اصلا وهو من جملة الترشيح او التمثيل او هو تمثيلية اخرى وعلى
كل حال فالمراد صعوبة ما كلف به وان الافكار فيها بطيئة الحركات او عاجزة عنها
راسا وما بعده كالتجريد كما ستراه ومجاهل مرفوع غير منون جمع مجهل
وهو المفازة التي لا اعلام فيها كما في المغني وهو المراد هنا وقيل المجهل
المفازة ايضا وفي القاموس المجهل ما يحملك على الجهل وحمله تجهيلا نسبه اليه
وارض مجهل كمقعد لا يهتدى فيها ولا يثنى ولا يجمع انتهى وقال ابن سيدة
في قوله انا النصح عن مجاهل قومنا مجاهل فيه ليس له واحد يكسر عليه الا

قولهم مجمل وفعل لا يجمع على مفاعل فهو من قبيل ملامح ومحاسن انتهى وفيه نظر لا يخفى وعلى
القول بان مجهل اسم الارض لا يثنى ولا يجمع يجمع المصنف رحمه الله له اما على القياس لان
مفعل ومفعلة يجمعان اطرادا على مفاعل او يكون ثبت ذلك عنده فان قلت ما معنى قوله
في القاموس ما يجلد على الجمل قلت يريد ما ذكره اهل اللغة والعربية من ان صيغة مفعل
تكون للزمان وتكون في كلام العرب لا يقتضي وقوع ما اشتق منه ويدعوا اليه وان لم يقع
بالفعل كقولهم الولد مجبنة ومبخلة اي يجعل المرء جبانا لتخلفه بسببه عن الحرب
وبخيلا لحرصه على بقائه ليربي ولده وليبقي ماله لولده وهو من نوادر العربية فاعرفه
تضل فيه الاحلام تضل بفتح الفوقية وكسر الضاد المعجمة مضارع ضل اذا لم يهتد
او بمعنى هلك والاحلام جمع حلم بكسر الحا وسكون اللام بمعنى العقل اي العقول
غير مهتدية لمعرفتنا على الاستعارة المكنية والتخييلية او هو اسناد مجازي وهو
احسن من تقدير ذوي الاحلام لانه يذهب رونق الكلام وجعل الاحلام مجازا
عن اصحابها والمراد المتعوبة بعيد ان لم يهتد بعلم علم يهتد مبني للفاعل اي ان لم عربية
يحصل لها الهداية لتمسكها بها وسلوكها بدليلها ويجوز بناؤه للمجهول وعلم
بفتحتين العلامة المنصوبة في الطريق ليعرف بها ولذا سميت نصبا ويكون بمعنى الجبل
ايضا لانه يهتدى به كما قالت الخنسا
وان صخرا لتأتم الهداة به ۝ كانه علم في راسه نار ۝
وفي قولها صخرا وهو اسم اخيها لطيفة اتفاقية هنا لمناسبة الجبل وعلم ضد جهل
لاضافة المشبه به للمشبه كقوله ذهب الاصيل على لجين الماء وقد يضاف المشبه للمشبه
به كما تقول لقد شربت منه ما الدهر المذاب وكذا ان تقول انه استعار العلم
بفتحتين للكبير من العلما لاهتدا الناس بعلمه كما يقال فلان جبل في العلم او لعلو
قدره واشتهاره كما فسر به البيت وبين يعلم وعلم تجنيس وقيل في عبارة المصنف
رحمه الله ان علم الاول بكسر فسكون والثاني بفتحتين عكس المشهور وهو وان
لم يخل من وجه صحة خلاف الاولى ونظر سديد النظر بمعنى الابصار والفكر وهو
ترتيب امور معلومة للتادي الى مجهول وقيل ملاحظة المعقول لتحصيل
المجهول والملاحظة توجه النفس نحو المعلوم الحاضر في ذهنه والسديد
ماله سداد بفتح السين وهو الصواب من القول والعمل وان لم يحصل بالنظر
ومداحض معطوف على مهامه وهو مكان الدحض بدال وحا مهملتين وضاد
معجمة وهو الزلق وسقوط الماشي ونحوه مما يزيل الاقدام عن محالها
لوحل ونحوه وفيه استعارة تصريحية بتشبيه الوقوع في الخطا الغموض المطالب
ودقتها بزلة القدم في المزالق المؤدية للسقوط وقوله تزل بها الاقدام
بفتح حرف المضارعة وكسر الزا المعجمة او فتحها من الزلل وهو الزلق في الطين
ونحوه ويتجوز به عن الخطا فهو تاكيد لمداحض وترشيح او تجريد نحوي والاقدام
جمع قدم وهو معروف وهو استعارة تمثيلية لكثرة الخطا وما قيل من ان عربية
المراد بالاقدام العقول في الادهان المدركة بجامع الايصال الى المرام على انه
استعارة تصريحية غير سديد واستعارة الرجل للعقل لا تخفى ركاكتها على من

له

له عمل ان لم تعتمد على توفيق وتأييد من الله عز وجل الاعتماد افتعال من العماد وهي في
الاصل ما يتكئ عليه ويستند اليه ثم شاع في كل ما يعول عليه وهو بمعناه الاصلي مناسب
للداحض والثاني مناسب للمقصود ففيه تورية والتوفيق خلق القدرة على الطاعة وقيل
خلق الطاعة وقيل تسهيل سبيل الخير واصله جعل الاسباب على وفق المسببات وهو
تفعيل من الوفق كما ان الاتفاق افتعال منه ثم خص بما ذكر وهو وفق باصله من قول
المعتزلة انه اظهار الايات الدالة على وحدانيته وايداع ما يعرف به في الانسان كالعقل
والسمع والبصر لطفا منه تعالى والتاييد التقوية والاعانة من الايد وهو القوة
والمعنى انه ان لم تعنه الله بتوفيقه وتاييده زل واخطا وما احسن تذييل الحين والعلا
بقوله ان لم تعتمد الجائح وتذييل الزلل والدحض بقوله ان لم تعينه ولما كان ما ذكره
للسائل من معونة مطلوبه وتوقفه على امور خطيرة يشعر بعدم اجابته استدرك
دفعه بقوله لكني لما ارجوه بكسر اللام الجارة وتخفيف ما الموصولة والعائد لها الها
ويجوز ان تكون موصوفة وليس لما بفتح اللام وتشديد الميم ولا ما المصدرية
لاحتياجه للتكلف والجار والمجرور متعلق بمقدم مقدم او موخر للحصر اي اجبتك لهذا
دون غيره او دون غيرك والرجا ترقب ما يرجى حصوله والفرق بينه وبين الطمع
ان الراجي مؤمل لعدم الوثوق بسبب رجايه له وقد يستعمل كل منهما بمعنى الاخر كقوله
والذي اطمع ان يغفر لي ولك قدم نفسه لمطابقته للمقام ولان المرء يبدء بنفسه
في الخير وليس الايثار مطلوبا في كل محل ولذا استحب تقديم المرء نفسه في الدعا كما مر
لا لما قيل من ان النفس تراعي حالها اولا الا من شرفت نفسه فانه يوثر غيره من نوال
وثواب في هذا السوال والجواب فيه لف ونشر غير مرتب لان النوال والثواب ناظر لقوله
لي والسوال والجواب لقوله لك والنوال العطا كالنايل والمنال والتناول تفاعل
منه والثواب من ثاب اذا رجع وهو الجزاء خيرا وشرا لكن العرف والشرع خصصه بالخير
كما في النهاية وهو المراد هنا ومن بيانية مبينة لما على الوجهين وقد يقال ليس فيه
توزيع لتعلق كل منهما بكل منهما كما ذهب اليه بعض الشراح لان للمص رحمه الله عطا
من الله لما صنفه وله ثواب عليه وللسائل نوال وعطا المسؤول لسؤاله وثواب لتسببه
لايجاد هذا الكتاب والدال على الخير كما سياتي كفاعله ووجه الاول ان النوال عطا
دنيوي عاجل للسائل بسواله والثواب اخروي للمص رحمه الله على اجابته لان المتبادر
من النوال الدنيوي ومن الثواب الاخروي فلا وجه لما قيل من انه لا دليل عليه وفي
بعض النسخ ثواب النوال بالاضافة وهو مؤيد للثاني بتعريف قدره الجسيم التعريف
التنبيهي والتاسيسية والقدر شرف الرتبة والجسيم العظيم الجسم فاريد به
مطلق العظيم على انه مجاز مرسل او استعارة بتشبيه العظم المعنوي بالحسي والقدر
الجسيم ان كان علو مرتبة عند الله والناس فهو مغاير لما بعده وعطفه عليه ظاهر
وان اريد اتصافه بكل صفة جميلة فهو من عطف الخاص على العام والى كل منهما ذهب
بعض الشراح وخلقه العظيم الخلق بضمتين ويسكن ثانيه تخفيفا وهو الطبيعة
والسجية وقد عرفوه بانه ملكة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير فكر
وروية فخرج بالملكة كل عارض غير قار من الاحوال وبتصدر عن النفس ما يصدر

عن الجوارح كالكتابة وغيرها من الصنايع وبقيد السهولة عما كان بصعوبة كالصبر على بعض
النوايب وكذا ما صدر بغير تفكر فكله لا يسمى خلقا فالخلق للنفس بمنزلة الخلق للبدن
والخلق الحسن من اعظم المنن من الله وفي الحديث اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن
الخلق وخلق النبي صلى الله عليه وسلم اعظم الاخلاق قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم
وسياتي الكلام فيه وبيان خصايصه جمع خصيصة وهي ما خصه الله به فانفرد به عن كل
ما سواه او انفرد به عن غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام او عن امته والاولى خصايص
مطلقة حقيقية وما عداها اضافية وليس جمع خاصة لانها كالخاص خلاف العامة
لا بمعنى ما انفرد به ولا الخاصة بمعنى الاثر الذي لا يظهر سببه كجذب المغناطيس الحديد
في مصطلح الاطبا وكخواص التراكيب عند اهل المعاني على ما فصل في شروح المفتاح وما
ذهب اليه بعض علما الشافعية من منع الكلام على الخصايص النبوية او كراهته قبل انه
متاول وقيل غير صحيح كما في الخصايص الكبرى وسياتي بيانه وقيل محل الخلاف في بيان ما حرم
عليه كتزوج لامته وخاينة الاعين وفيه نظر والحق ان منها ما يلزم ذكره ليلا يقتدي
به غيره او يدع نوهم ارتكابه لغيرا لمشروع كزيادة تزوجاته على اربع وما هو يحب
كغيرها ويدخل فيها ما اختصت به امته عليه الصلاة والسلام واذا عرفت هذا
فقوله التي لم تجتمع قبله في مخلوق بيان شامل لساير الاقسام لان المراد انه انفرد بمجموعها
دون كل فرد فرد منها فاعرفه وما يد ان الله تعالى به اي بعيد ويطاع لامره به من الدين
المعروف وهو معطوف على خصايصه وقيل على قدره من حقه بيان لما وقد ورد في
الادعية الماثورة اسالك بحق محمد فقالوا المراد بحقه رتبته ومنزلته او الحق الذي
جعله الله له على امته تفضلا به عليه كما في الدر المنتظم لابن حجر والمراد هنا الثاني
وهو ما يجب له صلى الله عليه وسلم على امته من حق بمعنى ثبت ويجوز ان يراد به ما
يقابل الباطل من اليقين الثابت حقيقته بالدليل كما قيل وفيه تكلف كالقول
بان من للتبعيض لان اضافته للعموم فلو كانت بيانية لزم ادعا بيان جميع حقوقه
او المراد جنس الحقوق فتامل الذي هو ارفع الحقوق صفة مادحة والمراد انها
ارفع من غيرها من حقوق البشر لا ما عدا ها حتى حقوق الله وارفع من الرفعة
وهي العلو والشرف فتعريف الحقوق للعهد او الاستغراق العرفي ويجوز ان يكون
صفة مخصصة للحق وتخصيصا لارفع منها بالذكر ها هنا لما به والمراد بيانه على طريق
الاجمال اذ التفصيل يضيق عنه الحصر ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا
ايمانا الاستيقان استفعال من اليقين من يقن كفرح واستيقن وتيقن وايقن
بمعنى علم علما محققا لا شبهة فيه لا تقانه بالادلة النافية للشبهة ولذا قيل
انه لا يوصف به علم الله وليقال ثلج اليقين دون العلم كما فصلناه في عناية القاضي
وقوله ويزداد افتعال من الزيادة وفيه دليل على ان الايمان يقبل الزيادة
والنقص والكلام فيه مفصل في محله لا حاجة لنا به هنا واقتبس المص رحمه الله
الاية هنا تعليلا لتعريف قدره وخلقه وخصايصه الذي به يتيقن ذلك اولكون
النعمة بدان بيان حقوقه فكانه قال بتعريف فضايله وخصايصه يتحقق تيقن
اهل الكتاب حقية رسالته لموافقته لنعته المذكور في كتبهم ويزداد ايمان المومنين

غريب

من

ابن الحنبلي والعربي

من امته لتحقق ماله صلى الله عليه وسلم من المحامد فالمراد باهل الكتاب اليهود والنصارى
والكتاب التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية وتخصيص هولا بالذكر ليس للحصر
لان المراد تعميمه وشموله لجميع اهل العلم باحوال الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا بمجرد
معنى النظم القراني وان لم يطابق السياق كما قيل وقد يقال المراد بالذين اوتوا الكتاب
اهل العلم بالتفسير والحديث ومن بعدهم ما عداهم من المومنين والمعنى ان هذا التعريف
المتفق ما تضمنه العلما ويزيد ايمان العوام ويجوز للمقتبس الذي يقصد غير المراد به
على طريق التمثيل وان كانت هذه الاية وردت في نقد دحرزته بجمهور وكونهم تبعة عنهم
فانه مما استيقنه اهل الكتاب لموافقته ما عندهم وان زاد ايمان غيرهم لعلمهم بذلك

عربي

ولا يخفى ان ايمان الانبيا والملايكة عليهم الصلاة والسلام ليس كايمان غيرهم فان
قلنا بدخولها لا اشكال فيه وهو ظاهر كما بين في الاصول لما بكسر اللام وتخفيف الميم وما
الموصولة او الموصوفة وتقدير العايد كما مر وهو علة ثانية للتعريف المستفاد من
هذا الكتاب اخذ الله على الذين اوتوا الكتاب المراد بالذين اوتوا الكتاب هنا ايضا اهل
العلم مطلقا او اهل الكتب المتقدمة في النزول او اليهود كما هو احد التفاسير في هذه
الاية وقد استدل بها على وجوب نشر العلم والمراد بما العهد والميثاق الذي اخذه
الانبيا عليهم الصلاة والسلام على اممهم ان يبلغوا ما سمعوه كما قال نبينا
صلى الله عليه وسلم الا ليبلغ الشاهد منكم الغايب ونحوه وقيل المراد ما اخذ من العهد
يوم الست بربكم في عالم الذر لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا
به ثمنا قليلا ولم يتل الاية بتمامها لعدم مناسبة باقيها لما اراده والضمير ان المنصوبان
للنبي صلى الله عليه وسلم لعلمه بما سبق في كلام المصنف رحمه الله وان كان في النظم
بخلافه فلا حاجة الى القول هنا بانه علم من السياق وان لم يجر له ذكر كما قيل وقيل
هما للكتاب وهو عام للعلوم والعلما فيدخل فيه امر النبي صلى الله عليه وسلم
دخولا اوليا ولم يوكد يكتمونه كما اكد لتبيننه قبله اما لانه جملة جوابية ولا
يكتمونه حالية وليست كما قيل بتقدير مبتدا اي وهم لا يكتمونه لاجل الواو الحالية
لان الحال المنفية يجوز فيها الوجهان وليست كالمضارع المثبت كما صرح به النحاة
او هو معطوف على الجواب فهو جواب والجواب المنفي لا يوكد قيل وهو اصوب
تنبيه قال الزركشي في قواعده تصنيف كتب العلم لمن منحه الله فهما واطلاعا
فرض كفاية ولن تزال هذه الامة مع قصر اعمارها في ازدياد وترقي في المواهب
والعلم فلا يحل كتمه فلو ترك التصنيف لضيع العلم على الناس وقد قال الله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق الخ وفي التوراة علم مجانا كما علمت مجانا انتهى فان قلت
قوله لتبيننه هل هو جواب قسم معلوم من السياق او مقدر قلت هذا يحتمل الا ان
ابن الاثير قال في كتاب البديع ان للعرب الفاظا تتلقاها تارة ربما يتلقى به القسم
كقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس لانه تارة
لا تتلقاها به كقوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم
بقوة وتارة يكون الذي بعدها يحتمل الامرين كقوله واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماكم وفي معنى هذه الاية قوله ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى

من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اوليك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون قال شيخ والدي
الشهاب بن حجر قال ابن عباس وجماعة انها نزلت في اليهود والنصارى وقيل في اليهود لكتمهم
صفته صلى الله عليه وسلم التي في التوراة وقيل هي عامة وهو الصواب لان العبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب فتورد كرا الاية التي ذكرها المصنف رحمه الله وقال انها نزلت في
اليهود وكتمهم صفته صلى الله عليه وسلم وغيرها والعبرة فيها ايضا بعموم اللفظ
والبينات ما نزل على الانبيا عليهم الصلاة والسلام من الكتب والوحي والهدى الادلة
العقلية والنقلية قال وقوله في الاية الثانية من بعد ظرف لقوله يكتمون لا لانزلنا
لفساد المعنى يعني ان البينات متاخر عن الكتم لا عن الانزال لسبقه عليه وهو غير
مسلم لجواز ان يراد بما انزل وبين ما انزل في التوراة وبين لاسلاف بني اسرايل
وبالكتم كتم اليهود الذين كانوا في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يجوز
تعلقه بكل منهما ولما استدل المص رحمه الله تعالى على مدعاه بالنظم الكريم عقبه
بالاستدلال بالحديث فقال ولما بكسر اللام وتخفيف الميم ايضا حدثنا به ابو الوليد
هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بن هشام بن خالد الاندلسي الوقشي بفتح الواو
والقاف وبالشين المعجمة نسبة الى وقش قرية من قرى طليطلة بالاندلس
الكناني الحافظ الفقيه ولد سنة ثمان واربعماية واشتغل بالفنون فسمع من ابي
عمر الطليطلي وابن عمر السفاقسي وابي عمر بن الحدار عنهم ومهر في النحو والعربية
واللغة وفنون الادب واعتنى بالحديث قال القاضي عياض كان في غاية الحفظ ٥
والاتقان وله تنبيهات وردود على كبار المصنفين في بعضها نقال وكان نظر في الاصول
واتهم بالاعتزال وقال الرشاطي ولي القضا ببعض بلاد الاندلس وكان من المتفننين
في ضروب المعارف وكان يعرف الشروط والهندسة والفرايض وغيرها مات في جمادي الاخرة
سنة تسع وثمانين واربعماية احمد الفقيه رحمه الله هو الامام القرطبي الزاهد المحدث
المعروف بابن العواد احد شيوخ المصنف رحمه الله وقد اجتمع للمصنف من الشيوخ
بين من سمع منه وبين من اجازه مايتة شيخ وهو ممن عرض عليه القضا فلم يقبله
وتوفي بقرطبة سنة تسع وخمسماية ومولده سنة اثنين وخمسين واربعماية بقراتي
عليه قال المحدثون من سمع من لفظ شيخه يقول حدثنا واخبرنا وانبانا قال العراقي
وهو منحه ومن قرا عليه او سمع بقراة غيره عليه فالاجود ان يقول قرات على فلان
او قرى عليه وانا اسمع وفي العرض يقول حدثنا فلان بقراتي عليه او قرى عليه
وانا اسمع كما فصل في مصطلح الاثر ولذا قال المص رحمه الله بقراتي عليه قال
حدثنا الحسين بن محمد هو الحافظ ابو علي الغساني المشهور قال حدثنا ابو عمر اي
قال الحسين حدثنا ابو عمر وهو شيخ الاسلام حافظ المغرب بن عبد البر بن عاصم
النمري القرطبي صاحب الاستيعاب وغيره من الكتب الجليلة ولد في ربيع الاخر
سنة ثمان وستين وثلاثماية بقرطبة وتوفي بشاطبة ليلة الجمعة سلخ ربيع
الاخر سنة ثلاث وستين واربعماية وعمره خمس وتسعون سنة وخمسة ايام وقوله
النمري بفتح النون والميم نسبة الى نمر بفتح النون وكسر الميم اي قبيلة وهو في
الاصل اسم جدهم نمر بن قاسط بن هنب وفتحت ميمه في النسبة تخفيفا

لبلا

لئلا تتوالى كسرتان وياؤه مشددة على القياس المطرد في كل مكسور العين مضموم الفا او مكسورها
او مفتوحها فان كان مكسورها كابلي جاز فيه الفتح وابقا كسرها كما ذكره النحاة قال حدثنا
ابو محمد بن عبد المؤمن في المغني هو ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي من
قدماء شيوخ ابن عبد البر وفي الميزان انه كان تاجرا صدوقا لقي الكبار واخذ عنهم الا
انه لم يكن جيد الضبط فربما وقع له الخلل والمصنف رحمه الله تبع نسخته حدثنا
ابو بكر محمد بن بكر المعروف بابن داسة من مشايخ الحديث المشهورين وداسة بدال المهملة
تليها الف ثم سين مهملة ثم هاء تانيث وهو احد رواة سنن ابي داود قال حدثنا سليمان بن
الاشعث هو الامام الحافظ ابو داود سليمان بن الاشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد
ابن عمر الازدي السجستاني صاحب السنن ولد سنة ثنتين ومايتين وسمع بمصر والحجاز
والعراق من خلق كثير وروى عنه ابن داسة وغيره وله ترجمة مفصلة في التواريخ
ومات في سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومايتين بالبصرة قال حدثنا موسى بن
اسمعيل هو ابو سلمة بن اسماعيل المنقري التبوذكي نسبة لتبوذك بمثناة فوقية
مفتوحة ثم موحدة مضمومة فذال معجمة مفتوحة تليها كاف اسم موضع نزل قوم
من اهله عند ابي سلمة هذا فقيل له تبوذكي او لانه كان له دار بها واصل معنى
التبوذكي من يبيع ما في بطون الدجاج ككبدها ونحوه وقيل انه نسبة ايضا
لبيع التبوذك وهو السرجين وموسى هذا روى عنه اصحاب السنن ووثقوه
وقيل ان فيه لين توفي سنة ثلاث وعشرين ومايتين قال حدثنا حماد اطلقه والمراد
به كما قاله البرهان الحلبي حماد بن سلمة بن دينار احد الاعلام مولى قريش او تميم
وهو ثقة لم يتهمه الا من زرق في دينه وقيل انه كان من الابدال لانه تزوج
كثيرا ولم يولد له وهو من عادتهم كسرعة الصلاة لطي الزمان لهم او غيره كما
ذكره السيوطي في ترجمة ابن الهمام رحمه الله وكان مجاب الدعوة ولم يرد حماد
ابن زيد وان كان من الكبار ايضا لان التبوذكي تفرد بالرواية عن حماد بن سلمة
ولم يرو عن حماد بن زيد كما قاله ابن الجوزي في كتاب الجمال في اسما الرجال فما
في بعض الحواشي من انه حماد بن زيد وهم توفي سنة مائة وسبع وستين
وله ترجمة في الميزان قال حدثنا علي بن الحكم البناني البصري وقد روى عنه
الحمادان وعداه من المحدثين توفي سنة احدى وثلاثين ومائة وهو ثقة وقيل
فيه لين عن عطا هو اسم مشترك بين جماعة منهم ابن ابي رباح ابو محمد المكي
القرشي مولاهم احد الاعلام روى عن عايشة وجابر وابن عباس وزيد بن
ارقم رضي الله عنهم وروى عنه الاوزاعي وابو حنيفة وغيرهما وعاش ثمانين
سنة وتوفي سنة خمس او اربع عشرة ومائة وهو من كبار التابعين المتفق على
توثيقه وجلالته وفي المغني تمام ميزته لاشتراك اسمه بين جماعة رووا
عن ابي هريرة رضي الله عنه وهذا هو المراد هنا دون غيره وقال التلمساني
المراد به عطا بن يسار الهلالي مولى ميمونة ام المؤمنين رضي الله عنها ورجح الاول
بان الذهبي وابن الجوزي لم يذكرا لعطا بن يسار رواية عن ابي هريرة رضي الله
عنه ولا يخفى انه لا يلزم من عدم ذكرهما ان لا يكون له رواية عنه في الواقع مع

ان النووي وغيره قالوا انه رواية عنه اقول هذا كله خبط عشوا فان المص رحمه الله
روى هذا عن ابن عبد البر وقد ذكره في كتاب العلم وصرح بانه ابن ابي رباح كما رايته فيه
وعبارته قال وان علي عبد الوارث بن سفيان ان قاسم بن اصبغ حدثهم قال حدثنا بكر بن
حماد قال حدثنا مسدد قال حدثنا عبد الوارث عن علي بن الحكم عن رجل عن عطا بن ابي
رباح عن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم وساق الحديث والرجل الذي
يرويه عن عطا يقولون انه الحجاج بن ارطاة وليس عندي كذلك والحجاج بن ارطاة
مشهور بالتدليس وقد رواه حماد بن سلمة عن علي بن الحكم ولم يقل عن رجل وكذلك رواه
عمارة الصيدلاني عن علي بن الحكم عن عطا عن ابي هريرة رضي الله عنه ثم ذكر له طرقا
اخر وقال قال الحسن دخلنا فاغممنا وخرجنا فلم نزدد الا غما اللهم اليك نشكو هذا
الغثا الذي كنا نحدث ان اجبناهم لم يفقهوا وان سكتنا عنهم وكلناهم الى عي شديد
لولا ما اخذ الله على العلما في علمهم ما انباناهم بشي ابدا وكان ابو هريرة رضي الله عنه
يقول لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيا ان الذين يكتمون ما انزلنا والتي تليها الحديث
انتهى فلعل المصنف رحمه الله ما قاله ابن عبد البر وقد رويه واخر وغير والمراد
انه في اصله صرح بان عطا هو عطا بن ابي رباح فما في الحواشي ناش من عدم الوقوف
على نقول الايمة عن ابي هريرة الدوسي وهو ممن غلبت كنيته اسمه ولذلك اختلف فيه
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كناه بها لما راه يحمل هرة في كمه وقيل المكني له غيره
صلى الله عليه وسلم وفي اسمه اقوال نحو الثلاثين اشهرها انه عبد الله او عبد الرحمن
وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس واسلم عام خيبر وشهدها ولازم مجلس النبي صلى الله
عليه وسلم صابرا زاهدا ولذا عد من احفظ الصحابة رضي الله عنهم وروي عنه ما لم
يرو عن غيره وفي البخاري عنه انه قال لم يحفظ احد اكثر مني الا عبد الله بن عمرو بن
العاص فانه كان يكتب وانا لا اكتب وكان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له بالحفظ فلم ينس
شيا سمعه بعد والحديث فيه معروف ومات بالمدينة وقيل بالعقيق وفي الشروح
الجديدة نقلا عن الحافظ ابن حجر ان هريرة مجرورة بالكسر لان المجموع علم منقول والمنقول
يبقى على اصله قبل النقل لان جزء العلم غير علم فلا يخرج عن تنكيره وصرفه ولو اعطي مثله
حكم العلم لم تدخل اللام في مثل شمس الدين فيجوز ابو الهريرة وابو هريرة بالتنوين
وكونه غير منصرف للعلمية والتانيث لان المضاف والمضاف اليه ككلمة واحدة ورد
عليه انه يلزم مراعاة الاصل والحال في لفظة واحدة فيعرب اعراب المضاف نظرا الاصله
ويمنع صرفه نظرا للحال ثم قال ان البرهان الحلبي قال هريرة لا ينصرف لكثرة الاستعمال
واطال فيه من غير طايل **وانا اقول** هذا كلام ناش من عدم التامل وهو مما يقتضي
منه العجب فان السماع فيه منع الصرف وكتب العربية مشحونة بنقله عن علما العربية
وهو مصرح به في ايضاح ابن الحاجب وفي كتب ابن مالك ونقله شراح التسهيل والنقل
عليه شراح الكشاف فانهم نقلوا عن سيبويه قالوا في شهر رمضان المركب الاضافي اذا جعل علما
يجز وه الثاني وهو المنظور اليه في احكام العلمية ولزوم اللام اذا قارنت الوضع واما
في غيره كابن داية وصرح به سيبويه وابو علي رحمه الله وانما غرهم فيه كلام بعض
المتاخرين من المغاربة نعم في بعض حواشي المفصل انه لا مانع من لمح اصله الا انه يا باه



سيد عيسى وابن الحنبلي
والعرضي

سيد

السماع وقد استوعبنا الكلام عليه في السواك فان اردت شفا الغليل فانظره قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة قال السيوطي
رحمه الله في تخريج احاديث هذا الكتاب هذا الحديث اسنده المصنف رحمه الله من طريق ابي
داود واخرجه الترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم وابن ماجه بسند صحيح من طريق محمد
ابن سيرين انتهى واسنده ايضا بن عبد المؤمن طرق كما مر وانقل عن الامام احمد من انه لا يصح
وعن غيره من انه ضعيف لا يلتفت اليه وفي الفاظه اختلاف ففي بعضها كتم علما مما
ينفع الله به الناس وفي بعضها ترك كتمه بدل فكتمه والمراد كما قالوا بالعلم المتوعد على كتمه
ما يلزم تعليمه ويتعين كتعليم حديث عهد باسلام ما يتعلق بالصلاة ومستفت في الحلال
والحرام ولا حاجة لتقييده باهلية السائل لحديث ومنع العلم عند غير اهله كمقلد الدرر
رقاب الخنازير لانه ليس على اطلاقه فان الافتا فرض كفاية فان تعين كان فرض عين وقال
الفقها ايد الله الدين ببقائهم يجب على الامام في كل مسافة قصر ان يضع فيها من يعلم الناس
امر دينهم ومن العلم ما هو فرض كفاية كالفقه وما هو فرض عين كمعرفة الله وما يجب له
وما يستحيل عليه ومباح كالعلوم التي ليست بدينية وحرام كالسحر والشعبذة والكتم
الاحفا واللجام بزنة ركاب ما يوضع في فم الدابة معروف وهو معرب لكام او لغام وقيل
انه عربي لتصريفه كالجم وملجم وهو في العرب نادر والجمه اذا وضعه في فمه والجمه العرق
اذا وصل الى فمه ويقال الجم اذا سكت قال ابو نواس

مت بدا الصمت خير لك من داء الكلام ... انما السالم من الجم فاه بلجام

والالجام في السكوت والعرق مجاز شاع حتى صار بمنزلة الحقيقة والجمه العرق بمعنى
اهلكه ابلغ من علا عليه الى الفم فيه من بيان سبب هلاكه بمنع النفس والمقصود
هنا انه يحرق جملته كما في الجمه العرق وان يراد احراق لسانه بدخول النار لفيه او يوضع
حديدة محماة فيه ويجعل ذلك علامة عليه لانه كالحيوانات العجم يجوزي من جنس
عمله لفظا ومعنى فهو مستعار لما يمنع الكلام كاللجام المانع من الجماح او هو مجاز مرسل
والاستعارة التخييلية غير مناسبة هنا وبا بلجام للالة او المصاحبة وقيل ان الله
يخلق له صورة لجام من نار يوضع في فيه وقيل انه تشبيه لما وصل لفيه من النار وخص
اللجام لتشبيهه بدابة منعت عما تريد وهو تكلف وهذا الانبا في قوله وتشهد عليهم
السنتهم الاية لان في القيامة مواقف متعددة لكل منها حال يخصه سمي به اليوم الموعود
لقيام الناس من قبورهم او لوقوفهم فيه كما يقال له الموقف وهو يوم الجزاء والحساب
او هو من قام بمعنى ظهر تتمة وفائدة مهمة قال النووي في الاذكار ذكر الفقها
والمحدثون انه يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث
الضعيف ما لم يكن موضوعا وان الاحكام كالحلال والحرام والمعاملات فلا يعمل فيها
الا بالحديث الصحيح او الحسن الا ان يكون في احتياط في شي من ذلك كما اذا ورد حديث
ضعيف بكراهة بعض البيوع او الانكحة فان المستحب ان يتنزه عن ذلك ولكن لا يجب
انتهى وخالف ابن العربي المالكي في ذلك فقال ان الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقا
وقال السخاوي في كتابه القول البديع سمعت شيخنا ابن حجر رحمه الله مرارا
يقول شرائط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة الاول متفق عليه وهو ان يكون الضعف

غير مطويه لحديث من انفرد من الكذابين والمتهمين ومن فحش غلطه والثاني ان يكون مندرجا
تحت اصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له اصل اصلا والثالث ان لا يعتقد عند العمل
ثبوته لئلا ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله والاخيران عن ابن عبد السلام
وابن دقيق العيد والاول نقل العلائي الاتفاق عليه وعن احمد انه يعمل به اذا لم يوجد
غيره ويقرب روايته عنه ضعيف الحديث احب الينا من راي الرجال وذكر ابن حزم الاجماع على
ان مذهب ابي حنيفة ان ضعيف الحديث اولى عنده من الراي والقياس اذا لم يجد في الباب
غيره فتحصل ان في العمل بالحديث الضعيف ثلاثة مذاهب لا يعمل به مطلقا يعمل به مطلقا
يعمل به في الفضائل بشروطه وقيد ابن الصلاح رحمه الله جواز رواية الضعيف
باحتمال صدقه في الباطن وهل يشترط في الاحتمال ان يكون قويا ام لا فيه خلاف وظاهر كلام
مسلم رحمه الله انه اذا لم يكن قويا لا يعتد به انتهى وللعلامة الدواني في انموذجه
على هذه المسئلة اشكال اورده على القوم وحاول الجواب عنه بما زاده اشكالا وليس بشيء
وهو انه قال اتفقوا على انه لا يعمل بالحديث الضعيف ولا يثبت به الاحكام الشرعية ثم
انهم ذكروا انه يجوز بل يستحب العمل به في فضائل الاعمال كما في الاذكار وفيه اشكال
لان جواز العمل واستحبابه من الاحكام الخمسة الشرعية فاذا استحب العمل به كان ثبوت
ذلك بالحديث الضعيف وهو ينافي ما تقدم ونيا فضه وحاول بعضهم التفصي عنه بان
المراد انه يجوز روايته وهو لا يرتبط بما قالوه والذي يصلح للتعويل عليه ان يقال
اذا وجد حديث في فضيلة عمل من الاعمال لا يحتمل الحرمة والكراهة يجوز العمل به ويستحب
لانه مامون الخطر ومرجو النفع اذ هو دائر بين الاباحة والاستحباب فالاحتياط
العمل به رجاء للثواب واما اذا دار بين الحرمة والاستحباب لا يعمل به وان دار بين الكراهة
والاستحباب فلينظر ايهما اقوى خطرا يرجع اليه وان دار بين الاباحة والاستحباب
فهو اسهل لان المباح يصير بالنية مستحبا فجواز العمل به واستحبابه مشروط بعدم
احتمال الحرمة الا انه اذا لم توجد الحرمة فجواز العمل به ليس لاجل الحديث على ان
الاباحة ايضا من الاحكام الخمسة فالحق ان الجواز معلوم من خارج والاستحباب معلوم
من القواعد الشرعية الدالة على استحباب الاحتياط في الدين فلم يثبت شيء من الاحكام
بالحديث انتهى **اقول** اذا احطت خبرا بما قدمناه من كلام الحافظ السخاوي عرفت
انما قاله الجلال مخالف لكلامهم برمته وما نقله من الاتفاق غير صحيح مع ما سمعته من
الاقوال والاحتمالات التي ابداها لا تفيد سوى تسويد وجه القرطاس والذي اوقعه
في الحيرة توهمه ان عدم ثبوت الاحكام به متفق عليه وانه يلزم من العمل به في الفضائل
والترغيب انه يثبت به حكم من الاحكام وكلاهما غير صحيح اما الاول فلان من الائمة
من جوز العمل به بشروطه وقدمه على القياس واما الثاني فان ثبوت الفضائل والترغيب
لا يلزمه الحكم الا ترى انه لو روي حديث ضعيف في ثواب بعض الامور الثابت استحبابها
والترغيب فيه او في فضائل بعض الصحابة رضوان الله عليهم او الاذكار المأثورة لم يلزم
ثم ما ذكر ثبوت حكم اصلا ولا حاجة للتخصيص بالاحكام والاعمال كما توهم للفرق الظاهر بين
الاعمال وفضائل الاعمال واذا ظهر عدم الصواب لان القول في غير محله بادر بما ظهر انه
لا اشكال ولا خلل ولا اختلال فبادرت بادرة فاعل بمعنى فعل والمبادرة العجلة الى فعل

رد على الدواني

ما يرغب

ما يرغب فيه وهو يتعدى بنفسه وبالى يقال بادرته وبادرت اليه ولما كانت الفا لا تدخل
في خبر كان لا سيما اذا كان مضمرا فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها قالوا انه معطوف على مقدر هو
الخبر المتعلق به قوله لما اي لكي اجيبك لما رجوته فبادرت الى الجمع الى نكت اي الى جمع
نكت وتاليفها ونكت جمع نكتة كنقط ونقطة ويجمع ايضا على نكات بالكسر كنقعة ونقاع
وعليه اقتصر في القاموس وسمع فيه ايضا نكات بالضم وقيل انه للاشباع والنكتة
المعنى الدقيق النادر والكلام القليل الحسن وهي في الاصل فعلة من النكت وهو
النبش الخفيف في التراب بعود ونحوه والانسان يفعله اذا تفكر في امر خفي فنقلت
لما ذكر اما التاثيره في النفس او لانه يحتاج لفكر وتامل او هي منقولة من النكتة بمعنى
نقطة من لون تخالف ما هي فيه اما لدقتها في النظر بالنسبة لما هي فيه او لمخالفتها لغيرها
من الكلام وما قيل من انها تطلق على قليل صدا في وجه المرآة او السيف كالوسخ كما ورد
في حديث الجمعة لا يناسب المقام مع انه ماخوذ مما مر مسفرة في نسخة سافرة وفي اخرى مسفرة
سافرة بالجمع بينهما من الاسفار وهو الكشف مطلقا وقوله في القاموس سفرت المراة
كشفت عن وجهها تمثيل لا تخصيص حتى يكون تحديدا كما قيل لقوله تعالى والصبح
اذا اسفر وفي المقتفي سفر بمعنى كشف قال
سفرن بدورا وانتقبن اهلة • وانثنين غصونا والتفتن جاذرا •
وعلى نسخة سافرة مسفرة ينبغي ان يتغايرا فمسفرة بمعنى مشرقة مضيئة وسافرة بمعنى
كاشفة للعزمن بحيث لا يحتاج لكتاب اخر فقيل وفي وصف النكت بالاسفار لطافة ونكتة اي
لانها تكشف ما تحت التراب وهو امر سهل عن وجه العزمن الوجه بمعنى الجهة المقصودة
والوجه الذي به المواجهة ويستعار لخيار الشيء واوله ولرئيس القوم والعزمن بعين
وضاد معجمتين بينهما راء مهملة مفتوحة كاوله الهدف ويتجوز به عن الغاية المقصودة
من الشيء وهو حقيقة عرفية لكونه مقصدا وهو قبل الشيوع استعارة او مجاز مرسل
من استعمال المقيد في المطلق او الشيء في لازمه والنكت المسفرة العبارات الدالة على
المراد والوجه ان كان بمعنى الجارحة ففي العزمن استعارة مكنية يرشحها سافرة او هو
استعارة ايضا مؤديا من ذلك الحق المفترض مودي اسم فاعل من اداه تادية اذا اه
اوصله من الاداء وهو حال من فاعل بادرت او من وجه العزمن والاشارة بيانية بناء
على الاول للعزمن الذي هو تعريف حق المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن الداخلة عليه
بيانية بناء على جواز تقدمها على المبين او تبعيضية لان حق المصطفى اكثر من ان يحيط به
كتاب وهو الحق وعلى الثاني الاشارة للحق الذي هو نعت اسم الاشارة وهو على الوجهين
مفعوله لتعديه لمفعولين والثاني على الاول الحق والمفترض صفته وعلى الثاني هو
المفترض ويصح ان يفسر هنا بموصلا الى السايل مراده او قاضيا لحقه كانه ليقين
اجابته عليه دين في ذمته ويلزمه اداؤه والافتراض افتعال من العزمن والمراد به
اللازم وجعله فرضا مبالغة والكلام في الفرض والواجب مشهور ولا فرق بينهما
عند الشافعية فهو عندنا ما ثبت بنص قطعي فرض وغيره واجب وما ثبت بدليل ظني
واجب وقد يستعمل كل منهما بمعنى الاخر واعتقاد ما في هذا الكتاب واجب جملته
لا بيانه كتابة وتاليفا ولذا قيل انه هنا فرض كفاية واعاد المص رحمه الله اللام

الجارية في قوله طلنا اشارة الى استقلال كل منهما بالعلية لاجابة سؤاله ولا شك في كفاية
كل واحد منهما فان الاجر الجزيل والعطا الجليل اذا ترتب على فعل يكفي فيه تعرضه وان لم
يدون والمقصد اذا كان له طريقان فالسالك مخير في سلوك ايهما شا لا سيما وهذه
الطريق اكثر ثوابا واحسن لعدم انقطاعها وفي الحديث اذا مات ابن ادم انقطع عمله
الا من ثلاث صدقة جارية او ولد صالح يدعو له او علم ينتفع به واما كراهة بعض
السلف تدوين الكتب فلا صحة له على اطلاقه فان السلف على خلافه وقد امر عمر
ابن عبد العزيز رضي الله عنه وناهيك به الزهري بتدوين الحديث وكتابته كما في
البخاري وكان ذلك اول ما صنف في الحديث لا اول ما كتب منه فان من الصحابة رضي الله
عنهم من كتبه كما مر ولذا حكى بعضهم الاجماع على جوازه وانما منع بعضهم منه
في العصر الاول لخوف التباسه بالقران اذ لم يكن حينئذ مدونا غيره مع عدم
الاحتياج له فسقط ما قيل من ان العلتين الاخيرتين لا يقتضيان المقصود هنا
واقتضا اعادة العامل الاستقلال في غاية الظهور فلا حاجة لابانته كما قيل
اختلستها الاختلاس الاخذ بسرعة خفية فقوله على استعجال تاكيد او تجريد فان
فسر بالاخذ خفية او بالاستلاب كما في القاموس فهو تاسيس ومنهم من اخذ فيه
قيد الغرة او المكابرة وفيه لطف لجعله كالمحارب للزمان لينال فرصة ينتهزها كما قيل
انتهز الفرصة ان الفرصة * تصير ان لم تنتهزها غصه *
وفي المقتفي اختلسوها بضمير الجمع وتكلفوا لتوجيهه بان المراد ان القوم اختلسوها
من يد العوايق وانا تلقيتها منهم ودونتها وصحح رواية هذه النسخة وقال
الشيخ المشهور خلافه وهو الوجه لا الصواب كما توهم لما المرء بضميره المرء
مثلث الميم الانسان وفسره بعض اللغويين بالرجل والاول اظهر وليس هذا التفات
ولا تفنن لان المراد التعميم ولذا لم يقل لما انا والتردد بفتحتين ومهملات
بمعنى المقابلة او القرب والثاني اقرب وهو تعليل للمبادرة والاستعجال
او للاختلاس يعني انه اسرع فيه لخوف ان تحول العوايق بينه وبين مراده
من شغل البال والبال الشغل بضم الشين المعجمة وتجوز فتحها وبالغين
المعجمة المضمومة واسكانها يقال شغله اذا عاقه واشغله بالهمزة لغة ردية
وكتبه بعض عمال الصاحب له في رقعة فوقع عليها من يكتب اشغالي لا يصلح
لاشغالي ولا وجه لترديد صاحب القاموس فيه والبال معروف والبال له
معان منها الفكر والحال والقلب وهو اقرب هنا ولو فسر بالقلب صح اي الامراض
والهموم عايقة عما يريد وقلما يخلو عاقل من مثله فان الهموم بقدر الهمم
بما طوقته ما من مجهول بضم الطا المهملة وكسر الواو المشددة ويتعدى لمفعولين
اولهما المستتر القايم مقام الفاعل والثاني ضمير الغايب وهو من الطوق بمعنى
الطاقة والوسع فالمعنى بما كلف وابتلي به او طوق العنق فهو استعارة لما
لزمه ومنه طوق الحمامة لبياض في عنقها كما قال المتنبي
اقامت في الرقاب له ايادي * هي الاطواق والناس الحمام *
وهذا ورد في كلام العرب لكل امر لازم محمودا كان او مذموما وقوله في كشف

رد للكشف

عرضي

علي سيد

الكشاف انه لم يرد الا في الذم لا وجه له لانه سال حاتما ابن له عن ابل له افناها القري فقال له طوقتك مجد الدهر طوق الحمام كما ذكره في مراة الزمان ويأتي له في الفصل الثالث من بيان ويبقى الشرح هنا كلام طويل بغير طايل من مقاليد المحنة بيان لما والمقاليد اما جمع لا واحد له او واحده مقليد او مقلاد او اقليد وهو معرب كليد بمعنى القفل ومعناه بعد التعريب المفتاح او الخزينة والاول السبب باصله وورد بمعنى الحبل المفتول ومنه ضاقت مقاليدي اي اموري هذا محصل ما قالوه في معناه وحينئذ فالمراد به ما تعلقه ولزمه من الامور الشاغلة ومنه تقليد الاعمال السلطانية من الامور الدنيوية على انه ماخوذ من المعنى الاول والثاني لانها كالمفتاح لغيرها او اسباب لغيرها او كالخزانة او كالحبل المفتول في عنقه الذي يربطه على ما طلب به ويعوقه عن السعي فيما يريده او هو كناية عن كل محنة لان من اعطي مفتاح شي فكانه مسلم له فالمعنى انه ابتلي بجميع المحن او بكثيرها فان فسر طوقته بجعله طوقا له او جعلت المقاليد بمعنى الحبال المفتولة وجعل كونها في عنقه بمنزلة العقود والاطواق التي تحلى بها على انه استعارة تهكمية كما قاله السهيلي في قوله تعالى في جيدها حبل من مسد كان وجها وجيها واما جعل المقاليد بمعنى القلايد لاقتضاء التطويق له كما قيل فلو ساعدته اللغة كان حسنا والمحنة اسم للامتحان بمعنى الاختبار والتجربة ويكون بمعنى المصيبة والبلية اما لان المرء يختبر بها فيعرف صبره وتجلده او لان الله يختبر بها عباده اي يعاملهم معاملة المختبر ليجزيهم الجزا الاوفى او لان المبتلى بها يختبر بها زمانه واصدقاه واخوانه •

جزا الله المصايب كل خير عرفت بها عدوي من صديقي •

وفي المقتفى المراد بالمحنة هنا مباشرة القضا الذي ابتلي به المصنف رحمه الله وكانه صح له ما نقل عنه فانه ثقة والقضا اعظم مصيبة لكونه على خطر عظيم التي ابتلي بها صيغة كاشفة او مؤكدة ان فسرت المحنة بالبلية والابتلا يختص بما يسو الناس وان كان في الاصل بمعنى الاختبار والمرء قد يختبر بما يحب لينظر هل يشكر وبما يكره لينظر هل يصبر ام لا فالبلا يكون حسنا وسيئا ولذا قيل ابلى بلا حسنا فالصفة حينئذ مخصصة فكادت تشغل عن كل زمن وتفل اي عوايق الدهر ومحنة قاربت ان تعوقه عما يهمه من امور الدين ولو تقل شغلت لانه غير واقع والادعاليس بمناسب للمقام وتشغل بفتح المثناة الفوقية والعين المعجمة الحلقية بمعنى تعوق وضم التا وكسر الغين لغة رديئة وقال كالفرض ليدخل فيه المطلوب والفرض والواجب والمكتوب متقاربة المعاني وفرق بينها كما مر بان الاول ما ثبت بدليل قطعي وغيره بخلافه وقيل الفرض ما لا خلاف فيه او ثبت بدليل النقل والسنة والمستحب والتطوع ما لم يطلب طلبا جازما ومنهم من فرق بينها كما فصل في محله وتردده بعد حسن التقويم الى اسفل سفل اي تردد في تلك الشواغل والعوايق بعد حسن ونضارة روض شبابي واستقامة غصن قوامي بعكس ذلك من تعوج قناتي وتصوب ما حياني او تعدل بي عن الطريق المستقيم المستبين الى اسفل سافلين وعن بحيث ليتقلها عن عبادة رب العالمين والمراد ترد نوع الانسان بعد ما كان في احسن صورة مستجمعا لخواص الكاينات لانه النسخة الكبرى فايما بو طايف عبودية الى ضد ذلك لان المراد بقوله السابق لما المرء بصدده ما استعد له كل احد بالطبع في امور دينه

وذنياه وذكر الامر العام المسلم يقتضي دخول المتكلم فيه بطريق برهاني وهو ابلغ واسفل
سفل لا اسفل سافلين وقد فسره المفسرون بالنار وارذل العمر والهرم بعد الشباب والضعف
بعد القوة والمراد هنا الاخير وفيه لف ونشر فقوله بما طوقه ناظر لشغل البال وتردده
لشغل البدن فانه لغاية ضعفه وظهور عجزه فان فسر بالنار على ان شغل البدن
داخل في المحنة والمشغول عن جميع الفرائض والنوافل من اهل الدرك السافل وليس هذا
للعموم ولا للانسان معين بل للجنس كقوله ان الانسان لفي خسر ومع ذلك كاد في الاثبات
نفي فلا يرد عليه شيء مما يتوهم وهو لم يذكر الاية حتى يرد عليه ما قيل المراد بالتقويم
الاستقامة في الدين واسفل سفل اتباع الهوى وايثار الدنيا على مرضات ربه لاكثر من عزمي
نوعي العصا وهو المذكور في قوله تعالى ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فهو الاسفل
هنا لا المذكور في سورة التين لانه غير ملايم هنا لاختصاصه بالكفرة وقد مر لك ما ينتفع
به مما في هذا الكلام من الخلل والسفل ضد العلو ويكون حسيا ومعنويا ثم شرع في التاسف
على ما ابتلي به نوع الانسان وعلى ما ضاهاه مما ابتلي به هو في نفسه فقال ولو اراد الله بالانسان
خيرا اي لو اراد الله بجنس الانسان وجميع افراده خيرا حتى الكون منه رجا فيهم وخيرا بمعنى
خير محض بحيث لا يصدر عنه سواه كما قال تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين وهذا مراد من
قال الخير الكامل ومن ظن تغايرهما فقد وهم اذ الخير انما يكمل اذا لم يكن معه شر كما لا يخفى ابن الحلبي
لجعل شغله فاعل شغل المستتر الظاهر انه لله ويجوز ان يكون للانسان واما الضمير
المضاف اليه فهو للانسان لا غير والمراد بشغله ما يشغل به نفسه من افعاله واقواله
لوقوعه في مقابلة همه وقيل المراد به ما يشغل قلبه وقالبه من العبادة فان منها
قلبية كمعرفة الله وبدنية كالحج فلا وجه لتخصيصه وهمه اي ما يهتم ويعتني به او ما يعزم
عليه عزما مصمما من هممت بالشيء اهم بالضم من باب قعد فيبعد عطفه على الاول
من قبيل عطف المتغايرين وعلى الثاني من عطف الخاص على العام ويجوز ان يراد به الحزن
فهو من عطف المتغايرين والحزن وبينهما فرق وقد يجيء بمعنى لكن الاول اقعد
لان هذا لا يلايم ما بعده لان الحزن لا يكون الا مستقبلا ولذا احتاجوا للتاويل في قوله
اني ليحزنني ان تذهبوا به وايضا الحزن لا يكون فيما يجد لا يتكلف لاعتبار فواته فمن
اقتصر عليه فقد قصر حيث قال الهم الحزن والمراد بالشغل الفعل الاختياري والحزن
انفعال النفس لخوف ما سياتي وليس المراد به الارادة كما توهم من هم بكذا
اذا اراده فان كلام المصنف رحمه الله مقتبس من الحديث وهو قوله صلى الله عليه
وسلم تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فان من كانت الدنيا اكبر همته افشى الله
ضيعته وجعل فقره بين عينيه ومن كانت الاخرة اكبر همته جعل الله غناه في قلبه
وجمع شمله واتته الدنيا راغمة ولا يخفى ان ما فسر به الحزن غير مستقيم وان كلام
المصنف رحمه الله معنى اخر بدليل سياقه وسباقه مع ان الهم في الحديث ايضا
يجوز ان يكون بمعنى الارادة ويعضده ما وقع في بعض طرق الحديث وكانت الاخرة
نيته فتدبر وقوله كله تاكيد للشغل والهم معا او تاكيد للثاني وتاكيدا للاول مقدر
كما قيل ولم يتعرض صاحب المغني في انواع الحذف له فان حذف التاكيد نيا في المقصود سيد وعزمي
منه مع انه لا مانع منه ويجوز جعله تاكيدا للثاني كما قيل لان الهم اذا لم يكن في شيء

بعد

يدل على عدم الاستقلال به بفحوى الخطاب فجعل مبني للفاعل وبناوه للمجهول خلاف الظاهر
وان احتمل وقوله فيما متعلق بجعل او بالشغل والهم على التنازع فيقدر في احدهما بجد اد
او يذم محله بفتح الحا لا بكسرها فانه غير مناسب هنا وهو بمعنى المكان الذي يحل فيه وسياتي
المراد منه والحمد والذم ضد ان معروفان والغد اليوم الذي بعد يومك ويكون بمعنى
المستقبل مطلقا وقد يراد به يوم القيامة وهو المراد هنا وفي المثل لكل يوم غد والقاقوله
وسوف يرى يوما وليس له غد • فهو كناية عن يوم الموت واصله غدو وقد جاعلى الاصل
في ضرورة الشعر كقول ذي الرمة •

وما الناس الا كالديار واهلها • بها يوم حلوها وغدوا بلاقع •

وفي الشروح يجوز في يجد ويذم ان يبنيا للفاعل وينصب محل على التنازع ويجوز بناوهما
للمجهول والرفع وضميره لله او للانسان ايضا والمحل مكان الاقامة وليس المحل مطلقا كالمقام
في قول الشماخ •

وماقد وردت بغيت عنه • مقام الذيب كالرجل اللعين •

وهذا هو الظاهر الا ان زيادة الاسما ممنوعة ولذا قيل ان حمد المحل وذمه كناية عن
حمده وذمه في نفسه على ابلغ وجه او يجعل حمد جزائه وذمه كحمده فيتجوز في نسبته
وقيل المراد بمحله من صدر عنه وعبر به عن الفاعل ايماء الى مذهب الاشعري رحمه الله
من ان الفاعل الحقيقي هو الله والعبد محل لكسبه ومباشرته لما خلقه الله واوجده
فان قلت كيف يكون شغل العبد الذي يريد الله به خيرا بما يذم وهو الحرام وما يقرب منه
قلت اجيب بان الشغل اعم من الشغل بالفعل وبالترك فيشبه له فيما يحمد بفعله وفيما يذم
بتركه فيحصل شغله واهتمامه بفعل ما يحمد من الواجب والمندوب وترك ما يذم من الحرام
والمكروه وقيل انه تكلف والمراد بالشغل بما يذم اشتغال قلبه به ويؤتى له عطف الهم
عليه فالاشتغال بالطاعة بفعلها وبالمعصية الحذر منها ولا يخفى انه لا فرق بينه وما
قبله وقد يقال الاشتغال فيما يحمد والهم بمعنى الحزن فيما يذم وهو حسن او التقدير
في معرفة ما يحمد ويذم كما قيل •

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه • ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه •

ولك ان تقول المراد بما يحمد ويذم الامور المهمة التي من شانها ذلك يعني ان اشتغاله
وهمته في معالي الامور دون سفسافها وغدا قيد لهما كما هو معروف في القيد المتوسط
وقد يفسر غدا بالمستقبل للانسان بعد موته كما قيل •

وانما المرء حديث بعده • لكن حديثا حسنا لمن وعا •

او يقدر مثله في الثاني واذا اشمل الشغل القلبي فاو لا تاباه ولا حاجة لجعلها بمعنى الواو
وقيل المراد بما يحمد ويذم التجرد عن العلايق مما يحمد في القيامة ويذم اليوم لفقر
صاحبه فغدا قيد للاول فقط واو لتغاير محليهما وفاعليهما وفي بعض النسخ محله
مرفوع نايب عن الفاعل وجعل مجهول وما بعده مرفوع ايضا رعاية للفاصلة وهو
متجه ايضا وفي بعض النسخ او لا يلزم بزيادة لا وفيه على ان ما يحمد الطاعات وما لا يذم
المباحات اي شغله وهمته المباحات او الطاعات فلا يلزم وقوع او بين المترادفين
لبعده الا ان همه في المباحات لا يناسب المقام فان نصب روي الاولى وبني جعل للفاعل

سيد وغيره

سمين

سيد

سيد

نصب محله على الظرفية اشارة الى اعتبار الزمان والمكان في كليهما كما قيل في قوله تعالى لا املك لكم
ضرا ولا رشدا انه لم يقابل الضر بالنفع والرشد بالغي والاظهران يقال انه لما ذكر انه مطوق بالمحن
الشاغلة عن الخيرات نفينه بان هذه استقتضي النظرة الاولى ومن اراد الله به خيرا اصرفه عن
الالتفات الى المتاعب وجعل شغله مقصورا على كسب الخير وحزنه على ما فرط فيه من اشتغاله
بما لا يعنيه فانه قل ما يخلو منه احد ومن حاسب نفسه قطع العلايق ولم تتعده العوايق كما
قيل اراك تطلب دنيا لست تدركها ∘ فكيف تدرك اخرى لست تطلبها ∘
فليس ثم بفتح المثلثة والميم المشددة وهو اسم اشارة مبني على الفتح وترسم بها السكت
لانها ملحقة في الوقف وقيل انها تا تانيث في لغة قليلة واختلف فيه هل هو موضوع
للبعيد او القريب وكل منهما صحيح هنا وفي شرح التسهيل كونها للقريب اقرب وهي
من قولهم ومن ثمة كان كذا اشارة لمعنى يكون منشا لغيره ولذا فسروها بمن اجل وهو
استعارة بجعل منشا الشي كمكانه ويوخذ منه التعليل فان كانت من تعليلية فهو ظاهر
وان كانت ابتدائية فالتعليل يفهم من السياق كما افاده شيخنا رحمه الله في الايات
البينات والقاموس صحة او تعليلية ترغيبية والاشارة للدار الاخرة ومكان القيامة كما
قيل لا الى غيب الغيب المومن وهي تعلم من قوله غدا والاحسن انها اشارة الى الزمان الدال
عليه فانها قد يشار بها اليه اي اذا انكشف الغطا في ذلك اليوم عرفت انه ليس فيه غير
ما ذكر سوى حضرة النعيم سوى بمعنى غير والحضرة مصدر حضر ضد غاب كالحضور
وفي النهاية حضرة الرجل قربه ويكون بمعنى المجلس والفنا والكتاب في الانشا يستعملونه
للتعظيم كالمقام العالي وحضرة الخليفة تادبا باضافة ما له لمحله فالمراد هنا تعظيم النعيم
او المراد به الجنة لمقابلته بالجحيم والنعيم المسرة والترفه في المعيشة وفي نسخة نضرة
النعيم اي بهجته وحسن منظره او عذاب الجحيم العذاب العقاب الشديد والجحيم المكان
الشديد الحر والنار المتاججة واسم لجهنم والاضافة لامية لا بمعنى في ولا لادنى ملابسة
كما قيل لانه عدول عن الظاهر لغير فايدة والحصر بالنسبة لما يجزى به المرء اي ليس في
الاخرة الا احد هذين الامرين وليس فيها تصرف لاحد فينبغي الاهتمام بامرها وهذا اظهر
المراد وانه ينبغي للعاقل ان لا يزال مفكرا في الاخرة ومعرفة ما يدم ويودي للعذاب
الاليم وما يحمد فيودي للنعيم المقيم فيداب في الطاعة والعمل الصالح حتى تحمد عاقبته
وعذاب بالجر عطف على حضرة او النعيم فهو كما به والاول اولى وهذا اما بنا على عدم
الاعتراف او بادخالها في النعيم باعتبار المال للنعيم او بعد نفيها بالنسبة للجحيم
ولكان عليه مخوبصة وفي نسخة مخوبصة نفسه وهو عطف على جواب لو واعاد اللام
فيه اشارة الى انه جواب اخر مستقل وليس من تتمة ما قبله والضمير المستتر في كان للانسان
وعليه لله بتقدير لكان الله منصفا فاي شانه لبلا مخويصة نفسه من غير داع وعليه
متعلق بمقدر وكذا الخويصة اي لكان الواجب عليه اهتمامه بنفسه لانه لما ذكر انه
استعجل بما طلب من الخير وخاف من محن الدهر الشاغلة عنه وعروض ما يضعف
عزمه ويبدد العايق عنه وعن غيره من العبادة كالقضا وامور الدنيا عقبه بان
من يرد الله به خيرا وفقه لاشتغاله بما هو خير لان ما له لجزاء عمله من خير وشر فيلحظ
ما يقدم عليه ويتقيد باصلاح نفسه بالعمل الصالح والعلم فيدفع العوايق من امور

عن بخ

سيد عيسى

غيره والمور بنفسه التي لا يعنيه فان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فعلى هذا البيت عليه
منقولا للامر وقيل انه اسم فعل للاغراء وهو الحث والطلب لانه يقال عليكا وعلى وعليه
بمعنى الزم والاخير سناد وعلى هذا ايتعدى بنفسه وقد يتعدى بالبا نحو عليك بذات الدين
فيفسر بما يناسبه وقال الرضي الباء زايدة وهي تزاد كثيرا بعد اسما الافعال لضعفها في العمل
لانه فسر على بناولني وعليه بالزم وقال ابن عصفور في حديث من لم يستطع فعليه بالصوم
الصوم مبتدا خبره من عليه والباء زايدة واعترض بانه يقتضي ايجاب الصوم وزيادة البا في
مبتدا غير حسب وفيه كلام طويل في كتب العربية فعليه متعلق بمقدر او اسم فعل وبخويصه
متعلق بمقدر كما مر او بعليه او هو مبتدا والبا زايدة وعليه خبر مقدم لتاكيد الحصر
والجملة خبر كان كما بيناه وخويصة بضم الخا وفتح الواو وسكون اليا لان يا التصغير
لا تحرك وصاد مهملة تصغير خاصة وهي ما يختص وحبيث وقع خويصة مع النفس واريد
به النفس لم يرد الامضغر او التصغير للتقليل والتحقير وقد يرد لغيره والاول هو
الاصل ففيه اشارة الى ان من تقيد بنفسه قلت اموره وخفت احواله فلم يصرف زمانه
الا في المهمات وفي الحديث عليك بخويصة نفسك فالمراد بالخويصة واضافتها للتغاير
اللفظ والمفهوم كعرف النسا او هو من اضافة العام للخاص كمدينة بغداد او المراد
عوارضها الذاتية المختصة بها ويتبعه دون الناس وما لا يعنيه وقيل هو الموت
وتهيئة اسبابه ولا يخفى بعده واستنقاذ مهجته المهجة لها معان منها الروح وهو
المراد والاستنقاذ والانقاذ التخليص اي عليه بتخليص روحه من العذاب باصلاحها
وصونها عن القبايح وعمل صالح يستزيده الاستزادة طلب الزيادة وليس الطلب مرادا
بل المراد المبالغة في زيادته ويجوز ابقاؤه على اصله ووصفه بالزيادة اشارة الى انه
ليس بزمن والصالح المحمود شرعا وقدمه على العلم لانه المقصود او للترقي وعلم نافع
يفيده ويستفيده من العلوم الشرعية وما لا بد منه كالعقايد الحقة وقدم الافادة
وان كانت موخرة عن الاستفادة لانها انسب بالمقام واشرف جبر الله صدع قلوبنا
الجبر اصلاح ما انكسر ومنه الجبيرة والصدع الشق وهو الكسر الذي لم يبن في الاجرام
الصلبة كالزجاج والعظم وفيه اشارة الى ان هذه القلوب كالحجارة قسوة وفيه
استعارة في الجبر او تجوز بالاطلاق في المقيد اي ازال الله ما في قلوبنا من النقايص
واصلح ما فيها من العيوب والاحسن ان يقال دعا بان يزيل الله ما في قلبه من
الغفلة والقسوة المانعة عن قبول ما ينفعه فشبه القلوب القاسية بانا اصلب
مكسور لا يقر فيه شي ففيه استعارة مكنية في قلوبنا وتخييلية في صدع والجبر
ترشيح وهذا اولى مما في الشروح وغفر عظيم ذنوبنا من اضافة الصفة للموصوف
بحسب الاصل وخص العظيم اما لان الصغاير مكفرة بالمكفرات المشهورة
كالصلوات الخمس ونحوها او لان من يغفر الذنب العظيم يغفر غيره بالطريق الاولى او لان
كل ذنب عظيم نظرا لعظم من عصي كما قيل ان الذنوب كلها كباير فان قلت ما الفرق
بين العفو والمغفرة قلت بين مفهوميهما بحسب الوضع عموم وخصوص فان المغفرة
من الغفر وهو الستر والعفو بمعنى المحو ولا يلزم من الستر المحو وعكسه كان
يحاسبه بذنب على رؤوس الاشهاد ثم يعفو عنه او يستره ويجازيه عليه اما بالنظر

سيد

لكرم الله فهو اذا استوعفنا فيبين بما عموم وخصوص مطلق ولذا يقال في مقام الملاطفة بقي
الاكرم عفا الله عنه كما سياتي في تفسير قوله تعالى عفا الله عنك وجعل جميع استعدادنا
معفولا لاستعداد طلب العلة بالفتح وهي ما لا بد منه لوجود الشيء ثم شاع في لازمه
وهو التهيؤ وهو المراد هنا ويكون بمعنى الاستحقاق كما في المحاكمات وهما متقاربان
لمعادنا اي بجعل اشتغالنا بما فيه عون لنا على النجاة والفوز بالسعادة في الاخرة
والمعاد محل العود فخص بالحشر لعود الارواح لابدانها او لعودها للقاء الله ليجزيهم
باعمالهم كقوله اليه مرجعكم وللمفسرين في قوله ان الذي فرض عليك القران لرادك الى
معاد اقوال منها ما ذكر ومنها انه الجنة لانهم كانوا فيها في عالم الذر او لانها لكونها
معدة لهم كانهم كانوا فيها فان العرب ما هو بالقوة الممكنة مجرى ما بالفعل فيقولون
جفنة يقعد فيها ثلاثة رجال اي واسعة وعليه قول ابن القيم •
فحي على جنات عدن فانها • منازلك الاولى وفيها المخيم
وتوفر دواعينا معطوف على جميع او استعداد والتوفر الكثرة والقوة والدواعي
جمع داع او داعية وهي ما يحمل على فعل الشيء قال الاسنوي في شرح منهاج
البيضاوي اذا علم الانسان او ظن او اعتقد ان له في الفعل او الترك مصلحة راجحة
حصل في قلبه اليه ميل جازم فهذا العلم ونحوه هو المسمى بالداعية مجازا من
دعاه لكذا اذا طلبه فكان علمه بالمصلحة طلب منه الفعل وقد يسمى الداعي عزما
وهذا هو المراد لانه المعروف في كلامهم وقيل المراد دعوتنا وطلبتنا ودواعي الدهر
ما يستدعيه من الحوادث والمراد اعمالنا وما نطلبه انتهى فالمقصود الدعاء بان يجعل
الله ميله مصروفا لما ذكر وهذا كله بيان لما قدمه فيما ينجينا هو افعال او تفعيل
من النجاة وهي الخلاص مما يخشى كعذاب الله وما يبعد عنه وكان الظاهر ان يقول
لما ينجينا لانه على المعنى الاول يتعدى باللام لكنه جعل شدة ميله له كانها متمكنة
فيه فالظرفية مجازية كقوله لاصلبنكم في جذوع النخل وقيل الدواعي تضاف لما
يترتب عليه كدواعي الوطء وليس بلازم كقولهم دواعي الدهر وكما في عبارة المص
رحمه الله ويقربنا اليه زلفى زلفى فعل من ازلف بمعنى ادنى وقرب قال الله تعالى
وازلفت الجنة للمتقين فالمراد قربا او تقريبا كاملا فهو مفعول مطلق منصوب
بالفعل المذكور من معناه كجلس قعودا او بمقدر من لفظه وفيه ايجاز بليغ
كما في تبيان الطيبي لان معنى انبته نباتا انبته فنبت نباتا والمراد قرب المنزلة
والرتبة المعنوية باكرام الله تعالى الذي هو اقرب من حبل الوريد ويحظينا
بفتح المثناة التحتية من الحظوة بضم الحاء وكسرها وهي القبول وعلو المرتبة
عند من تحب وهو قريب معنى مما قبله لان القرب المكاني منزه عنه الباري وما
ورد في حقه القران والحديث المراد به قرب معنوي باعتبار علمه به او كرامته لديه
وهذا هو المراد هنا ولذا فسر بعضهم الحظوة بالتفضيل على الغير فالمعنى انه
طلب من الله ان يكرمه ويفضله على غيره لتتغاير الجملتان بحسب الظاهر وان
تقاربا معنى وما اورد عليه من انه لا يفيد ما ذكر هنا لانه انما يفيده اذا تعدى
بعلى كما قاله الجوهري رحمه الله ولا صلة له هنا لا وجه له لانه غير مسلم مع

جرجه

٢

سيد

حسن زاده

ابن الحنبلي

عزمي

ان

ان باب التقدير واسع بمنه متعلق بما قبله وهو جبر وقيل تنازع فيه هو وما بعده
على القول بتوسط المتنازع فيه ولا حاجة الى جعله متعلقا بمصادر تلك الافعال لانه تقدير
لا داعي اليه والمنة تكون بمعنى تعداد الجميل وهي تحسن من الله ومن اسمائه المنان ويقبح
من غيره ولذا قيل المنة تهدم الصنيعة والظاهر انها مكروهة قطعيرة من كفر النعمة وجحدها وقيل
انها حرام من كل احد وقيل حرمتها مخصوصة بالنبي صلى الله عليه وسلم لقوله ولا تمنن تستكثر
فانكاره من عدم الاطلاع وتكون لنفس الانعام ورحمته بالجر معطوف على منه والرحمة في الاصل
رقة القلب ولامتناع ذلك في حقه تعالى اريد بها غايتها وهي اللطف والاحسان فهي من
صفات الافعال او ارادته فهي صفة ذاتية والبا في قوله بمنه سببية وقيل انها الاستشفاع
واورد عليه انه معنى غريب لم ينقله احد من النحاة ورد بان المراد انها للتعدية ولكن اريد
التشفع بمدخولها كما يقال في با البسملة انها للتبرك فالمراد انه توسل الى الله به كما ورد
اعوذ بك منك ولك ان تقول انها للقسم الاستعطافي ومآله الاستشفاع وتمثيله له بقوله
بحياتك صريح فيما قلناه فلا غرابة ولا استغراب الا من عدم التدبر نعم يبقى الكلام في
ان القسم الاستعطافي الواقع في السؤال هل يختص بالبا والوقوع بعد الامر والظاهر كلامهم
انه لم يتبع الاكذلك وفي الكشف في اول سورة النسا انه غير لازم وما نوت لما بالفتح
والتشديد ظرف زمان عامله جوابه والنية القصد وفي العرف القصد المقارن للفعل
وغير المقارن عزم تقريبه اي جعله تقريبا الى الافهام او الى الحصول بالتدريج الاتي
ونحوه والتقريب عند اهل المعقول سوق الدليل على وجه يقتضي المطلوب ودرجت
تبويبه اصل التدريج جعل درجة بعد درجة وفي الصحاح درجه اليه ادناه على التدريج
وتبويبه مصدر مبني للمفعول اي جعله ذا ابواب والمراد انه رتبه بابا بابا وقد يراد
بالتدريج التاني والتمهل كما قيل
درج الايام تندرج • وبيوت الهم لا تلج •
يعني انه سهله ورتبه ترتيبا حسنا متناسبا ومهدت تاصيله اصل التمهيد بسط المهاد
وهو الفراش والتاصيل ذكر القواعد والاصول يعني انه ذكر فيه قواعد وادلة تنبني
عليها مسائل ابوابه فليست مجرد دعوى خالية عن الادلة والنقول الصحيحة وليس المراد
انه سهله واوضحه كما لا يخفى وخلصت تفصيله اي ميزت فصوله او فروع قواعده
وتفاصيلها عن الاجمال والادلة واصل التخليص الاخراج والابعاد من الخلاص قيل
ويحتمل ان يراد بالتاصيل الاجمال وعبر به رعاية للمقابلة ولو قيل انه على هذا من
الاصول والقواعد كان اظهر وانتخبت حصره بالحا المهملة اي قصدت من نخوه
اذا قصده واصله انتحوت وفي نسخة انتخبت بالخا المعجمة والموحدة والحصر اصل معناه
الحبس والمراد به حصر الكل او الكلي في اجزائه او جزئياته اي قصدت او اختصرت
حصر انواعه في هذه الابواب او الابواب المعينة فلا وجه لتفسيره بالاختصار على النسخة
المشهورة وحصر الكل في اجزائه ظاهر وقوله في عروس الافراح انه لا يمكن لان الحصر
جعل الشي في محل محيط به فالمحيط حاصر والمحاط محصور منظور فيه وتوسان الكل مع اجزائه
على العكس لان الكل محيط بالاجزا والاجزا منحصرة في الكل فكيف يجعل الكل منحصرا فيها
ليس بشي لانه اصطلاح لا مشاحة فيه والمراد ان الاجزا المفصلة لا يخرج عنها الكل كما لا

عوضي

عوضي

يخرج المظروف من ظرفه وهو امر سهل وتحصيله اي جعله حاصلا فيه بعد جمعه من الكتب
المعتبرة وفيه المراد اهل الناس يحصلونه لاختصاره وضبطه فان ما كل من طلب العلم حصله ولا
كل من حصله اصله ولا كل من اصله فصله ولا كل من اصله وفصله ترجمته جواب لما والمراد تسميته
وامثل معنى الترجمة التعبير عن لغة باخرى ويكون بمعنى التبليغ لما خفي من الكلام لبعد قايله
الحايل بينه وبين سامعه او لقصور فهمه كما في شروح البخاري ومنه قوله
ان الثمانين وبلغتها • قد احوجت سمعي الى ترجمان
واطلاق الترجمة على التسمية على طريق التشبيه لجعل معرفة المسمى باسمه كمعرفة المعنى
بالتعبير عنه بلغة اخرى وهو مجاز متعارف والقول بان التسمية قبل الخروج من الذهن
الى الخارج لانه لما كان غير معلوم عبر عنه بالترجمة لجامع بينهما تكلف لاحاجة اليه لما عرفته
والترجمان هو المبلغ عربي وقيل انه معرب درغمان تصرفوا فيه وفيه لغات في كتب اللغة
بالشفا متعلق بترجمته بمعنى سميته بتعريف حقوق المصطفى والباء سببية متعلقة بالشفاء
او بمعنى في قال ابن الجوزي رحمه الله في كتاب نزهة العيون الشفا ملايم للنفس يزيل عنها
الاذى ويستعمل في القران على ثلاثة اوجه الفرح كقوله ويشف صدور قوم مؤمنين اي يسرهم
والعافية كقوله واذا مرضت فهو يشفين والبيان كقوله شفا لما في الصدور وهو مع ما بعده
هنا علم منقول والكلام في اسما الكتب هل هي اسما اجناس او اعلام جنسية او شخصية ومسماها
المعاني او الالفاظ او النقوش او مجموعها احتمالات ليس هذا محل تفصيلها والشفا ممدود
قصر هنا للوقف على فواصل السجع كالعوافي والممدود يجوز ان يقصر اذا وقف عليه حقيقة
او تقديرا وهو لسالكة مصطفى وهي مجوزة محسنة فلاعبار عليه وما قيل من انه قصره
لانه قصر عن بيان هذه الحقوق لطيفة لا تصلح للتوجيه وقيل انه ضرورة والضرورة
كما تجري في الشعر تجري في السجع كما في شروح التسهيل وهو غريب من قائله واغرب
منه تجويز مد المصطفى وغيره مما لا طايل تحته واسمه موافق لمسماه فان السلف
الصالحين قالوا انه جرب قراته لشفا الامراض وفك عقد الشدايد وفيه امان
من الغرق والحرق والطاعون ببركته صلى الله عليه وسلم واذا صح الاعتقاد حصل
المراد وقد كنت حال كتابة هذا المحل في ضيق صدر وحرج وانا الآن منتظر لكل خير
وفرج كما قلت
يا رب ظهري مثقل بالعنا • وما اقاسي من شديد الجفا
والمتن قد كل وصدري به • ضيق فوسعه بشرح الشفا
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد النبي الامي الطاهر الزكي صلاة تحل بها العقد وتفرج
بها الكرب وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة ضمير فيه للكتاب او للتعريف بحقوق
المصطفى والجار والمجرور متعلق بالكلام او حال منه والحصر والقصر بمعنى الحبس
لغة واصطلاحا تخصيص شي بشي بحيث لا يتجاوزه ووجه الحصر في مثله استقرائي
وجعله عقليا بالعناية تكلف وضمير فيه ان كان للكتاب كما هو المتبادر فهو من
حصر الكل في اجزائه وتسميه الجزء قسما باعتبار معناه لغة والفرق بين الجزء والجزئي
ان الاول لا يطلق القسم عليه اذ كل واحد منها لا يسمى كتابا حقيقة وفي الاصطلاح
القسم الجزئي لا الجزء فان اطلق عليه فهو مجاز لمشابهته له كما يقال تقسيم الكل الى

اجاباته وادبي بعضهم انه حقيقي ايضا ولا مانع منه وان لم يرتضه بعضهم فان عاد الضمير
للتعريب فهو من تقسيم الكلي لجزئياته والاقسام على ظاهرها **القسم الاول** في تعظيم العلي
الاعلى لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا التعظيم والتبجيل والتفخيم بمعنى
وهو توقيره وتكريمه بما يرفع قدره او يظهر رفعته والعلي من اسمائه تعالى من العلو اذ هو
جل شانه هو العلي حقيقة علوا منزها عن الجهة والحلول ويوصف بالاعلى ايضا وان كان
لا علو لغيره بالنسبة اليه واعلى المقادير بعد قدر الله قدر نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يخفى
موقع العلي الاعلى هنا قال التعظيم انما يعتد به من العظيم وعلو رتبة النبي صلى الله
عليه وسلم وان ناسب ان يشار اليه بما يدل على البعد الا ان المصنف رحمه الله اثر اسم
القرب اشارة الى ان تعظيم الله له قربه منه وادنى منزلته وانه ينبغي لمن يحبه ان يكون نصب
عينه كانه حاضر عنده ولذا قال النبي دون الرسول لان النبوة اتصال صرف بالله والرسالة
وساطة بينه وبين الخلق ولهذا الاعتبار كانت افضل كما في قواعد القرافي وسياق الكلام
مفصلا فيه والاشارة تاتي للتعظيم كما بينه اهل المعاني وتوجه الكلام فيه توجه
بصيغة الماضي اي تم وكل من قولهم توجه اذا صار ذا جاه وليس المراد كما في بعض الشروح انه
حصل وجه الكلام فيه والوجه السبيل والجهة المقصودة بالتوجه لما فيه من التكلف وقوله
في اربعة ابواب من حصر الكل في اجزائه لا الكلي في جزئياته كما توهم الباب الاول في ثنائه
عليه واظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب يطلق على الفرجة التي يدخل منها
للدار وعلى ما يسد به ويغلق من خشب ونحوه ويطلق في عرف المصنفين على مسائل من
الكتاب متناسبة اوردت بترجمة لان ما فيهما من المسائل والقواعد يتوصل به لمعرفة جزئياتها
او لانه يوصل لها ويحفظها او قيل انه بمعنى البابة وهي النوع وهو سمج بارد وهو قد يشتمل
على الفصول جمع فصل وهو نوع من المسائل مفصول عن غيره او ترجمته فاصلة بينه
وبينه فهو مصدر بمعنى فاعل او مفعول كما يستعمله اي على الابواب غالبا والثناء
الوصف بالجميل ولا يختص باللسان في المشهور لقوله انت كما اثنيت على نفسك لا على ما فيه
وقدر الشيء مقداره وشرفه ورتبته ويكون بمعنى التعظيم كما في قوله وما قدروا الله حق
قدره اي ما عظموه حق تعظيمه في احد الوجوه فيه فيجوز تفسيره هنا بكل منهما ولديه
بمعنى عنده وبينهما فرق مشهور واذا قيل عند الله فله معان لاستحالة حقيقته
عليه تعالى فيكون بمعنى علم الله او حكمه كما في قوله فاولئك عند الله هم الكاذبون وبينهما
فرق دقيق بيناه في حواشي القاضي في سورة النور ويكون بمعنى فضل الله كما في قوله قالت
هو من عند الله الباب الثاني في تكميل الله له المحاسن خلقا وخلقا المحاسن جمع حسن على
خلاف القياس او هو جمع لواحد مقدر كمحسن بزنة مقعد او لا واحد له وهي الامر الحسن
مطلقا او الحسن الخفي وخلقا وخلقا بفتح فسكون وضم وسكون منصوبان على التمييز
والخلق الايجاد والخلق السجية والطبيعة وهي ملكة راسخة في النفس لا تقبل الزوال
بسهولة على الاصح وهي للنفس كالخلق للجسم لان احدهما صورته الباطنة والاخر صورته
الظاهرة وحسن الاخلاق وقبحها يكون الحمد والذم وما يترتب عليه وحسن الصورة يدل
على حسن السيرة فلذا يمدح به كمل الرجال ولذا اخطا الامدي رحمه الله من اعترض على
ابي تمام في وصفه ممدوحه بالجمال لانه يليق بالغزل لما ذكرنا وقرانه له بجميع الفضائل

نه

عصام

المراد بهم ان العيال فقد ثبت بمعنى الجمع وجميع مفعول له وفضايل جمع فضيلة وهي الصفة الحميدة
مطلقا شوا الان لها اثر متعد ام لا وقد يخص بالثاني الفضايل وبالاول الفواضل وكان شيخنا الزيادي
رحمه الله يقول في مثله اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا كالفقير والمسكين وهو كلام حسن
الدينية والدنيوية الدينية منسوبة للدين وهو وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم
المحمود الى ما هو خير لهم بالذات في العقبى ويختص بالدين الحق الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام
ويستعمل فيما يشمل الباطل كما في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين ان لم نقل انه تشاكل او بحسب اعتقادهم
والمراد الاول هنا وللدين معان اخر كالجزاء والطاعة والدنيوية منسوبة للدنيا وهي الارض وما
عليها من المخلوقات واخواتها ويطلق على المال وما يملك وفي النهاية انه اسم لهذه الحياة والمراد
بالاول العبادة ونحوها وبالثاني نحو حسن خلقه صلى الله عليه وسلم وصحة بدنه وغير ذلك وهي
فعلى مونث ادنى افعل تفضيل لكنها جرت مجرى الاسماء وجردت من معنى التفضيل ولوازمه ولذا ورد
تنوينها شذوذا وفي النسبة اليها ثلاث لغات حذف الالف فيقال دنيي وقلبها واوا فيقال دنيوي
وزيادة الف فيقال دنياوي كما بين في علم التصريف ودالها مضمومة وقد تكسر من الدنو بمعنى
القرب وقيل من الدناءة كما قال الشاعر
اعاف دنيا تسمى من دناءتها • دنيا والا فمن مكروهها الداني •
ووجه التسمية ظاهر والدنيا قد تقابل بالدين كما ورد في الحديث وغيره وقد تقابل بالاخرة
ايضا وكل منهما صحيح فصيح فلا وجه لما قيل من ان الدنيا بمعانيها لا تقابل بالدين لكن شاع
مقابلتها له وهو المراد بقرينة المقابلة او المراد ما نسب الى الدنيا فقط فان المنسوب الى الدين
منسوب الى الاخرة ايضا ولا يخفى ما فيه من الخلل فتدبر فيه تسقا ضمير فيها للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو متعلق بقران او بقوله تسقا بناء على جوازه وتسقا حال من جميع فان كان مصدرا فهو مأول
بصفة والا فهو على ظاهره يقال در نسق وكلام نسق على نظام واحد فالمراد انه جمعها على وجه
متناسب يأخذ بعضه بحجز بعض هنا التلمساني تبعا ولا وجه له وفيه سبعة وعشرون فصلا
قال السيد لبيني في الكتاب الاسنة وعشرون فالظاهر انه عد ما بين ترجمة الباب الى الفصل
فصلا وان لم يسمه به وكذا الحال في جميع ما عده من الفصول الا في موضعين بقل الكلام فيهما
بين الترجمة والفصل فلا تغفل لكنه لم يعد ما بين القسم الى الباب بانا لان العادة تسمية
المسايل الجمة بالباب ولم يدخل في باب لتعلقه بالابواب كلها وقد سبقه اليه التلمساني
وزاد عليه انه لم يذكر اوصاف الفصول بالعدد بحيث يقول الاول والثاني الى اخره
الا في الباب الاول فيعلم منه ان القصد ورعده من جملة الفصول وبذلك يستقيم الامر في
العدد الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها الخبر في العرف واللغة ما ينقل
عن الغير وزاد فيه اهل العربية واحتمل الصدق والكذب في حد ذاته والمحدثون يستعملونه
بمعنى الحديث وقد يغايرون بينهما فيقولون الحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم
والخبر ما جاء عن غيره ولذا قيل لصاحب التاريخ اخباري بصيغة الجمع وقيل بينهما عموم
وخصوص فكل حديث خبر ولا عكس وعبر به المص رحمه الله هنا لانه اشمل واذا كان بمعنى
فالمراد به ما اضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا او تقريرا او نحوه ويدخل فيه ما هم
به قلبه اذا علم به بوجه من الوجوه وكذا ما يتعلق بحليته الشريفة وفي هذا المقام تفصيل
مذكور في مصطلح الحديث والصحيح والحسن كل منهما اما لذاته او لغيره لانه اذا رواه

اي سنا الملك

عدل تام الضبط واتصل سنده ولم يكن معللا ولا شاذا فهو الصحيح لذاته فان لم يسلم مما يضعفه والخبر
بتعدد الطرق ونحوه فهو الصحيح لغيره وما لم يشتمل على اعلا صفات القبول فهو حسن والمشهور ما تعدد
رواته ولم يصل الى حد التواتر ويطلق على ما شاع مطلقا وان لم يتعدد طرقه سواء كانت شهرته بين
المحدثين ام لا وهو الذي عناه المص رحمه الله هنا ولذا عطفه على الصحيح واهل الحديث يستعملونه
بهذا المعنى ايضا كما ذكره ابن حجر رحمه الله ويدل عليه قول المصنف رحمه الله في اول هذا الباب
اعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا على صحيحها ومشتهرها انتهى وقيل
المراد ما اشتهر بين المحدثين على انه من عطف الخاص على العام تعظيم قدره متعلق بورد عند ربه
متعلق بقدره لانه مصدر بمعنى رفعته او منزلته وقيل انه حال من قدره وجاء من المضاف
اليه لان المضاف صفة له فكانه هو المعمول لان تقديره قدره العظيم حال كونه كائنا عند ربه
قدره ومنزلته اي رتبته الرفيعة عنده ايضا والعرب تقول المنزل في الحسي والمنزلة في المعنوي
كالمكان والمكانة فكان التا للنقل وما خصه به في الدارين الدنيا والاخرة وتسميتهما بهذا شايعة
كما مر لانهما مسكن ابن ادم فاما ان تكون الدار حقيقتها هذا ثم خصت بما يحيط به بنا ونحوه
او تكون مجازا صار حقيقة عرفية وخواص النبي صلى الله عليه وسلم منها ما اختص به من ساير
الخلق نحو الرسل ومنها ما هو بالنسبة للرسل عليهم الصلاة والسلام ومنها ما هو بالنسبة
لامته كما مر وسياتي من كرامته اي مما فيه تكريم وتبجيل له صلى الله عليه وسلم فمن
بيانية او تعليلية كما لو لم يحاطا باهم اعترفوا وهو بيان لان المذكور هنا بعض الخصا
التي خص بها تعظيما له صلى الله عليه وسلم دون ما خص به صلى الله عليه وسلم من بعض
الاحكام الجزئية المخصوصة به بالتحليل والتحريم مما لا يظهر فيه التكريم وان تضمنه في الجملة ولم
يذكر لذلك وهو غير مناسب لغرض التاليف وفيه اثني عشر فصلا هكذا هو في النسخ كلها وهو
المروي عنه مع ان الفصول خمسة عشر وقد سلك الشراح في الجواب عنه مسالك منها ما قال
التلمساني ان الثلاثة الزائدة بعد ما اكمل العدد اجنبية من هذا الباب مناسبة للباب الاول
لانه ذكر جملة من اسمائه صلى الله عليه وسلم في اثنائه كقوله رؤف رحيم وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين وذي قوة عند ذي العرش والله نور السموات الى اخره الى اخر ما ذكر في حقه
صلى الله عليه وسلم فيفهم منه ان الفصول الثلاثة انما وضعها بعد ان تم مراده ولاح في خاطره
امر بعد تركه اوجب ذكرها وجعلها ذيلا لهذا الباب وذكر من كلامه ما يدل عليه ومنها انه كان
عازما على جعلها اثني عشر فلما وصل الى الباب الثالث اقتضى الحال زيادتها وهذا مبني على ان الخطبة
متقدمة على التاليف والقول بان قوله السابق تويب ودرجت ابوابه غير مسلم وهذا كما انه
جعل القسم الرابع بابين مع انه زاد عليه بالثا ومنها ان مفهوم العدد غير معتبر وهذا اضعفها
لان كلامهم في الاسند لابد في المنصوص واما في المخاطبات فلا فالحاصل الفاذيل للاثني عشر
المفصولة اوامر زاده على ما كان في تصوره وذهنه الباب الرابع فيما اظهره الله على يديه من
الايات والمعجزات الايات جمع اية ولها معان منها العلامة الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم
وفي اصلها اربعة اقوال لاهل العربية احدها للخليل رحمه الله وهو ان اصلها ايية بتحتيتين
بزنة فعلة فقلبت اليا الاولى الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها على خلاف القياس اذ هو يقتضي
قلب الثانية او الادغام لتقدمه على الاعلال الثاني للكسائي رحمه الله ان اصلها ايية
على وزن فاعلة فحذفت عين الكلمة والقياس الادغام كدابة الثالث للفرا رحمه الله اصلها

ايه بشكون الثا الاولى فقلبت الفاعلى خلاف القياس المرابع لبعضهم اصلها ايية بكسر اليا الاولى
قلبت الفا لثقل التضعيف والمعجزة امر خارق للعادة مقرون بالتحدي ظهر الله على يديه
صلى الله عليه وسلم واسناده الى الله لانها من افعاله كما قاله ابن الهمام رحمه الله واما
كونها قد يكون من قبيل الترك كان يقول نبي ايه صدقي ان امنع يدي على راسي ولا يقدر احد موافق
على ذلك فلنذورة لا يعتد بها ولانه باعتبار انه كف كالفعل الوجودي وكذا اخبار عن الغيب
واما اسند الى النبي صلى الله عليه وسلم باعتبار صدوره عنه وان كان بايجاد الله وخلقه على
ما عليه اهل السنة والايه والمعجزة يشتركان في الدلالة على صدقه لكن الاية اعم لانها
لا يشترط فيها مقارنة النبوة والتحدي فكل معجزة اية ولا عكس فشق صدره صلى الله
عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل البعثة ونحوه اية وليس بمعجزة واما قول السهيلي
رحمه الله في تعميم الخوارق انها علامة للنبوة لا معجزة بنا على عدم اقترانها بالتحدي
المشروط عنده فرده ابن الهمام رحمه الله عليه بان امره مبني على دعوى النبوة في كل
زمان وهو غير وارد عليه وسياتي للمصنف رحمه الله كلام في هذا وشرف به من
الخصايص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا المذكور في الكتاب تسعة وعشرون لكنه عد
صدر الباب فصلا كما مر وتبعه عليه التلمساني والخصايص جمع خصيصة وهي
الصفة الخاصة به سوا كانت في ذاته او صفاته او فيما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم
من معجزاته وكراماته فهي تشتمل على امور كثيرة ذكرمنها في الباب الثالث تفضيله في
ذاته وسيادته صلى الله عليه وسلم لبني ادم في الدارين وقربه من ربه مالا سرا
والمحبة والخلة وذكر هنا ما جرى على يديه من المعجزات وما منا هاها من الكرامات
فقصد البابين وما ذكر تختلف معنى وان تشابه العنوان كما يعرف بالنظر في الكتاب
فلا يرد عليه ان ما ذكرهنا هو بعينه في الثالث من قوله وما خصه وهو قبيح وغاية سيد عيسى
ما يقال في توجيهه انه اراد في كل موضع بيان ما ليغه فالمراد في الثالث الكرامات التي
لم يقصد بها اثبات النبوة وكونها علامة كالاسرا والامور الاخروية وفي الثاني
ما يقصد به ذلك وفيه ما فيه انتهى وقد عرفت سقوطه واما اوقعه فيه اتحاد
العنوان ظاهرا وهو على طرف الثمام على انا نقول انهما متغايران معنى كما يعرف
بالتامل الصادق وقيل ان الخصايص والمعجزات ايات كما سياتي في بابه والكرامة ابن الحنبلي
لغوية لا اصطلاحية فلا تنافي المعجزة واما الكرامة التي خص بها صلى الله عليه وسلم
في الدارين المذكورة قبله فقد قيل انها ما لم يقصد به اثبات النبوة ولا كونها علامة
عليها كالاسرا ولانها ايل عنه وقيل الكرامات هنا الخوارق التي قبل دعوى الرسالة
وفي شرح المواقف انها تسمى كرامة وارهاصا وهو التاسيس ولسبقها على اظهار
الرسالة كانت كالتاسيس لها فان قلت اخبار عن المغيبات كيف يعد معجزة
قلت هو على قسمين ما وقع في حياته صلى الله عليه وسلم كعير قريش ونحوه ولا
شبهة في كونه معجزة وما وقع بعده كاخباره صلى الله عليه وسلم بالخوارج وذي
الثدية وتسميته كرامة اولى لعدم مقارنته للتحدي والقول بانه معجز للعجز هم
عنه سوا كان التحدي عدميا ام لا لا يجدي القسم الثاني فيما يجب على الانام اي بكرمهم
حتى يانموا بتركه والانام الخلق او الانس والجن او كل ما على وجه الارض

والمناسب

والمناسب هنا الثاني وقيل انه ما يعتريه النوم من حقوقه صلى الله عليه وسلم حق وهو الامر
الثابت له وقدم تفسيره ويترتب العقود فيه في اربعة ابواب يترتب اي يتكون او بعد كونه تناسب الترتيب
وهو جعل كل شيء في مرتبته اللائقة به وكونه من تقسيم الكل او الكلي تقدم مع ما فيه الباب الاول
في فرض الايمان به اي كون التصديق برسالته صلى الله عليه وسلم فرضا فالاضافة للمفعول او هي
لامية او بيانية فيجب الايمان به صلى الله عليه وسلم وتصديقه بما جاء به لغيرها ووجوب ذلك
على كل من بلغته الدعوة ووجوب طاعته اي اطاعته صلى الله عليه وسلم والانقياد له ووجوب
اتباع سنته اي طريقته صلى الله عليه وسلم الى قوله باسمائها الى الايجاب وفيه خمسة فصول
وقد اجاد في تقديمه فعبر بالفرض تارة وبالوجوب اخرى كما قال في القسم الاول وتوجيه الكلام
فيه وفي الثاني ويترتب العقود وفي الثالث وتحرير العقود فيه وفي الرابع ويتقسم الكلام فيه
الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته صلى الله عليه وسلم وفيه ستة فصول النصح والنصيحة
والمناصحة ارادة الخير للغير وارشاده له وهي كلمة جامعة كما سياتي والمفاعلة على حقيقتها
لانها ان يفعل ويقول لصاحبه ما يفعله الاخر به وان لم يتحد فنصيحة الامة ايمانهم بما
جاء به صلى الله عليه وسلم وانقيادهم لاوامره ونواهيه ونصيحة النبي صلى الله عليه وسلم
لهم تبليغهم ما امر بتبليغه وارشادهم للخير وقيل انه بمعنى النصح كالمخادعة في قوله يخادعون
الله وما ذكر في الكتاب من دواعي محبته ونحوه استطرادي والتحقيق في شروح الكشاف
الباب الثالث في تعظيم امره اي شانه وحاله كتعظيم حديثه واله صلى الله عليه وسلم قيل
اللائق هنا تقديم اللزوم الاتي لانه بسيطه فيقول لزوم تعظيم امره وتوقيره فكانه اشار
الى تقديمه تقديرا لان من اللازم تعظيم امره وتوقيره فهو من عطف العام على الخاص وليس
الامر بمعنى الطلب هنا وفي ذكره ايما الى ان توقيره اشد لزوما من توقير امره مع ما في تركه
اولا من المبادرة الى ذكر تعظيمه لشدة الاعتنا بنفس التعظيم ففي كلامه ترقي من الادنى الى
الاعلى ولزوم توقيره وبره توقيره تعظيم ذاته واحواله ومن ينسب اليه وامته ومعاهده
واثاره بحيث لا يؤذى اليه احد وفيه دلالة صراحة على لزوم تعظيمه صلى الله عليه وسلم فلا حاجة
لما مر وبره بكسر البا واصل معنى البر السعة ومنه البر بالفتح مقابل البحر ثم شاع في السعة
والاحسان والصلة وهو المراد هنا وصلته صلى الله عليه وسلم بصلة اتباعه من اهله
وغيرهم ممن مر ذكره الباب الرابع في حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والتسليم من
الفرضية والاستحباب على كيفية مخصوصة فقوله وفرض ذلك اي فرضيته او المفروض منه
من عطف الخاص على العام وفضيلته اي فضيلة المذكور من الصلاة والسلام ولتاويله
بما ذكر افرد الضمير ويكثر مثله في اسم الاشارة كقوله عوان بين ذلك وفيه عشرة فصول
مع ما ذكر معه استطرادا كفضيلة المدينة وسكناها ومسجدها وفضل الصلاة فيه
وفي مسجد مكة وزيارته صلى الله عليه وسلم القسم الثالث فيما يستحيل في حقه صلى الله
عليه وسلم اي يمتنع امتناعا قويا حتى يلحق بالمحال عقلا كالكذب ونحوه واصل معنى
الاستحالة التغير من حال الى حال ومنه استحال الخمر خلا ويقال استحال اذا صار اعوج
وقد ورد في كلام العرب واستعماله في كلامهم كثير كما وقع في عبارة الكتاب ومن لم يقف عليه
اعترض على قول المتنبي كانك مستقيم في محال وما يجوز عليه اي يصح ان ينسب اليه سواء
كان واجبا او جائزا والمراد ما يصح اضافته به صلى الله عليه وسلم كالاعراض لا التي

ابن الحنبلي

سيد

ويتبعه الهلية من الامور المتعلقة بالدين وغيرها لان الجواز بمعنى الاباحة من الاحكام الشرعية
فقوله ومما يمتنع ويصح من الامور الشرعية لا يضاف اليه المراد به الامور المتعلقة بالدين دون
الدين فيصح التقابل لان معناه ما لم يصلح … الانتساب بعدهم ويجوز ان يراد به ما يجب
ويحمل على انه عطف تفسيري فلا يرد عليه ما قيل انه لم يعد ما يجب والايق ذكره او
لانه اذا بين ما يستحيل منه فقد بين ما يجب لان استحالة الشي تستلزم وجوب نقيضه
فلذا اجمل واختصر والمراد بالشي … كون انه متصف بهما اما انه من ذكر ما يجب وقد
تعرض له فيما ياتي فيا باله جعله … ولبا لا … اعظم البركات كما لا يخفى وهذا القسم
الكريم كلا انه جملة دعائية والمعنى جعله الله مكرما مبجلا وهو سر الكتاب اي خلاصته
او افضله او الخير منه والمراد انه المقصود بالذات منه ولما كان ما تضمنه من بيان ما نصح
اضافته اليه وما لا يصح مما تمس الحاجة اليه في تعريف عظيم مقامه وجليل قدره امر هو
المقصود من التاليف لئلا يقع احد فيما لا يليق بمقامه او يترك ما لا بد منه كان ما ذكر
هنا زبدة الكتاب ولبه وقيل السر بمعنى الاصل لان ما سبقه مبني على العصمة من الرذايل
ولا تساعده اللغة ولباب ثمر هذه الابواب لباب كل شي خالصه كما قاله الزبيدي
ومنه اللب للعقل ولبيك اي اجابة مع الاخلاص والثمر بمعناها الاصلي ويكون بمعنى
الفايدة والنتيجة والغاية وهو مجاز مشهور والابواب المشار اليها جملة ابواب
الكتاب او البعض السابق من الابواب بنا على انه كالقواعد لما بعده وما بعده
كالامور المبنية عليه فهو كالثمر له فاضافة اللباب بيانية كما قيل وهذه استعارة مصرحة
بتشبيه مقصوده بثمر ذات لب وقيل انها مكنية وتخييلية بجعل الكتاب بمنزلة شجر
مثمر تشبيها مضمرا في النفس واثبات الثمر تخييل واضافته كذهب الاصيل ورد
بان القواعد تاباه اذ لا ذكر للكتاب في هذه الفقرة ولا يخفى ان مراده بالكتاب
هذه الابواب لان الكتاب عبارة عنها وقيل المراد بالثمر ما يستفاد من غيره
او المقصود ولما كان غيره كالدليل عليه كان كالدليل او المراد ان ثمرته اي
نفعه والانتفاع به لباب الثمرات وما قبله اي ما ذكر قبل هذا القسم من الابواب
والاقسام ما هو كالقواعد القواعد في الاصل الاساس وخشبات تركب الهودج
فيها او العمد والحق بالكاف لانها ليست قواعد كلية بل شخصية اذ موضوعها
ذات النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل والاظهر تشبيهها بالقواعد الحقيقية
والتمهيدات جمع تمهيد اي امر ممهد وهو في الاصل مصدر بمعنى اتخاذ
المهاد والفراش كما مر والمراد انها مقدمة وتوطية له والدلايل على ما نورده
فيه ضمير فيه للقسم ونورده بمعنى نذكره من ورد الما وهو الذهاب للشرب ويقابله
الصدر ثم تجوز به عن الاتيان بشي ما والدلايل جمع دليل على خلاف القياس وفي
الايات البينات انه جمع دلالة فان فعالة تجمع على فعايل قياسا وذكر امام
الحرمين انها تكون بمعنى الدليل والظاهر انه مجاز وياتي ايضاح ذلك مبسوطا
عند قوله فصل ومن دلايل نبوته وعلامات رسالته من النكت البينات
قد مر ان النكت من الامور الدقيقة الغامضة فجعلها بينات جمع بينة بمعنى
واضحة بالنسبة للاذكيا ولما كان ما قبله من استحقاق التوقير والجلالة وثبوت

النبوة

سيد
سيد
حنبلي
عرضي
عرضي

النبوة والرسالة كالة ليدل على ما يجب له صلى الله عليه وسلم وما يمتنع عليه لا يعرف اذا قيل يستحيل عليه
النقايص لعلو قدره وعظم شرفه صح جعله دليلا الا انه لما لم يكن مستقلا لما استدلوا اما عقليا
جعل كالدليل والاستدلال عليه مستقصى في علم الكلام وعلى غيره اقناعي ولهذا لا شبهة فيه لمن
الايمان مرآة ذهنه ويحتمل البينة هنا ان تكون بمعنى بينة الحق اي ظهر الحق ونور به
لقوله بعده وهو الحاكم على ما بعده لتشبيه بليغ اي كالحاكم في القسم الرابع من حق اسانيده
ومنتقصه صلى الله عليه وسلم والحكم خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين والجواز وابواز ايضا
ولا يخفى موقعه هنا والحاكم في الحقيقة هو القاضي ونحو لا هذا القسم ونحو فان سائله
ومن يعلمها اذا احقق ما يجب له ويجوز تبيين لهذا لكن لحجل تبعيد لك كالحكم في شانه صلى الله
عليه وسلم وشان منتقصه والمنجز من غرض هذا التاليف وعده الوعد معروف
والانجاز ايفاء ما وعد به واعطاؤه واصل معناه الاتمام او الاحضار من نجز الامر
والغرض هو المقصود من الشيء ومن ابتدائية او بيانية والمراد بالغرض هنا التعريف
حقوق المصطفى وضمير وعده راجع لما رجع له قوله هو او للحاكم لا للغرض والمنجز
بصيغة الافعال او التفعيل وفاعله ما رجع اليه الضمير ايضا والفاعل الحقيقي هو
المصنف رحمه الله فالنسبة مجازية او هو استعارة مكنية تخييلية مرشحة فجعل هذا
القسم لتتميمه غرض التاليف لانه كريم وعده التفضل بمقصوده واجابة السائل لما سال
منه من تاليف جملة الكتاب فكانه بهذا منجز للوفا بالكل او هو من قبيل الحج عرفة
والسائل وان لم يسال ما في هذا القسم صريحا الا انه لما استدعى ذلك كان كانه مقصود
له بالذات فلذا اعتنى به المص رحمه الله وعند التقصي هو تفعل من الاستقصاء بالقاف
والصاد المهملة وهو بلوغ اقصى الشيء وغايته او طلبه كما في قوله
يا مطلبا ليس لي في غيره ارب ... اليك آل التقصي وانتهى الطلب
وفي بعض النسخ التقضي بضاد معجمة من تقضى الامر اذا انتهى ومضى وبمعنى التقاضي
والالحاح ويحتمل على الوجهين ان يكون اصله تقصص فابدلت احدى المثلين ياء للتخفيف
كما قيل في تظنيت تظننت واللام في قوله لموعدته بمعنى في وعد او موعوده صلة
له او تعليلية وانجاز الوعد مقابل لخلفه قال تعالى ان الله لا يخلف الميعاد وتقرر
عندهم ان الوعد يكون في الخير والثواب والوعيد في ضده ويجوز الخلف فيهما
ولو من الله وقد يكون الكلام الواحد وعدا ووعيدا باعتبارين كقول الله لاهلكن
من عادى رسلي فانه نصرة لهم وهاهنا اشكال مشهور وهو ان خلف الوعيد كذب
غير جائز على الله تعالى وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن اوعده على عمل عقابا فهو بالخيار
وسئل ابو عمرو بن العلا رحمه الله ايجوز ان يعد الله على عمل ثوابا ثم لا ينجز قال
لا قال فاذا اوعد عقابا افلا بد ان ينجز فقال له من قبل العجمة اتيت ان العرب
كانت تتمدح بان تفي بالوعد وان لا تفي بالوعيد قال
واني وان اوعدته او وعدته ... لمخلف ايعادي ومنجز موعدي
قالوا ولا يلزمه الكذب لان الكذب يكون في الماضي والخلف في المستقبل لانه
فساده ظاهر لان عدم المطابقة متحقق بلا اتفاق بل لان الوعيد مشروط بشروط

مقدرة مثله تتعلق ... آخر كعدوا لاصرار او عدم التوبة او عدم العفو فيكون في
قوة الشرطية فلا يلزم الكذب اصلا وقيل ان الوعد والوعيد انشا لا يتصف بهما كما ذكره علا
الرسوم في مثل قولهم التبيق بخادم الاسعد انه لا ينشا التعجب ويعفو ... الي ونعتها
اني لا انشا الصفرة وقال بعض المشايخ الوعد حق العبد والوعيد حق الله والكريم قد
يترك حقه ولا يشاح ... في قواعد القرافي اختلف في لزوم الوعد والوفا به الفقها
فقال مالك لا يلزم الوفا به ... عبد العزيز رضي الله عنه وقال سحنون يلزم اذا دخل
في امر كقولك لا ... امرك وانا اقرضك دراهم تشتري بها دارا تسكنها هذا اما قال الوع
بر منهم في هذه ولما ... الا هو يجز ميعادها والتقصي عن عهدته هو تفعل
بالقاف والصاد المهملة منقوض بمعنى الخروج والخلاص وبينه وبين ما قبله تجنيس
والعهدة بضم العين المهملة وها ساكنة بلي ... المهملة مما ما يتعهده العاقل
في ذمته فيلزمه واصل معناه الوثيقة فجعل المصنف رحمه الله اجابة سايله كما مر
التزمه في ذمته يلزمه اداوه ففيه استعارة تصريحية وعند متعلق بما بعده
من قوله يشرق به صدر الحقد والعيي يشرق من شرق يشرق كفرح يفرح من الشرق
وهو وقوف الشراب ونحوه في الحلق والغصة مثله لكن استعمالها في غير المايعات اكثر
والمعروف اسناده للحلق الذي هو مجراه كقوله

لو بغير الما حلقي شرق • كنت كالغصان بالما اعتصاري

ونسبه للانسان نفسه واما اسناده للصدر كما في عبارة المصنف رحمه الله فغير
معروف فكانه قصد به المبالغة في كثرته وعدم الخلاص منه لان الغصة تكون سايغة
لسعته فاذا كان الصدر نفسه شرقا لا يدفع وشرق هنا بمعنى تالم واغتاظ كما في
قول الاعشي

وتشرق بالقول الذي قد اذعته • كما شرقت صدر القناة من الدم

وليس في قوله صدر القناة شاهد للمصنف رحمه الله وتعريف العدو جنسي
اد استغراقي وهم اعدا الرسول صلى الله عليه وسلم ووصفه باللعين للذم
لا للتقييد اذ كل عدو له صلى الله عليه وسلم كافر مستحق للعنة واصله المطرود
مطلقا كما في قول الشماخ

ذعرت به القطا ونفيت عنه • مقام الذيب كالرجل اللعين

ثم خص بالمطرود عن رحمة الله او للعهد والمراد به ابليس بقرينة اللعين لانه مطوق
باللعنة ليوم الدين وقيل يشرق بمعنى يضيق كضيق صدر من شرق بريقه عند
موته وفي المقتفي بضيق صدره حسدا ويحرق قلب المومن باليقين مضارع
اشرق يشرق اذا اضا وهو لازم وجوز بعضهم تعديه كما في قوله

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها • شمس الضحى وابو اسحاق والقمر

والبا آلية او سببية كما في قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها والقلب مشبه
بما يقبل الاضاة او مشكاة واليقين مشبه بالنور كما يشبه به مطلق العلم ويشبه
الجهل بالظلمة ويجوز فتح يا يشرق لانه يقال شرقت الشمس واشرقت بمعنى
والمعروف المزيد واذا اثبت اهل اللغة ثلاثيه ايضا والاشراق صفة الكواكب

ونحوها

ونحوها مما يقع عليه الصوم من الاجرام ونظر الى المواضع التي اشار اليه للتقييد والامانة
لا مع انه جعل عليها الضرب من التقيد الا انه من قبيل ما يجي الى الاشارة الى الامانة لا تحصر
القلب بل تضيق على ما حوله فتنزل منزلة الاحرار الاحوال التي اجرا اليه من ذلك النور ايضا
كالهداية الى الحقوق في البينة كما مكنا الضمير الى الهداية عنه انوار احد
تملوا الكون والمراد بكونها الجنة لان المقام مستعمل في موضع مكنية مخيلة
حيث شبهت الانوار بالمياه الطايعة من الغار على اسطحة العلية صورة التميز
للقلب جواع صدره وجمع جانحة وهي الضلوع التي تلي الصدر على ما قيل في الضلوع مما
يلي الظهر ولذا اضيفت للصدر واضافها الضمير للقلب لما بينهما من الملابسة
التامة والقلب معروف وتفسيره بلطيفة مدركة تمثيلا بمثل الانسان وقع
لبعض الصوفية وهو مخالف للغة ومراد المص رحمه الله فلا وجه له كما مر ونقدر
العاقل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره يقدر بزنة ينصر بمعنى قدار وتعظيم
عظيم مقامه صلى الله عليه وسلم كما هو في قول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى
وما قدروا الله حق قدره بما عرفوه حق معرفته والعاقل بعين مهملة وقاف
ووقع في حواشي التلمساني انه بغين معجمة وفا قال والمراد انه يكون سببا للتنبيه
الغافل وقدرته ولو لم ينقل انه رواية قلنا انه تحريف من الناسخ ومن له لب اذا
تنبه لما قاله المصنف رحمه الله واحاط به خبرا اعترف انه لا احلال لشانه صلى الله عليه
وسلم ولعلمنا من افق اليقين له بوارق برهانه وانه لم يحط بجملته وانه لا تسعه
العقول ولا يحيط به نطاق البيان كما قال ٭
انما مثلوا صفاتك للناس ٭ كما مثل النجوم الما ٭
ونقدر معطوف على يشرف وينجز الكلام فيه اي يتم ويجي محررا ممهدا في هذا
القسم وفيه متعلق بالكلام لانه مصدر او اسم مصدر يعمل عمل فعله او حال منه
وقوله في بابين متعلق بينجز الباب الاول يختص بالامور الدينية اي الامور
المتعلقة بما يجب ويجوز ويمتنع عليه بحسب الشرع والدين ويتشبث به
القول في العصمة التشبث بمثناة فوقية وشين معجمة وبا موحدة مشددة
ومثلثة التعلق والتمسك بما فيه ضعف كقول المحرجين يتشبث بالحشيش
اي النبات وضمير به لما فهم مما قبله اي بما ذكرا وبما يختص الى اخره وجعله لكونه
مرتبطا به كانه متمسك به وفي التعبير به مع العصمة لطف لا يخفى الاصل بمعنى
المرتبط ثم صارت بمعنى المنع وخصت عرفا بمنع الله عبده عن جميع ما لا يرضاه
من الذنوب بمجرد حفظ الله له او يخلق الله له صفة نفسانية تمنعه عن ارتكابها
ولكونها بخلق الله لمن يختار تفضلا منه لا ينوهم انه مبني على القول بالايجاب
وان النبوة كسبية وهو لبيق مذهب اهل السنة ويكون ايضا بمعنى منعه
عن اذية اعدائه بحيث لا يقدرون عليها كما في قوله والله يعصمك من الناس
كما سياتي واذا وقع لبعض الاولياء تسمى حفظا لا عصمة ولا يقال لغير الانبيا
عليهم الصلاة والسلام انه معصوم ولذا اختلف في الدعا بالعصمة لغيرهم
هل يجوز ام لا والصحيح كما قاله ابن حجر في الزواجر انه يجوز لانه ورد

في الاوعية لما الوترية الفيلم المعنا في الحجاب او الاستكتاب لكنه بمعنى مطلق الحفظ وكان
تحقيقه وتعلق الهمة الجباركر لا اخطا اشد وه ومعقاوم وكيف ابي في هذا الباب ستة
عشر فصلا ياتي بيانها الباب الثاني في احواله الدنيوية اي العارضة عليه صلى الله
عليه وسلم اي الاعراض جهة الاتباع لا من جهة الا وامر وما قال ومما يجوز
او مصلحته اي حق وشعف وحدوده بيقال الا تسليم لو بزلة ويقولوا واكل فعوده ونبدا
همزته واد المتضح في الطبيعة الاعرف كعلق وتوسعه ذلك ملائي كتب اللغة القاموس
وغيره لا اعرف فيه تعسا والا ناتي علاوان القطاع مما يقتضيه وفي المعتني انه ضبط هنا
بتشديد الواو واذا استند الي الكلام كان بمعنى التقدم ويقال طرا علينا فلان اي
قدم ولذا قال من الاعراض البشرية جمع عرض بالتحتين وهو ما يعرض له من جهة
ظاهره سوا كان عرضها كالمرض ام لا والاحكام جمع كونه بغير القار فيقول لون عرض ومرض
ووصف الاعراض بالطاري والجد وتحقيقه ولو كثر بالعدوم وكان مجازا لكنه لا داعي
له لما مر والبشرية المنسوبة للبشر فيهما اشارة الي انها غير مختصة به وما يجوز
احتراز عن الاعراض المقتضية التي لا تجوز عليه فلا اطناب فيه كما توهم القسم
الرابع في نفي وجوه الاحكام مر معنى الحكم والوجوه جمع وجه لمعان مجازية
منها النوع والقسم يقال الكلام على اربعة اوجه ونفي فيما تحقوها وتبدلها كثير في
الدباج ووفيد تبينها وكونه بمعنى تنويعها وذكر الوجوه بعد بعد ولا عن الحاجة
بلا فايده والمراد بيان انواع الاحكام المتعلقة بها وما يلزم من قالها على من تنقصه
متعلق بنقص واي نسبة ما فيه نقص لجنابه صلى الله عليه وسلم المبراعن النقايص
او سبه السب الشتم اي بيان حكم من سبه صلى الله عليه وسلم والفرق بينه وبين
ما قبله ان السب المجاهرة بالصفات الذميمة والتنقيص اعم منه فان من قال له يا محمد
فقد نقصه وليس بشتم له وينبغي ان يخص بغير الشتم فليسا متساويين ولا بينهما
عموم وخصوص حتى يرد عليه انه لا يصح العطف باو هنا او يتكلف فيقال حكم العام
غير حكم الخاص او يقال السب بمعنى اللعن وعلى متعلقة بيصرف او بالحكم وكونها
بمعنى الي اي تحول حكم الاحكام اليه على انه استعارة تعسف من غير داع وتجويز
كون الجار والمجرور حالا وتقسيم الكلام فيه في بابين ضمن ينقسم معنى يتجوز وينتم
كما عبر به فيل فمن قال معناه الي بابين اوحال كونه فيهما الي امور فقد تكلف الباب
الاول في بيان ما هو في حقه سبت وتنقص النقص هنا اعم من السب او بمعناه كما مر
فلذا عطفه بالواو وليسا بمعنى كما قيل وقيل الواو بمعنى او وكما يفهم من كلامه
الاتي من تعريض او نص المراد بالنص هنا الصريح وللمعاني اخر كلفظ القران ولفظ
الحديث والدلالة على ما لا يحتمل اللفظ غيره والتعريض ما يفيد معنى يلوح له الكلام
ويومي اليه كانه يوخذ من عرضه اي جانبه يقال نظر اليه بعرض وجهه وهو قسم من
اقسام الكناية والمراد به هنا ما يقابل النص لوقوعه عديلا له وفيه كلام طويل في كتب
المعاني والتفسير بيناه في حواشي البيضاوي الباب الثاني في حكم شانيه هو اسم
فاعل مهموز الاخر من الشنان وهو البغض والعداوة وتجوز ابدال الهمزة تخفيفا
وفتح نونه وتسكينها ومؤذيه هو الاتي بما فيه اذية له قولا او فعلا يقال

وفيه شعة طول

سبد

الاحكام

وجه

سبد

ابن الحنبلي

اذاه

اولاه لتوجيه ايضا واديه ولا حجة بها في القاموس من الكلام للايد اكما بيناه في كتابنا
شفا العليل ومنشة تفسير بيت الفارقي في شيء محصي تمستقصى بتنقيح المرف
علي المشاة العرفية يقال التعقيد وتقسيمه وتفصيله الي ما فيه نقض لكل اقدم
من قول او فعل او ترك يقتضي ذلك وعقوبته ما يطرعطف علي حكم او علي شاهد والضمير عايد
علي كل واحد لتاويله بالمذكور او علي احدها لا علي الاعم والعقوبة عند العقوبة ما يقع
في مقابلة ذنب واما قوله فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به فهو من مشاكلة او بمعناه اللغوي
وذكر استتابته معطوف علي حكم والمراد به ما يتعلق بتوبته من القبول وعدمه اثباتا
ونفيا واصل معناه طلب التوبة وقيل الاستفعال للتحويل عن اصله الي غيره كقوله
ان البغاة بارضنا يستنسر اي يتحول من البغاثية الي النسرية فالمراد به التحول الي التوبة
بعد الكفر فتدبر والصلاة عليه اي الصلاة علي جنازة من ذكر بعد موته ووراثته
اي حكم وراثته نفيا واثباتا كما في ميراث المرتد وهل يرث هو من غيره اولا وتاخير الصلاة
والوراثة عن الاستتابة في غاية الاستحكام لمضادتهما بحرزه وفيه عشر فصول كذا في
كثير من النسخ وهو سهو من قلم الناسخ والصواب كما في بعض النسخ خمسة فصول وهو الذي
صححه مغلطاي والشمني في حواشيه وهو الظاهر ولا ينافي فيه ما مر في الزيادة كما
قيل اذ لو كان زيادة لم يبق حصرا للنقص فكان المص رحمه الله يتعرض له ولم يلحقه بعد
اقول هذا ما قالوه برمتهم وسياتي قريبا ما يرشدك الي الصواب فيه وختمناه اي جعلنا
ختام هذا القسم لا الباب الثاني كما قيل او الضمير للكتاب بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه
المسألة ووصلة للبابين اللذين قبله اي لما ناسب هذا القسم جعله مكملا لما قبله من المسائل
ومتصلا به بان عده بابا ثالثا من هذا القسم وان لم يكن منه والوصلة بفتح الواو والاتصال
وهو اسم مصدر بمعنى اسم الفاعل ولولا ما قصده كان هذا خاتمة الكتاب او قسما
خامسا في حكم من سب الله ورسله عليهم الصلاة والسلام مطلقا او غير نبينا
صلي الله عليه وسلم وملايكته وكتبه وال النبي عليه الصلاة والسلام وصحبه رضي الله
عنهم اي في حكم من صدر منه سب لواحد من هولا او للجميع او لفريقين منهما مجتمعا او متفردا
ولا ينافيه كون من الموصول له تفيد العموم حتى يتوهم انه يبقي حكم من سب فردا من
هولا غير مذكور والعطف بالواو لا يقتضي انه في حكم من سب هولا علي سبيل الاجتماع
مع ان المراد الاعم من ذلك كما لا يخفي ولا حاجة الي ان يقال الواو بمعنى او فان العموم
يكفي لصحته امكان شموله سوا كان ذلك في الواقع او لا مع ان مثله انما يدقق فيه
اذا كان في كلام يستدل بلفظه كالقران والحديث اما في كلام المصنفين فلا مع ان نعريف
الموصول كاللام فيجري فيه اقسامها فسقط ما في بعض الشروح هنا من التعسف واختصر
الكلام فيه بالماضي المجهول وفي بعض النسخ نختصر بالمضارع والاختصار تقليل اللفظ
مع تكثير المعنى اي جعل الكلام متسما بالاختصار فيما ذكر في خمسة فصول قيل الصواب
في عشرة كما في بعض النسخ وهو المطابق للواقع واما كون الزيادة بعد قد له بعد بناء علي
تقدم الخطبة علي التاليف او العدد لا مفهوم له فلا ينافي الزيادة فقد مر ما فيه ولكن
ان نقول ان ضمير فيه ليس للباب الثالث حتي يرد عليه ما ذكر بل لما تقدم اجمالا
والمعنى انه كان همه ان يجعل الباب الثاني عشرة فصول واختصره في خمسة وافرد الخمسة

سـد

عرضي

لـ

عرضي وابن الحنبلي

الباقية بانا بالنافقسازت فمنوله حسنة وهذا وان كان في غاية الخفا احسن من حمله على الخطا
وهذا اما وعدنا كتبه فان شاد فحصر العقول وا لا فارجه له وايا العقول ويكون هذا
معنى حلولم وبتمامها اي بتمام هذه الفصول الكاملة لنا فبلها يعني الكتاب كدعمل من بحر
بحير وزاي معجمة اي نور الغني فهو مطاوع بحر قال ابن القطاع بحرت الحاجة والبحر
فانبحرت فضيتها وقال الجوهري بالفتح والكسر اشهر وفي غيره انه بمعني بحفر او بنجزا و
ينقطع وفي المغني البحرت حاجتك فضيتها اي الكتاب حاجة للسايل موعود بها وهو
مختلف في النسخ ففي بعضها من الانفعال وفي بعضها من التفعل والكل بمعنى واختار
المزيد لانه ابلغ وقيل لبعيد انه يفعله فيه في الملايكة اقوال لاهل اللغة فقيل جمع ملك
بزنه فعل شذوذا وقيل مفرده ملاك كشمال حذفت همزته بعد القا حركتها على ما قبلها
لكثرة دوران الجمع فوزنه فعائلة وهمزته زائدة وقيل ملاك على وزن مفعل فميمه
زائدة ووزن جمعه مفاعلة وقيل مفرده مالك فقلب فوزن جمعه معافلة وقيل
مفرده ملاكة كفعالة من لاك يلوكه فحذفت عينه تخفيفا ووزنه مفل وملايكة
وزنه مفاعلة وتقال فيه ملايك ايضا وتتم الاقسام يعني الاربعة المذكورة والابواب
ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة يلوح بالحا المهملة بمعنى يبدو ويظهر والغرة في الاصل
بياض في جبهة الفرس ويطلق على كل شي واوله واللمعة بضم اللام من لمع الشي يلمع لمعانا
اذا اضا وجمعه لمع ولماع كبرمة وبرام واللمعة ايضا البقعة فيها كلا والقطعة من النبت
اذا ابيضت فابيضت وموضع لا يصيبه ما الغسل ذكره الصغاني وعليه استعمال الفقها
واما اللمعة بالفتح فمصدر لمع والرواية هنا على الضم ومنيرة من انار ويكون لازما
ومتعديا اي ذات نور ويكون بمعنى بين واضح ومبين ومظهر والمراد انه اذا تم ما في
كتابه وانتقش في صحايف الاذهان ازداد نور الايمان لان الايمان بالله ورسله عليهم
الصلاة والسلام اذا قرن بتعظيم هذا النبي الكريم ومحبته والعلم بما تؤدي اليه
مخالفته من النكال او صل صاحبه لاعلى عليين اذا عرفت هذا فيلوح ان قرئ بالمثناة
الفوقية ففاعله لمعة وان كانت بالتحتية ففاعله ضمير ما ذكر ولمعة الموصوف تمييز
او حال وغرة الايمان اشرفه واظهره فاضافته حقيقية او هو كلجين الما لانه به يتميز صاحبه
ويظهر سعادته في الدارين او يظهر انه جواد سابق في حلبة السابقين الاولين ففيه
استعارة مكنية تخييلية وعلى الرفع فيه تجريد كقوله

وفي الرحمن للضعفا كاف

واللمعة هي الغرة او غرة الايمان بمعنى ظاهره واعلاه على انه استعارة مصرحة
وجعل ما ذكر فيه لمعة فيه اي نورا لا يخفا عليه لانه زيادة في ايمانه واشار بانه
لمعة الى انه من جنسه لا يكاد يتميز عنه وان كان البياض يقبل الزيادة حتى يتميز
بعضه عن بعض بشدة بياضه ولذا وصفه بالانارة فان فهمت فهو نور على نور
وفي بعض الشروح انه شبه الايمان بفرس ينجي صاحبه من المهالك والاغر محمود
في جنسه ففيه استعارة مكنية واثبات الغرة تخييل او شبه كتابه هذا بلمعة منيرة
في غرة فرس على نهج الاستعارة المصرحة وكنى بغرة الايمان عن الكتب المؤلفة
في شانه صلى الله عليه وسلم وكنى باللمعة عن كتابه وان له من بينها شانا لجمعه

عرضي

سيد

مانزن

ما تفرق فيها وقاصل تلوح لمعة لا صير الكتاب كما نوهنا والغرة مطلق البياض والايمان التصديق
بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم واضافته بيد اضافة الصفة لموصوفها اي في الدين وتو
وتنكير لمعة للتعظيم او للتقليل بالنسبة لشرف مقامه وهو الا قدا اولى ولا يلزم من كون كتابه
منيرا اسلب النور عن غيره من الكتب حتى يكون قاصدا مثاله غايته ان له زيادة عليها واعترض على
المصنف رحمه الله بجعله اللمعة في الغرة بانها لا تظهر فيها فكان ينبغي ان يقول بلوح في جبهة
الايمان غرة ويمكن ان يقال ... علم ان هذا ... عن المرام وانه عني حسن الرام وكذا ان تقول اللمعة
هنا جزء من الغرة لا امر زايد عليها والمعنى ان للايمان كالغرة المشرقة المناجية الاتي
هذه الامة غرا محجلون ويعني ان هذا الكتاب شعبة من شعبه وهذا احسن واوضح
مما قالوه وقوله وفي تاج التراجم درة خطيرة اي عبارته الدالة عليه لاستلزامها الاظهار
الايمان والا وارمه بمنزلة تاج على راس عظيم له لا لنها على ... فعة قدر وما يدل لمنهما
على هذه المعاني كدرة مكللة بهذا التاج ومناسبة الغرة للتاج والدرة ظاهرة فهو
على هذا خبر مبتدأ تقديره عبارته او هي درة على الاستخدام لان ما تقدم معاد وهذه
الفاظ وكونها بينه ظاهر وفيه استعارة مكنية لتشبيه العارف بها بذي سلطان
واثبت له ما هو من لوازمه والتراجم جمع ترجمة بمعنى العبارة في كلامهم كثيرا كقوله
في ادب الكاتب ترجمة تروف بلا معنى وقد مر انه معرب وفي شرح ادب الكاتب
انه عربي وهي تفعلة من الرجم يقال رجمت اذا ظننت قال تعالى رجما بالغيب قال
ما كان من غيب ورجم ظنون فكان الترجمان الذي يصيب بظنه معاني كلام المتكلم بلسان
ويقال ترجمان وترجمان وفي النهاية تراجم جمع ترجمان بفتح التاء وضمها وهو المترجم وفيه
نظر وخطيرة بخا معجمة وطا وراء مهملتين بمعنى ذات قدر عظيم وقيل التراجم ما الف
في معناه كدلايل النبوة لترجمتها عن نعوت النبوة وجوز بعضهم ان يراد بالتراجم
العلما بناء على انه جمع ترجمان وهو بعيد جدا ولما ذكر ان كتابه من الانوار الربانية
اردفه بجعله من بين نظايره كدرة تاجها اما على انه شبه التراجم اي الكتب بالملوك
للانقياد لها والعمل بما يقتضيه وشبه كتب التيسير بتاجها الذي به فخرها وكتابه
بدرة نفيسة فيه تشبيها بليغا او استعارة تمثيلية او مكنية تخييلية مرشحة او تاج
التراجم كجبين المال وفيه اشارة الى ان كتب المتقدمين في غنى عنه وفي تاج معطوف على
قوله في غرة فهو متعلق بتلوح ترتج كالمبس منصوب مفعول ترتج كتزيل وزنا ومعنى
والضمير المستتر فيه راجع لما يرجع له ضمير تلوح وهو جملة الاقسام والابواب ويجوز
رجوعه للمعة وهو اولى من رجوعه لدرة لان النهاية فيها بها ظلمة اللبس وان
رجوعه لغرابة وعطف العاطف ومثل هذه الجمل بعد النكرات المتبادر انها صفات
وان جاز ان تكون استينافية واما كونها حالا فبعيد واللبس في الاصل الخلط
او الاختلاط قال تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل فالمراد الاشتباه او الشبهة
يعني ان كتابه يزيل الاشتباه في احواله صلى الله عليه وسلم او في الدين في
الجملة وقيل اللبس هنا بضم اللام الشبهة وتوضح كالتحسين وحدثني لفظ
حدثني سقط من بعض النسخ ووقع في بعضها على انه قافية فهو فقرة مستقلة
وفي المغني انه سقط من نسخة المصنف فالتحسين قافية مع ما بعدها على نمط

واحد وله وجه والتخمين والحدس متقاربان وكذا الاعتقاد بمجرد الظن والوهم وعند
اهل الميزان الحدس شيان امور يحكم فيها العقل ابتداء بالوضع للنفس من الامارات الدالة عليه
كالحكم بان القمر يستفيد النور من الشمس بواسطة تشكلات نوره بحسب قربه وبعده منها
فالمراد هنا ان كتابه هذا يوضح الامور الموهومة بحيث يشرق عليها انوار اليقين فيضمحل
التخمين ويطلق الحدس ايضا على سرعة الانتقال من المبادي للمطالب والمراد الاول
لانه حقيقته لغة ويشفي صدور قوم مومنين مناسبة هذا الكتاب وللمعنى المقصود
في الاية ظاهر لان المراد انه يشفيهم من مرض الجهل والتعب والقنوط حيث حكم بقتل
العدو كما حكم هنا بقتل الشبهات الا انه وقع هنا في نسخة ويشف بدون تا في اخره لانه مجزوم
في النظم الكريم وفي نسخة بيا في اخره لانه مستانف مرفوع في كلام المص رحمه الله اذ لم
يتقدمه ما يقتضي الجزم قالوا وهو مصحح هكذا في نسخ المشايخ كمغلطاي والنسخة
الاولى لا وجه لها هنا الا قصد حكاية لفظ التلاوة والاقتباس واورد عليه
انه جعله من كلامه ولا موجب للحذف فيه وكيف يقصد التلاوة والضمير في الاية
لله لا للدرة واللمعة حتى يرد عليه انه ينبغي ان تكون العبارة تشفي بالتا العوقيه لان
فاعله ضمير المونث ويعتذر عنه بانه عايد عليهما باعتبار كونها كناية عن الكتاب كما قيل
فانه تكلف انت في غنى عنه بما سمعته انفا واول الاية قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين وهو مجزوم فيهما في جواب امر غير مذكور
ولا مقدر في كلام المص رحمه الله ولا يخفى ان الحكاية مسوغة لما ذكر والمقتبس قد يبقى
بلفظه وقد يتغير كما في قول ابن الرومي فقد انزلت حاجاتي بواد غير ذي زرع فان
المراد به في القران واد لا نبات فيه وفي الشعر رجل لا خير فيه كما ان المراد في النظم بالقوم
بنو خزاعة وهنا مطلق المومنين والمراد انه يشفي صدورهم بما يقفون عليه من معاندة
صلى الله عليه وسلم لا بايمانهم حتى يقال ان المومنين قلوبهم مشتفية ويجاب بان الايمان
يقبل الزيادة وزيادة الشفا شفا فانه كلام ناشئ من سوء الفهم وقد اختلفوا في جواز
الاقتباس فاجازه بعضهم مطلقا ومنعه اخرون مطلقا وفصل بعضهم فقال الحق
جوازه ولو مع تغيير لفظه اذا لم يقصد التلاوة ولم ينقل الى معنى سخيف من هزل
ونحوه فلان فيه تلاعبا بالقران لا يجوز ولذا نقل عن الامام مالك رحمه الله انه
لا يجوز التفاول من المصحف وما وقع في فتاوي الصوفية من ان عليا كرم الله وجهه
فعله لا اصل له وفي كتب فقه الشافعية جواز ذلك مع الكراهة ويصدع بالحق
اي يجهر بما يدل على الحق وهو الامر الثابت في حقه صلى الله عليه وسلم وقال ابن
عرفة رحمه الله في قوله فاصدع بما تومر اي فرق بين الحق والباطل يقال تصدع
القوم اذا تفرقوا اي ينطق به او يحكم او يفصل ويأتي الكلام على هذه الاية عند ذكر
المص لها وما قيل انه يحتمل ينشق بالحق اي ينطق من خلال تراكيبه تعسف
لا داعي له وقيل المراد بالحق هنا القران لما فيه من كثير من اياته وقد جا الحق مرادا
به القران في الايات وهو تكلف ايضا وهو في الاصل استعارة من صدع الانا اذا شقه
وقيل المراد يشق القلوب بما فيه من الادلة القاطعة والبراهين الساطعة
ويعرض عن الجاهلين بحقوق الله وبحرمة رسوله صلى الله عليه وسلم والغافلين عن على

فذرهم

بتسميتو

سبد

عرضي

عرضي

ابن الخيلي

قدم والاعراض الكتابية عنها لسنحقاق لعدم التفاته لاتفاق الصدر كوا ورد كما ذكر الحشر ونحوه فلا
يعبوا بهم فانه انما استعمل كما يعطلون في اول الاد عدم انتها انهم به فانها كتبت عليهم الشقا
والتسامح فيه لما هو يستعمل به صدر بقوله ايمانا والامر له عقل سليم بونحي
قوله الحق او دعوة ... او معانده فاما الى الاول لا يعقل الى ... والى الثاني بقوله
بسلام والى غيره ... الا للاحتياط المشهور ... لانه كتابه انما
صنفه للموضع كما صرح به وقد يراد في بعض الاعصار من يتطيرون في بعض الصفات
وبالله سبحانه لا اله سواه استعينه في النسخ اختلاف ففي بعضها لسبحانه وتعالى
وفي بعضها اسقاطها في بعضها الا الله الا الله الحق المبين فليس فيه اختلاف معنوي التسبيح
التنزيه عما لا يليق وسبحانه مصدر ... والكلام عليه لسبحه اصله طلب العونة من
الله على ما قصده من التاليف والاستعانة به ... لان السائل ينبغي ان يقدم الحمد
والتعظيم قبل الطلب كما وقع في الفاتحة فلهذا عقبه ان يجيب فاصله ولذا قال لا اله
سواه اي لا معبود ولا مقصود في الحوائج سواه والجملتان معترضتان بين استعين
ومعموله المقدم للاهتمام وافادة الحصر لان الاستعانة الحقيقية لا تكون الا من الله
وغيره وسائط ولذا استشكل حصر الاستعانة فيه اياك نستعين مع الاستعانة باسمه
في باسم الله على احد الوجوه واجيب بان طلب المعونة لا يكون الا من الله واما معونة
الشفاعة والتوسل فيكون من غيره كما يجوز بسل كما ذكره شراح الكشاف والمعونة
اما امر وربية يتوقف عليها الفعل كالالة او وسيلة كالراحلة للقادر على المشي كما
فصله القاضي في تفسير واياك نستعين قيل وعلى نسخة بالله لا سواه اشكال لان
التقدير يفيد الحصر والعطف بلا يفيده ايضا ولذا امتنع اهل المعاني العطف بها بعد
الحصر كما في عبارة المص وقالوا انه غير صحيح عندهم ثم اجاب بان الذي منعوه بعد
ما والا فلا يقال ما قام الا زيد لا عمرو واما الحصر بالتقديم ونحوه فلم يقع عليه
فيجوز ان يفرق بينهما مع افادته الحصر وقصده غير متعين الخ ما قرره فلا طائل فيه
اقول هذا العجيب منه فان هذه المسئلة ذكرها عبد القاهر والسكاكي ووقع في كلام
الزمخشري في مواضع ما يخالفه كقوله في سورة ال عمران ما هي الا شهوات لا غير وذكر
شراحه كلهم ان هذا لم يتفق عليه بل عند العلامة والخلاف انما هو بعد ما والا
والنفي الصريح لا في غيره فالسؤال والجواب ساقط وقد تكلمنا عليه في الشرح
ثم انه شرع في المقصود فقال القسم الاول في تعظيم العلي الاعلا اسما الكتب
والفاظ التراجم فيهما اخيلات مشهورة اقربها ان اللام بمعنى الالفاظ والمعروف
الحافظ و قوالب للمعاني فان اعكس كما هنا فهو بتقدير مضاف اي في بيان
تعظيم الخ والبيان يكون بهذا اللفظ وغيره فهو من ظرفية الخاص في العام لدخوله
فيه وشموله له فشبه احد المشمولين بالاخر وعلى المشهور المعنى لما يخيل او لا
والى له بلفظ تقديره كان كالظروف المقصود الذي يوحى له بظرف مناسب او هو
كاللباس كما فصلوه وقيل في بمعنى اللام والمراد بكونه فيه انه مقصود منه فلا
ينافي ذكر غيره بطريق التبعية والعلي هو العالي شانه في نفسه والاعلى عما
عداه فالاول بالنظر لذاته ولذا قدم والثاني بالنظر لغيره وليس للتفضيل

على رعيه فانه لا يشاركه ولا ينازعه فيه ولذا اعدي بعن فقال تعالى عما يقول الظالمون
لبعده عن مخلوقاته والعلو فقال سبح اسم ربك الاعلى ولهذا لما نزلت هذه الاية قال اجعلوها
في سجودكم ولما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها في ركوعكم فالتسبيح هو المقام
والمقام الانبيا عليهم الصلاة والسلام [illegible] لانه تنزيه الخالق المنعم
عن مشاركة مخلوقاته [illegible] يكون [illegible] ومشاركة القول للاعتقاد
والفعل بالتلبس بما يدل عليه والسجود منتهى الشرف اختصاصا في تراب الذل الذي ينبت العز
وكل مكان ينبت العز طيب فلذا كان العبد اقرب ما يكون من ربه وهو ساجد وكان دعاؤه
مستجابا ولما كان تعظيم العظما بالانحنا قائما امر بان يقول سبحان ربي العظيم في
الركوع ومن هنا يعلم وجه ذكر الاسم والرب وفي تعبير المص رحمه الله من البلاغة
ما عرفته فان تعظيم العظيم اعظم والعلو في المكان فعله علا يعلو كدعا يدعو وفي الرتبة
علي يعلى كرضى يرضى لقدر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وتقدم معناه قولا وفعلا
وفي نسخة لقدر المصطفى وهو متعلق معنى بتعظيم واللام للتقوية وفي تعظيم قدره
اي رتبته تعظيم ابلغ من تعظيم ذاته والمراد بالقول ما ورد في القران والكتب السماوية
والاحاديث القدسية وبالفعل ما خصه به من التاييد ورفع ذكره ودينه ونسخ
شريعته لما عداها واكرامه صلى الله عليه وسلم بالمعجزات وغيرها ولا وجه لتخصيص
الاول بالقران والثاني بالمعجزات الا ان يكون قد اقتصر على اعظم ما عظم به فليس بسهو
كما قيل قال القاضي الامام ابو الفضل هو عياض بن موسى السبتي بفتح السين
نسبة لسبتة بلدة بالمغرب لانه كان بها قاضيا كما مر ولذا اشتهر بالقاضي اليحصبي
بالحركات الثلاث في الصاد كما مر وهي قبيلة من العرب وقد قدمنا ترجمته وقد
افردها بعض اهل العصر بجزء سماه زهر الربا من في محاسن عياض وما وقع في النسخ
من قوله الامام من تلامذة النساخ لانه لا يمدح نفسه كما تقدم لا خفا على من
مارس شيئا من العلم اي ليس من الخفا والاستتار عند من له علم ومارس بمعنى عالج
ولازم من الممارسة وهي وضع الحبل في البكرة للتسقي ويقال مرس الشيء اذا عركه
كما في افعال ابن القوطية ثم شاع في كل ملابسة مع المزاولة والملازمة وشيئا المراد
به شيء قليل او شيء يعتد به والاول ابلغ والثاني انسب بالممارسة ونفس الامر
والمراد بالعلم المعلومات او الاصول والقواعد مطلقا او الشرعي منها وليس
المراد به الملكة ولا الصورة الذهنية والشيء ما يصح ان يعلم ويخبر عنه والوجود
في الخارج ويصح ابقاؤه على عمومه كما يقال فلان ليس بشيء اي ليس مما يصدق
عليه لفظ شيء ولا مانع منه كما قيل او خص بادني لمحة من فهم خص بضم الخاء
على صيغة المجهول الماضي بمعناه الاصلي من التخصيص وقيل انه بمعنى فضل
اي صار ذا فضل اذ لو يكن التخصيص امتيازا والمقام يا باه لان المراد ان التفه
خصه بشيء قليل من الفهم دون ان يعطيه شدة فهم وذكا فان ما ذكره اذا لم
يخف على مثله لم يخف على احد غيره واو على اصلها لاحد الشيئين اي لا يخفى
على من هذين ولا حاجة الى جعلها بمعنى الواو والفهم تصور المعنى من
اللفظ او سرعة الانتقال ويجوز ان يكون او بمعنى بل كما في قول جرير

سيد

في ترجمة

الشيخ احمد المقري

عرضي

سيد

عرضي

كانوا

سماه اما ابنا او زاد واثمانية لولا رجا وكذ قد قتلت اولادي

ينهى للترقي فهي مبتدا علم الى منه الى في فهم زاد في يكون بمعنى اصغر مقابل الاكبر وبمعنى اقل مقابل الاكثر وبمعنى الحسن والمراد مقابل الرفيع كما في قوله تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير والاحتمالان الاخيران مقيدة وقيل الاخير مقلوب ادون من الدون وهو الردي اي اردا ولمحة بفتح اللام من اللمح وهو كما في القاموس اختلاس النظر وسرعته فلذا كنى بها عن القلة لقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر وقال التلمساني اللمحة بالضم قليل النظر وبالفتح المرة قيل فاذا صح الضم هنا فالمراد بالادنى الاقل وبالفهم قليله وهذا بطريق الكمية والاول بطريق الكيفية ومن في قوله من فهم ان كانت بيانية فهو استعارة بجعل ما للبصر للبصيرة ويؤكده انه وقع في نسخة باد في لحظة واللحظ النظر بموخر العين وان كانت ابتدائية اي لمحة ناشئة من فهم فهو تجوز فيه ان يكون باقيا على حقيقته وفي نسخة من الفهم فابتعظيم الله قدر نبيا اي مرتبته وشرفه صلى الله عليه وسلم والبا قيل انها للملابسة وقيل بمعنى في وقيل بمعنى من اي من جهته وقيل انها سببية وهل هو مستقر او لغو في متعلقه احتمالات وجوه اشار اليها الشراح وعلى كل حال لم يأتوا بما يثلج الصدر والظاهر ان مراد المص رحمه الله انه لا خفا في تعظيمه صلى الله عليه وسلم عند من له ادنى بصيرة وحينئذ لخفا اسم لا وقوله على الخ متعلق به لانه يتعدى بعلي يقال خفي عليه كذا فهو حينئذ منون لشبهه بالمضاف بتعلق الجار ويجوز بناوه على الفتح على لغة حكاها النحاة بغداد وقد روي قوله صلى الله عليه وسلم لا مانع لما اعطيت بلا تنوين فقال المحقق الحميد رحمه الله جمهور النحاة على وجوب التنوين في مثله لجعل الظرف معمولا له فيكون شبيها بالمضاف واما جعله معمولا لمقدر على انه خبر لا فلا يناسب المعنى اذ المقصود كونه للاسم لا للخبر كما لا يخفى لكن بعض النحاة جوز ترك التنوين وكذا جوزه الزمخشري وتبعه القاضي في قوله لا تثريب عليكم اليوم الا انه صرح في قوله لا غالب لكم اليوم فكانه مال الى المذهبين في الموضعين انتهى قال قلنا على متعلقة بخفا على الوجهين فقوله بتعظيم الخ خبر لا والبا بمعنى في او للملابسة او بمعنى من والظرف مستقر فان قلنا انه لغو فالبا متعلقة بعلم او بفهم لان العلم قد يتعدى بالبا وقدر بالنصب متعلق بتعظيم وخصوصه اياه اي تخصيصه نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم من بين ساير الناس فالخصوص بمعنى التخصيص لا بمعنى التفضيل كما توهم فانه عدول عن الظاهر بغير داع وهو مصدر مضاف للفاعل وهو ضمير الله والضمير المنفصل للنبي صلى الله عليه وسلم وهو مفعول له بفضايل ومحاسن ومناقب كلها مجرورة بالفتح لمنع الصرف والجار والمجرور متعلق بخصوص والمراد ما اعطاه الله له من الكمال النفسي والبدني خلقا وخلقا وصورة وسيرة من الامور الدينية والدنيوية التي لا يدانيه فيها احد وهذه عبارات متقاربة معنى متغايرة مفهوما وقد تفسر بمعان متغايرة متباينة فيقال المراد بالفضايل ما تعلق به من العلم والعمل وبالمحاسن ما يتعلق بذاته الكريمة وبالمناقب ما يفتخر به من عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وسيادته وشفاعته في المحشر كما هو مقتضيه

لون

هوم

ابن الحنبلي

سيد

عرضي

سيد

العطف واصل الفضايل جمع فضيلة وقد يحقق ابنا الابنوقف تحققه على تعدد اباته وتعاليله
العواصل والمحاسن الحسن في التوزة جمع حسن على خلاف القياس او جمع محسن وهو
الموضع الحسن من البدن كما في القاموس والمناقب ما يفتخر به كما مر وضد المثالب وحاول
بعضهم اثبات تغايرها ايضا لانتساجه اللغة عليه وياتي في الحديث انا سيد ولد آدم
ولا فخر اي انا لا افتخر به كعادة الناس وان كان لا فخر اعظم من فخر وفخر له ولا فخر احتراس وتكميل
وهو يكون في الاول والاخر والوسط خلافا لمن خصه بالاخير فالاول كقوله *
الا يا اسلمي يا دار مي على البلا * ولا زال منهلا بجرعايك القطر *
والاخر كالحديث والوسط كقوله * *
فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الحيا وديمة تهمي *
فان الدعا بالسلامة اولا احتراس ولا ينافيه قوله لا زال كما صرح به بعض الادبا وان
غفل عنه من فصل ببيت طرفة عليه لا تنضبط لزمام تنضبط بالكتاب العوفية ونحوه
بالتخيية على ان الضمير للفضايل وما معها او للمذكور واصل الضبط الحفظ بالامساك
بيد ونحوها واما كونه بمعنى الاحصا والحصر ومنه الضابط للقضية الكلية وقيل انها
فرق عرفي فلم يرد في اللغة وانما استعمله المصنفون والمولدون كان الكلي لجميع
افراده حافظ لها وممسك وللتجوز وجه اي ما ذكر لا يمكن احصاؤه وتفصيله وزمام
روي بالبا واللام كما قاله التلمساني والاول اظهر والثاني اشهر فالبا للسببية ولام
التعليل متقاربان معنى والزمام بكسر الزا المعجمة ما يزم به اي يشد النعل والناقة
ولا يختص بالثاني كما في القاموس وفي كلامه هنا استعارة تصريحية او تمثيلية فالقول
بانه لا استعارة فيه وان فسر بمطلق الشد لا وجه له وانما هو كما قيل في المثل كثرة الشد
ترخي فافهم واما جعله استعارة مكنية بتشبيه الفضايل بناقة قوية تغلب صاحبها
فركيك جدا او تنويهه من عظيم قدره يقال نوهت باسمه اذا رفعت ذكره واشعت تعظيمه
قال تعالى ورفعنا لك ذكرك وفي حديث عمر رضي الله عنه انا اول من نوه بالعرب اي رفع
ذكرهم بالديوان والاعطا وهو مجرور بالعطف على التعظيم او الخصوص وعظيم قدره بمعنى
قدره العظيم وفي نسخة لعظيم قدره باللام والمشهور من المبينة لمقدر يفسره قوله
مما نكل عنه الالسنة والاقلام او له بنا على جواز تقديم البيان على المبين كما ذهب
اليه بعض النحاة فلا وجه لرده بمنع تقديم ما في حيز الصلة عليها لانه على هذا
متعلق بمقدر او حال من الموصول وقيل من بمعنى اللام او زايدة وبما متعلق بتنويه
وما عبارة عن امور او وجوه ونكل بمعنى تعيي وتعجز الالسنة والاقلام عن احصايها
او على تشبيه الالسنة والاقلام بالناس او هو من كلال السكين بمعنى عدم قطعها فهو
ايضا استعارة مصرحة او مكنية وبين الالسنة والاقلام مناسبة تامة فانهم قالوا
القلم احد اللسانين فيشبه احدهما بالاخر ويجنب له كما قيل *
والسنة الاقلام تشكر ايما * صنيع الذي اوليته في اليد والفم *
فمنها اي مما عبر عنه بما من الفضايل ما صرح به في كتابه الضماير لعبيد اي نص عليه
واظهره وقال المرزوقي رحمه الله في قوله فلما صرح الشر فامسى وهو عريان *
يقال صرح الشر بالنصب اذا اظهره وصرح هو اذا انكشف ومثله بين الشر وبين

كما مر

عرضي

ابن الحنبلي

سيد

عرضي

هو

هو فيكون لان ما متعديًا بالنا ومتعديًا بنفسه ونبه به اي بشاذ كره في كتابه واصله معنى ايقاظ
النايم ثم تذكير الغافل ويراد به مطلق الذكر كما هنا والمقصود تخصيصه بذكر امر تبعي او
سبق ذكره ومنه تنبيه في التراجم وقال التلمساني اصل التنبيه ان يكون في شي وقعت فيه
الغفلة عنه من قول او فعل فلا اشكال ولا التباس من جليل نصابه في المصباح كغيره من كتب
اللغة النصاب والمنصب كمسجد العلو والارتفاع وله منصب صدق اي منبت ومحتد وامراة
ذات منصب اي حسب وجمال لانه انتهى فعقولها انتهى فاصل معنى النصاب والمنصب العلو والرفع
حسًّا ونسبًا من الانتصاب وهو القيام اي ان الله جل وعلا يذكر له صلى الله عليه وسلم في
كتابه المنزل نبه على جليل رفعته وشرفه وهذا هو اصل معناه في استعمال العرب وما قيل
انه لم يظهر له معنى هنا الا ان يكون ماخوذا من نصاب الزكاة مجازا عن مقامه الذي ساد
فيه الخلق كلهم كلام ناش من عدم فهم كلام العرب وعدم معرفة اللغة وقد سبق الكلام فيه
فتذكره ويأتي ايضا الكلام عليه واثنا عليه من اخلاقه واداته بيانا لما اي ما مدحه الله به
مما ذكر والثنا ممدود بتقديم المثلثة قال الجواليقي هو تكرير الحمد ولا يكون في الذم وهو
فعال من ثنيت بقول ثنيت واثنيت عليه ثنا حسنا والثنا الاسم وربما استعمل في الشر
قال زهير • سيأتي آل حصن حيث كانوا من الكلمات ما فيه ثنا •
وللقايل ان يقول انما سمي الذم ثنا على سبيل التهكم والنثا بتقديم النون والقصر في الخير
والشر والفعل منه نثا ينثو وياتي في صفة مجلس النبي صلى الله عليه وسلم لا تنثى
فلتاته فلا يلتفت الى من قال انه لا يبني منه فعل وقال بعض اهل اللغة الثنا يكون
في الخير والشر والنثا لا يكون الا في الذكر الجميل والقول الحق هو الاول انتهى فالصحيح
ان الثنا مخصوص بالمدح والنثا عام فيه وفي مقابله وليس مخصوصا باللسان كما عرفتنا
الله حقيقي ولا دخل للاصطلاح فيه كما توهم فهو اظهار الصفات الكاملة مطلقا وانه
تعالى لما مهد بساط الوجود ومد مايدة الجود في ساحة الامكان كشف كمال صفاته
واظهر نعم مبتدعاته والاخلاق جمع خلق بضمتين وبضم فسكون الطبع والسجية التي
فطر الله عليها والاداب بالمد جمع ادب والادب في اللغة كما قاله البطليوسي بان ادب
نفس وادب درس ويقال ادب خبرة وادب عشرة كما قيل
يا سايلي عن ادب الخبرة • احسن منه ادب العشرة •
• وقال الجواليقي في شرح ادب الكاتب الادب الذي كانت العرب تعرفه هو ما يحسن من
الاخلاق وفعل المكارم كترك السفه وبذل المجهود وحسن اللقا قال العنوي
لم يمنع الناس مني ما اردت ولا • اعطيهم ما ارادوا احسن ذا ادبا •
كانه ينكر على نفسه ان يعطيه الناس ولا يعطيهم واصطلح الناس بعد الاسلام بمدة طويلة
على ان يسموا العالم بالنحو والشعر اديبا ويسموا هذه العلوم ادبا وهو من كلام المولدين
واشتقاقه من الادب وهو العجب او من الادب مصدر ادب القوم اذا دعاهم قال طرفة
نحن في المشتاة ندعو الجفلا • لا ترى الادب منا ينتقر •
فكانه تعجب منه لحسنه او من صاحبه لفضله او يدعو الناس الى المحامد والفضل
وينهاهم عن القبايح والجهل والعقل منه ادبت فانا اديب انتهى والادب هنا
بمعناه اللغوي وهو اجتماع خصال الخير والفقهاء يطلقونه على ما يندب من السنن

عرضي

في العبادة وفي بعض الشروح الادب حسن التناول والاخذ وحض العباد على التزامه الحض سيد
بحا مهملة وضاد معجمة والحث بمنزلة الطلب الشديد التحريج والالتزام افتعال من اللزوم
فهو بمعنى الالزام البليغ ويكون بمعنى المعانقة وهو مجاز عن اللزوم ايضا وكناية
متفرعة على المجاز وعلى كل حال فالمراد به عدم المفارقة لما كان عليه من الاخلاق
والاداب كما قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فانه صلى الله عليه وسلم
كانت له طاعات ومحاسن فامر الناس باتباعه فيهما وامرهم الله ايضا بذلك بقوله وما اتاكم
الرسول فخذوه وفيه اشارة الى الفاعلي فشيئ قسم امر باتباعه وقسم لم يومر به كالامور
الجبلية والخصايص النبوية ولذا وصف الاسوة بحسنة وان كان كل ما هو عليه حسن
قيل والمراد به ما كان فرضا ونفلا فان التزم ذلك فرضا فنحن نلتزم فعله وفرضيته
وان التزمه نفلا فنحن نلتزمه ونلتزم كونه نفلا والحاصل انا نلتزم ما التزمه على
الوجه الذي التزمه اذا لم يختص به كما يعلم من مقابله وهذا الكلام حسن الا انه
يتنو عنه قوله وتقليد ايجابه لمنافاة الايجاب للنفلية ولك ان تقول انما عنى
المصنف رحمه الله ان ما امرنا باتباعه فيه على قسمين مستحب اشار اليه بقوله
حض العباد على التزامه فان الطلب يكون ايجابيا وغير ايجابي كما بين في الاصول عوضي
وواجب اشار اليه بقوله تقليد ايجابه فليس هذا تاكيدا لما قبله كما قيل وحمل
القرينين على الايجاب يخل بالاداب والتقليد وضع القلادة في الجيد استعير
للالتزام استعارة تصريحية اصلية لا تبعية ويجوز جعله مجازا مرسلا والتقليد
والايجاب مصدران مضافان للمفعول ويجوز في الثاني ان يكون مضافا للفاعل
وما قيل من ان الثاني اخص من الاول والايجاب ليس بمعناه الحقيقي بل هو مبالغة سيد
في الاحتراز عن تركه او مجازا عن الاتيان من اوجب اذا اتى بالوجبة والضمير ان
لما صرح به او للنبي صلى الله عليه وسلم اي ما خص به على التزام امر تعسف
لا ينبغي ان يعتذر عن مثله فكان جل جلاله الجلال العظمة وفي جعل الجلال
جليلا مبالغة في تعظيمه كما حققه الامام المرزوقي في جد جده وقال الاصمعي
الجلال لا يوصف به غير الله لغة وقيل انه قد يوصف به غيره كقول الحماسي
المم على ارض تقادم عهدها ° بالجزع واستلب الزمان جلالها °
ويجوز ان يكون المعنى جلت عظمته عن ان يساويها عظمة غيره مما يسمى عظمة
عندنا الناس فالاسناد حقيقي فان اريد جلت ذاته من جهة كبريائها فالاسناد
مجازي كجد جده والتفريع على ما قبله على ما اعطاه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم
والثناء عليه واعلاء مقامه فانه يدل على انه هو الذي تفضل واولى اي انعم واعطى
افضل رسله عطايا جليلة جليلة بان خلقه اعظم الناس حسبا ونسبا وجعله اشرف
الرسل واكثرهم امة وهذا ناظر لقوله تعظيم قدره واولى بمعنى اعطى وفي
النهاية انما العطايا غير مكافاة فعلى الاول هو عطف تفسيري وعلى الثاني
من عطف الخاص على العام ثم طهر وزكى الطهارة الحسية معلومة والمعنوية
نظافة الظاهر والباطن من الاوصاف الذميمة والاخلاق الردية وزكى يكون
بمعنى طهر وبمعنى نمى ويجوز ارادة كل منهما فالمعنى انه طهره وزاد طهارته

وجه انا اول لاخلاقه واداته صلى الله عليه وسلم والعطف للتراخي الزماني او الرتبي لما
بين التخلية والتحلية من البعد وليست هذه التخلية موخرة على ما فسرناه ثم مدح
واثنى على رسوله صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة من القران كقوله وانك لعلى خلق
عظيم ونحوه مما ياتي وهذا انا اول لقوله واثنى الى اخره والمدح الثنا باجمل اختياريا
العظيم — سيد
كان اولا ولذا اختاره واما كونه للاستعاذة باختصاص الحمد بالله فبعيد جدا والكلام على
الثنا قد مر وقيل المراد بالمتفضل هنا المتفضل علينا بهذا النبي الكريم والرسول الكريم
الذي هو نعمة ورحمة والتطهير تطهيرنا من الشرك والاثام والثنا علينا بكتم خبرائه
وغيره وهو لا يناسب السياق والسباق ثم اثاب عليه الجزا الاوفى اثاب بمعنى اعطى الثواب
وهو الجزا فاما انه تجريد او اثاب بمعنى اعطى والجزا مفعوله لكونه غير مقطع كجلست
قعودا فلا حاجة اليه مع الاوفى وهو يتعدى لمفعولين فالاول مقدر اي اثابه وعليه
ضميره راجع لما تفضل عليه والاوفى بمعنى التام والاوفى افعل تفضيل منه فله الفضل
عودا وبدا اي اولا واخرا والبدا الابتدا والعود الرجوع والابتدا يقابل بالانتها ويقابل
بالعود ايضا ومنه المبدي المعيد والفضل الانعام والاحسان مطلقا او من غير مقابل
وهما منصوبان على الظرفية وقيل على نزع الخافض اي انه تعالى ابتدا بانعامه على نبيه
صلى الله عليه وسلم بان خلقه على اتم خلقة واكملها ثم زكاه وطهره ظاهرا وباطنا ثم عاد
على احسانه فتممه وزاده الثنا الجميل والثواب الجزيل ولو لم يثبه لانه اوجده واقدره
عريض
تفضلا منه كان ذلك له وقيل المراد بالبدء الخلق والايجاد وبالعود الجزا والمعاد كقوله
انه هو يبدئ ويعيد والسياق يأباه لتفرعه على ما قبله بالفا الواقعة احسن موقع
فالمراد انه تفضل عليه بما اولاه من المحاسن والمناقب وتمم ما فعله تكرما له ثم مدحه
به واثابه عليه اتم ثواب فكان بذلك متفضلا في البدء والعود والحمد اولى واحرى
اي هو المستحق للحمد في اول الامر واخره او في الدنيا والاخرة لانه المتفضل دائما في
الدارين وقيل تقديره اولى الحمد واخراه لانه صيغة تفضيل وقد حقق اهل اللغة
ان يكون اسما للتفضيل وظرفا بمعنى قبل فيجري عليه احكامه ووزنه على الاول افعل وعلى
الثاني فوعل وهذا ابو ون فيقال اولا واذا كان اسم تفضيل تجري عليه احكامه
ومونثه اولى ومونث الاول اولة وقد ثبت ذلك عن العرب كما ذكره المرزوقي في
شرح الفصيح ومقابلهما اخرى واخرة وقد تغلب عليهما الاسمية للدارين فيصيران
بمنزلة اسمين جامدين يستعملان استعمالهما لان اسم التفضيل يلزم التذكير والافراد
ان لم يضف او يقترن بالالف واللام ولذا اخطى ابو نواس في قوله
كان صغرى وكبرى من فواقعها ● حصباء در على ارض من الذهب
وان اجابوا عنه كما فصلناه في شرح الدرة واما كونه وصفا مجردا عن التفضيل
ومثله يجوز فيه المطابقة وعدمها فرد بانه سماعي كما في التسهيل وغيره وبان معنى
التفضيل مراد منه بلا شبهة لان الدنيا متقدمة والاخرى متاخرة فلا يصح ان
يقال انهما تجردا عنه ولا يخفى ما فيه فانه سمع في القران والكلام ومثله كاف في ثبوته
مع انه يعود على مدعاه بالنقض لانه اذا كان التفضيل مرادا منه كيف يقال انه
غلبت عليه الاسمية فهل هذا الا جمع بين الحادي والملاح واعلم ان ما ذكره المص

معنى بليغ فانه ذكر الله تعالى بنعم بانواع النعم ثم بمدح عبده ويثني عليه لقبوله
لنعمائه ويجزيه على ذلك اتم جزائه وهو احسن من قول ابن طباطبا لممدوحه

لا تنكرن اهداءنا لك منطقا ... منك استفدنا حسنه ونظامه
فالله عز وجل يشكر فعل من ... يتلو عليه وحيه وكلامه

وله نظائر في معناه في كتب الادب وفي لئام الخلق عكسه فان منهم من اذا راى من انعم
عليه متجملا قد يحسده ويؤذيه وهو احد الوجوه في قول المتنبي

واظلم اهل الارض من بات حاسدا ... لمن بات في نعمائه يتقلب

ومنها ما ابرزه اي اظهره ظهورا تاما لان اصله جعله على براز بالفتح اي مكان مرتفع
العيان ما يشاهد بفتح العين ولا تفتح فيه العين لانه مصدر عاينه معاينة وعيانا
كقتال وفي المثل كما سياتي في كلام المص ليس الخبر كالعيان بل ورد في الحديث وروى
كثيرون منهم احمد وابن حبان يرحم الله اخي موسى ليس المعاين كالمخبر اخبره ربه
تبارك وتعالى ان قومه فتنوا به فلم يلق الالواح فلما راهم وعاينهم القى الالواح
فتكسر منها ما انكسر وروي للعيان اي مما ابرزه الله للعيان فاللام للتعدية او للتعليل
قيل والمراد به ما علم يقينا سواء كان معاهدا او منقولا نقلا صحيحا بحيث يتيقن ويصير
كالمشاهد لانه عد منها تاييده بالمعجزات وليست كلها مشاهدة مع انه بالنسبة لمن بعد
عصره غير مشاهد الا انه تميز لثبته لصحته لا للتواتر لان ادعاءه في جميعها التواتر غير
مسلم ولك ان تقول انه تغليب لقوة المشاهد ولكثرته من خلقه بفتح الخاء وسكون
اللام كما قيده الشمني وفي المقتفي انه بفتحهما وهو بارز للعيان بالمعنى السابق والمعطوف
هو التخصيص به فلا تكرار فما قيل انه غير سديد لانه مما ابرزه للعيان ولانه سيذكر
غير سديد فقيل والمناسب لقوله وتخصيصه وتاييده ان يكون الخلق بمعنى التخليق
والايجاد وهو تاويل من غير حاجة وضمير خلقه لله او للنبي صلى الله عليه وسلم
واعلم ان هذا كله انما يحتاج اليه اذا جعل قوله وتخصيصه الاتي مجرورا معطوفا على
خلقه اما لو رفع وعطف على ما ابرزه لم يحتج الى تكلف وعلى الاول كيف يعترض على من
جعل الخلق بضم الخاء فقدر على اتم وجوه الكمال والجلال الجار متعلق بخلقه سواء كان
بمعنى تخليقه ام لا او صفة مصدر مقدر اي خلقا كائنا على الخ او حال من المضاف
قيل والتقدير يراد اذا قرئ بالضم المطبوع على اتم الوجوه او هو متعلق بمضاف مقدر اي
ابرز خلقه او هو حال والوجوه الانواع والمراد اتم الوجوه المتحققة في زمان ما او
الوجوه الممكنة وهو احسن اذ لم يوجد مخلوق يدانيه صلى الله عليه وسلم فضلا
عن ان يساويه ولا داعي لهذه التكلفات فانه غني عن التاويل والمراد بالجلال مهابته
في عين رائيه وتخصيصه بالمحاسن الجميلة مر بيان المحاسن والجميلة من الجمال
وهو الاتصاف بالصفات الحميدة ولذا ورد اطلاقه على الله كما مر في حديث ان الله
جميل يحب الجمال وفي عرف اللغة حسن الصورة المشاهد وهو بهذا المعنى لا يطلق
على الله وهو مراد المص وفي الحواشي التلمسانية الجميلة والحميلة كلاهما نعت
فالاول بمعنى فاعل لان الفعل منه جمل بضم الميم اي لازم والثاني بمعنى مفعول
ولا بد من لحوق الثاني في اخر كل واحد منهما لانه صفة للجمع ولا يجوز ان يوصف

سيد

سيد

دجي

ابن الحنبلي

الجمع

الجمع بمفرد بخلاف ما اذا كان للواحد فانه لا يخلو اما ان يكون بمعنى فاعل كعليم او بمعنى
مفعول كجريح وفي الحصول للمعز الثاني فعيلة للنقل من الوصفية الى الاسمية الصرفة فلا
يقال شاة او كيلة ونطيحة يعني لغلبة الاسمية وتقريره ان هذه التاء من فعيل بمعنى
مفعول اذا كان تابعا لموصوف لم يلفظ بالتاء وقد تثبت كخصلة حميدة وصفة حميدة فاذا
حذف موصوفه جرى مجرى الاسما فتثبت فيه التاء كهذه جريحة واما اذا كان فعيل بمعنى
فاعل فانه بالتاء فتحققه فانه مفيد **اقول** فهم كلامه ان الموصوف اذا كان جمعا تثبت
تاؤه على كل حال ولم ار من ذكره غيره وبقية كلامه ظاهر والاخلاق الحميدة اي المحمودة
وهي الصفات المعنوية التي هي للباطن كالصورة للظاهر وعليها مدار كمال البشرية والثواب
سيد
والعقاب قيل وهو مبالغة او مجاز او التخصيص في الجملة لانه لم يرد عد الخصايص
هنا فقط ولذا فسر التلمساني التخصيص بالتعيين ولا مانع من حمله على ظاهره نظرا لكمالها
او مجموعها والمذاهب الكريمة المذاهب جمع مذهب وهو الطريق وتطلق على ما اختير
من الافعال وغيرها كما يقال مذهب الفقها والمراد مسالكه صلى الله عليه وسلم في احواله
مع امته او في نفسه وللناس فيما يعشقون مذاهب وهو ماخوذ من الذهاب وهو الخروج
الى المقاصد سوا وصل اليها ام لا ولذا اختلف فقهاوانا فيه فقيل لا يشترط الوصول
وقال نصير يشترط لقوله تعالى اذهبا الى فرعون فانه بمعنى ابتداه والكريمة بمعنى الحسنة
عرضي
النفيسة المطلوبة لاهل الكمال وقيل هي بمعنى العزيزة المنزهة عن النقايص والفضايل
العديدة اي المعدودة من المجاز من قولهم فلان عديد بني فلان اذا كان يعد فيهم
سيد
ويعتد به او المراد الكثيرة قال صاحب المحكم في قوله تعالى سنين عددا جعله الزجاج
مصدرا وقال المعنى نعد عددا ويجوز ان يكون نعتا للسنين والمعنى ذوات عدد والفايدة
س
حنبلي
في قوله عددا في الاشيا المعدود وكذا انك تريد توكيد كثرة الشي لانه اذا قل فهم مقداره
وعدده فلم يحتج الى ان يعد واذا كثر احتاج الى العد فالعدد في قولك اقمت اياما
عددا تريد به الكثرة انتهى فقول بعض الشراح هنا نقلا عن التلمساني انه من العد بالكسر
للما الكثير تكلف نشا من ان ذكر العدد يدل على القلة كما ذكره ابن هشام عن ابن عبد السلام
في هذه الآية من ان عددا بمعنى معدودة ذكر ليدل على القلة لان ما كثر في الغالب لا يمكن
عده ولا يمكن هذا هنا لانها ذكرت لتعظيم القصة فلعل ذكرها لمناسبة رؤس الاي انتهى
وتاييده بالمعجزات الباهرة التاييد النصر والتقوية من الايد وهي القوة والمعجزات جمع
معجزة اسم فاعل من الاعجاز افعال من العجز ضد القدرة والمراد اثبات العجز واظهاره
ممن شانه التحدي وقيل العجز مجاز عن عدم القدرة كالجهل لعدم العلم وهما في الاصل
امر وجودي او متعلق به فيمن شانه القدرة فلا يقال للجدار عجز عن الحركة وهو امر
خارق للعادة مقرون بالتحدي او بمقامه على وجه يدل على صدق مدعي النبوة الذي من
شانه التحدي فلا يشترط فيه التحدي بالفعل والباهرة بمعنى العجيبة او الظاهرة ظهورا
لا يمكن ستره ومنه قمر باهر اي تام الاضاءة او الغالبة لمن يهم بمعارضتها وبه فسر
قوله ثم قال ولو انهم لما قلت بعدوا عدد الرمل والحصى والتراب
عرضي
والبراهين الواضحة جمع برهان وهو الدليل القوي الذي يحصل به اليقين وليس المراد
به البرهان المنطقي لميا وانيا وان شمله والواضحة بمعنى الظاهرة والكرامات البينة

جمع كرامة وهي امر اكرم الله به من اصطفاه من عباده المتقين بدون تحد ودعوى نبوة فتكون
للنبي والولي واعم من المعجزة لاشتراط مقارنة النبوة والتحدي بالقوة او بالفعل وتوتر
اكرم الخ خروج السحر وما يصدر من الكهنة والشياطين وجعل الوصف بها شاملا لما قبلها
حتى البراهين تعسف ركيك التي شاهدها من عاصره اي كان في عصره ومدة حياته والمشاهد
الرديئة بالعين من الشهود وهو الحضور عنده او المراد علمها علما متيقنا فيدخل فيه نحو ابن
ام مكتوم رضي الله عنه ويشمل ما سبق مما لا يدرك بالبصر وراها من ادركه اصل معنى
الادراك اللحوق يقال ادركته اذا لحقته ومنه ادرك الطعام والثمار اي لحق حال
النضج وادراك الغلام بلوغ حال الرجولية وادراك البصر لشي لحوقه له برؤيته ثم
شاع في معنى العلم مطلقا وهذه الجملة مفسرة لما قبلها فليست حشوا ابدا كما توهم
ويمكن الفرق بينهما بان يراد بالاولى من طالت صحبته له صلى الله عليه وسلم وشاهد حاله
كله من الاولين والسابقين والثانية من بعدهم على ان الاطناب في مقام الخطابة مستحسن
وفي نسخة عاصرها وادركها والاولى اولى وعلمها علم يقين من جا بعده من التابعين
فمن بعدهم لتواتر بعضها واشتهار بعض اخر منها ونحو ذلك مما ينفي الشبه وعلم اليقين
كبصر الادراك فاضافته لاميّة او بيانية على راي ويلحق به ما كان بطريق الكشف حتى انتهى
علم ذلك الينا اصل معنى انتهى بلغ النهاية ولذا يكون كما في قوله وكل شي بلغ الحد انتهى
والمراد انه بلغنا ووصل الينا لان من انتهى اليه شي وصله وضمير الينا للمتاخرين ومن
تقدمهم الى الحشر وهذا يناسب ما مر من تفسير من ادركه بمتاخري الصحابة ممن ولد
بعد الهجرة لان لفظ الادراك يشير اليه اشارة ما فتكون عبارته شاملة لجميع الامة
تفصيلا والاقتصار اخل فيما قبله لانهم ممن جا بعده وفاضت انوارها علينا اصل معنى
الفيض في الما ونحوه من المايعات يقال فاض السيل اذا كثر وسال وافاض بالالف لغة
وفاض الانا فيضا امتلا وافاضه صاحبه ملاه وفاض الخير كثر واستفاض الحديث
انتشر واشتهر فهو مستفيض ولا يقال مستفاض وهو لحن عند الاصمعي واشبه
بعضهم فشبه الانوار وانتشارها بما سايل مندفق والمراد بانوارها ما ظهر من بركته
والمنير للنبي صلى الله عليه وسلم او للعلم لانه ورد اطلاق النور على كل منهما او
اراد بالنور الايمان وما يترتب عليه من العلوم الشرعية الموصلة للسعادة الدارين
المنقذة من ظلمة الضلال وفي نسخة وفاضت حقيقته وانوارها اي الحقيقة المحمدية
وما لها من الكمال في نفس الامر وضمير انوارها للحقيقة او للكرامات صلى الله عليه وعلى
اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا اي دايما عقب ما ذكر مما وصل للامة من خيره بالدعا
له صلى الله عليه وسلم ولاله الذين هم واسطة بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم فيما
وصل الينا فيه شبه لف ونشر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ
قراة مني عليه قراة منصوب بنزع الخافض اي بقراة مني عليه او مفعول مطلق
اي وانا اقرا قراة وقراة ومني عليه صفتان له وهذا الحديث اسنده المصنف رحمه
الله من طريق الترمذي وهو حديث حسن اخرجه احمد والبيهقي في سننه ٥
والقاضي المذكور شيخ المصنف قرا عليه بالاندلس وهو ابن فيره بن حيون الصدفي
السرقسطي الاندلسي المعروف بابن سكرة وهو من المشهورين بعلم الحديث وترجمته

مفصلة

مُعْضلة في اسما الرجال وَقال السُّهيلي لانه استشهد ببعض ثغور الاندلس في وقعة وقعت
في سادس ربيع الاول سنة اربع عشرة وخمسماية وله من العمر نحوا من ستين سنة والحافظ
وصف لكلامن اكثر رواية الحديث والفقه وقد انقطع هذا في عصرنا وكان آخر الحفاظ السيوطي
والسخاوي وتبين بقوله قراة الخ وجه الاخذ عنه فانه كما تقدم فانه يكون بقراة الشيخ وقراة
التلميذ عليه وقراة غيره وهو يسمع والغالب الاول فاذا كان غيره احتاج للبيان حتى منع ابن
الصلاح رحمه الله ان يقول من قرا على الشيخ حدثنا مطلقا وان اجازه غيره كما فصلوه حدثنا
ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن احمد المعروف بالحمامي بفتح الحا المهملة وتخفيف الميمين
سمع من ابن شاذان وخلق كثير بعده وكان من اهل الخير والصلاح وابو الفضل احمد بن خيرون
في المغني هو الحافظ الناقد ابو الفضل احمد بن الحسن بن احمد بن خيرون البغدادي الباقلاني
سمع من ابي علي بن شاذان وابي بكر البرقاني وروى عنه خلق كثير وروى عنه شيخه الخطيب
ابو بكر وابو علي بن سكرة وابو عامر العبدري وترجمته مشهورة وهو عدل متقن توفي
في رجب سنة ثمان وثمانين واربعماية وله من العمر اربع وثمانون سنة وقد ذكره في الميزان
وصحح عليه وخيرون بفتح الخا المعجمة تليها مثناة تحتية ساكنة وعن المزي ان الامثل
في خيرون الصرف الا ان المحدثين لا يصرفونه لشبهه بجمع المذكر السالم انتهى يعني ان
هذه الصيغة لما لم تعهد في الاعلام المفردة اشبهت الاسم الاعجمي وهو احد الوجوه في
امثاله من الاعلام التي على هذه الزنة كزيدون وعبدون كما في شرح التسهيل فان فيه لغات
فيعرب بالحروف اعراب الجمع حكاية لاصله ويعرب بالحركات مع لزوم اليا كغسلين او الواو
كهارون ويمتنع حينئذ من الصرف لما ذكرناه وقال ابو العلا المعري في كتاب عبث الوليد
ان بعض العرب يجعل الف نحو الصلاة واوا فيما امنه ولذا امنع صرفه وهو غريب جدا
فقول بعضهم كانه اراد بمنع الصرف مجرد منع الكسر والتنوين والا فشرطه صيغة منتهى
الجموع وتبعه الشارح خبط ناش من عدم الوقوف على كلام النحاة في امثاله قال حدثنا
ابو يعلى البغدادي احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر ويعرف بابن روح الحرة كما ذكره
ابن ماكولا رحمه الله وقال انه سمع على ابي علي السنجي جامع الترمذي ببغداد ويعلى بفتح
المثناة التحتية وسكون العين المهملة واللام المفتوحة مقصورة قال حدثنا ابو علي
السنجي بكسر السين المهملة ثم نون ساكنة ثم جيم ثم يا نسبة لسنج مرو وهو كما
قال ابن ماكولا ابو علي الحسين بن محمد بن احمد بن شعبة المروزي السنجي ورد بغداد
وحدث عن الترمذي بجامعه عن ابي العباس محمد بن احمد بن محبوب عن الترمذي
وسمع منه وروى عنه روح الحرة وغيره قال حدثنا محمد بن محبوب هو ابو العباس
المحبوبي المروزي راوي جامع الترمذي قال حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ سورة
بفتح السين المهملة تليها واو ساكنة ثم را مهملة وها والد ابي عيسى الترمذي
الضرير المحدث المشهور هو وتصانيفه الجامع والسنن قيل انه ولد اكمه وسمع
ابن قتيبة وغيره مات بترمذ في رجب سنة مايتين وتسعة وسبعين وقال الذهبي
في الميزان انه ثقة مجمع عليه ولا عبرة بطعن ابن حزم فيه لانه لم يعرف احواله
وترمذ بفتح المثناة الفوقية وكسر الميم وبكسرهما وهو المشهور وبضمهما كما قاله
النووي في التهذيب وبفتحهما كما قاله السمعاني قال حدثنا اسحاق بن منصور الكوسج

ابن الحنبلي
والعرضي

الحافظ المشهور توفي سنة احدى وخمسين ومايتين وهو ثقة في الرواية قال حدثنا عبد
الرزاق بن همام بن نافع ابو بكر الصنعاني احد الاعلام الثقات الذين يروي عنهم اصحاب
الكتب الستة وهذا حديث حسن مسند في الترمذي وغيره ولم يروا الا عن عبد الرزاق
فهو غريب كما قاله صاحب المقتنى والسيوطي في تخريج احاديث هذا الكتاب اخبرنا معمر
هو بفتح الميمين بينهما عين ساكنة مهملة وبالراء معمر بن راشد بن عروة البصري عالم اليمن
ثقة له اوهام معمر وفقه احتمال له في سعة ما اتقن وله ترجمة في الميزان توفي في رمضان
سنة ثلاث او اربع وخمسين ومائة باليمن اخرج له الجماعة قال معمر طلبت العلم سنة
مات الحسن عن قتادة هو ابن دعامة ابو الخطاب السدوسي الاعمى الحافظ المفسر روى
عن عبد الله بن سرجس وانس وخلق كثير وعن ايوب وشعبة وخلق توفي سنة سبعة
عشر بعد المائة وقيل غير ذلك وله ترجمة في الميزان عن انس بن مالك الصحابي المشهور
وسيأتي ترجمته في الباب الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق بصيغة المجهول
اي اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام به فحذف فاعله لشهرته كما صرح به في غير هذه
الرواية ولانه يعلم من آخر الحديث والبراق كغراب دابة فوق الحمار ودون البغل سمي به
لشدة سرعته كما يقال مركوبه برق خاطف او لشدة تلالؤه وبريقه او بياضه وقال
المصنف رحمه الله انه سمي به لانه ذو لونين كما يقال شاة برقا اذا كان خلال بياض
صوفها طاقات سود واورد عليه انه مخالف لما صرح به في بعض طرق هذا الحديث
من انه ابيض الا ان يقال انه باعتبار الاغلب فيه وفي كتاب خيل النبي صلى الله عليه وسلم
انه وجهه كوجه الانسان وذنبه كذنب الغزال وقوائمه كقوائم الثور وحبله
كالفرس وقال الثعلبي جسده كالانسان وذنبه كذنب البعير وعرفه بعين مضمومة
وراء مهملتين وهو كعرف الفرس وقوائمه كالابل واظلافه كالبقر ثم بعضها فوقية وظهره
كدرة بيضا وله جناحان في فخذيه يمسح حافره عند منتهى طرفه كما ورد في الصحيح
وهو مذكر وسمع تانيثه باعتبار الدابة وقيل تذكيره كتذكير الملك وتذكير وصفه
فانه يقتضي التذكير على عدم التانيث لانه الاصل لفظا ومعنى وقال ابن الملقن انه
ليس بذكر ولا انثى وقول جبريل في رواية تاتي يا براقة لا تنفري لا ينافيه لانه
نظر الظاهر حاله واحتمال التاويل او نظر للمخلوق تاء الوحدة اذ لم يقم دليل على احد
الشقين وقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين اغلبي او مخصوص بدواب الارض
وصيغة المذكر لا تختص بما له مونث لانها الاصل فلا جمع بين معنيين متنافيين
في قائم وقايمة كما توهمه الكندي وهو ملك خلق على هذه الصورة لحمل الانبيا
عليهم الصلاة والسلام ولا مانع منه كذلك العرش او هو دابة مخلوقة في الجنة
وقد قالوا انها تدخلها بعض دواب الارض ايضا وبلغوها نحو عشرة ونظموها في
شعر مشهور

براق شفيع الخلق ناقة صالح ... وعجل لابراهيم كبش لخليله
وهدهد بلقيس ونملة بعضها ... حمار عزير كلب كهف لمثله
وحوت ابن متى ثم بقرة لمن ... تيد لامر في رجا ومحله
فهذي عشر في الجنان وغيرها ... يكون ترابا يوم حشر لكله

بعلها

ليلة اسري به بصيغة المجهول والجار والمجرور قايم مقام فاعله وليلة منصوب على الظرفية فالى
والاسرا كان ليلا في سبع وعشرين ربيع الاول وقيل لسبعة عشر خلت من رمضان وقيل سبع وعشرين
من ربيع الاخر وقيل من رجب وقيل انه كان في شوال وكان ليلا لانه ادل على القرب وسنه صلى
الله عليه وسلم خمسون سنة وتسعة اشهر واسرى وسرى بمعنى وهما سير الليل وقيل
اسرى لاوله وسرى لاخره واختار السهيلي ان سرى لازم واسرى متعد ترك مفعوله ه
والاسرا والمعراج كانا في ليلة واحدة يقظة بجسده على الاصح وبينهما فرق سياتي لان
ما ذكر هنا استطرادي ملجما مسرجا مخففان بزنة مصحف اي مهيا للركوب بسرجه ولجامه
وهملتا الان من البراق وهل هو علم او اسم جنس منحصر في فرد كالشمس الظاهر الثاني لوروده
معرفا ومنكرا والقول بتعدده والاستدلال عليه بقوله ومن كل شي خلقنا زوجين مما لا ينبغي
الاشتغال به لكن الامام السهيلي رحمه الله افاد انه كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم تركبه
الانبيا عليهم الصلاة والسلام ذكره في شرح السيرة وستسمعه عن قريب فاستصعب عليه
ضمير استصعب للبراق او الركوب المعلوم من السياق وضمير عليه للنبي صلى الله عليه وسلم
اي انه صلى الله عليه وسلم لما اراد ركوبه لم يقر حتى يركبه ويجوز عود ضمير عليه للبراق
ايضا اي صار الركوب صعبا على البراق كما قيل وهو تكلف والفعل مبني للفاعل ويجوز
بناؤه للمفعول لانه سمع من العرب لازما ومتعديا يقال استصعب الامر علينا بمعنى صعب
واستصعبنا الامر اي وجدناه صعبا يعني انه امتنع وابى ان يركب بسهولة ولذا فسر
بنفر اي شمس كما ورد في بعض الروايات ويقال دابة شموص وشموس بمعنى حرون وروي
ان جبريل عليه الصلاة والسلام مسك بركابه وميكائيل عليه الصلاة والسلام بزمامه ومن
هنا علم ان قول بعض الشعرا في مدحه صلى الله عليه وسلم * جبريل خادمه وميكائيل ليس منكر
لما فيه من ترك الادب كما توهم وسبب استصعابه فيه وجوه منها انه لم يركبه احد قبله
قال الشمني رحمه الله وهو مبني على ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لم تركبه او هو
لبعد عهده بالركوب لطول زمن الفترة وما قيل من ان الخلاف فيه الظاهر انه في ركوب هذا
النوع لجواز تعدد شخصه وهذا الشخص لم يركبه احد منهم وان ركبوا غيره او لما في جبلة
الفرس الاصيل من عدم التذلل كلام واه رواية ودراية وقيل انه كان نشاطا وفرحا بركوبه
صلى الله عليه وسلم وتاباه ما روي من الحافرت ونفضت عرقا وقيل كان خوفا من
تقصيره في حقه صلى الله عليه وسلم وقيل انما توقف حتى ياخذ عليه العهد ان يركبه
في الجنة كما في قصة الجذع وحنينه ومن الغريب ما في تذكرة القرطبي في تفسير قوله
تعالى خلق الموت والحياة ان الموت خلق في صورة كبش والحياة في صورة فرس انثى
بلقا وقد كانت الانبيا عليهم الصلاة والسلام يركبونها وحكاه ابن عباس رضي الله عنهما
وطعن الحلبي في صحته عنه وقال السهيلي في الروض الانف بعد ما نقل الخلاف
في ان البراق هل كانت الانبيا عليهم الصلاة والسلام تركبه قبل النبي صلى الله عليه وسلم
او لا وما ورد فيه ان سبب نفاره ما ورد في كتاب لبعضهم ان جبريل عليه الصلاة
والسلام قال له يا محمد هل مسست الصفرا اليوم فقال ما مسستها ولكن مررت
بها فقال تبا لمن يعبدها من دون الله وقد اختلفوا في المراد بالصفرا فيه فقيل
الذهب وعبادتها حبها كما في تعس عبد الدرهم والدينار وقيل لكل شي مغناطيس

سيد

سيد

ومعنا طبيس الاتسان الذهب وقيل هو صنم من ذهب كسره صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وسجدله
اما اهانة او لارادة كسره او غيره ذلك وقال ابن حجر رحمه الله هذا واه جدا **اقول** في الخصايص
الكبرى ان ابا يعلى وابن عدي والبيهقي وابن عساكر اخرجوا عن جابر بن عبد الله رضي الله
عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم شهد مع المشركين بعض مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما
يقول لصاحبه اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف نقوم
خلفه وانما عهده باستلام الاصنام قريب فلم يعد بعد ذلك لمشاهدهم قال الطبري والبيهقي
معنى قوله انما عهده الخ انه شهد من استلم الاصنام لا انه صلى الله عليه وسلم استلمها
او المشاهد مشاهد الحلف ونحوه لا مشاهد الاصنام وقال ابن حجر هذا الحديث انكروه وانما
المنكر منه قوله انما عهده الخ فان ظاهره انه باشر الاستلام وليس مرادا انما المراد انه شهد
استلام المشركين لها وروي ايضا ان بوانة صنم كانت قريش تشهده يوما في السنة وابو
طالب معهم فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان يحضره فابى فغضب هو وعماته
وقالوا يا محمد ما تريد ان تحضر لقومك عيدا او تكثر لهم جماعة فلم يزالوا به حتى
ذهب وغاب فعاد مرعوبا فزعا فقالت له عماته ما دهاك قال اني اخشى ان يكون
بي لمم فقلن له ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما رايته
قال اني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل ابيض يصيح وراءك يا محمد لا تمسه فما
عاد صلى الله عليه وسلم الى عيدهم حتى تنبا وانما فصلنا هذا لان الامام السهيلي
تردد فيه في الروض **بقي هنا** انه هل اردف النبي صلى الله عليه وسلم جبريل ام لا فذكر
البرهان انه اردفه خلفه وفي رواية انه ركب قدامه والذي ظهر لي انه انما استصعب
لما لم يعرف النبي صلى الله عليه وسلم وظن انه غير نبي فلذا عرق خجلا لما اعلمه جبريل
عليهما الصلاة والسلام بانه نبي الله فقال جبريل عليه الصلاة والسلام للبراق
لا تفعل هذا وجبريل علم للملك المشهور وفيه لغات وصلت اربعة عشر لغة جبريل وجبرئيل
وغيرهما مما ياتي في اثناء الباب الثاني وبعضها قري وهو عبراني او سرياني ومعناه عبد
الله على الاصح وايل اسم الله في لغتهم وليس بمعنى عبد وما قيل ان ايل لا يعرف من اسماء
الله ليس بشيء امحمد تفعل هذا في نسخة زيادة يا براق وفي رواية ابن حبان ما حملك
على هذا ما ركبك احد قط اكرم على الله منه وروى البيهقي يا براق والله ما ركبك مثله
وروى البزار يا براقة لا تنزوي من محمد فوالله ما ركبك ملك مقرب ولا نبي مرسل افضل
من محمد ولا اكرم على الله منه قال قد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة واني احب
ان اكون في شفاعته فقال انت في شفاعتي ان شاء الله قيل ففي رواية المصنف اختصار
فان قيل تتعدد الاسرا فالامر سهل وليس كما قال فانه اختلاف رواية لا اختصار
والاستفهام انكاري وقدم الظرفية لتخصيص الانكار او زيادته به لانه صلى الله عليه وسلم
اجل من علاه فلا يليق النفار منه والاشارة راجعة لمصدر استصعب او لما فهم منه
كما اشار اليه بقوله فما ركبك احد اكرم على الله منه العاشبية واكرم افعل تفضيل
من الكرم وهو وصف جامع لكل خير وشرف وضده اللوم والكرم في العرف بمعنى الجود
فيقابله البخل والمراد هنا الاول فان قلت المراد انه ليس احد عند الله اكرم منه ولا
افضل ولا مثله ولا يدانيه والعبارة قاصرة قلت قال في شرح المقاصد اشتد لو اعلى

عوضي

منه

سيد

تفضيل

تفضيل الصديق بحديث ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على افضل من ابي بكر
رضي الله عنه ومثله وان كان ظاهره نفي افضلية الغير لكن انما يساق لاثبات افضلية المذكور
ولهذا افاد افضلية ابي بكر رضي الله عنه والسر فيه ان الغالب في حال كل اثنين هو التفاضل
حفيد دون التساوي فاذا نفي افضلية احدهما ثبت افضلية الاخر انتهى وقيل اذا قيل ليس في
البلد افضل منه فالمراد ليس فيها من يساويه ويزيد ابيه فضلا عمن يزيد عليه وهو معروف في
استعمال البلغاء وفي هنا ما ركبك مثله وهو يؤيده فهو كناية ان الافضل لا بد له من مساواة
المفضول من بعض الوجوه وان زاد في بعض اخر فقصد بنفيه نفي لازمه وهو المساواة وفيه
بحث وظاهر الحديث ان البراق ركبه غير نبينا صلى الله عليه وسلم وقد مر انه ثابت وقال
النووي انه لم يصح وقال ابن حجر رواياته كلها واهية ولذا قيل هنا ان المعنى هنا انه لم
سيد يركبك احد فكيف ركبك اكرم منه على حد قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقيل الذي رواه
النسائي والسهيلي وابن هشام والقرطبي انه ركبه غيره من الانبيا عليه وعليهم الصلاة
والسلام حتى قيل ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يحج عليه في كل سنة حتى قيل له براق
ابراهيم وقول النووي اشتراك جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام فيه يحتاج لنقل صحيح
يحتمل انه انكار لعموم المشاركة ثم ان ركوبه صلى الله عليه وسلم له انما هو لبيت المقدس
ثم ربطه في الصخرة ولم يصعد عليه بل على رفرف اي معراج من نور وقال الشيخ عز الدين
ابن غانم المقدسي في كتاب شجرة الايمان ان مركبه صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس الاول
البراق ثم مركبه الثاني الى سما الدنيا المعراج ثم مركبه الثالث من سما الدنيا الى السما السابعة
اجنحة الملائكة ثم مركبه الرابع الى سدرة المنتهى جناح جبريل ثم مركبه الخامس الرفرف الاخضر
من النور سد ما بين الخافقين قال هو من كلام الراوي عن انس رضي الله عنه فارفض عرقا
ارفض بهمزة وراء ساكنة مهملة وفاء وضاد معجمة مشددة بزنة احمر بمعنى سال وتصبب وعرقا
تمييز محول عن الفاعل وعرقه لخجله او مهابته من استصعابه وثبوت الخجل لنحو عير
مستبعد وقيل ارفض بمعنى ترشرش عرقه وقال ابن ارسلان عن المص رحمه الله ان ارفض
بمعنى خر على الارض وبرك كما روي انتفض ايضا والمعروف في كتب اللغة الاول وفي
بعض الروايات ارفض عرقا وقر وفي السيرة ثم قر وفسر بانه جرى عرقه ثم سكن
وانقاد وترك النفار وقلت في معناه بديهة

عرق البراق وقد اراد محمد * يعلو عليه لاجل جل مصالحه *
فكانه لنفاره خجلا غدا * لتأسف يبكي بكل جوارحه *

واعلم ان المص رحمه الله انما ذكر هذا الحديث مسندا على خلاف دابه في هذا الكتاب
وغير اسلوبه في غيره من الاقسام والابواب لانه لما كان هذا اول الاقسام وتاج التراجم
والمرام وتقديمه له لاهتمامه به متبركا بحديث ثابت وفيه من الدلالة على ما اراد بيانه
من التعظيم قولا وفعلا ما لم يتيسر لغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام مما
تقصر عنه الافهام وتتحير فيه العقول والاوهام وهو دعوة الملك الجليل له ليلا
لحظاير قدسه كما يدعى المقرب المطلع على الاسرار وارسل لدعوته عظام ملايكته ببراق
مسرج ملجم على عادة الملوك اذا عظموا من دعوه ارسلوا له بعض المقربين بمركوب كانوا
يسمونه فرس النوبة فاوصله الى حرم عزته بمكان لا يصل اليه سواه وكلمه بغير واسطة

وتجلي له بلا حجاب ولذا قال جبريل عليه الصلاة والسلام انه اكرم خلقه عليه وسيأتي تفصيل
في بابه ان شا الله تعالى الباب الاول في ثنا الله تعالى عليه الثنا المدح كما تقدم تقريره واظهار
عظيم قدره لديه بقول غير ثنا قاهرا كالقسم به والامر باتباعه فهما متغايران اذ الاصل في
العطف التغاير او اراد بالفعل القول الصريح في ثنا وغيره والمراد عظم قدره صلى الله عليه وسلم
بالنسبة لغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام او مطلقا فبينهما عموم وخصوص من وجه
وهو نبا بن حزلي فالثاني غير تفصيل ينفرد به الاول وينفرد الثاني بالاسرا ونحوه ومادة
الاجتماع تفضيل بالقول على غيره فاذا اريد بالثاني ما يدل على الكمال مطلقا بطريق المجاز
فالعطف للتفسير والتوضيح اعلم ان في كتاب الله العزيز بالجر صفة لله او للكتاب لان
العزيز معناه القوي الغالب ويقال عزه اذا غلبه وفي المثل من عزبز وهو من اسمايه
تعالى ويوصف القران به وهو المراد بالكتاب لانه بمعانيه واعجازه فاق كل كتاب وغلبه
واعلم امر من العلم يصدر به ما يعتني به من الكلام تقوية وتاكيدا وحثا على القا البال لما
بعده تنبيها على انه مما ينبغي ان يعلم ولا يترك وقد ورد كذلك في القران وكلام العرب
كقوله فاعلم انه لا اله الا الله وهذا التركيب بعده غالبا ان الموكدة كقوله
فاعلم فعلم المرء ينفعه ان سوف ياتي كلما قدرا
ايات كثيرة اسم ان وكثيرة صفته جمع اية واصل معناها العلامة والجماعة ثم خصت
بمقدار من القران وجمع من الحروف له مبدا ومقطع مندرجة في سورة في الاكثر وفي
اشتقاقها وتصريفها ما مر شي منه مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم
اي مبينة له والافصاح لغة الكشف ويقال افصح اذا اتي بكلام فصيح وهو يتعدي
بعن والمص رحمه الله عداه بالبا ولم يسمع فهي بمعني عن فانها تاتي بمعناها ولا
يختص هذه الافادة السوال كما في قوله عز وجل فاسال به خبيرا او هو مضمن معني
ناطقة اي دالة ومحمول على ما هو بمعناه كاني او المراد انها مبينة في حد ذاتها
والبا للملابسة من افصح اللبن اذا ذهبت رغوته وجميل ذكره بمعني ذكره الجميل وتفسيره
بان الذكر الجميل نظم فيها لا يخفي ما فيه والجميل المحمود من الصفات وخصه لبعضهم
بالاختياري ولنا فيه كلام في حواشي التهذيب وعد محاسنه اي تفصيلها لما بينهما
من الملازمة في الجملة وفيه ايما الى ان تفصيلها لا يحيط به نطاق البيان وتعظيم امره
اي شانه وما له في نفسه او هو مقابل النهي والمراد ايجاب اتباعه فترك النهي اكتفا
لان الامر بالشي نهي عن ضده او المراد مطلق الطلب مجازا وتنويه قدره اي رفعه
باشاعته على وجه التعظيم والتكريم يقال نوه باسمه تنويها اذا رفعه كما قال
تعالى ورفعنا لك ذكرك قيل هو تصريح باللازم او تعميم بعد التخصيص اعتمدنا
منها اي من الايات والمراد باعتماده على بعضها الاقتصار عليه وجعله عمدة مختص ا
بالذات وغيره بالتبع ويقال اعتمد على كذا اذا اتكا عليه وليس بمراد هنا وجملة
اعتمد ناصفة ايات وجمعنا الاتي بعده معطوف عليه وقيل انها حال من المجرور
بعدها على راي من جوز تقديم الحال على صاحبها المجرور وفيه نظر على ما ظهر
معناه وبان فحواه ظهر وبان بمعني اي اتضح والكشف والمعني ما يفهم من اللفظ
ويراد به ما يقابل الذات والمراد الاول والظهور ضد الخفا الا ما اصطلح عليه

سيد

الاصوليون والمحوي لغة كالمعنى والمحوي عند الاصوليين بمعنى مفهوم الموافقة ويمد
ويقصر والاشهر فيها القصر كذا قال ابو علي في المقصور والممدود مأخوذ من اللحا وهي التوابل
والابزار قيل وينبغي ان يراد به هنا مطلق المفهوم وهو معتبر بلا خلاف ولذا اعتبره فقهاؤنا
عرضي
في ظاهر الرواية وانما الخلاف في صحة الاستدلال به من المنصوص فلا وجه لما قيل المص رحمه الله
مالكي المذهب ومالك رضي الله عنه لا يقول بالمفهوم حتى يجاب بان صاحب الملخص نقل عنه انه
قايل به لا وجه عن شيخ السداد وقيل انه بمعناه اللغوي فهو من عطف احد المترادفين
على الاخر وقد تخص المحوي بما يفهم قطعا او من خلال التراكيب وان لم يكن بالمطابقة وجعلنا
ذلك المعتمد عليه في عشرة فصول الفصل الاول فيما جاء في ذلك يحيى المدح نصب على المصدر والثنا
وليس من قبيل المفعول له لكونه والمدح والثنا متقاربان وليس من عطف الخاص على العام كما
عرض
قيل وتعداد المحاسن بالجر عطف على المدح وذكر الحلبي انه صح نصبه ووجهه بان اصله ويحيى
تعداد على انه مفعول مطلق معطوف على مثله بتعداد حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه وكونه منصوبا على الحالية سهو وتعداد بفتح التا مصدر بمعنى التعديد كقوله
تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية بالنصب بتقدير اعني او اذكر او اقرأ اشارة لبقية
الاية اختصارا قال بعض المفسرين هذه الاية اخر اية نزلت وقد قيل يستفتونك في اخر النسا
واخر سورة براءة وقيل اية الربا واراد بعضهم التوفيق فلم يبنا على التوفيق ووقع في حديث
جمع القران ان هذه الاية لم توجد الا مع خزيمة الانصاري رضي الله عنه ووقع في البخاري
مثله في قوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الخ واستشكل ذلك بانه ينافي اتفاقهم
على تواتر القران **واجيب** بان المراد التثبت في تلقيهما ممن تلقاها من النبي صلى
الله عليه وسلم بغير واسطة والمبالغة في استظهار ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه
وسلم او انه وجد من شاركه في حفظها فتواترت وقيل المنفي وجودها مكتوبة لا محفوظة
فتدبر قال ابو الليث السمرقندي رحمه الله نسبة لسمرقند مدينة معروفة بفارس قال
التلمساني التصحيح في السنح بفتح السين والرا وسكون الميم والمعروف فتح الميم وسكون الرا
وتبع فيه صاحب القاموس اذ قال اسكان الميم وفتح الرا لحن وفيه نظر وهي معرب شمركند وشمر
اسم رجل وكند بمعنى قرية والسمرقندي هذا هو الامام الجليل المعروف بامام الهدى
وهو نصر بن محمد بن احمد بن ابراهيم الفقيه الحنفي المشهور صاحب التصانيف الجليلة كالتفسير
والنوازل وخزانة الفتاوى وتنبيه الغافلين والبستان توفي ليلة الثلاث لاحدى
عشرة خلت من جمادى الاخرة سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ومن ائمة الحنفية ايضا
اخر يدعى بابي الليث السمرقندي متقدم في الزمان على هذا كما قاله السمعاني وهذا يعرف
بالحافظ ولهذا اللقب يفرق بينهما وقرا بعضهم من انفسكم بفتح الفا وقراة الجمهور
بالضم اي بفتح الفا وضمها والواو في قوله وقرا من المحكي فهو معطوف على مذكور في
اصله وفي عبارة المص على مقدر وفي المحتسب لابن جني الفا قراة عبد الله بن قسط المكي
ومعناها على الفتح من خياركم واشرفكم ومنه قولهم هو من النفس المتاع اي اجوده
وخياره ومنه المنافسة وهي اشتداد الرغبات في امر يقتضي التحاسد عليه والغبطة
وهي كما في شرح ادب الكاتب مأخوذة من النفس فكان المنافس فيه لرغبته وحرصه عليه
مثل نفسه عنده وهذه القراة شاذة كما يعلم من نسبة الضم للجمهور وعزاها بعضهم

لابن محيصن وروتها فاطمة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم والنفس على الفتح افعل
تفضيل وجوز التلمساني فيه ان يكون اسم فاعل وهو بعيد وعلى الضم جمع نفس لانه ما من
قبيلة الا وقد ولدته صلى الله عليه وسلم كما يأتي الا بني تغلب لتمسكهم بالنصرانية والجمهور
بالضم كثير من الخلف جمعه جماهير وحكى التلمساني فتح جيمه وهو غريب قال القاضي
الامام ابو الفضل عياض وهو رواية بالمعنى لانه لا يمدح نفسه وعبارة المؤلف رحمه الله
كما في بعض النسخ قال ابو الفضل وفقه الله وقد سقط كله من بعض النسخ المتداولة
اعلم ما مضى من الاعلام الله تعالى المؤمنين جعل المخاطب هنا المؤمنين لقوله في سورة آل
عمران لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم والقرآن يفسر بعضه بعضا ه
وهذا الخطاب هو المسمى في الاصول لخطاب المشافهة وهل هو مختص بالموجودين منهم
في زمان النزول او النازلين في مهبط الوحي او يعم الموجودين منهم وغيرهم ممن سيوجد
من هذه الامة اقوال اختلف فيها بعد الاتفاق على دخولهم في حكمه وانما الخلاف في
كونه يدل عليهم وضعا او لا فالدلالة هل هي قياس او اجماع او دليل آخر وليس هذا
محل تفصيله وهو شبيه بالخلاف المذكور في المنطق بين الفارابي وابي علي في عنوان
موضوع القضية وان لم يتنبهوا له ووجه التخصيص بالمؤمنين انهم المنتفعون ببعثته
صلى الله عليه وسلم في الدارين وان كان رحمة لجميع العالمين والمقصود بهذا الخطاب
الامتنان عليهم او اعلامهم بمضمونه وان كان منهم من يعلمه تغليبا اهتماما
بارشادهم ولذا اكد بالقسم او هو للاشارة الى ان نطاق علمهم لا يحيط بعظيم قدره
وقيل انه لتنزيل العالمين منهم منزلة غيرهم لغفلتهم عن نعمة هذه النعم والتقصير
عن شكرها وقيل هو لقصد اعلام الجاهل واظهار المنة على العالم واستبعد وقيل
ان قوله بالمؤمنات التفات مراعى فيه نكاته او هو من وضع الظاهر موضع المضمر له
تشريفا لهم واهانة لمن عداهم وفي الالتفات بعد هنا ويرد بان المؤمنين لا سيما
الصحابة رضي الله عنهم عالمون بمدلول هذا الخبر فلا اعلام لهم بحسب الحقيقة الا ان
ينزلوا منزلة غيرهم لغفلتهم عن هذه النعمة وشكرها والعمل بمقتضاها او اراد
مجرد توجيه الكلام نحوهم والاظهار المقصود هنا اظهار المنة وتنبيه من غفل
عن هذه الصفات وفوائدها كما مر **اقول** هذا زبدة القيل والقال هنا وتحت
الرغوة اللبن الفصيح فان هذا مع ما فيه من التكرار في التقصير محتاج للتنقيح والتغيير
فان وضع الظاهر موضع المضمر لا يخرجه عن الالتفات وان جاز ان يقال انه تجريد بناء
على عدم المغايرة بينهما ولما كان الكلام هنا ليس محل التأكيد لعدم جهل المؤمنين
وترددهم في مضمونه احتاج للتوجيه فتدبر او العرب على ان المراد بانفسهم جنسهم
وانه صلى الله عليه وسلم عربي مثلهم وقد رجح هذا اكثر المفسرين لتبادره ولان
قوله بعده فان تولوا فقل حسبي الله يدل على عموم اختصاصه بالمؤمنين وقول ابراهيم
عليه الصلاة والسلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم قد فسر بما ذكر لان ضمير
منهم عائد على الامة المسلمة السابقة في قوله من ذريتنا اي ابراهيم واسماعيل
اذ لا امة من ذريتهما الا العرب كما قيل واحتمال اختصاص بعثته صلى الله عليه
وسلم بهم مدفوع بالقرآن والادلة القاطعة وهذا لان العرب كلهم من ذريته

اسمعيل

اسمعيل عليه الصلاة والسلام والصحيح عند اهل التاريخ خلافه قال ابن قتيبة في كتاب تفضيل
العرب اسمعيل ليس اول من نطق بالعربية لان العرب من ولد قحطان وهو اول من تكلم بالعربية
حين تبلبلت الالسن ببابل وسار حتى نزل باليمن هو واولاده ثم نطق بعده ثمود بلسانه وتحمس
حتى نزل بالحجر وكان منهم تسعة قبايل قديمة فنفقت السنتهم بالعربية وبعث فيهم هود وصالح
وشعيب عليهم الصلاة والسلام ولما ابوا الله اسمعيل الحرم وهو صغير وانبط له زمزم
مرت به رفقة من جرهم فراوا ما لم يكونوا راوه فاخبرتهم امه بنسبه وحاله فتبركوا
به وبمكانه ونزلوا معه فنشا اسمعيل عليه الصلاة والسلام معهم بين ولدانهم وتكلم
بلسانهم فانكحوه منهم وقالوا نطق بالعربية ثم غيروه فنقلوا العربية لسان العجم
ويقال لهم العرب العاربة ولغيرهم المتعربة والمستعربة الداخلة في العرب كثيرة
وبعض انتهى والذي قاله الازهري كما مر انهم نزلوا ببقعة او سكنوا بلدة يقال لها
عربة فسموا بها عربا واهل مكة لانهم اقرب نسبا اليه صلى الله عليه وسلم او لانهم اول
من جا اليه او لانهم اشرف العرب وخواصهم فهو خيار من خيار وهذا لا يقتضي تخصيص
بعثته صلى الله عليه وسلم بهم لان التخصيص المذكور لا يفيد الحصر وانما يقتضي الترجيح وعموم
الرسالة مخصوص به صلى الله عليه وسلم كما صرحت به النصوص واتفقوا عليه ولا يرد
عليه ان نوحا عليه الصلاة والسلام كان مبعوثا لاهل الارض كافة بعد الطوفان لانه
لم يبق على الارض الا من كان معه فعموم رسالته لهم لعدم وجود غيرهم كادم صلى
الله عليه وسلم واما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من اصل بعثته على ان
دعوة نوح عليه الصلاة والسلام لم تعم من بعده وكون نوح عليه الصلاة والسلام
اول الرسل كما ورد في الحديث الصحيح فقد بينه شراح البخاري بما لا مزيد عليه
واستدل لعموم رسالة نوح صلى الله عليه وسلم بدعايه على جميع اهل الارض حتى هلكوا
غير اهل السفينة **واجيب** بجواز بعثة غيره في زمانه وعلمه بانهم لا يومنون
به فدعا على من لم يومن من قومه وغيرهم الا انه لم ينقل لنا وايضا شريعة نوح عليه
الصلاة والسلام لم تبق الى القيامة لنسخها وقال ابن عطية انه دعا قومه للتوحيد
وبلغهم فاشركوا فدعا عليهم لانه عليه الصلاة والسلام لطول مدته اشتهر امره في جميع
الارض وقال ابن دقيق العيد رحمه الله الدعوة للدعوة يجوز ان تكون عامة في حق بعض
الانبيا عليهم الصلاة والسلام وان لم تعم فروع شريعته لان منهم من قاتل غير قومه
على الشرك وهو كلام حسن او جميع الناس من بني ادم الموجودين في عصره ومن بعدهم الى
يوم القيامة لا من تقدمه لان المذكور هنا ليس البعثة وحدها بل بعثته لمن صعب عليه
عنته وحرص على هدايته لشفقته التامة عليهم وقد رجح بعضهم هذا التفسير على
غيره لما في الثلاثة الاول من ابهام الاختصاص واندفع بان الادلة قد قامت على خلافه
وقد مر ان في الاول وضع الظاهر موضع المضمر لتشريفهم والاشارة الى مسمى ما ذكر ولذا
رجحه بعضهم وقد مر الكلام في ترجيح بعض هذه الوجوه والمنة عليهم بكونه من
جنسهم لمشاهدتهم معجزاته التي تدعوهم للسعادة مع ما فيه من الرفق بهم لان الجنس
لجنسه اميل وانس به ولذا قيل لو كان ملكا لهيبته لا صليه لم يتيسر لهم التلقي عنه
ولا التبس عليهم فان قلت ما وجه قول بعض الشراح المراد بالناس جميع المكلفين

عرضي

فتشمل الجن وقد صرح في القاموس باطلاقه عليهم قلت قد صرح به جماعة من اهل اللغة والتفسير
وصرح به ابن خالويه رحمه الله والعرب تقول ناس من الجن وفي الحديث جاء قوم فوقفوا فقيل
لهم من انتم فقالوا اناس من الجن ولذا جوز بعضهم في قوله تعالى من الجنة والناس ان يكون بيانا
للناس ومن الغريب قول السبكي انه مشترك بينهما فتارة يكون بمعنى الانسان واصله اناس
وتارة يكون شاملا لهما واصله على هذا نوس بمعنى تحرك وقيل الناس هنا شامل لمن تقدم وعهد
الرسالة بنظر دقيق والظاهر على الثلاثة الاخيرة انه نزل الكل منزلة الجاهل فاعلمهم او العالم
فقصد اظهار المنة او غلب وقيل قصد اعلام الجاهل واظهار المنة للعالم وفي صحته نظر
**اقول** وجه جعل المجيء شاملا لمن تقدم انه اخذ منهم الميثاق على ان يؤمنوا به
ويخبروا اممهم بانه سيبعث فلما جاءهم خبره جعل كانه جاءهم حقيقة اولانه
سيشفع لهم في المحشر فكانه مجيبه لهم كغيرهم ولا يخفى بعده وان صح ثم ان اعلام الله
بفائدة الخبر ولازمها اذا كان لكثيرين لا مانع من قصد اعلام بعض والامتنان على
بعض كما انه لا مانع من قصدهما معا للجميع بان يعلمهم بما فيه نفع عظيم ويمتن به
فالتردد في صحته لا وجه له على اختلاف المفسرين اي اعلاما مبنيا على اختلافهم في اختيار
بعض لبعض هذه الوجوه واخر لاخر لما بدا لهم من وجوه الترجيح كما اشرنا اليه من المواجه
بهذا الخطاب من بفتح الميم اسم استفهام ونونه مكسورة لالتقاء الساكنين وكونه بكسر الميم
حرف جر بيان للمؤمنين اي من الذي وجه اليهم الخطاب بعيد غير لائق والمواجه بفتح الميم
اسم مفعول مرفوع خبرا او مبتدا على القولين والمواجه المخاطب لمقابلة وجهه لوجهك
والخطاب مصدر خاطبه اذا شافهه بالكلام ويطلق على توجيه الكلام للغير وعلى الكلام
الموجه وعلى ما يدل عليه كالكاف ويصح ارادة كل منهما هنا وعلى ما مر متعلق بمقدر
صفة او خبر مبتدا مقدر اي هذا او ما ذكر مبني الخ واصله في جواب القايل من المواجه
الخ والاختلاف مصدر متعد بالحرف يقال اختلف في كذا اي الاختلاف فيما مر من التخصيص
والتعميم فالمطلوب تعيين احد الوجوه للسايل وهو كما قيل معلق عنه عامله
وان تعدى بالحرف تعليق افعال القلوب اما لتضمنه معنى العلم كما قالوه في قوله
تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا او على قول يونس بجريه في جميع الافعال والجملة
الاستفهامية مستانفة كما في قوله تعالى ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين
من فرعون في قراءة من فتح الميم فمتعلق الاختلاف متروك او مقدر كانه لما ذكر الاية
قيل فيما اختلفوا فقيل في جواب القايل كما قدروه وقد قيل عليه انه مع سماجته فيه
ان هذا السؤال المقدر لا يتولد من ذكر الاختلاف وايضا المص رحمه الله لم يقصده
وليس مراده في هذه الاية الى اخر ما طوله بغير طايل مع ذكره اموراً مفصلة من العربية
ليس هذا محلها والخلاف والاختلاف متقاربان الا ان علماء الحنفية فرقوا بينهما
كما ذكره الخصاف في ادب القضاء فقال الخلاف ما وقع في محل لا يجوز فيه الاجتهاد
وهو ما كان مخالفا للكتاب والسنة والاجماع والاختلاف بخلافه بان يكون في محل
يجوز فيه الاجتهاد فالاول لو حكم به قاض ورفع لغيره يجوز له فسخه بخلاف
الثاني وهذا معنى قولهم خلاف لا اختلاف انه بعث فيهم رسولا من انفسهم ان بالفتح
وهو مع ما بعده ساد مسد مفعولي اعلم وان كان مصدرا مفردا بحسب التاويل الا انه

لاستماله

سعيد

دلجي

حنبلي

عرضي

لاشتماله على النسبة في حكم الجملة فليس كالمصدر الصريح من جميع الوجوه كما بينه النحاة كما ذكروه
وقد اوردناه بالتاليف في الرسايل ولذا قال المحققون انه لا يحتاج لتقدير مضاف اذا وقع خبرا
كما توهموه وانفسهم هنا بضم الفا جمع نفس والضمير في بعث راجع لله وكونه انه بعث الخ بدلا
من قوله لهذا الخطاب بدل كل او اشتمال تكلف غير محتاج اليه وهذا جار على الوجوه كلها فان كان
الخطاب للمؤمنين فالمراد بكونه من انفسهم انه على كل نبيهم ومعتقدهم وان كان للعرب فالمراد انه
من صميمهم وبني عمهم وان كان لاهل مكة فالمراد انه نشا من بينهم وبين اظهرهم وان كان
للناس فالمراد انه من جنسهم وليس هذا على بعض الوجوه كما توهم وفيه اشارة الى سر في من
بعث منهم ومن هنا تعلم ان شموله للجن غير مناسب للمقام يعرفونه بيان لفايدة كونه منهم عوضي
وهو معرفتهم لذاته وصفاته واحواله وذكره في الكتب القديمة وتواتر اخباره وامارة النواه
وهذا جار على الوجوه كلها ايضا والمراد بالمعرفة المعرفة بالفعل او بالقوة لان عندهم ما لا
يخفى في ذلك وبالفعل على التغليب ولم يرد معرفة نبوته حتى يكون كفرهم عنادا كما قيل وان ولجي
صح بالتاويل السابق ويتحققون مكانه اي قدره ورتبته ويحتمل ان يراد محله الحقيقي
خصوصا اذا كان الخطاب لاهل مكة وهذا ليس تحته كبير فايدة الا ان يكنى به عن معنى بعيد
مثل انهم يهابونه ولا يقدرون على اذيته او انهم يعلمون انه صلى الله عليه وسلم لم يأخذ
ما لجابه عن احد وفي نسخة مكانته بالتا وهي اولى لان المكان يستعمل في المكان الحقيقي والمجاز
بخلاف المكانة فانها تختص بالثاني كما صرح به اهل اللغة فكان التاء فيه للنقل وهذه النسخة
انسب بالمقام ويقوله يتحققون قدره ويعلمون صدقه وامانته لانه صلى الله عليه وسلم
كان معروفا بذلك حتى كان يدعى قبل البعثة بالامين وتوضع عنده الودايع والامانات
وهذا على اطلاقه من غير نظر لدعوى النبوة ولما قبلها فلا حاجة الى ان يقال المراد ما بعدها
ويؤيده حديث هرقل مع ابي سفيان رضي الله عنه المذكور في الصحيحين ولا يتهمونه
بالكذب اي لا يصفونه به ولو افتراء وتهمة لانه نشا بين اظهرهم وجربوه فلم يسمع من احد
منهم ما يتهمه به ولذا قال هرقل في حديث البخاري ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب
على الله تعالى وهم يتهمونه بمعنى غلط او ظن واتهمه ادخل التهمة عليه او نسبها له وفي
القاموس تهمه كفرح ما يتهم به وفي التقريب انه هاه قد تسكن وفي النهاية التهمة
ظنك فيه ما نسب اليه والبا في بالكذب للسببية او للملابسة اي لا ينسبون اليه ولا يظنون
ملابسته بالكذب او لا يتهمونه بسبب الكذب وقيل انها للتعدية وترك النصيحة لهم
ترك بالجر معطوف على الكذب اي لم يتهمه احد بترك النصيحة حتى كانوا يرجعون
اليه في مشكلهم ومشاورتهم قبل الدعوة للنبوة والنصيحة ضد الغش وفي معناها
لغة اختلاف فقيل وهو الاشهر معناها الخلوص يقال نصحه اذا اراد له الخير واظهره
وغشه في ضده ومنه التوبة النصوح وهي الخالصة ظاهرا وباطنا الذي لا يرجع صاحبها
عنها اصلا ورايت في فتاوى ابن تيمية ان من الناس من قال ان نصوحا اسم رجل كان
في زمن عيسى صلى الله عليه وسلم تاب توبة مشهورة فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوب
الناس توبة كتوبته قال وهو كذب من قايله اذ لم يسمع باحد سمي نصوحا في الاعصر
المتقدمة ولم ينقل هذا احد من المسلمين فضلا عن العلماء وانما ذكرت هذا لاني
سمعت بعض جهلة الوعاظ من الروم يذكرونه في مجالسهم فاياك ان تغتر بمثله لكونه

منهم متعلق بيعرفون او به وبما بعده على التنازع لانه تعليل لمجموع الكلام او هو خبر مبتدا اي
وهذا لكونه الخ وهو جار على الوجوه كلها وقيل انه متعلق بيعلمون فان القريب يعرف حال
القريب او بلا يتهمونه فيكونون لبلائه وقد مر ان الكلام يحتمل ان المراد انهم يعلمون نبوته
صلى الله عليه وسلم بالقوة او بالفعل وقد تقدم ما فيه فتذكر وانه لم يكن في العرب قبيلة
الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة انه بالفتح وهو وما بعده في محل
جر عطف على كونه وهو عطف مغاير او تفسيري تفصيلي وهذا اولى من عطفه على انه
الاول لبعده ولانه لم يتعلم به الابتكلف بان ينزل وقوعه منزلة الاعلام وقبيلة بفتح القاف
بنو اب واحد وجمعه قبيل وقيل هما بمعنى وهو الجماعة وقيل بينهما فرق فالاول بنو اب
واحد والثاني من آبا مختلفة او هو اعم وطبقات انساب العرب ستة وهي الشعب بالفتح وهو
اكبرها ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهي العشيرة وقد نظمها الناظم
في قوله

شعب بفتح الشين والقبيله ۝ من بعدها عمارة اصيله ۝
وهي بكسر العين تروى ثم قل ۝ بطن وفخذ بعدها ولا تحل ۝
وسادس فصيلة تروونه ۝ وهي العشيرة التي تليه ۝

والشعوب بضم العين جمع شعب بفتحها في العجم والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في العرب
ولذا قيل لمن يفضل العجم على العرب شعوبية ونسب له وهو جمع لانه كانصاري وقوله
الا ولها الخ يعني بان في كل قبيلة من العرب له صلى الله عليه وسلم اب او جد او ام
او جدة بدون واسطة او بواسطة وفي هذه الجملة الواقعة بعد الا مع الواو قولان
فذهب الزمخشري الى انها صفة والواو لالصاقها بالموصوف تشبيها لها بالحال والجمهور
على انها حالية والمعنى لم تكن قبيلة على حال من الاحوال الا على هذه الحال من اتصال
النسب لامتناع الواو والتوزيع في الصفات كما فصل في محله والمراد بالقرابة القرب من
عمود النسب الفرعي والاصلي مطلقا الا انها في العرف اذا اطلقت خصت بالفرعي ولذا لو
اوصى او وقف على اقاربه لم تدخل فروعه واصوله والفرق ظاهر بينه وبين اقرب
اقاربه والقرابة بالفتح تكون مصدرا بمعنى القرب يقال هو ذو قرابة ولا يقال من
قرابتي لانه خطأ او يكون اسم جمع بمعنى الاقارب وانكار الحريري له في الدرة يتبارده
في شرحها والمراد في عبارة المص رحمه الله بالقرابة المعنى العرفي لانه لو كان بمعناه
الحقيقي لغة لزم عطف العام على الخاص باو وهو انما يكون بالواو وكعكسه وفي شرح
السيد انه يكون باو نادرا والاول هو المعروف عند النحاة كما في المغني وغيره وقوله
لم يكن في العرب الخ ورد في الاثر كما اخرجه ابو نعيم في الدلائل من طريق الكلبي عن ابي
صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الاية قيل ومثله لا يكون من قبل
الراي فهو في حكم الحديث الموضوع وفيه بحث الا انه سيأتي رفعه ايضا واخرج
البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن بطن من قريش الا وله صلى الله عليه وسلم
به قرابة كما قال حسان رضي الله عنه ۝

وسط نسبي الذوائب منهم ۝ كل دار فيها اب لي عظيم ۝

ووقع في بعض نسخ الشفا عند بعض الشراح هنا زيادة وهي قوله وهو عند ابن عباس

احد رسلان

وغيره

وغيره معنى قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال السيوطي رحمه الله
في تخريج احاديث هذا الكتاب ان هذه الطرق كثيرة استوفيناها في الدر المنثور منها ما اخرجه
البخاري من طريق طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكن
بطن من قريش الا كان لي فيهم قرابة الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة واخرج الطبراني
نحوه من طريق سعيد بن جبير عنه فالقربى على هذا قرابة اهل مكة خاصة وعلى ما رواه
ابو نعيم في الدلائل كما مر قرابة جميع العرب لاتصال نسبه صلى الله عليه وسلم بهم كما
مر فمعنى الاية عند ابن عباس رضي الله عنهما الا تودوني لاجل القرابة بيني وبينكم والخطاب
لقريش خاصة لما رواه الضحاك من ان المشركين كانوا يؤذونه فنزلت وما روي من انها
نزلت في آل البيت خاصة فقال ابن حجر انه موضوع وفي الصواعق اخرج احمد والطبراني
وابن ابي حاتم والحاكم عن ابن عباس ان هذه الاية لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك
هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وفي سنده شيعي غال لكنه صد
وروى ابو الشيخ وغيره عن علي كرم الله وجهه قال فينا آل حم آية لا يحفظ مودتنا الا كل مؤمن
ثم قرأ قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى وما روي من انها نزلت في الانصار لانهم لما
قدم المدينة قالوا له يا رسول الله انك تنوبك نوائب وقد جمعنا لك ما لا نستعين به
عليها فنزلت قال ابن حجر انه ضعيف ويبطله ان الاية مكية واقوى ما ورد في سبب نزولها
ما اخرجه قتادة من ان المشركين قالوا لعل محمدا يطلب اجرا على ما يتعاطاه فنزلت وهذا
يحتمل ما قالوه في سبب نزولها وقيل الاية مدنية والذي صححه ابن حجر خلافه وفي قوله
في القربى تعليلية كما في ان امرأة دخلت النار في هرة الحديث او هي للظرفية المجازية
وهو حال او صفة ان جوزنا تقدير المتعلق معرفة فكان القربى ظرفا للمودة واعلم
انهم اختلفوا في هذا الاستثناء هل هو متصل او منقطع فقيل انه متصل والاية
منسوخة بقوله قل ما سألتكم من اجر فهو لكم وقيل هو منقطع لان الانبياء عليهم الصلاة
والسلام لا يبغون على تبليغهم اجرا فالمعنى اني اذكركم المودة في القربى وفي زاد المسير
انه اختيار المحققين ولا يسوغ به نسخ وفي شرح البخاري ان الاية نزلت لاستكفاف شر
الكفار فهي منسوخة باية القتال وهو لا يتم على كونها مدنية ويعضد الانقطاع ما في
الكشاف من ان المودة ليست اجرا حقيقة لان قرابته قرابتهم وصلته لازمة لهم مروءة
وهو مقتضى السياق فما في بعض الشروح من ان الصحيح الذي يرتبط به كلامه ما اخرجه
البخاري من انه لم يكن بطن من قريش الا وله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة لا ما
ذكره المص رحمه الله كما اخرجه ابو نعيم ليس بصحيح وفيما ذكره الزمخشري نظر
اذ لزوم انتفاء شيء لاحد لا ينافي كونه اجرا مطلوبا بعمل نعم المتبادر من الاجر انه
ما لا يستحق الا بالعمل وما لزم بدونه لا يسمى اجرا والثواب لازم للعمل فيه وقد ذهب
بعضهم الى جواز الوجهين فان نظر الى الظاهر وان المراد بالاجر مطلق ما يترتب على شيء
او بالمودة لوازمها يكون متصلا وهو المراد في هذه الاية وان اريد حقيقته فهو
منقطع وهو المنفي في الاية الاخرى فلا منافاة ولا نسخ وهو كلام حسن اقول
هذا زبدة ما يحتمله التتبع وقد ظهر لك منه جواز الوجهين وان المودة اما مودة
اقاربه له او مودة بعضهم لبعض وما طلب اجره تبليغ الرسالة واداء الامانة

وهو صلى الله عليه وسلم لحرصه على هدايتهم وشفقته عليهم يعد ما ينفعهم نفعًا له
لما فيهما من كثرة اتباعه وقوة شوكته والقربى ذوي القرابة القريبة او البعيدة
كما قيل [illegible]
اذا كان اصلي من تراب فكلها ٥ بلادي وكل العالمين اقاربي ٥
فكلام المصنف رحمه الله منزل على الاقوال كلها والضمير في قوله وهو يندرج لجميع
ما ذكر قبله او للاخير فالاعتبار عليه ثم شرع في توجيه القراءة بالفتح الشاذة
فقال وكونه ولم يعطفه باو لتحقق المعنيين والقرائتين كما قيل وقد جوزوا
فيه ان يكون بالجر عطفا على مدخول اللام في قوله لكونه والنصب لعطفه على مفعول
اعلم او تعلمون والرفع على انه مبتدا خبره قوله نهاية الخ واقتصر عليه في المقتفي
واستبعده بعضهم ولا وجه له فان الدراية والرواية تؤيده لانه ابتدا الكلام
لبيان القراءة الشاذة ولذا اخره من انفسهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح
اي بناء على قراءة الفتح للفا وهذه المتعاطفات متضادة ولك ان تفسرها بما
يجعلها متقابلة والامر فيه سهل وافادة النظم لزيادة شرفه وفضله لانه
اخبار من الله الذي لا يتوهم عاقل خلافه فلا يرد عليه ما قيل من ان المبني على
القراءة كونه معلما به ومرادا من فحوى النظم لا اصله ولا ما توهم من انه الامر
كذلك قطعا فلا يبني على القراءة الشاذة نعم يرد على رفع كونه ويدفع بالتاويل
وكذا ما قيل انه مبني على القراءة المتواترة ايضا فلذا قدمها وهو طاهر
السقوط بضير دفع وهذه اي المنقبة والصفة الجميلة التي تضمنتها الاية
على هذه القراءة او على القرائتين او هذه الاية باعتبار ما تضمنته وكون
الاشارة للوصف بالانفسية والتانيث لرعاية الخبر تكلف لما يحتاج للتاويل
من غير داع له نهاية المدح في كتابه ولحصه المقصود منه وهذا يمكن عوده
الى القرائتين وان كان الظاهر الثاني فقط فعلى القراءة الاولى نهاية المدح
تعلق بالحسب والنسب لان العرب اشرف الناس وقد حازت كل قبيلة نوعا من
ذلك فمن انفسل بجميعهم حاز جميع محاسنهم وحلاوة السنتهم فكان
صلى الله عليه وسلم منهم كلهم وهذا هو المقصود بكونه منهم وكذا اذا
قلنا المراد جميع الناس فان توهم خلافه في قولك هو واحد من الناس
او من بني فلان ونحوه وعلى الثاني هو نهاية النهاية لانهم انفس الناس
وهو اجلهم وافادته لهذا من بديع الكناية على نمط قوله عز وجل كانت
من القانتين وقوله فلان من العلما فانه ابلغ من كانت قانتة وفلان
عالم فلذا عدل عنه مع انه اوجز لا فادته انه مع اتصافه به له قدم راسخ فيه
لا دخيل كما قلت مثلك لا يبخل كما في شرح المفتاح وهو ماخوذ من كلام ابن
جني في المحتسب وعبارته العرب تفخم لفظ مثل توكيدا وسببه انهم يريدون
جعله من جماعة هذه اوصافهم تثبيتا للامر وتوكيدا له ولو كان فيه
وحده لعلق منه موضعه ولم يترسخ فيه قدمه ولم يومن عليه انتقاله
الى ضده ومثله قولهم في مدح الانسان انت من القوم الكرام اي لك في

الفضل سابقة واول وانت مقيم عليه محفوف به لست دخيلا فيه من غيرا ول ولا اصل
فيعنني بنوك عنه ولما اريد مثل هذا في الثنا على الله ولم يجز ان يكون تابعا فيه لسلفه
ولا موجودا فيه نظير عدل وا به الى وجه ثالث وهو ان يجعل قديما وراسخا عليه فكان
اثبت له وذلك نحو وكان الله سميعا بصيرا انتهى اذا عرفت هذا فقول بعض الشراح هنا
انه يفهم من هذا الاعلام امران كونه من اشرفهم لان من كان اشرف وهو رسول الله فهو اشرف
من الاشرف وهو نهاية المدح بالنسبة لغيره فلا يرد عليه ان كونه من جملة اشرفهم ليس
نهاية المدح انتهى ليس بشيء فانظر الى هذا مع سماجته وافلاسه من افادته وانظر بعين
الانصاف لا بعين الرضا فيما قلناه واعلم ان دخول من على افعل التفضيل كما في عروس
الافراح على وجهين الاول ان يكون جماعة فاضلة مستوية الرتبة في زيادتها على
غيرها فنقول في كل منها هو من الافضل ولا يقال ذلك عند تفاوتها الثاني ان يكون
نوع افضل الانواع فيقال في كل فرد منه انه من الافضل كما في قوله من انفسكم
على قراءة الفتح فتنبه لهذه الدقيقة انتهى **اقول** هذا على ما قاله انما يفيد مدح
قوم النبي صلى الله عليه وسلم اولا ولا يلزم من شرف قوم شرف جميع افراده كما لا يخفى فالحق
ما قدمناه فانه النفيس واعجب من هذا ما قيل ان في كلام المص رحمه الله تجاهلا لان
ما في الاية على هذه القراءة ليس نهاية المدح لان قولك هو انفس الخلق وافضلهم ابلغ
منه مع ان الخطاب لم يشمل الانبيا عليهم الصلاة والسلام وانما يتم اذا كانت من بيانية
لا ابتدائية او تبعيضية كما هو المتبادر فكونها نهاية مدح في القران فيه خفا الا ان يراد انه
مبالغة اريد بها الكمال انتهى فانظر فانه مع عدم وقوفه على مراد المص رحمه الله لا يحتمل
له ويقتضي ان الاية فيها عدول عن الابلغ وهذا مما يقضي منه العجب تنبيه قال
بعض الفضلا هنا في حديث انا افصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش اي افصح من نطق
بالضاد العربية وبيد بمعنى من اجل ولا يلزم من كونه من قريش الذين هم افصح العرب ان
يكون افصحهم وممد وحا بالفصاحة وقد تردد ذهني فيه زمانا حتى رايت الفاضل الكوراني
في شرح جمع الجوامع قال بعد ما ذكر الحديث وان بيد بمعنى من اجل وفيه نظر قوي وهو
ان كونه من قريش لا يقتضي كونه افصح من قريش فالحق انها بمعنى غير من المدح الذي
يشبه الذم **اقول** هذه غفلة على غفلة لانه ترك اخر الحديث وهو وتربيت في بني
سعد والذي صححه ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي انا سيد ولد ادم بيد اني من
قريش ونشات في بني سعد واسترضعت في بني زهرة ويروى انا افصح العرب الى اخره
واللفظ الاول مقلوب فانه نشا في بني زهرة واسترضع في بني سعد واما انا افصح
من نطق بالضاد فلم يصح يعني انه اتفق لسانه في قبيلتين هما افصح العرب والجمهم
مخارج اللسانين المليحين وكل احد انما يعوق في لسانه قومه فقط فلزم منه ان
يكون افصح من جميع العرب ثم ان ما ظنه منجا الا منجا فيه فانه لا يفيد اولا كونه
افصح سائر قريش فقد وقع فيما فر منه ثم ان شيخنا الشهاب احمد بن قاسم رحمه
الله في الايات البينات ذكر كلام الكوراني ورده على عادته في التعقب عليه انتصارا
للجلال بما حاصله ان فيه جملة مقدرة ومثله كثير تقديرها وانا افصح منهم وزاد
في الطنبور نغمة لا تطرب ولا تضحك ثم وصف بعد ذلك الاعلام المذكور باوصاف

ابن الحنبلي والعرضي

كلام في شرح قول الملخص مراجل العلوم

ابن الحنبلي والعرضي

ونشات

حميدة اي محمودة او حامدة على التجوز في النسبة واثني عليه بمحامد كثيرة قيل ثم هنا بمعنى الفا
كما في قوله جري في الانابيب ثم اضطرب لعدم الفاصلة بين الاعلام والوصف فالترتيب في
الاخبار دون الحكم كما قاله النحاة ورده ابن عبد السلام في كتاب المجاز بان في صحته نظرا
لان الترتيب فيه ان ثم لا يفيد التراخي الا بتعسف يترجح لغيره من الوجوه فالاحسن ان يقال
انها للتفاوت الرتبي لان بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام واتباعهم نعمة عظيمة لكافة
الخلق وحرصه على هدايتهم وتسفقته دونها بمراتب ولك ان تقول وجه ما قاله النحاة
ان الترتيب المذكور لما كان على ما تقتضي من الالفاظ يعطي حكم البعيد كما قرره الزمخشري
في الاشارة اليه بذلك في قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه على انه ما ذكر كل منهما امر ممتد
رد لابن عبد السلام
يجوز عطفه باعتبار اخره بالفاء وباعتبار غيره بثم كما قالوه في قول السكاكي فاصبح ثم
ليقل فهو تاسيس لا تاكيد والاوصاف جمع وصف بمعنى الموصوف به لا المصدر وحميدة
بمعنى محمودة عند الله والناس والمحامد جمع محمدة وهي المحمود به ايضا والثنا
بالمحامد لا يغاير الوصف بالصفات الحميدة ولا يعاب مثله في مقام الخطابة مع انه لما
كانت الاوصاف جمع قلة عقبه بجمع الكثرة دفعا للايهام والاول مطابق لظاهر الاية
والثاني لما تضمنته مما لا يحصى من حرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم ورشدهم
والاسلام ثم هو بيانية مبينة لما قبلها من الاوصاف وما بعده والحرص فرط الشره وقيل
هو الشح على الشيء ان يضيع وفيه نظر والمراد به هنا شدة الطلب لما يريده وتحبه ه
والهداية الدلالة مطلقا او الموصلة وقيل المراد بها هنا الاهتدا لعطف الرشد عليها
وقيل المراد ما قاله الاشاعرة من الهاخلق الاهتدا الى الايمان لا الدعوة اليه والطاعة
كما ذهب اليه المعتزلة لان حرصه صلى الله عليه وسلم ليس على الدعوة التي على عادته
ولا يخفى ما فيه وحرصه صلى الله عليه وسلم على الدعوة المراد طلب تاثيرها لا مجردها
والرشد وان كان عند العرب هو الهداية فينبغي تفسيره بالصلاح ظاهرا وباطنا ه
لتغايرهما كما يقتضيه ظاهر العطف وههنا بحث وهو ان ابن عبد السلام رحمه الله
الرشد
قال في القواعد في قوله تعالى فان انستم منهم رشدا اظهر الاحكام تنبني على ظاهر
الامر حتى يظهر خلافه وما يبطله لانه لو شدد بطلت التجارات والمعاملات وهذا
يشكل على اشتراط الشافعية في الرشد حسن التصرف في المال والصلاح في الدين بحيث
لا يلم بكبيرة ولا يصر على صغيرة فان اجماع المسلمين على معاملة المجهولين والحكم
لهم وعليهم وقبول اعتاقهم وهداياهم مما يأباه والاية لا تدل على ما ذكروه والعجب
تنبيه
من الامام فانه قال في النهاية اذا بلغ الصبي ولم يوجد منه ما يخالف الرشد انفك
الحجر عنه **اقول** قد رد كلام الفقها بوجوه ثلاثة مخالفة الاجماع ونص القران
ومنافقته كلام النهاية له مع انه تبعهم فيه فكلامهم فاسد والله يعلم المفسد من
المصلح فان الذي قالوه معنى الرشد وحقيقته وهو صلاح الدين والدنيا بلا شبهة
والمشروط في الاية استيناس الرشد وهو كما قاله المفسرون احساسه وابصاره
وذلك بظهور اماراته فمآله النظر لظاهر الحال وهو الذي عول عليه الفقها
واشار اليه في النهاية فلا مخالفة بين ما قالوه والاسلام معروف وهو معا بين
لما قبله ولذا عطف بالواو ثم انه قيل ان المهم قدم هذه الصفة مع تاخرها في الاية

لان

لان المقام مقام مدح وهو في الحرص اتم واكمل وسياق الاية للامتنان وهو كونه يعز عليه
حالهم فاشار الى تفاوت المقامين فان قيل المنة في الحرص اتم قلنا مسلك الاية على الترقي وما
هنا تخلاف فهو للتفنن فتدبر وتدبر مقاصد المصنف رحمه الله ولطف نظره او يقال لما كانت العترة
منشا الحرص صلى الله عليه وسلم قدمت في الاية على وفق الواقع لبيان حاله في ابتدا امره فلما
حكاه المصنف رحمه الله بيانا للحاصل قدم المقصود بالذات الذي به الحمد ثم انه جعل متعلق
الحرص في كلامه هدايتهم للايمان وصلاح شانهم كما ذهب اليه المفسر وتدل لدلالة السياق عليه
ولقوله في غير هذه الاية ان تحرص على هداهم فان القران يفسر بعضه بعضا والحرص لا يتعلق
بالذوات وشدة ما يعنتهم من الاعنات قال الله تعالى ولو شاء الله لاعنتكم او من التعنت
وبكل منهما روي كلام المصنف واثبتهما اهل اللغة فقالوا يقال عنته واعنته والعنت
المشقة او الوقوع فيها ويجي بمعنى الاثم والفساد والهلاك وقد اعترض صاحب المواهب
رحمه الله على عبارة المصنف رحمه الله هذه بان ظاهرها ان قوله شدة معطوف على مجرور
على التي تعلقت بالحرص ولا يستقيم عليه المعنى ولذا قيل انه بتقدير مضاف مجرور
معطوف على الحرص المجرور وبمعنى اي وكراهة شدة الخ **اقول** هو كما قال المعطوف على
حرصه ولكن لا حاجة فيه الى تقدير لان معنى شدته عليه انه صعب شاق عليه فيراد به
انه مكروه تاباه نفسه فالمعنى من حرصه على هدايتهم ومن كراهته لما يضرهم وصاحب المواهب
لم يجعله عليه القطع ولكن اوقعه التقدير فيما وقع فيه وعزته عليه الاتي معطوف
عليه وقد تنازع الشدة والعزة قوله عليه وما موصولة او مصدرية وفي قول المصنف
المذكور اشارة الى جواز الموصولية فالتقدير ما اعنتموه لا ما اعنتم به لان حذف العائد
المجرور ضعيف فما قيل من ان المصنف رحمه الله اشار الى ان المراد في الاية ما عنتم به وقد
جعلت ما مصدرية اي عنتكم فيتفاوت المعنيان وان تلازما لا وجه له قال في
المصباح نعتته ادخل عليه الاذى واعنته اوقعه في العنت وفيما يشق عليه تحمله
انتهى ويضرهم في دنياهم واخراهم يضر بفتح اليا وضم الضاد المعجمة مضارع ضر وروي
بضم اليا وكسر الضاد مضارع اضر لانه يقال اضره واضر به اوقعه في الضرر والدنيا
يقال في مقابله اخره واخرى كما في عبارة المصنف وعزته عليه عطف على شدة عطف تفسير
كقوله انما اشكو بثي وحزني وفيه اشارة الى تفسير عزيز في الاية وانه من عز عليه
كذا اذا صعب وشق كما قال ۞ ۞ ۞
۞ بعز علينا ان نفارق من نهوى ۞ وله معان اخر مفصلة في كتب اللغة تركها لعدم
مناسبتها هنا قيل كان المناسب للتفسير وعطفه ان يؤخروا لاشهر الاظهر فيقول عزته
وشدته لكنه عكس للمبادرة لما يعتمد المراد حتى يسلم السامع من عنت الانتظار ولا
حاجة لجعل الشدة غير العزة للتنازع في عليه فان التفسير لا ينافي التنازع ورافته
صلى الله عليه وسلم ورحمته بمؤمنيهم معطوف على حرصه وقوله بمؤمنيهم متعلق
بما قبله على التنازع ولا تنازع في الاية الا على راي من يجوز التنازع في المتقدم
والرافة مع الرحمة حيث وقعت مقدمة لا للفاصلة كما قاله القاضي ومن تبعه
لوقوعه كذلك في الحشر كقوله رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها بل لان اصل
معنى الرافة التلطف والشفقة ويقابلها العنف والجبروت كما يشهد له كلام فصحا
العرب كقول قيس الرقيات ۞ ملكه ملك رافة ليس فيه ۞ جبروت لهم ولا كبريا ۞ ۞

سيد

عزيز

رد على البيضاوي

فلذا قدمت على الرحمة بمعنى الانعام كما في المثل الايناس قبل الابساس والذي عن بعضهم قولهم في كتب اللغة الرافة اشد الرحمة كما في الصحاح وغيره والرحمة في كلامهم بمعنى رقة القلب في حق البشر وهي في حقه تعالى بمعنى الانعام او ارادته نظرا لغايتها وقد قلت هذا بطريق البحث ثم رايت الامام القرطبي قال في شرح الاسما الحسنى ما نصه قال الله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة الاية وحيث ذكر هذان الوصفان قدم الروف على الرحيم في الذكر وسببه ان الرحمة في المشاهد انما تحصل بمعنى في المرحوم من فاقته وضعفه وحاجته والرافة تطلق عندنا على ما يحصل الرحمة من شفقة على المرحوم وقال المشايخ الرؤوف المتعطف والذي جاد بلطفه ومن تعطفه فحمدت الله على موافقة الصواب ثم ان اضافة مومنيهم للضمير ظاهر في ان الضمير ليس للمومنين فقط ودخوله تحت قوله السابق اعلم الله انه يشعر بان رافته ورحمته صلى الله عليه وسلم بمومني المخاطبين على الاقوال كلها حتى على القول بان المخاطبين المومنين وبينهما تدافع كما قيل ودفع التدافع بان الاضافة بيانية اي بالمومنين الذين هم المخاطبون واتى بالظاهر ليبين علة الرافة والرحمة ولو قال بهم لفات هذا او قصد عود الضمير على من ذكر غير المومنين في الوجه الاول ولا يخفى بعده وركاكته والاولى ان يقال الضمير عايد على شي مفهوم من الكلام كالمخاطبين اي من ذكرا والامة وقال بعضهم القايل هو الحسين بن الفضل اعطاه اي اعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الاية تشريفا له صلى الله عليه وسلم اسمين من اسمايه روف رحيم الظاهر رفعه لموافقة النظم على انه خبر مبتدا مقدر اي هما روف رحيم ويجوز نصبه بمقدر وهو اعني ونحوه او على انه بدل من اسمين وجره على انه بدل من اسمايه والاسم يكون بمعنى العلم وما يقابل الفعل والحرف وما يقابل الصفة المشتقة والمراد هنا ما يطلق على ذات ومعنى صفة كان او لا وفي بدايع ابن القيم الاسما التي تطلق على الله وعلى غيره كحي عليم هل هي حقيقة في الله مجاز في غيره او على العكس او حقيقة فيهما اقوال ثلاثة اظهرها الاخير انتهى وقول المصنف رحمه الله اعطاه الخ فيه ميل الى القول الاول فان قلت كيف يصح ما قاله عقلا ونقلا وبعض الاسما مجاز فيهما كالنور وبعضها مجاز في الله حقيقة في غيره كالرحيم لان الرحمة رقة القلب وبالعكس كمالك الملك وقاضي القضاة قلت لم يعن بالحقيقة الوصفية اللغوية ولو اراد ذلك لم يصح بل العقلية او العرفية الشرعية وقيل المشتركة اسما كالعطايا لعدم تشاركهما في معنى وتقل عن الغزالي رحمه الله **فان قلت** كثير من اسما الله تعالى يطلق على غيره كحي وكريم وسميع وغيرها فكيف يكون هذا امرا خاصا به صلى الله عليه وسلم **قلت** قال الغزالي المراد ان الله تعالى اعطاه صلى الله عليه وسلم معنى من المعاني التي اطلق بها على الله فجعله صلى الله عليه وسلم متخلقا ببعض صفاته كما جعله متخلقا باخلاقه بوجه ما وان لم يكن على الوجه الاكمل اللايق بجناب العزة كما قيل

كلما يصلح للمولى على العبد حرام

والمقصود انه لما ذكر صلى الله عليه وسلم في القران وصفه بصفتين خلع عليه منهما خلعتي اكرام دال على تمييزه عما عداه وفي تفسير ابن المنير المسمى بالبحر الكبير **فان قلت** ما وجه اختصاصه صلى الله عليه وسلم بتسميته باسمين من اسمايه تعالى وقد سمى موسى عليه الصلاة والسلام كريما فقال وجاءهم رسول كريم وبالاعلى حيث قال لا تخف انك انت الاعلى وسمى ابراهيم عليه الصلاة والسلام حليما فقال في اية وبشرناه بغلام عليم وفي اخرى حليم **قلت**

ابن الحنبلي

[illegible]

وجه

الا هذا يوجد يكاد ولا القراة في متصل ونسق واحد سلك في معا ايرادهما الخصوصية وجه
وان وسلم عليه الله صلى مكانته على يدل بما تعالى الله اكرمه كرامة في لنفسه الله وصف في
وقعت تعالى باسمائه ختمت حيث القرانية الايات ان اعلم تتمة المراتب ساير فوق رتبته
يليق وجه على الصفة تلك في مبالغة فيفيد رحيم كغفور قبله ما معنى الى ما وكرر مكررة
لا ما لعزته يفعل قد العزيز لان وتكميل احتراس لافادة حكيم كعزيز له مغاير او بالربوبية
الاختصاص من فيه كان وسلم عليه الله صلى وصفه في خصايصه من هو ما اجرى فلما الحكمة تقتضيه
بدوده ووقع النسخ لبعض من هذا سقط قوله الاخرى الاية في ومثله تدبر يخفى لا ما بوجه
اقرا ترى كما بالنصب الاية انفسهم من رسولا فيهم بعث اذ المؤمنين على الله من لقد او
سوا جنسهم من هو قوم في مبعوث انه على الدلالة في لتلك مماثلة فانها واذكرها الاية
تفسير وفي ضرورة منهم كان اشرفهم من وسلم عليه الله صلى كان اذا لانه فتحت او القاف ضمت
فقد العلماء جاء وقد درس ولا قرا ما وانه حاله يعرفون جنسهم من انفسهم من المنير ابن
الخالق عند من خارق امر انه العاقل فيعلم فاخبر عليه هي ما على والاخرين الاولين سير
فلحد ما انتفى المقتفي يجعل ان يليق فكيف معجزته ووضوح حجته ظهور في ابلاغ كل ذلك
يتعرف لا الابهام في متوغل نكرة لانه مثله صفة الاخرى الاية في وقوله انتهى ويجدون
توهم كما حالا ذا يكون لا مثله لان الاصح على المبتدا من يجيء لا لانها بحال وليس بالاضافة
وما الاية في خبر مبتدا مثله يكون ان ويجوز خلاف بلا له مسوغة للنكرة ولو الاضافة لان
استكثارا النعم تعداد بمعنى ويكون يطلب لا من على او مطلقا الانعام والمن منهما بدل بعده
فيقبح الخلق ومن الشكر على ويبعثه العبد يذكر بمنه لانه الله من الا محمود غير وهو لها
من ان قيل حتى تستكثر تمنن ولا بقوله عنه وسلم عليه الله صلى النبي نهى ولذا مطلقا
ايضا حرام انه قيل ولذا غيره من مكروه وهو المن حرمة وسلم عليه الله صلى خصايصه
صدقاتكم تبطلوا لا تعالى قال كما الصنيعة تهدم المنة قيل ولذا جاز صحيح لغرض كان فان
الشاعر قال وكما والاذى بالمن

وان امرا اهدى الي صنيعة • وذكرنيها انه لبخيل • وقال آخر

اذا زرعت جميلا فاسقه غدقا • من المكارم حتى يثمر الشجر •

ولا تشعه بمن منك تتبعه • فشيمة المن ان تؤذي به الثمر •

والمالك الحقيقي وعطاوه عز وعطا غيره ذل لاجله يجعل يده سفلى وفي الاية الاخرى
هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية في هذه الاية امتنان وتعظيم كما تقدم
والامي هو الذي لا يكتب ولا يقرا الخط وان قرا ما حفظه بالسماع من غيره وانما سمي اميا
نسبة الى الام كانه كيوم ولدته امه فانه يكون على جبلته من غير ان يحسن كتابة وخطها
او لامة العرب لانهم كانوا اميين الكتابة معدومة فيهم الا نادرا لا حكم له كما ورد في
الحديث بعثت الى امة امية ثم اطلق الاميون على من كتب منهم ومن لم يكتب كما قاله
ابن عباس رضي الله عنهما تغليبا وقيل الامي الذي يقرا ولا يكتب والمراد بكونه منهم انه
صلى الله عليه وسلم امي مثلهم قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك اذا لارتاب المبطلون ففيه اشارة الى حكمته وانه معجزة له صلى الله عليه وسلم
لكونه مع ذلك اظهر علم الاولين والاخرين وفقه سيرهم واخبارهم وفيه ايضا موافقة

النجم

ما تقدم من بشارة الانبيا عليهم الصلاة والسلام به ونعته في كتبهم بانه امي واليه
اشارة الابوصيري رحمه الله بقوله

كفاك بالعلم في الامي معجزة • في الجاهلية والتاديب في اليتم
وبالاشارة الي الوجه الاول تطرف القايل
من اعجب الاشيا الي امور • امي خالي واني امي

تنبيه قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتاب تخريج احاديث الرافعي عد فقها
الشافعية رحمهم الله انه مما حرم الله عليه صلي الله عليه وسلم الخط والشعر
وانما يتجه التحريم اذا قلنا انه صلي الله عليه وسلم كان يحسنهما واستدل بالاية المذكورة
وبحديث انا امة امية لا نكتب ولا نحسب والاصح انه صلي الله عليه وسلم كان لا يحسنهما
ولكن يميز بين جيد الشعر ورديه وادعي بعضهم انه صلي الله عليه وسلم صار
يعلم الكتابة بعد ان كان لا يعلمها لقوله من قبله في الاية فان عدم معرفته صلي
الله عليه وسلم سبب للاعجاز فلما نزل القران واشتهر الاسلام وكثر المسلمون
وظهرت المعجزة وامن الارتياب عرف حينئذ الكتابة وقد روي ابن ابي شيبة وغيره
ما مات رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي كتب وقرا قال مجاهد ذكرت هذا للشعبي
فقال قد سمعت اقواما يذكرون ذلك وليس في الاية ما ينافيه وروي ابن ماجة
عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي
علي باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر والقدرة علي
قراة المكتوب فرع معرفة الكتابة واجيب باحتمال اقدار الله له علي ذلك من غير
تقدم معرفة الكتابة وهو ابلغ في المعجزة او فيه تقدير اي سالت عن المكتوب فقيل
لي هو كذا وفي حديث سهل بن الحنظلية انه صلي الله عليه وسلم لما امر معاوية
رضي الله عنه ان يكتب للاقرع بن حابس وعيينة بن حصن قال عيينة اتراني اذهب
الي قومي بصحيفة كصحيفة المتلمس فاخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم الصحيفة
فنظر فيها فقال قد كتب لك بما امر قال يونس بن ميسرة رواية فنري انه صلي
الله عليه وسلم كتب بعد ما انزل عليه ومن الحجة عليه ما اخرجه البخاري في صلح
الحديبية انه صلي الله عليه وسلم اخذ الكتاب وليس يحسن ان يكتب فكتب هذا ما
قاضي عليه محمد بن عبد الله الحديث قال ابن دحية والبه ذهب ابو ذر الهروي
وابو الفتح النيسابوري وابو الوليد الباجي وصنف فيه كتابا وسبقه اليه
ابن شيبة وقال انه صلي الله عليه وسلم كتب بيده في الحديبية وقال ابو بكر بن
عرفه لما قال الباجي هذا طعنوا عليه ورموه بالزندقة وكان الامير عندهم
متثبتا فعقد مجلسا للمناظرة فاقام الباجي الحجة ونسبهم الي عدم المعرفة فكتب
بذلك لعلما الافاق افريقية وصقلية وغيرهما فجات اجوبتهم بموافقته
ومحتمل ما قوام ردوا عليه ان معرفة الكتابة بعد معرفة اميته صلي الله عليه وسلم
لا تنافي المعجزة بل هي معجزة اخري بعد معرفة اميته وتحقق معجزته وعليه
تنزل الاية السابقة والحديث فان معرفته صلي الله عليه وسلم من غير تقدم
تعليم معجزة وصنف ابو محمد بن معوز كتابا رد فيه علي الباجي وبين خطاه

وحكي

وحكي ان ابا محمد الهواري كان يري راي الباجي فراي في النوم ان قبر النبي صلي الله عليه
وسلم انشق وماج فلم يستقر فانذهش لذلك وقال لعله لاعتقادي لهذه المقالة
ثم عقدت التوبة مع نفسي فسكن واستقر ثم قص الروءيا علي ابن مفوز فعبرها بذلك
واستظهر بقوله تعالي تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا الاية
ومحتمل ما اجاب به ابن مفوز عن ظاهر حديث البرا ان القصة واحدة والكاتب فيها
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وقد وقع في رواية البخاري من حديث البرا ايضا لما
صالح النبي صلي الله عليه وسلم اهل الحديبية كتب علي رضي الله عنه بينهم كتابا فكتب
فيه محمد رسول الله فتحمل الرواية الاولي علي ان معني كتب امر الكاتب ويدل عليه رواية
المسور في هذه القصة ايضا والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله
وقد ورد كثيرا في الاحاديث كتب بمعني امر كحديث انه صلي الله عليه وسلم كتب الي قيصر
وكتب الي النجاشي وكتب الي كسري ونحوه وكلها محمولة علي انه امر بالكتابة ويشهد
له قوله في بعض طرق هذا الحديث لما امتنع الكاتب ان يمحو محمد رسول الله قال له
صلي الله عليه وسلم ارني فاراه موضعه فمحاه ثم ناوله لعلي رضي الله عنه فكتب باسم
ابن عبد الله بدله واجاب بعضهم بانه علي تقدير حمله علي ظاهره يحتمل ان يراد
انه كتب مع عدم علمه بالكتابة وتمييز الحروف كما يكتب بعض الملوك علامتهم وهم
اميون والي هذا ذهب القاضي ابو جعفر السمناني الحنفي ولا يخفي بعد هذا الجواب
وان شاهدنا مثله نادرا وقوله تعالي كما ارسلنا فيكم رسولا منكم في هذه الاية غاية
المدح كالتي قبلها لما فيهما من انه يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ولذا صرح بالمنة
فيهما كما بين في التفسير فلا حاجة الي اعادته كما في الشرح الجديد وفي هذه ايذان
بانه تعالي اتم النعمة بارساله صلي الله عليه وسلم كما اكمل دينه وفي الكاف وجهان
احدهما ما ذهب اليه ابن جرير من انها متصلة بما قبلها من دعوة ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فبعث الله محمدا صلي
الله عليه وسلم ووعد بان يجعل من ذريته امة مسلمة فمعني الاية لاتم نعمتي
عليكم بالشريعة الحنيفية واهديكم لدين ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما ارسلنا
فيكم رسولا منكم اجابة لدعوته فهو متصل بما قبله كما ذهب اليه الفرا وهي متعلقة
بما بعدها وهو فاذكروني اذكركم والخطاب جار علي الوجوه السابقة فبعثته بانه
كما قاله ابراهيم تاليا الكلام رتبه مزكيا لامته معلما الحكمة وقدم يزكيهم هنا
واخر في دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام نظرا للقصد والفعل فيهما كما قاله
القاضي رحمه الله يعني ان التزكية هي المقصودة بالذات من تعليم الكتاب والحكمة
فلذا قدمت في الاية الاتية لانها اهم وبالفعل لا توجد الا بعده فلذا اخرت فرقا
بين المقامين قيل لو استشهد المص رحمه الله باية دعوة ابراهيم لكان احسن
واوفي بالمقصود لما اشتملت عليه من المدايح مع افادة ذكره علي السنة الانبيا الثنا
عليه وعليهم الصلاة والسلام وليس كما قال لان ما هنا اخبار من الله عما ذكر
فيفيد وقوعه والدعا لا يفيده والباب معقود لثنا الله عليه صلي الله عليه
وسلم لا لثنا الانبيا عليهم الصلاة والسلام وان حكاه الله فهذا ناش من عدم معرفة

بين

مقاصد الكتاب وروي عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى من انفسكم قال الفاضل الحلبي يعني
في قراءة من فتح الفا كما قاله ابن رسلان ويعضده ما في المواهب اللدنية عن ابن مردويه انه ابن الحنبلي
صلى الله عليه وسلم قرا من انفسكم بالفتح وقال انا انفسكم نسبا الى اخر ما ذكره المصنف رحمه
الله من الحديث الموضوع وهذا مما اهمله المخرجون لاحاديث هذا الكتاب فلذا قال نسبا
وصهرا وحسبا تمييز لاسم التفضيل لابهام المفضل به الذي يفسر بتمييزه وقد فسره النبي
صلى الله عليه وسلم به كما عرفته والنسب القرابة مطلقا او من جهة الآبا وفي النهاية
النسب الولادة القريبة وهو صلى الله عليه وسلم اشرف الخلق نسبا وكذلك ساير الانبيا
عليهم الصلاة والسلام كما ورد في الحديث لم يبعث نبي الا وهو ذو نسب في قومه وفي
المصباح النسب مصدر مطلق الوصلة بالقرابة يقال بينهما نسب اي قرابة وسوا جاز بينهما
التناكح او لا وجمعه انساب ومنه استعيرت النسبة في المقادير والصهر واحد الاصهار
قال الخليل اهل بيت المراة وقال الازهري الصهر يشتمل على قرابات النسا من ذوي
المحارم وذوات المحارم كالابوين والاخوة واولادهم والاعمام والاخوال والخالات
فهولا اصهار زوج المراة ومن كان من قبل الزوج من ذوي قرابته فهم اصهار المراة ايضا
وقال ابن السكيت كل من كان من قبل الزوج من ابيه او اخيه او عمه فهم الاحما ومن
كان من قبل المراة فهم الاختان ويجمع الصنفين الاصهار وصاهرت اليهم اذا تزوجت
منهم والحسب بفتحتين ما يعد من المآثر وهو مصدر حسب بالضم وقال ابن السكيت
الحسب والكرم يكونان في الانسان وان لم يكن لابايه ورجل حسيب كريم بنفسه واما
المجد والشرف فلا يوصف بهما الشخص الا اذا كان ذلك فيه وفي ابايه وقال الازهري
الحسب الشرف الثابت له ولابايه وقوله صلى الله عليه وسلم تنكح المراة لحسبها لانه مما
يعتبر في مهر المثل فالحسب الفعال الحميدة له ولابايه ماخوذ من الحساب وهو عد
المناقب لانهم كانوا اذا تفاخروا عدوها ليس في ابايي من لدن ادم عليه الصلاة والسلام
سفاح كلنا نكاح وفي نسخة كلهما نكاح بالهما بدل النون وكذا وقع في سنن الترمذي
مرويا بالوجهين اي ليس في ابايي من حيث ابوتهم فيلزم ان لا يكون في امهاته صلى الله
عليه وسلم ايضا ذلك كما يدل عليه السياق ولدن ولدا ظرف مكان بمعنى عند الا انهما
لا يستعملان الا في الحاضر يقال لدنه ولديه مال اذا كان حاضرا وجا من لدنا رسول الله
من عندنا وقد يستعمل لدي في الزمان واذا اضيف لمضمر قلبت الفه يا الا في لغة بني الحارث
وما قيل من ان لدن بمعنى عند الا انها لا تفتح الا في ابتدا الغاية كما في عبارة المصنف
الحصر فيه لا وجه له فانه اغلبي والسفاح الزنا والفجور من سفحت الما اذا صببته
فكانه اراق ماءه واضاعه وعلى رواية كلهما الضمير المونث للموطيات واسناد النكاح
لها حقيقة ان كان بمعنى الجماع ومجاز ان كان بمعنى العقد فلا وجه للاطلاق في محل
التقييد وعلى الاخرى وهي اصح الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم ولابايه واسناد
النكاح لهم بتاويل ذوي نكاح ونحوه او على التجوز في الاسناد كانهم تجسموا من النكاح
كقوله • فانما هي اقبال وادبار • والنكاح يطلق على الوطي والعقد بلا خلاف
انما الخلاف في انه حقيقة فيهما او في احدهما على اقوال مفصلة في الفروع
والاصول قيل ولم يرد في القران الا بمعنى العقد لانه في الوطي صريح في الجماع

وفي

وفي العقد كناية عنه وهي اوفق بالبلاغة والادب كما ذكره الزمخشري والراغب واذا كان
بمعنى العقد هنا فالمراد به عقد صحيح موافق لدين الاسلام او لغيره من الاديان السالفة
وحيث اخبر عنه صلى الله عليه وسلم بنحو وحي من الله انبأه الله به انه صانه واسلافه مما
يشين وطهر ارحامهم عن دنس السفاح فلم يزل كما قال ابن الجوزي في الوفا ينقل من الاصلاب
الطاهرة الى الارحام الطيبة مصفى مهذبا لم يتشعب شعبتان الا كان في خيرهما وقال
السيدان المورخين اتفقوا على انها اي هاجر ام اسماعيل عليه الصلاة والسلام كانت ملكا
لابراهيم عليه الصلاة والسلام فان لم يكن هناك اعتق وتزوج تعين ان يكون المراد
في الحديث بالنكاح بعموم المجاز عقد صحيح يبيح الوطي اذ المقصود نفي الفجور فيشمل الزواج
وغيره من عتق وغيره كما حققوه هذا وظاهر الحديث انه لا فجور في الاباء مطلقا لكن
الاظهر بشهادة ما سبق وما ياتي وما في المواهب مرفوعا من انه لم يلتق ابواي على السفاح
ان المراد طهارة النسل كما اشرنا اليه وتبعه تلميذه ابن الحنبلي **اقول** يمكن ان معنى لم
يلتق ابواي لم يلتق نسب ابوي بقرينة الروايات الاخر جمعا بينهما وقال ابن الكلبي هو محمد
ابن السايب الكلبي ابو نصر المفسر النسابة المحدث اخرج له الترمذي وسياتي ترجمته مفصلة
ونسبته الى كلب وهي قبيلة معروفة وتوفي في السنة التي مات فيها الشافعي وهي سنة اربع
وثمانين ومائة قال الحلبي وصاحب المقتفى هذا والمشهور ان الشافعي توفي شهيدا يوم
الجمعة سلخ رجب سنة اربعة ومائتين وقال القسطلاني وصاحب المواهب انه هشام بن
محمد بن السايب فالكاتب هو الوالد فلعله نسب الكتابة الابنة تارة الى نفسه حقيقة
او تجوزا فرواه المص رحمه الله كذا قال السيد كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة
ام فما وجدت فيهن سفاحا اي ولا شيئا مما يطيف الزنا قيل اراد بالام ما يشمل الجدات ومن
في حكمهن كام العم والعمة وام عم الاب ونحوه فان الجدات الحقيقية لا تقارب ذلك وقد
عدوا الى ادم عليه الصلاة والسلام سبعة واربعين ابا ويعلم من هذا النقل ان السفاح
لم يقع في الاقارب فما في الشرح من ان ذلك النقل احطر رتبة لا طايل تحته **اقول**
هذا اشارة الى السؤال المشهور على ما قاله ابن الكلبي رحمه الله من ان امهاته صلى
الله عليه وسلم وجداته لا تبلغ هذا العدد فكيف ما قاله وانت اذا تاملت قول المص
السابق لم يكن قبيلة من العرب الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة او
ولادة عرفت انهم لم يتفقوا على المراد فانهم جعلوا النسب شجرة لها ساق وعمود وشعب
واغصان متفرقة متفرعة فان نظرنا الى عمود النسب وما عليه وما يحاذيه لم يبلغ عدد
الامهات ما يدانيه فضلا عن ان يساويه وان نظرنا الى الفروع والشعب وسائر
قبايل العرب بجميعهم لهم به صلى الله عليه وسلم اتصال نسبي ونساؤهم امهات له
واحاطة ابن الكلبي واضرابه بمثل ذلك غير مستبعدة فانهم لهم اعتنا بالانساب
تعد وهها من اعظم علومهم وتوضيحه انك اذا نظرت لقبيلة وجدتها من نسل رجل
واحد بجميع ذكورهم اباء له صلى الله عليه وسلم او اعمام او اخوال وجميع نسائهم
جدات او عمات او خالات لعله قراباتهم وولادة له والمراد ان نسبه صلى الله عليه وسلم
بحواشيه واطرافه جميل لم يمسسه دنس عار فاذا فتحت عين البصيرة لم تجد
غبارا فاعرفه وانما اطلت الكلام لاني رايتهم استشكلوه ولم ار احدا فيه بما ينبغي

العليل ولاسيما مما كانت عليه الجاهلية وفي نسخة مما كان وفي نسخة اهل الجاهلية وعلي النسخة الاخري
اهل مقدرا او المراد الامة او المراد بالجاهلية اهلها كما يطلق المجلس والمقام علي اهله والجاهلية
زمان كثرت فيه الجهالة او ناس كذلك وهي ما قبل الاسلام او ايام الفترة وقد تطلق علي زمن
الكفر مطلقا وعلي ما قبل الفتح والمراد انه ليس في نسبه صلي الله عليه وسلم زنا ونحوه مما
يعاب وعطف قوله ولاسيما الخ من عطف العام علي الخاص لا من عطف الخاص علي العام كما قيل سيد
فانهم كانت لهم انكحة لا يعد ونها سفاحا حرمها الشرع كنكاح المقابحة وعد منها في بعض
الشروح امورا اكثرها زنا واطال فيها من غير طايل ومنها نكاح المقت وهو نكاح زوجة
الاب واورد عليه الزبير بن بكار ما ذكره المورخون ان كنانة خلف علي برة بنت اد زوجة عربي
ابيه خزيمة علي ما كانت الجاهلية تفعله اذا مات الرجل خلف علي زوجته بعده اكبر
بنيه من غيرها وقد ورد بما روي عنه صلي الله عليه وسلم انه قال ما ولدني من سفاح
الجاهلية شي ما ولدني الا نكاح كنكاح الاسلام وبما ذكره المص رحمه الله عن الكلبي وقد
اجيب عنه باجوبة منها انه لم يكن سفاحا محرما قال السهيلي ويدل عليه قوله تعالي
ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا الا ما قد سلف فان الاستثنا يدل علي تحليله وانه
ليس في نسب رسول الله صلي الله عليه وسلم ما يعاب وانه لم يكن في نكاح اجداده صلي الله
عليه وسلم سفاح الا تري انه لم يقل في شي نهي عنه في الزنا الا ما قد سلف نحو لا تقربوا
الزنا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ولم يستثن من المعاصي التي نهي عنها الا في هذه
وفي الجمع بين الاختين لانه كان مباحا في شرع من قبلنا كما جمع يعقوب بين راحيل
واختها ليا فقوله الا ما قد سلف التفات الي هذا المعني وتنبيه علي هذا المغزي ونقل
هذه النكتة عن ابن العربي وهذا بنا علي ان نكاح زوجة الاب كان جايزا قبل الاسلام
وكانوا اذا مات احدهم ورث اولياوه نكاح زوجته ولو كرها فانزل الله تعالي لا يحل
لكم ان ترثوا النسا كرها وظاهر كلام بعض المفسرين ان نكاح زوجة الاب كان جايزا في
اول الاسلام وتاباه قوله انه كان فاحشة ومقتا فان كان هنا بمعني لم يزل وهو احد سيد
معانيها الاربعة فانها للاستمرار اذا اهملت وذهب بعض المفسرين الي انه لم يكن حلالا
ابدا وقوله الا ما قد سلف لا يدل عليه ولذا اعترض علي من استدل به ودفع ما تريبما
نقله الجاحظ من ان كنانة من خزيمة وان خلف علي زوجة ابيه بعده وهي برة بنت اد
ابن طابخة وهي ام اسد فهي لم تلد منه ذكرا ولا انثي حتي تكون جدة للنبي صلي الله عليه
وسلم ولكن كانت ابنة اخيها وهي برة بنت مر بن اد بن طابخة اخت تميم بن مر عند
كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة وانما غلط كثير من الناس لما سمعوا ان كنانة
خلف علي برة لاتحاد اسمهما وتقارب نسبهما قال وهو الذي عليه اهل العلم بالنسب
ومعاذ الله ان يكون اصاب رسول الله صلي الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال ما زلت
من نكاح كنكاح الاسلام ومن اعتقد غيره وشك في هذا الخبر فقد اسا واخطا وكذا
ما قيل من ان هاشما خلف علي واقدة زوجة ابيه فانه ربما بها البنت جدة للنبي صلي الله
عليه وسلم فان ام عبد المطلب انصارية ولذا كانت الانصار اخواله صلي الله عليه وسلم
كما فصل في السير واعلم ان المص رحمه الله لما ذكر ابياتا قرانية فيها الثنا علي رسول الله
صلي الله عليه وسلم سردها في ترتيب انيق لم ينبه عليه احد ممن تكلم عليه فانه

بدا بقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية الدالة على ان الرسول الذي جاءهم ازال عنهم
العنت والمشقة وهداهم للنور المبين وهو منهم معروف فيما بينهم ثم عقب ما ذكره من
التحلية بما يدل على التخلية من قوله لقد من الله الخ فدل على انه منة ونعمة عظيمة لتعليمه
وارشاده للعلوم والحكم والاتيان بكتاب لم يشرف بما بدا منه احد من الامم ثم ختمه بما يوكد
هذه المنة من انهم اميون لا قدرة لهم على القراءة والكتابة مع ان الكتب السالفة ليست
بلسانهم فلو لم يبعث منهم هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لم ينقذوا من الضلالة
ويهتدوا للسعادة فاعرفه وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وتقلبك في
الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا ورويّ اخرجك قال السيوطي هذا الحديث
رواه ابن سعد والبزار وابو نعيم في الدلايل بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو
عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الصحابي المشهور حبر هذه الامة وترجمان القران الفايق
في العلم والكرم احد العبادلة توفي سنة ثمان وستين في ايام ابن الزبير وقد كف بصره كما
سياتي والتقلب تفعل من القلب وهو التحول من جهة الى اخرى وجعل اعلى الشي اسفله
وهو بالمعنى الاول في الاية وفيها وجهان اخران غير ما ذكره ابن عباس احدهما ان المراد
تردده في تصفح احوال الصحابة في تهجدهم بعد ما نسخ فرضية قيام الليل وان بيوتهم
مملوءة بالذكر والصلاة ولهم دوي كدوي النحل او تقلبك بين المصلين قياما وركوعا
وسجودا ولذا قيل انه لم يذكر صلاة الجماعة الا في هذه الاية وعلى هذا اقتصر اكثر المفسرين
وعلى الاول اقتصر الرازي في اسرار التنزيل واستدل بها على اسلام اباء النبي صلى الله عليه
وسلم واجداده فقال انه كان ينتقل ذرة من ساجد الى ساجد فتدل على ان اباءه صلى الله
عليه وسلم لم يكونوا مشركين ويدل عليه ايضا ما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم
لم يزل ينتقل من اصلاب وارحام طاهرة وقد قال تعالى انما المشركون نجس وثانيهما تقلبه
في حال الابوين ولادا لا دة فيما ذكر لان المراد تنقلبه انتقاله من صلب نبي الى نبي ولو مع
الوسايط والمراد بالحديث انه ليس في اصوله سفاح كما مر وفي الحديث تصريح بان هذا
هو المراد فالمراد تعظيمه صلى الله عليه وسلم والثناء عليه تعدد ما مدحه بان الله طهر اصوله
كما طهر فروعه وملايمة هذا لما قبله وهو قوله وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين
تقوم وتقلبك الخ ظاهر لان المعنى فوض امورك كلها في جميع احوالك الى من يراك
اذا قمت لكل صلاة او لصلاة الليل ويراك في اخفى من هذا اذ كنت ذرة في اصلاب
المصلين وعبر عن الصلاة بالسجود لانه اعظم واقرب الى الله فان العبد اقرب
ما يكون من ربه وهو ساجد فالمراد انه يراك في ظهورك وبطونك لاستوا الظاهر
والخفي في علمه خلافا لمن توهم انه لا ملايمة بينهما ولقد اظهر ايضا مناسبة هذه
الاية لما قبلها في كلام المصنف ووجه تاخيرها والمراد بالرؤية ظاهرها او الحفظ
والكلاءة والرعاية كما يقال نظر الله اليك اي حفظك في جميع حالاتك من حين
كنت نطفة فكيف لا يحفظك من اعدايك وينصرك عليهم وسقط ايضا ما يتوهم
على هذا التفسير انه اذا اريد انه جميع الاصلاب التي حوته كذلك فالواقع خلافه
والا فلا فرق بينه وبين غيره من بني اسمعيل عليه الصلاة والسلام وقد روي
عن ابن عباس ايضا ما ذكره غيره من المفسرين فعنه روايتان عنه وقال الجعفري

هو جعفر الصادق ابو عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم
وامه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه روي الحديث عن ابيه
وعن نافع وعطا والزهري وغيرهم وروي عنه كثير كمالك والسفيانين وابن جريج
وابن اسحاق واتفقوا علي امامته وجلالته وسيادته وولد سنة ثمانين وتوفي
سنة ثمان واربعين ومائة قتل مسموما ودفن بالبقيع مع ابيه وجده وعمه في قبر
واحد ويقال انه ولده الصديق مرتين لان امه ام فروة بنت القاسم بن محمد
الصديق وامها اسما بنت عبد الرحمن بن الصديق وكذا يقال ولده مرتين لمن
انتسب من جهتين ووثقه في رواية الشافعي وابن معين وابو حاتم والذهبي وهو
من فضلا اهل البيت وعلمائهم والاحاديث المروية عنه مقبولة الا رواية اولاده
اذا لم ترد من طريق اخر فانهم رووا عنه مناكير كثيرة حتى ذهب بعض الناس الى
تمريضه ولا تزر وازرة وزر اخرى وكانه لذلك لقب بالصادق علم الله تعالى
وتقدس عجز خلقه عن طاعته في نسخة ضعف خلقه والطاعة اسم مصدر هو الاطاعة
من اطاع اذا انقاد واتبع الامر فلو مجازا لغة قال ابن فارس اذا مضى لامره فقد اطاعه
اطاعة واذا وافقه فقد طاوعه والاستطاعة الطاعة والقدرة اي الله عز وجل
علم عجز القوي البشرية عن اطاعته كما ينبغي من غير ان يكون بينهم وبينه واسطة
من جنسهم لها تجرد باعتبار وتعلق بمقتضى الفطرة به تفيض علي من دونه ولذا
كانت الرسالة سفارة بين الله وبين العقلا يزيح بها عللهم فيما قصرت عنه
عقولهم من مصالح الدنيا والاخرة ولا حاجة هنا كما قيل الي تفصيل معنى النبوة
والرسالة فعرفهم ذلك العجز وانهم لو لم يكونوا عاجزين لم يقم بينه وبينهم رسولا
موصوفا بما سياتي ولذا اقام الله عذر من لم ياته رسوله فقال وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته ينالون بمعنى يصلون
ويأخذون والصفو بمعنى الصافي الخالص بفتح الصاد المهملة والصفوة مثلثة
وخدمته بمعنى عبادته وطاعته وصفوها خلوصها من الحظوظ النفسية فلا
يشوبها ما يكدرها من التقصيرات فاقام بينهم وبينه وفي نسخة بينه وبينهم
بتقديم المفيض على المستفيض لتقدمه ذاتا ورتبة وفي الاولى قدمهم لانهم
المحتاجون للوساطة فقدموا رعاية للمقام واقامته بينهم جعله قايما موجودا
بينهم او اقامه خليفة له رسولا مخلوقا من جنسهم وسقط رسولا من بعض
النسخ اي بشرا منهم فليس الجنس منطقيا بل لغويا وهو اعم من المصطلح لشموله
النوع وغيره وما قيل من ان المراد من جنس اشرفهم اذ اصل الكلام بالنظر الى الانبيا
الاشرف او المراد من العناصر ونحوها مما يعم الثقلين ولذا عدل للجنس كلام
لا يناسب المقام وفيه تعقيد من غير حلاوة فتركه خير وعلى الاخير يكون الظرف
لغوا والقصد بها زيادة الالتيام وسهولة الاتباع وفي الصورة اي جنسيته
صلى الله عليه وسلم انما هو بحسب الصورة الظاهرة لا المعنى الباطني لما سياتي
في القسم الثالث لتكون له المناسبة بين الجانبين فيتاهل للوساطة بين الله
وعباده والبسها اي كساه الله حللا من نعمته الرافة والرحمة ففيه استعارة

عوضي

مكنية

مكية والنعت والصفة بمعنى ورايت في بعض كتب العربية ان بعض النحويين فرق بينهما
فقال النعت لا يقال الا في غير الله كقولك نعت الثوب ونعت الفرس ولا يقال نعت الله بخلاف
الوصف والصفة والمشهور هو الاول وعليه كلام المص رحمه الله والضمير المضاف اليه في نعته
لله والرافة مفعول البس الثاني وقد قدمنا لك الفرق بين الرافة والرحمة ووجه
تعديتهما وما وقع لهم من الغلط فيه فليكن على ذكر منك فان بعض الشراح اطال فيه هنا عرضي
بغير طائل تنبيه قال القرافي في التنقيح شرح مسائل الاربعين الرحمة اصلها
ميل الطبع ورقته وهو مستحيل على الله تعالى فيصرف للمجاز وهذه الرقة لها
لوازم لان من رق طبعه اراد الاحسان واحسن فكلاهما يصح التجوز به وذهب
الباقلاني الى ان التجوز عن الفعل فقال رحمته معاملته معاملة الراحم المرحوم
وذهب الاشعري الى انها ارادته فعلى راي القاضي الرحمة محدثة وعلى راي الشيخ
قديمة وعلى راي القاضي يجوز ان يقال اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك وهو عنده
الجنة وعلى راي الشيخ يحرم ذلك لان مستقرها الذات وفي القران مواضع لا تستقيم
الا على احد الرايين فقوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما يتعين فيها الارادة لاقترانها
بالعلم وهو صفة ذاتية والوسع وقوله هذا رحمة من ربي الاشارة الى السد وهو
من باب الاحسان انتهى وهل هي مجاز مرسل او استعارة تبعية او تمثيلية احتمالات
بيناها في حواشي القاضي واعلم ان المص رحمه الله لما ذكر في هذا المحل اياته الدالة على
نهاية الثنا على نبيه صلى الله عليه وسلم وكان معناها كلها ان الله بعث في هذه
الامة الامية رسولا هو اعظم مخلوق فانه حسبا ونسبا اودعه الاصلاب الطيبة والار حام
الطاهرة وجعل واسطته انبيا ورسلا واوحى اليه بكتاب هو اعظم الكتب السماوية
وجعله مشتملا على علوم الاولين والاخرين فاقام به الملة السمحة واتم به دينه ونصرهم
على اعدائهم ومكنهم الدنيا ولطف بهم اذ جعله بشرا مثلهم يخاطبهم بلسانهم وفي ذلك
رافة بهم واتم نعمة عليهم وعلى نبيهم صلى الله عليه وسلم مثل ذلك اذ راف بهم
وانعم عليهم بنعم الدنيا والاخرة ولذا وصفه بصفتين متجاورتين في قوله بالمومنين
رؤوف رحيم ومثله مما خص الله به نفسه فلما جعل خليفة الله خلع عليه خلعة
فوق خلعة تمييزا له وتكريما كما يفعله الملوك فقوله البسه من نعته الرافة
والرحمة يعني به المذكور في الاية السابق ذكرها ولم يجمع له غيرهما **قال**
**قلت** كيف هذا وقد وصفه بصفات غيرهما وجمع له بين صفتين ايضا في
قوله في اية الاسرا لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير بناء على ان الضمير لعبده
**قلت** هذا مما ذهب اكثر المفسرين الى خلافه وان هذا الضمير لله ولو قلنا انه له
فهاتان الصفتان لم يجر لهما ذكر هنا ولا مناسبة لهما لهذا المقام فلذا اخصهما سيد
المص رحمه الله بالذكر فما قيل في معنى الباسه الرافة والرحمة انه وصفه بهما
بما يشاركه في اصل المعنى وان تغايرا في الحقيقة وان بينهما مشاركة لفظية
ومناسبة ما واختصهما من بين الصفات لكمال مناسبتهما لبعثته للثقلين ابن الحنبلي
ووساطته بينهما مع شدة الاحتياج لذلك كما قال صاحب معيار المريدين
في قوله تخلقوا باخلاق الله معناه اتصفوا بالصفات المحمودة وتنزهوا عن

الصفات المذمومة وليس معناه انه ياخذ من صفات القديم شيا ومثاله متى يوقد سراجا
من سراج او ياخذ علما من عالم فانه لا ياخذ عين سراجه ولا عين علمه بل يحصل له من
اشراق سراجه سراج ومن افادته عليه علم اخره هو كلام من لم يتبيل الى العنقود
مع انه لا محصل له وليس تحته كبير فايده واخرجه الى الخلق سفيرا اسنادنا المراد
انه اخرجه من العدم والتقدير الى الوجود الخارجي العيني او من الاصلاب والارحام
والسفير الرسول والمصلح بين القوم والمراد الاول اي رسولا من الله لهم وهو ماخوذ
من سفرت الشي سفرا اذا كشفته واوضحته لانه يوضح ما امر به وينطبع ومنه
اسفار الصبح والمراد بالخلق جنسهم او جميعهم لعموم رسالته صلى الله عليه
وسلم كما سياتي وصدقه صلى الله عليه وسلم لان الله عصمه من الكذب ولم
يوثر عليه تهمته به فضلا عن وقوعه كما مر في حديث هرقل وجعل طاعته
طاعته وموافقته موافقته طاع واطاع بمعنى اي انقاد واذهن وقيل طاع
بمعنى انقاد واطاع بمعنى اتبع الامر ولم يخالفه وليس بينهما بعد بحسب
المال والموافقة ضد المخالفة ومعناها الاتفاق والتظاهر اي من اتفق معه
على ما كان عليه في دينه وقبول ما جا به فقد وافق الله والضمير الاول للرسول
صلى الله عليه وسلم والثاني لله ويجوز العكس لانه لا طاعة لله الا بطاعة
رسوله صلى الله عليه وسلم ولا طاعة الرسول الا بطاعة الله والمراد الاتحاد
الحقيقي لانه لا ينطق عن الهوى فهو مبلغ والامر هو الله او لانه لا يامر الا بما فيه
طاعة الله وعبادته فاطاعته عبادة وقيل المراد ان طاعته مثل طاعته في الوجوب
لان الله امرنا بطاعته قيل وهو قصور او خطا وذكر الموافقة بعد الطاعة
وهي بمعنى الاطاعة للتاكيد قيل وتوضيح الاتحاد الحقيقي ان من اطاع الرسول
عليه الصلاة والسلام ليس له اطاعة لا يكون مطاعها الحق وهذا كما قيل
ان وجود العرض في نفسه هو وجوده في الموضوع فليس للسواد وجود لا يكون
تابعا للموضوع ولذا امتنع انتقاله عنه بخلاف وجود الجسم في الحيز فلذا انتقل
عنه كما قاله التفتازاني ورد بانه لا يستقيم هذا لان الاتحاد الحقيقي هو
ان يصير شيا بعينه شيا اخر من غير ان يزول عنه شي او ينضم اليه شي وهنا
قد انضم الى اوامره ونواهيه كونها وحيا من الله فليست كاوامره ونواهيه
بامور طبيعية قبل النبوة وهذا كقول السلطان لوزيره مر الناس عني
بكذا فانه صادر من الوزير صورة ويعد امرا للوزير وهو في الحقيقة امر
السلطان فالاتحاد مجازي بطريق الانتقال والتغير كما يقال صار الماء هوا
اي زالت عن هيولاه صورة خلفتها اخرى او هو من قبيل صار الابيض اسود
او انضم اليه شي اخر كصار التراب طينا وما قيل في توضيحه ايضا غير صحيح
لان الاتحاد الحقيقي وعدم المغايرة والعرض له حقيقة مغايرة لحقيقة
موضوعه فلا يقال ان حقيقة السواد هي حقيقة الجسم وهذا الفاضل
جعل حقيقة طاعة النبي صلى الله عليه وسلم هي طاعة الله واين الوجود
من الحقيقة وقد تقرر ان وجود العرض والجوهر زايد على ماهيتهما ولهذا

لم

لم يصدق تعريف الجوهر بانه ماهية اذا وجدت في الخارج لم تكن في موضوع على ذات البارئ
لان وجوده عين ذاته ثم ان معنى قولهم ان وجود العرض هو وجوده في موضوعه انهما
لا يتمايزان في الاشارة الحسية وقد توهم من هذه العبارة ان وجود السواد مثلا في نفسه
هو وجوده في الجسم وليس بشيء اذ يصح ان يقال وجد في نفسه فقام بالجسم وهذا يقتضي
المغايرة **اقول** انما نقلت هذا مع طوله لئلا يظن ان في التسوية ارتجالا وتحقيقه ان
المدلولين ان تغايرا بحسب المفهوم واتحدا في الخارج بحسب الماصدق كالحيوان والمتحرك
بالارادة يكون الاتحاد حقيقيا بحسب الخارج واطاعة الله واطاعته كذلك من غير شبهة
فان الله اذا اوجب الصلاة وامر بها فامر الرسول عليه الصلاة والسلام بها
الخلق فامتثلوا فاطاعة الله واطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم اقامة الصلاة
وهي امر واحد في الخارج وان تغاير مفهوماهما فانه امر اعتباري يختلف باختلاف المضاف
وكذا وجود العرض في نفسه ووجوده في موضوعه لعدم التمايز والانتقال بخلاف
وجود الجسم وما انضم اليه من شيء آخر كالخشب والسرير ولما المنقلب هو البين من هذا
القبيل لتغايرهما في الخارج فهذا القائل خبط خبط عشواء واطال من غير طائل **فان
قلت** كيف يتم هذا ان قلنا باجتهاده صلى الله عليه وسلم فاذا امرهم باجتهاده هل
يقال الطاعة امره اطاعة لله مع احتمال امره بخلافه كما في قصة الاسرى **قلت نعم**
هو اطاعة لله لقوله واطيعوا الرسول من غير قيد ولذا عقبه المصنف رحمه الله بقوله
فقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله تقدم ان ضميري طاعته فيهما وجهان
وقد قيل هنا ان جعل الضمير الاول لله يفيد ان طاعة الله منحصرة في طاعة الرسول
صلى الله عليه وسلم لتعريف الطرفين لان المعتبر منهما ما وافق الشرع والشرع من
الرسول صلى الله عليه وسلم فهو ابلغ الا انه لا دلالة لهذه الآية عليه ليست بظاهرة
ولو صح كما قيل ان معناها ليست له صلى الله عليه وسلم اطاعة الا وهي لله بتنزيل
الوجود منزلة المعدوم كما في قوله وما رميت اذ رميت ويحتمل ان يكون معناها
من يطع الرسول عليه الصلاة والسلام في تفاصيل ما جاء به فقد اطاع الله في
قوله قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول الا ان هذه الآية هي الدالة على انه جعل
طاعته كطاعته في اصل الوجوب لا في ذاته ووصفه لا الآية التي تلاها المصنف رحمه
الله فلا يصح ان يقال معنى جعل طاعته طاعته انه جعلها مثلها في الوجوب لان
قوله فقال الخ يأباه لتفسيره او تعريفه عليه ما يخالفه كما سيأتي ورده بانه
لا ينبغي قصر الدلالة على وجوب طاعته في الآية الثانية لان الآية التي تلاها المصنف
رحمه الله تدل على ذلك ايضا فان مضمونها انه جعل طاعته صلى الله عليه وسلم
طاعة الله وطاعة الله واجبة شرعا وعقلا فطاعته صلى الله عليه وسلم كذلك
وان لم تكن مثلها من كل الوجوه فدل ذلك على انه يجوز ان يكون مراد جعفر الصادق
بقوله انه جعل طاعته مثل طاعته في الوجوب وهو كلام حسن والذي جنح اليه
القائل ان القاضي وغيره قال في تفسير قوله من يطع الرسول الآية ان الرسول
صلى الله عليه وسلم مبلغ والامر هو الله وهذا الحصر يقتضي انه لا آمر ولا ناهي
سواه وانه لا طاعة لغيره الا بحسب الظاهر هذا كله من مبتدع القطن **وانا اقول**

ف

يحيه سيد

ابن الحنبلي

عرضي

هذا برهان منطقي

فان كون الامر كله لله ليس فيه اشتباه وما على الرسول الا البلاغ لكن لما كان العباد لا تطلع على
ذلك الا بامر الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت اطاعته وتصديقه واجبا علينا جعل امرا
ونهيا ومثله نعم حقيقة بحسب اللغة كما قال في البردة

نبينا الامر الناهي فلا احد
ابر في قول لا منه ولا نعم

وفي هذا التفريع خفا ليس هذا محل بيانه فاي مانع في النظر لهذين الامرين وقوله
طاعته تشبيه بليغ كقولك ابو يوسف ابو حنيفة ويجوز عكسه وجعله عينه ادعا
فلا ينافي الاية لان الشرط والجزا متغايران نظرا لما في نفس الامر ولكل مقام مقال
وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين هذا اما ابتدا كلام في ذكر ما جا في
الثنا من الله على رسوله صلى الله عليه وسلم او من تتمة كلام جعفر رضي الله عنه وبه
جزم في الشرح الجديد وهو حينئذ متصل باول الكلام اي لما علم عجزهم عن نيل معرفة
خدمته اقام بينه وبينهم سفيرا من جنسهم رحمة لهم فانه انما بعث رحمة
للعالمين او بقوله البسه من نعته الرافة والرحمة وهو اقرب والعالمين عام شامل
للمتقين والعصاة والكافرين كما سياتي من انه صلى الله عليه وسلم رحمة للكافرين
بتاخير العذاب ومنع الاستيصال فمن خالفه فعذابه من نفسه كعين جرت فانتفع
بها قوم وكسل اخرون فهي رحمة لهما وما قيل ان المعترض لم يتعرضوا لبيان نفي
القسم مع وقوعه منه صلى الله عليه وسلم كثيرا وقد قصد الله ببعثه ان لا يومن به
قوم فيعذبهم وليس الحصر هنا نظرا لعموم العالمين لانه لو اريد به هذا قيل وما
ارسلناك رحمة الا للعالمين او يقال القصد بالذات الرحمة والغضب بالتبعية وهو
في جنب الرحمة كالعدم او المعنى لاجل الرحمة على الكل لا الغضب على الكل الخ ما قاله
واطال فيه من غير طايل ولعمري ان ما ظنه مشكلا في غاية الظهور فانه صلى الله عليه
وسلم رحمة عامة شاملة كما ورد انما انا رحمة مهداة فانه لم يرد لاحد ضررا
وقد اجتهد في نفع كل احد ولكن من يضلل الله فما له من هاد وكان صلى الله عليه
وسلم لا يغضب لنفسه وانما يغضب لانتهاك حرمات الله كما سياتي بيانه ولعمري
ان صاحب الكشاف اجمل واجمل فلا حاجة للاطالة هنا ورحمة مفعول له وللعالمين
متعلق به اي ما ارسلناك الا لترحم العالمين بهدايتك اياهم لسعادة الدارين
وفي مسلم قيل يا رسول الله ادع الله على المشركين فقال اني لم ابعث لعانا انما بعثت
رحمة ويجوز ان يكون حالا من الكاف اي الا ذا رحمة او هو عين الرحمة وليس
للعالمين متعلقا بارسلنا لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا في الاستثنا
المفرغ نحو ما مررت الا بزيد والمعنى الا راحما لهما للفاعل لا للمفعول كما قيل
قال ابو بكر بن طاهر قال الشمني والبرهان الحلبي هو ابو بكر بن طاهر بن مفوز
ابن احمد بن مفوز المعافري الشاطبي وقال التلمساني هو عبد الله بن طاهر
الازهري وهو من اقران الشبلي ومن مشايخ الجبلي عالم ورع مات قريبا للثلاثين
وثلاثماية وهناك ابو بكر بن طاهر واسمه محمد بن احمد بن طاهر الاشبيلي
القيسي يروي عن ابي علي الغساني وروى عنه السهيلي والاول اقدم من
الثاني وهو المراد والله اعلم والذي عند سيدي ابو الحسن ابو بكر بن طاهر

عوض

سيد

ابن

ابن معوز بن احمد بن معوز المعافري الشاطبي والله اعلم ايهم هو انتهى زين الله محمدا
صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة يعلم من هذه العبارة ان في قوله السابق البسها الرافة
والرحمة استعارة مكنية تجعل كل منهما كالحلة والخلعة البهية فكان كونه رحمة وجميع
شمايله وصفاته رحمة على الخلق القاهنا للتفسير والتفصيل وكونه مرفوع اسم كان
وهو مصدر كان التامة اي وجوده ورحمة منصوب خبرها وكونه لا خبر له وتقديره
من رتبنا قبيح وما بعده معطوف عليه والزينة ما يتزين به لباسا او غيره واضافته للرحمة
كلجين الما او بيانية وقيل الزينة هنا اللباس اي البسه الله رحمة رحمانية شاملة له
وفيه اشارة الى الخاصة من الله بها عليه غير الجبلة البشرية والشمايل جمع شمال بالكسر
شال شمال خلاف اليمين قال الازهري الشمال الخلقة الرجل اي خلقه وجمعه شمايل ورجل
كريم الشمايل اي في اخلاقه ومخالطته انتهى وبه سمي كتاب الشمايل وما الطف قول ابن الوردي
فيه مضمنا يا الطف مرسل كريم ❊ ما الطف هذه الشمايل

من يسمع لفظها تراه ❊ كالغصن مع النسيم مايل
فعطف صفاته من عطف العام على الخاص ان لم تختص بالصفات الظاهرة والشمايل
بخلافها وقال الشراح صفاته صلى الله عليه وسلم تشمل غضبه وظاهر مراه لانه لا يغضب
لنفسه وانما يغضب لله وغضبه للاصلاح وهو رحمة في ذاته واما مراه الحسن فانه لمحبته
والتصديق به الا ترى ان عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما راه صلى الله عليه وسلم
امن به وقال لما رايت وجهه الشريف تبينت انه ليس بوجه كذاب فان اريد بالخلق
جميعهم كما مر فقوله فمن اصابه شي من رحمته فهو الناجي في الدارين اي الدنيا
والاخرة والناجي بمعنى السالم من اصابة ما يكرهه ويضره وقيل المراد به من انتفع
به انتفاعا معتدا به بان يكون مصدقا به او انتفع بشي معتد به وان وجوده صلى
الله عليه وسلم وصفاته هداية فمن اهتدي بشي منهما نجا وقيل المراد بشي من رحمته
انما اهتدي لهداية لان من لم يهتد كانه لم تصبه الرحمة كما ان من شرب الدوا ولم
يبرء كانه لم يشرب وهذا هو التفسير الصحيح وما قبله تكلف فالمعنى ان من هداه الله
للايمان به صلى الله عليه وسلم من كل مكروه وقال من كل مرغوب واستغنام الدنيا
والاخرة لا تعد مكروها بعد العلم بما فيها من تكفير السيات وتيل الحسنات من كل
مكروه يلحق من لم يهتد فلم يؤمن به في الدنيا كالقتل والسبي واخذ الجزية وفي
الاخرة العذاب المخلد والواصل فيهما الى كل محبوب اما في الدنيا فان كان ذا غنى
ونعمة فظاهر والا فالمومن العاقل اذا صبر وقام بوظايف العبودية في دنيا
سريعة الزوال كان ما اصابه من المكروه لا يساوي النعم الاخروية محبوبا عنده
واما حاله في الاخرة فغني عن البيان فما قيل انه يشكل عمومه بالمومن العاصي المعذب
وبان مصايب المومنين في الدنيا كثيرة الا ان يقال في الدارين متعلق بالمكروه
والمحبوب او المراد انه سبب في الجملة او الكل بمعنى الجل لا وجه له فانه من قسم
الوسواس الا ترى ان الله يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وفي نسخة الم
تر وفي نسخة اسقاط ان اي الم تعلم ان الله لما قصر بعثته على الرحمة علم انه
من اصابته هذه الرحمة لم ينل مكروها اذ ينيله نيا في الحصر وهذا انزعيت كما في

سيد

ابن الحنبلي

سيد

حديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة فلا مشاحة في الدين حتى يحتاج للتاويل وهذه
العبارة تشبيها العقلي تنويرا لا لها تشير الي ان ما بعدها موضح لما قبلها ولذا اعبر بالروح
لجعله كالمحسوس وهذا من كلام ابي طاهر ولا تكرار فيه والكلام علي الاية مبسوط في
التفسير وشهرته تغني عن ذكره وكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلي الله
عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم هذا الحديث رواه ابن مسعود رضي الله عنه
بسند صحيح ورواه الحارث بن اسامة في مسنده بسند صحيح ايضا والحديث الذي
بعده في صحيح مسلم وفي رواية موته بدل مماته اي كل منهما نافع لامته صلي الله عليه
وسلم فلا يتوهم انقطاع نفعه صلي الله عليه وسلم عنا بموته لان كثيرا منا اذا مات انقطع
عمله عنه وعن غيره الا ما استثني والخير النفع الذي يرغب فيه وهو يكون صفة مشبهة
وافعل تفضيل مخفف من اخير كشر من اشر ولا ينطق باصله الا نادرا كقوله صلي الله عليه
وسلم بلال خير الناس وابن الاخير وقري في الشواذ سيعلمون غدا من الكذاب الاشر
ويكون صفة كالخير بالتشديد ويجوز كل منهما هنا اي كل من حياته صلي الله عليه وسلم
وموته نفع لمن دخل تحت الخطاب او ان حياته انفع من موته في وقتها وموته انفع في
وقته من وجه لنفعه صلي الله عليه وسلم بنحو شفاعته عند عرض الاعمال عليه يوم
الاثنين وفتح باب الاجتهاد وترك الاتكال والمشي علي الاحتياط وكالاثابة بالحزن لموته
وتسهيل كل مصيبة بمصيبته والاعتبار به والرحمة الناشئة من اختلاف امته
وارتفاع التشديد بتوفيره وفي الحديث زيادة في بعض التعاليق وهي اما حياتي
فابين لكم السنن واشرع لكم الشرايع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها
حسنا حمدت الله وما رايت منها سيئا استغفرت وايضا فان الملايكة عليهم الصلاة
والسلام تعرض عليه صلي الله عليه وسلم صلاة من صلي عليه وتبلغها اليه في
وقت واحد وان لم يحص عددها كما سياتي

كالشمس في كبد السما وضوها ● تغشي البلاد مشارقا ومغاربا ●

كما في بعض الشروح ونقل في بعضها ما لا مناسبة له بالمقام وفيه نقلا عن ابن
عرفي انه صلي الله عليه وسلم قال اذا مت لا ازال انادي في قبري امتي امتي
حتي ينفخ في الصور فطنين الاذان لما تدركه الروح المتمكنة في قلبه وراسه
من ذلك الندا فلذا استحبت الصلاة عليه اذا طنت الاذان اذا الشي من جنسه
كما في العطاس كما قاله الترمذي رحمه الله ولعظم الاجر علي مصيبته صلي الله
عليه وسلم ولذا سادت فاطمة امها خديجة رضي الله عنهما وجميع اخواتها ممن
ماتت في حياته صلي الله عليه وسلم لما في صحتها من مصيبتها به صلي الله عليه وسلم
وقد قيل عليه انه لا شبهة في ثوابها لهذا الرزء العظيم ولكنها لم تفضل امها
بذلك بل بكونها بضعة من رسول الله صلي الله عليه وسلم ولذا قال في سنن
ابي داود لا اعدل ببضعة من رسول الله صلي الله عليه وسلم واما تفضيلها
علي اخواتها فلحديث فاطمة افضل نسا العالمين الا مريم ابنة عمران ونحو
ولو كان تفضيلها لهذه المصيبة فضلت عايشة رضي الله عنها خديجة رضي
الله عنها ولا اكثر علي خلافه ثم اورد علي هذا الاجتهاد من الخبر الذي يحصل بموته

ابن الحنبلي

عن عرفي

عرفي

صلي الله

صلى الله عليه وسلم ان الاجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم كان في زمنه ايضا كما بين في كتب
الاصول ولكن ان نقول المراد كثرته مع ما يتفرع عليه من المذاهب والتاليف قيل وعرض
الملايكة عليهم الصلاة والسلام الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ممن لا يجيي في وقت
واحد لم يثبت وهو مردود بانه ورد من طرق صحيحة كما سياتي مفصلا فلا وجه لانكاره
والاحسن ان رحمته لهم في حياته لانه هداهم لسبل الخير وما دام صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم
فهم امنون من عذاب الاستيصال والمسخ والخسف ونحوه كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم ورحمته لهم في مماته لتقدمه صلى الله عليه وسلم فرطا لهم كما سياتي
وبه فسر قوله تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم ثم ان تفضيل فاطمة
وعايشة رضي الله عنها بما مر لا ينافي كون خديجة رضي الله عنها افضل لانه قد يكون
في المفضول ما ليس في الفاضل كما لا يخفى واعلم انه حكي عن الاشعري والقشيري واصحابه
انهم قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم ليس بنبي في قبره وان رسالته صلى الله عليه وسلم
انقطعت بموته وقد شنع عليهم بذلك جماعة وقالوا بتكفيرهم وقال السبكي اصله
افترا عليهم وقد كتب بذلك الى الافاق وكيف يقال مثله مع ما صح في الحديث من ان
الانبيا عليهم الصلاة والسلام احيا في قبورهم يصلون وانما فهم هذا عنهم الكرامية
وادعوا انه لازم لمذهبهم ولازم المذهب ليس بمذهب فانه صلى الله عليه وسلم
حي في قبره باق على ما كان عليه حتى سيل النووي رحمه الله عمن راه صلى الله عليه
وسلم في منامه يامره بامر هل يجب عليه ام لا فاجاب بانه ان لم يخالف الشرع وكان له في
خاصة نفسه ينبغي العمل به وانما لم يجب لان النايم لا يضبط ما قيل له وربما لم يفهمه
او يكون اشارة لما يحتاج للتاويل وهو كلام حسن فلا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم
من راني فقد راني حقا الحديث وكما قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله رحمة بامة
قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا هذا حديث صحيح متنا وسندا رواه مسلم
عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه فقال اذا اراد الله رحمة امة من عباده قبض
نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا اراد هلكة امة اجابنيها فاهلكها
وهو ينظر فاقر عينه بهلكها حين كذبوه وعصوا امره وهكذا في النسخ بتقديم الفرط
ووقع في بعضها موخرا وكانه من الناسخ والذي في مسلم باضافة رحمة لانه يخالف لما في
الشفا فقوله المخرجين انه حديث مسلم لا يخفى ما فيه فلعله رواه من طريق اخر الا ان
يقال انه رواه بالمعنى واقتصر على بعضه والامة الجماعة ثم شاع فيمن بعث اليهم
الرسول صلى الله عليه وسلم ووجب عليهم اتباعه فان اتبعوه فهم امة الاجابة وهم
وغيرهم امة الدعوة والمراد الاول والقبض في الاصل اخذ الشي واستيفاوه يقال
قبض المال والمتاع ويقال قبض الله او الملك زيدا اوروحه والمشهور في الانتقال
الاول وكان العدول عنه هنا اشارة الى ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام احيا
في قبورهم ولا تاكل الارض ابدانهم فموتهم ليس كموت غيرهم فهم كمن ارسله الملك
لامر فاتمه وعاد اليه والفرط بفتحتين اصله من يرسله الناس قدامهم لمنزل رحلتهم
ليهيي لهم لوازمهم او لينظر ما به من ما وعشب وانه هل يحسن نزول السفر به
ام لا او ليزيل ما يخافه وينظر هل به عدو ام لا من فرط بمعنى تقدم فهو فعل بمعنى

فاعل كنبح بمعنى نابح لا جمع له كخدم وخادم لاطلاقه على الواحد وغيره ويطلق على
الطفل الذي يموت قبل ابويه او احدهما كما ورد في دعا الجنازة وهو من هذا القبيل لا بمعنى
اخر تهو اما لانه يحصل بسببه اجر كمنافع المنازل او لما ورد من انه يقف على الحوض ليسقي
ابويه وفيه استعارة بديعة لجعله القبر منزلا لكل احد سايرا اليه موردا وكل وارد عليه
ولذا يقال حياض الدنيا وموارده ما من صبرته الحياة في طرف الموت ورد لا بد ان يرده وان
الناس مسافرون ليست الدنيا دار اقامة لهم

وانا لفي الدنيا كركب سفينة * نظن وقوفا والزمان بنا يسري

ويقال افرط فلان ابنه اذا مات قبله والسلف يوزنه معنا وما تقدم واعطاه في المال
كالسلم ورد بمعنى الرهن وسلف المرء من مضى من ابايه واقربايه لتقدم موته ولذا سمي
الصدر الاول السلف الصالح فكان ما اصاب الامة بفقد نبيها صلى الله عليه وسلم جعل
سلفا او فرطا للاجر الذي يجازى به على الصبر

والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

ولذا قيل لما قدم من العمل الصالح فرطا والنبي صلى الله عليه وسلم اب لامته لانه
سبب لحياتهم الابدية كالاب الذي هو سبب الحياة ولذا كانت زوجاته صلى الله عليه
وسلم امهات المومنين وفي حياته صلى الله عليه وسلم من الرحمة ما لا يخفى كما مر
فاذا ارتحل ومات انتقل لجوار ربه مع الرفيق الاعلى وهو راض عنهم لقبولهم ما بلغهم
ونصرتهم ومحبتهم له وشهادتهم على بلاغه ولولا ذلك لاهلكوا فكانت رحلته صلى
الله عليه وسلم رحمة لهم مع ما اصابهم من الاجر بمصيبته وحده واستغفاره
لهم اذا عرضت عليه اعمالهم لجزاه الله حيا وميتا خير الجزا قال السمرقندي الامام
الحنفي وقد تقدمت قريبا ترجمته رحمة للعالمين يعني الجن والانس هذا تفسير
للاية المذكورة بان المراد به جنس العقلاء من الثقلين بقرينة صيغة جمع المذكر
السالم وان كان جمع عالم وهو كل ما يعلم به الصانع من العقلا وغيرهم فالمفرد
اعم من جمعه لخصوص جمع بجعله صفة او ملحقا بها لان فاعل بالفتح اسم
آلة كالخاتم والقالب وقيل غلب العقلا او جعل اسما لذوي العلم من الثقلين
او الثقلين والملك او الانس وقال الراغب الجرجاني يطلق على كل جنس لا فرد فهو
للقدر المشترك بين الاجناس فيصح اطلاقه على كل جنس وعلى مجموعها الا للمجموع واذا
عرف بلام الاستغراق شمل كل فرد من جنس كالا فاويل فمن فسره بجميع الخلق فعلى الاصل
ومن فسره بالجن والانس فعلى بعض الوجوه او خصه لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث اليهما
ومن فسره بالمومن والكافر اراد انه يشملهما لا ان معناه ذلك وهذا يقتضي ان هذا غير
مخالف لقوله وقيل لجميع الخلق وسياقه مع مرضه يا باه فالحق كما في بعض الشروح
انه لما اختار تفسير العالمين بالثقلين ذكر تفسيرا لم يرتضه ثم اخذ في بيان ما به تكون
الرحمة على ما اختاره فقال للمومن رحمة بالهداية اي ارسله صلى الله عليه وسلم لمن
امن هداية تزيد على هداية الايمان او لمن قدر ايمانه قبل وهو على الثاني عام شامل
للملايكة والجماد اذا قلنا انه صلى الله عليه وسلم مرسل اليهم على احد القولين فيه
وسياتي تحقيقه وان عمه رحمته ايضا وقوله للمومن الخ بدل من قوله للعالمين

ابن الحنبلي

او

او متعلق بمقدر وعلى الاول هو بيان للمختار وهو الظاهر وعلى الثاني يصلح لهما ورحمة
للمنافق بالامان من القتل مطلقا بخلاف الكافر فانه لا يامن الا بالامان او اداء الجزية والنفاق
اسم اسلامي معناه اخفاء الكفر واظهار الاسلام ماخوذ من نافقاء اليربوع او من النفق بمعنى
السرب ورحمة للكافر بتاخير العذاب وفي نسخة المومنين والمنافقين والكافرين بالجمع والمراد
تاخيره لما بعد الموت واما عذاب الدنيا بالقحط وغيره فلا يختص بطائفة وقيل المراد نفي الاستيصال
والمسخ والخسف واورد عليه ايضا ان الزنديق سواء دخل فيه او في الكافر عذابه يوخر ايضا كما
فالظاهر اشتراكهما فيه وتمييز المنافق باجراء احكام الاسلام عليه ظاهرا او يقال انه اراد
في كل قسم ذكر رحمة مخصوصة من غير تخصيص والامان انسب بالمقام للعموم ثم ذكر ان من رحمة
الكافر ايضا الشفاعة له من هول الموقف ورحمته صلى الله عليه وسلم لسائر المخلوقات
قايمة اذ لولاه ما خلقت فتامله وقال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الاية وبيان
من شمله العالمين هو رحمة للمومنين والكافرين اذ عوفوا اي عافاهم الله بالعفو عنهم عاجلا
مما اصاب غيرهم من الامم الكاذبة اي المكذبة للانبيا السالفة فان الله عاقب من كفر منهم
بالاستيصال والخسف والمسخ وما نزل عليهم من السما فلا يرد من قتل في غزوات نبينا صلى
الله عليه وسلم واما النفاق فلم يشتهر في الامم السالفة حتى يعلم حكمه وقول ابن عباس رضي
الله عنهما هذا اسنده اليه في الطبراني ودلايل البيهقي وفي تفسير ابن جرير وابن
ابي حاتم وحكي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه الصلاة والسلام وحكي بالبنا للمجهول كما
صححه البرهان في المقتفي فهو مقطوع عن كلام ابن عباس وما قيل من ان كونه مقطوعا
غير مقطوع به بعيد ويجوز بناؤه للفاعل وهذا لم يوجد في شي من كتب الحديث نقله
كما في تخريج السيوطي وغيره هل اصابك من هذه الرحمة شي فيه اشارة الى انه مرحوم
مقرب وانما السوال عن رحمة زايدة نالته من رحمة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الكلام
من كلام ابن عباس رضي الله عنهما ناظرا الى الاية على مختاره الاول فكانه قال له هل
دخلت في العالمين فناسب السوال لارادة الثقلين وان كان على الثاني فكانه قيل هل
دخل في الخلق فاصابه شي من هذه الرحمة وقيل لا شبهة في انه صلى الله عليه وسلم
واسطة كل رحمة وخير وان رحمته اصابت جبريل وسواله اما ليعترف ويتحدث
بالنعمة او للتلذذ او من باب طرح المسالة والاختبار وهذه كلها امور واهية وجبريل عليه
الصلاة والسلام غير محتاج للاعتراف وكثرة اجتماعه به صلى الله عليه وسلم تغني عن
التلذذ وطرح المسالة ليس بشي قال جبريل عليه الصلاة والسلام كنت اخشى العاقبة
بتقدير مضاف اي سوء العاقبة او المراد بالعاقبة السيئة بجعل التعريف للعهد بقرينة
الخشية فانها بمعنى الخوف وانما يكون في المكروه والعاقبة ما يعقب الشي ويحصل منه
خيرا كان او شرا فامنت بفتح الهمزة المقصورة وكسر الميم الخفيفة مبني للفاعل من الامن
ضد الخوف وسياتي فيه ضبط غير مقبول لثنا الله علي بقوله انه لقول رسول كريم
ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين عند الله في علمه او في حكمه وقضائه اذ ثنا
العظيم يقتضي رضاه وقبوله وهو لا يرضى ويقبل الا من كان مرحوما مقربا فلما علم ذلك
من القران الذي هو رحمة نازلة بمحمد صلى الله عليه وسلم اطمان خاطره وامن سوء
الخاتمة واما ما ورد من انه قال ما جفت لي عين منذ خلقت النار مخافة ان اعصي

ل سيه

ابن الحنبلي

فيعذبني فيها وان الله قال له لم تبكي وقد امنتك فقال ومن يامن مكرك كما في الاحيا فهو
لاينافي ما ذكر لان المقرب لا يزال خائفا ممن يهابه فانه لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
او لانه من عظمة الله قد يذهل عن الامان وقد مدح في الاية بامور منها القوة وهي
معلومة من الاحاديث الواردة في اقتلاع المداين والجبال واهلاك صيحته كل من سمعها
وهبوطه الارض وصعوده في طرفة عين الى غير ذلك ومكانته منزلته عند الله جلت
عظمته وشانه ولذا قال عند ذي العرش ولم يقل الله ونحوه وقربه من سراد قات عزه
الى ما لم يصل اليه غيره من المقربين وهو مطاع في السما والارض امين على سر الغيب والوحي
وعلى موازين القيامة ولكن سياتي انهم اختلفوا في رسول كريم وان الاصح انه جبريل عليه
الصلاة والسلام لقوله ولقد راه بالافق المبين فان الرائي هو النبي صلى الله عليه وسلم
وهو المعبر عنه بصاحبكم والمرئي جبريل في صورته الاصلية واكثر المفسرين ان المطاع
الامين سيد العالمين وقد مر ان امنت بزنة علمت مبني للفاعل وقال التلمساني انه
مبني للمفعول بضم الهمزة ولم يزد على ذلك ولم يسنده لرواية والمشهور خلافه وعليه
فان كان بتشديد الميم فهو ظاهر وان كان بتخفيفها فهو ركيك جدا لانه ان كان من الامانة
ضد الخيانة فهو غير مناسب للمقام وان كان من الامن فكذلك لا لان امن لازم فانه
متعد الا ترى قوله لا يامن مكر الله بل لان مفعوله الثاني يكون من المعاني دون
الذوات فيحتاج لتقدير وحذف على ان اصله امن سوءعاقبتي ومثله لا داعي له وكريم
بمعنى جامع لانواع الخير ففيه شهادة له بعلو الرتبة وليس المراد كريم مرسله كما قيل
به في الحي الى كتاب كريم وان جاز وفسر المقر فيما سياتي في الكلام على هذه الاية في
الفصل الخامس من هذا الباب وروي عن جعفر بن محمد الصادق تقدمت ترجمته
قريبا في قوله تعالى في سورة الواقعة فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم
واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين في هذه الاية وجوه ذكر منها هنا
ما روي عن جعفر الصادق لمناسبته لكونه صلى الله عليه وسلم رحمة ونعمة تامة
ولما عقد له الفصل من ثنا الله عليه وهو قوله فسلام اي سلامة لك يا محمد
من اصحاب اليمين اي بك فسر به بنا على ان اللام تعليلية والعلة والسبب متقاربان
وان فرق بينهما اي لاجلك واجل كرامتك ومعناه انه انما وقعت سلامتهم من اجل
كرامة محمد صلى الله عليه وسلم قد جعل الله في هذه الاية من حضره الموت
ثلاثة اقسام مقربين واصحاب اليمين ومكذبين ضالين فالمقربون فسرهم ابن عطية
بوجهين الاول الاصناف الاربعة المنعم عليهم في قوله تعالى اولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين والثاني من لا
حساب عليهم من المؤمنين وقد فسر به السابق ايضا في قوله ومنهم سابق
بالخيرات واصحاب اليمين من غلبت حسناته سياته او عفي عنه ولو بعد حين ه
والمكذبون الضالون الكفرة والمنافقون وله تفصيل في التفسير لا ينبغي تكثير
السواد به هنا وفسر مكي قوله فسلام لك من اصحاب اليمين بان الله سلمه من عذابه
قيل وعليه المخاطب بقوله لك المحتضر المذكور اولا واصله فسلم ايها المحتضر
سلاما حاصلا لك فحذف الفعل ورفع سلام لبعد نفسه مفعولا مطلقا البدل

على

على الدوام والاستمرار وقوله لك صفة سلام ومن تعليلية اي من اجل انك من وقيل
المخاطب بقوله لك النبي صلى الله عليه وسلم وسلام مبتدا ولك خبره ومن اصحاب اليمين
حال من الضمير المستكن في الخبر اي فلك يا محمد سلامة من جهة اصحاب اليمين او من اصحاب اليمين
خبره ولك حال واللام تعليلية اي سلامة وامن من عذاب الله من جهة اصحاب اليمين حال
كون ذلك لاجلك لشفاعتك فيهم وهذا مراد جعفر وقدم الجار والمجرور الذي هو حال
على عامله وهو متعلق من اصحاب اليمين لافادة الحصر اي انما سلم اصحاب اليمين لاجلك ومن
للابتداء اي سلامة ظهرت منهم انما هي لاجلك فليست انما لمجرد المبالغة لان اصحاب اليمين
لم يكونوا مقربين وفيهم ما يقتضي عدم السلامة فكانه قيل انما سلموا لاجلك ولكرامتك
على الله ولا قلب في الاية وقال قتادة المعنى سلموا من عذاب الله وسلمت عليهم الملائكة او
المعنى لك يا محمد منهم سلام تحية اذ يزورونك في الجنة وقيل المعنى يدعون لك بان
يصلي الله ويسلم عليك او هو تحية اصحاب اليمين في السلامة هنا افو الهذا المحتمل عرضي
ما في بعض الشروح على طول فيه وهو رد لما في شرح ابن الحنبلي من انه على قول جعفر
الصادق في الاية قلب والمعنى فسلام منك حاصل بالمعنى المذكور لهم ففسر لك بقوله
بك لانه واقع موقع منك اي من اجلك وفي القلب تنبيه على شرف اصحاب اليمين كما في
عكس التشبيه في نحو قوله

وبدا الصباح كان غرته • وجه الخليفة حين يمتدح •

فان افادة الاية ان ليست سلامتهم الا من اجل كرامتك بمعونة المقام فاما للمبالغة
مع الحصر والا فلمجرد المبالغة كما في الجنى الداني عن ابن عطية ان انما لا تعارفها
المبالغة فان ساعد المعنى على الحصر صح والا بقيت للمبالغة وقيل المعنى فسلام لك
منهم لا يهمهم معك في الجنة واللام بمعنى على وقيل معناه تقول الملائكة لمن مات
من اصحاب اليمين مبشرين له بيشارتين سلام لك انك من اصحاب اليمين انتهى **اقول**
الظاهر ان مراده ان السلام بمعنى السلامة من العذاب واللام تعليلية بمعنى الباء كما مر
وقوله انما الخ بيان لحاصل المعنى المراد واصحاب اليمين بمعنى الفائزين لان اليمين يتبرك
بها كما يتشام بالشمال ولك متعلق بمقدر وهو كاين ومن متعلقة بمعدود اي سلامة
المعدود من اصحاب اليمين لاجلك او لك متعلق به مقدم من تاخير لافادة الحصر اي لم
يجعلهم الله من اصحاب اليمين الا بسببك اي لاتباعهم او لشفاعتك لهم وفيه اقامة
الظاهر مقام الضمير وتوضيحه ان في الاية معان كما مر اختار منها المص ما ذكره لافادته
ما ذكر من ثنا الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فان اما يفصل بينها وبين جوابها شي
من اجزا الجواب مفردا او في حكمه كجملة الشرط فما بعد الفا جملة هي جواب الشرط وسلام
مبتدا لان اصله سلامتهم ولك خبره ومن اصحاب الخ حال من المضاف المقدر او من الضمير ان يحيط
المستتر في الخبر والمعنى ان كان من اصحاب اليمين فسلامتهم لاجلك وان كانوا من اصحاب
اليمين والحصر من سياق التقسيم او من التعليل ولا قلب كما توهم فتدبر وقال الله
تبارك وتعالى الله نور السموات والارض الاية اي اقرا الاية واذكرها وهي الله
نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الخ وفي هذه الاية اسرار
ولطايف افردها بالتاليف الامام الغزالي في كتاب سماه مشكوة الانوار وفيه فوايد

جة وكذا الامام السهيلي قال كعب هو كعب الاحبار بن ماتع بالمثناة الفوقية ابن هينوع ويقال عمرو بن قيس بن معن بن جشم بن عبد شمس بن وايل بن عوف بن حمير بن قطن بن عوف بن زهير بن ايمن بن حمير بن سبا الحميري التابعي ادرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره واسلم في خلافة ابي بكر وقيل في خلافة عمر وصحبه واكثر الرواية عنه وعن غيره من الصحابة وروى الصحابة عنه ايضا وكان ادرك الجاهلية على اليهودية وسكن اليمن ثم سكن حمص بعد اسلامه وبها توفي في خلافة عثمان سنة اثنين وثلاثين ويقال له كعب الحبر بفتح الحا وكسرها لكثرة علمه ويأتي فيه كلام متعلق به واخرج له اصحاب السنن وغيرهم وابن جبير هو سعيد بن جبير الوالبي مولاهم ابو عبد الله او ابو محمد التابعي العابد الزاهد الثقة احد اعلام رواة الحديث روى عن ابن عباس وغيره وروى عنه من لا يحصى وخرج له اصحاب السنن وغيرهم وقتله الحجاج ظلما في سنة خمس وتسعين ولم يسلط على احد بعده بدعوته رضي الله عنه عليه بذلك وقصته معه مشهورة المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم النور من نار ينور اذا نفر ومنه نوار للظبية وبه سميت المراة نوار لنفوره لانتشاره او لازالته الظلام فكانه ينفر منه ثم اطلق على الله وعلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى القران كما في هذه الاية وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم لك الحمد نور السموات والارض ومن فيهن والنور كما بينته في عناية القاضي عند الحكما كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها ساير المبصرات كما يفيض من النيرات على الاجرام الكثيفة وزعم بعضهم انه اجرام صغار تنفصل من المضي وتتصل بالمستضي كما فصلوه في كتبهم ويترجم منه الضوء لان الزمخشري قال الاضاءة فرط الانارة فقيل انه جعل الضوء ابلغ من النور لقوله تعالى جعل الشمس ضيا والقمر نورا وانكره في الفلك الداير وقال ليس له في اللغة شاهد ولا في الاستعمال مساعد وقد سوى بينهما ابن السكيت ولا دليل في الاية **واجيب** بان كلام ابن السكيت بحسب اصل الوضع وما ذكر بحسب الاستعمال كما في الاساس والتحقيق ما في الكشف من ان الضوء فرع النور وهو الشعاع المنتشر ولذا اطلق النور على الذوات دون الضوء ولكون الابصار بتمام حليته الضوء كان فيه مبالغة من جهة اخرى وتنويره ما حققته في الروض الانف في قوله وزرقة

ونطمر في البلاد ضيا نور ۞ يقيم به البرية ان تموجا ۞

بان في البيت ما يوضح الفرق بينهما وان الضيا الشعاع المنتشر عن النور فالنور اصله ومنبعه كما قال تعالى فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وجعل الشمس ضيا لان القمر لا ينتشر عنه ما ينتشر عنها لا سيما في طرفي الشهر ولذا سمى الله القمر نورا دون ضيا **فعلم** ان بينهما فرقا لغة واستعمالا وان في كل منهما ابلغية من جهة وان اطلاق النور على الله وجهه ظاهر فسقط ما قيل ينبغي ان يكون النور على الاطلاق اقوى لقوله الله نور السموات لكنه انما يتجه اذا لم يكن بمعنى المنور والظاهر ان اطلاق النور على الله مجاز اما بمعنى المنور او استعارة الا ان الغزالي رحمه الله قال في المشكاة انه حقيقة لان النور معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره فان فهمت فهو نور على نور وهو ميل لما قاله الاشراقيون قال العلامة في شرح حكمة الاشراق الله نور السموات والارض لا بمعنى منورهما على ما يقوله بعض المفسرين هربا من اطلاق اسم النور

عليه

عليه بل بمعنى انه محض النور البحت وان ساير الانوار شعاع من نوره انتهى وقد عرفت ان النبي صلى
الله عليه وسلم سمي نورا ايضا وتفسير النور الثاني به كما قالوه ظاهر الا ان قوله وقوله تعالى
مثل نوره اي مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم يأبى ما فيه والمثل المماثل والمشابه والصفة
العجيبة وللامام الغزالي كلام لطيف في النور نورده وان طال لان كلام الحبيب لا يمل وهو النور
يشير الى الظهور وهو امر اضافي فقد يظهر الشيء لانسان ويبطن عن غيره واضافة الظهور الى
الحواس المدركة اقوى واجلاها حاسة البصر والاشيا بالنسبة اليها ثلاثة اقسام منها ما لا
يبصر بنفسه كالاجسام المظلمة ومنها ما يبصر ولا يبصر به غيره كالشمس والسراج والنور اسم
لهذا القسم الثالث وهو عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر عنده غيره وقد يطلق على ما يفيض منه على
ظواهر الاجسام الكثيفة فيقال وقع نور الشمس على الارض **ولما** كان سر النور وروحه
هو الظهور للادراك وكان الادراك موقوفا على وجود النور فهو الظاهر المظهر واسم النور
بالنور الباصر احق منه بالنور فلذا اطلقوا على نور العين المبصرة وقالوا للاعمى فقد نور البصر
فسموا الروح الباصر نورا لا انه موسوم بانواع النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه
ولا ما بعد ولا ما هو وراء حجاب ويبصر الظاهر دون الباطن ولا يبصر ما لا يتناهى ويغلط
كثيرا فيرى الكبير صغيرا وعكسه والبعيد قريبا وعكسه والساكن متحركا والمتحرك ساكنا
**ثم** انا قلنا ان في قلب الانسان روحا ونفسا انسانية وعقلا فهي اولى باسم النور لسلامتها
منها
من تلك النقايص الا ان المبصرات ليست عندها متساوية لتفاوتها بالبداهة ونحوها وعند
اشراق انوار الحكمة يصير العقل مبصرا بالفعل بعد ان كان مبصرا بالقوة واعظم الحكمة كلام الله
فمنزلة ايات القران عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة اذ به يتم الابصار
فلذا سمي القران نورا فقال والنور الذي انزلنا **فالعين عينان** عين ظاهرة هي من عالم
الشهادة وباطنة من عالم الغيب **دقيقة** اذا كان ما يبصر نفسه وغيره اولى باسم النور
فان كان من جملة ما يبصر به غيره ايضا مع انه يبصر نفسه وغيره فهو اولى باسم النور
من الذي لا يؤثر في غيره **اصلا** بل بالحري ان يسمى سراجا منيرا لفيضان انواره الى غيره
وهذه الخاصة توجد للروح القدسي النبوي اذ يفيض بواسطته انوار المعارف على الخلائق
ولهذا ظهر معنى تسمية محمد صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا وكذا الانبيا والعلما وان
تفاوتوا والذي يقتبس منه السراج جدير بان يكنى عنه بالنار وهي التي تونس من جانب الطور
وهذه السرج الارضية انما تقتبس من انوار علوية والروح القدسي النبوي يكاد زيته يضيء
ولو لم تمسسه نار ولكن انما يصير نورا على نور اذا مسته النار ويقابل النور الظلمة ولا
ظلمة اشد من كتم العلم انتهى **وقد** اعترض على عبارة المصنف رحمه الله بالفاظ محررة
واحرها ما فيه لا قولها الا ان قولها يقتضي ان النور اطلق على النبي صلى الله عليه وسلم فهما فانه
يطلق عليه كما مر واذا كان المراد بالنور في قوله مثل نوره محمد صلى الله عليه وسلم فلا يليق
التربيع وان يكون الضمير راجعا الله سبحانه والمعنى مثل نبيه فقوله مثل نوره اي نور محمد
صلى الله عليه وسلم لا يصح بوجه والموافق ان يقول نور الله اي محمد **واجيب**
ابن الحنبلي
بانه غير وارد لانه ليس كلاما واحدا صدر من كعب وابن جبير كلامان اولهما لابن جبير
وثانيهما لكعب على اللف والنشر المشوش وذلك معنى عما قيل من ان اضافة النور لمحمد صلى
الله عليه وسلم بيانية فالنور منحصر في ذاته وعلى غيره الاضافة للتشريف والتعظيم

وردبانه ليس في كلامه قرينة تدل على ما قاله ولم يقله غيره والمنقول عن كعب وابن جبير
ان الضمير المجرور لمحمد صلى الله عليه وسلم كما نقله المصنف عنهما وهو المنقول في تفسير القرطبي
والوقف الحسن على الله نور السموات والارض فقول المص رحمه الله المراد بالنور الثاني محمد
يعني به ان المقصود من النور الثاني ما شان محمد فليس بمحمول على حمله هو وهو غاية انه
تجوز في العبارة وهذا اقرب واسلم من التكلف الا انه لا ينبغي منع كون الاضافة بيانية ايضا
**اقول** هذا محصل ما قالوه من الاعتراض والجواب وانت اذا تاملته رايته متعسفا ومثله
لا يخفى على هولا والذي ظهر لي ان المراد ان النور الثاني محمد صلى الله عليه وسلم بطريق المجاز
والاول هو الله اضيف لجميع مخلوقاته للتعميم والثاني مضاف لله للتشريف والتعظيم له
والثالث اما فنه كطين الما الى به بيانا للتشبيه الذي بنيت عليه الاستعارة فالمعنى الله نور
عم نوره جميع مخلوقاته وخص نبيه صلى الله عليه وسلم باوفر قسم منه فسماه باسمه والبسه
حلته كما البسه الرافة والرحمة ثم فسره بنور محمد اي هو محمد النور المبين وهذا
نور تنظ الايات بما قبلها ويا خذ كلام المصنف بعضه بحجز بعض فينشط من الاشكال
كما ينشط النحل من العقال وفي نسخة محمد باسقاط مثل ولا غبار عليها او قال سهل بن
عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري كما سيأتي الصالح المشهور
الذي لم يسمح الدهر بمثله علما وورعا وله كرامات مشهورة صحب ذا النون المصري بمكة
وتوفي سنة ثلاث وثمانين في المحرم وقيل سنة ثلاث وسبعين ومايتين بالبصرة ومولده
سنة مائتين وقيل احدى ومائتين بتستر وهي بلدة من كور الاهواز ويقال
ششتر بمعجمتين وبها قبر البراء بن مالك عازب وقال النووي رحمه الله هي بمثناتين
من فوق الاولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما سين مهملة ساكنة معربة
نحو ستاله المعنى ان الله هادي اهل السموات والارض هذا التفسير هو الماثور
عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال الامام الرازي في شرح الاسما الحسنى هذا حسن
الا ان تفسيره بما ذكر في الاسما الحسنى التسعة والتسعين لا يجوز لانه يصير تكرارا
محضا **واجيب** بانه يجوز ان يكون الهادي الخ كما قالوه في الرؤف والرحيم او
يعتبر فيه هداية بالغة الى حد لا يتناهى فيحصل به المغايرة في الجملة كالرحمن الرحيم
وقوله لا يخفى لا وجه له فان له نظائر في هذه الاسما وفي شروح الكشاف معنى نور السموات
والارض هادي العالمين مبين ما يهتدون به ويتخلصون من ظلمات الكفر والضلال
بوحي منزل ونبي مرسل والتاويل الذي عليه التعويل ما يساعده النظم سياقا
وسباقا وما قبله من قوله سورة انزلناها الى هنا اشارة في ضمن ما بين من الاحكام
الى نزاهة ام المومنين وطهارة ساحة افضل المرسلين هدانا انها الى معالم الحكم
فذكر بعدها انه الهادي ثم قال يهدي الله لنوره من يشا فاخذ الكلام بعضه
بحجز بعض فما قيل من ان تشبيهه بالنور في الهداية وبنا كلام ابن عباس رضي الله
عنهما عليه مستشنع عندي كلام لا وجه له فاي استشناع في مثله وفي ذكر اهل
اشارة الى ان الاضافة في الاية للسموات والارض مجازية تجوز نسبتها الاضافية
كما في قوله تعالى مالك يوم الدين او هو بتقدير مضاف والاول اولى وفي
بعض الشروح الرواية عند المص قراة عليه بضبط هل والمعروف الكسر ثم قال

اي

اي سهل رضي الله عنه مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان مستودعًا في الاصلاب وفي نسخة
في اصلاب ابائه وهذا من تتمة تفسيره المذكور وقيل انه على تفسير اخر منقول عن سهل ايضًا
كما نقله عنه البغوي في تفسيره والظاهر الاول لان قوله نوره الخ تفريعه والضمير المستتر في
كان راجع لنور محمد او لمحمد صلى الله عليه وسلم نفسه ورجحه بعضهم بان محمدا صلى
الله عليه وسلم كان في صلب ابائه لا نوره وفيه نظر اي مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم
وصفته العجيبة وقت كونه في الخ والاصلاب جمع صلب بضم فسكون وقد تضم اللام
اتباعًا وفيه لغات تقدمت واصله معناه الشديد وسمي به الظهر وعظم فيه ممتد
ما بين الكاهلين الى عجب الذنب وهي فقار الظهر الممتدة فيه كالسلسلة قيل كان نوره
صلى الله عليه وسلم في جبهة ابائه من ادم الى ابيه عبد الله وهو نور حتى كالقمر في الليلة
الظلما والمستودع في الاصلاب مادة جسده اللطيف والنور تابع لتلك المادة وكان نظيره
في امهاته ايضًا كما ورد في صحيح الاخبار واستبعد في الاصلاب وجوده فيها كما قيل

انواره كانت بجبهة ادم * لا تختفي عمن له عينان *
وبصلب ادم كان وقت هبوطه * وبصلب نوح وهو في الطوفان *

**قلت** انكروا لا ان يكون النور في الاصلاب ثم اعترف به وكونه تابعًا للمادة
يقتضيه اقتضاءً ظاهرًا والمستودع بالفتح سياتي بيانه كمشكاة صفته كذا في نسخة
وصفها كذا وكذا كناية عن قوله فيها مصباح الخ فانها استعملت كذلك اي صفة نور محمد
صلى الله عليه وسلم كصفة نور مشكاة والمشكاة كوة غير نافذة والكوة بفتح الكاف وضمها
اسم ما لا ينفذ ولا يخرج وقيل انها معربة من الحبشية وقيل هي القنديل وقيل هي موضع
الفتيلة وقيل معلاقة والمصباح القنديل وقيل الفتيلة ماخوذ من المصباح او الصباح
والسراج الفتيلة الموقودة والناس تطلقه على محلها وهو مجاز مشهور هذا معناه
لغة واما المراد هنا فاشار اليه المصنف رحمه الله بقوله واراد بالمصباح قلبه وبالز
صدره الزجاجة بالضم وهي مثلثة لكن هذا اعرفها وافصحها وعلى ما ذكره المصنف رحمه الله
تكون المشكاة جسده الشريف وكون القلب في الصدر اي في جانبه الايسر مما لا شبهة
فيه وهذا من تتمة كلام سهل وقيل انه ليس منه وللسلف تفاسير اخر هنا منها
ان المشكاة ابدان ابائه والزجاجة اصلابهم والمصباح نوره صلى الله عليه وسلم
المستودع فيهم كما سياتي في شعر العباس رضي الله عنه وانما جعل المصباح في المشكاة
لانه يكون فيها اقوى ضوءا وقيل المشكاة ابراهيم عليه الصلاة والسلام والزجاجة
اسمعيل عليه الصلاة والسلام والمصباح صلى الله عليه وسلم اي كانه اي صدره
الشريف كوكب دري في الزاهر لابن الانباري الدري الكوكب المضيء وفيه خمس لغات
ضم الدال وكسرها وفتحها مع الهمز وبدونها مشدد الياء قيل انه منسوب الى الدر
لحسنه وصفائه فوزنه فعلي وهو بالضم والهمز فعيل من درا الكوكب جرى او دفع
او طلع لغتة وهو شاذ لان فعيل من ابنية العرب ومريق اسم العصفر اعجمي وعند
سيبويه رحمه الله من ابنيتهم وقال ابو عبيدة اصله دروء كسبوح فجعلت
الضمة كسرة والواو ياء كما قالوا في عتو عتي ومن قال دري بكسر الدال كسره من
اجل الياء التي بعد الرا لمجانسة لها ومن قال انه منسوب للدر بناه على عدم

عوضي
عربي
جلجة
سيد
حبيل

فعيل فالهمزة من تغييرات النسب وعلى الكسر هو فعيل كسكيت وسكيت صفة مشبهة وهو افصحها
والضم نادر والقول بانه لحن غير صحيح بعد وروده في القران واما دري بفتح الدال
والهمز فشاذ لا نظير له الا سكينة بفتح السين في لغة حكاها ابو زيد فدري بمعنى
متلالي مشرق غاية الاشراق ولم يجعلوا الضمير للقلب لاستتاره قيل ولم يشبهه بالشمس
او القمر لما يعرض لهما من الخسوف والكسوف ورد بان المصباح يعرض له الانطفا بالكلية
وهو قابل له في كل اوقاته فالصواب ان يقال ان هذا اوفق التشبيه باعتبار ان النيرين
لا يحويهما مكان ضيق نيران فيه وايضا اشراقهما عام للبر والفاجر بخلاف المصباح
ولو تركوا هذا الكلام لكان احسن وقوله لما فيه من الايمان والحكمة ضمير فيه للصدر
وجعل ذلك فيه بواسطة القلب ولو ارجع للقلب لم يبعد والحكمة العلم النافع ولا
وجه لتخصيصها بعلوم القران وقيل المراد بها هنا النبوة كما في قوله تعالى ادع
الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة توقد من شجرة مباركة في توقد قراات
بالفوقية والتحتية والضم والفتح على الماضوية والمضارعية ولا تعين لشي منها
هنا وذهب بعضهم الى انه بالفوقية المفتوحة ماض كتكسر وايثاره على قراة
توقد بضم المثناة الفوقية وفتح القاف المخففة لان الضمير فيها اما للمشكاة او
للزجاجة والضمير في الاول انما هو للمصباح مرادا به الفتيل الذي في الزجاجة
ونسبة التوقد اليه اولى من نسبة الايقاد اليهما وان قيل اوقدت المسجد مع ما في
التوقد من النسبة المكملة للاصل المشبهة به السارية الى فرعه ومن للابتدا
اي ذلك المصباح يوقد من زيت هذه الشجرة ومباركة بمعنى متيمن بها لكثرة
منافعها وثباتها وللزيتون بركة عظيمة مشاهدة حتى ذكر في كتاب الفلاحة ان
الحكما يضعون شيا من اغصانها في بيوتهم في راس كل سنة تبركا بها اي من نور ابراهيم
اي المراد بتوقد المصباح من هذه الشجرة وصول نور النبوة من ابيه ابراهيم اليه عليهما
الصلاة والسلام لان النسب يشبه بالشجرة وابراهيم عليه الصلاة والسلام ابو
الانبيا وجد نبينا صلى الله عليه وسلم ودعوته وضرب المثل بالشجرة المباركة المثل
كلام شبه مضربه بمورده وضربه ذكره كذكره من ضرب اللبن والخاتم اذا صنعه على قالب
مخصوص فضربه بمعنى بيانه ويكون المثل تشبيها واستعارة تمثيلية في الاكثر والمراد
هنا الثاني لانه شبه ظهور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم المتصلة بابيه ابراهيم
عليه الصلاة والسلام وشبه المتصل به بمصباح اضا بزيت من شجرة مباركة
واقتصر على بعض اجزا التمثيل لظهور ما فيه وفائدة التمثيل كما في الكشاف ابراز
المعقول في هيئة المحسوس لتتضح وترسخ في الاذهان ولذا كثر في الاحاديث والكتب
الالهية وفي بعض الشروح كما ضرب صدر محمد صلى الله عليه وسلم بالزجاجة
وقلبه بالمصباح وما فيه من الايمان والعلم والحكمة بالنور وضوء المصباح
الذي تحقق توقده من نار زيت هذه الشجرة ووصفها بلا شرقية ولا غربية
اشارة الى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يكن يهوديا ولا نصرانيا بل حنيفا
مسلما كما فسره ابن عمر رضي الله عنهما لان النصارى تصلي للشرق واليهود للغرب
وعلى ما اختاره المصنف لعله فقول سهل لا بد من اعتبار ان التقدير في الاية كمثل

نور

نور مشكاة كما قدرنا على قول سهل فسقط ما قيل من ان التقدير كمصباح في مشكاة
اي كمثل ضوء في مشكاة بناء على ان في جانب المشبه قلبا كقوله

وان كان النجوم بين دجاها ❁ سنن لاح بينهن ابتداع ❁

وفي شرح النجاتي ان هذا الذي حكاه المصنف من ان المصباح كناية عن قلب محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة عن صدره والشجرة عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام تاويل بعيد عن ظاهر القران والصحيح ما عليه جمهور المفسرين من انه تعالى ضرب هذا مثلا لنوره وثمنا لا للغصون فهام الخلق اذ لولاه ما عرف الله قال وما اشبه هذا التاويل بتاويل المفضل قول الفرزدق

اخذنا باطراف السما عليكم ❁ لنا قمراها والنجوم الطوالع ❁

لما ساله الرشيد عنه فقال اراد بالقمرين ابراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم وبالنجوم الطوالع انت واباوك فقال له احسنت انتهى وفيه نظر وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه اي تكلمه ودعواه النبوة وتحديه كهذا الزيت تبين مضارع بان بمعنى اتضح والكلام يكون مصدرا بمعنى التكلم كقوله ❁ فان كلامها شفا لما بيا او المراد به ما يتكلم به فيقدر مضاف اي قبل ايراد كلامه الذي يتكلم به وقبل ان يوحى اليه فعلى هذا اشبه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بزيت اخذ من شجرة للاضاءة فان النور المحمدي الماخوذ من النور الخليلي سبب لاضاءة سراج قلبه الذي اضاء به الكون وشبه الكلام بالنار لاظهاره النبوة والدين واورد عليه ان نور محمد صلى الله عليه وسلم كان في الاصلاب قبل خلق جسمه الشريف وما فيه من قلب وصدر فكيف يصح تشبيه القلب والصدر بما مر الا ان يقال الاصل المادة موجود مع كل واحد من اجزائها الاصول موجودة في الاصلاب كما سياتي من تعلق الروح به فيتم التشبيه والاوجه ما روي عن كعب من انه مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال المشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح نبوته توقد من شجرتها ومحاسنه تظهر قبل الكلام وان يوحى اليه واذا فسر النور بمحمد صلى الله عليه وسلم والمشكاة بالصدر فالمراد كمثل ذوي مشكاة او ان التشبيه باعتبار الاجزا فلا تقدير انتهى وقيل اضاءة الزيت قبل ان تمسه النار اشارة الى ان نبوة ابراهيم التي هي بمثابة زيت تلك الشجرة وهكذا ايمانه يكاد يبين للناس قبل كلامه **ولما** كان قلب محمد صلى الله عليه وسلم بمثابة المصباح الذي يوقد مما فيه من زيت تلك الشجرة التي تكاد تضيء ولو لم تمسسه نار وكان ما فيه من نور الايمان والنبوة بمثابة نور ذلك الزيت كانا بحيث يبينان للناس قبل كلامه فاشار الى ذلك مكتفيا بذكر احدهما احالة للاخر على المقايسة بقوله كهذا الزيت والاشارة للذي في الاية الموصوف بالاضاءة قبل اقتباس النار فالايضاح كالاضاءة كما ان الخفا كالاظلام والتكلم كامساس النار في زيت ظهور نحو ما عليه وقد قيل في الاية غير هذا من الوجوه المنقولة في التفاسير واقتصر المصنف على ما ذكر لما فيه من الثنا على النبي صلى الله عليه وسلم وقد سماه الله نورا وسراجا منيرا لما ذكر ان بعضهم فسر النور في مثل نوره

ابن الجوزي

سيد

ابن الحنبلي

محمد صلى الله عليه وسلم وهو مما استبعده كثير من العلما اردفه بما يغني عنه او
يدفع الاستبعاد عنه فقال ان الله اطلق عليه النور في غير هذه الاية حيث سماه نورا
على ما تقدم في كلام الغزالي وغيره من انه الرشد الهادي للناس بما يفيض عليه من الانوار
القدسية والمنير الزايد النور او المظهر لغيره ما خفي عليه قد جاكم من الله نور وكتاب
مبين الخطاب لاهل مكة في قوله يا اهل الكتاب قد جاكم الخ وقد فسر النور بالاسلام
والكتاب شامل للتوراة والانجيل وكانوا يخفون ما فيهما من صفات النبي صلى الله عليه
وسلم وغيره فلذا فسر النور به وبالقران فسماه نورا لكشفه ظلمات الجهل والضلال
ولذا وحد الضمير لاتحاد الطريق في هدايتهما فان خلقه صلى الله عليه وسلم القران
كما سيجي وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه
الاذن على ظاهره لان امره اذن له او المراد به الارادة فانه كثيرا ما يتجوز به عنها وعن
الامر كما في مجاز القران لابن عبد السلام رحمه الله وفسر بتوفيقه ايضا وتيسيره ٥
وسراجا منيرا واطلاق النور سبحانه واطلاقه على النبي صلى الله عليه وسلم
والاسلام والقران بكل منهما تتقوى البصيرة على ادراك المعقولات كما يتقوى النور
على ادراك المحسوسات وسماه شاهدا لانه صلى الله عليه وسلم يشهد على امته
بالقبول والانكار وعلى الرسل بالتبليغ وعلى اممهم وهو المبشر لهم بالجنة ونعيمها
والنذير بعذاب لمن كفر وهو الداعي الى توحيد الله وطاعته وتشبيهه صلى الله
عليه وسلم بالسراج في غاية الوضوح والبلاغة لانه يستضي من الوحي ويضي
للناس بما اتاه من ربه وفيه من البلاغة ما ليس في قوله شمسا وقمرا ووصف السراج
بانه منير للتوكيد وقيل لان من السراج ما لا يضي اذا رق فتيله وقل زيته وقد
قيل ثلاثة تضني رسول بطي وسراج لا يضي ومايدة ينتظر اليها من يجي ومن
هذا القبيل الذي عقد هذا الفصل لذكره من ثنا الله على نبيه صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة الهمزة لانكار النفي ونفي النفي اثبات
فناسب عطف المثبت عليه وقوله الى اخر السورة يقتضي انها كلها ثنا من الله على
نبيه صلى الله عليه وسلم فان الكلام فيه والثنا بحسب الظاهر انما هو في اوايلها
الى قوله ورفعنا لك ذكرك **قلت** هذا بحسب بادي النظر كما قيل وعند التحقيق
هي كذلك باسرها فانها تدل على نعم الله عليه على رسوله صلى الله عليه وسلم وهي
متضمنة للثنا عليه بما اعطاه الله من الكمال الذي لم يبلغه سواه ولا يدانيه فيه
احد وهو ابلغ الثنا ففي قوله ان مع العسر يسرا اشارة الى انه ثبت جاشه لما
اقتحمه من الشدايد كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر في مكابدة قومه
وايذايهم له وهو مداوم على الدعوة والتبليغ ثم انه بشره بانه كرر يسره وزاده
على عسره فانه لن يغلب عسر يسرين على قاعدة اعادة النكرة والمعرفة المشهورة
وفي قوله فاذا فرغت فانصب اي اذا فرغت من التبليغ فانصب في العبادة اشارة الى
انه صلى الله عليه وسلم ادى الامانة ونصح الامة وتمت له النعمة المستحقة لابلغ
الشكر وهو العبادة فالسورة كلها متضمنة لتعديد النعم عليه صلى الله عليه وسلم
مع مدحه والثنا عليه وامره بالشكر على ما اولاه والابتهال اليه لا الى غيره في كل

ما ينوبه

مايسوبه ولهذا ابنيه ان السورة كلها من هذا القبيل شرح اي وسع الشرح قال الراغب
سعة
اصل معناه بسط اللحم ونحوه ومنه شرح الصدر وهي بسطه بنور الهي وقال غيره الفو
سيد
مطلقا فلا تختص بالظرف كما قيل الله من صفات الظروف باعتبار امكان ظرفيتها
لامور فوصف القلب به باعتبار انضمامه بامور فاذا قيل شرح به او له فهو متصف به
واذا اطلق كما في الاية فالمراد تخليته لليقين وتحمل المشاق من غير قلق ونحوه من
الكمال ويراد به الفرح وعدم الانقباض ومنه شرحت الحديث اذا بينته وفسرته وشرح
اللحم قطعته طولا وقد فسر ماهنا بالاخير بناء على انه بيان لشق قلبه في صباه كما
ذكره القاضي ومما يدل على ان اصل معناه الاتساع المقابل للضيق قوله تعالى
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا وتفسيره المنفعلة بالماضي المثبت لان الاستفهام الانكاري دفي معنى ونفي النفي
اثبات كما مر ولم يقلب المضارع ماضيا واختاره في المظهر على شرح وهو اوضح واوجز
لانه ابلغ لانه ذكر الشيء بلازمه وهو ابانة بينة لانه كناية عن الاثبات اللازم له
اي ان الله وسع قلبه صلى الله عليه وسلم لمناجاة الحق ودعوة الخلق او بما اودع فيه
من العلم والحكمة او بما يسر من تلقي الوحي بعدما شق عليه كما ذكره المفسرون والمراد
بالصدر هنا القلب فهو تسمية للحال باسم المحل والظرف باسم المظروف والقلب معروف
عوشي
وتفسيره باللطيفة بيمانيها الانسان عن غيره ليس بشيء كما مر وقال ابن عباس
رضي الله عنهما شرحه بالاسلام وروي بالايمان اي التصديق الكامل المقرون
بالعمل والكلام عليه وعلى الاسلام ليس هذا محله اي لحلوله فيه وقبوله واذعان
حقيقته واتباع مقتضاه وهذا اخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما ابن مردويه
وابن المنذر من طريق عطا وابن ابي حاتم عن عكرمة وقال سهل قد تقدمت ترجمته
وقوله بنور الرسالة رواه الطيبي والرسالة هي ارسال الله اياه لتبليغ وحيه
والمعنى انه شرحه برسالة شبيهة بالنور لاظهارها للشريعة وسائر العلوم
فهو كالجنين المأ او المراد اثارها المضاهية له فجعله معدنا للحقائق والالباللمعرفة
او للسببية وقال الحسن هو الحسن بن ابي الحسن البصري التابعي واسمه يسار
بالتحتية والمهملة وهو من اجل التابعين وهو في الزهد والعلم والاظهار
الحق صورته عالية غنية عن البيان مكث ثلاثين سنة لم يضحك ولم يخرج من محل
الطاعة ولقي كثيرا من الصحابة وتروى عنه احاديث كثيرة وحيث اطلق المحدثون
الحسن فهو المراد وحلالته لم يختلف فيها ولم يجرح وانما اختلفوا في كونه لقي
عليا رضي الله عنه وروى عنه فذهب كثير منهم الى انه لم تثبت روايته له ولا انه البسه
خرقة المشايخ الصوفية قدس الله اسرارهم ونفعنا بسرهم على الطريقة المعروفة
بينهم وذهب كثير من المحدثين الى انه ابدا عنه لم تصح ولكن الجلال السيوطي رحمه الله
صنف فيها جزءا لطيفا وقال انها ثابتة واثبت ايضا ان الحسن رحمه الله اجتمع
سيد
بعلي كرم الله وجهه وكذا ذكره الحافظ ابن حجر فلا عبرة بانكار مثله وسن الحسن
يحتمل له والمثبت مقدم على النافي فانه مولى للانصار وولد لسنتين بقيا من
خلافة عمر رضي الله عنه ومات بالبصرة سنة عشر ومائة وهو ابن ثمان

وثمانين سنة وكانت امه تخدم ام سلمة زوجة النبي صلي الله عليه وسلم ورضي عنها
فكان اذا بكي عندها في صغره وضعت ثديها في فمه فاصابه بركتها حتي صار بحيث يضرب به
الامثال في العلم والزهد والفصاحة وله قصة مع الحجاج مشهورة ملاه حكمة وعلما
وروي كما في بعض النسخ حكما بضم الحا المهملة وسكون الكاف او بكسرها وفتح الكاف
جمع حكمة وهي العلم بالحقايق النافعة والشرعية والحكم بالضم ايضا يكون بمعناها
كما ورد في الحديث ان من الشعر الحكما وحكمة وقيل انه يؤيده رواية الحكمة هنا
ما في حديث الشق للقصد من انه حشي ايمانا وحكمة والحكم بالضم الفقه او القضا بالعدل
او التصديق او الكمال والعطف للتاكيد والتتميم وملؤه مجاز عن عدم سعة شي غيره
او عن كثرته وقيل انه جعل علي صورة جسم ثم ملي به فهو حقيقة وبعض اهل البصيرة
يري الايمان والعلم مجسما شمعا ومصباحا ومشعلا وانا اري ذلك من ثمرتهما كما سيجي
انتهي وقيل معناه الم نطهر قلبك اي ننظفه من حظ الشيطان ودنس الاوهام وهو
اشارة الي ما ورد في شق صدره الشريف واخراج علقة سودا منه وقوله هذا حظ
الشيطان منك وسياتي مفصلا منه وجا في بعض النسخ لك قلبك كما في الاية
وزيادة لك مع عدم الحاجة لها قيل للاشارة الي ان الله غني عن العالمين فاللام للتعليل
اي فعلنا ذلك لاجلك لا لاجلنا لعدم احتياجنا الي شي من المخلوقات وفي تفسير
القاضي انه للابهام قبل الايضاح فيفيد مبالغة وهذه النكتة جارية في الشرح
والرفع لكن يعني انه لما ذكر الفعل علم ان ثمة مشروح ومرفوع ولما قيل لك
اشتد ابهامه وتوهم انه اعرض عن ذكره فلما ذكر لعلمه صار اوقع في النفس واكد
لانه في قوة ذكره مرتين مجملا ومعينا لان لك بمعني شيا لك ثم لما قال صدرك
عينه قيل والفصل للتقدم حتي لا يؤذيك الوسواس قال ابن مالك فعلل
مربا صحيح كدحرج وثنائي مكرر نحو كبكب ولهما مصدران مطرد ان فعللة وفعلال
بالكسر كزلزال وهو اقيس فيه واما الفتح فورد فيه شاذا لكنه كثير في المكرر
كتمتام وفافا وهو للمبالغة كفعال في الثلاثي والحق انه صفة وجعله
مصدرا يريد به الفاعل او بتقدير ذو مما لا داعي له كما جنح اليه الزمخشري
ومن تبعه انتهي فعلي ما اختاره هو الوسواس بالفتح بمعني الموسوس صفة
حقيقية من غير تاويله فهي بمعني الشيطان وعلي ما اختاره الزمخشري يفسر
بالوسوسة لانه مصدر عنده ويجوز تفسيره بالشيطان علي انه مجاز
وتطهير قلبه مما ذكر من حظ الشيطان والوسوسة اما بان خلقه سالم الصدر
او هو اشارة الي ما ورد في الحديث الصحيح من شق صدره وقلبه واخراج علقة
سودا منه وقول الملك هذا حظ الشيطان منك وغسله لما اراد الله تقديسه
وتنويره بنوره منه حال طفوليته ليستعد لقبول الوحي ومشاهدة الملكوت
ونحوه مما لا تطيقه القوي البشرية وهذا مما يؤذن بانه علي حقيقته وظاهره
ولا يحتاج لتاويله وقد فسر شرح الصدر بهذا وقيل بتقوية المجاهدة وقيل
بعدم التوجه لغير الله وقال بعض الشراح الاولي شرح الشرح بجمع الكمالات
القلبية الشاملة لجميع ما ذكر جمعا بين الاقوال فان التخصيص بلا مخصص

بين

غير متجه ولهذا ينبدفع الاشكال في هذه التفاسير وامثالها من انه ان ثبت كل منهما فقل فما
وجه الجمع بين المنقول والاخاوجه العدول عن التعميم مع ظهوره فنقول المقصود
المنقول ان ما ذكر مراد من غير حصر والوسوسة حديث النفس والهواجس والخواطر
القلبية واصل معناها الهمس والاصوات الخفية ولذا قيل لصوت الحلي وسواس وقد
اشتهر ذلك في كلام العرب وما احسن قول علي الباخرزي في المعنى

وخريدة تكسو الجمال لباسا ٭ قاسي لفؤاد لحبها ما قاقاسا
حنت خلاخلها بنغمة ساقها ٭ ولذاك سمي جرسها وسواسا

وما احسن قول ابي الفتح الطيبي ٭

تقال شعرك وسواس هذيت به ٭ وقد يقال لصوت الحلي وسواس ٭

**وفي الحديث** ان الله تجاوز عن امتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به
او تتكلم والكلام في انه جميعه معفو عنه اولا فيه تفصيل كما بين في محله لا حاجة
للتطويل به هنا كما في بعض الشروح واما شق الصدر وما فيه فسياتي ولا حاجة لتلقي
الركبان به ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك الوزر الحمل الثقيل ووضعه ازالته
عنه لانه اذا تعدى بعلى كان بمعنى التحميل واذا تعدى بعن كان بمعنى الازالة وقال
ابن عبد السلام في مجاز القران شبه اسقاط مؤاخذته بما سبق النبوة باسقاط
مشاق الاحمال الثقيلة والوزر يكون بمعنى الذنب ايضا والانقاض حصول النقيض
وهو صوت فقرات الظهر وقيل صوت الحمل او الرحل او المركوب اذا ثقل ما عليه ولا
هذا على عظم وزره بل المراد استعظامه له لشدة خوفه واجلاله لله انتهى فالانقاض
التثقيل في الحمل حتى يسمع له نقيض اي صوت كما قاله الازهري وقال ابن عرفة
هو اثقال يجعل ما حمل عليه نقضا اي مهزولا ضعيفا قيل وهذا تمثيل فان الظهر
اذا ثقل حمله فله نقيض والفعل بالمعنى المجازي على ظاهره او على ارادة القرب
اي كاد ينقض او على التشبيه البليغ او على تقدير لو كان وفيه بعد ولا يخفى
ما فيه من التكلف فاختر لنفسك ما يحلو وسياتي للمص كلام في هذه الاية فقيل
ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة مرضه لما سياتي من عصمته صلى الله عليه
وسلم من الصغاير والكباير قبلها وبعدها وهذا بنا على جواز صدور تقصيرات
تعرف عقلا او بشرع سابق انه خلاف الاولى او من امور حرمت عليه في دينه
فعدها اوزارا وان لم تكن كذلك فاندفع ما قيل من انه غير مناسب لكلامه
الاتي فتدبر وقيل اراد ثقل هو ضد الخفة بكسر المثلثة وفتح القاف
ويجوز تسكينها تخفيفا وللانقال معان اخر مذكورة في كتب اللغة اي
اراد بالوزر ايام الجاهلية هي زمن الفترة بعد عيسى صلى الله عليه وسلم
الى بعثته صلى الله عليه وسلم وثقلها عدم رضاه بما هو عليه منها من الشرك
وعبادة الاصنام والحروب والمقاتلة للحظوظ النفسانية وغير ذلك مما استقبحه
صلى الله عليه وسلم لسلامة فطرته وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من الرسالة
حتى بلغها حكاه الماوردي اي الوزر مستعار من الحمل الثقيل لما قاساه من
المشقة في ابتدا تلقيه الوحي من هيبة الملك وحفظ ما يلقى اليه وتكذيب قومه

وغيرهم لما عرض نفسه على القبائل وشدة اذيتهم له صلى الله عليه وسلم ولاصحابه رضي
الله عنهم ووضع ذلك عنه بما فيه من قوة الصبر وتسهيل الله ذلك عليه بعد ما كان
يخاف ان لا يبلغ الامانة ولا يقوى على مقاومتهم وهو بين اظهرهم لان هذه السور
مكية ووضع الوزر في القولين السابقين مجاز عن عدم خلق الذنب او خلق القدرة
عليه كالحذف المستعمل عند المصنفين في عدم الاتيان بالمحذوف وحقيقته عرفية
وحقيقته اللغوية اسقاطه بعد ذكره وقيل المراد بالوزر ثقل ذنوب هذه الاجابة
الموضوعة عنهم بالشفاعة والماوردي هو علي بن حبيب القاضي ابو الحسن الماوردي
نسب ابوه لعمله او لبيعه ماء الورد وهو صاحب التصانيف الجليلة في
التفسير وفقه الشافعية والاصول والحديث كالحاوي والاحكام السلطانية
وهو كتاب جليل لم يصنف في بابه مثله ولم ينصفه امام الحرمين حيث قال
في تصنيفه المسمى بالغياثي انه قال في الاحكام يجوز ان يكون الذمي وزيرا ومن ترجمة الماوردي
هذا مبلغ علمه ومنتهى فهمه كيف ينتدي للتصنيف والفتوى قال ابن الملقن
في طبقاته والذي جوزه الماوردي انما هو وزارة التنفيذ لا التفويض فتنبه له
قلت فقد تنبهنا لذلك فرأينا جوابه غير صحيح وله رحلة لابي حامد ودرس
بالبصرة وبغداد واتهم بالاعتزال مع انه خالفهم في بعض اقوالهم مات رحمه الله
سنة خمسين واربعمائة وقد بلغ ستا وثمانين سنة والسلمي بضم السين المهملة
وفتح اللام منسوب لسليم بالتصغير وهو ابو عبد الرحمن السلمي صاحب الحقائق
واسمه محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم
وتفسيرهم ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة وتوفي في شعبان سنة اثني عشرة واربعمائة
ونقل الذهبي عن يوسف القطان انه قال كان يضع الاحاديث للصوفية وقد خالفه
فيه الخطيب وقال انه ثقة صاحب علم وحال كما نقله السبكي في طبقاته واطال في
ترجمته بما لا يناسب الكتاب وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك
حكاه السمرقندي قيل انه يعني ان الوضع مجاز عن ان لا يخليه يحتمل الذنوب
وهذا القول بعيد والتعليل بان العصمة ثابتة له صلى الله عليه وسلم
فاسناد المعصوم اذ كان النعمة والثناء عليه وسياتي الكلام على هذا في القسم الثالث
اقول لا بعد فيه فانه تقدم ان وضعه بمعنى رفعه وان الله فاذا اريد منه ذلك
منها العدم خلق الذنب ودواعيه فيك او لعدم اقدارك عليه لم يبعد لما في
كل منهما من عدم تلبسه بالوزر واي بعد في هذا وقد ورد مثله كثيرا التنزيل
ما بالقوة منزلة ما بالفعل الا ترى الى قوله في الحديث رفع القلم عن ثلاث
ولم يوضع عليهم قلم حتى يرفع والقول بان احدا من اهل اللغة لم يفسر
وضع بمعنى عصم عجيب من قائله ومثله غني عن الرد وقد نقل هذا القرطبي
في تفسيره والسمرقندي تقدم الكلام عليه ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن
ادم بالنبوة يحيى بن ادم بن سليمان الاموي مولاهم الكوفي ابو زكريا احد
الاعلام الذين اخرج لهم اصحاب الكتب الستة وقد وثقه ابن معين وغيره
وتوفي سنة ثلاث بعد المائتين وروى عنه احمد بن حنبل وغيره ومن قرر رفع

الذكر

الذكر بالنبوة فشرح الصدر عنده اما يعني بالرسالة او المراد قبولها ويعني بغيره لكن
ولنافيه كلام سنبينه ولا يلزم من رفعه صلى الله عليه وسلم بالنبوة تفرده بها عن غيره
من الانبيا عليهم الصلاة والسلام اذ يكفي رفعه على من في عصره وقيل المراد بالنبوة
ما سبق لها سابر الانبيا عليهم الصلاة والسلام في الازل وادم عليه الصلاة والسلام
بين الما والطين حيث اخذ الميثاق على ان من ادركه صلى الله عليه وسلم منهم اتبعه
ولا دليل عليه في كلام المصنف **اقول** هذا كلام شراح هذا الكتاب وانما يحتاج اليه
اذا لم نقل المراد سوا تعلقت البا برفع او بذكرانه شرف ذكره صلى الله عليه وسلم حيث
خاطبه بيا ايها النبي ويا ايها الرسول فعظمه وقال لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا
بعضكم بعضا وهو المذكور في شروح الكشاف ولكن هذا غير ما ذكره المص عندهم ولا
وجه له وقيل اذا ذكرت بضم التا والضمير سه ذكرت معي بفتحهما والخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والفعل مجهول فيهما فقول لا اله الا الله محمد رسول الله قول بالرفع بدل
من الجملة قبله او خبر مبتدا مقدر هو ويجوز نصبه بتقدير اعني وما بمعناه
اي اعني بذكرك معي ذكر لا اله الخ وفي بعض النسخ وهي قول الخ قيل وهذا بنا على العادة
الغالبة او على الافضل المامور به وهذا جواب عن سوال انه قد يقول المومن لا اله
الا الله مقتصرا عليها وايضا كثيرا ما يذكر الله وحده نحو سمع الله لمن حمده وربنا ولك
الحمد كما ورد في كثير من مواطن العبادة **واجيب** بان اذا الشرطية لا عموم
لها ولذا قال المنطقيون ان قضيتها جزئية وليس قول لا اله الا الله من جملة كلام
من فسر ورفعنا الخ بقوله اذا ذكرت ذكرت معي لما سيذكره المص عن الخدري وكذا هو
في زاد المسير وفيه عقيبه قال قتادة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا
يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله الاتي في كلام المص وهذا تفسير
ما ثور عليه الجمهور والحصر فيه مشكل بما مر والظاهر ان يحمل ذكره تعالى على
افضل الذكر وهو لا اله الا الله الخ حتى ورد انه يقوم مقام كل الاذكار وكلام السيد في
جوف الفرا والقرينة على هذا ان المقام مقام امتنان وتذكير بالنعم وكونه مذكورا
معه اذا ذكر افضل الذكر اليق بمقامهما وتوسيط المص هنا قيل وهي صيغة تمريض
والقول للجمهور لا يخفى ما فيه انتهى ولم يرض هذا الشارح الجديد فقال المراد
ذكر المومن وهو لا يذكر الله الا ويذكر معه رسوله صلى الله عليه وسلم فالمصلي
اذا قال سمع الله لمن حمده هل يقولها الا وفي ذهنه النبي صلى الله عليه وسلم لانه
الذي امره بها فليس المراد بالذكر الذكر القولي فقط بل الاذكار الفعلية والتركية
والقلبية والقايل فهم ان المراد بالذكر اللفظي وهذا افهم من لم يتتبع مقاصد الربعة
**ثم** اطال في هذا بما محصله ما ذكر ولم يات بشي غير ان زاد في الشطرنج بغلة وفي
الطنبور نغمة **اقول** هذا جملة ما قالوه في هذا التفسير الماثور ولم يانوا بما
تقربه عين التقرير فان قوله اذا ذكرت ذكرت معي ان اخذ كلية خالف الواقع
فانه كم ذكر الله وحده وكم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وحده وان عين موضعا
فهو ترجيح بلا مرجح وان جعلت القضية مهملة فلا يخفى ما في الاهمال
من الركاكة وقد امعنت فيه النظر فلم ار ما يثلج الصدر ويزيد التايل

غير صعوحتى لاح لي ان الجواب الحق ان يقال الذكر محمول على الذكر في مجامع العبادة
ومشاهدها فانه ذكره صلى الله عليه وسلم مقرون بذكره فيهما في الواقع في الصلوات والخطب
فلا ترى مشهدا من مشاهد الاسلام الا وهو كذلك فلا ينفك ذكره صلى الله عليه وسلم
عن ذكره تعالى في يوم من الايام ولا ليلة من الليالي بل ولا في وقت من الاوقات
المعتد بها فتنجه الكلية **فان قلت** من اين لك هذا التقييد فهل هو الا
ترجيح من غير مرجح **قلت** المقام ناطق بهذا القيد فان المراد التنويه بذكره
صلى الله عليه وسلم واشاعة علو قدره الدال على قربه صلى الله عليه وسلم من ربه
كذا باسمه من اسمه وانما يكون هذا بذكره في المحافل والمشاهد والجوامع والمساجد
واي اشاعة اقوى من الاذان لا في الاسواق والطرق التي يطرح فيهما كل ذكر ثم انهم
اعترضوا على المص رحمه الله باتيانه بقيل في تفسير الجمهور المأثور وليس بمناسب
وهذا ايضا من قلة التيقظ فانه بالنظر الى تمامه وقول لا اله الا الله وهو كذلك وقوله
وقيل في الاذان ذال عليه فسقط ما قيل الوجه التقديم بدون التمريض ثم الترديد
في البيان وفي الاذان ظرف لذكرت او قر فعنا قيل وهو الاظهر على ما نقله في المعالم
عن مجاهد وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في الاذان والاقامة والخطب والتشهد
ولعل ذكر مجاهد الاذان ليس للتخصيص ولتخصيصه برفع الصوت على المبالغة
وقيل في الاخرة وقيل باخذ الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالمتابعة
قيل وهذا مبني على الغالب ايضا والا فقد يقتصر في الخطبة على ذكر الله تعالى
وهو جائز عند ابي حنيفة ومثله نادر في حكم العدم وفي بعض النسخ في الاذان
والاقامة والنسخة الاولى اشهر **ولما كانت الاقامة** كالاذان وضعا
وحكما ادخلت فيه بطريق التغليب وقد ورد اطلاق الاذان على الاقامة ايضا والشيء
بالشيء يذكر **واعلم** ان تحقيق هذا المقام ما قاله الامام الشافعي في اول رسالته
الجديدة وبينه السبكي في تعليقه على الرسالة فقال رحمه الله قال الامام رضي
الله عنه عن مجاهد في تفسير الاية لا اذكر الا ذكرت معي اشهد ان لا اله الا الله اشهد
ان محمدا رسول الله قال الشافعي يعني ذكره عند الايمان بالله والاذان ويحتمل ذكره
عند تلاوة القران وعند العمل بالطاعة والوقوف على المعصية قال السبكي
هذا الاحتمال من الشافعي جيد جدا وهو مبني على ان المراد بالذكر الذكر بالقلب
وهو صحيح فعلى هذا يعم لانه الفاعل للطاعة او الكاف عن المعصية امتثالا لامر
الله به ذاكر للنبي صلى الله عليه وسلم بقلبه لانه المبلغ لها عن الله وهذا اعم من
الذكر باللسان فانه قاصر على الاسلام والاذان والتشهد والخطبة ونحوها قال
الشافعي فلم تمس بنا نعمة ظهرت ولا بطنت نلنا بها حظا في دين او دنيا او دفع
عنا بها مكروه فيهما او في واحد منهما الا ومحمد صلى الله عليه وسلم سببها انتهى
**اقول** علم من هذا انه ان ابقي العموم والحصر على ظاهره حمل الذكر على الذكر
القلبي فيشمل كل موطن من مواطن العبادة والطاعة فان العاقل المؤمن
اذا ذكر الله تذكر من دل على معرفته وهداه الى طاعته وهو رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما قيل فانت باب الله اي امرئ اتاه من غيرك لا يدخل ومن

كلام

السبكي
المناو

سيد

ابن الحنبلي

كلام النبوة الاولى من اراد الوصول الى الله من غير باب النبوة فطعه الله عنه ولك
ان تقول المراد برفع ذكره تشريفه صلى الله عليه وسلم بمقارنته لذكره في شعاير الدين
الظاهرة واولها كلمتا الشهادة وهما اساس الدين ثم الاذان والصلاة والخطب الحمد
امثالها قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف وقد مر ان هذا من تصرف النساخ والا فهو
يقول يقول الفقير وهو هذا التقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم لانا
لما وقع في سورة الم نشرح وهو بيان لحاصلها قال في المغني التقرير حملك المخاطب
على الاقرار والاعتراف بامر قد استقر وثبت اي تليها اي الهمزة الشيء الذي تقرره به
وحمل الزمخشري قوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير على التقرير والمراد به التقرير
بما بعد المنفي لا بالنفي وغيره يجعله انكارا ابطاليا فيكون اثباتا للنفي والمصنف
رحمه الله تبع فيما ذكره الزمخشري ولكل وجهة هو موليها فعلى هذا التقرير
نوع من الاقرار وقد يكون من قرقرار فيكون بمعنى تثبيت الحكم قيل وفي حمل
ما هنا عليه تكلف لانه لا بد فيه من ايلاء المقرر اداة الاستفهام كجواز بيرا ضربت
في تقرير المفعول وهنا وليها النفي ولم يقصد تقريره فينبغي ان يحمل على الاول
ويؤيده ما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم قال سالت ربي عز وجل
فقلت يا رب انه قد كان انبيا قبلي منهم من سخرت له الريح الخ فقال يا محمد الم
نشرح لك صدرك الحديث **اقول** يجوز ان يراد تثبيت ما بعد النفي كما اريد
في الاول الاقرار بما بعده فان كلا منهما تاويل على خلاف الظاهر كما صرح به ابن هشام
وادعا الظهور في احدهما دون الاخر تحكم وقد فسر التلمساني التقرير هنا بالتمهيد
على عظيم نعمه لديه وتشريف منزلته عنده وكرامته عليه على متعلقة بالتقرير
سوا كان من الاقرار او بمعنى التثبيت اما الاول فلتاويله بحمله على الاقرار وحمل
بتعدي بعلى فلما كان في معناه عدي تعديته واما على الثاني فظاهر وقيل ان على
بمعنى الباء لان الاقرار يتعدى بها فتقول اقر بكذا وهو كقوله تعالى حقيق
على ان لا اقول وهذا منه وليس بمعنى التثبيت والالقاء المهم تقرير من
الله جل اسمه لعظيم نعمه وقيل عليه انه من التثبيت اي تثبيت من الله عز
وجل لنبيه على ما احاط به علمه من عظيم نعمه وذلك لان هذه النعم علمها
وخفي لعدم شكره ان لا تكون نعما فثبت فؤاده على شهود انها نعم جسيمة ولا
يخفى ما فيه والباقي بان شرح الاية للتثبيت او هي متعلقة بالتقرير على انه
من الاقرار وعلى متعلقة بمقدر اي منبها على عظيم الخ فلا حاجة الى ما قيل
ان على بمعنى الباء والمنزلة تقدم انها الرتبة العلية علوا معنويا وكرامته عليه
يعني كونه مكرما معززا عنده موقرا بان شرح قلبه للايمان والهداية تقدم
معنى الشرح وان شرح بمعنى وسع وفسح هو لسعته يقبل ما يدخل من ايمانه
وتصديقه بالله في اول امره وزيادة مراتب ايمانه والهداية بمعنى الاهتدا
والمراد قبول الهداية او هدايته الناس كما قال تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة معطوف على شرح
عطف تفسير والوعي الحفظ والحكمة فسرت بالنبوة وبالفقه في الدين وفهم القران

ابن الحنبلي

والاتباع له وقيل الوزر وحملها العلم بها والعمل مع الاتقان وهذا ناظر لتفاسير
الاية السابقة وترك بعضها اكتفا بحكمه فتذكره ورفع عنه نقل امور الجاهلية
عليه اي ازالها وثقل بزنة عنب وتجوز تسكينه وعليه متعلق به وهذا ناظر
لقوله ووضعنا عنك وزرك وتفسيره بمعنى عام شامل لما مر والجاهلية
ما كانت العرب عليه قبل الاسلام من الجهل بالله والشرايع وارتكاب امور
رفعها الله لما جا الحق وزهق الباطل كما مر وبغضه لسيرها ولما كانت عليه
السيرة فعلة من سار يسير ويكون لازما ومتعديا ويقال منه سار واسار
وسير والسيرة جمعها سير كسدرة وسدر وهي الهيئة والحالة وشاعت
في الطريقة يقال سار سيرة حسنة او قبيحة كما قال واول راض سيرة من يسيرها
وغلبت السير والسيرة في السنة اهل الشرع على المغازي كما في المصباح والضمير
المضاف اليه للجاهلية وقال التلمسانى سيرها عوايدها وبغضه في النسخ فعل
ماض مشدد مبني للفاعل وفي الطرة بغضه مصدر راى بضم الموحدة وسكون
المعجمة وعليه صح والصواب ان يقال بغض له سيرها بالتضعيف والفاعل
هو الله قال الشارح ولكن لم يوجد في نسختي سوى ما ذكرته اولا انتهى وفي
بعض الشروح الذي في النسخ المقروة على ابي ذر المحدث والبرهان الحلبي
بغضه بصيغة الفعل المشدد المعطوف على رفع عنه وليس بالاسم المجرور
بالعطف على امور الجاهلية لانه لم يرفع عنه نقل بغضه لسيرها لبقايه وبقا
لوازمه واما عطفه على وعب فقاسد مع ما فيه من ذكر معنى الوضع فانا
معنى الشرح وذكر معنى الشرح في معنى الوضع اذ معناه الرفع والحط الا ان ثقل
البغض اذا قارن العجز عن ازالته زاد وهذا كما قيل مع تكلفه غير مناسب
لمعنى الاية او هو اشارة الى انه عبارة عن العصمة عن حبه
**اقول**
ما في الحواشي التلمسانية من تصحيح بغضه بصيغة المصدر المجرور هو الصحيح
وهو معطوف على العلم المضاف اليه ووعى بمعنى فهم وضمير بغضه المضاف اليه
راجع للنبي اي وسع الله قلبه لفهم العلوم والحكم وفهم بغض الله لما هم عليه
حتى كان لا يخالطهم في اعيادهم ومجامعهم قبل البعثة كما قال تعالى ولكن
الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
وهذا كله ناظر لشرح صدره للاسلام ولا ادخال فيه لتفسير في تفسير كما
توهموه وعلى قراءته بالفعل يكون في كلامه قلب من غير نكتة وحق العبارة
بغض له سيرها بظهور دينه على الدين كله متعلق بشرح وقيل برفع وقيل
البا للمصاحبة بمعنى مع والظهور بمعنى الغلبة عليه حيث قهر اهله
وابطل حكمه ولذا تعدى بعلى واصله ضد الخفا والدين للجنس الشامل للاديان
ولذا اكده بكل وحط عنه عهده اعبا الرسالة والنبوة معنى الحط التنزيل
وهو قريب من الوضع فهذا اشارة لتفسير قوله ووضعنا عنك وزرك
والرسالة والنبوة غير محتاجة للبيان لاشتهارهما والاعبا بالمد كالاحمال
والاثقال وزنا ومعنى جمع عب بكسر العين المهملة وسكون الموحدة

وهي

وهو والعهدة بضم فسكون فعلة من العهد وله معان منها الامان والوثق والذمة
ويقال تعهدته وتعاهدته اذا ترددت اليه واصلحته وحفظته وتسمى وثيقة البيع
عهدة لانه يرجع اليها عند الاحتياج ويقال عهدة كذا عليك اي تبعته وما تلزم منه
فالمعنى هنا ان الله حمله احمال الرسالة والرحمة باجرا احكامها وتبليغها فكان في اول
الامر في حرج ومشقة من خوف التقصير فلما يسر الله له ذلك انشرح صدره واستراح
من ثقلها وبرئت ذمته من عهدتها لما بلغ الامة وادى الرسالة فامتن الله عليه بما
سيد يتضمن الثنا العظيم من انه اقدره على التحمل والصبر وكذا قيل ان حط العهدة مجاز عن
توفيقه لمعالجة تلك الاثقال وحملها على الوجه اللايق وهو كلام حسن لتبليغه للناس
ما نزل اليهم وروي تبليغه بالبا بدل اللام وهما متقاربان اي حط عنه تلك الاحمال
سيد وازاحه من الاثقال لاجل انه بلغ ما امر به وما على الرسول الا البلاغ وقيل معناه
فعل ذلك لاجل ان يبلغ فالسببية غائية او اراد بيان الحط بان وقعه على التبليغ على
الكمال ولا يخفى انه غير مناسب للمقام مع ما فيه من التقييد بلا فايدة وانما خص الناس
وهو مبعوث للثقلين بالاتفاق وللملايكة ايضا كما سياتي بيانه لان جل الاشيا انما
هو تبليغ الناس وتبشيرهم وكسر شوكتهم فانهم الذين عادوه وحاربوه وكذبوه
واما الجن فبمجرد سماع القران اطاعوه ولم يقع منهم ما ينغبه وان كان منهم من لم
يؤمن وليس الكلام في بيان رسالته وعمومها حتى يعترض بتركهم عليه وقيل انه اكتفا
ابن الحنبلي كقوله سرابيل تقيكم الحر وقيل المراد بالناس ما يشمل الجن فانه ورد اطلاقه
عليهم وفي الحديث ناس من الجن وبه فسر قوله تعالى قل اعوذ برب الناس وجعل
قوله من الجنة والناس بيانا له وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وذهب بعضهم
عرفي الى انه حقيقة وقال السبكي انه لفظ مشترك بحسب الظاهر وهما معنيان
متقاربان ولفظان متغايران فالناس بمعنى بني ادم اصله اناس ومادته الالف
سيد من الانس ضد الوحشة وبالمعنى العام للثقلين اصله نوس بمعنى تحرك وقيل انه
اقتصر على الاشرف المقصود بالذات وانه في غنى عنه كله بما مر وتنويهه لتعظيم
مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره وقران اسمه مع اسمه وقد مر انه يقال نوه بالشي
نوها ونوه به تنويها اذا رفع ذكره وعظمه ومر في حديث عمر انا اول من نوه
بالعرب اي رفع ذكرهم بالدواوين والاعطا كما في المصباح وهذا اشارة لمعنى قوله
تعالى ورفعنا لك ذكرك وتنويهه بالجر معطوف على قوله لتبليغه لان تعظيم
الله له ورفع ذكره له يروح قلبه ويريحه لانه يدل على قبول رب العزة لما فعله
ابن الحنبلي من اداية ما في عهدته وبذل جهده وروحه في تتميم خدمته وهذا في غاية الظهور
وقيل معطوف على انشرح وقيل على تقدير فهو مرفوع والداعي لارتكابه مع
بعده انه كان الظاهر ان يقول نوه تفسيرا لرفعنا على سننه السابق وانما
عدل عن التعبير بالفعل الى عطف المصدر الصريح على المأول لئلا يتوهم انه
سيد كلام مستانف والبا في قوله بعظيم متعلقة بنوه وليست زايدة فانه قيل
نوهه ونوه به كما قيل لان الاشهر هو التعدية بالبا كما مر في كلام سيدنا عمر
رضي الله عنه وقوله رفعة ذكره بكسر الرا واخره تا تانيث مضاف لذكره وروي

بعضنا واضافته للضمير ونصب ذكره وروي برفع عطف على جليل ورفعة ذكره اما
بهذا الرفع او برفع بابد عليه واسمه الثاني منصوب مفعول فران بكسر القاف
مصدر بمعنى الضم والجمع ومنه قران الحج والقران غلط فيه وقيل رواية وفي
نسخة وقرانه اسمه مع اسمه قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب
ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وقد رتب ترجمة قتادة رحمه الله وتاتي ايضا ومر ايضا تخفيف هذا الكلام الا
انه يعقبه امور ينبغي التنبه لها وهي ان بعضهم قال هنا ان ما ذكرهنا هو الاكمل
الجاري في العرف والعادة بعد البعثة اذ الشهادة ليست شرطا في اصل الخطبة
وهذا في الدنيا ويعلم امر الاخرة بالمقايسة عليها وفي الحديث كل خطبة ليس فيها شهادة
فهي كاليد الجذماء والمراد بالصلاة الفرد الكامل المتبادر فلا ترد صلاة الجنازة
والمتشهد من تشهد بالوحدانية سواء كان بهذا اللفظ كمن يقول اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه وعليه ابو حنيفة
فلا يرد انه قد يقتصر في خطبة الجمعة والعيدين وغيرهما على ذكر الله بالتسبيح
ونحوه قيل وهذا انما يرد لو كان قتادة رحمه الله قايلا به في عصره وهذا ليس بشيء
يقتدي لجوابه وقيل ان مراد قتادة بيان رفعة ذكره في الدنيا التي هي عنوان
رفعة الاخرة وقوله فليس خطيب الخ يريد ان الخطباء قبله كانوا يعدون ماثرهم
ومفاخر قومهم فلما جاء الاسلام صارت الخطبة اسما للمشروعة باي مذهب كان
واي خطبة كانت كما في الحج والخسوف والعيد والجمعة وغيرها وحاصل ذلك كله
لتعتقد وحدانية الله شاهدا بان محمدا رسول الله ممتثلا لامر تعتقد وحدانية
الله مقتديا بهديه والمصلي لا يعتد بصلاته حتى يعتقد ذلك وانت ترى بان
هذا الكلام الذي لا محصل له ولا يجدي شيئا فالعود ما قالت حذام والثمرة تدل على
الشجرة وقوله لا يقول مستثنى من اعم الاحوال اي ليس يوجد في حال من الاحوال
الا قايلا وما قاله قتادة رواه عنه البيهقي وابن ابي حاتم **فان قلت**
ما وجه التوزيع في قوله فليس الخ وامر الاخرة لا يعلم بالمقايسة والمتشهد اعم
من الخطيب والمصلي فكان ينبغي تقديمه او تاخيره **قلت** اخذه من
اطلاق الاية والحديث والتوزيع وجهه ان من رفع الله ذكره في الدارين حقيق
بان يشهد له بذلك والمتشهد المراد منه الاتي بكلمة الشهادة في غير الخطبة
والصلاة لا غيره يقال له خطيب ومصل فتدبر وروى ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه وهو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن
الابجر وهو خدرة المنسوب اليه على الاصح وسيأتي الصحابي الانصاري ونسبته
لخدرة بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة يليها راء مهملة وهاء وهو حي من
الانصار سمي باسم جدهم ثم نسب اليه لشهرته فلا منافاة بينهما وقيل خدرة
امه وهذا الحديث كما قاله السيوطي والشيخ قاسم في تخريج احاديث هذا
الكتاب اخرجه ابو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والطبري في
تفسيره واسناده حسن فلا وجه لما قيل من انه في زاد المسير ما يخالفه فان

ذاك من واد وهذا من واد ولا لما قيل ان في المقالم انه صلى الله عليه وسلم سال جبريل
عن هذه الاية فقال قال الله اعلم فلعله بعد السؤال جا وقال ان ربك يقول وقوله قال
الله نقل بالمعنى لان الرواية المسندة ما في كلام المحشي وقوله ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك تقديره اتدري
فحذف منه حرف الاستفهام وهو جايز مع القرينة في النظم والنثر كما في المغني وغيره
وقول التفتازاني انه قليل مخصوص بالشعر مخالف للرواية والدراية وقد روي هذا
الحديث ايضا اتدري بثبوت الهمزة على اصلها سوا كان الاستفهام حقيقيا كقوله وان
زنا وان سرق او غير حقيقي كقوله تعالى سوا عليهم ءانذرتهم على قراءة والاستشهاد بهذه
الاية للحقيقي سهو والاستفهام هنا غير حقيقي لاستحالته على علام الغيوب والتراكيب
بل هو تقريري ليترتب عليه فيعلمه من لدنه والمشهور في مثله ان معناه اتدري
جواب هذا السؤال ولبعضهم كيف فيه خارجة عن معنى الاستفهام على ان المعنى كيفية
رفع ذكرك وان كانوا يقولون انه اي في بيان حاصل المعنى فما قيل من انه مخرج عن
معنى الاستفهام اي تدري كيفية الرفع وهذا من الانبساط مع المحبوب لاجل
زيادة التوجه والانتظار لكنه الجميلة مع ان لفظ الكيفية لم يسمع من العرب
كما صرح به اهل اللغة وتدري معلق عن الجملة التي بعده كما في قول زهير
وما ادري وسوف اخال ادري ٭ اقوم ال حصن ام نسا ٭
وكيف في محل نصب على الحال من المفعول على القاعدة المشهورة في اعرابها من
انها ان وقعت قبل كلام تام فهي حال والا فهي خبر الا ان هذه القاعدة غير
مسلمة كما في المغني وشروح الكشاف وهي سؤال عن الحال والصفة اي على اي حال
وصفة رفعت لك ذكرك وليست منصوبة بتدري لان لها الصدر ووقع في بعض
النسخ فقلت الله ورسوله المراد به هنا جبريل عليه الصلاة والسلام اعلم كذا وجد
في نسخة مصححة معزوة على المشايخ وفي نسخة شرح عليها الشارح الجديد اسقاطها
وقال لم اجدها في نسخة من الشفا واللايق عدم ذكرها وليس كما قال والتفضيل
اما في الزيادة في مطلق العلم فلا يلزم ثبوت اصل العلم له في هذه المسألة او المراد
اعلم فيها نظرا الى ان حصول بعض الوجوه له تجويزا وظنا فالترجيح في الكيفية
والمطلوب حصول اليقين او وجه اخر واعلمية جبريل عليه الصلاة والسلام منه
صلى الله عليه وسلم مع انه علم علم الاولين والاخرين كما ثبت في الصحيح او بالنظر
الى علم الله فعلمهما اتم من علمه وان كان علمه اتم من علم احدهما او بالنظر الى ان تلك
الحالة لم تكن دايمة له صلى الله عليه وسلم كذا قاله الشارح المدقق **اقول**
الظاهر انه اراد تفضيلهما عليه صلى الله عليه وسلم في خصوص هذا العلم او
على الاطلاق اما على الله فظاهر واما جبريل فلعله ببعض الامور التي لم
يعلمها النبي صلى الله عليه وسلم لاعلام الله له بها او لكونها في الملا
الاعلى ولا يلزم من هذا شك ونقص لمقام النبوة حتى يلزم تكلف ما ادعاه
واما ما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم علم علم الاولين والاخرين
فليس المراد به ما فهمه لانه لو كان كذلك علم المغيبات كلها وقد امره الله بان

يقول لا اعلم الغيب ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وقال لا ادري ما يفعل
بي ولا بكم وهذا مما لا يشك فيه وانما المراد انه علمه كل علم عند الاولين والاخرين
متعلق بمعرفة الله واحوال الامور السالفة والاتية اجمالا من خير وشر واوحي
اليه ببعض المغيبات ايضا واخبر بها بعض اصحابه كما في حديث حذيفة فمتعلق
افعل مني او من كل احد غيرهما او لا متعلق له كما في قوله الله اكبر في احد الوجوه
ابن الحنبلي
وقيل المراد اعلم من كل عالم نحو الله اكبر واعلم مني بنا على انه علمه فعرفه وهذا
مما لا ريب فيه او فهم من جبريل انه عالم بكيفية الرفع دونه وانه جا مخبرا بها
له ولو كانت مما استاثر الله به قال لجبريل ما المسؤول عنها باعلم من السايل كما في
حديث اخر او المراد انهما سيان في عدم العلم لان من لك ما ان يدبا علم من عمرو والمراد
به نفي المساواة كما مر وهو احد احتمالات في مثله **واما** ما ورد من علم النبي
صلى الله عليه وسلم علم الاولين والاخرين فلعله كان اخر احواله بعد انقطاع
ايحا جبريل له وقيل المراد ان الله اعلم من كل عالم ومنه يستمد العلم اي لا اعلم
عزمي
الا ما علمني ربي واما كونه علم علم الاولين والاخرين فهو نعمة من الله حصلت لهما

ولو يرد الغنا انقطعت عنده ... والكريم لا يقطع عوايده

كما انعم الله فيما مضى ... كذلك ينعم فيما بقي

واحتياجه صلى الله عليه وسلم الى الوحي يقتضي مقام العبودية واظهار الافتقار
من لوازمها وكون هذه اخر احواله غير سديد لان هذه القصة وقعت ليلة الاسرا
وهي من اول احواله وجبريل عليه الصلاة والسلام لم ينقطع عنه حتى فارق
الدنيا وهذا مع ابتنائه على ما عنده من الطراز الاول وكذا ما قبله ولولا خوف
ان يطول الحال بالتسويد ما تركته راسا قال اذا ذكرت ذكرت معي قد مر شرحه قال
ابن عطا جعلت تمام الايمان بذكري معك لم يسم المص رحمه الله ابن عطا فلم يدر ما
مراده به لان المشهور به اثنان فلذا قال التلمساني هو ابو عبد الله محمد بن عطا
شيخ وقته وهو مات كما قاله القشيري سنة تسع وتسعين وثلاثماية وقال
الشمني انه ابو العباس احمد بن محمد بن سهل بن عطا الزاهد البغدادي الادمي وجزم
عزمي
بان المراد هذا الشارح الجديد لان المشايخ قالوا ان له لسانا في فهم القران يختص
به وكان صحب الجنيد وسيل رضي الله عنه عن الوجد والسماع فقال هو صحيح
فقيل له انه لم يبلغنا عن احد من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين انه تواجد
فقال اما الصحابة فكوشفوا بالسر يعة في سرهم فكانوا لا يغلبون عن تحمل الاحوال
بخلاف من بعدهم فانه لم ينل هذه الرتبة وقوله بذكري معك وروي بذكرك
معي وهذه النسخة واضحة والاولى مشهورة مخالفة للظاهر لان مع تدخل على
المتبوع وقد تجي لمطلق المصاحبة وقد تقدم انه باعتبار الاكثر المعتاد في مواطن
واقوال مخصوصة كقول المتشهد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وقد قيل ان في كلام المص رحمه الله تكرارا وانتشارا واللايق بالمص ذكر الاقوال
سيد
ثم حاصل معنى الايات وفي بعض العبارة قلب لما الى شرفه صلى الله عليه وسلم
ابن الحنبلي
لقوله لا يذكر احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية فان الظاهر عكسه كما قيل

وانا

وانا اقول هذا من عدم الوقوف على مراده لانه لما ذكر التسوية لما فيهما من الثنا عليه صلى
الله عليه وسلم الذي هو بصدده عقبهما بذكر اقوال المفسرين فيهما ثم الحمد وصحة
بعبارة فصيحة ثم ذكر الدليل على ما قالوه ورواية مسنده ثم ختمه بكلام ارباب الطريقة
من مشايخ الصوفية فانه مسك الختام **ونقل** لهم عبارات ثلاثة فقال ذكرك معي
وذكري معك وذكرك عين ذكري وهذا بحسب المقامات كقولهم ما رايت شيا الا
رايت الله قبله او معه او بعده اما الاول فظاهر لانه صلى الله عليه وسلم
رسوله وخليفته وهذا بحسب الحقيقة في نفس الامر واما الثاني فلانهم انما عرفوا
الله عنه وبعد معرفته كما قيل وقد تقدم
فانت باب الله اي امرء اتاه من غيرك لا يدخل
واما الثالث فلان من ذكره من حيث كونه رسولا مبلغا عن الله فقد ذكر الله
**ومن هنا قيل** من راني فقد راى الحق فلا تكرار ولا قلب لا لمن ليس له قلب
ينظر بعينه الحق وجعل ذكره تمام الايمان اما لان الايمان عنده تصديق بالجنان
وتصديق باللسان كما هو قول لاهل السنة واما من يقول بانه مجرد التصديق
فجعله تمامه باعتبار انه لا يعتد به بدونه ولا يترتب عليه الاحكام ما لم يات به
لسانا لان الامر مبني على الظاهر والله اعلم بالسراير قيل وهذا قول غير قابل
لانه لم يعتبر كونه من تتمة الايمان فتوهم العينية فاسد وفيه نظر فتدبر
وقال ايضا اي وقال ابن عطا المصري قولا كالذي قبله وايضا مفعول مطلق
لفعل مقدر من امن اذا عاد ورجع قيل واستعير هنا لمجرد الانضمام ولك ان
تبقيه على معناه الحقيقي لانه عاد لكلام ابن عطا رحمه الله جعلتك ذكرا من ذكري
فمن ذكرك ذكرني ذكرا مفعول ثان لجعل والظرف بعده صفته او تمييز محول
عن المفعول والجار والمجرور هو الثاني والمعنى واحد اي كان ذكرك عين ذكري
لعدم انفكاكه عنه غالبا او هو مثله في التقرب به والاجر او هو معد ومن
امراده لما ورد ان كل مطيع لله ذاكره والاسناد مجازي والفا تفسيرية او تفريعية
وقال جعفر بن محمد الصادق تقدم بيانه قريبا لا يذكرك احد بالرسالة الا
ذكرني بالربوبية الاستثنا من اعم الاحوال والجملة التي بعد الا حالية ولا
حاجة لتقدير قد معها كما ذكره النحاة والربوبية صفة مصدر من الرب
وهذه اليا تسمى اليا المصدرية ولا بد معها من تا التانيث وفي هذه اليا
بحث ذكرناه في رسالة المصدر والسوانح ومعنى كلام جعفر رضي الله عنه انه
لا يعترف احد برسالتك الا بعد ان يعترف بوحدانية الله وربوبيته
لانه يجب معرفة الله عقلا قبل ذلك لئلا يلزم الدور كما ذهب اليه الماتريدية او
سمعا كما ذهب اليه غيرهم كما تقرر في الاصول وقيل المراد الا وقد اراد ذلك او
عبر بالماضي عن المضارع مبالغة في تحقق وقوعه وفي الاول اشكال لعدم مقارنة
الحال العامل وذلك لان المراد بالرسالة انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
والعادة ان يقال رسول الله ورسول رب العالمين ونحوه او لان معنى الرسالة
شرعا انه انسان بعثه الله لتبليغ احكامه والالوهية جامعة للربوبية

وخصت الربوبية هنا لمناسبتها للرسالة لمربوبية الرسول للمرسل اليه وقيل المراد ان
من آمن بك آمن بي وفيه تكلف ظاهر ثم ان ما قاله جعفر الصادق وغيره يشترك
فيه الانبيا عليهم الصلاة والسلام بحسب الظاهر فالانسب حمله على ما يظهر فيه
الاختصاص والتمييز انتهى **وقد عرفت** معناه وانه محمول على الايمان
بالله ورسوله والاعتراف بذلك المقتضي لمقارنة اسمه لاسمه مع التعبير بالظاهر
والنداء عليه برؤس الاشهاد كما يفصح عنه التعبير بالرفع الذي بينه وبين الوضع
صنعة الطباق واما عدم مقارنته للحال فظاهر السقوط لتقدم الايمان بالله او ارادته
على الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم واما التلفظ بما يدل على ذلك فلذكره عقبه
من غير فاصل يعد مقارنا عرفا ومثله يكفي عند البلغا فلا حاجة الى جعل الحال المقدرة
واما ما ادعاه من عدم الاختصاص لمحمد صلى الله عليه وسلم فقد علم مما مر ان
هذه المقارنة في نحو الاذان والاقامة والخطب والصلاة والاتيان بكلمة الشهادة المعتبر
في الاعتقاد بالايمان **وهذا** كله مختص بهذه الامة فيختص القران الواقع فيه
بهذه الكيفية بسيدها ونبيها عليه افضل الصلاة والسلام اختصاصا حقيقيا بالنسبة
لكل من عداه من الرسل والامم وهذا في غاية الظهور واشار بعضهم في ذلك الى
الشفاعة المراد بالبعض من فسر قوله عز وجل ورفعنا لك ذكرك المشار اليه بقوله في ذلك
جعلنا ذكرك مرفوعا في الدنيا والاخرة فانه في الاخرة بالشفاعة وهو احد اقوال خمسة
وقيل هو الماوردي وقال البرهان لا اعرفه **تتمة لطيفة** لما ذكر الله
عز وجل في آخر السورة التي قبل هذه قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى الى قوله واما
بنعمة ربك فحدث ثم اتى بعدها بقوله الم نشرح قال بعض المشايخ اشارة الى ان شكر
النعمة والاعتراف والرضا بها مما ينشا منه انشراح الصدر ورفعة الذكر ثم وسط
بينهما اعبا الرسالة التي تنقض الظهور ثم ذكر عسرا بين يسرين فلذا قال فان مع
العسر الخ ثم اشار الى ان المقصود من الدنيا انما هو ادا خدمة الامانة وانه لا راحة
للمؤمن دون لقا ربه الذي هو مطلبه لا ما سواه فلذا قال فاذا فرغت فانصب ولم
يقل له استرح بل اجتهد فيما يقربك والى الله فارغب كما قال اذا جا نصر الله والفتح الى
اخرها فتنبه لاسرار التنزيل ومن ذكره معه ان قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال
واطيعوا الله والرسول وامنوا بالله ورسوله لما قرنا لنا من الله برفعة قدره
وذكره فانه اذا ذكر ذكر معه كما مر وذكر القران في كلام الناس وما يحكي عنهم انبعه
بما هو من قبيله وهو ذكر الله جل وعلا لنفسه وذكر الرسول معه معطوفا عليه
من غير فاصل كالايتين المذكورتين وفيها زيادة على ما ذكر لابن عطا قران طاعته
لطاعته لان احدهما لا ينفك عن الاخر كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله
والمقارنة المصاحبة كما قال

عن المرء لا تسال وسل عن قرينه • فكل قرين بالمقارن يقتدي •

ومصاحبة الاسمين ظاهرة فيما ذكر واما مصاحبة الطاعة للطاعة فهي معنوية
لا لفظية هنا بمعنى انها لا تنفك عنها بل هي عينها كما مر وجعل هذين من قبيل الذكر
المقارن لذكره امر حقيقي لا من قبيل عموم المجاز ولا من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز

ابن الحنبلي

كما

كما قيل فان في الاثنين كذلك لاقتران الطاعة لله بطاعته في قوله اطيعوا الله والرسول
لانه بمعنى واطيعوا الرسول واما قوله امنوا بالله ورسوله فمثال لمقارنة الاسم الاسم
على اللف والنشر المرتب وبعضهم جعل كل اية مثالا لهما فاحتاج الى التكليف فقال معنى
الطاعة الانقياد وقد يكون بحسب الظاهر كالاسلام الذي هو الانقياد والاستسلام وقد
يكون بحسب الظاهر والباطن كما قلنا في الايمان ومنهم من قال الذكر هنا عدم الغفلة
ومطيع الله ذاكر له كمطيع الرسول صلى الله عليه وسلم فكل من قرن طاعته بطاعته وقرن
اسمه باسمه ذاكر لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم معه حقيقة وليس هنا ذكر
مجازي **فمن زعم** ان الذكر الاول مجاز والثاني حقيقة وان الاية من باب عموم المجاز
اذ المراد بالذكر هنا معنى يعمهما فرارا من الجمع بين الحقيقة والمجاز فقد ارتكب شططا
انتهى والحاصل ان المص رحمه الله ان قصد اقتران الاسمين وتراد الطاعة لوقوعهما في
الاية والحديث فالامر في الحقيقة ظاهر من غير ارتكاب شيء مما قالوه وان اراد بيان
كل منهما على اللف والنشر لان في كليهما اقتران الاسمين فظاهر ايضا وان اراد قران
الطاعتين والاسمين في كل منهما فهو الذي يحتاج للتكلف ومن ذكر خبر مقدم وان قول مبتدا
مؤخر واتما كون من مبتدا لا يقال معنى بعض كما قيل في قوله ومن الناس من يقول امنا
في البقرة فلا وجه له فجمع بينهما بواو العطف المشترك بكسر الرا المشددة وضمير بينهما للاسمين
والطاعتين وجعلها مشركة لافادتها المشاركة للمتعاطفين في الحكم من غير ترتيب والجمع به
دال على التعظيم والمناسبة بخلاف ثم لدلالتها على تفاوت الرتبة لا التسوية وكذا الفاء
والواو محتملة للامور الثلاثة التقدم والتاخر والمعية على الصحيح ولا يجوز جمع هذا
الكلام في غير حقه عليه السلام قيل اي جوازا من غير نهي فلا يباح **واعلم** ان الجواز
تطلق في لسان حملة الشرع على امور كرفع الحرج اعم من ان يكون واجبا ومندوبا او
مكروها او على مستوي طرفي الفعل والترك وعلى ما ليس بلازم وهو اصطلاح الفقها
في العقود وهذا كله ظاهر والغريب ما في قواعد الزركشي الكبرى انهم كذا استعملوه
في الوجوب قال وهو ظاهر فيما اذا كان الفعل دائرا بين الحرمة والوجوب
فيستفاد من قولهم يجوز رفع الحرمة اي تشريك الله وغيره بالعطف بالواو
في حكم من الاحكام لا يجوز الا في حق النبي صلى الله عليه وسلم لانه امر شرف به
رسوله صلى الله عليه وسلم كما مر في تفسير ورفعنا لك ذكرك **وقد**
اعترض بعض الشراح على هذا وقال ان القاضي وهم فيه فان الذي لا يجوز لغير
النبي صلى الله عليه وسلم جمع اسم الله واسمه مع اسم غير النبي في ضمير يعود على الله
وعلى صاحب الاسم فلا يجوز لنا ان نستعمله الا ان يرد على الله كقوله ان الله وملائكته
يصلون على النبي واما عطف اسم ظاهر بالواو على اسم الله فما اظن ان احدا يمنعه
وكيف يختص هذا بالنبي صلى الله عليه وسلم مع قوله من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وقوله كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله **وفي الحديث** القدسي
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين وقيل ايضا ان اراد ان مثله لم يرد في
القران وغيره فليس كذلك وان اراد انه لا يجوز لنا فاي مانع من ان يقال اطع الله
واطع القاضي او الامير لقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم

الشيخ ولي الحنبلي

عمر رضي

سعيد

دلجي

واجاب بعضهم بان مراده انه متى عنه تنزيها واداء بالوارد في الحديث بما يدل على رعاية الادب في اللفظ وترك ما يوهم خلافه بالاتفاق واطلق نفي الجواز اعتمادا على تخريج الخطابي وغيره ولا دليل في الاية لما سيجي ولاحتمال الجواز بالتبعية نعم يشكل هذا بقوله تعالى كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله ومن كان عدوا لله وملايكته وان اشكر لي ولوالديك ومثله في الحديث الا ان يقال انه لبيان الجواز وهو من الشارع بالفعل اولى واقوى وان يختص النهي بالامة والله يفعل ما يريد كما ذكره القرطبي في معنى الجمع بالضمير وان تكون المواضع الواردة مختصة او الممنوع جمع الامة معه ولا يرد الاولان فتامل وقال تلميذه ابن الحنبلي قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فيه التشريك بين الطاعتين طاعة الله وطاعة غيره بالواو في حق غير الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه بالتبعية ولذا لم يكرر اطيعوا مرة اخرى كما لم يكرر اللام في حديث الدين النصيحة لله ولرسوله ولايمة المسلمين وعامتهم في العامة فاندفع ما مر وقيل كلام الغزالي في الاحيا يدل على انه حرام كما ذكره في باب افات اللسان الا ان الله يعفو عن العوام مثله ونقل كلامه والطال بما هذا محصله وسياتي تحقيق هذا المقام في شرح الحديث الاتي بما يثلج به الصدر ان شا الله تعالى حدثنا الشيخ ابو الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه الشيخ من طعن في السن ثم شاع في كل من تصدر لافادة العلوم وابو علي الحسين بن محمد بن احمد الغساني الجياني بفتح الجيم وتشديد اليا التحتية والف ونون تليهما يا النسبة الى جيان وهي بلدة بالاندلس ولد في المحرم سنة سبع وعشرين واربعماية وحمل عن ابن عبد البر وغيره من الايمة وروى عنه ابن الحكم وابن سكرة وزهير وخلق وتوفي في ليلة الجمعة لاثنتي عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وتسعين واربعماية ولم يخرج من الاندلس وقوله وقراته على الثقة عنه الثقة كعدة مصدر وثق به وثقة اذا ايتمنه واستوثق احكم ثم تجوز بالمصدر عن المؤتمن على الحديث وغيره وشاع حتى صار حقيقة ولم يعين المصنف من اراد قال البرهان لا اعرفه وكانه ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته وقوله اجازنيه يعني انه روى عنه بالاجازة وان كان يمكنه السماع منه فذكر ان روايته عنه بواسطة قال السيد رحمه الله وتوثيق مثل المصنف رحمه الله لشخص يخرجه عن حكم المجهول وابهام التعديل فيه خلاف في كتب المصطلح فمنهم من قبله بناء على الاحتجاج بالمرسل ومنهم من قال لا يكتفى به ومنهم من فرق بين تعديل العالم وغيره كقول مالك اخبرني الثقة وكذا بقوله الشافعي رضي الله عنه وقيل يقبل ممن عرف انه اذا اطلق يعني به معينا وقال ابو حاتم الرازي اذا قال الشافعي حدثني الثقة عن ابن جريج فهو مسلم بن خالد الزنجي واذا قال اخبرني الثقة عن ابن ابي ذيب فهو ابن ابي فديك واذا قال اخبرني الثقة عن الليث بن سعد فهو يحيى ابن حسان واذا قال اخبرني الثقة عن الوليد بن كثير فهو عمرو بن ابي سلمة واذا قال اخبرني الثقة عن صالح مولى التوامة فهو ابراهيم بن ابي يحيى والاجازة

عربي

عربي

بلغ

يأبى الاصطلاح عليه بما روي ان يقول له اجراً فكان اذ من هي يحتمل كونه اداة وجميع من هو بما هو في
تشجيع لفظها كلام في ابن الصلاح فيه كلام كتبناه في حواشينا ليس هذا محله وهي محمولة
ولا عبرة بقول ابي طاهر الدباس انها لا تقبل بعضهم هي اقول من غيرها وانما قدمه المصنف
رحمه الله لعلو سنده فيه على الصنعاني الذي بعده وانما كان بغيته لغرض حدثنا ابو
عمر النمري هو العلامة الحافظ ابن عبد البر وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو
محمد بن عبد المؤمن هو عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن احد شيوخ ابن عبد
البر تقدم ذكره ايضا وكذا ابو بكر بن داسة تقدم ايضا الذي ذكره تقدم
قال حدثنا ابو بكر بن داسة قال حدثنا فتقدم ايضا ابو داود السجستاني هو سليمان
ابن الاشعث صاحب السنن وسيد الحفاظ كما تقدم والسجزي بكسر السين المهملة
تليها جيم ساكنة وزاي معجمة منسوب الى سجستان على خلاف القياس وقيل انه
منسوب الى سجز وهو اسم سجستان او بلدة منها قاله في جامع الاصول وهو اقليم
وهو اقليم قرب خراسان قال حدثنا ابو داود الطيالسي قال حدثنا شعبة
عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
الطيالسي هو هشام بن عبد الملك الحافظ الامام المتقن الثبت ومن طرف اخباره انه
روى عن سبعين من الرواة وهكذا في غاية الغرابة يروي عنه احمد وابو داود وقال احمد
انه كان في عصره شيخ الاسلام واخرج له اصحاب الكتب الستة توفي سنة سبع وعشرين
ومايتين وله من العمر بضع وتسعون كما في الميزان واما عبد الله بن يسار فبمثناة
تحتية ثم سين مهملة الجهني الكوفي اخرج له ابو داود والنسائي توفي عام احدى
وثلاثين ومايه وفيهم عبد الله بن يسار كنيته ابو همام الكوفي قال الحافظ البرهان انه
لم ير لواحد منهما رواية عن حذيفة في الكتب الستة واما خارجها فلا ادري
وليس في الكتب الستة احد يقال له عبد الله بن بشار بالموحدة والشين المعجمة
انتهى وهذا الحديث روي من طرق كثيرة واما حذيفة فترجمته مشهورة
مشهورة فلا حاجة لذكرها وشعبة هو ابن الحجاج بن الورد الحافظ امير المؤمنين
في الحديث كما قاله ابن الجوزي وممن يقال له هذا اللقب ايضا سفيان الثوري
قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان قال التلمساني
وقع في نسخة باثبات ما بعد قوله ثم ما شاء وعليه صحح العرفي وفي الطرة ثم
شاء بدون ما وهو كذا الخط العثماني وهذا هو الاشهر وهو المروي في شرح مسلم
للنووي وهذا النهي تنزيهي لرعاية الادب بترك العطف بالواو المهملة للتساوي
كما سيأتي بخلاف ثم الدالة على البعد رتبة وزمانا وفي شرح التجاني انما جاء
النهي عن التشريك في المشيئة بين الله وغيره لايهامه ان مشيئة الله موقوفة على
مشيئة غيره تعالى عن ذلك فاذا لو خلصت المشيئة له جاز ان يعلق الفعل على
مشيئة غيره مجازا بثم التي للتراخي وعطف مشيئة العبد على مشيئة الله على انه يكون
ما موصولة او على ان يكون مصدرية وعلى الوجهين الخبر محذوف وفائدة كاي
او كاينة انتهى ثم انه قيد ان هذا وان لم يكن فيه عطف غير اسم الله على اسمه فيه
التنفير عما يوهم سوء الادب لفظا واستنباطه مما ذكر على ان قوله ما شاء الله

ابن الحنبلي

عادة العرب في الخطب للامور المهمة وللنكاح قاعدا او قايما وكذا كان النبي صلى الله
عليه وسلم يخطب للامور ثم حدث المنبر بعد الهجرة فقال من يطع الله ورسوله فقد
رشد قال في المصباح الرشد الصلاح وهو خلاف الغي والضلال ورشد رشدا من باب
تعب ورشد من باب قتل فهو راشد والاسم الرشاد ويتعدى بالهمزة انتهى وقد قال
مثله غيره من اهل اللغة فتبين رشد في الحديث مفتوحة وهو المشهور رواية
ويجوز كسرها وروي من باب علم ايضا ومن الغريب ما حكاه السبكي في طبقاته
ان شهاب الدين بن المرحل قرا على الحافظ المزي رشد بكسر الشين فرد عليه وقال رشد بالفتح
وقال له قال الله لعلهم يرشدون فقال ابن المرحل وكذلك قال فاولئك تحروا
رشدا فسكت يعني الحافظ اذ يفعل المضموم مضارع فعل مفتوحا او مضموما والثاني
غير محتمل فتعين الاول فاجابه بان مصدره ورد على فعل بالتحريك وهو مصدر
فعل المكسور قال ابن هشام والذي في كتاب سيبويه رشد كسخط فجا السماع على
وفق سماع ابن المرحل فلله دره قال السبكي ولا وجه للقياس مع الرواية فان المروي
في الحديث هو المشهور في اللغة انتهى وكذا نقله السيوطي في شرح سنن ابي داود
واذا جا نصر الله بطل نهر معقل ومن يعصهما قيل ان المشهور رواية الوقف على يعصهما
ليظهر منشا الذم بان المنع للوقوف وان لم يرض به كما ستراه وقد خفي هذا على
المعلقين انتهى قلت كيف يخفى وقد ذكره الدلجي فلا ينبغي مثله من مثله فقد غوى
في النهاية غوى يغوي من باب ضرب والغي والغواية الضلال والانهماك في الباطل
وفي شرح ابي داود وغوي روي بفتح الواو وكسرها قال عياض والصواب الفتح انتهى
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب
وفي سنن ابي داود ثم اذهب بئس خطيب القوم انت فان لم تتعدد القصة فبعضها
رواية بالمعنى لان قوله او قال يقتضي شك الراوي ويحتمل انه اختلاف في الرواية
ان كان القايل غير الراوي الاول وهو معطوف على مقدر مثله او هو معطوف على الاول
فقدر ولم يكتف بقوله بئس الى حتى زاد طرده للزجر تنبيها على ان من لا ادب له
لا يصلح لصحبته والتكلم بحضرته والمراد بقم ايضا اذهب من مجلسي كما قال
كاس اذا ابصرته في القوم محتشما في الحال قالت له قم غير مطرود واما على الرواية الاخرى
فاذهب بدل من قم مفسر له او باسقاط العاطف اي قم فاذهب وبئس مستوف
لجميع الذم كاستيفا نعم لجميع المدح وقم لما كان المراد به الطرد كما عرفته لم يقتض
كونه قاعدا وهذه الخطبة يخطبها القاعد والقايم كخطبة النكاح فمن قال
لعله كان يخطب قاعدا ولعلها لم تكن خطبة مشروعة كالجمعة فانها يجب فيها
القيام لغير عاجز بل خطبة نصيحة او مفاخرة على عادتهم فقد اخطا في فهم المراد
وكيف يتوهم انه يخطب للجمعة غيره بحضرته صلى الله عليه وسلم قال ابو سليمان
هو الخطابي كره اي النبي صلى الله عليه وسلم الجمع بين الاسمين بحرف الكناية
اي كره ان يعبر عنهما بضمير واحد وفيه مضاف مقدر اي بين مسمى الاسمين
بكلمة واحدة وهي ضمير التثنية في قوله يعصهما والحرف له معان منها الوجه والكلمة
المخصوصة عند النحاة ومطلق الكلمة والطريقة قال الازهري في التهذيب

كل

كل كلمة تقرا على وجوه من القران تسمى حرفا فيقال هذا حرف ابن مسعود رضي الله عنه اي
الكلمة التي قراها وقراءته ومنه الحديث انزل القران على سبعة احرف في احد الاقوال
وللناس فيه كلام كثير حتى افرد بالتاليف واما مجي الكناية بمعنى الضمير فاصطلاح كما في
الكشاف في اول سورة البقرة وقال الرضي الكناية في اللغة والاصطلاح ان يعبر عن معين
لفظا كان او معنى بلفظ غير صريح في الدلالة عليه اما للابهام على السامع كجائني فلان او
للاختصار كالضماير الراجعة الى متقدم انتهى فحرف الكناية بمعنى وجه الكناية او
طريقة الكناية او كلمتها وهي الضمير وهذا اما الاسمية فيه وان توقف في الاختصار
بان بعض الضماير اطول من بعض الظواهر كزيد واياه فقيل بانه اغلبي وعدل عنه الزمخشري
في شرح الكشاف وعلله بدفع التكرار والامر فيه سهل فمن قال هنا حرف الكناية انه
وهي ضمير الغايب بان المراد معناها هنا من ضمير واحد والحرف لغوي افرد لارادة الجنس او
لشدة الايضار او لانه الاصل لها وقال الرضي الكناية غير الصريح لدلالته على المعنى
بواسطة المرجع ولا يخفى ان انا وانت فيما انصرح بالمراد وقال التلمساني الضمير مطلقا
يسمى كناية من الكن وهو الستر انتهى فقد نفى في غير موضوع فانه كيف يعد صريحا
وهو صادق على كل متكلم ومخاطب وانما يرد صريحا بواسطة حضور معناه والعجب
ممن نقل اطلاق الحرف على الكلمة عن حواشي الشمسية للعماد وممن تبعه وقال
انه اصطلاح منطقي وفي الشرح الجديد ان الكراهة هنا تنزيهية وكلام الاحياء
يقتضي الفاتحة يحبه وفيه ان ثابتا كان خطيب النبي صلى الله عليه وسلم كما كان
حسان رضي الله عنه شاعره ولما قدم وفد تميم على النبي صلى الله عليه وسلم
وقام خطيبهم فخطب وافتخر فامر ثابت رضي الله عنه فخطب بكلام جزل وهو من كبار
الصحابة الانصار شهد المشاهد وبشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة كما ورد في الحديث
فكيف يقال له بئس خطيب القوم انت **واجاب عنه** بانه لا ينافي ذلك زجره
لخطابه بمخالفة الادب لا سيما وقد ورد في الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم
قال شارطت ربي فقلت اللهم انما انا بشر فاي المسلمين لعنته او سببته او اذيته
وشتمته فاجعله له زكاة واجرا ورحمة وفي رواية اجعله كفارة له يوم القيامة
وفي رواية ابي داود في السنن بدل قوله فقد غوى فانه لا يضر الا نفسه لما فيه اي
الجمع من التسوية اللائي بيان المراد بها وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على
يعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روي في الحديث انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم
يذكر الوقوف على يعصهما وقال النووي الصواب ان سبب النهي ان الخطبة شانها
الايضاح واجتناب الرمز ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلمة اعادها
ثلاثا لتفهم لا كراهة الجمع بين الاسمين بالكناية لانه ورد في مواضع منها قوله صلى
الله عليه وسلم ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وقال العلائي في كتاب
العقود المفيدة قيل في الجمع بين هذه الاحاديث وجوه منها ان هذا خاص بالنبي
صلى الله عليه وسلم فانه يعطي مقام الربوبية حقه ولا يتوهم فيه تسوية له
بما عداه اصلا بخلاف غيره من الامة فانه مظنة التسوية عند الاطلاق والجمع
في الضماير بين الله وغيره فلذا جاز الجمع بينهما في كلام النبي صلى الله عليه وسلم

في قوله من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما وغير ذلك وامر النبي صلى الله عليه وسلم
الخطيب بالافراد لئلا يوهم كلامه التسوية والمخاطب الوفد الذين قرب عهدهم بالاسلام
ومثله قوله لا تقولوا ما شاء الله وشئت الى اخره ويعلم منه حال كلام الله بالطريق الاولى
ويرد عليه حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي علم فيه الامة ما يقولونه عند الحاجة
فان فيه ومن يعصهما فيدل على عدم الخصوصية الا ان يقال يؤخذ من مجموع الحديثين
انهم يقولون في خطبة الحاجة ومن يعص الله ورسوله ولا يجمع فيهما وفيه نظر ومنها
ان النبي صلى الله عليه وسلم حيث انكر على ذلك الخطيب كان هناك من يتوهم منه
التسوية بين القائمين عند الجمع في الضمير ولعل هذا اقرب مما قبله ومنها ان ذلك
الجمع لم يكن على وجه التحتم بل على وجه الندب والارشاد الى الاول لما في افراد اسم الله
عز وجل من التعظيم له بذكر اسمه ويرد خلافه في الاحاديث وهو قريب مما قاله
الاصوليون من ان الواو لا تفيد الترتيب ومنها ان ذلك الانكار كان مختصا بذلك
الخطيب لانه يتوهم منه التسوية فيختص بمن كان حاله كذلك ولعل هذا الجواب هو
الاقوى لانها واقعة حال وذاك احتمال الا انه اذا انضم اليه حديث ابي داود الذي
علم فيه النبي صلى الله عليه وسلم امته كيفية خطبة الحاجة قوي الاحتمال ومثله
قيل في حديث لا تفضلوني على موسى عليه الصلاة والسلام انتهى **اقول**
في هذا المقام اضطراب واشكال لان مقصود المص رحمه الله ذكر ثنا الله على رسوله
صلى الله عليه وسلم وما يدل على رفعة قدره فلما انتهى الى انه رفع ذكره حيث قرنه
بذكره وادرج فيه انه قرن طاعته بطاعته بالواو المشركة عقبه بحديث النهي عن قول
ما شاء الله وشاء فلان مؤيدا به انه لا يجوز العطف بالواو في حق غير النبي صلى الله عليه
وسلم بناء على هذه الرواية والنهي عن عطف مشيته بالواو دون ثم ثم ترقى الى النهي
عن جمع اسم الله وغيره في كلام واحد وهو كلام متجاذب الاطراف بحسب الظاهر سوا
قلنا النهي تنزيهي على الصحيح او تحريمي لكن اذا تاملت كلامه وجدته مخالفا لما في
نفس الامر فان العطف بالواو على اسم الله لا يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم
لورود في حق غيره صلى الله عليه وسلم كثيرا في القران والحديث ولا مانع منه
عقلا وشرعا والحديث الاول فيه رواية اخرى صحيحة كما مر ما شاء الله وشاء محمد
فلا يكون مؤيدا له بل مخالفا وجمع الضمير ورد في القران والاحاديث كقوله ان يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواهما ولما راى الناس هذا مخالفا لما تقرر ذهب
بعضهم الى التوفيق وبعضهم الى التلفيق فقال بعضهم انه كان في ابتدا الهجرة
ثم نسخ وقيل الخطبة شانها الايضاح وان كلام الرسول جملة واحدة ايقاع الظاهر
فيها قليل لعدة خلاف كلام الخطيب وان النبي صلى الله عليه وسلم لو اورد كان معظما
وهو اعظم الناس تواضعا وقيل انه ادب شرعي مخصوص بغير كلام الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم فلا يرد ما في القران والحديث وقيل فعله النبي صلى الله عليه
وسلم لبيان الجواز واما الحديث الاول فذهب بعض المحققين الى انه مخصوص
بالمشية لقوله ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن وقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله
فانه ندب لتعليق الامور بمشية الله وحده فلا يجوز تشريك مشية غير الله

بمشيئة سوا في ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وغيره الا بلفظ الدالة على التراخي فان
نفس مشيئة العبد بمشيئة الله ايضا لانه الذي خلق فيها الدواعي وغاية ما يوجه به
كلام المص رحمه الله انه مكروه عنده في حق غير النبي صلى الله عليه وسلم اذ الكلام في كلام
غير الله وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم لما فيه من الايهام وانه لما ذكره في العطف
اي بالمشيئة وما بعده استطرادا اذا عرفت هذا فقوله لما فيه من التسوية اي في
تثنية الضمير وجمعه تسوية بينهما لانه لفظ واحد متصل لا سيما اذا لوحظ العدول
عن العطف الدال على التفاوت بالتقديم والتبعية ولذا قال ليقل من يعص الله ورسوله
وليس في الواو تسوية عند المص رحمه الله كما قيل بل تشريك اذ الواو تقتضي التغاير
والاستقلال لقيامها مقام تكرار العامل او تقديره معها وقول النحاة العطف بالواو
بمعنى الضمير لم يريدوا من جميع الوجوه وقوله ذهب غيره اي غير الخطابي الى انه
كره من الخطيب وقوفه على يعصهما بناء على انه فعل ذلك لعيا وسعالا او نحوه فيوهم
عطفه على الفاعل فيكون العاصي راشدا وهو فاسد قيل والمراد بالوقوف سكتة خفيفة
تقطع النفس لا قطع الكلام مرة واحدة كما مر وانما سكت اشارة لمحل الذم واكتفا
بالمقصود وتنبيها على جواز الحذف او ذهولا ونسيانا ولا حاجة لما تكلفه وصرفه عن
ظاهره وقوله وقول ابي سليمان اصح اي من القول بان الانكار عليه لوقفه لا للجمع
في الضمير لان قوله له قل ومن يعص الله ورسوله صريح فيه واما القول بان الجمع وارد
ايضا الخ فقد عرفته وما فيه فلا حاجة للتطويل به واما قوله اصح دون هو الصحيح
ولان عدم ذكر الوقوف والرد عليه بما مر لا بعينه لا سيما مع احتمال تعدد القضية وقد
اختلف المفسرون واصحاب المعاني قال بعض الشراح لم يرد بعلم المعاني هنا علم البلاغة
المشهور بل اراد من لهم زيادة اختصاص بالبحث عن معاني الكتاب والسنة غير المفسرين
بقرينة المقابلة وجوز ان يراد المعنى المعروف لما فيه من المجاز الذي هو من مباحثه
كما سياتي في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي هل واو يصلون راجعة
وعائدة على الله تعالى والملائكة ام لا وفي نسخة وعلى ملائكته ويرجع يتعدى بعلى
والى والمراد بالرجوع والعود ارادتهما منه بقرينة ما قبله وهو معروف غني عن
الشرح وهل هنا بمعنى الهمزة فلذا عادلتها ام كما ورد في الحديث هل تزوجت بكرا ام
ثيبا والكلام عليه مبسوط في محله وقوله في قوله متعلق باختلف والتقدير المشهور
في امثاله اختلفوا في جواب هل الى آخره اذ لا اختلاف في الاستفهام واما الخلاف في
الرجوع وعدمه بل الضمير عائد على الله والملائكة ام على الملائكة فقط وخبر الجلالة
محذوف اي ان الله يصلي وملائكته يصلون فاجازه اي الرجوع اليهما بعضهم ومنعه
آخرون لعلة التشريك اي للزوم التشريك بين الله والملائكة والتسوية بينهما
في عبارة واحدة وهو ضمير الواو وان كان معنى الصلاة في حقهما واحدا كما مر من انه
ممنوع لما فيه من عدم رعاية التعظيم الدال على التنزيه او بنفسه على
ما فيه فان كان هذا التعليل نقل مذهبا لبعض من منع فلا كلام فيه والمص رحمه الله
ثقة واجل من ان يكون لم يفهم مرادهم فسقط ما في بعض الشروح من انه لم يقله
احد سواه والمنع له علة اخرى مذكورة في كتب اصول الفقه وهي لزوم استعمال

اللفظ المشترك في معنييه او الجمع بين الحقيقة والمجاز فالمعروف لو الصلاة من الله رحمة ومن الملايكة استغفار ومن الادميين تضرع ودعا فان كانت هذه معان حقيقة لزم الاول والا بان يكون في واحد منها حقيقة وفي غيره مجاز لزم الثاني **واجيب** بانه على تسليم صحة النقل من عموم المجاز وهو استعماله في معنى عام مجازي شامل لهما على الاحتمال الثاني او من عموم المشترك فلا يلزم ما ادعاه المجوز ومن الذي استدل لوا بهذه الاية وبان المنع على ما ادعاه المصنف رحمه الله انما هو في غير الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في مقام يوهم تسويته الله بغيره لانه حق لهما يفعل الله فيه ما يشا ويجعله على من يشا وهو لا يسال عما يفعل كما مر تحقيقه وقد صرح به القرطبي في تفسيره هنا وفي تفسير القاضي لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملايكته يصلي عليكم بالرحمة وملايكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المعنى المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلاة بمعنى الدعا وقيل الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري وفي دقايق المنهاج للنووي ان التفسير المذكور للصلاة شرعي وكلام شيخ الاسلام زكريا يقتضي انه لغوي واعلم ان في تفسير الصلاة السابق كلام لنا فيه رسالة مستقلة وليس هذا محلها فحسبك من القلادة ما احاط بالجيد وخص الضمير بالملايكة وقد روا الاية ان الله يصلي وملايكته يصلون اي من ذهب الى ان العلة التشريك ولم يجوزه مطلقا خص الضمير بالملايكة وقدر في الاول خبرا فالتقدير عنده ان الله يصلي وملايكته يصلون فحذف من الاول ما يدل عليه الثاني على عكس المشهور في الحذف والتقدير ولكن مثله جاير ان قري بنصب ملايكته عطفا على اسم ان فان رفع تعين كونه كذلك وعلته عند المص رحمه الله الحرف من التشريك وعند غيره ما مر وكون الحذف من الاول لدلالة الثاني عليه ضعيف غير مسلم مع انه قيل عليه ايضا انه على هذا التقدير وان اندفع التشريك لم يندفع ايهامه بحسب الظاهر من اللفظ وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله من فضيلتك خبر مقدم وعند متعلق به وان جعل مبتدا موخر والعكس يجعل من التبعيضية لكونها بمعنى بعض مبتدا حرف للتسامح من غير احتياج وان ذكره بعضهم في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا كما مر وهذا الحديث قال المخرجون انهم لم يجدوه في شي من كتب الحديث وان ورد ما هو بمعناه في صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله لا يبنى هذا احتمل ان يكون استينافا من المص رحمه الله ويحتمل ان يكون من كلام عمر رضي الله عنه ايضا وهو المقصود بالذكر هنا وانما النقل اول كلامه ليكون مذكورا بتمامه فلا يرد عليه ما قيل من انه قد سبق بلفظه فلا فايدة فيه غير الاطالة وقيل انه لا تكرار فيه على كلا التقديرين لاختلاف

المقامين

القاضي فانه اولا ذكرا قتران اسمه باسمه وطاعته بطاعته لرفع ذكره واعلا قدره وذكره هنا
لان الله عظمه مع تادبه مع ربه فجعل طاعته نفس طاعته ولا يخفى انه لا محصل له نعم لك
ان تقول ان ما نحن فيه ابلغ مما مر فيكون ترقيا في مدحه لان اقترانه بشي دون كونه عينه
بحيث لا يمكن انفكاك احدهما عن الاخر وان من عصى النبي صلى الله عليه وسلم عصى الله فان
كان هذا مراده فمرحبا بالوفاق وعلى كل حال فليس في ذكرهذا مع ما مر كبير فايدة فلو اقتصر
على احدهما حصل المراد وقال القاضي في تفسيره المحبة ميل النفس الى الشي لكمال
ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقرب به اليه والكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان
ما يراه العبد كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله فلا ينبغي المحبة
الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه له فلذا فسرت المحبة
بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ومطاوعته وبهذا
علمت وجه الملازمة في الشرطية وقال الامام اتفق المتكلمون على ان المحبة نوع من
انواع الارادة وان الارادة لا تعلق لها الا بالحوادث والمنافع فيستحيل تعلقها
بذاته وصفاته فاذا قيل العبد يحب الله فمعناه يحب طاعته وثوابه ونحوه واما محبة
الله فهي عبارة عن ارادة الخير له في الدارين ونقل الشارح الفاضل ان العارفين قالوا
بان العبد يحب الله لذاته واما محبته لشي اخر فدرجة نازلة والقول الاول ضعيف
لانه لا يمكن ان يقال ان كل شي انما كان محبوبا لمعنى اخر اذ لا بد من الانتهاء الى ما يكون محبوبا
لذاته فكما يعلم ان اللذة محبوبة لذاتها كذلك نعلم ان الكمال محبوب لذاته فمن سمع
اخبار رستم في شجاعته مال قلبه اليه مع القطع بان محبته معصية فعلمنا ان الكمال محبوب
لذاته واكمل الكمال لله فيقتضي انه محبوب لذاته من ذاته وقيل المراد هنا ان صدقتم
في دعوى المحبة فاتبعوني فان اتباعي علامة ذلك فاذا اتبعتموني يزيد كم الله فضلا
فيحبكم فتتم الملازمة او هي امر اعتباري اي انما نعتبر محبتكم باتباعي او هي قضية
اتفاقية او بواسطة فضية ضرورية عرفية **اقول** هذا محصل ما قالوه وفي
الشرح الجديد هنا كلام طويل من غير طايل والحق الحقيق بالقبول ان المص رحمه الله
قصد بعد ما ذكر ان الله رفع ذكره وطاعته فقرن ذكره وطاعته ان يبين ان
طاعته تقتضي محبة الله تعالى ورضوانه الذي هو اكبر من جميع ما مر لان محبة الله
واجبة اذ بها يكمل الايمان فانه لا يومن احد حتى يكون الله احب اليه من نفسه
وحبه لا يكون الا بطاعته ان المحب لمن يحب مطيع وطاعته انما تكون بطاعة رسوله
صلى الله عليه وسلم لانها اعظم ما مور به لقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول
ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم اتباعه في جميع اوامره ونواهيه فاذا كان
هذا تحقق محبة الله ومن احب الله احبه كما قيل

لا وجه الخضوع عند التلاقي ما جزا من يحب الا يحب

ولهذا علمت ان ذكر اية الطاعة امر لازم هنا ليتم الدليل على انه صلى الله عليه وسلم
احب الخلق الى الله لانه يحب من اتبعه فادعا التكرار من قصور الانظار وما بعده
من فتق الديباج وترقيعه بالخيش ولهذا عرفت معنى محبة الله لعبده ومحبة
عبده له وروي كما رواه ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن المنذر

لماهيل

سعيد
عرفي

عن مجاهد وقتادة انه لما نزلت هذه الاية قالوا اي الكفار والمنافقون والقايل منهم
عبد الله بن ابي ابن سلول لعنه الله نزل قوله منزلة قولهم كلهم لعظمته عندهم
ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى صلى الله عليهما وسلم فانزل
الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم الحنان بفتح الحاء
المهملة بعدها نون مخففة يليها الف ونون ومعناه الرحمة والعطف ومنه قوله
وحنانا من لدنا وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما ادري ما الحنان وفي النهاية ان ورقة
مر ببلال رضي الله عنه وهو يعذب في الله فقال والله لين قتلتموه لاتخذنه حنانا والحنان
الرحمة والعطف والرزق والبركة اي لاجعلن قبره موضع حنان اي مظنة رحمة وبركة
فاتمسح به كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا في سبيل الله من الامم الماضية والمعنى
على هذا هنا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يريد ان يجعلنا ممن يتبرك به ويخضع له خضوعا
يؤدي لعبادته كما عبدت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لان محبة الله
بالطاعة والخضوع له بالعبادة وقد جعل اتباعه يتوقف عليه محبة الله قيل وفيما
ذكر صاحب النهاية نظر لان بلالا رضي الله عنه انما عذب بعد ما اسلم وورقة مات قبل
البعثة وفيه تامل فانه قيل ان القايل ذلك زيد بن عمرو بن نفيل واما قول المعترض ان
ورقة اسلم قبل البعثة فليس بصحيح لما في البخاري مما يخالفه صريحا وانما الذي لم يدرك
البعثة زيد المذكور والنصارى مفرده عند سيبويه نصران ومونثه نصرانية ولم
يستعمل بيا النسبة وقال الخليل واحده نصري كمهري ومهاري وقيل هو منسوب
الى نصرة وهي قرية نزلها عيسى عليه الصلاة والسلام وقال قتادة هي ناصرة ولكنه غير
في النسب ونصارى ممنوع من الصرف للالف وهم قوم عيسى عليه الصلاة والسلام وقد
افترقوا فرقا بسبب فتنة بولس المفصلة في التواريخ وذكرها هنا التلمساني ايضا وعيسى
ابن مريم ابنة عمران بن ماثان قال التلمساني لم يذكر الله امراة في القران باسمها الا مريم
ذكرها في نحو ثلاثين موضعا والحكمة فيه ان الملوك والاشراف لا يذكرون حرايرهم وحبايبهم
باسمايهن بل يكنون عنهن بالاهل والعيال ونحوه فاذا ذكروا الاما لم يكنوا ولم يحتشموا عن
التصريح فلذا صرح باسمها اشارة الى انها امة من اما الله وابنها عبد من عبيد الله ردا على
اليهود الذين قالوا في عيسى عليه الصلاة والسلام ومريم ما قالوه وهو كلام حسن جدا
وعيسى ليس بمشتق من العيس بمعنى البياض لانه اسم اعجمي معرب والاشتقاق مختص بكلام
العرب وان كانوا اذا عربوه الحقوه بكلامهم وتصرفوا فيه فقد يفرضون اشتقاقه لبيان وزنه
وحكمه وعيسى عليه الصلاة والسلام رفع وهو ابن ثلاث او ثلاثين سنة او اربع وهو
الاشهر عند المفسرين والمحدثين وقيل ثمانون سنة وقيل مائة وعشرين سنة كما نقله ابن
حجر في الاصابة واختلف ايضا في مكثه في الدنيا بعد نزوله من السما فقيل سبع سنين وقيل
اربعين وقيل غير ذلك ونزول الاية ردا لما قالوه لامره بطاعته وتوقيره بما يليق به
ففيه تكذيب لهم وتسفيه ورغما بالرا المهملة والغين المعجمة والميم مثلث الرا بمعنى
تذليل وقهر واكراه واصله من الرغام وهو التراب لان المهان يسحب في الارض على التراب
ثم عمم فقيل ارغم الله انفه ورغما عليه اي قهرا وذلا وغيظا وهو منصوب مفعولا له
اي ارادة ذلك لهم وتخسيله وتبادر من تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتذليلا لاعدايه انتهى

ابن نفيل

ابن نفيل

مناسبة

مناسبة لغرض المص رحمه الله هنا وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في سورة ام الكتاب
وهي سورة الفاتحة ولها اسما كثيرة مذكورة مبينة في محلها لاحاجة لنا بذكرها هنا ووجه هذه
التسمية فيه وجوه اشهرها انها سميت به لانها مبدؤه ومفتتحه فكانها امه اولاشتمالها على
مقاصده اجمالا ووجه التسمية لايلزم اطراده مع ما فيهما من المرجحات وفيه تحقيقات
تكلفت بها شروح الكشاف فعليك بها ان اردتها اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري تقدمت ترجمته واما ابو العالية فهو اسم
مشترك والذي رجحه الشراح انه رفيع بن مهران التابعي الذي اسلم في خلافة الصديق
رضي الله عنه فانه خرج له الشيخان وله تفسير مات في سنة سبعين على الصحيح وقيل
هو زياد بن فيروز البراء بتشديد الراء المهملة لانه كان يبري النبل وهو ايضا ممن خرج له
الشيخان ومات في سنة تسعين ايضا وتردد بعضهم في المراد هنا ورفيع بالتصغير
كما قاله النووي في تهذيبه الرياحي نسبة لامراة من بني رياح اعتقته سائبة
فهو مولاها اسلم بعد عامين من موت النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه اصحاب
الكتب الستة ومعنى السائبة ان يعتق ويترك ولاؤه وميراثه طلبا للاجر وهذا مما
كان في الجاهلية ونهي عنه في الاسلام وهذا التفسير مما اخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم عن
ابي العالية عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححوه ورواه الحسن البصري كما ذكره المص
وتسميتها ام الكتاب وام القران على طريق الاستعارة مأثور مشهور وان اطلق الاول
على غيره كاللوح المحفوظ والقول بان هذه التسمية مكروهة مما لا يلتفت اليه وان
ذكره بعضهم تكثيرا للسواد قيل وانما صرح المص رحمه الله باسم السورة مع ظهوره وكو
على خلاف عادته فيما يذكره من الايات لما فيه من تعظيم الله له واعتنائه بشانه حيث
ذكره في اول كتابه ومبدا خطابه الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخيار اهل بيته واصحابه جملة اهدنا الدعائية بيان للمعونة المطلوبة والكلام على الهداية
وتعديتها ومراتبها مفصلة في حواشينا على تفسير البيضاوي والصراط الجادة الطريق من
السرط وهو الابتلاع ومثله شبيه لغة وقرئ بالصاد والسين وباشمامها زايا ولها
خالصة في رواية ضعيفة وهو يذكر ويؤنث والمراد به هنا طريق الحق وهو ملة الاسلام
او القران او الايمان وتوابعه او الاسلام وشرائعه او السبيل المعتدل او طريق
النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما او النبيين عليهم الصلاة والسلام
او طريق الجنة او طريق السنة والجماعة او طريق الخوف والرجا وحرر جمع وهذا مما
عليه اكثر المفسرين قال الامام السهيلي ويرد على بعضها بان المراد بهذا اما بعده من
قوله صراط الذين الخ **قلت** ليس هذا امتفقا عليه نعم يرد على ما ذكره المص انه
اذا فسر بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يصير المعنى اهدنا النبي وصحبه ولا معنى له
الا بتقدير طريق النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وفيه ركاكة لا تخفى ولذا قيل الظاهر
على هذا انه شبههم بالطريق الحق في ايصاله للمطلوب اي اهدنا اياهم لنؤمن بهم ونتبعهم
وقيل سمي المرشد للطريق طريقا تسمية للدال باسم المدلول اي المتسبب باسم السبب فهو مجاز
مرسل كما قيل وفي المعالم حكاية هذا القول بلفظ طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو رواية او اشارة الى حذف مضاف فيه والمستقيم المستوي من غير اعوجاج

والاستقامة تكون حسية ومعنوية وقوله واصحابه يجوز فيه الرفع عطفا على رسول
الله او خيار ورجح هذا الماسيالي والجر عطفا على اهل بيته وبه جزم في المقتفي فالمعنى
خيار الصحابة والاضافة بيانية هنا وهناك اذ جميع اهل بيته واصحابه خيار عدول
حتى من لابس الفتن منهم لاجتهادهم وعلى عدالتهم مشى ابن الهمام في تحريره وجزم به العراقي وابن
عبد البر وعليه الاكثر وحكى اجماع اهل السنة والجماعة عليه ويجوز ان تكون الاضافة لامية
سواء جعلت الخيرية بمعنى العدالة ام لا لتفاوت مراتبهم فيها والنعمة بشق العين وخفضه
واصلها من النعومة وهمزة انعم للتصيير وهو احد معاني صيغة افعل وهي بحوار بعة
وبضمها بمعنى حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وقد تقدمت ترجمته وهذا الاثر رواه
الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه وحكى مكي نحوه عنهما وهو ابو
محمد بن ابي طالب شيخ الصوفية واهل السنة المتبحر في التفسير وغيره من العلوم
وله تفسير كبير وكتاب القوت كتاب جليل توفي بقرطبة سنة سبع وثلاثين واربعمائة
واصله من القيروان ولد بها ثم انتقل الى الاندلس وسكن قرطبة وبها توفي
ودفن وقال مكي هو اي الصراط المستقيم في الفاتحة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحباه العطف اما تفسيري فالجملة مبينة للمحكي او هو قول اخر للمكي فيه قولان
وليست الجملة مستانفة الا ان يراد انها معطوفة على جملة مستانفة وقوله ابو
بكر وعمر رضي الله عنهما بدل من صاحبيه او عطف بيان وابو بكر رضي الله عنه افضل الصحابة
واشجعهم في الصحبة وهو افضل من طلعت عليه الشمس بعد النبي صلى الله عليه
وسلم باتفاق اهل السنة ولا عبرة بخلاف الشيعة فيه اسلم هو وابواه وابنه
وحفدته وهو الصاحب في الغار وفي السر والجهار ولم يزل ملحوظا بعين الرضى
موحدا لم يسجد لصنم قط وقال ابو الحسن الاشعري لم يزل بعين الرضى منه وقد
اختلف في مراده فقيل لم يزل مؤمنا قبل البعثة وبعدها وقيل لم يزل بحالة
غير مغضوب عليه فيها لعلم الله بانه سيؤمن ويصير من خلص الابرار وقال
السبكي لو كان كذلك لساواه كثير من الصحابة رضي الله عنهم في ذلك وهذه العبارة
لم تثبت عنه والصواب ان يقال لم يثبت عنه كفر بالله **قلت**
هذا هو المعنى الاول بعينه والذي اراه ان ضمير منه للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد انه لم يغاير قد طرفة عين ولم يخالفه بنت شفة ولهذا استحق التقدم
على غيره وتوفي سنة اربع عشرة وله اربع وستون سنة وعمر هو ابن الخطاب بن نفيل
ابن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لوي بن
غالب القرشي العدوي ابو حفص امير المؤمنين روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
احاديث كثيرة وروى عنه كثير من الصحابة والتابعين وقد صنف ابن كثير كتابا
مستقلا في ترجمته وسيرته وما روي عنه مات رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين
وعمره ثلاث وستون على المشهور وفضائله غنية عن البيان وحكى ابو الليث
السمرقندي تقدمت ترجمته مثله عن ابي العالية السابق ذكره والمراد بالمماثلة
مشاركته في تفسير الصراط بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وان
اختلفا في تخصيص لاصحاب وعدمه في قوله صراط الذين انعمت عليهم هو بدل مما

مطلب تفسير فاتحه شريف

بدله او عطف بيان فهو عين الاول وقال السبكي رحمه الله من الغريب ما قيل انه غير الاول
فكانه على راي من يجوز حذف حرف العطف واختلف هل لله على كافر نعمة فاثبتها المعتزلة
ونفاها غيرهم وثاني النعت للفاعل استعطاف لقبول الدعا بالهداية وغير وصفه عند سيبويه
وبدل من الذي عند ابي علي ومن الضمير عند غيره على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة
والايمان والسلامة من غضب الله انتهى فالمراد عند هذا القايل بالذين انعمت عليهم النبي
صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته وصحبه فهو بدل او هذا التفسير مع ما سبق على
الاحتمال والبدل فلا حاجة الى القول بان ابا العالية هذا غير القايل بان الصراط النبي
صلى الله عليه وسلم فيما سبق لتنافيهما ولا يخفى ان قوله مثله يا باه قال اي ابو الليث
فبلغ ذلك اي سمع هذا التفسير الحسن السابق ذكره فقال صدق والله ونصح اي صدق
ابو العالية فيما قاله وانه تفسير للاية والقسم لتاكيد صدقه وجزمه بما قاله او
علية ظنه وقال بعض الشراح اكثر المفسرين على ان المنعم عليهم في هذه الاية هم المذكورون
في قوله فاولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين
وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما واذا نظرت الى قوله وحسن اولئك رفيقا وجمعت
بينه وبين قوله صراط الذين انعمت عليهم تجده شرحا له لان الصراط الطريق وهو
محتاج للتوفيق وفي الحديث خير الرفقا اربعة يعني قوله من النبيين والصديقين
الخ فانهم اربعة وهذا مما نبه عليه الامام السهيلي **اقول** ونحوه من اللطايف
ما قاله الحوى تلميذ الفخر الرازي في كتابه سماه اقاليم التعاليم ان بسم الله الرحمن الرحيم
اشارة الى حقيقته الكاملة التي لا يحيط بها ادراك مدرك وهو الشي الازلي خلق الخلق برحمته
ولهذا لا يقال رحمن لغيره ثم بعد الخلق ابقى المخلوق بالرزق ورزقه بالرحمة فهو رحيم اي له
رحمة بها يرزق ولذا قيل لغيره رحيم لانه قد يجري الرزق على يد غيره فهو اذا رحمن رحيم
خلق ورزق فتمت نعمته فوجب شكره فلذا قال الحمد لله رب العالمين ثم انه تعالى في مرة
اخرى بعد الموت والفوت يخلق المكلفين كما كانوا ويرزقهم في الدار الاخرة فهو رحمن رحيم
كما كان فلذا قال ثانيا الرحمن الرحيم باعتبار المعاد الذي هو مالكه فلذا قال مالك يوم
الدين فاذا تبين انه الخالق الرازق اولا واخرا فلا عبادة الا له فقال اياك نعبد ولما كانت
نعمه لا تفي ولا يفي بها الشكر من عبادة الضعفا قال اياك نستعين لتكون العبادة
كما يرضى لعباده ويليق بجلاله فاذا عبدناه واعاننا ينبغي الوصول اليه ليحصل الرزق
الاوفى بالمثول بين يديه وذلك بسلوك طريق يوصل اليه فقال اهدنا الصراط المستقيم
ومن اراد سلوك طريق بعيد لا بد له من رفيق فقال صراط الذين الخ اي النبيين ٥
والصديقين فهم الحسن الرفقا ثم اذا وجد الطريق خيف قطاع الطريق فقال غير
الخ واذا امن منهم خيف الضلال في الطريق لاشتباه معالمه فقال ولا الضالين امين
وحكى الماوردي السابق ذكره ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن
ابن زيد بن اسلم المدني وهو يروي عن ابيه وابن المنكدر وروى عنه اصبغ وقتيبة
وهشام وضعفوه وله تفسير وترجمة في الميزان واخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة
اثنين وثمانين بعد المائة وفي تفسير الصراط بالنبي صلى الله عليه وسلم واتباعه من
الثنا والتعظيم ما لا يخفى لاستمداد كونه في ام الكتاب وما يدبه الواجب قراءته في كل صلاة

وهو مترد كر اسم السورة على خلاف عادته كما مر وحكى ابو عبد الرحمن السلمي مترد كره وترجمة
عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد صلى الله عليه وسلم
اول الاية فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد الخ والطاغوت ما يعبد من دون الله
وقيل الشيطان وفي وزنه واشتقاقه كلام في التفسير واستمسك مبالغة في التمسك
يقال مسك وامسك وتمسك واستمسك بمعنى والعروة في الاصل النبات الثابت في
الارض ويقال لما انعقد في الحبل ليدخل فيه اليد للتمسك ومنه عروة القميص والكوز
ثم استعيرت لكل ما يعتصم به ويلتجأ اليه والوثقى فعلى من الوثاقة وهي الاحكام والشد
الوثيق الربط المحكم الذي لا انفصام له اي لا انقطاع ولا انفصال فاذا اريد بها النبي
صلى الله عليه وسلم فهو استعارة ومجاز على المجاز لشهرة الاول والتحاقه بالحقيقة
والمراد ان من صدق وآمن به سلم من كل سوء في الدنيا والآخرة فهو استعارة تصريحية
والاستمساك ترشيح او استعارة تبعية وان فسرت بالتوحيد والاسلام كما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري فالمراد ان الثقة والسلامة بسببه محكمة متصلة
في الدارين وصاحبه امن من السقوط والانقطاع وقوله عن بعضهم قال بعض الشراح
لو سماه ولو ابهم ولا وجه لاستبعاد ما ذكر مع صحته وظهور وجه التجوز فيه وقيل الاسلام
وقيل شهادة التوحيد اي قال بعضهم هذا معنى العروة الوثقى وهو ظاهر مما مر
وشهادة التوحيد قول اشهد ان لا اله الا الله وقريب منه تفسيره بلا اله الا الله وهي
وهي كلمة التوحيد اي الايمان بوحدانية الله قيل واول هذين القولين الصق بقوله
فمن يكفر بالطاغوت الخ وعليهما ففيه ثناء على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويلزمه
الثناء عليه نفسه والظاهر عند الخفاجي عيني وان الاية استعارة لعقد لنفسه
عقدا وثيقا الانزل معه قدمه ومن شان العرب تشبيه المعاني بالذوات المرئية
فيشبه في الاية التمسك بالدين بالمتمسك بعروة وثيقة لا تنقطع ونحوه قول السعد
في شرح الكشاف شبه التدين بالدين الحق والثبات على الهدى والايمان بالعروة الوثقى
في الحبل المحكم المامون من انقطاعه فذكر المشبه به واريد المشبه ولا يمتنع كون العروة
استعارة للعهد او الكتاب كما في قوله واعتصموا بحبل الله انتهى وعد هذا اقرب من
استعارته لذات النبي صلى الله عليه وسلم لا يرد عليه شيء مما مر وقال سهل
هو سهل بن عبد الله التستري وقد قدمنا ترجمته في قوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم في هذه الاية بلاغة
عظيمة حيث قال نعمة الله ولم يقل نعم الله والتاء للوحدة بحسب الاصل والعد
يقتضي الكثرة ولذا قال الحساب الواحد ليس بعدد لا انه قد يعم ويستغرق
نوعية او جنسية فلك ان تقول فيه ايماء الى ان النعمة الواحدة ولو كانت
الوحدة حقيقية تشتمل على نعم لا تحصى فالصحة نعمة واحدة مثلا وهي تشتمل
على صحة كل جزء جزء في كل حين ظاهرا وباطنا فلو اراد احد تفتيشها عجز وفي حواشي
المطول للسيرامي المعنى ان تشرعوا في عد افراد نعمة من نعم الله لا تطيقون عدها
وانما الحي بان وعدم العد مقطوع به نظرا الى توهم انه يطاق انتهى واصل معنى
الاحصاء العد بالحصا وكانت العرب تفعله كما قال الاعشى

ديلمي

ابن الحنبلي

ولذ

ولستنا بالاكثر منهم حصى ♦ فانما العزة للكاثر ♦ [illegible] ♦ [illegible] ♦
ثم صار حقيقة في العد مطلقا والمراد هنا الحصر والاستقصا لان ما ليس كذلك لا يعد والا
لكان المعنى ان تعدوا نعم الله لا تعدوها او المراد ان تريدوا عدها وقوله قال اعاده
تاكيد الاول او للحصر بين كلام الله وتفسيره والقايل هو سهل والنعمة تكون بمعنى الانعام
والمنعم به فاذا اريد الاول فالبا للتعدية تقول انعم عليه بكذا او محمد صلى الله عليه وسلم
هو المنعم به لانه النعمة العظمى لكونه رحمة لساير الخلق كما وقع في نسخة مروية عن المص
نعمة محمد من غير با وان اريد الثاني فالبا سببية فالمعنى نعمته كاينة بسببه او انعامه
دلجي
فيه فوايد ومنافع لا تحصى فلا منافاة بين عدم الاحصا وكون المنعم به محمدا صلى الله عليه
وسلم فلا وجه لما قيل من انه من اعظم النعم والمراد بالمعنى الاعم المتناول لها بعموم الحصو[ها]
والا فالنعمة به مما عرف المعارف المعلومة والاحصا انما يكون في المعدود لقوله واحصى
كل شيء عددا انتهى واضافة نعمة يجوز ان تكون للعهد والاستغراق لان الاضافة
تاتي لما تاتي له اللام كما تقرر في الاصول فعدم الاحصا لها ولما يترتب عليها وقال
يه
تعالى والذي جا بالصدق وصدق به اولىك هم المتقون الاية اكثر المفسرين على ان
الذي جا بالصدق وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي المراد بالذي هنا تفاسير منها انه
محمد صلى الله عليه وسلم وعليه اكثر المفسرين وهو في غاية الوضوح واقتصر عليه المص رحمه
الله لمناسبته لما عقد له الفصل من المدح والثنا عليه بانه صادق مصدق وقيل هو جبريل
عليه الصلاة والسلام وقيل انه مفرد لفظا جمع معنى لان تقديره الفريق او الجنس الذي
بعضه جا بالصدق وهو النبي صلى الله عليه وسلم وبعضه صدق به وهم المومنون وقيل
معنى جا بالصدق امن بالصدق الذي هو لا اله الا هو او القران فاولىك هم المتقون
مبني على انه المراد هو ومن تبعه كما في قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون
او تنزيل الواحد منزلة الجماعة تعظيما له وقال التفتازاني الاوجه ان يراد بالاتي النبي
صلى الله عليه وسلم والامة فاولىك على ظاهره وفيه نظر واختلف في تفسير الذي
صدق به كما اشار اليه المص رحمه الله بقوله وقال بعضهم وهو اي محمد صلى الله
عليه وسلم الذي صدق به المراد بالمفضل بن عباس رضي الله عنهما لانهم نقلوا هذا التفسير
عنه ومعنى صدق به امن به كما في الكشاف وفي المعالم معناه صدق الرسول به اي
بلغه الى الخلق وقال البيضاوي صدق به الناس واداه اليهم كما نزل او صار صادقا
بسببه لانه معجز يدل على صدقه انتهى وقيل في هذا خفا الا ان يقال معناه جعل
الخلق مصدقا به وهو بالتبليغ فليتامل وقيل ضميره به للصدق فيتناول الرسول
والمومنين والذي مبتدا خبره اولىك وهذه الاية قد دلت على انه صلى الله عليه وسلم
جا من عند ربه بصدق دلت معجزاته على صدقه قطعا وانه صدق جبريل عليه
الصلاة والسلام فيما اتاه به ووصفه بانه متق وحصر التقوى فيه لان المراد به
تقوى كاملة لا تتيسر لغيره والحصر من تعريف الطرفين وفيه مدح عظيم له واعلم
ان الذي قد ياتي بمعنى الذين ويغني عنه في غير تخصيص كثيرا اذا اريد به الجنس
لا افرادا منه مخصوصة فلفظه مفرد ومعناه جمع لتقدير موصوف له مفرد اللفظ
مجموع كالفريق ونحوه كما مر وفي شرح التسهيل التقدير في هذه الاية الجمع او الفريق
دلجي

الذي جاء الخ فله جهتان بحسب اللفظ والمعنى روعي اللفظ فوصف بالفرد وروعي المعنى فعاد عليه ضمير الجماعة كقوله كمثل الذي استوقد نارا ولبس الذي اصله الذين فخفف بحذف النون كما جوزه بعض النحاة لانه لو كان كذلك لم يجز افراد عايده فان اريد بالموصول جماعة معينة لم يجز افراده الا نادرا كقوله وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد قاله ابن مالك في شرح التسهيل وقرئ في الشواذ والقارئ هو عكرمة وابو صالح وصدق على التخفيف قال في المصباح صدق خلاف كذب وصدقته يتعدى ولا يتعدى وصدقته بالتثقيل نسبته الى الصدق وقلت له صدقت انتهى والصدق يكون في الافعال ايضا فيقال حمل حملة صادقة كما قاله الراغب اي اخبر عن الله بما هو صحيح نسبته الى الله مطابق لما في الواقع وهو ايضا معتقد ومصدق به فانه قد يقول الانسان امرا واقعا لا يعتقده كقول الدهري العالم حادث اوجده الله او المراد انه صدق في تبليغه الوحي كما انزل اليه وقيل المعنى انه صادق بسببه لكونه معجزة له فسقط ما قيل من انه مكرر مع قوله الذي جاء بالصدق والتاسيس اولى من التاكيد مع ما فيه من الخطا وترك الادب لان القراءة لا يعترض عليها ولو كانت شاذة وقال غيرهم وفي نسخة قال غيره والافراد نظرا لافراد لفظ البعض والجمع نظرا الى المعنى لانهم جماعة والقايل قتادة ومقاتل الذي صدق به المومنون يعني على القراءتين وتفسير الذي جاء بالصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم والاخبار باولئك الخ على ظاهره لكنه كما قيل يلزم فيه تقدير موصول اي والذي صدق به وهو ممنوع عند بعض النحاة وجوزه اخرون وقالوا انه الحق وانه ورد اذا دل عليه دليل ومنه قوله تعالى وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم اي وما انزل اليكم وقول حسان رضي الله عنه

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سوا

وارتضاه ابن مالك والمانعون يمنعون تخريج الاية عليه ويقولون هي حالية بتقدير قد او يقولون الذي بمعنى الجنس الذي الخ من غير حاجة الى التقدير وقيل ابو بكر رضي الله عنه وقيل علي كرم الله وجهه وقيل غير هذا من الاقوال كتفسيره بجبريل او محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذي جاء بالصدق وصدق به المومنون الذين يجيئون في القيامة بالقران ويقولون هذا هو الذي جاء بالصدق وقد اتبعناه واما تخصيصه بابي بكر رضي الله عنه فلانه الصديق الاكبر الذي سبق الناس كلهم لتصديقه صلى الله عليه وسلم ولم يصدر من غيره قط وكذا علي كرم الله وجهه فانه يسمى الصديق الاصغر الذي لم يتلبس بكفر قط ولم يسجد لغير الله مع صغره وكون ابيه على غير الملة ولذا اختص بقول كرم الله وجهه وقيل تخصيصهما للاولوية في التصديق او للتصديق في اول اللقا وهذا منقول عن مجاهد ولا يرد على هذا ولا على ما قبله انه يلزمه حذف الموصول بدون الصلة او ان يراد بموصول مع صلة شي ومنه مع صلة اخرى اخر لان الموصول هنا واحد لفظا جمع معنى

بتقدير

بتقدير موصوف كذلك كعزيق ونحوه والصلة له على النون اي جمع بعضه جانبه وبعضهم عدة
فلاحد وزن فيه كما ذكره الطيبي وهذا جار في الوجه الاخير اذ لا مانع منه فلا وجه لقول
القاضي ومن تبعه انه اذا كان الجائي النبي صلى الله عليه وسلم والمصدق ابو بكر ونحوه
يلزم اضمار الذي وهو غير جائز مع انه ذكر هذا في الوجه السابق وليس بينهما فارق
والفرق بالضمار وافراده مستحسنا ان هنا لا يجدي نفعا لما مر ولا حاجة الى ان الذي اصله
الذين فخفف بحذف النون لطوله بالصلة **أقول** الذي عزه هو لا ان الذي لا يراد به
متعددا لا اذا كان غير مختص بمعين قال في التسهيل يغني عن الذين الذي في غير تخصيص
كثيرا وفيه للضرورة قليلا انتهى وعن مجاهد قال السيوطي رواه عنه ابن جرير وابن
ابي حاتم ومجاهد من كبار التابعين وهو ابو محمد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة
والراء المهملة المخزومي المفسر الزاهد العابد وروى عنه اصحاب السنن وغيرهم ووثقه المحدثون
كما ذكره الذهبي في ترجمته ومولده في خلافة عمر رضي الله عنه سنة احدى وعشرين وتوفي
بمكة سنة اثنين او ثلاث ومائة وهو ساجد وقيل كنيته ابو الحجاج وان اسم ابيه جبير
بالتصغير وقيل انه رأى هاروت وماروت فكاد يتلف في قوله تعالى الا بذكر الله
تطمئن القلوب قال محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم قيل انه مبالغة
لكونه سببا للذكر امرا به جعل عين الذكر كرجل عدل او على تقدير مضاف اي ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم كقوله ذكر رحمة ربك ولا وجه لما قيل من انه بعيد خارج
عن النص وافراده على المعنى الاول نظرا لاصله فانه يستوي فيه الواحد المذكر
وغيره واطمئنان القلب سكونه وعدم اضطرابه يقال اطمأن بالموضع اذا اقام به
واتخذه وطنا وموضع مطمئن منخفض واختلف اهل اللغة فيه فقيل ان اطمأن كاحمار
لو همز وقيل كانت الهمزة متقدمة على الميم فقلبت والمشهور ان الذكر على ظاهره واطمئنان
القلب به لاستئناسه به والتعبير بالمضارع للاستمرار التجددي له وامر ذكره وروي
عن مجاهد ايضا ان المراد بذكر الله هنا القرآن وفي الحديث القدسي اذا كان الغالب
على عبدي الاشتغال بذكري جعلت همه ولذته في ذكري اللهم اجعلنا ممن يطمئن قلبه
بذكرك ويكون همه مصروفا لحمدك وشكرك. الفصل الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة
اي بانه صلى الله عليه وسلم شاهد على امته بالتبليغ اليهم وعلى سائر الامم بتبليغ
انبيائهم لهم وفي بعض النسخ الصحيحة في وصفه له تعالى بتقديم له والمعنى ظاهر
وليست احدى النسختين جديرة بالحك والحكم بالسقم كما قيل لظهور المعنى وان
ضمير وصفه والمستتر في قوله تعالى لله وضمير له للرسول وتوهم خلافه بعيد
كما في قوله تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا
فانه لا يتوهم عود ضمير تسبحوه لرسوله والقول بعوده له على ان المعنى تسبحوا معه
مستبعد جدا والشهادة مشتقة من المشاهدة وهي المعاينة والمراد بها الخبر
القاطع تقول شهد على كذا ويكون شهد بمعنى حضر وما يتعلق بها من الثناء والكرامة
اي الاكرام له ويكون اسم مصدر بمعنى الحاصل بالمصدر وهو الاكرام يعني ان المقصود
في الفصل الاول ثناء الله ومدحه لنبيه صلى الله عليه وسلم بكونه انفس الناس
ذاتا وحسبا ونسبا وكونه خيرا ورحمة عامة في حياته ومماته وكونه نورا

سيد

محمدا منورا للعالم وكونه ذا صدر واسع منشرح ورفعة قدره واسمه مقارنته لاسم ربه
وذكره وانه الصراط المستقيم والمقصود هنا ان الله جعله شاهدا على امته وسائر الامم
وانبيائهم وما ذكر فيه من الثنا والاكرام مذكور بالتبعية للشهادة استطرادا
لمناسبته له ولهذا تبين مغايرة ما عقد له الفصلان فلا تكرار ولا عموم ولا
خصوص بعزيمة المقابلة كما قيل وستقف عليه قريبا قال الله تعالى يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية اي وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا كما مر وشاهدا وما عطف عليه حال مقدرة ومن عادة المص ان يذكر الاية في
محل الغرض ثم يسوقها في محل اخر لغيره وذكر هذه الاية اولا لتاييد كونه نورا
ثم ذكرها هنا لكونه شاهدا على التبليغ فلذلك قال جمع الله تعالى له صلى الله
عليه وسلم في هذه الاية ضروبا اي انواعا جمع ضرب اي صنف او هو جمع ضرب
وضرب بالفتح والكسر وهو النظير اي امورا متناسبة متماثلة من رتب الاثرة وجملة
اوصاف من المدحة رتب بضم ففتح جمع رتبة وهي كالمرتبة والمنزلة المقام المعنوي
والاثرة كما في المقتفي بفتح الهمزة وسكون المثلثة ثم را مهملة يليها تا تانيث كذا
ضبطها والاثرة بالفتح في الهمزة والثا وبضم الهمزة وكسرها مع اسكان الثاء
الاستبداد بالشي والانفراد به والمدحة بكسر الميم الثنا والذكر الحسن فاذا فتحت
الميم قلت المدح انتهى وقيل الاثرة بفتح الاول وكسره وسكون المثلثة وبفتحهما
وهو لا فتح كما ذكره الهروي الانفراد بالشي ويكون اسما لما به الانفراد كذا قرر وفي منقط
ان في الاية امورا مخصوصة انفرد بها وليس كذلك فالوجه انها بالخصم المكرمة كما في القاموس
والمراد الافراد بالذكر او في الجملة او نحل الاوصاف على معنى يختص به يعني انها اذا فسرت
بالمكرمة والفضيلة فلا اشكال في كلام المص فان فسرت بالانفراد اقتضى ان ما ذكر هنا من خصايصه
صلى الله عليه وسلم وليس كذلك فيحتاج للتاويل بما قاله وقد سمعوا فيه بعض الشراح في
اعتراضه بقوله تعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا لان قوله
هولا للمبعوث اليهم اللهم الا ان يجعل الاشارة الى جميع اهل المحشر ولا دليل فيه انتهى
ولا يخفى ان ما ذكر من الجواب والسوال لا وجه له اما الاول فلان قوله الاتي وهي
من خصايصه ياباه واما الثاني فلانه بعد تفسير الشهادة بانها شهادة على الامة
بابلاغهم ما ارسله الله به والبشارة لمن اطاعه في ذلك والنذارة لمن عصاه كيف
يتوهم مشاركة غيره له في ذلك وهذا مما يقضي منه العجب عندي وهذا حديث
اجمالي فلذلك فصله بجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم مصدر مضاف الى مفعوله
الاول اي بسبب ابلاغه اياهم الرسالة مفعوله الثاني والعجب منه انه فسره بقوله
اي مقبولا في قوله عند الله من غير طلب بينة كما هو شان الشاهد العدل صرح به
الزمخشري فالشهادة مجاز انتهى وهي اي شهادته عليهم لنفسه من خصايصه صلى الله
عليه وسلم وقال الفاضل ابن الحنبلي انما كانت الشهادة المذكورة من خصايصه صلى
الله عليه وسلم لان غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وان كان ذا شهادة
بمقتضى قوله فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا الا انه
مطالب بالبينة وشهادته لا تقبل الا بشهادة محمد صلى الله عليه وسلم وامته

صلى الله عليه وسلم

له بالتبليغ لقومه لانه صلى الله عليه وسلم اخبرنا بالتبليغ لاممهم فنحن نشهد بذلك وقد بين
الله هذا بقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فقد ولانا الله ببركته
الشهادة على جميع الخليقة وجعلنا اولا مكانا وان كنا اخرا زمانا فلله الحمد على ذلك وفي البخاري
انه صلى الله عليه وسلم قال يدعى نوح عليه الصلاة والسلام يوم القيامة فيقول لبيك
رب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير فيقول
له من يشهد لك فيقول محمد صلى الله عليه وسلم وامته فيشهدون الحديث وقيل الشهادة
في هذه الاية شهادة للانبياء عليهم الصلاة والسلام بتبليغهم وهي من خصايصه ايضا بالنسبة
لبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام لشهادة محمد صلى الله عليه وسلم بذلك وقد مر
في الفصل الاول عن اللباب ما فيه تعميمها الشهادات متعددة وهو الوجه حيث لا تخصص
انتهى وفي شرحه هنا خبط وخلط لا حاجة لنا به ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته
فيه كلام سياتي في الفصل التاسع والانذار التخويف والاعلام بما يحذر منه والتبشير
الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولذا قالوا لو قال شخص لعبيده ايكم بشرني بقدوم زيد
فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سرورا فلو قال اخبرني عتقوا
جميعا ومنه البشرة وتباشير الصبح واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم
كقوله تحية بينهم ضرب وجيع فهو مجاز من استعمال اللفظ في ضد معناه كذا في الشرح
الجديد وفيه خطا فاحش تبع فيه غيره فان اردت تحقيقه فانظر في حواشينا على البيضاوي
فانك لا تجده في غيرها وداعيا الى الله باذنه اي الى توحيده وعبادته داعي اسم فاعل من
الدعوة وهي طلب الاقبال اي انه صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى اعتقاد وحدانية الله
ونفي الشريك والايمان به تعالى وعبادته قال في المصباح دعوت الله تعالى ابتهلت
اليه بالسؤال ودعوت زيدا ناديته وطلبت اقباله فمن قال ان اصل الدعوة للطعام لم يصب
والعبادة خدمة الله والخضوع له ولا يتم الا بالاخلاص فلذا قال وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين وتفسير التوحيد هنا بالدين عدول عن الظاهر بلا سبب وقيل
ان المص رحمه الله اشار الى ان الدعاء الى الله يراد به الدعاء الى الاقرار بوجوده وتوحيده
وما يجب الايمان به من صفاته وما يجب تنزيهه عنه وقيده بقوله باذنه اي بتيسيره
اشارة الى انه امر صعب لا يتاتى الا بمعونته ويجيء بمعنى العلم كقوله وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله وقوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله اي بعلمه
وتوفيقه انتهى **اقول** هذا الكلام غير منقح والتحقيق فيه ما قاله العز بن عبد السلام
في كتاب مجاز القران ان اذن الله مشيئته وارادته لان الغالب في الاذن انه لا يقع الا
بمشيئة واختيار والملازمة الغالبة تصحح المجاز او بامر التكوين فان الامر بلازمه مشيئة
الامر غالبا وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى تحسونهم باذنه باذن الله بامر الله وقوله
كن هو من مجاز التمثيل شبه سهولة الاشياء في قدرته بسهولة هذه الكلمة على الناطق بها
تفهيما للشرعة نفوذ مشيئته وقدرته فيما يريده ويعبر بالاذن عن التيسير والتسهيل
كما في قوله تعالى والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه اي بتيسيره وتسهيله اذ
لا يحسن ان يقال دعوته باذني ولا فعلت باذني ولذا قال الزمخشري يجوز ان
يراد بالاذن هنا الامر اي يدعوكم الى المغفرة بامره اياكم بطاعته وكلاهما من مجاز

عرني

دنجي

سيد

عرني

اللازمة وسراجا منيرا يهتدي به الي الحق وروي يهدي به وهو اشارة الي وجه التشبيه
وتنوير له وكلاهما بمجهول مضموم اليا مروي عن الملأ رحمه الله وقد مر تفسيره
وانه صلي الله عليه وسلم يهتدي به في ظلمات الجهالة ويقتبس من انواره وقد
وصفه الله في هذه الاية بخمس صفات قابل كلا منها بما يناسبها غير صفة الشهادة
اذ لم يقل له راقبني لان الامر بالمراقبة يناسب المشاهدة فما بعده كالتفصيل له
فقابل المبشر ببشارة المؤمنين بالفضل الكبير وقابل الانذار بالنهي عن متابعة
الكفار والمبالاة باذاهم وقابل الدعوة بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج
المنير بالاكتفاء بربه لان من اتاه الله برهانا حقيقيا بان يكتفي به عمن سواه وقال
ابن عطية رحمه الله هذه الاية الرجائية في القران لانه امره بتبشير المؤمنين
بالفضل الكبير وقد فسر هذا الفضل بقوله في اية اخرى والذين امنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير حدثنا الشيخ
ابو محمد بن عتاب بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية والف وبا موحدة
علم منقول من صفة بمعنى كثير العتب والشيخ فوق الكهل وهو في العرف اسم لكل
من تصدي لافادة العلم كما مر وهو عبد الرحمن بن عتاب شيخ الملأ رحمه الله سمع
منه في رحلته للاندلس وهو من علما الحديث توفي في جمادي الاخرة سنة عشرين وخمس
وله سبع وثمانون سنة قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد وهو ابو القاسم حاتم
ابن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم التميمي المعروف بابن الاطرابلسي تلميذ ابي علي الغساني
قرا عليه البخاري مرات وروي عنه وعن القابسي وغيره قال حدثنا ابو الحسن القابسي
وهو الحافظ الفقيه العلامة ابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري اخذ بافريقية
عن ابن مسرور بن الدباغ ودارس بن اسمعيل وبمصر عن حمزة بن محمد الحافظ
ولد سنة اربع وعشرين وثلاثمائة وتوفي في ربيع الاخر سنة ثلاث واربعمائة
بمدينة القيروان وكان ضريرا وكتبه في نهاية الصحة ضبطها له ثقات اصحابه
والقابسي بقاف والف وبا موحدة وسين مهملة وياء نسبة نسبة لقابس وهي
بلدة بالمغرب بين سفاقس وطرابلس ولم يكن منها ولكنه عرف بها وعمه كان
يشد عمامته شد اهل قابس قال حدثنا ابو زيد المروزي وهو محمد بن احمد
ابن عبد الله بن محمد بن الامام الحبر الزاهد العابد المجمع علي جلالته وعظمته
جاور بمكة وحدث بها وببغداد بصحيح البخاري عن الفربري وهو اجل الرواية
عنه لجلالة ابي زيد وتوفي بمرو يوم الخميس ثالث عشر رجب سنة احدي
وسبعين وثلاثمائة وترجمته مشهورة ونسبته لمرو البلدة المعروفة واذا
نسب اليها الناس زيد الزاي علي خلاف القياس وفي الثياب وغيرها يقال
مروي فرقا بينهما ومن اللطائف قولي في هذا في ارجوزة

ومروزي جاء في الاناسي والثوب مروي علي القياس

قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف هو الفربري المشهور سمع البخاري من
مصنفه مرتين مرة بفربر ومرة ببخاري ورواه وفربر بكسر الفا وفتحها
وفتح الرا المهملة وسكون البا الموحدة تليها را مهملة قرية من قري بخاري

وهو ثقة ورع زاهد حافظ ترجمته مشهورة ولد سنة احدى وثلاثين وثمانين وتوفي سنة
عشرين وثلاثمائة لعشر بقين من شوال ويوسف اسم اعجمي مثلث السين وليس مشتقا من الاسف
وان وافقه لكن لفظه في قوله الله يا اسفا على يوسف قال حدثنا البخاري وهو الامام الحافظ
محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي البخاري الامام الورع الزاهد المتفق على جلالته وبانه
اصح الكتب بعد كتاب الله وترجمته مشهورة ولد سنة اربع وتسعين ومائة وتوفي بقرية
خرتنك من اعمال بخارى سنة ست وخمسين ومائتين قال حدثنا محمد بن سنان هو محمد بن
سنان العوقي الامام ابو بكر يروي عن همام وجرير بن حازم وفليح وروى عنه اصحاب السنن
قال حدثنا فليح بفا ولام وحا مهملة وهو لقب له تصغير فلح صفة مشبهة من الفلاح
ويحتمل ان يكون تصغير مفلح او افلح تصغير ترخيم وهو فليح بن سليمان بن ابي المغيرة بن
حنين واسمه عبد الملك توفي سنة ثمان وستين ومائة وهو عدوي مدني روى عن سعيد
ابن الحارث وحمزة بن سعيد ونافع وغيرهم وروى عنه ابنه واصحاب الكتب الستة
وقال ابن معين وابو حاتم والنسائي ليس بالقوي وقال الحافظ ابن حجر صدوق كثير
الخطا ولكن الشيخان اعتمداه قال حدثنا هلال هو هلال بن علي وهو هلال بن ابي ميمونة
يروي عن انس وعطا بن يسار وابي سلمة وعنه مالك وفليح وغيرهما واخرج له
اصحاب الكتب الستة وقال النسائي ليس به باس قال الواقدي مات في اخر خلافة هشام
ابن عبد الملك عن عطا بن يسار بفتح اليا التحتية والسين المخففة المهملة ابو محمد المدني
من كبار التابعين توفي سنة اربع وتسعين او ثلاث ومائة وهذا الحديث تفرد به البخاري
واخرجه في التفسير بغير هذا السند ايضا قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص
واو عمرو مشهورة قال ابن التلمساني حذفها بعضهم تركها وعبد الله هذا هو ابو محمد
ويقال ابو عبد الرحمن القرشي السهمي الزاهد العابد الصحابي كان بينه وبين ابيه في
السن اثنتا عشرة سنة وامه ريطة بنت منبه وكان صلى الله عليه وسلم يقول نعم
اهل البيت عبد الله وابو عبد الله وام عبد الله واسلم عبد الله قبل ابيه وكان كثير
العبادة والرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى قيل انه اكثر رواية من ابي هريرة
رضي الله عنه لانه كان يكتب وابو هريرة لا يكتب كما مر وانما لم تشتهر روايته كابي هريرة
لانه سكن مصر والواردون اليها قليل وابو هريرة سكن المدينة والمسلمون يقصدونها
من كل وجهة وتفصيل ترجمته مشهورة توفي بفلسطين وعمره ثلاث وسبعون سنة
وعمرو ابوه اشهر من ان يذكر والعاصي يرسم باليا وبدونها واثباتها اولى وقال ابن
الصلاح كتبه كثير في حالة الوصل باليا وفي حالة الوقف بحذفها ولا وجه لمن انكره
فانه لغة لبعض العرب شبهوا ما فيه الالف واللام بالمنون لتعاقب اللام والتنوين
وبها قرى في السبعة الكبير المتعال ونحوه والذي غير المنكر ان النحاة خصوه بالمنكر
كما ذكروه في باب الترخيم فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني
صفته المذكورة في التوراة بدليل قوله في الجواب انه لموصوف في التوراة فان
السؤال يعاد في الجواب صراحة او ضمنا وهو من القواعد الاصولية كما وقع
مصرحا به في روايات الصحيح واخبر يتعدى للامر المسؤول عنه وللمنقول عنه الخبر
ايضا كالخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وان كان المشهور في الاول تعديته بالبا

وهذا انما لا يتهته فيه عندي فلا حاجة لما قيل من انه انما تعدي لها هنا وهو مخبر به
لا عنه لتضمنه معنى الكشف اي اخبرني كاشفا عنها او موضحا لها وقوله انه يجوز ان يريد
جعل صفة النبي صلى الله عليه وسلم موضوعا يحمل عليه ما ذكر في التوراة وانه لا يبعد
تضمينه معنى السؤال تعسف خارج عن جادة الصواب وكذا ما قيل انه نظر للفظ فقدبر
قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران اي قال عبد الله رضي الله
عنه لمن قال له اخبرني عن صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة اجل اي نعم هي مذكورة
فيها لان كلامه يقتضي ان صفته صلى الله عليه وسلم مذكورة فيها واجل كما في المغني
لتصديق المخبر واعلام المستخبر ووعد الطالب وصرح في القاموس بالخفاجي بعد
الاستفهام وغيره وقال اجل كنعم الا انه احسن منه في التصديق ونعم احسن منه في
الاستفهام وقال الرضي هي لتصديق المخبر ولا يجيء بعد ما فيه معنى الطلب وهو
المنقول عن الزمخشري وجماعة فالوجه على هذا كما قيل انه بعد خبر ضمني وهو انه
موصوف في التوراة واما تقدير الاستفهام او جعله لتصديق خبر عن نفسه فليس بشيء
انتهى وهو رد على بعض الشراح حيث قال اجل بمعنى نعم حرف ايجاب وهو مقول وعند
من شرط فيه تصديق المخبر او هو تصديق لخبر بنفسه ولذا اردفه بقوله والله والتاكيد
لا القسم للاعتناء به لان السائل غير منكر او لتنزيله منزلته لغفلته عنه او لما شاع من
انكار اليهود وتحريفهم وفي شرح التسهيل اجل لتصديق الخبر ماضيا او غيره مثبتا
ومنفيا ولا تجيء بعد الاستفهام وعن الاخفش انه يجيء بعده الا انه في الخبر احسن
من نعم ونعم في الاستفهام احسن منها ولم يذكر مجيئها بعد الطلب كما في هذا الحديث
الا انه يقطع النزاع كما قيل صحح نحوك بالحديث ولا تصحح الحديث بنحوك وهذا بنا
على جواز اثبات الاحكام النحوية وفيه تفصيل في شرح المغني وفي قوله والله دليل
على جواز الحلف من غير تحليف بلا كراهة وقد ورد كثيرا في الاحاديث والتوراة اسم
لكتاب الله المنزل على موسى صلى الله عليه وسلم وهي كلمة غير عربية بل معربة وفي
وزنها واصل معناها كلام طويل ليس هذا محله فان قلت عبد الله رضي الله عنه قرشي
عربي فلا يناسب سؤاله عما في التوراة والتوراة وغيره من الكتب القديمة قال الفقهاء
لا تجوز قراءته فما وجه هذا قلت ان عبد الله كان يقرا ويكتب كما مر وقال البرهان
الحلبي في المقتفي انه رضي الله عنه كان يحفظ التوراة وقد روى البزار من حديث
ابن لهيعة عن وهب ان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما راى في المنام في
احدى يديه عسلا وفي الاخرى سمنا وهو يلعقهما فلما اصبح ذكر ذلك للنبي صلى
الله عليه وسلم فقال له تقرا الكتابين التوراة والقران فكان يقراهما ذكر
هذا الحديث بعض شيوخي انتهى واما النهي عن قراءتها وان صرح به الفقهاء فليس
على اطلاقه لوقوعه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لكثير من الصحابة رضي الله
عنهم من غير انكار وهو مقيد بمن لم يميز المنسوخ والمحرف منها ويضيع وقته
في الاشتغال بها واما غيره فلا يمنع منه بل يطلب لالزامهم فيما انكروه منها كما
في قصة الرجم ويأتي لذلك مزيد بسط عن هذا وقوله ببعض صفته في القران
في بعض النسخ ببعض ما في القران وفيه دلالة على ان وصفه صلى الله عليه وسلم

في القران

عربي

رد لابن الحنبلي

سيد

ابن الحنبلي

في القرآن اكثر مما في التوراة لتفصله وان تفرقه في ايات وسور متعددة وهذا انما لا يتبهة فيه فانه قيل من ان فيه كلمة تامة الا ان يقال المراد توافق الكتابين على بعضهما وان زاد كل منهما على الاخر لا وجه له عند من له ادنى بصيرة وقوله في التوراة كما سياتي اهب لكل خلق كريم ولو سلم انه اشمل من قوله وانك لعلى خلق عظيم مخصوص بمدح خلقه صلى الله عليه وسلم والصفات اعم منه فلا حاجة الى تكلف الجواب بانه وقد يحتمل عدم التمييز او التعليق والتخصيص وقد وقع في الشروح هنا كلام طويل بلا طائل وقوله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا بدل من بعض او بيان له وقد تقدم تفسيره ولفظ النبي مرادف لحرزه مع قوله ارسلناك وخطاب نبينا صلى الله عليه وسلم بما في التوراة خطاب للحاضر في العلم بما جعل كالماضي لتحققه او حكاية لما يقال في المستقبل او لجعله على نهج استحضار الصورة الاتية والتعبير بما يعبر به في ذلك الزمان على قياس حكاية الحال الماضي او نادى الكليم ثم خاطب الحبيب التفاتا وقيل كونه بتقدير سيقولون له في المستقبل كما قيل في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس ان تقديره يقال لهم في القيامة كنتم في الدنيا اياه ان ما سيقال في المستقبل ليس فيه حرزا للاميين والذي فيه داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ذكره من الالتفات انما يتمشى على راي السكاكي كذا قيل وفي الشرح الجديد هذا نوع من الالتفات غريب ذكره ابن ابي الاصبع وسماه الالتفات في الضماير كان يذكر ضميرين لمخاطبين احدهما الواحد والاخر لغيره او ضميرين لغايبين كذلك وهنا ضميرين في اصل النداء اي ادعوك ايها النبي وهو للكليم صلى الله عليه وسلم والاخر في قوله ارسلناك لمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو المراد بالالتفات المذكور لا ما ذهب اليه الجمهور ولا السكاكي انتهى **اقول** الغرابة منه فان ما ظنه غريبا ذكره جميع اهل المعاني وهو عندهم يسمى الافتنان وتلوين الخطاب والاديب يسمونه التفاتا والاعتراض انما ياتي اذا وقف على اول عبارة التوراة فان كان قبله خطاب لموسى صلى الله عليه وسلم فاعتراضه وارد والا فلا وحرزا للاميين الحرز بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين ثم زاي معجمة هو في الاصل مصدر بمعنى الحفظ ثم شاع وصار حقيقة في المكان الذي يحفظ فيه فيقال حرز حريز كحصن حصين ومنه احترز عن كذا اي تحفظ منه واحرز فنصب لتشبيه اي حارسه بجعله نفسه حرزا مبالغة لحفظه اموالهم وانفسهم في الدارين والمراد بالاميين العرب لغلبة الامية فيهم وقيل لانهم لا كتاب لهم وخصهم مع عموم دعوته صلى الله عليه وسلم لشرفهم او لارساله صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم او لان الحفظ من العجم اختص بهم وقيل المراد حفظه لهم من افات النفوس وغوايل الدهر او من افات العجم وتغلبهم او من مطلق العذاب ما دام صلى الله عليه وسلم فيهم لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم او من عذاب الاستيصال لحديث سالت ربي عز وجل ثلاث خصال فاعطاني اثنتين ومنعني الثالثة والاثنتان هلاك السنة والغرق والثالثة كون باسهم بينهم انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل قدم العبودية لشرفها كما قال لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي ولذا اختص وصفنا بالذكر في الاسرا وليست بالمعنى العام الذي يتصف به كل مخلوق بل بالمعنى الخاص الذي رضيه الله لعبده حتى اطلعه على حظاير قدسه وجعله

رسولا مبلغا عنه وكفاه جميع مؤناته فقال أليس الله بكاف عبده فان الملك لا يرضى بوقوف
عبده بباب غيره واحتياجه لسواه واهانته احد له فانه هو الذي يؤدبه فلذا قال سميتك
المتوكل وقدم العبودية هنا تشريفا وتعظيما اذ المراد الكامل في العبودية وانظر قوله
سميتك دون جعلتك او وصفتك المنادي بشدة توكله الذي صيره علما له ولذا قيل ان
فيه اشعارا لشدة توكله صلى الله عليه وسلم الساري في امته ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب في الاسواق فيه التفات من الخطاب اذ مقتضى الظاهر ان يقول لست ان لم يكن
هذا كلاما من التوراة ضمه عبد الله رضي الله عنه الى الاول وفي الالتفات هنا
تعذر التطرية هنا لحسن الاقتباس اذ لم يواجهه بمثله وان كان منفيا او الغظ كما في
المصباح الرجل الشديد الغليظ القلب يقال منه فظ يفظ من باب تعب فظاظة اذا
غلظ حتى يهاب في غير موضعه وغلظ خلاف رق غلظة بالكسر وحكي في البارع التثليث
وعذاب غليظ شديد الالم وغلظ الرجل اشتد واغلظ له في القول عنفه وغلظ
بالتضعيف اكدها انتهى فمعنى ليس بفظ انه ليس له قسوة قلب ولا تشديد على الناس
لا في ملته سمحا وليس بغليظ اما تاكيد له او بمعنى انه لا يعنف الناس والمراد انه
ليس بسيء الخلق قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولذا
قيل المعنى ليس بسيء الخلق ولا غليظ القلب ليوافق الاية وقيل ليس بشديد
القول فلا تكرار فيه ولا يتنافيه وقوع الغلظة والشدة اللائقة او الواجبة
احيانا لانها لا تنافي حسن الخلق فالمراد نفيهما بحسب الطبيعة والخلقة او في غير
محلهما واما ما وقع في الصحيح في حق عمر رضي الله عنه انت افظ واغلظ من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقيل لم يقصد قابلة التفضيل بل هو لاصل الفعل
قيل ولفظ من يأباه وقيل انه من قبيل الخل احلى من العسل واختار الدماميني
بحواشي البخاري اي غلظتك يا عمر اشد من رفقه صلى الله عليه وسلم والوجه
انه بالنظر الى الغلاظة اللائقة في محلها فما وقع من امير المؤمنين رضي الله عنه
ازيد مما وقع منه صلى الله عليه وسلم لانه رحمة للعالمين وشفيع للمذنبين
فهو يختار الايسر الاحسن فيما هو محله والفاروق رضي الله عنه اختار الغلاظة
اللائقة فاختار كل منهما الاحسن له وغايته ان الفاروق تركه في بعض الاوقات
الاولى لاحتياجه لما لم يحتج له صلى الله عليه وسلم ولا محذور في مثله والسخاب
والصخاب صفة مبالغة من الصخب وهو ارتفاع الصوت وشدته وهما
لغتان في كل صاد لاصقت حرف الحلق وهو من غير داع امر مذموم جدا
والصاد افصح والسين لغة ربيعة وقد روي بالوجهين هنا وقوله في
الاسواق جمع سوق وهو موضع يجتمع فيه الناس للبيع والشرا ونحوه وهو
يذكر ويؤنث والسوق خلاف المكد ولما كان في الغالب محلا لارتفاع
الاصوات والصياح لاسيما الدلالين قيده به والمراد نفيه عنه صلى الله
عليه وسلم مطلقا لانه اذا انتفى في المحل المعتاد فيه انتفى في غيره بالطريق
الاولى وهو ابلغ من الاطلاق وافصح لانه نفي بدليل على حد قوله ولا
ترى الضب بها ينجحر والعرب في مثله ثلاث مقاصد نفيهما ونفي القيد

ونفي

خ ورد

ابو السعود

شيخه عرضي

ونفي المقيد وهذا هو الاصح هنا لان فيه اثبات دخوله صلى الله عليه وسلم للاسواق
تواضعا وتركا للعادة الجبابرة من الملوك ورد القولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام
ويمشي في الاسواق لانهم قالوا لما اظهر صلى الله عليه وسلم الدعوة انه ينبغي ان
لا يأكل ولا يشرب ويكون ملكا او لا يدخل السوق ليكون ملكا وفي الشرح الجديد المراد
انه ليس بسخاب في موضع من المواضع فالنفي للمقيد لانتفاء المطلق وانما نفي المقيد
ابتداء للتصريح بنفي ما هم عليه من القبيح او للمبالغة في نفي المطلق بجعله دليلا
لكونه مقررا معه وفاقا وقال الطيبي رحمه الله المراد نفي الصخابية وكونه في
الاسواق وهو عجيب لان نفي الصخابية فيها لا ينافي كونه فيها بلا صخابية ولا
الصخابية من غير كونه فيها بشهادة الذوق وقال شيخنا الاقرب الى الفهم انه نفي
المقيد لشناعته مع انه مظنته وموضع اعتياد الناس ليفيد انه لا يفعله في غيره
بالاولى ولا يرد ان صخابا صيغة مبالغة فيتقيد بتوجه النفي الى قيده وهو في الاسوا
تثبت له الصخابة لانا نمنعه بان الصيغة هنا للنسبة كخياط ومنه وما ربك بظلام
في احد الوجوه ولا ضير اذ لان المراد نفي الصخابة المقيدة لانتفائها مطلقة لان نفي
مطلقها لا ينافي ثبوت اصل الصخب له وهو قد ثبت في محله كالخطبة والتلبية ونحوها
انتهى **اقول** فيه نظر من وجهين الاول ان رده على الطيبي وتعجبه ليس في محله
لما عرفت من انه احد الاحتمالات في امثاله وما ذكره امدح لانه نفي عنه صلى الله عليه وسلم
اعتياد الصخب واعتياد دخول الاسواق كارباب الدنيا الثاني انه ادعى ان المبالغة
لا تناسب هنا والتجأ الى جعل الصيغة للنسب وليس بلازم لجواز كون المبالغة في
النفي لا في المنفي كما ذهب اليه خاتمة المفسرين في الاية الا ان فيه نظرا لان صرف المبالغة
للقيد الذي في الصيغة ليس بالسهل مع امكان التفصي عنه بوجه وفي هذا المقام
مباحث اخر ذكرناها في غير هذا المحل وقد افردناها في رسالة مستقلة ولا يدفع
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر لان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن وقد
قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح فاجره على الله فلذا قال ولكن
يعفو ويغفر فلا يسيء لمن اساء اليه ويدفع بالتي هي احسن وفي الاية مشاكلة وكذا
في كلام المص وان كان نفيا فتدبر وفي ذكر المغفرة بعد العفو تأكيد ان كانا بمعنى
او يعفو تارة ويستر اخرى فلا يفضح فيقول في خطبه ما بال اقوام يفعلون
كذا قيل وفي كلام التفتازاني ميل للاول وقيل بين العفو والمغفرة في حق
غير الله فرق فان العفو لغة بمعنى المحو وهو ازالة السيئة من ظاهره وخاطره
والمغفرة مشتقة من الغفر وهو الستر ولا يلزم من سترها ازالتها وقوله
ولكن الخ استدراك لانه لا يلزم من عدم جزائها بمثلها العفو لجواز ان يكله الى
الله ويؤخره للآخرة انتهى **اقول** قد ورد العفو والغفور في اسماء الله تعالى
مفهوميهما واشتقاقهما لا شبهة فيه ثم بعد ذكر قيل انهما متنسا وبانه ورد
المشهور والتحقيق ان بينهما فرقا من وجوه منها ما نقله الامام القرطبي
في شرح الاسماء الحسنى عن بعض العلماء ان الغفران ستر لا يقع معه عقاب
وعتاب والعفو انما يكون بعد عقاب او عتاب فان استعمل في غيره فهو بطريق

المجاز ومر في الخطبة الكلام فيه ايضا فتذكره ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة
العوجا الملة الدين وبينهما فرق والعوجا مؤنث اعوج وهو ضد المستقيم
ولكثرة اطلاق الملة على الكفر فسرها بعضهم هنا به وقال الشارح المحقق
العوج ضد الاستقامة وهو كما في النهاية بفتح العين في المرئي وبالكسر في
غيره وكلام القاموس يدل على التعميم واقامة المعوج جعله مستقيما والمراد
بالملة هنا ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام التي عوجتها العرب
بتغييرها كما قال الغزالي او اتبع ملة ابراهيم لا ملة الكفر كما توهم فانه
ازالها النبي وفي النهاية الملة العوجا ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
التي غيرتها العرب عن استقامتها لانهم ذرية اسمعيل بن ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وكانوا يزعمون انهم على ملته الحنيفية والحنيف من
يوحد الله ويعبده لان الحنف في اللغة الاستقامة وانما قيل للموحد للمايل
احنف تمليحا او تفاولا وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حنيفا اي مستقيما
ولهذا تعين المراد بالملة وقبضه الله اي توفاه وقبض روحه واصل
القبض اخذ المال واستيفاؤه فاطلاقه على هذا بتشبيه الحياة والروح
بالمال كما قال عمارة
اذا كان راس المال عمرك فاحترس عليه من الانفاق في غير واجب
او هو من باب استعمال المقيد في المطلق ثم شاع فصار حقيقة فيه بان تقولوا
لا اله الا الله اقتصر على هذا وجعله عبارة عن الدين القيم لان المعوج الواقع
بحو الشرك وعبادة الاصنام وبهذا يستقيم وقيل المعنى انهم ياتون بكلمة
لها عن صميم القلب وانما لم يقل محمد رسول الله وهي قرينة كلمة التوحيد
التي لا تكاد تنفك عنها اكتفا على حد سرابيل تقيكم الحر والعود بالعار زيادة
على الملة الابراهيمية فلذا لم يذكرها هنا وفيه انه يجب على امة الخليل
قبل وجود محمد صلى الله عليه وسلم ان تصدق بان محمدا رسول الله كما
صدق به ابراهيم نفسه وقيل المراد الرجوع الى التوحيد ولا ينافيه
زيادة الايمان بشيء اخر ففيه اشارة الى ان الاعوجاج من جهة الشرك
هذا محصل ما في الشرح وفيه بحث لانا لا نسلم انه بعينه داخل في الايمان
التفصيلي للامم السابقة ومثله لا يقال بالراي وما ذكر لا يناسب ما نحن
فيه ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا قد مر هذا في الخطبة
وهذا الحديث مروي في البخاري بتانيث ضمير بها على انه راجع لكلمة التوحيد
والمص رحمه الله ذكره لجعله عايدا عليها باعتبار اللفظ او للنبي صلى الله
عليه وسلم وروى البيهقي عن كعب ليبصر الله به اعينا عورا وليقيم به
السنة معوجة حتى تشهد الخ وهو هنا بمعنى اعينا وما عطف عليه ويفتح
بالتحتية وعلى رواية البخاري بالفوقية المضمومة ورفع الاعين وما
بعده ووقع في رواية اعين عمي بالاضافة وكذا الكلام في الاذان والقلوب

وعلى

سيد

وعلى هذا فالعمي جمع اعمى وكذا الصم جمع اصم وعلى الاول جمع عميا وصما فيشكل
والظاهر ثبوتهما في التوراة فلا اشكال اقول لا يخفى ان التوراة عبرانية وهذه
ترجمة وان اختلف لفظهما معناهما واحد فلا اشكال فيهما العدم تغايرهما الا في العمي
والعور والذي في القرآن صم بكم عمي وكان النكتة فيه ان التوحيد اثبات الله ونفي
ما سواه فهو لما اثبتوا الله والشريك كانوا كمن فقد احدى عينيه او العور عبارة
عن ذهاب العين مطلقا لان العمى يوصف به العين وصاحبها حقيقة فعمي
على الثاني تقصير وفتح العين عبارة عن الابصار اما لما فيه من فتح الاجفان
او لتشبيه الابصار بفتح الباب وقد شاع هذا حتى صار حقيقة وعكس حتى
شبهت الابواب المغلقة بالاعين العمي كما قيل
قد اغلقت ابوابه دايما * كانها اجفان عميان * وقال
واقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادف باب الجفن بفتح مقفلا *

سيد

وفيه معنى دقيق ليس هذا محله وازالة الاحساس في الحواس المذكورة بافات
تصيبها فشبهت لعدم نفعها بالموت الا انه لا يقال فتح اذنه وقلبه بل وعلى
حد قولهم متقلدا سيفا ورمحا والغلف جمع اغلف وهو الذي عليه غلاف اي
غشا وغطا كقوله وقالوا قلوبنا في اكنة وقالوا قلوبنا غلف بضم فسكون وقرئ
بضمتين على انه جمع غلاف كحمار وحمراي هي اوعية للعلم وليس هذا بمناسب
هنا وهو بالسكون لا غير اذ المعنى لا تنظر ولا تسمع ولا تعي ما جيت به وذكر مثله
ذكر بصيغة المجهول والذي في البخاري ذكره في صحيحه تعليقا عن عبد الله بن
سلام وكعب الاحبار عبد الله بن سلام بفتح السين المهملة واللام مخففة لا غير
ونقل التلمساني انه يخفف ويشدد وكذا سلام ابن ابي الحقيق ومحمد بن سلام
شيخ البخاري وسلام بن مشكم وما عداه ذلك بالتشديد وقال القرافي في
العقيدة نحو سلام كله فثقل الا ابن سلام الحبر والمعتزلي وابن سلام هذا اسلم في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وكان حبرا عالما بالتوراة
والقرآن وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وتوفي سنة ثلاث واربعين
وهو اسرائيلي من ولد يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم الصلاة
والسلام وكان اسمه في الجاهلية حصينا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد
الله ونزل في فضله قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله وقوله
تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وحضر مع عمر
رضي الله عنه فتح القدس والجابية وهو انصاري خزرجي بالولا وكان
من كبار الصحابة روى له اصحاب الكتب الستة وغيرهم وقد مر ان كعب الاحبار
هو كعب بن ماتع بالمثناة من فوق ابن هيسوع الى اخر ما مر يكنى بابي اسحاق
الحميري التابعي المشهور ادرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره واسلم
في خلافة ابي بكر رضي الله عنه وقيل في خلافة عمر رضي الله عنه وكان على
اليهودية وصحب عمر وروى عنه كثيرا وعن غيره كصهيب وابن المسيب
وسكن حمص بعد ما كان باليمن واتفقوا على سعة علمه وشدة دينه

وهو تبيعه وتوفي في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين متوجها الى العراق
وقيل توفي بحمص كما مر وكما يقال له كعب الاحبار يقال كعب الحبر بكسر الحا
وفتحها بالاضافة الاسم للعقب ولقب به لكثرة علمه او لكثرة كتابته فالحبر بمعنى
المداد الذي يكتب به والحبر ايضا بمعنى العالم كذا في المصباح وتهذيب الاسما
للنووي وفي مثلثات ابن السيد وقوله في القاموس كعب الحبر ويكسر ولا
تقل الاحبار غير صحيح وهذا الحديث اخرجه البيهقي في السنن الكبرى ودلايل
النبوة وذكره ابن ظفر في كتابه خير البشر الذي افرده لما في الكتب السالفة
من التبشير بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو كتاب بديع في معناه رايناه ورويناه
وممن هذا الحديث رواه البخاري مسندا عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما ذكره
المص رحمه الله ورواه عن ابن سلام تعليقا على عادته في تعليق ما كان لبعض
رجاله على غير شرطه كما بينه شراحه وفيما ذكره مخالفة لما في فتوح الشام
للواقدي وفي بعض طرقه عن ابن اسحاق الطرق جمع طريق وهي معروفة وتطلق
على الروايات والاسانيد لاتصالها بالحديث ومنه قول القايل
له حديث في الجود مشتهر * نرويه عنه الركبان من طرق
وفي المقتفي للبرهان كان هذا في الاصل عن ابي اسحاق فضرب عليه وكتب
في الهامش ابن اسحاق وهو الامام محمد بن اسحاق بن ابي بكر ويقال له ابو
عبد الله المطلبي مولاهم المدني صاحب المغازي راى انسا رضي الله عنه
وروى عن عطا والزهري وطبقته وعنه شعبة والحمادان وخلق كثير وكان
من بحور العلم صدوقا وله غرائب ربما تستنكر لسعة حفظه ولذا
اختلف في الاحتجاج به وحديثه حسن وفوق الحسن صححه جماعة
واخرج له اصحاب السنن وله ترجمة في الميزان توفي سنة احدى وخمسين
ومائة وقيل اثنتين وقيل سنة خمسين وجده من سبي العراق وهو اول
سبي دخل المدينة منهم وقد طعن فيه هشام لروايته عن فاطمة بنت
المنذر وقال كيف يراها وليس بشي لجواز ان يسمع منها وهي خلف
الحجاب كما روى الناس عن عايشة رضي الله عنها وغيرها وكذلك طعن
فيه الامام مالك وقال انه دجال من الدجاجلة الا انه روي عنه انه
رجع عن ذلك والقادح فيه غير منصف لانه كان اعلم الناس بالانساب
وانما انكر عليه ما كان ياخذه عن اولاد اليهود الذين اسلموا يعني مما
ذكر في الغزوات من عورات المسلمين واشعار الهجا فيهم لحرصه على
الرواية مع ان عليه المعول في المغازي وكان شعبة وسفيان يوثقانه
ويقولان هو امير المومنين في الحديث قال السيوطي هذه الطريق
اخرجها ابن ابي حاتم عن وهب بن منبه في تفسير سورة الفتح
ووقع في حواشي التلمساني هنا زيادة وعبد الرحمن بن زيد وقال
هو عمرو بن عبد الله بن علي السبيعي راى عليا واسامة بن زيد ولم
ارهذه في النسخ ولا صخب في الاسواق بكسر الخاء صفة مشبهة لتفيد

المبالغة ٣ افادة الثبوت وقد مر بيانه ولا متزين بالفحش فحش كقبح وزنا ومعنى
وكل شيء جاوز الحد فهو فاحش والفحش القول السيء ويطلق على الزنا وقيل في تفسير
قوله ولا يزنين اي لا يأتين بفاحشة والحاصل انه كل قبيح قولا كان او فعلا ويتزين
روي بزاي معجمة ومثناة تحتية ونون وروي بدال مهملة من الدين وروي منقوصا
متزين بياء بدل النون من الزي وهو اللباس والهيئة اي لا يتلبس بامر قبيح او يتجمل
به ويتباهى به ولا يرد على ظاهره انه يوهم انه قد يأتي به غير متجاوز او غير متزين به
لانه لا مفهوم له لجريه على عادة ارباب الفحش في المباهاة بها وقيل انه استعارة
تهكمية وقيل التزين بمعنى الاتصاف على التجريد او المراد انه لا يرى الفحش زينة كمن
مكنيه وهذا علامة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم لانه يشابه قوم يتزينون
بالفواحش كالقتل والزنا والطواف عراة فاتى بما يخالف عادتهم ولا قوال للخنا
قوال فعال صيغة مبالغة اي كثير القول والخنا بخاء معجمة ونون مقصور قبيح الكلام
وهذا مع ما قبله يفيد انه لا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم شيء منه قليلا او كثيرا
لان الفحش بمعناه وقيل فعال هنا للنسبة اي ليس بذي قول للخنا كتمار وبنال وليس
المراد انه اشارة الى انه ربما يقوله لموجب لان ما كان لموجب ليس بفاحش وقيل
المراد نفي المبالغة ولم يتواصل قوله للصيانة عن توهم الكذب في كلامه لو صدر عنه
ما يوهم فحشا ما وعن الهلاك الذي يترتب ذلك التوهم فوق الهلاك الذي يترتب
توهم انه ربما يقول الخنا ولما ذكر صفات التخلية بقوله ليس بفظ الخ اخذ في صفات
التحلية بطريق الوعد ممن لا يخلف وعده فقال اسدده بكل جميل مستانفا المقصد
اعلاما مما قبله ولذا لم يعطفه وقيل انه جواب سؤال تقديره فما تفعل به بعد ان
صنته عن النقايص فقال اسدده الخ والجميل الحسن صورة كان او معنى ومر في الحديث
ان الله جميل يحب الجمال والتسديد التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد
من القول والعمل وتسديده يشمل تسديد جميعه وبعضه فقوله بكل جميل ليس
تجريدا كما قيل والكلية للمبالغة او هو كاستغراق جمع الامير الصاغة اي بكل جميل
يليق به واهب له كل خلق كريم اهب بفتحتين مضارع وهب بمعنى اعطى والخلق
بضمتين وتسكن اللام السجية والطبيعة التي فطر الله عليها او هو يوصف
بالكرم بمعنى الجيد والكامل يقال كرم كرما اذا نفس وعز ويكون بمعنى العطا
الكثير وليس بمراد هنا وان اوهمه قوله اهب ففيه تورية وقيل هو من
قبيل عطف الخاص على العام للاهتمام ويقال لكل صفة خلق ولذا يجمع على
اخلاق فلا حاجة الى تقدير كل فرد خلق كما توهم وهو وعد منه تعالى وهو
لا يخلف الميعاد وفيه نظر وكونه جامعا لمكارم الاخلاق غير محتاج للبيان
وسيأتي شيء منه واجعل السكينة لباسه والبر شعاره اجعل مضارع المتكلم
وهو الله والسكينة بفتح السين وكسر الكاف المخففة مرتبا ونون وهاء وفيها
لغة بكسر السين وتشديد الكاف نقلها المصنف رحمه الله في مشارقه وبها قرئ
في الشواذ وهي فعيلة من السكون والمراد بها هنا الوقار والطمانينة وورد
في القرآن في قوله عز وجل هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين وورد

ن
متزين به

ابن الحنبلي

ابن الحنبلي

في الاحاديث الصحيحة بمعانٍ اخر وقيل الها مشتركة فيها وللمفسرين فيها اقوال فعن علي
رضي الله عنه انها ريح هفافة وقيل انها ملك له وجه انسان وله راسان وعيون ذات
اشعة وطست من ذهب تغسل فيه قلوب الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقيل
انها شي كان يلقي فيه موسي عليه الصلاة والسلام الالواح والعصي وقيل هي
رحمة وقال السيوطي رحمه الله انها اسم ملك مخصوص وفي حديث الوحي عنه
صلي الله عليه وسلم السكينة وهي ما كان يلحقه عند نزوله وقيل انها صورة هر
مع بني اسرائيل اذا ظهرت انهزمت اعداوهم وفي حديث بنا الكعبة فارسل الله
السكينة وهي ريح سريعة المرور والمراد هنا الاول واما هذه المعاني فيحمل عليها
ما ورد في الاحاديث ولا حاجة لذكرها هنا ولما كان السكون والوقار مبداوه مما يلوح
لقلبه في مراقبته جعله في الاية في القلب ويلزمه ما يظهر عليه من الخشوع والتثبت
وباعتباره جعله لباسا له من باب تشبيه المعقول بالمحسوس فلكل منهما وجهة
وجيه بليغ فلا حاجة الي التوفيق بينهما بان ما في الاية بمعني ملك يسكن قلب
المومن ويومنه او العقل كما قيل والبر الطاعة والاحسان او زيادته والخير
والرحمة والشعار بمعني اللباس الذي يلي الجسد سمي به لانه يلي شعره وبدنه
ويكون بمعني العلامة ايضا والمناسب هنا الاول لذكره مع اللباس ويقابل الشعار
بهذا المعني الدثار وهو ما يتغطي به الانسان وفي الحديث الانصار شعار والناس
دثار اي هم خاصته له صلي الله عليه وسلم والناس عامة او هم اقرب اليه من غيرهم
وهو بمنزلة اللباس ولما كانت السكينة ظاهرة فيه صلي الله عليه وسلم في سائر
احواله ويراها كل احد برا وفاجرا جعلها لباسا والبر والخير والرحمة وان لازمه
ايضا وعم احواله انما يقف عليه المومنون ببصايرهم جعله شعارا فانظر حسن
موقعه مع ما قبله وما بعده ايضا وهو قوله والتقوي ضميره لان الضمير ما يضمر
في القلب ويسوي في خاطره بحيث لا ينساه والاسم الضمير والمضمر الموضع والمفعول
قال مستقرها في مضمر القلب والحشا • سريرة ود يوم تبلي السراير •
ويسمي القلب ضمير الخفايه او لانه محله فانظر كيف انتقل من الظاهر للخفي
ثم الاخفي مع ما فيه من شبه اللف والنشر مع الامور السلبية والتقوي عبارة
عما تقي من العذاب في الاخرة ولها مراتب اولها التبري عن الشرك والثاني
التنزه عن كل ما يوثم والثالث ان يتنزه عما يشغل سره عن الله ولهذا
علمت التنيا مهما مع الضمير والحكمة معقوله الحكمة كالحكم كل كلام جامع لما يرشد
الي الحق فيشمل المواعظ والامثال لانتفاع الناس بها ويطلق علي العلوم
الشرعية وتطلق علي القضا بالعدل وبه فسر قوله ادع الي سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة والقران وتفسيرها هنا بالعلم باحوال الموجودات
علي ما هي عليه بقدر الطاقة او مطلق المعلومات كما قيل غير مناسب
وان صح والمعقول يكون مصدرا واسم مفعول فالمراد انها يعقله
وادراكه اذ ما يعقله كله حكم ومواعظ وعلوم نافعة لانه لا ينطق عن الهوي
واحمل الصدق والوفا طبيعته اي لا ينطق بغير ما وافق الواقع واذا

غايته احدا او وعد وعد الا يخلفه وهذا امر طبيعي له جبله الله فيه والمعروف خلقه
المعروف والعرف قال في المصباح هو الجود والرفق والاحسان ومنه قولهم من كان
امرا بالمعروف فليامر بالمعروف اي من امر بخير فليامر برفق انتهى ويقابله
المنكر والمعروف ما تعرفه وتالفه العقلا ولذا قيل المعروف كاسمه معروف والعدل
سيرته العدل القصد في الامور وهو ضد الجور والسيرة فعلة بمعنى الاصل
الهيئة في السير ثم صارت اسما للطريقة يقال سار سيرة حسنة اي طريقة وحالة
العدل وعدم الخروج عن الحق قال تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان قيل
في تفسيره العدل الفرايض والاحسان النافلة وقيل العدل استوا السريرة
والعلانية والاحسان ان تفضل السريرة العلانية وقيل العدل الانصاف
والاحسان التفضل وقال ابن عطية العدل فعل كل مفروض من العقايد والعبادات
واداء الامانات والانصاف والاحسان فعل المندوب وقال البغوي العدل بين
العبد وربه ايثار حقه على حظ نفسه واجتناب الزواجر وامتثال الاوامر وبينه
وبين نفسه منعها عما فيه هلاكها والصبر وبليه وبين غيره بذل النصيحة وترك الخيانة
والانصاف لهم من نفسه والصبر على اذاهم فيل جعل العدل سيرته صلى الله عليه وسلم
لا ينافي ان يكون الاحسان سيرته في محل يليق به ولا ان يكون العفو طبيعة له صلى الله
عليه وسلم لمصلحة تليق بالمقام وقيل عليه ان الاحسان اخص من العدل فان
تمثيل المشركين بحمزة رضي الله عنه في احد وعدم تمثيل النبي صلى الله عليه وسلم
بقتلاهم احسان ولو فعله كان عدلا ومقتضى هذا ان الاحسان ينفرد عن العدل
وليس كذلك واما العفو فان كان باذن الشرع كعفوه صلى الله عليه وسلم عن الذي
اخترط سيفه ليقتله فهو عفو وعدل وعفوه عما لم يوذن فيه كالحدود لم يقع
منه لعصمته صلى الله عليه وسلم عن مثله **اقول** هذا القايل فسر العدل بالمساواة
في المكافاة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان ان يقابل الخير بمثله وزيادة
والشر بما قل منه ومقتضاه تغايرهما ومراده المقابلة فيما لا بد من مقابلته
وترك العفو عنه فلو اذن له في العفو والتقليل وفعل ذلك لم يكن عدلا
ولا جورا بل مرتبة زايدة على العدل والمعترض ظن ان كل ما ليس بعدل جور
وليس كذلك والحق شريعته الذي رايناه في النسخ المقروة بنصبهما عطف
على مفعول اجعل وحينيذ لا يرد عليه شي كما اورد على الرفع فان تعريف
طرفي المسند والمسند اليه يقتضي الحصر فيقتضي بمفهومه ان ما عداه من
الشرايع باطل وليس كذلك ولذا قال بعضهم المراد الحق الكامل الذي لا ينسخ
وقيل الحصر على ظاهره ولا يحتاج في تصحيحه الى تقدير ذلك الوصف او جعل
التعريف للعهد باعتبار ان شريعته في زمن موسى وعيسى عليهما الصلاة
والسلام لم يكن في الشرايع حق غيرها وما سواها باطل كذا في النسخة التي عندي
ولا محصل لها ولا يندفع السوال بما قاله ولكن ان نقول ان شريعته في زمانه
هي الحق لا غيرها لانتساخ الشرايع بها والكلام يفيد هذا بدون تقدير والحق
الثابت وخلاف الباطل وما يستحقه الانسان على غيره والشريعة دينه صلى الله

ابن الحنبلي

عرضي

ابن الحنبلي

عليه وسلم الذي شرعه الله لامته وهي قانون الهي وضعه الله على لسان رسله عليهم
الصلاة والسلام تسويتهم الخير الدارين والشريعة قيل الهاني الاصل الطريق الواضح
المستقيم كالشرعة قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ويكون بمعنى المشرعة
والموردة اي المحل الذي يشرب منه من حافة نهر ونحوه ثم نقلت للدين اما لانه
طريق الخير والسعادة او لتضمنها ما هو سبب للحياة الباقية كالموردة المتضمنة
لسبب الحياة الفانية ورد بان معناها اما هو الطريق والموردة انما سميت بها
لانها موصلة للماء وفيه نظر لا يخفى والهدى امامه والهدى الدلالة بلطف ولذا
اختصت بالخير ولها انواع اولها خلق القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة التي
يتمكن بها من الاهتدا لمصالحه والثاني نصب الدلائل الحقة والثالث ارسال الرسل
عليهم الصلاة والسلام وانزال الكتب والرابع ان يكشف عن قلوبهم حتى يشاهدوا
الاشيا فان قلت كيف تشتمل هذه الانواع والاول لم يكن لهم الله عليه قلت هذا
من سوء الفهم فان المراد ان خلقها بمنزلة الدلالة فيها وقوله امامه بكسر الهمزة
بضبط البرهان الحلبي وهو الظاهر وضبطه بعضهم بفتحها وهو بمعنى قدام
احدى الجهات الست ومعناه على الاول مقتداه ومتبعه وبه سمي الامام للاقتدا
به وقال تعالى لابراهيم عليه الصلاة والسلام اني جاعلك للناس اماما اي
انه متبع الهدى وهو كناية عن ملازمته له وعدم انفكاكه عنه وقيل ان تعريفه
للعهد اي هدى الانبيا عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى اوليك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده والمراد بهداهم ما اتفقوا عليه من التوحيد والاصول
لا الفروع ويجوز ان يراد بالامام الطريق كما قيل في قوله وانهما لبامام مبين
وعلى الفتح فالمراد بطريق الكناية اي انه ملاحظ له كما يقال في ضده انه ظهري
وخلف ظهري والاسلام ملته بنصبهما او رفعهما كما مر والاول هو المصحح في
النسخ التي عندنا وهو الاحسن قيل المراد ان الاسلام اسم لهذه الملة فالمعنى
انه جعلها خير الملل وسماها هذا الاسم او هو عام والمراد الكامل منه وهذه التسمية
في التوراة صريحا او ضمنا لقوله هو سماكم المسلمين من قبل اي من قبل نزول
القران سماهم بهذا في الكتب الالهية والظاهر ان هذه الصفات السلبية والايجابية
ذكرت في التوراة والانجيل ونعوتا له صلى الله عليه وسلم فينبغي حملها على
الكامل منها ليكون من خصايصه صلى الله عليه وسلم التي تميز بها عن غيره والملة
كالدين والشريعة تطلق على الاسلام وغيره وهي متغايرة بحسب المفهوم متحدة
بحسب الخارج والاسلام اصل معناه اللغوي الاستسلام والانقياد ثم
خص في لسان الشرع بالانقياد لما جات به الرسل والانبيا عليهم الصلاة والسلام
للاخلاق فانما الخلاف في اختصاص الاسلام بامة محمد صلى الله عليه وسلم والمشهور
انه لا يختص بهم فيقال لكل ملة اسلام ولاهلها مسلمون ولكل نبي انه مسلم
لقوله تعالى في حق لوط عليه الصلاة والسلام فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
وقيل انه لا يوصف به هذه الامة ويوصف به غيرهم من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
دون اممهم وارتضى هذا السيوطي وصنف فيه رسالة مستقلة واطال فيها

ونبعه

وتبعه بعض الشراح هنا ثم قال ان الاسلام بالمعنى الشرعي المتضمن للشهادتين وسائر
الاحكام الموضوعة على هذه الامة يختص بهذه الامة دون جميع من عداهم من الامم
والانبيا عليهم الصلاة والسلام وهو اسم منقول كالصلاة واما بالمعنى اللغوي وهو
الانقياد فهو عام لكل منقاد لشريعة من الشرايع ويؤيده قوله تعالى هو سماكم المسلمين
من قبل **اقول** فيما قاله السيوطي نظر لا يخفى ثم ان معنى الاسلام والفرق بينه
وبين الايمان مفصل في كتب الاصول فلا حاجة لذكره هنا واحمد اسمه اي احمد اسمه احمد
وسماه به في الكتب القديمة قبل وجوده وهو علم منقول من اسم التفضيل اي هو
اكثر حمدا لله من سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام وجميع الخلق وهو صاحب لوا
الحمد يوم القيامة كما سياتي وقال السخاوي في سفر السعادة انه صفة كاحمر
وابيض نقلت لهذه وسياتي الكلام عليه في اسمائه صلى الله عليه وسلم ولما ذكر وصفا
الموصوف بها في نفسه شرع في صفاته التي لوحظ فيها غيره وهو جواب سؤال مقدر
تقديره هل ينفع بهذا الطاهر المطهر الكامل في نفسه غيره فقال اهدي به بعد
الضلالة كما قيل وقيل انما فصله لعلو مرتبة الهداية سوا كانت الايصال او الدلالة
الموصلة واهدي بفتح الهمزة مضارع هدي وفيه تقوية لمدحه السابق والمراد
الهداية الى ما به النجاة والى ما به تكميل الناجي فلذا قال واعلم به بعد الجهالة
والضلالة بمعنى الضلال وهو سلوك غير الطريق الموصلة ويقال اضل الشي
اذا ضيعه وهي تكون عن قصد وعمد وبغير قصد كمن له فعلتها اذا وانا من
الضالين اي المخطئين وبين الهداية والضلالة سجعة الطباق البديعية والبا
للسببية او للتعدية واعلم مضارع بضم الهمزة وتشديد اللام كما في المقتضي
والجهالة بفتح الجيم مصدر كالضلالة بمعنى الجهل والجهل والجهالة ضد
العلم وهو الاعتقاد الذي لا يطابق الواقع وفي المصباح جهلت الشي جهلا وجهالة
خلاف علمته وفي المثل كفى بالشك جهلا انتهى وارفع به بعد الخمالة ضبطه ابن
رسلان بفتح الخا المعجمة والميم ونقل عن بعض النحاة انه لا يقال خمالة وانما
هو خمولة وفي الصحاح الخامل الساقط الذي لا نباهة له وقد خمل يخمل خمولا
واخملته انا وفي الجمهرة رجل خامل الذكر بين الخمول والخمولة وهو ضد النبيه
والنابه **اقول** هذا الحديث صحيح وثبوت هذه اللفظة فيه يكفي دليلا لصحتها
او هو لمشاكلة الضلالة وللازدواج معهما ولو قلنا انه غير قياسي والمراد برفعه
جعل الدين والتوحيد بعد ما ترك في الفترة لغلبة الجهل مشهورا شايعا او هو
مجاز كقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وبينه وبين الجهالة والخمالة طباق او
شبهه واسمي به بعد النكرة يقال اسميته كاكرمته وسميته بالتشديد ويتعدى
بنفسه وبالبا كسميته زيدا وبزيد اذا جعلته اسما له وعلما او بالتشديد ضبطه
البرهان في المقتفي وروي بضم الهمزة وسكون السين المهملة والنكرة بضم النون
وسكون الكاف وبفتح النون وكسر الكاف خلاف المعرفة ويطلق بمعنى المجهول كقول
الشاعر في مجهول النسب • وامه معروفة لكن ابوه نكره • والبا للسببية اي اعرف
الناس بسببه او بما اوحيه اليه الناس المجهولين او اعرفهم ما جهلوه من التوحيد

ته

ابن الحنبلي

لة

او اعرف الناس ما لم يعرفوه من الانبيا وقصصهم وقيل الا ولي النعيم وقيل المراد اعرف
به من هو في حكم النكرة غير معروف ولا بشهرة موصوف وهو تكلف وبين التعريف والتنكير
شبه الطباق ومعنى هذا وما قبله اني ارسله في زمان جهالة وضلالة وفترة فيومن
به اول مساكين الناس وضعفا وهم على عادة الرسل عليهم الصلاة والسلام فيصيرون
بعد خمولهم وكونهم مجهولين اعز الناس واكرمهم فان من الصحابة رضي الله تعالى
عنهم من كان بدويا واعرابيا بعدا شراق نور النبوة عليه صار بحيث تقبل الجبابرة
يديه ورجليه وقد كان الدين والعلم قبيل بعثته عليه الصلاة والسلام نكرة لا يقبل
التعريف فاقامه الله تعالى على امته ما لم يسمع به الامم حتى ابدعوا علوما وتنوا الدقائق
فيها الافكار لحيرات التفسير الجذور وهذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم واكثر
به بعد القلة اكثر بفتح الهمزة وسكون الكاف وكسر المثلثة وتخفيفها او بفتح الكاف
وتشديد المثلثة المكسورة لانه يتعدى بالهمزة والتضعيف قال تعالى فقد
جادلتنا فاكثرت جدالنا وقولهم اكثر من الاكل يحتمل زيادة من وحذف المفعول اي
اكثر الفعل من الاكل كما في المصباح والمراد انه يكثر به الارزاق مطلقا او على من اتبعه
او اكثر امته بعد قلتها في ابتدا امره او بعد عدمها لان القلة ترد في كلام العرب
بمعنى العدم ايضا وهو بعيد وقيل المراد اكثر به فواعد الملة بعد القلة لانهم
كانوا بملة عوجا فاقامها واعادها منها ما نقص بكلمة التوحيد وهو تكلف فاغني به
بعد العيلة اغني مضارع من الاغنا وهو اعطا الغنى والعيلة بفتح العين وسكون
التحتية الفقر قال تعالى ووجدك عايلا فاغني من عاله اذا قام بامره وكفله والعامة
تقول عيلة بمعنى عيال الجمع عيل كجياد وجيد ولو استعمله بليغ كان له وجه من
المجاز والتصحيح وورود العيلة بمعنى عيال كما فصله البيهقي في كتاب الانتصار
للشافعي والمراد ما كان هو وامته عليه في ابتدا امره ثم صار بعد ذلك لهم من النعم
والسعة بما احل لهم من الغنايم وفتح من الممالك ما هو غني عن الشرح والبيان
واجمع به بعد الفرقة اي اجمع به بين الناس بعد افتراقهم وتنافر قلوبهم لما بينهم
من العداوة المودية للحروب وترك الديار كما كان بين العرب والعجم وبين قبايل
العرب وبين القبيلة الواحدة الا ترى ما كان بين المسلمين والمشركين مما ادى الى
الهجرة وترك الاوطان وبين الاوس والخزرج من الحروب والمهاجاة بل بين الاب والابن
والاخ واخيه كما قال ابو فراس

وقبلي كان الغدر في الناس شيمة * وذم زمان واستلام خليل
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه * وخلى امير المومنين عقيل

فلما جا الاسلام الف الله بين قلوبهم وسل احقادهم وضغاينهم حتى صار الواحد
منهم يبذل نفسه احدى ووجنبه للاخر ويقطع برده نصفين او المراد انه جمع العقايد
والملل على التوحيد وملة الدين او المراد الاعم منهما فقوله واولف به بين قلوب
مختلفة واهوا متشتتة وامم متفرقة عطف تفسير لما قبله ومتفرقة كما قال
التلمساني يتعدى بالتا على القاصر التفرق ويتعدى بالفا على التام الافتراق في نسخة
الغربي والتاليف جعل الاشيا موتلفة مجتمعة اي اجمع بينهم على مودة وايتلاف بعد

الافتراق

الافتراق والعداوة كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا واسناد التاليف الى الله في الاية لا ينافي كون التاليف بسبب النبي
صلى الله عليه وسلم لانه السبب الظاهري والفاعل الحقيقي هو الله والتاليف بين القلوب
يستلزم التاليف بين الدوات فلا منافاة بينهما كما توهم او المراد التاليف بين عقايدهم
بحيث تكون عقيدتهم واحدة متفقة على الحق والتوحيد والاهوا جمع هوى وهو
ميل النفس لما تشتهيه وتحبه والمتشتتة المتفرقة اي اجعل هواهم واحدا
متفقا محمودا والهوى غلب اطلاقه على المذموم كما قال الله تعالى ولين اتبعت
اهواهم بعد ما جاءك من العلم والامم جمع امة وهي الفرقة من الناس وغيرهم
يعني ان كل امة كانت على دين واعتقاد وعلى طريقة منهم من يعبد الاصنام ومنهم
من يعبد الكواكب ومنهم من هو على دين موسى عليه الصلاة والسلام ومنهم
من هو على دين عيسى عليه الصلاة والسلام فنسخ الله بشريعته صلى الله عليه
وسلم جميع الشرايع وجعل الدين دينا واحدا قيما من حاد عنه هلك وشقي في
الدارين واجعل امته خير امة اخرجت للناس كما قال تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس اي الله تعالى قضى بذلك وقدره في الازل وعالم الذر واخرجت بمعنى اوجدت
وخلقت او اخرجت من العدم والمراد امة الاجابة وهم من امن به صلى الله عليه وسلم
وتطلق على امة الدعوة وهم جميع الناس الموجودين بعد بعثته صلى الله عليه
وسلم وقيل المراد كنتم مذكورين في الامم الذين قبلكم موصوفين بانكم خير البرية
بنبيكم ودينكم او بما بينه من قوله بعده تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتومنون بالله وفي هذه الاية دليل على ان اجماعهم حجة وفي حديث اخر اخبرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التورية رواه الطبراني وابو
نعيم في الدلايل عن ابن مسعود رضي الله عنه والدارمي عن كعب موقوفا
ورواه باسناد ضعيف عبدي احمد المختار اضافه اليه تشريفا له واحمد
عطف بيان او بدل والمختار الذي اختاره من جميع خلقه وهو بمعنى المصطفى
صلى الله عليه وسلم مولده بمكة اي موضع ولادته صلى الله عليه وسلم في هذه
البقعة الشريفة ومهاجره اي محل هجرته الذي هاجر اليه صلى الله عليه وسلم
بالمدينة او قال طيبة والمدينة المصر الجامع ووزنها فعيلة لانها من مدن وقيل
مفعلة بفتح الميم من دان غلبت على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والجمع
مداين بالهمز على القول باصالة الميم ووزنها فعايل وبغير همز على القول
بزيادتها ووزنها مفاعل لان للياء اصلا في الحركة فترد اليه كما قيل في معايش
والهجرة في اللغة الترك ثم خصت بترك مكان لاخر وكانت واجبة قبل فتح مكة
وللمسلمين هجرتان للحبشة وللمدينة وغالب الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وقع لهم المحنة لعداوة الناس لهم وكان اسم المدينة يثرب فكرهه النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك لما فيه من ايهام معنى التثريب ولها اسما منها ما ذكر وهو
طيبة بفتح الطا وتخفيف اليا الساكنة مونث طيب بالفتح لغة في الطيب بمعنى
الرايحة الطيبة او هي مخففة من طيبة بالتشديد ويقال طابة ايضا والمراد

الطاهرة من الشرك والخيانة وقوله او قال شك من الراوي فيما قاله النبي صلى
الله عليه وسلم وطيبة محرفة بالفتح لمنعه من الصرف تقديره او قال بطيبة
لا مرفوع تقديره مهاجره طيبة وان جاز على بعد فيه قيل وظرفية طيبة لمهاجر
بفتح الميم وفتح الجيم من ظرفية الكلي للجزئي كما يقال الانسان في زبيد وكذا
مولده بمكة ولو قيل انه مصدر ميمي لم يبعد فتدبر امته الحمادون لله على كل
حال الحمادون الكثيرون الحمد وتعريف الطرفين يفيد الحصر فكثرة الحمد مختصة
بهذه الامة على كل حال من قيام وقعود واضطجاع وسفر وحضر في السراء والضراء
لان الله مستحق الحمد استحقاقا ذاتيا فلا يختص بحال دون حال وهو بالنظر للمجموع
او الغالب او المنعم منهم او هذا من شانهم وحمله على الكل تكلف كما قيل والحمد
لا يلزم ان يكون في مقابلة النعمة كالشكر فلا يحتاج الحمد في الضراء للتوجيه وان
كان العبد منعما عليه في كل حال بنعمة الايجاد والجوارح والحواس والضرا منفعة
بالثواب عليها وحفظه عن الاضر وكذا ان نقول كثرة الحمد في هذه الامة لما في اوقات
الصلوات من قراءة سورة الحمد والثناء على الله فيهما على ابلغ وجه لم يقع لغيرهم
من الامم واعلم ان في بعض الشروح الاعتراض على المص وغيره ممن اكثر النقل من
التوراة وغيرها من الكتب المنسوخة وقد حرم الفقهاء قراءتها والنظر فيها فانها
محرفة مبدلة وبالغ بعض الفقهاء فقال يجوز الاستنجاء باوراقها وهذا مما
لا ينبغي التلفظ به ثم انهم اختلفوا بعد ذلك في تحريفها وتبديلها هل هو
بتغييرها بالزيادة والنقصان او بتاويلها وتفسيرها بغير المراد منها وقالوا
الاشتغال بها لنا في العرض من نسخها فلا يجوز وذهب بعضهم الى ان التحريف
في التاويل لا غير لاستحالته بعد انتشارها وكثرة نسخها ولا مانع من قراءتها
لمعرفة صفة النبي صلى الله عليه وسلم فيها والالزامهم بما انكروه وكيف يحرم
هذا وقد قال الله تعالى قل فاتوا بالتوراة فاتلوها وقد وقع في الاحاديث النقل
عنها ولو حرفوها الحرفوا اية الرجم التي الزمهم عبد الله بن سلام رضي الله عنه
بها وقد ارتضى هذا ابن تيمية وفي شرح النجاتي اذا وجد فيها ما يقوم النظر
على عدم تبديله وافاد النظر فيه مقصدا شرعيا فلا يبعد ان يباح النظر فيه
والاشتغال به وهو كلام حسن وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي
الامي الايتين اي اقرا واذكر هاتين الايتين بتمامهما اعني الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل
لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه
اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك
السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي
الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وانما اقتصر المص على بعضهما
للاختصار ونحن ذكرناهما ايضاحا لمن لم يحفظ وادخارا لثواب التلاوة وانما
ذكر المصنف هاتين الايتين لان الفصل معقود للشهادة اي لكونه عليه الصلاة

والسلام

والسلام شاهداً على امته وغيرهم ولما يتعلق بها فذكروا ولا ما يدل على مقصوده من
القران العظيم ثم بين بانه موصوف بذلك في الكتب الالهية كالتوراة والانجيل ثم ذكر
هذه الايات لتعلقها بما ذكر لانها تدل على صحة ما نقل من التوراة في ذكره فيهما وقد
قال في الترجمة ذكر الشهادة وما يتعلق بها وقد قيل انه ذكر استطراداً لما في الاية
الاولى من التنبيه على ان وصفه واسمه مذكور في التوراة كما نقله وفي الثانية
ذكر كونه رسولاً ونبياً امياً كما في التوراة وقيل ذكرت لما فرض من الثناء والمدح له
صلى الله عليه وسلم ولما نزل قوله ورحمتي وسعت كل شيء قال ابليس لعنه الله
انا شيء فطمع في الرحمة فلما سمع قوله فساكتبها للذين يتقون ايس من ان نناله
الرحمة وقالت اليهود والنصارى نحن متقون داخلون في هذه الرحمة فلما
سمعوا قوله الذين يتبعون الرسول الخ خرجوا عن العموم وهذا كما روى سعيد
ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كتبها الله لهذه الامة وهو كما قيل
مبني على ان الذين يتبعون خبر مبتدا تقديره هم الذين الخ او بدل بعض ان كان
تعريف الموصول هنا للاستغراق فان كان للعهد فهو بدل كل من كل فان جعل الذين
مبتدا وقوله يامرهم الخ خبره فلا تخصيص الا انه يخالف التفسير المأثور عن ابن
عباس رضي الله عنهما او القول بان البدل مخصص ذهب اليه كثير من الاصوليين كابن
الحاجب وغيره وانكره الهندي لان المبدل منه في نية الطرح ولا حجة له فيه
لانه وان لم يكن مطروحاً من كل الوجوه فطرحه بدل على خلاف مدعاه ونقل
عن الشافعي رحمه الله انه كان يعد بدل البعض والاشتمال من المخصصات
وهو الحق والامي هو الذي لا يقرا ولا يكتب وهو صفة مادحة للنبي صلى الله عليه
وسلم وقد مر تقريره والقول بانه صلى الله عليه وسلم كتب بيده بعد ذلك
تقدم ما فيه وانه نسبة لام القرى او لامه التي ولدته وفي شرح التجاني انه قرئ
في الشواذ الامي بفتح الهمزة منسوب الى الأم بمعنى القصد لانه مقصود
كل احد باتباعه واتباع شريعته وفي تقديم الرسول على النبي مع انه اخص منه
مخالفة للظاهر وقيل لانه ارسل فانبا عن الله يعني انه بمعناه اللغوي وهو
النبي لا بمعنى من اوحي اليه بشرع سواء امر بتبليغه ام لا وقيل قدم الرسول
للاهتمام به ولذا رد النبي صلى الله عليه وسلم على البراء بن عازب رضي الله عنه
لما قال امنت بكتابك الذي انزلت وبرسولك الذي ارسلت وقال له قل ونبيك
الذي ارسلت ليكون الكلام جارياً على الترتيب اللايق به وليسلم من التكرار وقيل
انما اخر النبي لدفع احتمال ان يراد بالرسول معناه اللغوي واحتمال ان يراد
بالنبي معناه وحقيقته اللغوية ايضاً اجيب عنه بانه يحصل من الاجتماع
معنى ليس في الانفراد وقيل ليس المنفعة مجرد النبي بل النبي الامي لانهما رمز
بذلك في الكتب السالفة فالمقصود الاخبار بمجموعهما كالرمان حلو حامض
نعم اخص من الرسول او ذكر النبي للتتميم فذكر اولاً الاعلى ثم الادنى ليستوعب
جميع صفاته لا للترقي ومعنى وجدانه في التوراة والانجيل انهم يجدون نعته
فيهما اسماً وصفة والمعروف ضد المنكر وهو ما عرف انه طاعة لله من ترك

الاوزار ومن الاتيان بمكارم الاخلاق كصلة الرحم والطيبات كل حسن حلال والخبائث
ما كان بخلافه كالخنزير وكل مستقذر ويدخل فيه الربا والسحت بمعنى الرشوة التي
تسحت البركة ووضع الامر بمعنى الثقل او العهد لان بني اسرائيل اخذ عليهم العهد
بالتزام امور شاقة كقرض موضع النجاسة وتحريم الغنائم فخفف الله عن هذه الامة
بعدم التكليف بها وعزروه بمعنى وقروه وعظموه ونصروه بدفع اعدائه عنه
والمراد بالنور الذي انزل معه القران اي اتبعوا القران مع اتباعه اشارة الكتاب
والسنة والمفلحون الفائزون بكل خير وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم
الاية ذكر هذه الاية لتعلقها بما تقدم في التوراة من قوله ليس بفظ ولا غليظ
اي فبسبب رحمة من الله وما مزيدة لتاكيد اللام وتزيينه وزعم ابن كيسان ان ما
نكرة تامة في محل جر ورحمة بدل والاولى هو الوجه اي برحمة الله لك وتوفيقه
ولطفه بك ان خلقك لينا مهذب الاخلاق حتى لا صبرا لا تواخذ الناس بما فرط
منهم حتى جبلت القلوب على محبتك ولو لم تكن كذلك كنت فظا اي شديدا غليظ
القلب متجاوز الحد لا يالفونك فيتفرقون عنك يقال فضضت الشيء فضا فانفض
اذا فرقته قيل وامتناع التفرق عنه لامتناع كونه فظا غليظا كما هو شان لو لا له
فالشرطية ينتج فيها استثنا نقيض التالي لزوم نقيض تقدمه اي لو لم ينفضوا من
حوله فلم يكن فظا غليظا فانتفا كونه فظا غليظا اللازم لانتفا الانفضاض ثابت
بابطال الانفضاض المرتب على كونه فظا غليظا بطريق قياس الخلف لانه اثبات مقصود
بابطال نقيضه وقيل الاولى ان يقال المعنى لكن لم تكن فظا فلذلك لم ينفضوا
والمقصود اظهار المنة وان عدم الانفضاض من اللين الذي هو من رحمة الله
ففيها ترهيب وترغيب ولكل وجهة وقيل ليس المراد الاستدلال بانتفا الانفضاض
على لينه وانتفا كونه غليظ القلب كما في قوله لو كان فيهما الهة الخ حيث استدل
بانتفا الفساد على انتفا تعدد الالهة لان التحقيق ان لولا تفيد امتناع الربط
لامتناع الجزا وانما يقتضي انتفا ما يليها واستلزامه لتاليه كما قرره وعلى انه
صلى الله عليه وسلم على غاية حاله وانه ذو لين وقوله فبما رحمة الخ ليس لافادة
انه ذو لين وانما هو لافادة ان لينه ليس الا برحمة منه تعالى وما ذكر انما يكون استدلالا
لو لم يكن على ما بحاله الا ان يقال المقصود بالاستدلال تعريضا ولو قيل لان
بالغيبة لم يكن تعريضا اصلا فتدبر وقال في الكشاف ما مزيدة للتوكيد والدلالة
على ان لينه صلى الله عليه وسلم لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم
ميثاقهم وقال المحقق التفتازاني في شرحه الحصر انما استفيد من تقديم الجار
والمجرور وزيادة ما انما تفيد تاكيد ذلك فلذا قيل ان في كلامه حذفا اي
ما مزيدة والظرف مقدم للتاكيد والدلالة الخ انتهى فهو من باب اللف التقديري
وتبعهم بعض الشراح هنا اقول ما ارتكبوه من التكلف من عدم الوقوف على
مذهب الزمخشري في هذه المسئلة فانه ذهب الى ان زيادة حرف في التركيب
يفيد الحصر والذوق السليم شاهد له فان تقوية الحكم قد يقتضي الحكم ان لا
يشاركه غيره فيه قال ابن هشام في رسالته المشهورة في اعراب لا اله الا الله

دلجي

سيد

ابن الحنبلي

قطب

ابن الحنبلي

ذهب

ذهب الزمخشري الى ان الله مبتدا واله خبره وقال في اثناء التقرير ان نحو ما جاني رجل يفيد نفي واحد
غير معين فيجوز السامع مجي اثنين فاذا قيل ما جاني من رجل علم انه لم يجيه احد من جنس الرجال
ومن ثمة صح ان يقال ما جاني رجل بل رجلان ولم يصح ما جاني من رجل بل رجلان وكذا فرحمة
من الله لنت لهم وفيما نقضهم ميثاقهم لعناهم لو لم يؤت بما لجوزنا ان اللين واللعن
كانا للشيئين المذكورين ولغيرهما وحيث دخلت ما قطعنا بان اللين لم يكن الا للرحمة وان
اللعن لم يكن الا لنقض الميثاق انتهى ويؤيده قول الفقهاء ان السبب الموهم لا يعتبر الا
في مقابلة السبب الظاهر كما اذا راى قتيلا في محلة اعدائه لا يقال ان غيرهم قتله وحمله
الى محلتهم كما في شرح الهداية ثم قال فاذ انت مجبولا على اللطف واللين فاعف عنهم ما صدر منهم
في حقك واستغفر الله واطلب منه المغفرة لهم وطيب قلوبهم بمشاورتهم فيما تريد فاذا
اتفقت الشورى على امر اعزم وتوكل فانك منظور بعين الرضا والمحبة قال المص قدس سره
رحمه الله تقدم بيانه وترحمنه ذكرهم اي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
وفي نسخة ذكر وذكر مشددا فيهما وقيل انه مخفف منته اي انعامه او امتنانه عليهم انه
جعله رسولا رحيما رؤوفا لين الجانب بفتح الهمزة لا من منته او بتقدير بانه والضمير اما
للشان وخص المؤمنين بالذكر مع عموم رحمته لان الاية في حقهم والضمير راجع اليهم وقد
تقدم الفرق بين الرافة والرحمة في موضعين وقوله لين الجانب يصح ان يكون تفسيرا
لرؤوف والجانب اي الذي يليهم منه وهو كناية عن معاملته لهم ومواجهته لهم ولين
بتشديد الياء وروي بتخفيفها من اللين بكسر اللام ضد الخشونة ولو كان فظا خشنا في القول
لانفضوا من حوله المعروف ان الخشونة ضد النعومة والملاسة الا ان الجوهري جعلها
ضد اللين وهو الواقع في كلام العرب كقول الحماسي

اذن لقام بنصري معشر خشن • عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا •

لان اللين في الغالب من الرقة والملاسة فهي عبارة عن الشدة في القول والفعل وقد
يمدح بها اذا كانت على من يستحقها كما في البيت وقوله اشداء على الكفار رحماء بينهم وكونها
طبعا وسجيته مطردة غير ممدوح وقد قيل ان ظاهر قول المص هنا ان خشونة
القول صفة مبينة للفظاظة ويكون التفرق مرتبا على مجرد الخشونة وعلى امر واحد
وهو في الاية مرتب على امرين الفظاظة وغلظة القلب كما فسر به الاية غير موافق
لها فيحتاج هذا للتصحيح والتوفيق فاما ان يقال انه اشار الى ان الفرق مترتب
على الاول وحينئذ يلزمه ترتبه على ما تركب منه مع غيره من جنسه وفيه ان لزوم
ترتبه على خشونة القول والفعل غير مسلم ويجوز ان يكون فظا في كلامه بمعنى
غليظ القلب وخشنا بمعنى فظا ولما كان منشا الخشونة هذه الغلظ قدمها في
الاية واقتصر عليها المص رحمه الله فان الامر القلبي انما يظهر بعد قول او فعل
فتامل **اقول** لك ان تقول ترتب التفرق في الاية على الامرين الذي سلمه المعترض
غير مسلم لان الجوهري قال الفظ الغليظ وقال في المصباح رجل فظ شديد
غليظ القلب يقال منه فظ يفظ من باب تعب فظاظة اذا غلظ حتى يهاب في غير
موضعه انتهى فتكون الصفة الثانية في الاية مبينة للاولى كقوله تعالى خلق
الانسان هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا فقطا في التفسير

بمعنى غليظ القلب وقوله خشنا في القول بيان لما به تظهر الفظاظة ففي الاية صفة واحدة
وفي التفسير اثنتان عكس ما توهمه المعترض ومن دابه ان يبسط لسان الورم على ان
ما بنى عليه كلامه من كون خشنا صفة اساس في الهوى وما بناه عليه كبنيان المقصور
على الثلوج لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا سمح بوزن ضرب متعد
كالسماحة بمعنى سهلا ومنه الحديث اتيتكم بالملة الحنيفية السمحة وفسره بعضهم
بجواد كريم والسهل بزنته وكذا كل ما بعده الذي لا صعوبة فيه اولا فظاظة ولا
غلظة والطلق بالفتح هنا ويجوز تثليثه صفة مشبهة وهو في الاصل يوصف به
فيقال طلق الوجه اي غير عبوس فيه بشاشة وسرور ويوصف به صاحبه ايضا
كما هنا ويكون بمعنى الجواد وليس بمناسب للمقام كما قيل وفيه لغات نظمها ابن
مالك رحمه الله تعالى في قوله
من دابه الافصاح حتى ينطق ۞ طلق طليق طلق وطلق ۞
والبار من فيه خير وشفقة ورفق واحسان ورحمة واللطيف الشفيق لانه صلى الله
عليه وسلم اشفق الناس على امته وهو من اسمائه تعالى قال تعالى الله لطيف بعباده
وفسر بالخبير العالم بخفيات الامور وهذه الصفات تفهم من اللين ونفي غلظة القلب
فان التخلي بمحل الاتفاق من عدم الشفقة وطلاقة الوجه من عدم الفظاظة لانها
تلزمه غالبا والباقي ظاهر هكذا قاله الضحاك قال البرهان الحلبي هو ابن مزاحم الهلالي
الخراساني التابعي روى عن ابي هريرة رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما
من الصحابة ضعفه بعضهم لكن احمد وابن معين وثقاه روى عنه اصحاب السنن
وغيرهم وله ترجمة في الميزان توفي سنة خمس ومائة وقيل غير ذلك ومن اجلة
التابعين ايضا الضحاك بن قيس المعروف بالاحنف ولشهرته بالاحنف لم يجوز احد
من ارباب الحواشي ان يكون المراد به هذا ومن حسن الاتفاق موافقة معنى اسم الراوي
وهكذا بمعنى مثل هذا وها للتنبيه والكاف للتشبيه وذا اسم اشارة والمماثلة والمغايرة
باعتبار ان اللفظ القائم بمتكلم غير القائم باخر وان اتحد نوعهما او حرف التشبيه
مقحم غير مقصود اي هذا وسترى تحقيقه قريبا قال تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا سياتي تفسير
هذه الاية وفسر بعض الشراح قوله كذلك فقال اسم الاشارة المجرور بالكاف التي
للتشبيه واللام قبل كاف الخطاب لبيان كون المشار اليه بعيدا وهو ما فهم من الاية
قبلها اي وكما جعلناكم مهتدين الى صراط مستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل
اقول هذا خلاف ما ارتضاه المحققون من شراح الكشاف وغيره وفي امثاله قال
العلامة التفتازاني في قول الكشاف اي ومثل ذلك الجعل يريد ان ذلك اشارة
الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل اخر يقصد تشبيه هذا الجعل العجيب
به على ما يتوهم من ان المعنى ومثل جعل الكعبة قبلة جعلناكم امة وسطا واذا
تحققت هذا فالكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة كاللازم لا يكادون يتركونه في لغة العرب وغيرهم
هكذا ينبغي ان يفهم هذا المقام انتهى اقول هكذا قاله الطيبي وغيره ولم ازل
ابحث عن هذا كل من نافثته من الفضلا فلم اظفر بما يثلج الصدر فتصفحت الدفاتر

سيد

دجلي

محدثي النصائر

وراجعوه

وراجعت خزاين الضماير وفرايد في شرح القصايد الطوال في شرح قول زهير

كذلك خيمهم ولكل قوم ● اذا مستهم الضراخيم ●

نقلا عن الجرجاني انه قال لفظ كذلك يكون تثبيتا للخبر متقدما او متاخرا وهي نقيض كلا

لانها تنفي ذلك فمعنى البيت ان هرما واباه نبت لهم حسن في دفع الملمات اذا نزلت بالقوم

وان كانت الاخلاق تتغير عند نزول الشدايد وحلول العظايم ومثله قوله تعالى

كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انتهى فقد علمت من هذا ما ذهب له اهل المعاني من ان

كذلك تكون في كلام العرب لتثبيت ما بعدها او تقريره من غير نظر للتشبيه وانه طريق

مسلوك لبلغا العرب وتوضيحه ان وجه الشبه يكون كثيرا في النوعية والجنسية كقولك

هذا الثوب كهذا الثوب في كونه خزا او بزا وهذا التشبيه يستلزم وجود امثاله وثبوته

في ضمن النوع فاريد به على طريق الكناية مجرد الثبوت لما بعده ولما كانت الجملة تدل

على الثبوت كان معناها موجودا بدونها وهي مؤكدة له فكانت كالكلمة الزايدة وهذا

معنى قولهم انها مقحمة وانما دلالتها على كون ما بعدها عجيبا غريبا فلان ما ليس كذلك

لا يحتاج لبيانه فلما اهتم باثباته في الكلام البليغ علم انه امر غريب وبهذا تبين لك

معنى قوله ومثل هذا الجعل العجيب **فان قلت** ما مناسبة كونهم امة وسطا

شهدا على الناس لما سبق له النظم من تحويل القبلة قلت وجهه ان اهل الكتاب لما انكروا

تحولهم عن قبلة من قبلهم رد عليهم انكارهم بان هذه الامة واهل هذه الملة شهدا

عليكم يوم الجزا وشهادتهم مقبولة عند الله فانهم احق باتباعهم والاقتدا باهل قبلتهم

ولا وجه لانكاركم عليهم لان قولهم وفعلهم مقبول دونكم وهذا التحقيق لم اسبق

اليه فعليك بادخاره جواهره في حقاق الاذهان فانك لا تراه في غير هذا الكتاب قال ابو

الحسن القابسي تقدم الكلام في ترجمته ونسبته ابان الله تعالى اي بين واظهر فضل

نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية التعديه او السببية واختار

بعضهم كونها ظرفية بمعنى في لقوله وفي قوله في الاية الاخرى وهي قوله هو سماكم

المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهدا على الناس

ضميرهو لله اي الله عز وجل سماكم المسلمين فيما اوحاه لرسله عليهم الصلاة والسلام

في الكتب القديمة ثم سماكم به في هذا القران كما تقدم وقيل المعنى ان ابراهيم عليه

الصلاة والسلام سماكم المسلمين قبل هذا الوقت في قوله واجعلنا مسلمين لك ومن

ذريتنا امة مسلمة لك اوابراهيم عليه الصلاة والسلام سماكم مسلمين كما نقل عنه

في هذا القران وقوله ليكون متعلق بسماكم وقيل شهادته بتزكية شهادة المخاطبين

وتصديقها على ان على لا ولى بمعنى اللام وشهادتهم للانبيا عليهم الصلاة والسلام

على اممهم وعلى الثانية على اصلها ان كان المراد بالناس اممهم او بمعنى اللام

ان كان المراد اياهم فتطابق هذه الاية وما قبلها كما سياتي في كلام المصنف وتعاكسها

لفظا لان التزكية مؤخرة زمانا عن الشهادة في الاولى والمزكي مؤخر ثم عن المزكي

في الثانية وترقي في مدح المخاطبين في الثانية ببيان انهم سيشهدون ويزكيهم

من لا ينطق عن الهوى وللاهتمام به قدم ذكره في الثانية وان مثله سيزكيهم ومنهم

من فسر شهادتهم بما مر وشهادته على المخاطبين بالتبليغ فيتطابق الايتان على

هذا والظاهر ان شهادتهم هذه قبل شهادتهم تلك فلذا قدمت في احديهما وأخرت في
اخرى لان السياق لهم بدلالة صدرها وان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيها وشهادة
بالتبليغ وهم غير منكرين لانهم لو يفهموا حق ما افترض عليهم فنزلوا منزلة من لم
يبلغه لعدم الجري على موجبها في كالشهادة عليهم واستشكلوا كون لام ليكون
للتعليل اذ الامر بيد شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم بالتبليغ على المخاطبين لانها
لا تتوقف على تسميتهم مسلمين وجعلهم مسلمين بدليل انه من الرسل عليهم الصلاة
والسلام من يشهد على اممهم بالتبليغ ولا اسلام لهم فلذا فسرت بالشهادة
بالتبليغ مع الاطاعة وقيل مناط العلية الشهادة الثانية وفيه ما لا يخفى ومنهم
من جعلها لام العاقبة وكذلك اي كما ابانت الاولى فضلهم ابانه قوله تعالى فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية المراد بالامة جماعة فيما بينها والشهيد هو النبي
صلى الله عليه وسلم الذي يشهد على ما علموه اي كيف يكون حالهم اذا شهد بصلاحهم
وفسادهم او بالاخير فقط او على التبليغ ويجوز التعميم واقتصر اكثرهم على الاول
لانه انسب بالتوبيخ والاية بالنصب اي اذكرها او بقيتها وهو قوله وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا اي جئنا بك يا محمد على هؤلاء الشهداء شهيدا على صدقهم
او على الامم او على التبليغ او على امتك بالتزكية ولا منافاة بين كون النبي صلى الله
عليه وسلم شاهدا للانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى الامم وبين ما سياتي من
ان امته صلى الله عليه وسلم يشهدون وهو يزكيهم اما لانه صلى الله عليه وسلم
يشهد معهم ثم يزكيهم او انه جعل التزكية شهادة لانها في حكمها وقوله تعالى
وسطا اي عدلا اخيارا الوسط بفتح السين ما وقع بين الطرفين بحيث يكون نسبته
اليهما متساوية وقد يراد به ما يكتنف من جوانبه ولو من غير تساو كما في المصباح
وبسكونها بمعنى بين وفي الفرق بينهما كلام لاهل اللغة بيناه في شرح الدرة
ثم استعير لاحسن الشيء وخياره ولذا قيل خير الامور اوسطها وقال الشاعر ٭
حب التناهي غلط ٭ خير الامور الوسط ٭
ورد هذا الامام السهيلي في الروض الانف وقال الوسط يكون مدحا وذما
كقولهم اثقل من مغن وسط وقالوا الوسط احو الدون وانما يمدح به في مقامين
احدهما الشهادة لتوسط الشاهد في الحق وعدم ميله الى احد الجانبين
والثاني النسب كما قيل في وصف ام المومنين خديجة رضي الله عنها انها كانت
وسيطة في قومها لان وسط القبيلة اعرفها وصميمها لاحاطة الاباء والامهات
به من كل جانب فلذا كان مدحا والاطراف يتسارع اليها الخلل والاوساط محمية
عنه والى هذا المعنى اشار الطائي بقوله في وصف قلعة ٭
كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا ٭
واورد عليه الخفاجي في شرحه انه مخالف للغة فانهم متفقون فيها على ان
الوسط صفة مدح ومنه الصلاة الوسطى ولين وارد اعليه فان استعمال
الوسط فيما ذكر مجاز فلا يلزم اطراده والسهيلي رحمه الله لا ينكر كونه بمعنى
اخيار وانما ينكر لزومه كذلك كما قاله بعضهم ومن هنا عرفت انه يرد بمعنى

سيد

العدل وبمعنى الخيار وبهما فسرت الاية والعدل معناه ظاهر والخيار يكون اسما مفردا
بمعنى المختار والاختيار ويكون جمعا الخير كسهم وسهام كما صرح به في المصباح والعدل في
الاصل مصدر فلذا اطلق على الواحد والجماعة وقد يجمع فيقال عدول ولذا افرده
المص رحمه الله هنا وجمعه فيما سياتي فلا منافاة بينهما وقيل على المص ان النبي صلى
الله عليه وسلم فسر الوسط في هذه الاية بالعدل في حديث رواه الترمذي وصححه وثبت
تفسيره به في صحيح البخاري والعدل والخيار معنيان متغايران وقد رجح الاول بتعديه
لشموله الثاني للجماد ولذا اخره وعطفه الزمخشري باو فجمع المص بينهما ان اراد انهما
مرادان معا في الاية فالاكثر على منع مثله وان اراد احدهما فلا ينبغي العدول عما صح
عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ الظاهر انه يبين مراد الله حتما لا احتمالا والمص
اعلا شانا من ان لا يعرف مثله الا ان يقال انه ذكر الثاني بالتبعية للاول الملزوم له
انتهى **اقول** فيظهر لك مما قدمناه ان الخيار بمعنى الخير والمختار وكل عدل فهو
خير مختار فذكر المص له بعد العدل دون عطفه بالواو وجعله صفة مادحة
للعدل لان العدل من هذه الامة لا بد ان يكون خيرا فلا منافاة بين ما ذكر وبين الحديث
وليس مثله مما يستشكل ويستصعب وفيه اشارة الى ان التفسيرين مآلهما واحد
وعطف الزمخشري له باو للتخيير بين التفسيرين اللذين ذكرهما السلف فان مآلهما
واحد فان اختيارهم للشهادة يدل على انهم عدول فلا ينافي التفسير المأثور
بل يناسبه مناسبة تامة فلا وجه لما قيل هنا من ان كلام المص رحمه الله محل تامل

ابن الحنبلي

حيث اورد عدلا هنا ومعه خيارا وهو جمع خير مع جمعه بعده في قوله عدولا
اخيارا لما عرفته والعدل يطلق على الواحد وغيره كما في الصحاح يقال قوم عدل
وعدول فاذكر كله من ضيق العطن وقحط الفطن وفي تركيبه هنا حزازة لانه
يحتاج الى تقدير اي قوله وسطا اي عدلا اخيارا وفيه تفضيل لهم ومدح وقوله
ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة
وسطا اخيارا عدولا لتشهدوا للانبياء عليهم الصلاة والسلام على اممهم ويشهد
لكم الرسول صلى الله عليه وسلم بالتصديق اشارة الى ان المشبه به في هذه الاية
وهي قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الخ الهداية المذكورة قبله في قوله
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقيل المعنى كما اصطفينا ابراهيم عليه الصلاة
الصلاة والسلام او كما فضلناكم بهذه القبلة وقد تبين لك ان المحققين من
شراح الكشاف على ان المشار اليه ما بعده ولم يقصد التشبيه بما قبله وقد مر
تفصيله وهو على هذا صفة مصدر مقدر للفعل المذكور بعده والجار والمجرور

ابن الحنبلي

في محل نصب اي جعلناكم جعلا كذا وهذا مع ظهوره غفل عنه من قال اسم الاشارة
هنا على هذا في محل رفع على الابتدا على ان جعلناكم نبأ وبل جعلنا اياكم فيكون
كالضمير الذي يفسره خبره نحو ان هي الا حياتنا الدنيا وهذا التعسف لا معنى له
وقوله بان الخ تنازعه الفعلان ويشهد بالنصب والتخصيص لهذه الامة من نحو
الخطاب لانهم اذا كانوا شهداء على جميع الامم السالفة وانبيائهم والرسول شاهد لهم
لم يبق لاحد من بني ادم غيرهم ليشهد هذه الشهادة فانحصرت او نقول المصنف

رحمه الله مالكي المذهب ومذهب مالك رحمه الله افادة لام التعليل الحصر كما نقله
الحطاب في شرح الاثار عنه في التشهد لاله بقوله والحصير لتركبوها على حرمة اكلها
فان اردت تفصيله فانظره فما قيل من ان التخصيص من السياق او نظرا للواقع
الى اخر ما ذكره واطال فيه من غير طايل بعد ما استشكله غير ظاهر وفي قوله لتشهدوا
الى اخره اشارة الى ان على بمعنى اللام لا للمضرة لانها اذا دخلت على المشهود به لا تكون
للضرة وقيل ضمن الشهيد بمعنى الرقيب وقدم للتخصيص متعلقة وعليه فالناس
في الاية بمعنى الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا باس به وقيل ان الله جل جلاله
هذا ابلغ من قوله جل وعلا فانه على حجج جد جله اذا سال الانبيا عليهم الصلاة
والسلام هل بلغتم ليظهر حال الامم وفضل هذه الامة فانه يعلم السر واخفى
فيقولون نعم فتقول اممهم ما جانا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى
الله تعالى عليه وسلم للانبياء عليهم الصلاة والسلام ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم
قال السيوطي في تخريجه هذا الحديث مرفوع اخرجه البخاري من حديث ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه وقيل عليه ان البغوي روى ان الله يجمع الاولين والاخرين
في صعيد واحد ثم يقول للكفار الم ياتكم نذير فينكرون ويسال الانبياء عليهم
الصلاة والسلام عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسالهم البينة واقامة
الحجة فيوتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون انهم قد بلغوا فتقول
الامم من اين علموا هذا وهم اتوا بعدنا فيقولون يا ربنا ارسلت الينا رسولا
وانزلت علينا كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل ثم يوتى بمحمد صلى الله عليه
وسلم فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم وما ذكره المخرج فيه
نظر واضح اذ ما اخرجه البخاري انما هو في نوح عليه الصلاة والسلام وامته
لا ما ذكره المصنف رحمه الله ولذا قال قيل والحكمة في هذا اظهار فضل نبينا صلى
الله عليه وسلم على ساير الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفضل امته على ساير
الامم بقبول شهادتهم وتزكيته افضل الخلق لهم والله تعالى عالم غني عن السوال
وفيه معنى حسن لكونهم وسطا لتوسطهم بين الامم والنبي صلى الله عليه وسلم
ولظهور علمهم وعدالتهم واقامة الحجة على غيرهم وقيل معنى الاية انكم حجة
على من خالفكم قال في المقتفى انكم بفتح الهمزة وفي النسخة التي ذكرت بفتحها
وكسرها بالقلم اي اجماعهم حجة وشهادتهم مقبولة معتبرة والنبي صلى الله عليه
والسلام حجة على الجميع كما قاله المص فتدبر ايضا وقال تعالى وبشر الذين امنوا
ان لهم قدم صدق عند ربهم اي لهم تقدم ومرتبة رفيعة عند الله عبر عنها
بالقدم لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لان بها العطا واضافه الى الصدق
لبيان فضله ومزيته قال ابو عبيد كل سابق خير قدم وفيه اشارة الى ان
الصدق هنا بمعنى الخير مجازا قيل كان حقه ان يذكر هذا في فصل الشفاعة
واجيب عنه بان هذا الفصل لما كان معقودا لما منحه الله له بالشهادة
وما يتعلق بها كالتبشير بما يدل على فضله وفضلهم عند الله استطرد
التبشير بالشفاعة مع احتمال ان يراد بالقدم الصدق تزكيته المقرونة

بتقديمه

بتصديقه ففيه مناسبة تامة لما نحن فيه قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قتادة
هو ابو الخطاب بن دعامة السدوسي الحافظ المفسر روى عنه خلق كثير وهو ثقة ثبت الا
انه قيل فيه انه مدلس توفي كهلا سنة سبعة عشر او ثمان عشرة بعد المائة وترجمته
مفصلة في الميزان والحسن البصري تقدمت ترجمته وزيد بن اسلم هو الفقيه مولى
عمر رضي الله عنه وهو ثقة حديثه صحيح توفي سنة ست وثلاثين بعد المائة وله
ترجمة في الكامل والميزان قدم صدق مبتدا خبره المفسر له قوله هو محمد صلى الله عليه
وسلم يشفع في نسخة لهم وروي ليشفع وتشفيع فالقدم على هذا التشفيع سمي قدما
لتقدمه ويأتي قريبا تفسيره بالشفاعة عن ابي سعيد الخدري فتفسيرهم قدم انسان
منه فاي صادق كرجل عدل والشفاعة طلب نفع للغير ومثله لا يوصف بالصدق
والكذب فاما ان يتجوز بالصدق عن القبول لمشابهته لتحقق ما شفع فيه فيصير
كالخبر المطابق للواقع او يقال المراد شفاعة يتقدم صاحبها على رجائها كما في قولهم
حمل حملة صادقة وقيل المراد ان الشفيع صادق في خبره ومن يكون كذلك تقبل
شفاعته وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم اي وفاته صلى الله عليه وسلم
قبلهم كما تقدم انه فرط لهم وسابقة بنفعهم حياته ومماته
كالغيث ان جئته وافاك ريقه وان تاخرت عنه لج في الطلب
وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه تقدم ان اسمه سعد بن مالك بن سنان بن
عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الابجر وهو خدرة وجيم وهو ابن خدرة بضم الخاء المعجمة
واسكان الدال المهملة الذي نسب اليه على الاصح وقيل خدرة ام الابجر الصحابي الرفيع
القدر المشهور ومن فقهاء الصحابة ومن اصحاب الشجرة توفي بالمدينة ودفن بالبقيع
سنة اربع وستين وقيل اربع وسبعين وروى عنه احاديث كثيرة هي شفاعة نبيهم
محمد صلى الله عليه وسلم وهو شفيع صدق عند ربهم جعلت الشفاعة سابقة
لتقدمها او تقدم صاحبها وقوله وهو شفيع الخ اشارة الى ان الصدق صفة مضاف
مقدر والصدق بمعنى الصادق او بمعناه المصدري وقيل انه اشارة الى جواز
تفسير القدم به صلى الله عليه وسلم باعتبار الشفاعة ايضا كما مر والى المسا
في تفسيره بالشفاعة فتنتوا فق الاقوال وقال سهل تقدم الكلام عليه هي
سابقة رحمة اودعها الله في محمد صلى الله عليه وسلم قال التلمساني اودعها
بفتح الهمزة والدال والعين وفي نسخة العزفي بضم الهمزة وكسر الدال وضم
عين المضارع وفتحه اذا سقطت في ورفع محمد على انه نائب عن الفاعل وهو
الله وليس ما قاله بشيء لان ودع يتعدى بنفسه لمفعولين على كل حال فتضمن
معنى الحفظ ونحوه هنا ولا باس به ومعناه اجعله متصفا بها لينتفع الناس بها
عند الحاجة والسبق لما مر او في الازل وسابقة رحمة بمعنى رحمة سابقة
او الاضافة بيانية وقيل هي رحمة قدمها لموافقة لما في الحديث اذا اراد الله
بامة رحمة قبض نبيها قبلها فجعله فرطا لها وسلفا وتقدم تفصيله ومثل
القدم هنا ما ورد في الحديث في صفة النار يضع الجبار فيها قدمه اي من تقدم
في علم الله خلقه لها والجبار اسم الله وقيل الجبار بمعنى الجبارين والقدم

ابن الحنبلي

سيد

محة

ابن الحنبلي

علي ظاهره وليس هذا المحل تفصيله وقال محمد بن علي الترمذي الامام الحافظ ابو عبد الله
محمد بن علي بن الحسن بن بشر الزاهد المؤذن الحكيم وليس هو صاحب السنن وهذا يروي
عن ابيه وقتيبة بن سعيد وغيرهما وروى عنه خلق كثير لما قدم نيسابور سنة
خمس وثمانين ومائتين وعاش نحوا من ثمانين سنة وقد طعن الناس في اعتقاده لكلام
صدر عنه في بعض تصانيفه والله اعلم بالسرائر وترمذ فيها لغات ثلاث من هو
امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه
وسلم حكاه السلمي بضم السين وفتح اللام ابو عبد الرحمن شيخ الصوفية وقد تقدم
الكلام عليه وهو ضمير عائد على قدم صدق وتذكيره رعاية لمعنى العضو ونحوه
والصادق معناه ظاهر وقال الفاضل الزملكاني الصديق فعيل من الصدق
واصله في القول والخبر واختلفوا في تفسيره وورد في الشرع لمعان يجمعها كلها
المبالغة في الصدق وتكثيره فاما اقوال العلماء فيه فقيل الصديق من كثر منه
الصدق وقيل من لم يكذب قط وقيل من لم يتأت منه الكذب لتعوده الصدق
وقيل من صدق بقوله واعتقاده وحقق بصدقه فعله واشتهر حتى بلغ درجة
تلي درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وورد في القران العظيم في مواضع
كقوله تعالى اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم
واولئك اشارة لمن اتصف بالصفات السابقة فمن اتصف بها هو الصديق
والشهيد ويعني بالشهداء الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين هم شهداء على
الناس يوم القيامة فلهم اجر ونور لم تره عين ولا اذن به سمعت الى ما فصله
ونقل فيه كلام ارباب الكشف والصديقية مرتبة قبل النبوة ليس فوقها درجة الا
النبوة فهي الولاية وتنضم للنبوة ايضا كولاية النبي ولذا قال الله تعالى في حق
ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه كان صديقا نبيا ووصف به النبي هنا
ومناسبة هذه الاية وتفسيرها لما عقد له الفصل ظاهرة لان العدل في الشهادة
المقبول قوله لا يكون الا صادقا صديقا وقد قرنت الشهادة بالصديقية
في القران على القول المرضي فما قيل من ان هذه الاية ليس فيها الوصف
بالشهادة وما يتبعها والها ليست من الفصل وتخصيصها بالاستطراد
غير واضح لا وجه له لا سيما وكونه صلى الله عليه وسلم اماما مطاعا
مجابا لما سال يدل على قبول كلامه وعدم رد شهادته الفصل الثالث
فيما ورد في خطابه اياه اي خطاب الله لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم والخطاب
في الاصل مصدر بمعنى المخاطبة وهي توجيه الكلام لغيره ويطلق على الكلام
المخاطب به وعلى الاول هي نسبة بين المتخاطبين وهي بالنسبة الى الكلام
الازلي القائم بالنفس محال ولذا اختلف في صدق الخطاب على الكلام
النفسي كما حكاه ابن الحاجب ويصح ارادة المعنيين هنا فالظرفية مجازية
من ظرفية الخاص في العام وقيل انه يتقيد بحين والورود بمعنى المجيء
والوقوع مجاز مشهور او حقيقة عرفية وقيل انه تجوز في اسناد الورود
الى ما خوطب به مجازا عقليا بتشبيه المبرزة والملاطفة بشريعة الماء بجامع

سيد

سيد

ابن قنبرس

طفة

الانتفاع وفيه استعارة مكنية وتخييلية ولا يخفى ما فيه فتدبر نعم وكون في بعض من تأويل
من غير داع مورد الملاطفة والمبرة مورد اسم مكان او مصدر ميمي بمعنى الورود والملا
المعاملة بلطف وشفقة والمفاعلة مجازية لتنزيل استحقاقه له بمنزلة فعله او هي
لاصل الفعل من غير مشاركة ولذا اعطف عليه المبرة بمعنى البر وهو الاحسان والخير
ولا يخفى ان العفو لمعقودة لمعاني متغايرة وتغايرها ظاهر فلا حاجة لما قيل ان
المراد هنا لطف ومبرة لم يكن مما سبق من المدح والشفقة او القسم فمن ذلك قوله
تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم في نسخة بدل قوله تعالى عز وجل وضمير لهم للمنافقين
المتخلفين عن غزوة تبوك وذلك اشارة لما ورد على الوجه المذكور قال في الكشاف
وتبعه البيضاوي ان هذا كناية عن الجناية لان العفو مرادف لها ومعناه اخطأت
وبئسما فعلت وقد شنع الناس عليه في هذا حتى كان سببا لمنع الناس من قراءة كتابه
كما حكي عن الامام السبكي لما فيه من ترك الادب وقال ابن المنير في تفسيره المسمى
بالبحر عفا الله عنك دعامة في الكلام يقصد المتكلم بها ملاطفة المخاطب وهو عادة
العرب في التلطف يتقدم الدعا لاستدعا الاصغا وخبر معناه لا تبعة عليك لانه تعالى
غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهو تخصيص وتنبيه لان الاذن ذنب فتعلق
به العفو لان تحمله ومسامحته لهم مع اذاهم حملا للمشقة على نفسه واسقاطا
للحظوظ فهو عتب عليه بلطف لا ملامة فيه اي قد بلغت في الامتثال والاحتمال الغاية
وزدت ما يجحف بك في محبة الله وطاعته والرفق بالبر والفاجر واين هذا من التخطئة
والزمخشري نزع به هنا عرق العجمة لاساءة الادب على النبي صلى الله عليه وسلم
واراد بعضهم ان يصلح ذلك فافسد فقال بدأ بالعفو قبل الذنب ولو عكس لانقطع
مناط قلبه وكاد ذهوله عن عتب الحبيب في حقيقة على نفسه وهو تخفيف لا تعنيف
ومدح لا قدح وهذا كما قيل له اذا اجهد وجد في العبادة ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى ولعلك باخع نفسك والعفو وان كان يستدعي ذنبا كما يستند عارض الله عنك
لغضب سابق فهو هنا تنبيه على انه امر اذ برفق بنفسه فكانه قيل له ان ابيت
الا الحلم والاحتمال فانت غير مؤاخذ بل مثاب كمن يرخص له في لذة وراحة فيعمل
بالعزيمة فيقال له ما كان هذا ابلا لزم لك فاذا احتملته فلا تبعة عليك ايجابا
لحقه ورفعا للقدر لا لتزامه ما لا يلزمه وذلك انهم ادعوا الطاعة وزاحموا
المطيعين في رتبتهم فاستأذنوا ليكون قعودهم باذن لا بيانا في دعواهم ولو
لم يؤذن لهم هتكوا حجاب الهيبة وخلعوا ربقة الطاعة وقامت الحجة عليهم
فانهم ليسوا في ورد ولا صدر فلما اذن لهم نمت مكيدتهم واليه الاشارة بقوله
حتى يتبين لك الخ وليس في هذه المخالفة مصلحة مرضية فان الله بين انه باذنه
لهم طبق خرق الكراهة فانه لا مصلحة في خروجهم بل فيه مفسدة شوهاء وعاقبة
شنعاء لانهم لو خرجوا كانوا مخذلين باعثين للفتنة يمشون بالنمائم ويثيرون
غبار الضغائن متشتتين للشمل كالظربان فانهم ذباب يقعون على الدبر والقذر
فكانت المصلحة العظمى في قعودهم وان كان فيه ستر امرهم واحتمالا لمكرهم
وغاية الغايلة التباس امرهم وقيام حجتهم وهو قد عرفهم والكشف له عورتهم

وَلكن لم يفضحهم حلمًا وكرمًا وانساع صدر وكم ضاق نطاق عمر رضي الله عنه عن ذلك
وَاشار بضرب اعناقهم فقال له صلي الله عليه وسلم يا عمر لا يتحدث الناس ان محمدا
يقتل اصحابه فانه قد يخدش الصدور السليمة وَيوقع في حصايد الالسنة فاشفق
علي العدو فاستبقاه وعلي الولي ان تزحزحه الشبه عن رتبة تقاه وحمل عباد ذلك
نفسه في ذات الله انتهي اقول جزاه الله خيرا عما اهداه للعقول السليمة من
النفس الثمين ودافع به عن حرم النبوة العالي لرتبة لمن عرف وَانت اذا تاملت
ما بعده من النظم تراه مصرحا بما افاده المرتضع فقوله تعالي لو خرجوا فيكم ما زادوكم
الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم فاي راي اشد من
الاذن في تخلفهم واي حلم اعظم من الستر عليهم فكيف يكون في اول الكلام عتاب
واحرم بيان لان ما وقع عين الصواب ولو كان هذا في رسالة كاتب من فقها سلطانه
فما ظنك بمالك الملك تعالي شانه قال ابو محمد مكي وقيل هذا افتتاح كلام اي
هذا جار علي نهج البلغا وارباب التوسل والانشا في ابتدا كلامهم بالدعا توقيرا
وتعظيما وفيه اشارة الي ان هذه الجملة انشائية دعائية علي ارجح الاحتمالين فيها
كما سمعته انفا بمنزلة اصلحك الله واعزك الله اي هو مثله في انه دعا للتعظيم
لم يلتفت فيه لما يوهمه الدعا بالصلاح من الفساد ولغيره من الذل كما ورد في الحديث
لقد عجبت من يوسف عليه الصلاة والسلام وكرمه وصبره والله يغفر له وقدم
هذا المعم لانه التحقيق المرضي عنده لما سنعرفه في قوله وقال عون بن عبد الله
اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب وعون هذا هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود
الهذلي الكوفي الزاهد الفقيه اخو عبيد الله الراوي عن ابي هريرة وابن عباس
وجمع وقيل روايته عن الصحابة مرسلة وليس بتابعي لكن له حديث عن ابن عمر
رضي الله عنهما في مسلم وروي عن الزهري وابو حنيفة وابو العميس واخرج
له احاديث كثيرة وهو ثقة توفي في حدود السنين بعد المائة وفي نسخة خبره
بدل اخبره والمعني واحد وكذا اخبره لكن في المقتفي ان يخبره في النسخة الصحيحة
بالتشديد وهو الصحيح وهو مع اخبره من تنويع الكلام لان اخبره وخبره بمعني
والتنويع ان يكون في الكلمة لغتان فيجمع بينهما كقول بشار
اذا انكرتني بلدة او نكرتها * خرجت مع البازي علي سواد
ففي العبارة ثلاثة اوجه قيل المراد بالذنب هنا خلاف الاولي والاليق لان
حسنات الابرار سيات المقربين والوجه هو الاول وبعض الشراح ارجع
هذا لما قبله ورد بان بينهما فرقا ظاهرا لانه علي الاول لا ذنب اصلا والجملة
انشائية دعائية وعلي هذا هي خبرية فان اراد ان المال واحد صح ما قاله
ثم ان هذا كيف يعد ذنبا وان لم نقل الجهاد فرض كفاية فيتخلف بعضهم بالاذن
لا باس فيه لا سيما اذا كان في ذلك مصلحة ونفع وقال نفطويه الاتي ذكره اذا
امر الملك احدا علي جيش كان ذلك تخييرا له فيما يامرهم وينهاهم فيمتنع
العتب عليه فيما فعله لمصلحة لا سيما اذا كان مقامه في غاية الجلالة عنده
وحكي السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم

وفيه

ابن الحنبلي

فيه ايهام لان عفا من المعافاة لاشتراكهما في اصل المادة وليس بمراد بل قصد التجنيس
للفرق بينهما ولذا ورد الجمع بينهما في الحديث نسالك العفو والعافية والمعافاة الدائمة
وفيه اشارة الى الذنب كالمرض والعفو عنه بمنزلة الطب الشافي له الا انه قيل عليه
انه سليم القلب ليس بمناسب هنا لانه وان كان مدرجا في نحو قوله الا من اتى الله
بقلب سليم لان معناه خلوصه من الغل والغش الا انه صار في الاستعمال عبارة عن الغفلة
وضعف الراي وقلة الحزم والعزم كما في لباب التفاسير **وأجيب** عنه بان
ما ورد مدحا في القران يجوز التعبير به في مقام المدح وان اوهم خلافه فلعل ما طار عليه
وفيه نظر وقد تقدم الكلام على السمرقندي وترجمته قال ولو بدا النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله لم اذنت لهم بدا مبني للفاعل وفاعله ضمير يعود على الله والنبي منصوب مفعول
وبدا مهموز بمعنى ابتدا لا معتل بمعنى ظهر لحيف عليه اي لخاف عليه من يحبه لا انه
ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لتاثيره في قلبه وجلالة قائله ومهابته خصوصا
ممن هو اخوف الناس منه لعلمه بما لم يعلمه غيره وسياتي الكلام عليه وفيه مبالغة
والمراد كما قيل انه كاد ان يخاف عليه او يخاف عليه من لا يعرف انه امن معفو له او خيف
عليه بحسب الظاهر ان يكون شانه ذلك في ذاته ومثله لا يوجب خللا في المقصود كما توهم
وهذا مبني على ان خوف النبي صلى الله عليه وسلم من العقاب بعد تامين الله له غير جائز
وسياتي تفصيله وانفطار القلب وانشقاقه عبارة عن الخوف المهلك كما تنشق
الاجسام من خشية الله كما قال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله لكن الله تعالى اخبره بالعفو حتى سكن قلبه سكن ماض بالتشديد
والتخفيف وفي نسخة مسكن وقلبه مرفوع او منصوب وروي يسكن مضارع مضموم
الاول مشدد وقلبه منصوب مفعول ويجوز تخفيفه ورفع قلبه يعني انه تعالى
لرافته به صلى الله عليه وسلم ورحمته قدم العفو ولا ليسكن قلبه اي يطيب ويامن
قبل المراد بيد ومراده السكون وعدم الاضطراب لامنه او هو من قبيل سبحان من صغر البعوض
واعترض عليه بعض الشراح بانه لا طائل تحت هذا الكلام لانه خوطب باشد منه نحو فلا
تكونن من الجاهلين ولم يضطرب لتامين الله له بقوله ليغفر لك الله ونحوه ورد بانا
لا نسلم انه اشد منه او مثله فانه نهي عن الوقوع فيه من غير عتب وتخويف كما سيجي
ولو سلم فهذا اعتراض اشد تخويفا من النهي مع انه لا يلزم من عدم الرعاية في مقام
عدمها في مقام اخر ولا من الرعاية الرعاية واللازم الامن من النار ونحوها على
ان الوعد لا يمنع الدهشة والخوف من الصدمة كما سيقع للانبياء عليهم الصلاة
والسلام في يوم القيامة والعشرة المبشرة بالجنة يخافون من سوء العاقبة لاحتمال
وسياتي تحقيقه هذا ان شاء الله في محله ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين
لك الصادق في عذره من الكاذب ثم هنا لمجرد الترتيب الذكري بغير مهلة او مهلة
لتنزيل ما تقتضي والعدم بمنزلة البعيد كما حقق في قوله ذلك الكتاب في احد
الوجوه ويتبين بمعنى يتضح ويظهر ويتميز هذا من هذا او ينفصل فيتعلق من
به باعتبار ما تضمنه من الانفصال وحتى متعلق بمقدر لا باذنت لفساد
المعنى اي حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين اي لم اذنت للمنافقين

بالتخلف عن تبوك كان عليك ان لا تاذن لهم حتى يتبين الخ كما في لباب التفاسير وغيره
والاستفهام فيه اشعار بما قدرناه وفي هذا المذكور من تقديم العفو وتاخير السؤال
من تعظيمه وتوقيره عند الله ما لا يخفى على ذي لب المنزلة المرتبة المعنوية وعند ظرف مكان
اذا اضيف الى المنزه عن المكان لى بمعنى في علم الله او في حكمه كما في قوله كان عند الله
عظيما وبينهما فرق دقيق وتكون للقرب المعنوي كما في قوله ابن لي عندك بيتا في الجنة
وبمعنى احسانه وانعامه كما في قوله قالت هو من عند الله كما مر فاختر لنفسك
ما يحلو واللب العقل والمراد الكامل او هو على ظاهره مبالغة ومن بيان متقدم على
المبين عند من اجاز تقديمه او هو بيان لمقدر مبهم وما بعده بيان او صفة اخرى
للمبهم ومن اكرامه تعالى اياه صلى الله عليه وسلم وبره به لرعاية خاطره والتسلية
له وتقديم الدعاء والعفو في اول الخطاب به كما مر فتذكر ما ينقطع دون معرفة غايته
نياط القلب نياط فعال من النوط وهو التعليق ومنه المناط فقلبت واوه ياء
لانكسار ما قبلها وهي عرق غليظ تعلق به القلب الى الوتين وقيل هو الوتين نفسه
فاذا انقطع مات صاحبه فلذا كني به عن الموت قال ابن خالويه في كتاب ليس في اسما
المنية قال الله عز وجل الا ان تقطع قلوبهم معناه الا ان يموتوا يقال قطع قلبه
ورمي بنيطه ورماه الله بنيطه وطالبه بحقه اذا مات انتهى وللنياط معان اخر
كالعرق المستبطن الصلب والمراد ان له صلى الله عليه وسلم منزلة عند الله ورتبة
الكرمة لها او النعم عليه بما لا تطيق العقول معرفة كنهه وغايته ولا تفي الاعمار بتحصيله
وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف
فانقطاع النياط كناية عن تعذره وصعوبة مسلكه او عبارة عن عدم وفا الاعمار به
وحيلولة الموت دونه وما قيل من انه يجوز ان يكون اشارة الى ان من عرف كمال اكرام الله
ورعايته له عرف انه في غاية التقصير فيخاف خوفا يؤدي الى الهلاك تعسف وارتكاب لما
يأباه نحوي الكلام والغاية هنا النهاية وتفسيرها بالفائدة غير مناسب ومنهم
من فسرها بجملة الشيء وجعله استعارة وهو بعيد ودون هنا بمعنى قبل كقولك
دون الدار منازل قال نفطويه هو لقب لابي عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة بن
سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن ابي صفرة الازدي النحوي الواسطي
صاحب التصانيف الجليلة توفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وقيل
سنة اربع ببغداد وقيل بواسط وولد سنة اربع واربعين ومائتين وقيل
خمسين ولقب به لدمامة منظره والنفط معروف معرب وفي هذا وامثاله كسيبويه
الاصل الصحيح فيه فتح الواو وسكون اليا وبعضهم يسكن الواو ويفتح اليا
وقيل انه من تغيير المحدثين تجنبا من لفظ ويه ولذا قيل في هجائه احرقه الله
بنصف اسمه * وصير الباقي صياحا عليه * وقال المعري ان هذا انما احدثه المولدون
وويه بلغة اهل البصرة اداة تصغير ويجوز فيه كسر النون وفتحها ويجوز
في مثله الاعراب والبنا على الكسر لها التركيب تركيب مزج وهو الاقيس ذهب
ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك
اي والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن ان يفعل ما يستحق العتاب عليه وقد

سيد

ابن الحبل

تقدم

تقدم الكلام على حاشا مفصلا وانه لا عتاب في هذه الاية بل فيها اعزاز له واكرام بالدعا
له وتصويب لفعله والتعبير بالعتاب فيه اشارة الى ان ما فعله خلاف الاولى عند
صاحب القيل بل كان مخيرا بين الاذن وعدمه اذ لم يتقدم منه نهي كما قيل وفيه نظر
والاولى ان يقول لنزول وحي عليه صلى الله عليه وسلم في ذلك لقوله فاذن لمن
شئت منهم كما سياتي في اول القسم الثالث الا ان ابن الجوزي قال ان هذه الاية منسوخة
بقوله فاذن لمن شئت الخ ولفظ مخيرا هنا قد علمت انه بالمثناة التحتية وقال البرهان الحلبي
انه في بعض النسخ مخبرا بالموحدة مخففة وهما نسختان مصححتان عنده والاولى اولى
والمعنى على هذه انه صلى الله عليه وسلم ماذون له بوحي غير متلو لم يخبرهم به تحريضا
لهم على الجهاد فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وهم يدعون
بطلب الاذن انه لو لم ياذن لهم ما تخلفوا فاذا ظهر كذبهم وانكشف مغطاهم لزم شق العصا
وما يترتب عليه فكان ما فعله اولى واصوب وانه لا حرج عليه في الاذن لهم
بما فعله ضيق والم لكن لو صبر تبين امرهم وفيه اشارة الى كمال الرفق به صلى الله عليه
وسلم والرعاية له وانه لم يقع منه تقصير يقتضي العتاب ولا خطا في الاجتهاد ولا ارتكاب
خلاف الاولى كما توهم قال القاضي ابو الفضل هو المهم عياض كما مر يجب على المسلم
المجاهد نفسه بتهذيب الاخلاق والصبر وكسر شهوتها كما يدل عليه ما بعده فانه الجهاد
الاكبر قيل الوجوب هنا اعم من الشرعي بل ما لا يليق تركه وهو شايع بهذا المعنى
كما صرح به في شرح المواقف وغيره فيشمل المسنون والمندوب وفي تعبيره بالمسلم
المجاهد لطف لم ينبهوا عليه لتعريضه بانهم منافقون تاركون للجهاد الرابطين بزمام
الشريعة خلقه هو من ربطت الدابة اي وضعها اذ للتهما لتنقاد لما تريد وتلين
شكيمتها والزمام ما يقودها كاللجام ففيه استعارة مكنية وتخييلية والزمام
بمعناه الحقيقي او عبارة عن الاحكام الشرعية على حد ينقضون عهد الله وفسر
التلمساني الرياضة بالتعليم والزمام بالتسبب والطريقة وفي كلامه تسامح ولا
يستغرب مثله ان يتادب فاعل يجب بادب القران وفي نسخة باداب القران بصيغة
الجمع والادب كما قاله الازهري وغيره يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها
الانسان في فضيلة من الفضايل ومنه ادبه اذا عاقبه على اساته لانه داع لحقيقة
الادب وادب ادبا من باب ضرب صنع صنيعا كالطعام ودعى الناس اليه فهو آدب بزنة
فاعل قال — نحن في المشاة ندعو الجفلى * لا ترى الادب فينا ينتقر
ومنه المادبة للمايدة والقران مادبة الله وهو الداعي اليها وفي كلام المصنف رحمه
الله اشارة الى الحط على مثل الزمخشري مما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم واسا
الادب في مقامه الشريف بما لم تقله له رب العزة اذ قال له عفا الله عنك ودعا له
وقال هذا الخطاب وبيس ما فعلت وقد تقدم ذلك بما فيه في قوله وفعله ومعا طانه
ومحاورته الجار والمجرور متعلق بيتادب ومعاطاته من العطا والعطية
وهي ما يعطيه قال في المصباح ومنه المعاطاة لانها مناولة لكن استعملها الفقهاء
في مناولة خاصة ومنه فلان يتعاطى كذا اذا اقدم عليه انتهى فالمعاطاة هنا مصدر
المراد به الافعال الواقعة معه فهي اخص من الفعل كما ان المحاورة مخاطبته

ومصاحبته فهي اخص من القول فما قيل من ان المغالطة الفعلية جمع مغالطة
كمعادة ومعادات في قوله موكل بمعاداة المعادات على ما ويه من احتمال افرادهما
وتربط ثانيهما ومحاورات القولية جمع محاورة بالحا المهملة وهي المجاوبة ومعالاته
وان احتملت الافراد الا ان محاورات جمع قطعا فناسب ان يكون مقابلها جمعا انتهى لا وجه
له كما مر فهو صلى الله عليه وسلم عنصر المعارف الحقيقية ور وضته الاداب الدينية
والدنيوية ضميرهو للنبي صلى الله عليه وسلم كما علم او للقران وهذا ارجح وعليه
الشراح والعنصر بضم الصاد المهملة وبحوز فتحها بمعنى الاصل وفسره التلمساني
بالمنبع ولا وجه له والمعارف العلوم او المعلومات والحقيقية المحققة في نفس الامر
والروضة ارض ذات مياه واشجار وازهار طيبة متنزهة والمراد بالدينية هو ما يتعلق
بالعبادة والتوحيد ونحوه من الامور الشرعية والدنيوية ما يؤخذ من الشرعية
متعلقا بالدنيا فهي دينية ايضا كمكرم الاخلاق وحسن العشرة وتدبير المعيشة شبهه
بالرياض لما فيه مما يدفع الكدورات البشرية ويسر الارواح الزكية او شبه الاداب
بالمياه والازهار فهو تشبيه لذكر الطرفين فيه لا لان وصفه بالدينية والدنيوية
يأباه كما قيل ولا يصح كونه استعارة كما قيل الاعلى قول او تأويل بعيد فتدبر
وليتأمل التامل تفعل من الاصل وهو رجا ما يبعد حصوله من الخير نقل لمعنى
اخر وهو كما في المصباح التدبر واعادة النظر في الشي مرة بعد اخرى حتى تعرفه
والمصنفون يستعملونه فيما فيه دقة او شبهة واللام لام الامر الغايب وفاعله ضمير
راجع للمسلم وفي العبارة حزازة ولو اسقط اللام وعطفه على يتأدب كان اولى وعلى
هذه النسخة قال بعض الشراح انه امر معطوف على يجب ان يتأدب ملاحظا للمعنى
لانه في معنى ليتأدب فهو كما قيل في قوله تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات
وليذيقكم اي ليبشركم وليذيقكم فان كان الاولى انه بتقدير وارسلها ليذيقكم
كما في المغني ومن العجيب ما قيل انه امر معطوف على يتأدب ولو قيل انه
من عطف القصة على القصة كان اسهل هذه الملاطفة العجيبة كما تقدم حيث
قدم الدعا والتبشير على ما يوهم الاعتراض والعتاب مراعاة لخاطره صلى الله عليه
وسلم وتطييبا لقلبه وهو العلي الغني عن عباده الفعال لما يريد فكيف بالامة
الذين يجب عليهم التادب معه في السؤال من رب الارباب متعلق بملاطفا
وصفة لها بتقدير الكاينة والرب الموجد المربي والسيد المالك مصدر وصف
به مبالغة او صفة مشبهة وفي اختصاصه به تعالى اقوال فقيل يختص به
اذا اطلق من غير اضافة وكان مفردا فاذا جمع كما في عبارة المص جاز لعدم الايهام
بالواحد الاحد كقوله اارباب متفرقون واما قوله
وهو الرب والشهيد على ✱ يوم الحوارين والبلا بلا
وقوله
ارب يبول الثعلبان براسه ✱ لقد ذل من بالت عليه الثعالب
فنادر جاهلي لا يعتد به وليس الكلام في صحته بحسب اللغة بل الشرع هل هو
حرام او مكروه وقيل انما نهي عن كثرة استعماله واضافته للعقلاء بخلاف
رب الغنم والدار والاصح انه انما نهي عنه اذا اوهم معنى المعبود فحمل النهي

ابن الحنبلي

ابن قريص
ودلجي

سيد

ابن تبريزي

كون

كون التسو الرمن الرب العالم الغني عن خلقه كما اشار اليه بقوله المنعم علي الكل المستغني
عن الجميع لم يبين ما انعم به واستغني فيه ليفيد العموم وكذا الكل اطلاقه لم تتم قرينة
علي تقييده والتبيين ليست هنا للطلب بل للتاكيد للغنا وعرف الكل بالالف واللام
لقولهم بدل الكل والبعض وهما لم يسمعا معرفان بها في كلام العرب كما ذكره الجوهري
وغيره من ايمة اللغة وقد جوزه الجوهري فقال كل وبعض معرفتان ولم يجي عن
العرب بالالف واللام وهو جايز لان فيهما معني الاضافة اضفته او لم تضفه انتهي
يعني انه يلزم الاضافة لفظا او تقديرا فكانه جمع بين ال والاضافة وهو تابع
في ذلك للزجاجي وقد اعتذر عنها الزجاجي بان ذلك مجاز وكان الاولي به ان يتركها
ولا يعتذر وقد نكت الاديب ابن سهل الاسرايلي علي الشيخ ابي القاسم الزجاجي
في قوله حيث قال

اموس انا كلي وبعضي حقيقة ❊ وليس مجازا قولي الكل والبعضا ❊
خفضت مكاني اذا جزمت وسايلي ❊ فكيف جمعت الجزم عندي والخفضا ❊

وهذا يدل علي ان يهود الاندلس كانوا يشتغلون بعلم العربية فان ابراهيم بن
سهل قال هذين البيتين قبل اسلامه والله اعلم وروي انه مات مسلما غريقا
في البحر فان كان حقا فان الله رزقه الاسلام اخر عمره والموت علي الشهادة قلت
وكان شيخنا ابو الحسن علي بن سمعت يقول شيان لا يصحان اسلام ابن سهل وتوبة
الزمخشري من الاعتزال قاله الراعي وفي كلام ابن حجر العسقلاني واما الزمخشري
فلا يبعد انه تاب من الاعتزال فان تصانيفه طافحة بمدح اهل التوحيد والعدل
وذم اخوانه المعتزلة مع انه في كثير من المسايل يخالفهم وهو لا يدري انه علي ما يقال
كان ينفي حماقتهم واذ كان لبلاغته قد صار منهم راسا وقال ايضا واما ابن سهل
فالمشهور عنه ورايته بخط ابي حيان انه عشق يهوديا موسي شابا يسمي محمدا فنقل
قوله من موسي الي محمد واسلم من اجله والله اعلم الا ان الالف واللام قد تقوم مقام
الاضافة وتسد مسدها كما صرح به النحاة والقياس يقتضي صحة دخولها عليهما
الا انه يتسمح في قوله معرفتان ويجوز به عن مضافين لانهما يضافان للنكرة كثيرا
مطردا نحو كل رجل يقول كذا مع ان فيما قالوه نظرا لان كل ما لم يسمع بعينه يمتنع
وقد ذكر ابن خالويه في كتاب ليس انه سمع نادرا فالحق ما قاله الجوهري ولا اعتراض
عليه واردف المنعم بالمستغني اشارة الي انه لم يرد بانعامه فايدة ولا حاجة
له به علم مما تقرر انفا يما وامر بالتامل حثا علي رعاية الادب في حقه تعالي ويستثير
ما فيهما اي في الملاطفة او الاداب القرانية من الفوايد ويستثير بالمثناة الفوقية
والمثلثة بعد سين الطلب من اثار الارض كما قال تعالي اثاروا الارض وعمروها
اي حركوه ويبرزه كما يثار القنيص من مكمنه والتراب من مقره ومنه اثارة الفتنة
والشر والمعني يظهره لنفسه وغيره وفي نسخة ابن ارسلان يستنبي بالنون بدل
الرا وفي نسخة بعض الشراح يتنبي ويستثير وهو كالعطف التفسيري قال
وهو مجزوم معطوف علي يتامل اي يتصرف ويتفحص ويجوز رفعه وقد وقع
في نسخة هو ويستثير بمعني يبحث ويستخرج مرفوعا انتهي فيجوز جزمه مما

عطفا على ليتاسل وتصبهما عطفا على ليتادب او في جواب الامر بتقدير ان بعد الواو اي ليكن
منه الاتيان التامل والاستشارة وتعيين هذا كما في بعض الشروح لا داعي له والعوايد
جمع فايدة وهي ما يتنبه له الذكي من ملاطفة الله له وحسن خطابه ولينه والسؤال
عما هو اعلم المشير الى انه خبير بما صدر منه واقف على ما حققوه من مكايدهم حارس
لضباب حقدهم من نافقائها وتعظيمه ورد وتنوع خطابه في المبدا والختام المقتضي
للزوم الادب معه وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب
ان كان ثمة ذنب كيف اسم استفهام يسئل به عن الكيفية والحالة وقد يخرج عن
الاستفهام والصدارة كما فعله شراح البخاري في باب كيف كان بدؤ الوحي ولا حاجة
لنا به هنا وابتدا بفتح التا والهمزة وثمة تقدم الكلام عليها والها اسم اشارة بمعنى
هناك والها المرسومة للسكت والوقف وفيه لغة ايضا انها التانيث وهي احتمال هنا
وفي قوله ان كان ذنب اشارة الى انه لا ذنب له صلى الله عليه وسلم بل هو من محاسنه
كما قال الحريري

اذا محاسني اللاتي ادل بها • كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر •

واذا لو يكن ذنب والاخلاف الاولى لم يكن عليه ملامة وعتب فهذا ابدل على ان قوله
قبل العتب المراد منه ان هناك عتب ولظهوره استغنى المص عن ذكره فهذا امن
بدايع الاكتفا وقد حام حول هذا من قال لم يقل المص رحمه الله ان كان عتب كما
قال ان كان ذنب اكتفا بالثاني عن الاول لانهما نظيران وشيخنا حمل العتب على ما هو
صورته لئلا ينافي ما سيذكره من انه لا عتب عليه اصلا وغلطوا من ذهب اليه
والمراد بالذنب خلاف الاولى وهذا كله من ضيق العطن فتدبر وكذا من
الزوايد جعله كيف مفخمة وانس بمد الهمزة بزنة قاتل وروي بالقصر وتشديد
النون وقوله وكيف قيل انه معطوف على ما فيهما والظاهر انه معطوف على
هذه الملاطفة اي وليتامل وكيف الخ وتعيينه قوله فيما سياتي ثم انظر كيف
بدا الخ فتنبه له وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
اي لولا انا ثبتناك على الحق والصواب والسداد قاربت الميل الى مرادهم
ميلا ما قليلا ففي الاية تصريح بان الله عصمه صلى الله عليه وسلم عن الميل الى
خلاف الصواب فضلا عن الوقوع فيه وفيه دليل ظاهر على ما قدمه من انه لا ذنب
له راسا وفيما فسروه به اشارة الى ان العفو ليس عن ذنب وتفسير قال بعض
المتكلمين اي المفسرين الذين تكلموا على هذه الاية وكثيرا ما يستعمله المصنف
وغيره بهذا المعنى اللغوي ويجوز ان يراد المعنى المصطلح اي اهل علم الكلام
واصول الدين لتعلق هذا بعصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهي من
مباحثه فلا وجه لما قيل ان المنقول عنهم من غيره لكن العلم عاتب الله الانبيا
عليهم الصلاة والسلام بعد الزلات وعاتب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
قبل وقوعه العتب والعتاب مخاطبة من تؤاخذه بما صدر منه مما لا يناسب
ليزيله او يترك العود له وهو يكون ناشئا عن المحبة والادلال والزلات
جمع زلة بالفتح من الزلل واصله دحوض القدم ثم عبر به عن الوقوع

ابن الحنبلي

سعيد

سعيد

ابن حنبلي

فيما

فيما لا يومي من غير قصد ولذا فسر بالخطا وفي التعبير بالوقوع بمعنى التقدير في الواقع
مع الزلل لطف لان من زل يقع ومنبير وقوعه للذنب ويجوز عوده لنبينا صلى الله عليه وسلم
بتقدير قبل وقوعه في الذنب وكذا ان تقدره قبل احتمال وقوعه كما يدل عليه تعبيره
في الاية بقوله كدت اي تميل لان القرب من الميل للذنب يقتضي عدم وقوعه والمراد
بزلات الانبيا عليهم الصلاة والسلام خلاف الاولى الذي هو بالنسبة لعلو مقامهم
كالزلة من غيرهم ولخفا به قيل كان الاليق مع عدم وقوعه فان القبلية تقتضي الوقوع
بحسب الظاهر وان صرحوا بانه غير لازم وبدليل قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربي وفي بعض الشروح معترضا على ما نقله المص رحمه الله بانه لا عتب فيما ذكر
وانما هو تذكير بنعمة العصمة له صلى الله عليه وسلم وهو مناف لما سياتي من عصمة
الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الكبائر والصغائر ومقامهم منزه عن الزلات
وان صدر عنهم ما هو بصورتها فهو لحكمة كبيان الجواز والتشريع للامم وقال
الصفوي العتاب قبل وقوع الذنب يستلزم امرين احدهما وقوع العتاب فيمن
لم يقع فيه الذنب والاخر وقوع الذنب بعده فاستعماله في لازمه الاول فقط مجاز ١

**فان قلت** العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة يقال عاتبه وعتب
عليه قال اذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب
قلت جزم محققوا المفسرين بانه صلى الله عليه وسلم لم يهم بالركون اليهم والعتا
عتابان عتاب منجز كما قال لقد كدت تركن اليهم وهذا انما يكون مع كيدودة الركون
وعتاب معلق كما في قوله ولولا ان ثبتناك الخ وهذا انما يكون مع عدمها اي لو لم
نثبتك ووقع منك ذنب القرب من الركون لكنا ثبتناك فلم يقع والمنقول عن بعض
المتكلمين وان اقره المص لاينافي ما جزم به من انه صلى الله عليه وسلم لم يعاتب اصلا
لان المنفي المنجز المستلزم للوقوع والمثبت خلافه كذا قيل ولا يخفى ما فيه فتامل
ليكون بذلك المذكور والعتب على ما ادعاه اشد انها اي اقوي في تركه لما ذكر مما
لا يليق به والانتها افتعال من النهي يقال نهاه فانتهى لا من النهاية ومحافظة لشرائط
المحبة اي مبدا ومنه لما تقتضيه المحبة من قصر الهمة على ما يرتضيه المحبوب وهذه
غاية العناية من الله به صلى الله عليه وسلم وهذه اشارة الى المعاتبة قبل الوقوع
لما ذكر من الفوائد ولذا انث او هو لرعاية الخبر والعناية قصد المساعدة والاعتنا
بحفظه وامره يقال عنيت بامر فلان بالبنا للمفعول عناية وعنيا شغلت به وهذه
اقوى من عناية بغيره من الانبيا فلذا جعلها غاية وقيل انما جعلها غاية مبالغة
ثم انظر كيف بدا بتثبيته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان يركن اليه اي بتم
لبعد مرتبته هذا ايماء فيه لان في المعطوف عليه احتمال صدور الزلة وفي هذا
اكرامه وتامنه من صدورها منه وهو اما من كلام المص رحمه الله او من تتمة كلام
ذلك البعض ملتفتا من الغيبة الى الخطاب ايقاظا للمامور وحثا له على التامل
وهو من عطف القصة على القصة او عطف على مقدر اي تامل ما ذكر ثم انظر
والنظر بمعنى التفكر والتدبر مستفاد من نظر البصر وقيل ثم مجردة عن المهلة
او لان الفراغ من ذلك التامل انما يكون بعد مهلة وبدا بتثبيته اي لم يقل لقد

كدت تركن لولا ان ثبتناك وقال ثبتناك ولم يقل بتثبيته كما في الاية لان قوله كدت
يدل عليه وهو محل المدح اولان تثبيت الله يلزمه الثبات والسلامة عما خيف عليه
والمعاتب عليه الركون وخيف مبني للمجهول اي وقع الخوف ممن هو شانه وقيل
فاعله المقدر هو الله وان كانت حقيقة الخوف مستحيلة عليه لان المراد معاملته
معاملة من يخاف عليه ما ذكر كما قالوا في قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا ليعاملكم
معاملة المحنة والاختبار ولا ابتلا اي يخاف عليه القرب من الركون وفيه مبالغة لانه اذا
خاف عليه القرب من شي يخاف عليه ذلك الشي بالطريق الاولى وهذا لا محذور فيه حتى
يقال المراد بالركون في عبارته المضي الوقوع لانه هو الخوف فهو غير الركون المذكور في الاية
وقيل ان كدت من افعال المقاربة وقد اخبر به موكدا بقوله لقد ومثله مما يعتب عليه
الا ان قوله شيئا قليلا يدل على انه مما لا يضر لقلته وهو عناية به صلى الله عليه وسلم
ونعمة عظمى لانه تعالى صفاه من شوايب الخطرات القلبية التي لا ثبات لها او انما
يؤاخذ بما وقع عن عزم وتصميم كما قالوه في تفسير قوله وان تبدوا ما في انفسكم او
تخفوه يحاسبكم به الله وله تفصيل ليس هذا محله ففي اثناء عتبه براءته وفي على تخويفه
تامينه وكرامته اثنا الشي بالمد خلاله وتضاعيفه يقال جا في اثنا الناس بينهم جمع
ثني بكسر فسكون وثنية او ثني بالقصر والمراد بكون البراءة في اثنا العتب الجامعة
في كلام واحد بلا فاصل فلا يعترض عليه بانه مقدم هنا كما قيل لان الدال على البراءة
قوله لقد ثبتناك وفي طيه اي داخله او في ضمنه او في تخويفه للطي فيما ذكر اذ لم
يفهم منه صريحا فقيل وفيه نقد وتامينه وكرامته بتثبيت الله له وتنزيهه عن القرب
الى الميل يعني انه عتب بالركون للاعدا وخوف بقوله اذن لاذقناك العذاب
معلق بما هو صريح في عصمة الله له صلى الله عليه وسلم عن القرب فضلا عن الوقوع
فيه تعريضا بالمنافقين واسماعا لهم على حد قوله اياك اعني فاسمعي يا جارة • وقد تقدم
انه لا عتب ولا ذنب وانما هو تكريم فلذا قيل انه كان ينبغي للمص رحمه الله تركه وكلامه
في غاية الظهور فلا حاجة لان يقدر فيه اثنا الكلام الدال على العتب والتخويف فانه
لا داعي له ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك
الاية اي مثل ما تقدم في اللطف به او مثل لولا ان ثبتناك في الشفقة والتسلية
وهو اقرب او مثل عفا الله عنك في الملاطفة والتهوين وضمير انه للشان وقد
للتحقيق والمضارع بمعنى الماضي او بمعنى ربما بالنسبة لساير معلوماته
والذي يقولونه انه ساحر او مجنون او شاعر او كذاب ونحوه مما لا يضره اي لا تحزن
لنفسك كما في الكشاف ويدل عليه ما بعده ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وهو
خبر اريد به لازم الفائدة كقوله اني وضعتها انثى اذ المقصود تطييب قلبه
صلى الله عليه وسلم قال علي رضي الله عنه وكرم وجهه وهذا رواه الترمذي
وصححه الحاكم قال ابو جهل هذه كنية كناه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان يكنى ابا الحكم فالله كناه ابا جهل والناس كنوه ابا الحكم والجهل وان كان ضد العلم
فالمعروف في كلام العرب انه ضد الحلم كما قال •

الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وهو

وهو عمرو بن هشام فرعون هذه الامة وقد قيل انه مع جهله وكونه كان نحت العصاة ولذا
قيل له مصغر استه وكان صلى الله عليه وسلم في اول الاسلام يرجو اسلامه ويقول اللهم
اعز الاسلام باحد الرجلين ابي جهل او عمر بن الخطاب فلما اسلم عمر رضي الله عنه علم انه
هو الذي اجيبت فيه دعوته صلى الله عليه وسلم واما ابو جهل اشقاه الله فقتل ببدر
واختلف في قاتله كما فصل في السير واسلم ابنه عكرمة وحسن اسلامه ونصر الله به الدين
تحقيقا لرجا النبي صلى الله عليه وسلم للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن
نكذب ما جئت به وفي نسخة مصححة من الشفا به يدون بالجحد بايات الله عنادا او نفيا
اي ننكره ونجعله كاذبا مع انك صادق عندنا وفي لباب التفاسير قال ابو ميسرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم مر بابي جهل واصحابه وقال والله يا محمد انا ما نكذبك انك عندنا
لصادق ولكنا نكذب ما جئت به فنزلت هذه الاية فهذا هو سبب نزولها كما قال المص
فانزل الله تعالى انهم لا يكذبونك الاية وعزاه ابن الجوزي الى ناجيه ابن كعب من
المفسرين وقد فسره به على قراءة يكذبونك بالتشديد وما في الكشاف واللباب من قوله
وانك عندنا الصادق مروي في الحديث قال السيد عيسى وهذا ابطاهم فاسد لان كذب
القول يستلزم كذب قايله الا ان يكون ناقلا غير ملتزم للصحة والنبي صلى الله عليه وسلم
انما ذكره على انه حق من عند الله وقال الطيبي لا نعتقدك كاذبا ولكن ننسب الكذب
لما جيت به عنادا او حسدا فقوله لكن نكذب ما جئت به في موضع نحسدك اقامة السبب
مقام المسبب وفيه تجوز وقيل المعنى لا نقصد نسبتك للكذب وتغييرك به لانا
جربناك فوجدناك على خلافه وانما غرضنا ابطال الكلام او لا نقول انت من عادتك
الكذب لكن ننكر النبوة فلا يلزم ان يكون كذابا او انك غير مفتعل للكذب متعمد بل
تخيلت امرا باطلا فالتكذيب بالنسبة لا فتعاله فما كذبناك ليكون عيبا وهذا
احسن التاويلات وقيل انت ناقل ونحن نكذب المنقول لا الناقل وفيه امر انتهى
وفي اللباب المعنى لا نخصك بالتكذيب ونقل ابن الجوزي عن قتادة لا يكذبونك بحجة
بل بهتا نا وعنادا او لا يكذبونك اعتقادا بل قولا وهذا ما ارتضاه الطيبي هذا
زبدة كلامهم وسياتي في كلام المص رحمه الله ما يوافقه ويروى ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام قال السيوطي سعد
في تخريجه هذا لم اجده وكذا قاله غيره قيل وهذا من قصوره ولم يرد على هذا
وهو غريب منه فقال ما يحزنك قال كذبني قومي لما حرف وجود لوجود او وجوب
لوجوب كما فصله النحاة والاكثر الافصح في جوابه عدم اقترانه بالفا وورد اقترانه
بها ومن يا باه يقدر لها جوابا يحذف وقوله حزن هو الجواب وحزنه واحزنه لغتان
شايعتان فصيحتان بهما جا التنزيل فقوله يحزنك يجوز فيه فتح اليا وضمها وقوله
كذبني بالتشديد وروي اكذبني وهي لغة ايضا واراد تكذيبهم حيث قالوا انما
جابه كاذب دون ان يقولوا انه كاذب او حيث قالوا انه كاذب واليه اشار المص
رحمه الله بما سياتي من انهم معترفون بصدقه صلى الله عليه وسلم قولا واعتقادا
ويروى او اعتقادا اشارة الى القولين السابقين كما مر فقال انهم يعلمون انك
صادق فانزل الله تعالى الاية فهو سبب النزول على احد القولين وفيه دليل على

ان المنفي في الاية العلم ففي هذه الاية منزع لطيف المأخذ منزع بفتح الميم والزاي
المعجمة وبالعين المهملة محل النزع مصدر ميمي بمعنى المفعول فسره التلمساني
بالماخذ ويرد بان ما بعده يابا ه فالمراد به شيء يرجع اليه قال في القاموس المنزعة ما يرجع
اليه الرجل من امره ورايه واقتصر عليه صاحب المغني والمنزع بكسر الميم السهم نزع النزع
في القوس نزعا وانتزع بمنزع اي سهم وفي المثل عاد السهم الى النزعة اي رجع الحق الى
اهله قاله الامام المرزوقي ولطيف الماخذ اي حسن دقيق اخذه واستنباطه منها
من تسليته تعالى له عليه الصلاة والسلام والطافه في القول قال البرهان الطافه
بكسر الهمزة في النسخ التي وقفت عليها مصدر من الطفه بكذا اذا بره به كما في الصحاح
والتسلية تطييب القلب بما يذهب حزنه ويفرج كربه ومن لبيان المنزع بتقدير انه
صادق عندهم قولا واعتقادا كما اشار اليه بقوله بان قدر عنده انه صادق عندهم
وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وكانوا يسمونه قبل النبوة
الامين النا سبقية اواليه وقدر بمعنى بين وحقق هذا التحقيق فقرر وثبت في نفسه لما
في الاية من بيان ذلك مؤكدا بان وجعلهم ظالمين جاحدين لما قالوه وكونهم غير مكذبين
له مر تحقيقه وسنسمعه قريبا ومراده روي ا واعتقادا اشارة الى القولين في الاية
قد روي ان الاخنس قال لابي جهل لعنه الله يوم بدر ليس هنا غيري وغيرك اخبرني
عن محمد اصادق هو ام كاذب فقال انه والله لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب
بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ثم انه قيل هنا ان
عدم الكذب يستلزم الصدق عند الجمهور فالاعتراف باحدهما كانه اعتراف بالاخر فلا
يرد ان عدم الكذب اعم وان ورد ان عدم نسبة الكذب اليه لا يستلزم نسبة الصدق
لجواز انه لا يعترفوا باحدهما ولو سلم فالاية فسرت بالنفي اعتقادا او قولا فمن اين تقرير
الامرين الا ان يقال ان المراد بعدم الكذب الحكم بعدم الكذب لانهم لم يسكتوا في حقه
وهو بمنزلة الحكم بالصدق فالمصنف جمع بين التفسيرين وهو عادته والاوجه ان عدم
التكذيب وان لم يستلزمه لكنه قد يكون كذلك فيحمل عليه بقرينة ما عرف منهم لا بطريق
اللزوم وهم وان كذبوه لكن منهم من لم يكذب في بعض الاحيان والاظهر ان المراد نفي
نفي التكذيب باحد الوجوه والتاويلات السابقة فلا ينافي التكذيب ظاهرا كما اشار
اليه البيضاوي وهذا غاية ما يمكن هنا انتهى ملخصا وقوله واعتقادا على نهج قوله
وزججن الحواجب والعيونا * وكلام النحاة فيه مشهور وتسميته صلى الله عليه وسلم
قبل البعثة بالامين مشهور في كتب الحديث وسمي يتعدى بنفسه وبالباء فقد وقع
هذا التعبير ارتماض نفسه بسمة الكذب الدفع بالدال المهملة منع الشيء قبل وصوله
وبعد الوصول يكون رفعا ولذا قالوا الدفع اسهل من الرفع وفي التعبير به اشارة
الى عدم تلبسه صلى الله عليه وسلم بما اضروه والتقريع براء مهملتين هو ما
تضمنه قوله بان قوله الخ وفي بعض النسخ التقدير بدال بدل الراء كما ذكره التلمساني
وقال ان الذي في اصل القاضي بالراء ومعناه على تلك النسخة قرض الشيء وتصويره
وبالراء بمعنى تبيينه وتمهيده وكل واحد منهما قريب من الاخر والارتماض براء
مهملة ساكنة واخره ضاد معجمة افتعال من الرمضاء وهي شدة الحر شبه بها

ما اشتهر

ما اشتد عليه واقلقه من الم قلبه والسمة العلامة واصلها وسمة فحذفت فاوه كعدة والمراد
وصفهم له بها والاضافة لامية او بيانية اي سمة هي الكذب في قولهم انه كاذب ثم جعل الذم
لهم تسميتهم جاحدين ظالمين فقال ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون اه عطف على قوله
وثم للتراخي الرتبي والاشارة الى بعد الذم عنه او هي للترتيب الذكري ولا حاجة لتجريدها
لمجرد العطف كما قيل والمراد بتسميتهم وصفهم بما ذكر وعبر به اشارة الى انه لكذا صار كالعلم
لهم وبين التسمية والسمة تجنيس وتسميتهم جاحدين لانه لما اخبر عنهم بانهم يجحدون
وكانه قال جاحدين وقدم الجحد مع تاخره في الآية لانه المقصود بالذكر ولان ظلمهم
هنا بجحدهم ولذا وضع الظاهر موضع المضمر ولم يقل ولكنهم تنبيها على ان جحدهم نشا من
ظلمهم الثابت فيهم لان ترتب الحكم على وصف يشعر بعليته ولذا عدل عن جاحدين
الى يجحدون وجحدهم بآيات الله اما انكار حقيقتها او انكار كونها من الله والباء فيه
لتضمين الجحد معنى التكذيب الآية قال في القاموس جحده حقه وبحقه
اذا انكره وهو يعلمه وهو نقيض خلافه فحاشاه من الوصم حاشا فعل ماض اي نزه الله عز
وجل النبي صلى الله عليه وسلم وبراه من الوصم بالصاد المهملة في اللغة مطلق
النقص والعيب والمراد به الكذب المذكور في الآية وطوقهم بالمعاندة طوق فعل
ماض من الطوق وهو ما احاط بالعنق ثم صار مثلا للزوم وقال في كشف الكشاف في
شرح قوله طوقتهم بها طوق الحمامة انه لا يقال الا للامر المذموم الذي لا يفارق
من اتصف به تخصيصه بالذم كقول حسان رضي الله عنه لولا سوابقك طوقتك بها
طوق الحمامة اي بهجو تبك اقول في اختصاصه بالذم نظر لما نقل في مرآة الزمان عن
حاتم الطائي انه قال لابنه لما ساله عن ابله التي نحرها للقرى وقال له ما فعلت الابل
فقال طوقتك مجد الدهر طوق الحمامة وعليه قول المتنبي

اذا قامت في الرقاب له اياد * هي الاطواق والناس الحمام *

والباء للتعدية وقيل انها للسببية بتكذيب الآيات حقيقة الظلم هذه الباء متعلقة
بالمعاندة وحقيقة منصوب مضاف للظلم مفعول ثان لطوق بمعنى جعلها كالطوق
في اعناقهم للزومها لهم ففيه استعارة مكنية وجعله حقيقة الظلم الذي هو وضع
الشيء في غير موضعه لانهم وصفوه صلى الله عليه وسلم بالكذب وهم كاذبون وعبر
عنه بالاسم الدال على الثبوت وكون اسم الفاعل للحدوث كما ذكره النحاة غير مسلم
عند اهل المعاني كما قيل اقول ما ذكره غير واضح لان اسم الفاعل انما يدل على الثبوت
اذا الحق بالاسماء كالمؤمن والكافر ولا خلاف في هذا بين النحاة واهل المعاني كما مر اذ
الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره ثم للتفاوت الرتبي والحقيقي كما مر وهذا
مما صرح به اهل اللغة في القاموس والصحاح وغيرهما جحد اي انكر مع العلم
فما قيل انه بعيد بعيد ووجه استبعاده انه يكون ممن جهل كما قاله ولذا ذكر
ائمتنا الحنفية في الاصول انه لو قال للخصم امقر انت ام جاحد فان قال لا مقر او
جاحد فقد اقر وينبغي ان يعتبد هذا بمن كان من اهل اللسان كقوله تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا الى هذه الآية اسند لا الى ما
ادعاه وقيل عليه انا لا نسلم دلالتها على مدعاه فانه لو قيل انكروها واستيقنتها

انفسهم كان صحيحا فيكفي لمدعاة النقل من ايمة اللغة كما مر ولذا ذهب بعض الشراح
الى انه تمثيل لا استدلال وفيه نظر واستيقن وتيقن بمعنى وقال الزمخشري
الاستيقان ابلغ من الايقان ولم يقل استيقنوها مع انه لبيان انهم اخفوا علمهم
واسروه لان فائدة ذكر الانفس انهم جحدوا بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم
وضمايرهم والعلو هنا بمعنى التكبر عن الانقياد للحق عنادا وفي شرح الصفوي
افود اليقين في اصطلاحهم الاعتقاد الثابت الجازم المطابق للواقع والعلو اعم فلو
اريد بالجحود الانكار مع العلم كما ذكره المص افاد قوله واستيقنتها معنى جديدا
على هذا الاصلاح فلا بعد فيما ذكره لكن اللغويون واهل العربية فسروا اليقين
بالعلم والاظهر حينئذ ان يكون المراد في الاية مجرد الانكار ليكون قوله استيقنتها
تاسيسا لا تاكيدا لما فهم ضمنا ولذا فسر كثير من المفسرين الجحود بالانكار واليقين
بالعلم ويمكن ان يكون مراد المص رحمه الله ان الجحود يطلق على الانكار ويشترط ان
يكون مع العلم وهو خارج عن مفهومه شرط لصحة اطلاقه وهو في الاية كذلك قطعا
لقوله واستيقنتها فيتم الاستشهاد بالاية بلا نزاع واستيقنتها التصريح بما
يمكن ان يفهم منه فتامله فانه دقيق انتهى قيل وهو مبني على ان الشاهد
والنادسيان في جواز وقوعهما بعد الكاف وبعضده مجيء الكاف للتعليل كقوله
واشكروه كما هداكم وعلى ان اليقين بمعنى العلم شرط خارج عن مفهوم الجحود
وانه انما يتم الاستشهاد على التقدير الاول لا الثاني مع انه لا يتم الاستشهاد
عليهما جميعا والحق انه تمثيل اقول اذا علمت ان حقيقة الجحد انكار عن علم فادعا
انه شرط خارج تعسف وجرءة والاية الثانية انما جابها المص رحمه الله للاستشهاد
المعنوي وبيانه انه تعالى قال في الاية الاولى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون
والدليل النقلي والعقلي دال على ان المراد انكار عن علم والا لم يكونوا ظالمين بجحدهم
لان الجهل قد يعذر صاحبه لكن لما كان فيهما خفا اتى بالاضافة الثانية لما فيها من
التصريح بانهم كانوا عالمين بالاستدلال بمعناها لا بلفظ الجحد فيها كما توهموه
فوقعوا فيما وقعوا فيه نعم في ذكر اليقين تاكيد ان لم يكن اخص من العلم وهذا
ظاهر فانظر كيف خفي على من يدعي انه مبيضة البلد ثم عزاه واسنده بما ذكره عمن
قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل الاية التعزية من العزا وهو الصبر
ومعناها تسلية المصاب بما يخفف حزنه قال

اي النفس سكناها في السما فعز الفؤاد عزا جميلا
وتحسن في العزى مما يقع عند الموت كقول ابي فراس
كن المعزي لا المعزى به ان كان لابد من الواحد

وقوله واسنه بفتح الهمزة من غير مد وتشديد النون او بالمد وتخفيفها
اي اذهب وحشته وقلقه مما القيه منهم ورجح الاول لمشاكلته لعزاه وقوله
ووعده النصر في الاية لقوله فيها ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على
ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله اي مواعيده بنصر
انبيائه واوليائه لقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون

وقوله فيما انا لننصر رسلنا والوعد فيما له ولهم ظاهر ولا حاجة لما قيل ان في هذه
الاية دليلا على تحقق مقام النبوة فانه غني عن البيان وقوله بما ذكر ممن قبله روي عمن
كان قبله اي يهون عليك واصبر حتى ياتيك النصر فقد كذب اخوانك وصبروا حتى نصروا
وهذه الاية تدل على ان نفي التكذيب في الاية السابقة ليس على الاطلاق كما ذكره
البيضاوي ويحتمل ان يكون المعنى هون عليك جحودهم لايات الله وما جئت به واصبر
فان اخوانك قد كذبوا واوذوا حتى نصروا فلا تدل الاية على ما ذكر وقد قيل في معنى الاية
انها كقول السيد لعبده ما اهانوك ولكن اهانوني قاصدا تعظيم الامر وتقريره فان اهانتك
اهانتي لا نفي الاهانة وهو كلام حسن جدا فمن قرا لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك
كاذبا وهي قراءة نافع والكسائي من الكذب كالبخل اذا وجده كاذبا وبخيلا وهذا احد معنى
صيغة الافعال كما ذكره النحاة في ابنية الفعل ومعناه ان صيغة الثلاثي موضوعة
لاتصاف الفاعل بالحدث فاذا دخلت عليها الهمزة كان لمعاني اخر منها وجدان الفاعل
للمفعول متصفا بالحدث الذي دل عليه الثلاثي وهو معنى حقيقي ومعنى هذه
الصيغة ويلزم من كونهم لا يجدونه متصفا به انهم لا يعتقدون كذبه سواء قالوا انه
كاذب ام لا ففيه تسلية له صلى الله عليه وسلم ايضا وقال الفرا والكسائي لا يقولون
انه كاذب الفرا هو الامام ابو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الاسلمي الدولي
الكوفي النحوي اللغوي المفسر كان ابرع الكوفيين واعلمهم بفنون الادب وتفسيره من
اجل التفاسير وعليه اعتماد الزمخشري توفي سنة سبع ومائتين بطريق مكة وعمره
ثلاث وستون سنة وانما لقب بالفرا لانه كان فصيحا مفريا الكلام ومفصله فليس نسبة
للفرا لعملها او بيعها والكسائي هو ابو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن
فيروز الاسدي الكوفي احد القرا السبعة امام النحو واللغة والقراات عاش
سبعين سنة ومات صحبة الرشيد في سنة تسع وثمانين ومائة برنبويه قرية
من قرى الري وقيل بطوس والذي لقبه بالكسائي حمزة شيخه لانه كان يحبه
ملتفا بكسا وقيل لانه احرم في كسا ولما لم يجد هذا المعنى السابق في كتب النحو
المشهورة السيد الشريف قال هنا ان هذا بنا على ان اكذب يكذب للنسبة كما صرح به
الامام والقاضي او ان معناه بين كذبه كما في القاموس ويؤيده ما نقله الواحدي
عن الفرا ان معناه لا يجعلونك كذابا بل يقولون ان ما جئت به باطل وفي الصحاح
نقلا عن الكسائي ان اكذبته بمعنى اخبرته انه جا بالكذب وهو لا يوافق المنقول
وبالجملة ان في هذه النقول اضطرابا وتبعه ابن الحنبلي في شرحه وهو كله من قصر
الباع وقلة الاطلاع فان هذا المعنى صرح به ائمة العربية قال ابن عصفور في كتاب
المبع من معاني افعل التسمية كقولهم اكفرته واخطاته اي سميته كافرا ومخطيا
انتهى وهو معنى النسبة في العرف لانهم يقولون نسبه للزنا اذا قال انه زان
فالاضطراب انما هو من عدم الوقوف على الصواب وقيل لا يحتجون على كذبك
ولا يثبتونه عطف تفسير لان معنى يحتجون يقيمون حجة مثبتة لما ادعوه
وفي بعض النسخ لا يجمعون قيل كانه تفسير باللازم فان من معانيه لا يجعلونك
كاذبا والجعل انما يكون اذا اثبتوا كذبه فيلزم من نفي الجعل نفي الاحتجاج

ومعناه على النسخة الاخرى ان منهم من يعرف بطلان قوله فلا اعتداد به لانه
لايناسب قوله ولا يبنئونه اقول الصحيح الاول وتوجيهه ان افعل يكون للدلالة
على الشيء والايصال اليه وهو انما يكون بالبيان والحجة لا بما ذكره قال في المنتخب
تقول ابصره اي دله على وجود المبصر واغفلته وصلت غفلته اليه واما على النسخة
الاخرى فالمعنى ظاهر وبما قررناه علمت سقوط ما قيل من ان هذا التفسير لايناسب
المقام ولا يلائم الجحد ومن قرا بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب كقولهم فسقته
اذا نسبته الى الفسق وتممته اذا نسبته لبني تميم وهذه المسئلة اعم من النسبة
المصطلح عليها وهذا على الوجوه السابقة وقيل لا يعتقدون كذبك وهذا
توفيق بين ما ورد فيها التصريح بتكذيبهم له صلى الله عليه وسلم وبما في هذه الاية
من نفي لم لايكذبونك بان المثبت قولهم والمنفي اعتقادهم لمعنى ما قالوه واورد
عليه بان الاعتقاد المنفي لايخلو من ان يكون جازما وغير جازم فيكون عين التفسير الاول
وحكايته تقتضي انه غيره او غير جازم بان يظنوا صدقه ويتوهموا كذبه وهذا مما
يشق عليه فليس فيه تطمين له كما في الاول ورد بان المراد الاول بلا شبهة واحتماله
الثاني بعيد وقصد المص تعدد ما قرره نقل اقوال المفسرين في القرائتين ليتنزل ما
قاله عليه بدليل تفريعه عليه بالفاء في قوله فمن قرا الخ والمعترض توهم ان ما هنا
مخالف ومغاير لما قبله فقال ما قال والظاهر انه لا اختصاص لهذين القولين بقراءة
دون قراءة ولو قيل بالاختصاص لم يكن فيه باس فان منهم من جعل القرائتين بمعنى
كما قالوا قللت واقللت وكثرت واكثرت ولك ان تقول المعنى على هذا التقي تكذيبهم
مطلقا لجعل ما قالوه بمنزلة العدم لعلمهم بخلافه كما قيل في قوله تعالى
لا ريب فيه مع كثرة المرتابين فيه وهذا ابدل على انهم معترفون بصدقه اعتقادا
فقط الا ان قولهم بمنزلة العدم وما قرره المص وارتضاه مبني على انهم معترفون
بصدقه حقيقة قولا واعتقادا فلا غبار عليه ومما ذكر من خصائصه صلى الله
عليه وسلم وبر الله به الخصائص جمع خصيصة وهي ما خص به دون غيره تمييزا
له صلى الله عليه وسلم وتفضيلا له على غيره كما مر والى هنا اشارة الى كثرتها
حتى افردت بالتاليف وبر الله به احسانه ولطفه كما مر ان الله تعالى خاطب جميع
الانبيا عليهم الصلاة والسلام باسمائهم فقال يا ادم بدا به لانه ابو البشر
صلى الله عليه وسلم لتقدمه عليهم وهو علم ممنوع من الصرف بالاتفاق
للعلمية والعجمة ووزنه فاعل كآزر وعازر وجمعه اوادم وادمون وقيل
انه عربي مشتق من اديم الارض او من الادمة لون بين السواد والحمرة واصله
على هذا ءادم بالهمز فابدلت الثانية الفا ووزنه افعل ومنعه من الصرف
للعلمية ووزن الفعل ومن الغريب ما قيل انه منقول من فعل رباعي كما حكي
عن الطبري وفيه نظر يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى وروي
تقديم يا عيسى على ما قبله وهذه الاعلام وقوع الخطاب بها في القران كقوله
يا ادم انبئهم باسمائهم غني عن البيان ولم يخاطب هو بصيغة المجهول وضمير
هو للنبي صلى الله عليه وسلم اي لم يخاطبه الله في القران باسمه وفي نسخة لم

يخاطبه

يخاطبه بالنبا للفاضل والضمير وقيل هي الاولي ولا وجه له الا بعبارة في ندايه دالة على
تعظيمه وملاطفته لمنزلته عند ربه كقوله يا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها
المدثر معبرا بالنبي والرسول معلوم وقدم النبي لانه اعم كقوله تعالي يا ايها النبي حرض المؤمنين
على القتال يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا
يا ايها المدثر قم فانذر وقيل الخاصة انما هي عدم الخطاب بالاسم وجعله خاصة بحسب الظاهر
المشهور لئلا يشكل بما سيجي من اذا يا سين بمعنى يا محمد وغيره مما قيل في طه ايضا فيعتذر عنه
بانه بناء على عدم ثبوت هذا او في العدول عن الاسم الى الصفات الحسنة تعظيم في العرف
يعرفه كل احد وفي شرح التجاني انه صلى الله عليه وسلم لم يذكر باسمه في الندا وذكر
في الخبر كقوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول لانه ورد مورد التعيين والتعلم
لان صاحب هذا الاسم هو الرسول ونحو قوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لما
لم يرد هذا المورد لم يذكر اسمه والمزمل اصله المتزمل اي الملتف بثوب ونحوه وفيه
تفاسير اخر والمدثر اصله المتدثر اي لابس الدثار وهو البرد الذي فوق الثياب
وفيها تلميح الى قوله لخديجة رضي الله عنها حين رجع من حراء زملوني زملوني
وفي رواية دثروني والقصة مشهورة في كتب الحديث اي غطوني وذكر المدثر
والمزمل للملاطفة والتانيس على عادة العرب بخطابهم بما يدل على حاله حين
الخطاب كقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه يا ابا تراب لما راه نايما
عليه فلو ناداه سبحانه باسمه وبامر عار عن مثل هذه الملاطفة وفواده يرجف
شفقة عليه فلذا ابداه بما يونسه وفيه نكتة ذكرها الامام السهيلي وذلك انه
صلى الله عليه وسلم قال انا النذير العريان وهو مثل للعرب تمثل به النبي صلى
الله عليه وسلم وكان يقوله من بالغ في الانذار بقرب العدو لان المستغيث كان
يتعرى ويرفع ثوبه ليرى من بعيد لئلا يسبق العدو صوته وقيل اصله ان رجلا
سلبه العدو وخافوه فانذر على تلك الحال فقوله يا ايها المدثر قم فانذر وقوله
انا النذير العريان اي مثلي مثله وفيه اشارة الى ان النذير بضد الدثير ففيه
تلميح وتلميح وتطرف للملاطفة كما في الاستعارة التلميحية التي ذكرها اهل
المعاني وان لم يكن منها وما ذكره المص رحمه الله في خطاب الله له باسمه في القران
فلا يرد عليه كما توهم خطاب الله له بقوله انك لا تهدي من احببت وقوله له في
الحشر ارفع راسك وقل يسمع لك يا محمد ولم يقل يا ايها النبي ويا ايها الرسول
وان قيل الحكمة فيه انه اخصر ففيه سرعة اجابته وتطويل الكلام غير مناسب
في مقام الاذن في الشفاعة وقال السيوطي ان الله شرف امته صلى الله عليه وسلم
بخطابهم في القران بقوله يا ايها الذين امنوا وخاطب الامم السالفة بيا ايها المساكين
واعلم انه قال في الامتاع ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه لا يجوز
لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا احمد يا محمد بل يقول يا نبي الله يا رسول الله
لقوله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا وقوله ولا تجهروا
له بالقول كجهر بعضكم لبعض وبهذا فسرهما مجاهد والضحاك ومقاتل
وسعيد بن جبير واجيب عن قول الاعرابي يا محمد انا نا رسولك الحديث

بانه قبل النبي اوهو مقدر منه قبل اسلامه وهل مثله الكنية نحو يا ابا القاسم فيه نظر
انتهى وياتي الكلام على ذلك والظاهر ان ذلك مخصوص من خطاب المشافهة في حضوره
حال حياته الفصل الرابع في قسمه تعالى بتعظيم قدره وفي نسخة عز وجل صلى الله
عليه وسلم وفي نسخة تسليما والقسم يكون بمعنى الاقسام وهو الاتيان بالقسم وهو
المراد ويكون بمعنى المقسم به وقال النحاة انه مصدر ليس بجار على فعله وقياسه
الاقسام وهو في عرفهم جملة انشائية يؤكد بها جملة اخرى لا على جهة التبعية قال
تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون المقصود من هذا الفصل بيان القسم نفسه لا المقسم
عليه كما في الفصل الذي بعده فتغايرهما والفرق بينهما ظاهر فالباء في بتعظيم قدره با
القسم لا لسببية حتى تتداخل الفصول فتحتاج لارتكاب تكلفات في الفرق بينهما وتعظيم
قدره اما بمعنى قدره العظيم او للاضافة بيانية والمقسم به حياته وذاته ونحوهما
والمقصود من القسم به تعظيمه وتقرير المقسم عليه في الذهن وتمكينه والعرب
من عادتها ان تقسم بالشيء اذا ارادت تعظيمه حتى تجعل الجمل قسما من غير حرف القسم
وهذا هو القسم الذي عدوه من انواع البديع كقوله

بقيت وفري وانحرفت عن العلى * ولقيت اضيافي بوجه عبوس
ان لم اشن على ابن حرب غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس

قال المص وفي هذا من الاقسام البليغة ولفظه لفظ الخبر وظاهره الدعاء ومضمونه
القسم وكرر هذا في مواضع من شرح الحماسية واشار اليه الزمخشري وقل من تنبه له
وهذه الاية في قصة لوط عليه الصلاة والسلام وما ذكره المص رحمه الله مبني
على ان هذا الخطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم على احد الوجهين فيها وفي الكشاف
انه على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط عليه الصلاة والسلام لعمرك
وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجح الاول لانه المناسب للسياق
ورجح المص رحمه الله الثاني لانه تعالى لما قص عليه قصته بتمامها الى قوله
هؤلاء بناتي ان كنتم خاطبه ببيان ما هم عليه من العمى مقسما بحياته واختاره
لموافقته لمقتضى الحال وضمير انهم لقوم لوط وسكرهم غفلتهم وغلبة الهوى والسهو
عليهم حتى صاروا سكارى لا يميزون الخطا من الصواب ويعمهون يتحيرون
لعمى بصائرهم والعمى في البصر والعمه في البصيرة كما مر وفيه استعارة تحقيقية
مرشحة بالعمه وتشبيه تمكنهم في الغفلة المحيطة بهم بتمكن المظروف في الظرف
لانهم لم يفدهم النصح للانهماك طبايعهم وخسة انفسهم ففيه استعارة اخرى
تبعية حرفية وقيل ان ضمير انهم لقريش وقال النحاس انه بعيد لانقطاع
الاية به عما بعدها وما قبلها ولذا قيل ان الجملة على هذا معترضة وعبر بالمضارع
حكاية للحال الماضية او لتشبيه الماضي بالحال فتدبر اتفق اهل التفسير في هذا
الكلام او اللفظ الذي هو لعمرك انه قسم من الله جل جلاله هو اسناد مجازي
كجد جده وسعد سعده كما مر وتحقيقه في كتب المعاني بمدة حياة محمد
صلى الله عليه وسلم المدة بالضم مقدار من الزمان قليلا كان او كثيرا من مده
اذا بسطه وفي بعض الشروح القسم للتعظيم اذ لم يقسم بحياة احد غيره سوق

للاخبار بقبايح قوم لوط عليه الصلاة والسلام واهلاكهم تنبيهًا على ان من كان هذا دابه
لم ينفع نفسه ونبيهوا عن ارتكاب مثله من المفاسد ودعوي المصنف رحمه الله الاتفاق
دعوي بكينتها غير مقبولة لقول جماعة من المفسرين انه قسم بمدة حياة لوط عليه الصلاة
والسلام اذ قالت له الملايكة ذلك بشهادة السياق انتهي وكذا القول بانه تعالي لم يقسم
بمدة حياة احد غير محمد صلي الله عليه وسلم علي ما ياتي وقيل ايضًا العمر مطلق الحياة اي
سوا كانت المدة بتمامها او بعضها وقيل المراد البقا فلا اتفاق ايضًا علي احدهما الا ان يريد
بمدة الحياة معني يشملهما وفيه نظر **واجاب** بان المراد اتفاق من عليه
المدار ولو عند المص لا يجري نفعًا كالقول بان الاتفاق انما هو علي الفصيحة ولو قيل المراد
باهل التفسير مفسرو السلف الذين اقتصروا علي التفاسير الماثورة كابن عباس رضي الله
عنهما لكان وجيهًا وعلي هذا فتاخيره وحكايته بقيل غير مناسب وعلي كل حال فالكلام لم
يخلو من الكدر واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال قال ابن مالك رحمه
الله في باب المبتدا والخبر يحذف الخبر وجوبًا اذا كان المبتدا صريحًا في القسم ومثلوا له بقولهم
لعمرك لافعلن كذا اي لعمرك قسمي او ما اقسم به قال الدماميني في شرح التسهيل جواب
القسم ساد مسد الخبر والعمر والعمر بمعني ولا يستعمل مع اللام الا المفتوح لان القسم موضع
التخفيف لكثرة استعماله واحترز بالصريح عن نحو عهد الله فيجوز حذف خبره واثباته
لانه غير صريح في القسم واستشكله شيخنا ابن قاسم بان الفقها صرحوا بانه كنايه
لا تنعقد به اليمين الا بالنية وقالوا المراد بالعمر البقا والحياة **واجاب**
بان المراد بصراحته الاول اشتهاره بالحلف مطلقا في استعمالهم واراده وابتني كونه يمينًا
الله لا ينعقد به شرعًا وقالوا في باب القسم يقال عمرك الله بنصب عمر ويجوز في الله النصب
والرفع وعمر مصدر محذوف الزوايد لان فعله عمر بالتشديد ويقال عمرتك في القسم
ايضًا ومعناه ذكرتك بالله او عمرت قلبك بذكره قال الشاعر
ايها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان
وفيه كلام في شروح الكتاب لا يسعه هذا المقام وقال السيوطي في مختصر نهاية ابن
الاثير المسمي بالدر النثير في الحديث حرجوا عمارا اي معتمرين جمع عامر من عمر بمعني
اعتمر وان لم يسمع غير ناسمعه قاله الزمخشري وعمرك الله اي اساله ان يطيل
عمرك والعمر بالفتح العمر ولا يقال في القسم الا بالفتح ولعمر الهك قسم ببقا الله ودوا
انتهي وفي شرح الصفوي قال في المواهب انه قسم عند الحنفية والمالكية وكناية
عند الشافعية واللام لتاكيد القسم والفم جوابه ووقع في بعض النسخ بفتح العين
وجعل الفتح اصلا لم يذكره اهل اللغة لكن في تفسير القاضي ان الفتح لغة في الضم
وهو يشعر بما ذكره المص انتهي ملخصًا ومثله في شرح النجاتي وقال ان المص رحمه
الله لم يحقق هذا الموضع وفي التقريب في شرح الغريب العمر بضم وبفتح البقا
الحياة وهو يشعر بعكسه اقول هذا اما قاله الشراح برمته وهو لم يصف من
الكدر وتحقيق هذا المقام علي وجه ينفض عنه غبار الاوهام ان العمر بالفتح
مصدر عمر المشدد واصله التعمير بحذف زوايده وله معنيان تعمير الله
اياك او قلبك وهو علي هذا صفة من صفات الله فيصح القسم به حقيقة وهذا

ما جنح له ساداتنا الحنفية والنحاة والعمر بضم العين بالانسان وهو مدة وجوده في الدنيا
ولا يصح القسم به شرعا لكن الله له ان يقسم بما شا كقوله والضحي والليل اذا سجي والفتح
اشكل في هذا المعني لاختصاصه به في غير القسم فاذا اريد بالمفتوح هذا لا باس ان يقال
انه من قبيل معناه او معقود به عنه ويؤيده ما في شرح ادب الكاتب انه سمع نادرا
لعمرك بضم العين واذا لم يرد هذا المعني في قسم الناس صح ان يقال انه كناية لتوقفه علي
النية كالمشترك واما العرب فيقسمون بما ارادوا فلا منافاة بين ما ذكره النحاة وما ذكره
الفقها ولا حاجة لما قاله سيخنا مع ما في قوله لا يعتد به شرعا من الوهم وبهذا اتضح
ما قاله القاضي ومعناه وبقايك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك المتاجلة
حياته في الدنيا وتمام عمره والحياة اعم منه لصدقها علي البعض والكل فالمغايرة بينهما
ظاهرة والعيش له معان في اللغة منها الحياة فان فسر به هنا كانت المغايرة بينه وبين
ما بعده لفظية ولذا فسره التلمساني به هنا لئلا يتكرر مع ما بعده وقيل انه بعيد ولو
فسر بالمعيشة في دنياه وجعل عبارة عن الزهد والتقشف لم يبعد وقيل المراد معيشته
الواسعة الفايضة علي غيره فهو عبارة عن سخايه وجوده وهذه التفاسير كلها ماثورة
عن ابن عباس رضي الله عنهما من طرق مختلفة ونقل الاخفش معني اخر وهو وحقك علي
امتك قيل وعرض لوط صلي الله عليه وسلم بناته انما هو اشارة الي نسا امته لانه كالاب
لهم اي ان كنتم تريدون قضا الشهوة فعليكم بالحلال ولو حمل علي ظاهره من تزوجهم بناته
لا مانع منه وقيل المراد دوام ابد الاباد معه كما قيل
واما المرء حديث بعده • فكن حديثا حسنا لمن وعا
وهو بعيد ومن الغريب ما نقل عن مجاهد ان المعني لعمرك من قولهم لعمر الله اي الجبلة
والمعاني التي ذكرها حقيقة لتصريح اهل اللغة بها فلا وجه لدعوي التجوز فيها وهذه
نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف تانيث الاشارة لانها للكلمة المقسم بها او باعتبار
الخبر وانما كان كذلك لان العظيم اذا قال لاحد عبيده وحياتك كان ممتلا طفة وتكرما
فكيف برب الارباب في مثل هذا الكتاب وقيل وجه كونه نهاية التعظيم كون ربه
اقسم به وقيل انه بخصوص القسم بالحياة لانه في العرف يدل علي كمال الالفة والمحبة
كما يشهد به الذوق والطبع السليم فتامله وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله
وما ذرا وما برا نفسا اكرم علي الله من محمد صلي الله عليه وسلم الخلق الايجاد وذرا
وبرا بالهمزة فيهما وان كان بمعناه فيكون ذكرهما للتوكيد وقد يفرق بينهما بالاعتبار
بان يكون ذرا من الذرية وبرا بمعني صور اي لم يوجد احدا اشرف منه ذاتا ونسبا
وصورة اكرم من محمد صلي الله عليه وسلم وقد عرفت فيما سبق ان مثل هذه
العبارة يفيد انه ليس احد افضل منه ولا مساويا له وقد حققناه قبل هذا
ودخل فيه الملايكة عليهم الصلاة والسلام مطلقا حتي خواصهم كجبريل عليه
الصلاة والسلام بناء علي المذهب الحق انه صلي الله عليه وسلم افضل منهم
ولا عبرة بمن اختار خلافه كالزمخشري وغيره من المعتزلة وقد سيل بعض
العصريين ممن يقول بتفضيل الملايكة علي البشر علي الاطلاق هل يفسق بذلك
فاجاب لان عني هذا القايل بالاطلاق دخول المصطفي صلي الله عليه وسلم في ذلك

تلمساني

هذا

فهذا المرفوق الفسق لمخالفته للاجماع وان عفى عنه بمن عداه صلى الله عليه وسلم فالخلاف
فيه مشهور والامساك اسلم كما قال الشافعي رضي الله عنه لما سئل عن مثل ذلك كنا نتكلم في
الاصول فصرنا نتكلم في الفضول فقيل له اجزم بالصواب من الجواب فقال هذا باب
عظيم المضارع يخشى على صاحبه من المقارع والمسئلة طويلة الذيل وما وقع من صاحب
الكشاف في سورة التكوير من تفضيل جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام فهو خرق
لاجماع من يعتد باجماعه وقد تصدى للرد عليه فيه ابن خليل السكوني وغير واحد
فليحذر كلامه اعني الكشاف كم له من امثال هذا مما يخالف السنن القويم انتهى وسيجيء
تحقيقه الا ان بعض الشراح تعقبه المص بانه لو قال ذو روح كان اصرح في
تفضيله على الملائكة عليهم الصلاة والسلام اي لان النفس ربما يقال انها لا تطلق
عليهم لتفسير بعض اهل اللغة لها بالجسد وان جاز تفسيرها بالروح فانه احد
معانيها وعلى هذا يتجوز او يقدر في قوله من محمد من نفس محمد كما قيل وما سمعت ايه
قيل المراد ما علمت من اطلاق المسبب على سببه اي استماع فقد يفيد الحصر وقيل انه
هنا من النواسخ الداخلة على المبتدا والخبر على ان المفعول الاول مضمون الخبر المضاف
الى المبتدا واليه ذهب الرضي وغيره في فعل السماع الداخل على الذوات كسمعت زيدا
يقول كذا بشرط كون الخبر مما يسمع والتقدير ما سمعت اقسام الله لا من نبي ولا من
كتاب بنبي وقصره على الثاني قصور والجملة مبينة للمعذرة وفيه انهم شرطوا فيه
ان يكون السماع بغير واسطة كما صرح به في حواشي المطول وفيه كلام فصلناه
في طراز المجالس فتم بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم وفي بعض النسخ غيره
ومعد ما ذكره هذا ابن عباس رضي الله عنهما تلي الاية لعمرك الخ وكلمة غير مجرورة صفة
احدا وبدل منه الا انه على هذا كما قيل لا يفيد انه اقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم
وانما يفيد انه لم يقسم بغيره ولذا تلي الاية ليستفاد منها المعنيان معا بخلاف
ما لو نصب على الاستثنا فانه يفيدهما صراحة ولا وجه له فانه يفيدهما على الوجهين
بقرينة السباق كما مر في قوله ما خلق نفسا اكرم من محمد واما احد فقال شراح
الكشاف في قوله لا نفرق بين احد من رسله انه يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث وهو في حيز النفي يعم القليل والكثير مجتمعا ومنفردا بخلاف الواحد فانه
يقال ما في الدار واحد بل اثنان ولا يقال مثله في احد وذكر التفتازاني وقال
معناه ما ذكره اهل اللغة من ان احدا اسم لمن يصلح ان يخاطب فيستوي فيه
الواحد المذكر وغيره واذا اضيف اليه بين واعيد اليه ضمير جمع ونحوه فالمراد به
جمع من الجنس الذي يدل عليه الكلام فمعنى لا نفرق بين احد لا نفرق بين
جمع الرسل ومعنى فما منكم من احد ما منكم من جماعة وكثير من الناس يسهو
فيزعم ان معنى ذلك انه نكرة وقعت في سياق النفي فعمت فكانت بهذا الاعتبار
في معنى الجمع كسائر النكرات وفي التلويح نقلا عن النحاة انك اذا قلت خذ
احد هذين فالهمزة منقلبة عن واو ويستعمل في الاثبات واذا قلت ما جاءني
احد فالهمزة ليست منقلبة عن واو ولا يجوز استعماله في الاثبات وهذا مشكل
لان اللفظين صورتهما واحدة وفي معنى الوحدة موجودة فيهما والواو فيها

ابن الفرس

ابن الحنبلي

وطي وابن الحنبلي

اصلية فيلزم قطعًا انقلاب الالف عنها فيهما وان يكونا مشتقين من الوحدة واما جعل
احدهما مشتقا منها دون الاخر فترجيح من غير مرجح ولم ار من تعرض لهذا الا حتى رايت
العلامة القرافي قال في كتابه العقد المنظوم في الفاظ العموم اجاب عنه بان احدا
الذي لا يستعمل الا في النفي معناه انسان باجماع اهل اللغة واحدا الذي يستعمل
في الاثبات معناه الفرد من العدد واذا كان مسمى احد اللفظين غير مسمى الاخر
غايره في الاشتقاق فاية مناسبة بين اللفظين في الحروف والمعنى ولا يكفي فيه
احدهما فعلم من هذا ان احدا الذي لا يستعمل الا في النفي ما هو واحد المستعمل
في النفي والاثبات فان وحدته المقصود منه انسانية هو الاول والفه ليست منقلبة
عن واو وان كان المقصود منه نصف الاثنين فهو الصالح للنفي والاثبات والفه
اصلية انتهى وفيه بحث وقد اشار الى هذا هنا بعض الشراح ولم يهتد به وقال
ابو الجوزا بفتح الجيم وواو ساكنة وزاي معجمة يليها المد ولهم ابو الجوزا ايضًا
غير هذا وابو الحوزا بالمهملتين راوي حديث القنوت وهذا اسمه اوس بن عبد الله
الربعي البصري يروي عن عائشة رضي الله عنها وصفوان بن عسال رضي الله عنهما
وغيرهما وهو ثقة كما قاله الحاكم واخرج له السنة وتوفي سنة ثلاث وثمانين
مقتولا في الجماجم ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم
البرية عنده صلى الله عليه وسلم قيل غيرها منصوب على الاستثنا وقد سمعته
القامع ماله وعليه وقدمه ايضا ان عند ظرف مكان فلا يضاف اليه تعالى حقيقة
وورد في القران لمعان منها الحكم والعلم كما في اية الافك في قوله كان عند الله
عظيما وقد يراد بها القرب ورفعة المرتبة وهو يكون بالثواب على انواعه
ويصح ارادة كل منها هنا والبرية الخليقة من برا النسمة فيجوز همزه وتخفيفه
والثاني افصح واكثر وهو يدل على انه غير مقتبل من البرا بمعنى التراب كما
ذهب اليه بعض اهل اللغة نزاله قيل ان الاكرمية لا تقتضي حصر القسم فيه
دون غيره ولا قصرهما على حياته دون ذاته فالتعليل غير تام الا ان يقال
عادة العرب لمن احبوه وعظموه ان يقسموا بحياته دون ذاته فان القسم
بالذات انما يقتضي العظمة والشرف ولا يلزم من التعظيم القسم ولا التخصيص
به فان القسم مطلقا قد يتعدد المقسم به وقد يقسم بالفاضل مع وجود الافضل
وكون الاكرمية تقتضي التخصيص ببعض الامور فلذا اخص بما ذكره لانها
تقتضي هذا الخصوص مع لا يخفى ما فيه اقول هذا كله من التعسفات التي لا حاجة
اليها فانه فيما ذكرتم بما وتعظيما خصه الله به على ما اختاره المص رحمه الله
فلا يحتاج الى اقامة برهان منطقي عليه وكاليقين ضيق العطن وانما تعرضت له
لئلا يظن ان في التسويد ارجاف واكرم من الكرم وهي صفة جامعة لكل خير
ويقال هذا اكرم على اي هو عزيز عظيم في قلبي ونظري وهو في العرف
يختص بالجود وليس بمراد هنا لانه بمعنى انه اكثر جامعية لكل خير عنده
وقال تعالى يس والقران الحكيم الايات لم يصرح بتعيين الايات لانها
لتبيين مما نحن فيه بل باعتبار المقسم عليه من الفضل التالي ولم نذكرها

هناك

في التعبير

هناك اكتفا بما ذكره هنا وتفننا في التصريح ببعض المقاصد والتلويح لبعضها والتفنن
في الطريق فن من فنون البلاغة وسيأتي في اسمايه صلى الله عليه وسلم ما يتعلق بيس
اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي رحمه الله تقدم الكلام في ترجمته
والاقوال فيه كثيرة حكى منها بعض الشراح ستة وهي ان معناه يا سيد او يا انسان
في لغة طي كما يأتي او هو اسم من اسما الله لانه السيد الحقيقي او يا محمد او يا رجل او هو
اسم من اسما القران كله او سورة منه وما عدا الاخير في كلام المص وفيه قراات فتح اليا
وكسر النون وفتحها وكسر اليا واظهار النون وهل هو معرب او مبني وجهان ايضا ومعنى الحكيم
ذو الحكمة او الحكيم صاحبه او المحكم انتهى وكونه بصيغة المجهول وفي تخريج الشيخ قاسم انه اخرجه
ابن عدي في الكامل من حديث علي وجابر واسامة بن زيد وابن عباس وعايشة رضي الله عنهم
وفي سنده مقال وقال السيوطي انه رواه ابو نعيم وابن مردويه باسناد فيه ابو يحيى
الوضاع وسيف بن وهب وهو ضعيف ولكن سيأتي عن قتادة مرفوعا وتعدد طرقه
قد يجبر ضعفه وليس مما يتعلق بالاحكام عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لي عند ربي
عشرة اسما تقدم ان عند الله بمعنى في علمه بالمعنى انه هو الذي سماه به لاعتنايه
به وتكريمه ولذا قال ربي دون الله والعدد لا مفهوم له فلا ينافي الزيادة واليه اشار
بقوله ذكر ان منها طه ويس وورد تسميته بهما في لسان العرب كقول السريعي الحميري
يا نفس لا تمحض بالنصح جاهدة ❁ على المودة الا آل يسينا ❁
اي الا آل محمد صلى الله عليه وسلم وزاد قوله ذكرا ما لان في الحديث زيادة على ما ذكراو
لانه لم يحفظ لفظه بعينه وطه قيل معناه يا رجل وقيل اصله طاها اي الارض
وسيأتي الكلام عليه اسمان له اي هما اسمان له صلى الله عليه وسلم بحذف حرف الندا
او القسم ويجوز على بعد ان يكون خبران وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر
الصادق انه اراد يا سيد فيه اطلاق السيد على غير الله وقد قيل بامتناعه لحديث
رواه البيهقي مسندا في كتاب الصفات عن مطرف قال انطلقت في وفد بني عامر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا انت سيدنا فقال السيد الله الخ وتحقيقه
ان فيه للسلف اربعة اقوال الاول وهو الصحيح انه يجوز اطلاقه على الله وعلى
غيره مطلقا فاذا اطلق على الله فمعناه العظيم المحتاج اليه وفي غيره بمعنى الرئيس
المتبع وله شواهد من الكتاب والسنة وكلام العرب الثاني وهو منقول رحمه الله
انه لا يطلق الا على غير الله اذ لم يثبت اطلاقه عليه في الاحاديث المشهورة ولانه
من السودد وهو الرياسة على قومه وفخره ولذا لما اطلق على الله فسروه بغير
هذا كما مر الثالث انه مختص بالله لان معناه المحتاج اليه المتصرف على الاطلاق
وهذا لا يليق بغيره تعالى الرابع التفصيل في المعرف بال فيختص بالله وغيره
يجوز اطلاقه عليه وعلى غيره فان قلت ما تصنع بالحديث السيد هو الله المفيد
للحصر بتعريف الطرفين قلت اذا ثبت وصف لشي واريد سلبه عن غيره حقيقة
او ادعا فلهم فيه طرق الاول التصريح باداة الحصر كقولك لا معبود الا الله
الثاني ان يعرف الطرفان وهو في معنى ما قبله الا ان فيه ايما الى ذكا المخاطب
لاستغنايه عن التصريح فقد يكون ابلغ من الاول الثالث وهي احق طرقه ان

يجعل من اثبته الزايغ له الصفة على من هي له حقيقة فيقال لله هو الذي يصرف الامور للدهر الدهر هو الله اي لا تصرف لغير الله في جميع الامور سوى الدهر وما سواه فاثبت التصرف كله لله ونفاه بطريق برهاني عما سواه على حد قوله ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وهو نوع من اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر يسمى التلويح فصله عبد القاهر في دليل الاعجاز وهو مذكور في الكتاب اي كتاب سيبويه رحمه الله كقولهم عتابه السيف وتحية بينهم ضرب وجيع وما نحن فيه ان جرى على ظاهره نوع من هذا القبيل فلا دليل فيه وقد مر بيانه ايضا فاعرفه فانه من نفايس الذخاير المستودعة في دفاتر الخواطر ولنا عودة الى ذلك في الكلام على الاسما الشريفة عند قوله سيد ولد ادم مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم بفتح الطا منصوب بدل مما قبله او مصدر فعل مقدر اي خاطبه به مخاطبة مخصوصة به وعن ابن عباس رضي الله عنهما يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم رواه ابن ابي حاتم وعن مقاتل انها لغة حبشية يسمون الانسان يس وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها لغة طي وقيل ان اصله يا انيس مصغرا فاقتصر على بعضه لكثرة النداء به كما قاله الامام تبعا للزمخشري وتعقبه ابو حيان بان المنقول عن العرب في تصغير انسان انيسان بيا قبل الالف واستدل به على ان اصل انسان انيسان لان التصغير يرد الاشيا الى اصولها ولم يسمع في تصغيره انيسين ولو سلم تصغيره كذلك فلا بد من بنايه على الضم مع ان التصغير اصله التحقير فيمتنع في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولذا لما قال ابن قتيبة في المهيمن انه تصغير مومن واصله مويمن ابدلت همزته يا قيل انه قريب من الكفر فليتق الله قايله وايضا الحذف من اول المنادى غير معروف وسياتي الكلام عليه في فصل اسمايه صلى الله عليه وسلم وعلى هذا المنوال ما تقدم من ان اصله يا سيد فانه قيل انها اكتفا ببعض الكلمة على يا فيها وهو مذهب للعرب مسموع في كلامهم حكاه سيبويه وغيره فيقولون الا تا بمعنى الا تفعل فيقول بلا فا اي افعل فيكتفون عن الكلمة ببعض حروفها وورد في الحديث كفى بالسيف شا اي شاهدا وقال النجاتي المحقق انهم يكتفون ببعض حروف الكلمة معبرين باسم بعض حروفها كقولهم قلت لها قفي فقالت قاف اي وقفت فيحتمل يس ان يكون عبر عنه باسمين من اسما حروفه لا بمسماه كما قاله الرازي وان كانت العرب قد تكتفي ببعض الكلمة كقوله

كانت مناها بارض لا تبلغها * لصاحب لهم الا الناقة الاحدا

اي منايا ها جمع منية وقوله درس المنا بمتالع فابان اي المنازل وله نظاير كثيرة اقول هذا محصل ما قالوه هنا وقال الادبا كما نقله النواجي في كتاب الشفا في بديع الاكتفا ان الاكتفا كما قال علما البديع ان يدل موجود الكلام على محذوفه وهذا الحد صادق على نحو واسأل القرية على احد القولين فيه ثم قسمه الى الاكتفا بكلمة كقوله سرابيل تقيكم الحر اي والبرد والى الاكتفا ببعض الكلمة قال وهذا النوع مما اخترعه المتاخرون من اصحاب البديع اكثر منه الشعرا المتاخرون والزموا فيه التورية كقول الدماميني رحمه الله

يقول مصاحبي والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهر

تعال بنا كوا الروض المندي • وفوز نسعى الى ورد ونشرب
وقول ابن حجر رحمة الله تعالى
دع يا عذولي طيبي في الملام قد سرى • عني الحبيب فبت دائم البكا
والطرف مذ فقد الرقاد بكى بما • يحكي الغمام فليس يهدي بالرقاد

والمثاله لا تحصى وفيه اشكال لان النحاة اتفقوا على انه لا يجوز الترخيم في غير المنادي بشروطه المذكورة في بابه فيكون هذا وامثاله مخلا بالفصاحة لمخالفته القياس فكيف يعد هذا من المحسنات البديعية التي انما تستحسن بعد الفصاحة وكيف يجوز ان يخرج على مثله القران الكريم وان كان فيه تورية لانها لا تجوز مثله اللهم الا ان يقولوا انه مقتبس مغتفر في الشعر وما وقع في القران ليس منه بل هو من ذكر اسم حرف من كلمة ايما الى بقيتها وليس من قبيل الترخيم وهو الذي اشار اليه المعترون فانظره فانه مما حاك في صدري ولم ار من تعرض له وفي كلام الخفاجي الذي مر انفا اشارة ما اليه وان لم يفصح به وقيل هو قسم وهو من اسما الله تعالى قال السيوطي رحمه الله اخرجه ابن جرير وحرف القسم مقدر معه والقسم بمعنى المقسم به وقال الزجاج ابو اسحاق ابراهيم بن محمد شيخ العربية الامام في الادب صاحب التصانيف الجليلة وتفسيره مشهور وكان متدينا في الدنيا توفي ببغداد سنة ست او احدى عشرة وثلاثمائة وقد بلغ سنه الثمانين واليه ينسب الزجاجي صاحب الجمل قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان فيس او يس علم لا والمراد بالرجل والانسان محمد ايضا صلى الله عليه وسلم واما ارادة النوع وانه التفات كما قيل فبعيد لا ينبغي حمل التنزيل على مثله وتقديرًا وجعل العلم مجموع يس لاشتهاره علمية لا يرد عليه انه شاذ كقوله اصبح ليل كما قيل لانا نحمل جعله بمعنى انسان ورجل في اصل ومنعه ثم نقل وجعل علما او نقول هو بالغلبة التقديرية فلا يحتاج الى ان يقال ان بعض هذه المعاني تقدم وانما اعيد هاهنا تتميما لكلام الزجاج وقال ابن الحنفية رواه البيهقي في دلائل النبوة وابن الحنفية هو ابو عبد الله محمد بن امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحنفية امه واشتهر نسبته اليها تمييزا عن السبطين رضي الله عنهما وهو امام عظيم اخرج له الشيخان وغيرهما ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه وتوفي بالمدينة في سنة ثمانين على الاشهر وفيه اقوال اخر فصلها البرهان في المقتفي وترجمته مفصلة في التواريخ وهو من كبار التابعين رضي الله عنهم يس يا محمد اي معناه هذا لانه وضع له ابتدا او بواسطة كما مر وانما ذكره وان تقدم لبيان قائله وتعدد طرقه وعن كعب الاحبار تقدم الكلام عليه يس قسم اي مقسم به او جعله قسما لتضمنه له او مبالغة اقسم الله به قبل ان تخلق السما والارض بالفي عام لم يبين المقسم به فعلى الاخيرين لا ينافي الاحتمالات السالفة وفي المواهب في نقل ابن الحنفية اقسم الله باسمه وكتابه وفيه فايدة شرناها والعام والسنة متغايران معنى وللسهيلي رحمه الله كلام في الفرق بينهما والمراد بمقدار الفي عام والا فقبلهما لا تتحقق السنين والاعوام لان الزمان يتحقق بحركة الفلك او المراد مجرد الكثرة وعدم النهاية مجازا فلا يقتضي الحصر ونفيا في الزيادة قيل ولو سلم ان الزمان

سعيد

ابن الحنبلي

مقدار حركة الفلك لا يرد هذا لان الفلك الاعظم العرش وهو مخلوق قبل السما والارض
لقوله تعالى وكان عرشه على الما كما قال القرني العرب في قوله صلى الله عليه وسلم كتب الله
مقادير الخلايق كلها قبل ان يخلق السما والارض بخمسين الف سنة وفيه نظر لانه قيل
انه مشكل ايضا لان كلام الله قديم فلا قبلية فيه ولا بعدية وخلقهما محدث واجيب
بان المراد اثبوته في ام الكتاب او اللوح المحفوظ المكتوب فيه جميع الكاينات ولم يرتضه
النخجواني فقال الاولى ان نستعف مثل هذه الروايات ثم ما امكن فان صحت نرك علمها الى
الله اذ مثله لا ينال بالراي ولا يدرك بالاجتهاد وقيل القبلية المذكورة متعلقة
بالاقسام وليس المراد معناه النفسي القديم بل احداث ما يدل عليه عند
الاشعرية وتعلقه باسماعه وعروض اضافة مخصوصة بلا واسطة معتادة
وهذا التعلق حادث قبل خلقهما ولا محذور فيه غير كون الزمان موجودا قبل
خلقهما وقد عرفت اندفاعه وكون التعلق حادثا ارتضاه بعض ائمتنا كالنفسي
ومن لم يقل به يدخل من باب التاويل وهو واسع مع ان منهم من جوز تعلق
الكلام الازلي بالمعدوم الذي سيوجد فلا ينافي الاقسام به ازلية الازلي
الي فوقه الزمان الماضي قبل المستقبل حيث تقصد مجرد بيان تقدمه لا يخطر ببالك
ان للزمان زمانا او ظرفية لنفسه اقول مثل هذا ورد في الحديث كثيرا فالطعن فيه
لا يليق ولا بد من تاويله وهو ظاهر لان المراد انه اطلع عليه ملايكته عليهم
الصلاة والسلام قبلهما بهذا المقدار وقديما وهو المناسب هنا لافادته اظهار عظم
قدره في الملا الاعلى ومجرد تقدم العرش لا يقتضي الزمان بالمعنى المتعارف فتدبر يا محمد
انك لمن المرسلين ليس قوله يا محمد تفسيرا ليس لانه غير مناسب لما سيق له الكلام
من ان الله اقسم به ولذا ذكر انك لمن المرسلين الذي هو جواب القسم توضيحا للمراده
بل هو بيان المخاطب وليس مراده انه جواب مقدر للقسم بيس حتى يلزم عليه اجتماع
قسمين من غير عطف على جواب وهو مما اباه النحاة كما صرح به في الكشاف وقال
ان العرب تكرهه وبينة الذوق لا تسع الامع شاهد فالقسم واحد والواو عاطفة
لا قسمية وقد خطر لي توجيهه بان القسم جملة فاذا تعدد كان بين الجملتين مناسبة
تامة لان كلا منهما قسم مقسم به على شي واحد فيقتضي العطف واجتماع واوين
وهو ثقيل او حذف احداهما وفيه لبس وترك المص بقية التفاسير لكونه
اسم السورة لانه ليس مما هو فيه وحقه بعضهم ان يكون اشارة الى جواز تعدد
القسم لزيادة التعظيم والتاكيد وهو مما العلما قالوه ثم قال والقران الحكيم
انك لمن المرسلين هذا من كلام المص رحمه الله اي قال يس والقران الخ وهنا
قيل من انه تنبيه على ان هذا قسم مستقل والمذكور جوابه وجواب الاول
مقدر وهو مراد كعب ايضا وان خالف كلام النحاة لا وجه له فان قدر بكسر
الدال المهملة المشددة اي ان قيل بهذا وعبر به لان فيه وجوها اخر منها
الضمير ليس والفا فصيحة اي اذا عرفت ما مر فان قدر الخ انه من اسمايه صلى
الله عليه وسلم وصح انه قسم كما سمعت عن كعب ومكي وصح بعض ثبت او اريد
به ذكر في نفسه لا مر لاحتماله عقلا وان في قوله فان قدر ليست للشك بل

دلجي

ابن الكمال

سعد

ابن الكمال

نص

نص شرطية وجوابها قوله كان فيه اي في القسم وقيل في ليس وقيل في التخصيص ورد
بانه لا تخصيص فيه الا انه يريد التخصيص بالذكر من التعظيم مما تقدم من القسم
بقوله لعمرك ولا ورد عليه ان القسم بالحياة فيه من التعظيم ما مر ولذا اقسم الله
بذات غيره ولم يقسم بحياته فالمراد مما تقدم من التعظيم العظيم وكانه نسي قوله قبل
هذا باسطر ان كل احد يحلف بالعظيم عنده وعلى هذا فهو منصوب بنزع الخافض لا انه
في محل جر لانه لم يرد في غير لفظ الله الاشذوذا وفيه بحث ويؤكد فيه القسم عطف القسم
الاخر عليه عطف مرفوع فاعل يؤكد والقسم منصوب على انه مفعول مقدم والقسم
بمعنى الاقسام وضمير فيه ليس او للنظم فالمعنى مظروف في اللفظ والاخر بالمد وفتح
الخا وكسرها كما قاله البرهان الحلبي وفي شرح الشمني المغني انه ذكر بعده مقسما به
بالواو والمتبادر منه العطف وليس اذا كان مقسما به فهو معطوف على مثله والا
لم تكن الواو عاطفة ولا المقسم بل هو مثله او كان المقسم به عطفا على غيره والاول الحسن والانسب
وفي العبارة مؤاخذات لان عطف قسم ثان على اول مثله دينبي على انه ليس قسم فكيف يؤكد
مع انه مقسم به لا قسم والوجه ان يقول يؤكد ذكر المقسم به الاخر وعطفه عليه لو كان
قسما وذلك العطف اولى فكذا تسميته اقول هذا مما لا ينبغي ان يصدر من مثله لان
كون المقسم بمعنى المقسم به ظاهر فاعتراضه ساقط وعطف القسم على المنادي الذي
زعم انه حسن باطل وتعين قسمية الثاني لجره فان كانت الواو عاطفة وقد فرض قسمية
الاول ايضا كان مؤكدا له فلا معنى لما اعترض به وتوضيحه ان المص رحمه الله لما نقل انه
ليس بمعنى محمد اتبعه ببيانه على وجه اختيار العطف لمزيته وتقدمه والمعترض
توهم ان قوله ويؤكد الخ استدلال على القسمية بالعطف والتاكيد وهما انما يجتمعان
اذا كان قسما والاستدلال على الشي بما يتوقف وجوده عليه فاسد فقال ما قال وكم
له مثل هذه مما قرعت له العصا فيه وما يدلك على ما قلته قوله

اي ان كان يس ملتبسا بمعنى الندا او هو منادي بتقدير يا
او بدون تقدير كما مر ففيه اي في الكلام قسم اخر بالقران المعطوف عليه فلا يكون مما
نحن فيه بل مما يتعلق بالفصل الخامس لكونه مناسب لما هنا لما اشتمل عليه من تعظيمه
وتحقيق ذلك بقوله انك لمن المرسلين والشهادة بهدايته في نفسه وغيره بقوله على
صراط مستقيم فالقسم عليه رسالته وتحققها الدال عليه ان واللام والجملة الاسمية
لانه بمعنى رسالته المحققة والقسم المؤكد لها ثم استانف لتوضيح معنى الرسالة
والطريق المستقيم فقال مبينا له على هذا الوجه وهو كون يس قسما اقسم الله
تعالى باسمه اي اقسم الله قسما ملتبسا باسمه وهو يس العلم الدال على ذاته ولا بعد
فيه كما قيل لان الظاهر ان يقول اقسم به او بذاته كما يقال والله والجزم بالقسم
باسمه انما يتمشى اذا كان لفظ الاسم مقحما او المراد بايراد اسمه وهو تعبيد انتهى وقوله
وكتابه بالجر عطف على اسمه لا على الضمير المجرور من غير اعادة الجار لما فيه من مخالفة
الافصح والاحتياج الى التاويل والقسم بكتابه متعين واما بذاته فعلى الارجح
عنك كما سمعته انفا والضمائر للنبي صلى الله عليه وسلم لا لله لما فيه من مخالفة
الظاهر وانتشار الضماير وعلى الندا الايناني ما مر من انه لم يناده باسمه كما مر قد كره

لان كان نحو النداء فقد جاء قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته ...

انه من المرسلين بتوحيد الى العباد بكسر ان لتقدير القول والحكاية بالمعنى اي قايلا انه الح ولذا لم يقل
انك والارسال بمعناه اللغوي ولذا ذكر الوحي لعده لتخصيصه او بمعناه الشرعي على التجريد
ومجرد ملاحظة الثاني لا يكفي كما قيل وعلى صراط مستقيم من ايمانه بيان للطريق
وان المراد بها التوحيد او هي تعليلية وزاد الواو اشارة الى انه خبر ثان مقصود مقسم
عليه لا يتعلق بالمرسلين اي ممن ارسل على هذه الطريقة فالقسم على امرين كما قال
قبله ان الارسال على امرين رسالته والشهادة بعد ايته لا امر واحد وهو انه صلى الله
عليه وسلم رسول مهدي على طريقة مستقيمة ولا حال كما قيل لانه قريب من هذا
وان كان جعله قيدا لا ينافي القصد لان هذا اوضح وانتم في المدح اى طريق لا اعوجاج
فيه ولا عدول عن الحق اي بفتح الهمزة وسكون اليا المخففة مفسرة للطريق المستقيم
وهذا اعم من الايماد فهو تفسير ثان على الاول وتشديد اليا على ان المعنى طريق
واي طريق لانه لا اعوجاج فيه ولا عدل وال الح تفسير لعدما لا اعوجاج مخالف للرواية
وللظاهر وانجاز وقد ذكرت هنا قولي
من احسن العشرة فليلتزم سماحة النفس وترك اللجاج ويستر المعوج من خلقهم
اي طريق ليس فيه اعوجاج قال النقاش هو ابو بكر محمد بن الحسن بن
احمد الموصلي البغدادي المقري المفسر روى عن ابي مسلم الكجي وطبقته وقرا بالروايات
حتى صار شيخ المقريين في عصره على ضعف فيه وقيل انه كان يكذب في الحديث فلذا
قالوا ان روايته منكرة وتفسيره ليس فيه شفا للقلوب والغالب عليه القصص
الا ان ابا عمرو الداني اثنى عليه وروى عنه حكاية تقتضي رده وفي حاشية
التلمساني انه معتزلي توفي سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وله ترجمة في الميزان
وطبقات القرا وقال ابو شامة في شرح الشاطبية انه ضعيف عند اهل النقل وقال
الجعبري رحمه الله المضعف له غالط لم يقسم الله لاحد من انبيائه عليهم الصلاة
والسلام بالرسالة في كتاب الاله اي بسبب الرسالة او لم يقسم على رسالة احد منهم
كما في هذه الاية وهذا وان دل على ان غيره مرسل ايضا لا ان المقسم عليه بالقصد
الثاني رسالته صلى الله عليه وسلم وعدل الى قوله انك لمن المرسلين عن قوله
لرسول او مرسل وهو اخصر لتثبيت رسالته وانه عريق فيها على نهج قوله
كانت من القانتين لان فلانا من العلما ابلغ من عالم كما قرره علما البيان له
وفصلناه في غير هذا المحل اي لم يذكر هذا القسم في القران لغيره تشريفا له
صلى الله عليه وسلم وتعظيما له ولشدة انكار قومه لرسالته فلذا جا مؤكدا
بتاكيدات وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه
التمجيد تفعيل من المجد وهو العز والشرف والتاويل حقيقة في اللغة
معرفة مال الشي وما يرجع اليه من الامر شايع في معنى التفسير مطلقا وقد
يخص التفسير بما كان منقولا عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي
الله عنهم والتاويل بغيره وقد يخص بحمل الكلام على المعنى الخفي دون الظاهر
وقال القرافي رحمه الله المؤول هو الكلام الذي فيه الاحتمال الخفي مع
الظاهر كالحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والاطلاق والتقييد وغير

فيه

فيه الاول ليس وقوله مافيه فيه ايجاز ومبالغة اي فيه امر عظيم لا يمكن الوقوف عليه
كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة لوصفه بالسيادة المطلقة المفيدة للعموم في المقام الخطابي
تفضيله تفوقه على من سواه لانه صلى الله عليه وسلم واسطة كل خير وقد تقدم الكلام
في اطلاق السيد على الله ومعناه ووزنه فيعل بكسر العين من السودد فاصله سيود
وقيل انه فيعل بفتح العين تغير كما مر وحملهم على هذا انهم لم يجدوا في الصحيح
فيعل بالكسر بل بالفتح كصيقل وضيغم ولذا ذهب بعضهم الى ان اصله فيعل ورد بانه
لا مانع من اختصاص المعتل بوزن يخصه ثم عقب هذا بحديث يناسب السيادة ويدل
على عمومها في حقه صلى الله عليه وسلم فقال وقال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم
اي جميع اولاد آدم وكل البشر لان الولد يكون واحدا وجماعة كما قاله التلمساني
وفي نسخة ولا فخر الفخر ادعاء العظمة والشرف والاعلان بذكره اي لا اقوله متبجحا
ولا افتخارا بل تحدثا بنعم الله وشكرا له كما قاله ابن الاثير وقال ابن قرقول اي
لا فخر في الدنيا عندي اي لا اتعظم ولا اتكبر بذلك فيهما وان كان له الفخر الاكبر في الدنيا
والآخرة وفي هذا الحديث روايات منها انا سيد ولد آدم يوم القيامة كما رواه مسلم
والترمذي قال التجاني فيه اشارة الى التجاء الخلائق له صلى الله عليه وسلم في ذلك
اليوم من غير منازع كما في الدنيا وهو كما قال الله لمن الملك اليوم وفيه دلالة على
جواز مدح المرء نفسه اذا قصد التحدث بنعمة الله وقد قيل انه واجب عليه صلى
الله عليه وسلم لتبليغ امته ما يجب في حقه ولذا قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث
وهذا لا ينافي سيادته صلى الله عليه وسلم على الملائكة وما سوى الله وقوله ولا فخر
احتراز مما يتوهم من الكبر على حد قوله

فسقى ديارك غير مفسدها ۞ صوب الحيا وديمة تهمي

وهذا مكرر على سبيل الاستطراد والتتميم ومر في الخطبة الكلام فيه وانه للاحتراز
على ثلاثة اقسام وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد يعني لا نافية للقسم واقامة
الظاهر مقام المضمر ولم يقل وانت حل بهذا البلد يعني به استعظاما لحلوله فيه
والبلد مكة حرسها الله كما اشار الى توضيحه بقوله قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه
وروي اذ لم يكن وهما بمعنى هنا اي بعد خروجك منه حكاه مكي رحمه الله تقدمت
ترجمته اشارة الى ان عدم القسم به لخروجه منه ولو قال اذا خرجت كان اوضح واخصر
وفيه ايماء الى ان القسم في سورة التين بقوله وهذا البلد الامين لكونه فيه فلا
تنافي بين الايتين اذا كانت البلد فيهما بمعنى فاذا كان صلى الله عليه وسلم فيها
له حقيقة بالاقسام لها لان شرف المكان باهله كما قيل

وما حب الديار شغفن قلبي ۞ ولكن حب من سكن الديارا

وهو منتظم مع ما بعده من قوله ووالد اي لا اقسم بالبلد واقسم بغيره
او قوله بغير قسم بناء على انسحاب النفي عليه او لا اقسم بهذا الجلالة المقسم والمقسم
عليه وان كان ما يذكر مما يقسم به لعظمته ففيه تعظيم لما نفى القسم عنه فلا
وجه لتوهم عدم الانتظام وقدم هذا الوجه لرجحانه عنده كما ذهب اليه
الامام رحمه الله وقيل لا زائدة اي اقسم به زيادتها لتاكيد المعنى المقصود

وليست لغوا لافادتها تاكيد الكلام وتقويته وتحسينه وان كان حذفها لا يغير اصل
المعنى فاندفع قول الامام انه مانع من الانتظام وموهم لجعل الاثبات نفيا ويلزمه
عدم الاعتماد على القران مع ان لا تاتي زايدة مع القسم كثيرا وقد تزاد في غيره ايضا
وذهب بعض النحاة والمفسرين الى انه لا يطلق على مثله انه زايد بل يقال تاتي باسلة
وهو كلام حسن وقيل لا ان الحذف انا واشبعت اللام ويؤيده انه رسم في الامام
بلا الف وانه قري شاذا لاقسم بلام الابتدا وانت به يا محمد حلال او حل لك ما تفعله
فيه جملة حالية وهذا مبني على التفسيرين في هذه الاية بالاثبات والنفي او في
معنى الحل او على كليهما ليكون الكلام افيد وحل له معان فيكون ضد الحرمة ومعنى
الاقامة بالمكان والاسم منهما حل بالكسر وحلال بمعنى جايز ومقيم وفعل يكون
اسما كجذع وصفة كنقض ومصدرا كعلم والى كل من المعنيين هنا ذهب بعض المفسرين
فالمعنى اقسم بهذه البلدة وانت مقيم بها لشرفك وعظمتك عندي او الى
حللت لك ما لم احل لغيرك في هذه البلدة من القتل وغيره وهذا اما النسخ
حرمتها او هو خصوصية له صلى الله عليه وسلم لقول الله عز وجل ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام سوا حمل على ظاهره او فسر بالحرم وهذه الاية محكمة عند ابن عباس
رضي الله عنهما ومجاهد لما رواه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ان
الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلي ولا لاحد بعدي وانما احلت
لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة وقتاله صلى الله عليه وسلم ولم
يقتل من لجا الى الحرم كابن خطل من خصايصه صلى الله عليه وسلم كما روي عن
السلف واورد عليه الجعبري في كتاب النسخ ان قوله احلت يدل على الحرمة
فيكون نسخا ولو كان لا يستمر فيكون رخصة لانها استباحة مع المانع وبه قال
ابو حنيفة رحمه الله وقال قتادة والضحاك هي منسوخة بقوله تعالى
اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبايات اخر في معناها وتمسكا بفعله صلى
الله عليه وسلم ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعي
انتهى وفي الاية تسلية له صلى الله عليه وسلم اي ان اخرجوك منها فستعود
لها وتفعل فيها ما تريد وتثبيت ووعد بالنصر والاول على تقدير ثبوت
القسم والثاني على انتفايه او كل منهما جار على التفسيرين وفيه تفاسير
اخر فقيل المعنى وانت حلال اي غير محرم مقيم بها او المعنى يستحلون
ايذايك واخراجك منها وهو تثبيت له وتعجيب مما جرى عليه او
اشارة الى علة عدم القسم فاندفع الاعتراض بان الحال يقتضي عدم القسم
بعد الخروج فيتنافيان ويجوز اجراؤه على الوجهين وقيل المعنى
لا اقسم وانت مستحل او انت حال فانه حينئذ ينبغي القسم بك الا
انه لا يناسب كلام المفسر وهو امر سهل وقال القسطلاني فان قلت
هذه السورة مكية اي على ما يأتي وانت حل بهذا البلد اخبار عن الحال
والواقعة التي ذكرت في اخر هجرة المدينة فكيف الجمع بين الامرين واجيب
بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلا كقوله انك ميت وانهم ميتون

واستقبلا

واستشكل هذا بانه يلزمه اختلاف زمني الحال وعاملها الا ان يقال الجملة معترضة
لا حالية فتتضمن وعدا فيه مبالغة بواسطة تنزيل المستقبل المحقق منزلة
الحال لا الماضي كما يدل عليه قوله اوحل لك ما فعلت فيه قيل وفيه اشارة الى عظم
شانه صلى الله عليه وسلم بجعد النفس على عظم مكانته فما يتوهم من ان المكان
اشرف او ان شرفه مكتسب فيه والمراد بالبلد عند هؤلا المفسرين مكة وقيل غيرها
كما سياتي وقال الواسطي نسبة لواسطة مدينة مشهورة وهو الامام العارف بالله
تعالى ابو بكر بن موسى وهو ممن صحب الجنيد وتوفي بعد الثلاثمائة وعشرين وهو
من اجلة العلما والصوفية اي نحلف بهذا البلد الذي شرفته بمقامك فيه حيا
وبركتك ميتا نحلف بنون مفتوحة وحا مهملة تليها لام مكسورة وقد كذا
ضبطه في المقتفي ولو قرئ باليا التحتية صح ايضا وفاعل الحلف على كل حال هو الله
تعالى وتسمى هذه النون نون العظمة لان اصلها للمتكلم مع الغير كنحن الا ان العظيم
يتكلم بها ويطلقها على نفسه عبرة تعظيما لعده بمنزلة جماعات كثيرة ولان له اتباعا
في خدمته اذا اراد فكني عنه وعنهم ولذا قال الراغب في مفرداته ان الله تعالى
انما يوردها في كلامه فيما يفعله بواسطة ملايكته عليهم الصلاة والسلام
كقوله انا نحن نزلنا الذكر وفي شرح التسهيل انه مقصور على السماع لايهامه
التعدد فلا يجوز استعمالنا له وبه افتى علما الحنفية فالاولى حينئذ الغيبة هنا
وعلى نون العظمة تذكرت ما تظرف به ابن نباتة المصري في قوله

اعمى بناظري ولم اره بكلمة ٭ يحيني بحاجب لكن بنون العظمه

وقوله الذي شرفته بمكانك اي حصل له ذلك لاجلك ولاجل تعظيمك فتشريفه
لانه يحلوله فيها صارت حرما ومهبطا للوحي ومنبعا للدين وقد قالوا ان هذا
القسم بذاته وحياته كما اشار اليه عمر رضي الله عنه بقوله بابي انت وامي يا رسول
الله قد بلغت من الفضيلة عنده ان اقسم بتراب قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد
ومكانك بمعنى كونك وحلولك فيه مصدر ميمي ولذا اعمله كقوله

اظلوم ان مصابكم رجلا ٭ اهدى السلام تحية ظلم

ولو كان اسم مكان لم يعمل كما صرحوا به ولو قال المص رحمه الله بمكانك وبركتك
حيا وميتا كان اولى لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام احيا في قبورهم حياة
حقيقية وان قيل انه تفنن لان بركته صلى الله عليه وسلم في حياته كبار على
علم يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية يعني ان هذا القايل اراد بالبلد
المدينة لانها مكانه صلى الله عليه وسلم في حياته ومماته وهي على القول الاصح
عند المفسرين مكة لان هذه السورة نزلت بمكة فالاشارة في حال النزول تعين
انها مكية لان هذا يشار به للقريب الحاضر وقت الخطاب والمدينة على هذا ليست
كذلك ولذا قيل انه مجمع عليه وتنزيلها منزلة الحاضر الغريب مخالف للظاهر
رواية ودراية واشار بالاصح الى قول ضعيف نقله ابن عطية ان السورة
مدنية فلا وجه للاعتراض به على المصنف كما في شرح البخاري ولشدة ضعفه
وضعف ما بني عليه لم يعتد به مدعي الاجماع وما بعده بصحة مبتدا

ادخل في تعظيمه كما قال الله تعالى
من القسم به

ابن الحنبلي

وخبراي ما بعد القسم وهو قوله وانت حل بهذا البلد يدل على صحة ان المراد مكة
وفساد قول الواسطي قوله حل بهذا البلد خبر مبتدا مقدر مع الاقتصار على
مناط الدليل وامثله وهو قوله وانت حل بهذا البلد ويجوز ان يكون بدلا مما
قبله بلا تقدير وفيه بحث كما اشار اليه بعض الشراح لان القايل لا يسلم ان السورة
مكية فالبلد في الموضعين عنده المدينة والاشارة فيهما لها وحل بمعنى حال مقيم
فكيف يقام الدليل عليه بما لا يسلمه فاللايق الاقتصار على رواية خلافه لصحتها
واشتهارها وقيل ان قوله لان السورة الخ مجموعه علة للاصحية وهو قوله
وانت الخ وكونها مكية الا انه انما يتم على تفسير حل بما لا يتصور في حق المدينة
كالحلال غير المحرم ومن الجايز ان يفسره الواسطي بالحال النازل ويقول البلد فيهما
المدينة والسورة مدنية فلا يلزمه شي مما مر ولا يخالفه قاعدة اعادة
المعرفة معرفة كما اذا اريد بالاول المدينة وبالثاني مكة على انه وعد له
صلى الله عليه وسلم بانه سيكون بها حالا غير محرم على ما فيه من الاشارة في
كلام واحد لغايب وحاضر تنزيل الغايب منزلة الحاضر لنكتة والمراد بالاول
القول بانها مكية كما بيناه وقيل يجوز ان يريد به القول الحاكم بان لا نافية للقسم
وما بعده القول الحاكم بانها زايدة وبصحة قوله وانت حل بهذا البلد اذ في كونه
حالا به اشعار بثبوته مع كونها زايدة انتهى ولا يخفى ما فيه من التكلف ونحوه
قول ابن عطا في تفسير قوله وهذا البلد الامين اصل معنى النحو القصد ومنه
علم النحو لانه يقصد نهج كلام العرب افرادا وتركيبا ثم استعمل للناس بمعنى مثل
وشبه وشاع حتى صار حقيقة فيه اي مثل ما تقدم من القسم بمكة لتعظيمه
صلى الله عليه وسلم اونحو قول الواسطي في ان لمحله صفة مدح بواسطته
قول ابن عطا وان كان قول الواسطي في حق المدينة وقول ابن عطا في حق مكة
وذاك بسببه وهذا للتشريفه بما فيه بما فيه من الاجابة بدعوة الخليل له
وتعليق الاقسام على صفة الامان تفيد علية له والامين فعيل بمعنى
فاعل فهو امن لقوله ومن دخله كان امنا وقيل بمعنى المامون على ما اودعه
من البركات اولانه مامون عن الغايلة وتحقيقه في الكشاف وشروحه
قال امنها الله لمقامه فيها وكونه بها في المقتفي امنها بقصر الهمزة وتشديد الميم
كما في النسخ ولا اعرف فيه الا مد الهمزة وفتح الميم يعني ان المعروف في اللغة
مجيئه ثلاثيا ومن باب التفعيل واما الافعال فمن الايمان وقوله لمقامه
بضم الميم بمعنى اقامته ويجوز فتحها بتكلف والوجه الاول وعطف كونه
بها على ما قبله مرادف لمعنى وجوده فيها وفي نسخة بمقامه بالبا السببية
فالامان بسببه وقد يفهم من الاية ان الاقسام لاشعار الترتب بالعلية له
فيكون الاقسام بسببه ايضا فكان كونه اي وجوده امانا اي موجب للامان
حيث كان اي حيث وجد بذاته الشريفة والحيثية قد ترد للتعميم اي في اي
مكان كان لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهذا الامان كان
بعد وجوده وقريبا من وجوده كما امنه به من الفيل واصحابه لانه ولادته

دلجي

سعيد وابن الخطيب

دلجي

صلى الله عليه وسلم كانت في ربيع الاول من عام الفيل وقصة الفيل في المحرم وقال بعض الشراح
الاظهر ان هذا الامان كان بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله اجعل هذا البلد
امنا ومن دخله كان امنا واجاب الله دعاه فقال واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا
واجيب عنه بانه لا يبعد ان يكون كل ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم وعن وجوه
فيه قلما علم الله انه سيصير مقام حبيبه عليه الصلاة والسلام عظمه وقبل دعا خليله
او يكون استدامة ذلك واستمراره بسببه ولا يبعد ان يقال ان المصر اشار الى هذا بقوله
ثم قال ووالد وما ولد عطف على هذا البلد والمفسرون اختلفوا في تفسير الوالد فمنهم
من قال اراد ادم عليه الصلاة والسلام وعليه فهو عام اي ما ولد على هذا التفسير عام
شامل لجميع اولاده لا يختص بفرد منهم فالقسم على هذا بنوع الانسان لانه اشرف مخلوقاته
ونسخة توحيده في ذاته وصفاته وعلى هذا الجمهور لتبادره الى الاذهان من غير داع
للعدول عنه وقيل المراد على هذا الصالحون منهم قيل ولا يبعد ان يراد الفرد الكامل
منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم فيكون القسم بالاول والاخر ولا ادري ما وجه تركه
وعدم تعرض احد من المفسرين له وكانه لعدم دليل عليه فتدبر ومن قال هو ابراهيم
عليه الصلاة والسلام وما ولد ضمير هو للوالد او لمجموع الوالد والولد والثاني اولى
وقيل الاوضح ان يعول على منوال ما سبق ومن قال اراد ابراهيم والضمير في قوله فهي
ان شاء الله تعالى للقصة وانث باعتبار الخبر وهو قوله اشارة الى محمد صلى الله عليه
وسلم يعني هو المراد من قوله وما ولد عند هذا القائل وهو ابو عمران الجوني كما
نقله في زاد المسير وقيل هم العرب وقيل اولاد ابراهيم عليه الصلاة والسلام او الصا[لحون]
منهم ولكونه غير متعين من النظم اطلق عليه الاشارة لخفائه والمشهور اطلاق الاشارة
على ما يدل عليه اللفظ دلالة التزامية كاشارة النص وقوله ان شاء الله قيل انه للتبرك
والاهتمام بما بعده او هو ناشئ منه في الحكم بانه مراد الله او اشارة الى ان فيه احتما[ل]
اخر وجوز بعضهم ان يكون تعليقا على ظاهره وقد ذهب الى هذا كثير من المفسرين
لانه لما حمل الوالد على اكمل افراده ناسب حمل ما بعده على مثله وقيل المراد بالوالد
محمد صلى الله عليه وسلم لحديث انما انا لكم بمنزلة الوالد والولد امته او ذريته
صلى الله عليه وسلم وقال فيه ما دون من وما في الاصل لما لا يعقل قيل لان كثيرا من
النحاة جوزوه او لتاويله بالمبهم اي الولد الكامل الذي لا يدرك كنهه ذاته لتناهيه
في الكمال **اقول** المختار عند صاحب الكشاف وغيره من المحققين انه مطرد فيما قصد
به المعنى الوصفي كالمولود هنا نظرا للصفة فالمبيت من جنس العقلا كما فصل في
حواشي الكشاف قال الزمخشري في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا التوقه
بين من وما انما هو اذا اريد به الذات واما اذا اريد الوصف فيجوز ذهابا الى الوصف
وقد خفي هذا على بعض الافاضل وظاهر كلامهم انه معنى حقيقي فان قيل بانه
يجوز ان يكون فيه تغليب قيل هو دقيق لم ينبهوا عليه وهو تغليب احد جزئي
المدلول وانما ذكروه في الجزئيات والتنكير فيه للابهام المستقل بالمدح والتعجب
كما قيل فتتضمن السورة القسم به في موضعين اشارة بالغا الى شانه مما قبله اي اذا
كان كذلك فهي متضمنة هذه قسمه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين احداهما في البلد

التي هي محله فان القسم بمكانه قسم به صلى الله عليه وسلم ابلغ من القسم بذاته وحياته
كما مر تحقيقه والثانية في قوله ووالد وما ولد على هذا التفسير والقول بانه لما اقسم
بوالده وهو في صلبه فكانه اقسم به بعيد غاية البعد واما القول بانه لتفسير
الوالد بمحمد صلى الله عليه وسلم كما في الكشاف فغير صحيح لانه ليس في كلام المحقق
ذكر له بوجه من الوجوه وهو عجيب من قائله اللهم الا ان يقال المعنى اقسم باحد ممن
مضى من آبائه فاحسد العظيم فكانه اقسم به اي بصفة من صفاته وهي شرف حسبه
فتامل وقال تعالى الم ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم على انه طائفة من الحروف
او اسم السورة او القرآن تنزيلا له منزلة المحسوس المشاهد البعيد لرفعة قدره
او لتقضيه كما فصله المفسرون قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الحروف اقسام
اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك الاقسام جمع قسم بمعنى المقسم به
لقوله بها وقد روي عن ابن عباس وغيره من مفسري السلف في هذه وفيما ضاهاها
اقوال غير ما ذكر قال الشريف كما روي عن الخلفاء الاربعة انها مما استاثر الله
به قال البيضاوي ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد وفيه انهم صرحوا
بانه مما لا يعلمه الا الله فانه اخفاه لحكمه فلم يتجاسروا عما فرمنه اقول فيه انهم قالوا
ان التعقيد المعنوي يخل بالفصاحة فكيف لا يمكن علمه وما ذكره لا بد منه مع ما قاله فالحق
في جوابه ما قاله الفاضل الليثي بان هذا انما يشترط فيما قصد به تفهيم المخاطب
كما فصله في حواشي المطول وهذه الحروف اشارة لما ذكرا والى جميع حروف المعجم
كما يقولون تعلمت آب اي جميع الحروف المقطعة كما قاله ابن قتيبة فهي اقسام
متعددة حويها متعددة اي لقد بينت لكم السبل واوضحت لكم الدلالة بهذا الكتاب
المنزل بعربية قوله ذلك الكتاب وفيها اقوال كثيرة تكلفت لها التفاسير فلا حاجة
لذكرها هنا والى هذا اشار بقوله وقال سهل بن عبد الله التستري تقدم ما فيه
قال السيوطي رحمه الله رواه ابن جرير وابن ابي حاتم الالف هو الله تعالى
واللام جبريل والميم محمد صلى الله عليه وسلم قيل ان هذا اعير واصح المعنى
ولا بد له من ماخذ وفي تفسير الاصبهاني نحو عشرين قولا لمراد فيها هذا الآية
حكى عن الضحاك ان اللام من جبريل والميم من محمد صلى الله عليه وسلم والالف
من الله وهي اقسام اقسم الله بها وهو في غاية اللطف والدقة فان كان المراد
هذا فهو واضح لانه اذا اقسم بحرف من اسم دل على شرفه وفي هذا تقديم جبريل عليه
الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم فربما تعلق به مدعي التفضيل وان
لم يلزمه مطلق التفضيل بعني انه لم يقل الهاجر وفي من اسمائهم بل جعلها دالة
عليهم ووجهه في غاية الخفا فان ترد على ما ذكره الضحاك انفتح لكن العبارة
غير ظاهرة فيه فرده بانه لا طائل تحته دعوى بلا دليل وان كان فيه قسم بمحمد
صلى الله عليه وسلم وهو مناسب لما هو بصدده واما تقديم جبريل عليه
الصلاة والسلام هنا فلانه واسطة بين الله ورسوله فالاعتراض به في
غاية السقوط كما اشار اليه بقوله وحكى هذا القول السمرقندي ولم

بعينه

بسبه الي سهل وتجعل معناه الله انزل جبريل عليه الصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه
وسلم هذا القول وفي نسخة هذا القران لا ريب فيه كما حكاه القاضي بمعناه عن ابن عباس
رضي الله عنهما يعني انه لوضوح شانه واعجازه لا يرتاب عاقل فيه بعد النظر وان كثر المرتابون
كما قال وان كنتم في ريب الخ وعلى الوجه الاول الذي رواه عن ابن عباس وهو القسم
بالحروف يحتمل القسم انه هذا الكتاب حق لا ريب فيه ان بالفتح اي على انه قسم في قول سهل
وعلى هذا الجواب القسم لا ريب فيه وقيل الجواب مقدر يدل عليه قوله ذلك الكتاب
لا ريب فيه لا جواب بتقدير اللام لانه لا يسوغ حذفهما الا اذا استطال القسم كما في المغني
وحذف الجواب ورد في القران في قوله ص والقران ذي الذكر بانه لمعجز وانك لمن المرسلين
واي بدل ذلك هذا لان التعظيم يكون باشارة القريب والبعيد كما تقرر في المعاني
والنكات لا تتزاحم والتردد في انهما على حد سوا ام لا كما قيل لا طايل تحته وفي شرح
السيد المحرر انه اشار بهذا الى ان الظاهر الاشارة بالقريب الحاضر في الذهن واعا عبر
بذلك لتنزيله منزلة البعيد للتعظيم ولم يرد تقدير حق بل بيان ان لا ريب خبر بمعنى
حق بمعنى من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم اي في الم او في هذا القول او القسم
او الكتاب على قول سهل مطلقا او على ما ذكره السمرقندي لدلالة الحروف المقتطعة
من الاسما او لدلالتها عليهما كانها اسما واشار بقوله نحو ما تقدم الى ما مر في قوله
ورفعنا لك ذكرك ولا يخدش القران توسط اللام المفسرة بجبريل لما في وقوعها في ذكر
واحد من القران لا سيما وجبريل عليه الصلاة والسلام سفير محض بينهما لا يعد
فاصلا قيل وكون الالف من اول اسم الله والميم من وسط اسم محمد صلى الله عليه وسلم
واللام اخر اسم جبريل مناسب لما ذكر وقال ابن عطا في قوله تعالى ق والقران المجيد
اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم فالقاف بمعنى القوة على طريق
الاكتفا كما في قوله • قلت لها قفي • قالت قاف • والظاهر ان مثله لا يقال بالراي فلا
وجه للاعتراض بانه لم يجوز ان تكون من قدرة الله ونحوه وقد تقدمت ترجمة ابن
عطا رحمه الله وقوله حيث حمل الخطاب والمشاهدة اي حيث تحمل واطاق خطاب الله
له ورؤيته ليلة الاسرا ومشاهدة الملكوت ومهابته مما تتهدد له الجبال ولا
تطيقه الملايكة على احد تفسيرى قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم او مشاهدة
التجليات القلبية ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله اي لم يصعب ويشق عليه حتى
يمنعه من تحمل مثله وقوله لعلو حاله تعليل لما قبله اي ان له صلى الله عليه وسلم
حالا في ثبات جنانه ورفعة شانه لما اودع في قلبه من اليقين وقيل هو اسم للقران
غير هو لقاف وهذا القول تفسير ما روي عن قتادة فما قيل من انه في غاية الركاكة
لانه يصير المعنى القران والقران المجيد نحو لا يليق بالادب والعجب منه حيث
بعد ذلك لانه على هذا يجوز ان يذكر تفسيرا لحقا ما قبله ولذا قيل انه في غاية
الوجاهة من حيث المعنى اذ حاصله ان هذا القران اقسم به واظهر في مقام الاجلال
ليمكن وصفه ودخول حروف القسم عليه ومن حيث اللفظ لان الركاكة انما هي لو
صرح باسم القران لا اذا عبر عنه بغيره وهذا هو السر في العدول فتفطن وتادب
على انه يحتمل ان يراد بالقران هذه السورة وقيل هو اسم الله تعالى الجلي بجميع ما مر

ابن الحنبلي

سيد عيسى

ابن الحنبلي

ابن اقبرس

ابن اقبرس

من اطلاق جزء من الاسم على مسماه ونحو على هذا بمعنى فيتوهم او قدير ونحوه او هو مما
لم يطلع على معناه ويؤيد الاول ما حكاه القرطبي رحمه الله من انه افتتاح اسمه
القدير القاهر القريب وقيل جبل محيط بالارض يكنع منه جميع المياه وهذا رواه
ابن الجوزي عن مجاهد قيل انه من زمردة خضرا وخضرة البحر من انعكاس شعاعه
وقيل غير هذا وفيه اقوال تزيد على عشرة منها انه اسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال
ابو بكر الوراق معناه قف عند امرنا ونهينا ولا تتعداهما والخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم وقال جعفر بن محمد الصادق تقدمت ترجمته رضي الله عنه في
تفسيره وفي نسخة في تفسيريه دون ضمير قيل ان لجعفر تفسير لم يشتهر والنجم اذا هوى
انه محمد صلى الله عليه وسلم وهوى بمعنى نزل او صعد الى السما في المعراج من
الهوي بتشديد اليا مع فتح الها وهو الذهاب في انحدار او مع ضمها وهو الذهاب
في ارتفاع وهذا التفسير نقله البغوي رحمه الله فلا غرابة فيه رواية ودراية
لان وجه الشبه ظاهر وقال اي جعفر فله فيه تفسيران او عنه فيه روايتان
على البدل او الاجتماع انه يجوز النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم هوى انشرح من
الانوار الربانية المنزلة على قلبه في مشاهداته من العلوم والحكم وانواع الكمال
وتشبيه قلبه صلى الله عليه وسلم بالنجم لا يخفى ظهوره لاشراقه بنور ربه وهذا
ومثله مشهور واما تفسير هوى بانشرح فلانه يقال هوى اذا فتح فما او مديدا
ولا يضرنا عدم اشتهاره لمعرفة العرب اهل اللغة له وقال اي جعفر الصادق
في رواية اخرى عنه في تفسير هوى انقطع عن غير الله وهذا اظهر مما قبله
لانه من هوى النجم اذا سقط من بين نوعه من النجوم وهو اذا انقطع الى ربه
فارق الناس وقال الامام المرزوقي في شرح اشعار هذيل قال الاصمعي يقال
هوى العقاب اذا انقض لغير الصيد واهوى اذا انقض له وقيل هما بمعنى
وقال بعضهم يقال هوى يهوي هويا بفتح الها من اعلى الى اسفل وهويا
بضمها بعكسه انتهى فقول بعض الشراح انا لم نر هذا المعنى في مشاهير كتب
اللغة ساقط والمثبت مقدم على النافي وقوله الا ان يقال انه من هوى الجو اذا
خلا كما في التقريب فيكون هذا الخلو عن غير الله او من هوى ذهب في جهة
العلو لارتقا عدا الى الله تعسف غير محتاج اليه وتوقفه في هذا دون ما قبله
غريب عن مثله وقد سبقه بعضهم لهذا وفي النجم هنا تفاسير اخر فقيل هو
الثريا وقيل الزهرة وقيل الرجوم وقيل مطلق النجوم وقيل ما نزل من القران
منجما وقيل الهوى نزوله من المعراج وسياتي الكلام فيه وقال ابن عطا تقدم
الكلام عليه في قوله والفجر ولكال عشر النجم محمد صلى الله عليه وسلم لان
منه نجم الايمان نجم بفتح التا وتشديد الجيم المفتوحة على انه مصدر مضاف
للايمان او بفتح الجيم المشددة على انه ماض فاعله الايمان من نجم الصبح طلع
كما قاله ابن ارسلان وهذا اما على تشبيه الايمان بالنور المشرق من افق الوحي
الماحي لظلمة الكفر او هو استعارة لتشبيهه بالما على نهج المكنية واثبات النجم
له على طريق التخييل كما قيل والاحسن عندي انه يشبه الصبح والنوادر

ابو الفرس

ابن الحبل

الفرس والبخاري

دلجي

بما

بما فيه محمد ثم يستعار ذلك لشهرته بما ظهر منه صلى الله عليه وسلم من الدين والتوحيد
كما قال ابن نمير رحمه الله
انظر الى الصبح المنير وقد بدا ✽ يعني الظلام بمائه المتدفق ✽
عرفت به زهر النجوم وانما ✽ سلم الهلال لانه كالزورق ✽
وفيه تفاسير اخر تركتها المص رحمه الله لشهرتها واقتصر منها على ما يناسب غرضه
الا ان الشراح قالوا ان هذا مع غرابته لعبيد غير مقبول لانه مخل بالانتظام فان
عطف ليال عشر عليه بالواو من غير جهة جامعة كقولك الشمس ومرارة الارنب والبنا
محدثه ومثله مخل بالبلاغة **اقول** نقل الشراح هذا كانه وارد غير مندفع ولكن
كذلك وفيه سوء ادب وتهجم على كتاب الله عز وجل وهذا مفعول عن السلف
مأثور وهم اهل لسان ومنه فسر الفجر بمحمد صلى الله عليه وسلم تفسر الليالي العشر
بعشر رمضان وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في العبادة والخيرات فيه
ويرى ليلة القدر فيتميز المعنى على هذا اقسم بمحمد صلى الله عليه وسلم في حالة
التي تجدي عبادتي والتقرب الي فيها واي مناسبة اتم من هذه كما قلت ✽ ✽ ✽
وحبيب هو المنا وليال ✽ كان فيها وصاله ورضاه ✽ ✽ ✽
وزمانا بالانس كان ربيعا ✽ لا اطيعن عاذلا في هواه ✽ ✽ ✽
اترى هذا كالباذنجان وبروزه الهذيان او كوجه الحبيب وغيبة الرقيب والذي عليه
المحققون من المفسرين انه على حقيقته او هو بتقدير مضاف اي صلاة الفجر والليالي
العشر عشر ذي الحجة او الفجر فجر عرفة او النحر والعشر اول المحرم او اواخر رمضان
ومما يناهي قول المصنف رحمه الله قول الرازي ان الضحى وجه محمد صلى الله عليه
وسلم والليل اذا سجى شعره الفصل الخامس في قسمه تعالى جده بفتح الجيم
وتشديد الدال ويكون بمعنى الحظ والغنى ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد
يقال جد بمعنى عظم واسناد التعالي له للمبالغة كما يقال جد جده فهو اسناد
مجازي او استعارة مكنية وفي بعض النسخ له وهو متعلق بالقسم والضمير للنبي
صلى الله عليه وسلم لتحقق مكانته عنده اللام للتعليل والاولى صلة فلا
يلزم تعدي عامل بحرفين متحدي اللفظ والمعنى وقوله صلى الله عليه وسلم
متعلق بحسب المعنى بضمير عنده ولتحقق بمعنى لتبين حقيقة حقه عنده
والمكان معروف فاذا زيدت فيه الهاء اريد به المرتبة المعنوية كالمنزل والمنزلة
وفي بعض النسخ لتحقق وفي بعضها التحقق بصيغة المصدر والكل بمعنى
واللام قيل انها مثلها في قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون بمنزلة
الزمن لا غرضا لان افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض وهذا وان اشتهر فالذي
ارتضاه النسفي خلافه وان ذهب السيد الشريف لخلافه والتحقيق انه الخلاف
لفظي وعنده مثلث العين والكسر افصح وبدا الفصل سورة الضحى لمناسبتها
لخاتمة الفصل الذي قبله وتضمنها لكريم خطابه وعظيم نعمه عليه تشريفا
له فقال قال الجد اسمه كما جل وعلا في نفسه وفيه تادب وتاس والضحى
والليل السورة بالنصب ان لم يوقف عليها بتقدير اذكر او اقرا السورة الى اخرها

دخان

ابن الحنبلي
سيد

في السورة طايفة من القران مترجمة اقلها ثلاث ايات فان كانت معتلة فهي منقولة
من سور المدينة لاحاطتها بما فيها من مداين العلم ومنازله وان كانت مهموزة فهي
من السورة وهو البقية كما بين في محله اختلف في سبب نزول هذه السورة سبب
النزول امر حادث في زمن النبوة بنزل القران في حقه ويجوز تعدده وكما ان
للقران اسبابا كذلك للحديث وقد صنفوا في كل منهما تصانيف جليلة وان كان
المشهور وهو الاول فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل
لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك بكلام روي ان هذه المراة هي ام جميل بنت
حرب واسمها العورا امراة ابي لهب وكان ابو بكر بن العربي رحمه الله يسميها ام
قبيح وهذا ما رواه الحاكم في مستدركه وقال اسناده صحيح الا انه وجدت
فيه علة وهذه المراة كان بعضهم لكراهتها لا يحب ان يسميها ولذا قال المص
رحمه الله امراة ولما فيها من الخلاف وهذه السورة مكية اتفاقا وزعم عبد الله
ابن السكن انها احدى عمات النبي صلى الله عليه وسلم وروي ابن جرير انها امراة من
اهله او من قومه ونقل عن امراة اخرى وهو غير صحيح وفي شرح البخاري كلام
طويل هنا وقال المص بكلام ولم يصرح به لقباحته لانه روي ان ام قبيح قالت له
صلى الله عليه وسلم يا محمد ان شيطانك تركك لما رايت من عدم قيامك او لم اره
قربك منذ ليلتين او ثلاث كما ذكره البخاري قيل وهو اصح ما قيل فيه وعذره
الذي نزل به ما روي ان حجرا اصاب اصبعه صلى الله عليه وسلم فدميت فقال
صلى الله عليه وسلم • هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت • •
وقيل انما قالت ام قبيح ذلك لابطا الوحي عنه وروي ابو داود باسناد صحيح ابن اقبرس
ان ام المومنين خديجة رضي الله عنها قالت له ان ربك وفي رواية ان صاحبك
قد قلاك فنزلت وانما قالته رضي الله عنها على سبيل الاستكشاف والشفقة
او هو بتقدير الاستفهام وجمع بينهما بتعدد سبب النزول وفيه اطلاق الصاحب
على الله وقد ورد في حديث اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل
ولم تقل صاحبي وصاحبك او ربي وربك كما هو مقتضى الظاهر لنكتة وهي
الاشارة الى شدة مراقبته لله وقربه منه قربا لا ينبغي لسواه وقيل بل
تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة اي تكلموا بكلام من نوع
الكلام المذكور في سببه لنزول الاول لا بشخصه وعينه والفترة مدة قليلة
بين شيئين والسكون والمراد انقطاعه عنه ومنه قوله تعالى على فترة من
الرسل وكان الوحي تاخر عنه صلى الله عليه وسلم بضعة عشر يوما وقيل
سنتين ونصف والاول اصح فقالت قريش ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل
ان اليهود سالوه صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن
ذي القرنين فوعدهم بالجواب ولم يقل ان شا الله فانقطع عنه الوحي
وقيل بل كان في بيته جرو كلب قيل ولا مانع من تعدد السبب كما مر وقول
المص بل اصح فانه اشارة الى ان القايل الثاني ادعى رد القول الاول وجزم بخلافه ابن الحبلي
فالاضراب لذلك وقيل بل لافادة انهم تكلموا به ايضا فهو انتقالي للترقي وهو

بعيد

بعيد وقربه لان الاول اصح قال القاضي ابو الفضل عياض المص رحمه الله تضمنت هذه
السورة اي اشتملت سورة الضحى من كرامة الله تعالى وتنويهه به كرامة الله اكرامه
اي توقيره واللطف به وتنويهه به رفعة قدره وجعله مشهورا بذلك واشاعة
فضله وتعظيمه اياه جعله عظيما مهيبا في عيون الناس وقلوبهم فهو مغاير لما قبله
ومن بيانية ان قلنا بجواز تقدم البيان على المبين كما ارتضاه بعضهم والا فهو بيان
لمقدر يفسره ما بعده وليست زايدة للتعظيم كما قيل ستة مفعول تضمنت وجوه
الوجوه جمع وجه وهو مستقبل كل شي وما يواجهك منه ويطلق على الحال فيقال
فلان احسن القوم وجها اي حالا ويقول الفقها الوجه كذا اي القوي ولهذا وجه
اي ماخذ والمراد الاول وهو جمع كثرة استعمله المص رحمه الله في القلة لان كلا
منهما يقوم مقام الاخر وقد يقال انه اشارة الى انها اكثر من ذلك كما قيل الاول القسم
عما اخبره من حاله ببيان لنا والمراد حاله التي له في الدنيا والاخرة فقال والضحى والليل
اذا سجى والضحى جمع ضحوة كغزوة وغزى وهي اول النهار وسجى اي دخل واظلم
وامثاله من التسجية وهي التغطية لستره بظلمته ولذا قال تعالى وجعلنا الليل
لباسا وقلت للانس لما اختلينا وغاب داعي الهموم في حلة للدياجي مزررة بالنجوم
ومنهم من فسره باقبل او ذهب وقيل معناه سكن والمراد سكون الاصوات
او اصحابه ولكل وجهة اي ورب الضحى هذا بنا على الظاهر الذي ذهب اليه الفقها
من ان القسم لا يجوز بغير الله وصفاته من المخلوقات فيقدر فيما ورد مخالفه
رب ونحوه والظاهر ان هذا مخصوص باليمين التي تنعقد وتكون لها كفارة
واما ما يذكر للاستعطاف والملاطفة ونحوه من التعظيم فلا يختص بما ذكر كما
ورد من قوله صلى الله عليه وسلم بابي وامي وامثاله مما لا يحصى ولم ينكره
السلف وقيل انه مخصوص بالناس تعظيما لله واما الله عز وجل فله ان يقسم
بما اراد ونحوه الصلاة فانها لا تجوز لغير النبي صلى الله عليه وسلم استقلالا
على ما فيه واما هو فله ان يصلي على من اراد كقوله اللهم صل على آل ابي
اوفى والضحى صدر النهار كما مر وقيل هو هنا النهار كله واما الليل فعلى
ظاهره وما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من انهما وقت الخلوة مع المحبوب
اي وحق قربك منا وانه وجه وجيه في تعظيمه صلى الله عليه وسلم كما نقل
الطيبي رحمه الله غير ظاهر بالنسبة للضحى فتامل وهذا من اعظم درجات
المبرة اي القسم المذكور والمبرة مصدر ميمي بمعنى البر وهو الاحسان وفعل
الخير وكل امر مرضي وفيه كما قيل استعارة مكنية لجعله المبرة منزلا عاليا له
درجات يتوصل اليه ويجوز ان يكون استعارة تصريحية في الدرجات المراتب
وفي كلام المص رحمه الله نظر لم ينبهوا عليه لانه على تقدير رب يكون
التعظيم الذي يفيده القسم لله فكيف يدل على ما قاله بعض الشراح من انه
صلى الله عليه وسلم اوتي ما لم يوت احد من الرتب العالية والدعوة العا
والمعجزات الباهرة ونحوه مما لا يخفى للتالي بيان مكانته عنده وحظوته
لديه مر مرارا ان المكانة المرتبة المعنوية والحظوة بحا مهملة مثلثة وكذا

كل فعلة لاثما وا وكما قيل وفيه نظر وبعده ظا معجمة مثالة وتعال فيه حظية بالكسر
والياايضا من حظي عنده اذا كان له عنده فضل بتقربه وتحببه اليه وذكر السمين بعض
الشراح معترضا على المص رحمه الله ان الوجه الاول انما يكون تعظيما اذا انضم للمقسم عليه
المذكور في هذا الوجه فجعله تعظيما مستقلا فيه نظر وهو مثل ما قلناه اولا واجيب
عنه بان المراد ان في هذا القسم والمقسم عليه تعظيمين متغايرين احدهما بيان المكانة
والاخر المقسم عليهما وان توقف احدهما على الاخر وهذه جوزة لا محصل لها بقوله ما ودعك
ربك وما قلى الوداع له معنيان في اللغة الترك وتشييع المسافر فان فسر بالثاني
هنا على طريق الاستعارة يكون فيه ايما الى ان الله لم يتركه اصلا فانه معه اينما
كان واما الترك لو تصور من جانبه ظاهر مع دلالته لهذا المعنى على الرجوع
والتوديع انما يكون لمن يحب ويرجى عوده واليه اشار الارجاني بقوله
اذا رايت الوداع فاصبر ∗ ولا يهمنك البعاد ∗
وانتظر العود عن قريب ∗ فان قلب الوداع عادوا ∗
فقوله وما قلى مؤكد له وهذا الوارد من ذكره مع غنا بة لطفه وكلهم فسروه بالمعنى
الاول ولما ارادوا صيغة التفعيل تفيد زيادة المعنى والمبالغة فيه تقتضي
الانقطاع التام قالوا ان المبالغة في النفي لا في المنفي فتركه لحكم عليه لا لقصور
بهجره او لنفي القيد والمقيد وقرا عروة بن هشام ما ودعك بالتخفيف وورد في
الحديث شر الناس من ودعه الناس لاتقا فحشه وورد في الشعر كقوله ∗
فكان ما قدموا لانفسهم ∗ اعظم نفعا من الذي ودعوا ∗
ولذا قال في المصباح هذا اعلم ان قولهم في علم التصريف اماتوا ماضي يدع ويذر
خطا وجعله استعارة من الوديعة تعسف وقوله اي ما تركك وما ابغضك
وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك تفسير للقلى واختار الاول لمناسبته لما قبله
وان كان المشهور الثاني والا لما لعدم التصديق مع الترك فهو ترك مخصوص
وقوله بعد ان اصطفاك اي اختارك وقربك بيان للواقع ويحتمل ان يكون
من معناه الوضعي كالهجران فانه انما يكون بعد المودة وهذا مروي عن ابن
عباس رضي الله عنهما وحذف معمول قلى اختصارا للعلم به وليجري على نهج
الفواصل التي بعده او لئلا يخاطبه بما يدل على البغض وقيل الاحسن انه
حذف ليعم نفسه واصحابه وامته فكانه قال له صلى الله عليه وسلم
ما هجرك لبغض وستري منزلتك الثالث قوله تعالى وللاخرة خير لك من
الاولى قال ابن اسحاق صاحب المغازي وقد تقدمت ترجمته اي ما لك في
مرجعك ما موصولة وروي مالك بمد الهمزة اي ما تؤول اليه حالك
ومرجعك اسم زمان او مصدر في تقدير وقت رجوعك من الدنيا الى الله
في الاخرة عند الله اي في دار كرامته وجنته وهو متعلق بما لك او باعظم
واللام للاخرة لام ابتدا مؤكدة او جواب قسم وفيه تعظيم اخراي كما اعطاك
في الدنيا يعطيك في الاخرة ما هو اعلى واكثر فلا تبال بما قالوا فهو وعد فيه
تسلية لعدما نفي عنه ما يكره فهو تخلية بعد تخلية اعظم مما اعطاك

من

ابن الفرس
سيد
مواد

من كرامة الدنيا من تقريبك واعزازك ونصرك وقرة عينك بما تريد وقال سهل التستري
السابق ثم رحمته في تفسيره اي ما ادخرت لك بالدال والخا المعجمتين اي ما اعددته
لك من الذخيرة وهي ما يخبؤه من النفايس وهذا الغريب ما قيل هنا
ان الذخر بالمعجمة ما يكون في الاخرة وبالمهملة ما يكون في الدنيا قال التلمساني
وهذا غلط او وقعة فيه قوله تدخرون من الشفاعة بل الشفاعات التي سنا لحي
والمقام المحمود هو مقام الشفاعة العظمى الذي يحمده فيه الاولون والاخرون
او كل مقام يتضمن كرامة محمودة وعلى هذا يكون بمعنى ما قبله وقيل المراد ان
احوالك الاتية خير من السابقة في الدارين وقيل الدار الاخرة خير في المحبة والوجه
الرابع قوله اي ما تقوله مما يتضمن ذكره او هو بالمعنى المصدري ولسوف يعطيك
ربك فترضى وقرا ابن مسعود رضي الله عنه ولسيعطيك واللام للتاكيد وقال
الزمخشري انها لام الابتدا وهي لا تدخل الا على المبتدا فتقديرها ولانت ورده
ابن الحاجب بانه تكلف لما فيه من الحذف وخلع اللام عن معنى الحال لئلا يجتمع دليلا
حال واستقبال وليست اللام للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مؤكدا بالنون
وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة حيث اجمله ووكله الى رضاه
وهذا غاية الاحسان فاذا قلت كلما ترضاه ونزيده فقد عممت عموما بليغا ووجه
بمعنى صرت واستعارة من الوجه المعروف وهذه نقرة مع قوله وشتات
الانعام في الدارين والزيادة والشتات مصدر بمعنى التفرق اريد به متفرقاته
ويعني به انه يجمع فيك كل نوع من انواع النعم التي انعم بها على غيرك ممن اختاره
واصطفاه والزيادة على ذلك مما خصصته به او الزيادة على النعم المعروفة بلقائه
ورضوانه كما قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة او الاول ما في مقابلة عمله وعمل
غيره او الاول لما وعده واعطاه وهذا ما لم يخطر بباله مما سيعطيه وما قيل
من انه عطف تفسير للانعام لا وجه له قال ابن اسحاق يرضيه بالفلج في الدنيا
الفلج بفتح الفا واللام وبالجيم وبضمهما وسكون اللام الفوز والظفر بالاعدا
ويكون بمعنى مطلق الفوز وبفتح الفا وسكون اللام ايضا فالمراد انه يفوز في
الدنيا بنصر الله وتجبيه والثواب في الاخرة الثواب الجزا بالخير على فعل الخير
في الاخرة هذا هو المراد وان كان حقيقته الاصلية مطلق الجزا خيرا او شرا
دنيا واخرة وهذا كالوجه السابق على بعض الاحتمالات السالفة فان جعلت الاية
شاملة لكل ما اعطاه الله من كمال النفس وظهور الامر وما ادخر له مما لا يعرف
كنهه سواه كان ايضا قريبا مما قبله وقيل انه اشارة الى فتح مكة في الدنيا وقيل
يعطيه الحوض والشفاعة الحوض ما يجمع من بنا او بدونه ليجعل فيه الما
للحاجة وقد وقع ذكر هذا الحوض في حديث مسلم بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المسجد اغفا اغفاه ثم رفع راسه وقال نزلت علي انفا سورة وتلى سورة
الكوثر ثم قال اتدرون ما الكوثر هو نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو
حوض ترده امتي يوم القيامة انيته عدد نجوم السما وقوله هو حوض
ان كان الضمير للنهر فالحوض هو الكوثر وان كان للخير الكثير فهو غيره كما ورد

دلجي

اريد ارادتهما سيد

في حديث اخر الكوثر نهر في الجنة عليه حوض يمده وهذا التفسير روي عن علي وابن عباس والحسن رضي الله عنهم قيل ان اريد بهما مرادان ولو مع الغير فلا كلام وان اريد التخصيص فلا بد من قرينة وفي مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امتي وبكى فقال الله لجبريل قل له سنرضيك في امتك ولا نسوءك فيشفع حتى يقول رب رضيت اقول ان اراد الاعتراض فلا وجه له لان اللفظ متحمل له والنقل مساعده فما المانع من حمله عليه وروي عن بعض ال النبي صلى الله عليه وسلم هو علي رضي الله عنه قال السيوطي اخرجه ابو نعيم في الدلايل موقوفا واخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديثه مرفوعا وقال البرهان الحلبي روي انه الحسن بن محمد بن الحنفية وهو اول المرجية وقال الذهبي ان اول من تكلم في الارجاء زر بن عبد الله بن زرارة الهمداني ورواه الثعلبي مسندا وصاحب المعالم عن محمد بن علي ورواه ابن ابي حاتم وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما وهذه طرق تعضده انه قال ليس اية في القران ارجى منها اي من قوله ولسوف يعطيك الخ وارجى افعل تفضيل من الرجا معناه اكثر رجا فالمعنى ان هذه الاية اكثر رجا من سائر ايات الوعد وهو مجاز اصله لبيس سامع للقران وايات الوعد ارجى من سامع هذه الاية فجعل الاية نفسها ترجو مبالغة وهو من بليغ الكلام تنبيه اختلف في ارجى اية في القران فقيل هذه وقيل وهل نجازي الا الكفور وقيل انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى وقيل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقيل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الخ وقيل يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين لانه احتاط لدنيانا فكيف لا يحتاط لاخرتنا وقيل ولا ياتل اولوا الفضل الخ وقيل ولكن ليطمئن قلبي واخوف اية ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم ايها الثقلان وقيل فاين تذهبون وقيل غير ذلك ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار وقد استشكل هذا الحديث بان دخول بعض العصاة النار امر مقرر فلو لم يكن من رضاه لزم الخلف في الوعد ولذا قال العراقي رحمه الله لا يجوز الدعا بالمغفرة لجميع المؤمنين وان رد بانه ورد في الاثار وفي قوله تعالى رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات وبان عدم الخلود مغفرة ايضا واعلم انه اورد هنا ان مقام الرضا بما يريده الله والتسليم مقام عظيم للسالكين فكيف لا يكون لسيد المرسلين ولذا قال صاحب المواهب ما يغتر به بعض الجهال من انه صلى الله عليه وسلم لا يرضى واحد من امته في النار او ان يدخلها احد من امته من غرور الشيطان فانه صلى الله عليه وسلم يرضى بما يرضى به ربه وهو اعرف بحقه من ان يقول لا ارضى الخ ورد ايضا بانه جراة وسوء ادب والوجه توجيه الحديث لثبوته واتيانه وان ضعفت ولا يبعد ان يكون عذاب العصاة لعصيانهم غير مرضي لله تعالى فلا يرضى به رسوله صلى الله عليه وسلم ايضا لان رضاه على وفق رضى ربه والرضا بالقضا قد يكون مذموما فاذا لم يرض بعصيانهم ودخولهم النار لعدم رضى ربه به يدخلهم الله الجنة ولو بالاخرة للوعد به والرضا بفعل الله انما يجب من حيث انه فعل للمولى الكريم الحكيم لا من حيث هو

سيد

في ذاته وهو والمعنى في الحديث الثاني فهو صلى الله عليه وسلم لا يرضى بخلود احد من امته
النار من حيث هو في ذاته لا من حيث انه مراد الله فلا اشكال او الرضا مجاز عن ترك الطلب
اي لا اترك طلب العفو واحد من امتي في النار ولا يلزم منه عدم الرضا حقيقة وكم
طلب صلى الله عليه وسلم لامته امورا • وهو في مقام الرضا دايما واذا وعد بالارضا
فلا بد من ادخالهم الجنة لا ترك الطلب فافهمه فانه دقيق فلا ينبغي ان يجترئ احد
على ابطال الروايات باوهام الشبهات وهذا محتمل ما في شرح المواقف من ان للكفر
نسبة الى الله باعتبار فاعليته له وايجاده ونسبته الى العبد باعتبار محليته
واتصافه به وانكاره باعتبار النسبة الثانية والرضا باعتبار النسبة الاولى وفي
بعض الشروح يجوز ان يكون المراد نفي الرضا بالخلود على نهج المبالغة والاستبعاد لا لـ
ويجوز ان يكون المراد ولا يرضى ان يعصي الله احد من امته فعبر بالمسبب عن السبب
الا ان سياق الكلام يأباه • وقيل مقام الرضا انما هو في حق نفسه وهو بعيد الخامس
ما عدده الله عليه من نعمه وقرره من الآية النعم والالاء بمعنى وعبر في النعم بالعد
وفي الالاء بالتقرير اي التحقيق موافقة لقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله ولقوله
فباي الاء ربكما تكذبان فانظر حسن مقاصده وفي واحد الالاء لغات منها الى بفتح
الهمزة والكسر مع القصر والى بسكون اللام مع فتح الهمزة وكسرها والواو
في بيان او عدد ما عدده وقبله بكسر القاف وفتح البا الموحدة بزنة عنب اي عنده وفي
جهته ويقال لي قبل كذا اي طاقة وقوله في بقية السورة متعلق بعدد وهو
من قوله الم يجدك يتيما الى قوله فاما اليتيم الخ تنبيها على انه كما احسن الله فيما مضى
كذلك يحسن فيما بقي • ثم اشار اليه بقوله من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على
اختلاف التفاسير بيان لما وما هداه له عام شامل للقولين في تفسير قوله تعالى فهدى اي
فهداك او وهدى الناس بك فهدايته مصدر مضاف للفاعل او للمفعول اي هداك للشريعة
ومعالم النبوة والقران وتعليم ما لم تعلم او الطريق التي ضل فيها في طريق الشام او في
شعاب مكة في صغره صلى الله عليه وسلم وكلها اقوال مذكورة في كتب التفسير ولا
مال له فاغناه بما اتاه قيل انه معطوف على مجرور من بتقدير انه لا مال الخ ولو
جعلت حالا جاز ووجد في الآية بمعنى علم واتاه بالمد بمعنى اعطاه ولو قصرت
على معنى اتاه من عنده بما اغناه الله به كمال خديجة وابي بكر رضي الله عنهما
ومال الغنايم بل بما في خزاين الغيب الذي لو طلب ظهوره ملأ الارض لجاز وقيل
عيالا له في الآية الذين اتبعوه من امته اذ اغناهم الله به صلى الله عليه وسلم
وبما جعله في قلبه من القناعة والغنا القناعة في اللغة الرضا بما قسم الله
والاكتفا بقدر الضرورة والرضا به كما قيل •

ما كل ما فوق البسيطة كافيا • واذا قنعت فكل شي كافي •

والقناعة كنز لا يفنى والغنى غنى النفس كما ورد في الحديث وقد رفع الله قدره
صلى الله عليه وسلم عن الاحتياج لخلقه وقد خيره بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا
عبدا فاختار العبودية وقيل المراد غنى الظاهر والباطن وهو تكلف لا حاجة
اليه وبينهما فحدب عليه عمه واواه اليه اي وجده صلى الله عليه وسلم يتيما

دلجي

لموت ابيه قبل ولادته او بعدها بمدة يسيرة واليتيم الصغير الذي لا اب له ولا يتم
بعد البلوغ قيل واليتم في غير الانسان من الام وفي الطير منهما وحدب بفتح
الحاء المهملة ودال مهملة مكسورة يليها موحدة واشتهر بفتح الدال وكذا وقع
في بعض النسخ الا انهم قالوا انه غلط وهو من حدبة الظهر والمراد به العطف والشفقة
وعمه فاعله وجوز بعضهم نصبه اي عطف الله عليه عمه وليس بغلط كما قيل
والمراد به ابو طالب واسمه عبد مناف وحنوه على النبي صلى الله عليه وسلم ومحبته
له امر مشهور في السير وكان يعظمه ويعرف نبوته ولكن لم يوفقه الله للاسلام
وفي الامتاع ان فيه حكمة خفية من الله لانه عظيم في قريش لا يمكن احد منهم ان يتعدى
على ما في جواره فكان النبي صلى الله عليه وسلم في بدء امره في كنف حمايته يذب بهم عنه
كما قال ❊ والله لن يصلوا اليك بجمعهم ❊ حتى أوسد في التراب دفينا ❊
فلو اسلم لم يكن له ذمة عندهم ولذا لم يكن له صلى الله عليه وسلم بعد موته بد
من الهجرة ومن الغريب ما نقله بعضهم من ان الله احياه له صلى الله عليه وسلم
فامن به كابويه والظنه من افترا الشيعة وقوله واواه بالمد متعدا اي ضمه اليه
لتربيته وحمايته واوى بالقصر بمعنى نزل غير صحيح هنا والضمير للعم واما جده
عبد المطلب فمات في صغره وعدم احتياجه قبل البعثة لمن يحميه مما قيل من انه لم
يتعرض لعطف جده عليه اولا لانه كالاب فكانه لا يتم معه او لان عطفه امر عادي
لم ينفعه حين ظهور الاعدا ونحوه والاوجه التعميم خطا منه وقيل اوى اليه
اي قيل في تفسير هذه الاية ان معناها اواه الله اي ضمه الى نفسه ولم يحوجه
لحماية احد وابوائه وهذا في معنى ما حكي عن جعفر الصادق انه سئل لم كان النبي
صلى الله عليه وسلم يتيما في صغره فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق وقد روي هذا
عن الحسن ايضا وقيل فيه ان عليه في صغره حق لغيرهما قطعا كابي طالب فجعل ابويه
اولى واسهل من حق غيرهما والاوجه ان تعالى في حكمته ان فيه تسلية ليتامى امته واذ
فيه مع ابويه توطية لشكر نعمائه من عطفهم عليه ولا وجود لابويه ولا يخفى ان حق
الابوين عظيم وتربيتهما وشفقتهما ليست كغيرهما فلولا ناجيين معه لكان
بيتيا اليتما ابواه صلى الله عليه وسلم فلما فقدا علم عناية الله به واواه روي
بالمد والقصر ومعناه بالمد ضمه اليه كما مر وهو اولى واظهر وبالقصر من
اوى الى منزله ياوي من باب ضرب اويا اقام قال في المصباح وربما عدي
بنفسه فقيل اوى منزله وانكر بعضهم تعديه وقال الازهري انه لغة
فصيحة وقرئ بها في الشواذ وهو غير ظاهر هنا ولذا قيل انه بمعنى رحمه ورباه
او جعل له ماوى عنده وفاعل اوى ضمير مستتر يعود الى الله كضمير اليه وفي
نسخة وقيل اواه الله وروي اوى الى الله اي لجا اليه وكان الظاهر ان يقول
اواه الله اليه قيل وانما عدل عنه لما ذكر ولم يقل واواه اليه لئلا يتوهم عود
الضمير لعمه فيكون بمعنى ما قبله وهاهنا امران الاول ان المتم رحمه الله غير
ترتيب النص فذكر الهداية ثم الاغنا ثم الايوا وابقى الاولين على ترتيبهما فيه
وقدم الثالث على اخويه وقد اعترض عليه بعض الشراح ووجه ما في النظم

ابن الحنبلي

ابن الحنبلي

ابن اقبرس

اذ

انه قدر عدم تركه وقلاه اهتماما بالرد لما قالوه في سبب النزول لانه جواب لهم ثم اردفه بانه
في الاخرة ايضا غير متروك ولا مقلي وفيه ارغام لانوفهم وجواب اقوى من الاول ثم قال انه
سيعطيه فيما سياتي كما يجب ويرضى في الدنيا والاخرة ثم ذكر على ذلك التفصيل لحالة الموهبة لحوا
فقال انه اواه في صغره ويتمه وعدم المعين له فكيف يتركه بعد كبره وقدرته فقال الم
يجدك يتيما فاوى فهذا ناظر لقوله ما ودعك ربك وما قلى وعقبه بانه انقذه من الضلال
وهداه وهدى به لسبيل الرشاد فمن كان هذه حال دنياه فحال اخرته كذلك وهذا
ناظر لقوله وللاخرة خير لك وذلك بانه اغناه عمن سواه مع فاقته وعيلته فهو ناظر
لقوله ولسوف الخ ففيه شبه اللف والنشر على اتم نظام وكذا ما بعده كما سياتي وهذا
هو مقتضى المقام حال النزول والمص لما ذكر نعم الله عليه وعدها قدم اعظمها وهو
الهداية التي فيها سعادة الدارين ثم الغنى في اليد والقلب الذي هو اعظم النعم الدنيوية
بعد الهداية لسبيل الرشاد وهو لا يكون الا بهدايته ثم الايواء الذي هو بمعناه الظاهر
دون هذين فغير الترتيب واتى بترتيب مستحق اقرب الى العقول الا ان اشارة الى ان
النكات لا تتزاحم وان الحسن يحسن في كل اناس وقيل انه قدم الثالث على اخويه لتقدمه
بتفسيره الاول في الواقع وتاخيره في كلام المص لتاخره عنهما في النظم تاخيرا بينهما على قلتها
فيه مع ان المقام مقام بيان عظم شانه فاللائق تقديم الاعظم فالاعظم وقيل الاظهر
ان الاية وردت في مقام الامتنان لا كما ذكروه فقدم الاظهر فالاظهر فان اليتم والضم
معلومان بالمشاهدة وقد اختار صلى الله عليه وسلم الفقر والقناعة وفي غناه خفا
بالنسبة لتعليم الشرايع والمص قدم الاشد تعظيما واثر هذا الاسلوب اشارة لا تر فيه والى
ان الانسب في مقام التعظيم تقديم الاعلى كما في البسملة وهذه امور متكلفة لا تنزل
ساحة التنزيل فالوجه ما قدمناه الثاني ان في قوله اواه الله على احد النسخ نكتة
وهو انه لو قال اواه اليه لزم تعدي الفعل بالوساطة الى ضمير هو عين ضمير الفاعل
وهو ممنوع عند النحاة في غير افعال القلوب وعدم وفقد كما ذكروه في نحو قوله فصرهن
اليك فيحتاج لتقدير مضاف ظاهر فلذا عدل المص عنه ولنا فيه كلام فصلناه في كتاب
السوانح وقيل يتيما لا مثيل لك وفي نسخة لا مثال لك فاواك اليه اي قيل في معنى
يتيما انه لا نظير له من قولهم درة يتيمة اي لا نظير لها وتسمى فريدة ايضا لانفراد
عن نظايرها اي عدمك عديم النظير لانه كان واحدا في قريش بل جميع الخلق قال النجاتي
وهو قول ضعيف حكاه صاحب المشرع الروي وجعله في الكشاف من بدع التفاسير
وفيه ما تقدم من تعديه لضمير الفاعل ومعنى اواك اليه كما مر اصطفاك او ضمك
الى عمك ونحوه ففي مرجع ضمير اليه وجهان وفي نسخة لا ما لك قيل وتؤيده ما في
المعالم من تفسيره بالم يجدك يتيما فقيرا حين ماتت ابواك واورد عليه انه
سيصرح به فلا حاجة لذكره مع ان اليتيم لا يدل على الفقر واجيب بانه اعتبر الفقر
فيه بدلالة الواقع وتنكير يتيما لان غنى اليتيم مرغب في رعايته وكفالته
فالمنة في ضم اليتيم بدون المرغب اتم والنعمة اعظم واعاده ذكره ليمن عليه بازالته
فذكر الاول بالتبعية والثاني لذاته وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا
واغنى بك عائلا واوى بك يتيما حكاه بقيل اشارة الى ضعفه والحامل عليه ان

به

ها

يفي

سيد

وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالضلال بحسب معناه المشهور غير ظاهر فلذا صرفوه عن ظاهره
ولذا حمله بعضهم على فقده في صغره او خطوه في الطريق في سفره كما مر وقال الحلبي هذا
القول لا يساعده اعراب ولا يصحبه صواب فالاولى تركه لما فيه من تقديم المنصوب
على عامله والفا العاطفة لا الزايدة كما في قوله وربك فكبر مع وجود عامل مقدم
ملاصق وهو مما لا يجوزه النحاة ولو جعل وجد متعديا لاثنين حذف احدهما اي
وجدك رحيما فاوى بك يتيما ومهديا فهدى بك ضالا لكان اقرب واكثر النحاة
ابوه ايضا وقيل في توجيهه ان قايله ذهب لما قاله السدي انه من قبيل خطاب
السيد بما للعبيد اي وجد قومك ضالين فهداهم وقس عليه اخويه والمص رحمه
الله نقله بالمعنى او القايل فسره بما يؤول اليه ثم ان قوله الم يجدك هنا تفسير
لوجدك بما المعناه لتقاربهما وفي النظم غاير بينهما تفننا ووجدك بتقدير
اما المساوية لا الموصي فكان الثلاثة داخلة تحت قوله الم يجدك فلذا ادخلها
تحته ولا يخفى ما فيه من التكلف ولذا قال بعض الشراح انه صرف للايات عن ظاهرها
بلا دليل من غير مقتضى ذكره لعده المنن ذكره بتشديد الكاف تفعيل من الذكر اي جعله
متذكرا والمنن جمع منة وهي الاحسان وقيل ذكره بمعنى وعظه لان التذكير ورد بهذا
المعنى كما في قوله فذكر بالقران من يخاف وعيد اي عظه به والذكر على الاول خلاف
النسيان والمراد ذكره بتفصيلها او تفصيلها وان كان ذاكرا لها وكيف ينسى مثله
وقد قام حتى تورمت قدماه وقال افلا اكون عبدا شكورا وما قيل انه لعدم شعوره
بكونها متصلة على ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال سالت
ربي مسالة وددت اني لم اكن سالتها قلت اي ربي قد كان انبيا قبلي منهم من سخرت له
الريح وذكر سليمان عليه الصلاة والسلام ومنهم من كان يحيي الموتى وذكر عيسى عليه
الصلاة والسلام فقال الله الم اجدك يتيما فاويتك قلت بلى قال الم اجدك ضالا
فهديتك قلت بلى قال الم اجدك عايلا فاغنيتك قلت بلى الحديث مما لا ينبغي
ولا دلالة في الحديث لما ادعاه وما احسن قول بعض الشراح المراد اعلامه بما انعم
به عليه وقيل انه لاشتغاله بتذكر النعم العظيمة المتجددة او النعم كلها على الاجمال
يغفل عن تفصيلها وشكره كذلك او انه جعل بمنزلة الغافل وعامله معاملته
لنكتة وان سلم ان هذا غير مناسب فالتذكر بمعنى الوعظ لئلا يغفل فلا تغفل والبا
زايدة لم اخذ في تعديد لهذه السورة على انه ما قلاه بعد ما اصطفاك
فقال فانه على المعلوم من التفسير وهي على المعهود فالذي المعلوم للعهد
والمراد به جعل اليتيم واخويه من احواله لا من احوال غيره وعلى متعلقه بما
بعده وقيل بالتذكير والارادة المفهوم من الكلام لم يهمله في حال صغره
وعيلته ويتمه وقيل معرفته الضماير الظاهرة كلها له صلى الله عليه وسلم
غير ضميرانه فانه لله او للشان اوله ويهمله بمعنى يتركه ويخلي بينه وبين
نفسه والعيلة مصدر عال بعيل فهو عايل والجمع عالة كما في المصباح
بمعنى الاحتياج والفقر يقال عال اذا افتقر واعال اذا اكثر عياله وليست
العيلة بمعنى العيال كما يقوله الناس حتى يقال الاولى ان لا يوسطها بين

الصغر

الشعر والبيتم والشعر بوزن عنب معروف مفهوم من البيتم وقيل معرفته النصير لقوله
ضالا ولم يصرح بزيادة يا وان وقع في الاية موقعا حسنا والضلال قد يراد به ما وجد من
غير قصد ماخوذ من الضلال عن الطريق ولذا نسب للانبيا وغيرهم مع ما بينهما من
البون البعيد كما في هذه الاية ونظايرها كقوله فعلتها اذا وانا من الضالين والله ان
يقول في حق عباده ما شا وليس لنا ان نقول مثلها الا على سبيل الحكاية الا ترى ان السلطان
يدعوا اكبر خواصه باسمه ويسمه بوسمه فيعده تعظيما وملاطفة ولو خاطبه به غيره كان ترك
ادب يغضب به كذا في عمدة الحفاظ وهو كلام حسن وقال الهروي المراد قبل ان يعرف الشرايع
والاحكام كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وليس مجيء على استعارة لتشبيه المعلوم بمكان عال
مرتفع كما قيل ولا ودعه ولا قلاه اي ما تركه ولا ابغضه في هذه الحالة وهذا موهوم
مما في ضمنه اذ لو كان هذا الحال هداه الى ما هدي واذا كان هذا حاله قبل البعثة واتمام
النعمة ومعرفته بربه فكيف تخيل اختصاصه واصطفائه كيف للاستفهام الانكاري على من
قال انه ودعه كقوله كيف تكفرون بالله اي في اي حال يكون هذا التخيل اختصاصه
بمسمى زيادة قربه او جعله مخصوصا بنعمائه الجليلة واصطفائه اي اختياره من
بين خلقه قيل والمراد اظهار ذلك في عالم الشهادة وتقريرا لدليل على ما قاله الامام
ان كمالك وعبادتك تبعد هذه الامور ثم حيث رقيناك قبل ذلك الكمال الى ذروة العلا
فبالاولى ان لا نتركك ولا نبغضك بعد الكمال والعبادة وقيل عليه انه لا يناسب
تفسير المغني بالغنايم ونحوهما مما لم يتحقق بعد النزول وان جعلت بمنزلة المحقق
اذ لا بد من تحقق امر قبل الكمال ليعلم ثبوت مثله بعده بالاولى والاثبات والمجاز المذكور
لا يفيده فالاظهر في الاستدلال بالمعنى حينئذ ان يقال سنخصك بالطاف جليلة او انا
قدرنا لك ذلك فلا نتركك ولا نبغضك لانه مناف له فتدبر **اقول** الثابت في كتب
التاريخ ان التفسير الكبير وصل الى سورة الانبيا وكمله تلميذه الخوي فنسبة ما
ذكر للامام لا ينبغي وما اورد عليه غير وارد لانه ليس في تفسيره المذكور تعرض
للغني فكيف يلزمه بما لم يقله ومن نظر تفسيره عرف ما قلناه التحدث امر
بصيغة المصدر المضاف لفاعله كما ضبطه به بعض الشراح او الفعل الماضي كما في
المقتفي والاول اظهر ولا حاجة لتقدير ان المصدرية قبله كما في قوله تعالى ومن
اياته يريكم البرق كما قيل لانه هنا لا قرينة تدل عليه باظهار نعمته عليه هو عام شامل
لجميع ما انعم به عليه اذ اضافة المفرد تفيد العموم وقيل المراد بالنعمة هنا النبوة
او القران والاظهر الاولى هو الاول والخطاب والامر وان كان خاصا به صلى الله عليه
وسلم فهو عام لامته تعليما لهم والتحدث بالنعمة شكرها وقد قالوا انه يجب من
الانسان الثناء على نفسه وذكر محاسنه وفضايله في مواضع استثنوها من الاصل
الغالب على الكمال من هضم النفس ما روي عن علي كرم الله وجهه انه قال اذا اصبت
خيرا فحدث به اخوانك ومن مواطن التحدث بالنعم ما اذا جهل قدره ونوزع في
امره وللسيوطي رحمه الله تاليف في هذا سماه نزول الرحمة في التحدث بالنعمة
وقد روي مثله عن كثير من الصحابة وامره تعالى له صلى الله عليه وسلم بالتحدث
بما اولاه مقتضي تعظيمه لان من امر غيره بشكر نعمة من نعمه انما يامره في العادة

دلجي

سبيد

دلجي

ابن الحنبلي

بما اعظم عنده لاستهجان طلب الشكر على امر حقير وهذا يقتضي عظم المامور به ايضا
وقال بنعمة ربك دون بنعمتي اشارة الى انه رباه وفيه ايضا اشارة الى عظم قدره عنده
وعنايته به ففي هذا تعظيم ليس في الامرين الاخرين ولذا لم يذكرهما المصنف رحمه الله
فاندفع ما قيل من انه بقي هنا شي لم يذكره وهو ارشاده لمكارم الاخلاق بقوله فاما
اليتيم فلا تقهر الخ وخص اليتيم لانه لا ناصر له الا الله والسوال ذل وكسر وهما
منصوبان بالفعل بعدهما بتقدير مهما يكن من شي فاما الخ فلا حاجة لما تكلف في الجواب
عنه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث الجار
مجرور معطوف على اظهار وليس عطف تفسير كما قيل بل بيان لان اظهار النعم اذا
لم يكن ريا ولا لغرض اخر يكون شكرا للمنعم ونشره اذاعته واظهاره للناس والاشادة
الهمزة وشين معجمة ودال مهملة هو رفع الصوت به وهو كناية عن اعلام الثقلين وقوله
بقوله تنازعه امره وما بعده فان من شكر النعمة التحدث بها اي بمن التبعيضية
اشارة الى ان الشكر طرق واخر هذا منها كاظهار الملابس والمطاعم والمراكب وفي الحديث
التحدث بالنعمة شكر وفيه اذا انعم الله على عبد بنعمة احب ان يرى اثرها عليه وما
ذكره المصنف هنا منقول عن مقاتل وليس فيه تخصيص بنعمة كما توهم وهذا خاص
له صلى الله عليه وسلم عام لامته الاشارة الى الامر المذكور اي بحسب الظاهر والمراد
خاص به صلى الله عليه وسلم لانه المامور بحسب الظاهر وهو عام شامل لجميع الامة
لان امره امر لهم ما لم تقم قرينة على انه من خصايصه صلى الله عليه وسلم فهم
مامورون بهذا الامر او بامر اخر والقول بان المراد انهم مامورون بالشكر لانه
واجب عليهم تكلف وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله من ايات ربه الكبرى
لقوله تعالى جملة معترضة وقيل انها حال لازمة من فاعل قال اي متعاليا
عما لا يليق بجنابه ذكر هذه الاية لتضمنها القسم لاجله صلى الله عليه وسلم
ثم استطرد بذكر ما معها من الايات استقصا لما فيه لتعظيمه اختلف المفسرون
في قوله تعالى والنجم اذا هوى باقاويل معروفة اقاويل جمع اقوال الجمع قول
فهو جمع جمع عبر به للدلالة على كثرتها والبا متعلقة بالمفسرين او بمقدر من
جنسه لانه يقال فسره بكذا فيتعدي بالبا وهو وان كان بعيدا اظهر مما قيل
انه تعدية اختلاف فمنصوبا باقاويل او مفصحا عن اقاويل واذا في هذا ونحوه
قيل انها للحال ظرف للقسم او كاينا المقدر وليست للاستقبال لان اقسام الله
قديم وقد قال ابن هشام لا يصح تعلقه باقسم الانشاي لان القديم لا زمان
له لتقدمه على الزمان فهو متعلق بكاينا باق على استقباله بدليل صحة مجي الحال
المقدرة واجاز بعضهم انه يكون متعلقا بالعظمة المفهومة من القسم فالمعنى
اقسم بالنجم العظيم اذا هوى فان اريد بالنجم الجنس وهو به غروبه فعظمته
دلالته على حدوثه الدال على وجود الصانع وان اريد القران المنجم نزوله
فعظمته بدلالته على الاحكام وان اريد به النبي صلى الله عليه وسلم ونزوله
ليلة المعراج فعظمته بدلالته بتكريم من هو اعظم من كل عظيم كما قيل وفسر
الهوي بالطلوع ايضا اقول هذا الكلام غير مهذب فان كلام الله قديم لفظة

سيد

ابن فارس

دلجي

سيد

ابن الحنبلي

او معناه التعيين وكل ما فيه مما يدل على الزمان كالظروف والافعال ليس لمجاز بل
حقيقة باعتبار متعلقه وظهوره لان علم شيء في زمان لا يقتضي ان يكون ذلك العلم في
ذلك الزمان كما حققه علما الكلام وهذا المقام لا يسع تفصيله وتحقيقه مع انه لشهرته
غني عن البيان منها النجم محمول على ظاهره فيراد به جنس النجم او الثريا او الزهرة لان
من المشركين من كان يعبدها والثريا ليست نجما واحدا بل عدة نجوم اختلف في عددها
على اقوال فقيل ستة وقيل سبعة وقيل تسعة وقيل احدى عشر نجما وقيل اثنى عشر
والنجم صار علما لها بالغلبة وفي الحديث ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء
والهوى الغروب او الطلوع كما مر ولا حاجة الى جعل الثاني مفهوما من النجم لانه
يقال نجم قرن الشاة اذا طلع والقسم به لانه مخلوق بديع دال على صانعه وقدرته
وكذا في الهوى بمعنييه ومنها القران لانه نزل نجوما مفرقة بحسب المصالح وقال
بعض المفسرين انه نجوم القران من قولهم نجم الدين اذا جعله حصصا ومن الغريب
ما قيل انه الصحابة رضي الله عنهم لقوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم حكاه
النخجواني هنا وهو تهم موهم على هذا او هو بعيد وعن جعفر بن محمد الامام الصادق
تقدمت ترجمته انه محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقل ومنها لانه مع ما قبله كوجه
واحد لشدة مناسبته له وهذا وان سبق لا يعد تكرارا لاختلاف الغرض فيهما والقول
بانه ليس منها الا وجه له والمقسم به ولد واحد وهو امر مستحسن عند البلغا كما ذكره الزمخشري
لقول البحتري وثنايا لك انها اغريض فانظره في شروح الكشاف ولنا فيه كلام في السوانح
وقد تقدم تفسيره هو به على هذا وقال الى جعفر مرة اخرى وفي نسخة وقال سهل
وتقدمت ترجمته ما هو قلب محمد عليه الصلاة والسلام من اطلاق النجم عليه صلى
الله عليه وسلم ظاهر كما اطلقه الشراح واما اطلاقه على قلبه فلاشراقه بالانوار
الالهية وهو منبعها ومنبع الهداية وان كان فيه خفا وقيل انه النبات الساقط على
الارض والنجم ما لا ساق له وما له ساق شجر وقيل تقديره ورب كما مر وذكر المصنف
رحمه الله السلام دون الصلاة وقد قيل كما مر انه مكروه كعكسه مع ان الذي في
النسخ الصحيحة صلى الله عليه وسلم مع انه يحتمل انه تلفظ به ولم يكتبه او مذهب
المص رحمه الله عدم كراهته وقد قيل في قوله تعالى والسماء والطارق وما ادراك
ما الطارق النجم الثاقب الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام لشدة اضاءته والطارق اصل
معناه من ياتي ليلا لانه يطرق الباب لغلق ليلا او الارض برجله ثم غلب على النجم لظهوره
ليلا ومنه الطريق لانها مطروقة بالارجل وقيل الطارق زحل وكل ما يرى ويظهر ليلا
يسمى طارقا قال الزمخشري اراد الله ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما لما فيه من عظيم قدرته
ولطيف صنعه فابهمه ثم فسره ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم وذكر ان الله
اقسم به على حفظ كل نفس فكيف بمن هو انفس الانفس فهو اشارة الى عصمته صلى الله عليه
وسلم ولهذا الاعتبار يكون مما نحن فيه فان لم يلاحظ هذا يكون تاييدا لقول جعفر
فلا وجه لما قيل من ان الاحسن ذكره في فصل القسم به السابق ولام القول بانه
اشارة الى عدم الاستيفا او انه غفل عن ذكره هنا فتذكر وذكر وعلى هذا فالطارق
اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم اتى في دجى الكفر والظلم او لان معناه سالك الطريق

كما قاله الراغب حكاه التسليمي بضم التشين وفتح اللام وتقدمت ترجمته تضمنت هذه الايات
من فضله وشرفه العد التضمن الاشتمال وجعله في ضمنه اي اشتملت واوفت بها كما يفي الضامن بما
ضمنه قال المؤلف والعد بكسر العين وتشديد الدال المهملتين الماء الدائم الجريان الذي
لا تنقطع مادته والغدير والكبير ويصح ارادة كل منهما وعلى الاول فيه تشبيه له لكثرة
الانتفاع به مع انه لا ينقطع عنه مدد الفياض وفيه تجنيس ما يقفه دونه العد بالفتح
والتشديد شبه العد والاحصاء برجل يجري ليصل الى الاحاطة بمنافيه فبعد عنه حتى
اعيى وانقطع دون مرامه ففيه استعارة تمثيلية وتقدير صاحب لعد يذهب برونق
الكلام ومايه ودون هنا بمعنى قبل كما في قول ابن دريد
ان امرأ القيس جرى الى مدى * فاعتاقه حمامه دون المدى
وقد تقدم الكلام عليها في الخطبة اقسم جل جلاله هو كجد جده كما مر وفي نسخة جل
اسمه على هداية المصطفى صلى الله عليه وسلم وتنزيهه عن الهوى هذا ما دل عليه
قوله ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى اشارة الى ان نفي الضلال والغواية
فهو كناية عن الهداية وان توهم في بادي النظر التباين بينهما واسقطه فان الصغير ونحوه
ليس بضال ولا مهدي لكنه لما اكد بنفي الغواية دل على ان المراد اثبات الهداية على
وجه بليغ وكذا نفي النطق بالهوى المراد به انه ليس له هوى ولا نطق به على منوال قوله
ولا ترى الضب بها ينجحر * ولذا ذهب المفسرون لما ذكر والهوى ميل القلب الى خلاف
الصواب وحب الشهوات وصدقه فيما تلاه وانه وحي يوحى فيما تلاه متعلق
بصدقه او تنازع فيه هو وما قبله والذي تلاه هو القرآن والتلاوة في عرف اللغة
والشرع تختص به وان كانت قد تطلق على مطلق التكلم لانه من تلاه يتلوه اذا اتبعه
وهو وحي متبع وضميره انه راجع لما وهو القرآن والوحي تطلق على معان كالكتابة
والاشارة والرسالة والالهام ونحوه مما فيه خفاء واتى بيوحى بعد الوحي للتاكيد
ودفع المجاز وافادة انه يتجدد شيئا فشيئا وقيل الوحي كل ما ينطق به وانه يجوز في
قوله ان هو الخ ان يكون استئنافا غير مقسم عليه وضمير ينطق انه يكون للقرآن
ويمكن تطبيق كلام المص عليه ولم يذكر الحصر المذكور في النظم اشارة الى ان نحو
الكلام يفيده لان المقصود نفي وجوه البطلان فاذا نفي انه وحي كذا على وجه دل على
هذا كما لا يخفى فلا يرد عليه ما قيل انه اخل بالحصر والقسم به على الاثبات والنفي
الذي افاده قوله ان هو الا وحي يوحى وهو انسب بتعظيم القرآن الذي جاء به النظم
المقتضي لتعظيم من جاء به وتبجيله وهو المناسب لما قصده المص رحمه الله ثم اني
بكلام اوهم انه ابو عذرته ما له ما ذكرناه وهو مسبوق به ثم قال كيف يتوجه القسم
الى قوله انه هو الخ مع انه لم يدخل به القسم ولم يعطف على ما تحوله وجوابه والجواب
انه بيان لقوله وما ينطق عن الهوى سواء كان المراد انه ينطق بوحي متلو هو القرآن
او ان كل ما ينطق به مما يتعلق بالدين وحي من عند الله ولذا رجح القسطلاني
عود ضمير هو الى النطق المفهوم من ينطق وليس عائدا للقرآن فان نطقه بالقرآن
والسنة وكل منهما وحي من عند الله ولذا فسر قوله وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة بالقرآن والسنة لانها كانت تنزل عليه صلى الله عليه وسلم كما ينزل القرآن

اوصله اليه عن الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام وهو الشديد القوي اي اوصل
الوحي بجميعه كما بيناه فلا وجه لما قيل ان كان المراد القران فلا خلاف فيه وان كان كل ما ينطق
به فهو على التغليب او المراد انه اوصله بواسطة غيره او بلا واسطة والشديد القوي
من اضافة الصفة المشبهة لفاعلها اي قواه شديدة والقوي جمع قوة واصل معناه
طاقة الحبل المفتول وجبريل عليه الصلاة والسلام موصوف من بين الملائكة بالقوة
العلمية لتلقيه عن الله ما لا يقدر غيره على تبليغه والقوة الحسية لقلبه قرى قوم
لوط عليه الصلاة والسلام واهلاكه بعض القوم بصيحة منه ونزوله من فوق السماء
الى الارض في اقل من طرفة عين وقيل الشديد القوي هو الله العظيم القدرة ثم اخبر تعالى
عن فضيلته بقصة الاسرا الباللام اما متعلقة باخبر او للتشبيه بقصته وثم للاشارة
الى بعد هذه القصة عما قبلها كزيادة شرفها والاسرا اسراؤه من مكة للبيت المقدس
والمعراج عروجه منه الى الملا الاعلى فلا يناسب تفسير الاول بالثاني وان كان كل منهما
يطلق على الاخر والفضيلة ما اكرمه الله به من تقريبه وتشريفه بما لا يعلمه غيره وابتدا
القصة من قوله فاستوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الخ فانها في المعراج في قول طائفة
قيل والاصح ان قوله ولقد راه نزلة اخرى المراد به رؤية جبريل عليه الصلاة والسلام
على صورته الاصلية ويؤيده ان ما قبله ليس حكاية عما في المعراج على راي الاكثرين ولم
يتعرض المصنف رحمه الله لتفصيله بل اتى بما متعقبا بقوله وانتهائه الى سدرة المنتهى
السدرة واحدة السدر وهي شجرة النبق وهذه من جنسها ولذا ورد فيها ان نبقها
كقلال هجر وهي عن يمين العرش وورد انها في السما السادسة والسابعة ووفق بينهما
بان اصلها في السادسة وفروعها تنتهي للسابعة واضيفت للمنتهى بمعنى لانتهائها او محله
لانها ينتهي اليها علم المقادير او الارواح او الملائكة وسياتي تفصيل حالها في مبحث الاسرا
وفي الرؤية في قوله ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى وفي المرئي اختلاف
ايضا هل هو الله او جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته الاصلية والمعراج
هل كان الى السما او الجنة او لما فوقها وما ذكره المصنف من انتهائه اليها لا ينافي انه لما
فوقها وتصديق بصره فيما راى اي تصديق الله له في رؤيته بقوله ما زاغ البصر
الخ كما سياتي اي ما راه واعتقاده بسببه رؤيته حتى يطابق للواقع والرؤية
وان كانت فعلا الا انه يقال صدقت فعله اذا اثبته اثباتا متيقنا لانه لم يجاوز
بصره ما راه ولم يمل عنه ولم يعدل عما امر برؤيته ومدح الله له دليل على عدم
خطائه لتركه الالتفات تادبا فلا وجه لما قيل ان ذلك لا يدل على تصديقه
وهذا معنى قوله ما كذب الفؤاد ما راى اي ببصره مما تراى ما كذب بصره فيما
حكاه له فان الامور القدسية تدرك بالقلب ثم بالبصر او ما قال فؤاده لما
راه لا اعرفك ولو قاله لكذب لانه عرفه بفؤاده كما راه ببصره يقينا لا تخيلا
كما قاله بعض الشراح وقوله وانه راى من ايات ربه الكبرى اشارة الى قوله
تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى ومن بيانية مبينة لمقدر او تبعيضية او
زائدة اي راى صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به الكبرى من ايات ربه وعجائب
ملكوته وقال البيضاوي اي والله لقد راى الكبرى من ايات ربه وعجائبه الملكية

والملكوتية ليلة المعراج وقيل الفا المعنية بما راي والكبري صفة الايات والمفعول محذوف
او مفعول ومن ايات حال مقدمة وعلى البيان تغاير الجميع الايات وعلى التبعيض المرجي نعمتها
وزيادة من في الاثبات مرجوحة عند النحاة فالمعنى انه راي ما راي مما لا يمكن وصفه سيد
قيل والاضافة الى الرب تدل على الفاخرة ولو رآه لكان الظاهر ذكره دون اياته قاله
صاحب الكشاف وفيه كما قيل انه نزعة اعتزالية وفيه نظر وقد نبه على مثل هذا في اول افيرس
سورة الاسرا ضمير نبه لله والتنبيه يكون بمعنى ايقاظ النائم وارشاد الغافل ومطلق
البيان وهو المراد لكنه ايما الى كونه بالليل يشير الى قوله في اول سورة الاسرا لنريه من
اياتنا انه هو السميع البصير وجعله مثله لانه في سورة النجم ذكر تحققه وفيه بخلاوه
هنا مع شموله لما قبل العروج وبعده لقول المفسرين ان المعنى لنريه من اياتنا برؤيته
السموات وما فيهما من العجايب ومشاهدته البيت المقدس ومقامات الانبيا عليهم
الصلاة والسلام ومواطن عباداتهم وتفضيله له وبينهما مناسبة بد لالتهما على رؤية
الايات الكبرى الا ان فيها اشارة باقامة الاراءة له بضمير العظمة وجعل نفسه هو
السميع وهو البصير الى زيادة قربه وعظمته كما لا يخفي على من له ذوق وافتتحها
بسبحان الدالة على التنزيه نفيا للجهة المتوهمة واشارة لبراءة ساحته عن استبعاد
ما استبعدوه حتى قالوا ما قالوه ولما كان ما كاشفه عليه الصلاة والسلام
من ذلك الجبروت لما بالتشديد وفتح اللام وما موصولة وكاشف فاعل من
الكشف وهو رفع الغطا والكشف عن الشيء يقتضي معاينته ومشاهدته
ولذا وقع هنا عبارة عن المعاينة ولذا علق به قوله من الجبروت وعطف عليه قوله ومشاهده افيرس
من عجايب الملكوت عطف تفسير فلا وجه لما قيل المناسب ان يقول فشاهده لان المشاهدة
اثر الكشف لصحة قولك كشف فشاهد لكنه راعي السجع اذ لا يمتنع ان يقال رفع غطا ما هناك
من الجبروت لان المراد انه غاب الجبروت واطلع عليه لا رفع غطاه والجبروت فعلوت
بفتح الفا والعين ولام مضمومة بينهما واو ساكنة وتاطويله وتسكين البا والهمز غلط كما قاله
ابن مكي في تثقيف اللسان وهو بمعنى العظمة والجلالة من الجبر وهو القهر من تجبر بمعنى
تعظم كما في القاموس وله معنى اخر غير مناسب هنا وقيل المراد بالمكاشفة الدلالة سيد
لانه معنى من المعاني لا يشاهد ولو ابقي على ظاهره جاز وقيل المكاشفة غير المشاهدة
فالعلاقة لبناصلة الموصول واحد بل المراد الجنس الذي كاشف بعضه وشاهد بعضه
او انه يقدر موصول بناء على تجويز حذفه مع بقاء صلته وهو تكلف لا حاجة اليه ابن الحنبلي
والمراد الملكوت عالم الغيب والملك عالم الشهادة قال تعالى اولم ينظروا في ملكوت
السموات والارض وهو مصدر ملك مع المبالغة وهو مختص بالله قيل وكان الاظهر
ان يقول وعجايب الملك والملكوت وفيه نظر لا تخبط به العبارات والعبارة اللفظ
المعبر به عن المعنى من العبور وهو المرور قال تعالى الا عابري سبيل اطلق عليه
لتوهم ان الفهم يعبر به وفي المصباح العبارة البيان بكسر العين وحكي في المحكم فتحها
ايضا انتهى اي تقصر العبارة عن ادائه لكثرته بحيث لا تفي العبارة بتفصيله او هو على
اطلاقه مبالغة قيل وهو ناظر الى ما شاهده وقوله ولا تستقل بحمل سماع ادناه
المنقول ناظر الى ما كاشفه على اللف والنشر المشوش وهو مبني على تغايرهما كما

مر

مر و تستقل استقصال من اقلهن الارض اذا رفعه ثم صار بمعنى حمله ومنه القلة ويكون استعمال
من القلة اي عدك الشيء قليلا واستقل بالامر استبد وانفرد كما قيل
ربما تقصر الصديق المعنل • عن حقوق لهن لا يستقل
ولهذا هو المراد اي لا يقدر على حمله الا بقوة قدسية ومساعدة ربانية وقيل المراد الاول
اي لا تطيق العقول غير عقل النبي صلى الله عليه وسلم حمله وادنى افعل تفضيل بمعنى اقل اي
لا يقدر على اقله فضلا عن كله واكثره وفي كلامه مبالغة واغراق حيث اضاف الحمل للسماع
وهو كالتحمل لنقل الحديث يعني ان التعبير عنه غير ممكن ولو امكن لا يتحمله ولعيه سامعه
رمز عنه تعالى وجل بالايما والكناية الدالة على التعظيم جواب لما وفاعله ضمير مستتر لله عز
وجل والرمز في الاصل الاشارة الخفية بالعين او الحاجب ونحوه والايما الاشارة بالراس
يتعدى بالى قال الشاعر • رمزت الي مخافة من بعلها •
والمص عداه بعن لتضمينه معنى التعبير والكناية في عرف اهل المعاني ما يراد به لازم
معناه الحقيقي مع جواز ارادته وعند اهل الاصول ما يقابل الصريح وهو المراد هنا
يعني انه اتى بالموصول الاسمي المبهم ومثله يستعمل للتعظيم لما فيه من الاشارة الى انه
لا يدرك كنهه كقوله عز وجل فغشيهم من اليم ما غشيهم • وقوله
وكان ما كان مما لست اذكره • فظن خيرا ولا تسال عن الخبر •
مع ترك المفعول ايضا وهذا مما اتفق عليه النحاة واهل المعاني الا ان فيه اشكالا لانهم اشترطوا
في الصلة ان تكون معروفة معهودة حتى يتعرف بها الموصول فاذا كانت مبهمة لم يعرف معناها
حتى يعرف غيرها بها وقول ناظر الجيش ان هذا فيما اذا لم يقصد ابهامه لا يجدي نفعا وان
تبعه من بعده كالدماميني فالتحقيق ان يقال الاتيان بها مبهمة من اعلى طبقات
البلاغة لان الذهن يذهب كل مذهب ويقع في النفس موقعا عظيما فيتصوره السامع
لهذه الطريق ويرتسم في ذهنه اشد ارتسام وليس المراد بالعهد الا هذا فاعرفه فقال تعالى
فاوحى الى عبده ما اوحى هذا وما سياتي تفسير وتفصيل للرمز عما كشفه وشاهده مع
الاشعار بما في الابهام من التعظيم وقيل ان هذا مبني على انه الكبرى صفة الايات
ومن تبعيضية وفاعل اوحى الاول والثاني رب العزة اي اوحى الله ما اوحاه الى نبيه
عليه الصلاة والسلام او هما ضمير جبريل عليه الصلاة والسلام لا ان الاول لله والثاني
لجبريل او العكس وان كانت ما فيهما مبهمة ظاهرا وكلام المص في الباب الثالث يقتضي اختلاف
الضمير فيهما اقول يعني انه على بعض الوجوه لا يكون من قبيل النوع المذكور عند اهل
البلاغة الاتي ذكره كما صرح به القايل والقول على هذا اثني عشر وجها يجري في هذه
العبارة من ضرب ما الثلاثة في اربعة حاصلة من اتحاد الضميرين واختلافهما فان ضربناها
في وجهي الكبرى كانت اربعة وعشرين ولكن ما قاله لا وجه له فان البلاغة والمبالغة
انما جاءت من الابهام وهو موجود في سائر الوجوه لدلالتها على ان ما اوحى لا يحيط به
نطاق العبارة ولا تسعه الاسماع والاذهان البشرية ولا تطلع على سر فائدته الا نفس القدسية
وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ
ابواب الايجاز الايما والاشارة والوحي كلها بمعنى واحد هنا وهذا النوع من محاسن الكلام
البليغ صرح به المبرد في كامله وسماه الايما وصرح به التبريزي في شرح ديوان ابي تمام

سعد وابن الخشاب

سنية

وفي الكشاف اشارة اليه وقد وقعت هذه التسمية في كلام العرب ايضا كقوله
يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحي المريب مخافة الرقباء *
وهو ان يقصد بالكلام معنى غير ما وضع له وغير لوازمه المعروفة فيؤخذ منه معنى
لطيف يفهمه اهل اللسان الاذكيا ولذا فسمته توسعا لهذا الاسم ومثلوا له بقوله
جاؤا بمذق هل رايت الذيب قط * فانه اراد انه مزج بما كثير حتى مال لونه للرماد به
ثم كني به عن لومهم وبخلهم ومنه قول المنازي في سفح واد نزوع حصاه خالية العذارى
فتلمس جانب العقد النظيم * وقد صرح به اهل المعاني قال ابو هلال في كتاب الصناعتين
في فصل عقده لهذا الاشارة ان يكون اللفظ القليل مشارا به الى معان كثيرة بايما اليها
ولمحة تدل عليها وذلك كقول الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى وقول الناس لو رايت
علينا بين الصفين انتهى ثم اورد له امثلة وشواهد كقوله الغير ولي وانا انا وقوله
هذا ارجاي وهذي مصر معرضة وانت انت وقد ناديت من لبث *
كما فصلناه في طراز المجالس وهذا ليس له عبارة مخصوصة كالموصول وما نحن فيه فان
الايجاز من لوازمه وهنا لما قال فاوحى الى عبده ما اوحى قصد انه اوحى اليه باسرار
عجيبة بواسطة غير البشر وبغير واسطة لا يمكن تفصيلها ولا تقدر العقول على
ادراك حقايقها واراد بهذا ان له مرتبة عظيمة عند الله وله من الزلفى والقرب
منزلة لم يصل اليها سواه ولذا عبر بالعبد اشارة الى انه ليس باجنبي في مقامه
الى غير ذلك من المعاني التي لو فصلناها ضاق عنها نطاق البيان وبعض الشراح لما
لم يقف على مراده قال تسميته بالاشارة واضح لكن الذي عليه اهل البلاغة انه تفخيم
نحو فغشيهم من اليم ما غشيهم واما تسميته وحيا فلعله اصطلاح قديم وهو نكتة
لايراد المبتدا موصولا والابلغية فيه بالايجاز وفيه انه ليس بلازم هنا كما اذا قلت
في شي واحد علمت ما هو كراهة ان يطلع عليه غيرك فما ذكره ممنوع وتعقبه
من قال انه اتم انواع الايجاز لادا المراد بلفظ اقل من المتعارف فيه وقد ترك
تفصيله لعظمته فمنع منعه وزعم دفعه بما لا محصل له وليعض الشراح هنا
كلام لا محصل له اضربنا عنه لعدم فايدته والعجب من عدم اطلاع هولا وخبطهم
خبط عشوا والنقد تمييز الجيد من الردي بنظر شديد ففيه استعارة لتشبيه
الكلام بالذهب ونحوه والعارف به يسمى بالصيرفي وقوله وهذا النوع اشارة
الى هذا الكلام وامثاله او الى النوع الذي في ضمن جزئي من جزئياته فلا يرد عليه
ان ما ذكر ليس بنوع بل كلام لشخص والمراد باهل البلاغة البلغا او العلما بعلم
البلاغة والبلاغة عندهم معروفة وقال تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى
انحسرت الاوهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام عن تعيين تلك الايات
الكبرى انحسر بمعنى اعيى وكل وتاه من التيه وهو الضلال في الطريق والتحير
والاوهام جمع وهم وهو الادراك والاحلام جمع حلم بزنة قفل وهو العقل
ويكون بمعنى ما يراه النايم وليس بمراد هنا خلافا لمن توهمه وشبه الطالب
للوقوف على المعنى بسالك في الطريق الطويلة التي يتعب المسافر فيها وقد
تخفى عليه فيضل فيها فبين قوله تاه والحسر مناسبة تامة والتفصيل التمييز

الملاحظ خ

افترى

سيد

ابن الحنبلي

وصد

وفيه الاجمال والتعيين تحقيق عين الشيء وفي ذكر التفصيل مع الاختصار والتعيين مع التنبيه
للمقام والاشارة بتلك الايات لجميع ما راى وقيل للمرئي منها وهو ايات كبرى لا الى جميعها
لما مر من ان احتمال ان يراد البعض هو الراجح فيليق حمل كلام المص عليه وان كان خلاف الظاهر
مع ان التعظيم انما يستفاد من حذف المفعول به الذي هو بعضها واعتبار ان التقدير لقد
راى من ايات ربه الكبرى ما راى فيه نظر قال القاضي ابو الفضل هو المصنف عياض رحمه الله
اشتملت هذه الايات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم اي مجموعها من
قوله والنجم الى قوله الكبرى وان لم تكن كل واحدة منها مشتملة عليه والتزكية تطهير
من النقايص البشرية وجملة ذاته وصفاته الظاهرة والباطنة ونفسه القدسية واذا
اخبرك الله بذلك فقد جعله زكيا وعصمه من الافات في هذا المسرى العصمة من عصمه
يعصمه من باب ضرب اذا حفظه وصانه واعتصمت بالله امتنعت به والاسم العصمة
والمسرى مكان السرى او نفس السرى على انه مصدر ميمي والافات جمع افة وهي
ما يعرض من المفاسد ولما اخبر الله في هذه الايات بما حصلت به التزكية كان كانه اعلم
بها بنفسه ولذا فسره المص رحمه الله بقوله فزكى فواده ولسانه وجوارحه قال
السيوطي رحمه الله وقع في نسخة وزكى بالواو والصحيح انه بالفا التفسيرية
المفسرة لقوله اشتملت والواو مخلة بالمعنى ولا وجه لما قاله فان العطف التفسيري
كما يكون بالفا يكون بالواو كما في قوله انما اشكو بثي وحزني وقد يكون ابلغ اذا
قصد انه لمغايرته بالتفصيل والاجمال كانه غيره والفواد القلب عبر به اولا لموافقة
الاية وعبر بعده بالقلب فرارا من سورة التكرار وقيل الفواد وعا القلب فذكر المحل
واراد الحال وقيل هو داخله ويكون بمعنى العقل وتجوز اراديه هنا والاول اصح
واوضح واللسان معروف والجوارح جمع جارحة وهو العضو الذي يكتسب به كما
في الصحاح ويعلم ما جرحتم اي كسبتم والظاهر اختصاصها بالاعضا الظاهرة كاليدين
وجعلها شاملة للقلب لاكتسابه بعض الامور او على التغليب فهو تعميم بعد تخصيص
تكلف ولم يذكر هنا الا اللسان والبصر ولذا قيل المراد بعض جوارحه او هو بنا على
ان اقل الجمع اثنان او هو بالنظر لكل من المعنيين او لجعل هذين العضوين بمنزلة الجميع
او عبارة عنها لان المرء باصغريه قلبه ولسانه وهما كالسلطان والوزير وما عداهما
تبع لهما والذي في نسخ الشراح هنا قلبه بقوله ما كذب الفواد ما راى بدون اثبات
واو وهو الظاهر لانه بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل وقد جوز في مثله ان
يكون بدل كل او بعض بتقدير ضمير او بدونه وفيه كلام فصلناه في غير هذا الكتاب
وفي بعض النسخ وقلبه بالواو وعلى نحو ما مر في العطف التفسيري وروي فزكى
قلبه بالفا التفصيلية التفسيرية على اللف والنشر وهو استينافي وجواب سوال
مقدر تقديره كيف زكاه فقال قلبه الخ والمقام مقام بسط وتطويل وهو مقبول من
مثله فالقول بان فيه طولا ولو قال فزكى قلبه بقوله الخ مع نصب القلب وما بعده
كان اولى واخصر غير متجه والكذب معروف يوصف به الكلام والمتكلم وقيل المعنى
ما كذب الفواد ما راه اي اعتقده وهو غير مقبول عند المص لانه يأباه ما زاغ
البصر وما طغى وقال المفسرون ان القلب لم يتوهم العين ولم ينكر ما راته

وعليها شرح الدلجي

تلمساني

ويلزم من تزكيتهما تزكيته فلا يقال ان التزكية حينئذ للعين لا للقلب لان قبوله الحق تزكية
له وهذا مراد من قال ما قال فؤاده للذي رآه بصره لم اعرفك كما قاله القاضي ولو قال
ذلك كان كاذبا لانه عرفه وهل المرئي الرب او غيره سياتي تفصيله والمراد نفي الخطا
عن اعتقاده ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وهذا وان لم يكن مخصوصا
فيكفي شموله له الا اذا خص بالقران كما ذهب اليه الاكثر الا انه بني كلامه على بعض
الاقوال وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى اي ما مال بصره صلى الله عليه وسلم
يمينا ولا شمالا ولا تجاوز حده في نظره لما هو امامه ففيه تزكية لبصره وهو تزكية
له وبيان لثبات جنانه او كمال ادبه وهو في رؤيته لربه جل وعلا في معراجه كما
سياتي وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم
هي النجوم فالخنس الكواكب الرواجع وهي ما عدا النيرين من السيارات ولذا وصفها
بالجوار لسيرها والكنس التي تغيب في مغاربها من كنس اذا دخل كناسه والكناس بيت
الظبي كالغيل للاسد والوكر للطير والجحر للحشرات والبيت للانسان فهو على التشبيه
والخنس تقعر الانف والظبا فوصف به والشيطان من الجن مردتهم وقد يختص بابليس
من شاط اذا احترق او من شطن اذا بعد وهو انسب بالرجيم لانه المرجوم بالشهب
لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم عند مرسله وهو الله عز وجل وعلى
عدم الزيادة انه واضح غير محتاج للتاكيد بقسم وغيره وهو قول لاكثر المفسرين
لانه الاصل وعلى الزيادة لمناسبة المقام ولقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم
ولثبوت الزيادة في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم مع اشتراك المقامين في بيان
شان القران واختاره المص لمناسبته لما عقد له الفصل واشار لعدم القسم فيما
سبق لما فيه من التعظيم او اشارة لجواز الامرين او الفرق بين الموضعين مع ان
في الاية ما يناسب النفي والهام عدم جواز غيره لا يعتد به وضميرانه للقران او لما
اخبر عنه من المغيبات والقول بمعنى المقول والرسول المرسل ولم يعبر بلفظ الراد
كما هو دابه وقيل التقدير لقول مرسل رسول والكريم بمعنى العظيم او الجواد
لسعادة الدارين قيل فاعل اقسم جبريل واضاف القسم له لا لقائله له صلى الله عليه
وسلم كلاما مؤلفا ثم صرفه عنه بقوله تنزيل من رب العالمين وكريم ومكين
صفة جبريل عليه الصلاة والسلام على الاصح وقيل المراد به النبي صلى الله عليه
وسلم وتفسير المص بكريم عند مرسل لا حاجة اليه مع قوله عند ذي العرش مكين
والغرض انه ضده غير الاصح ولذا نقله عن الرماني فيما ياتي اقول يجوز جعله
اقسم لله عز وجل واعتراضه على المص رحمه الله لا وجه له سوا اراد ان المكانة عند الله
تستلزم كونه عنده او ان العندية من قوله عند ذي العرش لانه مقام مدح فتقتضي
التصريح بما يدل عليه مع ان ما ذكره غير مسلم والعندية عندية تشريف وتعظيم
فتامل ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي حمله بالتشديد مع البنا للفاعل
اي حمله الله او المفعول والتحميل في الرسالة لثقلها مشهور وهو في الاصل
استعارة لنقل الامانة وعند ظرف لمكين والقوة معروفة وقد تفسر بالمنزلة
كما يقال فلان قوي عند السلطان فيتنازع هو ومكين الظرف او الظرف صفة

الكلام افترى

اخرى

ذي القوة صفة جبريل عليه الصلاة والسلام لما حمله اي الوحي الى النبي صلى الله عليه
وسلم او هو النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه لامته والمراد بالوحي القران لقوله انا
سنلقي عليك قولا ثقيلا مكين اي متمكن المنزلة عند ربه رفيع المحل عنده يعني ان مكين
بمعنى متمكن المنزلة اي معظم مبجل رفيع المقدار عنده ومعنى العندية معلوم مما
مر في اعرابها وتفسيره بالمتمكن لا يخالف ما تقدم من ان المكانة المنزلة عند الملك
كما قيل مطاع ثم اي في السما ثم بفتح المثلثة وتشديد الميم مبني على الفتح اسم اشارة
الى المكان بمعنى هناك وترسم بالها للوقف بها عليه ونقل انه لغة فيه ايضا كما مر
ودل على قوله في السما قوله عند ذي العرش واشارة البعيد والمقام وهو قريب من
قوله في الكشاف مطاع عند ذي العرش في ملايكته ويجوز تعلقه بالامانة وبهما
امين على الوحي وخصه بذلك لان المقام يقتضيه وهو مؤتمن عليه وعلى غيره
وكذا فسر بمقبول القول فصدق فيما يقول ويجوز فيما ذكر ان يراد به جبريل
والنبي صلى الله عليهما وسلم لاطلاق الامين على كل منهما وكون جبريل عليه الصلاة
والسلام مطاع في السما اظهر وان قيل النبي صلى الله عليه وسلم مطاع فيها ايضا
لامامته بالانبيا عليهم الصلاة والسلام فيها وما جرى بينه وبين ملك الجبال
وغيره الا انه خلاف الظاهر وجوز في ثم ان يكون اشارة للظرف السابق اي مطاع
عند ذي العرش مقبول الشفاعة وهو بعيد قال علي بن عيسى رحمه الله في
المغني الظاهر انه ابو الحسين علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني الامام
في النحو واللغة والتفسير والكلام له تفسير عظيم لم نقف عليه وهو تلميذ
ابن دريد ويروي عنه جماعة توفي ليلة الاحد حادي عشر جمادي الاولى سنة
اربع وثمانين وثلاثمائة وقيل سنة اثنين وثمانين ومولده ببغداد سنة
وتسعين ومايتين واصله من سر من راى والرماني نسبة الى بيع الرمان او الى قصر
رمان وهو قصر معروف بواسط كما قاله ابن خلكان وله ترجمة في الميزان
الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم لجميع الاوصاف بعد على هذا صلى
الله عليه وسلم هذا قول الجمهور وبعد هنا منهم من قال انه بالموحدة بلفظ
بعد ضد قبل اي بعد ذكره على هذا القول والتفسير ومنهم من قال انه بالمثناة
الفوقية فعل مجهول من العدد والجملة خبر وعلى الاول الظرف متعلق بمقدر
وله خبر وعلى متعلق بما تعلق به او بالمثنا المقدر وضمير له عليهما للنبي صلى الله
عليه وسلم اي على هذا القول الاوصاف المذكورة بعده او المعدودة للنبي صلى
الله عليه وسلم حتى مطاعيته في السما كما مر وما قيل من انه في الصفات المذكورة
ما يعين انه جبريل عليه الصلاة والسلام مبني على الظاهر المتبادر ورده
بان ملك الجبال قال امرني ربي ان اطيعك ولا يتخلف ملك عن امر بل الشجر
والدواب كذلك لا يخفى ما فيه وقال غيره هو جبريل عليه الصلاة والسلام
فترجع الاوصاف اليه ضمير غيره هنا راجع لعلي بن عيسى ولم يلتفت لغيره
المذكور لعدم تعينه ولانا بع له او هو راجع لصاحب تاويله بغير من ذكر
ومثله كثير فالغير هنا غير الغير الذي وافقه على القول المذكور اما كونه

هو على ان عنه ر وابين في التفسير فتعسف لا وجه له وان جوزه بعضهم
وكون المراد بالرسول الكريم جبريل عليه السلام هو قول جمهور المفسرين ويوين
ما رواه الواحدي من ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما احسن ما اثنى عليك
ربك بقوله ذي قوة الخ وما مر من قوله صلى الله عليه وسلم له هل اصابك من هذه
الرحمة شيء فقال كنت اخشى العاقبة حتى نزلت هاتين الايتين وعلى القول الاول
يحمل ما وقع في خطبة المقامات للحريري فلا وجه لتشنيع ابي الخشاب عليه ولا لقول
الشريشي انه عثرة وضعف القول الاول السهيلي بان الاية وردت لتكذيب الكفار
ان محمدا صلى الله عليه وسلم تقول القران واضافة الله لجبريل عليه الصلاة
والسلام وان كان في الحقيقة قوله تعالى لان جبريل هو الذي جاء به الى النبي
صلى الله عليه وسلم فصار كانه قوله فلا يسوغ على هذا ان يكون الرسول الكريم
محمدا وان كان رسولا كريما قيل ما ذكره ظاهر ان ثبت انها وردت لهذا الغرض
ورد بان لا ارادة النبي صلى الله عليه وسلم مساغا ولو سلم ما قاله لان مدعي الكفار
انه مقال محمد من تلقا نفسه وقولنا انه لقول رسول كريم ناطق بانه قول من
ارسله كما مر فينتفي كونه من تلقا نفسه فتدبر ولقد راه يعني محمدا قيل راى
ربه وقيل راى جبريل في صورته يعني الرائي محمد صلى الله عليه وسلم على التفسيرين
واختلف في المرئي فالجمهور على انه جبريل على صورته الاصلية بستماية جناح
ومنه يعلم نكتة تخصيصه بالافق قيل ولم يره غير مرة بهذه الصورة وقيل
رب العزة قال بعض الشراح هو قول ابن مسعود رضي الله عنه وقدمه المفسر
رحمه الله لموافقته لغرضه وهو قول غريب قيل انه لم ينقل عن احد ممن يعتمد
عليه وياباه كل الابا قوله بالافق المبين سوا كان نواحي السما او حيث تطلع الشمس
اذ لم ينقل احد انه راى ربه بالافق واجيب بانه اذا جاز عود ضمير راه لربه فروئته
بالافق كاستوى على العرش او المراد بالافق الذي فوق السما السابعة وحينئذ
فقوله دنا فتدلى من قبيل دنو المكانة لا المكان او المراد به المنزلة العالية كما
اشار اليه الامام وقولهم لم يقل به احد يرده انه روي عن ابن مسعود
رضي الله عنه وما هو على الغيب بظنين اي بمتهم الغيب الغايب عن الحس
الذي اخبر به او ما هو وساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام على اخبار الغيب
فيشمل الذات والصفات والقران فيستدل به على غيره او المراد ما غاب عن
علمكم فيشمل اخباره عن المشاهد والغايب والظنين بالظا المشالة ما ينسب
الى التهمة للوهم والغلط او المراد ليس مظنونا به ما نسب اليه مما اتهمته
به الكفرة فالنفي فيه كالنفي في قوله لا ريب فيه وقرئ في السبعة بالضاد المعجمة
ايضا كما اشار اليه بقوله ومن قراها اي الاية او الكلمة وروي قراءة اي هذا
اللفظ بالضاد وهو نافع وعاصم وحمزة وابن عامر من الضن والضنة وهي
البخل فمعناه ما هو ببخيل بالدعا به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذا لمحمد
صلى الله عليه وسلم باتفاق القاريين في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط
وضمير معناه للفظ او القول المذكور وقوله بالدعا به الدعا بالمد بمعنى الدعوة

ابن الحنبلي

دلي وعني

سعيد

او الدعو

او الدعو اليه والباقي به علي هذه الرواية اشارة الى ان علي في النظم بمعنى البا او هي
بمعنى الى او للتسببية والمدعو اليه احكام الشريعة كلها وروي الدعالة او الدعاية
بكسر الدال ومثناة تحتية بعد الالف والتذكير التنبيه او الوعظ وحكمه بفتح الحا وسكون
الكاف او بكسرها وفتح الكاف جمع حكمة وهو الكلام النافع والعلم ما علم منه من كل امر
فيه علم وحكمة اي ما هو بخيل على الناس في تبليغ ما اوحي اليه وقد امر بتبليغه وهذه
اشارة للاية او الصفة علي هذه القراة والاتفاق علي هذه بخلاف قراة الظا الا زهرة
العلوم والحكم امر مقبس فيه سعادة الدارين ومثله مما يمتن به البشر فنزهه
عن مثله لكرم جبلته وقال تعالى نون والقلم وما يسطرون الايات اي اقرا الايات
الى اخرها او اذكر او اعني اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم فنبه الحمر المصنف
ذلك اشارة الى عظمته كما مر والى عظمة ما فيه بنا على ان نون قسم هنا وهي الحرف
او الدواة او اسم للسورة فاقسم بالقران وما كتب به والقلم هو المعروف او قلم اللوح
وقيل نون الحوت الذي عليه الارض والقسم علي ظاهره او بمعنى المقسم به على تنزيه
المصطفى صلى الله عليه وسلم مما غمصه وفي نسخة غمصته الكفرة به وتكذيبهم له
غمصه بفتح العين المعجمة والصاد المهملة بمعنى عابه وحقره قال ابن القطاع
غمص الناس غمصا احتقرهم وعابهم والشي كذلك وغمص النعم واغمصها كفرها
وقال التلمساني الغمص بالصاد المهملة العيب والتنقيص واكثر ما يكون في
الدين وقال ابن حبيب في غريب الموطا الغمض بضاد معجمة اخت الصاد تصغير
النعمة وتحقيرها وبالصاد المهملة اذا احتقر الناس وازدراهم واستحسن
هذا الفرق بعد ان قال انهما سوا النبي فيجوز في كلام المص رحمه الله الاهمال
والاعجام الا ان الاول ارجح وعليه اقتصر الشراح وقوله وتكذيبهم بالجر
عطف علي ما والمراد بالتكذيب الواقع في كلام المص كما في بعض الشروح وهو قولهم
هذا ساحر كذاب واجمل بعضهم فقال المراد التنزيه عن الكذب المضر القادح
او ما كذب به او قول لا يخفى انه المص رحمه الله لم يذكر من الايات ما يدل على
التكذيب نفيا واثباتا وليس في كلامه غير ما انت بنعمة ربك بمجنون وما
قيل او لا مساس له بكلامه ونظر المص رحمه الله في مقاصده دقيق لمن
عرف مغزاه فالمراد انه تعالى انعم عليه بما علمه واعطاه من نعم الدارين
واغناه عما سواه ونصره علي اعدائه ومن اوتي مثل هذا لا يكذب فان
فعل او تكلم بما لا يليق فهو مجنون ولذا قال الفاضل الحلبي انه تعالى نزهه
عن تكذيبهم وهو واقع لان معنى الاية ما انت بمجنون بسبب انه تعالى
انعم عليك بكمال العقل والمعرفة فافادت تنزيهه عن الكذب وان تكذيبهم
كلا تكذيب لعدم الاعتداد مع قيام الدليل علي خلافه وانسه وبسط امله
انس فعل ماض معطوف علي اقسم بقصر الهمزة وتشديد النون من التانيس
او بالمد والتخفيف من الايناس يقال انست به وانسته اذا اذهبت وحشته
وسكنته كما مر والامل الرجا وبسطه توسيعه وتكثيره او من الانبساط
وهو المسرة كما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال عايشة يبسطها

دلجي سبد

ابن الحنبلي

ما يبسطي اي يسترها ما يسرون فهو استعارة تدل على انه عاملة صلى الله
عليه وسلم بالطافه حتى كثر جاه اوس بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون
محسنا حال من الضمير وروي مخففا ومشددا من الاحسان والتحسين والثاني احسن عند
من لهم ذوق ولذا اقتصر عليه البرهان رحمه الله وخطابه مفعول بقوله وما انت الخ
مقول القول وهو جواب القسم في النظم وتوسيع الامل لجعله ملتبسا بنعم الكريم الذي
رباه وقوله وان لك لاجرا الخ وفيه ايماء الى دوامها وازديادها وقيل خطابه المقرون
بتحليته وتخليته وسع امله لان من اثنى على احد وسع امله وهو تكلف انت في غنى
عنه بما عرفته والبا للتسبيبة او الملابسة والمصاحبة وقال الشريف المعنى ان عدم
الجنون لانعام الله عليه ولطفه او حال كونه ملتبسا بنعمة العقل والنبوة والاخلاق
العلية مما يدل قطعا على كذبهم وهو حال من معمول معنى النفي اي انتفى عنك او
من فاعل مجنون كما ذهب اليه الزمخشري والبا زائدة ليصح العمل وضعف بانه يلزم
نفي الجنون المقيد لا مطلقا واجيب بان القيد دائمي فيصح المعنى ولعل غرضه ان
مقام رد المعاند يقتضي ما لا يوهم ولو في بادي الراي والتقييد موهم وفيه ان
تقييد النفي موهم ايضا لكن ايهامه اقل او القيد للاخبار ومثله كثير كما ذكره ابن
الحاجب فالحكم بعدم الجنون في زمن تلبسه بالنعمة وعدم الجنون مطلق وقيل
البا للقسم وبه جزم في لباب التفاسير وضعف بان القسم لا يدخل على القسم انتهى
**اقول** هذا ليس بشي لانه وقع مثله في الكتاب العزيز ولم يلتفت فيه لمثل هذا
الايهام لان السياق ومقام المدح شاهد صدق لا يحتاجان لتركيبه الا ترى ان ابا البقا
رحمه الله اعرب قوله تعالى وما هم بمؤمنين يخادعون الله حالا والعامل اسم الفاعل
وهو بمؤمنين وذو الحال الضمير المستتر فيه ولما خطاه ابو حيان رحمه الله بمثل
ما قاله المعترض رده المحققون بما قلناه فالاعتراض على الزمخشري غير مسموع اصلا
ولا حاجة الى ما اجابوا به فانه كله من ضيق العطن ولولا خوف الملل لاطلناه ولكن
الثمرة تدل على الشجرة تنبيه خطر ببالي هنا نكتة وهي ان الله تعالى اقسم بالقلم
وما خطه به لمناسبة المقسم عليه لان المحققون مرفوع عنه القلم فانبا انه به بذلك
على تكذيبهم فيما قالوه فله موقع هنا ليس لغيره وهذه نهاية المبني في المخاطبة
واعلى درجات الاداب في المحاورة الاشارة للامور المذكورة من التنزيه عما قالوه
في حقه تعالى بقوله ما انت الخ والتكذيب الذي دل عليه والتانيس بتقديم
الدليل بقوله بنعمة ربك قطعا لعرق الشبهة من اول الامر ثم بيان تحقيق اماله
بقوله وان لك لاجرا غير ممنون به عليك او غير مقطوع وهذا غاية البر والاحسان
في خطابه له صلى الله عليه وسلم واقصى مراتب الادب اللايق بمقامه صلى الله عليه
وسلم تعليما للعباد والمحاورة بالحا والرا المهملتين كالمراجعة والمجاوبة وزنا
ومعنى وفيه وجوه اكثر من خمسة فلم يكتف بمجرد الرد عليهم لكن راى من يجبه
في هجوم اعدائه بمقالهم فكذبهم وبين وجه كذبهم ثم ذكر ما يطرد وحشته ثم
وعده بما هو اعظم مما ذكر ثم اعلم سبحانه وتعالى بما له عنده من نعيم
دايم وثواب غير منقطع اي بعد اذ براه وبرهه اعلمه بما اعد له بعد من الثواب

ابن الحنبلي

سعد عيسى

على

على ما قاساه وعطفه بثم اشارة الى بعد ما بين الامرين من تعبه السريع الانقطاع ونعيمه
الدايم الواقع في مقابلة تكذيبهم له والاجر المضاعف على تحمله وصبره على طعنهم ورميهم
له بما لا يليق وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم كانه قال له لا تحزن فقد تبين كذبهم
بداهة ولا تغتم بعود عليك مما قالوه فلك نعيم مؤبد في مقابلته والصبر على الشدايد
والمقاساة في التبليغ وفيه تثبيت وتخفيض فالثواب هو الاجر وغير منقطع تفسير
لقوله غير ممنون لا ياخذه العد اي لا يحصى ولا يعد وفيه استعارة كانه اذا عد اخذه
او لا يغلبه العد ويحيط به كما قيل في قوله تعالى لا تاخذه سنة ولا نوم ومنه يعلم
وجه تقديم السنة والمراد المبالغة في كثرته ولا يمن به عليه يمن بصيغة المبني للمجهول
من المن وهو تعداد المنعم نعمه وصنيعه والتقدير لا يمن احد من الخلق بها عليه لانها
من الكريم الوهاب او لا يمن بها الخالق ويؤيده انه روي يمن بصيغة المبني للفاعل وقال
الطيبي رحمه الله ان من شان الكرام ان لا يمنوا ولذا قيل ان ذكر الاجر يفيد انه لا منة
والثواب لا ينقص بالمنة ففيهما تاكيد للاجر وقيل عليه انه تكلف مردود فانه تعالى
يمن على عباده كما صرح به في مواضع عديدة والاجر محض تفضل منه تعالى اذ العمل
لا يفي بشكره ونيل المراتب العلية فضل اخر واعطاها لاجب عليه فضل ثالث فتجري
وجوه المنة منه وهي تشريف منه والتحقيق الحقا لما قبحت من غيره تعالى واعتادت
النفوس النفرة منها لا يفعلها الله لا يهاما مهاما لا يليق به وان حسنت منه ففيه تا
للتعظيم يستفاد منه تدقيق النظر **اقول** ما ذكره من التحقيق ليس بشي فان المنة
فعلا وقولا مستحسنة منه تعالى وقد ورد التصريح بها في نحو قوله تعالى قل لا تمنوا
على اسلامكم بل الله يمن عليكم اذ هداكم للايمان بل قد تستحسن من غيره ايضا ولذا قيل
ان هذا شبيه بقول المعتزلة فافهم وفي كلام المص اشارة الى تفسير اخر في قوله غير ممنون
فقال وان لك لاجرا غير ممنون اي بالغا لانه متفرع على ما قبله من الاعلام او تفضل
له في الجملة اي لك على ما احتملته من اذاهم ثواب غير منقطع او غير ممنون به عليك
من غيره لانه موهبة الاهية واتى بتاكيدات اربع للاهتمام والتقرير والانكار
وزيادته فاكد المجموع بالمجموع اوهي موزعة على ما ذكر وان لم يكن النبي صلى الله
عليه وسلم منكرا فانه قد يراعى حال السامع كما في التعريض وقد علمت ان المن له
معاني القطع والنقص وتعديد النعم واشار المص الى ذلك كله بقوله غير
منقطع وقوله لا ياخذه العد الخ الا انه قيل عليه انه لا يتم ما ذكره من الاعلام
بالكل الا على القول بجواز استعمال المشترك في معانيه او جوازه في النفي اورا
على البدل فقول المص السابق ثم اعلمه الخ وعطفه بالواو غير حسن الا ان يكون
بمعنى او وكل قسم على تفسير وفي تحرير ابن الهمام المشترك يعم في النفي
وهو المختار والقول بانه اعلمه بما له عنده والبيان من المص لتنويع النقا
تكلف وتحميل للعبارة ما لا تطيقه والظاهر انه بيان للوجوه المذكورة
في الاية على وجه يفيد ثبوتها كلها لاستلزام عدم العد لعدم الانقطاع
والنقص بحسب عرف التخاطب ثم اثنى عليه بما منحه من هباته عطفه
بثم لما مر اي مدحه بما وهبه واعطاه من موهوباته السنية وهداه

اليه من معرفته وتوحيده او من القرآن وادابه ودلالته له دلالة موصلة فان
افعال العبد وصفاته بايجاد الله فيه كما هو مذهب اهل الحق واكد ذلك تتميما
للتمجيد اي لتعظيم من المجد وهو الكرم اي تتميما لنسبته اليه بحرفي التاكيد زيادة
لتعظيمه واهتماما به فعبر بعظيم على تعظيم وهما اللام وان مع القسم واسمية
الجملة ولذا قيل الاولى ان يقول بنحو التاكيد الا انه اقتصر على الصريح منه فان
الاسمية قد لا يقصد بها التاكيد ولذا قالوا ان نحو زيد قائم يلقى لخالي الذهن
لكنه غير نادر بالنسبة للقسم تعالى وانك لعلى خلق عظيم اي تعلى اشارة لاستعلائه
عليه لكونه مجبولا عليه بغير تكلف قيل المراد هذا مروي عن عائشة والحسن
رضي الله عنهما وغيرهما كما سياتي والمراد انه اتصف بكل صفة جميلة تعلم منه
وتنزه عن كل ما لا ينبغي مما نهي عنه فليس هذا التفسير آخر كما قيل وقيل
الاسلام ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره على دين عظيم والخلق
يجيء بمعنى العادة والطريقة وقيل الطبع الكريم اصل معنى الطبع الختم
وطبع السيف ونحوه عمله ثم صار بمعنى الجبلة التي خلق الانسان عليها ومثله
الخلق والخلاق وهو ملكة نفسية لا تقبل التغير بسهولة وقال ابن الجوزي
حقيقته ما ياخذ الانسان به نفسه من الاداب واما ما طبع فيسمى خيما وقد
اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من المكارم ما لم يجتمع في غيره وقال الامام المراد
التخلق بمجموع اخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهي مرتبة عظيمة فانه
صلى الله عليه وسلم امر بالاقتداء بهداهم ولم يرد اصول الشرائع لعدم
مناسبة التقليد فيها فالمراد ما مر وقيل في دليله نظر لجواز ان يراد الاقتدا
في تحصيل اليقين بالاصول والعمل بمقتضاها فلا يلزم التقليد **اقول**
ان تقليد النبي صلى الله عليه وسلم لمن قبله من الانبيا في الاصول الدينية
غير صحيح وهو الذي اراده الامام رحمه الله فان اراد مجرد سلوك طريقهم
الموصلة لها لا نفسها فلا خلاف بينهما فتدبر وقيل لينبي لك همة الا الله جل
جلاله الهمة كما في المصباح اول العزم من هم بالشيء ويكون بمعنى العزم
يقال له همة عالية والمراد هنا الثاني وهذا محكي عن الجنيد رحمه الله قال
انما سمى الله خلقه عظيما لانه لم يكن له همة في غير الله سبحانه فكان صلى
الله عليه وسلم معاشرا للخلق بجسمه ومزايلا لهم بقلبه فظاهره مع الخلق
وباطنه مع الحق يعني ان عزمه صلى الله عليه وسلم في اعلا كلمة الله وتبليغ
ما يوصل اليه وفكره في ذاته وتوحيده فقول بعضهم انه بعيد جدا
لا وجه له قال الواسطي في الاول وتقدمت ترجمته اثنى الله عليه بحسن
قبوله لما اسداه اليه من نعمه اسدى بمعنى اعطى واوصل وهما متقاربان
ومن بيان لما الموصولة والباصلة انبي او سببية والنعم فسرها الفاضل الزين
بالاخلاق العظيمة التي انتظمها الخلق في الاية وتبعه تلميذه ابن الحنبلي
وفضله بذلك اي بما اسداه او بحسن قبوله على غيره من جميع المخلوقات
الانبيا عليهم الصلاة والسلام وغيرهم وقوله لانه جبله على ذلك الخلق

اي نخلقه مطبوعا علي خلقه العظيم الكامل الذي لا ينفك عنه وضمير قبوله السابق للنبي
صلي الله عليه وسلم وجوز فيه ان يكون لله اي قبول الله اخلاقه او انه جعل حسن قبوله
مثنيا عليه والاول اولي ولذا اقتصر عليه اكثر الشراح وقيل ان في كلامه مناقشة
لان المجبول علي الشي الذي طبع عليه بمعني انه خلق كذلك لا يقال فيه انه قابل لذلك
الذي جبل عليه لان ما بالقبول لا يكون ذاتيا فكان الاحسن ان يقول اثني عليه بحسن
ما جبله عليه ولله المنة المطلقة فانه المنعم بالشي والمثني عليه وتتمة كلام الواسطي
تشير لذلك ورده السيد بانه مقرر في العلوم العقلية ان ما اتصف به المرء اما
علي الفاعلية او القابلية والمراد بالقبول تاثر وتخلقه فيه فصرح بانه قابل لا فاعل
رد للطبيعيين بل حسن قبوله ايضا من الله فهو قابل له ايضا فاثني عليه لا الفعل
اياه بل لقبوله وقبوله ايضا ليس منه فظهر ان الاعتراض غير قابل للقبول بل للرد
**اقول** هذا الكلام كله تكلف مبني علي غير اساس وتقريره ان مراد الواسطي بيان محصل
معني الايات كلها فالنعم في كلامه ليس بمعني الاخلاق بل كل ما انعم الله به عليه
لعموم الموصول وحسن القبول ماخوذ من اشارة النص بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون
اي لست ممن تستخفه النعم والبطر لمعرفتك بالله ومقدار نعمه وتفضيله علي غيره
من كونه له اجرا لا يحصي وقوله لانه الخ تعليل لمجموع ما قبله يعني انه صلي الله عليه
وسلم لسلامة طبعه وكمال اخلاقه حسن قبوله للنعم واستحق الثنا وبهذا التقرير
سقط الاعتراض لان الاخلاق وان كانت بخلق الله فيما جعله قابلا لكنه غير مراد هنا
فما ذكره المجيب صلح من غير تراض فتدبر فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد
الكلام علي سبحان مفصل في محله وهو منصوب علي المصدرية ومعناه تنزيه الله عما
لا يليق بجلال ذاته ويكون كثيرا للتعجب فيقال عنده وفيه كل امر عجيب تنزيها
عن ان يوجد شيا من غير حكمة وان خفيت علينا فالمراد هنا التعجب من كرم الله وايلا
النعم الجليلة ثم الثنا علي من قبلها وجزاه بالاجر وليس للعبد في ذلك تاثير
وقد ذكر المص رحمه الله مثله في اواخر الخطبة وفيما ذكره من الاسما اشارة لهذا
فاللطيف للطفه بعباده اذ وفقهم لحسن القبول والكريم بما اسداه وانعم به والمحسن
لهم بالثنا عليهم والجواد بما اعطاهم من الثواب والاجر والحميد المحمود في كل افعاله
المذكورة او الحامد لهم او لنفسه فالجواد بتخفيف الواو كثير الجود والتشديد غير
مسموع فيه وقال في عمدة الحفاظ لا مانع منه ان قصدت المبالغة وفيه نظر وقيل
التسمي بها علي جواز وصفه بالسخا كما بيناه في شرح اسما الله الحسني وقال ابن
عصفور في الممتع امتنعوا من وصف الله تعالي بسخي لان اصله من الارض السخاوة
وهي الرخوة بل وصفوه بجواد اي بالتخفيف لانه اوسع في معني العطا وادخل
في صفة العلا انتهي وقد ورد اطلاق الجواد عليه تعالي في حديث قدسي رواه
الترمذي والبيهقي اني جواد ماجد ووقع في بعض النسخ هنا بدل الحميد المجيد
اي ذو المجد والكرم وهو انسب هنا الذي يسر للخير وهدي اليه ثم اثني علي
فاعله يشير الي قوله تعالي اعطي كل شي خلقه ثم هدي وتيسيره تسهيله
بتهيئة اسبابه ثم خلقه فيه وهداه لمنافعه حتي سعي في كسبه وفاعله

المباشر له فان الفعل ينسب له وان كان الفاعل حقيقة هو الله والثناكما يكون على الفعل
يكون على الفاعل كما قال انت كما اثنيت على نفسك وقوله فانت كما تثني وفوق الذي
نثني فالاعتراض ساقط وجازاه عليه فهو ناظر للاجر ثم كرر التعجب لتكرر الاحسان
فقال سبحانه ما اعمر نواله اعمر فعل تعجب بالعين المعجمة من الغمر وهو الما الكثير
استعير لمطلق الكثرة والنوال العطا او سعة افضاله السعة معروف وقد شاعت
في الشمول والعموم والافضال الانعام قال في المصباح تفضل عليه وافضل افضالا
بمعنى وفضلته على غيره صيرته افضل منه انتهى فما قيل الافضال مصدر افضله
جعله فاضلا وافضله غريب خبط لا وجه له ثم سلاه بتشديد اللام من التسلية
وهي ازالة الغم عن قولهم بعد هذا اي عما قالوه في حقه صلى الله عليه وسلم وبعد
متعلقة بسلاه وهذا اشارة لكل ما ذكر من الرد والثنا والظرف مؤكد لما تدل عليه
ثم وكونه للاشعار بانه لم يكتف بالتسلية غير ظاهر بما وعده له من عقابهم اي
تعذيبهم بما صدر منهم وفي نسخة بالبا الجارة وفي نسخة عقوباتهم بصيغة الجمع
لتعدد العاقب وانواع العقاب وروي عقباهم اي عاقبة سوء حالهم وما يؤول اليه
وفي نسخة عقباه اي عقبى النبي صلى الله عليه وسلم في نصره عليهم والانتقام منهم
ولما كان عذابهم وهلاكهم فيه مسرة وشفا لصدور المؤمنين كما قيل •
مصائب قوم عند قوم فوائد • كان وعدا له فلا وجه لما قيل انه استعمل الوعد في
الشر مجازا او لانه في الاصل وضع عام وجعل الموعود هو النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله وعده معين فقوله له كسقيا له والقول بانه عدي بقوله له باعتبار انه
ذكر لدفع تغيير في وجوه الحساد قيل ما ذكره دليل على عدم رجا اسلامهم اذ لو كان ذكر
مرجوا الوعد به لانه احب اليه والاحسن ان يقول على عقاب طائفة منهم ولذا
قيل ان الوعيد تعريض بابي جهل والوليد وامثالهما ورد بان المصنف رحمه الله لم يقصد
العموم ولو سلم فما ذكره ممنوع لانه يقال لكل كافر ان لم تؤمن فستبصر ومقابله
الوعد بقوله وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الايات باي ما ذكر
كله اي ذكر وعيدهم وتهديدهم والجار متعلق بتوعد او به وبما قبله على التنازع
والثلاث منصوب بمقدر كما مر والايات بدل منه منصوب بالكسرة لا مجرور
بالاضافة لضعف نحو الثلاثة الاثواب والمقدر اعني او اقرا ونحوه ولا فرق بينهما
كما تقدم وقوله بايكم المفتون اي ايكم الذي افتتن بالجنون اسم مفعول والبا
زائدة او مقدم لانه يجي على زنة مفعول قليلا اي بايكم الفتنة والبا بمعناها
او بمعنى في ويجوز هذا اذا كان اسم مفعول ايضا اي المفتون في اي الفريقين
الفريق المؤمنين او فريق الكافرين او من في ايهما يوجد يستحق هذا الاسم والابصار
بمعنى العلم ما بعده معموله او مستانف والعقاب المتقدم مفهوم من سياق
التهديد وبقية الايات ظاهر بعد ان مدحه وسلاه متوعدا اياهم ثم عطف
ان ربك هو اعلم بمن ضل اي بالمجانين على الحقيقة وهم من ضل عن سبيله وهو
اعلم بالمهتدين بحيازتهم كمال العقل بعد مدحه صلى الله عليه وسلم على ذم عدوه
وذكر سو خلقه وعد معايبه بعد منصوب على الظرفية مضاف لمدحه او مقطوع

عن

سيد
سيد
سيد
ابن افترس
سيد
م
م

عن الاضافة مبني على الفتح فمدحه منصوب على المفعولية لعطف وهو الثابت
رواية عن المرزوقي وغيره وفيه نظر لانه يقتضي تقدم الذم على المدح وليس كذلك
في النظم فالاحسن ان يقرا بالاضافة وقوله عطف اي التفت او مال اليه وعلى رواية
المرزوقي المعنى انه ثنى مدحه فلا يقتضي تقدم الذم الا ان تعديته بعلى وجعل
الذم مما اثنى به المدح تكلف فالوجه الاول وكون المراد بالمدح قوله فلا تطع على
ان المعنى انه ذم على ترك اطاعتهم وهو مدح له صلى الله عليه وسلم وان تضمن
ذمهم فالمراد عطف مدحه مع ذمهم بعيد جدا وذكر وعد مصدر مضاف او
اسم معطوف على قوله عطف وعدوه كل من عاداه لا معين كما مر والعدو يطلق
على الواحد وغيره والمعايب جمع معيبة بمعنى العيب **واعلم** ان العطف يتعدى
بعلى بمعنى الشفقة والحنو وبعن للصرف والصد وتقول عطفته اذا ثنيته
واملته والعطف النحوي يتعدى بعلى ايضا وما في عبارة المصنف عطف لغوي
لا نحوي وتجوزه هنا لكونه بالفاء غير صحيح لانها ليست عاطفة فارتكابه والتمحل
له تعسف وسوء خلقه مقابل لعظم خلقه متولياذلك بنفسه ومنتصر النبيه
صلى الله عليه وسلم حال من ضمير عطف اي لم يكل ذلك لاحد ولم يجعل بينه وبينه
واسطة بل فعله بنفسه اهتماما بتعظيمه ونصرته كما ذكر بكلامه النفسي واللفظي
في قوله سنسمه الخ فذكر بضع عشرة وروي بضعة عشر وفي المصباح بضع بالكسر في
العدد وبعض العرب يفتحه واستعماله من الثلاثة للتسعة يستوي فيه المذكر
والمؤنث ويستعمل ايضا من ثلاثة عشر الى تسعة عشر لكن تثبت الها في بضع مع
المذكر وتحذف مع المؤنث كنيف ولا تستعمل فيما زاد على العشرين واجازه بعضهم
فتقول بضعة عشرون رجلا وبضع عشرون امراة وكذا قال ابو زيد وعلى هذا
المعنى البضع والبضعة في العدد قطعة مبهمة غير محدودة انتهى وفيه اختلاف
لاهل اللغة وكلام المصنف رحمه الله ليس مخالفا لما قالوه كما توهم وما هنا
ثلاثة عشر او اثني عشر او احدى عشر بناء على عد المذاهنة والاستظهار
بالمال والبنين منها خصلة من خصال الذم فيه اي في عدده والخصلة بفتح
الخا المعجمة الصفة مطلقا وغلبت في صفات المدح اذا اطلقته فبقوله
فلا تطع المكذبين فيما دعوك له من تعظيم الهتهم ونحوه وهو تهييج له صلى
الله عليه وسلم على تصميمه في مخالفتهم الى قوله اساطير الاولين اي
اباطيلهم المنقولة عنهم وهو جمع اسطار جمع سطر وما وقع منه في
القرآن منقول عن النضر بن كلدة لانه دخل بلاد فارس وتعلم اخبار رستم
وغيره فكان يقول انا احدثكم باحسن مما يحدث به صلى الله عليه وسلم
فنزل ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ثم ختم ذلك اي ما عد من المعايب
او ورده عقبه كالخاتمة له بالوعد الصادق لنبيه صلى الله عليه وسلم كما مر
وفي نسخة بالوعيد وروي ايضا الوعيد بالنصب صفة ذلك ووصفه
لعدم تخلفه وان كان الوعيد يجوز تخلفه لكن لكونه وعدا لا يخلفه من
لا يخلف الميعاد او الصادق هنا بمعنى الخالص الذي لا يشوبه عيب كما يقال

نسبه
ابن الحنبلي

ابن الحنبلي

تحاني

صادق الحلاوة بتمام شفاية وخاتمة بوارد متعلق بختم اي بشفاية الثامر والبوار الهلاك
وعبر به في نسخة الذي هو خاتمة امره واخر احواله او حاله تخبر اليه فنتهي به بقوله
سنسمه على الخرطوم الوسم العلامة والكي والخرطوم وخراطيم كعصفور وعصافير
الانف هنا واصله يختص بالحيوان كالفيل ونحوه فاستعير للانسان لابذائه بالجماعة
والتهكم به وهو هنا كناية عن تشهيره بالقبائح في الدنيا او في الاخرة او فيهما
وقيل وسمه تسويد وجهه يوم تبيض الوجوه وخص الانف لانه اظهر الاعضا
تذليلا للمتكبر عن الحق الذي عنده شمم في انفه فعوقب بذله فكانت نصرة الله
له صلى الله عليه وسلم اتم من نصرته لنفسه اي نصرته التي تولاها بنفسه في
قوله سنسمه الخ ونصره لنفسه على اعدايه هي لله ايضا لانه صلى الله عليه وسلم
كان لا ينتقم لحق نفسه الصرف وما فعله العظيم عظيم ورده تعالى على عدوه ابلغ
من رده لنفسه رده بتكذيبهم بنفسه ابلغ من رد النبي صلى الله عليه وسلم له
واقامة الحجة وان كان هذا ايضا ليس من تلقاء نفسه وقيل المراد لو كان له رد
ونصرة وهو عليه الصلاة والسلام فعل ما فعل لله ومن كان لله كان الله له
واثبت في ديوان مجده اي اعظم واقوى ثباتا وابقى في صحف الدهر من ان يثبته
هو بنفسه فان ما امضاه الله لا نقض له والديوان بكسر الدال المهملة وقد
تفتح منهم من قال انه فارسي معرب واصله جمع ديو وهو العفريت شبه به
اهله وقيل انه عربي من التدوين وهو الكتابة وهو واوي خفف بقلب احدى
واويه يا ويجمع على دواوين ودياوين وهو مجتمع الصحف والكتاب للسلاطين
واول من وضعه في الاسلام عمر رضي الله عنه ويطلق على نفس الدفتر والكتاب
وعبارة المصنف رحمه الله تحتملهما وهو استعارة فاستعار لمجده اي عظمته
ديوانا يثبت فيه فاذا اثبته الله كان ادوم واكثر ثباتا وهكذا هو باق الى يوم
القيامة الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه الصلاة
والسلام مورد الشفقة والاكرام يعني ما جاء في القران من الايات الدالة على
اكرام الله له والشفقة به والشفقة اسم مصدر من شفق لغيره عطف وحنى
فهو شفيق وهذا ونحوه مما لا يوصف به الله متجوز به عن التلطف بمن يحبه
والجهة معناها الجانب والمراد بها هنا شانه وحقه والمورد مصدر ميمي
منصوب على المصدر او اسم مكان منصوب على الظرفية واصله المحل
الذي يوخذ منه الما فاستعير له لعموم نفعه وقيل الشفقة حرص الناصح
على حال المنصوح وقد يطلق على ما فيه دفع المضرة ونحوه والمراد بالاكرام
اكرام مخصوص ولو عمم شمل ما في غيره من الفصول قال تبارك وتعالى طه
ما انزلنا عليك القران لتشقى قيل طه اسم من اسمايه اي من اسما النبي صلى
الله عليه وسلم وقدم للاهتمام به لمناسبته للمقام والبلغا يقدمون ما له
تقدم ذاتي كما قرروه في تقديم الامر بالقراة في قوله اقرا باسم ربك فتذكره
وقيل هو اسم الله تعالى هذا المنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما واستدل

لما قيل له بحديث لي عند ربي عشرة اسماء وليس الح كما ذكره البيهقي وقيل معناه يا رجل اي معناه رجل وحرف النداء مقدر معه وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا وقال عكرمة انه لغة معروفة في عكل وفي عك وقيل انها لغة حبشية او عبرانية او سريانية او نبطية ومعناه يا حبيبي وقيل لعل اصله يا هذا فقلبوا اليا طا واقتصروا على ها وهو بعيد جدا وقيل يا انسان رواه البغوي عن الكلبي وقال انه لغة عك فان صحت الروايات فهو مشترك وقيل هي حروف مقطعة لمعان الجمع لما فوق الواحد لقوله قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي فالطا من طاهر والها من هادي وقيل الطا طول الغزاة والها هيبتهم وقيل طوبى والهاوية وقيل انه قسم بطوله صلى الله عليه وسلم وهدايته وقيل معناه ايها البدر لان الطا والها في الجمل اربعة عشر وقيل هو امر من الوطي بالقدم فابدلت الهمزة الفا والها كناية عن الارض اي الضمير راجع اليها لعلمها من قرينة الحال والضمير يسمى كناية عند النحاة كما ذكره اهل العربية وهذا القول ذكره القرطبي والبيضاوي وقيل ان ها اسم لحرف ماخوذ من ها اسم الضمير في كناية اصطلاحية عنه لا انه ضمير كما قيل في طا ورد البيضاوي هذا القول بانه يا باه كتابتهما بصورة الحرف ورد بان رسم المصحف غير قياسي فيه كما رسم ايه المؤمنون بلا الف في الامام وقرى طه بسكون الها واصله طا فابدلت الهمزة ها كما في اياك وهياك او هو امر والها للسكت والمفعول محذوف اي طا الارض ويحتمل انه اراد ان الها من ها وحدها ضمير كما قاله بعض النحاة اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة الاعتماد الاتكا والاستناد على الارض بقدمه او قدميه ويقال اعتمد على القدم وعلى الارض وظاهر هذا وما سياتي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قدم واحدة اتعابا لنفسه ليزيد اجره في عبادته فان الاجر على قدر المشقة وان لم يثبت في الشرع ان القيام على رجل واحدة من التطوعات حتى يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ويخالفه ما روي ابن عباس وابن مردويه عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع رجلا فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال له طا الارض بقدميك وظاهره ان وضع احدى قدميه كان راحة له صلى الله عليه وسلم لا تعبا وصرح به البغوي ونقله عن الكلبي فالوجه ان المعنى لا تتعب حتى تحتاج الى الاستراحة برفع قدم دون الاخرى لا ما ذكره المص والجمع بينهما انه لما تورمت قدماه وتروح برفع واحدة ووقع في مشقة القيام برجل واحدة لثقل الاعتماد عليها فامره بالاستراحة وترك التعب وما يوجبه كما خفف عنه قيام الليل **اقول** هذا مما لا طائل تحته فانه لا شبهة في ان القيام على رجل واحدة اشق من القيام على الرجلين كما قيل

اذا الحمل الثقيل توزعته ● اكف القوم هان على الرقاب

وان كان في القيام على واحدة راحة للمرفوع فيصح نسبة الراحة لكل من الامرين وما ذكره المص رحمه الله متعين من السياق على هذا التفسير فانه اذا قال لا تضع قدميك فانا لا نريد تعبك دل على الراحة ولا منافاة بينه وبين ما رواه

دلجي

بية
ابن الحنبلي

سيد

خ
الرجال

والتوفيق الذي ذكره تكلف فقد من تنبيه كون الاجر على قدر المشقة كما ورد في
حديث عايشة رضي الله عنها اجرك على قدر نصبك كما في مسلم قال ابن عبد السلام في
قواعده ليس هذا على اطلاقه انما هو اذا اتحد العملان في الشرف والشرايط والسنن
وكان احدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة كالغسل في الصيف والشتا اما اذا لم يتساويا
فلا فان الايمان افضل من الاعمال مع خفته ثم اختار ان فضل الاعمال انما هو بالمصالح
الناشية عنها فتصدق البخيل افضل من قيامه وانقاذ الحاكم مظلوما افضل من قيامه
الليل وصيام النافلة ونقله الزركشي في قواعده وارتضاه ولنا عودة الى ذلك وهو
قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى نزلت فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يفعله من السهر والتعب وقيام الليل القصير راجع للنهي عن اتعاب نفسه له
المستفاد من النفي في الاية اي هو المراد من الاية والشقا اصله معناه التعب قيل انه
عبر به ليدل على سعادته والنفي على هذا التعب مخصوص كما يقتضيه سبب النزول
وان كان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والمورد فلا يختص بما ذكر ولا شعبه
بتاسفه على كفرهم اخبرنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد اي
رواة المصنف عنه وعن كثير من العلما غيره وهو ابن عبد الرحمن بن علي بن شبرين
بشين معجمة مكسورة وبا موحدة ساكنة وبعد الرا مثناة من اسفل ابن بشير من
اصحاب الباجي ثقة حافظ توفي يوم الخميس رابع رجب سنة ثلاث وخمسماية باشبيلية
عن القاضي ابي الوليد الباجي بالموحدة نسبة لباجة من بلاد المغرب وباجة بموحدة
وجيم بلدة بغرب اشبيلية وقيل هي باجة القيروان وابو الوليد هذا هو سليمان
ابن خلف بن سعد بن ايوب بن وارث التجيبي القرطبي الذهبي اصله من مدينة بطليوس
وانتقل جده لباجة التي نسب اليها هو والحافظ ابو محمد الباجي ولد في ذي
القعدة ببطليوس سنة ثلاث واربعماية واخذ عنه جماعة كابن عبد البر والخطيب
والحميدي وغيرهم ورحل للحج وجاور بالحرم ثلاثة اعوام ولازم ابا ذر الهروي
وخدمه ثم رحل لبغداد ودمشق واخذ عن العلما وتفقه على ابي الطيب الطبري
واخذ علم الكلام على ابي جعفر السمناني واقام بالموصل ثم رجع الى الاندلس بعد
ثلاثة عشر عاما وفتنته في كتابة النبي صلى الله عليه وسلم بيده مشهورة تقدمت
الاشارة اليها وقال ابن سكرة انه مات بالمدينة في تاسع عشر رجب سنة اربع
وسبعين واربعماية اجازة ومن اصله نقلت الاجازة في كلام العرب قديما كما نقله
اهل اللغة الاذن في الانصراف من جاز المكان اذا جاوزه ومن ثم تعدي بالهمزة
للمفعول الثاني وقد يقتصر على احد مفعوليه لانه من باب كسي ومعنى اجازه
اذن له في الجواز ثم استعمل لمطلق الاذن وخصه المحدثون بالاذن في نقل الحديث
فصار حقيقة عرفية وهي لفظة عربية قديمة فالجايزة بمعنى العطية
وقد وقع هنا فيها كلام لابن الصلاح لنا فيه كلام بيناه في حواشيه والمراد باصله
كتابه الذي ضبط فيه وحصله ملكا له لا السماع وقوله نقلت الخ هو من كلام
ابي عبد الله يعني انه لم يسمعه منه وانما نقله من كتابه الذي اجازه به وقال
ابن الحنبلي انه من كلام المصنف لا من كلام شيخه كما قيل فان تعلق عن باخبرنا

ذهبي

سيد

باباه

يأباه ولو كان قيل بدلا عن قال لم يكن من كلام المص والاصل اصل شيخ بشيخه لعود الضمير
على الاقرب وانما قيده به لان العنعنة يتبادر منها السماع وعليه المحدثون فلو لم
يقيد اوهم خلاف المراد وقد يقولون اخبرنا وحدثنا الرواية بالاجازة والمختار خلافه
الا ان يصرح بالاجازة ورواية السماع اقوى من الاجازة وسوى بينهما الطوفي في
قواعده والخلاف في ذلك في الكتب المدونة لذلك قال حدثنا ابو ذر الحافظ الهروي
العلامة عبد بدون اضافة ابن احمد بن محمد بن عبد الله الانصاري المالكي ابن السماك
سمع بهراة وغيرها كثيرا من المشايخ وصنف التصانيف الجليلة وروى عنه الكبار
وترجمته مشهورة توفي في شوال سنة اربع واربعمائة قال ثنا ابو محمد الحموي هو
ابو عبد الله بن احمد بن حمويه السرخسي بفتح الحاء المهملة وضم الميم المشددة ثم
واو مكسورة ثم يا مشددة للنسبة الى جده حمويه قال البرهان ورايت في بعض
النسخ التي وقفت عليها من الشفا بعد الواو همزة مكسورة وفيها نظر والذي في حواشي
ابن رسلان والسيمي الاول لا غير وقيل اسم جده بفتح الميم المخففة فالنسبة على هذا
بالفتح والتخفيف وكسر الواو وفي ضبط النسخ اختلاف لهذا **قلت**
لعل الهمزة المخففة رسمت اشارة الى ابدال الواو المضموم ما قبلها همزة فانه لغة
وهو نزيل هراة وبوشنج ووصل لما وراء النهر وهو اموي محدث ثقة توفي سنة
احدى وثمانين وثلاثمائة في ذي الحجة ومولده سنة ثلاث وتسعين ومائتين
قال ثنا ابراهيم بن خزيم بخاء معجمة مضمومة وزاي معجمة مفتوحة مصغر وهو
شاشي ترجمته مشهورة وهو ابو اسحاق بن عثمان ومن قراه بحاء مهملة اخطا وشاشي
بمعجمتين بلدة بما وراء النهر قال ثنا عبد بلا اضافة ابن حميد بحاء مهملة مصغر
والذي جزم به ابن حبان والبخاري ان اسمه عبد الحميد الكشي بالاعجام والاهمال
وهو ثقة حافظ مات سنة تسع واربعين ومائتين قال ثنا هاشم بن القاسم ابو النضر
المعروف بقيصر مات سنة عشرة ومائة عن ابي جعفر قال التلمساني هو محمد بن علي
ابن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو والد جعفر بن محمد الصادق ويقال له الباقر
سمي باقرا لتبحره في العلم من البقر وهو الشق والتوسعة تابعي عدل ثقة وامام
مشهور توفي سنة اربع عشرة ومائة على الاصح ودفن مع ابيه وعمه بالبقيع وهو
من تلاميذ الربيع ومشايخ هاشم وفي المغني انه اختلف في اسمه فقيل عيسى بن ابي
عيسى بن ماهان وقيل عيسى بن عبد الله بن ماهان مولى بني تميم مروزي
روى له الاربعة وترجمته مشهورة عن الربيع بن انس ابو حاتم البكري البصري
التابعي صدوق لكن له اوهام كما قاله ابن حجر وما في حواشي التلمساني من
انه انس بن مالك رضي الله عنه سهو وحديثه هذا مرسل لانه لم يذكر صحابيه
توفي سنة مائة وتسع وثلاثين قيل والحديث المتقدم اولى سندا ومعنى
ويمكن التوفيق بينهما بحمل الصلاة فيه على صلاة الليل والقيام على رجل
ورفع الاخرى على ما كان يفعله بسبب تورم قدميه فان ثبت انه كان يفعله
اختيارا منه تطوعا كما مر اي فلعله نسخ لان الفقهاء لم يبيحوه بغير ضرورة
وفيه نظر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى

وانزل الله تعالى طه يعني طا الارض يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى الخ هذا كما مر
من غير فرق فما مر لا وجه له وهذا كان قبل النهي فحكم لغفنا بالكراهة كان بعد النهي فلا
اشكال فيه تنبيه لم نزل نتوقف في كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم قبل
الاسراحتى رايناما نقله السيوطي في الخصايص الكبرى انها لاركوع فيها وان المفسرين
قالوا في قوله واركعوا مع الراكعين انه مشروعية الركوع في الصلاة خاص بهذه الامة
وصلاة بني اسرائيل لاركوع فيها فلهذا امرهم الله بالركوع مع الراكعين في هذه الاية
ويدل عليه ما اخرجه البزار والطبراني في الاوسط عن علي كرم الله وجهه انه
قال اول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال بهذا امرنا ووجه
الاستدلال انه صلى الله عليه وسلم صلى قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات
الخمس قيام الليل ونحوه فكون الصلوات السابقة بلا ركوع قرينة لخلو صلاة الامم
السالفة عنه وكذلك الجماعة كما في شرح المجمع انتهى اقول هذا امر مقرر الا
انه لخفايه لم يعرفه كثير من الصحابة المتاخر اسلامهم لان الساجد لابد له من الركوع
في هويه لكنه ان لم يفصله عنه بانتصاب لم يكن ركنا مستقلا وعبادة ولا خفا بما في
هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة الباهر معنى اي في المذكور مما في الاية وما يتعلق
بها واكرامه صلى الله عليه وسلم بانزال القران عليه وشفقته عليه بنهيه عما
يتعبه من عبادته فما بالك بغيرها من امور انزاه برضي له تعبا فيها فمعاملة الله
له وخطابه بهذا فيه من اللطف ما يدركه من له ذوق سليم وان جعلنا طه من اسمائه
صلى الله عليه وسلم كما قيل او جعلت قسما لحق الفصل بما قبله اي ان جعل لفظ طه
علما للنبي صلى الله عليه وسلم مقسما به او جعل اسما لله ونحوه مقسما به ايضا لتحقق
هذه الاية المذكورة في هذا الفصل بالفصل الذي قبله لانبائه بما اقسم به تعالى تحقيقا
لمكانته عنده وبما افاده من نهاية المبرة في مخاطبته واعلى درجات الادب في محاورته
وقد قيل عليه ان لحوقه بالفصل الذي قبله على القسمية واضح واما اذا كان من اسمائه
فلا فانه تكلف وقيل انه متضمن للقسم بانا نجعله قسما لعطفه باو انتهى وقد علمت
سقوطه مما بيناه وان كان في عبارته مسامحة والقسم له لاينافي كونه به ايضا
وما قيل من ان فيه مسامحة تامة بالحذف او المجاز والاستخدام وانه ان كان قسما
باسمه فهو من الرابع بل الخامس ايضا وان كان قسما بغيره فهو من الخامس لانه قسم
لتحقق المكانة لكن لو كان اسما غير قسم لم يلحق باحدهما فلا يناسب قوله او جعلت ولم
يرد الالحاق بالثالث لانه لا يبتنى على احد الامرين فلعل او بمعنى الواو او بل
انتهى فيه ما لايخفى ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة في المصباح النمط ثياب
ثوب من صوف ذو لون من الالوان ولا يكاد يقال للابيض نمط والنمط ايضا الطريقة
والجماعة من الناس ثم اطلق النمط اصطلاحا على الصنف والنوع فقيل هذا
من نمط هذا اي من نوعه انتهى فالمعنى انه نوع من الاحسان واللطف او من
جملتها فكانه من جملتها وهذا مسموع فلا يتوهم انه استعمال غير مسموع
وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط قوله تعالى فلعلك باخع نفسك
على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا او

دلجي

ابن اقبرس

سيدي ابن الحنبلي

غيظا

غيظا وحزنا لعل كما يكون للترجي المحبوب يكون للاشفاق من المكروه والمراد هنا الثاني على
ايمان العباد او بارادة لازمه لاستحالته عليه تعالى وباخع من بخع نفسه من باب
نفع قتلها من وجد او غيظ وبخع لي بالحق بخوعا انقاد وبذل له كما في المصباح قال
البيضاوي شبهه لما تداخله من الوجد على تولّيهم عن الايمان بمن فارق احبته فهو
متحسر على اثارهم ومبخع نفسه وجدا عليهم او اذا ماتوا على الكفر تقول العرب بكى على
اثر فلان اذا بكى على فراقه وهذا كما تقول لمن اهمه ما يحزنه من غيره اطرح ما انت فيه وكل
امرك لله ولا تهلك نفسك والمراد بالحديث القران وهو يطلق عليه قال تعالى ومن
اصدق من الله حديثا واما اختصاصه بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم فعرف
طارئ وقوله فلعلك اي لاجل عدم ايمانهم بهذا الحديث لان الشرط قد يفيد العلية
نحو ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود ويؤيده قراءة ان لم يؤمنوا بفتح الهمزة
قال القاضي وقرئ بالفتح على تقدير لا فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال
ماضية يعني على هذه القراءة لان عدم الايمان على القراءة الاولى مستقبل لانه
في حيز الشرط فباخع مستقبل عامل وعلى الثانية ماض فلذا جعل حكاية وقوله
غضبا الخ فللاسف معان ثلاثة مأثورة ثابتة في اللغة وقيل حزنا او ندما ه
والغضب ضد الرضا والغيظ اشده او سورته او ما اضمر في النفس وفيه كلام
وفسر بالغضب ايضا وليس بمراد لئلا يتكرر ولا يصح التفسير لعطفه باو والجزع
ضد الصبر وفي عمدة الحفاظ الاسف الغضب والحزن معا ويطلق على كل منهما
بانفراده وحقيقته ثوران دم القلب لارادة الانتقام فمتى كان على من تحته
انتشر فصار غضبا او على من فوقه انقبض فصار حزنا وهي منصوبة مفعول
له او حال ومثله قوله ايضا مصدر آض يئيض اذا رجع ومعناه عودا لما قبله لما
له في معناه فلذا فسرت بالتشبيه اي مما ورد مورد الشفقة والاكرام لشهادة لعل
اذ هي للاشفاق وهو مفعول مطلق او حال ومثله نظرا لمعناه وايضا نظرا للفظه
فلا تكرار ولو حذف كان اولى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين نفسي
لعلم مما مر والمقصود ايضا منع الغم شفقة عليه قيل وانما ذكر هذه الاية
لما فيهما من توقع انقيادهم ووقوع امنيته صلى الله عليه وسلم فان كانت
لازائدة ففيهما غاية الاشفاق عليه ثم قال ان نشا ننزل عليهم من السما
آية فظلت اعناقهم لها خاضعين المراد بالاية هنا آية مخصوصة وهي الملجئة
قسرا الى الايمان او ما فيه عذاب وعقاب والا فكم من اية نزلت وما انقادوا
لها والخضوع التذلل والانقياد وقوله فظلت معطوف على الجواب لصحة
وقوع الماضي موقعه وعبر بالماضي لتحققه تقديرا وله هذه الاية والاعناق
الاعضا المعروفة ويعبر بها عن الرؤسا كما يعبر بالراس وعلى هذا فخاضعين
جمع العقلا ظاهر وعلى الاول فلما نسب لهم ما ينسب للعقلا من الخضوع عبر
بعبارتهم كما في قوله رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين
او في الاعناق مقدرا والمضاف اكتسب صفة العقلا من المضاف اليه كما
يكتسب منه التذكير والتانيث وفي الاية تسلية له صلى الله عليه وسلم

كذه

ابن اقبرس

تنزيل عمه وهو شفقة عظيمة وفيه مناسبة لما المتم بصدده ومن هذا الباب لباب معروف
ويطلق على القبيل والنوع اطلاقا شايعا فيقال هذا من باب كذا اي من جنسه ونوعه
وهو المراد اي من قبيل ما نحن فيه من شفقة الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فلا
يتوهم ان الظاهر ان يقول من هذا الفصل قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن
المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى اخر السورة واصل
معنى الصدع صدم الانا ونحوه فينشق فاستعير للامر المؤثر تاثيرا ظاهرا وللكلام المؤثر
في النفس وقيل الصدع الفرق بين الشيئين فكانه قيل له افرق بين الحق والباطل وكانه
صدع على جهة البيان والتشبيه لظلمة الجهل والشرك بظلمة الليل ولنور القران
بنور الفجر لان الفجر يسمى صديعا كما قال

ترى السرحان مفترشا يديه • كان بياض غرته صديع

وما مصدرية او موصولة والعايد محذوف واصله بما تؤمر به على حد امرتك الخير

**ولا يخفى** ان هذا على الحذف والايصال فالظاهر ان يقدر بما تؤمر به ولا يشكل بانه
شرط حذف عايد الموصول المجرور ان يجر بمثل ما جر به الموصول لفظا ومتعلقا نحو
ويشرب مما تشربون اي منه لان الصدع بمعنى الامر كما مر ولا يشترط المماثلة اللفظية
ولا يخفى مناسبة الاية للفصل اذ المراد لا تحزن لمحالفتك فالهالكة سترى عاقبتها
لك وعلى اعدايك واي شفقة وتكريم احسن من هذا ولو لم يقل في الاية التي قبلها
الى اخر السورة تصريحا بما فيه زيادة دلالة على التسلي والشفقة به وما يقولونه
هو الشرك والاستهزا والطعن في القران وهي منسوخة باية القتال قيل كان ينبغي
ان يذكر قوله انا كفيناك المستهزئين **قلت** ذكرها ضمنا في الى قوله وايضا
استغنى عنها بالاية التي عقب هذا وهي في قوله وقوله ولقد استهزئ برسل من
قبلك الاية اي فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون والمستهزءون خمسة
من اشراف قريش كانوا يبالغون في ايذائه صلى الله عليه وسلم فاهلكهم الله كما فصله
المفسرون وهي واردة على نهج الشفقة والتسلية والوعد بانه سيكفيهم باهلاكهم
وورد بصيغة الماضي تحقيقا له ولهذا اعقبه بقوله الذين يجعلون مع الله الها
اخر فسوف يعلمون اي عاقبته في الدارين كما ذكره القاضي واقتصر في اللباب
على ان عاقبة امرهم يوم القيامة وقوله فحاق الخ اي احاط بهم حيث اهلكوا لاجلب
الاستهزا باطلاق السبب على المسبب لان المحيط العذاب لا المستهزا به او نزل بهم
وباله فوضع موضعه وهذه الاية في الانعام والانبيا ويحتمل انها اية الرعد
وتمامها فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي امهلتهم برهة
من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقابي اياهم قال مكي تقدمت
ترجمته رحمه الله تعالى سلاه الله تعالى بما ذكره وهون عليه ما يلقى من المشركين
من استهزائهم وعنادهم وانما نسلي من نحبه ونشفق عليه والتسلية بان
اخوانه من اولي العزم ابتلوا بمثله فصبروا وكانت النصرة والعاقبة لهم عليهم
الصلاة والسلام في الدارين والتاسي بما يثلج الصدر كما قيل

ولولا كثرة الباكين حولي • على اخوانهم لقتلت نفسي

تجاني

ابن الحنبلي

وفي التاخير

وفي التاخير حكم كثيرة وان كان تعجيل الانتقام ممن اذى المنسوبين لانهم لا ينفعون ما فنه
امرهم فلذا قال واعلم ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله اعلم فعل ماض فاعله
ضمير الله ومفعوله ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم وتمادى اي تاخر وتطاول تفاعل من
المدى وهو الغاية ومنه مدى البصر وفي المصباح تمادى في غيه اذا لج ودام على فعله من
امداه ابعده او من مادنيه اذا امهلته وقوله على ذلك حال اي كائنا ومستمرا على استهزائه سبيد
قيل فيه قرينة على ارادة اية الوعيد ويحل به اي ينزل به العذاب الذي نزل بامثالهم فهو بضم
الحا وكسرها من الحلول بمعنى النزول لانه الذي يتعدى بالبا لا من حل بمعنى وجب لانه
يتعدى بعلى قال في المصباح حل العذاب يحل ويحل حلولا هذه وحدها بالضم والكسر
والباقي بالكسر فقط انتهى وفي القاموس حل المكان وبه يحل ويحل نزل وفي الصحاح بالكسر
وجب وبالضم نزل وتبعه بعض الشراح وفيه نظر يعني انها عادة الله في مثله ومثل هذه
التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اي مثل التسلية السابقة
ما في هذه الاية من تهوين ما لقيه بان له فيه اسوة بمن تقدم من الرسل وانه سيكون
له صلى الله عليه وسلم مثل ما كان لهم من نصره وعلو قدره والانتقام من اعدائه وا لتسلية
لئلا يحزن ويشق عليه ويحزنه ذلك وهو غاية الشفقة به والتعبير بالاية الواقع في
بعض النسخ واطلق فيه الاية واراد جميعها الى قوله ترجع الامور فهو من اطلاق
الجز على الكل كما تقول قرات بانت سعاد اي القصيدة كلها فالمناسبة للفصل
والمماثلة في غاية الظهور ومن هذا القبيل في التسلية والشفقة الدال على علو
منزلته عند الله قوله كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او
مجنون المشار اليه بقوله كذلك الامر الذي وقع له صلى الله عليه وسلم من تكذيبه
وقولهم انه ساحر او مجنون كقولهم افترى على الله كذبا ام به جنة وتمام هذه الاية
اتواصوا به بل هم قوم طاغون والاستفهام تعجبي تعجب من توارد افواههم وآرائهم
على تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام مع بيان ازمانهم والاضراب عن تواصيهم
بما ذكر الى تجاوز حدهم في العناد الجامع لهم فيما ذكر وقوله ما اتى الخ كالتفسير ابن الحنبلي
لما قبله كما قاله البيضاوي وقيل الوجه ان يكون الامر عبارة عما جعله المشار
اليه وان يكون المشار اليه تكذيب الذين من قبلهم رسلهم وتسميتهم كل رسول
اتاهم اي جاءهم وبعث اليهم كذابا او شاعرا او مجنونا لان المقصود تشبيه فعل
هؤلاء المتاخرين مع رسلهم بفعل اولئك المتقدمين مع رسلهم واسنادهم لهم ما هم
منزهون عنه لعصمة الله لهم فالمناسبة تامة عزاه الله اي حمله على الصبر كما مر
لانه تفعيل من العزا وهو الصبر بما اخبر به عن الامم السالفة البا للتعدية او
سببية والسالفة بمعنى المتقدمة والموصوف بالعدد المؤنث لتاويله بالجماعة
وهو مقيس مطرد ومقالتها بالجر معطوف على الامم ويجوز عطفه على مجرور لها
البا كما في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام في قراءة الجر اي ومقا
والاول اقرب ولا تكلف فيه كما قيل وفي نسخة مقالتها لانبيائهم قبله
والقبلية تصريح بلازم ما في الاية لان كون انبيا اولئك قبل هؤلا يستلزم
كونهم قبله صلى الله عليه وسلم ومحنتهم بهم وفي نسخة محنته اي محنة النبي

صلى الله عليه وسلم بهولا المكذبين له وعلى الاولى محنة الانبيا باممهم والمحنة
الابتلا والاختبار وهذه النسخة اولى وانسب بقوله وسلاه بذلك عن محنته بمثله
من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك وذلك اشارة الى ما وقع للانبيا عليهم
الصلاة والسلام مع اممهم مما يضاهي ما وقع له صلى الله عليه وسلم وقوله
بمثله الضمير راجع فيه للمشار اليه وافرده لتاويله بما ذكر وروي بمثلهم وهو
تسلية بالتاسي كما مر ومن كفار مكة متعلق بالمحنة وضميرانه للنبي صلى الله عليه
وسلم وهو معطوف على ذلك وبين وجه التسلية بقوله ليس الخ ثم طيب لنفسه
وابان عذره ثم للبعد اللفظي والرتبي ونحوه كما مر وابان عذره عطف على طيب
نفسه لان حزنه صلى الله عليه وسلم لعدم اطاعة كفار مكة له خوفا من تقصير
في مرتبة الرسالة والتبليغ فاظهر الله له انه معذور في اعراضهم وعدم
انقيادهم فطابت نفسه صلى الله عليه وسلم من نسبة شي من التقصير اليه فلا
لوم ولا عتب عليه في مثله وفيه غاية الشفقة واللطف به صلى الله عليه وسلم
وتفريج كربه وهمه بقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عن المجادلة وما
يتعبك اوعن الهم والحزن المكدر لقلبك المضيق لصدرك او اعرض تارة وذكر
اخرى فلا نسخ وما ذكر من ان النسخ بقوله وذكر فان الذكرى تنفع المومنين هو ما
قاله ابن الجوزي رحمه الله قيل وهو غريب لعطف الناسخ على المنسوخ بالواو
المشركة الا ان تكون الواو للاستفتاح كما ذكره بعضهم وعلى تفسير المص معنى ذكر
دم على التذكير والموعظة فتدبر وقوله فما انت بملوم اصله ملووم فنقلت
الضمة وحذفت الواو والمنفي لوم مخصوص من جهة مخصوصة كما اشار اليه
بقوله اي في اداما بلغت وابلاغ ما حملت مبني للمجهول مشدد الميم وما حمله
امانة الرسالة وقد اداها صلى الله عليه وسلم وبذل الجهد فلا يتوجه اليه
لوم وفيه من المدح والاشفاق ما لا يخفى اي انت لا تلام من جهة الادا على
التقصير فانك لم تقصر وانما انت مذكر ما عليك الا البلاغ وقد فعلت
وبذلت مقدورك قيل والاولى ما قاله البيضاوي من ان المراد نفي اللوم
على بذل الجهد في البلاغ اذ المقصود نفي اللوم مطلقا وكلام المص موهم
لنفيه مقيدا وقيل اللوم على عدم ايمانهم فقيل له لا تهتم لهم ولا
تحزن ولا يبعد ان يراد لا تلتفت لقولهم لك لم تترك ملة الابا لما امرتنا به
ونحو ذلك فانك لست بملوم عندنا وفي نفس الامر بل في اعتقادهم ايضا
فلا تعتبر ما قالوه وذكروه وعلى هذا فلا نسخ كما مر قلت التقييد لا مر
فيه هنا وايهام لست ملوما في هذا انه يلام في غيره لا يلتفت اليه لانه على حد
قوله ولا ترى الضب بها ينجحر فيفيد عدم اللوم على غيره بالطريق الاولى
وليس في قوله ابلاغ ما حملت تكرار مع ما قبله لان الثاني فيه كناية عن
الاول كما توهم لان المعنى انك بلغت الكل واديته كما ينبغي فالاولى
لحسن الادا والثانية للشمول والتعميم او الثانية تعميم بعد تخصيص
ففيه اطناب حسن كما قيل بل لان الاولى تفيد انه بلغ والثانية تحقق هابلغه

عنهم وهذه الاية منسوخة باية السيف وقيل لا نسخ له وذكر اي اعرض عنهم

ابن الجوزي

بيضاوي

والثانية

والثانية تفيد انه مأمور بالتبليغ كمن ارسل برسالة وامانة فاوصلها ومثله في التسلية
الدالة على الشفقة والمحبة قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي دم على الصبر في
تبليغ ما حكم الله به ولا تحزن ولا تخف من الاعدا فانك محفوظ محروس لا يصلون اليك ولا
يدنو بساحتك عقارب كيدهم او اصبر لاجل حكم الله اي لتبليغ احكامه وفي العالم اصبر الى
ان يقع ما حكمنا به او الى ان نحكم او ننزل حكما وفيه الايما الى قتالهم واللام بمعنى على
او للتعليل او بمعنى الى والحكم ما حكم الله به وقدره في الازل اي لا تنزعج بالتعب
في سبيلنا ودم على الحبة فانك محفوظ معصوم من الناس والاعين جمع قلة للعين
والضمير المضاف اليه لله بصيغة التعظيم ولايهامه التعدد لا يجوز اطلاقه منا
عليه بل مقتصر فيه على ما قاله الله في حق نفسه كما نقله الدماميني في شرح التسهيل
والمراد بالعين الحفظ والحراسة على الاستعارة او المجاز المرسل كما يقال هو بعيني
او على عيني وبمرأى ومسمع مني وجمع قيل لمناسبة المضاف اليه او لكثرة اسباب
الحفظ فانه وبيته تعالى تتعلق بكل شيء وليست مخصوصة بالنبي صلى الله عليه وسلم
يعني ان جمع القلة مستعار هنا للكثرة ولك ان تقول ان حفظ جميع مخلوقاته قليل
بالنسبة لجلاله وعظمة ذاته والى هذا اشار بقوله اي اصبر على اذاهم فانك بحيث
نراك ونحفظك لا بيان للمراد من هذه الاية وارادة الحفظ والمجاز لا بعيد ولا تلتفت
لما قيل انه غير بعيد فانه مكابرة وفي الشرح الجديد دلالة ما ذكر على الحفظ
لانك اذا قلت فلان بعيني استحال حقيقة الظرفية على انه داخل العين فتعين
ارادة لازمه وهو في حفظك بغير طريق الرؤية لان ما استقر في عينك كان
محفوظا فوق الرؤية اذ من شرط الرؤية عدم مماسة العين للمرئي فان اريد
معناه الحقيقي على ان البا للظرفية المجازية فالحفظ مراد بطريق الكناية لصحة
الجمع بين المعنيين فيما دون المجاز فالمراد مجرد الرؤية بغير جارحة لاستحالتها في حقه
تعالى وذهب البيضاوي في قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا الى ان البا للملابسة
والتعبير بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن
المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل ولا كناية فيه اصلا على هذا
ومنه يفهم وجه الجمع كما مر سلاه الله بهذا اي بمثل هذا الكلام وما في معناه
يذكره في آي بمد الهمزة وتخفيف اليا جمع آية او اسم جنس جمعي لها ولا حاجة
لجعل في بمعنى مع كما قيل وان صح هنا كثيرة كقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك
فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا من هذا المعنى من بيانية والتقدير
كائنة من مثل ما يدل على هذا المعنى وهو الحفظ والوعد بالتاييد والامر بالصبر
للتسلية والشفقة والمعنى مفعل من عناه بمعنى قصده قال في المصباح تقول
العامة لاي معنى فعلت والعرب لا تعرف المعنى ولا تكاد تتكلم به نعم قال بعض
العرب ما معنى هذا بكسر النون وتشديد اليا وقال ابو زيد هذا في معناة
هذا وفي معناه سوا اي في مماثلته ومشابهته دلالة ومضمونا ومفهوما
وقال الفارابي معنى الشيء ومعناته واحد ومعناه وفحواه ومقتضاه ومضمونه
كله هو ما يدل عليه اللفظ وفي التهذيب عن ثعلب المعنى والتفسير والتاويل

سيد

ابن الحنبلي سيد

واحد وقد استعمل الناس قولهم هذا في معنى كلامه وشبهه بريدون هذا مضمونه ودلالته وهو مطابق لقول ابي زيد والفارابي واجمع النحاة واهل اللغة على عبارة تداولوها وهي قولهم هذا بمعنى هذا وهذا وهذا في المعنى واحد وسوا اي مماثلة ومشابهة انتهى ولنا فيه كلام في حواشي الرضي الفصل السابع فيما اخبر الله تعالى به في كتابه العزيز اي العظيم الشريف او القوي ادلته ومعانيه والذي لا نظير له في الكتب من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبيا عليه وعليهم الصلاة والسلام وحظوة رتبته وفي بعض النسخ عليهم اي على جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام والمراد تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الانبيا كما سترى تفصيله والمنزلة والرتبة متقاربان بمعنى علو القدر والحظوة بضم الحا المهملة وكسرها وسكون الظا المشالة اي اختصاص رتبته صلى الله عليه وسلم بالحظ الاوفر من حظي عند غيره يحظى من باب تعب حظة كعدة اذا احبوه ورفعوا منزلته فهو حظي على فعيل وقوله على الانبيا متعلق بما قبله لتضمينه معنى العلو قوله تعالى وفي بعض النسخ قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين يعني قوله ثم جاكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وفي بعض النسخ تلاوتها بتمامها قال ابن المنير في تفسيره البحر الكبير يحتمل ان يراد اخذ الله الميثاق على النبيين او على الامم الميثاق الذي شرع النبيون تعظيمه فاضيف اليهم او هو بتقدير مضاف اي ميثاق امم النبيين ويحتمل ان يراد بالنبيين مدعوا النبوة تهكما بهم وقد كان اليهود يقولون نحن احق بالنبوة من العرب وعدلوا عن الاول مع ظهوره لانهم لم يدركوه نوعا على الرمز والتقدير وهو تكلف ولما اتيتكم يحتمل الشرطية والموصولية واللام موطية للقسم لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وعلى الشرطية جواب القسم ساد مسد الامرين وهو قوله لتومنن به وقرا حمزة لما بالكسر اي لاجل ايتاي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجي رسول موافق لكم مصدق لما معكم فكل من هذين الامرين جدير بان يكون علة وسببا في نصرتكم اياه لانكم اوتيتم الحكمة ومقتضاها نصرة الحق كاينا من كان ولانه جا بما هو مظاهر لكم مصدق لما معكم واذا كانت ما شرطية او موصولة فمن بيانية وان كانت مصدرية فتبعيضية لانه ليس هناك ما يبين وانما امتن عليهم ببعض الكتب لانه كاف في الحجة ويجوز على قراة الكسر والتعليل ان تكون ما موصولة اي اوجبت على الانبيا عليهم الصلاة والسلام نصرة النبي الموعود به في المستقبل لاجل الكتاب الذي اتيته كل واحد منهم وجملة جاكم معطوفة على الصلة اقيم فيها الظاهر مقام المضمر والتقدير لما اتيتكموه من الكتاب ثم جاكم رسول مصدق له وقرا ابن جبير لما بالتشديد وهو يقوي المصدرية وقيل اصل لما لمن ما ادغمت النون فاجتمع ثلاث ميمات فحذف احدها والمعنى لمن اجل ما اتيتكم من كتاب وهو قريب من قراة حمزة بالكسر انتهى واعلم ان هذه الاية اجل اية في حقه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وقد افردها التقي السبكي برسالة سماها التعظيم والمنة في
معنى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فيها في هذه الاية من التنويه بالنبي صلى الله
عليه وسلم وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى وفيه مع ذلك انه على تقدير مجيئه
صلى الله عليه وسلم في زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة
لجميع الخلق من ادم عليه الصلاة والسلام الى يوم القيامة وتكون الانبياء واممهم
كلهم من امته صلى الله عليه وسلم ويكون قوله وبعثت الى الناس كافة لا يختص
بالناس من زمانه الى القيامة بل يتناول من قبلهم ايضا ويتبين بذلك معنى
قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الروح والجسد وان من فسره بعلم الله
بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علم الله محيط بجميع الاشياء ووصف النبي
صلى الله عليه وسلم بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي ان يفهم منه انه امر ثابت له في
ذلك الوقت ولهذا راى ادم عليه الصلاة والسلام مكتوبا على ساق العرش محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا بد ان يكون ذلك معنى ثابتا في ذلك الوقت
ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له صلى الله عليه وسلم
خصوصية بانه نبي وادم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام
يعلم الله نبوتهم في ذلك وقبله فلا بد من خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم
لاجلها اخبر هذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله فيحصل لهم الخير بذلك
فان قلت اريد ان افهم ذلك القدر الزائد فان النبوة وصف لا بد ان يكون الموصوف
به موجودا وانما يكون بعد بلوغ سنه اربعين سنة فكيف يوصف به قبل وجوده
قلت قد جاء ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد فالاشارة بقوله كنت نبيا الخ
الى روحه الشريفة صلى الله عليه وسلم او الى حقيقته والحقائق تقصر عقولنا عن
معرفتها وانما يعرفها خالقها ومن امده بنور الهي ثم ان تلك الحقائق يؤتي الله
كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم
قد تكون من قبل خلق ادم عليه الصلاة والسلام اتاها الله ذلك الوصف بان
يخلقها متهيئة لذلك وافاض عليها من ذلك فصار صلى الله عليه وسلم نبيا
وكتب اسمه على العرش واخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته عليهم الصلاة والسلام
وغيرهم كرامته صلى الله عليه وسلم عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت
وان تاخر جسده الشريف المتصف بها واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة
المفاضة عليه من الحضرة الالهية وانما تاخر البعث والتبليغ وكل ما له من
جهة الله ومن جهة تاهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لا تاخر فيه وكذلك
استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة وانما المتاخر تكونه وتنقله الى
ان ظهر صلى الله عليه وسلم وغيره صلى الله عليه وسلم من اهل الكرامة
قد يكون افاضة الله تلك الكرامة عليه بعد وجوده بمدة كما يشاء سبحانه
وتعالى ولا شك ان كل ما يقع فالله تعالى عالم به من الازل ونحن نعلم علمه بذلك
بالادلة العقلية له او الشرعية ويعلم الناس منها ما يصل اليهم عند ظهوره
كعلمهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه القران في اول ما جاءه

نخ به

نخ وافاضته

جبريل صلوات الله عليهما وسلامه وهو فعل من افعاله سبحانه من جملة معلوماته
من اثار قدرته وارادته واختياره في محل خاص يتصف بها فهما تان مرتبتان الاولى
معلومة بالبرهان والثانية ظاهرة للعيان وبين المرتبتين وسايط من افعاله
سبحانه وتعالى تحدث على حسب اختياره سبحانه وتعالى منها ما يظهر لهم بعد
ذلك ومنها ما يحصل لهم كمال لذلك المحل وان لم يظهر لاحد من المخلوقين وذلك
ينقسم الى كمال يقارن ذلك المحل من حين خلقه والى كمال يحصل له بعد ذلك ولا
يصل علم ذلك الينا الا بالخبر الصادق والنبي صلى الله عليه وسلم خير الخلق فلا كمال
لمخلوق اعظم من كماله ولا محل اشرف من محله فعرفنا بالخبر الصحيح حصول ذلك
الكمال من قبل خلق ادم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى
وانه اعطاه النبوة من ذلك الوقت ثم اخذ له المواثيق على الانبيا عليهم الصلاة
والسلام ليعلموا انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم واخذ المواثيق
في معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم في قوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه
لطيفة هذا كايمان البيعة التي تؤخذ للخلفا وكانها اخذت من هنا فانظر
هذا التعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى فاذا عرفت ذلك
فالنبي صلى الله عليه وسلم هو نبي الانبيا ولهذا ظهر ذلك في الاخرة بكون جميع
الانبيا عليهم الصلاة والسلام تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسرا اذ صلى
بهم ولو اتفق مجيئه صلى الله عليه وسلم في زمن ادم وغيره وجب عليهم وعلى
اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم فنبوته صلى الله
عليه وسلم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما امره متوقف على اجتماعه معهم
فتاخر ذلك لامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين
توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على اهلية الفاعل فهذا لا يتوقف من جهة
الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو من جهة وجود العصر
المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا ياتي عيسى عليه
الصلاة والسلام في اخر الزمان على شريعته صلى الله عليه وسلم وهو نبي
كريم على حاله لا كما يظنه بعضهم من انه ياتي واحدا من هذه الامة نعم هو
واحد منها لما قلناه من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشريعة
نبينا صلى الله عليه وسلم بالقران والسنة وكل ما فيهما من امر او نهي فهو متعلق
به كما يتعلق بساير الامة وهو نبي على حاله صلى الله عليه وسلم لم ينقص منه
شي وكذا لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمنه او زمن موسى وغيره
كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم والنبي صلى الله عليه وسلم
نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته
اعم واشمل واعظم ومتفق مع شرايعهم في الاصول لانها لا تختلف وتقدم
شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص
واما على سبيل النسخ او لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلى الله عليه
وسلم في تلك الاوقات بالنسبة الى اولئك الامم ما جات به انبياوهم وفي

هذا الوقت بالنسبة الى هذه الامة هذه الشريعة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص
والاوقات وبهذا بان لنا معنى حديثين خفيا علينا احدهما قوله صلى الله عليه وسلم
بعثت الى الناس كافة كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيامة فبان انهم جميع الناس
اولهم واخرهم والثاني قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا الخ كنا نظن انه بالعلم
فبان انه زايد على ذلك على ما شرحناه وانما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده
صلى الله عليه وسلم وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتاهلهم
لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تاهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط
قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فبان ان التعلق انما هو
بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي
يخاطبهم بلسانه وهذا كما لو وكل الاب رجلا في تزويج ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكيل
صحيح وذلك الرجل اهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود
كفو ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة واهلية الوكيل انتهى
هذا اخر الرسالة بتمامها **اقول** بعد ما اقدم لك حديثا رواه ابو نعيم في الحلية
عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال اوحى الله الى موسى عليه الصلاة والسلام انه
من لقيني وهو جاحد باحمد ادخلته النار قال يا رب ومن احمد قال ما خلقت خلقا
اكرم علي منه كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل ان اخلق السموات والارض ان الجنة
محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وامته قال ومن امته قال الحمادون يحمدون
صعودا وهبوطا وعلى كل حال يشدون اوساطهم ويطهرون اطرافهم صوام بالنهار
رهبان بالليل اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قال
اجعلني نبي تلك الامة قال نبيها منها قال اجعلني من امة ذلك النبي قال
استقدمت واستاخر ولكن ساجمع بينك وبينه في دار الجلال انتهى وورد بمعناه
من طرق كثيرة كما في الخصايص الكبرى **واعلم** ان معنى كون احد من امة نبي
من الانبيا انه مكلف باتباعه واتباع شريعته علما او عملا وهي امة دعوة وامة
اجابة ويلزم من اجابه من امته تعظيمه وتوقيره واعتقاد صدقه في كل ما جاء به
واعزازه ومحبته ولا يلزم من تعظيمه ومحبته واعتقاد صدقه ان يكون مكلفا
باتباع شريعته والتعبد بها الا ترى ان الله اعزه وعظمه واحبه ولا يتصور
فيه ذلك وكذلك الرسل والانبيا عليهم الصلاة والسلام جميعهم يعظمون له
ويحبون لانهم اعرف به من غيرهم مع انهم غير مكلفين باحكام شرعه والا لم
يكونوا اصحاب شرع وكتاب مستقل والنصوص العقلية والنقلية ناطقة بذلك
الا ترى الى قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده
وما في معناها من الايات اذا عرفت هذا فاعلم ان ما قاله السبكي رحمه الله وتبجح
به واستحسنه هو ومن بعده ممن وقف عليه لا وجه له عند من له بصيرة
نقادة واياك ان يخطر ببالك ان هذا يقتضي ان من تقدمه من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وعلما الملل السالفة غير مبالغين في تعظيمه وتصديقه
ومحبته فان هذا معنى والتعبد بشرعه معنى اخر ومن ظنهما امرا واحدا لا يعتد

به وقوله لتؤمنن به دون نبيئه مناد عليه وكيف يتأتى ما قاله مع قوله تعالى اتبع
ملة ابراهيم حنيفا فانه عكسه وقد طلب موسى صلى الله عليه وسلم ان يكون من امته
عليه الصلاة والسلام فاجابه الله بما سمعته انفا في الحديث الصحيح فقوله انه
على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم الخ لا معنى له وقوله في حديث كنت نبيا
الخ انه في عالم الارواح معنى صحيح ومن فسره بالعلم فقد قال مراده علم اظهره الله
لغيره من الملائكة والارواح تنويها له صلى الله عليه وسلم وتعظيما وكونه
اشارة الى حقيقته ان اريد به روحه رجع لما قبله وان اريد غيره فامر لا يعقل عند
من خلع ربقة التقليد من جيد اعناقه وقوله في حق عيسى عليه الصلاة والسلام
انه يأتي في آخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم جمع بين الصحبة والنبوة وههنا
بحث وهو ان بين ظرف مكان معناه مكان متوسط بين شيئين اضيف لهما وقد يكون
للزمان وهو في الاصل مصدر بمعنى الافتراق ويتجوز به عن معان اخر كما يقال
بين الخوف والرجاء اي متردد بينهما يكون تارة خائفا وتارة راجيا وبين الحلو
والحامض اي مز والكلمة بين اسم وفعل وحرف اي منقسمة لها وقوله في الحديث
بين الروح والجسد ليس بمعناه الحقيقي لاقتضائه وجود روح آدم عليه الصلاة
والسلام وجسده حين بعث نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يصح هذا ولا شيء من المعاني
السابقة فالظاهر انه ظرف زمان اي في زمان كان بين خلق روحه وجسده فيفيد
ظهور نبوته بعد خلق روحه وقبل خلق جسده على انه نبأه في عالم الارواح
واطلع الارواح على ذلك وامرها بمعرفة نبوته صلى الله عليه وسلم والاقرار
بها وهذا المعنى يفيده قوله بين الماء والطين اي بعد خلق عناصره غير مركبة
ولا منفوخ فيها الروح وهو بمعنى الحديث الذي صححوه فيكون رواية بالمعنى
ان لم يثبت بهذا اللفظ وهذا مما لم يحم احد حول حماه والحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله واذ متعلقة باذكروا مقدرا وحده او
اذكروا يا اهل الكتاب فان اريد به جميعهم فظاهر وان اريد به الموجودين
في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم فلتنزيل ما جاء اباءهم منزلة ما جاءهم او
بتقدير اذ اخذ اباءكم والميثاق العهد واليمين كما مر وقيل انه متعلق باقررتم
وان اخر والمراد بكتاب الجنس والحكمة الشريعة والاعتقادات الحقة والمراد
بالنبيين مطلقهم او مع اممهم او انبياء بني اسرائيل ومن تبعيضية او بيانية
واللام موطئة او ابتدائية ثم جاءكم رسول التنوين والابهام للتعظيم لان
المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انه عام وان العهد اخذ على سائر
الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ يصدق بعضهم بعضا ويأمر باتباعه
والايمان به وهو مروي عن ابن جبير كما مر مصدق لما معكم من وضع
الظاهر موضع المضمر كما مر وقيل تقديره جاءكم به فالعائد محذوف وهو دلجي
تكلف لتؤمنن به اي برسالته تقدم انه جواب القسم وهو ساد مسد جواب
الشرط ان كانت ما شرطية او جوابها محذوف وعلى كل حال سواء كانت شرطية
او موصولة فمبتدأ لا بد له في الجواب والجزم التقدير وفيه تكلف وقال

التجافي

النحاة وقد يستغني بعود الضمير الى ما في اثنا الجملة عن العود الى المبتدا او الشرط لارتباط بعض الكلام ببعض قيل وهو غريب جدا ولما كان المراد الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لابد من التقدير اي ان ضميره به لما يتقدم من المقصد قة اي رسالته مصدقة **اقول** ما عده غريبا اشهر من قفا نبك وهو مذكور في متن التسهيل وقال في شرحه انه مذهب للاخفش والكسائي وصرح به السيد في شرح الكشاف في قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن وفي الروض الانف ان ما في هذه الاية مبتدا بمعنى الذي والخبر لتؤمنن به ولتنصرنه وان كان الضمير ان عايدان على رسول ولكن لما قال رسول مصدق لما معكم ارتبط الكلام بعضه ببعض واستغني بالضمير العايد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدا وله نظاير في التنزيل انتهى ولتنصرنه على عدوه قال الله لهم أأقررتم للاستثبات واخذتم على ذلكم اي قبلتم على ذلك المذكور امري عهدي وميثاقي قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي الملايكة على اقرارهم او بعضكم على بعض وانا معكم من الشاهدين على ما سبق قال ابو الحسن القابسي تقدمت ترجمته في اول الفصل الثاني من هذا الباب وفي انساب السمعاني قابس بلدة بالمغرب استخص الله تعالى استخص وخص واختص بمعنى فالسين للتاكيد لا للطلب وقيل المعنى طلب تخصيصه وهو مجاز عن لازمه وهو الارادة وارادة الله تعالى لا تتخلف فمعنى اراد كذا فعله وهو تكلف لا حاجة اليه بقوله اي بسبب قوله هذا في الاية للانبيا عليهم الصلاة والسلام وقد سقط هذا من بعض النسخ محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره مؤكدا للتخصيص دفعا لتوهم المجاز او ارادة التخصيص الذكري ابانه به اي اظهر ذلك الفضل له او فضله وميزه به عن غيره وهو مؤكد لما قبله ايضا سوا كان مشتقا من الاولى بانه للتعدية او سببية وهو اي الفضل المختص به ما ذكر في هذه الاية قيل ان هذا على بعض التفاسير لما مر من ان بعض المفسرين قال الكافة وان كل نبي اخذ عليه العهد بان يصدق بمن بعده وان يؤمن بعضهم ببعض وقاله البغوي والثعلبي انه عليه كثير من المفسرين ولذا ٥ استشكل بعضهم اختصاص هذا بنبينا صلى الله عليه وسلم ولو فسر الرسول هنا بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه امر ثابت بغير هذه الاية مقرر عندهم **واجيب** بان العهد الماخوذ على الانبيا عليهم الصلاة والسلام اجمالي من غير تعيين وهذا معين باسمه وصفته او ان الفضل المخصوص به صلى الله عليه وسلم اخذ العهد بان يؤمنوا به وينتبعوه ان ادركوه حتى يكونوا من امته والاية محمولة على هذا كما مر عن السبكي فلا اشكال قال المفسرون اي بعضهم وكون التعريف للعهد لا قرينة عليه اخذ الله الميثاق بالوحي الى الانبيا عليهم الصلاة والسلام وحمل هذا على ما وقع في عالم الذر حين اخرجهم من صلب ادم عليه الصلاة والسلام واخذ العهد عليهم بالايمان به صلى الله عليه وسلم فيكون اخذ عليهم عهدا بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ايضا فالوحي مجاز عن مطلق الاعلام او هو اعلام نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك اذا وحاه اليه بعيد جدا والحق ان هذا امر اخر في هذه النشاة كما يدل

سعد وابن الحنبلي

سعد

سعد

سعد

عليه قوله فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته بصيغة المصدر
المنصوب والماضي اي ذكر له نعته اي لم يبعثه في حال من الاحوال الا حال ذكره له
والبعث زمانه ممتد فالذكر الواقع في اوله او بعده مقارن له فالحال في زمن
العامل واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به ضمير به للنبي صلى الله عليه وسلم
في قوله لم يبعث نبيا اي ميثاق ذلك النبي الماخوذ عليه او لله تعالى والاول اوفق
باضافة الميثاق للنبيين في الاية او لمحمد اي الميثاق الماخوذ لاجل محمد فالاضافة
لادنى ملابسة وهذا الميثاق اشارة الى ان شريعته صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع
الشرائع فيجب على كل من ادركه اتباعه فيعلم الرسل به اممهم ويامرونهم بتبليغه
لمن بعدهم **وفي الحديث** لو كان موسى عليه الصلاة والسلام حيا
ما وسعه الا اتباعي وسياتي ما في التوراة والانجيل وغيرهما من التصريح بهذا
ومعنى ادركه انه عاش حتى يجيء زمنه فيلقاه في الدنيا قال الشريف هنا ما نقل عن
السبكي رحمه الله من ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا من امته وعلى دينه
في زمنهم والاختلاف بحسب الزمان والعباد مما لا دليل عليه ولا قائل به والاحتمال
المخالف للظواهر لا اعتداد به انتهى وما نقله عن السبكي غير صحيح وان كان كلامه
مردودا من وجه اخر كما بيناه في محله هذا الفصل وقيل معنى هذه الاية ان رد على التمهيد
يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم اي اخذ الله العهد على كل نبي
ان يؤمن به صلى الله عليه وسلم وينصره اذا ادرك زمنه وفي هذا من تشريفه
واعلاء قدره ما لا يخفى والايمان لا بد فيه من مطابقة القول للاعتقاد فاذا
تلفظ به علانية فقد بينه فما قيل من ان حمل الايمان على مجرد البيان بعيد سيد
جدا ولعل المراد ما في بعض التفاسير انه بصفه ويقول من ادركه منكم فليؤمن
به خفي عن الرد وقال البخاري ان المص رحمه الله نقض ما قدمه عن المفسرين
من اخذ الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوله وقوله ثم جاءكم الخطاب
لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم وتبعه بعض الشراح دلجي
فقال هذا لا يصح على القول بانه تعالى اخذ ميثاق النبيين بذلك اذ من
قاله لا يجعل خطاب جاءكم الا لهم وانما يصح عند من قال اخذ ميثاق معاصريه
واضيف للنبيين نظرا الى انهم هم الاخذوه على اممهم وانهم ياخذونه على
من بعدهم الى ان يبعث او سموا نبيين تهكما كما مر ورد بانه من تتمة القول سيد
الثاني لا الاول لتصريحهم بخلافه وهنا فانه له والمراد ان الخطاب في جاءكم
واتيتكم لمن ذكر فالمعنى انه اخذ الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام
ان يبينوا لكم ايها المعاصرون بواسطة اصحابهم وجوب الايمان ونصره
وليس المراد الخطاب في جاءكم فقط لانه بعيد جدا ولا حاجة لتكلف الا ان يقال
ان المعنى انه قيل للانبياء اذا جاء بعضكم بعدكم رسول الله ولما كان ذلك
البعض هم المعاصرون ذكر عند حكاية القصة لهم ثم جاءكم ولم يتامل ابن الحنبلي
هذا من قال من يقول ان الميثاق ماخوذ على الانبياء عليهم الصلاة والسلام
لا يجعل الخطاب في قوله ثم جاءكم الا لهم ومن يقول انه لاهل الكتاب
المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم ونباقل اضافته للنبيين بانهم الذين

اخذوه عن الله فالاضافة الى الآخذ الفاعل لا الى الماخوذ عليهم وكونهم من تتمة التالي
ممنوع لان محصله انه تعالى اخذ الميثاق على كل نبي اذ يبعث محمدا صلى الله عليه وسلم
لقومه ليؤمنوا به وينصروه ويبلغوا ذلك لمن بعدهم ليكونوا كذلك فكيف يكون
الخطابات للحاضرين او لاهل الكتاب مطلقا كما نقل عن الربيع واستدل بقراءة
ابي وابن مسعود رضي الله عنهما واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ثم ان
الطيبي رحمه الله نقل عن بعضهم الوقف على النبيين واذ الله امرهم بعد ذلك
فقال قولوا للامة عني مهما اتيتكم من كتاب وحكمة ورسول لتؤمنن به فبطل
حينئذ القول بان من يقول الميثاق ماخوذ على الانبياء عليهم الصلاة والسلام
لا يجعل الخطاب لا لهم لان منهم من جعله للامم لا لهم فيحتمل ان المص رحمه الله
ماشي على هذا فالخطاب للحاضرين واخذ الميثاق على الانبياء عليهم الصلاة والسلام
وما نقله عن المفسرين تفسير لقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين فسقط
لجواز الوقف عليه فتامل وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه هذا
رواه ابن جرير وابن كثير باسناد صحيح والبغوي بعبارات مختلفة محتملة للنقل
بالمعنى او تعدد القول المروي عن علي لم يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده في
حال من الاحوال الا في حال ان اخذ الميثاق عليه وفي لفظ العهد عليه في حق
محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث محمد وهو اي ذلك النبي حي ليؤمنن به
ولينصرنه وامره باخذ العهد على قومه ليؤمن به وينصره من ادركه منهم كما
قاله البغوي واشار اليه المص رحمه الله بقوله ويأخذ العهد على قومه بذلك
اي بالايمان به ونصرته وعدي اخذ بعلى والمعروف تعديته بمن كما في قوله
تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اشعارا بمضرته لهم اذ فرطوا فيه او
نقضوه كما ان فيه منفعتهم اذا حفظوه والعهد الوصية والتقدم في الشيء
واليمين وكل منها محتمل هنا كما قاله التلمساني ومن في قوله في ادم لابتداء
الغاية وقوله فمن بعده اي واحدا بعد واحد ويأخذ قال السمين بالنصب
روايته عن المص رحمه الله وهو كذلك في النسخ الصحيحة المصححة وجزم
بانه معطوف على يؤمنن به تنقدير بنون التوكيد الخفيفة ورده السيد
عليه بانه يكون حينئذ من جزا الشرط فيلزم كون الاخذ من الامة بعد بعثة
نبينا صلى الله عليه وسلم وليس المراد الا ان ياخذ الانبيا في زمنهم من اممهم
انه اذا بعث وهم احيا ليؤمنن به ويؤيده ما في اللباب وتفسير البغوي عن
علي رضي الله عنه ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم
وامره باخذ العهد على قومه بان يؤمنوا به وينصروه اذا ادركوا زمانه
وحينئذ فالعطف على جملة لئن بعث الى اخره على انها في موضع مفرد من باب
زيد فاكرمك اي الا اخذ العهد عليه في محمد صلى الله عليه وسلم بالايمان
به والنصر ان بعث وهو حي وبان ياخذ فالوجه ان التقدير وامره بان ياخذ
كقوله افغير الله تامروني اعبد فيمن نصب اي بان اعبد على نهج علفتها
تبنا وماء ويعضده ما مر من التفسير اقول ما ذكره السمين ذكره ايضا

القسطلاني في حاشيته وكذا كونه مؤكدا بالنون الخفيفة على نحو قوله
لا تهين الفقير علك ان ۞ تركع يوما والدهر قد رفعه ۞
وعلى هذا وفي الكلام مقدر اي وباخذ العهد على قومه ان لم يبعث وهو حي وهذا
التقدير لا بد منه على كل حال فاعرفه ونحوه عن السدي وقتادة اي مثل ما ذكر
عن علي مروي عن السدي وعن قتادة والسدي بضم السين وتشديد الدال
المهملتين هو اسمعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة المحدث المشهور واختلف
فيه فقيل ثقة وقيل كذاب لا يحتج به وقال الشمني انه كوفي تابعي مفسر
صدوق الا انه متهم بالتشيع وثقه ابن حبان وضعفه ابو حاتم مات سنة
سبع وعشرين ومائة ونسبته الى السد موضع بالمدينة والمشهور انه منسوب
الى سدة مسجد الكوفة وهي ما يبقى من الطاق المسدود لبيعه المقانع فيه
كما في القاموس وفي المصباح السدة الباب وينسب اليها على لفظها فيقال
سدي جماعة ومنهم الامام المشهور اسمعيل السدي لانه كان يبيع المقانع
ونحوها في سدة مسجد الكوفة وقتادة تقدمت ترجمته وهذه الرواية عنهما
اخرجها ابن جرير في اي اي هذا المذكور مروي في جملة اي جمع اية كايات
تضمنت فضله صلى الله عليه وسلم من غير وجه واحد وهذه الجملة صفة
اي واي بالمد وتخفيف اليا قال التلمساني هذا متصل بقوله في اول الفصل
ما اخبر الله به في كتابه العزيز اي في الاية المذكورة مع ايات دلت على فضله
من وجوه كثيرة وقيل المعنى قال الله تعالى واذ اخذ في جملة ايات او من السرد
فيما ورد في آي اخر ولو تعلقت باول الفصل وجب تقديمه على الاية لانه من
جملة الترجمة وليس ما قاله متعينا كما ظنه قال الله تعالى واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الاية قيل اخذ عليهم الميثاق
بتبليغ الرسالة وتصديق بعضهم بعضا وقيل بان يعلنوا بنبوة محمد صلى
الله عليه وسلم ويعلن محمد صلى الله عليه وسلم بانه لا نبي بعده ففيها
تفضيل له صلى الله عليه وسلم من وجوه كما سياتي وقال التجاني ذكر الله
في هذه الاية النبيين جملة ثم خص بالذكر بعضا منهم تشريفا لهم وقدمه
صلى الله عليه وسلم عليهم تشريفا على تشريف والتقديم لشرف ذاتي
كقوله من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين او لتقدم زماني
كتقدم نوح على ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ويجوز ان يكون تقديم
نبينا صلى الله عليه وسلم للامرين لحديث كنت اول النبيين في الخلق
وآخرهم في البعث وان لم تكن الوا للترتيب ولذا ورد في الحديث ابدؤا
بما بدأ الله به وقد راعى هذا الفقها في الوصايا كما فصله بعض الشراح
هنا وان لم يكن محله وتمام الاية وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم
ميثاقا غليظا اي عظيما شانه او مؤكدا باليمين وكرر لبيان وصفه تعظيما
له وقدم نوح في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا لاقتضا المقام
له لان السياق لوصف دين الاسلام بالاصالة في الاستقامة فتدبر

سيد

وقال

وقال عز وجل انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا كذا في النسخ وفي بعضها
الى قوله شهيدا يعني قوله لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون
وكفى بالله شهيدا وليست الاولى بخطا كما توهم لان بعد شهيدا ايات اربع اخرها
وكيلا تشتمل على ذم الكفرة ووعيدهم ونعته صلى الله عليه وسلم بالرسالة ومجيئه
من الله بالحق والامر بالايمان برسله الذين هو منهم وهو مما يدل على فضله صلى
الله عليه وسلم فيناسب ذكره هنا فالقول بانه وهم ينبغي اصلاحه او انه قراءة
شاذة او قراءة بالمعنى وهم وارتكاب امور لا تليق واعترض على المص رحمه الله
بان هذه الاية غير تامة الغرض فيما عقد له الفصل من تفضيله صلى الله عليه
وسلم على غيره الا ان يقال قوله لكن الله يشهد الخ يدل على الغرض اذ لم يذكر مثل
ذلك في حق غيره صلى الله عليه وسلم وقيل التشبيه لوحيه بالوحي الى الكل يدل
في الجملة على التفضيل على كل واحد **والجواب** الاول ضعفه ظاهر
وان كان الفصل في بيان المنزلة مطلقا وما ذكر استطرادي فلا اشكال فيه
يعني ما وقع في نسخ الترجمة من خطوة رتبته مطلقا من غير قوله عليهم ولكن
الذي استضعفه هو الحق لان الاستدراك بلكن يقتضي اختصاصه بشهادة الله
لما اوحاه له وانه انزله بعلمه مع ان كل ما انزل بعلمه ففيه اشارة الى ان له شانا
عظيما لا يعلمه الا الله وفي هذا من التفضيل تشريف له صلى الله عليه وسلم
على غيره مما لا يخفى وسياتي جواب هو الحق عندي وذكر نوح دون ادم عليهما
الصلاة والسلام لانه اول مشرع عند بعضهم او لانه اول نبي عوقب قومه
او اول الرسل او لعموم دعوته وعلى الثاني فيه تهديد للمشركين وروى عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه قال السيوطي في تخريجه لم اجده في شيء من كتب الاثر
لكن صاحب اقتباس الانوار وابن الحاج في مدخله ذكراه في ضمن حديث طويل وكفى
بذلك سندا لمثله فانه ليس مما يتعلق بالاحكام وانه قاله في كلام يبكي به النبي صلى
الله عليه وسلم اقول هذا الكلام بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان لك
جذع تخطب عنده فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك
حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم بابي انت
وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته
فقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك اخر الانبيا وذكرك في اولهم فقال
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابي انت وامي يا رسول
الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم
بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا بابي انت
وامي يا رسول الله لئن كان موسى عليه الصلاة والسلام اعطاه الله حجرا
تتفجر منه الانهار فماذا باعجب من اصابعك حين نبع الماء منها صلى الله وسلم
عليك بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام
اعطاه الله ريحا غدوها شهر ورواحها شهر فماذا باعجب من البراق حين سرت

قلساني

ابن الفرس

سيد

عليه الي السما السابعة ثم صليت الصبح في ليلتك بالابطح صلى الله وسلم عليك بابي
انت وامي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام اعطاه الله احيا
الموتى فما ذاك باعجب من الشاة حين كلمتك وهي مسمومة فقالت لا تاكلني فاني مسمومة
بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه فقال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا من عند
اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك
في قلة سنيك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا عليه الصلاة والسلام في كثرة
سنينه وطول عمره فلقد امن بك الكثير وما امن معه الا قليل بابي انت وامي
يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوك لما جالستنا ولو لم تنكح الا كفوك لما
نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفوك لما واكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار
ووضعت طعامك بالارض ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم
انتهى وبالي شرح بعض تلك الالفاظ عند ذكر المصنف له وبكى في كلام المص مخففة
ولا يجوز تشديدها كما في المواهب اللدنية لانه يقال بكاه وبكى عليه اذا
بكى لموته وبحوه في عينيه وابكاه وبكاه اذا احمل غيره على ان يبكي بوجه ما ولو كان
هذا مشددا كان المعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم بكى وليس هذا مرادا
قطعا هنا وان سلم ورود بمعنى المخفف لقول الجوهري بكيت الشي مخففا
ومشددا اي بكيت عليه لان الاستعمال على خلافه الاتري قوله

ولا يغرركم مني ابتسام • فقعلي مضحك والقول مبكي

فلا وجه لما قيل المراد انه بكى على النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام وذكره
بعد وفاته كما نقله الرشاطي والمعنى انه بكى غيره عليه به ويحتمل انه بكى
النبي صلى الله عليه وسلم فما في المواهب خطا على خطا انتهى فقال اي عمر رضي الله
عنه والفا عاطفة لمفصل على مجمل كقوله ونادى نوح ربه فقال رب ولا
تقدير ولا تاكيد كما توهم بابي انت وامي يا رسول الله هذا مما تقوله العرب
لمن تريد تكريمه واظهار محبته اي لو تركت بك امر يقبل الفدا باحد من البشر
بذلت في فداك ابوي فضلا عن المال وغيره وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقولها لمن يتلطف به من اصحابه رضي الله عنهم وهذا الكلام مما قيل بعد
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فخطابه بانت لتنزيله منزلة الحاضر لكونه
نصب عينيه منتقشا حاله في صحيفة ذهنه وخطاب الاموات بمثله كثير غني
عن شاهد وانت مبتدا والجار والمجرور خبر مقدم اي انت مفدي بابي
وامي فلما حذف الفعل انفصل الضمير بصيغة المرفوع وبابي وامي
للمقابلة الدال عليها الفدا ومنع الثاني لا وجه له لقد بلغ من فضيلتك
عند الله اي في علمه وحكمه وتقربك منه ومن في من فضيلتك يجوز فيها
ان تكون زايدة في الاثبات على راي ففضيلتك فاعل او المعنى بعض
فضيلتك على ان من التبعيضية فاعل معنى لا مع المعنى كما جوزه التفتازاني

ان

ان يكون مقيدا في قوله ومن الناس من يقول الاية اي بلغ بعض فضيلتك هذه الرتب
الحسنة فانالك بكلها وان بعثك الاتي مفعول على الوجهين لا فاعل ويجوز كونها
بيانية مقدمة على راي من جوزه كما تقدم ان بعثك اخر الانبيا اي جعل بعثتك
الظاهر في اخرهم بحسب الزمان ليختم بك النبوة وينسخ بشرعتك ساير الشرايع
ويبقى دينك الى يوم القيامة وذكرك في اولهم بصيغة الماضي اي قدم ذكرك على ذكرهم
في التفضيل فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الاية
لتدل على انك عنده اعظم من ساير الرسل واشرف وهذا الذي قال عمر رضي الله
عنه علم ان هذه الاية دلت على ما عقد المص له الفصل وعلم مراده من ايرادها
فالاشكال السابق ناشئ من عدم الوقوف على ما اراده وما مر من الاجوبة
بمعزل عما قصده وهذا اما وعدناك به واالاولية التقدم في الشرف والرتبة اي ان
من خص بالذكر في الاية من اولي العزم مقدم الرتبة على غيره بهم اول انت منهم ا و
اعلاهم فلذا قال في اولهم ولم يقل اولهم كما قال اخر الانبيا لانه لا خاتم للرسالة
غيره مع التفنن البديع بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده
فيما تقدم فهو بيان لهذا ان اهل النار من امة الدعوة كلهم او بعضهم كما ياتي
يودون ان يكونوا اطاعوك وروي لو انهم يكونون اطاعوك والود في الاصل
المودة وهي دوام المحبة ثم صارت بمعنى التمني والذي تمنوه طاعته
صلى الله عليه وسلم واتباعه وهم بين اطباقها يعذبون جمع لفظ حالية والطباق
جمع طبق وهي المنزلة والمرتبة واحدا بعد واحد وما تراكب بعضه على بعض
ولعذبون بيان لما او رتبهم دخولها وذكره لكشف حالهم ولوجد فتم المعنى
بدونه يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول يا للتنبيه او للندا والمناد
نفسهم كقوله وهل نطيق وداعا ايها الرجل او لبعض المعذبين او للزبانية
وهو تجريد على الاول ومنبر لبيننا للقايلين والمقول لهم المنادون وجد والمناد
مبادرة للتمني ما فات اظهارا للتحسر والهم لشدة العذاب عاجزون عن النطق
كما قيل في قراة يا مال ليقض علينا ربك بالترخيم واليه اشار العلا الموصلي رحمه
الله بقوله

ما كان اغنى اهل نار جحيم • اذ رخموا يا مال وسط جحيم •
عجزوا عن استكمال كلمة مالك • فلاجل ذا نادوه بالترخيم •

ثم انه قيل المراد باهل النار بعض امته صلى الله عليه وسلم ا م واهلها عامة على
انهم تمنوا ان يكونوا اطاعوا الله لرؤيتهم حسن حالهم فتمنوا انهم ادركوا زمانه
صلى الله عليه وسلم واطاعوه وحينئذ يستفاد فضل نبينا صلى الله عليه وسلم
على غيره من الانبيا وتناسب الفصل وتعلم وجه ذكر المص رحمه الله له والا
فلكل طايفة جهنمية من امة رسول تود لو كانت اطاعة رسولها فلا يكون
له صلى الله عليه وسلم حينئذ فضل على سايرهم من هذه الجهة وقال
التجاني كلام عمر رضي الله عنه قاله بعد تحققه من ابي بكر رضي الله عنه
موت النبي صلى الله عليه وسلم ورجوعه في ذلك الى قوله انك ميت وانهم

من ص

البكا عليه ودهش الناس كما روي عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم انهم
كما اشتد عقولهم ومنهم من خبل ومنهم من خرس ومنهم من اقعد فكان ممن خبل عمر
رضي الله عنه جعل يقول ان رجالا من المنافقين زعموا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد توفي وانه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه عز وجل كما ذهب موسى
عليه الصلاة والسلام وغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع بعد ان قيل قد
مات والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى عليه الصلاة
والسلام فيقطعن ايدي رجال زعموا انه مات واما عثمان رضي الله عنه فاخرس حتى
جعل يذهب به ويجا ولا يتكلم واقعد علي كرم الله وجهه وبلغ الخبر ابا بكر رضي
الله عنه وهو بالسنح فجا وعيناه تهملان وزفراته تتردد في صدره وهو مع
ذلك جلد العقل والمقال حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكب
عليه وكشف وجهه ومسحه وقبل جبينه وجعل يبكي ثم خرج الى الناس وهم
في عظيم غمراتهم وشديد سكراتهم فقام فيهم بخطبته المشهورة فلما فرغ منها
التفت الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا عمر انت الذي بلغني عنك انك تقول
على باب النبي صلى الله عليه وسلم كذا وكذا والذي نفس عمر بيده مات نبي الله اما
علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا وكذا قال الله تعالى في كتابه
انك ميت وانهم ميتون قال عمر فكاني والله لم اسمع بها في كتاب الله قبل ذلك لما
نزل بنا ثم قال اشهد ان الكتاب كما انزل وان الحديث كما حدث وان الله تعالى حي
لا يموت وعنده نحتسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اسقط رضي الله عنه
الى الارض وجعل يبكي ويقول في بكائه بابي انت وامي الخ ما ذكره المص وبما ذكرناه
لك تعلم مناسبة ما ذكره من حال اهل النار لهذا الفصل فيسقط ما يتوهم من انه
حينئذ غير مناسب فاعرفه وقال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث هذا رواه البغوي والثعلبي مسندا
عن قتادة عن الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم بلفظ
كنت اول النبيين ورواه ابو نعيم وابن ابي حاتم بسند فيه راو واسمه مجهول
وقال الغزالي اي كنت بحسب التقدير ولم يرد العلم الازلي فانه لا ترتيب فيه
بل علم الكل دفعة وانما اراد تقدير ما كان وما يكون في اللوح المحفوظ او في علم
ملك لما في صحيح مسلم مرفوعا ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل السموات
والارض بخمسين الف سنة الحديث فتقدم هنا المقصود بالذات ويؤيده ما ورد
في بعض الطرق كتبت بالتا الفوقية والبا الموحدة الساكنة من الكتابة
فالمعنى كنت اول الانبيا في تقدير الخلق واخرهم في البعث لانه تعالى كتب
ابن الحنبلي
مقادير الخلق كلها كما مر قبل ولا يجدي شي في حل الاشكال على الحديث الذي
ذكره المص رحمه الله ما قيل من انه تعالى لما صور طينة ادم عليه الصلاة
والسلام اخرج منها ذرة نبينا صلى الله عليه وسلم ونباها واخذ الميثاق عليها
ثم اعادها الظهره وهذا اي معنى حديث كنت نبيا وادم بين الما والطين اي
حين قبل نفخ الروح فيه كانه اخفي بين الما والتراب الذي كانت منه طينته

ونطي

ونظيره الحديث المار وهو ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه وادم بين الروح والجسد
اي ثبتت لي النبوة وادم صورة بلا روح كما في شرح المصابيح وحاصل معنى الحديث
الاول انه صلى الله عليه وسلم كان نبيا وادم عليه الصلاة والسلام تراب بلا ما
يمزج به ليصير بعد ذلك طينا على مجاز الاول **فان قلت** ان اريد بالحديثين
تعلق علمه تعالى فما فايدة ذكر الما والطين والروح والجسد **اجيب**
بانه صلى الله عليه وسلم كلمهم على قدر عقولهم واراد ثبوتها عند الله زمانا
طويلا وجواب ثان عن الحديث الثاني وهو انه اراد انه تعالى لما خلق ادم وحكم
بانه سيكون من صلبه نبي اخر الزمان وجبت لي النبوة من ذلك الزمان لان ما حكم
به وعلمه كاين لا محالة وهذا لا ينطبق على اشكال الحديث الاول فالوجه ان يقال
المراد بالحديثين انه تعالى لما حكم بانه سيكون نبي يسمى ادم من الما والتراب ومن
صلبه نبي يسمى محمدا في اخر الزمان وجبت لي النبوة وجوبا مستمرا قبل نفخ روح ادم
فظهر بهذا معنى قوله اني لخاتم النبيين وادم منجدل في طينته الى اخر ما فصله
**اقول** مجرد تقدمه في الكتابة حين التقدير امر ظاهر ليس فيه تقدم وجودي
فالانسب ما قيل ان الله خلق روحه قبل خلق الارواح ونباها واخذ عليها الميثاق
واعلم بذلك اهل الملا الاعلى او ذلك في عالم الذر وهو المراد بالاحاديث السابقة
وعن كعب الاحبار ان جبريل عليه الصلاة والسلام قبض من موضع قبره الشريف
طينة منيرة عجنت بما الجنة فصارت درة ذات شعاع فطافت الملائكة بها حول العرش
وفي السموات والارض فعرفه الخلق وفضله ونبوته قبل معرفة ادم وفي العوارف
ان درة المصطفى صلى الله عليه وسلم هي التي اجابت لما قالتا اتينا طايعين ومنها
دحيت الارض في الاصل والمراد ان نوره صلى الله عليه وسلم اول مخلوق كما ورد
في الاحاديث وهذا امر اخر غير الروح وهو المنتقل في الاصلاب وقوله فلذلك
وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره من كلام قتادة تعليلا لكونه اول في الخلق
وهذا اشارة للاية وقيل بدل من مقدما او وصف مبين لكيفية التقدم وفي نسخة
على نوح وقد رواه القرطبي ايضا قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا صلى
الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم هذا اشارة الى الكلام المذكور قبله اي
فيه ما يدل على تفضيله وبظهر او فيه ما يشعر تفضيله لكونه خصه بتقديمه
على من ذكره وان كان في الاية تفضيل لكل من ذكر لتخصيصه بالذكر بعد التعميم
والثاني لا يختص به ففيه تفضيل له من وجهين واما تقديم نوح على ابراهيم
وان كان المشهور ان ابراهيم افضل بعد نبينا عليهم الصلاة والسلام ٥
فلتقدمه بالزمان او لانه اول رسول مشرع او لما وقع له مما قاساه وصبر
عليه وهو اخرهم زمانا وبعثا وخلقا فلا يرد عيسى عليه الصلاة والسلام
اي قدمه والحال انه اخرهم والتقدم في الذكر في الكلام المعجز لا بد له من
نكتة وهي اما التقدم زمانه او التقدم ذاته بحسب الشرف وقد انعدم
الاول فتعين الثاني اذ لا وجه له غيرهما وان كان التقدم عند الحكما
على وجوه خمسة منها هذا اذ لان غيرهما لا مناسبة له بما نحن فيه وقد مر

صح
فعرف الخلق محمدا وفضله

ان التقدم يجوز ان يكون بحسب الوجود ايضا نظرا الى وحدة حقيقته فالحاصل انه للفصل
الا ان الجهات مختلفة كذا في الشروح الا ان قوله المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم
من ظهر ادم عليه الصلاة والسلام كالذر سوا كان من كلام الشيخ فنيدي او من كلام
المصنف يابي ما قالوه لان المراد ان لا تقدمه في الذكر لتقدمه في اخذ الميثاق في عالم الذر
كما نطق به السياق والا لم يكن لذكره هنا التيام مع ما قبله والذر واحده ذرة
وهي كما قاله التلمساني النملة الصغيرة البيضا او الحمل او جزء من مائة واربعة
وعشرين جزءا من شعيرة وقيل جزء من الف وسبعة وعشرين جزءا منها وقيل اسم
شيء لا يعلمه الا الله وعدي اخذ بعلى لتضمنه معنى التعقيد بلا التكليف كما قيل لانه
لا يتعدى بعلى وقوله اذ اخرجهم اي وقت اخراجهم كلهم على هيئة ذرات واعترض
عليه بعض الشراح بان هذا الميثاق ان كان ما في قوله الست بربكم الخ فهو شامل
للنبي صلى الله عليه وسلم من غير بيان لتقدمه فيه وكذا ان كان الميثاق الماخوذ
في التبليغ والايمان بالرسل السابق وقد رد بان البغوي رحمه الله نقل تقدمه
في ذلك ومثله لا يقال من قبل الراي لتلقيه عن الله وقد تقدم ان الاخذ على نبينا
صلى الله عليه وسلم كان قبل ذلك اليوم فلعل ذاك كان في مرة اخرى والشيخ فنيدي
لم يرد ان تقديمه لتقدم الاخذ وهو كلام لا محصل له واخذ هذه الذرات كلها
سوا كان من ظهر ادم عليه الصلاة والسلام بغير واسطة او بواسطة اصولهم
واباهم وتركيب العقل والادراك فيهم ليأخذ العهد والميثاق عليهم بالايمان
به ويشهد على ذلك امر نؤمن به ونصدقه وان كنا لا نقف على حقيقته كما هي
فالبحث عنه كما في الشروح لا نتيجة له فينبغي الكف عنه كما ذهب اليه السلف
وهو ثابت في القران والاحاديث الصحيحة وفي قوله كالذر اشارة الى ان الذرية
فعلية من الذر وذا الهامثلثة ويكون واحدا وجمعا وقيل انها من ذرا الله
الخلق فتركت همزته للتخفيف وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
الاية الاشارة الى جماعة سبقوا في الذكرى او معلومين للمخاطب او لجميع الرسل
عليهم الصلاة والسلام وما ورد من عدم الفرق والتفضيل بالنسبة لاصل النبوة
او ماول كما سياتي وقال التفتازاني رحمه الله اجمع المسلمون على ان افضل
الرسل محمد صلى الله عليه وسلم قيل ثم ادم وقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل
موسى وقيل عيسى عليهم الصلاة والسلام انتهى والراجح عندهم انه ابراهيم
عليه الصلاة والسلام لما ورد في الحديث انه خير البرية وقال السيوطي اتفق
اهل العلم ان الافضل بعد نبينا ابراهيم ثم موسى وعيسى ونوح ولم يذكروا
مراتب بقيتهم انتهى وفيه نظر واعلم ان القاضي بدر الدين المالكي صاحبنا قال
في كتاب الابتهاج وقع للطوفي في تفسيره المسمى بالاشارات الالهية في قوله
تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده انه احتج بهذه الاية على
ان نبينا صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لانه امر بالاقتدا بجميعهم والاقتدا بفعلهم الاتيان بمثل ما فعلوه ولا بد
انه امتثل هذا الامر وحينئذ قد فعل صلى الله عليه وسلم وحده من الطاعة

سيد

ابن افرس

مثل ما فعل هولا جميعهم والواحد اذا فعل مثل فعل جماعة كان افضل منهم ويحكي ان
هذه المسالة وقعت في زمن العز بن عبد السلام رحمه الله فافتي فيها بانه صلى الله
عليه وسلم كان افضل من كل واحد منهم لا انه افضل من جميعهم فقام الاجماعة من علما
عصره على تكفيره فعصمه الله عز وجل منهم انتهى **اقول** نحن لا نشك في انه صلى الله
عليه وسلم افضل من كل واحد منهم ومن الجميع ايضا وما ذكره الطوفي رحمه الله ما
خوذ من التفسير الكبير الا ان في الدليل بحثا لانه لا يلزم من اتيانه بكل ما اتي به واحد
منهم الا المساواة للمجموع لا افضليته عليهم وكانه الداعي للعز علي ما قاله بل
قد يتوقف في المساواة ايضا فانك لو انعمت علي اربعة فاعطيت واحدا دينارا واخر
دينارين واخر ثلاثة واخر اربعة كان لصاحب الاربعة زيادة علي كل واحد دون
جميع ما لغيره ولو اعطيته ستة كان مساويا لهم ولو اعطيته عشرة زاد عليهم
فينبغي ان يقال انه صلى الله عليه وسلم قد ساواهم في الفضل وزاد عليهم بانه
اعلم منهم بالله واكثر من جميعهم خصايص ومعجزات وهذا التفضيل في القرب وعلو
المنزلة وهو اكثرهم ثوابا وامته صلى الله عليه وسلم اكثر من جميع الامم واجرهم
له الي يوم القيامة ولو كانت للناس مساكن بعضها فوق بعض كان الذي فوق الجميع
اعلا من الجميع وفي الاية الاتية ايما الهدا احسبا بهم وعبر برفع الدرجات دون ان
يسميه ويقول انه اعظم او افضل فاعرفه **ثم اعلم** ان قوله في تتمة
الاية منهم من كلم الله فيه وجهان احدهما انه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
ومنهم من قال ان المراد موسي عليه الصلاة والسلام والمناسب هنا الاول وان كان
الاشهر الثاني قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله
عليه وسلم اي رفع الله النبي صلى الله عليه وسلم علي ساير الانبيا عليهم الصلاة
والسلام فالمراد بالبعض محمد صلى الله عليه وسلم فابهمه للتعظيم ولانه لا يلتبس
كما قيل

وافوز بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وانت كل الناس

وقيل المراد بالبعض اولوا العزم وقيل غير ذلك ولما ابهم اولا في التفضيل
اخذ في التفصيل فقال منهم من كلم الله ومنهم من رفعه درجات ومنهم من
اتاه المعجزات غير الاسلوب في القسم الثاني بذكر بعض دون منهم وذكر رفع
الدرجات الكثيرة كما يفيده التنكير اشارة الي مباينة هذا القسم لغيره ونظيره
قول الحماسي

ومن الرجال اسنة مذروبة * ومزندون شهودهم كالغايب
منهم ليوث ما ترام وبعضهم * مما قمشت وضم حبل الحاطب

لانه صلى الله عليه وسلم بعث الي الاحمر والاسود اي جميع الناس او العرب
والعجم او العرب وغيرهم او الانس والجن واشهر الاقوال الثاني والمراد
بالاحمر الابيض مطلقا فان العرب تقول في المراة حمرا بمعني بيضا او البياض
عندهم في صفة الناس النقا من العيوب فاذا ارادوا اللون قالوا احمر وهذا
قول ثعلب من ايمة اللغة ورده في النهاية باستعمال الابيض في صفات الناس

كثيرا كقول امرء القيس * مهفهفة بيضاء غير مفاضة * وجا في الحلية الشريفة كما ياتي
ابيض اللون مشربا بحمرة وعن انس رضي الله عنه ابيض كانما صيغ من فضة ولا منافاة
بينهما لان الاول في نعت وجهه صلى الله عليه وسلم وقول انس في ومتى جسده الشريف
وعن البكري مثل ما قال ثعلب وعن جرير الاخطل اوصفتان للجن والحراي النسا
الحسان ولا منافاة بين القولين ايضا لان العرب اذا مدحت الناس بالبياض مطلقا
تعني بياضا مشربا بالحمرة لان البياض الخالص كبياض الجير غير ممدوح في الناس لقربه
من البرص والممدوح منه ما خالطه حمرة من الدم او صفرة خفيفة واليه الاشارة
بقوله تعالى كانهن بيض مكنون ولذا اشبه بالدر وهذا كله باعتبار الاغلب
وما ورد في المثل الحسن احمر محمول على هذا او على انه ترتكب له المشاق والشدايد
التي تحمل على اراقة الدم هذا هو التحقيق والعرب تغلب على الوانهم السمرة والادمة
فلذا عبر عنهم بالاسود واحلت له الغنايم جمع غنيمة من الغنم وهو الكسب والربح
ويقابله الغرم وهي ما يوخذ من مال الكفار قهرا ولم تكن الغنيمة تحل للامم
السالفة كما لهذه الامة لان منهم من لم يومر بالجهاد ومنهم من امر به ووضع
الغنايم فتنزل نار من السما فتحرق ما يقبل منها كالصدقات والذبايح فلم تحل
لاحد قبله صلى الله عليه وسلم وكانت الامم لا تتصرف في مال الغنايم تمولا كلها
لانفسها وهذا هو الذي عد من خصايص نبينا صلى الله عليه وسلم وامته
وبهذا يجاب عما ورد في بعض الاحاديث الدال على انه كانت لهم غنايم وظهرت
على يديه المعجزات اي اظهر الله له صلى الله عليه وسلم معجزات لم تكن لغيره من
الانبيا عليهم الصلاة والسلام فما من معجزة لنبي الا وله صلى الله عليه وسلم مثلها
او اعظم مع زيادة معجزات باهرة لا يقارنها شي من المعجزات كانشقاق القمر ولو لم يكن
الا القران الذي لا يشبهه معجزة اذ فيه ما لا يحصى لكفاه

فمبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم

ولم يقل ظهر له المعجزات واتى باليدين اشارة لعظمها وكثرتها لانه كانه يظهرها
بكلتا يديه ظهورا محسوسا مشاهدا مكشوفا لا خفا فيه حتى نطق بها الحيوانات
العجم والجمادات وبهذا اظهر نظمها في سلك الخواص وليس احد من الانبيا
اعطي فضيلة او كرامة قيل المراد بالفضيلة ما في ذاته العلية والكرامة ما
اكرمه الله به مما يشمل المعجزات وغيرها او الاول ما فضل به على غيره والثاني
اعم وهما وان اتحدا معنى فتغايرا مفهوما او الاول ما اقترن بدعوى الرسالة
والثاني ما لم تقترن بها والظاهر من العطف بالواو ان يفسر بما يقتضي تغايرهما
كما لا يخفى الا وقد اعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها اي ما هو من جنسها
ونوعها او مما هو مناسب لها بحسب الظاهر وان كان اعظم منها في الحقيقة
كانشقاق قمر وفرق القرلة المقابل لانفلاق البحر لموسى عليهما الصلاة والسلام
كما قلت

شهد البدر انه زاد حسنا * عن جميع البدور اذ نم خلفا
ثم لما ادى الشهادة نرضي * اذ تنبت فشق في الحال شقا

ويمتر

وفي مثل هذه الجملة التي تعد الاخلاف وذهب الزمخشري الى انها صفة والواو زايدة للالصاق ق
اي لافضيلة ذات صفة من الصفات الاهذه الصفة وغيره الى انها حال اي ليس لها حال
من الاحوال الاهذه الحال والتقدير موتيا اعطاوه مثلها ومقدرا لتقارن الحال صاحبها
وفيه ان المراد اعطا المثل لا تقديره وارادته مع انه لا ينافي في نحو لا يرى رؤيا الا جاءت
مثل فلق الصبح وقيل يجوز الاكتفا بالمقارنة الادعائية بجعل ما لم يتحقق كالمحقق
او المعنى ان الله اعطاه ذلك في زمن اعطا الانبيا وقد ذهب المفسرون في قوله تعالى يوم
ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ان تتبعها حال وبين النفختين اربعون سنة لاعتبا
مدة الخراب الى اخر الدنيا زمنا واحدا ممتدا ويمكن اعتباره هنا بلا تكلف وقول الرضي
المقارنة في الحال اغلبية كما في خرج الامير صايدا غدا بجعل العزم عليه كالواقع ياباه
قول النحاة ان الحال هيئة للمعمول حين تعلق العامل به بلا استثنا يقتضي ان المقا نه
لازمة الا انها قد يترك ظاهرها فيجب التاويل ولا يخفى ما فيه من الاضطراب وقوله
مثلها يفيد تفضيله صلى الله عليه وسلم على ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام
كما سمعت انفا في قوله فبهداهم اقتده ولا يحتاج الى ان يقال مع تفضيله صلى الله عليه
وسلم بمثل انشقاق القمر وغيره او جعل كرامات امته كرامة له صلى الله عليه وسلم
وقال بعضهم تقدم الكلام عليه واعاده هنا اشارة الى انه من الفضلين باعتبارين
ومن فضله عليه الصلاة والسلام معطوف على مقدر كالعطف التلقيني اي من
فضله ما ذكر وان الله خاطب الانبيا عليهم الصلاة والسلام باسمايهم وخاطبه
بالنبوة والرسالة في كتابه اي القران الكريم فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول وقد
مر انه باعتبار الاغلب تعليما للامة ولذا نهاهم ان ينادوه صلى الله عليه وسلم
باسمه فقال لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا وهذا مخصوص بحياته
صلى الله عليه وسلم كما تقدم وحكى الشمني فيما تقدم الكلام عليه عن الكلبي محمد
المفسر وهشام ابنه وقد تقدم ايضا في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم
ان الهاء عايدة على محمد صلى الله عليه وسلم وان لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام
عليه فكانه مذكور كما في قوله تعالى ولابويه لكل واحد منهما السدس اي الميت
والشيعة الاتباع والمعروف في كلام العرب اطلاقه على المتاخر زمانا وقد يطلق خ
على المتقدم كما في قول الكميت • مذهب الحق مذهب

ومالي الا آل احمد شيعة • ومالي الا مشعب الحق مشعب •

لان من كنت على منهاجه ودينه فهو على منهاجك ودينك ايضا واذا اضيفت الشيعة
للمتقدم اقتضت تفضيله لان المتبوع بحسب الظاهر المتبادر افضل من التابع فاذا
اضيفت للمتاخر اقتضت تفضيله بالطريق الاولى لان العدول عن المعروف
لا بد له من نكتة وليست الا التفضيل الا ترى ان ابا نواس لما قال •

كيف لا يدنيك من امل • من رسول الله من نفره •

شنعوا عليه كما سياتي بيانه لاقتضائه تفضيل ممدوحه ولا فرق بين من
نفره ومن شيعته فان قلت هذا يقتضي تفضيل نوح على ابراهيم عليهما الصلاة
والسلام على القول بان الضمير راجع اليه مع ان ابراهيم افضل منه كما تقدم

قلت قد عرفت انه انما يفيد التفضيل اذا اضيف للتاخر ونوح عليه الصلاة والسلام
متقدم وهو ادم الثاني واول الرسل والشرائع متفقة في الاصول فجعل من
كان على نهجه من ذريته شيعة له لابد له على ما ذكر من ان المفضول قد يفضل من جهة
على الافضل ويحتمل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام جعل من شيعة نبينا صلى
الله عليه وسلم لما مر من تقدم خلقه ونبوته عليهم وعلى كل حال فالاية دالة على
تفضيله بالتفضيل على الافضل على الجميع وهو المقصود فلذا قدم هذا القول
اي على دينه ومنهاجه اي طريقه الواضح من نهج الامر اذا وضح والمشايعة المتابعة
والموافقة فالمراد الموافقة فيما ذكر واختاره الفرا وحكاه عنه مكي رحمهما الله
وتقدم الكلام عليهما وترجمتهما واشار بهذا الى انه قول صحيح منقول عن
المفسرين لان منهم من ضعفه وادعى انه بعيد وان ماخذه ومر منه بقوله
وقيل المراد نوح عليه الصلاة والسلام هو القوي الصحيح وفي نسخة مكان
اختاره اجازه بالجيم والزاي المعجمة على انه مجرد احتمال لما بين نبينا والخليل
عليهما الصلاة والسلام من المناسبة التامة الظاهرة وهذا لا يفيد تفضيل
نوح على ابراهيم عليهما الصلاة والسلام كما سمعته انفا والمراد بكونه من
شيعته انه من نسله وعلى منهاجه في الدين والتوحيد ومشابهته له لان نوحا
عليه الصلاة والسلام ابو الناس وابراهيم عليه الصلاة والسلام ابو الانبيا
عليهم الصلاة والسلام والعرب والى هذا ذهب اكثر المفسرين لظهوره لتقدم
ذكر نوح عليه الصلاة والسلام ولذا قيل انه قيل هنا اريد بها مجرد النقل له
لا الترتيب وانه عادته في هذا الكتاب الفصل الثامن في اعلام الله عز وجل
خلقه بصلاته عليه وولايته له اي نصره وتاييده لا بمعنى توليته والواو يجوز
فيها الفتح والكسر فمن اقتصر على الثاني فقد قصر قال في المصباح وليت
الامر اليه بكسرتين ولاية بالكسر توليته والولاية بالكسر والفتح النصرة انتهى
ورفعه العذاب بسببه صلى الله عليه وسلم وفي روفعه بالرا والدال وتقدم
الفرق بينهما ان الرفع بعد النزول والدفع قبله ولذا قالوا الدفع اسهل
من الرفع قيل وهذا هو المناسب لقوله ودرئه العذاب كما سياتي والتوقع
قد يجي بمعنى الدفع كما في رفع القلم عن الصبي وكذا الدفع يجي بمعنى الرفع
والاول هو الاصل المتبادر ثم ان المص رحمه الله اختار اللف على عكس النشر
لانه الاصل الكثير في كلامهم كما صرح به النحاة وان جعل اهل المعاني كلاهما
من فنون البلاغة وتسميته هذا مشوشا يقتضي مرجوحيته عندهم قال الله
تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قيل هذا ايد على عدم التعذيب وقوله
وما لهم الا يعذبهم الله على التعذيب فقيل الثانية ناسخة بنا على جواز
نسخ الخبر وخلف الوعد او كل منهما مقيد بوقت واليه اشار بقوله اي ما كنت
بمكة اي انتفى تعذيبهم مدة كونك مقيما بمكة معهم او المثبت مطلقا التعذ
والمنفي عذاب الاستيصال كما قاله الزمخشري فلما خرج النبي صلى الله عليه
وسلم من مكة وبقي من بقي فيها من المومنين نزل وما كان الله معذبهم وهم

يستغفرون

يستغفرون هذا التاويل منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف كما في
تفسير ابن الجوزي قالوا كان صلى الله عليه وسلم بمكة فانزل الله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم فلما هاجر للمدينة وبقي المستضعفون من المسلمين بمكة يستغفرون
انزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فلما اخرجوا انزل الله وما لهم الا
يعذبهم الله الخ فاندفع التدافع بين الاية الاولى والثانية على قول من جعل
مفادها انتفا التعذيب لوجود الاستغفار وبين الثالثة اذ المراد الهم لعذبون
بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم ومن بقي من المسلمين بعد اذ كانوا لا يعذبون
وهو فيهم او هم يستغفرون ومنهم من قال بنسخها للاولى وفيه ما تقدم
ومقتضاه عود ضمير معذبهم لكفار مكة وعود ضميرهم للمؤمنين الباقين بعده
صلى الله عليه وسلم لفهمهم من السياق وان لم يتقدم لهم ذكر او عود كليهما
الى الفريقين على الجمع وصفوا بصفة بعضهم كبني فلان قتلوا قتيلا والقاتل
واحد منهم واما عود كليهما الى المؤمنين فقول اخر اسند المص رحمه الله لبيانه
الحديث الاتي وان قال التجاني انه غريب لانه يدور سنده على اسماعيل بن مهاجر
وهو ضعيف عند المحدثين وقول التلمساني انه ابو بشر الاسدي قيل انه وهم
وقيل مفاد الاية الثانية نفي الاستغفار عن كفار مكة وانها ليست كالاولى
في انتفا التعذيب لوجود الاستغفار كانتفائه بوجود النبي صلى الله عليه وسلم
فيهم لان استحقاق العذاب يدل على عدمه اذ لو استغفروا لما استحقوه

**وفي حواشي الفاضل اليمني** انه نوع من الكناية نظير
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فان الاهلاك دليل على
افسادهم اذ لو اصلحوا ما اهلكهم انتهى وفي تفسير ابن الجوزي معنى الاية على قول
لو استغفروا لما عذبهم ولكنهم لم يستغفروا فاستحقوا العذاب كما تقول
ما كنت لاهينك وانت تكرمني اي ما كنت لاهينك لو اكرمتني فاما اذ لست تكرمني
فانت مستحق لاهانتي وهو مختار اهل اللغة وتغيير الاسلوب تفننا للاشعار
بان عدم عذاب المستغفر امر مستمر وقيل معذبهم وارد على الاصل وعبر بالفعل
اولا ليتهيا دخول اللام على خبر كان لتاكيد النفي وافادة المبالغة في نفي التعذيب
بسببه وبالاستغفار فظهر الفرق بين مقامه ومقامهم حتى لو قيل معذبهم
فيهما لم يظهر وهذا على راي الكوفيين من ان اللام في مثله زائدة لتاكيد النفي
وعند البصريين الجارة متعلقة بخبر كان المقدر في ما كان زيد ليفعل اي
قاصدا لان يفعل وعلى هذا التقدير المبالغة ايضا لان نفي القصد ابلغ من نفي
الفعل ولذا قالوا في قوله • يا عاذلي لا تردن ملامتي • انه ابلغ من لا تلمني

**فان قلت** ان كان المراد المنفي فقد انتفى ببعثته صلى الله عليه وسلم
فلا وجه لتقييده وان كان المثبت غيره فلا حاجة لتقييده بالخروج **قلت**
اجيب بان المنفي استيصال كل كافر والمقيد من هو فيهم او نفي مطلقا
ومقيدا والتقييد في المثبت لبيان الواقع ونزول الاية فيه وخصوص المورد
لا ينافي عموم الحكم وهذه اجوبة متكلفة باردة والحق عندي انه لا منافاة

ابن الحنبلي

بين الاثنين لان قوله وما لهم ان لا يعذبهم الله معناه اي شيء لهم استحقوا به عدم العذاب
في انفسهم فان حل بهم فباستحقاقهم والا فبحكمة منه وليس فيه انه نزل بهم عذاب حتى
يتكلف لدفعه وان قلنا المنفي الاستيصال فالقيد مبين سببيته وهو وجوده صلى
الله عليه وسلم بين اظهرهم واستغفار مؤمني امته وهذا امر غير منقطع اذ
ليس المراد استغفار المستغفرين فقط والمثبت غير الاستيصال له انواع كثيرة
كالقحط والقتل والاسر والواقع بعد خروجه صلى الله عليه وسلم نوع غير
ما كان قبله فالتقييد في محله كما لا يخفى ومعنى قوله وهم يستغفرون اي وفيهم
مؤمن او وفي اصلابهم من سيؤمن ويستغفر وهذا كله بسبب النبي صلى الله
عليه وسلم ففيه من مدحه والتنويه بشان الاستغفار ما لا يخفى وهذا مثل
قوله تعالى لو تزيلوا الاية هذا اشارة الى ما ذكر من رفع العذاب عن اهل مكة
بسببه صلى الله عليه وسلم وبسبب صحابه وما لاصحابه انما هو ببركته ايضا
ولاجل عين الف عين تكرم • وامثالهم ما ذكر في هذه الاية ايضا وهو قوله
في سورة الفتح ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم
فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا
الذين كفروا منهم عذابا اليما ومعنى تزيلوا تميزوا وتفرقوا اي تميز المؤمنون
من الكفار بخروجهم من بينهم وروى القرطبي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان معناه لو تزيل المؤمنون عن اصلاب الكفار واستشكل بان الوصف بالوطء
والمعرة لا يصح في الذين في الاصلاب **واجيب** بانه يجعل مرجع الضمير
الموجودين على الاستخدام اي لو انتفى لا مران عذبوا اي لولا كراهة ان توقعوا
برجال ونساء مؤمنين مغلوبين القتل ووطء الخيل فتلحقكم معرة اي عيب وعار
من جهتهم او من المشركين بقولهم انكم قتلتم اهل دينكم لعذب اهل مكة عذابا
اليما بالقتل وان تطؤوهم بدل من المرفوع بتقدير كراهة ان وغلب الرجال على
النساء في الضمير وجواب لولا محذوف لدلالة جواب لو عليه وسده مسده
لاتحاد معناهما مالا وبقية الكلام على الاية مفصل في كتب التفسير وقوله
تعالى لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الاية هذا مع ما قبله كلام واحد
وهذا متقدم في التلاوة وانما اخره المص رحمه الله وافرده مما تقدم عنه
مع انه من تتمته للتنبيه على ان الاستشهاد لما قاله بمجموعهما من هذه
الاية وان قوله تعالى لو تزيلوا ليس تاكيدا لما قبله ولعذبنا جواب الاول
كما توهمه بعضهم فلا استشهاد فيه فاشار بعكس الترتيب الى رده بابلغ
وجه والحاصل ان المعنى ان بين الكفار جماعة مسلمين لم تعرفوهم لولا كراهة
ان توقعوا بهم من غير علم فيصيبكم ما تكرهون من الغرم والدية لعذبنا
الكفار بتسليطكم عليهم وعن الضحاك لولا جماعة في الاصلاب والارحام
تكره ان تطؤوا اباءهم وامهاتهم فتلحقكم المعرة باهلهم لو لم تقتلوا اجابت
امة مسلمة منهم كما مر اولولا من علم الله انه سيؤمن منهم وبالجملة
فالمراد ان وجود المؤمنين مانع وان اختلفت جهة المنع فلما هاجر المؤمنون

من مكة

من مكة ولم يبق احد منهم مختلط بالكفار نزلت اية وما لهم ان لا يعذبهم الله الاية فيو
بهم العقر والقتل وهو اعتبد ادعن الرجوع من الحديبية وهذا من ابين اي من
اظهر شي في رفعة قدره صلى الله عليه وسلم عند ربه كما اشار اليه بقوله ما يظهر
مكانته صلى الله عليه وسلم وقوله ودريه العذاب بدال مهملة مفتوحة
ورا مهملة ساكنة تليها همزة مقصورة وضميره للنبي صلى الله عليه وسلم كما
في اكثر النسخ المصححة وفي بعضها درانه بتا ممدودة بزنة الضربة وهي بمعنى ما قبلها
ايضا وفي بعضها درايه فعل ماض بعده جار ومجرور متعلق به وفي شرح
الشريف انه في غالب النسخ معطوف ومعناه يظهر بتكلف او حال وفي بعض النسخ
بالعذاب وهو من غلط الكتاب والصواب العذاب بلا با وفي حواشي
التلمساني درانه وقال هكذا في نسخة الشارح اسم بكسر الذال المهملة
وسكون الرا وتا اي دفعه ومنه قوله تعالى ويدرؤ عنها العذاب اي يدفع
قال ودرانه معطوف على قوله من ابين ما يظهر مكانته ووقع بخط العزفي
وهو الذي عند ابن سيدي الحسن ودرابه فعل ماض انتهى وعلى الاولى وفي
الاصح هو منصوب معطوف على مكانته عن اهل مكة بسبب كونه اي وجوده
صلى الله عليه وسلم فيها ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم ثم اشارة الى مكثهم
مدة متطاولة والبعد باعتبار اخر المدة او هي للتراخي الرتبي واما جعلها
للتعقيب بالمهملة فغير ظاهر وبين اظهرهم بمعنى لا اقامة معهم يقال
هو نازل بين ظهرانيهم بفتح النون قال ابن فارس ولا تكسر وقال الجماعة
الالف والنون زايدتان للتاكيد وبين ظهريهم واظهرهم كلها بمعنى بينهم
وفايدة ادخاله في الكلام ان اقامته صلى الله عليه وسلم بينهم على سبيل الاستظها
بهم والاسناد اليهم وكان المعنى ان ظهرا منهم قدامه وظهرا وراه فكانه
مكنوف من جانبيه هذا اصله ثم كثر حتى استعمل في مطلق الاقامة هذا
ما عليه اهل اللغة كما في المصباح والنهاية فتفسيره بالعزة او بعدم
الغيبة والظهور لان الظهر اظهر من البطن غير مناسب للغة وحال
المستضعفين فلما خلت مكة منهم اي من الصحابة رضي الله عنهم عذبهم
الله اي كفار مكة بتسليط المومنين عليهم وغلبتهم اياهم وليس فيه
تفكيك الضماير لظهور المعنى وليس لظاهر ان يقول تغليبهم بدل
غلبتهم كما توهم ومثله مما لا يلتفت اليه وحكم فيهم سيوفهم حكم
بتشديد الكاف اي جعلها حاكمة على رقابهم وهي استعارة لطيفة
اي جعلهم في قهرهم متمكنين من قتلهم والتصرف فيهم ولذا كان
الانسب التعبير بالغلبة قبله واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم
ان فسرت الارض بما لا بناء فيه مما يعد للزراعة ونحوها والديار
بالمساكن المبنية والاموال بما عدا ذلك من المتاع والانعام والنقود
وساير المنقولات فهي متغايرة والعطف ظاهر وليس فيها عطف عام
على خاص كما قيل بان يحمل الاموال على مطلق ما يملك والتعبير عن

للخيارة والتملك بالارث مجاز مشهور صار حقيقة فيما ذكر والتعبير به هنا فيه لطف
لما يبتهم من الغرابة وفي كلامه ما يرشد الى ان مكة فتحت عنوة كما ذهب اليه ابو
حنيفة رحمه الله والجمهور كما جزم به البرهان الحلبي وتبعه بعض الشراح وما
قيل من انه لا ينافي كونها فتحت صلحا كما توهم لا وجه له وفيها قول ثالث ان بعضها
فتح صلحا وبعضها عنوة ثم ان البرهان رحمه الله استطرد هنا ذكر خيبر مكة وتفصيل
فتوحاتها باعتبار الصلح والعنوة والصحيح ان فتح مكة عنوة عند امامنا الاعظم
كما مر وفي الاية ايضا تاويل آخر بتعريف الاية للعهد والمراد بها وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون والتاويل السابق
محصله ان الله لا يعذب الكفار وانت فيهم ولا يعذبهم ايضا وبقية الصحابة
رضوان الله عليهم فيهم يستغفرون الله فتمايز الغيبة للكفار الا ضميرهم
وضمير يستغفرون ولذا ذهب بعض الشراح الى ان المراد بالتاويل الاخر جعل
الضميرين الاخيرين للكفار والجملة حالية اي ما كان الله معذب الكفار لو تابوا
واستغفروا من كفرهم واختاره الطبري او هو اشارة الى ما سبق في علم الله من ان
منهم ومن ذرية بينهم من يسلم اي ما كان الله معذبهم ومنهم من سيخرج منهم
ويستغفر واختاره الزجاج او هو اشارة الى قولهم في دعائهم غفرانك اللهم
فجعله الله امانا لهم واختاره ابن عطية وقوله ايضا اشارة الى التاويل السابق
او الى غيرها من الايات المناقلة ولا مسامحة فيه كما قيل وفيها تاويلات كما
مر من ان المنفي الاستيصال في الدنيا والمثبت عذاب الاخرة والاوليان من
مقالة الكفرة والثالثة رد لهما وقيل ان المصنف اشار الى ما يفهم من الحديث
من ان حياته صلى الله عليه وسلم واستغفار المؤمنين مطلقا دافع للعذاب
او المؤمن لا يعذب ما دام مستغفرا فضمير الغائبين للمؤمنين اي ما كان
الله ليعذب المؤمنين بضرب من عذاب من قبلهم وانت حي وهم يستغفرون
والاية على تاويلها الاول ولكن اذا لم يعذب الكفار لهذين السببين فالمؤمنون
بالطريق الاولى ففيها امان للفريقين والامة في الحديث الاتي المراد بها امة
الدعوة وان كان في بعض التاويلات امة الاجابة حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
ابن سكرة الحافظ وقد تقدمت ترجمته بقراءتي عليه اي لا بالسماع وغيره من وجوه
الرواية قال ثنا ابو الفضل بن خيرون تقدم الكلام عليه ايضا وابو الحسين
الصيرفي قال البرهان كان في الاصل ابو الحسن فصحح في الطرة الحسين بالتصغير
وهو الصواب وهو المبارك بن عبد الجبار كما تقدم وقد وقع له ذكر ايضا
في اول فصل تفضيله صلى الله عليه وسلم في القيامة وكنيته ابو الحسن ايضا
ولم ينبه عليه احد فكنت نجاهه ما مر قالا حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة
هو احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر وقد تقدم الكلام عليه وان
الحرة بضم الحاء المهملة وتشديد الراء وبالهاء قال ثنا ابو علي السنجي
الحسن بن محمد وقد تقدم الكلام عليه وضبط السنجي بكسر السين المهملة
والنون الساكنة والجيم وياء النسبة قال ثنا محمد بن محبوب المروزي

تقدم الكلام عليه وعلى نسبته وانه روى جامع الترمذي عنه قال ثنا ابو عيسى الحافظ هو الامام الترمذي صاحب السنن وتقدم الكلام عليه قال ثنا سفيان بن وكيع ابو محمد بن الجراح الكوفي وله ترجمة في الميزان وهو ممن ضعفه الذهبي توفي سنة سبع واربعين ومايتين وروى عنه في السنن قال ثنا ابن نمير بالنون والميم واخره را مهملة بصيغة التصغير وهو محمد ابو عبد الرحمن بن عبد الله بن نمير المحدث الهمداني الكوفي توفي سنة اربع وتسعين ومائة وقيل سنة اربع وثلاثين ومايتين وهو الاصح عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر وابن مهاجر سقط من بعض النسخ وهو بجلي من تبع التابعين وقول التلمساني انه ابو بشر الاسدي قيل انه وهم كما مر وفي التقريب انه ابراهيم بن مقسم وهو ثقة وابن مهاجر ضعيف عن عباد بن يوسف بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة وهو كندي حمصي ثقة وقيل اسمه عبادة والذي صححه المزي وابن حجر الاول وهو ثقة مقبول الرواية عن ابي بردة عامر بن عبد الله وبردة بضم الموحدة وهو ثقة توفي سنة اربع ومائة على قول عن ابيه ابي موسى الاشعري الصحابي المشهور واسمه عامر بن عبد الله بن قيس وقيل الحارث احد الحكمين توفي بمكة او بالكوفة سنة اربع واربعين او اثنين وخمسين ومائة ونسبته الى اشعر لقب لابي القبيلة المعروفة باليمن لقب به لانه ولد وعليه شعر وهذا الحديث اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم موقوفا بمعناه وهو حديث غريب ضعيف وفيه نظر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله تعالى علي اي اوحى الي بقران يدل على امانين لامتي اي شيئين فيهما ما يدل على ان الله امن امتي من العذاب بهما وهما قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قد تقدم ان الايتين في المومنين او الكفار او فيهما وكذا هذا الحديث محتمل لذلك لان المراد ادامة الدعوة او الاجابة على ما مر فما قيل ان مقتضى الحديث شمول الاية للمومنين وظاهر النظم وكلام المفسر ان الايتين في الكفار الا ان يجمع بينهما بان حال المومنين يعلم بدلالة النص له والطريق الاولى وانه صلى الله عليه وسلم علم منهما عموم الحكم وحمل الحديث على الكفرة بعيد جدا وعلى ظاهر الحديث يجوز عود الضمير في الاية على الامة لكونه فيهم مدة حياته صلى الله عليه وسلم سواء كانوا مومنين او كافرين فيعم الحكم بنوع تكلف كلام مضطرب متكلف فاذا مضيت اي ارتحلت للاخرة تركت فيكم وفي رواية فيهم اي خلفت بعدي بضم تا المتكلم الاستغفار اي اذا مت بقي فيكم الامان الاخر فاذا تركتموه حل بكم العذاب جزما او احتمالا والاستغفار هو الدعا بالمغفرة المعروف وقيل المراد الصلاة وقيل الاسلام وعلى رواية فيكم ففيه التفات من الغيبة للخطاب اشارة الى ان انتفا التعذيب عنهم بالاستغفار دون انتفايه بكونه فيهم وبه يعلم وجه قوله ليعذبهم اولا ودون معذبهم وهو مناسب لنزول صدر الاية بمكة وعجزها بعد خروجه صلى الله عليه وسلم وترك بقية المومنين بها

ابن عمر

بن سعيد

كما قيل وفيه نظر وعمومه منه متعلق بمحو لتضمنه معنى قرب اي فيه نوع
مماثلة بحسب المعنى كما مر من رحمة الكفار بتاخير العذاب قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين اي لجميع الخلق حتى الكفار والجماد والحيوان لاصلاحهم واسعافهم
في امور معاشهم ومعادهم وامنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال وغير
ذلك مما نزل بالامم السالفة وكل ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا امان لاصحابي كونه صلى الله عليه وسلم امانا لاصحابه من
كل ما يخافون امر قطعي وهو اعم مما حكاه المص رحمه الله بقيل الاتي وينبغي
ان يكون هذا اصل رجال بحث قوله وولايته له كما قيل وهذا الحديث رواه مسلم عن
ابي موسى رضي الله عنه قال صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قلنا لو جلسنا حتى نصلي العشا فجلسنا فخرج علينا فقال ما زلتم هاهنا قلنا يا رسول الله
صلينا المغرب معك ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشا فقال احسنتم ورفع راسه
الى السما وكان كثيرا ما يرفعها فقال النجوم امنة للسما فاذا ذهبت اتى السما ما
توعد وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت اتى اصحابي ما يوعدون واصحابي امنة لامتي
فاذا ذهب اصحابي اتى امتي ما يوعدون واذ كره المص رحمه الله رواية موافقة
لرواية مسلم او هي رواية مسلم بالمعنى لان امنة بفتحات مصدر بمعنى الامان
وان ورد جمعا لامين بمعنى الحافظ كخدمة كما في النهاية والمراد الاول لقول
ابن مسعود رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم امانا لهم والاستغفار فهاجر
وبقي الاستغفار كما رواه في اللباب **ومن هنا** علم انه يجوز ان يكون معنى
مضيا لسابق هاجرت فلا التفات وان احتمل ايضا والمراد بذهاب النجوم انتشارها
بشهادة اذا الكواكب انتثرت وما توعده السما انفطارها وتبديلها المذكور
في قوله اذا السما انفطرت ويوم تبدل الارض وهو تمثيل وايما الى ان اصحابه
رضي الله عنهم وصلى الله عليه وسلم كالنجوم في الامة وما اوعد به اصحابه رضي الله
عنهم الفتن والمودة بعده والموعود به الامة ما انذرهم من البدع والاختلاف
والهرج وغلبة الروم وتخريب مكة والمدينة وغير ذلك مما كان اكثره ويقع ما لا
شك في كونه وفيه دلالة على ظهور الشر بعد ذهاب اهل الخير فانه صلى الله عليه
وسلم ما دام حيا لم يقع شي من ذلك ولا اختلاف وبعده وقع الاختلاف ثم لما
انقرض عصر الصحابة رضي الله عنهم فوقعت الظلم لذهاب الانوار كالسما عند ذهاب
النجوم وقيل الامان المذكور ما كان في حياته صلى الله عليه وسلم لا في حياته
وموته كما توهم كما لا يخفى فمن حمله عليه فقد اخطا وفيه نظر قيل من البدع
جمع بدعة وهي ما لم يعلم من الشرع لا صريحا ولا استنباطا وليست كلها
مردودة كما يوهمه قوله صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة وكل ضلالة
في النار فان الفقها قالوا تجري فيها الاحكام كلها فمنها ما هو حرام كانواع
السياسة التي لم تكن في العصر الاول ومنها ما هو مكروه كتكبير العمايم
وتوسيع اللباس وتطويله ومنها ما هو مباح كاحداث بعض الاطعمة ومنها
ما هو واجب كدقايق علم الكلام التي تلزم بها الكفرة واهل الاهوا وما هو

ابن الحنبلي

ابن فارس

سيد
دجي

مستحب

مشغوف بأحداث المدارس والرباطات وقد استوفى أقسامها ابن الحاج في المدخل وهو
كتاب لم يصنف في بابه مثله وإن كان فيه أمور غير مسلمة وقيل من الاختلاف والفرق المراد
بالاختلاف ما يشمل الخلاف وهو مخالفة العلما والفقها والحكام من غير دليل معمول به
وإن كان ذلك مطلقا لم يقع في حياته صلى الله عليه وسلم لمعرفة حقيقة كل أمر بالوحي
**وأما الاختلاف** الذي وقع عنده صلى الله عليه وسلم كما ورد في الأحاديث الصحيحة
من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه ايتوني بدواة اكتب لكم كتابا لا تضلون
به من بعدي فقال عمر رضي الله عنه ان الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله فعلا الناس فقال
اخرجوا عني لا ينبغي التنازع لدي فقال ابن عباس رضي الله عنهما الرزية كل الرزية
ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله فهذا مما شنع به الرافضة على عمر رضي الله عنه
وسيأتي بيان ذلك آخر الكتاب وقال صاحب الملل والنحل هذا أول اختلاف وقع في الإسلام
وقال ابن تيمية في كتاب الرد على الرافضة لا يخفى أن عمر رضي الله عنه ثبت من فضله
وعلمه ما لم يثبت لغيره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان يكن في أمتي محدث فعمر وقصة
هذا الكتاب قد جاءت مفصلة في الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها انه صلى الله
عليه وسلم قال لها في مرضه ادعي لي اباك واخاك حتى اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى
متمن ويقول قايل انا اولى اي بالخلافة ويابى الله والمومنون الا ابا بكر وقد
اشتبه على عمر رضي الله عنه قوله هذا هل كان من شدة المرض أم لا والانبيا عليهم
الصلاة والسلام غير معصومين عن اعراض المرض ولذا عبر بالرجل وقال أهجر ولم
يجزم بانه هجر وعلم ان الكتاب لا يرفع الشك **وأما قول** ابن عباس رضي الله
عنهما الرزية الخ فلان الحايل عنه رزية في حق من شك ومن توهم انه خلافة علي
كرم الله وجهه فهو ضال والحاصل ان جماعة يجي منهم جحده ولو كتب فلذا تركه
لتحقق ما فيه عنده انتهى وحديث اختلاف امتي رحمة لم يثبت وهو ما قال ايضا
والصحابة رضي الله عنهم عند الاختلاف مجتهدون في ادراك الوقايع والاتفاق
اولى على كل حال وقد يودي الخلاف الى ما لا ينبغي قيل والحق ان المجتهد اذا عمل
واخطا فله اجر كما انه اذا اصاب فله اجران ولا يفسق بخطائه بل يتبعه
**اقول** هذا وان اشتهر فقد قال ابن عبد السلام الحق خلافه والحديث الذي رواه عمرو
ابن العاص رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا حكم
الحاكم واجتهد واصاب فله اجران وان حكم واجتهد ثم اخطا فله اجر قال ابن عبد البر
في كتاب العلم اختلف العلما في تاويل هذا الحديث فقال قوم لا يوجر من اخطا لان
الخطا لا يوجر احد عليه وحسبه ان يرفع عنه الاثم وردوا هذا الحديث بحديث
بريدة رضي الله عنه القضاة ثلاثة وبقوله صلى الله عليه وسلم تجاوز
الله لامتي عن خطايها ونسيانها وقوله تعالى ليس عليكم جناح فيما اخطاتم
به ونحوه وقال آخرون يوجر اجرا واحدا لظاهر الحديث وقال الشافعي يوجر
لا على الخطا لان الخطا في الدين لم يومر به احد وانما يوجر لارادته الحق الذي
اخطاه وسعيه فيه انتهى وهو معنى لطيف جمع به بين القولين والفتن جمع
فتنة واصل معناها الاختبار فاطلقت على المصايب وما يختبر به والمراد بها

الحروب والارتداد وكل ما جرى بعده صلى الله عليه وسلم بين الصحابة فهو عام ومناسبته
للترجمة ودخوله فيها لا يخفى لمن له نظر قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو
الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فذاته الشريفة نفس الامان او وجوده
صلى الله عليه وسلم امان في كل مكروه بالدفع والرفع فهو الامان لا غيره لتعريف الطرفين
كما يشير اليه قوله تعالى وانت فيهم وسنته طريقته التي شرعها ومنها الاستغفار
ولذا فسر بها مر وبقاؤها ببقاء نوعها والعمل بمثلها فهو باق الضمير للامان او
للرسول صلى الله عليه وسلم لان بقاء شرعه كبقائه فيكون الامان الاعظم كالباقي
لتنزيل بقاء سنته منزلة بقائه كما يشير اليه قوله وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون وهذا مبني على انه صلى الله عليه وسلم امان للمؤمنين والكافرين
كما مر ولذا كان اعظم وما في الجملتين ظرفية مصدرية والثانية معطوفة
على الاولى وقيل هو ركيك وكانه جعل الثانية شرطية وجملة الشرط معطوفة
على ما قبله اي ان دامت السنة فالرسول والامان باق كما بينه بقوله فاذا اميتت
سنته فاستظروا البلاء والفتن وفي بعض النسخ فانتظر مفردا باعتبار المخاطب وان كان
الحكم عاما ومعنى اميتت بصيغة المجهول تركت على الاستعارة اي لم يعمل بها
ولم يحرص الناس على تعلمها بان غلب فيهم ذلك لا الترك بالكلية فانه من اشراط
الساعة والبلاء بفتح الباء وبالمد المصائب كالطاعون والظلم والفتن محاربة الناس
بعضهم بعضا كما مر نسال الله العفو والعافية وليسا مترادفين كما قاله
التلمساني وفي كون الاستغفار وقاية مقام الامان الاعظم دون غيره سر لم
ينبهوا عليه فتنبه وقال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية انما
ذكر هذا هنا للدلالة على عظم شانه وتولي الله اموره وسياتي الكلام مفصلا في الصلاة
في الباب المعقود لها ابان الله تعالى اظهر او فضله عن غيره فضل نبيه صلى الله عليه
وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته ثم للتراخي الرتبي او الذكري بجعل مفعوليه
كبعده كما فصل في قوله ذلك الكتاب قيل وفيه اشارة الى اختيار احد القولين في
الضمير في قوله يصلون انه لله والملائكة كما تقدم وامر عباده امر مصدر مجرور
بعطفه على صلاته او فعل معطوف على ابان كما صححه البرهان لا على فضل بعد
ان المصدرية لانه تكلف من غير داع والمراد بعباده المؤمنون المكلفون او
الاعم بناء على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وكون الامر للوجوب او
الندب سياتي وعباد جمع عبد وله جموع كثيرة تزيد على عشرين جمع غالبها
ابن مالك رحمه الله غالبها في شعره المشهور وزاد عليه بعض اصحابنا فقال

جموع عبد عبود اعبد عبد • اعابد عبد عبدون عبدان •
عبد عبدى ومعبودا ومدها • عبدة عبدا عباد عبدان •
عبيد اعبد عباد معبدة • معابد وعبيدون العبدان •

بالصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وسياتي تفصيل معناهما
فله صلى الله عليه وسلم بذلك الفضل على غيره وقد قيل عليه ان المؤمنين
شاركوه في مجرد صلاة الله وملائكته لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم

وابن الحنبلي

وملائكته

وملائكته وفي الحديث مثله كثير كحديث ان الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف
وقد ذكر ان الاية الاولى لما نزلت قال ابو بكر يا رسول الله ما اعطاك الله من خير الا
اشركنا فيه فما بالك لم تشركنا في هذا الخير فنزلت هذه فاذا كان نزول هذه بعد
الاولى ظهر فضله صلى الله عليه وسلم على غيره بها حيث نزلت اولا من غير مزاحم فيها
مع التاكيد بان والاسمية وفي تمييزه بمجموع ما ذكر وايضا المضارع يدل على الاستمرار
التجددي في حقه دونهم فبطل الاختصاص وعن الامام الرازي ان صلاة الملائكة
على المؤمنين بطريق التبعية لصلاته تعالى عليهم لتاخر ذكرها وصلاتهم عليه
بطريق الاصالة ففي الاية الاولى تفضيل له على غيره كما اذا قيل يدخل فلان وفلان
فانه يدل على تقديم الاول بخلاف فلان وفلان يدخلان **واورد عليه**
ان الواو لمطلق الجمع بلا ترتيب في اي الركنين كانت واما قول ابي حنيفة رحمه الله
من قال لغير مدخول بها ان دخلت الدار فانت طالق واحدة وواحدة يقع واحدة
خلاف انت طالق واحدة وواحدة ان دخلت الدار حيث يقع ثنتان فليس مبنيا على
ان الواو للترتيب بل لان المعلق بالشرط كالمنجز حكما بخلاف ما اذا اخر الشرط لان
صدر الكلام توقف على آخره لوجود المغير في اخره فكان في حكم البيان كما بين في محله
وليس النبي صلى الله عليه وسلم داخلا تحت المخاطبين بالاية الثانية ليقال انه
لما ميز بالصلاة عليه من مجموعهم دل ذلك دلالة واضحة على ترجيحه فيها
كاحد العموم واجب زيدا بتقديم الاول او تاخيره لان المخاطبين بها المؤمنون
خاصة بقرينة السياق انتهى **اقول** القول ما قالت حذام فان النبي صلى الله عليه
وسلم مخصوص بالصلاة عليه استقلالا لا امنا كما صرح به الفقها باسرهم اما من
الله ورسوله فيجوز استقلالا وتبعا لانه تعالى لا يسال عما يفعل والصلاة حق
النبي صلى الله عليه وسلم فله ان يعطيه من شاء مع ان الصلاة عليه رحمة وتعظيم
مخصوص به والصلاة على غيره مطلق الرحمة والمثال الذي ذكره الامام مماله
لما قاله ابو حنيفة بعينه وليس هذا من الواو كما مر نظيره في قصة الخطيب
ففعله تعالى وامره لنا امر مخصوص به فلا حاجة لما ذكر من الحزبرة لمن في
بصيرته نور من الله وخص المؤمنين بالتسليم المؤكد لبيان لزوم غاية
التعظيم من الامة في حقه لانه صلى الله عليه وسلم المنقذ لهم من الضلال
وانقيادهم له ولانعامه اكثر من غيرهم والمراد التسليم من النقايص
التي عصمه الله منها ولم يسند هاله غير البشر الذين هم من نوعهم وخصه
بالتاكيد وتنوين التعظيم اي تسليما عظيما تعريضا بمن لم يسلم وقيل
لان المراد تسليما لا كتسليم غيره من الامة والصلاة ليست مما يشاركه
فيها الامة فيفهم منها التعظيم في نفسها من غير تاكيد اولان التسليم
لم يثبت لله والملائكة فتعين معرض المشاهلة في الجملة وهو كلام حسن
وقد حكى ابو بكر بن فورك بفا مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة وكاف
عربية وهو لفظ اختلف فيه فقيل انه عربي وفور بمعنى فار والكاف
اما زائدة فيه كما قالوا في هندي هندكي او للتصغير فان العرب اذا

تصغر والحقوا اخر الاسم كافا ورُدّ بان قوهر بمعنى فارٍ لم يسمع من العرب والثانية
في اللغة قوهر جمع فابر بمعنى الظبي والذي في اللغة الفارسية انه بمعنى لون
التراب قالوا قوهر حالكه تك وفي شرح التحفة انه ممنوع من الصرف لان الكاف اداة
تصغير في الفارسية قيل وليس هذا علة تمنع الصرف لان شرط العجمة كونه
علما في العجمية قبل استعماله وليس كذلك انما الشرط ان لا يستعمله العرب الا علما
كما الوف على ما فيه وقيل قوهر عربي فلا ينقلب بلحوق الكاف اعجميا **اقول**
اللفظ العربي اذا غيروه وجعلوه بالحاق اداة من ادوات العجم ولم يستعمل الا علما
فالظاهر انه يصير اعجميا ممنوعا من الصرف كبابك فانه في الاصل بابا بمعنى اب
صغر بالكاف على قاعدتهم المذكورة وقد استعمل ممنوعا في شعر ابي تمام ولا
عبرة بالتردد فيه ولا بجعله كماهك كما في بعض حواشي المطول وفي حواشي الفاضل
الحفيد على المطول بابك والد عبد الصمد الشاعر المشهور ممنوع من الصرف
وقيل مبني على السكون انتهى والبناء وهم لا يعتد به وفي حواشي البرهان الحلبي
هو مصروف بضبط القلم في النسخ الصحيحة والظاهر انه ممنوع من الصرف للعلمية
والعجمة وهو محمد بن الحسن الاصبهاني الامام الجليل والبحر الذي لا يجارى فقها
ونحوا واصولا وكلاما مع جلالة وورع زائد وقد امتحن في الدين وحرف للمناظرة
ادت الى عزله ومات مسموما شهيدا في الطريق لما عاد من غزنه سنة ست
واربعمائة ونقل الى نيسابور ودفن بها وقبره يزار ويستجاب عنده الدعا
وهو شافعي المذهب قال التلمساني انتهى الى ان بكلمة الملك في اليقظة وقوله وقد
حكي الى قوله الاتي الى يوم القيامة لم يثبت في الاصل الذي عليه خط المصنف
وثبت في الاصل المروي عن ابي العباس العزمي انتهى وفي حواشي الكمال ابن
ابي شريف على التحفة انه فارسي مصغر غير منصرف ومعناه قوهر تصغير فار
لان الكاف عندهم للتصغير وجعل في العجم علما لكن في القاموس ان لفظ قوهر علم له
ولم يعده من العجمي كما هو عادته قيل وهو يدل على ان التفخيم بادخال الكاف
بعد العلمية ولذا قيل انه تفخيم غير معتبر وفيه نظر لان بعض العلماء قال
قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا والحديث
حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة وفي اثبات
لفظ ثلاث ومعنى الحديث كلام سيجي والمقصود هنا ان بعض العلماء فسر الصلاة
هنا بالدعاء والمعروف انه الصلاة الشرعية ذات الركوع والسجود لما فيها
من المناجاة والمعارف وكشف الاسرار اي في صلاة الله على النبي صلى الله عليه
وسلم وملائكته وامر الامة بذلك الى يوم القيامة ذلك اشارة الى الصلاة
المذكورة في الاية وذكره لتاويله بالمذكور او الدعاء ودوامه الى يوم القيامة منه
بدوام امته ولعدم نسخه والى متعلقة بالامر ويجوز تعلقه به وبما قبله
على التنازع وانما غياه بما ذكر لعدم التكليف في الاخرة والمراد بالقيامة هنا
معناها المعروف او خراب الدنيا وكون الى بمعنى مع تكلف وخص ذكره قيل
لاندراج كل فضيلة فيه والاية تدل على تجدد الرحمة وكثرتها على ما يليق

بمعانه عليه الصلاة والسلام والصلاة من الملائكة ومالة دعاو في نسخة من الملائكة
استغفار ومنا دعا وهو الذي اشتهر عن ابن عباس رضي الله عنهما وما في هذه النسخة سيلق
وهما مشتركان في افادها ومعنى الاستغفار وتخصيصه بالملائكة نسيا في تحقيقه
والمراد من قوله منا بني ادم لا المطلقون كما قيل ومن الله رحمة انعام ولطف او ثناء وتعظيم
وقيل معنى يصلون يباركون اي يعطيه الله البركة والملائكة يطلبونها له والبركة النمو
والخير الكثير او الدائم من بركة البعير او من بركة الما كما حققه في الكشف واشار بقوله
وقد فرق بتخفيف الرا ويجوز تشديدها ان لم ينقل ان المخفف يختص بالمعاني والمشدد
بالاجسام كما قاله العراقي اي ميز وفصل النبي صلى الله عليه وسلم حين علم بتشديد
اللام اصحابه رضي الله عنهم بين لفظ الصلاة والبركة في حديث فلامرنا ان نصلي
عليك فكيف نصلي فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وبارك على محمد وعلى
ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد او حيث
عطف احدهما على الاخر في حديث اخر فقال صليت وباركت والظاهر ان مراده الاول
اشارة الى اعتراض على هذا القول ولا يخفى ان المغايرة بينهما بحسب المفهوم لا تنافي
تفسيره به وعطفه عليه وان كان الاصل ذلك وسياتي تتمة هذا او سنذكر حكم
الصلاة عليه من الوجوب والكيفية وغير ذلك وفي نسخة صلى الله عليه وسلم
تسليما كثيرا الى يوم الدين والمراد التابيد الى يوم القيامة لظهور امر الدين فيه او الجزا
عليه او خضوع كل احد له فالغاية غير مراده وقيل هي للكثرة كقوله ملا السموات والارض
وذكر بعض المتكلمين اي المفسرين بدل ليتل قوله في تفسير حروف كهيعص والجار والمجرور سيد
متعلق بذكروا وبالمتكلمين وليس المراد به المنتمين بعلم الكلام كما قيل لعدم مناسبته هنا
ان الكاف من كاف اي حرف من اسمه تعالى الكافي ولم يقل من الكفاية كما قال فيما بعده
مع انه المناسب لتفسيره بقوله اي كفاية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وعبارته
لا تخلو من اضطراب فانه اكتفا بحرف من الكلمة على طريق الرمز والاشارة اليها واما بان
بان للذي هو اسم له او من الكفاية التي هي صفته وقيل انه ميل الى انه اشارة الى سيد
اسم الله باعتبار الصفة ولم يقل لها من الهادي ونحوه وهو المراد بالاكتفا الاول
او انه اراد الاشارة الى ما وقع في القران والذي فيه في الاول اسم الله وفي الثاني
نسبة الصفة الى الله فذكر على نهج ما ورد **اقول** هذا الكلام من فرس المطر فوقف
تحت الميزاب اما الاول فلان الاشارة الى الاسم باعتبار الصفة تكلف لا داعي له
وهو غير صحيح في الصاد التي هي اشارة الى الصاد من مصلي او صلاته عليه
الاتي اذ ليس من اسمايه المصلي واما الثاني فغفلة عن قوله فسيكفيكهم الله
ونحوه والذي يظهر انه اراد ان كل حرف مقتطع من صفة من صفات الافعال
والها باعتبار تعلقها به لا مطلقا وانه لما ذكره اولا باسم من اسمايه الحسنى
تبركا به وبيانا للوجه تقيد به لانه اهمها وانهما فسره بما ذكره لئلا يتوهم
جريانه فيما بعده فانه المنقول فيما سياتي وان المراد ابانه معناه للنبي صلى
الله عليه وسلم لا انه منادي ولانه مقتضى ما عقد له الفصل فتدبر فالكاف
من كاف والمعنى انه كاف له عما سواه كقوله تعالى يا ايها النبي حسبك الله

واليه اشار بقوله اي كفاية الله كاينة منه لنبيه صلى الله عليه وسلم وسكت عن الباء في
لظهوره فالحروف منتزعة من صفات مشتقة لا من مبادي اسمها كما توهم ولا يشترط
في الحرف ان يكون من اول الاسم وهذا مروي في بعض التفاسير عن ابن عباس رضي الله
عنهما ومثله لا يقال بالراي فقول بعض الشراح ان هذا لا ينبغي فان الحروف لا تدل
على غير مسماها ولم تكن الكاف من كريم او كبير وهذا من بدع التفاسير كما في الكشاف
وفي هذه الحروف اقوال اخر احدها انه من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله وقيل انها
اسما للسور والقران وفيه نظر **والعجب** انه بعد ما انكر ما هنا نقل قولا بانها
اسما الله وقيل انها بيان لمدة هذه الامة او بعضها وقد نقل علما الحرف لها خواص كما في
حياة الحيوان منها ان من خاف سلطانا او ظالما عقد اصابع يده اليمنى بكهيعص مبتدئا
بابهامها واليسرى بحمعسق بيده وبخنصرها ثم يقرا في نفسه سورة الفيل ويكرر لفظ
ترميهم عشر مرات يفتح في كل مرة اصبعا من اصابعه المعقودة يامن شره قال وهو
عجيب مجرب انتهى قال الله في كتابه الكريم اليس الله بكاف عبده فسر عبده بمحمد صلى الله
عليه وسلم ويحتمل العموم بدليل انه قرئ عباده فيدخل النبي بالطريق الاولى
والاستفهام انكاري للمبالغة في اثبات الكفاية ويحتمل ان يراد غيره والمعنى انه
اذا كفى غيره من العباد كيف لا يكفيه صلى الله عليه وسلم والها هدايته له لم يقل
من هدايته لانه يعني ان الها من هاد لاثبات هدايته له وما قيل انه لم يقل من
هدايته تفننا ولئلا يتعين الاكتفا ببعض الكلمة لا وجه له وكذا ما قيل انه بتقدير
مبتدا او مضاف اي الكاف والها رمز كفايته والكاف من كفايته لا من كاف فيتدافع
كلاماه **والجواب** بانها اذا كانت رمزا لكاف كانت رمزا للكفاية في ضمنه
قال ويهديك صراطا مستقيما من الدين الاكمل والصلاح او يعينك على ذلك وقيل
يهديك والبا تاييده له قال تعالى وايدك بنصره التلاوة ليس فيها واو
والضمير في تاييده لله وفي له للرسول صلى الله عليه وسلم وفي نسخة تاييده
بدون له والضمير يحتمل عوده لله وللرسول صلى الله عليه وسلم والتاييد
التقوية والاعانة على اعدائه وبالادلة والمعجزات والملايكة ونصره على اعدائه
وفي اللباب لم يرو عن ابن عباس رضي الله عنهما في الثاني ووجه بانه لم يات في اسما
الله ما اوله با وقد علمت ان حرف الرمز لا يلزم ان يكون اولا وقد نقل هو ان
اليا من حكيم والقول بانها من يمين وهم لانه ليس اسما لله واما قوله والسموات
مطويات بيمينه فلا شاهد فيه والاضافة تاباه وعندي ان هذا مما لا ينبغي
ذكره والعين عصمته له قال الله تعالى والله يعصمك من الناس اي يحفظك
من كيدهم ومكرهم ويمنعك من اذاهم وهو وعد ممن لا يخلف الميعاد
وقد كان له صلى الله عليه وسلم حرس فلما نزلت قال لهم انصرفوا فان الله
يحرسني والقول بان معنى الاية انه يحفظه عن الذنوب من بين ساير الناس
تكلف وان كان صلى الله عليه وسلم معصوما عنها كما سياتي وفي زاد المسير
**فان قلت** كيف ضمان العصمة له صلى الله عليه وسلم وقد شج جبينه
وكسرت رباعيته وبولغ في اذاه **قلت** مما عصم صلى الله عليه وسلم عن

ايضا

سيد

سيد

ابن الحنبلي

ابن الحنبلي

القتل

القتل والاسر لا عن عوارض الاذى او هذه الاية نزلت بعد ما جرى عليه لان المائدة
من اخر ما نزل كما في الشرح الجديد ويأتي له مزيد بيان **اقول** هذا ابنا على ان هذه الاية
مدنية والعصمة بعد الهجرة وهو المشهور وذكر خاتمة المحققين الامام الخيضري في خصائصه
وهو كتاب لم يصنف مثله مما حاصله ان وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب
عليه صلى الله عليه وسلم من اول امره الى اخره واستدلوا عليه بان الله وعده بالعصمة
فكيف يكون هذا بالمدينة وكون هذه الاية مدنية فيه بحث لانه وان اشتهر يرده
ما رواه ابن ابي حاتم في تفسيره عن جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان
اذا خرج بعث معه ابو طالب من يكلؤه حتى نزل والله يعصمك من الناس فذهب
ليبعث معه فقال صلى الله عليه وسلم يا عم ان الله قد عصمني لا حاجة الي من تبعث
وروى مثله الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه انه قال لابي طالب ان الله قد
عصمني من الجن والانس وهذان الحديثان يدلان على ان الاية نزلت بمكة في اول الامر
**وفي الصحيحين** عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ارق رسول الله صلى
ذات ليلة فقال ليت رجلا صالحا من اصحابي يحرسني الليلة اذ سمعنا صوت السلاح فقال
صلى الله عليه وسلم من هذا قال انا سعد بن ابي وقاص جئت لاحرسك فنام صلى الله
عليه وسلم حتى سمع غطيطه وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله
عليه وسلم كان يحرس حتى نزلت هذه الاية فاخرج من القبة رأسه فقال لهم يا ايها
الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله قال الترمذي وهو حديث غريب رواه الحاكم
في المستدرك وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وفي سنده من هو ضعيف الا ان له
متابعات ولذا احتج به مسلم رحمه الله وهذا يدل على ان ذلك كان بالمدينة لان
عائشة رضي الله عنها اخبرت عن مشاهدة وهي لم تكن معه صلى الله عليه وسلم بمكة
فيحتاج الى الجمع بين الروايات وما في الصحيح اولى لكنا نلتزم تاخير نزول الاية
بالمدينة وندعي ان وجوب الانكار عليه كان داخلا في عموم التشريع ثم انهم لم
يبينوا ما المراد بالخوف هل هو من القتل او اعم وظاهر كلامهم انه الاول فكان
يحرسه اصحابه في الفزع والخوف حتى هاجر الى المدينة وامر بالقتال فانزل
الله عليه اية العصمة معا انا ندعي انه صلى الله عليه وسلم كان يعلم ذلك من غير
هذه الاية وانما نزلت تطييبا لخاطره **فان قلت** اذا كان صلى الله عليه
وسلم يعلم ان الله عصمه من اعدائه وامنه من كيدهم وشرهم فما باله اختفى
بالغار اذ خرج من مكة وما باله كان يحرس ويلبس الدروع وما باله كسرت رباعيته
وشج وجهه ونحوه بعد نزول الاية **قلت** كان ذلك تشريعا لامته
ليقتدوا به صلى الله عليه وسلم فيما ليس من خصائصه مع ان في ذلك حكما لطيفة
فاختفاؤه في الغار خوفا على الصديق رضي الله عنه لا على نفسه كما يدل عليه
قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فاعلم ابا بكر به تطييبا لخاطره
وليظهر له من المعجزات ما يعلم به غيره وانه هو لا يحتاج لزيادة علم كخروجه
والكفار يرصدونه ونثر التراب عليهم ولو خرج ظاهرا لظن انه لحماية
بعض قومه فاراد ان لا يكون لاحد عليه منة واحتراسه للخوف على من عنده

بن
ابن الحنبلي

فإنه

من اهله واظهارا لاعتماده على اصحابه وامانتهم وليبث اللامة ليرهب الاعدا ويظهر ان للدين
عدة وسلاحا ولظن بعض الكفار انهم فقرا اخذنا بنعمة الله واما كسر رباعيته صلى الله
عليه وسلم وشجه فبيانا لما فطره الله عليه من العدل لعلم الله انه يصيب المؤمنين
باحد مصاب عظيم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم مشاركا لهم في ذلك ليحصل اجره له
وتسليتهم بمصيبته وعصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام لها معنيان احدهما
حفظه من الناس بما ذكر والثاني صونه عن ارتكاب الذنوب كما سياتي **فان قلت**
هل يجوز طلب العصمة بالمعنى الثاني لاحد غير النبي صلى الله عليه وسلم **قلت**
قال الشيخ والدي ابن حجر الهيتمي في شرح العباب اختلف الفقها فيها فقيل يجوز
لقول مالك والشافعي نسال الله العصمة وقال الشاذلي في حزب البحر اسالك
العصمة في الحركات والسكنات وفي حديث اخرجه النسائي ليقل من دخل المسجد اللهم
اعصمني من الشيطان وقيل يمتنع لاستحالته والحق ما قاله بعض المتاخرين انه ان
قصد التوقي عن جميع المعاصي والرذائل في جميع الاحوال امتنع لانه سؤال
مقام النبوة وان قصد التحفظ من الشيطان والتحصن من افعال السوء فهذا لا باس
به انتهى وفيه نظر في حالة الاطلاق ثم رايت شيخنا ابن قاسم بعد نقله لذلك اسند
جاهه له قال ويبقى الكلام في حالة الاطلاق والمتجه عندي الجواز لعدم تعينه للمحذور
واحتماله الوجه الجائز وفي كلام مشايخ الصوفية كما مر انه يقال في النبي معصوم
وفي غيره محفوظ وكانه تادب منهم والصلاة صلاته عليه قال تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي وقيل المراد الاخبار عن هذه الامور او القسم بهذه الصفات وهذا
التفسير وامثاله ليس على الحتم ولا احتمال محض فما قيل من انه غير واجب التسليم
لا طائل تحته فتامل وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه اي وليه
تظاهرا عليه بالتشديد والتخفيف بمعنى يتعاونا ويتناصرا والخطاب لعائشة
وحفصة اما المؤمنين رضي الله عنهما على الاصح او عائشة وسودة ام المؤمنين
رضي الله عنهما اي تتفقا في امر يسوءه من افشا السر او شدة غيرة النسا او امر
النفقة فلن يعدم من يعينه والله يعينه الاية اي اقراها التتم بقوله وجبريل
وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير والولي والمولى المعين والناصر
وتعريف الطرفين والضمير يفيد الحصر اي لا مولى له حقيقة سواه وما ذكر
بعده وان كان لا يعتمد على غير الله بنا على الظاهر تطييبا لخاطره وتطمينا
لقلبه واظهارا للفضل والتشريف وجبريل مبتدا وظهير خبر عنه وما بينهما
عطف عليه او هو وصالح عطف على الله والملائكة مبتدا خبره ظهير وافرده
بجعل من ذكر لاتفاقهم على ذلك كالواحد او لانه اسم جمع كطفلا في قوله
يخرجكم طفلا او لان فعيلا قد يقع للواحد وغيره كما في قوله •
ان العواذل ليس لي بامير • ويترتب على ذلك الوقف على مولاه او
المؤمنين او ظهير وقد اختار كل واحد منها جماعة من القرا والوجه
الاول وذلك اشانة للنصر والتظاهر والله وسبب نزول هذه الاية انه
صلى الله عليه وسلم دخل على حفصة رضي الله عنها في نوبتها فخرجت

لحاجة

لحاجة لها فارسل صلى الله عليه وسلم لمارية جارية فاتته فواقعها فلما رجعت حفصة
رضي الله عنها علمت بذلك فغضبت وبكت وقالت اما لي حرمة عندك فقال صلى الله
عليه وسلم ليرضيها انها حرام علي بعد اليوم وحلف ان لا يقربها واخبرها ان
الخليفة بعده ابوها وابو عايشة وقال لها لا تخبري احدا بهذه القصة فلما
خرج صلى الله عليه وسلم من عندها اخبرت عايشة بالقصة وقالت ارا حنا
الله من مارية وكان بينهما مصادقة وتظاهر فانزل الله هذه الاية اي ان
تتوبا الى الله من ايذايه وحب ما يكره تحقق بذلك ميل قلوبكما عن الحق على
حذف قوله ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل في جنس التاويل دون تخصصه لان مضمون
الشرط فيه محقق بمضمون الجزا وفيما نحن فيه محقق له ضرورة ان التوبة عن
الذنب محققة فان كان الميل الى الحق لم تحتج الى هذا التاويل وصالح المومنين
قيل الانبيا عليهم الصلاة والسلام هذا مروي عن قتادة **فان قلت**
الصلاح انما يوصف به احاد الامة دون الانبيا عليهم الصلاة والسلام
**قلت** لما فطن لهذا بعض المعتبرين قال الصفة قد تذكر لمدح الموصوف
وقد يقصد مدح الصفة نفسها بمدح العظما بها كما هنا فكانه قيل الصلاح
صفة عظيمة في نفسها لانها مما يوصف بها الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وهذا كما قال حسان رضي الله تعالى عنه

ما ان مدحت محمدا بمقالتي ● لكن مدحت مقالتي بمحمد

وخالفهم السبكي رحمه الله في فتاويه فقال الصلاح من ابلغ الصفات واذا
اردت معرفة ذلك فانظر الحديث في مدح القلب بانه مضغة اذا صلحت صلح الجسد
كله الخ فصلاح القلب بالايمان والعرفان والاحوال وصلاح الجسد بالطاعة
والخلق تتفاوتون في ذلك تفاوتا كبيرا فصلاح العبد بصلاح قلبه وبدنه على
قدر مقامه وهي صفة ذاتية تفضل الله بها وما سواها من النبوة والرسالة
وغيرهما ناشي عنها فلذا كانت اعظم الصفات وقوله من قال الصالح من قام
بحق الله وحق العباد كلام اجمالي لا زم له وانما السر في المعنى الذي ابتني
عليه ذلك وهي صفة حقيقية اودعها الله في العبد بها تنال سعادة الدارين
وصلاح كل احد بحسب صلاح حاله فاعظم الصلاح صلاح محمد صلى الله عليه
وسلم انتهى وقيل الملايكة رواه القرطبي عن ابن زيد قال السيد عيسى
رحمه الله هذا بعيد والعطف للتفسير او للتغاير بالمفهوم خلاف الظاهر
ولكن ان نقول المراد خواص الملايكة كاسرافيل وحملة العرش والمراد بالملا
بعده بقيتهم او جميعهم وذكر للتعميم بعد التخصيص وتعبيره عنهم
بصالح المومنين قرينة على ذلك ظاهرة وكان الحامل له على ذلك توسطه بين
جبريل والملايكة فانه اخفى مما استبعده اذ مقتضى الظاهر اذ يعطف
جبريل والملايكة وصالح المومنين وقيل ابو بكر وعمر رواه القرطبي والثعلبي
عن عكرمة وابن جبير مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم وزاد بعضهم
عثمان رضي الله عنه ووجه التخصيص على الاول انهما ابوا زوجتيه

بكة

دلجي

تلساني

ميربادشاه

اللبس اشتر لهما ما تر فمن قال انه دعوى بلا بينة لم يصب يعني انهما وان تظاهرا فابواهما واشفق الناس عليهما عليهما لا معهما وهذا كما علمت تفسير منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه من ذكر وكذا رواه ابن مسعود رضي الله عنه وقيل هم الصحابة وقيل الخلفا وصالح المؤمنين يحتمل ان يكون مفردا في معنى الجمع لعموم الاضافة او اسم جمع كحاضر وسامر وجمع مذكر سالم واصله صالحوا المؤمنين حذفت واوه لالتقا الساكنين وكون حذفها للدلالة على سرعة النصرة لما في الواو من المد والبعد بعيد جدا والمراد صالح هم المؤمنون على ان الاضافة بيانية او الصالح منهم الاصلح الذين تولاهم الله وامانهم فتولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه وقيل علي كرم الله وجهه وفي نسخة رضي الله عنهم اجمعين وهذا التفسير رواه ايضا القرطبي والثعلبي عنه صلى الله عليه وسلم قيل ولا منافاة بين الاحاديث لانه لم يرد الحصر وان كان بعيدا وقيل المؤمنون كلهم بناء على ظاهر المتبادر من لفظه غير ما نحن واختاره الامام الرازي رحمه الله والاية دالة على ولاية الله له بنصره وتسخير القلوب له الذي هو من مقاصد هذا الفصل الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم تقدم الكلام في تطبيق التراجم والكرامة ما اكرمه الله به من اعزازه وتعظيمه وقد يختص بما يكون خارقا للعادة والفرق بينها وبين المعجزة سيأتي والفتح اصله ازالة الغلق في المحسوسات ثم استعير لتيسير الامور معنوية كانت او حسية كفتح الله بالمال وفتح البلاد ومكة وشاع حتى صار حقيقة عرفية فيه والسورة مدنية بالاتفاق وهذا لا ينافي كونها نزلت بالحديبية لان المراد بالمدني ما نزل بعد الهجرة على احد الاقوال وقيل لا خلاف بين تفاسير الفتح فمن فسره بفتح مكة اقتصر على المقصود والمراد فتح مكة وما كان وسيلة له كقصة الحديبية ومن فسره بالحديبية سماه فتحا لانه وسيلة لما بعده من الفتوح فاندرج غيره فيه بطريق الاشارة وفي سبب نزولها قولان احدهما انه صلى الله عليه وسلم لما كان بالحديبية حيل بينه وبين دخول مكة وعسر ذلك على الصحابة رضي الله عنهم نزلت وعدا له صلى الله عليه وسلم بفتحها ودخولها وعبر عنه بالماضي على عادة الله عز وجل في اخباره لتحققها وفيه من الفخامة والدلالة على شان علمه ما لا يخفى وهذا هو المشهور والثاني انه كما رواه عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم وما ادري ما يفعل بي ولا بكم قالت اليهود كيف نتبع من لا يدري ما يفعل الله به فاشتد ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فنزلت بيانا لما يؤول اليه امره في الدنيا والاخرة قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تقدم ان الفتح ازالة الغلق والاشكال حسيا كان او معنويا والمراد منه النصر على العدو وقيل المراد ما فتحه الله عليه من العلوم الالهية والهداية الدينية التي هي سبب لنيل اعلى المقامات المحمودة والثواب الجزيل ولذا عقبه بقوله ليغفر الخ ولا يخفى انه مخالف لسبب النزول المشهور وما عليه الاكثر من انه صلح الحديبية وما تضمنه من اختلاط المشركين بهم وسماعهم كلامهم واستمالتهم حتى كان سببا لاسلام كثير منهم وسالوهم الصلح والامان وروى احمد باسناد قوي ان عمر

رضي الله

رضي الله عنه قال أو فتح هذا يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده إنه لفتح وروي
بل هو أعظم الفتوح وقال الفراء الفتح قد يكون صلحا وقد كان الصلح مع المشركين مغلقا
ففتحه الله وعن أنس رضي الله عنه أنه فتح مكة وقيل خيبر قيل وليت شعري
لم قدمه القاضي **قلت** قدمه لأن المعنى الحقيقي للفتح مع ما فيه من البلاغة لله
والفخامة التي أشار إليهما وأن حمل الفتح على المقدر أو معنى شامل للماضي والمستقبل بعموم
المجاز يشمل كل فتح ويحصل التوفيق بين الأحاديث إذ لم يقصد الحصر بتضمنته هذه الآيات
من فضله أي فضل الله وإنعامه أو فضيلة الرسول صلى الله عليه وسلم والثناء عليه
وكرم منزلته عند الله ونعمته لديه أي نعمة الله لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يقصر الوصف بضم الصاد المهملة والتخفيف وفيه استعارة تمثيلية شبه الوصف
بحبل مدود وحوه ليتوصل به إليه فلم يف به لكثرته أو بعده فلهذا قال عن الانتهاء إليه أي
بلوغه والوصول لنهايته لتعذر تفصيله وقصور الإجمال عن إحاطته فابتدأ جل جلاله
السورة بإعلامه بما قضاه له إعلام مصدر مضاف لفاعله أي الله أو مفعوله وهو
النبي صلى الله عليه وسلم قيل فيه إشارة إلى أن الفتح السابق من الفتاحة بالضم وهي
القضاء كما في قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق أي احكم ومنه الفتاح للقاضي والقضاء
الحكم الأزلي أو الكتابة في اللوح أو القدر والإظهار للعيان من القضاء البين أي المقضي
الظاهر الذي لا تشتبه بظهوره وغلبته على عدوه الظاهر تعلقه بالبين وغلبته معطوف
عليه ولا حاجة لجعله عطف تفسير ولا لجعل بظهوره بدل من بما قضاه أي أعلمه بظهوره
كل الظهور وتبيينه أكمل تبيين وعلى عدوه تنازع فيه الظهور والغلبة والعدو
جميع الكفار أو مشركو مكة وعلو كلمته المراد بكلمته كلمة التوحيد والنبوة التي أتى
بها صلى الله عليه وسلم وأمر بقبولها أو الانقياد لما يتعلق بها من التكاليف لنفاذها
وعلوها بما أسقط ما عداها عن درجة الاعتبار أو المراد كل ما أتى به من أمر ونهي وغيره
وعلى الأول أضافها له لأنه الذي أصدرها وشهرها وإن كانت كلمة الله في الحقيقة
وإيثار الكلمة على الكلام لعلم غيرها بالطريق الأولى وسيريعته علوها بالانقياد لها
وإجراء أحكامها وتذليل من أنكرها بالجزية وغيرها ونسخ ما عداها من الشرائع
وليس في كلام المص ما يقتضي كون المراد بالفتح فتح مكة كما قيل وإن كان من فسره بالقضاء
حمله على ذلك فلزمه مخالفة الحديث وكأنه قال إلى التعميم الشامل لما وقع وما
سيقع وأنه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون أي إعلامه صلى الله عليه
وسلم بأنه مغفور له الخ بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والمغفرة
من الغفر وهو الستر وهو والعفو متقاربان كما مر والمؤاخذ من الأخذ قال
في المصباح أخذه بذنبه عاقبه عليه وآخذه بالمد مؤاخذة والأمر منه آخذه
بمد الهمزة وتبدل واوا في لغة اليمن فيقال واخذه مؤاخذة كذلك وقرئ
به في السبعة والأمر منه واخذ انتهى فعبارة المص رحمه الله بالواو والهمزة
وليس المراد بمؤاخذته معاقبته لأنه لم يصدر عنه صلى الله عليه وسلم
ما يقتضيها لأنه معصوم بل عتابه على بعض ما صدر منه مما هو بالنسبة
لعلي مقامه كالذنب ومن قال المراد ما تقدم من ذنبه قبل النبوة وما تأخر بعدها

سهيد

دلجي

نجاتي

من الصغاير فهو مبني على تجويزها على الانبيا عليهم الصلاة والسلام ومن لم يجوزها قال
انه للمبالغة كما يقال اعطى من يراه ومن لم يره وهو الذي يدين الله به ونعتقده قال بعضهم
اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي مما يصح ان تعاتب عليه كما في لعلك باخع نفسك وعبس وتولى
ان جاءه الاعمى او انه لو وقع منك ذنب اي ذنب كان غفر وهذه مرتبة عظيمة جدا وقال
السيد سنح لي معنى بديع وهو ان العبد لا ياتي بما يليق بجلال كبريائه ولذا قيل سبحانك
ما عبدناك حق عبادتك وهذا قصور بالنسبة لكمال القرب ذنب مجازي مبالغة في التحويل
لو شرفه بما لم يخطر حول الفكر وهو سترة لك القصور بعد عبادته عبادة لا يتعلق بجلاله
واي مرتبة فوق هذه المرتبة ولا يبعد عد مثله قصورا لتشريفه فانه تعالى لكمال حكمته
جعل ابها لا خلقهما بعدد ربه ذنوبا ممن هو مضطر في صورة مختار ولا ان يعاقب عليها
وان لم يفعل ونحوه قول الغزالي الظاهر ان هذه وردت مورد التشريف له صلى الله عليه
وسلم بهذا الحكم كما يقال لمن يراد اظهار محبته لو كان لك ذنب قديما وحديثا غفرناه ولم
يرد اثبات ذنب له ولا مغفرة **اقول** قد سنح لي ما هو احسن من هذا وهو ان المغفرة
لما كان معناها الستر المقتضي لعدم الرؤية اريد منه لازمه وهو انه لا ذنب لك يرى
اي لا ذنب لك اصلا اذ لو كان لرئي على نهج قوله ● ولا ترى الضب بها ينجحر ●
**ويؤيده** ان المتاخر لا وجود له وقد سوى بين المتقدم والمتاخر ففيه اشارة
الى انتفائهما كما في قوله اذا جا اجلهم لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ولما
كان المتقدم يوهم التحقق قدم الذنب وقرنه به مبادرة لنفيه بمغفرته والمراد
بالمتقدم والمتاخر ما قبل النبوة وما بعدها او ما قبل الفتح وبعده او قبل نزول الاية
اي انك مغفور لك كانه اراد بتفسيره هذا ان المتقدم والتاخر عبارة عن عموم
المغفرة ودوامها وقال مكي رحمه الله تقدمت ترجمته جعل الله المنة سببا للمغفرة
**اختلف اهل المعقول** والمنقول في الفرق بين السبب والعلة فقيل
انهما سوا وقيل بينهما فرق عند النحاة واللغويين ولذا قال ابن مالك الباء للسببية
والتعليل وعليه اكثر عباراتهم فالسبب ما يتوصل به والعلة ما يترتب على التاثير
في امر اخر ومثلوا للسببية بقوله تعالى فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وللعلة بقوله
تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا **وفرقوا بينهما** وبين الاستعانة
واما اهل الشرع فعندهم السبب والعلة يشتركان في ترتب الامر عليهما ويفترقان
بان السبب ما يحصل الشي عنده لا به والعلة ما يحصل به فلذا قال الشاعر ●
المرء ان الشي للشي علة ● يكون به كالنار تقدح للزند ● ● ●
واختار السمعاني ان السبب الموصل للشي مع جواز المفارقة بينهما ولا اثر له
فيه ولا في تحصيله كالحبل للما والعلة ما يتاثر الشي عنه بغير واسطة ويعبر عنها
بالباعث وقد تحل اللام محلها كما في القواعد للسبكي ووقع الخلاف في افعاله تعالى
هل تعلل بالاغراض حقيقة ام لا فالمشهور انها لا تعلل وانما لها ثمرات وحكم
تجعل عللا كما اختاره الجرجاني ولم يذكر ذلك في السببية فعدول المصنف
رحمه الله عن التعبير بالعلة المذكور في التفاسير هنا كانه تنبيها على الفرق بينهما
مما وقع في الشروح هنا من تفسيره بالتعليل غير مناسب والمراد بالمنة الامتنان

او المغفرة

سيد

ابن الحنبلي

ناشيا عن جهله وسعيه منع ما يترتب عليه
او النعمة التي هي الفتح او قضاؤه ولما كان الفتح ناشيا عن جهله وسعيه منع ما يترتب على فعل العبد بلا واسطة
من الامور العظيمة صار سببا للمغفرة قيل ولا تكلف فيه لان ما يترتب على فعل العبد بلا واسطة
يعد فعلا له عرفا وشرعا يثاب عليه بالمغفرة وعكسه كانه قال اجرينا على يدك الفتح ليكون
سببا للمغفرة وقيل عليه لا نسلم انه عد فعلا له وابرزه في صورة يستفاد منها انه فعله تعالى
كما هو في نفس الامر ومنهم من قال التقدير فاستغفر ليغفر الخ كما في قوله اذا جاء نصر الله
والفتح الى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره والاسهل ان اللام للعاقبة وحمل كلام
الزمخشري على السبب والعلة المجازية لا لها مستعار لما يشبه التعليل كما صرح به
صاحب المغني فيقال لما كانت المغفرة نتيجة فتحه تعالى له الفتح المبين وثمرته
شبهت بالداعي بناء على ان افعاله لا تعلل بالاغراض وان اريد بالفتح القضاء فباعتبار
ان المقضي فعله كانه قال قضينا بترتبه على فعلك ليثاب وقيل المعنى لتجتمع هذه
الامور لك واجتماعها فرع تحقق الفتح فصح التعليل وهذا ما اختاره في الكشاف
وفي شروحه هنا كلام طويل الذيل بيناه في حواشي البيضاوي **اقول** لما اورد
ظاهر الدفع ولا حاجة لما تكلفه فانه ناش من عدم الفرق بين الفاعل اللغوي والفاعل
الحقيقي فان الاول ينسب حقيقة لمن قام به او باشره لا الى الله وان كان هو الفاعل
في نفس الامر كما حققه الابهري في حواشي العضد وسياتي الكلام عليه في الاية
الاتية فاسناد الفتح بمعناه المتبادر والحقيقة ظاهر وهو الذي بني عليه القايل
كلامه واليه اشار بقوله وكل منهما اي من المنة والمغفرة حاصل من عنده لا اله غيره
فهو الذي سبب السبب وهداه له واقدره عليه وفي نسخة لا اله الا هو وجعل الخلق
والتاثير من خواص الالوهية المستلزمة له فنفي الملزوم لينتفي لازمه المساوي فهل
من خالق غير الله ولذا جعل احد الفعلين سببا للاخر لترتبه من غير تاثير للغير فلا
دخل لتعليل الافعال فيه منة بالمغفرة او بالفتح بعد منة بخلق السبب فيه وتيسيره
عليه وفضلا بعد فضل اي تفضلا وانعاما بعد تفضل وانعام ان كانت المنة بمعنى
الانعام فهو تفسير مؤكد لما قبله وقيل المنة بمعنى الامتنان من من بمعنى امتن
كما قاله الجوهري ثم قال ويتم نعمته عليك عطف على قوله قال اولا ولا حاجة له
لتفسيره بافول ثم افول وعطفه بثم باعتبار آخر ما ذكر اي ذكر هذه الايات الى
قوله عزيزا حكيما فعبر بالجزء عن الكل كقولك قرات قل هو الله احد وتريد
السورة بتمامها كما قيل بقرينة قوله الاتي فاعلمه الخ المعطوف على قال عطف
مفصل على مجمل ولولا هذا الرديف ما ذكر بما فسره واقتصر على ما ذكر لما اعترض
بما يتضمن الخلاف في معناه الذي اشار اليه بقوله وقيل في تفسيره تخضع من
تكبر عليك لك والجاران الاول متعلق بتكبر والثاني بتخضع وسقط عليك من
بعض النسخ والخضوع التذلل والانقياد ضد التكبر والتعظم وقيل تبتع
مكة والطايف واد بقرب مكة كثير الفواكه والمياه كان به بلاد ثقيف سمي به
لانها طافت على الماء في الطوفان او لان جبريل عليه الصلاة والسلام طاف
بها البيت ونقلت من الشام الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
او لغير ذلك مما في القاموس وغيره وزاد بعضهم خيبر وقال الكرماني باعلاء

٣ سيد
٢ ابن الحنبلي

اعجمي

دينك وتمد اعة ايك وفتح البلاد على يدك وغير ذلك والتعميم انسب بتتميم النعمة والإ
الا ان يقال التخصيص اقتصار على الاهم وتفسير فتح مكة بالحديبية لما وقع فيها
مما كان سببا لفتحها خلاف الظاهر وقيل ايضا بالنبوة واعلاء دينه على سائر الاديان
وقيل برفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك الثلاثة بصيغة المضارع المرفوع مصحح في
النسخ المفرقة على وكذا المض رحمهما الله وما في المقتفي من انه برفع بالبا الجارة للعدد
المضاف لذكر فيه ركاكة ومخالفة للرواية وخص الدنيا لان المذكور في الاية في احوالها
وان لان ذكره مرفوع اي مشهور في الدنيا والاخرة فلا حاجة لتقدير والعفي كما قيل
وقيل بانضمام الملك الى النبوة ولا حاجة لهذا التخصيص كما مر الا ان يكون صدر من
مشكاة النبوة مع ان ذكر الملك مناف لما ورد في الحديث الاتي من ان الله خيره بين ان
يكون عبدا نبيا او ملكا نبيا فاختار الاول ولنا فيه كلام سياتي وما قيل من ان النصر
وما بعده روي بالمصدر من مجرور من مخالف للرواية والدراية كما مر مع تحريف نعز
لك والعفو بمعنى المغفرة غير مستعمل كثيرا **فان قلت** هذا لا يناسب تفسير
الانعام لانهما مذكوران معه والغفران مقدم على الكل فلم قدم النصر عليه ورفع
الذكر ليس له ذكر في النظم والافعال على المختار هنا مرفوعة وفي الاية منصوبة لا
وجه العدول **قلت** هذا تفسير لما تضمنه النظم من اوله الى قوله حكيما كما
مر وليس المراد حكاية ما في القران حتى يلزمه نصبه ورفع الذكر والنصر معنى
الفتح المبين لان الفتح العظيم فيه اشارة ذكره والتداية وغاية النصرة له على اعدائه
وافتقارهم اليه وفيه من السعي ما يقتضي المغفرة ومن هنا علم وجه اخر في كلامه وهو
ان يكون ما ذكره اولا توطئة لتفسير متم وما بعده مفرع عليه لا تفسير له كما قيل
في الجواب عما ذكر ان في الاية تعميما وتخصيصا والمراد بالانعام جميع النعم فعد فيه
ما ذكر واستبعاده بانه يقتضي اعادته في قوله الاتي فاعله ثم قال المراد
بالغفران ثوابه في الاخرة كما في المعالم وهو تفسير لقوله يهديك ولذا قدم
النصر لتقدم وجوده لغسق بغير فائدة وكذا ما قيل من انه رفع المنصوب
لانه ليس مضمونه بل ماخوذ منه وانه من باب تشبع بالمعيدي واصله بان يرفع
الخ بحذف البا وانه رفعه اشارة الى ان فتح الله له للهداية والمغفرة والنصر
واتمام النعمة بالاخيرين ورفع الذكر ولو كان عين مضمونه كان تعميما بعد
التخصيص ومثله كثير في الكلام البليغ وهذا مع تناقضه تكلف بما لا حاجة
اليه ولولا ظن الغفلة طويناه وقلنا تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فاعله
في القاموس ماس حمان سمعتهما انقابتمام نعمته عليه نخضوع منكبري عدوه له مراد
الخضوع التذلل والانقياد ومنكبري جمع حذفت نونه للاضافة ومراده
العدو يكون بمعنى المفرد والجمع كما في قوله فان كان من قوم عدو لكم فالمعنى
المتكبرين من اعدا الله او اعدائه المتكبرون وهم صناديد قريش كابي سفيان
والمغيرة بن شعبة وفتح اهم البلاد عليه واحبها له يعني مكة واهم افعل
تفضيل من الهم بمعنى العزيمة او الحزن ويقال منهما هم واهم والمهم
ما يلزم منه الاعتنا به وتقديمه على غيره قال

سيد

سيد

سيد والتلمساني

اشاده

سيد

ابن الحنبلي

فقلت

تعلق لها هاشك يحيوا لهما ● ولا ينبغي ان المهم المقدم ● ●
فالمعنى ان فتحها مطلوب له صلى الله عليه وسلم متقدم على جميع الفتوح عند لانها
ماوى المشركين وسادة العرب وجميع العرب ينتظرون اسلامهم وفتحها فاذا تم ذلك
اسلموا فلذا دخلوا بعدها افواجا افواجا في الاسلام ولانها اخرجوه صلى الله عليه وسلم
والمسلمين منها فكان عودهم لها اقوى في اظهار شوكة الاسلام لدخولهم لها رغما على انفهم
وايضا هي القبلة ومعبد الانبيا عليهم الصلاة والسلام فتطهيرها من الشرك والا
من اعظم المهمات ● ووقع ملحقا في بعض النسخ اسنى بسين مهملة ونون مقصورا
اما من السنا بمعنى الرفعة والشرف او من السنا بمعنى الضوء والمراد اظهر وعلى هذا
فهي بدل اهم ويحتمل على بعد ان يجمع معنا اي اسنى اهم البلاد نحو بدل اعلم
العلما وعداه بعلى لما فيه من المتعوبة او الوجوب وهي احب البلاد اليه صلى
الله عليه وسلم كما ورد في الحديث انك لاحب ارض الله الي لان الطباع السليمة
مجبولة على حب الوطن فلا يلزم من هذا تفضيلها على المدينة حتى يرد على المصنف
انه مخالف لمذهبه كما سياتي كما في بعض الشروح لانه قد يكون في المفضول ما ليس
في الفاضل **وفي بعض النسخ** اليه مكان له وظاهر كلام الشراح كلهم ان
التحتين بمعنى وهو مخالف لما قاله النحاة ان فعل التعجب وافعل التفضيل
اذا اخذا مما يفهم حبا او بغضا يتعديان الى الفاعل بالى والى المفعول باللام
فتقول ما احبني اليه اذا كان هو المحب بكسر الحا وما احبني له اذا كنت تحبه وهذه
المسئلة من مسائل الكتاب وقد فصلناها في الشروح والظاهر هنا الى لان اللام
مناجية للنحوين بجعلها محبة له وهو خلاف الظاهر وما قيل من ان قوله فاعلمه الخ
من قبيل الحلل البديعي تكلف ورفع ذكره بالجر اي وبرفع ذكره السابق واعترض عليه
بانه لا قائل بارادة هذا المجموع من اتمام النعمة فلا اعلام بهذا المجموع عند
احد وان سلم صحته فلا يصح تفريعه على الخلاف الا ان تكون الواو بمعنى او ويراد
اعلام كل واحد على قول والاوجه انه اشارة الى جواز ارادة المجموع لشبوت الجميع
وعموم اللفظ ووجه التفريع انه لما صح الحمل على ما فهم من الاول ولا مخصص ●
فاللايق الحمل على جميعها انتهى وهو كلام حسن جدا ● وهدايته بالجر معطوف على
التمام او الخضوع اشارة الى ان ما ذكر من التمام الصراط المستقيم وفي نسخة الى الصراط
لانه يتعدى بنفسه وباللام والى المبلغ بتشديد اللام المكسورة الى الجنة والسعادة
في الدارين او السعادة الكاملة في الاخرة اي اعلمه بهدايته اياه لدين الاسلام المبلغ
للجنة بتبليغ الطريق المستقيم المسلوك الى المطلوب او تبليغ الصراط المعهود
وقال البيضاوي صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسيم الرسالة
**ولا وجه** للتخصيص بهما لا يتعلق لحاد المخاطب والمقام قرينة عليه
لان التعميم افيد وابلغ وما ذكر يندرج تحت العموم اندراجا اوليا فالاولى
ما في المدارك من قوله تثبتك على الدين المرضي فانه رجا وثبته مع امور اخر من
وظايف العبودية والمعارف الالهية وانها فسر بالتثبيت لانه المترتب على
الفتح دون اصل الهداية فانها حاصلة له قبله ونصره النصر العزيز بالجر مصدر

صنام

سيد

والنصر مفعول مطلق له او بدل منه والعزيز المعز لصاحبه او جعله عزيزا في نفسه
لو صفه بوصف صاحبه او المراد انه نفيس قليل النظير لا ذل بعده او الغالب من
قولهم في المثل من عز بز قيل ليس قوله وهدايته وقوله وينصره عطفا على
ما به تمام النعمة لان من جعل النصر منه جعل المغفرة منه ايضا فلو وافقه
المصنف لذكرها مع النصر ولو مع زيادة ذكر الهداية اذ لا وجه لتبديلها بها
كما لا وجه لكون وهدايته عطفا على ما به ورفع اعلامه وكون وينصره عطفا على
ما به تمام النعمة لفساد نظم العبارة عند العارف باساليبها ومنته اي اعلمه
بنعمته على منته المؤمنين بالسكينة والطمانينة عطف تفسيري لان السكينة
لها معان منها الطمانينة والطمانينة مصدر او اسم مصدر من اطمان اذا سكن
قلبه بما يشرحه ويزيل رعبه التي جعلها في قلوبهم يشير بذلك لقوله تعالى
هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين يعني ما كان في صلح الحديبية من الامن
بعد الخوف وعدم القتال فلم تنزعج قلوبهم بعد ما كادت تزيغ لما صدهم
المشركون عن البيت حتى قال عمر رضي الله عنه علام نعطي الدنية في ديننا فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عبد الله ورسوله لن اخالف امره
ولن يضيعني فاوقع الله عز وجل الرضا في قلوب المؤمنين فسلموا واطاعوا وهذه
نعمة اخرى مختصة بالمؤمنين بعد ذكر النعم المتعلقة به صلى الله عليه وسلم
زادهم ايمانا بحقية ذلك وان المصلحة فيه وهذه الزيادة في اليقين من نور
اودعه الله في قلوبهم به يعرف الصواب وسياتي تفصيله في الباب الثاني
وبشارتهم بما لهم بعد ظرف مبني على الضم اي تبشير المؤمنين بما لهم بعد
ذلك او بعد الحياة الدنيا من النعيم المخلد في الجنة بقوله ليدخل المؤمنين
والمؤمنات جنات الخ وفي نسخة عندهم والللام في قوله ليدخل علة لما
يستنبط من السياق من اول السورة الى ها هنا واليه اشار في الكشاف بقوله
وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيها فيستحقوا الثواب فيثيبهم
ويعذب الكافرين بما غاظهم وخالفه البيضاوي في التعلق دون العلية
فقال علة لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير
اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيشكروها فيدخلوا
الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك واختاره لقرب
ما استنبط منه وعدم ظهور مدخلية بعض الامور المذكورة فيه او هو
علة لانزل وانما قالوا ما قالوا لئلا يتعلق حرفان بمعنى بمتعلق واحد
فالظاهر ان القاضي انما عدل عنه لابهامه ما فر منه كما وقع فيه من قال
انه متعلق بفتحنا الا ان يقال انه بدل من العلة الاولى وقيل لم يعطف
لانه مستانف لانه نزل جوابا لقولهم هذا لك فما لنا فانزل الله ذلك
او للاشعار باستقلاله وفيه نظر وللمفسرين هنا كلام لا يسعه هذا
المقام وفوزهم العظيم الفوز النجاة والظفر بالخير يعني بذلك قوله
تعالى وكان ذلك عند الله فوزا عظيما وذلك اشارة لدخول الجنة وتكفير

ابن الحنبلي

سيد

السيار

الثانية المذكورين قبله لانهما منتهى الطلب وقدم الفوز بدخول الجنة على التكفير
تعالى والعفو عنهم والستر لذنوبهم في قوله ويكفر عنهم سيئاتهم مع انه بعد العفو
لانه المقصود بالذات مع موافقة النظم واشار بالستر الى معنى التكفير لانه حقيقة
لغة ومنه الكفر لستره الايمان والحق ولذا سمي الليل كافرا لستره ظلمته وما احسن
قول ابن الفارض رحمه الله في طول ليل الهجر

لي فيك اجر مجاهد ان صح ان الليل كافر

وقيل تقديمه الفوز بنعيم الجنة لان الستر الكامل بتكميل الدرجات من غير نقص وهو
لا يظهر الا في الجنة فظهور التكفير بعد الدخول قيل ويحتمل ان يكون ذلك اشارة
الى ثاني الامرين وان قرب لفظ البعد درجة بالنسبة لعدمه او لهما تاويل ما ذكر
ويؤيد الاول تفسير الفوز بالنجاة والتقصي من الشي والثاني تفسيره بالظفر بالخير
من طول السلامة وهو الملايم لقوله فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز
وفيه نظر وقدم المص الفوز مع تاخره في النص والواقع لان المراد ما حصل من الامرين
وقيل ذلك اشارة لمجرد الدخول واشار بالبعيد لبعد رتبته لان الدخول اذا كان
وحده فوزا فكيف مع العفو وهو معنى انيق لمزيد كرمه قلت لمزيد كرمه لما فيه
لان الدخول بغير عفو لا يصح وهلاك عدوه اي اعلمه الله تعالى بهلاك اعدائه
بقوله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء
عليهم دائرة السوء اي يعذب اهل النفاق والشرك كما نعم المؤمنين لظنهم
بالله ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا والمراد بالعذاب المذكور
العذاب في الدنيا بالقتل والخزي ونحوه والاخرة بجهنم والاول يعلم بالواقع
وقوله عليهم دائرة السوء اي يحيط بهم ما ظنوه بالمؤمنين ولعنهم اصل معنى
اللعن الطرد والبعد ثم خص كما اشار اليه بقوله وبعدهم من رحمته اي اعلمهم
بلعنهم وبعدهم بقوله وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت
مصيرا اي انتقم الله منهم بابعادهم من رحمته وتهيئة جهنم التي هي اسوء
مقرهم وسوء منقلبهم بفتح اللام اسم مكان وقال الحلبي مصدر بمعنى
الانقلاب والاول اولى لقوله وساءت مصيرا ولم يتعرض المص رحمه الله
لذكر غضبه المذكور في الاية لان لعنهم واعداد جهنم لهم يدل عليه والاولى
ذكره لان الاطناب في الابعاد ابلغ مع ما فيه من الاشارة الى ان عذابهم
ليس لتطهيرهم وانما هو ناشي من الغضب عليهم بما قال متعلق باعلمه وفي
نسخة ثم قال تبارك وتعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية
احوال مقدرة للاعلام ببعض ما اوتيه صلى الله عليه وسلم والاية بالنصب
اي اقرا الاية متمما لها بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه
وتسبحوه بكرة واصيلا وهذا مبني على انها اية واحدة لا اثنان لان ربط لتؤمنوا
بانا ارسلناك يجعله وان كان من ذهب الى غيره يقول انه لا ينافيه الا ترى
ان قوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين اية تامة مع ربط قوله وبالليل
به فتعدد محاسنه الغا للتفصيل والمحاسن تقدمت فعطف فيه المفصل على

ابن الحنبلي

سيد

المجمل وخصايصه وفضايله التي اختص بها اختصاصا حقيقيا او نسبيا من شهادته
على امته لنفسه شهادة معقولة لدعواه ومن بيانية وقيل ابتدائية لاستماله
ما بعدها مبينا لمحاسنه وخصايصه مع كثرتها وجعل قوله ومبشرا ونذيرا بتقدير
وكونه مبشرا وكونه منذرا على العطف على شهادته تكلف فتدبر بتبليغ الرسالة
لهم لا حاجة لتاويله بايهم لتعديته باللام وقيل شاهدا لهم بالتوحيد والمراد
بالامة المومنون وفيه كلام تقدم وفي بعض التفاسير شاهدا للامة بالقبول وعليهم
بالانكار وللرسل عليهم الصلاة والسلام بالتبليغ وعلى اممهم بالجحد فعمم
وهو اقيد ومبشرا لامته بالثواب قيل انه معطوف على شهادته بتاويل كونه
شاهدا ومبشرا والثواب قطعا على العمل الصالح ولو بعد دخول النار وقيل
بالمغفرة والنجاة من النار والعفو في الجملة فيشمل الكل ومنذرا اعدوه بالعذاب
اي منذرا اعداه الكفار والانذار معناه التخويف والتبشير بحسب الظاهر
لامته المسلمين والانذار للكافرين وقد يعم كل منهما فيكون الانذار لكل من عصى
وخالف الامر مومنا وكافرا والتبشير لكل من اطاع مومنا وكافرا فان للكافر تبشيرا
معلقا كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وهذا يختلف باختلاف المقامات
**ولذا قيل** في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا انه
على ظاهره من غير توزيع وان احتمله وقيل في تفسير قوله نذيرا محذرا من الضلال
قيل انه شامل للمومن والكافر لكن قوله لتومن بالله ثم به صلى الله عليه وسلم
من سبقت له من الله الحسنى يأباه الا ان يفسر بثبت ونجي ومرادا وزيدا
وترقي في ايمانه ولا حاجة اليه والتراخي زماني ويجوز ان يكون رتبيا او اعم منهما
والحسنى الصفة الحسنى قيل المراد بها السعادة في الدارين وقد فسرت بالجنة
والبشارة بها وهذا انسب بما هو بصدده من تفسير مبشرا ونذيرا والمراد
بسبقها كونها مقدرة في علمه الازلي ومن عبارة عن القوم وهي لفظه فاورد
ضميره ومعناه فقال لتؤمنوا بالله ورسوله اي برسالته وبما جاء به وقرئ
بالخطاب والغيبة فيه وفيما بعده من قوله وتعزروه الخ والخطاب له صلى
الله عليه وسلم وللامة كما يجب على الامة الايمان بالله وبه صلى الله عليه وسلم
يجب عليه ذلك او لهم وفيه التفات او نزل خطابه صلى الله عليه وسلم منزلة
خطابهم وتعزروه براء مهملة بعد المعجمة وهو بصيغة الخطاب والغيبة
في القراءة اي تجلونه كذا في النسخ بالنون مع ان المفسر لا نون فيه وينبغي حذفها
ان قلنا الجملة المفسرة تابعة لما فسرته **وفيه بحث** والاجلال التعظيم
وكذا التوقير فعلى هذا يكون تاكيدا وقد فسروا التعزير في اللغة بالنصر
والتقوية فالاولى التفسير به ليكون تاسيسا وقيل بنصروه ينبغي
تقديمه لا تاخيره وتوسيطه لا سيما وقد ذكر الثعلبي في تفسيره ان هذا
التفسير روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي تجلوه وتنصروه
بلا نون وقيل تبا للعود في تقطيعه وجه تمريضه انه كان ينبغي تاخيره عن
توقروه على هذا وما قيل من ان الامر بالتعظيم بعد الامر للمبالغة فيه

ابن الحنبلي

المقام

سعد

سعد

استعار

اشعارا بان الاصل مما يجب ان يعتنى به كل الاعتنا واما المبالغة فقد تسامح فيها ويحتمل ان
هذا القايل حمل التوقير على معنى غير التعظيم وعود ضمير توقروه لله بمعنى قوله مالكم
لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون عظمته بتعبدوا توقروه اي تعظموه روي بنون
وتعيرنون وقراه بعضهم هو الجحدري بتعزروه بزاي من العزر من العز خبر قراه
وقوله بزاي بهمزة او يا بعد الالف كما قال التلمساني لان في اسم المعجمة ثلاث لغات
زا بالمد والهمز وزاي بالياء وزي بزنة كي وهو بمعنى التعزير وقال من العز وهو
القوة والغلبة والرفعة والشدة لان مصدر المزيد من مصدر المجرد عند بعضهم
او هو مشتق منه والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم يعني انهم
اختلفوا في هذه الضماير هل كلها لله او للرسول صلى الله عليه وسلم لئلا يلزم تفكيك
الضماير او بعضها لله وبعضها للرسول صلى الله عليه وسلم لسبق ذكرهما فاختار
الزمخشري وتبعه القاضي الاول للتغيبة في تسبحوه وتشتيت الضماير وتفكيكها
غير متجه لما فيه من الركاكة ومخالفة الظاهر واختار المصنف عود ضمير تعزروه
وتوقروه فقط للرسول صلى الله عليه وسلم للقرينة المعنوية التي تدفع هجنة
التفكيك لان التعزير والتوقير لا يستعملان في حقه تعالى فنفيه بعد لا يناسب بلاغة
القران وقد رجعت هذه الضماير له في اية الاعراف فالذين امنوا به وعزروه ونصروه

## وهذا وقف كثير من القرا على قوله توقروه

للفصل بين ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم وضمير الله وما قيل من ان التعزير
بمعنى التعظيم يطلق على الله بمعنى النصر والاعانة بمعنى تنصروا دينه ورسوله وهو
نصرته واما التوقير فلا اشكال فيه كقوله مالكم لا ترجون لله وقارا انما الاشكال
في التعزير لانه من الاضداد ويستعمل فيما لا يليق كالتاديب لا يدفع الاظهرية
الموافقة لما عليه الادا والتفكيك مع ظهور القرائن كثير في كلامهم والاكثر
مبتدا والاظهر معطوف عليه وان هذا الخ خبرهما اما بتقدير على بقطع النظر على
التابع وتغليبا للمتبوع مع موافقته بحسب الظاهر وقيل الاظهر مبتدا ما بعده
خبره وتقدير مثله لقوله الاكثر ولكن على تقدير على نحو قول ابن الحاجب وما
وقع ظرفا فالاكثر انه مقدر بجملة ثم قال وتسبحوه فهذا راجع الى الله تبارك
وتعالى اشار بثم الدالة على التراخي الى ما عليه اهل الادا من الوقف على
توقروه ردا على من خالف فعين رجوع هذا الضمير كما في نظيره السابق لله

## قال الزمخشري

تسبحوه من التسبيح او من السبحة وهي الصلاة
وفيه على هذا حذف وايصال كما اشار اليه القاضي رحمه الله بقوله في
تفسيره تنزهوه او تصلوا له قال ابن عطا الذي تقدمت ترجمته جمع للنبي
صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة اي متعددة كثيرة متغايرة
لفظا ومعنى ولذا عقد لها المصنف رحمه الله تعالى فصلا مخصوصا من الفتح
المبين الظاهر في نفسه المظهر لدينه ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو
من اعلام بفتح الهمزة جمع علم بمعنى امارة ودليل الاجابة اي اجابة
دعائه صلى الله عليه وسلم بالنصر الذي سبق منه في مواطن كثيرة كذا قالوا

ابن الحنبلي

ولعله اراد انه تعالى اجابه وبخز له كل ما يرجوه منه فان فتح مكة اعظم مطالبه واجل
نعمه ولذا يقول الملبي اعز عبده وانجز وعده فيالمغفرة وهي من اعلام المحبة وفيه
اشارة الى ان المغفرة المراد بها اظهار شدة محبة الله له كما تقول لمن تحبه كل ما يصدر
منك مغفور لذي وكل ما يفعل المحبوب محبوب وتمام النعمة وهو من اعلام الاختصاص
اي هو دليل على انه تعالى جعله من خواص انبيائه عليهم الصلاة والسلام لا نعامه
عليه بما لم ينله غيره كما قال تعالى والله يختص برحمته من يشاء والهداية وهي
من اعلام الولاية اي ان الله تعالى تولى اموره اذ هداه الى الطريق الموصل الاقرب
والولاية بكسر الواو وفتحها كما مر النصر والتائيد بهدايته اما النبوة وهي علامة
لتوليه امورهم التبليغ وغيره وتثبيته عليه المودي لنصرته كما قال تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا **ثم فرع** عليه قوله فالمغفرة تبرئة من
العيوب اي هي كناية عن شدة محبته له وهو لا يحب الا من كان كامل الخلق والخلق
مبرا مما لا يحبه وفيه اشارة لما سلف وتبرئة بزنة تكرمة مصدر مهموز من البراءة
او بضم التاء وفتح الموحدة وكسر الراء المشددة وهمزة مضمومة مضارع منها
كما قاله الحلبي وفي بعض النسخ تنزيه بالزاي المعجمة مصدر من النزاهة بمعنى انه
تعالى اولاه الفتح المبين لتنزهه عما لا يليق بمنصبه العالي قيل فيكون في مقام
التجلي ويبلغه بتمام النعمة عليه درجة كاملة كما ذكر ثم يترتب عليها التجلي
بالمشاهدات القلبية الناشئة عن التجليات ولم يذكر الفتح لاندراجه فيما ذكر
لا لظهوره فتدبر وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة غير المشاهدة فانجح مطلوبه
ونزهه عن كل عيب وحلاه بكمالات مهيئة لمشاهدته وتدعوه لها كما اشار اليه
بقوله والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة لما مر من المشاهدات القلبية الناشئة
عن التجليات الجلية لا لما وقع له ليلة المعراج لتقدمها على فتح مكة وصلح الحديبية
وكون المراد بالفتح الفضاء المتقدم تعسف لا يعتد وقال جعفر بن محمد الصادق الذي
تقدمت ترجمته في تفسير هذه الاية من تمام نعمته عليه اي من اتمام نعمه التي انعم
بها عليه ان جعله حبيبه اي اصطفاه وخصه واكرمه اكرام المحب لحبيبه حتى
لقب بالحبيب كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انا حبيب الله ولا فخر واقسم بحياته
في قوله لعمرك على احد الاقوال المتقدمة ونسخ به اي بشرعه شرايع غيره جميعها
او مجموعها فلم تبق شريعة احد بكمالها وان بقي بعض منها ولا باس بابقايه على
ظاهره فانه لا يجوز العمل بشيء من شرع غيره الا من حيث انه صار شرعا له صلى الله
عليه وسلم بتقريره له وعرج به بالبناء للمجهول والتخفيف اي اعرجه ورفعه بناء
على انه لا يلزم مصاحبة الفاعل اذ لم يكن التقدير عرج جبريل عليه الصلاة
والسلام به **وقيل** عرج به بمعنى صعد به لا اصعده وفي الصحيح عرج بي
جبريل الى سدرة المنتهى فان صح وروده بمعنى اصعده كذهب الله بنورهم
اي اذهبه فلا كلام فيه والا فهو كيني الامير المدينة اي امر جبريل بالعروج
عليه الصلاة والسلام الى المحل الاعلى الجنة او العرش او ما فوقه او ما فوق
العالم كما حكاه التفتازاني وحفظه في المعراج اي في ليلة المعراج او في عروجه

سبيله

ابن الحنبلي

او في صعوده

او في مصعده كما سياتي حتى ما زاغ البصر وما طغى تقدم تفسيره وبعثه ارسله صلى الله
عليه وسلم الى الاحمر والاسود جميع الخلق كما تقدم وسياتي تفضيله واحل له صلى
الله عليه وسلم ولامته الغنايم المتفرق فيها كما تقدم وجعله شفيعا اي اذن له
صلى الله عليه وسلم في الشفاعة وخصه ولقبه بها مشفعا مقبول الشفاعة وسيد
ولد ادم بل سيد الاولين والاخرين وجميع العالمين كما ورد في الاحاديث الصحيحة
وقرن ذكره بذكره في التشهد والاذان وفي مواضع تزيد على عشرين في القران وهو
معنى قوله ورفعنا لك ذكرك كما مر ورضاه برضاه مصدران مقصوران اي
جعل رضى الله برضى رسوله صلى الله عليه وسلم او رضا الرسول صلى الله عليه وسلم
برضا الله يعني طاعته طاعته للزوم الرضا للطاعة لقوله من يطع الرسول فقد اطاع
الله والاظهر انه اشارة الى قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وجعله احد ركني
التوحيد اصل معنى التوحيد في عرف الشرع اعتقاد توحد الله وانفراده في ذاته
وصفاته والوهيته وانه لا معبود سواه ويطلق ويراد به ما يجب الايمان به واصل
معنى الركن الجانب واركان الشيء اجزاوه الخارجية او اجزا ماهيته الداخلة فيها بخلاف
الشرط فانه الخارج الذي يتوقف عليه صحته **ولما كان الايمان الكامل**
انما يتحقق بالتصديق والاقرار بنبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته جعل ركنا
من التوحيد لا يتم ويقبل بدونه سوا كان بالمعنى الاول او بالمعنى الثاني كالاقرار
بذلك الا انه على المعنى الاول مبالغة وعلى الثاني حقيقة والظاهر تفسير الاتمام
بما كان بعد الفتح لعطفه على مدخول اللام وعد الامام منه ما كان قبله لانه
اراد بالفتح القضا او جعل العلة اجتماع ما ذكر او اراد بيان نعم تحصل باجتماعها
التام لا بيان الاتمام نفسه ثم قال تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
يعني بيعة الرضوان هذا كالدليل على ما قبله وعطفه بثم نظرا لاول ما قبله
لتراخيه عنه فلا حاجة للتراخي الرتبي والمبايعة واخذ العهد والميثاق على امر
**وكان** من عادتهم وضع اليد على اليد اشارة الى التعاضد والتمسك ولذا قال
وبيعة الرضوان كانت بالحديبية وسميت بها لقوله تعالى لقد رضي الله عن المومنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة وهي شجرة سمرة وعضاه وقعت تحتها البيعة وبقيت
الى زمن عمر رضي الله عنه وكانوا الفا واربعمائة او خمسمائة والمبايعة كانت على ان لا
يفروا او على الموت ولا مخالفة بينهما وقيل كانت على السمع والطاعة في النشاط
والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى ان
نقول في الله لا تاخذنا لومة لايم وعلى ان ننصروه اذا قدم علينا يثرب فنمنعه
مما نمنع منه انفسنا وازواجنا وابناءنا ولنا الجنة فمن نكث فانما ينكث على
نفسه وهذا وهم من ناقله فان هذا انما قيل في بيعة الرضوان ولم يتخلف احد
منهم عن البيعة غير الجد بن قيس وعثمان رضي الله عنه لان النبي صلى الله
عليه وسلم كان بعثه لقريش ليخبرهم انهم لم يقدموا للحرب وانما جاوا زوارا
للبيت فبايع النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال هذه يد عثمان وكان وقع
الارجاف بقتله اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك والمبايعة مفاعلة من

ميرباد شاه

البيع لقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فالله
تعالى باع منهم الجنة بانفسهم واموالهم وهم باعوا انفسهم واموالهم لها فالبيع
والشرا المقابضة والتسليم في المعركة كما اشار بقوله يقاتلون الخ لا سلم كما في
بعض شروح الكشاف قيل ولذا قال بان لهم الجنة دون بالجنة وفيه نظر والمراد
المعاهدة والمعاقدة كما يرشد اليه قوله ومن اوفى بعهده من الله ولما ورد
انه كيف اثبت مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ونفاها في ضمن الحصر
اجيب عنه باجوبة منها ان المثبت بحسب الصورة والمنفي بحسب الحقيقة وليس المراد
نفي الحقيقة من حيث هي بلا تاويل بل يحملها كانها معه ومنه ادعاء من المؤمنين الوطر
لمقام الاتحاد بطي الوسايط لغلبة الشهود فالقصر ادعائي وقيل انه حقيقي
على التشبيه فكانه بلا واسطة وفيه تعظيم وقيل النفي غير مراد والحصر مجاز
عن تاكيد الحكم لا اضافي ردا على من زعم انه مع الجن واولى الوجوه الاول ولما
جعل المبايعة مع الله حقيقة اكده لك بقوله يد الله فوق ايديهم على سبيل
التخييل كما سنراه فلذا قال يريد عند البيعة اي المبايعة على عادتهم في وضع
اليد فوق اليد وهذا من المتشابه وجمهور السلف فيه على تفويض علمه الى
الله وتنزيهه عما لا يليق به وذهب بعضهم الى تاويله بما يليق به لشرط موافقته
لكلام العرب **وذهب** ابن الهمام رحمه الله الى انه ان دعت اليه حاجة جاز والا
فلا وذهب ابن دقيق العيد رحمه الله الى انه ان كان التاويل قريبا جاز والا فلا
واليه اشار المص بما ذكره هنا قال الاشعري رحمه الله اليد ورد باطلاقها عليه
تعالى الشرع فالمراد بها صفة قريبة من القدرة الا انها اخص كالارادة والمحبة
فان في اليد تشريفا لازما وفي الكشاف لما قال انما يبايعون الله اكده على طريق
التخييل فقال يد الله الخ يريد يد رسوله صلى الله عليه وسلم التي فوق يد
المبايعين وهو منزه عن الجوارح فالمراد تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول صلى الله
عليه وسلم كعقده مع الله من غير تفاوت وتبعه البيضاوي حيث قال الجملة حال
او استئناف موكد على سبيل التخييل وبيانه كما قيل انه لما شبه مبايعة الرسول صلى
الله عليه وسلم بمبايعة الله تشبيها بليغا ومن ضرورة ذلك تشبيه الذات المقدس
بالمبايع تشبيها مضمرا في النفس تحققت هناك استعارة مكنية وهي التشبيه المضمر
~~المتعمل~~
المضمر عند صاحب التلخيص وعند السكاكي لفظ المشبه المستعمل في المشبه به ادعاء
وعند غيرهما عبارة عن اسم المشبه به المتروك المرموز اليه بذكر لازمه ولا يصح
هنا ما قال السكاكي للزوم استعمال الجلالة في غير ذاته تعالى وهو لا يجوز اجماعا
فالتخييل الذي قاله هنا عبارة عن اثبات اليد التي هي من لوازم المشبه به وهو
المبايع للمشبه وهي قرينة الكناية على راي القزويني وعلى راي غيره عبارة عن لفظ
اليد المثبتة للمشبه **والفرق** بين مذهب السكاكي ومذهب الجمهور
ان التخييلية لا تحقق لمعناها حسا ولا عقلا بل هي صورة وهمية لا يشوبها
شيء من التحقيق كاظفار المنية فانه لما شبه المنية بالسبع في الاغتيال صورها
الوهم بصورته واخترع لها صورة اظفار واطلق عليها لفظ الاظفار ولا يمكن

ميربادشاه

سعد
صح

ميربادشاه

هنا

هنا اعتبار مذهبه بان يخترع له صورة وهمية مرادة من لفظ اليد وقد صرح الزمخشري بان
المراد بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو ايدي المبايعين واضيفت لله لنكتة ذكرها وكلامه
يدل على بطلان مذهبه لانه يدل على تحقق التخييل في مادة لا يتصور فيها اعتبار الصورة
الوهمية الا ان يقال انه لم يعترف بوجود التخييل هنا وقوله اكد تاكيدا على طريق التخييل
معناه ان التشبيه البليغ في انما يبايعون الله افاد ان عقد الميثاق مع الله والرسول صلى
الله عليه وسلم سوا بلا تفاوت والكناية المقرونة بتعقيبه هذا افادت الجملة المشتملة على الاستعا
تاكيد لجملة التشبيه البليغ على راي اهل المعاني دون النحاة ولذا لم يعطف وانما ذكر التخييل
دون الكناية لاستلزامه لها وذكره صريحا فاكتفى باحد المتلازمين من الاخر **فان**
**قلت** المشبه به في التشبيه المضمر المقرون بالتخييل اما المبايع المطلق
او الخاص وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى الاول لا يصح جعل يد الرسول
صلى الله عليه وسلم من لوازم المشبه به لعموم المشبه به وخصوص يد الرسول صلى
الله عليه وسلم وعلى الثاني يرد عليه ان يد الله لعمومها لا تختص بيد الرسول صلى الله
عليه وسلم لان العام لا دلالة له على الخاص فكيف يصح قوله يريد يد الرسول صلى الله
عليه وسلم **قلت** نختار الاول ونجعل التخييل عبارة عن اثبات اليد مطلقا وخصوص
اضافتها من المقام او الثاني واليد وان عمت الايادي كلها مقرونة بما يخصها وهو قوله
فوق ايديهم لان اليد التي فوق ايديهم انما هي يد النبي صلى الله عليه وسلم فالتخييل
اثبات يد الرسول للمشبه وهذا كله بنا على حمل كلامه على اصطلاح اهل المعاني وهو
الظاهر فان حمل التخييل على اللغوي فان اضافة اليد للمنزه عن الجارحة مجرد تخييل
وتصوير لقصد المبالغة والتاكيد لم يحتج الى الاعتبارات المذكورة الا انه مع
بعده مخالف لعادته في الجري على المصطلح وروي انما يبايعون لله اي لوجه الله
وقال التلمساني الصواب ان يقول معناه عند البيعة والا فالارادة والعناية
انما هي في كلام المخلوقين ولا ينبغي ان يقول المفسر يعني ولا يريد بل يقول من
معناه او يجوز او يحتمل ونحوه وهذا مما لا وجه له قيل في تفسير اليد قوة
الله هذا على مذهب الخلف الذاهبين الى تاويل المتشابه اي المراد باليد هنا القوة
فانه تعالى يوصف بها **وقوله اسمائه** القوي اي قوة الله وقدرته في نصر
رسوله صلى الله عليه وسلم فوق قواهم فهو مجاز مرسل لان اثارها يظهر باليد
قيل فعلى هذا يكون نعمة مستقبلة وعد الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم
ولا مانع من اعتبارها في الحال وقيل ثوابه اي المراد باليد ثواب الله لرسوله صلى
الله عليه وسلم فوق ثوابهم في مبايعتهم والوفا بعهدهم وهو قريب من
قوله وقيل منته اي نعمته تعالى عليهم ببعثتهم مما يحقونه من العز في الدنيا
والثواب في الاخرة فوق منتهم عليك بمبايعتهم وبذل انفسهم واموالهم
واطلاق اليد على النعمة لكونها بمنزلة العلة الفاعلية لها شايع في كلام العرب
ووردت لهذا المعنى مفردة ومجموعة على ايدي وايادي وهو جمع الجمع
وبعض اهل اللغة قال اليد بمعنى الجارحة تجمع على ايدي وبمعنى النعمة على
ايادي والصحيح الاول والدليل عليه قوله

لجود كان في فوهي يد تعرفونها • وايدي الندا في الصالحين قروض • وقوله

ساشكر عمرا ان تراخت منيتي • ايادي لم تمنن وان هي جلت •

قيل والى هذا المعنى يرجع ما قبله وما قيل من انها من الله الثواب ومن المبايعين الطاعة
غير ظاهر وقيل اليد هنا معناها عقده قيل معنى العقد ربط الحبل ونحوه ثم استعير
لمعان منها العهد والميثاق يقال عاقدته على كذا وعقدته بمعنى عاهدته كما في
المصباح وهو المراد هنا اي اليد عبارة عن عقد العهد وهي المبايعة المذكورة فان كان
بمعناه المصدري فهو ايجاده عهد البيعة واتمامه بمعنى ان الله اوجد هذه البيعة
وتممها فاستعار لايجادها عقدها اسم اليد لان الناس يفعلونها فهو من اطلاق المسبب
على السبب وفوق ايديهم ترشيح للاستعارة اللغوية فان لها ترشيحا كما صرحوا به وايديهم
على حقيقته كما في شرح التجاني **واعترض** عليه بان اول كلامه ظاهر في ان اليد
عبارة عن العقد وقوله استعاره لايجاده عقدها يقتضي استعارتها للايجاد وعليها
التجوز في الفرد وهو اليد فالمعنى ان عقد الله او ايجاده فوق ايديهم وهو مخالف
لتفسيره بان الله تعالى اوجد هذه البيعة وتمم عقدها وهذا المعنى انما يستفاد
من مجموع يد الله فوق ايديهم فانه لازم معناه التركيبي وانه لو كان له يد فوق ايديهم
وجارحة فوق جوارحهم لكان هو الذي اوجد هذه البيعة والتحقيق انه مجاز مركب
كتقدم رجلا وتوخر اخرى وهذا يظهر مناسبته لما قبله **اقول** ان العقد
مصدر فيطلق على المعنى المصدري وعلى الحاصل به وعلى هذا فلا منافي بين اول
كلامه واخره الا ان كون اليد النائب بمعناها الحقيقي غير متجه نعم ما ادعاه من
انه مجاز مركب له وجه سوا كان استعارة او مجازا مرسلا واما قول الرازي يد الله
فوق ايديهم اي حفظ فوق جارحتهم بحفظهم على البيعة كما انه قد توضع اليد
على يد المتبايعين ليتم عقدهم فقد قيل انه ناظر الى الاستعارة التمثيلية الا انه
لا يقتضي ان المتبايعين للرسول صلى الله عليه وسلم مبايعون لله كما مر وانما
يقتضي انهم مبايعو الرسول صلى الله عليه وسلم ليس الا والله حافظ لا مبايع
**ومنهم** من ذهب الى ان في يد الله مكنية وتخييلية بان شبه الله برسوله ثم ذكر
المشبه مثبتا اليد اعلى التخييل كما نقله بعض الشراح وهو مما لا ينبغي نقله له
لبشاعته ان سلمت صحته كما قيل فتدبر وهذه استعارة وتجنيس اي مستعار
والنقد برذات استعارة **وقد عرفت** مما مر انه تجوز في الاستعارة
ان تكون مكنية وتخييلية او تصريحية او استعارة لغوية وهي المجاز المرسل او
اعم منه ومن الاستعارة المصطلحة وحدها الرماني بانها تعليق العبارة على
غير ما وضعت له في اصل اللغة على سبيل النقل او هي تمثيلية كقوله تعالى
ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم فانها تمثيل لاثابة الله تعالى اياهم
الجنة على بذل انفسهم واموالهم تبعا تلوث في سبيل الله وقوله استعارة
راجع لما قبله او للوجه الاخير فهو من مقول القول او كلام مستانف من كلام
المصنف متعلق بالاخير وجزم به بعض الشراح فقال لانه فيما قبله ليس استعارة
بل مجاز مرسل او حقيقة وفيه ما لا يخفى والتجنيس وقع في بعض النسخ

ابن الحنبلي

ابن الحنبلي

سيد

فكانه

ابن الحنبلي تبعا للدلجي

حة

فكانه تجنيس تجاوسين متماثلين والمشهور هو الاول وهذا التجنيس جار على احد الوجوه
وهو ان ايديهم مستعمل في معناه الحقيقي ولاشك ان يد الله ليست بهذا المعنى فيتم الجناس
من غير شبهة لانه توافق الكلمتين لفظا سواء كان المعنيان حقيقيان او مجازيان او
احدهما حقيقة والاخر مجاز كما فيما نحن فيه وهو تام ان قلنا التخالف بالافراد والجمع
لاينافيه والا فهذا النوع لم يتعرض له ارباب البديع وعلى هذا ايراد على ما في الاتقان
من انه لم يقع الجناس التام في القرآن الا في موضعين ولم يذكر هذا فيه على انا لو قلنا
انهما بمعنى مجازي ففيه تجنيس بناء على ان الصفات المشتركة بين الله وعباده كالمنعم هل
هي بمعنى او بينهما تخالف بحسب الحقيقة احتمالات كما فصله ابن القيم في كتاب الفوائد
والعجب من الشراح حيث اعترضوا على المص رحمه الله فيه حتى قال بعضهم انه لم يرد التجنيس
البديعي بل اللغوي وهو مطلق التناسب لان العقد اذا اطلق عليه اسم البيع فانما يراد الجناد
فبينها وبين الايدي مناسبة وهذا مع فساده لا وجه له **ثم ذكر** بعضهم كلاما
فيه خبط وخلط ثم قال ما زعمه ابن دريد من ان الاصمعي كان يدفع قول العامة هذا مجانس
لهذا ويقول انه مولد فغير قادح في صحة ان يقال ان في هذا تجنيسا بين هذا وهذا لاختلاف
القرن وان اتحدت المادة بناء على الهامش الجنس الذي هو الضرب الذي هو اعم من النوع
كما نبه عليه الجوهري وهذا لم يفهم كلام الاصمعي فان مراده ان الجنس جامد لم يسمع اشتقاق
منه كاستحجر واما استعمال المص رحمه الله له فانه خطأ مشهور وهو خير من الصواب
المهجور فان المصنفين لا يبالون بمثله كما في كشف الكشاف ولفظ الجناس ايضا مولد
**واختلف فيه** هل هو بكسر الجيم او فتحها ولم يذكره اهل اللغة وتاكيد
لعقد بيعتهم اياه اي الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث جعل بيعتهم له كبيعتهم
مع الله لا تفاوت بينهما فيكون التي تعلو ايديهم هي يد الله على ما مر وتعظيم شان
المبايع صلى الله عليه وسلم عظم بزنة عنب مصدر بمعنى العظمة مجرور ومعطوف
على عقد والمبايع اسم فاعل او مفعول والاول انسب بالمقام ولذا اقتصر عليه
التلمساني رحمه الله فالمراد به النبي صلى الله عليه وسلم ودلالته على تعظيمه
لجعل يده يد الله وطاعته طاعته وفيه تعظيم لمن بايعه ايضا وهو تعظيم له داخل
فيما ذكره المص وقول بعضهم ان فيه تشبيه ذات النبي صلى الله عليه وسلم بذات الله
يلزمه اطلاق الجلالة على غير الله وهو لا يجوز الا ان يقال ان مثله يجوز في الاستعارة
المكنية على بعض الاقوال كما مر وفيه تاكيد لما قبله من جعل بيعته بيعته وقد
يكون من هذا القبيل الذي جعل فيه فعل العبد عين فعل الله كما في هذه الاية
ان الذين يبايعونك انما الخ وقد للتحقيق او هي مجاز عن كونه محتملا وفيه بعد
قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اي
لم تقتلوا قريشا اذ سلطكم الله عليهم او نصركم ولكن الله قتلهم اذ هو الخالق لهذا
الفعل فيكم وان كنتم مباشرين له وهذه الاية نزلت في غزوة بدر او حنين كالتي بعدها
وقوله وما رميت الخ اشارة الى ما وقع ثمة اذ رمى النبي صلى الله عليه وسلم المشركين
بكف من حصا وتراب كما يعلم مما ياتي وقال شاهت الوجوه فلم يبق احد منهم
الا ملئت عينه منه فاشتغل وانهزم فشد عليهم المسلمون حتى قتلوهم ونزلت

الاية والمتابعة بين الايات انه اثبت لنفسه فعلا كان لغيره بحسب الظاهر وجعل الثلاثة
مختصرة فيه وليس فيه وفيما بعده اتباعا للمعتزلة في خلق الافعال كما توهم وكلا الايتين
من قبيل انما يبايعون الله لما فيهما من النفي والاثبات كما يفيده قوله يبايعونك انما يبايعون
الله فمن قال ليس فيهما نفي واثبات لامر مجازا ولا دلالة لم يصب وان كان الاول من باب المجاز اي
وان كان المذكور اولا من قوله يد الله من نوع المجاز وهذا اي القتل والرمي المسند الى الله
من باب الحقيقة وليس هذا اشارة الى القتل فقط او ري في باب الحقيقة اي داخل فيه
والمجاز بانواعه والحقيقة امر مشهور لا حاجة لبيانه هنا كما في بعض الشروح والمراد
بالمجاز المجاز اللغوي لا العقلي الواقع في النسب وصرف بعضهم المجاز الى المبايعة واخس
الى اليد والعوفية **فيورد عليه** انه يجوز ان يكون تشبيها بليغا فاحتاج الى
الجواب بانه على راي من يقول انه مجاز وليس فيه اداة مقدرة او انه راجع الى اليد
على بعض الوجوه وقال بعضهم ان المص رحمه الله لم يبق المبايعة في الاية على اطلاقها
اذ قيدها باليد المستحيلة في حق الله في قوله يد الله الخ فالمعنى ان الذين يبايعونك
المبايعة التي يوضع فيها الايدي على الايدي انما يبايعون الله تلك المبايعة فتعين
ان قوله انما يبايعون الله مجاز لغوي مركب اي لا يكون ايجاد مبايعتهم منك بل من الله
وفيه بحث يعلم مما قدمناه لان القاتل والرامي في الحقيقة وفي اكثر النسخ بالحقيقة
ومعناهما واحد والمراد بالحقيقة نفس الامر والواقع ويلزمه ان يكون حقيقة
اصطلاحية هو الله لا النبي صلى الله عليه وسلم ولا المخاطبون ثم ذكر علة كون الرامي
حقيقة الله لا غيره لانه المتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم وادرج فيه القتل فقال
وهو خالق فعله اي فعل النبي صلى الله عليه وسلم كسائر العباد ويحتمل عود الضمير
الى العبد لفهمه من السياق وفيه تخصيص بعد التعميم او تفسير وقدرته عليه
ومشيئته المشيئة بمعنى الارادة وبينهما فرق مفصل في كتب الكلام وفي نسخة وضمير
عليه للفعل وفي نسخة مصححة مسبب بالسين المهملة وتشديد الموحدة المكسورة
اسم فاعل مرفوع معطوف على خالق ويجوز جره عطفا على فعله فيكون بمعنى السبب
ثم اشار الى تعليل ثان ودليلا على كون الفعل في الايتين حقيقة واعاد اللام اشارة
الى استقلاله ومغايرته لما قبله فقال ولانه ليس في قدرة البشر هذا لفظ مشترك يطلق
على الانسان ويستوي فيه الواحد وغيره فلا يجمع ويقال بشر والبشار جمع بشرة وهي
اعلى الجلد توصيل تلك الرمية حيث وصلت اي مكان وصولها من وجوههم لانه صلى
الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه ببدر ناولني كفا من الحصا فناوله فرمى به
وجوه القوم فما بقي الا من وقع في عينيه منها **وقيل** اخذ قبضة من تراب فرمى
بها وقال شاهت الوجوه فما بقي مشرك الا شغل بعينيه يعالج التراب الذي فيهما
فنزل وما رميت ذكره ابن الجوزي رحمه الله وذكر ان سبب نزول قوله تعالى فلم
تقتلوهم الخ ان الصحابة رضي الله عنهم لما رجعوا من بدر جعلوا يقولون قتلنا
واسرنا فنزلت فجعل لهما سبب نزول وهو لا ينافي ما ذكره المص رحمه الله من ان
الملائكة عليهم الصلاة والسلام قاتلوا الا انه لان ما قالوه مبني على ما اراده
بحسب الظاهر والى ما ذكر اشار بقوله حتى لم يبق منهم من لم تملا عينيه اي لم

ابن الحنبلي

دلجي

سرير

ابن الحنبلي

يبق

يبق من المشركين احد لم تمتلا عيناه صلي الله وسلم عينيه من التراب ودقيق حصبايه حقيقة
وتمثلا للاكثر ولذا قيل عرفا فانه ور وي هنا وهذا فعل الله لا فعله صلي الله عليه وسلم
والفرق بين التعليلين ان الاول بنا علي ان الله خالق لفعل العبد ولقدرته عليه موجد
لسببه وهو غير مختص بما نحن فيه ولذا قدمه والثاني مبني علي ان هذا الفعل ليس مقدور
البشر فعلي الاول هو حقيقة باعتبار الواقع دون عرف اللغة وعلي الثاني حقيقية
لغوية وعرفية **والمذاهب** في الافعال ثلاثة فقيل ان العبد موجد لفعله
بكسبه والله خالق لقدرته وتمكينه منه وقيل الفاعل هو الله لا غير وقيل ان الله
والعبد موجدان للفعل ولا مانع من اجتماع مؤثرين علي اثر واحد وللجلال تحرير
مستقل في هذه المسئلة وعلي كل حال فالعبد مباشر فيصح النفي عنه والاثبات له ولله
اذ الفعل ينسب الي الموجد والمباشر كليهما علي الحقيقة اللغوية **واعترض**
بانه لو صح هذا لصح ما صليت والله صلي وكذا في المعاصي واجيب بانه ان اراد صحة نسبة جميع
الافعال الي الله فهو ممنوع اذ قد يمنع عنها مانع مع صحة المعني كايهام او بشاعة كما قيل
في المعارف وخالق الخنازير واطلاق الشارع لا يقاس عليه وان اراد صحة النفي عن العبد
واثباته حقيقة لله فبطلانه مسلم وحتي هذا المقام يذكر لانه مظنة الخيلاء اذ قالوا
قتلنا واسرنا فنزلت تعليما وتاديبا فلا يرد اذ كره الامن الله وقد صرح المحقق في شرح
المقاصد بان الفعل لا يسند حقيقة الا لمن قام به لا لمن اوجده وشنع علي من قال بخلافه
وبه صرح شراح الكشاف في قوله شققنا الارض شقا فاسناد القتل والرمي الي الله مجاز
علي ما فيه او اراد ان القتل والرمي ثابتان له خلقا دون المباشرة والبد فليست بالمعني
المصطلح ثم كونه تعالي خالق القدرة والسبب لا دخل له في المدعي وانما ذكر للمناسبة
انتهي ملخصا **اقول** الفرق بين الفاعل اللغوي والفاعل الحقيقي الذي وعلقنا كذا
به امر مبهم ولم يحققه احد كالابهري في شرح العضد حيث قال الفاعل يجب ان
يكون سببا قابليا لفعله ليصح الاسناد اليه لعينه فاذا خلق الله شيئا في محل يقوم
به يسند ذلك الشيء الي محله وان لم يكن له مدخل في التاثير لا اليه تعالي وكذا نحو الطاعة
والمعصية والعيب مما يقوم بالعبد يسند اليه دون الله وان كان اوجده ولذا
شدد النكير علي المعتزلة في اسناد الكلام الي الله لكونه اوجده ولم يقم به لعدم
صحته لغة بالاستقرا واذا اسند الفعل لغير السبب القابلي لم يجعل مجازا عن فعل
امر مناسب له ويكفي في هذا ان يعد سببا قابليا في عرف العرب ولا يجب ان يكون
محلا له في الحقيقة كما في سترني ر ونبك فلا نجد احدا من العرب يخطر بباله عند
اسناد الضرب لعمرو والمسرة الي الرؤية ان فاعلهما غير المذكور هكذا يجب ان يفهم
هذا المقام لتندفع به الاوهام الي اخر ما حققه بما لا مزيد عليه ولم يذكر فيه
اختلافا مع طول باعه وسعة اطلاعه **واذا عرفت هذا** ففيما ذكره
هذا القايل امور منها ان قوله ان الفعل ينسب للموجد والمباشر حقيقة
لغوية غير صحيح لانه لا ينسب الا لمن قام به وعد محلا له عند اهل اللسان
مع ان اول كلامه غير مناسب لاخره ومنها ان الحقيقة تطلق علي ما يقابل المجاز
الاصطلاحي وعلي الواقع وتعني لامر والمصنفون اذا ارادوا الاول قالوا

هذا المراد به كذا الا حقيقته واذا ارادوا الثاني قالوا هو في الحقيقة بمعنى كذا فترديده
في كلام المصنف لا وجه له ومنها ان قوله ان العارف لا يطلق على الله لايهامه يعني انه
يختص بالجزئيات او بما يسبقه جهل والاول يوهم اختصاص علمه تعالى والثاني
يوهم ما لا يليق به جل وعلا تبع فيه غيره وقد رده الحافظ العراقي رحمه الله في نكته
على المنهاج بان امام الحرمين رحمه الله فسر العلم بالمعرفة وتبعه البيضاوي في تفسير
قوله تعالى واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم فقال اي الله تعالى يعرفهم ان كان العلم
بمعنى المعرفة متعد بالواحد **واعترض عليه** الفاضل المحشي وقال الجوهري
علمت الشيء عرفته وقد وقع اطلاق المعرفة على الله في كلام النبي صلى الله عليه وسلم
واقوال الصحابة واهل اللغة فلا حاجة للا تيجان السالكة ونحوها والعجب من صاحب
المواقف حيث قال علم الله لا يسمى معرفة اجماعا لا اصطلاحا ولا لغة ولنا عودة الى
بيان ذلك ومنها ان قوله ان كون الله خالقا للقدرة الخ لا دخل له في مدعاه عجيب منه
فانه اذا خلق فعل العبد وقدرته عليه وسببه كان ذلك ابلغ وما نستطيله على اتم الوجه
فاي مدخلية اعم من هذه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة منهم لمباشرتهم له ه
وحقيقة يجوز رفعه خبر القتل ونصبه على الحالية وكذلك خبر مقدم وهذا
مبني على ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام قاتلوا في بدر وان قوله ولكن الله قتلهم
بتقدير ولكن ملائكة الله قتلوهم ومنهم من منع قتالهم معهم كما ذكره المفسرون
وقال بعض الشراح ما احق هذا بالتعجب لان القاتل حقيقة بالنسبة اليهم هو دلجي
الله الخالق لافعالهم وقدرهم وهم المباشرون فلا خصوصية لكم بكون قتلهم حقيقة
لم يسند له وايضا لا يظهر كون لم تقتلوهم مثل ان الذين يبايعونك الا ان يقال ان
اللفظ يطلق على معناه وعلى كماله المقصود منه فاطلق اولا على ما وضع له من
نفي القتل والرمي مع شكل وصورة في قوله فلم تقتلوهم وما رميت ثم ثانيا على
المقصود من قذف الرعب في قلوبهم ومنفعة الرمي وتاثيره ولكن الله قتلهم سيد
ولكن الله رمى فهو من اطلاق السبب على المسبب **ورد** بان الملائكة عليهم
الصلاة والسلام باشروا القتال فاسناده حقيقة اليهم لا الى الصحابة رضي
الله عنهم فيصح النفي عنهم فما ذكر من قصور الفهم ثم قال ان هذا الدليل
انما يدل على ان النفي عن العبد حقيقة لا الاسناد الى الله اذ لا يلزم من كون
الايصال من الله والقتل من الملائكة عليهم الصلاة والسلام ان يكون القتل
والرمي من الله فلعله ساق الدليل الاول لحقيقة الاسناد الى الله والثاني
لحقيقة النفي فالمجموع دليل على الاثبات والنفي او الثاني دليل لبعض المدعى
ومثله شايع وهذا البحث بين والحق ورود اعتراضه وقصور فهم من رده
واما الثاني فغير وارد وقد علم جوابه مما قررناه اولا وقد قيل في هذه
الاية الاخرى وهي فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم انها على المجاز العقلي وفي
نسخة العرفي بالفاء ولما كان الفاعل الحقيقي هو الله كما مر تحقيقه كان
اطلاق الفعل على غير فاعله واسناده لغيره ليس حقيقيا فيكون مجازا
بالنسبة للحقيقة الا ان عادة العرب ولغتهم وعرف تخاطبهم على عد غيره

فاعلا

تلمساني

سيد

ابن الحنبلي

واعلا حقيقة والعزلان وردة بلبانهم وجري على نهج كلامهم وهذا معنى قوله العرفي والعرفي
فيهما بمعنى ولذا جعل بعضهم المجاز العرفي شاملا للمجاز في اللفظ والاسناد وان كان
المراد هنا الاول والمراد بالعرف عرف اللغة وقيل المراد بالعرفي اللغوي وهو اللفظ
المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب وهو احتراز عن المجاز العقلي في
الاسناد والنسبة وللتلمساني هنا كلام يتعجب منه والمراد بالعرفي ما عدل به عما وضع في
عرف غير اللغة والشرع ولا وجه لايراده في هذا المقام الا ان يراد به ما يعم عرف اللغة
فهو في مقابلة العقلي **وقد عرفت** انه كلام ساقط برمته وكذا ما قيل ان المجاز
لا يختص بلغة العرب الا انه لما كان مبحوثا عنه في علم البيان المدون للفظ العربي سمي
عربيا وهو اصطلاح لم نجده لغيره ومقابلة اللفظ ومناسبته بجرهما عطفا على المجاز
وعطف مناسبته على مقابلة عطف تفسيري ان اتحدا والظاهر تغايرهما فانه الاصل
والمراد بالمقابلة صنعة الطباق وهي الجمع بين متضادين في الجملة سوا كانا مثبتين نحو
تحسبهم ايقاظا وهم رقود او احدهما مثبت والاخر منفي نحو ولكن اكثر الناس لا يعلمون
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا كما في التلخيص وليس المراد المقابلة التي ذكرها السكاكي
والمراد بالمناسبة ذكر الايدي في الجانبين والقتل والرمي فيهما بالمعنى اللغوي كالمقابلة
وليس المراد بها المشاكلة على حد قوله •
قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه • قلت اطبخوا لي جبة وقميصا •
كما قيل وقال التلمساني رحمه الله المراد بالمقابلة ايراد الفاظ متوالية متماثلة في
الترتيب والمادة كما ذكره ابن رشيق وهو اكثر ما يقع في الفاظ الكتاب كقول البحتري •
تطيب بسراها البلاد اذا سرت • فلينعم رباها وتصفو نسيمها •
والمناسبة ذكر الشي مع ما يناسبه على جهة الاستعارة او التشبيه كقول المتنبي •
سقيتها عبرات ظنها مطرا • سايلا في جفون ظنها سحبا • انتهى
والاول لا مناسبة له بوجه من الوجوه والثاني يمكن ارادته اي كما قتلتموهم وما رميت
اذ رميت وجوههم بالحصبا والتراب الحصبا بالمد الاحجار الصغار وقيل المختلطة
بالتراب لان الغالب ان الحصبا مع التراب وفي نسخة ما قتلتموهم اذ قتلتموهم اي لم
توجد واذ لك وتحقق ولم يكن منكم ما ثبت لله من رمي قلوبهم بالخوف والجزع لقوله
ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي رمى ما رماه من الجزع وهو عدم الصبر لشدة الخوف
ولو تنبه من لم يعرف لمعنى القتل المجازي لفهمه مما ذكر ولو جعل الرمي شاملا لايصال الحصبا
لعيونهم الشاغل لهم كان اولى فالله هو الموجد لما ذكر والممكن منه **وقيل**
كان مقتضى الظاهر ان يقول وما شغلت قلوبهم بالجزع ولكن الله شغلها به فعبر عن
شغلها بالرمي للمشاكلة وقوله رميت فاصلا بالرمي رمي الجزع في قلوبهم على تقدير
المفعول كما قصد النبي صلى الله عليه وسلم رمي الحصبا اي ان منفعة الرمي كان
من فضل الله تعالى والمنفعة والنفع بمعنى وهو ما يقابل الضر وفي حق العامة
للزبيري اذا ذكر الضر مع النفع فهو بفتح الضاد كقوله لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا
واذا ذكر وحده فبالضم كقوله مسني الضر والنفع بالنصر والغلبة والعزة او شغل
قلوبهم بالجزع فسكت عن القتل لعله منه فالمراد بالفعل فائدة الموضوع له

فهو القاتل والرامي بالمعنى والحقيقة لانه الموجد له ولسببه ومنفعته المقصودة منه
فكانه هو الذي فعله وتفريع القاتلية يدل على انه مقدر قبله او في حكمه او منفعة الرمي التي
هي الجزع والرعب سبب القتل فاذا كانت من الله فهو القاتل لانه الموجد لغايته فلا تقدير
والمراد المقصود والفائدة من اجل سببهما فهو الموجد لهما وانت بالاسم اي بتسميتك راميا
واطلاق لفظه عليك لغة لمباشرتك وان كان الفاعل هو الله وفي عبارة المص رحمه الله
اشارة الى انه تعالى لو قال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم اذ قتلتموهم جاز ان يكون الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين كما انه في قوله اذ رميت للمخاطبة ولا ضير فيه وان لم يباشر القتل
بنفسه لجواز ان يسمى قاتلا لانه السبب والامر بالقتال او لينسب القتل للجميع
تغليبا للاكثر على الاقل لانه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل بنفسه في وقعة بدر
كما قاله النحاس وعين الفصل العاشر في ذكر ما اظهره الله في كتابه العزيز اي
العديم النظير والغالب لغيره من الكتب بالنسخ او الممتنع من مضاهاته بالمجاز
او من التغيير والتحريف لحفظ الله له من كرامته عليه تعالى كرم عليه لتضمينه معنى
العزة او هي بمعنى عنده وعدل عنها لئلا تتكرر مع قوله ومكانته عنده اي علو
مرتبته وشرفه عند الله كما مر وما خصه به من ذلك المذكور من الكرامة والمكانة
وهو تخصيص بعد تعميم اي فيه كرامات وتشريفات مشتركة ومخصوصة به صلى الله
عليه وسلم سوى ما انتظم فيما ذكر قبل اي غير ما دخل فيما قبله من الفصول وقيل
مبني على الضم وانتظم يكون لازما ومتعديا كما صرح به اهل اللغة وفيه استعارة
ظاهرة وقيل متعلق به او بذكر على التنازع فيه ولما لم يستوعب كراماته قال رده
بعض كملة به ولم يدرجه في بعض ما سبق كالملاطفة لترجيح هذه الطريق من ذلك
ما قصه الله تعالى من قصة الحبا اذ ذكرته على وجهه كما في المصباح فهو اخص من
الذكر مع مجانسته لقوله من قصة الاسرا في سورة سبحان وسورة والنجم وهو متعد
بنفسه فلا حاجة لجعله بمعنى نص عليه على الحذف والايصال والاسرا اسيره صلى
الله عليه وسلم من مكة الى الاقصى وما فوقه معراج وعروج ويطلق على ما يشملهما
ايضا كما مر وهذا وان تقدم مفصلا الا انه ذكره هناك استطرادا وهنا اصالة لعقد
الفصل لامثاله وما انطوت اي اشتملت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه من
الله المفهومين من قوله من ذلك ومشاهدته ما شاهده من العجائب وهذا بنا على
ان المراد بالدنو الاتي دنو النبي صلى الله عليه وسلم من الله او دنو الله منه دنو
منزلة ومكانة لا منزل ومكان بخلاف القول بان المراد دنو جبريل عليه الصلاة والسلام
منه والعجائب ما رآه من ايات ربه الكبرى ورؤية الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وذهابه صلى الله عليه وسلم وايابه في برهة من الليل الى غير ذلك ومن ذكر عطف
على من ذلك المتقدم اي ومما اظهره الله وقيل الاشارة الى عظيم منزلته وقربه
عصمته من الناس اي حفظه صلى الله عليه وسلم عن ان يصل اليه كيدهم ومكرهم
الذي اشير اليه بقوله والله يعصمك من الناس اي يحميك عن القتل وما لا يليق
من الاهانة وقد تقدم الجمع بين هذا وبين كسر ثنيته صلى الله عليه وسلم بالحد
بتخصيص العصمة بالقتل او بتاخر نزول هذه الاية والمراد بالناس الكفار كما في قوله

سبب

ابن القيس

اهرز

امرت ان اقاتل الناس الحديث وقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية اي في من العصمة قوله
الخ وهو مجرور معطوف على قوله وكذا ما بعده وتمام الاية ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وهذا كان لما بايع صلى الله عليه وسلم الانصار بالعقبة
وامر اصحابه رضي الله عنهم بالذهاب للمدينة اشفقت قريش من ظهوره صلى الله عليه وسلم
فاجتمعوا بدار الندوة للمشاورة في امره فاتى ابليس اليهم بصورة رجل نجدي وقال سمعت
ما اجتمعتم له فاحببت ان اكون معكم ولم تعدموا من رأيي نصحا فقال بعضهم احبسوه
موثقا وتربصوا به ريب المنون فقال الشيخ ما هذا برأي يوشك ان يثب اصحابه فياخذوه
من ايديكم فقال آخر اخرجوه من بين اظهركم فقال ما هذا برأي يجمع جموعا ويأتي لكم فقال
ابو جهل لعنه الله ناخذ من كل قبيلة غلاما معه سيف فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق
دمه في القبائل فلا تطيق قريش ذلك ولا تقدر على حربهم كلهم فيقبلون العقل ونستريح
منه **فقال ابليس** لعنه الله هذا هو الرأي وتفرقوا فاتاه جبريل عليه الصلاة
والسلام واخبره بذلك وامره ان لا يبيت بمضجعه في هذه الليلة فامر عليا كرم الله وجهه
بان يرتدي ببرده ويبات مكانه ففعل فاتوا واحاطوا بمكانه فلما اصبحوا اتوه فرأوا
عليا وقد خرج صلى الله عليه وسلم ليلا الى الغار على ما فصل في السير وعلي اول من
باع نفسه لله كما قال

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى ● ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

في شعر نسب له ويثبتوك معناه يوثقوك او يحبسوك ويمكر الله مشاكلة بمعنى
يجازي مكرهم بما يليق به كقوله نسوا الله فنسيهم **قال الخيالي** وخير الماكرين
اقدرهم واعزهم جانبا لانه اثبت للكفار مكرا فصح التفضيل عليهم فيه وقيل
عليه انه يقتضي ان اصل المكر ثابت له كما ثبت لهم الا انه خير منهم مع ان الثابت له
انما هو المجازاة المعبر عنها بالمكر مشاكلة واذا ثبت لهم المكر الحقيقي وهو ايصال
المكروه حقيقة وله المجازاة عليه فيكون الماكرين بمعنى المجازين وهو ممنوع
عند النحاة كتثنية المعنيين المشتركين فالحق ان المراد خير المجازين على المكر كما قيل
في احسن الخالقين انه بمعنى المقدرين وفيه بحث وقوله تعالى الا تنصروه فقد
نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا الخ بالجر كما مر وروي بالرفع عطفا على
العصمة وفي هذه الاية تتميم لما قبلها والمعنى ان لم تنصروه فسينصره من
نصره قبل ذلك وهو بين اعدائه وقد هموا بما هموا به فاذن له صلى الله عليه
وسلم في الهجرة او امده بالملائكة وظرفية الاخراج للنصر لانه سبب له او لانه سلمه
من اعدائه واعمى ابصارهم عنه صلى الله عليه وسلم وحماه في الغار وقصة
سراقة معه فلا اشكال فيه والاية نزلت في غزوة تبوك ونسب الاخراج الى
الكفار وان كان منه باذن الله لانهم سببه كما فصلناه عليك وما دعا الله
به اي حفظه من غير معين له او ببركته صلى الله عليه وسلم في هذه القصة
المشار اليهما بقوله تعالى واذ يمكر بك الخ في الهجرة والغار والطريق وقوله
الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار
من اذا هم اي اذ بينهم له صلى الله عليه وسلم بما سيأتي ومن مبينة لما

ابن الحنبلي

المعطوفة على الناس واختار بعضهم عطفها على عصمته على ان ما مصدرية او موصولة
ومن بيان للمقدر والتقدير ودفع الله بسبب النبي صلى الله عليه وسلم عنه او والكرامة
التي دفع الله بسببها عنه امر اعظيما ولا يخفى ما فيه من التكلف من غير داع يعدهم
بحا مهملة وزاي معجمة وموحدة وفي نسخة بحزبهم براء مهملة ومثناة تحتية اي تجمعهم
والاولى بمعنى تجمعهم في مشاورتهم مع احزابهم وقرار رايهم لهلكة بضم فسكون اي
هلاكه وهو مصدر او اسم مصدر وخلوصهم نجيا في امره اي بعد اخلاصهم في اذية
منفردين في دار الندوة للمشاورة في امره والخلوة اعون على الحسم والراي وتحامعن
متناجين ومناجين بهو فعيل بمعنى فاعل او مفعول للمبالغة في النجوى ويقع على الواحد
والجمع والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم حقيقة الاخذ التناول باليد ونحوها
ومنه اخذه الله بمعنى اهلكه **ومعنى** اخذ الله على ابصارهم منعها من رؤيته
صلى الله عليه وسلم مع ترقبهم له لما خرج من داره مارا عليهم والاخذ مجرور معطوف
على تحزبهم وروي مرفوعا بالعطف على ما او قيل تقديره من الاخذ على ابصارهم
عنه وجه لما ارادوا قتله وهو خطا لاقتضائه دفع الاخذ وهو ثابت وذهولهم
عن طلبه في الغار الذهول ذهاب العقل والنسيان والغفلة والمراد هنا الاخير
وفي الغار متعلق بالطلب اي ذهلوا عن ان يكون طلبهم له في الغار لاحال من ضميره لانهم
طلبوه وهو فيه لما اقتفوا اثره حتى بلغوه فصدهم عنه نسج العنكبوت وبيض الحمام
ببابه والغار نقب في الجبل كالمغارة فاذا اتسع فهو كهف وتعريفه للعهد لغار ثور القريب
من مكة بمقدار ساعة وما ظهر في ذلك الغار او الامر وهذا معطوف على عصمته اي ودفع
ذلك ما ظهر لهم اي للنبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه فيما ذكر من قصة الهجرة
والغار وجمع ضميرها تعظيما وجمع ضمير المثنى كثير وهم في اكثر النسخ والقدح فيه لتوهم
ان الضمير للكفار ولم يظهر لهم نزول السكينة عليه تعسف من الايات الدالة على نبوته صلى
الله عليه وسلم كوقوع كف من تراب على جميع رؤس جماعة رصدوه فقتلوا كلهم ببدر
ونبات شجرة تسمى ام غيلان كاسم الحرف ببابه ونسج العنكبوت وتعشيش الحمام وبيضه به وشفا
الصديق رضي الله عنه من لدغ الحية بريقه الشريف وشرب الصديق من ما الجنة
لما عطش به كما نقله الفيروزابادي والطبري وفتح جبريل عليه الصلاة والسلام لعله
الغار الاحر عند خروجهما ونزول السكينة عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم او على
ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما في مصحف حفصة رضي الله عنها فانزل الله سكينته عليهما
وقيل الاصح الثاني لانه هو الذي كان منزعجا بدليل قوله قبله اذ يقول لصاحبه لا تحزن
**وقال التجاني** في عود الضمير على النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله
عنه قولان وفي احكام القران لابن العربي الاقوى انه لابي بكر رضي الله عنه لانه خاف
على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله على قلبه سكينة اي طمانينة وامنا في
السواد عليهما ولذا قيل الضمير في عليه لهما واكتفى باعادته على احدهما كقوله
والله ورسوله احق ان يرضوه كما ذكره ابن الجوزي عن ابن الانباري بعد ترجيح
عوده لابي بكر رضي الله عنه وان كان ضمير وايده بجنود للنبي صلى الله عليه وسلم
بلا خلاف لانه لا يحتاج للسكينة الا المنزعج ونظيره ما مر في قوله وتوقروه وتسبحوه

والقراة

سيد

سيد

دلجي

والقراءة الشاذة ما قوله بنسبة ما للواحد الى الاثنين يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الا ان قوله
تعالى ثم انزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين يصحح عودها هنا للنبي صلى الله عليه وسلم
ايضا والسكينة فسرت بطمانينة الامن والرحمة والوقار فتفسر في كل محل بما يليق به مع
ان طمانينته صلى الله عليه وسلم ليست كغيره لانها عن جزم بعدم وصولهم له وعدم قدرتهم
لو وصلوا اليه على اذيته او للرضا بما قدره الله وعدم المبالاة بما يناله لاجله كما قيل

وبما شئت في هواك اختبرني • فاختياري ما كان فيه رضاكا •

وقصة سراقة بضم السين المهملة وراء مهملة وقاف ابن مالك وسياتي تفصيلها وهو
ابن مالك بن جعشم بن مالك بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة المدلجي الصحابي
الحجازي رضي الله عنه وجعشم بضم الجيم والشين المعجمة بينهما عين مهملة ساكنة وما
نقله البرهان عن الجوهري من انه بفتحهما ليس موجودا في نسخه كما قيل **وكانت**
هذه القصة قبل اسلامه واسلم في غزوة الطايف بعد فتح مكة ومات في سنة اربع وعشرين
وكان شاعرا وبنو مدلج كلهم قافة والقافة من علوم العرب وقلما يخطئون فيها وقد عمل
بها النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الانساب حسبما ذكره اهل الحديث والسير في قصة
الغار وحديث الهجرة حسب بفتح السين وسكونها منصوب اي موافقا لما ذكر في الحديث
يجري المرء على حسب عمله اي على مقداره وله معان اخر والحديث اقواله صلى الله عليه وسلم
وافعاله واحواله وتقريراته ويطلق على قول الصحابي ونحوه ايضا كما فصل في محله
واهله علماؤه المعتنون به والسير جمع سيرة بمعنى الطريقة والخصلة ثم خص بغزوات
النبي صلى الله عليه وسلم واسفاره المفردة بالتدوين والهجرة الانتقال من دار الى اخرى
وهي هنا المعهود اي هجرته صلى الله عليه وسلم للمدينة المنورة ومنه معطوف على
قوله من ذلك قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر الخ اكده مع ضمير العظمة ايما الى عظمة
المعطي والمعطى وتشويقا ونفيا للشبهة فيه وعبر بالماضي لمضيه ان كان الكوثر مطلق
الخير الكثير كما قال

وانت كثير يا ابن مروان طيب • وكان ابوك ابن العقايل كوثرا •

وكذا ان كان اسم الحوض او نهر في الجنة احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج
كما ورد في الحديث لتقدم العطا **وفي** الروض الانف عن عايشة رضي الله عنها انها
قالت الكوثر نهر في الجنة لا يدخل احد اصبعيه في اذنيه الا سمع خرير ذلك النهر اي
وكونه مما ثبت في الاحاديث الصحيحة **فان قلت** ما نسمع من الدوي اذا
سدت الاذان بالاصابع انما هو لارتفاع الهوا المانع للاذن عن سماع حركة الاجرام
التي في داخل الدماغ وهو امر طبيعي كما قال المتنبي في صفة حرب

ونسمع في الدنيا دويا كانما • تداولت الاذان انمله العشر •

فما معنى هذا الحديث **قلت** الجنة موجودة الان كما هو مذهب اهل السنة
وهو الذي نعتقده وما تدركه الحواس الظاهرة يدركه الحس المشترك بعد غيبته
لانه كالحوض الذي ينصب فيه انهار خمسة فلا مانع من ان النفس كانت سمعته في
عالم الذر بحاسة ظاهرة فلما غاب عنها ولم تشتغل بالسمع الان لسده ادركته اي
ادركت دويا اخر كما قاله الحكما فتذكرته وجعل تذكره سماعا على طريق الاستعارة

وليس هذا مما يقال بالراي وفي كلام العماد بن كثير ومعناه من احب ان يسمع خرير الكوثر اي
نظيره او ما يشبهه لا انه يسمعه بعينه بل شبهت دويه بدوي ما يسمع اذا وضع الانسان
اصبعيه في اذنيه **وقد قلت** وانا بالروم اتشوق لمصر

لحديث نيلك مصراسي مصغيا • حتى يخوضوا في حديث غيره •
يا كوثر المصر الذي فنه يسمعي • القاه فيه قد جرى بخريره •

فصل لربك وانحر بالصلاة مطلقا او التهجد وكان الظاهر فاشكر وعدل عنه لان
مثل هذه النعمة العظيمة ينبغي ان يكون شكرها كذلك واعظم ذلك العبادة واعظمها
الصلاة وعدل عن التكلم اذ لم يقل لنا الى الظاهر بقوله مخلصا لربك التفاتا لتربية
للسمع وتقوية لداعية الشكر لتقدم انعامه عليه بالتربية وقيل الشكر فكيف بعده
وقوله وانحر تغريب لبدن لان النحر يختص بها وفي غيرها يقال ذبح وهذا عبارة
عن جميع انواع العبادة المالية والبدنية **ولما** راى بعضهم عدم المناسبة
غفلة عما ذكر جعل الصلاة صلاة العيد وقال معنى انحر ضع يديك على صدرك في الصلاة
لا انها تكون تحت النحر ويقول بعضهم ان الصلاة وقعت قرينة للنحر كثيرا نحو ان
صلاتي ونسكي لا يجدي ان شانئك هو الابتر اي المقطوع العقب والقليل ولم يقل
جعلناه ابتر ليلا يسند الشر لنفسه اعلمه الله بما اعطاه حقيقة او قدره له او بما هو
موجب للعطا فسمي به وتاويله بيعطي يفوت هذه النكات ثم شرع في تفسير الكوثر
وسرد اقوال المفسرين فيه ولم يقصد بقوله قيل كذا في التسعة الاقوال الاتية
تضعيف ذلك وانما اراد الحكاية فقال والكوثر حوضه صلى الله عليه وسلم في القيامة
وسياتي بيانه وقيل نهر في الجنة غير الحوض وهو الصحيح وقيل الخير الكثير فهو
صيغة مبالغة من الكثرة في اللغة وخص بالخير بمقتضى المقام واحسن في تعقيبه
بقوله وقيل الشفاعة التي هي من خصائصه صلى الله عليه وسلم في مقام لا يسع
غيره النطق به وهذا اعظم الخير والنفع والكثرة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة
وقيل المعرفة اي العلوم اللدنية التي افاضها الله عليه فلعظمها بغير واسطة كانها
كوثر وهكذا النبوة والمعجزات فما قيل انه لا وجه للتخصيص فيها وان الظاهر ما قاله
ابن عباس رضي الله عنهما من انه جميع ما انعم الله به عليه لا وجه له **ثم**
**انهم اختلفوا في الحوض ونهر الكوثر** هل هما
شيء واحد او امران متغايران او الحوض ماخوذ من الكوثر وانه يمده بمجاري
تاتيه منه على اقوال استدل لكل منها باحاديث تركناها لطولها ثم اجاب الله عنه
عدوه لتقدم ان العدو يطلق على الواحد والجمع والمراد سفهاء قريش والعاص
ابن وايل السهمي كما قاله المفسرون لانه صلى الله عليه وسلم لما مات ابنه القاسم
قالوا ان محمدا صار ابتر اي لا عقب له فنزلت السورة جوابا لهم مصدرة بما
اعطاه عوضا عن مصيبته بابنه القاسم وقيل عبد الله وقيل قايل ذلك ابو جهل
لعنه الله وقيل كعب بن الاشرف والسورة نزلت بتمامها جوابا لهم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ان اخرها نزل جوابا لقول ابي جهل بتر محمد وكلام المص
رحمه الله ماشي على هذا واورد على القول الاول بانها جواب للعاص وان

ابن الحنبلي

الابتر

الابتر لا ولد له وانه قد كان العاص ذا عقب وولد وابناه هشام وعمرو كانا مسلمين وهشام
قديم الصحبة اسلم بمكة وهاجر للحبشة وقدم المدينة بعد ما حبسه ابوه وقومه وعمرو
وقدم هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة مسلمين فنظر اليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال رمتكم مكة بافلاذ كبدها بالمعجمة جمع فلذ وهو القطعة **واجاب**
اليماني بان العاص وان كان له عقب فقد انقطعت عصبته منهم بالاسلام ولا توارث
بينهم وصاروا اتباع النبي صلى الله عليه وسلم لانه اب لهم وان ازواجه امهاتهم كسائر
المؤمنين فلا قرابة بينهم وبينه وقد روي انه انقطع نسله كما سياتي وقد قرئ
ازواجه امهاتهم وهو اب لهم ولا تنافي بينها وبين قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم
لان المنفي الابوة الحقيقية **واجاب غيره** بان من قال انه ابتر لم يقصد ظاهره
وانما قصد انه سيموت ولا يذكر وقد ورد هذا مصرحا به في بعض الروايات فالرد باعتبار
المقصود وان شانيه هو الذي لا ذكر له فان المراد ذكر الاب بخير بعد موته ولا شك ان عقبه
لا يذكرونه بخير بعد اسلامهم واما ما قيل من ان صدر السورة لا دخل له في الرد فانها
كانت نزلت وكيف يقال انها نزلت للرد فمدفوع بانه لا مانع في الجواب من ان يزاد فيه
والاحسن ان يقال انه مؤيد للجواب وموطئ له اذ المعنى انا اعطيناك عطايا عظيمة في الدنيا
والاخرة يجب عليك شكرها وجعلنا لك عبادة وشريعة باقية ومن هذا شانه لا يكون
ابترا انما الابتر من ليس كذلك فان المقصود من الولد الذكر واي ذكر ابقى من ذكرك
واقوى ولك ان تقول ليس سبب النزول قولهم هذا بل سببه موت ذكور اولاده
وقولهم شماتة بسببه انه ابتر ومعنى السورة مطابق له بتمامها فان من مات من الاولاد
فرطا لابائهم يثابون عليه في الاخرة فالمراد انا اعددنا لك الكوثر لما احتسبته منهم
فيجبر واللائق بك انما هو الاشتغال بالعبادة فان امتك ومن هداه الله بك عقب لك
الى يوم القيامة ومن كان هكذا فليس بابتر انما الابتر عداه واي مناسبة اتم من هذه
ورد عليه قوله انه منقطع العقب والذكر بوجه يتضمن شتمه وتنقيصه فقال تعالى
وفي نسخة فقال على الاستئناف او البدل ان شانئك هو الابتر لا انت بيعابك
وبعاديك كلا هو علة لمقدر اي لا تلتفت لمقاله فانه ابتر او هو استئناف تشاتما
قبله اي امرتك باشتغالك بالعبادة المالية والبدنية لانها لا تعايق لك عنها من
عدوك الابتر وقيل هو مع الامر قبله معطوف على جملة الامر الاولى وغير فيها
الاسلوب تفننا وفيه تكلف وتعريف الطرفين وضمير الفصل المفيد كل منهما الحصر
ولم يكتف باحدهما لزيادة الاهتمام بنفي ما ذكر عنه واثباته لعدوه على اتم الوجوه
وتبجح بعض الشراح هنا بامر لا طائل تحته غير التطويل اي عدوك ومبغضك اصل
معنى الشنان المبغض ويلزمه العداوة في الاكثر وهو الواقع هنا فلذا ذكرهما
الا انهما مترادفان كما قيل بدليل قوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضاء والابتر الحقير الذليل واصل معنى البتر القطع وفي حديث
الضحايا نهي عن المبتورة اي المقطوعة الذنب ثم استعير لمن لا عقب له وشاع فيه
حتى صار حقيقة ومجرد عدم الولد لا ذم فيه وانما يذم باعتبار لازمه وهو
انقطاع العمل لحقارته وذلك كما ورد في الحديث اذا مات ابن ادم انقطع عمله

ابن الحنبلي

سيد

الى اخره مع ان عقبه صلى الله عليه وسلم من فاطمة لم ينقطع فعنيه رد وزيادة
اذ الحقير لا يذكره احد وقيل الابتر مشترك بين من لا عقب له والحقير وليس
ببعيد او معناه المفرد بفتح الرا الوحيد بمعناه تاكيد له وفي القاموس
الابتر الذي لا عقب له او مقطوع الذنب وهذا المعنى ماخوذ منه ولذا فسر
الابتر بالمنفرد الذي لا ناصر له ولا يبلغ مامول وروي هذا عن الحسن ونسل ابرابه
انقطع باسلامهم كما مر ومنه ما انقطع بقاوه حقيقة او العاص كما قالوه او
الذي لا خير فيه فلا يذكره احد ومنه مقابلة بينه وبين قوله الكوثر اذا فسر بالخير
الكثير ومن كرامته التي ذكرها الله ما اشار اليه بقوله او الذي لا خير فيه وقال
تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم والمثاني جمع مثنى
معدول عن اثنين ومن بيانية او تبعيضية اي من جملة الايات المثاني قال في
مرقاة المصعود هي السور التي تقصر عن المئين وتزيد على المفصل لان المئين
جعلت مبادي والتي تليها جعلت مثاني والقران وصف او اسم وخص السبع بالذكر
لفضلها واما كون الفاتحة لم تكتب في مصحف ابن مسعود كما نقله الامام فلا وجه
له قيل السبع المثاني السور الطوال بكسر الطا جمع طويلة واما بضمها فمفرد
كرجل طوال بتخفيف الواو وتشديدها للمبالغة الاول بضم الهمزة وفتح الواو
المخففة جمع اولى مونث اول وليس الطول جمع طويلى حتى يرد عليه ان جمعه
انما هو طول اي السور الطوال واختلف فيها على هذا القول فقيل هي البقرة
وال عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والسابعة الانفال وبراءة
معا بناء على انهما سورة واحدة وقيل يونس وقيل يوسف وضعف ابو العالية
هذا القول بان هذه الاية نزلت ولم يكن اذ ذاك نزل شي من هذه السور
والمثاني اما صفة القران كقوله كتابا متشابها مثاني ومن تبعيضية او
بيانية ومعنى وصف القران بها ان قصصه ومواعظه واوامره تثنى وتكرر
فلا تمل كغيرها من الحديث المعاد او هي المثاني نفسها فمن تجريدية واجيب
بانا اعطيناك بمعنى نعطيك في المستقبل عبر به لتحققه وقيل المثاني من
الثنا للثنا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى اقاربه والعامل به كقوله
قران كريم وقران مجيد وهذه الاية مكية والسورة مدنية والقران العظيم
على هذا التفسير ام القران اي الفاتحة وجعلها اما لاشتمالها على معانيه
وغير ذلك من المعاني التي ذكرها المفسرون واطلاق القران عليها بخصوصها
وهو بمعنى المقرو واما بجعل التعريف للعهد او للجنس مجازا او لانه جعل علما
عليها وان لم يذكره في اسمائها وتفسير السبع بما ذكر مروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما واطلاق عليها مروي عن ابي هريرة رضي الله عنه مع تفسير
السبع المثاني بها ايضا فانه روي انه صلى الله عليه وسلم قرا عليه اي
رضي الله عنه ام القران فقال والذي نفسي بيده ما انزل الله في التوراة
والانجيل والزبور والفرقان مثلها هي السبع المثاني والقران العظيم
فما قيل ان ما ذكر في القران ضعيف مهجور عقلا ونقلا لا يخفى ما فيه

وقيل

وقيل السبع المثاني ام القرآن وعليه اكثر الصحابة والتابعين وهو قول الجمهور من
المفسرين وورد به الحديث الصحيح في البخاري وغيره كما سمعته آنفا والمراد على هذا انها
سبع آيات بعد البسملة آية منها او بعد صراط الذين انعمت عليهم آية وما بعدها
آية اخرى على الخلاف المشهور ويأتي انها انما سميت مثاني لتثنيتها في الصلاة وغيره
من الوجوه المشهورة والقرآن العظيم على هذا التفسير والقول بانه غير مخصوص
بها كما مر سائره اي جميعه او باقيه بعد الفاتحة **وفي كتب اللغة**
ان السائر الباقي مهموز من السؤر وهو البقية او معتل من السور المحيط فهو
بمعنى الجميع وقد ورد كل منهما في كلام العرب وقد اشبعنا الكلام عليه في
شرح درة الغواص ويأتي له مزيد بيان اول الباب الآتي وقول صاحب القاموس هو
الباقي ووهم الجوهري في تفسيره بالجميع ليس بشيء والواهم ابن اخت خالته وكلام المص
رحمه الله يحتملهما **وما قيل** من انه هنا بمعنى الجميع فانا لا نعلم احدا قال
ان السبع المثاني ام القرآن والقرآن العظيم باقيه ليحمل كلامه عليه وان قيل السبع
المثاني السبع الطوال والقرآن العظيم جميعه امر غريب منه فانهم متفقون على
ان القرآن يطلق على الجميع وعلى معنى كلي شامل له ولبعضه والعطف قرينة قوية
على الثاني وخصت بالامتنان بها لشرفها وزيادة فضلها وثوابها واشتمالها على
المعاني القرآنية اجمالا فالحاصل انهم اختلفوا في السبع فقيل السور وقيل الفاتحة
وعلى التقديرين جوز في القرآن كونه الفاتحة او السائر وفي الصحيح عنه صلى الله
عليه وسلم ام القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم **وفي رواية** الذي
اوتيته فذهب الاكثرون الى مقتضاه في هذه الآية فوصف الفاتحة بوصفين فقيل
والعدول عنه يلزمه التكلف في الحديث والمص رحمه الله عدل عن الاقوال المعتبرة
الى تقديم قول ضعيف مهجور يوهم ان القائل بان السبع هي السور والفاتحة جزم
في القرآن بما نقله وليس كذلك فتأوله بان مراده نقل ما قيل في كل مورد استبعد البعيد
مع ان اللائق حينئذ نقل ما قيل في السبع ثم ما قيل في القرآن فتدبر وقيل السبع
المثاني في هذه الآية ما في القرآن من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل
واعداد نعم اي المراد بها سبعة معان يشتمل عليها القرآن والمراد بالامر الطلب
ايجابا او ندبا لا صيغته وان كان يطلق عليها والنهي طلب الكف تحريما او كراهة على
سبيل الاستعلاء والبشرى بضم الباء وكسرها بمعنى البشارة اسم مصدر والانذار
ضده وهو التخويف منجزا او معلقا وضرب المثل تشبيه شيء بشيء وهو المراد
بالضرب والمورد واعداد النعم بكسر الهمزة اي تعديدها وجوز فتحها على انه جمع
عدد وبه جزم البرهان الحلبي وقال ابن رسلان انه الواقع في النسخ المعتمدة
وكذا قال الدلجي والعدد بمعنى المعدود او التعديد والنعم جمع نعمة بمعنى
الانعام او المنعم به والذي عده المص رحمه الله ستة فقيل ان السابع سقط
سهوا او من الكاتب واما قوله ولقد آتيناك نبأ القرآن فقيل انه اشارة الى السابع
ويؤيده قوله في تاج القرا والسابع انباء قرون والانباء جمع نبأ وهو الخبر
والقصص التي قصها الله في القرآن لما فيها من الفوائد كالعبر وتسلية النبي صلى

ابن الحنبلي

سعيد

الله عليه وسلم وحكم شتى وغير الاسلوب اشارة الى مغايرته لما قبله لفظا كما قيل به
في حديث حبب الي من دنياكم ثلاث النسا والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة فان
الثالث ما تضمنه قوله وجعلت الخ وعدل عن الظاهر في قوله وجعلت قرة عيني اشارة
الى انه ليس من لذائذ الدنيا المعروفة وان عد منها القوله فيها على ما اختاره ابن فورك
وغيره كما بين في محله الاتي وليس هذا التفسير للقران العظيم ليشمل ما مر وغيره
وان قصاه السيد عيسى وزده بعضهم فقال ليس هذا اشارة الى السابع بارادة نبا
القران لان مقتضى النظم حينئذ ان يترك قوله اتيناك ليوافق المعطوف الاخير ما قبله
في الافراد بل هو اشارة الى القران العظيم منصوب بالعطف على سبعا من المثاني
والمعنى اتيناك القران العظيم ويراد نبا بمعنى شان للتعظيم والنبا يكون بمعنى القران
كما فسر به في قوله عم يتساءلون عن النبا العظيم وقيل سميت ام القران مثاني لانها تثنى
في كل ركعة قيل الاولى ترك الواو لايهامها انه قول آخر في تفسير الاية مع انه بيان
لوجه تسمية الفاتحة مثاني وكونها سبع ايات تقدم مع بيانه وفي نسخة تثنى كل ركعة
باسقاط في ونصبه على الظرفية المجازية بالركعة على ظاهرها والمراد في كل ركعة
لعبد اخرى او الكل المجموعي او المراد بالركعة الصلاة اطلاقا للجز على الكل لخروج
صلاة الجنازة والماموم عند ابي حنيفة لكونهما على خلاف الاصل المتبادر لكماله
والركعة الواحدة لا تسمى صلاة وقد فسر قوله تعالى واركعوا مع الراكعين
تصلوا مع المصلين لما مر والتثنية من جعل الشي ثانيا كربعتهم وثلثتهم اذا
كنت رابعهم او ثالثهم او بمعنى التكرار او من الثني بمعنى العطف قيل اولتكرر
مضمونها في القران او هي من الثنا بها وعليها وثني بضم اوله وفتح ثانيه والتشديد
او بسكون ثانيه والتخفيف وعليه اقتصر التلمساني وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى
الله عليه وسلم وذخرها فالمثاني من الاستثنا المعروف واصل الثني بمعنى العطف
واستثناها بمعنى ميزها واخرجها من بقية كلامه وذخرها بذال وخا معجمتين
وفي نسخة ادخرها بالمهملة المشددة والمعنى فالاصل واحد من الذخر وهو ما
يدخر من النفايس والمراد انه اختارها وحفظها ولم يبذلها لغيره من الرسل
عليهم الصلاة والسلام ولذا قال له اي لمحمد صلى الله عليه وسلم لتنزيلها عليه
دون الانبياء اي دون سائر الانبياء فلم يدخرها ويعطها لغيره لتميزه من بينهم وفي
الحديث نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيا رضي الله عنه وهو يصلي فلما
فرغ لحقه فوضع يده على يده وهو يريد الخروج من باب المسجد وقال اني
لارجو ان لا تخرج من المسجد حتى تعلم سورة ما انزل الله في التوراة والانجيل
مثلها فجعلت ابطي في المشي رجاء ذلك ثم قلت يا رسول الله السورة التي وعدتني
فقال كيف تقرا اذا افتتحت الصلاة فقرات عليه الحمد لله رب العالمين الخ
فقال هي هذه وهي السبع المثاني والقران العظيم الذي اعطيت وبه استدل على
خروج البسملة منها وفيه كلام ليس هذا محله يعني انها اشتملت على ما لم يكن
في غيرها ولها من الفضل واجابة الدعا بها ما لم يشاركها فيه غيرها كما ذكره مشايخ
الصوفية والحرفيين قال ابن برجان في تفسيره لو قيل لك ان احدا اجيب بها

ابن الحنبلي

المرد

دلجي

الرقي فاياك من انكاره وممن اطلع على تفسيره فهم ما قلنا فالاعتراض بان هذا لا يختص
بالفاتحة لوجوده في ساير السور ساقط وسمي القران مثاني اي في هذه الاية ونحوها
دفع لما يتوهم انه سمي به لما مر او هو جواب سؤال مقدر لان القصص بكسر القاف
جمع قصة وهو الظاهر من القصص وهو الاتباع لاتباع من يحكي الخبر للاثار وروي
بفتحتين كقوله نحن نقص عليك احسن القصص وقوله يثنى فيه بالياء التحتية والنبيه
للقران وعلى الاول بالمثناة الفوقية والرواية هنا كما قيل بتشديد النون لا غير
والقصص مطلق الحكاية وخص في العرف بحكاية اخبار الامم السالفة ومجرد هذه
المناسبة كافية في تسميته مثاني فلا يرد عليه انه كرر فيه غير القصص كالغرايب
والحدود والامثال وقد ذكروا هذا وجها لتسمية الطوال مثاني فلعله اقتصر في
كل منهما على وجه ليعلم اجراء الكل في كل بقيتها والقول بان وجه التخصيص لها انها مع
اعجازها لا يزداد تاليها الا رغبة ومحبة فيها وغيرها من القصص لو كرر مجه الطبع
وهذا انما كرر لانه يحلو كما قال الشاطبي

وخير جليس لا يمل حديثه • وترداده يزداد فيه تجملا

لا يخفى ما فيه ولك ان تقول لاحكام لازمة لامة عظيمة فتكرارها ليتعلموها وتثبت
في حفظهم بخلاف القصص ونحوها من الامثال الا ترى ان الاستاذ يقرر المسالة
مرارا على الطالب لهذا وقيل السبع المثاني معناها في قوله ولقد اتيناك سبعا
من المثاني انا اكرمناك بسبع كرامات هذا مروي عن الامام جعفر الصادق فاتيناك
بمعنى اعطيناك تكريما لك لانها كالهدية التي ترسل للتكريم وكان الظاهر ان يقول
سبع اكرمه لها او اتيناك بمعنى اكرمناك فالسبع مبتدا ما بعده خبره بتقدير
مضاف اي معنى اتيناك السبع المثاني اكرمناك الخ او السبع مبتدا وقوله
الهدى الخ خبره وقوله اكرمناك جملة معترضة وقيل انه بدل بعض من السبع
او خبر مبتدا مقدر وعن الامام جعفر انه قال السر في هذا انه ذكر في هذه السورة
لجهنم سبعة ابواب فذكر سبع كرامات اشارة الى ان من اكرم بها امن من تلك الهدى
والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة يجوز فيه الحركات
الثلاث وهو ظاهر والهدى ما هداه الله اليه من المعارف والدين والمراد بالنبوة
نبوته صلى الله عليه وسلم الكاملة المختصة به الخاتمة الناسخة لما عداها والرحمة
العامة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او ما طوى عليه جبلته والشفاعة العامة
والخاصة كما سياتي والولاية بفتح الواو وكسرها كما مر ولاية الله له بنصره او
توليه لجميع اموره بحيث صار اولى بهم من انفسهم او الولاية التي هي صفة له
كالنبوة والتعظيم جعل الله اياه اعظم من ساير خلقه والسكينة الوقار والهيبة
بحيث يخافه كل من يراه وهو لا يخاف الا الله وقيل تخصيص هذه الامور وتغايرها
مع امكان اندراج بعضها في بعض يحتاج لسند ودليل فتدبر وقال تعالى وانزلنا
اليك الذكر الاية لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون وهذا متعلق بالاية
المذكورة ومناسبة لما بعدها لدلالتها على عموم الرسالة اذ لا عهد ولا تقييد
اي لتخبر الناس بالوحي ولا تكتم شيئا منه او لتبين لهم ما فيه من التكاليف والشرايع

قيل او يرد في هذه الاية الانزال والتنزيل بمعنى وقد فرق بينهما بان التنزيل ما كان تدريجا ابن الحنبلي
والانزال ما كان دفعة واحدة وهذا الحسب للاصل وقد يرد كل منهما بمعنى الاخر وتفصيله
في شروح الكشاف ووضع فيه الظاهر موضع المضمر لتنبيه اشارة لتغايرهما لان
المنزل لفظه والمبين معانيه واحكامه والمعاني منزلة تبعا للالفاظ ولا حاجة لتقدير
مضاف فيه وقال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا الكافة ماخوذة
من الكف وهو المنع او الجمع والاحاطة كما قاله الهروي ومعناه جميعا وتاوه للمبالغة
كعلامة وهي في الاصل للتانيث نظرا للغاية والنهاية او الجماعة وهو منصوب على
الحالية من المجرور المتاخر او من الضمير المنصوب او هو صفة مصدر قائم مقامه اي ارسالة
كافة وفي المغني انها تختص بمن يعقل ووهم الزمخشري في جعلها صفة لارسالة وذكر
بعض النحاة انها تلزم التنكير والحالية وتبعه الحريري فجعل تعريفها والاضافة اليها
لحن وليس كما قالوا فانه سمع بخلافه كما فصلناه في شرح الدرة وانما قدم لتدخل
على المقصود حصرو ولو قيل وما ارسلناك الا للناس كافة اوهم نفي الارسال لغير الناس
وهو غير صحيح وقيل المعنى ما ارسلناك الا جامعا للناس بالدعوة وكافا لهم عن المعاصي
والمراد جميع بني ادم او ما يشمل الجن وانما حملوا على الاول لانهم المقصودون بالذات
وليس المراد اهل زمنه كما توهم وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
تقدم ما يعلم منه انه لا يعترض على ذلك بان ادم ونوحا كانا مبعوثين الى اهل الارض
بعد الطوفان لانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وهو مرسل اليهم لان العموم لم يكن
في اصل بعثته وانما اتفق لحادث وقع واما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته
من اصل البعثة واما كون نبوة رسول غيره في اثناء مدته فيحتاج الى النقل او المراد
بقاء شريعته لا يطرو عليها ناسخ الى غيره ذلك مما فصله ابن حجر في شرح البخاري
واختلف في خطاب يا ايها الناس ونحوه هل هو للموجودين ويثبت لمن بعدهم
بدليل اخر كاجماع وقياس ونحوها او للجميع ويدخل فيه الرسول صلى الله عليه
وسلم وان كان مخاطبا بفعل لانه يلزمه ما يلزم امته بطريق الاولى ما لم يعرض له مخصص
ولا حاجة لتخصيص الناس بالمكلفين كما قيل لدخول الصبي في بعض الاحكام قال الفقيه
القاضي عياض المغ رحمه الله فهذه اي الصفة او البعثة العامة من خصايصه جمع
خصيصة وهي ما لم يشاركه فيه غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام كما عليه مطلب
اكثر اهل الملة للحديث الاتي وقد مر الكلام على بعضه اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي
نصرت بالرعب وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واحلت لي الغنايم واعطيت الشفاعة
وكان النبي يبعث الى قومه خاصة فيه وبعثت الى الناس كافة وروي عامة وقد فيهم
تقدم ما يرد عليه وجوابه وقوله وكان النبي المراد به الاستغراق لانه ورد وكان
كل نبي وهو صريح فيه فلا وجه لقول الامام الخاصة مجموع ما ذكر فلا يلزم اختصاص
عموم البعثة به صلى الله عليه وسلم وقد وقع مثله للداودي في شرح السنن
قال ابن حجر رحمه الله وهو غفلة عظيمة منه فانه نظر الى اول الحديث وغفل
عن اخره فانه نص على خصوصيته بقوله وكان النبي يبعث الى قومه خاصة
وما قيل من انه احتمال بعيد اذ لا يظهر لتخصيص الخمس نكتة والاربع والاثني

اخري

اخرى جليل فايدة غير منحته لانه اذا اسلم عموم رسالة ادم ونوح يكون له فايدة وقد
دفع بهامش وقيل المراد بالناس من في زمنه الى يوم القيامة وهذا لم يكن لغيره صلى الله عليه
وسلم وهذا امر غير نفا الشريعة لا عينه كما توهم او نقال هو مبعوث لجميع الناس من قبله ومن
بعده بحيث لو ادركه من قبله لزمه اتباعه او هو مبعوث الى الاصناف والاقوام واصحاب
الملل المختلفة وادم ونوح عليهما الصلاة والسلام ليسا كذلك **اقول** هذا الكلام
لا طايل تحته اما رده الاول بان ما ذكره هو غير نفا الشريعة فليس بصحيح لان مراده
النافع العموم ولم يصرح به لظهوره واما جوابه الاخير فظاهر الفساد وقال تعالى
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي الا بلغة من بعث اليهم ليبين لهم ما بعث به
اليهم واما نبينا صلى الله عليه وسلم فبعث الى قومه وغيرهم من جميع الامم كما عرفته
فيهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة الانس والجن والملك
كما سياتي تحقيقه وقيل كلامه يقتضي ان غير نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث بلسان
من بعث اليه ونبينا صلى الله عليه وسلم بعث الى الخلق فيخص من الرسول بغيره
وهو مخالف للظاهر ولما عليه المفسرون وينافي ماله على غير النهج المعروف مع انه شامل
لنبينا صلى الله عليه وسلم ايضا فان لسانه عربي وكتابه عربي ليأخذه عنه قومه
بغير واسطة وينقل نقلا مستفيضا ولا دلالة فيه على تخصيص بعثة الرسل
عليهم الصلاة والسلام بقومهم والنبي صلى الله عليه وسلم وان ارسل الى الناس
كافة فيكون لسانه وكتابه واحدا لا ينافيه لفهم معانيه لغير قومه بالترجمة ولو اتى
بغير لغته فات الحجارة المقصود منه **واجيب** عنه بانه معطوف على
قال الاخير ناظرا اليه مبينا لضعفه فانه فسر بما ذكر كما نقل عن تفسير تاج القرا
وفيه بحث كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري واحمد والبيهقي بعثت
الى الاحمر والاسود اي العرب وغيرهم او الانس والجن كما مر وقال تعالى النبي
اولى بالمؤمنين من انفسهم يدخل فيه النساء على ما بين في الاصول لانهم تبع لهم في لا
يدخلون بالتغليب وان ذهب بعضهم الى انهن لا يدخلن في مثله الا بدليل
وقرينة لظهور انهن يعلمن بالطريق الاولى الا ان قوله وازواجه امهاتهم مرجع
الضمير فيه لذكور المؤمنين فقط لان المراد تحريم نكاحهن وهو خاص بالذكور ولذا
لم يبح امهات المؤمنات وقيل انه عام ايضا وهن امهات للمؤمنين والمؤمنات
واقتصر على الاولاد واكتفى به لانه الاهم الاشرف فيجوز اطلاقه عليهن ايضا
وقوله من انفسهم المراد به ذواتهم وازواجهم يعني انه صلى الله عليه وسلم
مقدم عند كل احد على نفسه وليس المراد انه اولى من بعضهم ببعض في نفوذ
حكمه وطاعته كما قيل في قوله فسلموا على انفسكم اي ليسلم بعضكم على بعض
وان جاز فان الاول ابلغ فيما ذكر وهذا معنى ما قيل هو اولى بالمؤمنين فيما
قضى فيهم كما انك اولى بعبدك فيما قضيت وهو قريب من قول المص رحمه الله
قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اي فيما انفذه فيهم فهو ماض
عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده فيفعل ما يامره به ويختاره على ما يريده
ويختاره لنفسه فكان احق بكل احد من نفسه ومضي الحكم يعني نفاذه وجريانه

حكام

وهذا المعنى اشتهر حتى صار حقيقة من مضي السيف او السهم واصل معنى المضي الانجاز
والولي بمعنى احق وقيل انه من الولاية والتسلط وان ما ذكر مبني على قول العرب
السيد اولى بعبده من نفسه اي نافذ فيه حكمه لحمل الاية عليه مجازا او كناية ويروى
ان سبب نزول هذه الاية انه صلى الله عليه وسلم لما امر الناس بالخروج لغزوة
تبوك قال قوم نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت اي طاعة الرسول اوجب عليكم
من طاعة ابائكم وامهاتكم وانفسكم وليس فيه تاييد للتفسير الثاني كما توهم وقيل
اتباع رايه اولى من اتباع راي النفس هذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما فالمعنى
فالاولى هنا بمعنى اولوية اتباعه وقيل اولوية محبته وقيل معناه اراف واعطف
والاحسن ما في الكشاف من انه صلى الله عليه وسلم اولى بهم في جميع امور الدين
والدنيا من غيره فانه سبب حياتهم الابدية وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم
قال ما من مومن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والاخرة اقروا ان شئتم النبي اولى
بالمومنين الاية فايما مومن ترك مالا فليرثه عصبته فان ترك دينا او ضياعا فلياتني
فانا مولاه قال القرطبي هذا تفسير الولاية ولا عطر بعد عروس والظاهر كما
قيل انه تفريع على الاولوية العامة لا تفسير فلا ينافي ما سبق وفيه اشارة الى
ان مقتضى الاولوية ان يراعي في جانب الرسول ايضا ومعاملته معهم فينفعهم اكثر
من نفعهم لهم حيث زاد على الورثة المنافع وتحمل المضار والتبعات فافهم وقوله
وازواجه امهاتهم اي هن وفي نسخة هو وهو سهو وكونه للفظ الازواج
لا وجه له اي كالامهات في التعظيم وحرمة النكاح لا الارث والنفقة والنظر والخلوة
لاية الحجاب ولا يقال لبناتهن اخوات على ما ياتي وفي كونهن امهات المومنات قولان
تقدمت الاشارة اليهما قريبا والى ما ذكر اشار اليه بقوله في الحرمة كالامهات تحرم
نكاحهن عليهم بعده اي بعد نكاحه او بعد وفاته صلى الله عليه وسلم كما سياتي
واختلف فيمن طلقها قبل الدخول على قولين او اكثر على ما ياتي لجوزه كثير من
الشافعية وبه فتى عمر رضي الله عنه تكرمة له وخصوصية بضم الخا وفتحها اي هو
مخصوص به صلى الله عليه وسلم دون غيره من الامة فما يقع لبعض جهلة الصوفية
من منع تزوج المريد زوجة شيخه جهل منهم وترك ادب والمراد بالحرمة حرمة النكاح
اي تحريمه لقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من
بعده ابدا وفي خصائص الامام الخيضري اختلف في تعليل ذلك فقيل لانهن
امهات المومنين قال تعالى وازواجه امهاتهم اي مثل امهاتهم في وجوب احترامهن
وطاعتهن وقيل لما في احلالهن لغيره صلى الله عليه وسلم من النقص لمنصبه
الشريف وقيل لانهن ازواجه صلى الله عليه وسلم في الجنة كما ذكره غير واحد
من المفسرين والفقهاء لان المراة في الاخرة لاخر ازواجها في الدنيا كما قاله
القشيري وورد به التصريح في الحديث وقيل لانه صلى الله عليه وسلم
حي ولذا حكى الماوردي انه لا تجب عليهن عدة الوفاة واختلف فيمن فارقها في
حياته صلى الله عليه وسلم كالمستعيذة على اقوال ثلاثة احدها وهو مروي
عن ابي هريرة رضي الله عنه انها تحرم فالتقدير من بعد نكاحه لوجوب محبة النبي صلى

الله عليه

الله عليه وسلم زوج الامة الثاني يكره الاول ويؤدي لكفر قال النووي رحمه الله وهو
الارجح والاشبه بظاهر القران الثاني انها الاخر فالبعدية مخصوصة بما بعد الموت
والثالث انه يحرم المدخول بها دون غيرها وكذا اختلف في الامة الموطوءة له صلى الله
عليه وسلم بغير نكاح على ثلاثة اوجه فقيل لا تحل لغيره كمارية رضي الله عنها وقيل تحل
وانها لم تسم ام المؤمنين لنقصها بالرق وامومتهن لا تتعدى فلا يقال لبناتهن اخوات
ولا لاخوانهن اخوال فلا يقال معاوية رضي الله عنه خال المؤمنين وفيه خلاف ايضا
واما كون النبي صلى الله عليه وسلم ابا للمؤمنين فقال الواحدي انه لا يسمى به لقوله
ما كان محمد ابا احد من رجالكم والقراة به منسوخة لفظا ومعنى وقيل يجوز والمنفي الابوة
انتهى ويأتي هذا لا خير في قوله وقرئ وهو فيما قيل الحرمة للاحترام فيشمل التعظيم وعدم
الايذا وحرمة النكاح فان قيده ذلا واكتفى بحرمة النكاح لانه مقصود ومخصوص بهن
**وقال** ابن كثير لا يقال لهن امهات النسا لعدم العلة فيهن وهي حرمة النكاح ورجح
ابن حجر جوازه وقول القرطبي الظاهر التعميم اذ لا يختص بالرجال مدفوع بما ذكر فان اريد
التشبيه في التعظيم فلا منع والاولى الا انه يوهم انه مراد في الاية كلام غير محرر لما
سمعته انفا وقوله ولانهن له صلى الله عليه وسلم ازواج في الاخرة احد الاقوال
في الاية كما عرفته والامهات جمع ام وقيل اصلها امهة ولذا تجمع على امهات
**واجيب** بزيادة الها وان الاصل امات للفرق ويأتي لذلك مزيد بيان
والوجه ما في البارع ان فيها اربع لغات ام بضم الهمزة وكسرها وامه وامهة فالامهات
والامات لغتان ليست احداهما اصلا للاخرى ولا حاجة الى دعوى حذف ولا زيادة
اب ح
كما في المصباح وقرئ وهو اب لهم اي قرئ به في الشواذ وهي على وجهين قرا ابن
عباس رضي الله عنهما النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو صلى الله عليه وسلم لهم
بدون وازواجه امهاتهم وقرا ابي رضي الله عنه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فجمع بينهما فقول بعض الشراح قراها ابي وابن
عباس رضي الله عنهم من غير تمييز بين القراءتين خلط منهم **وقد** علمت الكلام فيه
وابوته صلى الله عليه وسلم برافته ورحمته لهم او لكون ازواجه امهاتهم او لكونه
سبب حياتهم الحقيقية الابدية كما مر وفي سنن ابي داود انما انا لكم بمنزلة الوالد
اعلمكم حكم الشاذ ولا يقرا به الان لمخالفته المصحف وروي ان عمر رضي الله عنه مر بغلام
يقروها فقال للغلام حكه من المصحف والمراد بالمصحف مصحف عثمان رضي الله عنه
المتواتر بالاجماع ومخالفته له ايضا لعدم تواتره ونسخ تلاوته ولفظه ومعناه على
قول كما مر قيل وانما نسخ لئلا يوهم حرمة زوجة الولد فتامل وقول الخفاجي
انهم اجمعوا على ان قراة ابي رضي الله عنه المذكورة مما نسخ من القران مع انه مفهوم
خبر مجمع على انه لا يصح نسخه ليس بشي لان في نسخ الخبر خلافا مقررا في الاصول
ولو سلم فيلزمه احكام يصح نسخها كتلاوته وتسميته به وجواز الصلاة به وقد
قال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما والكتاب القران والحكمة الشريعة والمواعظ والسنة كما
مر وهذا كقوله في سورة اقرا علم الانسان ما لم يعلم ولما كان التعليم انما يحصل

به ما لم يكن يعلم وبرد السؤال على الايتين والفرق بينهما فقيل المراد بما لم نعلم ما لا نقدر على علمه من الحقائق او مما لم يتصوره ولم يكن مطلوبا لك فيفيد ذكر المفعول وقيل لو قيل ما لم نعلم اي ما كان مجهولا لك افاد فائدة تامة حسنة لدلالته على اشراق نور العلم ورفع ظلمة الجهل او المراد ما لم نعلمه بقوة نفسك واجتهادك واما ذكر الكون في اية النساء دون اية اقرا باسم فلان الاولى بالانسان نبينا صلى الله عليه وسلم فقط فلان الثانية وردت في مقام خال عن اعتبار القوة والاجتهاد فلا يناسبه ذكر الكون والاولى وردت فيه **اقول** هذا السؤال غير وارد راسا ولذا لم يتعرض به جهابذة المفسرين كالزمخشري الا انا نقول في تحقيقه ان نفي الكون ابلغ من نفي الشيء نفسه فان الثاني يصدق بما بقي على عدمه الاصلي لم يشم رائحة الوجود والثاني يشمله وما عدم بعد وجوده والاول ابلغ ولما كان المنفي علمه اولا من الدين والحكم والوحي ونحوه مما لم يتيسر لمن شانه امية ولا يمكن بغير عناية الهية اشار في الاول الى ان انتفاءه عنه امر محقق مقرر قوي فاكده بذكر الكون ولذا امتن به عليه وجعله فضلا عظيما **ولما** كان الثاني قابل الوجود بتيسر الكسب لان الانسان قابل للقراءة والعلم وصنعة الكتابة لم يؤكده لان انتفاءه امر اتفاقي واما الفائدة في المفعول فظاهرة اذ ليس المراد بها امرا مّا بل امرا عظيما معلوما مخصوصه بما قبله واما ابهمه ليدل على عظمته كما في قوله فاوحى الى عبده ما اوحى فلا حاجة لقوله في عروس الافراح افاد ذكره انه اوضح في الامتنان والا فلا فائدة فيه وفي بعض حواشي المطول نقلا عن السعد رحمه الله انه قال في درسه ان الاولى بصاحب التلخيص ان يقول ما لم يكن يعلم كان قوله وعلمك ما لم تكن تعلم والا فلا فائدة في ذكره لان التعليم انما يكون لما لم يعلم لان ما لم يكن يعلم فيه اشعار بانه لولا تعليمه لم يحصل العلم به لانه علم خفي لا يمكن الاحاطة به الا لعلام الغيوب وهو بعيد اذ ربما يتوهم انه يحصل العلم به من غير تعليمه له تعالى وربما نه مثل الاية فذكره لافادة العموم كما في قوله وما من دابة في الارض ومما قررناه لك تبين انه كلام قشري ولنا عودة الى بيان ذكره عند اعادة المص الاية قيل فضله العظيم في هذه الاية بالنبوة مطلقا فانها اعظم النعم التي تفضل بها او بنبوته الخاصة به الكاملة وقيل بما سبق له في الازل مولده وهو القدم والوجود الذي لا اول له قال في المجمل الازل القديم ونقال هو ازلي والكلمة ليست بمسموعة في كلام العرب واحسب انهم قالوا في القديم لم يزل ثم نسب اليه فلم يستقم الا باختصار وقالوا يزلي ثم ابدلوا اليا الفا وقيل الازل اسم لما يضيق القلب عن بدايته من الازل وهو الضيق فهمزته اصلية والمراد بما سبق للنبي صلى الله عليه وسلم في علمه وتقديره من كل ما اعطاه الى الابد فيعم جميع ما انعم الله به عليه اذ لا تخصيص وقيل المراد ما اعطاه له وسبقه باعتبار تقديره ففيه مضاف مقدر وهو تقديره وعلى الاول الامتنان بالتقدير صريحا وبالقدر ضمنا والقدم تخلفه عنه ولفظة كان في مثله تدل على الازلية في حق الله كما صرحوا به واشار الواسطي رحمه الله تقدم ذكره وترجمته والاشارة في اللغة الايما الى الشيء بغير نطق ويكون في كلام المصنفين مقابلة للتصريح والمراد هنا مطلق الذكر وعبر به مشاكلة لما بعده الى الاشارة الى احتمال الرؤية وضميرها للاية وقيل لكلمة الفضل والاحتمال

شيخ ابن الحنبلي

سيرامي

فسر

ثم بالطاقة والقدرة على رؤيته ومشاهدته ليلة المعراج على قول من قطع انه رآه
ببصره ولما كانت هذه من اجل الفضايل واخصها به حمل الفضل عليها وان كان فيها اخلاف
الا انها كانت عند المصنف رحمه الله راجحة لم يلتفت للخلاف فلا يرد عليه انه تفسير للمقطوع ٤ ابن اقبرس
به بالمحتمل فالاعتراض على الواسطي رحمه الله بانه لا دلالة له في النظم على ما ذكره غير متجه
وحمل الرؤية على القلبية التامة يأباه ظاهر قوله الذي لم يكلمها موسى بن عمران عليه الصلاة
والسلام حيث قال لن تراني الى قوله فخر موسى صعقا وموسى ممنوع من الصرف للعجمة
والعلمية واصله كما قيل موشى فغير وهو بالعبرانية مركب من مو وهو الماء وشا وهو
الشجر فسمي به لان امه القته في ماء النيل في صندوق من خشب الشجر **والقول** بانه
من ماس يميس اذا تبختر ومنع صرفه لالف التانيث بعيد جدا واما موسى بمعنى آلة
الحلق فعربي وفي وزنه اختلاف عندهم وفي معربات الجواليقي ان موسى لم يسم به احد
من العرب قبل الاسلام وبعده سمي به تبركا باسماء الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال
التجاني اكثر المفسرين على ان الفضل العظيم عصمة الله للنبي صلى الله عليه وسلم عن ان
يضله احد من الكفرة لقوله قبله ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم
ان يضلوك **وهذا** آخر الباب الاول فالحمد لله على تيسير شرحه والنظر في حقائقه
ودقائقه الرائقة واشتغالنا بالقصد من موارد فضائل سيد الخلق الفائقة وانا
نرجو ببركته صلى الله عليه وسلم وبيمن صفاته ان يشرح صدرنا وييسر امرنا
ويفيض علينا من بركاته امين

## الباب الثاني

في تكميل الله له صلى الله عليه وسلم المحاسن جمع حسن على خلاف القياس او جمع مفرد مقدر لم يسمع
كالمقدم والحسن المحسوس تناسب الاعضاء وكونها على صورتها الاصلية مع صفاء
البشرة واعتدال القامة وفي ذكر التكميل اشارة الى ان النوع البشري مخلوق على الكمال
في احسن تقويم وصورة هذا الحبيب صلى الله عليه وسلم وسيرته في غاية الكمال
وكون النوع احسن لا ينافي التفاضل والتفاوت بين افراده حتى ذهب بعض الحكما
الى ان كل فرد منه ماهية مستقلة خلقا بفتح الخاء وسكون اللام وتقدمه لتقدمه ابن اقبرس
على ما بعده في الوجود وهو منصوب على التمييز وليس بمعنى المخلوق كما توهم عظ
وخلقه صلى الله عليه وسلم على احسن ما يكون كما قال فيه ابو العباس الاشبيلي الولي
نجمه الله ونفعنا ببركاته

من انت محبوبه من ذا يعيره • ومن صفوت له من ذا يكدره
هيهات عنك ملاح الناس تشغلني • والكل اعراض حسن انت جوهره

وخلقا بضم الخاء واللام وتسكن تخفيفا وهو في الاصل الطبيعة والجبلة ويطلق
على الصفات المعنوية الراسخة في النفس وهو للنفس والصورة الباطنة وهو صاحبها
بمنزلة الخلق للصورة الظاهرة ويترتب الثواب والعقاب على هذه وقال الراغب
هما في الاصل بمعنى وخص الخلق المفتوح بالهيئة والصورة المدركة بالبصر والمضموم
بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة وهو كيفية راسخة في النفس تقتضي سهولة
صدور الافعال عنها من غير احتياج لفكر وروية ويطلق على ما يترتب على تلك
الكيفية ويخص في العرف بما يتعلق بمعاشرة الناس كما سياتي وقال الآمدي

رحمه الله في كتاب الموازنة جمال الوجه وحسنه مما يتمدح به لانه يتيمن به ويدل على الخصال
المحمودة ويزيد في الهيبة والدمامة يذم بها العكس ذلك وقد غلط فيه من توهم انه
لا يدخل في مدح العظما انتهى **قلت** وقد اشار الى هذا في الحديث الشريف بقوله
صلى الله عليه وسلم اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه ولله در الصرصري في قوله

الا يا رسول الاله الذي • هدانا به الله من كل تيه
سمعنا حديثا من المسندات • يسر فؤاد النبيل النبيه
وانك قلت اطلبوا الحوائج • عند حسان الوجوه
ولم ار احسن من وجهك الكريم • فجد لي بما ارتجيه

**فان قلت** قول الراغب رحمه الله ان هذين المصدرين وضعا للهيئة ينافيه
قول النحاة ان الهيئة والمصادر يعبر عنها بفعله بكسر الفا كالجلسة **قلت** لا منافاة
بينهما فان الهيئة التي ذكرها النحاة هي الهيئة العارضة في الافعال لا الخلقية وقرائه
بكسر القاف كما علم مما مر مجرور معطوف على تكميل اي جمعه جميع الفضائل الدينية
الممكنة اللائقة به والدينية المتعلقة بدين الاسلام والدنيوية المنسوبة للدنيا المعروفة
وفيه وفي امثاله مما رابعه الف تانيث كحبلى اذا نسب اليه ثلاث لغات ديني ودنيوي ودنياوي
كما فصل في كتب العربية فيه تنعا حال من قرائه اي فرد الفضائل فيه مناسبة منتظمة
وفسرها التلمساني بنفعا ولا وجه له وقد تقدم الكلام فيه اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم
اعلم داب المصنفين كما تقدم ان يفخموا ما يؤتى به في ابتدا الكلام لتنبيه السامع وتنشيطه
لاهتمامه بما يلقونه له والمخاطب به من سالة تاليف هذا الكتاب وكل سامع فهو
عام لكل من يصلح لخطابه وكونه خطابا لنفسه على التجريد بعيد مع مخالفته لدابهم
والكريم الشريف العظيم والجواد الباحث اي الطالب لمتفحص عما خفي لان اصله كما قاله
التلمساني الفاحر للتراب لشي تحته عن تفاصيل جمل قدر العظيم جمع تفصيل المصدر
تفعيل من الفصل وهو تمييز الشي وافرازه عن غيره ثم استعمل في تبيين كل امر
باستيفا افراده وتوضيحها وتطلق على المبين نفسه وجمل جمع جملة وهو الامر المجموع
في عبارة مختصرة ثم توسع فيه للاجمال فافيد ان المشهور في مقابل التفصيل والمفصل
الاجمال والمجمل فلا يليق اجمالات او مجملات فلذا الا ان يريد بالجمل المجمل وهو
ما اشتمل على متعدد بلا تمييز لا وجه له وقدر وقدر بالسكون والفتح مقدار الشي
ومماثله وحرمته ووقاره كما في المصباح ومنهم من فسره هنا بمبلغه من الكمال
والمرتبة والمراد تفصيل ما جمع من انواع صفاته صلى الله عليه وسلم كعلمه
وحلمه ان خصال الجمال والكمال في البشر وفي اكثر النسخ الجلال بلامين وانه ونحامها
مقصود اعلم والخصال جمع خصلة وهي الصفة المعتادة محسوسة كانت اولا
والجلال العظمة والجمال ما يستحسن والكمال التام فيما يفضل به الشي على غيره
وخص البشر لان مجموع ما ذكر مختص به ولان المقصود بيان حاله وقد تقدم
عن الاصمعي ان الجلال لا يجوز ان يوصف به غير الله ولم يسمع في غيره وخالفه
فيه اكثر اهل اللغة لوروده في كلامهم كقوله هدية

فلا ذا الجلال هبنه لجلاله • ولا ذا ضياع هن يتركن للفقد

نوعان

نوعان منحصرة فيهما وان توهم كثير من الشراح انها اربعة لانها اما ضرورية او كسبية
وكل منهما اما دنيوي او اخروي حتى اعتذر عنه بعضهم بانها قضية مهملة في قوة الجزئية
والمراد بعضها الغالب فيهما وهذا ناشئ من عدم تدبر كلامه فانها وان كانت اربعة الا انها
في الواقع لا يخلو من نوعين عنده لان الديني منسوب للدين وهو وضع الهي سائق لهم
باختيارهم الى ما هو محمود فلا يكون ضروريا والدنيوي لا يعد منه من صفات الكمال الا
ما كان جبليا او ملحقا به وما عداه غير معتد به فيسقط منه قسمان وسياتي معنى الالحاق
وتحقيقه والمراد بالنوع القسم لا النوع المنطقي احدهما ضروري منسوب للضرورة وهي
هنا اعم من شدة الحاجة ومن عدم الاختيار وليس المراد به ما يقابل النظري كما توهم
فان الضرورة لها معان منها هذا دنيوي لا يتعلق به ثواب وكمال اخروي من حيث
هو اقتضته الجبلة قال التلمساني اقتضى بمعنى دعت اليه والمقتضي والداعي
والسبب بمعنى واحد قيل ظاهره ان الطباع اسباب للخصال ودون اثباته خرط
القتاد وفيه ميل لمذاق الحكما والمراد ان الله خلقه فيه من غير اختيار وعبر بالاقتضا
على طريق الافتنان وهذه دقة في غير محلها لان الجبلة ما جبله الله عليه وخلقه
فآله لما ذكر من غير دغدغة قال البرهان الحلبي الجبلة الخلقة قال تعالى واتقوا
الذي خلقكم والجبلة الاولين والمطبوع على الشيء لا يتحول عنه كالجبل والمراد
جبلته صلى الله عليه وسلم او جبلة ما يتعلق به كارضه وقومه وفي الجبلة
لغات ذكرها الصاغاني في كتاب العادة جبلة بضمتين مشددة اللام وجبلة
بزنة فعيلة او جبلة بتثليث الجيم وسكون البا وجبلة بكسرهما مع التشديد وضروري
الحياة الدنيا قيل انه عطف تفسير والمراد بما اقتضته الجبلة ما لا يمكن الحياة بدونه
والاظهر انه قسم اخر للضروري الدنيوي لم يقتضه ولا يرد عليه انه ينبغي عطفه
باو لان العطف في التقسيم بالواو كثير لاجتماع الاقسام في تقسيمها ومكتسب ديني اخروي
حصل له في حياته بقصد ان لم يكن حاصلا قيل انه شامل لما هو محمود وما هو
وهبي فيشمل النبوة وليس على ظاهره لينضبط ويلتئم ولا يخفى ما فيه وهو قيل انه
عائد على مطلق الديني ما يحمد شرعا وعقلا فاعله وهو من انتفع به ويتقرب الى
الله زلفى مصدر بمعنى قربة موكد ليتقرب كقعدت جلوسا لانه امر ديني لم عباده
يثاب عليهما ما لم يعرض له ما يفسده او بغير نية فاعله كالريا وبقي قسمان اخران
الدنيوي المكتسب والديني الضروري وقد تقدم الكلام عليهما ثم هي اي خصال
الجمال والجلال والكمال جميعها لا بعضها والجملة معطوفة على ما قبلها عطف
القصة على القصة بثم للبعد الرتبي لان الاول تقسيم حقيقي وهذا اعتباري
على فنين ايضا اي على ضربين ووجهين اخرين كما انها على قسمين بحسب القسمة
الاولى وجعله بعضهم تقسيما للمكتسب الديني وكاياه قوله المحض الاخص
منها اي من تلك الخصال ما تخلص اي يتمحض خالصا غير مختلط بغيره لاحد
الوصفين اي الضرورة والكسب لم هو مبني من التقسيم السابق لا الضرورة
الدنيوية والكسب للديني وهو تقسيم لمطلق الكمال سواء كان في واحد من
الانواع السابقة او اكثر ومنها ما يتمازج ويتداخل التمازج والتداخل

ابن الحنبلي

ابن اقبرس

سيد

والخلط معان متقاربة وقد يراد بكل منهما الاخر الا ان اصل المزج خلط بعض المايعات ببعضهما بحيث لا يمكن تمييز بعضه من بعض كالماء والخل ومنه مزاج الانسان والتداخل اعم منه لانه دخول اجزاء شي في اخر مايعا كان ام لا امكن تمييزه ام لا والاختلاط اعم منهما لانه وجود امور مع امور تداخلت ام لا كاختلاط قوم بقوم ومراده بالتمازج وجود الوصفين في شي **وَلمَّا** كان امرا معنويا لا امتياز فيه حسا عبر به ثم عطف عليه لدخول بعض الانواع في بعض والتفاعل فيه على حقيقته فالمعطوفان متغايران وقيل المعنى ان يختلط الكسب بالضرورة ويدخل كل منهما في الاخر والتفاعل لاصل الفعل او هو على ظاهره وبينهما عموم وجهي والممتزج ما كان اصله جبليا وكماله كسبيا او نوع يكون تارة كسبيا وتارة جبليا وقال التلمساني التمازج والتداخل بمعنى واحد والكلام يفسر بعضه بعضا وذلك توسع في العبارة كما قرره الشارح وقال ابن سيدي يحس يمازج اي يختلط ومزج خلط لكن المزج جعل الاثنين واحدا لاجل التشابه في الصورة ولا كذلك الخلط فهو مثله او خلافه وكل مزج خلط وليس كل خلط مزجا والتداخل دخول بعض الشي في الشي وهو تفاعل ومعنى الامتزاج ان يكون الشي الخارج في شدة تمكنه كالاصل لا يتاخر عنه ومعنى التداخل ان يمتاز الفرع عن الاصل لكن يقرب شبهه منه فيكون كالاصل فهذا هو التداخل هنا انتهى وكل هذا خلط استغني عنه بما مر فاما الضروري المحض اي الخالص الذي لم يخالطه غيره ولا دخل لكسبه فيه واختياره فليس دينيا كما اشار اليه بقوله فما ليس للمرء بفتح الميم وسكون الرا والهمز بمعنى الانسان فيه اختيار ولا اكتساب الاختيار هنا مقابل الاضطرار وقيل اصطلاح لاهل المعقول واصل معناه لغة فعل ما هو خير كما قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار فيحصل له بسوا الارادة ام لا من غير كسب واسباب عادية ثم قيل له بعد ما فسره توضيحا له فقال مثل ما كان في جبلته اي فطرته التي فطره الله عليها من كمال خلقته وايجاد اجزائه نفسا متعدلة المقادير وقيل كان الاحسن ان يقول ما في جبلته من الكمال اذ الجبلة هي الخلقة كما تقدم وهو امر سهل وجمال صورته اي حسن صورته الظاهرة في جسده بتناسب اعضائه وصفاته واعتدال قده وقيل المراد حسن وجهه وقوة عقله وهو نور او قوة اودعه الله في الانسان يميز به بين الاشيا وله تفاسير اخر كالعلم والعلوم الضرورية وهل محله القلب او الدماغ قولان ويأتي بيان ذلك واصل معناه المنع ومنه العقال لمنعه عما لا يليق كما قال

قد عقلنا والعقل اي وثاق • وصبرنا والصبر مر المذاق •

وصحة فهمه اي ادراكه المعلومات بسرعة واضافة الغزارة للعقل بيانية وفي اضافة القوة للعقل والصحة للفهم غاية المناسبة وفصاحة لسانه الفصاحة لغة واصطلاحا مشهورة ويوصف بها المفرد والكلام فيقال كلام فصيح والمتكلم كما يقال خطيب فصيح واللسان يطلق على الجارحة المعروفة وعلى اللغة وصح ارادة كل منهما هنا والمراد فصاحة نفسه لا ان المراد باللسان الذات ولا بالفصاحة عدم اللكنة وما قيل من ان الفصاحة جبلية تتكامل بمباشرة الاسباب فيه

الممتزج

سيد

ابن اقبرس

فيقال الكلام فصيح صح

سيد

الممزوج الا ان يريد القدر المشترك منها كما في الاخلاق الاتية واطلاقه يقتضي انها ضرورية
كمية فاما انه لم يعتد بالمكتسب منها او التقسيم لما ذكر مطلقا او لاسباب اخر ومنع القوا نخ
عن الفوة ولا نزيدها وان كان هذا بعيدا جدا الا ان يقال من عدم معرفة الدخيل من الناشي
وقوة حواسه المراد الحواس الخمس الظاهرة من السمع واخواته لا الباطنة فان اهل الشرع
لم يثبتوها ولم ينفوها وقوتها بزيادة احساسها وسلامتها عن الافات واعتدالها
واعضائه جمع عضو بضم العين وكسرها وسكون الضاد المعجمة وهي اجزاء البدن التي
يزاول بها الاعمال ونحوها كاليد والرجل وبعضها تنتزع عما له وما به كما له كما قيل ليس
في الانسان جارحة احب الى الله من اللسان لنطقه بتوحيده واعتدالا لحركاته الاعتدال
تناسبه وقوتها بين الافراط والتفريط في السرعة وقيل سلامتها عن الافات والمراد
كونها على نحو تقويم حيث جعل في كل عضو اعصابا وعضلا يتحرك جميعها فرادى كالراس
والظهر والكف والاصابع والزند وهكذا الجسد يحيى ويسكن ويطلق وينعقد ويلتفت
الى غير ذلك مما ليس في غيره فيقدر به على ذلك ومنشؤه ليس باختياره في الحقيقة
والحركة ضد السكون لا الحركات الفكرية ولا الاعم منها ولا الحركة في النمو والكم ونحوه
مما ذكر في الحكمة لبعده عن مقاصد المص رحمه الله فاذا اريد باعتدالها سلامتها
او المعنى الاخر باعتبار منشئه ومبدئه لم يشكل بانها امور كسبية اختيارية فلا يصح
ذكرها هنا الا ان يقال انها لم تذكر قصدا بل تبعا لقوة الاعضاء وهو بعيد وما قيل
من انه لو اريد مطلق الانتقال من حال الى حال لم يبعد والحركة وان كانت كسبية
يجوز ان تكون صفاتها بالاختيار لجواز ان يغفل عنها وفي الجبلة ابن يوحي بها على
ما ينبغي فيه الاعتدال غير صادر بالاختيار عند المحققين وكذا الملكة المقتضية
لها قريب مما قلناه وشرف نسبه اي شرفه الحاصل له بسبب نسبه فانه صفة لم
تحصل باختياره الا ان تسميته جبلة تسمح او على التغليب ومثله غير بعيد والشرف
والمجد بالآبا والحسب به وبابائه معا كما قاله ابن السكيت ولا شك ان نسبه صلى الله
عليه وسلم اشرف الانساب لما في سلسلته من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهم
قريش ومثله يدعو لتعلق الهمم ودنو في سفساف الامور لاسيما اذا انضم لشرف الذات
الذي لا يساويه غيره كما قال ابن الرومي
كم من اب قد علا بابن ذري شرف كما علت برسول الله عدنان
وعزة قومه القوم الجماعة اذا اضيف لاحد كانوا معه مجتمعين في اب وكرم ارضه
التي هي موطنه ومولده وهي من احب البلاد الى الله والحرم الامن من دخله ومقصد
الحجيج وقبلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومهبط الانوار والملائكة عليهم الصلاة
والسلام واعدل الارض وان لم تكن كغيرها ذات عيا من ورياض وليس المراد بالارض
الا مالا بها واسى وموضع حرث كما حققه النجاحي فان السياق يا باه وهذا انما لم يكن باختيا
وشرف البقاع يوثر في الطباع فغير بعيد جعله من الجبلة ثم ان المص رحمه الله لم
يعتبر في الضروري غير عدم الاختيار والاكتساب ولم يلتفت لعدم الانفكاك
فلا وجه لما قيل ان المراد ما لم يكن بكسبه واطلاقه يوهم والمراد بما في الجبلة الخلقي
سوا كان في طبيعته او خارجا عنه فصح جعل الثلاثة الاخيرة منها وان اريد بها الفروق

وقطعة الايام من كد فرجها • فليتك لا تزكي ولم تتصدق في •
وقال الغزالي رحمه الله لا تظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كبنا الربط بالحرام فانه
جهالة عظيمة وله فيه كلام مفصل عن العز بن عبد السلام ان المعصية قد تصير قربة
بالنية كمن شهد زورا لدفع ظلم الا ان منها ما لا يتغير حرمته كالزنا وذهب ابن القيم
الى ان من انفق مالا حراما في قربة يثاب عليه وان عوقب على كسبه من غير حل
كالصلاة في ارض مغصوبة **وفي هذا** المقام كلام طويل ليس هذا محله واما
الخصال المكتسبة الاخروية الدينية فسائر الاخلاق جمع خلق وهو الوصف الذي
طبعه الله عليه او اكتسبه وسائر هنا بمعنى الجميع او الباقي **وقد** اختلف فيه اهل
اللغة فذهب الاكثر الى انه لم يرد في كلامهم الا بمعنى الباقي ثم اختلفوا فقيل هو
الباقي مطلقا قل او كثر لانه من السؤر بالهمزة وهو البقية وقيل انه الباقي الاقل
والاول هو الصحيح **وذهب** الجوهري وغيره الى انه يكون بمعنى الجميع
وخطاهم فيه كثير كابن قتيبة والحريري في الدرة لانه مخالف للسماع والاشتقاق لانه
من السؤر فلا يصح كونه بمعنى الجميع وقد انتصر قوم للجوهري رحمه الله وان
ما قالوه غير صحيح اما الاول فلانه سمع من الفصحا كقوله •
الزم العالمون حبك طرا • فهو فرض في سائر الاديان •
واما الثاني فلان القائل به يقول انه مشتق من السير اي يسير فيه هذا الاسم
ويطلق عليه وقد اشبعنا الكلام فيه في شرح الدرة فانظره العلية اي الشريفة المحمودة
عند العقلا واهل الشرع المكتسبة لا الجبلية اذا اريد بها وجه الله والاداب الشرعية
التي هي اعم من الاخلاق او مقابلة لها فيشمل انواع العبادة ثم بين ما اجمله بقوله
من الدين اي التدين والعبادة والانقياد لاوامر الله والايمان والعلم بما له وعليه
مما به نظام معاشه ومعاده والحلم وهي ملكة يقتدر بها على الصبر على الاذى
والصبر وهو حبس نفسه اذا اصابته مصيبة او ناله ضرر او قل رزقه بان يتصور
ما خلق له ورجوعه الى الله وان كل شي بقضائه وقدره لحكم فيتسلى بذلك ويرضى
والشكر بان يحمد الله على نعمه ويحمد من اولاه معروفا ويصرف ما انعم الله به عليه فيما
خلق لاجله والعدل بان يجتنب ما لا يحل فعله ويتوقى ما يضر غيره والزهد بترك
الدنيا والرغبة عما في ايدي الناس وترك المحرمات والشبهات **وترك** ما سوى
الله مريدا وجه الله وهو زهد المقربين والتواضع اي الخضوع والتذلل ولين
الجانب والعفو وهو الصفح والتجاوز وعدم المؤاخذة والعفة وهي منع
النفس عن تعاطي ما لا ينبغي والجود وهو بذل ما ينبغي فيما ينبغي من غير اسراف
ولا بخل والشجاعة وهي الاقدام على ما ينبغي وهي واسطة بين الجبن والتهور والحيا
وهو الانقباض عن القبيح حذرا للذم من غير وقاحة وعدم مبالاة وتفريط فيه
وهو الخجل وهو انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها والمروءة
بقوله بالضم مهموز وقد تبدل همزته واوا وتدغم وتسهل بمعنى الانسانية
لانها ماخوذة من المرء وهي تعاطي المرء ما يستحسن وتجنب ما يسترذل كالحرف
الدنية والملابس الخسيسة والجلوس في الاسواق والصمت وهو السكوت

عمي

بمعنى السكوت والمراد ترك الكلام فيما لا ينبغي وترك الفضول فانه كما ورد في الاثر الصمت
حكم وقليل فاعله وقد يحمد في محله ولذلك قال عمر رضي الله عنه انه قفل الفم كما قيل
وكم فاتح ابواب شر لنفسه • اذا لم يكن قفل على فيه مقفل •
وهو كثير في النسا ولذا ايذم احيانا اذا كان عيا وقيل الصمت منام اللسان والتكلم يقظته
والمحبوس خت طي لسانه لا تحت طيلسانه وقيل من لم ينطق فسد عقله وما انتحاط ام
وهذا اذا كان في الخير والتؤدة بضم التا الفوقية وفتح الهمزة والدال المهملة تليها
الفا وهي التأني وترك العجلة والمبادرة بالكلام وغيره كما قيل •
قد يدرك المتأني بعض حاجته • وقد يكون مع المستعجل الزلل •
وروي التودد اي اظهار الود والمحبة للناس من غير تملق ومداهنة والوقار وهو
السكون والطمانينة من غير طيش وخفة والرحمة الشفقة والتعطف وحسن
الادب مع الناس باكرامهم وتنزيلهم منازلهم والمعاشرة معطوف على الادب اي حسن
المعاشرة والاختلاط مع الناس وترك التعجب وهجر الاخوان بغير داع واخواتها
بالجر من كل ما يشبه هذه الخصال مما سياتي في الفصل الذي يليه وجماعها بكسر الجيم
اي يجمع هذه واخواتها ويشملها كلها **وفي الحديث** حدثني بكلمة تكون
جماعا اي جامعة للكلمات كما في النهاية حسن الخلق فانه عبارة يدخل فيها كل ما ذكر
وغيره وهو معاملة كل احد بما يرضيه ولا يوحشه كما قاله ابو محمد بن رحمه الله وحسن
الخلق بمعنى الخلق الحسن كما في قولهم العلم حصول الصورة الحاصلة وفيه مبالغة
بجعله كانه عينه للزومه وفيه تفصيل في حواشي المطول في تعريف الفصاحة فما
قيل ان الصواب الخلق الحسن لانه هو الشامل وهو المراد الا ان يريد بالجمع المشترك
بين الكل لان الخلق هو الصفة المعنوية والصورة الباطنة ليس بصواب ولا حاجة
لما تكلفه وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة هي والطبيعة والجبلة بمعنى
كما مر واصل الجبلة لبعض الناس خلقه الله وانشاه عليها كما نرى من بعض كرم
الناس وحسن خلقه من غير تعلم من احد **واعلم** ان مراده بالكمال الذي عقد له
هذا الباب كمال الانسان في خلقته الذي ذكره الله تعالى بقوله لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم وما يلحق به من امور معاشه وماله دخل فيه كازمنه واصله وماله
دخل في مقامه من امور معاشه وهو الذي اشار اليه الحكما بقولهم لما كان الانسان
خلق لاشرف الصور التي هي النفس الناطقة خصه الله باشرف الامزجة واعد لها وجعله
بحكمته تقدست اسماؤه مدينة فيها اعضاء رئيسة ومرؤوسة ومراده بصفاته الاخروية
صفات ممدوحة فيه عقلا لا يختص بعصر ولا بنوع منه ولا بشريعة بل مما يدركه
ويحمده كل عقل سليم كالسخا والشجاعة وغيره وهذه لا يدخل فيها صرف العبادة
كالصلاة والحج ونحوه مما يخصه العرف باسم العبادة وان كانت هذه الصفات
فيمن عرف نفسه وربه وقصد بها القربة تسمى عبادة ايضا لان الشارع امر
بها وحث عليها فمن فعلها امتثالا لامره كان متعبدا بها ومن لم يعرف مقاصده
خلط وتكلف توجيهات لا حاجة اليها فقوله واصل الخلقة عطف تفسير للغريزة
وهل فيها ما هو قسم من الصور وريات ايضا والاخلاق تطلق على الملكات والكيفيات

سبيد

ابن الفرس

النفسانية وعلى اثارها مسامحة وكذلك تسمى جبلته مسامحة ويشترط في كون هذه دينية ارادة وجه الله بها كما عرفته فما قيل على المص رحمه الله ان مقتضى كلامه ان الجبلي والوهبي كالنبوة لعدم القصد والعمل لا يكون دينيا وان التحقيق ان التقرب الى الله بتعظيمه وحسن الحال والمآل يكون لكمال في الجبلة ووهب في الحياة بلا اختيار فان المعرفة والتصديق الوهبي والجبلي كما في بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام والانتساب الى النبي صلى الله عليه وسلم بمحبته كمالات تقرب وتنفع وان لم يكن اعمالا يثاب عليها وكم في الاخرة من امر يقرب وليس بعمل وهذا لا ينكره من له انصاف والاخلاق التي مدحها الشارع امور كسبية وان كان كمالها يكون جبلية كما سيذكره المص رحمه الله والظاهر انها توجب التقرب والتكريم في حد ذاتها وباب الجدال لا يسده طول المقال الى اخر ما اطال فيه قد عرفت انه خارج عن نهج السداد ولبعضهم لا يكون فيه فيكتسبها هذا معلوم من جعله مكتسبا وانما ذكره توطئة لما بعده وقوله فيكتسبها بالنصب كما قاله البرهان الحلبي وقال بعض الشراح الصواب الرفع على الاستيناف وتقدير المبتدا وهكذا كل ما اريد به نفي ما قبله واثبات ما بعده كقولك لم تكن اتيانه ما تاتيني فاكرمك اذا قصدت اكرامه لاجل عدم اتيانه كما ذكره ابن هشام في الشذور وفي الاقليد وكتب العربية ما يخالفه وليس هذا محل تفصيله واعلم انهم اختلفوا في الاخلاق هل هي كلها غريزية من غير كسب او كلها كسبية او بعضها كسبية وبعضها غير كسبية واليه ذهب المحققون قال النجاتي واليه ذهب المص كما سيصرح به في الفصل الحادي عشر من هذا الباب والشعراء في تخيلاتها ان ما بالطبع لا بد من زواله كما قال المتنبي

وأسرع مفعول فعلت تغيرا ۞ تكلف شيء في طباعك ضده ۞

وقال ذو الاصبع العدواني ۞

كل امرئ راجع يوما لشيمته ۞ وان تخلق اخلاقا الى حين ۞

ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى لا بد من كذا اي لا محيد عنه ولا مفارقة من بد دت الشيء اذا فرقته ولا يستعمل الا في النفي ولا يرد عليه قوله ۞

فمن ظن ان لا بد عنه ۞ فان عند العد بد ۞

لقصد التمليح وهو مولد وما وقع في بعض حواشي المطول من تفسيره بالسعة وتوجيهه لا وجه له واصل الجبلة اضافته بيانية والشعبة بضم الشين وسكون العين المهملة الحصة من الشيء واصل معناه الفرقة والقطعة واحال الم على ما سياتي في فصل الخصال المكتسبة وتكون هذه الاخلاق دنيوية اي اثارها المترتبة عليها او اكتسابها والتطبع بها يعني منقلب من حسنها المحمود المثاب عليه الى انها تكون دنيوية صرفة لا يثاب عليها كما ان الدنيوي ينقلب دينيا بالنية الصالحة ولذا قيل طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله قيل وهذا تصريح بنوع رابع غير النوعين المذكورين اولا وهو الدنيوي

الكسب فالانواع اربعة ديني ودنيوي وكل منهما ضروري او مكتسب وقد عرفت مما
فيه اذا لم يرد بها البنا للمجهول او اذا لم يرد فاعلها البنا للفاعل وقد تقدم معنى
الارادة والقصد وجه الله اي ذاته بان لم يقصد عبادته والتقرب اليه واتباع امره
والدار الاخرة التي في مقابلة الدنيا اي نعيمها وما فيها من الثواب والجزا وما كان لله
ولوجهه فهو للاخرة وبالعكس وقيل الاول اشارة لعبادة الخواص التي لا ينظر فيها لجنة
ونار وانما هو لاجلال الله وامتثال امره وقد يجعل هذا على قسمين ما قصد به الكمال
بالتلذذ والقرب والرضى ونحوه وما قصد به التعظيم وامتثال الامر وفعل ما يستحقه
وهذه عبادة خواص الخواص **قال الغزالي رحمه الله** وهذا قل ان
يتهمه احد فضلا عن ان ياتي به واعترض على عبادة الخواص بان البراة من الحظوظ
من خواص الالوهية حتى نقل عن الباقلاني رحمه الله تكفير من ادعى البراة من
الحظ بفعله واجاب الغزالي رحمه الله بانه حق ولكن مرادهم ان فعلهم لحظ غير حظ
العوام وهو التلذذ بمعرفته تعالى ومناجاته والنظر له وقيل عليه هذا لا يمنع في
القسم الثاني اذ لا ينظرهم لتلذذ انفسهم ولم يبق لهم مطلب ولا مزيد ولا مراد
فالحق في الجواب ان عدم الحظ بمعنى عدم التاثر عن شي فانه غني وهذا المعنى لا يليق
به لانه يلزمه الامكان والاحتياج وهم معترفون بانهم محظوظون متاثرون ولكن
يدعون عدم ملاحظة الحظ وقصده بالفعل ولا دليل على اختصاصه فيجوز في فعلهم
الغير الاختياري واما الاختياري ففيه نظر لما تقرر من ان الفعل الاختياري من
الممكن لا بد ان يسبق بالتصديق بفائدة وغرض باعث على الفعل يعود الى الفاعل
ولهذا نفوه عن الله فكيف تكون العبادة لمحض استحقاق الذات والظاهر ان
ذلك غير مسلم عند الحكما والثاني اشارة الى عبادة العوام مما كان لنيل النعيم
والخلاص من الجحيم وهذه على مراتب منها ما يفعل لعبادة الله واطاعة امره
راجيا النجاة بحيث لو لم يكن لفعل وهذه اعلاها ومنها ما فعل لذلك والباعث
لعبادته امر اخروي بحيث لو لم يكن لم يفعل وهذه دونها ومنها ما يفعل مع
الغفلة عن امر الله وطاعته وانما القصد مجرد النجاة والنعيم الا ان هذه حكم
الرازي رحمه الله ببطلانها وفاقا فقال في تفسيره اجمع المتكلمون على ان
من عبد الله ودعاه لاجل خوف النار وطمع الجنة لا تصح عبادته ودعاوه وذلك
لان التكاليف بمقتضى الالوهية والعبودية عند اهل السنة ومع كونها مصالح
عند غيرهم فوجه الوجوب والحرمة الامر والنهي فمتى اتى بها لا لاتباع الامر والنهي
بل ومتى اتى بها خوفا وطمعا لم تصح اتفاقا لانه لم يات بها على وجه وجوبها
انتهى ومنه يظهر ان المراد وجوب ان يكون الغرض الامتثال ونحوه ولم ينف انضمام
شي اخر باحد الوجهين ما لم يصر ريا فلا ينافي هذا قول النووي رحمه الله لو
قال احد لاخر صل لنفسك ولك علي كذا فصلى لهذه النية صح ومن لم يفهم مراده
توهم المنافاة **هذا** ومن العبادات الظاهرة ما لا يحتاج الى نية بل يكفي عدم
الصارف كالصدقة والعتق وغيره فلا يبعد ان يكون في الاخلاق القلبية ما
هو كذلك واذا لم يجب في الصدقة ونحوها فبالاولى انه لا يجب في العلوم الشرعية

خ ولذا

والعداله واذا كان الكلام في الاثار فقد يكون غير ما ذكروه وحينئذ انما تكون دنيوية
اذا اريد بها غير الله واما اذا اريد بها الاخرة وغيرها ففيه تفصيل وخلاف ولنا هنا
تحقيقات خارجة عن مقاصد الكتاب انتهى ملخصا اقول ذكر هذا الامام في تفسير
الفاتحة واستدل بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اقره على ذكر جماعة
وقد قال شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي في شرح الارشاد وهذا عجب فقد صرح
الفقهاء بان من قصد بالصلاة الدنيا تصح صلاته فبالاولى هذا فالوجه خلافه
وقد حث الشارع على العبادة بذكر الثواب والعقاب ففيه دليل على ان مثله لا يضر
وقد صرح في الاحياء بانه قصده لا ينافي الكمال والعامل للجنة عامل لبطنه
وفرجه كالاجير السوء ودرجته درجة البله الذين هم اكثر اهل الجنة وفيه رد
لما قاله الفخر ونحوه قول السبكي رحمه الله العاملون على اصناف صنف عبدوه
لذاته وان لم يخلق جنة ولا نارا ومع ذلك يسألونه الجنة ويستعيذونه من النار
اتباعا للنبي صلى الله عليه وسلم وقد قال حولها ندندن ومن اعتقد خلاف ذلك
فهو جاهل وصنف عبدوه خوفا من ناره وطمعا في جنته وهو دون الاول وكلاهما
يعتقد وجوب الطاعة واستحقاقه تعالى لها انتهى وحمله بعضهم على من
جعل عبادته في مقابلة ذلك وانه واجب على الله كالمعتزلة فهو غير جازم بالسنة
حينئذ فيبطل عمله عند اهل السنة وحمله على انه لولا ذلك ما عبد تكلف اذ
الكلام في اسلامه حينئذ **وفي الاحياء** عن مكحول من عبد الله بالخوف
فهو حروري ومن عبده بالرجا فهو مرجي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق
اي المؤمن لابد له من الخوف والرجا لقوله خافوني ولا تيأسوا من روح الله الخ
فمن عبده بالخوف ولم يوجد منه رجا او وجد ما لا وزن له معه فهو حروري
لحمله على المعاصي بالانسلاخ من الرحمة والخوف من الذنب كالخوارج على علي كرم
الله وجهه وهم فساق او كفرة فتجريد الخوف يوجب الالتحاق بهم ومن عبده
بالرجا دون الخوف فهو كالمرجئة الذين يقولون لا يضر مع الايمان ذنب ومن
تجرد رجاؤه قد يقال لا تصح صلاته ولا شيء من عبادته لان نية الفرضية شرط
فيها واذا انتفى الخوف بتقدير الترك انتفى اعتقاد الوجوب لان الوجوب
ما يذم تاركه او يعاقب او يخاف من العقاب على الخلاف في حده ومن اعتقد
العقاب والذم خاف منه العقاب فعلم ان انتفا الخوف لا تصح معه عبادة وايضا
لانه ارجا لا يقال ينافيه قوله نعم العبد صهيب الخ لانا لم نقل ان انتفا الخوف
لا يوجب الارجا مطلقا بل تجريد الرجا هو الموجب له وثمة حالة اخرى اكمل
منه وهي الحيا المانع من المعصية ومعنى الثالث ان المحض المحبة مع انتفا الخوف
والرجا يستلزم العمل لا لاجلها الا استحقاقه تعالى واعتقاده كفرا يمكن يظهر الاسلام
فهو كالزنديق ومعنى قولهم ما عبدناك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك
انه لذاتك المستحقة لذلك كما مر انتهى وانما اطلنا في هذه المسيلة لانها
من المهمات والوقوف عليها لازم الا ان ما ذكروه ليس متجه بوجه من الوجوه
لان كلامهم في العبادة المعروفة في عرف الشرع وما نحن فيه من هذا القبيل

الكامل

التلمساني

دلجي

سعيد

كما حققناه لك فلنتكلم على ذكر ما فى كلامه من سقطات يعرفها من له ذهن وقاد وفكر
لزيوف المعارف نقاد فلنجذب عنان التحرير ليستريح جواد القلم من التسطير والى ما ذكر
من ان ما نحن فيه ليس من قبيل العبادة المعروفة فى عرف الشرع اشار بقوله ولكنها
بها محاسن وفضايل اى هى كلها امور حسنة تفضل بها صاحبها فى حد ذاته بقطع النظر
عن الشرع فان محبتها مقامها حسنة وخلوص نية اثيب عليها والا فلا باتفاق
اصحاب العقول السليمة وان كانت قد تذم لامر عارض كالرياء والتمنع عما يجب انكاره
كما يعرض لبعض الكمال ما يجعله ناقصا وان اختلفوا فى موجب بكسر الجيم لا بفتحها
كما توهم اى سبب حسنها وتفضيلها على غيرها هل هو لذاتها او لما يترتب عليها او
لتحسين الشارع وتفضيله بناء على ان الحسن والقبح امر يعرف من الشرع لا من غيره
مطلقا كما ذهب اليه الاشعرى او فى تفضل لا مور كما ذهب اليه الماتريدي او من
العقل مطلقا كما قاله المعتزلة والخلاف فى الحسن والقبح الذى يترتب عليه الثواب
والعقاب لا مطلقا كما توهم **فصل** قد عرفت ان فصول هذا الباب سبعة
وعشرون وانه عد ما تقدم فصلا ولم يعد الفصول لذلك او للاختصار ولم
يترجم بعض الفصول لعدم انضباطها وهذا الفصل معقود لخصال محمودة مختص
به صلى الله عليه وسلم مقتبسة من الكتاب والسنة منها ما يذكر فى الفصول التى
بعده اذا كانت خصال الكمال والجلال المتقدم ذكرها كما اشار اليه بقوله ما ذكرناه
فى اول هذا الباب ووجدنا الواحد منا معاشر البشر وهذا معطوف على ما قبله
او حال بتقدير قد والمعنى ان الواحد يشرف كما وجدناه ويشرف بفتح اليا وضم الرا
اى يحصل له الشرف على غيره بواحدة منها او اثنتين اى بسببه اذا كانتا فيه على ما
يليق به ان اتفقت له قيد للشرف او للوجدان والحصول ومعنى الاتفاق حصولها
على وجه يشرف به بغير كسب والضمير للخصلة المفهومة من السياق والمراد نوعها
وجنسها فيشمل المتعدد وتعبيره بالواحد اشارة الى ان اهل الكمال فى كل عصر قليل
كما قيل

انى لافتح عينى حين افتحها • على كثير ولكن لا ارى احدا •

والعصر الدهر وكل مدة ممتدة غير محدودة تحتوى على امم وينقرض بانقراضهم
والجار والمجرور متعلق بوجدنا او بيشرف ويجوز تعلقه باتفقت والمراد
بالواحد الجنس اى واحد فى عصر واخر فى اخر عصر بعد عصر لا فى ايام قلايل واشار
بقوله واحدة او اثنتين الى ان اجتماعها كلها او اكثرها نادر وفى بعض النسخ او
اوان وهو من مخصوص كرهن الزبيع وليس من عطف الخاص على العام كما قيل
اما من نسب او جمال او قوة فى الاعضا والقوى وقيل هى بمعنى البطش والشدة او علم
اى علم من العلوم الشرعية او العقلية او حلم او شجاعة او سماحة وجود كما مر
حتى يعظم قدره غاية لقوله يشرف ولو صغره بما ذكر اى يرتفع حتى يصير معظما
مبجلا عند الناس فى حياته قيل وهو مع ما بعده غاية اذ العظمة اعلا من العلو
والشرف او مقيدة بقوله وتضرب باسمه الامثال فى حياته ومماته كما يقال
هو حاتم فى الجود والامثال الجمع مثل وهو المشبه به وضربه بيانه وتشبيه غيره

سعيد

به وضرب الامثال باسمه ذكره بجعله مشبها به وليس اسم مفخما للتعظيم والمبالغة هاهنا
قيل والمثل يضرب للايضاح بابرازه في معرض المحسوس ليدل على غاية وضوحه وكماله
في وجه الشبه والضرب اصله ايقاع شيء على اخر ويختلف باختلاف متعلقه فالضرب في الارض
السير لايقاع الارجل وضرب الدراهم صوغها لايقاع المطارق ومنه اخذ ضرب المثل
لتاثيره في النفوس كما اشار اليه بقوله ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب اثره
بضم الهمزة وكسرها وسكون المثلثة وبفتحها وهي المأثرة والمكرمة من تلك الخصال
التي وصف بها والفرد واستاثر عن غيره وعظمه وهو منذ عصور حوالاي والحال
اذ ذلك الموصوف بها من ابتدا الازمنة ماضية الى ظهور عظمة قدره وضرب الامثال
به ومنذ مبني على الضم كما قرره النحاة مختص بالزمان بخلاف من على ما فيه ورمم
بكسر الراء قيل وقد يضم جمع رمة او رميم وهي العظام واجزا البدن البالية تقوله
بوالجمع بالبيه وبال تاكيد كنفخة واحدة او تجريد او بيان لرمم لانه قد يغفل عن
معناها وهو قريب من التاكيد ولا وجه للرد وليس في حمل الرمم على ما هو باعتبار
اجزا بدنه تكلف ولم يكتف بالمفرد لان المراد ان الواحد يعظم قدره بعد موته بالاتفاق
بواحدة او اثنتين منها مع صيرورته عظاما تفرقت جموعها فما الظن بمن عظم قدره

غريبة

بما فوق ذلك وقد حرم الله جسده على الارض واحياه في قبره كساير الانبيا عليهم الصلاة
والسلام **وقد رايت** في بعض الكتب ان السلف اختلفوا في كون من قال ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما انتقلت روحه للملا الاعلى تغير بدنه وروى ان
وكيع بن الجراح حدث عن اسمعيل بن ابي خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما توفي لم يدفن حتى ربا بطنه وانثنى خنصره واخضرت اظفاره لانه صلى الله عليه
وسلم توفي يوم الاثنين وترك ليلة الاربعا لاشتغالهم بامر الخلافة واصلاح امر
الامة وحكمته ان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم قالوا لم يمت فاراد الله ان
يريهم اية الموت فيه ولما حدث وكيع بهذا بمكة رفع الى الحاكم العثماني فاراد
صلبه على خشبة نصبها له خارج الحرم فشفع فيه سفيان بن عيينة واطلقه ثم ندم
على ذلك ثم ذهب وكيع للمدينة فكتب الحاكم لاهلها اذا قدم اليكم فارجموه حتى يقتل
فابرد له بعض الناس بريدا اخبره بذلك فرجع للكوفة خيفة من القتل وكان المفتي
بقتله عبد المجيد بن رواد وقال سفيان لا يجب عليه القتل وانكر هذا الناس
وقالوا رايا بعض الشهدا نقل من قبره بعد اربعين سنة فوجد رطبا لم يتغير
منه شي فكيف بسيد الشهدا والانبيا عليهم الصلاة والسلام وهذه زلة
قبيحة لا ينبغي التحدث بها فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت له كل هذه الخصال
اي الواحد منا اذا حصلت له خصلة او خصلتان منها حصل له شرف قدر ووقع
في القلوب ورفيع قدره لا يزول بموته وصيرورته عظاما بالية فكيف بمن جمعها
وهو باق في قبره وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وهذا
جواب اذا والظن الاعتقاد الراجح الغير الجازم ويكون بمعنى العلم وعظم قدره
بمعنى قدره العظيم والاستفهام انكاري بمعنى النفي او للحمل على الاقرار بغاية
عظمته او للتعجب وليس لتعجيب كما توهم والمراد بالخصال السابقة ما ذكرها

مجاوزة

متجاوزة اي مما لا يأخذه عد اي لا يعد لكثرته ولعدم اطلاعنا على كثير منه ومعنى لا يأخذه
لا يحيط به او يغلبه كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم كما مر فهو استعارة ولا حاجة
الى ما قيل انه ادعا او مبالغة والى ما قلناه اشار بقوله ولا يعبر بكسر الموحدة المشددة
عنه قول فاعل يعبر اي مقول وروي به مقال اي لا يعرب به وينطبع مقال ولا ينال
اي يحصل ويتوصل اليه بكسب وتحصيل باسباب عادية ولا حيلة اي حذق وتصرف
وجودة نظر فهو اعم من الكسب الا بتخصيص الكبير المتعال استثناء مما قبله منقطع
اي لكن لا ينال الا بامر وهبي يختص الله به من يشا وقيل يحتمل ان يكون متصلا اي
الا بحال مصاحبة للتخصيص ويقدره على كسب بعض ويحبه بعضا وفيه نظر والكبير
العظيم شانه **وقال الرازي** الكبير ما كبر في ذاته والعظيم ما ليس تعظمه
غيره فلذا كثر وصفه تعالى بالكبير دون العظيم فتامله والمتعال بحذف اليا للوقف
تخفيفا المستعلي عن كل ما سواه والعالي شانه عن جميع شوايب النقص وقوله
من فضيلة النبوة والرسالة بيان لما في قوله ما لا يأخذه عد اي لم يذكره قبله
وقيل للكل من الخصال المذكورة ومما لا يحويه العد مما هو مذكور في الكتاب ليقف
عليهما الباحث عنهما مجتمعة فيكون اقرب الى الضبط وادعى الى التعظيم والتخصيص
اعم من النسبي والحقيقي وان الظاهر انه لم يرد الخصايص لعدم المشترك بينهم لا داعي
للتكلف للتخصيص والقول بانه لا يناسب عد المواهب من الغرايب انتهى **وفي** قواعد
القرافي النبوة افضل من الرسالة عند العز بن عبد السلام من جهة الخطاب عبارة
عن خطاب الله نبيه صلى الله عليه وسلم بما يتعلق به وبذاته والرسالة متعلقة
بالامة وقيل الرسالة افضل لعظم ثمرتها وعموم نفعها او لكل وجهة وسياتي
تفصيله **قلت وهذا** ظهر السر في ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
وردت مقرونة بلفظ النبي لتعلقها بذاته الشريف ولذا قال تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي لا لانه اذا صلي عليه باعتبار النبوة علمت بالاولى تلك وليس ذكر
الرسالة مستدركا هنا كما توهم والخلة بضم الخا من المخاللة والمحبة والاصطفا
افتعال من الصفوة بالفتح والكسر وهي الاختيار والاجتبا بالجيم تناول حبايته
وجميعها فيه وسياتي الكلام على المحبة والخلة وهذا اشارة الى ما ورد في الحديث
الاتي ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة
واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني
هاشم والاسرا الى المسجد الاقصى وسياتي تفصيله والروية لربه والزيادة الكبرى
او جبرايل عليه الصلاة والسلام في صورته الاصلية فلا يرد عليه ما قاله البرهان
الحلبي من انه هنا جزم برؤية ربه وقال فيما سياتي ان ذلك لم يثبت عنده لاحتمال
ان يراد بالرؤية غير ما ذكر او يذكره هنا تبعا لغيره وقيل الذي رآه رفرف اخضر
سد الافق في الجنة والقرب والدنو لقوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين
او ادنى على القول بان الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وليس هذا قربا مكانيا اذ كان
المراد به القرب من الله لاستحالة المكان والجهة على الله وقد ذكر في الاية على سبيل
المدح فالاول في قوله فكان قاب قوسين او ادنى والثاني في قوله ثم دنى فيما ستعلمه

هنا او هو عطف تفسير والوحي مصدر وحي بمعنى اوحي والاكثر في الاستعمال الفعل
المزيد ومصدر الثلاثي وهو اعلام نبيه صلى الله عليه وسلم بما يريده من شرع وغيره
بكلام او ارسال ملك او الهام ونحوه واصل معناه الكلام الخفي والشفاعة والوسيلة
المراد مطلق الشفاعة في امته صلى الله عليه وسلم او الشفاعة العظمى وله صلى الله
عليه وسلم شفاعات ستاتي والوسيلة اصلها ما يتوسل به ويتقرب ويتوصل بها
لرحمة ربه وقيل هي الشفاعة يوم القيامة وقيل هي منزلة في الجنة وحمله هنا عليها
ارجح والفضيلة هي اما فضيلة خاصة به صلى الله عليه وسلم او شاملة لجميع
ما منحه الله من الفضايل والكمالات اذ كل صفة حادثة قابلة للزيادة ولذا قال وقل
رب زدني علما وقال ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شا ولهذا قال بعض الشراح ابن اقدس
هنا انه يجوز في الدعا للنبي صلى الله عليه وسلم ان يقال اجعل ذلك زيادة في شرفه
لقبول الصفات الحادثة للزيادة والنقص بخلاف صفات الله ولهذا اثنى الله على نفسه
ومنع غيره من الثنا على نفسه بقوله فلا تزكوا انفسكم واستثني منه محال منها الامين
الواثق بامانته كقول يوسف عليه الصلاة والسلام اني حفيظ عليم ومنها الشجاعة
كقول علي كرم الله وجهه انا مفرق الكتايب انا ليث بني غالب ومنها العالم النسيب
اذا لم يعرف انتهى ملخصا والدرجة الرفيعة واحدة الدرجات وهي الطبقات والمراتب
وهي المرتبة المختصة به والرفيعة المرفوعة العالية والمقام المحمود هو مقام
يقوم فيه صلى الله عليه وسلم للشفاعة العظمى فيحمده فيه الاولون والاخرون
ولا شك انه مغاير للشفاعة وان احتوى عليها فهو مغاير لها لتقدمها وهذا اولى من
القول بانه الشفاعة لاخراج طايفة من النار ومن القول بالعموم والخصوص
او تغاير المفهومين وهو حيث يعطى صلى الله عليه وسلم لوا الحمد ويكون اقرب
من جبريل وقال البرهان انه الشفاعة العظمى في اراحة الناس من الموقف وعن
كعب بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث الناس
يوم القيامة فاكون انا وامتي على تل فيكسوني ربي حلة خضرا فاقول ما شا الله
ان اقول فذلك المقام المحمود رواه ابو حاتم وهذا لا ينافي ما تقدم كما قاله
الطبري لقوله فاقول الخ فيجوز التغاير وعدمه وقوله فذلك الخ فذلكة لما
قبله والاشارة لمجموعه كقوله تعالى عوان بين ذلك ولا حاجة لتقدير مضاف
اي فمقام ما ذكر والاشارة للمقام وان لم يسبق ذكره وفيه زيادة كقوله تعالى
والباسه تلك الحلة الفاخرة ثم ان البرهان ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه
ان عبد الله بن سلام رضي الله عنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صفة لوا الحمد فقال طوله الف وستماية سنة من ياقوتة حمرا وقضيبه
من فضة بيضا وزجه من زمردة خضرا له ثلاثة ذوايب ذوابة بالمشرق وذوابة
بالمغرب وذوابة وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة اسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم
والثاني الحمد لله رب العالمين والثالث لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل
سطر مسيرة الف عام قال صدقت يا محمد وفي الرياض النضرة في خصايص العشرة
للطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم سئل عن لوا الحمد فقال

لو ثلاث شقق كل شقة ما بين السماء والارض على الاولى مكتوب بسم الله الخ فاتحة الكتاب وعلى الثانية مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الثالثة مكتوب ابو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين علي الرضى انتهى رضي الله عنهم وتصديق ابن سلام رضي الله عنه اياه لخلوه من اعتقاده او لموافقته لما في الكتب الالهية عنده لانه حبر بني اسرائيل كما مر ثم ان كونه جسما بناء على هذه الصفة المروية خالف فيه صاحب المواهب وقال قوله صلى الله عليه وسلم لواء الحمد بيدي اراد به انفراده صلى الله عليه وسلم بالحمد يوم القيامة وشهرته به على رؤس الخلايق والعرب تضع اللواء موضع الشهرة انتهى **ووجه** تسميته لواء الحمد كتابة الحمد عليه او انه يتبعه فيه جميع الناس حامدين له او انه حمد الله حين رفعه بمحامده اللائقة به والبراق تقدم الكلام عليه والمعراج بكسر الميم وقد تفتح المصعد مفعال من العروج وهو اسم آلة والمراد عروجه صلى الله عليه وسلم على المعراج الى السماء وفي رواية انه رأى معراجا كسلم فسمي به لهذا الاعتبار واشتهر به لكن وان لم تشتهر تلك الرؤية **وفي الصحاح** المعراج السلم ومنه ليلة المعراج ولا بعد فيه كما قيل وقال التلمساني رحمه الله انه سلم من نور تصعد فيه الملائكة او المراد الدرجات المتصورة كالسموات او الرف المعنوية التي عرج عليها وقد تطلق على العروج وبه فسر في بعض المواضع وفي **القاموس** عرج يعرج عروجا ومعرجا ارتقى فاذا كان خلقة فعرج كفرح او ثلث او غير الخلقة وهو اعرج بين العرج انتهى ومن لطائف الفاضل قوله في رسالة في اعرج

وامت العصا بيل مقام رجله ● وقلت اعواد الاغصان من اجله ●
نعرج به من الارض الى السما ● وعوض العود بكفه ولكن ما اورق وما ●
ولعمري حمل العصا هو لعذاب الاليم ● وما افلح من لازمها بعد موسى الكليم ●

تنبيه قال الحافظ الدمياطي الاسراء عبارة عن سيره صلى الله عليه وسلم من مكة للمسجد الاقصى والمعراج سلم من نور او من جواهر تصعد فيه الارواح الى السماء ويطلق كل منهما على ما يشمل الآخر كما مر والمبعوث الى الاسود والاحمر اي عموم رسالته صلى الله عليه وسلم لما ذكر كما تقدم والاسود العرب او الجن والاحمر غيرهم لان الغالب على الوان العرب الادمة وعلى العجم البياض والصلاة نصب بالانبياء عليهم الصلاة والسلام اي امامته لهم حين اجتمع بهم بالمسجد الاقصى حين اسري به صلى الله عليه وسلم ولم يراع المصنف رحمه الله الترتيب بين ما ذكر ولو راعاه كان احسن والشهادة بين الانبياء والامم يوم القيامة كما في قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا كما مر وسيادة ولد آدم اي سيادته لجميع الخلق وآدم وولده كما ثبت في الحديث الصحيح لانه اكرم الخلق على الله كما مر ولواء الحمد تقدم الكلام عليه وسيأتي ايضا واللواء اكبر من الراية ولا اشتراط بينهما الترتيب كما قاله التلمساني وجمعهما العلامة والبشارة والنذارة بكسر اولهما اي كونه بشيرا ونذيرا كما في القرآن الكريم والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم بفتح المثلثة اي هناك والامانة على الوحي واسرار الالوهية المذكورة في قوله تعالى انه لقول رسول كريم الآية على قول من جعلها له كما مر مع الهاء ثابتة له في نفس الامر بادلة اخر والهداية له المذكورة في اول

سيد

سورة الفتح او كونه هاديًا للخلق ورحمة للعالمين بالمغيب يكون متعديًا وروي بالجر
لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين كما تقدم واعطا الرضي والسؤل بضم
السين وسكون الهمزة وتبدل واوا وهو المامول وكل مسئول والرضا كل ما يرضيه
لقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى والسؤل قريب من الرضى قيل والذي ورد في
الاية الرضا والسؤل ورد في حق موسى عليه الصلاة والسلام في قوله لقد اوتيت
سؤلك يا موسى اي ما سأله بقوله رب اشرح لي صدري ويسر لي امري قال التجاني
ولا شك انه صلى الله عليه وسلم اعطي الرضا لان من اعطي الرضا فقد اعطيه مابعد
واما السؤل فلم اعطي سؤلا ونال مامولا ومسئولا وان لم يعبر فيه بهذا اللفظ
كما في حق موسى عليه الصلاة والسلام فلعل المصنف رحمه الله اراد انه صلى
الله عليه وسلم اعطي سؤل موسى السابق لقوله له ان مع العسر يسرا ونشرحنا
لك صدرك الى غير ذلك مما هو بمعناه وهذه تكلفات لا حاجة اليها ولذا لم
يلتفت له الشراح والكوثر تقدم الكلام عليه وسماع القول اي سماع الله
لقوله صلى الله عليه وسلم وقبوله الوارد في حديث الشفاعة الطويل بقوله
قل يسمع لك وسل تعط واحتمال ان يراد بالقول القران وسماعه العمل بموجبه ابن الحنبلي
او استماع النبي صلى الله عليه وسلم لقول الله كما قيل بعيد واتمام النعمة
والعفو عما تقدم وتاخر المذكور في قوله تعالى ليغفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر كما تقدم وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر المذكور في قوله
تعالى الم نشرح لك صدرك الخ وعزة النصر كما مر في قوله تعالى وينصرك الله
نصرا عزيزا ونزول السكينة والتاييد بالملائكة اشارة الى قوله تعالى فانزل
الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة عليهم الصلاة والسلام
ببدر كما مر وقال ابن العربي في احكام القران اتفقوا على ان الاقوى في هذه
الاية ان الضمير فيها عائد على ابي بكر رضي الله عنه لا على النبي صلى الله عليه وسلم
وقد تقدم ما فيه والمراد بالسكينة الرحمة وفي انوار التنزيل في تفسير قوله فتابين
سكينة من ربكم اي ما تسكنون اليه وهو التوراة وقيل صورة من زبرجد
او ياقوت لها راس وذنب كراس الهر وذنبها ولها جناحان فيئن فيزف
التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا ثبت ثبتوا وحصل النصر
وهو غير ملائم لهذا المقام ثم السكينة قد علم انها بفتح السين وتخفيف
الكاف المكسورة فعيلة من السكون وبه جزم ابن قرقول وغيره وما حكاه
الصاغاني من كسر السين وتشديد الكاف قول مرغوب عنه والاظهر
انها الامن والثبات او الرحمة او الوقار وقيل المراد الملائكة عليهم الصلاة
والسلام والتاييد التقوية وعن كعب الاحبار ما من فجر يطلع الا وينزل
سبعون الفا من الملائكة يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله
عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فيصنعون مثلهم حتى اذا
انشقت الارض خرج سبعون الفا من الملائكة رواه البيهقي في شعبه
واتينا الكتاب والحكمة الكتاب القران والحكمة النبوة والعلم النافع على

ما مرّ والسبع المثاني والقرآن العظيم تقدم الكلام فيهما وتزكية الامة لقوله تعالى
يتلو عليهم اياته ويزكيهم وفيه فضيلة له صلى الله عليه وسلم ظاهرة والدعا الى الله
قال تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة وقوله وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا كما تقدم واما قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعى الى الله فقيل صح
او المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم وعن عايشة رضي الله عنها ان هذه الاية نزلت
في الاذان **واستشكل** بان السورة مكية والاذان انما شرع بالمدينة وكذا ما قيل
المراد بلال بخصوصه رضي الله عنه **والجواب** بان المراد
ان الاذان داخل فيها باباه ظاهر وصلاة الله والملايكة عليه صلى الله عليه وسلم
كما في الاية والاحاديث الاتية والحكم بين الناس بما اراه الله لقوله انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله اي عرفه بالوحي والاجتهاد
الذي اراه طريقه ووضع الاصر اي ثقل التكاليف التي كانت في الامم السابقة
والاغلال عنهم اي المواثيق اللازمة لهم لزوم الغل في العنق وفيه استعارة
مصرحة قال ابو علي في قوله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم
اي تخفيف ما يشدد في التورات على بني اسرايل واخذ عليهم العهد به كقتل القاتل
بدون دية او عفو او قطع الاعضا الخاطية وقطع محل النجاسات من الثياب
وصبر عنهم لامته اوله ولهم والقسم باسمه كما مر والاسم ما اطلق عليه صلى الله
عليه وسلم فيشمل نحو والنجم اي ان اراد اسمه صلى الله عليه وسلم في القسم فلا يرد
ان القسم انما هو بمعناه واجابته دعوته اي دعايه صلى الله عليه وسلم في
مواضع لا تخفى وتكليم الجمادات كالطعام والحصا والاحجار كما ورد في الحديث اني
لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل هو الحجر الاسود وقيل غيره والمراد
تكلمها عنده ولاجله صلى الله عليه وسلم فلا يرد قول بعضهم انه لا يدخل فيه
تسبيح الطعام في يده كما ظنه النجاني نعم هو داخل في تسبيح الحصا الشبيه به
وسياتي ذلك والجمادات جمع جماد من الجمود ضد الذوبان والمراد به ما ليس بحيوان
ونبات وقلنا جمع الجودي والجمد ● وقيل انه اصطلاح العلما والاسما المذكرة
التي لم يسمع لها جمع تكسير من العرب يجوز جمعها بالالف والتا كحيوانات واما
ما جمع جمع تكسير فلا الا في الشاذ القليل كما قاله النجاني وظاهره انه مقيس
**وكلام الحبري** في الدرة مصرح بخلافه والعجماي وتكليم
العجم بضم العين وسكون الجيم وليس بفتح العين والجيم رواية ودراية
والمراد به الحيوان الذي ليس من شانه النطق فاراد به ما ورد من نطق الظبي
والضب والجمل والحمار المفصل في معجزاته صلى الله عليه وسلم وهو جمع اعجم
كما في المغني وحاشية الشمني وقال ابن ارسلان جمع عجما ومنه الحديث
اذا ركبتم هذه الدواب العجم وجرح العجما جبار وكلاهما جايز وفي
النهاية ومختصرها للسيوطي ورد بعدد كل فصيح واعجمي اي ادمي او بهيمة
فقول النجاني الاعجم يطلق على من في لسانه عجمة وان كان عربيا وليس بمراد
هنا وعلى من لا يفصح منه كلام من الحيوانات غير الناطقة انه اراد الاعتراض

ابن الحنبلي

ابن اقبرس

فغير مسلم وتفسيره بعضهم له بخلاف العرب غير صحيح وجمع بعض الناس كتابا مستقلا في هذا سماه النطق المفهوم طالعته فلم ار بحوطا وفي عوى الايمان للبارزي اختلف اهل النظر في هذا فمن قايل انه كلام واصوات يخلقها الله في الجماد ويسمعها من غير تغيير وهو مذهب الاشعري والباقلاني وذهب اخرون الى ايجاد الحياة فيهما اولا ثم الكلام بعده وللمنصوري في قصيدة نبوية

يا المس فصحا قد خرست ● ان الجماد بفضله نطقا ●

وسياتي الكلام فيه مفصلا واحيا الموتى اي احيايه صلى الله عليه وسلم الموتى بحسب الظاهر والا فالذي احيا الله الموتى له جمع ميت كما ورد في احيا ابويه له صلى الله عليه وسلم وغيرهم كما سياتي واسماع الصم اي اسماع الله بسببه صلى الله عليه وسلم الحجارة الصم ونحوها من الجماد كالشجر جمع اصم وهو الحجر الصلب كما ورد انه صلى الله عليه وسلم امر الحجارة ان يجتمعن عليه لما لم يجد ما يستتر به عند البراز كما ذكره الثعالبي وهذا لا يخالف قوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فانه مستعار للكفار لكونهم غير منتفعين بحواسهم وليس المراد به الصم المعروف **فايدة** قال الحافظ ابن حجر رحمه الله لم يكن في حياته صلى الله عليه وسلم احد من الصحابة رضي الله عنهم اصم وهذا من كراماته صلى الله عليه وسلم لانه مبلغ لهم او امور به والصمم يمنع منه بسهولة بخلاف العمي ونبع الما من بين اصابعه اي خروجه من بينها كما سياتي بيانه والاصابع جمع اصبع وفيه عشر لغات نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى في فوايده بتثليث الهمزة مع تثليث البا والاصبوع كبر بوع تنى عشر ومما قلته في هذا من مقطعات النيل

لا تفخر لي اصابع النيل تحكي ● ما جرى من اصابع المختار ●
وهو عذب جرى بغير قياس ● زايدا دايما بغير انكسار ●

وتكثير القليل من الطعام وغيره اي تكثير الله له بسببه صلى الله عليه وسلم او تكثيره هو بحسب الظاهر والعادة وهو ضم الاسناد كما في قصة جابر وطلحة رضي الله عنهما المروية في كتب الحديث لما امر صلى الله عليه وسلم بجمع الزاد القليل ودعا وبرك فيه فكثر حتى ملي منه كل وعا معهم وانشقاق القمر لاجله بدعايه صلى الله عليه وسلم كما روي انس رضي الله عنه ان قريشا سالته ذلك فانشق القمر فلقتين وروي مرتين وروي انه ذهب فلقة وبقيت فلقة وله طرق صحيحة وليس المراد بما في الاية انه سينشق يوم القيامة كما في الكشاف وغيره لانه اخراج للقران عن ظاهره وترك لتفسيره بما هو من اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم وسياتي بسط الكلام فيه كالذي قبله ورد الشمس عليه صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق وصبيحة الاسرا ولصلاة علي كرم الله وجهه وسياتي تفصيله وفي حواشي التلمساني انها وقفت ليلة الاسرا لنفسه بتقدمه صلى الله عليه وسلم وردت لعلي كرم الله وجهه بعد الغروب حتى صلى العصر وستقف في ايام الدجال لطول

ايامه

ايامه بيوم كسنة وشهر وجمعة قيل كان علم النجوم صحيحا حتى وقفت الشمس ليوشع عليه الصلاة والسلام فبطل بعضه وبطل ما فيه بقية على كراهة وجهه والى هذا اشار القايل رحمه الله تعالى

وردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لها من جانب الخدر مطلع
فوالله ما ادري احلام نايم * المت بنا ام كان في الركب يوشع

وقلب الاعيان جمع عين وهي ذات الشيء ونفسه وهي مشتركة بين معان مشهورة كثيرة كعصا عكاشة رضي الله عنه يوم بدر حيث تناولها صلى الله عليه وسلم بيده فصارت سيفا صارما ونحوه مما سياتي وقلب الاعيان بقدرة الله تعالى ممكن واقع ومن ينكره وان لم يعتقد بانكاره يقول لم تقلب عينه وانما عدمت واوجد الله مكانها مثلها والنصر بالرعب بضم فسكون وهو الخوف وسياتي تفصيله والاطلاع على الغيب بتشديد الطا اي اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على بعض المغيبات باقدار الله له صلى الله عليه وسلم لتكون معجزة له صلى الله عليه وسلم ويقع مثله لبعض الاوليا كرامة لهم خلافا للمعتزلة حيث نفوه واستدلوا بقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول والجواب عنه مفصل في التفاسير وكتب الاصول وقال التلمساني الاطلاع بسكون الطا ولا يشدد لفساد المعنى لان الله هو الذي اطلعه لا انه اطلع بنفسه وقد يقال الاطلاع فيما يمكن من مقدور الانسان بخلق قدرة من الله ولا كذلك الغيب لانه ليس من مقدوره وانما يطلعه الله عليه وليس بشيء وظل الغمام اي تظليلها له صلى الله عليه وسلم لئلا يوذيه حر الشمس وقد كان ذلك في اول امره فان لم يثبت بعد فلاستغنائه عنه وتسبيح الحصا في كفه الشريف وان كان ما من شيء الا وهو يسبح بحمده لان هذا التسبيح خاص يسمعه الناس والحصا صغار الحجارة ومن احسن ما قلته فيه

رسول له واري زناد عزيمة * فلبى به صم الحجارة تقدح
رما بالحصا قوما بغاة فكفهم * بكف به بحر السماحة يطفح
فكل لسان ناطق بتعجب * لذاك الحصا في راحتيه يسبح

وابرا الالام جمع الم وهو الوجع لغة والمراد ما يعم الامراض والاوجاع له والاحاديث فيه كثيرة مشهورة والعصمة من الناس من يقصده به بالقتل ونحوه وتقدم ما فيه الى ما لا يحويه محتفل هذا كقوله قبله الى ما لا ياخذه عد متعلق بمحذوف معلوم من السياق اي منتهيه او منضمومة الى ما ذكر ويحويه بمعنى يشمله ويجمعه فيحتوي عليه ومحتفل اسم فاعل من مزيد حفل القوم في المجلس اذا اجتمعوا ومنه المحفل ولا يحتفل به اي لا يهتم والمعنى ان منتهاهم يجمع هذه الصفات واما لها لا يمكنه الاحاطة بها وتبيينه قوله ولا يحيط بعلمه اي بالوقوف عليه على اتم وجه الا مانحه ذلك اي الا الله الذي اعطاه ذلك واصل المنحة كما في المصباح شاة ونحوها يعطيها رجلا ليشرب لبنها ثم ترد وكثر ذلك حتى صار لمطلق العطا يقال منحته منحا من باب نفع وضرب اعطيته والاسم المنحة ولا يلزم من

الاتصاف بشي ان يعلمه الناس لان منه امورا باطنية غير ظاهرة لغيره بل منها ما لا يعلمه
الموصوف بالكنه والكمال فلا حلل في الحصر ومفضله على غيره مما اودعه من الفضايل
به اي بكل ذلك ومجموعه لا احد غيره اشارة الى الفاعل للتفضيل والعلم على ابلغ وجه
والا المحصر اي ليس علمه واعطاوه الا الله الخالق لا المخلوق العاجز لانه المعطي لحقيق
المحيط علمه بكل شي وقد تستعمل هذه الكلمة للتعجب كسبحان الله كما صرح به النووي
رحمه الله في الاذكار الى ما اعد الله له في الاخرة اي هياه له فيها من النعم والمنازل
العالية مما لا عين رات ولا اذن سمعت قيل انه حال من معمول التجاوز المقدر
فالتجاوز الى ما لا يحويه في الدنيا حال التجاوز عنه الى ما اعد او بدل او حال بعد حال اي اعلا منه في الاخرة
الاول للتصريح لكثرة الانواع في الدارين من منازل الكرامة ودرجات القدس اي من
مراتبه المقدسة او الموجبة للقدس او الكاينة منه وما فوقها مما لا يتناهى فلا يتراك
الظاهر تقديم الدرجات على المنازل والقدس بضمتين وتسكن داله ولا حاجة لتقدير
الحلول في منازل الكرامة واصل معنى القدس الطهر وتسمى به المكان لانه يطهر فيه
العابد من الذنوب واسم الجبل يقال انه غير منصرف وانشدوا لكثير
كالمزجي غدا فاصبح واقعا في قدس بين مجاثم الاوعال
قاله التبريزي في شرح ديوان ابي تمام وهو مراتب السعادة التي يترقى لها في رفيع
الدرجات والحسنى والزيادة معطوف على مراتب او السعادة اي والمثوبة الحسنى
من اللقا لله والرضوان ولا حاجة لتخصيص هذا ولا تخصيص ما قبله من غير داع
الى صفة للزيادة او للمجموع تقف دونها اي عندها والظاهر انه قبل الوصول
اليها العقول فلا تصل لادراكها ولا تقدر عليه وجاز بتجبير وهو مفتوح الياء التحتية
دون ادانيها وروي دون ادراكها والادانى جمع ادنى بمعنى انزل واسفل او اقرب
من الدنو اي لا يدرك العقل سافلها فضلا عن عاليها ولا يصل لما يقرب منها
فضلا عما يبعد عنها الوهم وهو قوة يدرك بها الجزئيات المحققة وغيرها
وجناب القدس اعلا من ان يحوم حوله الاوهام والتخيلات وان كانت قد تفرض
المحالات وفيه من الترقي ما لا يخفى والقول بان من هذه الخصال ما هو محض ابن العربي
موهبة فلا يناسب المقام من جملة الاوهام تتمة لا بد من التنبيه عليها
فانها من المهمات **اعلم** ان افعاله صلى الله عليه وسلم صنف فيها العلامة
ابو شامة كتابا سماه تحقيق المومول الى افعال الرسول صلى الله عليه وسلم
لم ار في بابه مثله وقد طالعته ولخصته هنا وتقريره ان افعاله تشارك اقواله
في حكم الاسناد وتختص باحكام ولا خلاف في الاستدلال بافعاله صلى الله عليه وسلم
فقيل يستدل بمجردها على الوجوب او الندب او الاباحة اقوال وقيل يستدل
بها باعتبار الوجه فان علم اتبع والا فهو اما بيان لمجمل دال على وجوب
وغيره او لا والثاني لا يدل على وجوب وغيره والاول تابع لما تبينه والمجمل
الاول وهو على اقسام الاول ما فعله امتثالا لامر كالحج والصلاة وهو مساو
لامته فيه والثاني ما وقع منه جبلة مما لا يخلو البشر عنه كالاكل والشرب
والحركة والسكون والسفر والاقامة والقيلولة في منزل وتحت شجر وهو

سوائه وامته ومنه تتبعه الدبا واكله القثا بالرطب ومحبته الحلوا والما البارد وسائر
ما ورد في طعامه ولباسه مما لا يظهر فيه قصد قربة ومنه كراهة اكل الضب لا الثوم والبصل
والثالث ما ثبت انه من خواصه كزيادة الزوجات والوصال وقيام الليل وجوبا والرابع
والرابع ما فعله بيانا لمجمل في القران كالصلاة وقطع يد السارق من الكوع والخامس
ما صدر ابتدا وليس بيانا ولا خصوصية له ولا جبلة وهو اما بعلم وجوبه او ندبه او لا
وهذا اما ان يظهر فيه قصد القربة اولا فالاقسام سبعة وفي حكمها مذاهب فاساواه
به امته ظاهر والجبلي والضروري لا يتسوغ اتباعه فيه وكذا كل ما فعله على الاباحة من
اكله ولباسه ولا يستحب كلبسه العمامة السودا وفعله وتركه سوا الا ان يكون استنكافا
عن مثله وحكى القاضي ابن الطيب قولا بان التاسي به فيه مندوب وقال الغزالي في المنخول
انه غلط **ومن الغريب** القول بانه يجب علينا فعل كل ما فعله ولا وجه له والى
الاستحباب ذهب ابن عمر رضي الله عنه انه كان يتحرى اثاره صلى الله عليه وسلم والفقها
يستحبون بعضه كاتباع منازل حجه ومقدار وضوئه وغسله واما خصايصه صلى
الله عليه وسلم فمنها ما وجب عليه دون امته فيحرم التشبه به كالوتر عند الشافعي
رضي الله عنه والمشاورة لان المختص به صلى الله عليه وسلم الوجوب وكذا المحرم كالاكل
من الزكاة بخلاف ما ابيح له صلى الله عليه وسلم دوننا وما فعله بيانا لمجمل وتقييدا
لمطلق فهو كما بينه وقيده والفعل المبتدا على وجوه ما علم وصفه من وجوب وغيره
فمتعبد به كما علم وما لم يعلم فان قصد به القربة فاصله الوجوب ما لم يدل دليل
على خلافه وقيل يحمل على الندب وقال الغزالي يحمل على الوجوب في العبادات وعلى
الندب في العادات وقيل على الاباحة وقيل على الحرمة وقيل بالوقف وقيل ما ظهر فيه
القربة بين الوجوب والندب وغيره مباح فالاقوال سبعة وما لم يظهر فيه القربة
قال الامدي فيه الاقوال ايضا غير ان القول بالوجوب والندب ابعد مما قبله والو
والاباحة اقرب قال بعض من جوز على الانبيا عليهم الصلاة والسلام المعاصي
قال انها على الحظر والمختار انه محمول على القدر المشترك بين الوجوب والندب
والاباحة وهو رفع الحرج عن الفعل والفعل دليل عليه **وقال المازري**
افعال المكلفين دائرة بين الوجوب والحظر وغيرهما فان قلنا بعصمتهم من الصغاير
سقط عنهم قسم الحظر وان قلنا بجواز وقوعها لم يجز تكررها فتقع فلتة فاذا
صدر منهم ولم يقارنه ما يدل على انه معصية يحمل على الجواز لكن لا يقتدى بهم
وهو كما قال ومن قال بالحظر اراد حظر اتباع غيرهم لهم بنا على ان التحريم هو الاصل
لا الاباحة اذا علمت هذا فافعاله صلى الله عليه وسلم الجبلية مباحة وما وقع
امتثالا او خصوصية له فهو ظاهر وكذا المرسل الذي ظهر فيه قصد القربة
وعلمت صفته وما لم يعلم متردد بين الوجوب والندب والظاهر الندب ويعتقد
المشترك بينهما من غير تعيين وما لم يظهر فيه قصد القربة ان كان من افعال
الجبلة فمباح وان تردد بين العبادة والعادة فالمتحقق فيه القدر المشترك
بين الاباحة والندب وهو رفع الحرج كنزوله صلى الله عليه وسلم بالمحصب
وما كان بيانا فهو واجب عليه وقيل بيان الواجب واجب والمندوب مندوب

قف

والمباح مباح هذا بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم واما بالنسبة للامة فما ظهر فيه قصد
القربة وكان معلوم الصفة فنحن مندوبون الى ايقاع مثله وكلما كان محتملا للقربة
وغيرها فيستحب التاسي به فيهما الا ان الثاني محطوط الرتبة عما قبله وقال المازري
التاسي به ابرك انتهى وهو كلام نفيس ينبغي حفظه وسياتي في عصمة الانبياء عليهم
الصلاة والسلام تتمة له والمقصود هنا انما هو بيان انقسام افعاله ثم انه ذكر
بعد هذا ادلة المذاهب ولا حاجة لنا به هنا

## فصل ثالث

لما مر حتى ينتهي العدد ان قلت اكرمك الله وفي نسخة وان قلت بالواو دعا له
بان يكون معظما عزيزا ببركة حبيبه صلى الله عليه وسلم جامعا للفضايل والكرم
من كرمت نفسه عن التدنس بالرذايل من الكرم ضد اللوم والخطاب للمحب السايق
اول الباب او لكل من يصلح للخطاب والجملة معترضة لاخفا بالقبح اسم لا وخبرها
انه الاتي اي في انه على القطع اي على سبيل القطع بالجملة المصنفون يقولون
في كلامهم هذا في الجملة كذا او بالجملة والجملة بمعنى الاجمال ضد التفصيل
ويريدون به على كل حال لانه اذا قطع بشي مع الاجمال فمع التفصيل اولى
فالمراد لاخفا قطعا فالجار والمجرور متعلق بالخفا ويجوز تعلقه بالقطع
والمراد به المجموع فالمعنى لاخفا اذا قطعت بجميع ما تقدم وقيل المعنى
لاخفا في المجمل اي لا ستر على القطع بالمجمل او جعل الاجمال الذي هو صفة
اعلية القدر متعلقا بالقطع او عدم الخفا مجازا ومسامحة والمراد ان هذا
المجمل قطعي لا حاجة الى بيانه بخلاف التفصيل لا ان التفصيل كذلك كما
توهم انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا اي في انه والضمير للنبي
صلى الله عليه وسلم لا للمجمل كما توهم والقدر المرتبة واثر الناس على الخلق قيل لانه
ليس بواضح على القطع واعظمهم محلا تعظيم محله ابلغ من تعظيمه كما لا يخفى قيل ولو قال
اعلاهم محلا واعظمهم قدرا كان احسن وقدرا ومحلا تمييز من النسبة محول عما
يلزمه والتقدير علا قدره فماثل واكملهم محاسن وفضلا في ذاته وعلى غيره وقد ذهب
اي سلكت او قصدت او اعتقدت قال في المصباح ذهب مضى وذهب مذهب فلان
قصده وذهب في الدين مذهبا راه احسنا وناذهبت مفتوحة للخطاب كما ضبطه
البرهان في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا احسنا والمذهب المسلك وجمعه مذاهب
قال البوصيري •

• • • •

ومن مذهبي حب الديار لاهلها • وللناس فيما يعشقون مذاهب

• •

والمراد بتفاصيلها ما تقدم من كونها ضرورية وكسبية شوقني وفي نسخة شوقتني
بتا الخطاب والتانيث للمذهب بمعنى الطريقة وهو تكلف لاداعي له والشوق الحنين
ونزاع النفس تقول شوقني الى كذا اي هيجني وقال في هياكل النور فيا لانساب قوة
شوقية محركة طبيعية وللجلال الدواني في شرحه كلام طويل في الفرق بينه وبين
العزم لا يليق ايراده هنا لابتنايه على تخيلات فلسفية الى ان اقف اي اطلع عليها
اي الخصال لان من وقف على شي عرفه وتقال وقف الامر على كذا اي علقه عليه من
اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا وهو حال من ضمير عليها لانه قد وقف عليها

سيد

سيد

سيد دلجي

مطلقا

مطلقا فلا سان لها الا من حيث اتصافه من اوصافه صلى الله عليه وسلم وتفصيلا بمعنى
مفصله حال او مفعول مطلق لمقدر فاعلم خطاب خاص او عام كما مر نور الله قلبي
وقلبك بنور منه يزيل ظلمة العناق حتى تعلم ما قصدته وقدم نفسه لما مر ولانه
هنا متعلم متقدم رتبته وضاعف اي زاد وضعف الشيء مثله او اكثر وفيه كلام لاهل
اللغة والمفسرين طويل الذيل في هذا النبي الكريم حبي وحبك الجار والمجرور متعلق
بالمقدر متقدم عليه وان منعه بعض النحاة لتجويزا لاكثر له اذا كان ظرفا كقوله فلما
بلغ معه السعي او في كما في الحديث الحب في الله والبغض في الله فهي تعليلية كما في قوله
صلى الله عليه وسلم ان امراة دخلت النار في هرة وهي ابلغ من اللام وان كانت بمعناها
لدلالته على شدة حبه له حتى كانه في ذاته والاشارة بهذا مؤيدة لدلالته على قربه
وتعظيمه وقوله الكريم اي الجامع لخصال الخير الحميدة ودعاؤه بزيادة الحب مناسب
جدا لان من احب شيئا اكثر من ذكره فعنيه حث له على التحصن عن اخلاقه صلى الله عليه وسلم
وفهمها وتفهيمها انك اذا انظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة
اي طبيعتها واصلها والاضافة لامية او بيانية وهذه شاملة للطبيعية وغيرها
وقوله انك الخ معقود اعلم وحدته صلى الله عليه وسلم اي علمت علما يقينيا انه كان
جابرا اي جامعا لجميعها ومتصفا بها على اكمل وجه يليق به محيطا بشتات بفتح الشين
مصدر بمعنى التفرق اريد به هنا المتفرق محاسنها اي وجوه حسنها المختلفة المتفاوتة
اي جمع ما تفرق في غيره منها واحاط به كما ينبغي دون خلاف اي متجاوزا عن اختلاف
الناس الى اتفاقهم بين نقلة الاخبار نقلة بفتحات جمع ناقل ككاتب وكتبة اي لم
يقع اختلاف بين رواة الاخبار في جمعه صلى الله عليه وسلم للمحاسن والكمالات
لان كل متعلق بنقلة وهو اشارة للمذكور من حيازته صلى الله عليه وسلم للمحاسن
ثم انتقل لما هو ابلغ فقال بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع الجزم اليقيني
لتواتره وكثرة رواته المثمرة للجزم ومبلغ بمعنى الى مبلغ مفعول لبلغ لا مفعول
مطلق ثم شرع في تفصيل الصفات المذكورة فقال اما الصورة اي هيئة جسده
الظاهرة وقد تطلق الصورة ويراد بها الصفة ومنه قولهم صورة المسئلة كذا
ومنه ما ورد في الحديث ان الله خلق ادم على صورته على احد الوجوه فيه وجمالها
حسنها وتناسب اعضائه اي كل عضو مناسب لمقابله وملاصقه في حسنها اي وصفها
المستحسنة ووصفه كالطول والعرض والصغر والكبر كما مر فقد جاءت الاثار
جمع اثر وهو الخبر والحديث يطلق على كل منها على الاخر وقد يفرق بينها الصحيحة
والمشهورة ليس المراد بهما ما اصطلح عليه المحدثون وان جاز وحينئذ الصحيح
دون المشهور فلا وهم فيه كما توهم واذا اريد به المعنى اللغوي فبينهما عموم
وخصوص وجهي اي تلك الاخبار والاثار منها ما هو صحيح وما هو مشهور
وليس فيه لف ونشر الكثيرة بذلك متعلق بجاءت لانه يتعدى بالبا تقول
جيت به واجاته اي الجاته الى المجي وذلك اشارة لما ذكر من الاخبار والاثار
من حديث علي كرم الله وجهه بيان لما قبله من الاخبار والاثار وقد تقدم
معنى الحديث وترجمة علي رضي الله عنه معروفة وانس بن مالك الانصاري

نه

سعيد

الخزرجي الصحابي رضي الله عنه خدم النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر وثمان
ولازمه عشر سنين وروي عنه الفي حديث ومايتين وستة ودعا له صلى الله عليه وسلم
بالبركة في ماله وولده وعمره والمغفرة فكان رضي الله عنه من اكثر الناس مالا وودفن لصلبه
بضعا وعشرين وماية من الاولاد وكان له بستان يحمل في السنة مرتين وعاش حتى سيم
من الحياة وتوفي سنة ثلاث وتسعين وله ماية سنة ودفن بقرب البصرة بقصر انس
وحديثه في الصحيحين كما قاله النووي وابي هريرة رضي الله عنه وتقدم ان اسمه
عبد الرحمن بن صخر على الاصح من ثلاثين قولا وقيل كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو او
عبد شمس وفي الاسلام عبد الله او عبد الرحمن وكنيته التي كناه بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابو هريرة وهو ممنوع من الصرف على الاصح كما فصلناه قبل ذلك
والبرا بفتح الموحدة والرا المهملة المخففة والمد على الصحيح علم منقول من البراء
كالفضا بمعنى التراب ابن عازب بعين مهملة وزاي معجمة وموحدة الصحابي الانصاري
اسلم في صباه قبل الهجرة وشهد احدا ومشاهد علي رضي الله عنه واسلم ابوه وتوفي بالكوفة
في ايام ابن الزبير رضي الله عنهما وعايشة ام المومنين بهمزة بعد الالف وعامة المحدثين
يبدلونها يا ويقال عيشة في لغة ضعيفة وهي الصديقة بنت الصديق وحبيبة حبيب الله
صلى الله عليه وسلم المامور بحبها رضي الله عنهما الطيبة الطاهرة النازل في حقهما
الطيبات للطيبين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بنت ست ولم يتزوج
بكرا غيرها وقيل بنت سبع وابتنى بها في السنة الثانية من الهجرة على الصحيح ودفنت
بالبقيع سنة سبع او ثمان عشرة وخمسين وروت الفا ومايتي حديث وسيجي بعض
حديثها وهذا الحديث في وصف حلية الرسول صلى الله عليه وسلم يروى في الشمايل
وعنها نظرت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخصف نعله وقد عرق جبينه
وجعل عرقه يتولد نورا فبهت فقال ما لك بهتي فقالت نظرت لعرقك يتولد
نورا فلو راك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بقوله
ومبرا من كل غبر حيضة • وفساد مرضعة وداء معضل •
واذا نظرت الى اسرة وجهه • برقت كبرق العارض المتهلل •
فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين عيني وقال جزاك الله عني خيرا
ما سررت بشي كسروري بكذا قال البجلي معناه ان امه صلى الله عليه وسلم
لم تحمل به في اخر الحيض بل بعد انقضايه واستيصال طهرها وهو محمود مصلح للولد
به يكون صحيح الجبلة محكم البنية كما قال الشاعر •
حملته عزا في اوان الطهر • وقد لاح للصباح بشير •
وقال المعري • •
والى لمثرياين اخر ليلة • وان عز مالي فالقنوع ثرا •
قال ابن السيد في شرحه اراد ان امه حملت به في اخر ليلة من طهرها حين
استقبلت الحيض وهو مذموم مفسد للولد وغبر بضم الغين المعجمة وفتح
البا الموحدة المشددة وبالرا المهملة بقاياه كما قاله الجوهري وابن ابي
هالة بالها وتخفيف اللام علم منقول من هالة البدر وهي الدايرة المحيطة به

وهو ابن مالك اخو بني اسيد بن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار واسمه هند ولابي هالة
ثلاثة اولاد هند وهالة وبه كني والطاهر واشهرهم هند ولاشتهاره لم يسمه المصنف رحمه
الله ويقال له هند الوصاف لاشتهاره بوصف حلية النبي صلى الله عليه وسلم عنه لانه كان
ابن خديجة ام المؤمنين من زوجها الاول وكان ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخا فاطمة وخال الحسنين رضي الله عنهم فكان لصغره يتشبع من النظر لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ويديم النظر لوجهه لكونه عنده داخل بيته فلذا اشتهر وصف النبي
صلى الله عليه وسلم عنه دون غيره من كبار الصحابة رضي الله عنهم فانهم لكبرهم
كانوا يهابونه الهالة النظر اليه صلى الله عليه وسلم فاحاط به نظره احاطة الهالة
بالبدر والاكمام بالثمر هنيا له مع ان ما قاله قطرة من بحر •
وعلى تفنن واصفيه بوصفه • يفني الزمان وفيه ما لم يوصف •
شهد بدرا وقيل احدا وقتل مع علي رضي الله عنه يوم الجمل قال الثعالبي ولهند بن ابي
هالة ولد يسمى هندا ايضا توفي بطاعون البصرة التي مات فيه نحو من سبعين الفا
واشتغل الناس بجنائزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهند بن
هنداه وربيب رسول الله فلم تبق جنازة الا تركت وحملت جنازته على اطراف الاصابع
اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الدولابي وقيل الذي مات في الطاعون
هند بن ابي هالة والصحيح الاول وابي جحيفة بضم الجيم وفتح الحا المهملة والفا
مصغر واسمه وهب بن عبد الله ويقال وهب بن وهب السوائي بضم السين المهملة وتخفيف
الواو والمد نسبة لسواه بن عامر بن صعصعة صحابي مشهور توفي النبي صلى الله
عليه وسلم وهو مراهق وتوفي هو سنة اثنين وسبعين وروى له احمد وغيره
وجابر بن سمرة بفتح السين المهملة وضم الميم وراء مهملة ابن جنادة بن جندب يكنى ابا
عبد الله وهو ابن اخت سعد بن ابي وقاص توفي بالكوفة سنة اربع وسبعين
وقيل وستين وفي التهذيب انه وهم ولكن البخاري وغيره اقتصر عليه وام معبد
بفتح الميم وسكون العين والبا والدال المهملتين واسمها عاتكة بنت خالد بن منقذ
وفي الاكمال عاتكة بنت خليف بن منقذ بن ربيعة بن اصرم بن حنيبيس بن حرام
بمهملتين بن حبشية التي نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته وهي
خزاعية كعبية صحابية خرج لها ابو يعلى الموصلي وكان منزلها بقديد ولم
لها ابن وابن عباس رضي الله عنهما وترجمته معروفة ومعرض بن معيقيب
معرض بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الرا المهملة المشددة والضاد المعجمة
معناه اللغوي المعرض ثم نقل علما وهو صحابي روى له ابن قانع من طريق القديمي
ولم يذكره ابن ماكولا ولا الذهبي وفي تجريد الصحابة ان اسم ابيه معيقيل باللام
بدل البا قال البرهان الحلبي وكذا هو في نسختي ولا ادري اصحيح هو ام لا وفي
تنقيح ابن الجوزي معيقيب بالبا وابوه شهد بدرا وتوفي في زمن علي رضي
الله عنه وهو يماني وابي الطفيل اسمه عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير
ابن جابر الكناني صحابي له رؤية ورواية وولد في اوائل الهجرة وروى عن ابي بكر
وعمر ومعاذ بن جبل وغيرهم وروى عنه الزهري وقتادة وغيرهما وكان

وقال البرهان وخلاف في نسبها بالحا المهملة وبالزاي
كذا ضبطه الامير وزاد السهيلي بن كعب بن عمرو وهو ابو
خزاعة انتهى وهي اخت حبيش انتهى صح صح

من محبي علي رضي الله عنه مات سنة عشر ومائة وقيل سنة مائة وهو آخر من مات من الصحابة وكان شاعرا مفلقا والطفيل بطا مهملة مضمومة مصغر والعدا ابن خالد بعين مهملة مفتوحة ودال كذلك مشددة ورا معناه الشديد الجري وهو ابن خالد بن هوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة اسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين وحسن اسلامه وهو الذي اشترى من رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما او امة كما رواه الترمذي وذكره الفقهاء وتاخر الى بعد المائة وروى له الطبراني كان حسن السبلة والعرب تسمي اللحية سبلة وخريم بن فاتك بضم الخا المعجمة وفتح الرا المهملة وميم مصغر وفاتك بفا ومثناة فوقية قيل انه نسبة لجد جده وقيل انه لقب ابيه اخرم بن شداد بن عمرو وفي التهذيب انه خريم بن فاتك بن اخرم وهو عربي شهد بدرا وقيل لم يصح ومات بالرقة في زمن معاوية رضي الله عنه وروى عنه ابن عساكر وحكيم بن حزام وغيرهم وحكيم بفتح الحا المهملة وكسر الكاف وحزام بكسر الحا المهملة وبالزاي المعجمة يليها الف وميم ابن اخي خديجة بنت خويلد ام المؤمنين المعمر عاش مائة وعشرين سنة نصفها في الاسلام وولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة داخل الكعبة ولم يولد فيها احد غيره وكان من المؤلفة ثم حسن اسلامه رضي الله عنه وكما حج في الاسلام اهدى مائة بدنة والف شاة ووقف بمائة وصيف في اعناقهم اطواق فضة منقوش عليها عتقا الله عن حكيم بن حزام ومات سنة ستين بالمدينة وقيل غير ذلك واكثر من ذكر من روى حديث الحلية بيانا لشهرته وتاييدا لكلام قبله واشار بقوله وغيرهم الى من رواه غير هؤلاء ككعب بن مالك والفاروق والصديق وبنت معوذ كما في كتاب الدلايل والوفا وغيرهما من انه صلى الله عليه وسلم قيل انه بيان اخر لما بينه الاول بدل منه او مستانف او بيان لقوله كذلك والاظهر انه بيان لحديث وليس المراد ان جميع من ذكر بل مجموعهم ولا ان كل واحد منهم روى هذا الحديث بتمامه بل مجموعهم فانه ملفق من رواياتهم كان ازهر اللون صفة مشبهة للفاعل وفي الازهر هنا تفاسير منقول له عن اهل اللغة فقيل نير وقيل حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا لزينتها وقيل ابيض وقد اختلفت الرواة هنا في لونه صلى الله عليه وسلم فقيل ابيض كما في حديث عايشة رضي الله عنها وابيض مشرب بحمرة عن علي كرم الله وجهه وفي رواية انس رضي الله عنه ازهر اللون كما هنا وعنه ايضا انه كان اسمر وفي الصحيح عن انس لم يكن بالابيض الامهق اي الخالص البياض كلون الجص فانه غير محمود وما وقع في رواية فيه عنه امهق ليس بابيض مقلوبة او وهم من الراوي كما قاله المص رحمه الله او المهق بمعنى الخفة كما قاله ابن حجر الهيتمي رحمه الله وليس بالادم بالمد اي الاسمر ورد الطبري في الاحكام رواية اسمر ورواه غيره كالترمذي في الشمايل وعامة المحدثين فسروا الازهر بالابيض المنير المشرق وكذا ذكر في صحاح الجوهري وقد وفقوا بين الروايات بان المراد بالبياض البياض المعتدل المعتاد ويؤيده ليس بالامهق كما مر ولا ينافيه انه مشرب بحمرة وانه كان اسمر في بعض الاوقات لمقابلته الشمس فتعتريه سمرة احيانا وهو المراد بكونه ادم وليس المراد انه شديد السمرة لانه سمي به لشبهه باديم الارض كما ان الابيض لا يمهق

الشديد

الشديد البياض الذي لا يخالطه حمرة كالبرص والاحاديث دالة على انه صلى الله عليه وسلم
لم يكن شديد البياض ولا شديد السمرة وعن الخطابي في الجمع بين حديث السمرة والبياض ان
السمرة فيما برز للشمس من بدنه الشريف والبياض فيما تواريه الثياب ويؤيده رواية ابن ابي
هالة رضي الله عنه انور المتجرد وايضا في الحديث انه مشرب بحمرة والحمرة اذا اشبعت حكت
السمرة وقيل ان ما في الشمائل عن انس رضي الله عنه ابيض كانما صيغ من فضة لا يعارض وصف علي
كرم الله وجهه له بالحمرة لانه عني وجهه الشريف وانس جسده كما مر وسيجي تتمته **اقول**
ما ذكر من انه عارض من تاثير الشمس ياباه السياق لان الظاهر من لونه صلى الله عليه وسلم
انه امر خلقي لا عارض لان مثله لا يقال انه لونه والراوي له انس رضي الله عنه وكان قريبا
منه صلى الله عليه وسلم ملازما له لا يخفى عليه امره قال ابن حجر لعينيها لا وحمل السمرة
على الحمرة التي تخالط البياض وهو المراد والعرب تطلق على من كان كذلك اسمر ويؤيده رواية
البيهقي رضي الله عنه كان ابيض بياضه الى السمرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما احمر الى البياض
فثبت من مجموع الروايات وصفه ببياض فيه حمرة ومن رواية انه شديد البياض محمولة
على الامر النسبي فانكار رواية اسمر لا وجه له انتهى فالحق انه كان ابيض مشربا بحمرة
وهو احسن الالوان لدلالته على قوة المزاج واعتداله وهذا معنى ازهر ويقال له اسمر
نظرا لميله الى الحمرة ومن اطلق عليه ادم عنى هذا واما قوله كانما صيغ من فضة فلم يرد به
شدة بياضه بل حسن منظره ورونقه واما جعل لونه عبارة عن لون وجهه فبعيد
ايضا وقوله انور المتجرد اي ما تحت الثياب لا ينافي عدو قالوا البياض يرى الجمال والسمرة
ملاحة **فان قلت** كيف قال بعض الصحابة ان سمرته صلى الله عليه وسلم
من تاثير الشمس وقد كان الغمام تظله **قلت** اجيب بان ذلك انما كان في اوائل
ارهاصا للنبوة كما مر واما بعده فلم يحفظ ذلك كما قاله ابن حجر في شرح الشمايل
كيف وقد ظلله ابو بكر رضي الله عنه بثوبه لما وصل المدينة وظلل عليه بثوب وهو
يرمي الجمار في حجة الوداع **تنبيه** قال ابن حجر ايضا قال ائمتنا الشافعية من قال
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود او غير قرشي او نحو ذلك في امرد كفر لان نعته صلى الله عليه
وسلم بغير صفته نفي له وتكذيب ومنه يعلم ان كل صفة ثبتت له بالتواتر نفيها كفر وسيا
الكلام على ذلك اخر الكتاب **فان قلت** لونه صلى الله عليه وسلم اشرف الالوان
ولذلك اهل الجنة فلم جاء في صفتهم ان لونهم بياض يشوبه صفرة كما فسر به قوله تعالى
كانهن بيض مكنون **قلت** البياض المشرب بالحمرة يدل على غلبة الدم المورث لقوة المزاج
واعتداله الناشي عن الغذا في الدنيا واما غذا الاخرة فله شان اخر والصفرة فيها يرونق
المعاد يناسب النساء دون الرجال ولذا امتدحن في اشعار العرب مع انه ناشي عن ترك الحركة
وكثرة التنعم والترفه ولذا قالوا الاولى لهن ان لا يلبسن البياض لما فيه من التشبه
بالرجال ادعج وعند الترمذي ادعج العينين والدعج بفتحتين شدة سواد العين
مع سعتها وقيل سواد السواد وبياض البياض ويشكل ذلك بانه اشكل والشكل
من النجلة وهي سعة شق العين ومنه طعنة نجلا ومن فسر الدعج بشدة سواد
العين مع سعتها ففيه عنده تجريد او توكيد واشكل بشين معجمة من الشكلة وهي
الحمرة في بياض العينين وكان اصله مطلق الحمرة لقوله

في

فما زالت القتلى تمج دماءها • بدجلة حتى ماء دجلة اشكل •
اي احمر وقال ابن دريد يسمى به للحمرة والبياض المختلطين فيه وفي المقتفى ان في صحيح مسلم
عن سماك بن حرب ان معنى اشكل طويل شق العين وهو وهم بالاتفاق وقال الثعالبي
الشكلة حمرة يسيرة في بياض العين فان كانت في السواد فهي شهلة والرجل اشكل
واشهل وكلاهما مستحسن وبمعنى اشكل اسجر بجيم وراء مهملتين وشين وفي
حديث جابر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم اشكل
العينين خرجه مسلم وقال الاصمعي الاسجر الاشهل واكثر اللغويين على خلافه وعن النبي
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسجر العينين ولم يرد الشهلة في
وصفه صلى الله عليه وسلم اهدب الاشفار الهدب بضم الهاء والدال ويجوز تسكينها
الشعر النابت على الجفن والاهدب الطويل الاهداب او الكثيرة وهذه الصفة في
حديث رواه الترمذي والبيهقي ووقع في رواية فيه طويل الاهداب وفي البيهقي وصفه
بالكثرة وكل منهما شاهد للتفسير السابقين والاشفار جمع شفر بضم الشين وقد تفتح
طرف الجفن والجفن غطاء العين الاعلى والاسفل وانما خلقت هذه الاجفان واهدابها
لتقي ناظر العين الاذى وهي منفسحة في انطباقها وانفتاحها وتذب عنه باهدابها كما
قال فلا افترقنا ما ذب عن ناظر شفر • ولذلك كان الذباب يمسح دائما بيديه عينيه
لانه خلق بغير اجفان واليه اشار عنترة في تشبيهه البديع بقوله •
وقع المكب على الزناد الاجذم • وفي الجفن وطول اهدابه زينة ونفع وحسن
واضافة اهدب الاشفار من اضافة الشي لمكانه فانه يجوز اضافته للمكان والزمان
نحو عالم بغداد ومالك يوم الدين وهي لامية او على معنى في والاهدب يوصف به الرجل
فيقال رجل اهدب والجفن والشعر وليس فيه اطلاق الاشفار على الاهداب مجازا
من باب اطلاق الحال على المحل كما تسمى الخمر كاسا وان جاز وليس المراد بالشفر الجفن
مجازا باطلاق الجزء على الكل ولا تجريد فيه ولا تقدير مضاف اي شعر الاشفار كما توهم
ابلج من البلج بفتحتين وهو نقا ما بين الحاجبين من الشعر ووقع في حديث ام معبد
وصفه بالقرن وانه اقرن وهو مخالف للرواية المشهورة في حديث الحلية ولهذا رد
بعضهم هذه الرواية ووفق بينهما بانه كان بينهما شعر خفيف جدا يتما يظهر اذا وقع
عليه الغبار في سفر ونحوه وحديث ام معبد سفري وفي كتاب خلق الانسان
لثابت رجل اقرن وامراة قرنا فاذا نسب الى الحاجبين قالوا مقرون الحاجبين ولا
يقال اقرن الحاجبين وقد تمدحوا بالبلج قديما وحديثا كما قال بعض المحدثين
اذا راى سهم الناظرين لحد به • وان كان سلما غير يوم هياج •
غدا موترا من حاجبيه حنية • لها البلج الوضاح قبضة عاج •
ومنه اخذ ابن سنا الملك قوله •
رماني ومن اجفانه السهم صائبا • ومن حاجبيه القوس والقبضة البلج •
والحنية بمعنى المحنية القوس والقبضة وسطها الذي يقبضه الرامي والعرب
تسمي السيد بالابلج ووصف النبي صلى الله عليه وسلم به مشهور وقال ابو
طالب في مدح النبي صلى الله عليه وسلم •

وابلج

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل *

انشده بعضهم وابيض والثمال الملجأ اسم مفرد كالغياث لفظا ومعنى ازج بفتح الهمزة والزاي المعجمة وتشديد الجيم وهذا وكل ما وارد في حديث الحلية صفات مشبهة انها تجري كذلك في الصفات والحلي ويوصف به الرجل والحاجب في المدح والزجج كما في تحفة العروس للتجاني دقة محط الحاجبين وامتدادهما الى مؤخر العين غير عريض ولا كثيف ومده الزين وقال الشمني ازج مقوس الحاجب مع طول وامتداد وقال حسان رضي الله عنه

ازج كمشق النون من يد كاتب * وقال رؤبة * ومقلة وحاجبا مزججا *

والزجج خلقة والتزجيج ما كان بصنع كما قال وزججن الحواجب والعيونا اي صنعن ذلك وهو ما تسميه العامة تحفيفا بالحاء المهملة وهذا ايضا مما رواه الترمذي رحمه الله اقنى كما ورد في حديث هند الذي رواه الترمذي وفي حديث علي كرم الله وجهه اقنى العرنين والعرنين الانف والقنا طوله ودقة ارنبته مع حدب في وسطه وفسره الجوهري بالحدب والمص رحمه الله بالسائل المرتفع الوسط وقد سدد ذلك السيلان بالدقة وقيل انه نتو في الوسط وضيق المنخرين وقال التجاني القنا احديدا قصبته مع نزول الارنبة وهي راس الانف مما يلي الفم والشمم استوا اعلا قصبة الانف مع ارتفاع يسير في الارنبة وهو من صفات الجمال والمدح وعلامة السودد في الرجال قال حسان رضي الله عنه

بيض الوجوه كرايم احسابهم * شم الانوف من الطراز الاول *

وقال الفرزدق

بكفه خيزران ريحه عبق * من كف اروع في عرنينه شمم *

**وورد في الحديث** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اشم وكذا وصفه اصحابه رضي الله عنهم كما ورد في الاحاديث ولعارضه ما اشتهر من انه صلى الله عليه وسلم كان اقنى وجمع بينهما بان القنو كان خفيفا فان زيادته غير ممدوحة كما مر في البلج ويدل عليه قول ابن ابي هالة الا ان اقنى العرنين يحسبه من لم يتامل اشم وقول بعض الشراح هنا فمن راه متاملا عرفه اشم ومن لم يتامله ظنه اقنى انعكس عليه الامر فتامل الفلج الفلج بفتحتين تباعد ما بين الثنايا وما بين الاسنان وهو من فوقهم فلجت الشيء اذا شققته فلجين اي نصفين وفلج فلوجا ظفر وقال ابن دريد وتبعه صاحب القاموس رحمه الله انه لا يقال الرجل افلج الا اذا ذكر معه الاسنان اي اذا قيد بها سواء كان بلفظ الاسنان او الثنايا او غيرهما لئلا يلتبس برجل افلج اي بعيد ما بين القدمين او اليدين فانه ورد استعما مطلقا في كلامهم دون الاول فان ورد مقيدا باضافة وغيرها ومن هنا قد اعترض على المص رحمه الله بان قوله افلج مخالف للغة اذ لم يستعمل فيها الا مقيدا كما عرفته وقد استعمله الحريري كذلك ثم ما قاله اهل اللغة مخصوص بهذه الصفة فان غيرها كثير من غير تقييد كقول العجاج * ازمان ابدت واضحا مفلجا *

وفيه بحث لان هذا الاستعمال مروي في الحديث هكذا وابن ابي هالة راويه من

دلجي

خلقه فيها العرب ولا عبرة بقول بعض النحاة ان الحديث لا يستدل به في اثبات العربية
واعلم ان العرب اذا وضعت كلمة لمعنى فقد تستعملها مطلقة وقد تلتزم تقييدها
باضافة مطلقة او معينة كوحدة او نحوها وقد تلتزمه في حالة مخصوصة كاب واخ
اذا اعرب بالحروف وقد تلتزم هيئة مخصوصة نحو كافة وقاطبة وتعريف الان وقد
تلتزم تقييده بشيء كما فيما نحن فيه **لثم** ان هاهنا شيئا وهو انه اذا ورد
استعمال لفظ عن العرب على هيئة مخصوصة مما لم ير ما المانع من استعماله في ذلك
المعنى من غير تغيير لبينته في موضع اخر كما فيما نحن فيه واذا جاز التجوز فيها وقطعها
عن معناها قياسا فهذا بالطريق الاولى خصوصا وقد عضده السماع والفلج ممدوح
لانه يطيب رائحة الفم والاسنان لعدم بقاء الماكول بينهما مع المعاونة على خروج
الحروف من المخارج سهلة فصيحة ومن الملح فيه قول ابن نباته

افدي الذي جبينه وشعره * طرة صبح تحت اذيال الدجا
مالي به مع قرب داري ملتقي * فهل رايت ثغره المفلجا

مدور الوجه عبر في الشمايل بقوله لا بالمكلثم وكان في وجهه تدوير وفسر بانه
لم يكن شديد تدوير الوجه بل فيه تدوير مع استطالة قليلة وهو احلى واحسن
وهو المراد هنا والمكلثم بالمثلثة فسر بالمدور والسمين والنحيف فهو ضده وفي
النهاية انه صلى الله عليه وسلم كان اسيل الوجه وروى البغوي مسنون الوجه
اي فيه طول والروايات يفسر بعضها بعضا وما ورد من انه مدور الوجه كالبدر
محمول على الضيا والحسن فلا منافاة بينهما واسع الجبين السعة ضد الضيق
والجبين والجبهة هل هما بمعنى او بينهما فرق فاكثر اهل اللغة على الفرق بينهما
بان الجبهة موضع السجود المحاذي للناصية من الجانب الى قصاص الشعر وجانباها
جبينان وقيل انها تطلق بمعنى الجبهة والمجموع وانكره بعضهم وخطا المتنبي
في استعماله بهذا المعنى لان ابن عاصم قال في شرح قول زهير

يقيني بالجبين ومنكبيه * وانصره بمطرد الكعوب

انه اراد بالجبين الجبهة وسعة الجبين مما يدل على قوة العقل والفهم
والحواس اذا لم يكن مفرطا وسعة الجبهة حسنها وشخوصها او طولها كما قيل والظاهر
من العبارة هنا انه اريد بالجبين الجبهة اذ لم يقل الجبينين بالتثنية كث اللحية
هذه الصفة في الترمذي والبيهقي عن هند وعلي وام معبد رضي الله عنهم
والكث في اللحية ان تكون كثيفة غير خفيفة يرى منها ما تحتها لكثرة اصولها
مجتمعة ملتفة وليست بطويلة ولا قصيرة الشعر في العرض واليه اشار بقوله
ممتلا صدره الشريف يعني انها طولا وعرضا بمقدار صدره تجعلها كانها حالة
فيها لان المظروف لا يزيد على ظرفه ومثله قولهم قد ملا ما تحته وتحت
الصدر اعلاه او موضع القلادة منه فمراد المص رحمه الله اعلا الصدر
والا لطالت وقد ثبت قصرها وقيل المراد انها ممتلا ما يقابل الصدر منها
فاستوت طولا وعرضا والحاصل من ذلك ان لحيته صلى الله عليه وسلم
معتدلة طولا وعرضا غير خفيفة واعلم ان اللحي واللحا ما ينبت عليه

الانسان واللحية ماخوذة منه فان قلت ورد في الحديث من سعادة المرء خفة لحيته وهو
ينافي كونها كثة قلت المراد من ذلك عدم طولها جدا لما ورد في ذمه وقد قيل اعتبروا
عقل الرجل في ثلاث في طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته وقال الشاعر

ونقصان عقل الفتى عندنا ۞ بمقدار ما طال من لحيته ۞

مع انه ورد خفة لحيته بالتثنية وفسر بخفتها في حركته للذكر سوا البطن والصدر
هو بطنه يرى سواء رفعه وبنصبه وامنافته اي مستويهما والبطن مبتدا وسوا
خبر مقدم ولا حاجة لتقديرمنه ولا لجعل البدل من الضمير كما قاله التلمساني وهو
اشارة الى اعتدال خلقهما وعدم خروج احدهما عن الاعتدال فان البطن اذا
كان بارزا او منضمرا لم يكن من الصفات الحسنة وكذلك اذا برز او تطامن وسوا الشي
قد يكون بمعنى وسطه وليس بمراد هنا كما قاله التلمساني واسع الصدر عبر
في المواهب عن ابي هريرة رضي الله عنه بقوله رحب الصدر وفي الترمذي والبيهقي
عريض الصدر وقال البيهقي كان بطنه صلى الله عليه وسلم غير مستفيض
فهو مساو لصدره وصدره عريض مساو لبطنه والعريض والواسع بمعنى وقال
الحنفي يجوز ان يكون مجازا عن الحلم واحتمال الامور كما يقال في صدره غير ضيق الصدر
وقال تعالى فلا يكن في صدرك حرج ومعدل المص رحمه الله الى السعة ليكون ظاهر
في احتمال المعاني اقول هذا غير صحيح هنا لان الكلام في الحلية الحسية وليس هذا
منها فلو قال كما قال الدلجي ان معناه واسع الصدر حسا ومعنى ليكون كناية كان
اولى ثنا قال عظيم المنكبين مثنى منكب بفتح الميم وكسر الكاف والموحدة وهو مجمع
عظم العضد والكتف اي ضخمهما وروي البيهقي بسند جليل شاش المنكبين وشا
بالفتح وسماوه وروي الواقدي رحمه الله ضخم العضدين والمنكبين وفي الشمايل
جليل المشاش اي رؤس العظام كالمرفقين والركبتين والمنكبين وهو معنى قوله ضخم
العظام عبل العضدين الضخم الغليظ كما في الصحاح والعظيم الجرم الكثير اللحم
وفي حواشي عبد المجيد اليمني ضخم العظام غليظها تقول ضخمت اذا انتصبت
قايما والمضطخم المنتصب والعظام جمع عظم وعظيم كما في ضرام السقط لصدر
الافاضل وبعض الجهلة يتوهم ان قولهم الموالي العظام غلط لانه لا يكون الا جمع
عظم وروي الترمذي وغيره ضخم الكراديس قال ابو نعيم هي العظام اي عظيم الالواح
وقيل رؤس العظام وقال البغوي الاعضا والمراد عظام بحسب عظمها كالجوارح
والاطراف وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان عظيم الاطراف والجوارح والعظام
اساس الانسان بعظمها يقوي ويحسن وتتم الحواس وعبل بفتح العين المهملة
وسكون الموحدة يليهما لام بمعنى ضخم قوي والعضدين تثنية عضد بفتح
العين وضم الضاد المعجمة وتسكن تخفيفا وفيه لغات وهو ما بين المرفق ۞
والكتف ويسمى ساعدا والذراعين اي وعبل الذراعين والذراع هو ما بين
مفصل الكف والمرفق او من المرفق الى اطراف الاصابع والاسافل جمع اسفل
قال التلمساني يريد به رجليه وما في جسمه وقال غيره المراد بها الفخذان والسا
وذلك كله مما يوذن بكمال قوته لما في الحديث انه صلى الله عليه وسلم اعطي قوة

سعيد

سما

قال دلجي

ثلاثين رجلا وفي مسند احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه انه كان صلى الله عليه وسلم
مشبح الذراعين بعيد ما بين المنكبين يقبل جميعا والمشبح بفتح الشين المعجمة
وسكون الموحدة وبالحاء المهملة بمعنى العريض رحب الكفين والقدمين اي واسعهما
وقال التلمساني اي كبيرهما وهو محمود على ظاهره من كبر الجوارح لدلالته على كمال الخلق
خلاف صغرها وتاول بعضهم في الكفين على انه كناية عن جوده وسماحته قال والحق
انه ان روي مجموع رحب الكفين والقدمين فلا مجال لهذا التاويل للجمع بين الحقيقة
والمجاز فانه ورد رحب الكفين فقط فان كان في مقام بيان خلقه بالفتح فلا مناسبة له
او في مقام خلقه بالضم فله مناسبة وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم كان شثن
الكفين والقدمين والشثن بمعنى الغليظ لا الواسع وهو لا ينافي ما مر وفسر الاصمعي
رحمه الله الشثن بالغليظ الخشن فقيل انه ورد في صفة النبي صلى الله عليه وسلم
ما ينافيه وقد ورد في البخاري وغيره عن انس رضي الله عنه ما مسست حريرا ولا
ديباجا الين والنعم من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى على نفسه ان لا يفسر
شثنا في الحديث وقيل لين جلده صلى الله عليه وسلم ونعومة ملمسه خلقة وخشونته
باعتبار عمله في جهاده ومهنته وتفسير ابي عبيد الشثن بالغليظ القصير مردود
بما صح من انه صلى الله عليه وسلم سائل الاطراف الاتي واعلم ان البارزي رحمه
الله قال في توثيق عرى الايمان انه روي انه صلى الله عليه وسلم كان خمصان
الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط
القدم وروي انه صلى الله عليه وسلم كان مسيح القدمين اي املسهما ولذا قال
ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ما يخالفه لانه قال فيه اذا وطئ
بقدميه وطئ بكلتيهما ليس له اخمص وهذا يوافق رواية مسيح القدمين قال ومنه سمي
عيسى عليه الصلاة والسلام بالمسيح لانه لم يكن له اخمص في احد الوجوه فيه وقيل
معنى مسيح القدمين لا لحم عليهما وهو يخالف رواية شثن القدمين انتهى وفيه نظر
ففي شرح الشمائل مسيح القدمين املسهما لينهما فليس فيهما تكسر ولا تشقق
ولا قشر فقوله ينبو عنهما الماء اي يسيل سريعا لملاستهما فكان غليظ اصابعهما
وروى احمد وغيره ان سبابتي قدميه صلى الله عليه وسلم اطول من غيرهما
وفي البيهقي كانت خنصر رجله صلى الله عليه وسلم متظاهرة وما اشتهر من
اطلاق كانت سبابته صلى الله عليه وسلم اطول من وسطاه غلط فانه خاص
باصابع رجليه انتهى وما قيل ان سعة القدمين لم ترد الا انه بمعنى العظم
المذكور في البخاري فيه نظر سائل الاطراف وفي شمائل الترمذي سائل الاطراف
او سائن الاطراف بالشك من الراوي من انه بالسين المهملة من السيلان بمعنى
ممتدها امتدادا معتدلا بغير افراط ولا تفريط او بالمعجمة من شالت الميزان
اذا ارتفع احدى كفتيه والمراد منه ما قبله والمراد بالاطراف الاصابع وروي
سائن بالنون المبدلة من اللام كما قال التلمساني وطول الاصابع مما يمدح
به العرب وسائل بهمزة مبدلة من الياء كما تقرر في الصرف وقوله في المقتفى
انه بالياء ان اراد انه روي كذلك على خلاف القياس فصحيح والا فلا وفسر الطول

من غير

من غير تعقد ويروى كان اصابعه قضبان فضة اي اغصانا لينا قيل والاوجه سيد
في تفسيره النعيم لما روي من انه سبط العصب وفسر بكل عظم ذي مخ والشبوطة الاسد اد
قاله ابو نعيم انور المتجرد انور بمعنى نير صفة مشبهة لانه من باب الالوان وعليه
اقتصر التلمساني والبغوي والمتجرد بضم الميم وفتح الجيم والرا المشددة ودال
مهملتين بمعنى الجسد الذي من شانه ان يجرد عنه الثياب والعرب تقول فلان
حسن المجرد والمتجرد والجردة والعرية والمعري والحلا بمعنى وقيل انور افعل سيد
تفضيل مضاف لغير المفضل عليه كما ذكره النحاة اي متجرده انور من متجرد غيره
والتجرد بالضم مصدر ميمي يقال امراة بضة المتجرد والمجرد اي عند التجرد والتعري
والمحدثون فسروه بما جرد عنه الثياب اي نزع وليس على القلب اي ما جردت
الثياب عنه او هو اسم موضع التجرد او اسم مفعول على الحذف والايصال كالمشترك
لانه ثبت عن العرب فلا يقال انه غير قياسي واسم المفعول لا يبنى من مثله بغير
صلة كممرور به والقول بانه جعل تجرد بمعنى جرد المتعدي كما جعل رحم المتعدي سيد
بمعنى رحم اللازم وبني منه الصفة المشبهة وجعله من الحقايق والدقايق
من زخرف القول الذي لا طايل تحته وتفسيره بسائر البدن باعتبار اغلبه واكثره
لا يحسن وجعله وهما احرا فات واهية دقيق المسربة دقيق بالدال المهملة والقاف
والمراد انه ليس بعريض ولا متكاثف الشعر وروي بالرا المهملة وهما بمعنى والمسربة
بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الرا كذلك وفتحها وبالموحدة شعر
مستطيل من الصدر للسرة بنوع خط من الشعر بينهما قيل والذي يظهر انه شعر
دقيق من الصدر الى البطن بطول وبقصر ابتدا ولذا وصفت مسربته بالطول
من اوايل الصدر الى السرة والوصف بالدقة للمبالغة والمسربة من السرب وهو
دخول الطريق والانسراب فيهما ربعة الخد القد بمعنى القامة ورجل ربعة
وامراة ربعة بفتح الرا وسكون البا **وفي المصباح** حذف الها في المذكر
وفتح البا لغة فيهما ورجل مربوع مثله اي معتدل وفي القاموس الربع الرجل
بين القصير والطويل وتانيثه باعتبار النفس والذات وليس في اضافته للقد
تكلف كما توهم وفيه ضمير للنبي صلى الله عليه وسلم بالتاويل المذكور وروى سيد
الترمذي وغيره انه صلى الله عليه وسلم كان اطول من المربوع وفي البيهقي عن انس
رضي الله عنه فوق الربعة فالمراد بكونه صلى الله عليه وسلم ربعة انه بين
الطول الفاحش والقصر ومن نفى الطول اراد الفاحش ولذا قال ليس
بالطويل البائن كذا في الصحيحين عن انس رضي الله عنه اي لم يكن مفرط الطول
بل هو من بائن بمعنى ظهر لظهور طوله او بعد لبعده عن قد الرجال الطوال
او لبعده عن الاعتدال او من المفارقة والانقطاع لانفصال بعضه عن بعض
او عن غالب الناس او عن الاعتدال ولا القصير المتردد اي المتناهي في القصر
من التردد بمعنى الرجوع او الهجود كان بعضه يدخل في بعض ويرجع اليه وهذه
صفة خلقته صلى الله عليه وسلم لذم الطول المفرط والقصر المفرط وللتلمساني
هنا كلام في تفسيره لا محصل له ومع ذلك اي مع كونه ربعة معتدلا او لم يكن بائنه

احد من الناس بان يمشي معه ويجنبه بحيث يعرف مقدار القدود وقيل الاولى عدم القا
الا انتقال هذه بيان للحالة السابقة بعينها لانها خلقة وهذه عارضة فتدبر ينسب الى
الطول الاطالة المراد بنسبته له اتصافه به وكونه معروفا به مشهورا كما يعرف
المرء بالنسبة فيقال القرشي ونحوه فهو استعارة وقوله الاطالة اي غلبه في الطول
وزاد عليه فهو من باب المغالبة المعروف فلذا تعدى مع لزومها واصله طال عليه
على الحذف والايصال وروى البيهقي وغيره زيادة ربما اكتنفه الرجلان الطويلان
فيطولهما فاذا فارقاه نسبا الى ربعة وفي المواهب عن ابن سبع واذا جلس صلى الله عليه
وسلم كان كتفه اعلى من الجالسين وهل هذا محض ارائة لذلك او حقيقي يرجع عنه
فيه تردد ولو تخلق الطول من غيره لخروجه عن الاعتدال الا الاكمل المحمود ولكن جعل
الله له هذا في راي العين معجزة خصه الله بها لئلا يرى تفوق احد عليه بحسب الصورة
ولتعظيم من يرى من اصحابه تعظيما له بما لم يسبع لغيره فاذا فارق تلك الحالة زال التجدد
وعلم التعظيم فظهر كماله الخلقي رجل الشعر يقال شعر رجل بفتح الراء وكسر الجيم
وفتحها وهو ما فيه تثن قليل وما لا يتثنى فيه فهو سبط والاول احسن وامدح
وروي شعر بين شعرين لا رجل ولا سبط وفي مثله مبالغة في قلة التثني وفيه
كلام بسطناه في الشرح وفي الصحيحين لا بالجعد القطط ولا بالسبط والقطط
بفتح الطاء وكسرها الشديد الجعودة والسبط بكسر الباء ضده وهو المسترسل بغير
تكسر فشعره صلى الله عليه وسلم بين هاتين الصفتين لا تجعيد فيه كثير اذا افتر
ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق هذا رواه البيهقي مسندا ومعنى افتر كشف عن اسنانه
متبسما وضاحكا ويفتر بضحك ضحكا حسنا بمعناه وفي النهاية تبسم حتى تبدو اسنانه
من غير قهقهة وهو افتعال من فترت الدابة اذا كشفت شفتها ليعرف مقدار سنها
ومنه اخذ السن بمعنى العمر وفي حواشي عبد المجيد اليمني ومنه فره الجراولة يعني
بكسر الفا وتشديد الرا وتبعه بعض الشراح ومن قال انه وهم لم يفهم مراده
والسنا مقصور ورواية مده لا اصل لها فان الممدود بمعنى الشرف كما قال ابن عباد
المغربي • ايها الفاتح الذي فارقت عيني • ونفسي منه السنا والسناء •
اي اذا كشف صلى الله عليه وسلم عن اسنانه في حال ضحكه ظهر من فمه وبيا من
اسنانه لمعان كلمعان البرق وانما خص التشبيه بحال التبسم والتر ذر وتشبه ذلك
بالبرق دون ما هو اضوا منه كالشمس والبدر اشارة الى انه لا يديم ضحكه وانفتاح
فمه لان كثرة الضحك غير محمودة ولم يكن ذلك من دابه صلى الله عليه وسلم ولان
تبسمه للمخاطبه يعقبه نفع وخير من عطايه وكلامه ورضاه كما يعقب البرق المطر
والرحمة العامة وما قيل ان الاظهر انه اذا استمر يتلالا فيظهر تارة ويختفي
اخرى فالمناسب البرق ويؤيده رواية مثل سنا البرق اذا تلالا • محله برو خلد
وهذا التشبيه لنور ثغره • وقوله وعن مثل حب الغمام في بياضه ونقائه وصفائه
وحب الغمام هو البرد بفتح الراء وتسكينها قاله المص ويروى تسكينها والاول
اصح وقيل حب الغمام حبابه على المابشبه به ما على اسنانه من قليل الريق وبلته
وهو الظلم بالفتح الذي تسميه الشعرا شنبا كما قال ابن الوكيل •

ابن افتره
سيد

بابارقا

دحيه

ابن الحنبلي

بابان قافد حكاه في نغمته • لغد حكيت ولكن فاتك الشنب •
والاصح الاول الرواية البيهقي عن هند رضي الله عنه عنه مثل البرد المنحدر عن صوب
الغمام قال التشيد رحمه الله شبه ما يظهر من اسنانه في التبسم بالبرد في البياض والصفا
واللمعان والاعتدال وفي النهاية وفي البرد وهو بعيد ومن قال حب قطر الغمام
شبهها بما يطفو على الثنايا من الريق فقد وهم لان الثنايا ليس عليها مادة الا بلل
ولو اجتمع لم يحسن قيل وما احسن عدوله عن تشبيهه بالحباب لحب السحاب لتنزهه
عن تشبيهه بامر محرم وقيل عليه ما احقه صلى الله عليه وسلم بقول البحتري [illegible]
كانما تبتسم عن لولو • منضد او برد او اقاح • وقول الحريري •
لغني الغذ الثغر راق مبسمه • وزانه شنب باهيك من شنب •
يفتر عن لولو رطب وعن برد • وعن اقاح وعن طلع وعن حبب •
وليس الحبب حباب الما ونفاخاته ولا حباب الخمر بل نضرة الاسنان كما قال الملكوي
فلا مسل في التشبيه لما قاله وهو وهم منه فان الحباب والحباب بالمعنى المذكور
مما لا شبهة فيه وما قاله الجوهري لا يصح هنا لما فيه من تشبيه الشي بنفسه
كما قيل • اقام يعمل ايا ما قريحته • وشبه الما بعد الجهد بالما •
اذا تكلم يرى كالنور يخرج من ثناياه وقع عند نا يرى مضارع راي المجهول
والذي صححه التلمساني وغيره رواية رئي براء مكسورة ويا ساكنة تليها همزة
بوزن قيل وفي رواية رُئي بضم الرا وهمزة مكسورة قبلها يا مجهول راي
والكل صحيح رواية ودراية وهذا رواه الترمذي في شمايله والدارمي والبيهقي
عن ابن عباس رضي الله عنهما والثنايا جمع ثنية وهي اربع اسنان اثنان فوقانية
واثنان في مقابلهما والمراد وصف ثناياه صلى الله عليه وسلم بشدة البياض
والبريق والصفا واول الحديث كان صلى الله عليه وسلم افلج اذا تكلم الخ وروى
ابن كثير رحمه الله رئي النور من ثنيته وهي الاظهر ولذا قيل الكاف زايدة
ويحتمل انها اسم بمعنى مثل وهي او الجار والمجرور نايب الفاعل وهو صفة لمقدر
اي تلالو او شي وضمير يخرج للنور وقيل انه للكلام المفهوم مما قبله اي يخرج
منه كلام شبيه بالنور في ظهوره احسن الناس عنقا رواه البيهقي مسندا وفيه
احسن عباد الله عنقا وفي رواية من احسن الناس والمراد احسن جميع الناس
او الناس الموجودين ولا تكلف فيه كما توهم وحسنه باعتداله وبياضه وصفا
لونه ويستحسن في العنق التلع وهو اشرافه وانتصابه والتنطع وهو طوله
قال الثعالبي وقد تحاها هذا في وصفه صلى الله عليه وسلم قال وطول العنق
مما يستحسن ما لم يفرط فاذا افرط فهو مذموم وقد هجي واصل بطول عنقه
ولقب به واعلم ان السهيلي قال في الروض الانف ان العنق والجيد بمعنى
الا ان الجيد يستعمل في المدح والعنق بخلافه فتقول سفعت عنقه لا جيده ولما
ورد عليه قوله تعالى في جيدها حبل من مسد قال انه تهكم وتمليح بجعل الحبل
كالعقد لها وفيه نظر لان الاستعمال بخلافه كثيرا كما هنا وكقوله •
وفي عنق الحسنا يستحسن العقد • ليس بمطهم ولا مكلثم المطهم كما في القاموس

كمعظو السمين الفاحش والنحيف الجسم الدقيقة ضد والمنتفخ الوجه والجبهة مدورة
وقليل لحم الوجه ومكلثم اسم مفعول من الكلثمة وهذه الصفة مروية عن علي كرم الله
وجهه في سنن الترمذي والبيهقي باسناد غير متصل وسياتي وعن عايشة رضي الله
عنها ولعه معاد منها ما تقدم ومنها كما في الترمذي بادن كثير اللحم والمجاوز
لونه السمرة الى السواد ويصح ارادة كل منهما غير التدوير اذ افتتر به المكلثم ليلا يتكرر
واعاده لامع الفاطعه تاني كونه تاكيدا واما معناه المذكور في القاموس وهو البارع
في الجمال فلا يصح هنا النفيه وقد ثبت انه وساير اعضائه في غاية الكمال والجمال فلا يصح
هنا النفيه ومكلثم اسم مفعول مروي عن علي وعايشة رضي الله عنهما مسندا او فسر
بمدور الوجه مطلقا مع كثرة اللحم والباقي الوجنة وقيل هو قصير الذقن وفي
النهاية انه القصير الحنك الداني الجبهة المستدير مع خفة اللحم لانه صلى الله عليه
وسلم كان اسيل الوجه لا مستديره ولا ينافي هذا ما مر عن علي كرم الله وجهه
من وصفه بانه مدور الوجه لان المنفي الاستدارة الموطة المذمومة والمثبت خلافه
كما صرحوا به الا انه في شرح السنة ان الكلثمة لا تكون الا مع كثرة اللحم وكذا في
الصحاح والمراد غير المفرطة ايضا فهو من الاضداد والصفات للنبي صلى الله عليه
وسلم لا للعنق كما توهم وهو غلط فاحش هنا متماسك البدن وهذا مروي في حديث
هند رضي الله عنه كان بادنا متماسكا اي معتدل الخلق كان اعضاءه يمسك بعضها بعضا
لقوتها وعدم استرخايها وقال الغزالي لحمه متماسك على خلقته الاول لم يضره السن
الذي من شانه ان يسترخي اللحم فيه بخلاف الشباب ضرب اللحم ضرب بفتح الضاد
المعجمة وسكون الرا المهملة والموحدة بزنة المصدر اي قليل لحم البدن خفيفه
لا الجد الهزال وقد يتمدح به كما قال طرفة •

انا الرجل الضرب الذي تعرفونه • خشاش كراس الحية المتوقد •

وهذا معنى قولهم لحمه بين اللحمين لا ناحل ولا مطهم وذكر اللحم مع قول اهل اللغة
الضرب الرجل الخفيف لبيان معناه لانه مشترك او للتجريد وهذه الصفة في حديث
ام معبد رضي الله عنها وفي حديث رواه البيهقي وهي لا تنافي ما ورد في حديث
اخر من انه كان بادنا اي جسيما او كثير اللحم لان القلة والكثرة والخفة ومقابلها
امور نسبية فحيث اثبتت اريد بها رتبة معتدلة وحيث نفيت اريد الافراط
وان هذا كان في اول عمره وكونه بادنا في اخره لما في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم
لما كبر سنه كثر لحمه ولا خفا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن نحيفا قط ولا سمينا قط
وقال التلمساني معنى كونه بادنا كثير لحم البدن ولكنه لكونه متماسكا يقوي
بعضه بعضا ويشده ويمسكه فهو خفيف بهذه النسبة قال البراء بن عازب
رضي الله عنه تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه الترمذي وصححه
ورواه بسنده بواحسن الا في ما رايت من ذي لمة في حلة حمرا احسن من رسول
الله صلى الله عليه وسلم من زايدة او مبينة لمقدر اي احدا واللمة بكسر اللام
وتشديد الميم ما طال من شعر الراس في احد جانبيه قال التلمساني قيل هي
الوفرة وقيل دونها وقيل اذا الم الشعر بالمنكب فهو لمة وقيل اذا جاوز

شحمة الاذن وقيل دون الجمة وقيل فوقها فالجمة ما بلغ المنكبين انتهى وقد اختلف في
الفرق بين هذه الثلاثة اللمة بالكسر والجمة بالضم والوفرة بالفتح فقيل اللمة ما جاوز
من شعره شحمة الاذن وسميت بها لالمامها بالمنكبين وان زادت فهي الجمة وهي ما سقط
على المنكب كما في شرح السنة والمراد بالمامها به قربها كما في المصباح لا بلوغ اوله او سقوطه
وفوقها متصلة بها منبسطا بعضها عليه قليلا وقيل لمجاورتها لما ورد في الحديث كان شعره
يضرب منكبيه وفيه نظر وفي القاموس الوفرة ما سال على الاذن او جاوز الشحمة ثم
الجمة ثم اللمة ووافق ما في الجوهري تارة وتارة قال اللمة ما جاوز الشحمة فاذا
بلغ المنكب فهو جمة فتوهم فيه السهو والتناقض وهو محمود على ما في شرح السنة
وقيل ينبغي حمل كلامهم على ان في الجمة لفظين اي معنيين ما سقط على المنكب وما
لم يبلغه لما مر فاقتصر بعضهم على احدهما والاخر على الاخر وذكرهما الجوهري
وفي الشمايل جمته تضرب شحمة اذنيه فهي ثالثة من غير تناقض ومنهم من اول
الحديث بانه جمة قيل وربما وصل لما ذكر بعده وهو بعيد بل غير سديد انتهى
**اقول** الجمة بمعنى الكثير الشعر ومنه الجم الغفير والوفرة من الوفور وهو
الكثرة واللمة من الالمام وهو القرب او النزول ولا يخفى ان الكثرة والقرب ونحوهما
امور نسبية تتفاوت بحسب ما ينسب اليه فلا تعارض بين معانيها بحسب الاصل
والاتفاق فلكل منها معنى يجوز استعماله في المعاني المذكورة بحسب القراين فاللمة
ما يلم بالاذن او بشحمتها او بالمنكب بان تقرب منه او تنزل عليه والكثرة اما في نفسها
او بالنسبة للمة فاذا لوحظ كل من هذه صحت المعاني فتدبر والحلة بضم الحاء المهملة
وتشديد اللام كما في القاموس ازار ورداء برد او غيره ولا تكون حلة الا من ثوبين
او ثوب له بطانة انتهى فلا تكون ثوبا واحدا ولا ثوبا ليس له بطانة كما قاله
الخليل والثوب لا يختص بالمخيط بل يعمه وغيره وفي النهاية الحلة من برود اليمن
ولا تكون الا ثوبين من جنس واحد وتانيثها للوحدة الصورية كما في الجنس
واحد او للاسمية وقال النخاعي في الحديث دليل على ان الحلة قد تكون ثوبا
واحدا يعني لتا الوحدة ويمنعها تمام واللغويون مطبقون على انها لا تطلق
الا على ثوبين والحديث صحيح متفق على تخريجه ووهم المص رحمه الله في مشار
فقال الهاشمية بن لكن لحلولها على الجسم او على ثوب تحتها وهو باطل لا قتضائه
ان كل ملبوس يسمى حلة من اي نوع كان **اقول** ما نقله هذا ابن منه غير صحيح
من اشتراط كونها ثوبين واتفاق اهل اللغة عليه قد نقلناه لك عن صاحب
القاموس وعن الخليل واما اعتراضه على المص رحمه الله في وجه التسمية فليس
بشي لان وجه التسمية مناسبة لحظها الواضع لا يلزم اطرادها ولا انعكاسها
هو غفلة منه ثم اعلم ان الامام الشافعي رضي الله عنه ومن وافقه استدل
لهذا الحديث على جواز لبس الاحمر ولو كان قانيا كالمعصفر والمزعفر ومن ذهب
الى كراهتها كراهة تحريم اجاب بان المراد انه كان فيه خطوط حمر ولبس احمر
خالصا وبان هذا منسوخ قال محمد رحمه الله في شرح السير الكبير لبس الاحمر
مكروه وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحمرة

فالمقام في الشياطين وما روي من حديث البراء بن عازب ما رأيت ذا لمة في حلة حمراء كان في
الابتدا ثم ترك استعماله للرجال بعد ذلك انتهى او هو من خصائصه صلى الله عليه وسلم
وضرب عمر رضي الله عنه من لبس حلة معصفرة وقال دعوا هذه الثياب للنسا والكراهة
تنزيهية ومعناه الجواز وسئل الشيخ قاسم بن قطلوبغا عن لبس الاحمر الذي فيه النزاع
وهو الاحمر القاني هل هو مكروه ام لا **فاجاب** بانه مكروه كراهة تحريم
للاحاديث الواردة في النهي عنه ثم اورد كلام محمد في السير وانه كرهه بعد ذلك لما في
حديث ابن عمر رضي الله عنهما انهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبس المعصفر وانما
لبسه الشعبي رحمه الله فرارا من القضا لما طلبوه مرارا فلبس المعصفر ولعب بالشطرنج
وخرج مع الصبيان لبطل العمل فتركوه واذا ورد ما يقتضي الاباحة وما يقتضي التحريم
فالثاني ناسخ نسخا اجتهاديا كما يشير اليه كلام السير وما ذكر عن الشعبي جواب عما يقال
لو كان النسخ مشهورا ما لبسه الشعبي وقال بعض المتاخرين حديث البراء ليس من محل
النزاع لان الحلة برود اليمن المخططة انتهى وفيما قاله الشيخ نظر لان النهي عن المعصفر
العملي الذي شاع في عهد النبوة لبس النسا له لا يستلزم النهي عن الاحمر المنسوخ كذلك
وفرار الشعبي عن القضا لا يبيح له الحرام وقوله حلة حمرا في حديث البراء اي كونها
مخططة فالحق ان الكراهة تنزيهية ولذا قال النووي في شرح المهذب لبس الاحمر جائز
بالاجماع اي مع الكراهة التنزيهية وان قال بعض اصحابنا من المالكية بجوازه اي من
غير كراهة وقول بعض الحنفية بالكراهة لا ينافي الجواز ومراد النووي الاجماع
المذهبي وما ذكره الشيخ قاسم من النسخ بالاجتهاد محل بحث فليحرر وقال ابو هريرة
تقدم الكلام فيه وانه غير منصرف ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا ابلغ من الحديث الذي قبله لانه فصله في لباس مخصوص وخصه لانه يظهر
فيه النور والحسن اكثر من غيره وقال في هذا ما رايت شيئا اي من الناس او غيرهم مطلقا
كان الشمس تجري في وجهه كان بالتشديد في الرواية هنا وان جاز تخفيفها وهي اداة
تشبيه وترد للظن والتشكيك وهو مبني على التشبيه والشمس منصوب اسمها
وجملة تجري خبرها وجريان الشمس حركتها الفلكية كما قال عز وجل والشمس تجري
لمستقر لها فقيل شبه لمعان وجهه تارة بالشمس وتارة بجريان الشمس الا ان المنتقل
لمعانه فالمناسب ان يقال كان نور الشمس او يراد بالشمس نورها فالاوجه انه شبهه
بنورها وجريانه لكنه لما كان بتبعيتها حكم بانها تجري وهو دقيق بليغ او شبه محل
اللمعان بقرصها ونغيره تارة وتارة بجريان القرص وفيه بعد وقال الطيبي رحمه الله
يجوز تعلق الخبر بيستقر نوع من تناسي التشبيه وجعل الوجه مقر الشمس فكانه جعل
تجري حالا وكان للظن والادعا او فعلا ما قصا وهو بعيد انتهى وقيل المعنى ان الشمس
الجارية في فلكها مشبهة بما يجري في وجهه من عرق وبخوع فني وجهه ما هو
شبيه بالشمس ولذلك التشبيه ما هو شبيه بذلك الجريان من التلالو والانبساط
ففيها مشبه ومشبه به ووصفه هي للمشبه ظاهرا وللمشبه به حقيقة على اسلوب
كان قايل اي انا كالرجل القايل نحو اسناد الجريان وفيه مشبهان مطويان
على سنن الاستعارة وهما ما في وجهه من التشبيه بالشمس والتشبيه بذلك الجريان

القاضي
بدر الدين

سعيد

كان في

كما في قوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه على ما فصل في شرح
المفتاح **اقول** هذه الجملة تكلف وتعسف لا طائل تحته وبيانه ان مراده المبالغة في وصف
وجهه الشريف بالنور كما اشار اليه بقوله واذا ضحك تلالا في الجدر فشبه وجهه الزكي
بالشمس في الاشراق والنور ثم عكس التشبيه ليكون ابلغ فقال كان الشمس في وجهه
ثم زاد في المبالغة على طريق التجريد فانتزع منه شمسا جعلها في وجهه كقولهم لهم فيها
دار الخلد والحمر تجري على انه حال واصله كان وجهه الشمس ثم كان الشمس وجهه ثم
كان الشمس في وجهه وانما قيدها بكونها جارية اما لان المراد ظاهر سائر على وجه
الارض او لان تلالؤ النور في وجهه كتحركها وهو اقوى في التشبيه وهذا هو الذي
عناه واما تناسي التشبيه فمراده به تشبيه وجهه بالشمس لان منطوقه تشبيه الشمس
ار
او الجريان الماعرفته لكنه تسامح في العبارة واما ما سنح له الشراح فلا وجه له ومن
الغريب هنا قول التلمساني ان معنى تجري في وجهه تتوهج كتوهج الشمس واشار الى ظهور
الامارات كرهه او اصابة كرب في وجهه كظهور ذلك في الشمس من سحاب او غيره ومنه قوله
في الحديث فرايت لوجهه صلى الله عليه وسلم ظللا وهي جمع ظلة انتهى والتلالا اللمعان
والاضاءة وجدر بضمتين جمع جدار وهو الحائط والناس تستعمله بمعنى الاساس واما
ابن الحنبلي
الجدر بفتح فسكون فهو الحاجز الذي يحبس الما كما سياتي في حديث الزبير رضي الله
عنه اسق يا زبير حتى يبلغ الجدر وليس مفردا بمعنى الجدار كما توهم وهذا رواه
احمد والترمذي وابن حبان والجمع على ظاهره من غير حاجة الى حمل التعدد باعتبار
الاوقات اي نور وجهه الشريف يشرق اشراقا يصل الى الجدران المقابلة له كما يكون
ذلك من الشمس والقمر وقيل انه من نور يخرج من بين ثناياه وفمه اذا فتح وتبسم
وروى ابن كثير عن ابي هريرة رضي الله عنه يكاد يتلالو في الجدر فتتفاوت بحسب
الاوقات او بحسب خفة ضحكه وشدته او ما هنا محمول على المبالغة على تقدير
يكاد وقال جابر بن سمرة الذي مر ذكره وهذا اثمار رواه الشيخان عنه وقال له
رجل جملة حالية بتقدير قد او معطوفة على ما قبلها وفي الشمايل سال رجل
البراء بن عازب كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف بتقدير الاستفهام
كما ورد مصرحا به في الشمايل ويجوز عدم التقدير هنا والظاهر الاول وتشبيهه
في البريق واللمعان لا مطلقا ولا في الطول كما توهم وروى البيهقي كان
وجهه حديدا كالسيف ولا يظهر وصفه بالحدة وان اريد بحدته نفاذ امره
ومضاؤه في الدين وقصد الخير كما في النهاية فلا وجه لتخصيصه بالوجه
سيد
ولا التعميم ولذا رده جابر فقال لا قيل قال تاكيدا لقال الاولى وعطفه
لجواز عطف المؤكد على المؤكد بالفاء وثم كما قال الله تعالى كلا سيعلمون ثم
كلا سيعلمون وانكار اهل المعاني له غريب او هو لتفصيل ما قبله او انه
لم يقصد الجواب ووقع في مسلم بدون عاطف ورده بلا اما لايهامه الطول
ومخالفته في اللون او لان لمعانه اقوى والمشبه ينقص عن المشبه به كما قال
ظلمناك في تشبيه وجهك بالمسك ● فمن عادة التشبيه نقصان ما يحكي ●
بل مثل الشمس والقمر شبهه بشيئين والمشبه به قد يتعدد فيعطف باو كقول

الحريري المتقدم ايضا

يفترّ عن لؤلؤ رطب وعن برد • وعن اقاح وعن طلع وعن حبب •

فلا وجه لقول السيد اللايق ان يقول الشمس او الغزالة او يجعل بل والشمس بتمتع اسنا الخلامونة وبينهما فاللايق القمر وما في الوفا من انه لم يقم مع الشمس قط الا غلب ضوؤه ضوءها لا ينافي التشبيه بها لانها اعرف واشهر وقال التلمساني انه اضرب عن تشبيهه بالسيف لعدم مناسبته وانما يشبه به نفس الانسان في نفاذ امره وشدته كما قال •

وكالسيف ان لاينته لان متنه • وحدّاه ان خاشنته خشنان •

قال ويقال لابل ولا بن وبابل انتهى وهو غريب وفي شرح الشمايل لابن حجر الشمس يشبه بها غالبا في الاشراق والضيا والرفعة والقمر يشبه به في الملاحة والحسن فبين جمع وجهه للمعنيين مع نوع استدارة وطول وفي حديث كعب بن مالك رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر وفي رواية فلقة قمر وفي رواية للطبري التفت الينا كان وجهه شقة القمر وانما ارادوا التشبيه لبعض وجهه لان السرور كان يبدو في جبهته فشبه بعضه ببعضه وبهذا اندفع ما قيل ان وجه الاحتراز عما في القمر من السواد فشبه بعضه الخالي منه انتهى وكان وجهها الشريف مستديرا فيه استدارة كما مر وهذا يوكد للتشبيه لا لعدم المشابهة التامة اي هو احسن منه واستوى لاستدارته دونه وهذا الا وجه له لان استدارته وكريه كساير الاجرام العلوية مبرهن عليه في الهيئة وقيل التشبيه بالنيرين انما يتبادر منه الضو والملاحة فبين الاستدارة ليكون التشبيه فيهما ايضا وقالت ام معبد وهي كما تقدم عاتكة بنت خالد الصحابية رضي الله عنها التي كانت نازلة بخيام طريق المدينة وقد نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته لما خرج من غار ثور وقصتها معه مشهورة مروية من طرق عديدة بعضها وصححها وكان زوجها غايبا فلما اتاها اخبرته به فاستوصفها اياه فقالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة ابلج الوجه حسن الخلق لم تعبه نحله ولم تزر به صقله وسيم قسيم في عينيه دعج وفي اشعاره عطف وفي صوته صحل وفي عنقه سطع وفي لحيته كثافة اقرن ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سماه وعلاه البها اجمل الناس وابهاه من بعيد واحلاه واحسنه من قريب الحديث قالته في بعضه من كلام بليغ مشروح في السير منه في بعض ما وصفته به اي في بعض كلام وصفته به من رواية البيهقي في دلايله عن اخيها حبيش بن خالد عنهما والحمد لفظ بعض اشارة الى انه كلام طويل مشتمل على وصفه وغيره من قصة الشاة وغيرها وما نقله المص رحمه الله بعض الصفة لا كلها واضافة بعض لاميه من اضافة البعض للجزء لا بيانية كما توهم اقول تفصيله كما في شرح الكتاب لابن غالب تلميذ الشلوبين اذ النحاة اختلفوا في اضافة بعض القوم فقال ابن خروف لا يمتنع بعض من القوم وجزء من الشيء بنوع على معنى من ولا يكون ذلك في كل فقد يكون للشيء حكم لا يكون لمقابله ويجوز في بعض المال بعض لدال ويراد به اما الباقي منه فينصف هذا بانه بعض له كان مضافا له والاضافة تتحقق بادنى ملابسة وقد يراد به بعض للكل المحقق وقال التسهيلي البعض في مقابلة الكل سيد

واضافة لا على معنى اللام فيجب ذلك في بعض مقابلها وايضا فالاضافة على معنى من انما تكون
فيما يكون جنسا للاول يصدق عليه كخاتم حديد ولبس بعض الدرهم درهما ولا البعض زيد
زيدا وهذا في التفضيل وهو انك اذا اضفت البعض لجنس بعض الحديد وبعض الطعام
واذا اضفته لذي صورة له اسم كزيد كان له حكمه انتهى اجمل الناس من بعيد الظاهر انه
صفة رجلا في قوله رايت رجلا كما سمعته انفا ويجوز رفعه على القطع والمدح والحالة
والمجرور حال من ضمير اجمل اي مشاهدا من بعيد والجمال البهاء والحسن والذي في الرواية
الثانية اجمل الناس والبهاء فالمض اما ان يكون اسقطه منه لكونهما بمعنى او طفر برواية
فيها هكذا وكون الاطناب في المدح محمود سهل والناس اسم جمع او جمع نادر واصله
اناس كما فصله شراح الكشاف وجعل الجمال من بعيد لانه يحقق الناظر النظر فيه لمهابته
بحيث لا يطيل النظر له من قرب منه الا من يكون صغير السن كابن ابي هالة او من محارمه
او من الاعراب الجفاة فاذا فعل ذلك ادرك فوق الجمال مرتبة اخرى كما قال
يزيدك وجهه حسنا ● اذا ما زدته نظرا ●
والى ذلك اشار بقوله واحلاه واحسنه من قريب وفي نسخة واحسنهم والعرب تفرد
الضمير في مثل هذا حملا على لفظه او على الجنس كانه قال واحلى هذا الجنس وكذلك
قوله صلى الله عليه وسلم خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش احناه على ولد الحديث
اي خير هذا الجنس لان الناس والنساء من اسماء الاجناس وفي النهاية انما وحد الضمير
ذهابا الى المعنى واو التقدير احسن من وجد او من هناك كذا قرره بعض الشراح
**اقول** تحقيق هذه المسئلة ان العرب تقول احسن الفتيان واجمله بافراد الضمير
بمعنى احسن فتى وفي التسهيل انه لسد واحد مسدهم ومثله وان لكم في الانعام لعبرة
نسقيكم مما في بطونه لان الانعام تسد مسد النعم قاله ابن مالك في شرح التسهيل
وقال ابو حيان رحمه الله مذهب الفارسي ان افراد الضمير لانهم يقولون تارة هو احسن
فتى فيفردونه وتارة احسن الفتيان فيجمعون فتوهموا ذلك في حالة الجمع فافردوه
والذي يدل عليه كلام سيبويه رحمه الله انه افرد كما افرد في ضربني وضربت
قومك على معنى من ذكر وهو الصحيح ويدل عليه الحديث السابق فلو كان على ما
يقوله الفارسي قال احناها وقد يعود الضمير على الاثنين والاناث مع افعل مفردا
كقوله ●
● ● ● ●
وبه احسن الثقلين جيدا ● وسالفة واحسنه قذالا ●
وقوله ●
● ● ●
شربوا منها واعواه لها ● ركبت عنز بحدج جملا ●
وضمير الاناث السابق وتكون ذلك دون افعل قليلا وفيه كلام حققناه في غير هذا
المحل قال التلمساني وهو قياس عند ابن مالك وسماع عند سيبويه وافراد ه
الرادة ما مر لا لانه اسم جنس كما توهم واحلى من قولهم حلي بعينه وقلبه اذا
احبه واستحسنه فعطف احسن عليه عطف تفسير والحاصل ان الصورة
الاجمالية المشاهدة اجمل من غيرها وكذلك التفصيلية المشاهدة من قريب
وكثيرا ما يتفاوت البعد والقرب اذا دقق النظر وفي حديث ابن ابي هالة الاتي

وتقدمت ترجمته يتلألأ وجهه ويشرق وجهه تلألؤ القمر منصوب على المصدرية اي مثل
تلألؤه ليلة البدر اي عند تمامه وتمامه هو اكمل ما يكون واحسنه وقالوا يسمى ليلة
طلوعه والثانية والثالثة هلالا ثم يسمى قمرا الى ثلاثة عشر ثم يسمى ليلة ثلاث
عشر فتسمى تلك الليلة ليلة السواء ثم يليها ليلة البدر لانه اذا بدرت الشمس
للغروب بادرها بالطلوع وقابلها وقيل من البدرة وهي الف دينار لتمام عدده ثم
يسمى ليلة المنتصف قمرا ويسمى زبرقانا وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
كما رواه الترمذي والبيهقي عن محمد بن الحنفية في حديث مرسل ضعيف
في آخر وصف له صلى الله عليه وسلم اي في حديث طويل في صفته وحليته اخره
مما نقله المصنف عنه وليس المراد انه آخر مجلس وغيره مما تحمله بعضهم من رآه
بديهة اي فجاءة وبغتة قبل مخالطته ومعرفة حاله وخلقه ويقال لكل ما
يفعل عجلة من غير تأمل بديهة كما قال الغزي • ان الطعان بداية الفرسان •
وفي كتاب البدائع البداية البديهة مشتقة من بداه كما يقال مدح ومده
واصله في الكلام وغلب في الشعر من غير روية وتفكر والارتجال اسرع من البديهة
هابه اي خافه ووقره لتعذر من يقوم بين يديه وفي النهاية هابه عظمة ووقره
فالمعنى ان من رآه ابتداء وقره ولو كان من اعدائه فاذا تدبر كماله وحلمه احبه
ومن اخبته عظمة والتوقير لازم له على كل حال والمحبة بعد الخلطة كما قال
ومن خالطه اي مازحه وصاحبه ويلزمه معرفته فلذا قال معرفة وهو حال
اي ذا معرفة او مفعول مطلق اي مخالطة معرفة او لاجل المعرفة لا لاجل
النفاق والعداوة والانتقاد لما يراه من لين جانبه وحلمه وكرمه وشفقته
على جميع عباد الله احبه لظهور محاسنه التي توجب محبته ولان الله سخر
القلوب لمحبته • واذا احب الله بعض عباده • القى عليه محبة الناس • ولا يحتاج
الى ان يقال انه ربما كان يتصرف منه معجزة كما روي انه عليه الصلاة والسلام
وضع يده على صدر رجل فمات فصاحبني صار احب الناس اليه بعدما كان
ابغضهم عنده وفي رواية من خالطه فعرفه وهي قريبة من رواية المصنف
رحمه الله يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله كلام مستأنف
تعليله لاستقلاله وناعته واصفه اي كل من يريد وصفه من شانه نعت ما يراه
والنعت يغلب في الوصف الحسن وقال الطيبي رحمه الله اي ناعته يقول
ذلك عند العجز عن وصفه ولا تكلف فيه كما توهم والرؤية بصرية او علمية •
والمثل المساوي والمشابه ونفي المماثلة المطلقة مبالغة والمراد مثله في
حسنه وكماله ونفي المثل يقتضي نفي من يفوقه بالطريق الاولى ولان كل
فائق مثل وزيادة فيلزم من نفيه نفيه كما يراد بنفي الافضلية اثبات
الافضلية كما مر وقول بعضهم كل من شانه النعت هذا يقتضي انه لا مثل
له حقيقة والا لم يكن من شان من رآه نعته بذلك كما لا يخفى والاحاديث
الواردة في بسط صفته فالجار والمجرور صفة بلا تكلف بتقدير الكائنة
اوكائنة على انه حال من المبتدا او من فاعل الخبر وفي الظرفية كلام مر

والبسط

كثيرة

والبسط التطويل مشهورة شهرة لغوية او عرفية او اصطلاحية وفي كلام بعضهم وليس
المراد بالشهرة مصطلح اهل الاثر فانه غير صحيح بل الشهرة العرفية انتهى وما اشهر بغني
شهرته عن ذكره فلذا قال فلا نطول الكتاب والكلام بسردها سرد الشيء تعداده متوا
متتابعا مفصلا من سرد الدرع نسج حلقه وقد اختصرنا اي اوردنا مختصرا غير مطول
في وصفه صلى الله عليه وسلم نكت ما جاء فيها اي في تلك الاحاديث والنكت اللطايف
والدقايق الخفية من النكت في الارض كما مر او المعاني اللطيفة التي تتاثر منها النفس
لحسنها وجملة بضم فسكون اي مقدارا مجموعا مما فيه الكفاية من بيانية اي جملة هي
الكفاية اي الكافية او تبعيضية اي جملة هي بعض الكافي وقيل المراد من جملة امور يكفي
كل منها الا العاجز الكافي لانه مع ما فيه ينافيه التقييد بالمشية الاتي فتدبر في القصد
الى المطلوب من وصفه صلى الله عليه وسلم متعلق بالكفاية والقصد الوصول
الى ما طلبه في هذا المقام من بيان كماله وجماله وحسن جملته وتفصيله من قصد السهم
اصاب مرماه او المراد به الاتيان يقال قصد له واليه اذا اتى به او المراد الاعتدال
والتوسط بين الاختصار والتطويل فيما يفضي الى الغرض المطلوب وقوله ان شاء الله
تعالى وقع في بعض النسخ هنا وليس في اصلنا وهو للتبرك واليمن او تعليق للقصد
والكفاية وقد ختمنا بجملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان تكون حالا ولا وجه لجعل
الماضي بمعنى المضارع استعارة لتحقق وقوعه بابرازه في صورة الحاصل تفاولا او اظهارا
للرغبة فيه او جعل مضيه باعتبار عزمه او كونه في المسودة لما فيه من المقارنة العرفية
تدبر هذه الفصول المراد بالفصول فصول هذا الباب بحديث جامع لذلك اي لصفات
حليته المنتشرة في الاحاديث مشتمل على اكثر انواعها واصنافها وان فاته شيء من افرادها
فلا تكلف في الجامعية كما توهم وهذا الحديث وان لم يكن اخرها بحسب الظاهر لا يضر
لان ما بعده كالتتمة والخاتمة للمقصود منه وهذه زهرة لا تحتمل العرك تقف عليه
هنالك وروي هناك وهما للمكان وقد يكونان في اخر الباب او في زمان الوصول اليه
والاول للبعيد والثاني للمتوسط والبعد والتوسط بالاضافة لامر اخر ذا اثر على
الاعتبار فلا منافاة بينهما ان شاء الله تعالى قيد للوقوف لتوقفه على المشية
وقول المص رحمه الله قبل هذا او قول علي ونحوه تعليق وهو حذف اول السند
وقد يسمى مثله معضلا فان اعتقد ان لقايله صحبة فلا كلام فيه والا فينبغي ايراده
بصيغة التمريض والكلام على هذا مفصل في نكت ابن الصلاح وغيرها فصل
هو رابع الفصول السابق ذكرها واما نظافة جسمه عطف على قوله اما الصورة
اي في الفصل الذي قبله اي نقاوته من نظف بالضم ضد قذر وطيب ريحه المراد
بالريح هنا الرايحة التي تدرك بالشم وروي رايحته وهما بمعنى وعرقه بفتحتين
وهو ما يترشح من البدن وقد يستعار لغيره كما الورد المستقطر منه ونزاهته
عن الاقذار اي بعده وخلوه منها وتنزهه عنها والضماير للجسم او لصاحبه لعلمه
التزاما والاقذار جمع قذر والقذر والقذارة ضد النظافة وهو مؤكد لما
قبله وكالتفسير له وعورات الجسد اي البدن وعورات بسكون الواو وقد
تحرك وبه قرئ جمع عورة وهو كل ما يوجب خللا فيه او يستر ويستحيى منه

بيا

سـيد

سـيد

سـيد

في كتب

ممابتبين وسنفض ولذا قيل انها مشتقة من الصار الذي يذم بسببه يقال عورات
الجسد والكلام فكانه صلى الله عليه وسلم قال فضيلة قد خصه الله تعالى وفضله
وميزه عمن سواه في ذلك المذكور بخصايص اي فضايل لا توجد في غيره كما اشار اليه
بقوله لم توجد في غيره من الامم اصلا او لم توجد في الاكثر وهذه صفة مخصصة
او مبينة موكدة ثم تممها سبحانه تنزيه الله المنزه له واقع في محزه والضمير للحسام
نظافة الشرع متعلق بتممها اي تمم ما فطر عليه من ذلك وما خصه به مما شرعه
له من النظافة الدينية كالوضوء واضافة النظافة للشرع لملابستها له وكونها
بسببه فهي لامية قيل المراد انه جعل بعضها منها في جبلته بحصوله فيها او باقتضا
طبعه وعقله مما لم يعط لغيره ثم امر بما لم يكن كذلك كالطهارات ووفقه لاتمامه
على اكمل الوجوه فاتصف بالنظافة الكاملة سوا كان الشرع شرعه او شرع من
قبله ان قلنا باتباعه له مع انه مما شرع له واما ما نسخ فقد زال فما قيل من ان
هذا انما يستقيم ان لم يكن متعبدا بشرع من قبله او المراد بالنظافة عدم الامر
والاعلال تكلف من غير داع وبالجملة فشرعه صلى الله عليه وسلم شامل لكل ما ينبغي
على الوجه الاكمل وخصال الفطرة العشر من عطف الخاص على العام والفطرة اصل
معناها في اللغة الطبيعة والجبلة التي خلق عليها مركوزة فيه من فطر بمعنى خلق
ومنه فاطر السموات والارض واصل معنى الفطر الشق كما قاله الراغب وفسرها
المحدثون هنا بالسنة واعترض عليهم ابن الصلاح بانه لا يناسب المعنى اللغوي ووجه
ذلك بعضهم بان مرادهم ان في الكلام مضافا مقدرا اي سنة الفطرة بمعنى الصفة
الناشئة عن الفطرة السليمة ورد بانه وقع تفسيرها بها في صحيح البخاري والقول
ما قالت حذام فلا عبرة بمن انكره من اللغويين كصاحب المغرب **اقول**
السنة الطريقة المالوفة المعتادة والانسان لا سيما الانبيا عليهم الصلاة والسلام
انما يالفون ما تقتضيه فطرتهم السليمة المبنية على النظافة والنزاهة وما
يعتادونه مما تقتضيه الطبيعة يلحق بها فلا بعد في تسميته باسمها كما قالوا العادة
طبيعة ثانية فالقول بانه لا مناسبة بينهما غير صحيح والجواب المذكور اقناعي
لا يجدي نفعا وللسيد هنا كلام لا محصل له رأينا تركه خيرا من ذكره ورده واول
من سن هذه السنن الاتية ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وكونها عشرا
رواه مسلم في حديث مرفوع عشر من الفطرة قص الشارب واعفا اللحية والسواك
واستنشاق الما وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة
وانتقاص الما قال مصعب نسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة وروى ابو داود
المضمضة والختان بدل اعفا اللحية وقال المص رحمه الله المنسي الختان وروى
ايضا في الحديث الصحيح خمس من الفطرة فالحصر غير مقصود وان السنن كانت تزيد
شيا فشيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات
فاتمهن انه امر بعشر خصال ثم عدهن كما مر واشار بقوله من الفطرة الى
انها غير منحصرة فيما ذكر وهذه كلها ظاهرة والسنة المراد بها الطريقة كما مر فتشمل
السنة والواجب والختان سنة عند الاكثر في حق الرجال وهو قطع جلدة الكمرة

سعد

ابن القيم وضى

دلجبر

في صح

وبحفنا النسا مكرمة ويبقى حفا منا بكسر الخا المعجمة وهو قطع جلدة اعلا الفرج
على ثقب البول وقطع ادنى شي منه كاف واستحسن مالك رحمه الله ختان الصبي من سبع
الى عشر وكرهه في اليوم السابع لانه عادة اليهود ولم يعين له ابو حنيفة رحمه الله زمانا
وقص الشارب سنة وقيل حلقه احسن وتقصير اللحية حسن كما مر وهيئته تحصل
بقص ما زاد على القبضة ويوخذ من طولها ايضا على ما ياتي واما حلقها فمنهي
عنه لانه عادة المشركين واما السواك فسنة مطلقا وقيل انه سنة في الوضو وقيل
هو سنة للرجال دون النسا لضعف اسنانهن فاقيم العلك لهن مقامه ولذا كره
للرجال الا في الخلوة لعذر والمضمضة والاستنشاق من سنن الوضو وانتقاص
الما هو الاستنجا ويكون واجبا وسنة كما بينه الفقها وهو بالفا والمهملة او المعجمة
والمذكور في اللغة انه بالقاف والمهملة واما بالفا فنضحه على الذكر وقد ورد
الاستنقاص بقاف ومعجمة بمعنى الاستنجا قال في المغرب والقاف والصاد غير
المعجمة تصحيف وفيه ان رواية القاف هي المشهورة وقال الصاغاني انتقاص
الما بالفا والمهملة رشه على الذكر وقيل الانتقاص بالقاف تصحيف واشعر
بان ما في المغرب ضعيف وقص الاظفار وتقليمها سنة وورد النهي عنه في يوم
الاربعا وانه يورث البرص وحكي عن بعض العلما انه فعله فنهي عنه فقال لم يثبت هذا
فلحقه البرص من ساعته فراي النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فشكى اليه ما اصابه
فقال صلى الله عليه وسلم الم تسمع نهيي عنه فقال لم يصح عندي فقال يكفيك انه
سمع ثم مسح بدنه بيده الشريفة فذهب ما به فتاب عن مخالفة ما سمع وغسل البراجم
ازالة وسخها بالما والبراجم عقد الاصابع من ظهر الكف والرواجب عقدها من بطنها
وهما بالجيم والموحدة وقال الثعالبي البراجم مفاصل الاصابع فعمم ونتف شعر
الابط معلوم ولا باس بحلقه وحلق العانة وهي ما حول الذكر والفرج واذا قص
اظفاره وحلق شعر ابطه وعانته او حجم او فصد فينبغي دفن ظفره وشعره لحديث
ادفنوا الاظفار والشعر والدم فانه سنة فان القاه فلا باس به ولا يترك السبال
وان طال وفي الاحيا اختلف السلف فيما طال من اللحية فقيل يقص ما تحت القبضة
وكرهه الحسن وقتادة لحديث اعفوا اللحى اي اتركوها على حالها واصل خلقتها
ورجحه النووي وما ورد من انه عليه الصلاة والسلام كان ياخذ من طول لحيته
وعرضها ضعيف لا يحتج به وان احتج به بعضهم فهو مكروه واما المراة اذا نبتت
لها لحية وشارب وعنفقة فيستحب حلقها وقيل لا ينبغي تغيير خلقتها اقول
الله صح في لفظ الانتقاص في الحديث ثلاث روايات الاولى الانتقاص بفا وصاد
معجمة والثانية انتقاص بفا وصاد مهملة والثالثة انتقاص بقاف وصاد
معجمة ومعناه الاستنجا او رش الفرج بالما دفعا للوسواس ورواية انتضا
فلا وجه لما في المغرب وتفصيله في شرح الحديث واما تقليم الاظفار وكيفيته
وتفصيله فقد افرده السيوطي رحمه الله بالتاليف فلا حاجة للتطويل بذكره
كما في بعض الشروح ويكره ترك العانة والاظفار اكثر من اربعين يوما
وقال ان كان معذورا فاعلم فالمعنى فان الله لرسوله وان كان مستانفا

ح

عاصي

او حالا بتقدير قد فالمعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده انه وقع في نسخة صلى الله
عليه وسلم بني الدين على النظافة النظافة مصدر نظف وهي ضد الدنس وفي قوله بني الدين سيد
استعارة مكنية وتخييلية بتشبيه الدين ببيت قائم على اعمدة واساس حفظه لاهله وقيل انه
انه تشبيه مضمر ومعنى الاداة والمراد النظافة الحسية من الحدث والخبث والدنس والمعنوية
كالعقائد الفاسدة والاخلاق الردية والتهاون بالعبادة والمراد انه مما بني عليه فلا يعارض
بني الاسلام على خمس **وقد اورد** هذا الحديث في القوت وفي الاحيا في كتاب العلم
وقال الحافظ العراقي في تخريج احاديث الاحيا لم اجده هكذا وفي الضعفا لابن حبان من
حديث عائشة رضي الله عنها تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبراني في الاوسط بسند
ضعيف عن ابن مسعود رضي الله عنه النظافة تدعو الى الايمان انتهى **وفي** الترمذي
ان الله نظيف يحب النظافة وهو بعض حديث ذكره في كتاب الاستيذان عن سعد بن ابي
وقاص احد العشرة رضي الله عنهم وقال انه حديث غريب في سنده خالد بن اياس او
اياس وهو ضعيف **وقال السيوطي** في تخريجه هنا بعد ما ساق كلام العراقي
**قلت** رواه الترمذي عن سعد بن ابي وقاص مرفوعا ان الله نظيف يحب
النظافة فنظفوا افنيتكم وروى الرافعي في تاريخ قزوين بسنده عن ابي هريرة رضي
الله عنه مرفوعا تنظفوا بكل ما استطعتم فان الله بنى الاسلام على النظافة ولن يدخل
الجنة الا كل نظيف انتهى وبما ذكرناه من ان الحديث روي من طرق متعددة تجبر ضعفه
علم انه خرج من الضعف الى مرتبة الحسن ومعناه صحيح موافق للشرع فلا يرد على
المصنف ما قيل ان الحديث الضعيف لا يؤتى فيه بصيغة الجزم كقال النبي صلى الله عليه وسلم
ونحوه لانه يقتضي صحته والجزم به فينخرط في سلك من كذب علي وهو تساهل قبيح
فينبغي ان يقول قيل او روي ونحوه من صيغ التمريض واما اضمار صيغة التمريض
او قصد معناها اعتمادا على القرينة فلا ينافي مع الجزم وبقية الكلام عليه مستوفاة
في اصول الحديث فلا يلتفت لما ذكره بعض الشراح هنا من الخرافات المزخرفة عرضي
ثم ان اطلاق النظيف على الله في الحديث السابق ولم يذكره احد في اسمائه تعالى كما قيل
وقع للمشاكلة والمتقدمون يسمونها ازدواجا ايضا فلا وجه للاعتراض عليه لتوهم
انه الازدواج المذكور في تلخيص المفتاح فانه من قصور النظر وقيل انه لا حاجة
للمشاكلة فيه لانه بمعنى القدوس وكفى لثبوته هذا الحديث حدثنا سفيان بن العاصي
سفيان بتثليث السين والعاص بعين وصاد مهملتين وهو سفيان بن احمد
ابن العاصي بن سفيان بن عيسى ابو بحر الاسدي ولد سنة تسع وثلاثين او اربعين
واربعمائة وتوفي في قرطبة لثلاث بقين من جماد الاخر سنة عشرين وخمسمائة وقد
جاوز الثمانين سنة او دونها وفيها توفي ابن رشد وغير واحد تنبيه على انه
رواه عن غيره ايضا قال حدثنا احمد بن عمر هو ابو العباس احمد بن عمر بن انس
العذري صاحب كتاب الاعلام باعلام النبوة ولد ليلة السبت لاربع خلون من
ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وتوفي سنة ثمان وسبعين
واربعمائة بالمرية قال حدثنا ابو العباس الرازي نسبة الى الري بزيادة زاي
معجمة في النسبة على خلاف القياس كما قالوا مروزي في النسبة لمرو وهو احد

ابن

ابن الحسين بن بندار الخراساني قال ثنا احمد الجلودي بضم الجيم وفتحها نسبة لجلود قرية
ببغداد او الشام او محلة بنيسابور او افريقية او لبيع الجلود وهو محمد بن عيسى بن عمرويه
الشيخ الصالح كان على مذهب سفيان الثوري قاله التلمساني ولا وهم فيه كما توهم وفي
نسبته اختلاف لا حاجة لنا به وقال النووي الجلودي بضم الجيم وليس هو منسوبا
الى جلود بفتح الجيم قرية وهو قول ابن السكيت وابن قتيبة ثم قال الجلودي بالفتح
وان العوام يقولونه بالضم انما قالا ذلك في المنسوب الى القرية لا في هذا الجلودي راوي
مسلم وهذا الذي تبهت عليه بلا خلاف فيه قال ثنا ابن سفيان هو ابو اسحاق ابراهيم
ابن احمد بن سفيان بن محمد المروزي الفقيه الزاهد توفي سنة ثمان وثلاثمائة وكان زاهدا
مجاب الدعوة روى عن مسلم صحيحه قراءة عليه الا ثلاث مواضع رواها اجازة او وجادة
قال حدثنا مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري وهنا صاحب الكتاب المشهور الذي
تلقته الامة بالقبول وشهرته تغني عن تفصيل حاله توفي سنة احدى وستين وما
قال حدثنا قتيبة علم منقول من مصغر القتبة وهي الامعاء وهو قتيبة بن سعيد بن
جميل بن طريف بن عبد الله الثقفي يكنى ابا رجا سمع من الليث ومالك وابن عيينة وغيرهم
وتوفي سنة اربعين ومائتين وولد ببلخ يوم الجمعة لست مضين من رجب سنة ثمان
واربعين ومائة قال حدثنا جعفر بن سليمان البصري الضبعي بالضم لنزوله في بني ضبيعة
الزاهد الامي وهو كما في التقريب صدوق وان كان يتشيع والاصح قبول رواية من
يتشيع ان لم يكن متعصبا ولا داعيا عن ثابت البصري ابو محمد بن اسلم قال الذهبي وهو
ثقة كان من اعبد اهل زمانه وكان يلبس الثياب الثمينة عن انس بن مالك الصحابي
السابق ذكره وترجمته رضي الله عنه قال ما شممت عنبرا شممت بكسر الميم وفتحها
من باب علم ونصر والعنبر طيب معروف ظاهر بلا كلام وقال الماوردي اكثر العلما على
طهارته وفيه اشعار بان فيه خلافا والاصح انه شمع عسل ببلاد الهند يجمد وينزل
البحر ونحله يرعاه من الزهور الطيبة فيكتسب طيبه منها وليس نباتا ولا روث دابة
بحرية والجوده الابيض وما قرب الى البياض والاسود منه غير مرغوب فيه وفي النسائي
ان النبي صلى الله عليه وسلم تطيب به قط بفتح القاف وتشديد الطا المضمومة المبنية
وفيه لغات ذكرها النحاة واصل معناه ما انقطع من الزمان اي مضى ولذا اختص
بالماضي المنفي في الاشهر وذكر ابن مالك رحمه الله انه اكثري وانه سمع في المثبت
في احاديث علة واما استعماله في المستقبل فقال في الدرة انه لحن وفيه كلام لنا في
شرح الدرة وقيل معناه الدهر والابد وفيه نظر ولا مسكا هو طيب معروف وهو
في الاصل دم يجمد عند سرة لبعض الظبا في زمن معين بناحية من اقصى بلاد الترك
تسمى تبت بمثناتين فوقانيتين اولاهما مضمومة بينهما موحدة مشددة بزنة
سكر والصحيح انه طاهر وان كان دما لاستحالته كالخمر وقيل انه خصهما لانهما
اشرف الطيب واشهر وقدم العنبر لاشرفيته منهما وعمم بقوله ولا شيئا وان علم
حال غيرهما منهما بالطريق الاولى فيشمل الشي غيرهما من كل ذي ريح طيبة
مفردا كالورد والنرجس او مركبا كالغالية وقد يكون المركب اطيب رائحة والمراد
ما شممت رائحة عنبر الخ مع ان العرب يجعل ذا الريح نفسه مشموما من غير تجوز

صحيح

فيه عرقا وكذا الا انت رائحته صلى الله عليه وسلم مسك طيبا او لاحق انه كان اذا مر في بعض ازقة
المدينة علم مروره صلى الله عليه وسلم به برائحته وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه
في موضعين احدهما كما ذكره المص رحمه الله فمن قال الذي في مسلم عن ثابت رضي الله
عنه ما شممت عنبرا ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا مسست قط ديباجا ولا حريرا ولا شيئا الين مسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيادة
قط في كلام المصنف بعد العنبر ليست في محلها او هو رواية بالمعنى اقتصر على احد
الوصفين والعنبر بالنون والموحدة وكونه بياء موحدة ومثناة تحتية وهو اخلاط
طيب مخصوصة تصحيف من انه قيل انه ترق على حد ما مر في قوله تعالى لا تاخذه
سنة ولا نوم والمعروف ان يبتدا بالادنى ثم الاعلى في الاثبات ويعكس في النفي ليكون
الكلام مفيدا فيقول اعطيته درهما ودينارا وما اعطيته دينارا ولا درهما ولو
قدم نفي الدرهم علم نفي الدينار بالطريق الاولى الا انه قد يراعى الترتيب الوجودي
افول هذا هو المشهور وهي قاعدة كلية الا ان التحقيق فيهما انه اذا ذكر في الكلام
ادنى واعلى وقصد اثباتهما في نفسهما من غير اثبات شيء اخر لهما فالامر كما ذكر فان
اضيف الى ذلك شيء وقيد اخر فالترقي والتدلي بحسبه لا بالنظر لذلك كما في الاية
فان المنفي فيها الاخذ وهو بمعنى الغلبة وغلبة السنة دون غلبة النوم
فاذا قيل لا تغلبه السنة يتوهم ان النوم اقوى قد يغلبه فنفى غلبته وهذا ترتيب
مفيد بقطع النظر عن الترتيب الوجودي فان لم يشط لهما بل اريد بنفيهما النفي
فلك البداة بايهما شئت فتقول لا صغيرا ولا كبيرا ولا كبيرا ولا صغيرا كما فصله
في المثل السائر وبيناه في حواشي القاضي وهذا هو المقصود هنا فان المراد انه لا طيب
كطيبه صلى الله عليه وسلم مع ان طيب العنبر دون طيب المسك كما قالوا ليس الطيب
الا المسك وعزته وكونه اغلا منه لا دخل له فيما نحن فيه ثم ان وصفه صلى الله عليه
وسلم بلين الملمس لا ينافي ما ورد كما سبق من انه صلى الله عليه وسلم كان شثن
الكفين والقدمين فان المراد غلظ جلدهما وعظمهما لانه اقوى له ولا ينافي ذلك
ملاسته فان فسر بغلظ في خشونة فاما ان يخص بهما ولين الملمس في غير ذلك
من جسده الشريف او هذا بالنسبة لاصل الخلقة وذاك لمزاولة الاعمال والاشغال
كما مر والاول اصح اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مثله
كما مر من ان نفي الافضلية يقصد بها نفي المساواة بطريق الكناية وليس المراد
ايضا نفي شمه له بل نفي وجوده فلا يرد ان نفي الشم لا يدل على نفي الاطيبية وهو
المقصود على انه قد يراد بنفي العلم ونفي الوجدان نفي المعلوم والموجود
والمراد رائحته صلى الله عليه وسلم الذاتية لا المكتسبة لانها لا مدح فيها بل
لا يصح ارادة المكتسبة لا وحدها لان المكتسب منه مثله ولا مع رائحته الذاتية
لان المركب ليس مثل ريحه صلى الله عليه وسلم فتامل تنبيه قد عرفت
ما اعترض به على المص من انه غير الحديث وجوابه وعلى هذا قيل انه
اختصر الحديث وقد اختلف في جوازه والصحيح جوازه ان لم يكن المذكور
يتوقف فهم معناه على ما قبله بحيث يختل المعنى كالشرط والاستثناء وما فيه

غير راجح لمعين ولو يكن قرينة معينة واما النقل بالمعنى فممنوع لمن لم يكن عالما بالعربية
ودقائقها فان علم بذلك نبّه على الصحيح وفي جامع الاصول له تفصيل ولعل هذا الكلام في
غير الامثال وما جرى مجراها نحو اخوك البكري ومن اعدى الاول وله تفصيل في ابن
الصلاح وشروحه وعن جابر بن سمرة بفتح الميم وقد تقدمت ترجمته رضي الله عنه انه
صلى الله عليه وسلم مسح خده هذا الحديث اخرجه مسلم ايضا واقتصر المصنف رحمه
الله على بعضه لمناسبته للفصل بناء على جواز الاختصار في الحديث كما مر واما مسح
الخد بيده فانما ذكره توطئة لما بعده وكان من عادته صلى الله عليه وسلم مسح وجوه
الاطفال تانيسا لهم وتطييبا لقلوب والديهم وشفقة عليهم فان احضارهم عنده
تيمنا وتبركا به صلى الله عليه وسلم ومشهورا اول الحديث صليت مع النبي صلى الله عليه
وسلم ثم خرج وانا معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي احدهم واحدا واحدا
واما انا فمسح خدي فوجدت ليده بردا او ريحا كانما اخرجها من جونة عطار كذا
في مسلم او ريحا بابدال الواو الالفية وكثيرا ما يوجد بدونها قيل ولعله رواية
به والتقدير او قال جابر قال اي جابر فوجدت اي احسست ليده اي كفه وما قاربها
بردا وفي صحيح البخاري فاذا هي ابرد من الثلج وهذا يدل على ان البرد على حقيقته
وانه ليس بعارض لمس ما ونحوه وقد قيل انه عند العرب ممدوح لاسيما في الزمن
الحار ولا بعد في عده من خصائصه صلى الله عليه وسلم مع كمال حرارته الغريزية
وقيل انه عبارة عن لين كفه ورطوبته والاقرب انه بمعنى الراحة واللذة والطيب
وقد فسر قوله تعالى لا يذوقون فيها بردا بالراحة لاشتهاره بهذا المعنى كما قال

تمنت بالرضا مواعيده فعلقت بابردها على كبدي

وفي النهاية كل محبوب عندهم بارد وبرد الظل طيب العيش والغنيمة الباردة
الهنية واللام للاختصاص والجار والمجرور حال من النكرة التي كانت صفة لها قبل
تقدمها لا يقال اذا كان البرد بمعنى الراحة يكون من باب وجدت للمريض راحة
فيكون المعنى والراحة بيده كما ان المريض كذلك لانا نقول اللام تعليلية اي وجدت
الراحة لاجل وضع يده فان كان على ظاهره في اختصاصيته وريحا كانما اخرجها
اي اليد لانها مؤنثة سماعية من جونة عطار الجونة بضم الجيم وسكون الهمزة
ويقال بالواو ساكنة يليها نون وها تانيث وهي شبه صندوق صغير مغشي بادم
وربما مستديرة يصنع فيه العطار عطره واختلفوا اهل اللغة اصلية ثبت الهمزة
لضم ما قبلها كما قالوا في موسى تنزيلا لضم ما قبله منزلة ضمه او الهمزة اصل ابدلت
واوا على القياس كما قرئ يومنون ويؤمنون وكان اداة تشبيه وما كافة وهل
هي مركبة او بسيطة خلاف مشهور اي كان ريحها ريح ما اخرج من جونة العطار
مضمخا بالعطر والجملة صفة ريح او مستانفة وعطار للنسبة كحال لا للمبالغة
وهو بايع العطر وهو كل ما طابت رائحته وفي البخاري عن ابي جحيفة رضي الله
عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة في الابطح فتوضأ ثم صلى
الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة يمر المار من ورائها وقام
فجعل الناس ياخذون يده الشريفة فيمسحون بها وجوههم فاخذت بيده

وجهي

العطار

الشريفة فوضعتها على وجهي فاذا هي ابرد من الثلج واطيب رائحة من المسك وهذا
ظاهر في ان البرد حقيقي وان برده لمسه المنا انه كانت الواقعتين واحدة او هو ما اول
كما مر ووضع اليد المذكورة من حسن اخلاقه صلى الله عليه وسلم وتواضعه للصغير
والكبير وورد في حديث رواه ابن العماد عن انس رضي الله عنه ان ظهور نفحات الطيب
منه صلى الله عليه وسلم ظهر بعد الاسرا وهو ظاهر لانه طيب لعنصر لكنه لما اتصل
بالملا الاعلى والجنان وهبت عليه نفحات القدس ازداد طيبا وكان له صلى الله عليه وسلم
طيب لا يشبه طيب الدنيا فله طيب ذاتي وطيب مكتسب من العالم الاقدس لا يفارقه
وهو اطيب الطيب ولا ينافيه حديث حبب الي من دنياكم الطيب كما مر وياتي لان
الطيبات للطيبين والزايد قابل للزيادة وعن غيره اي روى عن جابر بن سمرة
وفي نسخة وقال غيره وفي بعضها قال يزيد وهو عاطف وهذا الحديث رواه البيهقي
وابو نعيم بسند فيه ضعف وفي لفظه اختلاف فلهذا الحكمه مستها بطيب
اولم يمسها اللمس والمس متقاربان الا ان المس يقال لما معه ادراك بحاسة
السمع واللمس ادراك بظاهر البشرة ويتجوز به عن المطلب ومنه الالتماس
وضمير مستها للكف واليد وفيه قلت اذا الظاهر مسها طيبا اولم يمس واول الحديث
وكان كفه كف عطار ولما كان قوله كانما اخرجها من جونة عطار بمعناه
اكتفى به عن سياق اول الحديث فلا حذف فيه وليس متعلقا بما بعده ولا
اختصار فيه كما توهم وانما هو رواية بالمعنى وهذا اشارة الى ان طيبه صلى
الله عليه وسلم ذاتي والقول بان الكلام في الخلقي فلا حاجة لهذا القول من الكلام
يصافح اي يمس النبي صلى الله عليه وسلم بصفحة يده المصافح مفعوله وهو
بفتح الفا اسم مفعول وهو من يريد مصافحته فا بمباشرته عند الملاقاة
وفي رواية يصافحه المصافح بكسر الفاء والرفع على انه فاعل والمصافحة
مفاعلة بمعنى يجعل كل من المتصافحين يده على يد الاخر وفي النهاية
انها الصاق صفح الكف بالكف عند الملاقاة وفي معناه قول التلمساني وضع
باطن الكف على باطن الكف مع ملازمة على قدر ما يفرغ منه من سلام او كلام
ان عرض واختطاف اليد وتقبيلها وصونها مكروه وقد يشد كل واحد يد صاحبه
وقيل لا ينبغي فعله وهي بعد الصلاة بدعة عندنا والاصح انها مباحة لما فيها
من الاشارة الى انه كانه قدم من غيبة لانه كان عند ربه يناجيه فافهم فيظل
يومه يظل بفتح الظا المشالة مضارع ظللت بكسرها وظللت بفتحها ويقال
ظلت بحذف احدى اللامين قال الراغب يعبر به عما يفعل بالنهار ويجري مجرى
صرت قال تعالى ظلت عليه عاكفا فهو فصل ناقص لثبوت الخبر في جميع النهار
كما قاله الرضي لانه لوقت فيه ظل الشمس من الصباح للمسا او من الطلوع للغروب
فاذا كانت بمعنى صار تحتمت النهار وغيره وكذا اذا كانت تامة بمعنى الدوام
وقوله في القاموس يظل نهاره يفعل كذا او ليله يسمع في الشعر لا وجه له
ويومه منصوب على الظرفية ولا توكيد فيه ولا تجريد لاستمرار معه لانه على
الاستغراق يجد ريحها اي يجد المصافح من طيب يده واضافه ريحها للعهد

سيد ابراهيم

اي

مبني لما لم يسم فاعله صح

اي ريحها الطيبة طيبًا خلقيًا خصه الله به مكرمة ومعجزة له صلى الله عليه وسلم
ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها هذا بعض من حديث طويل
رواه ابو نعيم والبيهقي مسندًا عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم عبل الذراعين والعضدين طويل الزندين سبط العصب شثن الكفين
رحب الراحة سايل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة وكانت كفه الين من الحرير
وكان كفه كف عطار مسها بطيب او لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها
ويضعها على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان انه صلى الله عليه وسلم مسح على
راسه والمخرج رحمه الله ظن هذا حديثا مستقلا فتبعض له وليس المراد بالصبي
معينا والمراد بريحها رائحتها التي حصلت لمسه والبا للسببية والمراد انه يعرف بان النبي
صلى الله عليه وسلم مسه فيميز من بينهم وفي نسخة لريحها باللام التعليلية ه
والمعنى واحد وفي رواية من ريحها وذلك اما في يومه كما مر فيقيد كذا او انه
يستمر مدة طويلة والمضارع في موضع الماضي لنكتته المشهورة ثم انه ذكر بعضا
من حديث رواه مسلم واقتصر منه على ما يناسب المقام اختصارا فقال ونام رسول
الله صلى الله عليه وسلم في دار انس بن مالك الصحابي رضي الله عنه السابق ذكره على
نطع بسط له وكان النطع لامه رضي الله عنها قيل والاضافة لادني ملابسة لان الدار
دار لامه كما في صحيح مسلم ولا خلل فيه لانه كان ساكنا معها ولانه لو قال دار ام انس
احتمل ان يكون مكنية لغيرها فلا يعلم الجايية بالقار ورن مع ما في هذا من الدلالة
على ان رواية انس رضي الله عنه الحديث بغير واسطة فعرق صلى الله عليه وسلم
فجاءت امه وهي ام سليم بضم السين المهملة والتصغير واسمها سهلة او غيره قال
النووي رحمه الله وهي ام انس بلا خلاف وقول الغزالي وغيره انها جدته غلط بلا
توفيت في خلافة عثمان رضي الله عنه وهي اخت ام حرام بنت ملحان الصحابية

تفاق

المدفونة بجزيرة قبرس سيدة الشهدا من النسا وهي التي روت حديث غزاة البحر
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشهور وهذا الحديث في صحيح مسلم عن ثابت
عن انس رضي الله عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عندنا
فعرق فجاءت امي بقارورة فجعلت تسلت العرق فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ما هذا الذي تصنعين يا ام سليم قالت هذا عرق نجعله لطيبنا وهو اطيب
الطيب ولدر وايات من وجوه اخر فيها انه كان كثيرا ما يقيل في بيتها وينام على فراشها
وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه صلى الله عليه وسلم من وجهه الشريف ومن
نطعها وتعصره في قارورة لها وفي رواية انها قالت نرجو بركته لصبياننا وكانت
تجعله في سك لها وهو بضم السين المهملة وتشديد الكاف طيب معروف مركب
مع غيره وكانت تبسط للنبي صلى الله عليه وسلم نطعا من ادم فيقيل عليه عندها
كما مر وروي في الوفا انه صلى الله عليه وسلم كان يدخل بيتها فينام على فراشها
وليست فيه فاتت فقيل لها هذا النبي صلى الله عليه وسلم نايم على فراشك فجاءت
وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة ادم ففتحت عتيدتها وجعلت تنشف
ذلك العرق وتعصره واخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة فلما حضرت

انس رضي الله عنه الوفاة اوصى ان يجعل في حنوطه من ذلك وقد استشكل ذكر الشعر
فيه والوقائع في ساير الاحاديث العرق فقط واجيب بانه ورد انه صلى الله عليه وسلم
لما حلق راسه بمنى اخذ ابو طلحة رضي الله عنه شعره واتى به ام سليم فجعلته
في سكها فالمعنى انها كانت تضيف بعد ذلك ما اخذته من العرق للقارورة التي فيها
الشعر نزان نوم النبي صلى الله عليه وسلم عندها وعند اختها ام حرام استشكل بانه
صلى الله عليه وسلم نهى عن خلوة الرجل بغير ذي محرم وهو يقتدى بفعله فلابد فيه
كونه معصوما واجاب ابن عبد البر وغيره بانهما كانتا خالتاه من الرضاع
فهما محرماه فلهذا كان صلى الله عليه وسلم ينام عندهما وتحلق بهما وتفليان
راسه الشريف وقيل هذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم لملكه اربه وليس هذا
قبل نزول اية الحجاب كما توهم وكونه صلى الله عليه وسلم لم يخل بهما لان عنده
خادما ونحوه غير مسلم بقارورة تجمع فيها عرقه تقدم الحديث وان ام سليم رضي
الله عنها لم تكن في بيتها لما جاء صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه قوله فجات ووقع
فيه يد القارورة فقبحت عتيدتها ولا منافاة بينهما ولا حاجة للجمع بتعدد
القصة لانه صلى الله عليه وسلم كان يعتاد القيلولة عندها لان العتيدة
الصندوق الذي فيه القارورة وهي اناء من زجاج يوضع فيه الطيب ونحوه
وقد يطلق على غير الزجاج وجملة تجمع صفة قارورة او مستانفة لا حال
لنكرته ومن فسر العتيدة بالحقة جنح لتعدد الواقعة ولا بعد فيه فسالها
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك كما في صحيح مسلم انه قال لها ما هذا
الذي تصنعين وفي رواية ما هذا وفي اخرى ما تصنعي والسؤال ليعلم غرضها
وقصدها بفعلها اما حقيقة او ليظهره لغيرها فقالت هذا عرقك نجعله في
طيبنا وفي رواية لطيبنا اي نخلطه كما روي اذوف اي اخلط وتقدم رواية
نرجو بركته لصبياننا والواقعة متعددة اجيب في كل منها بجواب فان
كانت واحدة فهو من تصرف الراوي وروايته بالمعنى والمآل واحد وقد قال
لها النبي صلى الله عليه وسلم اصبت وهو اي عرقه صلى الله عليه وسلم من
اطيب الطيب قيل ويحتمل ان يكون ذلك من مقول لها ويحتمل غير ذلك انتهى
والواقع الاول ووقع في مسلم اطيب بدون من وهي اولى فان كان الضمير للمخلوط
من عرقه وغيره فظاهر لان خالص عرقه اطيب منه ولا شك في طيبه واطيبيته
كما مر ما شممت عنبرا ولا مسكا اطيب فليس خلطه بالطيب لتطييبه او للتبرك
فقط كما توهم فان قلت اذا كان اطيب الطيب فلم خلط بالطيب قلت لان ما اجتمع
من عرقه صلى الله عليه وسلم ليس كثيرا يكفي لطيبهم فخلط بكثير منه ليكون
كثيرا وذكر البخاري رحمه الله امام اهل السنة السابق ذكره في تاريخه الكبير
وهو تاريخ ذكر فيه رواة الحديث واحوالهم وليس كغيره من التواريخ
كما يتوهم بل كتاب من كتب الحديث معنى ورواه ايضا الدارمي والبيهقي بالمعنى
عن جابر بن عبد الله الصحابي رضي الله عنهما الجليل الانصاري شهد
المشاهد الا بدرا واستغفر له النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين مرة

ابن اقبرس

لما

لما قضى دين ابيه وهو اخر صحابي مات بالمدينة سنة سبعين وشيء وروى الفا وحسنا بة
حديث لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق في رواية البزار وابي يعلى بسند
جيد عن انس رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا مر في طريق من طرق المدينة
وجد فيه رائحة المسك فيقال مر النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الطريق فيتبعه
المرفوع احد اي ياتي بعد ذهابه منه لا يمشي تابعا له والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم ابن اقبرس
لا للطريق كما قيل ان معناه يتبع الطريق ويدل عليه قوله الا عرف انه سلكه
وذكر ضمير الطريق وهي مؤنثة لشهرتها بتذكيره كما قيل •
عليك بارباب الصدور فمن غدا • مضافا لارباب الصدور تصدرا •
والمراد علوق تلك الرائحة بالمكان الذي يمر صلى الله عليه وسلم فيه وهو توهم
لا يساعده اللفظ ولا المعنى ويتبع كيعلم وبالتشديد وجوز فيه النصب والمراد سيد
انه يمشي بعده بزمان قليل فالفا للتعقيب والقول بان الفا لعدم المهلة عرفا
وحكما بقرينة الحال لا وجه له وقوله احد فاعل يتبع على حال من الاحوال الا على
حال انه عرف انه اي النبي صلى الله عليه وسلم سلكه اي دخله ومر فيه والضمير ابن اقدس
للطريق فانه يذكر ويؤنث فلا حاجة لتاويله كما توهم من طيبه اي عرف من طيب
الطريق مروره صلى الله عليه وسلم به او من اجل طيب الطريق برائحته الطيبة
المخصوصة به الباقية به وهذا لا يكون الا منه صلى الله عليه وسلم وذكر اسحاق
ابن راهويه وهو ابو يعقوب المروزي الامام الزاهد الثقة المجتهد امير المؤمنين
في الحديث كما قاله ابن حنبل رحمه الله وهو الذي احيى السنة بالمشرق ما سمع
شيا الا حفظه وما حفظ شيا فنسيه قال كاني انظر الى مائة الف حديث في كتبي
وثلاثين الف حديث اسردها وراهويه لقب ابيه ابراهيم بن مخلد التميمي الحنظلي
لقب به لانه ولد بطريق مكة وراه بالفارسية معناه الطريق وهو بالهاء
والواو المفتوحتين والمثناة التحتية الساكنة والهاء المكسورة في المشهور
ويقال بضم الهاء وسكون الواو وتحتانية مفتوحة كنفطويه وهو اجيب عند
المحدثين واخره ها والتا خطا فما في بعض النسخ من التا المفتوحة على انه
ممنوع من الصرف خطا ان تلك الرائحة التي كانت تشم منه وتبقى في الطريق
كانت رائحته الذاتية المدركة منه صلى الله عليه وسلم بلا طيب يمسه وتطيب سيد
منه خارج صلى الله عليه وسلم وقد تقدم ما يدل عليه من الاحاديث فما قيل
انه لم يظهر من رواه والظاهر ثبوته عندهم من قلة التتبع ولا ينافيه كونه
صلى الله عليه وسلم كان يستعمل الطيب ويحبه لانه للتكثير والمبالغة فيه
كما مر وروى المزني بالضم ثم فتح نسبة لمزينة قبيلة مشهورة وهو ابو
ابراهيم بن اسمعيل بن يحيى بن اسمعيل المزني المصري الزاهد كان مجاب
الدعوة وقال الشافعي رضي الله عنه فيه لو ناظر الشيطان لغلبه وله
تصانيف مشهورة ولد سنة خمس وسبعين ومائة وتوفي لست بقين من
رمضان سنة اربع وستين ومائتين ودفن بالقرافة بالقرب من قبر الشافعي
والحربي هو في بعض النسخ وهو ابراهيم بن اسحاق الحربي الحنبلي نسبة الى

الحربية محلة من بغداد وهي تنسب لحرب بن عبد الله صاحب المنصور مات سنة سبع
ومائة عن جابر بن عبد الله التابعي فقد قيل انه المراد اذا اطلق وهذا ما وقع في
بعض النسخ وكانه من الحاقه بالاصل قال اردفني النبي صلى الله عليه وسلم اي اركبني
خلفه اي وراظهره وهو راكب يقال اردفه وردفه ويقال اردفه اعم فعلى ذلك قوله
خلفه لدفع توهم المعنى الاعم او تاكيد وفي الصحاح الردف المراكب خلف غيره قال
البرهان الحلبي جمع الحفاظ ارداف النبي صلى الله عليه وسلم فبلغوا نيفا وثلاثين
ولم يذكر فيهم جابر وقال الشمني جمع بعضهم من اردفه النبي صلى الله عليه وسلم
على فرس او غيره فبلغوا نيفا واربعين وماذكره من التاليف لم نقف عليه والذي
عدوه ممن اردفه صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد اردفه في مرجعه من
عرفة على اكاف والصديق رضي الله تعالى عنه في الهجرة وعثمان رضي الله عنه في
قدومه من بدر وعلي كرم الله وجهه في حجة الوداع وعبد الله بن جعفر وقثم
وعبيد الله بن عباس واخواه عبد الله والفضل في نزوله من مزدلفة والحسن
والحسين ومعاوية ومعاذ بن جبل على حمار عفير وابو ذر وزيد بن حارثة
وثابت بن الضحاك والشريد بن سويد وسلمة بن الاكوع وزيد بن سهل وسهيل
ابن بيضا وعلي بن العاص وعبد الله بن الزبير وغلام من بني عبد المطلب واسامة
ابن عمير وصفية بنت حيي وابو الدردا وامية الغفاري وابو قاسم وابو
هريرة وقيس بن سعد وخوات بن جبير وجبريل عليه الصلاة والسلام على
البراق في الاسرا والعباس وصفية الجهنية وعقبة بن عامر واخرون لعل
النوبة تقضي لذكرهم على التفصيل فالتقمت خاتم النبوة بفمي لا لتقام اخذ الشي
وجعله في فيه سوا ابتلعه ام لا والابتلاع والاسترا طبمعنى ولذا سمي الطريق
سراطا ولقما كانه يبتلع السابلة وخاتم بفتح التا وكسرها وسياتي تفصيله
وقوله بفمي تاكيد لدفع توهم المجاز لانه يقال القم كفه ركبته وفي العبارة
ما يقتضي ان خاتم النبوة كان ناتيا مرتفعا حتى تمكن من التقامه وهو بين
كتفيه وفيه روايات فقيل كان كاثر المحجم وقيل كبيضة الحمامة او التفاحة
او الجمع بضم الجيم وسكون الميم وهو ضم الاصابع للكف يقال ضربه بجمع كفه
وقيل كركبة العنز وقيل كزر الحجلة وعلى هذه الروايات يمكن التقامه وروي
عن ابي سعيد الخدري انه بضعة ناشزة هكذا او وضع طرف سبابته على
مفصل الابهام اودونه بقليل واما على رواية انه شامة خضرا محتفرة في اللحم
اذ صحت فالتقامه مجاز عن اخفايه بوضع فمه عليه وزر الحجلة ببيضة طاير
معروف وقيل ان الحجلة حكمة السرير التي تسميها العامة الناموسية وزرها
ما يدخل في عروتها وصححه في الروض الانف وقال تفسير الترمذي له ببيضة
الطاير وهم وقال الخطابي انما هو على هذا رز بتقديم المهملة على المعجمة
ومعناه البيض ومنه رز الجراد لبيضه وكان الخطابي الذي فسره به وجده في
رواية وتفسير الحجلة ببياض بين عيني الفرس لا وجه له فان كان مجازا عن
التحجيل فبعيد جدا قال ووضع هذا الخاتم لهذا الفاتح الخاتم هل هو

من ابتدا خلقه او بعد ما ولد او بعد ما نبئ وروى ابن ابي الدنيا عن ابي ذر رضي الله عنه
مرفوعا انه قال قلت يا رسول الله كيف علمت انك نبي واستيقنت قال يا ابا ذر اتاني
ملكان وانا ببطحاء مكة فوقع احدهما بالارض والاخر بين السما والارض فاخرج قلبي ثم ازال
منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما وخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن
وتوليا عني فكاني اعاين الامر معاينة وفيه بيان لوقت الوضع وكيفيته الا انه قيل ان قوله
ببطحاء مكة وهم من الراوي لان ذلك كان في بني سعد وهو مع حليمة كما سياتي وقول المص
رحمه الله انه اثر الشق بين كتفيه موافق لهذا الحديث سوا قرئ اثر بفتحتين او
بكسر فسكون اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلانه لما وقع بعده وبسببه جعل
اثرا له وقول النووي رحمه الله انه باطل لان الشق انما كان في صدره وبطنه وكذا قال
القرطبي وان اثره انما كان خطا واضحا من صدره الى مراق بطنه كما في الصحيحين ولم يثبت قط
انه بلغ بالشق حتى نفذ من وراء ظهره ولو ثبت كان مستطيلا بين كتفيه في محاذاة صدره
وان هذا غفلة منه انتهى غير متجه وكذا قال ابن حجر في شرح البخاري وذكر انه مروي
من طرق اخر فالوهم انما هو في فهم كلامه قال وهذا اصح مما قيل انه ولد به وظاهر كلامهم
انه مختص به صلى الله عليه وسلم وفي كتاب الغيلانيات انه موجود في كل نبي وانه من علامات
النبوة وكان اهل الكتاب يعرفونه صلى الله عليه وسلم به وقال البرهان الحلبي لا استحضر
فيه شيئا والذي يظهر انه من خصائصه صلى الله عليه وسلم لانه اشارة الى انه خاتم
النبيين وما رواه ابن حبان من انه كبيضة النعامة نسب فيه الى الوهم والصواب
الحمامة وقيل انه شامة سودا او خضرا مكتوب عليها محمد رسول الله او سر فانك المنصور (في الهامش: فانت المنصور)
او الله وحده لا شريك له وحوله ولم يثبت فيه ما يعتد به وفي رواية كسلعة او غدة
او بندقة عند غضروف كتفه اليسرى ورفع عند موته صلى الله عليه وسلم وانما
وضع هناك لان الشيطان اذا وسوس وضع خرطومه ثمة وقد زاد بعضهم في صورة
مقدمة له خرطوم كخرطوم البعوضة ادخله في منكبه الايسر الى قلبه ووسوس له فاذا
ذكر الله خنس وقوله وكان ينم على مسكا اسم كان المستتر ضمير الخاتم من قولهم نمت الريح
اذا حملت الرائحة قال البرهان رحمه الله تعالى وهو مستعار من النمية ومنه نمت
الريح بما الطيب رائحته وهو استعارة لطيفة شائعة وقد استعير نما للريحان
نم للعذر كما قال بعض المولدين لا فتضاحي في عوارضه سبب والناس نيام
كيف يخفى ما اكابده والذي اهواه نمام وينم روي بضم النون وكسرها وعن
المزي رحمه الله الكسر في اللازم والضم في المتعدي وفي القاموس نم المسك سطع
والمتعدي بمعنى ينقل او يحكي واللازم بمعنى يظهر ومسكا تمييز محول عن الفاعل
ومن قال انه محول عن المفعول فقد وهم وروي ينبج بضم المثلثة وتشديد الجيم
وكسرها لا بالفتح كما قيل وهو متعد ولازم والضمير فيه للخاتم او للعم او
يندفع رائحته مرة بعد مرة من ثج الما وهو خروجه منه دفقا بسرعة قال التلمساني
وفي بعض النسخ بكسر المثلثة والجيم اي يسيل والذي في الصحاح انه بالضم لا غير
فانه متعد من الثج بمعنى التسييل اي كانه يسيل منه المسك فمسكا منصوب
تمييزا او مفعول به وقد حكي بعض المعتنين باخبار اي المهتمين بنقل اخبار

واحواله صلى الله عليه وسلم وشمايله اخلاقه وصفاته اعتنا بتتبع وعلم واعلم انه كان اذا
اراد ان يتغوط يأتي الغايط وهو المكان المنخفض من الارض على عادتهم في البراز لانه
استر قال تعالى او جا احد منكم من الغايط وكني به عما يقع فيه ومنه الغايط للبستان
ويقال غبط للعرق بينه وبين غيره انشقت الارض فابتلعت غايطه وبوله وفاحت
لذلك المذكور من البول والغايط رايحة طيبة وهذا الحديث رواه البيهقي عن عايشة
رضي الله عنها وقال انه موضوع وبينه لكن قد اسند محمد بن سعد كاتب الواقدي الامام
الكبير الحافظ الثقة وهو ابو عبد الله محمد مولى بني هاشم صاحب الطبقات مات سنة
ثلاث ومايتين في هذا اي في الارض تبتلع ما يخرج منه وتفوح رايحة طيبة خبر عن
عايشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلا بالمد
اي المكان الخالي البعيد عن البيوت لانهم كانوا قبل وضع المراحيض يأتونه لقضا الحاجة
ثم عبر عنه بعد ذلك عن محل التغوط مطلقا ثم صار عرفا اسما للبنا المعد لذلك
فلا نرى شيا من الاذى بالذال المعجمة والقصر اصله ما يضر ثم اريد به هنا ما من
شانه ان يكره فالمراد به هنا الغايط فقال لها يا عايشة اوما علمت ان الارض تبتلع ما
يخرج من الانبيا عليهم الصلاة والسلام فلا يرى منه شي فتبتلع تفتعل من البلع
في النسخة التي عندنا وضبطه التلمساني تبلع من بلع يبلع كعلم يعلم وامثل
البلع ادخال الطعام والشراب في الحنجرة والمري فاستعير لمطلق الاخفا كما في قوله
يا ارض ابلعي ماءك وقوله فلا يرى منه شي تفسير للمراد من البلع وتاكيدا وبيانا لحكمه
فليس بمستدرك كما توهم واخفاوه مع طيبه وعدم استقذاره قيل لانه
لعدم الانكار لمحله الخارج منه او لتبرك الارض به والظاهر انه لانه ينبغي ستره لانه
من المروة ولا يخشى من اخذ الناس له وهذا الحديث في نسخة الخبر وان لم يكن مشهورا
قال ابن دحية سنده ثابت وهو اقوى ما في هذا الباب فلذا نفى المص رحمه الله
عنه الشهرة دون الصحة فلا وجه للاعتراض عليه لانه لا يلزم من نفي الشهرة نفي
الصحة فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم
وهو قول لبعض اصحاب الشافعي المراد بالحدثين الخارجين كناية للعذرة من ذكر ما
يستحيى فظاهره ان القول بالطهارة مبني على هذين الحديثين وكانه من وصفهما
بالطيب واما ابتلاع الارض فلا يدل عليه بل على خلافه وتحقيقه ما في الخصايص
للخيضري وهو كتاب لم يصنف في بابه مثله كما مر قال الرافعي في كتاب الطهارة
لما تكلم على نجاسة الفضلات وهل هي كذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهان
فقيل لا لان ابا طيبة الحجام شرب دمه صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه وان ام ايمن
شربت بوله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهما وقال اذن لا تلج النار بطنك ويروى
شرب علي كرم الله وجهه وابن الزبير رضي الله عنهما الدمه وقال معظم الاصحاب
حكمها منه صلى الله عليه وسلم كحكم غيره وحمل الاخبار على التداوي وروي
انه قال للحجام لا تعد فان الدم كله حرام اي على ما ياتي وقال النووي رحمه
الله حديث شربه البول صحيح حسن وذكره كاف في الاحتجاج اذ لم ينكر عليها
ولا امرها بغسل فمها ولا نهاها عن العود لمثله وقال القاضي حسين الاصح

القول بطهارة الجميع واختاره كثير من المتاخرين وجواب التداوي يرده لن يجعل الله شفا امتي فيما حرم عليها والشرع فيه غسل الملكين لجوفه وتطهيره ولا خلاف في طهارة شعره والاحاديث في هذا الباب كشرب ابن الزبير دمه وشرب ام ايمن بوله الذي كان في قدح يوضع تحت سريره ليبول فيه بالليل كثيرة فان قلت ما الحاجة لوضع هذا القدح والارض تبلعه ولا يرى له اثر قلت لانه صلى الله عليه وسلم كان يكره الخروج ليلا من بيته وبيته مصلى نافلته ومحل نزول الوحي والملائكة فلا يليق ان تمتلي باطنه وظاهره بشي من الفضلات ولو كانت طاهرة تعظيما لعبادة ربه وتادبا الي ترى الي قول القايل

من عظم الناس عظموه • وفاز بالعز والرياسه •
وزر دريم لو كان مسكا • لقيل في اصله نجاسه •

واما التداوي بالحرام كالخمر فقيل يجوز اذا اخبره ثقة بنفعه ولم يجد دوا غيره وقيل لا يجوز لحديث لن يجعل الله شفا امتي فيما حرم عليها وقيل انه لا اباحة لانه يكون حلالا لغير محرم عليه وقيل ان الله اذا حرم شيا ابطل نفعه وكون علي كرم الله وجهه شرب دمه لم يثبت كما اشار اليه الدميري في منظومته في الفقه بقوله

غريبة فضلة سيد البشر • طاهرة على خلاف انتشر •
وابن الزبير بدم الهادي البشير • نال الذي رام كما له اشير •
وهو الذي خص ببول الناس • وهم ببوله من الاملاس •
في مسند البزار ثم البيهقي • والطبراني رواه فثق •
والدارقطني وقول ابن الصلاح • ليس له اصل ضعي في الاصطلاح •
وام ايمن استزادت شرفا • اذ شربت بول النبي المصطفى •
وسقيت اذ هاجرت للسنة • ما ريا من شراب الجنة •
فبعد ما مس جوفه ظما • ولم تذق الي الممات الما •
صححه الحاكم والمروزي في • شرب علي دمه لم نعرف •
وابن الصلاح قال في شرب ابي • طيبة انه ضعيف التثبت •
قال ابن سبع ويقينا كانت • تبلعها الارض ومنها ازدانت •
ولم تنل من تحته بهيمة • ولم تر الدهر به سقيمه •

وهذه فايدة نختم بها وهي ان الدواب لم تبل وهو صلى الله عليه وسلم راكب عليها ولم تشغر دابة ركبها في حياته ثم وقع في فقه الشافعية ايضا ان حكم جميع فضلات الانبيا عليهم الصلاة والسلام كذلك طاهرة لحديث عايشة رضي الله عنها بذلك وفي بعض نسخ الشفا هنا حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ في شامله وهو الامام البحر ابو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن احمد بن جعفر بن الصباغ الذي انتهت اليه رياسة الشافعية في عصره وكان ورعا نقيا زاهدا وله كتاب الشامل في الفقه لم يؤلف فيه مثله وهو اول من درس بالمدرسة النظامية التي بناها نظام الملك للشيخ ابي اسحاق رحمه الله فامتنع وابى ان يخرج من مسجده فلما الحوا عليه اذن لابي نصر هذا في التدريس بها وتوفي ابو نصر رابع جمادى الاولى سنة سبع وسبعين واربعماية بعد ما كف بصره وقد حكى المؤلفين عن العلما في ذلك اي في

خ
والعزيز

فضلات النبي صلى الله عليه وسلم او الانبيا عليهم الصلاة والسلام وحكمها في الطهارة
وضدها وقيل قوله العلما شامل للحنفية وغيرهم ابو بكر بن سابق المالكي اي العالم
المقلد لمذهب الامام مالك وسابق بباء موحدة وقاف قال البرهان وفي بعض النسخ
مصححا ابو الحسن وهو ابو الحسن محمد بن سابق الصقلي المالكي المذهب لا النسب
في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من
تفاريع الشافعية يعني انه الف كتابه المسمى بالبديع في فروع فقهية لم يذكرها
علما المالكية يخرجها على حكم ما ذكره الشافعية فيها الشرح حجتهم لها وليس هذا تقليدا لهم
وانما هو نظر في دليلهم واثبات لذلك الحكم بالدليل فهو اجتهاد مذهبي ويقع مثله
لغيرهم من الفقها ايضا والتخريج في اصطلاح الفقها ان ينص صاحب المذهب على
حكمين مختلفين في صورتين متشابهتين لم يظهر فارق بينهما فينقلون حكمه
في كل صورة الى الاخرى كمسئلتي الاجتهاد في الاواني والقبلة اذ منع في الاولى
العمل بتغير الاجتهاد وجوزه في الثانية فنقلوا منعه في تلك لهذه وتجويزه
في هذه لتلك فصار في كل قولان منصوص ومخرج المنصوص في كل هو المخرج
في الاخرى والتخريج عند المحدثين ان يجد حديثا في كتاب فينقله مسندا
مبينا حاله في الصحة وضدها او غير مسند وشاهد هذا اي دليل القول
بالطهارة انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شي يكره ولا غير طيب اي فان النجاسة
للاستقذار وكراهة التلوث ولم يكن فيه صلى الله عليه وسلم شي مكروه عند
الطباع السليمة وهذا دليل عقلي مؤيد لنظر اهل الشرع فلا يرد عليه انه لا يدل
على مدعاه لان من المستقذر ما هو غير نجس وفي النجس ما هو غير مستقذر ومنه
اي من الشاهد على انه لم يكن منه صلى الله عليه وسلم شي يكره ولا غير طيب حديث
علي رضي الله عنه الذي رواه ابن ماجه وابو داود في مراسيله غسلت النبي
صلى الله عليه وسلم بتشديد السين لانه المستعمل في الميت وتخفف في غيره
كالثياب فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيا ذهب هنا من افعال المقاربة
اي جعلت انظر ومثله كثير في كلامهم فالقول بمعنى اردت استعير الذهاب
بمعنى المرور للارادة بجامع التلازم بينهما تكلف مفسد للمعنى لان قوله فلم
اجد لا وجه لتفريعه وتكون تامة بمعنى يوجد وما يوجد من الميت تغير رائحة
وخروج فضلات وهذا من اعلام النبوة وطهارة عنصر طينته وقد مكث صلى
الله عليه وسلم بعد موته يومين فلم يتغير منه شي ما وهذا مما يستانس به لان
طيبه يدل على طيب ما يحصل منه وكل انا بالذي فيه يرشح • وليس برهانا عقليا
كما يرشد اليه تعبيره بالشاهد فلا يرد عليه ان عدم وجوده كيف يدل على
ما نحن فيه من طهارة الفضلات ويأتي قريبا ان الذي غسل النبي صلى الله عليه وسلم
علي والعباس وابنه اي الفضل يعينانه وقثم واسامة وشقران يصبون
الما ويغسلونه واعينهم معصوبة تادبا ولانه صلى الله عليه وسلم قال لا يرى
احد عورتي الا طمست عيناه كما سياتي وروت عائشة رضي الله عنها انهم
ترددوا في تجريده للغسل فسمعوا قايلا لم يروا شخصه يقول لا تجردوا نبيكم

ابن اقبرس

بانهم دلجي

موتيابه

من ثيابه فغسلوه وعليه قميصه بسبع قرب من بئر غرس ثلاث مرات الاولى بماء قراح والثانية
بماء وسدر والثالثة بماء وكافور ولما قال علي قد ذهبت اطايبنا على العادة في التاخير دفنه
لانه مات يوم الاثنين ودفن يوم الاربعا لاشتغالهم بامر الخلافة ولدفع وهم بعضهم
انه لم يمت فقلت طبت بفتح تا الخطاب حيا وميتا والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
على عادتهم في مخاطبة الاموات عند التوجع والثنا كما ورد في المراثي اولانه صلى الله
عليه وسلم ليس كغيره فيسمع كما يسمع في قبره من يصلي عليه كما سياتي قال وسطعت
منه ريح طيبة لم يجد مثلها قط اي ظهرت وارتفعت واصل السطوع في النور فاستعمل
في مطلق الظهور وروى ابن بكر في سيرته ان ام سلمة رضي الله تعالى عنها وضعت يدها
على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكثت جمعا لا تاكل ولا تتوضا الا وجدت
ريح المسك بين يديها ومثله اي مثل قول علي هذا قال ابو بكر الصديق رضي الله
عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته اشارة الى ما في الصحيحين من
عن عائشة رضي الله عنها ان ابا بكر رضي الله عنه لما نعي له رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو بمسكنه بالسنح بضم السين المهملة وضم النون وقد تسكن ثم حا مهملة
بعوالي المدينة على مقدار ميل من المسجد النبوي جا فدخل المسجد ولم يكلم احدا حتى
دخل بيت عائشة رضي الله عنها والنبي صلى الله عليه وسلم مسجى ببرد حبرة فكشف عن
وجهه الشريف واكب عليه يقبله وهو يبكي ويقول بابي انت وامي يا نبي الله لا يجمع
الله عليك موتتين اما الموتة التي كتبت عليك فقد متها فسل عمر رضي الله عنه سيفه
وجعل يتوعد من يقول انه صلى الله عليه وسلم مات ويقول انما ارسل اليه كما
ارسل الى موسى عليه الصلاة والسلام فلبث اربعين ليلة ثم رجع وانا والله لارجو
ان يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ويقطع ايدي رجال وارجلهم
وفي رواية ان الصديق لما كشف عن وجهه بكى وقال بابي انت وامي طبت حيا وميتا
والصحابة منهم من خبل ومنهم من اخرس ومنهم من اقعد فلما خرج ابو بكر رضي
الله عنه قال لعمر ايها الحالف على رسلك فجلس فصعد ابو بكر المنبر فحمد الله واثنى
عليه وقال الا من كان يعبد محمدا فان محمدا صلى الله عليه وسلم قد مات
ومن كان يعبد الله فان الله سبحانه حي لا يموت وقد قال تعالى انك ميت
وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية فنشج
الناس يبكون وروي انه لما قبل وجهه وقال طبت حيا وميتا زاد وانقطع لموتك
ما لم ينقطع لموت احد من الانبيا فعظمت عن الصفة وجللت عن البكا اذكرنا يا محمد
عند ربك عز وجل ولنكن من بالك وجعل يقول وهو يبكي وا خليلاه وا صفياه
وا نبياه وتقدمت الاشارة لشي من ذلك في الفصل السابع ومنه اي من الشواهد
على ما ذكر ما رواه البيهقي والطبراني في معجمه الاوسط عن ابي سعيد الخدري
والاول دليل عقلي وهذا نقلي شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه
مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الابجر بموحدة وجيم وهو ابو ابي سعيد
الخدري رضي الله عنهما وقد تقدم الكلام على ترجمتهما ونسبتهما وهو من
كبار الصحابة قتل شهيدا يوم احد رضي الله عنه واحد بضمتين اسم جبل

وقعت فيه الوقعة العظيمة بعد قدومه صلى الله عليه وسلم من نجران وقد غزاه
كفار قريش في شوال سنة ثلاث وقدموا باتباعهم وحلفائهم وقصدوا المدينة فنزلوا
قرب احد على شفير الوادي بقناة مقابل المدينة فراى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في منامه ان في سيفه ثلمة وان بقرا له تذبح وانه ادخل يده في درع له حصينة فتاولها
بان رجالا من اصحابه يقتلون وان رجلا من اهل بيته يصاب وان الدرع الحصينة المدينة
ورؤيا الانبيا وحي فاشار على اصحابه ان لا يخرجوا من المدينة ويتحصنوا بها فان
قربوا منها قوتلوا ووافقه على رايه عبد الله بن ابي ابن سلول وابا كثير من
الانصار الا الخروج ليكرم الله من شا بالشهادة فلما راى صلى الله عليه وسلم
عزيمتهم دخل بيته يوم الجمعة ولبس لامته وخرج فقال قوم ممن الح في
الخروج ان شئت فارجع فقال ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل
فخرج في الف من اصحابه واستعمل ابن ام مكتوم رضي الله عنه على الصلاة بمن
بقي بالمدينة فلما سار صلى الله عليه وسلم الى القوم انصرف عنه ابن ابي بثلث الناس
مغاضبا لمخالفة رايه فنهى صلى الله عليه وسلم لما عزم عليه وذكر له قوم من الانصار
الاستعانة بحلفائهم من اليهود فابى وسلك على حرة بني حارثة وشق اموالهم
حتى نزل الشعب من احد في عدوة الوادي وجعل ظهره الى احد ونهى الناس ان
يقاتلوا حتى يامرهم وسرحت قريش الظهر والكراع في زروع المسلمين بقناة وتعبى
رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال في سبعمائة والمشركون ثلاثة الاف فيهم مايتا
فارس وقيل كان في المسلمين خمسون فارسا وامر رماة المسلمين خمسين رجلا امر عليهم
عبد الله بن جبير رضي الله عنه وهو معلم بثياب بيض فرتبهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم خلف الجيش وامرهم ان ينضحوا المشركين بالنبل لئلا ياتوا المسلمين من ورائهم
وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ودفع اللوا لمصعب بن عمير رضي
الله عنه اخي بني عبد الدار واجاز سمرة بن جندب الفزاري ورافع بن خديج
بالخروج وكان سن كل واحد منهما خمسة عشر سنة وكان رافع راميا وجماعة
ورد من لم يبلغ وقيل الاجازة استحقاق السهمين والرد عدم ذلك وجعلت
قريش على ميمنتهم في الخيل خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن ابي جهل
واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه الى ابي دجانة وكان شجاعا
يختال في الحرب وكان ابو عامر المعروف بالراهب وسماه النبي صلى الله عليه وسلم
الفاسق سيدا في الاوس تنسكا وترهب في الجاهلية فلما جا الاسلام غلب عليه
الشقا ففر عن المدينة لبغضه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج الى
مكة في جماعة من الاوس وشهد يوم احد مع الكفار ووعدهم بانحراف قومه اليه
فكان اول من خرج في عبدان اهل مكة والاحابيش فلما نادى قومه وعرفهم
بنفسه قالوا لا انعم الله بك عينا يا فاسق فقال لقد اصاب قومي بعدي شر
ثم لما التقى الجمعان قاتل المسلمون قتالا شديدا وابلى يومئذ علي وحمزة
وابو دجانة وابو طلحة رضي الله عنهم بلا حسنا وكذا جماعة واصيب منهم
مقبلين غير مدبرين وقاتلوا قتالا شديدا ببصائر ثابتة فانهزمت قريش

واستمرت

وانسربت الهزيمة عليهم فلما راى ذلك الرماة قالوا قد هزم الله اعدا الله فما لنا ها هنا
قاعدون وذكرهم ابن جبير اميرهم رضي الله عنه امر الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ان لا
يزولوا من مواضعهم فلم يلتفتوا لقوله وقالوا قد انهزموا وقاموا فتولى المسلمون
وكر المشركون عليهم ففروا وثبت من اكرمه الله بالشهادة وانما اخطؤوا لظنهم
الامر مقيدا ببقا العدو فاذا انهزموا سقط الخطاب فغلطوا في التاويل فوصلوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزمين وقاتل دونه مصعب بن عمير رضي الله عنه
حتى قتل وجرح رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وكسرت رباعيته اليمنى
السفلى بحجر وهشمت البيضة براسه وكان الذي تولى ذلك عمرو بن قميئة الليثي وعتبة
ابن ابي وقاص وقد قيل ان عبد الله بن شهاب هو الذي شجه واكب الحجارة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى سقط في حفرة كان ابو عامر الراهب حفرها مكيدة للمسلمين
فخر عليه الصلاة والسلام على جنبه فاخذ علي كرم الله وجهه بيده واحتضنه طلحة
حتى قام ومص مالك بن سنان من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الدم علاجا
ومداواة له حتى لا يحم الجرح فيطلب التنقية من الدم ولذا لم يقل له صلى الله عليه وسلم
كما قال لابن الزبير حين شرب دمه كما ياتي ونشبت حلقتان من درع المغفر في
وجهه الشريف فانتزعهما ابو عبيدة بن الجراح وعض عليهما بثنيتيه فسقطتا وان
اهتم يزينه هتمه وقد اختلف في هذا هل كان قبل الوعد من العصمة او بعدها
والعصمة انما هي عصمة النفس من القتل لا الجرح ونحوه وبقي له ثوابهما والتاسي
به فيهما وقد تقدم ما في ذلك ثم اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية
حين قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه عليا كرم الله وجهه وصار رسول الله
صلى الله عليه وسلم تحت راية الانصار وقتل صاحب لوا المشركين فسقط
لواوهم فرفعته عمرة بنت علقمة الحارثية فاجتمعوا اليه وحملوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكر دونه نفر من الانصار سبعة او عشرة فقتلوا كلهم
واصيبت عين قتادة رضي الله عنه فسالت على وجنته فردها رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى محلها فكانت اجمل عينيه واصحهما ولذا قال بعض ولده
لعمر بن عبد العزيز لما قدم عليه وقال له من انت •

انا ابن الذي سالت على الخد عينه • فردت بكف المصطفى احسن الرد •
فعادت كما كانت لاول امرها • فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد •

فقال عمر تلك المكارم لا قعبان من لبن واحسن جائزته وانتهى انس بن النضر
الى جماعة من الصحابة وقد القوا بايديهم فقال ما يجلسكم قالوا قتل رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا
على ما مات عليه واول من ميز رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
الجرح له كعب بن مالك الشاعر فنادى باعلا صوته يا معشر المسلمين هذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم واشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان انصت الناس فلما عرفوه صلى الله عليه وسلم مالوا اليه ونهضوا
معه نحو الشعب فيهم ابو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله

عنهم فلما اسند في الشعب ادركه ابي بن خلف فتناول صلى الله عليه وسلم حربة
الحارث بن الصمة وطعنه بها في عنقه فمات عدو الله مرجعه بسرف وقصة احد
مفصلة في السير بابسط من هذا وما يتعلق بابي بن خلف سياتي الكلام عليه مطولا
في كلام المصنف رحمه الله من قوله فصل واما الشجاعة الخ واشار بقوله شربه
ومصه الى انه كان يمصه اولا فلما اجتمع اخذه بفيه وابتلاعه اياه شربا فو لما
قل وجعل يجذب ما قل منه بالنسبة لما فيه جعله مصا فان المص بالميم والصاد
المهملة اخذ المايع القليل بجذب النفس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مس دمه دمي لم تمسه النار وهكذا من مازج بدنه شيئا منه وكان فيه
اشارة الى انه يستشهد وقد كان كذلك وقد علمت ان هذا رواه البيهقي والطبراني
في الاوسط كذا اورده اصحاب السير وضميراباه للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه
دلالة على ما قاله المصنف ان الدم غير طاهر من غيره صلى الله عليه وسلم
فلو كان دمه الشريف غير طاهر لنهاه عن ازدراده الا انه لا بد له على طهارة
بقية الفضلات منه قياسا لفرق الماوردي رحمه الله بين الدم والبول
وغيرهما بانهما من اجزا بدنه بخلافهما وقوله وتسويغه صلى الله عليه
وسلم ذلك اي شرب دمه ومصه له اي لمالك بن سنان رضي الله عنه وتسويغه
بالسين المهملة والغين المعجمة بمعنى تجويزه اي له من غير انكار ومدحه
له وهو مستعار من ساغ الشراب في الحلق اذا سهل انحداره فيه ومنه
لبنا خالصا سايغا للشاربين والتعبير به هنا في غاية الحسن والتورية
لما فيه الشرب وقوله اي النبي صلى الله عليه وسلم لمالك لن تصيبه النار
كناية عن فوزه بنعيم الجنان وفي رواية من سره ان ينظر الى من خالط دمه
دمي فلينظر الى مالك بن سنان ومنه شرب عبد الله بن الزبير بضم الزاي
والتصغير رضي الله عنهما دم حجامته قال البرهان الحلبي هذا الحديث
رواه البزار والحاكم والبيهقي والبغوي والطبراني والدارقطني
من طرق يقوي بعضها بعضا والعجب من قول ابن الصلاح ان هذا الحديث
لم اجد له اصلا وهو مذكور في هذه الاصول وقد كان عليه الصلاة
والسلام قال لما ولدته امه ونظر اليه هو فكلفت امه عن رضاعه فقال
ارضعيه ولو بما عينيك كبش بين ذياب وذياب عليها ثياب ليمنعن البيت
او ليقتلن دونه وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لاخباره بالمغيبات
فانه بيان لقصته مع الحجاج فان ابن الزبير رضي الله عنهما استخلف سنة اربع
او خمس وستين بعد وفاة معاوية رضي الله عنه فخاصره بعد ذلك الحجاج
عند البيت العتيق سنة ثلاث وسبعين حتى قتل شهيدا وقصته مشهورة
وهو احد العبادلة الامام الزاهد العابد الشجاع ابن الشجاع وهو اول
مولود ولد للمهاجرين وحنكه النبي صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها بفمه
فخالط ريقه ريقه وله رضي الله عنه من شرف النسب ما لا يوصل اليه لان امه
اسما رضي الله عنها ذات النطاقين بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه وابوه

الزبير رضي الله عنه احد العشرة سيف الله وجدته صفية رضي الله عنها بنت عبد المطلب وعمته خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها وخالته عايشة رضي الله عنها وجده لامه ابو بكر رضي الله عنه وكان صوامًا قوامًا لا ينام ليله وكان اطلس لا لحية له وقوله فقال له صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل للناس منك بيان لما نشا عن شربه ذلك الدم وويل للتحسر والتالم من الامر قال تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وهو اشارة الى قتله وتعذيبه وتحقيره لقتل الحجاج له ومن عاونه ظلمًا له وويل للناس منه لما اصاب الناس من حرو جه لطلب الخلافة لانه لم تقم له ومحاصرة مكة بسببه وقتل من قتل ثمة وما اصاب امه واهله من المصايب وما لحق قاتليه من الاثم العظيم وتخريب البيت وهدمه بسببه وانما جعله ناشيا من شرب دمه لانه بصعقة من النبوة نورانية قوت قلبه حتى زادت شجاعته وعلت همته عن الانقياد لغيره ممن لا يستحق الامارة فضلا عن الخلافة وما قيل انه اشارة الى ما يلحقه من قدح الجهلة فيه بواسطة شربه الدم وما يلحقهم من الاثم بذلك القدح مما لا ينبغي ذكره وسقوطه معنى عن رده وسياتي تحقيقه ودمه صلى الله عليه وسلم مما تغذى فطراته بالارواح ولله در القايل

يجري العلاء في عرقه جري الندا ❀ في عوده فهو اللباب صفاء
لو تقدر الاحرار حين ارقته ❀ جعلوا له حب القلوب وعاء
او بويعوا فطراته معدودة ❀ اعطوا به مهج النفوس شراء
واسترخصوا في سعرها ان بذلوا ❀ عن كل واحدة جرت حوباء

وقد شرب دمه صلى الله عليه وسلم ايضا اربعة رجال ابو طيبة واسمه دينار ونافع وسالم بن ابي الحجاج وهو الذي قال له صلى الله عليه وسلم لا تعد فان الدم كله حرام على ما فيه وسفينة كما رواه البيهقي وعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه ذكره الرافعي في الشرح الكبير وقال ابن الملقن انه غريب لم تجد لعينه وقد مر ذلك ولم ينكر عليه هذا هو محط الدليل فان عدم انكاره صلى الله عليه وسلم عليه دليل على جوازه وطهارته قال السخاوي سيل شيخنا العلامة ابن حجر عن حديث ابن الزبير ومالك بن سنان وقوله للاول ويل لك الخ وقوله لما لك لا تمسك النار ما الحكمة في تنوع القول مع اتحاد السبب فاجاب بان ابن الزبير رضي الله عنهما شرب دم الحجامة وهو قدر كثير يحصل به الاغتذا وفوق جذب المحجمة تجلبه من ساير العروق او كثير منها فعلم صلى الله عليه وسلم انه يسري في جميع جسده فتكتسب جميع اعضائه متغذي من قوى النبي صلى الله عليه وسلم فتورث به غاية قوة البدن والقلب وتكسبه نهاية الشهامة والشجاعة فلا ينقاد لمن هو دونه فتعد ضعف العدل وقلة ناصره وتمكن الظلمة وكثرة اعوانهم فيحصل له ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم من تلك الحروب الهايلة التي تنتهك بها حرمته اي الناشية من حرمته صلى الله عليه وسلم وحرمة البيت العتيق فقيل ويل له لقتله وانتهاك حرمته وويل لهم لظلمهم وتعديهم عليه وتسفيههم واما مالك رضي الله عنه فازدرد ما مصه من الجرح

الذي في وجهه صلى الله عليه وسلم وهو اقل من دم الحجامة وكانه صلى الله عليه
وسلم علم انه يستشهد في ذلك اليوم فلم يبق له من احوال الدنيا ما يخبره
فاعلمه بالاهتمام له بما يتلقاه من انواع مسرات الجنان انتهى ولا عطر بعد عروس
وقد روي نحو من هذا المذكور في شرب دمه صلى الله عليه وسلم عنه صلى
الله عليه وسلم في امراة شربت بوله سياتي بيان هذه المراة فقال لها لن تشتكي
وجع بطنك اي لا يصيب بطنك وجع بعد اليوم لبركة ما دخل في جوفها فعبر
بنفي الشكاية عن نفي لازمه وهو الوجع بطريق الكناية التي هي ابلغ من التصريح
ابدا وفي رواية بعدها ولم يامر واحدا منهم اي ممن شرب دمه ومن مصه
ومن شرب بوله بغسل فم ولو كان نجسا لامر به ولهاه عن عوده لمثله لان تناوله
لم يكن باذنه فلذا قال ولا نهاه عن عوده ضمير نهاه وكذا ضمير عوده المضاف اليه
ان كان بالضمير لواحد وليس الضمير للشرب كما توهم وقال البرهان انه لعودة بتا
التانيث كدولة فكانه رواية ولو كان نجسا حرم تناوله ووجب تطهير محله ولم
يقر النبي صلى الله عليه وسلم على مثله وكونه للتداوي والعلاج خلاف الظاهر
على ما فيه وحديث هذه المراة التي شربت بوله صلى الله عليه وسلم صحيح الزم
الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح يعني انه مستجمع لشرطهما
فهو في اعلا درجات الصحة فكان ينبغي ذكره فليس الالزام على ظاهره والدارقطني
منسوب الى دار القطن محلة ببغداد وهو الامام الحافظ الذي لم ير مثله في عصره
وهو علي بن عمر بن احمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله ابو الحسن
الذي انتهى اليه علم الاثر ومعرفة العلل واسما الرجال واحوالهم مع الصدق
والعدالة والمعرفة بمذاهب الفقها فلذا قيل انه امير المؤمنين في الحديث ولد سنة
ست وثلاثماية وتوفي سنة خمس وثمانين وثلاثماية وما ذكره المص من ان الدارقطني
قال حديث المراة التي شربت بوله صلى الله عليه وسلم صحيح تبع له فيه انه قال في علله
انه مضطرب جاء عن ابي مالك النخعي وهو ضعيف ورواه عنه الحاكم واسم هذه
المراة بركة واختلف في نسبها قال البلقيني في الخصايص ان ام ايمن وام يوسف
شربتا بوله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهما وفي تجريد الذهبي ان بركة
الحبشية قدمت مع ام حبيبة وهي التي شربت بوله وهي غير بركة بنت يسار المهاجرة
الى الحبشة مع زوجها قيس بن عبد الله الاسدي وغير بركة ام ايمن وهي بركة
بنت ثعلبة بن عمرو والدة ايمن بن عبيد وام اسامة بن زيد فاسم هذه المراة
بركة ولكن في الصحابيات من اسمها بركة عدة نسا فاختلف في التي شربت بوله
صلى الله عليه وسلم انتهى هي والى ذلك اشار الى ضعفه بقوله اختلف في نسبها
فقيل هي ام ايمن بركة بنت محصن بن ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن
عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته الحبشية
معتقة ابيه اسلمت هي وابنها ايمن بن عبيد الحبشي ثم تزوجها زيد بن حارثة
واخرج لها احاديث في كتب السنة وادركت خلافة عثمان كما في التهذيب وذكر الواقدي
ورجحها في مسلم من انها توفيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بخمسة او ستة

عوضه

اشهر

انثم ولم يكن باسم ام ايمن غيرها وقيل ان التي شربت بوله صلى الله عليه وسلم بركة بنت يسار
مولاة ابي سفيان بن حرب المهاجرة السابقة وكانت ظئرا لام حبيبة رضي الله عنهما فلما
تنصر عبيد الله بن جحش ثبتت ام حبيبة على الاسلام وخلف عليها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتزويج النجاشي اياه صلى الله عليه وسلم لها واصداقه اياها اربعمائة د
وبعثها له صلى الله عليه وسلم مع شرحبيل بن حسنة فقدمت ومعها بركة تخدمها
وهي القابلة انه كان له صلى الله عليه وسلم قدح تحت سريره يبول فيه فشربته ليلا اي
كما ياتي وهذا مخالف لما قاله البرهان الحلبي من ان القادمة معها غير بركة بنت يسار ولما
قاله الذهبي انها بركة الحبشية الا ان يريد بالحبشية المهاجرة للحبشة وهو خلاف الظاهر
ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها لا يبجع بطنك ابدا بفتح اليا الاولى وكسرها
وفتح الثانية في يوجع سوى بالجيم وعلى الكسر وي قوله ولانتكا فرح الفواد فيبجعا
ويروى كما مر اذن لا تلج النار بطنك وقيل هي اي بركة المذكورة ام ايمن وكانت تخدم النبي
صلى الله عليه وسلم تاييد لكونها التي شربت بوله صلى الله عليه وسلم ليلا لانها اذا كانت
خادمة له صلى الله عليه وسلم تمكنت من الوصول بذلك في مثل ذلك الوقت وتمكنت
من الوقوف على حاله فلذلك قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان
والقدح ليس المراد به ما يشرب به الشراب كما هو عند العامة بل هو الاناء الذي يشرب منه
واصغره الغمر بفتح الغين المعجمة وهو الذي لا يروي ثم القعب وهو ما يروي ثم القدح
وهو ما يروي الاثنين والثلاثة ثم العس وهو ما يشرب منه الجماعة ثم الرفد ثم
الصحن ثم الجفنة وعيدان حوز فيه التلمساني كسر العين على انه جمع عود والذي عليه
الشراح انه بفتح العين المهملة تليها يا مثناة تحتية ثم دال مهملة والف ونون
ووزنه فيعال او فعلان والعيدان والعيدانة النخلة الطويلة قال الشاعر
الا الرياح اذا ما اعصفت قصفت عيدان نجد ولم يعبان بالرتم ويقال للنخل اذا
طال وتناولته اليد عضيد فاذا فاتت اليد فهي الجبارة فاذا ارتفعت فهي الرقلة
والعيدانة وكان للنبي صلى الله عليه وسلم عدة اقداح قدح يسمى الريان واخر
يسمى المغيث واخر مضبب بسلسلة من فضة وقدح من زجاج وهذا القدح كان
يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل والسرير معروف ومن ظرفه ما وقع في الالغاز
والملح من معانيها الكوفيون والبن مالك وانشدوا
متى سايل ذو حاجة اذ منعته من اليوم سولا ناله بعد في غد
وقال تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة اي فيه فبال فيه ليلة ثم افتقده
الافتقاد افتعال من الفقد وهو العدم وليس الافتقاد هنا بمعنى العدم وان ورد
بمعناه كما في الصحاح بل الطلب والتفتيش يقال تفقده وتعهده بمعنى الا ان الفرق
بينهما كما قال الراغب ان التفقد حقيقته تعرف فقدان الشيء والتعهد تعرف
العهد المتقدم فلم تجد فيه شيئا من بوله وسال صلى الله عليه وسلم عنه بركة
فقالت قمت وانا عطشانة المذكور في كتب اللغة انه يقال عطشان وعطشى وجماعة
عطاش الا في الفاظ قليلة جاءت على فعلان فعلانة ولغة بني اسد في كل فعلان
فعلانة فيصرفون فعلان لان شرط منع صرفه وجود فعلى او فقد فعلانة فما

بينار

ورد في هذا الحديث اما سماعي على خلاف القياس او هو على لغة بني اسد فتوقف البرهان
فيه لا وجه له وقد كانت قريش تتكلم بغير لغتها لكثرة وفود القبايل عليهم وحكي
صاحب القاموس امراة عطشانة من غير تقييد بلغة وقيل الظاهر ان من قال عطشى
لا يقول عطشانة **وفيه نظر** وقد علم ان هذا يدل على طهارة بوله صلى الله
عليه وسلم اذ لو بينهما عنه ولو يامرها بغسل فمها ولا باعادة الصلاة ان
كانت صلت ولا ينافيه قولها فشربته وانا لا اعلم لانه لبيان طيبه وانها لم تجد له
ريحا ولا طعما كغيره اي لا اعلم انه بول لما ذكر فلا ينافي قولها انه كان له قدح يبعد
تحت سريره الى اخره فتامل وروي حديثها اي بركة ام ايمن المذكورة ابن جريج وهو
هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بجيمين اولاهما مضمومة وهو امام ثقة
ولد سنة ثمانين وتوفي في سنة خمسين ومائة ويكنى ابا الوليد وهو مولى لآل
صفية بنت حيي قيل وهو اول من صنف في الاسلام وكان يقول ما دون العلم احد
تدويني وقيل اول من صنف سعد بن عروبة وقيل الربيع بن صبيح **وقد**
اختلف في قوله السابق امراة شربت بوله وقصة ام ايمن في قدح العيدان
هل هما قصتان او قصة واحدة فروى الحاكم والدار قطني عن ام ايمن انها
قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة في جانب البيت
فبال فيها فقمت وانا عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح قال يا ام
ايمن قومي فاهريقي ما في تلك الفخارة فقلت شربت ما فيها فضحك ثم قال والله
لا يتجعن بطنك ابدا او نحوه واخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال اخبرت انه
صلى الله عليه وسلم كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا
القدح ليس فيه شيء فقال لامراة يقال لها بركة كانت تخدم ام حبيبة رضي الله عنها
جاءت معها من الحبشة اين البول الذي كان في القدح فقالت شربته فقال لها صحة
يا ام يوسف وكانت تكنى ام يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه واخرج ابو
داود وابن حبان عن اميمة بنت رقيقة انها قالت كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قدح من عيدان الخ قال ابن دحية رحمه الله هما قصتان لامراتين وبركة
ام يوسف غير بركة ام ايمن **اقول** وفي قوله صلى الله عليه وسلم صحة
ما يدل على ان الدعا به بعد الشرب سنة لا بدعة عامية وحكمته ان الاكل والشرب
يخشى منه السقم ونحوه فلذا دعا به كما قال فان الدا اكثر ما تراه يكون من الطعام والشراب
وفي بعض النسخ وهو ساقط من الام واكثرها وروي في بعض الروايات عن امه
امنه انها قالت ولدته صلى الله عليه وسلم نظيفا ما به قذر اي شيء مما يكون
على المولود اي نقيا من الوسخ والدرن وفي بعض النسخ تاخيره عن قوله وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة وفي بعض الروايات
ولد مختونا مسرورا وفيه تورية لانه من السرور ومن قطع السرة ومثلها في
الحسن انه ولد معذورا مسرورا ومعنى معذورا مختونا يقال عذرته واعذرته
اذا قطعت عذرته وهي القلفة وكونه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا
مقطوع السرة ورد في حديث روي عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وعلي

هذا

هذا مع تكريم له صلى الله عليه وسلم حتى لا يرى احد عورته وقد وقع هذا لكثير من الناس
والعرب تسميه ختان القمر واصله ان الطفل اذا ولد في ليلة مقمرة وانسل بحشفته ضوء القمر
وفي اذ ذاك لم تنفتح جلدته اثر فيها حتى تقلصت والحقت فان القمر يؤثر ضوؤه في اللحم وغيره
الا انه لا يكون قاطعا لها بالكلية ولذا لم يجعله ختانا قال الشاعر

اني حلفت يمينا غير كاذبة ● لانت اقلف الا ما جنى القمر

وقيل انه يشير الى ان النمو في خلقة الانسان يحصل في زيادة القمر ويحصل النقصان
عند نقصانه كما في الجزر والمد فهذا النقصان منسوب لنقصان القمر وقيل ان عبد المطلب
لما راه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا قال ليكونن لابني هذا شان **ولا يخفى** ان
سند هذا الحديث ضعيف جدا والذي صححه المحدثون كما في التمهيد لابن عبد البر ان
جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وجعل له مادبة وسماه محمدا وكانت العرب تختن لانه
سنة توارثوها من اسماعيل وابراهيم عليهما الصلاة والسلام وليس ذلك لمجاورة اليهود
**وقد** ورد هذا في قصة هرقل وقوله عنه التي قيل له فيها ان ملك اهل الختان قد
ظهر وروي انه صلى الله عليه وسلم ختن يوم شق قلبه الشريف وهو عند مرضعته حليمة
وقد ذكره ابن القيم في كتابه الهدي وهو ارجح الاقوال وطعن في القول الاول من الاقوال
الثلاثة وقال انه روي في حديث لم يصح وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ومن الغريب
قول الحاكم في المستدرك ان الاخبار تواترت بان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد مسرورا
مختونا وتعقبه الذهبي وقال لا نعلم صحة ما ذكره فكيف يكون متواترا والقول بانه
اراد بتواتره شهرته بين الناس لا ما اصطلح عليه المحدثون بعيد وقد وقع في هذه
المسالة نزاع بين ابن طلحة والكمال ابن العديم فالف ابن العديم في تاييد انه صلى
الله عليه وسلم ختن بعد ولادته تاليفا اوضح فيه الدلايل والنقول الا انهم لم
يرضوا قول ابن الجوزي انه موضوع وردوه ومع قوله انه موضوع نقل عن كعب
الاحبار ان ثلاثة عشر نبيا ولدوا مختونين اي على صورة المختونين وهم ادم وشيث
وادريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى
ومحمد وزيد عليهم حنظلة بن صفوان قيل ولا تعارض بين كلاميه ولا يخفى ما فيه
وزيد عليهم الى سبعة عشر وقد نظمهم بعضهم في قوله

وفي الرسل مختون لعمرك خلقة ● ثمان وتسع طيبون اكارم
وهم زكريا شيث ادريس يوسف ● وحنظلة عيسى وموسى وادم
ونوح شعيب سام لوط وصالح ● سليمان يحيى هود ياسين خاتم

**تتمة** قد علم ان امه صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف
زوجها عبد المطلب ابنه عبد الله فولدت له النبي صلى الله عليه وسلم وفي وقت
وفاتها سبعة اقوال فقيل هو بعد ست سنين او سبع او ثمان او خمس او اربع
او تسع او اثني عشر وتسعة شهور من ولادته او غير ذلك وماتت بالابواء راجعة
به من عند بني النجار اخواله وفي زيارة النبي صلى الله عليه وسلم قبرها واحيايها
له كلام سياتي تمامه وورد في الحديث ان رجلا ساله صلى الله عليه وسلم ما
حقيقة امرك منذ نشات فقال انا دعوة ابي ابراهيم عليه الصلاة والسلام

وبشري اخي عيسى صلى الله عليه وسلم واني كنت بكرا مي وانها حملتني كاثقل ما تحمل النسا
وجعلت تشتكي لصواحبتها ثقل ما تجد الحديث وهذا الحديث يعارضه ما رواه الواقدي
من ان امه امنة قالت لما حملت به ما شعرت اني حملت به ولا وجدت له ثقلا كما تجد
النسا وانما انكرت رفع حيضي وجمع بينهما الحافظ ابو نعيم بان الثقل كان في ابتدا
علوقها به والخفة عند استمراره فيكون في الحالين خارجا عن المعتاد المعروف
وهذا الجمع لا ينافي مع قولها كما روي اني لما انكرت رفع حيضي اتاني آت وانا
بين النايم واليقظان فقال هل شعرت انك حملت بسيد هذه الامة ونبيها فكونها
ابتدت بالحمل يقتضي ان الثقل لم يكن في ابتدايه والذي ينبغي من التوفيق ان الثقل
يكون معنويا وهو الوجع والالم الذي يحصل للحوامل وهو المنفي وحسيا وهو
رزانته وزيادة مقداره من غير الم ولا تعب لانه صلى الله عليه وسلم وزن بجميع
امته فرجحهم وهذا هو المثبت وبقية احوال حمله ومولده مفصلة في
كتاب المولد لابن حجر وغيره وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت ما رايت فرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وروي انها قالت ما رايت منه ولا راى مني
يعني العورة وحذف المفعول لاستهجان ذكره وسياتي الكلام على ذلك عند
اعادة المص له في الكلام على الحيا والاعضا وقد اختلف في نظر احد الزوجين عورة
الاخر فقيل يكره وهو الاصح وقيل يحرم لانه يورث العمى وورد تعليل النهي عنه
بذلك ونقل عن علما الشافعية الاختلاف في هذا العمى فقيل عمى للناظر وقيل عمى
الولد وقيل عمى القلب وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم
لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه قال المخرج هذا الحديث
رواه البزار والبيهقي اي لا يمر بيده على جسده للغسل غيره لانه من اقرب اقاربه
واقدمهم صحبة واما قول الحافظ غلطا اي انه غسله صلى الله عليه وسلم علي
والعباس وابنه يعينانه وقثم واسامة وشقران يصبون الما عليه واعينهم معصوبة
من ورا الستر فلا ينافيه لانهما اعاناه بتقليب جثته الشريفة والثلاثة اعانوه
بصب الما وهو يغسله بنفسه وقوله من ورا الستر يعني قميصه من غير تجريد
منه كما يرد في ... لما تقرر عن عايشة رضي الله عنها انهم اختلفوا اهل يجردونه
ام لا فسمعوا مناديا من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرونه يقول غسلوا النبي
صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فلم يجردوه وقوله واعينهم معصوبة اي مربوطة
بعصابة حتى لا ينظرون جسده الشريف وهو يغسل خيفة ان يبدو من بدنه
الشريف ما لم يؤذن في النظر اليه وتعميم اعينهم للعباس وابنه وقثم واسامة وشقران
لا للكل فعلي رضي الله عنه لم يعصب عينه لانه المباشر فهو ماذون له في ذلك
وخصوصا لاذن لانه كان اقدرهم على الغض وغيره ربما خاف الله منه لغفلة فتطمس
عيناه ولذا ورد انه نودي وهو يغسله ان ارفع طرفك نحو السما خوفا
من ان يديم النظر اليه وطمست بفتح الطا والميم من الطمس وهو ازالة الاثر
بالمحو وطمس العين ازالة ضوئها وصورتها وهو لازم قال ربنا اطمس على
اموالهم ويتعدى كقوله من قبل ان نطمس وجوها وكفن صلى الله عليه وسلم

في ثلاثة اثواب بيض سحولية والسحولية بضم السين وفتحها نوع من ثياب اليمن قطن
وثياب السبعة مفصلة في الفائق وفي هذا دليل على ان الله صانه صلى الله عليه وسلم
عن ان يرى احد محل العورة منه قبل النبوة وبعدها فمن نظر اليها عن قصد عمي ولم
يرد ما ينافيه اذ لم ينقل ان احدا راها في صغره كامه ومرضعته واما ما روي من ان
قريشا لما بنت الكعبة وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة معهم فكان
يضع ازاره على عاتقه ويضع الحجر عليه فاذا دنى من الناس لبسه فلكمه لاكم
لكمة شديدة فاستغاث شاخصا ببصره الى السما فقيل له ما شانك فقال نهيت ان
امشي عريانا وكان ذلك اول شي راه من امر النبوة فليس فيه ان احدا نظر لعورته
صلى الله عليه وسلم د في حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عكرمة منقول
من العكرمة بمعنى الحمامة وهو عكرمة بن عبد الله البربري مولى ابن عباس احد
فقها المدينة وتابعيها ومن الايمة المقتدى بهم في التفسير والحديث توفي سنة
سبع ومائة وقيل غير ذلك وهذا رواه الشيخان وغيرهما وهو حديث صحيح انه
صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط الغطيط صوت النايم اذا ارتفع نفسه
لانطباق مجراه ومضيقه ويقال خطيط بالخا المعجمة ايضا وهي بدل من الغين
كما يقال اغن واخن قال التلمساني وثبتت به الرواية ايضا فقام فصلى ولم يتوضا
لانه صلى الله عليه وسلم كان لا ينقض وضوءه بالنوم مضطجعا بخلاف غيره وهو من
خصايصه صلى الله عليه وسلم وحكى الشافعية قولا انه صلى الله
عليه وسلم كغيره في الانتقاض بذلك والكلام على الانتقاض بالنوم في المذاهب الاربعة
مفصل في كتب الفقه وانما كان ناقضا لانه مظنة خروج شي من ريح ونحوه من
النواقض وقد ذهب الشيعة وبعض السلف انه لا ينقض وفي احد قولي الشافعي
انه ينقض مطلقا وليس هذا محل تفصيله والاحاديث الدالة على ان نومه صلى
الله عليه وسلم لا ينقض وانه تنام عينه ولا ينام قلبه كثيرة صحيحة منها ما ذكره
هنا وهذا مخصوص به بالنسبة للامة لما صح من حديث انا معاشر الانبيا تنام
اعيننا ولا تنام قلوبنا قال ابن عباس رضي الله عنهما الان رؤياهم وحي فيفارقون
ساير البشر في نوم القلب ويساوونهم في نوم العين فلو سلط النوم على قلوبهم لم تكن
رؤياهم مفارقة لرؤيا غيرهم وهذا فضل من الله خصهم به واما ما روي من
وضوئه صلى الله عليه وسلم بعد نومه فلم ينقل انه لحدث وانما كان احيانا
تجديدا للوضوء فانه كان يستحبه او هو بالنسبة لامته للتشريع لهم فان قلت
يشكل على هذا انه صلى الله عليه وسلم نام في الوادي حتى طلعت الشمس ولو كان
قلبه غير نايم لما اخرج الصلاة عن وقتها قلت اجيب عن هذا باجوبة احدها
انه لا تخالف بينهما فان القلب يقظان فيحس بما يدركه القلب مما يتعلق بالبدن
بخلاف ما يدرك بالعين كطلوع الشمس والفجر ثانيها انه صلى الله عليه وسلم
كان له نومان نوم مستغرق فتنام فيه عينه وقلبه ونوم غير مستغرق تنام فيه
عينه فقط قال النووي في شرح مسلم والمعتمد الاول ولعل قلبه صلى
الله عليه وسلم كان مستغرقا بالوحي والمشاهدة فلا يلزم وصف قلبه بالنوم

كما كان عند نزول الوحي عليه في اليقظة فلاشتغال باطنه بالقدس تعطل عن حقوق
الظواهر كما قال الشاعر
فوالله ما ادري اذا ما ذكرتها • اثنتين صليت الضحى ام ثمانيا •
وهذا هو الذي اختاره ابن عبد البر وابن المنير لان ظاهر الحديث عمومه لسائر احواله
وما خالفه وجهه ما ذكر وحكمته التشريع وهذا جواب ثالث ورابعها ان سيتيقظ
قلبه وينام ولكن لا يبلغ مرتبة عدم الشعور بالحدث تنبيه على القول بان
المني ينقض الوضوء ذهب بعضهم الى انه لغيره صلى الله عليه وسلم واما هو
فلا **ثم اعلم** انه اذا كان رؤياه صلى الله عليه وسلم وحيا فهل اوحي اليه
في نومه شيء من القرآن قال الرافعي في اماليه لم يقع ذلك وانما نزل عليه
صلى الله عليه وسلم كله يقظة وما ورد من قراءته سورة الكوثر في النوم محمول
على انها خطرت على قلبه تعد نزولها يقظة وقوله ولم يتوضا بسكون الهمزة
لدخول الجازم عليه ويجوز ابدالها الفا بيته على القياس وحينئذ فيجوز فيه
حزمه بحذف الحركة المقدرة وابقا الالف العارضة ويجوز جزمه بحذف
الفه لمعاملته معاملة يخشى فلك ان تقول لم يتوضا ولم يتوضا ولم يتوض
كما ذكره النحاة قال عكرمة في بيان وجه ما ذكر لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا
قيل هذا جواب عن الاشكال السابق حاصله ان النوم ليس ناقضا بنفسه
وانما نقض لانه مظنة الحدث والله تعالى حفظه صلى الله عليه وسلم عن
وقوع ذلك منه ولو وقع نبهه عليه وهو مع ضعفه مخالف لظاهر الحديث
فالظاهر ان المراد ان الله حفظه عن ان ينام قلبه وقد علمت مما مر ان هذه خاصة
اضافية بالنسبة للامة او الامم لان سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام كذلك
وقيل ان سفيان بن عيينة رحمه الله كانه لم يطلع على حديث انا معاشر الانبيا
تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا او لم يصح عنده فحكم بان الصلاة بعد النوم من
غير وضوء من خواصه صلى الله عليه وسلم وتبعه مغلطاي واليه ذهب
بعض الشافعية ولذا قال ابن الوردي رحمه الله في البهجة الوردية
وبعض ما اكرمه الله به • منامه بالعين دون قلبه •
**اقول** لا وجه لما قالوه فان الحكم بغفلة مثل سفيان او قوله فيما صح من
الاحاديث انه غير صحيح غير صحيح مع انه لم يصرح به فالمنقول عليه بمثله
غير لائق وحمل المومن وقوله على الصلاح اولى فنقول انما اراد هو لانه
لم يسلم ان الانبيا السالفة صح انهم كانوا يتوضؤون لصلاتهم كوضوئنا فلم
يسمع من احداث وضوئهم بنقض بنوا فمن شرعنا فيكون الصلاة بعد
النوم من خواص نبينا على الاطلاق وعدم نوم قلوبهم امر اخر وهذا امر
اوضح من الصبح ومما قلته فيما نحن فيه
وعينيك ما قلب النبي غفا ولا • عيون له في سردة الليل راقده •
ولكنما الاجفان منه تهجدت • وبانت لمحراب الحواجب ساجده •

## فصل في قوة عقله صلى الله عليه وسلم

ابن الحنبلي

لما قاله

وشدة

وشدة ادراكه حواسه وذكائه وفيه ما يدل على كمال قوة بنيته واما وفور عقله الوفور
بفتح الواو والغامضة كالقعود بمعنى التمام لا الكثرة وقيل يحتمل انه جمع وفر بمعنى
كثير والعقل قوة وغريزة اودعها الله في الانسان ليتميز عن الحيوان بادراك الامور
النظرية وقيل انه نور يقذف في القلب يستعد به لادراك العلوم والامور العقلية
وفي حقيقته ومحله خلاف وكلام لا حاجة لتفصيله واشتقاقه من العقل بمعنى
المنع ومنه العقال لمنعه الانسان عما لا يليق ولذا انطرف القايل •
قد عقلنا والعقل اي وثاق • وصبرنا والصبر مر المذاق •
وهذه القوة تتفاوت بالشدة والضعف وتزيد بامور مكتسبة من التجربة
ومخالطة العقلا فلذا قيل العقل عقلان عقل غريزي وعقل مكتسب وقد
علم ان المراد بوفور عقله صلى الله عليه وسلم تمامه وكماله لا كثرته حتى يقال انه لم
يوصف العقل بالكثرة باعتبار اثاره الصادرة عنه قال في الصحاح الوفور الشيء التام
ووفرت الشيء وفرا ووفر الشيء بنفسه وفورا يعني انه تام ولازم والوفور لم
يذكر انه جمع وذكا لبه الذكا بفتح الذال المعجمة والمد حدة الفؤاد بسرعة ادراكه
وفطنته لانه في الاصل الاشتعال والتوقد ولذا يقال الذكي يتوقد الذهن وقال الشاعر
لولم يحل ما الندا • فيه لاحرقه ذكاوه • واللب بضم اللام وتشديد الموحدة التحتية
بمعنى العقل ولب كل شيء قلبه وخالصه فلو فسر اللب هنا بالقلب جاز ايضا يقال
لب يلب اذا صار لبيبا وعلى الاول غاير بين اللب والعقل تفننا ولا تكرار في كلامه
كما توهم • وقوة حواسه الخمس الظاهرة وهي اللمس والذوق والشم والسمع والبصر
وهذه مما لا كلام في ثبوتها للانسان والحيوان الا ان الحصر فيها لانا لم نعثر على غيرها
فينا ولا في غيرنا وان امكن كما صرحوا به واما الحواس الباطنة كالحس المشترك
والخيال والقوة الفكرية والوهم والحافظة ومحالها من الدماغ فلم يثبتها اهل
الشرع على انهم في اثباتها وتعيين محالها في حيص بيص كما يعرفه من وقف على كلامهم
والحاسة بمعنى المدركة من حس بمعنى احس والثاني هو الاعرف الافصح وبه
جاء القران قال تعالى فلما احسوا باسنا فلما احس عيسى منهم الكفر وهو استعارة
لجعله لشدة ظهوره كالمحسوس • وقوة الحواس مما يتمدح به وفصاحة لسانه
هذا وما قبله مرفوع بالعطف على وفور وسياتي الكلام على الفصاحة قريبا
واعتدال حركاته اي حركاته الظاهرة في بدنه واعضائه جارية على نهج الاستقامة
والادب فانها عنوان لما في قلبه من الخشوع والخضوع ومراقبة ربه الذي هو
دائما في حضرته ولذا قال صلى الله عليه وسلم لما راى رجلا يعبث بلحيته في
صلاته لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وحسن شمايله جمع شمال بالكسر وهو
الطبع والاخلاق والصفات المحمودة فلا مرية بكسر الميم وقد تضم وكون
الرا المهملة يليها مثناة تحتية اي لا شك ولا شبهة او لا جدال ولا محاجة وقال
الراغب المرية التردد في الامر وهي اخص من الشك قال تعالى فلا تك في مرية من
لقائه والامترا والمماراة المحاجة فيما فيه مرية وقال تعالى فلا تمار فيهم
الا مرا ظاهرا واصله من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها للحلب انه صلى الله

ابن الفرس

عليه وسلم كان اعقل الناس وادكاهم اي اقواهم واشدهم عقلا واكثرهم فطنة وذكا
وصح ذلك وتبينه بما هو معلوم لاهل العلم والبصيرة فقال ومن تامل في الصحاح
تاملت نظرت فيه مستبينا فكانه ماخوذ من الامل وهو الرجا لان من دقق النظر
في شي واعمل الفكر فيه رجا حصوله وانكشاف كنهه تدبير امور بواطن الخلق وظواهرهم
اي الوقوف على ظواهر احوالهم وخفيا تها حتى يصلحها ويرشدهم للاحسن منها والامل
معنى التدبير التفكر في عواقب الامور وادبارها وتدبير مفعول تامل والامور مفعول
تدبير لانه صلى الله عليه وسلم بعث داعيا الى الله وهاديا للعباد وهذا انما يكون
باصلاح باطنهم وظاهرهم وهو يتوقف على معرفة ذلك وسياسة العامة والخاصة
منصوب معطوف على تدبيره والسياسة مصدر ساس الناس يسوسهم اذا دبر
امورهم وتصرف فيها قال الحرقة بنت النعمان فبينا نسوس الناس والامر امرنا
اذا نحن فيهم سوقة نتنصف وقول علامة الروم انه معرب سه يسق غلط
لا اصل له وقد اخذه من كلام من لا يعتد به والعامة عوام الناس وجهلتهم
من ارباب الصنايع والرعية ماخوذ من العموم لان اكثر الناس كذلك والخاصة خلافهم
وللمسعودي والجاحظ كلام في وصف العامة منه اتباع لكل جاهل لا يفرقون بين
حق وباطل فتراهم مهرعين لقايد دب اوضارب دف منشوقين الى اللهو واللعب
محلقين لمشعبذ مخرق وواقفين عند قاص كذاب مجتمعين حول مضروب واقفين
عند مصلوب ينعق بهم فيتبعون ويصاح بهم فلا يرتدعون اذا اجتمعوا ضروا
واذا تفرقوا نفعوا وسياسة الخاصة بالدلالة على الخير والنصيحة وسياسة
العامة بالزجر والقهر والضرب والسهر وسئل العتبي عن قوله تعالى انا انزلنا
التوراة فيها هدى ونور وقوله وانزلنا الحديد فيه باس شديد اي مناسبة
بين ذلك ومن الحديد وما هو الا كالجمع بين الضب والنون فاجاب بان مالك
الملك ارسل رسله لاجرا اوامره ونواهيه بين عباده وهما قسمان عقلاء وابصره
وارشادهم بالكتب الالهية وما حوته من الادلة القطعية وجهلة عوامهم
ويسخيرهم بالقهر والارهاب بالسيف والسنان فصار المعنى ارسلناهم بما يلي
العاقة والخاصة واي مناسبة اتم من هذه وان ترا اي عدم المناسبة بينهما لعجب
النظر الحمقا مع عجيب شمايله وبديع سيره جمع سيرة مضافا للضمير وقد
تقدم انها هيئة السير ثم خصت بحاله في غزواته وغزوها والعجيب الامر الذي
من شانه ان يتعجب منه لكونه لا نظير له وكذا البديع بمعنى المبدع وغاير
بينهما لتفنن في العبارة ولم يعطفهما واتى بمع للدلالة على ان انضمام هذا لما قبله
سبب كونه عجيبا بديعا كما تقول فلان يجود مع فقره لان الجود في هذه الحالة
اغرب يعني انه صلى الله عليه وسلم مع سياسة العامة للخاصة والعامة
مهذب الاخلاق موطو الاكناف حسن السيرة وقلما تتفق السياسة العظمى
الامع التجبر والتعظم والتحجب كما نراه من الملوك فهذا دليل قوة عقله وفطنته
صلى الله عليه وسلم ثم قال فضلا عما افاضه من العلم اي وزاد على ما ذكرنا
بكثرة العلم الذي علمه الناس وجعله شايعا بينهم من افاض الحديث اذاعه

دوله

وقوله من العلم اي من علوم الاولين والاخرين وشرع من الشرع اي مما شرع للناس من الامور
الشرعية لمعرفته بشرائع من قبله وبيانه لامور شريعته والكلام على فضلا وتعديه بعض
مفصل في شروح المفتاح والكشاف وياتي بعض منه والافاضة اصلها من فيض الماء ثم
شاعت فيما مر دون تعلم سبق متعلق بافاض وبما بعده اي فعل ذلك من غير تعلم
لانه صلى الله عليه وسلم لم يسكن غير بلده ولم يفارق غير اهل جلدته ولم يكن
ثمة من يمكن تعلمه منه ولا ممارسة تقدمت منه والممارسة معالجة ومزاولة
بالاعتياد على فعل اي لم يتعلم من غيره ولم يحاوله حتى يعلمه من نفسه باجتهاد في
استخراجه بعقله ولا مطالعة للكتب منه اي لم ينظر في شيء من الكتب لانه صلى الله عليه
وسلم كان اميا بين قوم اميين وهذا دليل على شدة ذكائه صلى الله عليه وسلم وفطنته
واستقامة طبيعته وفطرته فلذا قال لم يمتر اي لم يشك ويرتب في رجحان عقله
وثقوب فهمه اي ذكوده وظهوره وهو بالمثلثة من تثقيب النار وهو تذكيتها وايقاد
ثقبت النار ثقوبا اذا اتقدت لاول بديهته اي لم يمتر ولم يشك في اول نظره نظرها
فان قلت هو صلى الله عليه وسلم تعلم ما ذكر من الوحي المنزل عليه وهو سفير محض
قلت تلقي الوحي من الملك وضبطه وفهمه واجراؤه في مجاريه من غير تكلف منه
يدل على ما ذكر وكم ممن عالم قرأ ودرس العلوم اذا اراد تقرير ما علمه لم يجد له
قدرة ولا رونقا وبعض الفقها اذا ولي القضا لا يحسن الحكم بين الناس ولك ان
تقول المراد بما ذكر امر اخر غير ما قلته من الامور العرفية التي ادركها برايه
وحسن تدبيره فانه صلى الله عليه وسلم كان ماذونا له في الاجتهاد وهذا
مما لا يحتاج الى تقريره وبيانه بما ذكرناه لتحققه بالمشاهدة في عصره والتواتر
بعد ذلك بحيث لا يشك فيه مسلم وعاقل وبما قررناه عرفت ان قول بعض
الشراح هنا ان قوله ومن تامل الى غير واقع موقعه لان العلم بمثل هذا ملحق
بالبديهيات وقد استشعر ذلك فقال وثقوب فهمه لاول بديهة فهذا التطويل
غير مفتقر اليه من عدم التدبر وقال وهب بن منبه بضم الميم وفتح النون
وكسر الباء المشددة بزنة اسم الفاعل وهو وهب بن منبه بن سيج بسين مهملة
مفتوحة وقيل مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم جيم الابناري اليماني
اخو همام بن منبه وكنية وهب ابو عبد الله ويقال له الذماري نسبة
الى ذمار بكسر الذال المعجمة وهي قرية تقرب صنعا تابعي مشهور بالمعرفة
بالكتب القديمة سمع من جابر بن عبد الله رضي الله عنه وقيل انه لم يلقه
وروى عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وابي سعيد الخدري وابي
هريرة والنعمان بن بشير وغيرهم رضي الله عنهم واتفقوا على توثيقه وعبادته
وتوفي سنة اربع عشرة وقيل سنة عشر ومائة وهو ابن ثمانين سنة واخرج
له اصحاب كتب السنة وله ترجمة طويلة في الميزان قرات في احد وسبعين
كتابا من الكتب القديمة النازلة على الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وغيرها فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم
رايا يعني ان عقله ازيد من عقول الناس والمراد اشد من عقولهم جميعا وآرائهم

ابن اقبرس

وقد تقدم ان وهبا كان يعرف الكتب القديمة ويقراوها قال النجاتي في كتاب المعارف ولابن
قتيبة عن وهب انه قال قرات من كتب الله سبحانه اثنين وسبعين كتابا فيمكن ان يكون وجد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا في احد وسبعين
كتابا منها فقط ولم يجد ذلك في الكتاب الثاني والسبعين ويمكن ان تكون الروايات
عنه مختلفة بزيادة ونقص والذي قاله وهب من انه صلى الله عليه وسلم منوه بذكره
في الكتب المتقدمة يعضده قوله تعالى النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل وفي رواية اخرى عن وهب ايضا فوجدت في جميعها اي في جميع
الكتب التي قراها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس حتى الانبيا والرسل عليهم الصلاة
والسلام من بدا الدنيا الى انقضايها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم
اصل معنى الجنب الجارحة ثم استعير للناحية التي تليها كاستعارة ساير الجوارح لذلك
كاليمين والشمال وقوله في جنب الله اي في امره وحده الذي حده لنا كما قاله الامام
الراغب فالمراد بقوله في جنب الله في حده ومقداره الذي اعطاه الله له الا كحبة رمل
من رمال الدنيا يعني ان عقله صلى الله عليه وسلم كجميع رمال الدنيا وعقل جميع
الناس كحبة منها وهذا على طريق التمثيل لان عقولهم لا تقاس بعقله صلى الله عليه
وسلم كما ضرب الخضر لموسى عليه الصلاة والسلام مثلا بما في منقار عصفور من ما
البحر بالنسبة لسايره فشبه به علم الله وعلم ما عداه وقد اورد على كونه افضل
الناس رايا انه ورد ما يخالفه في كثير من الوقايع الثابتة في الحديث ورجوعه عن
رايه الى راي غيره كما في قصة بدر في رجوعه لراي الحباب ابن المنذر حين نزل
النبي صلى الله عليه وسلم بادنى ما من مياه بدر فقال له الحباب اهذا منزل انزلكه
الله فلا نتقدم ولا نتاخر عنه او هو راي ومكيدة حرب فقال بل هو الراي والمكيدة
فقال ليس هذا بمنزل بل الراي ان نسير حتى ناتي ادنى ما من مياه بدر فننزله
ثم نغور ما وراه ونبني عليه حوضا ونملاوه ثم نقاتل ونشرب ولا يشربون
فقال اشرت بالراي فرجع صلى الله عليه وسلم لما قاله وكذا في قصة اسارى بدر
والفدا وكذا في قصة تابير النخل ونحوه مما سياتي مما لا حاجة للتطويل بذكره هنا
واجاب النجاتي بان رجحان رايه على ما سواه مخصوص بما امضاه من سنن الشرع
والاجتهادات في امور الدين فلا ينافي رجوعه في آراء الدنيا لغيره كما صرح به
في قصة التابير اذ قال انما انا بشر مثلكم فاذا امرتكم بشي من دينكم فخذوا به
واذا امرتكم بشي من رايي فانما انا بشر اخطي واصيب وهذا انص فيما ذكر ورد ابن الحنبلي
بان مختار اهل الاصول انه صلى الله عليه وسلم كان متعبدا فيما لا وحي فيه
بانتظار الوحي ثم بالاجتهاد بعد وقت الانتظار وقيل له الاجتهاد مطلقا
في الامور الشرعية والدنيوية وهو مذهب مالك واحمد والشافعي وهو
المنقول عن ابي يوسف وغيره واختلف في جواز خطايه في اجتهاده فذهب
الرازي وغيره الى انه لا يجوز وفي التوضيح يجوز لكن لا يقرر عليه وعدم
الاقرار بالاجماع لوجوب اتباعه المقتضي لعصمته وجواز الخطا عقلا لا مانع
منه بمقتضى البشرية وفوق عقله صلى الله عليه وسلم وكمال حدسه وسداد

رايه

رايه لا ينافيه لانه من لوازم الطبيعة البشرية واذا جاز سهوه في صلاته ومناجاته ففي
غيرها بالاولى فقول البخاري انه جميع اموره الدينية صواب خلاف المختار عند علما الاصول
وحينئذ فمعنى كونه افضل الناس رايا واجتهادا مع جواز الخطا احيانا ان رايه لو خلي
ونفسه من غير معارض فيما يقتضيه الطباع البشرية كان افضل من راي غيره واجتهاد ٥
اذا خلي ونفسه ايضا مع رجحان رايه بعدم التقرير عليه اذا خالف الاولى واراوه صلى
الله عليه وسلم كلها صواب بعد التقرير عليها وقبله لا الا على قول من يقول كل مجتهد
مصيب والحاصل ان كون رايه افضل الارا لا ينافي رجوعه لغيره ومشاورته له فان
العبرة بما وقع عليه القرار لا ببادي الراي فافهم وقال مجاهد تقدم الكلام على
ترجمته فيما رواه عنه ابن المنذر والبيهقي مرسلا بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه قال البرهان في الاصل
الذي وقفت عليه من بفتح الميم موصولة وخلفه صلته منصوب على الظرفية وكذا
من بين يديه وفي غيره بمن الجارة فيهما وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم عن ابي
هريرة رضي الله عنه لكن بلفظ قال صلى الله عليه وسلم هل ترون قبلتي هاهنا
فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا خشوعكم واني لاراكم من ورا ظهري ورواه مالك واحمد
وغيرهما وفي لفظه اختلاف كما ياتي والمعنى متفق واختلفوا في هذه الرواية هل
هي مختصة بحال الصلاة ام لا وهل هي رؤية حقيقية ام علمية قلبية فقال ابن
الصباغ في الشامل ان المراد بها الحس والتحفظ وقيل المراد العلم بان يوحي اليه
صلى الله عليه وسلم كيفية فعلهم او يلهم ذلك وفيه نظر لانه حينئذ لا معنى
لتقييده بقوله من ورا ظهري وقيل المراد من عن يمينه وشماله وهو تكلف
والصواب انه محمول على ظاهره وان الابصار حقيقي خاص به على طريق خرق
العادة له صلى الله عليه وسلم ولذا اخرجه البخاري في علامات النبوة ثم على
ما ذكر من انه يجوز ان يكون برؤية عينية خرقا للعادة فكان يرى بها من خلفه
كما يرى ما يقابله من يعلم انه لا يشترط في الرؤية المقابلة ولا العضو المخصوص عند
اهل السنة كما قرروه في رؤية الله وهذه امور عادية يجوز الرؤية مع عدمها
عقلا واذا قلنا الرؤية علمية فمعنى ارى من خلفي اراكم وانتم من خلفي وقال
الزاهدي الحنفي صاحب القنية في رسالته الناصرية انه صلى الله عليه وسلم كانت
له عينان بين كتفيه كسم الخياط يبصر بهما لا يحجبهما ثوب ولا غيره والظاهر ان
مثله لا يقال بالراي وقيل كانت صورهم تنطبع في حايط قبلته صلى الله عليه وسلم
كما تنطبع في المرآة فيشاهد افعالهم ولا ينافي هذا ما ورد انه صلى الله عليه
وسلم جعل شابا احدثا من وفد عبد القيس خلفه لئلا يراه ولا قوله اني لا اعلم ما امرد
وراء جداري هذا ان صح ولا قوله في الحديث الاخر ايكم الذي ركع دون الصف فقال
ابو بكرة رضي الله عنه انا يا رسول الله فلو كان يرى كما ذكر ما احتاج للسؤال لان
الاول تشريع والثاني المراد به نفي علمه صلى الله عليه وسلم بالمغيبات مع ان عدم
رؤيته ما وراء الجدار لا ينافي الرؤية من غير حايل وهذا ان لم نقل انه مخصوص بالصلاة ة
كما في الانتباه واجاب ابن عبد البر عن حديث ابي بكرة رضي الله عنه بان هذه

ابن الحنبلي
عرضي

الفضيلة كانت قبل ان فضله الله بهذه الفضيلة فان شؤونه صلى الله عليه وسلم تتزايد
دائما وقيل معنى قوله اني اراكم ان قصدت ذلك ولو يكن صلى الله عليه وسلم قصد
ذلك كما ان الانسان قد لا يستعمل نظره احيانا او انه راه ولم يعلم عينه او اراد تقريره
لينكر له ما ذكره وارتضاه بعضهم وارتضى غيره انه كان خلفه صفوف كثيرة فلا يرد
عليه عدم رؤيته لانه لم يكن خلفه في الصف الاول فلا حاجة لما تكلفوه من الاجوبة
وهو كلام حسن وبه فسر بالبنا للفاعل اي فسر العلما او بعض المفسرين قوله تعالى وتقلبك
في الساجدين اي نرى تقلب بصرك في المصلين خلفك لتراهم وتعلم ما يفعلون وهو
امتنان بهذه النعم وهذا مونس لاختصاصه بالصلاة كما ورد التصريح به في بعض الاحاديث
ايضا وفي الموطا بصيغة المفعول المشدد الطا المهملة المهموز سمي به لما فيه من احاديث
الاحكام الممهدة للشريعة وساق هذا للاستدلال به على قوة حواسه صلى الله عليه وسلم
فيناسبه التفسير بانه يراهم بعينيه حقيقة كما مر الحديث عن ابي هريرة عنه صلى
الله عليه وسلم اني لاراكم من وراء ظهري وبحوه عن انس رضي الله عنه في الصحيحين
وعن عايشة رضي الله عنها مثله قالت وروينه صلى الله عليه وسلم ما اكرمه الله به
دون غيره زيادة زادها الله تعالى اياها في حجته وفي نسخة في محبته والاولى اصح
وفي بعض الروايات لعبد الرزاق والحاكم اني لانظر من وراي كما انظر من بين يدي وفي
اخرى اي في رواية اخرى لمسلم اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي والمراد
بحجته الدلايل الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وصدقه وقيل في حجته على
الكفار لان هذه معجزة من معجزاته خارقة للعادة وقوله زيادة بالرفع اي هذه
زيادة ويجوز نصبه وقول عايشة هذا الاثبات رؤيته من خلفه واكثر المفسرون
في هذه الاية الاقوال فمنها ما ذكره المص عن عايشة هنا ومنها ما مر من ان المراد
انتقالك من صلب نبي لنبي وسياتي تتمته وقيل ترددك في تصفح احوال المتهجدين
لانه لما نسخ فرض الليل دار صلى الله عليه وسلم على بيوت اصحابه لينظر ما يصنعون
حرصا على طاعتهم فوجدها كبيوت النحل بما سمع من الذكر والتلاوة وقيل معناه نرى
تقلبك في جماعة المصلين اذا اممتهم وما ذكره المص رحمه الله عن الموطا
بعض حديث رواه مالك عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل ترون قبلتي هاهنا فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم
واني لاراكم من وراء ظهري وا وتمام الحديث قال انس صلى بنا النبي صلى الله عليه
وسلم ذات يوم فلما اقبل علينا بوجهه قال ايها الناس اني امامكم فلا تسبقوني
بالركوع ولا بالقيام ولا بالانصراف فاني اراكم امامي ومن خلفي الى اخر الحديث
والكلام عليه مستوفى في شرحه وحكى بقي بن مخلد بقي بفتح الموحدة وتشديد
القاف المكسورة تليها يا مثناة تحتية ومخلد بفتح الميم واللام وخا بينهما
معجمة ساكنة ودال مهملة هو الامام ابو عبد الرحمن القرطبي الحافظ
الزاهد العابد الثقة صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذي قال ابن حزم
انه لم يصنف في التفسير مثله مولده في رمضان سنة احدى ومايتين وسمع
من ناس كثيرين منهم يحيى بن يحيى الليثي القرطبي واما مصعب الزهري ويحيى

ابن بكير

ابن بكير وابراهيم بن المنذر الحزامي وابن ابي شيبة وطاف الشرق والغرب وشيوخه ما يتان وبضع وثمانون وروي عنه كثير كابنه احمد وكان مجتهدا لا يقلد احدا وعد من امراء اهل السنن وكان مجاب الدعوة يقال انه كان يختم القران كل ليلة في ثلاث عشر ركعة ويسرد الصوم وحضر سبعين غزاة وتوفي في سنة ست وسبعين ومايتين رحمه الله عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء وفي رواية كما يرى في النور ولا شك انه صلى الله عليه وسلم كان كامل الخلقة قوي الحواس فوقوع مثل هذا منه غير بعيد وقد رواه الثقات كابن مخلد هذا فلا وجه لانكاره وقد اخرجه البيهقي عن عايشة ايضا ونقل ابن دحية في كتابه الايات البينات عن ابن بشكوال انه ضعفه لان في سنده ضعيفا واخرجه عن ابن عباس بلفظ كان صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء ثم قال وليس بالقوي وذكر ابن الجوزي في العلل حديث عايشة هذا وقال لم يصح وقال العقيلي في سنده من لا يعتمد عليه كما فصله وذكر هذا الحديث الذهبي في ميزانه في ترجمة عبد الله بن محمد بن المغيرة الكوفي مع جملة احاديث قال انها موضوعة وقال السهيلي رحمه الله في الروض ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ابتني بام سلمة رضي الله عنها دخل عليها بيتها في ظلمة فوطي على زينب فبكت فلما كان من الليلة الاخرى دخل في ظلمة ايضا فقال انظروا زينبكم ان لا اطا عليها وفي هذا الحديث توهين لحديث انه كان يرى بالليل كما يرى بالنهار انتهى ولا يخفى انه لا معارضة بين الحديثين تقتضي ما ذكره لان زينب رضي الله عنها كانت بنتا صغيرة نايمة مغطاة بازار ونحوه في جانب من البيت ومثلها قد لا يرى بالنهار ايضا وهذا اعلى ما فيه اقرب مما قيل ان عدم رويته صلى الله عليه وسلم لها كان لتغير حصل في بصره الشريف لان الاعراض البشرية كانت تعتريه صلى الله عليه وسلم كما في قصة السحر فكان اذ ذاك كذلك فان مثله لا يقال من غير سند وراويه تجار فتوالا حاروفي نسخة والاحاديث كثيرة صحيحة في رويته صلى الله عليه وسلم للملايكة والشياطين هذا مما لا يستند فيه وانما ذكره المص رحمه الله دليلا على قوة بصره صلى الله عليه وسلم وانه يرى ما لا يراه غيره اما رويته صلى الله عليه وسلم الملايكة فورد في احاديث كثيرة منها ما في البخاري من انه قال لعايشة رضي الله عنها هذا جبريل يقرا عليك السلام فقالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته انك ترى ما لا نرى والاحاديث في رويته الملايكة غير جبريل حيث لا يراها غيره كثيرة كما في حديث العقبة ورويته ملك الجبال المشهور وفي هذا دليل على قوة بصره صلى الله عليه وسلم حيث يرى ما لا يراه غيره وليس هذا مخصوصا بتشكل الملايكة فانها جواهر مجردة قابلة للتشكل عندنا وعند الحكما لقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا وليس ذلك لها بنقص فيها او زيادة بل للطافتها تنتشر تارة وتنضام اخرى كما نراه في لهب النار عند تلاعب الريح بها وكذلك الجن فانها مخلوقة من النار الا ان الملايكة من نورها الصافي والجن من النار المختلطة بالدخان ولذا ذهب بعض الحكما الى انهما جنس واحد وان الاستثنا متصل

ابن اقرس

وفي بعض الشروح فان قلت فما معنى تشكل الملايكة والجن في صور مختلفة ولا قدرة لمخلوق
علي تغيير خلقته قلت قال القاضي ابو يعلي لا قدرة للجن علي تغيير خلقتهم ولا علي نقل
صورتهم الي صورة اخري لان ذلك انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزا وان
انتقضت البنية بطلت الحياة واستحال وقوع النقل من الجملة فكيف ينقل نفسها
وانما ذلك باعتبار جواز ان يعلمهم الله كلمات وضروبا من الافعال اذا فعله احدهم
او تكلم به نقله من صورة الي صورة فيقال انه قادر علي التصوير والتخييل وحمل
عليه تصور جبريل عليه السلام في صورة دحية رضي الله عنه وتصوره لمريم
بشرا سويا ويجوز ان يكون الله تعالي قد جعل لهم قوة التشكل عند ارادتهم
ذلك لانهم ارواح انتهي وفيه كلام اخر ليس هذا محله واما روية الجن فقد ثبت في
احاديث كثيرة منها ما رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال كنا معه صلي
الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا
اغتيل فبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا اذا هو جا من قبل حري فسالناه فقال اتاني
داعي الجن فذهبت معه فقرات عليهم القران وسالوه الزاد فقال لكم كل عظم لم
يذكر اسم الله عليه فهو طعام لكم وكل بعر علف لدوابكم وورد احاديث اخر في
رويته صلي الله عليه وسلم لهم واتيانهم به مفصلة في كتاب لقط المرجان في احكام

القاضي بدر الدين

الجان قال بعض فضلا عصرنا ظاهر كلام المص رحمه الله ان روية الملايكة والشياطين
من خصايص النبي صلي الله عليه وسلم ولا يراهم غير الانبيا وفي حاشية الحلبي
في سفره صلي الله عليه وسلم الي الشام في قول الراهب رايت ملكين يظلانه من
الشمس فيه ما يدل علي جواز روية الملايكة كالجن وقد صرحوا به وقوله تعالي
انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم محمول علي الغالب اي وفيه بحث بالحق
اجر المثاب ولو كانت رويتهم محالة لما قال صلي الله عليه وسلم لقد هممت
ان اربطه بسارية من سواري المسجد حتي تنظروا اليه كلكم وقال المص قيل روية
الجن علي صورهم الاصلية ممتنعة الا للانبيا عليهم الصلاة والسلام ومن خرقت
له العادة وانما يراهم بنو ادم في غير صورهم الاصلية ورده النووي بانه دعوي
مجردة لا مستند لها ورفع النجاشي له صلي الله عليه وسلم حتي صلي عليه يعني
ان الله رفع ميتة النجاشي وجنازته وهو ببلاد الحبش فراه النبي صلي الله عليه
وسلم من المدينة وصلي علي جنازته وهذا دليل علي قوة بصره الشريف بحيث يراه
مع بعد ما بينهما من المسافة البعيدة والبحر ورفع مبني للمجهول وتقديره

ابن اقرس

رفعه الله وصلي فاعله ضمير النبي صلي الله عليه وسلم قيل ويجوز ان يكون
رفع مصدرا مضافا المفعوله مبتدا خبره مقدر اي ثابتة او معجز ويجوز ان
يجر رفع عطفا علي قوله في روية الملايكة اي والاخبار كثيرة في ذلك وفي
رفع النجاشي يعني انه نقل بطرق كثيرة ولا ما نع من ذلك والاول اولي واظهر
والنجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة بفتح الهمزة وسكون الصاد وفتح الحا
المهملتين والميم والها ابن ابحر بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها جيم
مفتوحة ورا مهملة وقال مغلطاي ابن بحري وقيل اسمه صحمة بمهملتين

مفتوحة

مفتوحة فساكنة وقيل صحمة بتقديم الميم وقيل بالخا المعجمة كما نقله البرهان الحلبي عن
بعض مشايخه وقيل سليم بضم السين وقيل حازم وقيل مكحول بن صصة بمهملات
اولاها مكسورة والادغام والنجاشي بفتح النون المشددة والجيم وتخفيفها وصوب الجب
الطبري التخفيف كما قيل في جني ابن جني لانه معرب كني والنجاشي غلب على المذكور
بالنجم للثريا وهو في الاصل لكل من ملك الحبشة كقيصر لكل من ملك الروم وكسرى لمن
ملك الفرس وخاقان لملك الترك وفرعون للقبط والعزيز لملك مصر وتبع لحمير ودهمي
ونفغور لملك الهند وغانة للزنج وبطليموس لليونان وقطيون بكسر القاف وسكون
الطا المهملة ومثناه تحتية مضمومة يليها واو ونون او ملح بفتح اللام والخاء
المعجمة اوشالح لليهود وللصابئة نمرود وتبع لملك اليمن وجالوت من ملك البربر
والاخشيد من ملك فرغانة ونعمان من ملك العرب من قبل العجم وجرجير من ملك
افريقية وشهربان من ملك خلاط وفور من ملك السند والاصفر من ملك علوى ه
ورتبيل من ملك الخزر وكابل من ملك النوبة كذا في المقتفي وغيره وفي سيرة
مغلطاي انه من ملك اليمن يسمي تبعا فان ترشح للملك سمي قيلا بفتح القاف وسكون
المثناة التحتية وهو كالوزير واصله قيلا بالتشديد كما حققه اهل اللغة وفرعون
من ملك مصر والشام فان اضيف اليهما الاسكندرية فهو العزيز او المقوقس ومعنى
اصحمة عطية او عطية الله واصحمة هذا هو النجاشي كما علم وهو ملك جليل المقدار
امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان بينه وبينه مهاداة ومكاتبة الا انه لم يلقه
ولم يجتمع به ولذا لم يعد في الصحابة لان شرطها الملاقاة الاعلى قول ضعيف ذكره
في التقريب انه يكفي فيها المعاصرة مع المعاهدة والايمان لاسيما من كان له عذر
في التخلف كهذا وله اخبار حسنة منها انه لما بلغه وقعة بدر بعث لمن قبله من
المسلمين فلما دخلوا عليه وجدوه لبس مسحا وقعد على التراب فقالوا له ما هذا
ايها الملك فقال انا نجد في الانجيل ان الله سبحانه اذا انعم على عبد بنعمة وجب
عليه ان يحدث له تواضعا وان الله احدث لنا ولكم نعمة عظيمة وهي ما بلغني ان
النبي صلى الله عليه وسلم التقى هو واعداؤه بواد يقال له بدر كنت فيه ارعى
غنما لسيدي فهزم الله اعداءه ونصر دينه وعن عايشة رضي الله عنها انه بعد
موته كان يرى على قبره نور وقوله كنت ارعى الخ يدل على انه دخل بلاد العرب
واما ما ذكره النجاشي من انه من بيت الملك وان الحبشة قتلت اباه وملكوا عمه وكان
له ميل اليه فخافوا ان يملكه بعده فيقتلهم بابيه فقالوا له لابد من قتله او
اخراجه من ارضنا فباعوه ثم ان الله جعله ملكا عليهم بعد ذلك ولاد لا له له على
ما ذكر كما توهمه لان بقية القصة مذكورة في الروض الانف وفيها ما يدل على
خلاف ما ذكره ثم ان ما ذكره المص من رفع النجاشي للنبي صلى الله عليه وسلم حتى
راى جنازته قال السيوطي في كتابه مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا
انه لم يجده في كتب الحديث وانما الوارد فيها انه رفع اليه معاوية المزني
حتى صلى عليه والنبي صلى الله عليه وسلم بتبوك كما اخرجه ابو يعلى
والبيهقي عن انس رضي الله عنه انتهى وياتي بطوله اقول الذي ذكره المخرج

انما هو رفع جنازته اليه فانه روي في خصائصه الكبرى من طرق متعددة انه صلى الله
عليه وسلم نعت لاصحابه النجاشي لما مات وخرج وصلى عليه مع اصحابه وكبر اربع تكبيرات
والصلاة عليه ثابتة في الصحيحين وانما ذكرالهم رحمهم الله قصة الرفع مدرجة
في الحديث بناء على الاختلاف في مشروعية الصلاة على الغايب وصحتها مطلقا كما ياتي
وكانت وفاته في السنة التاسعة من الهجرة في رجب وعن ابي اسحاق ان بيزرا بالنون
بنون ومثناة تحتية وزاي معجمة وراء مهملة النجاشي كان مولى لعلي بن ابي طالب
بعد موت ابيه وطلبته الحبشة ليتوجوه فابى وقال لا اريد الملك بعد ان من الله علي
بالاسلام وكان طويل القامة صبيح الوجه ورويت النور على قبر النجاشي غير مستغرب
فانه يرى على بعض قبور الشهدا ويصدقه قوله تعالى والشهدا عند ربهم لهم اجرهم
وقد علمت ان قصة النجاشي في الصحيحين هي من اعلام النبوة لاخباره صلى الله عليه وسلم
بموته في اليوم الذي مات فيه مع بعد المسافة ولما صلى عليه قال بعض المنافقين
صلى على علج من علوج الحبشة فنزل قوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله
وما انزل اليكم الاية واستدل به من قال بالصلاة على الغايب وبه قال احمد وان في
وبعض السلف لان الصلاة على الميت دعا له فكيف لا يدعى له وهو غايب او في قبره كما
يدعى له وهو حاضر وذهب الحنفية والمالكية الى انه لا يشرع ذلك وعن بعضهم يجوز
لمن كان في جهة القبلة بخلاف مستدبرها واجاب من قال بعدم الصلاة على الغايب
عن هذه القصة بامور منها انه كان بارض لا يصلى بها فتعينت لذلك ولذا قال الخطابي
لا يصلى على الغايب الا اذا مات بارض لا يعرف بها الصلاة على الميت كبلاد اهل الشرك
وكذا قال ابو داود فاذا مات بها وجب على المسلمين ان يقوموا بحقه في الصلاة
فلو علم انه صلي عليه لا يصلى عليه من كان غايبا فان لم يصل عليه لعذر او عايق سن الصلاة
عليه ولا يترك لبعد المسافة ومنها ان هذا مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم لما
روي انه زويت له الارض حتى ابصر النجاشي وقد رد هذا بانه اذا فعل شيا من افعال
الدين كان علينا اتباعه فيه والتخصيص لا بد له من دليل ونقل ثابت لا بمجرد الاحتمال
ولو فتح هذا الباب لم يبق شي يوثق به ولو كان كذلك توفرت الدواعي بنقله ونوبد
كلا التاهل المازري قول ابن حجر ان نبينا صلى الله عليه وسلم اهل لذلك الرفع والانحطا
فانه قادر على ما هو اعظم من ذلك لكنا لا نخترع حديثا ونقوله من عند انفسنا
ومثل هذه الامور الضعاف تلاف بلا تلاف وقال الكرماني رحمه الله رفع الحجاب
ممنوع ولين سلمناه فهو غايب في حق الصحابة الذين صلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
وقد وقع في حديث مجمع بن جارية ما يويده فان فيه فصفونا خلفه صفين وما نرى
شيا كما في سنن ابن ماجه والطبراني واجاب الحنفية بانه يصير كالميت الذي يصلي عليه الامام — عرض
الامام وهو يراه والماموم لا يراه فانه جايز اتفاقا فاذا ورد عليه انه ليس
النزاع في الروية وعدمها فانه لا يشترط في صحة الصلاة روية الميت ولا سريره
وانما النزاع في كون الميت في بلد والمصلي في اخرى وعلى تقدير انه راه لا يقع
النزاع فان قلتم ان سريره رفع ووضع عنده صلى الله عليه وسلم لم يكن غايبا
والحاصل ان هنا ثلاثة امور احدها ان النبي صلى الله عليه وسلم علم بموته

وهو

وهو بالحبشة وصلى عليه بالمدينة هو والصحابة وعلى هذا هو دليل للشافعية الثاني
ان يكون رفع له سريره او من وحده وهو في مكانه وازيل الحجاب فهذا ايضا صلاة على
الغايب مع انا نطالب مدعيه بنقل صحيح الثالث ان يحمل حيثية لحضرة النبي صلى الله عليه
وسلم فيصلي عليه وهو صلاة على حاضر ولم ينقل احد انه ورد ولا ثبت فقول الحنفية
انه دليل فاسد لا وجه له وكان الاولى للمصنف الاستدلال على قوله بنص صلى الله عليه
وسلم بحديث معاوية المزني الذي رواه ابن عبد البر في الاستيعاب عن انس بن مالك
رضي الله عنه ان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد مات معاوية المزني افتحب ان تصلي عليه قال نعم فضرب بجناحه
الارض فلم يبق شجرة ولا اكمة الا انضعضعت ورفع له سريره حتى نظر اليه فصلى
عليه وخلفه صفان من الملايكة في كل صف سبعون الف ملك فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لجبريل بم نال هذه المنزلة من الله عز وجل قال بحبه قل هو الله احد
وقراته اياها جاييا وذاهبا وقايما وقاعدا وهذا حديث صحيح كما في شرح البخاري
لابن حجر **اقول** بعض صحة هذا وبيان كيفية الصلاة فيه على الغايب والاحاديث
يفسر بعضها بعضا علم ان قصة النجاشي ورفع السرير وازالة الحجاب امر خارق
للعادة لا يتيسر لغير النبي صلى الله عليه وسلم فتبين صحة جواب الحنفية وقوته
ويسقط الاعتراض عن المصنف ايضا وقد اختلف في النجاشي كما في بعض الشروح
اهو علم شخص ام علم جنس لكل من ملك الحبشة كفرعون هل هو اسم لكل من فرعن
او هو علم شخص وقد يجمع بانه علم شخص نقل للعلمية ولا وجه لانكار النقل فيه
كما قيل تنبيه في حديث النجاشي امران احدهما انه وقع فيه نعي موت النجاشي
وقد ورد في الحديث انه نهي عن النعي ولذا اختلف الفقهاء فيه فقيل مكروه وقيل
انه مستحسن ولا اختلاف بينهما فان معنى النعي الاخبار بالموت فاذا فعل من غير صراخ
والمراثي لا ينبغي خصوصية ولو بالندا في الاسواق لما فيه من الدعا للخير بتكثير
الجماعة والاتعاظ فان كان بخلافه على عادة الجاهلية فمكروه الثاني ان الشافعية
لقد ماذكروا دليل الحكم في التاويل قالوا لا دليل فيه فقيل انه فاسد لان
الدليل ملزوم لا يلزم من نفيه نفي اللازم ودعوى الفساد غير ظاهر فان مرادهم
ان الصلاة على الغايب ثابتة بالاحاديث الصحيحة فتاويلها من غير مستند لا يكون
دليلا اذ لا بد لكل مدع من النقل فالجواب الصحيح ما قلناه اذ المنع المجرد لا يسمع
لمقابلة النص وقوله ورفع بيت المقدس حين وصفه لقريش بالرفع معطوف
على النجاشي ويجوز جره ومقدس كمرجع اسم مكان او مصدر ميمي من القدس
وهو الطهر اي المكان الذي يطهر الله فيه العباد من الذنوب او يطهر من الاصنام
وجا فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة اسم مفعول من التقديس
وهو التطهير وجا بكسر الدال اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه من الاثام
ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاشهر فيه الاضافة وقدس بضمتين
وضم فسكون الطهر واسم جبل معروف قال التبريزي يقال انه غير معروف
ولا ينصرف واستشهد للاول بقول كثير كالمصرحي غدا فاصبح واقعا

ابن اقبرس

في قدس بين مجانوا الاوعال • انتهى فانظر دخول الالف واللام عليهما ورفع بيت المقدس اشارة
اليها ووقع في حديث الاسرا الذي رواه الشيخان وغيرهما عن جابر رضي الله عنه بسند صحيح
متصل وهو انه صلى الله عليه وسلم لما اسري به واصبح بمكة اتاه عدو الله ابو جهل
فقال له هل كان من شي قال نعم اني اسري بي الليلة الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين
اظهرنا قال نعم قال وان دعوت قومك اتحدثهم بهذا قال نعم قال يا معشر قريش
يا معشر بني كعب بن لوي فانفضت اليه المجالس حتى جاوا فقال حدث قومك بما حدثتني
فحدثهم فصاروا بين مصفق وواضع يده على راسه متعجبا فقالوا هل تستطيع
ان تنعت لنا مسجد المقدس وكم فيه من باب فكربت كربا لم اكرب مثله فقط فجلى الله لي
بيت المقدس وكشف الحجب بيني وبينه حتى رايته فنعته لهم وانا انظر اليه وجاوا
ابا بكر وقصوا عليه القصة وقالوا هل تصدقه فقال نعم اني اصدقه باخبار
السما فسمي لذلك صديقا ولا استحالة فيه فقد احضر عرش بلقيس في طرفة عين
وهذا موئيد لما ذكره المص رحمه الله من فوق بصره حتى راه مرفوعا ولم يغب عنه
شي فما قيل من ان الاليق درج هذا فيماله عليه الصلاة والسلام من الكرامات
والمعجزات لانه امر زايد على تكميل الذات لا وجه له والكعبة حين بني مسجده
اي رفعت له صلى الله عليه وسلم الكعبة وهو بالمدينة حين بني مسجده بها على
الوجهين السابقين في الاعراب قال السيوطي رحمه الله في مناهل الصفا رفع
الكعبة له حين بني مسجده رواه الزبير بن بكار في اخبار المدينة عن ابن شهاب
ونافع بن جبير وابن مطعم مرسلا ثم ما ذكره المص رحمه الله مشكل لانه صلى الله عليه
وسلم لما اتى المدينة نزل بقبا اياما ثم اسس مسجدها وهو اول مسجد اسس على
التقوى ثم خرج منها راكبا ناقته ثم اتى دور بني النجار فبركت ناقته في موضع
مسجده فبناه على ما فصل في السير والاحاديث الصحيحة وكانت القبلة بيت
المقدس اذ ذاك خمسة عشر شهرا او نحوها فكيف يصح ان يقال ان الكعبة رفعت له
صلى الله عليه وسلم حين بنائه كما وقع في حديث الشفا بنت عبد الرحمن الانصارية
انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بني مسجده يوممه جبريل الى
الكعبة ويقيم له القبلة وهذا كله في غاية الاشكال مع وروده في الحديث وكذا
في الحديث المرسل الذي نقله السيوطي في تخريجه ولذا قال التجاني رحمه الله في
شرحه انه غريب والمعروف ان جبريل عليه الصلاة والسلام اعلمه بحقيقة
القبلة واراه سمتها لا انه رفع له الكعبة حتى راها وهذا اجابت الاتاد من غير
تقييد وفي القنبية من سماعا ابن مالك انه قال سمعت ان جبريل عليه الصلاة
والسلام هو الذي اقام لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مسجده مسجد
المدينة قال ابن رشد في البيان والتحصيل يعني اراه السمت اليها وبين له
جهتها والصواب ان ذلك كان حين تحولت القبلة لا حين بنا مسجده وكون
جبريل عليه الصلاة والسلام اراه سمتها لا يقتضي رفعها ومثله لا يقدح
عليه من غير رواية والحاصل ان ما في حديث الشفا من ان جبريل عليه الصلاة
والسلام حين بني مسجده كان يوممه الى الكعبة في غاية الاشكال لان القبلة لم

ابن اقبرس

لم

يكن اذ ذاك الكعبة بل بيت المقدس اللهم الا ان يقال ان توجهه اليها لم ينسخ وكان
مراعي التوجه لها اولى للمعجزة وقد وقع في كتاب الناسخ والمنسوخ عنه واما ما قاله
ابن الحنبلي في شرحه من ان معنى قول الشفا يؤمه اي يصير له اماما اي متنقلا في
التوجه الى الكعبة لاجل اقامة القبلة وبيان جهتها كما يكون الرجل امامك اذا
استهل الهلال ليريكه وانت متبع له في التوجه ليريك سمته ثم تكلفه لا يجدي
شيئا ولما استشعر هذا حاول توجيهه بما ذكره تاج القراء في سبب نزول قوله
تعالى سيقول السفهاء الاية انه صلى الله عليه وسلم كان يحب التوجه للكعبة
قبل تحويل القبلة فلما قوي رجاؤه وتمكن ان يكون سأل جبريل عليه الصلاة والسلام
ان يبين له جهتها عسى ان يكون قبلة ففعل او سأل الله ذلك والامام المتبع في الاقوال
والافعال مطلقا كما في عمدة الحفاظ وبه فسر قوله تعالى اني جاعلك للناس اماما
ولم يرد هذا الاحتمال لا يندفع الاشكال وفي الشرح الجديد هنا كلام طويل بغير طائل
رأينا تركه اكثر فائدة من ذكره ثم اني رأيت في تذكرة الحافظ العلامة العلائي بخطه ان
الراجح عند العلماء ان الكعبة كانت قبلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام اما انها كانت
قبلة ابراهيم صلى الله عليه وسلم فمما لا اشك فيه وفي الاحاديث انه عليه الصلاة
والسلام كان يحب ان يتوجه الى قبلة ابيه ابراهيم الكعبة وفي الاثار ما يقتضي ان توجه
اليهود الى بيت المقدس كان عن اجتهاد منهم او عناد وفي كتاب الناسخ والمنسوخ لابي داود
مسندا الى الحسن في قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس الاية قال اعلم قبلته فلم يبعث
نبيا الا وقبلته البيت ووقع في قصة ذكرها مع سليمان بن عبد الملك ان خالدا قال قرأت
التوراة فلم اجد قبلة بيت المقدس فيه ولكن تابوت السكينة كان على الصخرة فلما غضب
الله على بني اسرائيل رفعه فكانت صلاتهم الى الصخرة عن مشاورة منهم وقال ابو داود
خاصم يهودي ابا العالية في القبلة فقال ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يصلي
عند الصخرة مستقبل البيت الحرام فقال له بيني وبينك مسجد النبي صالح عليه الصلاة
والسلام فقال اني صليت فيه وقبلته الكعبة فهذه الاثار تدل على ان الكعبة كانت
قبلة الانبياء كلهم الا انه يبقى باختصاص داود وكذا قبلة عيسى عليه الصلاة والسلام وانما
غيرها للمشرق يونس عليه الصلاة والسلام كما صححوه اذا عرفت هذا علمت ان
النبي صلى الله عليه وسلم كانت قبلته قبل الهجرة الكعبة ولكن كان يجعلها بينه وبين
بيت المقدس لانه صلى الله عليه وسلم كان يوافق اهل الكتاب فيما لم يوح اليه فيه
فلما هاجر الى المدينة استمر على ذلك وهو يعلم ان القبلة الحقيقية الاصلية انما
هي الكعبة وهي قبلة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد امره الله بالاقتدا
به ولم ينص على القبلة فعنده صلى الله عليه وسلم علم بانه سيصرفه الله اليها
ولكنه منتظر لامر الله مراعيا للادب فلا مانع من ان يسأل صلى الله عليه وسلم
جبريل عليه الصلاة والسلام ان يريه سمتها حتى اذا وقع ذلك لم يتردد في توجهه
فيه وهذا هو الحق الحقيق بالقبول فاعرفه ثم ذكر المصنف رحمه الله ما يدل على
قوة حواسه صلى الله عليه وسلم فقال وقد حكي عنه صلى الله عليه وسلم
انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما قال السيوطي رحمه الله في مناهل الصفا

عرضي

جه

هذا القمر يوجد في شي من كتب الحديث والثريا مصغر ثروى من الثروة وهي الكثرة وهي منزل من
منازل القمر فيه نجوم مجتمعة جعلت علامة فقول بعض الشراح انها كوكب وهم منه قال في
مناهج الفكر هي ستة انجم صغار طمس وبظنها من لا معرفة له سبعة وهي مجتمعة بينها
نجوم صغار كالترشانى وحكي ان الثريا اثنى عشر نجما لم يحقق الناس منها غير ستة او سبعة
ولم يرجميعها غير النبي صلى الله عليه وسلم لقوة جعلها الله في بصره والنجم علم لها
بالغلبة كالكوكب للزهرة وذكر السهيلي انه صلى الله عليه وسلم كان يرى فيها اثنى عشر
نجما وقال القرطبي في كتاب اسما النبي صلى الله عليه وسلم انها لا تزيد على تسعة فيما
يذكرون ونظمه في ارجوزته فقال

وهو الذي يرى النجوم الخافيه . مبينات في السما العاليه
احدعشر بعد في الثريا . لناظر سواه ما تهيا

وفي كتاب التفهيم لابي الريحان البيروني بكسر الموحدة والنون الخامسة كواكب
كعنقود عنب وبظن العوام والشعرا انها سبعة وهو في ظن غير مصيب قيل وهو
غير مصيب لنفسه عما راه صلى الله عليه وسلم وقد علمت انه لم يثبت ما نسب
للنبي صلى الله عليه وسلم هنا وقال الامام الخيضري في خصايصه ما ذكره القرطبي
والسهيلي لم اقف له على سند واصل يرجع اليه وقال التلمساني انه جا في حديث
ثابت من طريق العباس رضي الله عنه ذكره ابن ابي خيثمة وهذه الامور المذكورة كلها
من رؤية النجاشي والكعبة والثريا وغيره مما ذكر محمولة على رؤية العين اي
مفسرة بما ذكر وهو المراد منها والحمد يستعار لذلك في كلامهم استعارة مشهورة من جمل
الاحتمال تجعل اللفظ يحمل على ظاهر المعنى وقريب منه الاحتمال وهو قول احمد بن حنبل
وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم اي الى تاويل الرؤية بالعلم وصرفها عن
ظاهرها فتعبيره بالرد توطية لقوله والظواهر تخالفه اي ظاهر العبارة تخالفه ولا
يقتضي لصرفها عن الظاهر ولا احالة في ذلك اي لبس في حملها على الرؤية البصرية
امر محال تقتضي العدول لاجله وهو من خواص الانبيا عليهم الصلاة والسلام فلا
وخصايصهم اي قوة البصر والحواس من صفات الانبيا عليهم الصلاة والسلام فلا
وجه لاستبعادها وتاويل ما يدل عليها ثم ايد ذلك بالنقل فقال كما اخبرنا قيل
الظاهر من الكاف في قوله كما انها التعليلية مثلها في قوله كما ارسلنا فيكم رسولا
منكم والمعنى انما قلنا هذا من خواص الانبيا لاجل ما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن
احمد العدل من كتابه قال التلمساني هو التميمي مات بسبتة سنة احدى وخمسمائة
وهو من شيوخ المصنف وقوله من كتابه اشارة الى انه قراه وهو يسمعه من كتابه
لا من حفظه وقد اختلف فيمن لا يحفظ ويحدث من كتابه فالصحيح انه تجوز روايته
ويحتج بها واليه ذهب ابن الصلاح وقيل لا يحتج الا بما يرويه من حفظه واختلف
ايضا فيما اذا لم يتذكر ما في كتابه وتفصيله في ابن الصلاح وحواشيه قال حدثنا
ابو الحسن المقري الفرغاني بالفا والغين المعجمة بينهما را مهملة نسبة الى فرغانه
بلدة مشهورة بالمشرق ويحتمل نسبته لفرغان بلدة بفارس وباليمن وهو علي بن عبد
الله المقري نزيل مكة قال حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها هي بنت ابي بكر

ابن الحنبلي

بلغ

ابن الحنبلي

محمد

محمد بن يعقوب البخاري الزاهد الصوفي المعروف بالخفاف صاحب كتاب الاخبار لفوايد الاخبار
قال حدثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني هو الشريف ابو الحسن علي بن محمد بن علي بن
موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم توفي في خلافة
المعتز بالله لاربع بقين من جمادي الاخرة سنة اربع وخمسين ومايه وهو ابن اربعين سنة
وقيل بعون ذلك قال حدثنا محمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا محمد بن احمد بن سليمان قال
حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق قال حدثنا همام هو همام بن الحارث النخعي الكوفي سمع
حذيفة وعمارا وروى عنه ابراهيم النخعي وتوفي في ايام الحجاج بن يوسف ولفظ
همام وقع في كثير من النسخ والصواب هاني كما اصلح وهو هاني بن يحيى السلمي وشيخه
الذي اشار اليه بقوله حدثنا الحسن هو الحسن بن ابي جعفر الجفري بضم الجيم والفا
نسبة للجفر وهو مكان بالبصرة احد الضعفا وقد رواه ابو القاسم الطبراني عن احمد
ابن الحسين بن بهرام الايذجي حدثنا محمد بن مرزوق البصري حدثنا هاني فذكره
وقال في اخره لم يروه عن قتادة الا الحسن بن ابي جعفر تفرد به هاني بن يحيى وقوله
عن قتادة هو ابن دعامة التابعي الجليل وقد تقدمت ترجمته عن يحيى بن وثاب
بفتح الواو وتشديد المثلثة والف وموحدة وهو يحيى بن وثاب الاسدي مولا
روى عن ابن عباس وعمر وعلقمة رضي الله عنهم وروى عنه الاعمش وعيسى وهو
ثقة محدث مقرئ توفي سنة ثلاث وخمسين ومايه واخرج له اصحاب السنن الا ان
روايته عن ابي هريرة رضي الله عنه لم تثبت في الكتب الستة عن ابي هريرة تقدم الكلام
في اسمه وترجمته عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه الصلاة
والسلام كان يبصر النملة على الصفا الصفوان والصفا الحجر الصلد الاملس في الليلة
الظلما مسيرة عشر فراسخ جمع فرسخ وهو ثلاثة اميال والميل اربعة الاف ذراع
طولها اربعة وعشرون اصبعا وعرض كل اصبع ست حبات شعير ملصقة ظهر البطن
وقيل ثلاثة اميال والميل اربعة الاف خطوة كل خطوة ثلاثة اقدام بوضع قدم اما
قدم ويلصق به وبشين عشر ساكنة ومفتوحة ولفظ الفرسخ معرب وقيل عربي
معناه السكون لانه تقطعه بسكن وقيل معناه الراحة والوحة وقيل معناه
ساعة من ساعات النهار والتجلي كما قاله الراغب في مفرداته الكشف والظهور
وقد يكون بفعله بالذات نحو والنهار اذا تجلى وقد يكون بالامر والفعل نحو
فلما تجلى ربه للجبل انتهى واذا كان التجلي بغير الذات يشمل الخطاب والكلام
فيحمل تجلى الله لموسى عليه الصلاة والسلام على خطابه وتكليمه وتجليه للجبل امر
اخر فلا يرد على المص انه مخالف للقران فان التجلي فيه للجبل لا لموسى عليه الصلاة
والسلام مع انه غير مسلم فان القرطبي رحمه الله نقل في تفسيره قولا بان
موسى صلى الله عليه وسلم راى ربه ولذا خر صعقا واما تجليه للجبل وان كان
اما بمعنى امره وفعله به ما اراد او نقول بان الله خلق فيه ادراكا علم به تجلي
الله فتفتت والهد من هيبته ولعل المص رحمه الله ارتضى هذا وعليهما فاللام
صلة التجلي لانه يتعدى بها وقال التحاني في الجواب بان اللام تعليلية بتقدير
مضاف اي فلما تجلى لاجل سؤال موسى رؤيته وان هذا لا بد منه في الحديث

للتوفيق بينه وبين الاية وقال بعضهم المراد بجلي امره او نوره والمقصد بهذا من المعتزلة
لانكارهم الرؤية ومن اهل السنة لاستبعاد ان يكون للجبل ادراك او روح تدرك وليس
مثله بمستبعد من القدرة **اقول** قد ارتضي هذا بعضهم وهو غير مناف لهنا الوجهين
الاول ان ما ذكره خلاف الظاهر لا يجوز الحمل عليه من غير قرينة الثاني انه لا يناسب سياق
الحديث ولا كلام المص لان تجلي الله للجبل حتي صار دكا وخوف موسي عليه الصلاة والسلام
حتي خر صعقا لا يقتضي التاثير في حواسه حتي يري النملة المذكورة بل يقتضي خلافه
ولا يصح تفسير كلام المص به لمنافاته لغرضه **فالحق ما قلناه** وتحقيقه ان
الله لما قربه حتي سمع كلامه النفسي بنا علي ما قاله الاشعري من انه يجوز سماعه او
كلاما بغير واسطة يدل عليه انه لم ينقل بقدم الالفاظ كما ذهب اليه كثير من السلف
حصل له قوة روحانية واتصل به نور الهي اثر في الروح الحيوانية وزاد في نورها
الذي بانتشاره في البدن يحصل الادراك علي ما حققه الحكما في الحواس فادرك بذلك
ادراكا خارقا للعادة فاذا كانت زرقا اليمامة التي ضرب بها المثل فقيل ابصر من زرقا
اليمامة تري من اميال وهي امراة من الجاهلية فما بالك بهؤلا وفي تخصيص النملة
والظلمة والصخرة الملسا مبالغة لا تخفي وقيل معني الحديث ان الله تعالي لما خص
موسي عليه الصلاة والسلام بمناجاته ظهرت له انوار ربانية ساطعة اضات بها
الارض اضاة عجيبة حتي صار يري الصغير من بعيد كما يري الكبير من قريب والمهم
المقدم فانه فهمت منه نور علي نور وهذا الحديث رواه الطبراني في مسنده الصغير
وصححوه **ولما كانت** هذه القوة حصلت للكليم بالتجلي فحصولها للنبي
صلي الله عليه وسلم بعد الاسرا مع ما راه اظهر فلذا قال ولا يبعد علي هذا ان يختص
نبينا صلي الله عليه وسلم بما ذكرناه من رؤيته للملايكة والجن ورؤيته بالليل
كما يري بالنهار من هذا الباب اي من نوع هذه الرؤية فان الباب والنابة وردت لهذا
المعني بعد الاسرا قبله به لانه وقع بالمدينة والاسرا كان بمكة ولانه يكون بعد
تجلي الله لرؤيته علي ما عليه الاكثر فزيد قوته الروحانية والجسمانية كما سمعته
انفا والحظوة بما راي من ايات ربه الكبري الحظوة زيادة القرب مع المحبة وزيادة
وهي بضم الحا وكسرها وا ما ايات ربه الكبري فسياتي الكلام عليها في الاسرا وقد جا
الاخبار وفي نسخة وقد جا في الاخبار بانه صلي الله عليه وسلم صرع ركانه اشد
**وهذا** اهل وقته اشد اعظم قوة بدنية من جميع من كان بالقوة الجسمانية
اثبات لتفوقه صلي الله عليه وسلم علي غيره في قوته البدنية بعد ما اثبت قوة
ادراكه صلي الله عليه وسلم وركانة بضم الرا المهملة وكاف مفتوحة يليها
الف ونون وها قال الحافظ برهان الدين الحلبي في المقتفي هو ركانة بن عبد يزيد
ابن هاشم القرشي المطلبي الحجازي المكي ثم المدني اسلم يوم الفتح وهو الذي صارعه
النبي صلي الله عليه وسلم فصرعه **قال الحافظ** عبد الغني المقدسي وهذا
امثل ما روي في مصارعته صلي الله عليه وسلم لغيره ورواه ابو داود والترمذي
مرسلا قال الترمذي وليس اسناده بالقايم واخرجه ابو داود عن قتيبة
عن محمد بن ربيعة عن ابي الحسن العسقلاني عن ابي جعفر محمد بن ركانة عن

ابيه

ابن المنير

مرض

ابيه انه صارعه فذكره واخرجه الترمذي بهذا السند وزاد المزي بالفاظه هكذا رواه ابو الحسن
ابن العبد وغير واحد عن ابي داود مثل رواية الترمذي ورواه البيهقي في المراسيل عن سعيد
ابن جبير رضي الله عنه قال البيهقي وهو مرسل جيد وروي باسناد اخر متصل الا انه ضعيف
واشار الي ما تقدم **وقد رأيت** بخط ما نقله في مراسيل ابي داود في اطراف المزي كما قاله
المزي فيه انه عليه الصلاة والسلام كان بالبطحا فاتاه يزيد بن ركانة او ركانة بن يزيد فذكره
بالشك والله اعلم وتوفي ركانة بالمدينة سنة اثنين واربعين وقيل في خلافة عثمان رضي
الله عنه وقال النووي في تهذيبه وقع في المهذب في باب المسابقة انه عليه الصلاة
والسلام صارع يزيد بن ركانة وهو غلط والصواب ركانة بن يزيد وقال السهيلي في
روضه ان ابا الاسد بن الجمحي واسمه كلدة بن اسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وكان
بلغ من شدته فيما زعموا انه يقف على جلد البقرة فيجاذبه عشرة لينتزعوه من تحت قدميه فيتمزق
الجلد ولا يتزحزح عنه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتني
امنت بك فصرعه عليه الصلاة والسلام مرارا ولم يؤمن انتهى **والحاصل** ان الذي
صارعه صلى الله عليه وسلم ركانة في اصح الروايات وكان دعاه الى الاسلام فلم يسلم اولا
ثم اسلم بعد ذلك كما تقدم قيل كان ينبغي ذكر هذا قبل ذكر ما اشتمل عليه النبي صلى الله
عليه وسلم من قوي الباطن ليترقى منه اليه اذ هذا من قوي الظاهر وهو ادنى من قوي الباطن
ولا مرية انه صلى الله عليه وسلم كان من اشجع الناس واقواهم وصارع صلى الله عليه وسلم
ابا ركانة في الجاهلية اي قبل ظهور الاسلام بمكة قال البرهان الذي صح انه ركانة واما
ابو ركانة فلم يصح والصواب ركانة وكذا ما نقل ان ابا جهل صارعه صلى الله عليه وسلم
لم يصح ايضا وذكر بعضهم عن السهيلي ان ابا الاسد الجمحي صارعه وكان من اشد الناس وقد
مر وغير هذين لم يصح والجاهلية منسوبة الى الامة الجاهلية او الفترة والجاهلية تطلق
على ما قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم وعلى ما قبل الفتح قيل والمراد هنا الثاني وكان
اي ابو ركانة شديدا وعاوده ثلاث مرات اي صارعه مرة بعد مرة كل ذلك يصرعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل منصوب بنزع الخافض اي يصرعه في كل ذلك قاله البرهان وعبر
وما حديث ركانة الذي تقدم فهو ما رواه البيهقي انه قال كنت انا والنبي صلى الله عليه وسلم
في غنيمة لابي طالب نرعاها فقال لي ذات يوم هل لك ان تصارعني فقلت له انت قال
انا فقلت على ماذا قال على شاة من الغنم فصارعته فصرعني واخذ مني شاة ثم قال
هل لك في المعاودة الثانية قلت نعم فصارعته فصرعني واخذ مني شاة فجعلت
التفت هل راني انسان من الرعاة فيجترئ علي وانا في قومي اشدهم فقال هل لك
في الثالثة ولك شاة قلت نعم فصارعته فصرعني واخذ مني شاة فقعدت كئيبا حزينا
فقال ما لك فقلت ارجع لصاحب الغنم وقد اعطيت ثلاثا من غنمه وكنت اظن اني اشد
الناس فقال هل لك في الرابعة فقلت لا بعد ثلاث فقال اما الغنم فاني اردها عليك
فردها فلما ظهر امره اتيته فاسلمت وفي رواية انه راهنه على عشرة وانه قال له
ما هذا الا سحر **فان قلت** ما حكم المصارعة شرعا قلت ذهب البغوي رحمه الله
الى تحريمها لانه لا منفعة لها في الحرب والاصح انها تجوز من غير عوض لانه ربما تدعو اليها
المحاربة وبهذا افتى شيخنا الرملي واما اخذ النبي صلى الله عليه وسلم العوض من

ركانة فانما كان بنية رده وليرغب في المصارعة وليكون ذلك سببا لاسلامه مع ان المروي
ان ركانة هو الذي طلبها انتهى ذكره ما يدل على قوته صلى الله عليه وسلم ايضا فقال وقال
ابو هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته
بكسر الميم وسكون الشين المعجمة والياء المثناة التحتية المفتوحة يليها تا تانيث مضاف
لضمير النبي صلى الله عليه وسلم وهي هيئة المشي وروي مشيه بفتح الميم دون تاء
تانيث قاله التلمساني وقال التجاني كثيرا ما يقع في الشفا وغيره مكسور الميم والصواب
فتحها لان المشية بالكسر هيئة الانسان وبالفتح مصدر فاذا فتحت كان المعنى اسرع
من مشي رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كسرت فالتقدير اسرع من هيئة مشيه
ولا معنى له ورد بان المشي والمشية بمعنى ولم يرد الهيئة والمقصود واحد لان المشية ابن الحنبلي
تكون مصدرا وهما كما يقول جمال زيد اكمل وانت تريد زيد اكمل في جماله فالمعنى
اسرع من مشيه في هيئته المخصوصة ولم يرد تفضيل الهيئة كما في قولك فلان احسن
الناس جلسة اي هيئة احسن من هيئة غيره في الجلوس **اقول** هذا تكلف نشا من
توهمه ان المشية تفضل عليها وليس كذلك فان الفضل مطلق حركته ومشيه وفي معنى
مع اي لا يرى اسرع من حركته مع هيئته المخصوصة في مشيه فليس المقصود تفضيل
الهيئة يعني انه صلى الله عليه وسلم مع تؤدته واعتدال حركاته تراه يسرع كانه
الما الجاري من غير اضطراب ولولا هذا لناقض ما ذكر من اعتدال حركاته في اول الفصل
فلذا قال كانما الارض تطوى له فانه يدل على ان مشيه ليس بالجري والهرولة وورد ابن الحنبلي
ان الارض كانت تطوى له صلى الله عليه وسلم ولا منافاة بينهما اما لحمل هذا على
غالب احواله وذاك على اسفاره ونحوها وقيل انهما بمعنى فان احدهما استعارة
او تشبيه بليغ وهذا التشبيه صريح كما تقول هو الاسد وكانما هو الاسد انا
لنجهد انفسنا وهو غير مكترث يجهد مضارع اما من الجهد بفتح الجيم وهو المشقة
والتعب او بضمها وهو الطاقة والقدرة اي انا نتعب انفسنا في مساواة مشيه
وهو صلى الله عليه وسلم مستريح لا يرى له مشقة او انا نبذل وسعنا وطاقتنا
وهو غير مبال بمشيه ومكترث بالكاف والتا المثناة فوقية وراء مهملة ومثلثة
اسم فاعل من الاكتراث وهو المبالاة والاعتناء بالامر قالوا ولا يستعمل اكترث
الا في النفي وورد في الاثبات نادرا في حديث ذكره صاحب النهاية وقد ورد في
صفة مشيه صلى الله عليه وسلم كما ياتي في الحديث عن علي كرم الله وجهه
وغيره اذا مشى مشيا تكفيا كانما ينحط من صبب واذا وطئ وطئ بقدمه كلها ذريع
المشي اي خطاه متباعدة وكان اصحابه رضي الله عنهم يمشون بين يديه صلى الله
عليه وسلم وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري للملائكة وما ذكره المص رحمه الله
بعض من حديث اوله ما رايت شيا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان الشمس تجري في وجهه وما رايت احدا اسرع الخ رواه صاحب الشمايل
والمص رحمه الله اختصره وغير بعض الفاظه وفي نسخة المصححة مشيته عرضي
موافق لاحدى النسختين هنا وقد علمت ما ورد عليه وجوابه فلا حاجة
لما قيل ان المشية اعم من المشي لدلالة الاول على الحدث والثاني على الحدث مع

الهيئة

الهيئة وكما دل على الحدث مع الهيئة دل على الحدث ولا عكس والحدث المطلق اذا اضيف
الى من صدر عنه استفيد منه خصوص الهيئة لان الهيئة التي يدل عليها فعله المكسورة
الاولى الدالة التي عليها الفاعل عند تلبسه بالفعل وهي لازم لكل مصدر فكل مشي مشية
من غير عكس لانه تكلف وفي وصفه صلى الله عليه وسلم ان ضحكه صلى الله عليه وسلم
كان تبسما الضحك انبساط الوجه وظهور الاسنان فلذا سمي مقدمها الضواحك والتبسم
ابتداؤه والاخذ فيه وقيل هو الضحك من غير قهقهة **وفي الحديث**
كان ضحكه تبسما كذا في عمدة الحفاظ وعلى كل حال فالتبسم بعض من الضحك او نوع منه
وعليه قول النحاة في قوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها ان ضاحكا حال مؤكدة وقول
الزمخشري اي شارعا في الضحك واخذا فيه يعني انه قد جاوز حد التبسم اي الضحك لا مطلق
التزقة ولان المراد بالضحك امر مخصوص فلا اعتراض على النحاة ولا على الزمخشري كما
توهم **وقد ورد** في بعض الاحاديث ان ضحك النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن الا
تبسما وورد في بعضها انه ضحك حتى بدت نواجذه وفي بعضها وصفه صلى الله عليه
وسلم بمطلق الضحك وجمع بينهما بان التبسم كان غالبا من صلى الله عليه وسلم وان
غيره وقع منه احيانا على الندرة فلا منافاة بينهما وقيل المراد بقوله ضحك حتى بدت
نواجذه المبالغة لا حقيقته ولا حاجة اليه فان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
والصحابة رضي الله عنهم كانوا يضحكون اذا راوا عجبا وامرا يسرهم ولنا فيهم اسوة حسنة
واما المكروه الاكثار كما ورد في الحديث كثرة الضحك تميت القلب كمن غلب عليه ذكر ملاهي
اللهو والبطالة وروي في قوله فتبسم ضاحكا انه كان فرحا بفضل الله عليه ولم
يكن بطرا واشرا لا سيما ما فيه من تانيس للناس وتعليمهم لحسن العشرة واما ما روي
عن الحسن رضي الله عنه من انه ما روي ضاحكا ولا متبسما لا في اهله ولا وحده
ولا مع جماعة فلذلك غير منكر لشدة خوفه من الله ومراقبته له وهو مقام اخذ
لا يخالف فعل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فلا وجه للاعتراض به عليه اذا
التفت التفت معا فلا يسارق النظر ولا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة كما يفعله من
به طيش وخفة بل يقبل جميعا ويدبر جميعا ومعنى معا بجميعه واذا مشى مشى
تقلعا رواه الترمذي في الشمائل اذا مشى تقلع وفي رواية اذا زال زال قلعا
يمشي تكفيا ويمشي هونا وفي النهاية الاثيرية ان المراد انه صلى الله عليه وسلم
يرفع رجليه من الارض رفعا قويا من غير مقاربة للخطا فانه مشي النساء
والمختالين وقلعا روي بفتح القاف وضمها مصدر بمعنى الفاعل اي قالعا
رجليه **وفي غريب** الانباري والتهذيب بفتح القاف وكسر اللام وهو
قريب من قوله كانما ينحط او ينحدر من صبب اي يتثبت من غير عجلة ومبادرة
شديدة وروي في صبب بفتح الصاد المهملة وفتح اولى الموحدتين وهو
الموضع المنخفض او ما انحدر منه كسفح الجبل فمن على ظاهرها وقيل انها
بمعنى الى وينحط بمعنى يتدلى وكذا ينحدر وفي رواية كانما يهوي من صبوب
بفتح الصاد وضمها مصدرا او جمع صبب وهو وصف بغاية السرعة كالنازل
من علو **فصل** واما فصاحة اللسان وبلاغة القول

معنى الفصاحة في اللغة كما في كتاب الصناعتين لابي هلال الاظهار تقول العرب افصح
الصبح اذا اضاء واللبن اذا انجلت عنه الرغوة وظهر وتمامها بتمام آلة البيان وهي اللسان
قال ولتضمن الفصاحة معنى الآلة يوصف بها اللسان فيقال لسان فصيح ولا يوصف
بها الله سبحانه وتعالى فلا يقال فيه فصيح وان وصف بها كلامه والبلاغة من
بلغت الغاية اذا انتهيت اليها وبلغتها فسميت بلاغة لبلوغها النهاية او لا بلاغها
المعنى لفهم السامع ومعنى الفصاحة عند اهل المعاني معلوم في كتبه وتقدم انه
يوصف بها اللسان والمفرد والكلام والمتكلم وفي وصف المفرد بها كلام ليس هذا محله
والمراد بالقول هنا جنس اللفظ الموضوع مطلقا او تعريفه للاستغراق اي جميع
اقواله بليغة واضاف الفصاحة للسان والبلاغة للقول تفننا او للدلالة على
كمال كلامه وآلة نطقه فان من العرب من كان كلامه بليغا مع نقص آلته كزياد
الاعجم فانه كان لا يقيم الحروف فيقول للحمار همار ولذا لقب بالاعجم ويحتمل ان
يريد باللسان اللغة فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك المذكور وهو الفصاحة
والبلاغة بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل المحل والموضع بمعنى وان
تغاير مفهوميهما لان الاول مكان الحلول والثاني مكان الوضع ففي عبارته تفنن
فرارا من التكرار اي كان صلى الله عليه وسلم افصح البشر وابلغهم فكنى عن ذلك
بجعله في افضل محل البلاغة وفي موضع لها لا يجهله احد كما في قوله
ان الفصاحة والسماحة والندى ❖ في قبة ضربت على ابن الحشرج ❖
فهو كالاثبات بدليل ومرتبته في ذلك دون مرتبة الاعجاز وهو اقرب اليهما
من لا بليغ وقوله بالمحل خبر كان ومن بيانيه على القول بجواز تقدمها وقيل عربي
تبعيضية والجار والمجرور حال من المحل والموضع اي كان بالمحلين كاينين
بعض ذلك اي بعض مطلق الفصاحة والبلاغة والمرتبة التي له من ذلك
ويونو عنه من الكلمات البليغة ما لا تصل اليه القوى البشرية سلاسة طبع
وفي نسخة مع سلاسة طبع والسلاسة السهولة اي كانت سليقته صلى الله
عليه وسلم في البلاغة تنقاد له بسهولة من غير تكلف وسلاسة وقع بالنصب
على نزع الخافض او هو مفعول له ولو رفع بتقدير له سلاسة طبع جاز ومن
الغريب ان الشارح العزفي بعد ما اعربه مفعولا قال انه في جواب سؤال
تقديره وهل كانت فصاحته سليقة او تتبع تراكيب البلغاء وقوانينهم
وبراعة منزع البراعة بفتح البا والرا المهملة من برع الرجل بضم الراء وفتحها
اذا فاق غيره وكثيرا ما يستعمل بمعنى الفصاحة ولذا فسرها بها هنا بعض
الشراح وليس ببعيد والمنزع من نزع الى اهله اذا اشتاق واراد الحيل
اليهم ونزع القوس جذبها والدلو استقى بها فالمنزع ان كان بفتح الميم
فاسم مكان او مصدر ميمي وفسر هنا بالماخذ وما يرجع اليه الرجل
من رايه وامره والظاهر ان المراد اصله ومفرع يعني انه صلى الله عليه
وسلم مع بلاغته الجليلة من قوم وجلدة هم افصح الناس وان كان
بكسرها كما عليه التلمساني فهو اسم آلة كالمغسل وفسر باللسان واصله

واصله السهم

واصله السهم يقال نزعت في القوس نزعا وانزعت بمنزع اي سهم وفي المثل عاد السهم
الى النزعة اي رجع الحق لاهله وايجاز مقطع الايجاز التعبير عن معان كثيرة بلفظ قليل
ويقابله الاطناب والمساواة كما بينه اهل المعاني وهو بفتح الميم اسم مكان او مصدر
اي يوجز في محل القطع والفصل للامور فانه محل الايجاز لا كمقام الخطابة فانه يحمد
فيه التطويل فلذا اقتصر عليه لا لانه يعلم من البلاغة كما قيل وخلو فيه بكسر الميم
على ان المراد به القول وتفسيره بتمام الكلام لظهوره عند تكلف وتصانعة لفظ النصا
الخلوص والوضوح اي ان لفظه صلى الله عليه وسلم خالص من كل بشاعة ولكنة واضح
لكل احد لمخاطبته كل احد على قدر عقله وبلغته وجزالة قول بفتح الجيم والزاي
المعجمة وهي القوة والاتقان وضدها الركاكة وصحة معان اي انه صلى الله عليه
وسلم مع فصاحة الفاظه ووضوحها معانيه صحيحة لا فساد فيها لاحتوائها على الاحكام
والحكم الفصل وقلة تكلف لانه يتكلم عن روية وسلاسة طبع من غير تعمد
ورعاية سجع ومشقة والمراد انه لا يتكلف فالقلة هنا بمعنى النفي كما اثبته النحاة
واهل اللغة فاندفع قول بعضهم ولو قال وعدم تكلف لكان احسن واوتي
جوامع الكلم اي اتاه الله قوة ناطقة بحيث ينطق بالكلمات الجامعة للمعاني التي هي
بمنزلة الامثال فان من تامل كلامه صلى الله عليه وسلم راى فيه من المعاني مع
الوجازة التي تستخرج الطبع الغواص منها جواهر يحار فيها العقول وقيل المراد بها القران
والحديث وفيه نظر وخص ببدائع الحكم اي خص صلى الله عليه وسلم بنطقه بكل حكمة
بديعة لم يسبق اليها والحكمة العلم النافع لمن وعاه من الزيغ والضلال وقال ابن
عرفة الحكمة عند العرب ما تمنع من الجهل ولذا سمي الحاكم حاكما لمنعه المتعدي
وعلم السنة العرب اي انه صلى الله عليه وسلم يعلم لغاتهم لان اللسان يطلق على
اللغة وعلم مخفف ماض مبني للفاعل او مشدد مبني للمجهول اي علمه الله او مصدر
مجرور معطوف على بدائع الحكم يخاطب كل امة منها اي كل قبيلة وجماعة منهم
بلسانها اي لغتها لاختلاف لغاتهم ويحاورها بلغتها اي يصاحبها ويراجعها بلغتها
ويباريها في منزع بلاغتها المباراة بالراء المهملة غير مهموز والمباراة والمجاراة
المعارضة ويفعله مثل فعله حتى كان كثير من اصحابه رضي الله عنهم مع انهم فصحاء
علماء وهذا غاية لجميع ما قبله اي لقوة فصاحته قد لا يفهمون كلامه لما فيه من
المعاني البديعة التي لم يسمعوا بها او لما بينها من تكلمه بجميع الالسنة لان السامع
قد لا يعرف لغة غيره يسالونه في غير موطن اي في مواطن كثيرة عن شرح كلامه
وتفسير قوله لانه صلى الله عليه وسلم لما ارسله الله لجميع الناس علمه جميع
اللغات قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وهو صلى الله عليه
وسلم مرسل للجميع من تامل حديثه وسيره جمع سيرة وروي وسبره بسين
مفتوحة مهملة وبا موحدة كذا ذكره البرهان اي تتبعه وفتش عليه
واصله من سبر الجرح اذا اختبر غوره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش
والانصار واهل الحجاز ونجد قريش قوم من ولد النضر بن كنانة بن خزيمة
ابن مدركة بن الياس بن مضر سموا بذلك لتقرشهم اي تجمعهم بعد ما كانوا متفرقين

في غير الحرم لجمعهم مضرا ولانهم كانوا يفترشون البياعات والامتعة اي يجمعونها
او سموا بالقرش وهو دابة بحرية تخافها دواب البحر والانصار جمع ناصر او نصير
سموا بذلك في الاسلام لنصرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الاوس
والخزرج قبيلتان سموا باسم جدهم كتميم والحجاز مكة والمدينة والطائف
وما يليها سمي به لانه حجز بين تهامة ونجد او بين نجد والسراة او لاحتجازه
بحرار خمس معروفة ونجد بفتح فسكون ما ارتفع من الارض ويقابله تهامة
وهي من اعمال اليمامة كما بين في معجم البلدان وغيره كلامه مع ذي المشعار
الهمداني بسكون الميم ودال مهملة يليها الف ونون والنسبة لهمدان
وهي قبيلة عظيمة باليمن واما همذان بها وميم مفتوحتين وذال معجمة فبلدة
بخراسان بناها همذان بن الفلوح بن سام بن نوح والمعروف بين العجم اهمال داله
فكان هذا التعريب له وذو المشعار بميم مكسورة ثم شين معجمة ساكنة وقال
التلمساني انه بشين معجمة ومهملة وعين معجمة ومهملة واقتصر في القاموس
على الثاني وراء مهملة وفي الروض الانف انه ابو ثور مالك بن نمط وهو من
بني خارف او من يام وكلاهما من همدان وهو صحابي وفد على النبي صلى الله عليه
وسلم مرجعه من تبوك وخارف بخاء معجمة وراء مهملة وفاء ويام بمثناة
تحتية ويقال ابام بهمزة وهو الذي ذكره المص وهو همداني خارفي ارحبي
وهو لابن اسحاق في قوله في سيرة مالك بن نمط وابو ثور وكذا ان تقول
انه من عطف الكنية على الاسم ولا بعد فيه والذي صححه الصاغاني في كتاب
الذيل والصلة ان المشعار بعين مهملة وانه انما قيل له ذي المشعار
لان المشعار موضع باليمن ينسب اليه وسياتي ما قاله للنبي صلى الله عليه
وسلم لما قدم وطهفة النهدي بكسر الطا المهملة وسكون الها والفا يليها
هاء تانيث وهو ابن زهير ويقال ابن ابي زهير وسماه الذهبي في تجريده
طهية بالمثناة التحتية بدل الفا وقال ابن الجوزي انه طخفة بالخا المعجمة
وقيل طغفة بالغين المعجمة وقيل طقفة بقاف وفا وقيل عيس بن
طهفة وقيل اسمه يعيش واسم ابيه ابو ذر وقال التلمساني انه في بعض
الشروح بطا مشالة مفتوحة ويقال بكسرها والنهدي بالنون والها
والدال المهملة منسوب لنهد وهو اسم قبيلة باليمن وهو خطيبها
ووافدها للنبي صلى الله عليه وسلم في سنة تسع لما قدمت عليه وفود
العرب ولما قدم قام وقال اتيناك يا رسول الله من غوري تهامة
باكوار الميس ترمي بها العيس نستحلب الصبير ونستجلب الخبير ونستعضد
البرير ونستخيل الرهام ونستخيل الجهام من ارض غائلة النطا غليظة
الموطا قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج
وهلك الهدي ومات الودي برئنا يا رسول الله من الوثن والعنن
وما يحدث الزمن لنا دعوة السلام وشريعة الاسلام ما طما البحر وقام
تعار ولنا نعم اغفال ما تبض ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل اصابتها

سنة

سنة حمرا مورلة ليس لها علل ولا نهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك
لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك
لهم في المال والولد وهذا ما اشار اليه المصنف رحمه الله كما يأتي ونقلت من خط العلائي
بسنده الى عمران بن حصين رضي الله عنه قال قدم وفد بني نهد بن زيد على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقام طهفة بن ابي زهير النهدي بين يديه صلى الله عليه وسلم
فقال اتيناك يا رسول الله من غوري تهامة على اكوار الميس ترمي بنا العيس ٥
ونستحلب الصبير ونستجلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستحيل
الجهام من ارض غائلة المنطا غليظة الوطا قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط
الاملوج من العكارة ومات العسلوج وهلك الهدي ومات الودي برئنا يا رسول
الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة المسلمين وشريعة الاسلام ما طما
البحر وقام تعار ولنا نعم همل اغفال لا تبض ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل
اصابتنا سنة حمرا مؤزلة ليس لها علل ولا نهل فقال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك
لهم في محضها ومخضها ومذقها وفرقها واحبس راعيها على الدثر ويانع الثمر
وبارك لهم في الولد من اقام الصلاة كان مؤمنا ومن ادى الزكاة لم يكن غافلا
ومن شهد الا اله الا الله كان مسلما لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك ما لم يكن
عهد ولا موعد ولا تثاقل عن الصلاة ولا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة من
اقر بالاسلام فله ما في الكتاب ومن اقر بالجزية فعليه الزكاة وله من رسول الله
صلى الله عليه وسلم الوفا بالعهد في الذمة وكتب رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع طهفة بن ابي زهير كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى بني نهد بن زيد السلام على من اتبع الهدى وامن بالله
ورسوله عليكم بالوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش والعنان الركوب
والضبيس لا يؤكل كلكم ولا يقطع سرحكم ولا يحبس دركم ولا يعضد طلحكم ما لم
تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق انتهى **وتفسيره** الميس الرحال والعيس
الابل والصبير السحاب بلا مطر امطر ببلد اخر غائلة المنطا بعيدة المسافة
يبس المدهن غدير الما والجعثن عروق الشجر البكارة البكراد ركه الهزال
بعد السمن العسلوج عروق الشجر تتشعب ورقه والودي الفسيل والعنن
الخلاف وما تبض ببلال اي ليس لها لبن ووقير قليل الرسل يعني الصرمة من
الغنم ليس لها ولا دكثير الرسل لقول شديد العرق في طلب المرعى وقوله
في محضها وفرقها ومذقها كلها من اللبن والدثر الخصب ويانع الثمر نضيجه
والثمد قليل الما يخرج من الارض والضبيس الصعب والرماق النفاق ٥
والرباق الوعاود والعنان الفرس يركب ويذلل بالعنان لانه لا يركب فيلجم
والرباق حبل تربط قلت غوري تهامة ما انخفض منها وغور كل شي عمقه وقيل
تهامة ما بين ذي عرق على مرحلتين من وراء مكة وقيل انها الى اليمن اقرب
والميس شجر صلب تتخذ منه الرحال ونرمي معتمد والعيس ابل بيض الى صفرة
والصبير سحاب ابيض متكاثف كان بعضه صبر على بعض اي حبس يستحلبه

يستقطع والحبير النبات والعشب شبه تحبير الابل وهو وبرها واستجلابه احتشاشه
بالمخلب وهو المنجل والبرير ثمر الاراك اذا اسود ويستعضد تجتنيه من عضده
اذا قطعه والرهام جمع رهو بالكسر وهو مطر وفسر بالقداح وهو غلط والاستخالة
الاستمطار من الجولان والجهام سحاب صب ماؤه ويستحيله روي بحا مهملة اي ينظر
اليه لجامعه في منظره وغايلة المنطا كذا سمعناه والذي رواه ابن الاثير النطا بكسر
النون من غير ميم وغايلة مهلكة والمنطا البعيدة والمدهن نقرة في الجبل فيها
ما المطر والبكارة جمع بكر الابل والاملوح قيل ورد شجر يشبه الطرفا وقيل
نبت وقيل نوى المقل وقال الزمخشري انه استعارة لما ذهب من سمن الابل الراعية
والعسلوج غصن طري فريب عهد بالطلوع والهدي ما يقدم للنحر اراد به
مطلق الابل والعتق الاعتزام من عن له كذا وطمي البحار تفع موجه وتعار بكسر
التا اسم جبل وهمل لا راعي له والاغفال ما لا سمة له وقيل هما ما لا لبن له والوفير
قطيع الغنم والمحض بمهملة الخالص وبمعجمة المخضوض ليخرج زبده والمذق
لبن ممزوج بالما والعرق بكسر فسكون انا يحلب فيه وقيل بفتحتين مكيال والاول
اقرب هنا وودايع الشرك العهود والمواثيق بينهم في الجاهلية وقيل ما استودعوه
من اموال الكفار الذين لم يسلموا فاحلها لهم كذا بخط العلائي وقطن بن حارثة
العليمي قطن بفتح القاف والطا المهملة ونون والعليمي بعين مهملة
مصغر وحارثة بحا وثا مهملتين ومثلثة وهو منسوب لبني عليم بن جناب
ابن كلب فهو كلبي وقيل عليم بن جناب هبل من بني عدنة من قبايل كلب وهو صحابي
قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وافدا لقومه فكتب له كتابا بعد ما كلمه بكلام
فصيح غريب وصورة الكتاب هذا ما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعماير
كلب واحلافها ومن ظاهره الاسلام من غيرهم مع قطن بن حارثة العليمي باقام
الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفا عهدها بمحضر من
المسلمين سعد بن عبادة وعبد الله بن انيس ودحية بن خليفة الكلبي عليهم
في الحمولة الراعية البساط الظئار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار والحمولة
المايرة لهم لاغية وفي الشوي الوري مسنة حامل او حايل وفيما سقى الجدول
من العين المعين العشر من ثمرها ومما اخرجت ارضها وفي العذي شطره
بقيمة الامين لا يزاد عليهم وظيفة ولا يفرق شهد الله على ذلك ورسوله وكتبه
ثابت بن قيس بن شماس والاشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية
ابن جبلة بن عدي اسمه معدي كرب ابو محمد وهو من ولد اكل المرار
الكندي الشريف الصحابي توفي بالكوفة بعد موت علي كرم الله وجهه باربعين
ليلة وصلى عليه الحسن رضي الله عنه وكان شريفا مطاعا في قومه وفد
على النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر في ستين راكبا فاسلموا ورجع
الى اليمن قال في الاستيعاب ثم ارتد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
ثم رجع الى الاسلام بعد ما اتي به ابو بكر رضي الله عنه اسيرا فجعل
يعدد عليه افعاله فلم ينكرها وهو في الحديد يدعي انه مسلم فقال له

الاشعث استبقني وزوجني اختك ففعل ابو بكر رضي الله عنه انه الراي ففعل وزوجه اخته ام فروة وروي انه لما خرج من عنده استل سيفه فلم يلق ذات اربع من الانعام الا عقرها فقيل لابي بكر انه ارتد ثانية فقال انظروا في شانه فراوا الناس اجتمعوا عليه وهو يقول يا قوم هذه وليمتي ولو كنت بارضي اولمت كما يولم مثلي فاغدوا وكلوا وخذوا الاثمان مما عقرت لكم وفي ذلك يقول ابن قيس الخزرجي •

لقد اولم الكندي يوم ملاكه • وليمة حمال لثقل الجرايم •

وقل للفتى الكندي ما القيته • ذهبت باسني مجد اولاد ادم •

ولقب بالاشعث لانه كان راسه اشعث دائما وقد اخرج للاشعث اصحاب الكتب الستة واحمد في مسنده وصرحوا بانه صحابي بنا على ان الردة لا تبطل الصحبة وان ابطلت ثوابها اذا رجع للاسلام قبل موته وهو الاصح وبه صرح الشافعي في الام ونقل عن ابي حنيفة وقيل انها تحبطها مطلقا ولم يذكر المص رحمه الله كلام النبي صلى الله عليه وسلم معه ولا كلامه حين وفد عليه وهو كما في تاريخ ابن عساكر ونقله الذهبي ومن خطه نقلت عن هشام ابن الكلبي ان الاشعث وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من كندة فقال له عليه الصلاة والسلام هل لك من ولد فقال غلام ولد مخرجي اليك ولوددت ان يتبنى القوم مكانه وروي لوددت ان لي به قصعة من خبز ولحم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولن ذا فان فيهم اجرا اذا قبضوا وانهم لمجبنة ومحزنة وانهم لثمرة القلوب وقرة العين انتهى وهذا من بليغ الكلام ومن الحديث اخذ ابن الهبارية قوله في القادح والتابع •

لا خير في الاولاد والاهل والسفاد • وليس فيهم فايدة • الا ظنون فاسدة • مجبنة ومبخلة • محزنة ومتعبة • لولاهم ماذلا • ذو ادب وقلا •

ووايل بن حجر الكندي نسبة لكندة بكسر الكاف وسكون النون ودال مهملة وها وحجر بضم الحا المهملة وسكون الجيم وراء مهملة ووايل بواو والف بينهما همزة لا يا مثناة من اسفل كما في حواشي التلمساني وغيره ويقال له ابو هنيدة ويقال ابو هنيد بتصغيرها ابن ربيعة بن نعم الحضرمي كما قاله ابن عبد البر وفي شرح النجاتي انه ابن حجر بن ربيعة بن وايل ابن نعم الحضرمي وما في الشفا من انه وايل بن حجر الكندي غلط بغير شبهة والصواب ما تقدم ولعل الكندي كان وصفا للاشعث بن قيس مقدما على قوله وايل بن حجر فاخره الناسخ سهوا وجعله وصفا لوايل وفيه خلاف ذكره ابن الجزري في كتاب الجمال فقال وايل بن حجر بن سعد بن مسروق ابو هنيدة الحضرمي او ابو هند الكندي الصحابي ووافقه ابن عساكر فقال وايل بن حجر بن سعد بن مسروق بن وايل ابن ضمعج فيمكن ان يكون كنديا عند المص فليس وصفه به غلطا فيكون كنديا حضرميا وهو قيل من اقيال حضرموت وابوه ملك من ملوكهم فدعوى انه غلط غلط قال في العباب كندة ابو حي من اليمن وهو لقبه واسمه ثور بن عفير بن عدي ولقب به لانه كند نعمة ابيه ولحق باخواله فقال له ابوه كندت نعمتي ولما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما ابشر به اصحابه قبل قدومه بثلاثة ايام وقال لهم يا تيكم وايل بن حجر من ارض بعيدة من حضرموت

داعيًا إلى الله ورسوله طائعًا وهو بقية من أبناء الملوك فلما دخل عليه رحّب به رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأدناه منه وبسط له رداءه وأجلسه عليه وقال اللهم بارك في وائل بن حجر
وولده وولد ولده وفي التهذيب للأزهري عن وائل بن حجر أنه قال كتب لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا جلب ولا جنب ولا شغار ولا وراط ومن أجبى فقد أربى وفسر
من أجبى بمن عين وهو حسن وعن أبي عبيدة الإجباء الحرث قبل أن يبدو صلاحه انتهى
وله قصة مع معاوية رضي الله عنه لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم معه
وتوفي في زمن معاوية سنة تسع وأربعين في ذي الحجة وسبب إسلامه كما قاله
ابن ظفر في كتاب البشر أنه كان له صنم من عقيق يعبده ويبجله فبينما هو نائم عنده
في الظهيرة سمع صوتًا منكرًا هاله فأتاه وسجد له فسمع هاتفًا يقول

واعجبًا من وائل بن حجر ۞ يخال يدري وهو ليس يدري ماذا

ماذا يرجى من نحيت صخر ۞ ليس بذي عرف ولا ذي نكر

ولا بذي نفع ولا ذي ضر ۞ لو كان ذا حجر أطاع أمري

فرفع رأسه وقال بماذا تأمرني فقال

ارحل إلى يثرب ذات النخل ۞ وسر إليها سير مشتعل

قبل تغشيني العمر المسولي ۞ فدن بدين الصائم المصلي

محمد الرسول خير الرسل

ثم خر الصنم فقام إليه وجعله رفاتًا ثم سار حتى أتى
المدينة ودخل المسجد فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم أدناه وبسط له رداءه
وأجلسه معه ثم صعد المنبر وقال أيها الناس هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض
بعيدة راغبًا في الإسلام فقال يا رسول الله بلغني ظهورك وأنا في ملك عظيم
فتركته واخترت دين الله فقال صدقت اللهم بارك في وائل وولده وولد
ولده ثم إنه طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم مكاتبة بإقراره
على أرضه وملكه فأعطاه ذلك وقد بسط ذلك ابن حديدة في كتابه الذي ألفه
في كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكاتبته وغيرهما إلى غير من ذكر من
العرب من أقيال حضرموت وملوك اليمن الأقيال جمع قيل بفتح القاف وإسكان
المثناة التحتية وباللام وهو الملك من ملوك حمير واليمن وقيل الملك مطلقًا
وقيل من دون الملك الأعظم كالوزير وفي النهاية الأثيرية أنه صلى الله عليه
وسلم كتب لوائل بن حجر إلى الأقوال العباهلة وفي رواية إلى الأقيال فقيل إنه
من القيالة وهي الإمارة وقيل من القول لنفوذ قوله وأمره فأصله على هذا
قيّل بتشديد الياء أعلّ إعلال بيت ولولاه لم يكن لقلب الواو ياء وجه والأقوال
على الأصل والأقيال على لفظ قيل كما قيل ريح وأرياح والقياس أرواح لكنه
لم يرجع لأصله فرقًا بينه وبين جمع روح والعباهلة هم الذين أقروا على
ملكهم وبقي متروكًا على ما كان عليه من عبهلت الإبل إذا تركت ترعى
متى شاءت واحده عبهل فالتاء لتأكيد الجمعية كقشعم وقشاعمة أو جمع
عبهول وأصله عباهيل فحذفت الياء وعوض منها التاء كما في فرازنة وفرازين

وفي تثقيف

وفي تثقيف اللسان العباهلة بالبا الموحدة هم الذي لا يد عليهم لاحد وبالمثناة التحتية
التباه وكلاهما مدح كما قاله التلمساني وحضرموت بفتح الحا المهملة واسكان الضاد
المعجمة وفتح الميم وقال صاحب المطالع انه بضم الميم وجعله بعضهم وجها جايزا فيه
وهو علم مركب تركيبا مزجيا غير مختوم بويه وفي مثله ثلاثة اوجه فتح رائيه واعرا
اعراب ما لا ينصرف للعلمية والتركيب واجرا الاول على حسب العوامل واضافته للثاني
وبناهما كخمسة عشر وقال النووي في تهذيبه حضرموت اسم بلدة باليمن واسم قبيلة
واليمن الاقليم المعروف وينسب اليه يمني ويمان بالتخفيف وبالتشديد وهو شاذ وسمي
بذلك لانه عن يمين الكعبة ويجمع يمني على يمنيين ويمانيون ويمانيون بالتشديد
وانظر في كتابه اي اعرفه وقف عليه باي طريق كان من استعمال المقيد في المطلق
اي كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتبه الى همدان بسكون الميم والدال المهملة
كما مر كتبه لما وفد عليه ذو المشعار الهمداني فهذا رجوع الى بيان كلامه صلى الله
عليه وسلم مع غير اهل الحجاز وتقدم ان همدان قبيلة من بطونها خارف ويام
بالتحتيه ويقال ايام ولذا ينسب اليه اهل الحديث ايامي وقال ابن دريد الهمدان اسم
لابي القبيلة وقيل اسمه اوسلة وانه اخبر بما عمه فقال همدان فلقب به ولنسق هذا
مما يلتفت اليه انتهى كلامه في الجمهرة ولم يذكر فيه مادة همد بالاعجام لانه غير عربي عنده
وتقدم الكلام عليه وقصة الكتاب ان ذا المشعار قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لما لاقاه بتبوك يا رسول الله نصيه من همدان من كل حاضر وباد اتوك على قلوص
نواج متصلة بحبايل الاسلام لا تاخذهم في الله لومة لايم من مخلاف خارف ويام وشا
اهل السود والنود اجابوا دعوة الرسول وفارقوا الهة الانصاب عهدهم لا ينقض
ما اقام لعلع وما جرى اليعفور بصلع فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمخلاف خارف واهل حباب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذي المشعار مالك
ابن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها ما اقاموا الصلاة واتوا
الزكاة ياكلون علافها ويرعون عافيها لهم بذلك عهد الله ورسوله وشاهدهم المهاجرون
والانصار وروي هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لمخلاف خارف
ويام عهدهم لا ينقض عن سنة ماحل واهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافد
ذي المشعار مالك بن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها
وعزازها ما اقاموا الصلاة واتوا الزكاة ياكلون علافها ويرعون عافيها
لنا من دفيهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة
الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها
الصالغ والقارح فقال في ذلك مالك

ذكرت رسول الله في فحمة الدجى ● ونحن باعلى رحرحان وصلدد
وهن بنا خوص طلايح تعتلي ● بركبانها في لاحب متمدد
على كل فتلا الذراعين جسرة ● تمر بنا مر الهجف الخفيدد
حلفت برب الراقصات الى منى ● صوادر بالركبان من هضب قردد

بان يا رسول الله فينا مصدق • رسول الي من عند ذي العرش مهتدي •
فما حملت من ناقة فوق رحلها • اشد علي اعدايه من محمد •
واعطي اذا ما طالب العرف جاه • وامضي بحد المشرفي المهند •

والي بعض اشار بقوله ان لكم فراعها بالفا المكسورة وبرا وعين مهملتين بينهما الف وهي ما ارتفع من الارض من مرتفعات البقاع او اعالي الجبال جمع فرعة بفتح فسكون يعني انه صلي الله عليه وسلم اقطعهم ذلك ووهاطها بكسر الواو وبالها والطاء المهملة جمع وهطة كقرعة وهي الوهدة وما سفل والخفض والضمير للارض المخصوصة والوهاط والوهاد بمعني ويحتمل ان احدهما مبدل من الاخر وعزازها بفتح العين المهملة وزاي معجمتين مخففتين وهو ما اشتد وصلب من الارض مما لا ملك لاحد عليه فيوطا ويحرث فيصير رخوا ومنه العز لصلابة جانبه تاكلون علافها بكسر العين المهملة وبالام والفا قال في النهاية جمع علف وهو ما تاكله الماشية مثل جمل وجمال وفي قوله مثل جمل لطف الا انه اذا كان علف الماشية فقوله تاكلون بالخطاب لهولاء القوم غير مناسب هنا الا بتجوز بان يقدر تاكل دوابكم او يجعل تاكلون بمعني تملكون ولعل للعلاف معني غير هذا في لغة اهل اليمن والشراح لم ينبهوا علي هذا او ترعون عفاها بفتح العين والفا والمد وفسروه بما ليس لاحد فيه ملك ولا اثر من عفا الشي اذا اندرس او من عفا يعفو اذا خلص ومنه الحديث اقطعهم ما كان عفا وقوله خذ العفو وامر بالعرف وقال التجاني روي عفي بكسر العين جمع عفو كحبل وحبال وهو بمعني الاول وفي قوله ترعون ايضا ما مر وجوابه ان الرعي مخصوص باكل البهايم ولذا قال بعض الجهلة لبعض الادبا انت عندي كالاب بتشديد البا قال له فلذا تاكلني قال الدماميني في كتابه نزول الغيث لو قال فلذا ترعاني كان الطف لما فيه من التورية لاحتمال ان يكون من الرعي او الرعاية كما في الاب من احتمال معني الوالد علي لغة فيه ومعني النبت لانه عني انه لجهله كالانعام لنا من دفيهم وصرامهم الدف بكسر الدال المهملة وسكون الفا والهمزة وفسروه هنا بالابل والغنم سميت بذلك لانها تتخذ من اصوافها واوبارها اثاث يتدفا به ويجعل منها البيوت من الشعر ليتدفا بها وقال تعالي لكم فيها دف ومنافع اي ما يتدفا به من الصوف والوبر وهو في الحديث بمعني الانعام التي تؤخذ منها ذلك والصرام بكسر الصاد المهملة جمع صرمة بكسر فسكون وهي القطعة من النخل اي يجذ ويقطع وتسمي بالمصدر ويجوز فتح الصاد لانه يقال صرمت النخل صراما وما قيل من انه لا يجوز ان يكون جمع صرمة كما توهم لانها القطعة من الابل من الثلثين والقاطعة من السحاب هو ولا يصح ساقط لوجهين ما سلموا بالميثاق والامانة ما موصول له خبرها مقدم المراد العهد الذي اخذ عليهم او الاسلام والمراد بما سلموا بتشديد اللام ما يعطوه من الزكاة المفروضة والامانة اي كونهم ما مونون علي اموالهم لان رب المال في الزكاة يصدق بقوله وقال التلمساني اراد بها الطاعة اي الغنا او العبادة وهو بعيد اي لا يوخذ منهم شي قهرا بل عن طيب نفس ورضي

من هذا

عرضي

من

في عرضي

من غير تجاوز عما حده الله ولم يبق من يسلمون ويجوز انهم يسلمون بانفسهم او للسعاة
ولا يتكلف له وتقال ان المراد الاول لان النبي صلى الله عليه وسلم علم منهم الرغبة في رضي
الله ورسوله وانهم يؤدون ما يجب عليهم بلا سعاة وانما يجب بعث السعاة اذا لم
يتيسر وصول الصدقة بدونهم ولهم من الصدقة الثلب المراد بالصدقة الزكاة
والثلب بمثلثة مكسورة ولام ساكنة وموحدة معناه الجمل المسن الهرم الذي سقطت
اسنانه والانثى ثلبة فهو مخصوص بالذكور كما قاله الهروي والناب مثل الثلب
معنى الا انه مخصوص بالنوق الاناث فلا يقال للجمل ناب وان اسن وانما سميت نابا
لانها اذا هرمت طال نابها والفصيل ولد الناقة الصغير الذي فصل عن رضاع امه
والفصيلة انثاه والجمع فصال وفصلان وقيل هو من اولاد البقر والمعروف في
اللغة الاول والفارض الداجن الفارض النوق الهرمة المسنة قال تعالى لا فارض
ولا بكر وقال الراغب الفارض المسن من البقر قيل سمي به لكونه فارضا للارض اي قاطعها
او فارضا لما يحمل من الاعمال الشاقة من الفرض وهو القطع وقيل بل لان فريضة البقر
تبيع ومسنة فالتبيع يجوز في حال دون حال والمسنة يجوز بذلها في كل حال فسميت
المسنة فارضا فعلى هذا يكون اسما اسلاميا انتهى والداجن الشاة التي تكون في البيت
لا ترسل للمرعى وكذا الراجن بالرا كما في الصحاح وعلى هذا فالداجن غير الفارض فينبغي
عطفها لغيرها وهو في غالب النسخ بغير عطف اللهم الا ان يقال ما ذكر معناه الحقيقي
وهي هنا صفة مجردة عن كونها شاة جعلت وصفا للفارض فلت ضير لهم السابقة لاصحاب
المال ومن يؤخذ منهم الصدقة والمعنى ان ما ذكر يترك لهم ولا يؤخذ منهم لمقابلته
لقوله لنا والذي يؤخذ في الصدقة من اوسط ما لهم لا اعلاه ولا ادناه كالصغير
جدا والمسن الهرم فالفارض لما كان بمعنى المسن الذي يؤخذ في الصدقة والمراد
خلافه هنا وصفه بقوله الداجن بمعنى الذي يربض حول المنازل من شدة الهرم
فلا يسرح للمرعى ولا يصلح للعمل والحمل هذا هو المراد من غير حاجة لتكلف ودعوى
تجريد وقيل الفارض المسن من الابل وفي بعضها النسخ والداجن بالعطف ومعناه
شاة متغيرة تربى في البيت كما وقع في حديث الافك والكبش الحوري الكبش
الذكر الكبير من الغنم الذي يقودها غالبا ولذا اطلق على الرئيس في المدح خلا
التيس والحوري اختلفوا فيه فقيل انه بحا مهملة وواو مفتوحتين وراء مهملة
يليها يا النسبة وفي النهاية الاثيرية انه منسوب الى الحورة وهي جلود تتخذ
من الضان وقيل هو ما دبغ من الجلود بغير القرظ وهو احد ما جا على اصله
ولم يعل اعلال ناب انتهى وقال ابن رسلان الحوري بفتح الحا وسكون الواو
نسبة للحور وهي الجلود المذكورة والذي في الصحاح ان الحورة وجمعها الحور
بفتح الواو فيهما واقتصر ارباب الحواشي كالسمين والحلبي والقسطلاني
على ما في النهاية ونقل عن الكاشغري في كتابه مجمع الغرايب ان الحوري المكوي
نسبة الى الحورا وهي كية مدورة يقال حوره اذا كواه وانه على هذا بسكون
الواو ولان الحورا بالقصر والمد للكية ساكنة الواو وقال البجائي الحوري
بفتح الواو ضرب من الكباش حمر الجلود وحوري الحواري بزيادة الف ومعناه

الابيض لا الاحمر ولذا قيل الحواريين لانصار عيسى عليه الصلاة والسلام لانهم
كانوا قصارين يبيضون الثياب ولذا فسر بعض ارباب الحواشي الحوري بغير اللبن بالابيض
الجيد لما ذكرنا ولان موضع الكية يبيض اقول الحاصل ان في لفظ الحديث وكلام المص
ثلاثة اوجه اشهرها الحوري بفتح الواو والثاني الحوري بسكونها الثالث الحواري
بالالف بعد الواو وكلها بمعنى والمراد الكبير من الغنم وهو لا يؤخذ في الصدقة
لكونه انفسها ولانه مما يحتاج اليه للضراب فلا يؤخذ منه الا اذا اعطاه كما لا يؤخذ
ما ذكر من الهرم وكل ناقص كما فصل في كتاب الزكاة وعلى الاول لم يعل مع تحرك الواو
وانفتاح ما قبلها اما على خلاف القياس كما هو ظاهر كلام النهاية السابق او تنبيها
لفعله وهو حور كفرح او لئلا يلتبس الحاوي بالباقي الذي من مادة الحيرة وقول
التجاني انه من الكباش اذ لم يقله احد من اهل اللغة وفيه نظر لانه كان ينبغي له ان
يقول الكباش التي يتخذ منها الجلود احمر ولبعضهم هنا كلام طويل بلا طائل وعليهم
فيها الصالغ والقارح الصالغ بصاد مهملة ولام وغين معجمة ويقال سالغ
فان كل صاد تبدل سينا مع الغين كما فصل في محله وهو من البقر والغنم ما كمل
وانتهى سنه في السنة السادسة وقيل هو من ذوات الاظلاف كلما اكمل ست
سنين ودخل في السابعة لان ولد البقرة في اول سنة عجل ثم تبيع ثم جذع ثم ثني
ثم رباع ثم سديس ثم صالغ وسالغ سنة وسنتين وما وقع هنا في بعض النسخ ضالع
بضاد معجمة وعين مهملة تحريف ونقله عن النهاية وهم والقارح بقاف وراء
مهملتين بعد الالف وهو الفرس الذي دخل في الخامسة وفي القاموس القارح
من ذي الحافر بمنزلة البازل من الابل وقال التجاني القارح من ذوات الحافر ما كمل
خمس سنين وهو في السنة الاولى حولي بسكون الواو ثم جذع ثم ثني ثم رباع ثم
قارح وفي هذا المكتوب زيادة على ما قاله المص رحمه الله وروايات اخر منها
ما قدمناه ومعنى قوله وعليهم الخ انه اذا وجد عندهم هذا النوع يؤخذ منه
ما ليس هرما ولا معيبا كما مر وهذا مبني على ان الخيل تجب فيها الزكاة اذا كانت
سائمة وذكورا واناثا لا صرف ذكور وان شاء اعطى عن كل فرس دينارا او قومها
واعطى كما هنا اذا حال الحول وتم النصاب والشافعي يحمله على ما كان معدا
للتجارة وادلتها مبسوطة في كتب الفقه وقوله صلى الله عليه وسلم لنهد بن
قبيلة من اليمن تقدم الكلام عليهما وهذا اشارة لما قاله عليه الصلاة والسلام
لطهفة النهدي السابق ذكره فاللام صلة القول بتنزيل قوله لبعضهم منزلة
قوله لكلهم او لتنزيل كتابه منزلة خطابه او هي للتعليل وقيل انه هنا متعين
لان هذا ليس مقولا لهم والمخاطب بهذا الكلام الآتي هو الله عز وجل لما سألوه
صلى الله عليه وسلم ان يستسقي لهم فدعا لهم وقال اللهم اي يا الله بارك
لهم اي اجعل البركة وزيادة الرزق وثباته مقسوما وواصلا لهم وقال
الامام الراغب رحمه الله اصل البركة صدر البعير وان استعمل في غيره وبرك
البعير القى بركه واعتبر فيه معنى اللزوم ومنه بروكا الحرب لمكان يلزمه
الابطال والبركة لمحبس الماء والبركة ثبوت الخير الالهي في الشيء قال تعالى

عرضي

عرضي

لنفتحنا عليهم بركات من السما المنوت خيرها بثبوت الما في البركة والمبارك ما فيه ذلك الخير
ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد
منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة والى هذه الزيادة اشير بما روي لا ينقص
مال من صدقة لا الى النقصان المحسوس كما قال بعض الخاسرين حيث قيل له ذلك
بيني وبينك الميزان وقوله تبارك وتعالى الذي جعل في السما بروجا تنبيه على
ما يفيض علينا بواسطة هذه البروج والنيرات المذكورة في هذه الاية وكل موضع
ذكر فيه تبارك فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر تبارك
وهو تحقيق لا مزيد عليه ومنه اخذ صاحب الكشف ما قاله في اول سورة الملك وقد
تقدم ان طهفة وفد من قومه على النبي صلى الله عليه وسلم وهم في قحط شديد
اصابهم فشكى له ما مسهم في كلام ذكرناه اولا فدعا لهم وقال اللهم بارك لهم
في محضها ومخضها متعلق ببارك والمحض بفتح الميم وسكون الحا المهملة والضاد المعجمة
والمخض مثله الا ان خاءه معجمة ومعنى الاول الخالص كما مر ومادته كلها تدل على الخلوص
والصفا ومنه محض الايمان في الحديث ومحضت له الود وعربي محض ونحوه والمخض
اصله تحريك السقا الذي فيه اللبن حتى يتميز من زبده فيؤخذ منه ويسمى اللبن
الذي اخذ زبده مخيضا وهو صفة لا مصدر سمي به كما توهم ومذقها بفتح الميم
وسكون الذال المعجمة والقاف واصل معناه الخلط والمزج ثم استعمل في اللبن
المخلوط بالما قال جاؤا بمذق هل رايت الذيب قط والضمير راجع لارضهم او لانعامهم
المذكورة في كلام طهفة السابق الذي شكا فيه محل بلادهم وهلاك دوابهم فدعا لهم
صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم بارك لهم في البانهم باقسامها ما كان خالصا لم يتميز
زبده وما ميز منه زبده وما مزج بالما ومجموعه كناية عن خصب ارضهم وسقيها
لان الالبان انما تكثر بنبات المرعى وهو انما يكون بالمطر فكانه قال اللهم اسق بلادهم
واجعلها مخصبة ملبنة كما يدل عليه قوله وابعث راعيها في الدثر ابعث بمعنى
ارسل يقال بعث الله رسوله للناس اي ارسله والراعي الذي يرعى الابل وغيرها
والدثر بفتح الدال المهملة وسكون المثلثة والرا المهملة وهو الابل الكثيرة ويقع
على الواحد فما فوقه ويجوز فتح ثانيه وقيل الدثر الخصب وكثرة النبات لانه من
الدثار وهو الغطا لانها تغطي وجه الارض وافجر له الثمد افجر بضم الجيم من فجر يفجر
كقعد يقعد من تفجير الما وهو جعله جاريا معينا والثمد بفتح المثلثة وفتح
الميم وقد جوز تسكينها واخره دال مهملة وهو الما القليل وافجر له مجاز عن معاني
التكثير للزومه له غالبا فالمراد كثر ما قل من مايه وضمير له للراعي واذا كثر له كثر
لغيره وبارك لهم في المال والولد معطوف على ما قبله او على بارك الاول والمال
كما يتولد ويملك وهو في كلام العرب في الاكثر يختص بالابل ويجوز ارادة كل منهما
فيما من اقام الصلاة كان مسلما اي مسلما كاملا كقوله المسلم من سلم الناس من
يده ولسانه او المراد انه يحكم باسلامه بحسب الظاهر او المراد الحث على اقامة الصلاة
والمراد باقامة الصلاة المداومة والمحافظة عليها كما حقق في الكشاف وشروحه
وقيل انه على ظاهره لان من تركها مستحلا لتركها كفر او لان تاركها كافر في احد قولي

تبارك

دلجي

احد او هو في حكم الكافر لانه يقتل كما سيأتي في بيانه ومن ادى الزكاة بعد اتى اي اعطاها
واداها كان محسنا اي منعما متفضلا على الفقرا او اتيا بامر حسن مطلوب في الدين ومن
شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا اي من اتى بكلمة التوحيد واعلن بها فهو مخلص في ايمانه
لان الظاهر مطابقة قوله لما في قلبه وهذا من باب حمل احوال المؤمن على الصلاح والمراد
بالاخلاص عدم النفاق وقيل المراد من قال كلمة الشهادة وهي لا اله الا الله محمد رسول
الله فهو كما يقال قرات حم والكتاب المبين اي السورة بتمامها وعليه يحمل نظايره الواردة
في الاحاديث لكم يا بني نهد ودايع الشرك لكم خبر مقدم للاهتمام لا للحصر القلبي بنا
على ما سياتي من تفسيره وجملة الندا معترضة لبيان المخاطب وودايع الشرك المراد
بها كما في النهاية العهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين من جاورهم من الكفار
في المهادنة يقال توادع الفريقان اذا اعطى كل واحد منهم الاخر عهدا انه لا يغزوه
ويسمى ذلك العهد وديعا بغير هاء فيقال اعطيته وديعا اي عهدا والظاهر ان
المراد عهودهم التي وقعت بينهم بعد الحروب بعدم المؤاخذة بما قتلوا اذ
تحاربوا وقتل بعضهم بعضا وما اراقوا من الدما هدر كما في الحديث الاخر كل دم في
الجاهلية تحت قدمي هذه اي متروك هدرا وقيل معناه انهم كانوا التزموا
عرفي
مهادنة بعض من الكفار فغير الاسلام ذلك الحكم فلو وجب عليهم الوفا بما التزموه
لامرهم بغزوهم لمن خالع العقد بينهم فاطلقوا من قيود ما التزموه في الشرك من ذلك
ولا يخفى بعده وتكلفه ثم قال في النهاية ويجوز ان يراد ان ما استودعوه من
اموال الكفار حلال لهم لانها مال اخذ من الكفار من غير ايجاف خيل وقتال فهو
فيء وهكذا حكم ودايع الكفار فهو جمع وديعة بالها على هذا ولا ينافيه ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما هاجر خلف عليا كرم الله وجهه ليرد ما كان عنده صلى الله عليه
وسلم من الودايع والامانات لانه كان قبل حل الغنايم له اولانه صلى الله عليه وسلم
فر من نسبته للخيانة وذهاب شهامته وامانته فيطعنوا في الاسلام ويبعدوا
من الايمان ووضايع الملك الوضايع جمع وضيعة بمعنى موضوعة والملك بكسر الميم
اي ما كان يوضع على الاملاك من الزكاة والصدقة ثابت لكم كساير المسلمين يلزمكم
ما يلزمهم من الوظايف من غير زيادة ولا نقص او الملك بضم الميم والمعنى ان ما كان
ملوك الجاهلية يوظفونه على الرعايا ويستاثرون به من غنايم الحروب لا يؤخذ
ابن الحنبلي
منكم فهو لكم فلام لكم على ظاهرها بتقدير التفسيرين الاخيرين للودايع والوضايع
وبمعنى على كما في قوله تعالى وان اساتم فلها على التفسيرين الاولين لهما
معرفي
وقيل عليه ان العهد اذا لزم الوفا به يكون على المعاهد لانه فرض مطلوب
منه وعهود مهادنتهم قبل الاسلام لا يجب الوفا بها بعد الاسلام والقايل
ظن وجوب الوفا بها فحمل اللام على ما حمله وليس كذلك كما مر لان عهد الكافر
لا يعتد به واما الوضايع بمعنى تكاليف الزكاة فهي وان ثقلت على بعضهم
فهو باعتبار الاجر عليها وقد علمت ان هذا مبني على تفسيره وليس بمتعين
كما مر مع ما فيه لا تلطط في الزكاة تلطط بفتح التا المثناة وسكون اللام
وكسر الطا المهملة الاولى وجزم المهملة الثانية بلا الناهية وفي الزكاة

متعلقة

متعلقة به اي لا تمنعها قال ابن الاعرابي لط الغريم اذا منع حقه واصله من لطت الناقة
بذنبها اذا الصقته بين رجليها اذا امتنعت عليه وقد ارادها الفحل وفي شعر الاعشى الحرمازي في امراته

وقد نشزت
اخلفت الوعد ولطت بالذنب • وهن شر غالب لمن غلب •

ولط الغريم اذا اختفى ولا تلحد في الحياة هو مضبوط بضم التا المثناة اوله ولام
ساكنة تليها حا مهملة مكسورة ودال مهملة مجزومة من الحد الحاد اذا جار وعدل
عن الحق واصله مطلق العدول ويقال الحد ولحد قليلا والذي في السنا هو الذي
رواه القتيبي بالفعل والواحد والذي رواه غيره ما لم يكن عمد ولا موعد ولا تثاقل
في الصلاة ولا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة بالاسم المصدر وتشديد الاخيرين
وهو الوجه لانه خطاب للجماعة واقع على ما قبله كذا في النهاية الاثيرية يعني ان
هذه الرواية بلفظ المصدر من التفاعل والتفعل هو الوجه الواضح لانه كلام
خوطب به جماعة في قوله يا بني نهد وهذا جار على غير اسلوبه لتوجه الخطاب لواحد
من بينهم وان كان ما قبله مشتملا على ضمير الجماعة المخاطبين دونه وقد جا التلطط
بمعنى لا لطاط المتقدم يقال تلطط والطط والطى بابدال الاخيرة يا للتخفيف
وقال ابن رسلان لا تلطط او تلحد بالنون من باب نهي الانسان نفسه لينتهي غيره
بل ولا ضمير كذا في رواية القتيبي اذ الخطاب فيهما لمن تلقى الكلام له النبي صلى الله عليه وسلم
من بين جميع من خوطبوا ابتدا او نظيره في افتتح الكلام قوم عمق تاعنكم من بعد ذلك
حيث خوطب من يتلقى الكلام بلفظ ذلك ولم يقل ذلكم وتخصيص واحد من الحاضرين
بخطاب النهي للتعريض بالباقين والتشوق لهم عن توجه صيغة النهي اليهم رجا
الانقياد للامتثال بالطف وجه ويحتمل ان الخطاب لهم بر منهم او لا ثم توجه لواحد
في المجلس خارج عنهم فنهاه تعريضا بهم او نهاهم نهي غيبة لتنزيلهم منزلة
الغائبين عند توجيهه الى غيرهم ولم يقل لا يتلطوا ويلحدوا بلفظ جماعة الذكور
الغائبين بل لا تلط وتلحد اي هي والضمير لبني نهد وبنون وان كان جمع مذكر سالم
ومثله لا يعود له ضمير المؤنث ولا تلحقه التا فلا يقال الزيدون قامت ولا قامت
الزيدون ولا العمرون تقعد بخلاف قامت الرجال والرجال تقوم تنا التانيث لا
الا لنا غير موزه عند جمعه اشبه جمع التكسير فاعطي حكمه في جواز الحاق التا بفعله
نحو قامت البنون ومنه قوله تعالى الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل فصار ذلك
داعيا الى جواز البنون قامت والقوم وحوه بنا التانيث وذهب بعض النحاة
الى انه جمع تكسير بدليل جواز الحاق التا قال في منوء الذ ما له هذا امذهب
غريب وراي غير مصيب قلت المخطي مخطي وهذه المسالة مذكورة في شروح
كتاب سيبويه والذي قاله انه قول غريب ارتضاه ابن خروف ولولا حوف الملل
نقلناه وقيل عليه ان قياس الضمير على حرف الخطاب المتصل باسم الاشارة
لا وجه له للفرق بينهما وما في الحديث توجه بانه خاطب القوم اولا بقوله
يا بني نهد وعلم ان فيهم واحدا متبعا لهوى نفسه فخصه من بينهم بالخطاب
بما يليق به او جعله تعريضا لباقيهم لئلا تثقل عليهم المواجهة بالنصيحة

ابن الحنبلي

عمرو

ونقل عن ابن البادشي ان الخطاب المفرد بعد الجمع له تاويلان اما تخصيص واحد منهم
او تاويله بمفرد لفظا مجموع معنى كالفريق وجوز فيه ان يكون التفاتا والى بما لا يسمن ولا
يغني من جوع على عادته في التطويل الممل من غير فايدة وانا اقول هذا كله مبني على
قاعدة ذكرها النحاة كما في شرح الكافية للرضي وهي انه لا يكون في كلام واحد خطابان
لمخاطبين متغايرين من غير عطف ولا جمع وتثنية وهذه القاعدة ذكرت في باب
الاشارة وقد تتبعت كلامهم فرايتها مقيدة باربعة قيود الاول ان يكون ذلك في
جملة واحدة فلو قلت انت يا زيد تضرب انت يا عمرو وتشتم لم يمتنع الثاني ان لا
يتغايرا فلو كان احدهما عين الاخر جاز نحو اذكر اذ قال ربك كما قدره المفسرون
في مثله ونقل عنه بعضهم واعترض بما لا محصل له الثالث ان لا يكون احدهما نفس
الاخر نحو رايتكما كما ذكره النحاة في افعال القلوب وصرح به المرزوقي رحمه الله
تعالى في قوله احدوا فتو مهاكم باجرول • فقال جرول اسم رجل جعل اول الكلام
خطابا لجماعتهم ثم خص بالندا واحدا منهم حمله المامور بما اراد كقول الهذلي •
اخي اياكن يا ليلي الاماديح • فقال اياكن ثم قال يا ليلي انتهى الرابع ان يبقى الخطاب
على حقيقته كما ذكره الرضي في باب التعجب وقد بسطنا الكلام على هذه المسالة في كتاب
طراز المجالس والمعترض والمجيب خبطا هنا خبط عشوا فان هذا التركيب صحيح من وجهين
لكونه بعضا في جملة اخرى فاحفظه فانه من نفايس الدخاير ثم انه ذكر في اعراب قوله
في الرواية السابقة ولا موعد كلاما يقتضي منه العجب واجاب عنه تلميذه فاعجب
واعجب الا ان المصنف رحمه الله كفانا مؤنته لانه لم يذكره فلذا اضربنا عنه فان اردت
فانظره وقوله في الحياة اي لا يلحد ما دمت حيا ولا تتثاقل عن الصلاة بجزم اللام
والكلام فيه كالذي قبله اي لا تتوانى وتكسل عن الصلاة وتتركها والتثاقل يجعل
كناية كان عليه ثقلا يمنعه عن الحركة اليها وكتب لهم في الوظيفة اي امر النبي
صلى الله عليه وسلم ان يكتب لهم كتاب يبين فيه ما يلزمهم بعد الاسلام والوفا
باركانه ويبين لهم للنبي لهذ وهو متعلق بكتب والوظيفة بالظا المسالة والفاوية
سعيفة وهي المعين في كل يوم او في زمان معين من الطعام وغيره من الرزق
ويطلق على العهد والشرط وجمعه وظائف ووظف بضمتين كصحف كما قاله اهل
اللغة والمراد الاخير اي كتب في العهد وما شرط عليهم في الزكاة لهم فيما يوخذ منهم
من الوظايف المرتبة عليهم الفريضة اي ما فرض عليهم ففريضة بمعنى مفروضة
فان كانت الفريضة بمعنى الهرمة المسنة كالفارض لفرضها سنها اي قطعها لها او
لانقطاعها عن العمل والانتفاع بها فهي غير مرادة هنا لانه روي عليكم في
الوظيفة اي في كل نصاب ما فرض فيه وهذه الرواية مفسرة للمراد به ولان
قوله ولكم الفارض يا باه لما بينهما من التدافع غايته ما فيه اطلاق الوظيفة
على النصاب لانه وظيفة لاصحاب الارزاق مقدرا لهم كوظيفة الارض المعينة
التي وضعها عمر رضي الله عنه كما ذكر في باب الوظايف فلا تجوز فيه كما توهم ابن العجمي
والفارض بالفا كما ضبطه البرهان الحلبي وقد تقدم تفسيرها ويؤيده
ما في الحديث الاخر ولكم الفارض والفريض يعني لا يوخذ منكم ولا يكون

على

على الانضا لانه لا ينتفع به الزكاة وضبطه التحاني بالعين المهملة بدل الفا وفال الفارض الذي
التي اصابها كسر وهي لا تقبل في الصدقة بل باقية لامتحانها وفي مزيل الخفا انه وقع في
بعض النسخ بالعين المهملة وهي الناقة التي يصيبها كسر او مرض فتنحر وفي الغريبين في
بعض نسخة الفارض بالفا وقيل بالعين التي اصابها كسر ولم يتعرض لرضيها يقال عرضت
الناقة اذا اصابها آفة او كسر وبنو فلان اكالون للعوارض اذا لم ينحروا الا ما اصابه
مرض او كسر خوفا ان يموت فلا ينتفعون به والعرب تعير باكله قلت كانه سقط من
عبارة التحاني لفظ او واو بعد الكسر مرضا وفي الشرح خلط هنا لم نسود به وجه
الطرس والفريش بفتح الفا وكسر الرا المهملة والمثناة التحتية الساكنة والشين المعجمة
الحديث العهد بالنتاج كالنفسا من النسا وحكي انه ما لا يطيق حملا لانقال من الابل
لصغره كما حكي انه يقال فرش وفريش بمعنى وان كان المشهور فيه الفرش كما في الاية
ومن الانعام حمولة وفرشا وقيل الفرش ما انبسط على وجه الارض من النبات وهو
بعيد هنا يعني ان هذه كلها لا توخذ في الزكاة اما على الاول فلانها لبون نفيسة
واما على الثاني فلخستها وذو العنان الركوب العنان بكسر العين وبالنون بينهما
الف والركوب بفتح الرا هو المركوب المذلول قال تعالى فمنها ركوبهم ووصفه بذي
العنان في محله يعني لا توخذ الزكاة من الفرس المعد لركوب صاحبه فلا توخذ في
الزكاة وان قلنا بزكاة الخيل وكذا الصغير لانه ليس من اوسطها والركوب بالرفع
صفة ذو وروي بالجر صفة العنان والفلو بفتح الفا وضم اللام وتشديد الواو
المهر الصغير من الخيل لا يوخذ في الزكاة وسمي فلوا لانه يفلى عن امه اي يقطع
بالفطام عنها قال الجوهري يقال فلوته اذا فطمته وعن ابي زيد اذا فتحت الفا
شددت الواو واذا كسرتها خففت فقلت فلو كجرو وفي القاموس انه يقال
كجرو وعدو وسمو وقال انه الجحش والمهر وقيل صغارا ولاد ذوات الحافر
مطلقا وروي الفلو بدون واو وعطف لا وقال اصح الضبيس بفتح الضاد المعجمة
ووهم من قال المهملة والموحدة المكسورة والمثناة التحتية والسين
المهملة اي المهر العسر الركوب الصعب وهو من الرجال كذلك وكانه كني به
عن صغره ولو عطف كان المراد به الحرون الا انه وقع بلا عاطف لا يمنح بالبناء
للمفعول سرحكم باهمال السين المفتوحة وسكون الرا المهملة والحا المهملة
وهي الماشية التي تسرح بالغداة للمرعى والمراد ان مطلق الماشية لا تمنع
عن مرعاها يقال سرحت الماشية تسرح اذا خرجت للرعي وفعله يتعدى
ولا يتعدى فاذا رجعت قيل اراحت قال تعالى حين تريحون وحين تسرحون
وهذا كما قال في كتاب اكيدر لا تعدل سارحتكم وفاردتكم عن مرعى الا انه
عبر فيها بالسارحة لمشاكلة الفاردة كما عبر هنا بالسرح لمشاكلة قوله ولا
يعضد طلحكم يعضد بمعجمة بين مهملتين بمعنى يقطع يقال عضده عضدا
اذا قطعه والطلح بفتح الطا المهملة وسكون اللام والحا المهملة شجر عظام
يقال له العضاة وام غيلان وكل شجر عظيم له شوك يقال له عضة والطلح
في قوله تعالى وطلح قيل هو الطلع وقيل شجر الموز والمراد لا يقطع كلم شجر

ابن الحنبلي

تلمساني

طلبهما كان او غيره وحمته لانه لا نمر له فاذا منع قطعه علم عدم قطع غيره بالطريق الاولى
ولا يحبس دركم بفتح الدال وتشديد الرا المهملتين واصل معناه اللبن والمراد به
هنا الانعام ذوات الدر لا تحبس عن المرعى في مكان تجتمع فيه ليعدها من ياخذ الصدقة
لما فيه من ضرر صاحبها بعدم رعيها ومنع درها عنه وروى لا يحبس دركم اي لا تجمع
في مكان عند المصدق فهو بمعنى لما مر من الضرر وما قيل من ان مراده المصدق
لا يختص بالحبس عن المرعى لشموله لحبسها عند صاحبها على وجه يمنعها من المرعى
وحبسها عند المصدق ليعدها عليه مع مخالفته لكلامهم والسياق لا طايل تحته
وكذا ما قيل ان معناه لا يوخذ الدر نفسه الا ان يكون منحة وكل هذا منافي للغرض
**وقد ورد** في صلح اهل نجران لا تحشروا ولا تعشروا ومقصوده صلى الله
عليه وسلم الرفق بمن يوخذ منهم الزكاة فيولي لما نزلهم من غير مشقة ولوازمهم
وحبس لها ما لم تضمروا الرماق نضمروا بمعنى تخفوا وتكتموا والرماق بكسر الرا
المهملة وميم والف وقاف هو النفاق يقال رامقته رماقا وهو النظر الشزر
من العدو والمعنى ما لم تنفق قلوبكم عن الحق يقال عيش رماق اي ضيق
يمسك الرمق وهو بقية الروح واخر النفس كما قاله ابن الاثير وتاكلوا الرباق
بكسر الرا المهملة والموحدة والقاف قال الشمني جمع ربقة وهي حبل فيه عرى
يشد به البهايم **وفي الحديث** خلع ربقة الاسلام من عنقه قال ابن
الاثير شبه ما يلزم من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقضه فان البهيمة اذا
اكلت الربق خلصت من الشدة وما مصدرية ظرفية وهو اما قيد لما قبله او لجميع
ما تقدم والمعنى ان هذا امر مقرر عليكم منا ما لم تنقضوا العهد وترجعوا عن
الاسلام فاذا كان كذلك فعليكم ما على غيركم من الكلفة وهذا معنى لا غبار عليه
والترتيب في محزه لان المعنى ما لم تضمروا النفاق ثم تظهروا نقض العهد وقريب
منه تفسيره بالغدر والنكث والعداوة فانها اذا اضمرت كانت نفاقا واما تفسير
اضمار الرماق باخفا قطيع من الغنم يعني عن المصدق فانه خيانة تقتضي تضييق
المصدق عليهم بحشر انعام درهم وحبسها فهو على هذا متعلق بقوله لا يحبس
دركم وهذا معنى صحيح موافق للغة لان الرمق القطيع من الغنم فارسي معرب
كما قاله الجوهري الا ان المشهور الماثور في تفسير الحديث ما تقدم فاعتراض
البرهان عليه بانه لم ينظر في غير الصحاح واخشى انه لا يكون احد قاله قبله مما
لا يليق ذكره وكذا القول بان النفاق اضمار الغدر مع اظهار خلافه فتفسيره
غير مستقيم ليس بشي وكذا تفسير الرباق بالموحدة بالغنم مجاز العلاقة
المجاورة فكله بعيد بمراحل عن المراد وفي الكلام استعارة تمثيلية او
تصريحية والمراد بالعهد التزام اوامر الله ورسوله ونواهيه وفي الشرح
الجديد قال البرهان عن المعلق ان الرباق مجاز عن الغنم ولا ادري
من هذا المعلق وعلى هذا التقدير معناه ما لم تاكلوا الغنم ولا معنى لهذه
الظرفية حينئذ اذ يوول الى ادوا زكاتكم ما لم تاكلوا الغنم ومثله مما
لا يليق بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم المسوق لبيان فصاحته عليه

الصلاة

الصلاة والسلام وفي الحواشي التلمسانية تضمروا الاماق بهمزة مكسورة وميم ساكنة وهمزة
ممدودة يليها قاف من زنة الاكرام ومعناها الغدر والنقض يقال اماق يمئق رباعيا
وقد تخفف همزته هكذا ثبت عند العزفي وفي بعض نسخ الشفا الرماق بكسر الراء والميم
بعدها وهو بخط القاضي رحمه الله انتهى **والشراح** قال باب الحواشي متفقون
على الرواية الثانية من اقر فله الوفا بالعهد والذمة الذي العهد للعهد فالمراد
ما عرف من عهود الاسلام او ما عاهدهم الله ورسوله فيما كتبه لهم والذمة قال البرهان
الحلبي بمعنى العهد والامان والضمان والحرمة والحق والمراد الاولان وسميت الذمة
ذمة لان نقضها يوجب الذم ثم سمي محل الالتزام بها في قول الفقهاء ثبت في ذمته كذا وفي
الفقهاء من قال انها معنى يصير به الادمي على الخصوص اهلا لوجوب الحقوق له وعليه
كما قاله تاج الشريعة رحمه الله في شرح الهداية وقال القرافي رحمه الله في قواعده
لم يعرف اكثر الفقهاء معناها المستعملة فيه وحقيقتها حتى ظنوا انها الاهلية المعاملة او
صحة التصرف وليس كذلك لان كلا منهما يوجد بدون الاخر وهي عبارة عن معنى مقدر
في المكلف قابل للالتزام واللزوم مسبب عن اشياء خاصة في الشرع وهي البلوغ والرشد
وعدم الحجر وهي من خطاب الوضع انتهى وسمي اهل الذمة بذلك لدخولهم في عهد المسلمين
وامانهم **والمراد** ان من اعترف وصدق بما جاء به الرسول صلى الله عليه
وسلم فله الوفا بالعهد والذمة ومن ابى اي امتنع من قبول العهد او نقضه
بعد قبوله ودخوله فيه ومن منع الزكاة فعليه الربوة والربوة بتثليث الراء
المهملة وسكون البا الموحدة والوا والها كما في القاموس فالاقتصار على
ضمها تقصير وهي الزيادة ومنه الربا لاخذه زيادة على ما اعطاه وفسر الربوة
بان يؤخذ منه زيادة على فريضة الزكاة عقوبة له وروي من اقر بالجزية فعليه
الربوة اي من امتنع عن الاسلام لاجل الزكاة كان عليه من الجزية اكثر مما يجب
عليه بالزكاة قاله ابن الاثير **وقال** التجاني عنى صلى الله عليه وسلم ان من
ابى من اداء الزكاة اخذ منه الفرض وزيد عليه مثله كما في حديث ابي هريرة رضي
الله عنه الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب الناس الى الصدقة
فقيل له منعها خالد بن الوليد وفلان وفلان فقال اما خالد فالناس يظلمونه
لانه احتبس ادراعه واعتدها في سبيل الله واما فلان فلم ينقم منا الا انه كان
فقيرا فاغناه الله ورسوله واما فلان فانها عليه ومثلها معها او روي فانها عليه
صدقة ومثلها معها **وفي رواية البخاري** ان عليه صدقة واجبة
يؤخذ منه وليس معناه انه يعطاها ويعطي مثلها معها لان المذكور من اهل البيت
لا تحل له الصدقة وذهب ابو عبيد في معنى هذا الحديث الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما الزمه اياها ومثلها معها لانه كان قد اخر عنه صدقة العام الماضي
ومثله جايز للامام اذا علم حاجته وفقره لكن ظاهر الحديث يخالفه لانه في معرض
العقوبة والجزا فلو كان كذلك لم يكن فيه ردع انتهى وفي رواية البخاري احتمال
انها كانت قبل تحريم الصدقة على اهل البيت كما في بعض شروح مسلم **واعلم**
انه لم ينقل الحديث على وجهه فانه هكذا في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه

انه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله عنه على الصدقة فقيل منع
ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس فقال صلى الله عليه وسلم ما ينقم ابن جميل الا انه كان
فقيرا فاغناه الله واما خالد فانكم تظلمونه وقد احتبس ادراعه في سبيل الله واما
العباس فهو علي ومثلها اما تشعر ان عم الرجل صنو ابيه وفي رواية في البخاري فهي
عليه صدقة ومثلها معها وفي رواية لم يقل صدقة ففيه ثلاث روايات ومعنى
الاولى انه صلى الله عليه وسلم التزم باخراج ذلك عنه وبين سببه بقوله عم
الرجل الخ تشريفا له ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم تحملها عنه لتعلق الزكاة
بالذمة وجمع ابن الجوزي بين رواية علي وعليه بانهما بمعنى وزيد في الثالثة
ها السكت في علي وقيل معنى علي انها عندي لاني اخذت منه صدقة عامين وقد
ورد مصرحا به في رواية اخرى بناء على جواز تعجيل الزكاة وفي الحديث نحو
اخر في شروح الصحيحين لا حاجة لنا بها هنا ومن هذا علمت ما في قوله اكن ظاهر
الحديث يخالفه لانه ورد في معرض العقوبة الخ فانه لا زجر فيه الا لابن جميل
لا للمقول في حقه هي عليه ومثلها كما سمعته انفا ومن كتابه صلى الله عليه وسلم
لوايل بن حجر تقدم الكلام عليه الى الاقيال العباهلة اي الى الملوك الذين اقروا على
ملكهم وقد تقدم تفسيره وبيان لغته وضبطه والارواع بالهمزة وراء مهملة وواو
بعدها الف وعين مهملة وهم السادة الزهر الالوان الحسان الوجوه وقيل انه
جمع رايع وهم الذين يروعون الناس اي يفزعونهم بمنظرهم لجمالهم وهيبتهم
قاله ابن الاثير قيل والاول اولى وجمع فاعل على افعال نادر جدا اقول
ما قاله ابن الاثير هو الذي ارتضاه المبرد في الكامل لما فيه من البلاغة فان
الحسن الزايد اذا راه من له ادراك ادهشه وحيره فيشبه الخائف الفزع
ومن وقف على كلام المبرد عرف حسنه وقيل انما كان هذا غير موجه لان الهيئة
التي كانت لهم هيئة تجبر وظلم ازالها الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم انما
اراد مدحهم بالحلم والرافة وليس بشيء المشابيب بفتح الميم والشين المعجمة
ثم موحدتين بينهما الف ومثناة تحتية جمع مشبوب وهو الحسن الازهر
اللون قال ذو الرمة

اذا الاروع المشبوب اضحى كانه   على الرحل مما منه السير احمق

والمراد السيد الظاهر الازهر اللون المنير كانه اوقد في وجهه سراج منير
وهو يجمع مع الاروع في كلامهم كما في البيت فان التنادم مما تروع ناظره
وروى الاشنابير بزنة الاخلا جمع شنبيت كخليل وقيل هم الرجال الذين وجوههم
بيض وشعورهم سود فقد اكما يقال للحسناء ذات الذوايب لتسود شعرها
يثبت لونها اي يظهره ويحسنه وقيل المراد الاذكيا وفيه اي في كتابه صلى
الله عليه وسلم لوايل في التيعة شاة التيعة بكسر المثناة الفوقية وسكون
المثناة التحتية والعين المهملة الاربعون من الغنم وقيل الخمس من الابل
وقيل هي ادنى ما يجب فيه الصدقة من الغنم والابل وهو المقدار المذكور
وقيل هي ما ياخذه الساعي من الزكاة وهو غير مناسب هنا وهو من

ابن الاثير

عرفه

الثيج

النبح وهو النبي وقد وقع الشيب به في حديث الراجح في هيئته كالراجح في قيئه ويقال الثاع
ثيه وثاع ويقال ثاع بمعنى ذهب قيل وجه المناسبة سرعة المبادرة اليها كسرعة
القي او الذهاب الساعي اليها والاحسن ان يقال انها فضلة ووسخ يستريح بدفعها
لان الصدقة اوساخ الناس كما ورد في الحديث ولذا منع اهل البيت منها الشرفهم لاتفوق
الالياط مفورة بميم مضمومة وقاف ساكنة وواو مفتوحة مخففة وراء مهملة مشددة
من الافوار كمحمرة من الاحمرار وهي المسترخية الجلد من الهزال فلا توخذ في الصدقة لرداءتها
وقيل هي المنتفخة من الهزال ايضا وقيل هي السمينة فهي من الاضداد كما ذكر الصاغاني
في كتاب الاضداد وهذه لا توخذ لانها اعلى والمامور باخذ الوسط **وفي** بعض النسخ
مقورطة معوعلة قال التلمساني قال ابن سيدي الحسن ولا اعلم الآن معناه ولعله تصحيف
من مفربطة يقال افربط الجلد انضم بعضه لبعض او مفر بقطة وهو بمعناه والالياط
بلام وياء مثناة تحتية وطاء مهملة جمع ليط بكسر اللام وهو قشر العود فاستعير للجلد
من لاطه يلوطه اذا الصقه وقيل المقورة المقطوعة والمعنى انها الناقصة فالتفاسير
متقاربة ولا ضناك بفتح الضاد المعجمة وكسرها قال التجاني ويجوز ضمها وحكي
فيه لانه بمعنى الزكام ولا مناسبة له هنا وفي ضبطه نظر لما في العباب للصاغاني
الضناك بالفتح قاله الفارابي وقال غيره هو بالكسر وهو الصواب وهي الكثيرة اللحم
السمينة فلا توخذ لجودتها وانطوا الثبجة انطوا بمعنى اعطوا لغة لاهل اليمن او
لبني سعد وروي في الدعاء لا مانع لما انطيت وقرئ شاذا انا انطيناك والثبجة
بالمثلثة والموحدة والجيم المفتوحات والهاء بمعنى الوسط والهاء للنقل من الاسمية
للوصفية **وقال التجاني** ان الباء الموحدة مكسورة ومنه ثبج البحر وسطه
وفي الحديث خيار امتي اولها واخرها وبين ذلك ثبج والمقصود انه لا يوخذ في
الزكاة الاعلى لاضراره برب المال الا ان يكون برضي منه ولا الادنى ولا المعيب الا
ان يكون الكل كذلك لان الجود بالموجود وتفصيله في كتب الفقه قال البرهاني
وفي بعض النسخ بكسر الباء وتشديد الجيم وفيه نظر قال التلمساني وروي الشجة
بالشين المعجمة والجيم من شج شار بشدة واراد اعطاء القوي للضعيف فتامله
وفي السيوب الخمس السيوب بضم السين المهملة والمثناة التحتية وواو وباء موحدة
جمع سيب وهو الركاز بمهملة وكاف وزاي معجمة بزنة كتاب بمعنى مركوز
وهو المال المدفون الجاهلي من ركز الرمح اذا غرزه في الارض واقره او من الركز
وهو الاخفاء قال تعالى او تسمع لهم ركزا اي صوتا خفيا وسمي سيبا لانه
عطية من الله وقيل هو الذهب والفضة المعدني من سيب بمعنى تكون من
غير صاحب له فكانه مسيب والخمس بضمتين وضم فسكون ويقال له خميس ومنه
اسم الجيش لكونه خمسة اقسام ميمنة وميسرة ومقدمة وساقة وقلب وقوله
في الحديث المعدن جبار وفي الركاز الخمس يدل على ان الركاز غير المعدن ٥
واتفقوا على وجوب الخمس في الركاز الا الحسن البصري فقال ان وجد في دار
الحرب ففيه الخمس وفي غيره الزكاة ولا فرق فيه بين النقدين وغيرهما والقليل
والكثير ولا يشترط الحول كالزكاة وعند الشافعي انه كان وجده في ملكه فهو

وقف

له ان ادعاه والاصح لفظه ومن زنا من بكر فاصفعوه ماية قوله من بكر وما ياتي من قوله من ثيب اصله كما في النهاية من بكر ومن ثيب فقلبت النون ميما لانها اذا سكنت قبل البا تقلب ميما سوا كان من كلمة نحو عنبرا ومن كلمتين نحو من بكر وتقدم ان لام التعريف تبدل ميما في لغة حمير نحو ليس من امبر امصيام في امسفر فاما ان يكون ما نحن فيه من الثاني فاصله من البكر بحذف فتنون من على حدة قولهم في بني الحارث بلحارث فيكون بكر حينئذ غير منون واستعمل البكر موضع الابكار ولا شبهة ان يكون نكرة منونة وابدلت نونه من ميما انتهي وقيل عليه ان كون بكر بمعني ابكار لاجل من التبعيضية فتقديره من زني ببكر من الابكار ويجوز ان تكون لبيان الجنس فبكر على اصلها وهو على هذا الحمل ان يكون بمعني الابكار لما في من من العموم ثم انه اذا قلب النون ميما على نهج الاقلاب التجويدي لا يتاتي في قوله من ثيب فلذا قال في مزيل الخفا انه من باب الازدواج والمشاكلة كما في قولهم ما قدم وحدث بضمهما مع ان حدث بالفتح فان قلنا انه انما قيل من بكر بقلب النون ميما لانها تعاقبها كثيرا كما في قولهم بنان وبنام ودان ودام كما قاله التجاني لم يحتج لما ذكر وقوله فاصفعوه بهمزة وصل ثم صاد مهملة ساكنة ثم فاء مفتوحة ثم عين مضمومة مهملة اي فاضربوه ويقال اسقعوه بالسين ايضا من الصقع وهو الضرب واصله الضرب على الراس وقيل هو الضرب ببطن الكف وضبطه بعض الشراح فاصقعوه بالقاف بدل الفا كما نقله التلمساني يقال صقعت فلانا اصقعه صقعا اذا ضربت قفاه بجميع كفي ورجل مصفعاني يفعل به ذلك والعامة تقول لمن سرق متاعا منه انه صفع وهي استعارة عامية ركيكة كما قال ابن نباتة رحمه الله تعالى

اشغف لشاشي الذي قد مضى • وفاز به سارق حاشه
والله ما لي متاجري • سوي قولهم صفعوا شاشه

وتطفل عليه الصعدي على عادته فقال

قد سرق الشاش بليل وما • قدره الله فما يندفع
الحمد لله الذي لم يكن • شاشي على راسي لما صفع

والمراد هنا حد الجلد والمراد بالبكر غير المحصنات كما بين في الحدود واستوفقوه عاما بهمزة وصل وسين مهملة ومثناة فوقية وواو ساكنة وفا وضاد معجمة ثم واو ساكنة ثم ها الضمير بمعني الفوه وعزبوه من وفضت الابل اذا تفرقت والعام والسنة بمعني هنا وان كان الامام السهيلي فرق بينهما في الروض الانف باعتبار اصل الوضع فان السنة من دور الشمس الي عودها لمحلها لانها من سني بمعني دار ومنه السانية والعام ما اشتمل على الفصول الاربعة بتمامها ومن زنا من ثيب اي محصنة وتقدم ما فيه فضرجوه بالاضاميم ضرجوه بضاد معجمة مفتوحة ورا مهملة مكسورة مشدده وجيم معجمة من التضريج وهو التدمية اي ارجموه حتي يسيل دمه وتقدم قال ان بني ضرجوني بالدم • والاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة وميمين اولاهما مكسورة بينهما يا مثناة ساكنة الحجارة واحدها اضمامة

سرقته

بكم

بكسر الهمزة او اضمومة بضمها كا قنوم سميت بها لانه يضم بعضها البعض ويطلق على كل مجتمع
من الناس وغيرهم والمراد الرجم الذي هو حد المحصن كما فصل في كتب الفقه واختلافهم
وكون التغريب من الحد ام لا مشهور في الفروع شهرته تغني عن ذكره ولا توصيم في الدين
توصيم تفعيل من الوصم بالصاد المهملة وهو العيب والعار اي لا كبر ولا عيب ولا عار
ولا كسل في اقامة حدود الله فلا تحابوا فيهما وهذا في معنى قوله تعالى ولا تاخذكم بهما
رافة في دين الله ولذا حرم الفقهاء الشفاعة في الحدود دون التعزير ولا غمة في فرايض
الله الغمة بضم الغين المعجمة وتشديد الميم اي لا يخفي ويستتر فرايضه تعالى بل
تظهر ويجهر بها اقامة واظهارا لشعاير الدين وهذا يقتضي ان اظهار الفرايض كلها
ينبغي اظهارها اداء الزكاة دون اخفائها فقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي
وان تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم محمول على صدقة التطوع فان الافضل
اخفاؤها وقيل انه شامل للزكاة وقد يستحب اخفاؤها اذا خاف الرياء ونحوه وقيل انه
يختلف باختلاف الاحوال والزمان ولو قيل ان المراد هنا ان الحرام بين والحلال بين لم
يحتج للتقييد ويؤيده انه روي هذا الاعمة بفتح العين المهملة والميم المخففة والها
اي الحيرة ولا تردد فيهما وروي لا غمد بكسر الغين المعجمة وسكون الميم والدال المهملة
ومعناها لا ستر ولا اخفاء كتغمدنا الله برحمته اي سترنا بها وكل مسكر حرام هذا حديث
صحيح رواه مسلم وهو انه قال كل مسكر خمر وكل مسكر اي كل ما من شانه الاسكار فهو حرام
اي ولو قطرة منه والخلاف في المثلث بشروطه معلوم ويدخل فيه الحشيش على الاصح ه
وللزركشي رحمه الله فيه تاليف مستقل واما ذكر هذا الاسم سالوه وقالوا يا رسول
الله ان شرابا يصنع بارضنا يقال له المزر والبتع واهل تلك الديار لهم ولع به فلذا
بينه لهم والكلام على الحديث مفصل في شرح مسلم ووايل بن حجر تقدم بيانه يترفل
على الاقيال يترفل بالراء المهملة والفاء واللام والترفل اصله تطويل الرداء والثوب
وسحبه يكون فخرا وعظمة واستكبارا وجعل كناية وهذا اظهر لجعله رئيسا عليهم
محكما فيهم وفي اخذ صدقاتهم لان الترفل للتعظيم والرياسة والحاكم اعظم فجعل
هذا عبارة عن ان النبي صلى الله عليه وسلم جعله واليا على امورهم وقبض
صدقاتهم قال التجاني اي يتامر ويترايس وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم
في كتاب اخر له وقد وجهه الى المهاجر بن ابي امية من محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المهاجر بن ابو امية وان وايلا يستسعي ويترفل على الاقيال حيث كانوا
من حضرموت اي هو مستعمل على الصدقات وامير على الاقيال قال الشاعر
اذا نحن رفلنا امرا ساد قومه • وان لم يكن من قبل ذلك يذكر •
وقد تقدم معنى الاقيال واصله ومن الترفل هذا الترفيل المذكور في العروض
وقوله ابن ابو امية كذا صحت روايته بحكاية اول احواله واشتهر هنا كما يقال علي
بن ابو طالب قال التجاني وقريش لا تغير الاب في الكنية فتجعله بالواو في احواله
الثلاثة وحكاه ابو زيد عن الاصمعي في نوادره فليس بلحن كما توهم كما نقلوه
عن ابي زيد فهذه لغة خامسة لكنها لكونها مخصوصة بالكنية لم يذكروها
اي هذا من كتابه صلى الله عليه وسلم لانس رضي الله عنه في الصدقة المشهور

بطل قواعد غريبه
ابو

اين استفهام عن المكان والمراد ان بينهما بونا وفرقا فان ذاك كان بلغة اهل اليمن وهذا
بلغة قريش وتهامة المالوفة بينهم ففيه اشارة الى فصاحته صلى الله عليه وسلم
ومعرفته باللغات وخطاب كل احد بلسانه ولغته وهذا اشارة الى الكتاب الذي دفعه
ابو بكر رضي الله عنه لانس رضي الله عنه حين ارسله في خلافته الى البحرين وامره ان
يعمل به وهو من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضهم وقفه على ابي بكر
رضي الله عنه وبعضهم رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال انه كان عند ابي بكر
رضي الله عنه يعمل به وهو الذي سلمه لانس رضي الله عنه ولما دفعه اليه كان عليه خاتم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الكتاب ذكره البخاري في صحيحه والنسائي وابو
داود والترمذي وغيرهم على اختلاف بينهم في كثير من الفاظه والبخاري ذكره مفرقا في كتابه
ولم يخرجه مسلم **واختلف** في سبب تركه له مع صحته وشهرته فقيل للاختلاف
في كونه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم او من كلام ابي بكر رضي الله عنه وقيل لاختلاف
المحدثين في الكتاب والعمل به وان كان الاصح انه يعمل به ولا فرق بينه وبين غيره
من الاحاديث وله طرق مختلفة واوله بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التي
فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها
ومن سئل فوقها فلا يعطه في ما دون خمس وعشرين من الابل الغنم في كل خمس ذود شاة
فاذا بلغت خمسا وعشرين ففيها ابنة مخاض وبقية الكتاب مذكور فيه احكام الزكاة
وهو مذكور في المطولات ولما ذكرنا هذا المقدار منه تبركا لان النبذة تدل على الشيء
وفي ذيل الخفافيل لم يكتب النبي صلى الله عليه وسلم الى انس وانما ابو بكر رضي الله عنه
هو الذي كتب اليه **واجيب** بان الدارقطني ذكر باسناد صحيح رواية
هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ابو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتاب الصدقة ولم يخرجه في حياته فعمل به
ابو بكر رضي الله عنه بعده ثم عمر رضي الله عنه وعلى هذا ففي كلام المص رحمه الله
مقدر دل عليه خصوص الواقعة اي في كتابه الذي كتبت نسخته لانس رضي الله عنه
لما في صحيح البخاري ان انسا حدثه ان ابا بكر كتب له هذا الكتاب لما وجهه الى البحرين
ثم ان المص بين وجه التنائي فقال لما كان كلام هؤلاء الاشارة الى جميع من تقدم من
الانصار وقريش واهل نجد واهل الحجاز والهمدانيين والنهديين او الى
الاخير من لغتهم على هذا الحد اي على هذه الصفة قال الراغب حد الشيء الوصف
المحيط بمعناه المميز له عما عداه وبلاغتهم على هذا النمط اي على هذه الطريقة
واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعمالها معهم يعني ان استعمال هذه الالفاظ
مع من هي لغتهم لا تخل بالفصاحة بل هو من اعلى طبقاتها وان كان فيها
ما هو غريب وحشي بالنسبة لغيرهم فان الجاحظ نص في البيان على ان كلام
اهل البادية الوحشي بالنسبة لهم فصيح وان كان كلام اهل المعاني قد يوهم
خلافه وانه يخل بالفصاحة مطلقا وهذا مما غفلوا عنه وله في هذا فصل
بديع منه من اراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف
اللفظ الشريف ومن حقهما ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ولا تفود

من اجله ان يكون اشوجحا لا منك فتدل ان تلتمس الاظهار هما يكن في ثلاث منازل اولها ان
يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا ويكون معناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا اما
عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت واما عند العامة بان يكون للعامة اردت
والمعنى ليس يشرف بان يكون من معاني الخاصة ولا يتضع بان يكون من معاني العامة
وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام
من المقال الخ ما فصله ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون اشارة
الى انه لما كان مبعوثا لجميع الناس كان يتكلم بكل لغة مع اهلها لانه ابلغ في الابلاغ
والنفع وكقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عطية السعدي منسوب لقبيلة بني سعد
ابن بكر وفي العرب سعود غيرهم سعد تميم وسعد قيس وسعد هذيل وسعد بكر
هؤلاء وغيرهم وعطية هذا هو عروة السعدي ويقال عطية بن عامر ويكنى ابا محمد
روى عنه اهل اليمن والشام وهو جد عروة بن محمد بن عطية روى ابن عبد البر
بسنده الى عروة بن محمد بن عطية قال حدثني ابي ان اباه حدثه انه قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ناس من بني سعد قال وانا اصغرهم فخلفوني في رحالهم ثم
اتوه صلى الله عليه وسلم فقضى حوائجهم ثم قال هل بقي منكم احد قالوا يا رسول
الله غلام منا خلفناه في رحالنا فامرهم ان يبعثوا الي فاتوا الي وقالوا اجب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاتيته فلما راني قال ما اغناك الله فلا تسال الناس شيئا
فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة تمامه وان مال الله مسئول
ومنطى روى بودكه وينطي وهذا الحديث صحيح رواه الحاكم وصححه من طريق عروة
وتمامه كما رواه الواقدي في قصة وفود السعديين عن ابن النعمان منهم عن
ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا في نفر من قومي وقد
اوطا رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد الى ان قال ثم انصرفنا الى رحالنا
وقد كنا خلفنا عليها اصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبنا
فاتي بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه على الاسلام فقلنا له يا رسول الله انه
اصغرنا وخادمنا فقال سيد القوم خادمهم بارك الله عز وجل عليه فكان
والله خيرنا واقرانا للقران لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له ثم
امره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فكان يؤمنا ولما اردنا الانصراف
امر بلالا رضي الله عنه فاجازنا بأواق فضة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا
فرزقهم الله الاسلام وهذا يشعر بانه كان امير القوم واذ كان هم فلذا
خصه النبي صلى الله عليه وسلم بما ذكره المص رحمه الله قال اي عطية
السعدي فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا ورواه السيوطي
رحمه الله في تخريجه فكلمني ولا تخالفه رواية المص لانه صلى الله عليه
وسلم القى اليه الكلام وتوجه اليه لما تفرس فيه الخير لجابد نجابته والقوم
يسمعون فيصح ان يقال كلمهم وكلمه وقيل اراد بقوله كلمنا نفسه بنون
العظمة اظهارا لانعام الله عليه بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم له
ولعله اليه وتاميره عليهم والمقام يأباه وقوله بلغتنا اي بلغة بني سعد

لانهم كانوا يقولون انطي ينطي انطا بمعنى اعطى ولا منافيه ما قيل الهالعة بمانية لانه
يجوز كونها لغة لهما وقال التلمساني قيل لغة حمير انط بمعنى اسكت وكنت رجلا بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتبا فدخل اخر فقال له صلى الله عليه وسلم
انط اي اسكت ستر السرة واليد العليا اليد المعطية والسفلى يد السايل الاخذ
وهي المعطاة وقد جا تفسيرها بذلك في حديث اخر وهو انه صلى الله عليه وسلم قال على
المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسئلة اليد العليا خير من اليد السفلى واليد
العليا المنفقة والسفلى السايلة وهو حديث صحيح رواه الشيخان والمنفقة بنون
وفا وقاف ويروى المتعففة بعين وفاين اي التي لا تسال احدا وقيل المتعففة
بتشديد الفا وقيل يد الله فوق يد المعطي ويد المعطي فوق يد المعطى بالفتح فهي
اسفل الايدي والايدي ثلاثة وقيل اليد السفلى الاخذة بسوال ودونه وما
قيل ان هذا لا ينبغي لان الصدقة تقع اولا بيد الله ليس بشي لان هذا ليس على
حقيقته لان المراد انه يقبلها ويدخرها له وقيل اليد العليا المعطية والسايلة
المانعة وقيل اليد العليا يد الفقير لتحصيلها الثواب لصاحب المال ودفع البلا
عنه واختاره بعض مشايخ الصوفية فيده افضل عند الله قال ابن قتيبة وما
ارى هذا الا كلام قوم استحقوا السوال وحسنوه وكل هذا مضمحل بعد التصريح
بتفسيره في الاحاديث الصحيحة وان قيل فيه انه مدرج والخلاف مبني على ان
المراد بالعلو المحسوس بنا على الغالب او المعنوي من علو الشرف كما قال الشاعر
اذا كان باب الذل في جانب الغنا • سموت الى العليا في جانب الفقر •
والتعبير عن المعطي بالمنفق وذي اليد العليا بنا على الغالب المتبادر فلا يقال
يد السايل قد تكون فوق اذا اخذ من كفه وان المنفق قد لا يكون متصدقا وان
الاخذ قد لا يكون سايلا بان يعطى ابتدا والسايل قد لا يكون متصدقا عليه كسايل
القرض وغيره وهو ظاهر لا ينبغي التطويل بمثله ويحتمل في الحديث ثلاثة اوجه
احدها ان معناه يد المعطي ويد السايل بطريق الكناية الثاني ان معناه
المنفق والاخذ الثالث عكس الاول والاول اصح رواية ودراية وبقي وجه اخر
وهو ان يراد بالعلو وما يقابله العلو المعنوي لعلو رتبة المنعم والحطاط رتبة
الاخذ وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث العامري حين ساله النبي صلى الله
عليه وسلم العامري نسبة لعامر اسم قبيلة وتسمى بني عامر سموا باسم جدهم
كمثم وكانوا وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم عامر بن الطفيل
واربد وتواعدا ان يقتلاه صلى الله عليه وسلم غيلة فهلكا في الطريق لما
رجعا من عنده صلى الله عليه وسلم وقد حماه الله وعصمه اما اربد فاصابته
صاعقة اهلكته واما عامر فاصابه طاعون مات فيه في بيت امراة سلولية
وسلول قبيلة مذمومة مسترذلة عند العرب فكان يقول اغدة كغدة
البعير وموت في بيت امراة سلولية فجرت مثلا لاجتماع امرين حقيرين
واربد اخو لبيد الشاعر وقد هداه الله للاسلام بعد موت اخيه اربد وحسن
اسلامه ولم يقل شعرا بعد اسلامه غير قوله •

فقال له

احدهم

لحمد لله الذي لم ياتني اجلي • حتى اكتسيت من الاسلام سربالا •
وهذا العامري اسمه عطية توفي في حدود الثمانين وفي العقد لابن عبد ربه ان اسمه
لقيط بن عامر بن المنيفق وساق له حديثا على وجه اخر سل عنك بفتح العين وسكون
النون عن الجارة وكان خطاب وهذا الحديث رواه ابو نعيم في الدلايل عن شداد بن
اوس ولم ار من صحح لغة بني عامر هذه وبين وجهها ورايت في شرح ديوان الاعشى
في قوله
فاذهبي ما اليك ادركني الحلم • عداني هجاكم اشغالي •
ان العرب تقول اذهب اليك وسر عنك بزيادة اليك وعنك انتهى والمص رحمه الله
ثقة واسع الاطلاع لو لم يقف على ان هذه لغة لبني عامر لم يذكرها ووجه البلاغة
فيها انها جعلت كناية عن سل عن كل شيء فان كل احد ادري بنفسه فاذا امر بسؤاله
عنها فكانه قال له انا اعلم بك منك واذا كان كذلك فهو عليم بجميع احواله وهذا
يدل على المراد بطريق برهاني بليغ اي سل عم شيت وهي لغة بني عامر عم ووقع في
بعض النسخ عما بالالف وفي بعضها عم بدون الف والاولى اولى لانها موصولة كما
لا يخفى وان اردت تحقيق هذا المقام فاعلم ان ابن قتيبة قال في ادب الكاتب
اذا جرت ما الاستفهامية بحرف جر سقطت الفها فرقا بينها وبين الموصولة الا
بم شيت فان العرب تقول ادع بم شيت في الموصولة والاستفهامية فان
جرت باسم مضاف لم تحذف وفي شرح اللبلي اما اذا كان الجار لها اسما متمكنا لم
يفعلوا ذلك وقول العرب مجيء م ومثل م شاذ وانما حذفت مع الحرف تخفيفا
فرقا بين الاستفهام والخبر وخص الاستفهام لانه اسم تام فصارت مع الحرف
كاسم واحد فحذف الالف لطول الاسم وجا نادرا سل عم شيت فان جره اسم متمكن
لم يفعلوا ذلك وجامع بعد وعلى لعدم تمكنهما فالحقا بحروف الجر وقول العرب
بجيء م جيت ومثل م انت شاذ انتهى وهو تفصيل نفيس قل من حرر هذا
التحرير ومنه عرفت ان قوله عم شيت صادق بجزء وانه لا يرد عليه شيء مما
قالوه وفي شرح التسهيل لابي حيان ان الاخفش قال في الاوسط ان انا وقد
ذكر ان كثيرا يقولون سل عم شيت كانهم حذفوا الفها لكثرة استعمالهم اياها
انتهى وحينئذ لا حاجة الى ما قيل ان المص رحمه الله وقف على انها لغة لبني
عامر فقد تجانس المعتبر والمعتبر وما قيل من انه لا وجه لهذه النسخة من
قصور النظر وقصر باع الاطلاع واما كلامه المعتاد اي كلام النبي صلى الله عليه
وسلم الذي اعتاده في مجالسه مع قومه واهل ارضه وغيرهم وفصاحته
المعلومة لكل احد من كلامه وجوامع كلمه كما ورد في الحديث الصحيح اوتيت
جوامع الكلم والجوامع جمع جامعة اي كلمة جامعة لوجوه الفصاحة والكلم
اسم جنس جمعي لكلمة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح والمراد ان الله تعالى من
عليه صلى الله عليه وسلم باقداره على التكلم بكلمات بليغة جزلة حاوية
لمعان نافعة من المواعظ ونحوها وقيل المراد بها القران والاصح الانسب
بالمقام الاول وقول الهروي معنى جوامع كلمة القران جمع الله فيه معان كثيرة

في الفاظ يسيرة وكلامه صلى الله عليه وسلم كان كذلك عرفت ما فيه وقال ابن شهاب
بلغني ان جوامع الكلم ما جمعه الله له من الكتب التي كانت قبله في الامر الواحد والامرين
ونحوه والحاصل الجمع عدّ وامن فضايله صلى الله عليه وسلم وكما لاته انه كان يتكلم
في محاوراته بقليل الالفاظ المحتوية على المعاني التي لا حصر لها ومنه ما ورد في
الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يستحب الجوامع من الدعاء وهو ما يجمع الاغراض
الصالحة والمقاصد الصحيحة او ما يجمع انواع السؤال واداب المسالة كما قلت في
قصيدة في مدحه صلى الله عليه وسلم

وجوامع الكلم التي فتحت له ۞ سجدت لها البلغا والاقلام ۞

وحكمة المأثورة هو من الاثر وهو ما يدل على الشيء من اثاره وعلاماته ومنه اثرت
العلم اذا رويته اثره اثرا واثارة واثرة اذا تتبعت امره كما قال الراغب فالمأثور
المنقول له المروية والحكم جمع حكمة وهي الكلمات النافعة فتشمل المواعظ فهي اعم
من جوامع الكلم فتخذ الف الناس فيهما الدواوين الفاجواب اما والضمير للحكم او
للمذكورات كلها والمراد بها هنا الكتب المستقلة جمع ديوان بكسر الدال وفتحها في
لغة وقال ابو عمرو انه خطا ولو صح كان جمعه دياوين ولم يسمع كما قاله الجواليقي
وفي الاحكام السلطانية الديوان موضوع لحفظ الاموال والاعمال ومن يقوم
بها من الجيوش والعمال ووجه التسمية بذلك ان كسرى اطلع عليهم وهم يحسبون اي علي كتبة ديوانه
مع انفسهم فقال ديوانه اي مجانين ثم خفف بحذف الهاء وقيل ان الديوان
بالفارسية اسم للشياطين جمع ديو بكسر الدال والالف والنون علامة للجمع
في الفارسية كزاهد وزاهدان فسموا به لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلي
والخفي ثم سمي به مكانهم واول من وضع الديوان عمر رضي الله عنه وهو معرب
كما قاله الجواليقي واطلق على الدفتر ثم قيل لكل كتاب وقد يختص بالشعر
لشاعر معين مجازا وشاع حتى صار حقيقة فيه فمعانيه خمسة الكتبة ومحلهم
والدفتر وكل كتاب ومجموع الشعر وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب
المراد كتب الحديث المسندة وغيرها وشروحها وجمعت مبني للمفعول فلا وجه اي افترى
لما قيل ان الالفاظ قوالب المعاني فمتى تجردت عنها كانت مهملة ومنها ما لا
يوازي فصاحة يوازي مبني للمجهول اي يماثل ويقابل ويساوي من الموازاة
وواوه مبدلة من الهمزة يقال ازى الشيء يازيه اذا حاذاه وفي شرح
الكرماني للبخاري ازيته ولا وازيته يعني لا يقال ذلك في ماضيه واما
المضارع فيجوز ابدال الفاء فيه واوا لانضمام ما قبلها فتدبر ولا يباري بلاغة
اي لا يعارض فيؤتى بمثله وهو مجهول بضم المثناة التحتية والموحدة
والمهملة بين الفعل واما لم يمكن معارضته لغيره من مرتبة الاعجاز في
تعبيره بالموازاة في الفصاحة وبالمباراة في البلاغة حسن لا يخفى وجهه
فلا يرد عليه ان الذي لا يعارض هو الكلام المعجز والاعجاز يختص بالقرآن عربي
كما توهم وفصاحة وبلاغة منصوبان على التمييز كقوله صلى الله عليه وسلم
المسلمون تتكافى دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم

التكافؤ

التكافؤ التماثل من الكفو بالهمزة وهو المثل اي هم متساوون في القصاص والدية
فشريفهم ووضيعهم وصغيرهم وكبيرهم وفقيرهم وغنيهم واميرهم وسوقتهم
سوا وهذا كقوله النفس بالنفس خلافا لما كان عليه الجاهلية من قتل الجمع الكثير
بالواحد مطلقا كما في قصة كليب وغيرها فجا الشرع بابطاله فلا يقتل الجمع بالواحد
الا ان تواطيوا عليه وكان فعل كل واحد منهم يقتل لو انفرد وبهذا الحديث استدل على
ان المسلم لا يقتل بالكافر لا بنا على العمل بمفهوم المخالفة بل لما ورد من المصرح
به في الاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده
والقايل بانه يقتل المسلم بالكافر الذمي قال المراد بالكافر هنا الحربي وفي وجه
التخصيص كلام للفقها والاصوليين وقد افرد هذا الحديث بجزء مستقل وهذا
الحديث اخرجه ابو داود والنسايي عن علي كرم الله وجهه وصححوه والى عدم
قصاص المسلم بالكافر ذهب ابو حنيفة خلافا للشافعي وتساوي دمايهم كناية عن
التساوي في القصاص والدية كما مر وقوله ويسعى بذمتهم ادناهم المراد بالذمة
العهد والامان فانه اذا امن احد من المسلمين واحدا من الكفار كان ذلك جاريا
على جميع المسلمين لا يجوز نقضه لواحد منهم وادناهم اقلهم مقدارا فيشمل كل
وضيع بالنص وكل شريف بالفحوى فيدخل فيه الصبي والمراة واختلف في امان
العبد فقيل يقبل وقيل ان كان ماذونا بالاجازة والا فلا والصبي قيل ان امانه يقبل
وقيل ان كان مراهقا قبل والا فلا والمجنون لا يصح امانه بلا خلاف ومنهم من
استثنى الاجرا والاسرا في دار الحرب ومعنى يسعى يباشر ويفعل وقوله وهم
يد على من سواهم في النهاية معناه انهم مجتمعون على اعدايهم يتعاونون بعضهم بعضا
فلا يخذله فجعل ايديهم كانها يد واحدة في الاتفاق ولذا لم يقل ايدي واليد
تستعمل في القهر والقوة والقدرة اي هم مستولون قاهرون لغيرهم من اهل الملل
لم في الاتفاق كاليد الواحدة فهو تشبيه بليغ او استعارة وفي هذا الحديث ويرد
عليهم اقصاهم وتفسيره مذكور في كتب الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم
الناس كاسنان المشط مناسبة لما قبله ظاهرة والمشط بضم الميم وكسرها وفتحها
وشينه مثلثة ايضا ويقال ممشط كمنبر وهو آلة معروفة يسرح بها الشعر وهذا
مثل في تساوي الاخلاق فهو قريب من قوله تتكافى دماوهم وهو مثل كذا في
الشروح وهذا الحديث اخرجه ابن لال عن سهل بن سعد في مكارم الاخلاق
واعترض على هذا التفسير وجعله نظير ما قبله بان تفاوت الناس في
الاخلاق معروف فالظاهر ان المراد تساويهم في الاحكام الشرعية والمراد بالناس
المسلمون لان غيرهم لا يساوونهم في ذلك او الجمع باعتبار اغلب الاحكام او
المراد تساويهم في الانساب فانهم كلهم اولاد ادم كما قال تعالى يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثى الخ فالمراد نفي ما كان عليه الجاهلية من التفاخر بالنسب
فلا شرف الا بالعلم والتقوى كما ورد في الحديث يا ايها الناس ان ربكم واحد
وان اباكم واحد لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى
وفي معناه ما نسب لعلي كرم الله وجهه قال

الناس في عالم التمثيل اكفاء ابوهم ادم والام حوا
جسم لجسم واعضا امثالها ... واعظم خلقت فيها واعضا
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لاهل العلم اعدا

والشعر بتمامه مشهور وليس المراد ان النسب لا يعتبر مطلقا والمرء مع من احب رواه الشيخان عن انس رضي الله عنه وغيرهما وهو حديث صحيح مروي من طرق منها ما اسند الى ابن مسعود رضي الله عنه قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل احب قوما ولم يلحق بهم فقال المرء مع من احب فمن احب الابرار فهو مع الابرار ومن احب الفجار فهو مع الفجار وفي الحديث لا يحب الرجل قوما الا حشر معهم وفيه يحشر المرء مع خليله فلينظر مع من يخالل وروي من خال بالتشديد ومصداقه قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اولئك رفيقا وامثاله كثيرة لا تحصى والمرء بمعنى الرجل والمراد به هنا مطلق الانسان الشامل للمرء والمراة بطريق التغليب ويحتمل التخصيص لان المراة تحشر مع زوجها ولو احبت غيره لله والمراد المعية في الحشر ومنازل الاخرة فيترقى من منزلته لمنزلتهم بسبب خلوص المحبة قال الغزالي قال الغزالي رحمه الله وهذه المناسبة روحانية باطنية خفية واسباب لا يطلع عليها كما ورد في الحديث لو ان مومنا دخل مجلسا فيه مائة منافق ومومن واحد لجا حتى يجلس اليه فالمعية لدنو وقرب ديني لا في مجرد الاكرام وضده فضلا من الله لا يعلمه الا الله ولذا قال في اخر الاية السابقة ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وان لم يعمل عمل من احبه ولو كانت المعية في مطلق الاكرام ناله كل مومن صالح وان لم يحب فان قلت من اخلص محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يكون معه وقد خصه الله تعالى بدرجة رفيعة لا يصل اليها احد وهذا هو الداعي لمن حمل المعية في مجرد الاكرام بقطع النظر عن خصوص المرتبة قلت هذا ارتضاه بعضهم وقد عرفت ما فيه وقد ارتضى غيره خلافه وقال يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين ولا يلزم مساواته من كل الوجوه وقد اطال في الشرح الجديد هنا بما لا محصل له على عادته ويجوز ان يراد بكونه معه كونه في الجنة ولابن حجر رحمه الله تعالى

وقايل هل عمل صالح ... اعددته ينفع عند الكرب
فقلت حبي خدمة المصطفى ... وحبه فالمرء مع من احب

وقلت انا

وحق المصطفى لي فيه حب ... اذا امرض الرجا يكون طبا
ولا ارضى سوى الفردوس ماوى ... اذا كان الفتى مع من احبا

ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له هو حديث رواه ابن عدي في الكامل بسند ضعيف كما قاله السيوطي في تخريجه واوله كما قال التلمساني المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الخير مثل ما ترى له درجة

ابن حنبل

عمر رضي

من

من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه قال ويروى يرى بالياء والتاء والياء للفاعل وللمفعول والصحبة بضم الصاد وسكون الحاء المهملتين والموحدة مصدر كالرفقة اي يكون عنده من الرغبة والمودة والنفع مثل ما عندك له كما قال ابن الاحنف •

اذا كان لا يدنيك الا شفاعة • فلا خير في ود يكون بشافع •

والناس معادن رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه وتمامه الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا والارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والمعادن جمع معدن بكسر الدال وفتحها خطا منبت الذهب والفضة ونحوهما من عدن بمعنى اقام لاقامة اهله فيه او لاثباته فيه ويطلق على مكان كل شيء فيه اصله وعلى كل اصل وعلى بيوت العرب يعني صلى الله عليه وسلم بذلك ان بني ادم يختلفون باختلاف اصلهم فمن كان اصله شريفا اعقب مثله وسرى طيب عرقه لفرعه ومن كان اندون ذلك كان عقبه مثله ومن كان خبيثا كان فرعه خبيثا الا ترى ان الشجرة الكريمة تنبت فرعا طيبا وثمرا جنيا وضدها كذلك فعروق الحنظل لا تنبت الا حنظلا ولو سقيت شهدا ومنبت الذهب لا يتكون فيه الحديد والنحاس لكن خيارهم حسبا لا يصير خيارا في الاسلام الا بالتقوى والفقه والعلم فاذا كان كذلك طاب اصلا وفرعا والا فلا ينفعه حسبه كابي جهل لعنه الله واضرابه وهاهنا نكتة وهي انه صلى الله عليه وسلم قال كمعادن الذهب والفضة ولم يذكر معادن غيرهما من الامور الخسيسة كالحديد والملح اشارة الى ان خلقة الانسان وجبلته خلقت على الكرم والشرف كما قال تعالى ولقد كرمنا بني ادم وقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وقوله فقهوا بضم القاف من الفقه وبكسرها بمعنى الفهم ويجوز في الاول الكسر ايضا والفقه حذق الرجل بما يعلمه وعلمه وفهمه ثم خص بعلم الشريعة مطلقا ولذا قال ابو حنيفة رحمه الله هو معرفة النفس ما لها وما عليها وسمى كتابه في العقائد الفقه الاكبر ونقل لعلم الفروع وتعريفه والكلام عليه مفصل في كتب اصول الفقه وقوله الارواح جنود مجندة يعني انها خلقت قبل الاجساد اقساما مجتمعة فمن وافقت روحه الروح التي هي من قسمه الفها كما قال ابو نواس •

ان النفوس لارواح مجندة • لله في الارض بالاهواء تاتلف •
فالتعارف منها فهو مؤتلف • وما تناكر منها فهو مختلف •

ومن جوامع الكلم قوله صلى الله عليه وسلم ما هلك امرؤ عرف قدره قال السيوطي قال السمعاني رحمه الله انه حديث روي مسندا عن علي كرم الله وجهه وفي سنده من لا يعرف حاله وقال النجاتي لا اعرف له سندا صحيحا الى النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو من كلام اكثم بن صيفي في وصيته فان ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلعله تمثل به واكثم هذا بالمثلثة من بلغاء العرب وعده بعضهم في الصحابة والاكثر على خلافه وفي كتاب جوامع الكلم وبدايع الحكم هو من كلامه صلى الله عليه وسلم وذكره مسندا يعني انه

من عرف مقدار نفسه ونزلها منزلتها نجا في الدنيا والاخرة من الهلاك ومن تعدى
طوره فتكبر ورفع نفسه فوق حده هلك وهو ظاهر والمستشار مؤتمن وهو
بالخيار ما لم يتكلم المستشار اسم مفعول من المشاورة والسين فيه للطلب اي طلب
راي من يشاوره وسياتي ان المشورة بفتح الميم وسكون الشين وان الافصح فيها
وضم الشين وكلاهما جاء بمعنى الشورى من شار العسل اذا اجتناه لانه باراه
الصواب كانه اطعمه شهدا او من شار الدابة اذا عرضها ومنه المشوار لمكان
تعرض فيه الدواب والعامة تطلقه على جري بها من اطلاق اسم المحل على الحال
فاختر لنفسك ما يحلو فيمتحن بها العرض امره على من استشاره وانما كان للمستشار
مؤتمنا لانه اودعه سره وما خفي من امره وجعله امانة عنده فيطلب ان يحفظه
ولا يظهره وان ينصحه فيما استشاره فيه وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم
بالمشاورة وناهيك بعلو مقامه ومعرفته بعواقب الامور حتى قيل انها كانت
واجبة عليه في الحروب تشريعا للامة وتطييبا لقلوب اصحابه كما قيل •

شاور صديقك في الخفي المشكل • واقبل نصيحة ناصح متفضل •
فالله قد اوصى بذاك نبيه • في قوله شاورهم وتوكل •

وقوله وهو بالخيار الخ معناه انه مخير ان شاء اشار عليه بما شاوره فيه وان شاء
سكت ولم يتكلم فاذا تكلم لزمه بيان رايه ونصحه وذكر الصواب عنده وهذا
الحديث اخرجه احمد عن ابن مسعود رضي الله عنه ولفظه المستشار مؤتمن
وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت فان تكلم فليجتهد رايه اي فليجتهد في
رايه ويفكر في الصواب فيه واخرج صدره فقط الاربعة من حديث ابي هريرة
رضي الله عنه والحاكم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ومن جوامع الكلم النبوية
قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم هذا الحديث
اخرجه ابو الشيخ عن ابي امامة رضي الله عنه والديلمي عن انس رضي الله عنه لكنه
رواه رحم الله امرا بدل عبدا والعسكري ايضا رواه عبدا مرفوعا عن انس ايضا
وله شواهد وروايات تقويه وتصححه فرواه البيهقي في الشعب والخرائطي
في الاخلاق اما كونه اذا قال خيرا كالذكر والعلم والعظمة فانه يغنم الاجر
والذكر الجميل وربما يحصل الغنم في الدنيا وقوله او سكت اي عن خلاف الخير
فسلم من وباله فيما يندم عليه كما لا يخفى وقوله واسلم تسلم يؤتك الله
اجرك مرتين من حديث رواه الشيخان في كتابه الذي كتبه صلى الله عليه
وسلم لهرقل ملك الروم وهو اسلم تسلم يؤتك الله الخ وهو ظاهر وعلى
الاول فالثاني بدل مما قبله او جواب بعد جواب او بحذف ومجازم مقدر
وفيه من البديع التجنيس والانسجام والايجاز ومعناه تسلم من عذاب
الدارين ومن ذل الجزية ويؤتك الله اجرين اجرا باتباعك عيسى عليه
الصلاة والسلام وايمانك به واجرا اعظم منه بالاسلام واتباع خير النبيين
عليه افضل الصلاة والسلام ومرتين منصوب على الظرفية وهذا كما
ورد في حديث اخر ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين فذكر منهم رجلا من اهل الكتاب

آمن بنبيه وادرك النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به بخلاف المشركين وكتابه صلى
الله عليه وسلم لهرقل كان في سنة ست حين مادّ قريشا وقيل في سنة خمس وصورته
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم
سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك
الله اجرك مرتين الخ وهو مذكور في الصحيحين مشروح في شروحهما والدعاية بكسر الدال
مصدر بمعنى الدعوة وكتب الى المقوقس فيه بسم الله الرحمن الرحيم الى المقوقس
وقال فيهما عظيم الروم وعظيم القبط ولم يقل ملك الروم ولا ملك القبط لانه لا يستحق
ذلك العنوان الا من كان مسلما ومع ذلك فلم يخل بتعظيمهما تليينا لقلوبهما في اول الدعوة
الى الحق وهرقل بكسر الهاء وفتح الرا المهملة وسكون القاف كما قال جرير

وارض هرقل قد قهرت وداهرا ويسعى لكم من آل كسرى النواصب

وقيل انه بسكون الرا وكسر القاف ولعلها لغة فيه لتلاعبهم بالاعجمي وهو علم
ممنوع من الصرف ولقبه قيصر ويلقب به كل من ملك الروم كما مر ولم يقل ويؤتك
بالعطف لتكرار اسلم لفظا او تقديرا تاكيدا في حثه صلى الله عليه وسلم على الاسلام
ومناسبة لكون اجره مرتين وليكون له اجرين ايضا او الامر الاول للدخول في
الاسلام والثاني للدوام عليه ووصل له الكتاب مع دحية رضي الله عنه وهو بحمص
في المحرم سنة سبع فلما قراه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم اني مسلم ولكني
مغلوب فقال صلى الله عليه وسلم كذب عدو الله انه على نصرانيته وقيل انه
آمن قال ابن عبد البر كيف هذا وقد قاتل الصحابة رضي الله عنهم بتبوك واوعد
النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتيه في العام المقبل فنزل النبي صلى الله عليه وسلم
لاجله الى تبوك فلم يجئ ثم اخذت البلاد منه فتمكث بالقسطنطينية الى ان هلك
على نصرانيته سنة عشرين ولذا لم يلقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالملك مع انه
اعترف بانه مغلوب والمتغلب المغلوب معزول عند ابي حنيفة رحمه الله ففي هذا
اخبار بالغيب فان قلت قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين نزلت في اهل
الكتابين التوراة والانجيل وهو في النصارى صحيح واما في اليهود فلا اذ لا يؤجرون
على دينهم بعد نسخه بشريعة عيسى صلى الله عليه وسلم قلت قد ثبت انها
نزلت في عبد الله بن سلام رضي الله عنه واضرابه ممن اسلم من اليهود واستمر
قبل ذلك على دين اليهودية ولم يتبع عيسى عليه الصلاة والسلام فقبل ايمانهم
لايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه يؤجرون عليه وان كان منسوخا
واما القول بانهم لم تبلغهم دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام فبعيد لانهم
متاولين بانه مبعوث لبني اسرائيل خاصة وهم من العرب لا سيما وهم ينكرون
النسخ واما القول بانها نزلت في كعب الاحبار فغير صحيح لانه ليس له صحبة
ولم يسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الا ان يا ول بانها نزلت في امثاله
ممن آمن من اهل الكتاب وهو بعيد وقال الكرماني رحمه الله ان هذا
مخصوص بمن آمن به صلى الله عليه وسلم في عصره لان من بعده بنسخ دينه
وبلغته دعوة الاسلام وصحح غيره انه عام لكل من اسلم من اهل الكتاب

لما مر وبه افتى الامام البلقيني فلا اشكال وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيامة

احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويولفون هذا ايضا من جوامع كلمه صلى

الله عليه وسلم وبدايع حكمه وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابن مسعود وعن جابر رضي

الله عنهما ورواه الطبري وزاد فيه وان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا يوم القيامة

الثرثارون المتفيهقون المتشدقون وزاد غيره المشاؤون بالنميمة المفرقون بين

الاحبة الملتمسون للبراء العيب واقتصر المص رحمه الله على بعضه وفيه روايات

مختلفة بالزيادة والنقص واحب افعل تفضيل من المبني للمجهول وفعله ثلاثي لانه يقال

حبه بمعنى احبه فهو محبوب وان كان قليلا وصوغه من المجهول مقصور على السماع في الاصح

ومجالس جمع مجلس وهو محل الجلوس منصوب على انه تمييز والتمييز يجوز افراده

وجمعه كما بينه النحاة ونسبة القرب له كناية عن رضاه عنهم وشفاعته صلى الله

عليه وسلم لهم في الموقف واحاسن جمع احسن افعل تفضيل وجمع لمطابقة ما

هو له وهو المضاف اليه واستدل الكوفيون بهذا الحديث على ان افعل التفضيل

اذا اضيف لمعرفة يجوز ان يطابق موصوفه وان لا يطابقه لافراده احب واقرب

وجمع احاسن بخلاف ما اذا اضيف لنكرة فانه تلزمه الافراد والتذكير ولا حاجة الى

القول بانه انسلخ عن معنى التفضيل وصار بمعنى حسن وان ورد كثيرا في كلامهم

كما قاله ابن مالك رحمه الله تعالى ان الاحبة وكثرة الثواب بحسن الخلق في الجملة

والاخلاق جمع خلق وقد تقدم بيانه والموطئون بضم الميم وفتح الواو والطا

المهملة المشددة وبعد ها همزة مضمومة جمع موطا اسم مفعول وقال البرهان

الحلبي انه في الاصل الذي وقف عليه بفتح التا من غير تشديد وهو من فيه

لين ورفق وسهولة من التوطية وهي التمهيد والتذليل يقال ابة وطية

اي لا تحرك راكبها وفراش وطي لا يوذي جنب النايم عليه وهو في الاصل على طريق

التمثيل والاستعارة لانه يمكن غيره من وطيه با قدامه واريد به ما مر والاكناف

جمع كنف بفتحتين وهو الناحية والجانب اي من يلين جانبه لغيره او المراد

من يلتجا اليه ويعتمد عليه والاول انسب بما بعده من قوله الذين يالفون

ويولفون اي الذين يالفهم الناس ويالفونهم من الالفة بالضم وهو الاجتماع

مع حسن المعاملة والعشرة والثرثار الكثير الكلام فيما لا يعني مستعار

من عين ثرثارة اذا كانت كثيرة الما وكذا المتفيهق وهو متفعل من الفيهقة

من فهق الغدير يفهق بفتح الها فيهما اذا كثر ماوه والمتشدقون الذين

يتكلفون في كلامهم بفتح اشداقهم كما قيل

تشادق حتى مال بالقول شدقه • وكل خطيب لا ابا لك اشدق •

وورد في هذا الحديث ان الصحابة رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله قد علمنا

الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وهو غير مخالف

لما تقدم لان المعجب بنفسه وكلامه تدعوه حاله الى التكبر وفي التهذيب

الفهق الاتساع وكل شي توسع فقد تفهق وانشد المبرد

تفهق بالعراق ابو المثنى • وعلم قومه اكل الخبيص •

وفيه

ونهق

وَيُنهِي العَدُوّ بِعُمقٍ فَهمًا وَقَوم الرجل بالكلام امثلا انتهي ثم عقبه بما يناسبه من جوامع
الكلم فقال وقوله صلي الله عليه وسلم لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه
هذا حديث صحيح روي من طرق بعضها موافق لكلام المص وفي بعضها ما لا ينقص
وفي بعضها ما لا يضره وضميره راجع للرجل المذكور في اول الحديث الذي رواه البيهقي
عن انس رضي الله عنه في الشعب ان رجلا من الصحابة استشهد باحد فقالت له امه
يا بني ليهنك الشهادة فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لها وما يدريك لعله
الخ واخرج الترمذي من حديث حفص بن عتاب عن الاعمش عن انس رضي الله عنه قال
توفي رجل من الصحابة فقالوا له ابشر بالجنة فقال صلي الله عليه وسلم او لا تدرون
فلعله قد تكلم بما لا يعنيه او بخل بما لا ينقصه واخرجه البيهقي من هذا الوجه
ايضا وقال هذا هو المحفوظ قاله خاتمة الحفاظ الجلال السيوطي ومعناه انه
لا ينبغي ويبشر بالجنة الا من لم يصدر عنه مثل هذا فلعله يعاقب عليه ويعنيه
بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة والنون بمعني يهمه وينفعه من عناه
يعنيه ومنه الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وفيه نهي عن التكلم
بما لا يلزم ولو مباحا لما فيه من تضييع الاوقات ومن ترك الاهم كذكر الله وتلاوة
القران واذا نهي عن هذا فما بالك بالتكلم بكل قبيح كالغيبة والنميمة وقوله ويبخل
بما لا يغنيه بضم المثناة التحتية وسكون الغين المعجمة وبين يغنيه ويعنيه
تجنيس والبخل ترك البذل ومنع العطاء اللازم كالزكاة والنفقة علي من تلزمه
نفقته او المستحسن مروءة كالتصدق بفضل علي الفقراء وتفريج ضيق الاخوان
واطعام الطعام وتخصيصه بالاول غير ظاهر وكان الظاهر ان يقال بما لا يحتاج
اليه كما في الرواية الاخري لا يضره ولا ينقصه فعدل عنه لانه ابلغ فهو كناية
عما ذكر لانه يعلم منه بالطريق الاولي او المراد ما لا اغناء له عنه والبخل صفة ذميمة
ولا نفقة لا الخسارة كما ورد عنه صلي الله عليه وسلم بشر مال البخيل بحادث
او وارث وقال الشاعر كما مر

يعني البخيل بجمع المال مدته ۝ وللحوادث وللوراث ما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها ۝ وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

وقوله صلي الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها هذا حديث
رواه ابو داود عن عمار بلفظ ذو الوجهين ذو لسانين في النار ويقال له ذو
الوجهين وذو اللسانين ويقال له ذو الاوجه كما قال

وكم من فتي يعجب الناظرين ۝ له السن وله اوجه

واذا كان ذو الوجهين كذا فذو الاوجه معلوم بطريق الاولي وبين الوجه
والوجيه جناس اشتقاق كقوله فاقم وجهك للدين القيم وفيه لطافة لما فيه
من جعل كونه له حالين متخالفين وكلامين غير متوافقين عند رجلين علي وجه
الافساد اذا كانا متحابين او علي وجه الاضرار اذا كانا متعاديين بمنزلة من له
وجهان يأتي هذا بوجه وهذا باخر كما قالوا اخرج بوجه وادخل بوجه غيره
والوجيه الذي له قدر ومنزلة والمراد بكونه لا منزلة له عند الله انه لا يرضاه

ولا يجيبه لقباحته فعلها اما لو فعل ذلك لاصلاح ذات البين وازالة ضغاين القلوب ونحو ذلك فهو امر حسن ليس ذا اخلاقيما مر وقال النخالي ذو الوجهين هو الذي ياتي لكل قوم بما يرضيهم خيرا كان او شرا فيظهر لاهل المنكر انه راض عنهم فيستقبلهم ببشر منه وترحيب ويظهر لاهل الحق انه راض عنهم فيوريد ارضا كل فريق منهم ويظهر انه معه وان كان ليس كذلك باطنا وروي ابو هريرة رضي الله عنه عنه صلي الله عليه وسلم انه قال ان من شر الناس ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه خرجه مسلم **وعن انس** رضي الله عنه عنه صلي الله عليه وسلم انه قال من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له لسانين من نار يوم القيامة ونهيه عن قيل وقال هذا حديث صحيح رواه الشيخان عن مغيرة بن سهم وفيه ثلاثة اوجه فقيل القيل والقال مصدران بمعني القول وقيل فعلان احدهما مبني للمجهول والثاني غير مجهول وجوز فيه ان يحكي مبنيا علي الفتح وان يعرب اعراب الاسما وينون ومنه تعلم ان نقل الجمل يجري في غير الاعلام كما صرح به المرزوقي وذكر له نظاير هذا ما يتعلق بلفظه واما معناه فالنهي عن كثرة الكلام لما يؤول اليه من الخطا او كونهما بمعني لا وجه له فقيل انه اشارة الي حكاية كلام الناس فالاول حكاية عن غير معين والثاني عن معين وقيل الاول عبارة عن السؤال والثاني عن الجواب فالمعني انه نهي عن كثرة البحث والجدال في الدين وغيره مما لا يلزم وقيل انه نهي وزجر عن كثرة الكلام مبتديا او مجيبا او كثرة السؤال اي سؤال الناس ما بايديهم استعطا وهو للقادر علي الكسب من غير ضرورة حرام وهو الذي ارتضاه علماؤنا وقيل مكروه او السؤال عن اخبار الناس واحوالهم قيل وهذا المعني عنه قوله عن قيل وقال او السؤال عن الشبهات والبحث عنها او التكلف في تخريجها وتوجيهها وقد ورد النهي عن ذلك او المراد نهيهم عن سؤال رسول الله صلي الله عليه وسلم عن امور لا يؤذن في السؤال عنها كما قال تعالي يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم ويرد عليه انه لو اريد هذا قال وعن السؤال من غير ذكر الكثرة **واجيب** بان كثرته تضمه لما اذن في السؤال عنه وهذا يتضمن النهي عن احدهما لان النهي عن مجموع امرين احدهما هو المنهي عنه في نفس الامر نظرا الي هيئتهما المجموعة يتضمن النهي عن خصوص ذلك المنهي عنه ولا يخفي ما فيه من التكلف لادعا امر لا يدل عليه اللفظ واضاعة المال باي طريق كان سوا كان ماله او مال غيره كالانفاق في الحرام واهمال ماله وعدم تنميته حتي يهلك ودفع مال السفيه له والاسراف فيما لا فايدة فيه كل ذلك منهي عنه وعد من اضاعته حبسه وعدم صرفه فيما يليق كما قيل

وما ضاع مال اورث الحمد اهله • ولكن اموال البخيل تضيع

ومن هان عليه المال توجهت اليه الامال ومن بسط راحته اكتنى ساحته وكما قلت

وتكرم نفس المرء ان هان ماله • وكل كريم النفس فهو كريم

وقيل تصدق في المحتاج والمديون حرام وكذا التصدق بجميع ماله وقال

السبكي في فتاواه الضابط في اضاعة المال ان لا يكون لغرض ديني اودنيوي فاذا
انتفيا كان اضاعة ومحل حرمته مااذا لم يصبر ويتوكل على الله حق التوكل لقوله تعالى
ويؤثرون على انفسهم ولوكان بهم خصاصة ومنع وهات منع ممنون مجرور وجوز فيه
ان يكون فعلا ماضيا وهو بعيد والمراد منع بذل ما يجب او يستحسن او مطلق الامساك
وهات بكسر التا المثناة الفوقية اي طلب ما عند غيره وسواله وهو فعل امر واصله
ائت فقلبت همزته ها وهو مذهب الخليل رحمه الله وعليه اكثر النحاة وعقوق
الامهات العقوق مخالفة الوالدين وايذاوهم ضد البر من العق وهو القطع والامهة
جمع امهة وهي الام واصل الام امهة لجمعه على امهات وتصغيره على اميهة وقد
جا اصله من المضاعف لقولهم امات واميمة وقال بعضهم اكثر ما يقال امات
في البهايم ونحوها مما لا يعقل وامهات في الانسان وخص الامهات مع ان عقوق
الوالدين من الكباير لان لهن اكثر حقا وشفقة على الولد ولذا لما سال سايل رسول
الله صلى الله عليه وسلم من احق الناس بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال
امك قال ثم من قال امك ثلاثا قال ثم من قال ابوك وهو حديث صحيح وايضا
لما لم يكن للنسا تلك الحرمة خصهن ليحثهم على برهن وينبه على ما يجب لهن
فيلد ومنه يوخذ انه اذا اعطى والديه شيا يزيد عطية الام على الاب واكثر العقوق
يكون لهن وقال حكمة الثلاث في الحديث مشقة الحمل والوضع والرضاع وذهب
الجمهور الى انها تفضل على الاب في البر ونقل عن مالك وبعض الشافعية التسوية
بينهما والاول اصح ووأد البنات الوأد بفتح الواو وسكون الهمزة والدال المهملة
واصله الصوت الشديد وهو دفن البنات في حياتهن اما انفة وغيرة من النكاح عرضي
او خوفا من الفقر والمدفونة حية حالة الدفن تضيح غالبا وما في الشرح الجديد
من انها سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيوودها اي يثقلها ومنه ولا يوده
حفظهما غلط فاحش لاختلاف مادتيهما فان مادة الاول وأد والثاني أود
واختلاف معنييهما كما بينه اهل اللغة وادعا القلب لا حاجة اليه وكان هذا
في الجاهلية واول من فعله قيس بن عاصم التميمي فتبعه العرب على ذلك
وكان بعضهم يقتل اولاده مطلقا وكان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق منع
الواد في الجاهلية كما قال

وجدي الذي منع الوائدات ❊ واحيى الوئيد فلم يوأد

وخص البنات لانه الغالب وكانوا على فريقين فمنهم من يحفر حفيرة تلد
المراة عندها فان وضعت ذكرا ابقته وان وضعت انثى القتها في الحفيرة وردم
عليها التراب فان لم يفعل ذلك وصارت سداسية ذهب بها ابوها البير
ورماها فيها بعد ما طيبتها امها وزينتها وفي الجاهلية من نهى عن ذلك
كزيد بن عمرو بن نفيل فلما جا الشرع ابطل ذلك كله وقد جعلوا العزل واد
خفيا وهي المووودة الصغرى ووجهه ظاهر وهو حرام او مكروه وفيه
تفصيل ذكره الفقها ثم نهيه صلى الله عليه وسلم عن الثلاثة الاول من
هذه الامور الستة نهي كراهة وعن الثلاثة المتقدمة نهي تحريم لكن ليس بصيغة النهي

بل بمقتضى الحديث الاخر الصحيح وهو انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم عليكم
عقوق الامهات الخ وفي كلام زايد على مقتضى المقام وقوله صلى الله عليه وسلم اتق الله
حيثما كنت وفي نسخة الديلمي حيث ما كنت وهذا الحديث رواه احمد والترمذي والحاكم
عن ابي ذر رضي الله عنه ولا فرق بين الروايتين معنى لان ما زايدة والتقوى
حفظ النفس عن ارتكاب المعاصي ولها مراتب فصلها الغامضي في اول سورة البقرة
وحيث ظرف مكان يضاف للجمل والمراد بها هنا التعميم اي في اي مكان واي حال
وقيل انها هنا ظرف زمان بناء على مجيئها للزمان لان التقوى في جميع الازمنة اهم
منها في جميع الامكنة وقيل ان الرواية حيث ما كنت وقال غيره انه روي بحذفها
ايضا والامر للراوي او لكل من يقف عليه ليعم كل مامور وباعتبار اوّل الغير
كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار ولنا فيه كلام ليس هذا محله واتبع السيئة
الحسنة تمحها هذا وما قبله وما بعده حديث واحد رواه الترمذي وقال انه
حديث حسن صحيح والمراد باتباعها اياها فعلها بعدها وجعلها تابعة لها اي واقعة
بعدها بحيث تقرب منها وفي معنى الحديث قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات
ومحوها واذهابها بمعنى تكفيرها وعدم مؤاخذة الله بها فكانها لم تكن والمراد
بالسيئة الصغيرة لقوله في الحديث الصلاة الى الصلاة كفارة لما عدا الكبائر وقالت
المرجئة انه شامل للكبائر والصغائر وقال بعض المعتزلة المراد ان الحسنة تكون
سببا لترك الذنب ولا تكفر شيئا اصلا ويحتمل ان المراد بالمحو حقيقته والمعنى
انها تمحى من كتاب اعماله وصحايفه وهو في جواب الامر واما هي لا يخفى ان هذا
مقيد بغير حقوق العباد اما هي كالغيبة فانه لا يمحوها الا الاستحلال اذا بلغه
من قيلت فيه بعد بيان جهة الظلامة ان امكن والا فقالوا ينبغي ان يكثر من
الاستغفار والدعاء له ويكثر من فعل الحسنات لحديث اذا اغتاب احدكم اخاه
من خلفه فليستغفر له فان ذلك كفارة وله هذا زيادة بيان وتفصيل في كتاب المكفرات
للسيد السمهودي رحمه الله وقوله وخالق الناس بخلق حسن قد علمت انه من
تتمة ما قبله وخالق امر من خالقه يخالقه بمعنى عاشرهم وخالطهم وعاملهم
بما تحب ان يعاملوك به فليس المقصود المفاعلة بل هو لاصل الفعل او هو على
اصله بجعل المطلوب منهم بمنزلة الواقع والخلق بضمتين وضم فسكون السجية
والطبيعة التي طبعوا عليها وفيه اشارة الى انه يمكن اكتسابه والا لم يكن
للامر به فائدة كما ورد يا معاذ حسن خلقك مع الناس اي عاملهم بطلاقة وجه
الخواطر وكف الاذى فان ذلك مؤدي لاجتماع القلوب وانتظام الاحوال وهو
جماع الخير وملاك الامر كما قلت

ان رمت ان تحظى بعز وهنا • فاجتنب الناس وكن عنهم غني •
وان تخالطهم فكن ذا عفة • وخالق الناس بخلق حسن •

وخير الامور اوسطها لما كانت الملكات المحمودة لها طرفا افراط بين التبذير
والبخل والشجاعة بين التهور والجبن جعل الوسط منهما مطلوبا على ما بين
في علم الاخلاق وبه ورد التصريح في الحديث الذي رواه العسكري عن الاوزاعي

عريف

خ اوساطها

بسنده

بسنده وهو مما من امر امر الله به الا عارض الشيطان فيه بخصلتين ايهما فعل اصاب الغلو
والتقصير وروى ابو يعلى بسنده عن وهب بن منبه ان لكل شيء طرفا وسطا فاذا امسك
باحد الطرفين مال الاخر واذا امسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالاوساط من
الاشياء ويشهد له قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي بين غلو النصارى
وتفريط اليهود قال الشاعر

عليك باوساط الامور فانها • نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا •

وقال الحريري

حب التناهي غلط • خير الامور الوسط •

وقال • خير الامور عندنا الاوساط • ونكره التفريط والافراط •

وليس الوسط بمعنى الخير والحسن مطلقا بل في امور مخصوصة فتتفق توسطها خير
الا ترى الى قولهم اخو الدون الوسط وقولهم ابغض من مغن وسط لا مطرب ولا
مضحك كما في الروض الانف وهذا الحديث اخرجه السمعاني في ذيل تاريخ بغداد
عن علي كرم الله وجهه عنه صلى الله عليه وسلم وابن جرير في تفسيره عن مطرف
ابن عبد الله ويزيد بن مرة الجعفي وكذا اخرجه البيهقي بلا سند وذكره الديلمي
بلا سند عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه دوموا
على اداء الفرايض فخير الاعمال اوسطها ويناسبه قوله احبب حبيبك هونا ما عسى
ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما
والهون بفتح الهاء وسكون الواو والنون مصدر كالقول من هان عليه الشيء اذا
خف وسهل ومنه الهون في المشي وهو الرفق واللين فارشد صلى الله عليه وسلم
المتحابين الى الاقتصاد في المحبة وعدم المبالغة فيها وكذا المتباغضين اللذين
بينهما عداوة لا ينبغي لهما المبالغة في العداوة واظهارها فليكن ذلك على قدر
متوسط فان خير الامور الوسط فقد ينتقل الحب الى البغض والبغض الى الحب
فيقبح تفاوت حالك ويغير فوالك وافعالك فالهون هنا بمعنى التوسط
وعدم الافراط وقد فسره به اهل اللغة قال في النهاية اي لا تسرف في الحب والبغض
فعسى ان يصير الحبيب بغيضا والبغيض حبيبا فتندم وتستحي فدخل هذا
الحديث تحت ما قبله وقال ارسطاطاليس للاسكندر لا تملان قلبك بمحبة شيء
ولا تستولين عليك بغضه واجعلهما قصدا فان القلب كاسمه ينقلب وقال بعض العرب

واحبب اذا احببت حبا مقاربا • فانك لا تدري متى انت نازع •
وابغض متى ابغضت غير مباين • فانك لا تدري متى انت راجع •

وبين عليه ابن الرومي بقوله •

احذر صديقك مرة • واحذر عدوك الف مرة •
فلربما انقلب الصديق • فكان اعرف بالمضرة •

فان قلت كيف يدل هذا على التوسط وقد قالوا ان ما تدل على التقليل
سواء قلنا انها زائدة او اسما على ما فصله المفسر في قوله تعالى مثلا ما بعوضة
وهي هنا مشددة لقلب النون ميما وادغامها فيها قلت لان الوسط قليل

بينهما

ابن الحنبلي

بالنسبة للاعلى وقيل انها تفيد تقليل التوسط والحب اذا كان على وجه التوسط في
القليل كان قليلا ولكن غير خارج عن مراتب التوسط بل عن مرتبة الوسط الوسطى
ومن الجائز ان يكون له مراتب متفاوتة قربا من الطرفين وبعدا منهما وعدم قرب
وبعد منهما وعند عدم القرب والبعد منهما يكون التوسط الكبير ويعني به التوسط
التام كما يعني بالتوسط القليل التوسط الناقص والحق انه لا تقليل فيهما وانما
المراد اي هونا كان وما في ذلك للتاكيد كما في الاية والتقليل لو سلم يفيده تنكير
هونا انتهى وفيه نظر وهذا الحديث كما قال السيوطي اخرجه البخاري في الادب
والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه وقال النجاتي الاكثر على انه من كلام علي
كرم الله وجهه ورواه الحسن بن ابي جعفر مسندا عن علي رضي الله عنه يرفعه
للنبي صلى الله عليه وسلم باسناد ضعيف وقال الترمذي الاصح انه موقوف
على علي وذكر الترمذي ايضا انه ورد عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال واراه رفعه وهو غريب لا نعرفه بهذا الاسناد الا من هذا الوجه وممن
رفعه القضاعي في الشهاب ورواه الماوردي مرفوعا في ادب الدين والدنيا
وكذا الغزالي في الاحيا ورواه في مسند الفردوس والظلم ظلمات يوم القيامة
الظلم وضع الشيء في غير موضعه وقد يكون بمعنى النقص قال ولم تظلم منه
شيئا اي لم تنقص منه شيئا وارض مظلومة اي لم تمطر فكانها نقصت غيرها
والمراد به تعدي الحدود سواء كانت في حقه او في غيره وتعريفه يراد به العموم
وافرد الظلم وجمع الظلمات اما لانه جمع معنى لاستغراقه فيكون كمقابلة الجمع
بالجمع او اشارة الى ان الظلم الواحد تعقبه ظلمات متعددة لفظاعته
وقال ابن الجوزي ان من ظلم نفسه او غيره نشا ذلك عن قسوة قلبه ثم
يعقب ذلك تعديه ومبارزة ربه بمخالفته فلذا تعدد جزاؤه وتلك الظلمة
اما حقيقة حسية كما ان المومن المطيع له نور في يوم القيامة قال الله تعالى
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم الاية ومنهم من حمل الظلمة على
الاهوال والشدائد كما فسر به قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر
اي شدائدهما ولا حاجة الى صرفه عن حقيقته مع امكانها وهذا الحديث
صحيح اخرجه البخاري وترجم له واسنده الى ابن عمر رضي الله عنهما ورواه كما
رواه المص رحمه الله الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح
اهلك من قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وبذلك
علم ان ما ذكره المص من حذف ان رواية فيه فلا يقال انه اخل بلفظه او وقع
على رواية فيه غير مشهورة وحمل على الظلم الظلمات وجعلها عينه لانه سببها
مبالغة وقوله اي النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اي في بعض دعواته
الماثورة وقد جمع العلماء ادعيته في كتب مستقلة من وقف عليها راى فيها
من هذا النمط امورا عجيبة وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابن عباس
رضي الله عنهما وقال انه غريب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته اللهم اني اسالك رحمة من عندك

وفي رواية

وفي رواية عن المقدم رحمة تهدي وزدني له من عندك والاولى هي المذكورة في الترمذي
وعند اذا اضيفت الى الله لها معان منها العلم كقوله وكان عند ربه مرضيا وتكون
بمعنى الحكم نحو وكان عند الله عظيما وبمعنى التفضل والانعام من غير مقابلة عمل
نحو قالت هو من عند الله وبهذا فسره البرهان هنا اي اطلب منك احسانا بمجرد
فضلك لا في مقابلة عمل وقيل بل معناها قرب المنزلة اي اسالك رحمة تؤتيني لديك
والهداية وغيرها محض فضل الله اذ لا يجب عليه شيء فقوله من عندك ليس
معناه لا في مقابلة طاعته لاشعاره بان ما كان في مقابلتها ليس بمحض الفضل فلذكره
نسبة تشريف وتعظيم وتنويه وتكريم انتهى وليس بوارد لان ما في مقابلة العمل
ليس بطريق الوجوب بل بمقتضى وعده وحكمه السابق وهو تفضل مخصوص ايضا وقيل
معنى العندية عموم نفعهما وجدوا هما بدون وسايط كونه وهو تكلف لا يساعده
اللفظ والرحمة بمعنى الانعام او ارادته كما حقق في محله تهدي بها قلبي اي
تدله او توصله الى ما يقربني من حضرة قدسك لاشاهد تجليات انسك وتجمع
بها امري اي تنتظم بها اموري وشاني حتى لا يكون لها تشتت وتلم بها شعثي
اي تلم برحمة من عندك وتجمع ما تشعث وتفرق من امري وهو كالتفسير لما
قبله قال الجوهري الشعث انتشار الامر يقال لم الله شعثك اي جمع امرك
انتهى واصله انتشار الغبار في الهوا وتصلح بها غايبي بالغين المعجمة والباء
الموحدة فسره بباطني اي ما خفي من اموري عني وعن غيري وقيل المراد
قلبي وصلاحه بصلاح صفاته من الاخلاص والصدق والتوكل والتوحيد
وترفع بها شاهدي اي ظاهري من الشهود وهو الحضور والمعاينة وهو
مقابل لقوله غايبي وبينهما صنعة الطباق وقيل اراد بهما الدنيا والاخرة
ورفعها اي جعلها عالية رفيعة بالاعمال الصالحة والصفات الحسنة وقيل
المراد بظاهره جسده ورفعته سلامته من الافات وعصمته من البليات وقد
دل صلاح قلبه عليه لان بصلاحه صلاح غيره لقوله صلى الله عليه وسلم ان
في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله وتزكي بها عملي اي برحمته وتفضلك
تجعل عملي كله مبارك ما مقبولا لا سالما مما يبغضه كالريا او هو من تزكية الشهود
اي تجعله ممدوحا وهما متقاربان وتلهمني بها رشدي الالهام ايقاع الخير
في القلب والرشد والرشاد السداد والاستقامة والرشيد في اسما الله هو الذي
يرشد عباده لمصالحهم ويدبرهم وترد بها الفتي بضم الهمزة وكسرها وسكون
اللام وفتح الفاء بلينهما تا تانيث ويا متكلم مصدر بمعنى المفعول اي ما كنت
الفه كالاليف ما الفته وتريد اجتماعه وردها عودها الى ما كانت عليه والمراد
عشيرته واقرباؤه واهل حلته فقد دعا الله ان يولفهم ويهديهم للاسلام
كما يقال رد الله عليه ضالته اي جمع بينه وبينها وقيل المراد حالته التي
كان عليها في عالم الذر والارواح من حب الله وتعظيمه وخلوصه من
الكدورات الجسمانية وهو بعيد وتعصمني بها من كل سوء اصل معنى
العصمة المنع والحماية اي تمنعني وتحفظني مما يسوءني واليا في المواضع

دلجي

عريض

عريض

كلها سببية وزاد النجاني هنا اللهم اعطني ايمانا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة
انال بها شرف كرامتك في الدنيا والاخرة اللهم اني اسالك الفوز في القضا وروي
في العطا والفوز النجاة والظفر في القضا والقدر بالفتح والسكون بمعنى
في اللغة ومنهم من يفرق بينهما فيجعل القدر تقدير الله الامور قبل ان تقع
والقضا انفاذ ذلك القدر وخروجه من العدم الى حيز الوجود وهو الصحيح
لانه قد جا في الحديث انه صلى الله عليه وسلم مر بكهف مايل للسقوط فاسرع
المشي حتى جاوزه فقيل له اتفر من قضا الله فقال افر من قضايه الى قدره
ففرق بين القضا والقدر وتبين ان الانسان يجب عليه ان يتوقى ما يخشى
قاله البطليوسي فالمعنى انه سال الله النجاة من كل سوء قضاه على عين او
عليه معلقا على امره وقوله ونزل الشهدا النزل بضم النون والزاي
وتسكن وهو مصدر جعل اسما لما يعد للضيف اذا نزل من القرى والكرامة
اراد منازل واحيهم في البرزخ ولهم في الجنان من الاكرام والرزق والثواب
وقد فاز صلى الله عليه وسلم بذلك لما منحه الله من الشهادة مع ما لا عين
رات ولا اذن سمعت وعيش السعدا اما ان يريد بالعيش الحياة بان يكون
سعيدا في الدنيا معززا مكرما موفقا لما يرضاه فايزا بكل شي يتمناه او في
الاخرة بان يحييه حياة مخلدة منعما فيها بما يليق بجنابه صلى الله عليه وسلم
لقوله تعالى واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها الاية والاحسن ان
يريد مجموعهما والعيش اصل معناه الحياة والسعدا جمع سعيد ضد الشقي
وبعده في الدعا ومرافقة الانبيا والنصر على الاعدا اي الانتصار عليهم
وغلبتهم والاعدا جمع عدو وضده الصديق وتمامه اللهم انزلت بك
حاجتي يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير من البحور ان تجيرني من
عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم وما قصر
عنه رايي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي او امنيتي من خير وعدته
احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه
واسالك يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين
ولا مضلين حربا لاعدايك وسلما لاوليايك نحب بحبك الناس ونعادي
بعداوتك من خالفك اللهم هذا الدعا وعليك الاجابة وهذا الجهد
وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم ذا الحبل الشديد
والامر الرشيد اسالك الفوز يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع
المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود
وانت تفعل ما تريد سبحان من تعطف العز وقال به سبحان الذي
لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي
الفضل والنعم سبحان ذي المجد والكرم سبحان ذي الجلال والاكرام
سبحان الذي احصى كل شي بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري
ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا

في لحمي

اللهم اعظم لي نورا واعطني نورا واجعل

للمشاكلة

في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن
يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم اعط لي نورا واجعل
لي نورا انتهى وقوله اعط لي باللام لمشاكلة اجعل لي فلا وجه لما قيل اعطني لانه
لا يتعدى باللام ان صحت الرواية وما وقع في هذا الدعاء من السجع لا ينافي ما قيل
من انه صلى الله عليه وسلم كان يكرهه لان محله ما اذا كان عن تصنع وتكلف ملتزما
واما ما جا من غير تكلف فلا باس به وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه كان يكره السجع اذا كان عن تعمد لانه من التكلف وهو بري منه مجتنبه منه
كتكلم بالنظم المنزه عنه اما قصدا وربما منه احيانا وان التزم كما هنا فغير مكروه
كما ورد في القران ولذا قيل انه يصح اطلاق السجع عليه ثم اشار الى ان
ما ذكره قطرة من بحر فان شئت الوقوف على غيره فاضف ما ذكر الى ما رويته
الكافة عن الكافة اي مما رواه كثير من الناس لا يحصون فكافة وان كانت
بمعنى جميعا لانه اسم فاعل او مصدر كالعافية والناحية في قول من كف اذا جمع
المراة او من كف بمعنى منع لانه كان يمنع من الزيادة عليه اريد به الكثرة
كما وردت كل كذلك كثيرا اذ لم يروه جميع الناس ولا جميع المحدثين لكنه لما شاع
وذاع فكانه كذلك ثم ان سيبويه قال ان كافة تلزم التنكير والنصب على الحالية
كعامة وقاطبة وطرا وكحو وزاد غيره انها لا تثنى ولا تجمع ولا تطلق على غير
العقلا ولم يرد ذلك في كلام الله ولا كلام العرب ووهموا من استعملها على
خلاف ذلك كابن نباتة في خطبه وصاحب الكشاف في كشافه وفي قوله في خطبة
المفصل محيط بكافة الابواب لاخراجه لها عن النصب والتنكير واستعمالها
فيما لا يعقل واما قول الجوهري الكافة الجميع من الناس فلا وهم فيه لان النكرة
اذا اريد لفظها يجوز ان تعرف فلا وهم فيه كما توهم صاحب الدرة وتبعه
بعض الشراح هنا فانه ليس مما نحن فيه افرد هذا وان اتفقوا عليه لا وجه
له رواية ودراية اما الاول فلان العرب اذا استعملت لفظا في معنى وصفته
له على وجه مخصوص من الاعراب لم يلزم غيرهم اتباعهم فيه ولو قلنا بذلك
لادى الى التضييق على الناس في استعمال الالفاظ العربية وعد هذا وكذا
لحن كما قاله الحريري لا وجه له واما الثاني فلانه روي عن عمر رضي الله
عنه استعماله في كتابه لبني كاكلة المروي عنه رواية ثابتة وعن علي كرم الله
وجهه في ذلك ايضا حيث كتبه بعينه بين جمع من الصحابة وناهيك بهم
فصاحة فان اردت تفصيله فانظره في شرحنا الدرة الغواص وقوله من
مقاماته ومحاضراته بيان لما في ما رويته والمقامات بفتح الميم جمع مقامة
مفتوحتها وهي اسم لمكان القيام ثم توسعوا فيها فاستعملوها لمطلق المكان
كقوله

وكالمسك ترب مقاماتهم • وترب قبورهم اطيب •

ثم كثر فيه فاستعملوه لمن قام فيه كما سموهم مجلسا في قوله •
واستب بعدك يا كليب المجلس • وزادوا في التوسع حتى سموا به الكلام الصادر

عرمي وابن
الحنبلي

فيه مقامه كمقامات البديع و الحريري و مثله من التخوم كثير و منه نعلم ان المجاز على
المجاز لا يقتصر على مرتبة واحدة كما يوهمه كلامهم فالمراد به الكلام الصادر منه
في مجالسه و خطاب امته صلى الله عليه و سلم في حال حكمه و حروبه و لا يختص بالخطب
لكونه يخطب قايما لذكره لغيره و ان كان المقام مقام خطابه يقتصر فيه الاسهاب
و لما اريد به هنا الكلام و فخ بيانا لما رويه الكافة عن الكافة و المحاضرات جمع
محاضرة لا محضرة كما توهم بضم الميم و حا مهملة و ضاد معجمة و را مهملة اصل معناها
كما قاله الجوهري من حاضرته اذا جاثيته اي جالسته عند السلطان و هو كالمغالبة
و المكاثرة و حاضرته حضارا عدوت معه انتهى يعني انها مفاعلة من الحضور عنده
او من الحضر بالضم فمعناها مجاراة الجليس جليسه في الكلام بان تتكلم بما عندك
فيما يخطر على بالك و يتكلم هو في ذلك معك فالمراد مصاحبة النبي صلى الله عليه
و سلم مع اصحابه احيانا و مصاحبتهم له كالتحدث باموز سلفت و نحوها مباسطة
و ملاطفة و منه كتب المحاضرات الادبية كمحاضرات الراغب و خطبه جمع خطبة
بضم فسكون من خطب الخاطب خطابة بالفتح و خطبة بالضم اذا تكلم بكلام في امر
مهم سوا كان قايما على منبر و الكلام مسجع املا و هي معروفة و ادعيته جمع
دعا كوعا و اوعية و هي سؤال الله و توجهه اليه فيما يهمه و مخاطباته
اي توجيه الخطاب لغيره حسبما اتفق و عهوده اي كلامه اذا اخذ العهد و الميثاق
على غيره من المسلمين كما في كتبه للملوك و غيرهم و قيل المراد وصاياه بمكارم الاخلاق
فيه انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره انه يتقدير في انه لا طراد حذف
الجار قبل ان و ان كما ذكره النحاة و الضمير للنبي صلى الله عليه و سلم او لما
و ذلك اشارة الى البلاغة و الفصاحة لسبقهما او للعلم بهما من سياق كلامه
و نزل منزلة و مرتبة اي حل محلا عاليا و وصل الى حد لا يصل اليه غيره
و المنزلة تستعمل في الشرف فالتا للنقل و في بعض النسخ مرقبة بالقاف اي علا
عاليا من شانه ان يرقب فيه و يطلع على احوال غيره و قوله لا يقاس الى اخره
اي لا يساويه غيره و يميزها المرتبة و ضمير غيره للنبي صلى الله عليه و سلم
او الكلام و القياس يتعدى بالبا و على يقال قاسه بغيره و عليه كما في
القاموس و الاساس و في حواشي العضد للابهري القياس تقدير شي
باخر و يعدى بعلى لتضمنه معنى البنا و هو مخالف لما في القاموس
مع ان تعدي البنا بعلى فيه كلام في حواشي تهذيب المنطق و اما تعديته
بالى ففي قول المتنبي
بمن اضرب الامثال ام من اقيسه • اليك و اهل الدهر دونك و الدهر •
فلتضمنه معنى الضم و الجمع كما قاله الواحدي و حاز فيها سبقا حاز
بالحا المهملة و الزاي المعجمة بمعنى حوى و اشتمل و ضمير فيها للمرتبة
و السبق بفتح السين و سكون البا الموحدة مصدر سبق و اما السبق
بفتحها فما يجعل من المال للمراهنة في المسابقة اي مما توعد باعطايه
لمن سبق غيره و هو اولى هنا فكانه قال لتحقق سبقه احدو فاز

بما نعد للسابقين وَ اما السبق في قوله صَدر السَّبقة حفظته سبقا وَسبقا فالورد
المعين لحفظ الالفاظ وهو مولد ماخوذ من هذا لا يقدر بضم المثناة التحتية وفتح الدال
المهملة المخففة مبني للمجهول قدره بسكون الدال اي مقداره اي سبق كبير لا يلحقه فيه احد
ولا يعرف خفيفته كما في قوله وما قدروا الله حق قدره وقد جمعت من كلماته صلى الله
عليه وسلم التي لم يسبق اليها ما ضبطه الدلجي وتبعه الشارح الجديد بالبنا للمفعول ويكون
تا التانيث والجار والمجرور نايب الفاعل ومن للتبعيض اي جمع الرواة بعض كلماته
لم يسبق اليها ولم يتكلم بها غيره صلى الله عليه وسلم او من زايدة وكلماته نايب
الفاعل الا ان فيه زيادة من في الاثبات ومدخولها معرفة او نايب الفاعل ضمير
الكلمات المعلومة من السياق وهذا الكلام تكلف حملهم عليه انه روي كذا والفعل
المجهول لا يؤنث اذا كان نايب فاعله جار ومجرور مونث فلا يقال اخذت من هند
وعد وامثاله خطا لكن ابن جني رحمه الله قال في اعراب الحماسة انه سمع نادرا وبه
قري في الشواذ في قوله تعالى ان تعف عن طايفة فمن خطا صاحب التلخيص في
قوله صوحبت معها لم يصب وسياتي وجه احترازهم من هذا وهو ان نايب الفاعل
ما الموصول له في قوله ما يدرك لناظر ولو قرى بالبنا للفاعل وحذف المفعول جاز
ولا يقدر احد ان يفرغ في قالبه عليها قدر بالتخفيف من القدرة ويفرغ بضم المثناة
التحتية وسكون الفا وكسر الرا المهملة والغين المعجمة وهو صب المايعات في
ظرف وقالب بفتح اللام اسم آلة كالعالم على خلاف القياس وقد تكسر لامه وقيل
انه معرب كالب وقيل انه غير صحيح والقالب ما يصب فيه ما يذاب من الجواهر
كالفضة ليصاغ ففيه استعارة مكنية تخييلية لجعله الكلام بمنزلة الجواهر
واسلوبه بمنزلة هيئة صياغته واثبت له القالب تخييل وعليها يتعلق بمعني
مبانيها وان تحاكي وفيه من البلاغة والمبالغة ما لا يخفى وقيل المراد بالفوايد
الالفاظ لا الحقايق والمعاني قال الجاحظ استعمل النبي صلى الله عليه وسلم المبسوط
وهجر الغريب ورغب عن الهجر فلم ينطق الا بكلام حق وسدد بالتاييد جمع الرقة
والجزالة تدخل الاذن بغير اذن ليحفظ وينقل عنه كقوله حمي الوطيس هذا
حديث مروي عن العباس رضي الله عنه ورواه مسلم والبيهقي عن جابر بن عبد
الله رضي الله عنهما وانه صلى الله عليه وسلم قاله يوم حنين وقيل انه اول
ما قاله يا وطاس ففي التعبير به مناسبة لفظية متضمنة لبلاغته وابداعه
اي اشتدت الحرب والوطيس بفتح الواو وكسر الطا المهملة يليها مثناة تحتية
وسين مهملة وهو التنور او شي يشبهه ومن فسره بضراب الحرب اراد المعنى
المجازي وقيل هو الوطي الشديد الذي يطس الارض اي يدقها وقيل
هو حجارة مدورة اذا احميت لم يقدر احد ان يطاها قيل ولم يسمع هذا الكلام
من احد قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو من بليغ الكلام وفيه استعارة
مصرحة مرشحة بقوله حمي اي اتقد وقد حماه اذا سخنه وهي عامية وهو
كلام من حديث طويل في مسلم ورماهم بحصيات فانهزموا فان كان الوطيس
بمعنى الحجارة ففيه مناسبة ومات حتف انفه اي من غير ضرب ولا قتل

ولا حرق ولا غرق ونحوه على فراشه كانه سقط على انفه فمات وللخنق الهلاك وقيل كانت العرب تتوهم ان روح المريض تخرج من انفه وروح المجروح من جراحته فكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم على قدر عقولهم وهذا البعض حديث صحيح رواه عبد الله بن عتيك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذي يخرج مجاهدا في سبيل الله ان لسعته دابة او اصابه شيء فهو شهيد ومن مات حتف انفه فقد وقع اجره على الله ومن قتل فقد استوجب المآب قال ابن عتيك فوالله ما سمعت قوله حتف انفه من احد من العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا بنى المص رحمه الله كلامه وعدها من كلامه الذي ابتدعه وهو المشهور وذهب بعض اهل اللغة الى ان هذه الجملة تكلمت بها العرب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه في المصباح وانشد لوابقود السموال

وما مات منا سيد حتف انفه ❊ ولا صل منا حيث كان قتيل ❊

واجيب بان هذه القصيدة اختلف في قائلها فقيل هو السموال وهو شاعر جاهلي وقيل عبد الملك بن عبد الرحمن الحارثي وهو اسلامي وقيل ان الرواية ليست هكذا وانما هي وما مات منا سيد في فراشه فعلى هذا لا يرد على من عدها من مبدعاته صلى الله عليه وسلم لان الشاعر الجاهلي لم يقلها والاسلامي اخذها من كلامه صلى الله عليه وسلم كقول عبيد بن عمير التابعي ما مات من السمك حتف انفه فلا تاكله اي ما طفا على الماء من غير سبب ظاهر لموته او انه لم يسبقه احد من اهل زمانه ولم يسمعه من غيره قائله ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين هذا حديث صحيح رواه ابو هريرة رضي الله عنه وفي لفظه اختلاف لا يضر ففي بعضها من جحر واحد وفي بعضها تقديم المؤمن وهو من الامثال النبوية وفي كتاب ابن مسكويه المسمى بجاودان خرد الذي جمع فيه حكم اليونان ان من امثالهم لا يرمى العاقل بحجر مرتين فانظر الفرق بين كلام النبوة وغيرها فان العاقل اذا ادخل يده في جحر فلدغ هل يدخلها مرة اخرى وقد قيل من لسعته الحية من الحبل يخاف يعني ان المؤمن الفطن لا يخدع مرة بعد مرة ولا يؤتى من جهة الغفلة فيقع في مكروه وهو لا يعلم فينبغي ان يكون متيقظا في امر دنياه واخرته ويلدغ بالياء المضمومة المثناة التحتية واللام الساكنة وبالدال المهملة والغين المعجمة واما بالذال المعجمة والعين المهملة فهو احراق النار والجحر بضم الجيم وحا ساكنة مهملة حفرة في الارض يكون فيها الحيات والحشرات وهذا قاله النبي صلى الله عليه وسلم لابي عزة الشاعر وكان يحرض الناس بشعره على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فاسر مرة فقال اني محتاج ذو بنات فمن عليه النبي صلى الله عليه وسلم واطلقه بغير فداء واخذ عليه ان لا يظاهر عليه احدا فقال يمدحه صلى الله عليه وسلم

من مبلغ عني الرسول محمدا ❊ فانك حق والمليك حميد ❊
وانك تدعو الى الله والهدى ❊ عليك من الله العظيم شهيد ❊
وانت امرؤ بوئت فينا مباءة ❊ لها درجات سهلة وصعود ❊

فانك

فانك من حاربته لمحارب . شقي ومن سالمته لسعيد .
ثم نقض عهده وانى مع الكفار لحربه صلى الله عليه وسلم فاخذ ايضا باحد فساله صلى الله عليه وسلم ان يمن عليه على مثل شرطه الاول وقال غلبت فاقلتني فلم يفعل وقال لا ادعك تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وان المومن لا يلدغ من جحر مرتين وامر بضرب عنقه فقتل صبرا ومرتين اريد به التكرار كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين لكنه اقتصر على الاقل لانه انسب بالحزم فكان محاربا شقيا كما قال في شعره والقال موكل بالمنطق ولما فيه من البذل للحلم جرد من نفسه مومنا لعطاما متنقا لا يخدع لغادر متمرد فانتقم صلى الله عليه وسلم منه ولم يعف عنه فان غضبه لله ياتي الحلم كما قيل

ولا خير في حلم اذا لم يكن له . بوادر تحمي صفوه ان يكدرا .

وان كان صلى الله عليه وسلم يعفي عن امور كثيرة ويتغافل عنها في مغازه كما قال ابو نواس

ليس الغبي بسيد في قومه . لكن سيد قومه المتغابي .

قال الثعالبي ومما وقع في شعر ابي عزة من مدح النبي صلى الله عليه وسلم والتضرع برسالته ليس له مخرج الا ان يكون قصد به خداعه والسعيد من وعظ بغيره المراد بالسعيد المبارك المحظي عند الله والناس والوعظ ذكر ما يلين القلوب من ثواب وعقاب اي من نصيحة الحوادث النازلة بغيره فذكرته عواقب الامور من خير وشر فاتعظ بها فقبلها فهو سعيد ومن لم يوعظ به غيره فهو شقي وابلغ من هذا وان كان بمعنى اخر ما ورد في الحديث اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه كما رواه الماوردي في اعلام النبوة وفي معناه قول الشاعر

لا تنتهي الانفس عن غيها . ما لم يكن منها لها زاجر .

وفي معناه قلت

الزهد في الدنيا وترك الهوى . عن كل امر صابر حافظ .
ومن يرد خيرا به ربه . كان له من نفسه واعظ .

وما ذكره المصنف رحمه الله بعض حديث طويل رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه وفيه الشقي من شقي في بطن امه والسعيد من اتعظ بغيره لكن السعيد سعيد في بطن امه واخرجه العسكري مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فليس من كلام ابن مسعود رضي الله عنه كما توهم وانما تمثل به كما قاله الحافظ ابن حجر وشيخه العراقي وقوله في اخواتها جمع اخت اي في الكلمات المشابهة لها بحسب البلاغة يقال هذا اخو هذا المشابه مواخاته لعلاقة التشابه بين الاخوات فهو استعارة او مجاز مرسل وفي بمعنى مع كقوله ادخلوا في امم او هي على اصلها كان اخواتها لكثرتها محيطة بها احاطة الظرف بالمظروف ففيه استعارة وهي في الحقيقة اكثر من ان تحصى كقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات والمجالس بالامانات والحرب خدعة واياكم وخضراء الدمن المراة الحسناء في المنبت السوء وغير مما لا يحصى وقد افرد بالتاليف وذكر الشارح الحديد منها جانبا

تلمساني ودبي

فيه وفي شرحه وهو معرض عن شرح الكتاب فلذا ضربنا عنه صفحا ما يدرك الناظر
العجب في مضمونها قيل ما نائب فاعل جعت المبني للمجهول كما تقدم ضبطه وانث رعاية
لمعناه لانه بمعنى الكلمات المجموعة وجملة يدرك بمعنى يلحق والعجب فاعله او الناظر
فاعل والعجب مفعول ويدرك من الادراك بمعنى اللحوق ومضمونها بضم الميم
وفتح الضاد المعجمة والنون اسم مفعول اما ما تضمنته من المعاني البديعة
والتراكيب الصحيحة اي يتعجب في ذلك كل من يراها وفي نسخة مضمونها ويذهب
به الفكر في ادا الى حكمها اي يذهب بالناظر فكره في اقلها او اقل ما تضمنته من الحكم
فالضمير في به للناظر وادا الى جمع ادنى بمعنى اقل عددا او كلها فاياك بالاكثر ومعمول
يذهب محذوف لقصد العموم اي في كل مذهب بمعنى الذهاب به انه يتحير فيها وهو
على حد قوله الم تر انهم في كل واد يهيمون ففيه استعارة تمثيلية او كناية
وقد قال له اصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ما رأينا الذي هو افصح منك
هذا الحديث رواه البيهقي في شعب الايمان مسندا وذكره الغالي في اماليه وشرحه
وهو انه صلى الله عليه وسلم كان يوما جالسا مع اصحابه فنشات سحابة فقال صلى
الله عليه وسلم كيف ترون قواعدها الخ وسنذكره قريبا ومثله ما رواه ابو
نعيم في الدلايل قال لما خاطب عنده صلى الله عليه وسلم لقمن خطبا الوفود
فاجابه بكلام عذب فصيح فقال له علي كرم الله وجهه يا رسول الله نحن
وانت بنو اب واحد ونشانا في بلد واحد وانك تكلم العرب بلسان ما نفهم اكثره
فقال ان الله عز وجل ادبني فاحسن تاديبي ونشات في بني سعد بن بكر ولكان
ان الصحابة رضي الله عنهم اكثروا من مخالطة فصحا العرب وخلصها وكانوا
لا يفقهون احيانا كلامهم حتى يفسره صلى الله عليه وسلم لهم وقد وردانيا
كما يا في ان لغة اسماعيل عليه الصلاة والسلام كانت اندرست فعلمها له جبريل عليه
الصلاة والسلام كما علم ادم الاسما قال وما يمنعني وانما انزل القران بلسان
عربي مبين اي ما يمنعني من ان اكون افصح الناس او من ان لا تروا افصح مني
والكتاب الذي انزل علي بافصح اللغات وفي اعلا طبقات البلاغة وهذا من
تتمة الحديث السابق في وصف السحابة وهو حديث صحيح رواه النجاجي
مسندا عن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب عن موسى بن محمد بن ابراهيم
التيمي عن ابيه عن جده قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
جالسا مع اصحابه اذ نشات سحابة فقالوا يا رسول الله هذه سحابة فقال كيف
ترون قواعدها قالوا ما احسنها واشد تمكنها قال وكيف ترون رحاها قالوا
ما احسنها واشد استدارتها قال وكيف ترون بواسقها قالوا ما احسنها
واشد استقامتها قال وكيف ترون برقها اوميضا ام خفقا ام يشق شقا
قالوا بل نشق شقا قال وكيف ترون جونها قالوا ما احسنه واشد سواده
فقال صلى الله عليه وسلم الحيا فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذي هو
افصح منك فقال وما يمنعني من ذلك وانما انزل القران بلسان عربي
مبين وقواعد السحابة اسافلها واحدها قاعدة واما القواعد من النسا

فواحدتها

تراجدها قاعد وهي التي تقعد من الولد ورحاها ووسطها ومعظمها وكذا رحى الحرب
وسطها ومعظمها حيث استدار القوم وقال الجوهري مستدارها وتواسعها ما علامتها
وارتفع وكل شي علا فقد سمق وقال ابن الاثير ما استطال من فروعها والوميض اللمع
الخفي يقال اومض ايماضا فا ومض بعينيه تمر والخفق بزنة الضرب وبالاعجام البرق
الضعيف كما قاله القالي قال الثعالبي التقدير ايزوينه وميضا او واخفيه لقول الخو
خفا البرق يخفو خفوا ويخفي خفيا اذا لمع لمعا ضعيفا معترضا في نواحي الغيم فان ها
لمع قليلا ثم سكن فهو الوميض فان شق الغمام فاستطال فهو العقيقة وجوفها اسود
وهو من الامتداد لانه يكون بمعنى الابيض والحيا بالقصر الغيث وجمعه احيا والعناية
بوصف السحاب مشهورة بين فصحا العرب وقال صلى الله عليه وسلم مرة اخرى بيد
اني من قريش ونشات في بني سعد قال السيوطي هذا الحديث اورده اصحاب الغريب
ولا يعرف له اسناد والطبراني من حديث ابي سعيد ولفظه انا اعرب العرب ولدت
في قريش ونشات في بني سعد فاني ياتيني اللحن وقال قطلوبغا في تخريجه اخرجه
ابو عبيد بلاغا واخرج الطبراني في الكبير عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب انا اعرب العرب ولدتني
قريش ونشات في بني سعد فاني ياتيني اللحن وفي سنده فقال واما ما اشتهر من انا
افصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش فقالوا انه لم يثبت وان ذكر في كتب النحو
والاصول وبيد فيها لغتان اخريان ميد بالميم وبايد كما ورد في الحديث قال
في النهاية ولم اقف عليه ولعله بايد اي بقوة محرف وفسر بغير الاستثنائية
ومن اجل التعليلية وبعلي اذ كما يقال هو كثير المال علي انه بخيل وتلزم الاضافة
لان المشددة وصلتها وهي في الحديث بمعنى غير والاستثنا هاهنا منقطع علي حد قوله

ولا عيب فيهم غير ان نزيلهم • يعاب بنسيان الاحبة والوطن •
واستدل ابو عبيدة علي مجيئها بمعنى من اجل بقوله •
عمدا فعلت ذاك بيد اني • اخاف ان هلكت ان ترني •

وقولهم ما راينا الذي هو افصح منك عنوا ولا يساويك كما مر تحقيقه وجوابه
بقوله بيد اني ان فسر بغير فظاهر لافادته انه صلى الله عليه وسلم افصح من
جميع العرب واما تفسيرها بمن اجل فقد استشكل بان مفهومه انه من قريش
ابن الحنبلي وهم افصح العرب ولا يلزم منه ان يكون افصح العرب بل من افصحهم وهذا الاشكال
اورده لبعض الشراح علي انه من بنات افكاره ومترائه قد سبقه اليه الكوراني
عرضي في شرح جمع الجوامع وتقدم ما في ذلك مبسوطا اول الكتاب ووجهه ان العلة
موجودة في غيره وهو نقض للحكم لوجود علته في غيره واورد عليه ان كثيرا
من الاصوليين كالبيضاوي والهندي ذهبوا الى ان تخلف الحكم ان كان لمانع او فقد
شرط لا يقدح في عليته العلة مطلقا سوا كانت منصوصة ام لا والتقدير
هنا مع كونه مبنيا للتعليل هنا صحيح مطرد علي ما فصل في العقد وغيره
٤ ويسمونه خصوص العلة وهذه خرزية لان الحديث بيد اني من قريش
واسترضعت في بني سعد وفي رواية وانزل القران بلسان عربي مبين والجمع

هو العلة ولا توجد في غيره اي اني من قبيلتين هما افصح العرب وقد نشات بالحاضرة
والبادية يجمع لي من الرقة والجزالة ما لم يجتمع لغيري او المعنى اني انزل علي القران
علي اسلوب لا يوجد في غيره جامع لزبدة جميع اللغات فاثر في سلامة طبعي والنقص
في صحف ذهني ما لا يتصور لغيري واما السوق فلا دخل لها هنا او نقول كونه افصح من
قريش معلوم لان السائلين له صلي الله عليه وسلم منهم وهو بين اظهرهم لا يخفي
عليهم حاله واما كونه نشا في بني سعد واسترضعوه فلان حليمة السعدية
رضي الله عنها ارضعته بعد ثويبة جارية ابي لهب فحليمة بنت ابي ذويب
وزوجها الحارث ابوه من الرضاعة وبنو سعد من اكرم العرب وافصحهم
وحليمة من اوسطهم ولذا اختارها الله لرضاعه صلي الله عليه وسلم لان الرضاع
يؤثر في الطباع ووقع عند هاشق صدره الشريف وسياتي بيانه وانه وقع
مرارا ثم ان الخفاجي قال اختلف المتكلمون في كلام النبي صلي الله عليه وسلم
هل منه ما هو معجز كالقران بناء علي هذه الاحاديث ام لا فذهب بعضهم
الي اعجازه وان اعجازه دون اعجاز القران وذهب الباقون الي انه في معناه في
الفصاحة ولكن لا يبلغ الي رتبة الاعجاز وهذا هو الصحيح واحتج الاولون
بما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه اشتبه عليه كون المعوذتين من القران
وعد بعض الصحابة رضي الله عنهم القنوت من القران وهم فصحاء الموقنون
بمراتب الاعجاز والصحيح ان هذا باطل لم يثبت عن ابن مسعود رضي
الله عنه وغيره او مناول بانه لم ينكر كونهما من القران ولم يشك فيه وانما
انكر كتابتهما في المصحف لانه لم يبلغه انه صلي الله عليه وسلم امر بكتابتهما
وهو محجوج بقراته وقراءة الصحابة رضي الله عنهم بهما في الصلاة وياتي
لذلك مزيد بيان في اخر الكتاب فان قلت ما مر من تكلم النبي صلي الله عليه وسلم
بالوحشي الغريب مخالف لفصاحته صلي الله عليه وسلم قلت لا لما مر من ان
الوحشي من اهله وممن يتكلم معهم فصيح فلا حاجة الي القول بانه غير
غريب لثبوته في كتب اللغة من غير احتياج لتنقير وتفحص والي ما ذكرناه
اشار المص رحمه الله بقوله تجمع له صلي الله عليه وسلم بذلك قوة
عارضة البادية جمع مبني للمجهول واصله جمع الله له فحذف للعلم به
وذلك اشارة لكونه من قريش ونشا في بني سعد وانما نشا صلي الله عليه وسلم
فيهم علي عادة قريش في دفعهم اولادهم لمرضعات بالبادية ليتفرغ
النساء لشانهن ولان هواها اصح وليكونوا مع اولاد الاعراب فيتدربوا
لترك الترفه وكذا كان عادة ملوك بني امية والمعارضة التجلد والقدرة
علي الكلام ويقال بعير عرضة للسفر اي قوي عليه واضافة القوة
لها بيانية والبادية والبداوة والبداة خلاف الحاضرة وتبدي اتي البادية
وتبادي تشبه باهلها وهي خلاف الحاضرة اي الامصار والمراد بالبادية
اهلها او هو بتقدير مضاف وجزالتها بفتح الجيم والزاي المعجمة خلاف
الركاكة اي جزالة كلامها يقال كلام جزل اي قوي شديد ومنه الحطب

موضح

الجزل الغليظ وليس من الركيك وهو الضعيف من الالفاظ المحلول التركيب فتكثير السواد به هنا غير مناسب وفصاحة الفاظ الحاضرة الفصاحة كالفصاحة مصدر بمعنى الخلوص والاخلو منهما من التعقيد والغرابة الوحشية وصاده وعينه مهملتان من نصع الشيء اذا ميز جيده من رديه والحاضرة خلاف البادية سكان القرى والامصار ورونق لانها الرونق البهاء والحسن فان كلام اهل البادية فوي متين لعدم تفسخهم وكلام اهل الحاضرة رقيق لطيف تجمع كلامه صلى الله عليه وسلم بين هاتين الصفتين متمو فاد لك الى التاييد الالهي الذي مدده الوحي ومدده بمعنى ممدة لا بمعنى زيادته والتاييد التقوية من الايد وهو القوة وامده بايحايه وانزاله عليه كلامه المعجز ولذا صح ان اهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم ولغة اهل الجنة فلا صحة لما رواه تلمسانية بعضهم ان لسان اهل الجنة فيها الفارسية الدرية وهذا في معنى ما روي من ان عمر ابن كلاب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم مالك افصحنا ولم تخرج من بين اظهرنا فقال صلى الله عليه وسلم كانت لغة اسمعيل قد درست فجاني بها جبريل عليه الصلاة والسلام فحفظتها الذي لا يحيط بعلمه بشري اي انسان منسوب للبشر وهم الناس والضمير للتاييد الالهي وقالت ام معبد هي كما مر عاتكة بنت خالد بن ربيعة احدي نسا بني كعب بن عمرو من خزاعة وزوجها عبد الملك بن وهب وقيل لا يعرف اسمه توفي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ويقال انه صحابي له رواية وكانت تنزل بين مكة وجبالها فنزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه لما هاجرا فقريتهما فلما جاء زوجها اخبرته بذلك ووصفته له في حديث ذكره اهل السير افرده الحافظ العلاي بالشرح في وصفها له مصدر مضاف لفاعله وضميرله للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون له خبر مقدم والاول اولى حلو المنطق الحلو في المطعومات مستلذ فاستعير لما يعجب السامع ويستلذ بسماعه ذوقه او لجين الماء فصل مصدر بزنة ضرب بفا وصاد مهملة ولام اي فاصل بين الحق والباطن وبين ظاهر قاطع للشك لا لبس فيها ويفسره قوله لا نزر ولا هذر كما قاله العلاي رحمه الله او ذو فصل بين اجزايه لقول عايشة رضي الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هكذا ولكن كان اذا تكلم بكلام بينه يحفظه من يجلس اليه كما في المصابيح ونزر بفتح النون وسكون الزاي قليل لا يفهم والهذر بالها والذال المعجمة المفتوحتين يليه را مهملة كذا ضبطه العلاي وهو را وثقة وتبعه بعض ارباب الحواشي وضبطه ابن الحنبلي بسكون الذال مصدر هذر يهذر في كلامه والاسم الهذر بالتحريك وهو كثرة الكلام بحيث يمل وهذا غير مناف لما ورد في الحديث اوتيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصارا لان المنفي الايجاز المخل لا المقبول منه كان منطقه اي ما ينطق به خرزات نظمن اي متناسبة لها رونق كالعقد المنظوم من الجواهر والخرز ما ينظم من الجواهر وليس كما تفهمه العامة من تخصيصه بنوع كما في الصحاح من الخرز وهو المثقب وكان جهير الصوت حسن النغمة

العرب تتمدح بعلو الصوت وتذم بضده ولذا تمدحوا بسعة الفم وذموا بصغره
كما قاله الجاحظ في كتاب البيان وقد ورد في وصفه صلى الله عليه وسلم في حديث ابن
ابي هالة انه كان يفتتح الكلام ويختمه باشداقه كما قال العجير السلولي

جهير وممتد العنان مناقل ... بصير بعورات الكلام خبير
لو ان الصخور الصم يسمعن صوته ... لرجعن وفي اعراضهن فطور

والجهير والجوهري العالي الصوت فليس فيه خفاء ولا تكسير ككلام النساء
اقول هذا لا ينافي ما مر من ذم التقعر والتشدق في الكلام فان ذلك اذا افرط
او كان تصنعا ثم ان المدح بسعة الفم لدلالته على الفصاحة وقوة القدرة على
الكلام بخلاف غيره والمراد ما لم يفرط بحيث يشوه الخلقة لاجتماع غلظ الشفتين
ولا عبرة بتمدح شعرا العجم ومن تبعهم من المتاخرين لضيق الفم فانه مقصد
فاسد كما قاله ابن سنا الملك

لو فم ضيق فلم يستطع ... ان يخرج اللفظ بتفويه
ولفظه سكران من ريقه ... فهو لهذا غير مفهوم

وقال ايضا

مهجتي افديه من ... فصيح لفظه معجمه
لا يستطيع اللفظ ان ... يخرج من ضيق فمه

وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرا بالليل او خطب يسمع صوته واما حسن
نغمته فلما ورد في الحديث عن علي كرم الله وجهه لم يبعث الله نبيا الا
الوجه حسن الصوت وكان داود صلى الله عليه وسلم اذا قرا الزبور لم يبق
دابة الا انصتت له الا ان قراة نبينا صلى الله عليه وسلم لم تكن على طريقة
الالحان والموسيقى فانه غير ممدوح وحديث ليس منا من لم يتغن
بالقران الكلام فيه مشهور غريبة ذكرها التلمساني هنا قال قال سيدي
الحسن كان شيخنا ابو زكريا يحكي عن شيخه منصور بن علي الحماني عن ابيه
وغيره من شيوخه يقول انما كانت المصامدة فيهم بركة لانه وفد منهم
رجل وقيل رجلان وقيل بل هم سبعة على النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث
فلما دخلوا المسجد الحرام لم يعرفوا النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا
لا يعرفون العربية فقال رجل منهم بلغته من انون اسيراتن واسير بلغتهم
النبي او الرسول اي ايكم رسول الله فلم يفهم الحاضرون قوله فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اشكد اور ومعنى اشكد تعالى واقبل وهلم وهو بهمزة
وشين معجمة ساكنة وكاف مفتوحة ودال مهملة ساكنة مشددة واور
معناه هنا او الينا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيبه بلغته
ولا يفهم القوم فاسلم وبايع وانصرف لقومه وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اخبرهم بقدومه ولغته قال ابو زكريا كان شيخنا منصور يحدث بهذا
الحديث في هذا الفصل فسبحان من علمه ذلك انه المنعم الكريم قال وقبورهم
موجودة الى الان انتهى فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشيه الشرف

رفعه

رفعة القدر والكرم يجمع انواع الخير قال بعضهم العرف بمعنى الجود والمنا محل تنشا
منه وترتجى فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه لظهوره ولا بيان مشكل ولا خفى منه المراد
انه لا خفا فيه ولا اشكال حتى يحتاج الى البيان على حد قوله ولا ترى الضب بها ينجحر
فانه صلى الله عليه وسلم نخبة بنى هاشم النخبة بضم النون وسكون المعجمة وفتحها
وبالموحدة كهمزة المختار من بينهم المنتقى وسلالة قريش وصميمها السلا له
بالضم بمعنى النسل المستخرج منهم والصميم الخالص واشرف العرب واعزهم
نفرا اى قوما والنفر رهط الانسان وعشيرته وهو اسم جمع لا واحد له يقع على الرجال
خاصة من الثلاثة الى العشرة وذكر الكرمانى انه يقع على الواحد كما ذكرناه فى شرح
الدرة من قبل ابيه وامه كما هو مبين فى السير ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على
الله لتشريفها وجعلها قبلة الانبيا عليهم الصلاة والسلام ومقصد الحجيج وعلى
عباده اذ لو تنزل الناس تعظيمها فى الجاهلية والاسلام وقال التتائى وتبعه بعض
الشراح هنا بعد ما ذكر حديث انك لاحب ارض الله الى ولاحب ارض الله الى الله الذى
قاله صلى الله عليه وسلم عند ما خرج منها مهاجرا اجمعوا على ان مكة والمدينة
افضل البقاع وانما اختلفوا ايهما افضل فنسب للمالكية تفضيل المدينة وان في
وابو حنيفة والاكثر على تفضيل مكة لما لها من المزية بان الله حرمها وحرم صيدها
وقيل بتغليظ الذنب ودية القتل فيها وانه لا يقام الحد فيها وغير ذلك من الحرمة
التى ليست لحرم المدينة والصلاة بها توازيها زيادة على غيرها وهذا فى غير البقعة
التى وضع فيها النبى صلى الله عليه وسلم وسياتى ان المص رحمه الله فضل المدينة
على مكة فجعلها اشرف واكرم فكلامه هنا مناف لمذهبه ولكلامه الاتى ولهذا اعترض
عليه وفيه خلاف عند المالكية ايضا كما سياتى فلا حاجة لما قيل من ان كلام
التتائى يكون دليلا على فضل مكة فى مذهب مالك وقال الطبرى بيت خديجة
يلى المسجد الحرام فى الفضيلة واجيب بانه غير مناقض لما سياتى لانه لم
يقل مكة اكرم واشرف البلاد بل من اكرم البلاد ومن فيه تبعيضية لا بيانية
وكون الشىء بعضا لاشرف لا يقتضى انه اشرف فان البلاد الثلاثة التى تشد
الرحال لها شريفة وهذا امتنها افوت ولو قال اشرفها لم يشكل ايضا لان الكلام
فى منشايه ومولده وهى فى زمن ولادته وقبل هجرته كانت اشرف البقاع على
الاطلاق اذ المدينة انما صارت حرما مكرما بعد هجرته تكريما له صلى الله عليه
وسلم وكان المعترض لاحظ ان المراد تفضيل النبى صلى الله عليه وسلم على جميع
خلقه بشرف منشيه فيناسب كونه اشرف من جميع ما عداه فتدبر ووقع
فى نسخ بعض الشراح اكرم بدون من فلعل كلامهم مبنى على هذه النسخة
حدثنا قاضى القضاة حسين بن محمد الصدفى نسبة الى الصدف وهو اسم
قرية من قرى القيروان ووقع للفقها اختلاف فى جواز اطلاق قاضى
القضاة فقال بعضهم لا يجوز كملك الملوك وشاهنشاه اى سلطان
السلاطين فانه هو الله والحق جوازه كما افتى به كثير من ارباب المذاهب
الاربع فان القرينة ظاهرة فى ان المراد قضاة عصره ومملكته فانه يطلق على

من يكون قاضيا في تخت الملك ويؤذن له في تولية قضاة الاطراف وهذا اعلا لو اعتد
وقال القاضي العسكر ولكن قوي بعضهم منعه او ورد التصريح بمنعه في الحديث
والصدفي هو ابن سكرة وهو امام ثقة ترجمته مشهورة قال حدثنا القاضي ابو
الوليد سليمان بن خلف هو الامام العلامة الحافظ ابو الوليد الباجي وقد تقدمت
ترجمته ايضا قال حدثنا ابو ذر عبد بن احمد هو الامام الحافظ ابو ذر الهروي وقد
تقدمت ترجمته وعبد اسمه من غير اضافة قال حدثنا ابو محمد السرخسي نسبة الى
سرخس بفتح السين وفتح الرا بلد عظيم بخراسان وهذا هو المعروف واما قول
التلمساني نقلا عن ابن مرزوق انه بكسر السين وفتح الرا وانه يقال بزنة درهم
وجعفر فلا نعرفه وابو اسحاق المستملي الامام الثقة وابو الهيثم قالوا حدثنا
محمد بن يوسف هو محمد بن المكي بن زراع الكشميهني بضم الكاف وسكون الشين
المعجمة وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء وكسر النون ويا النسبة
نسبة لقرية من قرى مرو قديمة خربت وخرج منها جماعة قاله ابن الاثير
قال التلمساني ويقال الكشماهني وياتي الكلام عليه ايضا بابسط من هذا قالوا
حدثنا محمد بن يوسف هو الفربري وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا محمد بن اسماعيل
هو حافظ الاسلام البخاري وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا قتيبة بن سعيد
تقدمت ترجمته قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله القاري
منسوب للقارة قبيلة المدني نزيل الاسكندرية وهو يروي عن زيد بن اسلم
وسهيل بن ابي صالح وغيرهما وروى عنه قتيبة ويحيى بن بكير توفي سنة احدى
وثمانين ومائة واخرج له اصحاب السنن ووثقه ابن معين عن عمرو بن عمرو ويقال
ابن ابي عمرو مولى المطلب روى عن انس وعكرمة وطائفة وروى عنه مالك
والدراوردي ووثقه وقال النسائي انه ليس بالقوي وقال احمد ليس
به باس وقال ابو زرعة انه ثقة واخرج له الايمة الستة وتوفي في اول
خلافة المنصور وله ترجمة في الميزان عن ابي سعيد المقبري بتثليث
البا سمي به لسكونه بقرب المقابر كذا وقع في بعض النسخ قال البرهان الحلبي
وضرب المص رحمه الله على لفظ ابي وهو الصواب فانه سعيد بن ابي سعيد
المقبري واسم ابي سعيد كيسان او كنية سعيد ابو سعيد وفيه نظر
وهو يروي عن ابيه وابي هريرة وعائشة وغيرهما وروى عنه الليث
ومالك وخلق وثقه النسائي وابو زرعة وغيرهما وقال احمد ليس به
باس توفي سنة ثلاث وثلاثين وقيل خمس وعشرين ومائة واخرج له
اصحاب الكتب الستة عن ابي هريرة رضي الله عنه تقدمت ترجمته والكلام
في اسمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون
بني ادم هذا حديث صحيح انفرد البخاري باخراجه وعنه روى المص رحمه
الله وفي القرن عشرة اقوال فانه مقدار من الزمان ويطلق على اهله
فقيل عشرة وعشرون وثلاثون واربعون وستون وسبعون وثمانون ومائة
ومائة وعشرون ومطلق الزمان كما قاله البرهان الحلبي قال وابتداؤه

عليه

عليه الصلاة والسلام من بعثته او من حين فشا الاسلام وقيل القرن كل عصر فيه
نبي او كبار من العلما فلبعض زمان الفترة لم يكن نقله التلمساني وقال التجاني القرن
في اللغة كل طبقة من الناس مقترنين في وقت واحد ومن ثم سمي الوقت قرنا لانه يقرن
ناسا بناس واحتج القايلون بانه مائة سنة بان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح
راس غلام وقال عش قرنا فعاش مائة سنة كما ذكره الهروي والمختار ما قيل ان القرن
كل امة هلكت فلم يبق منها احد انتهى وفيه نظر والظاهر ان المراد بالقرن في الحديث
طايفة وجيل من الناس في عصر واحد وزمان متقارب اشتركوا في امر من الامور المقصود
وقوله من خير الخ من فيه لابتدا الغاية او بيانية لا للتبعيض لان المراد ان قرنه الذي
بعث فيه خير القرون لا انه بعث في بعض القرون بدليل ما روي في الحديث الصحيح
خير القرون قرني والمراد به عصره صلى الله عليه وسلم وعصر صحابته رضي الله عنهم
لانهم انقرضوا العهد مائة من انتقاله صلى الله عليه وسلم وكسور اختلف فيها
قيل وهذا الحديث يدل على ان اصحابه عليه الصلاة والسلام افضل هذه الامة
وساير الامم غير الانبيا عليهم الصلاة والسلام وان ذلك ثابت لكل واحد منهم بالمجموع
واليه ذهب الجمهور لان فضل الصحبة ونورها لا يعدله شي ولا يساويهم في الفضل
والله تعالى يؤتيه لتقدم الصحبة وخالف خلافا لابن عبد البر رحمه الله حيث جوز ان
يكون بعد الصحابة من هو افضل من بعضهم الا من قاتل معه صلى الله عليه وسلم وانفق
ماله في سبيله فانه لا يعدله غيره بالاتفاق واستدل بحديث امتي مثل المطر لا يدرى
اوله خير ام اخره وهو حديث صحيح واجاب النووي رحمه الله بان المراد بالاول من
ادرك عيسى عليه الصلاة والسلام ورأى ما في زمانه من الخير والبركة وانتظام
كلمة الاسلام واضمحلال الكفر وهو متفق واخره من لم يدرك في صدر الاسلام غير الصحابة
وسياتي الكلام عليه مفصلا • قرنا فقرنا هذا كقولهم قرات النحو بابا بابا وهو حال
بتاويل مرتبا ولم يذكره النحاة معطوفا وكانه الحامل لبعض الشراح على جعله
معمولا لحال مقدرة والفا للترتيب في الوجود او الفضل نحو خذ الاكمل فالاكمل
منه والتلفان معا فالزاجرات زجرا وهذا قريب من قول ابن الرومي •
وكم من اب قد علا بابن ذري شرف • كما علا برسول الله عدنان •
حتى كنت من القرن الذي كنت فيه قيل حتى غاية لبعثته واراد به تقلبه في
اصلاب اباييه من ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم من نابت بن اسماعيل ثم
من النضر بن كنانة ثم من قريش بن النضر ثم من عبد الله بن عبد المطلب ثم
انتهى هذا الحديث رواه البيهقي مسندا في دلايله والترمذي وحسنه وهو
ما اشار اليه بقوله وعن العباس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله خلق الخلق اي المخلوقات كلها من انس وملك وجن فجعلني من
خيرهم اي اوجدني وصيرني من خير جنس منهم وهم الانس وهم خير نوع
وهم العرب ومن خير قرن وهو قرنه صلى الله عليه وسلم وقرن اصحابه
فلذا ابدل منه قوله من خير فرقهم بدل بعض من كل ثم تخير القبايل اي
اختار من قرنه خيارهم اي اشرفهم فجعلني من خير قبيلة من العرب وهم قريش

والقبيلة ولجدة القبايل الجماعة من اب واحد والقبيل بغيرها ابنو آباء مختلفة او
هو اعم وقد يكونان بمعنى والقبيلة تحتوي على جماعات من آبا منتسبة للاب الاول
تسمى بيوتا وبطونا لانهم من بطن واحد ويجمعهم بيت واحد واصل البيت المسكن الذي
يبيتون فيه فاطلق على اهله وصار حقيقة فيهم فلذا قال ثم تخير البيوت بضم البا وبجوز
كسرها فجعلني من خير بيوتهم يعني به بني هاشم وقيل المراد بالبيت هنا الشرف اي تخير
الله جهات الشرف واسبابه المقتضية له واختار لي اعلاه والاشرف والاول هو الموافق
للغة لعم البيت يخص بمن له شرف فانا خيرهم اي جميع من ذكر نفسا اي روحا وذاتا وخيرهم
بيتا اي حسبا وشرفا واصلا وفيما ذكر اشارة الى الطبقات الست من الناس فان العرب كما
تقدم تقسم الناس لشعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة كل طبقة تجمع
ما بعدها وما قيل من انه لا يلزم من كونه خيرهم بيتا ان يكون هو خير المشاركة اهل
البيت له في شرفه والجواب ان المراد انه خيرهم بالقياس الى غير بيته لا الى كل واحد
من اهل بيته ليس بشي لانه لو كان كذلك لم يتضح تفريعه على كونه خيرهم نفسا فهذا
كقولهم فلان من العلما وهو امدح من قولهم عالم كما قرره اهل المعاني لسوق نقله
وحيوته مساق المعلوم المسلم وبيان عراقته واصالته في ذلك كقوله وكان من
القانتين كما مر وعن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه وفي التذكرة في رجال الكتب
العشرة لابي المحاسن العلوي واثلة بمثلثة ولام ابن الاسقع بن كعب بن عامر ابو
الاسقع ويقال ابو قرصافة الليثي اسلم قبل تبوك وشهدها وكان من اهل
الصفة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابي مرثد الغنوي وابي
هريرة وام سلمة رضي الله عنهم وروى عنه بنانه ومكحول وجماعة قال توفي
سنة ثلاث وثمانين وعمره مائة وخمس سنين وقال البرهان خمس وتسعون سنة
وخدم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين وذكر نسبه مخالفا لما ذكرناه فقال
ابن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن بكر بن عبد مناف
ابن كنانة وقيل ابن عبد الله وقيل غير ذلك والاسقع بفتح الهمزة وسكون
السين المهملة وفتح القاف وعين مهملة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله اصطفى اي اختار وارتضى من ولد ابراهيم اسمعيل عليهما الصلاة
والسلام فهو افضل اولاده وكان له غير اسمعيل واسحاق ستة اولاد
من قنطورا واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة قال السهيلي ولاسمعيل بنون
ذكر اسماهم ابن اسحاق وهم اثني عشر منهم نابت بالنون اي كما تقدم وهو جد
كنانة وبينه وبينه ثلاثة عشر ابا وسمي بكنانة السهام التي تسمى جعبة ولقب
به وحكى ابو حاتم عن الاصمعي ان رجلا وقف مع اخيه اسد يسألهما ان يجزرا
لهما فقال للرجل ما جلا المكاشطين فقال له خابية المصادع وهصار الاقران
فقال يا كنانة ويا اسد اطعماني من جزوريكما فاطعماه فكنى له الرجل عن
كنانة بخابية المصادع يعني السهام لانها تصرع ما اصابته وروي المصادع
بالدال بدل الراء جمع مصدع والهصر من صفات الاسد وجلا بكسر الجيم والمد
اي ما اسمهما الذي يكشف اللبس عنهما والكشط بمعنى السلخ والولد صفة

عيني

ابن الحنبلي

مشبهة

مشبهة تجري مجرى الاسما يشمل الواحد وغيره واصطفى من بني كنانة قريشا ولد كنانة النضر وله اربعة اولاد ومن ذريته قريش واول قريش في الاصح فهر بن مالك بن النضر وقيل النضر اول قريش واختلف هل قريش اسمه او لقبه واسمه فهر وبه جزم العراقي في السيرة ويطلق قريش على بنيه فيصرف ولا يصرف باعتبار القبيلة كما يقال تميم وربيعة وكذا النضر فمن لم يكن من ولد النضر ليس بقرشي قال الشعبي رحمه الله النضر بن كنانة هو قريش وانما سمي قريشا لانه كان يتقرش عن ارباب الحاجات ليقضي حوائجهم والتقرش التفتيش وقيل التقرش التجمع فسموا به لتجمعهم فيكون اسما للقبيلة ولذا جاز منع صرفه كما علم وقيل هو اسم سمكة عظيمة سمي به القبيلة لانه ياكل السمك ويقهرها فسمي به القبيلة او ابوها لشدتهم وتصغيره للتعظيم قال الشاعر

انما سمي قريش قريشا

وقريش هي التي تسكن البحر ۝ وبها سميت قريش قريشا

هاشم تسمية

واصطفى من قريش بني هاشم واسمه عمرو وهو علم منقول من معان منها العمر بالفتح وواحد عمور الاسنان وهو اللحم المطيف بها وهاشم اسم فاعل من هشم بمعنى كسر سمي به لانه هشم الثريد لقومه في سنة مجدبة قال

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ۝ ورجال مكة مسنتون عجاف

او كان يهشمه للحاج وهذا الشعر لمطرود بن كعب الخزاعي والقافية مرفوعة وتوارد مع عبد الله بن الزبعرى في قوله

يا ايها الرجل المحول رحله ۝ الا نزلت بال عبد مناف
الخالطين غنيهم بفقيرهم ۝ والقائلين هلم للاضياف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه ۝ قوم بمكة مسنتين عجاف

وخلط الرواة في الشعرين وزعموا انه اقوى وليس كذلك واصطفاني من بني هاشم هذا الحديث رواه مسلم والترمذي وما قاله المص رحمه الله هو بلفظه في الترمذي ولفظ مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وفيه دليل على تفاضل العرب فيما بينهم الا انهم اختلفوا في التفاضل بين قريش على ما فصله الفقها في باب النكاح في احكام الكفاءة وقد تبرع به بعضهم هنا ولا داعي له قال الترمذي هذا حديث صحيح ونقل المزي عنه انه قال انه حديث صحيح غريب وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبراني في الاوسط بسند حسن ورواه الطبري هو الامام الفرد الحافظ ابن جرير ابو جعفر احد الاعلام صاحب التصانيف المشهورة من اهل طبرستان كان كثير الطواف والعبادة وسمع من محمد بن ابي الشوارب والسكوني واسحاق بن اسرائيل وغيرهم واخذ القراات عن جماعة وروى عنه كثير توفي ودفن بداره وولد سنة اربع وعشرين ومائتين وترجمته مشهورة انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل اختار خلقه اي اراد ان يخلق خلقه ويوجدهم فلما اوجدهم تخيرهم فاختار منهم بني ادم وقيل اختار خلقه بمعنى اختار منهم ففيه حذف

د ج

وايصال وقوله فاختار الخ بيان له وكذا قوله ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم
الجيل المر وقون كما تقدم وقيل معناه ميز بني ادم من بينهم عن غيرهم ثم اصطفى بني
ادم على غيرهم او معناه فاصطفى من بينهم بني ادم ثم دام على اصطفائه اياهم وكثيرا
ما تفيد الافعال معنى الدوام يا ايها الذين امنوا امنوا والا فلا معنى لاصطفائهم
واختيارهم مرة بعد اخرى وليس العرب كلهم من ولد اسمعيل كما قاله بعضهم فانه
قول غير صحيح لشهرته لا حاجة لذكره ثم اختار العرب اي تطبنا من خيارهم ليزيل
لطفا فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم
فاختارني منهم فلم ازل خيارا من خيار اي لم ازل من اصل مبدئي واصولي الى
ان انشاني الله خيارا مخلوقا من خيار وشرفا من شريف الا حرف استفتاح وتنبيه
على ما علم مما قاله وتحقيق لما بعده من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض
العرب فببغضي ابغضهم الظاهر ان الباء للسببية اي من احبهم بسبب محبة النبي
صلى الله عليه وسلم لهم ولمحبته فان من احب احدا يحب لاجله قومه واصوله
وكذا البغض وهو عدم المحبة ولا يكمل ايمان المرء حتى يكون الله ورسوله احب
اليه من نفسه ونقل عن بعض المالكية ان من سبهم وجب قتله وقيل هذا ينبغي ان
يقيد بالحيثية فانه ملاحظ في كثير من القضايا اي من حيث كون النبي صلى الله عليه
وسلم منهم او من حيث انهم عرب لا من ابغضهم او ذمهم لامر اخر كقوله تعالى
الاعراب اشد كفرا ونفاقا ويدل عليه حديث احب العرب لثلاث لاني عربي والقران
عربي ولسان اهل الجنة في الجنة عربي والمراد الحث على محبتهم وقد صنف العراقي
رحمه الله كتابا في هذا سماه نيل القرب في محبة العرب وفي هذا رد على الشعوبية
وهم قوم يفضلون العجم على العرب ولهم ادلة على مقالتهم بينوها او ما عليها
واوردوا الاحاديث الموضوعة نصرة لهم منها ان الله تعالى اذا تكلم بالرضا
تكلم بالفارسية واذا تكلم بالغضب تكلم بالعربية وفي الشرح الجديد الاحاديث
الواردة في فضل اللغة الفارسية كلها موضوعة وفضلهم في الكرم والشجاعة
والحلم والعلم اكثر من ان يحصى وقيل ان ابا عبيدة كان شعوبيا وصنف كتابا
في مثالب العرب وقد قيل انه كذب عليه فان قلت ان تقديم المتعلق اعني بحبي
وببغضي يقتضي الحصر وحبهم لشرف نسبهم وحسبهم وما فيهم من الامور
المحمودة لا يتوقف على محبته صلى الله عليه وسلم قلت اذا كانت الباء للالة
الادعائية كما في نحو نظرت بعيني وسمعت باذني فلا اشكال لان المعنى من احبهم
او ابغضهم فينبغي ان يحبهم بمثل حبي ويبغضهم بمثل بغضي وهو الحب
في الله والبغض في الله وان كانت للسببية فالمراد انه بسبب حبي يحبهم
لا للعصبية وامور الجاهلية فتدبر قلت وروى ايضا البيهقي عن محمد بن ذكوان
عن عمرو بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال انا لقعود بفنا النبي صلى الله عليه
وسلم اذ مرت امراة فقال بعض القوم هذه ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابو سفيان مثل محمد صلى الله عليه وسلم في بني هاشم مثل الريحانة
في وسط النتن فانطلقت المراة واخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فجاء يعرف

في وجه

ابن الحنبلي

عربي

ابن اقرس

عربي

هذا الحديث م

وجهه الغضب فقال ما بال اقوام يبلغني عنهم ما يبلغني ان الله عز وجل خلق الخلق واختار
من الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار
من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم فانا خيار من خيار الى خيار فمن احب العرب فبحبي وقوله ومن
ابن عباس رضي الله عنهما قال السيوطي هذا الحديث رواه ابن ابي عمر العدني في مسنده ان
قريشا بفتح همزة ان المشددة والمصدر مبتدا خبره الجار والمجرور وقبله كانت نورا بين يدي
الله تعالى فهو مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان لانهم من الله بمنزلة
توجيه اجلالهم ومحبتهم تفخيما لشانهم وحثا على محبتهم وقيل انه كناية عن غاية القرب
من محل رضاه كما يقال فلان بين يدي الملك وان كانت الحقيقة هنا متعذرة فهو مجاز
متفرع على الكناية كما في قوله لا ينظر الله الى فلان كما في شرح المفتاح قبل ان يخلق آدم
عليه الصلاة والسلام بالفي عام هو على حقيقته او المراد طول المدة اي قبل ان
تظهر في عالم الشهادة ثم بين حكمة اظهاره بقوله يسبح ذلك النور ويسبح الملائكة
ابتداء بتسبيحه اي بتقديسه وتنزيهه لله والمراد بكونهم قريش نورا ارواحها او ان
الله مثلها بهذا المثال وابرز صورها في الملا الاعلى بتسبيحه ليعلم الخائض فيه ملكية
واذ قال الله لهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون يعني انهم سبحوا قبل ما سبحتم في الازل فهم
لم يعلموا بذلك لانهم ظنوا ان تلك الانوار ملكية صرفة وكان نور محمد صلى الله عليه
وسلم معهم حاذا ذاك في اصوله من قريش وغيرهم بحمله اصلابه المسبحة وان لتسبحهم
يتبعوا به وان من شيء الا يسبح بحمده فلما خلق الله ذات وجسم آدم عليه الصلاة والسلام
اثر ذلك النور في صلبه والصلب والصالب عمود الظاهر ويقال بضم الصاد وفتحها اي
اودعه فيه كما سياتي تحقيقه ثم فصله بقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاهبطني الله الى الارض في صلب آدم اي انزل نوري الذي في صلبه الى الارض وجعلني
في صلب نوح اي نقل نوري من صلب آدم عليه الصلاة والسلام الى صلب نوح
صلى الله عليه وسلم وقال وقذف بي في صلب ابراهيم عليه الصلاة والسلام
ثم نقل وجعلني لما بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام من البعد لان
القذف الرمي من بعيد واصله الرمي بالحجارة يقال هم ما بين حاذف وقاذف
والحذف بالعصا ثم لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الكريمة يعني اصلاب اجداده
عليه الصلاة والسلام والارحام الطاهرة من خبث الزنا وغيره ووصف الاصلاب
بالكريمة والارحام بالطاهرة في غاية الحسن لانها من الطمث والدم والنطف والارحام
الطاهرة جمع رحم وهو وعاء الولد ويطلق على القرابة حتى اخرجني بين ابوي
اي ابي وامي على التغليب المشهور واخراجه من بينهما تولده منهما وخلقه
من نطفتهما لم يلتقيا على سفاح قط جملة حالية والسفاح الزنا من سفح الماء
صبه من المائيات اذا اراقه اي لم يجتمعا على زنا ولم يلق نطفة احد من
ابويه وابائه في غير الارحام الطاهرة من الزنا ونكاح الجاهلية كما مر وقط
ظرف لاستغراق النفي في الازمنة الماضية يقال ما رايته قط بفتح القاف وضمها
وتشديد الطاء وبفتح القاف وتخفيف الطاء المضمومة واذا كانت بمعنى

حسب فيفتح وسكون وتشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس رضي الله عنه عم النبي صلى الله
عليه وسلم فانه اشتمل على معناه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهو الشعر المشهور
الذي اوله

من قبلها طبت في الظلال • وفي مستودع حيث يخصف الورق •

الابيات وسياتي بتمامها مع الكلام عليها وقد قيل انها لحسان رضي الله عنه والصحيح
الاول وانه ذهب ابن عساكر في تاريخه الى الثاني في حديث اخرجه عن ابن عباس رضي
الله عنهما الا انه ضعيف جدا قيل وهذا موضع بحث لانه ان اراد بكونه شاهدا
لصحته متنا وسندا فهو غير لازم وان اراد به صحة معناه فهو غير مفتقر له لان
كثيرا من الاحاديث يدل عليه وانتقاله عليه الصلاة والسلام من صلب آدم
عقلي ايضا وفيه نظر

## فصل

واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه
مما فصلناه فيما تقدم اول الباب وتدعو بمعنى تقتضيه ويلزم حتى كانه تطلبه
وهو استعارة في الاصل وضرورة الحياة ما لا بد منه فيها مما يضطر الحي اليه فعلى
ثلاثة ضروب جمع ضرب وهو القسم والنوع من الشيء وفي بعض النسخ فعلى ثلاثة
ضرب وفي بعضها اضرب بجمع القلة وهو انسب بالثلاثة والاولى لان الجمعين
يقام كل منهما مقام الاخر كثيرا كقوله ثلاثة قروء وفيه تفصيل ليس هذا محله
ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه وان
كان فيها فضلا كما سياتي فاما ما التمدح اي حسنه بحيث يستحق المدح به
وليس المراد به التكلف كتحلم والكمال بقلته اتفاقا شرعا وعادة كما بينه بقوله
وعلى كل حال عادة وشريعة والمراد بالعادة ما اعتاده الناس مما يؤدي اليه
العقل اذا خلي ونفسه وطبعه والشريعة ما امر به الشارع صلى الله عليه وسلم
ونهى عنه مما تضمنه الوضع الالهي السابق لذوي العقول باختيارهم الى الامر
المحمود كالغذاء والنوم الغذاء بكسر العين وفتح الذال المعجمتين وبالمد
كل ماكول ومشروب به قوام البدن مطلقا واما بفتح المعجمة ودال مهملة
فما يوكل في اول النهار كما مر والنوم معروف ولم تزل العرب والحكماء اراد بالحكماء
حكماء اليونان والهند والفرس ونحوهم ولذا قابلهم بالعرب وهم يتمدحون
قلة النوم وكثرة السهر بما لا مزيد عليه قال في هيا كل النور النفوس الناطقة
من جواهر الملكوت وانما يشغلها عن عالمها القوى البدنية ومشاغلها وضعف
سلطان القوى البدنية بتقليل الطعام وتكثير السهر فيتخلص احيانا الى
عالم القدس ويتلقى منه المغيبات تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما تمادح
كتفاخر لفظا والمقصود الكثرة لا التفاعل وخص العرب لانهم اكثر الناس
مدحا لهذين بخلاف غيرهم كالروم والعجم فانهم يفتخرون بكثرة الاطعمة
ونفاستها ولهم حرص عليهما وذكر الحكماء منهم ومن غيرهم وبين ذلك لاعتنائهم
بالرياضة وقلة التنعم في ماكل ومشرب مع شدة دعوتهم وصفاء اذهانهم
واعتنائهم بمهمات امورهم وعباداتهم وهو ظاهر وورد في الحديث
ابغضكم الى الله كل نؤوم وقال عيسى عليه الصلاة والسلام للحواريين

ابن العباس

اجيعوا

اجيعوا بطونكم لعلكم ترون ربكم بقلوبكم وقالوا البطنة تذهب الفطنة والاحاديث في
هذا اكثر من ان تحصى وقال الله تعالى الذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام ولان
كثرة الاكل والشرب دليل على النهم بفتح النون والهاء وهو الافراط في شهوة الطعام ومنه
الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا والشره مثلث الشين والحرص
والشره اي الحرص على الاكل والشرب والشره بفتح الشين المعجمة والرا المهملة والها
زيادة الحرص فعطفه ترقي وغلبة الشهوة المراد غلبت شهوته للطعام على تحمله ودينه
وعقله فيما فيه صلاحه فليس في كلامه تكرار وهذه كلها صفات مذمومة كما ورد
في الحديث الحرص والشره دا عضال والحريص اسير شهوته وعبد بطنته والحرص
توام الحسد وهو هادم الجسد والحرص قد يكون محمودا اذا كان في ممدوح قال
تعالى حريص عليكم بالمومنين رؤوف رحيم وانما يمدح قلة الغذا او النوم اذا
لم يفرط حتى يؤدي لضرر بالاعضا ونحوه كما قال •
والحشي الدسائس من جوع ومن شبع • فرب مخمصة شر من التخم •
ثم ان ترك من ابتلي بذلك اذا اعسر عليه ينبغي قطعه بالتدريج كما في منظومة
ابن سينا • • • •
وكل عادة تعسر اهلها • فاقطع بتدريج الزمان اصلها •
وقوله مسبب لمضار الدنيا والاخرة خبر بعد خبر لان وهو بكسر البا المشددة
اسم فاعل ولم يقل سبب مع انه اخف واظهر لانه امر مباح لا ضرر فيه دنيوي ولا
اخروي بل ربما يترتب عليه نفعهما كراحة البدن والقيام بعده للعبادة
كمن لم ينم اول الليل لم يتدارك صلاة الصبح بحيث انه ترتب عليه نفع
تارة وضرر اخرى علم انه ليس سببا بل قد ينشو عنه سبب ضررهما فهو سبب
لا سبب فان النوم قد يكون منه ترك الصلاة وهو سبب لضرر الاخرة والاكل
يكون منه الامتلا وهو سبب للشدة والثقل والشرب بعد النوم يورث الامراض
وقيل انه بمعنى السبب هنا المفضي الى المسبب بالفتح والفضل للمتقدم فمعنى
مسبب موجد للاسباب وهذه الشهوة والحرص عليهما يؤدي الى جلب المال
وكذا حب الدعة والراحة قد يترتب عليه مفاسد كما قال الشاعر •
وانك ان اعطيت بطنك همه • وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا •
ويقع في بعض النسخ وغلبة الشهوة مسبب برفعهما على انه مبتدا وخبر
وليس بشي لان غلبة الشهوة ليس سببا للمضار وانما سببه الاكل والشرب
كما قاله الانطاكي ثم اشار المصنف الى ذلك على طريق اللف والنشر فقال
جالب لادواء جمة الجسد اي امراضه واسقامه كما هو مشاهد وقال •
فان الدا اكثر ما تراه • يكون من الطعام او الشراب •
فهذا راجع لكثرة الاكل والشرب اذ بهما تمتلي المعدة والعروق بالدم وتزيد
الاخلاط فيتولد منها الامراض واجتمع اربعة اطبا هندي ورومي وعراقي
وسوادي عند الرشيد فقال ليصف كل واحد منكم الدوا الذي لا دا معه
فقال الهندي هو الاهليلج الاسود وقال الرومي حب الرشاد الابيض

وقال العراقي الما الحار فقال الشوادي وكان اعلمهم الاهليلج بعفص المعدة وهذا اذا
وجب الرشاد يرفعها وهذا اذا والما الحار يرخيها وهذا اذا قالوا فما هو قال ان لا تاكل
الطعام حتى تشتهيه وترفع يدك عنه وانت تشتهيه وفي الطب النبوي في معناه
احاديث كثيرة نحو صوموا تصحوا وخسارة النفس بفتح الخا المعجمة والمثلثة والرا
المهملة عند ابن رسلان ويضمها عند البرهان الحلبي والاول هو الظاهر لموافقة
القياس كالخفالة والضلالة قال ابن الاثير هو ثقل النفس وعدم نشاطها له
والظاهر انه راجع لكثرة النوم فانه يورث لاسيما بالنهار ضعفا للبدن ووقع
في بعض النسخ خسارة بالشين وهو تصحيف وتحريف من الكاتب وهو مجرور
معطوف على لادوا وكذا قوله وامتلا الدماغ بابخرة رطبة تتصاعد عند
النوم ترخي اعصاب الدماغ وتضعفه وتذهب صفا الذهن وتورث البلادة
وقلة الحفظ ويصح رجوع هذا وما قبله للجميع لكن يابا ه ما بعده من قوله
وقلته دليل على القناعة بالنصب عطفا على كثرة الاكل ويجوز رفعه على الابتدا
لان من اعتاد قلة الاكل يقنع باليسير فاستراح واستغنى عن الناس فتفرغ
وتخلى للعبادة وكان من رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وملك
النفس معطوف على القناعة اي ملك نفسه الامارة فلا تعصيه لانه اذا
شبع عصته نفسه وتحركت شهوته كما قال ذو النون رحمه الله ما شبعت الا
هممت بمعصية والجوع يقمع الشهوات وقمع الشهوة معطوف على القناعة
والقمع القهر اي قهر شهوته وغلبها واضعفها حتى لا تخالفه وما بعده
خبر مبتدا مقدر والظاهر انه مبتدا خبره مسبب بكسر البا كما تقدم للصحة وصفا
الخاطر وحدة الذهن الخاطر يطلق على ما يخطر على القلب من الافكار ويطلق على
القلب نفسه وصفاوه من الكدورة بحسب فهمه والذهن قوة الفهم وحدته
سرعته وهذا يكون عند الجوع اقوى واصفى وبه يصل للمعارف الربانية
ويلتذ بالمناجاة والاذكار والعبادة وقال الجنيد يجعل احدكم بينه وبين قلبه
مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وهكذا كله راجع للاكل وما بعده
والحدة بكسر الحا القوة كبعثة كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة بضم الفا
والسين المهملة واللام وهي الرذالة وعدم الهمة في امور الدنيا والاخرة
فيا نايم الليل هنيته • فقبل الممات سكنت القبورا •
لانه يميت القلب ويورث الكسل ولا ينفع اجامه وان كان بمعنى الجبن لعدم
مجيء صدره على وقوله والضعف اي ضعف القوى والادراك وعدم الذكا والفطنة
مسبب هما متقاربان او الفطنة الفهم والذكا سرعته فقدم نفي الاخص على
نفي الاعم ليفيد المبالغة على قاعدتهم في الترقي فيه وعدم الذكا مرفوع مبتدا
وخبره مسبب كما في الاصول والاظهر جره عطفا على ما قبله فمسبب خبر
بعد خبر كما مر للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع اما كون كثرة
النوم سبب للتواني عن فعل المهم فلتعطل الحواس فيه وارتخائها
بعده واذا العذ لك عجز وضاع عمره بلا فايدة كما قال •

البيت من الخسران ان لياليا • تمر بلا نفع وتحسب من عمري
فمثله لا يُعد عمرا لانه ما عمر الانسان الحد ذا ربه •
اذا كان راس المال عمرك فاحترس • عليه من الانفاق في غير واجب
وقساوة القلب وغفلته وموته لعدم قبوله الموعظة بسبب غفلته به عما يهمه
وموته بعدم ادراكه لانه صفة تبطل الحس والارادة كالموت واليه الاشارة بقوله
تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الاية فالنوم اخو الموت والشاهد على هذا اي
الدليل عليه والعما بموجبات ما ذكر ما يعلم ضرورة اي يعلمه كل احد علما بديهيا ضروريا
ويوجد مشاهده مشهود من امثاله وينقل متواترا اي نقلا متواترا بحسب المعنى
من كلام الامم المتقدمة والحكما السالفين المتقدمين على ملة الاسلام من حكما
الهند والعجم واليونان والعرب وغيرهم كقول الحارث بن كلدة حكيم العرب افضل
الدوا الازم اي قلة الاكل وقال داود اياك وكثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج
الناس لاعمالهم واشعار العرب واخبارها كقوله •
فان قد بتك ان اكلت • وان شربت وان غشيتا •
وانا الكفيل لك الحياة • وان تغافا ماحييتنا •
وقال قيصر لقس بن ساعدة ما افضل الاكل قال ترك الاكثار وصحيح الحديث
النبوي مثل ابغضكم الى الله كل نؤم اكول شروب وغيره واثار من سلف وخلف
الاثر ما اثرته اي نقلته عن غيرك فيشمل الحديث ويطلق ويراد به ما يقابل الحديث
والمراد بمن سلف ممن تقدم عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبمن خلف ما تقدم
كالصحابة رضي الله عنهم والتابعين مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اي طلب
شاهد ودليل عليه وبين وجه ترك الاستشهاد بقوله اختصارا او اقتصارا
على اشتهار العلم به الغني عن التطويل بذكره والاختصار عند اهل العربية
الحذف لدليل والاقتصار حذف بلا دليل وعند المحدثين ان يكون للحديث طرق
فيكتفى باحدها والمراد هنا عدم التطويل اكتفا بشهرة العلم بما ذكر فكان
النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين اي النوعين وهما
الاكل والنوم بالاقل غذاه بالبنا وان كان متعديا بنفسه لتضمنه معنى
التمسك او الاتصاف اي لازم صلى الله عليه وسلم اقل قليل منهما لما
فيه من الكمال والملكة المرضية واتى باسم الاشارة القريب تحقيرا لهما نحو ما هذه
الحياة الدنيا وتبعيدا لهما عن ساحة الاعتبار لعدم المبالاة بهما وما قيل
من انه كان ينبغي للمصنف رحمه الله ان يقتصر على كلامه صلى الله عليه وسلم
فان معه لا يحتاج لغيره من شعر وحكمة ليس بشي فان مراده ان صفاته صلى
الله عليه وسلم مما اتفق العقلا وجميع الامم على حسنها وكونها مرضية
محمودة وان كلامه صلى الله عليه وسلم زبدة حكم الامم وان لم يرهم ولم
يقرا كتبهم وكفاك فضلا لقران نظير المصنف هذا اي ما ذكر من قلة
اكله صلى الله عليه وسلم ونومه ما لا يدفع اي لا ينكر ولا ينازع فيه من
سيرته اي من طريقته وصفته وهو بيان لما حال من ضمير يدفع اي لشهرته

وتواتره لا ينازع فيه احد وهو الذي امر به امته دون منده وضبر به لطفا وللافل
وحض عليه بحا مهملة وضاد معجمة اي حث الناس ورغبهم في التعلق به لما علم من شرفه
وكماله لا سيما بارتباط احدهما بالاخر لا سيما بمعنى لا مثلها والكلام عليه مفصل في العربية
ويذكر بعده ما هو اولى بالحكم نحو اكرم الناس لا سيما العلما الان في كونها هنا كذلك دلجي
خفا لم يتعرضوا له غير ان بعضهم قال المعنى لا سيما الامر بالاخذ بالافل والحض
عليه مع ارتباط احدهما بالاخر لانه اذا اشبع شبعا كثيرا نام كثيرا فقاته خير كثير
يعقبه ندم كبير وهو لا يجدي نفعا والبيان الشافي ان كل واحد منهما مكروه مع
انفراده ينبغي الحث على تركه فكيف اذا اجتمعا وهما كذلك غالبا للزوم احدهما
للاخر فان النوم يلزم الاكل والبا بمعنى مع فما قيل ان لا سيما هنا ليست على عربي
وفق استعمالها ليس بشي وهو توطئة للحديث الاتي المتضمن لتلازمهما
ومن لم يفهم هذا قال ان المص استعمل لا سيما على خلاف ما جا في قوله ولا عرجي
سيما يوم بدارة جلجل وقد قال ثعلب من استعملها على خلافه فهو مخطي
وحذف الواو والمستثنى بها وتقديره ولا سيما حض بارتباط احدهما بالاخر
اخ حدثنا ابو علي التستري هو الحافظ بن سكرة تقدم بيانه بقراءتي عليه
من طريق روايته عنه بانه قرا وشيخه يسمع الان قراءة الشيخ والسماع منه
اعلا رتبة في الرواية لكن صار المعروف اليوم القراءة على الشيخ ولذا قيل اقرا
اربع وقيل اقراسوا قال حدثنا ابو الفضل الاصبهاني بفتح الهمزة وكسرها
وبالبا والفا وهي بلدة عظيمة قال صاحب المطالع وقيدناها بالفتح عن جميع شيوخنا
قال وقيدها بالكسر ابو عبيد البكري قال واهل المشرق يقولون اصفهان بالفا
واهل المغرب بالبا وهو احمد بن خيرون وقد تقدم ومعنى اصبهان منزل الرشاد
لان اسب بمعنى فرس فيل وهي لا تخلو غالبا من ثلاثين رجلا يستجاب دعاوهم
وكان نمرود حمل منهم ثلاثين رجلا لحرب الخليل عليه الصلاة والسلام فلما
راوه امنوا به فدعا لهم بذلك اي بان تجاب دعوتهم كما اجابوا دعوته قال
حدثنا ابو نعيم الحافظ بالتصغير وهو حافظ عصره ومحدثه احمد بن عبد الله
ابن احمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الاصبهاني الصوفي سبط الزاهد محمد
ابن يوسف البنا ولد سنة ست وثلاثين وثلثماية وتوفي في المحرم سنة
ثلاثين واربعماية وعمره اربع وتسعون سنة وسمع من كثير وسمع منه الحفاظ
وله ترجمة في الميزان وتصانيفه مشهورة قال حدثنا سليمان بن احمد بن ايوب
ابن مطير الشيباني مسند الدنيا الامام الجليل ولد بعكا في صفر سنة ستين ومايتين
واعتنى به ابوه ورحل به في حداثته وسمع في سنة ثلاث وسبعين وبعدها
بمدائن الشام والحرمين ومصر وبغداد والكوفة والبصرة واصبهان
والجزيرة وغيرها وحدث عن اكثر من الف شيخ وصنف المعجم الكبير ولم
يذكر مسند ابي هريرة فانه افرده بمصنف والمعجم الاوسط وهو كتاب جليل
تعب فيه وكان يقول هو روحي والمعجم الصغير ومصنفات اخر
جليلة وتوفي لليلتين من ذي القعدة من سنة ستين وثلثماية وله

مايه

مائة سنة وعشرة اشهر تقريبا وترجمته في الميزان قال حدثنا ابو بكر بن سهل ابو محمد
مولى بني هاشم بن عبد الله بن يوسف الدمياطي روى عنه الطحاوي والطبراني
وغيرهما توفي سنة تسع وثمانين ومائتين عن نيف وتسعين سنة وهو مقارب
الحال وقيل ضعيف كما في الميزان قال حدثنا عبد الله بن صالح هو ابو صالح الجهني
مولاهم كاتب الليث روى عن معاوية بن ابي صالح الاتي وموسى بن علي وغيرهما
روى له البخاري واصحاب السنن وهو زاهد حسن الحديث توفي في سنة مائتين
وثلاث وعشرين وعمره ست وثمانون سنة وله ترجمة مطولة في الميزان قال حدثنا
معاوية بن صالح الحضرمي قاضي الاندلس وهو امام صدوق توفي سنة ثمان
وخمس ومائة وله ترجمة في الميزان ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب
هو يحيى بن خالد الطائي قاضي حمص مات سنة مائة وستة وعشرين واخرج له
اصحاب السنن والمقدام بن معدي كرب بن عمرو الكندي صحابي نزل حمص وترجمته
مشهورة توفي سنة سبع وثمانين واخرج له اصحاب السنن واحمد قال السهيلي معنى
معدي كرب وجه الفلاح وفيه لغات اسكان يا معدي ولو في النصب مع فتح با كرب بلا
تنوين لبنائه واعرابها بالاضافة مع الصرف وعدمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه وهذا الحديث رواه الترمذي والنسائي وابن
حبان واخرجه المص رحمه الله عن الطبراني ولم يروه عن الترمذي لان سند المعجم
الطبراني اعلا من غيره لان بينه وبين المقدام ثمانية في رواية الطبراني وبينه وبينه
في رواية الترمذي من احدى طريقيه احد عشر ومن الاخرى عشرة والحديث صحيح
وفي الروايات اختلاف يسير ففي الترمذي بدل ابن ادم ادمي وبلفظ بطن بلا
اضافة وبحسب لابي بالبا الجارة والوعا ظرف الطعام والمراد انه لا وعا شر منه
ولا يساويه في الشر فجعل بطنه كالوعا المبتني تحقيرا له ثم جعله شر الاوعية
زيادة في تحقيره لان امتلاءه يورثه البلادة ويحرك شهوته فيرتكب المعاصي ويحصل
له من الامراض ما يضره كما مر ويودي الى هلاكه ولا شر اعظم من هذا بحسبه منه
ما يقيم صلبه ويعينه على عبادة ربه ونظام امور دنياه فلذا قال حسب ابن ادم
وفي رواية المسلم بدون ابن ادم اكلات يقمن صلبه حسب بسكون السين بمعنى
كاف كما يقال اعطيت الرجل ما حسبته اي اعطيته عطا يكفيه وهو مبتدا خبره
الاكلات بضم الهمزة والكاف على الرواية به ويجوز فتح الكاف وتسكينها جمع
الاكلة بضم الهمزة وسكون الكاف اسم لما يوكل ويقمن بمعنى يقوين من اقام بمعنى
ادام وثبت وصلبه بضم الصاد وفتحها عظام سلسلة ظهره لانه عمود وفيه
النخاع الذي يمد العصب الممسك فاذا افرط جوعه ضعف وانحنى صلبه وفي
القاموس ما يخالف ما قاله الشراح لانه جوز في الاكلة الفتح والضم واقتصر
في جمعه على فتح ثانيه كصرد وقال البرهان الاكلات بضم الهمزة جمع اكلة بفتحها وهي
اللقمة فان كان لا محالة بفتح الميم والحا المهملة واللام بمعنى لا بد ولا حيلة
كما في قوله وكل نعيم لا محالة زايل اي ان لم يكن صبر على الاقتصار على لقيمات
فثلث من بطنه لطعامه وثلث منه لشرابه وثلث منه لنفسه بفتحتين

وهو الهوا الخارج من الجوف وروي الدجى طعامك وشرابك وبفسك بكاف الخطاب
على الالتفات من الغيبة للخطاب اعتنا بشان من ارشده فيما ارشده اليه وانه لا ينبغي
تجاوزه وفي الاول حث على الاقلية وفيما بعده تجويز لما فوقه من غير افراط والشراب
هنا بمعنى الما ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب هذا من كلام المص رحمه الله لا من
الحديث الا ان الشراح لم يبينوا وجه ارتباطه بما قبله ولا على عطف والظاهر انه عطف
على قوله السابق بارتباط احدهما بالاخر لان السبب والعلة في معنى واحد فالمراد
بارتباطهما ان احدهما يستدعي الاخر فان الاكل يقتضي الشرب ثم بين انهما وكثرتهما
يقتضيان كثرة النوم لما يصعد منهما من الابخرة الكثيفة الى الدماغ المرخية المقتضية
لكثرة النوم المستدعي للكسل وذهاب الفطنة وفوات العبادة وفي ذلك ما لا يخفى
من الضرر قال سفيان الثوري بكسر السين وضمها وفتحها وهو سفيان بن سعيد بن
مسروق ابو عبد الله والثوري نسبة لثور ابن مناة وقيل من ثور همدان وهما
قبيلتان الكوفي عالم عصره الزاهد المحدث توفي سنة احدى وستين ومائة وعمره
اربع وستون وهو ثقة ولا عبرة بمن تكلم فيه وهو من اقران مالك رحمه الله يملك سهر
الليل بقلة الاكل يملك بضم اليا وفتح اللام مبني للمفعول وسهر مرفوع نايب فاعله
اي يقوى ويقدر عليه من غير مشقة فشبه قدرته بملكه له فهو استعارة لان
النفس تخف بقلة الطعام بعد ان كانت قاهرة وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا
فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا زاد الغزالي في الاحيا فتخسروا اخيرا كثيرا وزاد غيره
فتندموا عند الموت لقلة الزاد لانه اكل زاده فضيعه في غير وقته وقد روي
عنه اي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي
كثرة الايدي لما فيه من السخا بالطعام وقلة الاكل وكثرة البركة وهذا الحديث قال
السيوطي رحمه الله انه رواه ابو يعلى عن انس وجابر رضي الله عنهما بسند جيد
ولفظه كما قال الشيخ قاسم في تخريجه انه لم يجمع له غدا او عشا وخبز ولحم
الا على ضفف وسنده جيد واخرج ابو عبيد في الغريب انه صلى الله عليه وسلم
لم يشبع من خبز ولحم الا على ضفف واخرج الترمذي في الشمايل عن مالك بن دينار
قال ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخبز قط ولا من لحم الا على ضفف
قال مالك سالت رجلا من اهل البادية ما الضفف قال تناول مع الناس واخرج
الطبراني عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب الطعام
الى الله ما كثرت عليه الايدي انتهى والضفف بفتح الضاد المعجمة والفا الاولى
مفتوحة فسرها المص رحمه الله بما ذكره اهل اللغة وهو تفسير ما تقدم كما سمعته
انفا وهو من قولهم بير ضفوف اذا كثر الناس عليها او قال يحيى بن احمد الضفف
ان يكون الاكلة اكثر من الطعام والحفف بالجيم ان يكونوا بمقداره وقيل الضفف
الضيق والشدة اي لم يكن صلى الله عليه وسلم محبا للترفه في ماكله ولا
منبسطا فيه وفي رواية لم يشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعام
الا على ضفف وروي على شظف اي ضيق وشدة كما علم فالضفف والشظف
روايتا بمعنى الضيق والحاصل انه صلى الله عليه وسلم كان يحب الاكل مع

الجماعة وان قل طعامه وتنافت معيشته والاحاديث في معناه كثيرة كطعام الواحد يكفي
الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام الاربعة يكفي الثمانية وهو حديث صحيح
وقيل الضفف كثرة العيال وقيل قلة الطعام وكثرة الاكلين ويقال ضفف بالادغام
وقال ابن السكيت الضفف الاكل باليد ففيه لغتان وله معان وعن عايشة رضي الله عنها
لم يمتلا جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وروي عنها ايضا ما شبع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وهذا يقتضي
بمفهومه انه شبع في بعض الايام دون الثلاثة وهو معارض للاول وكلاهما صحيح
ويجمع بينهما بان دلالة المفهوم لا تعارض المنطوق عند من قال بها كابي حنيفة رحمه
الله فلا تعارض بينهما بالطريق الاولى او يقال الامتلا شبعا صفة زايدة على الشبع
فالشبع الاعم كان يقع منه صلى الله عليه وسلم احيانا واما الامتلا من الشبع فلم يقع
اصلا والشبع مباح عليه محرم على غيره الا للتقوي على صوم الغد او لئلا تستحيي
الضيف حتى لا يستحيي من الاكل كما قاله الحنفية وعند الشافعية هو محرم
من مال الغير ان لم يعلم رضاه ومن مال نفسه مكروه مع ان ما ذكر من تعارض
الحديثين غير مسلم لان ما ذكره المص هنا ذكره في الاحيا ايضا عن عايشة رضي الله عنها
وتمامه وربما بكيت رحمة له صلى الله عليه وسلم لما اري به من الجوع وامسح بطنه
بيدي واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك منها ويمنعك
من الجوع فيقول يا عايشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو
اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم عز وجل فاكرم مآبهم واجزل
ثوابهم واجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة
احب الي من ان ينقص حظي غدا في الاخرة وما من شي احب الي من ان الحق اخواني
وخلاني قالت فوالله ما استكمل بعده جمعة حتى قبضه الله وقد ذكر المصنف
صدره فقط وقال العراقي في تخريج احاديث الاحيا لم اجد هذا الحديث فلا
تعارض وشبعا تمييز او مفعول له او مفعول مطلق وشبعه مفتوحة وتكسر
وتفتح البا وتسكن وصوب ابن مكي كسر الشين وسكون البا كما قاله التلمساني
ثم انه ورد في الاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم كان يشبع ويجوع وفي
البخاري ما شبع ال محمد قط وهذا محمول على غالب احواله صلى الله عليه وسلم
فان الغالب ينزل منزلة الكل كثيرا وهذا لم يكن عن احتياج حقيقي لما رواه
الترمذي عن ابي امامة رضي الله عنه انه قال صلى الله عليه وسلم عرض
علي ربي ان يجعل لي بطحا مكة ذهبا فقلت لا يا ربي اشبع يوما واجوع يوما
فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت شكرتك كما قال الابوصيري
وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فاراها ايما شمم
فجوعه صلى الله عليه وسلم كان قصدا ولكن يظهر انه عن احتياج تطييبا
لقلوب الفقرا وتنزيها من الريا وتبريا من رهبانية اهل الكتاب والحكما
كما قال صلى الله عليه وسلم لا رهبانية وهذا مما ينبغي التنبه له او يجب
اعتقاده والتاسي به فافهم وانه معطوف على ما قبله من قوله انه كان

احب الخ وقوله كان في اهله اي اهل بيته وعايلته وهو حال من فاعل يسال او خبر وجملة
لايسالهم طعاما حال منه وعدم سواله صلى الله عليه وسلم لذلك لعدم اهتمامه به
والتفاته لما هو اهم منه ولا يشتهاه مضارع يشتهي يفعل من الشهوة وهي الميل
الى ما يستلذ وقيل هي ادراك الملايم من حيث هو ملايم وقيل الشهوة لا تحد
والفرق بينها وبين الارادة ان الانسان قد يريد ما لا يشتهيه ويشتهي ما لا
يريده كالمريض الحتمي عما يشتهيه والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة
فانها لا تتعلق بنفسها بل تتعلق بالذات المغايرة لها فاذا ذكرت متعلقة بنفسها
كانت مجازا عن الارادة كما قيل لمريض ما تشتهي فقال اشتهي ان اشتهي وفرق
بينهما وبين المحبة ايضا فانك تقول احب الله ورسوله ولا تقول اشتهيهما
فالمحبة اعم والشهوة في الاصل تكون وجدانية غير اختيارية بخلاف المحبة
ولذا فرق النحاة بين قوله احب الي واشهى الي فجعلوا الي في الاول للتبيين
وفي الثاني بمعنى عند وفيه كلام لنا في نكت المغني من باب الهمزة فان اردته فراجعه
ثم بين ما ذكر بقوله ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب يعني انه
صلى الله عليه وسلم كان ياكل ما قدمه له اهله ونحوهم من الطعام ويقبله
من غير ان يعيبه وكذا اكل ما قدم له من الماء يشرب وهذا كان غالب حاله صلى الله
عليه وسلم فلا ينافي ما وقع له نادرا على خلاف مقتضى طبعه كما في مسلم عن
عايشة رضي الله عنها انها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
يوم يا عايشة هل عندكم شيء فقلت يا رسول الله ما عندنا شيء قال فاني صايم
الحديث وسقوه بمعنى اعطوه ما شرب وزاد الدلجي فقط بعد فرقهم السابق
لا يسالهم ولا يعترض ببينا المحمول على هذا الحديث بريرة رضي الله عنها اي
على هذا المذكور من عدم سواله لما ذكر وبريرة بفتح الموحدة وراءين مهملتين
اولاهما مكسورة بينهما مثناة تحتية من البر بمعنى مبرورة او بارة وهي
بنت صفوان وهي قبطية وحبشية عند الذهبي مولاة عايشة رضي الله عنها
اشترتها من عتبة بن ابي لهب وقيل من بني كاهل وقيل كانت لناس من
الانصار وحديثها اخرجه مالك في الموطا عن القاسم بن محمد عن عايشة
رضي الله عنها ورواه الشيخان وهو قالت عايشة كان في بريرة ثلاث سنن
وكانت احدى السنتين انها اعتقت فخيرت في زوجها وقال فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم الولاء لمن اعتق ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على اهل بيته والبرمة تفور باللحم فقربوا له خبزا وادا ما من ادام البيت
فقال الم ار البرمة فيها لحم فقالوا بلى يا رسول الله ولكن هو لحم تصدق به
على بريرة وانت لا تاكل الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو لها صدقة ولنا هدية فاخبرهم صلى الله عليه وسلم ان هذا اللحم
باهدايها اياه انتقل من حكم الصدقة الى حكم الهبة وانما الذي حرم عليه
ما تصدق به عليه لنفسه وجعل محلا لقبوله ولو كان ما تصدق به مع
تبدله حكم الصدقة لما جاز للفقير اذا تصدق عليه بشيء ان يبيعه

من

من غير فقد سالهم صلى الله عليه وسلم الطعام واجاب عنه المهم بقوله الا اني فاراد
بيان سببه فان سواله لمقتضي والمعنى السوال بغير مقتض وقوله البرام البرمة بضم
الموحدة وسكون الراء بالميم وهي عند العرب قدر ينحت من الحجارة وقيل
اعم من ذلك فيشمل النحاس والحديد وغيرهما فيها لحم الصغير للبرمة لانها تؤنث
بالقدر الان تانيث الثانية سماعي واللحم بسكون الحا المهملة وتفتح وقد قيل
انه لغة مطردة في كل ما ثانيه حرف حلق كالبحر والنهر والبغل والنحل والنحل وانكره
البصريون اذ لعل سبب سواله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم اي اعتقاد
عايشة المخاطبة وغيرها من الناس فذكره تغليبا انه اي اللحم بسبب انه صدقة
في الاصل لا يحل له صلى الله عليه وسلم كالصدقة عليه بالذات فاراد بيان سنته
اي طريقته المشروعة له وهي جواز اكل الهدية وان كانت صدقة على مهديها
اذ لو لم يقدموه اي اللحم اليه مع علمهم بهم لا يستاثرون عليه به اي لا يختصون هم
انفسهم ويقدمونها على النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من الطعام وغيره
وصدق بتخفيف داله ويجوز تشديدها عليهم ظنه بالنصب اي صدق في ظنه
جهلهم بذلك فهو متعد بنفسه او على الحذف والايصال كما في صدق وعده
او بالرفع على انه فاعل اي تحقق ظنه او وجد صادقا في جهلهم ذلك وبين لهم
ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وهذا احوال استحسنوه
فان الرجل اذا راى طعاما اهدي له فسال عنه وطلب ان يؤتى به لا يذم وانما الايسال
عما عنده من طعامه ويبحث عنه واي بلعل التي للترجي لانه لم يجزم به وتقدم
جواب اخر وهذا الحديث يدل على ان الصدقة حرام عليه صلى الله عليه وسلم
لشرف قدره وعلو منصبه وغناه حقيقة وسوا فيه صدقة التطوع والفرض
كالزكاة وفي حل التطوع قول للشافعي وكذا اهل بيته وقيل لا يحرم عليه الصدقة
العامة كما السبل والابار المسبلة وهل ذلك حرام على سائر الانبيا عليهم
الصلاة والسلام ام خاص به صلى الله عليه وسلم فيه خلاف والاصح اختصاصه
به صلى الله عليه وسلم وفي الاحاديث ما يدل عليه ونقل عن ابي حنيفة
رحمه الله جواز الصدقة على اهل البيت مطلقا وقيل اذا حرموا سهمهم
من بيت المال كما نقله الطحاوي وهو وجه عن الشافعي ومالك وهم بنو هاشم
وكذا بنو المطلب بخلاف غيرهم من قريش وازواجه رضي الله عنهن وفي حكمة
لقمان بن عنقا بن سيرون واسم ابيه تاران وقيل غير ذلك وقيل انه ابن اخت
داود عليه الصلاة والسلام وعنه اخذ الحكمة وقيل كان قاضيا في بني
اسرايل والاصح انه حكيم وقد جمعت حكمه في كتاب مستقل مسند والمراد
بالحكمة الموعظة الحسنة لفظا ومعنى ولقمان هذا هو المذكور في القران
وكانت الحكم تجري على لسانه لما اتاه الله من العلم والنفس القدسية وهو
ولي عند الاكثرين ونبي عند بعضهم وكان عبدا حبشيا نجارا بالرا وقيل
نجادا بالدال او خياطا او راعيا وقيل نوبي وقيل انه تلمذ لالف نبي وهو
غريب وهو من اهل ايلة وقيل الغم وقيل اسكم وقيل ماتان وقيل انه ابن

اخت ايوب او ابن خالته وقيل انه كان في زمن داود عليه الصلاة والسلام والقول بانه عاش الف سنة غلط من لقمان بن عاد يا بني بالتصغير والاضافة واسمه مشكم بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الكاف على الاصح وقيل غيره كما مر اذا امتلات المعدة نامت الفكرة المعدة بفتح الميم وسكون العين وبكسر الميم مع سكون العين مقر الطعام وهي للانسان كالكرش للبهائم والحوصلة للطير والفكرة قوة مدركة في الدماغ عند من اثبت الحواس الباطنة في بطون الدماغ كما فصل في كتب الحكمة ومن لم يثبتها يقول هي قوة للنفس تدرك بها الامور الدقيقة فعلى الاول النوم استعارة تبعية لبطلان عملها او شبهت الفكرة بشخص واثبت له النوم على طريقة المكنية والتخييلية وكذا على الثاني او المراد نام صاحبها والنوم مبطل للحس والادراك والمراد على كل غلبة الغفلة والذهول على كل من يشغله بطنه عن مهماته ومثله ما ورد في الحديث لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء فيدبر عما يهمه من العلم النافع والعبادة والجهل يستعار الموت كما قيل

لا يعجبن الجهول بزته • فذاك ميت وثوبه كفن

وخرست الحكمة هو كالذي قبله في الاستعارة ونحوها اي خرس اللسان التي تجري عليه والحكمة النطق بما فيه كمال النفس واقتباس العلوم النظرية والملكات التامة والافعال الفاضلة اي تركت ذكرها واكتسابها وقعدت الاعضاء عن العبادة اي كسل صاحبها فلم يستعملها في عبادة الله بان يعطل بدنه من القيام لها واللسان من ذكرها والقلب عن فكرها وهكذا فشبه تركه بالقعود واستعمله في لازمه ونحوه مما مر فقس عليه ما قبله وقال سحنون الفقيه المالكي وهذا لقبه واسمه عبد السلام بن سعيد التنوخي قاضي افريقية وكنيته ابو سعيد وهو بضم السين وصوب القاضي فتحها وقال ان الضم لحن بعض الفقهاء وعليه ابن الحاجب في الشافية حيث قال سحنون انه صح الفتح ففعلون كحمدون وهو مختص بالعلم لندور فعلول وهو صعفوق وخرنوب ضعيف وقال غيره انه صحيح على انه فعلون بالنون وهو اولى لكثرته في الاعلام كعبدون وزرقون وزيدون خصوصا بالمغرب وهو اسم طائر كثير الحركة في الاصل وقيل هو البلبل وادرك مالكا ولم يقرا عليه وقرا على ابن القاسم واشهب وهو واضع كتاب المدونة وانتهت اليه رياسة العلم بالمغرب وحصل له ما لم ينله غيره وولد في رمضان اول سنة ستين ومائة ومات لتسع خلون من رجب سنة اربعين ومائتين وقيل الظاهر ان سحنون فعلول من السحنة وهي الهيئة الحسنة وهو ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة او هو مصروف ان كان فعلولا وقال التلمساني وقع في نسخة العز في هذا ذو النون بدل سحنون وهو العابد الزاهد المشهور واسمه ثوبان وقيل الفيض بن ابراهيم المصري فيمكن ان يكون احدهما روى عن الاخر لانهما في عصر واحد لا يصلح العلم لمن ياكل حتى يشبع المنازع بقيد الاستزاد

ع بج

النجدي

الهدي اي من يكون دابه كثرة الشبع بكثر نومه ويصير بليدا ابطا لا فلا يحصل العلم ولا
يليق به طلبه فان البطنة تذهب الفطنة كما تقدم ولانه يشتغل باصلاح ما اكله وكسب
ما يحصله فيفوته العلم وكل خير وفي صحيح الحديث الذي رواه البخاري وغيره وكذا
انه يريد المص بصحيح الحديث كتاب البخاري لان الصحيح غلب عليه قوله صلى الله عليه
وسلم اما انا فلا اكل متكيا هذا الحديث في الصحيحين مروي بروايات مختلفة منها
ما ذكره المص ومنها اني لا اكل متكيا ومنها لا اكل وانا متكي قال الكرماني هذا ابلغ
في الاثبات والاول ابلغ في النفي وقيل عليه المراد انه اكثر مبالغة لا بلاغة ووجهه
ان متكي اسم فاعل فيه ضمير مستتر فاسند الاتكا اليه مع اسناده معه الى انا فهو ابلغ
في اثبات الاتكا لتكرر اسناده وان لم يكن متكي مع فاعله جملة بخلاف لا اكل متكيا فانه لم
يتكرر فيه الاسناد فهو في النفي ابلغ وعندي ان الثاني ابلغ لنفي القيد والمقيد
انتهى اقول هذا الكلام لا محصل له مع عدم استقامته والظاهر ان مراد الكرماني
بالنفي والاثبات نفي الاكل في حال الاتكا واثبات الاكل في حال عدم الاتكا الذي يقتضيه
مفهومه بناء على الفرق بين الحال المؤكدة والجملة فان النفي في الاولى ينصرف الى
القيد والمقيد فيقتضي نفيهما والثانية لا تقتضي ذلك نحو وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم فانه يقتضي انهم لعذبون لعده كما مر ويقتضي هذا انه ياكل اذا زال
الاتكا وفيه بحث ليس هذا محله وسبب هذا الحديث ما اخرجه ابن ماجة بسند
حسن وهو ان اعرابيا اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فجثى على ركبتيه
ياكل فقال له الاعرابي ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلني عبدا كريما ولم يجعلني
جبارا عنيدا والاتكا هو التمكن للاكل والتقعدد في الجلوس له اي لاجل الاكل
والتقعدد تفعلل من القعود ومعناه التثبت والتمكن من القعود الا انه قيل
انه لم يوجد من هذه المادة تفعلل والمص ذكره ما يقوله بمنزلة ما يرويه
وللجلوس انواع بينها الثعالبي في فقه اللغة كالتربع وشبهه من تمكن الجلسات
التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته من ارض وفراش ونحوه والتربع يكون بمعنى
النزول في الربيع وجعل الشيء رباعيا ونوع من الجلوس ماخوذ من الاخير لبسط اربعة
من اعضائه الساقين والوركين مع انضمامهما على هيئة معلومة وقوله من تمكن
الخ بيان للتربع وشبهه والتمكن تفعل من المكان اي تثبته في المكان والاعتماد بمعنى
الاتكا كما في الصحاح وهذا اشارة الى ما ارتضاه في تفسير الاتكا فان اهل اللغة
اختلفوا فيه فذهب بعضهم الى انه الميل الى احد جانبيه مع اعتماده على شي
كالمخدة والوسادة وهو المشهور وذهب الخطابي وتبعه المص رحمه الله الى انه
الاعتماد على ما تحته من غير ميل كما بيناه هنا وسياتي تحقيقه ثم اشار الى
وجه كون الاتكا بهذا المعنى في حال الاكل لم كان غير محمود فقال والجالس على هذه
الهيئة يستدعي الاكل اي يطلب الاكل ويرغب فيه ويقتضي تناوله ويستكثر منه اي
يكثر منه كثرة مفرطة متجاوزة حد الاعتدال الحسي كانه يطلبه من نفسه لا قباله عليه
وقوة شهوته لغلبته حبوا ثبته والنبي صلى الله عليه وسلم لا عز امنه عن مثله
وتناوله منه مقدار الضرورة بالسرعة انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا

المستوفز الذي لا يكون مطمئنا بل مستعجلا للقيام ومنه نحن على اوفاز اي على سفر
كما قلت في الفصول القصار ◦ ◦
فمن كان في الدنيا على اوفاز ◦ استراح لتهنيه بعيشه او فاز ◦
والاقعا بالقاف وعين مهملة والف ممدود له تفاسير والمعروف منها اثنان احدهما
ان يلصق اليتيه بالارض وينصب ساقيه وفخذيه ويلصقهما بصدره وربما يكون
مع وضع يديه على الارض مع اقعنساس يشبه جلوس البدوي المصطلي والثاني
ان ينصب قدميه واضعا على عقبيه اليتيه ضاما ساقيه وفخذيه واضعا ركبتيه
على الارض وهذا استحبه الشافعي في الصلاة اذا رفع راسه من السجود الاول
وبه ورد الحديث وقال الشافعية ان عليه العبادلة وكرهه الحنفية واما الاول
فمكروه بلاخلاف في الصلاة واما اقعاؤه صلى الله عليه وسلم للاكل ففسر بالتساق
مقعده بالارض ناصبا ساقيه وهو الاحتفاز والاستيفاز وقول البجاني ان
قول المص رحمه الله ان جلوس النبي صلى الله عليه وسلم لاكله مستوفزا مقعيا
ظاهره انه كان عادة له في كل احواله والذي ورد في الحديث انه اكل مرة هكذا كما قال
انس رضي الله عنه رايته صلى الله عليه وسلم اكل مرة مقعيا لا وجه له لان ما قاله
المص هو المصرح به في عامة الكتب وروايه انس رضي الله عنه مرة لا تصلح سندا للنفي
في غير تلك المرة وانما امتنع صلى الله عليه وسلم من الاتكا في اكله لانه من الكبر
والترفه الذي تنزه طبعه عن الميل له ولانه يضر اذا مال ومستند في لكثرة الاكل
اذا تربع وهل كان الاكل متكيا مكروه في حقه صلى الله عليه وسلم كساير الامة او
حرام عليه وان ذلك من خصايصه ذهب الى الثاني بعض الشافعية والاصح الاول
واختياره صلى الله عليه وسلم غيره دايما لا يدل على حرمته ويقول انما انا عبد الله
لا ملك لاختياره العبودية التي هي اشرف الصفات وهذا من حديث رواه البخاري
عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت
النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام انما انا عبد فقولوا عبد الله
ورسوله والاطرا المبالغة في المدح والى هذا اشار الابوصيري رحمه الله بقوله
دع ما ادعته النصارى في نبيهم ◦ واحكم بما شيت مدحا فيه واحتكم ◦
وهذا من تاكيد المدح بنفيه اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد
في حال الاكل وغيره تواضعا لله فلا يمد رجليه عند جلسايه تكريما وتعظيما
لعباد الله وارشادا لغيره ولا يعبؤ بترفع ذوي الوجاهة والتكبر من الملوك
وغيرهم وبه اقتدى خلفاوه رضي الله عنهم لان الله رقيب عليهم وهو معهم
فادبهم انما هو معه وسياتي الكلام ايضا على هذا الحديث عند ذكر المص له في قوله
فصل واما تواضعه وقد ضيف بعض المشايخ بعض الامرا وهيا له محلا ينام
فيه فلما دخل وجد فيه مصحفا فلم يزل قايما على قدميه الى الصباح فلما اتاه
رب المنزل راه قايما فقال له لم لا تجلس فقال له كيف اجلس او انام في محل فيه
كلام الله فقال له من عظم الله عظمه فلم يمض من حتى صار سلطانا ه

واسترا

واستمر الملك في عقبه الى الآن فلما طغوا وتكبروا حتى طلب بعضهم سجود الناس له
نقمه الله وصار ملكهم على شرف الزوال ومالك الملك يؤتيه من يشاء وليس معنى الحديث
في الاتكاء المذكور ما ينافيه الميل على شق عند المحققين من اهل اللغة والحديث بل هو
ما مر وهو احد قولين لهم واعلم ان الصاغاني قال في المجمع رجل تكاة مثل تودة
كثير الاتكاء واصله وكاة والتكاة ايضا ما يتكأ عليه وهو المتكأ قال تعالى واعتدت
لهن متكأ قال الاخفش هو في معنى مجلس وطعنه حتى اتكاه اي القاه على هيئة
المتكي واوكاته فلانا نصبت له متكأ وفي نوادر ابي عبيدة اوكات عليه اي توكات
انتهى وكذا قاله غيره فهو واوي من الوكاء واصل معناه الشد والمعتمد على شيء
يتقوى ويشتد به فالاعتماد حالة الجلوس على الارض او غيرها متكي والمايل على
احد شقيه المستند الى الارض او الوسادة متكي ايضا فكلا التفسيرين صحيح
والمراد به في الحديث صالح لكل منهما ومن فسره بالميل جنح الى انه عادة المتكبرين
المترفهين او المشهود في الاستعمال بحيث طابق الوضع كان اظهر فرد المص رحمه الله
لم يصادف محزه واكثرهم على خلافه الا الخطابي والحق احق بالاتباع فالحاصل
ان حقيقته انما هي الاعتماد الحسي فالمتربع معتمد والمايل معتمد على احد
شقيه فلا خطا في كلا التفسيرين من لمن له معرفة باللغة فالتحقيق خلاف ما ادعا
المص رحمه الله من التحقيق وانما جعل النبي صلى الله عليه وسلم هذه حالة
العبد لانه لاشتغاله بالخدمة والمهنة لا يستقر ويطمئن فيكون مستوفزا
مستعجلا والمعنى اني لست بخلو فالدنيا وترفهها فنظري انما هو لعبادة الله
وتبليغ اوامره فلا التفت اليها وانما اتناول منها بسرعة مقدارا يسيرا
لدفع الجوع كالعبد الموكل بخدمة سيده وثمة نكتة اخرى تدرك بالذوق
اي انه مهتم بذلك لا بالاكل والشرب كالبهايم وكذلك اي كقلة اكله وشربه
وعدم ترفهه فيهما نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا بيان لوجه الشبه
شهدت بذلك اي بقلة نومه صلى الله عليه وسلم ودلت عليه الآثار الصحيحة
اي الاحاديث الصحيحة المسندة في كتب الحديث التي اغنت شهرتها عن ذكرها
كما مر وهذا كان اكثر حالاته صلى الله عليه وسلم وربما خالف هذا احيانا
اذ قد ورد ما يؤذن بان نومه زاد على يقظته او ساواها لحديث النسائي عن انس
رضي الله عنه قال ما كنا نشاء ان نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل
مصليا الا رايناه ولا نشاء ان نراه نايما الا رايناه ومع ذلك اي مع قلة نومه
غالبا فقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فنومه صلى
الله عليه وسلم ليس كنومنا بل هو يقظة فكانه لا نوم له اصلا بحسب الحقيقة
فقلبه صلى الله عليه وسلم مستيقظ دايما مدرك ما لا يدركه غيره في يقظته
ولذا كانت رؤياه صلى الله عليه وسلم قسما من الوحي لاتصاله بعالم الملكوت
في نومه وكذلك ساير الانبياء عليهم الصلاة والسلام تنام عيونهم ولا تنام
قلوبهم فهذه خصوصية اضافية بالنسبة لامته وهذا ايضا باعتبار غالب
حاله فانه صلى الله عليه وسلم نام هو واصحابه مرة حتى فاتتهم صلاة الصبح

وادركهم حر الشمس وقد اجيب عنه ايضا بان القلب وان كان يقظان لا يدرك ما
تدركه العين النايمة وانما يدرك ما يتعلق به من الحدث والالم ولذا ذهب
بعض الفقها الى ان نومه صلى الله عليه وسلم لا ينقض وضوءه وبانه شغل
الله تعالى قلبه الشريف بمشاهدة ملكوته مع نوم عينيه فلم تدرك خروج الوقت
للتشريع لامته وقد مر الكلام على ذلك كله وكان نومه صلى الله عليه وسلم على
جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم اي استعانة فان الاستظهار استفعال
من الظهر بمعنى التقوية والاستعانة لان قوة البدن واستمساكه بالظهر
فكان صلى الله عليه وسلم من عادته انه اذا نام نام على شقه الايمن وحكمة
ما بالجنب ان القلب مايل الى جانب اليسار فاذا نام المرء على يساره يستقر القلب
فيزيد نومه لراحة قلبه واذا نام على يمينه تعلق القلب ولم يسترح فيخف
نومه ويكثر سرعة يقظته من نومه وانما كان مقتضى الحكمة كون القلب في
جانب اليسار ليعادل الكبد الذي في جهة اليمين غالبا ولموافقته لما كان يحبه
صلى الله عليه وسلم من التيامن في اموره لما فيه من اليمن لفظا ومعنى ومما
قيل من انه حال امتهان لاتكايه على الجانب الذي ينام عليه لا وجه له فان في
النوم راحة تعين على العبادة فالاتكا عليه كالاتكا على اعضا السجود وكذا ما قيل
انه صلى الله عليه وسلم مع قوة روحه ويقظة قلبه غالبة لنومه غير محتاج
للاستظهار عليه وانما هو للتيمن والتشريع فان القوي اذا تقوى كان شديد
القوة والنوم امر طبيعي في جميع الخلق غالب وقد عرفت ان يقظة قلبه كانت
هي الحالة الغالبة فالتقوي احترازا مما يعرض نادرا لانه اي النوم على الجانب الايمن
اهنا افعل تفضيل مهموز الاخر من الهني اي اسهل والذ والهنا ما اتاك من غير مشقة
فالنوم على الايسر وفعله هنو بالضم ويكسر هناه قيل وانما جعل الطايف البيت
عن يساره لتوجه قلبه اليه بدعوة ولجعل افيدة من الناس تهوي اليهم فجعل جانب
القلب واعلاه محاذيا له وقيل لان اليسار محل الوسوسة وكاتب السيات واليمين
محل الرحمة وكاتب الحسنات كما ان البيت محل الرحمة فجعل اليسار بين رحمتين
لتغلب ضده وقال ابن عبد السلام الحكمة فيه ان القادم يستقبل البيت من ثنية
كدا من ناحية باب بني شيبة فينبغي ركن البيت على يساره وهو يمين البيت
لانك اذا قابلت شخصا فيمينه بيسارك ويسارك بيمينه والذي يلاقيك من
البيت وجهه وهو الباب لان باب كل بيت وجهه والادب ان يوتى الكبير من قبل
وجهه ولهذا ابتدي بتثنية كدا والاصل في العزيمة التيمن فلو ابتدا بالحجر وجعل
البيت على يساره فكانه قد ابتدا بالوجه واليمين معا فيجمع بين فاضلين ولو ابتدا
بالحجر وجعل البيت على يمينه ترك الادب وتيمن الحايط الذي من ركن الحجر الى الركن
الاخر وغيره ما يقابله وهو معنى حسن كما قاله ابن مرزوق وقوله لهذه
القلب تعليل لكونه اهنا اي لراحته واستراحته لسكونه والهد وبرنة
العلو السكون وهو مهموز الاخر ونبدل همزته واوا ونذعم وتسهل
ايضا وهو قريب من الهنوء ولامهما همزة في الاصل وما يتعلق به اي قلبه

معلاقه الذي تعلق به وبنياطه وكلاهما من الاعضا الباطنة اي الموجودة في داخل
الانسان حينئذ اي حين نومه علي جانبه الايسر لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي
ذلك اي يقتضي ذلك الهدو ويستلزم بحسب الطبع الاستثقال فيه اي ثقل بدنه
في نومه وغلبة النوم حتى يستغرق فيه وهو جواب اذا او مسبب عما قبله والطول
اي طول نومه وطول زمان بطالته واذا نام النايم علي جانبه الايمن تعلق القلب
وقلق اي لم يستقر ويطمين فاسرع الافاقة اي التيقظ من نومه ولم يغرق
بفتح اليا وسكون الغين المعجمة وضم الميم وبحذف الرا المهملة الاستغراق في
النوم وهو انقطاع احساسه انقطاعا تاما طويلا وعدم له بنفطينته وشدة
استيلايه عليه من غمر الماء اذا علاه فهو استعارة كما استعيرت الغمر للشدة
بعينه وبيوا لاستغراق مناسبة لطيفة لانه من الغرق وذلك لان القلب مايل
طرفه الاسفل الى الايسار لتتوفر الحرارة منه عليه فيعتدل الجسم فان الحرارة
كلها في الايمن لكون الكبد فيه

# فصل والضرب الثاني

مما تدعو ضرورة الحياة اليه وهو الفصل التاسع وعقبه بما قبله لانه ضده
اذ فيما قبله يتمدح بقلته وبضدها تتبين الاشيا فهو ما يتفق التمدح بكثرته
يتفق اما من قولهم اتفق كذا او وقع اتفاقا اي وقع من غير قصد لصاحبه او من
الاتفاق وهو اجتماع الكلمة فالاصل ما يتفق الناس علي التمدح بكثرته اي كثرة
المدح وفوته والمراد الاول لان صاحبه لم يقصده ولم يقصد مدح الناس
له بسببه وان كان قد يقصد ذلك والفخر بوفوره اي الافتخار بكثرته دون
قلته ووجوده فانه موجود في كثير مما لا يعتد به وقد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخذ منه بالحظ الاوفر الاوفي كالنكاح اي الجماع فانه يطلق عليه
وعلى العقد كما مر والمراد الاول والجاه وهو علو القدر عند الناس والمها
ونفوذ الكلمة والاشتهار بذلك وهو من الوجاهة والمواجهة واصله وجه
فقلبه واعل كما مر اما النكاح فمتفق فيه اي في مدحه وشانه اتفق العلما
واصحاب البصيرة والتمييز شرعا كما سياتي بيانه وعادة فيما اعتاده الناس
وتعارفوه كما لا يخفى ونصب شرعا وما بعده علي التمييز او المصدرية ثم
بين ذلك علي اللف والنشر المشوش فقال فانه اي النكاح دليل الكمال في
الخلقة والجسم لقوته واعتداله وصحة الذكورية الظاهر انها مصدر كالفعو
ذالانوثة والمشهور انها جمع ذكر خلاف الانثى ويصح ارادته ايضا الا ان
الاول اولى وصحة الذكورية بمعنى قوتها وسلامتها من الضعف والافة
ولم يزل التفاخر بكثرته عادة للناس معروفة بينهم لا تنكر والتمادح به
سيرة اي طريقة ماضية اي قديمة او نافذة معروفة من مضى لا مراد اقتضى
وقرر واما الشرع فسنة مأثورة اي هو في الشرع امر مسنون منقول في
اثار السلف والاحاديث الصحيحة اي المراد انه طريقة مسنونة قال الراغب
سنة النبي طريقته التي كان يتحراها وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما
وهو حديث صحيح رواه البخاري افضل هذه الامة اي افضل امة الاجابة

بة

من

لنبينا صلى الله عليه وسلم ولذا عبر باسم الاشارة اكثرها نسا مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم
يعني ان المراد بالافضل في كلامه هو النبي صلى الله عليه وسلم لانه ابيح له جميع ما فوق
الاربعة وهو من خصايصه صلى الله عليه وسلم دون امته فدلت الاكثرية على تعيينه
لهذه الافضلية ولذا عبر عنه بالاشارة فانها تطلق على مقابل المرئي وهو وان كان
افضل من امته اجل واعلا من ان يقال انه افضل منهم مع انه لا فائدة فيه بادي
الراي الا انه رضي الله عنه قصد الحض على النكاح والاكثار منه ولذا كان مفيدا
وهذا الكلام قاله لسعيد بن جبير رضي الله عنه لما ساله الكبر وجه فقال لا فقال
له تزوج فان خير هذه الامة من كان اكثرها نسا وهو في صحيح البخاري كما مر ولا بد
من جعل النبي صلى الله عليه وسلم داخلا في الامة على ما ياتي لان افعل التفضيل
في الاصل انما يضاف لما هو بعضه وان جاز يوسف احسن اخوته على ما ارتضاه بعض
النحاة على تفصيل فيه شهرته تغني عن ذكره وهذه الكثرة باعتبار ما ابيح له صلى
الله عليه وسلم بعد التزوج بمن شاان يجمع في وقت واحد عنده عدة لا
لا بمجرد التخول والعقد فانه ثابت لغيره ايضا وكان اللاتي تزوج صلى الله عليه
وسلم بهن باجماع اهل السير احدى عشر امراة ستة من قريش واربع من
سائر العرب وواحدة من بني اسرائيل من نسل هارون عليه الصلاة والسلام
وهي صفية بنت حيي وسياتي لذلكر بد بيان واما التي اختلف فيهن
ممن فارقها او عقد عليها ولم يدخل بها او خطبها ولم يقع عليها العقد
فاختلف فيهن وفي سبب فراقهن والذي ذكره بعضهم انهن سوى من تقدم
سبع فالجميع ثمان عشرة امراة غير السراري ويمكن ان يكون المراد بالامة
ما يشمله صلى الله عليه وسلم وامته ولا بعد فيه كما قيل والتمدح بالنكاح
لما فيه من الفوائد كالولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وترك ما لا يشغل
عن القيام باوامر الله مع امتثال امر الله كقوله خلق لكم من انفسكم ازواجا
لتسكنوا اليها وفي ذلك تسبب للالفة والمودة وايصال القرابة ولان فيه
تبليغ الاحكام التي لا يطلع عليها الا النسا ولما فيه من اظهار معجزته لقوة
قدرته على الجماع مع قلة اكله وتنعمه والمعتاد خلافه ومع ذلك لم يشغله
ذلك عن تعبده بامر الجهاد والتبليغ الى غير ذلك مما لا يحصى وقد عد
من النسك والعبادة بل قيل انه افضل منها احيانا وهو من اخلاق الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وتركه للقادر عليه مكروه الا ان يحوجه
لكسب ما لا يقدر عليه وارتكاب محظور كما في اخر الزمان ولذا ورد
خيركم الخفيف الحاد الذي لا زوجة له ولا ولد وانما قيد بهذه الامة
ليخرج سليمان وداود عليهما الصلاة والسلام فانهما كانا اكثر منه
صلى الله عليه وسلم نسا وفيه تامل وقد قال صلى الله عليه وسلم
تناكحوا تناسلوا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة ووقع في بعض
النسخ تناكحوا فاني مباه بكم الخ بدون تناسلوا والتناكح تفاعل من
النكاح بمعنى التزوج كما ورد بهذا اللفظ والمفاعلة على ظاهرها

بان

بان يراد لينكح احدكم بنت غيره وينكح الغير بنته وهو عبارة عن مصاهرة المسلمين
بعضهم من بعض والتناسل كثرة النسل وهم الاولاد والذراري او المراد بالتفاعل
لازم معناه وهو كثرة النكاح وهذا انسب بالمقام وبما بعده وتناسلوا اصله تتناسلوا
بتائين اولا المضارع وحذفت على القياس في كل تائين في اوله او هو امر بدليل ما قبله
او بتقدير العاطف والاول اولى لان التناسل ليس باختيارهم وانما هو فعل الله
فيحتاج الى تاويله باطلبوا التناسل واحرصوا عليه بان تنكحوا غير العقيم والآيسة
من الولد بان يعلم ذلك منهما ان كانت ثيبا او يكون الظاهر ذلك منهما الشباب فعنه
نهي عن نكاح العجائز من غير داع واشارة الى انه ينبغي ان يكون المقصود من النكاح
مع قمع الشهوة وجود ذرية تعبد الله وتحصل بها كثرة الامة والمباهاة المعا خع
وهي على ظاهرها بان تقع منه المفاخرة حقيقة او يجعل مسرته بهم ورؤيته غيرهم
لهم كالمفاخرة ويؤيده ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال اني يوم القيامة بمثل السيل فيحطم الناس فتقول الملائكة عليهم الصلاة
والسلام لما جاء مع محمد اكثر مما جاء مع الامم والانبيا وهو صلى الله عليه وسلم
اكثر الناس امة لعموم بعثته وبقائها وكثرة اتباعه وجنده المؤيدين لدين الله
وفيه فخر عظيم وهذا الحديث اخرجه ابن مردويه في تفسيره بسند ضعيف الا انه
حسن لكثرة متابعته لفظا ومعنى فانه رواه الطبراني في الاوسط من حديث سهل
ابن حنيف رضي الله عنه تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم وعن معقل بن يسار رضي الله
عنه تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة ولهى صلى الله
عليه وسلم عن التبتل كما رواه الشيخان عن سعد بن ابي وقاص والحديث
صحيح قال فيه رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون
التبتل ولو اذن لنا لاختصينا فهذا هو المنهي الذي كان استاذنه في التبتل
فرده ونهاه عنه وروي ان جماعة من الصحابة فيهم علي كرم الله وجهه
لما راوا عبادة النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر قالوا نلزم الصوم والعبادة ونترك نسائنا ونطلقهن وننقطع
للعبادة فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك والاختصاء الشق على الانثيين
وانتزاعهما وهو التبتل من التبل وهو القطع والمراد الانقطاع عن النكاح
بالكلية ويقال رجل بتول وامراة بتول اذا انقطعت عن الرجال ولذا قيل
لمريم البتول واما فاطمة الزهرا رضي الله عنها فسميت بتولا لانقطاعها
من الدنيا وزهدها او لانقطاعها لعبادة الله او لانقطاعها عن نسا
زمانها فضلا ودينا وحسبا واما قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا فليس
منافيا للحديث لانه بمعنى اخر اي انقطع في الليل لعبادة الله والتهجد
واخلص له وافرا القران وورد النهي عن موافقتهم للنصارى وما كانوا
عليه من الرهبانية واما قوله لو اذن لنا لاختصينا فلا يدل على جواز
الاختصا ان كان على حقيقته فانه قد يستعمل بمعنى اخر كما سمي الصوم وجا
وهو جائز في البهائم في صغرها الغرض كتسمين الماكول وهو في الادميين

حرام لانه مثلة ويكره استخدام الخصي ويمنع من دخوله على النسا ثم ان النهي عن ترك
النكاح للقادر عليه يفيد كراهته لانه مستحب وعند المالكية واجب فالنهي على ظاهره قال
التتائي المتاخرون من المالكية يجعلونه في حق بعض الناس واجبا وفي حق بعضهم مندوبا
اليه وفي حق بعضهم مباحا التفاتا للمصلحة وهذا النوع من القياس يسمى القياس المرسل
وهو الذي ليس له اصل يستند اليه وانما هو لاقتضا المصلحة وقد انكره كثير
من العلما والظاهر من مذهب اصحاب مالك القول به اي النهي مع ما فيه اي في النكاح
وفي التبتل وقيل الاول متعين بقرينة ما سياتي من قمع الشهوة اي قهرها
والغلبة واصله ضرب الراس ومنه مقامع من حديد والمراد بالشهوة شهوة النكاح
والنسا وغض البصر اي خفض البصر وتغميضه عن النظر عما يحرم وجعل غض البصر
كانه فيه مبالغة لانه حامل عليه وقيل انه مجاز لان من لم يتشوق لامر يغض
عنه عينيه فكانه لا يبصره ويجوز جعله حقيقة او كناية اللذين نبه عليهما قمعه
لقمع الشهوة وغض البصر بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه
ابن ماجه عن عايشة رضي الله عنها الا ان في سنده مقالا وفي الصحيحين عن ابن
مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الشباب من استطاع
منكم الباه فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج واخرجه الطبراني بلفظ لم
يدون فانه اي من كان ذا طول بفتح الطا المهملة وسكون الواو واللام وهو سعة
الرزق والمال بحيث يكون له قدرة على نفقة زوجته واهله بحيث لا ينظر الى
مال امراته وغيرها فانه ورد في الحديث ايضا لا تنكح المراة لمالها فلعل مالها ان
يطغيها ولا لجمالها فلعل جمالها ان يرديها وعليكم بذات الدين فانهن في النسا
الغراب الاعصم قال ابن رشد وهذا انهي ارشاد لا تحريم وورد في الحديث استوصوا
بالنسا خيرا فانهن خلقن من ضلع وان اعلاه اعوج فان اردت تقيمه كسرته وقد
نظمه القايل حيث قال

هي الضلع العوجا لست تقيمها • الا ان تقويم الضلوع انكسارها •
اتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى • اليس عجيبا ضعفها واقتدارها •
ومنه اخذ المنصور قوله •
اذا قمت عرس وانت تحبها • فدع بحرا رهوا ولا تتر الموجا •
ولا تطمعن الدهر في ان تقيمها • فقد خلقت فيا لاصل من ضلع عوجا •

فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج اي فان التزوج اكثر حملا على غض
البصر وكفه عن النظر لما يحرك الشهوة واكثر تحصينا اي حفظا للفرج
عن الزنا والمفضل عليه التبتل وتحصين الفرج بقمع الشهوة وفيه
تنبيه على الامرين المذكورين ثم لما كان في التبتل زهد ظاهر ربما يتوهم
انه افضل من التزوج دفعه بقوله حتى لم يرى اي التزوج والنكاح العلما
بالدين والشرع مما يقدح في الزهد القدح والطعن في الشي ذكر عيوبه اي
ليس مما ينقص الزهد حتى يعيبه الناس فاسند القدح اليه مبالغة
وقوله في الزهد اي ترك الدنيا ولذاذتها لان ما ذكر من جملة التلذذ لان

اباقبس

بيان
قد حببن بالبنا للمجهول والتشديد
الي سيد المرسلين اي خلق الله

عوانى

النشد به التعفف والنسل وهذا مروي عن عمر رضي الله عنه فانه قال ليس في النسا
نهمة ولاني تركهن عبادة وزهد كما في تحفة العروس للتجاني قال سهل بن عبد الله
التستري وقد تقدمت ترجمته قد حببن الي سيد المرسلين بالبنا للمجهول والتشديد
اي خلق الله فيه محبتهن وسياتي بيانه والضمير للنسا فكيف يزهد فيهن اي اذا كان الله جعل
محبتهن مركوزا في جبلة من هو ان هذا الخلق صلي الله عليه وسلم فكيف يدعي احد ان تركهن
زهد وفي سراج المريدين في قوله تعالي والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا
وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما ان هذه الاية تدل علي فضل التزوج
علي العزوبية لبقا الذرية ودعابها الذي هو عمل لا ينقطع بموته قلت وتدل علي انه
افضل في حق من يقتدي به الناس ونحوه اي مثل المروي عن التستري مروي لابن عيينة
وفي نسخة عن ابن عيينة علم منقول من تصغير العين وهو سفيان بن عيينة بن عمران
الكوفي احد الايمة الاعلام الامام الحافظ روي عن كثير كالزهري وابن دينار واحد والى
وروي عنه خلق كثير وخرج له اصحاب الكتب الستة وكان يسكن مكة وتوفي في رجب
سنة ثمان وتسعين ومائة ومولده سنة سبع ومائة وكان اعور وترجمته مشهورة
وهو من تبع التابعين ادرك منهم سنة وثمانين نفسا وقد كان زهاد الصحابة رضي
الله عنهم كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح كثيري بيا بن اصله كثيرين بصيغة
الجمع فحذفت نونه للاضافة يعني كانوا يكثرون من النساء حرائر واماء والهم كانوا
يطلقون كثيرا فيكثر وجاتهم لهذا الاعتبار كما قاله التجاني وكان عند علي كرم الله
وجهه اربع نسوة وتسع عشرة وليدة الا انه لم يتزوج غير فاطمة رضي الله عنها حتي
ماتت وولد له منها الحسن والحسين ومحسنا وتوفي صغيرا في حياة رسول الله صلي
الله عليه وسلم وهو الذي سماه محسنا كما ذكره الدارقطني والحسن رضي الله عنه
كان من اشد الناس حبا للنساء وكان مطلاقا فقيل انه ارخي ستره علي مايتي حرة ٥
والسراري بتشديد اليا وتخفيفها جمع سرية بالتشديد والسرية هي الامة المنكوحة ولو
مرة فلا تسمي سرية قبل الوطي حتي ان من حلف بيده وحنثه عتق كل سرية لم يكن لها
عتق التي لم يطاها اذ وجها وهي منسوبة الي السر الذي هو الجماع او الاخفا لانه
كثيرا ما يخفيها عن زوجته فضم سينها من تغيرات النسب كما قيل في النسبة للدهر
دهري بالضم وقيل انها مشتقة من السرور لانه يسر بها فابدل احدي رايها يا
كما قالوا تظنيت وتظننت وضم سينها لازم ولذا قيل عليكم بضم صدر السرية والتسري
سنة وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم عليكم بالسراري فانهن مباركات الارحام
وقد تسري الانبيا عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضي الله عنهم وحكي بالبنا
للمجهول في ذلك المذكور من التزوج والتسري وكثرته علي علي كرم الله وجهه
والحسن ابنه كما مر لانه المنقول عنه ذلك ولذا قدمه لا الحسن البصري
فانه لم ينقل عنه مثله وابن عمر وغيرهم من الصحابة غير شي هذا هو نايب
فاعل اي حكي عنهم اشيا كثيرة في ذلك لا شيا واحدا وابهمه لكثرته كما في قوله
وقد ذكره غير واحد من السلف الصالحين انه يلقي الله اي يموت لان لقا الله
يكني به عن الموت كما جا في الحديث من احب لقا الله احب الله لقاه وقال الراغب

لقا الله عبارة عن القيامة وعن المصير اليه قال تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا الله
واللقا الملاقاة واصل معناه مقابلة الشي ومصادفته معا وقد يعبر به عن كل
واحد منهما عزبا بفتح العين المهملة والزاي المعجمة والبا الموحدة هو الذي
لا امراة له من عزب بمعنى تباعد يقال رجل عزب وامراة عزبة وعزب عنه علمه
اذا غاب عنه ولم يعلمه وهذا مروي عن ابن مسعود رضي الله عنه فقد حكي عنه
انه كان يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لئلا القى الله
عزبا وماتت امراتان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في الطاعون وكان هو مطعونا
ايضا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا اي بعيدا عن النسا وقال في الدرة
العزب يقال للذكر والانثى وقد يقال للمراة عزبة ولا يقال للرجل اعزب بالهمزة
او هي لغة قليلة وفي التعريب قال ابو حاتم لا يقال اعزب قال الازهري واجازه
غيره وورد في الحديث في مسلم ما في الجنة اعزب قال النووي هو في جميع نسخ
بلادنا بالالف وهي لغة مشهورة وما وقع في بعض النسخ من تقييد عزب بسكون
الزاي بالقلم كما قاله البرهان لا وجه له فانه خلاف المنقول في كتب اللغة فان
قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضايل وهذا يحيى بن زكريا لحقهما السلام
ونهى انتفاعهما بما ذكر بمنزلة المحسوس المشاهد حتى اشار اليهما ويحيى وزكريا
بلغاته اعجميان وقيل انه عربي مشتق من الحياة لا كالمغارة بل لان الله احيا
قلبه بانوار النبوة الذاتية والمقتبسة من زكريا لانه اول من امن به واوتي
النبوة والفضايل المكتسبة منه فقال انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من
قبل سميا قال قتادة والكلبي لم يسم احد قبل يحيى بذلك فاحيى الله به دين
عيسى عليه الصلاة والسلام فاشتق له من اسمه الحي اسما كما اشتق اسم سيدنا
ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم من اسمه المحمود كما قيل وكان هو وعيسى ابني
خالة وكانت امه تقول لمريم اني اجد الذي يسجد للذي في بطنك كما سياتي
ويحيى اكبر من عيسى وفي مقدار عمره اختلاف فقيل كان عمره مائة وعشرين سنة وقيل
ثمانية وتسعين وقيل اثنين وسبعين واما زكريا فمن ذرية سليمان عليهما
الصلاة والسلام وكان اخر من بعث من بني اسرايل قبل عيسى عليه الصلاة
والسلام ولما اراد بنو اسرايل قتله فر منهم فانفلقت له الشجرة فدخلها
فاخذ الشيطان هدب ثوبه فلما راوه نشروا الشجرة حتى قطعوه في جوفها واما
يحيى عليهما الصلاة والسلام فقتل بسبب امراة اراد ملكهم تزوجها فقال له يحيى
انها لا تحل لك لانها بنت امراتك فتوصلت لقتله قبل ان يرفع عيسى عليه الصلاة
والسلام فكان دمه يفور حتى قتل منهم بخت نصر سبعين الفا وهذا قصاص
الانبيا عليهم الصلاة والسلام كما ان قصاص الملوك خمسة وثلاثين الفا كما
قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقد قيل بلغه ان الموت بعد استقرار اهل النار
في النار واهل الجنة في الجنة يوتى به بصورة كبش املح فيذبحه يحيى وقيل
الذي يذبحه جبريل عليه الصلاة والسلام والثاني مروي في بعض التفاسير
واما الاول فلا مستند له وان ذكره بعض الصوفية فدانى الله تعالى عليه

بلغ في الدرس

انه

انه كان حصورا في قوله وسيدا وحصورا والسيد الرئيس الشريف وفيه تفاسير شتى
واما الحصور فمن الحصر وهو المنع ولذا اشتهر تفسيره بمن الحصر عن النساء حيث لا يأتيهن
واخرج ابن جرير عن ابن عمر وعمرو بن العاص رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من عبد يلقى الله الا ذا ذنب الا يحيى بن زكريا فان الله عز وجل يقول وسيدا وحصورا
قال وانما كان ذكره مثل هدبة الثوب واشار بانملته وبه فسر ابن عباس رضي الله عنهما واورد
شاهدا له من كلام العرب وعلى هذا ابتنى السؤال كذا في الشرح الجديد اقول هذا الحديث
لم يثبت وسئل النووي رحمه الله في فتاويه عن حديث ما من الا من عصى او هم بمعصية
الا يحيى بن زكريا فاجاب بانه حديث ضعيف لا يحتج به رواه ابو يعلى الموصلي في مسنده
عن زهير عن عفان عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان بضم الجيم واسكان
الدال المهملة عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما احد من ولد ادم
الا قد اخطا او هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا واسناده ضعيف لان ابن جدعان ضعيف
ويوسف بن مهران مختلف في جرحه فكيف يثني الله عليه في القرآن بالعجز عما تعده فضيلة
وهو النكاح وكثرته وهذا عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام بتبتل عن النساء
اي انقطع عنهن بالكلية ولم يتزوج ولو كان كما قررته ان النكاح بل كثرته فضيلة بمدح
لتكم اي لتزوج ليحوز هذه الفضيلة فاجاب بقوله فاعلم ان ثنا الله على يحيى
عليه الصلاة والسلام بانه كان حصورا ليس معناه كما قال بعضهم كما مر انه كان
هيوبا اصل معنى الهيوب الجبان من الهيبة وهي المخافة والتقية ويأتي بمعنى من
مخافة الناس وليس بمراد هنا بل المراد انه كان جبانا عن النكاح او لان ذكره الذكر بتحقيق
معروف لم يرد ظاهره وانما اراد انه صغير جدا او لا حركة له اصلا لما ورد في بعض الاحاديث
الضعيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ نواة او قذاة وقال كان ذكره مثل
هذه وفي اخرى مثل هدبة الثوب وقال ابن المنذر كان عنينا وقد يطلق الحصور
على المجبوب لذكره والانثيين كما في حديث القبطي الذي امر النبي صلى الله عليه وسلم
عليا كرم الله وجهه بقتله قال فرفعت الريح ثوبه فاذا هو حصور بل قد انكر هذا
حذاق المفسرين ونقاد العلما حذاق جمع حاذق بمعنى ماهر في علم التفسير
والنقاد جمع ناقد وهو الذي يميز جيد النقدين من رديهما واصل معناه الوزن
وخلاف النسيئة ولم يذكر الا وله في القاموس وهو المراد هنا وقالوا هذه
نقيصة وعيب ولا تليق بالانبيا عليهم الصلاة والسلام اي لا تصلح لهم
ولا تناسبهم من لاق الدواة يليقها اذا اصلحها وانما معناه انه كان معصوما
من الذنوب كساير الانبيا والعصمة عندنا ان لا يخلق الله فيهم ذنبا وعند
الفلاسفة ملكة تمنع الفجور وسياتي الكلام على تفصيل عصمة الانبيا عليهم
الصلاة والسلام اي لا يأتيها كانه حصر عنها اي منع عنها فالحصور بمعنى محصور
قال الثعالبي هذا الجواب ضعيف لما ورد في حديث بسر بن عطية قال لعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تحصر في الاسلام وقال لا حصور الا يحيى بن زكريا كما اخرجه
الماوردي وغيره وفيه نظر سياتي وقيل ما نعا نفسه من الشهوات وقيل
ليست له شهوة في النسا يعني ان له قدرة على الجماع ولكنه يمنع نفسه عنها

باشتغاله بغيرها من العبادة او له قدرة ولكن لا تتوق نفسه له ولا يريده فاهو مرفوا
الشهوة بانها توقان النفس الى الامور المستلذة وفرقوا بينها وبين الارادة فان الارادة اعم
فان الارادة قد تتعلق بما لا يشتهي كارادة شرب الدوا والاستهما تبل طبيعي غير مقدور
ولذلك يعاقب بارادة المعاصي عند بعض ولا يعاقب باشتهائها فالمعنى ان الله عصمه
بان لم يخلق فيه ميلا للمشتهيات ولو لم نفسر بما ذكر لما صح تعقيبه بقوله فقد بان
لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها
وهذا معنى ما قاله البسيلي في تفسيره ان الظاهر ان كونه حصورا كان عن اختيار منه
لان خلافه نقص في الخلقة وعيب ينزه عنه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما
ذكره ابن حزم في الملل والنحل من ذمه انما يتمشى فيما اذا كان لمجرد الشهوة البهيمية
اما اذا كان لتكثير النسل في الاسلام فلا ذم فيه وقال ابن العربي قول من قال
الحصور هو الذي يكف عن النساء عن قدرة هو الصحيح لوجهين احدهما انه اثنى
به عليه ومثله انما يكون على المكتسب لا الجبلي الثاني ان حصورا فعولا من صيغ
المبالغة وهو انما يكون في الافعال الاختيارية فهو كف عن قدرة وهو في شرعه
مطلوب بخلاف شرع نبينا المتهيه صلى الله عليه وسلم عن التبتل انتهى
فاندفع ما قيل ان قوله لا شهوة له في النسا لا وجه لذكره هنا لانه في مقام الجواب
عما اورد فيه وهكذا معقول للايراد لا جواب عنه وما ذكر في هذا المقام هو وجه تفضيل
البشر على الملك فان قلت فما تقول فيما ورد في الحديث على فرض صحته من انه عنين
او ماله كعذاة او نواة او هدب ثوب قلت اجيب عنه بانه لغلبة خوف الله عليه
وشدة الرياضة التي كانت مشروعة له ذبلت اعضاوه واضمحلت حتى صار كانه
مثل بذلك ما ذكر لا انه لنقص في خلقته فهو على طريق التشبيه والتمثيل اما
مجاهدة متعلق بقمع والمراد بذلك ان الله خلق الانبياء عليهم الصلاة والسلام
على احسن تقويم فلهم قوة على الجماع زائدة على غيرهم الا ان منهم من قهر شهوته
وغلبها حتى امتنعها وذلك اما بمجاهدة كافراط الرياضة بجوع وسهر وخلوة
عنهن للعبادة وهو المراد بالمجاهدة لانه يجاهد نفسه بمنعها عما تريده من
الشهوات وهو الجهاد الاكبر كعيسى عليه الصلاة والسلام او بقهرها بعدم
مطاوعتها على ما تريد لان الله خلقه وجعل فيه ملكة على ترك الشهوات من
غير مجاهدة وهو المراد بقوله او بكفاية من الله كيحيى عليه الصلاة والسلام
فان الله صرفه عن شهوة الجماع قيل والا ليفان يكون له قدرة فمعها بالمجاهدة
كعيسى عليه الصلاة والسلام ولذا فسر البيضاوي حصورا بمبالغ في حبس
نفسه عن الشهوات والملاهي والتبتل في حق المعصوم امر مطلوب وفي
غيره منهي عنه وكان مشروعا في دينهم كما مر فترك التزوج عبادة عندهم
لمن قدر على صون نفسه عن الشهوات وكان يحيى عليه الصلاة والسلام شديد
الخوف من الله حتى قيل انه وضع وجهه على الارض وبكى حتى ذهب لحم خديه
وبدت اضراسه للناظرين فضيلة زائدة مرفوع خبر للمبتدا وهو معنى في قوله
ثم قمعها اي ترك الشهوة والجماع بعد القدرة والقوة عليه فضيلة محمودة

ابن الحنبلي

وسقفه جميدة زائدة في الخلقة على أصلها لكونها شاغلة في كثير من الاوقات اي لكون
الشهوات تشغل الانسان كثيرا عن العبادة والمهمات وفي نسخة مشغلة قال التلمساني
مشغلة من الشغل وروي مشغلة اسم فاعل من اشغل وهو قليل وروي شاغلة انتهى
وأن الاخير هو الصحيح رواية ودراية لان الاشغال لغة ردية ولذا لما وقع الصاحب
في رقعة فيها الاشغال قال من قال اشغالي لا يصلح لاشغالي كما مر وهو لم يقع في
النسخ المذكورة ولمخالطة الي الدنيا اسم فاعل من الخلط وهو الامتزاج من غلو الي اشغل
وهو منصوب خبر بعد خبر للكون اي تنزل الانسان الي شهوات الدنيا الدنية لمن
لم يعصمه الله عن التخلي بها وتمنعه عن اشتغال قلبه بها لم هي اي الشهوة
في الحاج لا الفضيلة الزائدة عليها كما توهم في حق من اقدر عليها بالبناء للمجهول[٣]
اي من اقدره الله على شهوته فلم تغلبه وملكها اي تصرف فيها كما يريد منعا وفعلا
وهو بفتح اللام والميم مبني للفاعل او بضم الميم وكسر اللام المشددة والبناء للمجهول
قال التلمساني وهو اولى ليكون على نسق اقدر والحق هنا بمعنى الشان والحال
كما يقال الغني في حق الكريم حسن وقام بالواجب فيها معطوف على ملكها اي من ملك
شهوته ولم تمنعه من القيام بما يجب عليه من مهمات دينه ودنياه لان ما يمنع
من ذلك ينبغي تركه وفيها متعلق بقام اي قام بما يجب عليه وهو متلبس بها
ولم تشغله عن ربه شغل يشغل كسال يسال وقوله درجة عليا مرفوع خبر هي اي مرتبة
رفيعة عند الله وعليا بفتح العين والمد وهو في الاصل كل مكان مشرف اي مرتفع
واريد به علو المنزلة وهي درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اي هذه الدرجة
العليا عند الله التي وصل اليها في الدنيا مع انها غير مشاغلة له عن التقرب الي
الله بفعل ما يجب عليه من العبادة ودعوة الخلق الذي لم يشغله صفة لمحمد صلى الله
عليه وسلم مبينة لما قلناه كثرتهن اي النساء عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة
على عبادته المعروفة من الصلاة والصوم وقيام الليل لتحصينهن اي جعلهن
محصنات متعففات بنكاحه صلى الله عليه وسلم لهن وقيامه بحقوقهن
من النفقة والكسوة وغير ذلك فان فيه اجرا ايضا والاكتساب لهن فان الكسب
الحلال للعيال عبادة وارشاد للخلق وان كان لو سال الله تبارك وتعالى ذلك
اوصله له من غير كسب لكنه صلى الله عليه وسلم ملتزم لمقام العبودية
وهدايته اياهن بتعليمه الدين بعد خلوصها لا ايمان بالله ورسوله ثم ترق في
لانه اعلى من هذه بين فيها ان حظوظه الدنيوية ليست ناشئة عن ميل
قلب وتوجه فكر حتى يشغله عن ربه فاضرب عما يوهم ذلك فقال بل صرح انها
ليست من حظوظ دنياه هو جمع حظ كاحاظ واحظ وهو النصيب المقدر
مما يسر به ويقال حنظ بالنون وهي لغة يمانية وان كانت من حظوظ دنيا
غيره من الناس فانهم يسرون بها ويعدونها لذة عظيمة واضافة الدنيا
ومحبتها الغير اشارة الي انه صلى الله عليه وسلم بري منها ومن محبتها
فان قلبا امتلا بمحبة الله لا يدخله محبة غيره كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبي * فان ترد الزيادة هات قلبا

[٣] للمجهول

ثم فسر بتصريحه بانها ليست من حظوظه بالحديث فقال حبب الي بالبنا للمجهول من دنياكم
ثلاث النسا والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة قال السيوطي هذا الحديث رواه الحاكم
والنسائي عن انس رضي الله عنه بدون لفظ ثلاث الا ان احمد رواه عن عايشة رضي
الله عنها ولفظه كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ثلاثة اشيا
النسا والطيب والطعام فاصاب اثنين ولم يصب واحدة اصاب النسا والطيب
ولم يصب الطعام واسناده صحيح الا ان فيه رجلا لم يسم وقد روي هذا الحديث
من طرق اخرى يقوي بعضها بعضا فهو صحيح الا ان اكثر الحفاظ على انه ليس فيه
لفظ ثلاث كابن القيم والعراقي وابن حجر والحفاظ مدرجة في الحديث ومن رواها
فيه فقد وهم وخالفهم في ذلك ابن فورك وقال الحافظ ورية في الحديث
والف في ذلك جزأ مستقلا صحح فيه روايتها ولم اقف عليه وتبعه في اثباتها
الزمخشري في سورة ال عمران والراغب وابن عربي في الفصوص وغيرهم ومن
وهمهم قال الصلاة ليست من امور الدنيا فلا يصح عدها منها فجعلوه
وهما لفظا ومعنى ومن اثبتها افترقوا فرقتين فرقة قالت ان المراد
بامور الدنيا ما وقع في الدار الدنيا لذة كان او عبادة فالصلاة من امورها على
هذا وفي لفظ ثلاث تغليب للمونث على المذكر عكس القاعدة المشهورة لنكتة
وغير الاسلوب في الثالث فعبر عنه بالفعل اشارة لمغايرته لما قبله وفيه عطف
الفعل على الاسم الجامد والمعروف عطفه على المشتق كما قال ابن مالك رحمه الله

واعطف على اسم شبه فعل فعلا ◦ وعكسا استعمل تجده سهلا

فليست زيادة مخلة بالمعنى كما توهم وفرقة ذهبت الى انه نوع من البديع
يسمونه الطي وهو ان يذكر جمعا يريد تفصيله فيذكر بعضا منه ويترك بعضا
فالثالث مطوي ذكره في الحديث لنكتة كابهامه على السامع لعدم ارادته وقوف
السامع عليه لنكتة فانه هناك الطعام كما ورد التصريح به في رواية احمد
كما مر وطيه لخسته عنده واستشهدوا له بقوله

ان الاحامرة الثلاثة اهلكت ◦ مالي وكنت بهن قدما مولعا
الخمر والما القراح واطلي ◦ بالزعفران فلا ازال مولعا

وقوله

كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم ◦ من العبيد وثلث من مواليها

وفيه مع النكتة المذكورة تقليل اللفظ مع تكثير المعنى وقد يقال لا شاهد
فيما ذكر اما الاول فالثالث وهو قوله واطلي الخ على طبق ما تقدم في الحديث
واما الثاني فلانه ذكر قبيلة بني حنيفة وجعلها اثلاثا عبيد وموالي
وحلفا فيعني بنفس القبيلة صميمها وهي مذكورة اولا وقال حبب بالبنا
للمجهول ودنياكم بالاضافة اليهم ولم يقل احببت من دنياي اشارة الى ان
محبته صلى الله عليه وسلم لذلك ليست باختيار لشهوات نفسه بل لجعل
الله محبته انما هو سوى انه لما اراده ورضيه له لانه صلى الله عليه وسلم
بشري الظاهر ملكوتي لا يتحلى باحوال البشر الا اذا امره الله بها التاسي

به امته وتتشرف بما رضيه له فعده صلى الله عليه وسلم من البشر كعدة الياقوت من الاحجار
وكان اذا دخل في الصلاة اشتغل ظاهره وباطنه عن الخلق لوقوفه بين يدي خالقه فيزداد
قربا ومشاهدة فيتصل نور بصره بنور بصيرته فلذا جعلها قرة عينه ولذا اشرع الصلاة في معراجه
بعوده الى من عنده من معراجه ولذا كان بعض الناس يصالح من عنده فانهم روي مطلب عجيب
ان النبي صلى الله عليه وسلم جلس مع اصحابه الاربعة رضي الله عنهم فقال حبب الي من
دنياكم ثلاث الطيب والنسا وجعلت قرة عيني في الصلاة فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول
الله وانا حبب الي من الدنيا ثلاث الجلوس بين يديك والنظر اليك وانفاق جميع مالي عليك
وقال عمر رضي الله عنه وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا ثلاث الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وحفظ الحدود وقال عثمان رضي الله عنه وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا
ثلاث افشا السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وقال علي رضي الله عنه
وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا اقرا الضيف والصوم بالصيف والضرب بين يديك
بالسيف فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال وانا يا رسول الله حبب الي من
دنياكم ثلاث حب المساكين وتبليغ الرسالة للمسلمين وادا الامانة واذا الله امين قبل
الله تعالى وهو يقول ان الله يحب من دنياكم ثلاث بدن صابر ولسان ذاكر وقلب
شاكر فالخطاب على هذا للخلفا الاربعة رضي الله عنهم ويجوز ان يكون لجميع الناس
او الامة فدل ذلك على ان حبه صلى الله عليه وسلم لما ذكر من النسا والطيب اللذين
من دنيا غيره اي دل ما ذكر من بنا حبب للمجهول واضافة الدنيا لغيره صلى الله عليه
وسلم واستعماله لذلك بالنصب عطفا على اسم ان والمراد باستعماله لذلك مباشرته
الجماع وتطيبه وتضمخه بالطيب ليس لدنياه والتلذذ بها بل لاخرته اي استعمالها
بنية العبادة التي هي من امور الاخرة للفوائد التي ذكرناها في التزوج من تحصينهن وقيا
عفوفهن واكتسابه وهدايته لهن وللقا الملائكة في الطيب اي استعماله لاجل محبة الملائكة
له وهو صلى الله عليه وسلم يلاقيهم كثيرا ولذا ترى اصحاب العزائم والهياكل
يلازمون البخور لمحبة الروحانية له ولانه اي الطيب ايضا مما يحض على الجماع
ويعين عليه اي مما يحرك داعية الجماع ويقويها لانتعاش الروح به ويحرك
اسبابه اي يهيج مقدماته كالشهوة والغفلة او المراد آلته فكنى عنها تادبا واختصارا
وهو تعبير حسن وكان حبه صلى الله عليه وسلم لهاتين الخصلتين الجماع والطيب
لاجل غيره اي الزوجات والملائكة عليهم الصلاة والسلام وقمع شهوته لا لمجرد
التلذذ والتنعم كغيره وان كان قادرا على ذلك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم
لا يرد الطيب اذا اهدي اليه وفي الحديث من عرض عليه طيب فلا يرده فانه
طيب الريح خفيف المحمل واذا اعطي احدكم ريحانا فلا يرده والمراد الريحان المعروف
او كل ذي رائحة طيبة قال ابن عربي ما ورد قط عن نبي من الانبيا انه حبب اليه تنبيه
النسا الا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وان كانوا تزوجوا منهن كثيرا كسليمان
وغيره ولكن كلامنا في كونه حبب اليه وذلك انه كان منقطعا الى ربه عز وجل لا ينظر
معه الى كونه يشغله عنه فانه مشغول بالتلقي عن الله ورعاية الادب فلا
يتفرغ الى شيء دونه فحبب اليه النسا عناية منه عز وجل بهن فكان يحبهن

لكون الله حببهن اليه والله جميل يحب الجمال وكان حبه الحقيقي المختص لجلاله لا لامر
آخر غرضي يرجع بالآخرة الى الدين والثواب في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته
الجبروت فعلوت كالرهبوت والملكوت والمراد عظمة الله سيده ومولاه والمناجاة
المسارة بتلقي وحيه ودعائه وقراءة القرآن وقال ع الدواني في شرح هياكل
النور الجبروت يراد به عالم العقول اي الملائكة ويسمى ايضا بالملكوت الاعلى
والاعظم قيل انما سمي بالجبروت لانها مجبورة على كمالاتها الفطرية او لانه جبر
نقصها الامكاني بحصول ما يمكن لها بالفعل انتهى ولذلك ميز فرق وفصل بين
الحبين اي حب ما هو من امور الدنيا ظاهرا وبين حب ما هو حقيقة لله وفصل
بين الحالين اعني حالتا المحبتين بتغيير العبارة والاسلوب كما مر فقال وجعلت
قرة عيني في الصلاة فاوردها جملة فعلية معطوفة على اسم قبلها كما مر
تعظيما لشانها وتفخيما لامرها لكونها محبوبة لذاتها فليست معطوفة على
حبب عطف الفعلية على الفعلية كما ذهب اليه من جعل الثالث مطويا كما عرفته
وقرة العين ما يسر من ينظر من قر يقر بالفتح اذا برد لانه كما قيل دمعة السرور
باردة او من القرار والسكون لسكونها اذا نظرت من تحب او بنومها لان الحزين يسهر
وقد قيل عيني تقر بكم عند تقربكم ولو لم يغير الاسلوب قال والصلاة التي
لها قرة عيني او وقرة عيني في الصلاة فلا يحصل التمييز بين ما حبه مرضي وبين
ما حبه ذاتي وحقيقي ولهذا العدول علم انها ليست من دنياهم وهذا انما يتوهم
اذا كان الحديث لفظه هكذا والمص رحمه الله ممن لا يقول بصحته كما سياتي في
فصل وقاره والمراد بالصلاة الصلاة المعروفة ذات الركوع والسجود لما يشاهد
فيها كما مر وقيل المراد صلاة الله وملائكته عليهم الصلاة والسلام عليه قال
ابن قرقول والاول اظهر فقد ساوى صلى الله عليه وسلم يحيى وعيسى عليهما
الصلاة والسلام في كفاية فتنتهن يعني ان يحيى وعيسى صلى الله عليه وسلم
تبتلا وتركا التزوج مع القوة والقدرة خوفا من فتنة النسا وهي تمكن حبهن
في القلب والاشتغال بهن عن العبادة في مشاهدة عالم الملكوت وهن لم
يشغلنه صلى الله عليه وسلم ولم يمنعه عنها في حال من الاحوال فساواهما
في عدم الاشتغال حتى كان الوحي ينزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو في فراش
زوجاته واعانته خديجة رضي الله عنها في اول امره فلا يقال انه صلى الله
عليه وسلم في حال مضاجعتهن مشغول عن عبادته الا ان يعد جماعه عبادة
وزاد فضيلة عليهما بالقيام بهن اي له صلى الله عليه وسلم فضيلة زائدة
على من ذكر بقيامه على زوجاته وكسبه لهن وهدايته لهن مع عدم غفلته
صلى الله عليه وسلم طرفة عين عن الله وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر
بالبناء للمجهول اي اقدره الله على القوة في هذا اي امر النكاح مع القيام عنه
وحق الله وليس في هذا دلالة على ان غيره صلى الله عليه وسلم اقدر منه
كما توهم واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له صلى الله عليه وسلم من عدد
الحرائر جمع حرة على خلاف القياس لكونه بمعنى فعيلة تجمع جمع فعيلة كما قال

ابن اقبرس

ابن اقبرس

النابغة

النابغة • حذارا على ان لا تنال مقادتيه ولا نسوتي حتى يمتن حرايرا •

ما الربيع لغيره من جمع ما فوق الاربعة وهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم بالنسبة

لامته فابيح له ان ينكح من النسا ما شا في اول امره ثم حرم عليه بعد ذلك ان يزيد

على ما في عصمته من ان واحده فقال لا تحل لك النسا من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج

ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك؛ قاله النجاني وقال مغلطاي له صلى الله عليه

وسلم خصايص جمة منها اباحة تسعة نسوة والصحيح ان له الزيادة قال بعض

الشراح من قال لا يزيد على التسعة استدل بقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من

النسا مثنى وثلاث ورباع وهو خطا بالاجماع لانه ليس معنى الاية وليست الاية في

حقه صلى الله عليه وسلم وانما هي في حق الامة والزيادة على الاربعة لهم ممنوعة

بالاجماع الدال عليه حديث غيلان ولم يخالفه مستند لاعتبار مخالفته هذه الاية

الا بعض الروافض والزنادقة كما فصله ابن حزم في كتاب المحلي وقدر ويناعن

انس رضي الله عنه قال السيوطي هذا الحديث عزاه المص رحمه الله للنسائي وهو

عند البخاري وربيا بفتح الرا والوا والمخففة وما قاله الشمني نقلا عن المزي

من انه بضم الرا وكسر الواو المشددة لا وجه له انه صلى الله عليه وسلم كان

يدور على نسايه اي يجامعهن من دار على كذا وطاف به اذا مشي حوله فجعله

كناية عما ذكر في الساعة من الليل والنهار اي في مقدار ساعة منهما فقدرته

صلى الله عليه وسلم على ذلك مع ما كان عليه من قلة الاكل والشرب معجزة في

حقه صلى الله عليه وسلم فيه والتبتل في حق يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام

تشبيها بالملايكة كان افضل في زمانهما ودوره صلى الله عليه وسلم عليهن

كان برضاهن فلا ينافي وجوب القسم وهن احدى عشرة اي نساوه صلى الله عليه

وسلم اللاتي دار عليهن كذلك عدتهن قال البرهان كذا في صحيح البخاري من

حديث انس رضي الله عنه وقال ابن خزيمة لم يقل احد من اصحاب قتادة

بانهن احدى عشرة الا معاذ بن هشام عن ابيه وعن انس رواية اخرى في

البخاري انهن تسع وجمع بينهما بان واحده صلى الله عليه وسلم كن تسعا

في ذلك الوقت كما في رواية سعيد وسريتاه مارية وريحانة بعد من قال ان

ريحانة كانت امة وبعضهم قال انها زوجة وروي ابو عبيد انه كان مع

ريحانة فاطمة بنت شريح وقال ابن حبان كان هذا اول ما قدم صلى الله عليه

وسلم المدينة فكانت زوجاته تسعا لان جمع نسايه لم يقع من واحدة ولا

يستقيم هذا الا في آخر امره حيث اجتمع عنده تسع نسوة وجاريتان ولا يعلم

اجتماع احدى عشرة زوجة عنده فانه صلى الله عليه وسلم تزوج احدى عشرة

امراة اولاهن خديجة ولم يتزوج عليها حتى ماتت انتهى ما ذكره البرهان

وكلام ابن خزيمة يدل على ان رواية الاحدى عشرة مرجوحة والتسع راجحة

وجمع بينهما بان مع التسع فاطمة بنت شريح وريحانة على القول بانها

زوجة فتصدر الجمع منه صلى الله عليه وسلم مرة تسعا ومرة احدى عشرة

وايضا فقيل التسع محمول على الحقيقة والاخرى على تغليب الزوجات على

ابن اقبرس

التربيتين وهما ريحانة ومارية فان قيل الرواية بلفظ النساء وهن حقيقة في غير الرجال فلا حاجة الى التغليب قيل لا يقال انه حقيقة في ذلك الا اذا لم يبعث للازواج الاما كما في الحديث وقوله تعالى والذين يظهرون من نسائهم فانه اسم لهم لم يتناول الاما حقيقة ولذا احتج علماؤنا بهذه الاية على عدم صحة ظهار الاما خلافا لمالك وقد تبعه البخاري اذ جمع بين روايتي انس بانهن تسع جواري واحدى عشرة منكوحة وسريتان لدخول السراري في النسا لانه والنساء والنسوة والنسوان جمع المراة من غير لفظها كالقوم في جمع المرء وقد علم انه طواف صلى الله عليه وسلم على نسائه في ساعة واحدة لا ينافي القسم اذ قلنا بوجوبه عليه ولم نقل ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم انه لا يجب عليه القسم وقد ذهب الى هذا الزيلعي من ايمتنا وبعض المحدثين فقسمه صلى الله عليه وسلم انما كان تطييبا لخاطرهن تفضلا منه وتفضيلا لا منه ولذا كان يقرع بينهن اذا اراد السفر مع ان القسم انما يجب عليه في الحضر او نقول هذا برضاهن مع انه هذا لا يفوت القسم لتساويهن فيه والاختيار في القسم للزوج ويدل على عدم الوجوب انه روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقسم لثمان ويترك واحدة منهن قيل انها صفية بنت حيي رضي الله عنها كما في مسلم وعليه قوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء قال المنذري كان ممن يؤوي عايشة وام سلمة وزينب وحفصة رضي الله عنهن ومن ارجاه سودة وجويرية وام حبيبة وصفية وميمونة رضي الله عنهن انتهى واستدل القايل بالوجوب عليه بحديث الترمذي انه صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وقد يقال هذا كان قبل اعلامه بعدم الوجوب عليه او لعدوله عن الافضل في حقه صلى الله عليه وسلم والكلام على ترجمة زوجاته رضي الله عنهن مفصل في السيرة وللعلامة ابن حجر العسقلاني رحمه الله

توفي رسول الله عن تسع نسوة • اليهن تعزى المكرمات وتنسب •
فعايشة ميمونة وصفية • وحفصة تتلوهن هند وزينب •
جويرية مع رملة ثم سودة • ثلاث وست نظمهن مهذب •

والواو في قوله من الليل والنهار بمعنى او قال انس رضي الله عنه وكنا نتحدث انه صلى الله عليه وسلم اعطي قوة ثلاثين رجلا في الجماع وهذا تتمة الحديث الذي قبله خرجه اي رواه مسندا النسايي وقد تقدم ان البخاري رواه ايضا وروي بالبنا للفاعل والمفعول وعن ابي رافع اي هذا الحديث مروي عن ابي رافع ايضا في سنن ابي داود والبيهقي والنسايي ولفظه طاف صلى الله عليه وسلم على نسائه في يوم او ليلة واحدة وكان يغتسل عند هذه وهذه ولذا قال نحوه لاختلاف لفظه وزيادته وابو رافع هذا هو مولى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قبطي واسمه ابراهيم وقيل اسلم وقيل ثابت وقيل هرمز وقيل صالح وقوله

قوة ثلاثين قال البرهان الحلبي في الصحيح من رواية اسماعيلي عن معاذ اعطي قوة
اربعين رجلا وفي حلية ابي نعيم عن مجاهد قوة اربعين رجلا من رجال الجنة
وفي الترمذي ان قوة كل رجل من رجال الجنة قوة سبعين رجلا يعني من اهل الدنيا
وصححه وفيه قوة مائة رجل وقال انه صحيح غريب وقال ابن حبان قوة كل رجل
في الجنة قوة مائة رجل والنسائي هو الامام الحافظ الحجة ابو عبد الرحمن احمد بن
شعيب بن علي صاحب السنن سمع من قتيبة وطبقته واصحاب مالك وحماد بن زيد
وانتهى اليه علم الحديث وروى عنه كثيرون وتوفي سنة ثلاث وثلاثمائة وبينه
الا سنة خمسة عشرة وما بينهن ولم يبق من اصحاب الكتب الستة بعد الثلثمائة
غيره فعلى هذا اقوته صلى الله عليه وسلم قوة الوف ووقع في بعض النسخ هنا
برواية اللخمي عن المصنف رحمه الله وعن طاوس اعطي صلى الله عليه وسلم قوة
اربعين رجلا وقد تقدم من رواه وما فيه وطاوس هو الامام عبد الرحمن
ابن كيسان اليماني وهو من ابناء الفرس وقيل ابن النمر بن قاسط وقيل اسمه ذكوان ولقب
بطاوس لانه كان طاوس القراء روى عن عائشة وابي هريرة وابن عباس وغيرهم
رضي الله عنهم وروى عنه الزهري والتيمي وابنه وغيرهم وتوفي بمكة سنة ست
ومائة واخرج له اصحاب السنن وغيرهم ومثله عن صفوان بن سليم بالتصغير وهو
امام عابد قيل انه لم يضع جنبه على الارض اربعين سنة حتى نقبت جبهته
من السجود توفي سنة اثنين وثلاثين ومائة وهو تابعي روى عنه اصحاب السنن
وقالت سلمى مولاته بفتح السين بلا خلاف وغلط من ضمها كما قاله النووي رحمه
الله والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم لانها خادمه وقيل انها مولاة صفية عمته
صلى الله عليه وسلم وهي زوج ابي رافع داية فاطمة الزهراء رضي الله عنها وروى
عنها ابن ابنها عبيد الله وهذا الحديث صحيح رواه ابو داود كما قاله السيوطي
طاف النبي صلى الله عليه وسلم على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة اي من
جماع كل واحدة منهن قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اي الغسل من كل جماع
اطهر واطيب وروي ازكى واطيب واطهر اما كونه اطهر فظاهر واما انه اطيب
فلانه يقوي البدن بانعاشه وقيل اطيب للباطن واطهر للظاهر وهذا
الحديث متصل لان سلمى روته عن زوجها ابي رافع وفيه دليل على ان الغسل
على الفور وانه لا يجب لكل جماع وقيل ان لم يغتسل يستحب له الوضوء كوضوء
الصلاة وروي عن عمر انه لازم وجا في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان
يطوف على نسائه بغسل واحد فلبيان الجواز وحمل بعضهم الوضوء في قوله
صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم اهله فليتوضأ على الوضوء اللغوي
اي يغسل فرجه وهذا بنا على ان الوضوء لا يستحب كما قاله ابو يوسف وذهب
بعضهم الى انه يستحب لانه انشط كما ورد في الحديث وقد قال سليمان عليه
الصلاة والسلام لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين وانه
فعل ذلك اي الطواف عليهن وجماعهن كما قال وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة
رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال قال سليمان بن داود عليهما الصلاة

والسلام لاطوفن الليلة على سبعين امراة كلهن ياتي بغلام يقاتل في سبيل الله
فقال له صاحبه او الملك قل ان شا الله فلم يقل ونسي فلم تات واحدة منهن بولد
الا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال ان
شا الله لم يحنث وكان له دركا لحاجته وفي رواية على ستين امراة وفي رواية
على تسعين وفي اخرى على سبعين وتسعة وتسعين وستاتي الزيادة وما فيها
قالوا ولا تعارض بين الروايات لان اثبات القليل لا ينفي الكثير والعدد
لا مفهوم له ثم هذه النسا ان كانت اماء او بعضها حرائر وبعضها اماء فلا
اشكال وان كن حرائر فلان الحصر في الاربع لم يكن شرعا لمن قبلنا وانما
صار شرعا لنا لضعف الابدان وقلة الاعمار ويقال طاف بالشي واطاف به
اذا دار حوله وقد قدمنا انه كناية عن الجماع وعلى اختلاف اللفظين جاءت
روايتان لاطوفن ولاطيفن وفي الحديث جواز القسم والتعليق بالمشيئة واما
كون سليمان عليه الصلاة والسلام لم يقلها وانه نسيه فسيذكره المصنف
رحمه الله في اول القسم الثالث وقوله في الحديث لم يحنث بمعنى لم ياثم ويخطي
لانه فعله وليس المقسم عليه الولد لانه ليس في قدرته ومثله لا يخفى عليه
والدرك بفتح الرا بمعنى الادراك والتحصيل وفي البخاري بدله كان ارجا
لحاجته وسليمان نبي الله صلى الله عليه وسلم امره ونسبه مفصل في القصص
والتواريخ وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان في ظهر سليمان عليه الصلاة والسلام
ماء مائة رجل المراد بالما المني ومنبعه من الرجال صلب الرجال كما ذكره في قوله
تعالى يخرج من بين الصلب والترائب والمراد انه له قوة مائة رجل في الجماع
وكانت له ثلثمائة امراة وثلثمائة سرية وحكى النقاش رحمه الله تقدمت
ترجمته وغيره انه كان له سبعمائة امراة وثلثمائة سرية وروي ان له الف امراة
وتسعمائة سرية وهذا يخدش فيما تقدم من العدد وقد تقدم ما اجابوا
به عنه الا ان بعضهم ضعفه وجمع بين الروايات بان بعضها محمول على
الحرائر وبعضها على الحرائر والسراري ولا يخفى ما فيه ولو قيل ان الاختلاف
لاختلاف احواله صلى الله عليه وسلم باعتبار الزمان فكانت تزيد وتنقص
بهذا الاعتبار لكان اظهر وفي تفسير النسفي عكس ما حكى المصنف رحمه الله عن
النقاش فقال كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة حرة وسبعمائة
سرية وكذا في الكشاف والله اعلم بالصواب وقد كان لداود عليه الصلاة
والسلام على من هذه وكله من عمل يده لانه الله تعالى الان له الحديد
فكان يصنع منها الدروع ويبيعها وياكل هو واهله من ثمنها مع ما اتاه
الله من الملك وافضل ما انفق المرء ما كان من كسب حلال كالصنعة
والتجارة والزراعة واختلفوا في الافضل منها وفصلوه في كتب الفقه
والحديث مما لا مزيد عليه ولا حاجة هنا لنا به تسع وتسعون امراة
كما ذكره القشيري في تفسيره وتمت بزوج اوريا مائة بالرفع والنصب
فالرفع ظاهر على الفاعلية والنصب على ان يكون الفاعل العدة وهو مميز

ويجوز

ويكون النصب على الحال منها اي ومت العدة في حال كونها مائة ويقال لكل قرينين من
ذكر وانثى زوج ومن وجه لغة ردية واوريا علم لرجل من بني اسرائيل عبراني واختلفوا
في ضبطه بعد الاتفاق على انه بهمزة وواو وراء مهملة ومثناة تحتية فقيل بمد وده
وقيل مقصورة وهمزته مضمومة وواوه ساكنة وراؤه مكسورة وياؤه مفتوحة
بعدها الف وقيل همزته مفتوحة وهو اوريا بن حنان وقال ابو الفرج الاصبهاني
في كتاب النسا هو اوريا السعدي وزوجته هي ام سليمان النبي صلى الله عليه وسلم
وقصته هي المذكورة في القران في قوله ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وقصته
تاتي وما فيها في القسم الثالث من هذا الكتاب ولكنا نوردها هنا نقلا لما في بعض
التواريخ وذلك ان داود عليه الصلاة والسلام كان في ملا من بني اسرائيل فاعجب
بعلمه وانه لا يخاف الفتنة ويقال انه قال للملكين الحافظين له اني لا افرح في كربه
فيتنا او يحضر بما فانفرد في محرابه يوما فوقع بين يديه طاير حسن الهيئة يقال
انه ابليس فمد يده لياخذه فزال من موضعه غير بعيد فتبعه فخرج من مرحلة
فاطلع داود منه فراى امراة جميلة تغتسل فاعجبته فلما شعرت به ارسلت شعر
ذوائبها فتسترها فزاده ذلك عجبا وميلا لها فانصرف وسال عنها فقالوا انها
امراة رجل من جندك يسمى اوريا وكان مع جيش له نحو القتال فارسل لامير
ان يجعله مع التابوت في المقدمة وهو معترك الحرب والبلاء فقدمه فاستشهد
فلما جاء خبر الشهدا كان كلما اخبر برجل منهم توجع فلما اخبر به قال الموت مكتوب
على كل نفس وخطب امراته وتزوجها فولدت له سليمان عليه الصلاة والسلام
فبعث الله له خصمين ليعلمه بحكمه ان ما فعله ظلم وهو اشد عليه فتسورا حائطه
ودخلا عليه ففزع منهما لخوف الهما من اهل مملكته نجاة لان التسور في العا
دة لا لانه كان ليلا بلا استئذان ففهما منه الخوف وقالا لا تخف وقضا امرهما
وقالا له احكم ولا تخز كما قصه الله وقدرا كلامهما على لسان اوريا وقوله تعالى
اكفلنيها اي اجعلها في كفالتي او كفل بمعنى زوجني والنعجة كناية عن المراة
وقوله عزني اي غلبني لغلبته علي وقهره فقال داود لخصمه ما تقول فاقر
فزجره وامره بالرجوع للحق وقال لقد ظلمك فتبسما وذهبا وقيل ارتفعا
للسما فشعر بما اراد او قيل بينا له ما فعل وعرفاه ان ما قالاه تمثيل له فخر ساجدا
نعفر التلفه فقال يا رب ما اصنع اذا طالبني بدمه فقال استرضيه فسر بذلك
قالوا وهذه القصة مما افتراه القصاص واهل الكتاب حتى روي عن علي كرم
الله وجهه من حدث بقصة داود عليه الصلاة والسلام جلدته مائة وستين
وهو حد قذف الانبيا عليهم الصلاة والسلام عنده والمعتمد ان داود عليه السلام
والسلام راى امراته فاعجبته فسال له تطليقها فطلقها بطيب خاطر فتزوجها ومثله
في شرعهم جائز وقد كان مثله في صدر الاسلام مع المهاجرين والانصار وسياتي
بقية الكلام على هذا وقد نبه الله عز وجل على ذلك في الكتاب العزيز بقوله
تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة الاية حكاية عن الخصمين اللذين نزلا
نفسهما منزلة اوريا وتنزل احدهما الاخر منزلة الاخ لان الصحبة كالاخوة كما قال

صحبته يوم فسبب وربيب • ودمة يعرفها اللبيب •

تشديد الطاء والعرب تكني عن المرأة بالنعجة وهي في الاصل انثى الضان ناوها
لتاكيد التانيث لان مذكرها لفظ مخصوص هو خروف وتطلق على البقرة الوحشية
ايضا فاستعيرت للمرأة كما استعير لها الشاة في قوله •
ما شاة ما قنص لمن حلت له • حرمت علي وليتها لم تحرم •
وفي مصحف ابن مسعود نعجة انثى لمزيد تاكيدا للتانيث او لبيان المراد كحديث فلا
ولي رجل ذكر وقيل انثى بمعنى امرأة مؤنثة بيننا لين لها زوجها ومندها
امرأة مذكرة وهي التي لا تلين لزوجها ولا يانس لها ووصفها بواحدة تشنيع
على ظلم صاحبه بانه مع كثرة نعاجه حسده مع قلة ما عنده وفي حديث انس
عنه عليه الصلاة والسلام كما رواه الدارقطني في الاوسط بسند جيد
كما قاله السيوطي رحمه الله انه قال فضلت بالتشديد والبنا للمجهول
على الناس باربع السخا والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش البطش هو
قوة السطوة والاخذ بعنف وعطفه على كثرة الجماع لما فيه من اذهاب القوة
لانه ما الحياة يصب في الارحام ونور العين ومخ العظم اشارة الى انه صلى
الله عليه وسلم لم تضعف قوته وانه من اياته وسياتي معنى السخا والشجاعة
واما الجاه وهو كونه وجيها عند الناس بتسخير القلوب وطاعتها
ومحبتها وانقيادها له بحيث يقدر على استعمال اربابها في مقاصده
وهي لا تنقاد الا باعتقاد الكمال التام عندها حتى يستعبدهم كما
يستعبد الارقا فمحمود عند العقلا عادة منصوب على الظرفية او
الحالية اي جرت عادة العقلا بحمده ويجوز جعله تمييزا وعند متعلق بمحمود
ظرف لغو وقيل انه حال وكونه محمود عقلا يقتضي انه محمود شرعا بحسب
ذاته واصله وان كان قد يذم شرعا بحسب ما يعرض له عند بعض الناس
وهو اعظم نفعا من المال لانه يكتسب به ولا يخشى عليه ما يخشى على المال
وبقدر جاهه اي الانسان ذي الجاه يعظم في القلوب بمقدار عظمة جاهه
وقيل المراد جاه النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا بالنبوة وفي الاخرة بلوا
الحمد يكون عظمه بكسر العين وفتح الظا المشالة وفي اخرة هاالضمير
كما قاله البرهان الحلبي في القلوب لان الجاه كما تقدم منفرع على اعتقاد
الكمال والقدرة وكلما ازداد اعتقاده زادت عظمة شانه في قلوب الناس
وقد كان صلى الله عليه وسلم مهيبا معظما حتى عند اعدائه ثم ايد كونه
محمودا بقوله وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه الصلاة والسلام
وجيها في الدنيا والاخرة اي عظيما ذا جاه عند الله في الدارين وفيه دليل
على ان الجاه من الوجاهة فقلب وكان اصله وجه فوزنه عقل ووجيها
منصوب على انه حال مقدرة من كلمة في قوله ان الله يبشرك بكلمة منه
ووجاهته صلى الله عليه وسلم في الدنيا بالنبوة وفي الاخرة بعلو رتبته
كما مر ثم استدرك على كونه محمودا بدفع ما يتوهم من انه مذموم لما فيه

العالم

دجى

من الخلق فقال لكن آفاته كثيرة جمع آفة وهي العاهة والمفسدة اي يعرض له ما يجعله
ويجعله مذموما كثيرا فهو مضر لبعض الناس باعتبار ما يعرض له لعقبي الآخرة باعتبار
ما يعقبه ويترتب عليه في الآخرة فاللام لتقييد المنافية والتخصيص بالوقت كما
قيل ويجوز ان يكون تعليلية فلذلك اي لضرره في العاقبة ذمه من ذمه ومدح
مدحه وهو الخمول وعدم الشهرة بين الناس اي انما ذمه من ذمه لهذا الا لانه في نفسه
امر مذموم كما ورد في الحديث الصحيح ما ذئبان جائعان ارسلا في غنم بافسد لها من حرص
المال والجاه لدين المؤمن وقد فصله في الاحيا فقال طلب رفعة المنزلة في القلوب باعتقاد
صفة ليست فيه كالعلم والزهد حرام لانه كذب وتلبيس وطلبها بما فيه ليجعلها وسيلة
لنفع الناس ونفعه في الآخرة جائز محمود كقول يوسف عليه الصلاة والسلام
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وقد تضمن هذا قوله صلى الله عليه وسلم
حسب امرء من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه او دنياه
رواه البيهقي وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض معطوف على قوله
ذمه وهذا كما في الحديث ان الله يحب الاتقيا الاخفيا الذين اذا غابوا لم يفتقدوا
واذا حضروا لم يعرفوا وقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا وان كان العلو في الآية مقيدا بصفة زائدة عليه من ظلم او
غيره والخمول بضم الخا المعجمة وفتحها خلاف الظهور وكون الخمول فضيلة
ممدوحة لا ينافي مقام الانبيا عليهم الصلاة والسلام الذين لم يزالوا والخلفا
الراشدين والايمة العلما فان المذموم هو طلب الشهرة فاما وجودها من الله
من غير تكلف من العبد فليس بمذموم بل افضل من الخمول في حق من قدر على نفع
الناس مع خلوص نيته وسلامة طريقته ولذا قال الله تعالى لا يريدون علوا
دون يعلون ومن لم يقدر ويصبر على ذلك فالخمول في حقه احسن كما اشار اليه في
الاحيا واليه الاشارة في حديث المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الما
البقل ولذا قال الشاعر •

من اراد العز والراحة في الدهر الطويل •
فليكن فردا من الناس ويرضى بالخمول •
ويرى ان قليلا • كافيا غير قليل •

وانه صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة اراد بالحشمة المهابة والعظمة
في اعين الناس ولذا عطف عليه والمكانة وهي المنزلة الرفيعة فقط معنوية
العطف التفسيري وتبع في هذا الاستعمال المشهور لانها وردت في كلام الناس
بمعنى الاستحيا فاريد به لازم معناه وهو المهابة وتحقيقه كما في شرح ادب
الكاتب لابن السيد ان الحشمة تضعها الناس موضع الاستحيا وعليه قول المتنبي
سيف الحرير اسي غير محتشم • وليس كذلك انما هي الغضب يقال هذا امر يحشمه
حشمه اي يغضبه وهذا قول الاصمعي وهو المشهور وذكر غيره انها تكون
بمعنى الاستحيا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لكل طاعم حشمة
وقال الطرماح • ورايت الشريف في اعين الناس • وضيعا وقل منه احتشامي •

انفي في القلوب والعظمة معطوف على الحشمة قبل النبوة عند الجاهلية اي عند اهل
الجاهلية والمراد بالجاهلية ما بين المولد والمبعث وتطلق على ما كان قبل البعثة
ومنه ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وبه جزم النووي في شرح مسلم فان
اضيف للشخص اريد به ما قبل اسلامه وقد يراد بها ما قبل فتح مكة وبعدها
اي بعد النبوة وهم يكيدونه ويؤذونه واصحابه ويقصدون اذاه في نفسه
خفية بضم الخا وكسرها كما قاله البرهان لانه لمهابته صلى الله عليه وسلم
عندهم وعظمته في قلوبهم لا يواجهونه بما يؤذونه وهو منصوب مفعول
مطلق لمذكور او مقدر او حال حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واجابوه
في ذلك معه وقد سيأتي بعضها وهذا بالنسبة لما في نفس الامر واكثر الاحوال
كما روي عن ابي جهل لعنه الله انه ساوم رجلا من بني زبيد ثلاثة ابعرة وهي خير
ابله بثلث ثمنها فامتنع الناس من الزيادة لاجله فاخبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذلك فزاده حتى رضي فاشتراها منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع
الثالث واعطى ثمنه ارامل بني عبد المطلب وابو جهل مجزي ينظر ولا يتكلم
ثم قال صلى الله عليه وسلم له اياك ان تعود لمثل ما صنعت لهذا الاعرابي
فترى مني ما تكره فقال لا اعود يا محمد فقال له امية بن خلف ذللت في يد
محمد فقال ان الذي رايتم مني لما رايت معه لقد رايت رجالا عن يمينه ويساره
يشرعون رماحهم الي لو خالفته لكانت اياها اي لاهلكوني في وقائع اخرى
مثلها وهذا لا ينافي الهم في بعض الاحيان فقد اذوه صلى الله عليه وسلم جمرة
كوضعهم الجزور على ظهره الشريف وهو ساجد وتكذيبهم له في قصة الاسرا
وقول ابي جهل لابي طالب عند موته لا تطعه اترغب عن ملة عبد المطلب
وتحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا لهذا لكن لحكمة تظهر بها غيرة الله
وامره بمقاتلتهم وقد كان يبهت ثلاثي مبني للفاعل او المفعول بمعنى
يتحير ويدهش كما في قوله فبهت الذي كفر ويعرف فاعله لم ورويته بالبنا
للفاعل من باب علم اي يخاف ومن لم يره فاعله كما روي عن قيلة بفتح
القاف وسكون المثناة التحتية ولام وها وفي الصحابيات من يقال له
قيلة ثلاث قيلة ام بني انمار ويقال اخت بني انمار وقيلة الخزاعية
ام سباع وقيلة بنت مخرمة العنبرية وقيل العنزية نسبة لعنزة
بنون وزاي معجمة مفتوحتين وقيلة الغنوية بفتح الغين المعجمة
والنون كما قاله البرهان والمراد قيلة بنت مخرمة وحديثها المذكور
في شمايل الترمذي وفي سنن ابن ماجه واخرجه ابن سعد بتمامه
كما قاله السيوطي وهو انها رأته صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو
قاعد القرفصا قالت فلما رايته متخشعا في الجلسة ارعدت من الفرق
وهذا هو المراد وان اختلف بعض لفظه وقال الحلبي هي ابنة مخرمة
الغنوية او العنزية ويقال بل التميمية ولا تنافي بين الاخير وغيره
لان العنبرية نسبة لبني العنبر والعنبر ابو حي من تميم كما ان العنزة حي

من ربيعة بن نوار ومثل هذه القصة وقعت لعمر رضي الله عنه وكان مهيبا وقوله
الهالتا انه صلى الله عليه وسلم ارعدت بضم الهمزة وسكون الرا وكسر العين وفتح الدال
المهملات مبني للمجهول اي اخذتها رعدة من الخوف وقوله من الفرق بفتحتين وهو
شدة الخوف وفي نسخة ارتعدت فقال صلى الله عليه وسلم لها يا مسكينة عليك
السكينة وصفها بالمسكنة ترحما لها والسكينة هنا بمعنى الطمانينة اي الزمي الاطمئنان
وعدم الخوف والسكينة ثبت في النسخ المعتمدة بالرفع على انه مبتدا وخبر والجملة
خبرية مرادا بها الامر اي اسكني وبالنصب اي الزمي السكينة للاغرا وعليك اسم
فعل بمعنى الزمي ولم يثبت هنا ما قيل انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد
وبين سكينة ومسكينة تجنيس ومسكين بكسر الميم على الافصح وتفتح وحق سكينة
ان لا تلحقها الها لان باب مفعيل ومفعال للمبالغة لا تلحقه التا لكنه حمل على
فقيرة وسكينة بالفتح والتخفيف وقد تكسر وتشدد وتفتح وتشدد وهو قليل
جدا وفي حديث ابي مسعود رضي الله عنه هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي
الصحابي رضي الله عنه البدري كما في البخاري وقال ابن عبد البر رحمه الله انه
لم يصح انه شهد بدرا وانما شهد العقبة الثانية وعليه الاكثر وانما سكنها
فهو بدري دارا لا حضورا وبهذا يحصل الجمع بين القولين وروى عنه ايضا اصحاب
السنن ومات سنة اربعين او احدى او اثنتين واربعين وهذا الحديث رواه البيهقي
من طريق قيس عنه موصولا وعن قيس مرسلا وقال هذا المحفوظ واخرج الحاكم
مثله وصححه ان رجلا قام بين يديه صلى الله عليه وسلم فارعد بضم الهمزة
وكسر العين المهملة اي اخذته رعدة من خوفه وفي رواية اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه فجعلت ترعد فرايصه بالفا والصاد المهملة
كالفرايض بالمعجمة وهي لحمة بين الجنب والكتف ترعد من الخايف فقال هون
عليك فاني لست بملك الحديث وتمامه وانما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد
وهون بتشديد الواو المكسورة امر من الهون وهو الامر الهين السهل والعرب
تقول هون عليك بمعنى لا تخف قال

هون عليك فان الامور • بكف الاله مقاديرها •

ولا وجه لتفسيره بافتصد في المحبة ولا تبالغ في التعظيم وملك بفتح الميم
وكسر اللام ويجوز تسكينها بمعنى السلطان يعني لست من الملوك الجبابرة
حتى تخاف مني لان جبريل عليه الصلاة والسلام جاءه من الله وخيره بين
ان يكون ملكا نبيا وعبدا نبيا فاختار ان يكون عبدا نبيا ولم يرض لوصفه
بالملك وكذا الخلفا الاربعة واول من ملك في الاسلام معاوية رضي الله عنه
فلا وجه لقول بعضهم هنا ان هذا الاينافي انه طهر ملكه وان كان ملكه
نبوة فانه لم يرد الا نفي انه ملك كساير الملوك عند المخاطب انتهى وهذا
الرجل لم يسمه احد من شراح الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة اي وصف
قدر نبوته بالعظم لان النبوة مقربة له من الله وفيه من العظم ما لا يخفى
وشريف منزلته بالرسالة حيث جعل منزلة رسالته شريفة لانها واسطة بين الله

من الخوف

وخلقه وفي تأهيله لذلك دون غيره شرفٌ له على من عداه وجعلها منزلة لنزوله اليهم بتبليغه عن الله ما اتصاله بالملا الاعلى وإنافة رتبته بالاصطفا الانافة بالنون والفا بمعنى الاعلا والاشراف على ما تحته والمراد بالاصطفا والابتنه وهي اقرب مقاماته من الله لتحصيلهما للطرف الاعلا ولذا جعلها مرتبة لانها من الرتوب وهو العلو والرتبة كالرقبة اعلى الجبل كما في الصحاح فتفطن لتغبيره اولا بالقدر وثانيا بالمنزلة وثالثا بالرتبة ومصادفة ذلك لمحزه وفي نسخة بدل انافة اثابة بالنون والموحدة والكرامة في الدنيا خصهما لانها محل ظهور امره صلى الله عليه وسلم والا فذلك في الاخرة مما لا شبهة فيه كما سيذكره فامر هو مبلغ النهاية اي ليس فوقه مرتبة اخرى يكون نهاية اي هو غاية النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم عطفه بثم لتراخيه زمانا ومعنى ورتبته وهذا اقتبس من حديث البخاري وهو انا سيد ولد ادم ولا فخر وتقدم ان قوله ولا فخر سقط من بعض نسخ الشفا وثبت في بعضها قيل وهو الاكثر الاولى لانه هنا من كلام المص رحمه الله لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ومن اثبته ثم حكاه كما قاله التلمساني وفيه نظر والمراد انا اشرف هذا النوع ادم وولده لما ورد ادم ومن دونه تحت لواي ومر في معنى قوله ولا فخر انه لم يذكره للتبجح وتمدح لنفسه بل لبيان الواقع تحدثا بنعمة الله او المراد اني لا افتخر بهذا فان لي ما هو اعظم منه من المنزلة عند ربي ولا حاجة للاستدلال عليه بكنتم خير امة لانه يلزم من تفضيل امته على الامم تفضيل نبيهم صلى الله عليه وسلم لان اجرا عمالهم له وعلى معنى هذا الفصل المشتمل على اوصاف يتمدح بذكرها ويتميز باستيثاره بها نظمنا هذا القسم الاول من الكتاب اي جعلناه موضوعا لبيانه وهو المقصود منه بالذات لجعل ما فيه كالعقد المحتوي على اللالي والفرايد كناية واثبت له النظم تخييلا كما قيل ولك ان تقول المراد بالفصل المشار اليه ما تضمنه قوله فاما عظيم قدره الخ باسره اي جميعه واصل الاسر شد الاسير بما يربط به ويطلق على ما يربط فيه فاذا قيل خذ الاسير برماته فالمراد خذه بجميع ما له ثم تجوز به عن معنى الجميع

## فصل

واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات جمع حالة والحالة تذكر وتؤنث والغالب عليها التانيث في التمدح به هو تفعل للكثرة او بمعنى المجرد لا للتكلف والتفاخر بسببه بين الناس والتفضيل من الناس لصاحبه لاجله غاير بين العبارة تفننا وهربا من التكرار في مقام اسهاب الخطابة ككثرة المال ثم بين اختلاف الناس فيه فقال فصاحبه على الجملة هذا كما يقال في الجملة والمال اي انه احيانا لا في كل حال معظم عند العامة اي عوام الناس او اكثر الناس الناظرين للدنيا ووجه تعظيمه لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بمجرد معطوف على حاجاته بسببه اي المال والا اي وان لم يكن ذلك او ان لم تعتقد فيه ذلك وجواب الشرط محذوف تقديره فلا يعظمه احد وافيه بسببه مقامه وهو قوله فليس له فضيلة في نفسه

دم

ثم فسرها اجمله فقال فمتي كان المال لهذه الصورة اي مصروفا في هذه المصارف وصاحبه منفقاله في مهماته ومهمات من اعتراه بمهملتين بينهما مثناة فوقية اي من ورد عليه وقصده من الضيوف والاخوان وارباب الحاجات من عراه اذا غشيه ودخل عليه كما قيل بالهف نفسي على مال اجود به على المقلين ارباب المروات واملهاي رجاه ورجا احسانه واكرامه ولوفري امله بمعني قصده صح ولكن لا يساعده الرسم كما قيل من امله يقال ما امله وتصريفه في مواضعه تصريفه مرفوع معطوف على المال اي كان تصريفه في مواضعه اي تصرفه واقع موقعه ويصح عطفه على قوله صاحبه وهما سوا معني ويجوز جره عطفا علي مهماته وكذا اضبط بالقلم في بعض النسخ اي ان صاحبه منفقا له في مهماته ومنفقا له في تصريفه في موضعه لكن الاظهر على هذا ان يقول لصرفه بدل تصريفه وتصريفه مضاف للفاعل اي ضمير صاحبه وللمفعول اي ضمير ماله والاول اولى لقوله مشتريا به المعالي والثنا الحسن فانه حال منه اي حال كونه مشتريا بماله وتصريفه معالي الامور وثناء الناس عليه والمراد بالمعالي جمع معلاه وهي الجاه والرتب العالية والثنا الذكر الجميل كما علم وذلك انما يكون بصرفه واعطائه لطالبه فجعل تحصيل ذلك بخرجه بمنزلة اشترا امر نفيس كما في قوله تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ومثل هذه الاستعارة شايع في الكلام القديم وغيره وقول الحسن منعة مؤكدة والمنزلة من القلوب اي كونه له مهابة وعظمة في قلوب الناس لانها جبلت على حب من احسن اليها وهو منصوب معطوف على المعالي مفعول الحال كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا جواب متي المسبب عنه وقيده بقوله عند اهل الدنيا لان نظرهم لهذا فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون لا لانه ليس فضيلة عند الله كما توهم لانه ان اقترن بنية صالحة كان فضيلة عند الله ايضا واذا صرفه في وجوه البر اي اذا صرف المال في انواع الاحسان كالصدقة والهبة والهدية فالوجوه بمعني الجهات او هو مستعار لما ذكر استعارة تصريحية او مكنية والنفقة في سبيل الخير اي في طريقه كالحج والجهاد وصلة الرحم وقصد بذلك المذكور من الصرف والانفاق اي المصروف والمنفق الله والدار الاخرة اي قصد ان يكون ذلك لله ولثواب الاخرة كان فضيلة اي امرا فاضلا محمودا عند الكل اي كل الناس من اهل الدنيا وغيرهم العامة والخاصة ومر ان ادخال ال على كل وبعض منعه بعض النحاة ولم يسمع من العرب الا ان العباس لا ابا له بكل حال اي سوا اكتسب به المعالي والثنا ام لا ومتي كان صاحبه ممسكا له اي لا يصرفه في مصارفه بل يخزنه لشحه به ومحبته له غير موجهة وجوهه اي غير صارف له في مصارفه من مهماته ووجوه الخير حريصا على جمعه عاد اي رجع او صار كثره كالعدم الكثر كالكثير معني وهو بضم الكاف وكسرها وظاهر كلام اهل اللغة جواز فتحها فهو مثلث ومثلثه ساكنة وهو المال الكثير يقال ماله قل ولا كثر ومقابلته بالعدم ابلغ من مقابلته بالقليل

ابن الفيرس

ولذا عدل عنه وان كانت القلة تكون بمعنى العدم ايضا وانما كان كالعدم لعدم انتفاعه به فانه خازن لغيره حارس لنعمته يستعجل الفقر الذي هرب منه ويفوته الغنى الذي طلبه فيعيش عيش الفقرا ويحاسب عليه حساب الاغنيا وقد مر ما قيل

يغنى البخيل بجمع المال مدته • وللحوادث وللوراث ما يدع •

كدودة القز ما تبنيه يهلكها • وغيرها بالذي تبنيه ينتفع •

وكان منقصة في صاحبه لذم الناس له ووصفه بالبخل والرذالة وقبحه عقلا وشرعا ولم يقف على جدد السلامة اي لم يحصل ما يسلم به من النقص والوبال والذم والجدد بفتح الجيم ودالين مهملتين اولاهما مفتوحة وهي الارض الصلبة وفي المثل من سلك الجدد امن العثار فالمراد به الطريق المسلوكة وهكذا هو مضبوط في النسخ وارتضاه البرهان رحمه الله فمن قال انه وهم فقد وهم واما ضبط بعضهم له بضم الجيم والدال على انه جمع جديد فلا وجه له وفي بعض الحواشي انه بضم الجيم وفتح الدال على انه جمع جدة كمدة ومدد اي طرق ومنه قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض اي طرق وهو صحيح ايضا ومنه ركب فلان جدده في الامر اي راى فيه رايا ظاهرا اي لم يقف في امر يوصله للسلامة وهو عدم الجمع او صرف ما جمعه في مصارفه فعدل عن طريق السلامة فسلك كما اشار اليه بقوله بل اوقعه ماله في هوة بضم الهاء وتشديد الواو وهي والاهوية الحفرة العميقة وهو ممثل لقوله رذيلة البخل اي اوقعه في وهدة دناته وخسته التي حفرها لنفسه وفيه استعارة مكنية وتخييلية كالذي قبله فشبه السماحة بطريق يسلم سالكها ويامن من كل عثرة وشبه ضده بحفرة يقع فيها من اتاها ومذمة النذالة هي بالنون والذال المعجمة الدناة والخسة وهو معطوف على رذيلة وفيها الاستعارة السالفة او على هوة وهذه من افات المال المقابلة لمحاسنه السالفة الدالة على انه في نفسه ليس بمدوح وانما يمدح بما يكتسب به كما بينه بقوله فاذن التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله اي عند من يمدحه ومدح صاحبه ومفضله بكسر الضاد المشددة وفتحها ليست لنفسه من حيث هي وانما هو اي التمدح به بالتوصل به الى غيره من الثنا الجميل والاجر الجزيل وهو انما يكون ببذله وتصريفه في متجره فانه وفي الحديث يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت فمن لم يتوسل بماله لما ذكر ولم ينتفع به كمن لا مال له قال ابو العتاهية

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه • تملكه المال الذي هو مالكه •

الا انما مالي الذي هو منفق • وليس لي المال الذي انا تاركه •

فجامعه اذا لم يصرفه مواضعه بصرفه في مهماته ومهمات من امله ولا وجهه وجوهه من انواع البر وسبل الخير ويحتمل التعميم في كل منهما غير ملي اي غير غني يقال مليء ملاة بالمد اذا استغنى بالحقيقة اي في نفس الامر لان الغنا هو المغني لصاحبه عما سواه وهو محتاج لماله ولغيره في اكتسابه وقد قال الحكما الغني هو الذي لا يحتاج في ذاته وكماله الى شيء ولا يعني بالمغني المغني

الذي جمعه وبخل به مع

وجوهه صح

منه

منه وهو كفاية المهمات واكتساب الحمدات فكانه فقير ولا ممتدح به بفتح الدال المشددة احد
من العقلا بالجر معطوف على مثلي اي من كمل عقله لا يمدح بمثل هو فقير ابدا غير
واصل الى غرض من اغراضه ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر
وكونه لم يتوصل لغرضه لعدم الفاقه وكسبه به ما يردي كما اشار اليه بقوله اذ ما بيده اي
في ملكه وتصرفه من المال الموصل لها بكسر الضاد مخففة ومشددة اي اغراضه لم يسلط
عليه بالتشديد والبنا للمجهول اي لم يرزقه الله ويقدر له الانفاق منه في
اغراضه فاشبه خازن مال غيره في حراسة المال وعدم قدرته على الانفاق منه
لا مال له بجملته خالية من خازن فكانه اي صاحب المال ليس في يده شي منه كما قيل

اذا كنت جماعا للمال ممسكا • فانت عليه خازن وامين
تؤديه مذموما الى غير حامد • فياكله عفوا وانت دفين
ولمحمود الوراق
تمتع بمالك قبل الممات • والا فلا مال ان انت متنا
شقيت به ثم خلفته • لغيرك بعدا وسحقا ومقتا
فجادوا عليك بزور البكا • وجدت عليهم بما قد جمعتا
وارهنتهم كلما في يديك • وخلوك رهنا بما قد كسبتا

والمنفق على غني بتحصيله فوايد المال وان لم يبق في يده من المال شي فالممسك كما
انه فقير بالفعل فكذا المنفق غني بالقوة لان له خلفا من الله بمنزلة الحاصل عنده
كما قيل

واني لارجو الله حتى كانني • ارى بجميل الظن ما الله صانع

وهذه الاية توطية لبيان امر النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة للمال عدما ووجودا
كما قال فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم اي طريقته وهديه وخلقه بشمتين
او بشم فسكون في المال اي في شان المال وماله بالنسبة اليه تجده قد اوتي خزاين الارض
ومفاتيح البلاد اي اتاه الله ذلك كما ورد في الحديث الصحيح بينا انا نايم اذ اوتي
بمفاتيح خزاين الارض فوضعت في يدي وفي كتاب الوفا عن جابر رضي الله عنه
مسندا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اوتيت بمقاليد الدنيا
على فرس ابلق عليه قطيفة من سندس واليه اشار الصرصري رحمه الله بقوله
بعثت مقاليد الكنوز جميعها • بقدرك لبيه على سراه حصان
جعلت عليه قطيفة من سندس • فلله استقام الزهد عن امكان
ومثله ثابت من طرق عديدة وهذا يدل على ان الله اعطاه ذلك حقيقة
وخزاين الارض دفاينها ومعادنها بان يطلعه الله عليها ويجعل الملايكة الموكلين
بها طوع يده فان السلطان خزاينه بيد خازنها حاضر مطيع لديه فهذا معنى
كونها في يده عرفا واما المفاتيح فان كانت بمعنى الخزاين فكذلك وان كانت جمع
مفتح او مفتاح بمعنى له الفتح واعطاوها ارسالها كما هو ظاهر الحديث السابق
وقيل انه كناية عن فتح البلاد على امته وحيازته اموالها لهم والمفاتح روي
في الصحيح بدون يا جمع مفتح وروي بيا في كلام المصنف رحمه الله جمع مفتاح

نبت

كليه

والاول افصح كما قيل واحلت له الغنايم ولم تحل لنبي قبله الغنيمة ما يوخذ من الكفار
وكذا الفي وفرق الفقها بينهما بان الفي ما يحصل بلا قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب
كجزية وهبة والغنيمة ما حصل بقتال ولو قبله او بعده وقد يستعمل كل منهما
لما يعم الاخر كما فيما نحن فيه وكان قبل ذلك كل ما يحصل من اهل الحرب كالمقرب من الذبايح
تنزل نار من السما فتحرقه ان قبل فان قلت كيف هذا وقد كان لسليمان وداود عليهما
الصلاة والسلام سراري ولا شك انها تحصل من اهل الحرب غنيمة فحيي تملك قلت
قال الوالي الذي كانت تاكله النار سهام الانبيا عليهم الصلاة والسلام دون
سهام الامة وقرابيهم فكانت تحل لهم فاذا اشترى النبي كذا او صلى الله عليه
وسلم من امته شيا منها كان له ذكره ابن الجوزي رحمه الله بالوفا وفتح عليه في
حياته بلاد الحجاز الحجاز بمعنى الحاجز وسميت بها لانها تحجز بين نجد وتهامة
او بين اليمن والشام وهي مكة والمدينة والطايف واليمامة وقراها وخيبر وطرقها
الممتدة بينها وقيل غير ذلك وقيل المدينة نصفها حجازي ونصفها تهامي واليمن
وهو معروف وسمي به لانه عن يمين الكعبة او ليمنه او لانه عن يمين الشمس وجميع
جزيرة العرب الجزيرة فعيلة من جزر لما وهو انكشافه ورجوعه ضد المد
وجزيرة العرب ما بين اقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها
الى اطراف الشام عرضا عند الاصمعي ومن حفر ابي موسى الى اقصى اليمن طولا
ومن رمل قبرص الى منقطع السماوة عند ابي عبيدة وقال مالك هي الحجاز
واليمن واليمامة وما لم يبلغه ملك فارس والروم مع اقوال اخر وسميت جزيرة
لان بحر فارس وبحر الحبشة ودجلة والفرات احاطت بها وما دانى ذلك اي
اي قرب منه او من جزيرة العرب فتذكيره باعتبار المكان ونحوه من الشام
والعراق اما الشام فبهمزة وتبدل الفا وقد تمد همزته فيقال شآم
وبعضهم ابى هذه وتذكر وتؤنث كغيره من اسما البلدان وينسب اليه
شامي بهمزة والف وشآمي بالتخفيف والتشديد يمانٍ فيقال امراة شامية		وشآمي
وشامية مخففا ووجه تسميتها بذلك انها عن شمال الكعبة او لانه يشام
بها قوم او باسم صاحبها وهو شام بن نوح عليه الصلاة والسلام وعربت
بابدال الها سينا معجمة وانكر بعضهم هذا وقال لم ينزلها سام قط وانما سميت
بها لان في ارضها شامات حمر وسود وبيض وحده من العريش الى الفرات
او الى بابلس طولا وعرضه من جبل[3] اجا دسلمى الى بحر الروم وما يسامته		٣ من جبل طي الي بحر الروم
وقد دخله النبي صلى الله عليه وسلم الا انه لم يدخل دمشق وقيل
دخل الشام عشرة الاف عين رات رسول الله صلى الله عليه وسلم واما
العراق وهو اقليم معروف وهو عراق العرب وفيه مدن عظيمة وقرى
وطوله من تكريت الى عبادان وهي قرية ولذا قيل في المثل ما وراء عبادان
قرية وعرضه من القادسية الى حلوان ودجلة حده جانبها الايمن
للعراق واليسار لفارس واما عراق العجم فهو اقليم خراسان ولفظ
العراق عربي وقيل انه معرب ايران وفيه كلام ليس هذا محله والبلد

فتحها

فتحها علي رضي الله عنه في سنة عشر من الهجرة والشام فتح منها دومة الجندل فتحها عبد
الرحمن والعراق فتح منها البحرين وقدم اهلها علي النبي صلى الله عليه وسلم علي ما فصل
في السير والتواريخ ومن لم يقف علي هذا قال انها انما فتحت في زمن ابي بكر رضي
الله عنه لكن النبي صلى الله عليه وسلم اوتي مفاتيحها ووعد بفتحها وجلبت
اليه بالبنا للمفعول نايب فاعله ما لا يجبي الا وانثه باعتبار المعنى وهو الاموال
من اخماسها اي غنايمها لان الغنايم تجعل خمسة اجزا خمس للامام واربعة اخماس للجند
او المراد نفس الخمس لانه الذي يختص به وجزيتها بكسر فسكون وهو ما يوخذ من الكفار
من الخراج علي الروس سميت بها انها لانها تجزي اي من المجازاة او من الاجزا بمعنى
الكفاية وقيل انها معرب كزيت واحكامها تفصيلا في كتب الفقه وصدقاتها المراد
ما كان يوخذ من الزكاة كبقية المال لانه يسمى صدقة ما لا يجبي اي يجمع يقال جباه
اذا جمعه للملوك الا بعضه وهادنته اي اهدت اليه صلى الله عليه وسلم وليس المراد
المفاعلة ملوك الاقاليم المتقدمون قسموا الارض سبعة اقسام سموا كل قسم منها
اقليما كما يعلم من علم مساحة الارض المسمى جغرافيا وحد كل اقليم وما فيه من البلاد
مفصل في كتب الهيئة والمساحة قيل المص اراد بالاقاليم النواحي والبلدان
وان كانت من اقليم واحد او اقليمين من السبعة بطريق المجاز وهو بهذا المعنى
مستعمل ايضا كما يقال اقاليم مصر قسموا كل ناحية منها اقليما والهدية
ما يبعث بلا عوض الي المهدي اليه اكراما وقال السبكي الاكرام ليس شرطا فيها
وانما الشرط كونها من المنقولات فلا يقال العقار هدية فهي اخص من الهبة
والظاهر ان قيد الاكرام بنا علي الظاهر فرقا بينها وبين الصدقة وممن هاداه
صلى الله عليه وسلم المقوقس ملك القبط اهدي له جاريتين وكسوة وبغلة بيضا
وهي دلدل وهاداه فروة بن عمرو الجذامي عامل قيصر بعد ما تبرع بالاسلام
واهدى له بغلة بيضا تسمى فضة وفرسا وادوابا وقبا من سندس ولما بلغ ذلك
قيصر حبسه مدة طويلة ثم ارسل يقول له ارجع لدينك اطلقك واعيد لك
ملكك فابي وقال لا افارق دينه وانك لتعلم انه حق ولكن ضننت بملكك
فقال صدق والانجيل ومنهم اكيدر دومة الجندل كما في البخاري والنجاشي
واما هدايا غير الملوك التي كانت تصل مع الوفود فكثيرة لا تخفي كما يعلم من
السير واهدى له الرهبان ايضا كراهب نجران ولا منافاة بين قبوله هدية من لم
يسلم منهم كالمقوقس والنجاشي ورده بعض هدايا المشركين وقوله انا لا نقبل
زبد المشركين اي عطيتهم لانه كان يقبل الهدية ممن يرجو اسلامه استيلافا له
لما فيه من المصلحة للمسلمين ويرد هدية غيره او ذاك خاص بالمشركين ومن قبل
منهم من اهل الكتاب فيقبل كما يوكل طعامهم وذبايحهم وقيل ان عدم القبول
منسوخ باحاديث القبول لا العكس علي الارجح ثم ان قبول النبي صلى الله عليه
وسلم الهدية مع انه لا يجوز لغيره من الحكام من خصايصه لانتفا التهمة في حقه
صلى الله عليه وسلم وقيل انه صلى الله عليه وسلم رد ما اهدي له خاصة
دون ما اهدي له الصحابة فما استثني منه اي ما اختص به صلى الله عليه وسلم

دون اصحابه لرويته انه احق به كما يفعله الملوك فيما يليق بها وهو استفعال من
الاثرة وهي المكرمة والخصوصية كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولا امسك منه
درهما اي لم يبق لنفسه منه شيا ولم يجعله عنده او في يده بل صرفه في مصارفه
باعطايه لمن يستحقه وفي وجوه الخيرات واغنى به غيره من الجند والمولفة قلوبهم
فكان صلى الله عليه وسلم يعطي عطا من لا يخاف الفقر وقوى به المسلمين ليصرفه في
مهماتهم وفيما ينصرهم على اعدائهم وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
صحيح رواه الشيخان مسندا عن ابي هريرة رضي الله عنه ما يسرني اي يجعلني في
سرور وفرح ان لي احدا ذهبا اي مثل احد او نفس احد يكون ملكا لي وهو ذهب
حقيقة وقوله ذهبا تمييز اي من ذهب واحد بضمتين وقد تسكن حاوه اسم
جبل معروف قريب من المدينة سمي به لتوحده وانقطاعه عما هناك من الجبال
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث احد جبل يحبنا ونحبه يبيت عندي منه دينار الا
دينارا ارصده لديني وقد روي هذا الحديث بروايات مختلفة اللفظ متقاربة
المعنى ففي الصحيح تاتي علي ثالثة وعندي منه دينارا وامسي ثالثة وعندي منه
دينار وروي تحول ذهبا ويصير ذهبا والا دينارا وروي بالرفع والنصب وارصده
بفتح الهمزة وضم الصاد ويجوز ضم الهمزة وكسر الصاد المهملة لانه يقال رصدته
وارصدته بمعنى اي اعددته للخير والشر وقيل رصدته بمعنى راقبته وارصدته
بمعنى اعددته وهو المشهور وقوله لديني بفتح الدال المهملة وسكون المثناة
التحتية والنون وارصاده للدين اما لان صاحبه غايب او لانه لم يحل اجله وفيه
دليل على جواز الاستقراض وانه لا ينبغي ان يكون المرء مستغرقا في الدين خاليا
له وفا وبقية الحديث في الصحيحين وشروحها فان اردته فانظره وفي بعض النسخ
هنا زيادة من الحاق المصنف وهي واتته صلى الله عليه وسلم دنانير مرة فقسمها
وبقيت منها بقية ستة فدفعها لبعض نسايه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها
وقال الان استرحت انتهى وقوله دفعها روي رفعها بالرا قال السيوطي رحمه الله
هذا الحديث روته ابنت سعد عن عايشة رضي الله عنها بهذا اللفظ وفي الشرح
الجديد هذا الحديث لم اقف عليه الا ان له نظايرا وردها وكانت هذه الدنانير
جات من الصدقة وانما لم ياخذه صلى الله عليه وسلم النوم لخوفه ان يفجاه
الاجل قبل تفريقها فانظر هذا مع انه غفر له صلى الله عليه وسلم ما تقدم من
ذنبه وما تاخر بعد ما عصمه الله مع اشقيا هذا الزمان وصرفهم بيت المال
في هوى انفسهم قاتلهم الله اني يوفكون ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه
مرهونة في نفقة عياله جمع عيل وهو من تلزمه مونته والدرع مونثة
وهي الزردية وكان له صلى الله عليه وسلم عدة ادرع ذات الفضول
سميت بها لطولها اهداها له سعد بن عبادة رضي الله عنه لما خرج صلى الله
عليه وسلم لبدر وذات الحواشي ودرعان اصابهما من بني قينقاع السعدية
وفضة ويقال ان السعدية كانت درع داود عليه الصلاة والسلام
التي لبسها لقتال جالوت والبتر والخرنق فهذه سبع وقال ابن الاثير رحمه

الله في مادة سبع جمع درع النبي ذات السبوغ لتمامها وسعتها فيجعل واحدة مما ذكر
او غيرها فتكون ثمانية وقال ابن الجوزي ان النبي رهنها صلى الله عليه وسلم هي ذات
الفضول ورهنها عند يهودي يسمى ابا الشحم كما وقع في كتب فقه الشافعية وو قع
في كلام بعض تسميته بابي شحمة والمعروف الاول والسعدية لم تنبع منوالحركة بينهما
المهملة ويجوز فتحها وضمها والمشهور الثاني وهي بغين معجمة منسوبة للسغد
وهي جبال معروفة وقال مغلطاي الغاية بعين مهملة وفي معرب الجواليقي انه
بالسين والصاد لانه قياس في كل سين معها حرف استعلا قال شقيق الاسدي
وحافته من جبال السغد نفسي وذكر مغلطاي ايضا انه صلى الله عليه وسلم كان له
مغفر يسمى السبوغ والحديث المذكور في صحيح مسلم مسندا عن عايشة رضي الله عنها
انه صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعاما نسيئة فاعطاه درعا رهنا وفي رواية
ورهنه صلى الله عليه وسلم درعا له من حديد ورواه البخاري ايضا بزيادة ثلاثين
صاعا من شعير ومنه علم جواز معاملة الكفار مع ان كسبهم لا يخلو من خبث وجواز
الرهن على الثمن المؤجل وادخار القوت خلافا للزهد وقال النووي رحمه الله في شرح
مسلم انه مكروه عند مالك واحمد واجمعوا على انه يجوز معاملة اهل الذمة
وغيرهم الا في آلات الحرب وما يستعان به عليه وقال الحنفية يكره بيع السلاح
والكراع من اهل الحرب وتجهيزه اليهم قبل الموادعة وبعدها واما رهنه فان خشي
التقوي به علينا فهو كالبيع لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم اما لان اليهودي
لم يكن من اهل الحرب اولانه كان بين اظهر المسلمين فلا يخشى تقويه به وفي رواية
ان تلك الدرع رهنت في عشرين صاعا وفي اخرى اربعين وفي رواية وسق شعير
والاجل سنة فحل الاجل قبل الاجل ومن ثم قيل انه صلى الله عليه وسلم افتكه
قبل موته لخبر نفس المومن معلقة بدينه حتى يقضى عنه وهو صلى الله عليه
وسلم مبرء عن ذلك والاصح خلافه كما اقتضاه المص ولقول ابن عباس توفي كلام صح
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي والخبر محمول
على غير الانبيا وجمع بين الروايات السابقة بتعدد الواقعة وكان موسرا
وقد تعسر لانفاقه جميع ما عنده ولم يعلم احد بذلك اذ لو علم الصحابة ذلك
واسوه صلى الله عليه وسلم بجميع اموالهم كما كانوا يواسونه بارواحهم
ولكنه تكتمه وتصبر تلذذا بالرضا بما قسم وفي قوله في نفقة عياله للتعليل
واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته اليه ورهد
بصيغة الماضي معطوف على اقتصر فيما سواه اي ما سوى مقدار الضرورة
ووقع في بعض النسخ زهده بصيغة المصدر المضاف للضمير وهو مرفوع
عطفا على ضرورته او مجرور وربما لعطف على مجرور الي من غير اعادة الجار والنسخة
الاولى اوضح وكان صلى الله عليه وسلم يلبس ما وجده حاضرا عنده من غير
تكلف فيلبس في الغالب الشملة هي كسا يشتمل به وقيل يختص بما له هدب
وقال ابن دريد هو كسا يوتزر به وهي البردة واما تسمية العوام ما يلف
على الراس شملة فلا اصل له والكسا الخشن اي الكسوة الملبوسة والكسا

قريب من البرد وخشن بوزن خجل ضد اللين والرقيق والبرد الغليظ البرد بضم اوله
ثوب فيه خطوط ومطلق الثوب ثم اشار الى ان هذا اللبس من تحرج صلى الله عليه وسلم
عن فاخر الالبسة بل لعدم ميله لها فقال ويقسم ما عنده من الغنائم والهدايا اي على
من حضر عنده وفي نسخة حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب الاقبية جمع قبا
وهو المخيط من اللباس والديباج نوع من اقبية الحرير معرب ديبا بالدال المهملة
فيهما بكسر داله وقد تفتح والمخوصة بضم الميم وفتح الخا المعجمة وتشديد الواو
يليها صاد مهملة وها اي منسوجة باعلام من ذهب كالخوص وفعل تالي للتشبيه
كثيرا فلا وجه لانكارهم شرح بمعنى كالشراح في كتب المعاني وقيل هو المكفوف
بالذهب او المطوق او المزرر بها اما نفقته صلى الله عليه وسلم في ماكله فكان
التمر والما وحده فكان يمضي عليه الشهر لا يوقد في بيته نار وهو يقول اللهم اجعل
رزق آل محمد قوتا او كفافا وملبسه في الاكثر اكسية الصوف الغليظة الخلقة مع
انه لبس ثياب الكتان والقطن ايضا حسبما اتفق له وكان له صلى الله عليه وسلم
حلة حمرا يلبسه في العيدين وعند قدوم الوفود عليه وكانت له صلى الله عليه
وسلم جبة رومية ضيقة الكمين وكان احب اللباس اليه القميص القصير الكمين فوق
الكعبين مساو كمه لاطراف اصابعه وكانت عمامته قصيرة صغيرة كما بيناه في
التمامة في صفة العمامة وكان له صلى الله عليه وسلم قلنسوة وقميصه صلى الله
عليه وسلم ما ذكر مروية في البخاري وهذا اما ان يكون قبل تحريم الحرير والذهب
او كان يقسمه ليباع او يعطي ذلك للنسا والصغار ويرفع لمن لم يحضر اي يرفعها
من مجلسه حتى يعطيها لمن لم يحضر القسمة وهو اشارة لقصة مخرمة التي رواها
الشيخان عن مسور بن مخرمة رضي الله عنهما قال قال لي ابي يا مسور بلغني انه صلى الله عليه وسلم
جاءته اقبية فاذهب بنا اليه فذهبنا فوجدناه في منزله فقال ادعه لي فاعظمت
ذلك فقال يا بني انه ليس بجبار فدعوته صلى الله عليه وسلم فخرج ومعه قبا
من ديباج مزرر بالذهب فقال يا مخرمة خبأت لك هذا فجعل صلى الله عليه وسلم
يريه محاسنه ثم اعطاه له فنظر اليه وقد رضي وكان فيه شدة واستيثار اذ
المباهاة اي اظهار الفخر باللباس والعجب به والتزين واصل معنى المباهاة
المفاخرة فنزل ذلك بمنزلتها في الملابس جمع ملبس وهو واللباس بمعنى والتزين
بها اي اظهار الزينة بالملابس ليست من خصال الشرف والجلالة اي الغالاة في ذلك
واظهاره ليس مما يعد شرفا ولا مما يقصده الاشراف وقال الفقها رضي الله عنهم
لبس الثوب الجميل للتزين مباح في الجمع والاعياد ومجامع الناس وما يستر العورة
ويدفع الحر والبرد واجب وما فيه جمال لصاحبه مسنون بشرط ان لا ينوي به
العظمة والزينة بل اظهار نعمة الله وتعظيم من يجتمع لملاقاته وقد كان صلى
الله عليه وسلم يفعله وقلت في ذلك نصيحة لطيفة

فالبس لها الاكياس • كل ما اشتهيت والبس • ما تشتهيه الناس

واما هي من صفات النسا اي المباهاة والتزين انما يقصده النسا ومن في حكمهم
كالاطفال والكرما ارادوا ذلك في محدث النعمة ومن لا قدر له والمحمود منها

اي مايحمد منهما عند الله وعند الناس من منافات الملابس نقاوة الثوب بفتح النون وضمها
اي كونه نقيا من الوسخ والنجاسة وهو مصدر وبضم فيقال نقاوة بمعنى نقاوة في القاموس
يحب للرجل الذي له مروءة وعلم ان تكون ثيابه نقية من غير كبر ورأى النبي صلى الله عليه
وسلم رجلا وسخة ثيابه فقال اما وجد هذا شيئا ينقي ثيابه وقال ايضا ما على الرجل حرج
ان يتخذ ثوبين سوى ثوبي مهنته وفي المثل المروءة الظاهرة في الثياب الطاهرة وقال
البرهان النقاوة بضم النون الخيار والظاهر هنا فتحها وهي النظافة كالنقاوة التخا
والتوسط في جنسه اي المحمود في اللباس استعمال الوسط منه فلا يكون نفيسا جدا ولا
خسيسا وكونه لبس مثله بفتح اللام بمعنى اللائق اي كونه مما يلبسه امثاله من جنسه
ينبغي ان يوافقوا فزاده في لباسه فلا يخالفهم فيوقع الناس في الفتنة ونهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن الشهرتين في اللباس المرتفعة جدا والمنخفضة جدا وقال
مبارك الموصلي اكثر الناس في مدح الملابس وذمها واللازم ان يلبس كل احد على
قدر حاله فلا يلبس الغني ما هو دون حاله ولا الفقير ما هو فوق حاله ولا يتزيا العالم
بزي الجاهل ولا الجاهل بزي العالم وعنه صلى الله عليه وسلم لا يشبه الزي بالزي
حتى يشبه القلب بالقلب والى ما ذكرناه اشار بقوله غير مسقط لمروءة جنسه
اي مما يعد مسقطا لمروءة امثاله مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين اي غاية التعظيم
وغاية الخسة فيكون بين بين وخير الامور اوسطها والشهرة اسم من الاشتهار وهو
الظهور بين الناس لامتداد النظر لما لم يعهد قال النووي كانوا يكرهون الشهرتين
الثياب الجياد والثياب الرذلة اذ الابصار تمتد اليهما ولهذا ورد في الحديث فلبس
المرقعات امر مكروه شرعا ومما يكون حراما ما اذا قصد اظهار الزهد للطلب
كما نراه اليوم وما نهى الشرع عنه كالحرير خارج مما نحن فيه واما توسيع الاكمام
كما يفعله الفقهاء فمخالف للسنة كتكبير العمائم وقد قال ابن الحاج انه مكروه وبدعة
قبيحة وسرف وتضييع للمال الا ان عبد السلام والسبكي قالا اذا كان ذلك
شعار العلماء ليعرفوا فيسألوا ويطاعوا فاذا كان كذلك في نفس الامر
لا يسقط المروءة وقال السبكي انه استنبطه من الاية في نساء النبي يدنين
عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين ومثله لباس الخضرة
للاشراف فاختار علماء الشافعية انه سنة وليس من الشهرة المنهي عنها الا لاهله
ولبس ثياب العمائم الغدرة على غيرها ليروج حاله عند الطلبة ويجعله
مكسبا له منهي عنه وفي الحديث من لبس ثوب شهرة في الدنيا البسه الله
ثوب مذلة يوم القيامة وقد ذم الشرع ذلك كما عرفته وذلك اشارة الى
المباهاة في الملابس والتزين بها وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما
يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال يعني ان كثرة المال والملابس عند
العقلاء غير محمودة لانها مذمومة شرعا غير مقصودة لذاتها واما العوام
فيفتخرون بكثرتها وتعددها حتى رأينا بعض الحمقاء يلبس في المجلس الواحد
الوانا من الثياب والغاية النهاية واصلها غيية بيائين اعلت اولاهما لتحصن
الثانية بنا التانيث وكثرة الموجود المراد به ما عنده من المال ونحوه

ومُفور الحال المراد به قوة حاله وقدرته على ما لا يقدر عليه غيره فالموفور على ظاهر
او بمعنى القوة وكذلك التباهي اي مثل التفاخر بما ذكر التفاخر بجودة المسكن اي
حسنه بحسن بنائه وزخرفته وعلوه والجودة بفتح الجيم وحكي ضمها ابن ارسلان
وهو كذلك في القاموس وسعة المنزل لانه مما يتمدح اهل الدنيا به وقد قالوا خير
المنازل ما يسافر فيه النظر وقد قالوا الدار الضيقة العمى الاصغر ثم اتبع ذلك بما
يتبعه فقال وتكثير الالة جمع آلة والالة ما يستعان به في الاعمال كالقدوم للنجار
والابرة للخياط والمراد به هنا اللوازم كالفراش والاواني وخدمه جمع خادم وفعل بفتحتين
جمع سمع فيه الفاظ متعددة ومركوباته كالخيول والبغال وغيرها واضافتها
للمنزل لادنى ملابسة او لانها فيه فمثل هذه الامور لا يفتخر بكثرتها الا ذووا
العقول السخيفة ومن له حرص على حطام الدنيا تنبيه لا يكره البنا للحاجة
وان طال والاخبار الدالة على منع ما زاد على سبعة اذرع وان فيه الوعيد الشديد
بل محمولة على من فعل ذلك للخيلاء والتفاخر على الناس ويكره الزيادة عليها
لغير حاجة اي من حيث القدر وفي معناه على ما هو الظاهر ما لا تدعو الحاجة
اليه من حيث الوصف كان يتخذ بيتا من نحو العنبر والعود والدر فان قلت يشكل
ذلك بان الظاهر انه لا كراهة في تناول نفيس الاطعمة والملابس على ما تقدم
قلت يفرق بان النفايس منهما قد ينفع البدن او يحتاج اليه لمصلحة بخلاف المسكن
لان كل ما زاد منه على ما يدفع نحو الحر والبرد لا مصلحة فيه للبدن وهل يختص كراهة
ما زاد على الحاجة بالبناء حتى لا يكره شرا ما زاد منه على الحاجة فيه نظر ولا يبعد
عدم الفرق نظرا للمعنى نبه عليه شيخنا ابن قاسم رحمه الله ثم بين ان النبي صلى الله
عليه وسلم حايز للفضيلة المالية ايضا وواصل منها ما لم يصل اليه غيره ولذا
قالوا لا يجوز ان يقال في حق النبي صلى الله عليه وسلم انه فقير على ما سياتي
اخر الكتاب فقال ومن ملك الارض بتمليك الله اياها له فلو اراد ملكها
من المشرق للمغرب يسره الله له في ظرف قد عين وقد خيره الله بين الملك والعبودية
فاختار العبودية كما مر وجبي اليه ما فيهما اي جمع له ما فيهما من الغنايم وجزيتها
وصدقاتها مما فتح في زمانه فترك ذلك اي المال المجبي زهدا او تنزها اي لاجل
الزهد والتنزه عن قبوله والزهد هو الترك لاجل الله فالزهد اخص من الترك
وكلاهما مفعول لاجله ويجوز جعلهما تمييزا والزهد الرغبة عن الدنيا
مع القدرة عليها رغبة عن الاخرة ولا يتصور ممن لا مال له ولا جاه وقيل
لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا
راغمة فتركها اما انا ففيم زهدت حجة علي وهو من اعلا المقامات وفي الحديث
ازهد في الدنيا يحبك الله ويقال زهد فيه وعنه وقوله فهو حايز جواب
من او خبرها وحايز بالحاء المهملة والزاي المعجمة اي جامع ومحصل
لفضيلة المالية اي من كان كذلك حاز فضيلة المال التي يفتخر بها اهل
الدنيا وقادر على التنعم والتلذذ بها الا انه لا يريد ذلك وما لك
للفخر بهذه الخصلة المالية الا انه لا يفعله كاهل الدنيا وقيل المراد

فضيلة الزهد والتنزه وهذا هو الذي يلتئم مع قوله ان كانت فضيلة زايدا عليها في الفخر اذ
بفتح الهمزة مفسرة بمعنى اي كما قاله التلمساني وهو تحقيق واثبات للفضيلة التي حازها
من الزهد والتنزه عن الدنيا الفانية وكان تامة او ناقصة والتقدير كانت تلك فضيلة
زايدة على فضيلة المال ولكن الظاهر ان يقول زايدة وزايدا على هذا منصوب
صفة وقيل ان صح نصبه فهو حال من فاعل حايز وقال بعض الشراح فيه دليل على عدم
الجزم بكونها فضيلة وفيه نظر اذ لا يتحقق الكرم بدونها قطعا وهذا مبني على ان ان
شرطية مكسورة الهمزة وهو مبني على ان المراد بالخصلة المالية لا الزهد وفي الشرح
الجديد ما ذكر من نصب زايدا على الحالية ان صحت روايته فانه في بعض النسخ مرفوع
ومعرفا الا انه مرفوع في جميع النسخ وعندي ان نصب زايدا على انه حال من فاعل
مالك لا حايز اي هو مالك للفخر بهذه الخصلة حال كونه زايدا عليها في الفخر لعدم
المنافاة لها واكثر انه لها هو في ملكها غير مساو لغيره ممن ملكها وفخر بهذه الفضيلة
على تقدير كونها فضيلة ليس مساويا للفخر لها فقد ملكها حال كونه زايدا على
ساير ملاكها باعراضه عنها فزايدا وصف له صلى الله عليه وسلم والاولى انه صفة
مصدر هو مفعول مطلق لملك اي ما لك ملكا زايدا على هذه الفضيلة باعراضه عنها
انتهى وهذا محصل ما في جميع الشروح وقوله في الفخر متعلق بقوله زايدا واقول
لا يخفى ان هذا كله كلام مظلم لم يتنور به كلامه وتحقيقه ان يقال هو مبتدا حايز خبره
ومالك معطوف عليه وان مكسورة شرطية وكانت ناقصة اسمها ضمير للفضيلة او الحالة
وفضيلة منصوب خبرها وقوله زايدة خبر ثالث والخبر اذا تعدد يجوز عطف الجميع
وترك عطفها وعطف بعضها دون بعض كالصفات وترك العطف فيه لانه ليس من
جنس ما قبله لان الفضيلة الدنيوية ليست من جنس ما زاد عليها في الفخر والفضيلة
لان الاول امر دنيوي لا فخر فيه باعتبار ذاته بل باعتبار ما يترتب عليه اذا صرف
في وجوه الخيرات من الثواب ونصرة الدين ولذلك اتى فيه بان الشرطية لانه
لكونه ذا وجهين اذ لا فضيلة له بحسب ذاته فيرى انه لا فضيلة له اصلا فان نظر لما
يترتب عليه فله فضيلة لكنها لكونها غير ذاتية كانها غير محققة اي هو زايد على تلك
الفضيلة المالية في فخره بالامور الدنيوية لو اراد اما الزيادة ما باينه لو بقي على
ما عنده غيره او لكونه مكسبه طيبا ومصرفه في محله وفيه من الفوايد ما لا يتيسر
لغيره فحاصل المعنى انه صلى الله عليه وسلم حاز من الغنى وفضل المال والفخر
به وان لم يعبا به ما لم يحز بعضه غيره ولذا قال بعض العرب كما سياتي ان محمدا
صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ومرادنا انه على غنى غيره فوايد لا تتيسر
لغيره ويجوز نصب زايدا على انه حال من ضميره صلى الله عليه وسلم وما مر من انه
لا يتحقق الكرم بدونه فكيف لا يكون فضيلة ليس بشيء فان المراد انه ليس فيه فضيلة
ذاتية وما ذكر لا ينافيه كما لا يخفى ومعرق في المدح بضم الميم وسكون العين المهملة
وكسر الراء المخففة وفتحها مع التخفيف والتشديد والاول هو القياس من اعرق
الزند والشجر اذا اشتدت وامتدت عروقه والمعنى انه صلى الله عليه وسلم
اثل في الكرم والحسب قال

امجديا خير من شيء كرمته • في قومها والمحل محل معرف •
وقد يقال في اللوم بهكما وعرق الثرى اذ قال امرؤ القيس •
الى عرق الثرى وشجت عروقي • وهو من نوع معطوف على قوله زايد فانتصب
يعني ان الناس تتمدح بالمال بكثرة جمعه وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم جمع له
ما جمع لاهل الدنيا وهو زايد عليهم في ذلك واصل في المدح بذلك لا انها لا قيمة
لها عنده كما اشار اليه بقوله بامتراجه عنها اي بسبب اعراضه عن الجهة المالية
وزهده في فانيها بالفا ومثناة تحتية ثم قوقيه اي بزهده فيما هو فان منها
اي ذاهب كما قال تعالى لا تاسوا على ما فاتكم وفي بعض النسخ فانيها بنون بعد
الالف وبين لها بموحدة وذال معجمة اي اعطايها في مظانها من المظنة بالظاء
المعجمة والنون اي يجود صلى الله عليه وسلم في محال يتخل فيها الناس كما ضبطه
وفسره التلمساني وهو في غاية الحسن والظهور وضبطه البرهان الحلبي بالظا
المشالة وعليه الرواية في اكثر النسخ جمع مظنة بالكسر وهي الموضع الذي يظن
كونها فيه فالمعنى انه صلى الله عليه وسلم يبذلها في محلها الذي ترجى فيه كمال
البر والصدقة

# فصل واما الخصال المكتسبة

اي الصفات الحميدة التي ليست ضرورية ولا طبعية من الاخلاق الحميدة من
هنا تبعيضية او بيانية والاداب الشريفة جمع ادب وهو الافعال المستحسنة
في معاملة الناس ومخالطتهم التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها اي من
قامت به وتعظيم المتصف واتصف بها بالخلق الواحد منها اي يمدح بكل واحد
منها منفردا فضلا عما فوقه اي عما زاد على الواحد منها وفضلا يفيد ان ما
بعده اولى بالحكم مما قبله كقولهم فلان لا يملك درهما فضلا عن دينار ولابن
هشام فيه رسالة مستقلة في بيان اعرابه ومعناه وهي مشهورة الا انهم قالوا
انها تلزم الوقوع بعد نفي صريح او ماول كقوله •
قلما يبقى على هذا القلق • صخرة صما فضلا عن رمق •
لان قل ورد بمعنى النفي لان القلة اخت العدم ولا يختص هذا بكونها
مكفوفة كما قاله ابن هشام والمص استعملها هنا في الاثبات لان معنى الواحد
الذي لا يتعدد فلا اشكال في كلامه واثنى الشرع على جميعها وامر بها فيدل
الثنا عليها على حسنها والامر بها على انها مكتسبة والا لم يكن للامر بها
فايدة وفيه دليل على جواز تغير الطباع وتبدلها وقوله والطبع
في الانسان لا يتغير ماول او اكثري ووعد السعادة الدايمة منصوب
بنزع الخافض اي وعد بالسعادة او هو مضمن معنى اعطى للمتخلق بها اي الذي
اتخذها خلقا واتصف بها اذا قصد بذلك وجه الله وليس المراد المتكلف
المتصنع باظهار ما ليس فيه فانه مذموم كما قيل •
يا ايها المتحلي غير شيمته • ان المتخلق ياتي دونه الخلق •
ووصف بعضها بانها من اجزا النبوة كما ورد في الحديث السمت الحسن
والتوءدة والاقتصاد جزء من اربع وعشرين جزءا من النبوة وورد في حد

اخ

اي ان الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين جزءا من النبوة وهذا
هو الذي اشار اليه المصنف اي هذه الخصال من شمايل الانبيا وفضايلهم عليهم الصلاة
والسلام وليس معناه ان النبوة تتجزى او تكتسب بجمع هذه الخصال بل هي كرامة
من الله تعالى لنبيا من عباده وهي المسماة بحسن الخلق فيل الخلق عليها اخلاقا
لكونها ناشية عنه والاحسن الخلق هيئة للنفس باعثة على الافعال الحسنة
والشيم الشريفة وهنا اربعة امور صدور الفعل الحسن والقدرة عليه ومعرفته
والهيئة الحاملة للنفس على صدور ذلك عنها وليس حسن الخلق عبارة عن الاول
لان ذلك قد يصدر عنه تكلفا او ريا ونحوه ولاعن الثاني لان تعلق القدرة بالشي
والحسن على السوية ولاعن الثالث لذلك فتعين الرابع انتهى وقيل ان المصنف
جعل الخصال الحميدة حسن خلق وجعلها مكتسبة فانها كسبية في اول امرها
ثم تصير سجية وطبيعة وهو مبني على الاصح من ان الاخلاق مكتسبة قابلة للتغير
كما عليه المحققون والخلق هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال بسهولة
ثم الطالب بما لا طايل تحته والتمرة تدل على الشجرة فكن على بصيرة وهو اي حسن الخلق
الاعتدال في قوى النفس واوصافها قوى جمع قوة وليست الشدة وضد الضعف
كما توهم بل الامور المذكورة في الخلق كما يسمى المتخيلة قوة ونحوها من ساير
القوى النفسية واعتدال القوى ان لا تخرج الى حد الافراط والتفريط
فاعتدال قوة العقل يعبر عنه بالفطنة والكياسة فان مالت الى الافراط
تسمى مكرا وخداعا وان مالت الى التفريط تسمى بلها وحمقا وكذا اذا اعتدلت
قوة الغضب تسمى شجاعة فان افرطت تسمى تهورا وان مالت الى التفريط تسمى
جبنا فطرفا كل قوة مذموم والاعتدال هو الوسط المحمود وهو المعبر عنه
بحسن الخلق كما اشار اليه بقوله والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها
منحرف بكسر الراء من اضافة الصفة الى موصوفها اي اطرافها المنحرفة والمنحرف
بمعنى المايل والمراد بالاطراف ما بيناه ويجوز فتح رائه على انه مصدر ميمي
بمعنى الانحراف والاول اولى فجميعها اي جميع الخصال الحميدة قد كانت
خلق نبينا صلى الله عليه وسلم اي صفة جميع لاكتسابه الثابت من المناقب
اليه على الانتها في كمالها حال من ضمير كانت اي مستغرقة تلك الاخلاق الحسنة
على انتها الكمال بتشبيه تمكنه واستقرارها بتمكن الراكب على مركوبه كما
تقرر في قوله على هدى من ربهم والاعتدال الى غايتها معطوف على كمالها اي
وصلت الى غاية الاعتدال والسداد حتى غاية الغاية اثنى الله عليه بذلك
فقال وانك لعلى خلق عظيم اي مستقر ثابت على خلق يستعظمه كل واقف
عليه لحسن مداراته وتحمل اذى قومه وملاطفته لهم كما تضمنه قوله خذ
العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قالت عايشة رضي الله عنها كان
خلقه القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه اي كان صلى الله عليه وسلم متمسكا
باوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من مكارم الاخلاق ومحاسن الاداب لا يتعداه
فيرضى بكل ما يرضي الله ويسخط كل ما لا يرضاه كل ذلك لله لا لحظ نفسه وقال

ابن الحنبلي

عياض

الاندلسي

ها

السهروردي قدس الله روحه في عوارف المعارف في كلام الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما سر غامض وذلك ان النفوس البشرية مجبولة على طبايع وصفات شيطانية وبهيمية وسبعية والى الاولى اشار بقوله خلق الانسان من صلصال كالفخار لدخول النار في الفخار وخلق الجان من مارج من نار والله بعظيم عنايته نزع حظ الشيطان منه كما ورد في حديث شق صدره فبقيت نفسه المركبة على حد النفوس البشرية مبقاة فيها امهات تلك الصفات الا انها في غيره ممتزجة نطلمة الطبايع لتفاوت حاله عن حالهم فنزل الايات لقمعها تاديبا من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم رحمة خاصة به وعامة للامة موزعة على الاوقات عند ظهور الصفات كما قال كذلك لنثبت به فوادك ورتلناه ترتيلا فثبت فواده بها عند ظهور بعض الصفات لارتباطه بنفسه فعند كل اضطراب تنزل اية لمصالح سنية كما وقع في احد اذ شج صلى الله عليه وسلم فقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل عليه ليس لك من الامر شيء فلبس قلبه لباس الاصطبار وفاء بعد الاضطراب الى القرار فلما تنوزعت الايات على تلك الصفات بحسب الاوقات صفت الاخلاق النبوية بالقران وفي ابقاء امهات تلك الصفات تهذيب للامة وتاديب لنفوسهم ولا يبعد ان يقال في كلامها رضي الله عنها رمز وايما خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت ان تقول كان متخلقا باخلاق الله وعبرت بقولها كان خلقه القران استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطيف المقال لوفور علمها وكمال ادبها انتهى ولا يخفى ان خلقه في كلامها اسم كان والقران خبرها وما قيل من انه على العكس بضبط النسخ الصحيحة وبحسب العربية عكسه لا نعلم فتأمل لا وجه له فان خلقه صلى الله عليه وسلم معلوم والذي قصد اثباته انما هو بيان حاله وما تخلق به وهذا مما اتفق عليه النحاة واهل المعاني فالوجه هو الاول وهذا الحديث رواه البيهقي في دلايل النبوة بتمامه والسخط ضد الرضى وقد يقابل الرضا بالاكراه فله معنيان وعليه مبنى الخلاف في الرضى بالكفر وعدمه كما فصلناه في حواشي البيضاوي وقوله وقال عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق حديث صحيح رواه احمد عن معاذ والبزار عن ابي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ ومكارم الاخلاق كانت موجودة قبله لا سيما في العرب فتممها صلى الله عليه وسلم بشريعته السمحة وزاد فيها ما لم يسبق اليه وجمع ما تفرق منها فانه وفي امته فهذا على حقيقته وليس من قبيل فوقهم ضيق فهم الركيك كما لا يخفى قال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وهو حديث صحيح رواه الشيخان وقال الحليمي وصف خلق النبي صلى الله عليه وسلم بانه عظيم في الاية والغالب وصفه بالحسن كما في هذا الحديث لان حسن الخلق وكرمه برابه الليـ

ابن الحنبلي

والسماحة ولم يكن خلقه مقصورا على ذلك بل كان رحيما رؤفا بالمومنين غايظا على الكفار
مهيبا في صدورهم فكان وصفه خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام ولذا
اردفه المص بحديث انس خادم النبي صلى الله عليه وسلم وفي مسلم عنه خدمت
النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لي اف قط وعن علي بن ابي طالب
مثله اي روي عن علي كرم الله وجهه مثل ما قاله انس رضي الله عنه كما ذكره ابو عبيد
في الغريب وكان صلى الله عليه وسلم فيما ذكره المحققون مجبولا اي مخلوقا مطبوعا
عليها اي على مكارم الاخلاق وفي اصل خلقته واول فطرته التي فطره الله عليها
اي من غير تكلف ولا تعلم لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصيه
بفتح الخاء وتمدادها نية منسوبة للرب على خلاف القياس وهكذا اي مثل هذا من جمع
مكارم الاخلاق فطرة نبينا لسائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام اي لنا فيهم او
لجميعهم انهم مجبولون على كرم الاخلاق وحسنها واما غيرهم فبعضها فيهم فطرة
وجبلة وبعضها مكتسب واما الخلاف في الاخلاق هل هي جبلة او كسبية فليس هذا
نجاني
محله كما ذكره بعضهم والحق ان بعضها جبلي وبعضها مكتسب والجبلي لا يقبل
التغيير والزوال كما سبق تفصيله وفي قوله فيما ذكره المحققون اشعار
بان خلافهم ذهب الى انها كسبية في الانبيا عليهم الصلاة والسلام فيعلم
حال غيرهم بالطريق الاولى ولذا اعترض عليه بانا لا نعلم خلافا في ذلك وخلط
ابن الفرس
بعض الشراح هنا فادخل بحث النبوة في كلامه وجعل هذا اشارة الى مذهب
الحكما في ان النبوة تحصل بالرياضة والتصفية ولا حاجة لمثله من التكلف
وان مراده الاشارة الى الخلاف في مطلق الاخلاق والفضايل النفسية
كما ذكر في كتب الاخلاق وهو اشهر من ان يذكر ومن طالع سيرهم منذ صباهم
الى مبعثهم حقق ذلك اي كونها خلقية جبلية وانما قيد بقوله الى مبعثهم
لانه بعد البعثة ونزول الوحي لا يظهر كونه جبليا لتعليم الله له ذلك باخبار
ملايكته عليهم الصلاة والسلام فلا تقوم الحجة على من يقول انه جبلي حينئذ
اما قبله فامره ظاهر لا يشتبه كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان
ابن الفرس
وغيرهم عليهم الصلاة والسلام قيل انما خص هولا بالتمثيل لما اشتمل عليه
موسى وسليمان من الشهامة ويحيى وعيسى من الانقطاع عن الخلق والسياحة
ولذا قدم عيسى على موسى وهو قبله ويحيى على سليمان او لذكره اخبار هولاء
في الطفولية وهذا الثاني هو الحق فان هولا وقع منهم امور في طفوليتهم
وامور الطفولية جبلية من غير شبهة كما اشار اليه بقوله بل غرزت
فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة غرزت
بالبنا للمجهول واصل معنى الغرز ادخال شي في شي فكان الطبيعة
ادخلت فيهم ومنه الغريزة وهي الطبيعة وقال البرهان معنى غرزت
خلقت والفطرة الخلقة وفاطر السموات بمعنى خالقها واودعوا مجهول
ايضا من الوديعة وفيه استعارة مكنية وتخييلية وما ذكره من الترتيب
في النسخ عندنا ما يخالفه وسياتي من المص ما يبين ما قلناه قال تعالى

واتيناه الحكم صبيا الحكم والحكمة من الحكم وهو المنع ومنه الحكمة بفتحتين سمي به
لمنعه من الفساد وكل ما لا ينبغي واختلف في تفسيرها هنا فقال المفسرون اعطي
يحيى العلم بكتاب الله بعيث التوراة في حال صباه اشارة الى ان قوله صبيا في الاية
حال وهذا احد التفاسير فيها وقيد هو الفهم والعلم وقيل هو النبوة وعن
ابن عباس رضي الله عنهما كل من قرا القران قبل ان يحتلم فقد اوتي الحكم صبيا
وعلى تفسيره بالنبوة فالمراد انه لظهور اثارها كانه اوتيها فهو مجاز بناء على
ان الله لم يبعث نبيا صبيا قط وكذا اول قول لعيسى عليه الصلاة والسلام
وهو طفل اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقيل الحكم العمل مع
العلم وقال معمر بن السيد كان اي يحيى عليه الصلاة والسلام ابن سنتين
او ثلاث وفي بعض النسخ ابن معمر والصواب معمر بدون ابن وتقدم انه معمر
بميمين مفتوحتين بينهما عين مهملة ساكنة وراء مهملة وهو معمر
ابن راشد ابو عروة الازدي مولاهم عالم اليمن روى عن الزهري وغيره
وروى عنه كثير واخرج له الايمة الستة وهو ثقة الا ان له اوهاما مما
يحتمل في جنب سعة علمه توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة باليمن وله ترجمة
في الميزان وقوله ابن سنتين او ثلاث قيل هذا غريب في الرواية والاصح
انه كان ابن ثمان وقيل لا غرابة فيه فانه منقول عن قتادة ومقاتل بن حيان
والغريب ما انفرد به راويه فكيف يكون غريبا فقال له الصبيان لم لا تلعب
فقال اللعب خلقت قال السيوطي رواه الديلمي عن معاذ بن جبل رضي الله
عنه ولم يسنده والحاكم في التاريخ عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا
وسنده واه واخرجه احمد في الزهد وابن ابي حاتم في تفسيره عن معمر
قال بلغني فذكره والاستفهام انكاري في معنى النفي ولذا روي لم اخلق
للعب والمشهور انه لم يبعث الله تعالى نبيا طفلا بل روي انه لم
يبعث نبيا قبل الاربعين فقيل هو المطرد وهذا نادر لا يرد نقضا ومن
الغريب ما قيل ان الله خلق عيسى عليه الصلاة والسلام بالغا عاقلا
وان كان في صورة طفل كما خلق ادم عليه الصلاة والسلام حتى قيل انه
الهم التوراة في بطن امه وروي عن الحسن فلا حاجة لتاويل ما ورد
فيه بالتاويل المشهورة وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى
بعيسى عليهما الصلاة والسلام هذا بناء على ان المراد بالكلمة عيسى عليه
الصلاة والسلام لانه وجد بدون اب فشابه ما ابدع من عالم الامر
كما قاله البيضاوي او لكونه اوجد بكلمة كن او لاهتداء الناس به كما
يهتدون بكلام الله كما سمي النبي صلى الله عليه وسلم ذكرا رسولا
كما قاله الراغب وقال الصدر القونوي في نفحاته لصورة كل شيء
في عرصة العلم الالهي الازلي مرتبته الحرفية فاذا صبغه الحق
بنور الوجود الذاتي وذلك بحركة معقولة معنوية تقتضيها
شان من الشؤون الالهية المعبر عنها بالكتابة تسمى صورة ومعلومية

الشيء المراد بكينونيته وبهذا الاعتبار سمى الله الموجودات كلمات وسمي عيسى كلمة
وقال البقاعي يصعد الكلم الطيب اي الارواح الطاهرة انتهى وهذا يحتاج لذوق
شهودي فافهم ولا حاجة لحمله من زائدة على هذا كما قيل وهو اي يحيى عليه الصلاة
والسلام ابن ثلاث سنين ليشهد له انه كلمة الله وروحه وقد بينا معنى كونه
كلمة الله وكان يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ابنا خالة كما مر ويحيى اكبر
بستة اشهر واطلاق روح الله عليه اما لان جبريل عليه الصلاة والسلام المسمى
بالروح نفخ في درع امه فيكون من نفخته فاضافته الى الله اضافة ملك وتشريف
او لانه خلقه من غير واسطة بشر ولدا وفتن النصارى فيما وقعوا فيه وعن
كعب ان الله خلق ارواح بني ادم قبل اجسادهم لما اخذ عليهم الميثاق فارسل
روح عيسى عليه الصلاة والسلام فلما اراد خلقه ارسلها الى مريم فلذا كان
روحانيا وقيل الاضافة للتشريف نحو بيت الله كما علم وقيل معنى روح الله
نعمة الله لان الروح تطلق على النعمة وفي صحيح البخاري مسندا عن النبي صلى
الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله وان عيسى عبد الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة
حق والنار حق ادخله الله الجنة وقيل صدقه يحيى عليه الصلاة والسلام
وهو في بطن امه وكانتا حبليين تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في
بطنك تحية له منصوب مفعولا اي سجود هذه له سجود تحية وتعظيم لا سجود
عبادة وكان السجود مما يعظم به المخلوق قبل الاسلام وهذا الحديث رواه
احمد وابن جرير عن مجاهد من طرق متعددة فهو حديث صحيح الا انهم لم
يرفعوه للنبي صلى الله عليه وسلم ومثله لا يقال من قبل الراي فهو في
حكم المرفوع قالوا وهذا هو المراد بقوله مصدقا بكلمة من الله وهذا يقتضي
ان حمل مريم بعيسى عليه الصلاة والسلام طالت مدته وفي تلك المدة
اختلاف وقيل انها ولدته في ساعة نفخ الروح وقد نص الله على كلام
عيسى عليه الصلاة والسلام لامه عند ولادتها اياه بقوله لها الا
تحزني وهذا احد من تكلم في المهد وفي عددهم خلاف وفي الصحيحين
عن ابي هريرة رضي الله عنه لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم
عليه الصلاة والسلام وصاحب جريج وغلام كان يرضع في حجر امه ومر
عليه مراكب فقالت امه اللهم اجعل ابني مثله فقال اللهم لا تجعلني
مثله وظاهر الحصر انه لم يذكر معهم الصبي المذكور في حديث الساحر الذي
قال لامه اصبري فانك على الحق وهو في صحيح مسلم واجيب بانه لم يكن
في المهد وان كان صغيرا لم يبلغ حد التكلم ورد بان ابن قتيبة حكى انه
ابن سبعة اشهر فلعله صلى الله عليه وسلم انما اطلع اولا على ثلاثة ثم
اطلعه الله تعالى بعد ذلك على غيرهم لثبوته في صحيح مسلم وكما نعلم قالوا
تكلم في المهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما ذكره البغوي
والقاضي في التفسير وروي ان نبينا صلى الله عليه وسلم تكلم في

المهد وهو عند حليمة السعدية واول كلمة تكلم بها الله اكبر وحكي عن الواقدي
وشاهد يوسف كما حكاه القرطبي وقيل انه كان رجلا وابن ماشطة فرعون
كما في مسند احمد وفيه زيادة لقوله ابن ماشطة ابنة فرعون وروى
الضحاك تكلم يحيى عليه الصلاة والسلام في المهد ايضا ومبارك اليمامة
الذي كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الدلايل فهم احد عشر
كما فصله البرهان الحلبي رحمه الله ونظمه بعضهم القايل في قوله
اذا رمت سرد الناطقين بمهدهم • فمنهم رسول الله احمد ذو المجد •
خليل ويحيى ثم عيسى وطفل من • دعت لابنها فورا كذي شاره فزد •
فقال الا لا تجعلني مثله • ورد عليها قولها افصح السرد •
كذاك الذي قال ان جريجا • بري فلا ترموه بعد بما يردي •
ومنهم نجيب كان يدعى مباركا • وقال رسول الله قد جا بالرشد •
وماشطة كانت لفرعون تنتمي • وكان لها طفل تكلم في المهد •
كذا شاهد في شان يوسف منهم • فدونك جمعا زايد الحسن في العد
وقوله لعقوله الخ يعني انها لما حملت بلا زوج وكانت قربت وهي حامل
لمكان بعيد خوفا من اهلها فلما وضعته قال لها ان لا تحزني
على قراة من قرا من تحتها بفتح الميم على ان من موصولة وتحتها
نصب النظارف صلته وقد اورد على المصنف هنا امران الاول ان
تخصيص دلالة الاية على ان المتكلم عيسى عليه الصلاة والسلام في المهد
بهذه القراة لا وجه له فان القراتين على حد سوا في احتمال ان يكون
المنادي عيسى او جبريل او بعضا للملايكة وكيف لا ومعنى النظم على القراتين
واحد فان المعنى ناداها مناد من تحتها قايلا لا تحزني فان قيل لو كان
المنادي جبريل عليه الصلاة والسلام كان فوقها لا تحتها لانه ياتيه
من الافق قيل ان جبريل كان منها مكان القابلة وقيل انها كانت
على اكمة هو تحتها واذا كان المنادي عيسى عليه الصلاة والسلام
قال الجعبري معنى كونه تحتها انه كان تحت ثيابها الثاني انه قيل عيسى
ان كلام المصنف في حسن الاخلاق والهاجلية وكلام من في المهد
ليس من هذا القبيل بل من قبيل خوارق العادة كنطق الجوارح
يوم القيامة وتسبيح الحصا ونطق الشجر وهو لم يدم فانه ينقطع
ويعود في زمنه ولم يقولوا باستمراره ولو استمر كان مناسبا لما ذكر
والجواب ان ما ذكره بحسب الظاهر لانه لو كان جبريل وقد ذكر هنا
بقوله انما انا رسول ربك كان الظاهر ان يقول فناداها كما في
القراة بمن الجارة فلما عرفه بالاسم الظاهر وعدل اليه في محل
الاضمار علم انه غيره وليس ثمة احد فعلم انه عيسى ومعنى كونه
من تحتها ان المراة في حال الوضع ترتفع عن الارض على عال فيقع الولد
تحتها فلا حاجة لما قاله الجعبري واما السوال الثاني فساقط

لانه وان كان خارقا للعادة يدل على ان ما ياتي بعده من جنسه امر جلي وقراءة
الكسر بمعنى الجارة والفتح بمعنى الموصولة كلاهما متواترة من السبعة وعلى قول
من قال ان المنادي بكسر الدال عيسى عليه الصلاة والسلام لا الملك ونص على
لامه في المهد كالمهاد بمعنى الفراش الممهد للنوم كما مر او خرقة بما يربط فيه
الطفل لنومه وقراره فيه فقال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا فلما
تكلم عليه الصلاة والسلام بذلك علموا براءة مريم ثم سكت حتى بلغ مدة التكلم
لامثاله وجعل اول تكلمه الاقرار بالعبودية ابطالا لقول النصارى انه ابن الله
لان الولد لا يكون عبدا ولو ملكه عتق عليه والكتاب الانجيل ويجوز ان يريد
التوراة لعلمه صلى الله عليه وسلم لها او الاعم وتعبيره بالماضي باعتبار ما قدر
الله او جعله بمنزلة الواقع لتحققه وقيل انه نبي في صغره حقيقة كما
روي عن الحسن وقال الله تعالى ففهمناها اي القضية الاتية سليمان
عليه الصلاة والسلام وكلا اي من سليمان وابيه داود اتينا حكما وعلما
اشارة الى قصة سليمان عليه الصلاة والسلام اذ اوتي الحكم صبيا وعمره
اذ ذاك احد عشر سنة في الغنم التي نفشت في الحرث اي رعته ليلا وافسدته
والنفش الرعي بالليل بلا راع فان كان بالنهار فهو همل وكان يجلس على الباب
الذي يخرج منه الخصوم الداخلين عليه من باب اخر فتخاصم رجلان لاحدهما
حرث وهو زرع وقيل كرم والحرث يطلق عليهما وللاخر غنم دخلت حرثه
فافسدته فحكم داود بدفع الغنم لصاحب الحرث على ان يبقي الحرث بيده
وقيل بدفع الغنم لصاحب الحرث ويدفع الحرث لصاحب الغنم فداود عليه
الصلاة والسلام راى على القول الاول ان الغنم تقاوم الغلة الفاسدة
وعلى الثاني راى انها تقاوم الحرث والغلة معا فلما خرجا على سليمان
عليه الصلاة والسلام سالهما عما حكم لهما به فرجع لابيه وقال اني
رايت ما هو اوفق بالجميع وهو ان ياخذ صاحب الغنم الحرث فيقوم عليه
حتى يعود لما كان عليه وياخذ صاحب الحرث الغنم فينتفع بنسلها وريعها
فاذا عاد الحرث لحاله صرف ملك صاحبه له فقال اصبت وحكم بما قاله
قال العلامة ابن القيم في كتابه معالم الموقعين حكم داود عليه الصلاة
والسلام له بقيمة المتلف فاعتبر الغنم فوجدها بقدر القيمة فدفعها
لصاحب الحرث اما لانه لم يكن له دراهم او تعذر بيعها ورضوا بدفعها
واخذها بدلا عن القيمة وسليمان عليه الصلاة والسلام قضى بالضمان
على اصحاب الغنم وان يضمنوا ذلك بالمثل بان يعمروا البستان حتى يعود
كما كان فلم يضيع عليهم شيئا من حين الاتلاف الى حين العود فاعطى اصحاب
البستان الماشية لياخذوا من نمائها بقدر نماء البستان فيستوفوا من نماء
الغنم بقدر ما فاتهم من نماء حرثهم وقد اعتبر النماءين فوجدهما سواء
فهذا علم خصه الله به واثنى عليه بادراكه وقد تنازع العلماء في ضمان
النفش وفي المثل وهو الحق وهو احد القولين في مذهب احمد والشافعي

ومالك والمشهور خلافه والقول الثاني موافقته في ضمان النفس دون التقييد
بالمثل وهو المشهور عن احمد ومالك والشافعي والثالث موافقته في التقييد
بالمثل دون النفس كما اذا ارعاها صاحبه باختياره دون ما اذا انفلتت ماشيته
ولم يشعر بها وهو قول داود ومن وافقه والقول الرابع ان النفش لا يوجب
الضمان بحال وما وجب من ضمان الرعي بغير النفش فانه يضمن بالقيمة لا بالمثل
وهو مذهب ابي حنيفة وما حكم به سليمان عليه الصلاة والسلام اقرب الى
العدل والقياس وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على اهل الحوائط
حفظها بالنهار وما افسدت المواشي بالليل ضمانه على اهلها فصح حكم ضمان
النفش وصح بالنصوص السابقة والقياس الصحيح وجوب الضمان بالمثل وصح
بنص الكتاب الثنا على سليمان عليه الصلاة والسلام بتفهيم هذا الحكم فصح
انه الصواب انتهى وقال الخفاجي اختلف في حكمهما في هذه القصة هل كان
بوحي فالثاني ناسخ للاول او باجتهاد بناء على ان كل مجتهد مصيب وكونه فيما
يرده ان فتيا الانبيا عليهم الصلاة والسلام حكم مع الله يأباه قوله اذ يحكمان
وكنا لحكمهم وقيل ويؤيد انه اجتهاد قول سليمان عليه الصلاة والسلام
الى رايت ما هو ارفق للجميع وهو مبني على جواز خطا الانبيا عليهم الصلاة
والسلام في اجتهادهم وان لم يقروا عليه وفي التلويح هنا كلام يلوح عليه
اثر الضعف وعلى ان شريعة من قبلنا ليست شريعة لنا مطلقا وقد ورد في
الحديث ما يخالفه كما سمعته انفا وقول ابي السعود ان راي سليمان
استحسان وراي داود قياس فقيل انه غير سديد لان الاستحسان اما دليل
ينقدح في نفس المجتهد والهام الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يكون الا اوليا
او هو العدول عن قياس الى قياس اقوى منه وحينئذ كل منهما قياس واجتهاد
او هو العدول عن الدليل الى العادة لمصلحة ومثله من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام جائز ولا يخفى ما فيه وفي الكشاف ان حكم داود عليه الصلاة
والسلام لان الضرر وقع بسبب الغنم فسلمت بجنايتها الى المجني كما قاله
ابو حنيفة في العبد اذا جنى جناية على النفس فسيده يدفعه او يفديه
وعند الشافعي يبيعه بذلك او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت قدر
النقصان في الحرث وسليمان عليه الصلاة والسلام جعل الانتفاع
بالغنم بازاء ما فاته واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث ما يزيل ضرره
كما لو غصب عبدا فابق في يده فان قيمته تدفع لسيده ينتفع بها فاذا
ظهر ترد له وفي هذا المقام كلام طويل لا حاجة لنا به فان اردته فارجع
اليه وقد ذكر من حكم سليمان عليه الصلاة والسلام وهو صبي يلعب
في قضية المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به ابوه كما اقتدى به
في قصة الحرث وذلك كان في صباه واقول امر فهمه واشباهه مما يدل
على انها امور جبلية غير كسبية وقصة المرجومة كما حكاه الثعلبي
ان امراة كانت بارعة الجمال وهي من اهل الدين ولها حقوق فرفعت امرها

ابن الحنبلي

عزمي

لاحد

لاحد قضاة بني اسرائيل فلما راها افتتن بها وراودها عن نفسها فامتنعت ثم
ذهب لثان وثالث ورابع فكل راودها عن نفسها فاتت لنبي الله داود عليه الصلاة
والسلام فحجبت عنه فاجمع الاربعة ان يقولوا لداود ان لها كلبا تمكنه من نفسها
ويزني بها ففعلوا فامر برجمها فرجمت فبينما داود عليه الصلاة والسلام
يوما في علية له مشرفا على صبيان يلعبون مع سليمان وفيهم صبي جميل فجعلوا
سليمان قاضيا والصبي كمراة ذات حق والاربعة منهم قضاة وفعلوا مثل تلك
القضية بعينها من المراودة والتهمة وذلك بمراى من داود عليه الصلاة
والسلام كما في قصة المرحومة ففرقهم سليمان وقال لاحدهم ما لونه فذكر
لونا ودعى كلا بانفراده فذكر كل لونا مخالفا للاخر فامر الصبيان فضربوهم فقال
داود لعل القضية هكذا فبعث للقضاة وسالهم عن لون الكلب على الانفراد
فامر بهم فقتلوا وهكذا نقله غيره من الشراح عن ابن عساكر مسندا وكذا نقله
السيوطي رحمه الله في تخريج احاديث هذا الكتاب ولم يتعقبه فقول ابن رسلان
المراد بالمرحومة التي اريد رجمها لان داود هم برجمها ثم لما راى صنيع
سليمان درا عنها الحد فسماها المص رحمه الله مرحومة باعتبار ما يؤول
او لانه اريد رجمها بنوع فيه غيره ولا يخفى انه مخالف للظاهر فلا وجه لكلامه
ولا لمن تبعه فيه ثم انه قيل ان هذا يقتضي انه كان في شريعتهم ان المراة
الممكنة من نفسها حيوانا ترجم وان شاهد الزور يقتل وفي الشريعة
المحمدية ان حكمهما التعزير وقصة الصبي هو ما رواه الشيخان عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال بينما امراتان معهما ابنان لهما فاخذ ذيب
احدهما فتحاكما الى داود عليه الصلاة والسلام فقضى به للكبرى
فدعاهما سليمان عليه الصلاة والسلام فقال هاتوا سكينا اشقه بينهما
فقالت الصغرى رحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى به لها لشفقتها
عليه ورضا الاخرى بشقه ليتشاركا في المصيبة قال النجاني وهذا مما
لا شبهة في صحته واما الحديث الاول فالله اعلم بصحته وقد ورد في
الاسرائيليات على غيره ورواية ابن عساكر ان داود لم يرجمها وانما
امرهم برجمها فمروا بها على سليمان فاوقفها واحضر الشهود وفرق
بينهم كما مر فرجع سليمان عن حكمه وعلى هذا ينبغي ما مر من ان المرحومة
هنا مجاز عمن اريد رجمها وفيه فوايد منها انه اذا تجوز بالفعل
عن ارادته لا يلزم وقوعه ومنها ان ابا هريرة رضي الله عنه قال والله
ان سمعت بالسكين الا ذلك اليوم ومنها ان داود عليه الصلاة والسلام
يحتمل انه قضى به للكبرى لشبهه بينهما وانه كان في شريعته يجوز الالحاق
بالشبه او لكونه في يدها والترجيح باليد شريعة له صلى الله عليه وسلم
واما سليمان عليه الصلاة والسلام فتوصل بلطف لمعرفة باطن القضية
فاوهمهما ارادة شقه ليستوي بينهما ومثله يفعله حذاق الحكام
يتفقون بامور لو تجردت لم يقض بها شرعا ولعل الكبرى اقرت

بامه ليس ولدها فرده باقرارها لا بمجرد الشفقة فلذا نقض داود عليه الصلاة
والسلام حكمه او ان في شرعهم انه يجوز للمجتهد نقض حكم المجتهد كما في مزيل الخفا
ومنها انه وقع في مسلم ان الصعري قالت لسليمان عليه الصلاة والسلام لا ويرحمك
الله ويرحمك الله جملة مستانفة دعائية لكنها موهمة للدعا عليه وفي الاكمال
ان السلف كرهوا امثاله لما فيه من الايهام يريد ما روي عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه قال لمن قال له مثله لا تقل هذا وقل يرحمك الله لا وروي بعضهم لا
ويرحمك الله **اقول** يعني ان الواو تزاد لدفع الايهام كما اخذ قوله في
نحو قوله

ونظن سلمى انني ابغي بها • بدلا اراها في الضلال تهيم •

فانه لو قال واراها توهم انه معطوف على ابغي وليس مراده ذلك
وسال الرشيد رجلا عن شيء فقال له لا وايد الله الخليفة فاستحسنه منه
فلما سمعه قال هذه الواو احسن من واوات الاصداغ في خدود الملاح
وهذه الواو اما زائدة او اعتراضية او لعطف الانشا على الخبر وحكى الطبري
ان عمرو كان حين اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى عليه الصلاة
والسلام مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل فرعون لقب لكل من ملك
القبط كما مر وهذا هو مصعب بن الوليد بن ريان كان من القبط العمالقة
عمر اكثر من اربعمائة سنة ونشأ موسى عليه الصلاة والسلام حين اذ اخذ
بلحيته ابن عامين وكان فرعون لعنه الله استعبد بني اسرائيل واستخدمهم
وضرب عليهم الجزية فراى في منامه واخبره الكهنة ان زوال ملكه على
يد غلام من بني اسرائيل فامر بقتل كل مولود يولد منهم فراى اهل مملكته
ان في ذلك ضررا عليهم لانهم خدمهم ويكفونهم المؤنة فعزموا على
قتلهم عاما بعد عام فقيل وهو بعيد لاحتمال ان يولد عام استحيائهم
واتفاق العقلا على مثله غير ظاهر فلعلهم راوا عام ولادته زوجا او
فردا وغيره وولد هارون في عام الاستحيا وولد موسى في العام الرابع
من ولادته وكان عام قتل فخافت امه عليه فاوحى الله اليها اما بالوحي على
لسان ملك او براى ذلك في منامها والقول الاول اما لان من لا يكون نبيا
قد يرى الملك وقد جوزه جماعة من السلف ولعله كان في الزمن السالف
او ان امه كانت نبية والمشهور ان النبي لا يكون الا ذكرا قال الخفاجي وقد
ذهب علما قرطبة الى صحة نبوة المراة وصححه ابن السيد ونسبه ابن الهمام
الى بعض اهل الظاهر فاوحى الله الى امه ان تتخذ تابوتا تضعه فيه
وتقذفه في النيل ففعلت وكان النيل يدخل منزل فرعون فبينما هو
جالس اذ دخل التابوت به عنده فاخذه ال فرعون ففتحته آسية
امراة فرعون رضي الله عنها فلما رأت فيه موسى رحمته وسالت فرعون
ان يتخذه ابنا فاجابها لذلك وكانت تدخل به عليه فاحبه وحمله يوما
في حجره فمد يده للحيته وجذبها جذبا شديدا فغضب فرعون وقال هذا

تدولي وامر بذبحه فناشدته الله وقالت انه لا يعقل فقال بل يعقل فقالت جربه بجعل
بين يديه تمرة وجمرة وقيل درة وجمرة وقال ان اخذ التمرة او الدرة فهو يعقل والاعذر
فلما مد يده للتمرة صرفها جبريل عليه الصلاة والسلام فاخذ الجمرة فاحرقت لسانه
فربما كان في لسانه عليه الصلاة والسلام عقدة تمنعه من ابانة بعض الحروف
وهي التي ازالها الله بدعائه فعذره فلم يزل في حجره الى ان كان ما كان وموسى وقصته
وشبه مذكور في محله والطفل يكون للواحد وغيره وقد يختص بالواحد فيجمع
على اطفال **فائدة** قيل كل مولود ذكرا وانثى يزيد كل سنة اربع اصابع
باصابع نفسه وكل احد طوله اربعة اذرع مقبوضة الاصابع بذراع نفسه والقوة
تزيد الى اربعين وتقف الى ستين وتنقص بعد ذلك وفرعون هذا غير فرعون
يوسف وقيل انه هو وانه اسلم ثم ارتد وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام
قال يا رب امهلت فرعون مع كونه فقال انه كان سهل الحجاب فكافاته على ذلك في
الدنيا وقال تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه صغيرا قاله
مجاهد وغيره هذا احد التفاسير في العلم السابق وقيل المراد قبل موسى وهارون
والرشد الاهتداء لوجوه الصلاح ويقال رشد ورشد وبهما قرئ قال في الكشاف
ومعنى اضافة الرشد له عليه الصلاة والسلام انه رشد ثابت له ورد بان هذا
المعنى حاصل بدون الاضافة لو قيل اتيناه رشدا له افاد ذلك مع التعظيم ولم
يفهم مراده اذ مراده انا اتيناه رشدا معلوما من حاله لا يقاربه ولا يماثله من الرسل
عليهم الصلاة والسلام لا كرشد غيره وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابتدا خلقه
اي اختاره رسولا خليلا لا في علمه فانه لا يختص به بل المراد انه حين الا خلقه
في بطن امه امر الملايكة ان يكتب اصطفاه وخلته تنويها به وتعظيما لقدره بخلاف
غيره فانه انما يكتب حاله بعد خلقه والظاهر ان المراد انه اصطفى روحه في عالم
الذر قبل خلق جسده كما في حديث كنت نبيا وادم [illegible] وفي نسخة قبل ابتدا خلقه
وقيل لما كان من قبل على هذا بمعنى قبل خلقه ولا معنى لهدايته قبل خلقه
اوله باصطفاه اللازم له لصحة اصطفا المعدوم وقال بعضهم لما ولد نبي الله
ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الله اليه ملكا يامره عن الله تعالى ان
يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده يعني
عبر بالماضي الدال على وقوعه قبل امره فيكون المعنى اتيناه رشده قبل امره
يدل ذلك على الايمان واشتغاله بذكره ثم انه مجبول عليه او امر عرفه به
في عالم الذر والارواح فيكون بمعنى ما قاله ابن عطا او المراد انه عبر بالماضي
لسرعة امتثاله حتى كانه وقع منه فمعنى من قبل على هذا من قبل امره لا من
قبل بلوغه كما قيل وقيل ان القا ابراهيم في النار ومحنته التي وقعت له
مع نمرود فانه كما رواه ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ولد في زمنه
وكان له كهنة فقالوا له يولد في هذه السنة مولود يفسد الهة الارض
ويدعوهم الى غير دينهم وهلاك اهل بيتك على يديه فعزل النساء عن
الرجال ودخل ازر الى بيته فوقع على زوجته فحملت فقال له الكهان ان

ابن فورك

ابن الحنبلي

ابو ابراهيم عليه السلام

الغلام فقد حملت به الليلة فقال اقتلوا كل غلام ولد فلما اخذ ام ابراهيم عليه الصلاة
والسلام المخاض خرجت هاربة فوضعته في نهر يابس ولففته في خرقة ووضعته في
حلفا واخبرت به اباه فاتاه فحفر له سردابا وسد عليه بصخرة فكانت امه تختلف اليه
فترضعه حتى شب وتكلم فقال لامه من ربي فقالت انا فقال من ربك قالت ابوك
قال فمن رب ابي فقالت له اسكت فسكت فرجعت الى زوجها فقالت له الغلام الذي
يتحدث به انه يغير دين اهل الارض ابنك فاتاه فقال له مثل ذلك وقوله كانت وهو
ابن ستة عشر سنة كذا في الكشاف قال الثعالبي المعروف انه كان ابن ستة وعشرين
سنة والذي اشار باحراقه رجل من اعراب العجم وهم الكرد ولما هموا باحراقه
حبسوه وبنوا حظيرة وجمعوا الحطب الصلاب شهرا حتى كان من مرض ينذر بجمع
الحطب له ثم اشعلوا نارا عظيمة اذا مرت بها الطير احترقت لشدة وهجها ووضعوه
في منجنيق مقيدا مغلولا ورموه فيها فناداها جبريل عليه الصلاة والسلام
يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلم تحرق غير وثاقه فقال له حين القي الك
حاجة فقال اما اليك فلا حسبي من سؤالي علمه بحالي وقيل نجا منها بقوله حسبي
الله ونعم الوكيل واشرف نمرود عليه من صرحه فاذا هو في روضة معه
جليس من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فقرب اربعة الاف بقرة وكف عنه وقصته
مذكورة في القران مجملة مفصلة في التفسير واعلم ان نمرود كما قاله السهيلي
بضم النون وذال معجمة وقد يهمل انتهى قيل لما ارادوا ارميه في النار
لم يقدروا على القرب منه فعلمهم ابليس لعنه الله صنعة المنجنيق فلما
ارادوا رميه لم يرتم لمنع الملائكة عليهم الصلاة والسلام له فامرهم
ابليس ان يحضروا نساء مكشوفة الفروج فصعدت الملائكة للسماوات
ابتلاء اسحاق بالذبح وهو ابن سبع سنين وقيل ثلاثة عشر سنة وهذا
بناء على ان الذبيح اسحاق عليه الصلاة والسلام كما عليه اهل الكتاب
وكثير من المفسرين والمحدثين حتى صنف الجلال السيوطي في تصحيحه رسالة
مستقلة والمشهور وهو مذهب الجمهور انه اسمعيل عليه الصلاة
والسلام وهو قول اكثر الصحابة كابن عباس وابن عمر ومعاوية رضي الله
عنهم وهو الظاهر فان سارة زوجة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
كانت لا ولد لها وهاجر جاريته قد ولدت اسمعيل فغارت منها وكرهت
مقامها معها فنقلها الى مكة ومعها اسمعيل عليه الصلاة والسلام
وكان بينهما فلما كبرت سارة وشاخ ابراهيم عليه الصلاة والسلام
بشرهما الملائكة باسحاق فقالت أألد وانا عجوز الاية فلو كان الذبيح
اسحاق عليه الصلاة والسلام نافى ذلك اخبار الله بانه سيولد
له يعقوب ولا يصح انه امر بذبحه بعدما ولد له يعقوب للاجماع
على انه في صغره كما مر ولقوله فلما بلغ معه السعي ولانه في الصافات
ذكر تبشيره باسحاق بعد قصة الذبح وبهذا احتج مالك وغيره
وورد في الحديث انا ابن الذبيحين يريد عبد الله واسماعيل وفي

تفسير

تفسير الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما تزعم اليهود ان اسحاق هو الذبيح وكذبوا
وقال القرظي من اسلم من احبارهم انهم يحسدونكم معشر العرب ان تكون هذه الفضيلة
فيكم وقال الاصمعي سالت ابا عمرو عن الذبيح فقال اين عزب عنك عقلك الموضع
الذي اجمع فيه الذبيح بمكة ومنى ومتى دخل اسحاق مكة وقال ابن الجوزي هو الصواب
والقول بانه اسحاق باطل باكثر من عشرين وجها قال فيها ابن القيم في الهدي
وقال المحب الطبري الاكثر انه اسحاق ورجحه هو وغيره والصحيح ما مر ويدل له
لحديث انا ابن الذبيحين وقصة ذبح ابيه عبد الله مشهورة لان عبد المطلب
نذر ان بلغ بنوه عشرة ان يذبح واحدا منهم تقربا الى الله فلما كملوا اتى بهم
البيت وضرب عليهم القداح فخرج قدح عبد الله ففداه كما هو مشهور والقول
بان المراد بالذبيحين عبد الله وهابيل بناء على ان الذبيح اسحاق كما نقله مغلطاي
مع غرابته لا يعلم له وجه لانه لم يتعين انه من ولد هابيل الا ان يحمل العم منزلة
الاب ولا يخفى ما فيه من التعسف وانه استدل لال ابراهيم بالكواكب والقمر والشمس
كان وهو ابن خمسة عشر شهرا ووجه الاستدلال ان الاجرام السماوية افلة
وكل افل فهو متغير وكل متغير حادث ولا شيء من الحادث بصانع فلا شيء من هذه
الاجرام بصانع وتلك الاصنام كهذه الاجرام في التغير فلا شيء منها بصانع بل هي
دونها فيثبت لها ذلك بالطريق الاولى فالصانع المغاير لها موجود اذ لابد للعالم
من صانع فثبت المطلوب بدليل مؤلف من قضايا يستلزم لذاته قولا اخر هو
النتيجة او الدليل ما يدل بالقوة وان كان مفردا وهو المعرف بما يمكن التوصل
بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب خبري كالعالم المستدل به على وجود الصانع
والاجرام المذكورة وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما اخفته امه في غار
خوفا عليه كما مر مكث في الغار عشرة اعوام او اربعة اعوام كما في عيون المعاني
او خمسة عشر شهرا كما حكاه المص فلما عقل سال امه من ربي كما مر وفي رواية
تعالت ابوك فقال من رب ابي فقالت الملك نمرود فجهلها ونظر ما يستدل به
عليها فراى النجم فقال هذا ربي الى اخر ما قصه الله والاقوال بناء على انه هذا
قبل بلوغه في الغار وقيل انه بعد بلوغه في الغار او بعد بلوغه وخروجه
منه وقد بعثه الله نبيا وعمره اكثر مما ذكر وهو الذي يقتضيه ظاهر القرآن
لانه حكى فيه انه قال لابيه اتتخذ اصناما الخ ثم عقبه بقوله وكذلك نري
ابراهيم ملكوت السموات الخ ثم بطريقه فقوله فلما جن عليه الليل الخ
فدلت الفاء على كونه بعد هذا الاول وقوله وتلك حجتنا الخ يدل على مناظرته
مع قومه ليرشدهم للايمان بالصانع لا لنفسه ويبينه قوله يا قوم اني بريء
مما تشركون ولو كان في الغار نظرا لنفسه قال اني بريء من الاشراك فاذا
ثبت هذا وانه موحد جازم بعدم ربوبية الكواكب فقوله هذا ربي اما انه
اتى في المناظرة بما قاله الخصم ليكر عليه بالابطال لا انه مسلم عنده او قوله هذا ربي
على تقدير الاستفهام والاستفهام انكاري او هو على تقدير اي يقولون
هذا ربي والتقدير في الكلام قالوا هو البحر حدث عنه ولا حرج وهو في

القران كثيرا وانه عرف طباعهم عن قبول الحق لو صرح به ابتدا فاتي بما يستدرجهم
الي استماع حجته بان اسمعهم ما يوهم موافقته لهم فاذا اصاخوا له اورد الدليل
المبطل لما يعتقدونه بما هو انجع وانفع وهذا قريب من الاول وان فرق بينهما
بما في هذا من الايهام وعدم اظهار الانكار وسياتي في القسم الثالث ما يتعلق
بهذا وقول المص استدلاله وهو ابن خمسة عشر سنة ان كان قصد به دفع ما قيل
ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام موحدون لا يصدر منهم شك في الله ووحدانيته
فكيف صدر هذا من الخليل عليه الصلاة والسلام بانه صدر منه قبل سن
التمييز وهو غير مكلف فليس بكفر ولا جهل بالله فغير مناسب فانه يجب ان
يعتقد انهم اعرف الناس وانهم مجبولون علي فطرة سليمة موحدون فالاول
ما قدمناه من التاويل وقد تقدم ان الاصح انه صدر منه صلي الله عليه وسلم
بعد بلوغه بل وبعثته وان سياق الاية ناطق به كما قررناه اولا وهو ظاهر
ارتضاه القرطبي في تفسيره وقيل انه قاله في طفوليته من غير اعتقاد ولا
قصد كذب والقول بانه بعد البعثة فاسد وقوله وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السموات والارض قصة اخري لانه قصد النظر لنفسه والثانية
لتعقيب كلامه هذا علي ما قاله لابيه وانما هو من قبيل المعارض تعريضا
بجهل عبدة الاصنام وتضليل قومه والقول بانه علي تقدير مضاف اي
هذا المخلوق ربي لا يخفي بعده وقيل اوحي الي يوسف عليه الصلاة والسلام
وهو صبي هذا الوحي يحتمل ان يكون برسول من الملائكة ارسله الله اليه
وهو طفل ان لم يقل انه لم يبعث نبي الا بعد الاربعين وهو وان اشتهر
فقدره وي المحدثون والمفسرون ما يخالفه ويحتمل انه بالهام او رؤيا
منام وقد ذهب الي كل من هذه الاقوال طائفة وفي الكشاف ان يوسف
عليه الصلاة والسلام كان اذ ذاك مدركا وعمره لسبع عشرة سنة وهو
مخالف لما قاله المص رحمه الله من انه كان صبيا عند ما همّ اخوته
بكسر الهمزة وضمها جمع اخ بالقائه في الجب بضم الجيم وتشديد البا وهو البير
غير مطوية بالحجارة وسميت بالجب من الجب وهو القطع والجب بيت المقدس
وقيل بالاردن علي ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه الصلاة والسلام
وقصة القائه بالجب مشهورة غنية عن البيان وسياتي ذكر اخوته
وقصتهم بقوله تعالي فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب
واوحينا اليه لتنبئنهم اي لتخبرن يا يوسف اخوتك بامرهم هذا وهم
لا يشعرون وهذه جملة حالية اما متعلقة بقوله اوحينا او بقوله
لتنبئنهم وذلك لانه كان صغيرا كما قاله المص رحمه الله وقيل كان
ابن اثني عشر سنة او ثمانية عشر فعلي الاول هو ممن نبي واوحي اليه
في صباه كيحيي وعيسي فالوحي في الاية علي ظاهره كما ذهب اليه المص وقوله
همّ هو بمعني قوله تعالي واجمعوا الخ اي اجمعوا امرهم لان معني اجمع
عزم وهمّ كانه جعل رايه جميعا بعد ما تفرق وهو يقتضي ان الوحي

وقع

ونح له حين هموا بالقائه في الاية مما يقتضي انه وقع بعد القائه قال البقاعي
انهم القوا يوسف عليه الصلاة والسلام الى البير دلوه فتعلق بشفيرها وربطوا
يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم حيلة منهم فقال ردوا قميصي اتوارى به
فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وفيها ما
ياوي الى صخرة بها وقام عليها يبكي فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام بالوحي كما
قال الله تعالى انتهى وهكذا يقتضي ان الوحي بعد الالقا تطييبا لقلبه وهم
يظنون انه معذب مذلل وهم لا يشعرون ان الله اراحه بما بشره به من نفع
فالحال من ضمير اوحينا والاولى جعله حالا من قوله لتنبئنهم اي لتحدثنهم بما فعلوا
وهم لا يشعرون انك يوسف لبعد العهد وتغير حالك بهوا اشارة لما وقع لهم
لما اتوا ممتارين ليعلم ان المحنة تنقلب منحة الاية اي اذكر الاية التي ذكرناها اسا ما
ها الى غير ذلك من اخبارهم اي اخبار الانبيا عليهم الصلاة والسلام الدالة على انهم
مجبولون على الكمال من ابتدا امرهم في صغرهم وقد حكى اهل السير مما يدل على ذلك
ان امنة بنت وهب ام النبي صلى الله عليه وسلم كما مر اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم ولد حين ولدا اي خرج من بطنها حين اراد الله اخراجه منها فلا لغو
به وقيل حين ظرف متعلق بباسطا الاتي وهو حال من الضمير المستكن في ولد الاول
والظرف مؤكد لدفع ان الحال مقدرة باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السما
رواه ابن الجوزي في الوفا عن ابي الحسين بن اسيد مرسلا قال قالت امنة ولدته
صلى الله عليه وسلم جاثيا على ركبتيه ينظر الى السما ثم قبض قبضة من الارض
واهوى ساجدا وولد وقد قطعت سرته وكنت وضعت عليه انا فوجدته
قد انفلق الانا عنه وهو يمص ابهامه يشخب لبنا انتهى وروى الطبراني انه
صلى الله عليه وسلم لما وقع الى الارض وقع مقبوضة اصابع يده مشيرا بالسبابة
كالمسبح بها وله نظاير ذكرها ابن حجر في كتاب المولد قيل ولا منافاة بين قبض اصابعه
في هذا الحديث وبين ما في سيرة ابن اسحاق من انه ولد واضعا يديه في الارض رافعا
بصره وانه كان مسبحا اقول اما التسبيح فلا دلالة عليه في الحديث واما عدم
منافاته لما في سيرة ابن اسحاق فمسلم لكنه مناف لما ذكره المصنف رحمه الله الا بتاويل
بعيد ويؤيده قول الابي صيري في قوله

وفي ذلك الرفع الى كل سودد ايماء • رافعا طرفه •

وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشات اي صرت شابا وهذا الحديث
رواه ابو نعيم في الدلايل عن شداد بن اوس بغضت لي الاوثان بالبناء للمجهول
اي بغضها الله لي وهي جمع وثن وهو حجارة كانت تعبد من اوثنته اذا اجزلت
عطيته واوثنت كذا اكثرت منه قاله الراغب وقيل الوثن ما له جثة مما
يعبد والصنم الصورة بلا جثة ومنهم من سوى بينهما وقد يطلق على
الصليب وكل ما يشغل عن الله وبغض الي الشعر اي استماعه والتلفظ به ولم
اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد
وكونه صلى الله عليه وسلم بغض اليه الشعر لا ينافي قوله ان من الشعر لحكمة

بة عربي

لان فيه ما يجد كالحكم والمواعظ ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وهجا الكفار كما قال تعالى والهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقد استمعه صلى الله عليه وسلم واجاز قايله وقال مرة لقايله لا يفضض الله فاك لان الامر المذموم قد يحمد لعارض او نيا الدعريف الشعر للعهد وقوله اهم بفتح الهمزة وضم الها كما قاله البرهان الحلبي وفسر بمعنى لم ارد وافصد وهذا اشارة الى حديث صحيح رواه البزار مسندا عن علي كرم الله وجهه ولفظه ما هممت بشي مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد ثم ما هممت بعدها بشي حتى اكرمني الله تعالى برسالته ورواه في المستدرك بلفظ اخر قلت ليلة لفتى من قريش كان يرعى معي باعلى مكة ابصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الصبيان فجيت ادنى دار من دور مكة فسمعت غنا وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقيل فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الغنا وذلك الصوت حتى غلبتني عيني فما ايقظني الا حر الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي ما فعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى كذلك والله ما هممت بغيرهما مما تفعله الجاهلية وروي ان الله القى عليه النوم في المرتين صيانة له وليس في هذا ارتكابه لمحرم لانه كان قبل تحريم السماع ولان ضرب الدف في العرس غير ممنوع واما النهي عن سمر الليل فليس هي تحريم مطلقا وكان مباحا اذ ذاك مع انه شرعا قد يكون افضل من النوم كمذاكرة العلم واما محرم او يكره لعارض كما ذكره الفقها وقوله فعصمني الله اي حفظني من ذلك لما غلب عليه من النوم حتى لم يسمع وما وقع في بعض الشراح ان كلامه اشارة الى انه كان لقريش صنم يسمى بوانة يجتمع عنده في كل عام فقالوا له انك لا تجتمع مع قومك ولا تكثر لهم جمعا فذهب ثم عاد مرعوبا بالرؤية رجل طويل حال بينه وبينها فغير مناسب هنا مع ان في روايته كلاما للسهيلي ليس هذا محله والمراد بالجاهلية ما كان قبل البعثة في زمن الفترة كما تقدم ثم تمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم الضمير للانبيا عليهم الصلاة والسلام والظاهر انه معطوف على غرزت من قوله سادتنا غرزت فيهم الاخلاق الخ وعطفه بثم لبعد رتبته او زمانه باعتبار الابتدا والانتها وتمكن بمعنى يقرر ويثبت لا بمعنى يزداد لانه تفعل من الكاف والمراد بالامر ما اودع فيهم من الكمال والعلوم وتترادف تفاعل من الردف وهو الركوب خلف غيره والمراد انها تتوالى فياتي بعضها عقب بعض ونفحات بفتحتين جمع نفحة بالسكون وهي في الاصل رايحة تاتي مع هبة من النسيم طيبة وهي هنا بمعنى الهبة والعطية قال

لما اتيتك ارجو فضل نايلكم ۞ نفحتني نفحة طابت لها العرب ۞

والمراد هنا امداد الله لهم بوحي وغيره واطلاق النفحة على ما يصيب من الشر مجاز للتهكم كقوله ولين مستهم نفحة من عذاب ربك وفي الحديث ان لربكم نفحات الا فتعرضوا لها وتشرق انوار المعارف في قلوبهم تشرق بمعنى تضي يقال اشرقت الشمس اذا اضات وشرقت اذا طلعت والمعارف العلوم الربانية حتى يبلغوا الغاية اي غاية الكمال في التخلق باخلاق الله ويبلغوا ابا سطا الله

تعالى

تعالى لهم اي تجعلهم من صفوة خلقه الذين اختارهم بالنبوة متعلق ببيبلغوا او
باسطعا في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية التي لا يصل اليها غيرهم والغاية
والنهاية واحد لكنه تفنن في العبارة دون ممارسته اي من غير تكرار عمل ومزاولته
ولا رياضة اي تمرين على العمل باعتبار من رضت الدابة اروضها اذا عودتها السير والجري
قال الله تعالى ولما بلغ اشده اي موسى صلى الله عليه وسلم بلغ نهاية قوته وتمام
عقله وهو من ثلاثين الى اربعين او ما بين ثماني عشرة الى ثلاثين وهو مفرد او جمع لا واحد
له او واحده شدة او شد بالفتح او الكسر وقيل خمسا وعشرين لما روي عن عمر رضي الله عنه

ابن الحنبلي

انه قال ينتهي لب الرجل اذا بلغ خمسا وعشرين قيل هذا الاينا في ما مر لما ذكره الفقها
من ان رشد البالغ ببلوغ هذا السن لانه حال كمال لبه كما مر عن عمر رضي الله عنه واستوى
ذكر الاستوا في قصة موسى عليه الصلاة والسلام ولم يذكره في قصة يوسف عليه الصلاة
والسلام قال التلمساني لان الاستوا كمال العقد ووقت الرسالة وموسى ارسل في ذلك
الوقت ويوسف لم يرسل حينئذ ونقل ابن مرزوق عن ابن عرفة انه قال قال ابن جماعة
من استوى في خمسين سنة فقد بلغ انتها الكهولة وهو مجتمع الاشد ومن بلغ اربعين
فقد بلغ حد الاستوا ومنتهى الكمال انتهى اتيناه حكما اي نبوة وعلما بالدين وسياسة
الامة وكذلك نجزي المحسنين علق وقوع الجزا بالاحسان للتنبيه على انه انما جازاهم
لكونهم محسنين اي مخلصين مراقبين لله في افعالهم وهل جزا الاحسان الا الاحسان
واستشهد المصنف رحمه الله بهذه الآية لانه تعالى اخبر فيها بكمالهم وترادف
نعم الله عليهم حتى ارتفعوا الى اقصى الدرجات من غير سبق ممارسة ورياضة
وقد نجد غيرهم اي غير الانبيا عليهم الصلاة والسلام يطبع اي يخلق يجبل لا على
بعض هذه الاخلاق الشريفة دون جميعها او في نسخة دون بعضها ويولد عليها موجودة
فيه ويجود امتنانا وهذا لا للتفسير لما قبله فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية
من الله عز وجل منصوب بنزع الخافض اي بعنايته وبلطفه اذ جبله على اصولها
كما نشاهد من خلقه بكسر الخا المعجمة وسكون اللام وقاف وقانا نبت او فتحها
نشأ بالضمير اليه والاول اولى وعليه اقتصر ابن رسلان بعض الصبيان على حسن
السمت السمت الطريق وهيئة اهل الخير يقال ما احسن سمته اي هديه وسيرته
وقد ورد في الحديث بهذا المعنى او الشهامة اي او خلقه على الشهامة بفتح
الشين المعجمة والها والميم اي حدة الفؤاد والذكا والجلادة والنفاذ في الامور
يقال رجل شهم اذا كان سيدا نجيبا نشيطا في اكتساب المعالي وعدم الالتفات
للملاحاة والخصومة وفي الحديث من لاحى الرجال سقطت مروته وذهبت
كرامته وما زال جبريل ينهاني عن ملاحاة الرجال كما ينهاني عن عبادة
الاوثان او صدق اللسان او السماحة كان الظاهر عطفهما بالواو ولكنه لما اتى
بيانا لبعضها اتى باو او الفاصلة انسب وكما نجد بعضهم على ضدها اي
ضد المذكورة كالكذب والبخل وعبر بعلى لانه متمكن منها تمكن الراكب من مركوبه
كما في قوله تعالى على هدى من ربهم وبالاكتساب يكمل ناقصها فان قلت
لم عبر هنا بالكمال وقبله بالتمام وهل هو تفنن في التعبير او بينهما فرق

الا انه لم يفصح عنه وقال ابن ابي الاصبغ في كتاب التوكيد الفرق بينهما ان التمام الاتيان
بما نقص من الناقص والكمال الزيادة على التمام فاذا قلت رجل تام الخلق لم يفهم منه التمام
عرفيا كان او غيره الا انه تام الخلق ليس في اعضائه نقص فاذا قلت انه كامل فهم وصفه
بمعنى زايد على التمام كالحسن والفضيلة الذاتية او العرضية وهذا هو المتداول بينهم
فالكمال تمام وزيادة فهو اخص منه وقد يطلق كل منهما على الاخر تجوزا وعليه
قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي انتهى وما ذكره المصنف مبني
على الاخير حيث جعل ما في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام تماما وما في حق
غيرهم كمالا ولو عكس كان احسن وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدوما
بالجيم والبا المجهول اي يكتسب ويحصل لمن لم يطبع على شي منها وطبع على ضدها
وان لم يكن الطبع كالتطبع وهذا قسم اخر غير ما تقدم فان الاول وهو مرتبة الانبيا
عليهم الصلاة والسلام ان يطبع على جميعها والثاني ان يطبع على بعضها ويكتسب
البعض وهذا ان يطبع على عدمها ويكونه نافقا لم يتعرض له اولا فسقط ما قيل اي اقربهن
ان الرياضة والمجاهدة طريق الاكتساب وقد قرر انه يطبع على بعض هذه والانسان
يكون تكميلها الى كمال البعض الخلقي الا انه بعينه استجلاب المعدوم بالنسبة لذلك
البعض ويعتدل منحرفها المراد منحرفها المايل عن الاعتدال المحمود لانه هو
الطريق فمن فرط او افرط فقد مال عنه وهذا بنا على القول الاصح ان الطباع
يمكن تغييرها والا لضاعت المواعظ والنصايح وكان الانسان دون البهايم
التي برياضتها قد يتعلم ما ليس في طباعها وقد قال تعالى وعظهم وقل لهم في
انفسهم قولا بليغا وقال الشاعر

تكرم لتعتاد الجميل فلن ترى ... اخا كرم الا بان يتكرما

كما فصل في علم الاخلاق وباختلاف هذين الحالين الجبلي والكسبي قد يتفاوت
الناس فيها اي في الصفات الحميدة قلة وكثرة وقوة وضعفا وكل ميسر لما
خلق له هذا من الامثال النبوية وجوامع الكلم وهو بعض من حديث صحيح واوله
اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن خلق سعيدا يعمل عمل اهل السعادة ومن خلق
شقيا يعمل عمل اهل الشقا ولذا كان التوفيق خلق قدرة الطاعة والخذلان
خلق قدرة المعصية وقال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ولهذا التعاو
فيهما ما قد اختلف السلف فيهما ما في اكثر النسخ وهي موصول اسمي او حرفي
او زايدة ولذا سقطت من بعض النسخ وهو الاظهر والمراد بالسلف من تقدم
من العلما هل هذا الخلق الحسن الذي يحمد به الناس جبلة او مكتسبة الجبلة
والغريزة والطبيعة والسليقة بمعنى وهي بكسر الجيم والبا وتشديد اللام
وتخفيفهما فحكى الامام المفسر محمد بن جرير الطبري عن بعض السلف ان الخلق
الحسن الذي يجمع اكثر الطبايع المحمودة جبلة وغريزة خلقها الله في العبد
وتعبيره بالعبد ايما الى ان المطلوب منه تخلقه باخلاق الله سيده وحكاه
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه والحسن البصري وبه قال هو اي ابن

جرير

غير مصرح به لانه لا يلزم من حكايته اعتقاده له والصواب ما اصلحناه اي قدمناه وجعلناه
اصلا وقاعدة فيما مر من ان منها ما هو جبلة غير مكتسبة ومنها ما هو مكتسب بالتعلم والرياضة
وقد تقدم وقد روي سعد اي ابن ابي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
كل الخلال بكسر الخا المعجمة بوزن رجال جمع خلة بفتح الخا المعجمة وتشديد اللام وهي الخصلة
والصفة يطبع عليها المومن الا الخيانة والكذب وهو حديث صحيح رواه احمد في مسنده
والبيهقي في شعب الايمان وابن ابي شيبة في المصنف عن ابي امامة رضي الله عنه ورواه
ابن ابي الدنيا في الصمت عن سعد مرفوعا وموقوفا وقال الدارقطني في العلل
الموقوف اشبه وعنه صلى الله عليه وسلم كما رواه الذهبي يطبع المومن على كل شي
الا الخيانة والكذب والخيانة ضد الامانة وهي تشمل امورا كالسرقة وانكار الوديعة
وخيانة غيره بالنظر لزوجته ونحو ذلك والكذب معروف يعني ان هذين لا يكونان
طبيعة مخلوقة في المومن مطلقا لان المومن جبلته وفطرته سليمة وهاتين الخصلتين
في غاية القبح فلا يختار اتصافه بهما وان كانت هذه الخصلة لا تقتضي كفرا والمراد المومن
الكامل وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال السيوطي رواه عنه سعيد بن منصور
في سننه وابن جرير وابن ابي حاتم في حديثه والجراة بوزن الجرعة وقد
تنقل حركة الهمزة للرا وتحذف وهي الشجاعة او اعم منها ومقابله ما اشار اليه
بقوله والجبن بضم الجيم والبا وتخفيف النون وتسكن باوه كثيرا وهو عدم الاقدام
للخوف وضده الشجاعة واما الجبن الماكول فبتثقيل البا والنون وقد تخفف
فيكون كهذا ولذا تلمح القايل

يقولون لي هل لا احتزانة لدي لوعى ● وكنت شديد الباس في الضرب والطعن
فقلت دعوني فانما سلامتي ● فاني ممن ياكل الخبز بالجبن

غرايز يضعهما الله حيث يشا وفي هذا وما قبله دليل لما سويه فانه فيما قبله
جعل الخيانة غير مطبوعة وفي حديث عمر رضي الله عنه جعل الخيانة والجراة
غريزتين مطبوعتين فدلا على ما ادعاه من ان منها ما هو طبيعي ومنها ما هو
غير طبيعي وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة لا يمكن استيفا
اقسامها تفصيلا ولكنا نذكر اصولها التي تتضمن باقيها اجمالا ونشير الى جميعها
اشارة لا صريحا وتحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شا الله تعالى فانه
المقصود من ذكرها

## فصل

اما اصل فروعها
هذا الفصل معقود لبيان اصول الاخلاق صريحا والاشارة الى جميعها
تلويحا لتحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها وضمير فروعها للاخلاق
المذكورة قبله وعنصر هو بضم الصاد المهملة وفتحها والاول اشهر والثاني
افصح ومعناه الاصل والمادة والعناصر اذا اطلقت يراد بها التراب والما
والهوا والنار لتركب جميع الاجساد منها والينابيع في قوله ينابيعها
جمع ينبوع وهو ما ينبع الما منه كالعين وكل ما ينبع منه الما ونقطة
دايرتها والنقطة جزء من الخط والسطح مركب من خطوط سطحية فاذا
كان السطح مستديرا يكون في حافه وسطه نقطة جميع الخطوط الخارجة

منها الى الخط المستدير الذي يحيط بالسطح متساوية فتلك النقطة تسمى مركزا
وذلك السطح يسمى دايرة وكذا الخط المحيط به ويصح ارادة كل منهما هنا فشبه
العقل الذي مبنى الاخلاق عليه بشجرة اصلها العقل وفروعها الاخلاق وثمرها
وثمرا بها ما يظهر منهما وينتفع به غيره ثم شبهه لعين تلك الاخلاق كما بها
القايض منها ثم شبهه بنقطة في الوسط المعتدل نسبتها وي جميع جوانبهما والاخلاق
لسطح او خط محيط بها فقال فالعقل وهو مشتق اي ماخوذ من عقله اذا شده
فمنعه من الحركة لانه يمنع صاحبه مما لا يليق او من العقل وهو الملجا لالتجا
صاحبه اليه وهو كما قاله الراغب يقال للقوى المتهيئة لقبول العلم ويطلق
على العلم المستفاد منه ولذا قال علي كرم الله وجهه العقل عقلان مطبوع
ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممنوع
وفي الحديث ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه الى هدي او يرده عن ردي وقال
بعض الحكما هو جوهر وقال اخرون جسم شفاف محله الدماغ او القلب والاصح
انه قوة نفسية هي منشو الادراك وليس المراد به هنا العقل العاشر المسمى
بالعقل الفعال كما قيل لان اهل الشرع لا يقولون بمثله وقوله الذي ينبعث
منه اي ينشا ويخرج وهذا ناظر لكونه ينبوعا وقوله العلم والمعرفة العلم
يكون بمعنى مطلق الادراك وبمعنى ادراك الكليات والمعرفة ادراك الجزئيات
وقيل انها ما سبق بالجهل وقال البيضاوي انها تكون بمعنى العلم كما ان
العلم يكون بمعنى المعرفة كما في قوله تعالى واخرين من دونهم لا تعلمونهم
الله يعلمهم اي الله يعرفهم والعلم بمعنى المعرفة قال الفاضل المحشي
معترضا عليه صرحوا بان العلم بمعنى المعرفة لا يطلق على الله لاقتضائه
سبق الجهل وتبع فيه السيد في شرح المواقف في قوله علم الله لا يسمى معرفة
لا اصطلاحا ولا لغة اجماعا وخطاه فيه الحافظ العراقي رحمه الله في نكته
على المنهاج فقال ان امام الحرمين فسر العلم به واطلاق المعرفة على الله
ورد في الحديث وكلام الصحابة واهل اللغة والمتكلمين انتهى فاي اجماع
يخالف هذا ومثله عجيب من السيد وينفرع اي يبتنى ويظهر ناظر
لكونه اصلا عن هذا عداه بعن لتضمين يتفرع معنى يتنشو والمعرفة
تعديته بعلى وهذا اشارة للاصل الذي هو العقل تجربة الراي
اي نفاذ رايه فيما يفكر فيه ويدرك به عواقب الامور ومنه كوكب ثاقب
اي مضي فقوله وجودة الفطنة وهي الحذق وسرعة الانتقال والاصابة
اي موافقة الصواب فيه تفسير لتجربة الراي وصدق الظن اي موافقته
للواقع كاليقين كما قال الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد راي وقد سمعا
والنظر للعواقب اي كانه ينظر عواقب الامور ويشاهدها كما قال
واني لارجو الله حتى كانما ● ارى بجميل الظن ما الله صانع
ومصالح النفس مجرور معطوف على العواقب ومرفوع معطوف على
تجربة الراي اي ما فيه صلاح وخير لها ومجاهدة الشهوة اي مدافعتها

دلمي

وتمانعتها

ومما لفهما عما تريد • فانه جهاد اكبر واعدي عدو لك نفسك التي بين جنبيك وحسن
السياسة لغيره بامره من ساسه اذا احكم عليه وهو لفظ عربي لقوله •
وكما نسوس الناس والامر امرنا • وليس معربا كما توهمه ابن كمال في رسالة التعريب كما مر
بيانه والتدبير النظر في ادبار الامور وعواقبها وهو عطف تفسير لما قبله ايضا واقتنا
الفضائل اي اكتسابها والتحلي بها وتجنب الرذائل اي ترك كل ما يذم وينقص به
الانسان كالكذب والخيانة وقد اشرنا اي ذكرنا فيما تقدم فيما اوردناه في صفاته
والاشارة وان كانت تطلق على ما يقابل العبارة قد يراد بها العبارة ايضا النكتة
الى مكانه منه عليه الصلاة والسلام الضمير الاول له صلى الله عليه وسلم
والثاني للعقل والمكان المرتبة المعنوية في الفضائل يقولون فلان بمكان من
الفضل يريدون علو رتبته فيه وقيل المراد مكانه من العقل بمعنى انه حايز له
ومالك لامره على طريقة التجريد مبالغة في تمكنه منه ولا يخفى ما فيه من التكلف
من غير داع له وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه كما سنبينه
وان جلالة محله من ذلك قيل الظرف متعلق بقوله مجاراة العقول الاتي في اخر الفصل
اي مجاراة العقول وقيل حلوله الخ وان تعليلية اي جارت العقول لاجل الخ وقيل
انه علة للاشارة الى مكانه منه وبلوغه غايته اي من اجل ان جلالة محله الخ وان
تعليلية كما في قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم وقيل المعنى من اجل
ان جلالة محله متحقق يجب اعتقاد ذلك ويجوز ان يكون ذلك لمجرد التحقق
ولا يخفى ما في هذا كله من التكلف والذي ظهر لي انه معطوف على ما قبله لانه
يعلم من اشارته الى مكان منه لم يبلغه غيره علو ظاهر فيه فكانه قال ان علو
قدره فيه محسوس مشاهد وان جلالة محله امر متحقق بالدليل القاطع فاستدل
عليه بالحس والعقل ومثله يسمى العطف على المعنى وهو في القران وكلام العرب
متداول قال ناظر الجيش في شرح التسهيل في قوله •
اجدك لن ترى بثعيلبات • ولا بيداء ناجية ذمولا •
ولا متدارك والليل طفل • يبعض نواسع الوادي حمولا •
متدارك بالجر لان المعنى لست براء ولا متدارك وحمله ابو حيان من العطف
على التوهم كقوله •
مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة • ولا ناعب الا ببين غرابها •
والاولى انه من العطف على المعنى وفرق بينه وبين العطف على التوهم
وفيه كلام وقد بيناه في نكت المغني وفوقه من ذلك اشارة للاصل ولو سلمنا
صحة تعلقه بقوله مجارت كان معطوفا على ما قبله ولا وجه له وما يتفرع منه
من الاخلاق الشريفة وثمراتها متحقق لا ريب فيه لتواتره بحسب المعنى
عند من تتبع اي علم فعبر بالتتبع عن مسببه كما قالوه في تتبع خواص
التراكيب مجاري احواله جمع مجرى او مجرى بالضم واصله مسيل الماء والمراد
ما جرت به عادته في احواله ولا يخفى لطفه مع ملاحظة قوله ينابيعها
فانه جار على مجاريها ومنحدر اليها واطراد سيره الاطراد افتعال من الطرد وهو

دلجي

عرضي

دلجي

٣ ابن اقبرس

الجري خلق شيئا من صيدا وغيره ومنه مطاردة الفرسان في الميدان ومناسبته للسير وان
كان المراد بها مطلق الصفات لا بها تختص بالغزوات وقيل المراد مجال اطراد ها اي توافق اي الجبلي
قوله مجاري احواله اي مجال جريانها والاطراد مصدر اطرد الشي تبع بعضه بعضا
بجري والانهار تطرد اي تجري ومنه الاطراد البديعي لسرد اسما الممدوح وابائه مرتبة
والمعني جري سيره في جداول الكتب مستجمة بنوا استعارة وجه الشبه فيها الكثرة
ولا يخفي ما فيه من البعد وطالع جوامع كلامه اما جمع جامع والمراد الكتب الجامعة
للحديث الشريف او كلماته الجامعة للحكم التي تتحير فيها عقول البلغا والحكما وحسن
شمايله بالجر معطوف علي كلامه وهي جمع شمال بمعني الخلق والصفة قال
فما المومن اخر من شماليا اي من خلقي وعادتي وبدايع سيره اي سيره البديعة
وينبغي ان يراد بها كتب السير حتي لا يكون مكررا مع ما مر وحكم حديثه بكسر الحا
وفتح الكاف وهي العقود المضيئة عرض الحق والحديث معروف وعلمه بما في
التوراة والانجيل والكتب المنزلة بالتشديد والتخفيف علي الانبيا عليهم
الصلاة والسلام كالزبر والصحف اي علم علمه بذلك والتوراة احد الكتب المنزلة
قبل القران واصلها فوعلة ابدلت الواو تا ووزنها تفعلة بفتح العين او كسرها
وقيل وزنها فوعلة والانجيل بالكسر وقد تفتح من النجل وهذا امر تقديري
ليجري عليه احكام الالفاظ العربية اذ الاشتقاق لا يجري في غير كلام العرب
وحكم الحكما جمع حكمة اي ما لهم من الحكم في كلامهم فانهم كان لهم اعتنا بذلك
وقد رايت جمعها ابن مسكويه في كتاب كبير سماه جاودان خرد وقد طالعته
فرايت اكثر ورد في الاحاديث الشريفة ولكن اين الثريا من الثري فان رونق
الالفاظ النبوية لا يمكن مضاهاته وسير الامم الخالية اي ما وقع في زمنهم
من الاحوال كما كان صلي الله عليه وسلم يحدث عن بني اسرايل وما كان من
عجايبهم وايامها اي وقايعها في حروبها والجاد لانها فان الايام شاعت
بهذا المعني كما يقال يوم حليمة ويوم بعاث وهو اطلاق شايع صار
حقيقة فيه ومما قلته مشير الهذا
تمنيت من دهري زمان نشاتي ⁂ زمان به طيف السرور كاحلامي
مجابا بام علي اثر ما مضي ⁂ ولكن حروب قد نسمت بايام
وضرب الامثال جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده الذي
وقع فيه او لا مستعار من ضرب الخاتم او اللبن كما حققه اهل المعاني
والتفسير وهو مما يعتني به البلغا لكشف المعني الممثل له وابرازه
في صورة المشاهد الي غير ذلك والامثال النبوية افردت بالتاليف وسياسات
الانام السياسة ضبط امور العامة باللسان والسنان وتدبير احوالهم
وليس المراد حسن المداراة كما قاله التلمساني والانام الخلق وقيل الانام
عبارة عما يعتريه النوم او الانس او الجن او ما علي وجه الارض من الخلق
فتختلف بحسب ما يضاف اليه وتقرير الشرايع اي بيان ما يتعلق باحكام
الشرع في المعاملات وغيرها وتاصيل الاداب النفيسة اي بيان اصول

الادب

الاداب التي تتادب بها الناس في مجالسهم وتحاورهم كقوله صلى الله عليه وسلم اكرموا
عزيز كل قوم وكنهيه عن الملاحاة والمجادلة كما مر وقوله تهادوا تحابوا وسماها
نفيسة لانها مما يتنافس فيها المتنافسون والشيم الحميدة جمع شيمة وهي العادة
قالوا الانصاف من شيم الاشراف اي عادة الهم والحميدة بمعنى المحمودة مضموما ماذكر
الى فنون العلم التي كانت في الامم السالفة كالطب وغيره مما لم ينه الشرع عنه التي
اتخذ اهلها كلامه عليه الصلاة والسلام فيها قدوة اقتدوا به فيها واستدلوا
به عليها واشارة اليه في اثناء كلامه بها حجة دليلا عليها كالعبارة بفتح العين بضبط
القلم والمحفوظ وبه كسرها كما قاله البرهان الحلبي وذكره الازهري والجوهري
الا انه لم يضبطه والذي في النسخ كسر العين بمعنى تفسير الرؤيا وهو على قسمين
في الرؤيا الصحيحة لانها على ثلاثة اقسام رؤيا باطلة من الشيطان ومن عوارض بدن
الانسان كمن غلبت عليه الحرارة فراي نارا لتوقدها عنده او البرودة فراى ماء وعكسا
او كل ما ياكل غليظه سوداوية كالباذنجان فراى سوادا وتسمى اضغاث احلام ولا تاويل
لها وكذا من غلب فكره في شيء فراه كما قال المعري

الى الله اشكو انني كل ليلة ● اذا نمت لم اعدم خواطر اوهامي
فان كان شرا فهو لابد واقع ● وان كان خيرا فهو اضغاث احلام

ورؤيا من الله يرسلها له ملك الرؤيا عند اهل الشرع او تدركها الروح اذا انقطعت
عنها علائق البدن واتصلت بالملا الاعلى فتلقيها الى القوة المتخيلة فترتسم في
الحافظة وتبقى مشاهدة فيها حتى يستيقظ فان كانت النفس قدسية والقوى
قوية وقع ما راته بعينه ولم تحتج للتاويل وهو الاكثر في رؤيا الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ومن كان على سننهم ولذا اراد الخليل عليه الصلاة والسلام
ذبح ابنه ولم ياول رؤياه بالفداء حتى امره الله به والا فتاول بما يناسبه معنى او
لفظا او محاكية صورة وفعلها عبر بالتخفيف يعبر بالضم عبارة بالفتح كعلاقة
وعلامة وعبارة كرسالة وقد تشدد فيقال عبر تعبيرا قال في الكشاف في
سورة يوسف رايتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد
عثرت على بيت انشده المبرد في الكامل يدل عليه وهو

رايت رؤيا ثم عبرتها ● وكنت للاحلام عبارا

انتهى هذا ما ذكره من يوثق به في اللغة كالجوهري وصاحب القاموس وغيره
وقال في عمدة الحفاظ العبارة بكسرها تعني تختص بالكلام لعبورها الهواء من
لسان المتكلم لسمع السامع ولا يستعمل في تفسير الرؤيا انتهى يعني انها
فيه مفتوحة لا غير فتوهم بعض الشراح انها بكسر العين لا غير وانه انكر
هذا اللفظ وانما سمعا فنشا ما جا به لمن جا من بعده فضاربه مضاربة العميان
فقال انه كلام ضعيف مردود فلم يقف على المراد ولم يات بما يدفع الايراد
فاخطا في المعنى والعبارة واما تحقيق معنى الرؤيا فليس هذا محله
ولعل النوبة تفضي اليه في بحث النبوة ولذا افردناه بتعليقة والطب
وهو مثلث الطاء الا انه لم يستعمل فيما نحن فيه الا بالكسر والمراد به علم يتعلق

ابن الحنبلي

عرضي

بدن الانسان من حيث الصحة والمرض وهو من علوم الاوايل وللعرب به اعتنا وقد افرد
الطب النبوي بالتاليف والحساب بكسر الحا مصدر حسب بمعنى عد ثم صار علما للعلم يعرف
به احوال المقادير وهو من العلوم الرياضية القديمة والفرايض ذكره بعد الحساب لتوقفه
عليه وهو علم يعرف به احوال المواريث وهو جمع فريضة بمعنى مفروضة لان الله فرضه
وهو من العلوم الاسلامية واطلاق هذا اللفظ عليه بعد نزول القران ومعناه ظاهر
والنسب اي معرفة انساب الناس من ادم عليه الصلاة والسلام الى كل عصر وهو من علم
التاريخ وكانت العرب تعتني به وهو اعلم الناس به بعد النبي صلى الله عليه وسلم
الصديق رضي الله عنه وهو من نسبت الرجل اذا عزوته لابيه ومناسبته للفرايض
ظاهرة وهذه العلوم كلها شرعية وفرض كفاية لاسيما الفرايض والانساب فان النبي
صلى الله عليه وسلم امر بالمحافظة عليهما ولعن من انتسب لغير نسبه فقال من
خرج من نسبه وانتمى لغير قبيلته فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين
كما نقله التلمساني وغير ذلك مما ستلبسه في معجزاته صلى الله عليه وسلم في
ابوابه ان شا الله تعالى وقد حصل له صلى الله عليه وسلم ذلك دون تعليم من
احد من البشر والظرف متعلق بقوله علمه السابق ولا مدارسة من درس الكتاب
اذا قراه وحفظه اي لم يعرف باخذه من الافواه وحفظه لشي من العلوم من غيره
ولا مطالعة كتب يقال طالعت الشي اذا اطلعت عليه اي لم يطلع على شي من الكتب
بقراتها او سماعها لانه كان صلى الله عليه وسلم كان امياً بين قوم اميين لم ير احد
قرا ولا تعلم ممن قرا واستعمال المطالعة بمعنى القراة وهو مجاز مشهور
قريب من معناه اللغوي من تقدم ككتب الانبيا عليهم الصلاة والسلام
والحكما ولا الجلوس الى علمايهم اي لم يعرف احد انه جلس عند احد ممن يعلم
كتب من تقدم لياخذها عنه والضمير لمن باعتبار المعنى فكل ذلك الذي حصل
له صلى الله عليه وسلم انما هو علم لدني غيبي مكتسب من احد من البشر واما
قوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ففيه رد على قولهم المذكور بانه
كذب محض يشهد العيان ببطلانه وقد تولى الله تكذيبهم في ذلك كما هو مبسوط
في التفسير بل هو صلى الله عليه وسلم نبي امي لم يعرف بشي من ذلك التعلم
والمدارسة والمطالعة والمجالسة اي مبني عن الله او منبيا لا عن مخلوق والامي
منسوب الى الام لانه كيوم ولدته امه او الى ام القرى او امة العرب لان القراة
والكتابة كانت عزيزة فيهم والامي الذي لا يكتب ولا يقرا الكتب وقيل هو الذي
لا يكتب وبما شرحناه علمت مناسبة ذكر النبي هنا وفي الحديث انا امة امية لا نحسب
ولا نكتب اي على جبلتنا لم نتعلم حسابا ولا كتابة فلا ينافي ما مر من علمه صلى الله
عليه وسلم بالحساب حتى شرح الله صدره اي وسعه ونوره بالعلم والحكمة وهداه
لكل خفي من العلوم وابان امره اي اظهر امره في العلم للناس بايانه الظاهرة ومعجزاته
الباهرة واقامته الحجج المتواترة وعلمه من لدنه العلوم المعهودة وغيرها واقراه
اي اقدره على القراة بما القاه او بما اوحاه اليه بواسطة الملك والاسناد
مجازي او المتجوز في الظرف كقوله سنقريك فلا تنسى بضم يا البنا للمجهول

وابان امره وجليه واقراه

ذلك

ذلك اي ما اطلعه صلى الله عليه وسلم من العقل والعلم من غير تعلم بالمطالعة اي بالاطلاع
على سيره صلى الله عليه وسلم وشمايله من كتب الحديث والبحث عن حاله وفي نسخة بين حاله
والظاهر الاول لتعديه بعن وهو بمعنى التفتيش عنه بالسؤال وغيره ضرورة مفعول به
بنزع الخافض متعلق بيعلم او من وقف على احواله صلى الله عليه وسلم علم ذلك بمجرد
التفات الذهن اليه من غير احتياج الى دليل وبالبرهان القاطع على نبوته صلى الله
عليه وسلم نظرا اي ويعلم ذلك ايضا بالبراهين القاطعة الدالة على نبوته لمن نظر فيها
فقوله بالبرهان معطوف على قوله ضرورة وعلى نبوته حال من البرهان ونظرا تمييز والنظر
اصله تقليب البصر للادراك ثم استعمل في التامل والفحص والمعرفة الحاصلة بعد الا
وهو المراد هنا اي من نظر في دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم علم قوة عقله وانه احاط
بعلوم لا نهاية لها فلا نطول بسرد الاقاصيص لسرد تعداد امور من القصص ونحوها
متتابعة متوالية مستفادة من سرد خلق الدرع وحبوك النسج والاقاصيص جمع اقصوصة
كاحدوثة بمعنى قصة او جمع قصص على خلاف القياس كما قاله التلمساني يقال قص
واقتص بمعنى اخبر والقصص اسم مصدر وقيل انه يحتمل ان يكون جمع اقصاص جمع
قصص كانعام واناعيم في جمع جمع صح نعم الا انهم تركوا استعمال اقصاص فانه لم يسمع
وفيه تكلف لا يخفى وآحاد القضايا آحاد بمد الهمزة جمع احد بمعنى مفردها وفي
العباب سئل ابو العباس عن الاحاد هل هو جمع للاحد فقال معاذ الله ليس للاحد جمع
ولكن ان جعلتها جمع الواحد فهو محتمل كشاهد واشهاد وليس للواحد تثنية
ولا للاثنين واحد من جنسه اثنى والقضايا جمع قضية وهي الجملة من الكلام الدالة
على معنى من الاحكام وهي قريبة من قول اهل الميزان القول المحتمل للصدق والكذب
الخبري اخص من الكلام والجملة ووزنها فعالى عند الكوفيين وفعايل عند البصريين
اذ يحوزها اي جميع قصصه وقضاياه ما لا ياخذه حصر اي ضبط واصل معنى
الاخذ حوز الشيء وتحصيله ثم استعمل بمعنى الغلبة والقهر كقوله لا تاخذه
سنة ولا نوم كما مر وهذا هو المراد هنا وجعل مجازا او كناية عن انه لا يمكن حصره
وكذا قوله ولا يحيط بمحفظ جامع اي لا يحفظ والاحاطة الاخذ بجوانب الشيء واريد
به ما ذكر و بحسب عقله قال البرهان هو في الاصل بسكون السين وينبغي ان يفتح
اي بقدر عقله وادراكه وقد يجوز فيه السكون لكنه ضرورة والذي في القاموس
هذا بحسب ذا اي بعدده وقد يسكن ولم يخصه بالضرورة كانت معارفه صلى الله
عليه وسلم جمع معرفة اي علومه اي ساير ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما يكون
وما كان اي متضمنة الجميع او باقي ما اطلعه الله عليه مما تقدم في الكون من
احوال الامم الخالية وكتبهم وشرايعهم وما اطلعه الله عليه من المغيبات التي
تاتي ولما كان مستحيلا له قدره بواسطة علمه بما يكون اقوى منها بواسطة علمه
بما كان قدم ما يكون في المستقبل على ما كان في الماضي مع سبقه اهتماما بشانه
ومقتضى الترتيب العكس وعجايب قدرته وعظيم ملكوته مجرور معطوف على علم
والمراد ما اطلعه الله عليه في الاسرا من خلق الملائكة والسموات واقداره
على ذلك في برهة من الزمن وقد مر ان الملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والجبروت

استدلال

ابن الحنبلي

ويطلق ويراد به عالم الامر ويقابله الملك قال الله تعالى وما يعزب وبك من شيء وانزل الله
عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما اي علمك ما لم يكن
من شانك وفي قدرتك علمه كالمغيبات والاطلاع على احوال الملكوت ولذا امتن عليه
صلى الله عليه وسلم بانه فضل عظيم فضله به على خلق فائق تعالى لانه كقولهم ما يكون
لك ان تفعل كذا اي لا ينبغي ولا يليق او لا يصح او لا يمكن ولذا اختتم الاية بهذه المنة
دون قوله في الاية الاخرى علم الانسان ما لم يعلم الا انه يبقى السوال حينئذ على الاية
الثانية بانه اي فائدة في ذكر هذا المفعول والتعليم معلوم انه لا يكون الا لغير
المعلوم وقال في عروس الافراح بعد ما ذكر ان لم النافية يجوز فيها اتصال النفي
وانفصاله وانهما اجتمعا في قوله وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم وفائدة ذكر المفعول
في قوله وعلمك ما لم تكن تعلم فان الانسان لا يعلم الا ما لا يعلم التصريح بذكر حالة
الجهل التي انتقلوا عنها فانه اوضح في الامتنان انتهى وفي حاشية السيرامي على المطول
ان الشارح قال في بعض دروسه الاولى ان يقول ما لم يكن يعلم كما في قوله تعالى
وعلمك ما لم تكن تعلم اذ لا فائدة في ذكر المفعول اذ التعليم انما يكون لما لم يعلم
ولم يكن فيه اشعار بانه لو لم يعلمه لم يحصل العلم لخفائه على غير علام الغيوب
وهو بعيد اذ ربما يتوهم حصوله من غير تعليمه تعالى ورد بانه كقوله تعالى
علم الانسان ما لم يعلم الاية فالاولى ان يحمل ذكره على افادة العموم لانه لئلا يتوهم
اختصاصه ببعض الافراد كقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه
للتاكيد فتذكر لكن قوله من البيان يابباه ويحتمل انه ذكر للسجع انتهى اقول
هذا كله كلام سطحي والذي ظهر لي في الاية ان جملة علم الانسان مفسرة للصلة
وما الموصول له عبارة عن الكتابة والقراءة فانه لما قال له صلى الله عليه وسلم
اقرا فقال ما انا بقارئ سواء اريد النفي او الاستفهام قال له كيف لا تقرا ولك
رب اكرم تفضل على عباده بنعم من اجلها ان كل انسان كان اميا مثلك في ابتداء امره
فعلمه الكتابة وقراءتها بالهامه فكيف لا يفعلك وانت من اعزهم عليه واقواهم
بصيرة فاي فائدة اتم من هذه وكل فعل متعد يدل على فاعل ومفعول التزاما
ولذا لم يعد ضرب ضارب وضرب المضروب فان اريد عموم او خصوص افادها
علم انه لو قال ما لم تكن تعلم او عقبه بما عقب به تلك الاية وذكره ثمة لانه
ورد في مقام خال عن اعتبار القوة والاجتهاد فلا يناسبه ذكر الكون المؤذن
بما يخالف ملكه ويؤيده قول الكرماني في قوله تعالى وما كان الله ليضيع
ايمانكم انه كان ذكرته للتاكيد لان معناه كما في الكشاف ما صح ويعني به نفي
امكان الاضاعة وهو ابلغ من نفي الاضاعة نفسها ومنه يعلم السر في انه
اردف قوله وعلمك ما لم تكن تعلم بقوله وكان فضل الله عليك عظيما
ولم يردف هذه به لما في الاول من المبالغة والتاكيد انتهى قد علمت ما فيه
مما تقدم وقوله خارق العقول في تقدير فضله عليه المذكور في هذه
الاية لانه لا يمكن الوقوف عليه ولذا وصفه بانه عظيم ونكره وما يكون
عنده تعالى عظيما كيف يعلمه سواه وحرست الالسن دون وصف يحيط بذلك

سيرامي

العقل

الفضل وما لا يدرك كيفية يوصف وفي قوله حسنة دون سكنة وصف مبالغة لا تتبعه
لينتفي سلب القوة الناطقة ثم توفي فقال اوينتهي اليه اي كيفية يحيط بها او يتصل اليه

**فصل** واما الحلم اي حلمه صلى الله عليه وسلم وهو ضبط النفس والطبع
عن هيجان الغضب وعدم اظهاره والاحتمال هو افتعال من الحمل وهو يكون على الظهر
وفي البطن فعرق بينهما لفظا ثم استعمل في التكليف كقوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به
وللصبر على المكاره وعدم التالم منها كما في المثل لا يحمل الخبث وهو المراد هنا
والعفو عدم المواخذة بالذنب ونحوه وهو قريب من المغفرة وبينهما فرق
تقدم مع العذرة وفي نسخة المعذرة بفتح الدال وضمها وميم مفتوحة
مصدر ميمي بمعنى العذرة ومن كلامهم المعذرة تذهب الحفيظة اي الغضب
والحمية والصبر على ما يكره وكان صلى الله عليه وسلم من هذا بمرتبة لا تدرك
وبين هذه الالقاب اي بين مسميات هذه الالقاب فرق يتميز بها عن غيره
واختلاف الى العرف لتقارب معانيها والمراد باللقب اللفظ الجامد الدال على صفة
لا ما اصطلح عليه النحاة وهو كما قال الراغب اسم يسمى به الانسان غير اسمه الاول
ويلاحظ فيه المعنى بخلاف الاعلام فان الحلم حالة توقر بفتح المثناة الفوقية وضم القاف
المشددة اي اظهار الوقار وهو السكون يقال هو وقور ووقار ومتوقر اي ساكن
غير مضطرب وثبات عند الاسباب المحركات كالغضب قيل ولا بد من اعتبار كون هذا
بسهولة حتى يخرج التحلم وان كان بعد الاعتياد يصير كذلك والاحتمال حبس النفس
عند الالام والمؤذيات اي ما يعتري بها من الالام بمد الهمزة جمع الم وهو ما يولم في اي عضو
كان والمؤذيات بالهمزة والواو والذال المعجمة جمع مؤذية والاذى كل ما يتأذى به
والمراد حبس النفس ضبطها حتى تخضع لسلطان العقل وتطيع لما يامرها به وفي
نسخة العز في رواية كما قاله التلمساني المرديات بالراء والدال المهملتين من الردى
بمعنى الهلاك ومثلها قيل المراد مثل المذكورات وقيل المراد مثل الاحتمال وانث
ضميره باعتبار انه حالة ولو قال ومثله كان احسن واسلم من التكلف الصبر فان معناه
لغة الحبس ومنه قتله صبرا اذا امسكه ليقتله في غير قتال وهذا يؤيد
ارجاع الضمير للاحتمال لان معانيها متقاربة قال الراغب الصبر الامساك
في ضيق وحبس النفس عما يقتضيه العقل او الشرع او عما يقتضيان
حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين اسمائه بسبب اختلاف
مواقعه فان كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع وان
كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في نائبة تضجره سمي رحب الصدر
ويضاده الضجر وان كان في الكلام سمي كتمانا ويضاده الذل انتهى ومنه تعلم ان
له معنيان خاص وعام فلو حمله المصنف على الخاص غاير اخويه وهو الاولى واما العفو
فهو ترك المواخذة بالهمزة وبالواو غير فصيحة وهي الجزاء على ما فعل غيره قيل
وفي تفسيره بالترك اشعار بانه لا يكون الا عن قدرة لان من لا يقدر عادة
لا تارك فتقييده به او لا للتاكيد كنظيره عقيبه كقوله
وان في الحلم ذلا انت عارفه • والحلم عن قدرة فضل من الكرم •

ابن الحنبلي

دلجي

ابن الحنبلي

لانه ان لم يكن عن مغدرة فهو عجز ٭ وما احسن قول ابن زيدون ٭

اري الدهر ان يبطش فمنك بيمينه ٭ وان تبتسم الدنيا فانت لها ثغر ٭

عطا ولا من وحكم ولا هوي ٭ وحلم ولا عجز وعز ولا كبر ٭

وهذا كله مما ادب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم اي اداب ومحاسن علمها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وارشده لعد ما خلق فيه استعداد تمامها كما قال ادبني ربي فاحسن تاديبي وهو احد الحكم في كونه صلى الله عليه تزكي يتيما حتى يعلموا ان ربه مرتبه من غير حاجة لامه وابيه فقال خذ العفو وامر بالعرف الاية وتمامها واعرض عن الجاهلين وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق اي تعاطى العفو عن الناس وترك مواخذتهم وفي عدوله عن اعف الاظهر الاخصر نكتة تعرفها من له المام بالادب كما ان في قوله وامر بالعرف دون اعمل اشارة الى انه متصف به مركوز في جبلته ومن تامل مثله استخرج منها فوايد لا تحصر ومنهم من فسر العفو بالمساهلة وترك المواخذة والبحث عن مداوم الاخلاق وامر بالاخذ ما سهل من اخلاق الناس وافعالهم من غير كلفة وطلب لما يشق واعترض عليه بانه غير مناسب لقوله وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية وهذا الحديث كما قاله السيوطي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وابو الشيخ في تفاسيرهم وابن ابي الدنيا في مكارم الاخلاق ووصله ابن مردويه من حديث جابر رضي الله عنه وعزا الشيخ قاسم للبخاري عن عبد الله بن الزبير في قوله خذ العفو انه قال ما انزل الله هذه الاية الا في اخلاق الناس وله في رواية اخرى تعليقا عن عبد الله قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اقوال الناس او من اخلاق الناس واما قوله واعرض عن الجاهلين اي عن معايبهم ولا تمارهم فان كان شاملا لمداراة الكفار فهو منسوخ باية السيف وان كان امرا بمكارم الاخلاق وعدم مقابلة من سفه فليست منسوخة قيل ويعني هذا ما رواه البخاري من ان عيينة ابن حصن استاذن له الحر بن قيس من عمر رضي الله عنه في الدخول فدخل عليه عليه وقال له يا ابن الخطاب اما تعطينا الجزل وتحكم بيننا بالعدل فغضب عمر رضي الله عنه فقال له الحر يا امير المومنين ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو الاية وان هذا من الجاهلين فما جاوزها عمر رضي الله عنه وكان وقافا عند كتاب الله فهذا يدل على انها غير منسوخة وليس كما قال فانه يجوز ان يكون استشهد بها السهو لها غير الكفار لان هذا هو معناها فقط سال النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام عن تاويلها اي تفسيرها وبيان المراد منها فانه احد معنيي التاويل فقال له حتى اسال العالم يعني الله عز وجل والعالم والعليم من اسماء الله ويوصف بهما غيره تعالى اما الاول فظاهر واما الثاني في حق الله فظاهر ٭ واما في غيره فكقوله ٭

فان تسالوني بالنسا فانني ٭ عليم بادوا النسا طبيب ٭

والثاني في حق الله اشهر وقيل المراد بالعالم الكامل في العلم كما في قوله

ابن الحنبلي

عيينة

ذكر

ذلك الكتاب ويختص به فانه مساو لهذا المعنى للعليم واما العليم فاطلاقه على غير الله
لم يسمع والشعر المذكور لابن الوردي وهو من المتاخرين لا يستشهد لتنبه وهذا الحديث
يكفي شاهدا لاطلاق العالم على الله فهو كاف كما في ثبوته اقول هذا العجيب من مثله وفيه
من الخلط ما لا يخفى اما قوله ان الشعر المذكور لابن الوردي فافترا عليه لانه شعر فصيح
لبعض العرب وهو مذكور في الشواهد واما استدلاله على العالم بالحديث وهو مذكور
في القران كقوله عالم الغيب والشهادة فهذا يغني عنه العجب واما قول جبريل عليه الصلاة
والسلام حتى اسال العالم دون اسال الله فكانه تادب منه لايهام انه لا يسال الله بالذات
فكان بينه وبينه واسطة اي من هو عالم بالتفسير وفيه ارشاد لمن سئل عن شي لاسيما
القران فينبغي ان يتثبت فيه وفي جبريل تسع لغات جبريل بكسر الجيم وجبريل بالفتح
وجبريل بالفتح مهموزا مشددا اللام وجبرائيل بهمزة بعد الالف وجبرئيل مفتوحا
بهمزة بلا الف وياء وجبريل وجبرين بنون وفتح الجيم وكسرها وفيه لغات اخر وقال
الجوهري والازهري وكثير من المفسرين في جبريل وميكائيل ان جبر وميك معناهما عبد
وايل وال اسم الله وقال ابو علي الفارسي هذا خطا لان ال لم يذكر احد انه من اسما
الله ولانه لو كان كذلك كان عبد الله يلزم اخره حالة واحدة ولا يعرب بحسب العوامل
قال النووي وهو الصواب ولا يخفى ما فيه فان ال اذا كان اسما لله فهو سرياني فلا يا باه
عدم معرفة العرب له واما اعرابه فلانه لما عرب غير ما كان عليه وجعل اسما واحدا
ولذا رجعوه لاوزانهم والعرف هو الخصال المحمودة لا العرف الشرعي كما توهم
فاتاه العام فصيحة اي انفصل عنه وفارقه ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يامرك
ان تصل من قطعك الظاهر ان المراد به صلة الرحم والرحم بمعنى القرابة وصلتهم
بالاحسان اليهم وفعل الجميل وقوله كالهدية والزيارة وارسال السلام ونحو
ذلك وضده قطع الرحم ويحتمل التعميم لتعليم الخلق وترك التهاجر المنهي عنه
كما في قوله وتعطي من حرمك يقال حرمه واحرمه بمعنى اي احسن الى من لم يحسن
اليك وهذا ارشاد له صلى الله عليه وسلم ولامته وان كان لا يرجو غير الله واحسانه
وتعفو عمن ظلمك هذا معنى قوله خذ العفو وما قبله معنى وامر بالعرف ولم
يتعرض لقوله واعرض عن الجاهلين اما لظهوره او للاشارة الى انه في بعض النسخ
او لان المراد بالجاهلين من قطع وظلم وهذا اشارة الى اصول الاخلاق واعظمها
واحبها الى الله فتدبر وقال له واصبر على ما اصابك الاية وهذه الاية
من وصية لقمان لابنه اذ قال له يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن
المنكر كما قصه الله في كتابه الكريم وكل ما قصه الله من قصص الانبياء عليهم
الصلاة والسلام فهو ارشاد لنبينا صلى الله عليه وسلم ولامته فكانه مما امر
به ابتدا فلا يتوهم انها ليست في حقه اي اذا امرت بمعروف ونهيت عن منكره
واصابك بسبب ذلك مكروه فاصبر له وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
قال العز بن عبد السلام اولوا العزم اولوا الجد والجهد والصبر وهم المامورون
بالجهاد او الرسل من العرب وقيل من لم تصبه فتنة وقيل من اصابه بلا بغير
ذنب وهم نوح وابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابراهيم وموسى

ابن اقرس

وداود وسليمان وعيسى ومحمد وقيل هم المذكورون في الانعام في قوله اولئك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده الا يونس كصاحب الحوت انتهى ولا ينبغي عد محمد صلى الله عليه
وسلم هنا لقوله كما صبر وهم كلهم من الرسل وقد علمت انه اختلف فيهم فقال مجاهد
هم خمسة وهم اصحاب الشرائع وقيل ثلاثة وقيل ستة وقيل جميع الرسل اولوا عزم
وقيل كل الانبيا عليهم الصلاة والسلام اولوا عزم الا يونس لعجلته والفا في
قوله فاصبر فصيحة لان قبلها ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي اذا كان عاقبة
الكفرة ما ذكر فاصبر وقد صبر صلى الله عليه وسلم مثل صبرهم وزاد عليهم ومن
في من الرسل بيانية او تبعيضية والخلاف دائر على تفسير العزم بالصبر كما هو ظاهر
الاية او الجد والاجتهاد او الجهاد وقال وليعفوا وليصفحوا الاية الا تحبون
ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم العفو عدم المؤاخذة بالذنب والصفح الاعراض عنه
وعن ذكره لان من اعرض عن شيء ولاه صفحة عنقه وهذه الاية وان نزلت في الافك
وفي حق ابي بكر رضي الله عنه اذ كان ينفق على مسطح لقرابته منه فلما خاض في الافك
آلى انه لا ينفق عليه فقال الله ولا ياتل اولي القربى والمساكين الخ فقال
ابو بكر رضي الله عنه بلى والله اني لاحب ان يغفر الله لي وعاد الى انفاقه عليه
فالنبي صلى الله عليه وسلم داخل في عمومها كما في سائر الخطابات فلا يرد على
المص ان هذه الاية ليست في حقه صلى الله عليه وسلم وقال ولمن صبر وغفر
ان ذلك لمن عزم الامور اي من اهم الامور التي ينبغي التصميم والعزم عليها
واللام موطئة للقسم ان قلنا ان من شرطية او لام ابتداء ان قلنا انها موصولة كما
فصله المعربون وهذه الاية مع ما قبلها كما علمت نزلت في ابي بكر رضي الله عنه
وقد شتمه بعض الانصار واستشهد بها المص على انه صلى الله عليه وسلم كان
آخذا بذلك معتمدا عليه ولا خفا بما يؤثر من حلمه واحتماله البا بمعنى في ونؤثر
بمعنى ينقل ويروى من حلمه وتحمله للاذى فانه شائع غير خفي على احد وان
كل حليم اي ولا خفا ان كل حليم غيره صلى الله عليه وسلم قد عرفت منه زلة
بفتح الزاي المعجمة وهي الخطيئة والسقطة قال الشاعر

فمن لا تزل له ليس تعدها ● هفو وزلات الناس كثير ●

وحفظت عنه هفوة بفتح الهاء وسكون الفا وهي قريبة من الزلة معنى
وقال التلمساني هي بالفا وهو اكثر وبالقاف وهي السقطة وهو قريب
منه وهي من هفا بمعنى زل وسقط او تحرك واسرع وهو صلى الله عليه
وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما جملة
حالية اي مع انه لا بد من الزلة والهفوة في الغضب والمكارم فهو صلى الله
عليه وسلم لا يزداد مع ذلك الا صبرا وحلما والمراد بالجاهل ليس ضد العالم
وان كان اشهر معنييه بل هو السيء الخلق المجازف في اموره قال
الشاعر

الا لا يجهلن احد علينا ● فنجهل فوق جهل الجاهلينا ●

فالجهل بهذا المعنى خلاف الحلم ويتعدى بعلى وقد تترك تعديته

كقول

كقول الحماسي وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان ● وقال بعض الحكما لا يحملنك تسلط الجهول
لك وجراة السفيه عليك على الاجابة له وقريب عليه تحلم يعني صبر كثير من سفه لسفيه
مدرك وهو مما يدل على مغايرة الحلم للصبر وان كان مقاربا له كما مر وهذا هو المعروف
عند العرب في الجهل والاسراف بمعنى الزيادة ومجاوزة الحد حدثنا القاضي ابو عبد
الله محمد بن علي التغلبي وغيره هو محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمد بن [illegible] التغلبي
التغلبي بفتح المثناة الفوقية وسكون الغين المعجمة منسوب لتغلب اسم قبيلة سميت
باسم ابيهم كتميم ولامه مكسورة تفتح في النسب سمع شيوخا شاما من توالي كثيرين وولد
سنة تسع وثلاثين واربعمائة ومات يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان
وخمسمائة ودفن يوم الجمعة بعد صلاة العصر وكان فقيها ثقة تولى القضا
في ايام المرابطين ولاه يوسف بن تاشفين فسار باحسن سيرة وبقي فيها مدة عمره وسمع من
شيوخ الاندلس واخذ عنه المقري في رحلته لقرطبة قال الواحد نا محمد بن عتاب بفتح العين
المهملة وتشديد المثناة الفوقية والف وباموحدة وهو ابن محسن الجذامي المحدث
الفاضل توفي ليلة الثلاثا لعشر بقين من صفر سنة اثنين واربعمائة قال حدثنا ابو بكر بن
واقد القاضي وغيره هو يحيى بن عبد الرحمن بن واقد بالقاف والدال المهملة علم منقول
من الواقد بمعنى القادم قال ابن سهل في احكامه كان ابن واقد متقدما في اصحاب ابن زرب
توسط بعد موته والزم داره ثم اعاده المنصور بن سليمان الى مرتبته وجعله اماما
بجامع الزهرا ثم وقعت له امور اقتضت موته في الحبس ودفن بمقبرة الربض سنة
خمسين واربعمائة وانتصر الله من قاتله بعد ايام وفي بعض الحواشي انه وقع هنا
في اصل السماع واقد بالفا وفيما سياتي في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم واقد بالقاف وهو الصواب والاول هو الذي صححه البرهان الحلبي والتلمساني
قال حدثنا ابو عيسى هو الليثي واسمه يحيى بن عبيد الله بن ابي عيسى يروي عن
ابيه عبيد بن يحيى توفي لعشرين مضين من رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائتين
قال حدثنا عبيد الله قال البرهان الحلبي هو ابو مروان عبيد الله بن يحيى بن
يحيى بن كثير قال حدثنا يحيى بن يحيى قال البرهان الحلبي هو يحيى بن كثير الليثي مولاهم
البربري المصمودي القرطبي الفقيه ابو محمد عالم الاندلس لم يخرج له في الكتب الستة
شي والموطا مشهور به وموطاه اصح نسخ الموطا وقد سمعته بحلب واقرانه بالاسكند
اما الذي له ذكر في البخاري ومسلم والترمذي والنسايه فهو يحيى بن يحيى بن بكر
ابن عبد الرحمن بن يحيى بن حماد التميمي ابو زكريا النيسابوري احد الاعلام انتهى
قال نا مالك بن انس بن مالك بن ابي عامر الاصبحي امام دار الهجرة ومن اليه
الرحلة بها صاحب المذهب الجليل واختلف فيه هل هو تابعي او من تبع التابعين
ولد سنة ثلاث وتسعين وتوفي في ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة
ومات وهو ابن ستة وثمانين واختلف في جده ابي عامر هل له صحبة ام لا عن
ابن شهاب هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري توفي سنة اربع
وعشرين ومائة وقيل غير ذلك عن عروة بن الزبير بن العوام اخو عبد الله
ابن الزبير احد فقها المدينة السبعة روى عن ابويه الزبير واسما بنت ابي بكر

ربع

وخالته عائشة رضي الله عنهم وغيرهم وتوفي في سنة اربع او خمس وتسعين بعد المئة
وولد سنة اثنتين وعشرين وهذا الحديث صحيح في الصحيحين والموطا واختار المصنف
رحمه الله طريق الموطا فقال عن عائشة ام المومنين قرينة الصدق وبنت الصديق
رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار
ايسرهما قال البرهان هذا ما اخرجه المصنف من موطا مالك عن يحيى بن يحيى
وقد اخرجه البخاري ومسلم واصحاب السنن ولم يروه المصنف من غير هذه الطريق
لانه امام مذهبه ولاهل الغرب اعتنا به وترجيحه على غيره من كتب السنة ولان
سنده فيه من هذه الطريق اعلى من سنده في غيره لان بينه وبين مالك في هذه
الطريق ستة بالسماع وبينه وبينه في رواية الصحيحين سبعة وفي احد اوستة
الا انه بالاجازة فلذا اختار هذه الطريق على غيرها لما لها من اتصال عنده وفي هذا
الحديث الاخذ بالاسهل والارفق ما لم يكن حراما او مكروها ونقل النووي عن المصنف
انه يحتمل ان يكون تخييره هنا من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان او فيما بينه وبين الكفار
من القتال واخذ الجزية او في حق امته في المجاهدة في العبادة والاقتصاد فيها
فيختار الايسر واما قوله ما لم يكن اثما فيتصور اذا خيره الكفار والمنافقون
اما اذا كان التخيير من الله او المسلمين فيكون الاستثنا منقطعا انتهى قال
بعض الشراح انه فهم من قوله ما لم يكن الخ اي موجب اثم من حرام او مكروه
ما يفهم من الاستثنا فسماه استثنا وجعله منقطعا لاستحالة ان يخيره الله او خلص المومنين
بين امرين احدهما اثم وهو مبني على ان ما في معنى الاستثنا له حكم الاستثنا الاترى
الى قول النحاة ان قولك لالزمنك او تقضيني حقي بمعنى لا ان تقضيني حقي
فكانه قال هنا الا ان يكون اثما فان قلت هذا مناف لما ورد ان افضل العبادة
احمزها اي اشقها على البدن فكيف يختار غير الافضل قلت انما كان صلى
الله عليه وسلم يوثر الايسر لامته تخفيفا عليهم لا في حق نفسه لانه
ارسل بالحنيفية السمحة ولذا كان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورمت
قدماه ويويده مع ما في نفس الامر قوله في عجز الحديث انه صلى الله عليه وسلم
ما انتقم لنفسه يعني ان التخيير بين الاثم وغيره من العباد يتصور واما من الله
فلا فاذا اول بما يوجب الاثم او يفضي اليه في حق غيره صح او المراد بالاثم ما لا يليق به
صلى الله عليه وسلم لعصمته كما اذا خير بين ملك كنوز الارض وعيش الكفاف
ويدل على انه في حقه قوله فاذا انما كان ابعد الناس منه اقول قال العز بن
عبد السلام وتبعه الزركشي في قواعده ان قولهم الاجر على قدر المشقة
وما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها اجرك على قدر نصبك كما في مسلم ليس
على اطلاقه انما هو اذا اتحد العملان في الشرف والشرايط والسنن وكان
احدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة وذلك كالغسل في الصيف والشتا
اما اذا لم يتساويا فلا فان الايمان افضل من الاعمال مع خفته والمختار ان فضل
الاعمال انما هو بالمصالح الناشية عنها فتصدق البخيل افضل من قيامه الليل
وانقاذ الحاكم مظلوما بكلمة افضل من قيامه الليل وصيامه النافلة

انتهى

في أمرين

ابن الحنبلي

انتهى وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه فلا حاجة لما اطال وابه من غير طائل وما انتقم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه اي لا يعاقب احدا بنفسه ووقع منه بحقه
بحيث يكون فاعله لم يخالف امر الله فيما فعله لانه بري من الحظوظ النفسانية والاعتبارات
الدنيوية الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها اي بسبب حرمة الله وانتهاكها وحرمة
الله ما حرمه او جعله محترما ممنوعا وانتهاكه التعدي والتجاوز فيه من نهكت الثوب
اذا لبسته حتى اخلقته ويقال نهكته الحمى اذا اضعفته واضنته فانتهاكها تناولها
بما لا يحل وانتهك فلان محارم الله اي فعل ما حرم الله فعله عليه لما فيه من ضعف
الدين وابتذال الحكم وليس الانتهاك المبالغة في اثبات ما حرمه الله كما توهم حتى يرد
انه لا يغضب لمجرد فعل محرم او صغيرة مرة واحدة ويحتاج الى الجواب بان من فعل ذلك
فقد بالغ في الجراة على الرب العظيم او يقال انه كان يغضي عند فعل الصغاير ويغضب
اذا فعلت الكباير فان هذا مما لا ينبغي فانه كيف يخطر بالبال انه صلى الله عليه وسلم
يغضي عن الصغاير من غير عذر لفاعلها ولا حاجة ايضا الى حمل هذا على ما يتعلق
بالمال فانه صلى الله عليه وسلم انتقم ممن نال من عرضه كما امر بقتل ابن ابي
معيط والاخطل واي حرمة لله اعظم من حرمة نبيه صلى الله عليه وسلم ومن
اذاه فقد اذى الله وانما المراد ما كان يقع من بعض جفاة الاعراب كالاعرابي الذي
امسك بردائه وجبذه حتى اثر في جيده الشريف وقول بعضهم له كما يأتي اعدل
في القسمة فانك لن تعطي من مالك ونحو ذلك مما صدر منهم لغلظة طباعهم
مما لا يفضي الى ارتكاب محرم فمن ارتكب شيئا من محارم الله بحضرته صلى الله عليه
وسلم التي من جملتها احترامه انتصر وعاقبه لله لا لحق نفسه وان تعلق بها
انتقاما للدين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما كسرت رباعيته رباعيته بوزن ثمانية سن بين الثنية والناب من اليمين
واخرى من اليسار ويقابلها مثلها من فوق فالرباعيات اربع وشج وجهه
يوم احد الشجة جراحة في الوجه او الراس شق ذلك الكسر والشج على اصحابه
شديدا اي حصل من ذلك في نفوسهم مشقة وامرا شديدا عظيما وقالوا له صلى الله
عليه وسلم لو دعوت عليهم اي على الكفار بان يهلكهم الله ويستاصلهم باشد
العذاب فقال اني لم ابعث بالبنا للمجهول اي لم يبعثني الله لعانا اي داعيا على
الناس بالطرد والبعد من رحمة الله ولكني بعثت داعيا للناس الى الله ورحمة للناس
اجمعين باخراجهم من الكفر للايمان وبتاخير العذاب عمن كفر لا لطردهم عن
رحمة الله وابعادهم عنه ثم قال داعيا لهم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
دعا لهم ان يهديهم الله للاسلام فانهم لا يعلمون طريق الحق ولا معرفة قدر
نبيه صلى الله عليه وسلم وما يريد بهم من الخير ولو علموا ذلك لم يصدر عنهم
ما صدر وفي سيرة ابن هشام وغيره ان عتبة بن ابي وقاص رماه صلى الله
عليه وسلم فكسرت رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد
الله بن شهاب الزهري شجه في وجهه الشريف وان ابن قمئة جرح وجنته وفي
الروض الباسم انه صلى الله عليه وسلم فدخلت حلقتان من المغفر وجنته الرفيعة

عرضي

وفي الروض الباسم انه صلى الله عليه وسلم اصيب وشج جبينه وكسرت رباعيته برمية
عبد الله بن قمئة وضربته بالسيف على شقه الايمن فجرح وجنته ودخلت فيه حلقتان
من المغفر وشقت شفته السفلى وصرخ ابن قمئة ان محمدا قد قتل وقد اختلف
في اسلام عتبة بن ابي وقاص اخي سعد بن ابي وقاص والصحيح انه لم يسلم وابن
شهاب اسلم واما ابن قمئة فنطحه تيس فتردى من شاهق فهلك وكل شيء اتاه من
جنسه ويقال ان حاطبا اتبع عتبة فقتله ولم يولد احد من نسل عتبة الا كان اهتم
وشري خزيه لعقبه فمجور اولاده لا يفي بفساء جدهم وقد قالوا ان رباعيته صلى
الله عليه وسلم لم تنكسر من اصلها وانما شطبت وذهبت منها فلقة وكانت فاطمة
رضي الله عنها تغسل دمه وعلي كرم الله وجهه يصب عليها الماء بالمجن فلما رأت
فاطمة ان الماء يزيد الدم كثرة اخذت قطعة من حصير واحرقتها وذرتها عليه
فامسك الدم وكسرت البيضة التي على راسه الشريف وقال الامام الحيدري
في حاشيته ان هذا كان قبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس والمراد
عصمته صلى الله عليه وسلم من القتل لا من مطلق الاذية كما مر بيانه ذكره وما
احسن قول ابن الفارض رحمه الله تعالى في الاشارة لذلك

عيني جرحت وجنته بالنظر ٥ مرة فتنها فانظر لحسن الاثر ٥
لو راجت وقد جنيت ورد الخفر ٥ الا ترى كيف انشقاق القمر ٥
وذيل عليهم بعضهم فقال ٥ ٥ ٥ ٥
وما شق وجنته عابثا ٥ ولكنه اية ساطعة للبشر ٥
جلاها لنا الله كيما نرى ٥ بها كيف كان انشقاق القمر ٥

وبقية قصة احد وما فيها مفصل في السير مشهور فلا يكثر السواد به
كما في الشرح الجديد تنبيه قال الامام السمرقندي في تفسير قوله عز
وجل ويقتلون النبيين بغير حق طعن الملحدة لعنهم الله وقالوا ان الله عرضي
اخبر ان الكفار قتلوا الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقد قال الله تعالى
انا لننصر رسلنا وقال انهم لهم المنصورون وما في معناه من الايات
ومن كان الله ناصره فهو منصور ابدا فما بالهم قتلوا فهو تناقض واجيب
بوجهين الاول انه لم يثبت في الكتاب ولا في خبر متواتر قتل رسول من الرسل
الذي اخبر الله بنصرهم وانما ثبت قتل الانبيا لان الرسل هم الذين اوتوا المعجزات
لاظهار الدين الحق ودعوة الخلق فكان عصمتهم عن القتل من اياتهم الحسنة
الدالة على صدق دعواهم الرسالة ولان القتل مما يوهن دعوتهم
بخلاف الانبيا اذ ليس لهم دعوة وشريعة والثاني ان المراد النصرة بالحجج
لا بالعصمة انتهى وعن عمر رضي الله عنه قال السيوطي رحمه الله انه
هذا لا يعرف عن عمر في شيء من كتب الحديث وبيض له الشيخ قاسم في
تخريجه لاحاديث هذا الكتاب فانه لم يقف له على اصل ايضا وتقدم ما فيه
انه قال في بعض كلامه اي كلام قاله له لما راى ما اصابه صلى الله عليه وسلم
من كسر رباعيته وشجه في غزوة احد بابي انت وامي يا رسول الله هذا

الجار

الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره افديك وتسمى هذه الباء باء التفدية ومعناه اي اجعل
ابوي فداء لك وابذلهما في حمايتك بمنزلة الرجل لمن هو اعز عليه من نفسه واهله وماله
لانهم كانوا يبذلون الانفس في صيانة اهلهم وقد تكلم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم
وهذه الكلمة جارية مجرى المثل في ذلك وقد يظهرون متعلق الجار والمجرور والفدا
بكسر الفاء والمد وفتحها مع القصر فكاك الاسير يقال فداه يفديه فدا وفدى وفا
اذا بذل فداه وفداه بالتشديد اذا قال جعلت فداك وهي كلمة تقال في التعظيم داه
وتدخل الباء على المبدول المفدى به وقد يعكس كما في قوله
فديت بنفسه نفسي ومالي • وما الوك الا ما اطيق •
وجعله في المغني من المقلوب كعرضت الناقة على الحوض وقد جرى عمر رضي الله عنه
في هذا على ما تداوله العرب والا فهو صلى الله عليه وسلم حقيق بان يفدى بالنفوس
فضلا عن الاباء والامهات ولقد قال الاخر •
لنفسي الفدا لقبر انت ساكنه • فيه العفاف وفيه الجود والكرم •
فانظر قصة علي كرم الله وجهه اذ فداه بنفسه ونام مكانه لما هموا بقتله صلى
الله عليه وسلم وهو اول من اشترى نفسه من الله كما مر ومقامه دون عمر رضي
الله عنه كما هو معلوم لقد دعا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه فقال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وانما قال عمر رضي الله عنه هذا لان
مشربه كان مشرب نوح عليه الصلاة والسلام كما ان مشرب الصديق رضي الله عنه
كان مشرب ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وتذر كتدع بمعنى تترك
وديار بمعنى احد وهو مختص بالنفي تقال ما في الدار ديار وديور اي احد
واصله ديوار فاعل اعلال سيد وميت وادغم والفا عاطفة للمفصل على المجمل
ولو دعوت علينا اي على الناس كلهم مثلها اي مثل دعوة نوح عليه الصلاة والسلام
لهلكنا من عند اخرنا هذا التركيب وقع في كلام العرب والمراد به من اولنا الى اخرنا
اي جميعنا ولشراح الكشاف فيه كلام فقيل تقديره من اولنا الى اخرنا كما ذكر
وعند مقحمة وقيل من بمعنى الى وقيل انه كناية عن هلاك الجميع لانه لا يكون
الهلاك عند اخرهم الا اذا شملهم جميعا فان اردت تحقيقه فانظر شروح الكشاف
في اول سورة البقرة فلقد وطئ ظهرك الوطئ الدوس بالقدم وفي الشرح
الجديد انه لم ينقل ان احدا من المشركين وطئ ظهر رسول الله صلى الله
عليه وسلم نقدمه ولعله عبارة عما روي في السير من انه صلى الله عليه
وسلم كان يصلي عند البيت وثمة كرش ذبيحة فيها فاذ ورات فقال ابو
جهل لعنه الله لجماعة جالسين ثمة الا رجل يقوم الى هذا القذر
فيلقيه على محمد وهو ساجد فانبعث اشقاها وهو عقبة بن ابي معيط
فالقاه عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف وكانوا ابا جهل وعتبة بن
ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن ابي معيط وامية
ابن خلف وعمارة بن الوليد وهم المستهزئون فاهلكهم الله جميعا فاما

ان يكون سمي هذا او طالما فيه من الاهانة الشديدة كما سمي الغز وطيا او وقع هذا
في قصة لم نقف عليها وادمي وجهك اي جرح في وقعة احد تعالى ادميته اذا اخرجته
فاسلت دمه والذي فعل به صلى الله عليه وسلم عتبة بن ابي وقاص اخو سعد
كما مر وفيه يقول حسان رضي الله عنه

اذا الله جازى معشرا بفعالهم • ونصرهم الرحمن رب المشارق
فاخزاك ربي يا عتيب بن مالك • ولقاك قبل الموت احدى الصواعق
بسطت يمينا للنبي تعمدا • وادميت فاه قطعت بالبوارق

وشج وجهك وقع في نسخة التلمساني زيادة هذا هنا وقد نشبت وجنته وجبهته
باحد فدخل في وجنته صلى الله عليه وسلم حلقتا الدرع فنزعهما بفيه ابو
عبيدة بن الجراح رضي الله عنه حتى سقطت ثنيته والذي جرحه عبد الله
ابن قمئة فقتل لحينه بتيس وتردى من شاهق فمات كما مر وقيل انما
هو عتبة بن ابي وقاص فادركه حاطب فقتله كما مر وجا لفرسه وكسرت رباعيتك
تقدم بيانه وما فيه وعليه فابيت ان تقول الا خيرا اي لم تدع عليهم كما دعا نوح
عليه الصلاة والسلام على قومه ثم فسر الخير بقوله فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم
لا يعلمون الحق ولا يهتدون الى الصواب وفي النسخ المروية هنا اللهم اهد قومي
وهي مفسرة للرواية الاولى على ان المراد بالمغفرة سببها وهو الهداية او التقدير اللهم
اهدهم واغفر لهم فلا يرد عليه ما قيل ان الدعا المذكور صدر منه صلى الله عليه وسلم
باحد وكانت على احد وثلاثين شهرا من الهجرة فكيف يسال لهم المغفرة وهم كفار وقد
نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية ولو قلنا ان مغفرة الشرك جائزة عقلا عند
بعض المتكلمين فانه ممنوع شرعا فما وجه وقوعه في كلام الشارع صلى الله عليه
وسلم ولا حاجة الى الجواب بان هذه الاية من سورة النسا وهي مدنية فلعلها
او هذه الاية مخصوصة بها فيجوز ان دعاه صلى الله عليه وسلم كان قبل نزولها
وقبل علمه بمنع الدعا لهم بالمغفرة لجوازه سوا قلنا انه في ما نزل بالمدينة
او بعد الهجرة او المراد مغفرة ما وقع منهم من كسر الرباعية ونحوه لا مغفرة الشرك
وقيل هذا انما صدر من النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الحكاية عن نبي كان قبله
كما رواه مسلم في صحيحه قال عبد الله بن عباس كاني انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم
يحكي عن نبي من الانبيا ضربه قومه وشجوه فكان يمسح الدم عن وجهه ويقول
رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ومثله في البخاري والمراد بهذا النبي
نوح عليه الصلاة والسلام فانه كان يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في
بيته يرون انه قد مات ثم يخرج ويدعوهم الى الله فلما ايس منهم دعا
عليهم فالنبي صلى الله عليه وسلم لما وقع منه ما وقع حكى ذلك عنه تسلية
له وللمؤمنين وقوله لقومي ذكر نسبتهم له تحننا عليهم وبيانا لسبب ذلك
وجا الرحمة الله لهدايتهم واضافتهم اليه موافقة لما في نفس الامر وان قيل
انه ليس من اهلك كما لا يخفى وقوله فانهم لا يعلمون اعتذار لهم بالجهل
الحقيقي او بما هو في حكمه لعدم جريهم على مقتضى علمهم كما تقول للتارك

ابن الحنبلي وغيره

الصلاة الصلاة واجبة والجهل وان لم يكن مع مشاهدة هذه الايات الباهرة عذرا
شرعا فليس بمنج من العذاب وقد اختلف فيما قبل البعثة ايضا كما هو معلوم في
كتب الاصول لكنه جرى فيه على حكم الظاهر تضرعا الى الله ان لا يعجل عذابهم ويمهلهم
حتى يكون منهم مؤمنين او من ذريتهم وقد حقق الله رجاءه لا انه جعل ذلك
عذرا حقيقيا لهم فلا يرد هنا شيء كما توهمه بعضهم قال القاضي ابو الفضل
اي الامام عياض رحمه الله انظر ما في هذا القول المذكور في كلامه رضي الله عنه
في الحديث الذي قبله من جماع الفضل الجماع بكسر الجيم ما يجمع كل امر الجمع جماع
الاثم ومظنته ودرجات الاحسان بالجر معطوف على الفضل اي ما يجمع مراتب الاحسان
وكذا قوله وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم ففيه ما يدل على نهاية
هذه الصفات اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم مع ما فعلوه
معه صلى الله عليه وسلم مما لا يتحمل بعضه احد فضلا عن اعز الناس نفسا
واشرفهم واعلاهم حسبا ونسبا وجرح ذوي العزة اشد مضاضة على النفس
من وقع الحسام المهند حتى عفا عنهم مع عظيم جرمهم في حقه اذ قال اي
لم ابعث لعانا ثم اشفق الشفقة عليهم اي ابدا شفقته ورحمته لهم
ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر واهد كما مر بيانه مفصلا ثم اظهر
سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي فان الطبع البشري يقتضي العطف
والحنو على الاهل والاقارب باي حال كانوا ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم
قوم لا يعلمون وقد تقدم بيانه وتنبيههم اليه ليبلغهم ذلك فتنشرح صدورهم
لاجلها فيختاروا الايمان على الكفر ولذا لم يعبر بالجهل بل بعدم العلم تحسينا
للعبارة ليجذبهم بزمام لطفه الى الايمان ويدخلوا حرم الامان وان كان
جهلهم لا يعتد به لعدم اتضاح برهان التوحيد وقيام الحجة الباهرة بالمشاهدة
والتواتر الا انه اعتذار ظاهري اعتبره سعيا في تسخير قلوبهم والا فهم
عالمون جاحدون مكابرون وليس لهم عذر يقبل شرعا كما مر تفسيره
ولما قال له الرجل هو ذو الخويصرة التميمي ويقال له حرقوص بن
زهير رأس الخوارج قال البرهان قتل يوم النهروان كما في تجريد الذهبي
وفي صحيح البخاري هو عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي قال في المقتفي
ولعلهما قالاه والصواب ان والده هو القائل والنهروان بفتح النون
والهاء اسم موضع فارسي معرب قال الطرماح
قل في شط نهروان اغتماضي ● ودعاني هوى العيون المراضي ●
وحكى الجواليقي انه سمع من العرب ضمهما وكان حرقوص مع علي كرم الله وجهه
في حروبه ثم اتبع الخوارج وزعم بعضهم انه ذو الثدية وليس كذلك ومقول
القول اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله اي كن عادلا فيما
قسمته فان هذه القسمة ليست عادلة موافقة لامر الله ولرضاه والمقسوم
كان من غنائم خيبر او تبرا ارسله علي بن ابي طالب رضي الله عنه من
اليمن وهذا الحديث رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه ونحوه في صحيح

البخاري واخرجه البيهقي وهو حديث صحيح وفي الفاظه اختلاف والمآل واحد لم يرده
النبي صلى الله عليه وسلم في جوابه ان يبين له ما جهله اي لم يرده على ان يبين له ما جهله
من عدل الله في قسمته حيث قال من يعدل ان لم اعدل ووعظ نفسه وذكرها التذكير
والوعظ بمعنى فعدل عن وعظ القايل اي وعظ نفسه وهو نهاية الحلم منه صلى الله عليه
وسلم كما قال له فقال له ويحك وتح كلمة ترحم وتوجع لمن وقع فيما لا يرضى وقيل
الكاملة مدح وتعجب وهي منصوبة على المصدرية مضافة وقد ترفع وتترك
اضافتها يترحم له لما خالف رضى الله او تعجب من صدور مثله من مسلم ووقع
في رواية ويلك فمن يعدل ان لم اعدل وفي مسلم اولست احق اهل الارض
ان اطيع الله عز وجل وغضب صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه خبت
وخسرت ان لم اعدل روي بفتح التاء فيهما على الخطاب وضمها على التكلم
واقتصر بعضهم على الفتح اي خبت وخسرت ايها القايل ان لم اعدل لانا لا متابعك
واقتدايك بغير عادل وعلى الضم اقتصر الشيخ رحمه الله لانه معلق بعدم
العدل الذي عصمه الله عنه وهو المناسب لقوله وعظ نفسه وذكرها ونقل
النووي في شرح مسلم الوجهين وفسره بما تقدم وقال الفتح اشهر وقيل
المعنى على الفتح ان لم اعدل خبت لاني اقتلك لنفاقك وتطفك بما ينافي
الاسلام لكني عدلت نظرا لظاهر اسلامك وان ما وقع من سوء ادبك جهلا منك
غير مخل بمقامي ولحي من اراد من اصحابه قتله وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كما في البخاري قال عمر يا رسول الله ايذن لي اضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم
معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي وفي مسلم ان القايل خالد بن الوليد
رضي الله عنه وجمع بينهما بان كلا منهما اراد ذلك وقد صرح به في مسلم وان
عمر رضي الله عنه لما قال ذلك فقال دعه وادبر مقام اليه خالد بن الوليد
فهذا نص على ان كلا منهما قال ذلك وقال المهر في شرح مسلم من سب النبي صلى
الله عليه وسلم كفر وقتل وسياتي ذلك اخر الكتاب وهذا الرجل لم يقتل
قال الماوردي يحتمل انه لم يفهم منه الطعن في النبوة وانما نسبه لترك العدل
بناء على تجويز صدور المعاصي من الانبيا عليهم الصلاة والسلام عند هذا
القايل وان لم يصب او انه لم يسمعه منه وانما نقل له ولم يثبت عنه لان
المخبر له واحد ومثله لا تراق به الدما وهذا تاويل باطل فان المروي يا محمد
اتق الله بخطاب المواجهة بحضرة الصحابة رضي الله عنهم حتى استاذنوه
صلى الله عليه وسلم في قتله وانما الوجه انه صلى الله عليه وسلم سلك به
مسلك غيره من المنافقين استبقا لانقيادهم وتاليفا للقلوب بغيرهم ليلا
يتحدث الناس بانه صلى الله عليه وسلم يقتل اصحابه فينفروا ويرتدوا
فاختار اهون الامرين لحكمة والحديث مصرح بهذا ولما تصدى له صلى الله
عليه وسلم غورث بن الحارث تصدى بالتا المفتوحة والصاد المهملة كذا
والدال المشددة والفا اي اتاه وتعرض له وغورث بغين معجمة مفتوحة
وتضم ايضا وواو ساكنة ورا مهملة مفتوحة وثا مثلثة وقال بعضهم

يجوز اهمال عينه كما نقله البرهان الحلبي قال وعند بعضهم مصغر يعني عوزرك
كفرزك وزبرك فانه تصغير بالفارسية ولم يرد انه كتصغير العرب غويرث وقال
التلمساني انه غويرث ايضا وفي بعض الروايات تسميته دعثور وانه اسلم لكن قيل
انهما اثنان ليفتك به الفتك مثلث التاء ساكن التاء المثناة فوق هو ان يأتي رجل
آخر وهو غافل فيهجم عليه فيقتله وقد فتك به بالفتح يفتك بالكسر والضم وهذه
القصة كانت في غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة من الهجرة ورسول الله صلى
الله عليه وسلم منتبذ بفتح الميم وسكون النون وسكون المثناة الفوقية وكسر
الموحدة وذال معجمة اي جالس في ناحية محتمل وحينئذ يقرب من الناس تحت
شجرة وحده ليستريح بظلها وتلك الشجرة شجرة عضاة وهي التي تسمى ام غيلان
وهي شجرة عظيمة ذات شوك وكان ذلك دأبه صلى الله عليه وسلم في سفره قائلا حال
اي مستريحا في وقت القيلولة وهي وسط النهار اذا اشتد الحر وان لم ينم والناس
قايلون اي كل منهم في قيلولته منفردا عن اصحابه في غزاة هي غزوة ذات الرقاع كما علم
والاختلاف في زمنها ووجه تسميتها مفصل في السير والغزاة اسم مصدر بمعنى
الغزو فلم ينتبه اي لم ينتبه صلى الله عليه وسلم لمجيئه او لم ينتبه من نومه
الا وهو استثناء من اعم الاحوال وضمير هو لغورث قايم والسيف صلتا بفتح
الصاد المهملة او ضمها ولام ساكنة ومثناة فوقية اي مسلولا مجردا من
غلافه ويجوز في السيف رفعه على انه مبتدأ ونصبه على انه مفعول معه وصلتا
حال على كل حال في يده فقال غورث له صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني لانه
رجل خالي ليس معه احد ولا سلاح وهو جالس وغورث قايم عليه بسيفه
المجرد وفي رواية انه كرر مراجعته ثلاث مرات فقال الله اي يمنعني منك الله الذي
عصمني من الناس كافة فسقط السيف من يده لما ارعبه قوله الله وفي رواية ان
جبريل عليه الصلاة والسلام ظهر له فسقط سيفه وفي رواية فشام سيفه اي
اغمده فهو من الاضداد وكان غورث من اشجع الناس تواعد ان يقتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل له امكنك الله من محمد فاختار سيفا من سيوفه واقبل
حتى قام على راسه صلى الله عليه وسلم فاخذه اي السيف الذي سقط منه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني اي من ان اقتلك والسيف
بيدي فقال كن خير آخذ بالمد اسم فاعل اي خير رجل اخذ خصمه وتمكن منه
فتكرم عليه فتركه وعفا عنه مع القدرة عليه وقيل الآخذ الاسر والاخيذ
الاسير كما في النهاية وهو غير بعيد ايضا وفي البخاري مسندا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قفل لغزوة ذات الرقاع ونحن معه فادركتنا القايلة في
واد كثير العضاه فتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه فنمنا ثم اذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدعونا فجئناه فاذا عنده اعرابي جالس فقال ان هذا اخترط سيفي
وانا نايم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني قلت الله
فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه قالوا ولما راى كرمه وحلمه صلى الله عليه وسلم اسلم

وهو من غطفان فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان
يبسطوا اليكم ايديهم الاية وجاء غورث قومه وفي نسخة فجا الى قومه وقال جئتكم من
عند خير الناس حلما وكرما ومن عظيم خيره صلى الله عليه وسلم في العفو عفوه عن
المراة اليهودية وهي زينب بنت الحارث بن سلام وقيل امراة سلام بن مشكم اخت
مرحب اليهودي كما ورد في الحديث الصحيح الذي اخرجه الشيخان عن انس رضي
الله عنه التي سمته اي جعلت له صلى الله عليه وسلم السم في الشاة المشوية
من الغنم بعد اعترافها بوضع السم له صلى الله عليه وسلم في الشاة على الصحيح
من الرواية متعلق بقوله عفوه لا باعترافها لعدم اختلاف الرواة فيه ولذا قيل
كان الاحسن ان يقدم هذا على قوله بعد اعترافها لانها اهدت له صلى الله عليه
وسلم شاة مصلية اي مشوية لم تنحر فقال ما هذه فقالت هدية لكن ولم
تقل صدقة لانه صلى الله عليه وسلم لا ياكل منها فاكل هو واصحابه من تلك
الشاة ثم قال صلى الله عليه وسلم امسكوا وقال لها هل سممت هذه الشاة قالت
من اخبرك بهذا قال هذا العظم لساق بيده قالت نعم قال لم قالت اردت
ان كنت كاذبا ان نستريح منك والناس وان كنت نبيا لم يضرك فاحتجم صلى الله
عليه وسلم ثلاثا على كاهله لقربه من القلب وقد اختلف فيها فقيل عفا عنها وقيل
لا وروى ابو داود انه صلى الله عليه وسلم قتلها وصلبها ونقل البرهان عن كتاب
شرف المصطفى ذلك وجمع بين الروايتين بانه صلى الله عليه وسلم صفح عنها الحق
لنفسه لانه كان لا ينتقم لنفسه كما مر فلما مات بشر بن البرا من اكله منها قتلها
قصاصا به لانه لم يزل معتلا الى الحول حتى مات وقيل انه مات في الحال وروى
معمر في جامعه عن الزهري انها اسلمت فتركها وغيره يقول انه قتلها ولم تسلم
وفي جامع معمر ايضا ان ام بشر بن البرا قالت له صلى الله عليه وسلم في مرض
موته اني لا اتهم لبشر تعني ابنها الا الاكلة بخيبر فقال وانا لا اتهم لنفسي الا
ذلك وهو ظاهر في ان المرض الذي مات منه صلى الله عليه وسلم كان من تلك
الاكلة على سبيل الظن لا القطع لكن ذكر صاحب المواهب في الطب النبوي انه
صلى الله عليه وسلم احتجم من السم فخرجت المادة السمية مع الدم لا خروجا
كليا بل بقي اثرها مع ضعفه فاثر فيه لما يريد الله له صلى الله عليه وسلم
من تكميل مراتب الفضل بالشهادة زاده الله شرفا وفضلا وفي الرواية
اختلاف ففي ما مر ان الذي اكله صلى الله عليه وسلم ساق الشاة وفي اخرى
انه كتف او ذراع لانها سالت عن احب اللحم اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا
الذراع فاكثرت فيه السم وانه لاك منها مضغة ولم يسغها واساغ بشر لقمته
وهذا يؤيد عدم القطع بتاثيره فيه لكن يؤيد ما في المواهب ما ورد في
الحديث ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته ما زالت اكلة
خيبر تعادني حتى قطعت ابهري فانظر في التوفيق بين الروايتين في الاكل
وعدمه واعلم ان في هذه المسالة اختلافا للفقهاء فيمن وضع طعاما
مسموما للغير فاكل منه ومات هل عليه قصاص ام لا وهو مبني على انه

اذا اجتمع السبب والمباشرة ايهما يقدم وقال الاكثر على تقديم المباشرة وقولهم ايضا اسلمت
تركها على بعض الروايات وفيه ان الاسلام لا يسقط حقوق العباد الا ان يكون هذا
من خصايصه صلى الله عليه وسلم وفيه نظر وانه صلى الله عليه وسلم لم يعاقب
لبيد بن الاعصم اعصم بوزن احمر بمهملات ويقال له عصم بدون الف ولام وهو
رجل من بني زريق وهم بطن من الانصار وكان بينهم وبين اليهود حلف قبل
الاسلام بربوا منهم واختلف في لبيد هذا ففي الصحيحين انه يهودي وهو المشهور
وقيل انه منافق كان ممالئا لليهود وسياتي عن المصنف رحمه الله انه حكم
باسلامه وقال البرهان لا اعلم احدا عده من المنافقين فلعل المراد بالنفاق
معناه العرفي كما ورد في الحديث اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا اؤتمن خان وقد يطلق النفاق على الكفر ايضا اذ سحره صلى الله عليه وسلم
وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره اي بيانه مفصلا في سحره وما فعله ولا عتب
عليه فضلا عن معاقبته لما تقدم من الكلام على قتلها وذلك كما رواه النسائي
والبيهقي في الدلائل عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال سحر النبي صلى الله
عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك اياما فجاءه جبريل عليه الصلاة
والسلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا في بير كذا فبعث
فاستخرجها فجاءه بها فحلها فقام صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال فما
ذكره لذلك اليهودي حتى مات وكانت له امراة يهودية تسمى زينب تفعل ذلك
قال التلمساني وهو من افعال النساء الاكثر ولذا قال تعالى من شر النفاثات
دون النفاثين تغليبا وقال الواقدي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الحديبية في ذي الحجة سنة ست جاء اليهود الى لبيد الاعصم وقالوا له انت
اسحرنا وقد سحرنا محمد فاصنع له سحرا ونجعل لك جعلا فصنع ما سياتي فاقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم اربعين يوما وقيل ستة اشهر يخيل اليه انه فعل الشيء
وما فعله فبينما هو ذات يوم اذ قال لعايشة رضي الله عنها ان الله افتاني
فيما استفتيته اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي
فقال احدهما ما وجع الرجل قال مطبوب اي مسحور قال من طبه قال لبيد بن
الاعصم قال في اي شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر في بير ذروان
او ذي اروان فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بعض اصحابه وماؤها
كنقاعة الحنا ونخلها كانه رؤوس الشياطين وقيل انه صلى الله عليه وسلم ارسل
عليا والزبير وعمارا رضي الله عنهم فنزحوا ماءها واستخرجوا السحر من تحت
صخرة بها وتحتها مشاطة من راسه واسنان مشطه ووتر عقد فيه احدى
عشرة عقدة قيل وتمثال من شمع مغروز فيه ابر فنزل عليه المعوذتان
فكان كلما قرا اية انحلت عقدة واخرجت ابرة حتى زال الالم والرجلان اللذان
راهما في منامه جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام وما كان يخيل
له صلى الله عليه وسلم من انه فعل ولم يفعل من امور الدنيا وجماع زوجاته
لا مما يتعلق بالنبوة والوحي فانه معصوم فيه واعلم انهم اختلفوا في السحر

كما ياتي هل هو امر حقيقي ام محض تخيل لا اصل له والصحيح انه حقيقي بفعل الله
بواسطة فان كان بمجرد توجه النفس فهو سحر وان كان باستعانة بخواص سفلية
وعلم الخواص وان كان ببعض الكواكب ودعوتها فدعوة الكواكب وان كان باستزاج
القوى السفلية والعلوية فالطلسمات فان اعتقد تاثيرها بالذات فكفر والا
فحرام وفاعله لاضرار الناس يقتل شرعا على تفصيل فيه ذكره الفقها وليس هذا
محله وكذلك لم يواخذ صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي هو عبد الله بن
ابي ابن سلول بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف
ابن الخزرج كان قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة راس الانصار مرتجيا
لان يكون حاكما عليهم فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم اسلم ظاهرا فكان
كاحادهم وفيه عنجهية الجاهلية وغلبة حب الرياسة فكان لسبب ذلك راس
المنافقين يصدر عنه امور يكرهها الله ورسوله وكان يبلغ النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك فيتغاضى عنه لانه صلى الله عليه وسلم كان يداري المؤلفة
قلوبهم بامر من الله لئلا يتحدث الناس بانه يقتل اصحابه وكان ابنه من كبار
الصحابة وخلص المؤمنين فكان صلى الله عليه وسلم يكرمه لاجله وسلول علم
لام ابي ممنوع من الصرف فابي منون وابن بعده يرسم بالالف لانه لم يقع
بين علمين وعلم اب على الاصح وهو راس المنافقين كما علم هلك في السنة التاسعة
بعد مقدمه عليه الصلاة والسلام من تبوك مرض في شوال عشرين ليلة وهلك
في ذي القعدة فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وكفنه في قميصه قبل نزول
النهي عن الصلاة على المنافقين كرامة لابنه رضي الله عنه واشباهه جمع شبه
بمعنى شبيه اي لم يواخذه صلى الله عليه وسلم ولم يواخذ من يشبهه
من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم بالبناء للمجهول في جهته اي في حقه صلى الله
عليه وسلم وفي حق ام المؤمنين عايشة رضي الله عنها قولا وفعلا كقوله
ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل نبي الله صلى الله
عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون من الرجال ثلاثمائة
ومن النساء مائة وسبعين كما فصله البرهان الحلبي في شرح سيرة ابن سيد الناس
الناس وشرحه للبخاري في تفسير سورة المنافقين بل قد قال صلى الله عليه
وسلم لمن اشار بقتل بعضهم وهو عمر رضي الله عنه لما هزم بنو المصطلق
فبلغه قول ابن ابي وقد لطم حليفا له يقال له جعال رجل من فقرا المهاجرين
مساعدة لاخيه لعمر رضي الله عنه ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم
الا كما قيل سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاية
ثم قال لقومه والله لئن امسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا
رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال له زيد بن ارقم
رضي الله عنه انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه
وسلم في عز من الرحمن وقوة من المسلمين ثم اخبره بذلك فقال عمر رضي الله عنه
يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا اذن لابي في ذلك لئلا يتحدث الناس من قبايل العرب ان محمدا يقتل اصحابه فهو علة
لتركه رعاية للظاهر من اسلامه وصحبته وفي نسخة يتحدث بدون ذكر الناس مبني للفعول
ولاهنا البيت لينفي التحدث اذ هو مستانف معلل لما قبله كما علم مما قررناه وهذا
الحديث رواه الشيخان عن جابر رضي الله عنه وروى الطبراني ان ابنه رضي الله
عنه لما بلغه مقابلة ابيه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعني اقتله واتيك
براسه فقال له لا تقتل اباك وفي الكشاف فان قلت كيف جاز له صلى الله عليه وسلم
تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع له لان عمه
العباس لما اسر ببدر لم يجد والله قميصا يستره به وكان رجلا طويلا فكساه
ابن سلول قميصه وكان جاريا على عادة العرب في المكافاة وروي ان ابنه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات ابوه اسالك تكفينه ببعض قمصانك
وان تقوم على قبره ولا تشمت به الاعدا ففعل ذلك فقيل له لم فعلت ذلك وهو
كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيا واني لارجو ان يدخل في الاسلام
كثير بهذا السبب فقيل انه اسلم الف من الخزرج بسبب ذلك وعن انس رضي الله عنه
كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم قال السيوطي رحمه الله هذا الحديث رواه
الشيخان الى قوله الاتي من مال الله الذي عندك قال فضحك وامر له بعطا واخرجه
بلفظ المص البيهقي في الادب من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ولفظ مسلم كنت امشي
مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي
فجبذه جبذة شديدة الخ وعليه برد غليظ الحاشية البرد والبردة كسا
كانت العرب تلتحف به والحاشية جانب الثوب وفي رواية الاوزاعي غليظ الصنفة
بفتح الصاد المهملة وكسر النون وبالفا وهي طرف الثوب ايضا فجبذه اعرابي
جبذ لغة في جذب او مقلوب منه وهما بمعنى بردايه جبذة شديدة وهذا
يقتضي انه كان عليه برد او ردا موقه وان الجذب وقع بهما حتى اثرت بشديد به
الثلثة مبني للفاعل اي اظهرت اثرا وعلامة حاشية البرد في صفحة عاتقه
الصفحة الجانب او العرض والعاتق ما بين العنق والكتف او موضع الردا من المنكب
وهو يونث ويذكر وفي رواية ان البرد انشق ثم قال الاعرابي يا محمد قيل
مناقبته صلى الله عليه وسلم بهذا يقتضي انه لم يكن مسلما والسياق يقتضي
خلافه وليس فيه ما ينافيه غير ندايه باسمه فلعله كان قبل تحريمه والنهي
عنه بقوله لا تجعلوا دعا الرسول الخ وان الاعرابي كان قريب عهد باسلام
في طبعه غلظة وجفا فهو معذور وطلبه عطا الرسول صلى الله عليه وسلم
واخذه من الزكاة يدل على انه من المسلمين المولفة قلوبهم وفي كتاب الانتاج
من خواصه صلى الله عليه وسلم انه لا يجوز لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا محمد
يا احمد ولكن يقول يا نبي الله يا رسول الله قال تعالى لا تجعلوا الخ وقال تعالى ولا
تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض اي لا تدعوه باسمه فان قيل ثبت عن انس
رضي الله عنه ان رجلا من اهل البادية جا فقال يا محمد الخ اجيب بانه يحتمل
ان ذلك صدر منه قبل اسلامه او في حال اسلامه قبل النهي او قبل بلوغه فلو ناداه

بالكنية هل يحرم ام لا فيه نظر اقول الظاهر ان هذا في حياته مواجهة اما في غيره فلكن لا يحرم الا ذكره بما لا يشعر بتعظيمه فلا يرد انه وقع كثيرا في المدائح النبوية وغيرها كقول حسان رضي الله عنه

هجوت محمدا فاجبت عنه ◦ وعند الله في ذاك الجزاء
فان ابي ووالده وعرضي ◦ لعرض محمد منكم وقاء

ولا حاجة لان يقال انه مخصوص بغير الشعر لانه قد يقتضيه الوزن ومما قيل هذا ايضا ان الرسول ويا رسول بدون اضافة لله كاسمه حتى اعترض على قول ابن مالك في الغيبة مصليا على الرسول المصطفى ولا وجه لما مر احمل لي قال التلمساني همزته همزة قطع رباعي اي اعني على الحمل ويجوز ان يكون معنى احمل لي اي اعطني ما احمل والاول اولى لوجود المحمول انتهى وتبعه بعض المحشين فيجوز فيه الوصل ايضا الا ان فيما رجح به الاول نظرا على تقديري هذين بالتثنية مضافا لياء المتكلم هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي بضم التاء وفتحها على ما مر وروي لا تحملني اي لا تعطيني من مالك ولا من مال ابيك وقيل انه اسند الحمل اليه لانه سبب امريه فهو مجاز عقلي وعلى هذا همزته همزة وصل ايضا ثم رد على من قال ان همزته مقطوعة بانه ظن انه من احمل احمالا اي جعل البعير حاملا فلم يستبعد اسناده له وهو مجاز مشهور وليس بشيء لان ما ذكر معنى احرج فبقي ما صرح به الجوهري وكانت الرواية عليه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده اتصرف في ماله باذنه واعطي من يامرني باعطائه ورد عليه صلى الله عليه وسلم بالطف رد ثم قال ويقاد منك بالبناء للمجهول وتقدير همزة الاستفهام اي اويقاد منك من القود وهو القصاص وهو هنا مجاز عن مطلق المجازاة اي المجازاة على تركك ادبك ولم يقل اقتد لنفسي منك كراهة ان يذكر ما يشعر بانتصاره صلى الله عليه وسلم لنفسه ولو قصده ما وقيل انما بناه للمجهول للتعميم فيمن يستوفي القود اهو الله ام من عنده من المسلمين وقوله يا اعرابي اشارة الى انه معذور لما فيه من غلظ الاعراب وهم اهل البادية ما فعلت بي من جذب بردي بان يفعل به مثله او يعزر بما يليق به وسياتي تحقيقه في القصاص باللطمة قال لا قال لم لا يقاد منك قال لانك لا تكافئ بهمزة من المكافاة وهي المجازاة او بالياء اصلية او مبدلة منها بالسيئة السيئة فيه مشاكلة لان الجزاء ليس بسيئة او استعارة لانها مثلها بحسب الصورة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم سرورا بجازاة من حسن ظنه به وانه لم يفعل ذلك بقصد التنقيص منه ۵ وتطمينا لقلبه اذ ابدى المشقة بمقالته ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى اخر تمر وفيه من حلمه صلى الله عليه وسلم وتحمله الاذى وسعة التقيم ما لا يخفى وهو ارشاد لامته لا سيما من يتولى منهم امور المسلمين ثم اتى بما يدل على ما في هذا الحديث من خلقه العظيم فقال قالت عائشة رضي الله عنها في حديث اخرجه الشيخان واحمد والترمذي في الشمائل مع مخالفة يسيرة في لفظه ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم رايا بعينه

عوضي

او

او ظلمه منتصرًا اي منتقمًا وناصرًا لنفسه على غيره من مظلمة اي من ظلم وهي بفتح الميم وكسر
اللام وفتحها واقتصر في التقريب على الاول ظلمها مبني للمفعول وهو موكد اودفع
لتوهم كون الظلم لغيره فقط لاستغراق ما مضى كما مر ما لم يكن حرمة من محارم
الله اي ما لم تكن المظلمة بارتكاب امر حرمه الله وليس بصرف حق له ولا يرد عليه انه
قتل ابن خطل والقينتان اللتان كانتا تغنيان بهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه حق لله فان ابن اخطل ارتد وهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبه كفر كاذيته
بخلاف الاعرابي فانه مسلم حمله على ما فعله غلظة طبعه وظهر من جوابه انه لم يقصد
بذلك الاهانة مع ما فيه من حكم خفية كاستعطاف قلوب اهل البادية ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك وما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
شيا قط من دابة وانسان وغيره الا ان يجاهد في سبيل الله كما في ضربه صلى الله عليه
وسلم امية بن خلف باحد بحربة تناولها من بعض اصحابه اما الحارث بن الصمة كما ياتي او الزبير
ابن العوام فخدشه بها في عنقه خدشا غير كبير فاحتبس الدم اي لم يجرح لسببه كل الخدش
فقال قتلني والله محمد فوقع من تلك الضربة مرارا من على فرسه التي كان اعدها ليقتل
عليها النبي صلى الله عليه وسلم كما ياتي وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وفي
رواية انه ضربه تحت ابطه فكسر ضلعا من اضلاعه ثم مات عدو الله وهم قافلون
به الى مكة بسرف بفتح السين وكسر الرا المهملة وهو مناسب لوصفه لانه مسرف وقيل
ببطن رابغ ولم يقتل صلى الله عليه وسلم بيده الشريف قط احدا الا ابي ابن خلف هذا
لا قبل ولا بعد وجا اشد الناس عذابا من قتله نبي وفي لفظ اشتد غضب الله على رجل
قتله رسول الله فسحقا لاصحاب السعير وفي لفظ اشتد غضب الله عز وجل على رجل قتله
رسول الله في سبيل الله اي لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام مامورون باللطف والشفقة
على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا امر عظيم ورسول الله صلى الله عليه
وسلم اكملهم لطفا ورفقا وسعة بعباد الله فالوا واحتزز بسبيل الله عمن قتله صلى
الله عليه وسلم حدا او قصاصا لان من يقتله في سبيل الله كان قاصدا قتله وقد
اتفق ذلك لابي بن خلف لعنه الله كما ياتي بيانه وما ضرب خادما له ولا امراة من
نسائه وفيه دليل على جواز تاديب الرجل امراته وضربها ولولا ذلك لم يمدح به صلى
الله عليه وسلم وجي اليه صلى الله عليه وسلم برجل هذا الحديث اخرجه احمد والطبراني
بسند صحيح ولم يسميا الرجل فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم
لن تراع لن تراع اي لا تخف مني وكرره ليطمئن قلبه والروع الخوف والفزع ولن هنا بمعنى
لا اي لا خوف عليك مني ولا من غيري ولو اردت ذلك لم تسلط علي لان الله عصمني
فلن يبالي ما اردته انت ولا غيرك فان قلت قوله لو اردت يقتضي انه لم يرد مع
انما اراد ذلك لقولهم اراد قتلك قلت المراد بالارادة سببها وهي مباشرة
ما هم به اي لو مددت يدك الي لم تصل الي وجاءه صلى الله عليه وسلم زيد
ابن سعنة بفتح السين وسكون العين المهملتين وفتح النون وقيل انها
مضمومة وهو غريب وهو حبر من احبار اليهود كما في الاكمال وفي
التهذيب هو صحابي من احبار اليهود الذين اسلموا وهو من اكثرهم مالا وعلما

حسن اسلامه وشهد المشاهد وتوفي في مرجعه صلى الله عليه وسلم من تبوك ويقال ابن سعية بالياء التحتية حكاه ابن عبد البر وقال النون اشهر فيه وعليه اقتصر الجمهور وقال الذهبي انه اصح واما اسيد بن سعيه فالتحتية فيه اصح واسيد بفتح الهمزة او هو مصغر وهو حديث طويل رواه البيهقي مفصلا عن ابن سلام ووصله ابن حبان والطبراني وابو نعيم عن عبد الله بن سلام ايضا وسنده صحيح كما قاله السيوطي قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه اي يطلب منه صلى الله عليه وسلم دينا كان له عليه والتقاضي بمعنى المطالبة من كلام العرب قال الحماسي

لحى الله دهرا شره قبل خيره • تقاضى فلم يحسن الينا التقاضيا •

قال الشراح اي طالبنا ومثله كثير في كلامهم وكلام اهل اللغة فقول شيخنا المقدسي في الرمز التقاضي معناه لغة القبض لانه تفاعل من قضى يقال تقاضيته ديني واقتضيته بمعنى اخذته وفي العرف الطلب انتهى لا وجه له والذي غره قصور كلام القاموس فظنه غير لغوي بل معنى عرفي وهو غريب منه وفي رواية عن زيد المذكور كنت اريد ان اعلم حال النبي صلى الله عليه وسلم لتطابق ما في التوراة من حلمه فخرج يوما ومعه علي فجاءه رجل كالبدوي فقال يا رسول الله ان قرية بني فلان اسلموا واعلمتهم انهم ان اسلموا اتتهم ارزاقهم رغدا وقد اصابتهم سنة وشدة واني مشفق عليهم ان يخرجوا من الاسلام فان رايت ان ترسل اليهم بشيء تغيثهم فقال زيد بن سعية يا رسول الله انا ابتاع منك بكذا وكذا وسقا فاعطيته ثمانين دينارا فدفعها الى الرجل وقال له اعجل اليهم بها واغثهم فلما كان قبل المحل بيوم او يومين او ثلاث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة في نفر من اصحابه فلقيته وتقاضاه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه ضمنه معنى ازاله فعداه بعن ومنكب بكسر الكاف مجمع الكتف والعضد والمجامع جمع مجمع وهو اطرافه وحواشيه وقيل هو التلبيب اي اخذ بطوقه وما تحت لبته ونحره وهذا هو الصحيح المعروف لما قيل انه ما بين الكتفين فان الثياب كلها كالردا والقميص تجتمع هناك واغلظ له اي قال له كلاما غليظا خشنا مع تعبس وتجهم وجه ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مفتعل من الطلب واسمه شيبة على الاصح لانه ولد وفي راسه شيبة ظاهرة في ذوائبه مطل بضم الميم والطا جمع ماطل والمطل التطويل في تاخير الحق او خلف الوعد فيه مرارا من مطل الحداد الحديد اذا مده وفي القاموس المطل التسويف بالعدة والدين فانتهره عمر رضي الله عنه بالرا المهملة افتعال من النهر وهو الزجر وتهدد والانتهار بمعنى وقال ابن فورك الانتهار الاغلاظ في القول مع صياح وقيل النهي عن الشيء بغلاظة وشدد له في القول فقال له عمر اي عدو الله اتقول هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتصنع به ما ارى وتقول له ما اسمع فوالذي بعثه بالحق لولا ما اخاف فوته لسبقني راسك والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم من مقالهما لشدة حلمه

قوي

عرضي

ولعله

ولعله كشفا بمراد ابن سعنة وان عمر رضي الله عنه لو كشف له الغطا لم يتعجب عليه
ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو اي ابن سعنة صاحب الحق كنا الى
غير هذا المقال الذي قلته احوج منك يا عمر اي اكثر حاجة وهو افعل تفضيل من حاج
بمعنى احتاج وليس من احتاج على حذف الزوائد شذوذا كما توهم فان ثلاثيه مسموع
والمفضل عليه محذوف وهو خبر انا وما عطف عليه ثم بين الغير الذي هما احوج اليه
من هذا التشديد بقوله تامرني بحسن القضا اي وفا ماله علي وتامره بحسن التقاضي
والطلب بلطف ثم قال صلى الله عليه وسلم دفعا لما عسى يتوهم انه وقع مطل او
تاخير منه لقد بقي من اجله اي من تاجيل دينه ثلاث اي ثلاثة ايام فلذا لم يجز تقاضيه
بخلاف قضا النبي صلى الله عليه وسلم فانه وقع على احسن وجه فانه فعل ما وعده
وزيادة كما اشار اليه بقوله وامر عمر بقضيه ماله ويزيده على حقه عشرين صاعا من
تمر لما روعه ما مصدرية اي لاجل ترويع عمر له اذ هم بقتله وقال له ما تم وكان
فعل النبي صلى الله عليه وسلم سبب اسلامه لانه كان عالما بالتوراة وراى فيها ذكره
صلى الله عليه وسلم وعلاماته فحقق تلك العلامات كلها غير علامتين لسبق حلمه فلما
راهما اتفق امره وزالت شبهته فحسن اسلامه واراد الله سعادته وذلك انه
كان يقول لمن عنده من اليهود ما بقي من علامات النبوة اي علامات نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم المذكورة في التوراة التي قراها وعرفها شي الا وقد عرفته
اي شاهدته فيه صلى الله عليه وسلم وفي نسخة الا وقد عرفتها باعتبار ان الشي
بمعنى العلامة الا علامتين اثنتين لم اخبرهما اي لم اعرفهما وهو بضم البا يقال
خبرته اخبره خبرا اذا اختبرته فصدق الخبر الخبر ثم فسر الاثنتين اللتين لم يعرفهما
بقوله يسبق حلمه جهله تقدم ان الجهل في كلام العرب قديما بمعنى المبادرة ه
للغضب ومقتضاه عدم المبادرة بالايقاع بمن يغضبه وهو مقابل للحلم لا للعلم
كقوله •

الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا

كما مر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يغضب احيانا لله وينتقم فلا يتوهم
من لا يعرف كلام العرب هنا ما لا يليق بصفاته صلى الله عليه وسلم فالمراد ان حلمه
صلى الله عليه وسلم يغلب حدته كما في قوله سبقت رحمتي غضبي او السبق على ظاهره
فمن قال العيني يغلب حلمه على جهله لو كان له جهل كقوله فتبارك الله احسن الخالقين
وليس المراد ان له صلى الله عليه وسلم جهلا يسبقه حلمه لانه لقبحه لا يصلح ان
يعد من علامات النبوة وحينئذ فليس من قبيل سبقت رحمتي والجهل هنا
وانما بعده مصدر جهل عليه لا به انتهى لم يصب مع ما في كلامه من التناقض
ولا تزيده شدة الجهل الا حلما هذه هي العلامة الثانية اي جهل غيره بمعنى
سفاهته واذيته كلما ازدادت واشتدت عليه زاد حلمه صلى الله عليه وسلم
وصبره ما لم يتجاوز حدود الله وتؤتى حرماته فانه حينئذ يغضب لله
لا لنفسه وهذا من صفاته صلى الله عليه وسلم الخارقة للعادة كما عرفته
في هذه القصة مع زيد بن سعنه ولذا قال زيد لعمر رضي الله عنه لما قضاه

ابن الحنبلي

وزاده اشهد ان لا اله الا الله وانه رسول الله وما حملني على ما رايتني صنعت يا عمر الا اني
كنت رايت صفاته النبي في التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف
في التوراة واني اشهدك ان هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين واسلم اهل بيته
كلهم الا شيخا اغلبت عليه الشقوة والى هذا اشار الناظم بقوله فاخبره بهذا فوجده
كما وصف والحديث اي الاخبار المستفيضة بين الناس وليس المراد المصطلح عليه ولذا
عداه بعن فقال عن حلمه وصبره وعفوه عند المقدرة فتقيده بولانه هو المحمود
كما مر اكثر من ان ياتي عليه تعداد اي على الكتاب قراءه او المال انفاقا اذا استوعبه
كله وهذا التركيب كثير في كلامهم اكثر من ان تحصى والكلام عليه مشهور فالمعنى انه لا يمكن
استيعابه واستقصاؤه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة
اي يكفيك ما تقدم مما ثبت بنقل الثقاة فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فيكفي هذا
منضما الى ما بلغ لك وعندك متواترا تواترا معنويا من مجموعها مبلغ اليقين اي
وصل بالتواتر مرتبة اليقين الذي لا يشك فيه احد ولو قال مبلغ الضروري كان اولى
والقول بانه ارادة لا يخفى ما فيه ثم بين ذلك بقوله من صبره صلى الله عليه وسلم
على معاناة قريش المقاساة معالجة امور صعبة شاقة بحيث لا يتحمل مثلها وهذا في
اول بعثته صلى الله عليه وسلم كما يعرفه من طالع السير واذى الجاهلية اي تحمله
صلى الله عليه وسلم اذى الجاهلية اي اهل الجاهلية وهم الكفار ومصابرته الشدايد
الصعبة معهم في الحروب الواقعة بينه وبينهم وهي وان كانت سجالا الا انه صب عليهم
العذاب والمصابرة مفاعلة من الصبر عن شدايد الحرب وهم مشاديد كان لهم صبر على
اصطلاء نارها لكنه صلى الله عليه وسلم غلبهم فصابرهم وزاد عليهم حتى ظفر واستمر
الى ان اظهره الله عليهم وحكمه فيهم اي جعله الله قاهرا غالبا لهم وفي قبضة
تصرفه يحكم فيهم بما يريد من قتل واسر وعفو ان شاء وهم لا يشكون في استيصال
شافتهم الاستيصال قطع الشيء من اصله وازالته بالكلية وشافة بشين معجمة
مفتوحة وهمزة ساكنة وفا يليها هاء تانيث وتبدل الهمزة الفا وهي قرحة تخرج
في اسفل القدم فتكوى فتذهب وان قطعت مات صاحبها فضرب مثلا وقد يدعى به
والمراد ازاله الله من اصله بحيث لا يبقى له عين ولا اثر ولا اصل ولا فرع وفيه
اشارة الى خبثهم وانهم كقرح في البدن تخبثه مهلك لصاحبه فشبه هلاكهم
اجمعين بقطع تلك القرحة وفيه بلاغة لا تخفى وابادة خضرائهم الابادة
بالدال المهملة بمعنى الاهلاك وهذا امثل كالذي قبله والخضرة كالسواد تطلق
على الناس والقوم فمعنى ازالة سوادهم وخضرائهم هلاكهم قال في النهاية
ابيد خضراؤهم اي دهماؤهم منه وسوادهم والمراد الجماعة وذهب بعض
اهل اللغة الى ان صوابه غضراؤهم بغين معجمة وهي عمارتهم وحجرهم ه
وخضبهم او طينتهم التي خلقوا منها والمراد على كل حال استيصالهم والسواد
ما تقدم رواية ودراية والمعنى انه صلى الله عليه وسلم ظفر بهم في حالة
يتفقوا هلاكهم باسرهم بحيث لا يبقى منهم باقية فما زاد صلى الله عليه وسلم
على ان عفا وصفح اي مع شدة اذاه ونصره عليهم بحيث صاروا في قبضة

تصرفه

تعرضه وقد احاط بهم الهلاك من كل جانب ما زاد ما كان عليه من حاله الا العفو والصفح
لا شفا النفس بالانتقام وفعل ما يستحقون بحيث لو فعل لم يلم والعفو والصفح
متقاربان عدم المؤاخذة بالذنب وقال صلى الله عليه وسلم تلويحا للطفه بهم
مستدرا منهم ما في ضمايرهم مفوضا ذلك اليهم تكرما منه صلى الله عليه وسلم ما
تقولون ما استفهامية والقول بعدها بمعنى الظن كما صرح به النحاة فقوله
اني فاعل بكم بفتح همزة ان وهي وما معها سادة مسد مفعوليه عما قالوا اي انفسهم
او فيما بينهم تكلف مخالف للاستعمال الفصيح قالوا خيرا منصوب بمقدر يدل
عليه فاعل قبله اي تفعل خيرا او انت فاعل خيرا اخ كريم اي انت اخ كريم وهي جملة
مستانفة لبيان انه يفعل الخير وابن اخ كريم هذا على عادة العرب في تسمية القريب
اخا قال تعالى والى عاد اخاهم هودا والكريم الجامع للخير والفضايل كما في الحديث
الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف الخ فقال اقول كما قال اخي يوسف فيه بلاغة
وظن بديع ابلغ من قوله
بهيت من الاعداء ما لو حويته لهنيت الدنيا بانك خالد
لما فيه من الايما الى تشقيقهم عصا القرابة بينهم وحسدهم له وكذبهم عليه وقطع
رحمه مع ما له صلى الله عليه وسلم من الشرف الباذخ فانه الكريم ابن الكرام وان
حسدهم وبغيهم كان سببا لعلو مقامه وتملكه لنواصيهم وذلتهم له معترفين
بقصورهم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين التثريب التعيير
والتوبيخ اي لا اوبخكم واعيركم بما يخجلكم ويحتمل ان المراد لا عتب عليكم لعدم
مبالاتي بكم من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان
التجليد ازالة الجلد لانه اذا ذهب كان غاية الهزال وضرب مثلا للتقريع الذي
يمزق العرض ويذهب بما الوجه وفيه جواز الاقتباس من القران ولو مع
تغيير ما في المعنى وقد جوز الوقف على قوله عليكم والظرف متعلق بيغفر
وفيه المسارعة بالمغفرة في وقت يرجى فيه خلافه واليوم بمعنى مطلق الوقت
ويجوز ان يوقف على اليوم اي لا اتغيير لكم اليوم لان المقدرة تذهب الحفيظة
اذا بدل الله من العسر يسرا ومن الحزن سرورا ومن الفرقة الفة ومن العزبة
ملكا وبسطة فلا تثريب في زمان فيه مثل هذا الخير وبهذا الوقف قرا القرا ويغفر
جملة دعائية او خبرية مبشرة لهم بذلك اذهبوا فانتم الطلقا بالمد جمع طليق
وهو الاسير يطلق ويخلى سبيله قيل وهو مخصوص بمن كان من قريش ومن
ثقيف يقال لهم العتقا تمييزا بينهم وهذا البعض حديث طويل وهو انه صلى
الله عليه وسلم لما نزل بمكة واطمان الناس جا البيت وطاف به سبعا على
راحلته يستلم الحجر بمحجنه فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فاخذ منه
مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على بابها وقال لا اله الا الله
وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال
يا معشر قريش اني فاعل الخ يحجبوا كا تمانش وابن القنور وقال انس رضي الله
عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح منصوب على الظرفية اي وقت

صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الهبوط النزول من علو لسفل وهو
يتعدى ولا يتعدى قال العباس رضي الله عنه لو هبطت البلاد لا بشر وباؤه مفتوحة
في الماضي مكسورة في المضارع وضمها لغة شاذة وقال ابن عطية ان الضم كثير في غير
المتعدي وقيل عليه انه لا يوجد الفرق بين المتعدي وغيره يعني بحركة عين الفعل
وحدها والتنعيم بفتح التاء اسم موضع عن يمينه جبل يقال له نعيم وعن يساره
جبل يقال له ناعم والوادي هو نعمان فقيل فيه التنعيم لذلك وقال الشاعر تذكر
ابا جبلي نعمان بالله خليا • نسيم الصبا يخلص الي نسيمها •
وهو على اربع اميال من مكة وهو طرف الحرم من جهة المدينة فاخذوا فاعتقهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله في هذه القصة وهو الذي كف ايديهم
عنكم الاية وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم اي اظهركم ونصركم عليهم
بهزمهم حتى ادخلهم بطنها وحديث انس رضي الله عنه المذكور رواه مسلم والترمذي
وابو داود والمراد ببطن مكة الحديبية وضمير الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ومن
معه وكان ذلك وهو في اصل الشجرة فبينما هو كذلك اذ خرج ثلاثون رجلا وقال
ابن هشام رحمه الله سبعون او ثمانون واخذوا اسرا والصبح ثمنيون في الصلح
فاطلقهم وهم العتقا وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر ان عكرمة
ابن ابي جهل خرج اليه في خمسمائة فارس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لخالد هذا ابن عمك خرج في خمسماية فارس فقال انا سيف الله وبذلك سمي يومئذ
فقام اليه في خيل فهزمه الي حوايط مكة وقيل انه كان يوم فتح مكة وبهذا استدل
لبعض الحنفية على انها فتحت عنوة ورد بان الاية نزلت قبل الفتح وان الكف باب
الصلح وهو بصيغة الماضي والاية نزلت بالحديبية **قيل ومن**
**العجب** قول ابي السعود ان الاية نزلت لما خرج عكرمة بن ابي جهل
في خمسمائة فارس الي الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد بجند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة يوم الفتح انتهى وهو
كلام متناقض لان الحديبية كانت سنة ست في ذي القعدة وفتح مكة كان في
رمضان سنة ثمان وقصة خالد كانت يوم الفتح اقول من قال المراد فتح مكة
فهو ضعيف فان السورة مدنية نزلت قبل الفتح والحمل على ان الماضي اعني كف
للتحقق بمعنى المضارع وعدا بعيد جدا وايضا ما ذكر ان عكرمة بن ابي جهل
خرج في عسكر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الي الحديبية
فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة غلط فان خالد بن الوليد لم يكن اسلم يومئذ
بل كان طليعة للمشركين كما في البخاري ولا حاجة لتاويل كلامه بانه اراد بالفتح
قصة الحديبية لانها سميت في القران فتحا مع انه تابع في هذا الغلط لغيره
وعمدته غلط من قاله اولا وليس ما نقله ايضا مطابقا لما قاله في تفسيره
وفي فتح مكة خلاف في كتب الفقه وفي الكشاف كف ايديهم فقضى بينكم وبينهم
بالمكافة والمحاجزة وهي نزعة اعتزالية ولذا تركه القاضي رحمه الله وقال
صلى الله عليه وسلم لابي سفيان صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف وقد

عرضي

غلط ابي السعود

سيق اليه جملة حالية اي قال له العود الاني وسيق مبني للمجهول سائقه الذي به وقاده
والسائق له هو العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار النبي صلى الله عليه
وسلم للفتح مكة ونزل مر الظهران عشاء او وقد عشرة الاف نار وجعل على الحرس عمر رضي
الله عنه واراد دخولها قهرا لقتل الكفار فرقت نفس العباس رضي الله عنه لاهل مكة فخرج على
بغلة النبي صلى الله عليه وسلم حتى اتى الاراك فقال لعلي اجد ذا حاجة ياتي مكة فيخبرهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يخرجوا ويستامنوه قبل ان يدخلها عنوة فسمعت صوت
ابي سفيان يقول لبديل ما رايت كالليلة نيرانا ولا عسكرا فقلت ابا حنظلة فقال ابو الفضل
قلت نعم قال ما لك فداك ابي وامي قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس
واصباح قريش قال ما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة
حتى اتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه لك فركب خلفي فكنت كلما مررت باحد
قال البغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها عمه حتى مررت بعمر رضي الله عنه قال ابو
سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكن منك بلا عقد ولا عهد وخرج يشتد نحو رسول الله
صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة ودخلت عليه وعمر معه فقال هذا ابو سفيان دعني
اضرب عنقه فقلت اني قد اجرته وجلست فلما اكثر عمر رضي الله عنه في شانه قال صلى الله عليه
وسلم مهلا يا عمر اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبح فاتني به فغدوت به صباحا فلما راه
رسول الله صلى الله عليه وسلم علم انه جا ليسلم بعد ان جلبت اليه الاحزاب جلب بالجيم
والموحدة بمعنى ساق وجمع واصله من الجلبة وهي اصوات المحاربين والاحزاب جمع حزب
وهي الناس المجتمعة من قبائل شتى للحرب ويقال تحزبوا اجتمعوا وهذه غزوة الخندق التي
كانت في سنة خمس واسناد جلب الاحزاب اليه لانه كان قائد جيشهم وصاحب رايتهم والا فسبب
التحزيب انما كان جماعة من اليهود دعوا القبائل وحركوا قريشا لذلك كما فصل في السير
وقتل عمه حمزة سيد الشهداء رضي الله عنه واصحابه اي اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وعود الضمير لعمه وان صح بعيد ومثل بهم بالتشديد اي شوهت خلقتهم بقطع
الاطراف وشق البطن واخراج القلب ونحوه وهو من المثلة بضم الميم وهي العقوبة
الشديدة ومنه قد خلت من قبلهم المثلات ويقال مثل بالتخفيف ايضا وكيف قتل حمزة
رضي الله عنه وقتل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لابي سفيان مع ان قاتل حمزة وحشي
ابن حرب واسلم بعد ذلك ولم يباشره ابو سفيان الا انه هو الباعث والسبب لذلك
القتال والمهيج له ولكون قتل حمزة رضي الله عنه مشهورا انه باحد لا يقال ان عبارة
المص رحمه الله توهم انه بالاحزاب والمراد بالاصحاب من قتل باحد وكانوا اكثر من
سبعين ولذلك نسب التمثيل له مع ان الممثل به وجثته هند لان فعل اهل الرجل كفعله
لا سيما النساء وقد مثل جماعة غيره ايضا كما اشار اليه المص رحمه الله بقوله فهم
ممن مثل به انس بن النضر وعبد الله بن جحش كما فصل في السير فعفا عنه ما سبق
منه لكرمه لان الاسلام يجب ما قبله ولاطفه في القول اذ خاطبه بقوله ويحك يا ابا
سفيان اي التعجب لك مع عقلك ودهائك وظهور حقية الاسلام وعبر بفاعل للطف
كل منهما في مقابله والتلطف الرفق والبر ويكون بمعنى الدقة والصغر الم يان لك الم
يدن وقت علمك يقال اني ياني اذا حان وقته وجاء مداه ان تعلم ان لا اله الا الله اي

نوحد الله ونصدق به فنسلم إسلاما صحيحا فقال ابو سفيان بابي انت وامي ما احلمك
واكرمك واوصلك لرحمك اذ خاطبتني بلطف وهديتني الى الحق مع ما قاسيته مني من
اجابة مصدقا فقال لقد ظننت ان لو كان مع الله اله غيره لقد اغنى شيئا بعد فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم اني رسول
الله بابي وامي انت اما هذه ففي النفس منها شيء فقال له العباس ويحك اسلم واشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان يضرب عنقك فشهد شهادة الحق واسلم
والحديث مذكور بتمامه في السير واسلام ابي سفيان رضي الله عنه مشهور وفي بعض
النسخ بدل ما احلمك ما اجملك من الجمال ويحتمل انه من الجهل وهي صيغ تعجب وكل هذا
جائز وفي تاريخ قزوين للامام القزويني روى علي بن احمد بن صالح قال حدثنا ابو
العباس العبدي القزويني ثنا الحسن بن الفضل ثنا محمد بن غزوان البغدادي ثنا
الاصمعي ثنا مالك بن مغول عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لطم ابو جهل
لعنه الله فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فشكت ذلك الى
ابيها فقال لها ائتي ابا سفيان فاتته فاخبرته فاخذ بيدها حتى وقف بها على ابي جهل
لعنه الله وقال لها الطميه كما لطمك ففعلت فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لابي سفيان قال ابن عباس رضي الله عنهما
ما شككت ان كان اسلامه الا لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم انتهى نقله السيوطي
في كتاب تحفة الاديب ومن خطه نقلت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى اي غضبه بعيد لا يكون منه الا بعد امور كثيرة
بخلاف رضاه فانه يرضى باقل شيء سريعا لكرمه وحلمه صلى الله عليه وسلم وياتي
فيه الكلام مبسوطا وهذا لانه متخلق باخلاق الله وهو رحمة من الله ورحمته
قد سبقت غضبه وفي الحديث المؤمن بطيء الغضب سريع الرضى وهذا في غير حقوق
الله وفي غيرها ما يؤدي الى عدم الحمية والمروءة فلا ينافي هذا قول الشافعي من
استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان **فصل**

## واما الجود والكرم والسخاء والسماحة

جواب اما قوله
الاتي فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازي الخ وما بينهما جمل معترضة ومعانيها
متقاربة بعضها قريب من بعض حتى توهم بعضهم لذلك انها مترادفة وقد فرق
بعضهم بينها بفروق واهل اللغة يعرفون الفرق في امثاله بمقابلها واضدادها
كما قيل وبضدها تتبين الاشياء ولابن هلال كتاب في الفروق مفيد جدا وتقدم
ان فرق بتخفيف الراء وتشديدها بمعنى الا ان بعضهم قال الاكثر في التفريق
استعماله في الاجسام والفرق في المعاني وهذا لا ينكر استعمال احدهما مكان
الاخر فهو كلام قليل الجدوى وجمع فروق باعتبار وقوعه بين كل واحد وغيره
والا فهو في الحقيقة فرق وبدا المصنف بالجود اولا وفي التفريق اخره لانه عنده
بمعنى السخاء ولذا قيل كان الاولى تركها وعطفه على السخاء وتاخيره فجعلوا الكرم
الانفاق بطيب النفس فيما يعظم عظم بعظم بضم العين فيهما جل مقداره وخطره
بمخففين وقد تسكن الطاء قدره ووقعه ونفعه لمن يعطي له وذلك انما يكون

بكرثة

بكرمه وهذا يختلف باختلاف المعطي والآخذ وكان هذا معنى الكرم والا فالكرم بمعنى الشرف
والمجد وهو لا يختص بالاعطاء ولذا قال وسموه ايضا حرية بضم الحاء وكسر الراء المهملتين
المشددة يليها ياء النسبي ياء المصدرية وهي اذا لحقت الاسماء الجامدة والصفات تصيرها
مصدرا ولابد في آخرها من هاء تانيث ولم تفصل النحاة حال هذه الاسماء الا انها شايعة
في الاستعمال وما وقع في بعض النسخ هنا من انه جراءة بجيم مضمومة وراء ساكنة تليها همزة
وهاء كما في حواشي ابن رسلان فهو من تحريف الكتاب فانه لا مناسبة له هنا وان كانت الجراءة
والكرم اخوان لا يفترقان لاستماعهما في ان مانعهما غاض الكرام وفاض اللئام واما تسمية الكرم
حرية فلان الحر خلاف العبد فالحرية الخلاص من رق الناس فاذا اطلقهم منته خلصت له
الحرية لان الانسان عبد الاحسان وهذا من كلام الصوفية فانهم قالوا الحرية صفة
يتولد عنها الايثار وغاية السخاء لانه بذل ما له اليه حاجة وهو نهاية السخاء واعلى
منه قول بعضهم الحرية ان لا يكون العبد بقلبه تحت رق شيء من المخلوقات ولا من اعراض
الدنيا والآخرة ويكون فردا لم يسترقه دنياه ولا هواه ولا حظ يتمناه وقال الغزالي
في كتاب المنتقى من كلام اهل التقى في التصوف الحرية المحمضة هي الخروج من ملك
سلطان الشهوة والغضب والقهر بالصبر والعبودية المحمضة هي طاعة الارادة فيما
لا ينبسط النفوس اليه الا بسوء العادة وايثار اللذة وكل من خدم في زمن الحداثة
الشهوة والغضب شق عليه في زمن الشيخوخة ما يلحقه من ضعف بدنه عن خدمة
لذته ومن خدم فيه الراي والادب شق عليه ذلك في الحداثة وكان في زمن الشيخوخة
مستريحا انتهى وهو ضد النذالة بفتح النون والذال المعجمة واللام هي الخسة ولعلها
وهي من لوازم البخل المقابل للكرم كما قيل وفيه اشارة الى انه ليس مقابلا له حقيقة
والسماحة والسماح والتسامح تفاعل من الجفاء وهو غلظة الطبع وحقيقته التباعد
والترفع يقال جفا السرج عن ظهر الدابة اذا نبا عنه كما قال عز وجل تتجافى جنوبهم
عن المضاجع اي لا يكترثون النوم اي العفو عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس
وهو ضد الشكاسة بشين معجمة مفتوحة وكاف وسين مهملة بينهما الف وهي
كما قاله التلمساني سوء الخلق وفي القاموس انها البخل والاول انسب هنا والثاني
انسب بتفسير السماحة بالجود كما قاله ابن القوطية والسخاء سهولة الانفاق
وتجنب اكتساب ما لا يحمد من الصنائع المذمومة كالحجامة واخذ ما لا يحل له وهو
الجود وفرق بعضهم بينهما قال ابن عصفور في الممتع السخاء ماخوذ من
الارض السخاوية وهي الرخوة ولذا وصف الله بجواد دون سخي لانه اوسع
في معنى العطاء وادخل في صفة العلا انتهى وقد تقدم ذلك فلعل هذا هو اخص
منه وقال ابن مالك في الكفاية السخي هو الجواد فهو موافق لما قاله المص
وقال سقراط الجواد هو الذي يعطي بلا مسئلة صيانة للآخذ من ذل السؤال
وقال الشاعر •

وما الجواد من يعطي اذا ما سالته • ولكن من يعطي بغير سؤال •

وهو ضد التقتير المعروف في اللغة ان الجود ضد البخل والتقتير
التضييق في الانفاق وهو ضد الاسراف والتبذير وهما بمعنى وفرق

ابن افيرس

ع ابن افيرس

بينهما صاحب الكشف في سورة الاسرا تعالى قترت الشيء واقترته اي ضيقته الانفاق فيه
وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والبخل
والتقتير متلازمان لا مترادفان حتى يكون كل منهما ضد السخا واعلم ان كلام المصنف
هنا غير موافق للغة ولا للعرف ولا ادري من اين اخذه ولكن الامر في مثله سهل وهو
محتاج للتهذيب وسنكر عليه مرة اخرى فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازي بالهمز
مبني للمفعول اي لا يساوي ولا يقابل يقال فلان يازي فلان اي يحاذيه ويساويه وقال
الكرماني موافقا للجوهري ازيته اي حاذيته ولا يقال وازيته والذي عندنا في
النسخ يوازيه بالواو والمبدلة من الهمزة وقد اجازه بعضهم بقلب الهمزة واوا اذا
انفتحت وانضم ما قبلها نحو جوون وجزم البرهان الحلبي بانه في كلام المص بالواو ويحتمل
انه في كلامه بالهمزة ورسمت واوا على قاعدة الرسم في مثله اي هو صلى الله عليه وسلم
لا يساويه احد في هذه الاخلاق الكريمة والاوصاف الحسنة من الجود والسخا والكرم
والسماحة ● فاق النبيين في خلق وفي خلق ● ولم يدانوه في علم ولا كرم ● ●
ولا يباري بالبنا للمجهول وهو بالموحدة والرا المهملة ومعناه يعارض والمعارضة
ان تفعل مثل ما يفعل وهما متقاربان بهذا وصفه كل من عرفه بالمشاهدة او بما
اشتهر عنه شهرة لا يبقى معها ريب ولا شبهة حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
الصدفي هو الحافظ ابو علي بن سكرة وقد تقدمت ترجمته وهو منسوب لصدف
بفتح الدال وهي قرية بقرب القيروان قال ثنا القاضي ابو الوليد الباجي تقدمت
ترجمته قال ثنا ابو ذر الهروي تقدم ايضا قال ثنا الهيثم الكشميهني قال البرهان
الحلبي هو بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح
الها بعدها نون كما في لباب الانساب لابن الاثير وضبطه بالقلم الحافظ عبد الهادي
في طبقاته بفتح الكاف وكذا صحح في نسخ الشفا والصواب ما ذكرته والنسبة لقرية
من قرى مرو قديمة خرج منها جماعة وقد خربت انتهى وفي آخره يا النسبة لم يصرح
بها لانه معلوم من السياق فما في بعض الشروح من انه لا يا في آخره وان النسبة فيه
على خلاف القياس مما يقضي منه العجب وابو محمد السرخسي نسبة لسرخس بلدة
عظيمة بخراسان وقد تقدمت ترجمته وابو اسحاق البلخي ابراهيم بن احمد بن
ابراهيم بن احمد بن داود المستملي الامام المشهور كما تقدم منسوب لبلخ بلدة
عظيمة في ما ورا النهر قالوا حدثنا ابو عبد الله الفربري تقدمت ترجمته
وفربر بزنة سفرجل بلدة ببخاري قال ثنا البخاري تقدم وشهرته تغني
عن ذكره قال حدثنا محمد بن كثير بلفظ كثير ضد القليل العبدي البصري
الحافظ روى عنه اصحاب السنن وتوفي سنة اثنين وعشرين ومايتين وله
ترجمة في الميزان فيها كلام لابن معين وقال الذهبي اغا هو في ابن كثير القرشي
وفيه تعقب لكلام المزي لانه قال العبدي قال ثنا سفيان هو ابن سعيد
الثوري كما تقدم وهذا الحديث رواه ايضا سفيان بن عيينة عن ابن
المنكدر عن جابر كما هنا واخرجه مسلم والبخاري والترمذي في الشمايل
وهو حديث صحيح عن ابن المنكدر وهو محمد بن المنكدر بن عبد الله

البيتي المدني الحافظ عن ابيه وعن عايشة وابي هريرة رضي الله عنهما واخرج له اصحاب
الكتب الستة قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول ما سئل النبي صلى الله
عليه وسلم شيا فقال لا وقد علمت ان هذا الحديث اخرجه الترمذي في الشمايل وغيره
وفي معناه قول حسان •

ما قال لا قط الا في تشهده • لولا التشهد لم يسمع له لا لا •

ومعنى الحديث انه صلى الله عليه وسلم اذا اتاه مستحق بطلب عطاه لا يجيبه ويقول
له لا قط بل يبذل او له حتى اذا لم يجد شيا اقترض او قال ايتني غدا او نحو وهذا هو الذي
عناه حسان وهو باعتبار الغالب فان النادر كالعدم فهو مبالغة معروفة ما الوقوع
ولم يرد انه صلى الله عليه وسلم لم يتلفظ بلا اصلا حتى يرد عليه ان الاحاديث
المصدرة بلا نحو لا يلدغ المومن من جحر مرتين كما مر لا تحصى كثرة كما قيل ويجاب
عنه بما لا حاجة له ثم قال واما قوله في البردة •

نبينا الآمر الناهي فلا احد • ابر في قول لا منه ولا نعم •

فهو انما يقتضي صدور لا عنه مطلقا وذا لا ينافي انها لم تكن لتصدر عنه اذا سئل عن
شي من متاع الدنيا لجواز صدورها منه في غير تلك الحال اقول قد عرفت ما فيه
او لا نفي هنا في البيت اشكال كان يجول في الصدر قديما وهو ان الامر والنهي انشا
لا يجاب بلا ونعم فالتعريب بلا لا يساعد في محله هنا ولم يحم حول هذا احد من الشراح
نعم ظهر وقد ظهر لي ولله الحمد وجهه فمعنى نبينا الامر الخ انه لا حاكم سواه فهو
حاكم غير محكوم فاذا قال في امر لا او نعم وهو لا يقول الا صوابا موافقا لرضي الله
فحينئذ لا يخالفه الا نفس فاسر وليس غيره حاكم يمنعه عما حكم به ويرد احكامه فهو
اصدق القايلين فيما يقوله وعن انس بن مالك رضي الله عنه وسهل بن سعد
مثله اي مثل الحديث السابق المروي في الصحيحين وحديث انس هذا في مسلم وذكر
في الوفا ايضا ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنا لا يسال شيا الا
اعطاه والاحاديث في معناه كثيرة وسهل هو الساعدي الانصاري الصحابي وقال
ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير اي بما فيه
نفع الناس واجود ما كان في شهر رمضان رمضان اسم للشهر وقال رمضان وشهر
رمضان وكون العلم المضاف دون المضاف اليه او هما كلام لا حاجة لذكره ولا يكره
ان يقال رمضان وما روي من حديث لا تقولوا رمضان فان رمضان من اسما الله
عز وجل ولكن قولوا شهر رمضان ضعيف لا يعمل به لصحة ما يخالفه كما فصله
شراح البخاري وهذا الحديث رواه الشيخان وروي فيه اجود ما يكون ووقع
في بعض النسخ هنا ايضا واجود الثاني يجوز رفعه مبتدا ونصبه عطفا على خبر كان
وعلى الاول خبره محذوف وجوبا كما قرره النحاة في نحو اخطب ما يكون قايما
والكلام عليه طويل الذيل ليس هذا محله وما مصدرية وكان تامة ولنقتصر
من القلادة على ما احاط بالعنق وانما زاد جوده صلى الله عليه وسلم في
رمضان لحاجة الصايمين ولانه موسم الخيرات الذي يتفضل فيه الله على خلقه
بما لم يتفضل في غيره فاتبع سنة الله في عباده وتخلق باخلاقه وكان صلى

ابن الحنبلي

رضي الله عنهم

الله عليه وسلم اذا لقيه جبريل عليه الصلاة والسلام اجود بالخير من الريح المرسلة
لانه عليه الصلاة والسلام يستبشر بملاقاته وامداده له بالبشرى والكرامة ه
فيحسن كما احسن الله اليه فكان بكثرة مجيئه له في رمضان ليدارسه القرآن ه
ويعارضه به بقراءة كل منهما على صاحبه بالتجويد ووجوه القراءات اجود بالخير من
الريح المرسلة قال الكرماني الجود اعطا ما ينبغي لمن ينبغي والخير شامل لجميع انواعه
مما يقرب العبد الى الله وارسال الرياح اطلاقها باذن الله فترسل بالرحمة والمطر
قال تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وقال والمرسلات
عرفا اي الرياح المرسلة بالمعروف على احد التفاسير وهو من التشبيه البليغ على
سبيل الترقي فجعله اجود الناس ثم ذكر ان جوده في رمضان وعند ملاقاة جبريل
اربى منه في غيره والمراد بالمرسلة خلاف العظيمة قيل وفي قوله اجود من الريح
جمع بين الحقيقة والمجاز وفيه بحث يعلم من كلام اهل المعاني في تحقيق وجه
الشبه في قولهم كلامه احلى من العسل وتقديم قوله بالخير اهتماما به وللدلالة
على تقدير مثله فيما بعده او اشتمالهما فيه لا لدفع توهم تعلقه بالريح المرسلة
وليس من الاكتفا وفي تشبيهه بالريح اشارة الى سرعته ومبادرته له ولعمومه
او المراد بالريح المرسلة التي لم ترسل بالعبث لا مطلقها لانها في القرآن مخصوصة
بها فان قلت ذكر الريح وقد قيل انها اذا كانت مفردة تكون في العذاب والشر
واذا جمعت فهي للنفع والخير قلت هذا قيل انه مخصوص بما وقع في القران لا
لا مطلقا فلا ينافيه ما وقع في هذا الحديث وغيره ويؤيده ما اخرجه ابن ابي حاتم
عن ابي بن كعب انه قال كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة وكل شيء فيه من الريح
فهو عذاب وما ورد في الحديث كما رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه ما هبت ريح الا جثا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها
رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا لا يدل على عدم
اختصاصه بما وقع اتفاقا في القرآن لانه قيل انه صلى الله عليه وسلم اراد
اللهم اجعلها من جملة رياح القرآن ولا تجعلها من ريحه اي مما ذكر بهذه
العبارة فلا دليل فيما ذكر كما قيل الا ترى الى قوله ارسلنا عليهم الريح العقيم
وريحا صرصرا ونحوه وقوله وارسلنا الرياح لواقح ويرسل الرياح مبشرات
وقد جرى في بعض الروايات الرحمة بالافراد والجمع وورد مفردة في ذلك
فكانه اغلبي واما تاويله رياحا في الحديث بما جاز فيه الجمع فتعسف وقيل
يحتمل انه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك لان ما هب ان كان ريحا واحدة
لم تلقح السحاب ولم ينزل المطر غالبا وان كان رياحا فهو بخلافه ويحتمل ان يكون
معناه لا تهلكنا بريح واحدة لا تخلفت بعدها ريح اخرى وطول اعمارنا حتى تهب
علينا رياح كثيرة وعن انس رضي الله عنه كما رواه مسندا مسلم في صحيحه
ان رجلا هو صفوان بن امية لا في بيانه كما في سيرة ابن سيد الناس
وغيرها سأله صلى الله عليه وسلم فاعطاه غنما كثيرة كانت بين جبلين
اي مالئه واديا بين جبلين كما يفهم منه ذلك بحسب العرف وان كان يقال

ابن الحنبلي

للعرف

للغنم السارحة بينهما قليلة او كثيرة ذلك فان كان اسلم قبل سؤاله فهو ظاهر وقوله فرجع
الى قومه وهم قريش لانه من اهل مكة وفي نسخة الى بلده وقال اسلموا لا ينافيه وان كان
قبل اسلامه فاما انه كان في صدر الاسلام يجوز اعطا المؤلفة قلوبهم من الكفار من الزكاة
او من بيت المال ثم نسخ وقول الصرصري

واتاه اعرابي التمس لنيله • اعطاه شاء بينهما جبلان •

لعله قصة اخرى فان الرجل المذكور هنا من اكابر قريش ورؤسائه وقوله فان محمدا
يعطي عطا من لا يخشى فاقة فان قريشا كانوا يعلمون كرم شيمه وجزيل عطاياه
صلى الله عليه وسلم فانه لا يخشى فاقة • وما بارى احدا في الجود • الا فاقه • والفاقة
الفقر واشده وهكذا اوليا امته ففي الحديث دعائم امتي عصائب اليمن واربعون
رجلا بالشام كلما مات رجل منهم ابدل الله مكانه آخر اما انهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلاة
ولا صيام ولكن بسخا الانفس وسلامة الصدر والنصيحة للمسلمين واعطى غيره واحد مائة
من الابل الابل اسم جنس جمعي لا واحد له من لفظه كخيل وغنم والذين اعطاهم صلى الله
عليه وسلم مائة ناس كثير منهم ابو سفيان وابنه معاوية والحارث بن هشام وقد
عدهم البرهان الحلبي وقال انهم يبلغون ستين من المؤلفة قلوبهم وكذلك ذكر
الشيخ قاسم في تخريج احاديث هذا الكتاب واعطى صفوان بن امية مائة ثم مائة
ثم مائة وصفوان بن امية هو ابن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح قرشي له صحبة
وكنيته ابو وهب اسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وهو مشرك فلما اعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنيمة ما ذكر قال اشهد بالله ما طابت بهذا الا
نفس نبي فاسلم وروى له اصحاب الكتب الستة وتوفي في خلافة معاوية سنة
اثنين واربعين بمكة وعلى هذا فاعطاه مرارا غنما وابلا فلا منافاة بينه وبين
ما سبق وعطاؤه له السابق كان من غنايم حنين وهذا الحديث رواه مسلم وهذه
اي الخصلة والسجية في الكرم والعطا كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث
اي نبيا او يرسل وقد قال له ورقة بن نوفل وورقة بواو وراء مهملة مفتوحتين
وقاف وهو ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى كان من اعقل اهل زمانه
واعلمهم شاعر بليغ متاله وكان يقرا ويكتب الكتب القديمة بالعربية والعبرا نية
وتاله ويتعبد وكذا اسمى القس وتهود في اول امره ثم تنصر وهو ابن عم
خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها وله اشعار كثيرة في التوحيد ولمذهبه لم يكن
له عقب وورد في الحديث لا تسبوا ورقة فاني رايت له جنة او جنتين يعود لذلك
ما ورد من طريق اخرا انه صلى الله عليه وسلم راه في منامه في الجنة وعليه حلة
خضرا او بيضا او نحوه كثياب من حرير وحلة من سندس وكان حيا في ابتدا الوحي
الى ان تنبا رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم
وامن به كما في اول البخاري وقال ليتني ادركت زمانك لانصرنك نصرا مؤزرا
وكان صلى الله عليه وسلم اذ ذاك نبيا ولم يؤمر بالدعوة ومات ورقة بعد
نبوته صلى الله عليه وسلم وقبل رسالته ولذا قالوا انه اول من امن بالنبي
صلى الله عليه وسلم من الرجال وهو ثان بالنسبة لخديجة رضي الله عنها وصحابي

ولذا عرفوا الصحابي بانه من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مومنا به ولم يقولوا بالرسول
وهذا مما ينبغي التنبه له وفي نظم السيرة للعراقي في ذكر ورقة

فهو الذي امن بعد ثانيا * وكان برا صادقا مواتيا
والصادق المصدوق قال انه * راى له تخططا في الجنة

وهذا هو الصحيح المذكور من انه صحابي عند بعضهم وقيل انه ليس بصحابي
لانه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن به بعد بعثته وعليه جماعة محققون
وقول المص رحمه الله وقد قال الخ ان كانت الجملة معطوفة على ما قبلها فهو صادق
على القولين وان كانت حالا من الضمير في قوله قبل ان يبعث يكون على القول الثاني وهو
مؤمن على كل حال ولذا رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة والاكثر من
علمائنا على انه صحابي انك لتحمل الكل هذا البعض من حديث رواه الشيخان لكن قال
السيوطي في تخريجه القايل له صلى الله عليه وسلم انما هو خديجة رضي الله عنها
في قصة حكاها الورقة في شان النبي صلى الله عليه وسلم لما راى جبريل عليه
الصلاة والسلام في اول امره وخاف على نفسه منه وكذا اعترض عليه الشيخ تام
في تخريجه ايضا فقال لا اعلم هذا من قول ورقة رضي الله عنه والذي في صحيح
البخاري وغيره انه من قول خديجة رضي الله عنها وما قيل من ان القاضي جليل القدر
لا يخفى عليه مثله ولا يبعد منه ورود من ورقة ايضا لا يجدي نفعا مع نقل الصحيحين
خلافه وليس مثله محل بحث والكل ما رم نبوة والكل جواد كبوة والكل بفتح الكاف
وتشديد اللام مصدر بمعنى الكلال وهو الاعيا وفسر بالثقل فقيل انه لازم
معناه وهو المناسب للحمل لانه لا يقال حمل الاعيا والذي في البخاري قبله هذا من
قولها ايضا حين قال لها صلى الله عليه وسلم لما راى جبريل عليه الصلاة والسلام
لقد خشيت على نفسي وهو فقالت كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم
وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وتصدق الحديث
وتؤدي الامانة والحديث في اول البخاري والكلام عليه مفصل في شروحه وحمل الكل
هو كقول العرب في المدح هو حمال اثقال اي يحمل ثقل غيره من الضعفا والعيال
واعانة الخلق بالانفاق عليهم واطعامهم واعطائهم كل ما يحتاجون اليه
وكفالة الايتام وغيره من وجوه البر وهو استعارة شاع في هذا المعنى وتكسب
قال ابن قرقول بفتح التاء وكسر السين المهملة هي اكثر الروايات واصحها اي
تكسب لنفسك بتحصيله ما يهم وقيل تكسب غيرك اي تعطيه لان كسب جاء لازما
ومتعديا وانكر الفراء وغيره اكسبه في المتعدي وصوبه ابن الاعرابي وانشد
فاكسبني مالا واكسبته حمدا فيتعدى بالهمزة لمفعولين وكسب يتعدى لمفعول
كاكسب والمعدوم الشيء الذي لا وجود له واما الفقير فيقال له معدم كمكرم
قال الشاعر

قالت بنات العم يا سلمى وان * كان فقيرا معدما قالت وان

قيل ويطلق عليه معدوم ايضا لانه كالمفقود لفقره فاحد المفعولين
محذوف وان بني للمعلوم وعد كونه ان بني للمجهول والمراد على الوجهين انك

ابن الحنبلي

تصل

يعطي الناس الفقرا ما لا يجدونه عند غيرك لما فيك من مكارم الاخلاق وفي قول الخطابي رحمه
الله صوابه المعدم بلا واو ويريد انك تعطي السايل الفقير الذي لا يجد شيا خطا لان هذه
الرواية صحيحة مشهورة عند رواة الحديث وفيما خشيه صلى الله عليه وسلم على نفسه
وجوه واصحها انه خشي الهلاك من شدة الرعب او تغيير هوا اياه فازالت خديجة رضي
الله عنها ما وقع ذلك الذي خشيه بقولها المذكور لا تخف فانك لا تصيبك مكروه لما
فيك من جميل الصفات ثم ذكر قصة هوازن وهي صحيحة رواها البخاري وغيره فقال
ورد على هوازن سبايا ها وكانوا ستة الاف نفس من النسا والذرية غير الاموال
التي من غنايمهم لما غزاهم وكانت اربعة وعشرين الفا من الابل واكثر من اربعين
الف شاة من الغنم واربعة الاف اوقية من الفضة والاوقية اربعون درهما
وعن ابن فارس انه قوم ما وهبه لهوازن فكان خمسماية الف الف وقيل ستماية
الف الف وهوازن اسم قبيلة منسوبة لهوازن بن اسلم وكان يسكن حنينا وهو كما
باني موضع سمي بحنين بن نابة بن مهلايل وغزوته صلى الله عليه وسلم لهم
تسمى غزوة حنين وغزوة هوازن وكانت في شوال اول رمضان وامرها معروف
مفصل في السير ولما غزاهم وحاز غنايمهم قدم وفدهم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهم اربعة عشر رجلا رييسهم زهير بن صرد وفيهم ابو برقان عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع فسالوه ان يمن عليهم بما اخذ منهم
لما بينهم وبينه من مناسبة الرضاعة فقال لهم ابناوكم ونساوكم احب اليكم ام
اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيا فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي
ولبني عبد المطلب فهو لكم وما للناس نسال منهم فقال المهاجرون والانصار ما كان
لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الجماعة من المولفة اما ما لنا فلا
فاخذه صلى الله عليه وسلم منهم قرضا على ان يعوضهم عنه من اول مال يجي
فسلموهم جميعا وكان صلى الله عليه وسلم كساهم وانما فعل ذلك لانه كان بعد
القسم ولهذا للامام ان يمن بعده لتعلق حق الغير به والسبايا جمع سبية
بمعنى مسبية قال التلمساني ولا يكون السبي الا في النسا واعطى ايضا العباس
ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه البخاري عن انس
لعله من الذهب ما لم يطق حمله وقد اتي بمال من البحرين وكان اكثر مال اتي
به في المسجد فاتاه العباس رضي الله عنه وقال اعطني فاني فاديت نفسي وعقيلا
فقال له صلى الله عليه وسلم خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب ليقله فلم يستطع
فقال مر من يرفعه فقال لا فقال فارفعه انت علي فقال لا فنثر منه ثم ذهب
يقله فلم يقدر فقال له كالاول فنثر منه ثم احتمله على كاهله وانطلق فاتبعه
صلى الله عليه وسلم بصره تعجبا منه ولم يقم حتى فرقه ولم يبق منه درهم
وانما اعطاه لانه خرج لبدر مكرها وكان يخفي اسلامه ثم فدى نفسه وعقيلا
كما قدمناه وحمل اليه صلى الله عليه وسلم تسعون الف درهم فوضعت على
حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سايلا حتى فرغ منها رواه الحسن بن
الضحاك في شمايله مرسلا الا انه قال ثمانون الفا واخرجه ابن الجوزي في

بالاحساب

تقدم الشفاة [illegible] العوض

الوفا وقال سبعون الفا كما قال الشيخ قاسم في تخريج احاديث الشفا والسيوطي في تخريجه بلفظ
سبعين بتقديم السين على الموحدة ويوافقه قول الصرصري في مديحه

سبعون الفا فضها في مجلس • لم يبق عنكم منها فلسان

وقوله حتى الى غاية لقوله فقسمها وقيل لقوله فما رد سايلا وليس المراد انه رد بعد
الفراغ فهو على حد قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا وجاءه رجل فساله عطا
يحسن به له فقال ما عندي شيء ولم يقصد منعه بذلك حتى لا ينافي ما مر من انه صلى الله
عليه وسلم ما قال لسايل لا قط لان المراد انه لم يمنعه مما سال من متاع الدنيا وانما
مراده اخباره بعدمه في عدم التعجيل له بدليل قوله ولكن ابتع علي بموحدة ساكنة
بعد همزة الوصل ومثناة فوقية مفتوحة وعين مهملة افتعال من البيع بمعنى الشرا
فانه يطلق عليهما وفي القاموس ابتاعه اشتراه اي اشتر بثمن يكون ذلك الثمن علي
وفي ذمتي كذا ثبت في الحديث وفي شرح الدلجي انه بتقديم المثناة الفوقية على الموحدة
اي اشتر واستلفه مختار انتهى وليس هذا ضمانا بل وعد منه لان وعده صلى
الله عليه وسلم كان ملتزم الوفا لان وعد الكريم دين ولذا صح انه لما توفي نادى ابو بكر
رضي الله عنه من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة او دين فليأتنا فجاءه
جابر رضي الله عنه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدني كذا فاعطاه له
فاذا جانا شيء مما من الله به من الغنايم او غيرها وفي قوله جانا يعني معاشر المسلمين
اشارة الى انه مال الله لعباده لا لي وحدي قضيناه اي اديناه ويحتمل ان الضمير هنا
وفيما قبله للتعظيم اي قضيته فيما انال به التعظيم منه تعالى واختاره بعضهم لانه
لم يقل جاني وقضيته مع قوله علي فتامل والقضا يشعر بانه لزم ذمته كالدين
فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره صلى الله عليه وسلم ذلك
اي بدا في وجهه الشريف اثر عدم رضاه به لان فيه كسر خاطر السايل ولان مثله لا يعد
تكليفا لما قدره له لما عوده الله من قبض بعضه عليه فقال رجل من الانصار يا رسول
الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا كان حاضرا لما راى من كراهة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذلك قال البرهان هذا الرجل لا اعرفه وفي حفظي ان القايل بلال رضي
الله عنه لكنه مهاجري لا انصاري فيكون قد قال ذلك بلال والانصاري فان الذي ذكر
فيه بلال قصة الاخرى المامور فيها بالانفاق بلال وهو ما رواه الطبراني والبزار
مسندا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على بلال وعنده صبرة من تمر وروي انه صلى الله عليه وسلم قال له يوما اطعمنا
يا بلال فقال ما عندي الا صبرة خباتها لك ولضيفانك فقال اما تخشى ان تقذف
بها في نار جهنم انفق بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا ومن العجب ايراده هذا
هنا ولا مناسبة له بما نحن فيه ووقع في بعض كتب الحديث انفق بلالا ووجه بتوجيهات
منها ان اصله بلالي بالاضافة لياء المتكلم وحذف حرف النداء او ابدال اليا الفا كيا
غلاما وقيل بلالا هنا ليس علما بل فعال من البلل اي انفاقا قاطرا تبل فيه
قلب آكليه ولو قيل انه رد لا اصله من النصب واطلق لمشاكلة اقلالا لم يبعد
وقد اخرجه العسكري في الامثال مرفوعا وفي الطبراني انفق يا بلال ومعنى

دلجي

الا لا ان يقل الله الرزق ويجعله قليلا لان لكل منفق خلفا وقوله لا تخشى نصف بيت وقع
اتفاقا وقيل بلا لا كلمتان اي تخيرلا وبا بأه ؟ وايه بالال بحرف الندا او الذي ؟ واها الضم ولا
تخف دون لا تخشى كما مر وقول بعض الشراح الصواب لا تخش لبعيرمو ؟ وناع صواب من
وجهين فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه بانبساطه وتهلل اساريره وقال
بهذا امرت اي بالانفاق من غير مخافة فقر والتبسم انفتاح الفم من غير قهقهة وهو مبادي
الضحك وقد استشكل هذا بان الله امر بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا
تبسطها كل البسط ~~قال في الكشاف~~ فتقعد ملوما محسورا قال في الكشاف لان الاسراف
غير محمود وكان صلى الله عليه وسلم ينفق جميع ما عنده ويجوع حتى يربط الحجر على بطنه
واجاب القاضي ابو يعلى بان المراد بهذا الخطاب غيره صلى الله عليه وسلم وغير خلص
المؤمنين الذين كانوا ينفقون جميع ما عندهم عن طيب قلب لتوكلهم وثقتهم بما عند الله اما
من كان ليس كذلك بتحسر على ما ذهب منه فهم المحمود منهم التوسط وهم الذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا لا بهم لا صبر لهم على الفاقة ولذا صعب عليه صلى الله عليه وسلم
كلام عمر رضي الله عنه لما رأى ظاهر الحال وامر بصيانة المال شفقة على النبي صلى الله
عليه وسلم لعلمه بكثرة السائلين له وتهافتهم عليه ولكل مقام مقال والانصاري رأى
حاله صلى الله عليه وسلم فلذا سره كلامه فقوله بهذا امرت اشارة الى انه امر خاص به
وبمن يمشي على قدمه وقوله ذكره الترمذي اشارة الى من روى هذا الحديث وذكر عن معوذ
ابن عفراء ذكرنا ان المجهول قال السيوطي ذكر هذا الحديث الترمذي في الشمائل والطبراني
عن الربيع بنت معوذ وسنده حسن يعني ان المذكور انما هو الربيع بنت معوذ بضم الراء
المهملة والتصغير فهو مشدد اليا التحتية اسم امراة منقول من مصغر الربيع وكذا
قال البرهان وقال لعله سقط من النسخ لفظ الربيع او وقف عليه القاضي رواية
عن معوذ الا ان معوذا لا اعلم له رواية ووقع في نسخة على الصواب ومعوذ بضم
الميم وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وحكى ابن قرقول فتحها وغيره لا
وكذا ضبطناه عن الصدفي بدال المعجمة وقال التلمساني قيل ان الدال مهملة مع
الفتح والكسر والاول اولى وعفرا بعين مهملة وفا ساكنة ورا مهملة وهمزة
ممدودة اسم امه وهي عفرا بنت عبيد بن ثعلبة واشتهر بذلك واسم ابيه الحارث
ابن رفاعة بن الحارث بن سواد ومعوذ استشهد ببدر قتله ابو مسافع وقيل انه
هو الذي قتل ابا جهل وفيه كلام في السير قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقنا
بقاف مكسورة ومضمومة فنون والف فعين مهملة ويقال له قنع بكسر القاف وقيل
قناع جمع قنع وظاهره فوله من رطب تزيد طبقا انه موزد وكذا قوله في حديث آخر
يهدي لنا القناع فيه كعب حيث افرده واجر زغب بفتح الهمزة وسكون الجيم وكسر
الزا واصله اجري فسقطت ياؤه كادل في جمع دلو وهو جمع جرو بكسر الجيم بوزن
علم وهو صغير القثا وزعم ابن قرقول ان جروا جمعه اجرا على افعال وهو جمع
جرو وزغب بضم الزا وسكون الغين المعجمتين وموحدة جمع ازغب وهو ما
عليه زغب والزغب صغار الريش والشعر فشبه به ما يكون على الفاكهة ونحوها
من القشر وقوله يريد قثا بكسر القاف وضمها وتشديد المثلثة والمد وهي معروفة

بحيره

٤

وهو ضرب من الخيار والهاء للتانيث أو للالحاق وهو اسم جنس يطلق على الواحد وغيره ولذا
فسره بالجمع ولا حاجة لتقدير من جنس هذه وعلى كل حال فلا يقال انه زغب هنا كالدثار
القثاء كما توهم وهو تفسير لقوله اجر وروي الهروي اجن بالنون بدل اجر وهو جمع
جنا وهو الغصن الرطب والمشهور الاول وكان صلى الله عليه وسلم يحب القثاء فاعطاه
ملء كفه حليا وذهبا بالواو العاطفة وفي الترمذي أو قال ذهبا مما كان عنده مما
جاء من البحرين وهذا مما يدل على الوهم في رواية معوذ فانه قتل ببدر ومال
البحرين انما اتاه صلى الله عليه وسلم بعد ظهور الاسلام والحلي بفتح الحاء المهملة
وسكون اللام بزنة ضرب وجمعه حلي بضم الحاء وكسرها ووزنه فعول وهو كل
مصاغ من الذهب والفضة وضبطه التلمساني بالفرد هنا فان كانت الرواية به
فواضح والا فيحتمل قراءته بالوجهين وعن انس وفي نسخة قال انس رضي الله عنه
كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد اخرجه الترمذي وشيئا اعم من المال
والقوت وهذا بالنسبة لاغلب أحواله صلى الله عليه وسلم وقد وقع خلافه
تعليما وتطييبا لقلوب اهله وهو لا ينافي التوكل كما لا يخفى والخبر بجوده اي في
بيان جوده وكرمه كثير لا يحصى وعن البحر حدث ولا حرج وعن ابي هريرة رضي الله
انه قال اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الرجل لم يسم والحديث لم يخرجه
السيوطي ولا غيره يساله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اقترض
والسلف والقرض بمعنى نصف وسق بفتح الواو وكسرها وهو ستون صاعا
وعند اهل الحجاز ثلاثمائة وعشرون رطلا واربعمائة وثمانون رطلا عند اهل العراق
على اختلافهم في مقدار الصاع والمد كما قاله البرهان الحلبي رحمه الله والوسق
ايضا مصدر بمعنى ضم الشيء فجاء الرجل الذي اقترض منه يتقاضاه اي يطلب منه
كما مر فاعطاه وسقا ضعف ما اخذ منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له
نصفه قضاء لما اخذ منك ونصفه نائل اي عطاء وهبة لك ووقع في بعض النسخ هنا
زيادة سقطت من اكثر النسخ وهي وقد قال ابو علي الدقاق من شيوخ المتصوفة
المشاهير وعلمائهم النحارير وتكلم في الفتوة وهي غاية الكرم والايثار على
رايهم واصطلاحهم في الفاظهم ان هذا الخلق لا يكون بكماله الا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فان كل احد في القيامة يقول نفسي نفسي ويقول هو صلى الله
عليه وسلم امتي امتي انتهى ما زيد هنا واثبتها محمد بن مرزوق في شرحه
وتبعه التلمساني وشرحها فلنتمم الفائدة ببعض فوائدها وبيان ما فيها
فاعلم ان الدقاق هو ابو علي الحسن بن علي شيخ القشيري تفقه في اول امره
على القفال وغيره ثم انقطع حتى صار سيد وقته والمتصوفة والصوفية
واحده صوفي ويقال تصوف اذا انقطع الى الله كما يقال قيسي اذا انتسب
لقيس وهذا لفظ مولد واصطلاح حدث بعد القرن الاول فقال بعضهم
الصوفي هو المنقطع بهمته الى ربه وهم مقتدون باهل الصفة رضي الله عنهم
وهي سقيفة اتخذها ضعفاء الصحابة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
وكان قبل الاسلام حي يقال لهم صوفة يخدمون الكعبة فقيل الصوفي

ابن الحنبلي

لشبهه

نسبة لهم وقيل لانهم تجمعوا كما تتجمع الصوف وقيل انهم لخشونتهم كصوفة مطروحة
على الارض او هو منسوبة للصوف للبسهم وسهولة اخلاقهم او للبسهم الصوف لاختيارهم
الفقر وهذا الظهر الاقوال لفظا ومعنى وقيل منسوب للصفة والاصل صفي فابدل
احدى الفائين للتخفيف لينا وقيل انه من الصفا ففيه قلب وصحح هذا البعض لقول البستي

تخالف الناس في الصوفي واختلفوا ❊ جهلا وظنوه مشتقا من الصوف ❊ ❊
ولست انحل هذا الاسم غير فتى ❊ صافي فصوفي حتى سمي الصوفي ❊ ❊

ولا شاهد فيه لانه على مذهب الشعرا وقد بين المص رحمه الله معنى الفتوة ❊ ❊

**فصل** واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها
للعقل هذا معنى ما قاله الحكما في علم الاخلاق ان الله ركب في الانسان قوة هي مبدو
الاقدام على الاهوال والمهالك لتصوره ان من خاطر بالنفس ربما يهلك النفس وانه
لا يغني حذر من قدر وهي القوة الغضبية التسبعية والشجاعة انقياد هذه القوة ❊
لسلطان العقل والنفس الناطقة ليكون اقدامها على حسب الروية من غير اضطراب
حتى يكون فعلها جميلا محمودا وافراطها التهور وهو الاقدام حيث لا ينبغي وتفريطها
الجبن وبهذا عرفت معنى الشجاعة والجراة اعم منها وهذه تختص بالانسان وفسرها
ابن القوطية بالاقدام وهو تفسير لفظي بالاعم والنجدة بفتح النون وسكون الجيم
والدال المهملة كما في النهاية وهي شدة الباس ويقال هم انجاد امجاد اي اشدا شجعان
والواحد نجد ككتف واكتاف وقيل انه جمع الجمع جمع نجد على نجاد ونجاد على انجاد
وفسرها اهل اللغة بالشجاعة على عادتهم في التسامح فلا ينافي تغايرهما كما توهم
ويؤيده ما في الحديث الاتي عن ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من
رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتهرت النجدة في معنى المساعدة ثقة النفس
لنفس الشروح وثق الشي بالضم وثاقة صلب واشتد ومنه الوثاق وثقت به
بالكسر اثق ثقة اعتمدت عليه وائتمنته كما في التقريب والمص رحمه الله استعمل
الثقة موضع الوثاقة ولم اظفر به قلت هذا اعجب منه فانه بمعنى اعتماد النفس
على بدنها او اعتماده على نفسه عند استرسالها اي انطلاقها واخذها فيما يؤدي
الى الموت او استيناسها وطمانينتها بلا خوف كما ورد في الحديث ايما مسلم استرسل
الى مسلم فغبنه وحديث غبن المسترسل ربا حيث تجد فعلها دون خوف قيل ومنشؤه
قوة النفس وشدتها وليست عين الشجاعة فسر الشدة بما ينشو عنها انتهى وكلامه
نص على تغايرهما والشراح لم يعرفوا بينهما والفرق بين الصبح ظاهر فان الشجاعة
جراة واقدام يخوض به المهالك كما ينبغي والنجدة ثباته على ذلك مطمئنا من غير
خوف من ان يقع على الموت او يقع الموت عليه حتى يفضل الله له باحدى الحسنيين
الظفر او الشهادة فيحيى سعيدا او يموت شهيدا فتلك مقدمة وهذه
نتيجتها ولذا اخرها المص في الذكر وكان صلى الله عليه وسلم منهما اي من
الشجاعة والنجدة بالمكان الذي لا يجهل اي كان متصفا بهما على اعظم وجه ومشتهرا
بذلك اشتهارا لا يخفى على احد وعدم جهل المكان لعلوه وشرف نباته كالجبل
والقصر فكنى بذلك عن علو قدره صلى الله عليه وسلم وشهرته على حد قوله

ابن الحنبلي

ان الشجاعة والسماحة والندي • في قبة ضربت على ابن الحشرج •
وقد حضر المواقف الصعبة اي مواضع القتال الشديدة ومصافها فجعلها نفسها صعبة
لصعوبة ما فيها وفر الكماة والابطال عنه غير مرة الفرار الرجوع بسرعة والكماة
بزنة قضاة جمع كمي على خلاف القياس لانه مخصوص بفاعل المعتل او هو جمع كام بمعنى
كمي وان لم يسمع وهو من تكمى اذا تستر فاصله الشجاع اللابس للدرع والبيضة ثم
استعمل في مطلق الشجاع كالمستعر فان قيل انه سمي به لانه يستر شجاعته ووقايعه
كان الثاني حقيقة ايضا لكن المعروف هو الاول والابطال جمع بطل كحسن وهو
الشجاع المعروف بالشجاعة سمي به لانه يبطل عنده دما الاقران وغير مرة بمعنى
مرات والعرب تجعل غير مرة بمعنى مرات مع صدقه على مرتين للابهام ونحوه
من الفوايد وهو صلى الله عليه وسلم ثابت لا يبرح اي لا يفارق مكانه كقوله
فلن ابرح الارض اي لا افارقها ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح اي لا يتحول عن مقره
قال تعالى فمن زحزح عن النار وهذه الحالتان تدل على ثباته صلى الله عليه وسلم
اي تارة يقبل على الحرب وتارة يثبت كالجبل الراسي فلا يتحرك فان اريد باقباله
مجرد توجهه بوجهه وبعدم ادباره التفاته لغيرها فهما حال واحد واصل
معنى التزحزح التباعد والتنحي عن المكان قال الزبيدي زحه اذا دفعه
وكذلك زحزحه وقيل هو من زاحه يزيحه او من الزوح وهو السوق الشديد
ويقال زحزحته فتزحزح وانزاح اذا تباعد ومنه المزاح والصحيح الاول
وعطفه على الادبار من عطف الخاص على العام وكان من خصايصه صلى الله عليه
وسلم انه يجب عليه مصابرة العدو وان كثر وزاد على ضعف عسكره وياتي
ما فيه واما الآن فان زاد العدو على ضعف المسلمين جاز انصرافهم عن القتال
والا فلا يجوز الا بالتحيز او التحرف الى فئة فان الفرار من الزحف كبيرة كما فصله
الفقها والمفسرون وما شجاع الا وقد احصيت له فرة احصيت بالبنا للمجهول من
الاحصا وهو العد والحفظ والفرة المرة من الفرار وهو الهزيمة والفار الهارب
وحفظت عنه جولة سواه صلى الله عليه وسلم الجولة بفتح الجيم وسكون الواو
واللام المرة من الجولان في المكان وقيل هي الانكشاف والزوال عن الموقف من
غير تقييد بالمرة وفي النهاية جال واجتال اذا ذهب وجا ومنه الجولان في الحرب
والجايل الزايل عن مكانه وقول الصديق رضي الله عنه للباطل نزوة وللحق جولة
يريد به غلبة من جال على قرنه يجول انتهى والجولة هنا مقصود بمعنى فرة
لا غلبة وفي الحديث للباطل جولة ويضمحل والحاصل ان الجولة تكون بمعنى
الفرار وبمعنى الذهاب للعود والتردد في المكان ويصح ارادة كل منهما هنا
ويكون صفة ذم ومدح ثم ذكر ما يدل على ما ذكره فقال حدثنا القاضي
ابو علي الجياني فيما كتب لي هو الامام الحافظ ابو علي الغساني الجياني بفتح
الجيم وتشديد المثناة التحتية ثم الف ونون ويا النسبة لبلدة منها ابن مالك
وابو حيان وغيرهما من الايمة وقوله كتب لي دون الي يشعر بانه وقع له ذلك
مع مثلا فانه بدل قوله حدثنا فان الكتابة تكون للغايب والحاضر وتتضمن

الاجازة

الاجازة وابن الصلاح رحمه الله لم يعرف بين كتب له والجيم اذا قال كثيرا ما يوجد في
مسانيدهم ومصنفاتهم كتب الي فلان وهو معمول به عندهم معدود في المسند
الموصول وفيه اشعار قوي بمعنى الاجازة وان لم يقترن بها وعند السمعاني والامام
الحرمين انه اقوى من الاجازة المجردة قال ثنا القاضي سراج بكسر السين كالسراج
المنير وهو سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج الاموي توفي
لستة عشر من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسمائة والذي روى عنه الجياني هو جد
سراج بن عبد الملك كما قاله التلمساني قال ثنا ابو محمد الاصيلي هو ابو محمد عبد
الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الاصيلي ويقال الازيلي بالزاي والسين ايضا
نسبة لاصيلة بلدة بالمغرب معروفة كما قاله ابن قرقول وقال الصاغاني في الذيل
والصلة اصيل بلد من اعمال الاندلس قال ثنا ابو زيد الفقيه هو ابو زيد المروزي
وقد تقدمت ترجمته قال ثنا محمد بن يوسف هو الفربري وقد تقدمت ترجمته
ايضا قال ثنا محمد بن اسمعيل هو الامام البخاري وقد تقدمت ترجمته قال ثنا
ابن بشار الامام الحافظ ابو بكر محمد بن بشار بفتح الموحدة التحتية وتشديد
الشين المعجمة والف وراء مهملة المعروف ببندار روى عنه اصحاب الكتب الستة
عاش ثمانين سنة ومات سنة اثنين وخمسين ومائتين وقيل احدى وخمسين
وترجمته مفصلة في الميزان قال ثنا غندر بضم الغين المعجمة وسكون النون
وفتح الدال المهملة وبضم وراء مهملة وهو محمد بن جعفر الهذلي مولاهم البصري
الحافظ روى له اصحاب الكتب الستة توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة وترجمته
في الميزان ايضا عن ابي اسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي احد اعلام
الحديث اخذه عن عدة من الصحابة وعدة من التابعين وروى عنه خلق كثير
وله نحو ثلاثمائة شيخ وهو يشبه الزهري في الكثرة وكان صواما قواما غازيا
مات سنة سبع وعشرين ومائة وله خمس وتسعون سنة واخرج له اصحاب
الكتب الستة وله ترجمة في الميزان سمع البراء بن عازب الصحابي المشهور وقد
ساله رجل وهذا الحديث اخرجه القاضي كما ترى عن البخاري في الجهاد في
موضعين باختلاف في بعض الفاظه ورواه مسلم في المغازي والنسائي في السير
افررتم معاشر الصحابة يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
نعم وحنين بن باية بن مهلائيل وبه سمي الموضع المعروف وسميت غزوة حنين
واوطاس باسم الموضع الذي كانت فيه الوقعة سنة ثمان من الهجرة في شوال
ووقع في البخاري انه صلى الله عليه وسلم خرج الى حنين في رمضان والمعروف
انه في شوال وما ذكره المصنف ورد في بعض طرق الحديث وفي بعضها افررتم ولم
يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي رواية مسلم وعلى هذه الرواية
قال النووي جواب البراء رضي الله عنه من بديع الادب لان تقديره افررتم كلكم
فيقتضي انه صلى الله عليه وسلم وافقهم على ذلك فقال البراء لا والله ما
فر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن جماعة من اصحابه جرى لهم كذا
وكذا انتهى وهذا الجواب لا ينافي الا على الرواية الثانية وكان ينبغي للشيخ ان

يجيب بجواب غير هذا لان هذا الفهم احترز عنه السايل بقوله عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يجي انه صلى الله عليه وسلم انهزم قط ولم ينقله احد وقد نقل الاجماع
على انه لا يجوز ان يعتقد انه صلى الله عليه وسلم انهزم ولا يجوز ذلك عليه بل كان
العباس وابو سفيان رضي الله عنهما اخذين بلجام بغلته يكفانها عن اسراع التقدم
الى العدو كما ياتي وقد صرح به البرا في حديثه كذا قال البرهان وقيل عليه انه ياتي
الجواب على ما رواه المص ايضا لان قول السايل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان دفع وهم انه ما فر معهم لا يدفع انه فر بعد فرارهم فكان ثابتا في ما طواه البرا
في الجواب الذي تقديره فر من فر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي دفعه
بقوله لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر لانه استدراك لدفع ما توهم
من الكلام السابق وان لم يصرح به وما قيل من انه يمكن ان يقال قصد البرا ان يبين
ان فرارهم لم يكن بالكلية وانما معناه تحولنا عن وجه العدو وجعلنا جولة ثم عدنا
وكيف ندع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعز من انفسنا او هو من الاسلوب
الحكيم فكانه لما ساله عن فرارهم قال له هذا لا يهمك شانه وانما الذي ينبغي
ان تعتقده انه صلى الله عليه وسلم لم يفر تكلف لا ينفي في الكلام ما يدل عليه ثم
قال لقد رايته على بغلته البيضا الشهبا يقال لها فضة اهداها له فروة بن
نفاثة كما في مسلم وفروة بفتح الفا واسكان الرا ونفاثة بضم النون وبالفا
المخففة وبالمثلثة الجذامي بضم الجيم وبالذال المعجمة وفي رواية ابن اسحاق
ابن نعامة بالعين والميم والمعروف الاول وقال بعضهم ركب صلى الله عليه وسلم
في حنين بغلة تسمى دلدل وكذا قال النووي في شرح مسلم والمعروف الاول
ودلدل اهداها له المقوقس وكبرت وبقيت الى زمن معاوية رضي الله عنه
ويقال انه وهبها صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه وكان له صلى الله عليه
وسلم ست بغلات او خمس كما ذكره الحفاظ وذكروا من اهداها له وابو سفيان
ابن الحارث بن عبد المطلب بن عم النبي صلى الله عليه وسلم واسمه المغيرة او اسمه
كنيته وكان اخاه من الرضاع والف الناس به قبل النبوة وكان يشبهه صلى الله عليه
وسلم ايضا وكان شاعرا مطبوعا فلما ظهر الاسلام اظهر العداوة وهجا النبي صلى
الله عليه وسلم واجابه حسان رضي الله عنه بما هو مذكور في السير ثم اسلم
وحسن اسلامه وابلى بلاء حسنا يوم حنين وتوفي في سنة عشرين وصلى عليه عمر
رضي الله عنه وهو احد من ثبت يوم حنين وهم عشرة او اكثر كما فصله اهل
السير اخذ بلجامها اي ممسك عنان بغلته صلى الله عليه وسلم والعباس رضي
الله عنه من الجانب الاخر فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي سفيان
وقال له من انت قال اخوك ابو سفيان بن الحارث فداك ابي وامي فقال
لعمر اخي ناولني حصا من الارض فناولته ورمى به فاصاب اعينهم كلهم
وانهزموا وانما امسكا باللجام لئلا يسرع للاتصال بالعدو ولما راوه من
اقدامه صلى الله عليه وسلم ومشاره عنه فاشفقا عليه بمقتضى المحبة
الاسلامية والرحم وان علما عصمته صلى الله عليه وسلم وحماية الله له

ابن الحنبلي

عصمي

والنبي

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب هذه الروا
المشهورة بسكون البا للوقف ويروى بتحريك البا فيهما وروي بلا كذب وعلى هاتين
الروايتين لا اشكال وعلى الرواية المشهورة اشكال مشهور وهو انه يكون موزونا من
بحر الرجز والنبي صلى الله عليه وسلم لا يصدر منه الشعر لقوله تعالى وما علمناه
الشعر وما ينبغي له فكيف يصدر عنه صلى الله عليه وسلم هذا ونحوه كقوله هل انت
الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت ووقع مثله في كتاب الله واجيب عنه بان الرجز
ليس من الشعر كما ذهب اليه بعضهم استدلالا بهذا وبان العرب تسمى قائله راجزا
لا شاعرا وبان المراد بالشعر المنزه عنه صلى الله عليه وسلم ان يكون بنظم القواعد فيكون
سجية وما وقع نادرا لا يعد قائله شاعرا ونظيره ما قاله الباقلاني في كتاب الاعجاز
ان القران يقع فيه دون تكلف حتى يكون جامعا لانواع الكلام وبمثله لا يكون القران شعرا
كالبيت او المصراع اذا وقع في اثنا رسالة او خطبة والجواب المشهور ان الشعر هو
الكلام الموزون المقفى بالقصد وما وقع في الحديث كهذا او في القران كقوله يريد
ان يخرجكم من ارضكم بسحره لم يقصد وزنه فلا يسمى شعرا وهذا في الحديث صحيح واما
في القران فلا فلانا اذا سلمنا وقوعه فيه لا بد ان يكون بالقصد والارادة لانه لا يمكن
ان يقع شي في الخارج بغير ارادته وقد ذكرت هذا البعض مشايخي فاستحسنه ثم رايته
في بعض شروح المفتاح وقد اجبنا عنه في كتابنا طراز المجالس وكان ابن قدامة في كتاب
التكملة لحظ هذا فذهب الى انه ليس في القران موزون لانا لا نجوز ان يقرا على
هذه الطريقة بل نصل الكلام ولا نقف على ما يشبه العروض والضرب وحينئذ
لا يكون موزونا وهو كلام حسن وقوله لا كذب اذا حرك يلزمه الوقف على متحرك
وهو لحن لا يصدر عمن هو افصح الناس وفيه نظر ونفيه الكذب عنه لانه صلى
الله عليه وسلم معصوم عنه مطلقا ومعناه لا كذب في الظفر والنصر وما وعد في
الله او لا الكذب في دعوى النبوة لظهور اياته ووضوح برهان معجزاته والمقصود
تثبيتهم حتى لا يفر احد منهم وقوله وزاد غيره ان كان الضمير راجعا للبخاري
اقتضى صيغة ان هذه الزيادة لم ترد في البخاري مع انها فيه في محلين من كتاب
الجهاد فكان ينبغي له اسقاط قوله وزاد غيره وان رجع لغيره ممن سمع البرا
فالامر واضح وقوله انا ابن عبد المطلب كما يقول المحارب انا فلان اشارة الى
شجاعته وصولته وانما انتسب صلى الله عليه وسلم لجده دون ابيه لاشتهاره
بذلك لان اباه مات شابا في حياة جده وهو طفل فكفله وكانوا يقولون له
ابن عبد المطلب لعلو مقامه وكونه سيد اهل مكة او خصه بالذكر وقد
الزموا عنه تثبيتا لنبوته صلى الله عليه وسلم وازالة للشك فيها لما
عرف من رؤياه المبشرة بذلك كما انبا بذلك الاحبار والكهان فكانه يقول
انا ذلك الموعود به فلا بد مما وعدتم به لئلا يفروا ويظنوا انه مقتول او مغلوب
وكان عبد المطلب راى في منامه ان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف
في السما وطرف في الارض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كانها شجرة
على كل ورقة منها نور فاذا اهل المشرق والمغرب كانهم يتعلقون بها فقصها

ويخبر بمولود له من صلبه ينزعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذلك
سماه محمدا كما قال المحب قيل له لم سميته محمدا وليس لاحد من ابائك ولا قومك مثله فقال
رجوت ان يحمده اهل الارض وقيل ان امه لما حملت به قيل لها انك حملت بسيد هذه
الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا وقد علمت ان قوله انا النبي الخ ليس من الافتخار
المنهي عنه لانه جائز في الجهاد لارهاب العدو وكان صلى الله عليه وسلم ينصر
بالرعب كما مر وهكذا جار على عادتهم كقوله * اقول له والرمح باطر متنه * تامل خفافا
انني انا ذلكا * قيل فما رئي يومئذ احد كان اشد منه صلى الله عليه وسلم اي لم
ير في حرب هوازن اقوى واشجع من النبي صلى الله عليه وسلم وقد ركب بغلته
وقد ظاهر عليه درعا ومغفرا وطاف على الصفوف يحثهم على القتال ويبشرهم
بالفتح ان صدقوا وصبروا وكانوا برزوا للقتال في كتائب لم ير المسلمون مثلها
عدة وعددا وحملوا حملة واحدة وكانوا ارمى الناس بالسهام واعرفهم بالدفاع
فانهزم الناس والنبي صلى الله عليه وسلم ثابت يلتفت يمنة ويسرة لمن فر منهم
وهو يقول يا انصار الله وانصار رسول الله انا عبد الله ورسوله ثم تقدم
بحربته امام الناس فلم يمض قليل حتى هزمهم الله وانما قال المص رحمه الله قيل
لان هذه اللفظة بعينها لم تثبت عنده بطريق صحيح واما كونه صلى الله عليه وسلم
اشد من حضر تلك الوقعة واشجعهم فهو مما لا شبهة فيه ولا يمكن احد انكاره
وقال غيره اي غير البخاري الذي في الحديث السابق من روايته لكنه لم يذكر فيه انه صلى
الله عليه وسلم نزل عن بغلته فانه في رواية مسلم رواه سلمة بن الاكوع رضي الله عنه
قال لما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من
تراب الارض ثم استقبل بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق احد منهم حتى
امتلأت عيناه من تلك القبضة ترابا وهزمهم الله ولا شك ان النزول في وقت
المحاربة فيه من الشجاعة ما لا يخفى وتسميه العرب نزالا فلما
التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين هذه حال مؤكدة وهي قد تكون
موافقة لعاملها معنى كهذه الاية ولى مدبرا وقد تكون موافقة له لفظا كقوله
اصبح مسبحا لمن ابدى تسبيحته والاول اقوى لما فيه من ترك التكرار بحسب اللفظ
وفي قوله ولى المسلمون ان اريد جميعهم مجاز بجعل الاكثر بمنزلة الجميع والا
تجوز خلافا لمن ظنه وقد ثبت جماعة من المسلمين اختلف في عددهم كما مر وفصل
ابن الحنبلي
في السير وكتب الحديث وذكر مسلم في صحيحه رواية عن العباس رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين
فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعل وشرع في فعل ذلك يركض
بغلته نحو الكفار اي يسوقها ويسرع بها والركض الضرب بالرجل فمتى نسب
الى الماشي فوطء الارض نحو قوله اركض برجلك ونحو منصوب على الظرفية
اي في جهتهم وانا اخذ بلجامها اي ممسكه اكفها اي امنعها من السرعة
ارادة ان لا تسرع اي لاجل ارادة ان لا تسرع نحو العدو ويقتحم به وابو سفيان
ابن الحارث بن عبد المطلب اخذ بركابه هذه رواية وفي اخرى ان ابا سفيان كان يقود

بفعله صلى الله عليه وسلم اخذ اللجامها من احد جانبيها فلعله تارة كان يفعل كذا وتارة
ان يفعل كذا فلا تعارض بين الروايات ثم نادي ابن العباس رضي الله عنه وكان جهوري
الصوت يا للمسلمين الحديث بفتح اللام الاولى لدخولها على المستغاث به فان دخلت
على المستغاث له كسرت نحو يا لله يا للمسلمين وكان نداوه رضي الله عنه بامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ قال له يا عباس ناد اصحاب السمرة فناداهم فعطفوا وقاتلوا
حتى هزم الله اعداء الدين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الان حمي الوطيس وهذا
الحديث نقله المص رحمه الله عن مسلم بالمعنى اذ ليس فيه ندا العباس وخص العباس
رضي الله عنه بذلك لانه كان صيتا يسمع صوته من ثمانية اميال واصحاب السمرة
هم اصحاب الشجرة وانما خصهم بالندا لانهم لما بايعوه تحتها بايعوه على الموت
وان لا يفروا فذكرهم بذلك وفي خصائص الخيضري كان يجب عليه صلى الله عليه
وسلم مصابرة العدو وان كثروا والامة انما يلزمهم الثبات اذا لم يزد عدد الكفار
على الضعف كذا قالوه من غير دليل لكن ذكر الماوردي ان من خصائصه صلى الله عليه
وسلم انه اذا بارز رجلا لم ينكف عنه وانه لا يفر من الزحف وخوفه من القتل غير
جائز لان الله عصمه انتهى وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب
ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء اي لمهابته كل احد له صلى الله عليه وسلم وخوفه
منه لا يتحرك احد عنده وقال شيء دون احد مبالغة فان العاقل وغيره سوا في ذلك
وفي هذا اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم كان يعتريه الغضب والحدة احيانا
ولكن ذلك غيرة على حدود الله لا لنفسه ومناسبة هذا المأخذ بصدده من
ذكر الشجاعة ان الغضب مقتضي للبطش والاقدام وهو من نمطها وهذا البعض
من حديث صحيح في شمايل الترمذي وقال ابن عمر رضي الله عنهما من حديث صحيح
رواه الدارمي مسندا ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود تقدم الفرق بين الشجاعة
والنجدة فليس عطفه عليه عطف تفسيري كما توهم ونفي الافضل هنا يفيد
نفي التساوي بطريق الكناية كما تقول ما في البلد اعلم من زيد كما تقدم تحقيقه
ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اكثر رضى منه لانه صلى الله
عليه وسلم كان يرضى بكل شيء من ملبوس وماكول وغيره ويحتمل ان المراد بالرضى
عدم الغضب اي كان اكثر حاله عدم الغضب لان الرضى يكون مقابلا للسخط ويكون
بمعنى الارادة وعدم الكره وبكل منهما فسر الرضى اذا كان صفة لله وعلى ذلك
مبنى اختلاف الاشاعرة والماتريدية في رضى الله للكفر في قوله ولا يرضى
لعباده الكفر والظاهر ان هذا مراد المص لانه المناسب لما قبله وهذا الحديث
رواه احمد والنسائي والطبراني والبيهقي فقيل عطفه اجود على انجد لما بينهما
من المناسبة فان الجواد لا يخاف الفقر والشجاع لا يخاف الموت كقوله ● ● ●
ان الذي جمع السماحة والنجدة والبر والتقى جمعا ● ولان الاول بذل النفس
والثاني بذل المال والجود بالنفس اقصى غاية الجود وقال علي رضي الله عنه
انا كنا اذا حمي البأس بالموحدة وبهمزة اوالف وهو الشدة والمراد به الخوف
او الحرب وحمي بزنة علم او وقد فعيه استعارة مصرحة او مكنية اي اشتد

عرضي

القتال وهذا معنى ما وقع في الرواية الاخرى حمي الوطيس فان الوطيس التنور كما مر
وذلك ابلغ مع نكتة لانه صلى الله عليه وسلم قاله في غزوة اوطاس على ما تقدم مع
الكلام عليه بما لا مزيد عليه ويروى اذا اشتد البأس وهذه الرواية مفسرة للاولى
واحمرت الحدق جمع حدقة وهي ما تحت الاجفان واحمرارها يكون عند الغضب لان
الدم يهيج فيه وفي الحديث الغضب جمرة تتوقد في قلب ابن آدم اما ترى الى انتفاخ
اوداجه واحمرار عينيه وفسر بشدة الغضب وهو غير مناسب هنا وان كان كل
عدو غضبان على عدوه ولذا فسر بكثرة الموت والظاهر انه كناية عن زيادة
هيجانها لانه يقال اشعلت النار واوقدت ومن قرب من النار ولازمها احمرت
عينيه فالمعنى اذا اشتد القتال ودام مدة اتقينا برسول الله صلى الله عليه
وسلم اي جعلناه وقاية لنا من العدو بان يتقدم علينا فيدفع العدو ونحن
خلفه كما يشير اليه قوله فما يكون احدا اقرب الى العدو منه ولذا امسكوا بغلته
صلى الله عليه وسلم يوم حنين كما مر ولم ينكر عليهم وقد صارت هذه سنة في
الملوك وقت القتال حتى ان آل عثمان يقيدون فرسه ولقد رايتني بضم التاء
وهذا من خصايص افعال القلوب وما الحق بها من راي البصرية والحلمية ان يكون
فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين لشيء واحد وراي هذه بصرية كما في قوله
ولقد اراني للرماح دريه • من عن يميني تارة وامامي
وقد اختلف في تعليل هذا كما فصل في كتب النحو وكان الظاهر لقوله بعده
يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم ان يقول رايتنا فكانه عدل عنه
اشارة الى ان كل احد مشغول بنفسه لا يرى غيره ومعنى نلوذ نستتر ونلتجي
اليه قال عز وجل قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا وهو اقربنا الى العدو
لشدة شجاعته صلى الله عليه وسلم والمراد بالعدو الكفار وكان صلى الله
عليه وسلم من اشد الناس يومئذ باسا اي نكاية في العدو كقوله تعالى والله اشد
باسا واشد تنكيلا كما قاله الراغب وهذا الحديث اخرجه احمد والنسائي والطبراني
والبيهقي في الدلايل من طرق عنه واخرج مسلم بعضه من حديث البراء بن عازب
رضي الله عنه كما قاله السيوطي في مناهل الصفا وقيل كان الشجاع هو الذي
يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو اي قرب من المسلمين وقت المقاتلة
لقربه اي النبي صلى الله عليه وسلم منه اي العدو وهذا من كلام البراء بن عازب
رضي الله عنه الذي رواه مسلم في صحيحه ولذا قيل ان قول المص رحمه الله
قيل ليس في محله لايهامه ضعفه وعن انس رضي الله عنه هذا الحديث صحيح
اتفق عليه الشيخان كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس كلهم خلقا وخلقا
واجود الناس اي اكثرهم عطا واحسانا واشجع الناس افعل تفضيل ولا وجه
لما قيل انه للتعجب ثم ذكر ما يدل على شدة شجاعته صلى الله عليه وسلم
فقال لقد فزع اهل المدينة اللام في جواب قسم مقدر والمدينة مدينة
الرسول صلى الله عليه وسلم علم لها بالغلبة والفزع انقباض ونفار
يعتري المرء مما يخاف وهو قريب من الجزع ولذا يقال خفت الله ولا يقال

وغضب من الله كما قاله الراغب قال تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر اي من دخول النار ويكون
الفزع بمعنى الاستغاثة قال كنا اذا ما اتانا صارخ فزع ليلة منصوب على الظرفية اي في
ليلة فانطلق ناس اي خرجوا من المدينة قبل بكسر القاف وفتح البا بمعنى الجانب والجهة
اي نحو يقال ذهب قبل السوق قال تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين ويكون
بمعنى عند يقال لي قبله حق ويستعار للوسع والطاقة نحو فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم
بها الصوت الذي سمعوه وخرجوا ليعرفوا خبره لظنهم انه عدو غار عليهم من هناك وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج قبلهم وحده لذلك وعرف ذلك ورجع فتلقاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم حال كونه راجعا من جانب سمع الصوت منه قد سبقهم الى
الى الصوت اي المكان الذي سمع الصوت من جهته وقد استبرأ الخبر بمهملة ومثناة
فوقية وموحدة وهمزة وقد تبدل الفا اي وقف صلى الله عليه وسلم على حقيقته
وفي الاساس استبرأت الشي طلبت اخره لاقطع الشبهة عني واستبرأ الارض قطعها انتهى
حال كونه راكبا على فرس لابي طلحة زيد بن سهل بن الاسود بن حرام الانصاري الصحابي
وكان ذلك الفرس يسمى المندوب اي المطلوب او لانه كان فيه ندب اي اثر جرح عري
بضم العين وسكون الرا المهملتين بحر وصفة فرس **ويقال** في الادمي عريانا
اذا لم يكن له لباس ولغيره عري وقيل انه عري بضم العين وكسر الرا وتشديد المثناة
التحتية بمعنى عري وليس في اللغة ما يساعده اي ليس على ظهره شي من سرج او
نحوه قال في المغرب فرس عري لا سرج عليه ولا لبد وجمعها اعرا ولا يقال فرس عريان
كما لا يقال رجل عري واعروري الدابة ركبها عريانا ومنه كان عليه الصلاة والسلام عري
يركب الحمار معروريا وهو حال من ضمير الفاعل المستكن ولو كان من المفعول لقيل معرورى
والسيف في عنقه اي حمايله معلقة في عنقه الشريف متقلدا به صلى الله عليه وسلم
واعلم ان هذا هو السنة في حمل السيف كما قاله ابن الجوزي لا شده في وسطه كما نه
هو المعروف الان وهو يقول لمن لقيه من اهل الفزع لن تراعوا لن هنا بمعنى
لم ونفي الروع بفتح الرا بمعنى الخوف والمراد نفي سببه اي ليس هناك شي تخافو
واستدل بهذا الحديث على طهارة عرق الخيل وهذا حديث صحيح في الصحيحين
وقال عمران بن حصين بكسر العين المهملة وسكون الميم ورا مهملة وحصين
بمهملتين كتصغير حصن وهو صحابي خزاعي كان من فقها الصحابة وفضلائهم
رضي الله عنه ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة بفتح الكاف وكسر التاء
المثناة فوق وبالمثناة التحتية وبالموحدة هي الجيش المجتمع وقيل جماعة الخيل
المغيرة من تكتبوا بمعنى تجمعوا ومنه الكتاب لجمعه الحروف الا كان اول من يضرب
بسيفه ويقاتل وهو من قصر الصفة على الموصوف وهذا الحديث رواه الشيخ
في الاخلاق وقيده ايضا ومحمود ولما راه صلى الله عليه وسلم ابي بن خلف يوم
احد هو ابي ابن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح الكافر المشهور الذي طعنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بحربته في وقعة احد فوقع عن فرسه ولم يخرج منه
دم وكسر ضلعه كما ياتي فهلك عدو الله وقول المزي في تهذيبه انه صلى
الله عليه وسلم اخبر بانه يقتل ابي ابن خلف فخدشه يوم بدر او احد فمات

ذكره بالنزول بين يدي بدر واحد لا وجه له ويوم احد ظرف لرويته وهو يقول حال من
ابي ابي محمد سؤال عن المكان فان قلت كيف يسال عن مكانه وهو قال انه راه قلت
يحتمل ان السؤال ليس على حقيقته بل مجاز عن تمكنه منه وظفره به او التقدير
اين يذهب محمد او الظرف متعلق وقد وقع جميع ذلك فيه فهو في وقت واحد وان تقدم
وتاخر لا يفوت اذ مجاز دعا على نفسه بالهلاك ان نجا الله حبيبه ورسوله صلى الله عليه
وسلم وقد اجاب الله دعاه فاهلكه ونجا رسوله صلى الله عليه وسلم والبلا موكل
بالمنطق وقد كان ابي يقول حين افتدي يوم بدر قيل يوم بدل من حين وافتدي
مبني للفاعل ومفعوله محذوف اي افتدي اسيرا له وهو ابنه عبد الله والافتدا
اعطا الفدية لافتكاك الاسير فالمراد بحين الافتدا يوم بدر بتمامه لا الزمان
الضيق الذي وقع الافتدا فيه يوم بدر فيه لان الظاهر انه لم يقل وعيده له صلى
الله عليه وسلم الا في الافتدا ان يفتدي لا حين الافتدا وقيل يوم بدر ظرف
لمحذوف يدل عليه افتدي اي افتدي اسيره يوم بدر فهو متعلق باسيره اي من
اسر يوم بدر وهو ابنه ولا يستقيم كونه بدلا من حين لان الافتدا وقع بعد وقعة
بدر بالمدينة واني قال ما قال حين افتدي لا بعده وكان من قال انه ذكر وقع
قبل ان يفتدي ظن ان الكفار لم يكونوا يدخلوا المدينة بالامان فالاسر وقع
ببدر والافتدا بالمدينة فلا تتاتي البدلية فتامل عندي فرس اعلفها الرس
يقع على الذكر والانثي وانثها هنا لانها كانت انثي وقد ورد في الحديث تذكيرها
وتانيثها بحسب المراد والعرابي وقال التلمساني اعلفها هو الصواب وفي السير
اعلفه بضمير المذكر واصل الفرس الانثي وقد يقال للانثي فرسة وهو كلام
مشوش والذي في الصحاح انه يقع على الذكر والانثي ويصغر على فريس وان
اردت الانثي خاصة لم تقل الا فريسة بالها عن ابي بكر بن السراج انتهى
فلا وجه لقوله الصواب واسم فرسه العود بوزن المرء وعينه ودالة
مهملتان ذو العلق ماكول الحيوان كل يوم فرقا بفتح الفا والرا المهملة
ويجوز تسكينها وقيل لا يجوز وهو مكيال يسع ستة عشر رطلا وتحريكه
وتسكينه بمعنى وقيل المسكن مائة وعشرون رطلا والمحرك ستة عشر رطلا
من ذرة بيان للفرق بضم الذال المعجمة وفتح الرا المهملة المخففة وهي
نوع من الحبوب معروف وتقدم ان غزوة احد كانت في شوال سنة
ثلاث وقيل الظاهر ان المراد هنا الفرق بالتحريك لان الفرس لا يعلف ذلك
المقدار كما لا يخفى اقتلك عليها صفة بعد صفة او هي جملة مستانفة
في جواب سؤال مقدر وقيل انها حال وهو بعيد وان صح ان يكون حالا
منتظرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شا الله تحقيق
ما اوعده وكان انما علف فرسه ليسوقه لهلاكه سريعا كالحافر بظلفه على حتفه
ولكل باغ مصرع فلما راه اي راي ابي النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد
اليوم على ظاهره او بمعنى مطلق الزمان والمراد به الوقعة على حد قولهم
ايام العرب شد اي ابي ابن خلف الشقي اي عدا واسرع قال الراغب تعالى

ابن حنبل

عربي

شد

شد فلان واشتد اذا اسرع ويجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح واصل معنى الشد القوة
على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجاران متعلقان بشد وان كان لا يجوز تعلق حرفي
جر بمعنى متعلق واحد اما لانه قيد الشد والعدو بانه على فرسه لا على رجليه ثم قيده
بعد تقييده بالاول فيتغاير المتعلق معنى لان الاول يقيد به وهو مطلق والثاني
تعلق بالمقيد كما حققه صاحب الكشاف في قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا
او الاول مستقر حال اي راكبا على فرسه والثاني لغو وشد جواب لما الثانية ولا
على جواب الاولى فاعترضه رجال من المسلمين اي حالوا بينه وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليبدفعوه ويصدوه عنه او فقصدوا نحوه وجهته فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هكذا انحوا ولا تحولوا وتعترضوا بيني وبينه فهكذا هنا اسم فعل امر بمعنى
اتركوا سبيله قال السهيلي ولا يعمل فيه ما قبله كما اذا قلت جلس هكذا اي على هذه
الحالة او يقدر له عامل تقدير ارجعوا هكذا الامر استغنى عنه وقام هكذا مقامه
واصله مركب من ها التنبيه وكاف التشبيه وذا اسم اشارة والى كونه انسلخ عن معناه
اشار بقوله اي خلوا طريقه اي اجعلوها خالية من حايل بيني وبينه وتناوله اي
اخذ صلى الله عليه وسلم بيده الحربة بوزن الضربة وهي واحدة الحراب بوزن رجال
وهي قناة صغيرة سميت بها لانها من الات الحرب وقيل ان هذه الحربة كانت للنبي صلى
الله عليه وسلم لانه كان لا يرى مشاركة في جهاده وسعيه في سبيل الله ولذا اشترى
من ابي بكر رضي الله عنه راحلته التي هاجر بها والاظهر انها كانت للحارث وربما
استعان بغيره من اصحابه كما اشار اليه بقوله من الحارث بن الصمة بكسر الصاد المهملة
وفتح الميم المشددة وها تانيث ومعناه الشجاع المصمم في اموره ثم نقل علما
وهو اعني الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك الانصاري الصحابي شهد مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بدرا وغيرها من المشاهد وقتل ببير معونة وذكر ابن الاثير
ان الذي ناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة كعب بن مالك وبين الروايتين
مخالفة وجمع بينهما بانه تناولها من احدهما فسقطت منه فتناولها له الاخر
او ان احدهما وهو الذي معه الحربة كان بعيدا منه فناولها اخر قريبا منه
تسلمها له بيده ولا بد من التوفيق فان الروايتان صحيحتان والقصة واحدة
فانتفض بها انتفاضة اصل معنى النفض بالنون والفا والضاد المعجمة ازالة
الغبار ونحوه عن ثوب او شجر قال ابو ذويب
تنفض مهده وتذود عنه ● وما انفض التمايم والعكوف
ويقال نفض وانتفض اذا اهتز ونفض الصبغ اذا اثر لونه في غيره وذكر ضبيب
عن بانه فقال ● نفضت عليهن لونها ● وقلت في اول قصيدة ●
لفنت على صباغها ايام ● نفض ليسا من بها قليل فيام ●
وهو هنا استعارة اي قام بها قومة سريعة وصهر بها الحربة وما قيل انه
مستعار من انتفاض الطاير قال كما انتفض العصفور بلله القطر ● غير مناسب
هنا لانه يقال باوه للتعدية والمعنى انه هزها وقيل معناه حركه وحركها
والابلغ الاحسن ان يقال انه استعارة تمثيلية بلزومها تشبيههم بانهم

كالذباب المؤذي الواقع المتهافت فيبعد هجوهم عليه وتشبيه بعضهم لهم بالحمل الحمر
لبزيل ذبابا وقع عليه لقوله تطاير واعنه تطاير الشعر اعن ظهر البعير اذا انتفض
وتطاير وابمعنى تفرقوا فانه نشرعة كالطيور والشعر بفتح الشين المعجمة وسكون العين
المهملة وراء مهملة بعدها هاء مهملة ممد وذة ذبابة لها ابرة وفي نسخة البرهان بفتح
العين الا انه لم يثبت وقال القتيبي الشعر جمع شعرا وهي ذباب صغار حمر تؤذي
الدواب وقيل زرق وقيل كثيرة الشعر وفي رواية تطاير الشعارير وهي جمع
بمعنى الشعر وقياس واحدة شعروي وقيل هي ذباب تجتمع على دبرة البعير ولا
الروض الانف الشعر اذباب متغيرلة لذع وفي المثل قيل للذئب ما تقول في غنيمة
يجرسها حويرية قال شجي في ظهر قيل فما تقول في غنيمة يجرسها غليم قال شعرا
في ابطي اخشى خطواته وهي سهام تتعلم الغلمان بها الرمي هنا ورووي فرجل بالحربة
اي رمي بها انتهى قيل رواية الشعر انسب لان الواحد لا يتطاير اقول هذا انما يرد
القيل والقال وما انكر من فتح العين لا وجه له فان تحريك حرف الحلق لغة قال
بعض النحاة انها تطرد فيقولون في نحر وشعر نحر وشعر والشعر ليس مفردا
بل اسم جمع كالطرفا فلا وجه لما قيل ان الانسب الشعر وقول بعضهم الشعر جمع
شعر كانه تحريف واعلم انه ضمير تطاير والكفار الذين كانوا هجموا مع ابي وقيل انه
للصحابة رضي الله عنهم ولا يخفى انه لا يناسب هذا الوجه تشبيههم بالشعر
ولا تطايرهم كما لا يخفى ثم استقبله اي قام النبي صلى الله عليه وسلم وتنحى
اليه بالحربة فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا تدأدأ بمثناة
فوقية ودالين مهملتين وهمزتين اي تدحرج وسقط وقيل مال وضميرمنها
للطعنة ومثله تدهده وقيل الهاء بدل من الهمزة وفي رواية تردى اي وقع وقيل
لم يطعنه صلى الله عليه وسلم في عنقه بل كسر ضلعا من اضلاعه بكسر الضاد
المعجمة وفتح اللام ويجوز تسكينها مع كسر الضاد وفتحها عظم معروف وقال
الاخفش في الجنب الايمن تسع اضلاع وفي الايسر ثمان وما نقص منه تام في النسا
وهو الذي خلقت منه حوا ولذا روي عن ابي حنيفة في الخنثى المشكل انه يحكم
فيه بانه انثى بتمام اضلاعه وعكسه وقال التلمساني رواية طعنه اقوى لان
المعروف الطعن بالرمح وفيه نظر وقيل انه صلى الله عليه وسلم طعنه فوقع
عن فرسه فكسر ضلعه وفيه جمع بين الروايتين وهو حسن فرجع الى قريش وهو
يقول قتلني محمد جملة يقول حالية اي قائلا وعبر بالماضي لتحققه الموت
وهم يقولون لا باس بك الباس بهمزة ساكنة وتبدل الفا كما مر وهو اسم لا
مبني على الفتح والباس الشدة والموت والالم وهذا هو المناسب وبقال لا باس
عليك ولا باس بك للتسلية او الدعاء له بان لا يصيبه شيء من الناس وفي نسخة
عليك بدل بك وهما بمعنى فقال لو كان ما بي من الالم والشدة التي
اجدها بي لعشيرة مضر لماتوا اجمعين وكان لا يعتد به جميع الناس لقتلهم فكيف احتمل انا وحدي
هذا وانما اسلم منه اليس قد قال صلى الله عليه وسلم حين توعده انا اقتلك
قبل اقتله اقتلك انا فقدم المسند اليه للحصر اي انا لا غيري اقتلك وحدي.

اي الحبشي

دلجي

لاتباركني

لا يبارزني احد ولا يساعدني في ذلك الا الله حتى قيل ان قوله تعالى وما رميت اذ رميت نزلت
فيه وفي الغمر فمر فزاد والظاهر انه قصر فلبث فهو المناسب للرد عليه اي انا اقتلك لا انت
تقتلني فتدبر والله لو بصق علي لقتلني البصق رمي ما الفم ويقال بالصاد والسين
والزاي وانما قال ذلك ليحقق صدقه صلى الله عليه وسلم فيما قاله فمات الملعون
من تلك الطعنة بسرف بسين مهملة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وفا اسم موضع وقيل
اسم جبل قريب من مكة على ستة اميال او سبعة او تسعة او اثني عشر على اختلاف فيه وام
كان موته مناسب له لانه كان مسرفا على نفسه كما قيل
اخبر الارض باسمائها واخبر الصاحب بالصاحب
اي قفولهم اي الكفار الى مكة اي مات وقد رجعوا من احد الى مكة والقفول معناه
الرجوع وتسميتهم القافلة قافلة تفاؤلا برجوعها كما سمي الملدوغ سليما فانكار
الحريري وتخطئته فيه لا وجه له وهذا الحديث صحيح رواه البيهقي في الدلايل من عروة
ابن الزبير وسعيد بن المسيب مرسلا وعبد الرزاق في مصنفه والواقدي في مغازيه
وابن سعد في طبقاته وقيل انه قال هذه المقالة بمكة لما خلص ابنه من الاسر
ورجع به وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول انه مات ببطن رابغ وان اسيرا من المسلمين
مر وهو اسير برابغ فراى بعد هدو من الليل نارا تتاجج فلما دنا منها خرج رجل
في سلسلة يصيح العطش ومعه رجل يقول لا تسقه فانه ابي بن خلف قتيل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت سحقا له

## فصل واما الحيا والاغضا

الحيا ممدود وهو في اللغة ضد الوقاحة وفعله استحيا يستحيي بيائين وتحذف
احديهما تخفيفا والاغضا اصل معناه اطباق الجفون قريبا من الانطباق وهما
متغايران لغة وعرفا ويدل عليه قول الفرزدق
يغضي حيا ويغضى من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم
والحيا رقة الرقة ضد الغلظ ورقة القلب ان لا يكون فيه قسوة وجفا قال الراغب
الرقة كالدقة لكن الدقة تقال باعتبار مراعاة جوانب الشي والرقة باعتبار عمقه وهي في
الجسم ضد الصفاقة وفي النفس تضاد الجفوة والقسوة تعتري اي تعرض وتحدث
وجه الانسان فيكون فيه ما يدل عليه كحمرته عند الخجل عند فعل ما يتوقع كراهته
او ترك ما يكره لان من يراه قد لا يكرهه فالمراد ما من شانه ان يكره او ما يكون تركه خيرا
من فعله وان لم يكره وقال الراغب الحيا انقباض النفس عن القبايح وتركها وفي
الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وليس المراد به انقباض
النفس لتنزه الله سبحانه عنه وانما المراد به ترك تعذيبه وقال النووي هو
خلق يمنع من القبيح ومن التقصير في الحقوق وقال الزمخشري هو تغير وانكسار
يلحق من فعل او ترك ما يذم به وله تفصيل في تفسير البيضاوي كما بيناه في حواشيه
فانظره والاغضا في عرف اللغة التغافل اي اظهار الغفلة عمن ليست فيه والمراد
التجاوز عما يكرهه الانسان بطبيعته وان لم يكره شرعا وكان النبي صلى الله عليه
وسلم اشد الناس حيا واكثرهم عن العورات جمع عورة وهي كل ما يقبح اظهاره
ولذا كني عن سواة الانسان وعن المراة بالعورة وهي ماخوذة من العار

اغضا اي سكوتا وتجاوزا والاغضا يتعدي بعن وعلي وعبر في جارية الحيا بالاشدية وفي الاغضا بالاكثرية لان الحيا كيفية نفسانية تنشو عنها كيفية حسية تقبل الشدة والضعف والاغضا فعل من الافعال يكثر ولا تزيد كيفيته من حيث هو وقيل لان الاغضا نوع احتمال وحلم وعفو عمن وقع في مكروه وهو مسبب عن الحيا والسبب اقوي باعتبار انه منشو للمسبب عنه وفيه نظر ثم استدل علي ان هذه الصفة الجليلة موجودة فيه صلي الله عليه وسلم فقال قال الله سبحانه ان ذلكم اي مكثهم في بيت النبي صلي الله عليه وسلم مستانسين لحديث بعضهم لبعض كان يوذي النبي فيستحيي منكم الاية والله لا يستحيي من الحق وكان صلي الله عليه وسلم بني بزينب بنت جحش واولم بشاة وتمر وسويق وامر انسا بدعوة الصحابة لذلك فدعاهم فجعلوا يجيئون وياكلون ويخرجون ويجي اخرون الي ان بقي ثلاثة نفر فاطالوا المكث يتحدثون فتاذي رسول الله صلي الله عليه وسلم بذلك وكان شديد الحيا فنزلت الاية اي حفظهما ان ذلكم اللبث كان يوذي النبي صلي الله عليه وسلم لضيق منزله فيستحيي منكم ان يامركم بالخروج منه وهذا من الاداب الشرعية فيستحب لمن زار احدا ولو بدعوة ان يظهر القيام للذهاب ثم يذهب ما لم يقل له امكث عندي وقال السلف رحم الله من زار وخفف وقيل لبعضهم هل نزل في الثقلا قران فقال نعم فاذا طعمتم فانتشروا وللسيوطي تاليف لطيف في هذا قال حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراتي عليه تقدمت ترجمته وقيده وايته عنه بقراته عليه وهو يسمع هو العرض والصحيح صحة ذلك الا انه اختلف في كونها دون قراة الشيخ او مثلها او فوقها علي ثلاثة اقوال وتفصيله في ابن الصلاح قال حدثنا ابو القاسم حاتم ابن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم المعروف بابن الطرابلسي وتكنيته بابي القاسم غير مكروهة لاختصاصه بحياته صلي الله عليه وسلم اولانه انما يكره الجمع بين الاسم والكنية والخلاف فيه مشهور كما سياتي قال حدثنا ابو الحسن القابسي ابن محمد بن خلف الامام الحافظ منسوب لقابس بلدة بالغرب وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو زيد المروزي بفتح الميم وسكون الرا المهملة وفتح الواو والزاي تقدم الكلام فيه وفي نسبته قال حدثنا محمد بن يوسف هو الفربري وقد تقدم قال حدثنا محمد بن اسمعيل هو البخاري وقد روي هذا الحديث مسندا الي صلي الله عليه وسلم وكذا اخرجه مسلم في فضايله قال حدثنا عبدان بفتح العين المهملة وسكون الموحدة والدال المهملة والف ونون وهو عبد الله بن عثمان بن جبلة بن ابي رواد العتكي المروزي ابو عبد الرحمن الحافظ توفي سنة احدي وعشرين ومايتين وخرج له اصحاب الكتب الستة قال ابانا عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي الزاهد شيخ خراسان ومسندها له مناقب مشهورة روي عنه اصحاب الكتب الستة وغيرهم وتوفي سنة احدي وثمانين ومائة وولد سنة ثمانية عشر ومائة وقيل بهيت بزار قال اخبرنا شعبة تقدمت ترجمته عن قتادة تقدم ايضا قال سمعت عبد الله مولي انس هو ابن ابي عتبة مولي انس رضي الله عنه

ابن ابي اياس

وقيل

وقيل اسمه عبيد الله مصغرا وذكره ابن حبان في الثقات مكبرا وهو يروي عن انس وعا ثقة
رضي الله عنهما وروى عنه كثير واخرج له اصحاب الكتب الستة وهو دمشقي صدوق
ثقة يحدث عن ابي سعيد الخدري بن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم الكلام عليه
وان الخدري بدال مهملة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس حيا من
العذرا في خدرها وهذا الحديث صحيح اخرجه الشيخان والترمذي وابن ماجه والمصـ
اخرجه من طريق البخاري وحيا منصوب وقد تقدم معناه وبالعذرا المطر وهو منصوب
على التمييز المحول عن الفاعل والعذرا بعين مهملة وذال معجمة ورا مهملة وبمد
البكر الباقية بعذرتها وهي جلدة تلتحم بها الفرج فاذا اجومعت زالت فيقال
افتضها وازال عذرتها ومنه يقال لمن فعل ما لم يسبق اليه ابو عذرة وابو عذرته
والخدر بكسر الخا المعجمة وسكون الدال وبالرا المهملتين هو البيت او ستر في خ جانب البيت
جانب البيت او قبة تضرب لها فان قلت البكر في خبايها بين اهلها وابويها وهي
لا تحتجب عنهم ولا تستحيي منهم كاستحيايها من الاجانب وكان الظاهر ان يقال
العذرا في غير خدرها لما فيه من المبالغة قلت المراد بكونها في خدرها انها لم
تخرج بسبا وتزوج ونحوه لانها اذا احرجت بذلك قل حياوها وزال احجالها
وقيل المراد التعميم وان العذرا في خدرها اشد حيا لكونه مظنة الاجتماع بها
والظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون منفردة قاله ابن حجر
ولا يخفى ما فيه فانه لا دلالة في اللفظ على ما قاله فالحق ما سمعته اولا وكان صلى الله
عليه وسلم اذا كره شيا عرفناه في وجهه اي عرفنا انه كرهه بعلامات تلوح
في وجهه الشريف كتغيره وغض بصره ونحوه والمراد انه اذا لم يكن في حدود الله
وحقوقه فلا يواخذ احدا بما يكره كما قال الصرصري ٭

فاق العذارى في الخدور حياوه ٭ لاحيد فيه لصاحب وشاني ٭

وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة تقدم معنى اللطيف واللطف والبشرة
بفتح البا الموحدة والشين المعجمة والرا المهملة هي ظاهر جلد الوجه والجسد
كله ومنه البشارة لظهور اثار الفرح بها في الوجه وهذا كالعلة لمعرفة ذلك
في وجهه الشريف لانه صلى الله عليه وسلم للطف بشرته يظهر فيها ذلك وكذا
قوله رقيق الظاهر اي ما يظهر من بدنه رقيق يظهر فيه بسرعة اثار
الانفعالات النفسية ولا وجه لتفسيرها بانه يستحيي كما قاله التلمساني
لا يشافه احدا اي لا يكلم صلى الله عليه وسلم احدا ولا يواجهه بما يكره
حيا وكرم نفس منصوب مفعول له اي يترك ذلك تكرما منه صلى الله
عليه وسلم لا خوفا ومداراة وعن عايشة رضي الله عنها هذا الحديث
رواه ابو داود في سننه مسندا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا البال هو الحال والشان
وما استفهامية او خبر عن بال وجملة يقول حال او مفسرة للبال ولكن يقول
ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا اشارة وكناية عما يكره فلا يعين القايل
او الفاعل وفلان وفلانة كناية عن اسما الادميين والفلان والفلانة كناية

عن استماع غيرهم نهيه عنه ولا يسمى فاعله بصريح اسمه بل يكني عنه وينهيه عما انكره ما
خوذ من الاستفهام الانكاري وسياق الكلام في قوله ما بال فلا يقال انه ليس في الكلام
نهي وروي انس رضي الله عنه هذا الحديث رواه ابو داود والترمذي والنسائي قالوا
انه صلى الله عليه وسلم دخل عليه رجل به اثر صفرة الصفرة اللون المعروف والمراد
بها لون الورس والزعفران يعني انه كان خضب بذلك فبقي عليه بقية منها ولم يتم
هذا الرجل فلم يقل له شيئا من نهيه عن ذلك ونحوه مما يكرهه كما اشار اليه بقوله
وكان صلى الله عليه وسلم لا يواجه احدا بما يكره اي لا يخاطبه شفاها ويقول له
في وجهه شيئا يكرهه وان قاله احيانا في غيبته فلما خرج ذلك الرجل من
مجلسه صلى الله عليه وسلم قال لو قلتم له يغسل هذا اي اثر الصفرة والخضاب
ويروى او ينزعها بفتح الزاي المعجمة يقال نزعه ينزعه كسال يسال له اذا ازاله
والضمير للصفرة والشك من الراوي وهما بمعنى ولو شرطية جوابها محذوف
لتذهب النفس كل مذهب وتقديره استحسنتم ونحوه وقيل انها مصدرية اي وددت
قولكم هذا وخضاب هذا الرجل ان كان في لحيته دل على منع خضاب اللحية بالحنا ونحوها
ولا يعضده ما في البخاري عن قتادة رضي الله عنه انه قال سالت انسا هل خضب النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لا انما كان شيء في صدغيه اي شيء قليل من الشيب لا يحتاج
للخضاب لانه لا يدل على تركه لانه منهي عنه شرعا بل لعدم الحاجة اليه وكذا ما
روي عنه انه صلى الله عليه وسلم لم يخضب قط اي لعدم الحاجة اليه الا انه
روي عن انس رضي الله عنه انه راى شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا
يعني بعد موته كما نقله ابن الجوزي اما قبله فاختلفت فيه الروايات وروى
جماعة انه صلى الله عليه وسلم كان يخضب بالصفرة والورس والزعفران وكان
عمر رضي الله عنه يفعله وجمع الكرماني بين الروايات بانه صبغ في وقت وتركه في
معظم الاوقات فاخبر كل بما راى وقد امر صلى الله عليه وسلم بالخضاب بالصفرة
وحث عليه وفعله وتبعه على ذلك اكابر الصحابة فهو سنة من تركها فقد ترك
سنة وانما تركه بعضهم لما فيه من التكلف وهو احب للنسا وارهب للعدو وكذا
الخضاب بالسواد وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الخضاب بالسواد
وحمل على ما اذا كان فيه تدليس على النسا فما في هذا الحديث محمول على غير خضاب
اللحية بان يحني يديه ورجليه او يجعل الصفرة في ثوبه فانه منهي عنه وفي
فتاوى شيخ شيوخنا ابن حجر الهيتمي انه من غير حاجة كحرب ونحوه حرام لما فيه
من التشبيه بالنسا وصنف فيه رسالة مستقلة وقوله صلى الله عليه وسلم
المتقدم يغسله او ينزعها فيه دليل على انه كان في ثوبه ولو لم يحمله على هذا
اشكل الحديث والشراح لم يتعرضوا له وقالت عايشة في الصحيح اي في الحديث
الصحيح المروي عنها كما اخرجه الترمذي وصححه لم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم فاحشا ولا متفحشا الفحش كل امر قبيح او شديد القبح قولا او فعلا
والفاحش من يصدر عنه ذلك والمتفحش من يتعمده ويبالغ فيه والظاهر
ان المراد به بذاءة اللسان هنا ويؤيده قوله ولا صخابا بالاسواق صخاب

ابن اقرس

نعم

ببغ وتشديد بصيغة مبالغة من الصخب وهو رفع الصوت بمبالغة فيه وهو
بالصاد والسين وهكذا كلما كان معه حرف حلق يجوز ابداله قياسا مطردا وخص
الاسواق لانه فيها اقبح ولانها محله واما في المنزل ونحوه فلا حاجة اليه ولا يجزي بالسيئة
السيئة لانه احق بالاجر من الله على ذلك لانه المنزل عليه فمن عفى واصلح فاجره على
الله ولما كان العفو غير لازم من عدم المجازاة بالفعل اتى بالاستدراك في قوله
ولكن يعفو ويصفح يعني انه صلى الله عليه وسلم كثير العفو فيما لا يكون من الحدود
وحقوق الله والعفو ترك المؤاخذة بالذنب والصفح الاعراض عن المسيء بحيث
لا يخجله وقد تقدم شرحه وهذا الحديث مروي في الصحيحين بطريق اخرى عن عبد
الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن عطاء بن يسار انه قال له اخبرني عن صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فساقه له في حديث طويل واليه
اشار بقوله وقد حكي بالبناء للمجهول مثل هذا الكلام الذي قالته عائشة رضي الله
عنها عن التوراة من رواية عبد الله بن سلام بفتحتين مخفف اللام وهو الصحابي
المشهور رضي الله عنه وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وهو وان كان
قرشيا لكنه قرا الكتابين وكان عالما بما فيهما ولذا سألوه عن صفة النبي
صلى الله عليه وسلم فيهما وقد اختلف في تحريف اهل الكتاب كتبهم هل كان بتغيير
عبارتها بنقص وزيادة او انه انما كان بمجرد التاويل وصرف ما فيها عن ظاهره
والصحيح ان كلا منهما واقع واذا كان كذلك على وجه المنع من قراءتها وانه حرام
ولا يرد عليه ان بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يقرؤها لانهم تعلموها قبل
اسلامهم وهم لا يخفى عليهم ما غير منها والظاهر انه لا يمنع منه من عرف
ذلك وقصد الرد عليهم وروي عنه اي عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا
ذكره الامام الغزالي في الاحياء وقال الحافظ انه لم يجده في كتب الحديث وكذا
قال السيوطي رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم كان من حيائه لا يثبت بصره
في وجه احد ثبات البصر بمعنى اطالة النظر من غير تخلل اغماض بجفن ونحوه
حتى كان بصره صار قارا في المرئي كما قال المتنبي

وخصر تثبت الابصار فيه ۞ كان عليه من حدق نطاقا

فتخيل حقيقة الثبات فيه ثم بنى عليه جعله كالنطاق وان كان فيه للادب الملام
وانه صلى الله عليه وسلم كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره اي يورد
المعنى القبيح عادة بطريق الكناية لشدة حيائه صلى الله عليه وسلم كقوله
حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك لان الجماع وذكره للمرء يستحيى منه
ومثله في الحديث كثير وعن عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما
ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط مع انه يجوز رؤية كل احد
من الزوجين فرج الاخر وان كان مكروها وفي حديث رواه ابن حبان النظر الى
الفرج يورث الطمس اي العمى فقيل عمى الناظر وقيل عمى اولاده وقيل المراد عمى
القلب والمعنى انه صلى الله عليه وسلم لشدة حيائه لم يكشف عورته عند احد
قط كما ورد من كرامتي على الله انه لم يطلع احد على عورتي احد فما ذكر منطبق على ما

سبق له الكلام وان عايشة رضي الله عنها زوجته صلى الله عليه وسلم واقرب الناس واحبهم
اليه وكان يضاجعها وينام عندها فاذا لم نره لكن منه صلى الله عليه وسلم لزم عدم
كشفه عندها واذا لم ينكشف عندها فبالطريق الاولى عند غيرها وانما كنت عن
ذلك ولم تنفه تادبا منها فلله درها لم اعرفهم لا ابنك هنا فلا ترفع السياد
الا وقد لاصقها فيكون سترة له حينئذ وهذا معنى قوله تعالى هن لباس لكم وانتم
لباس لهن فلا يتوهم ان عدم رؤيتها لذلك لغض بصرها حيا منه صلى الله عليه
وسلم لا انه لا ينكشف عندها فافهم

**فصل** واما حسن عشرته

بكسر العين المهملة وسكون الشين المعجمة اي اختلاط المرء مع اهله واصحابه ومعالمهم
وادبه بالرفع معطوف على حسن ويجوز جره ورجحه بعض الشارحين فلما ورد عليه
ان الادب لا يكون الا حسنا دفعه بان منه ما لا يحسن كادب اهل الدنيا مع كبارهم وهو
انسب بقوله صلى الله عليه وسلم ادبني ربي فاحسن تاديبي والادب استعمال ما يحمد
قولا وفعلا والاخذ بمكارم الاخلاق من المادبة وهي الطعام الذي يدعى له الناس
وبسط خلقه تقدم معنى الخلق وانه بضمتين او ضم فسكون والبسط نشر الشي وتوسعه
ومنه البساط وورد البسط بمعنى المسرة وعليه استعمالهم وورد في الحديث فاطمة
مني يبسطني ما يبسطها فليس من كلام المولدين كما توهم ومن امثال العامة
البسط صدق والمعنى هنا سعة خلقه صلى الله عليه وسلم ويجوز رفعه وجره ايضا
والاول اولى وليس بمتعين كما توهم وانما كان معنى بسط الخلق هنا سعته لانه
صلى الله عليه وسلم نال من الاخلاق الحميدة اقصاها وغايتها وقوله مع اصناف
الخلق تنازع فيه الالفاظ الثلاثة فهو قيد لجميع ما قبله فبحيث انتشرت اي
كثرت واشتهرت وهو جواب اما وهو خبر مبتدا مقدر اي فهو بحيث اي بمحل معلوم
لكل احد به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه الصلاة
والسلام في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي في شمايله كان اوسع الناس
صدرا المراد بسعة صدره تحمله صلى الله عليه وسلم مشاق الناس وكثرة
تكاليفهم قال تعالى فلا يكن في صدرك حرج اي ضيق واصدق الناس لهجة في الصحاح
اللهجة اللسان وقد تحرك فاطلق واريد به الكلام مجازا مرسلا من اطلاق المحل على
الحال ووضع فيه الظاهر مقام الضمير لان كلا منهما صفة مستقلة ولا ينافيه حديث
ما من ذي لهجة اصدق من ابي ذر لان المراد تفضيله رضي الله عنه على امثاله والصدق
ضد الكذب وهو معروف ثم ان في التفضيل سؤالا وهو ان الصدق هو المطابقة
للواقع فما طابق فهو صادق وما لم يطابق كذب فكيف يتصور التفاوت فيه حتى
يكون هذا اصدق وذاك اصدق وهذا انما يرد لو كان التفضيل في كلام واحد او انواع
منه محصورة اما لو اريد كل كلام صدر عن متكلم فلا يرد ما ذكر والينهم عريكة
اي اسهل الناس طبعا فهو صلى الله عليه وسلم دايما سلس مطاوع منقاد
قليل المخالفة لا تهور فيه واصل العريكة السنام فهي في الاصل مجاز حكي
صار حقيقة فيما مر واكرمهم عشرة اي يعامل الناس في معاشرته ومخالطته
بكريم الاخلاق فيعظم من يستحق التعظيم ويتلطف مع من دونهم حدثنا

عزمي

مرضي

ابو

ابو الحسن علي بن مشرف بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفتح الرا المشددة وقال اسمه
علي وله ترجمة في الميزان وسمع منه السلفي وفيه كلام الانماطي جمع نمط وهو ثوب من
صوف يطرح على الهودج والنسبة الى الجمع على راي اولانه ملحق بالعلم كالانصاري
لان المراد به صيغة مخصوصة وقيل انه على خلاف القياس فيما اجازنيه وقراته على غيره
فيه بيان لطريق التحمل وانه رواه عن غيره فانجبر القطع فيه وهذا الحديث رواه ابو
داود والنسائي قال حدثنا ابو اسحاق الحبال بفتح الحا المهملة وتشديد البا الموحدة
والغ ولام وهو الامام الحافظ المتقن محدث مصر ابو اسحاق ابراهيم بن سعد بن
عبد الله النعمان التجيبي لغزا الوراق المصري ولد سنة احدى وتسعين وثلاثمائة
وسمع من احمد بن عبد العزيز صاحب المحاملي وغيره وصنف في سنة اثنتين وثمانين
واربعمائة وله احدى وستون سنة وترجمته مشهورة قال حدثنا ابو محمد بن النحاس
بحا مهملة مشددة وهو الامام ابو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن اسحق
المصري البزاز سمع ابا سعيد بن الاعرابي وسليمان بن داود العسكري وجماعة كثيرون
وكان ثقة كما قاله ابن ماكولا قال حدثنا ابن الاعرابي هو الامام ابو سعيد الذي
يروي سنن ابي داود عنه قال حدثنا ابو داود سليمان بن الاشعث صاحب السنن
المشهور قال حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى هشام بن خالد بن يزيد او يزيد
ابن مروان الازرق الدمشقي الثقة الثبت توفي سنة تسع واربعين ومايتين وترجمته
في الميزان ومحمد بن المثنى ابو موسى العنزي الحافظ توفي سنة اثنين وخمسين ومايتين
قالا حدثنا الوليد بن مسلم الحافظ احد الاعلام اخرج له الجماعة الا انه رمي
بالتدليس قال حدثنا الاوزاعي هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد نسبة للاوزاع وهي
قبيلة من حمير او اسم قرية وهو عالم فقيه زاهد روى عن عطا ومكحول وروى
عنه كثيرون واخرج له اصحاب الكتب وهو ثقة وله ترجمة مشهورة قال سمعت
يحيى بن ابي كثير بزنة كثير ضد القليل وهو من العباد وايمة الحديث توفي سنة
تسع وعشرين ومايه واخرج له الستة وترجمته في الميزان يقول حدثنا محمد بن
عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة بضم الزاي المعجمة وهو محمد بن عبد الرحمن
ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن اسعد والي المدينة وهو ثقة اخرج له الستة
وتوفي سنة اربع وعشرين ومايه عن قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الخزرجي
سيد الخزرج وصاحب شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج له الستة
واحمد وكان من الدهاة ذوي الراي طويل القامة جدا لا اجود توفي بالمدينة
في آخر خلافة معاوية رضي الله عنه قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على عادته في تفقد اصحابه وكان سعد بن عبادة دعا على رجل لئلا يخرج له فضربه
بسيفه فاشواه فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده وذكر قصة هي
ما وقع له مع عبد الله بن ابي ابن سلول اذ مر به وهو جالس مع اخلاط المسلمين
وغيرهم فغشي المجلس غبار دابته صلى الله عليه وسلم فخمر ابن سلول انفه
بردائه وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبروا علينا ارجع الى رحلك
فمن جاءك منا فاقصص عليه فاستب المسلمون مع المشركين حتى هموا ان

جنة

يتوانبوا فمنعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب دابته حتى دخل على سعد رضي
الله عنه وذكر ذلك له فقال له يا رسول الله اعف عنه واصفح فلقد اتفق اهل
هذه البحيرة على ان يعصبوه فلما رد الله ذلك بالحق الذي جئت به شرق بذلك
فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في احدها اي احد القصة فلما اراد
الانصراف قرب له سعد رضي الله عنه حمارا ليركبه وطا عليه بقطيفة هي كساء له
وبر وخمل ووضعه على ظهر الحمار وطاه له ليركب عليه ووطا بتشديد الطا المهملة
وهمزة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد لابنه يا قيس اصحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي كن معه في خدمته وفي هذا الحديث انه صلى الله عليه
وسلم لما جا كان على حمار مرد فاخلفه اسامة بن زيد فسعد رضي الله عنه انما
اعطاه حمارا ليركبه وحده وبقي اسامة على الحمار الذي جاء به ووهب سعد له صلى
الله عليه وسلم ذلك الحمار قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب
معي على الحمار فابيت الركوب معه تادبا وفوزا بالمشي في خدمته فقال اما ان تركب
واما ان تنصرف اي ترجع ولا تمشي معي فانصرفت امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم
وفي رواية اخرى انه صلى الله عليه وسلم قال له اركب امامي فصاحب الدابة
احق بصدرها وهذا وقع هنا في بعض النسخ والمراد بصدرها مقدمها وفيه
دليل على جواز الارداف ولو صاروا ثلاثة اذا لم تكن الدابة ضعيفة لا تطيق
ذلك وقيل ما فوق الاثنين مكروه وقوله صاحب الدابة باعتبار ما كان او هو
صلى الله عليه وسلم لم يعلم بانه وهبها له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يؤلفهم اي يؤلف المسلمين بايناسهم ومداراتهم ليزداد ايمان من كان قريب عهد
بالاسلام وليحسن من كان مخلصا بجبر خاطره والتودد اليه ولا ينفرهم اي لا
يتلقاهم بما يصير سببا لنفورهم وذهاب من كان قريب عهد من المؤلفة
قلوبهم ويكرم كريم كل قوم برعايته بما يليق به كما فعل مع عدي بن حاتم
وغيره مما فصل في السير ويوليه عليهم اي يجعل شريف القوم واليا عليهم
اذا رجعوا من عنده صلى الله عليه وسلم لديارهم كما ولى على وفد همدان
مالك بن نمط ويحذر الناس ويحترس منهم لانه من الحزم ان لا يركن لكل احد حتى
يجربه من غير ان يطوي عن احد منهم بشره اي كان صلى الله عليه وسلم مع احتراسه
منهم يلقاهم ببشره وبشاشته ولا يغير حاله معهم فشبه بشره وايناسه
ببساط ممهد لهم فلا يطوي عنهم ما داموا عنده كما قال الشاعر
انما مجلس الندامى بساط ٭ فاذا ما مضى طوينا بساطه
ولا خلقه المعهود منه صلى الله عليه وسلم يتفقد اصحابه اي من فقده
من اصحابه رضي الله عنهم يسال عنه او يزوره او يرسل اليه من يتعهده
قال الراغب التفقد اخص من العدم لان العدم يقال في الوجود والتفقد
التعهد لكن حقيقة التفقد تعرف فقدان الشيء والتعهد تعرف العهد
المتقدم وكان صلى الله عليه وسلم يعطي كل جلسائه نصيبه اي يعطي كلا منهم
ما يليق به وما يسره لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه اي لما يراه

من لطفه به يظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه اكثر من غيره من جالسه اي
جلس عنده في ناديه او قاربه لحاجة اي كان معه حال مشيه او سيره صابره اي صبر
على سؤاله وذكره حوائجه حتى يكون هو المنصرف عنه اي الراجع عن مقاربته او
مجالسته ومن سأله حاجة لم يرده الا بها اي باعطائه حاجته التي سألها منه صلى
الله عليه وسلم او بميسور من القول كوعده او تسليته واو لمنع الخلو قال
تعالى وقل لهم قولا ميسورا قد وسع الناس بسطه وخلقه بسطه مصدر بزنة
ضرب مضاف لضمير عائد له صلى الله عليه وسلم وهو مرفوع فاعل وسع بزنة علم
وكذا خلقه المعطوف عليه وقد تقدم معنى الخلق والجبلة فجعل بسطه بمعنى توسعته
على الناس او بمعنى بشره كالمكان الرحب وكذا خلقه الحسن جعله لبذله لهم كالمكان
الذي تمكنوا فيه فصار لهم ابا اي صار صلى الله عليه وسلم لجميع امته بمنزلة
الاب في اللطف بهم والشفقة عليهم وهو لا ينافي قوله تعالى ما كان محمد ابا
احد من رجالكم لان المنفي ثمة الابوة الحقيقية الا ان بعض علماء الشافعية ذهب
الى انه لا يجوز ان يقال له صلى الله عليه وسلم ابو المؤمنين كما يقال لنسائه
صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين عملا بظاهر هذه الاية وانما يقال انه كالاب
ونص الشافعي رضي الله عنه على جوازه وهو الحق وكذا كل نبي من الانبياء عليهم الصلاة
والسلام اب لامته ذكورا واناثا وكونه صلى الله عليه وسلم ليس ابا حقيقيا
معلوم بالبداهة وانما نفاه في الاية ردا على من انكر تزوجه صلى الله عليه وسلم
بامرأة زيد الذي تبناه وصاروا عنده في الحق سوا لان الله عصمه صلى الله عليه
وسلم من الاغراض لنفسه الحاملة له على الميل مع الهوى وكذا وصفه به صلى الله
عليه وسلم ابن ابي هالة ربيبه في الحديث الصحيح المروي عنه كما اشار اليه المصنف
بقوله هذا وصفه ابن ابي هالة ابن خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها بنت
خويلد واسمه هند وابوه ابو هالة حليف عبد الدار اختلف في اسمه فقيل نباش
ابن زرارة وقيل مالك بن النباش بن زرارة وكان تزوج خديجة رضي الله عنها
قبل النبي صلى الله عليه وسلم فولدت له هندا ولهند ولد يسمى هندا ايضا
عده ابن منده وابو نعيم في الصحابة وابوه هند من كبار الصحابة قتل مع علي
كرم الله وجهه في وقعة الجمل وتقدمت ترجمته بالبسط من هذا قال اي ابن ابي
هالة رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وكان دائم البشر
بكسر الباء وسكون المعجمة اي طلاقة الوجه وبشاشته لا يعبس في وجه احد
سهل الخلق لا صعبا ولا حزنا لين الجانب استعارة مصرحة شبه وصول كل احد له
صلى الله عليه وسلم ولما يريده منه بشيء لين يأخذ منه من جانبه ما يطلبه
وقيل شبهه بجانب لين من الارض ليس بحزن ليس بفظ ولا غليظ الفظ الكريه
الخلق مستعار من الفظ اي ماء الكرش وهو مكروه لا يتناول الا في شدة الضرورة
كما قاله الراغب والغلظ ضد الرقة واصله في الاجسام واستعير للمعاني كما
تقدم ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب اي لا ينطق بالفحشا كالشتم ولا يعيب
احدا اي يذكر عيوبه ولا مداح لاحد بما يؤدي الى اطرائه ولا لنفسه

الشريعة وهذه كلها صيغ مبالغة والمقصود بها النسبة كتمار ولبان او المبالغة راجعة
للنفي كما قالوه في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وقيل المقصود به اصل الفعل
وقول النسوة لعمر رضي الله عنهما انت افظ واغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقتضي ثبوت ذلك له فقيل المقصود وجود اصل الغلظة فيه ونفيها عنه صلى الله
عليه لا حقيقة التفضيل او المراد اثبات ذلك على المشركين كما في قوله تعالى وليجدوا
فيكم غلظة كما ان المدح قد يستحسن في مقام دون مقام اذا كان في محله بخلاف ما اذا
كان كذبا ولذا قال صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين على
احد الوجوه فيه يتغافل عما لا يشتهي اي اذا راى صلى الله عليه وسلم شيا لا يرضاه
تغافل عنه حتى يظن انه ما راه اذا كان ذلك مما لا يترتب عليه اثم ولا يوتى منه
مبني للمفعول وضمير منه له صلى الله عليه وسلم اي والحال انه صلى الله عليه وسلم
يتغافل لا يياس احد منه وروي مبنيا للفاعل بضم المثناة التحتية وكسر الهمزة
التي كانت مفتوحة ومفعوله محذوف لقصد التعميم اي لا يوئس احدا منه اي
يجعله ذا اياس بحيث لا يرجو فالضمير لما تغافل عنه وعلى هذا اقتصر ارباب
الحواشي وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك ما زائدة للتاكيد وقيل نكرة موصوفة ورحمة بدل منه وقيل
استفهامية تعجبية اي باي رحمة عظيمة لنت لهم ورده في المغني بثبوت الفها
وقال ان ما قبله ايضا لا يتجه كما قاله شراحه وليس هذا محل تفصيله والمعنى
انك لو كنت فظا غليظ القلب انفضوا عنك اي تفرقوا ولم يجتمعوا عليك ولكن
تلين جانبك لهم وشفقتك عليهم تولف قلوبهم وتزيد محبتهم وهذا امتنان
عليه بما جبله الله عليه من الاخلاق الحسنة وقد تقدم الكلام عليه وقال
ادفع بالتي هي احسن السيئة الاية التي هي احسن الصفح والتجاوز والاحسان
في مقابلة السيئة ولا حاجة لتقييدها بما لم يكن فيه وهي في الدين لانه لا يكون
دفعا بالاحسن فان المراد به الاحسن عند الله وقيل التي هي احسن كلمة التوحيد
والسيئة الشرك وقيل الامر بالمعروف والسيئة المنكر وقدم الجار والمجرور
على المفعول الصريح للاهتمام وقصد الحصر اي ادفع بهذا لا بغيره وكان صلى
الله عليه وسلم يجيب من دعاه لطعامه او لمنزله جبرا للخاطر وتعليما
وتشريعا لامته صلى الله عليه وسلم سواء كان المدعو اليه وليمة عرس او
غيرها وفي الحديث اذا دعا احدكم اخاه فليجب وما قيل من ان اجابة دعوة
العرس واجبة عينا او كفاية لورود الامر بها في الاحاديث الصحيحة فلا يكون
ذلك من التفضل ومكارم الاخلاق غير وارد لانه قيل بعدم الوجوب فيها
عند الشافعية ايضا ولو سلم فهذا محمول على الاعم من الولايم وغيرها
وليس في العبارة ما يقتضي التخصيص وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية
لا الصدقة ولو كانت كراعا لانه مقتضي للتحاب وكراع بضم الكاف وفتح الرا
المهملة المخففة والعين المهملة وهي ما تحت الركبة الى الحق والحافر
والظلف ولو وصلية هنا تفيد التقليل كاتقوا النار ولو بشق تمرة

وقيل

دلجي

لانه لا يكون دفعا

عرس

ولا تجب اجابة لغير وليمة عرس وسنة
وليمة الختان وكالعرس في ذلك [illegible]
والختان [illegible] الصبي [illegible]

وقيل الكراع ما دون الكعب من الدواب وقيل كراع كل شيء طرفه وفي الترمذي عن انس
ابن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اهدي الي كراع لقبلت ولو دعيت الي
كراع لاجبت وكراع الثاني اسم مكان وهو كراع الغميم موضع بين مكة والمدينة ه
والصحيح انه بالمعنى السابق والمقصود المبالغة في ذلك اي اقبل الهدية ولو
استحقيرة واجيب الدعوة ولو كانت الي مكان بعيد ويطلق الكراع على الشاة
نفسها وفي الحديث اذا دعي احدكم فليجب فان كان مفطرا اكل وان كان صايما دعا
بالبركة وقوله ويكافي عليها بالهمزة اي يجازي على الهدية بشيء مثلها او اكثر
لان المكافاة اصل معناها المساواة والمماثلة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
المسلمون تتكافى دماؤهم اي تتساوي في القصاص وفي البخاري كان صلى الله عليه
وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها واستدل به بعض المالكية على وجوب عوض الهدية
اذا اطلق الواهب وكان ممن يرجو الثواب كالفقير الذي يهدي للغني ولم توافق
عليه وقال انس رضي الله عنه وهو خادم النبي صلى الله عليه وسلم خدمت النبي
صلى الله عليه وسلم عشر سنين وفي رواية لمسلم تسع سنين ولا منافاة بينهما
لانه خدمه تسع سنين واشهرا فتارة نظر للكسور وجعلها سنة وتارة الغاها
وكان عند عمه ابي طلحة فانطلق به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له
ان انسا غلام كيس فليخدمك فما قال لي اف قط هي كلمة تقال لما يكره ويتضجر منه
به وهي اسم فعل وفيه لغات نحو الاربعين اشهرها ضم الهمزة وكسر الفا المشددة
وللسيوطي في نظم لغاتها ابياتا مشهورة حيث قال

اف بع احيره ثم خفف • منونه مشددا او مخفف •
وتنونه وبالترك اف • لاضما لا وبالامالة مضعف •
وبكسر ابتدا والف مثلث • وزد الهاء في اف اطلق لا اف •
ثم مد اكسر اف واف • ثم افو فاحفظ ودع ما يزيف •

قال الراغب اصل الاف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر وما يجري
مجراهما ويقال لكل مستقذر يستخف به واففت لكذا اذا قلت له اف وعلى مل
ما تقدم ان همزته مثلثة وكذا فاؤه مع التنوين وعدمه وقد فصل
لغاتها في البحر ومن لطايف السراج الوراق رحمه الله في مدح ابنه رحمه الله

بني اقتدي بالكتاب العزيز • فزدت سرورا وزاد ابتهاجا •
وما قال لي اف في عمره • لكوني ابا ولكوني سراجا •

اي لم يتضجر من امر غير مرضي وقع مني وفيه دليل على زيادة حلمه صلى الله
عليه وسلم وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وهذا
الحديث رواه الشيخان وعن عايشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بينت بعض ذلك بانه ما دعاه احد
اي ناداه فقال يا رسول الله من اصحابه ولا اهل بيته خصهم لان العادة
جارية بالمسامحة معهم الا قال لبيك قال السيوطي رواه ابو نعيم في دلايل
النبوة بسند واه ولبيك كلمة تجاب بها المنادي فالتلبية اجابة المنادي من

دعاه من اب وام اذا قام بفكاك ولم يغادر قيده فكانه يقول انا ثابت على اجابتك ولا تستعمل
الا بلفظ التثنية كانه قال اجابة بعد اجابة والمراد التكثير كقوله فارجع البصر كرتين
وهو منصوب على المصدرية بعامل لا يظهر وتغلب اضافته لضمير المخاطب وقد
يضاف لغيره كما فصله النحاة ولا يجاب به الا من يعتني باجابته وتعظيمه ولذا لقوله
الحاج في اجابة الرسول صلى الله عليه وسلم انباعه بذلك غاية مقامهم وتعظيمهم
وهو من خلقه العظيم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب الغادم بمرحبا
كقوله مرحبا بام هانئ وقال جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي سيد
قومه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر من الهجرة على الصحيح لا قبل
موته باربعين يوما كما قيل ولما قدم قال صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم خير
ذي يمن وكان رضي الله عنه جميلا حتى قال عمر رضي الله عنه فيه انه يوسف هذه
الامة وارسله النبي صلى الله عليه وسلم لذي الخلصة وهي الكعبة اليمنية وكان
فيها صنم فحرقه وقتل من عنده ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ
اسلمت قط اي ما منعني من الدخول عليه في بيته وقد استاذنته لا مطلقا حتى يقال
كيف يدخل على غير محرم وحتى يجاب بان المراد في مجلس مختص بالرجال او المراد ما
منعني شيا سالته واسلامه رضي الله عنه كان في رمضان سنة عشر كما مر ولا راني
الا تبسم وفي رواية الا تبسم في وجهي وهذا الحديث رواه الشيخان والتبسم
مبادي الضحك بحيث يبدو مقدم الاسنان فان زاد بلا صوت فضحك فان كان
بصوت فهو قهقهة وضحكه صلى الله عليه وسلم في اغلب احواله التبسم
وربما زاد على ذلك كما ورد انه ضحك حتى بدت نواجذه وقيل انه اريد به
مجرد المبالغة لا الحقيقة بناء على انه لم يقع منه ذلك والاصح الاول وكثرة
الضحك تذهب الوقار وهو مكروه لحديث كثرة الضحك تميت القلب فان
لزمه استهزا باحد وسخرية فحرام وكان صلى الله عليه يمازح اصحابه
الممازحة تكون بالكلام والفعل مثلا طرفة ولكنها انما تحمد من الكبار احيانا
بحيث لا تودي الى اذية صاحبها والمداعبة قريبة منها ولكن بينهما فرق
شاني وكان صلى الله عليه وسلم يمزح احيانا ولا يقول الا حقا ولكنه يوري
في كلامه كما قال لبعض الصحابة انه لا يدخل الجنة عجوز لانهم يعودون
في سن الشباب ولله در القايل

افد طبعك المكدود بالهم راحة * باس وعلله بشي من المزح
ولكن اذا اعطيته المزح فليكن * بمقدار ما يعطي الطعام من الملح

والمزاح بضم الميم اسم وبكسرها مصدر كالمزح وكثرته مذمومة كما قال

فاياك اياك المزاح فانه * يجري عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه من كل سيد * ويورثه من بعد عزته ذلا

والصحيح انه جائز وقيل انه مكروه والاصح الاول بشروطه وكان كبار
السلف يمزحون وقد قيل الناس في سجن ما لم يتمازحوا وورد في
الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان افكه الناس وكان مزاحا ولا يقول

صحه

الاحقا وعلى الطعهم وعاد لهم بانيسا لهم وجبرا لقلوبهم ويداعب صبيانهم بداعب بالدال المهملة والمداعبة الممازحة مع لعب ولذا خصه بالصبيان كما قال محمود بن الربيع الخزرجي رضي الله عنه عقلت منه صلى الله عليه وسلم مجة مجها في وجهي وانا ابن خمس سنين ويجلسهم في حجره كما فعل صلى الله عليه وسلم مع ام قيس اذ اتته بابن لها صغير لم يأكل الطعام فاجلسه في حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله وحجر بكسر الحاء المهملة وفتحها معروف وهو ما كان من ثوبه على فخذيه وهو جالس ويجيب دعوة بفتح الدال المهملة العبد والحر والامة والمسكين قال السيوطي اجابته صلى الله عليه وسلم دعوة العبد رواها البزار عن جابر رضي الله عنه والترمذي وابن ماجه عن انس رضي الله عنه فلا وجه لما قيل اني لم اقف عليه الا في صحيح البخاري من انه صلى الله عليه وسلم اتى غلاما خياطا فاتاه بقصعة فيها دبا فجعل يتتبعه وكان صلى الله عليه وسلم يفعل تطييبا لانفسهم بما يملكونه لهم فلا يقال كيف اكل مما في يد العبد وهو ومما يملكه لسيده او يقال كان مكاتبا او المراد بالعبد من مسه الرق ولو قيل دعوته وقدم العبد اهتماما ببيان انه صلى الله عليه وسلم كان يجيب دعوته مع حقارته بالنسبة للحر واخرج الترمذي بسنده عن انس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويشهد الجنازة ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وروى البيهقي دعوة المملوك في اقصى المدينة اي في البعد مكان منها وعيادة المريض سنة مؤكدة لاسيما ممن يتبرك بعيادته لما فيه من التسلية وتاليف القلوب وقيل انها فرض كفاية ولا تختص بمرض وقيل ثلاثة لا عيادة فيها رمد العين ووجعها ووجع الضرس وقيل انه لا يعاد المريض لا بعد ثلاثة ايام وورد في ذلك حديث ضعيف والصحيح انه لا فرق والحديث قال شيخنا الرملي انه موضوع واختلف في عيادة الذمي فقيل تجوز اذا كان يرجى اسلامه او تضمن مصلحة ويقبل عذر المعتذر المعتذر كل من ابدا عذرا سواء كان له حقيقة ام لا وسواء كان من شانه ان يقبل ام لا ولذا لم يقل المعذور لانه من له عذر وعدم قبوله منه مكروه وقبول اعتذار عقوبة جنايته وعدم مواخذته بها لانه من تمام المروءة وهذا كما قيل صلى الله عليه وسلم عذر من تخلف عن تبوك ووكل سرائرهم الى الله وكقبوله عذر حاطب ابن ابي بلتعة رضي الله عنه لما كتب لاهل مكة يخبرهم بمسيره صلى الله عليه وسلم لفتح مكة وقبل صلى الله عليه وسلم اعتذار المنافقين حتى كذبهم الله وقال انس رضي الله عنه قال السيوطي هذا الى قوله بين يديه جليس له رواه ابو داود والترمذي والبيهقي في الدلائل واخرجه البزار عن ابي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما جعل احد اذنه محاذية لفمه ليحادثه وقال الشمني اي ما ادنى احد فمه عند اذنه فجعله استعارة ولم يحمله على حقيقته وانه فعله للتنوك كما وقع لجابر رضي الله عنه في التقامه لخاتم النبوة لان لفظه مشعر بكثرة ذلك

عوضي

ووقوع مثله كثيرا مستبعد بخلاف قصة جابر رضي الله عنه لما ارد فه صلى الله عليه وسلم
خلفه وامكنه ذلك لسهولته وايضا في مثله سوء ادب ومنافاة لعزمه فانه اذا ادخل
اذنه في فيه لم يمكنه ادارة لسانه ومناجاته وفي النهاية في الحديث ان رجلا القم
عينه خصاصة الباب اي جعل الشق الذي في الباب محاذي عينه فجعله للعين كاللقمة
في الفم انتهى فجعله استعارة كما هنا وهذا لا ينافي ما في الصحيح عن ابن مسعود
رضي الله عنه انه قال والله لاتين النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته وهو في ملا
فساررته فغضب حتى احمر وجهه وقال رحم الله موسى لقد اوذي باكثر من هذا
فصبر لانه صلى الله عليه وسلم لم يغضب من المسارة بل مما كلمه به والاذن بضم
الهمزة والذال المعجمة وقد تسكن فينحي راسه عنه اي يبعدها ويجعلها في
ناحية منه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه اي حتى يفارقه او ينفصل منه
قليلا وما اخذ احد بيده اي امسكها فيرسل يده اي يطلقها ويفكها من يده
وهو مجاز من ارسل الرسالة اذا بعثها وظاهر كلام ابن الفوطية انه معنى حقيقي
ان كانت اليد الثانية يد الاخذ فليس من وضع الظاهر موضع الضمير والا فهو منه
وقوله حتى يرسلها الاخذ غاية لترك ارسالها اي الى ان يرسلها الآخذ وهو
بالمد اسم فاعل من الاخذ وفي نسخة الاخر بالراء المهملة وفي البخاري ان كانت
الامة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وعن احمد
فما ينزع يده من يدها وهو عبارة عن الانقياد لشدة تواضعه وتنزهه من التكبر
صلى الله عليه وسلم وقوله ولم ير صلى الله عليه وسلم مقدما ركبتيه بين يدي
جليس له من جملة حديث انس رضي الله عنه ففي المصابيح انه صلى الله عليه وسلم كان
اذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده ولا يصرف
وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه وهو رواية اخرى وهذا
الظاهر لما بينهما من المخالفة ومعنى لم ير مقدما الخ انه يخفض ركبتيه
تعظيما لجلسائه وقيل المراد بالركبتين الرجلين اي كان لا يمد رجليه في مجلسه
لما روي في حديث اخر انه صلى الله عليه وسلم لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه
كما سياتي يعني انه صلى الله عليه وسلم كان يساوي جليسه ولا يتقدم عليه
بركبتيه حتى كان الغريب يجيء فلا يعرفه ويسال عنه وكان صلى الله عليه وسلم
يبدؤ اي يبتدي من لقيه بالسلام من نفيد العموم اي كل احد لقيه صغيرا
او كبيرا من المسلمين الا في مواضع لا يستحب السلام فيها واما الكفرة فلا يسلم عليهم
وجوز بعضهم ابتداهم بالسلام ايضا ويبدؤ اصحابه بالمصافحة مفاعلة
من الصفح اي يجعل صفحة يده الشريفة على صفحة يده وفي الحديث تمام
تحيتكم بينكم المصافحة وهي سنة عند التلاقي وكانت الصحابة رضي الله عنهم
تفعله واذا قدموا من سفر تعانقوا وكانت الصحابة رضي الله عنهم تقبيل اليد ايضا
وهي مستحبة ايضا للكبير وكرههما مالك اما اذا كان على وجه التكبر فبكره
وقال النووي انه مستحب ايضا لاهل الشرف والصلاح واما لاهل الدنيا
فمكروه وقال فقهاؤنا لا باس بالمصافحة لانها سنة متوارثة لما ورد

في الحديث ايضا انما نحوا وقيل انه من التصنع والعفواي ليصنع احدكم عن غيره ولا ينافسه
والمشهور الاول واما بعد صلاة الجمعة والعيد فقالوا انه بدعة وهو من فعل المشايخ
لانهم كانوا في الصلاة غايبين عمن حضرهم ومن كان هذا حاله لا يكره منه ولم ير صلى
الله عليه وسلم قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد هذا اشارة الى
انه كان ذلك في مجلس يكثر فيه الناس اما اذا كان وحده او في قليل من خواصه فكان
صلى الله عليه وسلم قد يتكي وقد يضع احدى رجليه على الاخرى كما ورد في بعض الاحاديث
يكرم من يدخل عليه بالقيام له ويلاطفه كقيامه صلى الله عليه وسلم لسعد بن
معاذ رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم لما قدم سعد قوموا لسيدكم
وكره بعضهم القيام مطلقا لحديث من احب ان يتمثل له الناس قياما وجبت له
النار وحمل هذا على عادة الاعاجم في وقوف الناس بين ايديهم اما القيام للعلما
والصلحا فمستحب كما ياتي وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا جا قام له الصحابة
وممن ذهب للكراهة ابن حجر رحمه الله وقال في قوله صلى الله عليه وسلم قوموا
لسيدكم انما كان لانه قدم على حمار وكان مريضا وفي رواية قوموا لسيدكم فانزلوه
ورد بانه لو كان كذلك لم يامر جميع الناس الحاضرين بالقيام له ولذا استدل النووي
به وفيه نظر وربما بسط له اي لمن يدخل عليه ثوبه تعظيما له كما حصل ذلك لعدي
ابن حاتم ولاخته من الرضاعة لما اتياه كما ياتي ويوثره بالوسادة الايثار
تقديم غيره على نفسه في بعض الامور والوسادة ما يتوسد اي يوضع تحت
الراس وهي التي تسمى مخدة ويقال اسادة بالهمزة ووساد بدونها وقضية قوله
التي تحته كما في البخاري انها فراش يجلس عليه وكانت محشوة بالليف وقال عدي
ابن حاتم دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من الرجل فقلت عدي بن
حاتم فقام وانطلق بي الى بيته فوالله انه لعامد بي اذ لقيته امراة ضعيفة
كبيرة واستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها فقلت في نفسي والله ما
هذا بملك ثم مضى حتى دخل بيته فتناول وسادة كبيرة من ادم محشوة ليفا
فقذفها وقال لي اجلس على هذه فقلت بل انت فاجلس عليها فجلس على الارض
وصارت الوسادة بيني وبينه فانظر لمكارم هذه الاخلاق فقلت والله ما هذا بملك
وهذا يدل على ان الوسادة فراش لا مخدة ولا عبرة بتفسير الجوهري لها بالمخدة
فقط ويعزم عليه في الجلوس اي يقسم عليه ان يجلس على وسادته بان يقول له بالله
اجلس انت قال في التهذيب يقال عزمت عليك لتفعلن كذا اي اقسمت انتهى وهو
ماخوذ من العزم وهو التصميم في الامر وقوله عليها اي على الوسادة ان ابى اي
امتنع من الجلوس حيا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكني اصحابه اي يضع
لهم كنية كابي فلان او يدعوهم بالكنية تكريما ويدعوهم اي يناديهم باحب
اسمايهم تكرمة لهم اي يفعل ذلك صلى الله عليه وسلم لاجل اكرامهم وتعظيمهم
تلطفا بهم وتاديبا معهم فان ندا المرء بكنيته تعظيم له وكذا كان صلى الله عليه وسلم
يكني من لا كنية له كما قال للطفل الذي كان معه طاير يسمى نغيرا يا ابا عمير
ما فعل النغير وفيه دليل على جواز تكنية من لا ولد له على عادة العرب تفاولا

بان يعمر فيرزق اولادا اخلا فالمن منع ذلك وقال انه خلاف الواقع فهو كذب واخرج
الطبراني عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال كناني النبي صلى الله عليه وسلم ابا
عبد الرحمن قبل ان يولد لي وسنده صحيح وعن بعض السلف بادروا اولادكم بالكنى
قبل ان يغلب عليهم الالقاب وكره بعضهم تكنية المرء نفسه الا لقصد التعريف وقال
النووي يجوز تكنية الكافر بشرطين **الاول** انه لا يعرف الا بكنيته **الثاني**
ان يخاف من ذكر اسمه فتنة فالاول كابي طالب والثاني كابي حباب لابن سلول
**وفيه نظر** وقد تكون لامر آخر كابي لهب فانه اشارة الى انه جهنمي وقيل
كني بذلك لحسن وجهه ولا يقطع على احد حديثه اي من يحدث عنده يصغي اليه ولا
يقطع حديثه بتكلمه بكلام آخر او قيامه او نهيه عن الكلام فان مثله يؤذي المتكلم
حتى يجوز بيا وتا مفتوحتين وجيم مفتوحة وواو مشددة وزاي معجمة غاية
لتركه قطع حديثه اي حتى يكثر فيتجاوز الحد او يخرج الى ما لا يليق من الكلام نحو
من التجاوز او الجواز كما ياتي فيقطعه بنهي عن الكلام او قيام من مجلسه اعراضا عنه
وهو مفيد لنهيه عنه ويروى بانتهاء او قيام فالنهي بمعنى لانتهاء اذ الروايات
تفسر بعضها بعضا **وهذا** وقع في بعض النسخ فالمعنى حتى يجوز ذلك في حديثه
فيقطع حديث نفسه اما بسبب انه انتهى ولم يبق منه شيء او لقيامه عن المجلس
والتجوز على هذا بمعنى التخفيف له والتقليل منه وقيل معناه ينطق بما هو غير
حقيقي كانه يتكلم بما لا يليق من الكلام وروي انه صلى الله عليه وسلم كان لا يجلس اليه
احد اي لا يجلس متوجها اليه والمراد لا يجلس عنده صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
الا خفف صلاته اي اسرع فيها فقطعها والتخفيف ضد التطويل وسياتي بيانه
وسال حاجته واذا فرغ صلى الله عليه وسلم من كلامه وبيان حاجته عاد صلى الله عليه
وسلم الى صلاته التي كان فيها **وقال البرهان** الحلبي هذا الحديث منكر
وقد ذكره في الاحيا في اداب المعيشة وقال العراقي في تخريج احاديث الاحياء
لم اجد له اصلا انتهى ولذا قيل لو اورد حديث الصحيحين الآتي اني لاقوم الى
الصلاة اريد ان اطول فيها فاسمع بكا الصبي فاتجوز في صلاتي كراهة ان اشق عليه
كان اظهر فانه متفق عليه وهو في معنى حديث الاحيا وكان صلى الله عليه وسلم اكثر
الناس تبسما وقد تقدم معنى التبسم وما يتعلق به واطيبهم نفسا اي لم يكن مقطبا
وعبوسا في مجلسه لطيب نفسه وهذا وما بعده حديث رواه احمد والترمذي بسند حسن
ما لم ينزل عليه قران او يعظ او يخطب قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا في تخريج احاديث
هذا الكتاب عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال ما رايت اكثر تبسما من
رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وقال غريب وقد تقدم وعن علي
كرم الله وجهه او الزبير رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
كان حديث عهد بجبريل عليه الصلاة والسلام لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اخرجه
احمد وابو يعلى من حديث الزبير رضي الله عنه من غير شك **وعن** جابر رضي الله
عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي قلت نذير قوم فاذا سري عنه
فاكثر الناس ضحكا اخرجه الطبراني في مكارم الاخلاق وفيه ابن ابي ليلى سيء الحفظ

وعن

وعن علي والزبير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فيذكرنا بايام الله حتى يعرف ذلك
في وجهه وكانه نذير قوم يصبحهم الامر غدوة اخرجه احمد وابو يعلى من حديث الزبير من
من غير شك وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت
وجنتاه واشتد غضبه رواه مسلم والحاكم من حديثه كان اذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه
واشتد غضبه انتهى وكونه صلى الله عليه وسلم لا يتبسم في هذه الحالات لتوجهه عند نزول
الوحي وتادبه معه وفيما بعده لانه مقام انذار وتخويف قال عبد الله بن الحارث
ابن جزء بن عبد الله بن معدي كرب بن عمرو الزبيدي الصحابي سكن مصر ومات رضي الله عنه
بها سنة خمس او سبع وثمانين وهو آخر من مات بها ببلدة تسمى سفط قريبة من سمنود
بالغربية وقيل مات باليمامة حكاه ابن مندة عن ابن يونس وقال انه شهد بدرا ولا يصح
فيه كلام ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم لان طلاقة الوجه من
مكارم الاخلاق **وفي الحديث** تبسمك في وجه اخيك صدقة وعن انس رضي
الله عنه كان خدم المدينة خدم بفتحتين بزنة حسن جمع خادم وفعل في جمع فاعل
جاء في الفاظ محصورة نظمها ابن مالك رحمه الله وقيل انه اسم جمع وهو بالتاء كثير
نحو كملة جمع كامل والمراد بالخدم العبيد والجواري وهذا الحديث رواه مسلم وهو
حديث صحيح ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة اي الصبح بآنيتهم
فيها الماء والآنية جمع اناء ككساء واكسية وهو ما يوضع فيه الشيء والاواني جمع الجمع
وكثير من الناس يظن ان الانية مفرد او ظاهر قوله فما يؤتى باناء الا غمس يده فيها يوهم
ذلك وربما كان ذلك اي اتيانهم بالاواني وغمس يده فيها في الغداة الباردة والغدوة
والغداة اول النهار وقوبل في القرآن الغدو بالآصال والغداة بالعشي ووصفها
بالباردة اشارة لما فيه من زيادة تحمل المشاق لاجل التلطف مع الناس وانما فعلوا ذلك
تبركا بآثاره صلى الله عليه وسلم وما مسته يده الشريفة وقوله يريدون التبرك به يحتمل
انه من كلام المصنف فان البغوي رحمه الله رواه في مصابيحه بدون هذه الزيادة وفيه
ارشاد للتبرك بآثار العلماء والصلحاء **فصل واما** الشفقة
والرافة والرحمة لجميع الخلق والفرق بين هذه الثلاثة ان الشفقة رحمة ورقة
قلب وخوف من نزول مكروه بمن يشفق عليه كما في الاساس والرافة التلطف بمن
يريد اكرامه بالبشر والايناس كما قال قيس الرقيات

ملكه ملك رافة ليس فيه ● جبروت يرى ولا كبرياء

ثم قابلتها بالجبروت صريحة فيه وليست اشد الرحمة كما توهمه بعضهم وان
استعملت بهذا المعنى كما مر تحقيقه فما قيل انها ارق من الرحمة ولا تكاد تقع في
الكراهة والرحمة غير موجه وقوله لجميع الخلق يعني انها لا تختص باحد كرحمة غيره
لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فقد قال الله تعالى فيه اي في حقه وصفته
عليه الصلاة والسلام عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم عزيز
من عز بمعنى اشتد وصعب والعنت المشقة اي يصعب عليه مشقتكم وما يؤلمكم
لرافته ورحمته وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقوله بالمؤمنين لا يناسب
قوله لجميع الخلق فالانسب ان يقتصر على قوله وقال سبحانه وما ارسلناك الا رحمة

للعالمين و قد اشار المص رحمه الله لدفع هذا في الفصل الاول من ان صدرالاية عام والرحمة
المخصوصة بالمؤمنين لا تنافي العموم فكانه يشق عليه لعموم رحمته صلى الله عليه وسلم
كما يقع لهم لحرصه على هدايتهم وارشادهم فهي مطابقة لهذه الاية كما يعلم من كلامه
هناك و قد تقدم ما ذكر لانه اسم وذكره هنا لغرض آخر كالايات المكررة في القران فلا وجه
لما قيل انه تكرار لا فائدة فيه لو زاد نفعا للمقصود ولو نبه على ما قلنا كان اولى به لكنه
حريص على العنت كما لا يخفى لمن سبره قال بعضهم من فضله عليه الصلاة والسلام
ان الله اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم تقدم الكلام على هذا
واعادته هنا لمعنى آخر فلا تكرار فيه **فائدة** قال السيوطي رحمه الله
ظاهر كلام المفسرين ان الرحيم يوصف به غير الله بخلاف الرحمن لكن اخرج ابن ابي حاتم
الرحيم لا يستطيع الناس ان ينتحلوه وتظهر لي ان مراده المعرف باللام دون المنكر
والمضاف انتهى وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك تقدم الكلام عليه وعلى اسمه
واسم ابيه وهو امام جليل بلغت تصانيفه اكثر من مائة مصنف جليل توفي سنة
ست واربعمائة قال حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقرائتي عليه
وهو عبد الله بن ابي بكر بن ابي جعفر بن محمد الخشني بضم الخاء وفتح الشين المعجمة
ونون نسبة لخشينة مصغرا اسم قبيلة ولد سنة تسع وثلاثين واربعمائة ومات
بمرسية من بلاد المغرب سنة ست وعشرين وخمسمائة وتقدم الكلام على قوله
بقرائتي عليه قال حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري هو الامام ابو عبد الله
ويقال ابو الحسين بن علي شيخ الحسين ومحدثه بمكة والطبري منسوب لطبرستان
او لطبرية والاول اصح قال حدثنا عبد الغافر الفارسي الامام الزاهد العدل ابو
محمد عبد الغافر بن محمد الفارسي احد رواة مسلم المشهور بالرواية عن الجلودي
ولد سنة احدى وخمسين واربعمائة وتوفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة وله
ثمان وسبعون سنة قال حدثنا ابو احمد الجلودي تقدم الكلام عليه وعلى
نسبته وانه يجوز فيه فتح الجيم وضمها و قد قيل هنا ان عبد الغافر لم ير
الجلودي و لا روى عنه صحيح مسلم وانما الراوي جده ابو امه واسمه عبد الغافر
ايضا كحفيده لكنهما اختلفا كنية واباً فان كنية الاول ابو الحسن وهذا ابو
الحسين مصغرا واسم ابي الاول محمد وهذا اسمعيل وتاريخ موتهما مختلف
وهذا لم يدرك الجلودي وقال السبكي في طبقاته بين هذا وبين الجلودي اثنان
وهذا مما لم ينبه عليه البرهان مع اطلاعه وهو مما ينبغي التنبه له قال
حدثنا ابراهيم بن سفيان تقدم ايضا وان سين سفيان مثلثة قال ثنا مسلم بن
الحجاج الامام المشهور صاحب الصحيح و قد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو الطاهر
احمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح بمهملات بزنة ضرب الاموي مولاهم
المصري روى عنه اصحاب السنن وغيرهم ووثقه النسائي و قال ابو حاتم لا بأس
به و كان فقيها صالحا ثبتا توفي في ذي القعدة سنة خمسين ومائتين قال
اخبرنا ابن وهب ابو محمد عبد الله الفهري احد الاعلام روى عنه الستة
وتوفي سنة سبع وتسعين ومائة اخبرنا يونس بن يزيد الايلي بفتح الهمزة

ابا افتري

وسكون

وبكون المثناة التحتية وبالام وياء النسبة احد الاثبات روى له اصحاب الكتب الستة
وهو ثقة ثبت توفي سنة تسع وخمسين ومائة وله ترجمة في الميزان وفي يونس ست
لغات بتثليث النون مع الواو والهمزة عن ابن شهاب الامام ابو بكر بن مسلم الزهري
وقد تقدم قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا تقدم
الكلام على حنين قال البرهان الحلبي الراوي اذا قدم الحديث على السند كان يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا اخبرني به فلان ويذكر سنده او قدم بعض
الاسناد مع المتن كما نحن فيه قال بعد هذا قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب
ان صفوان بن امية الخ فهو اسناد متصل ولا يمنع ذلك الحكم باتصاله كما لو ذكر الاسناد
بتمامه اولا وقال ابن الصلاح ينبغي ان يكون فيه خلاف كتقديم بعض المتن على بعض
وحكى الخطيب المنع من ذلك على القول بان الرواية بالمعنى لا تجوز والجواز على القول
بانها تجوز ولا فرق بينهما في ذلك انتهى وفي جعله كالرواية بالمعنى خفا قال فاعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي
الجمحي الصحابي وكنيته ابو وهب اسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم حنينا والطائف وهو مشرك ثم اسلم وحسن اسلامه بعد ما كان من المؤلفة
قلوبهم وكان رئيس بني جمح وكان يعادي النبي صلى الله عليه وسلم ويؤذيه اذية
بالغة مع ما بينهما من الرحم مجازاة على اساءته بالاحسان الزايد اليه مائة من النعم زايده
ثم مائة ثم مائة والنعم اسم جمع للابل ولا واحد له من لفظه وجمعه انعام وقال العزيزي
هو الابل والبقر والغنم قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال
والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب
الخلق الي بعده ما كان اشد الناس عداوة له لقتل ابيه يوم بدر ولما شهد وهو
كافر حنينا ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة فبينما هو
يسير في الغنايم ينظر اليها ومعه صفوان جعل صفوان ينظر الى شعب ملي نعما
وشاء وادام النظر اليها ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرمقه فقال له ابا
وهب يعجبك هذا الشعب قال نعم قال هو لك وما فيه فقال صفوان ما
طابت بهذا الا نفس نبي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
وكانت زوجته اسلمت قبله فاقر النبي صلى الله عليه وسلم نكاحه عليها
واختلف فيما كان يعطيه صلى الله عليه وسلم للمؤلفة هل هو من خمس الخمس
الذي هو حقه او من الخمس او من الغنايم واما اعطا مؤلفة الكفار فكان جايزا
في صدر الاسلام وهل هو من الزكاة او من بيت المال ثم منعوا منه في خلافة الصديق
او في خلافة عمر رضي الله عنهما **فان قلت** ما مناسبة الحديث لما نحن فيه
**قلت** لانه صلى الله عليه وسلم اعطى صفوان لما بينه وبينه من الرحم خوفا
عليه ان يستمر على عداوته وكفره فيهلك فاحسن اليه حتى يحسن اسلامه
شفقة عليه من ان تحل به النقمة والعذاب وقد تقدم ما اعطاه من الكرم من
ذلك وروي ان اعرابيا جاء يطلب منه اي من النبي صلى الله عليه وسلم
شيئا فاعطاه هذا الحديث رواه البزار عن ابي هريرة رضي الله عنه بسند

ضعيف وكذا ابن حبان وغيره ولم يسموا الاعرابي ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي
لا ولا اجملت الذي في النسخ احسنت بهمزة واحدة فهمزة الاستفهام مقدرة كقوله
قالوا تحبها قلت بهرا • عدد الرمل والحصا والتراب •
ومثله كثير مقيس والاستفهام استفهام تعجيز بيري وقوله لا رد لقوله احسنت واجملت
بمعنى فعلت فعلا جميلا محمودا وقال بعضهم معناه ما اعتدلت في الاخذ والعطا
او ما اكثرت وهذا اولى انتهى واللغة لا تساعده وانما حمله عليه الهرب من التكرار
ولا تكرار فيه لانه من ذكر العام بعد الخاص ومثله لا يعد تكرارا لما فيه من المبالغة
وفي ذلك غلظة وسوء ادب فغضب المسلمون من كلامه وجرأته عليه صلى الله
عليه وسلم وقاموا اليه ليضربوه ويجازوه بما يستحقه فاشار اليهم ان كفوا
اي اشار بيده اليهم اشارة يفهم منها الامر بكفهم اي تركهم ما ارادوه وان
تفسيرية او مصدرية على الخلاف المشهور عند اهل العربية وهذا من حلمه
صلى الله عليه وسلم وشفقته تاليفا له ليحسن اسلامه ثم قام من مجلسه ودخل
منزله وارسل اليه عطية وزاده شيئا اي زاده على ما اعطاه اولا ثم قال احسنت
اليك فيه مقدر وهو خرج وقال له ذلك قال نعم احسنت الي فجزاك الله
على احسانك ولطفك بي من اهل وعشيرة خيرا مفعول جزاك وما بينهما
اعتراض والفا تفريعية وسببية لما تقدمه وقيل الفا فصيحة في جواب شرط
ابا الحنبلي
مقدر او عاطفة على مقدر اي احسنت واجملت فجزاك الخ ومن في من اهل بيانية
الفا بدلية مثلها في قوله لجعلنا منكم ملايكة في الارض اي بدلكم فالمعنى بدلا من
اهلي وعشيرتي الذين لم يحسنوا الي وقيل ليس هذا مراده بل مراده انه مدح اهله
عرضي
له وعشيرته اي قبيلته اما لفعله فعل العشيرة وهذا كما يقولون للقادم
اهلا وسهلا او لما تقدم من ان له صلى الله عليه وسلم في كل قبيلة قرابة ومن
قمن اما تعليلية كقوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي لاجل ذكر الله
واما كونها للفصل والتمييز كما في قوله اتاتون الذكران من العالمين اي ممتاز
من بين العالمين بهذا الفعل القبيح فبعيد جدا ثم اشار المصطفى الى انه صلى الله
عليه وسلم زاد لطفا فارشده بقوله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك
قلت ما قلت في جوابك ورد كلامي علي وفي انفس اصحابي من ذلك شي تنكيره
اما للتحقير اي شي حقير لا يعتد به عندي او للتعظيم اي امر عظيم عندهم
لاذيته النبي صلى الله عليه وسلم ووضع اسم الاشارة موضع الضمير لجعله
كالمشاهد المحسوس لاستحضاره لتذكيره بما وقع منه من الامر العجيب فان
احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي على قوله على محبته وارادته لطفا
منه صلى الله عليه وسلم واي لطف مع انه ذنب عظيم ينبغي التنصل منه وفيه
من الشفقة بالامة ما لا يخفى وبين الايدي كناية عن حضورهم وتمثله لهم
وليس المراد البينة الحقيقية بل المقابلة مع القرب وقد يعبر به عن
المستقبل نحو يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم حتى يذهب ما في صدورهم
عليك اي على الغضب والالم الذي في قلوبهم بسبب ما قلته اولا فالتهم

اي اقول لهم ما قلت لك فلما كان الغد او العشي المراد بالغد صبيحة اليوم الذي تعقد
اليوم الذي كلمه فيه النبي صلى الله عليه وسلم والغداة من طلوع الفجر الى الزوال والعشي
ما بعد الزوال الى الغروب والشك هنا من الراوي جاء اي الاعرابي الى مجلس النبي صلى
الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه الحاضرين عنده ان
هذا الاعرابي قال ما قال لي اولا اذ اساء ادبه لغلظة طبعه ولذا وصفه بالاعرابي
لما عرف من حال الاعراب فزدناه على عطايه الاول فزعم الله رضي بجملة ما اعطيناه
له والزعم هنا بمعنى القول الحق وهو يستعمل لهذا المعنى كقول الشاعر
هلكنا ولكن ان هلكت فانما • على الله ارزاق العباد كما زعم •
ويكون بمعنى القول الباطل كقوله هذا لله بزعمهم ولذا قالوا زعم مطية الكذب
وفي التعبير بها ايما الى ان ما في نفسه من الحرص والطمع ثم التفت صلى الله عليه
وسلم الى الاعرابي وقال له اكذلك فالاستفهام متوجه منه صلى الله عليه وسلم
للاعرابي اي الامر كذلك من انك رضيت وان كان ما قبله كلاما منه متوجها لاصحابه
رضي الله عنهم فالجار والمجرور خبر مقدم مقدر اي الامر كذلك قال نعم فجزاك الله
من اهل وعشيرة خيرا انتهى ما فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا
الاعرابي المثل يكون بمعنى الصفة وبمعنى الكلام المشبه مورده بمضربه ويكون
استعارة تمثيلية او تشبيها تمثيليا مركبا كقوله تعالى مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا الاية ويكون ذلك لزيادة التوضيح والتقرير فانه اوقع في
النفس لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا لما فيه من الشان العجيب
وهو في الكلام الالهي والاحاديث النبوية كثير كمثل رجل له ناقة شردت عليه
اي نفرت منه وذهبت في الارض يقال شردت الدابة والانسان اذا نفر وجرى
جريا شديدا لا يلحق شرودا وشرادا واصل الشراد الفراق خوفا قال تعالى
فشرد بهم من خلفهم قال ابن عرفة اي افعل بهم فعلا تخيف من وراءهم فيشردهم
فاتبعها الناس افتعال من الاتباع اي مشوا وجروا خلفها ليمسكوها فلم يزيدوها
الا نفورا اي لم يحصل باتباع الناس لها الا زيادة هربها ونفورها لخوفها
منهم فناداهم صاحبها اي الناقة خلوا بيني وبين ناقتي اي وقال لهم خلوا
الخ فهو مقول قول نادى لتضمينه معنى القول او مقول قول مقدر كما عرف
في امثاله اي لا تتبعوها واتركوها واتركوني اختار في امساكها فاني وفي نسخة
فانا ارفق منكم واعلم اي انا اشفق عليها واعلم بحالها منكم فتوجه لها بين يديه
اي جاءها من امامها فاخذ لها من قمام الارض القمام جمع قمامة ككناسة لفظا
ومعنى والمراد بها النبات الذي ترعاه الدواب شبهه به لخسته ولانه مما يطرح
كالقمامة فاستعير له كذلك فردها حتى جاءت فيه مقدر اي فدنت منه لتأكل ما
بيده من الحشيش فامسكها وردها حتى الى محله واستناخت اي بركت ومكنت
عنده من ناخ الجمل وتوخه اذا بركه وشد عليها رحلها الرحل للابل كالسرج
للفرس وهو معروف واستوى عليها اي على ظهرها اي ركبها يقال استوى
على الدابة اذا علا على ظهرها وركبها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال

اي اكفكم واصفعكم عنه حين قال لي الرجل معاملته السيئة فقتلتموه دخل النار عقوبة
له باسائته على النبي صلى الله عليه وسلم وشبه المال لحسنه الدنيا عنده بالغمامة وشبه
نفسه بالرجل وشبه الاعرابي بدابة شاردة عن ربها وشبه الصحابة لما غضبوا وقالوا
له بالناس التابعين لها الذين نفروها عن ربها وشبه قوله كفوا عنه بقوله خلوا
بيني وبينها وفي قوله فاني ارفق بها منكم بيان لانه اعظمهم رفقا واقوام شفقة
على خلق الله وهو تشبيه في اعلا طبقات البلاغة لتضمنه هذه المعاني اللطيفة
قيل ويحتمل ان الرجل انما قال اولا ما قال ليطلع على حلمه صلى الله عليه وسلم عوض
لانه سمع صفاته من اهل الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم علم بذلك وقيل ان
جزمه بدخوله النار لكفره بما قاله للنبي صلى الله عليه وسلم والنبي تلطف به ابن الحنبلي
حتى امن ونجا من النار فتامل وهذا الحديث رواه البزار وابو الشيخ بسند ضعيف
عن ابي هريرة رضي الله عنه وابن حبان في صحيحه وابن الجوزي في الوفا وروي عنه
بالبنا للمجهول وضمير عنه للنبي صلى الله عليه وسلم والراوي له ابو داود والترمذي
عن ابن مسعود وفي نسخة وروي عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني احد
منكم عن احد من اصحابي شيئا هذا نهي عام عن الغيبة والنميمة ونقل ما يكره نقله
من قول او فعل او ترك فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر سلامة الصدر
كناية عن كونه ليس في قلبه غش لاحد ولا غضبان على احد ومثله صلى الله عليه
وسلم يقال له سليم القلب قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم اي
بري من الكفر والنفاق وهذا معنى اخر وقد صح عن انس فيما رواه ابن سعد
قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار والله
ما اراد محمد بهذا وجه الله فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فتمعر
وجهه وقال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر رواه البخاري
والمراد سلامة صدره للمنقول عنه او الناقل كما قيل سبك من بلغك والاولى
ابقاؤه على اطلاقه ليشملهما وغيرهما وكل من النميمة والغيبة حرام
الا في اماكن استثناها الفقهاء وقد نظمها الجوجري من فقهاء الشافعية في
قوله • لست غيبة جازت تجدها • منظمة كامثال الجواهر •
تظلم واستغث واستفت حذر • وعرف واذكرن فسق المجاهر •
ويأتي لذلك مزيد بيان ايضا ومن شفقته صلى الله عليه وسلم على امته
تخفيفه عنهم التكاليف الشاقة التي كانت في الامم السالفة ومجاوزته صلى
الله عليه وسلم من ربه ان يجعل الصلاة خمسا بعد ما كانت خمسين وتسهيله
عليهم في امورهم كقوله صلى الله عليه وسلم لبدنك عليك حق ولزوجك
عليك حق لمن اراد قيام الليل كله وكراهته اشيا مخافة ان تفرض عليهم
الكراهة والكراهية من المكروه ضد المحبوب والكره ضد الطوع والمخافة
بمعنى الخوف منصوب على انه مفعول له ومن ذلك قوله كقوله
صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي اي لولا مخافة المشقة عليهم
لامرتهم بالسواك اي امر ايجاب والا فامر الاستحباب ورد في الحديث كقوله

صلى

صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواك واستاكوا حتى تمسك بهذا الحديث بعضهم فجعله
واجبا ورد بهذا الحديث فهو سنة واختلف في محل سنيته في الوضوء فقيل حال المضمضة
وقيل قبل الوضوء وقيل مطلقا من غير تعيين وقت له وهو من سنن الدين لا من
سنن الوضوء كما اختاره الزيلعي رحمه الله والسواك مصدر بمعنى الاستياك
واسم العود نفسه والمراد هنا الاول او الثاني بتقدير مضاف اي استعماله وهو
مذكر وجوز بعض اهل اللغة تانيثه مع كل وضوء وفي مسلم عند كل صلاة وهذا
الحديث رواه اصحاب الكتب الستة والوضوء بضم الواو مصدر وبفتحها ما يتوضأ
به كالطهور واجاز بعضهم في المصدر الفتح وقد جاء في المصادر الفتح ايضا وقال
ابو شامة في كتاب السواك السواك ماخوذ من قولهم تساوكت الابل اذا اضطربت
من الهزال فيما قلت من الضعف لما فيه من الحركة وقوله مع كل وضوء وفي مع كل
صلاة وعند كل صلاة كما علم وهل هو عام لكل صلاة فرضا او نفلا او الصلوات
الخمس ذهب الى كل جماعة وقال الشافعي احب السواك للصلاة وعند كل حال
تغير فيها الفم كالاستيقاظ من النوم وهو يشمل الصائم وفيه كلام للفقهاء
فيكره له بعد الزوال لم يحمل له تغير بنحو نوم بعده ورواية الموطا مع الوضوء
قال ابو شامة يحتمل معنيين اي لامرتهم بالسواك مصاحبا للوضوء او لامرتهم به
كما امرتهم بالوضوء وله فيه كلام طويل وقوله في خبر صلاة الليل هو ما قاله
الشيخ قاسم بن قطلوبغا في تخريجه لاحاديث الشفا ومن خطه نقلت عن زيد بن ثابت
رضي الله عنه قال احتجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حجيرة بخصفة او
حصير في المسجد في رمضان فخرج فصلى فيها قال فتتبع رجال وجاؤا يصلون
بصلاته قال ثم جاؤا فحضروا فابطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يخرج
اليهم فرفعوا اصواتهم وحصبوا الباب فخرج اليهم مغضبا فقال لهم ما زال
بكم صنيعكم حتى ظننت انه سيكتب عليكم فعليكم بالصلاة في بيوتكم فان خير
صلاة المرء في بيته الا المكتوبة رواه الشيخان وفي رواية خشيت ان تفرض
عليكم فتعجزوا عنها انتهى وهذا هو المناسب للمقام ولما قبله والبه
اشار السيوطي ايضا في مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا لا ما قيل انه
اراد به حديث صلاة الليل مثنى مثنى وبه استدل على ان الافضل في النفل
ليلا ان يكون ركعتين ركعتين وعند ابي حنيفة رحمه الله الافضل ليلا
ونهارا الاربع لانه لا مناسبة له وقد علمت ان الاول هو المناسب هنا
ويناسبه ما روي خذوا من العمل ما تطيقون اذا نعس احدكم وهو يصلي
فليرقد حتى يذهب عنه النوم وهذا هو الذي قاله التلمساني في حواشيه
ايضا **فان قلت** كيف يخشى صلى الله عليه وسلم افتراضه بعد فرض
الصلاة في الاسرا وقول الله ما يبدل القول لدي **قلت** قيل انه
يحتمل ان الله اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلاة جماعة افترضها
عليهم اوانه وقع في نفسه صلى الله عليه وسلم ذلك او المعنى اني خشيت
ان تظنوها فرضا اذا داومت عليها ولا يخفى بعده وان قيل ان ما في الاسرا

ابن الحنبلي

هي وظيفة كل يوم وهذه مخصوصة برمضان اوانه لما كان قيام الليل فرضا عليه صلى
الله عليه وسلم خشي ان يسوى به غيره من الامة وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا واظب على شيء من اعمال البر واقتدى الناس به يفترض وفيه انه صلى الله عليه وسلم
واظب على اشياء كثيرة ولم يفترض كرواتب الفرائض والسنن المؤكدة وقيل المراد بالفرض
فرض الكفاية وقول الكرماني ان قوله ما يبدل القول لدي معناه نفي النقص لا الزيادة
يعني زحيلا وهذا لا يقبل النسخ لانه خبر واحتمال انهم لرغبتهم في العبادة يفرضونه
على انفسهم كالنذر فيشق على من بعدهم بعيد ايضا وعلى كل حال فالمقام لا يخلو من
الاشكال ونهيهم مصدر مضاف للمفعول اي نهي النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة
رضي الله عنهم عن الوصال وكراهته لهم والوصال في الصوم وهو ان يصوم يومين
فاكثر من غير اكل وشرب بينهما ونهيه عن الوصال ثابت في الصحيحين فانه صلى
الله عليه وسلم لما واصل واصل الناس وشق ذلك عليهم فلما بلغه ذلك نهاهم
عنه فقالوا له انك تواصل فقال انكم لستم مثلي اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني
فمن خواصه صلى الله عليه وسلم انه يجوز له الوصال ويمنع منه غيره واختلف
فيه هل كراهته تحريمية او تنزيهية او يفرق بين من يطيق ومن لا يطيق وعلم من الحديث
وجه اختصاصه ومعنى كون الله يطعمه ويسقيه انه يعطيه قوة روحانية ويغذيه
بانوار ربانية بحيث لا يضعف بدنه بترك الطعام والشراب بل يزداد قوة وذلك
باتصال روحانيته بعالم الغيب حتى يحصل له بدل ما يتحلل بحيث لا يشبع وليس
هذا حاصلا له في كل الاوقات الا ترى ان المريض مدة طويلة لا ياكل ولا يشرب
ولو فعل ذلك في حال صحته لم يطقه لاشتغال روحه عنه وقد اتفق على هذا
علما الشرع والحكما كما فصله ابن سينا في مقامات العارفين فلا يرد عليه انه
صلى الله عليه وسلم كان في بعض الاحيان يجوع جوعا شديدا حتى يشد الحجر على بطنه
والترمذي الحكيم لما لم يقف على هذا انكره لتوهم ان بين الحديثين تنافيا حتى
ادعى انه تصحيف وتحريف ممن رواه وانما هو الحجز بضم الحاء المهملة وفتح
الجيم وبالزاي المعجمة جمع حجزة وهي مربط الحزام وقال ما يغني شد الحجر
ولو يدرا انه سعلة ويرده يجمع الامعا ويبردها ويقيم الصلب المنحني والانكار
للحديث الصحيح وحمله على غير ظاهره كما قيل بان يغذيه حقيقة من طعام الجنة
يا باه المقام لانه لو كان كذلك لم يكن وصالا وكراهته دخول الكعبة اي من
شفقته صلى الله عليه وسلم على امته كراهته دخول الكعبة في الحديث
الذي رواه ابو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها وصححاه وكذا
رواه ابن خزيمة والحاكم عنها ايضا مصححا مسندا وهو انه صلى الله عليه
وسلم خرج من عندها وهو قرير العين ثم رجع وهو كئيب اي محزون
فسألته عن ذلك فقال خشية ان اكون شققت على امتي اي بدخول
البيت وكان ذلك في حجة الوداع وكانت عائشة رضي الله عنها معه
وبهذا جزم الطبري والبيهقي واختلفوا هل صلى فيه ام لا وفي بعض
شروح البخاري يحتمل ان يكون دخوله صلى الله عليه وسلم الكعبة

وقع من تين صلى في احديهما ولم يصل في الاخرى وكونه صلى الله عليه وسلم دخل
الكعبة متفق عليه قال ابن عمر رضي الله عنهما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
البيت هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة رضي الله عنهم واغلقوا عليهم
الباب فلما فتحوه كنت اول من ولج فسالت بلالا هل صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيها قال نعم بين العمودين اليمانيين فكان ابن عمر اذا دخل مشى قبل الوجه
ويجعل الباب قبل ظهره حتى يكون بينه وبين الجدار قريب من ثلاثة اذرع فيصلي
يتوخى المكان الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا باس على احد
ان يصلي في اي جهة شاء وهذه الرواية مرجحة على رواية اسامة بن زيد انه
دعا فيه ولم يصل لان المثبت مقدم على النافي لزيادة علمه وكان صلى الله عليه
وسلم قدم مكة بعد الهجرة ثلاث مرات الاولى في عمرة القضا ولم يدخل فيها الكعبة
لما فيها من الاصنام والكفر باقفالها والثانية في فتح مكة وفيها دخل الكعبة
وامر باغلاق بابها فلبث فيها مليا ثم فتح الباب قال عبد الله بن عمر فلقيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم خارجا وبلال على اثره فقلت له هل صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال نعم قلت اين قال بين العمودين تلقا وجهه ونسيت ان
اساله كم صلى والثالثة في حجة الوداع واختلف في انه دخل الكعبة فيها ام لا
وانما كره دخولها في حجه لئلا يجعلها الناس من المناسك اقتداء به صلى الله
عليه وسلم وقد لا يتيسر لهم ذلك وقد اختلفوا في كونه من المناسك والصحيح
انه ليس منها نسكا لهذا الحديث وقوله لئلا تتعنت امته بتاءين مفتوحتين
وعين مهملة مفتوحة ونون مشددة ومثناة فوقية تفعل من العنت وهو
المشقة والاثم ووقع في بعض النسخ تتعب من التعب كما قاله التلمساني وامته
فاعل عليهما وروي يعنت بضم التحتية وسكون العين وكسر النون من اعنته
بمعنى عنته وامته منصوب مفعول وبالتحتية والتشديد ايضا ونصب
امته ففيه وجوه مروية ورغبته اي طلبه صلى الله عليه وسلم لربه ان يجعل
سبه لهم اي لامته اي لاحد منهم رحمة بهم والسب والشتم بمعنى واصله
من السبه وهي مخرج البعر من الدبر فنقل لما ذكر وسياتي بيان هذا وانه صلى
الله عليه وسلم كان يسمع بكا الصبي وهو في صلاته فيتجوز في صلاته التجوز
تفعل من الجواز والمراد به هنا انه يخففها ويسرع فيها مستعار من تجوز
عن ذنبه اذا لم يؤاخذه به كتجاوز او هو من الجواز في السير والصبي المراد
به الطفل الرضيع وهكذا رواه ابن السني في حديث صحيح عن انس رضي الله عنه
كما قاله السيوطي وروى الشيخان عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال
اني لادخل في الصلاة وانا اريد اطالتها فاسمع بكا الصبي فاتجوز في صلاتي
مما اعلم من شدة وجد امه من بكائه ولا دليل فيه على جواز دخول الصبي
والنساء المسجد لاحتمال ان يكون ذلك من بيوت مجاورة له ولا دليل فيه
ايضا على جواز تطويل الصلاة لاجل من يلحق الجماعة كما قيل والمراد
بالتخفيف ما لا يؤدي الى عدم تعديل الاركان والاخلال بالواجبات كما

لا يخفى ومن شفقته صلى الله عليه وسلم على امته ورحمته لهم ان دعا ربه وعاهده
هذا معتبر لما مر ولو اقتصر على هذا لكان اخصر واظهر والمراد بالمعاهدة الزام ما لا
يلزمه شرعا كالنذور كما قاله الراغب اي دعا بذلك ونذر فقصده ما ذكر فقال
ايما رجل سببته او لعنته تفسير لما دعا به وعاهد الله عليه واللعن اصل معناه
الطرد والابعاد ثم خص بالبعد من رحمة الله فاجعل ذلك السب واللعن زكاة اي
تطهيرا له مما ارتكبه مما اقتضاه وصلاة ورحمة وطهورا اي مطهرا له من ذنوبه
وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة كما رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه
وروى هذا الحديث من طرق اخر فيها ايما رجل من المسلمين او من المؤمنين وزيد
او جلدته ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم كان لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله
فاذا رأى احدا من المؤمنين وقع منه ما يخالف امر الله ربما حصلت له غيرة لامر الله
فبادر بزجره وشتمه او ضربه ثم انه رجا من الله ان يكون ذلك مكفرا لما صدر
منه ورحمة عظيمة مقربة له من الله لان المؤمن اذا رأى غضب النبي صلى الله
عليه وسلم عليه حصل له خوف شديد يقلقل قلبه فيكون شدة خوفه جزاء
عمله وزجر النبي صلى الله عليه وسلم زيادة في حسناته تقربه من ربه وهذا لا
ينافي ما ورد في حديث اخر اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اما لان
المنفي هناك المبالغة والكثرة ان لم نقل المبالغة في النفي وان قلنا بها فالمعنى
انه ليس هذا مقصودا من بعثته فلا ينافيه وقوع ما يخالفه للتاديب نادرا
واما حمل ما صدر منه صلى الله عليه وسلم على ما قبل البعثة فينافيه قوله
من المؤمنين او المسلمين وسياق الحديث في قوله جلدته يأباه او انه لما رجا
من الله ان يكون ذلك رحمة لهم لم يكن لعنا حقيقيا بل رحمة فلا لعن منه
لاحد من امته اصلا وبالجملة فهو صلى الله عليه وسلم رحمة واذيته نعمة الله
بخلاف غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام فان دعاهم نقمة عاجلة على
اممهم وفي المصابيح ان الله اجاركم ان لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا وسياتي
تتمة لهذا في القسم الثالث فصار دعاؤه عليهم دعا لهم على حد قولهم قاتلهم
الله وتربت يداه وفي هذا غاية الشفقة واول الحديث اللهم انما محمد بشر
يغضب كما يغضب البشر واني اتخذت عندك عهدا لن تخلفه فايما رجل الى اخره
وهذا كما مر لا ينافي دعاه صلى الله عليه وسلم على بعض الكفرة والمنافقين
ومن عظيم شفقته صلى الله عليه وسلم ما اشار اليه بقوله ولما كذبه قومه
اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله قد سمع قول قومك لك
وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال
وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال
النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله تعالى من اصلابهم من يعبد
الله وحده لا يشرك به شيئا هذا الحديث رواه الشيخان واصحاب الكتب
الستة وكان ذلك لما مات ابو طالب ونالت قريش منه صلى الله عليه وسلم ما لم
تنله في حياته فخرج لثقيف ومعه زيد بن حارثة يكلمهم النصرة منهم

نخ من المؤمنين او المسلمين

والمنعة

والمعة فعمد الى نفر من روسايهم فجلس اليهم وكلمهم ودعاهم الى الاسلام فكذبوه وسلطوا
عليه سفهاهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به ويرمونه بالحجارة حتى
ادموا رجليه وهم يضحكون وزيد رضي الله عنه يقيه بنفسه حتى انتهى صلى الله
عليه وسلم الى حايط استظل بكرمه وهو مكروب موجع فاذا بقرب الحايط عتبة
وشيبة ابنا ربيعة فلما راهما كره ذلك لما لم يعلم من عداوتهما له فرحماه ودعوا
غلاما لهما يقال له عداس وقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في طبق واذهب به
به اليه فلما وضعه قال صلى الله عليه وسلم بسم الله ثم اكل فقال الغلام ان
هذا الكلام لا يقوله اهل هذه البلاد فقال له صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت
وما دينك قال نصراني من اهل نينوى فقال من قرية الرجل الصالح يونس بن متى
فقال ما يدريك يونس قال ذاك اخي من انبيا الله فاكب يقبل راسه ورجليه فلما
رجع قالا له ما لك قبلت رجليه قال ما في الارض خير من هذا لقد اعلمني بامر لا يعلمه
الا نبي فقالا له ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك وقد قال صلى الله عليه وسلم
انه هذا امر اشد ما لقيه والقصة مفصلة في السير وقوله وما ردوا عليك اي
ما اجابوك به وما ردوا قولك وخالفوه اذ كذبوك وقوله فناداه ملك الجبال اي
قال له يا رسول الله السلام عليك وقوله اطبق بضم الهمزة وسكون الطا المهملة
وكسر الموحدة مخففة ومشددة وفاق اي اضمهما واجمعهما حتى يهلكوا تحتهما
وملك الجبال هو الموكل بها بامر الله والاخشبين تثنية اخشب بخا وشين
معجمتين وموحدة بزنة افعل جبلان يمنا فان تارة لمكة وتارة لمنى فيقال
اخشبا مكة واخشبا منى وهما ابو قبيس وقعيقعان بالتصغير ويسميان الجبلان
وهما تحت العقبة التي بمنى فوق المسجد كما قاله البرهان الحلبي وقعيقعان
هو الجبل المشرف الاحمر وقيل قعيقعان اخر بالبصرة وسميا اخشبان لغلظ حجارتهما
وخشونتهما واصلاب جمع صلب الظهر والمراد بالاخراج منها ان يخلق لهم نسل وذرية
وقد حقق الله رجاه صلى الله عليه وسلم وعن ابن المنكدر وفي نسخة وروى ابن
المنكدر وهو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى المدني
توفي سنة ثلاثين او احدى وثلاثين ومايه وهم ثلاثة اخوة وكان يدخل على
عايشة رضي الله عنها وهو تابعي وقد تقدم قوله ان جبريل عليه الصلاة
والسلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم باسقاط الصحابي فهو مرسل قال
البرهان وانما يكون مرسلا اذا قلنا ان الصحابي اذا قال قولا لا مجال للاجتهاد
فيه يكون مرفوعا كما ذكره الامام الشافعي رضي الله عنه فيكون ما قاله ابن المبلط
التابعي مرسلا وفي بعض الشروح نعم هو مرسل الا ان ارساله لا يمنع من قبوله
اذ مرسل اصحاب القرون الثلاثة مقبول عندنا وعند مالك بل هو فوق
المسند لبرهان قام عليه عنده وعند الشافعي مرسل الصحابي مقبول لكنه
دون المسند وفي التنقيح الاصولي حكاية قبول مرسل الصحابي بالاجماع عوضي
وفيه نظر لمخالفة ابي اسحاق الاسفرايني فيه كما نقله العراقي وقيل انه خلاف
طرا بعد انعقاد الاجماع في العصر الاول ومثله لا يضر وفيه نظر ولنا في اطلاق

هذه المسئلة بحث ذكرناه في حواشي النخبة ان الله امر السما والارض والجبال ان تطيعك المراد
بالطاعة الحالة صلى الله عليه وسلم انه ان اراد ان تخرصوا عنها على من عصاه فتهلكهم
كان ذلك والارض ان اراد خسفها بهم وانطبقا عليهم كان ذلك من غير مهلة ووحد
ضمير تطيعك مع عوده على شيئين معطوفين بالواو لجعلهما كشيء واحد لتاويلهما بالعالم
او الدنيا وكان الظاهر يطيعانك وفي بعض النسخ والجبال وعلى هذا لا حاجة الى التاويل
لان الجمع يجوز عود ضمير المؤنث المفرد عليه وفيه مراعاة النظير وحسن الترتيب اي
بان تطيعك في كل ما تريد فقال صلى الله عليه وسلم اؤخر عن امتي لعل الله ان يتوب
عليهم رجا انهم يتوبون عن المعاصي ويوفقهم الله للايمان فيقبلون وتقبل
الله منهم ذلك او يكون منهم من يعبد الله ولا يشرك به واصل معنى التوبة
الرجوع فهي من العباد الرجوع عن المعاصي ومن الله قبول ذلك او من الرجوع
عن الغضب عليهم والعقوبة لهم ولا منافاة بين هذا وبين قوله وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم ولا بين ما وقع منه صلى الله عليه وسلم في غزواته من القتل
والسبي كما توهم لانه عذاب مخصوص ولان التاخير لا ينافي ما وقع بعده كما لا يخفى ايا اقتدى
والاحسن ان جوابه معلوم من قوله الا في ما لم يكن اثما فتدبر قالت عايشة رضي
الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما تقدم
هذا الحديث وانما اعاده هنا تاييدا لما قبله وايسرهما اي اسهلهما واهونهما
على الامة شفقة ورحمة منه صلى الله عليه وسلم عليهم وبقية الحديث ما لم
يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه كما سياتي وكذا رواه الشيخان وتقدم
الكلام عليه وقال ابن مسعود رضي الله عنه في حديث رواه الشيخان كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة بفتح المثناة التحتية وفتح
التا الفوقية والخاء المعجمة فالواو المشددة المفتوحة واللام
والضمير للصحابة اي يتعهدنا يقال فلان خايل مال وهو الذي يصلحه
ويقوم عليه ومنه الخولي لراعي الغنم والمواشي وقيل الصواب يتحولنا
بالحا المهملة اي يطلب الحال التي ننشط فيها لاستماع الموعظة فيعظنا فيها
ولا يكثر منها مخافة السآمة علينا اي لئلا نمل ونسام وقيل انه يتخوننا بنونين اي
يتعهدنا كما يتعهد الضيوف بالخوان والمايدة والرواية الصحيحة بالاعجام مع اللام
والنون كما مر وكان فعل ماض اذا اخبر عنه بالمضارع الدال على الاستمرار التجددي
دل على التكرار عرفا والموعظة مصدر ميمي بمعنى الوعظ وهو التذكير
والتخويف من سوء العاقبة ومخافة منصوب مفعول له وهو مصدر
بمعنى الخوف كما مر والسآمة بالمد وعلينا متعلق بمخافة وتعلقه
بالسآمة بتضمين المشقة تكلف وان جاز وقيل انه حال من السآمة
وهو الارجح او صفة لانه في معنى النكرة كقوله كمثل الحمار يحمل اسفارا
وفي افادة كان التكرار كلام مفصل في كتب الاصول وعن عايشة رضي الله
عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة اي شدة بحيث لا ينقاد لراكبه اذا
اوقفه واذا سيره فجعلت تردده اي تمشي به وترجع واصل التردد عدم الثبات على

حاله ومنه تردد الانسان في الاماكن لحاجة تعرض له ومنه التردد في الخواطر وانما فعلت
ذلك لترُوضه حتى ينقاد لها فقال صلى الله عليه وسلم لعايشة عليكِ بالرفق اي استمسكي
بالرفق في امورك ولا تنتحي الدابة التي ركبت ففيه دلالة على شفقته صلى الله عليه
وسلم على خلق الله حتى الحيوانات وعليك بكسر الكاف اسم فعل يتعدي بنفسه وبالبا
لما ذكره النحاة والبعير بفتح اوله وبكسر وكذا كل فعل ثانيه حرف حلق ويطلق على
الجمل والناقة وقيل هو الجمل البازل وهو الموافق للاستعمال وهذا الحديث اخرجه البيهقي
في سننه عن المقدام عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها انها كانت على جمل فجعلت تضربه فقال
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة عليكِ بالرفق فانه لم يكن في شي الا زانه ولا
ينزع من شي الا شانه وختم بهذا الحديث لما فيه من العموم فهو كالعنوان لهذا الفصل

**فصل** واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفا فهو ضد
الغدر ونقض الذمة وحسن العهد اي ما عاهد عليه والتزمه وهو عطف تفسير لما قبله وصلة
الرحم هي الاحسان الى الاقارب والاصهار والرفق بهم والعفو عن زلاتهم ونصحهم
والتودد اليهم وضده قطع الرحم وهذا اذا لم يكونوا كفارا اعدا الله كابي لهب
وابي جهل والرحم اصله مقر الولد ثم استعمل بمعنى القرابة بعيدة او قريبة بواسطة
ودونها فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن احمد بن اسمعيل بن ابراهيم الامام المحدث
الطليطلي ولد سنة ست وخمسين واربعماية ومات بقرطبة في ربيع الاول سنة
ثلاث وعشرين وخمسماية بقراتي عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد تقدم قال
حدثنا ابو اسحاق الحبال بفتح الحا المهملة وتشديد الموحدة وهو ابراهيم بن
سعيد بن عبد الله الحمدي الثقة المشهور وقد تقدم قال حدثنا ابو محمد
ابن النحاس تقدم ترجمته قال حدثنا ابن الاعرابي تقدم ايضا قال حدثنا
ابو داود صاحب السنن المشهورة وقد تقدم قال حدثنا محمد بن يحيى بن عبد
الله بن خالد بن فارس النيسابوري الامام الحافظ الجليل القدر توفي سنة ثمان
وخمسين ومايتين اخرج له اصحاب السنن وغيرهم قال حدثنا محمد بن سنان
بكسر السين ونونين بينهما الف العوقي بفتح العين المهملة والواو وتسكن وبالقاف
نسبة للعوق بطن من عبد القيس غير مشهور قال حدثنا ابراهيم بن طهمان بفتح الطا
المهملة وسكون الها وهو الامام ابو سعيد الخراساني المشهور روى عنه اصحاب
الكتب الستة توفي بضع وستين ومائة وترجمته مبسوطة في الميزان عن بديل بضم
البا الموحدة وفتح الدال المهملة وسكون اليا المثناة التحتية ولام ابن ميسرة
العقيلي عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق العقيلي الامام الثقة عن ابيه
عبد الله بن شقيق الامام المعروف توفي في زمن الحجاج عن عبد الله بن ابي
الحمسا بحا مهملة مفتوحة وميم ساكنة وسين مهملة ومدة العامري
التميمي وفي المغني انه عبر الى الجدعا وسيأتي حديثه في انتظاره عليه
الصلاة والسلام الى يوم ثالث وشقيق والد عبد الله اخرج له ابو داود
فقط قاله المزي بين ان يحتمل فيه عند ابي داود وليس هو عند غيره وذكر
كلام ابي داود الذي نقله عن محمد بن يحيى شيخه وذكر زيادة على ما في نسخة عندي

من النسخ والظاهر انه من بعض النساخ وليس هو من كلام ابي داود ما لفظه كذا وهو
من رواية ابيه ورواه عثمان بن خرزاد عن محمد بن سنان هكذا وقال قال عبد الرحمن
ابن مهدي ما اظن ابراهيم بن طهمان الا اخطا في عبد الكريم وانما هو عبد الكريم
ابن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن ابي الحمسا ورواه ابو عون الزيادي عن ابراهيم
ابن طهمان فلم يذكر عبد الكريم في اسناده وقال عن بشر بن السري رواه عن عبد الكريم
ابن عبد الله بن شقيق وقال البزار اظن فيه غلطا من الناقل لان شقيقا والد
عبد الله جاهلي لا اعلم له اسلاما انما عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه
قال اذ لا نعلم انه روى عبد الله بن ابي الحمسا الا هذا الحديث ووقع في الشفا
نسختان احديهما الخنسا معجمة وكونه والاخرى وعن ابي الخنسا باسقاط عبد
الله والاولى تصحيف والثانية خطا لان ابا الحمسا لا اسلام له ولا رواية
وانما الرواية لولده عبد الله بن ابي الحمسا انتهى قال بايعت النبي صلى الله
عليه وسلم ببيع اي باع مبيعا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث
وبقيت له اي لم تكن المبيع بقية لم تسلم له فوعدته ان اتيه بها في مكانه
اي في مكان وقع فيه البيع فنسيت الوعد الذي جرى بيننا ثم ذكرت بعد ثلاث
اي ثلاثة ايام ولم يقل ثلاثة لان المعدود اذا حذف يجوز تذكيره مع المذكر والتانيث
مع المونث كما قالوه في قوله صلى الله عليه وسلم واتبعه ستا من شوال وانما اللزوم
قاعدة العدد اذا ذكر المعدود فجيت فاذا هو في مكانه اي مستقر صلى الله عليه وسلم
في مكانه لم يفارقه فقال يا فتى لقد شققت علي انا هاهنا منذ ثلاث انتظرك
وفي هذا الحديث دليل على وفائه صلى الله عليه وسلم بعهده ووعده وهذا
الحديث رواه ابو داود وهو من افراده واخرجه ايضا ابن مندة في المعرفة
والخرايطي في مكارم الاخلاق وعن انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا اتي بهدية منبي للمجهول اي اتاه احد بهدية قال اذهبوا بها الى
بيت فلانة لم يسمها الرواة لعدم تعلق غرض بتعيينها فانها كانت صديقة
لخديجة رضي الله عنها وفي رواية انها كانت تحب خديجة وهذا الحديث
رواه البخاري في الادب المفرد وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت ما غرت
على خديجة يقال غار الرجل والمراة اذا غضب من فعل يقتضي امرا لا يرضاه
وغير لها كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة محبتها له واراداتها
لصرف محبته لها دون غيرها وهذا امر طبعي لا لوم فيه وانا كون الغيرة من
خديجة فلا وجه له لبعد موتها لما كنت اسمعه صلى الله عليه وسلم يذكرها
تعليل للغيرة وما مصدرية اي لسماعي ذكرها ولو شددت لما وجعلت
حينية جاز ولكن النسخ متفقة على الاول وعلى على اصلها وقيل انها بمعنى
الباكما في قوله اركب على اسم الله وقال في الاكمال مغاضبة عايشة رضي الله
عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الغيرة التي عفي عنها للنساء
حتى ذهب مالك الى اسقاط الحد عن المراة اذا قذفت زوجها غيرة منها
ولولا هذا لكان على عايشة رضي الله عنها في مغاضبتها النبي صلى الله عليه

على احد وفي نسخة امراة اي من نسائه صلى الله عليه وسلم ما غرت ...

رضي

اي المهم

وسلم اعظم الحرج لانه كبيرة عظيمة وقد صرحوا بانها معفوة عند الله وفي الشرع وان
بكسر الهمزة وسكون النون وهي مخففة من الثقيلة كان ليذبح الشاة ليس المراد انه يذبحها
بنفسه فيهدي بها بضم الاولى والمراد انه يهدي منها او يهدي بها بتمامها والظاهر الاول
لانه في الحديث فيهدي ما يشبعها او يشبعهن الى خلايلها بالخاء المعجمة جمع خليلة
بمعنى الصاحبة والصديقة واستاذنت عليه اي طلبت الاذن في الدخول له اختها
اي اخت خديجة وهي هالة بنت خويلد بن اسد وهي ام ابي العاص بن الربيع الصحابية
المشهورة رضي الله عنها فارتاح اليها اي حصلت له صلى الله عليه وسلم راحة اذ دخلت
عليه واظهر البشر والمسرة برؤيتها وهذا الحديث في البخاري وفي رواية ارتاع ه
بالعين بدل ارتاح بمعنى مال اليها واعجبه مجيئها مجازا ودخلت عليه امراة
فهش لها اي تبسم قليلا واظهر المسرة بدخولها كما يفعل الناس باصدقائهم
ومن يحبونهم يقال هش وبش به اذا فعل ذلك استيناسا ويقال هو هش
بش اذا كان طلق المحيا غير عبوس شامخ الانف كما يفعله المتكبرون واحسن
السوال عنها فيه مضاف مقدر بقرينة المقام وال في السوال للعهد او بدل من
المضاف اي احسن اليها سواله عن حالها وما هي عليه كما تقول لمن تزوركم
ما حالك وما انت عليه تلطفا به واعتناء بشانه كما هو عادة الناس لمن يحبونه
ووقع في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لها كيف حالكم كيف انتم فقالت
بخير وهو معنى لما هنا فلما خرجت من عنده صلى الله عليه وسلم وذهبت من
مجلسه قال بيانا للسبب معاملته معها وهي امراة اجنبية انها كانت تاتينا ايام
خديجة اي انها كانت في حياة زوجته خديجة تدخل منزله صلى الله عليه وسلم لانها
من معارفها واصدقائها وان حسن العهد اي رعاية العهد القديمة ورعاية
من يحبك او يحب من يحبك من الايمان اي من شعب الايمان ومقتضياته لان من
كمال الايمان مودة عباد الله ومحبتهم كما انه من تعظيم السيد اكرام عبيده
ومناسبة هذا لما عقد له الفصل ظاهرة ووصفه بعضهم اي وصف بعض الصحابة
النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان يصل ذوي رحمه اي من صفته التي كانت
منه دائمة وكان يدل على التكرار والدوام كثيرا وان لم تكن موضوعة لذلك
كو كان حاتم يقري الضيف وكان الله غفورا رحيما كما فصل في الاصول
اي يحسن اليهم ويوادهم ولما كان هذا يوهم الاختصاص بهم احترس عنه فقال
من غير ان يوثرهم اي يخصهم ويقدمهم على من هو افضل منهم من سائر
الناس وهذا ايضا من حسن العهد وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ال بني
فلان ليسوا لي باوليا الال بمعنى الاهل والاتباع وفلان كناية عن الاعلام
التي للعقلا والمراد به هنا كما مر ابو العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف
والكناية من الراوي لا من كلامه صلى الله عليه وسلم وابو العاص هو ابو
الحكم بن ابي العاص وكان منافقا في اول امره ثم حسن اسلامه وهو عم
عثمان بن عفان رضي الله عنه وما ذكر كذا هو في نسخة البرهان الحلبي
قال ابن قرقول وفي الحديث المشهور ان ال ابي ليسوا باوليائي بفتح همزة

فقال صح

ابي وبعده بياض في الاصول كأنهم تركوا من الاسم بقية وعند ابن السكن ان آل
ابي فلان بالكناية عمن ذكر وفي بعض الروايات اسقاط آل والاولياء جمع ولي وهو القريب
ومن يتولى امره اي لا اتولاهم ولا احبهم من اوليائي لما علمت منهم والمراد به القدح
كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم اي لا ولي
لهم ولا ناصر غير ان لهم رحما اي قرابة سابلها ببلالها لان ابا العاص احد بني امية
وهم قريبون متناوبون وولد امية العاص وابو العاص والعيص وابو العيص
وهم الاعياص وحرب وابو حرب وسفيان وابو سفيان واسمه عنبسة وعمرو وابو
عمرو وابو سفيان هذا هو صخر بن حرب بن امية وهو غير ابي معاوية رضي الله عنهما
وقوله سابلها اي سأصل رحمها بصلتها اللائقة بها والبلال بكسر الباء الموحدة
مصدر كالقتال او جمع بلل كجمل وجمال وهو الافصح والاصح رواية وروي
بفتح الباء ايضا والمعنى واحد وهو الرطوبة والنداوة وكل ما يبل الحلق من الماء
كالماء واللبن فاستعير للصلة والاحسان كما استعير اليبس للقطيعة والشح وفي
الحديث بلوا ارحامكم ولو بالسلام لان الرطوبة والنداوة تجمع الاشياء واليبس
تفرقها وايضا اذ بل الارض يجعلها منبتة فاستعيرت لما ذكرنا لنبتها للقلوب
وتنمية المودة كما قال كيف اصبحت كيف امسيت مما ينبت الود في قلوب الرجال
ففيه استعارة مصرحة او مكنية وتخييلية وقد صلى الله عليه وسلم اي دخل
في الصلاة بامامة بفتح الهمزة وصحح ابن علم ابنة ابنته زينب اكبر بناته صلى الله
عليه وسلم وتوفيت سنة ثمان من الهجرة وتزوجها ابو العاص بن الربيع لا ابن ربيعة
كما في البخاري فانه غلط مشهور وولدت له منها امامة وكان صلى الله عليه وسلم
يحبها وتزوجها علي كرم الله وجهه بعد فاطمة رضي الله عنها ثم تزوجها بعده
المغيرة بن نوفل فماتت عنده قال البرهان الحلبي ليس لزينب بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا لرقية ولا لام كلثوم عقب وانما العقب لفاطمة رضي
الله عنها ولذا سادت جميع بناته وامها خديجة وهي سيدة نساء اهل الجنة
الاربع وقال السهيلي فضلت على اخواتها لانها بضعة منه ومن جمخليه
وامر بمخاطبته ولانها اصيبت برزء لا يساويه رزء وهو موت ابيها صلى الله
عليه وسلم في حياتها فصبرت واحتسبت ومن ذريتها المهدي وهذا الحديث
رواه البخاري في صحيحه كغيره ومنه كما يأتي انه كان اذا سجد وضعها واذا قام
رفعها المعبر به عن الحمل الآتي وقد اشكل هذا على الفقهاء لان هذه اعمال كثيرة
مبطلة للصلاة فقيل انه من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقيل انه منسوخ
وقيل انه لا عمل له لانها لمحبتها له كانت تتعلق به وتعلو عليه من غير عمل
منه وفعله رفعها ووضعها اياه وقيل انه كان في النافلة ضرورة لانه
لم يكن ثمة من يكفيه امرها وقال بعضهم انه كله باطل لانه وقع بعد
الهجرة وتحريم الاعمال وكان في صلاة الصبح وهو يؤم الناس كما ورد
التصريح به فالصواب انه عمل قليل لا يبطل الصلاة وكانت طاهرة مطهرة
ليس معها ما يبطل الصلاة قيل وانما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم ارغاما

للعرب

للعرب في عدم محبتهم البنات يحملها على عاتقه اي كتفه وعلى متعلق بيحمل لا حال من امامة
او من ضميره كما قيل فاذا سجد وضعها على الارض واذا قام حملها بيانا للجواز وقال
الخطابي اسناد وضعها وحملها مجاز فانها كانت تالفة فاذا سجد جلست على عاتقه فلا
يدفعها فتبقى محمولة حتى يركع فيرسلها فاذا سجد فعلت كذلك وتقدم ما فيه وعن
ابي قتادة الصحابي الانصاري فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه
فقيل الحارث بن ربعي بكسر الرا ابن عمرو وقيل النعمان توفي بالمدينة سنة اربع وخمسين
وقيل ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين سنة وروى له احمد واصحاب السنن قال وقد
وفد النجاشي وفد بمعنى قدم ويختص بقدوم الرسول والوفد بسكون الفا اسم جمع
بمعنى الوافدين والنجاشي بفتح النون وكسرها وتشديد اليا وتخفيفها واسمه اصحمة
وقيل صحمة بفتح الصاد وسكون الحا المهملتين وقيل صمحة بتقديم الميم وقيل
خاؤه معجمة وقيل اسمه مكحول بن صصه وقيل سليم وقيل حازم وهو اسم
لكل من ملك الحبشة وكان رضي الله عنه ممن اعان المسلمين لما هاجروا اليه وكا
النبي صلى الله عليه وسلم واهدى له الهدايا وزوجه بام حبيبة رضي الله عنها
وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه للاسلام فاسلم على يد
جعفر بن ابي طالب سنة ست وكان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم محبة عظيمة
فلما توفي في رجب سنة تسع نعاه النبي صلى الله عليه وسلم وصلى على جنازته
وبه استدل الشافعي رضي الله عنه على الصلاة على الغائب على ما تقدم وقصته
مشهورة ولما توفي خلفه نجاشي اخر دعاه النبي صلى الله عليه وسلم للاسلام فابى
زاد كافرا فقام النبي صلى الله عليه يخدمهم بنفسه تواضعا منه وارشادا للغير
فقال له اي للنبي صلى الله عليه وسلم اصحابه نكفيك اي نحن نخدمهم ونكفيك من تعاطي
خدمتهم فابى صلى الله عليه وسلم وقال انهم كانوا لاصحابنا الذين هاجروا الى ارضهم
مكرمين واني احب ان اكافيهم اي اجازيهم على اكرامهم لاصحابنا باكرامهم ولا اكرام
اعظم من تعاطيه صلى الله عليه وسلم امورهم بنفسه وهذا الحديث رواه البيهقي
في دلائله مسندا ولما جيء مبني للمفعول اي جا الصحابة رضي الله عنهم باخته من
الرضاعة بفتح الرا وكسرها بمعنى الرضاع الشيما بفتح المعجمة وسكون المثناة
التحتية والميم وهمزة ممدودة ويقال لها الشما بتشديد الميم بدون يا كما قاله
المحب الطبري ويحتمل ان تكون الشيما اصلها شما فابدلت احدى الميمين كما قيل في
اما اما فيكون صفة بمعنى ذات شمم ثم نقل وجعل علما لها وهي بنت حليمة
السعدية التي ارضعت النبي صلى الله عليه وسلم وقيل اختها وزوج حليمة
هو الحارث بن عبد العزى وحليمة اسلمت وعدت من الصحابة على ما ياتي
واسمها جدامة بجيم مضمومة ودال مهملة وقيل حذافة بحا مهملة وذال
معجمة وفا وقيل خذافة بمعجمتين واختلف في زوجها ابي النبي صلى الله
عليه وسلم من الرضاعة فلم يذكر احد من اهل السير اسلامه ولكنه ذكره ابن يونس
ابن بكير في روايته فقال حدثنا ابن اسحاق عن ابيه عن رجال من بني سعد بن
بكر ان الحارث بن عبد العزى ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع

دلجي

تب

خ من غير يا

قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد بعثته فقالت له قريش يا حار ما يقول ابنك هذا فقال ما يقول
قال يزعم ان الله يبعث الخلق بعد الموت وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه
ويكرم من اطاعه وقد شتت امرنا وفرق جماعتنا فاتاه فقال اي بني ما لك ولقومك
يشكونك ويزعمون انك تقول ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى جنة
ونار فقال نعم ولو كان ذلك اليوم يا ابت اخذت بيدك حتى اعرفك حديثك اليوم فاسلم
وحسن اسلامه وكان يقول حين اسلم لو قد اخذ ابني بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني
ان شاء الله حتى يدخلني الجنة انتهى في سبايا هوازن السبايا جمع سبية بمعنى مسبية
اي مأسورة وهوازن اسم قبيلة من بني سعد بن بكر سميت باسم الاب الاعلى كتميم
وهو هوازن بن نصر بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن نصر والمراد بكونها منهم
انها كانت مسبية معهم ايضا وتعرفته له يقال تعرف له اذا اعلمه باسمه وشأنه اي
اعلمته صلى الله عليه وسلم انها اخته رضاعا فقال لها صلى الله عليه وسلم ما علامة
ذلك فقالت عضة كنت عضضتنيها في ظهري فعرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصدقها جواب لما بسط لها رداءه اي فرشه لها لتجلس عليه اكراما لها وقال لها
بعد ما جلست عنده ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة مفعول احببت مقدر تقديره احببت
الاقامة عندي وهذا يدل على انها اسلمت كما تقدم مكرمة محببة بالنصب على الحالية فيهما
ومكرمة بضم اوله وسكون ثانيه وتخفيف رائه اسم مفعول اكرمه اذا فعل به ما
يحبه من احسان قولا وفعلا وكذا محببة فانه اسم مفعول من احبه ويقال حبه
واحبه بمعنى والاكثر الافصح في اسم المفعول ان يكون من الثلاثي فيكثر فيه محبوب
ويقل محب لكنه هنا احسن لاقترانه بمكرم وعليه الاستعمال كقول عنترة
واذا نزلت فلا تظني غيره • مني بمنزلة المحب المكرم
وقوله جاريتي مكرمة محببة وجوزوا ذلك فصاغوا اسم الفاعل من المزيد فقالوا
ولم يقولوا احاب او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها ورجعت
اي ورجعت لقومها وتفصيله ما قاله اصحاب السير انه لما جاءت اخته الشيماء
بنت الحارث بن عبد العزى وعرفته صلى الله عليه وسلم بنفسها فعرفها وبسط
لها رداءه واجلسها عليه وخيرها فاختارت الرجوع الى قومها وارضها وان
يمتعها بالاحسان اليها فاعطاها عبدا وجارية وقال ابن عبد البر رحمه الله
انها اسلمت فاعطاها ثلاثة اعبد وجارية ونعما وشاء وهذا منه صلى الله
عليه وسلم صلة لرحمه لان الرضاعة لها حكم النسب والقرابة واللبن كما
للابوين وقال ابو الطفيل بضم الطاء المهملة وفتح الفاء منقول من مصغر الطفل
جعل علما لعامر بن واثلة بالثاء المثلثة الكناني الصحابي وهو اخر من مات
من الصحابة ووقع في بعض النسخ ابن ابي الطفيل وليس بصحيح كما قاله البرهان
الحلبي رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام الغلام كما في كفاية المتحفظ
عن بعض اهل اللغة الصبي اذا فطم الى سبع سنين ثم يصير يافعا الى عشر حجج
وقد يطلق الغلام على الشاب التام الحجولية والمراد هنا الاول اذ اقبلت
امراة حتى دنت منه اي قربت من مكانه الجالس فيه وفي بعض النسخ تاخير قوله

وانا

وانا غلام عن قوله اذ اقبلت الخ وهذا الحديث رواه ابو داود في سننه بسند حسن فقال
حدثنا ابن المثنى قال حدثنا ابو عاصم قال حدثني جعفر بن عمارة قال اخبرنا عمارة بن ثوبان
ان ابا الطفيل اخبره قال قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة
وانا يومئذ غلام احمل عظم الجزور اذ اقبلت امراة وساقه وقوله اذ يحتمل ان يكون ظرفا
لرايت اي رايته وقت اقبال المراة ويحتمل ان تكون للمفاجاة بتقدير بينا ايام رايته يقسم لحما
وبينا هو كذلك اذا اقبلت امراة الخ او هي بمعنى قد والوجه هو الاول وفي هذا دليل على
قبوله رواية الصغير وفيه كلام مفصل في الحديث قالوا وهذه المراة هي حليمة امه صلى
الله عليه وسلم من الرضاع ومجيئها له صلى الله عليه وسلم كما في الاستيعاب كان في يوم
حنين وقال الحافظ الدمياطي رحمه الله وزوجها لا يعرف له صحبة ولا اسلام وكذا
قاله ابن عبد البر من انها اتت النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين وبسط لها رداءه وروت
عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر لم يصح وابن جعفر لم يدركها وانما التي جاءته انما
هي بنتها الشيماء واما حليمة فانها جاءته صلى الله عليه وسلم بمكة قبل النبوة في زمن
خديجة رضي الله عنها فاعطاها اربعين شاة وجملا ثم انصرفت لاهلها وما هنا ينتفي
مجيئها له صلى الله عليه وسلم بعد النبوة بالجعرانة بعد انقضاء حرب هوازن ومجيء
وفدهم وليس كذلك انما هي بنتها وجوز الذهبي رحمه الله ان تكون المراة التي جاءته
ثويبة مولاة ابي لهب لا في ذكرها ويرده انها ماتت سنة سبع قبل هوازن ولما فتح
مكة سال عنها ابنها مسروحا فاخبره بموتها وصحح بعضهم خلافه وذكره ابن الجوزي
في الوفا وصنف الحافظ مغلطاي جزءا في اسلامها سماه التحفة الجسيمة في اثبات اسلام
حليمة وايده وارتضاه علماء عصره وممن انكره ابو حيان وعن عمرو بن السائب عمرو
بفتح العين وبالواو وهو ابن واقد المصري وقيل انه عمر بالضم وحذفها قال الحلبي
والفتح غلط وصوابه الضم كما ذكره ابو حيان وقال انه من الثقاة وروى عن اسامة
ابن زيد وروى عنه جماعة واخرج له ابو داود فقط كذا قاله التلمساني في حواشيه
وهو من اجلة التابعين وهذا الحديث رواه ابو داود بلاغا كما قاله السيوطي في
تخريجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما قيل ظاهره ان عمرا شاهد
هذه القضية وهو تابعي والحديث من مرسل زيد كما في سنن ابي داود قال عن احمد
ابن سعيد الهمداني قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عمرو بن الحارث ان عمر بن السائب
حدثه انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا الخ فلو ذكر المتن
كما قاله ابو داود كان اولى فاقبل ابوه من الرضاعة وهو الحارث بن عبد العزى
وقد تقدم الكلام فيه وفي اسلامه وكون زوج المرضعة يسمى ابا ويثبت
بارضاع زوجته معنى له حكم النسب كما ان المرضعة امه لان الفحل محرم وان لم يكن
له حكم النسب من كل وجه وله ذهب الفقهاء كافة غير الظاهرية والكلام عليه
مفصل في كتب الفروع فوضع له صلى الله عليه وسلم بعض ثوبه وفرشه له في
الارض ليجلس عليه فقعد عليه ثم اقبلت امه وهي حليمة كما مر فوضع لها
شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه يعني انه اجلس اباه عن يمينه

وفرش له جانبا من ثوبه واجلس امه حليمة من يساره وفرش تحتها جانبا من ثوبه اكراما
لهما فلما قدم اخوه وهو عبد الله بن الحارث بن عبد العزى لم يبسط جانب من ثوبه بل ضمه فقام
له صلى الله عليه وسلم لئلا يفتخر في توقيره عن ابويه وفيه دليل على انه يجوز القيام
تعظيما لمن يستحق التعظيم خلافا لمن قال انه مكروه مطلقا وللنبي صلى الله عليه
وسلم عدة مرضعات منها حليمة هذه وثويبة مولاة ابي لهب لا ابنه وخولة
بنت المنذر بن زيد بن لبيد وام ايمن وثلاث نسوة من سليم تسمى كل واحدة منهن
عاتكة وهو احد القولين في قوله صلى الله عليه وسلم انا ابن العواتك وقيل
انهن جدات له ومعنى عاتكة متضمخة بالطيب وكان صلى الله عليه وسلم يبعث الى
ثويبة علم منقول من تصغير الثوب وهي مولاة ابي لهب مرضعته اي جاريته معتقة
له وابو لهب كنيته واسمه عبد العزى وكني بذلك لتوقد لونه وذكره بكنيته
في القرآن للاشارة الى انه جهنمي كما مر بصلة اي عطية يحسن بها اليها وكسوة بضم
الكاف وكسرها اي ثياب يلبسها فلما ماتت بمكة بعد هجرته عليه الصلاة والسلام
سال من بقي من قرابتها اي عمن بقي فهو منصوب بنزع الخافض او بتقديره وقال من بقي
فمن اما موصولة او استفهامية والقرابة مصدر بمعنى قرب النسب وسمع اسم جمع
بمعنى الاقربا كما ذكره ابن مالك وغيره خلافا للحريري اذ انكره وقال لا يقال الا ذو
قرابة وانما يقال ذو قرابة كما قال الشاعر •
يبكي عليه غريب ليس يعرفه • وذو قرابته في الحي مسرور •
فقيل لا احد اي لا احد من قرابتها باق واحد مرفوع بفعل مقدر اي لم يبق
احد او مرفوع اسم لا العاملة عمل ليس او مفتوح اسمها والخبر مقدر عليهما وقوله
وكان الى هنا سقط من بعض النسخ وما ذكر من حسن الوفا وصلة الرحم وفيه من
مكارم اخلاقه وحسن عهده صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وهذا الحديث
رواه الواقدي وغيره واما ارضاع ثويبة له صلى الله عليه وسلم فثابت في
الصحيحين وهي اول من ارضعته مع ابنها مسروح المتقدم ذكره اياما قبل
حليمة وارضعت قبله عمه حمزة وابا سلمة واختلف في اسلامها فاثبته بعضهم
وعدها في الصحابة وانكره ابو نعيم وكان ابو لهب اعتقها لما بشرته بولادة
النبي صلى الله عليه وسلم ورئي في المنام وهو يقول خفف عني العذاب
باعتاقي ثويبة لما بشرتني به وفي السير انه اعتقها قبل ولادته بدهر طويل
وهو المروي في غير السير وفي المواهب ما يخالفه والذي رآه في المنام بشر حيبة
بفتح الحا المهملة او بكسرها وبا مثناة تحتية وبا موحدة وقيل انه بخا معجمة
وقيل بجيم وهو تصحيف اي بسوء حال وهو من الحوبة وهي المسكنة والحاجة
قالوا وانقلبت يا لانكسار ما قبلها او على خلاف القياس وتخفيف عذابه بسبب
ما ذكر لا يعارض قوله تعالى في اعمال الكفرة فجعلناه هباء منثورا لانه بعد التسليم
او لانه لما ينجهم من النار فكانه لم يفدهم اصلا وتفصيله في حواشينا
على القاضي وفي حديث خديجة رضي الله عنها الذي رواه الشيخان عن
عائشة رضي الله عنها بسند صحيح ايضا قالت له صلى الله عليه وسلم في ابتدا

أي لما رأى جبريل عليه الصلاة والسلام حصل له به رعب شديد ابشر امر بفتح الهمزة وهمزة قطع يقال البشر وبشر بمعنى ويجوز وصلها وفتح الشين من بشر يبشر كعلم يعلم وهو امر المقصود منه تعجيل المسرة بالبشرى التي بعده وهو انشاء بديه الخبر اي ابشر مبشرة لك والبشرى الخبر السار الذي يظهر اثره في البشرة فوالله لا يخزيك الله ابدا وهذا الحديث تقدم شرحه في فصل الجود والكرم ومر انه في بخ يكرمه وانه بفتح من الياء واعجام الخاء من الخزي وهو النكال والفضيحة ويروي لفظ المص هنا كما ذكره البرهان الحلبي واهمال الحاء من حزن واحزن وهي دون الاولى فلذا تركها المص وروي لا يخزيك الله ابدا عن الزهري بزيادة ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق وقد مر ذلك مبينا

الضيف

## فصل

واما تواضعه صلى الله عليه وسلم التواضع بضم الضاد المعجمة اظهار انه وضيع وهو اشرف الناس فالصيغة للتكلف في الاصل على علو منصبه قد قدمنا لك ان المنصب في كلام العرب بمعنى الاصل والحسب كما في قول ابي تمام • ومنصب نماه ووالد سماه
وان استعماله في تولي الاعمال السلطانية كقول ابن الوردي •
نبت المنصب او هي جلدي • وعناني من مداراة السفل •

تنبة

مولد لم يسمع من العرب ولذا عطف عليه قوله ورفعة رتبته بمعنى كالتفسير له والر كالمنزلة ورفعة القدر فكان صلى الله عليه وسلم اشد الناس تواضعا منصوب على التمييز واقلهم كبرا وفي نسخة واعدمهم كبرا وفي نسخة بالجمع بينهما وهو افعل تفضيل من العدم وهذه انسب بمقامه صلى الله عليه وسلم لان اللائق به عدم الكبر لا قلته ووجهه هذه البرهان بان القلة بمعنى النفي وقال ابو حيان في قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون ان التقليل يرد بمعنى النفي المحض كما في قولهم اقل رجل يقول ذلك وقل رجل يقول ذلك وقلما يقوم زيد وقليل من الرجال يقول ذلك وقال الحافظ السخاوي في كتابه جواهر الدرر في مناقب شيخه ابن حجر ان ابن حجر رحمه الله سئل عن هذه العبارة وان بعضهم شنع على المص فيها ومحاها من النسخ فاجاب بان الاعتراض باطل لانهم تكلموا على الحديث الذي رواه النسائي عن عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو فقالوا يقل اللغو بمعنى لا يلغو اصلا قال ابن الاثير في النهاية لان قل يستعمل في النفي كما في الاية السابقة فمعنى هذه النسخة انه لا يقع منه صلى الله عليه وسلم كبر اصلا كما في الحديث الصحيح وليس افعل فيه للتفضيل فانه قد يخرج عنه كما في قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ومثله افظ واغلظ فانه بمعنى فظ غليظ اي كما مر وقال المص في شرح مسلم يصح حمله على المفاضلة والقدر الذي فيه من اغلاظه على الكفرة والمنافقين واغلظ عليهم لانه صلى الله عليه وسلم كان يغلظ عليهم ويغضب عند انتهاك حرمات الله انتهى فقوله اقلهم كبرا بمعنى انتفى الكبر عنه البتة او حمل على شدته على الكفار والمنافقين كما في الذي قبله لان تواضعه صلى الله عليه وسلم ورافته كانت بالمؤمنين لقوله بالمؤمنين رءوف رحيم وقوله في التوراة ليس بفظ ولا غليظ اي بالمؤمنين ونظيره اشداء على

الكفار رحماء بينهم بمعنى اذلة على المؤمنين متعاطفين عليهم اعزة على الكافرين متكبرين عليهم
لعادتهم ولا معنى لمحو النسخ واثباتها انتهى واستدرك عليه عز الدين الحنبلي بان
تاويله الشدة والغلظ بكونهما على الكفار والمنافقين فيه ان شدته وغلظته على نحو
هؤلاء كانت اشد من عمر رضي الله عنه بلا شك انتهى اقول الجواب الحق هو الثاني لانه
صلى الله عليه وسلم كان متخلقا باخلاق الله ومنها التكبر فانصافه صلى الله عليه وسلم
بهذه الصفة في محلها ممدوح ولذا قيل التكبر على المتكبر صدقة فالتكبر على الكفرة
والمنافقين احيانا في محله ممدوح وهو في صفاته تعالى ذاتي دائم لا ينازعه احد
رداءه الا قصمه الله والجواب الاول تعسف وليس من قبيل قوله فقليلا ما يؤمنون
واما تاويل التفضيل بالنفي وخلع المفاضلة منه لمجاز على مجاز وضعت على البلاد
واما اعتراض الحنبلي فلا وجه له ولبعض الشراح والمحشين هنا كلام ركيك مع
تركه خير منه وحسبك اي يكفيك في اثبات ما ذكرناه صلى الله عليه وسلم خير بين
ان يكون نبيا ملكا بكسر اللام اي سلطانا وخير مبني للمجهول اي خيره الله على
لسان ملائكته في الحديث المشهور او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا خيره
الله بعد تفضيله بالرسالة ان يكون شئونه كالملوك في اتخاذ الجنود والخدم
والخيول والخدم والقصور فاختار مع الرسالة التامة مقام العبودية ولذا
بنفسه في مهنة اهله تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وزهدا في الدنيا ولذا
وصفه الله تعالى بالعبودية في عظيم مقاماته كقوله سبحان الذي اسرى بعبده
وهذا من حديث صحيح رواه احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه والبيهقي عن ابن عباس
رضي الله عنهما فقال له اسرافيل عند ذلك اي حين اختار العبودية على الملك
فان الله قد اعطاك هذه الفاء فصيحة عاطفة على مقدر اي اصبت وجزاك الله
خيرا اما تركته بما تواضعت له الباء سببية وما مصدرية اي بسبب تواضعك له
انك سيد ولد ادم بفتح همزة انك وهي وما بعدها مفعول اعطى والسيد من يفوق
غيره في الشرف وهو يطلق على الله وعلى غيره في اصح الاقوال الثلاثة المشهورة
وخصه بقوله يوم القيامة لانه لا اعلى من هذه السيادة حيث يسود صلى الله
عليه وسلم فيه على الرسل وساير البشر وفيه نكتة لتبيين اضمحلال كل ملك لغايه
حيث يقول لمن الملك اليوم لله الواحد في ملكه القهار لساير مخلوقاته فقدير ولان
من تنشق عنه الارض معطوف على سيد خبر ان وانشقاق الارض لتخرج الموتى
من قبورهم للبعث فلا يتقدمه صلى الله عليه وسلم احد حينئذ واما حديث
فان الناس يصعقون اي يغشاهم غشية كالموت يوم القيامة فاصعق معهم
فاكون اول من يفيق واذا موسى عليه الصلاة والسلام باطش بجانب العرش
فلا ادري اكان ممن صعق او كان ممن استثنى الله بقوله الا من شاء الله فلا ينافيه
لان هذه الصعقة كما قاله التوربشتي صعقة فزع بعد البعث وبدليل
قوله يوم القيامة واول شافع اي يوم القيامة او في الجنة لرفع درجات
الناس لان مقام الشفاعة متعدد وفي قوله اول اشارة الى ان غيره من الملائكة
وغيرهم يشفعون بعد ذلك واعلم ان سفير الوحي بين الله وبين نبينا صلى الله

عليه وسلم

شمني وابن الحنبلي

عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام وعن الشعبي ان اسرافيل عليه الصلاة والسلام
كان يأتيه صلى الله عليه وسلم بالوحي في اول بعثته ويتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة
والشيء ثم وكل به جبريل عليه الصلاة والسلام قال ابن عبد البر في الاستيعاب انزلت
عليه الصلاة والسلام النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل عليه الصلاة
والسلام ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما
مضت ثلاث سنين قرن به جبريل عليه الصلاة والسلام فنزل بالقرآن عليه عشر سنين
وفي شرح البخاري لابن التين ميكائيل بدل اسرافيل ونقل البرهان عن ابن الملقن
ان المشهور ان الذي ابتداه بالوحي جبريل عليه الصلاة والسلام وانكر الواقدي
كون غير جبريل وكل به وقال السيوطي في كتاب الحبائك لم اقف على ان جبريل افضل
او اسرافيل ثم نقل احاديث متعارضة في ذلك وفيه ايضا ان اسرافيل نزل عليه صلى الله
عليه وسلم باية ذكرها حدثنا الفقيه ابو الوليد العواد بفتح العين المهملة
وتشديد الواو والف ودال مهملة الفقيه وهو هشام بن احمد القرطبي وقد تقدمت
ترجمته بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة وفي هذه السنة توفي
رحمه الله قال حدثنا ابو علي الحافظ الغساني وقد تقدم والحافظ اذا اطلق يراد
به حافظ الحديث بالرواية قال حدثنا ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر
النمري القرطبي الامام الجليل صاحب التآليف المشهورة كما تقدم قال حدثنا ابن عبد المؤمن
ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن كما تقدم قال حدثنا ابن داسة ابو بكر محمد بن بكر
وقد تقدم وان داسة بدال وسين مهملتين مفتوحتين بينهما الف قال حدثنا ابو داود
صاحب السنن المتقدم قال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة عبد الله بن محمد بن ابي شيبة
العبسي احفظ اهل عصره له ترجمة في الميزان مفصلة واخرج له الائمة الستة قال النووي
ابو بكر بن ابي شيبة منسوب الى جده هو عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عثمان بن خواستي
بخاء معجمة مضمومة ثم واو مخففة ثم الف ثم سين مهملة ساكنة ثم تاء مثناة من فوق
مكسورة وابو شيبة هو ابراهيم وغلب على اولاد ابنه النسب اليه وهم ثلاثة عبد الله
هذا وهو مشهور بكنيته وعثمان والقاسم فاما عبد الله وعثمان فاماما ن حافظان
من احفظ اهل عصرهم وهما شيخا البخاري ومسلم واما القاسم فليس كهما بل ترك
التحديث عنه ابو زرعة وابو حاتم الرازيان الحافظان وابوهم محمد ثقة وجدهم
ابراهيم ضعيف قال حدثنا عبد الله بن نمير بالنون كمسعر الهمداني ابو
هشام بن هشام بن عروة الاعمش الحافظ اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة
تسع وتسعين ومائة عن مسعر بكسر الميم وسكون السين وفتح العين المهملتين
وراء مهملة ومعناه موقد النار ويقال هو مسعر حرب للشجاع وهو مسعر
ابن كدام ابو سلمة الهلالي الكوفي المسمى بالمصحف لاتقانه وحفظه وممن اخرج
له الستة وتوفي سنة خمس وخمسين ومائة وله الف حديث عن ابي العنبس
بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وسين مهملة وهو
الحارث بن عبيد بن كعب لعله الكوفي لم يخرج له غير ابي داود وذكره في
الميزان ولم يذكر فيه شيئا عن ابي العدبس بفتح العين والدال المهملتين ه

وتشديد البا الموحدة المفتوحة وسين مهملة وهو بنبيع بن سليمان الاسدي ويقال
الاشعري الكوفي ونبيع بضم المثناة الفوقية ثم با موحدة وعين مهملة بزنة المصغر
كما في الميزان وتهذيب الذهبي والاكمال الا ان اباخليل الحافظ كتب في حواشيه ان
هذا وهم منه وانما هو مشيع بالميم بدل المثناة كما قاله البرهان الحلبي عن ابي مرزوق
التجيبي واسمه كنيته وله ترجمة في الميزان قال فيها ان ابن حبان قال انه لا يحتج بما
انفرد به عن ابي غالب الراسبي واسمه حزور وقيل سعد بن حزور وقيل نافع وروى
عنه اصحاب السنن واختلفوا في ضعفه وثقته ومنهم من وثقه عن ابي امامة الباهلي
او السهمي وهو صدي بن عجلان بن وهب توفي سنة احدى او ست وثمانين واخرج له
الستة وهو من بقايا الصحابة بحمص وهذا الحديث رواه ابو داود وابن ماجه مسندا
قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكيا بكاف مشددة مكسورة وهمزة
اي معتمدا متحاملا وهو منصوب على الحال على عصا وقال ابن عباس التوكؤ على العصى
من سنن الانبيا وكان له صلى الله عليه وسلم عصي منها قضيب ومخصرة فضية ومحجن
وكانت في يده اذا خطب وكانت عند الخلفا وقال فيها الصرصري رحمه الله تعالى كما تر
وعصاه لما مسها بيمينه * فتلت عصا صارت الى ثعبان *
فقمنا له تعظيما واجلالا فقال لا تقوموا كما يقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا
هذه الجملة بدل بما قبلها او مستانفة استينافا بيانيا والاعاجم جمع اعجم او اعجم
او عجم على خلاف القياس او جمع اعجام جمع جمع وهم من عدا العرب وقد يختص
بفارس وقد اختلف العلما في القيام للتعظيم المعتاد هل هو مكروه ام لا فقيل
مكروه استدلالا بهذا الحديث وبحديث من احب ان يتمثل له الناس قياما وجبت له
النار ونحوه حتى ذهب بعضهم الى حرمته والاحسن ما قاله القاضي زكريا في شرح
الروض انه مستحب لاهل العلم والصلاح والحكام العدول بل قد يجب اذا خشي
من تركه ضرر الجبابرة الملوك ويستحب لمن قدم من سفر ولذوي الارحام تكريما
وترابهم ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للانصار لما قدم عليهم سعد
رضي الله عنه قوموا لسيدكم والنهي عنه انما هو ما كان على سبيل الريا والكبر
وحمل حديث سعد على انه كان مريضا وقدم راكبا فامرهم صلى الله عليه وسلم
بالقيام ليعينوه في النزول عن دابته خلاف الظاهر كما مر رده وقد فعله صلى
الله عليه وسلم وكان يقوم لفاطمة رضي الله عنها اذا جاءته وانما نهاهم لئلا يظنوه
سنة ويتخذوه عادة وقال صلى الله عليه وسلم انما انا عبد الحصر فيه اضافي
اي لست بسلطان ثم انه اريد بالعبد معناه العرفي وهو الرقيق المملوك
للناس فهو استعارة فشبه نفسه تواضعا لله بالرقيق لتعاطيه خدمة نفسه
في بيته فانه صلى الله عليه وسلم كما ياتي كان يخصف نعله ويرقع ثوبه
ويكنس بيته ويلبس الغليظ فقوله آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد
بيان لوجه الشبه وان اريد عبد الله وكل الناس عبيد الله الملوك وغيرهم
سوا في ذلك فالمراد انه متخصص بهذه العبودية لا يشوبها بشي من امور
الدنيا ولا يتخلق بشي من اخلاق اهلها في لباسهم وماكلهم ومشربهم وفراشهم

فائدة

وانه صلى الله عليه وسلم كان يجلس على الارض ولا ياكل على خوان ولا يغلق عليه بابا ولا يتخذ
حجابا وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار وكثير من الاعتنيا يانفون من ركوبه وكان له حمار
يسمى عفير واخر يسمى يعفور وهو ماخوذ من العفرة وهي التراب لشبه لونه له وليسا
ابني لحمار واحد كما توهم فان عفيرا اهداه له المقوقس ويعفور اهداه له فروة بن
عمرو وقيل بالعكس وكان يعفور منصرفه من حجة الوداع وقيل القى نفسه في بير ابي
التيهان يوم موته صلى الله عليه وسلم وقيل انه كان من جنس من الحمير لم يركبه الا
نبي وانه كان صلى الله عليه وسلم يرسله للرجل فياتي بابه ويقرع بتراسه فيعلم انه
يطلبه ويردف خلفه غيره ويردف بضم المثناة بمعنى يجعله رديفا له اي راكبا خلفه
على دابته التي ركبها ويقال ردف واردف واصله الركوب على الردف وكان صلى الله
عليه وسلم يجعل غيره قدامه ايضا ولم يذكر الحكم من اردفه اشارة لعمومه فيشمل
الذكر والانثى والصغار والكبار وقد ذكروا ان من اردفه صلى الله عليه وسلم بلغ
الاربعين في سفره وحضره وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم وهم اسامة بن زيد
رضي الله عنه مرجعه من عرفة والصديق رضي الله عنه في الهجرة وعثمان رضي الله عنه راجعا
من بدر وعلي كرم الله وجهه في حجة الوداع وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما بين
يديه وسبطه مع غلامين من بني هاشم واولاد عباس الثلاثة رضي الله عنهم في نزوله
من المزدلفة والحسن والحسين رضي الله عنهما ومعاوية رضي الله عنه ومعاذ بن
جبل رضي الله عنه على عفير وابو ذر رضي الله عنه على حمار وزيد بن حارثة رضي الله
عنه وثابت بن الضحاك رضي الله عنه والشريد بن سويد رضي الله عنه وسلمة بن
الاكوع رضي الله عنه وزيد بن سهل رضي الله عنه وابو طلحة الانصاري رضي الله
عنه وسهيل بن بيضا وعلي بن بنته زينب رضي الله عنهما وعبد الله بن الزبير
رضي الله عنهما وغلام مطلبي واسامة بن عمير رضي الله عنه وامية بنت ابي الصلت
وابو اياس وابو هريرة رضي الله عنه وقيس بن سعد رضي الله عنهما وخوات بن جبير
رضي الله عنه وجبريل عليه الصلاة والسلام على البراق في الاسرا وام حبيبة
الجهنية وزيد بن ارقم رضي الله عنه وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما وزاد
ابن منده رحمه الله غير هولاء ونظمهم ابو ذر بن موفق الدين فقال

وارداقه جم غفير فمنهم … علي وعثمان زيد وجبريل
واولاده ذووا الرشد والتقى … اسامة والدوسي وهو نبيل
معاوية قيس بن سعد سفينة … وسبطاه ماذا عنهم ساقول
معاذ ابو الدردا سويد وعقبة … وامنة ان قام ثم دليل
كذلك خوات طريف وسبطه … على وجه النقل فيه جميل
اسامة والصديق ثم ابن جعفر … وزيد وعبد الله ثم سهيل
كذا بنت قيس خولة وابن اكوع … وقدرهم في العالمين جليل
كذلك زيد صاحبو ثم ثابت … فعن حبهم والله لست احول
ثلاث غلمان وزد معهم ابا … اناس وحسبي الله ثم وكيل

وكان صلى الله عليه وسلم يعود المساكين ويجالس الفقرا الفرق بين المسكين والفقير

مشهور في مبحث الزكاة الا ان كلا منهما يطلق على الاخر من غير فرق في العرف والعادة سنة
للغني والفقير وانما خصهما هنا لانه يعلم منه غيره بالطريق الاولى والمسكين بكسر الميم
وفتحها ماخوذ من السكون ويكون بمعنى المتذلل الخاضع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا وتقدم انه لا يجوز ان يطلق على النبي صلى الله عليه
وسلم انه فقير او مسكين وان اطلقه على نفسه الشريفة ويجيب دعوة العبد
اذا علم انه يجوز له اطعام غيره لكونه ماذونا في ذلك ويجلس مع اصحابه مختلطا بهم
فلا يختار مكانا رفيعا ولا يتقدم عليهم قال ابو هريرة رضي الله عنه حتى كان الغريب اذا
اتى ناديه لا يعرفه حتى يسال عنه ثم ان الصحابة رضي الله عنهم سالوه صلى الله عليه
وسلم ان يجعل له مكانا مخصوصا حتى اذا اتاه الغريب عرفه وساله ففعله من طين
تارة يجلس عليه وتارة يجلس بجنبه حيثما انتهى به المجلس جلس حيثما انتهى العموم
اي اي مكان وجده خاليا وقت مجيئه يجلس فيه صدر او غير صدر وكل هذا
لتواضعه صلى الله عليه وسلم وكان شاذا منه وفي حديث عمر عنه صلى الله عليه وسلم
وهذا الحديث رواه البخاري لا تطروني مضارع اطراه اذا بالغ في مدحه وجاوز
الحد فيه قال

لا يلحق الواصف المطري مدائحه ● وان يكن محسنا في كل ما وصفا

اي لا تمدحوني قال الجوهري والزبيدي اطريت الرجل مدحته وقال ابن فارس في
المجمل اطريته مدحته باحسن ما فيه وقال الهروي الاطراء مجاوزة الحد في المدح
والكذب فيه وبه فسر الحديث وقد علمت ان الذي قاله الهروي هو معنى الحديث
وهو ماخوذ من الطراوة يقال طراوة وطراة ومدحه صلى الله عليه وسلم مطلوب
من كل احد والنهي انما هو عما لا يليق به ولذا قال كما اطرت النصارى جمع نصراني
منسوب لناصرة او نصرة او نصورية على خلاف الغيار وتلك القرية كان فيها
اول امر ابن مريم فانهم قالوا فيه انه ابن الله وغيره مما هو مشهور وهذا كقول
الابوصيري رحمه الله تعالى

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ● واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وما احسن قول العارف بالله تعالى سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله به

وعلى تفنن واصفيه بحسنه ● يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ولا تقولوا ما قاله اهل الكتاب ونحوه
فالحصر اضافي وعن انس رضي الله عنه رواه مسلم ان امراة من الصحابة لم تسم او لم يرد
وهي ماشطة خديجة ام المومنين رضي الله عنها او تردد البرهان الحلبي رحمه الله
فيها هل هي هذه او غيرها وجزم به غيره كان في عقلها شيء من الجنون ولم يصرح به
اشارة لخفته وانها لم تستغرق فيه فان لفظ شيء يشعر بالقلة جاءته صلى الله
عليه وسلم فقالت ان لي اليك حاجة اريد ان القيها اليك واعلمك بها فقال لها
اجلسي يا ام فلان الابهام من الراوي لانه لم يحضره اسمها في اي طرق المدينة شئت
اجلس اليك بجزم في جواب الامر وان بمعنى عند عبر به للمشاكلة حتى اقضي حاجتك
قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها التي اعلمته

بين

لها

بها انواضعًا منه صلى الله عليه وسلم وملاطفة وفيه استحباب الملاطفة بمثلها لا بمعن
كان فيه جنون مطبق وكانت جارية سوداء تصرع احيانا فشكت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
وقالت اني اصرع وانكشف فادع الله لي فقال ان شئت فاصبري ولك الجنة وان شئت
دعوت الله ان يعافيك فقالت اصبر ولكن ادع الله ان لا انكشف فدعا لها فكان ابن عباس
رضي الله عنهما يقول الا اريكم امراة من اهل الجنة فيشير اليها وقيل ان التي كانت تصرع
شعيرة الاسدية وقال انس رضي الله عنه في حديث رواه بتمامه ابو داود والبيهقي
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد كما تقدم بيانه
وكان صلى الله عليه وسلم يوم بني قريظة يوم واحد الايام واليوم هنا بمعنى الوقعة
والغزوة شايع بحيث اذا اطلقوه انما يفهم منه هذا وبنو قريظة بصيغة التصغير
والقاف والرا المهملة والظا المشالة يهودها قوم من اليهود بقرب المدينة غزاهم
النبي صلى الله عليه وسلم قبل غزوة الخندق كما فصل في السير راكبا على حمار
وهو صاحب الرياسة والرسالة العظمى تواضعا منه ومن هو من اقل عبيده يركب
الخيل في مثله ويجتنب الجنايب اظهارا لشوكته وعظمته بل انه لا لغرض الدنيا الذي لا يبقى
وما في بعض الشروح هنا نقلا عن بعض الحواشي في ضبط يوم من انه بفتح اليا التحتية ابن الحنبلي
والهمزة المضمومة المرسومة واوا والميم المشددة بمعنى يقصد تحريف لا وجه له
مخطوم بحبل من ليف اسم مفعول من الخطام بخا معجمة وطا مهملة وهو ما يقاد به
الدابة كالرسن والليف بكسر اللام والقاف ينبغي يتخذ من النخل ويفتل حبالا وعليه اي
على الحمار اكاف بكسر الهمزة وكاف والف وفا بزنة كتاب وبضم كغراب ويقال وكاف
بالواو وهو رحل يوضع على ظهر الحمار للركوب عليه او بعض اداته وهو البردعة
وهذا من حديث رواه ابو داود والبيهقي كما مر قال اي انس بن مالك رضي الله عنه
وكان صلى الله عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة الاهالة بكسر
الهمزة وتخفيف الها واللام وهو كل ما يؤتدم به من الدهن او ما يذاب من الالية
او الدسم الجامد وسنخة بفتح السين المهملة وكسر النون وفتح الخاء المعجمة وهي
بمعنى متغيرة الرايحة يقال سنخ الدهن وزنخ اذا تغير فيجيب دعوة من دعاه
وهذا الحديث رواه الترمذي في شمايله وابن ماجه في سننه قال انس ايضا رضي
الله عنه وحج صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة في حجة الوداع كما في البخاري
ويدل عليه قوله الاتي وقد فتحت عليه الارض على رحل رث الرحل للجمل كالسرج ج
للفرس فيختص به ورث بفتح الرا المهملة وتشديد المثلثة بمعنى بالخلق
وعليه قطيفة اي كساء من صوف له خمل ما تساوي اربعة دراهم اي لو قومت
لم يكن قيمتها اربعة دراهم ويقال هذا ايساوي ويسوي كذا القيمة والحج
من اعظم شعاره التواضع واظهار الافتقار الى الله ومنع النفس من التلذذ
والملابس ولذا شرع الاحرام فيه والتجرد في الموقف ليذكر الموقف الحقيقي
والعرض على الله وهذا من محاسن التشريع والارشاد للاخلاص ولذا قال
ثمة فقال اللهم اجعله اي اجعل حجي هذا حجا مبرورا لا ريا فيه ولا سمعة
بل خالصا لوجهك الكريم والريا مشتق من الرؤية وهو ما يفعل من عبادة

ونحوها لاجل ان يراه الناس فيحمدوا صاحبه به والسمعة بضم فسكون ما يفعل ليشيع ويسمع
الناس به وهما بمعنى بحسب المصدق وان اختلف مفهوماهما ومنهم من فرق بينهما
فان عبد السلطان اذا عمل عملا ليراه سيده وحده رياء لا سمعة ومن اشاع امرا لم يره
لا رياء فيه وقال الغزالي في قواعده الرياء موجب للاثم والبطلان عند كثير لظاهر قوله
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين وهو ان يعمل لله مع قصد نفع من العباد وهذا
رياء الشرك او ان يعمل للناس فقط ويسمى رياء الاخلاص وهو لا غواص شيء والشرك
كمن جاهد طاعة لله مع قصد الغنيمة وهذا يضر بنقص الثواب ولا اثم بالاجماع
بخلاف من فعل ليقال انه شجاع او ليحظى عند الامام او يكثر عطاؤه وهو محرم وليس
كقصد الغنيمة من العدو ومن حج وشرك مع الحج المتجر لا يأثم ولا يقدح ذكره في
صحة حجه ولو كان نحل قصده او كله التجارة كمن صام ليصح بدنه ويحتمي فهذا لا يقدح
في فعله لان الشارع امر به في حديث يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج
ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء اي قاطع للشهوة فامر بالصوم لغرض
غير العبادة ولو كان قادحا لم يأمر به كمن توضأ للتبريد والتنظيف فان فيه
اغراضا ليس فيها تعظيم غير الله بفعله فانه هو المضر انتهى والنبي صلى الله عليه
وسلم معصوم من الريا والسمعة وانما دعا بذلك تعليما للامة وتواضعا كقول
يوسف عليه الصلاة والسلام وما ابرئ نفسي لان التقشف قد يدخله الريا باظهار
الزهد هذا اي فعله صلى الله عليه وسلم هذا واختياره رث الثياب والمركب
ليس عن عجز وقد فتحت الارض عليه صلى الله عليه وسلم وفتح يتعدى بعلى لما
كثير التسهيل له من الله كانه افاضه عليه وفتح الارض ان اريد به بعضها كالحجاز
فظاهر وان اريد جميعها فقد تمكنه صلى الله عليه وسلم منها بمنزلة وقوعه
وقد مر في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اتيت بمقاليد الدنيا على فرس
ابلق عليه قطيفة سندس وفي رواية بمفاتيح خزائن الارض فوضعت بين
يدي وهو محمول على ظاهره وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو او هو كناية عن
ان الله مكنه من ذلك ولو ان الله اراده صيرته بالفعل فيهما وقاد جميع اهلها
له واهدى في حجه ذلك مائة بدنة اهدى بمعنى بعث الهدي بوزن الرمي
الياء وقد تشدد فتكسر داله وهو ما يرسل للبيت الحرام ليذبح فيه ويتصدق به
من الابل والبقر وكذا البدنة تطلق على الجمل والناقة والبقرة واكثر ما تطلق
على الابل وقد يسمى الابل مطلقا هديا وسميت بدنة لكبر بدنها وفي البخاري
لما حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع اهدى مائة بدنة نحرها وقسم
لحمها وجلودها وجلالها ونحر بيده منها جملة ثم امر عليا كرم الله وجهه بنحر
باقيها واختلف فيما نحر صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة اهو ثلاثون ام
ستون ولما فتحت عليه مكة دخلها بجيوش من المسلمين وذلك في شهر رمضان
ثالث عشر او سادس عشر او ثامن عشر وصحح النووي انه تاسع عشر واختلف
في الجيوش ايضا فقيل اثنى عشر وقيل عشرة الاف وقيل ثمانية طاطا على
راحلته راسه حتى كاد يمس قادمته الرحل له مقدم ومؤخر يرتفع من محل

الراكب

الراس وكثيرا العانة قادم وقادمة ومقدم ومقدمة بكسر الدال مخففة وفتحها مشددة
وكذا اخرة الرحل تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه ركب الجمل دون الرحل
وعلى راسه مغفر فوقه عمامة سودا وارد ف خلفه اسامة رضي الله عنه كما مر ومن
تواضعه قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى قال شيخ مشايخنا
الجلال السيوطي لم اقف عليه بهذا اللفظ والذي في البخاري عن ابن مسعود رضي
الله عنه لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي سنن ابي داود ما ينبغي لنبي
ان يقول انا افضل من يونس بن متى وفي الصحيحين لعبد بدل لنبي وفي رواية
لا اقول ان احدا افضل الخ انه سبح الله في الظلمات وفي البخاري ونسبه لابيه فيه
اشارة الى ان متى بفتح الميم وتشديد التا مقصورا اسم ابيه وقيل معناه انه ذكر
اسم ابيه بدل متى اسم امه وهذا هو المشهور وانه لم ينسب لامه الا يونس ومتى عليهما
الصلاة والسلام واختلف في المراد منه فقيل انه صلى الله عليه وسلم قاله تواضعا منه
وان كان هو افضل من جميع الرسل بالاتفاق وكلام المحشي يميل لهذا فان الافضل قد
لا يطلب تفضيل احد له وقيل انه كان قبل ان يعلم بتفضيله والاذن فيه لقوله تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وخص يونس صلى الله عليه وسلم لئلا يتوهم
احد تنقيصه اذا سمع قصته وقوله ولا تكن كصاحب الحوت وقصته مفصلة في
التفسير وقوله صلى الله عليه وسلم ولا تفضلوا بين الانبيا لا ينافي هذه الاية
لان المنهي عنه تفضيل يؤدي الى التنقيص او الخصومة والنزاع او التفضيل من
سائر الوجوه لانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل او التفضيل في نفس
النبوة لا في الخصايص وعموم الرسالة ولا يجب علينا اعتقاد افضليته صلى الله عليه
وسلم لقوله انا سيد ولد ادم وقوله ان الله اختارني على جميع العالمين من الانبياء
والمرسلين ولا تخيروني على موسى صلى الله عليه وسلم اي لا تقولوا اني خير منه وافضل
وخصه لئلا يظن احد نقصه لقوله فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان
وسياتي بيان ذلك اقول الظاهر ان المعنى لا تفضلوني تفضيلا يؤدي للنزاع
والمخاصمة فان هذا من بعض حديث في الصحيحين ان رجلا من المسلمين استب مع
يهودي فقال اليهودي والذي فضل موسى على العالمين فلطمه فاشتكى
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ذلك وسياتي الكلام على هذا ونحن احق
بالشك من ابراهيم اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى وحمله بعضهم على
ظاهره وانه كان قبل البعثة في سن الطفولية ومن قال بعصمة الانبيا مطلقا
قال انه نفي للشك لا اثبات له وانما قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل
التواضع اي نحن احق بالشك منه لو شك ولكنه لم يشك فكانه قال انا لا اشك
فكيف بابراهيم وقيل انما قاله جوابا لمن قال شك ابراهيم ولم يشك نبينا
ولا تنافي بين القولين وسيشير اليه المحشي في القسم الثالث وقيل لا يصح ان يكون
المراد انه احق بالشك منه بقوله اولم تؤمن قال بلى الخ وتسميته شكا بالنظر
للظاهر لاقتضائه عدم الاطمينان وهو مناف في عدم التردد والشك ولذا احتيج
لتاويله بان الخليل عليه الصلاة والسلام قطع بالقدرة على احيا الموتى

بعد قيل قطعي لكنه اشتاق لمشاهدة كيفية هذا الامر العجيب الذي جزم بثبوته فنفسه
لا تطمئن حتى يشاهده قال ابن ابي شريف رحمه الله وهذا التاويل يشير الى ان المطلوب
بعوله ولكن ليطمئن سكون قلبه عن المنازعة اليه رؤية الكيفية المطلوبة التي بها
يحصل له العلم البديهي بعد العلم النظري ولما كان هذا الشك ظاهره جائزا
على الانبيا عليهم الصلاة والسلام قال صلى الله عليه وسلم ما قاله كناية عن انه
جائز منه الا انه اورده بهذه الصورة تادبا مع العمو وان لم يكن احق بذلك الشك منه
وكيف يتوهم جوازه عليه وعلى كرم الله وجهه يقول لو كشف الغطا ما ازددت
يقينا الا ان في هذا اشكالا اورده ابن العماد لاقتضائه تساوي علمه البديهي والنظري
فيتجاوز المقام الخليلي وقد اجاب عنه في كتابه كشف الاسرار فقال قال العز عليه
السلام المراد ما ازددت يقينا بالايمان وان كان ازدادها ابصر من التفاصيل والهيات
ما لم يحط به قبل ذلك علما وكذلك ابراهيم لما راى كيفية الاحيا لم يزدد يقينا
بالايمان بقدرته تعالى على الاحيا وان وقف بمشاهدة كيفية الاحيا على ما لم
يقف عليه من الايمان كمن راى بنا عجيبا وعرف صانعه علم قدرته وصنعه وحكمته
وان لم يعرف كيفية بنائه وصنعة عمله فاذا طلب مشاهدة عمله وراه لم يزده
علمه بقدرته وصنعته وهيئته بذلك ولكن اطمان قلبه لحصول ما طلبه من كيفية
صنعه وقال السبكي سئل الغزالي عن هذا فقال اليقين يتصور عليه الجحود
كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم والطمانينة لا يتصور عليها
الجحود وهو جواب حسن في الفرق بين اليقين والجحود انتهى وفيه نظر وقول
ابن عباس رضي الله عنهما هذه الاية ارجى اية في القران معناه ان شا الله الاحيا
في الدنيا يدل على انا نحيي ونتنعم في الاخرة او ان الايمان بالغيب كاف لنا اجمالا ولو
لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي لبث في السجن بضع سنين اي لبث
خمسا ثم سبعا بعده وبا الفتيين اللذين دخلا معه السجن وقيل غير ذلك
وورد في الحديث رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في
السجن سبعا بعد خمس اي لو لم يستغث بغير الله ما طالت المدة والمراد بالاجابة
الداعي اجابة رسول الملك الذي دعاه للخروج منه قال الكرماني وصفه بالصبر
حيث لم يبادر الى الخروج وقال ذلك تواضعا الا انه كان فيه مبادرة وعجلة لو
كان مكان يوسف والتواضع لا يصغر كبيرا بل يزيد قدره اجلالا وذلك منه صلى
الله عليه وسلم اشارة الى مقام المفوضين وتلقي كل ما ياتي من الله بالقبول
ورفض الوسائط والمعنى لو كنت مكانه تلقيت دعوة الداعي مستعينا بالله تعالى
مفوضا امري له وقد كان يوسف عليه الصلاة والسلام عبر روبا الفتيين
ثم روبا الملك فطلبه فلما جاءه الرسول ليخرجه من السجن لم يبادر الخروج
وطلب الكشف عن امره حتى يعلم انه مظلوم وقال القرطبي الوجه عندي في
ذلك انه صلى الله عليه وسلم اخذ لنفسه وجها اخر من الراي وهو ان يفعل
امرا ليقتدى به فيه وهو ان يخرج سريعا لم يبري ساحته بالتبرية من غير
الحاح وهو الحزم ويوسف عليه الصلاة والسلام سلك مسلكا اخر وهو

الصبر وقيل انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت لها التفت له من براة الساحة اكتفا بعلم الله به
والاعتقاد ولانه يبرئ ساحته من غير طلب منه لهذا المقام ولكنه قال ما قال تواضعا وفي
يوسف ست لغات تثليث السين مع الهمز وعدمها وقال للذي قال له يا خير البرية
ذاك ابراهيم وهذا من تواضعه ايضا صلى الله عليه وسلم والا فهو خير البرية من غير
شك وليس فيه اخبار بغير الواقع اذ المعنى لا اقول ذلك اطرا لنفسي والبرية الخلق
من برا بمعنى خلق لكن همزتها متروكة كما في الذرية والنبي والخابية وهذا الحديث
رواه مسلم في صحيحه وغيره وخص ابراهيم لان الله امره باتباع ملته في قوله ان اتبع
ملة ابراهيم وسياتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شا الله تعالى من غير
تطويل واعتساف وعن عايشة والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته صلى الله عليه
وسلم وبعضهم يزيد على بعض فقدم عايشة رضي الله عنها لانها ادرى بحاله صلى
الله عليه وسلم في بيته ولذا اعقبها بالحسن بن علي رضي الله عنهما لانه من اهل البيت
ايضا وابو سعيد الخدري رضي الله عنه كان يخدمه صلى الله عليه وسلم فلذا الحق
قولا ورتبهم الاقرب فالاقرب كان في بيته في مهنة اهله خبر بعد خبر او بدل مما قبله
بدل اشتمال والمهنة بكسر الميم وفتحها الخدمة ماخوذة من الامتهان واختلف في ايها
الافصح والاكثر على انه الفتح والاشهر انه الكسر لتوافق الخدمة لفظا ومعنى وانكر
بعضهم الكسر والاصح انه لغة وانه ثابت بالوجهين يفلي ثوبه بيان هو وما بعده
لما قبله لان هذا انما ينبغي ان يفعله اهله ويفلي بفتح المثناة التحتية وسكون الفا
يقال فلاه يفليه كرماه يرميه اذا فتش ما فيه من قمل وغيره هذا اصله وهو يقتضي
ان يكون في ثوبه صلى الله عليه وسلم قمل وقد قالوا انه لا يكون تكريما له صلى الله عليه
وسلم ولانه يتولد من العفونة والعرق وجسده وعرقه طيب لا يكون منه عفونة
والقول بان فيه قملا تنقيص لا ينبغي ان يقال الا ان بعضهم نقل انه لم يكن الذباب
يعلو عليه وان القمل لا يوذي بدنه تعظيما له صلى الله عليه وسلم وتكريما كما
سياتي بيانه قبيل فصل قد انبا اكرمك الله فقيل المراد بنفي اذيته نفيه لانه من
لوازمه وقيل انه كان فيه ولكن لا يوذيه والاول مناف لحديث المتن ولما روي
ان ام حرام كانت تفلي راسه واللفظ شاهد لخلافه نعم نفي اذاه مستلزم لنفيه
لان اذيته بتغذيه من البدن فاذا امتنع غذاوه لم يعش وحينئذ لم يكن في وجوده
لا قذارته والاحتياج لفليه ولذا قيل المراد بفليه تفتيشه لخرق فيه او تعلق
شي به من شوك ونحوه وكل ذلك للتشريع واظهار التواضع واحتمال ان يكون القمل
جاء من غيره لكثرة مجالسته الفقرا كما سياتي لا ياباه فلي ام حرام لراسه كما قيل
على انه يحتمل انها كانت تفحص عن هذا وان لم تجده ويحلب شاته ويرقع ثوبه
بفتح اليا وسكون الرا المهملة وفتح القاف المخففة ويجوز الضم والتشديد
الا ان الضبط بالاول لمناسبة ما معه ورقع الثوب ان يضع فيما انخرق منه
رقعة من غيره ليسده بها ويخصف نعله اي يخرز رقاعه وفي العمدة انه تطبيق
بعض جلود النعل على بعض وهو في قوله تعالى يخصفان عليهما من ورق
الجنة استعارة من هذا واصل معنى الخصف الضم والجمع ويقم البيت اي

بكنسه ويرمل فما امنه من قم يقم بضم القاف اذا كنس ويعقل البعير اي يربطه من رجله
بالعقال ويعلف ناضحه بنون وضاد معجمة وحاء مهملة وهو
البعير الذي يستسقى عليه من النضح ويخدم نفسه اي يفعل ذلك كثيرا لا دائما
مع كثرة عبيده وخدمه وتشوق الناس لخدمته صلى الله عليه وسلم لكنه يحب
فعل ذلك من نفسه تواضعا وتشريعا ويأكل مع الخادم الخادم متعاطي الخدمة ذكرا
كان او انثى حرا او عبدا واكل الانسان مع خادمه سنة قال القاضي زكريا في شرح
الروض ان السنة ان يجلس خادمه للاكل معه ويلبسه من لباسه فان ابى فليناوله
مما ياكله ومن الغريب ما نقل عن الشافعي انه واجب للامر به في الحديث وفيه نظر
ويعجن معها الضمير للخادم لانه يطلق على الانثى كما مر والعجين من عمل النساء
ويحمل بضاعته بكسر الموحدة وهي ما يشتريه من السوق وفيه دلالة على انه صلى
الله عليه وسلم كان يدخل السوق قالوا وهو عادة الانبيا عليهم الصلاة والسلام
قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في
الاسواق وكذا كان داب الصحابة رضي الله عنهم ولا ينافيه احب البقاع الى الله
المساجد وابغضها اليه الاسواق لان المراد بغض ما فيها او النهي عن الجلوس فيها
من غير حاجة وعن انس رضي الله عنه ابن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم
وهذا الحديث رواه البخاري تعليقا ووصله ابن ماجه ان كانت الامة من اماء
اهل المدينة بكسر همزة ان المخففة من الثقيلة كقوله وان كانت لكبيرة وهي
مهملة ا واسمها ضمير شان مقدر لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتنطلق به حيث شاءت اي تمسك يده الشريفة وتذهب به الى اي محل تريده
لاجل حاجتها حتى يقضي حاجتها وليس فيه ازدياد في التواضع المذموم لان قضا
حاجة المسلمين امر محمود ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة بكسر
فسكون لخوفه من مهابته اذ كان لم يره قبلها واعاد هذا الحديث لما فيه من
الزيادة والرعدة ان يرتجف ويضطرب فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك
امرك الهوين اي عد ما اتيته امرا هينا غير صعب تخشى منه اي لا تخف ولا
تفزع فاني لست بملك من الملوك الجبابرة الذي يخشى بوادرهم انما انا
ابن امراة من قريش تاكل القديد هو اللحم الذي يقطع ويجعل في الشمس
حتى ييبس • وكان عادة العرب اكله وهكذا عادة فقرائهم فكنى به عن عدم
تكبره وتجبره وترفعه صلى الله عليه وسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال السيوطي هذا الحديث رواه الطبراني في الاوسط بسند ضعيف قال
دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل في حواشي
الشمني ذكر المص رحمه الله اشتراه صلى الله عليه وسلم للسراويل الا انهم
قالوا انه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم لبسها ولكنه اشتراها ولم
يلبسها وقال ابن القيم في الهدي انه لبسها فقالوا انه سبق قلم وقال
السيوطي في فتواه قد رايت الذي ذكره المص في معجم الطبراني الاوسط ومسند
ابي يعلى وفيه انه صلى الله عليه وسلم لبسها ولفظه عن ابي هريرة انه

قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل باربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان فقال له زن وارجح واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل فذهبت لاحمل عنه فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله الا ان يكون ضعيفا فيعجز عنه فليعينه اخوه المسلم فقلت يا رسول الله انك لتلبس السراويل قال اجل في السفر والحضر وبالليل والنهار فاني امرت بالستر فلم اجد شيئا استر منه اخرجه من طريق ابن زياد الواسطي واخرجه احمد وفي سنده ابن زياد وهو وشيخه ضعيفان انتهى فقول المخبر ضعفه بمتابعته ومنه يعلم ان تخطية ابن القيم لا وجه لها وكون الثمن اربعة دراهم هو المروي لا ما في الاحيا من انه بثلاثة وكونه صلى الله عليه وسلم اشتراها ولم يلبسها بعيد جدا وقد لبسها عثمان رضي الله عنه وهو محاصر ايضا والسراويل تذكر وتؤنث ولم يعرف فيه الاصمعي الا التانيث وجمعه سراويلات وهي مصروفة في النكرة عند سيبويه فان سمي بها رجل لم تنصرف وكذا ان صغرت بعد التسمية لانها مؤنثة على اكثر من ثلاثة احرف كعناق فان صغرت من غير علمية صرفت وقال الجوهري من النحويين من لا يصرفه في النكرة ايضا لانه عنده جمع سروالة وانشد ۞ ۞ ۞ ۞ ۞ لة

عليه من اللوم سروالة ۞ ومغنود ابن مقبل ۞ ۞ ۞

في فارسي في سراويل رامح والعمل على الاول والثاني قوي انتهى ومن ثم رد قول من قال انه ممنوع من الصرف بالاتفاق وقول الجد في انه لم يسمع انه جمع في الاصل كمناجر المنبع فيعتبر فيه الجمعية الاصلية قال ولذا انطبوا فيه وقيل انه اعجمي معرب سروالة الحمل على موازنه في العربية كمصا وقيل عربي جمع لسروالة تقديرا وهي لغة في سراويل ويقوي جمعيته بيح انه لا نظير له في العربية وعلى هذا اقتصر الجواليقي في معربانه الا انه قيل انه معرب شلوار بالمعجمة والاشبه انه معرب سراوين اي بدل الراس لان سر معناه الراس واوين معناه مدلى وقال صلى الله عليه وسلم للوزان اي الذي يزن الدراهم وينقدها وهو الصيرفي زن وارجح اي زن لصاحب السراويل ثمنها وزد عليه حتى ترجح الميزان بزيادة الكفة التي فيها الدراهم وبهذا استدل الامام مالك على جواز هبة المجهول وفيه نظر لانه من حسن القضا وكلام ابي حنيفة في الهبة المحضة والرجحان نزول كفة الميزان لزيادة ما فيها وذكر القصة كما سمعتها انفا قال اي ابو هريرة رضي الله عنه راوي هذا الحديث فقال الوزان هذه كلمة ما سمعتها من احد فقال له ابو هريرة كفى بك من الوهن والجفا في دينك انك لا تعرف نبيك فطرح الميزان ووثب اي قام بسرعة الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها اي قام ليقبل يده الشريفة لما راى منه وعلم فتحقق انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه اي نزع صلى الله عليه وسلم يده من يده وقال هذا اي تقبيل اليد انما تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم معاشر العرب او الناس وهذا

من تواضعه صلى الله عليه وسلم ولانه علم انه انما قبل يده لامر دنيوي والا فتقبيل
يد الرجل لعلمه او صلاحه او شرفه سنة مستحبة وقد كان الصحابة رضي الله عنهم
يقبلون يده الشريفة ويد الخلفاء رضي الله عنهم وقيل لبعض المشايخ اتقبل يد
المشايخ فقال الصبر يا حبيب الله فسموها بالتقبيل ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده الشريفة السراويل ليحملها بنفسه فذهبت لاحمله اي شرعت في حملها
عنه يقال ذهب يفعل كذا وقام يفعله اذا شرع في الفعل ولذلك عدت من
افعال المقاربة فليس المراد بالذهاب معناه المشهور وضمير لاحمله للسراويل لانه
يجوز تذكيره وتانيثه كما علم فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم لابي هريرة
صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله بدل من شيئه اي احق بحمله من غيره وهذا من
تواضعه صلى الله عليه وسلم واقتدى به الصحابة رضي الله عنهم فكان الخلفاء منهم
يحملون امتعتهم في السوق كما فصله الغزالي في الاحيا

## فصل

**واما عدله** صلى الله عليه وسلم العدل مصدر معناه العدو ضد الظلم
والجور ويكون بمعنى العادل فيستوي فيه الواحد المذكر وغيره ويجمع على
عدول وامانته في كل شيء بحفظه قولا كان او فعلا او غيره لكن مما يجعل عنده
وكونه موثوقا به في اموال الناس واحوالهم وعفته في نفسه بتركه كل قبيح
وترك السؤال والنزاهة عن كل شيء وصدق لهجته اللهجة اللسان والكلام
ويقال لهج بكذا اذا ولع به ولا يخفى تقارب معاني ما ذكر ولذا جمعها في فصل
فان في العدل عفة عن الظلم وفي الصدق امانة على ما سمع وعفة عن الكذب
وهذا ظاهر لمن له بصيرة فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس من بدا له
بمعنى اكثرهم واشدهم امانة واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة
منذ كان اي من ابتدا خلقته الى نهايتها وكان ناصحة بمعنى وحيد اعترف له
بذلك محادوه جمع محاد بتشديد الدال المهملة بمعنى المعادي والمخالف له
الذي يحد ويجانب عنه ويكون بمعنى المحارب قال ومن يحادد الله ورسوله
وعداه بكسر العين جمع عدو او اسم جمع وهو في الصفات وقد تقدم بيانه وكان
يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحاق محمد بن اسحاق بن يسار صاحب السير كما
تقدم وهذا حديث صحيح رواه احمد في مسنده والحاكم والطبراني عن علي كرم
الله وجهه كان صلى الله عليه وسلم في ابتدا امره وقبل نبوته يسمى الامين لامانته
وصدق قوله في جميع احواله بما جمع الله له من الاخلاق الصالحة اي بسبب ما
جمعه الله فيه من الاخلاق الصالحة الذي ابتمنه الله اياها او الباء بمعنى مع
اي مع ما جمعه الله له من الصالحات التي عرف بها عندهم وقال تعالى مطاع
ثم امين اكثر المفسرين على انه اي المطاع الامين في هذه الاية محمد صلى الله
عليه وسلم وكثير منهم على انه جبريل عليه الصلاة والسلام كما يشهد به سياق
النظم ولذا ارتضاه المحققون لكونه عليه الاكثر وفيه نظر ولما اختلفت
قريش وتحازبت بالحا المهملة والزاي المعجمة والبا الموحدة اي صارت
احزابا وفرقا لاختلاف ارائهم ولو قيل تحاربت بالرا المهملة لمناسب السير

ايهم على القواعد حتى اعتمدوا للقتال ثم بدا لهم فتشاوروا واصح الا انه بعيد والنسخ مضبوطة
بخلافه عند بنا الكعبة قال السهيلي كان بناؤها خمس مرات الاولى حين بناها
شيث بن ادم والثانية حين بناها ابراهيم عليه الصلاة والسلام على القواعد الاولى
والثالثة حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة اعوام والرابعة حين احترقت في عهد
ابن الزبير بنار طارت من ابي قبيس او بشرر طار من مجمر امراة ارادت ان تجمرها فاشتعل
باستارها واحترقت فتشاور من حضرها في هدمها فهابوه وقالوا نصلح ما انهدم
منها فقال رضي الله عنه لو احترق بيت احدكم لم يرض له الا باكمل صلاح ولا يكمل
صلاحها الا بهدمها فهدمها حتى افضى الى قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وامرهم ان يزيدوا في الحجر فحركوا حجرا منها فراوا تحته نارا افزعتهم فامرهم
ان يقروا القواعد وان يبنوها من حيث انتهى الحفر واستمر على ذلك الى ان قام
عبد الملك بن مروان فهدمها وبناها فهذه المرة الخامسة ولا منافاة بينه وبين
ما في التواريخ من ان الخامسة بنا الحجاج لانه كان بامر عبد الملك لانه اميره وكان
ارسله لمحاربة ابن الزبير رضي الله عنهما وقيل غير ذلك والكلام فيه مفصل في تاريخ
مكة فمن يضع الحجر الاسود في موضعه ويرفعه بيده لما في مباشرة ذلك من الشرف
والفخر والمجد وهو متعلق باختلفت حكموا بفتح الحاء وتشديد الكاف جواب لما اي
ارتضوا بان يكون الحاكم في ذلك اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم
داخل اذا للمفاجاة اي فاجاهم دخوله عليهم بغتة من غير طلب وميعاد منهم
وذلك قبل نبوته صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وثلاثين وقيل ابن خمس
وعشرين او حين بلغ الحلم ولا شك في ان هذا كان قبل النبوة والاول اصح فقالوا
هذا محمد هذا الامين قد رضينا به حكما في هذه القضية فلما انتهى اليهم ذكروا
له ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لهم ائتوا بثوب وضعوا فيه الحجر وان يرفعوه
جملتكم من كل بيت رجل فلما فعلوا وضعه صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة
ثم بني عليه فكان شرف الوضع له وكان مع العباس رضي الله عنه ينقلان الحجارة
فقال له العباس اجعل ازارك على رقبتك ليقيك الم الحجارة فلما فعل بدا
منه ما لا بد من ستره فخر مغشيا عليه وطمحت عيناه الى السما فقال ازاري فشد
عليه ازاره لانه نودي يا محمد غط عورتك فلم تر له عورة بعده ولا قبله وروي
انه وقع له مثله وهو يلعب صغيرا وعن الربيع بن خثيم رضي الله عنه بضم
الخا المعجمة وفتح المثلثة وسكون اليا المثناة التحتية والميم وهو الربيع بن
خثيم بن عائذ بن عبد الله بن موهب ابو يزيد الثوري ينسب الى ثور بن عبد
مناه بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وينسب اليه سفيان وغيره والربيع روى
عن ابن مسعود وابي ايوب وروى عنه خلق كثير وكان ثقة عابدا واخرج
له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة سبع وستين كان يتحاكم الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الجاهلية وفسر الجاهلية بقوله قبل الاسلام لانها تطلق
بهذا المعنى في الاكثر وهذا شاهد لعدله صلى الله عليه وسلم والمراد قبل
بعثته وتطلق الجاهلية كما في النهاية على صفاتهم وان كانت في الاسلام كقوله

في الحديث انك امرؤ فيك جاهلية وحقيقتها الاول وهذا معنى مجازي اللهم الا ان يراد بها المعنى
اللغوي وهو النسبة الى الجهل مطلقا فيكون حقيقة والى هذا نظر ابن حجر في شرح
البخاري ويتحاكم بضم المثناة مجهول اي يتحاكم اليه قريش او العرب وقول الربيع هذا
رواه ابن سعد وله حكم الرفع وتحاكمهم اليه صلى الله عليه وسلم يدل على عدالته
وانصافه وقال النبي صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السما وامين في الارض
يعني انه مشهور بذلك بين الملا الاعلى وبين اهل الارض لانه لم يتهم قط بكذب وجور
في احكامه وهذا الحديث رواه ابن ابي شيبة في مسنده عن ابي رافع وفيه دليل على
جواز مدح الانسان لنفسه موكدا بالقسم واعاد امينا لاختلاف الامانتين حدثنا
ابن سكرة ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه وقد تقدمت ترجمته وحكمه قال حدثنا
ابو الفضل بن خيرون تقدم انه احمد بن الحسن بن احمد بن خيرون الحافظ وان
خيرون ممنوع من الصرف قال حدثنا ابو يعلى بن زوج الحرة تقدمت ترجمته قال
حدثنا ابو علي السنجي تقدم ضبطه وترجمته قال حدثنا ابو محمد المروزي محمد بن
احمد بن محبوب راوي جامع الترمذي كما تقدم قال حدثنا ابو كريب بضم الكاف
وفتح الرا المهملة وبالتصغير وبا موحدة وهو الامام الحافظ محمد بن العلاء الهمداني
اخرج له الستة ووثقه النساي وغيره توفي سنة ثمان واربعين ومايتين
قال حدثنا معاوية بن هشام القصار الكوفي الثقة وقال ابن معين صالح وليس
بذاك توفي سنة خمس وعشرين ومايتين عن سفيان الثوري فيما يظهر لان المزي
والذهبي لم يقيداه عن ابي اسحاق عمرو بن عبد الله الهمداني السبيعي احد
الاعلام عن ناجية بنون وجيم بن كعب العنزي او الاسدي الثقة وتوقف ابن
حبان في توثيقه وله ترجمة في الميزان وقال الذهبي في المغني ما ادري ماذا
توقف فيه ابن حبان انتهى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وهذا
الحديث رواه الترمذي كما ذكره المص وانفرد باخراجه من طريقين احدهما ما ذكره
المص والثانية عن اسحاق بن منصور عن ابن مهدي عن سفيان عن ابي اسحق
عن ناجية قال وهذا اصح وكذا رواه عبد العزيز بن ابي غسان ان ابا جهل
ابن هشام لعنه الله فرعون هذه الامة قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جيت به فانزل الله فيما قاله وهو سبب نزول هذه الاية فانهم
لا يكذبونك الاية ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وروي ابو ميسرة انه
صلى الله عليه وسلم مر بابي جهل واصحابه فقالوا والله يا محمد ما نكذبك وانك
عندنا الصادق ولكنا نكذب ما جيت به فنزلت هذه الاية وقرئ يكذبونك مخففا
ومشددا فقيل معناهما واحد لانه يقال كذبته واكذبته كجربته
واجربته واختار ابو عبيد قراة التخفيف وهي مروية عن علي كرم الله وجهه
وقيل معنى يكذبونك بالتشديد ينسبونك الى الكذب ويردون ما قلته
ومعناه بالتخفيف يجدونك كاذبا كاخلته اذا وجدته بخيلا والمعنى على
التشديد لا يكذبونك بحجة وبرهان قيل وفي كلام المص اشارة الى الدفع التنافي
في الاية فانه قال اولا انهم لا يكذبونه ثم اخبر انهم يجحدون ما جاء به من

قال حدثنا ابو عيسى الحافظ فهو الامام الترمذي كما تقدم صح

الايات

الايات وجاحد كلامه مكذب له وتجحدون متضمن معنى يكذبونك ولذا عداه بالبا وهو
يتعدى بنفسه ويدل على انهم كذبوه قوله بعده ولقد كذبت رسل من قبلك فليس المراد
بقوله لا يكذبونك نفي تكذيبه مطلقا فاما ان يقال في دفع توهم التناقض ان معنى لا يكذبونك
بالتشديد لا يحكمون عليك بان شيمتك الكذب لانك موصوف بالصدق عندهم في جميع
شؤونك ما عدا قولك الذي جئت به من عند الله وهو الايات فانهم يجحدونه وهذا
مراد المص في استشهاده بهذه الاية او يقال المراد انهم لا يكذبونك في الحقيقة وبعض
الامور في نفوسهم اذا خلوا ولكنهم يظهرون التكذيب حسدا وبغيا او انهم لا يكذبونك
اذا امعنوا النظر وتدبروا ولكنهم عموا عن نور الهداية انتهى وفي الاية كلام فصلناه
في حواشي القاضي البيضاوي ورو ى غيره اي روى غير الترمذي او المصدقي في هذا
الحديث زيادة وزيادة الثقة مقبولة لا نكذبك وما انت فينا وفي نسخة عندنا
نكذب اي معروف بالكذب في غير هذا وقيل ان الاخنس بن شريق بن ثعلبة الثقفي
الصحابي واسمه ابي وهو بهمزة وخا معجمة ونون وسين بزنة افعل التفضيل وشريق
بفتح الشين المعجمة وكسر الرا المهملة وقاف على وزن فعيل وهو قديم الوفاة
كذا قاله البرهان الحلبي وقال التلمساني انه حليف قريش قتل يوم بدر كافرا
يعني به شريقا لا الاخنس وهذا الحديث رواه ابو اسحاق والبيهقي عن الزهري
واخرجه ابن جرير عن السدي لقي وفي نسخة الخ ابا جهل يوم بدر وكان يوم الجمعة
سنة اثنتين من الهجرة في تاسع عشر رمضان فقال له يا ابا الحكم بتحتيتين وهذه
كنيته القديمة ثم غلبت عليه كنيته بابي جهل ليس هنا غيري وغيرك يسمع
كلامنا تخبرني عن محمد جملة خبرية والمراد اخبرني عنه صادق ام كاذب يعني
اصادق محمد فحذفت الهمزة تخفيفا والاستفهام حقيقي او تقريري فقال ابو جهل
والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط هذا يدل على انهم لا يعتقدون كذبه
وسال هرقل عنه هرقل بكسر الها وفتح الرا وسكون القاف ويقال باسكان الرا
بين كسرتين كما سياتي وهو علم غير منصرف قال البرهان هلك على كفره وفي الاستيعاب
انه صحابي قيل وهو ما ول ابا سفيان صخر بن حرب بن امية القرشي الاموي اسلم يوم
الفتح فكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه وكان رئيس قريش واكبرهم مالا
توفي سنة اربع وثلاثين وستة ثمان وثمانين سنة في المدينة وقصة ابي
سفيان مع هرقل مشهورة مروية في الصحيحين مفصلة في اول باب في البخاري
وكان النبي صلى الله عليه وسلم كاتبه في سنة ست فلقيه رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحمص فلما قرا الكتاب امر مناديا ينادي الا ان قيصر قد آمن
واتبع محمدا وترك النصرانية فهاج جنده وتسلحوا فامر مناديا ثانيا الا ان
قيصر رضي بدينه وهو راض عنكم ثم قال لرسول رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني مغلوب على مملكتي وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني مسلم وبعث له دنانير فقال كذب عدو الله لانه علم انه ليس قوله عن
صميم قلبه ولو سلم قتلوه بانه راض بدينه ردة فلذا قالوا ان القول
باسلامه مبني على ظاهر قوله وايه كيف وقد قاتل المسلمين يوم موته واولادهم

موهن

ان يأتيهم في العام المقبل وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجله الى تبوك فلم
يجبه واتحدث منه البلاد وهلك سنة عشرين بالقسطنطينية على نصرانيته وقوله
فقال اي هرقل لابي سفيان هل كنتم تتهمونه بالكذب اي هل وقع في قلوبكم انه صدر
منه كذب في افتراه قال في الاساس وهمت الشي اتهمه وهما وتوهمته وقع في خلدي
وشي متوهم ومتوهم انتهى وانما سالهم عن توهم الكذب ولم يقل هل علمتم كذبه
لانه يعلم من انتفاء التوهم انتفاء غيره بالطريق الاولى قبل ان يقول ما قال قال لا
فقال اي هرقل قد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وانما لم يقل
انه يكذب لئلا يأثم الناس عليه الكذب وهو عار عند العرب او يتعلق لما لا يفعل منه
ثم قال ابو سفيان الا اخبرك عنه خبرا كذب فيه قال ما هو قال انه زعم انه خرج في
ليلة من الحرم الى مسجد ايليا ثم رجع فيها قبل الصباح وكان عنده بطريق ايليا فقال
صدق اني كنت لا انام حتى اغلق ابواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اغلقت الابواب غير
باب منها غلبني فاستعنت بمن حضرني فلم يمكنهم تحريكه وقالوا انه سقط عليه البنا
فلما اصبحت غدوت عليه فاذا الحجر الذي في زاويته مثقوب وفيه اثر ربط دابة قال
ما حبس هذا الباب الليلة الا على نبي قد صلى في مسجدنا فقال قيصر يا معشر الروم
الم تعلموا ان بين عيسى عليه الصلاة والسلام نبيا بشركم به وكنا نرجو ان يكون
فينا فجعله الله في غيرنا وهو رحمة من الله يضعها حيث شاء ولم يعنه واسنده
هذا حتى يكون موهما لتلبسه بما يخالفه قولا وفعلا قلت ولهذا اعلم ان مربط البراق
بالمسجد الاقصى صحيح وسال ابا سفيان عنه صلى الله عليه وسلم اسئلة اخرى فيذكرها
في اول البخاري وقال النضر بنون مفتوحة وضاد معجمة ساكنة وراء مهملة ابن
الحارث لقريش في حديث رواه ابن اسحاق والبيهقي عن ابن عباس والنضر بن الحارث
ابن علقمة بن كلدة بفتح الكاف بن عبد مناف القرشي وكان شديد الاذية للمسلمين فظفر
به النبي صلى الله عليه وسلم ببدر فقتله كافرا صبرا كما يأتي فرثته اخته قتيلة
بابيات مشهورة اولها

يا راكبا الاثيل مظنة ... من صبح خامسة وانت موفق

الخ وقيل انها بنته وقتيلة بالمثناة الفوقية مصغرة اختلف في اسلامها
وكونها صحابية قد كان محمد فيكم غلاما حدثا بفتحتين قال الجوهري حدث شاب
فان ذكرت السن قلت حديث السن من الحدوث لقرب عهده بالوجود والغلام
الذي لم يبلغ ارضاكم فيكم اي اكثركم رضا وصبرا وافعالا مرضية واصدقكم
حديثا واعظمكم امانة منصوب هو وما قبله على التمييز وهذه شهادة العدو
فما بالكم تغيرتم حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب الصدغ ما بين لحظ العين
والاذن والشعر الذي فيه من اعلا العذار وجانب الراس كثيرا ما يبدو الشيب
فيه قبل غيره فكنى به عن انه تمت رجوليته وكمل عقله صلى الله عليه وسلم
بمجاوزته سن الشباب وهذا اشد في الانكار عليهم وجاكم بما جاكم به قلتم
ساحر اي قلتم انه ساحر فهو خبر مبتدا مقدر اي هو ساحر بدليل قوله لا والله
ما هو بساحر وهذا منه غاية الانصاف ولكن غلب عليه الشقا فقتل صبرا بالصفرا

كافرا

باراني منصرفه صلى الله عليه وسلم من بدر كما ذكره الشيخان عن عايشة رضي الله عنها
وهذا الحديث رواه ابن اسحاق والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما والذي قال انه
ساحر الوليد بن المغيرة وسبب قول النفر المذكور انه لما اجتمعوا لما اراد ان يرجع الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجي فتمثل له جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة
فحل فحرها راغيا ويكيست يده على الحجر كما سياتي فلما سمع ذلك النضر قال يا معشر
قريش والله لقد نزل فيكم امر ما اتيتم فيه بحيلة بعد قد كان فيكم محمد الى قوله
ماهو بساحر وقد راينا السحرة وعقدهم وقلتم انه كاهن والله ماهو بكاهن
وقد راينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر والله ماهو بشاعر وقد راينا الشعر
وسمعنا اصنافه هزجه ورجزه وقلتم مجنون لا والله ماهو بمجنون فما هو بخنقه
ولا تخليطه ولا وسوسته فانظروا في شانكم فانه والله قد نزل بكم امر عظيم والنضر
ابن الحارث كان من شياطين قريش وهو الذي جا بقصة رستم واسفنديار وكان يجلس
يحدث بها ويقول ما احاديث محمد ليس باحسن مما جئت به ان هو الا اساطير الاولين
نزل فيه واذا تتلى عليهم اياتنا قال اساطير الاولين في ايات اخر وفي الحديث
عنه صلى الله عليه وسلم ما مست يده يد امراة قط لا يملك رقها وهذا من عصمته
صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه الشيخان عن عايشة رضي الله عنها
وسكت عن زوجاته لان جواز مسهن معلوم وانما يحرم مس الاجنبية التي ليست
بمحرم فيعلمون ذلك من الرقيق بالطريق الاولى وقيل انه داخل في ملك الرق لتملكه
البضع وقد سمي بذلك في قول اسما رضي الله عنها التزويج رق المراة فلينظر اين
يضع رقها ولا ينافي هذا ما مر من ان الامة من اما المدينة كانت تاخذ بيده صلى
الله عليه وسلم فلا يدع يده من يدها حتى تقضي حاجتها لانه كان بحايل من كمه
او كمها وكلام عايشة رضي الله عنها هذا ورد في مبايعته صلى الله عليه وسلم
للنسا فان بعضهم توهم انها كمبايعة الرجال باليد من غير حايل فقالت رضي
الله عنها انما كان يقول لمن هاجر من المومنات ما امره الله به في قوله يا ايها النبي
اذا جاءك المومنات يبايعنك الى قوله غفور رحيم فيبايعهن على ذلك فمن
اقر به قال قد بايعتك كلاما من غير مس لايديهن وما ورد في المبايعة من
امساك ايديهن فان كان مدا من غير مصافحة فيها والا فهو بحايل لانه ورد
انه صلى الله عليه وسلم الى بثوب وضعه على يده وقال لا اصافح النسا
وروي انهن كن يلمسن بيده من فوق ثوب وفي المغازي عن ابان بن صالح
انه صلى الله عليه وسلم كان في المبايعة يغمس يده في ما في انا وتغمس من بايعته
يدها فيه وقيل انه صلى الله عليه وسلم بايع النسا بواسطة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وكلام عايشة رضي الله عنها يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم
يبايعهن الا بالكلام فلعله تعدد وفي حديث علي رضي الله عنه في وصفه
صلى الله عليه وسلم اصدق الناس لهجة رواه الترمذي في شمايله وتقدم
بيانه لعصمته صلى الله عليه وسلم عن الكذب ولو سهوا لما فانه للابلاغ
ووجوب تصديقه في كل ما يقول كما سياتي وقال في الصحيح اي في الحديث

الصحيح أو في صحيح البخاري لانه حيث اطلق الصحيح انصرف اليه وهذا اولى وعلى
فمن بعد لا ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل وتقدم ضبطه على الخطاب والتكلم
والكلام عليه الان الذي في البخاري في باب الادب ويلك من يعدل وويحك وقد فرق بينهما فقال
ويل كلمة زجر وتوبيخ وويح كلمة ترحم وويس ترحم دون ترحمها وهو معنى قول الاصمعي
انها تصغيرها وقيل اشد وويل وويح زيدت فيهما اللام وقد تقدم انه صلى الله عليه
وسلم قال لمن قال له لست تعدل وانه اختلف في اسمه وانه عبد الله بن ذي
الخويصرة التميمي وحرقوص بن زهير الخارجي وذو الثدية وقدمنا الكلام فيه
مفصلا فتذكره قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في
امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه اخرجه هذا
الحديث وقد تقدم تعيينه لما فيه من عدله صلى الله عليه وسلم وعفته فلا وجه للاعتراض
عليه والامر من امور الدنيا والمخير ان كان الناس فلا اشكال فيه وان كان الله وهو الظاهر
والمراد بالاثم ما يؤدي الى وقوع امته فيه لان الله لا يخيره صلى الله عليه وسلم بين
اثم وغيره كاختيار الرزق الكفاف على فتح الكنوز له ولامته فان الدنيا تشغلهم عن العبادة
وتوقعهم في المهالك وقد تقدم تفصيله قال ابو العباس المبرد وهو محمد بن يزيد بن
عبد الاكبر امام العربية وترجمته مشهورة في التواريخ وما نقله المص هنا عنه انما
ذكره ليعلم بذلك جلالة قدره صلى الله عليه وسلم ومباينة حاله لحال اهل الدنيا
وما هم عليه من اللهو فلا يرد عليه ما قيل انه لا فائدة فيه قسم كسرى بامه بكسر
الكاف وقد تفتح وهو كما تقدم اسم لكل من ملك الفرس معرب خسرو الا انه غلب على
كسرى انوشروان الذي ولد في زمنه النبي صلى الله عليه وسلم لانه اشهرهم واعظمهم
فقال يصلح يوم الريح للنوم والتغطي حتى يسلم من مس الريح الشديد المصدع
ويوم الغيم للصيد الذي كان يتفند به الملوك لعدم اذية الشمس وحرها وتنشط
له يوم فاخي وسبيل ويوم المطر للشراب واللهو لغلبة المصالح فيه والسلامة
من البلد والنظافة من الوحول والمراد باللهو سماع الغنا ومنادمة الندما
ويوم الشمس للحوائج وروي يوم الصحو اي خلو الجو من المطر والغيم والمراد
بالحوائج مصالح الناس وهو جمع حاجة على خلاف القياس وجمع حائجة وانكره
بعض اهل اللغة وقد رده الجواليقي بانه ورد في كلام الفصحا كثيرا وفي الحديث
اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه فلا وجه لانكاره كما فصلناه في شرح الدرة وانما
اختير ذلك اليوم للحوائج لعدم المانع فيه وما اشتهر من انه صلى الله عليه وسلم
قال ولدت في زمن الملك العادل كسرى فقد قال الحافظ السخاوي والسمعاني انه لا اصل
له فهو موضوع ولو صح لم يكن في وصفه بالعادل باس كما توهم وانه كان لا يجور على
احد من رعيته ولا يظلمهم في حقوق الدنيا فعدله بالنسبة لذلك لا ينافي كفره
وظلمه لنفسه لجهله ومحبته للدنيا وقيل انه وصف بذلك لشهرته به ادعا
منهم لا انه شهد له بالعدل حقيقة وذكر فمنه توطية لقوله قال ابن
خالويه بفتح اللام والواو وسكون المثناة التحتية والمحدثون يضمون اللام
مع سكون الواو وفتح اليا وهو الحسين بن محمد بن خالويه النحوي اللغوي الاديب

ابن العربي

دجى

الهمداني دخل بغداد ثم انتقل للشام وصحب سيف الدولة لتاديب اولاده واخذ العربية عن ابي
بكر الانباري والسيرافي وتصدر للافادة وله تاليف جليلة وشعر حسن ومات بحلب سنة
سبعين وثلاثمائة ما كان اعرف فقراء الفرس الدال عليهم ذكر كسرى بسياسة دنياهم اي تدبير
امورها الان هذا معنى السياسة لغة قال

بسياسوس الناس والامر امرنا • اذا نحن فيهم سوقة نتنصف •

وقول ابن كمال في رسالة التعريب انه معرب خطا كما تقدم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم
عن الاخرة هم غافلون يعني انهم عرفوا امر معاشهم واكلهم وحركتهم وتقيدوا بذلك
وغفلوا عن المعاد وما يليق به وهذا مراده فيما اقتبسه كما قال الشاعر

ومن البلية ان ترى لك صاحبا • في صورة الرجل السميع المبصر •
فطن لكل مصيبة في ماله • واذا يصاب بدينه لم يشعر •

واقرب ما قاله المفسرون نقلا عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم يعلمون امر معايشهم ومتى
يزرعون ومتى يحصدون وكيف يغرسون ويبنون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم
جزا نهاره ثلاثة اجزا يعني انهم قسموا ايامهم لما ذكر والنبي صلى الله عليه وسلم قسم
اوقاته وهو اكثر حزما لعدم ضياع جزء ووقت من عمره فيما لا يعنيه وشتان بين القسمين
والشيئين وفي نسخة لكن بدون واو جزا لله اي لعبادة الله وتلقي وحيه وجزؤ
لاهله اي لمصالح اهله وبيته وجزء لنفسه مخصوصا باكله وشربه ونحوه ذلك من اموره
الدنيوية وجزئيه في المواضع الثلاثة يجوز نصبه ورفعه وكذا روي ثم جزا جزاه
بينه وبين الناس اي جعله قسمين قسما للخاصة بنفسه وقسم الخاص به وقسم لمن في نفسه
وقسم ينظر فيه امور الناس وحوائجهم فكان صلى الله عليه وسلم يستعين بالخاصة
من اصحابه وهم خلفاؤه وورثاؤه رضي الله عنهم ومن تقرب منهم على العامة من
الناس ويقول للخاصة ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي اي اخبروني وقولوا لي
ما يطلبه العوام ممن لا يقدر ان يبلغني حاجته اما لعدم الجراة على كلامه لمهابته
صلى الله عليه وسلم او لعجزه عن الوصول اليه لمرض ونحو ذلك بقوله فانه من ابلغ
خلقه من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وهو يوم البعث والحشر حين
يكون الناس كلهم في فزع اي خوف من العذاب وقيل هو يوم النفخة او يوم الانصراف
الى النار وهذا من حديث هند بن ابي هالة وامنه بالمد بمعنى جعله في امن من
اهوال القيامة وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما كما رواه ابو داود في مراسيله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد الاخذ مجاز عن العقوبة
من اخذه السلطان اذا حبسه وجازاه على ما صدر منه والقرف بفتح القاف
وسكون الرا المهملة والفا التهمة واسناد الذنب لغيره وقال البرهان الحلبي
يقال قرفت الرجل عبته واتهمته فهو معروف وفي نسخة بقذف بذال معجمة
بدل الرا وكتب عليها صح ولا يصدق احدا على احد اي لا يحكم بصدق مقالة صدرت
من احد في حق احد غيره باسناده اليه امرا يقتضي عقوبة او حقا من الحقوق بمجرد
قوله من غير اثبات لمقاله وهذا من عدله صلى الله عليه وسلم ولكن هذا ليس
على عمومه فانه ربما كان المخبر ممن يعلم صدقه ويعتمد على خبره وينكشف بنور النبوة

نيام

جلية الحال له وذكر ابو جعفر الطبري هو الامام محمد بن جرير الطبري المشهور وقد تقدمت
ترجمته وهذا الحديث رواه البزار الى قوله برسالته الاخبر عن علي كرم الله وجهه عنه
صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء وقد تقدم هذا الحديث والكلام فيه وانما اعاده
المص لغرض آخر وهو بيان عفته صلى الله عليه وسلم عن اللهو وان الله عصمه عن ذلك
من اول امره وقيل انما اعاده لزيادة فيه لم تذكر اولا وهي قوله غير مرتين الخ مما كان
اهل الجاهلية يعملونه كما تقدم بيانه غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد
من ذلك استعار الحايل الحاجز بين شيء وشيء للمانع كما في قوله تعالى يحول بين المرء وقلبه
قال ابو عبيد اي يملك عليه قلبه فيصرفه كيف يشاء وذلك الثاني اشارة لما كان
عليه اهل الجاهلية والمعنى انه عصمه صلى الله عليه وسلم عنه ثم ما هممت بسوء
اي مرة ثانية قلبي عن ان يهم بسوء اي بقبيح شرعا كاللهو حتى اكرمني الله برسالته
اي حتى من الله علي بالبعثة وجعلني نبيا رسولا ثم بين ما هم به في المرتين فقال
صلى الله عليه وسلم قلت ليلة لغلام كان يرعى معي يعني انه صلى الله عليه وسلم كان
يرعى غنما لبعض قريش في صغره وهكذا كان الانبيا عليهم الصلاة والسلام يرعون
لغيرهم ايضا والغلام كان اجيرا ايضا يرعى معه ويرافقه في البادية وفي هذا
تحصيل كسب حلال وتدريب لرعاية الخلق كما ورد كلكم راع ومسئول عن رعيته
مع ما فيه من الانس بالوحدة والخلوة وفي الحديث ما من نبي الا رعى الغنم قيل وانت
يا رسول الله قال نعم كنت ارعاها على قراريط بمكة وقيل حكمته ان الغنم جاهلة
صعبة السياسة فكان ذلك ليانس بسياسة الخلق والقراريط جمع قيراط وهو
سدس درهم وقيل انه اسم جبل بمكة وانكروه لانه لم يسمع به ثمة وفي الحديث
ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا الحديث والقيراط فيه قيل انه بهذا
المعنى وقيل انه سباب بينهم وقيل غير ذلك وعندي انه بمعنى مقدار الارض
المعروف بينهم في المساحة لانه مخصوص بها واما غيره فلا اختصاص له بها
وفي هذا معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب وقوله لو ابصرت لي
غنمي اي لو حرستها وحفظتها لان البصر والنظر يستعار لذلك حتى ادخل مكة
فاسمر بها اسمر بسمر كقتل يقتل والسمر التحدث بالليل واصل معناه ضوء
القمر من السمرة وهو السواد القليل وسمي به حديثهم ليلا لحلوه سمر له وفيه قال
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا • انيس ولم يسمر بمكة سامر •
كما يسمر الشباب والشباب بفتح الشين مصدر شب بمعنى صار شابا واسم جمع له
كالقعود والشابة حديث السن كالفتى فخرجت من البادية التي فيها الغنم لذلك
حتى جئت اول دار من مكة غاية لمجيئه من المرعى سمعت فيها عزفا بعين مهملة
وزاي معجمة وفا بزنة ضرب وهو ما يلهي الانسان وفي مختصر العين العزف اللعب
بالمعازف وهي الملاهي وواحدها عازف على خلاف القياس او معزف والعزف
الطنبور او الدف وقيل كل لعب عزف بالدفوف جمع دف بضم اوله وفتحه
وتشديد الفا وهو الذي يضرب به النسا وهو معروف ويسمى عند العامة
دراجا وطارا وفيه شبه الجلاجل قال

يعملونه

كان

كان في الدف الذي يفعله • من ارد في نتعير حليله •

واختلف فيه فجوزه بعض الشافعية وكرهه مالك والمزامير لعهن بعضهم فجلست انظر

اليهم وانا بيه والذي بالغمود فضرب على اذني فنمت بكسر النون واذن بضمتين ويسكن

تخفيفا وضرب الله على اذنه ان يغشاه النوم واصله منع السمع لان من نام لا يسمع وهو

مستعار من ضرب الخيمة العظيمة المغطية لمن تحتها فكان اذانهم تحت غطا محجوبة عن السمع

قال الراغب ضربت عليهم الذلة التحفتهم التحاف الخيمة لمن ضربت عليه ومنه استعير

فضربنا على اذانهم في الكهف وفيه لطف هنا لانه ذهب ليسمع ضرب الدف فضرب على اذنه

صيانة من الله له صلى الله عليه وسلم فما ايقظني لا مس الشمس اي حرها فكانها مسته

حتى حرقته وحبسته حتى نبهته وفيه استعارة ولطف كما في قول ابن المعتز •

والريح تجذب اطراف الغصون كما • افضى الشفيق الى تنبيه وسنان •

وكما قيل • • • • • •

ثمت تحت اذيال النسيم حتى • الغت على الشمس رداها • • •

فرجعت من المكان الذي ضرب فيه الدفوف ولم اقض شيا من فهمي وطرا اذا كان ما يريده

لقي الله صلى الله عليه وسلم جلس قبل تعاطيهم اللهو فغلبه النوم حتى لم يسمع

شيا من ذلك لعصمة الله له صلى الله عليه وسلم ويجرد همته بذلك وارادته لا حرج

فيه والمشاهدة بعدم سماعه على انه لم يكن حرم عليه شي من ذلك وكونه محرما

في شرع من قبلنا وهو صلى الله عليه وسلم متشرع به غير مسلم واعلم ان المعازف

حرام في ملتنا للنهي عنها في الاحاديث المشهورة كقوله صلى الله عليه وسلم ليكونن

في امتي اقوام يستحلون الخمر والمعازف وقد اختلف في بعضها فمنهم من جوز الدف

في العرس ومنهم من جوز ضرب العود لتسلية الاحزان كالماوردي وكان الاستاذ

الشيخ محمد البكري رحمه الله تعالى ونفعنا به يقول عطروا مجلسنا بالعود

الماوردي لكنه قول ضعيف وفي منظومة الدميري رحمه الله •

ولعمان العود في الاجياد • قال الواتر يل اثر الاحزان •

فاجزم على التحريم اي جزم • والحزم ان لا تتبع ابن حزم •

فقد ابيحت عنده الاوتار • والعود والطنبور والمزمار •

ثم عزاني اي طرا علي وعرض لي وغشيني مرة اخرى في وقت اخر مثل ذلك من الحكم

بالسماع والذهاب له ثم لم اهم قال التلمساني هو بفتح الها وعليه اقتصر الجوهري

بعد ذلك بسو اي بما فيه اثم فسماه سوء الا انه يكرهه ويلومه

## فصل

واما وقاره صلى الله عليه وسلم اي سكونه وطمانينته ورزانته

يقال وقر يقر وقرا ووقارا وفسره هنا بالحلم وهو غير مناسب هنا كما لا يخفى

ويجي الوقار بمعنى العظمة كما في قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا واصله من

الوقر وهو الثقل وسمته اي سكونه وهو من الوقار وتؤدته بضم التا الفو

وفتح الهمزة والدال المهملة وهي التاني يقال اتاد في فعله اذا تانى

ولم يعجل وتاوه منقلبة عن واو وحسن هديه بوزن ضربه بمعنى سيرته

وطريقته وسمته وسلوكه فحدثنا ابو علي الجياني بالجيم وتقدم ضبطه وترجمته

فيه

الحافظ لجازة قال ابن فارس في مجمله وهي من جواز الما الذي تسقاه الماشية يقال منه استجز
فلانا فاجازني اذا سقاك الما لارضك ولماشيتك قال القطامي وقالوا فلانا نيمم الما
فاستجز عبادة ان المستجيز على فتراي على ناحية وجزت الموضع سرت فيه واجزته
خلفته وقطعته واجزته نفذته قال امرؤ القيس

وما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي قفار عقنقل

وقوله حتى يقال اجيزوا آل صوفا انما يمدحهم بانهم يجيزون الحاج انتهى قال ابن الصلاح
قلت فللمجيز على هذا ان يقول اجزت فلانا مسموعاتي او مروياتي فيعديه بغير
حرف جر من غير حاجة الى ذكر الرواية او نحو ذلك ويحتاج الى ذلك من يجعل الاجازة
بمعنى التسويغ والاذن والاباحة وذلك هو المعروف فيقول اجزت لفلان رواية
مسموعاتي مثلا ومن يقول منهم اجزت له مسموعاتي فعلى سبيل الحذف الذي
لا يخفى نظيره انتهى اقول اعلم ان اصل الاجازة في كلام العرب قديما كما ذكره اهل
اللغة الاذن في الانصراف ولما كان من ياخذ عن شيخه ينصرف عنه اخذا منه
كما يقتضيه الاستعمال وكلام اهل اللغة قاطبة لاحقا من مجاز المكان اذا تجاوزه
ومر عليه ثم عدي بالهمزة للمفعول الثاني وقد يقتصر على احد مفعوليه لانه
من باب كسا ومعنى اجازه اذن له في الجواز والمرور ثم استعمل في مطلق الاذن
وشاع حتى صار حقيقة فيه فمعنى اجازة الشيخ اذنه في الرواية عنه وهذه لفظة
قديمة كما سمعته وكذا الجائزة بمعنى العطية ليست محدثة كما قاله الحافظ ابن حجر
الا انه يحتمل المعنى هذا لان المعطي كانه ياذن لمن اعطاه في الانصراف عنه ولحسنه
بالما كما الجمهه كلام المجمل المتقدم وهو الذي غر ابن الصلاح فقوله ماخوذة
من جواز الما لا وجه له بل من اجاره اذا جعله جائزا ثم نقل لمعنى اذن له وكذا
قوله وقد تبين انه تجوز به عن معنى لفظ آخر وبينهما مخالفة في التعدية فيجوز
حمله على حقيقته وعلى مجازه فلك حينئذ ان تعديه لمفعولين وكذا ان تعديه
لواحد بحرف وبدونه فيحمل على اذن واجاز من غير تكلف وعارضت بكتابه اي
قابلت نسختي بنسخته حال القراءة لانه يقال عارضه اذا قابله والكلام على
هذا مبين في مصطلح الحديث فالمعنى انه حدثه به قراءة منه وهو مقابل له قد
بكتابه قال حدثنا ابو العباس الدلاي بكسر الدال المهملة مشددة وتخفيف
اللام المفتوحة ثم الف ممدودة وياء مشددة نسبة الى دلا جمع دلو وقال
البرهان الحلبي ان لامه مشددة ووجد في بعض النسخ مضبوط الهمزة والظاهر
انها مكسورة بعدها ياء النسبة انتهى والظاهر انه مفتوح الدال وهو صانع
الدلو وهو ابو العباس احمد بن انس العذري المعروف بابن الدلاء من مدينة
بالسنة قال اخبرنا ابو ذر الهروي تقدمت ترجمته وهو عبد الله بن احمد
ابن محمد الهروي قال اخبرنا ابو عبد الله الوراق ابو الحسن عبد الله
محمد بن علي الانطاكي المعروف بابن العنوب الوراق قال حدثنا اللؤلؤي
ابو علي محمد بن احمد بن عمرو المشهور برواية السنن عن ابي داود قال حدثنا
ابو داود سليمان بن اشعث صاحب السنن الامام الحافظ المشهور قال حدثنا

عبد

عبد الرحمن بن سلام بتخفيف السين المهملة وتشديد اللام وهو جد عبد الرحمن بن عبد
الله وابوه محمد بن سلام البغدادي الثقة روى عنه ابو داود والنسائي وقال لا باس
به قال حدثنا حجاج بن محمد بن عبد الرحمن بن ابي الزناد هو الاعور المصيصي الحافظ
الثقة اخرج له اصحاب السنن الاربعة قال ابن حزم توفي سنة اربع وستين ومائة عن
بلال بن عبد العزيز بن وهيب ويقال اهيب بالهمزة وهو بدل فياسي وهو انصاري
مولى لزيد بن ثابت وهو يروي عن خارجة واخرج له ابو داود في المراسيل هذا الحديث
وقال الذهبي لا يعرف من هذا كما في الميزان سمعت خارجة بن زيد هو خارجة بن زيد
ابن ثابت الانصاري المدني التابعي احد فقهاء المدينة السبعة وهم سعيد بن المسيب
وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود
وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار وفي السابع اقوال فقيل هو سالم بن عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهم وقيل ابو سلمة بن عبد الرحمن وقيل ابو بكر بن عبد الرحمن بن
الحارث بن هشام وذلك ان الفقهاء بالمدينة وان كانوا كثيرا فانما خص هؤلاء لاجماع الناس
على رايهم وانتهائهم لفتواهم لمعرفتهم بالفضل والصلاح حتى كان لا يقضى في امر
حتى يرفع اليهم وكان الناس يتبركون بهم حتى قيل اذا اسماهم اذا علقت على محموم
برئ واذا وضعت في البر لم يدخله سوس ولم يفسد وقد نظمهم القايل في قوله
الا كل من لا يقتدي بايمة • فقسمته ضيزى عن الحق خارجه •
فخذهم عبيد الله عروة قاسم • سعيد ابو بكر سليمان خارجه •
وهذا الحديث من مراسيل ابي داود يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر
الناس في مجلسه اي اعظمهم وقارا اذا برز للناس وجلس معهم بخلاف ما اذا خلا مع
اهله او مع خاصته فانه ينبسط معهم ويلاطفهم يعني ان هذا كان عادته ودابه
صلى الله عليه وسلم بحيث لا يتخلف عنه خلافه وكان وان كانت بحسب الاصل
فعلا ماضيا لكنها قد تستعمل للاستمرار نحو وكان الله غفورا رحيما وللتكرار نحو
كان حاتم يقري الضيف لقرينة وهو استعمال شايع ولكثرته عده بعض الاصوليين
معنى لغويا ولم يحققه احد كابن جني في كتاب الخصايص فانا اوردته فانظره لا يكاد يخرج
شيء من اطرافه اي اطراف بدنه كرجليه ولا يكاد يخرج فيه مبالغة اي لا يخرج ولا يقرب
من الخروج ولذا اعدل عن لا يخرج وهو اخصر ويخرج بفتح اوله مضارع خرج
يخرج كقتل يقتل وشيء فاعل او بضمه مضارع اخرج وشيا مفعول الا ان حمل
النسخ على الاول وروى ابو سعيد الخدري هو سعد بن مالك بن سنان الخدري
رضي الله عنه وقد تقدم كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى
بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وفي رواية بثوبه بدل
بيديه والاحتباء بالحاء المهملة ان يجمع ظهره وساقيه بيديه او عمامته ونحوه
والحبوة بضم الحاء وكسرها ويقال حبية وحبية ايضا ويقال الاحتباء حيطان
العرب لانهم اهل براري لا حيطان لهم يستندون اليها فالاحتباء قايم مقامها
وليس هذا معارضا لما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم نهى عن
الاحتباء في ثوب واحد لان النهي فيه لم يرد عن الاحتباء وانما ورد عن كونه في ثوب

واحد لانه ربما تحرك فيزول الثوب وتنكشف عورته واما قوله
واذا المحتبي فز بوسه بعنايته ملك الشكيم الى انصراف الزائر
فاستعارة ونهى عن الاحتبا يوم الجمعة والخطيب يخطب لانه يؤدي للنوم وهذا
الحديث رواه ابوداود والترمذي في شمائله وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه
رواه مسلم وابوداود انه صلى الله عليه وسلم تربع اي جلس متربعا وهو ان يقعد
الرجل على وركيه ويمد ركبته اليمنى الى جانب يمينه وقدمه اليمنى الى جانب يساره
وركبته اليسرى الى جانب يساره وقدمه اليسرى الى جانب يمينه وهذا في خارج
الصلاة كما في الحديث كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى الفجر جلس متربعا حتى تطلع
الشمس وهو في الصلاة كما صرح به الفقها واما خارجها فلا يكره وقيل انه
وقعود بعض فقهائنا جلسة الجبابرة مع فعله صلى الله عليه وسلم لها فيه نظر
وربما جلس القرفصا بضم القاف والفا ويجوز كسرهما ويمد ويقصر وهو جلوس
على الاليتين كجلوس المحتبي بيديه من غير احتبا كما يدل عليه ما بعده وقال
الفرا اذا ضممت مددت واذا كسرت قصرت وهو اي جلوسه صلى الله عليه وسلم
القرفصا ورد في حديث قيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام بنت
مخرمة العنبرية كما في المقتفي وقال السهمي العدوية وقيل العنبرية وهو
الصحيح وفي حديثها انها رات رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو
قاعد القرفصا وفي رواية فلما رات رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخشع
في الجلسة ارعدت من الفرق وليس هذا في رواية الترمذي ومسلم التي ذكرها
المص وفي كلامه اشارة الى انه زيادة عليهما والمتخشع ان كان صفة فالرؤية
بصرية وان كان مفعولا ثانيا ففي علمية وارعدها من مهابته صلى الله عليه
وسلم لا من تخشعه وكان صلى الله عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة
تدعوه للكلام ولم يكن يسرد الحديث بعجلة ليفهم عنه وهذا مروي عن عائشة
رضي الله عنها يعرض عمن تكلم بغير جميل لا يومنا و يتغافل باعراضه عنه انه غير
مرضي له صلى الله عليه وسلم وهذا من وقاره ايضا ولينبي المراد به ان يكون
حراما كما قيل لانه صلى الله عليه وسلم لا يقر على مثله وكان ضحكه تبسما بدون
قهقهة لشدة وقاره صلى الله عليه وسلم والضحك انبساط الوجه حتى يظهر
منه السرور ويبدو الثنايا فقط واما ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم
ضحك حتى بدت نواجذه فمحمول على المبالغة لو زيادته فيه على ما عهد منه
او هو نادر لا يعتد به وكلامه فصلا نبا وصاد مهملة اي فاصل بين الحق
والباطل او مفصل لتمهله فيه قال تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل
لا فضول مصدر اي لا زيادة فيه وقيل انه في الاصل جمع فضل بمعنى
الزيادة فخص بما ذكر ولذا قيل في النسبة له فضولي وينسب للجمع ولا
تقصير فيه حتى يخل بفهم السامع وكان ضحك اصحابه عنده صلى الله عليه
وسلم التبسم توقيرا له واقتدا به لتخلقهم باخلاقه وتادبهم بادابه
مجلسه مجلس حلم بكسر الحا وسكون اللام وفي نسخة حكم بضمها مع الكاف وحيا

منه

علي اسرارهم

د لجي

منه ومن اصحابه وخير لاحسانه ولطفه وتعليمه وامانته يامن المتكلمون كيد فيه علي اسوارهم
فلا يبقل منه ما لا يحبون افشاه كما ورد في الحديث المجالس بالامانة لا ترفع فيه اي في مجلسه
الاصوات لادبهم وتوقيرهم له وكان ذلك محرما عليهم لقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي واما كونه وقع مثله بحضرته في قصة الافك
فنادر لا يعتد به ولا تؤبن فيه الحرم بضم المثناة الفوقية وهمزة ساكنة وتبدل واوا
وتؤبن من ابنه يابنه اذا عابه ورماه بقبيح اصله الابنة وجمعها ابن العقدة
في القسي تفسدها وتعاب بها ووقع في بعض الحواشي تؤبر بالرا بدل النون وفسره بما
ذكر على انه ماخوذ من المآبر التي واحدها مئبرة او من ابرته العقرب اذا لدغته
بابرتها وهي اخر عقد ذنبها وهو تصحيف كانه وجده في بعض النسخ فاتبعه والمذكور
في كتب اللغة كالنهاية والجوهري وغيرهما هو الاول وصرح ابن فارس في المجمل بان
الحديث مروي هكذا والحرم جمع حرمة وهي كل ما يحرم هتكه واما استعماله بمعنى المراة
فعامية وان كان لها وجه وقيل انها صحيحة مراد به هنا النسا لانه ورد في الحديث
نهيه صلى الله عليه وسلم عن شعر تؤبن فيه النسا وفي حديث الافك اشيروا علي
في اناس ابنوا اهلي انتهى يعني انه محفوظ من الرفث ولغو القول ونحوه وقوله
ايضا كقوله اذا تكلم اطرق جلساؤه اي طاطاوا رؤسهم توقيرا له صلى الله عليه
وسلم منصتين لكلامه كانما على رؤسهم الطير وصفهم بالسكون وعدم الحركة والطيش
لان الطير لا تكاد تقع الا على شي ساكن ولك ان تقول انه شبههم بغصون مغروسة
في ربا من مجلسه كما قال في البردة

كانهم في ظهور الخيل نبت ربا ● من شدة الحزم لا من شدة الحزم

وقلت في المقصورة

كانما الطير على رؤسهم ● من كل غصن في ربا المجد نما

والطير جمع او اسم جمع لطاير وهو معروف وفي صفته صلى الله عليه وسلم
في مشيه وهو خبر مقدم وقوله يخطو تكفؤا مبتدا لانه اريد به لفظه
نحو كقوله لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة اي قيل في وصفه
هذا ويخطو مضارع خطا المتنقل اذا مد رجله ومشى والخطوة بالضم ما بين
القدمين وبالفتح المرة وتكفؤا بفتح المثناة والكاف وفا مضمومة مشددة
بعدها همزة مصدر كتقدم تقدما بمعنى مال الى قدام والاصل فيه الهمز
ويروي فان اعتل كسرت الفا وكان بالياء كتسمي تسميا وقال شمر معناه
مال يمينا وشمالا كمشي المختال والصواب تفسيره بمال الى جهة ممشاه
كما يدل عليه قوله كانما ينحط من صبب اي من علو لا تمايل فانه غير مناسب
وقد ورد في حديث ابن ابي هالة انه صلى الله عليه وسلم ذريع المشية اذا
مشى مشى تقلعا اي يرتفع عن الارض بجملته وروي قلعا بفتح القاف
وكسر اللام وهو ادل على التثبت والشجاعة وهكذا كان اولو العزم عليهم
الصلاة والسلام ويمشي هونا بفتح الهاء وسكون الواو اي برفق ولين
من غير تمايل مع الترفق والتثبت قال تعالى يمشون على الارض هونا

قال مجاهد بالسكينة والوقار كانما ينحط من صبب بفتحتين اي ينزل من صبب وهو
الموضع المنحدر وفي رواية كانما هو من صبوب بالضم والفتح وهو ما ينصب من ماء ونحوه
اي لم يكن صلى الله عليه وسلم يستعجل واما قول ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا
اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كنا نجهد انفسنا وهو غير مكترث فانما هو لسعة
خطوته صلى الله عليه وسلم حتى لا يلحق مع تثبته وتمهله وفي الحديث الاخر اذا مشى
مشى مجتمعا اي ينقل اعضاءه كلها دفعة واحدة من غير تحريك لراسه الشريف وبدنه وهو
صلى الله عليه وسلم في مشيه قوي غير مسترخ يعرف في مشيته بكسر الميم وفتحها انه غير
غرض بفتح الغين المعجمة وكسر الراء المهملة والضاد المعجمة اي غير قلق ولا ضجر ولا
ملل ولا وكل بفتحتين وهو البليد والجبان والعاجز الذي يكل امره لغيره وحكي
شمر فيه كسر الكاف كما قاله التلمساني والدلجي وهو انسب هنا للموازنة لما قبله
وفسره بكسلان وقوله اي غير ضجر ولا كسلان بعينه فان ظاهره انه تفسير لما قبله
على اللف والنشر المرتب وضجر كحذر من الضجر وهو القلق والكسلان من الكسل
وهو الفتور وعدم النشاط من الهم ويكون بمعنى سوء الخلق ويكون غرض بمعنى
مشتاق كقوله
اني غرضت الى تناصف وجهها • غرض المحب الى الحبيب الغايب
فليس بمراد هنا وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رواه البخاري واصحاب
السنن ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم والهدي بدال مهملة بوزن
الرمي والسمت والسيرة والطريقة والحالة التي يكون عليها وهذا الحديث
وان كان موقوفا على ابن مسعود فله حكم المرفوع وكذا سائر الاحاديث المتعلقة
بالشمائل فان مثلها لا يقال من قبل الراي وقد روي مرفوعا ايضا وكان ابن
مسعود رضي الله عنه اشبه الناس هديا بهدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكذا عمر وابنه رضي الله عنهما فلذا كان الصحابة رضي الله عنهم يتشبهون
به في هديهم وبقية الحديث وشر الامور محدثاتها وهو حديث طويل قال
ابن قرقول وروي بضم الهاء وفتح الدال ضد الضلال وعن جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما اخرجه ابو داود وكذا الامام احمد في الزهد كان في كلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل كذا في النسخ باو اشارة الى انه روي بكلاهما
على حدة وفي المصابيح بالواو ولتقارب معناه فالعطف تفسيري فلا منافاة بينهما
كما قيل اي يبين الكلام من غير عجلة وتمهل حتى يسبق فهم السامع اليه وقيل
الترتيل التبيين والترسيل التؤدة والترتيل من قولهم ثغر مرتل وهو
المفلج كالاقحوان قال ابن ابي هالة المتقدم ترجمته كان سكوته صلى الله عليه
وسلم على اربع اي يشتمل على اربع خصال فيه على الحلم اي يسكت تارة لحلمه
على من تكلم عنده بما يقتضي المؤاخذة والحذر اي الاحتراس من كلام يتمادى
لامر يجتنبه منه والتقدير اي تقديره صلى الله عليه وسلم في نفسه وسكوته
ما يليق به وبغيره والتفكر في مصنوعات الله ونحو ذلك قالت عائشة رضي
الله عنها كما رواه الشيخان عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث

حديثا

دنيا لو على العادة احصاه اي لو اراد عده على سبيل له او لو عده حصره بحيث لا يفوته
منه شي لقلته وتذبذبه وعدم سرعته فيه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب
والرايحة الحسنة الطيب كل ما يتطيب به من عود ومسك وزعفران ونحوه والرايحة
الحسنة تشمل رايحة غيره كالريحان وساير الزهور العطرة ولذا كان صلى الله عليه وسلم
لا يرد هديتهما ويستعملهما كثيرا اي في اكثر اوقاته لملاقاته الملك فانها تقوي الحواس
والملايكة عليهم الصلاة والسلام تحبهما وتكره الرايحة الخبيثة بعكس الشياطين ويحض
عليهما بضمير التثنية للطيب والرايحة وفي نسخة عليهما فالضمير لها لانها المقصود
من الطيب لا لانها اعم كما قيل لتغايرهما اي كان صلى الله عليه وسلم يحث الناس ويحضهم
على استعمال ذلك لما لهم فيه من الفوايد ولحضور الملايكة الحفظة والكتبة
عندهم ولملاقاتهم له بما يحبه ومن مروة الانسان نظافته وطيب رايحته ويقول
حبب الي من دنياكم النسا والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة وقد تقدم هذا
الحديث وان لفظ ثلاث الموجودة في التفاسير غير ثابتة عن اكثر المحدثين وما في عطف
جعلت وان محبة النسا من هدي الانبيا عليهم الصلاة والسلام كداود وسليمان
وكان فيه صلى الله عليه وسلم من قوة الجماع ما ليس في غيره وقال فضلت على
الناس باربع بالسماحة والشجاعة وقوة الجماع وشدة البطش وكان فيه صلى
الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا من رجال الجنة وكل رجل منهم فيه قوة ماية
رجل من اهل الدنيا وهذا مع قلة اكله وشربه صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث
اخرجه اصحاب الكتب الستة وكان اكثر طيبه صلى الله عليه وسلم الذريرة وهو
طيب يجي من الهند معروف مركب وتقدم انه انما قال حبب بالبنا للمجهول لان
تلك المحبة جعلها الله فيه طبيعة لا شهوانية وعلى تسليم رواية ثلاث اما
ان يكون اكتفي باثنين منها وحذف الثالث لتذهب نفس السامع كل مذهب
والعرب تفعله كقوله

كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم ● من العبيد وثلث من مواليها ●

او الثالث الصلاة وقرة عينه صلى الله عليه وسلم فيها وجعلها من الدنيا لوقوعها
فيها ويكون تغييره العبارة اشارة لمغايرتها لما قبلها وانها ليست من جنسها ووقع
في بعض النسخ هنا زيادة لفظ ثلاث بعد قوله من دنياكم وتقدم الكلام فيها
وانها ليست ثابتة وان اثبتها الزمخشري والغزالي في الاحيا وكذا المصنف تبعا لهم
في هذه النسخة وقد افردنا هذا الحديث بتعليقة مستقلة والحديث
رواه ايضا النساي في سننه وفي رواية له بلفظ حبب الي من الدنيا النسا والطيب
وجعل قرة عيني في الصلاة ومن هذا الوجه اخرجه احمد وابو يعلى في مسنديهما
وابو عوانة في مستخرجه على الصحيح والطبراني والبيهقي واخرون والحاكم في
مستدركه بسند جيد بدون لفظ وجعلت وقال صحيح على شرط مسلم واخرجه
ابن عدي في كامله وقال العقيلي انه ضعيف ومن مروته صلى الله عليه وسلم
نهيه عن النفخ في الطعام والشراب المروة من المرء وهو الانسان بمعنى
الانسانية ومعناها التلبس بما يليق بالرجال وترك ما يخل به فان تلبس بما يكره

ابن الحنبلي

تو

الشارب مخل بالمروة والنفخ فيما ذكر اما للتبريد او لازاحة قذر على وجهه وقد
يخرج معه ريق المرء فيكره تناوله او يكون النفس متغيرا فيؤثر فيه ولو توهما ه
والعزمنه منه يحصل بالصبر واماطة ما عليه بازالة وخلال ونحوه ولذا نهي عن
التنفس في الاناء حال الشرب واما ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم كان يتنفس
اذا شرب مرتين ونحوه فليس معناه ذلك بل انه يقطع الشرب وينحي الاناء ويتنفس
خارجه فانه يستحب عدم العب والقطع في الشرب وقد ورد ان النفخ في الطعام
يذهب البركة منه كما ورد ابردوا بالطعام فان الحار لا بركة فيه وفي لفظ غير ذي
بركة وليس المراد بابراده نفخه حتى يبرد بل اكله باردا بان يصبر عليه حتى يبرد
فلا منافاة بينهما كما توهم وقلة بركته لانه لا يلتذ بمضغه وبلعه او لانه لشدة
حرارته يتقمه سريعا ولا يشبع بشبع غيره ومن مروته صلى الله عليه وسلم الامر
بالاكل مما يلي كل احد من الطعام لحديث عمر بن ابي سلمة ربيب رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم لان
امه ام سلمة رضي الله عنها زوجته صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في
الصحفة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سم الله وكل بيمينك وكل مما
يليك اي لا من الوسط ولا مما يلي غيره فهذا امر منه صلى الله عليه وسلم بذلك
وورد مثله في احاديث اخر وقال ايضا تنزل البركة في وسط الطعام فكلوا من
حافته او من حاشيته وهذا امر ندب وذهب بعض الشافعية الى انه للوجوب
وقال الشيخ تاج الدين السبكي من الفوايد الفقهية في هذه المسئلة التي لا تكاد
تعرف لان الشافعي رضي الله عنه نص في الام في الجزء السادس عشر في باب صفة
النهي على ان اكل الانسان مما يليه واجب ولو لم يفعله اثم اذا كان عالما بالنهي
انتهى ولعله اذا علم عدم رضا صاحبه وجليسه بذلك قيل وهذا اذا لم يكن
الاكل من ذلك بقصد التبرك بمس يده وعليه حمل ما في حديث الدبا انه صلى ويحله ايضا
الله عليه وسلم جعل يتتبعها وهو ايضا في غير الفاكهة فان له الاكل والاخذ
منها من اي جانب قال بعض المدققين واليه الاشارة بقوله وفاكهة مما يتخيرون
وفيه لطف خفي والامر بالسواك امر ندب وشذ بعض الشافعية فاوجبه
للصلاة والسواك اسم للعود الذي يستاك به وللفعل وهو الاستياك
والمراد الثاني او الاول بتقدير مضاف اي استعمال السواك وعده من المروة
لما فيه من النظافة وطيب رائحة الفم والانقا بكسر الهمزة وسكون النون
وقاف بعدها ممدة من انقاه اذا نظفه كتنقاه البراجم بباء موحدة وراء
مهملة والف وجيم وميم جمع برجم او برجمة بضم البا والجيم وهي مفاصل
الاصابع التي بينها والسلاميات من ظهر الكف التي ترتفع اذا قبض الانسان
كفه فهي المفاصل الظاهرة والبراجم الباطنة وقيل هي مفاصل الكف
كلها والاشاجع جمع اشجع وهي اصول الاصابع المتصلة بالكف والرواجب
براء مهملة وواو والف وجيم وباء موحدة جمع راجبة على العبارة وقيل
جمع رجبة بضم فسكون على خلافه وهي المفاصل التي تلي الانامل وقيل

هي مفاصل اسود الاصابع وقيل قصب الاصابع وقيل السلاميات وقيل ما بين البراجم
والسلاميات وقيل ظهور السلاميات وقيل مفاصل الاصابع وواحد السلاميات
سلامي بضم السين وفتح الميم مقصورة وتفصيله في كتاب خلق الانسان وجزم البرهان
الحلبي بان البراجم العقد المتشنجة في ظهور الاصابع قال وهي مفاصلها ونقل عن
ابي عبيد ان البراجم والرواجب جميعا مفاصل الاصابع كلها وهو اللايق بكلام المص
فينزل عليه لا على ما في الصحاح من ان البراجم مفاصل الاصابع التي بين الاشاجع
والرواجب وهي رؤوس السلاميات من ظهر الكف اذا قبض القابض كفه نشزت وارتفعت
والراجبة في الاصابع واحدة الرواجب وهي المفاصل التي تلي الانامل ثم البراجم
ثم الاشاجع التي تلي الكف انتهى لئلا تكون المفاصل التي على الكف خارجة اذ هي على
ما فيه غيرهما وعند ابي عبيد داخلة فيهما مع ان الظاهر انها تنقي التي بين الانامل
والتي بينهما كما قيل واستعمال خصال الفطرة الحسن فيما رواه الشيخان الختان
والاستحداد اي حلق العانة بالحديد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط
وزاد مسلم رحمه الله المضمضة واعفا اللحية والاستنجا وابو داود الانتضاح وزاد
غيره عن ابن عباس رضي الله عنهما فرق الراس كما تقدم تفصيله المغني عن الاعادة
والفطرة بكسر الفا معناها الخلقة كما قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها
والمراد السنة التي امر بها النبي صلى الله عليه وسلم كما مر

فصل

واما زهده صلى الله عليه وسلم في الدنيا الزهد معناه ترك الدنيا ولذاتها رغبة
فيما عند الله وهو ثلاثة اقسام ترك الحرام وهو زهد العوام وترك فضول
الحلال وهو زهد الخواص وترك كل ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين واما
من لم يرض وصف اوليا الله به فضلا عن انبيائه عليهم الصلاة والسلام لان
الدنيا لا تساوي عند المتخلقين باخلاق الله جناح بعوضة وما نال اعظم
ملوكها البعض منها بل اقل قليل من باقيها فعنده معنى الزهد ترك ما يرغب
نفسه فيه فمن لا رغبة له في شيء منها لا يسمى زاهدا وغيره يعرف بترك الدنيا
مطلقا او بترك ما من شانه ان يرغب فيه والى هذا اشار الغزالي في الاحيا
فمن وصفه باعلا طبقات الزهد نظرا الى الاول وجنح الى انه من مقامات
الكاملين فله منه الحظ الاوفر ومن نفاه عنه ولا يرضى وصفه به نظرا الى الثاني
واما طلبه صلى الله عليه وسلم للدنيا الضرورية في المعاش فليس لرغبته فيها
بل لدفع ضعف بدنه المانع عن اداء حق العبودية فلا ينافي الزهد ايضا
واليه يشير صاحب البردة بقوله

واكدت زهده فيها ضرورته ... ان الضرورة لا تعدو على العصم

ومن شرط الزهد ايضا القدرة وقال ابن المبارك لما قيل له يا زاهد
الزاهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها فائدة
قال ابو يزيد البسطامي بفتح البا قد مر علينا شاب من بلخ حاجا فقال
ما علامة الزهد عندكم فقلت له اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا شكرنا فقال
هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ فقلت فما الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا

ابن الحنبلي

وَاذا وجدنا آثرنا فقد تقدم من الاخبار التي في صفاته في اول الباب في اثنا اي في خلاله
وما بينه جمع ثنا مقصور كما قاله ابن هشام اللخمي في شرح المقصورة ومعناه ما اثني
ودخل بعضه في بعض هذه السيرة اي هذا الكتاب المتضمن لسيرته وطريقته صلى الله
عليه وسلم او المراد سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته ما يكفي طالب سيرته
ويغني عن اعادته هنا وحسبك من تقلله اي يكفيك في معرفة تقلله اي قنعه
بالقليل منها اي من الدنيا لزهده صلى الله عليه وسلم فيها واكتفائه في معيشته
بالامر الزهيد القليل وهكذا الانبا في زهده واعراضه عن زهرتها اصل معنى
الزهرة النضارة والزينة مستعار من الزهر بفتحتين وهو نور النبات ويسكن
الثاني اي تركه صلى الله عليه وسلم ما يرغب فيه الناس من زخرف الحياة الدنيا وما
قلته في الرباعيات

من جرحك بالعنا كم تشتغل • والعمر مضى وما يفيد الامل
ما زهرة هذه الحياة الدنيا • للفكر بامل المنا تحتمل

وقد سيقت اليه اي ساق الله اليه صلى الله عليه وسلم الدنيا مستعار من
سوق البهيمة للتسخير والتمكن منها بحذافيرها اي بجملتها وكليتها من
جميع نواحيها يقال ملكت كذا بحذافيره اي جميعه بحيث لم يبق منه شي
جمع حذفور او حذفار وهو الناحية وفي النهاية الحذافير الجوانب
وقيل الاعالي فكني به عما ذكر وهو اشارة لما تقدم من ان زهده صلى الله
عليه وسلم فيها ليس لعجزه عن تحصيلها بل هو مع غاية القدرة عليها
والتمكن منها وهذا هو الزهد الممدوح كما تقدم وترادفت عليه
فتوحها اي تتابعت وتوالت فاتته الدنيا زاحمة بما يسر الله له من الغنائم
والاموال والارزاق الواسعة الطيبة بحيث لو اراد توسع فيها وانفق
واقتطع زهرتها فلم يرضها واكتفي باقل قليل منها والجملتان حاليتان
او معترضتان بين المبتدا وخبره افادنا كمال زهده صلى الله عليه وسلم لان من
كان حاله في زهده فزهده ابلغ زهد واتم عفاف اي كافيك مما ذكر حال حصول
ما ذكر الى ان توفي بالبنا للمجهول اي حضرت وفاته صلى الله عليه وسلم
ودرعه مرهونة عند يهودي اي والحال هذه والدرع معروفة تذكر
وتؤنث والاكثر تانيثها واليهودي كان يسمى ابا الشحم من ظفر من موالي
الانصار وهذا الحديث صحيح رواه الشيخان عن عايشة رضي الله عنها
وانما عامله صلى الله عليه وسلم ولم يطلب من الصحابة رضي الله عنهم
لانه لم يحضره اذ ذاك منهم من يقترض منه ولانه لو طلب صلى الله عليه
وسلم منهم واعلمهم بضرورته لوهبوه ذلك ولم يرضوا باقتراضه
منهم فلخفي حاله مع ما فيه من بيان جواز معاملة الكفرة واهل
الذمة في نفقة عياله في للتعليل كقوله صلى الله عليه وسلم ان
امراة دخلت النار في هرة عذبتها والعيال اهل البيت ومن تلزمه
نفقته والذي اقترضه صلى الله عليه وسلم ثلاثون صاعا وروي

هذا م

عشرون

يشترون متاعا من السفر وكان في حال افتقار منه وهو يدعو ويقول كما رواه الشيخان
اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا القوت كل ما يتقوت به الانسان من الطعام اي اجعله
بقدر ما يسد الرمق من غير زيادة وقد استشكل هذا بانه صلى الله عليه وسلم
كان وله حصون وارض وعنده مما افاء الله عليه ارض خيبر وفدك وغيرهما فكيف
مع ذلك يكون به صلى الله عليه وسلم فاقة تحوجه الى رهن درعه على اصوع شعير
واجاب عنه ابن الصلاح في فتاواه بانها كانت معدة لنوائبه موقوفة ولذا لم تورث
عنه وقال انا لا نورث ما تركناه صدقة فلا يقدح فيه ما كان في ملكه وقد اعده لمصالح
المسلمين واخراجه ما يحصل منها في ذلك والفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة
عام فاختار صلى الله عليه وسلم الفقر ولم يتصرف فيما عنده لنفسه وعياله ولذا
لا يجوز ان يقال في حقه صلى الله عليه وسلم انه فقير كما مر واقول هنا دقيقة
وهي ان رياضة النفس بالجوع تصفي الذهن وتقوي الروح وتجعل النفس قدسية
ملكية وقد كان اهل الملل يتعبدون بذلك ولما لم يكن في الدين المحمدي لما فيها من
الحرج فعل ذلك صلى الله عليه وسلم واختاره لنفسه خاصة وابرزه بصورة الفقر
لئلا تقتدي به امته فيه ولمحبته لذلك طلبه من الله ولاهله فافهمه فانه دقيق
حدثنا سفيان بن العاصي هذا الحديث رواه مسلم والبخاري وسفيان
هذا هو ابن سكرة لان المص سمع منه صحيح مسلم وليس هو الغساني لانه لم يسمع منه
وانما روى عنه بالاجازة والحسين بن محمد الحافظ ابن عيسى قاضي سبتة شيخ المص
احد الاعلام وقد اكثر المص الرواية عنه توفي في جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة
والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر قد تقدم من ترجمتهما
قال حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي بفتح الجيم
نسبة لقرية باقريقية وقيل بالشام وقيل انه بضم الجيم وقد تقدم
قال حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين بن الحجاج مسلم صاحب الصحيح وقد
تقدم هو ومن قبله قال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة تقدم ترجمته قال
حدثنا ابو معاوية محمد بن خازم بمعجمتين الضرير الحافظ احد الايمة
الاعلام الا انه كان مرجئيا روى له الستة وتوفي سنة خمس او اربع وتسعين
ومائة وترجمته مفصلة في الميزان عن الاعمش ابو محمد سليمان بن مهران
الكاهلي احد الاعلام روى عن انس وابن ابي اوفى وغيرهما وروى عنه
شعبة ووكيع وكثيرون نحو الف وثلاث مائة حديث وعاش ثمانيا وثمانين
سنة ومات في ربيع الاول سنة ثمان واربعين ومائة واخرج له الستة
وترجمته في الميزان عن ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود بن عمرو بن
ربيعة النخعي الكوفي الفقيه الزاهد راس عصره راى عائشة رضي الله
عنها واخرج له الستة وتوفي سنة ست وتسعين عن الاسود بن يزيد
النخعي العابد حج ثمانين مرة وصام حتى اخضر جلده وكان يختم القرآن في كل
ليلتين وتوفي سنة اربع او خمس وسبعين وهو ثقة اخرج له الستة عن
عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة

ايام تباعا اي متتابعة متوالية من خبز بر كان او شعيرا وفي نسخة من خبز بر حتى مضى
لسبيله اي حتى توفي لان الموت طريق يسلكه كل احد واول منزل منه القبر وفي
رواية اخرى رواها البخاري من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء الدنيا وزينتها
ونعيمها لاعطاه الله عز وجل ما لا يخطر ببال اي لا يخطر في القلب والعقل والفكر
ويخطر بضم الطاء وكسرها خطورا اذا ذكر وتصور اي يعطيه منها كل امر
نفيس لم يتصوره احد من الناس لجلالته وعظمه وكونه لم يعهد مثله حتى يعرف
وفي رواية اخرى رواها مسلم ما ترك اي ما خلف تركة رسول الله صلى الله عليه
وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي رواية ولا شيئا ولذا قال عبد
الله بن ابي اوفى ما اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته لانه
لا مال عنده يوصي به وانما اوصى بكتاب الله وادعاء الشيعة انه اوصى وان عليا كرم
الله وجهه وصي لا اصل له ولم يثبت وفي رواية في الصحيحين ما شبع آل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله عز وجل وفي البخاري
ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال حتى قبض وهو المراد بلقاء الله
وفيه روايات كثيرة متقاربة المعنى وانه ما جمع بين غداء وعشاء وفي رواية من خبز
وزيت وفي رواية ما اكل اكلتين في يوم قط وهذا مشكل بما ثبت انه صلى الله عليه
وسلم كان يدخر لاهله قوت سنة وانه ساق مائة بدنة ووهب قطيعا من
الغنم والعبيد ونحوه كما مر وان اصحابه كابي بكر وعثمان وطلحة كان لهم
اموال كثيرة رضي الله عنهم وهم يبذلون له صلى الله عليه وسلم اموالهم
وانفسهم واجيب بان ذلك كان في حالة دون حالة وان ذلك للارشاد
وكراهة الشبع لا لضيق اليد وعن عائشة رضي الله عنها من حدثكم انا كنا
نشبع من التمر فقد كذبكم فلما فتحت قريظة اصبنا شيئا من التمر والودك وفي
رواية لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر والحق ان كثيرا منهم كانوا في
ضيق قبل الهجرة وبعدها واساهم الانصار بالمنائح فلما فتحت بنو النضير
وما بعدها ردوا ذلك عليهم واورد هذا اينافيه ما مر من انه صلى الله عليه
وسلم مات ودرعه مرهونة فكيف تكون العسرة زالت بعد الهجرة
فالحق الاحق بالاتباع ما قاله ابن الصلاح رحمه الله كما مر قريبا
ومما قاله هذا الشارح لا يسمن ولا يغني من جوع وفي حديث عمرو بن الحارث
الذي رواه البخاري ما ترك اي ما خلف صلى الله عليه وسلم تركة لاهله
الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة هذا القصر حديث اوله ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا
امة ولا شيئا الا بغلته البيضاء وسلاحه وارضا جعلها صدقة وتفصيله في
السير فانهم قالوا كان له صلى الله عليه وسلم تسعة اسياف لكل منها
اسم وكذا دروعه سبع وقسيه ست وثلاثة اتراس وخمسة رماح وقال
مغلطاي اربعة ومغفران وراية سوداء يقال لها العقاب مربعة
وراية بيضاء او صفراء وكان مكتوبا على راياته صلى الله عليه وسلم لا اله

الا الله محمد رسول الله وفي الميزان الحمالم تكن الا ابيضا ولم يبيض ما وجد منها عند موته
واما بغلته صلى الله عليه وسلم فهي الدلدل التي اهداها له المقوقس وعاشت بعده
صلى الله عليه وسلم حتى ذهبت اسنانها فكان يجش لها الشعير ثم ماتت بالينبع
وقيل انها بقيت الى خلافة معاوية رضي الله عنه وان عليا كرم الله وجهه قاتل عليها
واما بغلته فضة فوهبها لابي بكر رضي الله عنه والارض المذكورة فدك والنضير
وارض خيبر وفدك وهي مفصلة ومعنى كونها صدقة انه وقفها لمصالح المسلمين
والوقف يسمى صدقة وكان صلى الله عليه وسلم ياخذ منها نفقته ونفقة
عياله بقدر الحاجة ويتصدق بباقيها فكل ما عنده صلى الله عليه وسلم كان زهدا
لا ملكا فلذا لم يورث عنه كساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام كما مر واما
قوله يرثني ويرث من آل يعقوب فالمراد منه انه يرث علمه وحكمته وسره كما
مر حواليه وضمير جعلها للارض والجملة صفة او مستانفة استينا فا بيانيا او
الضمير للمذكورة وقالت عايشة رضي الله عنها في حديث رواه الشيخان ولقد مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شي ياكله ذو كبد هو كناية عن
كل حيوان انسانا او غيره والكبد معروف وهي احد الاعضا الرئيسة وخصت
لانه منه يصل الغذا الى الجسد كله وهذا مناف لقولها ما ترك درهما ولا
دينارا ولا شيا ووفق بينهما بان المنفي هنا ما كان مختصا بها من بقية نفقتها
او المراد بالشي وان كان عاما ما كان من جنس المال والمتاع او هو لعدم الاعتدا به وربما
ذكر للقلته الا شطر شعير الشطر النصف كالشطير او البعض مطلقا وفي النهاية
اراد به نصف مكوك او نصف وسق والمكوك المد وقيل الصاع في رف لي
بفتح الرا المهملة وتشديد الفا شبه الطاق في الحايط ويطلق على خشبة
عريضة ترفع عن الارض تعد لوضع ما يراد حفظه وهو الرفرف ايضا والاول
اقرب لان الخشبة لا تحمل وضح هذا المقدار عليها وتتمة الحديث فاكلت منه
طويلا ثم كلته ففني وفيه اشارة الى ان الكيل كالعد يذهب البركة وقد
وردت له نظاير كما في مسلم عن جابر رضي الله عنه ان رجلا اتى الى النبي صلى
الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال هو وامراته
وضيفه ياكل منه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره فقال لو
لم تكله لم ينفد قيل لما فيه من الحرص وعدم التوكل والتمسك بالاسباب
المعتادة واما ما ورد في حديث المقدام كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه
فاجيب عنه بانه عند التبايع لحق المشتري فتامل وقال اي النبي صلى الله
عليه وسلم لي اي لعايشة وفي شرح ابن اقبرس وقال الي ما لي بدل اللام
اي اذن واقرب الي فطلب صلى الله عليه وسلم دنوها منه ليسارها وقال
حكاية لحال ماضية اني عرض علي بالبنا للمجهول وفي رواية عرض علي ربي
يقال عرض له وعليه اذا اظهره له واراه اياه والمراد اعلمه بالوحي ان
يجعل لي بطحا مكة ذهبا البطحا والابطح واد يجري فيه السيول او بطن
واد فيه رمل وحصى او مكان لا ينبت لانه مسيل وهو مما غلب عليه الاسمية

والمراد بجعله ذهبًا ان يملاه به او ان يقلب حصاه وترابه ذهبا وقلب الاعيان كانشائها
من العدم غير مستحيل لوقوعه والله قادر على كل شيء فقلت لا يا رب اي لا اريد جعل
البطحاء ذهبا اجوع يومًا واشبع يومًا استيناف كانه قيل له فما تريد فقال اريد الحالة
وان اكون تارة جايعا وتارة شبعان لزومًا لمقام العبودية والافتقار الى الله
ثم بين ما يكون عليه فقال فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك فيه والتضرع
الدعا بتذلل وانكسار من الضراعة وهي الذلة والالتجا وادعوك اي اطلب منك
وفي الدعا مناجاة والتجا ومعاملة مع الله وان كان عالما بذلك واما اليوم الذي
اشبع فيه فاحمدك واثني عليك لما انعمت به علي ولا وجه لما قيل هنا من انه
تعليم لغيره امته والا فلو جعلت له الدنيا ذهبا لم يشغله ذلك عن الله طرفة عين
الى غيره لكن مما اطال فيه بغير طايل على عادته وهذا الحديث رواه الترمذي
عن ابي امامة رضي الله عنه ولفظه فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت
شكرتك وحمدتك وفي حديث اخر قال السيوطي لم اجده هكذا ولكن البيهقي
رحمه الله اخرجه في الزهد من طريق عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال يومًا ما امسى لال محمد كف سويق ولا سفة دقيق فاتاه
اسرافيل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح
الارض وامرني ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا
وياقوتا وذهبا وفضة فعلت الخ واخرج ابن سعد وابن عساكر في تاريخه
من حديث عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال لو شئت
لسارت معي جبال الذهب ولاحمد في الزهد عنها والله لو شئت لاجرى الله معي
جبال الذهب والفضة وللطبراني نحوه من حديث ام سليم رضي الله عنها
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو سالت الله ان يجعل تهامة كلها ذهبا
لفعل واخرج احمد حديث الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها
يجمعها من لا عقل له مختصرا عن عايشة رضي الله عنها قلت فما ذكره المص
رحمه الله رواية بالمعنى من عدة احاديث ان جبريل نزل عليه صلى
الله عليهما وسلم فقال له ان ربك يقريك السلام اي يسلم عليك ويحييك
تحية اكرام قال في الاكمال اقراته السلام وهو يقريك السلام بضم اليا
من المزيد فاذا قيل يقرؤ عليك السلام بفتح اليا لاغير وقيل هما
لغتان وهو مهموز لا معتل ويجوز ابدال همزته واوا ويا ومعنى اقراه
حمله على ان يقرا عليه سلامه اي يبلغه اياه فهو مجاز مرسل لمطلق
التبليغ ماخوذ من القراءة ومعنى قراءة عليه ذكره له ويقول لك ان شئت
ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت ان تسير معك
وتتوجه الى توجهت فاطرق ساعة اي طاطا راسه يفكر فيما يجيبه
به صلى الله عليه وسلم ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له
ومال من لا مال له الدنيا تقابل الاخرة لانها فعلى من الدنو وهو
القرب وتطلق على هذا العالم المشاهد وكل ما فيه من المال وغيره وعلى

عوضني

الارض

الارض التي هي مقر العالمين وبهذا الاعتبار تسمى دارا وقوله دار من لا دار له اي
انها فانية لا يقيم فيها احد ولذا شبهت بالخان الذي ينزله المسافرون وبالعقل
بل بالسفينة كما قال

وانا لفي الدنيا كركب سفينة • نظن وقوفا والزمان بنا يسري •

وقوله مال الخ اي ان ما يملكه المرء فيها سيسلب منها فهو عارية او وديعة
في يد صاحبه لا يملكه له حقيقة فلا غني فيها فقير وليس هذا من قبيل فرط من لا
فرط له وذخر من لا ذخر له قد يجمعها من لا عقل له قد للتحقيق لان من جمع
الدنيا كثيرا وهي لتعليل جمعه وحيازته لما فاته بجمعها بعد بلوغه ورشده
لموته ثم يفقدها الي ما لا نهاية له او لمتعلق الفعل فان متاع الدنيا بالنسبة
لغيره قليل وعلى هذا احمل قوله قد يعلم ما انتم عليه فان ما هم عليه بالنسبة
لبقية معلوماته اقل قليل او هي مستعارة تهكما للتكثير كقوله •
قد اترك القرن مصفرا انامله • وان كان في البيت نزاع ليس هذا محله وجعله لا عقل
له لتنزيل وجود عقله منزلة العدم اذ لم يصرفه فيما يتعلق بالاخرة وجهده
الي الاكتفاء من الدنيا بزاد المسافر الذي يبلغه منزله فان العاقل من كان كذلك
ولذا قال الفقهاء لو اوصى لاعقل الناس صرف للزهاد وقال الشاعر

ان لله عبادا فطنا • طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا •
نظروا فيها فلما علموا • انها ليست لحي وطنا •
جعلوها لجة واتخذوا • صالح الاعمال فيها سفنا •

فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت
المراد بالقول الثابت الحق لانه دائم لا يزول او المراد به حق مخصوص من مقالته
وهو ما ذكر له او اخبار بان الله امتن عليه فانه محض فضل الله ولطفه فانه
الذي نبه على هذا وعن عائشة رضي الله عنها في حديث صحيح رواه الشيخان
انها قالت انا كنا آل محمد المراد بآله اهل بيته عليه الصلاة والسلام وله
معان اخر مشهورة وان مخففة من الثقيلة لنمكث شهرا ما نستوقد نارا
اي ما نوقد نارا فالسين للتاكيد او المراد ما نطلب من احد نارا نوقدها
وهذا كناية عن انه ليس لهم ما يطبخ ان هو الا التمر والماء وان نافية وهو
خير الطعام والماكول اي ما عندنا ما يوكل ويتغذى به الا التمر والماء
وروي وانما هو الاسودان التمر والماء فيه هذا كان في بعض الاحوال وعن
عبد الرحمن بن عوف الصحابي المشهور رضي الله عنه وهذا الحديث رواه عنه
الترمذي والبزار وغيرهما بسند جيد هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي توفي والهلاك بمعنى الموت مطلقا مستعمل في حق النبي صلى الله عليه
وسلم وغيره قال الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه واما اختصاصه بميتة
السوء كالقتل فعرف طارئ ولذا اكثر استعماله في الاعداء فيقال هلك عدو
الله وقد ورد في الحديث والاهانة انما تفهم من ذكر العدو ونحوه قلت
فلا يجوز لنا الآن اطلاقه على من كرمه الله والصحابة ونقتصر فيه على

ما ورد منه من غير نكير كما ورد في حق يوسف عليه الصلاة والسلام حتى اذا هلك
قلتم الخ وكذا ورد في غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام فلا يختص بمن
استحق العذاب لا بغريبه ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير واوله الحديث
عن نوفل بن اياس الهذلي قال كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه جليسا لي
وكان نعم الجليس وانه انقلب بنا ذات يوم حتى اذا دخلنا بيته ودخل فاغتسل
ثم خرج واتانا بصحفة فيها خبز ولحم فلما وضعت بكى عبد الرحمن بن عوف
فقلت يا ابا محمد ما يبكيك قال هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع
هو واهل بيته من خبز الشعير فلا ارانا اخرنا لما هو خير لنا وقد تقدم انه
ورد في معناه احاديث كثيرة متقاربة المعنى وتقدم ما فيه من الاشكال وجوابه
والى تقويته هذا الاسناد بقوله وعن عائشة رضي الله عنها وابي امامة وابن
عباس رضي الله عنهم نحوه اما حديث عائشة رضي الله عنها فما في الصحيحين عنها انها
قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين حتى قبض
وحديث ابي امامة رضي الله عنه في الترمذي بهذا اللفظ ايضا وحديث ابن عباس رضي
الله عنهما عنه هو المذكور عقب هذا بقوله كان النبي صلى الله عليه وسلم الخ كما
قاله السيوطي رحمه الله وسياق كلامه يأباه ولو كان مراده هذا اكتفى بذكره
والاحسن انه ما في الصحيحين ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمر رضي الله
عنه حدثه انه دخل عليه صلى الله عليه وسلم وقد اعتزل نساءه فاذا هو
مضطجع على حصير قد اثر بجنبه فقلبت عيني في خزانته فاذا هي ليس فيها شيء
غير قبضتين من شعير وقبضة من تمر فابتدرت عيناي فقال ما يبكيك يا ابن
الخطاب فقال ما لي لا ابكي وانت صفوة الله من خلقه وهذه الاعاجم في النمارق
والانهار وانت هكذا قال يا ابن الخطاب اما ترضى ان تكون لنا الاخرة ولهم الدنيا
فقلت بلى يا رسول الله قال فاحمد الله عز وجل قال ابن عباس رضي الله عنهما
كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا حال من
ضميره صلى الله عليه وسلم ولم يقل طاوين لان المقصود حاله صلى الله عليه وسلم
وحال اهله يعلم من حاله لانهم يتبعونه في كل حال وطاويا بمعنى جايعا لان
الطوى الجوع كما ذكره الجوهري والليالي منصوب على الظرفية وقوله لا يجدون
عشاء بفتح العين والمد الطعام الذي يقابل الغدا وجمعه لقوله يبيت
والمراد به مطلق الطعام وهذا الحديث اخرجه الترمذي وابن ماجه وعن
انس رضي الله عنه في حديث رواه البخاري قال ما اكل رسول الله صلى الله
عليه وسلم على خوان بكسر الخا المعجمة وضمها فارسي معرب ويقال اخوان
بزنة اكرام ايضا وهو والمايدة والميدة بمعنى وان فرق بينهما في الاصل
بان الخوان ما يوضع عليه الطعام قبل وضعه وبعده يسمى مايدة والاكل عليه
عادة المتكبرين حتى لا يحتاجوا للانحنا اذا اكلوا وقيل انه عربي من التخوف
وهو التنقص ويجمع على اخونة وخون واما السفرة بالضم فالطعام المعد للسفر
ويكون بمعنى ما يوضع عليه الطعام من الاديم ايضا ولا في سكرجة قال

المؤلفي هي بضم السين المهملة وضم الكاف وفتح الرا المهملة المشددة وجيم وها
وهي اعجمية معربة وقيل الصواب اسكرجة بهمزة مضمومة وقد جا في الحديث الصحيح
بدون همز ومعناه مقرب الخل ولذا قيل معناها قصعة صغيرة يوضع فيها الكوا
والجوارشات في جوانب المايدة فيها مايعين على الهضم وقيل قصعة مدهونة
وقيل الها مايدة صغيرة وعلى كل فهي مما يصنعه العجم والمقلدون لهم من المتكبرين
والجيم والها علامة التصغير عندهم وقيل فيها ايضا سكرجة ولاخبز له مرقق
بالبنا للمجهول ومرقق بوزن معظم رقيق الخبز كالرقاق وقيل هو المنبسط
الرقيق وقيل هو الحواري والسميد بدال مهملة او معجمة وفي رواية مرققا
بالنصب تمييزا او مفعول ثان لخبز لتضمينه معنى الجعل والمراد انه صلى
الله عليه وسلم لم يجعل من بياض الدقيق لانهم لم يكن لهم مناخل ولا راي
شاة سميطا قط سميط فعيل بمعنى مفعول اي لم يطبخ له صلى الله عليه وسلم
شاة بتمامها بعد سمطها اي غليها في الما الحار حتى يذهب شعرها ثم تشوى
وظاهر كلامهم انها لم تسلخ وان ما ذكر في الحملان الصغيرة وعن عايشة رضي الله عنها
في حديث رواه الشيخان انما كان فراشه صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه ادما بفتح
الهمزة والدال المهملة وميم اسم جمع لاديم وهو الجلد المدبوغ اللين وقيل انه
مخصوص بالاسود حشوه ليف والليف ما يكون من النخل وهو معروف وعن حفصة
رضي الله عنها بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ام المؤمنين وحديث حفصة رواه
الترمذي في الشمايل منقطعا وحديثها لا ينافي حديث عايشة المتقدم لاحتمال
ان كلا منهما ذكرت فراشه صلى الله عليه وسلم الذي كان عندها كان فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحا بكسر الميم وسكون السين المهملة
وبعدها حا مهملة وهو ثوب مستعمل للفراش شبه الكسا ويقال له حنبل وقيل
هو ثوب اسود من شعر تلبسه الزهاد وقيل هو ثوب من الشعر والوبر والصوف
يلبس ويجلس عليه وجمعه مسوح وعلى كل حال فهو شي غليظ يتنزه عن مثله
اصحاب الترفه مثنية ثنيتين فينام عليه الثني بكسر فسكون والمثنى ما يثنى بعضه
على بعض وعطف اي يجمع بعضه على بعض مرتين حتى يكون الحن واوطا للنوم
عليه وتثنيته ثنتان وجمعه اثناء وفي ثنيتين بمثناة فوقية مكان اليا
المثناة التحتية والمعنى واحد والنسخة الاولى اصح واشهر فثنيناه له ليلة
باربع طاقات ليكون الين مهادا من التثنيتين فلما اصبح صلى الله عليه وسلم
قال ما فرشتم لي الليلة فذكرنا ذلك له وهو انهم جعلوا فراشه اربع طاقات
فقال ردوه لحالته الاول وهو التثنيتان فان وطاته بفتح الواو والطا المهملة
والمدة وتا تانيث مضاف لضمير الفراش فوزنه فعالة او وطاه بفتح فسكون
وهمزة غير ممدودة على وزن فعله اي لينه تحت جنبي لكثرة طاقاته
وتضعيفها منعتني الليلة صلاتي اي ان لينه لذ له صلى الله عليه وسلم
النوم فنام اكثر من معتاده لان فراشه ممهد لم يوده حتى ينبهه فانقطع
من بعض القيام لتهجده لئلا لزيادة نومه وكان صلى الله عليه وسلم ينام

صح

صح
لجواز كون ان كلا منهما

احيانا على سرير مرمول ونومه الاول على فراش على الارض وسرير مرمول براء مهملة وميمين بمعنى
منسوج بشريط اوغيره والشريط بشين معجمة وراء وطاء مهملتين بينهما ياء مثناة تحتية
حبل مفتول من خوص النخل اوسعفه مع حبال وواحده شريطة حتى يؤثر حبال الشريط
في جنبيه لكونه بغير فراش يحول بينه وبينه وهذا من حديث طويل رواه الشيخان
والترمذي وفيه وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف وفي معناه احاديث اخر
وعن عايشة رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط
قال التلمساني فيه اربع لغات فتح الشين المعجمة وكسرها مع سكون الموحدة وفتحها
وقال البرهان هو بفتح الموحدة نقيض الجوع وبسكونها ما يشبع والظاهر هو الاول
وقيل عليه ان كان ظهوره بحسب الرواية فمسلم واما بحسب الدراية فالظاهر الثاني ابن الحنبلي
لانه اسم عين وعلى الاول اسم معنى والامتلا منه مجازي كامتلا غضبا وقيل عليه ان عرضي
المجاز ابلغ من الحقيقة فهو اولى رواية ودراية فالبرهان مع البرهان وفيه
نظر وهذا يقتضي انه صلى الله عليه وسلم كان يشبع ولكنه لا يملي جوفه بتمامه
منه فان المطلوب تقليل الطعام والاقتصار على ما يقوم به الاود ثم ملي ثلث
بطنه فان ثلثا للزاد وثلثا للما وثلثا للنفس فان زاد فنصفها وما زاد على
ذلك حرص وبطنة غير محمد وصحة وقد يجر الى وصل للضرر والتخمة فصدكما
ان اول مراته والحب ولم يبث شكوى الى احد بفتح اليا المثناة التحتية وضم البا
الموحدة وتشديد المثلثة بمعنى يذكر وينظر يقال بث الخبر وابثه اذا نشره وقال
ابثثته بالنون وبها روي قول قيس
اذا جاوز الاثنين سر فانه ● بنث وتكثير الحديث قمين ●
والشكوى مذمومة فالذي يليق بمقام العارفين الصبر وكتم ما بهم لا سيما النبي
صلى الله عليه وسلم كان يسر بكل ما يأتيه من الله ولا يعده مولما بل يتلذذ به فكيف يشكو
شكواه والى هذا اشار بقوله وكانت الفاقة وهي الحاجة والفقر احب اليه صلى الله عليه
وسلم من الغنا قيل هذا يقتضي ان الفقر افضل من الغنا وقد اختلف فيه على قولين ولكل
منهما ادلة كقوله تعالى ووجدك عايلا فاغنى حيث امتن عليه صلى الله عليه وسلم
بالغنى ولا دليل فيه لانه امتن عليه بقضا حاجته والمفضول قد يكون في مقابله منه مزية
تزيد على الفاضل ولا في قوله ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فانه لم يذم الغنا
بل ما قد يترتب عليه وكذا كون حساب الفقير اخف والمختلف فيه هل الغني
الشاكر خير ام الفقير الصابر فذهب الى كل منهما قوم من العلما لحديث ذهب
اهل الدثور بالاجور وحديث ان الفقرا يدخلون الجنة قبل الاغنيا بنصف يوم
من ايام القيامة وهو خمسماية عام الى غير ذلك من الاحاديث الواردة في الجانبين
وقال الغزالي رحمه الله قد انكشف ان الفقر هو الافضل لكافة الخلق الا في
موضعين غني يستوي فيه الوجود والعدم ويستفاد به دعا المساكين وقضا
حوايجهم كغنى بعض الصحابة رضي الله عنهم وفقر يكون مع الضرورة حتى كاد
يكون كفرا فالاول خير محض وهذا الاخير فيه بوجه من الوجوه والممدوح غنى
النفس لا غنى المال من حيث هو والفضل كله في الكفاف والاقتصار على مقدار

الحاجة

المائة وله الطلبة صلى الله عليه وسلم له ولآله وان كان ليظل جائعا ان مخففة من ان المكسورة
الهمزة المثقلة النون والجملة حالية ويظل بفتح المثناة التحتية والظا المشالة من اخوات
كان واصل معنى ظل فعل نهارا لانه زمان يبدو فيه الظل ثم استعمل لدوام الفعل ليلا
ونهارا وهو المراد يلتوي طول ليلته من الجوع بتقديم اللام على التا الفوقية وواو مخففة
مكسورة وفي نسخة يتلوى بيا مثناة مفتوحة وفوقية مفتوحة ايضا ولام كذلك وواو
مشددة مفتوحة يليهما الف ومعناه يتقلب على فراشه من الم الجوع من لواه ليا اذا صرفه
من جانب لاخر قال تعالى لووا رؤسهم وهذا الزهد منه صلى الله عليه وسلم في الدنيا
وصبره على مشاقها ليقمع شهوته ونفسه ويقهرها ويرشد امته لذلك كما بينه بقوله
وقوله فلا يمنعه ذلك اي وجوعه صيام يومه بالنصب بيمنع او بنزع الخافض اي عن
صيام يومه يقال منعت الرجل عن الشي فامتنع وقوله ولو شا صلى الله عليه وسلم
الغنى او الشبع وشا كثيرا ما يحذف مفعولها بعده لو لدلالة الجواب عليه سال
ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ما بعد الكنوز يجوز جره عطفا
عليه ونصبه عطفا على جميع والكنوز جمع كنز وهو معروف والثمار جمع ثمرة
وهي ما يحمل من الاشجار ونحوها وقد يراد به كل ما يستفاد من غيره كما يقال
ثمرة العلم العمل ويجوز ارادته هنا ورغد بفتحتين وقد يسكن ثانيه
يقال فيه رغيد وارغد والعيش بمعنى المعيشة والمراد ما يتعيش به واصل
معنى الرغد الواسع يقال ارغد فلان اذا اصاب رغدا اي سعة وخصبا ومن
وقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وفي نسخة مما ارى به اي مما اشاهده به
او مما اعلمه به وامسح بيدي على بطنه كانه بمسحه يستريح بذلك كما كان يضع
الحجر عليه ليبرده ويشد صلبه وهذا للشفقة مما به من الجوع اي من المه ثم
بين ان ذلك شفقة بقوله واقول نفسي لك الفدا تقدم ان الفدا بالكسر والفتح
والقصر والمد وهو ما يفدى به الاسير ونحوه فيجعل عوضا عنه ويقال افديه
بنفسي وبابي وامي ومالي وقد يقال بنفسي من غير ذكر للفدا وتسمى البا با الفدا
وهذا اخبار بل مستحب لصدوره منه صلى الله عليه وسلم فيقال لمن له شرف
كالحكام والعلما والصلحا واعزة الاخوان قصدا لتوقيره واستعطافه ولو كان
محظورا كما قيل ما قاله صلى الله عليه وسلم ولنهى عنه من قاله له وقد قال له
ابو بكر رضي الله عنه فديناك بابائنا وامهاتنا وقال صلى الله عليه وسلم لسعد
ارم فداك ابي وامي ومنعه قوم لحديث مالك بن فضالة ان الزبير رضي الله عنه
دخل عليه صلى الله عليه وسلم وهو شاك فقال كيف تجدك جعلني الله فداك فقال
له صلى الله عليه وسلم ما زلت على اعرابيتك بعد قيل ولا حجة فيه لما ادعوه لان
هذا الحديث الواحد لا يقاوم الاحاديث الصحيحة الكثيرة الواردة بخلافه
ولاحتمال انه انما نهاه عنه لوروده في غير محله لانه لا ينبغي ان يقال ذلك
للمريض بل يتوجع له ويقال لا باس عليك وعافاك الله وشفاك ونحوه ولكل
مقام مقال لا لان القائل له كان ابواه مشركين ولا لانه من خصوصياته لان من
قاله من ليس كذلك والاصل عدم الخصوصية لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك

التبلغ مفعل من البلاغ وهو مقدار الكفاية يقال تزود من دنياك بالبلاغ ماخوذ من الزاد
الذي يبلغ به المسافر منزله ومنه هنا معنى اكتفيت اي لو اكتفيت منها بالكفاف من
القوت من غير ضرورة ومخمصة ولو للتمني فيقول صلى الله عليه وسلم لعائشة
رضي الله عنها ما لي وللدنيا قيل ما نافية اي ليس لي الفة ومحبة مع الدنيا حتى ارغب
فيها او استفهامية اي اي الفة ومحبة ورغبة لي في الدنيا وهذا من ايثاره صلى الله
وسلم الزهد واظهاره لغنى القلب ومحبة تركها ثم بين انه مقام عظيم سبقه به
الرسل عليهم الصلاة والسلام يجري على طريقهم فقال اخواني من اولي العزم من
الرسل تقدم الهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام على خلاف
فيهم وفي وجه تسميتهم به لكن صبروا على ما هو اشد من هذا كالحبس والعرض
على القتل او غير ذلك مما علم من التفاسير فمضوا على حالهم اي استمروا عليه
راضين بقضاء الله لهم الى ان ماتوا فقدموا على ربهم اي لاقوه وشهدوا ما انكشف لهم
من احوال الاخرة في البرزخ فاكرم مآبهم اي اكرمهم الله في مرجعهم اليه يقال
آب يؤوب اذا رجع فهو اسم مكان او مصدر ميمي واجزل ثوابهم اي اكثر لهم العطا
والجزا في دار القامة استحيي من الله عند لقائه ان ترفهت في معيشتي اي ان
تنعمت وتوسعت في العيش والترفه تفعل من الرفاهة والرفاهية وهي الرغد
السعة وقد كان الله خيره صلى الله عليه وسلم قبل موته بين الخلد في الدنيا
ولقائه فاختار لقاه كما قاله ابن العربي وان شرطية ويجوز فتحها على المصدرية
بتقدير لام قبلها اي لترفهي ووقع في نسخة في معيشتهم اي في جنس معيشتهم
والاصح الاولى ان يقصر بي غدا بفتح مبني للمجهول مع التشديد اي ان يقع
التقصير او القصر بالكسر حاله وعمله دونهم اي فيكون مقامي دون مقامهم
لتنزل مرتبتي عن مرتبتهم والمعيشة مفعلة وجمعه معايش بلا همزة وقد تهمز
قليلا كما بينه النحاة وهي ما يتعيش به وغدا بالمعجمة اليوم الذي بعد يومك
والمراد به الاخرة جعل الدنيا بمنزلة اليوم الحاضر والاخرة لكونها بعدها بمنزلة
غد استعارة وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي بالمد مضاف
ليا المتكلم جمع خليل وهو قياس في المضاعف والمراد بالاخوان والاخلا الانبيا عليهم
الصلاة والسلام السابق ذكرهم والرفيق الاعلى وعن عائشة رضي الله عنها
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ويخير
بذلك فلما احتضر صلى الله عليه وسلم الوفاة شخص بصره وهو يقول اللهم اغفر لي
والحقني بالرفيق الاعلى كما في البخاري وفي النهاية الرفيق الاعلى جماعة النبيين
الذين يسكنون اعلا عليين او المراد به الله عز وجل والرفيق بمعنى الرؤف
وهو من اسما الله كالاعلا واللحوق بهم بمعنى كونه معهم قالت عائشة رضي
الله عنها فما اقام بعد بالبنا على الضم اي بعد مقالته هذه الا جمعة حتى توفي
صلى الله عليه وسلم اي انتقل للاخرة واستوفى ايام عمره

## فصل

واما خوفه ربه عز وجل ولما كان الزهد ترك الدنيا باختياره وحبسه نفسه
عن الشهوات وذلك انما يكون بعد تحقق الخوف والرجا عقب الزهد بالخوف من

واجزل لهم

الله

الله ورد به مقتضى مقصود المصنف واعلم انهم اختلفوا في خوف النبي صلى الله عليه وسلم
من عقاب الله فقال الامام ابو الحسن الاشعري في كتاب الايمان كان صلى الله عليه وسلم
يخاف الله بلا خلاف الا ان خوفه كان لماذا فقال اهل الحق كان خوفه قبل ان امنه الله
من عقابه وبعده كان من عتابه ولومه في الدنيا كما قيل له صلى الله عليه وسلم لما
اعرض عن ابن ام مكتوم عبس وتولى الاية فاما بعد ان امنه الله من عقابه فلا يجوز
ان يخاف عقابه مع علمه بانه امنه منه واخبره بانه لا يخاف عقابه خلافا للرافضة والقدرية
حيث زعموا انه هو وسائر المطيعين ما داموا مطيعين في الدنيا لا بد ان يخافوا عقابه
سوا امنهم ام لا ودليلنا ان الخوف من شي لا يجوز الا مع تجويز وقوعه به واما مع
القطع بانه لا يحصل ابدا فمحال حصول الخوف منه عند عاقل ولو قلنا انه صلى الله
عليه وسلم كان يخاف عقاب الله مع تامين الله له من ذلك لادى الى كونه شاكا في
خبره وانه صدق او كذب في اخباره بانه لا يتعلق به عقاب ولما بطل هذا
بالاتفاق علم ان الخوف لا يصح مع القطع بانه لا يعاقب اصلا انتهى وسئل شيخ
مشايخنا ابن حجر الهيتمي عن الانبيا والملائكة عليهم الصلاة والسلام والعشرة
المبشرة بالجنة هل كانوا يخافون عقاب الله تعالى لاخبار الله لهم بانهم لا يعذبون
فاجاب بان نفي الخوف واثبات الامن لمن ذكر مطلقا باطل مصادم للنصوص من
وجوه احدها ان حقيقة الخوف كما في الاحيا الم القلب لتوقع مكروه في
المستقبل وهو اقسام منها خوف ضعف القوة عن الوفا بحقوق الله على ما ينبغي
والخوف بهذا المعنى محقق في جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام ويلزمه
عدم الامن من مكر الله ولا يامنه احد الا ان كان المامون منه الانسلاخ عن النبوة
والملكية والايمان في العشرة على انه قيل بوقوعه لبعضهم والرجا والخوف
متلازمان واشتراط الرجا والخوف بما هو مشكوك فيه لا تاييد فيه لانهم
لا يخافون لانهم على بينة ويقين من ربهم كما قيل بل هو حجة عليه لما مر
من معنى الخوف فالكمال على يقين من اصل الكمال وقد تعتريهم استشعار
قدرة الله واستغنائه عن خلقه وانه لا يسئل عما يفعل ولا يجب عليه شي
وقد يشترط ما اخبرهم به بما انطوى عن علمهم فيوجب الخوف حتى من سلب
اصل الكمال الثاني ان الشافعي رضي الله عنه صرح بان الملائكة داخلون
في قوله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون لما اخرج ابن ابي حاتم من ان الله
تعالى قال لهم ما هذا الخوف الذي بلغ منكم وقد انزلتكم منزلة لم ينزلها
غيركم فقالوا ربنا لا يامن مكرك الا الخ الثالث ما في الاحيا ان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام يخافون المكر لما روي ان النبي وجبريل عليهما الصلاة
والسلام بكيا خوفا من ان يكون تامينهما امتحانا ومكرا وهذا هو الذي
قطع قلوب العارفين ولا شبهة في ذلك لقوله وما ادري ما يفعل بي ولا بكم
فان قلت يرده ما روي عن الحسن انه لما نزلت هذه الاية خاف صلى الله عليه
وسلم زمانا فلما نزلت انا فتحنا الخ جد صلى الله عليه وسلم في العبادة وقال
افلا اكون عبدا شكورا وما روي انه قال في الاية ان ذلك في الدنيا اما في الاخرة

فمعاذ الله لانه اخبر بانه في الجنة فالمعنى ما ادري ما يفعل بي في الدنيا فاخبره بنصره
واظهار دينه قلت المراد خوفه صلى الله عليه وسلم من امور الدنيا واستيصال
امته فامنه الله منه واما الخوف من الله فلا يامنه احد الرابع انه ورد في
ادعيته صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يدل عليه نحو اللهم اني اعوذ برضاك
من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك وقوله اللهم اني
اعوذ بك من عذاب النار وفتنة المحيا والممات وليس هذا تشريعا لامته ان
يقولوه لانه لم ينقل فقولوا ولا قرينة على تقديره انتهى وقد اختلف الفقها
في الامن من مكر الله واليأس من رحمته فقال الشافعية انهما من الكبائر
وقال الحنفية انهما كفر لقوله تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وتمسك الشافعية لعدهما من الكبائر
بما ورد في حديث ابن مسعود رضي الله عنه من عدهما منها وقال ابن ابي
شريف ان اريد باليأس انكار سعة الرحمة الذنوب وبالامن انه لا مكر فهو كفر
وفاقا لانه رد للقران وان اريد استعظام الذنوب واستبعاد العفو استبعادا
يدخل في حد اليأس وغلبة الرجا المدخل له في حد الامن فهو كبيرة لا كفر وان
ورد اطلاقه عليه فللتغليظ او ارادة كفران النعمة انتهى وبهذا وفق
بينهما ابن نجيم في رسائله وعلى ما مر عن الاشعري يحمل الامن بغير ما
مر وعلى غيره فهو باق على عمومه هذا جملة ما قاله الفقها والاصوليون
في هذه المسئلة وههنا بحث فيما قالوه وهو ان الاشعري امام اهل السنة
وقد جزم بانهم عموما ذهبوا الى امنهم من العقاب كانه دون العتاب
وقوله افلا اكون عبدا شكورا يؤيده وما ذكر من الخوف والادعية فالظاهر
الذي يقتضيه النظر الدقيق ان مكر الله ليس بمعنى عقابه بل بمعنى انه يبدي
عليهم امرا يقتضيه اذا صدر منهم لانه تعالى وان كان له ان يعذب كل
احد لكن عدله وحكمته تقتضي ان لا يقع ذلك منه بل يجوز جوازا عقليا
ومن علم هذا ونظر لعظمته واستغنائه عن جميع مخلوقاته خاف منه وخشي
منه وهذا مقام الكملين ولذا قال انما يخشى الله من عباده العلما وهذا الخوف
لا بد منه لكل احد واما خوفه العقاب بدون هذا ما دام على حال العصمة
والتقوى فلا يجوز عليهم فانه يلزمه عدم الوثوق بخبره تعالى وعلى هذا
يحمل كلام الاشعري وهو مناف لما قاله ابن حجر رحمه الله اذا عرفت هذا فقوله
في شرح جمع الجوامع الامن من مكر الله معناه الاسترسال في المعاصي اتكالا على
العفو ليس بسديد وليس محلا للخلاف ثم اقول الحق ما قاله الاشعري
والذي ندين الله به انا نعتقد ان العقاب لا يقع وان الانبيا خصوصا
نبينا عليهم الصلاة والسلام بعد عصمته ومغفرة ما تقدم وما تاخر له
لا يخشى احد عليهم العقاب ولا يجوز تجويزه عليهم اما هو فلعظمة الله
ومهابته عنده وعلمه بانه غني عن خلقه له ان يفعل بهم ما اراد فيخافه
خوفا شديدا ويستبعد من عقابه وان لم يجوزه نحو وفي قوله تعالى

لا خوف

يخوف عليهم ولا هم يحزنون ايما لذلك دقيق وما قاله ابن حجر لا دليل له فيه وكلام
الغزالي لا حجة له فيه والاية التي ذكرها مخصوصة بالدنيا او منسوخة كما في الكشاف
ولك ان تقول انه لشدة خوفه صلى الله عليه وسلم من الله قد يذهل عن تامين
الله له لاستماعه ما مر ونظيره ما قاله السيوطي رحمه الله في اجوبة الاسئلة
المكررة في قول يوسف عليه الصلاة والسلام توفني مسلما وهو يعلم
ان الانبيا لا يموتون الا مسلما انه دعا بذلك في حال غلبة الخوف عليه حتى اذهله
عن علمه ساعة الدعا او ذلك اظهارا للعبودية والافتقار وشدة الرغبة في
طلب سعادة الخاتمة وتعليمها للامة انتهى ثم رايت ما قلناه مصرح به ابن
عربي في سراج المريدين فالحمد لله على الوفاق وانما اطلنا الكلام في هذا المقام
لانه من مزال الاقدام فعليك باعادة النظر فان مورده لم يصف من الكدر
ولنا عودة الى الكلام فيه اخر الكتاب ان شا الله تعالى وطاعته له وشدة عبادته
قرنهما مع الخوف لتلازمهما معه وعلى قدر علمه بربه قال القشيري رحمه
الله العلم والمعرفة عند العلما بمعنى وعند القوم معرفة الحق باسمائه
وصفاته ومن عرفه صدق في معاملاته وتنقى من ردي اخلاقه وافاته ومن
امارات المعرفة حصول الهيبة وهي الخوف مع الاجلال والى ذلك اشار المص وان
من قدر الله حق قدره اشتد خوفه منه واطاعه وعبده على قدر طاقته وانما
يعصي الله من جهل ربه ونفسه فان الايمان محبة الله ومن احبه اطاعه وتحت
الرغوة اللبن الصريح ولذلك قال فيما حدثناه قال فيما حدثنا وفي نسخة حدثني
ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو القاسم
الطرابلسي حاتم بن محمد بن عبد الرحمن التميمي المعروف بابن الطرابلسي
كما تقدم عن البرهان فالنسبة اليه طرابلسي والاطرابلسي بزيادة همزة
في اوله وهي مدينة بالشام وبالمغرب والمشهور فيهما طرابلس بالتا الفوقية
وهو صحيح ايضا لانه اعجمي عرب بابدال التا طا فلك حكاية اصله والنطق
بمعربه قال حدثنا ابو الحسن القابسي علي بن محمد بن خالد المعافري الامام
الفقيه الحافظ وقد تقدم قال حدثنا ابو زيد المروزي تقدم ايضا قال
حدثنا ابو عبد الله الفربري تقدم ضبطه وترجمته قال حدثنا محمد بن
اسمعيل الامام البخاري صاحب الصحيح وقد تقدم قال حدثنا يحيى بن بكير
المخزومي الحافظ ابو زكريا المصري روى عنه البخاري وغيره وهو ثقة
وان ضعفه بعضهم توفي سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة عن الليث
ابن سعد بن عبد الرحمن بن حمزة عالم مصر واصله من اصبهان وكان
نظير الامام مالك وكان اسخى الناس وقيل انه كان دخله في كل يوم الف
دينار ولم تجب عليه زكاة توفي يوم الجمعة منتصف شعبان سنة
خمس وسبعين ومائة وقيل غير ذلك وادرك ناسا من التابعين عن عقيل
مصغر وهو عقيل بن خالد الحافظ اخرج له الايمة الستة وله ترجمة
في الميزان توفي سنة احدى واربعين ومائة عن ابن شهاب تقدم

الله ابو بكر محمد بن الامام المشهور بالزهري عن سعيد بن المسيب تقدم ضبطه الكلام
عليه ان اباهريرة رضي الله عنه تقدم ايضا كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو تعلمون ما اعلم من عظمة الله وجلاله وكبريائه هذا هو المناسب للترجمة
او ما اعلم من احوال الاخرة واهوالها وما سيلقاه الانسان لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا وياتي بيانه وفي الحديث طباق فانه او ثلاثة بين قليل والبكا والعلم
وبين الكثرة والضحك وعدم العلم فتدبر وهذا الحديث رواه المص عن صحيح
البخاري وله فيه رواية اخرى عن الترمذي اشار اليها بقوله زاد في روايته
عن ابي عيسى الترمذي رفعه بصيغة الماضي اي زاد هذا الكلام او مصدر
فهو مفعول زاد الى ابي ذر رضي الله عنه يعني ان رواية البخاري السابقة
رواية ابي هريرة رضي الله عنه وهذه رواية ابي ذر عن النبي صلى الله عليه
وسلم وقد خالف المص في عبارته ما اصطلح عليه المحدثون فان المرفوع عندهم
ما اتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم بان يذكر صحابيه قال النبي كذا فيقال
رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم لا الى الصحابي وقيل الجار والمجرور
متعلق بحال مقدرة تقديره عازيا الى ابي ذر فلا مخالفة فيه لاصطلاحهم
وسياتي تتمته اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون المراد بما الموصولة
فيهما مغيبات وامور في الملا الاعلى اطلعه الله عليها وغيره لا يراها كرؤية
الملائكة والجنة والنار وعذاب القبر والاطلاع على الموتى واحوال البرزخ ومنه
لاصوات المعذبين في القبور ولاطيط السما المشار اليه بقوله اطت السما اصل
معنى الاطيط صوت الابل اذا حنت والقتب اذا اضغطه ثقل ما عليه ونحو ذلك
اي ان السما لكثرة ما عليها من الملائكة اذا تحركوا يسمع لها صوت سمعه النبي
صلى الله عليه وسلم وحق لها بالبنا للمجهول او هو مصدر مرفوع خبر مقدم
لقوله ان تئط اي تصوت ويسمع لها صرير لثقل ما عليها وعلى الاول هو
نايب الفاعل وقد قيل ان صريرها يسمع منه الحان متناسبة مطربة منها
اخذ الحان الموسيقي ولذا انطرب الارواح لسماعه لتذكرها معاهد
حماها وقيل انه انين من خشية الله وقال التلمساني هذا ايذان بكثرة
ما في السما من الملائكة وان لم يكن ثمة اطيط والمراد تقرير عظمة الله ثم
استانف صلى الله عليه وسلم ما يبين سبب اطيطها فقال ما فيها
موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله اي ليس فيها
مكان خال منهم ومن هنا علم ان الملائكة اكثر المخلوقات والله لو تعلمون
ما اعلم من احوال الدنيا والاخرة الدال على عظمة الله وقدرته لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا اي لضحكتم ضحكا قليلا اذا سررتم برجاء عفو الله
وتذكرتم ما انعم به عليكم ولبكيتم للخوف منه حتى يشغلكم ذلك عن التنعم
والتفكه بلذايذ الدنيا وما تلذذتم بالنسا على الفرش بضمتين جمع فراش
وكنى بذلك عن مضاجعة النسا ومجامعتهن ولخرجتم الى الصعدات
بضم الصاد والعين وفتح الدال المهملات جمع مؤنث سالم لصعد

بضمتين

بفتحتين جمع سعيد كطريق وطرق لفظا ومعنى اي لخرجتم من دوركم للطريق وممر
الناس وقيل جمع صعدة كظلمة وهي فنا الدار تجارون الى الله اي تضجون من
وتستغيثون من الجؤار بضم الجيم وفتح الهمزة والف وراء مهملة وهو الصياح ورفع
الصوت اي تستغيثون الله وتتركون اهلكم ومساكنكم لوددت اني شجرة تعضد
اي تقطع من اصلها يقال عضدت الخشب والنبات اذا قطعته واللام في جواب قسم
مقدر ووددت بزنة علمت بمعنى تمنيت والعرب تقول وددت وبودي اذا تمنت
قال البحتري

وبودي لو استطعت لجفت • بصبر عن سيدي حين ملا •

وهو مستعار من الودة المعروفة قال الراغب الود محبة الشي وتمني كونه
موجودا ويستعمل في كل واحد من المعنيين على ان التمني يتضمن معنى الود
لان المتمنى يشتهي حصول ما يوده انتهى والمراد تمنيه ان يكون غير ذي روح
فلا يبعث ولا يسال وعضد الشجر موته واخر العهد به وروي هذا الكلام يعني
قوله وددت اني شجرة تعضد وهو بدل من الكلام مبين له من قول ابي ذر نفسه
لا من الحديث وكلام النبي صلى الله عليه وسلم وهو اي كونه من قول ابي ذر اصح
في نسخة واصح بالضاد المعجمة والصحيح اصح اي من كونه من الحديث مرفوعا
له صلى الله عليه وسلم وهو اليق بحاله وانسب بكلامه بخلاف ما قبله فانه من
الحديث بلا خلاف والى هذا اشار المص بقوله سابقا زاد في رواية عن ابي عيسى
الترمذي رفعه الى ابي ذر واذا كان من كلام ابي ذر فهو مدرج في الحديث
ان لم يميز لفظه عن لفظه فاعترض البرهان الحلبي عليه بانه كان ينبغي ان
يقول انه مدرج لا وجه له ثم في عبارته السابقة كدر لا يخفى قيل وكونه
صلى الله عليه وسلم تمنى ما ذكر مشكل لانه مقطوع له بالزلفى امن من كل سوء
موثق بالدرجات العلى وخوفه انما هو خوف اجلال وهيبة لا خوفا من غضب
الله وسوء الخاتمة وقول بعض الصحابة المبشرين بالجنة ليتني طاير وليتني
لم اخلق بشرا او ليتني كشاة تذبح ونحوه كله ليس لعدم الوثوق بالوعد بل
لكي لا يخوفوا من مخالفة امره فانهم يخلقونه ويخافون من مخالفته وان لم
يخافوا ونحوهم وهذا الكلام من لم يحقق المقام وقد تقدم في اول الفصل ما فيه
كفاية وفي حديث المغيرة رضي الله عنه المتفق عليه في رواية الشيخين •
والمغيرة بضم اوله وتكسر اتباعا اي ابن شعبة من الصحابة وهو احد دهاة
العرب صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي صلاة التطوع والتهجد
لان الزيادة المذكورة في بعض الروايات انما تاتي فيها حتى انتفخت قدماه
اي ورمت من طول القيام وفي رواية انه كان يصلي حتى ترم بفتح المثناة
الفوقية وكسر الراء المخففة المهملة وميم مخففة مضارع ورم اذا انتفخ
لانصباب المادة لقدميه من طول وقوفه صلى الله عليه وسلم ووقع في بعض
النسخ ترم بتشديد الميم اي تصير مبيضا وهي غير صحيحة رواية ودراية
قدماه وفي رواية ساقاه وروي تورمت وتزلعت بزاي معجمة وعين

عوض

مهملة اي تشققت فقيل له اتكلف هذا بهمزة استفهام وفتح التا الفوقية
واصله اتتكلف فحذفت احدى التائين تخفيفا اي تتحمل مشقته وكلفته وقد غفر
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر جملة حالية معترضة بين الاستفهام وجوابه
وسياتي ما في اضافة الذنب له صلى الله عليه وسلم مع انه معصوم عن الصغاير
والكباير على الاصح بان المراد لو صدر منك او ما يعد من الذنوب بالنسبة
لغيرك لنزاهتك وعلو مقامك وستسمع تفصيله في محله قال افلا اكون عبدا
شكورا لما انعم الله علي من جلايل النعم التي لا تحصى ومن اجلها عصمته لي
ومغفرته لذنبي قبل وقوعه والاستفهام انكاري والفا سببية اي اترك الصلاة
لمغفرته وهي سبب موجب للعبادة لا لتركها وقوله شكورا لانها نعم جليلة
تستوجب مزيد شكره وقوله عبدا تلويح لغاية اكرامه له صلى الله عليه وسلم
بنعت عبده ونسبته لسيده وكله يقتضي اجل الشكر وهو العبادة وعن ابي
سلمة رحمه الله تعالى واسمه عبد الله او اسمعيل او اسمه كنيته بن عبد الرحمن
ابن عوف الزهري التابعي احد الفقها السبعة المشهور بروايته عن ابي هريرة
وغيره وفي الصحابة ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي مات في حياة
النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له الا حديث واحد واخراه غير مشهورين
ولا الرواية عنهم مشهورة وابي هريرة رضي الله عنه قال البرهان هكذا في
النسخ قال المحشي وانا اخشى ان يكون هذا غلطا والصواب فيه ان يكون
عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه فانه وقع هكذا في الشمايل في باب
عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان ذكر حديث المغيرة الذي
ذكره المص هنا فقال بعده حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة
عن ابي هريرة رضي الله عنه كان يصلي الخ الا ان يكون المص وقف على حديث اخر
لابي سلمة الصحابي ولم نره قلت ويحتمل ان يكون مراده عن ابي سلمة عن ابي
هريرة ولكنه عطف احدهما على الاخر وهو بعيد ايضا وقالت عايشة رضي
الله عنها كما رواه الشيخان كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة
بكسر الدال وسكون اليا المنقلبة عن الواو لانه من الدوام ومعناه الدايم
واصل معناه المطر الدايم في سكون وهدو وفي الحديث احب الاعمال الى
الله تعالى ما دووم عليه وان قل لان ترك الشيء بعد فعله كالاعراض عنه
بعد الاقبال ولذا وقع الوعيد لمن حفظ القران ثم نسيه وايكم يطيق
ما كان يطيق اي ايكم يقدر ان يعبد الله كما عبده صلى الله عليه وسلم
كما وكيفا وقالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وروي تقول بالنون
والتا الفوقية ورفع يقول ونصبه كما قرئ به في قوله تعالى وزلزلوا
حتى يقول الرسول يعني انه صلى الله عليه وسلم كان في بعض الازمنة
يوالي الصوم حتى يتوهم انه صايم الدهر وتارة يكثر الفطر حتى يظن انه
لا يصوم نافلة وقيل المراد انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم من اول

الشهر وتسحله واخره حتى يتوهم من صادفه ايام صومه انه دائم الصوم ومن صادف
افطاره كذلك وهو بعيد وهذا لا ينافي كون عمله صلى الله عليه وسلم ديمة لانه
بالنسبة لما كان راتبا كصومه ثلاثة من كل شهر وهذا بالنسبة لغيره ولكن ان يقول الاول
في صلاته وقيامه وهذا في صيامه ويؤيده لفظ العمل لكن يأباه قوله ونحوه عن
ابن عباس وام سلمة وانس رضي الله عنهم اسم ام سلمة هند على الصحيح وقيل رملة
والاحاديث التي رواها هؤلاء بمعنى ما تقدم مع اختلاف في بعض الفاظها وكلها
صحيحة مروية في الصحيحين وابن حبان وقد ذكرها بعض الشراح هنا ولكن لا حاجة
بالايراد هاهنا كما في الشرح الجديد وقالت عائشة كنت لا تشاء ان تراه صلى الله عليه
وسلم من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته نائما وقال عوف بن مالك
هو ابو عبد الرحمن الاشجعي الصحابي الجليل القدر رضي الله عنه سكن الشام
وتوفي في ايام عبد الملك سنة ثلاث وسبعين وهذا الحديث رواه ابو داود
والنسائي كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضا ثم قام
فصلى فقمت معه اي التهجد واقتدي به وفيه دليل على صحة الاقتداء في صلاة
النافلة من غير نزاع واليه ذهب الشافعي وبعض الحنفية وبدا الصلاة وفي
نسخة فابتدا بالثنا اي شرع في الصلاة فاستفتح البقرة اي شرع في قراءتها وفيه
دليل على انه يقال البقرة وسورة البقرة من غير كراهة كما ورد في احاديث
لا تحصى واما السورة فقيه على الاصح خلافا لمن قال انه يكره وانما يقال
السورة التي يذكر فيها البقرة السورة التي يذكر فيها النساء وهكذا ما روى
الطبراني والبيهقي عن انس مرفوعا لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل
عمران ولا سورة النساء ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة وهكذا وهو
ضعيف بل قال ابن الجوزي انه موضوع والاحاديث المعارضة له صحيحة
فهي ارجح وعليه العمل او نقول ان هذا كان في اول الاسلام ثم نسخ لان
المشركين كانوا يستهزؤون بهم اذا قالوا سورة العنكبوت ونحوها فلما كفاه الله
المستهزئين وكف السيف ايديهم والسنتهم فيقال ذلك من غير حرج فلا يمر صلى
الله عليه وسلم باية رحمة الا وقف فسأل الله الرحمة ولا يمر باية عذاب الا
وقف وتعوذ بالله من العذاب وهذا الحديث اخرجه ابو داود والنسائي
ويؤخذ منه انه ينبغي لمن قرا القرآن ان يتدبره ويتفكر في معانيه وان الدعاء
بما يناسبه مستحب ومستجاب فيدعو بما يناسبه واذا ذكر الايمان بالله يستحب
ان يقول امنت بالله ونحوه ونحو هذا ما ورد ان من قرا سورة تبارك فبلغ
فمن ياتيكم بماء معين فليقل الله رب العالمين واذا قرا سورة التين فبلغ
اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين واذا قرا لا اقسم
بيوم القيامة وبلغ قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى
واذا قرا والمرسلات وبلغ فباي حديث بعده يؤمنون فليقل امنا بالله
واذا قرا سبح اسم ربك فليقل سبحان ربي الاعلى واذا قرا سورة الرحمن فليقل
عند كل فباي الاء ربكما تكذبان ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب ولك ذلك ورد في

الاحاديث الصحيحة وهذا نظير سجود التلاوة الا ان من الناس من فعل امورا زائدة
على ما ورد كالدعا بين الجلالتين في سورة الانعام وقد قال البقاعي انه بدعة لم يرد
في اثر ولا حديث ثم ركع فمكث بضم الكاف وهي لغة القران وتفتح في لغة عنه ومعناه
انتظر وتوقف بقدر قيامه يقول سبحان الله ذي الجبروت والملكوت والعظمة
هذه الصيغة من افعال صيغة مبالغة كالرهبوت والرحموت والرغبوت وهي مصادر
في الاكثر ووردت في الاسما ايضا كالطاغوت والجبروت مبالغة في الجبر وهو القهر
والملكوت الملك العظيم ووصفهما بالعظمة لانهما كالدليلين عليها ولانها
اعم ويكون صلى الله عليه وسلم كرر ذلك مرارا كثيرة حتى يكون بقدر قيامه
كما لا يخفى ثم سجد فقال مثل ذلك ثم قرا ال عمران اي السورة التي ذكر فيها قصة
ال عمران وقد تقدم جوازه وما فيه ثم سورة سورة اي ثم قرا في صلاته في كل ركعة
سورة بعد سورة وهما منصوبان على الحالية كما قرره النحاة في قولهم قراءة
النحو بابا بابا وجعله التلمساني منصوبا مفعولا لقرا المقدر فيه وفيه نظر
والسورة مهموزة من السؤر وهو بعض ما الباقي في الانا وتبدل همزته
واوا لسكونها وانضمام ما قبلها وقيل ان واوه اصلية على انه من السور
لاحاطتها بالايات او من السوار او من التسور لرفعتها والسورة مقدار من
القران مشتمل على ايات اقلها ثلاثة مسماة باسم ولا يرد عليه اية الكرسي لذكرا انه
يفعل مثل ذلك المذكور من القراة والتسبيح وعن حذيفة بن اليمان الصحابي
المشهور رضي الله عنه وهذا الحديث رواه مسلم عنه مثله اي مثل الحديث السابق
وقال حذيفة رضي الله عنه سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه
اصل معنى النحو القصد ومنه علم النحو ويقال هذا نحو هذا اي مثله او قريب
منه فان قلت ذكر الفقها ان الجلوس بين السجدتين ركن قصير غير مقصود لذاته
بل للفصل بين السجدتين حتى قال بعض الشافعية ان تطويله مبطل
للصلاة ومخل بالموالاة وحديث حذيفة صحيح رواه مسلم كما مر وهو مناف
لما ذكر قلت قالوا انه انما يضر اذا طول بسكوت او بذكر غير مشروع فلو طول
بغير ذلك كما في صلاة التسبيح فلا يضر وقد يبحث كما ذهب اليه النووي
تبعا للامام الحرمين استدلالا بحديث حذيفة هذا ولا يشترط ان يكون
بمقدار اكمل التشهد وقال حذيفة رضي الله عنه حتى قرا البقرة وال عمران
والنسا والمائدة اي قرا في ركعة بسورة من هذه السور وعن عائشة
رضي الله عنها في حديث صحيح اخرجه احمد والنسائي عن الجدة والاية التي
ذكرت في قولها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القران اي
رددها طول ليله ويكررها في كل ركعة وهي كما صرح به ان تعذبهم فانهم
عبادك الاية في سورة المائدة وانما اكثر ترددها للتدبر والتفكر فيها
فان القران له بطون سبعة ففي كل قراة يظهر له صلى الله عليه وسلم ما لم
يظهر قبل والله تعالى يتجلى لخلص عباده في كلامه ولكن لا يبصرون كما
روي عن جعفر الصادق رضي الله عنه ففي كل قراة يتجلى له الله في مرآة كلامه

ومثل

قلوبنا

ومثل هذا لا نعني به العبارة اللهم نور مشكاة قلوبنا حتى تنطبع فيها صور الحقايق
وعن عبد الله بن الشخير بكسر الشين والخا المعجمتين المشددتين ومثناة تحتية
ساكنة وراء مهملة وهو ابن عوف بن كعب العامري الصحابي البصري الحرشي الذي
ادرك الجاهلية والاسلام وروى له اصحاب الكتب الستة وهذا الحديث رواه ابو داود
والترمذي والنسائي اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه
ازيز كازيز المرجل جوف كل شي باطنه والمراد به ما تحت صدره واضلاعه والازيز
بهمزة مفتوحة وزايين معجمتين بينهما يا مثناة تحتية ساكنة وهو صوت الغليان
اذا اشتد وهو المشيش والمراد انه صلى الله عليه وسلم لشدة خوفه وخشيته
من الله يسمع حركة قلبه اذا دق صدره وقيل صوت الحنين مع البكا والمرجل بكسر
الميم وسكون الرا المهملة وفتح الجيم واللام القدر مطلقا وقيل من نحاس
قال ابن ابي هالة الصحابي المتقدم رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم متواصل
الاحزان اي حزينا حزنا يتصل بعضه ببعض بحيث لا يفصل بينهما فرح ومسرة
وهذا يقتضي الدوام ولذا فسره بقوله هكذا ليست له راحة لاستغراق اوقاته
في الذي كلفه من اعبا الرسالة وتبليغ الاحكام وتدبير الحروب والوقايع ومن
نيط به امور جميع الخلايق كيف يخلو من الهم فان الامور بقدر الهمم والظاهر
ان هذا حاله صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن متكلما مع الناس في مصاحبته لهم
وحكمه بينهم وملاقاة من يقدم عليه من الوفود ويعرض الناس عليه امورهم
وفي عشرة اهله وانما ذلك حال سكونه وهو بين الناس وفي خلوته بنفسه
ومشيه وتعبده اما في غير ذلك فكان طلق المحيا متبسما متلقيا بالبشر ودوام
كل شي بحسب زمانه

فافهم لكل زمان ما يليق به • فان للرتبة حليا ليس للعنق •

فسقط ما قيل انه وصف في غير هذا الحديث بانه صلى الله عليه وسلم دايم البشر
وهذا مناقض له وقد اورد عليه ايضا ان الحزن فضلا عن دوامه غير محمود وقد نهى
الله تعالى عنه فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وقال لا تحزن ان الله معنا وقال انما
النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا فاستعاذ صلى الله عليه وسلم منه فقال
اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن وتقدم الفرق بينهما بان الهم لما يقع في المستقبل
والحزن لما مضى وكلاهما مفتر للعزم مضعف للقلب غير مقصود من مقامات العارفين
ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقوله صلى الله عليه وسلم
ما يصيب المومن من هم ولا نصب ولا حزن الا كفر الله به من خطاياه يدل على
انه مصيبة يوجر المرء عليها وسياتي الكلام عليه والحديث الذي ذكره المص رواه
الطبراني والقضاعي وقال ابن القيم كما سياتي انه لم يثبت وفي سنده من لا
يعرف ولا اعلم صحته وفي التوراة اذا احب الله عبدا جعل في قلبه نايحة
واذا ابغضه جعل في قلبه مزمارا فقال ابن القيم اجمع اهل السلوك على
ان الحزن ليس من مقامات السايرين الى الله الا ابو عثمان الحيري فانه قال
الحزن فضيلة وزيادة كمال للمومن ما لم يكن على معصية لانه ان لم يوجب

دائم الفكرة اي يتفكر دايما في امر
ذات امته ودينه كان همه

تحميقا اوحب لمحميقا بهو بلا فرح بمحنة كالمرض لاسقام كما قال الجبلي وحزنه
صلى الله عليه وسلم لما اودعه الله فيه من الرحمة ورقة القلب فكان يحب هداية
الامة فاذا راى ماهم عليه من عنادهم وتخلفهم حزن لذلك وخاف من ان ينسب اليه
قصور في دعوتهم وبما قررناه ظهر انه ليس فيما ذكر اشكال بوجه من الوجوه
ولاحاجة لتفسيره وام الفكرة باتها في ذات الله وصفاته حتى يرد عليه انه منهي عنه
فيجاب بان المنهي عنه الكمل كما قيل وقال عليه الصلاة والسلام اني لاستغفر الله حري
في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة هذا الحديث صحيح وسياتي الكلام عليه وقوله صلى
الله عليه وسلم استغفر الله بمعنى اطلب منه المغفرة اواذكر هذا اللفظ بعينه
والسبعون عدد معلوم وقد يراد به مجرد التكثير وعلى هذا تكون الروايتان
بمعنى وطلب المغفرة وان اقتضى الذنب وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من الكباير
والصغاير مطلقا على الاصح المراد به انه مع كماله صلى الله عليه وسلم يشهد في نفسه
قصورا نزله منزلة الذنب فاستغفر له او عد اشتغاله بما ابيح له كالاكل والاشتغال
بامور الناس ذنبا لعوقه عن الشهود اوهو تشريع لامته او كان استغفاره صلى الله
عليه وسلم لذنوبهم او انه لم يزل مترقيا في المقامات فكلما ترقى لمرتبة راى
ما دونها نقصا فاستغفر منه وستاتي تتمته وعن علي كرم الله وجهه سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته اي طريقته التي هو عليها وهذا
الحديث ذكره في الاحيا وقال الحافظ العراقي انه لا اصل له وقال السيوطي انه
موضوع واثار الوضع لايحة عليه وهو شبيه كلام الصوفية فقال المعرفة
راس مالي راس المال هو المال المعد للتجارة وما يكتسب به هو الفايدة والمراد
بالمعرفة معرفة الله وصفاته والوقوف على غوامض الامور مما لم يمكن تعلمه وهي
تختص بالعلم المسبوق بالعدم او الجزئيات فلذا قيل ان علم الله لا يسمى معرفة
ولا يقال له عارف الا الهاجات بمعنى العلم ايضا والمراد هنا الاول لمقابلتها
بالعلم وهذا التشبيه بليغ كما قيل •
اذا كان راس المال عمرك فاحترس • عليه من الانفاق في غير واجب •
وقد تقدم والعقل اصل ديني مر ان العقل قوة غريزية في الانسان يستعد
بها لادراك العلوم اي دينه وشرعه اي ما نتعبد به ونتدين قبل البعثة
او قبلها وبعدها مبني على ما اودعه الله فيه من كمال عقله الذي هداه
الى النظر في مصنوعاته الدالة على وحدانيته وعظمته وانه هو الحقيق
وفي الحديث ان عايشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله بم يتفاضل
الناس قال بالعقل في الدنيا والاخرة فقالت اليس يجزون باعمالهم فقال
يا عايشة هل يعمل الا من له عقل فبقدر عقولهم يعملون وبقدر ما عملوا
يجزون وقد اتفقوا على ان ما اعطي الناس من بدء الدنيا الى اخرها من العقل
بالنسبة لعقله صلى الله عليه وسلم كنسبة ذرة من الرمل الى رمال الدنيا
كلها والحب اساسي اي محبة الله بعد معرفته لان من لم يعرف لا يحب اي اساس
يبنى عليه اموري في اتباع اوامر الله ونواهيه كما انه موجب لاتباع النافي

كما

كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولا يكمل ايمان احد حتى
يكون الله احب اليه من نفسه واهله وماله كما سياتي بيانه وجمع هذه الامور في سلك
واحد لان راس المال والاساس والاصل من واد واحد وتغاير العبارة انما هو لتلون
الخطاب والشوق مركبي اي شوقي الى المطالب العالية والى لقاء الله هو الذي يحركني
حتى وصلت لمرادي كما قيل

وقالوا اذ انيت لهم سريعا ٭ محلا في سبيل التلاقي
ركبت على البراق فقلت كلا ٭ ولكني ركبت على اشتياقي

والشوق اعلا من المحبة لانه يتسوغ عنها فانه انجذاب النفس لشدة ميلها الى لقاء من
يشتاقه وذكر الله انيسي وفي نسخة النبي يعني انه يانس في خلوته وجلوته بذكر الله
لانه اذا اكثر المؤمن ذكره صار نصب عينه حتى كانه معه ومن كان الله معه انس به واستوحش
مما عداه ومن كان له ورد في الصباح والمسا كان من الذاكرين الله وانظر في قوله
اذكروني اذكركم وقال سمنون حقيقة الذكران ينسى ما سواه ويستغرق الاوقات
فيه ٭ لا لاني انساك اكثر ذكرك ٭ ولكن بذاك يجري لساني

والثقة بكسر المثلثة مصدر كالسعة بمعنى الوثوق بما عند الله وما يطلبه منه
كنزي الكنز المال المكنوز اي المدفون وفيه بلاغة ونكتة بديعة لان من له مال
مدفون لا يراه ولكنه النفع مما يراه وكذا ما نرجوه من الله قبل حصوله النفع من
الحاصل عند الثقة كما قيل

واني لارجو الله حتى كانني ٭ ارى بجميل الظن ما الله صانع

وعلامة الثقة بالله بذل الموجود وترك طلب المفقود والحزن رفيقي اي لا يفارقني
وذكره مع الانيس لان الرفيق الانيس وهذا بمعنى ما تقدم من قوله متواصل الاحزان
وقد علمت ما فيه والعلم سلاحي اي علمي بالله وبما علمني من لدنه واوحاه الي
ادفع به من يجادلني ويخاصمني وادفع الشيطان ووسواسه كما يدفع العدو
بالسلاح والة الحرب والصبر في المكاره وتحمل المشاق وعدم العجلة في الامور
ردائي الردا ما يكون فوق اللباس وبه يتجمل ظاهر المرء ولما كان الصبر فيه
سكون وتحمل وعلم ووقار يشاهده الناس شبهه بالردا المتجمل به ودفعه ضرر
البرد فما قيل من انه لو شبهه بالدرع واللحاف صح كما قيل

تذرعت صبري والتحفت صروفه ٭ وقلت لنفسي الصبر اولى فاهلكي

لتبق بشيء والرضا بالقصر مصدر وبالمد اسم كما في الصحاح والذي في النسخ بالمد
غنيمتي جعل غنيمة لانه يظهر به عند نفسه اللوامة وتاسرها اذا الراضي بما قسم
الله لا يتمنى ما لم يكن فيحصل له غنى القلب والراحة كما قيل

هل هي الا مدة وتنقضي ٭ ما يغلب الايام الا من رضي

ولا شك ان الرضا بما قدره الله واجب وقوله في الشرح الجديد اختلف العلما
في الرضا هل هو واجب او مستحب فقيل هو مستحب لانه لم يرد الامر به
وانما ورد الثنا على المتصف به والى هذا ذهب محققو العلما مما لا ينبغي
ذكره والفقر فخري وفي نسخة البرهان وغيره والعجز بدل الفقر اي

حش

ن

انها اراد انه عاجز ضعيف وان القدرة والقوة لله وهو مقتضى مقام العبودية كما قال تعالى
خلق الانسان ضعيفا والعجز المذموم الذي استعاذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم في
قوله اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل بمعنى اخر وهو التثاقل عن العبادة والتواني
كما قيل

اذا ما التواني انكح العجز بنته ٭ فساق اليها حين اشهد مهرا
فراشا وطاء ثم قال لها اتكي ٭ قصاراهما لا شك ان تلد الفقرا

وقال ابن تيمية الفقر فخري ليس بحديث ومن قال انه حديث فقد كذب وقيل
الظاهر ان المراد بالعجز بفتح فسكون هو العجز عن طلب الدنيا والتمكن في الثروة
والشوكة وان يراد به لازمه وهو الفقر ولا وجه له فانه صلى الله عليه وسلم
ليس بعاجز عما ذكر وانما تركه واعرض عنه باختياره كما مر فلا وجه ان المراد به
ما مر كما في حديث لا يدخل على الا بجرة الناس اي ضعفاوهم وفي اخر اهل الجنة
كل ضعيف متضعف وفي حديث هرقل ضعفا الناس اتباع الرسل وفي حديث
الاسرا امتك اضعف الامم وهم اكثر اهل الجنة قيل فقوله الفقر فخري قد ينقل
انه رواية بالمعنى فليس بكذب ومنه نظر ولذا قال الحافظ ابن حجر انه باطل موضوع
فانه ورد مدح الفقر في الحديث كحديث تحفة المومن في الدنيا الفقر وقد روى
بسند لا باس به واثبات الفخر له وقد نفاه في قوله لا فخر لانه ليس من شانه لان المراد
به الخصلة الحسنة التي من شانها الافتخار بها والمراد فخري لو كنت ذا فخر كما قيل
في قراة انما يخشى الله من عباده العلما برفع الجلالة اي انما يخشاهم لو كان يخشى منهم
وان كان المشهور ان المراد بالخشية لازمها وهو التوقير والتعظيم والفقر مع الصبر
وصف محمود فان الغني هو الله قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله والله
هو الغني الحميد والزهد حرفتي الحرفة بكسر الحا وسكون الرا المهملتين والقاف
هي الصناعة التي يرتزق منها الانسان والزهد ترك ما يرغب فيه من الدنيا وقال
الجنيد الزهد خلو الايدي من الاملاك والقلوب من التتبع وليس الزهد
عدم الملك فان سليمان عليه الصلاة والسلام كان زاهدا مع ان الدنيا كلها
في قبضته والتعبير بالحرفة ليس في محله فانه يوهم انه جعلها مكسبا وفيه
تشاهد بالوضع ومما قلته في مشايخ زماننا

قد قام في سوق الريا تاجرا ٭ وباع للسوقة ارشاده
حرفته الزهد وذكانه ٭ يبيع فيه الكذب سجاده

واليقين قوتي اليقين الاعتقاد الجازم وهو قوة لقلب من قام به لاطمينانه
وعدم خوفه من غير الله وهذا شامل لحق اليقين وعين اليقين والفرق
بينهما مشهور في التفسير وكتب الكلام والصدق شفيعي الصدق بمعنى
مطابقة الخبر والمراد به ما اصطلح عليه المشايخ من انه استوا السر والعلانية
والوفا لله عز وجل بكل ما عهده اليه ويصح ارادة المعنى الاول والمراد
بكونه شفيعه انه سبب مصالحه عند الله او المراد تعليم امته والطاعة حسبي
بفتحتين هو ما يعد المرء من مفاخر ابائه اي طاعة الله في السر والعلانية

ابن الحنبلي

ثم الى

هي التي افتخر بجله واعده ماثرة لاما يفتخر الناس به او هو بسكون السين اي الطاعة
تكلفني والجهاد في سبيل الله او مجاهدة النفس لمخالفتها خلقي اي طبعت على محبته وقرة
بضم القاف وتشديد الرا المهملة عيني الباصرة اي مسرتها وفرحها في الصلاة
لما اشاهد فيها من التجليات الالهية فانها المعراج الاسعد والقرة ماخوذة من القر وهو
البرد لان دمعة السرور باردة او من القرار لان بلوغ الامنية برؤية ما يسر تسكن
به العين فلا تستشرف لغيره وقد تقدم ما فيه وفي حديث اخر لم يذكره المخرجون
لاحاديث هذا الكتاب وثمرة فؤادي في ذكره الفؤاد القلب او داخله وهو محل العقل
على الاشهر فجعله كشجرة مثمرة وجعل ذكر الله المقصود منه وغمي لاجل امتي لرقتي عليهم
في الدنيا والاخرة وشوقي الى لقاء ربي ومناجاته والتوجه اليه **فصل**
اعلم وفقنا الله واياك تقدم الكلام عليه ان صفات الانبيا والرسل عليهم الصلاة
والسلام وهو من عطف الخاص على العام اعتنا بشانهم وبيانا لشرفهم وسياتي تفصيله
من كمال الخلق وحسن الصورة الخلق بفتح فسكون والمراد خلق مادة جسمه واعضائه
والصورة هيئة بدنه وتناسب اعضائه ومقاديرها ولون بشرته وشرف النسب
اي شرف ابائه وامهاته واجداده وجداته الى ان ينتهي الى ادم عليه الصلاة والسلام
فليس فيهم حسيس ولا وضيع وحسن الخلق بضمتين او ضم فسكون وقد تقدم بيانه
وجميع المحاسن في هذه الصفة كذا في بعض النسخ وفي غيرها وعليه الشراح هي بالضمير
بدل في الجار قال القسطلاني هذه الصفة خبران وقع بين اسم ان وخبرها
ضمير الفصل لقصر الصفة على الموصوف كان زيدا هو المنطلق اي لا غيره واتى بها
على لفظ الافراد ليتغاير بين المبتدا والخبر فان الاتحاد غير جائز وعرفها بالالف
واللام ليشعر بان المراد استغراق ما ذكره من كل الصفات المذكورة انتهى وتبعه
بعض الشراح ولم يبينه غيرهم وجميع المحاسن على هذا معطوف على اسم ان
فهو منصوب فالمعنى ان كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق
صفات جامعة لجميع المحاسن وهي صفة الرسل عليهم الصلاة والسلام وهي على الوجه
الاتم الاكمل لا تجتمع في غيرهم ومن بيانية مبينة لصفات جميع الانبيا والرسل
والصفة بمعنى الصفات المذكورة ولا يخفى ما فيه من القلاقة والجفا وان
قوله هذه الصفات هذه الصفة ركيك جدا ولو قيل ان قوله من كمال الخلق الخ
خبر ان ومن ابتدائية وجميع مرفوع مبتدا وفي هذه الصفة خبره والمعنى
جميع صفات الانبيا عليهم الصلاة والسلام ناشئة من كمال الخلق الخ وجميع
المحاسن مجموعة فيها كان اظهر واحسن لانها صفات الكمال اي هذه الصفات
بها يكمل البشر والكمال والتمام للبشر تقدم الفرق بين الكمال والتمام
والفضل الجميع مبتدا وكان الاحسن ان يقول والفضل جميعه لهم خبره اي ثابت
للانبيا عليهم الصلاة والسلام اذ لهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع
الدرجات فيه اشارة الى تفضيلهم على الملايكة كما سياتي ولكن فضل الله بعضهم
على بعض استدراك لدفع ما عسى يتوهم من تساويهم رتبة ثم اشار على طريق
اللف والنشر المشوش الى الدليل على عدم تساويهم بقوله قال الله تعالى

صلوات الله وسلامه عليهم صح

الدجلي وابن اقبرس

فكل الرسل المذكورين في سورة البقرة فالمعرف عهدي او جميع الرسل الذي يعلمهم فهو
استغراقي فضلنا بعضهم على بعض بمواهب سنية ومراتب علية غير اصل النبوة والرسالة
منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وهو محمد او ابراهيم عليهما الصلاة والسلام
واشار الى فضلهم عمن عداهم بقوله وقال الله تعالى ولقد اخترناهم على علم
منا باحوالهم على العالمين وهذا من المتم مبني على ان الضمير للانبيا مطلقا والمراد
بالعالمين جميع العالم لا على ما اختاره من انه لبني اسرائيل والعالمين عالمي
زمانهم لكثرة الانبيا فيهم وقال عليه الصلاة والسلام في حديث رواه
الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان اول زمرة اي طائفة وجماعة يدخلون
الجنة على صورة القمر اي وجوههم مشرقة مضيئة وليس المراد انها مثله في
الاستدارة وغير ذلك ولذا قال ليلة البدر وهي ليلة اربعة عشر وهو اضوأ
ما يكون فيها وسمي بدرا لامتلائه بالنور ولمبادرته مغيب الشمس بالطلوع
وهو يسمى هلالا في اول الشهر ثم يسمى بدرا اذا تم *
ان الهلال اذا رأيت نموه * ينبيك ان سيعود بدرا كاملا *
والقمر يطلق عليه دايما كما بينه اهل اللغة وتمام الحديث ثم الذين يلونهم
كاشد كوكب دري في السما اضاءة ثم قال اخر الحديث قلوبهم على قلب رجل واحد
لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ
سوقهن من ورا العظم واللحم يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا
يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون انيتهم الذهب والفضة
وامشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة ورشحهم المسك وفي اثر
ان له من الحور العين اثنين وسبعين حورية سوى ازواجه من الدنيا وان
الواحدة منهن لتاخذ مقعدها قدر ميل من الارض على خلق رجل واحد
على صورة ابيهم ادم عليه الصلاة والسلام طوله ستون ذراعا في السما
والمراد بهذه الزمرة الانبيا عليهم الصلاة والسلام وبالذين يلونهم
الاوليا والعلما الراسخون وقيل المراد بهم الانبيا والاوليا وبالذين يلونهم
بقية المومنين الاتقيا وقوله انيتهم الذهب والفضة اما على اللف والنشر
فآنية الفرقة الاولى من الذهب والثانية من الفضة او هما لهما بقرينة
حمل امشاطهم كلهم من الذهب ويحتمل ان يكون اكتفا اي من الذهب
والفضة ورجح بعضهم ان يكون هؤلا كلهم من امة محمد صلى الله عليه وسلم
لحديث الصحيحين يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بيض الوجوه
تضيء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر ويعلم منه حال الانبيا بالطريق
الاولى او هم مسكوت عنهم وعلمهم عند الله وجعلهم على صورة
ادم عليه الصلاة والسلام لانه كان اجمل الناس واتمهم خلقا والستون
ذراعا اما بذراعه نفسه او بذراع معهود عند المخاطبين والاول
اظهر لكن روى ابن ابي الدنيا عن انس مرفوعا يدخل اهل الجنة الجنة على طول
ادم ستون ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث

وثلاثين

وثلاثين سنة وعلي لسان محمد صلي الله عليه وسلم جرد مرد مكحلين وورد ان عرضه سبعة
اذرع والحديث يدل علي تبدل الالوان فمن كان اسود او اشقر صار ابيض بياضا معتدلا
وقوله في الساحين ارادة الحقيقة منه اي كابتدا خلقه وصورته اذا كان في السما او للراد
جهة العلو اي طوله ذلك اذا كان منتصبا قايما فايدة استنبط بعضهم من ايو
ان مقعد الحور في الجنة ميل ان كل ادمي يدخل الجنة يكون طوله اثني عشر ذراع بذراع
الشرع الذي هو شبران لان مقعد الحور اميل فيكون طولها ثلاثة اميال ومقعد الوا  حد
ميل فامته تقريبا والغالب ان الذكر كالانثي في الخلقة فيكون طول الرجل اثني عشر
الف ذراع كما تقدم بتقسيم علي الستين الواردة في الحديث فيكون كل ذراع من الستين
مايتي ذراع شرعي تقريبا وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه الذي رواه الشيخان
انما رايت موسي عليه الصلاة والسلام ليلة الاسرا عيانا لا مناما لان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام احيا لا تبلي اجسادهم فاذا رجل ضرب اذا فجايته اي فاذا هو رجل
ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الرا المهملة والموحدة ورجل هنا بفتح فضم
بمعناه المشهور وهو الذكر من بني ادم ومعني ضرب بالفتح والسكون انه جسيم بين
الهزال والسمن وقال الخليل رحمه الله انه القليل اللحم ووقع في رواية الايلي
بسكون الرا وكسرها والاصح الاول وروي مضطرب وهو الطويل غير الشديد الطول
وفي مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما انه جسيم سبط وحمل هذا علي ما يوافق رواية
مضطرب لا علي كثير اللحم كما وقع في صفة الدجال فهو من الاضداد رجل بفتح الرا
المهملة وكسر الجيم وحا فتحها في لغة قليلة اي شعر منكسر كثيرا اقني
بقاف ونون من القني بالفتح والقصر وهو طول الانف ودقة ارنبته يقال
رجل اقني وامراة قنوا وقيل القنا احديداب في الانف فمعناه محدودب وليس  محدودب خ
معيب في الناس وفي النهاية القنا في الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب
في وسطه واما قول كعب رضي الله عنه

قنوا في حرفها للبصير بها ⋅ عتق مبين وفي خديه تسهيل

فمعني اخر لا حاجة لنا به هنا كانه من رجال شنوة بفتح الشين المعجمة وضم
النون وواو ساكنة وهمزة وقد تبدل الهمزة واوا وتدغم وها علي وزن فعولة
وهي اسم قبيلة ويقال لها ازد شنوة واسد شنوة وهي باليمن مشهورة
وهي من الشنا وهو التباعد مما يدنس يقال رجل شنو اذا كان طاهر النسب ذا
مروة سميت بذلك لعلو نسبهم وحسن سيرهم وافعالهم وهذا الحديث متفق
عليه وفي رواية البخاري كانه من رجال الزط وهم نوع من السودان او الهنود
طوال الاجسام مع نحافة وهذا هو وجه الشبه اي انه طويل غير جسيم ورايت
عيسي عليه الصلاة والسلام يقظة في الاسرا كما سياتي فاذا هو رجل ربعة
بفتح الرا المهملة وسكون البا الموحدة وفتحها اي بين الطول والقصر
معتدل القامة كثير خيلان الوجه بكسر الخا المعجمة وسكون المثناة التحتية
جمع خال وهو الشامة السودا المعروفة وما قيل من ان كثرة الخيلان مدموجة
غير مسلم واختلفت الرواية في لونه فروي انه ادم اي اسمر وروي احمر كانما خرج

من ديماس بكسر الدال المهملة والمثناة التحتية وميم والف وسين مهملة وهو الحمام
والكن واصله السرب في الارض والمراد صفا لونه مع حسنه فيه وفي رواية ادم يعني شديد
الحمرة لا تنافي هذه وفي حديث آخر لم نعرفه وهو مبطن بالتشديد والطا المهملة
اي ضامر البطن كما يفسره قوله مثل السيف اي في استوايه ودقته وقد تعددت
الرواية برؤيته صلى الله عليه وسلم للانبيا عليهم الصلاة والسلام يقظة في
السما والارض لانهم احيا وصنف البيهقي في هذا جزءا مستقلا قال صلى الله عليه
وسلم وانا اشبه ولد ابراهيم به لخلقته صلى الله عليه وسلم ولونه كلونه فهو اكثر
شبها به من سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام والناس كلهم وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث آخر في صفة موسى عليه الصلاة والسلام كما رواه البخاري
في صحيحه كاحسن ما انت راء من ادم الرجال ما موصولة والعايد محذوف اي الذي
انت رايته وادم من الادمة وهي سمرة اللون قيل وهي في الابل بمعنى البياض وفي
الظبا سمرة الظهر وبياض البطن ومونثه ادما وادم هنا بضم الهمزة وسكون الدال
المهملة وبالميم جمع ادم كاسمر وسمر وهي السمرة مطلقا او الشديدة وقيل انها
البياض والاول اصح واستدل عليه بقوله تعالى تخرج بيضا من غير سوء اي عيب
كالبرص وانما يكون هذا اذا كان اسمر وخالف لونها لونه ويحتمل انها خالفته بفضل
بياضها كما قيل انها كانت ذات شعاع كشعاع الشمس وفي حديث ابي هريرة رضي
الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم رواه ابو يعلى وابن جرير من طرق واخرجه
سعيد بن منصور في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا ما بعث الله
تعالى من بعد لوط عليه الصلاة والسلام نبيا وهو لوط بن هاران وهو ابن
اخي ابراهيم وخص ما ذكر بما بعده لانه من الشام وبعثه الله الى اهل قرية
يقال لها سدوم ليست من بلاده وليست موطنا لقومه ومن بعده من الانبيا
لم يبعث نبيا الا في ذروة من قومه ويروى في ثروة اي كثرة والذروة بكسر الذال
المعجمة وضمها وسكون الرا المهملة اعلى كل شي اي بعث في قوم لهم ذوي حسب
وسعة وشرف لا غربا ولا من قوم ليسوا كذلك واشار بهذا الحديث الى ان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام كلهم شاركوا نبينا صلى الله عليه وسلم في علو
النسب وشرف القوم والثروة بمعنى الكثرة مطلقا وقد يختص بالمال وقيل
الذروة المكان المرتفع وهي مثلثة الذال ومنعة بفتح الحروف اي ميم ونون
وعين مفتوحات وهاجمع مانع كخدمة جمع خادم ويجوز تسكين نونه اذ
هو اسم مصدر في الاصل كذلك اي قوم يمنعونه ويحمونه وقصة لوط
عليه الصلاة والسلام مفصلة في كتب التفسير وفي قوله تعالى قال لو
ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد اشارة الى ما ذكر من انه لم يبعث فيهم
الذين يشرفونه ويحمونه فان قلت كيف يكونون في منعة وثروة وقد قال
في بعضهم وما امن معه الا قليل وقد عاداهم قومهم وقتل بعضهم
وما مناسبة ما ذكر لما عقد له الفصل من محاسن الخلق والخلق من الصفات
الذاتية قلت قد توهم بعضهم ورود ما ذكر وليس كذلك لان ما ذكر

ابن اقيس

من

من شان العموم والاضافة يدل على الخاص الذاتية لاستلزامه لها وكونهم كثيرون
لا ينافي عدا او بضم واما المنعة فباعتبار من اتبعه منهم ولذا ورد رحم الله اخي
لوطا لقد اوى الى ركن شديد وهو لا ينافي الاية لان المراد الملائكة وما امده الله به
وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس رضي الله عنه
تقدم ترجمة الترمذي وقتادة وان الدارقطني منسوب لدار القطن وهي محلة
ببغداد كان يسكنها وهو الحافظ الامام الجليل المشهور امام عصره في الحديث
والفقه والقراآت وغيرها من العلوم الشرعية والحديث المذكور في الشمايل وغيرها
مرسلا ما بعث الله نبيا الا وقد خلقه حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم من ابتدا
وجوده وخلقته احسنهم اي الانبيا عليهم الصلاة والسلام وجها واحسنهم صوتا
لان حسن الصورة يدل على كمال الخلق والخلق اذ الظاهر عنوان الباطن كما قيل
يدل على معروفه حسن وجهه • وما زال حسن الوجه اهدي الدلايل
وقال
يدل على قبح الطوية ما ترى • لصاحبها من قبح بعض ملامحه
وحسن الصوت بكونه جهوريا يسمع من بعيد مع لطف فيه يدرك بالذوق ولا
يلزمه كونه على رسم الموسيقي وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان اجمل
من يوسف واحسن صورة من داود عليهما الصلاة والسلام وكانت قراته
صلى الله عليه وسلم ليلا في بيته تسمع عند الكعبة وفيما بعد من منازل المدينة
وما ورد في حديث الطبري في يوسف فاذا انا برجل احسن ما خلق الله قد فضل
الناس بالحسن المراد منه تفضيله على من عداه صلى الله عليه وسلم لا سيما ان
قلنا ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه كما ذهب اليه بعض الاصوليين ويدل عليه
ما ورد انه صلى الله عليه وسلم اعطي الحسن كله واعطي يوسف عليه الصلاة
والسلام شطره اي نصفه اي ان الحسن كله جمع له صلى الله عليه وسلم من
تناسب اعضا وصفا لون وغيره مما يدرك ولا يوصف ويوسف اعطي من جنس
الحسن الكامل فيه نصفا وجميع الخلق ونوع بينهم ما يعدل نصفه الاخر
فدل ذلك على انه احسن الناس كلهم كما صرح به في الحديث الذي نحن فيه وما
قاله السخاوي في كتاب الامتنان من ان الجلال المحلي رحمه الله سيل عن حديث
اعطي نبينا جميع الحسن ويوسف شطره فقيل كيف يكون الشي الواحد جميعه
في شي ونصفه في اخر فقال لم يظهر لي جوابه وكذا قال ابن حجر وقد تاملت
قوله في البردة البوصيرية
منزه عن شريك في محاسنه • فجوهر الحسن فيه غير منقسم
فبان لي منه جوابه وهو ان حسن النبي صلى الله عليه وسلم غير منقسم بينه
وبين غيره بخلاف حسن ساير الناس فانه منقسم بينهم وبين يوسف عليه
الصلاة والسلام انتهى فيه نظر وهذه مغالطة ومن هنا لا يحتمل الركة
ومنشوه عدم الفرق بين تقسيم شي بعينه وتقسيم افراد نوع من الانواع
فتدبر وفي حديث هل فيه مرتبطة الاضافة لادنى ملابسة لذكره في الحديث

كما يقال حديث الشفاعة والاصل اسنا فيه لراويه الصحابي او التابعي او من خرجه كالبخاري
وسلم وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن عباس نقله عن ابي
سفيان حين ارسل اليه هرقل وهو بالشام للتجارة في ركب من قريش في مدة مهادنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لكفار قريش فاتوه بايليا فدعاهم وحوله عظما الروم فسالهم
عن احوال النبي صلى الله عليه وسلم فكان اول ما ساله عنه ان قال كيف نسبه فيكم فقال
هو فينا ذو نسب الخ فقال له كما اشار اليه بقوله وسالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم
ذو نسب اي نسب عظيم فالتنكير للتعظيم لشرف اصوله صلى الله عليه وسلم وانه ليس
في امهاته سفاح ولا شيء من نكاح الجاهلية كما مر وتقلبه في الاصلاب الطاهرة من الانبيا
وقبيلته اشرف القبائل وبطنه اشرف بطونهم وكذلك الرسل عليهم الصلاة والسلام
تبعث في انساب قومها اي كل نبي له نسب عال في قومه لانه هو اختاره الله للنبوة
يختار له عنصرا مناسبا ولم يتخذ وليا من الذل فنسبة اتصاله بها باتصال الظرف بمظروفه
وقال تعالى في ايوب صلى الله عليه وسلم وكان ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم
بقرية قرب نوى وعليه مسجد وقريته موقوفة على مصالحه وعنده عين جارية
فيها اثر قدم في حجر يقال انه اثر قدمه عليه الصلاة والسلام والناس يشربون
من عينه ويغتسلون منها للتبرك ويقولون انها المذكورة في القران انا وجدناه
صابرا نعم العبد انه اواب كثير الرجوع لربه بمراجعة دعائه وامتثال اوامره
ونواهيه واستشهد بهذه الاية على حسن خلق الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فان الصبر امر عظيم وخلق كل كريم ولذا اثنى الله عليه بقوله نعم العبد الخ ووصفه
بالعبودية المناسبة للصبر وقد صبر على ما ابتلاه الله به كما صبر يعقوب وغيره من
الرسل ونبينا صلى الله عليه وسلم صبر على قومه وما قاساه منهم وقصة ايوب
عليه الصلاة والسلام ونسبه مذكورة في التفسير واختلف في زمن نبوته فقيل
كان قبل موسى عليه الصلاة والسلام وانه من بني اسرائيل ومدة بلائه ثلاث
عشرة سنة او ثلاث سنين وامراته اسمها ليا وقيل رحمة بنت يوسف وقال تعالى
يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى
الى الصالحين واستشهد المص بما ذكر على محاسن الانبيا واخلاقهم اذ تلقى يحيى
عليه الصلاة والسلام الكتاب التوراة او غيرها بقوة فهم وعزيمة على العمل
بما فيهما وقد اتاه الله الحكم صبيا وهو يدل على سلامة فطرته وخلقته وكمالها
في طبعه الرحمة وانه كان تقيا برا بوالديه مطهرا من النقايص وانه سلمه الله
من يوم ولد الى مماته وقال ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران
على العالمين الايتين استشهد بهاتين الايتين على ما حواه الانبيا عليهم
الصلاة والسلام من الصفات الجليلة ومكارم الاخلاق وانه تعالى جعلهم
صفوة خلقه فال ابراهيم اسحاق واسمعيل واولادهما وال عمران عيسى ومريم
بنت عمران ذرية بعضها من بعض على سنن واحد وقال في نوح عليه الصلاة
والسلام انه كان عبدا شكورا لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يفعل شيا الا قال
بسم الله والحمد لله وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الاية استشهد

هذه الاية على ما العظيم صلى الله عليه وسلم من النعوت السنية والمحاسن الجلية التي وصفه
الله بها من انه وجيه اي شريف قدره في الدارين وانه تكلم في مهده وقد تقدم ذكر من تكلم في المهد
وفي الكهل الشاب وقيل من وخطه الشيب اي من جاوز الثلاثين الي الحمسين وكونه
رفع ابن ثلاث وثلاثين وان جزم به القاضي في تفسيره غير متفق عليه فقد ذكر ابن حجر في
الاصابة اقوالا لا اخر منها انه بلغ المائة او زاد عليها وتقدم معني كونه كلمة الله وقال
اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا الي ما دمت حيا قيل انه نبي وهو صبي والمراد
التوراة والانجيل ووصف نفسه بالعبودية ردا لما اعتقده فيه النصارى وكان نطقه
بما ذكر تبرئة لامه عليه الصلاة والسلام وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا
موسي فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وذلك لانهم عابوه عليه الصلاة والسلام
لشدة تستره حياء من الله بانه في بدنه برصا او به ادرة فبراه الله من ذلك وبين انه كامل
الخلق والخلق ولذلك ساق المصنف الاية وقال قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسي رجلا
حييا بمهملة وياءين ثانيتهما مشددة بوزنة صبي اي كثير الحيا ستيرا بكسر السين المهملة
وكسر التاء المثناة المشددة بوزنة سكيت اي شديد التستر لبدنه وقد اشار لتفسيره بقوله
ما يرى من جسده شيء استحيا وهذا يدل على عفته وحيائه صلى الله عليه وسلم وهو خلق
حميد وقال البرهان ان ستيرا بفتح السين وكسر التاء الفوقية المخففة فعيل بمعنى
فاعل والذي احفظه انه بكسرها وتشديد التاء الفوقية كسكيت وسكير وكذا اضبط في
نسخ البخاري انتهى ومن كان يستحيي من كشف عورته وبدنه فهو اشد حياء من كشف غيره
الحديث بالمعنى اي اقرا الحديث الذي رواه البخاري عن ابي هريرة او تذكره وتتمته انه
صلى الله عليه وسلم لما كان يكثر التستر ويغتسل وحده قالوا انه انما يفعل هذا لبرص
او ادرة به فذهب مرة ليغتسل ووضع ثوبه على حجر فلما اراد ان يلبسه فر الحجر وجرى خلفه
يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى مر على بني اسرائيل فراوه اكمل الناس واصحهم بدنا
بريا مما اسموه واذوه به وقال تعالى عنه حكاية معنى حكي فعلاه يعني اي عن موسي
عليه الصلاة والسلام ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما الاية اي علما
ونبوة وذلك صلى الله عليه وسلم لما قتل القبطي وذهب فكلمه الله كما هو مشهور فقد
وصف جماعة منهم اي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام اني لكم رسول امين ووقع
هذا من نوح وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام كما حكاه عنهم على وجه
الرضى والتصديق فلا ينهو هم انه مدح لانفسهم فليس مما نحن فيه وقال موسي
لشعيب عليهما الصلاة والسلام ان خير من استاجرت القوي الامين وقصته
معه انه لما فر من القبط اذ خافهم لقتل رجل منهم ومر بابنتي شعيب عليه
الصلاة والسلام حال كونهما تنتظران فراغ الناس ليسقيا غنمهما فقال لهما
لم تلعزتهما فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعا فقال اما عندكم بئر غير هذه
فقالتا عندنا بئر مطبق عليها حجر لا نطيق رفعه وكان لا يرفعه الا عشرة من اشد
الرجال فقال اذهبا فارنيهما فرفعه وحده وسقى لهما فقالتا له اذهب
معنا ليجزيك ابانا على ما فعلت فقال ارشداني للطريق وامشيا خلفي لاني رجل
من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام لا احب ان ارى منكما ما لا يحل لي فاخبرتا

اناهما بمقصد وقوته في رفعه ذلك الحجر وامانته لانه لا يتتابع من النظر اليهما فالسامح
على ما قصه الله لم يعني عنه قال البيضاوي الجملة معللة لما قبلها وللمبالغة جعل خير
واستاجرت ومن قبيل يعني لم يقل ان من استاجرته قوي امين بل اتى بجملة لمعرفة الطرفين
لجنس الخبر به فيه فتدبر وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل فوصفهم بالصبر
وهو من احسن الاخلاق والعزم على التصميم على نفاد الامر والحزم في الشدائد وقد
اختلف في اولي العزم كما مر وقال ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا الى قوله
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد وقع في هذه الاية بحث ذكره الطوفي
في تفسيره وهو انه استدل بهذه الاية على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل
من جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام لان الله امره بالاقتدا بهولاهم جميعا
ولا شك في امتثاله فاقتدا به صلى الله عليه وسلم واذا اتى بما اتوا به جميعا
مع ما خص به كان افضل من كل فرد فرد بلا شبهة ومن المجموع ونقل عن العز بن
عبد السلام انه قال انه افضل من كل واحد منهم لا من المجموع ولا دلالة في
الاية عليه قال ولما نقل عنه هذا قام عليه الناس ونسبوه في هذه المقالة
الى ما وصل الى تكفيره وانا اقول انا بري من نسبة مثله للعز والقايل بهذا
توهم انه مثل ما لو قسم عشرة دنانير على خمسة رجال واعطى اربعة منهم
دينارا دينارا واعطى ستة للخامس فهو يزيد على كل واحد منهم لا على المجموع ولا
يلزم من زيادته على كل واحد من الجماعة زيادته على الجميع فالاية لا دليل فيها
لما ادعوه وهذا انما يتم لو لم يثبت له صلى الله عليه وسلم غير ما لجميعهم وهو
ممنوع ظاهر وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا المحل والها في اقتده ها
سكت تثبت وقفا على القياس ووصلا اجراله مجرى الوقف وحذفها حمزة
وصلا وكسرها هشام اختلاسا وصلا ووصلها ابن ذكوان لجعلها تشبيها لها بها
الضمير وقيل هذا لا يصح وانما هي ضمير المصدر كقوله هذا سراقة للقران
يدرسه فوصفهم باوصاف جمة اي كثيرة من الصلاح ليس المراد بالصلاح المعنى
المشهور في قولهم رجل صالح حتى يقال انه ليس بمدح للانبيا عليهم الصلاة
والسلام ومن توهمه قال المراد مدح الصفة لا الموصوف كما حقق في شروح
الكشاف بل الصلاح صفة جامعة لكل خير فهي ابلغ من غيرها كما فصله السبكي
في فتاويه والهدى والاجتبا وهو الاصطفا والاختيار للرسالة والحكم والنبوة
اي الحكمة او فصل الامر على مقتضى الحق وقال فبشرناه بغلام عليم ولو
قدم حليم وعطف عليه عليم بان الامر وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون
وجاءهم رسول كريم الى قوله امين والمراد بالفتنة الاختبار والامتحان
يقال فتنت الفضة اذا ادخلتها النار فشبه امرهم باتباعه بمعاملة
المختبر والمراد انه ابتلاهم كما ابتلى العرب بنبينا صلى الله عليه وسلم
فوصفهم الله في هذه الاية بصفات حميدة من الكرم والامانة وغيرها
وقال حكاية عن الذبيح ستجدني ان شا الله من الصابرين على الذبح تسليما
لله ولذا اسلمه الله وفداه وقال في اسمعيل عليه الصلاة والسلام انه كان

وحلمه

سادق

صادق الوعد الاية فيه مصرح باسمعيل مع ان المذكور قبله في حقه اشارة للاختلاف فيه فانه
قيل انه اسحاق وقيل انه اسمعيل بن حزقيل وهو نبي بعثه الله لقومه فسلخوا راسه
فخيره الله بين تعذيبهم وغيره فاختار العفو والرضا بثوابه والجمهور على انه
اسمعيل الذبيح بن ابراهيم وهو رسول نبي وصادق وعده لانه وعد اباه بالصبر على
الذبح فوفى بوعده وقدم الرسالة هنا على النبوة لانها اشرف على قول وقال في
موسى عليه الصلاة والسلام انه كان مخلصا في طاعته لا يقصد بها الا وجه الله والتوجه
اليه وقال في شان سليمان نعم العبد انه اواب اي مسبح او رجاع اليه بالتوبة
وقيل الاواب المطيع وقيل الرحيم او كثير الصلاة وقال واذكر عبادنا ابراهيم
واسحاق ويعقوب وهو اسرائيل ابو انبياء بني اسرائيل اولي الايدي والابصار
الايدي جمع يد بمعنى القوة والابصار جمع بصر بمعنى بصيرة فانه يطلق على الحاسة
الظاهرة وفوقها وعلى القوة الباطنة المدركة ولا يقال للجارحة بصيرة كما في عمدة
الحفاظ ومعنى اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار جعلناهم خالصين بسبب انهم لا يذكرون
الا الدار الاخرة واطلق الدار اشارة الى ان الدنيا ليست بدار مقر بل ممر ومعبر
وعند هنا للقرب والاخيار جمع خير او خير المشدد بعد التخفيف وقال في داود انه
اواب تقدم تفسيره ثم قال في حقه وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب اي
قويناه لان بني اسرائيل لم تجتمع على ملك غيره وكان يحرس محرابه ثلاثون الف متسلح
او قويناه بالعدل والتوفيق له وفصل الخطاب اي الكلام الفاصل بين الحق والباطل
وقيل هو اما بعد وهو اول من قالها وقيل هو البينة على المدعي واليمين
على المدعى عليه وقيل غير ذلك وقال عن يوسف عليه الصلاة والسلام اجعلني
على خزائن الارض اني حفيظ عليم قيل الارض هنا ارض مصر وفي الاية دليل على
جواز طلب الحكم لمن وثق بنفسه وتوليه من الكافر وقيل ان فرعون يوسف
اسلم وقصة يوسف عليه الصلاة والسلام اشهر من ان تذكر وقال في موسى ستجدني
ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا وهذه قصته مع الخضر عليهما الصلاة والسلام
المشهورة وقال عن شعيب عليه الصلاة والسلام ستجدني ان شاء الله من الصالحين
وقال عنه ايضا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت شعيب من نسل ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ارسل الى
2 مدين والايكة وهما امتان وقيل امة واحدة ووصفه الله بالصلاح والاصلا
وانه لا يامر الا بما فعله وهو خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقال
ولوطا اتيناه حكما وعلما فلوط ابن اخي ابراهيم كما تقدم والحكمة والحكم
بمعنى هنا وقال في حقهم عموما انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية اي
شانهم المبادرة الى انواع فعل الخير وسؤال الله في الرغبة والرهبة وقال
ابن الحنبلي سفيان الثوري وابن عيينة في تفسير هذه الاية هو الحزن الدائم وقيل
فيه هو راجع الى الخشوع في قوله وكانوا لنا خاشعين وفي الشرح الجديد
يريد ان ما ذكر في الاية من الخيرات هو الحزن الدائم الذي ينشا عن خيرات
من سلكه طريقها فقد وصل الى مقامه ولا يخفى بعده والظاهر هو الاول

في اي يجمع اية كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الداله على كمالهم وهذا ابتدا
لا تعلق له بكلام شعبان رحمه الله اي ما ذكر من الايات مندرج في ايات كثيرة داله على
كمالهم وليس ما ذكر محيطا بما فيه بل هو بعض منه وجا من ذكر اي من وصف كمالهم
عليهم الصلاة والسلام في غير القران في الاحاديث الصحيحة كثير كقوله صلى الله عليه
وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن
ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي هذا الحديث في البخاري بدون انما وقوله نبي بن نبي
الخ والكرم ليس بمعنى السخا فانه استعمال طار وانما هو معنى جامع للخير والشرف
ومكارم الاخلاق قيل وانما خص يوسف عليه الصلاة والسلام بما ذكر لما جمع الله
له مع علو النسب جعله رابع اربعة من الانبيا من الحسن المفرط والعفة والملك
والعلم والحكمة الى غير ذلك مما لم يجتمع لغيره وفيه التكرار المعدود من المحسنات
البديعية كقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام يا ابت لم تعبد الاية كرر يا ابت
مبالغة في استعطاف ابيه والاطراد كقوله واتبعت ملة ابائي ابراهيم واسمعيل
واسحاق ويعقوب والسجع وهو من المحسنات احيانا واما انكاره لمن خاطبه
وقوله اسجع كسجع الكهان لانه ليس في محله وهو مقام الحكمة وقيل عليه انما
ذكر ليس من قبيل التكرار لان كريما ليس معناه واحد في الحديث وان ما ذكر ليس
من قبيل السجع وليس بشي لان الكريم مفهومه متحد وان اختلف ما صدق عليه
والسجع ما الحدث فافهمه وفي حديث انس رضي الله عنه الذي رواه البخاري وكذلك
الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فهو من خصايص الانبيا عليهم الصلاة والسلام
ومراد الخصايص تنقسم الى اقسام فمنها ما اختص به صلى الله عليه وسلم
دون ساير الناس الانبيا وغيرهم ومنها ما اختص به صلى الله عليه وسلم دون امته
كالجمع بين وجات فوق الاربع وان جاز لغيره في الشرايع السابقة ومنها ما اختص
به صلى الله عليه وسلم دون الامم كلها وان كان لغيره من الانبيا كما عن فيه
ولذا كان وضوءه صلى الله عليه وسلم لا ينتقض بالنوم كما صرح به الشافعية
ومنها ما اختص به صلى الله عليه وسلم دون الامم السابقة وانبيايهم كالتيمم
فان قلت كيف هذا وقد نام صلى الله عليه وسلم عن صلاة الصبح حتى طلعت
عليه الشمس ولا يصح انه يكون هذا تشريعا لامته لانه لا يفعل ما يمتنع
شرعا للتشريع وان لزمه ذلك من غير قصد له قلت اجيب عنه باجوبة
احدها وهو الاصح انه صلى الله عليه وسلم كان له حالان حال لا ينام فيها
قلبه وهي الغالب عليه وحال نادرة فيها ينام قلبه الثاني انه يغيب عنه
في نومه ما يحس بالبصر لا ما يدرك بالقلب كالحدث والالم ونحوها ورجح بعضهم
هذا الثالث ان قلبه لا يستغرق حتى تتعطل احساسه وقد يستغرق
لاشتغاله بوحي كما كان يشاهد منه اذا نزل عليه الوحي في اليقظة وقيل
ان المراد انه لا يستغرق قلبه حتى لا يدرك الحدث قال ابن دقيق العيد
وهو بعيد قال ابن حجر ومن الاجوبة الضعيفة ان قلبه صلى الله عليه
وسلم كان يقظان وعلم بخروج الوقت ولكن فعله تشريعا لما مر وفي هذا

اشارة الى يقظة قلبه وانه لا يغفل وهذا من جملة الكمال فناسب الترجمة مناسبة تامة وروى
رواه الطبراني عن ابي هريرة رضي الله عنه ان سليمان عليه الصلاة والسلام كان مع
ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وذلك لتعظيم ملكوت الله
وملائكته استصغارا لنفسه لا لان الله في جهة وحيز كما يتوهم وكذا كان ابوه داود
عليه الصلاة والسلام كما ذكره الغزالي في الاحيا حياء من الله تعالى اي حياء من ملائكة
الله تعالى لقصور عمله عن اعمالهم اي لا يفترون عنها طرفة عين ولا ينافي هذا قوله
افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت لانه مقام آخر وكان يطعم الناس
لذيذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير جمع لذيذة وهو ما يشتهى ويميل له الطبع
من المأكولات واوحى الله اليه يا رأس العابدين اي اعلاهم ورئيسهم وابن محجة
الزاهدين اي سالك المحجة الطريق المسلوك فاستعير لجمعهم ومقدمهم ومقتداهم
الذين يانسون بسنته ومسلكه وفي نسخة محجة وزهده صلى الله عليه وسلم لا ينافي
ملكه وقدرته بل حقيقة الزهد انما تتم بذلك وكانت العجوز خصها الخمار بها تعترضه
اي تجي له صلى الله عليه وسلم وتقف مقابلته وهو راكب على الريح في جنوده وعزه
سلطانه فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي لقصده وقيل ليوسف عليه الصلاة
والسلام مالك تجوع وانت على خزائن الارض فقال اني اخاف اذا شبعت انسى الجائع
المراد بخزائن الارض المخزون من الاموال والارزاق وروى ابو هريرة رضي الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم كما رواه البخاري عنه خفف على داود القران هو مصدر بمعنى
القراءة كالغفران والمراد قراءة كتابه وهو الزبور او المقروء وقيل ان اطلاقه هنا
مع انه علم لما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلق على المعنى القائم
بذاته تعالى اشتراكا او مجازا على طريق الاستعارة او المجاز المرسل والمراد بتخفيفه
سرعة قراءته في زمن يسير فكان يأمر بدوابه فتسرج وروى بدابته والمراد الجنس
المختص به فيقرأ القران قبل ان تسرج قال النووي هذا من بسط الزمان له صلى الله عليه
وسلم او من البركة في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير قال النووي وبلغنا
ان من الناس من قرأ اربع ختمات بالليل واربع ختمات بالنهار ولا يأكل الا من عمل
يده مع انه صلى الله عليه وسلم ملك خزائن الارض بيده وكان آدم عليه الصلاة
والسلام حراثا ونوح صلى الله عليه وسلم نجارا وادريس عليه الصلاة والسلام
خياطا وموسى صلى الله عليه وسلم راعيا وفيه دليل على فضل الكسب الحلال
وانه لا ينافي توكل الخواص ثم بين عمله بقوله قال الله تعالى والنا له الحديد فكان
اذا مسه بيده لان كالشمع والعجين من غير نار وضرب ان اعمل سابغات اي دروعا
طويلة تامة من السبغ وهو السعة وقدر في السرد سرده نسجه اي عمله
واصل معناه التتابع ومنه سرد الكلام ومعنى تقديره جعل ثقوب طرفي
الحلق على قدر المسامير وكون المسامير غير دقيقة فتقلق ولا غليظة
فتكسر الحلق وقيل ان درعه عليه الصلاة والسلام كانت بلا مسامير
لا لتنامها للينها وان في قوله ان اعمل تفسيرية او مصدرية بتقدير
الجار وقيل كان سبب تكسبه لانه اختفى ودار يسال الناس عن سيرته فيهم

ابن الحنبلي وعربي

فلقي ملكا في صورة رجل فسأله عن نفسه فقال له نعم الرجل لو كان لا يأكل من بيت المال
واصول المكاسب الزراعة والتجارة والصناعة وافضلها التجارة وقيل الزراعة لانها
اقرب الى التوكل وقيل صنعة اليد وفوق ذلك الجهاد ومن فضيلة الجهاد والكسب
الاشتغال عن البطالة وكان داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه ان يرزقه
عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وسببه ما مر ومن هنا يعلم ان السلطان ينبغي
ان يكون له ما يكتسبه لئلا يأكل من بيت المال فان لم يكن له صنعة لا يأكل من بيت
المال الا بقدر الحاجة والاسراف منه حرام عليه فالويل كل الويل لسلاطين زماننا
الذين يظنون ان بيت المال ليس لاحد فيه حق غيرهم وقال عليه الصلاة والسلام
في حديث صحيح رواه الشيخان الى قوله يفطر يوما الآتي وما بعده سيأتي من نقله
احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود وبين ذلك
بقوله كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيامه في وقت تجلي
الله فيه ويقول هل من سائل فاعطيه وليس المراد بقوله ينام سدسه انه ينام
الى طلوع الشمس بل الى قبل الفجر فيستقبل الصبح بنشاط لاستراحته وهكذا
ينبغي للمتهجد ولم يتعرض احد لصلاة الامم السالفة ولا الصلاة صلى الله
عليه وسلم قبل الاسرا وبيان كيفيتها الا ان السيوطي رحمه الله تعالى
نقل في الخصائص الكبرى انها كانت بغير ركوع ولذا قال تعالى يا ايها الذين
آمنوا اركعوا واسجدوا وكان يصوم يوما ويفطر يوما وفي هذا اشارة الى
ان صوم الدهر دون هذا وقد ورد النهي عنه مع ان هذا اشق منه لان من
اعتاد شيئا صار طبيعة له لا تنفره وهذا آخر الحديث وقوله وكان اي داود
عليه الصلاة والسلام يلبس الصوف ويفترش الشعر اي ما نسج منه لانه
خشن يمنعه لذة النوم والاستغراق فيه المانع له عن ورده وهذا شعار
الانبيا عليهم الصلاة والسلام والصلحا ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد
الملح ادام بخلاف الرماد فكانه كان يأتدم به على خلاف المعتاد او يضعه في ادامه
لئلا يلتذ به ويمزج شرابه بالدموع لكثرة بكائه وعدم خلوه منه ولم ير
ضاحكا بعد الخطيئة وهي تزوجه بامرأة اوريا بعد ما سأله ان ينزل له عنها
ففعل وتزوجها فجاءه ملكان في صورة رجلين يدعيان نعاجا على ما قصه الله
وليست هذه خطيئة ولكن علو مقامه وزهده يقتضي خلاف ذلك فلذا عوتب
عليه وكان يبكي وقد ذكر الله مدحه وعصمته مما لا مزيد عليه ولا شاخصا اي رافعا
وفاتحا بصره نحو السما اي جهة العلو حيا من ربه سبحانه وتعالى كعادة من اذنب
فانه يطاطئ بصره ولم يزل باكيا حياته منصوب على الظرفية اي مدة حياته
صلى الله عليه وسلم كلها تأكيد لما قبله وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه
لكثرتها وهذا رواه ابن ابي حاتم عن انس رضي الله عنه مرفوعا وعن
مجاهد وغيره موقوفا وحتى اخذت الدموع في خده اخدودا وهو في
الاصل الشق المستطيل في الارض استعير لتأثير الدموع في مجراها اثرا
يعلم وبين الخد والاخدود تجنيس اشتقاقي وقيل كان يخرج من منزله

منكرا اي مستخفيا من معرفة الناس لينتفع في سيرته جملة مستانفة لبيان سبب تنكره
يسمع الناس عليه فيزداد بذلك اضعافا اليه لما فيه من السيرة الحسنة والذكر الحسن لا كي
يزداد بمدح الناس له غرورا وقيل لعيسى عليه الصلاة والسلام كما اخرجه احمد
بن حنبل وابن ابي شيبة عن ثابت لو اتخذت حمارا لتركبه لتستريح من المشي قال
انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار هذا من زهده وستر حاله ايضا اذ لم يقل انا
التواضع بالمشي وشغله يشغله كسائله يسأله واشغله لغة رديئة وكان يلبس الشعر
اي ما نسج منه زيادة في تقشفه وانما كره ما لبس لبس الصوف لمن يتخذه شعارا له
اظهارا للزهد فان اخفاءه افضل لما فيه من الرياء ويأكل الشجر اي اوراقه والمراد
به مطلق النبات تجوزا ولم يكن له بيت يملكه او يختص به اينما ادركه النوم اي
وقته نام اي ينام في اي مكان يجن عليه الليل فيه وكان احب الاسماء اليه وفي نسخة
الاسامي اي الالفاظ التي ينادى بها ان يقال له يا مسكين رغبة في التواضع لعظمة الله
عز وجل وقيل عليه نحن مامورون بتعظيم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم
تعظيمهم تعظيم لله فلو قال احد لنبي من الانبياء يا مسكين كان تحقيرا له وتحقيره
كفر ومعصية فلا ينبغي لنبي ان يرضى به وقد امرنا بتعظيم نبينا صلى الله عليه وسلم
وان لا ننادي به باسمه بل لا نجهر له بالقول ولا نرفع اصواتنا عنده توقيرا له وحرمته
صلى الله عليه وسلم حيا ومينا كما سياتي بيانه في محله وهذا مما اشترك فيه
سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكان يجب على امة عيسى عليه الصلاة والسلام
ان يوقروه ويجب على عيسى ان لا يرضى بعدم توقيره فان قيل انه فرار من العجب
قيل مثله لا يطرق عليه عجب ولا يخشاه واجيب بحمل هذا على انه صدر ممن لم
يؤمن به فكانوا يقصدون بذلك تنفير الناس عن الايمان به واتباعه كما وقع مثله
من المشركين في حق نبينا صلى الله عليه وسلم فكان عيسى عليه الصلاة والسلام
اذا بلغه ذلك عنهم احبه واما المؤمنون فيجب عليهم تعظيمه او ذلك ممن
امن به اذا سالهم سائل عنه او وجود مال ام فقير فيقولون هو مسكين
كما كان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا
واحشرني في زمرة المساكين وكما قال ابو العتاهية

اذا اردت شريف القوم كلهم ● فانظر الى ملك في زي مسكين ●

والكلام على الفقير والمسكين اشهر من ان يذكر اقول لا وجه للسؤال ولا
للجواب اما الاول فلان عيسى صلى الله عليه وسلم غلب على امته الرهبانية
واظهار المسكنة فيكون في شرعهم يجوز مناداته وخطابه بمثله من مؤمنيهم
وحواريهم وان لم يجز مثله في شرعنا ولا ما يقرب منه واما الثاني فلان
جعله من كفارهم او مؤمنيهم في لا يصح لان اظهار محبته وقوله ينادى
وحرف النداء شاهد على خلافه وصريح في عكسه لمن له ادنى فهم وقد روي ما
من كلمة كانت تقال لعيسى عليه الصلاة والسلام احب اليه الخ وقيل ان
موسى عليه الصلاة والسلام لما ورد ماء مدين هذا الحديث رواه احمد في الزهد
وابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا وتقدم انه ورد عليه

الصلاة والسلام لما ورد ماء مدين كان لما فر من قبط مصر فلقي ابنتي شعيب على ذلك الماء
وبينه وبين مصر ثماني مراحل او اكثر في قصته السابقة المذكورة في القرآن وكان عليه
الصلاة والسلام حافيا من غير زاد وبه جوع شديد حتى كانت ترى امعاؤه وكانت
ترى خضرة البقل الذي كان ياكله عليه الصلاة والسلام اذ لم يجد غيره والبقل ما ينبت
من النبات التي لا تبقى ارومته واصوله بعد اخذه وهو مع وفي بطنه من
الهزال بضم الهاء وزاي معجمة وهو ضعف مذهب للحم قال عليه الصلاة والسلام
كما رواه الحاكم عن ابي سعيد الخدري وصححه ولقد كان الانبيا قبلي يبتلى بالبلا
للمقعول ونائبه احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك الابتلا احب اليهم من العطا
اليكم لتيقنهم بما اعد الله لهم في مقابلته وهوان نعيم الدنيا عندهم ولفظ
الحديث ليس كما ذكره المص وهو ما قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قلت
يا رسول الله من اشد الناس بلا قال الانبيا قلت ثم من قال العلما قلت ثم من
قال الصالحون كان احدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ويبتلى بالفقر حتى لا يجد الا
العبا يلبسها ولاحدهم اشد فرحا بالبلا من احدنا بالعطا وهو صحيح على شرط مسلم
والمراد ما يعطى من السعة في الدنيا قيل وهو يدل على ان الانبيا عليهم الصلاة عرضي
والسلام يسلط عليهم القمل ويعرض لهم لانه من الاعراض البشرية لان
ابن الملقن رحمه الله نقل عن ابن سبع ان القمل لم يكن يؤذيه صلى الله عليه
وسلم تكريما له ونقل ابن عبد البر رحمه الله في التمهيد ان نعيم بن حماد
ذكر عن ابن المبارك بن فضالة عن الحسن رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقتل القمل في الصلاة والظاهر ان جسده الشريف لا يتولد منه القمل لاعتدال
مزاجه الشريف وانما كان يوجد في ثيابه من القمل المجالسين له وكذا سائر الانبيا
عليهم الصلاة والسلام ولو قيل انهم يبتلى في حديث الحاكم للصالحين
كان اقرب انتهى وهذا ينافيه ما نقله عن التمهيد وقد تقدم وفيما قاله
دليل على صبر الانبيا عليهم الصلاة والسلام وعلو همتهم في النظر للاخرة
وقال عيسى عليه الصلاة والسلام لخنزير لقيه المراد به الحيوان المعروف بلغ مقابلة
ويجوز ان يراد به الكافر والعدو والجاهل وان كان مجازا غير مناسب هنا
اذهب بسلام اي اذهب مصحوبا بالسلامة فقيل له في شان ذلك القول
الذي قاله فانه لا ينبغي فقال اكره ان اعود لساني النطق بسوء عملا بقوله
تعالى ادفع بالتي هي احسن وترغيبا في العمل به وقال مجاهد كما رواه
احمد وابن ابي حاتم كان طعام يحيى عليه الصلاة والسلام العشب وهو
النبت الذي يخرج بغير زرع وعينه مسمومة وكان يبكي من خشية الله
عز وجل والخشية خوف مع تعظيم حتى اتخذ الدمع مجرى في خده اي صار
محل جريانه منخفضا متميزا عن غيره لتاثيره بدوام جريانه فيه وكان
ياكل مع الوحش اي كان صلى الله عليه وسلم ياكل العشب في القفار الخالية
التي يسكنها الوحش او يالفهم فيها ويكون معهم لئلا يخالط الناس
اي يعاشرهم ويختلط بهم فيشغلونه عن العبادة وذكر الله وما ذكر

رواه احمد في الزهد عن الخولاني وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه الصلاة والسلام
كان يستظل بعريش هو كل ما يستظل به خيمة كان او خشبا او نباتا مثلا ويأكل في نقرة في حجر
بوزن حفرة فلا يأكل في انية ويصنع طعامه في الارض ويكرع فيها اي يضع ما يشربه
في نقرة يكب عليها ويشرب منها بفيه اذا اراد ان يشرب واصل معنى الكرع شرب الدابة
بفمها من ماء في الارض وضمير فيهما راجع للنقرة المذكورة او لغيرها من جنسها كما تقول
اعطيته درهما ونصفه وبه فسر قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره كما الكرع
الدابة اي تشرب بفمها بلا آنية وقيل معنى كرع دخل النهر وصوب رأسه ليشرب ٥
تواضعا لله بما اكرمه من كلامه اذ كلمه بلا واسطة كما قال وكلم الله موسى تكليما ٥
واخبارهم اي الانبياء عليهم الصلاة والسلام في هذا كله من الامور التي تقدمت
في هذا الفصل المعقود لها مسطورة في كتب الحديث والتفسير المعول عليها وصفاتهم
في الكمال وجميل الاخلاق كما تقدم من الصبر والقناعة والتواضع وحسن الصور
والشمايل جمع شمال وهي الخلق والسجية وينبغي ان يراد بالاخلاق القوى الطبيعية
وبالشمايل ما ينشؤ عنها من الآثار معروفة مشهورة وعبر في الاولى بانها مسطورة
وفي هذه بانها مشهورة تفننا في العبارة او لان الاولى اخبار يحتاج لنقلها من الكتب
المعتبرة وهذه كمالات لايقة بهم تدرك بالعقل ولكونها مدونة مشهورة غير محتاجة
للاعادة ولكن ذكر منها ما ذكر ليعلم قدرهم وفضلهم فلا نطول بها مع انها معلومة
ثم لما كان في بعض الكتب امور متعلقة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام غير لايقة
بهم حذر منها فقال ولا تلتفت اي لا تعتبر وتعتقد واصل الالتفات لي العنق
او العطاف بالجانب لتنظر الى ما تريد معرفته فتجوز به عما ذكر ومنه الالتفات البديعي
الى ما تجده وتقف عليه في كتب بعض جهلة المؤرخين جمع مؤرخ بالهمزة وقد تبدل
واوا وهو العالم في التاريخ وهو فن معروف وهو لفظ عربي اصله من الارخ
مستعار للحادث من ولد البقرة او هو معرب ماه روز وهو بعيد جدا واول
من احدثه في زمن عمر رضي الله عنه وفي كتب بعض المفسرين ما خالف امثال هذا
المذكور **فصل** قد اتينا اكرمك الله جملة اعتراضية والخطاب
لمن سأله تصنيف هذا الكتاب كما مر او لكل من يقف على كتابه وليس فيه تجريد
للمخاطب من نفسه كما قيل ومفعول اتينا مقدر اي مما عرفته وسمعته او ومما
فيه مقنع بزنة ما سيأتي من ذكر الاخلاق الحميدة اي المحمودة الحمد وحده وهو
بيان للمقدر او لما الاتية بناء على جواز تقدمه والفضايل المجيدة اي الكريمة
الشريفة وخصال الكمال العديدة اي الكثيرة المعدودة وقد تقدم انه قد يفيد
الكثرة لان القليل لا يحتاج للعد وقد يراد به القلة والمراد الاول واريناك اي
اعلمناك او وضحنا لك صحتها له صلى الله عليه وسلم اي كونها صحيحة في حقه
لا يقتدى به وجليناها بجيم ولام مفتوحتين ومثناة تحتية ساكنة اي او ضحنا
وبيناها وفي نسخة جلبناها بباء موحدة اي روينا ونقلنا وفي بعض النسخ حكيناها
بالكاف بدل اللام والمعنى واحد من الآثار جمع اثر وهو ما يبقى من علامات
الشيء الدال عليه ويطلق على الحديث وقد يختص بالموقوف وكلام الصحابة رضي الله

ابن القوس

عنهم ويراد به مطلق الخبر الشامل للحديث المرفوع والموقوف وكلام الاكابر وهو المراد هاهنا فيه
مقنع بفتح الميم والنون وبينهما قاف ساكنة مصدر ميمي بمعنى القناعة او هو صفة
مشبهة بمعنى ما به القناعة والرضا وفي القاموس يقال شاهد مقنع وقنعان اي رضي
ويكتفي بشهادته وقد قال ابن الحاجب ان مفعلا يكون صفة نحو مركب بمعنى مركوب
الا انه نادر وعلى هذا فما ذكره هو المقنع نفسه فعدل عنه للمبالغة وهو
تجريد كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد والتجريد يكون بمن وفي والبا وما قيل
من ان المراد به الدليل وهذه الايات والاخبار تتضمن الدليل تضمن اللفظ للمعنى تكلف
مذهب لرونق الكلام والامر اوسع جملة حالية اي شانه صلى الله عليه وسلم اوسع
اعظم مما ذكرناه واكثر فان محاسنه لا تطيق العبارة ان تحصرها • • •
وعلى تفنن واصفيه بحسنه • يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف • •
فمجال هذا الباب بفتح الميم والجيم من جال يجول اذا طاف ودار اي محل تجول فيه
الافكار حول نعوته وصفاته وهذا الباب عبارة من خصائصه ومحاسنه صلى الله عليه
وسلم في حقه صلى الله عليه وسلم اي ما يقال في امره وشانه الذي يحق له ممتد
اي واسع فكنى عن كثرتها وعظمتها بسعة محلها كما يقال المجلس والمقام العالي
عبارة عمن هو فيه ثم بين سعته بقوله ينقطع دون نفاده الادلاء جمع دليل
وهو من يتقدم الركب ليهديهم الى الطريق وانقطاع سالك الطريق انه يعجز
ويقف دون بلوغ غايتها ففيه استعارة تمثيلية شبه صفاته صلى الله عليه
وسلم بطريق ممتد طويل وشبه العلماء الذين يريدون جمعها بركب سلكوا طريقا
وشبه من يستفيدون منهم لها وهديهم في الطريق وعجزهم عن الوقوف على كنهها
بمن انقطع ووقف فيها لا يهتدي لسبيله والادلاء جمع دليل كما علم بمعنى
الحجة بل بمعنى هادي السابلة كانبيا جمع نبي واصله ادللاء وقيل انه جمع
ادلة بمعنى دليل فهو جمع الجمع وليس المعنى ان محاسنه وكمالاته صلى
الله عليه وسلم لو اريد غايتها بالادلة كالايات والاحاديث واقوال
الصحابة لم يمكن الا ان يراد بيان المقصود منه ونفاد بالفاء والدال المهملة
بمعنى الذهاب والفنا قال تعالى ان هذا لرزقنا ما له من نفاد ولا وجه
لتفسيره بنواحيه وبحر علم خصائصه من اضافة المشبه به للمشبه كلجين الماء وقد
يعكس لكنه قليل لا تكدره الدلاء جمع دلو وهو ما يؤخذ به الما من الابار وعدم
تكديره عبارة عن بلوغ اخره لانه اذا بلغه حرك طينه فيتكدر ماؤه وهو
ترشيح لا يختص بالاستعارة من الكدر خلاف الصفو وفيه اشارة لصحته
وكثرته لكنا اتينا فيه بالمعروف المشهور الذي يعرفه الناس مما اكثره في الصحيح
اي الكتب الصحيحة كالكتب الستة واشار بقوله اكثره الى ان فيه احاديث
غير صحيحة اعتمد على شهرتها وذكر بعض المصنفين لها او ورد ها لما فيها
من الفضائل كما اشار اليه بقوله والمشهور من المصنفات التي لم يلتزم فيها
الصحيح واقتصرنا في ذلك الذي اتينا به وارينا اي اكتفينا بقل من كل وفي
نسخة من كثر والاصح ما ذكرناه والقل بضم القاف وتشديد اللام بمعنى القليل

او

او بمعنى القلة كالذل بمعنى الذلة اي ذكرنا امرا قليلا منه لا كثيرا او دون الجميع لانه
لا يمكن الاحاطة به وغيض من فيض الغيض بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية
والضاد المعجمة من غاض الماء اذا انقص والمراد انه قليل والفيض بفا وبا مثناة تحتية
وضاد معجمة من فاض الما اذا تدفق وانسكب والمراد انه كثير وفيه طباق واقتباس ه
ورايا هو من الراي لا من الرؤية اي خطر له خاطر ان يختم هذه الفصول اي يجعل خاتمة
هذه الفصول التي سبق ذكرها في هذا الباب بذكر حديث الحسن رضي الله عنه ابن علي
ابن ابي طالب كرم الله وجهه الذي رواه الترمذي في شمايله واخرجه ابن سعد
والبيهقي والطبراني ورواه المصم عن مشايخه عن ابن ابي هالة وهو هند بن ابي
هالة الصحابي رضي الله عنه ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ابن خديجة
بنت خويلد ام المومنين رضي الله عنها وقد تقدم الكلام عليه وترجمته لجمعه
الشهير للحديث وهو علة لذكره وجعله مسك الختام من شمايله واوصافه عطف تفسير
كثيرا مفعول لجمعه المصدر المضاف لفاعله وادماجه اي اشتماله من ادمج الشي اذا
لفه وستره وقيل المراد لاحكامه واتقانه وانه اوجز جملة كافية من سيره وفضايله
مفعول الادماج لما فيه من معنى الادخال قال الجوهري دمج دموجا اذا دخل
واستحكم وتفصله بتذنيبه لطيف على غريبه ومشكله اي تبيين في التنبيه ما في الحديث
من غريب اللغة وما يشكل من تركيبه حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد
الحافظ رحمه الله بقرا تي عليه سنة ثمان وخمس ماية هو الامام الحافظ ابو علي
ابن سكرة الذي تقدمت ترجمته قال حدثنا الامام ابو القاسم التكنية بهذه
الكنية جايز وما ورد في حديث تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي محمول على حياته
صلى الله عليه وسلم او على الجمع بينهما على ما ياتي في ذلك من الخلاف عبد الله
ابن طاهر بطا مهملة تقدمت ترجمته التميمي منسوب لبني تميم قبيلة
مشهورة قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسا
الاديب هو العارف بعلوم الادب الاثني عشر المشهورة والشيخ الفقيه ابو عبد
الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي منسوب للمحمدية قرية من قرى نونس
ولتسمى بهذا الاسم قري اخر بنواحي مصر وبغداد واليمامة والقاضي ابو علي
الحسن بن علي بن جعفر الوخشي بواو مفتوحة وخا معجمة وشين معجمتين
نسبة لوخش قرية من اعمال بلخ وقيل بحا مهملة والصحيح الاول وعليه
اقتصر البرهان وهو الحافظ الرحلة الحسن بن علي بن محمد بن جعفر البلخي
يروي عن جماعة وحدث عنه الخطيب وهو من اقرانه وسمع منه الحسن
ابن علي البلخي سنن ابي داود وهو ثقة ترجمته معروفة الا انه اتهم
بالقدر توفي في خامس ربيع الاول سنة احدي وسبعين واربعماية ببلخ
وعمره ست وثمانون سنة قال واحدثنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن
الحسن الخزاعي بضم الخا المعجمة نسبة لخزاعة قبيلة معروفة قال
انبانا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي نسبة لشاش بلدة معروفة بما
ورا النهر وهو الحافظ الثقة ابو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل

بوري

صاحب المسند محدث ما وراء النهر سمع من الترمذي وغيره توفي في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة
قال انبانا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ الامام الترمذي صاحب السنن
وسورة بفتح السين المهملة وسكون الواو وراء مهملة كما تقدم قال حدثنا
سفيان بن وكيع بن الجراح ابو محمد روى عنه اصحاب السنن وله ترجمة في الميزان
توفي سنة سبع واربعين ومايتين قال حدثنا جميع بزنة مصغر جمع ضد الفرد
ابن عمر بن عبد الرحمن العجلي الكوفي وعجل بكسر العين المهملة وسكون الجيم اسم
قبيلة املا من كتابه الذي بيده او بيد غيره وهو احد طرق الرواية المقبولة من
الثقة المصحح لكتابه وما روي من منع الرواية من كتابه الصحيح خلافه كما فصلوه
قال حدثنا رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله
عنها يكنى ابا عبد الله هذا الرجل هو عبد الله بن ابي هالة الذي كان زوج
خديجة قبل النبي صلى الله عليه وسلم كما مر وهذا الرجل اخرج عنه الترمذي
في شمايله عن ابن ابي هالة قال الذهبي وتبعه البرهان ان هذا الرجل لا يعرف اسمه
فهذا الحديث منقطع لان فيه راويا مجهولا وهالة علم منقول من هالة القمر وهي
دارته عن الحسن بن علي بن ابي طالب قال سالت خالي هند بن ابي هالة لانه اخو
فاطمة الزهراء رضي الله عنها لامها قال القاضي ابو علي بن سكرة المتقدم فروي
هذا الحديث من طريقين وقرات على الشيخ ابي طاهر احمد بن احمد بن خداداذا
الكرجي الباقلاني وخداداذا بضم الخاء المعجمة وفتح الذال المعجمة والف ودال
مهملة والف ثم ذال معجمة والف مقصورة كذا ضبطه البرهان وهو معرب
خداداد بدالات مهملة ومعناه بالفارسية عطية الله والكرجي بفتح
عطا الله
الكاف والراء المهملة ثم جيم منسوب لكرج اسم بلدة لابي دلف العجلي واسم
بلدة بالدينور وبضم فسكون اسم مملكة معروفة والباقلاني بتشديد
اللام قال الجوهري الباقلا اذا شددت لامها قصرت وان خففت فمددت
قال ابو علي واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون ١
هو الحافظ المتقدم ترجمته قالا اخبرنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابراهيم
ابن الحسن بن محمد بن شاذان بشين معجمة والف وذال معجمة والف ونون
معرب ومعناه بالفارسية السرور ابن حرب كضد السلم ابن مهران بكسر الميم
الفارسي منسوب لفارس ديار العجم قراءة عليه فاقر به هو شرط لقبول
الرواية ممن قرئ عليه فيقال له اخبركم بهذا فلان عن فلان فيقول نعم
اخبرني به فلذا قيده المص بهذا قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى
ابن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
المعروف بابن اخي طاهر العلوي هذا الرجل ترجمه الذهبي في الميزان ونسبه
كما هنا وروى حديث علي وذريته يجمعون الاوصيا الى يوم القيامة وهذا
الحديث يدل على كذبه ورفضه وهو متهم بالكذب ولولا هذا لازدحم
الناس عليه لانه معمر توفي في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة قال حدثنا
اسمعيل بن محمد بن اسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب

قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين علي هذا هو جعفر بن محمد الصادق روى
عن ابيه واخيه موسى روى عنه الترمذي دون اصحاب السنن الا انهم لم يوثقوه وموافق
الرواية عنه الترمذي عن اخيه موسى بن جعفر هو موسى بن جعفر بن محمد الكاظم وهو
امام ثقة عن جعفر بن محمد هو الصادق وقد تقدم عن ابيه محمد هو محمد بن علي ابو
جعفر الباقر عن علي بن الحسين هو زين العابدين الامام المشهور قال قال الحسن
ابن علي رضي الله عنهما واللفظ لهذا السند يعني اللفظ المذكور مخصوص بالطريق الثاني
والسند بالنون بمعنى الاسناد وليس السيد بمثناة تحتية لانه لم يذكر انه رواه
عن علي بن الحسين زين العابدين وكذا لم يذكر انه رواه احد مع الحسن هو ابن علي
كما في المغني وهذا اسناد شريف لان رواته كلهم من اهل البيت ومثله حديث
صفة الصلاة حتى نقل التلمساني رحمه الله انه اذا قرئ على مصاب افاق وجاد
سنده لكونهم معروفون قال سالت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحلية بمعنى ما يتحلى به الانسان اي ما يرى من وجهه الشريف
وبدنه وهي بكسر الحا المهملة وسكون اللام وكان وصافا اي كان فصيحا له خبرة
بوصف الناس لحذقه او كان معروفا بذكر صفات النبي صلى الله عليه وسلم وانا ارجو
جملة حالية اي راجيا ان يصف لي منها اي من حلية النبي صلى الله عليه وسلم شيا اي
مقدارا منها لان جميعها لا يحصى وبعضها لا تفي العبارة به اتعلق به اي احفظه واتمسك
به تبركا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما بفتح الفا وسكون الخا
المعجمة والمفخم بوزن المكرم والفخم بمعنى العظيم واصل الفخامة العظمة
في الاجسام ثم شاعت في المقدار والشرف فان كان المراد الاول وهو الظاهر فالمعنى
ان اعضاه صلى الله عليه وسلم تامة الخلقة واسعة سعة غير مفرطة كما تقدم
في الباب الثاني انه كان واسع الصدر وعينه نجلاء اي واسعة الشق ووجهه
الشريف ممتلي باللحم وان قامته الشريفة غير قصيرة والمراد بكونه مفخما انه
كذلك في العيون الناظرة اليه ويحتمل ان يراد بكونه فخما هذا المعنى وان
يراد بكونه مفخما ان له صلى الله عليه وسلم مهابة في العيون والصدور
مع الجمال يتلالا وجهه اي يضي ويشرق وهو ماخوذ من اللؤلؤ لصفائه
ولمعانه تلالؤ القمر ليلة البدر اي فيه نور كنور القمر في ليلة البدر وقد
تقدم الكلام فيه وتفسيره اطول من المربوع وهو الذي بين الطويل والقصير
كالربعة وقال التلمساني المراد به هنا القصير الذي تحت الربعة ليلا ينافي
ما ورد من وصفه صلى الله عليه وسلم بانه ربعة واصل المربوع الحبل المفتول
على اربع طاقات فاستعير لما ذكر انتهى اقول لا حاجة لما ذكر لم رفعه عن
ظاهره لان المراد انه يزيد على الربعة زيادة يسيرة لا تخرجه عن كونه ربعة
فهذا امر تحقيقي وربعة امر تقريبي فلا منافاة بينهما ولذا قال واقصر من
المشذب بضم الميم وفتح الشين والذال المعجمتين المشددة والبا الموحدة
وهو المفرط في الطول كالبائن وهو مستعار من النخلة المشذبة وهي التي قطع بعض
جريدها والتشذيب قطع كالتقليم عظيم الهامة بالها وتخفيف الميم وهي الراس وليس المراد

الهامة طة في الكبر بل كبيرة كبرا نسبيا لان بعضها وافراط كبرها غير محمود ح لدلالة على
قلة العقل وقيل الهامة وسط الراس وقيل محه ولها معان اخر غير مناسبة هنا رجل
الشعر بكسر الجيم على وزن حذر والشعر معروف ويجوز فتح عينه وسكونها كما مر والمراد
انه فيه تجعدا قليلا وهو من صفات المحمود وخذ فيه ويقال لضده قطط وهو الشديد
الجعودة والسبط المسترسل الا انفرقت عقيقته فرقها الفرق اي صار شعره اسيه فرقين
والعقيقة الشعر الذي على راس المولود الذي يخرج عليه حين يولد من عق اذا قطع لانه
يحلق في اليوم السابع فتسمى به شعر النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المجاز المرسل
لاستعمال المقيد في المطلق وليس استعارة تحقيقية كما قيل ومعنى فرق ابقاه دجي
متفرقا على حاله اذا انفرق بنفسه يقال فرقه فانفرق والفرق والمفرق البياض الواقع
بين شعر الراس وفي رواية عقيصته بالصاد المهملة بدل عقيقته والا فلا
يجاوز شعره شحمة اذنه وفي رواية اذنيه بالتثنية وهما بمعنى كما يقال
نظرت بعيني اذا نظر بعينيه وهكذا في كل عضو كان كذلك كما هو مقرر في
العربية وشحمة الاذن ما لان منها حيث يعلق القرط وتقدم في هذا الحديث ما رايت
من ذي لمة في حلة حمرا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اللمة الشعر
الذي يجاوز شحمة الاذن فاذا وفر شعره صار لمة اي مايلم بالمنكبين واللمة دون
الجمة والوفرة دون اللمة والجمة اكثر من الوفرة وهي ما سقطت على المنكبين ه
فالوفرة ابلغ منها اللمة والجمة ابلغ منهما وفيه كلام تقدم والفرق سنة لانه
السدل من قدام او خلف ومقتضى قوله والا وان لم يفرق فعلم منه انه اذا فرق
جاوز الشحمة ووصل المنكب فاحواله مختلفة في الطول ولذا قيل له لمة
وجمة اذا هو وفرة وفي بعض النسخ وفره بدون ضمير والمعروف رواية الاول
كما قاله المزي وقافه مخففة ومشددة اي كثره وقد يقال بعد الحلق وغيره كما
مرفته وهذا اولى من حمل اختلاف الروايات على التقريب ازهر اللون سيأتي
معنى الازهر وان معناه ابيض مشرب بحمرة وقد ورد انه ليس بالابيض الامهق
ولا بالادم وبهذا اعلم ما روي انه كان اسمر ولعله راه عقب سفر ونحوه او لم
يحققه لانه لمهابته صلى الله عليه وسلم لا يحد في النظر في وجهه وفي رواية
انه كان ابيض شديد الوضح والمراد بالوضح البياض وقد يطلق على البرص ولذا
سمي جذيمة الابرش الوضاح ويؤيده انه ورد انه صلى الله عليه وسلم كان
عنقه كوز فضة ويأتي كان ساقه جمارة وكشف ظهره فكانه سبيكة فضة وقيل
ان سمرته حمرته ولذا قيل في الجمع بين الروايات انه كان يميل الى السمرة او
البياض لونه وهذا عرض له بعد ذلك لكثرة اسفاره واسع الجبين في القاموس
الجبينان حرفا الجبهة وجانباها عند الصدغين وبعد الحاجبين والجبهة
وسطه او هو جميع ما بين الصدغين فيدخل فيه الجبهة الى قصاص الشعر ازج
الحواجب ازج افعل كاحمر والزجج تقوس في الحاجب مع طول في طرفه ه
وامتداد بدقة في طرفيه واراد بالحواجب الحاجبين وجمع لان اقل الجمع اثنان
او لاطلاقه على اجزائه وهما العظمان فوق العينين بلحمهما وشعرهما

ويطلق

والطلق على الشعر وسمي به لانه يحجب الشمس وغيرها عن العين سوابغ بالسين والصاد جمع سابغ لانه لما لا يعقل وقيل جمع سابغة وفيه اي طوال كاملة من غير قرن بفتحتين اي من غير اقتران والتصال لانه غير ممدوح عند العرب وما وقع في حديث ام معبد من وصف حاجبه صلى الله عليه وسلم بالقرن فيحتمل انه كان بينهما شعر دقيق جدا اذا اسافر وعلاه غبار السفر ظن قرنا وما قيل انه بطريق الراي او انه لاختلاف الروية قربا وبعدا او انه حدث له صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بعيد جدا بل لا وجه له بينهما اي بين الحاجبين وهذا يدل على ان الجمع في الحواجب بمعنى المثنى هنا عرق يدره الغضب بضم اليا مضارع الادرار من ادر الضرع والسحاب اذا كثر دره وهو لبنه وماؤه فحلب والمراد انه يظهر لغليان الدم بالغضب بعد ما كان خفيا لا انه يحدث بعد ان لم يكن وهذا لا ينافي ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم حليم لا يغضب لانه باعتبار اكثر احواله صلى الله عليه وسلم وانه لا يغضب لنفسه ولا لاجل امر دنيوي ولكنه قد يشتد غضبه لله اذا انتهكت حرمته وفي ضربه للاحد كما قال القرصوي رحمه الله

جبينه عرق يدر اذا سطا • غضبا على الاقران يوم طعان

والغضب تهيج الحرارة الغريزية فيغلي الدم منها ولذا يحمر الوجه وتنتفخ العروق اقنى العرنين القنا في الانف طوله ودقة ارنبته اي طرفه مع ارتفاع يسير في وسطه والعرنين بكسر العين الانف او ما صلب منه او ما تحت مجمع الحاجبين وهو اول حيث يكون الشمم والجمع عرانين ويكنى به عن الاشراف لشموخ انفهم وارتفاعه على اقرانه قال ٤

ان العرانين تلقاها محسدة • ولن ترى للئام الناس حسادا

له نور يعلوه الضمير له صلى الله عليه وسلم وجوز وان يعود للعرنين لانه وان كان وجهه كله له نور لكنه اول ما يتعلق به ولذا سمي انفا ايضا يحسبه من لم يتأمله اشم والشمم في الانف ارتفاع وسط قصبته مع استوا اعلاه واشراف ارنبته قليلا يعني ان وسطه فيه استوا مع اعلاه واسفله ولكنه لتلألؤه يظن ان فيه ارتفاعا وان فيه ارتفاعا قليلا جدا لا يعد شمما والشمم قد يعبر به عن عزة النفس وعدم التنزل للامور وهو مما يمدح به كما قال كعب رضي الله عنه

شم العرانين ابطال لبوسهم • من نسج داود في الهيجا سرابيل

والتامل اعادة النظر وتكراره ليتثبت فيه ويقف على كنهه وهو في الاصل تفعل من الامل والرجا لان الانسان لا يعيد النظر غالبا الا لما فيه امل فاطلق على لازمه وشاع حتى صار حقيقة فيه وقيل الشمم طول الانف مع سيلانه ودقته والاول اصح واشهر كث اللحية بفتح الكاف وتشديد المثلثة والكث كون اللحية كثيرة الشعر من غير طول ولا دقة شعر وما اشتهر من قوله من سعادة المرء خفة لحيته لم يثبت انه حديث مع انه قيل انما هو خفة لحيته من لحم وان معناه كثرة تحريكهما بذكر الله او المراد عدم طولها اذ مع

اي سواد عينيه شديد مع بياضهما ويقال رجل ادعج اي اسود وليس بمراد وسياتي فيه
كلام سهل الخدين اي غير مرتفع الوجنتين وكثير اللحم فيهما فانه غير محمود وقيل المراد
انه طلق منبسط ضليع الفم بضاد مفتوحة اي طويل انشقاق الفم واسعه وهو مما
يمدح به ويعاب ضده لدلالته على الفصاحة وليس المراد به عظم الاسنان وتراكمها
كما قاله التلمساني وشعرا المولدين يمدحون ضيق الفم وهو خطا منهم او المعنى
اخر لا يلتفت اليه كما مر اشنب بنون بين شين معجمة وبا موحدة اي ذو شنب
وهو كما في النهاية بياض وبريق وصفا وتحدد في الاسنان وقيل هو رونقها
وماوها وقيل برد وعذوبة فيها وقيل نقط بيض وتحزز فيها وسيل روبة
عن قول ذي الرمة

لميا في شفتيها حوة لعس • وفي اللثات وفي انيابها شنب •

فاخذ حبة رمان وقال هذا هو الشنب اي انه صفا وما فيهما كهذا ومن امثال
المولدين فاتك الشنب لمن اراد التشبه بمن لا يشبهه قال ابن الوكيل رحمه الله

يا بارقا باعالي الرقمتين بدا • لقد حكيت ولكن فاتك الشنب •

مفلج الاسنان تقدم ان الفلج عدم تلاصق الاسنان وهو انقى للفم واطيب وفي
حديث علي كرم الله وجهه افلج الثنايا وهو المراد بالاسنان والمراد الثنايا
والرباعيات لان تباعد الاسنان كلها معيب وقد تقدم كلام فيه ومفلج مضموم
الميم مشدد اللام ويشبه به تقارب الدار مع عدم التلاقي كقوله •

مالي به مع قرب دار ملتقي • فهل رايت نصرة الفلجا •

دقيق المسربة بميم مفتوحة وسين مهملة ساكنة وراء مهملة مضمومة وقد تفتح
مفتوحة تليها ها وهو شعر كالخيط سايل من الصدر الى السرة ووصفه بالدقة
لانه غير عريض ولا متكاثف طويل كان عنقه جيد دمية الجيد العنق الا ان
السهيلي قال ان العنق يستعمل في غير المدح والجيد يستعمل في مقام بخلافه
وان قوله في جيدها حبل من مسد تهكم لجعل الحبل عقدا لها وما هنا على
اصل اللغة لا على نهج الاستعمال فلا اعتراض عليه والدمية بضم الدال المهملة
وسكون الميم وتخفيف المثناة التحتية وهي الصورة من رخام او عاج والمراد
شدة بياضه وطوله ويؤيده ما روي من ان عنقه صلى الله عليه وسلم
كابريق فضة ويشير اليه هنا قوله في صفا الفضة اي بياضها الخالص وهذا
يؤيد ما مر من انه صلى الله عليه وسلم ليس باسمر وانما شبه بالدمية لان
صانعها يبالغ في تحسينها ولهذا ضرب بها المثل معتدل الخلق بفتح فسكون
اي متوسط الخلقة بين الطول والقصر والسمن والهزال والضخامة والصغر
فهو متناسب الاعضا متفقها في احسن تقويم بادنا اي ضخم البدن غير دقيق
الاعضا صغيرها واردفه بقوله متماسكا اي كان اعضاه تمسك بعضه بعضا
لشدة ارتباطه به ومناسبته له وهو منصوب صفة بادنا وروي بالرفع
خبر مبتدا مقدر سوا البطن والصدر اي متساويهما لم يرتفع احدهما
على الاخر مشيح الصدر بضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية ساكنة

وبحا مهملة بمعنى عريض متسع مع مساواته لبطنه من غير تقاعس وانخفاض فيه وروي
بفتح الميم وكسر السين المهملة وهو بمعناه بعيد ما بين المنكبين تثنية منكب بفتح الميم
وكسر الكاف ونون بينهما واخره باء موحدة وهو ما بين الكتف والعنق والمراد ببعدهما
سعتهما وهو اقوى للبدن والبطن وعبر عنه تارة بالبعد وتارة بالعظم والكل
واحد وما موصولة ضخم الكراديس جمع كردوس وهو رأس العظم او ملتقى كل عظمين
كالمرفقين وضخم بمعنى كبير وكل عظم كثير اللحم كردوس انور المتجرد اسم مفعول يعني
ما خفي من البدن من التجرد وهو الكشف ورفع الثياب وانور بمعنى نير مشرق او
افعل تفضيل لان ما تحت الثياب من البدن لعدم ملاقاته الهواء والشمس ابيض من
الاطراف المكشوفة وورد في وصفه صلى الله عليه وسلم انه اجرد وهو ضد الاشعر
وان الشعر كان على اماكن مخصوصة من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين وقال
الشيخ العز نابلي في شرح البردة قال بعض الصحابة رأيت ساق النبي صلى الله عليه وسلم
في غرز الركاب كانه جمارة يعني في بياض اللون والطراوة فان قلت الوارد في
صفته صلى الله عليه وسلم انه ازهر اللون اي مشرب بحمرة وبياض الجمار خالص قلت
يمكن الجمع بان ما تحت الثياب مما لم يباشره الشمس خالص البياض بخلاف غيره انتهى
موصول ما بين اللبة بفتح اللام وتشديد الباء الموحدة وهي النحر وقيل الصدر
وقيل موضع القلادة وما موصولة لا زائدة والسرة وهي موضع ما يقطع
من المولود والمقطوع سر بشعر متعلق بموصول يجري كالخط وهو المسربة
السائلة وجريانه امتداده كما لجاري والخط الطريقة المستطيلة المستقيمة
وفي الاصطلاح ما وصل بين نقطتين متقابلتين فكانه جعل اللبة وهي النقرة
التي فوق الصدر نقطة والسرة نقطة اخرى والشعر الرقيق بينهما خطا
عاري الثديين تثنية ثدي بفتح المثلثة وكسرها تذكر وتؤنث وروي
الثندوتين بثاء مثلثة ونون وهما بمعنى قال الجوهري الثدي يكون للرجل
والمرأة ووافقه الصاغاني وفي درة الغواص الثدي خاص بالمرأة والذي
للرجل ثندوة وهو غير مهموز كترقوة على فعلوة وهو مغرز الثدي او
رأسه فان همزت همزته وهو فعلوة وفيه تفصيل بيناه في شرح الدرة
وعلى ما قاله الحريري تبعا لبعض اهل العصر صوب بعضهم رواية الثندوتين
وزعم ان غيره خطا لعدم ثبوته في اللغة وما قيل من انه صحيح على الاستعارة
غير صحيح ومعنى عاري ثدييه انه لا شعر عليهما وقيل لا لحم عليهما لما سيأتي من
انه اشعر الخ وفيه نظر لانه لم يذكر فيه انه على ثدييه شعر كما ستسمعه قريبا
ما سوى ذلك اي ما سوى الشعر الذي بين السرة واللبة وهو بدل من الثديين
وفيه نظر وروي ما سوى ذين وهو ظاهر اشعر اي كثير الشعر في الذراعين
بكسر الذال المعجمة ما بين المرفق وطرف الاصابع والمنكبين تقدم بيانهما واعالي
الصدر طويل الزندين تثنية زند وهو طرف الذراع المتصل بالكف وطرفاه
الكوع وهو رأس الزند مما يلي الابهام والكرسوع وهو رأسه مما يلي الخنصر
وقيل العظمان اللذان في ظاهر الساعد والمراد عظم الذراع فسماه باسم بعضه

ولذا وصفه بالطول رحب الراحة اي واسع الكف والكف والراحة بمعنى والراحة من
الروح وهو الاتساع شثن بفتح الشين المعجمة وسكون الثا المثلثة والنون وهو
الضخم الممتلي لحما ويؤيده انه ورد في رواية انه ضخم الكفين والقدمين وما في
النهاية في تفسيره من انهما يميلان الى الغلظ والقصر غير مناسب لقوله رحب الراحة
وقيل هو الذي في اناملها غلظ بلا قصر وذلك محمود في الرجال دون النسا لانه
اشد للقبض والبطش وقال ابن بطال كانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلية لحما
وهي مع ضخامتها لينة وفي حديث انس رضي الله عنه ما مسست حريرا الين من كفه
صلى الله عليه وسلم وقال الاصمعي الشثن غلظ مع خشونة لم يوافق عليه ولا
حاجة لتاويله بانه لا بد عارض في اسفاره وجهاده واستعمال يديه في مهنة بيته
فانه مناف لعده من الحلية وهي الصفات الخلقية فان الذي ارتضاه اهل اللغة
انه الضخم ولا ينافيه قوله سايل الاطراف وبسط الكفين او سبط الكفين كما قيل عرضي
لان المراد بالاطراف الاصابع والكف والقدم مع رحبهما فليست داخلة في معناهما
ومعنى سايل باللام طويل فكانه شبههما بعين سالت من بركة لطولها وسعتها
وبيانهما ولينهما لان راحته صلى الله عليه وسلم تنبع منهما الخيرات والمياه كما
قلت في قصيدتي الهمزية

نبع الماء من اصابع كف • باياد ما غاض فيها الماء
لا تقسها على اصابع مثل • كم لكسر من جبرهن وقاء

او قال شاين الاطراف شك من الراوي في قول ابن ابي هالة انه قال ما تقدم
اوقال شاين بنون مبدلة من اللام كما بابل وقالوا جبريل وجبرين واسماعيل
واسماعين وساير الاطراف بالرا المهملة مكان اللام ومعناه باقي او جميع وليس عرضي
الثاني خطا كما قاله الحريري وتبعه في الشرح الجديد كما فصلناه في شرح الدرة
وعلى هذا الاخير هو مجرور معطوف على القدمين اي ضخم اطرافه كلها وليس
شكه لتقارب الحروف الثلاثة في الخط والمخرج كما قيل وقد صحف في النسخ على ابن الحنبلي
قوله شاين بالنون والصواب اثبات الالفاظ الثلاثة لمناسبتها في تفسيرها كما
قاله في المغني وجا هذا في بعض الروايات من غير شك سبط العصب سبط بسكون
البا الموحدة وكسرها بمعنى ممتد ليس به تعقد ونتو كما في النهاية والعصب
وقع في اصل البرهان بعين وصاد مهملتين كما ضبطه ابن الانباري والذي اتفق
عليه ابن الاثير والهروي انه القصب بالقاف لا بالعين والمراد بالقصب ساعداه ٥
وساقاه وفي الغريبين كل عظم عريض لوح وكل اجوف فيه قصبة وجمعها قصب
وليشهد له ان العرب تتمدح به كما قال

فجاء به سبط العظام كانما • عمامته بين الرجال لواء

لانه يدل على قوة البدن والشجاعة والعصب بالعين ما يمتد في البدن لربط
الاعضا وتحريكها كما بين في علم التشريح وهو اطناب المفاصل وقيل المراد به هنا عرضي
عظام الساقين والساعدين مجازا لما بينهما من المجاورة فتتحد الروايتان
وهو بعيد جدا خمصان الاخمصين خمصان بضم الخا المعجمة وفتحها وسكون

الجم

الميم لا بفتحها كما توهمه عبارة القاموس وتبعه بعضهم هنا وبهما ضبط لفظ الشفا
ومعناه الضامر البطن وهو هنا بمعنى المتجافي عن الارض اي المرتفع والاخمصين مثنى
اخمص بوزن احمر وهو ما دخل من باطن القدم ولم يصب الارض لقدم مسا وانه العقب
ومقدم القدم وسمي به لضموره ودخوله ولما كان اخمص القدم قد يطلق على ما يلي الارض
منها مطلقا اتى بقوله خمصان مضافا اليه ليبين انه على ظاهره وهو المحل المرتفع
والمراد به المبالغة في ارتفاعه كما فسر بعضهم هنا بالشديد التجافي لهذا فجعله
كليل اليل وقد قال ابن الاعرابي اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم
يستو اسفله فهو احسن فان استوى او ارتفع جدا فهو مذموم فمعنى خمصان
الاخمصين انه مرتفع باعتدال وقال البرهان ويأتي ما ينافي هذا المعنى فقوله
مسيح القدمين قال البارزي في كتاب توثيق عرى الايمان خمصان الاخمصين متجافي
اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم وقوله مسيح
القدمين ينبو عنهما الماء وقال المصنف فيما يأتي اي املسهما ولذا قال ينبو عنهما
الماء وفي حديث ابي هريرة خلافه ففيه اذا وطئ بقدميه وطئ بكلهما ليس له
اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وقد قالوا سمي عيسى بن مريم صلى
الله عليه وسلم مسيحا لانه لم يكن له اخمص وقيل معنى مسيح القدمين لا لحم عليهما
وهو مخالف لقوله شثن القدمين انتهى ووافقه صاحب المقتفي وفي الشرح الجديد
للنهاية معنى مسيح القدمين انهما ملساوان لينان ليس فيهما التوا ولا شقاق
فاذا اصابهما الماء سال ومر سريعا من جانب الكعب القبلي وقال ابن الحنبلي في
شرح قصيدة الصرصري النونية ليس المسيح باطن القدمين الذي هو محل الخمصان
بل ظاهرهما الملاسة فلا تعارض بين العبارتين اقول هذا كله خلط منهما وليت
شعري ما يقول في حديث ابي هريرة الذي نقله البارزي فالاشكال الذي ذكره
البرهان غير مندفع الكلام الا ان يقال ان الخمصة فيه قليلة جدا ومعنى ينبو يرتفع
والمراد به مفارقة الماء وانصبابه مجازا وانشد واهنا لبعضهم

يا رب بالقدم التي اوطأتها ٭ من قاب قوسين المحل الاعظما
وبحرمة القدم التي جعلت لها ٭ كتف المؤيد بالرسالة سلما
ثبت على متن الصراط تكرما ٭ قدمي وكن لي منقذا ومسلما
واجعلهما ذخري فمن كانا له ٭ ذخرا فليس يخاف قط جهنما

والقدم الاولى قدمه صلى الله عليه وسلم اصعد لكسر اصنام الكعبة فصعد
على كتفه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه صاحب الصفوة ومسيح بفتح الميم وكسر
السين المهملة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة وفي بعض النسخ مشيح بفتح
الميم وشين معجمة ولم يعتبروها وكانها تحريف من النساخ او معناها خفيف
المشي اذا زال زال تقلعا وروي اذا مشى تقلع اي رفع رجليه رفعا قويا بالتثبت
في مشيه فكانه يقلع رجليه من الارض فيقارب خطاه من غير اختيال واسراع
كما ورد من قوله الاتي كانما ينحط من صبب وروي اذا زال زال قلعا بفتح القاف
وسكون اللام وكسرها وروي بالضم ايضا ويخطو تكفيا اي اذا مد خطاه يميل الى
قدامه كمن يتكفى وتكفوا ان همز ضمت فاوه كما المصادر الصحيحة مثل تقدم

تعودًا لان الهمزة حرف صحيح فان ابدلت يا كسر ما قبلها فقيل تكفيا كمشي مشيا ونحوه من الطاء
المعتلة الاخر ويمشي هونا بفتح الها اي اذا مشى مشى برفق ولين ووقار كما يأتي لانه
ممدوح قال تعالى يمشون على الارض هونا ذريع المشية بفتح الذال المعجمة
وكسر الميم والذريع الواسع الخطو اي ما بين قدميه واسع فمع عدم سرعته يساوي
مشيه المشي السريع او يفوقه كانما ينحط من صبب اي ينحدر من مكان عال والمنحدر من
عال يكون مسرعا مع سهولة وانما قال كانما لانه ليس منحدرا على الحقيقة وانما هو
كالمنحدر في السرعة والسهولة واذا التفت التفت جميعا اي اذا اراد ان ينظر الى خلفه
او الى جانبه لا يلوي عنقه بل يصرف جميع بدنه فيقبل جميعا ويدبر جميعا من غير مسارقة
نظر فانه خفة وطيش خافض الطرف مصدر بمعنى تحريك الجفن ثم صار بمعنى الخفض ضد
الرفع والطرف العين وفسر هذا بقوله نظره في الارض اطول من نظره في السما يعني ان
نظره لجانب السفل اكثر من نظره في جانب العلو لخشوعه وحيائه ووقاره وليس هذا
مخصوصا بالصلاة والدعا فانه مكروه فيهما ولا ينافي هذا قوله قد نرى تقلب وجهك
في السما لان هذا باعتبار الاغلب كما يشعر به لفظ فقد جل نظره الملاحظة جل بضم الجيم
بمعنى المعظم والاكثر والملاحظة النظر باللحظ وهو طرف العين مما يلي الصدغ والذي
يلي الانف موق وماق اي ينظر بطرف عينيه نادرا وحيا يسوق اصحابه اي يمشي خلفهم
وفي ساقتهم ولا يدع احدا يمشي خلفه كما هو عادة المتكبرين وكان صلى الله عليه
وسلم يفعل ذلك لانه اظهر للملائكة وفي قوله يسوق اشارة الى انه هو المحرك لهم
كما قيل من انه لا يتقدم الصغار الكبار الا اذا ساروا ليلا او خاضوا سيلا ليسير على
وفق السنة ويبدو من لقيه بالسلام لانه من السنة ان يسلم الاكبر على الاصغر
والسلام دعا وتحية وهي تحية اهل الجنة كما ورد في السنة فهو دعا بالسلامة واسم
من اسمائه تعالى ويجوز ارادته هنا بمعنى ان الله معك ومطلع عليك والابتداء به سنة
لا واجب بالاجماع وفيه قول انه ضعيف لا يعتد به ورده فرض كفاية لا على كل احد
بعينه لان السلام امنا والامان فاذا سلم احد ولم يجب توهم الشر فيجب دفعه كما
قاله الحليمي وهذا منه صلى الله عليه وسلم تواضع ولطف مناسب لما اخذ فيه
من حسن الخلق قال الحسن رضي الله عنه الراوي لهذا الحديث قلت لخالي هند
ابن ابي هالة رضي الله عنه صف لي منطقه مصدر ميمي اي نطقه وكلامه صلى
الله عليه وسلم والنطق هو اللفظ الدال على معنى واما قول سليمان عليه
الصلاة والسلام علمنا منطق الطير وقول الشاعر لقد نطق اليوم الحمام
لنطربا فلتنزيله منزلة لفهم سليمان عليه الصلاة والسلام منه معنى ولادعا
الشعرا شوقه وطربه كما قاله الهروي قال كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان
هذا مشتمل على الجواب وزيادة فالجواب قوله الاتي ولا يتكلم في غير حاجة فكانه
قال كان كلامه موجزا قليلا وقيل معناه ان كلامه لم يكن بفرح وبطر بل بحزن
واسف وقال ابن قيم لكون هذه قول ابن ابي هالة متواصل الخ لم يثبت عنه
وفي سنده مجهول كيف وقد صانه الله عن الحزن واسبابه ونهاه عنه بقوله
لا تحزن وغفر له ما تقدم وما تاخر فلا خوف عليه ولا حزن في الدنيا والاخرة

يكون له سرعة

فمن

منافٍ بانه الحزن وقد ورد وصفه صلى الله عليه وسلم بانه كان دائم البشر ضحوك السن وقد
استعاذ من الهم والحزن ومر ان الهم لما سيأتي والحزن على ما مضى وقال ابن تيمية في حديث
ابن ابي هالة انه صلى الله عليه وسلم كان كثير الصمت دائم الفكر متواصل الاحزان ليس المراد
الحزن الالم على فوت مطلوب او حصول مكروه فانه لم يكن من حاله صلى الله عليه وسلم وانما
المراد به التيقظ لما يستقبل من الامور وهو مشترك بين العين والقلب انتهى قيل وهو لم
ينه عن ذلك لانه ليس باختياره وانما نهي عن تعاطي اسبابه كما قيل •
ومن سره ان لا يرى ما يسوؤه • فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا •
انتهى وقال ابن القيم الجوزية في شرح منازل السالكين ليس الحزن من منازل السالكين
وقد ورد النهي عنه فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وقد استعاذ منه صلى الله عليه وسلم
وحزن المؤمن يسر الشيطان لانه يفتر العزم ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الاية وهو
من المصائب واما خبر ان الله يحب كل قلب حزين فلم يثبت اقول هذا تطويل بغير طائل
وانكاره ورود الحديث مردود لانه ثابت كما قاله الحافظ ابن تيمية وغيره واما
كونه ليس من المقامات فمع كونه غير مسلم كما مر فلا يضر والمراد انه صلى الله عليه
وسلم كان على هيئة الحزين حال سكوته لكثرة افكاره في امور امته واحوالهم كما يدل
عليه قوله دائم الفكرة ليس له راحة وكيف لا وقد قاسى صلى الله عليه وسلم في
التبليغ ما لا يوصف واما وصفه صلى الله عليه وسلم بالبشر والتبسم فهو في حال اخر
وهو مخالطته للناس والنظر في امورهم ولا يتكلم في غير حاجة له صلى الله عليه وسلم
او لامته كما قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه طويل السكوت كما لا يخفى نفعا
لكثرة افكاره صلى الله عليه وسلم ودوام ادكاره يفتتح الكلام ويختمه باشداقه جمع
شدق بفتح اوله وكسره وسكون داله المهملة وهو جانب الفم وذلك لسعة فمه
الدالة على فصاحته صلى الله عليه وسلم كما مر وهو مما تتمدح به العرب كما يأتي
واما قوله صلى الله عليه وسلم ابغضكم الى الله المتشدقون فمعناه من يتكلف كثرة
الكلام بلا احتياط فيه فسقط ما قيل انه من صفة الفم ولا مدخل له في الجواب ويتكلم
بجوامع الكلم وهي الكلمات الموجزة المشتملة على الحكم النافعة السائرة مسير الامثال
جمع جامعة وتطلق على القران فصلا بفتح الفاء وسكون الصاد المهملة اي كلاما
فاصلا للخصومة وفارقا بين الحق والباطل لا فضول فيه اي لا زيادة فيه على
اداء المراد وهو اسم مفرد وقيل انه جمع فضل اخص مما ذكر ونقل لمعنى اخر ولذا
نسب اليه فقيل فضولي كما في المغرب ولا تقصير فيما يريده بتقليل مخل بالفهم
دمثا بفتح الدال المهملة وكسر الميم وبالثاء المثلثة من الدماثة وهي سهولة الخلق
مستعار من الارض الدمثة وهي ذات الرمل المتلبد اي لين الخلق لطيف المعاشرة
ليس بالجافي اي ليس غليظ الطبع وهو اصل معنى الجفا او لم يكن يجفو اصحابه
ولا المهين روي بضم الميم وفتحها فالاول من الاهانة والميم زائدة اي لم يكن
صلى الله عليه وسلم يهين احدا من الناس والثاني من المهانة وهي الحقارة
والميم اصلية اي لم يكن صلى الله عليه وسلم حقيرا متذللا لاحد من الناس لشرفه
لنفسه وعزتها وهذا وصف لذاته صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون وصفا

ابن الحنبلي

ابن اقبرس

لمنطقه بعظم النعمة وان دقت اي يعد كل ما انعم الله به عليه عظيما وان لم يكن كذلك
ومعنى دقت اي صغرت وقلت لا يذم شيا اي شيا يستحق الذم لم يكن يذم ذوقا بفتح
الذال المعجمة وفتح الواو المخففة والف وقاف فعال مشدد من ذاق بمعنى ما يذاق
من ماكول ومشروب فما قدم له صلى الله عليه وسلم من طعام ونحوه اذا اعجبه
اكل منه والا كف يده ولا يقول فيه شيئا فلا يذمه ولا يمدحه ولا يقام لغضبه من
قام اذا ثبت اي لا يثبت له احد او من قام بمعنى دام اي لا يدوم احد على تحمل غضبه
ويقام بضم المثناة التحتية مبني للمجهول وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم
كان يغضب لله احيانا وقد ورد ما يدل على ذلك اذا تعرض للحق بشي بفتح التا الفوقية
والعين والرا المهملتين المشددة والضاد المعجمة اي اذا اذا اعترض احد للحق
بما يبطله او ينقضه بخلافه ويشي بالبا الجارة وا للام وعامله اما يقام او تعرض
حتى ينتصر له اي للحق فيؤيده ويبطل خلافه ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها
اي اذا اذاه احد من الاعراب وغيرهم بما يتعلق بنفسه كالاعرابي الذي امسك
صلى الله عليه وسلم برداية ولببه والذي قال ان هذه قسمة غير عادلة ونحو
ذلك ككلام بعض المنافقين كابي ابن سلول راس المنافقين وما كان يشدد منه اذا
اشار اشار بكفه كلها اي اذا اشار لشي خارج الصلاة اشار برفع يده واما في
الصلاة اذا اشار للتوحيد اشار باصبعه السبابة والمسبحة ليبين في بيان الاشارة
وانه صلى الله عليه وسلم اشار انه احرنبه عليها بقوله واذا تعجب قلبها اي قلب
كفه وجعل باطنها الى السما وظاهرها للارض وتانيث الكف لانها مونث سماعي وهو
اشارة لانقلاب الحال عما يعتاد من غير اظهار للتعجب واستغراب الامر وهذا مما
يدل على شكونه صلى الله عليه وسلم وعدم خفته وهو امر ممدوح واذا
تحدث اتصل بها في شرح الدلجي بهمزة وفا وصاد مهملة ولام والضمير للكف
اي وجه كفه من فصل علينا اذا اخرج من طرف او ظهر من حجاب قاصدا اتصالها
بكفه ولم يتبينه غيره ووقع في بعض النسخ اتصل بها اي بمثناة فوقية
بدل الفا وفي حاشية التلمساني وللحديث يتصل بها اي لا زال يحركها وذلك انه
لانه قول وفعل انتهى وهذا يدل على ان اتصل بها رواية ففي العبارة ثلاثة
وجوه افصل واتصل ويتصل والمعنى انه صلى الله عليه وسلم فصل حديثه
باشارته بيده لجهة من يخاطبه كعادة من يهتم بكلامه في امر مهم اقول هذا
كلام مع غموضه غير محرر مع ما فيه اما ما ذكره الدلجي من انه افصل بهمزة
وفا فتحريف لانه لم يسمع في هذه المادة مزيد بزنة اكرم فالصواب فصل او
اتصل ومعناه انه صلى الله عليه وسلم فصل كلامه باشارته او وصل احدى
يديه بالاخرى ثم رايت في كتاب النعمة في الصلاة والسلام على شفيع الامة
ذكر هذا الحديث وانه اتصل افتعال من الوصل وهو الصحيح وذكر انه
صلى الله عليه وسلم كانت له اشارات مختلفة فيشير بالمسبحة للتوحيد
ويجمع كفه لغيره فرقا بينهما وانه كان اذا احدث وصل حديثه بالاشارة
بيده توكيدا له والظاهر ان الفا في الاتي في قوله فضرب تفصيلية كقوله

ح
صوابه كعبد الله بن ابي
ابن سلول

ونادي

ونادى نوح ربه فقال رب الخ ولم يتبين لي معناه والظاهر ان المعنى انه صلى الله عليه وسلم كان
يشير بجميع كفه اذا كان مع اصحابه على وجه متعارف كالاشارة للذهاب والجلوس ونحوه
واذا تحدث وصل بها اي ضم الحاصلة على راحلته وقت حديثه لتثبيت حديثه او انتهائه فاعرفه وقوله
فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى كذا في اكثر الروايات وفي بعضها فضرب براحته اليمنى باطن
ابهامه اليسرى والابهام معروف ويذكر ويؤنث وجمعه اباهيم واباهم قالوا وهذا
عادتهم اذا اخذ ثوا واذا غضب اعرض اي عمن غضب عليه من غير لوم له لشدة حلمه
صلى الله عليه وسلم واشاح بشين معجمة وحا مهملة بينهما الف قيل معناه صرف
وجهه فهو تاكيد لما قبله وقيل معناه قبض وجهه وزواه من غير لوم وعتاب
وهذا من حلمه صلى الله عليه وسلم فلا يقال كيف ادرج هذا في صفات المدح فيجاب
ان الغرض بيان صفاته صلى الله عليه وسلم للسايل لان المقام يا باه وسياتي في الحلم
تفسيره بما يقارب هذا وقيل انه في النهاية ان المشيح الحذر والجاد في الامر والمقبل
عليك المانع لما وراء ظهره وفي حديث سطيح اقبل على جمل مشيح اي جاد مسرع فيجوز
ان يريد احد هذه المعاني اي حذر من موجب غضبه الحذر في الامر ليشعر باعراضه
عن موجب غضبه او اقبل عليه ليمنع من وراءه من شر المغضوب عليه ولا يخفى
انه تكلف مخالف لما اختاره المصنف مما هو الظاهر هنا واذا فرح لرؤية ما يسره او سماعه
غض طرفه اي ارخاه واطلق تباعدا من الاشر والمرح جل ضحكه التبسم اي اكثره
وقد تقدم بيانه وقد يضحك صلى الله عليه وسلم احيانا حتى تبدو نواجذه
والتبسم مبادي الضحك ويفتر بفتح اليا وسكون الفا وفتح التا الفوقية وتشديد
الرا المهملة من قولهم افتر ضاحكا اذا ابدى اسنانه قال
يفتر عن لولو رطب وعن برد ۞ وعن اقاح وعن طلع وعن حبب ۞
وهو من فررت الدابة اذا كشفت فمها لتعرف سنها من سنها وذلك هو العراء
بالنم عن مثل حب الغمام متعلق بيفتر والغمام السحاب واحده غمامة كسحابة
وحبه هو البرد المعروف لا قطر المطر كما توهم فانه مع عدم مناسبته لا يسمى حبا
لان الحب الجامد دون السايل وتشبيه اسنانه صلى الله عليه وسلم به لصفائه
ولمعانه ورطوبته دون جريه حتى يقال انه لم يقع منه وهو مشهور في كلامهم كما
مر قال الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما فكتمتها اي اخفيت صفاته
صلى الله عليه وسلم التي سمعتها من ابن ابي هالة الحسين مفعول ثان لكتم وفي
نسخة عن الحسين بن علي زمانا اي مدة من الزمان ثم حدثته بما سمعته من صفته
صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقني اليه اي الى الحديث المعلوم من قوله
حدثته اي حفظه قبلي لانه رواه عن ابيه علي رضي الله عنهما فسال اباه عن مدخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وفي نسخة وملبسه بدل مجلسه
فان كانت الثلاثة مصادر ميمية فظاهر والا بان كان اسم زمان او مكان فالمراد
سالته عن حاله في مخرجه ومدخله والمراد خروجه صلى الله عليه وسلم للناس
ودخوله بيته وجلوسه عندهم كما سياتي وقيل المراد بمجلسه بكسر اللام هيئة
جلوسه وانما ذكر استقرا الجميع احواله يعني الحسن انه سمع هذه الصفات


عرضي
وفي نسخة عن الحسين بن علي

من ابن ابي هالة خاله ولم يخبر اخاه بما سمعه منه والحسين لم يسمعها من خاله فلما دونه
لها وحديث عنده علما منهما من طريق وهي ر وابيه لها عن امير المؤمنين ابيه مع زيادة
وانما كتم ذلك عنه مع النهي عن كتمان العلم عن اهله لانه لم يساله ولم يحضر مجلسها
فيهما ولو كان كذلك دخل في حديث من كتم علما الجمه الله بلجام من نار او انه انما
كتم عنه كلام ابي هالة الوصاف البليغ دون معناه لعلم اهل البيت بذلك فان
النعت والحديث لهم وشكله بفتح اوله اي هيئته في ذلك الحال وبكسره بمعنى
الهدي والسمت قاله التلمساني فلم يدع من ذلك شيئا اي لم يترك شيئا من احوال
الابيه لي قال الحسين سالت ابي رضي الله عنه عن دخول رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه اي دخوله منزله ليجتمع باهله لمصالحه
وقضاء مآربه وقيل لنه ماذونا له في ذلك من الله اذنا عاما بحيث يدخل اي بيت
من بيوت نسائه اي وقت من غير استئذان من زوجاته رضي الله عنهن لانه صلى الله
عليه وسلم كان لا يجب عليه القسم وقيل المراد دخوله بيوت اصحابه رضي الله
عنهم وهو بعيد لقوله فكان اذا اوى الى منزله فقسم ويجوز مده الى منزله
جزا دخوله اي قسم زمن دخوله لبيته ثلاثة اجزاء جزءا لله اي لعبادته
والتفكر في ملكوته وجزءا لاهله يدبر فيه امورهم ويصلحها ويتلطف بهم
وجزءا لنفسه من ماكل ومشرب وراحة وغيره مما يليق به لقوله ثم جزا
جزاه بينه وبين الناس اي قسم الزمن الذي جعله لنفسه فجعل قسما منه
مخصوصا بذاته واحواله في نفسه وجزءا اخر للناس وسائر الامة وهو ينزله
ولا يلا فيه الا اهله او خواص اصحابه الذين يؤذن لهم في الدخول عليه
وغيرهم لا يصل اليه بشيء ولذا قال فيرد ذلك على العامة بالخاصة برد
بمعنى يوصل ويعطي كانه لما كان لهم حق في الجملة اخذ منهم ثم رد اليهم
وقيل معناه ليستعين لانه ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يستعين بالخاصة
على العامة وهو بيان لمحصل المعنى وذلك اشارة لما فهم من السياق وهو جزء
الناس والعامة من عدا الخاصة التي عرفتها فكانت الخاصة تخبر العامة بما
سمعته منه صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن مما ينبغي كتمه عنهم والباء في بالخاصة
للسببية وكونها للبدل كقوله • فكيف لي بهم قوما اذا ركبوا • بعيد لانه
ليس المراد انه يجعل وقت العامة بعد الخاصة وبدلا منه وعلى على ظاهرها
وقيل بمعنى الى وروي بدل فيبدل بالمعجمة والمهملة مع ضم الياء المثناة
التحتية وفتحها فيهما ولا يدخر عنهم شيئا اي عن المذكورين من العامة والخاصة
وقيل عن الداخلين عليه صلى الله عليه وسلم والمآل واحد ويدخر بدال
مهملة مشددة واصله يذتخر بذال معجمة وتاء افتعال من الذخر قلبت
تاؤه دالا والذال دالا وفعل به ما علم من كتب الصرف وكذا امثاله من اذكر ويجوز
يذخر بذال معجمة مشددة فكان من سيرته في جزء الامة وهو الجزء
الذي جعله للناس وافرزه مما كان لنفسه اي كان دابه صلى الله عليه وسلم
وعادته في هذا الجزء ايثار اهل الفضل باذنه الايثار تقديم ما يؤثره

على

على غيره والمراد بإذنه إياه يأذن لهم في الدخول في خلوته في بيته كما مر وما قيل من أن
المراد بأهل الفضل أغنياء الصحابة رضي الله عنهم والفضل زيادة ما لهم على حاجتهم
والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم يأذن لهم أن يؤثروا ويتصدقوا فالظاهر أقرباؤهم كما وقع
لأبي طلحة رضي الله عنه في بيرحا تكلف أوقعه فيه قوله وقسمته على قدر فضلهم
في الدين فتوهم أن المراد تقسيم المال والعطاء وليس كذلك وإنما معناه فيقسم جزئه
بحديثه معهم واشتغاله بأحوالهم وقوله في الدين لأن أكرمهم عند الله أتقاهم
فتفاوتهم عنده بذلك لا بالنسب والمال وفي بعض النسخ وقسمه بدون تاء فمن بين
سبب تفاوتهم بقوله فمنهم ذو الحاجة الواحدة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو
الحوائج الثلاثة فأكثر فيتشاغل بهم أي بقضاء حوائجهم وإرشادهم لما يصلح
معاشهم ومعادهم ويشغلهم بفتح الياء المثناة التحتية مضارع شغل وأما
أشغل فلغة رديئة كما مر أي يجعلهم صلى الله عليه وسلم مشغولين بما أمرهم به
مما أصلحهم وفي نسخة يصلحهم أي ما فيه صلاحهم والأمة بالنصب أي وأصلح
الأمة لتبليغه لهم ما يليق بهم لتعدهم فيه صلى الله عليه وسلم بحالهم من مسألته
عنهم وهو بيان لما أي سؤاله عن أحوالهم وروي مسألتهم أي الخاصة ذوي
الفضل وإخبارهم أي إخبار ذوي الفضل بالذي ينبغي لهم أي يليق ويناسب حال
المسئول عنهم من الأمة وهو مطاوع بغي بمعنى طلب قال الراغب إذا قيل ينبغي
أن يكون كذا فهو على وجهين أحدهما ما يكون مسخرا للفعل نحو النار ينبغي
أن تحرق الثاني الاستهال نحو فلان ينبغي أن يعطي لكرمه قال تعالى وما علمناه
الشعر وما ينبغي له ويقول صلى الله عليه وسلم لمن حضر عنده ليبلغ الشاهد
أمر وهو للوجوب في الأمور الشرعية وهو بتخفيف اللام وجزمه ذكرا لانباع بعد
ويجوز تشديدها والأولى أصح هنا والشاهد الحاضر عنده لمقابلته بقوله الغائب
وهو من لم يكن حاضرا أو موجودا فهو من كبار الصحابة والغائب من صغارهم
أو هم الصحابة والتابعون قيل ويحتمل أن يراد العالم والجاهل وأهل الحضر والبا
والسامع ومن لم يسمع والمسلم والكافر وهذه احتمالات عقلية أو هي تأويلات
وتعميم لمفهومه فتأمل وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها أي حاجته وروي
إبلاغ حاجته وهو تعميم بعد تخصيص للترغيب والحث وبيان لسبب الأمر فإنه
أي الأمر والشأن من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها قيل يريد أن من
أبلغ سلطانا حاجة جوزي بهذا الجزاء العظيم فكيف بمن بلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم وإلا فهو أجل من أن يكون ملكا أو سلطانا وقد قال كما تقدم لست
بملك قلت فيه نظر وقد يقال المراد بالسلطان هنا الإمام الأعظم خليفة الله
وقد أطلق الفقهاء ذلك عليه كما بيناه في حكمه بالسلطنة والفتيا والقضاء
المذكور في القواعد للسبكي كما سيأتي وهذا حديث مستقل رواه الأصبهاني
وفي بعض ألفاظه اختلاف ثبت الله قدميه يوم القيامة على الصراط يوم تزل
الأقدام كما ورد مصرحا به في رواية لابن أبي الدنيا وذلك لأنه مشى بقدميه
وسعى لحاجة أخيه فهو جزاء من جنس العمل وهو كناية عن نجاته من أهوال

عوني

والأول

تلمساني

دية

الابلاغي

ابن الحنبلي

الموقف ولا يذكر عنده اي لا يذكر في مجلسه صلى الله عليه وسلم الا ذلك اي الاشارة لجميع
ما تقدم من ذكره مصالحهم وسؤالهم عن الامة والامر بالتبليغ والحث عليه والترغيب
فيه ولا يقبل من احد بالبنا للفاعل والمفعول غيره اي لا يرضى الا ما غيره ما يكون من
هذا القبيل وقال اي علي رضي الله عنه في رواية في حديث سفيان بن وكيع بن الجراح
ابو محمد الكوفي وهو امام حافظ روى عنه الترمذي والدارقطني وغيرهما توفي
سنة سبع واربعين ومايتين ووالده امام جليل حافظ رحمه الله يدخلون اي
اصحابه رضي الله عنهم روادا بضم الرا المهملة وتشديد الواو والف ودال مهملة
جمع رائد واصله من يتقدم القوم المسافرين ليختار لهم منزلا فيه الما والكلا
فاستعير هنا للطالبين المحتاجين لحاجتهم وما يرشدهم وقيل يبتغون وقت
الوصول اليه وقال التلمساني الفرد رواد بكسر الرا وتخفيف الواو مصدر ويروى
لوادا بلام ودال معجمة اي ملتجين لايذين به ولا يتفرقون من مجلسه صلى الله
عليه وسلم الا عن ذواق بفتح الذال المعجمة والواو المخففة والف وقاف فعال
من الذوق بمعنى المذوق وهو الماكول فاستعير للعلم الذي يتعلمونه ويحتمل
انه يريد حقيقته لانه صلى الله عليه وسلم كان عادته ان يطعم شيا لمن يدخل بيته
وعلى هذا اجرت عادة السلف الصالحين وحقيقة الذوق كما قاله الراغب وجود
الطعم بالفم واصله فيما يقل تناوله وفيه تفصيل ذكرناه في كتابنا الاذكار الحالي
اي لا يتفرقون الا عن علم وادب هو غذا الارواح وسبب لبقائهم ويخرجون
من عنده صلى الله عليه وسلم ادلة يعني فقها عالمين بامور الدين اي هداة
مرشدين الناس اي يهتدي بهم غيرهم فادلة جمع دليل بمعنى هادي او بمعنى
المشهود كما يقال فلان حجة الاسلام والصحابة رضي الله عنهم كلهم مجتهدون
خلافا لبعض الحنفية كما في تحرير ابن الهمام قلت قائله الحسين لابيه
رضي الله عنهما فاخبرني عن مخرجه عن حاله صلى الله عليه وسلم بعد
خروجه من منزله كيف كان يصنع فيه بعد خروجه منه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم من وضع الظاهر موضع المضمر للاهتمام والتلذذ ذو التركيا
بذكره يخزن لسانه بالخا وضم الزاي المعجمتين والنون اي يصونه ومنه الخزانة
لانه لا يحب كثرة الكلام قال اذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه
بخزان ولما فيه من المنع عداه بمن فقال الا مما يعنيهم وفي نسخة الا فيما
ويعني بفتح المثناة التحتية اي يهمهم وينفعهم من جواهر كلمه ودرر الحكمة
حكمه ويولفهم ولا ينفرهم اي يجعلهم مؤتلفين به غير متفرقين عنه لمداراته
ولطفه بهم كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
او يجعل الله بينهم الفة لحثهم على التحابب والمواخاة بينهم يكرم كريم
كل قوم فقال اكرموا عزيز كل قوم لمعرفته صلى الله عليه وسلم بمقادير
الناس ويوليه عليهم اي يجعله حاكما عليهم فلا يولي احدا من اصحابه ولا
غيرهم عليهم ولا يولي صغارهم عليهم رعاية لاهلية ذوي الولايات
وتجنبا لاعلا الاسافل ترغيبا في الاسلام ويحذر الناس ويحترس منهم لان

اي م

من الجزم

من الحزم سوء الظن وعدم الوثوق بكل احد وقال عمر رضي الله عنه احتجزوا بسوء الظن وهو
من بديع حكمه وليس المراد بالناس جميعهم بل عوامهم بخلاف خواصهم والاحتراز والاحتراس
والحذر متقاربة وقيل الاحتراس التحفظ والاحتراز التعود والحذر الخوف من غير ان
يطوي اي يخفي ويمنع استعارة من طي الثياب من احد بشره اي طلاقة وجهه وانبساطه
نائبا له وتاليفا لقلبه واذهابا لخوف مهابته وخلقه اي حسن خلقه ولم
يذكر الحسن اشارة الى انه مجبول على الحسن فيه وبتفقد اصحابه اي يسال عمن لم يحضر
عنه وفقد من مجلسه وقد يذهب صلى الله عليه وسلم لمنزله اذا طالت غيبته وطلبه
ويسال الناس عما في الناس من احوالهم وامورهم ليعلم امورهم فيتدارك ما ينبغي
تداركه وينصح من يلزم نصحه وليس هذا من التجسس او الغيبة المنهي عنه بل من
سؤال الطبيب ليشفي المريض فاذا اخبروه بحال حسن حمد الله على ذلك ويحسن الحسن
ويصوبه اي يبين حسنه وكونه صوابا ويمدح فاعله ترغيبا له فيه ويقبح القبيح
ويوهيه بضم اولهما وتشديد ثانيهما او النون والياء التحتية من الوهي بمعنى الوهن
وهو الضعف اي يقول هو فعل قبيح وضعيف ساقط تنفيرا او تحذيرا او نصحا او نفعا
والمراد الحسن والقبيح عادة او شرعا وفيه صنعة الطباق معتدل الامر اي امره
صلى الله عليه وسلم كلها معتدلة فلا يبالغ في تحسين وتقبيح غيره غير مختلف
اي على سنن واحد في جميع اوقاته لا يغفل عن شيء من احوال الناس مخافة ان
يغفلوا عما يصلحهم وهو بضم الفاء فيهما او يملوا اي يحصل لهم فتور وكسل
عن مصالح امرهم اذا لم ينبههم عليه ولو ارجع هذا القول معتدل الامر لم
يبعد ويجمع هذا قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
لكل حال من احوال الناس عنده عتاد يعني مهملة مفتوحة ومثناة فوقية ودال
مهملة وهو كالعتيد العدة والحاضر المعد لاصلاحه وتداركه اذا وقع فهو
متعلق بقوله فيب عتيد وقيل اصل العتاد عداد لانه من العدة فابدلت
الدال تاء هربا من التكرار ولا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره فاذا اراه عمله
واذا راى منكرا ازاله من غير تاخير الذين يلونه من الناس اي يقربون منه في مجلسه
ونحوه خيارهم اي افضلهم واشرفهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة اي هنا
بمعنى اكثر نصيحة اي واكثر منصوحا بان ينصح في كل امر كل احد بارشاده لما هو
خير له ولذا قال صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه
ولائمة المسلمين فنصيحة الله اخلاصه في اعتقاده له بما يليق به من توحيده
وعبادته مخلصا لوجهه ولكتابه بفهم معانيه والعمل بما فيه والنصيحة
لرسوله صلى الله عليه وسلم الايمان به واجتناب نواهيه وامتثال اوامره
ولائمة المسلمين طاعتهم وعدم الخروج عليهم ونصيحة العامة ارشادهم
لمصالحهم والنصح ارادة الخير لمن ينصحه باخلاص وهي كلمة جامعة يقال
نصحته ونصحت له واعظمهم عنده منزلة اي رتبة وشرفا احسنهم مواساة
لكل احد لان حذف المتعلق يفيد العموم والمواساة اعطاء من يريد ما يريد
وبذله له يقال اساه وواساه بواو مبدلة من الهمزة اذا جعله اسوة له

ومؤازرته اي اعانته لمن التجا اليه يقال ازره ووازره اذا اعانه وقواه وساعده من الازر وهو الظهر لان قوة البدن به او من الوزر وهو الملجا ومنه الوزير وفي الحديث ما احد عندي اعظم يدا من ابي بكر واساني بنفسه وماله وهذا يدل على انه افضل الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قال الحسين رضي الله عنه فسالته يعني عليا والده رضي الله عنهما عن مجلسه اي عن حاله في مجلسه خارج بيته مع الناس ومعاملته لهم فيه ولذا اردفه بقوله عما كان يصنع فيه فقال كان لا يقوم من مجلسه الا على ذكر الله يحتمله صلى الله عليه وسلم ختام مجلسه فانه اذا قام منه قال سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت فيجعل ذلك علامة لانصرافه عن العامة والذكر بالذال المعجمة اذا اطلق اريد به ذكر الله وان كان عاما وقال التلمساني وقد يحتمل ذالك قليلا وقيل انها لثغة وقيل لغة ولا دليل لقائله في نحو هذا من مذكر فانه مغالطة ولا يوطن بضم المثناة التحتية وسكون الواو وكسر الطاء مشددة ومخففة وفتحها مشددة كما في بعض الشروح وفي بعضها انه بالكسر من اوطنه ووطنه اذا اتخذه وطنا الاماكن جمع امكن او امكنة جمع مكان فهو جمع الجمع وفي ميمه خلاف هل هي اصلية او زائدة وينهى عن ايطانها اي اتخاذها وطنا والمراد ملازمة محل مخصوص في غير بيته مما ليس بملك كالمسجد وغيره من الاماكن المباحة لان لكل احد حقا فيه والنهي الوارد عنه صلى الله عليه وسلم انما هو في حق المسجد بان يتخذ مصلى معينا منه ولذا نص فقهاؤنا على كراهة ارسال السجاد للجامع وفرشها فيه وفي الحديث نهي النبي صلى الله عليه وسلم ان يوطن الرجل المكان بالمسجد قيل وهو عام مخصوص بما لم يتضمن مصلحة كمن اتخذ مكانا للافتا والتدريس فله ايطانه واقامة غيره منه اذا كان من لا يعرفه ياتي لاستفتائه فيعرفه في مكانه وقوله ايطانها يؤيد ان يوطن مخفف ولا يعينه كما قيل لانه لا يجوز ان يذكر فعل من باب ويذكر له مصدر او اسم فاعل او مفعول واسم مكان وغيره من باب اخر نحو تبتل اليه تبتيلا وقوله

وداع دعا يا من يجيب الى الندا ● فلم يستجبه عند ذاك مجيب ●

ويجوز في نحو اجراه مجراه ضم الميم وفتحها وقد تكون المغايرة ابلغ واكثر معنى وهذا مما ينبغي التنبه له واذا انتهى مشيه قاصدا الى القوم الذين يريد الجلوس معهم جلس حيث ينتهي به المجلس اي في اي مكان حال منه من غير تصدر على اصحابه رضي الله عنهم وينتهي من النهاية لانه نهايته محل الجالسين فيه ويامر اصحابه بذلك تشريعا وتاديبا فعلم ان تحري الصدر مكروه شرعا لما فيه من الكبر والترفع على اصحابه لاسيما اذا لم تطب انفسهم بذلك فيتاذون به فانه قد يحرم كما يفعله علماء السوء في زماننا ويعطي كل احد من جلسائه نصيبه اي ما يستحقه من ملاطفته وفيما يتسوا له ولبشره صلى الله عليه وسلم له حتى لا يحسب اي يظن جليسه

ابن ارسلان

ان احدا

ان احدا اكرم عليه منه اي يظن انه اكرم الناس واحبهم عنده لما يري من لطفه به فهو
كفو لهم ليس في البلد اعلم منه كما مر تحقيقه فهو غاية لذلك الاعطا من جالسه او قاومه
في حاجة اي من جادثه او قام مع قيامه لعزمه حاجته او لغيره ذلك فهي مفاعلة من الجلوس
والقيام صابره اي صبر عليه او صبر مقدار صبره فلا يبغض عنه حتي ينصرف وهو كل
ذلك لاستمالتهم وتطييب قلوبهم فلا يمل حتي يملوا حتي يكون هو المنصرف عنه
والحصر بتعريف الطرفين في جزء هنا من سأله حاجة لم يرده الا بها اي يرده صلي الله
عليه وسلم مقضي الحاجة غير خايب او بميسور من القول اي او برده بقول لين
سهل لا غلظة فيه كوعد وقد تقدم بيانه قد وسع الناس منه بالنصب مفعول
وسع بسطه وخلقه باضافته لضميره وبرفعه علي الفاعلية له اي عمهم بسطه اي
انبساطه صلي الله عليه وسلم وسماحته اي بشره وطلاقة وجهه وابدا اسرور وحسن
خلقه تشبيه بمكان متسع رحب واثبت له السعة والبسط بهذا المعني مسموع وليس
لغة مولدة كما ايتوهم كما ذكره المص في المشارق وتقدم في الحديث عنه صلي الله عليه وسلم
والله مبي يبسطني ما يبسطها فصار لهم ابا اي بمنزلة الاب في البر والصلة وفيه
للبر وفيه دليل علي انه يجوز ان يقال انه صلي الله عليه وسلم ابو المؤمنين
كما يقال لزوجاته رضي الله عنهن امهات المؤمنين ولا ينافيه قوله تعالي ما كان
محمد ابا احد من رجالكم لان نفي الحقيقة لا ينافي المجاز كما سياتي وصاروا عنده
في الحق متقاربين اي يقرب بعضهم من بعض اذا كانوا علي الحق او في اداحقوقهم
اي في اصل الحق فلا ينافيه قوله متفاضلين فيه بالتقوي اي بحسب مراتبهم في
تقوي الله لقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال صلي الله عليه وسلم ان لو ا
الناس منازلهم وسياتي في الرواية الاخري وصاروا في الحق سوا فلا ينافيه
هذه الرواية ولا ان بينهم تفاوتا وفي الحديث لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا
فان تساووا هلكوا او صاروا كاسنان المشط ليس فيهم فضلا او تنافسوا في الفضايل
فانكروا فضل بعضهم علي بعض
وما عبوا الانسان عن فضل نفسه كمثل اعتراف الفضل في كل فاضل
وفي الرواية الاخري صاروا عنده في الحق سوا كما بيناه مجلسه مجلس حلم وحيا
اي نظهر فيه حلمه عليهم وحلمهم علي غيرهم بحيث لا يستفزهم الغضب وهم
مظهرون للحيا لا يرفعون رؤسهم وامنوا بهم ولا يرتكبون ما لا ينبغي قولا
وفعلا قيل ولو قدم هذا وادرجه في جواب السؤال عن مجلسه كان احسن
قلت ما بالعهد من قدم وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات احتراما له صلي
الله عليه وسلم ولوقارهم وادبهم ولا تؤبن فيه الحرم كالكبر جمع حرمة
وهي ما لا يحل والمراد النسا الحرمة النظر لهن ونحوه اي لا تذكرن بسوء من
ابنته وابنته اذا ذكرته بما يكره ماخوذ من الابنة والابن وهي عقد في العصي
تعاب بها اي لا تذكر فيه النسا لانه رفث من القول او لا يذكر فيه ما يحرم
كالغيبة وسياتي تفسيره ولا تنثي فلتاته بنا مثناة فوقية مضمومة ونون
ومثلثة مقصورة من الثنا وهو ذكر القبيح ضد الثنا بتقديم المثلثة وهذا

اي اقربهم

هو المؤافق لما سيأتي وروي ولا ينثي بتقديم المثلثة على النون اي لا تعاد والفلتات
بفتحات جمع فلتة بفتح فسكون ويجوز تسكين لام فلتات ويجوز ضم فا فلتة كما قاله
التلمساني وهي الزلة اي القبيح الذي يقع بغتة والمراد انه لا فلتة فيه حتى يذكر
في مجلس اخر فيتعاد ذكرها في الشيء يذكر لان مه لا نها لو وقعت ذكرت كقوله
ولا ترى من الصب بها يتحجر وهذه الكلمة اي قوله لا تنثي فلتاته من غير الروايتين
رواية الحسن عن خاله ورواية الحسين عن ابيه ويجوز ان يراد ظاهره اي ان
الفلتة اذا وقعت لا تذكر بل تستر يتعادلون بالتقوى اي يعطف بعضهم على
بعض ويشفق عليه ويرحمه بسبب تقوى الله لا رياء وسمعة ولا خوفا واتقا
شر فالباء سببية كقوله رحماء بينهم متواضعين اي يتواضع بعضهم لبعض
لا يتكبر احد على احد فيخدمه ويخفض جناحه له يوقرون فيه اي في المجلس الكبير منا
ويرحمون الصغير شفقة عليه ورأفة وهو مفتوح الصاد ويكسر في لغة رديئة
ويرفدون بفتح المثناة التحتية وضمها اي يعينون ويواسون يقال رفده يرفده
بالكسر وارفده بمعنى ذا الحاجة اي كل من كانت له حاجة ومسالة لهم او له صلى
الله عليه وسلم اعانوه بقضائها او ابلاغها او الشفاعة فيها ويجوز ان يراد بها الفقير
المحتاج ويرحمون الغريب اي يشفقون عليه ويعطفون تأنيسا له وازالة لوحشة
غربته قال الحسين فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال
كان صلى الله عليه وسلم دائم البشر اي طلاقة الوجه وبشاشته واظهار
السرور في مجالسه العامة وهذا لا ينافي ما مر من قوله دائم الاحزان كما مر
فتذكره سهل الخلق اي خلقه وسجيته السهولة وعدم الشدة في اقواله وافعاله
وقد جاء صلى الله عليه وسلم بالملة السمحة السهلة لين الجانب بتشديد الياء
وسكونها اي لا غلظة فيه ولا جفا منه للامة تواضعا ليس بفظ اي سيئ الخلق
ولا غليظ اي شديد متوعد لاحد ممسك عنه لطفه ورفده ولا صخاب
بالصاد والسين اي لا يرفع صوته جدا في خصومة ونحوها ولا فحاش اي لا يتكلم
بقبيح كالشتم ولا عياب اي ذاكر العيوب الناس ونقائصهم ولا مداح اي
لا يكثر المدح لغيره ويطريه بمبالغة فوق ما فيه وان كان يذكر الحسن
والقبيح بما فيه كما مر وذكر هذه بصيغة المبالغة اشارة الى انه قد
يصدر قليلها احيانا منه صلى الله عليه وسلم لمقتضى الحال ومثله لا يعاب
والمدح انما يذم اذا كان زيادة عن حده لانه كذب ومداهنة واما مدح
من يستحق المدح بما فيه اذا لم يلزمه محذور فامر حسن الا ترى الى قوله
صلى الله عليه وسلم لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالم لرجح وقوله لعمر رضي
الله عنه لو لم ابعث لبعثت انت يا عمر فاي مدح يزيد على هذا لكنه صدق
ناش عن بصيرة ولا يؤمن بهم ذلك اعجابا ولا فتورا وما من شيء الا وهو ممدوح
من وجه مذموم من اخر يتغافل عما لا يشتهي اي يتغافل عما ليس بمنكر شرعا
لكنه غير مستحسن عادة او طبعا اذ لو كان منكرا شرعا نهى عنه ولم يتغافل عليه
وهذا من مكارم الاخلاق كما قال ابو فراس

ليس

ليس الغبي بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغابي * * *
ولا يؤيس منه قال في المغني يؤيس بضم اوله وسكون الواو وهمزة مكسورة وفي نسخة
او يؤيس بفتحها على انه مبني للفاعل او المفعول وهو من الياس ضد الرجا يعني اذا سئل
صلى الله عليه وسلم عما لا يليق تغافل عنه ولم يرد السائل حتى ييأس او يتبين له انه سأل
ما لا يليق فيخجل سائله وقد ترك نفسه من ثلاث اي نزهها عنه ومنعها وقيل فيه قلب
اي ترك ثلاثا من نفسه الريا والاكثار وما لا يعنيه بفتح المثناة التحتية اي يهمه
وهي بدل من ثلاث مبينة لها والريا اظهار ما فيه من الصفات الحميدة والافعال الجميلة
للناس حتى يحمدونها ويشيع وهو الشرك الاصغر وهو صلى الله عليه وسلم منزه
عنه بلا شبهة فان قلت كونه غير ثابت له امر ظاهر لانتفائه عنه فما الحاجة لذكره
قلت كانه ذكر هذه الجملة الحالية لبيان وجه تغافله عما لا يحبه من غير ان يقنط
راجيه يعني انه لم يقل انا لا احب هذا فلذا لم اجبك عنه حتى يتوهم انه سيفعله
لما فيه من الريا ولذا قال وترك الناس من ثلاث اي ابعدهم عنها او ترك ذكر
الناس ونحوه من اجل ثلاث تضمنها قوله كان لا يذم احدا من الناس يستحق الذم
كالمنافقين لعنهم الله ولا يعيره بعين مهملة يقال عيره كذا وبكذا اي ذكر ما فيه
بما هو عار عليه وعيب فيه قد سلف منه فالفرق بينه وبين ما قبله انه اخص
منه وليس عينه حتى لا تكون امور الناس المتروكة اربعة كما ذكره التلمساني رحمه
الله تعالى ولا يطلب عورته اي لا يتجسس عن معايب الناس ويبحث عنها كما كان صلى
الله عليه وسلم يفعل مع المؤلفة قلوبهم واصل العورة الخلل وما يجب ستره
كما في حديث ابي داود يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا
المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع
الله عورته وهذا كما قيل في المثل لا تعيروا فتبتلي وهذا اذا لم يلزم اظهارها
شرعا كالمتجاهر بفسقه ونفاقه وقوله ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه صفة اخرى
مرتبطة بما قبلها وليست من الثلاث وهذا كنصيحة الامة وارشادهم وتعليم
الخير والتبليغ اذا تكلم اطرق جلساؤه اي خفضوا رؤوسهم تادبا وانصاتا
كانما على رؤوسهم الطير اي بسكون ووقار من غير طيش وخفة لان الطير لا تقع
الا على ساكن وهذا مثل مشهور واذا سكت تكلموا فلا يقطعون حديثه بحديثهم
تادبا معه صلى الله عليه وسلم وتوجها الى مقاله لحرصهم على حفظه مراعاة
لعظيم قدره ولا يتنازعون عنده الحديث اي اذا كانوا في مجلسه صلى الله عليه
وسلم لا يديرون الحديث بينهم فيحدث بعضهم بعضا كما هو جار بين الناس
اذا اجتمعوا في ماد وهذا بيان لقوله تكلموا او ان المراد يتكلمون مع النبي صلى الله
عليه وسلم بسؤالهم له ونحوه من مهماتهم لا انهم يديرون الحديث بينهم
وهذا هو معنى تنازع الحديث في كلامهم ومن فسره بالتخاصم لاغترار بظاهر
التنازع لم يصب لعدم مناسبته للمقام ولا يخفى انه لا معنى لقولك تخاصموا
الحديث الا بتاويل اي تخاصموا في الحديث وهو ركيك قال امرؤ القيس *
فلما تنازعنا الحديث واسمحت * هصرت بغصن ذي شماريخ ميال * * *

قال ابن السيد في شرح ادب الكاتب تنازعنا الحديث اي تداولناه نحدثني مرة وتحدثنا
اخرى وهاهنا بحث وهو ان سيبويه قال في كتابه لا تقول تفاعلت الا وانت تريد
فعل اثنين فصاعدا ولا يجوز ان يتعدى لمفعول بنفسه وفي تفاعلنا تلفظ بالمعنى
الذي في فاعلته كتضاربنا وتقاتلنا وقد يجي بتفاعلت على غير هذا كتغاضيته انتهى
فلم تجز تعدي تفاعل لمفعول الا اذا كان لواحد لان تفاعل قد تضمن الفاعل والمفعول
الذي كان في فاعل الاشتراك تقول ضاربت زيدا فتاتي بفاعل ومفعول فاذا قلت
تضاربنا لا يتعدى لاشتماله على فاعل ومفعول وليس لنا غيره وليس تنازعنا كذلك
لان نازع يتعدى لمفعولين تقول نازعته الحديث فاذا قلت تنازعنا لم يكن بد
من ذكر المفعول الثاني لان تنازع لم يتضمنه كذا قاله ابن السيد في المقتضب
شرح ادب الكاتب اقول في كلام سيبويه حينئذ قصور لانه كان عليه ان يقول
ان باب تفاعل بمعناه الاصلي ينقص عن فاعل مفعولا فان كان متعديا بالواحد
كان لازما وان كان متعديا لاثنين تعدى كما ذكره بعض النحاة فاطلاقه
لا ينبغي وقد نقل ابن السيد هذا في محل اخر عن الكوفيين فقال قال ثعلب
يقال فلان متعهد ضيعته ولا يقال متعاهدها قال ابن درستويه
انما انكرها لانها على وزن يتفاعل وهو عند اصحابه لا يكون الا من اثنين
ولا يكون عندهم متعديا المفعول مثل تقاتلا وتعاملا وهو غلط لان تفاعل
قد يكون لواحد ويكون متعديا كقول امرء القيس
تجاوزت احراسا واهوال معشر ❊ على حراص لو يسرون مقتلي ❊
وجا تفاعل متعديا لاثنين كقوله فلما تنازعنا الحديث الخ قال الخليل التعاهد
والتعهد الاحتفاظ بالشي واحداث العهد به وقول سيبويه السابق يشبه قول
الكوفيين انتهى والتنازع هنا كالتجاذب مجاز بديع كقوله صلى الله عليه وسلم
لمن قرا خلفه ما لي انازع القران من تكلم عنده اي في مجلسه صلى الله عليه وسلم
من الصحابة او غيرهم انصتوا له حتى يفرغ من حديثه وفي بعض النسخ من كلامه
وانصت يكون لازما بمعنى سكت ومتعديا يقال انصته اذا اسكته حديثهم
حديث اولهم مبتدا وخبر او حديثهم فاعل يفرغ لجمع الضمير وهو من
رعاية للمعنى وحديث اولهم بدل منه اي لا يقطع كلام من تقدم بكلام اخر ولا
يخاصم لهذا اي معنى لا يتنازعون وهو مرتبط بما قبله فان كان مبتدا بدليل
رواية من كلامه وهو تشبيه اي حديث كل واحد منهم كما هو حديث من قبله
يعني انه لا حديث له معه يقطعه كقوله صلى الله عليه وسلم ذكاة الجنين ذكاة
امه وقد خفي هذا على بعض الشراح فعلقوه بانصتوا يضحك صلى الله عليه وسلم
مما يضحكون منه اي الصحابة رضي الله عنهم ويتعجب مما يعجبون وفي
نسخة ويتعجب مما يتعجبون لانه من حسن الصحبة ان يشرك ما يسره
ويحزنه ما يرضيه وهم على نهج واحد وطبايعهم سليمة فلا يضحكون ويعجبون
من غير مقتضى فلا يقال انه يلزم من ضحك احد وتعجبه فعل غيره مثله لانه
امر طبيعي وهذا في احيان قليلة فلا ينافي قوله السابق كانما على رؤسهم

الطبع ويصبر للغريب على الجفوة اي الغلظة في تكلمه بما يؤلمه في المنطق اي في كلامه
مع النبي صلى الله عليه وسلم كتحليف الاعرابي له صلى الله عليه وسلم وقوله له آلله
ارسلك بهذا وانما قيد بالغريب لانه معتد ولانه لا يعرف احواله وهذا من مكارمه
ومعاملة كل احد بما يليق بحيثية ان كان اصحابه ليستجلبونهم ويقول صلى الله عليه
وسلم لاصحابه اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه بوصل الهمزة وقطعها من رفده
وارفده اذا اعانه او اعطاه لان الرفد العطية والارفاد الاعانة وكل منهما قابل هنا
ولا يطلب الثناء يعني يقبله كما ورد في رواية فهو مجاز مرسل او استعارة والثناء الذكر
للحسن والمدح الا من مكافئ بالهمزة اختلف في تفسيره اي ممن اثنى جزاء على نعمة واحسان ن خ
تقدم له منه وقد صرح به في بعض الروايات بقوله عن يد ولا يرد عليه ان النبي
صلى الله عليه وسلم رحمة عامة ما من احد الا وله عنده يد فالصواب تفسيره
بسلم اي غير متجاوز في المدح مطرا لان القرينة قايمة على ان المراد نعمة حادثة
خاصة ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوزه اي يخففه يقال تجوز في الصلاة
اذا اسرع وخفف فيقطعه بانتهاء اي اتمام حديثه وبه ينقطع الكلام او قيام من
المجلس لانه انقطع كلامه فمعنى لشانه هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع السابق ذكره
وزاد الاخر اي صاحب الرواية الاخرى قلت القايل احد السبطين رضي الله عنهما
كما مر كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم
والحذر والتقدير والتفكر لما كان الحلم والحذر من جميع الناس معلوما وقد
تقدم لم تفسره وقال فاما تقديره اي بموزون مقدار اذا صدر منه او من غيره
ممن يقتدي به ففي تسوية النظر في الامور وما يترتب عليهما من المنافع
الدنيوية والاخروية والاستمتاع اي استمتاع الناس به صلى الله عليه وسلم
او بامورهم فيما بينهم ومعنى الاستمتاع الانتفاع وقوله بين الناس متعلق
بالتسوية وهي جعلهم متساوون وليس المراد تساويهم حقيقة بل ان يكون
لكل احد مقدار يليق به واما تفكره ففيما يبقى ويفنى اي في امور الدنيا الفانية
والاخرة الباقية المخلدة فان قلت كيف يعلم هذا وهو امر مستتر في نفسه صلى الله
عليه وسلم لا يطلع عليه الا الله قلت هذا بطريق الاستدلال العقلي والفراسة
الصادقة الشاهد لها ما يظهر من اثاره وتتعلق به اذا تكلم فان الظاهر عنوان
الباطن وجمع بالبناء للمفعول اي جمع الله له وكذا ما سياتي بعده الحلم باللام
اي جمع له سائر جزئيات الحلم المختص كل حليم ببعض منه وفي بعض النسخ الحكم
بالكاف وله وجه في الصبر اي مع الصبر على امور الناس والامة فكان صلى الله
عليه وسلم مع حلمه صابرا لا يضجر ولا يقلق كما اشار اليه بقوله فكان لا يغضبه
شيء مما يتعلق به في نفسه وان كان قد يغضب لله ولا يستفزه بكسر الفاء وتشديد
الزاي المعجمة اي يستخفه بحيث يبعد ومنه خفة وقلق لامور الدنيا
والاعدا وجمع له في الحذر اي في حال حذره واحترازه من الناس ومع ذلك
اربع نايب الفاعل اخذه بالحسن وفي بعض النسخ تركه قوله اربع وهو رفع
نايب الفاعل منصوب مفعول لاجله اي تمسكه بكل امر مستحسن مشروع ه

ليقتدي به ويتبعه الناس وتركه القبيح شرعا وخلاف الاولى لينتهي عنه علة للترك
اي لينتهي الناس عنه واجتهاد الراي اي اجتهاده صلى الله عليه وسلم فيما يراه رايا
بما اصلح امته اي فيما يصلحهم او لسببه والقيام لهم اي الامة بما جمع لهم امر
الدنيا والاخرة في المعاش والمعاد ومعنى القيام التعهد والالتزام والاجتهاد
بذل ما في وسعه وطاقته من اصلاحهم او هو بمعناه المصطلح بناء على جواز
اجتهاده صلى الله عليه وسلم وفيه اختلاف مذكور في كتب الاصول قال الابي
في شرح مسلم نقلا عن المص لا خلاف انه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في امور الدنيا
ويرجع الى راي غيره في ذلك كما فعل في تلقيح النخل واختلف في انه صلى الله عليه
وسلم هل له ان يجتهد في الشرعيات وهل هو معصوم في اجتهاده ام لا والحق
ان له ذلك وانه معصوم وتفصيله في اصول الفقه فلا حاجة للتطويل به

## فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله

المراد بالغريب
ما لم يكن استعماله مشهورا بين العرب بحيث يخفى على غير العرب لغرابته الا ان لا
يكون جاريا على قوانين اللغة كما قيل والمشكل ما لم يكن واضح الدلالة بحيث
يحتاج للتاويل المشذب بضم الميم وفتح الشين وتشديد الذال المعجمتين
المفتوحة وبالباء الموحدة اي البائن اي الظاهر احترازا عما فوق الربعة
بتقليل الطول في نحافة هي قلة اللحم وضدها الضخامة وقيل الطويل مطلقا
وهو مثل قوله في الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط بضم الميم الاولى وفتح
الثانية وتشديدها وكسر الغين المعجمة وطاء مهملة واصله منمغط
فابدلت النون ميما وادغمت بمعنى الطويل من امغط النهار اذا امتد
ويقال بالعين المهملة بمعناه كما في النهاية وقال التلمساني بالمعجمة
والمهملة والميم الثانية مشددة او مخففة وهو الطول في نحافة او
الطول الذي ليس بفايق فليس بذم والشعر الرجل بفتح الراء المهملة وكسر
الجيم من الترجيل وهو تسريح الشعر وتمشيطه والمرجل الذي سرح ومشط
والرجل الذي يحاكيه خلقة كما في الاكمال واليه اشار بقوله الذي كانه مشط
بالتخفيف والتشديد فتكسر قليلا التكسر الخفي كانه كسر ليس بسبط بفتح
الباء وكسرها وهو المرسل الذي فيه تثن كما قاله ابن عبد البر ولا جعد بفتح
فسكون اي كثير الشعر كشعر الزنج وقال المازري شعر رجل ورجل ورجل
بفتح فكسر وسكون وبكسر الراء ثلاث لغات بين السبوطة والجعودة وقيل
الذي كانه مشط والعقيقة وهي كما تقدم في الاصل الشعر الذي يولد به الطفل
لانه يعق اي يقطع سريعا ومنه العقيقة للطعام الذي يصنع عنده والشاة
التي تذبح له شعر الراس واصله كما علمت شعر المولود ثم اطلق على غيره اراد
اي ابن ابي هالة في وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان انفرقت
عقيقته انفرقت من ذات نفسها وذات معجمة تاكيدا لنفسها اي ان وقع تفرقها
من غير صنع فرقها بالتخفيف اي تركها متفرقة غير ملتفة والا تركها معقوصة
اي ان لم تنفرق بنفسها والتفت واجتمعت تركها على حالها والعقص شد

الشعر على الراس ولبنه وقيل هي الخصلة من الشعر ثم عقدها ثم ارسالها وعقص شعره
عقده في قفاه ويروى عقيصته بدل عقيقته وهي الشعر المعقوص اي المضفور من
العقص وهو اللي وادخال اطراف الشعر في اصوله كما في المغني والمشهور عقيقته
لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يعقص شعره وقيل ان هذا كان في صدر الاسلام لانه
كان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء وكانوا يسدلون شعورهم
والمشركون يفرقون فسدل صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد وقال النووي
المختار جوازهما والفرق افضل والازهر اللون نيره وقيل الازهر حسن ومنه زهرة
الحياة الدنيا اي زينتها من ازهر السراج اذا نوره ومما قلته كما تقدم

من حسنك بالعنا كم تشتغل • والعمر يمضي فما يفيد الامل
ما زهرة هذه الحياة الدنيا • للمرء بامل المنا نحتمل

وهذا كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم والامهق هو
الناصع اي الخالص البياض والمهق شدة البياض من غير مخالطة حمرة وقيل ما يرى
بياضه من الزرقة ويقال اهمق بتقديم الهاء ايضا وهو من القلب والآدم الاسمر
اللون ومثله في الحديث الاخر ابيض مشرب بالتشديد على انه اسم المفعول المزيدي
ويقال مشرب بالتخفيف والتشديد للتكثير والمبالغة والاشراب خلط لون بلون
كانه شرب واكثر ما يقال في الحمرة اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل
الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع والاشم الطويل قصبة الانف والقرن
بفتحتين اتصال شعر الحاجبين وضده البلج تقدم ما فيه ولا حاجة لقول التلمساني
البلج صباحة الوجه فلا ينافي ما في حديث ام معبد من وصفه صلى الله عليه وسلم
بالقرن الذي اشار اليه بقوله وقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن ورواية
مثله عن ابي عبيدة فان المشهور خلافه ويؤيده ان العرب تكرهه والادعج الشديد
سواد الحدقة في الصحاح الدعج شدة سواد العين مع سعتها وكذا في غيره وهو
لا ينافي قوله في الحديث الاخر اشكل العين واسجر العين بسين مهملة وجيم
وهو الذي في بياضهما حمرة اي اللون الذي في بياض العين وحمرة بدل منه
بناء على جواز ابدال النكرة من المعرفة او الذي صفة لمقدر وحمرة خبر اخر وهو
ممدوح لانه في البياض لا في الحدقة وقيل الاشكل طويل شق العين كما في
المصابيح الا انه غلط فيه كما مر في الفصل الثاني ومنهم من قال الدعج لغة
زرقة في بياض مستند لا بقوله

يا رب ان العيون السود قد فتكت • فينا وصالت باسياف من الدعج

اذ السيوف زرق اي مخلوقة من الدعج كقولهم انت مما تفعل وخلق الانسان
من عجل على قول وقيل لا حجة فيه لاحتمال انه من الدعج بضمتين على انه تجريد
وهو جمع ادعج وتشبيههما بالسيوف في فتكها لا في لونها فانها يقال لها البيض
كما يقال للرماح والزرق انما هي السهام قال امرؤ القيس

ايقتلني والمشرفي مضاجعي • ومسنونة زرق كانياب اغوال

والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل فيها تحزيز

فيها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا الخ تقدم ما فيه وماوُها
سقاوُها كما يقال ما الحال والمآ يستعار للمعان فشلها الثعالبي في المضاف والمنسوب
وقيل المراد بالمآ ريق الفم والمراد بتحرير هما براقين معجمتين كون اطرافها دقيقة
كالشرافات لها ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم
ومتماسك اي لا سمين فانه صلى الله عليه وسلم لم يكن كذلك وهو ممدوح فهو
معتدل الخلق في المقتفي هو اشارة لدفع احتمال التسمين وكذا قوله يمسك بعضه
بعضا مثل قوله في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم اي فاحش السمن منتفخ الوجه ولا
بالمكلثم اي لبين مسترخي اللحم والمكلثم الغير المدور الذقن وسوا البطن والصدر
اي مستو بهما ومشيح الصدر بضم الميم والشين المعجمة كما مر ان صحت هذه اللفظة
في صفته صلى الله عليه وسلم فيكون من الاقبال في صدره وهو احد معاني اشاح
اي انه كان بادي الصدر والمراد به انه لم يكن في صدره قعس بفتحتين وعين
وسين مهملتين بعد قاف وهو تطامن فيه اي في الصدر وقيل ان هذا مخالف
لقول الجوهري القعس خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب لان
التطامن الانخفاض كقول ابن مالك رحمه الله في نظم الكفاية
والميل من ارنبة الانف خنس وعرض انف مع تطامن فطس
وفي الروض الانف الحدب انحنا في الظهر وقد يكون مستعملا في معنى المخالفة
اذا قرن بالقعس كقوله
فان حدبوا فاقعس وان هم تقاعسوا لينتزعوا ما خلف ظهرك فاحدب
قلت وكذا فسره الشراح والظاهر ان مراده عدم الارتفاع بقرينة انه ورد
انه مستوي البطن والصدر وقد صرح به الملم في قوله وبه يتضح قوله قبل
سوا البطن والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن والعجب
منه بعد هذا كيف يعترض عليه وكيف يصح تفسيره بغير ما ذكر ومفاض بضم
الميم وفتح الفا واخره ضاد معجمة ضخم البطن وقيل مسترخي اللحم وقيل
عظيم البطن او عظيمها مسترخي اللحم ولعل هذه اللفظة مسيح بالسين
وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد
والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله في الحديث الاخر جليل المشاش
والكتد جمع جليل بفتح الجيم بمعنى عظيم والمشاش بضم الميم وشين معجمتين
واحده مشاشة وهي رؤس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين وفي الصحاح
رؤس المناكب العظام اللينة التي يمكن مضغها ويقال يمششها والكتد
بفتح الكاف وكسر المثناة الفوقية وتحركها فتحها فسره الملم بانه مجتمع الكتفين
وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسايل الاطراف
اي طويل الاصابع وسايل مر الكلام عليه مفصلا وذكر ابن الانباري محمد
ابن قاسم بن بشار اللغوي نسبة للانبار بفتح الهمزة قريبة من الفرات ولهم
انباري اخر منها ايضا للحديث وهو محمد بن سليمان والانبار معربة معناها مخازن
القمح انه روي سايل الاطراف او قال سابن بالنون وهما بمعنى واحد تبدل

ابن الحنبلي

الا من النون ان صحة الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة
الى ضخامة جوارحه عليه الصلاة والسلام كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة
اي واسعها وقيل كناية عن سعة العطا والجود وقوله خمصان الاخمصين تقدم
ضبطه وما فيه وفسره هنا بقوله اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله
الارض من وسط القدم هو بفتح السين والكثير سكونها ومما يضبطه انه ان استعمل في
متفرق الاجزا كالناس والدواب فبالسكون وقد تفتح اي في متصلها كالدار والراس
بالفتح وقد تسكن وقال الجوهري وغيره والاول ظرف والثاني اسم ومن هنا يعلم
انهم لا يريدون بالاسم في الثاني هذا الكلام اسم المصدر بخصوصه اذ الوسط بالمعنى
الثاني ليس اسم مصدر قطعا ثم فيه انه ليس ظرفا اذ لا يقال جلست وسط الدار
بل في وسطها اي ما توسط منها وقوله مسيح القدمين اي املسهما ولذلك قال
ينبو عنهما الما وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه خلاف هذا قال فيه اذا وطي
بقدمه وطي بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه
قال سمي المسيح عيسى بن مريم اي انه لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما
وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين اذا فسر بلحيمهما واذا فسر بميلهما
الى غلظ وقصر او بغلظ الاصابع فلا وزعم ابو عبيد ان شثنهما بمعنى غلظهما
مع قصرهما قال في المطالع وقد جا منه هذا وهو سائل الاطراف يشير الى
رده ثم قال وليس الشثن بعيب في الرجال بخلاف النسا ورد الهروي زعمه انه عيب
فقد تقدم انه محمود في الرجال دون النسا والتقلع هو رفع الرجل بقوة وقد
تكفوا والتكفو الميل الى سنن المشي وقصده وقوله هونا بفتح الها وسكون
الواو الهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو بالخا المعجمة وسكون
الطا المهملة وفسره بقوله اي ان مشيه صلى الله عليه وسلم كان يرفع فيه رجليه
بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت
دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله في صفته عليه الصلاة والسلام
يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب تمدح بهذا وفي نسخة
تتمادح وتذم بصغر الفم وقوله واشاح تقدم ضبطه وفسره هنا بقوله مال
وانقبض وقوله يفتر عن مثل حب الغمام حب الغمام البرد بفتح البا والرا وقوله
فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه
فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء اخر بالعامة
وقوله يدخلون روادا تقدم ضبطه اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده وقوله
لا يفترقون الا عن ذواق تقدم ضبطه وقيل عن علم يتعلمونه منه عليه الصلاة
والسلام ويشبه ان يكون على ظاهره اي في الغالب والاكثر وقوله لكل عنده
عتاد والعتاد العدة والشي الحاضر المعد وقوله ويؤازره والموازرة
المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن تقدم ضبطه وفسره هنا بقوله اي لا يتخذ
للصلاة موضعا معلوما وقد ورد نهيه صلى الله عليه وسلم عن هذا مفسرا في
غير هذا الحديث وقوله من جالسه او قاومه صابره اي حبس نفسه الشريفة

قوله تقلعا صح ه

تقدم ضبطه وبين ذلك بقوله صح

على تمايز بين صاحبه وقوله ولا تؤبن فيه الحرم تقدم ضبطه وشرحه هنا بقوله اي لا يذكرن
بسوء وقوله ولا تنثى فلتاته اي لا يتحدث بها اي لم يكن فيه فلتة وان كان اي وجد
من احد سترت وقوله كبير فدون ذا الحاجة يعينون وقوله الاسجاب السحاب
الكثير الصباح وقوله ولا يقبل الثنا الا من مكافئ قيل مقتصد بميم مضمومة
وقاف ساكنة ومثناة فوقية وصاد مهملة اي متوسط في ثنائه ومدحه وقيل
الا من مسلم وقيل الا من مكافي على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له اي
نعم واليد تطلق على الجارحة وعلى النعم لانها بمنزلة العلة الفاعلية لها
لصدورها عنها الا انه خولف بينهما في الجمع فقيل في الجارحة ايد وفي
النعمة اياد وايدي بضم المثناة التحتية وكسر الدال المهملة وتشديد الياء
كقوله فان له عندي يديا وانعما والاصح انها في الجمع سوا كما اثبته اهل اللغة
بشواهده فلا حاجة للاطالة بذكره وقوله فكان لا يقبضه شي يستفرم ليتحد
وفي حديث اخر في وصفه صلى الله عليه وسلم منهوش العقب اي قليل لحمها
بشين مهملة ومعجمة اي قليل لحمها اي قليل لحم العقب وقيل بالمعجمة
معناه ناتي العقبين معروقهما قاله ابن قرقول برمته واول هذين التفسيرين
يوافق كلام المصنف والمراد جنس العقب لا عقب واحد كما تقدم مثله
وثانيهما يخالفه لانه اعتبر فيه التنويع قلة اللحم لانه معنى المعروق قليل
اللحم كما في المصباح واهدب بدال مهملة الاشفار بشين معجمة وفا وراء
مهملة وهي حروف الاجفان التي ينبت عليها الشعر المسمى بالهدب واحدها
شفر بضم فسكون كهدب ويكون مطلق الطرف اي طويل شعرها انتهى التفسير
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين وسلم
تسليما كثيرا

## الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار

المراد ما رواه الثقات بسند متصل
وسلم من العلة القادحة وقد يطلق على ما يشمل الحسن كما فصل في مصطلح
الحديث والخبر تقدم يراد به الحديث وقد يراد به معناه الاعم الشامل للاثر وغيره
وعلى هذا فالصحيح بمعناه اللغوي وما ثبت صدقه فقوله ومشهورها ليس
من عطف الخاص على العام ومن قاله كانه اراد به قسما منه وهو ما اشتهر بين
المحدثين او ارجع الضمير لصحيح الاخبار وانثه رعاية لمعناه او لاكتسابه
التانيث من المضاف اليه فلا وجه لتخطيته فيه تعظيم قدره عند ربه متعلق
بورد والبا للتعدية او الالصاق ومنزلته عطف تفسير والقدر والمنزلة
والمرتبة بمعنى الشرف وما خصه به في الدارين الدنيا والاخرة غلب الملائكة
عليهما من كرامته صلى الله عليه وسلم بيان لما وكرامته جلالته وعزته
وضمير خصه له اولما وكذا به والبا داخلة على المقصور او المقصور عليه
وكل منهما جائز بلا خلاف انما اختلافهم في اصله وحقيقته لا خلاف اي
لا احد من المسلمين بل العقلا لانعقاد الاجماع عليه ولا يعتد بما زعمه

اهذا الكتاب انه اكرم البشر والنوع الانساني وتقديره في انه وحدق الجار في مثله مقيس
مطرد وسيد ولد ادم السيد من ساد غيره اي فاقه في الشرف والكمال وفي اطلاق السيد
عليه صلى الله عليه وسلم وعلى الله وعلى غيره اقوال قال البيهقي في كتاب الاسما
والصفات السيد اسم لله لم يرد في القران وورد في الحديث فعن مطرف انطلقت
في وفد بني عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا انت سيدنا فقال
السيد هو الله قلنا وافضلنا فضلا واعظمنا طولا فقال قولوا بقولكم او ببعض قولكم
ولا يستجرينكم الشيطان قال الحليمي ومعناه المحتاج اليه بالاطلاق الله فان سيد
الناس انما هو راسهم الذي يرجعون اليه وبامره يعملون وعن رايه يصدرون ومن
قوته يستمدون الخ فهذه ادلة على اطلاقه على الله ودليل الاطلاقه على غيره
سوا كان نبينا صلى الله عليه وسلم كما في هذا الحديث او غيره كقوله تعالى والفيا
سيدها لدى الباب فهذا يدل على اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا وهو القول
الاصح وحكي عن مالك امتناع اطلاقه على الله ويطلق على غيره وهو القول الثاني
والثالث انه لا يطلق الا على الله لحديث السيد الله بالحصر والرابع انه اذا عرف
بالالف واللام اختص بالله كما ذكره الدماميني في اول شرح التسهيل وهو انه اذا
اطلق على الله فمعناه المحتاج اليه في جميع الامور واذا اطلق على غيره فمعناه
الرئيس الذي يتبعه قومه كما فصلناه في شرح اسما الله الحسنى وقد ورد في
الحديث النهي عن تسميته سيدا وهو اما تواضع منه صلى الله عليه وسلم او المراد
نهيه عن سيادة دنيوية فلا منافاة بينه وبين هذا واما في الصلاة فاختلف
في الافضل فيها هل هو صلى الله عليه وسلم سيدنا او وعلى محمد ولابن حجر كلام فيه
في الفتاوي سياتي في محله والولد يطلق على الواحد الذكر وغيره والمراد سيد
ادم وولده ولذا اعقبه بقوله وافضل الناس منزلة عند الله واذا كان صلى
الله عليه وسلم افضل الناس علم انه افضل الثقلين ولا حاجة الى ان يقال ان الناس
يطلق على ما يشمل الجن واذ ذهب اليه بعض اللغويين في قوله تعالى قل اعوذ
برب الناس وقالوا قوله من الجنة والناس بيان له والعرب تقول ناس من الجن وذهب
السبكي في فتاويه الى انه يطلق على ما يقابل الجن وعلى ما يشملهما وانه على الاول اصله
اناس من الانس وعلى الثاني من نوس فالناس الاول غير الثاني وهو كلام حسن والاعلام
درجة الدرجة واحدة الدرج وهي مراقي السلم لما يعلو وذكره بعد المنزلة فيه
لان علو المراقي يقتضي زيادة علو المنازل وافرطهم لي اي قرني وهو كجده
وقيل هو اسم اقيم مقام المصدر المؤكد فهو في معنى اقربهم تقريبا او ليس تمييزا
كمنزلة ودرجة واعلم ان الاحاديث جمع حديث على خلاف القياس قيل ولا ينافيه
ان يكون جمع احدوثة لانها تختص بالمضحكات والشر وردّ بانها تستعمل في الخير
ايضا كقوله •

من الخفرات البيض ود جليسها • اذا ما انقضت احدوثة لو يعيدها •
وقول القاضي في سورة المؤمنين في قوله تعالى جعلناهم احاديث ان احاديث اسم
جمع للحديث وقد شرطوا فيه ان لا يكون على وزن مختص بالجمع او يغلب فيه وصيغة

منتهى الجموع لا توجد في المفردات يدفع بما في الكشف من ان الاسم الجمع تطلق بمعنى اخر وهو
ما كان على خلاف القياس كما يقال في ليال انه اسم جمع وقد علمت ان الحديث ما يضاف للنبي
صلى الله عليه وسلم من اقواله وافعاله وتقريراته وصفاته وساير احواله في مقامه
ونقظته الواردة في ذلك اي في عظيم قدره صلى الله عليه وسلم كثيرة جدا بكسر الجيم وتشديد
الدال المهملة وهو مفعول مطلق لفعل محذوف وعامله وجوبا الجاري مجرى الامثال وهو موكد
لما قبله اي متناه في الكثرة واصله من الجد بمعنى الاجتهاد لان المراد انه اجتهد في كثرته
وتولع فيها وقد اقتصرنا منها اي من ذلك الاحاديث الكثيرة على صحيحها الصالح للاعتماد
عليه والاحتجاج به ومنتشرها اي مشهورها وحصرنا من حصر الكل في اجزائه لا الكلي
في جزئياته معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا فيه مسامحة لان المعقول استر
للالفاظ وهي مغايرة للمعاني فيحتاج لتقدير مضاف في الاول او الثاني

## الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه

المكانة كالمنزلة علو قدره ويجوز ان يكون من التمكن وهو الثبوت كما قال الله مكنه
وتمكن من السلطان اي قرب والاصطفا اي اختياره صلى الله عليه وسلم على غيره
وتقديمه والتفضيل وسيادة ولد ادم كما مر وما خصه به في الدنيا من مزايا
الرتب جمع مزية بزنة عطية وهي الفضيلة التي تقدمه على غيره وفي شرح المفتاح
انه لا فعل له ويخالفه ما في الاساس من انه يقال تمزيت عليه كما مر وفسرها
الشربيني بالتمام والكمال وبركة اسمه الطيب اي كونه يتبرك باسمه المشهور وهو
احمد ومحمد والطيب صفته لا بدل لان الطيب ليس من اسمائه المشهورة وهذا اشارة
لما ورد في الحديث كل امر لا يبدا فيه بحمد الله والصلاة علي فهو ابتر اي ممحوق
البركة ذكره السخاوي في شرح الفية الحديث وقال هو وان كان ضعيفا لكنه
يذكر في الفضائل اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل لقب به وهو امام
حافظ تميمي توفي سنة احدى وخمسماية اذنا بلفظه اراد بالاذن الاجازة بروايته
عنه وقال بلفظه لانه لم يكن من كتابه وهو يعرف كما مر وهذا اجازة قال حدثنا
ابو الحسين الفرغاني بالفا والرا المهملة والغين المعجمة نسبة لفرغانة بلدة
بما وراء النهر وهو الامام علي بن عبد الله المقري ووقع في بعض النسخ الحسن والاصح
الاول قال حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها قال حدثنا حاتم
وهو ابن عقيل بفتح العين وكسر القاف وهو ابن المهتدي بن المرار اللولوي
المشهور عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحماني بكسر الحا المهملة وتشديد الميم
والف ونون وياء النسبة وهو يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون ابو
زكريا الكوفي وهو ثقة وضعفه بعضهم وقال انه كذاب وله ترجمة في الميزان
قال حدثنا قيس بن الربيع ابو محمد الكوفي اختلفوا فيه ايضا فقيل ثقة
وقيل ضعيف واخرج له اصحاب السنن توفي سنة خمس او سبع او ثمان وستين ابن ربعي
ومائة وترجمته في الميزان عن الاعمش سليمان بن مهران تقدمت ترجمته
عن عباية الربعي بفتح العين واخره تا ويقال عباءة بالهمزة علم منقول من اسم

الثماو الدبعي بكسر الموا المهملة وسكون الموحدة وعين مهملة وبا نسبة هو من غلاة الشيعة
وله توجمة في الميزان عن ابن عباس رضي الله عنهما وهذا الحديث رواه الطبراني والبيهقي
في الدلايل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين قيل هذه
قسمة تقديرية في علم الله وقيل تحقيقية كما بينه في قوله فجعلني من خيرهم قسما منصوب
على التمييز اي من القسم الذي هو خير يعني اصحاب اليمين المشار اليهم في قوله وذلك التقسيم
بالتعيين قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال لا العرب كما توهم لقوله فانا من اصحاب اليمين
من تبعيضية او ابتدائية وانا خير اصحاب اليمين اي اكرمهم وافضلهم ثم جعل القسمين
اثلاثا اي مجموع القسمين ثلاثة اقسام لا كل قسم منهما كما يتبادر الى الذهن فجعلني في
خيرها ثلثا وقيل اصحاب اليمين هم الذين يوخذ بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب الشمال
هم الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار وهم الذين كانوا عن يمين ادم والذين كانوا عن
شماله في عالم الذر او الذين اخذوا من شقه الايمن والايسر او من اعطي كتابه بيمينه
وشماله او الذين راهم في الاسرا عن يمين ادم عليه الصلاة والسلام وشماله وذلك
اي التقسيم الثلاثي ما بينه قوله اصحاب الميمنة اي اليمين او اليمن على انه مصدر
يمن وهو بعض السعدا غير السابقين لئلا تتداخل الاقسام واصحاب المشئمة هي
المشئمة بمعنى الشمال لان العرب تقول لليد الشمال شومى ومنه الشام لانها عن
شمال الكعبة في قول او الشامة والسابقون وفي بعض النسخ والسابقون السابقون
بالتكرير كما في الاية ولا بد من تغايرهما ليفيد الحمل فهو اما كقوله انا ابو النجم وشعري
شعري اي الذين عرفوا بكمال السبق او الاول بمعنى السابقين للايمان والطاعة
والثاني بمعنى السابقين الى الجنة ونعيمها وهو احد التفاسير وقيل هم الذين
اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه ويحكمون لغيرهم بما يحكمون به
لانفسهم وقيل السابقون للصلوات او التوبة وقيل هم الانبيا عليهم الصلاة
والسلام فانا من السابقين وانا خير السابقين فهو من اعلى الاقسام لا قسم مستقل
حتى تكون القسمة رباعية كما توهم ومن هذا القسم الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فهو افضل من كل واحد منهم ومن مجموعهم كما تقدم ثم جعل الاثلاث قبايل
اي جعل كل ثلث او مجموعها وهذا اظهر والقبايل جمع قبيلة وهم بنو اب
واحد والقبيل بدونها الجماعة مطلقا ثلاثة فصاعدا فجعلني من خيرها قبيلة
وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبايل الاية والشعوب جمع شعب بالكسر
وقيل انما هو بالفتح والذي بالكسر طريق بين جبلين واختلف في تقسيم الناس
فقيل الشعب اكثر من القبيلة وبعدها الفصيل ثم العشيرة ثم الذرية ثم العترة
ثم الاسرة وهذا مخصوص بالعرب وقيل هم ست طبقات شعب وقبيلة وعمارة
وبطن وفخذ وفصيلة فالشعب الطبقة الاولى وبعدها القبيلة ثم العمارة
بكسر العين المهملة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة بالصاد المهملة فالشعب
يجمع القبايل والقبيلة تجمع العماير والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع
الافخاذ والفخذ يجمع الفصايل فمضر شعب وكنانة قبيلة وقريش وهو النضر
ابن كنانة عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعبد المطلب والعباس فصيلة وقد تطلق

ابن اقبرس

الفضيلة على ما دونها مجوزا ولما لم يكن في الاية ما يوذن بشرف الفضيلة في نفسها فات
الشرف انما هو بالفضيلة لا بالفصيلة ولكن شرف الاصل يستلزمه غالبا قال فانا اتقى
ولد ادم واكرمهم على الله تعالى ولا فخر جملة حالية اي لا اقول هذا افتخارا
ومباهاة وتعظما وانما هو تحدث بنعم الله وبيانا للامة ما يجب عليها اعتقاده
توقيرا واحتراما له وانما تلتذ بتكريم نبي وفضله وكل مومن تقي كريم على الله
وكل فاجر شقي هين على الله وقال عيسى عليه الصلاة والسلام من سره ان يكون
اكرم الناس فليتق الله وقال هو اكرم عند الله وعلى الله لكونه بمعنى اعز المتعدي
بعلى حملا له على نظيره ثم جعل القبايل بيوتا فجعلني من خيرها بيتا بيوتا بضم
البا الموحدة وكسرها جمع بيت وهو المنزل والمسكن والظاهر ان المراد بالبيوت
هنا الفخذ او الفصيلة لا البطن كما قيل والبيت يطلق مجازا على المجد والشرف
كما في قوله

ان الذي سمك السما بنى لنا • بيتا دعايمه اعز واطول

وعلى الاصول والاقارب كما يقال هو بيت علم اي من قوم علما وفي اضافته
للمكان اثبات لمن فيه بطريق الكناية التي هي ابلغ من التصريح كما قرر في كتب المعاني
وذلك اي كونه صلى الله عليه وسلم من خير بيت واشرفه ما دل عليه قوله تعالى
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذا ايد لعلما
شرفا به البيت والرجس النجس المستقذر استعير للمعاصي والتطهير ترشيح للاستعارة
وما استعير لها لانها تلوث الاعراض واهل البيت والاول الاقربا وقول النبي
انهم علي وفاطمة والسبطان وهم اهل الكساء رضي الله عنهم وادعاء عصمتهم
وان اجماعهم حجة لا سند له لا نهذه الاية ينافيه السياق وفي الاية مبالغة في شانهم
بليغة لذكر تطهير اعراضهم من دنس المعاصي وهو اجل النعم وتعريف الرجس
بلام الاستغراق الدال عليه اطلاقه في مقام المدح والتعبير بالاذهاب والازالة
بالكلية وحذف مفعول يريد للتعميم لتذهب النفس كل مذهب ونصب اهل
البيت على المدح والندا وتعريف البيت العهدي والتعبير بالتطهير الدال
على التكثير وتاكيده بالمصدر وسياتي تتمة لهذا وعن ابي سلمة هو ابن
عبد الرحمن بن عوف احد الفقها السبعة كما تقدم عن ابي هريرة رضي الله عنه
عبد الرحمن بن صخر على الاصح من نحو ثلاثين قولا كما تقدم وهذا الحديث
رواه الترمذي وصححه وقال انه حسن غريب قال قالوا اي بعض الصحابة
متى وجبت لك النبوة اي في اي زمان ثبتت لك اذ لا يجب على الله شي قال
وادم بين الروح والجسد والجسد والبدن والجسم بمعنى وهذه الجملة
حالية من الجواب المقدر بمتى الزمانية اي ثبتت لي في هذه الحال وفي
هذا الحديث روايات متعددة صحيحة منها اني عبد الله لخاتم النبيين
وان ادم لمنجدل في طينته ومنها متى استنبات قال وادم بين الروح والجسد
وفي رواية بين الما والطين وقال ابن تيمية والزركشي وغيرهما حديث
كنت نبيا وادم بين الما والطين وكنت نبيا ولا ادم ولا ما ولا طين لا اصل لهما

يعني

يعني بهذا اللفظ قلت ليس معناه انه موضوع كما توهم فانه رواية بالمعنى وهي
جايزة لانه بمعنى الحديث السابق ومعنى منجدل ساقط على الجدالة وهي الارض
وليس المعنى انه كان نبيا في علم الله كما قيل لانه لا يختص به بل ان الله خلق روحه
قبل روحه وساير الارواح وخلع عليها خلعة التشريف بالنبوة اعلاما للملا الاعلى
به واذا كانت النبوة صفة لروحه علم انه صلى الله عليه وسلم بعد موته نبي رسول
ولا يضر انقطاع الاحكام والوحي وقد اكمل دينه صلى الله عليه وسلم وانكار ذلك
جهل والحفظة فانه نفيس جدا وهذا هو المراد بقوله ان الله تعالى خلق نوره قبل
ان يخلق ادم عليه الصلاة والسلام باربعة عشر الف عام كما رواه ابن القطان وفي
رواية يسبح ذلك النور وتسبح الملايكة بتسبيحه وهذا ايويد انه صلى الله
عليه وسلم رسل للملايكة كغيرهم فهذا امر نح في ان نبوته صلى الله عليه وسلم ظاهرة
في الوجود العيني قبل نبوة ادم وغيره وان الملايكة لم تعرف نبيا قبله وانه صلى
الله عليه وسلم النبي المطلق وساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام خلفاؤه
والشرايع شريعته ظهرت على لسان كل نبي بقدر استعداد اهل زمانه فهو صلى
الله عليه وسلم اول الانبيا واخرهم ولا يمكن ان يجري على شريعته قلم نسخ ولا
يكتب على نسخه رسالته حواشي زيادة كما قيل ابدا حديثي ليس بالمنسوخ الا في الدفاتر
وقيل انه صلى الله عليه وسلم سابق على ساير الانبيا روحا ما مر وجسدا لان مادة
جسده صلى الله عليه وسلم خلقت قبل ساير المواد لما روى ابن الجوزي في
الوفا عن كعب الاحبار انه تعالى لما اراد ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم امر
جبريل عليه الصلاة والسلام ان يانيه بالطينة البيضا فهبط في ملايكة الفردوس
وقبض قبضة من موضع قبره بيضا نيرة فعجنت بما التسنيم في معين الجنة حتى
صارت كالدرة البيضا لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملايكة حول العرش والكرسي
والسموات والارض حتى عرفته الملايكة قبل ان تعرف ادم عليه الصلاة والسلام
اي عرفت روحه وعنصره والبسه في هذا الحديث الظاهر ان المراد بها عدم الطرفين
الروح والجسد اي لا روح ولا جسد كما صرح به في الرواية السابقة لا ادم
ولا ما ولا طين لانك اذا قلت مسكني بين البصرة والكوفة علم انه ليس بهما
فاريد به لازم معناه بطريق الكناية وليس المراد انه قريب منهما كما يقال
لون بين البياض والحمرة ومزاج بين الصحة والمرض كما قيل وليس معنى بين الما
والطين انه لم يكن ما صرفا ولا طينا صرفا والنبو المقام عنه وعدم ملاقاته لما
قررناه وقد حققنا هذا المقام بما لم نسبق اليه ولله الحمد وعن واثلة بن الاسقع
بمثلثة ولام والاسقع بسين مهملة وقاف وعين مهملة الصحابي الجليل العد
من اهل الصفة اسلم رضي الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوجه
لتبوك فخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد مشاهد الشام وتوفي
بدمشق سنة خمس او ست وثمانين وله ثمانون سنة ويكنى ابا محمد وفضايله
لا تحصى نفعنا الله ببركاته ورزقنا زيارته وهذا الحديث رواه مسلم وقد
تقدم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل

عرضي وابن اقبرس

ابن اقبرس

عرضي

اي اصطفى ابراهيم عليه الصلاة والسلام واختاره من الانبياء لشرفه واصطفى من ولده
اي من اولاده اسمعيل عليه الصلاة والسلام فهو افضل من اسحاق واصطفى اي اختار
من ولد اسمعيل بني كنانة وهو ابو اربعة النضر وعبد مناة ومالك وملكان وكنانة علم
منقول من كنانة السهام وجعبتها قال الشاعر

صلح في العاشقين بالكنانة ● رشاني الجفون منه كنانة

واصطفى من بني كنانة قريشا وهو النضر بن كنانة وقيل قريش بن فهر بن مالك
ابن النضر بن كنانة وتقدم سبب تسميته قريشا واصطفى من قريش بني هاشم بن
عبد مناف بن قصي بن كلاب فبنوه مصطفون من قريش واصطفاني من بني هاشم
ابن عبد المطلب ومن حديث انس رضي الله عنه بن مالك بن النضر خادم النبي صلى الله
عليه وسلم ودعا له واحاديثه والرواية عنه كثيرة مشهورة جدا وتوفي سنة
ثلاث وتسعين وقد جاوز عمر المائة وهذا الحديث والذي بعده اخرجهما
الترمذي انا اكرم ولد ادم اي اعزهم واشرفهم وتقدم ان لفظ ولد يطلق على
الواحد المذكر وغيره على ما ذكر ولا فخر تقدم معناه وفي حديث ابن عباس رضي
الله عنهما انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر قيل قال فيما مر في حديث انس ومن
حديث انس وهنا وفي حديث ابن عباس اشارة الى ان الاول بعض حديث طويل وهذا
حديث مستقل وفيه نظر وعن عائشة رضي الله عنها كما رواه الطبراني وابو نعيم
والبيهقي في الدلائل مسندا عنه عليه الصلاة والسلام انه قال اتاني جبريل
لم يذكر ما اتاه لاجله لان قوله فقال قلبت بتشديد اللام بمعنى فتشت ولم
المراد به انه قلبهما ظهرا لبطن لم يذكر فيه انه اوحي اليه بهذا مشارق الارض
ومغاربها جمع مشرق وهو الجهة التي تطلع منها الشمس وجمع مغرب وهو مقابله
وجمعهما لان الشمس في كل يوم مشرقا او تشرق بعده من درجة غيره وكذلك المغرب
واذا افردا فباعتبار الجهة واذا ثنيا فباعتبار المشرق الجنوبي والشمالي ولذا
ورد في القران بالوجوه الثلاثة كما بيناه في حواشي البيضاوي واختار الجمع
هنا لانه انسب للعموم والمراد انه فحص عن جميع اهل الارض مشرقا ومغربا
ونظر احوالهم كمالا ونقصا فلم ار رجلا افضل من محمد صلى الله عليه وسلم
الظاهر ان رأى علمية ونفي لا فضلية يدل على نفي المساواة ايضا كما
بيناه سابقا ولم ار بني اب افضل من بني هاشم الذين هم عشيرته
وبنيه فهو خيار من خيار وعن انس رضي الله عنه في الحديث الحسن
الذي رواه الترمذي وقد تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي
بالبراق مبني للمجهول اي اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام به ليركبه
للاسراء وقد مر ان البراق بالضم على شكل دابة فوق الحمار ودون البغل سمي
به للمعانه وبريقه او لسرعته كالبرق الخاطف ليلة اسري به ظرف اتي
وهي ليلة سبع عشرة رمضان او سبع عشري رجب قبل الهجرة وبعد مبعثه
صلى الله عليه وسلم بخمس سنين او خمسة عشر شهرا كما سياتي فيه فاستصعب
عليه اي لم ينقد له وامتنع منه لبعد عهده بركوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام

لمولد من الفترة او لسبب اخر لقول جبريل له صلى الله عليه وسلم لعلك مسست الصنوا
اي الذهب او صنم اصنم فقال انما مررت عليه فقلت تبا لمن يعبدك من دون الله فقال
له اي للبراق جبريل عليه الصلاة والسلام امحمد تفعل هذا الاستصعاب وقدم
متعلق الفعل اي انفعله به دون غيره والاستفهام انكاري بقرينة بقوله فما ركبك
احد اكرم على الله منه فارفض عرقا اي سال عرقه كما سر بيانه وعن ابن عباس رضي الله
عنهما رواه ابن الجوزي في الوفا وابو نعيم في الدلائل وقال السيوطي رواه ابو عمر
العدني في مسنده عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله ادم اهبطني
في صلبه الى الارض يعني ان الله خلق نوره صلى الله عليه وسلم وعنصره الذي
عجن بالتسنيم وهو الطف شيء فاودعه في صلب ادم واهبطه فيه كما مر ثم نقله
فيه بوسائط وحملني في صلب نوح في السفينة فكان ذلك ببركته صلى الله عليه
وسلم وباسم الله مجراها ومرساها وقذف بي في النار في صلب ابراهيم فكانت بردا
وسلاما ببركته صلى الله عليه وسلم وفي المكررة هنا اما لان الاول بدل منه او
لانه مطلق ومقيد كما قرر في قوله كلما رزقوا منها من ثمرة فينزل ذلك منزلة
التغاير فلا يرد عليه انه لا يتعدى عامل حرف جر بمعنى ولم يزل ينقلني في
الاصلاب الكريمة الشريفة الى الارحام الطاهرة من دنس الزنا ونكاح الجاهلية وفيه
لما تقدم حتى اخرجني الى الدنيا ادخلني بين ابوي يعني اباه عبد الله الذبيح
وامه امنة بنت وهب بن عبد مناف واختلف في زمن موتهما فقيل مات ابوه
وامه حاملة به وقيل في المهد وقيل وهو ابن شهرين وقيل ابن سنتين ومات
عند اخواله بني النجار وماتت امه وقد بلغ سنه خمسا او ستا او سبعا او اثني
عشر على اختلاف فيه لم يلتقيا على سفاح قط جملة حالية والمراد بالسفاح نكاح
بغير عقد او عقد جاهلي وهذا اعلمه صلى الله عليه وسلم بالوحي او لعلمه عرضي
باخبار الجاهلية لا بالالهام كما توهم والى هذا المذكور في الحديث بجملته
اشار عمه العباس رضي الله عنه ابن عبد المطلب بقوله فيه يمدحه صلى الله عليه
وسلم وهذا الشعر رواه الطبراني وصاحب الغيلانيات وفي الزاهر لابن قتيبة
ان العباس اتى اليه صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان امدحك فانشد هذه
الابيات فقال له صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك او لا يفض الله فاك
وكان ذلك لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك

من قبلها طبت في الظلال وفي * مستودع حيث يخصف الورق

اي من قبل هذه النشاة او الدنيا وقيل قبل النبوة او قبل الولادة او قبل كل
ذلك فاعاد الضمير على غير مذكور لعلمه من السياق والجار متعلق بطبت
وقدم لافادة ان طيبه صلى الله عليه وسلم ثابت له قبل ظهوره لا بعده فقط
وطبت اي تطهرت من الادناس البشرية لطيب عنصره صلى الله عليه وسلم والظلال
جمع ظل بمعنى في ظلال الجنة في صلب ادم عليه الصلاة والسلام قبل ان يهبط
وليس المراد به المتعارف الذي تنسخه الشمس اذ لا شمس في الجنة ولا قمر وقد
ورد في الحديث ظل الجنة سجسج اي لا حر فيه ولا برد بل المراد الكن والمنزل او هو

كما في قولهم انا في ظل فلان اي في حمايته ومستودع بضم الميم وفتح الدال المهملة يعني
به مكان ادم وحوى من الجنة قال ابن قتيبة هو المحل الذي كان فيه ادم عليه الصلاة
والسلام من الجنة كانه وداعة فيه وفيه ايما الى اخراجه منه للارض او اراد به
الرحم وكان ابو عبيدة يقول في قوله مستقر ومستودع المستقر الصلب والمستودع
الرحم وخصف الورق الصاق بعضه ببعض ومنه الخصاف ويروى حيث يستر الورق
يعني به الجنة والورق ورق الجنة الذي كان يستتر به ادم صلى الله عليه وسلم قبل
ان يعلم الحياكة فلما اهبط الى الهند تفتت الورق الذي عليه قيل ومنه حصل
العود والعنبر وغيره من الطيبات فاوحى الله اليه صنعة النسج واتخاذ الثياب للستر

ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق

اي هبطت في صلب ادم من الجنة الى الدنيا وهي المراد بالبلاد والهبوط كما قال الراغب
الانحدار قسرا وهو متعد قال تعالى اهبطوا مصرا ولا يحتاج لتاويله بالدخول
كما قيل والبلاد وان اختصت بالبنيان فهو باعتبار الاول هنا ولما كان المراد
من هبوطه صلى الله عليه وسلم هبوط نوره قال لا بشر وهي جملة حالية اي في
حال كونك غير جسد كاجساد البشر والمضغة قطعة لحم بمقدار لقمة نمضغ
غير مخلقة والعلق بفتحتين جمع علقة وهي دم منجمد من المني

بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق

النطفة الما الصافي والمني في الاصلاب والسفين جمع سفينة وهي المركب اي
في صلب نوح عليه الصلاة والسلام لما اغرق الله قومه بالطوفان والجم
وصل الى الفم وعلا محلا يوضع فيه لجام الفرس والنسر طاير معروف سمي به صنم
كان يعبده قوم نوح عليه الصلاة والسلام وهو المراد هنا واهله قوم نوح
والمراد بالغرق الما المغرق او هو على ظاهره والجم بمعنى ادرك لان الانسان اذا عم
الما فمه منع من الكلام والسفين المراد به سفينة نوح فان كان مفردا فهو
ظاهر والا فهو جمع اريد به واحد تجوزا فلا اشكال فيه كما هو ظاهر

تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق

في ابيات اخر الصالب والصلب بفتحتين وبضمتين وضم فسكون
وفتحتين وفيه لغات اقلها صالب كما قاله ابن قتيبة وهو فقار الظهر والرحم
مقر الولد من المراة والعالم المراد به هنا قرن من القرون وبدا بمعنى ظهر ووجد
وطبق بمعنى قرن ايضا لانه يطبق وجه الارض اي لا تزال تظهر في عالم بعد عالم
بريد اذا مضى قرن بدا قرن اخر ويروى هنا بيت هو

وردت نار الخليل مكتتما تجول فيها ولست تحترق

ومعنى مكتتما محفوظا في كنف او تحيط بك نارها ولست تحترق وروي مكتما
اي مستترا

حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

احتوى بالحا المهملة افتعال من حوى بمعنى حاز والبيت بمعنى الشرف
والنسب كما مر والمهيمن بمعنى الشاهد على فضلك او الامين وخندق

بكسر

بكسر الخا المعجمة وكسر الدال المهملة وتنوين وقد اسم امراة الياس بن مضر وهو من الخندفة
وهي المشي السريع والعليا العز والشرف وتحتها رويد ونطاق المعنى واحد والنطق
بضمتين جمع نطاق وهو ما يشد في الوسط كالمنطقة استعارته العرب للجبال واسعة
نوف بعض وبينك فاعل احتوى وهو تمثيل لشرفه صلى الله عليه وسلم اي ان شرفك
وعلو نسبك واصلك من خندف اشتمل على علياء وتحتها الجبال الشامخة وقال ابن قتيبة
في هذا البيت اقوال احدها انه اعلى قومه وهم دونه كالنطاق له والاخر انه
يريد العفاف من نطاق المراة الذي يحسبها اي تحتها العفاف والحسب والثالث
ان النطق المتكلمون جمع ناطق اي كل خطيب في العرب يهودون بلسان قومك من قوله
بلهم قوم خصمون انتهى وروي في هذا الشعر زيادة ذكرها الغساني وهي

وانت لما ولدت اشرقت الارض * وضاءت بنورك الافق
نحن في ذلك الضيا وفي النور وسبل الرشاد نخترق
يا برد نار الخليل يا سببا لعصمة النار وهي تحترق

ومعنى نخترق بالخا المعجمة نقطعها ونتجاوزها وضاء يكون لازما ومتعديا
والافق الناحية وانتهى هنا التاويل لها قال العارف بالله ابن عربي ذهب
بعضهم الى ان عالم الاجسام من وقت خلقه لم يزل في سفر الى ما لا نهاية له فاذا
لاح له منزل يقول هذا هو الغاية القصوى فاذا وصلت اليه لم يلبث
ان يخرج منه راحلا فكم سافرت في اطوارك الى ان تكونت بين ابيك وامك
اذا اجتمعا من اصلك ثم انتقلت الى نطفة وعلقة الى مضغة الى عظم كسي لحما ثم
انشئت نشاة اخرى واخرجت الى الدنيا فتنتقل في اطوارك من الطفولية والصبا
والشباب الى الكهولة والشيخوخة الى الهرم ومنه الى البرزخ ثم الى دار الحشر
ثم الى دار القرار انتهى من كتاب الاسفار له وروي عنه صلى الله عليه وسلم وهذا
الحديث مشهور رواه ابو ذر وغيره واخرجه احمد والبزار والبيهقي عن ابن عمر
واخرجه الطبراني وابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس واحمد والبزار وابن ابي
شيبة والبيهقي عن ابي هريرة واخرجه الشيخان عن جابر بن عبد الله فاخرجوه
عن جماعة من الصحابة بين رواياتهم مغايرة في بعض الالفاظ وقد ساقها
كلها وذكر رواية كل واحد منهم على حدة الشيخ قاسم بن قطلوبغا في تخريجه
لاحاديث هذا الكتاب كما رايته بخطه ولولا خوف الاطالة اوردت كلا منها على
حدة والى هذا اشار المص بقوله ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر
ابن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري روى كل واحد من هولاء عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها اي في بعض طرق هذا الحديث
المعلومة من تعدد رواته ورواياتها ستا اي ست خصال وخصائص ولذا
حذف التامع انه غير لانه مراد لم يذكر المعدود ولم يعطهن نبي قبلي ولا رسول
لان نفي الاعم يستلزم نفي الاخص ولا تنافي بين الروايتين ان قلنا ان مفهوم
العدد غير معتبر وان قلنا به فنقول انه صلى الله عليه وسلم اطلع اولا
على بعض خصائصه فاخبر به ثم اطلع على باقيه فاخبر به ثانيا وروى احد قبلي

اي لم يعط واحدة منهن احد نصرت بالرعب مسيرة شهر اي نصرني الله على اعداء
الدين الكفرة بالرعب بضم الزاء المهملة المشددة وهو شدة الخوف الذي القاه الله
في قلوبهم فاذا سمع بي من بيني وبينه مسيرة شهر ارتعد وخاف من غزوي له
وانما حصل مسافة شهر لان خافه من هو البعد منه قيل لانه لم يكن بينه صلى
الله عليه وسلم وبين من اظهر العداوة له اكثر من ذلك وقد قال ذلك في غزوة
تبوك آخر غزواته والبعد هنا فما ذكر بيان لما وقع له صلى الله عليه وسلم حال
تكلمه فلا ينافي الزيادة وهذا من خصائصه حتى لو سار وحده بغير عسكر ارعب
اعداه وقد وقع هذا لبعض خلفائه ومن اتقى الله من امرا الاسلام فهذه
الخامسة بالنسبة لمن قبله من الامم وعليه يحمل رواية لم يعطهن احد او نقول
ان ذلك لا يتيسر لغيره او فعل اتباعه كفعله وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا
فايما وفي رواية وايما بالواو بدل الفا رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل
قال العلامة الزركشي في احكام المساجد قال القاضي عياض هذا من خصائص هذه
الامة لان من قبلنا كانوا لا يصلون الا في موضع يتيقنوا طهارته ونحن خصصنا
بجواز الصلاة في جميع الارض الا ما تيقنا نجاسته وقال القرطبي هذا ما خص
الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وكانت الانبيا قبله انما ابيحت لهم الصلاة في
مواضع مخصوصة كالبيع والكنايس وقال المهلب في شرح البخاري المخصوص به
جعل الارض طهورا واما كونها مسجدا فلم يات في اثر انها منعت من غيره وقد كان
عيسى عليه الصلاة والسلام يسيح في الارض ويصلي حيث ادركته الصلاة فكانه
قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيري مسجدا ولم تجعل طهورا انتهى
اقول حاصله انه لو كان كل منهما مخصوصا به وبامته لزمه اشكال وهو ان الانبيا السالفة
واممهم كانت لهم صلاة مفروضة وكانوا يسافرون فلو لم تجز لهم الصلاة الا في
مساجدهم لزمهم اما ترك الصلاة او عدم صحتها وهو مخالف للظاهر فاجابوا
عنه بالوجوه المذكورة وهو ان الخاص بهذه الامة مجموع الامرين لا كل واحد
منهما او جعل جميع الارض مسجدا حتى يتيقن نجاستها وهم لم تحل لهم الصلاة
الا فيما يتيقن طهارته وعلى هذا قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة كما في بعض التفاسير
فقوله فايما رجل الخ معناه على ظاهره او مما لم يتيقن نجاسته وكذا ان نقول انه
مخصوص بغير حال السفر والضرورة لان الضرورات تبيح المحظورات كقصر الصلاة
ويويده جعله قرين التيمم المخصوص بالضرورة وهذا اقرب ثم ان طهارة التيمم
حكمية لا حقيقية كما بينه الفقها وفي قوله الارض دون التراب نصرة لمن جوز التيمم
بجميع اجزا الارض ولم يخصه بالتراب وهو المناسب للمقام وان خصه الشافعي بالتراب
لرواية وتربتها طهورا والمطلق يحمل على المقيد وتخصيص الرجل غير مراد لدخول
النسا في هذا الحكم ايضا وانما خصوا بالذكر لانهم الاصل ويعلم النسا بالطريق الاولى
ومعنى ادركته الصلاة ادركه وقتها اذا دخل ولا ينافيه ايضا النهي عن الصلاة
في بعض الاماكن لثبوت المنع فيه بدليل اخر فالمراد بالارض جميعها الامكنة وما
حولها ولا ما رأى به مسجدا او محلا للصلاة وقوله فايما الخ لدفع توهم انه

مخصوص

مخصوص به صلى الله عليه وسلم وحده وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي تحل بفتح التاء
المثناة الفوقية وكسر الحاء المهملة وروي بضم التاء وفتح الحا وكان من قبله صلى الله عليه وسلم
من الانبيا منهم من لم يوذن له في الجهاد فلم تكن له غنائم ومنهم من اذن له فيه ولم يوذن
له في الاكل منها فكانت الغنائم تجمع في محل فتاتي النار من السما فتحرق ما تقبل منه على ما
مر بيانه وكانت في صدر الاسلام تحل له صلى الله عليه وسلم فقط ثم امر بعد ذلك
بتخميسها كما بينه الفقها والغنائم جمع غنيمة ما يوخذ من الكفار بقتال ونحوه
والفي ما حصل منهم بدون ذلك وبعثت بالبنا للمجهول بمعنى ارسلت وطوي
ذكر الفاعل للعلم به اي ارسلني الله الى الناس كافة المراد بالناس جميعهم او ما يشمل
الانس والجن كما مر وروي الى الخلق كافة وكافة حال بمعنى جميعا وفي ارساله
صلى الله عليه وسلم للملائكة كلام سيأتي وعموم البعثة مخصوص به صلى الله عليه
وسلم بالاحاديث الصحيحة ومر انه لا يرد عليه ان نوحا عليه الصلاة والسلام
كان مبعوثا لاهل الارض بعد الطوفان لانه لم يبق الا من كان مومنا معه وقد
كان مرسلا اليهم لان هذا العموم لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق لحادث اقتضى
انحصار الخلق في الموجود بن على ان ارساله عليه الصلاة والسلام انما كان لقومه
ولو بان ما يدل على عموم رسالته واما دعاوه على جميع اهل الارض واهلاكهم فلا
يدل على ذلك لجواز ان يرسل غيره في مدته ولم يومنوا به فلذا دعى عليهم قال ابن حجر
هذا الجواب حسن الا انه لم ينقل انه نبي غيره في زمنه غيره ويحتمل ان خصوصيته ببقا
شريعته الى يوم القيامة بحيث لا ينسخها غيرها ويحتمل انه دعا الناس للتوحيد
فاشركوا واستحقوا العقاب والدعوة للتوحيد يجوز ان تعم وان كانت فروع شريعته
غير عامة كما قاله ابن دقيق العيد واشار اليه ابن عطية في سورة هود وانه لم يكن
في عهده غير قومه واولاده كادم عليه الصلاة والسلام فلا يرد نقضا على هذا
ما ذكر وأعطيت الشفاعة اللام اما للعهد فالمراد الشفاعة العظمى في فصل القضا
لاهل الموقف اجمعين بعد مراجعة سائر الانبيا واظهارهم العجز فيأتونه صلى الله
عليه وسلم فيشفع وتقبل شفاعته وهو المقام الاعلا وهي للاستغراق فكانت الجد
اي الشفاعة الكاملة وله صلى الله عليه وسلم شفاعات كثيرة شاركه في بعضها
بعض الانبيا كشفاعته في قوم يدخلون الجنة بغير حساب وهذه مخصوصة به
وشفاعته في قوم استحقوا دخول النار فلا يدخلونها وفي بعض اهل النار
فيخرجون منها وفي تخفيف عذاب بعض اهل النار كابي طالب وشفاعته لمن مات
بالمدينة ومن صبر على لأوائها وشفاعته لمن صلى عليه بعد الاذان وغير ذلك
مما ورد في الاحاديث الصحيحة وفي رواية بدل هذه الكلمة اراد بالكلمة قوله
وأعطيت الشفاعة وسماها كلمة لانها كلمة لغوية وهي تطلق على الجمل وفي نسخة
الكلمات وقيل لي سل تعطه اي قال الله او حذف الفاعل للعلم به وقيل له ذلك
لما حضرت الشفاعة ولم يلتزمها احد من الرسل فقال انا لها وخر تحت العرش
ساجدا فقال له الله ارفع راسك يا محمد وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع
وفيه كمال الادب اذ لم يسال حتى اذن له في السوال وامر به وهذا في القيامة

ويحتمل انه اشارة الي ما في الاسرا كما سياتي في حديث ابن وهب واصل سل اسال
فخفف بنقل حركة الهمزة واسقاطها واسقاط همزة الوصل وفي حذف المفعول عموم كرم
اي سل بكل ما تريد بقط اكثر مما تسال ونقط بجزوم في جواب الامر والها للسكت او ضمير
عايد علي مقدر وفي رواية اخري وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع اي
الشريف والوضيع ويحتمل ان الله عرض عليه صلي الله عليه وسلم بالوحي تفصيل احوالهم
ودوالهم وصفاتهم وسايرتصرفاتهم في زمنهما وانه ابرزه لهم حقيقة فوجا فوجا
متلبسين باعمالهم علي وجه لا يقف علي حقيقته وذكر العراقي في شرح المهذب انه صلي
الله عليه وسلم عرضت عليه الخلايق من لدن ادم الي قيام الساعة فعرفهم كلهم كما علم
ادم الاسما وروي الطبراني انه صلي الله عليه وسلم قال ان الله قد رفع لي الدنيا فانا
انظر اليها والي ما هو كاين فيها الي يوم القيامة كانما انظر الي كفي هذه وحديث حذيفة
الطويل المذكور فيه الفتن وما يكون فيها مطول ذكره العراقي قال فيه ما ترك فيه
شيئا الا سماه باسمه واسم ابيه وقبيلته الي يوم القيامة ومنه اخذ الجفر والجامعة
الذي رواه جعفر الصادق عن علي رضي الله عنه وان توقف بعضهم في صحته كما ذكر
ابن خلدون في اول تاريخه وفي رواية بعثت الي الاحمر والاسود اي الي جميع الناس
اوجميع الجن كما يكني عن مثله بالعرب والعجم اي الي كل فرد فرد والمقصود عموم
رسالته صلي الله عليه وسلم للجن والانس وفيه رد علي من زعم من اهل الكتاب
ان بعثته صلي الله عليه وسلم مخصوصة بالعرب كالعيسوية لانه يعود بالنقض
عليهم اذ يقال لهم اذا اعترفتم بنبوته صلي الله عليه وسلم وجب تصديقه
فيما قاله وقد صح عنه انه قال بعموم رسالته واشار المص رحمه الله الي معناه
بقوله فيل السود جمع اسود وفي نسخة الاسود العرب وهذا مذكور في الحديث
معني لان تعريف الاسود ليس للعهد بل للاستغراق فهو بمعني السود وبين علته
فقال لان الغالب علي الوانهم الادمة بضم الهمزة وسكون الدال المهملة
وهي في الادميين السمرة وفي الطعام ما يشوبه سمرة فهم السود اي هم
المقصودون من قوله الاسود الذي بمعني السود كما عرفته والحمر جمع احمر
وعبر عن الاحمر بالحمر لما مر من العجم اي المراد بهم في الحديث العجم والمراد
بهم من عدا العرب وقد يخص باهل فارس ولم يعلله لعلته اي لغلبة
لون الحمرة عليهم فاعتبر الغالب لان النادر لا حكم له لان القلة اخت
العدم ولذا لم يعبر بها عنهما وقيل البيض جمع ابيض يعني قيل المراد
بالحمر البيض اي بالاحمر الابيض لان العرب تقول امراة حمرا بمعني بيضا
وقال ثعلب العرب لا تقول ابيض من بياض اللون فاذا ارادوه قالوا
احمر والابيض عندهم بمعني النقي من العيوب قال ابن الاثير وفيه نظر
فانهم قد استعملوا الابيض في الوان الناس وغيرهم وهو اعتراض وارد
وما قيل من ان مراده انه لا يستعمل في محل اللبس كما هنا فانه لو قال
بعثت الي الابيض لتوهم انه اريد به السالم من العيوب لا تجدي نفعا
وكيف يراد المجاز من غير قرينة وقيل البيض والسود من الامم وقيل

اي العجم

الحمر

الحمر الانس والسّود الجن وهذا مبني على ما في تخيلتهم من انهم سود وفي الحديث الاخر
عن ابي هريرة الذي رواه البخاري ومسلم واورده لما فيه من الزيادة على قوله نصرت
بالرعب قوله واوتيت جوامع الكلم جمع جامعة لجمعها الحكم والمنافع في لفظ قليل
والكلم اسم جنس جمعي للكلمة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح وهو من اضافة الصفة للموصوف
وفسرت بالقران لما في جمعه من المعاني في الالفاظ الموجزة وقيل المراد به كلماته الموجزة
المتضمنة للحكم والمنافع وفي نسخة وخواتمه فقيل هي بمعنى الجوامع وقيل التي
ختم بها الكلام فلا يأتي بعدها ما يقرب منها لعدم الحاجة له وبينا انا نائم اصله
بين فاشبعت فتحتها حتى صارت الفا وهو ظرف زمان كبينما المتصلة بما المزيدة
ويجي بعدها اذ كقوله اذ جي بالنبا المجهود اي جاءني ملك ارسله الله واذ للمفاجاة ٥
وهو جواب لها او يغلب بعدها كقوله
استقدر الله خيرا وارضين به ❊ فبينما العسر اذ دارت مياسير ❊
وقد تخلو عنها كقوله فبينا انا جالس دخل علي عمرو وهي مضافة لجملة انا نائم وقيل
مضاف لحذوف تقديره بين اوقات النوم موجود كما فصله اهل العربية بمفاتيح
خزائن الارض فوضعت في يدي بتشديد اليا مثنى مضاف او بالتخفيف مفرد ومفاتيح
جمع مفتاح وهو آلة يفتح بها الاقفال معروفة والخزائن جمع خزينة او خزانة
وهي ما يحرز فيه المال والامور النفيسة لتحفظها والمراد ما في الارض من الكنوز
والاموال فاما ان يكون رأى في رؤياه منامه تلك الرؤيا ووضع في يده مفاتيح حقيقة
وقال له هذه مفاتيح خزائن الارض ارسلها الله اليك ورؤيا الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وحي يقع بعينها تارة وتعبر بما يحكيها اخرى وظاهر تعبيره
ان امته تملك الارض ويجبي لهم اموالها او في المواهب اللدنية انها خزائن اجناس
العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبون فان الاسم الالهي لا يعطيه الا محمد صلى الله عليه وسلم
الذي بيده مفاتيح الغيب التي لا يعلمها الا هو فالمراد ان الله خصه بتمكين امته من
الارض ويحتمل ان الملك اخبره وقال له ذلك فيكون استعارة لما مر والعود
بان المراد العناصر وما يتولد منها وانه لم يعلل ذلك تعسف وكونه صلى الله عليه
وسلم لم يتناوله باباه على خاصية له بل قبله فان عطا الكريم لا يليق رده ولكنه
ادخره لامته وفي رواية لمسلم عنه اي ابي هريرة رضي الله عنه وختم بي النبيون
اي جعلني خاتمهم واخرهم حتى لا يبعث نبيا بعده غيره فلا يرد عيسى عليه
الصلاة والسلام ومجيئه اخر الزمان لانه يجي على انه من امته ايضا واما
الخضر فعلى تقدير نبوته معناه فلم يبينا بعده وفي هذا الختم تكريم له
حيث لا ينسخ شريعته ولا يطول مكث امته في البرزخ واشارة الى ان دينه كامل
جامع لجميع الكمالات لا يحتاج الى ملة اخرى تتمة وما روي من قوله لا نبوة
بعدي الا ما شا الله الاستثنا لا يقتضي وقوع مشيئته على فرض صحته والمنفي
النبوة لا النبي فيحتمل ان الذي تحت المشيئة الرؤيا الصالحة لانها جزء من اجزا
النبوة وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه وهو ابو اسد وابو حماد وابو عمرو
الجهني الصحابي الفصيح السيد الجليل توفي بمصر سنة ثمان وخمسين وهذا

الحديث رواه الشيخان وابو داود والنسائي فقال عقبة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا فرطكم على الحوض الفرط بفتحتين والفارط الذي يتقدم القوم ليهيئ لهم
في منازل اسفارهم الماء والكلا ونحوه مما يحتاجون له كما مر ويقال رجل فرط وقوم
فرط ايضا وفي الدعا للطفل الميت اللهم اجعله فرطا اي اجرا يتقدمنا حتى نرد عليه
والحوض هو حوضه صلى الله عليه وسلم الذي يسقي منه عطاش امته يوم القيامة
وعلى متعلقة بفرط او حال من الضمير فيه لانه صفة مشبهة وهل الحوض الكوثر او
غيره اختلف فيه وعليه اوان كالنجوم وفي الحديث بلاغة بديعة اذ المراد ان موته
صلى الله عليه وسلم قبلهم فيه مصيبة عظيمة وهي سبب لدخولهم الجنة واجر عظيم
فشبههم بقوم مسافرين وشبه نفسه بمن تقدمهم لنفعهم والفرط من يسبق
لذلك كما مر وذكر الحوض فيه مناسبة عظيمة وان متاع الدنيا قليل فهم على اثره صلى
الله عليه وسلم واردون جمعنا الله به وسقانا من يده شربة لا نظمأ بعدها
وانا شهيد عليكم شهيد بمعنى شاهد قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا اي
يوم القيامة وان الله تعالى يسال الرسل هل بلغتم فيقولون نعم فيقول للامم
هل بلغوكم فيقولون ما اتانا من نذير فيقول للرسل من يشهد عليكم فيقولون
امة محمد فيشهدون بتبليغهم وهذا هو قوله لتكونوا شهداء على الناس
ويشهد لهم صلى الله عليه وسلم بصدقهم ويزكيهم على ما مر في بيانه وفي
شهادة لهم لكنه عداها بعلى حثا على الطاعة لانه رقيب عليهم ومهيمن واني
والله لانظر الى حوضي الان اي اشاهده الان لان الجنة والنار موجودتان الان وتأكيده
بان والقسم يقتضي انها رؤية بصرية حقيقية لانكشاف الغطا عن بصره الحائل
عن رؤيته وليس بطريق الكشف ونحوه وفي هذا بيان لما مر لانه صلى الله عليه
وسلم لما قال انه فرط على الحوض حقق ذلك بانه مشاهد له لا شبهة فيه والان
مبني على الفتح ولا يستعمل الا بالالف واللام واني قد اعطيت مفاتيح خزائن
الارض تقدم في بيانها نحوه واني والله ما اخاف عليكم الصحابة او معاشر الامة
ان تشركوا بعدي اي من ان تكفروا وبعد موتي فمن مقدرة لانها تحذف هنا قياسا
مطردا لان من ذاق حلاوة الايمان لا يرجع عنها ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا
فيها اي في الدنيا اي اخاف عليكم من رغبتكم في نفائس الدنيا والتنافس
في تحصيلها حتى يؤديكم ذلك الى الهلاك وارتكاب ما يلهيكم عن الله وهذا
تنبيه لهم على الحذر لا تلهيهم الخزاين عن المعاد وعن عبد الله بن عمرو
رضي الله عنهما كما رواه الامام احمد بسند حسن ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي هو الذي لا يقرا ولا يكتب نسبة لامه لانه كانه
على حاله يوم ولدته او الى ام القرى لان الكتابة كانت عزيزة في اهلها او الى
امة العرب وهذه الصفة في حقه صلى الله عليه وسلم من اجل النعم
عليه واعظمها اذ اعطاه علم الاولين والاخرين وحفظه هذا الكتاب
الذي لا يعادله كتاب وهو لا يقرا ولا يكتب ولم يدارس ولم يتلمذ لاحد له
شغل بذلك تنبيه كون النبي صلى الله عليه وسلم اميا من معجزاته

الشريفة الباهرة كما تقدم مبسوطا غير مرة واشار اليه الابوصيري رحمه الله في قوله
كفاك بالعلم في الامي معجزة وهذا كان في اول امره الا ان بعضهم ذهب الى انه بعد
ذلك قرا وكتب من غير تعليم وهو معجزة اخرى الا ان الجمهور على خلافه كما ذكره الحافظ
ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي وقال ابن عرفة في سراج المريدين رحل ابو الوليد الباجي
وابعد رحلته فلما عاد قرا البخاري وقال في درسه انه صلى الله عليه وسلم في الحديبية
محى الكتاب وكتب بيده الا ترى انه قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب
وليس يحسن الكتابة فكتب هذا ما قاضى الخ فابتدر رجل مغربي وصاح في المجلس
المسجد انه زنديق الا ان الامير كان متفننا فدعى الفقهاء وسالهم فشنعوا عليه وقالوا
انه كفر فاستظهر الباجي بالحجة عليهم وقال ان هؤلاء جهلة فاكتب الى علماء الافاق
فكتب الى علماء افريقية وصقلية فجاءت الاجوبة بتصديق الباجي الى اخر ما قصه
ورايت في بعضها لكتب انه مما يدل على ذلك انه صلى الله عليه وسلم قال للكاتبة طول
الساق وقوله تعالى ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فقوله من قبله
يدل على انه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك كان يكتب نادرا فاعرفه وقوله لا نبي
بعدي تقدم بيانه اوتيت جوامع الكلم وخواتمه تقدم معناه ولفظه وانما
كرره هنا ليبين انه مع كونه اميا اوتي ما لم يؤته احد ممن اوتي حظا في القراءة
والكتابة وعلمت بضم العين المهملة وكسر اللام المشددة او بفتحها وتخفيف اللام
خزنة النار جمع خازن ككتبة وكاتب وهم الملائكة الموكلون بها وحملة العرش جمع
حامل وهم الملائكة يعني انه صلى الله عليه وسلم علم ما لم يعلمه غيره بمشاهدته
لهم الا ترى ما ورد في الاحاديث من وصفه صلى الله عليه وسلم لهم وبيان هيئاتهم
كانه له راي عين وحملة العرش اليوم اربعة ويوم القيامة ثمانية كما نطق به
القران العزيز وعن ابن عمر رضي الله عنهما كما رواه احمد بسند حسن بعثت بين يدي
الساعة اي القيامة سميت ساعة لانها عند الله قليلة تشبيها لها بالساعة التي
هي جزء من اجزاء الزمان وقال الراغب لسرعة الحساب فيها كما قال وهو اسرع
الحاسبين او لما نبه عليه بقوله كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا
ساعة من نهار وقيل الساعات التي هي القيامة ثلاث ساعات الكبرى وهي بعث
الناس للحساب والوسطى وهي موت اهل القرن الواحد والصغرى وهي موت كل
انسان وقد وردت الساعة بهذه المعاني في الحديث والمراد هنا الاولى والمراد بكونه
صلى الله عليه وسلم بين يديها انه قريب منها ففيه استعارة مكنية وفي الحديث
انا والساعة كهاتين يشير بالوسطى والسبابة وفيه اشارة الى تقادمه صلى الله
عليه وسلم وعدم نسخه ولاجل هذا ذكره المص ومن رواية ابن وهب من تبعيضية
اي انها اشارة الى انه بعض من حديث الاسرا الطويل الذي رواه البيهقي في الدلائل
وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه وابن وهب هو عبد الله ابو محمد بن وهب بن مسلم
الفهري المصري احد الاعلام في الحديث وغيره روى عن مالك والليث وخلق كثير وروى
منه خلق كثير وكان افقه من ابن القاسم وطلب للقضا فتجنن وانقطع الى ان مات
سنة سبع وتسعين ومائة والجار والمجرور خبر مقدم لقوله انه صلى الله عليه وسلم

قاله قال الله تعالى له صلى الله عليه وسلم حين كلمه بغير واسطة في الاسرا كما يدل
عليه سياق الحديث سل يا محمد حذف احد مفعوليه للتعميم اي كل ما تريد والاخر
للعلم به وانه لا مسئول سواه وله لا له فوله فقلت ما اسال يا رب عليه ورب بكسر
البا وضمها ولم يقل اسالك تادبا بسببه بجميع الكمالات استودعها الانبيا عليهم
الصلاة والسلام قبله فلم يبق ما يختص به حتى يساله ثم فصل لبعض ما اجمله
فقال اتخذت ابراهيم خليلا اي اصطفيته وخصصته بالخلة وكرامتها وسياتي
تحقيقها واتخذت موسى كليما اي اصطفيته وفضلته بان كلمته بنفسك بكلامك
القديم قبلي فلا يرد انه كلم ايضا واصطفيت نوحا اي فضلته على غيره بان جعلته
اول رسول اهلك من عصاه كما قال الله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا ونوح ابو
البشر واول الرسل واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده اي لا يتيسر لغيره من
الرسل الملوك لتسخير الجن والانس والريح وملك الدنيا كلها لعظمة البستنه اياها
من عظمتك فقال الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ما اعطيتك خير من ذلك كله
وهو مبتدا وخبر بينه بقوله اعطيتك الكوثر فوعل من الكثرة وذكر البيضاوي
فيه سبعة اقوال اشهرها انه نهر في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
في وسط الجنة حصباؤه الدر والياقوت وقيل هو القران وقيل النبوة وقيل غير ذلك
مما تقدم وجعلت اسمك مع اسمي اي مقرونا باسمي في التشهد والاذان وكلمة الشهادة
وغير ذلك ولذا قال ينادي به في جو السما اي تنادي الملايكة عليهم الصلاة والسلام
باسمه وتصلي عليه لامر الله لهم بذلك اجلالا واعظاما لمنزلته صلى الله عليه وسلم
من ربه وكتابته اسمه على ساق العرش وتفسير السما هنا بالامكنة العالية كمنابر
الاذان كما قيل لا وجه له وجعلت الارض طهورا لك ولامتك لان الله شرفها
بك فكانت طاهرة مطهرة وهذا من خواص هذه الامة تسهيلا لها وما احسن قول
ابن رشيق القيرواني

سالت الارض لم كانت مصلى • ولم كانت لنا طهرا وطيبا •
فقالت غير ناطقة لانى • حويت لكل انسان حبيبا •

وقد تقدم هذا الحديث وشرحه وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
اي لو صدر كان مغفورا فلا ينافي هذا عصمته صلى الله عليه وسلم او المراد
بالذنب التقصير وان لم يكن صغيرة ولا كبيرة واعلامه بمغفرة كلا مقدم ومؤخر
تشريفا وتطمينا لقلبه صلى الله عليه وسلم وقد قال العز بن عبد السلام ان
هذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم ولم يقله الله لغيره من الانبيا ولذا
قالوا في الموقف نفسي نفسي والى هذا اشار بقوله فانت تمشي في الناس مغفورا
لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك فليس المراد باحد غير الانبيا كما قيل وجعلت
قلوب امتك مصاحفها اي مننت عليك بان جعلت في امتك حفظا لم يكن في غيرهم
من الامم السالفة حتى ان من كان يحفظ التوراة وغيرها من الكتب الالهية
افراد معدودون في كل عصر وحفظة القران والحديث من هذه الامة
لا يحصون في كل عصر والمصحف ما كان جامعا للصحف المكتوبة وجمعه مصاحف

ثم

مزاحمة بالمصحف المكتوب فيهما القرآن وقد قيل انه لفظ حدث في الاسلام وكونه معربا
من اللغة الحبشية لا اصل له وهذا تشبيه بليغ اي جعل قلوبهم كالمصاحف التي
تحفظ القرآن وقيل انه استعارة تصريحية وله وجه وفي رواية صدور بدل — عوضي
قلوب وهذا ابنا على ان محل الحفظ والادراك القلوب واضافته للصدور لانها محله
والحكما يقولون انه محل الحفظ الخيال الذي هو خزانة الحس المشترك في الدماغ
واهل الشرع والمتكلمون من اهل الاسلام لم يثبتوا الحواس الباطنة مع ان كلام
الحكما مضطرب فيها وفي محالها كما ذكره الجلال الدواني في شرح هياكل النور وليس
هذا محل تفصيلها وخبات بخا معجمة مفتوحة وموحدة وهمزة اي اخفيتها ه
وادخرتها الى يوم القيامة شفاعتك المراد بها الشفاعة العظمى في فصل القضاء
ونحوها من الشفاعات الخاصة به كما تقدم ولم اخباها لنبي غيرك وفي صحة
تلك وان كان لهم شفاعات غير هذه وفي حديث آخر رواه حذيفة بن اليمان
العبسي الصحابي رضي الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي
سنة ست وثلاثين وهذا الحديث رواه ايضا ابن عساكر في تاريخه عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرني يعني ربه ولم يذكر الفاعل في اصل
رواية هذا الحديث للعلم به كما في قوله حتى توارت بالحجاب اول من يدخل الجنة
مبتدا ومن موصول وجملة يدخل صلته ومعي ظرف متعلق به ومن امتي حال
من عايد من المستتر خبره يدخل سبعون الفا خبره مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم
حساب صفة سبعون او حال منه اي لا يحاسبون ولا يناقشون بل يؤمر بادخالهم
الجنة تكريما لهم وقوله مع كل الف سبعون الفا جعلهم معهم لانهم اتباعهم وذرا — ٧ بهم
قوله وليس الخ صفة للالف الثانية فيعلم منه عدم محاسبة الاولى بالطريق الاولى
وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما قال ذلك دخل بيته فخاض الصحابة
في هؤلاء فقيل لعلهم الذين صحبوه وقيل لعلهم الذين ولدوا في الاسلام
ولم يشركوا الى غير ذلك فخرج صلى الله عليه وسلم وسالهم عما خاضوا فيه ه
فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام
عكاشة رضي الله عنه فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال
انت منهم ثم قام آخر فقال مثل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها
عكاشة وفي الحديث ايضا وعدني ربي ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا
مع كل الف سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات
ربي رواه ابن ابي شيبة والطبراني وقد حسب ما في الحديث فبلغ اربعمائة
الف الف وسبعمائة الف وفي هذا الحديث كلام ذكره ابن القيم في حادي الارواح — ح
واعطاني ان لا تجوع امتي اي ان لا تبتلى بالجدب والقحط حتى يهلكوا عن آخرهم
ويستاصلوا جميعهم فلا ينافيه ما وقع في بعض الازمنة في بعض الاقطار بخصو — سها
الا لم يعمهم ولم يستمر ولا تغلب بضم المثناة الفوقية اي الامة جميعها او تستمر
مغلوبين وهذا مشروط بطاعته فاذا بدلوا وغيروا اخرجوا عن اضافة
التشريف بقوله وقد شاهدناه في بعض السنين واليه الاشارة بقوله ان

عرضي

تنصروا الله ينصركم و اعطاني النصر اي على من يعاديني و لو مع قلة العدو في بدء الامر
و العز اي الغلبة و القوة عليهم و الرعب يسعى بين يدي امتي شهرا قيل شهرا مفعول
مطلق لا ظرف اي العدو الذي بينه و بينهم مسافة شهر تخافهم خوفا شديدا وهذا من
خواصه صلى الله عليه وسلم وخواصا منه وخص هذه المسافة لانها ابعد مسافة
اعدائه الموجودة في زمانه كما مر و بهذا يعلم ان قوله في المواهب في حديث نصرت
بالرعب وكون هذه له صلى الله عليه وسلم و لامته فيه احتمال غفلة عن هذا الحديث
و في قوله يسعى تشبيه للرعب بمقاتله يتقدمه وفيه مبالغة بليغة كما قلت في نصيبه

وَلم يغز معداه جيوش جنده • وجيش الرعب قد هزم القلوبا •
ولو ثبتوا الفرّ الهام منهم • وارواح وما عرفوا الهروبا •

وطيب بالتشديد و البنا للمجهول اي احل لقوله تعالى حلالا طيبا الى و لامتي الغنائم
هي شاملة للفي هنا و قد مر متنوعه و احل لنا كثيرا مما شدد فيه على من قبلنا
من الامم السالفة كقطع الاعضاء و التوبة بقتل النفس و قرض محل النجاسة ووجوب
القصاص في العمد و الخطأ الى غير ذلك مما ذكروه و تفنن في العبارة و لم يراع
التقابل و لو راعاه قال سهل علينا ما شدد مع انه لو عبر به توهم انه رخصة
و ليس كذلك على انه قد يقال احل فيه طباق او ايهامه للحل الذي هو ضد الشد
و لم يجعل علينا في الدين من حرج اي شدة و ضيق و قال علينا لانه له صلى الله
عليه وسلم و لامته فوسع عليهم بالرخص كترك القتال لمن له عذر و اكل الميتة
للمضطر و قصر الصلاة و التيمم وعن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث صحيح
رواه الشيخان عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبيا ادم فمن بعده بقوله
من الانبيا للتعميم الا و قد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر اي كل نبي جعل له
الله معجزة اظهرها على يديه اطاعه بها الناس كعصى موسى عليه الصلاة والسلام
و احيا الموتى لعيسى الى غير ذلك مما هو مشهور ما ثور مناسب لزمانه الا ان
تلك الايات انقطعت بانقطاع عمره و مضت بمضيه بخلاف اعظم معجزات نبينا
صلى الله عليه وسلم فانها باقية غير منقطعة غضة طرية في كل عصر تتلى
و نشاهد بركاتها و نستخرج من جواهر معانيها ما لا يفنى و هي القران كما اشار
اليه بقوله و انما كان الذي اوتيته وحيا اوحى الله الي و ما نافية و من صلة
لتاكيد النفي و نبي مبتدا و سوغ الابتدا به وقوعه بعد النفي و من الثانية
لتبعيضيه او بيانيه و الجار و المجرور صفة نبي و قوله الا و قد اعطي خبر
و الواو مزيدة فيه لتاكيد الاتصال و اللصوق و الضمير المستتر في اعطي مفعوله
الاول و ما الموصولة او الموصوفة مفعول ثان و مثله مبتدا ايضا و الجملة
بعده خبر له و امن مضمن معنى غلب و لذا اعداه بعلى او هي بمعنى الباء
و الضمير المجرور يعلي عايد على ما فالجار و المجرور متعلق بامن او حال منه
اي مغلوبا عليه و المراد بالايات المعجزات و مفعول اوتيت محذوف اي
اوتيته و الحصر في انما ادعائي او باعتبار الاعظم او المعظم و وحيا بمعنى
كلام موحى به او قصر افرادي اي اوتيته انا لا غيري من الانبيا عليهم الصلاة

والسلام فليس حصرا حقيقيا بمعنى انه لم يعط غيره اذ المعنى انه ما من معجزة اعطيت لنبي
الا اعطيها وزاد عليها بما هو مخلد في صحائف الدهر يعرف في كل زمان ولذا رتب عليه
قوله فارجو ان اكون اكثرهم اي الانبياء عليهم الصلاة والسلام تابعا يوم القيامة
اذ لا لان هذه المعجزة لما كانت باقية الى يوم القيامة وهي باهرة ظاهرة يؤمن بها
كل من وقف عليها من الناس لزم اكثرية من امن به صلى الله عليه وسلم واتبعه على
من امن لغيره من الرسل وصدق بمعجزته المخصوصة لعصره فاذا ما انقطع التحدي
بمعجزته وغابت عن الادراك وصارت خبرا كغيره من الاخبار اذ لم يرها احد منهم
بمعجزة لم يدركها بعده اعجازها فاما التوراة وسائر الكتب السماوية فليست بمعجز
نظمها ولذا وقع فيها التحريف والتبديل وترجمت بلغات مختلفة وسيأتي الكلام
على الاعجاز مفصلا وقد حقق الله رجاه والى هذا اشار بقوله ومعنى هذا الحديث
عند المحققين بقاء معجزته المذكورة ما بقيت الدنيا اي مدة بقائها وكون القران يرفع
في اخر الزمان كما ورد في حديث حذيفة بن اليمان الذي رواه ابن ماجة ان الاسلام
يدرس ويرفع كتاب الله في ليلة حتى لا يبقى منه في الارض آية ويبقى ناس يقولون
ادركنا آباءنا على هذه الكلمة كلمة لا اله الا الله فقال له صلة ما ينفعهم هذه وهم
لا يدرون صلاة ولا صياما ولا نسكا فقال تنجيهم من النار لا ينافيه اما لانه باعتبار
الاكثر والظاهر فانه محقق بقاؤه في نفس الامر لم ينسخ ولم يبدل وقيل انه
زمن يسير بقاؤه كالعدم وسائر معجزات الانبياء اي جميعها ذهبت للحين المراد بالحين
عقب وقوعها او انقراض عصره او المراد ذهبت بذهابه ولم تبق بعده وبينه بقوله
ولم يشاهدها الا الحاضر لها بخلاف من اتى بعدهم ومعجزة القران اي القران
المعجز او المعجزة التي هي القران فالاضافة بيانية يقف عليها اي يعلمها
ويحيط بها مجاز لان من وقف على شيء اطلع عليه كما في الاساس قرن فاعل يقف
بعد قرن اي يطلع عليها جميع القرون والناس الذين حدثوا بعد عصر النبوة
خلاف غيرها عيانا بكسر العين كما مر اي مشاهدة لا خبرا اي لا باخبار غيرهم
لهم الى يوم القيامة اي الى اخر الزمان وقيام الناس الى الحشر وهو كناية عن
التأبيد والبقاء في الدنيا وفيه اي في هذا الحديث ومعناه للعلماء كلام يطول هذا
نجيبه بضم النون وسكون الخاء المعجمة والباء الموحدة اي خياره وزبدته
قال في الاساس نخب الشيء وانتخبه اذا نزعه ومنه الانتخاب لاختيار كانك
تنزعه من بين الاشياء وهو لا نخبة قومهم لخيارهم انتهى وقد بسطناه في فصلنا
من بسط يده اذا مدها القول في هذا وفيما ذكر سوى هذا من باب المعجزات وعن
علي رضي الله عنه في حديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه وهو موقوف
عن علي كرم الله وجهه له حكم الرفع لان مثله لا يقال بالراي وستأتي رواية
ابي نعيم له مرفوعا لكل نبي من الانبياء اعطي سبعة نجباء جمع نجيب وهو
الكريم الحسيب ويكون بمعنى الرفيق المعين في المهمات والشدائد وهو
المراد هنا ونبيكم صلى الله عليه وسلم اعطي اربعة عشر نجيبا اي ضعفا
كاملا تشريفا وجعلهم ضعف ما لكل نبي مرتين تكريما له صلى الله عليه وسلم

واشارة لكثرة امته حتى يحتاج زيادة في وزرائه والمراد بهولا كما رواه ابو نعيم عن علي
ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن نبي الا وقد
اعطي سبعة نجبا وزرا واني قد اعطيت اربعة عشر وهم حمزة وجعفر وعلي
وحسن وحسين وابو بكر وعمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وابو ذر والمقداد
وحذيفة وعمار وسلمان وفي رواية بلال انتهى وقد وقع في تعيينهم اختلاف
اقول وبعد عصره صلى الله عليه وسلم خليفته القطب ووزراءه النجبا والنقبا والبدلا
ومن فسر الاربعة عشر هنا بهولاء لم يصب رواية ودراية وقد ورد التصريح بهولا
في احاديث جمعها السيوطي في رسالة مستقلة ومن العجيب ان هذا امر انه متفق
عليه بين اهل الشرع والحكما كما قال صاحب حكمة الاشراق في كتابه لابد لله من خليفة
في ارضه وانه قد يكون متصرفا ظاهرا فقط كالسلاطين وباطنا كالاقطاب وقد يجمع
بين الخلافتين كالخلفا الراشدين كابي بكر وعمر بن عبد العزيز قد انكره بعض الجهلة
في زماننا قال ذو النون النقبا ثلاثمائة والنجبا سبعون والبدلا اربعون والاخيار
سبعة والعمدة اربعة والغوث واحد وحكي ابو بكر المطوعي عمن لقي الخضر عليه
الصلاة والسلام انه قال له لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت الارض
الى ربها وقالت الهي وسيدي بقيت لا يمشي علي نبي الى يوم القيامة فقال الله لها
اجعل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبيا لا اخليك منهم فقال
لها كم هم قال ثلاثمائة وهم الاوليا وسبعون وهم النجبا واربعون وهم الاوتاد
وعشرة وهم النقبا وسبعة وهم العرفا وثلاثة وهم المختارون وواحد وهو
الغوث فاذا مات جعل واحد من الثلاثة مكانه ونقل من السبعة الى الثلاثة
ومن العشرة الى السبعة ومن الاربعين الى العشرة ومن السبعين الى الاربعين
ومن الثلاثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلثمائة وهكذا الى ان ينفخ
في الصور منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقد بيناه كذلك وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل وهو حديث مشهور رواه الشيخان
عن ابي شريح قاله يوم فتح مكة يوم الجمعة تاسع عشر رمضان سنة ثمان من الهجرة
ومعنى حبس منع وفي رواية القتل بقاف وتا فوقية وقصة الفيل مشهورة
غنية عن البيان وسلط عليها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يقل
سلطني اشارة الى انه مامور من الله لا حظ له في ذلك من نفسه لتنزهه عن
الحظوظ والاغراض النفسانية والمؤمنين من امته وجنده وانها اي مكة لا تحل
لاحد بعدي وفي نسخة من امتي وفي نسخة لم يحل لا وفي اخرى لن وفيه
اشارة الى ان تحريمها سابق في علم الله وفي زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام
فانه حرمها وجعلها حرما امنا وكان ذلك اظهارا لما سبق في علمه وحكمه
وانما احلت لي ساعة من نهار اي انما اعلمني الله بحلها لي وكان تحل
القتال لي فيها في ساعة من نهار يوم الفتح وكان ذلك من الصبح وجعله ساعة
تقليلا لزمانه لا انه ساعة حقيقية كما قال تعالى ولا تقاتلوهم عند
المسجد الحرام الخ والحرم مثل المسجد في ذلك وهذه الاية محكمة عند ابي

عرضي

حياس

عباس ومجاهد تمسكا بهذا الحديث وقوله فيه ثم عادت حراما الى يوم القيامة وروي بمعناه
من طرق اخر وقتاله صلى الله عليه وسلم وامره بقتل من لجا الى الحرم كابن خطل من خصايصه
كما روي عن السلف وقيل عليه ان قوله احلت يدل على تقدم حرمته فيكون نسخا ولو
ان نسخا استمر فيكون رحمة لانها استباحة مع المانع وبه قال ابو حنيفة رحمه الله
وقال قتادة والضحاك انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وباباحة
ادني معناها وتمسكوا بفعله صلى الله عليه وسلم ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص
وبه قال الشافعي رحمه الله وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه في حديث رواه
احمد والبيهقي والحاكم وقال انه صحيح الاسناد والعرباض بكسر العين وسكون الرا
المهملتين وموحدة واخره ضاد معجمة معناه اللغوي نقل للثعلبي وهو من كبار
الصحابة اهل الصفة رضي الله عنهم سكن حمص من ارض الشام ومات بها سنة خمس
وسبعين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جملة حالية او مفعول
ثان على الخلاف في سمع اذا تعلق بالذوات الغير المسموعة كما يعرفه من تبحر في العربية
وقد مر بيانه اني عبد الله وفي رواية اني عبد الله مكتوب خاتم النبيين قدم
على هذه الكلمات وصفه صلى الله عليه وسلم بالعبودية اشارة الى انها اشرف عنده
مما سواه وانه انما نالها بمحض كرم الله وفضله واحترازا ممن يطريه ان يتجاوز
به الحد كما وقع للنصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام ولذا قال اني عبد الله
اتاني الكتاب الاية وقد مران خاتم بفتح التا وكسرها اخرهم ومن به كمالهم وان ادم
لمنجدل في طينته اي مختلط في تربته او ساقط فيها كما تقدم وفي طينته خبر
ثان لا ظرف المنجدل ثم اخبر صلى الله عليه وسلم باول امره بانه عدة ابراهيم
بكسر العين وتخفيف الدال المهملتين مصدر بمعنى الوعد كالزنة وفي نسخة
دعوة ابي ابراهيم وهي اشهر واظهر لانه اشارة الى قوله ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم ولثقته بالله انه لا يخيبه جعل ذلك وعدا منه لذريته وجعله نفس
الدعوة مبالغة باقامة السبب مقام المسبب لانه دعا ان يجعل من ذريته وذرية
اسمعيل رسولا ولم يكن من ذريتهما معا غيره مرسلا فان الانبيا من ذريته كداود
وسليمان ليسوا من ذرية اسمعيل فتعين كونه محمدا صلى الله عليه وسلم ٥
وبشارة عيسى بن مريم فيما حكاه الله عنه بقوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي
اسمه احمد وجعله نفس البشارة مبالغة وهي بكسر البا مصدر كالبشرى وبضمها
ما يعطى للبشير واسم مصدر بمعنى المبشور ويكون في الخير والشر اذا اطلقت
تخصصت بالخير وصارت حقيقة ونحو فبشرهم بعذاب اليم تهكم على هذا وعلى الاول
هي حقيقة مطلقا واذا قيدت وسميت بشارة لتاثيرها في بشرة الوجه ما يسمى
ورد السرور وفي شرح الجامع الصغير للزرعي ان البشارة تختص بالصدق وجهل
المخاطب والخبر لان ذلك يغير بشرة الوجه الفرح وهي في اللغة خبر يغير بشرة
الوجه مطلقا الا انه صار فيما ذكر حقيقة عرفية والاصل فيه ما في الحديث
من انه صلى الله عليه وسلم لما قال من اراد ان يقرا القران غضا طريا كما انزل
فليقرا بقراءة ابن ام عبد فابتدر ابو بكر وعمر لبشراه بذلك فسبق ابو بكر رضي

الله عنه فكان يقول بشرني ابو بكر واخبرني عمر قال العلامة ابن كمال فان قلت الخبر الكاذب
يغير البشرة ايضا وليس من شرط الحنث بقا المعلق عليه كما لو قال ان دخلت الدار فانت
طالق فدخلت ثم خرجت حنث قلت في الكاذب لم تنتشر البشارة فوزانه وزان ما لو حلف
على لبس خفيه فلبس احدهما ولم يذكر الصدق في الهداية وفيه قصور ومن ثمة قالوا
لو قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم زيد فهو حر فبشروه فرادى عتق الاول لانه الذي ظهر السرور بخبره
دون الثاني وبشرهم بعذاب اليم تهكم ومن هنا علم ان البشارة سرور وكله يحمل الخبر اذ
البشرة لا تتغير بحاصله قال وفي هذا الحديث دلالة على ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
قبل عيسى لم يخبروا باتيان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مخصوصه فقوله في الكشاف
في تفسير قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ان ابن عبد السلام
رضي الله عنه دعى ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام وقال قد علمت ان الله تعالى قال
في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به اهتدى ورشد ومن
لم يؤمن به فهو ملعون فيه انه صريح في بشارة موسى بمحمد عليهما الصلاة والسلام
باسمه الخاص وهو مخالف لنص القران والحديث الصحيح لا يقال اليهود حرفوا التوراة
فزال حكم تلك البشارة وصح ان عيسى هو المبشر لانا نقول انما كان هذا بعد عيسى
لقوله مصدقا لما بين يدي من التوراة فنسبة البشارة لعيسى ظاهر في عدم البشارة
قبله والا لقال بشارة اخي موسى وكذا قولهم في الخطب المنبرية في التوراة والزبور
والانجيل انتهى اقول هذا غير وارد بل غير صحيح من وجهين الاول ان كونه مبشرا
به قبل الانجيل في الكتب السماوية كلها او جلها مما لا شبهة فيه وقد صنف في ذلك
كتابا مستقلا سماه خير البشر بخير البشر الحافظ ابن ظفر ولولا خوف الاطالة لاوردت
ما فيه هنا الثاني ان قوله انه مخالف للقران والحديث كلام ناشئ من عدم تدبر معنى
البشارة والفرق بينها وبين الخبر الصادق فان كل بشارة خبر ولا عكس
والبشارة خبر سار بما فيه نفع المخبر في زمن ما بعيدا او قريبا كالبشارة بالجنة
ولما كان من قبل عيسى بينهم وبين نبينا رسل وامم لم يكن ذلك بشارة لعلمهم
بان المخبر لا يدركه بخلاف عيسى فان امته ومؤمنوهم ادركوا نبينا صلى الله عليه
وسلم كسلمان ونحوه فكان اخباره به بشارة لمن اتبعه منهم وحثا لهم على اتباعه
كما اشار اليه قوله من بعدي فلم يخالف النص لا ابن اخت خالته فاعرفه وعن
ابن عباس رضي الله عنهما في حديث رواه البيهقي والدارمي وابن ابي حاتم قال
ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء يعني ملايكة السماء وهم
افضل من ملايكة الارض فيعلم منه تفضيله صلى الله عليه وسلم على جميع الملايكة
حتى الخواص منهم ورسلهم خلافا للمعتزلة والحليمي من الشافعية القايلين
بتفضيل خواص الملايكة على الانبيا ولم يختلفوا في تفضيلهم على ملايكة الارض
كما سياتي وعلى الانبيا كلهم فردا فردا وعلى المجموع فلا وجه لتخصيصه بالاول
كما تقدم فتذكره قالوا اي الحاضرون عند ابن عباس لسامعون كلامه فما
فضله على اهل السما اي ما سببه ودليله قال ان الله قال ومن يقل منهم اني
اله من دونه اي من يثبت منكم الالهية غيره فذلك القايل نجزيه جهنم

رد للكشاف

عرضي

لمحمد انا

ابن اقبرس

يؤيد بها من اشرك منهم وتقطيعا لامر الشرك وتعظيما لتوحيده تعالى وقال المجرد صلى الله عليه
وسلم انا فتحنا لك الاية بجعله مغفورا له غير مؤاخذ بما تقدم وما يتقدم واورد عليه انه
لا دلالة فيما ذكر على المدعى لانه على سبيل الفرض مع القطع بعصمتهم وقد خاطب بمثله
في قوله لئن اشركت ليحبطن عملك ولك ان تقول وجه الدلالة انه هدده وهو على سبيل الفرض
بعذاب جهنم ودخوله او لم يهدده بمثله وهذا يدل على انحطاط رتبتهم عنه عن
رتبته فتامله قالوا فما فضله على الانبيا قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا
بلسان قومه وقال المجرد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس اي ان هذه
الاية تدل على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وتخصيص رسالة كل رسول بقومه وكافة
صفة مفعول مطلقا مقدر اي رسالة كافة اي عامة وللناس متعلق به والحاصل ان ابن
عباس رضي الله عنهما فهم من هذه الاية العموم والخصوص واستدل لهما فلا يقال انه لا يلزم
من انه لا ينطق الا بلسان قومه انه لم يرسل الا لهم لانه على مقتضى الظاهر فلا يدل بغيره
الا بدليل والدليل قايم على خلافه كما مر وعن خالد بن معدان رحمه الله تعالى هذا
الحديث روي من طرق كما اشار اليه المصنف ورواه ابن اسحاق مرسلا والدارمي واحمد
موصولا عن خالد عن عبد الرحمن السلمي عن عتبة بن عبد السلمي بطوله ومعدان حمصي
تابعي من كبار التابعين وزهادهم ادرك سبعين من الصحابة وتوفي في سنة اربع ومائة
ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك
اي عن حالك وشانك من ابتدا امرك وقد روي نحوه اي نحو ما رواه خالد عن ابي ذر الغفاري
الصحابي رضي الله عنه اخرجه الدارمي وشداد بن اوس بن ثابت بن المنذر بن حرام وهو ابن
اخي حسان بن ثابت بن حرام بالمهملتين المفتوحتين صحابي نزل بيت المقدس وتوفي
بالشام رضي الله عنه سنة ثمان وخمسين والرواية عنه اخرجها ابو نعيم في الدلايل وانس
بن مالك اخرجه ابو نعيم ايضا فقال صلى الله عليه وسلم لمن ساله عن نفسه نعم
جواب لسؤالهم اي اخبركم بذلك انا دعوة ابي ابراهيم بدل من الخبر او عطف بيان اي
اثر دعوته او عينها مبالغة ونعته بانه اب لاطلاقه على الجد ولبيان انه من ذريته
الذين دعا لهم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فهو المراد بالرسول في
دعوته المجابة وبشرى عيسى عليه الصلاة والسلام تقدم بيانه ورات امي اي ارادت
رؤيا اي تعبيرا لاسلوب لانه نوع مغاير لما قبله فهو على نهج قوله وجعلت قرة عيني
في الصلاة كما تقدم حين حملت بي وفي رواية حين وضعتني فالرؤيا وقعت مرتين
وهذا يحتمل انه رؤيا منام ورؤية يقظة والمرائي متعددة وقد دل عليه قوله انه
خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى بضم الباء والقصر بلدة من اعمال دمشق هنا وهي
ايضا اسم بلدة اخرى من قرى بغداد قرب عكبرا كما في معجم ياقوت وهي مدينة

للمشالي

حوران وقيل انها ميسارية او حوارزم وهو غير صحيح لان قوله من ارض الشام
ياباه فهو غفلة من قايله والصحيح انها مدينة بين المدينة ودمشق وهي اول
بلاد الشام فتحا فتحت سنة ثلاث عشرة والشام اقليم المعروف وبجهة
ابدالها الفاكراس وفيه لغة اخرى شام بالمد قال ابن فرقول اباها اكثرهم
وحده طولا من العريش الى الفرات وقيل الى نابلس وعرضا من جبل طيء الى البحر

الروم وهي شامية ودخلها من الصحابة كثيرون ودخلها صلى الله عليه وسلم اربع مرات
مرة مع عمه ابي طالب لما رآه بحيرا ومرة في تجارة لخديجة مع غلامها ميسرة وم
حين اسري به ومرة في غزوة تبوك قاله ابن عساكر ورؤية آمنة النور حقيقة
حين وضعته واما رؤيتها له حين حملت فكانت في المنام كما قاله الواقدي ورحم
الله لها ذلك اذ وضعته لانها كما ورد في الحديث اتيت وقيل لها انك حملت بسيد
هذه الامة وآية ذلك ان يخرج معه نور يملأ قصور بصرى فحقق الله لها
ما رأته اولا وهو كلام حسن وتخصيصه لانه اول فتح في الاراضي المقدسة
واسترضعت بالبنا للمجهول اي طلبت امي ان اكون رضيعا في بني سعد بن بكر
ارضعته منهم حليمة السعدية بنت ابي ذؤيب زوجة الحارث بن رفاعة بعد
ما ارضعته ثويبة مولاة ابي لهب وله اخوة من الرضاع مذكورون مع فترة
ارضاعه في كتب السير فبينا انا مع اخ لي من الرضاع لا من النسب اذ ليس له صلى الله
عليه وسلم اخ ولا اخت من النسب وبينا ظرف والالف للاشباع او كافة كبينما والاكثر
عليها معتمد في كتب العربية خلف بيوتنا اضاف البيوت له باعتبار السكنى او
التغليب لان المراد بيوت بني سعد نرعى بهما الرعي اكل الحيوانات النبات والاول
بها الترعي وهو المراد هنا والمراد انه صلى الله عليه وسلم كان مع الرعاة
لا راعيا لصغر سنه والبهم بفتح البا الموحدة وسكون الها وميم وهي جمع
بهمة اسم لاولاد الضان واولاد المعز سخال ويطلق على ما يعمهما قال
صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا ٭ الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم ٭
لنا اضافها له معهم لاختلاطه باصحابها لادنى ملابسة اذ جاء لي رجلان اي
ملكان في صورة رجلين فهو مجاز عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلاث رجال
وهم جبريل واسرافيل وميكائيل عليهم الصلاة والسلام كما اشار اليه بقوله
وفي رواية اخرى ثلاثة رجال وجمع بينهما بانه جاء اثنان اولا ثم جاء
والثالث الذي بعد لمباشرته بطست من ذهب مملوءة ثلجا وفي رواية ملكان
وفي رواية كوكبان كانهما انقضا عليه كوكبان ثم تمثلا بصورة رجلين والطست
بفتح الطا وسكون السين وطسة بالها وفي طائه الفتح والكسر ففيه خمس لغات
وهو اناء معروف واستعمال الذهب لم يكن حراما اذ ذاك لانهما وهو من الجنة
لا من جنس ذهبنا فلا حاجة للجواب بانه يغتفر للصغار وانه يجوز تحلية
الآنية لطاعة به كالمصحف والسيف مع ما فيه وفي رواية انه من برد اخضر
وانه صب عليه من ابريق فضة واما كون الطست بشين معجمة فقيل انه
غلط وقيل انه لغة فيه ومملوءة بالتانيث لان الطست يذكر ويؤنث
او هو لتاويله بآنية وهي مجرورة صفة او منصوبة حال والمراد انه ملئ بالثلج
او بمائه ولا حاجة للبحث فيه هل هو مطهر ام لا لان هذه امور لا يطلع
عليها وروي انه غسل بما الجنة وبماء زمزم وهذا كان في حال الطفولية
ووقع في رواية انه كان بعد هذه البعثة كما اسري به فمنهم من قال
الروايات متعارضات ورد هذه وقال السهيلي لا تعارض بينهما

وانه

وانه وقع مرتين الاولى لتنقيته من الحظوظ النفسانية والاخرى ليتقدس فيقوى
على العروج لمشاهدة الانوار العلوية وكونه مخلوقا من النور لا ينافيه كما توهم
وروى ان الطست مملو حكمة وايمانا وان الثلج لبرد اليقين فهما اما باقيان على ظاهرهما او مجسم
الاعراض وليس ذلك على الله بعزيز والثلج مسكون اللام وقال التلمساني بفتحهما بمعنى
اليقين فيجوز قراءته بالفتح فتكون هذه الرواية كرواية مملوءة حكمة وايمانا فاخذا في
اذا امساكه صلى الله عليه وسلم واضجعاه فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من
نحري الى مراق بطني الى اعلا الصدر ومراق بفتح الميم وتشديد القاف وهو مارق
ولان من البطن ولا واحد له من لفظه والميم زائدة ثم استخرجا منه عائدا على الجوف المعلوم
من السياق او للبطن لتاويله به قلبي مفعول استخرجا فشقاه اي القلب وهذا من
المعجزات لان الاطبا اجمعوا على ان القلب لا يحتمل جراحة اصلا فكيف يعيش صاحبه
اذا شق واستخرجا منه علقة سودا فطرحاها اي رمياها لانها حظ الشيطان ومنبع
ومنها الحسد والحقد ووسوسة الشيطان والحرص والشهوة المذمومة والعلقة
دم متجمد كالعلقة المعروفة في دود الما قال السبكي في طبقاته سئل الوالد رحمه
الله عن هذه العلقة التي اخرجت من قلبه صلى الله عليه وسلم حين شق فؤاده
وقول الملك هذا حظ الشيطان منك فاجاب بان تلك العلقة خلقت في قلوب
البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيه ولم يكن للشيطان فيه حظ وانما الذي نفاه الملك
منه امر في الجبلة البشرية فازيل القابل الذي لا يلزم من حصوله حصول الالقا
في القلب وانما خلقت على هذا لانها من اجزا البدن المكملة لخلقه فلا بد منه ثم
نزعت بامر رباني طارئ بعده وقريب منه قول الاستاذ محمد البكري في رسالته
النافعة نزع العلقة من باطنه المقدس المطهر وقول الملك انها حظ الشيطان
اي لو تعلق الشيطان بمحل منه كان هذا الخلق ابتدا تكملة لاصل الخلقة ه
وتسوية للنشاة الانسانية مع زيادة اظهار ياس الشيطان باخراجها منه
وهذا من تقديس السر وتنزيهه اعلاه واشرفه وقدر لا يدانيه احد فيه
اقول حاصله ان الله خلقه صلى الله عليه وسلم كامل البنية مكملا فاقتضت
الحكمة الربانية ان يكون جسمه احسن الاجسام وقلبه اقوى القلوب كما ان روحه
صلى الله عليه وسلم اعظم الارواح واطهرها ولما كان القلب رئيس الاعضا بقوته
تقوى صفاته من الشجاعة والعظمة وغيرها وهذه العلقة جزء سوداوي به
يكون القلب قوي البنية زاهي الثمرة وعليه يتبين تكونه كحب العنب والفواكه فبعد
نضج ثمرته ينزع عجمه ويرمى ولكنه سوداوي ردي الاخلاط كان محلا لورود
الاوهام والخيال الذي هو لرجحان الفكر كالحشيش النابت ببينه يقلعه يقوى
فالدفع انه لو لم يخلقه الله به ويخاحي ينطمس من دنس الوسوسة وما يقبلها
فلا بالوسوسة وقلع وظهر ان معنى كونها حظ الشيطان انها محل حظه لو كان
لكنه لم يكن وانما اطلت هنا لانه سر من اسرار الله ولله در ابن ناصر الحموي
في قوله

اما والله لو شقت قلوب ۞ ليعلم ما بها من فرط حب ۞

لا رضاك الذي لك في فؤادي ● وارضاني رضاك لا يشق قلبي ● ●
ثم غسلا قلبي ويطفي بذلك الثلج حتى انقاه ● ولما كان ارضه صلى الله عليه وسلم
لا ثلج بها اغسل بذلك ليعلم انه من عالم الغيب والجنة ويقال نقاه بالتشديد
وانقاه اذا جعله نقيا نظيفا والمشهور لا ولد في هذا دليل على عصمته صلى الله عليه
وسلم قبل النبوة من جميع الاثام والنقايص وكيف يتصور بعد هذا ان تصدر
منه زلة او امر لا يرضى الا سهوا ومثله لا يؤاخذ به قال اي النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث اخر ثم ناولا احدهما اي احد من ملكين غيره او اخرجه من يده واصل
المناولة الاخذ من غيره شيئا فاذا بخاتم في يده من نور ● اي يتلالا ويضيء اضاءة زايدة
حتى كانه مجتمع من النور ففيه مبالغة في اشراقه كقوله خلق الانسان من عجل وفي
رواية انه خيط بالمخيط وكان يرى في صدره الشريف اثر الخياطة يحار الناظر دونه
اي فيما هو دونه اي اقل منه بهاء اي نورا ونفاسة والناظر اما بمعنى الشخص
الذي ينظر ويحتمل ان يريد به العين وانسانها لانه يطلق عليهما وعلى الاول
المعنى انه يتحير من نوره وحسنه في معرفته وعلى الثاني النسبة اليه مجازية والمراد
صاحبه او معناه يبهت ولا يطرف احفانه وفيه وفي قوله دونه لانه اذا تحير فيما
دونه فكيف به فختم به قلبي كما يختم الكيس والخزانة التي فيها الجواهر وكل نفيس
وختمه لئلا يصل اليه ما لا يليق به من الوسوسة فلئلا يضيع ما فيه وفيه
اشارة الى انه خاتم الانبيا وليس هذا ولا اثره خاتم النبوة المذكور في الحديث
حتى يقال انه اختلف فيه هل ولد به او كان حدث وقد حي نبي ولا في هذا الحديث
بيان لانه كان حين شق صدره كما توهم والختم حفظه عن ان يخرج مما احرز
شيء يغير عليه فلا يرد ما قاله السهيلي انه ينافي انه صلى الله عليه وسلم يعلم
الناس الحكمة وتفجرت من قلبه ينابيع الحكم وفاضت انوارها على العالم فامتلا
ايمانا وحكمة في تفسيرها اقوال والذي يفهم منها انها العلم المشتمل على معرفة
الله مع البصيرة وتحقيق الحق والعمل به وفي التوزيع هنا خفا لان مقتضى
الظاهر ان يقدمه على الختم ولا يرتبه عليه فيقول ملاه فامتلا ثم ختمه لانه بعد
الختم لا يدخله شيء الا ان يأول بانه تبين لي انه امتلا اللهم الا ان يقال انه دخل
فيه نور من الخاتم ملاه بما ذكر وثمرات العلم والحكمة معنى لا يعلم خبره
فاما ان يقال انه ختم او جعل بمنزلته ثم اعاده مكانه اي اعاد الخاتم في مكانه
الذي كان من يده او يد غيره وليس الضمير للختم كما توهم حتى يقال انه يشعر
بانه كان من اصل خلقته وامر ● بتشديد الرا المهملة اخره اي مسح والصق
يده ما ترى الاحر اي الملك الاخر يده على مفرق صدري بفتح الميم وفتح الرا
وكسرها بينهما فا ساكنة اي محل الشق والافتراق الذي كان منه فهو
بمعناه اللغوي وان اختص عرفا بوسط الراس او هو مصدر ميمي ●
فالتأم بهمزة بعد المثناة الفوقية اي انضم واجتمع حتى لم يبق فرجة من
الشق وفي رواية اخرى ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال بعد ذلك
قلب وكيع اي شديد وفي كتب اللغة تفسيره بصلب وغليظ والمراد هنا ما ذكر

اي اقرس

الم

الم ومنه نقل العلم فيه اي في قلبه صلى الله عليه وسلم حتى ان نتصانه واذ ان شيعيان
لايخفى ان حمله على الظاهر كما قيل بعيد فالمراد انه شديد الادراك لما يبصر ويسمع وكون
القلب لايدرك المحسوسات لانه انما يدرك المعقولات لاوجه له فانه يدركها بواسطة
الحواس وفي التعبير من الاول بالمضارع وعن الثاني بالاسم الدال على الثبوت نفقت
وايما الي ان الاول لايكون الابفعل يحدث منه كالمقاتلة وفتح الجفن بخلاف الثاني
واسنادهما للبس مجازي وهذا كالتعليل لما قبله ثم قال احدهما اي الملكين ه
لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزن نبي فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني
فرجحتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزن نبي فوزنتهم الوزن معروف ورجحانه
زيادة ما في الكفتين ونقله فينزل الراجح ويعلو مقابله والمراد بامته من اتبعه صلى
الله عليه وسلم ومن امن به وهم امة الاجابة او من وجد في عهده وهم امة الدعوة
لمن فسر بالاول لعلم الثاني منه بالطريق الاولى وعدم الاعتداد بغيرهم ويجوز
ارادة الثاني وهذا الوزن الظاهر ان المراد منه مجرد المقابلة بين كماله صلى الله
عليه وسلم وكما لاتهم بحسب لفظ العلمي ومنهم من ذهب الى انه على ظاهره وحقيقته
وان لم نعرف كيفيته الا انه يحتاج لتاويله لان الامة لم يكونوا موجودين فقيل
المراد منهم ارواحهم وان الله اطلعهم على ذلك وانما ذكروه ليطلع على ذلك ويعلم
بامته ثم انه وقع في هذا الحديث اختلاف في رواية ابي ذر رضي الله عنه
ان الوزن قبل الشق وانه ابتدا في الوزن بالواحد ثم العشرة واختار الملم هذه
الرواية لان الرجحان بما اودعه الله فيه بعد اماطة ما لاوزن له عند الله وفيه
ايضا انه وضع فيه خاتم النبوة بين كتفيه وقال شيخ والدي الشهاب ابن حجر الهيتمي
انه وقع في بعض الروايات انه ولد بخاتم النبوة فان الحاكم روى بسند حسن عن
عائشة رضي الله عنها عن بعض الاحبار انه قال ولد في هذه الليلة يعني ليلة
مولده صلى الله عليه وسلم نبي هذه الامة بين كتفيه علامة فيها شعرات وفيه
دليل على انه ولد بخاتم النبوة لكن ما بسند اصح من هذا ان الملكين لما شقا
صدره الشريف ختماه بخاتم النبوة ويمكن الجمع بانهما ختماه ذلك المحل الثاني
عند الوضع بعد ختمه او للاشارة الى زيادة الاعتنا والتشريف ثم رايت من جمع
بينهما بانه كان في موضعين على الكتف وبين كتفيه وروي بسند ضعيف انه
رفع بعد موته صلى الله عليه وسلم واعلم ان بعض الشراح قال ان الشق
والغسل في ذلك ليس مخصوصا به صلى الله عليه وسلم بل كان لسائر الانبيا
عليهم الصلاة والسلام لما روي انه كان في تابوت السكينة الطست الذي
غسلت فيه قلوب الانبيا عليهم الصلاة والسلام ثم قال دعه عنك فلو
وزنته بامته لرجحها اي لغلبهم في الوزن لاعادلهم وباب المغالبة معلوم
من كتب الصرف وفي هذا الحديث دليل على انه صلى الله عليه وسلم افضل من
جميع الناس واقواهم شجاعة وقدرة على الجماع وعلما وفطنة كما تقدم اودع
في قلبه صلى الله عليه وسلم ما لم يودع غيره قال في الحديث ثم ضموني الى
صدورهم اي عانقوني اظهارا لمحبتهم وتكريمهم لي وقبلوا راسي وما بين عيني

عرضي

٣ فوزنتهم

بتشديد اليا المثناة وفيه استحباب تقبيل الراس وما بين العينين لمن يتبعهم محبة واكراما
اظهارا لذلك ثم قالوا يا حبيب بالبنا على الضم واصله يا حبيب الله لم ترع بضم المثناة
الفوقية وفتح الرا المهملة وعين مهملة اي لم تخف ولم تفزع وهو مبني للمجهول
اي حصل لك من قوة القلب ما لا يعتريك بعده خوف من شي والمراد تطمين قلبه صلى
الله عليه وسلم بعد ما وقع من الشق له ثم استانفوا جملة مؤيدة لما قبلها فقالوا
انك لو تدري ما يراد بك من الخير اي ما يريده الله لك من الكمال والخير الدنيوي
والاخروي لقرت عيناك اي لسررت سرورا عظيما وقد مر ان قرة العين الفرح
وهو ضد سخنت فهو من القر بمعنى البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار
او من قر بمعنى ثبت وسكن طرفه لانه لم يبق له شي يطمح له عينه وينظر وفي
بقية هذا الحديث من قولهم اي من قول هولا الملايكة وهو موافق لقولهم ثلاثة
كما سر ما اكرمك على الله تعجب من رفعته صلى الله عليه وسلم وكرامته عند ربه ان الله
معك وملايكته بعنايته وفضله وليس في قوله من قولهم ما يقتضي انه مشتمل
على مقولهم ومقول غيرهم كما قيل قال في حديث ابي ذر المشهور المذكور اولا ابن الفارس
وهذا الحديث رواه الدارمي فما هو اي فعلهما بعد ذلك وما نافية وقيل
الضمير للشان وهو على حد قولك لم يلبث فلان ان فعل كذا والمراد السرعة الا
ان وليا اي رجعا وانصرفا عني بعد فعلهما ومقالتهما السابقة فكانما ارى الامر
معاينة المراد بالامر هنا ما اكرمه الله به وما سيكرمه به من مقدمات النبوة
وارهاصاتها وما زاد في فطنته وعلمه ولتحققه لذلك جعل كالمحسوس المرئي
ببصره وليس المراد به القصة المذكورة من مشاهدة الملكين وما فعلاه كما
توهم وقد اتى بخبط وخلط في تفسيره لا طايل تحته وحكى ابو محمد مكي وابو عرضي
الليث السمرقندي وغيرهما تقدم ترجمتهما والكلام عليهما ان ادم عليه
الصلاة والسلام عند معصيته اي اكله من الشجرة وسياتي الكلام عليه في عصمة
الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهذا الظرف متعلق بقوله قال ومقوله
اللهم بحق محمد اي بما يستحقه عندك من الزلفى والكرامة وهذا الحديث
رواه البيهقي والطبراني عن عمر رضي الله عنه بسند فيه ضعف وفيه دليل على
انه يجوز ان يقال في الدعا بحق الانبيا ونحوه خلافا لمن افتى من علما العصر انه
لا يجوز ان يقال مثله لانه ليس لاحد على الله حق وقد وقع مثله في احاديث
كثيرة ومعناه فاغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله من اين
عرفت محمدا فقال رايت في كل موضع من الجنة اي هنا بصريه مكتوبا لا اله الا
الله محمد رسول الله يا رب فاعل اسم المفعول ويروى محمد عبدي ورسولي بدل
رسول الله فعلمت بما رايته من كتابته واقتران اسمه باسمك انه اكرم خلقك
اي مخلوق فانك عليك فتاب الله عليه وغفر له ذنبه لتوسله الى الله بحبيبه
وصفيه وبما علمه من ذلك وهذا اي الحديث المذكور عنده قائله اي عند من
رواه واعتقده وهو مكي رحمه الله ومن سبق ذكره وليست الاشارة لقول
ادم عليه الصلاة والسلام اللهم الخ كما قيل تاويل قوله تعالى اي تفسير

لان

لان التاويل يرد بمعنى مطلق التفسير وبمعنى التفسير بمقتضى العربية من غير نقل
ماثور ويكون ايضا بمعنى ما يوول اليه ويتحقق به في الواقع وهو اصل معناه فتلقى ادم
من ربه كلمات فتاب عليه وهذا فيه خفا لان معنى تلقيها من الله اخذها من غير واسطة
والمذكور انه راها مكتوبة في الجنة فكانه جعل الهام الله له الدعا بها بمنزلة تلقيها
منه وقيل انه على قراءة ابن كثير بنصب ادم ورفع كلمات ومعنى تلقيها استقبالها بالاخذ بها
والعمل بها حين علمها واشار بقوله عنه قائله الى ان فيه اقوالا اخر فقيل الكلمات
المتلقاة هي ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل
اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين
اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك اني ظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب
عرضي
الرحيم وسقط ما قيل انه ليس فيه على هذه الرواية انه تلقى من الله والكناية
لا تنتهي كلمات الاعجاز ولا قرينة تدل عليه فتدبر وفيه دلالة على ان ادم عليه الصلاة
والسلام كان يعلم الكتابة وسوال الله له بقوله من اين الخ ليس استفهاما على حقيقته
لعلمه به وانما هو تشريف له بخطابه وليبين له فضيلة محمد صلى الله عليه وسلم عقبه
وفي الرواية الاخرى قال فقال ادم عليه الصلاة والسلام لما خلقتني رفعت
وفي رواية اخرى
راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فيه خبر مقدم ومكتوب
مبتدا موخر صفة لشيء مقدر ولا اله الخ بدل منه او هو مبتدا مكتوب خبره وفي
بعض النسخ وفي رواية الاجري بالمد وضم الجيم وتشديد الرا المهملة وياء نسبة
للاجر المعروف وهو الامام المحدث ابو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي
مصنف كتاب الشريعة شيخ ابي نعيم سكن مكة وتوفي بها في المحرم سنة ستين وثلا
ثمانة
ابن افيرهم
تعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك ملازما للمقارنة
قيل هذا في الرواية الاولى ظاهر اذ فيها في كل موضع واما هنا فهو في موضع واحد
واجيب بانه يحتمل ان الرواية الاولى زيادة على هذه وتركها لئلا تتكرر ولا
يخفى بعده ولا حاجة الى ما فهمه من لزوم المقارنة بل المقارنة في هذا المحل
العظيم تكفي فيما قاله قلت ومن هذا الحديث يوخذ ان كتابة اسما الله ونحوها
في سقوف المساجد وغيرها غير مكروهة كما توهم فاوحى الله اليه وعزتي
وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك فروحه صلى الله عليه
وسلم مخلوقة قبل الارواح والانبيا كلهم خلقوا لاجله ووجوده سبب
لوجودهم فهو اب معنوي لهم وكلهم اتباعه في الوجود قيل قوله فاوحى
الله اليه يقتضي ان هذا الخطاب وحي لا مشافهة وقوله لما خلقتني قبله
يدل على خلافه وقد يقال انه خاطبه اولا واوحى اليه بعد ذلك مع ان
الداعي يخاطب ربه وان لم يخاطبه فلا يدل كلامه الاول على ان كلام الله معه
بدون وحي قال وكان ادم عليه الصلاة والسلام يكنى بابي محمد وقيل
بابي البشر كما رواه البيهقي عن علي كرم الله وجهه مرفوعا والثاني
اشهر تنبيه قوله ولولاه ما خلقتك خلاف اللغة فانها في الاكثر يليها
ضمير رفع منفصل يحذف خبره وجوبا اذا كان عاما وقد يكون مخصوصا

فيذكر على قول ويليها ضمير جر ورضورة كما هنا فقليلا فيقال لولاي ولولاك ومنعه
المبرد رحمه الله واجازه غيره فقيل انها حرف جر وقيل انه نايب عن المرفوع والفصل
بغير عامله ومنعه سيبويه بمنع النيابة في غير الضماير المنفصلة وغيره بجيه
مع الحروف والافعال كما تقرر في محله وعليه الزمخشري وروي عن سريج بن يونس
بضم السين وفتح الرا المهملتين وبامثناة تحتية وجيم وصحفه بعضهم بشين
معجمة وحا مهملة وهو غلط وهو ابو الحارث البغدادي امام الحديث توفي
سنة خمس وثلاثين ومايتين وروي له مسلم والبخاري انه قال كان الضمير
للنبي صلى الله عليه وسلم لانه المعلوم من السياق فهو ظاهر وان كان لسريج
فهو في حكم المرفوع لان مثله لا يقال بالراي ان لله ملايكة سياحين من السياحة
من ساح الما اذا جري ثم شاعت في السير الطويل والمشي في الارض والسفر
من غير مقصد معين للنظر في المصنوعات الله ونحو ذلك عبادتها اي الملايكة
وانثه نظرا لظاهر لفظه او لتاويله بطايفة وعبادتها بموحدة وفيه
مضاف مقدر اي حفظ كل دار فيها من اسمه احمد او محمد او دخول كل دار نحو
وضبط ايضا بيا مثناة من تحت والمراد بالعيادة الزيارة وقدم احمد لانه سمي
به قبل محمد ولانه صلى الله عليه وسلم معروف به عند الملايكة او للترقي
اكراما منهم اي زيارتهم لاجل الاكرام وقال بعضهم لئلا يتوهم انهم انفردوا بالاكرام
من غيرهم وانهم رسل في ذلك والاولى حمله وياتي ان اهل مكة ونقل ايضا عن
اهل المدينة يقولون كل دار فيها من اسمه محمد يوسع الله رزقهم وهو عن
تجربة منهم وقيل هذا لا يختص بهذين الاسمين بل كل من تسمي باسم من اسمايه
صلى الله عليه وسلم كذلك وفيه نظر وروي ابن قانع القاضي بقاف ونون
بعد الف وعين مهملة وهو عبد الباقي بن قانع بن مرزوق الاموي البغدادي
صاحب معجم الصحابة وكتاب العلوم وترجمته في الميزان وهو ثقة في الرواية
الا انه قيل انه تغير في اخر عمره وتوفي في سنة احدي وخمسين وثلاثماية قال البرهان
كان على المصنف ان يذكر تقدم السند من ابن قانع الي قوله عن ابي الحمرا حتي يعرفه
ويعرف ابا الحمرا واعتذر بانه لم يلتزم الاسناد في كتابه وانما اشترط ما صح
عنده واشتهر والظاهر انه استغني عنه بروايته عن ابن قانع لانه ذكره
مسندا فيه وقد اسنده الطبري ايضا وفي بعض النسخ ابن نافع بالفا وهو
الفقيه صاحب الامام مالك وهو وهم وتحريف وابن الحمرا بحا مهملة وميم
ورا مهملة ممدود وقال البرهان ولا يعرف من المراد به فان ابا الحمرا الصحابي
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه هلال بن الحارث او ابن ظفر
اخرج له ابن ماجه حديثا غير هذا وكان بحمص وقال يقال له صحبة
ولا يصح حديثه ومن الصحابة ابو الحمرا مولى ال عفرا الذي ولا يعرف له
رواية ولا يعرف في التابعين من اسمه ابو الحمرا ولا فيمن بعدهم قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الي السما اذا هي فجايية
اي صادفت تجاه على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله العرش في

اللغة سرير الملك وعرش الرحمن غير السموات وهو سقف الجنة وهل هو الكرسي او
غيره فيه خلاف ليس هذا محله وكون اسمه صلى الله عليه وسلم مكتوب مع اسم الله على
العرش وفي الجنة ورد في احاديث كثيرة والظاهر ان النبي صلى الله عليه وسلم عرف تلك
الكتابة بالهام من الله او بذكر جبريل عليه الصلاة والسلام لها او غيره من الملائكة
والواله هذه السكة مكتوبة هنا ولا يقال انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرا ولا يكتب
وقد تقدم ما في ذلك ايدته لعلي كرم الله وجهه في حياته لماله من الصحبة القديمة
والاثار العظيمة في غزواته معه والتاييد النفوسية والنص ولا يلزم من هذا
تفضيله على غيره من الخلفا كابي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا ان تاييده له اعظم ولعل
لتخصيصه هنا وجه لا يقف عليه الا الانفس القدسية وفي التفسير اي في كتبه
ولم يعين المنقول عنه لوجوده في كثير منها عن ابن عباس رضي الله عنهما رواه
الليث عن مالك وورد مرفوعا عن ابي ذر رضي الله عنه واخرجه البزار موقوفا عن علي
وعمر رضي الله عنهما والبيهقي في الشعب في تفسير قوله تعالى وكان تحته اي الجدار
اقامه الخضر عليه الصلاة والسلام كنز لهما لليتيمين قال اي ابن عباس رضي الله
عنهما المراد بالكنز وهو المال المدفون لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا منصوب بفعل
محذوف وجوبا اي اعجب عجبا واللوح بفتح اللام وقد تقدم صحيفة مبسوطة لمن ايقن
بالقدر اي تيقن قضا الله وقدره وانه لا يكون الا ما قدر وما قدر لا بد ان يكون
ولتضمينه معنى امن عداه بالبا واليقين الاعتقاد الجازم كيف ينصب بفتح اوله
وثالثه من النصب بصاد مهملة وهو التعب والاستفهام للتعجب لا انكاري اي كيف
يتعب نفسه في تحصيل رزقه وما قدر له لا يتخلف عنه مقدار ذرة ولحظة وللقاضي
ناصح الدين الارجاني

يا قلب خل من هموم وشجون • بادر فرص الزمان من قبل يخون

لا تاس فان جملك الهم جنون • ما قدر ان يكون لا بد يكون

عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك اي من تيقن وجود النار وعلم انه لا يخلو من زلة
يعاقب عليها فكيف لا يخاف منها ويكون ضاحكا مسرورا وهو لا يعلم اشقي هو
ام سعيد والموت اقرب له من حبل الوريد عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها
باهلها اي تغير احوالها في كل حين قال الراغب التقلب التصرف قال تعالى
او يأخذهم في تقلبهم فالبا بمعنى في او مع اي تصرفها في اهلها او تغيرها
وتغير اهلها كيف يطمئن قلبه ويركن اليها بعد ما راى منها ويشاهد انا الله
لا اله الا انا فله الحكم والامر وبيده كل شيء في قبضته تصرفه محمد عبدي ورسولي
ارسلته للناس كافة وهذا التفسير يشعر بانه حديث قدسي اوحاه الله لبعض
انبيائه وقد ذكر القرطبي في تفسيره بهذا اللفظ عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر
كيف يحزن عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف ينصب عجبت لمن امن بالموت كيف يفرح عجبت
لمن امن بالحساب كيف يغفل عجبت لمن عرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها
لا اله الا الله محمد رسول الله انتهى وعجب في هذه الرواية مرفوع بالابتدا

كسلام عليكم وهذه رواية عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل الكعز مال وقيل غيره لك
وعن ابن عباس رضي الله عنهما على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول
الله من قالها اي من نطق بكلمة الشهادة مومنا مخلصا لا اعذبه وان ارتكب الذنوب
وهذا كقوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقد ورد
مثله كثيرا من الاحاديث الصحيحة وذكر انه وجد بالنبا المجهول فيهما ولم يذكر فاعلها
لعدم وقوفه عليه ولا بنا في هذا انه ذكر هنا ما صح او اشتهر لانه باعتبار الاغلب
وكونهما مبنيين للفاعل والضمير المستتر لابن عباس كما قيل يحتاج لنقل على الحجارة
القديمة اي الموجودة قبل عصر النبوة لان الكتابة لو كانت جديدة بخط هذه
الامة لم تكن دالة على ما نحن فيه مكتوب محمد تقي اي ممتثل لاوامر الله مجتنب
لنواهيه صلى الله عليه وسلم مصلح لجميع الخلق بهدايتهم لكل خير وسعادة
والدنيا بعد له وسيد امين على الوحي وغيره كما تقدم وذكر السمنطاري بسين
مهملة وميم مكسورتين ونون ساكنة وطا مهملة بعدها الف وراء مهملة وبا
نسبة مشددة قال صاحب القاموس في تاريخ المدينة انه نسبة لسمنطار قرية
من جزائر المغرب وقيل هو الذهبي بلسان اهل المغرب وهو ابو بكر بن عتيق بن علي
احد عباد الجزيرة وزهادها وله كتاب الرقايق في اثني عشر مجلدا كبيرا لم يسبق
لمثله ومنه نقل المص هذا الحديث انتهى وقال التلمساني انه من الاجلة وله
تاليف في فنون العلم فمن قال لم ار له ترجمة ونحن في غنية عما نقل عنه من العرب
فقد شهد على نفسه بقلة الاطلاع انه شاهد في بعض بلاد خراسان هو اقليم معروف
قيل وقد تسكن راوه وتحذف الغه وفي الزاهر لابن الانباري معناه مطلع الشمس
لان خور بالفارسية معناه الشمس مولودا وليدا اي حين ولادته وخروجه من بطن امه
ولا يتوهم ان وصف المولود بانه ولد من اللغو وعلى احد جنبيه اي شق بدنه
وصفحته مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون
المراد بهم المورخون الذين لهم اعتنا باخبار الامم السالفة ولما كان الاخبار
جمع خبر وهو عام خص بهذه الطايفة نسب للجمع لمشابهته العلم كانصار
وانصاري ولولا هذا رد في النسب لمفرده كما بر المجموع المنسوب اليهما انه ببلاد
الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله اي مكتوب
فيه بلون ابيض عكس المشهور من كتابة الالوان في البياض للدلالة على انه ليس من
صنع البشر وهذا كقول الابوصيري في مطلع قصيدة له

كتب المشيب بابيض في اسود * لفضا العين ... الخ

وقد ذكر ابن العديم في تاريخه حكايات كثيرة منها انه وجد ببلاد الهند مثله في الثمار
والاوراق وان الصيادين راوا مثله في السمك واعلم ان ما اشتهر من ان الورد الاحمر
خلق من عرق النبي صلى الله عليه وسلم او من عرق جبريل عليه الصلاة والسلام
موضوع كما نقله ابن حجر عن النووي والذهبي وابن عساكر وكذا ما في الزهر
من ان الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق
جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق وعن انس رضي الله عنه برفعه قال

عرضي

ابن اقبري

لما

لما عرج بي الي السما بكت الارض من بعدي فنبت اللصف وهو الكبر من نباتها فلما ان رجعت قطر من عرقي علي الارض فنبت ورد احمر الا من اراد ان يشم رايحتي فليشم الورد الاحمر والورد كما قاله ابو حنيفة الدينوري نور كل شجر وزهر كل نبت ثم خص بهذا الورد المعروف فقيل لاحمره الحوجم ولابيضه الوتير وفي شرح سقط الزند الورد ما يضرب الي الحمرة يقال اسد ورد وعنبر ورد ودم ورد اي احمر والورد المشموم ليس بعربي في الاصل الا ان العرب تسمي الزهر ورداً انتهى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلي الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة ينادي مناد في الموقف الا ليقم من كان اسمه محمداً فيدخل الجنة لكرامتي ويأتي شرحه فيما بعده وفي رواية يقول الله له عبدي لم تستحيي اذ عصيتني واسمك محمد وانا استحيي ان اعذبك واسمك اسم حبيبي اذهبوا به الي الجنة والي هذا اشار في البردة بقوله

فان لي ذمة منه بتسميتي ۞ محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم

وروي عن جعفر بن محمد هو جعفر الصادق وقد تقدمت ترجمته ومحمد هو محمد الباقر وقد تقدم ايضاً عن ابيه ابو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب اذا كان هي تامة بمعنى وجد يوم القيامة نادى مناد من الملايكة امره الله بالندا يقوله الا ليقم من اسمه محمد الا حرف استفتاح وتنبيه والمراد بالقيام الانفصال عمن معه ليمتاز عن غيره ممن لم يتسم بهذا الاسم كما ان من قام عند قوم جالسين يتميز عنهم فهو استعارة او مجاز مرسل اريد به لازمه او كناية وليس هذا امر تسخير للاموات قبل احيايهم اي ليقوموا من قبورهم اولمن قعدوا في ارض المحشر لما عرض له من الاهوال وطول القيام فانه بعيد من السياق ويأباه قوله فليدخل الجنة لانه مؤمن شرفه الله بهذا الاسم اذ لم يعهد تسمية احد من الكفار به بعد بعثة النبي صلي الله عليه وسلم لكرامة اسمه عليه الصلاة والسلام وهذا من تتمة الحديث فهو من كلام النبي صلي الله عليه وسلم كما علم من الرواية المتقدمة ولم يقل باسمي لتفنناً او تدرجاً او هو مدرج فيه من كلام جعفر رضي الله عنه وعلي الاول هو من كلام المنادي وليس هذا مما يقال بالراي فهو حديث له حكم الرفع وما قيل من انه يؤدي الي الاتكال وعدم العمل مما لا يلتفت اليه وقد تقدم تتمته قريباً وروى ابن القاسم فقيه مصر عبد الرحمن ابن القاسم بن خالد بن حمادة صاحب مالك وراوي الموطا عنه وهو من الثقات توفي سنة احدى وتسعين ومائة في سماعه اعني كتاباً له في مسموعاته عن شيوخه وابن وهب ابو محمد عبد الله بن وهب تفقه بمالك وروى عنه وعن غيره كابن دينار والليث بن سعد وصنف الموطا الكبير والموطا الصغير وكان اسن من ابن القاسم بثلاث سنين وعاش بعده خمس سنين في جامعه وهو اسم كتاب له الفه على الابواب بخلاف ما الفه علي الصحابة فانه من المسانيد عن مالك محيي السنة وامام دار الهجرة الامام المشهور رحمه الله تعالى قال سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد اي مسمي باسمه والمراد ظاهر لانه لا يكون الاسم بدون مسماه الا نمى اي زاد ذلك البيت بكثرة الاولاد والاهل فيه وزادت البركة فيه ورزقوا اي رزقهم الله الرزق بهم ببركة ذلك الاسم وفي نسخة الا قد وقوا من الوقاية اي

ابن القاسم

حفظهم الله من كل سوء واسم محمد يحتمل ان يكون اضافته بيانية اي اسم هو محمد
فيختص بهذا الاسم او لامية اي اسم من اسماء هذه الذات فيشمل جميع اسمائه وفي نسخة
ورفيق جيرانهم جمع جار وهو لغة الملاصق وشرعا الى اربعين دارا ويحتمل ارادة
هذا ايضا لان بركته تعم جميع الدنيا وعنه صلى الله عليه وسلم في حديث مرفوع
مسند كما قاله السيوطي وذكر سنده ما ضر احدكم ما ان في بيته واحد كم مفعول ضر
وان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة فاعله في محل رفع ولا يصح كونها موصولة
ونفي الضرر المراد به وجود النفع ولكن هذا يستعمل للحث يعني لو لم يكن فيه ضرر
كفى سببا فكيف وفيه نفع عظيم واي نفع ويجوز ان تكون استفهامية وان يكون
مجرور الحرف مقدرا اي اي شيء حصل له من الضرر لكونه في بيته وتوهم بعضهم
انه لا يصح لان يكون فاعله فتبقى الجملة التي هي خبر عنها بلا عائد فيها وعندي انه
احسن لقول الناس ما ضرك لو صليت لمن ترك الصلاة وهذا فيه حث عظيم حتى
لا يتركه الا مانع وضرر والاستعمال عليه وكون الضرر باعتبار الالتباس في
تعداد المسمى باسم واشتقاق مما لا يلتفت اليه وعن علي رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم في مشورة بفتح الميم وضم الشين
المعجمة ويجوز سكونها اي في امر يتشاورون فيه معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه
في مشورتهم الا لم يبارك لهم رواه جماعة منهم ابن عتاب لان من تسمى به
يبارك الله فيه ويلقى الرأي السديد ببركته صلى الله عليه وسلم ومن
اعرض عنه كان بضد ذلك وعن عبد الله بن مسعود في حديث رواه احمد
والبزار والطبراني بسند رجاله ثقات وهو وان كان موقوفا فله حكم الرفع
لان مثله لا يقال من قبل الرأي كما اتفق عليه في مصطلح الحديث اكثر المحدثين
ان الله نظر الى قلوب العباد وما فيها من العقل وقيل المراد ارواحهم لان
القلوب تطلق عليها فاختار منها قلب محمد اي اصطفاه وارتضاه فاصطفاه
لنفسه اي جعله صفيا له مقربا منه مختصا به لا تعلق له بغير الله في ظاهره
وباطنه ولذا جعله محلا لسره ومبلغا لاوامره ونواهيه وهذا كله على طريق
التمثيل فهو استعارة اي عامله معاملة عظماء الملوك الذين يتخذون من
الناس من يكون وزيرا محرزا لاسرارهم والمراد انه وجهه وقلبه اشرفهما
علاه فلذا كان مقربا عنده وخليفة له وفي اطلاق النفس على الله من غير
مشاكلة كقوله تعالى ويحذركم الله نفسه وادعا انه مشاكلة تقديرية تكلف
فقول اهل المعاني انه لا يطلق عليه الا مشاكلة كقوله تعلم ما في نفسي ولا
اعلم ما في نفسك غير صحيح وجمع بين القولين بعض المحققين فقال النفس
لها معنيان الذات وهذا يصح اطلاقه من غير مشاكلة والجسم وما يلزمه
من النفس اللوامة والامارة وهذا لا يطلق عليه الا مشاكلة وحكى النقاش
ابو بكر محمد بن الحسن المفسر المشهور وقد تقدمت ترجمته ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما نزلت اية وما كان لكم اي لا ينبغي لكم ولا يحل ولا يجوز ان تؤذوا
رسول الله باي اذية كانت ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده اي بعد موته

وهي

انه

حقيد

ابدا لان حرمتهن مؤبدة وهن امهات المومنين حتى قال الشافعي رضي الله عنه من استحل
ذلك كان كافرا لانه صلى الله عليه وسلم حي لم تزل عصمته عنهن وهن معه في الجنة
وكسوتهن ونفقتهن من بيت المال وسبب نزول هذه الاية ان بعض المنافقين قال
ان مات محمد تزوجت عايشة وما قيل ان القايل ذلك طلحة احد العشرة المبشرة وانه
ندم فحج ماشيا واعتق رقبة وحمل على عشرة افراس في سبيل الله كفارة لمقالته لا يصح
لان مثله لا يصدر عنه مثل ذلك بل لا يصدر ممن دونه بطبقات قام خطيبا على
عادته صلى الله عليه وسلم فيما اذا بلغه ما لا يجوز واراد اعلام الناس به فقال
في خطبته يا معشر اهل الاعيان المعشر الجماعة ان الله فضلني عليكم تفضيلا عظيما
تفضل به على الامة وفضل نسايي على نسايكم تفضيلا الحديث لانهن افضل من جميع
نساء عصره وفي فضل بعضهن على بعض كلام ليس هذا محله واشار به الى عدم كفاءة احد
لهن وان لان الله ختمه بانه لا يجوز لاحد نكاح زوجاته لما مر

## فصل

في تفضيله صلى الله عليه وسلم بما تضمنته كرامة الاسرا اي ما اشتملت
عليه قصة الاسراء ووقع في ضمنها مما فضله الله به على ساير الرسل عليهم الصلاة
والسلام والمراد ما اكرمه الله به من خارق العادة وليس المراد به ما يقابل المعجزة
فانه من اعظم معجزاته وقد اعلم به ودما فيه من فضله ولكن ان تقول المراد به
ظاهر لانه امر لا يطلع عليه غيره وما هو كذلك لا يتحدى به ولذلك عبر المصنف عنه بالكرا
والبا للتعدية او السببية والاسرا مصدر اسرى ويقال سرى واسرى اذا سار ليلا
واختلف فيهما فقيل هما بمعنى وقيل بينهما فرق فقيل اسرى سار من اول
الليل وسرى سار من اخره وقيل العرب تقول سرى ليلا اذا سار بعضه واسرى
ليلة اذا سار جميعها ولا يقال اسرى ليلا الا اذا وقع سيره في اثنائه فاذا وقع في
اوله قيل ادلج فمعنى اسرى بعبده ليلا انه في وسطه واسرى متعد ومفعوله محذوف
هنا اي اسرى البراق وقيل انه لازم كسرى وانما متغايران معنى كما مر ولفظا
لان سرى من السري واسرى من السراة وهي الظهر فمعنى اسرى ذهب به في سراة
الارض وهي ظهرها كذا في المؤدات وتدل على تغايرهما اتفاقهم على التعبير بالاسرا
هنا دون السري واتفاقهم على القراءة به فصار معناه سيره الى بيت المقدس والا
عبر المعراج كما سياتي ثم بين ما تضمنه بقوله من المناجاة وهي الكلام سرا لان
السر يقال له نجوى وتختص المناجاة في العرف بكلام العبد مع ربه كمناجاة
موسى صلى الله عليه وسلم والرؤية اي رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه بعين
بصره او رؤيته ما في الملا الاعلى من العجايب وراى اذا كانت بصرية مصدرها
رؤية واذا كانت حلمية مصدرها رؤيا واذا كانت اعتقادية مصدرها راي
وقال السهيلي الرؤيا تكون بمعنى الرؤية ايضا وله شواهد في كلام العرب
وعليه قول المتنبي ورؤياك احلى في العيون من الغمض
فلا يرد عليه شي كما توهم وما يعقوبه صلى الله عليه وسلم من نحو ما يرويه
وامامة الانبيا اي صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبيا اماما لهم فانه يدل
على تفضيله عليه الصلاة والسلام ولذا استدل علي بتقديم ابي بكر رضي الله عنه

في المعراج

منه

سرا

في الفضل بتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة في مرض موته وقالوا الا
نرضى لدنيانا من رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا والعروج به الى سدرة
المنتهى العروج بمعنى الصعود في جهة العلو وفعله عرج يعرج كقتل يقتل ويأتي
في الحديث عرج بي بفتحتين وقال المص انه بضم العين وكسر الرا ومنه المعراج والمعرج
بكسر الميم وهو السلم والدرج وجمعه معارج ومعاريج وللسما معراج تصعد فيه
ارواح الموتى وهو الذي يشخص اليه بصر المحتضر لما يرى من نوره وحسنه فاذا راه
لم يتمالك روحه ان تخرج وبه تصعد الملائكة بالاعمال وبه فسر قوله ذي المعارج
فالاسرا سيره صلى الله عليه وسلم لبيت المقدس والمعراج صعوده للسما وهو مصدر
ميمي واسم السلم اطلق عليه او فيه مقدر وقد يطلق الاسرا على جميع الاسرا
والمعراج ويطلق المعراج على كل ذلك مجازا وقيل انه تغليب وفيه نظر والسدرة
شجرة نبق وفيه وهي شجرة النبق وقيل للنبق في الجنة سدرة المنتهى وهذه الشجرة في السما
السابعة وقيل في السادسة واقتصر عليه المص فيما يأتي وجمع بينهما بان اصلها
في السادسة واعلاها في السابعة ويأتي ان نبقها كقلال هجر وان اوراقها كاذان
الفيلة وانه يغشاها نور من الله وفراش من ذهب وانه يسير الراكب في ظلها
مائة عام ويخرج من اصلها انهار اربعة منها النيل والفرات وانه انما سميت
سدرة المنتهى لانه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها وقيل لانه
ينتهي اليها علم الخلائق فلا يعلم او منتهى الملائكة فلا يتجاوزها وقيل لان من
وصل اليها انتهى لاقصى الكرامة الى غير ذلك من الاقوال وما راى من آيات ربه
الكبرى ما موصولة عائدها مقدر اي راه او مصدرية والكبرى مفعول لراى ومن
آياته بيان مقدم عليه او هو صفة لآياته ومن تبعيضية او زائدة وآيات الله كل
ما رآه مما يدل على عظمته او جبريل على صورته الاصلية او ما يغشى السدرة من
الانوار التي لا يمكن النظر اليها ولا وصفها وقيل هو رفرف اخضر سد السما والرفرف
ما يسمى بالفارسية سايبان وقيل انه بساط ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم
اي ما خصه الله به من دون الانبيا عليهم الصلاة والسلام مع ما له من المعجزات
التي تساوي معجزات سائر الانبيا كما فصل في محله قصة الاسرا وما انطوت عليه اي
احتوت عليه وتضمنته من درجات الرفعة اي العلو في الرتبة والدرجة المرقاة
الحسية فشبه ما اعطيه من المراتب المعنوية بالمراقي الحسية واستعار لها اسمها
استعارة مصرحة مما نبه عليه في كتابه العزيز في سورة الاسرا وسورة النجم وشرحته
اي كشفته وبينته صحاح الاخبار وفي بعض النسخ صحايح الاخبار وكلاهما جمع صحيح
قال في القاموس يقال صح يصح فهو صحيح وقوم صحاح بكسر الصاد وصحايح انتهى
وصحاح بفتح الصاد بمعنى صحيح او مصدر بمعنى الصحة وهو من اضافة الصفة
للموصوف اي الاخبار الصحاح وهي ما رواه الثقات بسند متصل وسلم من الشذوذ
والعلة القادحة كما فصل في مصطلح الحديث قال تعالى سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الاية قد مر الكلام على لفظ الاسرا
وسبحان منصوب على المصدرية وهو علم جنس لمعنى كفجار وغدوة فاذا اضيف

فقد

تقدم تنكيره فان علم الجنس منكر كعلم الشخص وانكره بعضهم بناء على انه غير معين فلا
يتصور تنكيره وعلى العلمية هو ممنوع من الصرف فاذا نكر صرف وانكر بعض النحاة علميته
ونظامه قال به كما ذكره ابو علي في تذكرته والكلام فيه طويل الذيل فسبحان مصدر
بمعنى التسبيح والتنزيه او اسم مصدر وابتدا السورة والقصة به لانه لما ذكر الاسراء
والرؤية ربما توهم ان الله في جهة فنزهه عن ذلك وهي مع التنزيه تدل على التعجب
ولما كذبوه في الاسرا نزهه الله عن الكذب وعجب عباده من نسبته لمثله ومما انعم عليه
من النعم التي خصه بها فيل ويحتمل ان يكون بمعنى الامر اي سبحوه تسبيحا وقال ليلا
اي في مدة قليلة ولذا ذكره ونكره مع ان السرى يختص به كما مر وقال بعبده لان صفة
العبودية اشرف الصفات واضافه له تشريفا وايما الى انه بمجرد لدخول سرادق العز
والمسجد الحرام يخص المسجد نفسه ويكون لمطلق الحرم وكل منهما صحيح هنا واسراؤه
به صلى الله عليه وسلم كان من الحجر وهو نائم به وروي انه كان في بيت ام هاني وجمع
بينهما بان جبريل اتاه في بيت ام هاني فايقظه جبريل عليه الصلاة والسلام وذهب
به الى الحرم ثم تنباط المجيئه فنام في الحجر والمسجد الاقصى بيت المقدس سمي به لبعده
عن المسجد الحرام وضمير انه هو لله اي هو السميع لما قيل في حقه والبصير المطلع على
احواله وقيل انه للنبي صلى الله عليه وسلم اي هو السميع لكلام ربه المشاهد
لاياته وقال عز وجل والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى الواو
للقسم والنجم عام لكل نجم او المراد به الثريا لغلبته عليه او المراد به نجوم القران
المنزلة عليه وهوى بمعنى غرب او انقض او طلع او نزل عليه وحيه واقسم به
لوقوع ذلك ليلا وله تعالى ان يقسم بما شا او التقدير ورب النجم والكلام
عليه مبسوط في التفاسير اذا علمت ما ذكر من النص فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسرا
به عليه الصلاة والسلام بحسب نقل الشاهد له العقل والمسلمون مجمعون عليه
وانما اختلفوا في كونه يقظة او مناما كما سياتي اذ هو نص القران لتقليل لعدم
وقوع الخلاف فيه بعد نص القران الذي لا يجحده مسلم وجاءت بتفصيله بعد ما
اجمله النص وشرح عجايبه الواقعة فيه وخواص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فيه اي ما خصه الله به في الاسرا احاديث كثيرة منتشرة وفي نسخة اخبار كثيرة ومعنى
منتشرة انها معروفة في كتب الاحاديث باسانيد مختلفة رايا من الراي وهو النظر
والتدبير في الامور المهمة بعد ما رايا جمعها بطول ويعسر ان نقدم الحديث
الذي هو اكملها اي اجمعها لهذه القصة واصحها والمراد بتقديمه اختياره
كما في قوله

فقلت لها هاتيك نعم الهها ● ولا تحسبوا ان المهم المقدم ●

وهذا رواه مسلم فلذا جعله اصح من غيره بناء على راي المغاربة من انه اصح
من البخاري ويشير الحديث زيادة من غيره اي من غير هذا الحديث ووقعت روايتها
لغير مسلم وهي مهمة يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي هو الحافظ
ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته والفقيه ابو بحر بالبا الموحدة المفتوحة والحا
المهملة الساكنة ابن العاص الامام المشهور بسماعي عليهما اي بسماعي منهما يعني

عليهما فانه حدثنا يختص بالسماع عند الجمهور وبعضهم يجعلها تشمل السماع
وغيره وذكر المص هذا الدفع توهم غيره والقاضي ابو عبد الله التميمي وهو محمد ابو
عبد الله بن عيسى التميمي اسناد المص الذي تفقه عليه واليه اشار بقوله وغير
واحد من شيوخنا والشيخ في الاصل معناه الكبير سنا ثم صار في العرف اسما لمن يقرأ
عليه الناس ويستفيدون منه لانه في الاكثر لا يصل لهذه المرتبة الا من كبر سنه
وكان في العصر الاول يقال لابي بكر وعمر رضي الله عنهما شيخا الاسلام كما ذكره السخاوي
قال حدثنا ابو العباس العذري بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة والرا
المهملة نسبة لبني عذرة قوم من العرب مشهورون وفي بعض النسخ بواو بدل الرا
وهو تحريف من الناسخ قال حدثنا ابو العباس الرازي تقدمت ترجمته قال حدثنا
ابو احمد الجلودي تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه ضم الجيم وفتحها قال حدثنا
ابو سفيان تقدمت ترجمته قال حدثنا مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح الامام المشهور
قال حدثنا شيبان بالشين المعجمة المفتوحة والمثناة التحتية الساكنة والبا
الموحدة ابن فروخ بفتح الفا وتشديد الرا المهملة المضمومة وواو ساكنة
وخا معجمة وقال ابن حجر في التبصير كانه بدون واو والذي نعرفه في لغة العجم انه
بالواو فان صح ما قاله فلعله تغيير بعد التعريب ومعناه السعيد كالعد وهو علم
غير منصرف للعلمية والعجمة وقول البرهان انه ضبط في بعض النسخ بالتنوين خطا
لا ينبغي ذكره وكذا قول التلمساني انه يصرف ولا يصرف وصرفه اكثر وقال صاحب العين
انه اسم لابن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهو ابو العجم كما في المطالع
ونقله النووي في شرح مسلم وتبعه صاحب القاموس وهو ابو محمد الحبطي الايلي
روى له اصحاب السنن وهو امام ثقة توفي سنة خمس وثلاثين ومايتين وترجمته
في الميزان قال حدثنا حماد بن سلمة بن دينار احد اعلام المحدثين وهو ثقة صدوق
لكنه قد يغلط توفي سنة سبع وستين ومائة وترجمته في الميزان قال حدثنا
ثابت البناني بضم البا الموحدة نسبة لحي من العرب يقال لهم بنانة ونونه
مخففة وهو ابن اسلم راس العلما العابدين في عصره توفي سنة سبع وعشرين ومائة
وعمره ستة وثمانون وهو ثقة ثابت كاسمه اخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة
في الميزان عن انس بن مالك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق بزنة غلام وهو من دواب الجنة سمي به لشدة
بريقه ولمعانه او لسرعته كالبرق الخاطف كما مر وهو دابة اي على صورتها وهي
في عرف اللغة ذوات الاربع واصل معناها وضعا كل ما يدب اي يتحرك ويمشي
من ذوات الارواح وهو يذكر ويؤنث ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل انه
في الجنة وابيض خبر بعد خبر لا صفة دابة وطوله باعتبار ما بين عنقه وذنبه
لانه اعون في مد خطوه وليس المراد طول قوايمه وقيل انه بادي البشرة خده
كخد الانسان وعرفه كالفرس وقوايمه كالابل واظلافه وصدره كالبقر وصدره
ياقوت لا يشبه الدواب قال ابن المنير في المقتفي انما اتي له صلى الله عليه وسلم
بالبراق تانيسا له بجريه على العادة والله تعالى قادر ان يرفعه بغير شي

واظهارا للكرامة فان عادة الملوك اذا دعوا من يختصونه بعثوا اليه بمركوب في وفادته ولم
يكن على شكل الفرس تنبيها على انه حال سلم لا حرب واظهارا للاية في اسراعه العجيب
وليس شكله مما يوصف بالشرعة عادة ولذا ركب صلى الله عليه وسلم البغلة في حنين
اظهارا للثبات وشجاعته وتساوي الحرب والسلم عنده وبغلته بيضا ايضا كالبراق
قال ابن المنير اي شهبا والاشهب المائل الى البياض والشاة البرقا هي البيضا ومنه
البراق ويجوز الجمع في التسمية بين البياض واللمعان والسرعة يضع حافره عند منتهى
طرفه الحافر مجاز كالمشفر فان الحافر لا يطلق لغير الخيل ونحوها وهذا له ظلف كما للبقر
لكنه لقربه من البغل سماه حافرا ومنتهى مصدر بمعنى الانتها كما مر والطرف العين
والمراد به النظر ولا يلزمه ان يصل الى السما بخطوة كما توهم قال صلى الله عليه وسلم عرضي
فركبته حتى اتيت بيت المقدس بفتح الميم وكسر الدال المخففة وتقدم انه يجوز ضمها
وفتح الدال المشددة وانه من التقديس وهو التطهير واختلف هل ركب جبريل عليه
الصلاة والسلام معه ام لا فقيل ركب معه لانه ورد في بعض طرق هذا الحديث فما
زلت على ظهره انا وجبريل وسياتي التصريح به عن حذيفة وحينئذ فيحتمل انه كان
خلفه ويؤيده ما تقدم في نعله من ارد فهم ويحتمل انه كان قدامه وقيل قال
ابن المنير والاظهر اختصاصه بالركوب وقد صرح في الحديث بان مقعوده صلى الله
عليه وسلم كان على البراق ولم يذكر ان هبوطه كان عليه فقال الدميري ان الله انزله
بدونه اظهارا لقدرته وقيل انه هبط به ايضا ولكنه لم يتعرض له اكتفا بذكر
العروج فربطته بالحلقة اي البراق بالحلقة بفتح الحا المهملة وسكون اللام وهي
معروفة واختلف في فتح لامها فجوزه بعض اهل اللغة وجعله بعضهم خطا وقال
الليثي بالتحريك جمع حالق ككاتب وكتبة التي تربط بها الانبيا وروي به في مسلم وفي
الشفا بتاويل الحلقة بشي ونحوه وقالوا امر التذكير والتانيث سهل وعبر عرضي
بالمضارع حكاية للحال الماضية ولم يبين اين كانت الحلقة فقيل كانت بباب
المسجد الاقصى والذي في حديث الترمذي انه صلى الله عليه وسلم حين انتهى الى
بيت المقدس اشار جبريل عليه الصلاة والسلام الى الصخرة فخرقها وربط البراق
بها وهذا هو المعروف ولا اعرف ما قبله ممن نقل ولم يذكر المربوط وظاهر
السياق انه البراق بنا على ان الانبيا كانت تركبه وهو الصحيح فان ركبه جميعهم
فهو ظاهر والافراد بالانبيا الجنس واثبت للجميع فعل البعض وهو جائز واحتمال
ان المعنى تربط دوابهم بعيد وكون البراق قوي يمكنه قلع الحلقة فتجذبه
فلا فائدة في الربط لا يضر لانه مسخر لا يخالف وفعل النبي صلى الله عليه وسلم وفيه
اشارة الى مباشرة الاسباب وانها لا تمنع التوكل وكفاك شاهدا اعقلها وتوكل اعقلها وتوكل
ثم دخلت المسجد الاقصى وعطف بثم للتراخي الرتبي وجعل بعد رتبة المسجد عن
الارض التي ليست بمسجد بمنزلة البعد الحقيقي فصليت فيه ركعتين تحية المسجد
وكان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل فرض الصلاة بالاسرا وفرض عليه صلاة
اختلف فيها فقيل صلاة الليل وقيل صلاة بالغداة وصلاة بالعشي ونقله
ابن الملقن وقال ثم فرضت الصلوات الخمس في الاسرا من غير تعيين اوقاتها

فكانوا يصلون لصلاته اي اراد وا مجموعة ومعرفة ثم رغبت او قال بها بو يحيى بن الله ثم خرجت
من المسجد فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن وخيرني في شرب ايهما اردت فاخترت
اللبن باخذه وشربه فقال جبريل اخترت الفطرة وروي اخذت الفطرة وقد تقدم
ان الفطرة الجبلة والطبيعة التي فطر الناس عليها وتكون بمعنى الاسلام والاستقامة
اي ما اخترته هو الموافق للخلقة الانسانية التي خلق الله الناس عليها وللطبايع
المستقيمة فان اللبن شراب لذيذ وطعام نافع موافق للانسان سريع النما ولذا كان
غذا للاطفال دون غيره وفي حديث اخر هديت وهديت امتك ولو اخترت الخمر لغويت
امتك وفي طريق اخر هدى الله بك او اصاب بك وروي ان الانية كانت ثلاثا وانا
فيه ما وفي رواية اربع هي واناء فيه عسل والاصح ما رواه المصنف وقال ابن المنير التخيير
انما يكون بين واجبين كخصال الكفارة او مباحين كجالس الحسن او ابن سيرين اما
بين واجب وممنوع او مباح وممنوع فلا فالتخيير بين الخمر واللبن سوا اريد اباحتهما
والاذن فيهما جميعا او اريد الاذن في احدهما لا بعينه مشكل فما معنى تخييره
حتى اختار احدهما وقول جبريل له اصبت الفطرة باختيار اللبن اي ثبتت الخلقة
عليه وبه نبت اللحم ونشز العظم او اخترته لانه الحلال الدايم في دين الاسلام
واما الخمر فحرام فيما سيستقر عليه الامر والذي يرفع الاشكال ان يكون المراد تفويض
الامر في التحريم والتحليل الى اجتهاده الذي وافق فيه الصواب بنا على جواز الاجتهاد
له فيما لم يوح اليه شيء وانه صلى الله عليه وسلم معصوم في اجتهاده بخلاف غيره
انتهى واجاب غيره بان الخمر لم يحرم اذ ذاك او انه كان في السما وليست دار تكليف او
هي من جملة خمور الجنة وليست محرمة ويجوز ان يترتب عليها نحو امته كما يترتب
القبايح على بعض المباحات قال ابن المنير واللبن في الرؤيا يعبر بالعلم ففيه اشارة
الى انه لما ملئ قلبه ايمانا وحكمة اردف ذلك بالعلم وجعل شرب ذلك اللبن
سببا لتزايد العلوم عليه وشحن قلبه وقالبه بالانوار والاسرار وان كان يقظة
لانه ربما وقع في اليقظة اشارات على حكم الفال تعبر كما يعبر المنام ولذا كان صلى
الله عليه وسلم يحب الفال الحسن وجا في الحديث انه قد مر له الاناآن قبل العروج
وجا في حديث اخر انه بعده ويجمع بينهما بان تعددهما له صلى الله عليه وسلم وقع
مرتين وكرر جبريل تصويبه فعله تاكيدا للتحذير مما سواه ثم عرج بنا الى السما
بفتح العين والراء اي عرج جبريل وصعد وصير بنا له صلى الله عليه وسلم والبراق
او هو له وجبريل وفي نسخة بي وفاعل عرج البراق والبا للتعدية او المصاحبة
وتقدم انه يجوز ضم العين وكسر الراء والسما هي السما الدنيا هنا ولم يبينه لظهوره
فاستفتح اي طلب فتحها من الملايكة الموكلين بها فقال الموكل بها من انت ايها
المستفتح وهو اما بقرع لها او بصوت قيل والظاهر الاول لانهم يعرفون صوته
فقال المستفتح انا جبريل نحو جبريل مبتدا مقدر هو انا او المستفتح وفيه
اشارة الى ان من دق الباب ينبغي له ان يسمي نفسه ولا يقتصر على قوله انا وان
السما لها ابواب تفتح خلافا للحكما المنافين قال محمد للحرف والا لبنا عليها
قيل ومن معك قال محمد عطف على مقدر اي جبريل ومن معك قيل انما استفتح

وهو اما بقرع لها او بصوت قيل والظاهر هو الاول لانهم يعرفون صوته صح

ان معه النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان وحده لم يحتج لاستفتاح وقيل انما استفتح تكريما
وتانيساله وقال ابن المنير استفتاحه لان ابوابها مغلقة ولم تفتح الا لاجله صلى الله
عليه وسلم تنويها بقدره ولو صادفها مفتوحة لم يعلم ذلك قيل وقد بعث اليه اراد
الاستفهام فحذف الهمزة للعلم بها وامثله او وقد بعث اليه والنحويون يمنعون
حذفها ويحمل كلامهم على انه اذا لم يكن قرينة على الحذف والا فالحديث حجة عليهم كما
قاله ابن المنير في المقتفى ولم يرد بالبعث بعث النبوة والرسالة فانه كان مشهورا
لهم وانما المراد انه بعث اليه للمعراج وقول ابن حجر انه يجوز ان يكون استفهاما
عن اصل بعثته بالنبوة والبواب لم يطلع عليها لاشتغاله بشانه لا وجه له لان
الاديشوا اليه بيان سبب موجب لفتح السماء له ومجرد نبوته ليست تصلح للسببية الا انه
يحتمل كونه تعجبا بتمام النعم الله به واستبشارا بعروجه وهذا امع ما فيه احسن مما
قاله ابن حجر وفيما ذكر دلالة على ان من اذن له في شيء يقتضي رفع الموانع عما اذن له
فيه فمن اذن له بالبيع اذن له في قبض الثمن والوكيل اذا اذن له في شيء اذن له في لوازمه
فلذا لم يبطل البواب الاذن له في الفتح ولذا قال جبريل قد بعث اليه ففتح لنا له
بالبناء للفاعل والمفعول وفي بعض الطرق ان الخازن قال له مرحبا به ولنعم المجيء
كما قال ابن المنير وفيه دليل على ان حاشية الملك اذا فهموا منه اكرام وافد ان
يبشروه وان لم يؤذن لهم فيه وهذا الشيء وليس هذا من افشاء السر لانه تعرض
الرضا به لان استدعاءه انما هو لاكرامه فعجل له بالبشرى ثم افاد فائدة هنا جليلة
تنقسم الى متعبد به لا يقوم غيره مقامه وان ادى معناه كالاحرام بلفظ التكبير
والتلبية والتشهد الى ما لا يجب فيه لفظه فيقوم مقامه كل ما ادى مؤداه كذكر
الجنازة والقنوت وتسبيح الركوع والسجود ونحوه وهذا انما يعلم من جملة الشريعة
اذا علمت هذا فالتحية بالسلام هل هو تعبدي من القبيل الاول او من الثاني فيقوم
مقامه ما يؤدي معناه كاهلا وسهلا ومرحبا ولذا كان بعض المتورعين لا يرد سلام
من لم يتلفظ به ويقول ليس هذا بسلام يستحق الرد واكثر السلف والخلف على
التسمح فيه وهذا الحديث دليل لهم فان الملك حياه بمرحبا ونعم المجيء وكذا
من لقيه من الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولذا قال صلى الله عليه وسلم
فاذا انا بادم عليه الصلاة والسلام فرحب بي ودعا لي بخير اي قال لي مرحبا بك
اي جعل الله مكانك رحبا واسعا وهو كناية عن اكرام نزله وبره واذا هي الحا بيته
وبدا بادم عليه الصلاة والسلام لانه اسبقهم وجودا قال ابن المنير في المقتفى
اختلف طرق المتكلمين على حديث الاسرا في ذكر الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وترتيبهم في السموات فمنهم من لم ير التكلم في سره اصلا ومنهم من تكلم فيه
من مشايخ الصوفية وفيه كلام طويل افردناه برسالة لا يسع المقام تفصيله
ثم اختلف هؤلا فمنهم من قال انما اختص من اختص من الانبيا بلقائه صلى الله
عليه وسلم على عرف النحاة اذا لقوا الغايب مبتدرين للقائه فالغالب ان يسبق
بعضهم بعضا ومنهم من يصادفه ومنهم من لا يصادفه وهذه طريقة ابن
بطال في شرح البخاري وذهب بعض شيوخ الاندلس الى ان ذلك تنبيه على الحالات

الخاتمة بقول الانبيا عليهم الصلاة والسلام وتخييل لما سيتفق له صلى الله عليه وسلم
كما اتفق لهم مما قصه الله في كتابه قالوا وهذا يرجع الى فن التعبير فمن راى في منامه
نبيا كان ذلك دليلا على حاله فادم عليه الصلاة والسلام تنبيه على الهجرة لخروجه من
الجنة بعداوة ابليس وحيلته لخروجه صلى الله عليه وسلم من مكة باذية قومه له
وللمسلمين وعيسى ويحيى عليهما الصلاة والسلام دليل على ما سيلقاه الرسول صلى
الله عليه وسلم من اذى اليهود لانهم قتلوا يحيى وراموا قتل عيسى فرفعه الله اليه
وكذلك فعلت اليهود برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ داروا وحاولوا قتله وسموه
في ذراع شاة كانت سببا للشهادة في قصته المشهورة ويوسف دليل على ما فعل به قومه
مما كان سببا لرفعته وظفره عليهم ثم احسانه اليهم وعفوه عنهم كما فعل مع عمه
العباس وابن عمه عقيل اذ فداهما وقال يوم فتح مكة اذ عفى عن قريش واطلق الطلقا
اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم الخ فيفعل كما فعل يوسف عليه الصلاة
والسلام وهارون دليل على عداوة قومه وان تنقلب بعضهم مودة كما كان هارون
عليه الصلاة والسلام محببا عند بني اسرائيل حتى اثروه على موسى عليه الصلاة والسلام
وادريس دليل على كتبه صلى الله عليه وسلم الى الافاق لانه اول من خط بالقلم مع
رفعته وعلو وجهه وموسى دليل على فتحه عليه الصلاة والسلام مكة وقهر المستهزئين
كما فعل موسى بالجبابرة وابراهيم في اسناد ظهره للبيت المعمور لحاله في حجة في اخر عمره
لغيبة في اخر السموات انتهى وفيه اشارة الى حكمة الترتيب في منازلهم وللقيام وهذا
مما ينبغي تامله فانه مما تفرد به وللمشايخ في ذلك كلام كما مر اشار اليه الشيخ في
فتوحاته وقد تقدم ان اليقظة فيها احوال كالمنام من الفال ونحوه يعبر كما يعبر الرؤيا
وللعمر رضي الله عنه في ذلك امور كثيرة كقوله اذا سال رجلا عن اسمه فقال شهاب قال
ابن من قال ابن جمرة فقال اين انت منها قال من ذات لظى فقال ادرك قومك فقد احترقوا
فذهب فاذا النار مشتعلة في بيوتهم وفي هذا الحديث انه راى رجلا في سما الدنيا عن يمينه
اسودة وعن شماله اسودة اذا نظر ليمينه ضحك واذا نظر ليساره بكى يعني ادم وذريته
وقد استشكل فانه يعارض قوله تعالى ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح
لهم ابواب السما والحديث الصحيح ان ارواح الكفرة في سجين واسفل سافلين
واجيب بان المراد بذلك ارواح العصاة وما في الاية والحديث المراد به ارواح الكفار
الجاحدين وهو لا يرحمهم وقد نهي ابراهيم عليه الصلاة والسلام عن استغفاره
لابيه وللموعدة التي وعده جعله في سورة صنع بذبح حيث القاه في النار حتى
يجزن عليه واجيب ايضا بانه يجوز ان تمثل ارواح الاشقيا والسعدا او براهم
النبي صلى الله عليه وسلم اذ مثلوا له وان لم يكونوا هناك كما كان صلى الله عليه
وسلم يرى من خلف ظهره وهذا هو الجواب عن الاشكال الاخر وهو كيف يرى
ارواح السعدا والاشقيا وكثير منهم لم يموتوا واما كون المراد بالاسودة
العصاة فغير مستقيم لان المسلمين كلهم من اصحاب اليمين وعلم مما مر ان
ادم عليه الصلاة والسلام انما كان في اول السموات لانه اول الانبيا وجودا
وليكون اقرب لاولاده فينظر لاسودتهم ثم عرج بنا فيه ما مر اولا الى السماء

الثانية فاستفتح جبريل عليه الصلاة والسلام فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
عليه الصلاة والسلام قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن
مريم عليه الصلاة والسلام ويحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فرحبا بي ودعوا لي بخير
بالف التثنية وفي بعض الروايات او قد ارسل اليه وهما بمعنى وقوله ابني الخالة لان مريم
ابنة عمران اختها اليشاع ام يحيى على ما قاله السهيلي وهو الموافق للحديث وارتضى غيره ان مريم
بنت حنة بنت فاقوذا ويحيى ام ابيه زكريا فاقوذا ايضا فاتحدا في الجدة فيكونا ابنا خالة لان
الخالة اخت ام والجدة يقال لها ام واستدل لهذا بقوله زكريا لما اراد كفالة مريم عندي
خالتها وارتضى هذا السعد في شرح الكشاف فعلى هذا في كونهما ابنا خالة تجوز وسهل
وقال الازهري يقال هما ابنا عم ولا يقال ابنا خال ويقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة لان
من كان ابن عم انسان كان الاخر ابن عمه ايضا ومن كان ابن خالة انسان كان الاخر ابن خالته ايضا
بخلاف ابن الخال وابن العمة وانما كانا في السما الثانية لانه رفع الى السما وسينزل منها فجعل
في مكان قريب الى الدنيا مع يحيى لانه لدته وبينهما من القرابة والمحبة ما لا يوصف ولذا جعلا
في سما واحدة ولم يكن في سما اثنان من الانبيا غيرهما وقال ابن المنير لما كان عيسى عليه الصلاة
والسلام سينزل كان لها معنى لعيسى وحده ثم عرج بنا الى السما الثالثة فذكر مثل الاول
ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه الصلاة والسلام واذا هو قد اعطي شطر الحسن تقدم معناه
وان الشطر النصف فرحب بي ودعا لي بخير لم يذكر الدعا والقول بانه قوله مرحبا لا وجه له
فانه لا يسمى دعا ولما كان لقاوه له صلى الله عليه وسلم دليلا على مفارقة اهله ووطنه
على وجه يؤول لعز ونصر وهو بعد البعثة والدعوة فهو الثالث من المراتب رآه في
الثالثة وقد تقدم بسطه ثم عرج بنا الى السما الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه الصلاة
والسلام فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ولما ترادف الوحي
عليه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة واظهر المومنون شعاير الاسلام وهو طور رابع
راى ادريس في الرابعة لشهرة علمه وكتابته وفيه عز الاسلام وكمال رفعته وفي تلاوة
الاية ايما لهذا وادريس اسمه اخنوخ بالعبرية وهو سبط شيث وجد ابي نوح وهو
المثلث بالحكمة لانه اول من نظر في النجوم وخط ودرس وقال له صلى الله عليه وسلم في
الرواية المشهورة مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح وفي اخرى شاذة بالابن الصالح وهو
الظاهر وقد استشكل كونه اخا مع انه جد اعلى حتى قال بعضهم ان ادريس الذي لقيه
غير ادريس هذا وهو الياس وروي هذا عن ابن مسعود وعلى هذا الاشكال وقيل
المراد اخوة النبوة والاسلام واختلف في رفع ادريس الى السما هل هو بعد موته كما يرفع
ساير الانبيا او في حياته كعيسى ففي قصص الانبيا ان الملايكة عليهم الصلاة والسلام
احبته لكثرة عبادته فسال ربه ان يذيقه الموت ملك الموت حتى يهون عليه فاذاقه
ثم احيي ثم ساله ان يورده النار ليزداد رهبة فاورده ثم خرج منها فساله ان يدخله
الجنة ليزداد رغبة فيها فادخلها فلما قيل له اخرج قال يا رب اني ذقت الموت ووردت
النار ودخلت الجنة وقد وعدت من دخلها انه لا يخرج منها ابدا فاوحى الله لخازنها
دعه فباذني فعل ما فعل فبقي في الجنة في السما الرابعة نقله ابن المنير ونبه على وجه
كونه في الرابعة على الاصح وقيل انه في الثانية وقيل في السادسة ثم عرج بنا الى السما

الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون عليه الصلاة والسلام فرحب بي ودعا لي بخير جعل في
الخامسة لانه كان الوزير لموسى عليه الصلاة والسلام لا يفارقه فلذا كان في جواره ثم عرج
بنا الى السما السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى عليه الصلاة والسلام فرحب بي ودعا لي
بخير لما كان اجل الانبيا بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكتابه اعظم الكتب قبل
القران وجاهد في الله وقطع بما لم يقطع به غيره رفعت مرتبته على غيره وترقى في حظاير
القدس تحت منزلة الخليل فكان في السادسة ثم عرج بنا الى السما السابعة فذكر مثله فاذا
انا بابراهيم عليه الصلاة والسلام لما كان ابراهيم افضل الانبيا قبل نبينا صلى الله
عليه وسلم وهو خليل الرحمن كان ارفعهم منزلة وما ذكرناه في وجه التخصيص
والترتيب هو بالنظر للظاهر نظر المناسبته لحال نبينا صلى الله عليه وسلم وما استدل
به عليه ولعل هناك مناسبة اخرى بين اهل كل سما ومن فيها من الرسل وهذا اما لا نعرفه
مسندا ظهره الى البيت المعمور وهو بيت تطوف به الملايكة وتحج له للعبادة وهو محاذ
للكعبة ويسمى الضراح بضم الضاد المعجمة وراء وحاء مهملتين وسمي معمورا لكثرة الملايكة
فيه قال التلمساني قيل فيه دلالة على ان الافضل في غير الصلاة اسناد الظهر للقبلة وقيل
الافضل استقبالها فعلى هذا انما اسند ظهره ليتوجه للنبي صلى الله عليه وسلم
ويخاطبه بما مر وانما اسند ظهره للبيت لانه الذي اول من بنى الكعبة من الناس
اولا واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه لان حجه مرة كفرض الحج
علينا او لاشتغال وكونه في السابعة حذا العرش هو الاصح وقيل انه في الرابعة ثم ذهب
بي الى سدرة المنتهى لم يقل عرج لانها في السما السابعة وتقدم معنى سدرة المنتهى
واذا ورقها كاذان الفيلة بكسر الفاء وفتح المثناة التحتية جمع فيل وانما شبهها بها
وان لم يكن بارض الحجاز لانها كثيرة في بلاد الحبش وهم كثيرا ما ياتونها للتجارة ولانها
كانت المحجة الاولى لهم لمعرفتهم بها والا فالتشبيه بما لا يعرف العارف غير مقبولة
وثمرها كالقلال جمع قلة وهي الجرة وشبههما بها لمدة ظلها ولطف ورقها وطيب
ثمرها وحسن رائحته وان كان شجر الجنة انما يحكي امور الدنيا صورة والفرق بعيد
فلما غشيها اي ظهر عليها وغطاها من امر الله الظاهر ان المراد بامر الله وحيه او
تجليه لرسوله صلى الله عليه وسلم فانها بذلك اشرق عليها نور الهي فزهت به
وحسنت حسنا لا ينعت ونور لا يمكن ان تقابله الابصار لقوله بعده ما غشي اي
امر عظيم غشي فان الابهام بمثله بعيده كقوله الحاقة ما الحاقة وامثاله تغيرت
اي عن حالها التي كانت عليه فما احد من خلق الله يستطيع ويقدر ان ينعتها
من اجل حسنها الذي طرا عليها لكونها من اشجار الجنة المعتادة لاشراق تلك الانوار
عليها ولو كانت من اشجار الارض احترقت كما صار الجبل دكا ويدل على ما قلناه قوله
فاوحى اليه الى ما اوحى وفي هذا الابهام تعظيم وتكثير لطف الكناية الابهامية
حتى كانه مما لا يمكن ان يدرك فينعت وفي هذا المقصود وتعريفه اشكال اجبنا عنه
في حواشي التسهيل لان ما موصول له تتعرف بالعهد الذي في الصلة فاذا كانت
كذلك كيف يكون الجملة معهودة معروفة وقيل المراد بها الملايكة التي تغشاها فانه
شاهد على كل ورقة منها ملكا وقيل فراش من ذهب وجواهر نزل عليها او جراد من ذلك

وقال

وقال مجاهد رفرف اخضر وقيل سور خضر وانما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قطع السدر
لذلك وفسر ما اوحى بقوله ففرض علي وعلى امتي خمسين صلاة تكون في كل يوم وليلة وقيل
ما اوحاه اليه مبهم لا يعلمه احد وقيل سورة الم نشرح وقيل ان الجنة حرام على الانبياء
عليهم الصلاة والسلام حتى يدخلها هو وعلى الامم حتى تدخلها امته وقال السيوطي
في الخصائص فرضت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة وغسل نجاسة الثوب سبعا سبعا
والوضوء لكل صلاة فنزلت الى موسى عليه الصلاة والسلام انما قال نزلت لانه كان في السادسة
والوحي في السابعة وتخطى ابراهيم ونزل له ليشاوره لانه يعلم ما في شريعته من الاحكام
والصلوات ومارس من ذلك اكثر من ابراهيم لانه لم يفرض على امته ما فرض على امة موسى عليه
الصلاة والسلام فقال ما فرض ربك على امتك قال اولا فرض علي وقال هنا على امتك لانه ما
فرض على النبي فرض على امته وفيه احتباك وهو من انواع البديع وهو ان يذكر شيئين يحذف
من كل منهما ما ذكر في الاخر فحذف من الاول وعلى امتي ومن الثاني علي ووقع فرض الصلاة
في السما لانها اعظم العبادات فرضت في اجل المواضع وتولى الله فرضها بنفسه من غير
واسطة ملك اعتنا بشانها ولذا قيل يكفر تاركها وذهب الشافعي الى انه يقتل كما سياتي
قلت فرض خمسين صلاة مستصعب لانه مخبر فقال ارجع الى ربك فاساله التخفيف منها
ورفع بعضها وانما اشار عليه بذلك لمحبته له وجعله له ما يليق بنفسه وقيل ذلك لانه
سال الله تعالى ان يكون من امته لما راى في التوراة ما لامته صلى الله عليه وسلم
من الكمال فقال يارب من هولا قال امة احمد فقال يارب اجعلني منهم فخشي ان يفرض
تكاليف شاقة وهو منهم فيقصر فيها وقال السراج البلقيني انما قصد موسى تكرار رؤيته
محمد عقب رؤيته لله بعينه كما قيل • لعلي اراهم او ارى من يراهم • وموسى عليه الصلاة
والسلام وان كان يرى الله في الاخرة لكن رؤيته روحية وهي ليست جسدية عينية ولا
تتيسر في كل حين قال ابن حجر يحتاج ما قاله البلقيني الى ثبوت تجدد رؤيته في كل
مرة بعد رؤية محمد صلى الله عليه وسلم لربه وقال مصلح الدين اللاري ما قاله
البلقيني لا يتوقف على تجدد الرؤية ويكفي حصول اصلها فان امتك لا يطيقون ذلك
حق الامة اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم يطيق ذلك لما رزقه الله من قوته
على عبادته ولذا كان يواصل الصوم وقد نهى عنه ومعنى لا يطيقون انه يشق عليهم
فيقصرون فيه لا انه محال حتى يقال انه مبني على تكليف المحال وهو جائز وفايدته
الاخذ في مقدماته حتى يعلم امتثاله ويطيقون بفتح اوله مضارع اطاقه فاني
قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم عطف تفسير لان الابتلا بمعنى الاختبار والامتحان
ثم الخبرة بخبرة كقتله بقتله وفيه مقدر اي خبرتهم مع قوة اجسادهم وطول
اعمارهم فلم اجد لهم صبرا على ذلك فكيف حال امتك وفي نسخة وقبلك فرجعت الى
ربي فقلت يا رب خفف عن امتي مفعوله محذوف للعلم به اي ما فرضته عليهم
من الصلاة ولم يقل وعلي لما مر او حياء منه لسؤاله لنفسه فحط عني خمسا
منها واصل الحط معناه تنزيل الحمل وتشبيهه بالحمل تشبيها مكنيا كما قال لا تحملنا
ما لا طاقة لنا به فرجعت الى موسى فقلت له حط عني خمسا منها فقال ان امتك لا
يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف وفي نسخة فاساله قال فلم ازل

ارجع بين ربي تعالى وبين موسى اي بين موضع مناجاتي له تعالى ومثلا قال الموسى عليه
الصلاة والسلام حتى قال الله تعالى لما انتهى التخفيف الى خمس يا محمد انهن خمس صلوات
كل يوم وليلة استدل به الشافعية على عدم وجوب الوتر وجوابه مسطور في كتب الفروع
الحنفية لكل صلاة عشر فذلك خمسون في الثواب والاعتبار لان الحسنة بعشر امثالها
كما سياتي تحقيقه ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة لنية عملها فان عملها
كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة الهم
القصد من غير تصميم فان صمم فهو عزم ومذهب الباقلاني انه يأثم بالعزم المصمم وهذا
الحديث محمول على الاول وانكار بعضهم المؤاخذة بالعزم مردود بالنصوص الصريحة
كقوله ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم والكاتبة
الملائكة فتكتب حتى ما في القلب كما قاله الطحاوي وفي حديث مسلم القدسي كتبها الله عنده
عشر حسنات الى سبع مائة الى اضعاف كثيرة وهو صريح في ان المضاعفة تزيد على العشر
ولا تقف على سبعمائة وقول القرطبي انها لا تتجاوزها مردود وقد تقدم هذا الحديث المجمع على
صحته وتحقيقه كما في الاحيا ان اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له صورة
امراة وانها وراء ظهره بحيث لو التفت لراها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وحركة الشهوة
وميل الطبع المتولد من الاول المسمى حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي
ان يفعل بان ينظر اليها وهو يتبع الخواطر والميل والرابع تصميم القلب على الالتفات
وجزم النية ويسمى هذا بالفعل وهذه قد يكون لها مبدأ ضعيف فاذا اصغى الى الخاطر
حتى طالت محاولته للنفس حتى تنجزم النية واذا انجزمت فقد يندم ويترك
وقد يفعل ولا يعمل ومن تمام يعوقه عائق عنه فهي اربعة احوال وهو حديث النفس
ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فالخاطر لا يؤاخذ به لانه غير اختياري وكذا هيجان
الشهوة والميل المراد بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها
بحديث النفس خاطر يحدث في النفس لا يتبعه عزم والثالث وهو الاعتقاد وحكم
القلب وهو اما اضطراري لا يؤاخذ به او اختياري يؤاخذ به والرابع وهو الهم
بالفعل فان لم يعمل به وتركه خوفا من الله وندما على همه كتبت له حسنة لان همه
سيئة وامتناعه منه حسنة لمجاهدة نفسه وان عاقه عنه عائق غير خوف الله كتبت
سيئة لان همه فعل اختياري له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت حتى
انتهيت الى موسى اي انتهى سيري ووصلت له ولم يقل انتهيت قبل هذا وقال
هنا اشار الى انه تمام المراجعة ولا مراجعة بعده فاخبرته بما قال الله له فقال
ارجع الى ربك فاسأله التخفيف من الخمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما قصه من حديث الاسرا فقلت لموسى عليه الصلاة والسلام قد رجعت الى
ربي مرارا وراجعته في سؤال التخفيف حتى استحييت منه ان اراجعه في
السؤال بعد ذلك واعلم انهم اختلفوا في جواز النسخ قبل التمكن من الفعل
والبلاغ وقبل دخول الوقت فذهب اهل السنة الى جوازه وهو مبني على جواز
التكليف بما لا يطاق واستدلوا بانه وقع كما فيما نحن فيه وبقصة الذبيح اذ امر
بذبح ولده ثم نسخه قبل تحققه بالفدا ومنعه المعتزلة ومنهم من قال لم يأمر

لانه

لانه مناموره بان يرونا هم وحين يجب العمل به ولذا باشره ومنهم من قال انما امره بمقدمانه
من الشد والتل ونحوه ورد بان قوله اني اذبحك يرده والعذابانه وقيل انه فعل
ولكن انقلبت السكين او قلب عنقه حديدا او قيل ذبح والتحم وهو مكابرة وقالوا انه
النسخ قبل البلاغ مناقض والجواب بانه المامور وقد بلغه ضعيف لانه عام له صلى
الله عليه وسلم ولامته لان الومن عليه فرض عليهم ولذا قال له موسى عليه الصلاة والسلام
ان امتك لا تطيقه وفيه ايضا النسخ قبل البيان لانه لم يبين وقته وعدد ركعاته وهو جائز
واعلم انهم يريدون بالمنسوخ خبر التكليف لا نفس الامر لانه قد تقرر وقع في بعض طرق
هذا الحديث ان موسى عليه الصلاة والسلام قال اسأله التخفيف فاني اعلم بالناس منك
وكيف يقول هذا وقد قاسى مع الخضر عليه الصلاة والسلام ما قاسى لما قال انا اعلم الناس
منك وكيف يقول له للرسول صلى الله عليه وسلم والجواب ان مراده علم التجربة والروية
لما راه ومثله لا يضر وما قيل من انه خبر لا يدخله النسخ مردود بقوله وقيل ان قوله حق
او لا يبان لما في اللوح المحفوظ والمراد انها بحسب الثواب كذلك فلا نسخ فيه والنبي صلى الله عليه
وسلم فهمه على ظاهره فراجع ربه في غاية البعد قال القاضي هو شيخه القاضي الشهيد
المذكور في اول السند السابق ولذا لم يسمه استغنا باعادة المعرفة ولتعريفه بلده
جود بفتح الجيم وتشديد الواو اي حسن من الجودة ضد الرداءة والحسن ضده القبيح
ثابت البناني الراوي هذا الحديث عن انس رضي الله عنه ما شا اي احسن في روايته ه
واتقنها اتقانا محكما لان ما نكرة موصوفة اي تجويدا شاء اي بذل جهده وفعل
ما دخل تحت ارادته والمراد ان روايته جيدة خالية عن الاعتراض ولذا اختارها
على غيرها من الروايات وقيل ما شا كناية عن كثرة تجويده اي اتى بها مجودة تجويدا
كثيرا وقد خلط فيه غيره خلط بتشديد اللام وضمير فيه للحديث والخلط ادخال شي
في شي والمراد انهم ادخلوا في حديث الاسرا ما ليس منه كشق الصدر كما سنبينه
لا سيما اي لا مثل روايته وبسطها الرضي رحمه الله مخصوصا وقال الدماميني رحمه
الله انه لا سند له فيه وسي منصوب وما بعده يجوز رفعه ونصبه وجره وقد
عدها النحاة من كلمات الاستثنا وفيه كلام طويل بيناه في غير هذا الكتاب وكذ
في غنية عنه من رواية شريك بن ابي نمر بفتح النون وميم مكسورة تليها
را مهملة الناجي الصدوق الثقة القاضي المدني وقد ضعفه ابن حزم رحمه الله
تعالى لما وقع له في حديث الاسرا من الاوهام الاربعة التي اشار اليها المص رحمه الله
وقيل الجماعة ثمانية وتوفي في سنة اربعين ومائة وله رحمه الله ترجمة في الميزان فقد
ذكر في اوله اي ذكر شريك رحمه الله في اول حديث انس رضي الله عنه مجي الملك له
اللام للتقوية لانه متعد بنفسه وشق صدره عليه الصلاة والسلام وغسله
بماء زمزم وقد تقدم انه بالثلج وفي رواية بما الكوثر وقد انكروا عليه
روايته هذه وقالوا فيه انه وهم من وجوه تزيد على العشرة منها ما في سنده
فان قتادة رحمه الله رواه عن انس رضي الله عنه عن مالك بن صعصعة والزهري
رحمه الله عن انس رضي الله عنه عن ابي ذر رضي الله عنه وشريك جعله عن انس
رضي الله عنه من غير واسطة وخالف سياقه سياقهم بالزيادة المنكرة والتقديم والتاخير

وقد نبه على ذلك مسلم رحمه الله في صحيحه وما ذكره المص رحمه الله موافق لقدح ابن حزم
فيه الان للحافظ ابو الفضل بن طاهر رحمه الله انتصر له في جزء مستقل العنه فيه قال
تعليل حديثه بتفرده به ودعوى ابن حزم ان الافة من شريك اذ لم يسبق اليه لا تقبل
فان ايمة الجرح والتعديل وثقوه ورووا عنه وقالوا لا باس به وحدث عنه مالك
رحمه الله وغيره من الثقات وحديثه اذا رواه عنه ثقة لا ضعيف لا باس به وقد
روى عنه سليمان بن هلال رحمه الله وهو ثقة وتفرده بقوله الاتي وذلك قبل
ان يوحى اليه لا يقتضي طرح حديثه فوهم الثقة في موضع لا يقتضي رد جميع ما روى
ولو قيل بهذا الزم رد كثير من السلف ولعله اراد ان يقول بعد ان اوحي اليه فقال
قبله انتهى وقد سبق ابن حزم الى هذا الخطابي رحمه الله وقال النسائي رحمه الله
انه قال ليس بالقوي وكان بعضهم لا يحدث عنه وقال محمد بن سعد رحمه الله
وابو داود رحمه الله انه ثقة والحاصل انه اختلف فيه فيبعد ما انفرد به شاذا منكرا
وقد خالف غيره في مواضع من هذا الحديث منها امكنة الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وكون المعراج قبل البعثة وكونه مناما وكون سدرة المنتهى فوق السابعة
والمشهور انها فيها او في السادسة وفي نهري النيل والفرات وكون اصلهما في سما
الدنيا والمشهور انهما من تحت السدرة وكون شق الصدر عند الاسرا وكون الكوثر
في سما الدنيا وهو في الجنة ونسبة الدنو والتدلي الى الله وهو جبريل عليه الصلاة
والسلام وكون مراجعته صلى الله عليه وسلم في سوال التخفيف عند الخامسة
وفي قوله فعلا به الى الجبار وكونه صلى الله عليه وسلم راجع بعد الخمس فهذه
مواضع مخالفته في السند والمتن الذي قال المص رحمه الله انه خلط فيهما وقد اجيب
عن بعضها وهذا اي المذكور من الشق والغسل انما كان وهو صلى الله عليه وسلم
صبي عند مرضعته حليمة رضي الله عنها وقبل الوحي والى بابها رد القول شريكا
رحمه الله انه كان ليلة الاسرا واجيب عنه بان الشق وقع مرارا مرة وهو صلى
الله عليه وسلم طفل صغير يلعب مع الصبيان لازالة حظ الشيطان منه كما مر
ومرة وهو صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين لازالة الطفولية عنه ومرة عند
البعثة لتثبيت قلبه للوحي وليلة الاسرا ليقوى عليه وزيد خامسة ضعفها
ابن حجر رحمه الله في شرح البخاري وصحح هو والبرهان الحلبي رحمه الله الاربعة
الاول وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه اي شق صدره صلى الله
عليه وسلم قبل البعثة وذكر قصة الاسرا فقال سمعت انس بن مالك رضي الله عنه
يقول ليلة الاسرا جاءه ثلاثة قبل ان يوحى اليه وهو نايم في المسجد ثم لم يرهم
صلى الله عليه وسلم حتى اتوه ليلة اخرى الخ وقد اجيب عنه بان قبل متعلق بجاءه
فيحتمل ان مجيئهم بعد ذلك بسنين لا بليالي فلا خطا فيه ولا خلاف انها اي ليلة
الاسرا كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل
قبل هذا هذا اشارة الى الخلاف في سنة الاسرا وزمنها فقيل كانت ليلة سبع وعشرين
من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة وقيل قبل البعثة بخمس سنين وقيل بعد البعثة
بخمسة عشر شهرا وقول شريك رحمه الله انه قبل ان يوحى اليه غلط منه الا ان يقال

هذا

قد الاسرا كان مناما فاخبر هذا كالذي روي عن عايشة رضي الله عنها انه كان بالمدينة فانه
منام ايضا قال ابن المنير في المقتفي رجح القاضي عياض رحمه الله انه كان قبل الهجرة بخمس
سنين ولا يرد عليه ان خديجة رضي الله عنها كانت تصلي معه وقد اختلف في مدة وفاتها قبل
الهجرة على اقوال اقلها انها بثلاث سنين والصلاة لم تفرض الا في الاسرا الا ان هذه الصلاة غير
المفروضة كالتي صلاها في بيت المقدس ورجح ابن المنير رحمه الله الاول لان قول غيره تقدير
وقوله تحديد وهو قول الحربي رحمه الله لانه عين ليلة معينة من شهر معين من سنة
معينة واذا تعارض خبران احدهما اخذ بتفصيل القصة كان اولى لانه يدل على ان
راويه احفظ واوعى قلبا كقول الفقها ان الشهادة المؤرخة تقدم وكانت تلك الليلة
ليلة الاثنين كما قال ابن المنير رحمه الله وكان مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة
الشريفة يوم الاثنين من ربيع الاول ثاني عشره قبل الضحى وقيل عند استوا الشمس واذا
كان الثاني عشر الاثنين كان اوله الخميس واول شهر الاسرا السبت او الاحد او الاثنين لان بين
كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين اما ثلاثة ايام او اربعة او خمسة ولذا يكون
الوقفة من كل سنة خامس يوم من الوقفة التي قبلها او رابعه او سادسه واعدل الاحتما
الخامس فالجمعة يعقبها الثلاثا والاثنين يعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون
السادس وذلك بحسب تمام الشهور ونقصها فبنا على اقل الاحتمالات اول ربيع الاول
من سنة الاسرا الاثنين واقل الاحتمالات منه الاربعا فمن ربيع الاول ثانيا فالسابع
والعشرون منه يوم الاثنين ليتوافق مولده صلى الله عليه وسلم ومبعثه ووفاته
فان يوم الاثنين في حقه صلى الله عليه وسلم كيوم الجمعة لادم عليه الصلاة والسلام
فانه فيه خلق ونزل الى الارض فيه وتاب الله عليه فيه ومات فيه وقيل انه كان
ليلة الجمعة لفضلها ثم ان كونها ليلة سبع وعشرين موافق لليلة القدر فانها
ليلة سبع وعشرين من رمضان على الاصح والحاصل انه قبل الاسرا قبل الهجرة بسنة
وقيل بسنة ونصف وقيل بسنة وكسر وقيل بعد البعثة بخمس سنين وقيل قبل
الهجرة بخمس سنين واختلف في شهره فقيل انه شهر ربيع الاول وقيل الاخر وقيل رجب
وقيل رمضان وقيل شوال وقيل قبل نقض الصحيفة وقيل بعد ليلة سبع
وعشرين او سبع عشر او اثني عشر ليلة الاثنين او الجمعة وفي الهدي النبوي
ان ابن تيمية رحمه الله سيل هل ليلة الاسرا افضل ام ليلة القدر فاجاب
بان القايل ان ليلة الاسرا افضل ان اراد انها ونظايرها من كل عام افضل فلا
وجه له وان اراد انها بخصوصها افضل لانه حصل له صلى الله عليه وسلم
فيها ما لم يحصل له في غيرها وما لم يحصل لغيره فهو صحيح ان سلم ان ما انعم الله
به عليه صلى الله عليه وسلم افضل من انزال القران وهو يحتاج الى علم بحقايق
تلك الامور انتهى وقد روي ثابت عن انس رضي الله عنه من رواية حماد بن سلمة
ايضا اي كما روي عنه قصة الاسرا مجي جبريل بالطست مفعول لروي الى النبي
صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظيره بكسر الظا المشالة وسكون
الهمزة والرا المهملة والها وهي المرضعة التي ليست بام وهي حليمة السعدية
وشقه مصدر منصوب معطوف على مجي قلبه مفعول الشق تلك القصة

قول الحربي اولى

لات

بدل من مجيء بدل اشتمال وفي نسخة بتلك اي معها منفردة من حديث الاسرا وفي نسخة مُوْدة وهو منصوب على الحال كما رواه الناس غير شريك وهم اكثر الحفاظ المحدثين مجوداً متقناً ضبطه اي هذا الراوي المميز بين القصتين كما اشار اليه بقوله في القصتين اي قصة الاسرا وقصة شق القلب وهو طفل رضيع فلم يخلط احديهما بالاخرى وفي ان الاسرا الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة لا قصتان كما في رواية شريك وغيره ممن جعل صعوده صلى الله عليه وسلم الى السما معراجاً آخر وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من هناك اي صعد به الى السما من البيت المقدس لانه ارفع مكان في الارض فازاح بزاي معجمة والف وحا مهملة اي ازال واذهب كل اشكال اوهمه اي اوقعه في ذهن الناس ووهمهم غيره اي غير ثابت كشريك الذي وقع في روايته الوهم والتخليط السابق بيانه وقد روى يونس بن يزيد الايلي القرشي وفي يونس كيوسف لغات تقدمت مع ترجمته وهو يروي عن الزهري ونافع وتوفي بمصر سنة تسع وخمسين ومائة عن ابن شهاب محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة ابن مرة الزهري التابعي رحمه الله تعالى لقي عشرة من الصحابة توفي ليلة الثلاثا لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة اربع وعشرين ومائة ودفن بالشام بقرية تعرف بالشعب واوصى بدفنه على قارعة الطريق لتدعو له المارة وكان احفظ اهل زمانه واحسنهم سياقاً للمتون الاحاديث فقيهاً فاضلاً كاملاً عن انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قدمنا ترجمته قال كان ابو ذر الصحابي الغفاري يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي بضم الفا وكسر الرا اي شق صدره او رفع جانب منه حتى صار مكشوفاً ينزل منه الملك المرسل اليه ولم يأته من الباب وقد قال تعالى وأتوا البيوت من ابوابها قال ابن المنير تنبيهاً على المبالغة في المفاجاة وان استدعاه للكرامة كان بدءاً من غير ميعاد وقيل انه ليتيقن كونهم ملائكة اوهو تمهيد لشق صدره صلى الله عليه وسلم والتيامه من غير تألم لسبق الشق كما تقدم وقيل وكان خلفا بني العباس اذا نصبوا خليفة نقبوا جداره واخرجوه منه تنويهاً بامره وانه لم يكن يطلب منه والبيت لام هاني فانه اضافه اليه لادنى ملابسة وروي انه كان بالحطيم وروي ببطحا مكة فانه كان مراراً فظاهره الاحتياج للجمع فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام ففرج صدري بفتح الفا والرا وقد تقدم ان شق الصدر وقع مرات منها هذه فلا اشكال فيه ثم غسله اي صدره من ما زمزم ثم جا بطست من ذهب تقدم بيانه وما فيه ممتلى حكمة وايماناً تقدم تفسيره وانه بنا على التجوز اي ملي نوراً ينشو عنه ما ذكر او انه تعالى قادر على تجسيم المعاني والاعراض كما قيل في وزن الاعمال وذكر الطست وان كانت مؤنثة لتاويلها بالانا فان كان فيه له فافرغها فيه للطست رعاية للفظه فتقديره افرغ ما فيها يقال افرغته الانا وفرغته تفريغاً اذا صببت ما فيه ويجوز كون الضمير للحكمة لدخول الايمان فيها اولانه عطف تفسير ثم اطبقه اي الصدر اي اعاده على ما كان الى ان شقه والتيامه بغير آلة

اشكال ظ

وقيل

وقيل شق بمنقار الملك وخيط بالمخيط لما ورد كنت ارى اثر المخيط في صدره فائدة
قال ابن الجوزي في كتاب الوفا بعد ما ذكر حديث ولدته مختونا ولم ير احد سوأتي فان قيل
فلم لم يولد متطهرا للقلب من حظ الشيطان حتى شق صدره واخرج قلبه قلت قال ابن
عقيل لان الله سبحانه اخفى ادون التطهيرين التي جرت العادة ان تفعله القابلة
والطبيب واظهر اشرفهما وهو القلب واظهر اثار التجلي والعناية بالقصة في طرقات
الوحي ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السما فذكر القصة بتمامها واخذه بيده يحتمل انه
على حقيقته وان يكون كناية عن جعله شارعا في العروج وروى قتادة ابن دعامة ابو
الخطاب السدوسي البصري اعلم الناس بالفقه والقرآن والحديث توفي سنة سبع عشرة
ومائة وعمره ست وخمسون بواسط ونسب للتدليس وليس كذلك الحديث معنعنا روى
بمثله اي بمثل الرواية المذكورة اي عن انس عن مالك بن صعصعة الخزرجي المازني
روى له البخاري واصحاب السنن حديث الاسرا قال ورد في خمسة احاديث وفيها اي في
رواية قتادة المفهومة من قوله روى بتقديم وتاخير وزيادة ونقص عن غيرها
من الروايات وخلاف في ترتيب الانبيا في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود
اي اكثر اتقانا وجودة منها في الروايات ولذا اختاره المص خلافا للنووي اذ رجح رواية
قتادة كما عرفت وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات من الرواة في بعض طرقه نذكر
منها نكتا مفيدة في غرضنا من تاليف هذا الكتاب وايراد حديث الاسرا والنكت بضم
النون وفتح الكاف والتا المثناة جمع نكتة وهي ما ينكت من الارض وما يكون في الكون
مما يعد كالنقطة فاستعير لكل معنى دقيق يحصل بالفكر اما لمخالفته لغيره او
لكون المفكر يخط في الارض وشاع حتى صار حقيقة عرفية في ذلك وقد يجمع على نكات
ايضا منها اي من النكت المفيدة في حديث ابن شهاب الزهري الذي تقدم انفا ومنها خبر
مقدم وفي حديث الخ صفة مبتدا مقدر وجاز حذف الموصوف بوصف غير مفرد لانه
بعض اسم مجرور بمن قبله لان المعنى من النكت نكت الخ ومثله جائز قياسا مطردا وفيه
اي في حديث ابن شهاب ولو حذف قوله وفيه كما وقع في بعض النسخ كان احسن والضمير
في فيه راجع لحديث الاسرا قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا
ادم وابراهيم فقالا له والابن الصالح فانه ليس كل نبي من اجداده وفي عمود نسبه
لكنه جار منهم على سبيل الشفقة والمحبة كما جرت العادة ان الاقدم والاسن
يقول لغيره يا ولدي وفي غير هذه الرواية منهم من قال له الابن الصالح ومنهم
من قال الاخ الصالح وقد تقدم انه يشكل قول ادريس له الاخ مع انه جد له صلى
الله عليه وسلم وفي وصفه بالصلاح دون غيره وتكراره وكان الظاهر ان يقال
الابن الكريم والنبي العظيم مثلا الا انه وصف بالصلاح لانه امدح الصفات لانه
بمعنى الجدير لكل خير كما قاله السبكي فوصف الابن به بمعنى انه حقيق بمحبة
الله ومحبة رسله ووصف النبي به بمعنى انه المستحق بالذات لان يكون نبيا
وان كان في العرف لا يمدح به الكبار لان الصلاحية شي لا يقتضي الاتصاف به بالفعل
ولذا قال ابن المنير رحمه الله ان الله اطلقه على كثير من الانبيا انه كان نبيا صالحا
ولا يصح ان يقال لاحد منهم انه رجل صالح لانه يوهم التسوية بينهم وبين احاد الامم

كما انه لا يحسن ان يقال لنبينا صلى الله عليه وسلم انه ملك وسلطان لايهامه التعظيم والقهر
وان كان كذلك في نفس الامر انتهى ولما لم يفهم هذا البعض المعترض قال ان المراد به مدح
الصفة لا الموصوف كما في شروح الكشاف ومنه يعلم ان الصفة قد تكون مدحا في مقام
ومن قايل وذما في غيره كصالح ومبارك وفيه من طريق البخاري المسندة عن ابن عباس
رضي الله عنهما ثم عرج بي حتى ظهرت اي علوت وصعدت كما في قوله والشمس في حجرتها
لم تظهر اي لم يقبل او بعدت كقوله وتلك شكاة ظاهر عنك عارها وفي نسخة ثم
انطلق بي حتى ظهرت بمستوى بضم الميم وفتح الواو والبا بمعنى في او على وهو اسم
مكان عال او وسط او واسع منبسط اسمع فيه اي المستوى صريف الاقلام الصريف
بصاد وزاء مهملتين وقافا كالصرير وهو صوت حركة الاجرام والمراد صوت القلم على
الورق اي انتهى صلى الله عليه وسلم الى محل سمع فيه صريرا قلام الملايكة الكتبة
وهي تكتب ما تنقله من اللوح او ما يؤمر بكتابته من الوحي وغيره فالاقلام على ظاهرها
قيل ويحتمل ان الجمع للتعظيم وهو صريح في ان اللوح والقلم والكتابة على
ظاهرها خلافا لمن تاوله ونحن نؤمن بانه على ظاهره وحقيقته ويجب علينا
اعتقاده وهذا عبارة عن غاية القرب لان مثله لا يسمع من بعيد وروي لمنتهى
بدل بمستوى قال النووي بشي يعني انه بلغ من الرفعة لمقام اطلع فيه على
التكوين وما يراد ويومر به من تدبيراته وهذا منتهى لا يرام ولا يصل اليه
الاوهام ولا يطلق فيه غير صريرا لاقلام وعن انس فيما رواه عنه الشيخان ثم
انطلق بي بالبنا للفاعل والضمير فيه لجبريل عليه الصلاة والسلام او بالبنا
للمجهول حتى اتيت سدرة المنتهى تقدم معناه وغشيها الوان لا ادري ما هي
لكونها ليست مما تشبه الوان غيرها في الحسن او لان شدة نورها يمنع تحقيقها
قال صلى الله عليه وسلم ثم ادخلت الجنة وهذا يدل على انها موجودة الان وانها
في السما وهو الذي نعتقده بلا شبهة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته
اي فارقته وقد تولى ما ثم وفسر ضمير المفعول بقوله يعني موسى عليه الصلاة
والسلام بكا لحزنه اذ لم ينل هو وامته ما ناله صلى الله عليه وسلم لا منافسة
وحسدا لتنزههم عن مثله فنودي اي ناداه الله او الملك وقال له ما يبكيك
قال رب هذا ابدل على الاول بحسب الظاهر هذا غلام اطلاقه على هذا او عليه
وهو اذ ذاك كهل او شيخ لانه في حق الحسنين اما لانه اسن منه او لانه في الزمن
الاول يعد مثله غلاما او قال ابن قرقول معناه القوي وهو غير قوي بعثته
بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي لما علم بحرم دعوته صلى الله عليه
وسلم وتابيد رسالته على كثرة امته وقد ورد انه براهم في عرض المحشر
اضعاف الامم وقد حوت كونه بكا يه غبطة وهي غير مذمومة كالحسد بل
هي ممدوحة لانها من علو الهمة وقيل انه علم من اكثرية امته في الجنة
تفضيله على غيره لانه لازم بين واما كونه على قلة امته فليس بشي وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه في الاسرا الذي رواه البيهقي وغيره وقد رايتني
بفتح التاء ضمير المتكلم والرؤية هنا بصرية بناء على الصحيح من ان الاسرا يقظة

لعله اطلاق هذا عليه وهو

الا

الا انهم قالوا لا يتعدى عامل الضمير والفاعل مضمر مثله الا في افعال القلوب وما حمل عليها
كما مر واجيب بانها المشابهة لراي العلمية لفظا ومعنى لانها حجة ادراكا اجاز واعمالها
ذلك وقد سمع كقول عايشة رضي الله عنها لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما لنا طعام الا الاسودان الما والتمر وقول الحماسي
ولقد اراني للرماح دريئة من عن شمالي تارة وامامي
في جماعة من الانبيا اي بينهم او معهم فحانت الصلاة بالحا المهملة اي دخل وقتها
وحاجبيها لا بمعنى دنت وقربت كما قيل لانه مجاز فامت القرينة على خلافه وهذه
الصلاة قيل انها العشا لان الاسرا يكون في اول الليل كما هو الظاهر لا انها مفروضة
على بعض الانبيا كما رواه احمد وغيره واختاره النووي قالوا وهذه الانبيا ارواحهم متمثلة
او باجسادهم لانهم احيا هذا ان كان قبلا لا اسرا في الصلاة المفروضة لان المعراج
بعده كما سياتي تفصيله والا فهي نفل وليس المراد بالصلاة الدعا كما قيل لان قوله
فاممتهم اي صليت معهم جماعة فانا امام لهم يا باه ظاهرا فقال قايل قيل
هو جبريل عليه الصلاة والسلام هذا مالك خازن النار اي الموكل بها وباهلها فسلم
مالك عليه اي على القايل او سلم جبريل على مالك وهو الظاهر ويحتمل ان جبريل
امره عليه الصلاة والسلام بالسلام على مالك فالتفت اي مالك فبدا اي بالسلام
علي والالتفات الانصراف عما كان ينظر اليه لغيره ولو بعنقه وانما بداه بالسلام
لانه قادم وليعظمه وليعلمه بامنه منه لنا مين الله له لان السلام امان وسلامة
ومالك رييس خزنة النار وملايكة العذاب ولهم صورة مهولة جدا وفي الروض
الانف انه صلى الله عليه وسلم لم يلقه احد من الملايكة الا ضاحكا مستبشرا غير مالك
فانه لم يضحك لاحد قط وهذا ينافيه ما ورد انه صلى الله عليه وسلم تبسم في صلاة
فسيل عن ذلك فقال رايت مالكا راجعا من طلب القوم وعلى جناحه الغبار فضحك
الي فتبسمت واجيب بان المعنى انه لم يضحك منذ خلقت النار الا في هذه المرة
وهذه القصة وقعت بعد الخبر الاول وهذه الروية يحتمل ان تكون بصورته الاصلية
وبغيرها وفي فتاوي النووي هذه الصلاة يحتمل ان تكون بعد صعوده صلى الله
عليه وسلم للسما ويحتمل ان تكون بعدها والظاهر الاول وفي حديث ابي هريرة
رضي الله عنه لم ار سارا اي جبريل عليه السلام حتى اتى الى بيت المقدس وربط فرسه
الى صخرة المراد بالفرس هنا البراق لقرب صورته منها لان الفارس يطلق على مقابل
الماشي سوا كان راكبا فرسا او حمارا او بغلا وقد ورد في تسمية البراق فرسا
او حمارا او بغلا في حديث المعراج في رواية اخرى انه اتي بفرس فحمل عليه واحتمال
ان يكون جبريل ركب فرسا معه كما جا في قصة مقاتلة الملايكة معه بعيد
والمراد بالصخرة صخرة بيت المقدس التي كانت قبلة قال البرقي في غريب الموطا
انها من غرايب الدنيا فان جميع المياه تخرج من تحتها وهي صخرة صما في وسط المسجد
الاقصى كجبل بين السما والارض معلقة لا يمسكها الا الله وفي اعلاها موضع قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسرا فمالت من تلك
الجهة من هيبته وفي الجهة الاخرى اثر اصابع الملايكة التي امسكتها اذ مالت

وهي

تلساني

ولذا كان تعضها العبد من الارض من نعش وغمها غاز علبهم باب يفتح لمن يدخله للصلاة
والدعا وعدى ضبط بالجيم لتضمينه معنى ضم او الى بجعفيا قبا او بعند كقوله اشتهي الى
من الرحيق السلسل فصلى اي جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل النبي صلى الله
عليه وسلم مع الملايكة لما وجدهم يصلون ركعة فلما قضيت الصلاة اي تمت وفرغوا
منها وقضى مبني للمجهول نايب فاعل الصلاة وتاؤه ساكنة للتانيث وضبط في
الشرح الجديد بالبنا للفاعل وضم تائه على انه التفات وهو خلاف الظاهر فان
استند لرواية فيها وقضيت قالوا يا جبريل من هذا معك خبر بعد خبر او حال
قال هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والرسل لان نفي الاعم
يستلزم نفي الاخص وخاتم بكسر التاء وفتحها بمعنى اخرهم كما مر وقوله في الحديث
لا نبوة بعدي الا ما شا الله المستثنى هو المبشرات ان صحت هذه الرواية كما مر
ولا يرد عيسى عليه الصلاة والسلام لانه ينزل على شريعته صلى الله عليه وسلم
ولم يتنبا بعده كما مر قالوا وقد ارسل اليه قال نعم تقدم شرحه قالوا حياه الله
من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة هي تحية ودعا بالبقا والسلامة فان
حيي واحيي بمعنى ومن زايدة او مبينة للضمير وجعله الملايكة اخا لهم والمراد
اخوة الايمان وخليفة لانه خليفة الله في ارضه استخلفه فيها لعمارة الارض
وسياستها وتكميل النفوس البشرية وتنفيذ الاوامر الالهية لا لاحتياجه
تعالى بل لقصور الخلق عن التلقي بغير واسطة وتاؤه للمبالغة قال الثعالبي
لا يقال للسلطان خليفة الله لان الحي لا يغيب وانما الخليفة لمن يغيب او
يعجز وانما يقال له خليفة فقط ان اتبع الشرع والسنة والا يقال له امير
ثم لقوا ارواح الانبيا ببيت المقدس بعد انقضا الصلاة او بعد العروج في
مراتبهم في السما اي لقي الملايكة ارواح الانبيا وفي هذا دلالة على تشكل الارواح
وتمثلها في الملا الاعلى على ما كانوا عليه في الدنيا من الرتبة وما تقدم ايضا
يحتمل هذا فاثنوا على ربهم اي اثنى الملايكة على ربهم اذ لاقوا ارواح الانبيا
كما تقول اذا رايت احدا من الصالحين الحمد لله الذي من علينا بلقايك الا ان اخر
الحديث يدل على انهم الانبيا عليهم الصلاة والسلام بدليل قوله الاتي كلكم
اثنى على ربه وانا اثني على ربي وقوله وذكر كلام كل واحد منهم اي من الانبيا وهم
ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام ثم ذكر
كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه
فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي فاقول الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين
فيه مخالفة لما ذكر في اول الحديث من الانبيا وهو من باب لا ابدال لا الزيادة الا ان
يكون اقتصر هنا على الزيادة وقوله الحمد لله دليل على انه تحدث بنعم الله لا تمدح
والعالمين شامل للمسلمين ورحمتهم ظاهرة لسعادتهم في الدارين في معاشهم ومعادهم
وللكافرين بامنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال وكافة للناس بيان لعموم
رسالته ثم كما مر اما صفة مصدر اي ارسالة كافة اي عامة كفتهم عن الخروج
منها ثم مفعول مطلق لارسلني او اسم فاعل حال من اليا اي حال كوني كافا للناس

فالنا

تأكيداً للمبالغة وكونه حالا من الناس مقدما عليه صاحبها الحق ورفوله مبعوث بشيرا ونذيرا
اي مبشرا بالخير لمن امن وانذر محذرا من كفر وعصي وهو حال مترادفة او متداخلة وحمد
او لاعلى بما انعم به عليه وانزل علي جمله من المنافع والفوايد وانزل علي الفرقان فيه تبيان
لكل شي سمي الفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل وهو بحسب اللغة عام خصه العرف
بالعلم وهو مصدر صار بمعنى الفارق او المفرق او ابانة او امن الدوا البيان بكسر التا كالتلقا
شاذ وقياسه الفتح وهو جاير في غير الفراد وكونه مبينا لكل شي كما قال ما فرطنا في الكتاب
من شي يحتاج اليه من الامور المهمة الشرعية تفصيلا في بعض واجمالا في بعض واحالة على الرسول
عليه الصلاة والسلام اذ امر باتباعه وعلى الاجماع بقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين
واتباع ايمة الدين وهو شامل للقياس والاجتهاد كما في الكشاف وغيره من التفاسير
وجعل امتي خير امة كما قال كنتم خير امة اخرجت للناس وفسره بقوله تامرون بالمعروف
الاية وجعل امتي امة وسطا اي عدولا خيارا جامعين بين العلم والعمل وسائر
الصفات التي بين التفريط والافراط استعير من المكان المستوي الجوانب لما ذكر وجعل
امتي هم الاولون وهم الاخرون هم ضمير مبتدا ويفيد الحصر وليس ضمير فصل لانه
لو كان كذلك قال الاولين ومعنى اوليتهم سبقهم الناس في القيام من القبور وفي
دخول الجنة وفصل القضا وتاخرهم باعتبار الوجود الخارجي وقد فسر بهذا في
حديث البخاري وهو قوله نحن الاولون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب
قبلنا وليس تفسيره بسبق السعادة في الازل كما قيل بواضح وشرح لي صدري اي
وسعه بالعلم والايمان والحكمة واليقين بحيث لا احزن على امر من امور الدنيا او شقه
وملاه بانوار كما مر ووضع عني وزري اي طهر قلبي من حظ الشيطان وعصمني
فلا ارتكب ما لا يرضي الله ولذا قال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فسوى بين ما
تقدم وما تاخر لعدم وقوعهما او خفف اعبا النبوة والتبليغ بافاضة ايادي علي
فالجملتان في غاية التناسب ورفع ذكري اي جعلني مذكورا في الملا الاعلى وجعل
اسمي طراز الجنان ومقرونا مع اسمه على كل لسان وعلى المنابر في كل اقامة واذان
كما قال حسان رضي الله عنه •
وضم الاله اسم النبي الى اسمه • اذ قال في الخمس المؤذن اشهد •
وجعلني فاتحا للنبوة اذ خلق روحي قبل الارواح ونباها قبل كل نبي فقال ابراهيم
عليه الصلاة والسلام بهذا اي لمجموع ما ذكر وبكل واحدة منها لا بالاول فقط
كما قيل فضلكم محمد اي زاد فضله صلى الله عليه وسلم عليكم وقدم المعمول للحصر
وقال هذا ابراهيم عليه الصلاة والسلام خطابا للانبيا لما سمع مقالته صلى
الله عليه وسلم ثم ذكر انه اي النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل فقوله
عرج به مبني للفاعل او المفعول من السما الدنيا ومن سما الى سما نحو ما تقدم
وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي رواه ابن عرفة في جزيه وابو
نعيم في الدلايل وانتهى به اي جبريل عليه الصلاة والسلام اي وصل لغاية
عروجه بي او هو مبني للمفعول الى سدرة المنتهى وهي في السما السادسة وتقدم
ان الاكثر على انها في السابعة والجمع بينهما بان اصلها في السادسة وفروعها في السابعة

ابن ادريس

الا انه قيل ان خروج النيل والفرات من اصلها يقتضي انها في الارض وورد في حديث اخر ان الانهار اربعة هذان وسيحان وجيحان ووردانها في الجنة قال ابن المنير رحمه الله فان قلت كيف انفجارها للارض قلت يمكن ان يكون كالمطر ينفجر قائم يجتمع ويساق لا لمستقره ومجراه ويحتمل ان انفجارها في نواحي من الارض غائبة عنا شايب عزيزة متصلة بمبادي هذه الانهار فان منها ما لم نقف على مباديه الى الان قلت يشهد له قضية النيل وهذا الجمع بين كونها في السما والجنة في الارض وقوله اليها ينتهي ما يعرج به من الارض بالبنا للمفعول اي ما تعرج به الملايكة عليهم الصلاة والسلام من امور الارض للعرض على الله من امور عديدة فيقبض منها بالبنا للمجهول والقاف والضاد المعجمة قبلها با موحدة مفتوحة كذا صححوه اي تقبضه الكتبة وتكتبه ومن للابتدا والضمير للسدرة والمراد انه عندها يرفع اليهم واليها ينتهي ما يهبط من فوقها من العرش بواسطة الملايكة المقربين فيقبض منها اي يوحى اليهم علمه ولو قيل ضمير منها للملايكة للعلم بهم من السيا فكان اظهر قال تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى اي امر عظيم لا يعلم كنهه وظاهر السيا فان المراد هذا امر الله ووحيه فكان عليه ان يبينه وقال اي ابن مسعود رضي الله عنه فراش من ذهب اي ذهب على صورة فراش وفراش مرفوع عامله مقدر اي غشيها او انه والفراش معلوم وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس البكري البصري نزيل خراسان التابعي الثقة يروي عن انس رضي الله عنه والرواية عنه مشهورة توفي سنة تسع وثلاثين ومائة فقيل لي هذه سدرة المنتهي التي سمعت بها والظاهر ان القايل جبريل عليه الصلاة والسلام ووقع في بعض النسخ السدرة المنتهي بتعريفهما دون اضافة كالاخرى اي السدرة التي هي المنتهي فالمنتهي مبدل منها ينتهي ويقيل اليها كل احد من امتك خلى بفتح المعجمة واللام المخففة اي مضى كقوله تلك امة قد خلت وفي نسخة بضم الخا وتشديد اللام المكسورة على سبيلك اي على طريقتك وسنتك اي من مات من امتك مومنا بك عرج بروحه مع الملايكة اليها فيقال هذا عبدك فلان بن فلان فيوحى له بصك الامانه وهذا فسر قوله تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين الاية وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها اي عروقها الداخلة في الارض انهار من ما غير اسن اي لا يتغير طعمه ولونه وريحه اصلا وان طال مكثه وعدم جريانه وليس المراد نفي التغير في الحال لان كثيرا من انهار الدنيا كذلك وهذا امع سعد وبيته فان المياه العذبة هي القابلة للتغير ولذا كان البحر المحيط بالدنيا ما لحا على ما قرره ارباب الطبايع في علم الحكمة وانهار من لبن لم يتغير طعمه اي لم يحمض كغيره اذا مكث وانهار من خمر لذة للشاربين اي لذة سايغة ليس كخمر الدنيا المرة المسكرة شربها حتى على من ابتلي بشربها حتى قالوا اثقل من القدح الاول وانهار من عسل مصفى من الغذا والشمع وان لم تمسسه نار لانه ليس رجيع النحل وفي الذباب وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة للخلق بضم الميم وكسر الظا المشالة وتشديد اللام المكسورة اسم

الالهية

فاعل من اظل مناف للخلق والمراد الجمع الكثير لا سائر الخلق اذ لا يبعج هنا وهذا اعبارة عن
سعة ظلهما فان قلت قد تقدم انها كاداة التقبيلة قلت اجيب بانه في الشكل ومن قال
التشبيه في الكبر فيه ما فيه فغشيها نور من الانوار الالهية وغشيتها الملايكة وهم نور
مصور قابل للصور قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى اي في تفسير هذه
الاية على قول كما مر فتبارك الله تبارك وتعالى ولا يخفى مناسبة هذا التمجيد هنا لان
تبارك تفاعل من البركة وكثرة الخير الفايض منه ولذا لا تسند هذه الصيغة لغيره
والتعالي العظمة والرفعة في عظمة الربوبية لا المحسوس فانه منزه عنه لذا اي
لمحمد صلى الله عليه وسلم سل اسئله اسال تخفف وحذف المفعول للعموم اي سل
كل ما تريد فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا اي اصطفيته وخصصته بالخلة وسياتي
تحقيقها والفرق بينها وبين المحبة واعطيته ملكا عظيما قال ابن المنير الملك العظيم
الذي اوتيه ابراهيم يحتمل انه ما اوتيه ذريته كيوسف وسليمان وداود وغيره من ملوك
بني اسرايل من ذريته كما قال تعالى فقد اتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم
ملكا عظيما او كونه ملك النفس والزهد غير مناسب هنا والمراد فهو صلى الله عليه وسلم
لقطع الملوك في عصره كنمرود اذ الظاهر اعظم من المفهوم وجا في التفسير ان الملك النبوة
فان قلت كيف هذا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للاعرابي خفف عليك فلست
بملك وقال ابو سفيان للعباس رضي الله عنهما اذا وقفه على كتاب الفتح فلم يرضها
حتى مرت الكتيبة الخضرا التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يسمونها
الخضرا لكثرة الحديد فيها وهو عند العرب اخضر ولذا قال ابن هاني
وجنبتم ثمر الوقايع يانعا ۞ بالنصر من ورق الحديد الاخضر
وربما سموا السيف بذلك لبغلة فقال لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما فقال
لا تقل ملكا انما هو النبوة فلم يرض تسميته صلى الله عليه وسلم ملكا قلت
المنفي الملك العرفي المذكور في قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون
عاما ثم تعود ملكا واما الملك الحقيقي الديني فليس بمنفي ومع هذا لا يجوز ان
يطلق على نبينا وابراهيم عليهما الصلاة والسلام انهما ملكان لان مقام النبوة
اشرف وعدمه فيه صلى الله عليه وسلم وفي آبايه من دلايل النبوة ولذا سال
هرقل هل كان في آبايه من ملك وخرجت الخلافة عن اهل بيته لئلا يتوهم انه
ملك متوارث انتهى وبهذا يندفع ما يرد على الفقها في تقسيم احكامه الى فتيا
وقضا وسلطنة وكلمت موسى تكليما اي خصصته بكلامك له من غير واسطة
حقيقة كما يشير اليه التاكيد خلافا لمن انكره من المعتزلة كما بين في الاصول
واعطيت داود ملكا عظيما اي ملكا شرعيا لا عرفيا وهو الخلافة العظمى حتى
سخرت له الطير والجبال والنت له الحديد بحيث كان في يده كالعجين يتخذ منه
الدروع وسخرت له الجبال فكانت تسبح معه اذا سبح واعطيت سليمان ملكا عظيما
اذ ملكته الدنيا باسرها وسخرت له الجن والانس فكانت الجن تخدمه عليه الصلاة
والسلام في بنايه وغيره فبنت له بيت المقدس بالرخام المزخرف بناء عاليا حتى
كان يضيء في الليلة المظلمة ولم يزل كذلك حتى خربه بخت نصر ونقل ما فيه لمملكته

بالعراق وكان جميع جنده ورعاياه لا يعصونه في شيء والشياطين وهم مردة الجن بنو من
عطف الخاص على العام فكانوا يغوصون البحار ويستخرجون الدر له والجواهر ويعملون
له ما يريد والرياح فكانت تجري بامره كما بينا وتحمل كرسيه وبساطه مسيرة شهر غدوا
ومسيرة شهر رواحا واعطينه ملكا لا ينبغي لاحد من بعده كان سأله من الله وهو
ملك الانس والجن والرياح فملك ما فوق الارض وما تحتها وقد عرض هذا على نبينا
صلى الله عليه وسلم فلم يقبله واختار كونه عبد الله وعلمت عيسى وهو صغير التوراة
والانجيل الذي انزل عليه وحفظ التوراة وعمل بها لان الانجيل ليس فيه احكام وانما
هو حكم وحقايق التوحيد وقيل فيه احكام قليلة بالنسبة للتوراة وفي بعض النسخ
وعلمت موسى التوراة وعيسى الانجيل وجعلته يبرئ الاكمه الذي ولد اعمى بدعائه
صلى الله عليه وسلم بامرك وقال التلمساني هو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار
قاله البخاري عن قتادة ولا يعلم هذا في لغة والمعروف ما تقدم فالذاهب البصر
بعد الابصار اعمى والاكمه الذي سلب عقله بتنزيل البصيرة منزلة البصر والذي
اعترته ظلمة وغشيت بصره انتهى وفي كلامه تناقض فان المعنى الاخير هو عين ما
انكره فان كان منقولا عن اللغة صح ما قاله قتادة وهو بعيد ليس متهما بالمجاز
في تفسير القران لا سيما وقد تابعه البخاري وانما بعده لعدم في حديث الرسول صلى
الله عليه وسلم فكيف اللغة والابرص وهو علة مزمنة لا يتيسر علاجها للحكما
لما يبيض لون البدن ويصير قبيحا وهو اقبح الامراض بعد الجذام ولذا نو
الشافعي رضي الله عنه فسخ النكاح به واعذته اي حفظته واجرته وامه مريم
من الشيطان الرجيم الرجم كناية عن اللعن والطرد من رحمة الله ولذا قالت
اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ويأتي في حديث مسلم ما من مولود
يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه الا ابن مريم وامه وكذا
نبينا عليه افضل الصلاة والسلام لان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ولانه علم
بالحديث انه صلى الله عليه وسلم ولد مشيرا الى السماء ناظرا لربه ولم يتسلط عليه
شيطان كما جعل بينه وبين مريم وابنها حجابا وهذا غير العرض الذي مع كل
احد حتى الانبيا عليهم الصلاة والسلام وفي هذا الكلام في الكشاف سيأتي بيانه
مع الجلال في الحديث فلم يكن له عليهما سبيل ادخاهما وعصمهما منه فقال له
ربه اي لمحمد صلى الله عليه وسلم لما سمع مقالته وان المقامات العلية سبق
لها السابقون من الرسل عليهم الصلاة والسلام قد اتخذتك حبيبا هذا في
مقابلة الخلة والمحبة اعظم من الخلة كما سيأتي ولم يذكر ما يقابل ما بعده
لانه معلوم مراد هو ولم يرض الملك وقد جاد دعوته صلى الله عليه وسلم لما هو
اعظم من هذا وهو الشفاعة العظمى والقران اعظم من التوراة والانجيل
وابرا الاكمه ونحوه قد وقع منه صلى الله عليه وسلم مثله كرد عين قتادة
وبرء كثير من الامراض بمس يده الشريفة كما يأتي وتقدم الكلام على اعاذته
من الشيطان فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وهذا من كلام الراوي
كالشاهد لصحة الزيادة المذكورة وفي الشفعيات للهمداني قال ثبت في الحد

انه صلى الله عليه وسلم قال هممت ليلة المعراج ان اخلع نعلي فسمعت النداء من قبل الله تعالى
يا محمد لا تخلع نعليك لتشرف السماء بهما فقلت يا رب انك قلت لموسى اخلع نعليك انك
بالواد المقدس فقال يا ابا القاسم ادن مني فلست عندي كموسى فان موسى كليمي وانت حبيبي
انتهى وقد سئل الامام رضي الدين القزويني عن وطي النبي صلى الله عليه وسلم العرش بنعاله
وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك ام لا فاجاب بان
ذلك ليس بصحيح ولا ثابت بل وصوله صلى الله عليه وسلم الى ذروة العرش لم يثبت
بخبر صحيح ولا حسن ولا ثابت اصلا وانما الذي صح في الاخبار انتهاؤه الى سدرة المنتهى
فحسب واما الى ما وراءها فلم يصح وانما ورد ذلك في اخبار ضعيفة او منكرة لا يعرج
عليها انتهى وتابعوه على ذلك وقوله وارسلتك الى الناس كافة قد تقدم شرحه
وكذا قوله وجعلت امتك هم الاولون وهم الاخرون لسبقهم في دخول الجنة
وتاخرهم وجودا في الدنيا بعد اعطيه لما تضمنه من كثرة بقعهم وقلة مكثهم في القبور
وعدم نسخ شريعتهم وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة هي كلام يقال على رؤوس الاشهاد
للاعلام بامر مهم وكان عادة العرب اذا اجتمعوا في نادٍ قام منهم واحد فخطب اذا
تفاخروا او تصالحوا او ارادوا وعظا ولعكاظ في سوقه عكاظ خطب مشهورة يحافظ
على نحوهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقع امر قام بينهم خطيبا
والخطبة مشتقة من الخطب وهو الامر العظيم وبعد ذلك شرعت في الجمعة والعيدين
والنكاح والاستسقاء ووعظ الناس ونحوه حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي اي
لا يعتد بخطبتهم الا اذا اتوا فيها بكلمتي الشهادة لما ورد في الحديث كل خطبة ليس
فيها تشهد فهي كاليد الجذماء اي هي ناقصة لا بركة فيها وهذا يقتضي ان التشهد
فيها ركن او شرط قيل وهذا لم يقل به احد من الفقهاء والمجتهدين فان قيل المراد
انه لا يصح خطبة من لم يصدر منه الشهادة اي لا تصح الا خطبة المسلم المصدق
بك والامة امة الدعوة فهو بعيد واجيب بان الشافعي وغيره اشترط في الخطبة
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تتضمن الشهادة بذلك ولا يخفى انه
قد اعتبروا فيه الظاهر الحديث فالظاهر انه كان واجبا فنسخ وجوب الاقتصار على
مقدار تهليلة وتسبيحة وقال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله لا بد من ذكر طويل
يسمى خطبة واقله قدر التشهد الى قوله عبده ورسوله يثني بها على الله ويصلي
على نبيه صلى الله عليه وسلم ويدعو للمسلمين لان الخطبة واجبة وما دون ذلك
لا يسمى خطبة عرفا كما قاله الزيلعي والحديث شاهد له وجعلتك اول النبيين
خلقا لانه خلق نوره قبل الارواح ثم خلق الارواح ونبأه فهو اولهم خلقا
ونبوة واخرهم بعثا وارسالا كما تقدم بيانه واعطيتك سبعا من المثاني اي
الفاتحة لانها سبع ايات وهي تثنى وتكرر في كل ركعة او السبع الطوال البقرة وآل
عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والتوبة وحدها او مع الانفال
بناء على انهما سورة واحدة لعدم البسملة بينهما لتكرر المواعظ والعبر
فيها ولم اعطها نبيا قبلك كما تقدم بيانه واعطيتك خواتيم سورة البقرة
من كنز تحت عرشي اي كالكنز المال المدفون فشبه به ما في اللوح المحفوظ مما لم يطلع عليه

عرضي

خلقه فجعل خواتيم سورة البقرة وما فيهما من الثواب المعد لمن قراها امثال عظيم اخرجه من
ذلك الكنز الذي هو اللوح وفي الحديث من قراها كفتاه اي عن قيام الليل او من الشيطان
ويؤيده ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال انزل الله علي
ايتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي
عام من قراهما بعد العشا مرتين كفتاه من شر الشيطان ولا يكون له عليه سلطان
قال التوربشتي المعنى انه استجيب له مضمون قوله غفرانك الخ ونصره ولما قراهن
صلى الله عليه وسلم قيل له قد فعلت واوثر الاعطا لمناسبة الكنز لم اعطهما نبيا
قبلك اي لم يعط مثل ثوابهما احد قبله صلى الله عليه وسلم وجعلتك فاتحا وخاتما
اي فاتحا لكل خير وشر بهما ثم من قوله جعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا فمن
شرح به فقد فمتو وفي الرواية الاخرى التي رواها مسلم قال فاعطي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاثا من الفضائل المخصوصة به صلى الله عليه وسلم اعطي الصلوات
الخمس اي لم تجمع لغيره ولغير امته ولا لنبي قبله فان الانبيا قبله كانت لهم صلاة موافقة
لبعض هذه دون مجموعها وكان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل الاسرا ولكن لم يشتهر
بيان كيفيتها ونقل السيوطي رحمه الله في اخر الخصايص انه لم يكن فيهما ركوع ولذا
نزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا وقد مر ذلك واعطي خواتيم سورة
البقرة كما تقدم وغفر لمن لم يشرك بالله شيئا من امته المقحمات بضم الميم وقاف
وحا مهملة مكسورة بزنة اسم الفاعل من الاقحام وهو الالقا والمراد الكباير التي
تلقي صاحبها في النار او المهلكات وهذا كقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشا اي بتوبة وبدونها خلافا للمعتزلة والكلام فيه مشهور وقال
اي ابن مسعود رضي الله عنه في الحديث الذي رواه ما كذب الفؤاد ما راى الاية
هذا لفظ القران والمعنى عن راويه من الزيادة انما هو تفسيره بقوله راى جبريل
في صورته الاصلية التي خلق عليها له ستماية جناح لا في صورة تمثل بها فان الله
اعطى الملائكة قوة التشكل باي صورة ارادوا ونقل الشمني عن السهيلي في قوله صلى
الله عليه وسلم ان الله ابدل جعفرا رضي الله عنه بيديه جناحين يطير بهما في الجنة
حيث شا ليس هذا كما يسبق الى الوهم جناح بريش كالطير لان الصورة الادمية اشرف
وانما هي عبارة عن قوة روحانية ملكية اعطيها جعفر رضي الله عنه كما اعطي الملائكة
فان اجنحتهم صفات ملكية لا تدرك الا بالمعاينة لان قوله تعالى فيهم اولي اجنحة
مثنى وثلاث ورباع يدل على ذلك اذ لم ير طاير باكثر من جناحين فكيف بستماية كما
في صفة جبريل عليه الصلاة والسلام فدل على انها صفات لا تنضبط كيفيتها
بالفكر انتهى واعترض عليه بان هذا اشبه بكلام الفلاسفة والحشوية فاي مانع
من ابقائه على ظاهره وكون طيور الجنة ليس لها غير جناحين غير ضار والاحاديث
صريحة في انها اجنحة حقيقية كثيرة من زبرجد وياقوت ملونة كاجنحة الطواويس
ولا ينكر هذا الا من ينكر الملائكة وكون جناحي جعفر رضي الله عنه حقيقيين يؤيده
كون ارواح الشهدا في جوف طيور خضر في الجنة فاي حاجة للتاويل ومثله
لا يليق بمثل الامام السهيلي وفي حديث شريك المتقدم مع ما فيه انه صلى

مرتين

الله عليه

الله عليه وسلم راى موسى في السابعة وهو مخالف لما مر من انه في السادسة فان كان الاسرا
متعددا فظاهر انه لا منافاة والا فيجمع بينهما بانه رآه اولا في السادسة ثم صعد
الى السابعة فرآه بعد رجوعه فيهما قال اي النبي صلى الله عليه وسلم او الراوي على انه
من كلام شريك فهو مدرج فيه بتفضيل كلام الله اي علو رتبته عليه الصلاة والسلام
ومعوده للسابعة لفضله على غيره بكونه كليم الله فالبا سببية وهو مضاف للفاعل قال
شريك في الحديث ثم علا به اي برسول الله صلى الله عليه وسلم من السابعة فوق ذلك
الاشارة للسما السابعة بما لا يعلمه الا الله اي بمقدار لا يعلم كله وحقيقته وقيل
نهايته وهو بدل من فوق والبا للاستعلا كما في قوله تامنه بقنطار او بمعنى الى كما في
قوله تعالى وقد احسن بي فكان مقامه صلى الله عليه وسلم ارفع من مقام موسى عليه
الصلاة والسلام ولذا اعقبه بقوله فقال موسى اذ اي رفعته صلى الله عليه وسلم
عليه لم اظن ان يرفع على احد ومنشاؤه تفرده بتكليم الله وقد شاركه في ذلك
وزاد عليه بما اقتضى تفضيله على سائر الانبيا واعترض على هذا بانه كيف يقول موسى
عليه الصلاة والسلام هذا وقد علم بتفضيله وهو مذكور في التوراة واللائق بالانبيا
عليهم الصلاة والسلام التواضع وهذا مما يطعن به في رواية شريك وقد روي
عن انس بن مالك رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا ببيت المقدس اماما
ولا حاجة الى حمله على انه بعد الاسرا الذي فرضت فيه الصلاة وان كان محتملا ايضا كما
مر وعن انس رضي الله عنه كما رواه البزار والبيهقي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه الصلاة والسلام اصله بين
واشبعت فتحته الفا وهو ظرف مضاف للجملة متضمن معنى الشرط والعامل في اذ معنى
المفاجاة اي وقعودي يوما فاجاني فيه دخول جبريل او وقت دخوله وذات يوم
توكيد دفعا لتوهم التجوز عن مطلق الزمان وذات وذو تزاد كثيرا كقوله رجل
من ذي يمن فوكز اي ضرب ضربا خفيفا كما يفعله من يوقظ غيره بحيث لا يطلع على
ايقاظه وقيل الوكز الضرب بجمع الكف بين كتفي وفي رواية بينا انا نايم وجمع
بينهما بانه صلى الله عليه وسلم يجوز ان ينام وهو قاعد ولذا وكزه ليستيقظ
وهذا من جملة الزيادة وفي بعض الشروح انه كان ببيت المقدس فقمت معه من
محل قعودي الى شجرة فيها مثل وكري الطاير مثنى وكر وهو للطير كالبيت للا
والجحر للحشرات والكناس للظبي كما بينه اهل اللغة اي بيتين شبيههما
بالعش وسعا وهيئة لا مقدارا لانه لا يسع الادمي ولو كان كعوا في الطير كالنسر
والعقاب فقعد اي جبريل عليه الصلاة والسلام في واحدة وقعدت
في الاخرى وقيل انثه لانه كالعش يذكر ويؤنث والغالب على السنة اهل مكة
تانيثه او هو لتاويله بالزاوية والطاقة ونحوهما وما قيل انه ماوى اناث
الطيور غالبا لا وجه له فسمت بالنون والضمير للشجرة اي زادت وارتفعت حتى
سدت الخافقين هما المشرق والمغرب لخفوق الشمس والنجم فيهما اي غيبتهما
او حركتهما واصل معنى الخفوق الاضطراب والحركة ولذا احسن قوله
اما والله لولا خوف سخطك * لهان على ما القى برهطك *

ابن افرس

نسخة

وروي شميت بالشين المعجمة من الشمس
اي علت لقلة معناه

ملكت الى اقفص فزدت مجيبا • وليس هما سوى قلبي وفرطكا • • •
ولو شئت لعلقتها وقرظها منها مسست السما بكسر السين وفتحها ويروى لمست بسين
واحدة من اللمس اوهو مخففة ونقل حركته وانا اقلب طرفي تقليبه طرفه بمعنى نظره
في جوانبها لشباته صلى الله عليه وسلم وعدم دهشته وتاملته في ايات الله في الافاق
ونظرت جبريل اذ قلبت طرفي في موقع عليه بحلس اي كانه حلس بكسر الحاء المهملة وسكون
اللام وسين مهملة وهو كساء رقيق يوضع تحت القتب والبردعة ويبسط في البيت
لاطئ اي لاصق بالارض والمراد انه لما قرب من السما غشيته مهابة حتى خضع والتصق
بالارض من الغشي الذي هو فيه والنبي صلى الله عليه وسلم متثبت لم يصبه روعة
كما غشي جبريل عليه الصلاة والسلام ويقال فلان حلس بيته لمن لا يخرج منه قال
ابو بكر رضي الله عنه كن حلس بيتك حتى تاتيك يد خاطية او منية قاضية ولاطي
بلام وطا مهملة مهموز بمعنى لاصق كما في الصحاح وفي بعض النسخ حلس لاطيا
بتخفيف ونصب لاطئ وصحح رواية ولم يغير وجملة كانه حال جبريل فعرفت فضل
علمه بالله علي اي عرفت بما اعترى جبريل عليه الصلاة والسلام من الخشية انه اعلم
بالله مني لانه بقدر العلم يكون الخوف والخشية قيل هذا التواضع منه صلى الله عليه
وسلم لانه افضل منه ورد بانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل والملائكة الروح
قد يعرفون من احوال الملكوت ما لا يعرفه غيرهم وان كان افضل والقول بانه صلى الله عليه
وسلم قاله قبل العلم بتفضيله عليه لا يناسب هنا وفتح لي باب السما ورايت النور
قيل هو نور العرش او الله تعالى لانه يسمى نورا كما قال الله نور السموات والارض
والحكما والمتكلمون جوزوه من غير تاويل قال الاشعري نور لا كالانوار وقال
الغزالي النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره فان فهمت فهو نور على نور وبعد هذا
كلام لا يصرح به ولط دوني الحجاب وفي نسخة واذا دوني الحجاب ولط بضم اللام وتشديد
الطا المهملة مبني للمجهول يقال لططت الباب اذا اغلقته وكذا اذا سترته يعني
انه صلى الله عليه وسلم بعد ما شاهد النور ارخي بينه وبينه حجاب ستره عنه
وسياتي الحجاب وتاويله عن قريب وفرجه بضم الفا وفتح الرا المهملة والجيم مضافا
لضمير الحجاب جمع فرجة بوزن غرفة وهي ما بين الشيئين من خلا او بين اجزا شي
مفتوحة اي فرج الحجاب المحيي وطاقاته الذي يخرج منها نوع الدر والياقوت
وهما نوعان من الجواهر معلومان ثم اوحى الله الي ما شا ان يوحي بالبنا للفاعل
او المفعول وحديث انس هذا سقط من بعض النسخ وذكر البزار بفتح الموحدة
وتشديد الزاي المعجمة والف ورا مهملة نسبة لعمل البزر وهو بزر الكتان
الذي يستخرج منه السليط وبالذال المعجمة كل بذر يبذر للزراعة وهذا هو
احمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير المعلل توفي بالرملة سنة
اثنين وتسعين ومايتين وترجمته مشهورة وهو ثقة حافظ واعلم ان البزار
كذا هو في اكثر النسخ قال البرهان الحلبي وفي نسخة بخط الحافظ مغلطاي البزار
بزاي معجمة اخره وفي صحتها نظر فالمعروف انه برا مهملة اخره عن علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم اي يعرفه

الاذان الذي شرعه له للاعلام بدخول وقت الصلاة جاء جبريل بدابة يقال لها البراق من الحلام
عليه وظاهر سياقه ان هذا المعراج اخر غير الذي كان بمكة قبل الهجرة كما مر وهذا العقله فان
الاذان كان بالمدينة وسياقه يفهم ان هذا المعراج كان المقصود منه تعليم الاذان وسياتي
ما فيه فذهب يركبها اي شرع في الركوب وذهب وردت بهذا المعنى كثيرا وليس من الذهاب
بمعنى المضي تقول ذهب تقول كذا اي شرع في مقاله وقوله فاستصعبت تلك الدابة
عليه صلى الله عليه وسلم فقال لها جبريل اسكني من السكون وهو القرار فوالله ما ركبك
عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن
تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل
من هذا الملك قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت
قبل ساعتي هذه تقدم شرحه فلا نكرره وتانيث البراق لغة او ما ورد بدابة وهذا الحديث
رواه البزار بسند متصل بعلي رضي الله عنه وفي سنده زياد بن المنذر وقد قيل فيه انه
كذاب والحديث ضعيف وقال السهيلي بصحته وذكر الحجاب وسياتي بيانه فقال اي
الملك الذي خرج من خلف الحجاب ولم يعرفه جبريل عليه الصلاة والسلام الله اكبر
الله اكبر الى اخر الاذان واجابة المؤذن بما يليق برب العزة فلذا شرع لنا ذلك بما يناسب
كالنائم ما عرف في كتب الفقه والسنة فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر
انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله
لا اله الا انا وذكر الراوي مثل هذا الذي ذكر قولا وجوابا للمؤذن في بقية الاذان الا انه
لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح لانه لا يتصور في حقه معناه
ولا جوابه لا حول ولا قوة الا بالله اي لا يقدر احد على الصلاة والسعي لها والى تحقيقها
الا من هي له وهذا لا يليق الا بالمخلوق بخلاف ما قبله وقال اي الراوي ثم اخذ الملك
بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه على من كان بحضرته من الانبياء عليهم الصلاة
والسلام فام اي صار اماما بهم اي باهل السماء كلهم فيهم ادم ونوح عليهما
الصلاة والسلام وخصهما بالذكر لانهما ابوا الانبياء الجسمانيين كما انه ابوهم الروحاني
المتقدم عليهم ثم تقدم ما حيعلتين معنى حي اقبل وهلم وهو اسم فعل قال القاضي
منذر بن سعيد والعرب تزيد لها حاء سرديا حيهلا لا كما يقول الفقهاء مطبعا
وفي حي لغات مذكورة في كتب العربية واللغة واصلها حي هلا ثم قد تفرد حي
وقد تفرد هلا والمعنى واحد والفلاح معناه الفوز بالسعادة يقال افلح الرجل
اذا اصاب خيرا وفاز وقيل معناه البقاء والمعنى اقبلوا على البقاء في الجنة قال ابو
جعفر محمد بن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو ابو جعفر الامام المشهور في ال الرسول
واهل بيته راويه اي راوي هذا الحديث الذي رواه عن ابيه عن جده اكمل الله
لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف والعلو على اهل السموات واهل الارض اما على
اهل الارض فلانه صلى الله عليه وسلم اشرف الرسل وامته اشرف الامم واما على
اهل السما فلانه صلى الله عليه وسلم اشرف من سائر الملائكة بدليل انه امهم وتقدم
عليهم كما اندل عليه الاحاديث المذكورة بقي هاهنا ان ما ذكر يدل على ان الاذان
شرع ليلة الاسرا قبل الهجرة مع انهم جزموا بانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي

لم يقل

بغير اذان منذ فرضت الصلاة الى ان هاجر الى المدينة وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما الصحيح
المذكور في الصحيحين قال كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة
ليس ينادي لها فتكلموا في ذلك يوما فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى
وقال بعضهم بوقا مثل بوق اليهود فقال عمر رضي الله عنه اولا تبعثون رجلا ينادي
بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال قم فناد بالصلاة وفي حديث
ابي اسحاق زيادة على ما ذكر فبينما هم على ذلك اذ سمع عبد الله بن زيد بن ثعلبة
الخزرجي النداء فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد
طاف بي الليلة طائف مر بي رجل عليه ثوبان اخضران يحمل ناقوسا في يده فقلت
يا عبد الله اتبيع هذا الناقوس فقال لي وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة
قال او لا ادلك على خير من ذلك قلت وما هو قال تقول الله اكبر الله اكبر الخ فلما
اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها رؤيا حق فقم مع بلال فالقها
عليه فليؤذن بها فانه اندى صوتا منك فلما اذن بلال رضي الله عنه سمعه عمر رضي
الله عنه وهو في بيته فخرج يجر رداءه وهو يقول يا نبي الله والذي بعثك بالحق
لقد رايت مثل الذي راى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله وفي
وسيط الغزالي انه راى هذه الرؤيا بضعة عشر رجلا وانكره النووي وابن
الصلاح وقالا لم يثبت الا رؤيا زيد وعمر رضي الله عنهما فهذا ايدل على ان الاذان
انما روي بالمدينة وما ذكر هنا يدل على انه بمكة في الاسرا وهما متعارضان الا ان
الثاني صحيح والاول ضعيف وقال ابن حجر رحمه الله قول القرطبي انه لا يلزم
من رؤيته في الاسرا مشروعيته في حقه فيه انه يأباه قوله في الحديث لما اراد
ان يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وقول الطبري يحمل الاذان في
الاسرا على معناه اللغوي يأباه ذكره بالفاظه بعينها وما قيل من انه صلى
الله عليه وسلم راه في الاسرا ولم يؤمر به بمكة للعجز عن اظهاره بين المشركين
واخره الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لما اراد ذلك اظهر ليكون مدحه على
لسان غيره في غاية الضعف ولو كان كذلك لم يتحير حين قدم المدينة اقول
هذا كله كلام مضطرب والذي ظهر لي في التوفيق بين الحديثين على وجه لا كلام
فيه ان المذكور في رواية البزار اسرا غير المعروف وانه بروحه او في رؤياه
لان الاسرا تعدد فيكون راى في منامه ذلك ورؤيا الانبيا وحي وعقب ذلك
قص عليه الصحابة رضي الله عنهم رؤياهم فاظهر موافقتهم والعمل بها
لتكون الشهادة والمدح من غيره وليسروا بموافقة رؤياهم وكون ذلك
ماثورا عنهم والا فهو فرض كفاية مشروع ومباح لا يثبت برؤيا غيره فيحتاج
الى انه اجتهاد بما يوافق الرؤيا وهو خلاف وهذا ان شاء الله من بركاته
ولمعات مشكاته ثم ان المص رحمه الله استشعر اعتراضا فيما مر من الحديث
الذي ذكر فيه الحجاب وهو في حقه تعالى محال لاستلزامه الجهة والتحيز
فاراد دفعه بقوله قال القاضي ابو الفضل عياض مؤلف هذا الكتاب
رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق الرائي

عوضي

لا في حق

لان حق الحالف زاد القاضي خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وهو جائز وكذا ما ورد في الحديث
حجابه النور اذ الحجاب المنع والحاجب المانع ومنه حاجب العين وحاجب الامير والحاجب
يحيط بالمحجوب فيقتضي تناهيه وتحيزه تعالى الله عن ذلك ولذا قال ابن عطا الله رحمه
الله كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي اظهر كل شيء كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو
الواحد الذي ليس معه شيء فهم اي الخلق المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه
لما سياتي ولذا علا علي كرم الله وجهه بالدرة من قال لا والذي احتجب بسبعة اطباق وقال
ويحك يا لكع ان الله لا يحتجب ثم علل استحالة ذلك في حقه فقال اذ الحجب بضمتين جمع
حجاب او بفتح فسكون مصدرا انما تحيط بمقدر محسوس اي بذي مقدار له طول وعرض
وعمق في جهة تختص بتوجه الناظر فيقتضي الجهة وهو منزه عن ذلك ولكن حجبه عن
ابصار خلقه وبصائرهم جمع بصيرة وهي القوة المدركة لغير المحسوس من العقل
ونحوه فلا تحيط به ابصارهم اي لا تدركه ادراك احاطة بذاته لانه لاقتضائه التحديد
والتناهي ونحوه مما هو منزه عنه كما فسر به قوله لا تدركه الابصار كما ذكره البيضاوي
ردا على من انكر الرؤية واستدل بهذه الاية وياتي الكلام عليها ولا تدركه بصائرهم
والمراد بالادراك العلم اي لا تعلم كنهه وحقيقته عقولهم ادراكا تاما يقينيا وحجبه
عن ادراكها لهم اي انواع العلم والادراك معطاة عن ادراك ذاته فلا رؤية ولا
تصور ولا اكتناه في غير اناه بما شاء وكيف شاء ومتى شاء متعلق بحجب اي منعهم عن
رؤيته وادراك ذاته ومعرفة حقيقته ليس لحجاب لغير بل بسبب ارادة
وكيفية لا يدرى كنهها في اي زمان اراده وفيه ايما الى ان رؤيته في الدنيا ممكنة
وفي الاخرة واقعة وان معرفة حقيقته ممكنة لنا وهو الاصح بل واقعة للانبيا
عليهم الصلاة والسلام ومن امسك ذيل حقيقتهم كقوله اي كقول الله في
الكفار كلا انهم عن ربهم اي ان الكفار يومئذ اي يوم القيامة وفي الاخرة اذا
تنعم المؤمنون برؤيته ورضوانه لمحجوبون وقال كقوله بالكاف لان المدعي
عام وهذا خاص بالكفار ولكن فيه اثبات لمدعاه اذ جعلهم هم المحجوبون لا الله
فان قلت الحجاب امر نسبي لا بد من تعلقه بالطرفين فيلزمك ما فررت منه قلت
هو نسبي ولكن بين حاجب ومحجوب والحاجب سبحات الانوار وستائر العظمة
والمحجوب مخلوق فانه لا هو لانه محجوب عنه لا محجوب فيجوز ان يوصف بانه
محجوب عنه وحاجب ومحتجب خلافا لمن انكره ومثاله حقة عميقة فيها نمل
على راسها انسان حديد البصر فالنمل محجوب عن رؤيته بالحقة لا يرى من فوقه
وهو يشاهده ويشاهد حركاته والحجاب للمشهود لا للشاهد فعلى هذا يطلق
الحجاب ونحوه عليه لو ورد بهذا المعنى مطلقا او مقيدا اذ ايهام ما سمع من
الشارع لا يلتفت اليه كاليد والبصر وغيره فاعرفه فانه امر مهم كثير في القران
والحديث فقوله في هذا الحديث الحجاب بالجر على حكاية الحجاب او الرفع وقوله اذ
خرج ملك من الحجاب زاد مكي الاذان الذي سال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
جبريل يجب ان يقال في تفسير معناه انه حجاب حجب به الله تعالى من وراءه من
ملائكته عن الاطلاع بكسر الطاء المشددة اي رؤيتهم متعلق بحجب على ما دونه اي

من هو

ما خلفه ووراءه من حاجبة لغيبه وباطنه فهو الباطن والظاهر من سلطانه الظاهر انه
اراد به ما يقتضيه قدرته عند تصرفه مما لا يطلع عليه رسل الملائكة وغيرهم الا نادرا
نادرا وعظمته وعجايب ملكوته وما لا يدركه من ذلك والمراد بالملكوت عالم غيب الغيب اي
ما غيب عن الملائكة وجبروته وهو يطلق على القهر وعلى عظايم الملكوت وغرايبه مما
احتجب عن غيره وهو المراد وجبروته بغيرهم قال الحلبي وهو مهموز في بعض
النسخ وهو لحن ويدل عليه اي يدل على ان الحجاب لغيره لا لذاته من الحديث قول جبريل
له صلى الله عليه وسلم عن الملك الذي خرج من ورايه ان هذا الملك ما رايته منذ
خلقت قبل ساعتي هذه فانه صريح في ان الحجاب انما حجب الخلق فان جبريل قد حجبه
الله تعالى في سرادق جلاله وخلف حيطة عظمته فدل على ان هذا الحجاب المذكور في الحديث
لم يختص بالذات اي لم يختص محجوبيته بذاته تعالى اذ حجب بعض الملائكة
ايضا كما لك الاذان وبما قررناه به علمت انه لا يتوهم ان المصحح ان يقول يختص
بغير الذات لان نفي الاختصاص يقتضي المشاركة كما لا يخفى ويدل عليه اي على
عدم اختصاص الحجاب بالذات كما مر قول كعب الاحبار في تفسير سدرة المنتهى
اي في بيان سبب تسميتها به قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله
لا يجاوزها علمهم فهذا وجه تسميتها به ومنه يعلم ان الحجاب انما هو بالنسبة لغير
لا له وان المحجوب عنهم ذاته وامره وملايكته المرتبون وقوله يجدون معناه يقفون
عليه ويعلمونه واما قوله في الحديث الذي يلي الرحمن لما كان ظاهره انه حايل بينه
وبين غيره اشار الى تاويله بقوله فيحمل اي يفسر بانه على حذف المضاف اي الذي يلي
عرش الرحمن فالمضاف المقدر لفظ عرش او لفظ امر او امرا فما زيادة ما للعموم او التعظيم
اي يلي امر الرحمن من عظيم اياته من بيانية لا يتضح ما ابهم اولا وهو اوقع في النفوس
لحصوله بعد التشوق اليه او من مبادي حقايق معارفه اي امر ايكون مبدا لما
يتحقق به معرفة الله مما هو اي الله تعالى اعلم به من رسله وملايكته عليهم الصلاة
والسلام كما قال تعالى واسال القرية التي كنا فيها اي اهلها اشارة الى ان تقدير
المضاف لقرينة عقلية كثير بليغ لان القرية لا تسال وانما يسال اهلها وقوله تعالى
في حديث الاذان اجابة للملك لما قال الله اكبر من كل كبير فقيل من وراء الحجاب صدق
عبدي اي الملك القايل انا اكبر فظاهره انه صلى الله عليه وسلم سمع في هذا الموطن
اي المكان الذي كان قاربه كما يقرا لانسان في وطنه كلام الله من غير واسطة كما
سمعه موسى صلى الله عليه وسلم ولكن من وراء حجاب حجبه عن رؤية الله تعالى
وهو يراه من غير حجاب بالنسبة له وان كان النبي صلى الله عليه وسلم محجوبا
عن رؤيته معاينة ثمت فهو لا يراه ثم استند لعلي ذلك بقوله كما قال تعالى وما
كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو اي النبي صلى الله عليه وسلم
لا يراه اي لا يرى الله معاينة اذ حجب بصره بصر النبي صلى الله عليه وسلم عن رؤيته
اي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه في هذه الدنيا ولما كان هذا يوهم
امتناع الرؤية مطلقا قال فان صح الحديث والقول بان محمدا صلى الله عليه وسلم
رايه به عيانا حين اسري به فيحمل انه في غير هذا الموطن الذي سمع فيه الاذان بعد

هذا الموطن والمقام او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه عيانا في مقام آخر والله اعلم
**فصل** في تحقيق الاسرا اعلم انهم اختلفوا في المعراج والاسرا هل كانا في
ليلة واحدة او ليلتين وهل كانا جميعا يقظة او مناما او بعضه يقظة وبعضه مناما
وقيل ان الاسرا كان مرتين مرة بروحه مناما ومرة بروحه وبدنه يقظة ومنهم من قال
بتعدد الاسرا في اليقظة ايضا بل قيل انه اربع مرات وبعضها كان بالمدينة ووفق ابو
شامة رحمه الله بين الروايات بالتعدد وانه وقع من مكة لبيت المقدس فقط على البراق
ومرة من مكة الى السموات الى آخر ما فصله وقال انه لبيت المقدس ثابت بنص القرآن
والحديث وقد تقدم الفرق بين الاسرا والمعراج وان الاول سيره لبيت المقدس والثاني
صعوده منه للملا الاعلى وان كلا منهما يطلق على الجميع واما حمل البدئي على انه بطريق
الانسلاخ الذي ذهب اليه المتصوفة فاخراج للحديث عن ظاهره لمعنى لا ينبغي التعويل
عليه وانما ذكرناه لننبهك عليه لئلا تغتر بكلام بعض جهلة المتصوفة والحكما ثم
اختلف السلف والعلما من عطف العام على الخاص والمراد بالسلف الصحابة ومن عاصرهم
وبالعلما من بعدهم هل كان اسراه بروحه او جسده اسرا بالنصب خبر كان اي هل كان
الاسرا اسرا الخ على ثلاث مقالات اي الاختلاف واقع على ثلاثة اقوال للسلف والخلف
ثم فسره وفصله بقوله فذهبت طائفة اي جماعة ممن سيصرح به الى انه اي الاسرا
اسرا بالروح وانه رؤيا منام عطف تفسيري لا بدل كما توهمه الدلجي وفي تفسير
القاضي اختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده وقوله بروحه او
جسده الخ لف ونشر اي بروحه في المنام او بجسده مع روحه في اليقظة وليس متعلقا
بقوله في اليقظة فقط كما توهم والصحيح الثاني كما سياتي قال البرهان وبقي قولان
احدهما انه تعدد فمرة بجسده ومرة او مرات بروحه والثاني انا نقول بالاسرا
ولا نعين كونه يقظة او مناما كما في الهدي النبوي وهو غريب مع اتفاقهم سلفا
وخلفا على ان رؤيا الانبيا حق ووحي لانهم عليهم الصلاة والسلام تنام اعينهم
ولا تنام قلوبهم ولان الشيطان لم يتسلط عليهم فيتمثل لهم والوحي على انواع
منها المنام الا انه على قسمين منه ما يقع بعينه وهو الاكثر ولذا ذهب الخليل الى ذبح
اسمعيل عليهما الصلاة والسلام ومنها ما يعبر ويأول والى هذا ذهب معاوية
ابن ابي سفيان بن حرب بن امية كما رواه عنه ابن جرير وابن اسحاق وهو رضي الله
عنه صحابي ابن صحابي توفي بالشام حاكما بها سنة ستين وعمره ثمان وسبعون او
ست وثمانون وكان عنده ازار رسول الله صلى الله عليه وسلم ورداؤه وشي
من شعره وظفره فكفن بردائه وازاره وحشي شعره وظفره بفيه ومنخره بوصية منه
رضي الله عنه وحكي عن الحسن البصري رحمه الله وحكي مبني للمجهول والمشهور عنه
اي عن الحسن البصري رحمه الله خلافه اي قولان اشهرهما انه كان يقظة واليه اي
الى ما ذكر عن الحسن اولا اشار محمد بن اسحاق بن يسار صاحب المغازي وهو ثقة وان طعن
فيه بعضهم وحجتهم اي دليل القايلين بانه رؤيا منام قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك الا فتنة للناس لانكار كثير منهم له وارتداد بعض ممن اسلم حين بلغهم
ذلك لضعف عقولهم وايمانهم ولا حجة في ذلك لان لها تفاسير اخر وفي بعض النسخ هنا

وقيل رآها عام الحديبية اسم بير مشهور رؤيا وهما بخففة ورا ويا مشددة ايضًا
كما سياتي بيانه لانه صلى الله عليه وسلم راي انه هو واصحابه دخلوا مكة كما قال
تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الخ فلما صدوا عن الدخول فتن بعضهم
فقيل لم يقل في هذا العام وقيل الاية قصة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله في هو
في منامك قليلا وقيل المراد نهارا ورؤيا بني امية تنزو على منبره صلى الله عليه وسلم
ومما احتجوا به ما حكي عن عايشة رضي الله عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي نسخة ما فقد بالبنا للمفعول وفي رواية لم تفقد بمجهول ايضًا
قال التلمساني وهي الاشبه بالصواب فهو اخبار منها عن غيرها لانها لم تكن حينئذ
زوجته بل لم توجد انتهى وسياتي الاشارة اليه في كلام المص مع انه له صلى الله
عليه وسلم وجات اخر فلا يلزم من عدم فقدها لذلك فقد غيرها له قيل ولا اي اخرى
حجة فيه ايضًا لاحتمال انه تعالى اراد ان يحجب عنها حقيقة ذلك مع ان النفي مقدم
على الاثبات ولا يخفى ما فيه من التكلف وقوله صلى الله عليه وسلم في رواية
بينا انا نايم قال ابن المنير في المقتفي جنح هولاء الى قضايا ظنوها تخل الاسرا
يقظة من حيث العقل وذلك غلط بين وانما هو استبعاد عادي ظنوه محالا
عقليا فاحتجوا بما ورد في بعض الروايات من التصريح بانه صلى الله عليه وسلم
كان نايما فايقظه الملك وقوله بين النايم واليقظان ليس بصريح بان النوم استمر بل
كان مجي الملك اليه صلى الله عليه وسلم وهو وسن وباقل من ذلك يستيقظ
النايم المستغرق لا سيما الوسن واحتجوا على انه استمر بان المنام مصرح به وبما
ورد في بعض الطرق اي الاتية فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام ورد عليهم بان
المراد الافاقة البشرية من الغمرة الملكية اي كما سياتي بيانه وبالجملة فان مع
النقل في الطرق وتعارضت وتعذر التاويل حمل على التعدد وتنزيله على اسرآة
بعضها يقظة وبعضها منامًا لا يقال لو كان كذلك لما تكرر فرض الصلاة فانها انما
فرضت دفعة قلنا فرضت في اليقظة وجا المنام بعد ذلك كالذكرى وتجديد
العهد او تقدم المنام كالتقدمة والتعريض بالعرض وبما يكون لو فرضت يقظة
وكثيرا ما يرى النايم انه فعل فعلا كان فعله قبله ويقع له انه الفعل المتقدم
بعينه فيكون ذلك طبقه مما انتهى وقول انس رضي الله عنه وهو نايم في المسجد
الحرام وذكر القصة الواردة في حديث الاسرا الذي رواه البخاري وهو يدل
على انه كان منامًا ثم قال في اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام اي انتبهت
من منامي فوجدتني به بهذه الحالة فانتفى كونه حجة لذلك وقد علمت
ما فيه وذهب معظم السلف والمسلمين عطف للعام على الخاص وفيه اشارة
الى ان خلافه لا ينبغي لمسلم اعتقاده الى انه اسرا بالجسد مع الروح وفي
اليقظة المقابلة للنوم وهي بفتح اليا والقاف وتسكينها لحن الا لضرورة
شعرية كقول التهامي
فالعيش نوم والمنية يقظة ● والمرء بينهما خيال ساري ●
وبالتسكين علم كاليقظان وهذا هو الحق الذي يقتضيه الاسلام اذ لا حاجة

لعرف

لعدول النصوص عن ظاهرها بغير داع ولو كان كذلك لم ينكره احد من العقلا وهو قول
ابن عباس وجابر وانس وحذيفة ومجاهد وابي هريرة رضي الله عنهم وهو عبد الرحمن بن
صخر على الاصح من اقوال في اسمه مشهورة كما تقدم ومالك بن صعصعة الصحابي
المدني كما تقدم وابي حبة البدري بفتح الحا المهملة بلا خلاف ثم با موحدة مشددة
على الاصح وقيل انه بنون مشددة وقيل بمثناة تحتية مشددة ثم ها واسمه عامر
وقيل مالك وقيل عمرو وقيل ثابت بن النعمان كما في الاستيعاب واختلف في ابي حبة
الانصاري وابي حبة البدري هل هما واحد او اثنان على اختلافهم في ضبطه
المتقدم وقوله البدري اي شهد بدرا اشارة الى انه من كبار الصحابة رضي الله عنهم
وقيل اسمه كنيته وابن مسعود والضحاك وهو ابن مزاحم البلخي المفسر المكي بلخي
القاسم وابا محمد يروي عن ابن عباس وابي هريرة وهو ثقة وان ضعفه بعضهم
توفي سنة خمس ومائة وقيل سنة ست واخرج له اصحاب السنن الاربعة دون الشيخين
وسعيد بن جبير المشهور وهو الوالبي ابو محمد اخرج له اصحاب الكتب الستة وقد
تقدم ترجمته وابن المسيب بفتح اليا المشددة وكسرها كما تقدم في ترجمته وابن
شهاب ابو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري كما تقدم وابن زيد عبد
الرحمن بن زيد بن اسلم وترجمته في الميزان والحسن بن ابي الحسن البصري كما تقدم
وابراهيم النخعي المتقدم ذكره ومسروق بن الاجدع ابو عايشة الهمداني احد
الاعلام الذي لم يخرج من همدان مثله صاحب المناقب الجمة وكان اعلم بالفتيا
من شريح توفي سنة ثلاث او اثنتين وستين واخرج له اصحاب الكتب الستة
ولقبه مسروق لانه سرق وهو صغير ثم وجد ومجاهد بن جبر المتقدم ترجمته
وعكرمة بن عبد الله الامام المفسر مولى ابن عباس رضي الله عنهما احد اوعية العلم
الثقة وهو اباضي وسياتي بيان الاباضية اخر الكتاب وروى له الشيخان وتوفي
سنة خمس او ست او سبع ومائة وترجمته مفصلة في الميزان وابن جريج عبد الملك
ابن عبد العزيز وقد تقدمت ترجمته وهو دليل قول عايشة رضي الله عنها
قيل كيف يكون الاسرا يقظة دليل قول عايشة ما فقدت جسده الشريف
الدال على انه منام لا يقظة وهذا عجيب اذ ذكر في المذهبين وجعل ما يبطله
دليلا عليه كما سياتي فهذا سهو منه بلا ريبة اقول لا شك انه وارد وان
كلامه لا يخلو من اشكال الا ان يقال انه سقط منه شي واصله وهو دليل على عدم صحة
قول عايشة وانه لم يثبت نقله عنها او قد يقال مراده انه دليل على
قول عايشة قولا موافقا لما عليه اكثر الصحابة وانها قايلة بانه يقظة
كالجمهور كما سياتي في كلامه فالمراد ابطال ما نقلوه عنها وهذا وان كان
مخالفا للظاهر لكنه اسهل من تغليط المصنف وهو الانسب بقوله وهو قول
محمد بن جرير الطبري المتقدم ترجمته واحمد بن حنبل وجماعة عظيمة
اي كثيرة والعظمة تطلق بمعنى الكثرة كثيرا وان كان المعروف خلافه او المراد
الهوا بمعنى مقدارهم جليل من المسلمين وهذا هو قول اكثر المتاخرين من
الفقها والمحدثين والمتكلمين والمفسرين فعلى كثرة نقلته وشهرة الاخبار الصحيحة

دبحي

به لايناسب مخالفة ام المؤمنين رضي الله عنها فيه وقالت طايفة هذا هو القول
الثالث كان الاسرا بالجسد يقظة من المسجد الحرام الى بيت المقدس فقط ومنه
الى السما بالروح يعني مناما ولا يخفى بعده اذ لم ينقل انه صلى الله عليه وسلم
نام ثمة وهذه الحالة لا تناسب المزمزمة وقوله واحتجوا بقوله سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى بيت المقدس وفي نسخة الى المسجد
الاقصى وهي الموافقة للنظم الشريف وهي اصح عندي واعلم انهم فسروا
العروج الروحاني بالمنام وليس بمتعين لانها قد تفارق البدن بدونه
وهذا مما اتفق عليه الحكما واهل التصوف وليس هذا محل تحقيقه
فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسرا تفصيل وتفسير للاحتجاج لانه
لما جعله غاية اقتضى انه لم يتجاوزه الى السما ببدنه الشريف ولا حجة
فيه لان كونه غاية لمسيره في الارض لا ينافي صعوده لما يحاذيه في جهة
العلو وما قيل من انه انما يتم اذا كان الاسرا مرة واحدة وعلى تقديره
يكون غاية لركوبه البراق ثم عرج به الى السما والحكمة في عدم ذكره
لها ثبوته بالسنة دون الكتاب وهو ابلغ في المدح انتهى ليس بشي ولو
قيل انه هو الذي الكروه وانه اكتفا باقل ما تثبت به معجزته واقتصار
على ما تفهمه عقولهم القاصرة كان اظهر ونحوه قول ابن المنير في المتو
ورد الاحتجاج بان الحكمة في تخصيص المسجد الاقصى ان يسال قريش
على سبيل الامتحان عن الاعلام التي عرفوها والصفات التي شاهدوها
في بيت المقدس وقد علموا ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسافر
اليها قط فيجيبهم بما عاين ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة
عليهم وكذلك وقع ولم يسالوه صلى الله عليه وسلم عما راى في السما
اذ لا علم لهم بذلك انتهى والاقصى بمعنى الابعد لانه ابعد مسجد في الارض
واخر محل عبد الله فيه حق وقوله الذي وقع التعجب فيه تمييز
فيه للاسراء اي وقع التعجب في شانه لقطع مسافة طويلة في بعض
ليلة والتعجب يفيده قوله سبحان لانه مصدر منصوب على المصدرية
ومعناه تنزيه الله عما لا يليق بعظمته ثم شاع استعماله في التعجب
ووجهه مذكور في الكشاف وشروحه والتعجب من المعجزات
لكونها خارقة للعادة وهو من الله تعجيب لما تعجب منه وقد
ورد استعماله في حق الله وورد في الحديث كقوله صلى الله عليه
وسلم عجب ربنا من كذا او هو من البشر لاستحالة ما تعجبوا منه
واستبعاده واشار الى المراد من تعجب الله فقال تعظيم القدرة منصوب
لانه مفعول له اي لتعظيم قدرة الله الباهرة المؤثرة على وفق
الارادة وفي نسخة بتعظيم بالبا الجارة والتمدح بتشريف النبي
محمد صلى الله عليه وسلم به اي بالاسرا والجار متعلق بتشريف
ويجوز رفعهما بوقع اي وقع فيه تعظيم القدرة والتمدح وكذا

ابن المنير

قوله

قوله واظهار الكرامة له صلى الله عليه وسلم بالاسرا اليه اي الى المسجد الاقصى وهو من
تمنع الظاهر موضح المضمر اعتنا به لانه من اجل كراماته واعظم معجزاته قال هؤلاء
الذاهبون الى ان الاسرا بجسده صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى وهم ارباب
المذهب الثالث ولو كان الاسرا بجسده الى مكان ارفع زايد على المسجد الاقصى لذكره
الله في القران حين قص قصة الاسرا فيكون ذكره فيه ابلغ في المدح من عدم ذكره
ثم اختلفت هذه الفرق الثانية والثالثة في انه صلى الله عليه وسلم هل صلى
ببيت المقدس حين اسري به ام لا فقيل صلى به وام معادلة لهل وهو من نوادر
العربية سمع ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه هل تزوجت
امرا ثيبا وان انكره بعض النحاة ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته صلى الله عليه
وسلم بالانبيا فيه اي في بيت المقدس وسياتي رواية اخرى انه صلى بهم في السما
وفي رواية انه لم يصل بهم فيه كما اشار اليها بقوله وانكر ذلك اي صلاته بالانبيا
عليهم الصلاة والسلام فيه حذيفة بن اليمان وقال كما رواه احمد بن حنبل رحمه
الله والله ما زالا اي جبريل والنبي صلى الله عليهما وسلم وزاد هنا تاما اي كرتبة
لم يفصلا ويتزلا عن ظهر البراق حتى رجعا الى الارض وكان جبريل عليه الصلاة
والسلام راكبا معه صلى الله عليه وسلم ويروى انه كان ماشيا قال القاضي ابو
الفضل المؤلف عياض رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح رواية ان شا الله
بيده بالمشية مع انه امر وقع وانقطع تبركا وتادبا وللاشارة الى احتمال التعدد
فكل رواية لا تنافي الاخرى فلا ينافي قوله ان شا الله كونه حقا صحيحا كما قد يتوهم
وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شا الله بكم لاحقون انه اسرا بالجسد
والروح فقط منا ما او يقظة في القصة كلها اي في قصة الاسرا الى المسجد الاقصى
والسموات وعليه تدل اي مما يدل عليه نقلا نص القران وهو الاية الدالة
على ذلك صريحا وصحيح الاخبار المشهورة المستفيضة الدالة على عروجه صلى
الله عليه وسلم الى السما والاحاديث الاحاد الدالة على دخوله الجنة ووصوله
الى العرش اوطرف العالم كما سياتي وكل ذلك بجسده يقظة والاعتبار بالرفع
معطوف على ما قبله كما صححه البرهان والمراد به التتبع لاقوال السلف او
دقيق الفكر والتامل في الاحاديث المروية والقصة يعني انه يدل على ذلك
العقل والنقل ولا يعدل بالبنا للمجهول من العدول اي لا يخالف احد ويرجع
ويميل عن الظاهر الذي يقتضيه العقل والنقل والحقيقة المتبادرة من
لفظ الحديث الصحيح وليس عطفا تفسيريا كما قيل الى التاويل متعلق بيعدل
اي لا يصرف عن ظاهره ويأول النصوص الواردة فيه الا عند الاستحالة اي الا اذا
كان ظاهره مستحيلا عقلا وشرعا حتى يتعذر حمله على حقيقته وليس ما نحن فيه
كذلك وليس في الاسرا بجسده حال يقظته استحالة يقتضي العدول عن
الظاهر والتاويل وما قيل من ان ما ذكره غير مسلم لانه يكفي في المصير الى التاويل
قيام المعارض للظاهر من الروايات التي اوردها المخالف الذاهب الى انه منام
لا يقظة مردود بان هذه الرواية عنده اصح واقوى لتعدد من رواها وذهب

لابالروح صح

عوضي

ابن اقبرس

الينا من كبار الصحابة وكثير ثم جدا كما قيل به فان قيل بالتعدد كما تقدم لم يكن معارضة
ايضا فقد مر تحقيقه الاستحالة المذكورة اي عدة الاسرا محالا اصدر من كفار قريش
ومن بعض ضعفاء المسلمين اذ توهموا ان قطع مثل هذه المسافة ذهابا وايابا في بعض
ليلة محال لانها بعيدة بحيث تقطع في ايام كثيرة ومن بعض ارباب علم الهيئة الذين قالوا
ان الافلاك لا فرجة فيها ولا تقبل الخرق والالتئام وكلاهما خطا عقلا ونقلا
الا ترى نقل عرش بلقيس في مسافة البعد من هذه في طرفة العين وغيره ككثير مما
هو ماثور مشهور وقد نطقت النصوص بان السماء لها ابواب تفتح وتغلق فلا
عبرة باوهام الفلاسفة وقال البيضاوي تبعا للامام الرازي الاستحالة
مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة
الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل لموضع طرفها الاعلى في اقل
من ثانية والاجسام كلها متساوية في قبول الاعراض والله قادر على كل الممكنات
فيقدر على ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما
حمله والتعجب من لوازم المعجزات انتهى وقد اورد عليه اعتراضات بسطناها مع
جوابها في حواشينا عليه واعلم ان كلامه مبني على ان الحقيقة تقدم مطلقا وعند
الشافعي بتقدم المجاز الغالب عليها ثم ان التعجب والعجب اذا اسند الى الله فهو
مأول وكذا صيغة التعجب وفي الحديث عجب ربكم من شاب ليس له صبوة قال
ابن فورك في كتاب الكشف قد ورد مثله في احاديث كثيرة والعجب والتعجب
اصله ان يفجأ امر لم يعلم من فاجاه فيتبين عظمه وهذا لا يليق بالله عز
وجل فالمراد لازمه يعني انه خلقه عظيما عجيبا يتعجب من خلقه او المراد الرضى
والقبول لان من اعجبه شيء رضيه وقبله فلا يتعجب مما يكره غالبا فاذا اراد
تعظيم شيء اخبر عنه بما يقتضي تعظيمه الى آخر ما فصله وسبحان كثر استعماله
في ذلك وقوله اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده تعليل لنفي
كونه يقظة ولعدم الاستحالة وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما
لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به
ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اي وقعوا في فتنة اي بلية عظيمة توقعهم في
العذاب لردتهم وتكذيبهم له وانكارهم لما اخبر به صلى الله عليه وسلم
مما هو خارق للعادة وهو قد اخبر به لانه معجزة تحداهم بها اذ مثل هذا من
المنامات لا ينكر تعليل لعدم الاستبعاد والتكذيب فان قلت هذا يقتضي
ان رؤية الله في المنام جائزة بلا خلاف وقد قالوا انه اختلف فيها قلت
قال الامام الغزالي ان الخلاف فيها غير معتد به وان المرئي مثاله وفرق بين
المثال والمثل وقد افرده برسالة فان اردت تحقيقه فراجعها بل لم يكن
منهم ذلك المذكور من الاستبعاد والتكذيب والارتداد والافتتان الا
وقد علموا ان خبره انما كان عن اسرائه بجسمه وحال يقظته اخذا مما قاله
لهم وانما كون رؤيا الانبياء وحي وحق فهذا انما يعرفه من صدقه وصدق
خبره فما قيل من انه ممنوع لان رؤياهم حق ولذا قال تعالى لابراهيم

ابن الفرس

عليه

عليه الصلاة والسلام فقد صدقت الرؤيا واذا كانت رؤياهم كذلك استغام كونها معجزة
له وبتعلق الانكار بانه رؤياهم حتى كلام في غاية السقوط الي ما ذكر في الحديث المتقدم
وذكر مبني للمجهول ويصح بناؤه للفاعل ايضا والي بمعني مع كقوله ولا تاكلوا
اموالهم الي اموالكم وللغاية بتقدير من البيت المقدس الي المذكور في الحديث نوبته
الغامر وقوله من ذكر صلاته ببيت المقدس بيان لما وبيت المقدس هو مسجد ايليا
ومعني ايليا بالسريانية وهي لغة ادم عليه الصلاة والسلام بيت الله في رواية
ابن او في السما علي ما روي وغيره كما تقدم بيانه وذكر مجي جبريل له صلي الله عليه
وسلم بالبراق وخبر المعراج بكسر الميم اسم آلة للعروج وهو الصعود بجهة العلو
السلم وقد تقدم بيانه واستفتاح السما اي طلب فتحها له صلي الله عليه وسلم من
جبريل فيقال من انت اي تقول ملايكة السما لجبريل من انت فيقول جبريل فيقال
له ومن معك فيقول محمد وللغاية المنير لمحمد صلي الله عليه وسلم الانبيا فيها اي
السما وخبرهم معه بما وقع له معهم من المكالمة وترحيبهم به اي قولهم له صلي
الله عليه وسلم مرحبا بالاخ الصالح او الابن الصالح كما مر وهو تفعيل من الرحب
بضم الرا المهملة وفتحها ومعناه السعة اي صادفت مكانا رحبا واسعة وهو
كناية عن وجوده فيه ما يسره ويكرمه وشانه في فرض الصلاة خمسين عليه وعلي
امته ثم تخفيفها وهو مجرور معطوف علي مجي والشان الامر العظيم الذي جري
له في ذلك ومراجعته موسي اي رجوعه في المنتها وره في ذلك كما مر وفي تفصيل
هذه الاخبار والحديث الذي رواه الشيخان عن انس رضي الله عنه فاخذ بعني
جبريل بيدي اي مسك يده ليصعد معه فعرج بي الي السما اي صعد وانا معه
الي قوله ثم عرج بي بالبنا للفاعل او المفعول وعرج كقعد عرجا ومعرجا ارتقي
قال في القاموس اذا كان خلقة فعرج كفرح او يثلث في غير الخلقة وهو اعرج
بين العرج انتهي ولبعض الادبا في اعرج من رسالة

قامت العصا بيده مقام رجله ۞ وقلت اعواد الاغصان من اجله
نعج الي الارض لا الي السما ۞ وغرس العود بكفه ولكن ما اورق ولا نما
وحمل العصا هو العذاب الاليم ۞ وما افلح من لا زمها بعد موسي الكليم

انتهي حتي ظهرت اي صعدت وعلوت وهو كناية لانه يلزم من العلو علي مكان
عال اي يظهر ويشاهد من هو به بمستوي اسمع فيه صريف الاقلام المستوي
بفتح الميم اوله مقصور اسم مكان وقد تقدم الكلام عليه وان الصريف والصرير
بمعني وهو الصوت الذي يسمع من الاجرام الجامدة اذا حركت وان المراد
بالاقلام اقلام الملايكة عليهم الصلاة والسلام التي تكتب ما قدره الله
وهناك وقع فرض الصلاة او هو قلم واحد لله جمع تعظيما ولكثرة مكتوبه
وهو العلم المقارن للوح المحفوظ كما قيل وانه وصل الي سدرة المنتهي
وراي ما غشيها من الالوان وغيره كما تقدم وانه دخل الجنة وراي فيها
ما ذكره من جنابذ اللولو وترابها المسك الي اخر ما ذكره قال ابن عباس
رضي الله عنهما فيما صح عنه من رواية البخاري هي رؤيا عين راها النبي

عرضي

صلى الله عليه وسلم لان ذلك منام ولا ينافيه ما روي عن عايشة وغيرها كما قيل لصحة
هذا او كثرة طرقه وشهادة ظاهر النصوص له كما مر ولا وجه لما قيل ايضا ان رواية رؤيا
نايم كما لا يخفى وروى ابن اسحاق وابن جرير مرسلا عن الحسن البصري فيه بينا انا نايم
وفي نسخ جالس في الحجر بكسر الحا المهملة وسكون الجيم ونقل التلمساني عن بعضهم انه
يقال بفتح الحا المهملة وفي القاموس ان الاول معناه وما حواه الحطيم المدار بالكعبة
من جانب الشمال وديار ثمود والانثى من الخيل وبالفتح الحجر اقول ما قاله وان سبقه
اليه غيره ليس بصواب فانه ورد في الحديث وصححه بعض اهل اللغة كالقزويني في
مثلثاته واليه ذهب شيخنا المقدسي في حواشيه والحجر معروف بجنب البيت الشريف
كنصف دايرة على جدار قصير وهو من البيت وقيل الذي منه مقدار ستة اذرع او
سبعة كما افاده البرهان جاني جبريل فهمزني بعقبه همزه كضربه وما وقع في
بعض النسخ لهزني من تحريف النساخ اي مسني بشدة لينبهني والهمز والنغز
بمعنى وفي العين همزته غمزته والهمزة في الحروف لانها تهمز فتنهمز عن
مخرجها انتهى وهو يدل على الفصيحة لغة فلا وجه لما في بعض شروح الكتاب
من انه لم يسمع وانما اسمها الف وعقبه بفتح العين المهملة وكسر القاف ثم الموحدة
موخر الرجل وهذا يدل على انه تمثل له صلى الله عليه وسلم بصورة رجل حين همزه
والعقب لجبريل عليه الصلاة والسلام وليس فيه سوء ادب ممن لم يقصد التنقيص
كما قيل فقمت اي انتبهت من منامي بدليل قوله فجلست والقيام بهذا المعنى كثير
فلم ار شيا فعدت لمضجعي اي رجعت لما كنت عليه من هيئة النايم فالمضجع مصدر
ميمي او اسم مكان ذكره ذلك ثلاثا وانما ذكره ثلاثا لانه وقع الهمز ثلاث مرات فقال
في المرة الثالثة فاخذ بعضدي بالاضافة الى يا المتكلم المخففة والعضد ما فوق
المرفق فخرج بي الى باب المسجد اي اخرجه اليه تادبا منه اذ لم يدخل ما هو على صورة
دابة لفنا بيت الله وقيل الله اعلم بصحة هذا لنزاهة جبريل عن ان يفعل به
صلى الله عليه وسلم ذلك وفيه نظر فاذا بدابة وذكر خبر البراق المتقدم في
شكله وهيئته وسرعته وهذا رواه ابن اسحاق وابن جرير والطبراني وعن
ام هاني بهمزة في اخره وتبدل يا واختلف في اسمها فقيل فاختة وقيل عاتكة
وقيل حمامة وقيل فاطمة وقيل رملة وهي بنت ابي طالب صحابية عظيمة
المقدار اخرج لها اصحاب الكتب الستة وكانت اسلمت يوم الفتح وهرب زوجها
هبيرة المخزومي فمات بنجران كافرا وخطبها النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذرت
بانها مصيبة اي ذات اولاد ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو
في بيتي وهو مخالف لما مر انه كان بالحجر او غيره فان قيل بتعدد الاسرا فلا
اشكال تلك الليلة التي اسري به فيها من بيتها صلى العشا الاخرة والعشا
الاولى المغرب ونام بيننا اي بين اهل بيتها او اولادها وفي رواية ونام ثيا
بشين معجمة اي نام قليلا من الليل فلما كان قبيل الفجر بتصغير قبل تصغير
تقريب وتقليل اهبنا بالهمز اوله وتشديد الموحدة اي ايقظنا يقال اهبه
اذا استيقظ واهبه ايقظه من منامه ونبهه منه فلما صلى الصبح اي صلاة

رد على ابن الفرس

دبحي

الصبح وصلينا معه قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشا الاخرة كما رايت بكسر التاء اي
كما شاهدته بصلاتي لها بهذا الوادي اي بمكة وهي واحد لا حاطة الجبال بها او اختفا ضعفا
بينهما قالوا وهذا مشكل من وجوه لانها انما اسلمت عام الفتح كما مر فكيف تكون
صلت معه العشا ولذا اشار المص لتضعيف هذا في الفصل الذي يليه وايضا العرب
لا تسمي عشا الغداة وشرعا وقد نهى العشا آن للعرب والعشا تغليب وما قيل من انه تلمساني
صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الاسرا قبل طلوع الشمس وغروبها وان المراد
بقولها صلينا هيانا له ما يحتاج اليه في صلاته كلام لا يجدي لانه في غاية الخفا او هو
مدرج من كلام غيرها ثم كون العرب لا يسمى عشا اولى غير متجه لانه ورد
في الحديث تسميتها عشا اولى والمراد بالعشا اول الليل وكون ما ورد تغليبا دلجي
غير مسلم فان الاصل هو الحقيقة اقول الذي يظهر لي في التوفيق بين الروايات
والجواب عما ذكر ان لم نقل بتكرر الاسرا مرارا ان عليه الامر ظاهرا انه صلى الله
عليه وسلم كان ببيت ام هانئ ثم خرج الى الحرم للصلاة فغشيه نوم ثم استيقظ
وعرج به واما قول ام هانئ رضي الله عنها وصلينا فيه مع اشكاله المذكور بانها
بنت ابي طالب وابو طالب وآله كانوا محبين له صلى الله عليه وسلم معتقدين
صدقه ولم يظهر وان لكن لغيره جاهلية وحكمة خفية ولذا اسلم علي كرم الله
وجهه في صباه وكان معه صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك ابو طالب في شعره
المشهور في السير فلما خرج صلى الله عليه وسلم من بيتها تلك الليلة
وصلى بالحرم ومعه علي فلا شك انه كان يصلي قبل الاسرا بالغداة والعشي
صلاة غير الخمس المفروضة فقولها صلينا كقولهم بنو فلان قتلوا قتيلا
والقاتل واحد منهم لان الفعل المرضي لجماعة اذا وقع من احدهم ينسب
للجميع وهو مجاز بليغ مشهور اي صلى معه بعض اهلنا وهو علي رضي الله عنه
او يقال انها كانت مسلمة سرا كما نقل مثله عن العباس رضي الله عنه فاندفاع
الايراد الذي ظنوه غير مندفع ظاهر فلا حاجة لما قيل الصلاة هنا لغوية بمعنى موضع
الدعا ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون
وتشاهدون والغداة والغدوة بمعنى وهو اول النهار وهو منصوب مضاف
اي صلاة الغداة وهي صلاة الصبح وهذا المذكور برهان ودليل بين بتشديد
اليا المكسورة اي ظاهر واضح في انه اي الاسرا بجسمه وروحه لا بروحه فقط
كما قيل وقيل انما البين فيه قوله ثم نام وفيه نظر وعن شداد بن اوس
ابن ثابت بن المنذر بن حرام ابو يعلى الانصاري الصحابي نزيل بيت المقدس وليس
له بدريا كما توهم وقد اخرج له الايمة الستة واحمد في مسنده وهذا
الحديث ليس فيهما وانما رواه البيهقي وابن مردويه وتوفي سنة ثمان وخمسين
ودفن بفلسطين وهو ابن اخي حسان بن ثابت كما مر في ترجمته عن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه افضل الصحابة وفي اكثر النسخ عن ابي بكر من رواية
شداد بن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به
في هذا مما لا يخفى اذ لا يصح مع قوله طلبتك البارحة وهي الليلة الماضية

قيل ليلتك ومنه المثل ما اشبه الليلة بالبارحة فهو بتقدير بعد ليلة اسري به
ومعنى طلبتك اي تفقدت جسدك في مضجعك فلم اجدك فيه او فيه تقديم
والتفات اي طلبتك البارحة ليلة اسري بك وهذا كالمخالف الظاهر ولم ينبهوا
عليه فاجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان جبريل حملني وفي نسخة
حمله الى المسجد الاقصى وان بكسر الهمزة او مفتوحة والتقدير بان الخ قيل هذا
يحتمل انه كان ببيت عائشة رضي الله عنها لدليل السياق لكنه معارض بقول
عائشة المتقدم وقوله حملني جبريل مخالف لكونه على البراق الا ان يقال
لكونه سببا له اسند اليه مجازا وفيه نظر وهذا دليل على انه كان يقظة بجسده
ايضا وعن عمر رضي الله عنه كما رواه ابن مردويه من طرق قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد الاقصى ثم
دخلت الصخرة اي دخلت المسجد الذي تحت الصخرة المعروف الان بمسجد داود
عليه الصلاة والسلام ففيه مضاف مقدر اي تحت فاذا بملك قائم لم يسمه
معه انية ثلاث وذكر الحديث اي ساقه الى اخره واذا هنا فجائية اي فاجاني
بغتة لقاؤه والانية بالمد جمع اناء كوعاء وزنا ومعنى واواني جمع الجمع
وليس مفردا كما يتوهمه العامة كما مر ولذا وصفه بانه ثلاث فهو صفة
او بدل منه وقيل خبر هي مقدرة وكان الظاهر ان يقال ثلاثة لان مفرده
مذكر فكانه اوله بكاس ونحوه يعني انا من خمر وانا من لبن وانا من ما واناء
خير فيه فاختار اللبن وقيل له اخترت الفطرة ولو اخترت الخمر غوت
امتك وهذا تمام الحديث وقد تقدم واعترض عليه بانه يحتمل لكونه
مناما ولا مانع في هذه الرواية اصلا فقوله وهذه التصريحات ظاهرة
في انه كان يقظة غير مستحيلة شرعا وعقلا حتى يقتضي استحالتها التاويل فتحمل
على ظاهرها ولا يعدل الى التاويل مع عدم الحاجة اليه يؤيد ذلك وعن
ابي ذر الصحابي الغفاري رضي الله عنه في حديث رواه الشيخان عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال فرج مبني للمجهول مخفف الراء ونايب فاعله
سقف بيتي وفي نسخة عن سقف بيتي والمعنى كشف من السقف حايث
حتى انفتحت منه فرجة ولم يبق حائل بينه وبين السما وانا مقيم بمكة
قبل الهجرة وهذا مع قوله بينا انا بالحجر والحطيم وقول ام هاني
السابقة ما اسري به صلى الله عليه وسلم الا وهو ببيتي بينهما من المخالفة
ما لا يخفى فان قيل بالتعدد فلا منافاة بين الروايات ولا يكفي هنا كون
اضافة البيت له لانه ساكن فيه ولام هاني لكونه ملكها وقد تقدم قول
ابن المنير ان فرج السقف وعدم اتيانه بيته من بابه انه مبالغة في المفاجاة
وتنبيه على ان دعوته صلى الله عليه وسلم وكرامته كانت على غير ميعاد
وكان هذا عادة الخلفا العباسيين قلت وليدل على ان هذا الامر الهي
وكرامته بشر ولا نفر ولو اتى من الباب لتوهم انه احد من اعدائه
الذي هو بين اظهرهم فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فشرح

صدري وفي رواية ففرج صدري اي شقه وهي انسب بفرج البيت ثم غسله بماء زمزم
الى اخر القصة لانه افضل المياه حتى الكوثر في قول ولانه صلى الله عليه وسلم الفه
صغيرا وكبيرا وشرح الصدر لا ينافي شق القلب لانه مقدم عليه ولا حاجة الى القول
بانه تجوز عن القلب بالصدر لعلاقة المجاورة وقد تقدم انه شق قلبه صلى الله عليه
صلى الله عليه وسلم وهو صغير عند ظئره حليمة رضي الله عنها فهذه مرة ثانية فالاولى
ليطهره من الكدورات البشرية وهذه ليرشحه للرسالة والنبوة وهذه ليقوى على العروج
ومشاهدة عجايب الملكوت فهو وقع مكررا وفي مرة غسل بماء زمزم وفي اخرى بماء ثلج
ليثلج صدره ويتم سروره فلا تعارض بين الروايات قال ابن المنير ولما لم يقع هذا التكليم
عليه الصلاة والسلام لم يطلق في الدنيا الرؤيا ولم يذكر هنا انه كان معه ملكان
بل ثبت وما كما مر روايته ووضع عليه خاتم النبوة وسيذكره ثم اخذ بيدي فعرج بي
بالبنا للفاعل او المفعول كما مر وشرح صدره كان يتعدد ولجبريل عليه الصلاة
والسلام اليه والتعقيب بالفاء عرفي نسبي فلا ينافي قوله وعن انس اوتيت بالبنا
للمجهول لا للفاعل كما توهم فانطلق بي مجهولا ايضا وفي نسخة فانطلقوا بي بصيغة
الجمع لانه مع جبريل ملكان اخران معهما طست الذهب كما مر ولا منافاة بين الروايات
كما يتوهمه من لا بصيرة له الى زمزم فشرح عن صدري اي شق صدره وقلبه
ووضع فيه نور النور ليقوى على العروج ومشاهدة الملكوت وعجايبه وروى
مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عبد الرحمن بن صخر عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال لقد رايتني جواب قسم مقدر للتاكيد بالمثناة الفوقية المضمومة
وراي علمية اوبصرية في الحجر تقدم ضبطه وما يتعلق به وقريش تسالني عن
مسراي جملة حالية والمسرى مصدر ميمي واسم مكان اي سالته كفار قريش
عن علامات تعدد ما كذبوه تخفيفا لما زعموه فسالتني قريش وتانيثه باعتبار
القبيلة عن اشيا من بيت المقدس واما راتبه لم اثبتها اي لم اكن اثبت صورة
في ذهني وفكري لاشتغاله بما هو اهم منها من معاينة ما وقع له ثمة من
صلاته مع الانبيا وتهيؤه للعروج فسقط ما قيل من ان هذا يدل على انه كان مناما
لان النايم اقل ضبطا لما يراه في منامه من المستيقظ ورؤياه صلى الله عليه وسلم
حق وان نامت عيناه لا ينام قلبه فكربت كربا ما كربت مثله قط بضم الكاف من
الماضي المجهول والكرب الغم والحزن الشديد مع القلق والاضطراب قال الراغب
اصله من كرب الارض وهو قلبها بالحفر والحرث فالغم مثير النفس كاثارة ذلك
وفي المثل الكراب على البقر وليس ذلك من قولهم الكلاب على البقر بشي فرفعه
الله لي انظر اليه اي رفع الله له صلى الله عليه وسلم بيت المقدس حتى ينظر اليه
ويثبت ما فيه ويخبرهم به على حقيقته فجملة انظر اليه حالية او مستانفة
ونحوه عن جابر رضي الله عنه وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث
الاسرا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم رجعت من مسراي الى خديجة ام المومنين رضي الله عنها وما تحولت اي والحال
ان خديجة رضي الله عنها ما تحولت وتحركت عن جانبها التي كانت عليه حين فارقها

دحج

نفا

النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يقتضي انه كان في بيت خديجة وقد تقدم انه كان في
بيت ام هاني رضي الله عنها وان في رواية انه كان في الحجر وفي اخرى في الحطيم وهو
الحجر الذي يلي الميزاب الذي هو قبلة اهل المغرب وقيل الحطيم ما بين المقام الى الباب
ويروى عن مالك وعن ابن جريج هو ما بين الركن والمقام عند زمزم وقيل والصحيح تلمساني
انه ما بين الركن الاسود الى الباب

**فصل** في ابطال الحجج من

قال انها نوم لا يقظة وان الاسرا لم يكن مرارا اربعة كما ارتضاه ابو شامة
رحمه الله وتانيث ضميرها لان الرؤيا مونث سماعي لا باعتبار انها رؤيا منام دلجي
كما قيل احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس فسماها
رؤيا وهذا مبني على ان راى مشترك فيكون بمعنى ابصر يقظة ومصدرها
رؤية وهنا ما ومصدرها رؤيا وراى بمعنى علم وحكم ومصدرها لاجير الراي وهذا
هو المشهور وقد رده السهيلي في الروض الانف وقال الرؤيا مشتركة ايضا
بين البصرية والحلمية واورد له شواهد من كلام العرب وقد مر جميع ذلك وقيل
الرؤيا اذا كانت بصرية تختص بما يرى ليلا قلنا جوابا عما احتجوا به قوله
تعالى سبحان الذي اسرى بعبده بروحه لانه لا يقال في النوم اسرى اذ الاسرا
كما مر هو السير ليلا وهذا انما يكون يقظة لا سيما وقد ذكر في الحديث ما
يستلزمه لزوما بينا من صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبيا عليهم الصلاة والسلام
واستصعاب البراق عليه وغير ذلك مما تقدم واحتمال ان يكون معناه انه راى
في منامه انه اسرى به بعيد جدا ولذا احتمله اهلا لما قالوه لانه في قوة الخطا انما
قيل ان الاولى ان يقول بجسده ما ذكر ليس بشي يعول عليه وقوله فتنة ابن اقبرس
للناس اي بلية ومحنة لجراتهم على تكذيبه صلى الله عليه وسلم ورده بعضهم
يؤيد انها رؤيا عين باصرة يقظة واسرا بشخص اي سير بجسده حقيقة
يقظة لا تخيلا نوما كما قيل اذ ليس في الحلم بضمتين او ضم فسكون وهو
ما يراه النايم واصل معناه العقل يقال حلم في نومه يحلم حلما وحلما وقيل
حلم بضم ثم فتح كرفع قاله الراغب فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى
مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة اقطار جمع
قطر وهو الجانب والمتباين البعيد ومن بيان لذلك او لمثل اي يرى في مدة
قليلة انه وصل لاماكن بعيدة ولا ينكر عليه احد من العقلا ثم اشار الى رد
دليلهم بوجه اخر فقال على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية التي استدلوا
بها وعلى بمعنى مع هنا والعلاوة ضم امر لاخر كقوله على ان قرب الدار خير من
البعد والمراد بالاية وما جعلنا الرؤيا الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت في
قضية الحديبية القضية بالضاد المعجمة واحدة القضايا على الاصح لما
سياتي وروي قصة بالصاد المهملة والحديبية مصغرة بحاء ودال مهملتين
وياء تحتية ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء مخففة وهاء تانيث وتشديد
ياءه ايضا وعليه اكثر المحدثين وبعض اهل اللغة في صحيحه رواية ودراية
فلا وجه لمنعه وسميت بها الشجرة حدبا وقع تحتها بيعة الرضوان ثم صار اسما

لئن تفارق به على مرحلة من مكة عند مسجد الشجرة وهل هي من الحل او من الحرم او بعضها
من الحل وبعضها من الحرم اقوال ذهب الى كل منها بعض العلما وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقام بالمدينة منصرفه من غزوة بني المصطلق في شوال وخرج في ذي
القعدة معتمرا ومعه من الانصار والمهاجرين نحو الف وخمسماية وساق الهدي معه
وهو محرم ليعلموا انه لم يخرج لحرب فلما بلغ قريشا ذلك خرج منهم جمع صادين له
صلى الله عليه وسلم عن دخول مكة وانه ان قاتلهم قاتلوه وخرج مع الكفار خالد بن
الوليد رضي الله عنه الى كراع الغميم فلما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الحديبية بركت ناقته فقال حبسها حابس الفيل والله لا تدعونا قريش لخطة
فيها صلة رحم الا اعطيتهم اياها ولم يكن ثمة ما فغرز سهما له في بير ففار ماوها
حتى كفى الجيش ثم جاءت السفرا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والكفار وتنازعوا
حتى جاء سهيل بن عمرو العامري وقاضاه على ان ينصرف وياتي في العام القابل
وان يكون بينهم صلح عشرة اعوام يامن بعضهم بعضا على ان من اتاه مسلما منهم
رده لهم ومن اتاهم لم يردوه فعظم ذلك على المسلمين ووقع ما وقع ولذا
سمي عام القضية قال ابن عبد السلام في قواعده فان قيل لم التزم صلى الله عليه
وسلم الصلح وما شرطوه مع ما فيه من ادخال الضيم على المسلمين والدنية في الدين
قلنا وقع ذلك دفعا لمفاسد عظيمة وهي قتل المومنين والمومنات الذين كانوا
خاملين بمكة لا يعرفهم اهل الحديبية وفي قتلهم معرة عظيمة على المومنين
فاقتضت المصلحة ايقاع الصلح على ما ارادوه وهو اهون من قتل اولئك مع
انه علم ان في تاخير القتال مصلحة عظيمة وهي اسلام جماعة من الكفار ولذا
قال تعالى ليدخل الله في رحمته من يشا اي في ملة الاسلام وقال لو تزيلوا
الاية والى هذا اشار بقوله وما وقع في نفوس الناس من ذلك اي من صلح الحديبية
حتى راجعه صلى الله عليه وسلم في ذلك عمر رضي الله عنه مرارا وقال ما قال
واشمازت خواطرهم وقال ابن المنير لم يكن ذلك شكا وريبة ولكن من
فرط الغيرة وقوة الحمية على الحق والغضب لله ورسوله وكان عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم من علمه بالعاقبة الحميدة ما ليس عندهم فلما تبين
لهم ذلك عادوا للرضى والوفاق وقيل في تفسير الاية وسبب نزولها غير
هذا الذي تقدم من ان هذه الرؤية لم تكن عام الحديبية وانما كانت قبيل
بدر وهي التي في قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا الاية واما قولهم
انه قد سماها في الحديث مناما وفي حديث اخر بين النائم واليقظان كذا
كالنعسان جالسا وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت وانا
بالمسجد الحرام فلا حجة فيه للقول بانها رؤيا منام كما مر اذ قد يحتمل
انه اول وصول الملك اليه وهو نائم ثم تنبل قوله في الحديث فهمزني
لعقبه السابق مع ما يضاهيه او اول حمله على البراق والاسرا به
وهو نائم ولا يخفى بعده مع كونه صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا
ينام قلبه وقيل ايضا انه مخالف للظاهر فهو مشترك الالزام وليس في

الحديث انه كان نايما في القصة كلها الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام
فانه يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يستيقظ قبل وصوله اليه وعوده وكون استيقظت
بمعنى اصبحت او استيقظت من نوم آخر تكلف لا حاجة اليه وتأييده بانه لم يستغرق الليل
باسرائه فيكون لسرعة مسيره ويستقيد نام بعده للاستراحة ابعد منه فلذا عبر عنه بقوله
فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت اي دخلت في وقت الصباح لان صيغة الترجي تقتضي صعفه
على عادة المصنفين في التعبير بها او استيقظت من نوم آخر غير ما كان قبله في الحجر او في
بيت ام هاني او غيره بعد وصوله بيته اي البيت الذي كان فيه فالاضافة لادنى ملابسة
فلا ينافي ما قلناه ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه بدليل قوله
تعالى ليلا في الاية كما ذكره المفسرون وقد يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام
وعبر بلعل اشارة لضعفه ايضا لما بكسر اللام وتخفيف الميم احترازا من ما المصدرية
كان بي اي لاجل الذي عرض له مما يدهشه ويستغرق لبه وفكره من عجايب ما طالع
اي شاهد ورأى من ملكوت السموات والارض الذي لم يطلع عليه غيره من البشر
فاستعار لتلك المشاهدة الغمرة وهو ما يغمر من الما ويقطر منه ففيه استعارة
تصريحية تبعية او مكنية وتخييلية او هو تشبيه بليغ كقوله الخيط الابيض من
الخيط الاسود من الفجر على ان من تجريدية بيانية ولما كانت المطالعة بمعنى المشاهدة
بالحواس الظاهرة قدمها واتبعها بقوله وخامر باطنه بالخا المعجمة والف وميم وزا
مهملة بمعنى مازجه وخالطه لا بمعنى ستره ومنه الخمر لستره العقل
وان قيل انها سميت بها لسترها العقل والمراد بباطنه قلبه وحواسه الباطنية من
مشاهدة الملا الاعلا وتعبيره بالمشاهدة يقتضي ما فسرنا به المخامرة وان اشتهرت
بمعنى الستر كما في قول سلمان الفارسي لابي الدردا رضي الله عنهما حين دعاه الى الارض
المقدسة يا اخي ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السما
على ارفه خمر الارض يقع على اي خمر يستر وجه الارض يعني ان وطنه ارفق وانزه
به فلا يفارقه والمراد بالملا الاعلى السموات وما فيها او الملايكة لان الملا الجماعة
الاشراف وما راى من ايات ربه الكبرى العظيمة التي تدهش عظمتها من راها
وما قيل من انه خلاف الظاهر لانه صلى الله عليه وسلم اثبت الرسل قلبا فلا
تعتريه لذلك دهشة ليس بشي لانه لم يرد بها دهشة بمرتبة الذهول وان
كان قوله فلم يستفق يقال افاق واستفاق بمعنى تنبه واستيقظ من نومه
ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام يوهمه اذ المراد به حالة اعترته
انسته عالم الدنيا وكسته حلة ملكية على انه لو سلم كان مؤيدا لما عبر وارد
عليه وليس المراد انه عرض له صلى الله عليه وسلم النوم في رجوعه كما توهم
فانه ينافي قوله ووجه ثالث وهو ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على
مقتضى ظاهر لفظه ومنام مقتضي يجوز فيهما الفتح والكسر والمراد بلفظه قوله
ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام ولكنه سري بجسده وعيناه نايمتان وقلبه
حاضر وان عرض نعس كالنايم منا فهو مساو لليقظان ورويا الانبيا عليهم الصلاة
والسلام حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد قيل عليه ان كون عينه صلى الله

دجي

اي اقدمي

دجي

عليه وسلم

عليه وسلم نايمة مع الاسرا بجسده مع انه خلاف المعتاد لا فايدة فيه وما ذكره المص من
الحكمة الاتية من انه ليلا يشغله شي من المحسوسات عن الله لا يدفع ما ذكر لان الحكم حينيذ
للروح فلا معنى لرفع الجسد وهو حاصل بدونه وقوله تعالى لنريه من اياتنا اياه وقد
استدرك عليه المص بقوله الاتي ولا يصح ان يكون هذا في وقت صلاته الخ والجواب
بانه ليشاهد الملايكة وتفيض عليهم بركاته لا يجدي نفعا وقد مال بعض اصحاب
الاشارات يعني بهم مشايخ الصوفية والمراد بالاشارة ما ياخذونه من الحقايق من النصوص
القرانية وغيرها وهم لا يقصدون بتفسيرهم انه صريح النص كما ذكره العز بن عبد السلام
ومن لا يعرف ذلك يعترض عليهم بما لا وجه له الى نحو من هذا اي الى قريب مما قاله المص
هذا الوجه حيث قال تغميض عينيه ليلا يشغله شي من المحسوسات عن الله قال
الزمخشري في شرح القصيد قولهم جسم حساس لحن كما لحنوا في قولهم محسوسات لان
فعاله لا يبنى من افعل والحق ثبوته وثبوت حس بمعنى احس كما قاله الدماميني في شرح
التسهيل والنووي في شرح مسلم فعلى هذا لا لحن في هذه العبارة ولا يصح ان يكون
هذا المذكور من ان الاسرا بجسده صلى الله عليه وسلم وهو نايم ليوفق بين الروايتين
ان لو نقل بالتعدد في وقت صلاته بالانبيا عليهم الصلاة والسلام لان النايم لا يصلي
ولا تصح صلاته وظاهره انه فيما عداه من امور الاسرا صحيح بلا تردد وايماؤه باه لفظ
الحديث ولا يخفى ان مناجاته ربه ومراجعة موسى عليه الصلاة والسلام كذلك فكان
ينبغي ان يقول والامور الواقعة في حديث الاسرا لا يصح في بعضها ان يكون مناما فان قيل
يجوز ان يكون ذلك في المنام قلنا وكذا يجوز ان يكون راى في منامه انه صلى الله عليه وسلم
هو النبي الا ان يفرق بينهما ولعله كان له صلى الله عليه وسلم في هذا الاسرا حالات
فكان في بعضها نايما غاضا البصر قادرا اوليلا يرى سوى ربه وفي بعضها مستيقظا
وفي بعضها بين النايم واليقظان وبهذا يجمع بين الروايات وقيل ان الحديث
الذي وقع فيه هذا ملفق من احاديث وهذا الوجه قيل انه حدس وتخمين ولو تركه
المص كان احسن لما مر ووجه رابع لتاييد كونه يقظة وتاويل ما يخالفه وهو ان يعبر
بالنوم هاهنا في هذه الرواية عن هيية النايم من الاضطجاع بيان للهيية والاضطجاع
القاء بدنه ممتدا بالارض غير جالس ولا قايم فهو استعارة او مجاز مرسل للزومه
للنوم غالبا فكان على هذه الهيية عند وصول الملك اليه وفي بعض النسخ اذ كثيرا
ما يعبر بالنوم عن الاضطجاع ونحوه لما بينهما من الملابسة وفي بعض الشروح هنا تكرار
لا حاجة اليه ولذا قال انه يتعين كونه مجازا مرسلا وليس بلازم ويقويه اي يقوي
هذا التاويل قوله في رواية عبد بن حميد الامام الحافظ المتقدم ترجمته وعبد
غير مضاف هنا وهو ابو نصر عبد الرحمن الكشي ويقال الكجي بشين او جيم عن
همام بفتح الها وتشديد الميم الاولى ابن يحيى العوذي بفتح العين المهملة وسكون
الواو وذال معجمة وياء نسبة منسوب للعوذ بطن من الازد امام ثقة اخرج
له الستة وتوفي سنة ثلاث وستين ومايه بينا انا نايم وربما قال اي النبي
صلى الله عليه وسلم مضطجع فتعبيره بهذا تارة وبهذا اخرى يشهد لانهما
بمعنى وفي رواية هدبة بضم الها وسكون الدال المهملة والموحدة وتا تانيث

ابن خالد القيسي البصري الحافظ الثقة روى له الشيخان وغيرهما توفي سنة خمس
وثلاثين ومائتين وفي بعض النسخ بدل هدبة معاوية عنه اي عن همام بينا انا في الحطيم
وربما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحجر تقدم الكلام فيه والتوقيف او القايل
هدبة فيكون شكا من الراوي وبه جزم بعضهم وقوله في الرواية الاخرى بين النايم
بين النايم واليقظان يؤيد كون المراد بالنايم المضطجع فيكون سمي هيئته اي هيئة النبي
صلى الله عليه وسلم او هيئة النوم بالنوم لما كانت تلك الهيئة هيئة النايم حقيقة
غالبا اي في الغالب وبما ذكرنا سابقا من ان هذا في اول وصول الملك له سقط ما قيل
من ان هذا ينفيه عنه السمع لان ركوبه صلى الله عليه وسلم البراق وربطه بالحلقة
وصلاته بالانبيا عليهم الصلاة والسلام يابا قوله فاستيقظت وانا بالمسجد
الحرام فما قول ايضا بما مر فلا ينافي هذا فتامله وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادة
من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب اي قربه من النبي صلى الله عليه وسلم الواقعة
في رواية هذا الحديث اي حديث الاسرا انما هي من رواية شريك عن انس رضي الله عنه
وهي منكرة من روايته لا مطلقا والانكار المراد به معناه اللغوي او مصطلح المحدثين
وهو رواية المتغير بسوء حفظه المخالف للثقات وشريك طعن فيه ابن حبان
وغيره وقالوا ليس يثبت اذ شق البطن اي بطنه وصدره صلى الله عليه وسلم في الاحاديث
الصحيحة انما كان في صغره عليه الصلاة والسلام وهو عند مرضعته حليمة كما مر
وقبل النبوة اي قبل ظهورها للناس هذا بيان لوجه انكار هذه الرواية وقد تقدم
عن الامام السهيلي وغيره ان الشق وقع مرتين مرة لتلبيته للنبوة ومرة اخرى
بعد مبعثه ليقوى على المعراج ومشاهدة عجايب الملكوت فلا يرد ما ذكر على هذه
الرواية ليقتضي انها منكرة وقيل انه وقع اربع مرات عند حليمة وبحرا وليلة
الاسرا ومرة اخرى في النوم الا ان ابن حجر قال ان هذه لم تثبت كما تقدم وانه
اي شريك قال في هذا الحديث الذي رواه عن انس رضي الله عنه قبل ان يبعث
والاسرا بالاجماع من المحدثين كان بعد المبعث مصدر ميمي بمعنى البعث
وقد تقدم الكلام فيه فهذا كله يوهن بتشديد الهاء اي يضعف وتخفيفها
لانه يقال وهنه واوهنه فوهن اي ضعف ما في رواية انس هذه التي
رواها شريك عنه مع ان انسا قد بين من غير طريق اي من طرق متعددة لا من
طريق واحد انه انما رواه عن غيره من الصحابة كمالك بن صعصعة وابي ذر
عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو من مرسل الصحابي اذا روي من طرق مقبول
فهذا لا يضعفه وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم بيان لانه سمعه
من غيره فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة
على الشك من مسلم فلعل مستعار من الترجي بجامع عدم الوقوع فيهما وقال
الحاكم هذا ان حديث المعراج عن انس رضي الله عنه وقد سمع بعضه منها مالك بن
صعصعة وبعضه من ابي ذر وبعضه من ابي هريرة وقال انس مرة كان ابو
ذر يحدث اي ينقل حديث الاسرا السابق عنه صلى الله عليه وسلم واما قول
عايشة رضي الله عنها ما فقد جسده صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه

اي انتهى

عنها

منها اسحاق وجرير وتقدم ان فيه رواية ما فقدت بالاسناد لضميرها والاسناد للفاعل وهو
في هذه الرواية مبني للمجهول فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة له صلى الله عليه وسلم لانه
كان بمكة قبل تزوجها او قبل ولادتها كما اشار اليه بقوله لانها لم تكن حينئذ اي في وقت
الاسرا وزمانه زوجة له صلى الله عليه وسلم ولا في سن من يضبط بالتحتية والفوقية اي
لم يكن سنها وعمرها حينئذ سن ضبط واتقان لعدم تمييزها لصغرها فهو مستعار
من الضبط وهو الامساك والحفظ للعلم والتمييز فالرواية عنها ليست مسلة او هي حدثت
به عن غيرها فعلى رواية ما فقد الامر ظاهر وعلى رواية ما فقدت فيه تقدير اي قال
فلان او فلانة ما فقدت الخ وهو في غاية البعد كما قيل ولعلها لم تكن ولدت بالبناء
للمجهول بعد مبني على الضم اي بعد هذه القصة ووقوعها وهي منذ قبل وبعد يستعملا
في التقدم والتاخر المتصل والمنفصل والمراد هنا الاول او المراد زمانه ووقوعه للمجاورة
والتضاد وهو استعمال شايع وحينئذ لا ينبغي ان ينسب لها هذا القول اذ لم يثبت
كما ياتي وكونها حدثت به عن غيرها يأباه سياقه على الخلاف في زمن الاسرا فمتى
كان فان الاسرا كان في اول الاسلام بمكة قبل الهجرة على قول محمد بن مسلم بن شهاب
الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عايشة في وقت الهجرة بنت ثمانية
اعوام فعلى هذا لم تكن ولدت في زمان الاسرا وقد قيل كان الاسرا الخمس قبل الهجرة
هذه اللام توقيتية اي وقت هو سنة خمس كما فسره النحاة في باب العدد وفصل التاريخ
وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه اي القول الاصح الاولى والاحسن انه الخمس لان مثله
يكون كثير الشبه بخلاف النادر الغريب الذي لا نطيل ه والحجة لذلك تطول وليس من غرضنا
اي ليس مقصودنا في هذا الكتاب بسط الادلة والحجج بل الاكتفا بما صح من اوصافه صلى
الله عليه وسلم او المراد ان مقصوده الاختصار وعدم التطويل وتفصيله كما في المقتفي
لابن المنير قال الاقوال فيه كثيرة اصحها عندي قول ابراهيم الحربي انه كان ليلة سبع
وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة وقيل بعد المبعث بخمس سنين وقيل بعده
بخمسة عشر شهرا وقال ابن اسحاق اسري به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام
وفي مسلم عن شريك انه قبل ان يوحى اليه ولا يصح هذا الا بوجه لا يعطي القول بانه منام
كما وقع لعايشة انه كان بالمدينة ورجح القاضي عياض القول بانه قبل الهجرة بخمس
سنين وقول ابن اسحاق انه قبل الهجرة بسنة وضعف هذا بان خديجة صلت معه صلى
الله عليه وسلم وهي ماتت قبل الهجرة بمدة اقل ما قيل فيها ثلاث سنين والصلاة
لم تفرض الا في الاسرا وهو غير وارد لانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الاسرا
صلاة غير الخمس على خلاف فيها والحجة لنا في ترجيحه ان كل قول سواه خرج مخرج
التقدير لا التحديد لانه لم يعين فيه الشهر فضلا عن اليوم وقول الحربي عين فيه
ليلة بعينها من شهر بعينه وسنة بعينها فقال ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر
قبل الهجرة بسنة واذا تعارض خبران احدهما احاط راويه بتفصيل في القصة
زايد فالمفصل احفظ هنا واولى قلبا ممن اجمل وعليه الفقها في كتاب الشهادة
اذا ارخت احدى البينتين واليوم الذي اسري فيه عنده ليلة الاسرا يوم الاثنين
ثاني عشر شهر ربيع الاول واذا كان الثاني عشر من الشهر يوم الاثنين كان اوله الخميس

وقطعًا فاقول دليع اما السبت او الاحد او الاثنين لان بين كل يومين متقابلين من سنتين
متواليتين اما ثلاثة ايام او اربعة او خمسة ولذا تكون الموافقة من كل سنة خامس
يوم من الوقعة التي قبلها او رابعه او سادسة واعدل الاحتمالات الخامس والجمعة
بعقبها الثلاثا والاثنين بعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك
بحسب التمام و النقص الخ ما ذكره وقد قدمناه فاذا لم تشاهد ذلك المذكور من
الاسرا عايشة رضي الله عنها دل عدم مشاهدتها على انها حدثت بذلك عن غيرها
من الصحابة فحديثها من مرسلات الصحابة وهو صحيح ايضا كما عليه المحدثون الا انه
لم يوفق بينه وبين غيره فلم يرجح خبرها على خبر غيرها الظاهر ان يقول فيرجح
خبر غيرها على خبرها لروايتها عن مجهول بل لعدم ثبوته عنها كما سياتي وغيرها
يقول خلافه مما وقع نصا ايضا صريحا فان النص له معان منها هذا اي حديث ام
هاني وفي نسخة من حديث ام هاني بيان لما وغيره كحديث الحذيفة ومالك بن صعصعة
وابي هريرة وقد قيل عليه ان حديث ام هاني المذكور في الفصل الذي قبل هذا
غير صريح فيما ذكر ويدفع بانه ظاهر فيه والعدول عن الظاهر لا وجه له وانما
منصوب على المصدرية مصدر راض بمعنى رجح فليس حديث عايشة اي قولها
ما فقدت جسده بالثابت عنها عند المحدثين لما في متنه من العلة القادحة وفي
سنده محمد بن اسحاق وقد ضعفه مالك وغيره والاحاديث الاخر الواردة في الاسرا
عن غيرها اثبت اكثر ثبوتا واصح من حديثها لسنا نعني اي لا اريد انا وغيري
من المحدثين بقولنا انها اثبت حديث ام هاني وقولها ما اسري به صلى الله عليه
وسلم الا وهو في بيتي وما اي وحديث عن غيرها الحديث عمر رضي الله عنه الذي
ذكرت فيه خديجة رضي الله عنها لانهما لم يردا في الصحيح بل احاديث اخر غيرهما
غير هذين وايضا فقد روي في حديث عايشة ما فقدت باسناد العقل المعلوم
لغيرها كما مر وفي ما فقد بالمجهول المسند لغيرها كما مر ولم يدخل بها النبي
صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة والاسرا كان بمكة وهي صغيرة لبيست عنده
او لم تولد والجملة حالية وهذا يدل على عدم صحته وتاويله بما علمت من هذا
او بكونه حكاية لكلام غيرها في غاية البعد وكل هذا اي ذكر المذكور سابقا
ولاحقا مما سبق وتاخر بوهنه بالتشديد والتخفيف اي بضعفه بل الذي
يدل عليه اي الذي يدل على ما ذكر من عدم صحته عنها صحيح قولها اي ما صح
عنها رضي الله عنها من رواية اخرى انه اي الاسرا بجسده الشريف لانكارها
رؤياه صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الاسرا رؤيا عين فان هذا يدل على انه
اسري بجسده صلى الله عليه وسلم الا انه لم يره به عيانا ولو كانت الرؤيا في الاسرا
عندها مناما لم تنكره لان رؤيا المنام جائزة وانما الكلام في رؤيا العيان والخلاف
فيها فنزاعها في ذلك الاخير يدل على ما ذكر وهذا يدل على ان لها قولا اخر
مرويا عنها مخالفا لما اشتهر وهذا معنى قوله فيما سبق دليل قولها فقد كره
وليس وصف قولها بانه صحيح منافيا لما مر من الطعن في حديثها لان هذا
رواية اخرى لهذا او ما قيل من انه مؤيد لكونه مناما عندها ناشي من عدم

الي اخر ما ذكره

ام هاني

ام هاني

الدبر

البدن فان قيل اي رد كونه يقظة قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى يحمل ما راه للقلب اي
اثبت الرؤية للقلب دون البصر وعلقها به وفيه اشارة الى ان الفؤاد بمعنى القلب وله معاني
اخر وما مقتدر به والجار والمجرور متعلق او مقدر اي مسند للقلب وهذا الحمل المذكور
يدل على انه رؤيا نوم ووحي بالجر عطفا على نوم لا مشاهدة عين وحس بصري والعطف
تفسيري قلنا في الجواب عنه يقابله اي يعارضه فيسقطه عن مرتبة الاحتجاج وسياتي
الاشارة الى انه لا يعارضه ايضا ما زاغ البصر وما طغى زاغ بمعنى مال وطغى تجاوز عن
الرؤية المحققة بل اثبتها ونفيهما فاما ان لا مراء ان الرؤية للبصر ويقابله ايضا
ما قد قال اهل التفسير في تاويله حتى لا يعارضه ويباينه في تفسير قوله ما كذب
الفؤاد ما راى اي معناه لم يوهم القلب العين فهو مفعول الفعل والقلب مرفوع
فاعل يوهم والعين منصوب مفعوله وقوله غير الحقيقة مفعول ثان له لانه
ينصب مفعولين وغير بغين معجمة ومثناة تحتية وراء مهملة ونقل عن بعض
الشروح انه يجوز في كل من العين والقلب الرفع والنصب والمرفوع فاعل تقدم
او تاخر وتوقف في صحته التلمساني وليس محل توقف لانه المراد ان البصر والبصيرة
متفقان لم يخالف احدهما الاخر لوقوفهما على الحقيقة لان العين قد ترى امرا مع تيقن
خلافه وانه غير متحقق وقد يتصور القلب شيا فيشاهد خلافه والحاصل ان ما راه
ليس تخيلا كاذبا بل امرا محققا تواطا عليه العين والقلب وما قيل من ان الامور القدسية
يدركها القلب ولا تم يوردها على البصر ليس بمسلم بل صدق رؤيتهما وقيل في التوفيق
بينهما ودفع التنافي ما انكر قلبه صلى الله عليه وسلم ما راته عينه وهذا قريب
مما قبله ولتعارضهما ظاهرا لم يدرجه في حجج ابطال كونه مناما وبعطفه عليه واورده
سؤالا وجوابا ولما كان محصل الجواب انه يدل على ثبوت الرؤيتين سقط ما قيل
انه مشترك الالزام والاعتراض بانه لا فرق بين الجوابين لان المراد انه لم يطرا عليه
وسوسة نفس ونزغة شيطان تشككه فيما راه وتوهمه خلاف ما شاهدت عيناه ❊

**فصل** واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل بعينه
يقظة في اسرائه بجسده والرؤية تختص بالبصرية فلذا عبر بها هنا وان اطلقت
على غيرها لكونه على خلاف المشهور عكس الرؤيا كما تقدم فاختلف السلف فيها فانكرته
عائشة رضي الله عنها ذكر ضمير الرؤية لان تانيث المصادر غير معتبر او باعتبار الوقوع
وفي بعض النسخ فانكرتها وهي ظاهرة وانكارها لهذا وقع في مسلم وغيره كما اشار
اليه المص بقوله حدثنا ابو الحسين سراج بكسر السين وفتح الرا المهملة المخففة
واخره جيم ابن عبد الملك المراد بالملك الله في الاعلام لكراهة التسمية بعبد فلان
حتى لقصد النبي وهو امام حافظ شيخ المص وجده وهو من بيت جليل القدر الحافظ
تراجمه عليه تقدم الكلام فيه قال حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه
تقدمت ترجمته قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث بضم الميم وكسر الغين المعجمة
والمثناة التحتية الساكنة وبالمثلثة يونس مثلث النون كما مر وهو يونس بن
عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الانصاري المعروف بابن الصفار ولد في
رجب سنة سبع واربعين واربعمائة وتوفي بقرطبة سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة

دلجي

ابن التين

كما نبه صح

لثمان من جمادي الاولى قال حدثنا ابو الفضل الصقلي بفتح الصاد المهملة والقاف
وتشديد اللام المكسورة نسبة لصقلية بلد بالاندلس قال حدثنا ثابت بن قاسم
ابن ثابت عن ابيه وجده ثابت بن حزم العوفي السرقسطي وابوه ابو محمد قاسم بن ثابت
مؤلف كتاب الدلايل في غريب الحديث يروي عن ابيه وجده وتمم جده حتى فرغ عليه
وكان ثابت وقاسم يشتركان في التاليف والشيوخ والرحلة وولد ابوه سنة خمس وخمسين
ومايتين ومات بسرقسطة سنة اثنين وثلاثماية قال احدثنا عبد الله بن علي
قال احدثنا محمود بن ادم هو المروزي توفي سنة ثمان وخمسين ومايتين قال حدثنا
وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي الحافظ الثقة ولد سنة تسع وعشرين ومايه وتوفي
سنة ست او سبع وسبعين ومائة عن ابن ابي خالد هو اسمعيل بن سعيد البجلي الكوفي
توفي سنة خمس او ست واربعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة عن عامر
عن مسروق انه قال لعايشة رضي الله عنها يا ام المومنين هل راي محمد صلى الله عليه
وسلم ربه عز وجل ليلة الاسرا بقرينة السوال لانها لا تنكر رؤية الاخرة ولا رؤية
النام فقالت مجيبة له لقد قف شعري القفيف في الشعر معناه قيامه وانتصابه
وانما يكون هذا غالبا عند الفزع والخوف القوي مما قلت اي خفت من كلامه ان
يهلك الله من قاله واستعظمه لانه امر منكر لا يرضاه الله ولم يثبت عندها وقال
التلمساني قف بمعنى اقشعر واصله ان الجلد ينقبض عند البرد والجزع فيقوم
الشعر لذلك والمراد انكار ما قاله واستعظامه وما في قولها مما قلت مصدرية
او موصولة ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله
عليه وسلم راي ربه فقد كذب ثم قرات مستدلة لما قالته لا تدركه الابصار
الاية بناء على ان الادراك شامل للرؤية وانه حكم كلي فان قلنا الادراك بمعنى
الاحاطة اي لا تحيط به الابصار ولا تعرف كنهه ورفع الايجاب الكلي سلب جزئي
لم يكن في الاية دليل على ما ذكر وياتي بيانه عن قول وقد استدل بهذه الاية
المعتزلة على نفي الرؤية مطلقا ورده اهل السنة كما فصل في كتب الاصول
وروي في بعض النسخ من حديث بلا كاف من العرفي والثلاث الاولى هي هذه
والثانية قولها من زعم انه صلى الله عليه وسلم كتم شيا من الوحي ثم قرات
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الخ والثالثة من زعم انه صلى الله
عليه وسلم يخبر بما يكون في غد فقد اعظم الفرية ثم قرات ان الله عنده علم
الساعة الاية واعلم ان هذا الحديث في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي
وهو في البخاري عن يحيى عن وكيع بسند المصنف بتوبدلا ومتوافقة كما فصله
البرهان وذكر مسروق الحديث بتمامه كما سمعته انفا من ذكر الثلاث قال
مسروق وكنت متكا فجلست وقلت يا ام المومنين انظريني ولا تعجلي الم يقل
الله تعالى ولقد راه بالافق المبين ولقد راه نزلة اخرى فقالت انا اول
هذه الامة سال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما هو جبريل
لم اره على صورته التي خلق عليها غيرها تين المرتين كما رواه مسلم وقال الجماعة
من المحدثين والعلما لا المتكلمين لان خلافهم ليس في رؤية الاسرا بقول عايشة

رضي الله عنهما وهو المشهور عن ابن مسعود وغيره ومثله اي مثل قول ابن مسعود وماينة
روي عن ابي هريرة رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى وانه اي ابا
هريرة قال بفتح الهمزة انما راى جبريل لا ربه عز وجل كما قيل فالى بصيغة الما للردة
على من فسر الاية بما ذكر واختلف بالبنا للمفعول في النقل عنه اي عن ابي هريرة فروى
عنه انه قال راه بعينه كغيره وفي رواية اخرى انكره وقال بانكار هذا القول
المجوز لرؤيته ووقوعه وامتناعه رؤيته تعالى في الدنيا وجوازه في الاخرة جماعة
من المحدثين انكروا صحة نقله عنه صلى الله عليه وسلم والفقها ذكروه في مباحث
الردة والكفر وان احدا لو قال رايت الله بعيني في الدنيا هل يكفر ام لا والمتكلمين
من علما اصول الدين والخلاف بين اهل السنة والمعتزلة في هذه المسئلة وادلتها
مشهورة في كتبهم حتى انه افردها بالتاليف وعن ابن عباس انه راه بعينه وروى عطا عنه
اي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه راه بقلبه وعطا هو ابن ابي رباح الفقيه المكي
وعن ابي العالية وهو رفيع بن مهران الرياحي وقيل هو زياد بن فيروز وقيل
اسمه فيروز عنه اي عن ابن عباس انه راه بفواده مرتين وذكر ابن اسحاق صاحب
المغازي عن عبد الله بن ابي سلمة ان ابن عمر رضي الله عنهما ارسل الى ابن عباس يساله هل
راى محمد ربه فقال نعم مراده هل راه يقظة بعينه فقوله والاشهر عنه اي عن ابن
عباس انه راى ربه بعينه وفي نسخة بعينيه مثنى وهما بمعنى تفسير للرواية التي
قبله وان كان ظاهره انه غيره لتخالفهما في العبارة وروي ذلك عنه من طرق اي
باسانيد مختلفة لفظا لا معنى يقوي بعضها بعضا وهو لا ينافي ما روي عنه انه
راه بفواده نحو كقوله تعالى ما كذب الفواد ما راى وما زاغ البصر وما طغى
كما مر وقال اي ابن عباس فيما رواه عنه الحاكم والنسائي والطبراني وهو في
معنى ما قبله في ان الروية بنما بصرية ان الله اختص موسى بالكلام بغير واسطة
لقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما وابراهيم بالخلة بضم الخا المعجمة لقوله تعالى
واتخذ الله ابراهيم خليلا ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالروية البصرية لا القلبية
لعدم اختصاصها به صلى الله عليه وسلم قيل عليه ان الخلة والكلام ثبتا لنبينا
صلى الله عليه وسلم ايضا فتوهين هذه الخصايص غير ظاهر واجيب عنه بان مراده
ان موسى الكليم اشتهر بذلك وان كان نبينا صلى الله عليه وسلم كلمه الله في الاسرا
في مقام اعلى والخلة ثبتت له مع زيادة المحبة لمحمد صلى الله عليه وسلم خليل
وحبيب كما اعترف به الخليل عليه الصلاة والسلام في حديث الشفاعة حيث
قال انما كنت خليلا من ورا ورا وهذا الجواب لا يجدي نفعا فالاولى ان المراد
بالكلام مناجاته تعالى بغير واسطة في الارض وبالخلة معاملة مخصوصة له
مع الله تعالى في هذه الدار ايضا وسياتي بيانه وحجته اي دليله على الروية
قوله تعالى ما كذب الفواد ما راى اي ما اعتقد قلبه خلاف ما راه ببصره
في مشاهدته ربه فسماه كذبا تجوزا لاشتراكهما في ان كلا منهما خلاف الواقع
اي ما راه صلى الله عليه وسلم ببصره ليلة الاسرا لثبوت ذلك بالاحاديث الصحيحة
واما انكار عايشة رضي الله عنها لذلك فقد تقدم ما فيه واسند لالها بقوله

ابن اهيم

وجي

تعالى لا تدركه الابصار اجابوا عنه بوجوه منها ان الادراك بالبصر ليس رؤية مطلقة
بل رؤية على وجه الاحاطة بجوانب المرئي لان حقيقة الادراك اللحوق والوصول
في المكان كقول اصحاب موسى انا لمدركون ذا والزمان كما يقال ادرك فلان النبي
صلى الله عليه وسلم او الصفة كما يقال ادرك الغلام اذا بلغ وادركت الثمرة اذا
نضجت ثم نقل لابصار الشيء المتناهي المحدود بالجهات لتوهم معنى اللحوق فيه كما
ان البصر قطع المسافة التي بينه وبينه حتى بلغه ووصل اليه فابصار ما ليس في جهة
لا يتحقق فيه معنى البلوغ فلا يسمى ادراكا فلا يلزم من نفيه وهو رؤية مخصوصة
نفي المطلقة وهذا التحقيق ما في التفسير وكتب الكلام افتمارونه على ما يرى
اي اتجادلونه في رؤيته لما راه من مريت الضرع اذا مسحته للحلب فاستعير للمجادلة
كان كلا من المتجادلين يمتري ما عند صاحبه لطلبه له ولقد راه نزلة اخرى اي مرة
اخرى قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت له في تلك الليلة مرات من العروج ولكل مرة
نزلة لسما اخرى لما تراجع في حط الصلوات وهذا مراده هنا قال الماوردي الامام
الجليل ابو الحسن علي بن محمد الشافعي صاحب التاليف الجليلة كالتفسير الكبير والحاوي
وغيرهما وتقدمت ترجمته وهذا نقله عنه ابن سيد الناس في سيرته قيل ان الله
قسم اي جعل كلامه ورؤيته مقسوما بين موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم
فراه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين حيث كان قاب قوسين او ادنى وعند سدرة
المنتهى وكلمه موسى عليه الصلاة والسلام مرتين مرة وقت ارساله لفرعون ومرة
بعد هلاكه ورجوعه الطور والحق انه كلمه في الدنيا مرارا عديدة في مناجاته
ولذا اختص عليه الصلاة والسلام بالكليم لانه لم يكلمه في الدنيا بغير واسطة غيره
ولا يلزم من هذا شرفه على نبينا صلى الله عليه وسلم لتكليمه اياه مع قربه منه
في حظاير قدسه لكن لكون تكليم موسى مما يعرفه الناس حتى بكونه كليما فائدة ما تر
وحكى ابو الفتح الرازي ليس هو الفخر الرازي كما توهم وابو الليث السمرقندي
الحنفي وقد قدمنا ترجمته والمحكي ما مر عن الماوردي كما اشار اليه بقوله
الحكاية التي ذكرها الماوردي عن كعب وليست ضعيفة وصيغة قيل في كلامه
ليست للتمريض فانها يقصد بها مجرد النقل فان قلت كيف قال قسم الكلام والرؤية
والقسمة انما تكون في امر واحد يوزع بين اثنين فاكثر ولذا قيل ان هذه العبارة
مما لا ينبغي قلت هذا وهم من قايله فان المراد قسم تقريبهما وتعظيمهما
قسمين وجعل قسما لهذا وقسما لهذا كقوله
قسم الاله الامر بين عباده ❁ فالصب ينشد والخلي يسبح
وروى عبد الله بن الحارث كما ذكره الترمذي وهو عبد الله بن نوفل بن
الحارث بن عبد المطلب البصري سكنها الوالي بها مات بعمان بعد الفتنة
ابن الاشعث لما خرج اليها هاربا من الحجاج وولد في زمنه صلى الله عليه
وسلم ومات سنة اربع وثمانين ومن الرواة ايضا عبد الله بن الحارث
ابو الوليد البصري حدث عن ابن عباس وهو زوج اخت محمد بن سيرين
وجزم السبتي رحمه الله بانه هو المذكور هنا وهو الراجح لان عبد الله

عرني

ابن اقدس

الاول وان وافقه في الاسم والنسبة لكن الحارث جده وهذا اثر رواه ابن عباس كما مر قال
اجتمع ابن عباس رضي الله عنهما وكعب اي كعب الاحبار فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول
ان محمدا راي ربه مرتين خص بني هاشم لانهم اقرب اليه واعرف بحاله لاسيما قبل الحجة
وكان اجتماعهما بعرفة كما ذكره الترمذي وبنو هاشم مرفوع بدل من نحن كما في النسخ
ولو نصب على الاختصاص جاز وليس المراد ببني هاشم ما سوى العباس وظاهر انه راي
واجتهاد منهم وهذا لا ينافي ما مر عن ابن عباس لان عنه روايتين فلا وجه للاعتراض
على المص فكبر كعب الاحبار لسروره بمقالته الموافقة لما عنده حتى جاوبته الجبال اي رفع
صوته بالتكبير حتى سمع صداه من الجبال وجعله جوابا تجوزا ويجوز انه يكون تكبيره تعجبا
مما قاله واستعظاما له لقوله وقال اي كعب الاحبار ان الله قسم رؤيته وكلامه
بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه فيكون منكرا لرؤيته بعين راسه او نقول
هو موافق لان الرؤية القلبية لا تنافي البصرية وعليه الشراح وانفراد موسى عليه الصلاة
والسلام بكونه كليما المتبادر منه ان المراد كلامه مرارا في الارض فلا ينافي كون نبينا صلى الله
عليه وسلم كلمه ايضا بغير واسطة كما مر وروى شريك تقدم الكلام عليه وعلى روايته
عن ابي ذر في تفسير الاية المذكورة ما كذب الفؤاد ما راى الاية قال راى محمد وفي نسخة
بدله النبي صلى الله عليه وسلم ربه هذا الكلام مجمل متفق عليه وقيل المراد انه رآه
بقلبه بشهادة اول الاية وفيه نظر وحكى السمرقندي الحنفي المتقدم عن محمد بن كعب
القرظي بضم القاف وفتح الرا المهملة وكسر الظا المعجمة نسبة لبني قريظة وهو تابعي
واسمه محمد كما تقدم وربيع بن انس التابعي الذي تقدمت ترجمته فالحديث مرسل كما
رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل
رايت ربك فقال رايته بفؤادي ولم اره بعيني وهذا يحتمل ان يكون في المرة الاولى
فانه روي عن ابن عباس وغيره انه رآه مرتين فلا ينافي ما مر وما قيل من ان المراد
نفي مجرد الرؤية او نفي رؤيته كسائر الانبيا المرئية تعسف لا ينبغي ذكره هنا وروى
مالك بن يخامر بضم المثناة التحتية وخا معجمة يليها الف وميم مكسورة ثم راء
مهملة علم منقول ممنوع من الصرف وهو سكسكي حمصي يقال ان له صحبة والاصح
انه تابعي روى عن معاذ بن جبل كما ذكره المص وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما ومات
سنة سبعين او اثنين وسبعين وروى عنه جماعة عن معاذ عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال رايت ربي في حديث رواه احمد بن حنبل وغيره وهو حديث صحيح اوله قال
معاذ رضي الله عنه صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغداة ثم اقبل علينا
فقال اني سأحدثكم اني قمت من الليل فصليت ما قدر لي ونعست وفي رواية فوضعت
جنبي فاذا انا بربي في احسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملا الاعلى قلت انت اعلم
اي ربي فوضع كفه وفي رواية يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت
ما في السموات والارض ثم تلى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض الى
ثم قال فيم يختصم الملا الاعلى يا محمد قلت في الكفارات قال وما هي قلت المشي
على الاقدام الى الجماعات والجلوس في المساجد خلف الصلوات وابلاغ الوضوء
اماكنه في المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكون من خطيئته كيوم

ابن اقيرس

عوفي

والدته امه وروي يخرج من خطيئته ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وان
يقوم بالليل والناس نيام قال قل اللهم اني اسالك الطيبات وترك المنكرات وحب
المساكين وان تغفر لي وترحمني وتتوب علي واذا اردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون
وهذا الحديث اخرجه ايضا الترمذي والبغوي في المصابيح وهو تمثيل لتجلي الله له بلطفه
وحسن معاملته وما افاضه عليه من المعارف الكاشفة لغيبه مع ثلج صدره ببرد اليقين
وتحقيقه في شرح المصابيح وشرح الاربعين للصدر القونوي وادراج بعض الشراح
له هنا في المتن كعادته غير متجه وذكر كلمة اشان لما مر وهو اسم جمع لكلمة مشافها
لتمييز اسما والحديث لادنى ملابسة فقال الله فيم يختصم الملا الاعلى اي فيم يسال
الملائكة بعضهم بعضا عن المراتب المقربة الى الله المكفرة للخطايا ولذا امر صلى الله
عليه وسلم بالدعا بنيل كمال هذه المراتب الحديث بالنصب اي اقرا او ذكر وحكي عبد
الرزاق همام بن رافع الصنعاني صاحب التصانيف الجليلة اخرج له الائمة الستة
وتوفي سنة احدى عشرة ومائتين وترجمته مشهورة ان الحسن البصري السابق ذكره
وترجمته كان يحلف بالله لقد راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه بعيني بصره وحكى
ابو عمر الطلمنكي بفتح الطا المهملة واللام والميم المفتوحات وسكون النون
وكاف مكسورة يليهما ياء نسبة كما ضبطه الحفاظ وهو الامام الحافظ المقرئ احمد بن
عبد الله بن لب بن يحيى المعافري الاندلسي عالم قرطبة ولد سنة اربعين وثلثمائة
وتوفي في ذي الحجة سنة تسع وعشرين واربعمائة وروى عنه ابن حزم وابن عبد
البر وغيرهما من الاعلام عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما وحكى بعضهم
هذا المذهب وهو رؤية الله بعينه عن ابن مسعود رضي الله عنه وحكى ابن اسحاق
محمد بن اسحاق بن يسار الامام الحافظ صاحب المغازي وقد تقدمت ترجمته ان مروان
ابن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي ولد سنة
اثنين ولم يصح له سماع ولا رؤية وانما له رواية عن عثمان رضي الله عنه وغيره وغيرهما
وكانت دولته تسعة اشهر واياما وتوفي سنة خمس وستين في رمضان ثم ولي
ابنه عبد الملك وترجمته مفصلة في التواريخ سال ابا هريرة رضي الله عنه هل
راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه بعينيه فقال نعم وحكى النقاش محمد بن الحسن
ابن زياد وقد تقدم ترجمته عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن
عباس بعينه راى ربه بدل من حديث ولم يزل يكرر ما قاله راه فعلا بصره راه
راه راه حتى انقطع نفسه بفتحتين اي عجز عن التكلم واعيي فترك التكلم يعني
نفس احمد بن حنبل وانما فسره بذلك لئلا يتوهم عوده لابن عباس وقال ابو
عمر السابق ذكره قال احمد بن حنبل راه بقلبه وجبن عن القول بفتح الجيم
وضم البا وحكى الجوهري فتحها وهو ضعف في القلب يقتضي عدم الاقدام
يريد انه لم يتجرا تادبا عن ان يقول برؤيته في الدنيا بالابصار بكسر الهمزة
وفتحها جمع بصر وتعبيره بالجبن يدل على انها جائزة عقلا عنده وهو الحق وقال
سعيد بن جبير الصحابي المشهور رضي الله عنه لا اقول راه ولا لم يره اي توقف في
ذلك ولم يمل لاحد القولين وقد اختلف في تاويل الاية يعني قوله تعالى ولقد

دجلي

رآه

رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى في النقل عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكى
ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه ورواه مسلم عنه في صحيحه في تفسير هذه الاية فالضمير
في رآه لله والرؤية قلبية وعن الحسن وابن مسعود راى جبريل فالضمير فيها لجبريل عليه
الصلاة والسلام كما في مسلم عن ابن مسعود وابي هريرة فرآه بالافق الاعلى وله ستمائة
جناح ينتثر منها الدر واليا قوت كما قاله المهدوي وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل
عن ابيه وهو كابيه امام في السنة والفقه اخذ عنه الاعلام وتوفي سنة تسعين ومائتين
في سن ابيه انه قال رآه اي بعينيه لانه المتبادر ♦ وقد روي عنه التصريح به ولا ينافي
ذكر ما مر من انه جبن عن القول بذلك لانه قد يخفيه في بعض المجالس لمقتض لذلك
وعن ابن عطا في تفسير قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح
صدر موسى للكلام اي قوى قلبه واذهب رعبه حتى يسمع مع مشاهدة جلاله وعظمته
وسماع كلامه وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري ابن ابي بشر بن اسحاق بن ابي
سالم بن اسمعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعروف ان ابا الحسن هذا شافعي المذهب وقال
التلمساني انه مالكي المذهب ونسبته الى اشعر وهو ثابت بن ادد ويشجب بن يعرب
ابن زيد بن كهلان بن سبا وكان حبرا عظيما وهو امام اهل السنة صاحب التصانيف
المشهورة ولد سنة سبعين ومائتين ومات سنة اربع وعشرين وثلاثمائة وقيل اربع
وثلاثين في ذي الحجة وجماعة من اصحابه انه صلى الله عليه وسلم راى الله ببصره وعيني
راسه تاييد لكون الرؤيا بصرية واضافة العينين للراس احترازا عن عين قلبه وظهر
فانها وردت في الحديث وان لم تكن عينا حقيقية وقال الاشعري رحمه الله تعالى كل
اية ومعجزة اوتيها نبي اي اعطاها الله لنبي من الانبيا فقد اوتي مثلها نبينا صلى الله
عليه وسلم وقد فصله ابن المنير في المقتفي والكلام فيه طويل لا يسعه كتابنا هذا
ولا ينافي هذا التخصيص موسى عليه الصلاة والسلام بالكلام كما مر قبل الحقيقة
المحمدية صورة الاسم الاعظم الجامع للاسما فله التصرف في العوالم ومنه تستفيض
وتستمد ما فيها من جهة حقيقته لا من جهة بشريته فهو الخليفة حقيقة واي معجزة
كانت لنبي فهي له اولا وبالذات ثم جاءت منه لغيره والى هذا اشار في البردة بقوله
وكل آي اتى الرسل الكرام بها ♦ فانما اتصلت من نوره بهم ♦
اقول الحق ان نقول ان الله خلق روحه صلى الله عليه وسلم قبل الارواح وخلع
عليها خلعة النبوة ثم خلق ارواح البشر وامراء ارواح الانبيا ان يكونوا نوابه واخذ
عليهم الميثاق باتباعه ان ادركوه كما نطق به الكتاب العزيز فلما اجابوه اشرق
عليهم نوره الروحاني الرباني وصارت في ارواحهم قوى مستعدة لاظهار
المعجزات كما الاوليا امته اذا اظهروا الكرامات لما اشرق عليهم نوره وهذا هو
الذي قصده الابوصيري رحمه الله فاعرفه وخص من بينهم اي اختص صلى الله عليه
وسلم عن ساير الانبيا بتفضيل الرؤية اي بتفضيله برؤية ربه عيانا في الدنيا فلم
يره غيره فيها ووقف بعض مشايخنا في هذا اي توقف فيه فلم يعتقد ثبوته ولا
نفيه والمشايخ جمع مشيخة او شيخ على خلاف القياس وفيه كلام في شرح ادب الكاتب وقال

ليس عليه اي على ثبوته دليل واضح اي صحيح ظاهر ولكنه جائز بحسب العقل ان يكون اي
ان يقع ويوجد في الدنيا قال القاضي ابو الفضل عياض المص رضي الله عنه والحق الذي
لا امتراء فيه اي الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة لان المرية هي الشبهة ان رؤيته
تعالى في الدنيا جائزة عقلا لانه موجود حقيقة في كل موجود وكل موجود تجوز رؤيته
عيانا وليس في العقل ما يحيلها اي ما يقتضي انها مستحيلة ثم ذكر دليلا نقليا يؤيد
العقل فقال والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه الصلاة والسلام لها بقوله
رب ارني انظر اليك وموسى من اولي العزم لا يسال من الله ما لا يجوز فلو لم يعتقد
صحة ذلك ما سأله والا كان جهلا منه بأحوال الربوبية وهو مبرأ منه وكلامه في
تحقيق الرؤية لا في وقوعها فقط فما قيل من انه ليس الكلام في جوازها بل في وقوعها اي الفرق
والفرق بينهما ظاهر والقائلون بامتناعها لهم ادلة على مقالهم وان كانت مردودة
والقائلون بالجواز العقلي ذاهبون للمنع الشرعي ولذا قال النسفي رؤيته تعالى في الدنيا
جائزة عقلا ممتنعة شرعا والمص بصدد اثبات الوقوع له صلى الله عليه وسلم
وهو امر نقلي لا مجال للعقل فيه فكلامه خارج عن المطلوب الا ان يقال انه استطراد
انتهى ليس بشيء لانه ان لم يثبت الجواز لا يثبت الوقوع والوقوع امر نقلي وقد
بينه اولا ثم حقق ما يتوقف عليه من الجواز عقلا وما نقله عن النسفي مخالف
لما ارتضاه المص واذا كان هذا نقليا وثبت نقله كيف لا يكون عقليا فما ذكره
كلام مموه تركه خير منه وما ذكره المص هو دليل اهل السنة على جواز رؤيته
تعالى والمعتزلة يقولون لم يسألها لجوازها عنده بل لتبكيت القائلين له ارنا
الله جهرة ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه وتنوين
نبي للتنكير والتعميم اي اي نبي كان فكيف بالكليم عليه الصلاة والسلام او
انه للتعظيم اي نبي عظيم من اولي العزم من كبار الرسل والاستحالة عادة مقررة
وعقلا لانه بعث لتعليم امته الشريعة والعقائد الحقة وهي معرفة ما يجوز
على الله وما يمتنع فلو جهل ذلك كان الله امره بما لا يعلمه وهو محال لانه اما
جهل او عبث والمعتزلة يقولون انما يلزم هذا لو كان سؤالا حقيقيا اما لو
كان لالزام غيره او تبكيته لمن سألها من قومه فلا وهذا امر مردود لان السياق يأباه
وتفصيله في علم الكلام بل لم يسأل موسى من الله الا جائزا غير مستحيل لان سؤال
المحال من مثله محال وكونه سألها مع علمه باستحالتها ليتأكد الدليل العقلي
بالسمع وليطمئن قلبه كما قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى ثم قال
ليطمئن قلبي فان العلم يتفاوت قوة وضعفا مردود بان تفاوته غير مسلم
والخليل لم يسأل لذلك وانما كان علم ان الله متخذ خليلا يحيي الموتى بدعائه
فسأل ذلك ليعلم اهو هو ام لا ولو سلم فلا يلزم طلب ما لا يجوز وثنيا في الاد
عنده بهذه الطريقة اذ له ان يقول رب بين لي امر ذلك جوازا واستحالة
ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب اي جوازه مقرر ثابت ووقوعه له
دون غيره بمشاهدته رتبة امر مغيب عن كل احد كسائر المغيبات الجائزة
كالحشر وغيرها فالغيب بمعنى المغيب عن البشر الذي لا يعلمه الا من علمه

الله

الله باخباره به واطلاعه على حاله وقوعها وعدمه مطلقا اي في بعض الاحوال فلذا اعلمه
الله به فقال له الله لن تراني اي الرؤية جايزة ولكنك لا تصل اليها في الدنيا اي لن
تطيق اي تقدر ولا تحتمل رؤيتي اي لا تقوى عليها في هذه الحالة وهذا الكلام مما
يدل على الجواز ثم ضرب له مثلا اي اتى له بمثال من المخلوقات فانه لا يطيق تجلي
الله عيانا ليكشف له امرها ويعلم حاله من حال غيره مما هو وفي بعض النسخ بما
متعلقا بضرب اقوى من بنية موسى واثبت اي اشد قوة واكثر ثباتا وبنية بكسر الباء
الموحدة وسكون النون الخلقة والتركيب وهو الجبل في قوله ولكن انظر الى الجبل فان
استقر مكانه فسوف تراني فلما لم يثبت الاقوى علم عدم ثباته بالطريق الاولى ولما كان
استقرار الجبل ممكنا كان ما علق عليه ممكن ايضا فعلم منه جواز الرؤية والى ذلك
اشار بقوله وكل هذا ليس فيه ما يحيله ورؤيته في الدنيا اي تقتضي استحالته فيها بل
فيه ما يقتضي جوازها على الجملة كما سمعته انفا من ان سؤاله وتعليقه بالممكن يقتضي
امكانه وقوله على الجملة بمعنى انه بطريق الاجمال لا التفصيل فانه من قبيل اشارة النص
والمردود في كلامهم في الجملة والمعنى واحد لان المراد جوازا اقتصارا على طريق الاجمال
وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا دليل قاطع على امتناعها وان لم تكن
مستحيلة فلا دليل على امتناع وقوعها مطلقا او في الدنيا اذ كل موجود في الخارج
جوهرا كان او عرضا لا في العلم والذهن كما قيل لتصور الممتنعات وهو تعليل للجواز
لان اذ تاتي للتعليل كما حققه النحاة واهل المعاني والتعليق بالمشتق يقتضي
علية مبدئه فالعلة الوجود لا الحدوث وهو مشترك بين الباري تعالى وساير
الموجودات فكما يجوز رؤيتها تجوز رؤيته الا انه قيل انه تقتضي صحة رؤية
نحو الاصوات والروايح والطعوم وكيفية الملموس فانها موجودة مع انها غير
محسوسة بالبصر الا ان هذا الدليل منقول عن الاشعري وهو التزام جواز
رؤيتها والكلام في الجواز لا الوقوع فرؤيته جايزة غير مستحيلة تفسير للجواز
فانه قد يقابل الحرمة والوجوب ولا حجة مسلمة عند الخصم لمن استدل على منعها
اي الرؤية بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات وهذه الاية
كما حققناه لك فلا افادة في الاعادة وان ليس معطوف على قوله اذ كل موجود
او على قوله لاختلاف لان معناه ليس تقتضي قول من قال بمنعها في الدنيا الاستحالة
مطلقا بل تخصيص الدنيا تقتضي وقوعه في الاخرة فيدل على الجواز في الدنيا
وهذا رد على المعتزلة فان هذه الاية اعظم ادلتهم على نفي الرؤية في الدنيا
والاخرة ثم بالغ في الرد عليهم بانه ما اشتد لو ابه عليهم لا لهم وقد استدل لبعضهم
بهذه الاية اي قوله لا تدركه الخ نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على
الجملة كما يعلم من ذكر اختلاف التاويل وانما استدل لها لان نفي الشيء عند البلغاء
يقتضي جوازه والا كان عبثا فلا يقال للحايط انه لا علم له والله تعالى قد ساق نفي
ادراك الابصار في سياق المدح وانما يمتدح بامر ثبوتي كما لي لا بالعدم الصرف فكل
نفي مدح به تضمن امرا وجوديا كنفي السنة والنوم المتضمن لكمال القيومية ونفي
الموت المتضمن للحياة السرمدية فلو كان نفي الابصار معناه انه لا يرى اصلا

دلجي

كسايرالمعدومات لم يكن فيه مدح بل المراد لايحيط بعظمته وجلاله الابصار وهذا انما يفهمه الصحابة رضي الله عنهم ولذا فسره ابن عباس رضي الله عنهما بلا تحيط به الابصار كما ذكره المنه وكذا ذكره غيره فنفي الاحاطة تفسير للرؤية بدونها او المراد العموم اي لا تراه جميع الابصار فانه منها ما حجبه فهي سالبة في قوة موجبة جزئية كما مر واليه اشار بقوله وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل معنى لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس لانه كما قيل يحتمل ان يكون رفعا للايجاب الكلي بان يلاحظ الايجاب الكلي اولا ثم يرد عليه النفي وحينئذ لا احتجاج لهم علينا فانا قايلون بان الكفار لا يرونه او المنفي ادراكه بتقليب الحدقة نحو المرئي فانه المتبادر من اطلاق ادراك البصر وهو المعتاد وانما يحتاج لهذا اذا كان تعريف الابصار استغراقيا والا تكون القضية سالبة مهملة فهي في قوة السالبة الجزئية كما تقرر بمعنى لا تدركه بعض الابصار وتخصيص النفي بالبعض يدل بالمفهوم على الاثبات للبعض فالاية حجة لنا وعلى تقدير تسليم عمومها للاشخاص لا نسلم عمومها للاوقات لانها سالبة مطلقة وهي اعم من السالبة الدايمة وما ذكر من ان تدركه الابصار موجبة مطلقة فنقيضها سالبة دايمة ممنوع لجواز كون الامر بالعكس بل الظاهر عكسه اقول لكنه لا يدل الا بالمفهوم على الاثبات للبعض قال بعضهم وفيه نظر لان القضية المهملة والدالة على رفع الايجاب الكلي ليس صريح مفهومها السلب الجزئي ه والتعرض للنفي عن البعض بل السلب الجزئي لازم معناها الصريح المحتمل للسلب الكلي والجزئي مع الايجاب للبعض فمجرد كون مفهومها مستلزما للسلب الجزئي لا يدل مفهومه على مفهوم السلب الجزئي فلا حجة لنا فيه وانما يكون حجة ان لو كان صريح مفهوم القضية وقد قيل في بعض التاويلات لا تدركه الابصار بنفسها وانما يدركه المبصرون بعضاة الادراك نوع من العلم وهو صفة الناظر حقيقة لا لنفس النظر فانه واسطة والة ولا يخفى ركاكة هذا التاويل وان كانت عهدته على قايله وكل هذه التاويلات السالفة لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها بل جوازها كما مر فلا حجة فيها وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن تراني الاية التي استدل بها بعض المعتزلة وقال لن للنفي المؤبد والمؤكد فاذا انتفى عن موسى عليه الصلاة والسلام فغيره يعلم بالطريق الاولى وقد رد بانها للنفي في المستقبل فقط وكلام الله وغيره دال عليه كما اثبته النحاة مما هو مشهور في كتبهم ونفي الرؤية عنه لا يدل على نفيها عن غيره لانه نفي مخصوص فلا دليل لهم فيه وقوله تبت اليك من سؤال الرؤية المقتضي لانه محال وطلب ما لا يليق فهو ذنب وياتي جوابه لما قدمناه من ادلة الجواز الصريحة المقتضية لتاويل هذه الاية ولانها اي هذه الاية ليست على العموم بل مخصوصة بموسى عليه الصلاة والسلام في المستقبل والنفي الخاص لا يدل على عموم ولا استحالة ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تاويل فلا دليل فيه على مدعاهم العام ولا على الاستحالة فان القايل بين معنى الاية ولم يذكر انه تفسير ماثور ولا انه برهان على المنع العقلي والعموم فلا حجة فيه وايضا فليس فيه نص الامتناع

دلجي

خطيب زاده

اي

اي مع عموم امتناع الرؤية لكل احد وانما جاز في حق موسى عليه الصلاة والسلام اي
ان آية لن تراني مخصوصة بموسى فكيف يستدل بها على امتناع الرؤية مطلقا في
الدنيا وغيرها يقظة ومناما كما ذهب اليه المعتزلة ولا يلزم من نفي الوقوع نفي الجواز
الذي نحن بصدد اثباته وحيث تتطرق التاويلات اي اذا امكن تاويل ما استدلوا به
وتتسلط الاحتمالات اي توجد احتمالات في الدليل فليس للقطع به سبيل فلا يصح القطع
والجزم بما استدل كما قالوا اذا طرا الاحتمال سقط الاستدلال وفيما استدلوا به على امتناع
الرؤية امور كثيرة ذكرها المفسرون والمتكلمون كما قدمه المص واصل معنى التطرق
وجود الطريق وسلوكه فنسبة التاويلات بصاحب مطلب وجد الطريق اليه على سبيل
الاستعارة التبعية او المكنية والتخييلية وكذا في التسلط لانه من السلاطة وهي
القهر والغلبة قال تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم ومنه السلطان كما قاله الراغب
وغيره من اهل اللغة وقيل تتطرق من الطرق وهو الخلط او من التطارق وهو التتا
والازدحام وهو عبارة عن كثرتها وهو قريب من التسلط وقوله تعالى تبت اليك
الذي استدلوا به على انه دال على امتناعه عقلا لعدهم سؤال الرؤية ذنبا لا استحا
لادلالة له على مدعاهم لان له تفسيرا اخر اي من سؤالي ما لم تقدره لي في الدنيا ذلك
الوقت لحكمة خفية لما غشيه من انوار عظمته حتى صعق كما يقول من فعل امرا
جايزا اعتراه منه مشقة عظيمة تبت عن مثل هذا كما قال ابن نباتة السعدي
أأمل مامولا لغير صدودها ° فوا خجلتي اني الى المجد تايب
وتقدم بضم المثناة وتشديد الدال وتخفيفها وقد قال ابو بكر الحذلي الامام
العلامة تلميذ ابن القوطية صاحب الافعال كان من الادباء الظرفاء وله شعر بديع في
تفسير قوله تعالى لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق اي يقدر ان ينظر الي في الدنيا وانه
من نظر الي فيها مات قيل هذا ماخوذ من قوله وخر موسى صعقا فانه يدل على ان
القوى البشرية لا تطيق النظر في الدنيا لسبحات جلاله الا من اقدره الله واذا لم
يكن ذلك مثل موسى عليه الصلاة والسلام فغيره يموت لجاه خوفه او لاحراق
سبحات النور له وفي هذا دليل على جوازه ووقوعه في الدنيا لكنه من وقع له فيها
لا يعيش كما قيل ان من راى الملك في الدنيا يعمى كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما
وانه قيل انه لم يصح والمراد غير الانبياء هنا وقد رايت لبعض السلف من المتقدمين
ولبعض المتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لمانع منها الا انها
من حيث هي لما مر من جوازها عقلا فامتناعها لعارض لضعف تراكيب اهل الدنيا
اي لضعف ابدانهم المركبة كما قال تعالى خلق الانسان ضعيفا وقواهم جمع قوة
وهي امر اودعه الله في البدن بها الادراك او المراد به المعنى اللغوي وكونها
اي التراكيب والقوى او هو راجع للقوى فقط متغيرة بالازدياد في اول امرها
ثم التنزل والنقص بعده وذلك يدل على منعها عرضا للآفات هو حال او خبر
بعد خبر للكون ولم يعطف لكونه سببا لما قبله وقيل لكمال الاتصال بينهما
وفيه ان ذلك مخصوص بالجمل كما حقق في مباحث الفصل والوصل والعرض
بالعين والضاد المعجمتين اصله الهدف الذي ينصب لرمي السهام فشبه

بع تلمساني

لنا

دجي

للحسد لهدف وآفات الدهر ومصائبه كسهام لا تزال ترمي لها حتى تفنى كما قال ابو العتاهية
ان الغني لعرض الالام • يرميه نبل الدهر والايام • يصيبه مرام ويخطي مرام
ويجوز ان يكون بالعين المهملة اي معرضا لها ولكن الاول اصح رواية ودراية وقال
التلمساني روي معترضة بدل قوله متغيرة اي ذات اعراض وهي الافات والامراض او
من العرضة اي متعرضة للافات وقيد بعضهم عرضا بفتح العين المهملة اي منصوبا
للافات مقابلا لها كالهدف والآفة والعاهة كل ما يعرض لشيء فيفسده والفنا بفتح
الفاء والمد وهو الزوال والعدم فلم يكن لهم قوة على الرؤية لضعف ابدانهم وقواهم
في الدنيا فاذا كان في الاخرة اي اذا احياهم الله تعالى وادخلهم دار البقاء وركبوا
تركيبا اخر غير تركيبهم الاول ورزقوا قوى ثابتة بمثلثة وكون ومثناة تحتية اي
قوى غير القوى الاولى الدنيوية وفي بعض النسخ ثابتة بموحدة ومثناة فوقية
باقية تفسير له اي مخلدة لا تفنى لقوة تركيبها وتمام قواها واتم انوار ابصارهم
وقلوبهم اي جعلها تامة كاملة مستعدة للبقاء السرمدي قووا بها على الرؤية
جواب اذا والضمير راجع للمذكورات من التركيب والقوى والانوار التي منحها
الله لهم في الاخرة فهذا ابدا لعلي وقوع الرؤية في الاخرة وجوازها في الدنيا
لانه لو رزق قوم ذلك في الدنيا صح ذلك منهم ايضا ولذا شق صدر النبي صلى الله
عليه وسلم واودع فيه ما قوي به على ذلك كما تقدم وهذا مما اوحي لايوب
عليه الصلاة والسلام فاعطا اوحى الله لايوب انك لتنظر الي غدا فقال يا رب
اينما تبن العينين فقال اجعل لك عينين باقيتين فتنظر الي الباقي بالبقاء وروي
في نسخ وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله تعالى قال لم ير بنعيم الجنة
ونائبا لفاعل عائد على الله لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان النظر والناظر
في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية روي الباقي بالباقي ظاهره ان البقاء الابدي علة
لصحة الرؤية والفنا مانع ولا مدخل للبقاء في الرؤية كما ان الفنا والحدوث لا مدخل
له في المنع لان الرؤية بخلق الله وليست مشروطة بشيء عند اهل السنة فكانه
اراد ان البقاء يلزمه قوة التركيب والقوى المعدة لصحة النظر فيكون بمعنى
ما قبله ولذا قيل ان مراده ان الرائي والمرئي لابد ان يكون بينهما مناسبة
والابصار بهذه الدار فانية فاذا اعادت وكساها الله صبغة دوام البقاء تحملت
رؤية الحي القيوم للمناسبة في الجملة وان كان بقاؤه قديما ذاتيا وبقاؤها
طارئ عرضي وهو كلام اقناعي وهذا الكلام حسن مليح عند وعلى ما فيه وليس فيه
دليل على الاستحالة والامتناع عقلا بل هو دال على الجواز اذ لا مانع منه
الا من حيث ضعف القدرة البشرية في الدنيا فاذا قوى الله من شاء من عباده
باذن رقة قوة تطيق ذلك واقدره على حمل اعباء الرؤية اي جعل له قدرة وطاقة
عليه وبه ومشاهدته والاعباء جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة
وهمزة وهو الحمل الثقيل وهو في المحسوسات حقيقة فاستعير للمعاني لم
تمتنع الرؤية في حقه لتمكنه منها بما منحه من القوة وقد تقدم ما ذكر في
قوة بصر موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ونفوذ ادراكها بدائع

اي

اي خروجه وبلوغه بقوة الهمة منحاها بضم اوله مبني للمجهول اي اعطيها لادراك
ما ادركاه ورؤية ما رأياه والله اعلم بحقيقة ذلك وقد ذكر القاضي ابو بكر محمد بن
الطيب امام اهل السنة الباقلاني بالنون نسبة الى الباقلا على خلاف القياس كالصنعاني
توفي سنة ثلاث واربعمائة وقيل ثلاث وتسعين وثلاثمائة قالوا ولقي هو الامام ابو
بكر محمد بن العربي شيخ المص في اثنا اجوبته عن الآيتين اي في خلال كلامه في الجواب عما
استدل به المانعون من آيتي لا تدركه الابصار ولن تراني ما معناه ما موصولة او
موصوفة مفعول ذكر اشارة الى انه رواية عنه بالمعنى دون اللفظ والعبارة ان موسى
عليه الصلاة والسلام رأى الله فلذلك خر صعقا مغشيا عليه مع صحة لان وقوع
مثل هذا بمجرد رؤية الجبل دكا بعيد وان جاز ان يكون لتجليه وظهور انواره لكن هذا
مناف لظاهر قوله لن تراني وقوله انظر الى الجبل ولما نقله المص اولا من ان الله يتم
الكلام والرؤية بين موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وان الجبل ايضا رأى ربه اي
خلق فيه ادراكا وحياة فصار دكا اي هدا حتى صار ترابا من هيبة الله وذلك بادراك
خلقه الله له كما نقله الماتريدي عن الاشعري رحمهما الله وهذا انما يدل على جواز
الرؤية لان الذي اقدر الجماد على ذلك كيف لا يقدر كمل البشر واستنبط اي استخرج ذلك
واصل الاستنباط استخراج الماء من البير فاطلق على مطلق الاستخراج او استعارة له
وذلك اشارة لرؤية موسى عليه الصلاة والسلام ورؤية الجبل والله اعلم فيه اشارة
الى انه لم يصرح به من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف
تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا اي مدكوكا والدك والدق متقاربان
وفسر دكه بانه صار رملا او ترابا وقيل غار وقيل استوى بالارض وقيل افترق
ثم قال الواحدي هذا الجبل يسمى زبير وليس هو الطور وخر موسى صعقا
اي سقط مائجا مغشيا عليه من هول ما رآه من هذا الجبل وتجليه للجبل ظهوره له حتى
رآه اي شاهد المتجلي ونوره فذاب كما يذوب الحديد من النار فلم يخلق له حياة
وادراكا ورؤية لم يخف حتى فاهدّه وفتنته على هذا القول اي قول ابي بكر الباقلا
التابع بان موسى والجبل رأياه معا وهذا ابتاء على مذهب اهل السنة في انه يجوز
خلق العلم والنظر في اي جرم اراد وليس من شرطه البنية والمزاج كما قاله المعتزلة
فانه وهم باطل كما قاله ابن عرفة قيل هذا غير ظاهر لان التجلي لموسى لا للجبل وكون
موسى خر صعقا انما هو لدكه الجبل وشدة وقوعه لا من تجلي الله له ورؤيته
وتناسبه قوله وقال جعفر الصادق بن محمد المتقدم ترجمته شغله الله تعالى
بالجبل واصوات دكه حين امره بالنظر اليه حتى تجلى اي ظهر ظهورا تاما لموسى عليه
الصلاة والسلام فراه ولولا ذلك اي اشتغاله بالجبل بان ظهر له نور التجلي ابتدا
مات صعقا بسكون العين وكسرها وعلى الاول هو تمييز وعلى الثاني حال بلا
افاقة من صعقته وغشيه وقوله هذا اي قول جعفر يدل على ان موسى عليه
الصلاة والسلام رأى كالجبل لانه معنى التجلي لانه لا يقال تجلى له الا اذا شاهده
فما قيل من انه في غاية البعد لان التجلي الواقع في الاية انما هو للجبل لا لموسى
عليه الصلاة والسلام غير متجه لان المص انما بنى كلامه على ما قاله هؤلاء وتبعهم

ابن افترس

د جز و ابن افترس

والناقل لاعهدة عليه فان حاصله ان موسى لما سال الرؤية في مناجاته لربه امره بالنظر
بالجبل ليتهيى به حتى اذا تجلى له ابتدا لم يهلك وتغرقه الانوار وتموت وهذا بناء على
انه لما صعق لم تجب وذهب كثير من المفسرين الى انه مات ثم احياه الله وما قاله هؤلا
مخالف لكلام المفسرين فانهم ذهبوا الى انه انما امر موسى عليه الصلاة والسلام بالنظر
للجبل ودكه الا ليعلم انه لا طاقة له على رؤيته تعالى فان ما لا تطيقه الجبال كيف تطيقه
بنية الانسان وقد وقع لبعض المفسرين انه قال في الجبل انه رزاه الحياة وادراك خلقه
الله فيه فراه وشاهده وقد نقله الماتريدي عن الاشعري وهو الظاهر من التجلي وان
حمل على معنى اخر قال في الكشاف في تفسيره فلما ظهر اقتداره وتصدى له امره وارادته
جعله دكا اي مدكوكا والظاهر انه عنده استعارة تمثيلية وقيل انه على حذف مضاف ابن اقبرس
وفيه مجاز اخر حيث اسند التجلي للاقتدار وليس بشيء وبرؤية الجبل لله عز وجل ه
استدل من قال برؤية نبينا صلى الله عليه وسلم له قيل الجبل ليس له ادراك ابن اقبرس
ونظر لانه يجوز ان يخلق الله فيه ذلك وليس جعله دكا متوقفا على الرؤية ه
ومستلزما لها ولو كان كذلك قال فان راى واستقر فانما دكه ليعلم موسى عدم
طاقته لمشاهدة نور الانوار وفي الحقيقة جعله دليلا فيه ما فيه الا ان يقال معنى
قوله اذ جعله دليلا على الجواز انه جعل تعليق الرؤية بامر ممكن في نفسه
دليلا على جوازها فاذا كانت امرا جائزا لا حاجة لتاويل الاحاديث الواردة بانه
صلى الله عليه وسلم راى ربه ولا مرية بكسر الميم وضمها معناها الشك والتردد
في الجواز اي جواز الرؤية اذ ليس في الايات التي استدل بها على عدمها كاية لا تدركه
الابصار ولن تراني ونحوها نفي في المنع للرؤية صريح فيه اذ هي محتملة بل
مشيرة للجواز كما مر واما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم اي وجوب
وقوع رؤيته لربه في الاسرا بعيني راسه فاعترض عليه بانه لم يقل احد بالوجوب
وانما قيل بالجواز والوقوع والجواب بانه من خصايصه التي يجب اعتقادها ه ابن اقبرس
تعسف وليس المراد وجوبه على الله حتى يقال انه لا يجب عليه شي وكل ذلك بمحض
تفضل منه وقيل المراد وجوب الجواز لان الجائز عقلا اذا وقع في الخارج انقلب عرضي
واجبا بالغير وان كان في حد ذاته ممكنا والمراد وقوع الرؤية انتهى ولا يخفى ما فيه
من التعسف والتمحل الذي لا يساعده العبارة وكون الجائز اذا وقع انقلب
واجبا لغيره لا معنى له فالظاهر ان هنا بمعناه الاصطلاحي لانه لو ورد مصرحا
به في نص قطعي من القران او الحديث المتواتر او المشهور وجب علينا ه
اعتقاده ولا يسع احد من اهل الملة ان يخالف فيه واليه اشار في اخر العقد
بقوله وجب المصير اليه الا ترى انه لما صح انه صلى الله عليه وسلم اخبر بالاسرا
وورد في القران انه اسرى به من الحرم للبيت المقدس لا يجوز انكاره سوا
كان مناما او يقظة او هو بمعناه اللغوي وهو الوقوع فانه اصل معناه
واطلاق الواجب على اللازم عقلا او شرعا معنى عرفي منقول منه والمراد
بالعرف فيه عرف اللغة وهذا مما صرح به ايمة اللغة والمصنف منهم قال
الامام الراغب يقال وجبت الشمس اذا وقعت ومنه قوله فاذا وجبت جنوبها

وقول الفقها

وقوله الفقها الواجب اذا لم يفعل استحق عليه العقاب وصف له بما هو عارض له فيجري
مجري قولك الانسان اذا مشي مشي برجليه انتهي والي هذا اشار فيما اوناني الفرق بين
الزمن والواجب فقوله والقول بانه راه بعينيه يشير اليه منوط فيخفي فلا اشكال
في كلامه وهذا يتضح في مقابلة الجايز بمعني الممكن بلا وقوع كما صرح به الراغب ايضا
فلا يرد علي ما قلنا ان وقوعه في مقابلة الجايز في كلامه يا باه فان هذا كله اعاجيبا
من توهم انه اريد به ما قاله الفقها وقوله بعينيه متعلق براه او تاكيد للضمير
ففيه صنعة من البديع وهي حسنة اذا جات احيانا من غير تكلف لا كما يقصده
بعض شعرا مصر فانه قبيح وهذا كقوله

رايت من اهواه لما ان رما • فقلت هذا قاتلي بعينه

فليس فيه قاطع اي دليل قطعي ايضا اي كما ان المنع لم يقم لمدعيه دليل قطعي ولا نص
اي دليل صريح فيه من الكتاب والسنة اذ المعول فيه اي المعتمد في استدلالهم
علي وقوعه لنبينا صلي الله عليه وسلم علي ايتي النجم اي علي ايتين في سورة النجم
ما كذب الفؤاد ما راي ولقد راه نزلة اخري الاية والتنازع فيهما ما ثور اي النزاع
في المراد منهما منقول عن سلف المفسرين والمتكلمين كما مر للقول بان الضمير لجبريل
والرؤية له بصورته الاصلية والاحتمال فيهما ممكن لعدم صراحتهما وقطعيتهما
في المدعي ولا اثر اي حديث قاطع متواتر عن النبي صلي الله عليه وسلم بذلك اي بكونه
صلي الله عليه وسلم راه بعين راسه وحديث ابن عباس رضي الله عنهما الموقوف عليه
المتقدم الذي ذكر فيه انه راه بعينيه خبر عن اعتقاده اي اخبر به عما كان يعتقده
بحسب ما ادي اليه علمه الجازم ولم يسنده الي النبي صلي الله عليه وسلم اي لم
ينقله عنه ويقول انه صرح له بذلك حتي يعتبر فيجب العمل اي القول به
والجزم باعتقاد مضمنه بضم الميم الاولي وفتح الضاد المعجمة والميم المفتوحة
المشددة اي ما تضمنه ودل عليه لفظه من رؤيته صلي الله عليه وسلم لربه
بعينيه فسماه عملا لانه من الاعمال القلبية وان اشتهر ان العمل فيما يكون بالجوارح
الظاهرة يعني ان الرؤية العينية ليس فيها نص قراني ولا حديث قطعي حتي يجب
اعتقاده ويكون منكره لمخالفة كثير من الصحابة والعلما في وقوعها وان كان الراجح
عندهم ثبوتها وبه صرح الغزالي والنووي واليه ذهب المص وان قيل انه مال
لخلافه في شرح مسلم ومثله اي مثل قول ابن عباس في اثبات الرؤية حديث ابي ذر
الغفاري رضي الله عنه الذي رواه مسلم قال سالته صلي الله عليه وسلم هل
رايت ربك فقال رايت نورا الخ في تفسيرا لاية يعني اية سورة النجم وحديث
معاذ بن جبل محتمل للتاويل بما مر وهو مضطرب الاسناد اي الطريق في روايته
والمتن هو نفس الحديث وكلام الرسول الذي رواه لانه المراد منه والمتن
اصله الظهر الذي به قوام البدن فشبه به ما يقصد من الكلام كلفظ الحديث
واللفظ المنقول ليشرح واضطرابه اختلاله واختلافه افتعال من الضرب فمثل
اضطراب سنده لانه رواه تارة عن ابن عباس الحضرمي مرسلا لانه ليس بصحابي
وتارة عن معاذ بن جبل واضطراب متنه لانه قال فيه رايت ربي في احسن صورة

تلمساني

فقال ففيه تختصم الملا الاعلى الحديث الذي تقدم وفيه لما سئل عن الغداة قال صليت
الليلة ما قضي لي ثم وضعت جنبي فاتاني ربي وفي اخرى عنه فقمت من الليل فصليت
ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فاذا انا بربي واختلافه والسند واحد
يوجب الاضطراب وقيل ان الحديث بطوله رواه ابن حنبل والترمذي وقال انه مرضي
حسن غريب وقال انه صحيح الاسناد وهو احسن ما يتمسك به في الرؤية وكذا قال
المنذري في الترغيب فما ذكره المص من اضطرابه ان اراد معناه اللغوي لاختلاف
الفاظه فنوع غير قادح لان الحديث الواحد قد تختلف الفاظه ولا يختلف معناه وان
اراد معناه الاصطلاحي وهو ما اختلف فيه راو وبان فاكثر فروره بوجوه مختلفة
لم يترجح احدها فليس فيه شيء منه ولو كان كذلك اوجب ضعفه وايضا الحديث
صحيح كما سمعته انفا وفيه نظر وحديث ابي ذر الاخر مختلف الفاظه المروية
ومثله قد يوجب الضعف لدلالته على عدم ضبط الراوي محتمل للرؤية العينية
وغيرها مشكل من حيث المعنى لجعله ذاته تعالى نورا فروي بالبناء للمجهول نور
منون مرفوع ويروى منصوبا ايضا اي بفتح الهمزة وتشديد النون والف
بعدها مقصورا اراه اي منعني وحجبني او ظهر لي نورا ورايت نورا غشيني
فكيف اراه والله وقد حال بيني وبينه سبحات النور المانعة من الرؤية في
جاري العادة وروي نوراني بالنسبة للنور على خلاف القياس كصنعاني وقيل
انه تصحيف والصواب الاول وفي المقتفي للبرهان تحتمل هذه الرواية ما سبق
بان يكون معناه الخالق للنور المانع للرؤية فنوع من صفات الافعال وقال المص لم
ار هذه الرواية ومن المستحيل ان تكون ذاته نورا لانه جسم وهو تعالى منزه
عنه باجماع المسلمين ومعنى نور السموات منورها او هادي اهلها او منور قلوبهم
او ذو بهجة وجمال وقال العراقي في تخريج احاديث الاحيا ما رايت لهذا الحديث
منكرا وقال ابن خزيمة في القلب من صحة اسناده شيء وزاد احمد في حديث ابي ذر مرضي
رجال اسناده رجال الصحيح انتهى وقيل هذا الحديث لا يشعر برؤيته ولا بعدمها
والمتفق عليه روايته هو الاول ويحتمل انه قال لان عنده من حديث الاسلام
ممن لا يفهم مراده لانه روي رايت نورا وما ذكره البرهان تكلف فان النور من
اسمائه تعالى اقول كل هذا الكلام مدخول والذي ارتضاه الغزالي كما ياتي ان
النور يطلق على الله تعالى حقيقة فان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره وهذا
وان كان منزعا حكميا صوفيا فقد وقع في كلام الاشعري ما يوافقه فانه قال الله
نور ليس كالانوار كما سياتي وعلى هذا فالروايتان بمعنى فانه نور النور الخفي بفرط
الظهور فان ثمت فنور نور على نور وقوله انه جسم غير مسلم وحكي اي نقل بعض
مشايخنا انه اي هذا الحديث او هذا اللفظ روي نوراني اراه قد عرفت معناه
وسمعت ما قاله المص اي في شرح مسلم من ان هذه الرواية لم تثبت وفي حديثه
اي حديث ابي ذر الاخر اي المروي من طريق اخر سالته اي النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت له هل رايت ربك فقال رايته نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما على
صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا هذا احتمل لان يكون اطلق عليه النور حقيقة

كما

كما قال او باعتبار لازمه كناية او استعارة اي لا يليق تحقيقه او ان المراد انه لم يره لان حجابه النور والى هذا اشار المص بقوله نور اي النبي صلى الله عليه وسلم قد اخبر انه لم ير الله تعالى وانما راى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى بناء على ما فهمه ولم يرتضه بعض الشراح والى هذا المعنى وانه لم يره يرجع قوله نورا اني اراه فانه نفي او انكار لرؤيته اي كيف اراه هو كقوله تعالى كيف تكفرون بالله فكيف للانكار او النفي اي كيف يتمكن من رؤيته مع حجاب النور المغشي للبصر اي الساتر او المانع له من الرؤية كالغشاوة وهذا اصل ما في الحديث الاخر حجابه النور وهذا الحديث رواه مسلم والطيالسي والبخاري عن ابي موسى الاشعري وهو ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام ولكنه يخفض القسط ويرفعه ويرفع عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وهو حديث صحيح وفي الحديث الاخر لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين وتلى قوله تعالى ثم دنى فتدلى اي نزل ليقرب من عنده وهذا بناء على ان الضمير فيهما لله تعالى لا لجبريل عليه الصلاة والسلام وتدليه من المتشابه كقوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا والكلام فيه مشهور ثم يجب حمل الرؤية القلبية فؤاد والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب بان يدرك بقلبه ما يدرك ببصره حتى يكون مشاهدا محسوسا له واقعا على ذاته لان في القلب نورا هو مبدا الابصار فيخلق به الله حتى يرى بلا واسطة للعين وكيف شاء اي بكيفية اخرى بغير خلق الادراك في قلبه ارادها لمن اراد ان يتجلى له بان يجعل له علما ضروريا يدركه به على وجه لا يعلمه الا هو لا اله غيره فان ورد حديث نص صريح بين في الباب في ثبوت الرؤية له بحيث لا يحتمل التاويل اعتقدنا بالبناء للمجهول اي اعتقده كل من وقف عليه وثبت عنده ووجب المصير اليه اي وجب علينا ان نذهب لاعتقاده ولا بعد لعدمه اذ لا استحالة فيه اي فيما ذكره من صحة الرؤية ووقوعه وهذا معنى الوجوب الذي قاله او لا كما وعد ناكثه ولا مانع قطعي يرده فيمنع من اعتقاده ويوجب تاويله او التوقف فيه كسائر المتشابهات والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب اي الخالق للتوفيق المنعم به على عباده وفي الختم بهذا لطف لطيفة من الاشارة الى ان تعارض احاديث الرؤية يحتاج للتوفيق لمن رزق التوفيق ولا شبهة فيما قاله وهو لا ينافي ان الاصح الراجح انه صلى الله عليه وسلم راى ربه بعيني راسه حين اسري به كما ذهب اليه اكثر الصحابة الا انه لما ورد ونقل خلافه ايضا ذهب الى انه امر غير قطعي فالاعتراض عليه بانه ان اراد بالقطعي كلام الله او حديث متواتر فمسلم لكن لا يلزم فكم من امر علمناه وجزمنا به وهو ليس في القران وفي الحديث المتواتر وان اراد انه ليس فيه حديث صحيح صريح يعمل به فهو غير مسلم ساقط وانه تركه خير منه

## فصل

واما ما ورد في هذه القصة اي قصة الاسراء من مناجاته اي مخاطبته لله ومحادثته لما ارتفع الى المقام الاعلى والمناجاة تكون بمعنى المحادثة وبمعنى المسارة بما يرمناه واصل معناه ان يخلو بمن خاطبه على نجوة اي مكان مرتفع من الارض وقيل هو من النجاة لانه سره كان من ان يطلع عليه غيره ثم شاع في مطلق المخاطبة ولذا عطف عليه قوله

صحيح

ك

معا

عرضي

وكلامه معه ليبين المراد به والضمير الاول للرسول كضمير مناجاته او لله كضمير معه اي
كلامه معه الثاني لقوله فاوحى الى عبده القرب البعد والى سرادقات عظمته وهو الرسول
الكريم صلى الله عليه وسلم او جبريل وقد مر ان مقام العبودية اشرف المقامات فلذا قال
الى عبده ولم يقل رسوله ولا نبيه ما اوحى اي ما يوحى امرا عظيما لا تحيط به العبارة
وفي الابهام اشارة الى تفخيمه وتعظيمه وانه مخزون لاسرار المعارف لا يطلع على
ما اطلعه الله عليه غيره ففي الابهام ولفظ العبد هنا موقع لا يليق بغيره الى ما تضمنته
الاحاديث الاتية والى بمعنى مع او غاية لابتدا مقدر اي ينتهي من الكلام الى ما تضمنته
الاحاديث فاكثر المفسرين جواب اما قيل الاكثر يقابله الكثير فلا يناسب مقابلته بال
والنادر منهم لحق العبارة جمهور المفسرين والامر فيه سهل على ان الوحي اسم
فاعل اوحى اي الفاعل للايحا وفي قوله فاوحى في هذه الاية الله الى جبريل عليه الصلاة
والسلام وجبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم الاشد وذا منهم اي الجماعة
من المفسرين قليلة شاذة خالفوهم فيه فشذ وذا اما جمع شاذ كقعود جمع قاعد او
مصدر اطلق على الفاعل مبالغة في انفرادهم به حتى كانهم عينه فذكر منهم
المنقول عن جعفر بن محمد الصادق صفة جعفر وقد تقدمت ترجمته انه قال
اوحى اليه بلا واسطة اي كلم الله محمدا صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ملك او غيره
والمراد بالوحي هنا الكلام وان كان اعم منه فعلى هذا ضميرا اوحى لله والمراد بالعبد
محمد صلى الله عليه وسلم وهذا بيان للمذهب الشاذ ونحوه اي ومثل ما قاله جعفر نقل
عن الواسطي وقد تقدمت ترجمته والى هذا القول المنقول عن جعفر والواسطي
ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في الاسرا بفتح همزة ان وهو وما معه بدل من
هذا وحكي ببنا المجهول عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله
عنهم وانكره اي انكر تكليم الله له صلى الله عليه وسلم بلا واسطة قوم اخرون
وليس المنكر النقل فقط كما توهم لان السياق يا باه وذكر النقاش السابق ذكره
في تفسيره المشهور نقلا عن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الاسرا عنه عليه الصلاة
والسلام في تفسير قوله فدنى فتدلى قال صلى الله عليه وسلم فارقني جبريل اي
تخلف عنه في المعراج لان له مقاما لا يتعداه فانقطعت الاصوات عني بعدما فارقته
وبعدت عنه فسمعت كلام ربي وهو يقول لي جملة حالية اي قائلا لي ليهدا
روعك يا محمد بلام الامر ويهدا بفتح المثناة التحتية وسكون الهاء ودال مهملة
خفيفة مفتوحة وهمزة ساكنة لانه مضارع مجزوم بلام الامر فان ابدل الفا
جاز فتحها وحذفها كالمعتل الاخر والروع بفتح الرا الخوف والهدء معناه
السكون والمعنى ليسكن فزعك اي ليذهب فزعك وخوفك ويجوز ضم الرا
المهملة والروع بالضم القلب والمراد ليقر قلبك ولا يضطرب من الخوف
ويجوز ان يراد بالمفتوح ايضا القلب لانه محله وفي الروايات بمعنى ادن ادن
امر من الدنو وهو القرب اي تقدم وادخل الى حظاير القدس وانما قاله له
تشريفا له صلى الله عليه وسلم واعلا لمنزلته وتطييبا لاستيحاشه لما انقطعت
عنه الاصوات ولذا امره بالاطمينان قلبه اولا وكرر امره تاكيدا او بيانا للزيادة

ابن الجوزي

وفيه

تربه من الله وان كان اقرب اليه في كل حال لتنزهه عن المكان وانما هذا بالنسبة له فاختاره
عنه بقوله دنا اشارة الى امتثاله الامر وفي حديث انس رضي الله عنه في الاسرا السابق ذكره
عن منه اي ما بعيد مثله فالحاصل في قوله فاوحى الاية ان الضمير الاول في اوحى لجبريل
وفي عبده لله والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم وفيه اضمار قبل الذكر لانه معلوم وضمير
اوحى الثاني يجوز ان يكون لجبريل وفيه تفخيم وتعظيم للوحي او لله اي اوحى جبريل العبد
الله محمد ما اوحى الله اليه ويجوز ان يكون الضمير في اوحى الاول لله وعبده محمد اي اوحى الله
الى محمد ويجوز ان يكون المراد بعبده جبريل اي اوحى الله الى جبريل والضمير في اوحى الثاني
لله اي اوحى الله الى عبده محمد ما اوحى جبريل اليه فاجاوه اليه بواسطة وعلى ان المراد
بعبده جبريل وضمير اوحى الثاني لله والمعنى اوحى الله لعبده جبريل ما اوحى الله اليه
ففيه تفخيم وعلى ان المراد بعبده جبريل وضمير اوحى الثاني له اي اوحى الله لعبده جبريل
ما اوحى جبريل لمحمد او لكل رسول لانه امين وحيه وما مصدرية او موصولة والذي
اوحاه احكامه او امر الصلاة او اوحى اليه لا يدخل نبي ولا امة الجنة قبلك وقيل امنكره
او هو سر في سر كما قيل

بين المحبين سر ليس يعرفه • قول ولا قلم للخلق يحكيه

وسياتي تفسير بقية الاية وتحقيقه وقد احتجوا في هذا اي استدلوا على انه تعالى
كلمه بلا واسطة بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل
رسولا فيوحي باذنه ما يشا ووجه الاحتجاج بينه بقوله فقال وهي اي اقسام الكلام
المثبتة في هذه الاية على وجه يفيد نفي ما عداها لان معنى ما كان لا يصح ولا يقع
ثلاثة اقسام منحصرة فيها الاول منها الكلام من وراء حجاب بحجب من خاطبه وكلمه عن
رؤية ذاته لا يحجب الله فانه يراه ولا يحجبه شي كما مر تفصيله فيسمع كلامه من غير
واسطة وهو لا يراه والحجاب سبحات النور وما لا يعلمه الا الله كتكليم موسى
اي كتكليمه تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام في الدنيا وموسى لا يراه فالتشبيه
بما ذكر فانه سمع من الشجرة كلام الله تعالى بغير واسطة ملك وهو لا يرى ذاته
تعالى والقسم الثاني من الوحي يكون بارسال الملائكة الى رسل البشر ليبلغوهم كلامه
تعالى ووحيه الذي وحاه اليهم وهذه الحالة في الوحي لحال جميع الانبيا عليهم
الصلاة والسلام واكثر حال نبينا صلى الله عليه وسلم وموسى ايضا في غير ما ندر من
كلامهما بغير واسطة في الدنيا قيل سوا راوا الملك او لم يروه فان الوحي على اقسام
كما ان يسمع كصلصلة الجرس من غير ان يراه وفيه نظر فان هذا ادخل في قوله وحيا
وفي قوله بارسال الملائكة اشارة الى انه غير مختص بجبريل لما روي ان اسرافيل عليه
الصلاة والسلام وكل به صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين في اول الامر وقد قسموا
الوحي الى نحو اربعين قسما ولكنها لا تخرج عن هذه الاقسام الثالث من اقسام
الوحي وكلام الله لرسله عليهم الصلاة والسلام قوله وحيا اي القا في قلبه بالهام
ونحوه قال الراغب في مفرداته اصل الوحي الاشارة السريعة ولتضمنه السرعة قيل امر وحي
وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب
وباشارة ببعض الجوارح وبالكتابة ويقال لما يلقى للانبيا انه وحي وهو على انواع حسبما

عرض

دل عليه قوله وما كان لبشر الخ وذلك اما برسول يشاهد ويرى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة معينة وبالسماع للكلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله واما بالالقاء في الروع كما ذكر ان روح القدس نفث في روعي واما بالهام او منام انتهى فالاخير هو المراد بالوحي هنا وسيشير اليه المص ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة اي الكلام من غير واسطة وهي في الاصل ماخوذ من الشفه فتجوز به عن هذه المخاطبة والمكالمة مع المشاهدة اي معاينة المخاطب لمن كلمه من غير واسطة ولا حجاب مانع من الرؤية فيخص الله بها من شاء من خلص عباده المقربين كنبينا صلى الله عليه وسلم وقد استدل بهذه الاية على نفي الرؤية لحصر تكليم البشر في الثلاثة فاذا لم ير من يكلمه وقت الكلام لم يره غيره اجماعا واذا لم ير هو اصلا لم يره غيره ايضا اذ لا قائل بالفصل والجواب انه يحتمل ان يكون المراد حصر التكليم في الدنيا في هذه الثلاثة او نقول يجوز ان تقع الرؤية حال التكليم وحيا اذ الوحي كلام بسرعة كما تقرر وهو لا ينافي الرؤية فلا دليل على ما ذكر اصلا كما حققه ابن الخطيب في رسالته المشهورة يعني ان اعلام احد احدا بامر اما بغير مشافهة وكلام معروف او بمشافهة بواسطة او بدونها والثاني اما مع مشاهدة او بدونها فانحصر في هذه الصور الاربعة والاية استوفت الاقسام الا ما كان مع مشاهدة الذي خص الله به من اراد وقد علمت ان ما ذكره غير متعين ولذا قال بعضهم ان قوله لم يبق الا المشافهة مع المشاهدة ممنوع لان سند منعه غير صحيح ولم يعرج احد منهم على تحرير كلامه هنا وقد قيل القائل هو الراغب وغيره كما سمعته الوحي هنا في هذه الاية ما يلقيه في قلب النبي صلى الله عليه وسلم اي في قلب اي نبي كان من الانبياء عليهم الصلاة والسلام الهاما وكونه دون واسطة اي بغير واسطة ملك يبلغه ما اوحاه الله اليه والالهام كما قال الزركشي ما حرك القلب بعلم يطمئنه الله فيه يدعوه الى العمل به من غير نظر واستدلال بحجة والذي عليه الجمهور انه خيال لا يجوز العمل به الا عند فقد الحجة وذهب بعضهم الى انه حجة بمنزلة الوحي لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها ونحوه وقال السمعاني انكار اصله لا يجوز انتهى ولا يخفى ان الخلاف في غير الهام الانبيا ومن كان في حكمهم فانه وحي وعلى هذا ينبغي تقييد ما في شرح جمع الجوامع وقال الواحدي في تفسيره نقلا عن الواقدي في تفسير قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الاية ان الرسول الذي ارسل الى الخلق باخبار جبريل عيانا وشفاها والنبي الذي يكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وقال النووي في تهذيبه ما ظاهره ان النبوة المجردة لا تكون برسالة ملك بذلك وليس كذلك وكلام الغزالي الذي يستشهد به يرد عليه انتهى وقد ذكر ابو بكر البزار بموحدة وزاي معجمة والف وراء نسبة لعمل بزر الكتان واستخراج زيته وهي لغة بغدادية وهو الامام الحافظ الذي تقدمت ترجمته عن علي كرم الله وجهه في حديث الاسرا الذي رواه المص بتمامه في اول الباب ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الاية يعني قوله تعالى

اي امري

فاوحي

ابن اقبرس

ما اوحى الى عبده ما اوحى لان الاية فيها احتمالات وحديث علي رضي الله عنه فيه التصريح
بسماعه صلى الله عليه وسلم كلام الله من وراء الحجاب وقوله صدق عبدي فلا يابا ان يكون
من عبده وجبريل في قول وان خلافه شاذ وكذا كون الوحي في الاية لمبهم ونحو معين
ولا ينافيه اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بالمشافهة مع الرؤية واختصاص
موسى عليه الصلاة والسلام بالتكليم كما توهم وقد ذكر البزار او علي رضي الله عنه
انه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب اي قال الله تعالى لكلا الاذان
صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك الا قوله حي على الصلاة
حي على الفلاح كما مر ولكونه معلوما لم يبينه عليه ووجهه ان المشروع لسامع الاذان
ان يقول ما يقوله المؤذن كلمة بكلمة تصديقا له باقراره الا قوله حي على الصلاة الخ
فانه يقول فيه لا حول ولا قوة الا بالله وهذا لا يليق به تعالى فلهذا لم يجبه تنبيه
لنا امران الاول اختلف العلماء في صفة الاذان على اربع كيفيات مشهورة احداها تثنية
التكبير وتربيع الشهادتين وباقيه مثنى وهو مذهب اهل المدينة ومالك وغيره
واختار جماعة من اصحاب مالك الترجيع وهو ان يثني الشهادتين اولا خفيا ثم
يثنيهما مرة ثانية برفع الصوت والصفة الثانية اذان المكيين وبه قال الشافعي
وهو تربيع التكبير الاول والشهادتين وتثنية باقي الاذان والصفة الثالثة اذان
الكوفيين وهو تربيع التكبير الاول وتثنية باقي الاذان وبه قال ابو حنيفة والصفة
الرابعة اذان البصريين وهو تربيع التكبير الاول وتثليث الشهادتين وحي على
الصلاة وحي على الفلاح يبدا باشهد ان لا اله الا الله حتى يصل حي على الفلاح
ثم يعيده كذلك مرة ثانية اعني الاربع كلمات تبعا ثم يعيده ثالثة وبه قال
الحسن البصري وابن سيرين كذا قال ابن رشد في كفاية المقتصد الثاني ان حديث
علي رضي الله عنه يقتضي ان الاذان شرع ليلة المعراج وحديث الصحيحين المشهور
انه شرع بعد الهجرتين لما راه بعض الصحابة في منامه كما مر ولا يخفى ما بين
الحديثين من التعارض ولم يتعرض احد للتوفيق بينهما وان اعترض ذلك بانه
كيف يثبت التشريع بمنام لغير النبي واجيب بانه ثبت بوحي لكنه صادف ذلك المنام
فالهم العمل به تطمينا لقلوبهم وجبرا لخواطرهم والظاهر ان يقال انه ثبت
بحديث الاسرا الا انه لم يبين له زمانه ولم يمكن اعلامه به قبل الهجرة فاخر
ذلك حتى يستنفق ظهور الدين وبهذا يتم التوفيق بينهما وتجب الكلام في بيان
مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبههما وفي اول فصل من الباب
منه وسنذكر ما فيه ثمة وكلام الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن
اختصه من احبابه اخص ويرد لازما ومتعديا كما هنا جمعه خصه جائز غير ممتنع
عقلا اي ثبت جوازه وعدم امتناعه عقلا وسمعا كما مر فلا يضر نزاع المعتزلة فيه
كما توهم ولا ورد في الشرع قاطع بمنعه اي دليل قطعي بمنعه كما لم يرد دليل
قطعي بثبوته ايضا فان صح في ذلك اي في الكلام بلا واسطة لغير موسى عليه الصلاة
والسلام خبر اعتمد عليه في الجزم بوقوعه وروي احمد وكلاهما مبني للمجهول
كما قاله البرهان وكلامه تعالى لموسى دروي ومكالمته لموسى عليه الصلاة والسلام

كاين حتى مقطوع نعتٌ ذلك بالبنا للمجهول على الحذف والايصال كمشترك اي نص عليه
في الكتاب العزيز والقران واكده الله تعالى بالمصدر دلالة على الحقيقة اي دلالة
على ان الكلام فيه بمعناه الحقيقي وان اختلف اهل السنة في معناه الحقيقي القديم
بل هو الكلام اللفظي والنفسي كما ذهب اليه الاشعري وتحقيقه في كتب الاصول
وهو مبحث طويل الذيل لا يسعه هذا المقام وفيه ارد على المعتزلة القايلين بان
الله لم يكلمه وانما خلق الكلام في جسم اخر كالشجرة فسمعه منها عليه الصلاة والسلام
منها لانهم نفوا الكلام النفسي وقالوا اللفظي حادث لا يقوم بذاته ودعوى قدمه
لا تعقل عندهم فمعنى متكلم عندهم خالق الكلام وموجده قايما بغيره فان قالوا
انه حقيقة لانه الخالق له والفاعل فباطل لان الفاعل الحقيقي في اللغة من قام
به الفعل لا من اوجده فقد اناس من قدم الرز فنفي الفاعل الحقيقي اللغوي والحقيقي
في الحقيقة ونفى الامر كما حققه الابهري في حواشي العضد فيلزمهم اثبات المشتق
بدون ثبوت ماخذه له وان قالوا هو مجاز فالتاكيد بالمصدر في قوله وكلم الله
موسى تكليما يرده لان التاكيد اللفظي والمعنوي يمنع التجوز كما ذكره اهل المعاني
وهذا من قبيل الاول كما اشار اليه المص هكذا قرره الاصوليون ورده ابن عبد السلام
بان التاكيد بالمصدر لمنع التجوز في الظرف ودفع الشك في الحدث لا المحدث عنه
والاسناد اذ التاكيد انما هو للفعل فالكلام وقع حقيقة ولكن ممن صدر والتاكيد
للتحقيق وقوعه فقط واجاب ابن عرفة بان تاكيد المصدر وان كان لازالة الشك
في الحدث فلابد من ملاحظة من صدر عنه لانه لا ازالة الشك عن حدث فلان ولذا
قال البيانيون في قول هند زوجة روح بن زنباع بنجوم • • •
بكي الخز من روح وانكر جلده • وعجت عجيجا من جذام المطارف • •
انه ترشيح للمجاز اقول هذا كلام ساقط جدا فانهم ادعوا ان تاكيد المصدر
يرفع التجوز عن الاسناد ويقتضي ان التكليم مسند لفاعله الحقيقي والمعترض
يمنعه ويقول انما يمنع التجوز في الظرف وهو الكلام لا موكد لفعله كما صرح
به واهل المعاني لم يتعرضوا لهذا والبيت وارد عليهم لان العجيج مجاز وقد
اكد فلا يمنع مجازا اصلا وكونه ترشيحا عليه لا له وبهذا اعرفت ما يرد على المص
ورفع مكانه اي مكان موسى الكليم على ما ورد في الحديث الصحيح الذي فيه مقاما
الانبيا عليهم الصلاة والسلام الذين لقيهم النبي صلى الله عليه وسلم في السموات
حين اسري به انه في السما السابعة هذا ابنا على بعض الروايات والذي صححه الحاكم
وغيره انه عليه الصلاة والسلام في السما السادسة وجزم به ابن المنير وغيره
وما ذكره المص موافق لما ذكره البخاري في التوحيد وعدل عن المشهور لانه انسب
بمراده فالقول بانه غلط وان الذي في السما السابعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وهم من قايله وقوله بسبب كلامه متعلق برفع اي سببه رفعته عليه الصلاة
والسلام على غيره كونه شرفه بكلامه في الدنيا ورفع محلا صلى الله عليه وسلم
حين اسري به فوق هذا الكل اي فوق هذه المقامات كلها في حياته صلى الله عليه وسلم
بهيكله البشري حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام تقدم شرحه فكيف يتخيل

ومنبع

ويمتنع عقلا في حق هذا او يبعد بعد جوازه وثبوته ما يدل عليه سماع الكلام من كلام الله
بغير واسطة وتبيان تنزيه لله وتعظيم له وحمد له على ما انعم به لا تعجب فانه غير عاجب
هنا من الحق من شاء من رسله وخلص عباده بما شاء من جزيل نعمه وكرمه وجعل بعضهم
راجح له باعتبار معناه فوق بعض درجات كنبينا صلى الله عليه وسلم اذ فضله على
جميع الانبيا وختمه بهم لم يصل اليها سواه وهذا اقتباس من قوله تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فالمراد ببعضهم هنا محمد
صلى الله عليه وسلم وابهمه تفخيما لشانه واشارة الى تعيينه كما قيل •
واقول لبعض الناس عنك كناية • خوف الوشاة وانت كل الناس •
وان اختلف المفسرون في المراد به في الآية ولا يخفى ما في ختم الفصل بهذه الآية من
حسن المناسبة وبراعة القطع لما فيهما من ذكر الكلام ورفع الدرجات المناسب لهذا المقام

**فصل** واما ما ورد في حديث الاسرا وظاهر الاية من الدنو والقرب
على تفسيري وهو بيان لما وظاهر بالرفع والجر من قوله ثم دنى فتدلى الدنو
القرب ولذا اعطفه عليه عطفا تفسيريا وهو حسي ومعنوي والتدلي الامتداد
من علو الى سفل كما يلقى الدلو في البير هذا اصله ثم استعمل في القرب من العلو
حسا او معنى فهو اخص مما قبله فلا تقديم وتاخير فيه والاصل فتدلى فدنا وليس
بمعنى لان العطف بالفا يا باه والتاسيس خير من التاكيد وقيل دنا بمعنى قصد
القرب منه صلى الله عليه وسلم فتحرك من مكانه نحوه وقيل تدلى من الدلال
كتملى اصله تمطط والضمير فيهما لجبريل عند الجمهور اي دنا جبريل من النبي صلى
الله عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى عليه لانه لما
راه بصورته الاصلية هاله وردة الله لصورته التي كان يراه عليها وقرب منه
وقيل الضمير لله اي دنا من نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مجاز عن اجابة
دعائه واعطائه ما تمناه باشراق نور المعرفة ومشاهدة اسرار الغيب لانه منزه
عن المكان كما سياتي بيانه فكان قاب قوسين او ادنى القاب ما بين مقبض القوس
وموضع ربط الوتر من طرفيه ولكل قوس قابان وقيل القاب حيث الوتر من القوس
وقيل معناه قدر والقوس معروفة وقيل هي هنا الذراع لانه يقاس به فالمعنى
قدر ذراعين وروي عن ابن عباس وعلى الاول فقيل فيه قلب اي قابي قوس اي
بينهما مسافة مقدار قاب قوسين اي بين النبي وجبريل لان جبريل هو الموصوف
بما قبله وهذه رواية عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ورجح هذا الوجه
على رواية شريك انه الله ولهم فيها كلام كثير وقال الرازي هذا على عادتهم
اذا تعاقدا كبيران او نحوهما الحا اجعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن
دونهما يضع كفه بكفه واو للتحقيق قدر المسافة لا للشك كقوله فارسلناه
الى مائة الف او يزيدون وقيل للشك بالنسبة للرائي وقيل بمعنى بل او الواو
وادنى افعل تفضيل اي اقرب من قاب فاكثر المفسرين جواب اما ان الدنو
والتدلي منقسم بين محمد وجبريل عليهما الصلاة والسلام اي كل منهما ثابت
لكل منهما لا لله اي دنا محمد من جبريل ودنا جبريل من محمد وتدلى كل منهما للاخر او

المراد ان الدنو لمحمد والتدلي لجبريل فالانقسام بمعنى توزيع الوصفين بينهما
وهذا المراد بعشوريته الاشلية او يختص احدهما من الاجزاء اي يختص لمحمد صلى الله
عليه وسلم او بجبريل والمعنى دنا وتدلى محمد من جبريل او دنا وتدلى جبريل
من محمد او من السدرة المنتهى اي يختص الدنو والتدلي من السدرة لامر الاخر
قال الرازي فخر الدين المشهور وقال ابن عباس كما رواه ابن الجكانر عنه
هو اي الذي دنا وتدلى في الاية محمد دنا فتدلى من ربه ودنوه منه كناية
عن قرب منزله ومشاهدته من قدسه ما لم يتيسر لغيره وقيل معنى دنا
قرب وتدلى زاد في القرب فهو ترقى في تقريبه من ربه قربا معنويا لا حسيا وقيل
هما اي دنا وتدلى بمعنى واحد اي قرب قربا معنويا بجنيله انعامه ولا
يخفى ان العطف بالتاعير وارد في مثله ولذا امتنعه واحد والقول بانه للتاكيد
وافادة انه قرب بليغ لاتساعه العبارة وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس
رضي الله عنهما في رواية ابن حرب عنه هو اي من اسند اليه الدنو الرب دنا من
محمد صلى الله عليه وسلم ليس المراد الدنو المكاني لتنزه الله عنه ولا العلم لانه
لا يختص به حتى يذكر في مقام مدحه وتعظيمه بل قرب المنزلة باعلا مقامه
واطلاعه على عجايب ملكوته فتدلى اليه اي نزل الرب لمحمد صلى الله عليه وسلم
فهو على حد قوله ينزل ربنا الى السما الدنيا في الثلث الاخير اي تجلى له ونظر
اليه بلطفه وكرمه ونشر بيقه تخلطا به كما سياتي بيانه فقوله اي امره وحكمه
لم يرد به انه فاعل تدلى كما قيل وانما هو ضمير الله ايضا وهو استعارة او
كناية عما ذكر واليه اشار القاضي رحمه الله بقوله المقصود من الاية
تمثيل تخفيف اسماعه لما يوحي اليه بنفي البعد عنه وحكى النقاش في تفسيره
عن الحسن البصري انه قال دنى الله من عبده محمد صلى الله عليه وسلم دنو
مرتبة وقرب معنوي فتدلى اي فقرب منه لعنايته واختصاصه الاولى
فزاد قربه اليه كما مر فاراه ما شا ان يريه من اثار عظمته وقدرته فاري
تعدى بنقدت لمفعولين او علمية مفعولها الثالث مقدر اي اراه عظمته
وقدرته مشاهدة معاينه والاول اظهر واقرب قال اي النقاش والحسن
قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر فاصله فتدلى فدنى اي فتدلى
الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهو البساط مطلقا
او البساط الاخضر وقيل ما كان من الديباج وفي الصحاح الرفرف ثياب
خضر تتخذ منه المجالس وكسر الخبا وجوانب الدرع وما تدلى منه واحده
رفرفه فهو من البسط والفرش وفسر بالزرابي والمرافق وقيل الثوب العريض
او حواشيه من رف يرف تحرك ومنه رفرفة الطاير بجناحيه ويطلق على
الستارة وطرف الخيمة وفي الحديث رأينا النبي صلى الله عليه وسلم فرفع
لنا الرفرف فرأينا وجهه ومنه رفرف الاولياء في الجنة وهو بساط
اذا استقروا عليه طار بهم لاي جهة ارادوها بقدرة الله وورد في المعراج
انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه بالرفرف جبريل عليه

عرضي

دلجي

دلجي

الصلاة والسلام

الصلاة والسلام فتناوله فطار به الى العرش يرفعه ويخفضه وحيي لي العاصو فيه
بالتمجيد وهو مركب له صلى الله عليه وسلم كالبراق وقد فسر قوله متكئين على رفرف
خضر ببعض هذه الوجوه وبانه رياض الجنة والى هذا اشار بقوله فجلس عليه ثم رفع اي
رفعه الله بقدرته وهو مبني للمجهول ودنا الرفرف او النبي صلى الله عليه وسلم من ربه
بالمعنى السابق قال صلى الله عليه وسلم بيانا لما هو عليه بعد ان علا الرفرف وفارقني
جبريل وانقطعت عني الاصوات اي اصوات الملائكة عليهم الصلاة والسلام وسمعت
كلام ربي عز وجل من غير واسطة وليس كلاما خلقه الله في بعض الاجرام كما زعمه
المعتزلة كما مر وفيه اثبات الكلام النفسي لله تعالى كما ذهب اليه السلف وتبعهم
الشهرستاني في مقالته المشهورة ومن ينكره يقول الكلام النفسي يسمعه الله بقدرته
والمحققون له مقرر في علم الكلام وعن انس في الصحيح اي مروي في صحيح البخاري
عرج بي جبريل صاعدا الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة عطف بيان او بدل
والجبار هنا بمعنى العلي الاعلى من قولهم نخلة جبارة اي طويلة مرتفعة هذا
هو المناسب للمقام لانه انسب من تفسيره بالقاهر لعباده على ما اراده من امر ونهي
وان فسر به ايضا والعزة من عز بالفتح اشتد وبالكسر صار عزيزا وهذا من حديث
شريك السابق وقد استغربه الذهبي وفيه نظر فتدلى تقدم تفسيره حتى كان
رب العزة منه صلى الله عليه وسلم قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى
اليه خمسين صلاة كما مر وذكر حديث الاسرا بتمامه كما تقدم وعن محمد بن كعب القرظي
السابق بيانه هو اي الموصوف بانه دنا كما سياتي بيانه محمد صلى الله عليه وسلم
اي دنا محمد من ربه فكان قاب قوسين اي مقدار قاب قوسين في القرب منه او ادنى
قال اي محمد بن كعب وقال جعفر بن محمد الصادق وهو الاتي بعده ايضا ادناه ربه
حتى كان قاب قوسين وقال جعفر بن محمد المذكور والدنو من الله لا حد له اي
الدنو من جانب الله ليس دنوا مكانيا محدودا بحد كالاجسام بل دنو معنوي
ومن العباد بالحدود والمكانية الحاصة لهم لا الحد المنطقي المبين للماهية
وقال جعفر ايضا كما قاله التاليف انقطعت الكيفية عن الدنو من جانب الله اي
دنوه من عباده ليس له كيفية مخصوصة وحالة معروفة لانه امر معنوي
غير محسوس والكيفيات احوال محسوسة وسميت كيفية لانها يسال عنها
بكيف وهذه لفظة مولدة لم تسمع من العرب ومخالفة للقياس لان كيف لا تنسب
اليها ثم وضح ذلك بقوله الا ترى الخطاب عام لكل من وقف عليه كقوله تعالى
ولو ترى اذ وقفوا على النار والرؤية نظرية او عيانية او علمية والا بفتح الهمزة
وتخفيف اللام وما في بعض النسخ الا بصورة الاستثنا وانه سمع منه بعيد
كيف حجب بالبنا للفاعل اي منع جبريل بالنصب مفعول له ويجوز بناؤه للمجهول
ورفعه عن دنوه الى ربه ودنا محمد صلى الله عليه وسلم الى ما موصول له
او موصوفة وفي نسخة ودنوه مصدر منصوب على كيف اي الا ترى كيف
الخ وترك دنوه او ودعه قلبه صلة ما او صفة دنا او ودعه مبني للمجهول وقلبه
نائب فاعله وفي بعض النسخ بالبنا للفاعل ونصب قلبه مفعول له كما قاله البرهان

من المعرفة الالهية والمواهب الربانية والايمان بما لا طريق له الا السمع لعد البعثة
وعليه حمل قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وان الايمان بما يقتضيه
العقل كوجود الباري ووحدانيته ومعنى قوله فتدلى اي نزل عما كان عليه قبل
هذا لسكون قلبه الى ما اداناه الى ربه لما اطمان قلبه وزال عن قلبه الشك
والارتياب في انه هل يصل الى حضرة القرب وينال اثا فته بالاكرام والانعام
ويترقى الى اعلى مقام فاتح الله امنيته وليس المراد الشك فيما يتعلق بالله
ومعرفته فانه صلى الله عليه وسلم اقوى الناس معرفة وايمانا واثبتهم
جانبا وايمانا واشدهم طمانينة وسكونا ولهذا اسقط ما قيل انه لم يكن اي اقربهم
عنده شك لا امتلا قلبه بالمعرفة والايمان وتطهيره من دنس الشك ووسوسة
الشيطان وقيل انه لما فارق جبريل حين اختطفه الرفرف وخشي ان يكون ذلك عرضي
الاحد مؤديا الى الهلاك وخاف من مكر الله به وشك فيما يؤول اليه امره
فلما خاطبه الله وقال له ليهدا روعك علم ان الله انما اراد تقريبه والانعام
التام عليه فزال شكه وانشرح صدره وثلج قلبه ببرد اليقين وحصول مراتبه
التمكين والالطاف ما لا يليق بمقامه قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف
رضي الله عنه اعلم انما وقع بفتح الهمزة وتقدم معنى اعلم من اضافة الدنو
والقرب هنا اي من اسناده الى الله ومن الله ووصفه به فالاضافة بالمعنى
اللغوي لا الاصطلاحي وقوله هنا اي في هذه الاية فليس بدنو مكان هو خبر
ان المفتوحة وزيد فيه الفا لان اسمها موصول اي ليس فيه قربا محسوسا بل
معنوي ولا قرب مدا بزنة فتى فسر بالغاية والنهاية والظاهر ان معناه
المكان الممتد كما يقال مد البصر ومداه ولا عبرة بما قيل ان الثاني خطا فانه ورد
في الحديث كما ذكره النووي في شرح مسلم بل كما ذكرناه عن جعفر بن محمد الصادق
ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة
عظيم منزلته الابانة بكسر الهمزة بمعنى الاظهار وهو مرفوع خبر دنو المبتدا
وتقدم معنى المنزلة والرتبة والمراد العلو المعنوي وتشريف رتبته بالجر
ويجوز رفعه واشراق انوار معرفته اي اظهار اثار معرفة الله عليه ففيه
استعارة مكنية او تشبيه ان كان من قبيل لجين الما ومشاهدة اسرار غيبه
وقدرته اي وقوفه على ما في عالم الملكوت مما هو مغيب عن خلقه الا من خصه
الله باطلاعه عليه ومن الله تعالى له اي امتنان من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
ويحق بعد العلم بتنزيهه عن الحيز والقرب الحسي ومعناه مبرة مفعلة
بالفتح بمعنى البر وله معان منها القبول والاحسان وتانيس اي لطف به يذهب
استيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات وغاب الفه وهو جبريل عليه الصلاة
والسلام وبسط اصل معناه التوسعة قال تعالى ولو بسط الله الرزق
لعباده ومنه البساط ويطلق على السرور ايضا وليس بمعنى مولولاته
وورد في الحديث فاطمة بضعة مني يبسطني ما يبسطها كما مر وذكره ابن قرقول
في مطالعه وهو المراد اي تانيسه بما يسره من مخاطبته بما يسره واكرام بتجليه

ولقطه

ونعليه ويتاول فيها اي يأول الدنو الوارد في الحديث ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى السما
الدنيا يعني ان الدنو الواقع في الاية كما ورد مثله في بعض الاحاديث ان اوليا الله قريبون
من الله ليس على ظاهره قربا حسيا بل معنويا باللطف والاكرام وقد يأول بعلم اسبوا
وظواهرهم وقدرته على التصرف فيهم وعليه قوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون
كما اول النزول المسند الى الله في حديث ابي هريرة رضي الله عنه المتفق على صحته انه صلى الله
عليه وسلم قال ينزل ربنا الى السما الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير يقول
من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له بالا قبال عليهم
بالنعامه واجابة دعائهم ومغفرة ذنوبهم وافاضة مواهبه عليهم وتاويله بنزول
ملائكته بعيد هنا وان ذهب اليه بعضهم وبنا فيهما مبني للمجهول على احد الوجوه
في تاويله من ان نزوله تعالى انما هو نزول افضاله بتفصيله وانعامه واجماله اي فعل
جميل بهم على عادته وقبول لتوبتهم واستغفارهم واحسان بالجود والكرم عليهم
وليس المراد انه يتقدم بمضاف من مجاز الحذف اي ينزل احسانه كما قيل فهو تمثيل
لسرعة اجابته والحاح طلبته ولزيادة لطفه واعتنائه به بمن قربه كبير له مقام
عالي حتى انه قد ينزل اليه اذا سمع نداه فهو استعارة تمثيلية او تبعية تصريحية
وقال الواسطي المتقدم ترجمته من توهم انه تعالى ولله المثل الاعلى بنفسه دنا
دنوا حقيقيا محسوسا بدانة لا دنو لطف واكرام معنوي مجازي فقد جعل ثم
بفتح المثلثة وتشديد الميم ويقال ثمة بها ايضا كما تكون بها مرسومة خطا
ثابتة لفظا في الوقف ومعناه هناك واصل وضعها للاشارة الى المكان بعيدا او قريبا
على الخلاف فيها وقد يتجوز بها عن المعنى ونحوه بتشبيهه بالمكان على انه استعارة
فيه كما هنا فانه اشارة للاية والحديث المذكور فيه الدنو والنزول وقوله مسافة
بالنصب مفعول له فان جعلت الاشارة اليه على تقدير انه على حقيقته فلا والمسافة
المفازة من السوف وهو شم التراب والبول ومنه قيل للمفازة مسافة لان الدليل
يشم ترابها كما حققه الراغب ولا مسافة لاستحالتها عليه تعالى بل كلما دنا احد
من المخلوقات بزعمه بنفسه من الحق اي الله تعالى تدلى نزل من علو الى سفل
بعدا اي لعبده كما قصده فهو مفعول له او تمييز من نسبة تدلى يعني الواسطي
بقوله هنا تدلى بعدا اي كلما حاول القرب نزل لساحة البعد عن درك حقيقته
متعلق بمقدر يعني بعدا او بعدا عن ادراك حقيقته وذاته قال البرهان الحلبي
في حاشيته درك بفتح الدال والرا المهملتين وضبطه بعضهم باسكان الراء
والاشهر هنا الفتح ومعناه الادراك واما الدرك ضد الدرج فبالفتح لا غير
وحكي فيه الوجهان وفيه نظر اذ لا دنو للحق ولا بعد بالمعنى المكاني لاستحالتها
عليه تعالى وما ورد مما يوهمه مأول كما عرفته وانما علم حقيقته يكنهها
فيه خلاف ليس هذا محله ولا وجه للتعرض له هنا وقوله قاب قوسين او
ادنى بالمعنى الذي مر بيانه وهذا جواب سؤال ودفع لما يتوهم من انه يقتضي
قربا حقيقيا ومسافة كما اشار اليه بقوله فمن جعل الضمير المقدر في قوله
ثم دنى فتدلى عائدا الى الله لا الى جبريل على هذا التاويل السابق انتفا

طمنهم

اي اقرب

دبج

كان اي الدنو المذكور عبارة عن نهاية القرب اي معبرا به عن غاية القرب المعنوي من عباده
ولطف المحل اللطف عبارة عن الامور الخفية وما لا يدرك بالبصر كما في قوله وهو اللطيف
الخبير اي هو عبارة عن دنو معنوي ومنزلة معنوية لا تختص بالابصار وايضاح المعرفة
الالهية التي وهبها من العلم اللدني في خطاب قدسه لمن خصه برفعة المنزلة من خلص
عباده الذين جعلهم محرم اسراره وانفتاح بالمثناة الفوقية افتعال من الوضوح وفي
بعض النسخ بالمثناة التحتية مصدرا وضحه ايضاحا والاشراف على الحقيقة اي الاطلاع
عليها واصله من اشرف اذا وقف على شرف وهو المكان العالي ثم اريد به لازمه من
الوقوف والاطلاع كناية او مجازا من محمد صلى الله عليه وسلم اي كان الدنو بالمعنى
المذكور من نبينا صلى الله عليه وسلم وكان الدنو المعنوي عبارة عن اجابة الرغبة
اي اجابته لما موله الذي هو غاية مطلوبه ومرغوبه وقضاء المطالب اي اعطاه
مطلبه الذي طلبه منه ووعده به وفي القضاء اشارة الى انه كالدين لان عدة الكريم
دين واظهار التحفي بحا مملة وفا ومثناة تحتية وهو المبالغة في البر والاناقة المنزلة
بالنون والقاف بمعنى اعلائها وفعلهما والمرتبة عطف تفسير من الله متعلق بما قبله
اشارة الى انه كله فضل وموهبة منه تعالى ويتاول فيه بالبنا للمجهول اي يتاول
القرب والدنو بتاويل مثل ما يتاول في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي
رواه البخاري على طريق التمثيل والاستعارة في قوله تعالى من تقرب مني شبرا تقربت
منه ذراعا ومن اتاني يمشي اي من اطاعني وسعى في ادا امتثال اوامري والمراد
انه يمشي مشيا غير بطي بالهوينا لمقابلته بقوله اتيته هرولة وهي المشي والجري
بسرعة والمراد اني اعجل له جزاي واوصل اليه احساني سريعا وتعبيره بسوقه
جزاي غير صحيح هنا اي والتاويل الذي اول به من تقرب الخ وما بعده هو قرب
بالاجابة لدعائه وهو مرفوع خبر لمبتدا مقدر والقبول لتوبته واثابته
بالاحسان وتعجيل بالمامول اشارة لمعنى الهرولة وهذا البعض حديث قدسي
صحيح رواه ابو هريرة رضي الله عنه اوله قال الله تعالى الكبريا ردائي
والعظمة ازاري من نازعني واحدا منهما قذفته في النار ومن اقترب
مني شبرا اقتربت منه باعا ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملا
ذكرته في ملا خير منه واطيب ومن جاني يمشي اتيته هرولة ومن جاني بهرول
جيته سعيا فاولوا معناه سرعة الاجابة والثواب لمن دعاه واطاعه فالتقرب
تمثيل للتحبب الى الله بالطاعة والعبادة وتفويض اموره وانه يضاعف
ثوابه ويزيده بما هو خارج عن القياس وليس في قوله في ملا خير منه دليل
على افضلية الملايكة كما سياتي ان شا الله تعالى وهذا تاكيد لما سبق وتتميم
له فلا يعترض عليه بانه تكرار من غير فايدة **فصل**
في ذكر ما يدل على تفضيله صلى الله عليه وسلم في القيامة بخصوص الكرامة
اي بما خصه الله يوم القيامة وفضله به على ساير الانبيا والرسل عليه
وعليهم الصلاة والسلام وذكر ما يدل على ما عقد له بحديث اسنده المصنف
من طريق الترمذي فقال حدثنا القاضي ابو علي الشهيد المعروف بابن سكرة

دلجي

ابن القرس

واسند لعلي

وفر

وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو الفضل ابن خيرون السابق ترجمته ايضا وابو الحسين بن الطيوري
وهو المبارك بن عبد الجبار هكذا هو في اكثر النسخ الصحيحة وفي بعضها ابو الحسن مكبرا
والصواب الاول كما ذكره الحافظ البرهان فالحسن ليس بالحسن هنا وهذا الحديث
تقدم اول الكتاب مسندا الى الترمذي بهذا السند قالا حدثنا ابو يعلى بفتح اوله وهو
احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم في ترجمته قال
حدثنا الشيخ ابو علي الحسن بن محمد بن احمد بن سعيد السابق ذكره وضبطه قال حدثنا
ابن محبوب ابو العباس المحبوبي راوي جامع الترمذي عنه قال حدثنا الترمذي قال
حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي المعروف بابن الطحان اخرج له ابو داود والترمذي
وقال ابو حاتم انه لين توفي في سنة اربع واربعين ومايتين وترجمته في الميزان قال
حدثنا عبد السلام بن حرب النهدي روى عنه اصحاب الكتب الستة وترجمته في الميزان
عن ليث بن ابي سليم بالتصغير القرشي الكوفي العابد الزاهد وفيه ضعف يسير لسوء
حفظه توفي في سنة ثمان وثلاثين ومائة عن الربيع بن انس عن انس رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا اي خرجوا من
قبورهم الى المحشر لانه صلى الله عليه وسلم راسهم وقايدهم فيبعث قبل موسى
وساير الرسل كما سياتي وهذا الحديث انفرد به الترمذي وقال انه حسن غريب
وانا خطيبهم اذا وفدوا اي قدموا على الله وقاموا بين يديه للحساب واصل الوفد
الجماعة تقدم الى من لهم فيه رجا وعنده قضا امورهم وعطاياهم ولما كان صلى الله
عليه وسلم هو الشفيع المشفع في المحشر المأذون له في التكلم وفصل القضا كان
ثمة كالخطيب في المجمع على عادتهم اذ كان لكل وفد خطيب غالبا وهذا السبب هنا من ابن افترس
قوله امامهم لا لانه لا تكليف ثمة كما توهم وفيه دليل على فضليته صلى الله عليه
وسلم وانه لم يدهش لهول المحشر وانا مبشرهم بالخلاص من المحشر وطول موقفه اذا
ايسوا من النجاة من شدة ذلك اليوم وهوله اذا زفت الازفة وبلغت القلوب الحناجر
والاياس بتقديم الهمزة القنوط من رحمة الله وروي يئسوا بتقديم اليا على
الهمزة وهما لغتان وروايتان لوا الحمد بيدي يوم القيامة ليعرفه صلى الله
عليه وسلم ويتبعه كل من في الموقف واللوامع وهو لوا حقيقي يسمى لوا
الحمد لانه يحمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره او حمد الناس كلهم له ويجوز انه يكون
كناية عن شهرته وتقدمه كقوله

اذا ما راية رفعت لمجد ● تلقاها عرابة باليمين ●

فهو اشارة لتقدمه صلى الله عليه وسلم وعظمته وكثرة حمده وامته الحمادون
وهو احمد ومحمد وتقدم الكلام عليه واللوا والعلم والراية والبند متقاربة
معنى لكن اللوا اكبرها وروى الطبري ان لوا الحمد يحمله علي كرم الله وجهه
بين يديه صلى الله عليه وسلم ولعل الاختلاف باعتبار مواطن الحمد فلا مخالفة
بينهما وانا اكرم ولد ادم على ربي اي اشرفهم ذاتا وصفة واوفرهم منزلة
والكرم صفة تجمع كل خير وان اختصت عرفا بالسخا وهذا تحدث بنعم الله
واظهار لما يجب اعتقاده وفي نسخة على ربه والمشهور لاكرم اولاد ادم والرواية

الصحيحة الاولى والولد صفة مشبهة بمعنى المولود يطلق على الواحد وغيره كما مر
ولا فخر جملة حالية مؤكدة اي انا لا اذكره للفخر بل للتحدث بنعم الله او ولا فخر بهذا
ادلي عند الله ما هو اعظم واشرف من هذا مع اني لم انله بسعي واجتهاد مني
وخبر لا محذوف اي فيه او عندي ونحوه والفخر الافتخار والتبجح بالامر بان يذكره
ليظهر علوه على غيره وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث
وزحر بفتح الزاي المعجمة وسكون الحاء ثم را مهملتين وهو عبد الله بن زحر
الافريقي العابد واصل معنى الزحر الصوت والانين ومنه الزحير للمرض المعروف
في الامعا والعامة تغلط فيه وتقول زحيل باللام روى عنه اصحاب السنن
وله ترجمة في الميزان واخرج له البخاري في الادب وفي روايته زيادة ومغايرة
في اللفظ على الرواية السابقة وهي ظاهرة وفي الاصل بخطه وفي رواية ابن زحر
والربيع بن انس وفي رواية الترمذي عنه عن الربيع عن انس وعلى كلا الوجهين
المروي عنه انس بن مالك رضي الله عنه كما قاله التلمساني انا اول الناس خروجا
اذا بعثوا كما تقدم وانا قائدهم اذا وفدوا القائد في الاصل الذي يقود
الدابة بزمام ونحوه ثم صار حقيقة في الرئيس الذي تتبعه الناس ويرتضونه
وفي امر الجيوش وجمعه قادة وتقدم معنى الوفد وان المراد به القادمون
للحشر فالمراد انه صلى الله عليه وسلم متقدمهم حسا ومعنى وانا خطيبهم
اذا انصتوا اي انا المتكلم بين يدي ربي في امرهم والشفاعة لهم وقد سكتوا
ولم يستطيعوا نطقا لحيرتهم والانصات والسكوت بمعنى وانا شفيعهم اذا
حبسوا في الموقف واضطربوا وفزعوا للانبيا عليهم الصلاة والسلام فقال
كل منهم نفسي نفسي فيشفع لهم صلى الله عليه وسلم الشفاعة العظمى
في فصل القضا وانا مبشرهم بالخلاص من هول الموقف والحبس فيه
اذا ابلسوا انقطعت حجتهم وتحيروا وسكتوا ليأسهم من النجاة وقيل
الابلاس الحيرة والندم ومنه ابليس لوا الكرم بيدي قريب مما مر
لفظا ومعنى وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر ويطوف على الف
خادم في الجنة من الحور العين كانهم لؤلؤ مكنون رواه الترمذي
وصححه ومكنون بمعنى محفوظ مستور لم تمسسه الايدي فهو
كناية عن كونها بكرا اذ انها بحيث لم ير مثلها وعن ابي هريرة رضي الله عنه
في حديث رواه الترمذي ايضا وصححه واكسى حلة من حلل الجنة اصل معنى
الحلة ثوبان من برود اليمن واحدا فوق واحد ثم اطلق على كل لباس فاخر
يعطى رعاية للابسه وفيه دلالة على قربه صلى الله عليه وسلم وكرامته اذ
كسي وجميع الناس عراة وحفاة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق
يقوم ذلك المقام غيري ذلك في محل نصب على الظرفية وفي مقامه صلى الله
عليه وسلم في جانب اليمين في مقام لم يقم فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب من
التكريم الدال على غاية القرب وسماع كلامه وقبول رجائه ما يليق بمقامه
الشريف والخلايق جمع خليقة وهو اسم جمع بمعنى جماعة من المخلوقين

وفي

وعن ابي سعيد الخدري في حديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه انا سيد ولد ادم يوم القيامة ظرف متعلق بسيد وتقييده به ليس للتخصيص كما سياتي بل لانها سيادة مسلمة له صلى الله عليه وسلم وهي اشرف من سيادة الدنيا ومر ان الصحيح ان السيد يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره والخلاف فيه مشهور على ثلاثة اقوال المشهورة وبيدي لواء الحمد ولا فخر تقدم معناه وما من نبي ادم فمن سواه بدل من نبي اي جميع الانبيا الا تحت لواي اي تابع لي في القيامة وليس المراد انه تحته حقيقة وعطف فمن بالفا لانهم بعده من غير فاصلة والمراد الترتيب الرتبي او الحقيقي وانا اول من تنشق عنه الارض يوم تبعث القبور وتنشق بقدرة الله وفيه اكرام له صلى الله عليه وسلم ولا فخر تقدم معناه وعن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث صحيح رواه مسلم عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة اي انا اشرفهم واقربهم عند الله في يوم لا يسود فيه غيري كما مر واول من ينشق عنه القبر اي قبره الشريف واول شافع يشفع للناس في الموقف واول مشفع بفتح الفا المشددة اي اول من يوذن له في الشفاعة وتقبل شفاعته وتفصيله ما في حديث البخاري يحبس المومنون يوم القيامة فيقولون له صلى الله عليه وسلم استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فاستاذن على ربي فيوذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شا ان يدعني فيقول ارفع راسك يا محمد وقل يسمع واشفع تشفع وعن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث رواه الترمذي والدارمي انا حامل لوا الحمد يوم القيامة ولا فخر كما مر وانا اول شافع في ازالة هول الموقف واول مشفع تشفع شفاعته وتقبل ولا فخر لي فخر تكبر وتبجح فيما خصني الله به وانا اول من يحرك حلق باب الجنة لتفتح لي ولمن يدخلها بعدي وحلق بفتح الحا المهملة واللام ويجوز كسر الحا فيكون بزنة بدر جمع حلقة بسكون اللام وقد تفتح وتكسر وفي القاموس ليس في الكلام حلقة محركة الا جمع حالق او هي لغة ضعيفة والمراد بباب الجنة باب مخصوص به صلى الله عليه وسلم يسمى باب محمد وباب الرحمة ولها ابواب غيره وقيل المراد جميع ابوابها وانه الظاهر والظاهر خلافه فيفتح لي بابها فادخلها وفي رواية وادخلها بالواو ويدخلها معي فقرا المومنين ولا فخر ويفتح بالتخفيف والبنا للمجهول والفاتح خزنتها او العز فيه والضمير للجنة والفا للتعقيب من غير مهلة في الفتح والدخول والمراد بالفقرا الفقرا الصابرون وهو شامل للسالكين والفرق بينهما مشهور والخلاف معروف وفي هذا دليل على ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر وقيل الغني الشاكر افضل والاول اصح ولذا اختار الفقر كثير من الانبيا والاوليا وانفق ابو بكر رضي الله عنه ماله في سبيل الله وتخلل في سلكهم والمحمود منه ما كان مع غنى القلب والنفس فان الغنى ليس بكثرة العرض وانما هو غنى النفس وهو كما قيل

غنى النفس ما يكفيك عن سد حاجة ● فان زاد شيا عاد ذاك الغنى فقرا

وفقر النفس ولو مع المال مذموم ولذا استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منه وكونه صلى الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة لا ينافي ما ورد في حديث الترمذي من انه صلى الله عليه وسلم دعى بلالا رضي الله عنه وقال

عرضي

له يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلتها قط الا سمعت خشخشتك وفي رواية سمعت
دف نعليك بين يدي في الجنة فانه كان في رؤيا لا في هذا الدخول او هو كما قال ابن القيم
كان دخوله دخول الخادم والحاجب الذي يتقدم سيده والمطرق في طريق سيده وهو بيان
لفضيلة الاذان وانما ساله صلى الله عليه وسلم وان كان اعلم به تطييبا لنفسه والمراد
بقوله معي ليس المساواة بل التبعية فلا يقال لا حاجة لقوله معي في الجملة وهي حالية
يقتضي المقارنة وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر المراد انه صلى الله عليه وسلم
من جميع الخلق وانا اكثر الناس اي الانبيا عليهم الصلاة والسلام وكذا روى ايضا
تبعا جمع تابع كخدم جمع خادم يعني ان امته صلى الله عليه وسلم اكثر من ساير الامم
ويقتضي هذا الكثرة اجره عليهم ويأتي التصريح به وافضليته على كل واحد منهم
وعلى جميعهم ايضا كما قررناه في محله وعن انس رضي الله عنه كما رواه الشيخان
انا سيد الناس واجلهم واعظمهم يوم القيامة خصه مع انه صلى الله عليه
وسلم سيدهم في الدنيا والاخرة لظهوره ثمة واختصاصه به ظاهرا من غير منازع
ومنكر كما وقع في الدنيا من المشركين وسياتي تفصيله في كلام المتن وتدرون لم
ذلك فيه استفهام مقدر اي اتدرون ما سبب هذه السيادة وحذف الاستفهام
لقرينة جايز كما صرحوا به يجمع الله الاولين والاخرين في المحشر وذكر حديث الشفاعة
اي ذكر انس رضي الله عنه هذا الحديث المذكور فيه الشفاعة بتمامه ولم نذكره هنا
لانه سياتي في الشفاعة وانه اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض
فياتون ادم عليه الصلاة والسلام ليشفع لهم فيقول لست لها الى ان قال
فاقول انا لها الخ وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اطمع
اي ارجو من الله طمعا ورجاء محققا له كقوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين وتعبيره صلى الله عليه وسلم بالطمع هضما لنفسه ان اكون اعظم
الانبيا اجرا يوم القيامة لان امته صلى الله عليه وسلم اكثر الامم واجر اعمالهم
له مثله لان من سن سنة حسنة له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة
واعمالهم مضاعفة وله صلى الله عليه وسلم مثلها ومثل اضعافها وهو
اعظمهم مشقة لعموم دعوته وكثرة من عتا وعاند من الكفرة مع تحمله
وصبره حتى قيل له صلى الله عليه وسلم لعلك باخع نفسك وفي حديث اخر
اما ترضون معاشر المسلمين ان يكون ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
وعيسى عليه الصلاة والسلام كلمة الله فيكم اي محسوبان من جملتكم تحولا
معكم يوم القيامة فيعدان من امتي وخصهما بالذكر لان ابراهيم عليه
الصلاة والسلام اشرف الانبيا بعده صلى الله عليه وسلم وهو ابو الانبيا
وابو اسماعيل الذي كانت العرب تزعم انهم على ملته ولان عيسى يبعث اخر
الزمان على دينه صلى الله عليه وسلم فيغير احكام النصرانية واما اداة
استفتاح كالا او مركبة من همزة الاستفهام وما النافية والمعنى واحد
ثم قال صلى الله عليه وسلم انهما في امتي يوم القيامة اي يعدون منهم
اما ابراهيم فيقول له صلى الله عليه وسلم انت دعوتي وذريتي اما

دعوته فقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك الخ يجعل عين الدعوة
مبالغة اي انه ممن جعله الله سببا باجابة دعوتي والذرية النسل والولد يطلق
على الواحد وغيره ولا شبهة في انه صلى الله عليه وسلم من نسل ولده اسمعيل
عليه الصلاة والسلام ولم يبعث فيهم نبي سواه فهو المجاب دعوته واما مبشري
اي كونه تابعا له صلى الله عليه وسلم وفي جملة امته يوم القيامة فالانبيا كلهم
اخوة اي كالاخوة في اتحاد امورهم مع الله ومع الخلق والاخوة اما لاب وام ويقال
لهم بنو الاعيان او لاب فقط وهم بنو العلات او لام وهم بنو الاخياف فلذا قال
بنو علات المراد بالعلات الزوجات الضراير وهو من العلل وهو الشرب مرة بعد
مرة والشرب الاول يسمى نهلا فكان الزوجات موارد للزوج او كان الاولاد متواردة
مختلفة في الرضاع وهذا اقرب والى هذا اشار بقوله امهاتهم شتى وامهات جمع ام
واصلها امهة ولذا جمع على امهات وصغر على اميهة وقيل انه في الاصل مضاعف
لقولهم امات واميمة وقيل اكثر ما يقال امات في البهايم ونحوها وامهات في
الانسان وهو يطلق على الام القريبة والبعيدة وشتى من الشتات وهو التفرق
جمع شتيت كمرضى ومريض اي مختلفة في الذوات والنسب فشبه الدين والعقيدة
الحقة التي هي سبب لبقايهم بالاب الواحد لاتحاد اعتقادهم ومع فقد عم على طريقة
الاستعارة واثبت لهم الاخوة تخييلا وكونهم بنو علات ترشيح وليست الاستعارة
تحقيقية كما توهم وشبه فروع الشرايع والاحكام بالامهات في حفظهم وتغذيتهم
فهو استعارة مستقلة تحقيقية او ترشيح بناء على جواز التجوز فيه والحاصل انهم
صلى الله عليهم وسلم بعثوا متفقين في اصول التوحيد مختلفين في فروع الشرايع
وقيل اراد انهم في ازمان متباينة والاول اولى وان بعيسى اخي بكسر همزة ان
واقيم الظاهر فيه مقام المضمر او الاخوة بمعنى المشابهة في الرسالة والصفات
الحميدة ليس بيني وبينه نبي لانه لم يبعث في الفترة التي كانت بينهما احد من
الانبيا ولما بينهما من المناسبة والقرب زمانا ومعنى كان اولى الناس به وهو
افعل تفضيل من الولاء والتوالي وهو عدم الفاصل بين الشيئين ثم صار عن القرب
فيقال اولى بمعنى احق واقرب من حيث المكان او الزمان او النسب او الدين كما ذكر
الراغب وهو المراد هنا وهذا من حديث رواه البخاري ومسلم وهو انا اولى الناس
بعيسى بن مريم في الاولى والاخرة الانبيا بنو علات امهاتهم شتى ودينهم واحد
وليس بيننا نبي وهو حديث صحيح روي من طرق فعلم ان ما ذكره الراغب والبحري
وابن عربي في فصوصه من انه كان بينهما نبي اسمه خالد بن سنان كان هو وقومه
بعدن فخرجت نار عظيمة من مغارة اهلكت الزرع والضرع فالتجا قومه اليه
فاخذ خالد يضرب تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة الى المغارة التي خرجت
منها فقال لقومه انا ادخل خلفها المغارة حتى اطفيها وامرهم ان يدعوه ثلاثة
ايام تامة فانهم ان نادوه قبلها يخرج ويموت وان صبروا اخرج اليهم سالما
فلم يصبروا ونادوه في اليوم الثاني فخرج وقال لهم اضعتموني واضعتم امري
وامرهم ان يدفنوه اربعين يوما يصبرون فيها فاذا تمت اتاهم قطيع غنم

يولد مهجا رمقطوع الذنب فاذا جاء في قبره نبشوه فيقتلونه ويخبرهم باحوال البرزخ
وما عاينه يقينا فلما اتم الميعاد كما قال هم منوا قومه ان ينبشوا قبره فابي
اولاده خوف العار وان يقال لهم اولاد المنبوش فمنعتهم الحمية الجاهلية على
ان ضيعوه فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته ابنته فقال لها
مرحبا بابنة نبي اضاعه قومه غير صحيح وما قيل من ان المراد نبي بني مشروع مبلغ
للاحكام يأباه لفظ الحديث فان النبي اعم ولو كان كما ذكر لقال انه رسول واحسن
منه ان يقال انه كان مستعدا للنبوة ولم يؤمر في ذلك وكذا ما نقل من انه كان
بينه وبينه غيره كلقمان وشعيبان فان مثله لا يعارض حديث الصحيحين كما ذكره
الحافظ ابن حجر والبرهان وغيرهما وقد علمت انه صلى الله عليه وسلم انما خص
هذين بالذكر لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام ابو الانبياء عليهم الصلاة
والسلام واسمعيل كان على شريعته والعرب يزعمون انهم على ملته وعيسى عليه
الصلاة والسلام قريب لعهده وسيصير من امته حقيقة وهذا الاتباع في قوله
ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كما توهم لان المامور به اتباعه
في التوحيد والعقايد دون غيرها من الاحكام وليس المراد تقليده بل مراده
انه موافق له فتامل وقوله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث السابقة انا
سيد الناس يوم القيامة جواب عن سؤال مقدر وهو لم خص سيادته صلى
الله عليه وسلم بذلك اليوم وهي غير مخصوصة به وهو سيدهم في الدنيا و
القيامة بل سيد جميع المخلوقات والخلق خالية ولكن اشار عليه الصلاة والسلام
بقوله هذا كما تقدم لانفراده عن غيره فيه بالسؤدد والشفاعة العظمى الدال
على عظمة قدره عند الله دون غيره من الرسل والملائكة المقربين والسودد بضم السين
المهملة وفتح الدال الاولى وقد تضم وتهمز الواو لضم ما قبلها وهي لغة طي
بمعنى السيادة وسيد وزنه فيعل او فعيل ودال الذال الثانية للالحاق اذ لجا الناس
اليه اي التجاوا واستندوا والتوسل به صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت او ذلك
الامر وهو تعليل لما قبله فلم يجدوا سواه صلى الله عليه وسلم يشفع لهم
ويخلصهم مما هم فيه من الكرب الذي لا يطيق غيره دفعه والسيد معناه لغة
هو الذي يلجا الناس اليه في حوايجهم اي يعتمدون عليه اذا قصدوه لقضاء مطالبهم
ولذا وقع هنا موقعه اذ المعنى انا من يقضي حوايج جميع الناس في الموقف ومن
هذا ظهر التخصيص وجه اخر الا ان هذا تفسير له بلازم معناه لان معناه من
يتبعه جماعة قومه وسواده والحوايج جمع حاجة على خلاف القياس او جمع
حايجة تقديرا ونادر وقد ورد في الاحاديث وكلام العرب كثيرا فصيحا فلا وجه لمن
انكره كالحريري وقد شنع عليه ابن بري وانشد له شواهد كثيرة وقد كان صلى
الله عليه وسلم يحب قضاء الحاجة وهو دابه في الدنيا والاخرة ولله در الصرصري
في قوله

الا يا رسول الاله الذي * هدانا به الله في كل تيه *
سمعت حديثا من المسندات * يسر فؤاد النبيل النبيه *

عجيب

ابن الفرس

واذا

وانك قد قلت فيه اطلبوا ۞ الحوائج عند حسان الوجوه ۞
ولم ار احسن من وجهك ۞ الكريم مجد لي بما ارتجيه ۞

وكان صلى الله عليه وسلم خليلا اي في وقت التجائهم اليه سيدا منفردا من سائر البشر اي منفردا عن جميع الناس حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه السيادة لم يزاحمه احد في ذلك اي لم يشاركه احد في كونه ملجأ للناس واصل معنى المزاحمة المدافعة ولا ادعاه لانكشاف الامر يوم القيامة حتى لا يمكن احد ان يدعي ما ليس فيه كما قال تعالى لمن الملك اليوم يعني ان الله تعالى يقول يوم القيامة لمن الملك في هذا اليوم او ينادي به مناد على رؤوس الاشهاد فلم يجبه احد فيجيب نفسه بقوله لله الواحد القهار اي الملك مخصوص به او يقوله اهل الموقف يعني ان قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم اليوم كقوله تعالى لمن الملك اليوم ووجه الشبه انه خص الملك بذلك اليوم كما خص رسوله صلى الله عليه وسلم سيادته به وان الملك له تعالى في الدنيا والاخرة لكن انما خصه بملك هذا لانه في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا متعلق بالمدعين يعني ان ملوك الدنيا لما تصرفوا فيها تصرف الملاك بتقديره تعالى ذلك لهم وتفضله عليهم ظنوا ان لهم ملكا حقيقة فلما افناهم بالموت وكشف الغطاء ظهر انهم عبيد عاجزون ليس لهم من الامر شيء فانقطعت الدعاوي وكذلك اي مثل كونه تعالى منفردا بالملك وظهوره حين انقطعت الدعاوي وتفرده صلى الله عليه وسلم حتى لجأ الى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة العظمى المعهودة فكان سيدهم في الاخرى اي في الاخرة لانه يقال لها اخرى واخرة وفي نسخة في الاخرة دون دعوى من احد من اهل الموقف انه سيد لعدم المنازع والمدافع وعن انس رضي الله عنه في حديث صحيح رواه مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي بمد الهمزة باب الجنة يوم القيامة فاستفتح اي اطلب الفتح بتحريك الحلقة فيقول الخازن اي بواب الجنة الموكل بها والمراد به رضوان رئيس خزنتها لانه ورد التصريح بانه كبير خزنته من انت فاقول انا محمد فيقول بك امرت اي بسببك امرت بالفتح اذا قرع الباب وتقديم الجار والمجرور للحصر بالنسبة لاول الفتح كما اشار اليه بقوله ان لا افتح لاحد قبلك والجملة مستانفة لبيان ما امر به وقيل انه بدل مما قبله اي امرت بلا افتح لاحد قبلك وانما فتح له قبل كل احد لسبق روحه صلى الله عليه وسلم للنبوة وسبق ذريته في الاجابة على سائر الذرات وفيه اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم اكثر الناس عملا واعتقادا وافضلهم لقوله تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وعن عبد الله بن عمرو بن العاص في حديث رواه الشيخان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر اي مسافة لجانب منه مقدار شهر والحوض مجمع الماء وهو معروف وهذا الحوض العظيم مخصوص به صلى الله عليه وسلم كما صرح به القرطبي في شرح مسلم وورد في حديث مرفوع رواه الترمذي ان لكل نبي حوضا ترده امته وروي انه صلى الله عليه وسلم له حوضان احدهما في ارض الموقف والاخر بعد الصراط له ميزابان من الكوثر وقوله وزواياه سواء يدل على انه مربع وماؤه ابيض من الورق بفتح الواو والراء المهملة

وكسرها وسكونها العفنة مطلقا او ما مزج منها وفي نسخة من اللبن وابيض افعل تفضيل
من البياض ضد السواد وقد سمع من العرب وورد في الحديث الا ان صاحب القاموس قال
انه شاذ وعلي الاول فلا وجه لاطلاق بعض النحاة انه لا يبني افعل من الالوان ومن العيوب
وانما يقال اشد بياضا وابلغ ونحوه وريحه اطيب من المسك الريح كالرائحة ما يشم ويطلق
علي الهوا وهو الاشهر ويجوز ارادته ايضا لان الهوا اذا تكيف بكيفية طيبة كان طيبا
ايضا كيزانه كنجوم السما كثرة واشراقا وكونها اكثر من النجوم حقيقة لا مانع منه لقوله صلي
الله عليه وسلم في الحديث والذي نفسي بيده لانيته اكثر من عدد نجوم السما التاكيده بالقسم
وقيل المراد المبالغة والكيزان جمع كوز وهو انا صغير يتناول به الما للشرب والاصل انه
انا ضيق الفم له عروة فان لم يكن له عروة فهو كوب وجمعه اكواب كما تقدم فان كان فيه
شراب فهو كاس من شرب منه شربة لم يظما ابدا اي لم يعطش بعده ابدا وروي يظما عرضي
ولا نظما ولا كلام فيه واما هذه الرواية فاستشكلت بان لم لنفي الماضي والمراد هنا نفي
الظما في المستقبل بدليل قوله ابدا المفيدة لاستغراق المستقبل واجيب بان المراد عرضي
نفي الماضي كانه لم يذق ظما في الماضي لشدة اللذة التي انسته ما قبلها واما ابدا
فانها تكون للماضي ايضا كما في التسهيل اقول هذا تعسف فالحق انها لنفي المستقبل
بقرينة قوله ابدا وهي ترد كذلك اذا اقترنت بالشرط نحو ان لم تحسن لي غدا كان كذا وهو
كثير في كلامهم ومن هنا شرطية او في معناها فهذا سهو من قايله ويظما مهموز
ساكن الهمزة ويجوز ابدالها الفا وقيل ان لذة المشروب انما تكون بالاشتها وهو ابن اقبرس
انما يكون لمن عطش واهل الجنة متنعمون في الماكل والمشرب واجيب بان المراد انه
لا يشتد عطشه وليس بشي لانه قد يشرب بدون عطش للتلذذ كما نشاهد في خمور
الدنيا وروي من يشرب بالرفع علي ان من موصولة ويجوز ما علي انها شرطية كما تقدم من هو ٣ مرفوعا بخ
وعن ابي ذر رضي الله عنه جندب بن جنادة نحوه اي روي عنه ما هو بمعناه او قريب
منه وان لم يكن مثله وقال زيادة علي ما مر في روايته طوله ما بين عمان الي ايلة
اي طول الحوض كطول ما بين هاتين البلدين وعمان بضم العين وفتح الميم المخففة
وبفتح العين وتشديد الميم وهو المروي في حديث الحوض قرية بالشام وحكي فيه التخفيف
ايضا وهو المراد والتي باليمن بالضم والتخفيف لا غير وقيل انها المرادة هنا الرواية
ما بين بصري وصنعا والمراد زيادة الطول فلا تعارض الروايات وايلة بفتح
الهمزة وسكون المثناة التحتية ولام وهي بلدة بالشام بساحل البحر بين طيبة
ودمشق وقيل غير ذلك وهي سميت بعمان بن لوط لانه سكنها وقيل بعمان بن وقد بخ
سنان من ولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام يشخب فيه ميزابان من الجنة بفتح اليا
المثناة التحتية وسكون الشين وضم الخا المعجمتين وفتحها وموحدة ومعناه انه
ينصب مع صوت وروي يغت بغين معجمة مضمومة ومثناة فوقية ومعناه
يتوالي صبه وروي ابن ماهان يثعب بمثلثة وعين مهملة وموحدة ومعناه
ينفجر ماوه واصل الشخب ما يخرج من الضرع عند الحلب والميزاب بكسر الميم
وهمزة ساكنة وتبدل يا مسيل الما وعن ثوبان مثله اي مثل حديث ابي ذر وقال
اي ثوبان عن رسول الله صلي الله عليه وسلم احدهما اي احد الميزابين

من

ابن اقبرس

بن ذهب والاحمر من ورق اي فضة وفي رواية حارثة بن وهب الخزاعي الصحابي المعروف
رضي الله عنه واخرج له اصحاب الكتب الستة كما بين المدينة وصنعا وقال النووي ايلة
وصنعا هي بصاد وعين مهملتين مدينة باليمن والنسبة اليها صنعاني على خلاف القياس
وبينها وبين المدينة مسيرة شهر والمراد عظمه فالروايات كلها بمعنى وبقرب دمشق قرية
تسمى صنعا ايضا وقال ابن عمر رضي الله عنهما في حديث رواه الشيخان كما بين الكوفة مدينة
العراق المشهورة والحجر الاسود والروايات متعددة كما عرفته فانها تقريبية لا تحديدية
يخاطب صلى الله عليه وسلم كلا بما يعرفه ولا حاجة الى ان يقال انه وقع الخطاب به
عند الحجر الاسود كما قيل واصل معنى الكوفة رمل مستدير او حجارة بيض فسمي بها ثم
شرع المصنف في بيان ان هذا الحديث روي من طرق كثيرة دالة على صحته وانه على ظاهره
ولذا ذهب المصنف الى انه متواتر فقال وروى حديث الحوض ايضا كالروايات المتقدمة
انس بن مالك الانصاري الصحابي خادم النبي صلى الله عليه وسلم رواه عنه مسلم من غير
الطرق المتقدمة فلا يقال انه تقدمت روايته وايضا يقتضي مغايرة ما تقدم وجابر
ابن سمرة بفتح فضم ابن جنادة الصحابي السوائي وما في بعض النسخ هنا وفي اول النسخ
جابر وسمرة قال البرهان صوابه جابر بن سمرة وكذا هو على الصواب في النسخ مكتوب
عليه صح فان صحت الرواية الاخرى فالحديث رواه جابر بن عبد الله وسمرة الا ان
رواية جابر بن عبد الله في مسند احمد واما رواية سمرة فلم اقف عليها فالثابت رواية
ابن سمرة كما في مسلم وغيره وابن عمر وعقبة هو عبد الله بن عمر بن الخطاب الصحابي
احد العبادلة وعقبة هو ابن عامر الصحابي المشهور الجهني وحارثة بن وهب
الخزاعي الصحابي المنسوب لخزاعة قبيلة معروفة والمستورد بصيغة اسم الفاعل
ابن شداد الفهري نزيل مكة ثم مصر الصحابي وابو برزة الاسلمي نضلة بن
عبيد الصحابي الامام الجليل وبرزة بفتح البا الموحدة وسكون الرا المهملة
وزاي معجمة تليها ها توفي سنة ستين او اربع وستين وحديثه في الصحيح
والترمذي واسلم قبيلة معروفة وحذيفة بن اليمان العبسي الاشهلي الصحابي
صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديثه رواه مسلم وابن ماجه
وابو امامة بن صدي بن عجلان الباهلي الصحابي وحديثه اخرجه الطبراني
وامامة بضم الهمزة وزيد بن ارقم الخزرجي الصحابي المشهور وحديثه اخرجه
ابن حنبل والحاكم وصححه وابن مسعود الصحابي المشهور وحديثه اخرجه الشيخان
وعبد الله بن زيد الصحابي الذي أري الاذان في منامه كما مر وحديثه اخرجه
الشيخان ايضا وسهل بن سعد الصحابي الساعدي منسوب لساعدة وبنو ساعدة
قوم من الخزرج واليه تنسب السقيفة التي كانت فيها بيعة ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وسويد بن جبلة بفتحات وهو سويد بن جبلة الفزاري قيل لم
تصح صحبته فحديثه مرسل وقيل انه صحابي ولم يرو عنه الا حديث واحد وقيل
لعله سويد بن غفلة وهم سويد بن عامر وهذا الحديث عنه في شعب البيهقي
والاولى تاخيره للاختلاف في صحبته وابو سعيد الخدري الصحابي المشهور وقد
تقدم وعبد الله الصنابحي بضم الصاد المهملة وفتح النون والقبلها با

موحدة مكسورة وحاء مهملة وياء نسبة صحابي وقيل نسبة لجده صنابح واسمه عبد الله وقيل ابو عبد الله وقيل ابو عمرو وقيل انه منسوب لصنابح اسم بطن من العرب وفي الروض الجديد لم اقف على من نسب لهذا البطن من الصحابة سوى عسال الصنابحي واخرجه صنابح بن الاعسر فلعله نسبة لجده وفي التابعين عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي فلعله التبس على القاضي وقيل صوابه الصنابح وابو هريرة وحديثه في الصحيحين والبرا بن عازب وحديثه في الصحيحين ايضا وجندب بن عبد الله بن سنان البجلي الصحابي وهو بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة وضمها وفي الصحابة من يسمى جندب غيره ولكنه متى اطلق فالمراد هذا وعايشة ام المومنين رضي الله عنها واسما ابنتا ابي بكر الصديق رضي الله عنهم والحديث في الصحيحين وفي بعض النسخ وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة مصغر بردة ولبريدة ابنان سليمان وعبد الله قاضي مرو وعالمها وهما تابعيان ولا ينبغي ذكرهما هنا مع الصحابة وفي مسند احمد رواية حديث الحوض عن عبد الله بن بريدة وقال حدثني ابو اخي قال البرهان لعل القاضي اراد بابن بريدة هذا او قال بريدة فزيد عليه ابن ولم ار لبريدة بن الحصيب حديثا في الحوض في الكتب الستة ومسند احمد وله ذكر في مسند البزار وابو بكرة وهو نفيع بن الحارث كناه النبي صلى الله عليه وسلم به لانه تدلى ببكرة من حصن الطايف لما سمع من الخروج وخولة بنت قيس ابن فهد بن قيس الانصارية النجارية الصحابية زوجة سيد الشهدا حمزة بن عبد المطلب وحديثها في مسند احمد والطبراني وغيرهم من الصحابة وترك المص ذكرهم اختصارا فلذا لم يذكرهم اقتدا به وقد تقدم ان المص لكثرة طرق هذا الحديث قال انه متواتر وقيل تواتره معنوي لقول ابن الصلاح انه لا تكاد توجد شروطه

## فصل

في تفضيله صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبيا بتحقيق المحبة والخلة كما سياتي تحقيقه اي بكونه حبيب لله وخليله جات بذلك الاثار الصحيحة معنيو رواية وقد تقدم الكلام على الاثر والحديث وان الاثر يطلق على الحديث مرفوعا كان او موقوفا او غيرهما واما تخصيص الفقها الاثر بالموقوف فاصطلاح لهم واما ما رواه الخطيب في جامعه مرفوعا ما جاء عن الله فهو فريضة وما جاء عني فهو حديث وما جاء عن اصحابي فهو سنة وما جاء عن اتباعهم فهو اثر وما جا عمن دونهم فهو بدعة فهو موضوع كما نص عليه ابن حجر والسخاوي والمحبة من العبد لله ومن الله لعبده كما قال تعالى يحبهم ويحبونه وهذا مما لا خلاف فيه الا ان المحبة ميل القلب لما تلتذ به حواسه الباطنة والظاهرة ولا يتوقف هذا على الصورة الحسنة كمحبة الصلحا والعلما وغيرهم من ارباب الكمال فهي في حقه تعالى ليست بميل قلب ونحوه بل هي ارتضاوه له لاتصافه بالكمال والانقياد لطاعة مولاه وحبه له من طريق الفضل لا من طريق الانس والراحة وهو الذي كمله وحبيبه ولذا قيل انه عبر عن اللطف بالمحبة ومحبة العبد تعظيمه له بمشاهدة صفات كماله ومعاملته لانعامه واحسانه فان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والخلة صفة الخليل وهو مما يستوي فيه المذكر والمونث يقال خل وخليل بين الخلة والخلولة وخليل الله معناه من اصطفاه وخصه

بكرامته لتخلقه باخلاق الله لان الخليل من تخلل ك اي توافقك في خلالك وتسايرك في كل نعتك
من الخلل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك ومعنى كون الله خليل عبده انه محب له وايثاره موزع
محبته لا يحوجه لغيره اصلا واختص صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله اي
جرى على الالسنة تخصيصه صلى الله عليه وسلم بذلك دون خليل الله لاطلاقه على ابراهيم
عليه الصلاة والسلام وان كان غيره من الانبيا محبوبا لله ايضا ثم استدل على اتصافه صلى
الله عليه وسلم بالخلة بحديث رواه مسندا عن البخاري فقال اخبرنا ابو القاسم بن ابراهيم
الخطيب وغيره هو الامام المقري خلف بن ابراهيم المعروف بابن النخاس بالخا المعجمة المتوفى
سنة سبع وعشرين وخمسماية يوم الثلاثا سادس عشر صفر والتكنية بابي القاسم جايزة
بعده صلى الله عليه وسلم على الصحيح كما ياتي عن كريمة بنت احمد بن محمد وفي نسخة بنت
محمد وصححها رواية بعض الشراح وفي الاكمال انها كريمة بنت احمد بن محمد بن حاتم المروزية
سمعت صحيح البخاري من الكشميهني وروت الحديث وحدثت به كثيرا وجاورت بمكة الى
ان ماتت قالت حدثنا ابو الهيثم الكشميهني وقد تقدم ضبطه وترجمته وحدثنا حسين
ابن محمد بن سكرة الحافظ السابق ذكره سماعا عليه فهو احد شيوخه وهذا اسند وطريق اخر
للمصنف في رواية هذا الحديث وفي نسخة ح وحدثنا وح تكتب عند الانتقال من سند لاخر
اشارة الى التحول كما فصلوه في مصطلح الحديث قال حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي
الذي بيناه سابقا قال حدثنا عبد بن احمد عبد بغير اضافة ابو ذر الهروي السابق
ذكره قال حدثنا ابو الهيثم الكشميهني السابق في الطريق الاول قال حدثنا ابو عبد الله
محمد بن يوسف الفربري الامام الحافظ راوي البخاري المشهور كما تقدم قال حدثنا محمد بن
اسمعيل هو الامام البخاري صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا محمد بن عبد الله المعروف
بالمسندي والبخاري يروي عن اربعة كل منهم اسمه محمد بن عبد الله والمراد هنا هذا
كما ذكره الكلاباذي وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان توفي يوم
الخميس لست بقين من ذي القعدة سنة تسع وعشرين ومايتين قال حدثنا ابو عامر
عبد الملك بن عمرو بن قيس العقدي بفتح العين والقاف ودال مهملتين وهو محدث
بصري مشهور اخرج له الايمة الستة توفي سنة خمس ومايتين قال حدثنا فليح بضم
الفا وفتح اللام ومثناة تحتية وحا مهملة بن سليمان العدوي المدني اخرج له
اصحاب الكتب الستة وهو ثقة وقيل ليس بالقوي توفي سنة ثمان وستين ومائة
وترجمته في الميزان قال حدثنا ابو النضر بالضاد المعجمة الساكنة سالم بن ابي امية
المدني الثقة راوي انس توفي سنة تسع وعشرين ومائة عن بسر بن سعيد بضم البا
الموحدة وسكون وسين مهملتين المدني الزاهد الثقة توفي سنة مائة عن ابي
سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري السابق ترجمته رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر هذا حديث
صحيح رواه البخاري وغيره من طرق متعددة ومفعول له الثاني محذوف تقديره
خليلا ولو حرف شرط لامتناع ما يليه وهو الشرط فانه لم يكن للجزا سبب غيره
لزم من امتناعه امتناعه والا فلا يلزم فامتنع اتخاذه خليلا غير ربه فيلزم امتناع
اتخاذ ابي بكر خليلا فالمعنى لا اصل في محبة احد من الخلق الى مرتبة الخلة فانها

مختصة بربي فلو رخص بجعلها لاحد كان ابو بكر اليق بها من جميع الخلق لبذل نفسه وماله
ووطنه واهله في طاعته وهذا صريح في تفضيله علي غيره وتقدمه عنده فان كان
من الخلة بالضم وهي الصداقة والمحبة التي تتخلل باطن القلب فالمعنى ان محبته مقصورة
علي ربه وان كان من الخلة بالفتح والكسر وهي الحاجة فالمعنى اني ابرأ من الاعتماد
والافتقار الي غير ربي وفي هذا الحديث دلالة علي ما عقد له الفصل وهو تفضيله
صلي الله عليه وسلم بالمحبة والخلة وقد تقدم ما اتفق عليه المسلمون من المحبة
وما هنا دال علي الخلة وما قيل من انه كان ينبغي للمصنف ان يذكر حديثا صريحا في اتخاذ
الله خليلا ويقدم ما ذكره في آخر الفصل غني عن الرد وفي حديث آخر وان صاحبكم
خليل الله يعني نفسه صلي الله عليه وسلم علي طريق التجريد والاحاديث تفيد ان
المخاللة من الجانبين اذا كانت بمعنى المحبة لا من الخلة بمعنى الحاجة فان الله غني عن
العالمين ومن طريق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه التي رواها البخاري وغيره
وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا كما اتخذ ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولا يمنع
ان يراد بصاحبكم ابا بكر كما توهم وفي هذا دلالة علي انه من جانب الله ففيه دلالة
علي انه من الجانبين بخلاف ما قبله ولا ينافيه كون ابراهيم عليه الصلاة والسلام
خليلا كما سيأتي تحقيقه وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الدارمي والترمذي
قال جلس ناس من اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم ينتظرونه اي ينتظرون خروجه
من بيته لمجلس اصحابه والجملة حال من ناس لوصفه بالجار والمجرور قال ابن عباس
فخرج النبي صلي الله عليه وسلم حتى اذا دنى قرب منهم سمعهم يتذاكرون اي يذكر
بعضهم لبعض ويتحادثون او يذكرون بالتشديد يذكر كل منهم من عنده ما نسيه فسمع
النبي صلي الله عليه وسلم حديثهم وفسر هذا الحديث بقوله فقال بعضهم
عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا اي من دون مخلوقه او اختاره للخلة
من بينهم اي تعجب عجبا من هذا او العجب يكون من امر فيه غرابة ولا اغرب
عند من عرف عظمة الله وغناه عن مخلوقاته وان كل شيء من فضله واحسانه استغراب
اتخاذه خليلا من عبيده وهو ابراهيم صلي الله عليه وسلم غير ان نبينا كان
خليلا انه كان مختصا بذلك فلا وجه لما قيل انه يريد اختصاص ابراهيم بكونه
خليلا علي ما مر بعجب وقال آخر ماذا اي ليس اتخاذ الله ابراهيم خليلا باعجب
من كلام موسى حين ناجاه في الدنيا وكلم الله تكليما مع انه تعالي في الدنيا لم
يكلم انبياءه الا بواسطة ملك الوحي وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه
هذه الفاء فصيحة في جواب شرط مقدر اي اذا ذكرتم خليل الله وكليمه وتعجبتم
من ذلك فاذكروا عيسى عليه الصلاة والسلام وكونه كلمة الله وروحه
وسمي عيسى كلمة الله لان الله خلقه من دون اب بمجرد قوله كن او لاهتداء الناس
كما اهتدوا بكلامه وقال الصدر القونوي في تفحاته لكل شيء في عرصة العلم
الالهي لا في مرتبة الحرفية فاذا صبغه الحق بنوره الذاتي وذلك بحركة معقولة
معنوية يفيضها شان من الشؤون الالهية المعبر عنها بالكتابة تسمي تلك
الصورة كلمة فالموجودات كلمات الله تعالي كما قال تعالي اليه يصعد الكلم الطيب

ابن اقبرى

ابن اقبرى

ابن اقبرى

اي الارواح

اي الارواح الطاهرة انتهى ومعنى روحه انه روح منه بدون واسطة بل له فالاضافة
للتشريف وقال اخر ممن كان قبله وادم اصطفاه الله اي اختاره وجعله صفيه
وهذا كله مما يتعجب منه من لا يلاحظ عظمة الربوبية وانه غني عن العالمين فخرج النبي
صلى الله عليه وسلم عليهم فسلم لما ذكر قوله فخرج اولا ثم اعاده هنا وهو مكرر ولا
يصح كونه تاكيدا فقيل كرره ليرتبط به غير ما ارتبط به اولا ويحتمل ان يكون الخروج
الاول من مكانه والثاني من اخر قلت هذا التوهم ان العطف ينافي التاكيد وليس كذلك
وان النحاة ذكروا كما في التسهيل ان التاكيد قد يقترن بالعاطف فالاكثر انه كقوله
كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وقد يكون بالفاء وصرح المفسرون بانه قد يعاد
اللفظ اذا طال الكلام تذكيرا به وهاهنا بحث نفيس وهو ان ما قاله النحاة ينافي
ما اتفق عليه اهل المعاني من ان التاكيد لا يصح عطفه لما بينهما من شدة الاتصال
ولان العطف يقتضي المغايرة والتاكيد عين المؤكد والعجب منهم انهم لم يتعرضوا لما
قاله النحاة والمسالة من مسائل الكتاب فان لم يقفوا عليه فهو عجيب وان وقفوا
عليه واعتقدوا خلافه فهو اعجب كما قيل

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة • وان كنت تدري فالمصيبة اعظم

وقال صلى الله عليه وسلم قد سمعت كلامكم وعجبكم اي تعجبكم وقولكم عجبا كما مر في اول
الحديث وقد قيل ان سمعت مضمن معنى ادركت او فيه مقدر عامل في الثاني اي
وعرفت عجبكم على حد قوله قلدته سيفا ورمحا اي واعطيته ولا حاجة لما ذكر
لما قدمناه لك وقوله ان الله اتخذ ابراهيم خليلا قد صحح في النسخ المقروة بفتح
همزة ان فهو بدل وفي الشرح الجديد يجوز ان يكون جملة مستانفة كان سائلا سال
ما كلامهم وما تعجبوا منه فاجابهم بقوله ان الله الخ وان يكون مقول قول
محذوف وهو يقتضي ان ان مكسورة الهمزة وهو كذلك اي اتخذه خليلا وموسى
نجي الله اي كليمه والمناجاة المكالمة واصل معناها ان يخلو بنجوة من الارض ليسار
غيره ثم شاع فيما ذكر وقيل اصلها من النجاة فمعناه ان يكلمه مما فيه خلاصه
وهو كذلك اي هو نجي الله وكليمه فما ذكره واقع وعيسى روح الله وهو كذلك
اي هو روح الله كما قلتم وتقدم بيانه وان الاضافة للتشريف او هو بمعنى
رحمة الله وادم اصطفاه الله وهو كذلك كما قلتم فان الله اصطفاه واختاره
للنبوة والخصايص الروحانية وكونه ابا البشر الا وانا حبيب الله الا بفتح الهمزة
وتخفيف اللام حرف استفتاح يوكد به الكلام المستانف فيحقق ما بعده نحو الا
ان اولياء الله لا خوف عليهم وتدخل على الجملتين ودخولها هنا على العاطف لتحقيق
اختصاصه بكونه حبيب الله واشارة الى ان هذه الصفة اعلى درجة مما قبله
اي من عجب مما وصف به الانبياء قبلي فانا موصوف بما هو اعجب واعلى وهو كونه
حبيب الله اي محبوب له فانه فعيل بمعنى مفعول وما قيل من انه من القول
بالموجب البديعي كقوله تعالى ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله فانه سلم
لهم اخراج الاذل بمعنى غير الذي ارادوه فانهم ارادوا بالاعز غير المؤمنين وبالاذل
المؤمنين فعكسه عليهم وهو على ضربين كما تقرر في علم المعاني غير صحيح لانهم لم

تلمساني ودلجي

نخ
نحو كلا ستعلمون ثم كلا ستعلمون

ثم

دلجي

دلجي وتلمساني

بغضه او تفضيلهم على نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يقصد الرد عليهم حتى يقال انه من هذا القبيل باعتبار نفي لازمه ولذا قال التلمساني انه قريب من القول بالموجب لانه قرره اولا ماذكروه من فضايلهم بقوله هو كذلك ثم نبه على انه افضل منهم كلهم وقوله ولا فخر وانا حامل لوا الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي تقدم شرحه في حديث اخر ويكون حلقتيها بفتح المثناة التحتية والضمير المثاني للجنة ويجوز فيه الفصل والوصل خلافا لسيبويه للزوم الفصل عنده كقوله ان الله ملككم اياهم ومعي فقرا المومنين اكرامًا لهم وفيه اشارة الى ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر كما تقرر في محله حالية ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة الذي رواه البيهقي وصححه من قول الله تعالى وفي نسخة في قول الله والاصح وانه بلفظ من لنبيه صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا كما تقدم وهو مكتوب في التوراة اسب حبيب الرحمن قال الشمني انه وقع هكذا في النسخ المعتمدة من الشفا بهمزة مفتوحة وسين مهملة ساكنة وبا موحدة وقال الدلجي ان بعد السين تا مثناة فوقية وفسره بانت وعبر الشمني بقوله بعد السين جرة اي مدة خطية فلم يعينها الشك فيها وهي هكذا في نسخة المص المبينة المروية عنه وصححها بعضهم فكتبانت وهي لفظة عبرانية بمعنى انت قيل حاصله انه ثبت لنبينا صلى الله عليه وسلم وصف المحبة من غير مشاركة فيها والخلة التي شاركه فيها ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد اثبتها صلى الله عليه وسلم لنفسه في اخر خطبة خطبها قبل وفاته بخمسة ايام فقال بعد حمد الله تعالى والثنا عليه عز اسمه انه قد كان لي فيكم اخوة واصدقا واني ابرأ الى الله ان اتخذ احدا منكم خليلا ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا اوتيت البارحة مفاتيح خزاين الارض والسما وهو تعريض منه صلى الله عليه وسلم باعلى مقاماته واكمل حالاته وبين خلته وخلة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فرق لان خلته صلى الله عليه وسلم حقيقية اصلية وخلة ابراهيم عليه الصلاة والسلام مستعارة من خلته الذاتية ولذا قال ابراهيم في حديث الشفاعة انما كنت خليلا من ورا ورا فالخليل غيره وهو محمد صلى الله عليه وسلم انتهى فهو صلى الله عليه وسلم مختص بالمحبة وبالخلة الحقيقيتين والا فقد قال تعالى يحبهم ويحبونه ولكل صفة مراتب فهو صلى الله عليه وسلم مختص باعلاهما وسياتي تحقيقه قريبا قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه هو عياض المص اختلف بالبنا للمجهول اي اختلف العلما في تفسير الخلة وبيان معناها واصل اشتقاقها بيان لمحل الخلاف ومنشايه وفي قواعد الطوفي الاشتقاق اقتطاع لفظ من لفظ يوافقه في حروفه الاصول كضارب من الضرب والاشتقاق الاكبر رد تراكيب المادة الواحدة المختلفة الى معنى واحد مشترك بينهما وقد يكون ظاهرا في بعضها خفيا في البعض فيحتاج في رده الى ذلك المعنى الى تلطف في معرفة المناسبات انتهى وتفصيل اقسام الاشتقاق وتحقيقه مذكور في كتب ابن جني كالخصايص وغيرها فقيل الخليل المذكور هنا المنقطع

اقتطاع صح

الي

الى الله اي الذي قطع رجاه واعتماده عما عدا الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له
اختلال اي خلل ونقص يحتاج لجبر وتكميل لخلوصه فيه وبعينه الذي لا يختل اصلا
وتحقيقه ما قال الامام الراغب انه يقال تخلل الثوب بالخلال والرمية بالسهم
ادخله فيه والخلة بالضم الطريق في الرمل وبالفتح الاختلال العارض للنفس لشهوتها
او لحاجتها اليه ولذا فسرت الخلة بالحاجة والخصلة والمودة لانها تتخلل النفس اي
تتوسطها او تؤثر فيها تاثير السهم في الرمية او لفرط الحاجة وابراهيم عليه الصلاة
والسلام خليل لافتقاره الى الله وقيل من الخلة واستعمالها كاستعمال المحبة وقال
ابو القاسم البلخي هو من الخلة بالفتح لا من الخلة بالضم ومن قاسه بالحبيب فقد اخطا
لانه تعالى لا يجوز ان يحب عبده فان محبته الثناء عليه ولا يجوز ان يخاله وهذا منه تشبيه
وان الخلة من تخلل الود نفسه ومخالطته ولذا يقال تمازج روحاهما والمحبة بلوغ
الود حبة القلب يقال حببته اذا اصبت حبة قلبه فاذا استعملت في الله اريد مجرد
الاحسان وكذا الخلة فيتجوز في احدهما كما يتجوز في الاخر فاما ان يراد بالمحبة بلوغ
حبة القلب وبالخلة جبر الخلل فحاشا الله عنه انتهى وفي كلام المبرد دلالة على ان الخلة
تستلزم المحبة ومن تفسيره للخليل يعلم معنى الخلة التي هي ماخذه فلا يرد ان اول
كلامه في الخلة وما ذكره تفسير للخليل فسقط ما قيل من انه انما يستقيم على ان الخلة
بمعنى الخليل يستوي فيه المؤنث والمذكر لانه مصدر في الاصل وان الكلام في معناه
اللغوي الوضعي النبوي فتفسيره بالتسلي غير مناسب لانه بيان لحاصل معناه وقيل
الخليل معناه المختص بمن خاللّه مطلقا فهو الصديق الذي صار من خلص احبابه
واصدقائه وتفسيره بانه اختص بخدمة الله واختيار ما كلفه من فعل وترك اقتصار
فيه وقصور واختار هذا القول غير واحد من الائمة المحققين ورجحه الشراح وقال
بعضهم اصل الخلة بالضم الاستصفاء اي تكون محبته ومودته صافية اي خالصة من
الكدورات وقيل هو من التصفية بمعنى الاختيار وهو من لوازم الصداقة ثم فرع
على الاقوال قوله وسمي ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه الموالاة المحبة
وفي بمعنى اللام كقوله والذين جاهدوا فينا اي لاجلنا اي لا يحب الا من احبه الله من
المؤمنين اهل الطاعة ولا يبغض الا اهل المعصية والضلال كقوله تعالى لا تجد قوما
يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولذا قالوا
اذا صافى صديقك من تعادي ● فقد عاداك وانفصل الكلام ●
وخلة الله له اي لابراهيم عليه الصلاة والسلام نصره على عدوه كنمروذ وهذا جواب
سؤال مقدر اي قد علم معنى كون ابراهيم خليل الله فما معنى كون الله خليلا له
وجعله اماما لمن بعده لقوله تعالى قال اني جاعلك للناس اماما اي مقتدى متبعا
لجميع من بعده لان الانبياء بعده كلهم من ذريته وهذا من تمام نصرته لانه لو لم ينتصر
على عدوه من بعده ولذا ذكره معه تاييدا وتاكيدا له وقيل الخليل اصله اي اصل معناه
الذي وضع له لغة الفقير المحتاج صفة كاشفة مفسرة المنقطع اي المنفرد عن الناس
لعدم اعوانه واخوانه ماخوذ من الخلة بفتح الخا وهي الحاجة لاحتياج صاحبها الغير
لعجزه عما يقوم باموره فسمي بها اي لقب بما اشتق منها وهو الخليل ابراهيم والضمير

ابن الجزري

للحاجة او للفظ الخلة والاظهر انه بتقدير مضاف اي بمستتبعها ونحوه لانه قصر بفتح
القاف والصاد المخففة والقصر كالحصر بمعنى التخصيص حاجته على ربه اي لم يكن له
حاجة الا الى ربه فلا يؤمل نفعا من غيره ولا يقبله وانقطع اليه بهمه الهم هنا
ما يهتم به المرء ويعتني به ويعزم عليه يعني كما انه قصر حاجته على الله قصر املة وهمه
على الله وعلى ما يرضيه ولم يجعله قبل غيره قبل بكسر القاف وفتح الموحدة واللام
بمعنى المقابل الذي يدرك ويرى فالمراد انه عنده وفي جانبه وانه لم يجعل امره ورجاه
في غير الله اي لم يطلب شيئا من غيره ولم يؤمله اذ جاءه اي جاء ابراهيم عليه الصلاة
والسلام جبريل عليه الصلاة والسلام وهو في المنجنيق ليرمى به اي وقد وضع
فيه ليرمى به في النار التي اوقدت لاحراقه وكان لهيبها اشتد حتى لم يمكن احد ان يدنو
منها حتى يرمي شيئا فيها فصنعوا المنجنيق لا لقائه من بعيد وهو بفتح الميم وكسرها
آلة لرمي العدو وحجارة كبيرة بان يشد سواري مرتفعة جدا من الخشب يوضع عليها
ما يراد رميه ثم تضرب بسارية تؤصله لمكان بعيد جدا وكانت هذه الآلة قديمة
قبل وضع النصارى للبارود والمدافع وهو فارسي معرب وفي وزنه ومعناه في
التعريب كلام طويل لهم واصله من جي منك اي ما اجودني وهو مؤنث كما قال
لقد تركتني منجنيق ابن جندل • احيد عن العصفور حين احيد •
وميمه زائدة ووزنه منفعيل وقال سيبويه فعليل والاشد لا دال عليه مشهور
فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام الك حاجة عندي من سؤال ما يحبك ونحوه
قال اما اليك فلا حاجة لي لقصر حاجته على ربه كما مر وهذا رواه ابو نعيم وقال
ابو بكر بن فورك بضم الفاء وسكون الواو وفتح الدال المهملة وكاف ممنوع من الصرف
للعلمية والعجمة وقال البرهان انه صحح في النسخ بالتنوين والصرف لظن انه
مرتجل وقيل انه عربي معناه الغار ولا يعرف في اللغة وانما المذكور فيها انه بمعنى نوع
من الظبا ومن قال معناه الغار لعله اراد انه من بحثنا لا انه لغوي وتخريف عامتهم قلت
رأيت في كتب التواريخ ان ملك الهند ارسل للاسكندر رسولا اسمه فورك ورسالة
عنه فقيل معناه غلام حقير وهو يقتضي انه اعجمي غير منصرف وعندي انه يجوز
فيه الوجهان وقد مر فيه كلام لنا وما قلناه هنا نبذ منه الخلة صفا المودة وهي
المحبة مع التودد وهي المؤانسة والمساعدة وصفاؤها خلوصها بان يوافق الظاهر
الباطن كما قال المعري
والخل كالماء يبدي لي ضمائره • مع الصفا ويخفيها مع الكدر •
التي توجب الاختصاص اي يلزمها اختصاص الواد بمن يوده بان يلازم صحبته
واسعافه بتخلل الاسرار جمع سر وهو ما يخفيه المرء عن غيره وتخللها دخولها
في باطنه لاطلاعه عليها وعلمه بها فلا يخفى عليه شيء من احواله والباسية وقيل
الاسرار بتخاويف حبات القلوب وهو مجاز ومعناه رسوخ المودة في قلبه
واعلم انه تقدم ان الفرق بين المحبة والمودة والخلة ان المحبة ميل القلب
لما هو حسن عنده سواء كان حسن صورة او كمالا كمحبة العلماء والصلحاء او اسعاف
وانعام لان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والمودة مواصلة من يحبه

والتودد

والتودد اليه فاذا زادت المودة وخلصت كانت خلة فان قلت فحينئذ الخلة اخص من المحبة
فتكون افضل فلم قيل ان المحبة افضل قلت المحبة اعم فقد تكون من غير خلة وقد يقال لا خلة
فيها الا ان المحبة قد تصل الى مرتبة بحيث يكون الحبيب لا يغيب عن ذكره وذكره طرفة عين حتى
يصل الى الهيام وذهاب العقل وتبذل لها الارواح فضلا عما سواها وهذه تسمى عشقا
والعشق لا يجوز في الشرع اضافته لله فلا يقال عشقت الله كما ذكره ابن تيمية وغيره
وان وقع من بعض الحكما والصوفية فان كان مع هذه المرتبة خلة وتقريب فليس كهذا
المحب محب ولا كحبيبه حبيب وهذه المحبة هي التي اختص بها نبينا صلى الله عليه وسلم
بعد الاسرا لما راى الله وشاهد من جماله وجلاله ووصل من قربه لمرتبة لم يصل لها
رسول ولا ملك مقرب ومنت له خلة مقربة لم ينلها غيره فلم يحتج لغيره ولا سال
سواه وعرض عليه مفاتيح خزاين السموات والارض واعانه الله ونصره نصرا عزيزا
وغفر له ما تقدم وما تاخر مع انه لم يصدر عنه زلة واطلعه على اسرار وحظا
قدسه واي خلة كهذه ولذا كان صلى الله عليه وسلم مخصوصا بانه خليل الله ايضا
وقال الخليل عليه الصلاة والسلام انا خليل من ورا ورا كما مر وكرر ورا اشارة
الى زيادة قرب نبينا في الارض والسما فلا منافاة بين اختصاصه ووصف ابراهيم وان
اشتهر بذلك لانه اجل صفاته واشتهر محمد بالحبيب لان هذا المعنى اجل من الخليل
وهذا من جانب العبد واما من الله فمحبته له بمعنى تقريبه وانعامه وتعليمه ما لم
يعلمه غيره وتفضيله على ما سواه وخلته له اسعافه بجليل هذه النعم وتوفيقه
لجعله نصب بصره وتصبيره حتى كانه معه في كل حين فاعرفه وقال بعضهم اصل الخلة
المحبة يحتمل ان اصل معناها الوضعي المحبة لانها من تخلله في قلبه وبه وجد ويحتمل
ان المراد ان المحبة اساس الخلة ومنشوها لانها تكون بعد تحققها ومعناها اي
معنى الخلة الوضعي بنا على الثاني وهو الارجح وقيل منهم ها راجع للمحبة المرادفة
للخلة الاسعاف اي الاعانة والنصرة والامداد لكل ما اراد والالطاف بفتح الهمزة
اي الانعام والاحسان قال الزمخشري في شرح مقاماته الالطاف الهدايا واحدها
لطف بفتحتين فالكن له عندنا التكريم واللطف الثاني ويحتمل انه جمع لطف كقفل
وهو التوفيق لفعل كل خير وتسهيله وكونه يكسر لمن تحبب والترفيع باعلا
رتبة بالكمالات الظاهرة والباطنة والتشفيع باذنه في الشفاعة وقبولها وله
صلى الله عليه وسلم شفاعات كما مر ويشفع في فصل القضا ولرفع درجات قوم
في الجنة ولمن مات بالمدينة كما رواه الترمذي وسياتي ولبعض المومنين في التجاوز
عن سياتهم ولبعض من كان من اهل النار بعد دخولها واخراجه منها والتخفيف
عذاب بعض الكفرة كابي طالب لجعله في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه كما رواه البخاري
وهو لا ينافي قوله تعالى لا يخفف عنهم العذاب كما قيل وقد بيناه في حواشي القاضي
وللقبول شفاعة بعض الانبيا والصلحا وقيل التشفيع بمعنى التاييد والتقوية
من الشفع وقد بين ذلك تعالى اي كون المحبة والخلة تقتضي الاسعاف وما
بعده بطريق المفهوم واللزوم في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن
ابنا الله واحباوه قل فلم يعذبكم الاية يعذبكم مضارع بمعنى الماضي اي عذبكم

بذنوبكم

في الدنيا بالمسخ والقتل وغير ذلك وهذا برهان اي لو كنتم ابناءه واحباءه ما عذبكم لكنه
عذبكم فلستم كذلك او هو على اصله اي لم يعذبكم في الاخرة فنعلم منه ان من كان محبوبا
لله لا يعذبه ولا يسوءه لاقتضاء المحبة لذلك والعجب ان هذا مع ظهوره قيل عليه انه
لا دليل في الاية على مدعاه وليس فيها على تقدير التسليم الا عدم مؤاخذة المحب
بذنبه على انه ممنوع في احباء الله لان من احبه الله عصمه من الذنوب ومحنه بالمناقشة
والابتلاء ولا دليل فيها على ان اصل الخلة المحبة وهو مما يقضي منه العجب وقولهم
ابناء الله اي منا ابناؤه وهو المسيح وعزير او نحن اتباع نبيه وقيل انهم قالوا ذلك
لانهم رأوا في التوراة يا ابناء احبائي فبدلوها بيا ابناء ابكاري فاوجب للمحبوب اي
بطريق اشارة النص فيهما ان كل محبوب وخليل يجب ان لا يؤاخذ بذنوبه اي لا يعاقب
بها ويجازى عليها قال ذلك البعض هذا اسم الاشارة يتخلص به من كلام لاخر فيكون
خبر مبتدأ مقدر اي الامر هذا او مبتدأ خبره مقدر وقد يذكر كما في قوله هذا ذكر
او مفعول فعل مقدر اي خذ هذا او قد يقال ها اسم فعل بمعنى خذ وذا مفعوله
لكن الرسم يخالفه والخلة اقوى من البنوة بموحدة ونون مشددة يعني كونه ابنا
متولدا منه ثم بين ذلك بقوله لان البنوة قد تكون فيها العداوة اي معها او فيه
اتفق لها وهو من ظرفية الصفة للموصوف كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم اي منهم من يظهر العداوة والعقوق كما هو مشاهد فاحذروهم كما
شرهم ولا يصح ان يكون عداوة مع خلة لان المحبة معناها وداخلة فيه او لازمة له
وهي ضد العداوة فلا يجتمعان بخلاف البنوة فانها وان كانت الفطرة تقتضي المحبة لكن
قد تتخلف لعارض ويكفي هذا فلا وجه للاعتراض بان الاصل فيها المحبة والعارض
لا يعتد به كما توهم ومن العجب انه ابلغ في قولهم بر ابوك قطوفا وكم له مثلها
تجاوز الله عنه فاذن تو بيع على ما قبله تسمية ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة
والسلام بالخلة اي بما اخذ من الخلة وهو الخليل او المراد بالتسمية الوصف نحو
وقدم ابراهيم عليه الصلاة والسلام لتقدمه رتبة وشهرته وهو باضافة تسمية
وفي نسخة اضافة بالضمير اما بانقطاعهما الى الله تعالى هذا ناظر الى الخلة الحاجة اي
لاعتمادهما عليه واما لمنع الخلو فقط ووقف حوائجهما عليه اي جعلها موقوفة على
انعامه لاكتفائهم بفضله والانقطاع عن دونه اي الانقطاع اليه تعالى وترك غيره
والاضراب عن الوسائط والاسباب الاضراب بمعنى الاعراض والترك يقال اضرب عن كذا
اذا امسك عنه وتركه او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما معطوف على ما بعد
اما اي بان الله اختصهما بزيادة اختصاص به فاغناهما عما سواه كما يغني الخليل
خليله وهذا ناظر الى انه من الخلة بالضم او خفي الطافه عندهما خفي بالخاء المعجمة
لان لطفه يكون من حيث لا يدري او بالحاء المهملة اي زيادة مبالغة في اكرامه لهما
تعالى احفى به وحفي اذا بالغ في اكرامه وهو مجرور معطوف على زيادة او ما اصبغ
اليه والطاف بالفتح تقدم تفسيره وقيل انه بكسر الهمزة مصدر وفيه ما مر
او ما خالطهما اي تخلل ودخل بواطنهما من الاسرار الالهية اشارة الى انه من التخلل
كما تقدم وفي نسخة من اسرار الهيبة بمثناة تحتية فموحدة ومكنون

ابن الفرس
ادعاه

موضعي

غيوبه

فته

اللدني

غيوبه جمع غيب وهو ما لا يدرك بالحواس الظاهرة او ما سيكون قبل وقوعه وهو من
جملة المعجزات ولا يطلع على غيبه الا من ارتضى من رسول والمكنون بمعنى المستور ومع
اي معرفة او انهما علمهما من علمه اللدني او معرفة ذاته وصفاته مما لا يطلع عليه كل احد
او لاستصفائه لهما اي لاختياره لهما من دون خلقه وجعلهما صفوة له حتى يستحقا
وصف الخلة لانهما خيرة الله من خلقه فالمصدر مضاف لفاعله وقوله واستصفا قلوبهما
مضاف لمفعوله واسم المفعول المضاف للمعنى يجوز افراده وجمعه وتثنيته اي جعل
مرآتهما صافية خالصة له صالحة لاسراره ومعرفته عمن سواه بحيث لا يكون فيها غير
معرفته وحبه حتى لم يخالطهما اي يدخل في خلالهما حب لغيره هو نتيجة الاستصفا
وما له فارتضاهما وصفى قلبيهما من كدر حب لسوى الناشي عن الطبع البشري
ولهذا اي لكون معنى الخلة الانقطاع عما سواه والاعراض عن العوارض البشرية
قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه لامتلائه بمحبته ومشاهدة جلاله
بحيث لا يبقى في قلبه سواه وسوى مراقبته كما قيل • • •
تملك بعض حبك كل قلبي • فان ترد الزيادة هات قلبا • • •
وهو اي ما ذكر من معنى الخليل ونعته عندهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث
البخاري انه من امن الناس علي في صحبته وماله ابا بكر ولو كنت متخذا خليلا من الناس
غير ربي يرجع اليه في اموري واعتمد عليه فيما يهمني لاتخذت ابا بكر خليلا لانه
اعز اصحابي واقدم اصدقائي فلو تعلق قلبي باحد لم يكن يتعلق بغيره لما اعرفه
من ايثاره لي على نفسه واهله ولكن اخوة الاسلام وقديم الصحبة الذي هو بمنزلة
القرابة القريبة النسبية كما قيل • • • •
صحبة يوم نسب قريب • وذمة يعرفها اللبيب • • •
وهو استدراك على مضمون الجملة الشرطية فنفى الخلة واثبت الاخوة المؤذنة
بالمساواة تفضلا منه فالخلة اعظم من النبوة والاخوة واخوة روي بهمزة
مضمومة وروي في الاكمال انه خوة بدون الف وهي لغة قليلة واختلف
العلما وارباب القلوب اي اصحاب القلوب الكاملة الصافية حتى كان غيرهم
كانه لا قلب له والمراد بهم الاوليا وذوو النفوس القدسية وقيل المراد بهم الباحثين
عن احوال القلوب وقيل المراد بهم اكابر الصوفية وسموا بذلك لتكلمهم في العلوم
الباطنة دون ظواهر الالفاظ ايهما اي المحبة والخلة ارفع اي ايهما افضل في نفس
الامر وعند الله درجة الخلة او درجة المحبة وكني برفع الدرجة عن رفع ما
فيها وافضليته والتقدير اهو درجة اي فجعلهما بعضهم سوا اي الدرجتين
او المحبة والخلة متساويتين في الفضيلة لا تفاوت بينهما فلا يكون الحبيب
الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لا يخفى ان هذا انما يقتضي تلازمهما لا مساواتهما
رتبة ودرجة ثم اشار الى جواب سوال مقدر وهو انهما اذا استويا وتلازما
فلم خص كلا منهما موصوف فقال لكنه اي الله او الامر والشان خص مبني للفاعل
او المفعول ابراهيم بالخلة ومحمدا بالرفع والنصب بالمحبة بان سمى الاول خليلا
والثاني حبيبا وهو امر اتفاقي لمجرد التمييز بينهما ولا يخفى ضعفه وبعضهم

وان درجة الخلة ارفع منزلة وافضل واعلى درجة ويشهد له ان المحبة ماخوذة من
معنى الخلة واخص منها لكنه قيل انه يرد عليه ما تقدم من قوله في مناجاته حيث — ابن الفيرس
قال له الله سل تعط فقال يارب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال
تعالى له الم اعطك خيرا من هذا واتخذتك حبيبا او ما في معناه مما يقتضي ان درجة
المحبة ارفع الا ان قوله لو كنت متخذا الحديث يخالفه فالمقام لا يخلو من الاشكال
والجواب ان القايل انما فضله بمجموع ما ذكر في الحديث واحتج هذا القايل لمدعاه
بقوله صلى الله عليه وسلم في حديثه رواه البخاري لو كنت متخذا خليلا غير ربي
فلم يتخذه اي غير الله خليلا وقد اطلق المحبة اي وصفه بالمحبة غير ربه والجملة
حالية لفاطمة الزهرا ابنته صلى الله عليه وسلم وهو متعلق باطلق وابنيها الحسن
والحسين واسامة بن زيد بن حارثة فانه ذكر انه كان يحبه ويسمى حب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وغيرهم كابي بكر وعمر وعايشة رضي الله عنهم وقد ورد هذا كله
مصرحا به في احاديث صحيحة وقد قدمنا لك ان محبة الله للعبد بمعنى غير محبة العبد لله
ولغيره وان محبة النبي صلى الله عليه وسلم لله بمعنى كونه ليس في قلبه وذكره غيره
وانها ماخوذة من حبة القلب كما قلت
قد تملكت حبة القلب مني ● ولذا سمي الحبيب حبيبا ●
فلا ينافي كونه يحب فلانا لانها المطلق الميل وبهذا سقط الاحتجاج بما ذكر وسيأتي
ما يؤيده واكثرهم اي اكثر العلما وارباب القلوب جعل المحبة ارفع درجة وافضل
من الخلة لان درجة الحبيب نبينا صلى الله عليه وسلم بدل من الحبيب او عطف بيان
ارفع من درجة الخليل ابراهيم فيقتضي ان صفته وهي المحبة افضل من صفته وهي
الخلة وفيه انه لا يقتضي ذلك لان تفضيل الذات على الذات قد يكون لمعنى اخر
غير تلك الصفة لا سيما اذا قلنا ان الخلة هي المحبة او غايتها واصل المحبة الوضعي
الحقيقي الميل الى ما يوافق المحب بضم الميم وفتح الحا بمعنى المحبوب فقالوا احبه واحبه
بمعنى الا انهم اخذوا اسم الفاعل في اكثر استعمالهم من المزيد فقالوا محب واسم
المفعول من الثلاثي فقالوا محبوب وحبيب وقالوا في غيرا لاكثر حاب ومحب بالفتح
كقول عنترة في معلقته ● مني بمنزلة المحب المكرم ● فراعوا كلا منهما والمراد بما يوافقه
ما يرتضيه ويميل اليه فيحب كل ما يحبه ويبتغيه ويتركه لاجله مرادا نه
والمراد بالميل ميل قلبه ولذا قال ولكن هذا المعنى يكون في حق من يصح الميل
القلبي منه اي المحب لا المحبوب والعكس جايز وجزم به بعضهم والانتفاع
بالوفق بفتح الواو وسكون الفا وقبل القاف اي الموافق فسمي الفاعل بالمصدر
او هو على اصله بمعنى الموافقة بين الشيين وهذا الاخير خير وهي درجة — دلجي
المخلوق وهو مرجع الى المحبة بمعنى الميل القلبي ممن يصح منه
او انث باعتبار الخبر فمرجع للميل والدرجة مجاز عن الصفة واما الخالق جل
جلاله فمنزه عن الاغراض بغين معجمة وزا مهملة ومنا دمعجمة على ما
تقدم فالميل بمعنى ترجيح شي وتقديمه على غيره لغاية غرض وعلة للفعل
لا يجوز على الله ولذا ذهب اكثر الاصوليين الى ان افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض

لانه

لانه لا يقتضي استكماله تعالى بغيره وهو منزه عنه اما بمعنى الثمرات والفوايد المترتبة على الفعل
فلا يضر وحاله مهم لبعض المحققين وقال النصوص تدل على خلافه والاستكمال عنده غير مسلم
وقد بسطنا الكلام عليه في غير هذا الكتاب وفي نسخة الاعراض بعين مهملة ولم يرجع من
بمعنى مرض ومرضته كما قيل بل بعض الكيفيات النفسانية الحادثة والميل منها وفي نسخة
الاعتراض ولا مناسبة لها هنا الا بتكلف واذا كانت المحبة بهذا المعنى لا تليق برب العزة
فمحبته اي الله لعبده تمكينه من سعادته اي اقداره على ما يفيده سعادة الدارين
بتوفيقه لطاعته وعبادته وعصمته من ارتكاب الذنوب ويجوز رفعه وجره عطفا على
تمكين وسعادة والعصمة هنا معناها الحفظ وتوفيقه في اموره بجعلها على وفق رضاه
ويجوز رفعه وجره ايضا والتوفيق اسباب القرب لهيئة بزنة تكرمة بياء مثناة تحتية
بعد الهاء وهمزة وهما تانيث مصدر هيأته اذا جعلته حاضرا سهل التناول اي يسر له
الله كل سبب يقرب به اليه به من صلاة وجهاد ومعرفة ونحوها وافاضة رحمته عليه اي
ايصال الخيرات الدنيوية والاخروية اتصالا كثيرا متواليا فشبه الرحمة بالماء واثبت
الافاضة بمعنى الصب بكثرة على طريقة المكنية والتخييلية وقصواها بضم القاف وسكون
الصاد المهملة وفعلى من اقصاه اذا ابعده والمراد غايتها والضمير للمحبة المفسرة بتمكينه
وما بعده وذكر الغاية لان صفاته تعالى التي لا تليق به تؤخذ باعتبار غايتها وغاية
المحبة كشف الحجب بضمتين جمع حجاب اي ازالة الموانع عن قلبه كالشواغل الدنيوية
حتى يراه بقلبه اي يعلمه علما يقينيا كالمشاهدة المحسوسة وينظر اليه ببصيرته وهي
قوة للقلب كالبصر يدرك بها ما يتوجه اليه فيكون كما قال اي الله تعالى او الرسول
صلى الله عليه وسلم الناقل له في الحديث الذي رواه البخاري فاذا احببته كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله
التي يمشي بها وهو حديث قدسي طويل ومعناه اذا صفى قلبه وشغل نفسه بالله احبه
الله ومحبة الله تقدم انها عنايته ولطفه به وافاضة نعمه على ظاهره وباطنه فتكون
حواسه وادراكها واعضاؤه وحركاتها كلها متوجهة لله ولما فيه رضاه من غير تصنع
ومشقة فيقويه على ذلك حتى يكون كان افعاله صادرة عن الله والى هذا اشار
المص بقوله ولا ينبغي ان يفهم بالبنا للمجهول اي لا يفهم احد من هذا الحديث والكلام
سوى التجرد الى الله اي تجريد افعاله واحساسه كما يشغله عن الله والانقطاع الى
الله بترك غيره واخراجه عن فكره ونظره والاعراض عن غير الله حتى يصير متوافقا له
في جميع احواله وصفا القلب لله بحيث لا يكون في فكره غيره فيصفو من كدر الاوهام
ودنس الخلق واخلاص الحركات لله بان لا يحرك عضوا من اعضائه الا لعبادته او لما
يعين عليها كما قالت عائشة رضي الله عنها كما تقدم كان خلقه القرآن اي اخلاقه
صلى الله عليه وسلم كلها على وفق ما امر به في القرآن فجعلت القرآن عين خلقه مبالغة لغة
والى هذا يشير قولها يرضى برضاه يرضى اي يرضى ويحب ما ذكر في القرآن انه فعل مرضي لله
من واجب ومندوب ومباح يقصد به ما يصيره قربة ويسخط بفتحتين وتسكن
يسخط اي يكره ما ذكر فيه ان الله يكرهه من كل حرام ومكروه وخلاف الاولى وقدم
الجار والمجرور للحصر فلا يرضى الا ما يرضاه ولا يكره الا ما اباه والحاصل كما علم

تماد كران اخلاقه صلي الله عليه وسلم الطبيعية اضمحلت وذهبت لما شق قلبه الشريف فلم
يبق له ارادة لغير ما يريده الله ولا رضا لغير ما يرضاه ولا يخفي ارتباط هذا بما قبله من
قوله كنت سمعه وبصره فاعرفه ومن هذا اشارة الي ما سبق في اول كلامه من معني الخلة
قبل ذكر الخلاف فيهما او ما خذ اشتقاقها فما عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ❁ وبذا سمي الخليل خليلا ❁

فاذا ما نطقت كنت حديثي ❁ واذا ما سكت كنت الغليلا ❁

وفي رواية كنت الدخيلا يعني ان الشاعر عبر عن معني الخلة بما علي لفظها من التخلل بانها
تخللت باطنه وجرت مجري الروح المجسمة السارية في البدن سريانا مسري ما الورد في الورد
بنا علي اتحادها لا فؤاد فيهما لا علي انها مجردة خارجة عنه ومتصلة او بنا علي انها لطيفة
نورانية في احد قواها في القلب لها الحياة والاحساس ومسلك منصوب علي الظرفية ه
بتخللت المضمن معني دخلت واسند التخلل اليه مبالغة والمراد تخلل محبته ومودته
في مسالك روحه او في قلبه الذي هو مقرها بحيث لا يكون فيه سواه كما مر مرفوع
علي انه الفتي في روحه وقلبه غير الله اذا تحدث لم يذكر غير محبوبه وخليله واذا
سكت لم يكن في فكره وقلبه غيره فالمراد بالغليل بالغين المعجمة ما كان داخل القلب من
قولهم تغلغل الما وتغلل بين النبات اذا جري تحته مستترا وكذا المراد بالدخيل ما هو
داخل القلب والبدن لا الاجنبي كما في قول السكاكي لفي الدخيل كالناشي هذا ما
قصده الشاعر واشار اليه المص وان كان ظاهر الشعر علي تفضيل الخلة علي المحبة
فالمراد بالخليل فيه كل متصف بالخلة لا ابراهيم كما قيل فانه لا يصح هنا وليس المراد
بالغليل حرارة العطش اي كنت لعدم ذكري لك متمنيا ما حوايج قلبي عطشا لعدم
ذكرك فانه ازاحة الغم وازاحة النفس بذكر المحبة وما زايده والدخيل بدالا مهملة
وخا معجمة ومن العجيب قوله في الشرح الجديد ان المعني اذا سكت كتمت حبك في قلبي
كما يكتم الحقد والضغاين فالمراد بالغليل الحقد والضغاين ولا يستقيم الا علي ه
الاستعارة فانه تعسف لا ينبغي ذكره فاذن تفريع لجواب سؤال متنوع علي ما سبق
مزية الخلة اي فضيلة الخلة وفي شرح العلامة انه لم يبين له فعل وتقدم انه
يرده قوله في الاساس تمزيته عليه اذا زدته في الفضل عليه وخصوصية المحبة
بفتح الخا وضمها بمعني اختصاصهما وعبر في الاول بالمزية اشارة الي ان الخلة وان
يشارك فيها النبي صلي الله عليه وسلم والخليل عليه الصلاة والسلام فهي مختصة
بنبينا باعتبار معني زايد فيها لا شتمالها علي المحبة المختصة معني ولفظا وان لم
يطلق علي الخليل حبيب الله كما مر وان كانت محبة شاملة لهما بل لغيرهما كما قال
تعالي فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الا ان هذه غير المحبة المختصة
كما مر تحقيقه وكما ان المحبة من الجانبين فكذلك الخلة فانه يقال حبيب الله والله
حبيبه كما يقال خليله خلا فالمن توهم ان الخليل لا يطلق علي الله لحديث المتقدم
لو كنت متخذا خليلا غير ربي وبهذا اتضح نكتة تعبيره بالمزية والخصوصية حاصلة
لنبينا صلي الله عليه وسلم وفي نسخة خالصة اي مختصة وكان الظاهر ان يقول
حاصلتا ن لكنه افرد لجعلهما كالشي الواحد بما دلت عليه الاثار الصحيحة الباللتعدية

دلجي وغيره من الشراح

مرضي

متعلقة

متعلقة بحاصلة ويجوز ان تكون سببية والمراد بالاثار الاحاديث التي تقدمت كقوله لو كنت
متخذا خليلا غير ربي الخ وقوله الا وانا حبيب الله وقوله المنتشرة اي الشائعة المشهورة
المتلقاة بالقبول من الامة ذكر شهرتها والقبول لها مؤيدا لاختصاصه صلى الله عليه
وسلم وزيادته على غيره من الرسل ثم استشهد لذلك بنص القران فقال وكفى بقوله
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية الباء زائدة في فاعل كفى والتعدية
وكفى بمعنى اكتف كما هو مشهور ووجه الدلالة في هذه الاية انه لما جعل من اتبعه
محبوبا لله علم انه محبوب عند الله محبة ليس فوقها محبة وموهوب له بالايد ايته احد
به فعلم منه خلته وحبه ولذا قال المص وكفى الخ ومن لم يفهم مراده قال هذا لا يدل
على مدعاه لانه علق محبته على اتباعه فيما جاء به من الشرايع وتصديقه وذلك محبوب
لله وانما يدل لو علق محبته على محبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم فقال ان كنتم تحبون
الله واحبوا الرسول حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد
بقوله لنا اتبعوني يحببكم الله ان نتخذه حنانا بفتحتين بخفف النون معناه الرحمة
والاشفاق ماخوذ من الحنين وهو بكون دمع صوت والمراد ان نعطف عليه ونجعله موضع
الحنان والرحمة اي نتبرك به ونتضرع به وقد تقدم الكلام فيه كما اتخذت النصارى عيسى
ابن مريم عليه الصلاة والسلام حنانا وهو معبود ايتوق بهوى بعبادته الى الله فانزل الله
تعالى غيظا لهم مفعول له اي انزل الله ليغيظهم ويعلمهم بغضبه عليهم فان
الغيظ الغضب على العاجز ورغما على مقالتهم بتثليث الراء المهملة وسكون الغين المعجمة
والميم وهو الذل والخزي والاساءة بما يكره واصله كل مود يصيب الانف ولذا يقال
رغم انفه وعلى رغم انفه وتضمنه معنى التبكيت والتقريع فعداه بعلى والمراد الحد
انه اذلهم بتوبيخهم ورد مقالتهم هذه وقوله هذه الاية مفعول انزل قل
اطيعوا الله والرسول ثم بعد ما بين سبب النزول من انكارهم جعل اتباعه
سبب محبة الله لهم وتقربهم الى الله ذكر الاية وانها ابلغ من الاولى واشد لان
الاولى لا تقتضي لزوم اتباعه فانه تعالى يتقرب اليه بالنوافل ويحب فاعلها
والامر بطاعته يقتضي الوجوب واقترانها بطاعته يدل على تاكيده مع تعظيمه
وتشريفه كما دل عليه قوله هو زاده شرفا بامرهم بطاعته وايجابها عليهم وقرنها
بطاعته اي الرسول صلى الله عليه وسلم زيادة في تشريفه والاتباع وان كان
عين الطاعة او لازمها فليس هو امر وايجاب ومن غفل عنه قال هما سواء الا
ان هذا فيه التصريح بالطاعة ثم توعدهم على التولي عنه بالاعراض عن طاعته
وهو عدم بهما بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين كان الظاهر ان يقال
فان الله لا يحبهم فوضع الظاهر موضع المضمر وعلقه بالمشتق الذي هو علة
للحكم فكانه قال لا يحبهم لانهم كفروا بالله سواء كان تعريفه للاستغراق او للعهد
فهذه الاية اصرح وادل على وجوب طاعته وعلو مرتبته صلى الله عليه وسلم على
غيره من الانبيا كعيسى عليهما الصلاة والسلام وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك
عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول هذه الجملة صفة قوله
كلاما فاشار الى انه لم ينقله لطوله ثم استانف فقال الجملة اشارة انه ترجح الى

ابن اقبوس

ابن اقبوس

تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه اي من كلام ابن فورك ما يقتضيه اي نعما
قليلا يهدي اي يدل على ما نقصده اي باقيه فالتعدية غير مرادة لانه مجاز فمن ذلك قولهم
اي قول المتكلمين الذي نقله ابن فورك عنهم الخليل يصل الى من خالله بالواسطة اي
بتوسط اخر بينه وبين خليله كما يبينه قوله يصل به الاتي ثم بين ان هذا المعنى ما
خوذ من قوله عز وجل وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين
فوصل لمعرفة ربه بواسطة ما راه من ايات ملكوته التي اوصلته لمعرفته والحبيب
يصل لحبيبه به اي هو دالة على نفسه بنفسه من غير واسطة لغيره وهذا ماخوذ
من قوله فكان قاب قوسين او ادنى فاراه عين اليقين كما تقدم وهذا وان كان الم
نا قاله والعهدة فيما نقله على قائله الا انه هذا غير ظاهر لانه ان اراد بالوصول
الوصول الى الله برؤيته وسماع كلامه من غير واسطة فالاية لا مناسبة لها بما
ذكر وان اراد الوصول الى معرفة الله ومشاهدته فكذلك ظاهر انه لا يتم الفرق
لانه ان اراد بين مفهوم المحبة والخلة فما ذكره لا يدل عليه بل ليس بصحيح وان اراد
بين ذاتي من قاما به فلا يفيد شيئا مما نحن فيه ثم انه مبني على القول بان ابراهيم
عليه الصلاة والسلام لم يعرفه قبل هذا الاستدلال بناء على جواز مثله على الانبيا
مطلقا او قبل البلوغ مع ان المحققين على انه ورد على طريق الجدل مع قومه
الذين كانوا يعبدون الكواكب وبالجملة فهذا الكلام غير منقح وقيل الخليل الذي
تكون مغفرته اي مغفرة الله له ما قد يصدر عنه محتاجا للعفو عنه في حد
الطمع اي واقعة في حال يطمع صاحبها في التجاوز عنها لان الخليل لا يواخذ خليله
بزلاته واصل معنى الحد الحاجز بين الشيئين والمحيط به كحدود الدار فاستعير
للحال المميزة له والمقتضية لتحققه من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين اي قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام في قصته مع قومه هضما لنفسه
وتعليما لامته والا فهو معصوم والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين اي متيقنة
وهذا ماخوذ من قوله اي قول الله لمحمد حبيب الله صلى الله عليه وسلم ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي كل ما صدر عنك وما لم يصدر بالنسبة ماهوسو
لمقامك قد يقتضي نقصا وفي الاية اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم لم يصدر
منه اذ سوى المتقدم بالمتاخر في عدم الوقوع ولذا سر صلى الله عليه وسلم
بها لما نزلت مرجعه من الحديبية وقال نزلت على اية احب الي مما على وجه الارض
والكلام على الاية مبسوط في التفسير وقد تقدم طرف منه ايضا ثم ذكر فرقا اخر
قريبا من هذا فقال والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون اي لا تفضحني ولا
تعذبني في يوم القيامة وقد قيل انه ورد في الحديث ان ابراهيم عليه الصلاة
والسلام اذا راى اباه في المحشر يقول يا رب وعدتني ان لا تخزني فيمسخ الله ازر
ذيخا بذال معجمة ومثناة تحتية وخاء معجمة وهو ضبع مبين فيقال له انظر لما
تحت قدميك فيراه فينكره ويلقى في النار بحول الله صورته حتى لا يعرفه الناس
حين يلقى في النار فيفتضح بين امته قيل ومنه يعلم ان ابوي النبي صلى الله عليه
وسلم ليسا في النار وفيه ما سياتي والحبيب اي نبينا صلى الله عليه وسلم قيل له

يوم

يوم لا يخزي الله النبي فابتدئه بالبشارة بنفي الخزي عنه بروية ما يكره قبل السؤال لا كما
كما سأله غيره منهم والخزي لغة هو العذاب كما في قوله ربنا انك من تدخل النار
فقد اخزيته وانما هو الفضاحة بكل مولم له او لامته كالعتاب فلا يقال ان الله امنه من
غضبه وعذابه فما فايدة البشارة بعد هذا الامر ذكره فاخر فقال والخليل قال في المحنة
هي والامتحان بمعنى الابتلا والمراد بذلك فتنته مع نمرود حين القاه في النار فكانت عليه
بردا وسلاما وقال حسبي الله اي هو كاف لي في جميع اموري والحبيب وهو نبينا صلى الله
عليه وسلم قيل له يا ايها النبي حسبك الله بعد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك طالبا
كفاية الله له وهذا قاله الله له فيكون كفايته له محققة مقررة خلاف الاول كما سمعه
فرقيا والخليل قال واجعل لي لسان صدق اي ذكرا جميلا صدقا فعبر باسم الالة عما
يصدر منها مجازا في الاخرين اي في الامم الاتين من بعدي الى يوم القيامة وهو طلب ودعا
واجابه الله فما من امة الا وهي تثني عليه وغيره والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك
اي جعلناه عاليا شريفا لما تضمنه من الثنا مقرونا باسم الله في الصلاة والخطبة والاذان
وغيرها اعطي الحبيب بلا سؤال منه وهذا ايضا لمزية الحبيب كما تنبهنا لك عليه اولا والخليل
قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اجنبني جنبني بمعنى بعدني بعدا حسيا ومعنويا
بان لا يصدر منهم ذلك وقد اجاب لدعاه لان المراد بنوه لصلبه وفيهم انبيا عصمهم
الله وانقيا حفظهم والحبيب قيل له اي قال الله له انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس هو كل مستقذر حسا وطبعا او عقلا او شرعا اي الله كرمكم بان حفظكم من
الذنوب وما يدنس الاعراض وقال يريد الله ليذهب ولم يقل اذهب مع انه اخصر
اشارة الى انه قضى لهم بذلك في الازل وفي عالم الارواح والذر اهل البيت منصوب
على المدح او النداء والمراد اهل بيت النبوة فيشمل اولاده صلى الله عليه وسلم وازواجه
وابناءه واقاربه ولا يختص ذلك بعلي وفاطمة والحسنين كما زعمه الشيعة
وهذا ابلغ مما في حق ابراهيم بوجوه لاختصاصه بنفي عبادة الاصنام وهذا عام
في كل ذنب ونقص وذلك اكده الله تعالى بتنبيه وهذا شامل لكل من شمله بيته اتفاقا ومبالغته
في تطهيره بقوله ويطهركم تطهيرا ولا يخفى ان كل ما نقله ابن فورك انما يدل على
شرف النبي صلى الله عليه وسلم وزيادة علو رتبته على غيره ولا علاقة له بنفس
المحبة والخلة لا سيما الايات لم يذكر فيهما بعنوان لفظ الحبيب وفيما ذكرناه من تفسير
المحبة والخلة واشتقاقهما والخلاف في ايهما ارفع درجة تنبيه على مقصد اصحاب
هذا المقال المقصد مصدر ميمي بمعنى القصد او هو بمعنى المقصود لان مفعل
ياتي بمعنى مفعول كمركب وان كان نادرا او هو مجاز من المصدر او من اسم المكان باستعمال
منه استعارة مصرحة اصلية من تفصيل المقامات والاحوال بيان للمقصد والمقامات
بفتح الميم جمع مقام وهو محل القيام وبضمها محل الاقامة وجمعه جمع المؤنث لاطراده
فيما لا يعقل كحمامات وسجلات والمراد بالمقام هنا امر يكون عليه العارف بالله من
الانبياء والاولياء يرتفع به من حضيض البشرية في درجات العبودية حتى يرقى الى المقام
الاعلى وما يطرق عليه هو المراد بالاحوال وليس بمعنى واحد هنا كما قيل وقيل
المقامات الصفات الثابتة والاحوال الصفات الزائلة وهو قريب مما قلناه

يا

جانه

رته

والظاهر ان المراد بقوله السابق ما ذكرناه ما خصه من كلام ابن فورك وهو جواب
عما تقدم من ان هذه الاية دالة على بيان الخلة والمحبة الذي هو بصدده فاشار الى انه وان
تعلق بذات الحبيب والخليل فالمقصود بيان تفاوت وصفهما فيرجع ما قاله الى
بيانهما فان منهم من يسلك مسلك التصريح ومنهم من يقصد الايما والتلويح وكل
يعمل على شاكلته اي لكل احد طريقة يختارها والمشاكلة في الاية التي اقتبس منها المقدم
قل كل يعمل على شاكلته بمعنى سجيته وجبلته وهي كما قال الراغب ماخوذة من الشكال
وهي قيد يقيد به الدابة فيذلله وذلك لان سلطان السجية قاهر لصاحبه ومنه شكل
الكتاب يقال شكلت الخط كما يقال قيدته واشار بقوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا
اي الله يعلم من طريقته اقوم واكثر ايصالا الى الحق وارشاد الهداية يشير الى ان
الخلاف السابق في تفضيل الخلة والمحبة مبني على امور نظر اليها كل من الفريقين فكانه
لم يجزم باحدهما لان الخلاف كاللفظي وقد قيل ان غاية ما ذكره ابن فورك تفضيل
نبينا صلى الله عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حد ذاته من غير
نظر لما جعلوه علة من تفضيل الصفة على الصفة والحق تفضيل الخلة كما ذكره ابن
قيم الجوزية وقد علمت ما فيه وقد قدمنا لك ما يغني عنه

## فصل

في تفضيله صلى الله عليه وسلم برفعة مقامه على غيره بالشفاعة ان كان تعريفه
للعهد والمراد الشفاعة العظمى في الحشر الذي يخلص الله بها اهله من هوله وكربه
فقوله والمقام المحمود عطف تفسير والا فهو من عطف الخاص على العام والمقام المحمود
كل مقام يتضمن كرامة تحمد ولكنه خص هنا بفرد معين من افراده اختلف فيه كما قاله
البرهان نقلا عن القرطبي على ستة اقوال فقيل هي الشفاعة العامة السالفة وقيل
اعطاؤه لوا الحمد وهو لا ينافي ما قبله وقيل هو ان يجلسه صلى الله عليه وسلم مع الله
على الكرسي وهذا انما نقل فيه حديث طعنوا فيه وياتي ما فيه ومنهم من اوله وقيل هو
شفاعته صلى الله عليه وسلم لاخراج بعض اهل النار منها وقيل هو شفاعته رابع
اربعة اذ يقوم له روح القدس جبريل عليه الصلاة والسلام ثم يقوم صلى الله عليه
وسلم فيشفع ابراهيم ثم يقوم موسى او عيسى عليهم الصلاة والسلام ثم يقوم صلى الله
عليه وسلم فيشفع ولا يشفع احد بعده في اكثر مما يشفع وبه فسرت الاية وقيل هو
مقام يكون اقرب فيه من جبريل والشفاعة ثابتة له صلى الله عليه وسلم بالاجماع
الا انها عند اهل السنة لاصحاب الكبائر لحديث شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وعند
المعتزلة لزيادة الثواب لا لدرء العقاب والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وكونه
محمودا على ظاهره او اسناده مجازي اي صاحبه محمود قال تبارك وتعالى عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا استشهد بالاية على ما قاله وقد علمت ما فسر به المقام
المحمود ومقاما منصوب على الظرفية لمحذوف اي يقيمك مقاما او بتضمين يبعث
معناه او هو حال بتقدير اي ذا مقام واما الوجه الثالث وهو جلوسه صلى الله
عليه وسلم مع الله على العرش او الكرسي وقال الواحدي رحمه الله انه قول فاسد
مبني على التجسيم وبين فساده بوجوه يرجح منها ان البعث ضد الاجلاس والاقامة
والجلوس ضده فكيف يفسر به وايضا هو يقتضي التحديد والتناهي المستلزم للحدوث

وَايضًا انه قال مَقامًا وَلوكان كذلك لقال مَقعدًا ومثله لا يدل عليه البحث وَرد هذا بانه
رَواه احمد بن حنبل في مسند وَمثله من المتشابه كقوله الرحمن على العرش استوى وَقد صححه
الدارقطني وَقال رداعلى منكره وَاجاد في ذلك رحمه الله

حديث الشفاعة عن احمد • الي احمد المصطفى نسنده •
وَجا الحديث باقعاده • على العرش ايضًا ولا نجحده •
امروا الحديث على وجهه • ولا تدخلوا فيه ما يفسده •
وَلا تنكروا انه قاعد • وَلا تنكروا انه يقعده •

جلوسه صلى الله عليه وسلم لا ما نع منه وَاما نسبة ذلك لله وَقوله انه معه فليس
المراد ظاهره بل هو وَامثاله ماوله وَهي كثيرة وَعسى للترجي وَمعناها وَعملها مشهور
في كتب النحو فمعناها الترجي في المحبوب وَالاشفاق في المكروه وَالترجي منه صلى الله عليه
وَسلم ظاهر وَمن الله قالوا انه ايجاب اي يجزم بوقوعه اذ الله لا يجب عليه شي كما تقرر
في الكلام حدثنا وَفي نسخة اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني بشيخ المعجم وَغسان
اسم ماء في الاصل سمي به قبيلة من اليمن نزلت عليه وَجيان بالجيم المفتوحة وَتشديد
اليا المثناة التحتية بوزن شداد بلدة بالاندلس منها ابن مالك وَابو حيان رحمهما
الله تعالى فيما كتب الي بخطه اشارة الي ان هذا الاخبار ليس بالمشافهة كالاخبار
كاينا في ضمن امور اخر وَاحاديث كتبهما له وَالكتابة نوع من التحمل وَالاجازة لها حكم
الاتصال عند كثير من المحدثين وَاهل الاصول كالسمعاني وَصاحب المحصول وَوقع ذلك
في الصحيحين سوا كان به حاضرا او غايبا بشرط ان يعرف خطه قال حدثنا سراج بن عبد الله
القاضي السابق ذكره وَترجمته قال حدثنا ابو محمد الاصيلي الذي تقدم الكلام عليه وَعلى
نسبته قال حدثنا ابو زيد المروزي وَقد تقدمت ترجمته وَابو احمد محمد بن محمد
ابن يوسف بن مكي الجرجاني قالا حدثنا محمد بن يوسف الفربري السابق ترجمته قال
حدثنا محمد بن اسمعيل هو امام السنة صاحب الصحيح البخاري وَقد تقدم قال حدثنا
اسمعيل بن ابان ابو اسحاق الوراق الازدي الكوفي وَابان بفتح الهمزة وَتخفيف الباء علم
منقول تردد في صرفه وعدم صرفه بعضهم وَاجاز بعضهم فيه الصرف وَعدمه
وَسبب الخلاف فيه ان منهم من قال وزنه فعال فينبغي صرفه وَقيل انه منقول
من ماضي ابان يبين وَجزم به ابن مالك وَصاحب التوضيح وَقال القرافي المحدثون
وَالنحاة على منع صرفه وَنقله ابن يعيش عن الجمهور بنا على ان وزنه افعل بمعنى
اوضح فاعل على خلاف القياس وَابقي على اصله فانه قد فتح قول الدماميني لو كان كذلك وجب
تصحيحه لان افعل الاجوف الوصفي لا يعل وَفي شرح مسلم انه يجوز فيه الصرف وَعدمه
وَالصحيح صرفه كما في جامع اللغة وَبه جزم ابن السيد اقول عدم صرفه تعسف
وَقد تتبعت كلام العرب فوجدته مصروفا فيه كقول ابي عطا الحمامي •

الغرف مسجدا لبني تميم • فويق التل دون بني ابان •
وَقول مهلهل •
لهف نفسي على عدي وَلم • اعرف عديا اذا امكنني البيان •
طل من طل في الحروب وَلم • اعرف قتيلا اباه من ابان •

الى غيره كذا مما لا يخفى فلا وجه للتردد فيه ولذا قال بعض ائمة اللغة من لم يصرف
ابان فهو اتان وهو امام ثقة توفي سنة بضع عشرة ومائتين وترجمته في الميزان قال
حدثنا ابو الاحوص بحاء وصاد مهملتين واسمه سلام بتشديد اللام ابن سليم بالتصغير
الامام الثقة الراوية توفي سنة مائة وتسعة وتسعين واحتج له اصحاب الكتب الستة
وقيل اسمه عوف بن مالك بن نضلة والصحيح الاول عن ادم بن علي العجلي الثقة
التابعي يروي عن ابن عمر وغيره قال سمعت ابن عمر الصحابي المشهور رضي الله عنهما يقول حال
او مفعول كما بينه النحاة وقد تقدم بيانه ان الناس يصيرون يوم القيامة جثى
هذا الحديث رواه البخاري في التفسير موقوفا عن ابن عمر ومثله مما لا مجال للراوي
فيه له حكم المرفوع واحتمال انه سمعه من اهل الكتاب بعيد لا يعول عليه وكونه
سمعه من صحابي اخر لا يضر لان مرسل الصحابي مقبول اقول هذا مما قال به اهل
الاصول وقبله الائمة في مصطلح الحديث وفيه بحث لانه يجوز ان يكون الصحابي
ممن قرا الكتب القديمة او يكون استنبطه من كتاب او سنة فينبغي تقييده بما ذكر
وجثى بضم الجيم مقصور منون ويجوز كسر جيمه ايضا جمع جثوة مثلث الاول واصله
الكوم المجتمع من تراب ونحوه فاستعير لمعنى الجماعة اي يجيئون جماعات كل امة
جماعة تابعة لنبيها وروى البرهان عن الحافظ العراقي جثا بضم الجيم والمد وانه
كذا صح في نسخ البخاري وصححه الهروي وابن الاثير وروي جثي بضم الجيم وكسر
المثلثة وتشديد الياء جمع جاث وهو البارك على ركبتيه وقيده بعضهم بان
يجلس كذلك للخصومة وانشدوا قوله
خاصمهم مدة قائما ۞ واجثوا اذا ما جثوا للركب
ولا شاهد فيه وهذا على خلاف القياس اذا صحت الرواية فلا يرد عليه ان فاعل لا يجمع
على فعل كما قيل كل امة تتبع نبيها يقولون حال من فاعل يجيئون اي تكون معه تابعة
له بانضمامها اليه يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا اي تنادي كل امة نبيها باسمه
يسالونه ان يشفع لهم عند ربهم في الخلاص من هول الموقف كما مر فيجيبهم بانه لا يقدر
على الشفاعة كما تقدم فيدلهم على غيره من الرسل فيجيبهم مثله حتى تنتهي
الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم اي حتى تنتهي الامر وسؤالهم لواحد
بعد واحد يكون غايته ان يلتجئوا اليه صلى الله عليه وسلم فيجيبهم ويشفع لهم
فتقبل شفاعته ففي الحديث طي لجمل علمت من السياق ومن احاديث اخر صرح فيها بذلك
ومعنى تنتهي تبلغ وتصل كما يقال بلغ الامير قصتي وهذه هي الشفاعة العظمى
وقد تقدم ان له صلى الله عليه وسلم شفاعات اخر فذلك اي ما ذكر من الشفاعة
وما معها يوم يبعثه الله المقام المحمود اي كائن في ذلك اليوم بنصب يوم على
الظرفية فان رفع يجعل القصة المختصة به كانها عينه مبالغة ويجوز اجازوه وعن
ابي هريرة رضي الله عنه سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عن الاية
المذكورة كما اشار بقوله يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وضمير
يعني راجع لابي هريرة وهذا الحديث رواه احمد والبيهقي فقال اي رسول الله
صلى الله عليه وسلم جوابا عن السؤال هي الشفاعة العظمى الواقعة لفصل

للسائل

الفتنا وقيل لاخراج المذنبين من النار والمشهور هو الاول وضميرهي راجع للشفاعة كقولك
هي الحياة او للمقام وانث رعاية للخبر او للاية بالتجوز على ان المراد المعنى المقصود منها وقيل
المراد بها هي الشفاعة في اليوم المسمى بالمقام المحمود وهو تكلف جدا وروي كعب بن مالك
الانصاري الصحابي احد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
غزوة تبوك وتاب الله عليهم بنص القران وهذا الحديث رواه احمد بن حنبل مسندا
عنه عليه الصلاة والسلام انه قال يحشر الناس يوم القيامة بعد الخروج من القبور
اي يجمعون للحساب فاكون انا وامتي على تل بمثناة فوقية مفتوحة ولام مشددة
هو رابية من تراب او رمل ونحوه عالية مرتفعة وجمعه تلال واتلال نادر وفي القاموس
التل من التراب والكوم من الرمل وتفسيره بمكان عال كالجبل بيان للمقصود او تسامح
وفيه اشارة الى اعلا مقامه صلى الله عليه وسلم ومقام امته واللطف بهم في تخليصهم
من زحام الموقف ومشقته ويكسوني ربي حلة خضرا وفيه استيناس لما يلبسه الاشراف ف
الان من العمامة الخضرا وان كان ذلك مما حدث في زمن السلطان الاشرف تمييزا لهم
عن غيرهم وان لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك كما فصلناه في محله والحلة
بضم فتشديد برد من برود اليمن ولا تسمى حلة الا اذا كان ثوبين احدهما فوق الاخر او
ثوب واحد له بطانة وسمي بذلك لان كلا منهما يحل على الاخر او لكونهما جديدين كما
حل طيهما ثم شاع في مطلق الكسوة النفيسة وكسوته صلى الله عليه وسلم بعد
كسوة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في الزمن كما سياتي المصرح به في الحديث
وليس فيه تفضيل له عليه لان حلة نبينا صلى الله عليه وسلم اعلا واحسن وانما
تقدم جزا لما فعله به نمرود حين عراه ليلقيه في النار ورعاية له بما بين النبي
صلى الله عليه وسلم لانه جده وزمنه اسبق وسنه ازيد ثم يؤذن لي بالبنا للمجهول
من الاذان اي ياذن الله لي في التكلم بين يديه والشفاعة لاهل المحشر اجمعين فيقال
له قل واشفع تشفع كما مر فاقول ما شا الله ان اقول من حمد الله بمحامد لايقة والثنا عة
والشفاعة العظمى فذلك المقام المحمود وهذا لا ينافي تفسيره بالشفاعة العظمى
كما قاله المحب الطبري وذلك اشارة الى جميع ما تقدم من اول الحديث الى وعن ابن
عمر رضي الله عنهما في حديث ساقه وذكر حديث الشفاعة معطوف على مقدر وقوله
قال القيمشي يعني النبي صلى الله عليه وسلم بدل من قوله ذكر حتى ياخذ بحلقة باب
الجنة وفي رواية قال فامشي حتى اخذ والحلقة معروفة بسكون اللام ويجوز
فتحها وانكره بعض اهل اللغة كما تقدم والحديث تقدم بتمامه فيومئذ اي يوم
اذ مشى صلى الله عليه وسلم واخذ بالحلقة واليوم على ظاهره او بمعنى مطلق
الوقت يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده به في القران في قوله عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا وهو مقام يحمده فيه لسائر الخلائق الشفاعة العظمى ويحمده
فيه الاولون والاخرون فلذا اسمي بذلك ووعده مبني للمجهول ومفعوله الاول عايد
على النبي صلى الله عليه وسلم مستتر والبارز عايد على المقام ويجوز فيه بناوه للفاعل عرضي
ايضا وقيل المقام المحمود هنا وقوفه ثمة واخذه بحلقة باب الجنة وهو معلق
ليفتحه فيدخلها من هو معه والحامدون له على هذا المسلمون واهل الجنة

لان من عداهم الحق في النار فهو تفسير اخر فتامله وعن ابن مسعود رضي الله عنه عنه عليه
الصلاة والسلام انه اي المقام المحمود الموعود به قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه
غيره ظاهره ان المقام هو القيام نفسه على انه مصدر وقوله مقاما منصوب على الظرفية
وليس كذلك فان المراد ان المقام هو المحل الذي قربه الله فيه قربا لم يتيسر لغيره وقيل
المراد اقامته وتمكنه في ذلك المكان فلا ينافي ما مر من انه صلى الله عليه وسلم يجلس على منبر
عن يمين العرش يغبطه فيه الاولون والاخرون اي جميع الامم والناس والغبطة بالغين
المعجمة والموحدة والطا المهملة هي تمني المرء ان ينال مثل ما راه عند غيره من
النعم وكل امر محمود من غير ان يحب زوالها فان احب زوالها فهو الحسد المذموم وقيل
الحسد تمني الامر المحمود مطلقا فهو اعم من الغبطة ومنه ما يذم ويحمد والمشهور
الاول ويغبط بزنة يضرب وفي نسخة به والياء فيه او سببية والغبطة لا ضرر فيها
وقد تكون حميدة وفي الحديث هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاه الخبط انتهى وفي النهاية
الاثيرية ان الغبط لا يضر ضرر الحسد وانما يلحق الغابط منه ضرر يسير وانه ينقص
ثوابه كما يلحق العضاة بالخبط ورقها والذي يظهر لي انه صلى الله عليه وسلم انما
اراد انه لا ضرر فيه على الغابط في امر محمود تمناه من غير تمني زواله بل تمنى
ينال منه نفع لجده في تحصيل مثله او لينيله شيئا من صاحبه فهو على حد قوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
ونحوه اي مثله معنى مروي عن كعب هو كعب الاحبار والحسن البصري وفي رواية
هو اي المقام المحمود الذي اشفع لامتي فيه فيكون هذه الشفاعة غير الشفاعة
العظمى لسائر الناس وهو احد الاقوال في تفسيره كما مر وما في الشرح الجديد
من عود الضمير لقيامه على يمين العرش وان المراد بالشفاعة الشفاعة العظمى في فصل
القضا وان لم تكن خاصة بامته فهم المقصودون بالذات منها تعسف لا حاجة اليه
وعن ابن مسعود رضي الله عنه في حديث رواه احمد في مسنده اني لقائم المقام المحمود
بكسر همزة ان لوقوعها في ابتدا كلام مستانف وقيل انه جواب قسم مقدر اي والله اني لقائم
وفيه بيان انه لا يجوز القسم في الامر العظيم ولذا اكد بان والاسمية وفيه نظر والمقام
منصوب على الظرفية او المصدرية قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى
عن كرسيه وفي نسخة على كرسيه الحديث اي اذكره او انظر تمامه وهو كما رواه احمد
رحمه الله قيل له ما المقام المحمود قال ذاك يوم ينزل الله على كرسيه فيئط كما
يئط الرحل الجديد من تضايقه به وهو كسعة ما بين السماء والارض ويجاء بكم حفاة
عراة غرلا فيكون اول من يكسى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فيقول الله عز وجل
اكسوا خليلي فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة ثم اكسى على اثره ثم اقوم عن
يمين الله مقاما يغبطني فيه الاولون والاخرون وقد علمت ان هذا الحديث من
المتشابه لانه تعالى منزه عن صفات الاجسام كالنزول والجهة قيل ولذا تركه المص
رحمه الله وهو تمثيل لتجليه تعالى لعباده بعظمته وجلاله واقباله عليهم لفصل
القضا واجرا حكم عدله فيهم كما يتجلى الملك لجنده ورعاياه لينظر في امورهم ويقرب
من شا منهم والكرسي غير العرش كما مر والحديث في المصابيح والكلام عليه مفصل في

عوضي

عوضي

مرفوعه

مروحه وعن ابي موسى عبد الله بن قيس الاشعري الصحابي المشهور وهذا الحديث رواه ابن ماجه
باسناده رواية عنه صلى الله عليه وسلم خيرت اي خيرني الله بين احد امرين بين ان يدخل بالبنا
الفاعل او المفعول نصف امتي الجنة اي امة الاجابة لا الدعوة وبين الشفاعة لبعض المذنبين
منهم الذين استوجبوا دخول النار وليس المراد بها الشفاعة العظمى في فصل القضا فاخترت
الشفاعة على دخول نصف امتي الجنة ثم بين وجه اختياره بقوله لانها اي الشفاعة اعم
اي اشمل واكثر من النصف وهذه الشفاعة غير الشفاعة فيمن دخل النار وقيل انها شاملة لها
وهذه الشفاعة ثابتة باحاديث كثيرة بلغ مجموعها حد التواتر ولا يعتد بمن انكرها من
الخوارج والمعتزلة تمسكا بقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع لان المراد بالظالمين
الكفرة فان الشرك لظلم عظيم اترونها بهمزة الاستفهام وضم المثناة الفوقية وفتح الرا المهملة
والضمير للشفاعة اي اتظنون ان الشفاعة خاصة للمتقين جمع متقي بكسر القاف اسم فاعل من
التقوى وفي نسخة للمؤمنين قال البرهان والاول هو المحفوظ من مشايخي ورددوا
على من رواه المنقين بنون مفتوحة ثم قاف مفتوحة مشددة ثم يا مثناة تحتية
ساكنة جمع منقى اسم مفعول وهو النظيف وكذا في اصلنا لسنن ابن ماجه وهو اصل
صحيح وكتب على هامشه ن ق وعليها تصحيح مرتين انتهى ففيه ثلاث روايات والمتقين
من التقاقال المزي وحسن هذه الرواية انه روي ولكنها للمذنبين الخطائين المتلو
مقابلته للمتلوثين تحسنه وهو اسم مفعول من التلوث بمثناة في اوله ومثلثة في
اخره والتلوث التلطخ بالاقذار لان الذنوب كالنجاسة والخطائين جمع خطا وهو
الكثير الخطا وروى الترمذي شفاعتي لاهل الكباير من امتي وقيل المنقين بالنون
غلط لانه يجوز ان يكون مذنبا نقي بالتوبة والمنقي اخص وفيه نظر وعن ابي هريرة
رضي الله عنه في حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقي قلت يا رسول الله ماذا رد عليك
في الشفاعة بضم الرا وتشديد الدال المفتوحة مبني لما لم يسم فاعله كذا رواه
البرهان واقتصر عليه وروي ورد من الورود مبني للفاعل كما ذكره التلمساني
وتبعه غيره من الشراح وما اسم استفهام وذا اسم موصول بمعنى الذي ويجوز
ان يكون اسم اشارة والرد الجواب وورد بمعنى جا اي ما جابك به الله او الملك لما
سالته الشفاعة في امتك فقال شفاعتي هو فاعل مرفوع تقديرا اي جاءه او
ورد على ان اشفع لمن شهد ان لا اله الا الله اي لمن اقر بوحدانية الله ولم يقل
وان رسول الله اكتفا باحد جزئي كلمة الشهادة للعلم بانه لا بد من الاتيان بهما
في صحة الاسلام مخلصا حال من الموصول اي غير مشوبة شهادته بشك او شرك
يصدق لسانه بالنصب على المفعولية وقوله قلبه مرفوع فاعله ويجوز عكسه
اي يطابق اعتقاده لما نطق به وعن ام حبيبة رضي الله عنها في حديث رواه الحاكم
والبيهقي وهي ام المؤمنين بنت ابي سفيان بن حرب اخت معاوية رضي الله عنهما
واسمها رملة على الصحيح وقيل هند وهي من السابقين الى الاسلام وترجمتها
معروفة توفيت سنة اربع واربعين قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اريت بضم الهمزة والبنا للمجهول اي علمني الله واخبرني بواسطة الملك ما تلقى
امتي من بعدي اي اريت ما اطلعت به على ما ينوبها فراي علمية وقيل انه من

تبين

ابن افندي

المهملة صح

دلجي

باب الكشف عما سيكون بتوفيق من الله له صلى الله عليه وسلم كرامة وليس من الرؤية
البصرية وسفك نحو منهم دما بعض منصوب معطوف على ما تلقي وسفك الدم اراقته
وصبه وهو مصدر مضاف لفاعله قيل اراه ذلك وحيا او مشافهة او الهاما لما يقع بينهم
من الحروب والفتن التي يقع فيها القتل واراقة الدما وسبق لهم من الله ما سبق للامم
قبلهم ما من معطوف على تلقي صلة الموصول اي اريت واعلمت بما سبق لامتي مما
قدره الله عليهم واراده لهم فوقع على وفق ارادته في الازل وعلمه القديم ٥
فسالت الله تعالى ان يوتيني شفاعة فيهم يوم القيامة منه ففعل اي اعطاه الله ما ساله
فشفعه في المذنبين منهم وقال حذيفة بالتصغير وهو ابن اليمان العبسي
رضي الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث موقوف عليه
رواه البيهقي والنسائي تجمع الله الناس في صعيد واحد اي في مكان يجمعون
فيه غير متفرقين واصل معنى الصعيد التراب فاريد به هنا ارض المحشر وقيل
هو تربة ليس فيها رمل ولا شجر يوم تبدل الارض غير الارض والمراد بالناس الثقلان
من الجن والانس او المراد الانس واقتصر على الاشرف فلا يرد ان الجن والبهايم يحشر
معهم ايضا حيث يسمعهم الداعي صوته ونداه كما قال تعالى ثم اذا دعاكم دعوة
من الارض اذا انتم تخرجون ويسمع بضم التحتية مضارع اسمع وحيث ظرف مكان
مبني على الضم وينفذهم البصر بفتح اليا المثناة التحتية وروي بضمها وكسر الفا
وعلى الاول هي مضمومة والمراد بصر الرائي اي يراهم دفعة وليس المراد بصر الله
كما قاله ابو عبيد وقيل المراد يبلغهم ويحيط بهم لانهم في ارض مستوية لا عوج
ولا شجر فيها وهو بالدال المهملة والمحدثون يروونه بالذال المعجمة وهو صحيح
ايضا لانه لاحاطته لهم وتجاوزه كانه يخرقهم فلا وجه للرد مع صحة الرواية
حفاة عراة منصوبان على الحالية وحفاة جمع حافي وهو الذي لا نعل له ولا
خف وقيل جمع حفي وهو الذي رق جلد قدميه وعراة جمع عاري وقيل
جمع عريان وهو قليل في الاستعمال وهو الذي لا ثوب له ولا لباس يستره
ويعارضه ما روي في الحديث الصحيح ان ابا سعيد الخدري رضي الله عنه لما
احتضر دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اثيابهم
يقول ان الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه
احسنوا اكفان موتاكم فانهم يحشرون فيها وجمع بينهما بان هذا محمول على الشهدا
وثيابهم التي قتلوا فيها والحديث وارد فيهم وابو سعيد حمله على العموم وقيل
ان بعضهم يحشر عاريا وبعضهم بثيابه وقيل انهم يحشرون باكفانهم ثم تتناثر
من عليهم في المحشر وقيل المراد بثيابهم اعمالهم كقوله ولباس التقوى ذلك خير
ولا يخفى ما في هذا من الضعف فليحرر كما خلقوا حال اي كاينين على حال خلقهم الاول
من غير نقص شي من اجزايهم كما ورد غرلا فشبه حال اعادتهم بحال اخراجهم من
العدم كما قال كما بداكم تعودون او ما كافة او مصدرية سكوتا جمع ساكت
حال من الناس او من ضمير خلقوا لا تكلم اصله تتكلم فحذف تخفيفا الا باذنه فلا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن

ابراقته

لهم

هم يتعددون في موقف اخر والثاني مخصوص بذوي الاعذار الباطلة فلا تعارض بينهما
وهذا الجواب ايضا عن قوله واقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقوله يوم تاتي كل نفس
تجادل عن نفسها فينادي بالبنا للمجهول يا محمد بالتنوين نايب الفاعل او هو غير منون مبني
على الضم والندا بمعناه الظاهر اي يقال له يا محمد بحذف حرف الندا وعلى الاول ينادي
بمعنى يدعى ويطلب وكلا الوجهين حسن وفي نسخة فينادي يا محمد فيقول لبيك وسعديك
منصوبان على المصدرية بفعل لا يظهر في الاستعمال من التلبية وهي اجابة المنادي من
لب بالمكان اذا اقام ولا يستعملان الا بصيغة التثنية والمراد بها مجرد التكثير ولو
مرارا عديدة اي اجبتك اجابة بعد اجابة واساعدك بطاعتي لك وانا مقيم على ذلك
لا انصرف عنه والخير في يديك والشر ليس اليك اي مفضيك بالعرض وصادر عنك بالتبع
لان بعض ما يتضمن الخير الكثير يستلزم شرا قليلا فكان ترك الخيرات الكثيرة لاجل ذلك
الشر القليل شرا لا يصدر عنه وهو المنزه عن الفحشا ولا يجري في ملكه الا ما يشا والى هذا
اشار القاضي في تفسيره والمعتزلة قدروا في مثله والشر ليس منسوبا اليك واستدلوا به على
مذهبهم وغيرهم قدره والشر ليس متقربا به اليك كما يتقرب الى بعض ظلمة الملوك ببعض
القبايح قاله القرافي في قواعده او المعنى لا يضاف اليك تادبا وقيل المعنى لا يصعد اليك
فانه انما يصعد اليه الكلم الطيب واليد اسم للجارحة المعروفة واصله يدي بالسكون
لقولهم في جمعه ايد وقيل يدي بالفتح لقولهم في تثنيته يديان واستعير للنعمة وللملك
والتصرف والقدرة والقوة والنصرة واذا اضيف الى الله يراد به المعنى المجازي لتنزهه
عن الجارحة وثني هنا وفي قوله لما خلقت بيدي اشارة الى زيادة تصرفه فيه وهما
واختصاصه به وجعل الخير مستقرا فيهما ترشيحا للاستعارة والاحسن ان يقال انه اشارة
لما تقرر من ان وجهي تصرفه في الموجودات بالخير والشر خير كله فتدبر والمهدي من
هديت اي الموفق للهداية من خلقته مهديا ووفقته لطاعتك وتعريف الطرفين
يفيد الحصر اي لا مهدي الا من هديته وعبدك بين يديك اراد به نفسه الزكية
اي انه صلى الله عليه وسلم حاضر لديه وواقف في مقام الذلة والعنو وقيل انه
تشبيه لقربه من ربه وقرب يد اختصاصه من بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسا
واستعير لذلك وبك واليك اي امري كله لك فانه عبدك وامري موكول اليك لا ملجا
بالهمز والقصر للازدواج اي لا يلتجئ ولا يستند لاحد سواك ولا منجا بلا همز او به للازدواج
اي لا ينجيه ولا يخلصه احد منك اي هو عبدك ومصيره اليك الا اليك وليس باتباع ولا
لدونه كما قيل تباركت وتعاليت اي كثر خيرك وزاد عن كل شي وعلا قدرك في ذاتك
وصفاتك وتنزهت عما لا يليق بك والكلام عليه مفصل في التفسير سبحانك اي
تنزهت رب البيت بالرفع خبر مبتدا مقدر والنصب على الندا اي يا رب البيت والمراد
به الكعبة او البيت المعمور في السما ولما كان البيت قد يشعر بالحلول قدم التنزيه
عليه احترازا عن توهمه وقال رب البيت دون رب العالمين اظهارا للشرف فهو شرف
الحج اليه المشابه بجمع الخلايق فيه بالمحشر وهم عراة حفاة قال اي النبي صلى الله عليه
وسلم لانه معلوم من السياق او حذيفة راويه وهو في حكم المرفوع فذلك اي المقام
الذي يجمع فيه ووقع فيه هذه المناجاة هو المقام المحمود الذي ذكره الله في

ج
تلمساني

القرآن في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا دخل
اهل النار النار قدمه ترهيبا وترغيبا في تجنب سبب دخولها ولان ذكر النعمة بعد النقمة
اوقع في النفس واهل الجنة الجنة بجر الاول ونصب الثاني اي ودخل اهل الجنة الجنة والمراد
غالبا اهل النار وغالبا اهل الجنة بدليل قوله فتبقى اخر زمرة من الجنة اي من اهل الجنة
واخر زمرة من النار اي من اهل النار والزمرة الجماعة القليلة ومنه شاة زمرة اي قليلة
الشعر ورجل زمر قليل المروة او من الزمر وهو الصوت لانها لا تخلو عنه فتقول زمرة
النار اي الزمرة الباقية من اهل النار لزمرة الجنة اي للزمرة الباقية من اهل الجنة
الذين لم يؤذن لهم في دخولها ما نفعكم ايمانكم ما استفهامية انكارية او نافية
خبرية اي لم ينفعكم ايمانكم ولم يغن عنكم شيئا لانهم بجهلهم بانجاء الهم ظنوا انهم
لا يدخلون الجنة وانهم منعوا من دخولها فيدعون ربهم الضمير للزمرة المتخلفة من
اهل الجنة ويضجون اي يصيحون ويرفعون اصواتهم فزعا مما لحقهم من تعيير اهل
النار لهم واصل الضجيج بضاد معجمة وجيم الصياح من الفزع للخوف الكروع
والضجة ارتفاع الاصوات المختلفة مطلقا فيسمعهم اهل الجنة اي يسمعون صياحهم
واستغاثتهم بربهم ليأذن لهم في دخول الجنة فيسألون ادم ان يشفع لهم في دخول
الجنة وغيره بعده اي يسألون بعد ادم عليه الصلاة والسلام غيره من الانبياء كنوح
وابراهيم وموسى وعيسى في الشفاعة لهم فكل يعتذر لهم بانه لا يقدر على الشفاعة
ولم يؤذن له كما مر تفصيله حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم بعد ما يئسوا من
شفاعة غيره من الرسل فيشفع لهم فذلك المقام المحمود الذي يحمده فيها الناس ويظهر
فضله على جميع الرسل وهذا الحديث موقوف على ابن عباس وهو في حكم المرفوع ونحوه
اي في معناه حديث مروي عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين بن علي
ابن ابي طالب وهو زين العابدين كما تقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم اي مرفوعا
وما قبله موقوف وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الصحابي وقد تقدمت ترجمته
ليزيد الفقير هو ابن صهيب ولقب بالفقير لانه اصيب في فقار ظهره فكان يشكوها
وفقار الظهر خرزات العظم التي من مجمع الذنب الى نقرة القفا وهي اثنان وثلاثون
فقرة فهو فعيل بمعنى مفعول وقول عائشة في حق عثمان رضي الله عنهما ركبوا
منه الفقر الاربع استعارة اي انتهكوا له حرمات اربع الصحبة والصهر والخلافة
والبلد وهذا الحديث رواه مسلم ويزيد هذا امام ثقة روى عنه ابو حنيفة
واصحاب الكتب الستة سمعت بفتح تاء الخطاب واصله اسمعت فحذف همزة الاستفهام
او هل اي اسمعت او هل سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم اي هل رويت فيه
شيئا بعينه يعني الذي يبعثه الله فيه اي يا جابر اراد السؤال عن حقيقة المقام
المذكور في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا او في قوله فيه اشارة
الى انه منصوب على الظرفية وانه محل القيام حقيقة قال يزيد نعم اي سمعت
ما ورد فيه اجمالا قال اي جابر بن عبد الله الصحابي المشهور وكان الظاهر ان يقول
فقال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار ضمير به
للنبي صلى الله عليه وسلم او للمقام الذي يخرج الله بسبب الشفاعة الواقعة فيه

فالمراد

والمراد به مقام اخر فيه شفاعة غير الشفاعة العظمى لاهل المحشر واليه اشار بقوله وذكر اي
جابر رضي الله عنه حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين اي المنسوبين لجهنم لانهم المؤمنون
الذين تدخلوا النار بمعاصيهم وهذا البعض حديث رواه مسلم اقتصر منه المص على محل الشاهد
لما هو بسنده ولفظه قال يزيد الفقير رحمه الله كان قد شغفني راي من راي الخوارج فخرجت
في عصابة ذوي عدد نريد ان نحج فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
جالس الى سارية يحدث الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاذا هو قد ذكر
الجهنميين فقلت له يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي تقولون
والله يقول انك من تدخل النار فقد اخزيته وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها
فما هذا الذي تقولون فقال اتقرا القران قلت نعم فقال هل سمعت بمقام محمد يعني الذي
يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج به من يخرج قال ثم نعت
وضع الصراط ومر الناس عليه قال واخاف ان لا اكون احفظ ذاك وقال غير واحد ان
قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها كانهم عيدان السماسم فيدخلون نهرا من انهار الجنة
فيغتسلون فيه فيخرجون كانهم القراطيس الى اخر الحديث الذي رواه مسلم والكلام عليه
مبسوط في شروحه فالمعنى ان يزيد مال الى راي الخوارج في خلود عصاة المسلمين في النار
فلما سمع من جابر ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم له علم ببطلان رايهم ورجع
عنه وعن انس في حديث رواه احمد في مسنده نحوه اي ما هو في معنى هذا الحديث وقال
انس بعد ما ذكر ما تقدم فهذا المقام المحمود الذي وعده بالبناء للمجهول وفي نائب
الفاعل ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والضمير البارز للمقام وفي رواية انس وابي
هريرة وغيرهما في حديث رواه الشيخان دخل حديث بعضهم في حديث بعض اي وافق
رواية كل منهم رواية غيره لفظا ومعنى قال عليه الصلاة والسلام يجمع الله الاولين
والاخرين يوم القيامة في ارض المحشر للحساب وفصل القضاء فيهتمون افتعال من الهم
بمعنى الحزن او العزم والتصميم يقال اهتم اذا اغتم وحزن واهتم بكذا اي اجعله من همه
ويلهمون من الهمهمة وهي الصوت الخفي وقال فيلهمون بالبناء للمجهول من الالهام وهذا
شك من الراوي في لفظ الحديث اي يلهمهم الله فيقولون لو استشفعنا الى ربنا اي لو
طلبنا من يشفع لنا عند الله في ان يخلصنا من هول هذا الموقف وشدته ولو للتمني هنا
وقد ذكره النحاة مفصلا في بابه فنزلوا الشفاعة لخوفهم منزلة الممتنع الذي لا يمكن
وفي طريق اخر عنه عليه الصلاة والسلام اي في رواية اخرى ماج الناس بعضهم
في بعض اي دخل بعضهم في بعض واختلطوا لاضطرابهم وعن ابي هريرة في حديث الشفاعة
الذي رواه الشيخان وتدنو الشمس اي تقرب منهم وسط هذا الموقف فيبلغ الناس من الغم
اي من الكرب وشدة الحر ما لا يطيقون اي ما لا يقدرون على تحملهم له ولا يحتملون عطف
تفسير اي لا يقدرون ولا يستطيعون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم اي يقول بعضهم
لبعض هذا الكلام فيأتون ادم عليه الصلاة والسلام بدأوا به لانه اول الانبياء
وابوهم المشفق عليهم كما قال زاد بعضهم فيقولون انت ادم ابو البشر فينبغي
لك ان تشفع لهم وترحمهم خلقك الله بيده اي اوجدك من العدم بقدرته
من غير واسطة ام واب ونفخ فيك من روحه اضافة الروح له تعالى للتعظيم له

يحدثون صح

غير الله فقد رجع
ان عقوبا الكفر

والاختصاص ونفخ الروح ايجاده متصلة بجسده كما يقال بيت الله واسكنك جنته بعد نفخ
الروح فيه وايجاده والمراد الجنة المعروفة على الاصح وقيل المراد بها بستان في الارض والكلام
فيه مشهور في كتب التفاسير والادلة من الطرفين مفصلة في محلها واسجد لك ملايكته
اي امرهم بالسجود لك سجود تحية وتعظيم له واذ الحقه لا سجود عبادة هو كالقبلة له
وكان ذلك جايزا شرعا ثم نسخ وعلمك اسما كل شي كما ذكره الله في القران وهذا كله مما يدل
على شرفه صلى الله عليه وسلم وعلو رتبته عند ربه ومزيد قربه المقتضي لقبول شفاعته
صلى الله عليه وسلم كما بينه بقوله اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا وهو
المحشر ويريحنا بمعنى يحصل لنا الراحة الا ترى ما نحن فيه من الكرب والهول الذي لا يطاق
فيقول لهم ادم ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله
اي اظهر شدة غضبه وسخطه على من عصاه مريدا ايقاع العذاب الذي في الاخرة
بادخالهم النار وهذا لم يكن قبل يوم القيامة ولا بعده فلذا خاف ادم عليه الصلاة
والسلام وقال وانه نهاني عن الشجرة اي عن الاكل منها والمراد بها العنبة الذي في الكرم
او الحنطة وسماها شجرة مجازا لان الشجر ما له ساق فعصيت اي خالفت امره تعالى
بالاكل منها وفي كون هذا معصية كلام سياتي في عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام
نفسي نفسي اعتذار عن تركه الشفاعة لهم لخوفه على نفسه وكررها تاكيدا
وبيانا لانه لا يقدر على مصلحة غيره لاشتغاله بنفسه وذكر الانبيا تدريجا الاول
فالاول والاقدم فالاقدم على وجه يظهر فيه فضل نبينا صلى الله عليه وسلم
اذهبوا الى غيري من الرسل يشفع لكم لقربه من يذهبون له فقال اذهبوا الى
نوح فانه الاب الثاني لكم بعدي ولم يقل اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم
ليعلم فضله بانه صاحب الشفاعة والمقام مختصة فيه فياتون نوحا فيقولون له
انت اول الرسل الى اهل الارض كافة لانحصارهم وانحصار التبليغ فيه وهذا
لا ينافي اختصاص عموم الرسالة بنبينا صلى الله عليه وسلم لان عمومها لا يختص ببعض
وقال ابن حجر رحمه الله لانه لم يكن بعد الطوفان الا من كان مومنا معه وقد كان
مرسلا اليهم والعموم لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق بعده فالحادث الذي وقع
وهو انحصار الخلق الموجودين بعد هلاك سائر الناس واما نبينا صلى الله عليه
وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه صلى الله عليه وسلم بذلك
واما كونه اول رسول كما صح في حديث الشفاعة فالمراد به انه اول رسول ارسل
الى جميع اهل الارض في حياته وليس المراد عموم بعثته مطلقا بل اثبات اولية
ارساله ولو سلم فهو مخصوص بعده ايات على ان بعثة نوح عليه الصلاة والسلام
كانت الى قومه ولم يذكر انه ارسل الى غيرهم واستدل على عموم رسالته بدعايه
على جميع من في الارض فاهلكوا غير اهل السفينة ولولاه ما اهلكوا لقوله
تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد ثبت انه اول الرسل واجيب
بجواز ان يرسل غيره في زمنه وعلمه بانهم لم يومنوا فدعا عليهم وهو حسن لو
نقل مجي رسول في زمنه غيره او خصوصية نبينا صلى الله عليه وسلم
ببقاء بعثته الى يوم القيامة او دعوته لقومه بتوحيد بلغ الناس عنه

فبادروا واستعجلوا العذاب واليه ذهب ابن عطية في سورة هود ويبعد عدم بلوغ نبوته
القريب والبعيد مع طول مدته وقال ابن دقيق العيد يجوز ان تكون الدعوة للتوحيد
عامة في بعض الانبيا وان لم تعم فروع شريعته لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك
ويحتمل انه لم يكن في عهده غير قومه فبعثته خاصة وان كانت صورة اقول هذا ما قاله
ابن حجر في شرح البخاري ولم يتبين كون نوح اول الرسل مع من تقدمه من الانبيا وتحقيقه
ان ادم صلى الله عليه وسلم كان نبيا رسولا ولكنه ارسل لبنيه ولم يظهر الكفر في حياته
فوع واثار فكان كالتعليم الضابط لاهله وخدمه فلذا لم يكن كغيره من الرسل عليهم
الصلاة والسلام وادريس نبيا في زمنه وشيث كان وصيه الى ان بعث الله نوحا
فاظهر الناس الكفر ومخالفة دعوته حتى احتاج الى اهلاكهم فهو اول رسول بعث لدعوة
الناس ومجادلتهم ومعاقبتهم ومن قبله لم يكن كذلك كما لا يخفى وسماك الله عبدا
شكورا في الكتب القديمة لانه كان كلما اكل او شرب شكر ربه فاشتهر بذلك في الامم السابقة
والصحف الموحى بها كما نقل في تفسير قوله ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا
على الاصح من ان الضمير راجع له لا لموسى كما قيل فانه قول غير مرضي الا ترى ما نحن فيه من
شدة الموقف وهو قوله الا ترى ما بلغنا بسكون الغين المعجمة وفتحها اي ما وقعنا من
الكرب او ما وصل الينا منه وقال النووي الاصح المحقق فتح الغين بدليل انه روي
الا ترون ما بلغكم ولو كان بالاسكان قال ما بلغتم ذا العجة ما تقدم الا تشفع لنا الى ربك
في الخلاص مما نحن فيه فيقول مثله اي ما تقدم بعينه وفي نسخة التصريح به فيقول ان ربي
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي وقد تقدم
شرحه قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب صفة خطيئته والعايد محذوف
اي التي اصابها اي التي عملها والانبيا معصومون كلهم ولكنهم لشدة تعظيمهم لله
وخوفهم منه يعدون ما صدر منهم نسيانا او سهوا او غفلة ذنبا عظيما والمراد بخطيئته
ما فسره بقوله سؤاله ربه بغير علم فهو منصوب بدلا او عطف بيان من قوله خطيئته
مفعول يذكر وقوله بغير علم صفة مصدر محذوف او حال اي سؤالا كائنا بغير علم منه
ان ما سأله لا يليق ان يسأله وهو قوله رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني به
ووعدك الحق ان تنجي اهلي من الغرق وهو منهم فنجه فقيل له انه ليس من اهلك
الذين امنوا وعملوا الصالحات وانه عمل غير صالح فلا تسالني ما ليس لك به علم وابنه
هذا هو كنعان وليس بربيبه وابن زوجته كما زعمه اهل الكتاب فحمل اغاثته
هذا عن الشفاعة وزجره وجعل جهلا لانه ممن سبق عليه القول من اهله
ودلته الحال على ما يمنعه من السؤال ولكن حب الولد شغله حتى اشتبه عليه امره
وهذا اقول قريب من قول من قال انه ظنه مؤمنا بدليل قوله اركب معنا ولا تكن
مع الكافرين فلا وجه لتخطئة قائله وفي رواية ابي هريرة في حق نوح عليه الصلاة عرضي
والسلام وكانت لي دعوة دعوت بها على قومي اشارة الى ما ورد في الحديث ان لكل
نبي دعوة والمراد ان الله وعد كل نبي بان يجيب له دعوة يدعو بها على جميع
امته فيستجاب او يدعو بها لهم فلا ينافي كون دعا الانبيا عليهم الصلاة والسلام
مستجابا وهذا اعتذار منه عليه الصلاة والسلام في ترك الشفاعة ولا تعقبه

بقوله اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله وابو الانبياء ومقتداهم فانه احق بالشفاعة
واولى عليهما مني فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض
اي المفرد من بينهم بالخلة كما تقدم وفيه اشارة الى انه اهل للشفاعة اشفع لنا الى
ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله اي مثل ما
تقدم ويذكر ثلاث كلمات كذبهن هي قوله اني سقيم لما دعي الى الاصنام وقوله لزوجته
لما طلبها الملك هذه اختي وقوله في حق الاصنام بل فعله كبيرهم هذا وهذا الكلام
مخالف للواقع ولاعتقاده الا ان ابراهيم على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام
لم يقصد به حقيقته وانما قاله بضرب من التاويل قصده فليس بكذب فان في المعاريض
مندوحة منه وانما سماه كذبا نظرا لما يفهم منه للمخاطب وخاف ان يؤاخذ به لعلو مرتبته
وعظمة الربوبية عنده وان مقامه يقتضي ان لا يبدو اثر مخالف قالا وحالا والا فهو
صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء معصوم من الكذب وغيره وعد منها في مسلم
قوله في الكوكب هذا ربي والمشهور خلافه لانه ذكره على طريق الالزام والجدل
ويلزم منه زيادة على الثلاثة وقد صرح بالحصر فيها في بعض الروايات وقيل في قوله
اني سقيم انه كانت به حمى حقيقة فلا تعد سقما وفيه نظر وسياتي تفصيله
في محله ان شاء الله وهذا اعتذار منه عليه الصلاة والسلام في عدم الشفاعة
نفسي نفسي اي انا مشغول بنفسي وتخليصها لست لها اي لست اهلا للشفاعة
لغيري ولكن عليكم بموسى استدراك لدفع ما لزم من كلامه الاول من خيبة
املهم ويأسهم من الشفاعة وعليكم اسم فعل والباء زائدة اي الزموه فانه
اقدم مني واقرب الى الله وهذا تواضع منه صلى الله عليه وسلم ثم بين مزيته
عليه بقوله فانه كليم الله اي انه كلمه الله في الارض شفاها من غير واسطة
فهو اقوى على الشفاعة مني وفي رواية اخرى فانه عبد اتاه الله التوراة
التي هي اعظم الكتب الالهية قبل القرآن وكلمه بيان لكونه كليما او المراد وحي
الله اليه كلامه وقربه نجيا اي جعله قريبا منه حال كونه نجيا اي مناجيا
ومخاطبا له والقرب ليس مكانيا بل رتبيا قال فياتون موسى عليه
الصلاة والسلام فيقول لست لها اي لست اهلا للشفاعة لكم ويذكر
خطيئته التي اصاب اي التي وقعت منه وعاتبه الله عليها بقوله ما اعجلك
عن قومك يا موسى كما هو مبين في التفسير وقتله النفس وهو القبطي
الذي استغاثه الاسرائيلي عليه فوكزه موسى فمات ولم يكن عامدا لقتله
وانما هو لدفع الصائل ومثله جائز لكنه عليه الصلاة والسلام خشي المؤاخذة
به ولذا استغفر منه وعده من فعل الشيطان فلا ينافي هذا عصمته عليه
الصلاة والسلام ثم قال كما قال غيره نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى
فانه روح الله وكلمته تقدم بيانه مفصلا فياتون عيسى عليه الصلاة
والسلام فيقول لست لها ولكن عليكم محمد عبد بدل مجرور لا صفة
كما قيل لانه نكرة ويجوز رفعه ونصبه وفي نسخة فانه عبد غفر الله له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر اي غفر الله له كل ما صدر منه مما يعاتب عليه

وان لم

وان لم يكن معصية لعصمته من الذنوب ومن كان كذلك فهو جدير بقبول الشفاعة منه فاوتي
بالبنا للمفعول اي فياتيني اهل الموقف لسؤال الشفاعة لهم فاقول لهم انا لها انا لها فيجيء
اي فيسالوني ان اشفع لهم فاقول لهم انا اهل للشفاعة مدخر لها فاستاذن على ربي
اي اطلب منه ان ياذن لي في القرب منه والشفاعة للناس فيوذن لي بالبنا للمجهول اي ياذن
الله لي في الدخول الى مكان لا يقف فيه داع الا اجيب وهو موقف ليس بينه وبين الله فيه
حجاب وانما نقل من موقف العرض والحساب الى موقف اخر لان الموقف الاول محل سياسة
وخوف والثاني موقف كرامة ولطف ورحمة فهو ادل على قبول الشفاعة واطمينان قلب
الشفيع فاذا رايته وقعت ساجدا اي اذا راى صلى الله عليه وسلم ربه عيانا سجد
تعظيما لله وشكرا له تعالى تقريبه له وقيده ليدل على وقوع رؤية الله في الاخرة وفي
رواية فاتي تحت العرش اي اجي انا مكانا تحت العرش قريبا منه فاخر ساجدا اي اقع
واسقط في ذلك المكان ساجدا لله سجدة نبيه وقال الراغب خر بمعنى سقط سقوطا
يسمع معه صوت كصوت خرير الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو وقوله تعالى
خروا سجدا تنبيه على اجتماع امرين السقوط وحصول الصوت منهم بالتسبيح وقوله
وسبحوا بحمد ربهم تنبيه على ان ذلك الخرير كان تسبيحا بحمد الله لا بشي اخر انتهى وقال
التلمساني هذا المكان الذي ياتي له صلى الله عليه وسلم يسمى محصة العرش وهو
دار عظيمة وجنة هي اوسع الجنان واكثرها بساتين يجتمع فيها اهل الجنة لرؤية
ربهم في كل يوم جمعة ولم تعد الا لرؤيته تعالى واكرام من اكرمه الله برضوانه
ومشاهدة عظمة ملكوته مع تنزهه عن الحلول والمكان وفي المشارق بدل قوله
فاوتي فياذن لي وفي شرحه للكازروني انه سمع بتشديد النون وبه ضبط قال
البرهان ومقدار كل سجدة جمعة من جمع الدنيا كما في مسند احمد وقيل مقدارها
سبع سنين فانطلق وفي رواية فاقوم بين يديه اي بين يدي الله تعالى وهو
تمثيل لشدة القرب منه وتصوير له وقيل المراد للعرش وهو بعيد [illegible] فاحمده
بمحامد لا اقدر عليها الان اي لا احسنها ولا اعرف كيفيتها في الدنيا الا ان يلهمنيها
الله اي الا ان يوقعها الله في قلبي بالهام منه والهام الانبيا عليهم الصلاة والسلام
نوع من الوحي وهو في غيرهم ليس بحجة لانه لا يبتني على دليل وفي رواية فيفتح
الله علي من محامده هو قريب معنى من قوله يلهمني لان الفتح ازالة الاغلاق الحسي
كفتح الباب والفعل شائع في حصول الشي ابتدا من غير عسر وحسن الثنا عليه هو
عطف تفسير لما قبله شيا لم يفتحه على احد قبلي مطلقا او المراد به لم يتيسر لغيره من
الرسل قبله ولا بعده وفيه اكتفا قال في رواية ابي هريرة فيقال لي وانا ساجد يا محمد
ارفع راسك من السجود وسل ما شيت من الشفاعة وغيرها تعطه واشفع تشفع
والفعلان مجزومان في جواب الامر فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي اي ارحم
او انج امتي وفي رواية تاتي امتي امتي بدون قوله يا رب وهو في معنى الرواية
الاولى على الصحيح وقيل انه يحتمل النداء اي يا امتي وناداهم لياتوه ويكونوا معه
لينجوا مما هم فيه وانما خصهم على ان هذه الشفاعة هي الشفاعة العظمى الشاملة
لسائر الامم اعتنايهم واشارة الى انهم المقصودون بالذات من بينهم وحدهم

الفاعل لضيق المقام وشدة الاهتمام بتعجيل خلاصهم ولذا كرر فيقول الله له بعد رفع راسه
ادخل من امتك اي ايذن له في دخول الجنة من لا حساب عليه اي خواص امتك المتقين
الذين لا ذنب لهم يحاسبون بسببه من الباب الايمن من ابواب الجنة الذي هو اشرف ابوابها
وهو الباب الثاني وهو مخصوص بانبياء هذه الامة وهم اي الذين لا حساب عليهم شركا
الناس فيما سوى ذلك وفي نسخة فيما سواه من الابواب وهي باب الصدقة وباب الصوم
ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين وباب
الراضين وباب الصلاة كما بينه المص في شرح مسلم ولم يذكر في رواية انس هذا
الفصل الذي في رواية ابي هريرة من قوله فيقال يا محمد ارفع راسك الى هنا ثم قال
مكانه وفي نسخة وقال مكانه اي الذي به بدلا منه فاخر وفي نسخة ثم اخر ساجدا
فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه الضمير لما سال
او هو هاء سكت للوقف فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق امر اي اذهب من
مقام الشفاعة المقرب منه فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر او شعير المثقال
بكسر الميم وسكون المثلثة معناه موازن وموازن لانه يقابله ليعرف مقدار ثقله
فعبر به عن مطلق المقدار ومن بر الخ بيان للحبة وهي واحدة البر المعروف وقوله
من ايمان بيان لمثقال اي من كان في قلبه اقل قليل من الايمان والموزون صحف الاعمال
او هي نفسها بناء على جواز تجسيم الاعراض وامور الاخرة لا تقاس بامور الدنيا فاخرجه
لقطع الجمع امر من الاخراج معطوف على الامر قبله فانطلق فافعل ما امرني به الله
من اخراج من في قلبه اقل قليل من الايمان وهذه الشفاعة ان كانت هي الشفاعة
العظمى فالمراد باخراجهم تخليصهم من هول الموقف وكربه وان كان المراد ما بعدها
فالمراد اخراجهم من النار وانطلاقه صلى الله عليه وسلم كان من مقام القرب الذي
وقع فيه الشفاعة كما تقدم ولذا قال ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد
التي الهمنيها كما تقدم وذكر مثل الاول اي مثل الكلام الاول في قوله فاخر ساجدا الخ
وقال فيه اي في الحديث الذي رواه مسلم مثقال حبة من خردل وهو حب معروف
في غاية الصغر والمعنى واحد في كونه كناية عن غاية قلة الايمان قال فافعل ثم
ارجع الى ربي وذكر مثل ما تقدم فقال فيه كما رواه مسلم من كان في قلبه ادنى ادنى
ادنى هو افعل تفضيل من الدنو واصل معناه القرب في المكان او الزمان او المنزلة
كقوله تعالى قنوان دانية ثم عبر به عن الاقل ويقابل بالاكثر وعن الاصغر ويقابل
بالاكبر وعن الارذل ويقابل بالخير كما قال تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي
هو خير وافعل هنا مضافة لما بعدها للمبالغة اي اقل من الاقل وفي صحيح مسلم
من رواية انس تكرير لفظ ادنى ثلاثا وهو كذلك في بعض نسخ الشفا وفي بعضها
كرر مرتين ووقع كذلك في صحيح البخاري من رواية الكشميهني وقوله من مثقال
حبة من خردل بيان لادنى الادنى وقوله فافعل اي اخرج من في قلبه اقل قليل من
الايمان وذكر في المرة الرابعة من رجوعه الى ربه ومراجعته له في الشفاعة فانه
وقع مرارا في رواية البخاري وفيما ذكر دلالة على ان الايمان يزيد وينقص
فان قلنا بدخول اعمال الطاعة مطلقا او الفرض فهو ظاهر وان قلنا انه مجرد

التصديق

التصديق القلبي واختلف فيه فقيل لا يقبله فانه لا يقبله الا باحتمال النقيض وهو كفر وذهب
العضد وغيره من المحققين الى انه يقبله ايضا فان اعتقادنا وتصديقنا ليس كتصديق
الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتفاوته باعتبار قبوله التشكيك وعدمه وتحقيقه
في الكتب الكلامية فيقال لي ارفع راسك وقل تسمع اي تجب وتقبل مجاوبك واشفع تشفع
وسل تعطه فاقول يا رب ايذن لي في الشفاعة واخراج من قال لا اله الا الله اي من
نطق بكلمة التوحيد والظاهر انه مع اعتقاده لذلك اعتقادا اما من غير مناقشة له وتفتيش
عن حاله فيما قيل من انه ان اعتبر تصديق القلب اللسان فهو كمال الايمان فما وجه الترقي
من الادنى الى المؤكد وانه لم يعتبر دخل فيه المنافق وهو مشكل غير متجه فتدبر قال اي الله
تعالى ليس ذلك اليك اي ليس ذلك مفوضا اليك بل الي ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي
ثم دال على تحقق المقسم عليه والعزة الغلبة والقهر والكبريا بمعنى الترفع عن الانقياد
والعظمة ظهور ذلك وزيادته وهي متقاربة وجبريائي بالمد مضاف ليا المتكلم وجيمه
مكسورة وجوز فتحها وباؤه ساكنة وقيل انه مقصور ومد لمشاكلة الكبريا وزاد بانه سمع
كذلك من غير ازدواج وهو والجبروت بفتح الباء وسكونها بمعنى وتاؤه للمبالغة كالملكوت
لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله من غير شفاعة احد واستدل بهذا الكرامية على
ان مجرد النطق بكلمة الشهادة كاف في صحة الايمان ولا حجة لهم فيه وفيه رد على من قال
بخلود اصحاب الكبائر من المعتزلة وما اختص النبي صلى الله عليه وسلم باخراجه من
انضم الى ايمانه مزيد يقين او عمل تما وما اخرجه رب العزة من تجرد ايمانه عن كل شي عداه
ويدل له قوله في حديث الشيخين الذي فيه لم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة
من النار يخرج فيها قوما لم يعملوا خيرا قط يعني غير قولهم لا اله الا الله خالصا
من قلبه كما ورد في رواية اخرى وقوله من قلبه للتاكيد كنظرت بعيني وسمعت باذني
وفي رواية قتادة عنه اي عن انس رضي الله عنه قال اي انس لا النبي صلى الله عليه
وسلم كما توهم لان الشك في قوله فلا ادري في الثالثة او الرابعة انما هو من الراوي
والمراد بالثالثة والرابعة مرات مراجعته ربه والطلاقه لاخراج المشفوع لهم
قيل في هذا الحديث اشكال لان اوله يدل على ان هؤلا اهل الموقف والحشر واخره
يدل على انهم دخلوا النار فاخرجوا منها بشفاعته واجيب بانهم صاروا فرقتين
فرقة في المحشر شفع لهم فلم يعذبوا وفرقة دخلوها ثم اخرجوا منها بشفاعته ففي
الكلام اختصار وطي فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القران اي وجب عليه
الخلود اي لم يبق بعد هؤلا الخارجين الا من حكم الله في القران بخلوده في العذاب
ولم يؤذن في الشفاعة لهم وهم المنافقون والكفار لقوله تعالى ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا اي شفيعا وقوله ان الله لا يغفر ان
يشرك به ونحوه من الايات كقوله ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا
وعن ابي بكر الصديق وعقبة بن عامر وابي سعيد الخدري الصحابي المشهور وحذيفة
ابن اليمان مثله اي مثل الحديث السابق قال اي قال كل واحد منهم او النبي صلى الله
عليه وسلم الا ان قوله صلى الله عليه وسلم فياتون محمدا اي ياتونه ظاهرا اذ الظاهر
ان يقول ياتوني اي ياتونه صلى الله عليه وسلم بعد مراجعة الانبيا وذكرهم لعذر

اي اقترح

ف

دلجي

في عدم الشفاعة لعنوا لانهم هم اشراف اهل المحشر من اتباع الرسل وقال الغزالي في الكشف
انهم العلماء العاملون يلهمهم الله طلب ذلك من الانبيا قال وبين انبيائهم لكل نبي واخر
بعده الف عام لكن قال الحافظ ابن حجر هذا التعيين المزمن لم اقف له على اصل وقد
اكثر في كتبه من مثله فلا تغتر به انتهى فيؤذن لهما اي باذن الله لنبينا صلى الله عليه وسلم
في الشفاعة وتاتي الامانة والرحم فتقومان عن جنبتي الصراط اي ناحيته يمنة ويسرة
واحده جنبة بفتح النون وسكونها والامانة ضد الخيانة والرحم القرابة واصلها
مقر الحمل يعني انهما يتمثلان او يجسمان بقدرة الله تعالى ليشهدا على الخاين وقاطع
الرحم وخلافهما وقيل المراد بالامانة العظمى التي في قوله تعالى انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال وهي التوحيد والاقرار به في عالم الذر التي فطر الناس
عليها والرحم هي المذكورة في قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام
وهذا لتعظيم امر الله وشفقته على خلقه وفي هذا ونحوه مما بلغ حد التواتر المعنوي
رد على المعتزلة المنكرين للصراط كما بين في الكتب الكلامية وراى يحيى بن اليمان رجلا
نايما وهو اسود الراس واللحية شاب فاستيقظ وهو ابيض شعر الراس واللحية فاخبره
انه راى في منامه كان الناس قد حشروا واذا بنهر من نار وجسر يمر عليه الناس فدعي
فدخل الجسر فاذا هو كحد السيف يمور به يمينا وشمالا فشاب من ذلك وذكر في رواية
ابي مالك عن حذيفة فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم في الخلاص من الموقف
وهو لعله يسال الله السلامة فيضرب الصراط اي يوضع كما ورد في رواية اخرى وعبر
به فيما ياتي من ضرب الخيمة اذا نصبها وعبر بالضرب لدق اوتاده واطرافه وتوهم
بعضهم ان الضرب بمعنى الجلد فقال انه ضربه يشعر بمرور الصراط لنفسه مع من
عليه فان كان المراد مرور من عليه فضربه لاستعجالهم وتخويفهم وهذا مما
يقضي منه العجب وهو جسر ممدود على متن جهنم ادق من الشعر واحد من السيف
او الموسى وعند ابن المبارك وابن ابي الدنيا عن سعيد بن ابي هلال بلغنا ان الصراط
ادق من الشعرة على بعض الناس ولبعض الناس مثل الوادي الواسع وهو مرسل
او معضل انتهى كما ورد في الحديث وما قيل انه شعرة من عين مالك لا اصل له
وانما هو من الاكاذيب لوعاظ واصحاب القصص والصراط بالصاد والسين والزاي
المشمة كما بين في اللغة وكتب التفسير وعلم القراآت فيمرون اي يمر الناس عليه
فمنهم من يقع في النار ومنهم من ينجو وهم فرق اولهم كالبرق في السرعة من غير
مهلة ومشقة ثم كالريح والطير في السرعة مع الزمان الممتد اكثر من الاول وشد
الرجال بالجيم جمع رجل ضد المراة كما صحح في النسخ والشروح وصحح العز في تلميذ المنم
ورواية عنه كما نقله التلمساني انه الرحال بالحاء المهملة جمع راحلة وهي رواية
ابن ماهان والمراد به هنا البعير فقد ذكر بعضهم ان الرحل ما يوضع على البعير
ويعبر به تارة عن البعير انتهى فما قيل ان روايته بالحاء المهملة خطا اخطا وان
كان لا يخلو من التكلف وفي بعض الشروح هنا ما يتعجب منه ولا حاجة لنا بايراده
والشد سرعة الجري وقال الراغب انه مستعار من قولهم اشد الريح وقوله
صلى الله عليه وسلم ونبيكم صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث يعني به نفسه

ابن الفرس

على

على طريق التجريد المعروف في علم البديع على الصراط يحتمل انه على ظاهره ويحتمل ان المراد انه صلى
الله عليه وسلم وقف عنده لكنه لعق به منه كالواقف عليه يقول اللهم سلم سلم جملة حالية
تدل على اعتنائه صلى الله عليه وسلم بهم والدعا لهم بالسلامة من الوقوع في جهنم حتى يجاوز
الناس يجاوز افتعال من الجواز وهو المرور وهو غاية لقوله اي لا يزال يقول حتى يمروا
او علة له اي قوله حتى يسلموا فيمروا والناس عام من امته وذكر اخرهم جوازا الحديث
الى اخره اي سبب اخر من يمر على الصراط قيل هو هناد وقيل جهينة وقيل هما واحد واحدهما
اسم والاخر لقب والذي رايناه ان جهينة اخر من يخرج من النار وعند جهينة الخبر
اليقين كما ذكر في كتب الحديث وفي شرح التلمساني قيل اخر من يخرج من النار هناد ولم نقف
اسمه في الصحيح وروي ان الحسن قال يا ليتني كنت هنادا فقيل انما تمنى هذا لانه علم
انه قطع له بخاتمة الايمان في الحديث وقيل لان بدخوله الجنة كملت النعمة على اهلها
لانهم كالجسد الواحد انتهى وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيز يومئذ هذا مما
رواه الشيخان فهو اول من يجيز امته من الرسل وهو يقتضي ان المراد بالناس السابق
امته وانهم اول الامم جوازا على الصراط فله صلى الله عليه وسلم فضل السبق في كل امر
فهو اول من نبئ في عالم الارواح والذر واول من يشفع واول من يفتح باب الجنة واول
من يدخلها واول من يجيز امته على الصراط ويجيز مضارع وليس بمعنى جاز كما قيل
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال توضع للانبياء عليهم
الصلاة والسلام في ارض المحشر منابر من نور جمع منبر اي كرسي مرتفع يجلسون عليها والناس
وقوف على اقدامهم اكراما لهم وتمييزا لهم عن غيرهم برفعة مقامهم ليسر المؤمن
بهم ويخزى من كفر ويبقى منبري خاليا عني لا اجلس عليه حال من المضاف وقوله
قائما حال من فاعل اجلس في منذ اخله لا حال بعد حال بين يدي ربي منتصبا اي 
قريبا منه تعالى قربا معنويا لتنزهه عن الزمان والمكان والجارحة فهو تمثيل وقيامه
صلى الله عليه وسلم مع جلوس غيره من الانبيا فيه زيادة تكريم له لما فيه من الاشارة
الى انه من المقربين في حظاير القدس الناظرين في امور غيرهم عند ربهم ولذا فرع
عليه قوله فيقول الله ما تريد ان اصنع بامتك لما فيه من الدلالة على زيادة محبته
واكرام اتباعه بما هو في صورة الاستيذان له فاقول يا رب عجل حسابهم اي قدم النظر
في امورهم على غيرهم حتى يخلصوا من هول الموقف ويدخل الجنة من هو من اهلها
منهم ويعلم من عذب منهم بعدم خلوده في النار فلا منافاة بين هذا وحديث
من نوقش الحساب عذب ولذا قالت عايشة رضي الله عنها لا يحاسب احد يوم القيامة
الا دخل الجنة فيدعى بهم اي بامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو مبني للمجهول كقوله
فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته تعالى من غير شفاعة لغلبة حسناته
على سيئاته ولطف الله به ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي له وذلك رحمة ايضا
ولا ازال اشفع في العصاة حتى اعطى صكاكا غاية او علة لاستمرار شفاعته
وامتدادها وصكاك بالصاد المهملة وكاف مكررة جمع صك كصكوك واصك
وهو الورقة التي تكتب للمصالح والعرف خصتها بحجة الغائب وهو معرب جك
بالجيم المعجمة برجال امر بهم الى النار فهي متعلقة بهم فكانها ترسل خلفهم

مه

بعذاب قال ملايكة العذاب بهم وامر مبني للمجهول اي امر الله باخذهم ليدخلوها
او باخراجهم بعد ما دخلوها حتي ان خازن النار الملك الموكل بها وهو مالك او
المراد خزنتها فيشمل مالك واتباعه ليقول لما راه من كثرة انقاذه لمن امر به يا محمد
ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة الغضب ارادة الانتقام والنقمة بكسر اوله
العذاب اي لم تدع احدا ممن استحق العذاب يعذب وحتي هنا ابتدائية ومن طريق
زياد بن عبد الله البصري النميري بالتصغير نسبة الي نمير قبيلة سميت باسم ابيها
وقد اختلف فيه فقيل انه ثقة وقيل ضعيف لا يحتج به وهذا الحديث رواه
البيهقي وابو نعيم في الحلية عن انس انه صلي الله عليه وسلم قال انا اول من
تنفلق الارض اي تنشق والفلق شق الشيء وابانة بعضه من بعض قال تعالي فالق
الاصباح عن جمجمته بضم الجيمين الاولي والثانية وهي الراس او قحف الراس
وعظمه الذي فيه الدماغ وخصها لانها اول ما يظهر منه ولا فخر اي لا اقول
هذا اظهارا للافتخار والتبجح بل بيانا لما انعم الله به علي وتحدثا بنعمته
ولا ينافيه ما ورد في الحديث لا تفضلوني علي موسي فان الناس يصعقون فاكون
اول من يفيق فاذا موسي اخذ بساق العرش لانه صلي الله عليه وسلم قاله قبل
علمه بانه سابق عليه في البعث وانه لا يلزم منه افضلية موسي عليه فتامله وانا
سيد الناس يوم القيامة ولا فخر المراد انه صلي الله عليه وسلم سيدهم واشرفهم
في الدنيا والاخرة وخص الثاني بالذكر لعدم اعتداده بغيره او لانه يعلم منه بالطريق
الاولي او لانه مسلم لا ينكر كما مر ومعي لوا الحمد يوم القيامة اي معي لوا موضوع
عندي او هو بيده صلي الله عليه وسلم علي عادة العرب في اخذ الرييس اللواء
والمراد لواء الرياسة العظمي الذي يحمله ويغبطه به ساير الخلق لتفرده صلي
الله عليه وسلم به وهو علي حقيقته او كناية عن تقدمه علي غيره وانا اول
من يفتح له باب الجنة ولا فخر اي يفتح له بابها وفي نسخة ابواب الجنة فاخذ
فلحد بحلقة باب الجنة بسكون اللام كما مر اي امسكها واحركها حتي يسمع خزنتها
فيقال من هذا الذي دق الباب فاقول انا محمد فيفتح لي لعلمهم بانه اذن له
صلي الله عليه وسلم بذلك فيستقبلني الجبار تعالي اي فاري الله عيانا بعد
الفتح وعبر بالجبار دون غيره لانه يوم جزا وانتقام كما مر ان الله غضب في ذلك
اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده فاخر له ساجدا لما شاهد صلي الله عليه
وسلم من عظمة الله وانعامه عليه وتجليه له برويته ورضوانه قال السنوسي
في هذا التمثيل بجعله كمن قدم علي ملك عظيم في سلطانه وكرسي مملكته ودار
كرامته فاستقبله لما قدم عليه تشريفا له واظهارا لعظمة مقامه عنده وتطنيبا
له ولاتباعه ليزداد سروره مع علوه وحبوره واستغنايه عن خلقه فلا يتوهم
ان المقام يناسب ان يقال استقبلني الرحمن لا الجبار وذكر نحو ما تقدم من حمد
بمحامد لم يكن حمده بها قبل ومن رواية انيس بالتصغير وفي بعض النسخ
انس مكبر والصحيح الاول وهو صحابي انصاري اشهلي ذكره ابن عبد البر في
الاستيعاب وروي عنه شهر بن حوشب ولم ينسبه وذكر حديثه هذا الطبراني

في الاوسط وقالوا اسناده ليس بقوي وقول بعضهم يؤيد ضعفه تعلق الشفاعة بما لا يعقل من الشجر والحجر سهو لان معنى قوله صلى الله عليه وسلم لاشفعن لاكثر مما في الارض من حجر وشجر انه يشفع لناس اكثر عددا من عدد الشجر والحجر لا ما توهمه والعجب ممن اعتذر له بانه لا يبعد ان تستغيث به صلى الله عليه وسلم الجمادات فرقا من نار جهنم ومن سعيرها فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الاثار اي اذا جمعت ما تقدم من الاحاديث مرفوعة وغير مرفوعة واختلاف الفاظها في شفاعته صلى الله عليه وسلم وتفسير المقام المحمود الذي وعده الله به تبين لك من مجموعها ان شفاعته صلى الله عليه وسلم وتفسير ومقام المحمود بالنصب عطف على اسم ان وخبرها قوله الاتي من حين الخ فلا يتوهم انه لا خبر لها مذكور وانه مقدر وقوله من اول الشفاعات الى اخرها بيان لمقامه المحمود وفيه اشارة الى تعدد شفاعاته صلى الله عليه وسلم وقد قال القرطبي انها اربعة وفي الحديث زيادة عليها وهي شفاعته العظمى في الخلاص من كرب الموقف لجميع الناس وشفاعته لدخول اهل الجنة الجنة وللمذنبين في العفو عن ذنوبهم ولمن امر به الى النار ولمن قال لا اله الا الله والاخراج من دخل النار منها او لرفع درجات اهل الجنة كما مر جميع ذلك من حين يجتمع الناس للحشر هذا خبر ان ومن ابتدائية وتضيق بهم الحناجر هذا كناية عن شدة الهول والكرب والحشر جمع الناس في المحشر والنشر الخروج من القبور بعد الاحيا والحناجر جمع حنجرة وهي الحلقوم او طبقتان منه مما يلي الغلصمة او راسه او المراد انها تضيق عن اخراج النفس لكثرته وشدته لتراكم الغم والهم حتى يبلغها كما قال تعالى اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ويبلغ منهم العرق بفتحتين وهو معروف والشمس والوقوف مبلغه اي نهايته التي يمكن بلوغها او الوصول اليها وفي الحديث يكون عرق الناس على قدر اعمالهم فمنهم من يكون عرقه لكعبه ومنهم من يكون لركبته ومنهم من يزيد حتى يلجمه قالوا وهذا امر خارق للعادة فان الناس اذا كانوا في الماء في مكان مستو يكون تغطيته الماء لهم على السوا ويبلغ الشمس قدر ميل وهذا ايضا خارق للعادة فان الشمس ليست في سما الدنيا كما انهم عراة ولا يرى احدهم عورة غيره وذلك قبل الحساب لاشارة الى اجتماعهم للحشر فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف اي حين اذ تضيق الحناجر ويبلغ ذلك مبلغه ثم يوضع الصراط السابق ذكره ومر انه ليس شعرة من جهنم مالك كما قيل ويحاسب الناس كما جا في الحديث الذي تقدم ذكره عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن اي اكثر اتقانا من غيره فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته ويشفع معلوم او محمود لكونه معلوما الى الجنة متعلق بتعجيل كما تقدم من دخولهم من الباب الايمن ثم يشفع شفاعة ثانية فيمن وجب عليه العذاب اي تحقق بالوجوب ليس على ظاهره ودخل النار منهم كما تقدم حسبا بسكون ثانيه وفتحه ونصبه على المصدرية او الظرفية اي على وفق ومثل ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة السالفة ثم يشفع فيمن قال لا اله الا الله خالصا مخلصا من قلبه كما تقدم فان قلت هذا ينافي ما تقدم من قوله فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله فيقول ذلك ليس اليك قلت اجيب عنه بانه ليس فيه الا ان اخراجهم من النار

ابن ابي برس

دجي

عنه

يرضي

بعذاب هاب ملائكة العذاب بهم وامر مبني للمجهول اي امر الله باخذهم ليدخلوها
او باخراجهم بعد ما دخلوها حتى ان خازن النار الملك الموكل بها وهو مالك او
المراد خزنتها فيشمل مالكا واتباعه ليقول لما راه من كثرة انقاذه لمن امر به يا محمد
ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة الغضب ارادة الانتقام والنقمة بكسر اوله
العذاب اي لم تدع احدا ممن استحق العذاب يعذب وحيث هنا ابتدائية ومن طريق
زياد بن عبد الله البصري النميري بالتصغير نسبة الى نمير قبيلة سميت باسم ابيها
وقد اختلف فيه فقيل انه ثقة وقيل ضعيف لا يحتج به وهذا الحديث رواه
البيهقي وابو نعيم في الحلية عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال انا اول من
تنفلق الارض اي تنشق والفلق شق الشيء وابانة بعضه من بعض قال تعالى فالق
الاصباح عن جمجمته بضم الجيمين الاولى والثانية وهي الراس او قحف الراس
وعظمه الذي فيه الدماغ وخصها لانها اول ما يظهر منه ولا فخر اي لا اقول
هذا اظهارا للافتخار والتبجح بل بيانا لما انعم الله به علي وتحدثا بنعمته
ولا ينافيه ما ورد في الحديث لا تفضلوني على موسى فان الناس يصعقون فاكون
اول من يفيق فاذا موسى اخذ بساق العرش لانه صلى الله عليه وسلم قاله قبل
علمه بانه سابق عليه في البعث وانه لا يلزم منه افضلية موسى عليه فتامله وانا
سيد الناس يوم القيامة ولا فخر المراد انه صلى الله عليه وسلم سيدهم واشرفهم
في الدنيا والاخرة وخص الثاني بالذكر لعدم اعتداده بغيره او لانه يعلم منه بالاولى
الاولى او لانه مسلم لا ينكر كما مر ومعي لواء الحمد يوم القيامة اي معي لواء موضوع
عندي او هو بيده صلى الله عليه وسلم على عادة العرب في اخذ الرئيس اللواء
والمراد لواء الرياسة العظمى الذي يحمله ويغبطه به سائر الخلق لتفرده صلى
الله عليه وسلم به وهو على حقيقته او كناية عن تقدمه على غيره وانا اول
من يفتح له باب الجنة ولا فخر اي يفتح له بابها وفي نسخة ابواب الجنة فآتي
فآخذ بحلقة باب الجنة بسكون اللام كما مر اي امسكها واحركها حتى يسمع خزنتها
فيقال من هذا الذي دق الباب فاقول انا محمد فيفتح لي لعلمهم بانه اذن له
صلى الله عليه وسلم بذلك فيستقبلني الجبار تعالى اي فارى الله عيانا بعد
الفتح وعبر بالجبار دون غيره لانه يوم جزا وانتقام كما مر ان الله غضب في ذلك
اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده فاخر له ساجدا لما شاهده صلى الله عليه
وسلم من عظمة الله وانعامه عليه وتجليه له برؤيته ورضوانه قال السنوسي
في هذا التمثيل بجعله كمن قدم على ملك عظيم في سلطانه وكرسي مملكته ودار
كرامته فاستقبله لما قدم عليه تشريفا له واظهارا لعظمة مقامه عنده وتحفيا
له ولاتباعه ليزداد سروره مع علوه وجبروته واستغنائه عن خلقه فلا يتوهم
ان المقام يناسب ان يقال استقبلني الرحمن لا الجبار وذكر نحو ما تقدم من حمده
بمحامد لم يكن حمده بها قبل ومن رواية انيس بالتصغير وفي بعض النسخ
ابن عكير والصحيح الاول وهو صحابي انصاري اشهلي ذكره ابن عبد البر في
الاستيعاب وروى عنه شهر بن حوشب ولم ينسبه وذكر حديثه هذا الطبراني

في الاوسط وقالوا اسناده ليس بقوي وقول بعضهم يؤيد ضعفه تعلق الشفاعة بما
لا يعقل من الشجر والحجر سهو لان معنى قوله صلى الله عليه وسلم لاشفعن لاكثر مما في
الارض من حجر وشجر انه يشفع لناس اكثر عددا من عدد الشجر والحجر لا ما توهمه والعجب
ممن اعتذر له بانه لا يبعد ان تستغيث به صلى الله عليه وسلم الجمادات فرقا من نار جهنم
ومن مجاريها فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الاثار اي اذا اجتمعت ما تقدم من الاحاديث
مرفوعة وغير مرفوعة واختلاف الفاظها في شفاعته صلى الله عليه وسلم وتفسير المقام
المحمود الذي وعده الله به تبين لك من مجموعها ان شفاعته صلى الله عليه وسلم وتفسير
المقام المحمود بالنصب عطف على اسم ان وخبرها قوله الاتي من حين الخ فلا يتوهم انه لا خبر لها
مذكور وانه مقدر وقوله من اول الشفاعات الى اخرها بيان لمقامه المحمود وفيه
اشارة الى تعدد شفاعاته صلى الله عليه وسلم وقد قال القرطبي انها اربعة وسبق في
الحديث زيادة عليها وهي شفاعته العظمى في الخلاص من كرب الموقف لجميع الناس وشفاعته
لدخول اهل الجنة الجنة وللمذنبين في العفو عن ذنوبهم ولمن امر به الى النار ولمن قال
لا اله الا الله والاخراج من دخل النار منها ولرفع درجات اهل الجنة كما مر جميع ذلك
من حين يجتمع الناس للحشر هذا خبر ان ومن ابتدائية وتضيق بهم الحناجر هذا كناية
عن شدة الهول والكرب والحشر جمع الناس في المحشر والنشر الخروج من القبور بعد
الاحياء والحناجر جمع حنجرة وهي الحلقوم او طبقتان منه مما يلي الغلصمة او راسه
او المراد انها تضيق عن اخراج النفس لكثرته وشدته لتراكم الغم والهم حتى يبلغها
كما قال تعالى اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ويبلغ منهم العرق بفتحتين وهو
معروف والشمس والوقوف مبلغه اي نهايته التي يمكن بلوغها والوصول اليها
وفي الحديث يكون عرق الناس على قدر اعمالهم فمنهم من يكون عرقه لكعبه ومنهم
من يكون لركبته ومنهم من يزيد حتى يلجمه قالوا وهذا امر خارق للعادة فان
الناس اذا كانوا في الما في مكان مستو يكون تغطيته الما لهم على السوا ويبلغ الشمس
قدر ميل وهذا ايضا خارق للعادة فان الشمس ليست في سما الدنيا كما انهم عراة ولا
يرى احدهم عورة غيره وذلك قبل الحساب لاشارة الى اجتماعهم للحشر فيشفع حينئذ
لاراحة الناس من الموقف اي حين اذ تضيق الحناجر ويبلغ ذلك مبلغه ثم يوضع
الصراط السابق ذكره ومر انه ليس شعرة من جفن مالك كما قيل ويحاسب الناس
كما جاء في الحديث الذي تقدم ذكره عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن اي
اكثر اتقانا من غيره فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من اتقيا امته ويشفع معلوم
او محمود لكونه معلوما الى الجنة متعلق بتعجيل كما تقدم من دخولهم من
الباب الايمن ثم يشفع شفاعة ثانية فيمن وجب عليه العذاب اي تحقق
فالوجوب ليس على ظاهره ودخل النار منهم كما تقدم حسبما يكون ثانيه وفيه
تنبيه على المصدرية او الظرفية اي على وفق ومثل ما تقتضيه الاحاديث
الصحيحة السالفة ثم يشفع فيمن قال لا اله الا الله خالصا مخلصا من قلبه كما
تقدم فان قلت هذا ينافي ما تقدم من قوله فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله
الا الله فيقول ذلك ليس اليك قلت اجيب عنه بانه ليس فيه الا ان اخراجهم من النار

بعد دق باب ملائكة العذاب بهم وامر مبني للمجهول اي امر الله باخذهم ليدخلوها
او باخراجهم بعد ما دخلوها حتى ان خازن النار الملك الموكل بها وهو مالك او
المراد خزنتها فيشمل مالك واتباعه ليقول لما داره من كثرة انفاذه لمن امر به يا محمد
ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة الغضب ارادة الانتقام والنقمة بكسر اوله
العذاب اي لم ندع احدا ممن استحق العذاب بعذاب وحتى هنا ابتدائية ومن طريق
زياد بن عبد الله البصري النميري بالتصغير نسبة الى نمير قبيلة سميت باسم ابيها
وقد اختلف فيه فقيل انه ثقة وقيل ضعيف لا يحتج به وهذا الحديث رواه
البيهقي وابو نعيم في الحلية عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال انا اول من
تنفلق الارض اي تنشق والفلق شق الشيء وابانة بعضه من بعض قال تعالى فالق
الاصباح عن جمجمته بضم الجيمين الاولى والثانية وهي الراس او قحف الراس
وعظمه الذي فيه الدماغ وخصها لانها اول ما يظهر منه ولا فخر اي لا اقول
هذا اظهارا للافتخار والتبجح بل بيانا لما انعم الله به علي وتحدثا بنعمته
ولا ينافيه ما ورد في الحديث لا تفضلوني على موسى فان الناس يصعقون فاكون
اول من يفيق فاذا موسى اخذ بساق العرش لانه صلى الله عليه وسلم قاله قبل
علمه بانه سابق عليه في البعث وانه لا يلزم منه افضلية موسى عليه فتامله وانا
سيد الناس يوم القيامة ولا فخر المراد انه صلى الله عليه وسلم سيدهم واشرفهم
في الدنيا والاخرة وخص الثاني بالذكر لعدم اعتداده بغيره او لانه يعلم منه بالاولى
الاولى او لانه مسلم لا ينكر كما مر ومعي لواء الحمد يوم القيامة اي معي لواء موضوع
عندي او هو بيده صلى الله عليه وسلم على عادة العرب في اخذ الرئيس اللواء
والمراد لواء الرياسة العظمى الذي يحمله ويغبطه به سائر الخلق لتفرده صلى
الله عليه وسلم به وهو على حقيقته او كناية عن تقدمه على غيره وانا اول
من يفتح له باب الجنة ولا فخر اي يفتح له بابها وفي نسخة ابواب الجنة فاتي
فاخذ بحلقة باب الجنة بسكون اللام كما مر اي امسكها واحركها حتى يسمع خزنتها
فيقال من هذا الذي دق الباب فاقول انا محمد فيفتح لي لعلمهم بانه اذن له
صلى الله عليه وسلم بذلك فيستقبلني الجبار تعالى اي فاري الله عيانا بعد
الفتح وعبر بالجبار دون غيره لانه يوم جزاء وانتقام كما مر ان الله غضب في ذلك
اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده فاخر له ساجدا لما شاهده صلى الله عليه
وسلم من عظمة الله وانعامه عليه وتجليه له برؤيته ورضوانه قال السنوسي
في هذا التمثيل بجعله كمن قدم على ملك عظيم في سلطانه وكرسي مملكته ودار
كرامته فاستقبله لما قدم عليه تشريفا له واظهارا العظمة مقامه عنده وتطيبا
له ولاتباعه ليزداد سروره مع علوه وجبروته واستغنائه عن خلقه فلا يتوهم
ان المقام يناسب ان يقال استقبلني الرحمن لا الجبار وذكر نحو ما تقدم من حمد
بمحامد لم يكن حمده بها قبل ومن رواية انيس بالتصغير وفي بعض النسخ
انس مكبرا والصحيح الاول وهو صحابي انصاري اشهلي ذكره ابن عبد البر في
الاستيعاب وروى عنه شهر بن حوشب ولم ينسبه وذكر حديثه هذا الطبراني

في

في الاوسط وقالوا اسناده ليس بقوي وقول بعضهم لو يدل مع ان تعلق الشفاعة بما ابن اقترس
لا يعقل من الشجر والحجر سهو لان معنى قوله صلى الله عليه وسلم لاشفعن لاكثر مما في
الارض من حجر وشجر انه يشفع لناس اكثر عددا من عدد الشجر والحجر لا ما توهمه والعجب دبجي
ممن اعتذر له بانه لا يبعد ان تستغيث به صلى الله عليه وسلم الجمادات فرقا من نار جهنم
ومن حر بيرها فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الاثار اي اذا جمعت ما تقدم من الاحاديث
مرفوعة وغير مرفوعة واختلاف الفاظها في شفاعته صلى الله عليه وسلم وتفسير المقام
المحمود الذي وعده الله به تبين لك من مجموعها ان شفاعته صلى الله عليه وسلم وتفسير
المقام المحمود بالنصب عطف على اسم ان وخبرها قوله الاتي من حين الخ فلا يتوهم انه لا خبر لها
مذكور وانه مقدر وقوله من اول الشفاعات الى اخرها بيان لمقامه المحمود وفيه
اشارة الى تعدد شفاعاته صلى الله عليه وسلم وقد قال القرطبي لها اربعة وفي
الحديث زيادة عليها وهي شفاعته العظمى في الخلاص من كرب الموقف لجميع الناس وشفا عنه
لدخول اهل الجنة الجنة وللمذنبين في العفو عن ذنوبهم ولمن امر به الى النار ولمن قال
لا اله الا الله وللاخراج من دخل النار منها ولرفع درجات اهل الجنة كما مر جميع ذلك
من حين يجتمع الناس للحشر هذا خبر ان ومن ابتدائية وتضيق بهم الحناجر هذا كناية
عن شدة الهول والكرب فالحشر جمع الناس في المحشر والنشر الخروج من القبور بعد
الاحيا والحناجر جمع حنجرة وهي الحلقوم او طبقتان منه مما يلي الغلصمة او راسه
والمراد انها تضيق عن اخراج النفس لكثرته وشدته لتراكم الغم والهم حتى يبلغها
كما قال تعالى اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ويبلغ منهم العرق بفتحتين وهو
معروف والشمس والوقوف مبلغه اي نهايته التي يمكن بلوغها والوصول اليها
وفي الحديث يكون عرق الناس على قدر اعمالهم فمنهم من يكون عرقه لكعبه ومنهم
من يكون لركبته ومنهم من يزيد حتى يلجمه قالوا وهذا امر خارق للعادة فانه
الناس اذا كانوا في الماء في مكان مستو يكون تغطيته الماء لهم على السوا وتبلغ الشمس
قدر ميل وهذا ايضا خارق للعادة فان الشمس ليست في سما الدنيا كما انهم عراة ولا
يرى احدهم عورة غيره وذلك قبل الحساب لاشارة الى اجتماعهم للحشر فيشفع حينئذ
لاراحة الناس من الموقف اي حين اذ تضيق الحناجر ويبلغ ذلك مبلغه ثم يوضع
الصراط السابق ذكره ومر انه ليس شعرة من جفن مالك كما قيل ويحاسب الناس عوضي
كما جاء في الحديث الذي تقدم ذكره عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن اي
اكثر اتقانا من غيره فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امتنا امته ويشفع معلوم
او مجهول لكونه معلوما الى الجنة متعلق بتعجيل كما تقدم من دخولهم من
الباب الايمن ثم يشفع شفاعة ثانية فيمن وجب عليه العذاب اي تحقق
فالوجوب ليس على ظاهره ودخل النار منهم كما تقدم حسبما يكون ثانيه وفيه
وتنبيه على المصدرية او الظرفية اي على وفق ومثل ما تقتضيه الاحاديث
الصحيحة السالفة ثم يشفع فيمن قال لا اله الا الله خالصا مخلصا من قلبه كما
تقدم فان قلت هذا ينافي ما تقدم من قوله فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله
الا الله فيقول ذلك ليس اليك قلت اجيب عنه بانه ليس فيه الا ان اخراجهم من النار

[illegible]

عن شي

مفوض الى الله لا اليه صلى الله عليه وسلم وهو لا ينافي اخراجهم بشفاعته وفيه خفا
وقد يقال المذكور شفاعته فقط وقيل المراد من اخر توحيده زيادة طمانينة له والسابق
المفوض لله تعالى من تجرد توحيده عما عداه الا وليس هذا اي الشفاعة فيمن قال لا اله
الا الله لسواه من الشفعا وفي الحديث المنتشر اي الشايع ولا يلزم منه صحته فلذا قال
الصحيح الذي رواه الشيخان لكل نبي دعوة يدعو بها تقدم ان المراد بها دعوته لجميع
امته لا مخصوصة به او ببعض منه والا فللانبيا عليهم الصلاة والسلام دعوات كثيرة
مستجابة بل لبعض اممهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم واختبات دعوتي شفاعة
لامتي يوم القيامة واشار المص رحمه الله الى جواب اخر بقوله وقال اهل العلم معناه
اي معنى هذا الحديث المقصود منه دعوة اعلموا بضم الهمزة وكسر اللام مبني للمجهول اي
اعلمه الله وروي اعلموا بالبنا للمجهول اي الانبيا وعلى الاول النايب للفاعل ضمير مستتر
وقوله انها تستجاب لهم مفعول ثان له اي بيتيقنون اجابتها ويبلغ فيها امرغوبهم
بالبنا للمجهول ومرغوبهم اي مطلوبهم الذي رغبوا في حصوله واحتوه نايب الفاعل
والا اي وان لم تقل ان معناه ما ذكر بان يبقى على ظاهره وانه يستجاب له دعوة فقط
لان محالا للواقع فكم لكل نبي من دعوة مستجابة اي اجاب الله دعاه بها في الدنيا
ولنبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا منها ما لا يعد من الدعوات المشاهد استجابتها
واكثر حالهم عند الدعا بها قبل تحقق اجابتها بين الرجا لاجابتها والخوف من عدم
قبولها وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاوه يدعون بها على يقين من الاجابة اي ضمن
الله لهم قبولها يقينا وهذه هي الدعوة المذكورة في هذا الحديث والجار والمجرور
حال اي متيقنا اجابتها ثم اشار الى جواب اخر بقوله وقد قال محمد بن زياد الجمحي
البصري الثقة الذي اخرج له اصحاب الكتب الستة وابو صالح ذكوان السمان
الثقة عن ابي هريرة في تاويل هذا الحديث وتفسيره لكل نبي دعوة دعى بها في حق
امته وشانهم سوا كانت لهم او عليهم فاستجيب له واني اريد ان تؤخر دعوتي
شفاعة بالنصب اي لاجل الشفاعة لامتي يوم القيامة وفي رواية ابي صالح
السابق ذكره وهذا تمام رواه الشيخان لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل لكل نبي دعوته
فيه اقامة الظاهر مقام المضمر لان المقام مقام بشارة يطلب فيه البسط ونحوه في
رواية ابي زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الامام الثقة اخرج له
اصحاب الكتب الستة واختلف في اسمه فقيل جرير وقيل عبد الله وقيل عبد الرحمن
وقيل هرم وقيل هذا وهم وانما هو هارم وقيل عمرو عن ابي هريرة رضي الله
عنه وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة اي موافقة لها معنى واشار
بكثرة طرقه الى صحته وقوة روايته ثم بين المراد بهذا الجواب وانه غير الجواب
السابق بقوله فتكون هذه الدعوة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا
اي ان لم تفسر الحديث بما ذكر لزم الخلف فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال
لامته اشيا من امور الدين والدنيا منع بعضها واعطى بعضها فتبين انها ليست
الدعوة المدعو بها وهذه الاشارة لما في الصحيح من انه صلى الله عليه وسلم قال
سالت الله عز وجل ثلاث خصال فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة منها سالته ان لا

بجعلها

يهلكنا بما اهلك به الامم فاعطانيها وسالته ان لا يلبسنا شيعا ويظهر علينا عدوا من غيرنا
فاعطانيها وسالته ان لا يلبسنا شيعا وفي رواية يذيق بعضنا باس بعض فمنعنيها وهو
المذكور في سورة الانعام في اية قل هو القادر على ان يبعث الخ ومن فسر الدعوة التي ادخر
بهذا فقد اخطا وغفل عن قوله وادخر لهم هذه الدعوة بالدال المهملة المشددة اي
جعلها ذخيرة مؤخرة ليوم الفاقة وهي الفقر وشدة الحاجة والمراد به يوم القيامة لاحتياج
الناس فيه الى رحمة الله وشفاعة نبيه حيث لا ينفع غيره وخاتمة المحن جمع محنة بكسر الميم
وهي البلية المختبرة يعني هو ذا الموقف اذ لا بلية بعده الا النار وعظم السؤال والرغبة
بالجر معطوف على يوم الفاقة او على الفاقة او جعل اليوم نفسه محنة والرغبة عطف
تفسيري لما قبله او هو اخص منه ولما ذكر ما افضل به النبي صلى الله عليه وسلم على امته
الداخل فيهم دخولا اوليا ختم الفصل بدعائه له بقوله جزاه الله تبارك وتعالى
ما هو بنبينا عن امته اي بما جزاه او بمثله وفي نسخة احسن وصلى الله عليه وسلم تسليما
كثيرا دائما ابدا الى يوم الدين ولبعض الشراح هنا كلام طويل لا طائل تحته تركناه خوف
السآمة مما لا فائدة فيه والله اعلم **فصل في تفضيله**
صلى الله عليه وسلم على غيره في الجنة بالوسيلة اصل الوسيلة امر يكون متوسلا لامر
يستعمله كالهدية والتودد ونحوه قال الراغب الوسيلة التوسل الى الشيء برغبة
وهي اخص من الفضيلة لتضمنها معنى الرغبة عديت بالى قال تعالى وابتغوا اليه
الوسيلة وحقيقة الوسيلة الى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم
الشريعة وهي كالقربة انتهى والمراد بها منزلة عالية في الجنة كما سياتي فهي مجاز من
باب اطلاق السبب على المسبب ومن فسرها بالقرب من الله فقد تسامح في العبارة
قال الزبيدي يقال وسل اذا تقرب لانها القرب والدرجة الرفيعة اي المرتفعة العالية
والدرجة هناك المنزلة واصلها ما يصعد فيه كدرجات السلم وهذا تفسير لما قبله
وقال السخاوي في المقاصد الحسنة لم ترد هذه اللفظة في الدعا الذي يدعى به
عقب الاذان كما يفعله من لا خبرة له بالسنة فذكرها في الدعا لا اصل له والكوثر تقدم
تفسيره وانه فوعل من الكثرة والمراد به نهر في الجنة والفضيلة فعيلة من الفضل ضد
النقص ثم ذكر المص شواهد لتفضيله في الجنة على غيره منها حديث رواه مسلم وابو
داود والترمذي واقتصر في الرواية على ما في ابي داود والترمذي ومسلم لقرب
سنده الى الاول دونهما فقال حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
نسبة لتميم قبيلة وقد تقدمت ترجمته والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد تقدم
ايضا بقرائتي عليهما لا بسماعي من لفظهما وفي نسخة عليه بالافراد وهذه اعلى من
السماع من شيخه كما علمت قالا حدثنا ابو علي الغساني الجياني السابق ذكره قال
حدثنا النمري بفتح النون والميم وهو الامام ابن عبد البر المتقدم قال حدثنا
ابن عبد المؤمن قال حدثنا ابو بكر التمار بفتح المثناة الفوقية نسبة الى التمر المعروف
وتقدم ان الاول عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي وابو بكر التمار تقدمت
ترجمته ايضا قال حدثنا ابو داود الحافظ صاحب السنن وقد تقدم ايضا قال
حدثنا محمد بن سلمة بفتح السين واللام وما في بعض النسخ من انه مسلمة بميم في اوله

عوضي ها

سيد الناس

دجي

سهو من الناسخ وهو ابو الحارث محمد بن سلمة المرادي المصري اخرج له اصحاب الكتب
الستة وتوفي سنة مائتين وثمان واربعين قال حدثنا ابن وهب هو عبد الله بن وهب
تقدمت ترجمته عن ابن ابي لهيعة بفتح اوله وكسر ثانيه وهو عبد الله الحضرمي
ثم المصري الامام الحافظ وهو ثقة خلافا للذهبي اذ ضعفه روى عنه مالك واصحاب
السنن وتوفي سنة مائة واربعة وسبعين وحيوة بفتح الحا المهملة وسكون المثناة
التحتية وواو وها وقياسه حية بالادغام الا انه لم يغير فرقا بين العلم وغيره وهو
ابن شريح الحمصي ثم المصري توفي سنة مائتين واربعة وعشرين وروى عنه اصحاب
السنن وسعيد بن ابي ايوب ابو يحيى بن مقلاص الخزاعي المصري الثقة اخرج له
اصحاب السنن وتوفي سنة احدى وستين ومائة عن كعب بن علقمة بن عمرو بن زيد
ابن جشم الانصاري الخزرجي الصحابي البدري توفي سنة اربع وثلاثين وسنه
سبعون سنة وفي بعض النسخ عن كعب عن علقمة والصواب الاول عن عبد الرحمن
ابن جبير القرشي مولى نافع الثقة توفي سنة سبع وتسعين واخرج له اصحاب الكتب
الستة عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه لسابقه ذكره انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول حال وعبر بالمضارع للحكاية حتى كانه مشاهد حاضر اذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول من كلمات الاذان غير الحيعلتين فانه يقال عند سماعهما لا حول ولا
قوة الا بالله وهذا على سبيل الندب على الصحيح وفي قول عند الشافعية انه
واجب واذا كرر سماعه تكفي اجابة الاول وفي فتاوى ابن عبد السلام انه يندب
اجابة الكل والاول اصح وكذا في الاقامة عند الشافعي ويقول عند قوله
قد قامت الصلاة اقامها الله وادامها وعند قوله الصلاة خير من النوم صدقت
وبررت قيل ولا يلزم سماع جميعه ولا فهمه ثم صلوا علي اي قولوا عقب الاجابة
اللهم صل وسلم عليه وهذا مندوب ايضا فانه من صلى علي اي اتى بصيغة من
صيغ الصلاة مرة واحدة بقرينة قوله صلى الله عليه بها اي بصلاته وضمير
الله للشان عشرا لتضاعف الحسنات ثم سلوا الله الوسيلة اي ادعوا الله لي
بان يؤتينيها فقولوا اللهم آت محمدا الوسيلة ثم فسرها بقوله فانها منزلة في
الجنة اي مقام عال فيها اعلا مما عداه لا ينبغي اي لا يليق اعطاؤها الا لعبد عظيم
جليل عند الله فالتنوين والتنكير للتعظيم من عباد الله الاشراف المقربين
فالاضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم قال ابن كثير هي اقرب منازل
الجنة الى العرش واعلاها واشرفها وتقدم ان الوسيلة من التوسل وهو التقرب
فان قلت ما وجه تخصيص الدعا بها بعد الاذان قلت لما كان المؤذن يدعو الناس
للصلاة وهي مقربة الى الله ومعراج المؤمنين وهذا مما من الله به علينا بارشاده
وهدايته ناسب ان يجازى ذلك بالدعا بالقرب من الله ورفعة المنزل فان الجزا
من جنس العمل وارجو ان اكون انا هو ضمير الغيبة للعبد وانا مبتدا وهو خبره
والجملة خبر اكون وكون انا تاكيدا للضمير المستتر وهو خبر استعير ضمير الرفع
للمنصوب او وضع موضع الظاهر والاصل اكون انا اياه او ذلك خلاف الظاهر
وتعبيره صلى الله عليه وسلم بالرجا مع تحقق اختصاصه بارفع المنازل عنده ربه

بلغ

العربي

تادبا

تادبًا وتشريفًا لامته بالدعا له وفيه دليل على جواز دعا المفضول للفاضل ليفوز بالثواب
كما اشار اليه بقوله فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة بالحا المهملة وتشديد تعالى
اللام بمعنى وجبت من حل يحل كضرب يضرب او غشيته ونزلت عليه من حل يحل كقعد
يقعد وروي وجبت وروي له بدل عليه ولا حاجة لجعل اللام بمعنى على لان وجب
يتعدى وليس المراد بالوجوب معناه المشهور بل التحقق والتيقن ولا يستشكل بان
الشفاعة للمذنبين وقائلها ليس بمذنب بل عايد لله لان الشفاعة انواع كما مر
كالشفاعة في دخول الجنة من غير حساب وفي رفع الدرجات وزيادة العطيات ولا يختص
هذا بمن قاله مخلصًا مستحضرًا لاجلاله صلى الله عليه وسلم بل يكفي فيه مجرد قصد
الثواب الا انه ينبغي ان لا يكون دعا ولا لاهيًا واستحبابه هذا لغير المصلي فرضًا او
نفلا فان قاله فيهما لم تبطل صلاته لانه ذكر الا في قوله صدقت فانه من كلام الناس
فليتامل وفي حديث آخر رواه الترمذي ايضًا عن ابي هريرة الوسيلة اعلا درجة في
الجنة مخصوصة به صلى الله عليه وسلم وهي اقرب الى العرش من ساير المنازل وليس هذا
معلومًا من الحديث السابق الا انه المراد منه وعن انس في حديث رواه البخاري قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة تقدم الكلام على بينا بالالف والظاهر
ان سيره هذا كان منامًا ويحتمل انه يقظة في الاسرا اذ عرض لي نهر اي فاجاني ظهوره
اي ظهوره بمروري عليه حافتاه اي جانباه وشطاه وهو بتخفيف الفا المفتوحة
وهو مبتدا خبره فيهما اللؤلؤ مثل القباب وفي نسخة حافتاه قباب اللؤلؤ جمع قبة المعر قة
اوهي بيت صغير تضربه العرب لتنزل فيه والجملة صفة لنهر بسكون الها وفتحها
والمراد انها لؤلؤ حقيقة او مثله في الحسن والنضارة قلت لجبريل ما هذا النهر
لانه صلى الله عليه وسلم لم يعرفه قال هذا الكوثر الذي اعطاك الله اي وهبه لك
في قوله انا اعطيناك الكوثر وهو فوعل صفة مشبهة من الكثرة لكثرة مائه واوانيه
ولذا فسره ابن عباس رضي الله عنهما بالخير الكثير كما ياتي بما فيه وهو اصل معناه
ثم نقل وجعل علمًا لهذا النهر ودخلت عليه اللام للمح الاصل ووصل الضميرين
المنصوبين على اللغة الفصحى ولو فصل وقال اعطاك اياه جاز وورد في صفته
انه ابيض من اللبن واحلى من العسل كما سياتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ضرب جبريل عليه الصلاة والسلام بيده الى طينه بالتنوين والاضافة الى ضمير
النهر وسماه طينًا لانه بمنزلته وعلى صورته وضرب يده مجاز عن ادخالها فيه
فاستخرج مسكًا اي اخرج من قعره واراه ليعرفه بفضله وان طينه مسك فليس
كانهار الدنيا وروي عن عايشة وعبد الله بن عمرو بن العاص مثله اي مثل حديث
انس المذكور قال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ومجراه
بفتح الميم مصدر ميمي اي جري هذا النهر اي مجرى مائه على الدر والياقوت الذي فوق
طينه الذي هو مسك كما ان الانهار تجري على طين وحينئذ فهذا طينه مسك وحصاه
جواهر فلا منافاة بين كون مجراه على الجوهر وكون طينه مسكًا كما مر وماؤه احلى
من العسل وابيض من الثلج بفتح المثلثة وسكون اللام قبل الجيم وبفتحهما مصدر
ثلج صدري بكذا اي برد لتيقنه وابيض افعل تفضيل من البياض وقد سمع من العرب

على خلاف القياس ولا ينافي قول النحاة ان افعل التفضيل لا يصاغ من الالوان كما مر
ويجوز ان يكون صفة كاحمر واسود الا انه خلاف الظاهر وفي الحديث ان الله اعطاني
نهرا يقال له الكوثر لا يكاد احد من امتي يسمع خريره الا سمعه فقيل يا رسول الله كيف
ذلك قال ادخل اصبعيك في اذنيك وسدهما فالذي تسمعه خريره نقله السهيلي وفي
رواية ابيض من اللبن وكونه احلى من العسل لا ينافي ان من انهار الجنة نهرا من عسل وفي
رواية عنه فاذا هو اي الكوثر يجري جريا معتدلا ولا يشق شقا جملة حالية من ضمير يجري
من غير ان يحد اخدودا كما قاله التلمساني ويشق مبنيا للفاعل وقيل انه روي مبنيا
للمجهول وقيل المراد انه يجري معترضا لا مستطيلا من قولهم شق البرق اذا لمع مستطيلا
وهو بعيد لما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لا تظنون ان انهار الجنة
اخدودا لا والله انها لسائحة على وجه الارض وقد يرجح ما ذكرا اليه فيكون المعنى
واحدا عليه اي على الكوثر حوض والظاهر انه بجانب قريب منه كما يقال مررت
على زيد اي على مكان قريب منه والحوض معروف وقد قيل المراد بكونه عليه انه يمد
منه لان عليه ميزابين يشخبان فيه من الكوثر لا انه بجانبه اذ هو في الجنة والحوض خارجها
للحديث الاتي ليردن علي اقوام اعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فاقول
انهم امتي فيقال لا تعلم ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي فتامل
ترد عليه امتي اي يا تونه للشرب منه ولعله بعد الحساب والنجاة من النار وذكر
حديث الحوض الاتي وهذا يدل على انه غير الكوثر وقد جاء في بعض الاحاديث ان الكوثر
هو الحوض والحق انه غير على قول من اقوال علة ولو قيل بتعدد الحوض لم يبعد
ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما اي روي عن ابن عباس ما يوافقه وعن ابن عباس
ايضا اي في رواية اخرى ذكرها البخاري قال في تفسير الكوثر الخير الكثير الذي اعطاه
الله اياه تشريفا له صلى الله عليه وسلم وتكريما وهذا بناء على انه فوعل من الكثرة
مطلقا ثم خص بالكثير من الخير وبالنهر الذي في الجنة فان اراد ابن عباس بهذا بيان
ما وضع له لغة او بيان معنى عام خص في الحديث والاية فلا كلام فيه وان اراد
تفسير ما في الاية فالاحاديث الصحيحة وردت بخلافه وفي الاية ستة عشر قولا فقيل
انه النهر السابق ذكره وقيل النبوة والكتاب وقيل القران وقيل الاسلام وقيل
تخفيفات الشريعة وقيل كثرة الامة وقيل رفعة الذكر وقيل نور النبوة المحمدية
وقيل كثرة المعجزات وقيل الدعوات المجابة له صلى الله عليه وسلم وقيل كلمة التوحيد
لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الفقه في الدين وقيل الخمس صلوات التي
خصت بها امته صلى الله عليه وسلم وقيل الحوض والاصح انه نهر في الجنة مخصوص
وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه يعني انه على
عمومه وهذا داخل فيه او هو المراد منه ويؤيده ما روي عن حذيفة بن اليمان فيما
ذكره عليه الصلاة والسلام عن ربه حيث بكيته له في حديث قال فيه واعطاني الكوثر
وهو نهر من الجنة يسيل في حوضي الذي في الموقف او بعد الصراط يسقي منه امته
وفيه اشارة الى تفسيره بالحوض لان ماءه منه وعن ابن عباس في حديث صحيح رواه
ابن جرير بسنده وابن حبان في تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى اي

يعطيك

تلمساني

ح

ابن الجوزي

نعطيك الى ان ترضى بما اعطاه لك وتعرضيك قال من جملة ما اعطاه الف قصر من لولو ترابهن المسك اي هي من لولو وترابها من المسك فالضمير للقصور التي دل عليها قوله الف قصر وفيه اي في كل قصر واعاد الضمير عليه مفردا رعاية للفظه لان كل مفرد مذكر ما يصلح من الضمير عايد عليه ايضا رعاية لمعناه وقيل ضمير فيه عايد عليه نظرا للفظ قصر ولتاويله بما ذكر فما قيل انه صوابه فيهن لا وجه له والمراد ما يعتمد بمصالح تلك القصور من الخدام والزوجات والالات كالاواني كما اشار اليه بقوله وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له اي في كل قصر ما يناسبه ويليق به من الازواج والخدم بفتحتين جمع خادم وفعل جمع لفاعل ورد في الفاظ ذكرها النحاة وقيل انه اسم جمع والازواج جمع زوج او زوجة وذكر هذا هنا لمناسبته للمنزل والمقام وهذا الحديث رواه الموقوف على ابن عباس ان كان فاعل قال ابن عباس لا النبي صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر ورواه الاوزاعي مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال حدثنا اسماعيل بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عن ابيه عنه صلى الله عليه وسلم انه اري ما هو مفتوح على امته من بعد لكن فانزل الله عز وجل عليه والضحى والليل اذا سجى الى قوله فترضى ولسعطيك الله عز وجل الف قصر الح وقيل في الاية انه اعطاه ما هو شامل لكل خير اعطاه وما ادخره له مما لا يعرف كنهه الا الله وتقدم انها لما نزلت قال صلى الله عليه وسلم اذن والله لا ارضى واحد من امتي في النار وقد تقدم الكلام عليه

# فصل

في بيان شبهة ترد على ما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم افضل الرسل واعظمهم عملا وجرد من نفسه شايلا خاطبه بقوله فان قلت واتى بالفا الاستينافية اشارة الى نشاته مما قبله وترتبه عليه قد تقرر من دليل القران وفي نسخة فاذا تقرر اي تحقق وثبت واضافة دليل للقران بيانية او تخصيصية لامية وصحيح الاثر اي الحديث وهو معطوف على القران او على دليل واجماع الامة المحمدية كونه صلى الله عليه وسلم اكرم البشر اي ناس في بني ادم وافضل الانبيا والرسل خاصة منهم ولم يقل اكرم الخلق لان قوله اجماع الامة يا باه لما فيه من خلاف المعتزلة في خواص الملايكة وان كان الصحيح خلافه فلا وجه للاعتراض بذلك فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه صلى الله عليه وسلم عن التفضيل بين الانبيا والناهية بتفضيله عليهم كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان ورواه المصنف من طريق مسلم فيما حدثنا متعلق بكقوله ابو الحسن الاسدي نسبة الى اسد قبيلة قال حدثنا السمرقندي تقدمت ترجمته قال حدثنا الفارسي عبد الغافر السابق ترجمته قال حدثنا الجلودي تقدم بيانه وبيان نسبته قال حدثنا ابن سفيان ابراهيم بن محمد بن سفيان السابق ترجمته قال حدثنا مسلم الامام صاحب الصحيح المتقدم قال حدثنا ابن المثنى محمد ابو موسى البصري توفي سنة اثنتين وخمسين ومايتين كما تقدم قال حدثنا محمد بن جعفر ابو عبد الله الهذلي البصري الملقب بغندر بضم الغين المعجمة وسكون النون وضم الدال وفتحها وراء مهملة وقد تقدم انه توفي لذي القعدة سنة ثلاث او اربع وتسعين ومايه قال حدثنا شعبة بن الحجاج بن بسطام كما تقدم عن قتادة تقدم بيانه قال سمعت ابا العالية التابعي السابق ترجمته يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس رضي الله عنهما ابن عبد المطلب المشهور وهو احد العبادلة وغالب روايته عن الصحابة رضي الله عنهم لصغر سنه في زمانه صلى الله عليه وسلم واختلف فيما رواه عنه بلا واسطة فقيل اربعة احاديث وقيل

تسعة وقيل ستة وقيل عشرون حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ينبغي اي ما يصح ولا يجوز
لعبد من عباد الله نبيا كان او غيره ان يقول انا خير من يونس بن متى بفتح الميم وتشديد التا
المثناة الفوقية والف مقصورة وهو اسم امه وقيل اسم ابيه وصحح كلا من القولين طائفة
والاول اشهر كما مر وهو من ولد بنيامين بن يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان بعد
سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل كان بينهما ايوب عليه الصلاة والسلام وكان قبل
النبوة من عباد بني اسرائيل فهرب ونزل بشاطي دجلة فبعثه الله الى اهل نينوى من ارض
الموصل وهو ابن اربعين سنة فضاق ذرعا بالرسالة فشكى ذلك للملك واعلمه انهم
ان لم يستجيبوا له حل بهم العذاب واجل لهم اربعين يوما واعلمهم بالاجل فقالوا ان
رأينا امارات ذلك امنا بك وانصرفوا فلما مضى من الميقات خمسة وثلاثون يوما غامت
السما بغيم اسود له دخان فايقنوا بالعذاب فخرجوا من القرية باهلهم وفرقوا بين
النسا واولادهن وضجوا الى الله فرحمهم وقبل توبتهم وساح يونس عليه الصلاة
والسلام في ارض ومر براع شاة لبنا فقال له اقرا على قومي السلام فقال له يا نبي
الله لا استطيع فان من كذب منا قتل فقال له ان كذبوك فشاتك وعصاك يشهدان لك
فاخبرهم فانكروا مقاله فشهدت له الشاة والعصاة فصدقوه وملكوه عليهم اربعين سنة
وقيل كان ميقاته ثلاثة ايام فانتظر يونس فخاف لانه من كذب ولم تقم بينة قتل
في شرعهم فذهب مغاضبا وركب سفينة فركدت وغيرها من السفن تسير فسالوه
عن سبب ذلك فقال ان عبدا ابق من ربه وانها لا تسير حتى يلقوه في البحر فقالوا
اما انت يا نبي الله فلا نلقيك فقال اقترعوا فاقترعوا ثلاث مرات وسهم القرعة
يقع عليه صلى الله عليه وسلم فالقوه فابتلعه حوت وغاص به الى قرار الارض
فسمع يونس تسبيح الحصى فنادى في الظلمات ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فنبذ بالعرا وهو سقيم كطير
ممعوط لا ريش له فانبت الله عليه شجرة يقطين استظل بها واصاب منها فيبست
فبكى فاوحى الله اليه اتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او زيادة هلكوا
فنادى سبحانك لا اله الا انت اني كنت من الظالمين واختلف في مكثه في بطن الحوت
فقيل بعض يوم وقيل عشرون وقيل سبعة ايام وقيل اربعون يوما وقيل
ثلاثة وانما خص يونس بالذكر لما يعلم مما ياتي وهو خشية ممن سمع قصته ان
يقع في نفسه شي لقلة صبره وعدم ثباته في الشدائد ويأتي ان المنهي عنه تفضيل
يؤدي الى تنقيص احد منهم ولذا قيل ان من قال انا خير من بعض الانبيا يخشى
عليه الكفر ان لم يكن نبيا فان كان نبيا فلا ينبغي له ذلك وهذا مخصوص بما اذا
لم يكن لذلك وقاله افتخارا واذا وقع من نبينا صلى الله عليه وسلم تحدثا
بنعمة الله وفي غير هذه الطريق المذكورة انفا عن ابي هريرة قال يعني رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث اي اذكره الى اخره كما مر في
حديث ابي هريرة رضي الله عنه الذي رواه الشيخان في رجل من الانصار تنازع
مع يهودي بالمدينة وتبيينه المبهم بقوله في اليهودي اي في رجل من اليهود
لم يذكروا اسمه الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر اي اختاره وفضله

قال يعني الله تعالى صح

على

٢٥٠

علي سائر بني ادم من الانبيا وغيرهم فلطمه رجل من الانصار لم يذكروا اسمه وفي سيرة ابن
اسحاق ان اسم اليهودي فنحاص وقال اي الرجل الانصاري تقول ذلك اي تفضيل موسى على
البشر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا جملة حالية اي مع وجود النبي صلى
الله عليه وسلم الذي هو افضل من موسى وغيره ولفظ اظهر جمع ظهر مقحمة اي بيننا فبلغ ذلك
الذي قاله اليهودي والرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبيا بالضاد
المعجمة اي لا تعتمدوا على الحكم بافضلية بعضهم على بعض وليس هذا على ظاهره كما سياتي
ويجوز بعضهم ان يكون بالصاد المهملة اي لا تفرقوا وتميزوا بعضهم من بعض وليس هذا على
ظاهره كما سياتي وفي رواية لا تخيروني على موسى وهذه الرواية في الصحيح وسنن ابي داود
والنسائي والنهي عن تفضيل يفضي من غيره مودا الى تنقص وعلى سبيل العصبية والتفاخر
فلا ينافي قوله انا سيد ولد ادم ولا فخر وسياتي تفصيله فذكر الحديث وفيه ولا اقول
ان احدا افضل من يونس بن متى وفي هذا الحديث زيادة ذكر موسى وهو من عظما الرسل اولي
العزم فالتفضيل عليه اقوى فيما نحن بصدده فلا وجه لما قيل من انه كان ينبغي تقديم
هذا الحديث على الذي قبله والحديث المذكور اوله استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود
فقال المسلم مقسما والذي اصطفى محمدا على العالمين فقال اليهودي والذي اصطفى موسى
على العالمين فلطمه المسلم فذهب اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما جرى
بينهما فقال لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش
بجانب العرش فلا ادري اجوزي بصعقة الطور او بعث قبلي ولا اقول ان احدا افضل من
يونس بن متى وكانت القصة في عرض سلعة وقال البرهان لا اعرف اسم اليهودي والمسلم اللاطم
له وقال غيره اليهودي اسمه فنحاص اي كما تقدم واللاطم ابو بكر رضي الله عنه الا ان
يرده في الحديث رجل من الانصار يا باه الا ان يقال الانصار هنا بمعناه اللغوي
وهو خلاف الظاهر وهذه الصعقة هي المذكورة في قوله ويوم ينفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الارض الا من شا الله وهذا هو الاستثنا المذكور في الحديث له
فالصعق الاحيا والاخراج من القبور مجازا لان حقيقتها الصراخ مع غشي يحصل منه
وقيل المراد بها حقيقتها وانها في عرصات القيامة بعد الحشر يوم الفزع الاكبر
وقال ابن قيم الجوزية في كتاب الروح نقلا عن تذكرة القرطبي ان هذه الرواية دخل
فيها حديث في حديث ولذا اشكل عليهم والذي يزيح الاشكال ان الموت ليس بعدم
محض بل هو انتقال من حال الى حال والانبيا والشهدا احيا لكنهم غيبوا عنا
في مراقدهم فاذا نفخ في الصور فمن مات حيي ومن كان حيا من الانبيا ونحوهم كالمغشي
عليه صعق ثم افاق ولذا ورد في حديث مسلم فاكون اول من يفيق فلذا تردد النبي
صلى الله عليه وسلم في انه اول من تنشق عنه الارض وافاق امر موسى صلى الله عليه
وسلم سبقه لانه حوسب بصعقة الطور فلم يغش عليه ولم يصعق وهذه فضيلة لموسى
عليه فلذا ذكرها ونهى عن تفضيله عليه وان لم يلزم كونه افضل منه من سائر الوجوه
فلذا خصه بالذكر وخص يونس لما مر وسئل امام الحرمين عن نفي الجهة ودليلها
فقال دليلها قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى لانه خاطب الله
في قعر البحر والظلمات الثلاث بقوله سبحانك كما خاطبه نبينا صلى الله عليه وسلم

دبلجي

ابن اقبوس

في مقام قربه قاب قوسين على الرفرف فلم يكن ثمة اقرب من يونس وعن ابي هريرة في حديث
رواه البخاري ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب ذكروا فيه احتمالين ان يكون
انا عبارة عن النبي صلى الله عليه وسلم اي من فضلني على يونس عليه الصلاة والسلام
فقد كذب وان يكون انا عبارة عن القايل غيره ايه اي احد من الناس قال انا خير من يونس
لتوهمه انه فضله بعلمه وعبادته وغيرذلك من الفضايل لان احدا لا يبلغ درجة الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وقد قالوا انه كفر وهذا يؤيد ان المراد الاول وياتي
بيان الثاني في كلام المص وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي
حديثه الاخر اي حديث ابن مسعود الذي رواه مسلم وابوداود والترمذي جاء
صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا خير البرية اي يا افضل الخلق كلهم والبرية
بتشديد اليا من برا يبرا مهموز بمعنى خلق من البرا بمعنى التراب الا انه الترم فيه
ابدال الهمزة يا كما في النهاية فقال ذاك وفي نسخة ذلك والاشارة لخير البرية
ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهو في الحقيقة افضل البرية والرسل
بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وقال السيوطي انه متفق عليه فاعلم جواب الشرط
في قوله فان قلت وهو شروع في تحقيق المسئلة والجمع بين الاحاديث المتعارضة
في التفضيل وعدمه ان للعلما في هذه الاحاديث الناهية عن التفضيل وما يماثلها
تاويلات تقدم بعض منها وسياتي تحقيقها احدها ان نهيه صلى الله عليه وسلم
عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم بالبنا للفاعل او المفعول اي
يعلمه الله وهذا لا يدل على ان قوله انا السابق عبارة عنه صلى الله عليه وسلم
ونهي عن التفضيل اذ يحتاج الى توقف اي اعلام به من الله واذن فيه فلا يتقدم عليه
بالعقل وكون التفضيل في الحديث خاصا بموسى ويونس عليهما الصلاة والسلام فيه
دلالة عليه في الجملة فلا يرد ما قيل انه لا يقتضي المنع مطلقا فتامله وان من قاله
بلا علم فقد كذب لانه لا يطابق ما في نفس الامر عنده اذ لم يعلم وهذا تشديد في النهي
والا فاخباره على غلبة ظنه انه واقع لا يعد كذبا وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل
منه لا يقتضي تفضيله هو لانه نفي لقول وهو لا يدل على انتفايه في نفس الامر وما
كل ما يعلم يقال ومنهم تفضيله هو للنبي صلى الله عليه وسلم اي تفضيله على يونس
صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وانما هو في الظاهر كف اي امتناع او منع لغيره
عن التفضيل بينهم وقد يكون لا مر اخر الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم
على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب بضم فسكون اي عجبه وخيلايه بنفسه
ومدحه لها فانه لذلك في الغالب والتكبر اظهار عظمة والعجب استحسانه لنفسه
وبيانه والتواضع لين الجانب وخفض جناحه لغيره وهذا الجواب لا يسلم من الاعتراض
الوارد عليه لانه يعد الاخبار بخلاف الواقع الذي هو كذب مذموم تواضعا قيل ولان
نفي التكبر والعجب يقتضي ثبوتهما له وانه مع ما علم من حاله كيف يتوهم فيه ما لا يتوهم
في غيره من صلحا امته ولا يخفى انه اعتراض ساقط فان التواضع صفة محمودة وهو من شانه
صلى الله عليه وسلم كما تقدم الوجه الثالث ان مقصوده صلى الله عليه وسلم بنهيه
ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي بضم التحتية وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة

اس امتيرص

اي يحي

اي بحر ذي يوصل الي تنقّص بعضهم بعضهم تفعل من النقص اي تنقيص وصفهم بما فيه نقص لهم وذم
والغض منه بفتح العين والضاد المعجمتين المشددة المكسورة كالغضاضة وهي النقص
والعيب واصله من غض الطرف والصوت وهو خفضهما فاستعير لما ذكر وضمير منه للبعض
والمحة منهم وبعضهم من هذا الجوازم ان لم يؤد لما ذكر لاسيما اي خصوصا في جهة يونس عليه
الصلاة والسلام اي في حقه ووصفه لان الجهة تطلق علي الصفة ومنه موجهات القضايا ولا
سيما عند النحاة من ادوات الاستثنا وليس هذا محل الكلام عليه اذ اخبر الله عنه بما اخبر في قوله
ولا تكن كصاحب الحوت الخ لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه اي لا يعلم من يونس وما قص من قصته
بذلك اي بسبب ذلك المذكور وهو متعلق بقوله غضاضة اي نقص وحقارة يتوهمها من لا
علم لديه وعطف عليه عطف تفسير قوله وانحطاط من رتبته الرفيعة استعارة بتنزيل شرفه
منزلة امر عال حسا نزل من علو لسفل اذ قال الله تعالي حاكيا عنه اذ ابق الي الفلك المشحون
اي خرج الي سفينة مملوة بما فيها من الناس والمتاع والاباق هروب العبد من سيده حسن
الالفاظ عليه اذ خرج بغير اذن ربه وقال تعالي اذ ذهب مغاضبا لقومه لما لم يجيبوا دعوته
كما تقدم فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه بالعقوبة ويؤيده انه قرئ مثقلا
وتمثيلا لحاله بحال من ظن انا لا نقدر عليه في مراغمة قومه لعدم انتظاره لامرنا وروي
ان معاوية قال لابن عباس أيظن نبي ان لا يقدر الله عليه فقال هو من القدر لا القدرة
قال ابن بري اي من الارادة فظن ان نريد عقوبته فربما يخيل بالبنا للمجهول ونائب
فاعله قوله خطيطته وقوله لمن لا علم عنده بمعاني القرآن وما قيل في تأويل هذه الاية
متعلق به خطيطته اي نقصه بذلك ونزول مقامه عن مقام غيره من الرسل لنظره لظاهر
الاية وقد نقل المفسرون فيه اقوالا فقيل معني ذهب مغاضبا انه غضب من قومه
لامر به وهذا خلاف الاولي اذ كان حقه الصبر كما وقع لنبينا صلي الله عليه وسلم في
احد وغيرها فلا يذهب بغير امر ولذا قال الله تعالي له ولا تكن كصاحب الحوت واما قوله
فظن ان لن نقدر عليه فقد تقدم تأويله وقيل احسن ما قيل فيه ان معناه لن نضيق عليه
وقول البيضاوي انها خطرة شيطانية سبقت الي وهمه سميت ظنا للمبالغة مما لا ينبغي ان
يقال لعصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن مثله الوجه الرابع منع التفضيل بين الانبيا
والرسل الذي افاده النهي الوارد في الحديث انما هو في حق النبوة والرسالة نفسهما لا الانبيا
والرسل قال السنوسي في شرح عقايده بعد ما ذكر ما قاله المصنف ومما يدل علي عدم
التفاضل بين الانبيا في نفس النبوة وحقيقتها منع ان يقال نبوة لفلان النبي النصيب الاوفر
من النبوة ولفلان النصيب الاوفر منها ونحوه من العبارات التي تقتضي ان النبوة
تقول بالتشكيك ولا شك ان الامتناع من هذه العبارة معلوم من الدين بالضرورة
بين السلف والخلف فدل ذلك علي ان حقيقة النبوة من المتواطي المستوي افراده
ولا يلتفت لمن خالف مقتضاه لوضوح فساده انتهي وفي ذكره ذلك في النبوة دون
الرسالة ايما الفرق بينهما في ذلك فتامله وقريب منه قوله فان الانبيا فيها اي في
النبوة من حيث هي هي علي حد واحد مرتبتها وقدرها متحد بينهم اذ هي شي واحد
اي متحد في جميعهم لا تتفاضل اي لا يزيد بعضه علي بعض وانما التفاضل والتفاوت
في زيادة الاحوال اي العوارض الطارية عليها والخصوص اي ما خص به بعضهم دون

لبعض والكرامات التي اكرم الله تعالى بعضهم والرتب الدنيوية والاخروية والالطاف
اي العطايا التي اعطاها الله لبعضهم جمع لطف بفتحتين وهو الهدية كما مر وهو
استعارة هنا واما النبوة في نفسها فلا تفاضل وانما التفاضل باموراخر زايدة عليها
طارية ليست من نفس حقيقتها كما بيناه ولذلك اي لما ذكر من ان التفاضل لامر زايد
كان منهم رسل غير اولي عزم واولوا عزم منهم الرسل والعزم القوة والشدة
والتصميم على تنفيذ ما يراه اولى به وبغيره والرسل جمع رسول وهو صاحب
الرسالة من التصديق بفتحه المامور بالتبليغ وهو اخص من النبي على المشهور من الرسل
بالكسر وهو تتابع الدر ومنه على رسلك اي تمهل وتثبت وقد اختلف في اولي العزم
والحزم منهم فقيل هم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه
وسلم وهم اصحاب الشرايع وقيل اربعة نوح وهود وابراهيم ومحمد صلى الله عليه
وسلم وقيل ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
وقيل هود ونوح وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون على نسق في الاعراف
والشعرا وقيل هم نوح لصبره على اذى قومه وابراهيم لصبره على النار واسحاق
لصبره على الذبح في قول ويعقوب لصبره على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف لصبره
على السجن وايوب لصبره على الضر وقيل هم المامورون بالجهاد وقيل نجبا الرسل
المذكورون في الانعام واختاره الحسن لقوله اولئك الذين هدى الله الخ وهذا
مبني على تفسير العزم ثم بين بعض ما وقع فيه التفاضل فقال ومنهم من رفع
اي رفعه الله مكانا عليا وهو ادريس سبط شيث وجد نوح واسمه قديما اخنوخ
رفع الى السما او الجنة كما قاله المفسرون وكذا عيسى ومنهم من اوتي الحكم صبيا
وهو يحيى اذ احكم الله عقله وتنباه واتاه الحكمة وفهم التوراة واكثر الانبيا نبي
بعد الاربعين وقد ذكر مثل هذا في عيسى ايضا واوتي بعضهم الزبور وهو داود
وفي نسخة الزبر جمع زبور بمعنى المزبور المكتوب فيشمل موسى وعيسى وادريس
وشيث وداود وقيل انه يكون مصدرا كما في الحجة لابي علي واوتي بعضهم البينات
اي المعجزات الظاهرة الباهرة التي لم يؤتها احد قبله من احيا الموتى وابرا الاكمه
والابرص ونحوه مما فضله الله به وهو عيسى عليه الصلاة والسلام ومنهم من كلم الله
من غير واسطة وهو موسى اذ كلمه بالطور ولما راى نارا ورفع بعضهم درجات
عالية فضله بها على غيره وهذا اجمال لفضايل لم تذكر والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم
اذ فضله على من سواه بوجوه متعددة ومراتب متباعدة كدعوته العامة للعرب
والعجم والجن والانس والملايكة ومعجزاته الباقية الى يوم القيامة ومن اجلها
القران وغيره مما يفوت الحصر قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية
وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية هذا بيان لما قبله او ناظر
لجميعه كما اشرنا اليه وقوله تلك انثه باعتبار الجماعة قال بعض اهل العلم
بالكتاب والسنة والتفضيل المراد لهم هنا عطف على مقدر او على ما تقدم وهنا
اشارة لما ذكر قبله في الدنيا متعلق بالتفضيل وذلك بثلاثة احوال وفي نسخة اوجه
ان تكون اياته ومعجزاته اظهر اي اقوى واغلب من بهر ضوء القمر الكواكب اذا غلبها

او اظهر

او اظهر واشهر عطف تفسير له كانشقاق القمر والقرآن وانفلاق البحر وانقلاب العصا حية
ويكون بالنصب منه ازكى واكثر اي انمى واكثر من غيرهم كنبينا صلى الله عليه وسلم لقوله
كنتم خير امة اخرجت للناس وقد ارسل للناس كافة او يكون بالنصب في ذاته افضل بزيادة
علمه وخصاله المحمودة واظهر بالمعجمة اي اشهر وبالمهملة النقي وانقى وفضله في ذاته
ونفسه راجع الى ما خصه الله به اي ما له ومعناه من كرامته اي اكرام الله له بما منحه
ومناقب عظيمة وهباته واختصاصه بالخير معطوف على مدخول الى او من وقوله من
لا مرية لاختصاصه بمعنى ما خصه به بغير واسطة كموسى ونبينا صلى الله عليهما وسلم
او خلة تقدمت وانها لابراهيم اوله ولنبينا صلى الله عليهما وسلم او رؤية عيانا
قبل دخول الجنة كما في المعراج او ما شاء الله وارادة لهم غير ما ذكر من الطاف بفتح الهمزة
اي عطايا كما تقدم وفي نسخة الطافه بالاضافة وتحف ولاينه اي تحف اولاها لهم واختصاصه
بما اخبئهم بضم قرة اعين لا يعلمها الا هو وقد روي بالبنا للمجهول وهذا رواه ابن ابي
حاتم والحاكم في مستدركه عن وهب بن منبه وهذا رجوع الى تنزيه يونس صلى الله عليه
وسلم عما ذكر من الاوهام ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا اي احمالا
ثقيلة قال تعالى وتحمل اثقالكم جمع ثقل والثقل كعنب وبسكون مقابل الخفة
قال الراغب واصله في الاجسام ثم يقال في المعاني كما ثقله العزم والوزر وهو في
الانسان ذم في اكثر المتعارف وقد يكون مدحا كقوله

تخف الارض اما بنت عنها ... وتبقى ما بقيت بها ثقيلا
حللت بمستقر الارض منها ... فتمنع جانبيها ان تميلا

والمراد هنا المشاق التي تكون في تبليغ الرسالة وان يونس تفسخ منها الضمير للاثقال
والاحمال وتفسخ بالتا والسين المهملة المشددة والخا المعجمة تفعل من الفسخ اي
تقطعت اعضاؤه وتفككت لعدم طاقته صلى الله عليه وسلم لحملها اثقالا تفسخ البعير
تحت الحمل الثقيل وفسخ ثيابه اذا ازالها ومنه فسخ العقود عند الفقها تفسخ الربع
تفعل مصدر من الفسخ والربع بضم الرا المهملة وفتح البا الموحدة والعين المهملة
وهو الفصيل اي ولد الناقة الصغير الذي يولد في الربيع وبعده الهبع الذي يولد
في الصيف وتفسخ منصوب بالمصدرية لتفسخ اي تفسخ كتفسخه اي لم يطق حملها
ولم يصبر عليها وفي تشبيهه بالربع اشارة الى انه كان في مبدا امره وفي قوله اثقالا
استعارة تصريحية وفي تفسخ استعارة تصريحية تبعية ولا تنافي التشبيه ويجوز
ان تكون استعارة تمثيلية وهو احسن ثم تبين مراده فقال فحفظ رسول الله صلى
الله عليه وسلم بنهيه عن التفضيل موضع الفتنة اي ما يقع الناس بسببه في فتنة
وامر محذور من تنقيص الانبيا عليهم الصلاة والسلام لجعله كانه موضع لها انحصر فيه
من الاوهام التي يتوهمها من لا علم له وهو متعلق بحفظ اي صانه مما يتوهم او هو بيان
لموضع من يسبق اليه بسببها اي المواضع او الاوهام وقيل المراد بسببه ثقالها من سام
وعجز وقيل بسبب الفتنة وقيل بسبب قصة يونس عليه الصلاة والسلام حرج في
نبوته بفتح الجيم اي ذكر ما لا يليق بمقام النبوة مما يقتضي عدم العصمة او قدح في
اصطفائه اي ذم وتنقيص لكونه هفوة مختارا اعتذر به متفضلا على غيره والقدح

دجي

ذكر المعايب والنقايص وحط من رتبته اي تنزيل له من علو مقامه ووهن في عصمته اي بعد عصمته فيما اسعف لما توهمه من ظاهر قصته السالفة فلذا نهاهم صلى الله عليه وسلم عن تفضيله عليه فضلا عن تنقيصه لتساويهم في حقيقة النبوة وان تفاوتت احوالهم وصفاتهم كما سمعت مفصلا شفقة منه صلى الله عليه وسلم بالنصب مفعول له او علة لحفظ على امته ان لا يقع منهم ما لا يليق بمقام النبوة فيكون لهم وزر يستحقون به سوء العاقبة بسخط الله وعقابه وقد يتوجه اي يحصل توجيه اخر في الجواب عما مر اوياتي ويبتني على هذا الترتيب اي على ما رتبناه على النبوة من الاختصاص بامور اكرمهم الله بها وجه خامس وهو ان يكون لفظ انا في الاحاديث السابقة راجعا الى القايل نفسه المذكور في قوله لا ينبغي لاحد ان يقول فليس المراد بضمير المتكلم النبي صلى الله عليه وسلم كما في الوجوه المتقدمة اي لا يظن احد من الناس غير الانبيا وان بلغ من الزكا اي انه بلغ من الزكا بالزاي المعجمة اي الصلاح وزيادة الخير قال التلمساني انه بخط المص هكذا ورواه العوفي تلميذ المص بالذال المعجمة وهو الفطنة والعصمة اي الحفظ من الذنوب وليس المراد بها ما اختص به الانبيا وهي المذكورة في قوله اسالك العصمة في الخطرات والسكنات ولذا جوز بعضهم الدعا بها ومنعه بعضهم كما فصله ابن حجر في فتاويه والطهارة اي البراة من الاوزار ما بلغ اي مبلغا عظيما فيما مصدرية او موصولة انه خير من يونس ابن متى وهذا معمول يظن المنفي لاجل ما حكي الله عنه تعليل لظنه اي ما قصه في قصته من لومه على تضجره وعدم صبره على قومه لتماديهم في غيهم وعدم اجابتهم دعوته صلى الله عليه وسلم للايمان وسوق كلامه مؤذن بان القايل من غير الانبيا كما يشهد له قوله فان درجة النبوة ورتبتها العالية افضل واعلا عند الله من درجة غيرهم من الاتقيا وهذا امر قرره وهو مبني على عدم العلم بالنهي عن مثله فلا يرد عليه انه كيف يكون تقيا وقد صدر منه تنقيص لانبيا الذي قيل انه كفر ولما كيف وصفه بالعصمة وهو غير نبي وان تلك الاقدار جمع قدر بفتح القاف والدال المهملة اي ما قدره الله عليهم لحكمة باهرة وليس بمعجمة وان جاز تاويله بانه بالنسبة لمقامهم ذنب مستقذر فانه غير مناسب لفظا ومعنى لم تحطه عنها اي لم تنزل يونس عليه الصلاة والسلام عن درجته مثقال حبة خردلة التي هي اصغر الحب والاحسن حبة خردل بدون ها ولا ادنى اي اقل واصغر من خردلة اي لم تنقصه اصلا وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا بايضاحه وتفصيله ان شا الله فقد بان لك الغرض المقصود الذي قصدناه في هذا الكتاب وسقط بما حررناه اي بما قررناه او لخصناه او كتبناه والتحرير التلخيص واظهار الزبدة لان اصله جعل الشي حرا اي خالصا ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه والحر المقابل للعبد والتحرير بمعنى الكتابة من الخاص الذي صار عاما واصله كتابة ملخصة او كتابة العتاقة كما في الكشف شبهة المعترض الذي اعترض على ما تقدم ولو قال من اعترض كان سجعا لكن المص لم يقصده ولما كان ما تقدم في ذكر فضايله واسماؤه صلى الله عليه وسلم دالة على كل عقبة بذلك كما اشار اليه بقوله

## فصل

في اسمائه صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته اي ما هو بعضه لقوله

ابن القيس

اولازم

عرضي

اولا لم تطلقنا ه حتى كانه ضمنه و الاسما جمع اسم و الكلام على كونه من السمة او السمو اغنانا
شهرته عن ذكره و اما البحث عن كونه عين المسمى او غيره فبحث لا طائل تحته فلا نحتمل ذكره
هنا وقد افردناه بالتاليف و الاسم له معان فيطلق على مقابل الفعل و الحرف وعلى مقابل
الكنية و اللقب وعلى مقابل الصفة المشتقة ويكون بمعنى العلم و الظاهر ان المراد به هنا
ما ثبت له صلى الله عليه وسلم سوا كان علما او صفة او غيرهما وسوا اختص به
وضعا ام لا نحو العلم وما يشبهه و كثرة الاسما تدل على شرف المسمى و لو ادعا فلا يرد كثرة
اسما الحمار وهو اكثري و هو الظاهر و في شرح الترمذي ان للنبي صلى الله عليه وسلم الف
اسم ونقل مغلطاي انها تبلغ ثلاثمائة وقيل انها تسعة وتسعون كاسما الله ومنها ما هو
بلفظ الفعل و المصدر و اكثرها صفات مادحة كما اشار اليه المص بقوله تضمنت من
فضيلته و لابن دحية تاليف مستقل في اسمائه صلى الله عليه وسلم ثم ان المص رحمه الله
ذكر هاهنا حديثا رواه الشيخان عن محمد بن جبير عن ابيه بسند متصل الا ان المص رواه عنه
مرسلا لعلو سنده فيه بدرجتين فقال حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد العقيه
تليد بفتح المثناة الفوقية واخره دال مهملة بمعنى قديم العهد لولادته معه
فتاوه مبدلة من واو وهو ضد الطارف وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو عمر
الحافظ ابن عبد البر وقد تقدم ايضا قال حدثنا سعيد بن نصر تقدمت ترجمته
ايضا قال حدثنا قاسم بن اصبغ بهمزة مفتوحة وصاد مهملة وموحدة تحتية وغين
معجمة وهو قاسم بن اصبغ بن محمد بن يوسف بن واضح بن عطا الامام الحافظ محدث
الاندلس ابو محمد الاموي مولاهم القرطبي كان صدرا عاليا لاسناد ثقة و لذا قطع
الرواية في اخر عمره خوفا من الغلط ولد سنة سبع و اربعين ومايتين وتوفي بقرطبة
في جمادى الاولى سنة اربعين وثلاثمائة قال حدثنا محمد بن وضاح بن بزيع مولى
ملك الاندلس عبد الرحمن بن معاوية الاموي الحافظ محدث الاندلس ابو عبد الله
القرطبي مولده سنة تسع وتسعين ومائة او سنة مايتين بقرطبة وتوفي في المحرم
سنة سبع وثمانين ومايتين قال الذهبي انه صدوق وقد روى عنه كثير من اهل الاندلس
قال حدثنا يحيى بن يحيى الليثي عالم الاندلس وراوي الموطا وليس له رواية في الكتب
الستة الا نادرا و قد تقدم الكلام عليه عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن
مطعم عن ابيه ومحمد هو ابو علي وقد روى عنه الزهري وهو روى عن ابيه جبير بن
مطعم بن عدي بن نوفل وهو صحابي اسلم بعد الحديبية وروى عنه ابناه محمد
ونافع وروى عنه ابن المسيب وكان سيدا وقورا توفي سنة تسع وخمسين واخرج
له الايمة الستة واحمد في مسنده • وهذا الحديث اخرجه مالك في الموطا والترمذي
في الشمايل والبخاري فهو حديث • صحيح مسند قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لي خمسة اسما قدم الجار • والمجرور للتبرك و التاكيد او للتخصيص
باعتبار انه لم يسم بها احد قبله او لاشتهارها في الامم الماضية فالتخصيص المستفاد
من التقديم اضافي لا حقيقي لزيادتها على ذلك وقال السيوطي في كتاب الرياض
الانيقة في اسما خير الخليقة انه قيل ان يطلعه الله على بقية اسمائه وقال المص
فيما ياتي قيل انها موجودة في الكتب القديمة وعند الامم السالفة ورد بان

فيما اكثر فالحق ان مفهوم العدد غير معتبر فلا يفيد الحصر وقال ابن عساكر في كتاب
المبهمات يحتمل ان لفظ العدد ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم او التخصيص لان
المراد خمسة اسما فاضلة او معظمة مشهورة انتهى ولا يخفى ما فيه وانه مخالف للظاهر
وقال ابن فارس ان اسماءه صلى الله عليه وسلم الفان وعشرون وقيل المراد خمسة سماني
بها ربي وباقيها اوصاف واسماؤه صلى الله عليه وسلم توقيفية فلا يجوز ان يسمى بما
لم يسمه به الله او يسمي هو به نفسه او ابوه وجده انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي
يمحو الله بي الكفر اي يزيله حقيقة من جزيرة العرب وحكما من جميع الارض وقيل كما ياتي
في الحديث يمحو به سيئات من تبعه كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وقوله صلى الله عليه وسلم بي كان الظاهر ان يقول به لكنه راعى فيه المعنى كقوله
انا الذي سمتني امي حيدره والكلام عليه مفصل في كتب العربية وانا الحاشر الذي يحشر
الناس على قدمي بتشديد اليا مفتوحة وتخفيفها ساكنة اي يحشرون على اثري وبعد
نبوتي اذ ليس بعده صلى الله عليه وسلم نبي كما ياتي في تفسيره وقد روي انا الحاشر الذي
يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره وانا العاقب الذي عقب الانبيا عليهم الصلاة
والسلام فلا نبي بعده وعيسى عليه الصلاة والسلام تقدم انه ياتي على شرعه وقال
ابن الاعرابي العاقب من يعقب غيره في الخير ومنه العقب بمعنى الولد وسياتي تفصيل
معنى الحديث وقد سماه الله في كتابه وهو القرآن محمدا واحمد في قوله ما كان محمد ابا احد
من رجالكم وقوله ياتي من بعدي اسمه احمد وكونه محكيا عن عيسى عليه الصلاة والسلام
لا ينافي كون المسمي له الله ولذا قيل ان عيسى انما اطلق عليه باعلام الله واذنه له
فالمسمي حقيقة هو الله فمن خصايصه تعالى له اي الكاينة له ان قلنا بجواز حذف
الموصول مع بعض الصلة فهو صفة له او هو متعلق به لما فيه من معنى التكريم وقيل
انه مفعول له واللام مزيدة للتقوية والظاهر انه اسم غير موصوف بالتعدي يوضحه
ان ضمن اسماه فاعل ضمن ضمير لله والضمير المضاف اليه للنبي صلى الله عليه وسلم ثناه
مفعول ضمن وهو مصدر مضاف للفاعل او المفعول باعتبار ان الضمير لله او للرسول
اي ثنا الله عليه وطوى اثنا ذكره بفتح الهمزة وسكون المثلثة والمد جمع ثني كفعل
وهو ما انعطف من الوادي ويقال هو في اثنايه وهثانيه اي داخل ونصبه على الظرف
وطوى من قولهم طوى الثوب اذا عطف بعضه على بعض وهو كناية عن الكتم
والاخفا فالمعنى احفاد اخل ذكر النبي اي في اسمايه التي سماه بها عظيم شكره اي شكره
العظيم والضماير لله او للنبي فان كان ضمير شكره للنبي صلى الله عليه وسلم فاضافته
له من اضافة الفاعل او المفعول اي كونه شاكرا او مشكورا شكرا عظيما لان اكثرها
اوصاف غلبت عليه او اختصت به اختصاص الرحمن بالله مع بقا الوصفية
او اعلام منقول ملموح اصلها فيفيد المدح والاعلام وضعت لتعيين الذات
لكن المنقولة من الصفات تشعر بمعانيها الاصلية ولذا جاز دخول ال عليها
ومعظم اعلامه كذلك فاما اسمه احمد فوزنه افعل مبالغة في صفة الحمد
مبالغة مرفوع خبر بعد خبر او منصوب مفعول له والجار والمجرور صفته
والمبالغة لانه افعل تفضيل حذف المفضل عليه قصدا للتعميم نحو الله اكبر

عوضي

اي من

ابن اقبرس

اي من كل شيء ثم نقل وحذف اصله فلا يرد عليه انه علم فكيف يغير ما ذكر وما قيل من انه
للتفضيل لا للمبالغة والمبالغة لها صيغ مخصوصة فقد وهم واطال من غير طائل على عادته
وقال السخاوي في سفر السعادة احمد اسم النبي صلى الله عليه وسلم ليس بمنقول من المضارع
وانما افعل التفضيل فهو كاحمر واصفر وهو ابلغ من محمد وهو كل من تكاملت مناقبه وبلغ
النهاية في الحمد قال الاعشى

اليك ابيت اللعن كان كلالها ● الى الماجد الفرع الجواد المحمد ●

انتهى وفيه نظر لا يخفى وقدمه المصنف لانه اسمه صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة وقد
سماه به موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام كما نطق به القرآن وسماه الله به لانه
حمد في مقام لم يحمد فيه سواه بمثل محامد كما تقدم وسيأتي تتمته ومحمد مفعل
مبالغة من كثرة الحمد فهو في الاصل اسم مفعول من التفعيل فينبئ عن الكثرة ففيه مبالغة
ايضا ولهذه الصيغة معان اخر مذكورة في كتب التصريف وفي شرح الهادي انه لم يجئ
قال ابن معطي وهو غلط وتوجيهه بانه لم يستعمل في غير العلمية يرده بيتا الاعشى
المذكور وروي عن ابن عباس بسند متصل كما رواه البيهقي في دلائل النبوة انه لما
ولد صلى الله عليه وسلم عق عنه عبد المطلب بكبش وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث
ما حملك على ان سميته محمدا ولم تسمه باسم ابائه فقال اردت ان يحمده اهل السما
ويحمده الناس في الارض واخرج عنه ابن اسحاق مسندا ان امه امنة بنت وهب حدثت
انها اتيت حين حملت به صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة
فاذا وقع الى الارض فقولي ● اعيذه بالواحد ● من شر كل حاسد ● وكل بر عاهد ● وكل عبد
رائد ● يرود غير رابد ● وروي فانه عند الحميد الماجد ● حتى اراه قد اتى المشاهد ●
فاذا وضع فسميه محمدا فان اسمه في التوراة احمد يحمده اهل السماء والارض واسمه في
الفرقان محمد فسميته بذلك وقال ابو الربيع بن سالم في سيرته روي ان عبد المطلب
انما سماه محمدا لرؤيا راها كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السما
وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها
نور واهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود من صلبه يتبعه
اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السما والارض فلذا سماه محمدا مع ما حدثته به
امه انتهى فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد بفتح الحا وكسر الميم والبنا للفاعل اي
اجل الحامدين وافضل من حمد بالبنا للمجهول فقيل انه لف ونشر مرتب فالاول راجع
الى اسم احمد والثاني لمحمد والتفضيل استفيد من محمد لما فيه من التكثير وكونه لم
يسم به غيره فكان افضل من حمد واحمد مصدر يحتمل للحامدية والمحمودية وقال
تعين في محمد الثاني وجوز ابن القيم في احمد ان يكون بمعنى المفعول اي اكثر محمودية
والفرق بينه وبين محمد الزيادة الكيفية ومحمد لزيادة الكمية وهذا ابلغ في مدحه
صلى الله عليه وسلم ولو اريد الفاعل لقيل حماد بدل احمد واعترض عليه بانه
تخصيص من غير مخصص وبنا اسم التفضيل من المفعول شاذ كاشغل من ذات النحيين
وكون حماد ابلغ من احمد كما اقتضاه كلامه لا وجه له اقول هو لم يدع ما قاله
وانما ادعى جوازه وانه اولى لسلامته من التكرار والترادف الذي هو خلاف الاصل

عرضي

وترجيحه حماد على احمد ليس لابلغيته بل لانه اكثر واقيس واما كون التفضيل من المفعول شاذ فمسلم ولكنه سمع من العرب في قولهم العود احمد واثبته العلامة الزمخشري واول من قال العود احمد خداش بن حابس التميمي وقول المصنف واكثر الناس حمدا اي محمود به بدليل قوله فهو احمد المحمودين والاعتراض عليه بما ورد على ابن القيم ساقط لما سمعته انفا واحمد الحامدين هو وما بعده بيان لوجه التسمية بهما ويمتنع ارجاعه لكل منهما من غير لف ونشر قيل اسمه احمد قبل محمد في الشاهين فانه تعالى لما خلق نوره قبل كل مخلوق حمده بمحامد الحمد اياها لم يحمده بها غيره فكان احمد من دخل تحت كلمة كن في عالم الخلق والامر ولما ظهر للتعلق حمده على النشاتين استحق ان يسمى محمدا فلذا كان يوم القيامة كان احمد الخلق فسمي احمد فلما تمت شفاعته العظمى حمده الخلق فسمي محمدا وفيه من التكلف ما لا يخفى ويأتي فيه كلام للسهيلي ومعه لوا الحمد يوم القيامة من اللواء العلم الجيش وهو اكبر من الراية اي انه تحت امره او في قبضته وهذا يحتمل انه على حقيقته ليعلم انه صلى الله عليه وسلم نال هذه المرتبة بتفوقه على كل مخلوق في كونه حامدا ومحمودا او معنى لوا الحمد انه لوا يتبعه كل حامد ومحمود ويعلم ذلك بالهام الله او بنداء الملايكة معه او باعلان الحمد خلفه ونحوه واصحاب الحمد حينئذ من لهم الشفاعة وكملة الانبيا ويحتمل انه تمثيل لشهرته صلى الله عليه وسلم في اهل الموقف وعدم التاويل اسلم ليتم له كمال الحمد مبني للمفعول او الفاعل واختار البرهان الاول واتمام حمده له باشتهاره وتسليم كل احد له من غير تردد كما كان في الدنيا لبعض اهلها كما اشار اليه بقوله ويشتهر وفي نسخة ويتشهر في تلك العرصات بسكون الرا وتجوز فتحها وعرصة الدار ساحتها وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها بناء وجمعها عراص وعرصات وفي التهذيب سميت ساحة الدار عرصة لان الصبيان يعرصون فيها اي يلعبون ويمرحون والمراد هنا ارض الموقف والحمد بصيغة الحمد وهو الثنا على الجميل الاختياري على جهة التعظيم وقيل حقيقته اظهار الصفات الكمالية باللسان او بغيره وفيه كلام في شرح الزوراء للجلال الدواني ويبعثه ربه هناك اي في العرصات مقاما محمودا كما وعده بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ونصب مقاما على المفعولية بتضمين يبعث معنى يعطي وعلى الظرفية لمشابهته للمبهم او هو حال على ما فصل في الكشاف وشروحه ثم بين محموديته بقوله يحمده فيه الاولون والاخرون اي جميع الخلق لانهم تحت لوائه صلى الله عليه وسلم وهو مقام الشفاعة العظمى حين اعترف جميع الرسل بالعجز وقيل له اشفع تشفع بشفاعته صلى الله عليه وسلم لهم في فصل القضا كما تقدم ويفتح عليه فيه اي في ذلك المقام من المحامد جمع محمدة بمعنى حمد اي يلهمه الله محامد عظيمة يحمده بها ثمة واصل الفتح ضد الغلق فاستعير للاعطا والالهام وتيسير الامور كما استعير المغلق للصعب ومن بيان لمقدر اي امرا ونحوه او لما بعده ان قلنا بجوازه كما مر وقوله كما قال عليه الصلاة والسلام اشارة الى وروده في الحديث كما تقدم ما لم يعط غيره من الانبيا ويعطى مبني للمجهول وغيره بالرفع نايب الفاعل وسمي الله تعالى لعلمه من السياق او هو مجهول وهو الاولى امته في كتب انبيائه كالتوراة والانجيل كما ورد في الاحاديث بالحمادين

حوضي

موضعي

ايه الباعث

الى البالغين في الحمد وروى الدارمي عن كعب انه قال نجد مكتوبا في التوراة محمد رسول
الله مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون الخ حقيق ان يسمى محمدا
واحمد اي بان يسمى لانه يتعدى بالبا وقد يتعدى بنفسه كما في حقيق على ان لا اقول على
الله الا الحق لما فيه من معنى الوجوب كما في الحجة لابي علي وتفريعه على ما قبله لانه اذا
حمد بما لم يحمد غيره وحمده الاولون والاخرون وكثر حمد امته كان جديرا بذلك ثم في هذين
الاسمين محمد واحمد اي في تسمية الله له بهما قبل وجوده من عجايب خصايصه اي من العجايب
المختصة الله بها ولم يسبق احد لمثلها وبدايع اياته اي غريب علامته التي اخترعت
وتيسيرا البديع بالحسن فيه مسامحة فن اخر اي نوع اخر غير ما تقدم وهو ان الله جل
اسمه اي عظم في ذاته وفيه مناسبة وايما العظمة اسم نبيه صلى الله عليه وسلم اذ
قرنه باسمه وخصه به كما اختص باسمايه الحسنى حمى اي منع وصان عن ان يسمى بهما احد
قبل زمانه مع ذكرهما في الكتب القديمة والامم السالفة كما مر وبشر بنبي اسمه احمد
وانما صان اسمه ليعلم اذا سمي بهما انه النبي الموعود به وعد من الخصايص لانه بعد الاعلام
باسمه منع من التسمية به مع انها اعلام منقولة فلا يرد ان كثيرا من الاعلام المرتجلة للانبيا
وغيرهم لم يسبق تسمية غيرهم بها كادم وشيث ونوح ويحيى قال تعالى لم نجعل له
من قبل سميا اما اسمه احمد الذي اتى في الكتب الالهية السالفة وبشرت به الانبيا كعيسى
وموسى كما قال تعالى ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وقال شعيا الاول كما
نقل في السير ويملك بعدهم رجل عظيم نبي لا يرخص في الحرام يسمى احمد فياليت اني اعمر
بعد مخرجه بعام فمنع الله بحكمته اي بعجيب حكمته او منعا ملتبسا بعلمه وحكمته التي
استاثر بها او اظهرها لبعض خلص عباده ان يسمى به احد غيره ولا يدعى مبني للمجهول
او ان يدعى اي يسمى به مدعو قبله سمي قبله قال اكثر العلما ان هذا هو الصواب وما
نقل من ان الخضر عليه الصلاة والسلام اسمه احمد فقول مردود واه كما قاله ابن دحية واما
احمد بن عجيان بضم العين المعجمة وسكون الجيم ومثناة تحتية بزنة سفيان او بفتح
الجيم وتشديد اليا فلا اصل له وقيل تسمى في الجاهلية قبل الاسلام بزمان طويل
احمد بن ثمامة الطاي واحمد بن دومان البكيلي واحمد بن زيد بن خراش السكسكي
ومن القبايل بنو احمد في همدان وبنو احمد في بكيل وبنو احمد في طي ولم يكن قرشيا من
بعده من تسمى به صيانة له واما بعده فاول من تسمى به احمد بن عمرو بن تميم
الفرهودي او الفراهيدي ابو الخليل النحوي الزاهد وببركة هذا الاسم كان له من
العلم والتقوى ما لم يكن لغيره ثم بين حكم صيانته بقوله حتى لا يدخل على ضعيف
القلب لبس اي التباس واشتباه لعدم تمييزه وضعيف القلب من لا عقل له تام
وراي صايب ونظر يفرق بين الحق والباطل فيتردد في صدق مدعي النبوة لمجرد شي
سمي له فيجوز كونه احمد الموعود به في الكتب وضعف القلب كناية عن قلة العقل
الذي هو محله وقوته كناية عن ضده وان اشتهر في الجراة وعدمها او شك معطوف
على لبس ويجوز ان يراد به هنا ما يقابل الوهم والظن ومطلق التردد وعدم الجزم
ومن ظن تعينه هنا وتاييله بما لا يجدي ليس بشي وكذلك محمد اي مثل احمد في عدم
التسمية به قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وجعله مشبها به لانه لم يتم به اصلا

على الاصح ايضا مصدر آض بمعنى عاد ورجع ويرادفه في العرف التشبيه فهو تاكيد لقوله
كذلك لم يتسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع واشتهر قبيل وجوده صلى
الله عليه وسلم قبيل في النسخ مصغر كبعيد لتقليل زمانه وتقريبه وميلاده عطف
تفسير على وجوده اي ولادته او زمانها وقيل الميلاد وقت الولادة والمولد مكانها
وحملت به صلى الله عليه وسلم امه امنة نهارا او ولد ليلا في شعب ابي طالب عند
الجمرة الوسطى ووافق مولده يوم عشرين من نيسان سنة اثنين وثمانين وثمانماية
من التاريخ الاسكندري وقيل كان في الساعة العاشرة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع
الاول فكان كما قيل ربيع في ربيع في ربيع وقيل ولد في شعب بني هاشم بعد الفيل
بشهر او باربعين او خمسين او بتسعة وخمسين يوما وقيل غير ذلك وسياتي تفصيله
ان شا الله تعالى ان نبيا يبعث اي يرسل من بعث بمعنى اثار وقد قرب زمان بعثه
وسنه اذ بعث في الشير اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناهم بذلك الاسم رجا
ان يكون اي لاجل رجا ان يكون الولد المسمى به احدهم اي احد ابنايهم المسمى بمحمد
هو اي النبي الموعود ببعثته فهو اسم يكون واحدهم منصوب خبر مقدم او مرفوع
اسمها وهو خبرها استعير فيه ضمير الرفع لضمير النصب والاصل اياه والاول اولى
والله اعلم حيث يجعل رسالاته اقتباس لبيان انه لم يفدهم ذلك اذ ليس كل محمد
رسولا ولا كل فاطمة بتولا والاية رادة لهم كما تبطل قول من زعم من الحكما ان
النبوة والرسالة تكتسب بالمجاهدة وتصفية الباطن فانها موهبة الهية وان
اختصت بمن جد في العبادة والتصفية حتى صار احسن الناس خلقا وخلقا الى غير
ذلك مما يستعد به لتلقي وحيه ومشاهدة ملايكته وحيث ظرف متصرف هو هنا
مفعول به لفعل مقدر اي يعلم لان افعل لا ينصب المفعول وان صح تعلق الجار
والظرف به وليس هو هنا ظرفا لان علمه تعالى لا يوصف بانه في مكان او زمان
لقدمه وتفصيله في كتب العربية ويجوز افراد رسالته كما قرى به هنا وانما سموا
ابناهم به لما بلغهم من الاحبار والكهان وروي في المبشرات وبشر والقرب
زمانه فكانوا ينتظرونه انتظار المحب لحبيب له سيقدم وهم اي المسمون
باسمه قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم رجا لكونه المبشر به محمد بن احيحة
ابن الجلاح الاوسي وقال البلاذري انه محمد بن عقبة بن احيحة وتردد
فيه ابن حجر في الاصابة واحيحة بضم الهمزة وحا مهملة مفتوحة فتحتية
مثناة تحتية ساكنة ثم حا مهملة مفتوحة وها والجلاح بضم الجيم
وفتح اللام المخففة ثم الف وحا مهملة مفتوحة والاوسي نسبة للاوس
قبيلة الانصار ومحمد بن مسلمة الانصاري بن خالد بن عدي بن مجدعة بن
حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس الانصاري ووصف
هذا بالانصاري دون محمد بن احيحة وهو من قبيلة الانصار لانه لم يسلم
وانما يقال انصاري لمن اسلم منهم ولذا قال الذهبي من عد محمد بن احيحة
من الصحابة فقد وهم لانه لم يدرك الاسلام وانما هذا ابو عبد الرحمن
المدني حليف بني عبد الاشهل المولود قبل البعثة باثنين وعشرين سنة

وهو

وهو ممن سمي محمدا اي الجاهلية كما في الاصابة عن الواقدي من غير تردد فيه وهو صحابي شهد
بدرا وكان عمر رضي الله عنه يعده لكشف المعضلات في خلافته ومات بالمدينة سنة ثلاث واربعين
وقيل غير ذلك وهو من قدماء الصحابة وقول بعض الشراح ان ذكر المص لمحمد بن مسلمة ليس
في محله لانه بصدد ذكر من سمي محمدا قبل مولده وهو ولد بعد مولده بنحو عشرين سنة
لا وجه له لما سمعته من خلافه مما هو مصحح في التبيين نقلا عن الواقدي وما قاله قول
مرجوح وان قاله مغلطاي في سيرته ومحمد بن برا البكري نسبة لبكر قبيلة مشهورة
وبرا الموحدة تحتية مفتوحة وراء مهملة تليها ممدودة وهو ابن طريف بن عتوارة بن عامر
ابن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة واسم ابيه برا ابيه مصححا كذا في حواشي الحلبي
وفي غيره بدا بفتح الموحدة وتشديد الدال المهملة قيل وقد تخفف وقال البرهان
الحلبي ان محمد بن احيحة ومحمد بن مسلمة ومحمد بن برا لم يدركوا الاسلام بل هلكوا في الجاهلية
نعم هو ممن اسلم امر عجيب فلا يليق بالمص وان كانوا ممن سمي محمدا قبل البعثة وكذا
محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي فانه لم يدرك الاسلام وقد خطا ابو نعيم في عده في الصحابة
ومحمد بن حمران الجعفي بضم الجيم نسبة للجعفة قرية معروفة وحمران بضم الحاء المهملة
وسكون الميم وراء مهملة ثم الف ونون وفي بعض نسخ التبيين عمران بدله وهذا ايضا لم
يدرك الاسلام كما قاله البرهان ومحمد بن خزاعي السلمي بضم السين المهملة وفتح اللام
وميم وياء نسبة لقبيلة وخزاعي بضم الخاء المعجمة وزاي معجمتين والغين غين
مهملة نسبة لخزاعة وهو من بني ذكوان واسم ابيه علقمة وهو لم يدرك الاسلام
ايضا كما قاله البرهان الا ان هذا لا يعترض به على المص لانه انما عد من سمي محمدا قبل
الاسلام اسلم ام لا وهم ستة لا سابع لهم وهذا على ما اختاره المص ومنهم من نقص
عددهم كالسهيلي فانه لم يزدهم على ثلاثة ومنهم من زاد حتى بلغ العشرين كما
قاله ابن حجر مع تكرار في بعضهم وتردد في بعض وسيأتي لهم سابع وقد علمت ما
تعقب به في محمد بن مسلمة وفي نسخة لمحمد محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي السابق ذكره
واليمن اي اهله ففيه مجاز من اطلاق اسم المحل على الحال فيه تعقود وفي نسخة يقولون لم
يسم به او لا هكذا ابد الذي يسمى او لا محمد بن اليحمد بن الازد وفي نسخة الازدي نسبة
الى الازد من اليمن ابو هم ازد ذي الغوث ويقال اسد بالسين ايضا ومن نسله الانصار
كلهم وازد شنوءة وعمان والسراة وفي نسخة بعد ما ذكر ومحمد بن سوادة واليحمد
قال البرهان انه في النسخ بفتح الياء وسكون الحاء وضم الميم وقال ابن ماكولا انه بضم الياء
وسكون الحاء المهملة وكسر الميم واصحاب الحديث يضمون الميم وفي شرح مسلم للنووي
انه بفتح الياء وسكون الحاء وكسر الميم وكذا في تقييد المهمل للغساني وهو علم منقول
من المضارع وال مقارنة لنقله لا داخلة بعد العلمية فانه شاذ قبلها كقوله
ما انت بالحكم الترضى حكومته فكيف به بعدها وقال ان هذا ليس من السنة فيكون
سابعا وهو ينافي قوله هنا لا سابع لهم وفي سيرة مغلطاي زيادة محمد بن عدي
ابن ربيعة المنقري ومحمد بن عثمان السعدي قال والمتهمما واحدا ومحمد الاسيدي
ومحمد بن عتوارة الليثي ومحمد بن حرمان العمري ومحمد بن خولة الثمالي ومحمد بن يزيد
ابن ربيعة ومحمد بن بر رواية بن مالك فزاد تسعة او ثمانية وتوقف المص في احدهم

نعيم

وغيره

بة

وتقدم ان اول من تسمى بهذا اي باسم محمد قبله
على ما نقله مغلطاي عن

وقد قيل في بعض هؤلاء انه ادرك الاسلام وكلام المصنف لا ينافي هذا الا في قوله الانصاري كما تقدم والامر فيه سهل اذ لا مانع من اطلاقه على من لم يسلم لقرابته منهم تسميا انو حمى الله اي صان ومنع بعز قدرته الحمية كل من تسمى به اي بمحمد قبله صلى الله عليه وسلم ان يدعي النبوة تقديره من ان يدعي ادعا اتيا بنفسه بان يقول انا نبي او يدعيها احد له بان يقول هو نبي او يظهر عليه بفتح اليا التحتية وضمها مبني للفاعل وتجوز بناؤه للمجهول والاول الظاهر وضمير عليه لمن سبب يشكك احدا في امر اي شي في ذاته يكون سببا موقعا للناس في شك في انه هو النبي الموعود كنجابته وصفاته الباهرة كما وقع له صلى الله عليه وسلم من الارهاصات والاخلاق الباهرة او يجري على يديه ما يشككهم من سحر ومخرقة والعطف باو بعد حمى الذي هو في معنى النفي والنهي يفيد العموم كقوله ولا تطع منهم اثما او كفورا ولو عطف بالواو اوهم ان المحمي عنه المجموع وان وقع لبعض منها حتى تحققت اي ظهرت وثبتت في الخارج السمتان اي السمتان اللتان هما المحمد نبيه الاحمدية اللتان هما علمان لموافقة اسمه لمسماه وفي بعض النسخ السميتان بيا بعد السين وهو خطا كما قال التلمساني وظهيان من القلم له صلى الله عليه وسلم متعلق بالفعل او بالسناد وهو تسميته بما هو دال على انه المبشر بمجيه الكتب السالفة والامم الماضية فادعى الرسالة وشهدت له الايات بصدق دعواه ولم ينازع فيهما بنعم الزاي المعجمة والبا للمجهول اي لم ينازعه احد في السمتين واما قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وانا الماحي الذي يمحو الله به الكفر فبان لمعناه المراد ولذا الحق بقوله بعده فغسر في الحديث بالقا التفسير به وفسر مبني للمجهول اي فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقرينة قوله في الحديث وهو صفة له وقيل علم منقول منها اول للمح الوصفية ولما ترى هنا سوالان احدهما انه تقدم فلا حاجة لاعادته كما قيل وان المحو معناه الازالة بالكلية والكفر موجود في كثير من الناس والبلدان اشار الى دفعهما بقوله ويكون محو الكفر اما من مكة بعد الفتح اذا ظهره الله عليهم ولم يبق بها منه عين ولا اثر وبلاد العرب الظاهر انه وجه اخر والمراد بها جزيرة العرب وساحة الاسلام فانه لم يبق منه الا ما تلاشى واضمحل حتى صار كالعدم وقد كانت مملوة بالشرك فاستاصله الله على يد خيرته من خلقه وكذلك قوله ومازوي له من الارض اشارة لما ورد في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها واصل الزوي بالزا المعجمة الجمع ومنه انزوى الجلد بالنار اي انه تعالى جمع له جميع الارض بيد قدرته وطواها في قبضة قدرته حتى نظرها كلها وبشره بان امته تملكها كلها حقيقة لعهد نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام او قبله ان قلنا ان ما ملكوه منها اعظمها واشرفها وهو الذي ارتضاه المصنف لقربه ووعد اي الله او النبي صلى الله عليه وسلم لما ورد في الحديث انه يبلغه اي يصل اليه وعوده ملك امته بضم الميم ويجوز كسرها اي يملكها ويسلطها على الوجه السالف وقد ورد انه زوي له جانبا من الارض واخبره بانه يبلغه ملك امته ويمحو ما فيه من الكفر لا انه يمحو لا يحيى

ابن القيرسي

بعيد

يسير ما بقي منه كالعدم ولما كان محو الكفر بامره وشرعه وبركته تسبب المحو له صلى الله
عليه وسلم فكانه الماحي حقيقة وقد قيل انه كله جواب واحد وقوله او يكون المحو
عاما شاملا لجميع الارض وليس المراد بها ارضا مخصوصة بمعنى الظهور والغلبة كما
قال تعالى ليظهره على الدين كله جواب ثان فيبقى على عمومه ولا يخص بما مر فالمراد بالمحو
علو الدين وغلبته لغيره من الاديان بنسخها وبيان ما غير وبدل منها وعلو اهله على جميع
من عاداهم بتسلطهم عليهم وقهرهم وايقاع الرعب في قلوبهم كما هو مشاهد قال الله
عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ونوضحه ان المحو لغة
اذهاب الاثر وهو قد يكون مع بقاء العين وان ما لا اثر له كالعدم ولذا عبر بالماحي دون
المزيل وما قيل من ان هذا جعله المص وجها واحدا او حمل المحو على ازالة يدهم عن تلك
الاراضي وجعل بعض اهل الارض كالعبيد بضرب الجزية عليهم وجعلهم بازاء التصرف
كالموتى وجعل محو اثار غيرهم كمحو ذواتهم ونسخ اديانهم وكتبهم التي هي بمنزلة ارواحهم
وابطال شوكتهم وقهرهم كازالة ذواتهم ونحوها من عجايب الوجود وفيه مجاز باعتبار
وجوه مختلفة وقد ورد تفسيره اي الماحي بغير ما مر في الحديث والتفسير المذكور انه
الذي يحيت به سيات من اتبعه بما انعم به الله على امته من المكفرات وبما قبل من شفاعته
لهم في الدنيا والاخرة والعفو كالمغفرة موافق للمحو لغة ومعنى وهذا مروي عن المص
وقد سقط من بعض النسخ فاسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم مجاز اذ هو سبب
والماحي والغافر حقيقة هو الله تعالى وهذا من خصايص امته وقد فسر قوله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر بيغفر لامتك كما مر وقد روي هذا
التفسير الذي ذكره المص للماحي الحاكم في مستدركه وابو نعيم والبيهقي وقال ابن دحية
الحديث مسند صحيح الاسناد وقال السيوطي انه متصل ولفظه واما ماحي فان الله
يمحو به سيات من تبعه وقال ابن حجر في شرح الشمايل معناه ان من امن به صلى الله عليه
وسلم محي ذنب كفره وما عمله فيه قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد
سلف وفي الحديث الاسلام يجب ما قبله او يهدم ما قبله وخص هذا نبينا صلى الله عليه وسلم
لانه لم يمح احد الكفر كما محاه اذ جا على فترة وقد عم الكفر وعبد الحجر فبلغ مسير النير
والمراد بكونه من خصايصه ان الله لطف بامته بكثرة المكفرات كثرة لم تكن قبله فهو
مطلق مخصوص لوقوع خلافه في الايات والاثار كقول نوح عليه الصلاة والسلام
لامته استغفروا ربكم انه كان غفارا وقوله في هذا الحديث وانا الحاشر فسره صلى الله
عليه وسلم بقوله بعده الذي يحشر الناس جميعهم مؤمنهم وكافرهم لدخولهم كلهم
في شفاعته العظمى لتخليصهم من هول الموقف والحشر وتعجيل الحساب لانه
صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين على قدمي بالتخفيف والتشديد كما مر وفي
رواية على عقبي ولما كان ظاهره انه يسوق الناس للمحشر وليس بمراد فسره بقوله
اي على زماني وعهدي وهما بمعنى لانه يقال هذا كان على عهد الخلفا في عصرهم
ثم قال اي ليس بعدي نبي كما قال وخاتم النبيين فهو اما بتقدير مضاف اي على
اثر قدمي من غير فاصل او القدم سوا كان مفردا او مثنى بما يتبعه الناس فيه وهو
الشريعة وقال الكرماني معناه على اثري كما جا على عقبي او على زماني ووقت

فيأتي على القدم لظهور علامات الحشر فيه اذ لا نبي بعده ويحتمل انه يريد اول محشور لانه
اول من تنشق عنه الارض كما تقدم والقدم معروفة وهي مؤنثة لتصغيرها على قديمة
ويجوز بها عن معان اخر كما في الاساس فيقال جعله تحت قدمه اذ اعفا عنه وله قدم
في كذا اي تقدم فيحتمل انه ذكر لتقدمه فيه وكونه السبب فيه ثم انهم يحبسون
في المحشر حتى يشفع لهم فهو حاشر في هذا الحشر الثاني الى مقرهم من جنة او نار
فيتبعه صلى الله عليه وسلم جميع الخلايق فهو على هذا حاشر حقيقة وهذا هو
المراد من رواية من روى قدمي بالتشديد مثني وقول الكرماني ويحتمل الخ سبقه
اليه الخطابي وان كان ظاهره انه من بنات افكاره وارتضاه ابن دحية وما ذكره المص
وان سبق اليه فيه خفا الا ان يريد ان القدم مجاز عن الاثر كناية او مجازا الا انه
يتكرر مع قوله العاقب وقال السيوطي ان الله وصف نفسه بالحشر في قوله ويوم
نحشرهم فيكون هذا من اسمائه التي سماه بها فان سلم ما قاله كان ما قبله كذلك
وحشر الناس في وقت نبوته لتقاربهما لانها لا تنسخ وليس بعدها شرع اخر فلا
يرد عليه ان الساعة تقوم وليس على وجه الارض من يقول الله وتقدم ان كونه
خاتم النبيين اي اخرهم او من ختموا به على قراءة الفتح لا ينافيه نزول عيسى عليه
الصلاة والسلام بعده لانه ينزل تابعا له صلى الله عليه وسلم عاملا بشرعه
ولذا يدفن عنده لانه اخر خلفائه وقيل المراد انه صلى الله عليه وسلم اخر
من بعث وعيسى نبي قبله وان مات بعده كالخضر والياس على قول وقيل سمي حاشرا
لانه حشر بني النضير من حصونهم واخرجهم من ارضهم وهو ضعيف رواية ودراية وسمي
عاقبا لانه عقب غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام اي خلفهم في الخير ومنه
عقب الرجل لولده وفسر بمن لا نبي بعده فان العاقب الاخر وقد فسر في حديث مروي
عن ابن جبير مرفوعا صح واحسن وفي الصحيح وانا العاقب الذي ليس بعده نبي وقيل
العاقب عند العرب من يكون خلف سيد القوم فمعناه خليفة الله لانه احق بخلافته
من جميع الرسل ومن الغريب ما قيل انه اسمه عند اهل النار من امته لان الله يبنيهم
اسمه محمدا فاذا ذكروه ارتفع عنهم العذاب وهو ضعيف وقيل معنى على قدمي انه
يحشر الناس بمشاهدتي اي بمرأى ومعي بمرادي مني لسبقي للناس في القيام من القبر
كما قال تعالى لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وهذا بنا على
انه من الشهادة بمعنى المشاهدة والمعاينة والجمهور على ان الشهادة الحقيقية كما
ورد في الصحيحين من ان امته تشهد للرسل بالتبليغ وهو صلى الله عليه وسلم
يشهد لامته بالصدق وهو معنى جعلهم امة وسطا اي عدولا وخيارا كما مر
بيانه وقيل معنى على قدمي على سابقتي قال الله تعالى لهم قدم صدق عند ربهم
وقيل معنى على قدمي اي قدامي وحولي اي يجتمعون الي في القيامة وقيل معنى
قدمي سنتي واخر المص هذا وهو متعلق بما قبله من معنى الحاشر اشارة الى
انهما بمعنى ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما جواب عن سؤال
مقدر تقديره ان له صلى الله عليه وسلم اسما كثيرة فجعلها خمسة او عشرة
ان قلنا بمفهوم العدد مخالف للواقع والا فهو زيادة بغير فائدة قيل انها موجودة

في

عرض

الكتب المتقدمة المنزلة على الانبيا عليهم الصلاة والسلام كالتوراة والانجيل وعند اولي
العلم من الامم السالفة اي السابقة فتخصيصها بالذكر لهذه الفائدة ومزيته لما سياتي
من انه صلى الله عليه وسلم له اسما اخر في الكتب القديمة ايضا وكون العدد لا مفهوم له
لا يدفع السؤال كما توهم وكونه صلى الله عليه وسلم لم يقع على هذه الزيادة حين ذكر
بعيد والله اعلم بوجه التخصيص فيما ذكر وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام في
حديث رواه ابو نعيم في الدلايل وابن مردويه في تفسيره من طريق يحيى اليمني وهو
وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابي الطفيل لي عشرة اسما وقد تقدم انه
لا معارضة بينه وبين غيره من الاحاديث وذكر منها طه ويس كما حكاه مكي تقدمت
ترجمته وقد تقدم هذا وانما اعادة ليتبعه بتفسيره الذي ذكره وقال ابو بكر بن العربي
في احكام القران اختلف الناس في معناه على اربعة اقوال الاول انه اسم من اسما الله تعالى قاله
الامام مالك وروي عنه اشهب قال سالته هل ينبغي لاحد ان يسمى بيسين قال ما
اراه ينبغي لقوله تعالى يس والقران الحكيم اي هذا اسمي يس الثاني قال ابن عباس يس
يا انسان بالحبشية ويا طه ويا رجل وروي عنه انه اسم الله كما قال مالك الثالث انه
اسم النبي صلى الله عليه وسلم قيل له يس اي يا سيد كما ياتي الرابع انه من فواتح
السور وروي عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سماني الله في
القران بسبعة اسما محمد واحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وهذا حديث
لم يصح وروى اشهب عن مالك لا ينبغي احد بيسين لانه اسم الله وهو كلام بديع وذلك
ان العبد يجوز له ان يسمي باسم الرب اذا كان فيه معنى منه كعالم وقادر وانما منع مالك
من التسمية بهذا الاسم لانه من الاسما التي لا يدري ما معناها فربما كان ذلك معنى ينفرد
به الرب فلا ينبغي ان يقدم عليه من لا يعرف لما فيه من الخطر فاقتضى النظر المنع منه فان قيل
فقد قال الله تعالى سلام على ال ياسين قلنا ذلك مكتوب بهجايه فتجوز التسمية به
وهذا اليس بمتهجى وهو الذي تكلم مالك عليه لما فيه من الاشكال انتهى وهو كلام
نفيس الا ان فيه بحثا لان تجويزه للتسمية بيس من وجه ومنعه من اخر وانه عند التلفظ
لا يعرف منه التهجي وعدمه اللهم الا ان يقال مراده المنع في غير ما ورد في القران فتدبر
وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي على انه اسم النبي صلى الله عليه وسلم
كما رواه السيوطي عن ابي الطفيل وتقدم انه قيل انه من اسما الله وما ذكره السيوطي
مروي عن الواسطي واراد به ان كل حرف منه بعض من اسم فالطا من طاهر من كل عيب
وذنب والها من هاد الى كل خير فهو اسم مركب من اسمي حرفين كما في الكرو في البخاري
عن سعيد بن جبير معناه يا رجل بلغة عك وقيل معناه اطمئن وقيل معناه طا
الارض والها ضمير الارض وقيل يا رجل بالسريانية فعرب وقيل هو بالنبطية وهي
لغة اهل سواد العراق وقيل معناه بلغة عك يا حبيبي وقيل طوبى لمن هدي
وقيل في بعض تفاسير يس انه يا سيد حكاه السلمي بضم السين وفتح اللام وهو ابو عبد
الرحمن كما تقدم في ترجمته عن الواسطي نسبة الى واسط بلدة معروفة وقد تقدمت
ترجمته وجعفر بن محمد هو جعفر الصادق الامام المشهور كما تقدم وهذا مروي في اسمائه
عن ابي الطفيل ورواه البيهقي في دلايله مسندا وقال السهيلي لو كان من اسمايه لقيل

ياسين بالضم وقال ابن دحية هذا غير لازم مع انه روي عن الكلبي انه قرأه بالضم ايضا
وقيل معناه يا انسان بلغة طي واصله يا انيسين فاقتصر على بعض منه وقد بسطنا الكلام
في حواشي البيضاوي وكذا فيما مر في اوايل الكتاب وقيل معناه يا رجل وقيل يا سيد البشر وذكر
غيره اي غير الواسطي انه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عشرة اسما فذكر الخمسة
التي في الحديث الاول الذي سمعته انفا وزاد عليها وانا رسول الرحمة لقوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين لانقاذهم من العذاب في الدنيا والاخرة فمن انفعه نجا في الدنيا من القتل
او من ذلة الكفر والجزية وفي الاخرة من العذاب المخلد والخزي المؤبد واراحهم من التعب
فيها فلذا سمي بذلك كما قال ورسول الراحة لانه صلى الله عليه وسلم راحة للمؤمنين
في الدنيا لما رفع عنهم مما كان في الامم السالفة من الاصر والميثاق بما في شريعته من
الرخص والتخفيفات وفي الاخرة راحتهم العظمى لامنهم وازالة تعبهم ورفع التكليف
عنهم وراحة للكافرين بترك قتلهم وسبي ذراريهم اذا قبلوا الجزية فنزلوا في حرم
الايمان امنين وامنت امته من عموم الخسف والمسخ وستر عليهم معاصيهم وكان من
قبلهم اذا عصى اصبح وقد كتب على باب داره فلان فعل الليلة كذا وكذا وتسميته صلى
الله عليه وسلم نبي الرحمة رواه ابن ماجه والحاكم مسندا عن ابي هريرة وصححوه
وورد في بعض طرقه نبي الراحة وما سبق انسب بالاية ورسول الملاحم جمع ملحمة
وهي الحرب والقتال سميت بذلك لالتحام الابطال فيها اي ازدحامهم فيها لانه صلى الله
عليه وسلم ارسل بالسيف وامر بالجهاد ولم يقع لنبي ولا امته من الجهاد والقتال
ما وقع له صلى الله عليه وسلم ولامته ولا يزالون كذلك حتى يقاتلوا الدجال وينزل
عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وهذا لا ينافي كونه صلى الله عليه وسلم رحمة
لانه رحمة حقيقة اذ ذاك للغنيمة المسلمين وهداية بعض الكافرين الى الاسلام وامن
دار الاسلام وغير ذلك مما لا يحصى والجواب بانه صلى الله عليه وسلم رحمة لاوليائه
حرب لاعدائه مع ما فيه لا يناسب للعالمين وانا المقفي فنبي النبيين كلاهما بتشديد
القاف كما قال تعالى ثم قفينا على اثارهم وهو اما بمعنى التابع الذي جاء على اثرهم
لان معنى قفا تبع ومنه القافية وفيه من الفضل انه صلى الله عليه وسلم وقف على احوالهم
وشرايعهم فاختار له الله من كل شيء احسنه وكان في قصصهم له ولامته عبر وفوايد او
المراد انه خاتمهم واخرهم ووقع في بعض النسخ المقفي بزيادة الفاء العوفيه واقتصر
عليه بعض الشراح ونقله عن الطيبي قال ان المقفي ذكره غير الطيبي ولم يرد به
نص صريح وفيه نظر وانا قيم بالقاف ومثناة تحتية بزنة سيد وفسره المص بقوله
والقيم الجامع الكامل اي الجامع لمكارم الاخلاق النفسية الكامل فيها او الجامع لشمل
الناس بتاليفه بينهم وجمع شتاتهم لان القيم يكون بمعنى السيد لقيامه بامر الناس وامر
الدين كما قال ابن الاشرم لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه الامدي بدلته
دنيا بعد دين قد ندم * وكنت في الدين كاني في ظلم
با قيم الدين المنا المستقيم كما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال اتاني ملك
فقال انت قيم وخلقك قيم اي مستقيم حسن وفي النهاية القيم القايم باموره الخلق
ومدبر العالم في جميع اموره وهو مرادف للقيوم الذي هو من اسمايه تعالى ولا بعد

وقال م

دبجي

ابن اقبرس

ان

ان يسمى النبي صلى الله عليه وسلم بشيء من اسماء الله بمعنى يليق كالقيم اذا كان بمعنى القيوم
لما يسمى بغير ذلك من اسمائه والقيم ايضا من اسمائه كما ورد في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم
انت قيم السموات والارض ومن فيهن وقال ابن دحية هو بمعنى القائم كما نقله السيوطي في الرياض
الانيقة كذا وجدته اي تسميته صلى الله عليه وسلم بالقيم في كتب الحديث ولم ار ذلك في طريق
من الطرق المعتبرة عند المحدثين الا اني وجدته فيما رواه غيره وهذا عند المحدثين يسمى
الوجادة ولا شرط عندهم وهو مما يستانس به وهذا رواه الديلمي في مسند الفردوس
وفي النهاية الاثيرية ايضا كما مر واري ان صوابه بحسب الرواية قثم بالثاء المثلثة المفتوحة
المخففة وضم القاف فراى انه تصحف عليهم وهو معدول عن قاثم بمعنى الحرف كما ذكره
ابن فارس وغيره ورواه ابن اسحاق في حديث عزيب هو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاني ملك فقال انت قثم وخلقك قثم ونفسك مطمئنة قال ابن دحية في اشتقاقه
وجهان احدهما من القثم وهو الاعطا يقال قثم له من العطا اذا اعطاه فسمي صلى الله
عليه وسلم بذلك لجوده وعطائه والثاني من القثم وهو الجمع يقال للرجل الجامع للخير قثوم
وقثم وقد كان صلى الله عليه وسلم جامعا للفضائل وجميع الخير والمناقب وقد علمت
ما فيه كما ذكرناه بعد بالبناء للمفعول اي فيما سيأتي عن الحربي قال البرهان لعله ابو اسحق
الحربي واسحاق بن الحسين الحربي والثاني ثقة حجة سمع من هوذة وحسين بن محمد وغيرهما
ووثقه الدارقطني وصحح عليه في الميزان وذكر الذهبي انه مبهم وهو اشبه بالتفسير
يعني انه افرد شبيها بتفسيره المأثور بالجامع وفيه نظر لان قثم بالمثلثة بمعنى
مجمع ايضا كما تقدم وياتي ايضا وقد كان عبد الله ابو النبي صلى الله عليه وسلم يكنى
بابي محمد وابي قثم وقالوا انه الجامع للخير او لشمل امته ويأتي ان هذا الاسم معروف في
جماعة من اهل البيت فمنهم قثم شقيق الحارث عم النبي صلى الله عليه وسلم وابن عبد
الملك وبه سميت محلة بسمرقند دفن فيها وبها مدرسة قثم ايضا وقثم بن عبد الله بن
العباس ثم عاد المصنف الى ذكر القيم بالتحتية واشار الى ما يصححه فقال ووقع ايضا
في كتب الانبيا المنزلة من السما كصحف ابراهيم وداود قال داود عليه الصلاة والسلام
اللهم اي يا الله والحقوا الميم في اخر هذا الاسم ايذانا بجميع اسمائه وصفاته فالسائل
اذا قال اللهم فكانه قال ادعوه باسمائه وصفاته فاتى بالميم المؤذنة بالجمع في اخره
ايذانا بسؤاله باسمائه كلها ولذا قال الحطابي اللهم فيها تسعة وتسعون اسما
من اسمائه وقال النضر من قال اللهم فقد دعا الله بجميع اسمائه ووجه هذا ان الميم
بمنزلة واو الجمع فالهاء من مخرجها فكان الداعي بها يقول يا الله الذي اجتمعت له الاسما
الحسنى والصفات العلى وشددت لتكون عوضا عن الواو والنون في نحو مسلمون ابعث
لنا محمدا بقيم السنة اي الطريقة الشرعية والدين بعد الفترة اي انقطاع الوحي
والرسل ومبين لنا للناس فقد يكون القيم مضافا اي بمعنى المقيم للسنة المأخوذ
مما ذكر لانه نبادنه عليه فيكون اذا سلم انه باسم للنبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى
لكن قالوا انه اسمه في الزبور كما يشير اليه كلام المصنف وفي التوراة كما نقله السيوطي
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله والسنة سنة
الرسل وهي الشريعة والتوحيد والفترة ما بين كل رسولين من الزمان وهو المراد

صح

وقد تختص بما بين عيسى ونبينا صلى الله عليهما وسلم واصل معناها الضعف وتسمية ترك
العبادة فترة منه فليس بغير اصليا كما توهم فان كان ضميرا لما له والعموم فجملة البعث
الدعائية لتمني ان يبعث في زمنه وقيل ضمير بمعناه لغة بالمثلثة وفي كتاب فضل
الصلاة على النبي لابن الفيران اللهم لا تستعمل الا في الطلب نحو اللهم اغفر لي قلت
وهذا ينافي قوله بعد هذا انه يسوغ استعماله في موضع لا يكون بعده دعا نحو
اللهم لك الحمد واليك المشتكى فتامله وروى النقاش تقدمت ترجمته عنه عليه
الصلاة والسلام انه قال لي في القران سبعة اسما تقدم المراد بالاسما والقها تسمل
الصفات غير الاعلام ثم ذكرها فقال محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد
الله تقدم الكلام على بعضها وسيأتي في تتمته ومحالها من القران معلومة في اوايل
السور وغيرها كقوله وانه لما قام عبد الله يدعوه واقتصر على هذه لشهرتها
والا فقد ورد فيه غيرها كالرسول والنبي والخاتم والروف الرحيم والصاحب
ومفهوم العدد غير معتبر وقيل انه كان قبل وصف الله له بحمده او المراد ما يختص
به كما يشعر به تقديم الخبر والجواب بان روف ورحيم صفتان لا اسمان لتعلق
الجار بهما كما في قوله بالمومنين روف رحيم ثم استفيد كونهما اسمين بعد الوارد
غير مسلم لما مر وقوله في القران يشير الى ان له اسما اخر ليست فيه وفي الصحيح
في فترة الوحي بينا انا امشي اذ سمعت صوتا من السما فرفعت بصري فاذا الملك الذي
جاني بحرا علي كرسي بين السما والارض فرعبت منه ورجعت فقلت زملوني
زملوني وفي رواية دثروني فانزل الله يا ايها المدثر قم فانذر فالمدثر والمزمل
اسمان من الحالة التي كان عليها حين النزول والمدثر المتلفف في الدثار وهو
الثياب والمزمل بمعناه واصله المتدثر والمتزمل فقلب وادغم كما هو معلوم
من علم التصريف وقال ابن الوردي انما نزل يا ايها المدثر عقب قوله زملوني لان هذا
التزمل اريد به الدثار من برد يعتري المروع كالمحموم كما كان يعتريه صلى الله
عليه وسلم عند نزول الوحي عليه فخاطبه بما طلب من تزمله اي يا ايها المتزمل
المتدثر دع الدثار وجد في الانذار تانيسا له من الروع وتنشيطا له على فعل
ما امر به كما تقول لمن ارسلته لامر فتخوف وتثبط عنه يا ايها المتخوف امض لامرك
وقال السهيلي فيه ملاطفة لانه ورد انا النذير العريان فوصفه بالانذار مع
الدثار تمليح بالطباق وهو نوع بديع وكان تدثره صلى الله عليه وسلم لقطيفة
في بيت خديجة وذكر عايشة بدل خديجة خطا لانه كان بمكة وعايشة انما كانت معه
بالمدينة وقيل معناه المتدثر بالقران وقيل معنى المزمل الحامل لاعبا الرسالة
من الزاملة فهو استعارة تصريحية وقال السهيلي ليس المزمل من اسمايه صلى
الله عليه وسلم وانما هو مشتق من حالة المتلبس بها حال الخطاب والعرب تفعله
ملاطفة ومعاتبة كقوله صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه وقد نام على
الارض قم يا ابا تراب ملاطفة كما كان بينه وبين فاطمة رضي الله عنهما من المعاتبة
وما روي عن عايشة رضي الله عنها انه كان بمنزلها مزملا بمرط طوله اربعة عشر
ذراعا نصفه عليها وهي نايمة لا اصل له فان نزول يا ايها المزمل بمكة وتحوله صلى

الله عليه وسلم

الله عليه وسلم علي عايشة انما كان بالمدينة وقد علمت ان عبد الله سماه الله به في آيات والعبودية
اشرف صفاته صلي الله عليه وسلم واصل معناها الخضوع والتذلل وان العبد هو الانسان
رقيقا ام لا وقال المشايخ العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوفيق والنظر لما صدر
منه بعين التقصير وفي بعض النسخ وفي حديث عن جبير بن مطعم في اسماه صلي الله عليه
وسلم ست محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحي وقد علمت معانيها وفي حديث ابي
موسي الاشعري رضي الله عنه انه صلي الله عليه وسلم كان يسمي لنا نفسه اسما فيقول انا
محمد واحمد والمقفي وفي رواية كما تقدم المقتفي والحاشر ونبي التوبة هذا الحديث اسنده
النووي في الرياض الانيقة وقدمت تفسير هذه الاسماء غير الاخير ومعناه ان توبة امته
مقبولة من غير حرج عليهم حتي تطلع الشمس من مغربها او يغرغر وكانت الامم السالفة
منهم من لا تقبل توبته اصلا ومنهم من تقبل توبته بشرط امور شاقة كما لم تقبل توبة
بني اسرائيل من عبادة العجل الا بقتل انفسهم وهذه الامة تقبل منهم مطلقا وان تكررت
مع تكرار الذنب وبه فسر قوله تعالي ان الله يحب التوابين بشرط الندم والعزم علي عدم العود
ورد حقوق العباد او استحلالهم ونحوه كما فصلوه في محله فهو لا ينافي قبول توبة غير هذه
الامة في الجملة ونبي الملحمة تقدم تفسيره ونبي المرحمة والرحمة وكل صحيح ان شاء الله رواية
ودراية كما تقدم ايضا ومعني المقفي هو معني العاقب كما مر مفصلا والاولي تفسير كلا
منهما بمعني هربا من التكرار فمعني المقفي التابع لهدي النبيين وسننهم والعاقب الخاتم
لباب النبوة والرسالة واليه اشار بقوله وقيل معني المقفي المتبع لهدي النبيين واما
نبي الرحمة والتوبة فاتي جوابا ما وقيل معني نبي التوبة انه كثير التوبة والاستغفار
لنفسه لقوله صلي الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة والرحمة
والراحة لان من رحمه الله فقد اراحه من العقاب واذا اعلمه بذلك اراحه من القلق
والعجز فقد قال تعالي وما ارسلناك الا رحمة للعالمين دليل وتفسير لما قبله وقد تقدم
انه لا ينافي انه نبي الملحمة والسيف اي القتال به لما تقدم وفي شرح السنة ان الامم السالفة
كان من كفر منهم بعد ظهور المعجزات يعذب بالاستيصال فامر الله نبيه صلي الله عليه وسلم
بالجهاد بسيفه ليرتدعوا عن الكفر فالسيف فيه بقية لهم ويؤيده نزول ملك الجبال
عليه صلي الله عليه وسلم ليطبقهما عليهم وإباؤه ذلك رجاء ان يكون من ذريتهم
من يعبد الله ورفع عنهم الاصر واثابهم الكثير علي العمل القليل مع قصر اعمارهم وقد
اثاب الله تعالي الامم السالفة مع كثرة اعمارهم واعمالهم باقل من ذلك وذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء وفي جعله صلي الله عليه وسلم عين الرحمة ونعيم العالمين بها
مبالغة ظاهرة وكما وصفه اي مثل وصفه او الذي يوصف به في هذه الاية وصفه له في
غيرها بانه يزكيهم اي يطهرهم من الاخلاق الذميمة والاثام المدنسة لهم بتعاليه
وحاله وضمير يزكيهم للعالمين وقيل لامته ويعلمهم الكتاب اي القران والحكمة اي العلوم
النافعة والعقايد الحقة ومعاني القران وفسرت ايضا باصابة الحق قولا وفعلا
ووردت بمعني القران ايضا والحكمة من الله معرفة حقايق الاشيا وايجادها علي غاية
الاحكام ومن الناس معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهو الذي وصف به لقمان ويصح
ارادته هنا ايضا ويهديهم الي صراط مستقيم اي يدلهم علي طريق لا عوج فيه بالوحي والشريعة

وعدم العزم علي العود

ابن القيم

يوصلهم الى سعادة الدارين وبالمؤمنين رؤوف رحيم قدم متعلقه للتخصيص او للاهتمام
والتشريف مع رعاية الفاصلة وموافقة نظم القرآن فقيد للاقتباس من مشكاته
وتقديم الرؤوف كما مر لان الشفقة والتلطف بالمنعم عليه وهو مقدم كما مر وما قيل
من انه قدم للفاصلة وخفة التناسب بناء على انه اشد الرحمة تقدم رده وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم اي والله في غير القرآن اذ لم يقع فيه لهذا اللفظ في صفة امته امة
مرحومة في الدنيا والآخرة في الحياة والممات والامة امة الدعوة او الاجابة وقد قال
تعالى فيهم اي في حقهم وشانهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة معطوف على جملة
الصلة في قوله تعالى الذين امنوا اي يرحم بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن
معاصيه وبالرحمة على خلق الله فبعثه الله وفي نسخة فبعثه صلى الله عليه وسلم به
رحمة لامته متفرع على ما قبله باعتبار العلم والظهور وهو في الحقيقة سببه
ورحمته المختصة بهم ظاهرة ورحمة مفعول له او حال من الله او من ضمير النبي بمعنى
راحما لهم ورحمة للعالمين ورحيما بهم اي جعله عين الرحمة لارشاده لهم ولطفه
بهم وحمله على ذلك فلا تكرار فيه مع ما قبله ومترحما ومستغفرا لهم اي داعيا
لهم بالرحمة والمغفرة لشفقته صلى الله عليه وسلم عليهم ففيه حسن ترتيب
والابهام للتأكيد وجعل امته امة مرحومة كما مر ووصفها بالرحمة لاجابة دعائه
وتحقيق رجائه لهم كما مر ويجوز ان يكون بيانا لما مر لاعتنائه به وتفصيله وامرها
اي امته عليه الصلاة والسلام بالتراحم واثنى عليه اي امر امته بان يرحم بعضهم بعضا
ثم فسره بقوله وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب من عباده الرحماء وقال
صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن وهذا خبر لفظا ما له معناه الامر
فلذا اردفه بصريحه بقوله ارحموا من في الارض يرحمكم من في السما بالرفع والجزم
وحديث ارحموا الخ صحيح مشهور مسلسل بالاولية وقيل ويؤخذ من كونه صلى الله
عليه وسلم رحمة انه لا ينبغي ان يدعى له بالرحمة فيقال اللهم ارحم محمدا ورده العراقي
بان كونه رحمة للعالمين من جملة الرحمة يؤذن لهم لا عليهم وما ورد في الحديث
يتبع وقيل انه مخصوص بالتشهد لعدم وروده في غيره وسيأتي تفصيله في بحث
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من
القتال والسيف وهي صحيحة متنا وسندا كما ذكره المحدثون وظاهر معنى لانه
صلى الله عليه وسلم فرض عليه القتال واحلت له الغنائم ونصر بالرعب ووقع
له من الحرب والجهاد والنصرة ما لم يتفق لغيره من الرسل وبقي ذلك في امته الى يوم
القيامة وما احسن ما قيل

جمع الشجاعة والخشوع لربه ٭ ما احسن المحراب في المحراب

فلاختصاصه بذلك اضيف له وروى حذيفة وفي نسخة عن حذيفة وهذا رواه
احمد والترمذي في الشمائل مثل حديث ابي موسى الاشعري السابق اي بمعناه ولفظه
وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم بالجمع للكثرة اشارة الى انه اختص
بكثرتها وروى الحربي تقدم ذكره وانه متعدد ولم يعينه المصنف ورواه ابو نعيم
في الدلائل عن يونس بن ميسرة في حديث انه عليه الصلاة والسلام بيان لانه

مرفوع قال اتاني ملك فقال انت قثم اي مجتمع كما مر اي مجتمع اي مجموع فيك كل كمال وخير فكني
عن ذلك بكونه مجتمع في ذاته ولذا اعقبه بقوله قال والقثوم الجامع للخير كله في ذاته ولغيره
وهذا اسم له صلى الله عليه وسلم هو في اهل بيته معلوم فسمي به غيره كما تقدم هو وتفسيره
ولقبان من القابه وهي اسماؤه المنقولة واللقب ما اشعر بمدح واما قوله تعالى ولا تنابزوا
بالالقاب فمخصوص بما فيه ذم موذ كما ذكره المفسرون وسمانه بمعنى صفاته او هو عطف تفسير
والشية في الاصل الوسم والكي ثم عمم لكل علامة واشتهر بمعنى الصفة او المراد الصفات الواردة
في القران لان اكثر ما فيه اي القران صفات منزلة منزلة الاعلام عدة كثيرة سوى ما ذكرناه
مما تقدم ذكره ومنها ما هو حقيقة ومنها ما هو استعارة كالنور والسراج المنير كما قال تعالى
قد جاكم من الله نور وقال وسراجا منيرا وفسر بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه نور لا ينطفى
ويابى الله الا ان يتم نوره وهذا بنا على ما اختاره ومنهم من فسر بالقران ولكل وجهة والذي حققه
المشايخ نور الله مراقدهم كما في مشكاة الانوار لحجة الاسلام ان حقيقة النور هو الظاهر بنفسه
المظهر لغيره والعالم مشحون بالانوار الظاهرة المحسوسة والباطنة المعقولة التي بعضها يفيض بعضها
على بعض قال والنور الحقيقي هو الله فهو نور السموات والارض ونور الانوار وقال الاشعري
انه نور كالانوار والروح النبوية القدسية لمعة من نوره والملايكة شرر تلك الانوار
وهذا اصرح في هياكل النور فلذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم نورا ولاقتباسه من
الانوار الالهية سمي سراجا لما فاض عليه من الانوار العلوية فليس الوصف به لغوا ولا
مؤكدا فان فهمت فنور على نور فهو في الاصل استعارة ثم ان كان سمي به صار حقيقة
عرفية والمنذر والنذير وهما مستعاران بمعنى واصل الانذار الاعلام بما فيه تخويف
قال تعالى انما انت منذر ولكل قوم هاد وقال اني انا النذير المبين وفي البخاري انما مثلي
ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني واني انا
النذير العريان فالنجاة فاطاعه طايفة من قومه فادلجوا وانطلقوا على مهلهم
فنجوا وكذبته طايفة فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل
من اطاعني واتبع ما جيت به ومثل من عصاني وكذب ما جيت به من الحق والنذير للمبالغة
في صدقه وجده في انذاره ووصفه بالعريان لانه ابلغ في انذاره وقيل كان النذير يتجرد
من ثيابه ويلوح بها مع الصياح تاكيدا لانذاره والمبشر والبشير قال تعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا ونحوه من الايات وهما من البشارة بكسر البا وضمها وهو الاخبار
بخبر سار وقوله فبشرهم بعذاب اليم تهكم وسميت بها لتغيير بشرة الوجه اي
ظاهره وفيده تبعهم بالخير الصادق وبنوا عليه ما لو علق عليه طلاقا او اعتاقا
كما بين في كتب الفقه والاصول وقيل انه يعم الخير والشر حقيقة وقد مر ذلك كله
وقال السيوطي انه من اسما الله ايضا لقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وفيه نظر والشاهد والشهيد قال تعالى انا ارسلناك شاهدا ويكون الرسول عليكم
شهيدا ونحوه مما مر الكلام عليه والشهادة كما في الصحاح الخبر القاطع واصل
معنى الشهادة المعاينة وسمي بها لشهادته على الامم لتبليغ انبيايهم لهم ويشهد
على امته بالايمان كما ورد في الحديث ويأتي ان الشاهد من اسما الله وان معناه العالم
او الشاهد على عباده يوم القيامة ثم سمي بها النبي صلى الله عليه وسلم والحق المبين

قال تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم ونحوه وفسر ابه صلى
الله عليه وسلم والحق والصدق متقاربان وفرق بينهما الامام بان الصدق نسبة الشيء الى
الواقع والحق نسبة ما في الواقع الى الشيء من حق اذا ثبت وسمي به صلى الله عليه وسلم
لحقية نبوته ورسالته وما جاء به وجعل عين الحق مبالغة ويأتي ان المبين من ابان ويكون
متعديا ولازما بمعنى البين فمعناه الظاهر في نفسه والمظهر لغيره قال تعالى لتبين
للناس ما نزل اليهم وان المبين من اسمائه تعالى لتبين الوهيته وعظمته ولتبيينه لعباده
امر معادهم ومعاشهم وشرائعهم وخاتم النبيين بكسر التاء اسم فاعل وبفتحها اسم آلة
كطابع كان ختمهم بنفسه فهو استعارة في الاصل شاع وصار حقيقة قال تعالى ولكن
رسول الله وخاتم النبيين من ختمت الاشياء اذا اتممته وبلغت آخره وفي الصحيحين مثلي
ومثل الانبيا من قبلي كمثل رجل بنى بيتا واحسنه واكمله الا موضع لبنة من زاويته
فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت تلك اللبنة فانا تلك اللبنة
وانا خاتم النبيين وحكمة كونه خاتما ليكون الختم رحمة ولئلا يطول مكث امته تحت
الارض ولئلا تطلع الامم على احوال امته ولئلا تنسخ شريعته ولذلك نزل عيسى
عليه الصلاة والسلام على شريعته كما تقدم والرؤف الرحيم تقدم معناهما مفصلا
والامين فعيل بمعنى مفعول مبالغة ويكون بمعنى فاعل كقوله وهذا البلد
الامين وتسميته به مشهورة قبل البعثة ووقع في القرآن في قوله تعالى انه لقول
رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين في قول بعض المفسرين
ان المراد به النبي صلى الله عليه وسلم كما مر وان كان المشهور خلافه وانه جبريل
وقال المص انه قول اكثر المفسرين كما نقله السيوطي عنه وقيل انا لم نعلمه في القرآن
في غير هذه والاصح خلافه الا انه وقع فيه بطريق الالتزام لانه وصف به فيه من هو
دونه كقوله في موسى اني لكم رسول امين وفيه تكلف وقد سمي به وبالمامون في الجاهلية
قال اخو كعب بن زهير •
سقاك بها المامون كاسا روية • فانهلك المامون منها وعلكا
ومر انه لما تشاجرت قريش فيمن يضع الحجر الاسود قالوا اول من يدخل من هذا
الباب يضعه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا قد جا الامين
وانه كان مشهورا به قبل البعثة فكانت توضع عنده الودايع والامانات وقدم
الصدق كما عده كثير من اسمائه صلى الله عليه وسلم وفي البخاري عن زيد بن
اسلم في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال هو محمد
صلى الله عليه وسلم ومر الكلام عليه اول الكتاب وعن علي كرم الله وجهه
كما اخرجه ابن مردويه انه قال في تفسيره هو محمد شفيع وفيه اشارة الى وجه
التسمية من انه تبشير بان يشفع لهم لان من عادة الشافع تقدمه على من يشفع له
فعلى هذا انه سماه الله به وكذا روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان
معناه شفيع صدق ومر عنه في كلام المص شفيع صدق عند ربهم ومر فيه
عن سهل انه معناه سابقة رحمة اودعها الله اي محمد له لها ازلا لانه سيجعله
رحمة لهم ولذا عقبه المص بقوله ورحمة للعالمين فهو كالتفسير له والقدم واحد

الاقدام ويطلق على المتقدم لانه يكون بهما ويقال لفلان قدم اي سؤدد كما قال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها • مع الحسب العادي طمت على الفخر •

وكونه رحمة لجميع العالمين كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقد تقدم الكلام

عليه ونعمة الله فهو صلى الله عليه وسلم نعمة لهم وعن ابن عباس في تفسير قوله تعالى

بدلوا نعمة الله كفرا قال هم كفار قريش ونعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم فسمي نعمة

كما سمي رحمة وذلك حقيقة لمن اتبعه ولذا قال والعروة الوثقى قال ابن دحية وابو

عبد الرحمن السلمي في قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى هو محمد صلى الله عليه

وسلم والعروة ما يتمسك به من الحبل والوثقى الوثيقة المتينة ففيه استعارة تمثيلية

تمريحية لان من اتبعه لا يقع في هوة الضلال كما ان من مسك حبلا متينا يصعد من

حضيض المهالك ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم الصراط المستقيم ذكره ابن دحية

وقال ابو العالية في قوله اهدنا الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم

واخرجه ابن ابي حاتم وسمي به لانه طريق الى الله موصل له والصراط بالصاد والسين

والزاي المشمة الطريق المستوي او الواضح والمستقيم الذي لا عوج فيه فاستعير له صلى الله

عليه وسلم لان التابع له واصل لسعادة الدارين ناج والمنحرف عنه مائل عن مقصده فلذا

عقبه بقوله والنجم الثاقب اشارة لقوله وبالنجم هم يهتدون وروي عن السلف في قوله

تعالى والنجم الثاقب انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل قلبه وهو بعيد وقد مر هو

وما قبله في كلام المص عن جعفر الصادق في تفسير والنجم اذا هوى وان الثاقب بمعنى

المضيء المتوهج قال •

اتاك لهم احسابهم ووجوههم • دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه •

وهو تشبيه بليغ او استعارة من مطلق النجم او من نجم مخصوص وهو زحل لانه

يهتدى به صلى الله عليه وسلم كما يهتدى بالنجم ولانه استنارت به ظلمة الجهل

فان خص بزحل فوجه الشبه الامانة مع الرفعة كما قيل والكريم المتفضل والمعطي

او الكثير الخير او العالي كما يأتي وكله صحيح في حقه صلى الله عليه وسلم وسمي به في

قوله تعالى انه لقول رسول كريم بناء على انه المراد به وقيل المراد جبريل كما مر

ويأتي والخلاف في تفسير مشهور ولا حاجة لاثباته بهذه الاية لاتصافه صلى

الله عليه وسلم به وبمعناه في الاحاديث الصحيحة والنبي الامي قال تعالى الذين

يتبعون الرسول النبي الامي وهو من لا يقرؤ ولا يكتب وقيل هو الذي يقرؤ ولا

يكتب ورجحه السبكي والسيوطي وفيه اقوال احدها وثانيهما هذا انه وقيل كان

يقرأ ويكتب وقيل كان لا يقرؤ ولا يكتب في اول امره ثم لما ازال الله الشبهة علمه الله ذلك

وذهب الى هذا البعض المحدثين من علماء الغرب ومن تبعهم وسيأتي تفصيله مع ما له

تقدم مرارا والامي منسوب الى الام كانه على حاله التي ولدته امه عليها او

الى ام القرى وهي مكة او الى امة العرب وكني به عن ذلك لان القراءة والكتابة لم تكن

معروفة فيهم وقيل منسوب الى الامة لانه امة بنفسه وامية معجزة له صلى الله

عليه وسلم وان عدت منقصة لغيره لانه مع ما ظهر منه من العلوم والمعارف

اللدنية ومعرفته باخبار الامم السالفة وشرائعهم وهو لا يقرؤ ولا يكتب ولم يدارس

تقدم ان هو

ولم يتفق ممن قرا وكتب امر غريب عجيب والمقصود من القراءة والكتابة ذلك لانها آلة
ووسيلة له غير مقصودة في نفسهما فاذا حصلت له الثمرة المطلوبة منهما استغني عنهما
بخلاف غيره مع ما في ذلك من الريبة والاستغنا بكتابته عن مثلا فانه كما قال تعالى وما
كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وروي انه صلى
الله عليه وسلم قال لا اريد الخط لئلا يقع ظل القلم على اسم الله رواه الترمذي
ولم يسنده تجارة الله على ذلك ان يرفع ظله عن الارض فلا يوطأ وان لا ترفع الاصوات
على صوته وسياتي ان من وصفه صلى الله عليه وسلم بالامية على وجه يشعر بالتنقيص
له حكم الساب وداعي الله اي داعي الناس الي توحيد الله وطاعته كما قال تعالى وداعيا
الي الله باذنه واجيبوا داعي الله ونحوه وفي الحديث الصحيح ان ربكم فتح دارا ووضع
مادبة فمن اجاب الداعي رضي عنه السيد ودخل الدار واكل من المادبة فالسيد هو
الله والداعي محمد والدار الاسلام وقال البخاري الجنة وكذا المادبة قال القرطبي
وقد وصف الله نفسه بانه داع في قوله والله يدعوا الي دار السلام فهو من جملة
اسما الله التي سماه بها وقال على لسان الجن اجيبوا داعي الله ففيه دليل على انه صلى
الله عليه وسلم مبعوث اليهم وقال مقاتل لم يبعث الي الجن نبي قبله ومن قوله بعثت
الي الاسود والاحمر الانس والجن كما تقدم وهو مشكل بسليمان عليه الصلاة والسلام
وقد يوفق بينهما بان الله سخر له الجن مع امره لهم بتوحيد الله لانه لا يرضي الكفر الا
انه لم يكلفهم بفروع شريعته والنبي صلى الله عليه وسلم مامور بدعوتهم وتكليفهم
بالعمل بشرعه ولم يؤمر باستخدامهم وتسخيرهم كسليمان في اوصاف كثيرة وسمات جليلة
عظيمة مجللة اي ورد ما ذكر في القرآن والاثار جمع صفات اخر كثيرة اطلقت عليه
كاطلاق الاسم على مسماه بجعل الكثير باشتماله على غيره كالظرف المحتوي على مظروفه
وسمات جمع سمة وهي العلامة لكن تجوز بها عن مطلق العلامة كالمرسن للانف وشاع
حتى صار كالحقيقة او بمنزلتها ثم تجوز بها عن الصفة وهو المراد هنا وعبر به
للتفنن في العبارة وجرى منها في كتب الله المتقدمة مثلها اي وقع منها في كتب الله ٢
المتقدمة على القرآن كالتوراة والانجيل وغيرهما وجرى حقيقته اسرع في المشي
وفي المائعات بمعنى سال كجري النهر ثم شاع عرفا بمعنى وقع وحدث فيقال
جري الماء على كذا ولذا تلطف الشاعر في قوله • وجدت الماء الزلال مع الصفا •
مجري النسيم عليه يسمع ما جري وكتب انبيائه قيل المراد بها كلمات منقولة فان
لهم عليهم الصلاة والسلام احاديث دونها احبارهم في زمانهم قبل نسخ
احكامهم ونقلها المسلمون عنهم ودونوها كالاسرائيليات وهذا يعلم من مقابلته
لما قبله واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الواقع فيها وصفه او تسميته •
لنفسه او قالها اصحابه بمن نقل عنه ودونه وهذه كلها تسمي احاديث ايضا
واطلاق الامة غير الصحابة او المراد الاعم اي تسميتهم له صلى الله عليه وسلم ووصفهم
فان اطلاق اللفظ بمعنى استعماله سوا كان حقيقة ام لا مشهور متعارف وهو
الاصل من الاطلاق بمعنى فك الوثاق ثم نقل عرفا لما ذكر واسماؤه صلى الله
عليه وسلم وان كانت توقيفية عند بعضهم كاسما الله مما اشتهر منها وتلقي

بالقبول في حكم المنقول فان الامة لا تجتمع على الضلالة وقد وقع هذا في كثير من اسمائه وصفاته
جملة شافية فاعل جرى من شفا المريض اي شافيه من دا الجهل او من شفا الغليل وهو حر العطش
لانه يروي الظما ويثلج الصدر كتسميته بالمصطفى والمجتبى هذا انما اطلقه عليه الامة
ولم يرد في كتاب ولا سنة وهما بمعنى وفي الصحاح اجتباه بمعنى اصطفاه واختاره واصله
كما قاله الراغب من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته لجمعه صلى الله عليه وسلم المكارم
والصفات الحميدة بفيض الهي من غير سعي كما قال الله يجتبي اليه من يشا ويهدي اليه من
ينيب قال السيوطي المصطفى من اشهر اسمائه صلى الله عليه وسلم ومثله المختار وفي مسند
الدارمي ان في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار الخ وابي القاسم وهذا اشهر كنية
له صلى الله عليه وسلم كما يأتي ومنها ابو ابراهيم كما يأتي وابو المؤمنين وابو الارامل
كما ذكره السيوطي وهذا ورد في الحديث الصحيح ففي مسلم عن جابر رضي الله عنه انه صلى
الله عليه وسلم قال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فاني ابو القاسم اقسم بينكم وياتي الكلام
عليها في اوايل القسم الرابع ومثله ما في كتاب الذخاير والاعلاق في ادب النفوس ومكارم
الاخلاق انه كني به لانه يقسم الجنة بين اهلها يوم القيامة والذي جزم به اهل السير
انه كني بابنه القاسم وهو اول اولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة ولادة ووفاة
وظاهر النهي فيه تحريم التكني بكنيته مطلقا وهو الاصح من مذهب الشافعي وقيل انه
جايز بعد موته صلى الله عليه وسلم والنهي مخصوص بحياته ورجحه النووي
ووجهه ان النهي عن ذلك لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره فقصد المنافقون فرجة
لاذاه وهو مرتفع بوفاته صلى الله عليه وسلم ولذا لم ينه عن اسمه مع منع الله
من ندايه به وفي قول يحرم لمن اسمه محمد دون غيره لما روي عن جابر مرفوعا من تسمى
باسمي فلا يتكنى بكنيتي وياتي بسط ذلك في القسم المذكور قال السبكي وحيث حرمناه
فالمحرم التكنية وهو وضع الكنية لاحد والتكني وهو قبول المتسمى لذلك واما الاطلاق
فامر ثالث الا ان يكون ذلك الشخص لا يعرف الا به فيكون عذرا واختلفوا في عمر ابنه
القاسم فقيل سنتان وقيل غير ذلك والحبيب وحبيب الله وهذا ثبت بالحديث
الصحيح الذي رواه البيهقي في الشعب عن ابي هريرة رضي الله عنه اتخذ الله ابراهيم
خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا وقال وعزتي وجلالي لاوثرن حبيبي على خليلي
ونجيي وقد مر الكلام على المحبة والخلة والفرق بينهما والكلام على ايهما افضل وهذا
الحديث صريح في تفضيل المحبة لان لها معنيين احدهما مطلق وهو في الخلق مطلق
الميل وفي الله ايثاره وتفضيله على غيره وخاص وهو في الناس ايثاره على نفسه
وغيره وجعله نصب عينيه بحيث لا يفتر عن ذكره وتملكه لقلبه بحيث لا يكون فيه
محل لسواه والخلة المودة والمعاونة مع ميل ما ولا شك انها بهذا المعنى افضل
واعلى فقول ابن القيم في كتاب الدا والدوا ما يظنه بعض الغالطين من ان المحبة اكمل
من الخلة فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة وانها نهاية المحبة فانه صلى الله عليه
وسلم اخبر بانه لم يتخذ خليلا غير ربه مع اخباره صلى الله عليه وسلم بمحبة عايشة وغيرها
لم يتنادى بمحرزه ورسول رب العالمين لم ينظم هذا في سلك ما وقع في القرآن لانه وان
ورد فيه كثيرا الا انه لم يقع فيه مضافا لرب العالمين قال الازهري الرسول المبلغ لاخبار

من بعثه من فوقهم حجارة الابل رسلا اي متتابعة والفرق بينه وبين النبي مشهور والشفيع
المشفع اي المقبول شفاعته وسمي شافعا ايضا وقد تقدم ان له صلى الله عليه وسلم
شفاعات سبعة كما تقدم تفصيله والمتقي والتقي والانقى لحديث مسلم انا اتقاكم
لله والتقوى لها مراتب مفصلة في تفسير البيضاوي والمصلح للخلق بارشاده وهدايته
قال المص وجد على بعض الحجارة القديمة محمد نقي مصلح امين لانه الف بين قلوب الناس
وازال ما بينهم من الضغائن كما كان بين العرب والعجم وقبايل العرب كما قال تعالى
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم والطاهر بالمهملة لطهارته صلى
الله عليه وسلم من النقايص والادناس الحسية والمعنوية حتى ذهب الشافعية
الى طهارة فضلاته كغايطه وبوله ودمه ورجحه السبكي والبلقيني وافتوا به كما مر
وقد شربت ام ايمن بوله وشرب جماعة من بوله ولم ينكره صلى الله عليه وسلم
وطهارته من الذنوب والاخلاق الرديه كما تقدم والمهيمن وتاتي ان هذا اسمه
عمه العباس رضي الله عنه في شعره المشهور الذي مدحه صلى الله عليه وسلم به وقد
تقدم وابياته له وفيه

حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف عليا تحتها النطق *

وميمه الاولى مضمومة والثانية مكسورة وروي فتحها ايضا وهو كما انه اسم له
صلى الله عليه وسلم صح انه من اسما الله ومن اسما القران قال تعالى وانزلنا اليك الكتاب
بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وفسر في الاية بمحمد صلى الله
عليه وسلم على انه حال من كاف اليك والراجح تفسيره بالقران على انه حال بعد حال
من الكتاب ولذا لم يذكره المص في اسمائه صلى الله عليه وسلم الواردة في القران وقال
ابن قتيبة انه في اسما الله معناه الشاهد وقيل الحفيظ وقيل الرقيب وقيل
القايم على خلقه وقيل الامين اي وتبعه المص في بعض ذلك كما ياتي بيانه واصله
مؤيمن قلبت همزته ها وقيل المهيمن وهو من اسما النبي صلى الله عليه وسلم
بالمعنى الاول او الرابع او الخامس انتهى وهو عنده اي المص مصغر مؤمن على ما سياتي
وتصغيره للتعظيم وقد رد هذا وشنع عليه فيه بان اسما الله واسما النبي صلى الله عليه
وسلم والقران بل كل معظم لا يجوز فيها التصغير كما ياتي ولم يرد مثله ولذا ارتضى
ابو علي في الحجة انه اسم مكبر ورد بهذه الزنة كالمبيقر والمسيطر وفتح ميمه
يدل على ما قاله واذا وصف به القران فمعناه رئيس الكتب العالي عليها لحفظه
من التغيير والتبديل واعجازه ببلاغته ومزاياه وقيل معناه المصدق ويبعد
تعديته بعلى الا ان يقال انه لما فيه من معنى العلو وعلى انه من الامن ظاهر
لانه امنهم من الخوف والصادق والمصدوق وسمي بالصدق ايضا والمصدق اسم
فاعل بالتشديد كما ذكره ابو بكر بن عربي وفي صحيح البخاري حدثنا رسول الله
وهو الصادق المصدوق قاله ابن مسعود وقد ورد هذا في عدة احاديث
رواها السيوطي لانه صدق الانبيا والكتب التي قبله والمصدوق اسم مفعول
من صدق المتعدي كما ورد صدق وعده والصادق من اسما الله ايضا وورد
في حديث الاسما كما قاله السيوطي والهادي عده جماعة في اسمائه اخذا من

قوله

تولهِ وانك لتهدي الى صراط مستقيم وهو من اسما الله ايضا وبأتي ان الهداية تطلق على
خلق الاهتدا او يوصف بها الله خاصة وهو المنفي في قوله انك لا تهدي من احببت وعلى قول
وعلى البيان والدلالة بلطف وهذه يوصف بها الله والنبي صلى الله عليه وسلم وتطلق
على الداعي ومنه ولكل قوم هاد ولا تستعمل الا في الخير وقوله واهد وهم الى صراط الجحيم
تهكم وهدايته صلى الله عليه وسلم لما فيه من صلاح المعاش والمعاد ظاهر وقد اشبعنا
الكلام عليه في حواشي القاضي وسيد ولد ادم وقد ورد اطلاقه عليه في احاديث كثيرة صحيحة
كما في حديث الشفاعة انطلقوا الى سيد ولد ادم وفي حديث الصحيحين انا سيد الناس يوم
القيامة وهو من اسما الله ايضا كما اثبته البيهقي في كتاب الصفات فيجوز اطلاقه على الله
وعلى غيره مطلقا وهو احد اقوال اربعة وقيل يختص بالله مطلقا وقيل يختص به معرفا
وقيل يختص بغيره ولا يجوز اطلاقه عليه واستدل للاول بانه لما قال له صلى الله عليه
وسلم وفد بني عامر انت سيدنا قال السيد هو الله وهو حديث صحيح كما مر وتحقيقه
انه على الاطلاق معناه العظيم المحتاج اليه غيره وهذا انما لا يوصف به الله وغيره واما
تخصيصه بغير الله كما روي عن مالك فلانه لم يثبت عنده اطلاقه على الله ولان معناه
رئيس القوم الذي يفخر ويعتز باتباعه وسيد القوم منهم وهذا لا يليق بالله ولذا
ثم اذا اطلق على الله بما مر واما اختصاصه بالله فلان معناه المالك المتصرف في
امور غيره وهذا في الحقيقة انما هو لله واما التفصيل فلانه معرفا المعهود بالعظمة
وكونه ملجا لكل احد وهذا مختص به تعالى وهذا اضعفها فان قلت اذا صح الاول
فما تصنع بالحصر في حديث السيد هو الله قلت اذا اثبت وصف لشي وحده او مع غيره
وارد رده فللعرب فيه طرق اظهرها ان يوجب بصريح الحصر كقولك لا معبود الا الله
قلبا وافرادا او بعرف الطرفان كالمعبود الله وهو كالذي قبله معنى الا انه قد يختار
ايما الفطنة مخاطبه فهو ابلغ في مقامه ويجعل من اثبته الزاعم له الصفة عين
ما هي له في نفس الامر كما يقال للدهري الدهر هو الله اي لا دهر ولا نصر فلسوى
الله فاثبت له التصرف ونفاه عما عداه بطريق برهاني كقوله ان كان للرحمن ولد
الخ وهذا النوع ادق من غيره سماه الشيخ التنويع وذكره سيبويه في باب لا سيتنا
فقوله السيد هو الله يحتمل اجراوه على ظاهره وان يكون من هذا القبيل فلا
دليل فيه على انه من اسما الله فضلا عن اختصاصه فاعرفه فانه من نفايس الدخاير
المكنونة في دفاين الخواطر وقد قدمنا ذلك اول الكتاب في الباب الاول وانما
اعدناه لاول العهد به والمراد بولد ادم النوع الانساني وكذا الكل جماعة سموا
باسم ابيهم جاز اطلاق الاولاد عليه واطلاقه عليهم كما يقال تميم لهولا ولاولاده
وكذا يقال بنو تميم لما يشمل تميم وهو القبيلة وهذا مجاز شايع حتى صار حقيقة
عرفية كما فصله العراقي في كتاب العقد المنظوم وعده من الفاظ العموم فمن قال
الولد للواحد والجمع فان كان مفردا ينبغي ان يكون الاضافة للاستغراق بقرينة
المقام اي انا سيد كل ولد ادم وان كان للجمع فالامر ظاهر ويلزم من كونه سيد ولد
ادم سيادته على ادم اذ فيهم من هو افضل من ادم كابراهيم وموسى عليهما الصلاة
والسلام فقد تكلف ما لا حاجة اليه لعدم وقوعه على ما ذكر وترك الحديث اتا

سيد ولد ادم يوم القيامة وانه خص بيوم القيامة لانه يظهر فيه سيادته على ساير
الرسل من غير منازع فيه وان كان سيدا في الدارين كما مر وسيد المرسلين كما ورد في احاديث
صحيحة واذا كان صلى الله عليه وسلم افضل من ساير المرسلين فهو افضل من ساير النبيين لان
الرسول افضل من النبي وان اختلف في تفضيل الرسالة والنبوة وامام المتقين وقايد
الغر المحجلين جمعهما المص لوروده كذلك في حديث رواه البزار انه صلى الله عليه
وسلم قال ليلة اسري بي انتهيت الى قصر من لؤلؤة يتلالؤ نورا واعطيت ثلاثا قيل
لي انك سيد المرسلين وامام المتقين وقايد الغر المحجلين وقد ورد تسميته صلى الله
عليه وسلم بامام النبيين وامام المتقين وامام الناس وامام الخير كما في الرياض
الانيقة والاول ذكره ابن سيد الناس في سيرته وعن قتادة في قوله تعالى يوم
ندعو كل اناس بامامهم ان الامام المراد به النبي صلى الله عليه وسلم والامام في اللغة
المقتدى به ويطلق على الواحد كقوله اني جاعلك للناس اماما وعلى الجمع كقوله واجعلنا
للمتقين اماما قاله ابن الانباري وسمي صلى الله عليه وسلم امام النبيين لانه اسبقهم
في النبوة الروحانية ولانه امهم في الاسرا كما مر واخرج احمد والترمذي اذا
كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم وفي رواية لاحمد
كنت امام الناس ومنها اخذ تسميته صلى الله عليه وسلم به وامام المتقين ان اريد
به امته صلى الله عليه وسلم فظاهر وان اريد الاعم موافقة لرواية امام الناس فلاقتدا
الانبيا به وفي بعض الشروح ان كل متق سوا كان من امته او من الامم السالفة مقتد
به لانهم في السير الباطني اشرفوا على المقام المحمدي وامنوا به واهتدوا بهديه عرضي
وامام الخير ورد في حديث رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال اذا صليتم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه
قالوا له فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقايد الخير رسول
الرحمة اللهم ابعثه المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والاخرون وقايد اسم
فاعل من القود وهو تقدمه على من يتبعه باختياره وهو يقودهم الى الجنة برمام
وفي القاموس القود نقيض السوق والغر جمع اغر واصل الغرة بياض في جبهة الفرس
فالمراد به مطلق بياض الوجه هنا والتحجيل بياض في القوايم وفي الصحيحين ان امتي
يدعون يوم القيامة غرا محجلين من اثار الوضو وورد بمعناه من طرق كثيرة وفيه
زين لهم وقد جعل ذلك علامة لهم يعرفون بها بين الامم يوم القيامة والتعبير
به وبالقود مما هو معروف من صفات الخيل فيه اشارة الى انهم جياد سابقون
على غيرهم ففيه استعارة مكنية وتورية كقوله

الناس للموت كخيل الطراد ۝ والسابق السابق منها الجواد

وقد استدل على ان الوضو من خصايص هذه الامة وقيل انه غير مختص بهم
وانما المختص بهم الغرة والتحجيل لحديث هذا وضوي ووضوء الانبيا من قبلي
واجيب بضعفه واحتمال ان يكون الانبيا عليهم الصلاة والسلام اختصوا به
دون اممهم على تقدير صحته بعيد وكون بياض الغرة اثر الوضو لا ينافي كونه من

اي المحمود وادعا انه غيره وفيه نظر وحبيب الله تقدم بيانه مفصلا وخليل الرحمن كما تقدم
تحقيقه وصاحب الحوض المورود رواه ابن حبان والحاكم وقال السيوطي حديث الحوض
مروي عن اكثر من خمسين صحابيا اي وتقدم سرد بعضهم في كلام المصنف ومنهم ابو برزة
الاسلمي وحديثه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لي حوضا ما بين ايلة
الى صنعا عرضه كطوله فيه ميزابان من الجنة احدهما من ورق اي فضة والاخر من ذهب
ماؤه احلى من العسل وابرد من الثلج وابيض من اللبن من شرب منه لم يظما حتى يدخل الجنة
فيه اباريق عدد نجوم السما وقال القرطبي ذهب جماعة الى ان حوضه صلى الله عليه وسلم
بعد الصراط والصحيح ان له حوضين احدهما في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة وكلاهما
يسمى كوثرا واختلف هل هو قبل الميزان او بعده والصحيح انه قبله والمعنى يقتضيه
فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا ويزداد عطشهم في السعي الى المحشر فيردونه قبل
الميزان والصراط وورد ايضا تسميته صلى الله عليه وسلم بصاحب الكوثر وسمي به لاختصاصه
به وفي بعض الكتب لكل نبي حوض وتسميته به صلى الله عليه وسلم لعظم حوضه وزياد
وسله يحتاج لنقل والمورود اسم مفعول من الورد بالكسر وهو الذهاب للما ويلزمه
الشرب عادة ولذا اعبر به عنه وهو وان كان اسم مفعول لا يدل على المبالغة فالمراد به
كثرة الواردين عليه ولولاه كان الوصف به لغوا وقد ورد التصريح به والشفاعة اي من
اسمائه صلى الله عليه وسلم صاحب الشفاعة وقد تقدم بيانه وصاحب المقام المحمود وهو
مقام الشفاعة العظمى كما مر وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة الوسيلة
السبب الموصل لامر عظيم سمي به لانه سبب لكل خير وفسر في الحديث بمنزلة مخصوصة
كما ورد في حديث مسلم السابق سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا
لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون هو واصل الوسيلة كما قال السيوطي القرب من الله
والمنزلة عنده وكونه صلى الله عليه وسلم صاحب فضيلة ودرجة عالية رفيعة
حسا ومعنى في الدنيا والاخرة غني عن البيان وصاحب التاج قيل المراد بالتاج هنا العمامة
ونقل عن المصنف رحمه الله والعمايم تيجان العرب لكونها معروفة عندهم دون غيرهم
فكني به عن انه من صميم العرب واشرفهم حسبا ونسبا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه
لم يلبس العمامة غيره من الانبيا وفي مقدار عمامته وكيفيتها تفصيل في السير ولنا
فيه رسالة مستقلة وكان له صلى الله عليه عمامة تسمى السحاب تحتها قلنسوة ودخل
مكة في الفتح وعلى راسه عمامة سودا وهو لا ينافي رواية انس رضي الله عنه انه كان
على راسه مغفر ولبس صلى الله عليه وسلم عمامة حمرا ايضا ولم يلبس خضرا اصلا وصاحب
المعراج وهو السلم فهو اسم آلة وقال السيوطي هو عروجه وصعوده صلى الله عليه وسلم
للسما والاسرا سيره من مكة الى المقدس فهو مصدر ميمي فبينهما فرق وان اطلق كل منهما
على الاخر كما مر وهو الذي تصعد عليه الارواح والملايكة ولم يصعد عليه في الدنيا
بجسده احد غيره صلى الله عليه وسلم فلذا اختص بالتسمية به وسمي ايضا صاحب اللوا
قال السيوطي المراد به لوا الحمد الذي تقدم وقد يحمل على اللوا الذي كان يعقده صلى
الله عليه وسلم للحرب فهو كناية عن القتال قال وهو ما يحمل في الحرب ليعلم به
صاحب الجيش يحمله هو بنفسه وقد يحمله غيره وقريب منه الراية وفرق بينهما

عوضي

نه

وفي الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت رايته صلى الله عليه وسلم سوداء ولواؤه
ابيض وقيل كان مكتوبا عليه لا اله الا الله محمد رسول الله واول ما حدثت الرايات في
الاسلام يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية والقضيب اي من اسمائه صلى
الله عليه وسلم صاحب القضيب وهو السيف كما قال المص وتبعه السيوطي ويأتي انه
وقع معبرا به في الانجيل حيث قال معه قضيب من حديد يقاتل به وانه يحتمل ان
يراد به القضيب الممشوق الذي يمسكه الخلفا وفي كتاب البيان للجاحظ انه كانت له صلى
الله عليه وسلم مخصرة وقضيب وعنزة تحمل بين يديه وهكذا كانت عادة عظما العرب
وخطبايهم فاذا اريد الاول فهو كناية عن جهاده وكثرة قتاله وان كان الثاني فهو
من كونه من صميم العرب وخطبايهم وما قيل من ان المراد به القضيب الذي اعطاه صلى الله
عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلب سيفا كما هو معروف في معجزاته تكلف ناشئ من تتبع
العطن وراكب البراق والناقة والنجيب البراق بزنة غراب من المخلوقات العلوية
روي انه وجهه كوجه الانسان وجسده كالفرس وقوايمه كالثور وذنبه كالغزال ولم
يذكر ولا انثى وسمي به لسرعته او لبياضه وصفايه او لما فيه من قليل سواد من قولهم
شاة برقا وركبه صلى الله عليه وسلم لما اسري به واختلف فيه هل ركبه غيره من الانبيا
ام لا وهل ركبه معه جبريل ام لا كما تقدم ذلك كله فان قلنا لم يركبه غيره فوجه
التسمية به ظاهر وان قلنا ركبه غيره فوجهه ان ركوبه بهذه السرعة وصعوده
به الى السما مخصوص به على ان وجه التسمية لا يلزم اطراده والنجيب الجمل وقد سمي
براكب الجمل ايضا في الكتب القديمة كما سمي عيسى عليه الصلاة والسلام براكب الحمار
ولذا قال النجاشي لما جاءه كتابه صلى الله عليه وسلم وآمن به اشهد ان بشارة
موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وسمي به مع ركوبه صلى الله عليه وسلم
الفرس والبغل والحمار لانه كناية عن تواضعه او لمحبته عليه او لكونه من صميم العرب
وكان له صلى الله عليه وسلم جمال ونوق مذكورة في السير وقيل المراد بالنجيب الناقة
وقيل النجيب اسم فرس له صلى الله عليه وسلم اشتراه من اعرابي وهو الذي
شهد له به خزيمة وهو جريث وصاحب الحجة وهي الدليل الذي يحتج به الخصم وهو
المراد او المراد المعجزة وهي بلغت الفا واعظمها القرآن والسلطان بضم السين وسكون
اللام وقد تضم وهو يذكر ويؤنث وله معان منها البرهان والملك والنبوة والغلبة
ويصح ارادة كل منها هنا وسمي صلى الله عليه وسلم بهذا في كتاب شعيا وبعض الكتب
الكتب القديمة والخاتم اي صاحب الخاتم بالكسر والفتح وهو خاتم النبوة الذي كان
بين كتفيه صلى الله عليه وسلم كزر الحجلة وبيضة الحمامة وقيل انه كان فيه
كتابة الله وحده لا شريك له او محمد رسول الله او توجه حيث شئت فانك منصور
وذكره مع السلطان لانه ورد مقرونا به في كتاب شعيا وقيل المراد به الخاتم المعروف
لانه لم يعرف في العرب ولا في الانبيا من ختم الكتب سواه وفيه نظر والعلامة اي علامة
النبوة وهي الخاتم ايضا وقد ورد نعته في الكتب القديمة وهي من شواهد
نبوته صلى الله عليه وسلم الدال على انه الانبيا ختموا به كما ورد في حديث ويجوز
ان يراد به مطلق العلامات التي كان اهل الكتاب يعرفونه بها كما يعرفون

ابناهم

اباهم وصاحب الهراوة بكسر الهاء ثم را مهملة والف و واو وتا تانيث وهي العصاة قال
في النهاية لانه صلى الله عليه وسلم كان يمسك بيده القضيب ويمشي بالعصاة بين يديه
وتغرز له ليصلي اليها وقال الجوهري هي العصاة الضخمة وجمعها هراوي كمطايا
وقال التلمساني كما يأتي انها العصاة الواردة في حديث الحوض انه يذود بها الناس عنه
وقال النووي انه ضعيف او باطل لان المراد وصفه صلى الله عليه وسلم بما يعرفه الناس
ويعلم اهل الكتاب انه المبشر به في كتبهم فلا وجه لتفسيره بامر يكون في الاخرة فالصواب
ما تقدم ومن سنن الانبيا حمل العصاة تواضعا والنعلين اي صاحب النعلين وقد ورد
تسميته صلى الله عليه وسلم بهذا في الانجيل وفي كيفية نعليه كلام مفصل افرده بعض
اهل العصر بالتاليف وكان له صلى الله عليه وسلم بالتاليف وكان له صلى الله عليه وسلم
نعلان سبتيتان بكسر السين اي لا شعر عليهما او مدبوغة وما قيل من انه سمي بها لما فيه من
مخالفته لاهل الجاهلية من تنعلهم في رجل واحدة وقد ورد النهي عنه في الحديث الاولى
تركه ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب الالهية المنزلة على من قبله من الانبيا
عليهم الصلاة والسلام المتوكل هو اسمه في التوراة ونصها انت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل وهو الذي يكل امره الى الله ويعتصم به والتعلق بالله على كل حال
وقيل التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وهو فرع التوحيد
وكان صلى الله عليه وسلم ارسخ الانبيا قدما فيه وتوكل العوام مباشرة الاسباب مع
الاعتماد على مسببها والى ذلك الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق
التوكل لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وتوكل الخواص وهو ترك
الاسباب بالكلية والمختار اسم مفعول من الاختيار وهو الاصطفا لانه خيار من خيار
في التوراة والزبور في قوله اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة لن
يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا والمراد سنة من قبله من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وطريقتهم باظهار التوحيد ودعوة الخلق من قامت السوق
نفقت ففيه استعارة مكنية بجعل ذلك كالامتعة المرغوب فيها او معدلها وسوق
والمقدس بالتشديد اسم مفعول وفي الرياض الانيقة معناه المفضل على غيره وقال
ابن دحية معناه المطهر المنقى من دنس الذنوب والنقايص من التقديس وهو التطهير
ومن اسما الله القدوس اي المنزه عن سمات النقص والحدوث وقيل تقديسه الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم وروح القدس بضمتين وضم وسكون وهذا سقط من بعض
نسخ الشفا اي الروح المقدسة من النقايص وروح القدس في القران فسر بجبريل
عليه الصلاة والسلام والقدس الطهارة او الله واضافة الروح له تشريفية كروح
الله لعيسى وروح الحق هو الله وقال ابن عربي في الفصوص انه اسم الله الاعظم
وهو صلى الله عليه وسلم مظهره وهو اي روح القدس وروح الحق معنى البارقليط
في الانجيل فانه فيه سمي النبي صلى الله عليه وسلم البارقليط وفسر بما ذكر
ورايته مفسرا به في شرح الانجيل للمسيحي الطبيب لا انه حرفه وقال المراد بروح
الحق احد الاقانيم الثلاثة عندهم فانه تلهم الله وقال ثعلب هو احمد بن يحيى
الشيباني البغدادي امام اهل اللغة المشهور في تفسيره له البارقليط الذي يفرق

عيلى القتال لا فظ ولا غليظ
وبنبيم القتة سمي بها في التوراة

بها

ومولده في حدود المائتين ووفاته في جمادى الاخرة سنة احدى وتسعين ومائتين

البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل قال ابن دحية وهو اسمه صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة وروي عن ابن عباس انه بفتحها وروي بالفاء المفتوحة وبالباء غير صافية وفي المقتفي للحلبي الذي احفظه انه بموحدة في اوله والف وراء مكسورة وقاف ساكنة ثم لام ثم تليها يا مثناة تحتية ساكنة وطاء مهملة وهو الصحيح وفي بعض الحواشي انه روي بفتح الراء وقد تسكن وقاف تفتح مع السكون وتسكن مع الفتح ومعناه محمد وفي الرياض الانيقة معناه الحامد او الحماد والذي عليه اصحاب الانجيل انه معناه المخلص وعبارة الانجيل اني ذاهب الى ابي وابيكم ليبعث اليكم الفارقليط وفي شرح هيا كل النور للدواني هو بالفاء ثم الف وراء مكسورة وقاف ساكنة ولام مكسورة ثم طاء مهملة والف مقصورة وهو لفظ عبراني معناه الفارق بين الحق والباطل والمراد مظهر الولاية التي هي باطن النبوة والمراد بابي وابيكم ربي وربكم والاوايل يسمون المبادي بالاباء انتهى فالحاصل انه بباء موحدة بقا واخره الف ثم عرب بباء وفاء وحذفت الالف من اخره وفيه ثلاثة اوجه وقالوا حقيقته المخلص كما علمت وتفسيره بالفارق الخ بيان لحاصل المعنى ومن كذب جهلة النصارى ان الفارقليط نار تنزل على التلاميذ من السماء بها يفعلون العجايب وفي ترجمة الانجيل ان احببتموني فاحفظوا وصيتي وانا اطلب لتعطيكم فارقليط اخر يكون معكم الدهر كله قال بعض اهل العلم بالكتب السالفة هذا صريح في ان الله يبعث اليهم من يقوم مقامه في تبليغ رسالته وتكون شريعته مؤبدة وليس الا هو محمد صلى الله عليه وسلم وهم يختلفون في معنى الفارقليط والذي صح عنهم انه الحكيم الذي يعرف السر وفي الانجيل ما يدل على انه الرسول فانه قال هذا الكلام الذي تسمعونه ليس هو لي بل للاب الذي ارسلني كلمكم بهذا وانا معكم واما البارقليط فروح القدس الذي يرسل الى باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم جميع ما اقول لكم وهم يزعمون انه روح القدس تفسير للبارقليط كما اثبته في شرح الانجيل واما الاب فكلمة تعظيم للمعلم وهم يسمون العلماء ابا روحانية وقوله يرسل باسمي اي يشهد بصدق رسالتي وهذا النص لك لفظه ومعناه وهذا مما انتخبته من كتب عديدة فاحفظه ومن اسمايه صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وروي مود مود وميذ ميذ والاول هو الذي صح روايته عند المؤ والثاني ذكره العزفي وقال انه اسمه صلى الله عليه وسلم في صحف ابراهيم وذكر الثالث وقال انه اسمه في التوراة وهو بميم مفتوحة والف غير مهموزة وذال معجمة ساكنة كما في المقتفي وقال انه ينبغي ضم ذاله لانه اسم غير منصرف للعلمية والعجمة وتقديره انت ماذ ماذ اي يا ماذ ونقل الشهاب الحجازي الاديب شيخ السيوطي نقلا عن السهيلي ان ميمه مضمومة والف مهموزة بين الواو والالف وقال انه سمعه من بعض احبارهم والظاهر انه تكرر للتاكيد او المراد انه طيب في نفسه او في دنياه وطيب في صفاته واخريه وكونه اسما واحدا

مثل

مثل مرمر او مركب بخلاف الاصل وقيل ان داله مهملة وفي شرح رسالة الكندي المنسوب
للغزالي انه سمع ممن اسلم من احبار اليهود انه في التوراة اشارة لمحمد صلى الله عليه وسلم
في قوله لابراهيم اني قد استجبت لك في اسمعيل وانا اباركه واعظمه بماد ماد وهو
محمد من طريق العدد لان فيه ميمين في مقابله وبا موحدة والعين وداليه باثني عشر
وهو عدد الحا والدال من محمد وهذا يقتضي ان داله مهملة وهذا مما لم يذكره احد
من ارباب الحواشي والشروح ومما قاله التلمساني من انه يحتمل ان يكون ماخوذا
من الماذي وهو العسل الابيض لحلاوته في ذاته وصفاته او الماذي بمعنى الدرع
اللينة السهلة لانه حصن حصين للعالمين ليس بشي لانه يقتضي انه عربي ولم
يقل به احد قط وحمطايا هذا او ما قبله رواه ابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس
رضي الله عنهما وضبطه الشمني في حاشيته بفتح الحا المهملة وفتح الميم المشددة وطا مهملة
مخففة والعين بينهما مثناة تحتية وفي العزيزي انه بكسر الحا وميم ساكنة يليها يا
مثناة تحتية والف ثم طا والف هكذا احيا طا وفي المواهب انه بفتح الحا وسكون الميم
ومثناة تحتية والف وطا مهملة والف بعدها وقال انه بكسر ويا او نون واما معناه
فقال ابو عمرو عن بعض الاحبار ان معناه يمنع من الحرام ويحمي الحرم اي يمنع ما كان
في الجاهلية من الانكحة وغيرها من المحرمات فالحرم بفتحتين او بضم ثم فتح وفي الرابعة
الابنية معناه حامي الحرم او نبي الحرم والخاتم حكاه كعب الاحبار تقدمت
ترجمته واختلف الشراح في ضبط ذلك وروايته فقيل هما بالخا المعجمة الا ان الاول
بفتح التا والثاني بكسرها او بالعكس وهو بعيد لانه تقدم فلا وجه لاعادته وقيل
الاول معجم والثاني مهمل وفسر بانه احسن الانبيا خلقا وخلقا كما ذكر والظاهر
انه من الحتم وهو الاحكام لاحكام الفضايل الاحكام ويجمع على حتوم كما قال
امية بن ابي الصلت

عبادك يخطئون وانت رب ... بكفيك المنايا والحتوم

والحاتم القاضي كما في الصحاح ووجه الاول انه ختم الانبيا كالخاتم الذي يتزين
به فهذا ان كان تفسير للخاتم بالمعجمة فهو في قوله وقال ثعلب فالخاتم الذي
يختم الانبيا والحاتم احسن الانبيا خلقا وخلقا يكون اشارة الى تفسيره على وجه
يسقط به التكرار وسكت عن الثاني لظهوره وان كان الاول هنا بالمعجمة والثاني
بالمهملة كما ضبط في بعض الشروح والحواشي وهو مروي عن المهم ففيه مع التكرار
ان تفسير الحاتم بالمهملة بما ذكر ليس معروفا في اللغة وانما معناه ما تقدم حتما
الا ان يتكلف انه من الحتم بمعنى الخالص وقد قالوا فيه انه مقلوب من المحض ولك
ان تقول انه من الحتامة وهي بقية الطعام كانه اخر ما بقي من نعم الله وقرن بالخاتم
وان تكرر لهذه النكتة والعجب من الشراح انهم لم يتعرضوا لهذا مع ظهوره وتسمى
بالسريانية وهي لغة ادم عليه الصلاة والسلام واول اللغات ومنها انشعبت
سائر اللغات ثم صار امهات اللغات ثلاث السريانية والعبرانية والعربية وفي
بيان معنى نسبتها كلام لا حاجة اليه هنا وهي بضم السين ورا ساكنة او مكسورة
وما قيل انه من السر لان الله علمها لادم سرا بعيد وقال السيوطي رحمه الله

يمنع

انه منوال الفعو بالسريانية والمجرالبية مشفح بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفاء مفتوحة
او مكسورة مشددة فيهما وروي بالقاف وحاء مهملة وسمي به صلى الله عليه وسلم في
كتاب شعيا وقال البرهان لا اعلم صحته ولا معناه ونقل بعض اهل العصر عن ابن فورك
ان معناه محمد لانهم يقولون شفح لاها اي محمد الله ونبه فيه التلمساني والمنحمنا قال البرهان
هو بضم الميم ونون ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة وميم مكسورة ونون مفتوحة مشددة والف
مقصورة وقال التلمساني الميم الثانية مثلثة ومعناه روح القدس وهو بالسريانية
محمد وبالرومية البرقليطس ونحوه في تذكرة الصفدي وضبطه بعضهم بفتح
الميمين ونقله السيوطي عن ابن دحية وقال ابن سيد الناس في السيرة معناه محمد
وهو محتمل لانه اسم له وللكونه بمعناه واسمه في التوراة احيد قال السمني هو بضم الهمزة
وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية وكسرها ودال مهملة وقيل انه بفتح الحاء
المهملة وسكون الياء التحتية والمحفوظ فتح الهمزة وسكون المهملة وفتح التحتية
وهو غير عربي وفي الكامل روايه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم
قال اسمي في القران محمد وفي الانجيل احمد وفي التوراة احيد وانما سميت احيد لاني
احيد امتي عن نار جهنم وكذا اخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ويؤيده انه
ضبط بكسر الجامع فتح الهمزة وضمها وهو عربي من حاد يحيد اذا عدل ومال انه
لم يكن من توافق اللغات وذكر الماوردي في تفسيره وضبطه بمد الالف وكسر
الحاء كما في الرياض الانيقة وفي الشرح الجديد ان الذي في المنح بضم الهمزة وحاء مكسورة
مهملة ومثناة تحتية ساكنة والمشهور فتح الهمزة وسكون الحاء وفتح الياء وفي نسخة
بفتحها وكسر الحاء وسكون الياء وما قيل انه من الواحد لانفراده في ذاته وصفاته فيه
ما لا يخفى وروي ذلك ابن سيرين الامام الحجة الثقة الزاهد الورع الشايع
صيته في الافاق ابو بكر محمد بن سيرين الانصاري وروى عنه الايمة الستة وتوفي
بعد مائة وعشر وهو من اعلم التابعين رضوان الله عليهم اجمعين ثم انه رجع
الى تفسير بعض الاسما السابقة فقال ومعنى صاحب القضيب اي السيف كما تقدم
ومعنى مبتدأ خبره وقع ذلك في الانجيل مفسرا قال اي الله في الانجيل وكون
فاعله ضمير الانجيل تجوزا تكلف وفي القاموس القضيب السيف القاطع كالقاضب سمي به
من القضب لانه اقتطع من الحديد معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك
اي تقاتل بالسيف الاعدا ثم اشار الى معنى اخر فقال وقد يحمل على انه القضيب
الممشوق اي قد يفسر به وهو مجاز من الحمل على الظهر فيجعل التاويل به كجعله
عليه استعارة سارت حقيقة شايعة فيه وقد للتحقيق وقد تجعل للتقليل
لقلة تفسيره بالنسبة لما قبله والقضيب فعيل بمعنى فاعل من قضبه بمعنى
قطعه فهو في السيف بمعنى انه بالغ في القطع الى حد لم يصل اليه سواه فهو
عبارة عن شجاعته وكثرة جهاده وكثرة غزواته وفتوحاته وغنايمه فان
كان بمعنى العصا فهو بمعنى مفعول لانه مقطوع من الشجر وقد مر انه كان له
صلى الله عليه وسلم عصا على عادة العرب في اتخاذ عظمايهم وخطبايهم عصيا
يشيرون بها كما قال الشاعر

لاها

في كونه

في كفه خيزران ريحه عبق • في كف اروع في عرنينه شمم •

كما في كتاب العصا للجاحظ وفي القاموس قضيب ممشوق طويل دقيق من المشق وهو
جذب الشيء ليطول وكان له صلى الله عليه وسلم قضيب يسمى الممشوق ومحجن يستلم
به الركن وقال ابن الجوزي كان له صلى الله عليه وسلم قضيب وهو الذي كان يمسكه عليه
الصلاة والسلام وهو الان عند الخلفاء يمسكونه تبركا به فكان لهم واحدا بعد واحد
واما الهراوة التي وصف بها وصفا لعنوا في تسميته صاحب الهراوة وتقدم تفسيرها فكان
صلى الله عليه وسلم يحملها ويتوكأ عليها او هو من سنن الانبياء وهي في اللغة العصا وانا
والله اعلم بضم الهمزة او فتحها بمعنى اظنها او اعتقدها وان المراد بها هنا في التسمية
العصا المذكورة في حديث الحوض الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم اذود الناس عنه
بعصاي لاهل اليمن اذود بمعنى اطرد وامنع وهو بذال معجمة في اوله ومهملة في اخره
وهذا الحديث رواه مسلم في المناقب هكذا لاهل اليمن اي لاجلهم فانهم على بعد شقتهم
اجابوا دعوته صلى الله عليه وسلم من غير تردد وقال فاوردهم الحوض قبل غيرهم ليريحهم
كما اراحوه فالجزاء من جنس العمل وفيه روايات فروي لاهل اليمن كما ذكر ومع صحته
معنى فالقول انه من طغيان القلم ومر عن النووي ان هذا التوجيه ضعيف وباطل
لان المراد تعريفه صلى الله عليه وسلم بصفة يعرفها الناس ويستدل بها عليه وانه
المبشر به في الكتب السالفة التي مبين فيها العنوان فلا وجه لتفسيره بما في الاخرة مما
لم يشعروا به ولكن يكفي في ذلك ذكره ما وقع في الكتب الالهية التي لم نقرأها ونقول
من فسره بهذا انما اراد تفسيره بامر يختص به وبعبيره على ما له وتقدم انه قيل
الاحسن حمله على العصا التي اعطاها صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلبت
سيفا فانه معجزة له كما قال الصرصري يمدحه صلى الله عليه وسلم •

وعصاه لما مسها بيمينه • فضلت عصا صارت الى ثعبان •

صارت معجزة اقوى من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بعصاه واما التاج
فالمراد به العمامة كما تقدم ولم تكن حينئذ اي في عهد مبعثه وحياته صلى الله
عليه وسلم الا للعرب والعمائم تيجان العرب اي قائمة مقام تيجان العجم المعهود
بينهم والتاج ما يوضع على الراس من الذهب المرصع بالجواهر والعمائم جمع عمامة
وسياتي الكلام على عمامته صلى الله عليه وسلم ولما لم نقنع في وصف الحبيب اطمعهم بما
مر قال فاوصافه اي الاوصاف التي اطلقت عليه والقابه وسماته جمع سمة
وهي العلامة كما تقدم في الكتب كثيرة اراد بها كتب الحديث والسير والكتب الالهية
وفيما ذكرناه مقنع ان شاء الله اي في المقدار الذي ذكره ما يحصل به القناعة عن غيره
مما في الكتب وفي المصباح مقنع كجعفر ما يقنع به يعني انه اسم مكان تجوز به عما يقنع به
وقيل انه مصدر ميمي من قنع بمعنى رضي والاول اولى وفي بعض النسخ هنا
زيادة من الحاق الهمز وهي وكانت كنيته المشهورة والكنية ما صدر باب او ام ونحو
ابا القاسم اشتهر بها صلى الله عليه وسلم لانه اول اولاده صلى الله عليه وسلم كما تقدم
وروي عن انس رضي الله عنه رواه احمد في مسنده والبيهقي لما ولد له اي للنبي صلى الله
عليه وسلم ولده ابراهيم من مارية القبطية جاريته المشهورة جاءه جبريل عليه

ها

عرضي

الصلاة والسلام فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم فكناه به كما كناه بالقاسم وتماكني
به صلى الله عليه وسلم ابو الارامل كما مر وابو المؤمنين وقد مرا وقرئ في الشواذ
وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقيل ان هذا وامثاله مما لم يضفه للابناء الحقيقية
لغة لا كنية كابي تراب

## فصل في تشريف الله تعالى له صلى الله عليه

وسلم اي تعظيمه وتفضيله بما سماه به من اسمائه عز وجل والباء سببية او للتعدية
الحسنى اي الحسنة الجليلة لدلالتها على معان محمودة وقال الراغب الفرق بين
الحسن والحسنة والحسنى ان الحسن يقال في الاعيان والاحداث وكذلك الحسنة اذا
كانت وصفا لا اسما فاذا كانت اسما فهي متعارفة في الاحداث والحسنى تكون في الاحداث
دون الاعيان انتهى ووصفه به من صفاته العلى بالضم جمع عليا ككبر وكبرى وفي
بعض النسخ العليا وفي المصباح العليا كل مكان مشرف ولا وجه لتخصيصه بالمكان
وقال الراغب العلى جمع لتانيث اعلى بمعنى افضل واشرف والصفات كاشفتان
قال القاضي ابو الفضل هو عياض المصنف رضي الله عنه وهو مما عبر به عن نفسه
من غير قصد التمدح لاشتهاره او زاده تلامذته كقوله في بعض النسخ وفقه الله
والتوفيق تهيئة الاسباب الموافقة وهي جملة دعائية معترضة ما احرى بفتح
الهمزة وحاء ساكنة مهملة وراء مقصور بمعنى احق واولى وهي صيغة تعجب من
زيادة لياقته هذا الفصل قال البرهان الفصل ضبط في الاصل بالرفع والظاهر
نصبه لان ما تعجبية كما تقول ما اكرم زيدا كما هو معروف في النحو بفصول
الباب الاول المعقود لثناء الله عليه واظهاره عظيم قدره وهذه التسمية دالة
على ذلك كما اشار اليه بقوله لانخراطه في سلك مضمونه اي لدخوله فيما تضمنه ودل
عليه من المناقب التي خرست عندها السنة الاقلام وفي السلك استعارة تخييلية
ومكنية غير انهم فسروا الانخراط بالانتظام وقد تتبعت اللغة وكلام العرب فسروا
فلم اجد الانخراط معنى لهذا المعنى بل هو مناف له فان اخترط السيف اخراجه
من غمده واخترط ورق الشجر ازالته عنه بجمع الكف ومنه خرط القتاد الا انهم
استعملوها كثيرا في كلام المصنفين الموثوق بهم كالزمخشري والسكاكي ولم يزل هذا
يختلج في صدري ولم اجد ما يثلجه حتى وجدت ابن عبادة قاله في جامع اللغة
خرطت الجواهر جمعتها في الخريطة وهي كيس فعلمت ان هذا منه غير انهم تسمحوا
في استعماله فذكروا السلك مكانه لانه مثله في جمع الجواهر فحمدت الله على ذلك
وامتزاجه اي اختلاطه بحيث لا يتميز احدهما عن الاخر ومنه المزاج بعذب معينها
وهو بفتح الميم وكسر العين المهملة بمعنى الجاري مطلقا او على وجه الارض
واصله معيون فاعل كمبيع فهو من عين الماء وميمه زائدة وقيل انه وزنه
فعيل ومعناه البعيد مجراه من امعن في سيره والعذب الحلو الذي يتغذى به
وفي تفسيره بالعذب مسامحة ووجه الاستعارة فيه ظاهر ثم استدرك الاعتذار
عن عدم ذكره في الباب الاول فقال لكن الله لم يشرح الصدر للهداية الى استنباطه
اي لم يفتح الله عليه به اولا باخراجه في محله واصل الاستنباط اخراج الماء ففيه
مع ما قبله مناسبة لطيفة وفي ذكر الحوض الاتي بعده لطف يزيدك وجهه حسنا

اذا ما زدته نظرا وقوله ولا اثارا اي دل دلالة واضحة الفكر بكسر الفا وسكون الكاف او فتحها جمع فكرة
استخراج جوهره والتقاطه اي استخراجه من بحاره او اخذه لفطنته وهذا ناظر لاغراقه في
سلكه وفيه استعارة ولف ونشر غير مرتب وفيه درة ودرة الا عند الخوض في الفصل الذي
قبله اي لم يهده الله للوقوف عليه الا عند الشروع فيما قبله واصل الخوض الشروع في المرور
في الما فاستعير لمطلق الشروع الا انه كما قال الراغب اكثر ما ورد في القران فيما يذم الشروع فيه
قرانيا ان نضيفه اليه اي الى الفصل الذي قبله بان نذكره عقبه لمناسبته له ومراده ان يجعله
كالضيف الذي انزل عنده فلذا قال ونجمع به شمله اي نضمه اليه والشمل بمعنى المتفرق اي
نجمع ما تشتت منه ويكون بمعنى الجمع نحو من الاضداد فاعلم خطاب لكل من يصح توجيه
الخطاب له كما مر ان الله خص كثيرا من الانبيا عليهم الصلاة والسلام بكرامته اي بامر
اكرمه وشرفه به خلعها عليهم من اسمائه اي اعطاها لهم والبسها اياهم والاصل في الخلعة
انها ثوب يلقيه الملك على من يكرمه او يوليه ولاية ويشاع في عرف الكتاب تسميته الخلعة
تشريفا واليه اشار المص بقوله في اول هذا الفصل في تشريف الله بما سماه من اسمائه
وفيه لطف لم ينتبهوا له وفي نسخة عليه بالافراد وفي نسخة جعلها بدل خلعها والصحيح
الاول لما عرفته وفيه استعارة لطيفة بجعل الاسم خلعة فيهما من النبهة واظهار التكريم
كتسمية اسحاق واسمعيل بعليم وحليم في قوله تعالى وبشروه بغلام عليم يعني اسحاق
وقوله فبشرناه بغلام حليم يعني اسمعيل وهذا بناء على ان المبشر به اسحاق وقيل هو
اسمعيل قيل ولهذا اجمع المص هنا بين اسحاق واسمعيل وابراهيم بحليم في قوله ان ابراهيم
لاواه حليم ونوح بشكور اي كثير الشكر في قوله ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا
في الاسرا بناء على ان الضمير له لا لموسى عليهما الصلاة والسلام كما تقدم ويحيى وعيسى
ببر في قوله وبرا بوالديه وبرا بوالدتي وهو صفة مشبهة من البر والبر خلاف البحر
ولما فيه من السعة توسعوا فيه فاشتقوا منه اي التوسع في فعل الخير وينسب ذلك
تارة الى الله نحو انه هو البر الرحيم والى العبد فيقال بر العبد ربه اي توسع في طاعته
فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة وذلك ضربان ضرب في الاعتقاد وضرب في الاعمال
وقد اشتمل منه قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم الاية ولذا لما سئل النبي
صلى الله عليه وسلم عن البر فتلا هذه الاية وبر الوالدين التوسع في الاحسان
اليهما ويستعمل البر في الصدق لكونه بعض الخير المتوسع فيه قاله الراغب وموسى
بكريم وقوي في قوله تعالى وقد جاءهم رسول كريم وقوله ان خير من استاجرت القوي
الامين وفي بعض النسخ بدل كريم كليم والصحيح الاول لانه لم يسمه به الله وان كان
الكلام من صفاته ويوسف بحفيظ عليم اي حافظ كثير العلم وهذا في قوله اجعلني على
خزاين الارض اني حفيظ عليم وايوب بصابر في قوله انا وجدناه صابرا نعم العبد واسمعيل
بصادق الوعد في قوله واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد لشهرته بوفا
ما وعد به من صبره على الذبح ووفا به ولا يرد عليه ان فيما ذكر ما هو من كلام
الملايكة والانبيا لانه تعالى حكاه واقره فكان في الحقيقة وصفا من الله بما ذكر
واسمعيل هو ابن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام لا ابن حزقيل فانه قول
غير مشهور وما قيل من ان هذه الصفات يوصف بها كل من قامت به فكل من قام به

ابن اقبرس

علم او حليم يقال له عليم وحليم مثلا فلا اختصاص لهذه الاسما بمن ذكر والجواب
بالفرق بين ثنا الله وثنا غيره فالاختصاص من حيث ان الله وصفهم بها وفيه غاية الاختصاص
وثنا الله على كثير من المؤمنين بالصبر والصدق ايضا لا ينافيه لان الثنا بهذه الصفات على
هولا من حيث ان الله جبلهم عليها وكذا ما قيل من ان عيسى عليه الصلاة والسلام هو
الذي وصف نفسه بما ذكر الا انه لما كان في حال الطفولية والله هو الذي انطقه على
خرق العادة فالواصف هو الله في الحقيقة كله تكلفات نحن في غنية عنها فان المولف لم
يذكرا لاختصاص وانما قال ان من اسما الله ما سمى به رسله تشريفا لهم وبيانا لتخلقهم
باخلاقه ولاشك ان هذه الصفات اذا اجريت على الله فلها معان لا تليق بغيره ولما
كان سمى ببعض منها لبعض رسله دل على انها بمعنى لا تليق بغيرهم ايضا وقد قال
ابن القيم في كتاب الفوايد ان الاسما التي تطلق على الله وعلى غيره اختلف فيها
فقيل انها حقيقة في الله مجاز في غيره وقيل على العكس وقيل انها مشتركة بينهما
وان كان هذا محتاجا للبسط والبيان كما نطق بذلك الكتاب العزيز اي كما دل عليه
القران نصا وتصريحا فالنطق مجاز عما ذكر كما في قولهم نطقت الحال والعزيز بمعنى
الغالب لغيره من الكتب باعجازه واستيعابه لما ليس في غيره من الكتب من مواضع
ذكرهم اي مستفادا من مواضع ذكرهم فيه وان حكاه عن غيره ففيه اشارة لما
تقدم وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم في القران على غيره ممن ذكر بان حلاه
منها في كتابه العزيز الباء سببية متعلقة بفضل وحلاه بفتح الحا المهملة وتشديد
اللام من الحلية وهي الصفة الظاهرة والحلي التي يتزين بها اي بان وصفه او زينه
وكرمه بما وصفه وسماه به في القران وعلى السنة انبيائه في الكتب المنزلة عليهم
او فيما نقل لنا منهم بعدة كثيرة بكسر العين وتشديد الدال اي بعدة اسما وصفات
كثيرة فتميز بكثرتها لان كثرة الاسما تدل على شرف المسمى اجتمع لنا منها جملة اي انه
جمع منها اسما متعددة بعد اعمال الفكر مصدر اعمله اي جعله عاملا فاعلا لما يريده
فكانه استخدمه فكان في النظر فيما يوخذ منه وتدل عليها واحضار الذكر اي
استحضارها وتذكرها والذال معجمة مكسورة وجوز ضمها وتفسير الذكر بالقران
هنا لا وجه له والحاصل انه اجتهد في جمعها وبذل فيها جهده وكما فاته اذ
لم يجد من جمع منها فوق اسمين قيل هما رؤف رحيم في سورة براة ولا من تفرغ
فيها للتاليف فمليء الفراغ خلاف الشغل الحسي والمعنوي يقال تفرغ لعمله اذا
اشتغل به وترك غيره واذ تعليل لما قبله وحررنا منها في هذا الفصل نحو
ثلاثين اسما نحو هذا بمعنى قريب اي يقرب من هذا العدد فلا يضر زيادة او
نقص قليل منها كما ان فوق فيما سبق بمعنى ازيد والتحرير بمعنى الكتابة
او التهذيب والتحقيق كما مر ولعل الله تعالى اي ارجو من الله عز وجل الذي
الهمنا ان يتم ما الهمنا والمراد الدعا كما الهم الى ما علم منها ممن الهم معنى ارشد
وهدى فعداه بالى فانه يتعدى بها وباللام وعلم بتشديد اللام اي علمني
من هذه الاسما وحققه اي بين حقيقته وجعله محققا متيقنا واطلعه عليه
يتم هذه النعمة وهي التعليم والتحقيق بابانة اي اظهار ما لم يظهر لنا حتى

نعق

نفى عليهم والكاف للتشبيه وقدم المشبه على المشبه به اهتماما به او هي للمبادرة كما في
قولهم كما يدخل صلى لان مبني على الفتح والالف واللام لازمة زائدة اي لم نلبث والى
حين تحرير هذا الفصل ويفتح غلقه بفتح الغين المعجمة وفتح اللام والقاف وهو ما
يغلق اي يقفل به كما في القنقي وفي بعض الشروح انه يضمنين وهو الباب المغلق ففيه
استعارة تصريحية مرشحة ويجوز ان يكون بفتحة ثم كسرة بزنة كتف من قولهم كلام غلق
والاستعارة تبعية في قوله يفتح فمن اسمائه تعالى الحميد بمعنى المحمود فهو فعيل بمعنى
مفعول لاستحقاقه الحمد لانه حمد نفسه وحمده عباده ببنا الفعل للفاعل فيهما وذكر
الاول توطية للثاني وبيانا لانه المحمود الحقيقي وحمد غيره له انما هو باقداره عليه وخلقه
لقوة النطق فيه فكانه في الحالين حمد نفسه فهذا اسر قوله الحمد لوليه اي لموليه معطيه
فليس احد مستحق الحمد سواه ويكون ايضا اي الحميد في اسمائه كما يكون بمعنى المفعول يكون
بمعنى الفاعل ثم قال بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات والاعمال الصالحة الصادرة من
عباده وقال الغزالي في شرح الاسما الحسنى انه يجوز ان يطلق على النبي صلى الله عليه وسلم
حميد لانه من حمدت جميع اخلاقه وعقايده واعماله الا انه لما لم ينقل لم يذكره المص فاشار الى
انه يرد اطلاق ما هو بمعناه عليه فقال وسمي النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد وهما
بمعنى حميد على الوجهين محمد بمعنى محمود لان كلا منهما اسم مفعول دال على مبالغة في
كونه محمودا وكذا وقع اسمه صلى الله عليه وسلم اي تسميته بمحمود في زبور داود وفي
نسخة زبر بكسر الزاي وضمها وضم البا وسكونها وهو مصدر او جمع بجعل كل جزء منه
زبورا بمعنى مزبور فلا يرد عليه ان هذا لا دليل فيه على تسميته باسم الله فلا يناسب
ما هو بصدده ثم اشار الى المعنى الثاني بقوله واحمد بمعنى اكبر من حمد بالموحدة وحمد
مبني للفاعل واجل من حمد بالبنا للمفعول ففيه لف ونشر والى نحو هذا اي كونه اسمه بمعنى
ما ذكر اشار حسان بن ثابت الانصاري المشهور بقوله له في شعر له من قصيدة مدح بها النبي
صلى الله عليه وسلم وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد • والشعر هكذا
بتمامه • الم تر ان الله ارسل احمدا • ببرهانه والله اعلى وامجد •

• وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد •

• نبي اتانا بعد ياس وفترة • من الدين والاوثان في الارض تعبد •

• فارسله منوا منيرا وهاديا • يلوح كما لاح الصقيل المهند •

وشق مبني للفاعل من شق الشيء اذا جعله قطعتين اي اشتق له صلى الله عليه وسلم
من اسمه اسما اجله وعظمه وهمزة اسمه مقطوعة للضرورة وانما قال المص نحو ولم يقل
الى هذا لان ما في الشعر ماخوذ من محمود والمص جعله ماخوذا من حميد وزيد في هذا

اغر عليه للنبوة خاتم • من الله من نور يلوح ويشهد •

وضم الاله اسم النبي الى اسمه • اذا قال في الذكر المؤذن اشهد •

وشق الخ والبيت المذكور رواه البخاري في تاريخه وعزاه لابي طالب وهو منقول
عن علي بن زيد فحسان رضي الله عنه توارد معه او ضمنه واستعان به ومن اسمائه
تعالى الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب لان الرافة نوع من الرحمة وقد تقدم
تحقيقه وقد سماه الله في كتابه اي القرآن بذلك اي الرؤوف الرحيم فقال

بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق
امره اي المتصف بالوجود الازلي الابدي من ذاته لذاته لانه واجب الوجود والمتحقق
بمعنى المتيقن وجوده لثبوته بالبراهين القاطعة وامره بمعنى شانه وما يجب ثبوته
من صفاته وافعاله والمتحقق بفتح القاف ويجوز كسرها وللحق معان اخر وكذلك
المبين اسم فاعل من ابان اللازم لانه ورد لازما ومتعديا اي البين الظاهر امره
والاهيته بان وابان بمعنى واحد فيكون متعديا ولازما وابان يكون بمعنى قطع
وفصل ايضا وبينه على اللزوم وعلى التعدي ويكون بمعنى المبين لعباده
امر دينهم في الدنيا ومعادهم في الاخرة وسمي النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي
الحق المبين في كتابه فقال تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين بناء على ان المراد
بالحق محمد صلى الله عليه وسلم ومبين بمعنى ظاهر لعظيم اياته ومعجزاته فلا
وجه لما قيل ان هذا ليس على وجه التسمية وانما هو وصف للرسالة وقال تعالى
وقل اني انا النذير المبين اي المحذر لكم من الله والمبين لكم امور دينكم وقال
تعالى قد جاءكم الحق من ربكم على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد به
القران وقال تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم من الله قيل هو محمد اي المراد به في
هذه الاية وتكذيبه صلى الله عليه وسلم بتكذيب رسالته وما جاء به وقيل المراد
به القران بدليل التكذيب ومعناه اي الحق هنا ضد الباطل من حق بمعنى ثبت
والمتحقق صدقه وامره هو تفسير لما قبله او معنى اخر وفي تفسير البيضاوي الحق
الثابت الذي لا يسوغ انكاره فعم الاعيان والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من
قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج وهو بالمعنى الاول ضمير
هو راجع الى قوله المتحقق صدقه وامره والمراد بالمعنى الاول كون الحق اسما
لمحمد صلى الله عليه وسلم والمبين على هذا التفسير البين الظاهر الذي لا يخفى
امره ورسالته وهذا على كونه من بان اللازم او هو المبين بتشديد المثناة التحتية
المكسورة عن الله ما بعثه به للخلق كافة وعداه لتضمنه معنى المبلغ او هو حال بتقديرنا
نلا كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم من شرايعه واحكامه وهذا على انه من
ابان المتعدي ومن اسمائه تعالى النور وقد قدمنا ما قاله الغزالي انه حقيقة في
ذات الله لان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره والى هذا ذهب حكما ويشير اليه قول
الاشعري رحمه الله انه نور ليس كالانوار وما قاله السهيلي في الفرق بينه
وبين الضيا بانه ذاته المنير هذا الضوء والضيا اشعته المنتشرة عنه ولذا قال جعل
الشمس ضيا والقمر نورا لكثرة اشعتها فلا وجه لما يتوهم من ان الظاهر العكس ولا
حاجة لتاويله اذا اطلق على الله فان اردت فطالع مشكاة الغزالي والمشهور فيه
التاويل كما اشار اليه المص بقوله ومعناه ذو النور وخالقه عطف تفسير وهذا
تاويل له بتقدير مضاف فيه لما مر او منور السموات والارض فعلى الاول هو
حقيقة وعلى هذا هو مجاز كعدل بمعنى عادل لانه المنعم على اهلهما بالانوار
الفايضة عليهما بواسطة الكواكب ودونها والنور على هذا بمعناه الحقيقي
او منور قلوب المؤمنين بالهداية ولذا ورد تفسيره بالهادي وهذا على استعا

اي القصص

النور

النور الهداية لما فيهما من الدلالة ثم استعماله بمعنى المنور اي الهادي ففيه مجاز على مجاز
اشتهار الاول حتى صار كالحقيقة وسماه اي سمى الله نبيه صلى الله عليه وسلم نورا فقال
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل المراد بالنور في هذه الاية محمد صلى الله عليه وسلم
لظهور اياته وقيل القرآن لانه ظلمة الكفر والجهل ولا يشكل على الاول افراد الضمير — عوضي
بعده في قوله يهدي به الله من اتبع رضوانه مع تغايرهما وعطفهما بالواو دون او كما قيل
لان الضمير راجع اليهما معا باعتبار المذكور او لانهما كالشيء الواحد وهداية احدهما
عين هداية الاخر وقد صرح الغزالي في تفسيره بجواز مثله جوازا مطرحا او به ورد القرآن
في ايات كثيرة كما بيناه في السوانح وانشد عليه شاهدا

رماني بامر كنت منه ووالدي ● بريا ومن جول الطوي رماني

وقال فيه اي في وصف النبي صلى الله عليه وسلم وساده وسراجا منيرا فسماه سراجا
كما سماه نورا على نهج الاستعارة او التشبيه البليغ ثم بينه بقوله سماه بذلك اي
بالنور والسراج وفي نسخة سمي بذلك لوضوح امره كالنور الذي لا يخفى وبيان نبوته
اي كونها مبينة ظاهرة وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين به وبما جاء به وهذا ناظر
لقوله هو منور قلوب المؤمنين بالهداية وفيه تنبيه لاطلاقه على القرآن ضمنا ومن — بينة
اسمائه تعالى التي شرف بها نبيه صلى الله عليه وسلم الشهيد من الشهادة وهي العلم
والاخبار بما عاينه او من الشهود وهو الحضور ومعناه العالم لان من شهد شيئا
علمه علما تاما قال تعالى لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون اي تعلمون وفي
شرح المواقف الشهيد القائم بالغايب والحاضر ويخالفه اطلاق المص فلا يرد عليه
انه فسر الاخص بالاعم وقول الغزالي اذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم وان اضيف
الى الغيب والامور الباطنة فهو الشهيد فتدبر وقيل الشاهد على عباده يوم
القيامة اذ يبين لهم ما صدر منهم في حياتهم الدنيا اذ لا يخفى عليه خافية وسماه — خ في الحياة
اي سمى الله نبيه صلى الله عليه وسلم شهيدا او شاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا
مقبولا شهادتك على امتك ولهم وهو حال مقدرة وقال تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا اشارة الى ما رواه
مسلم من ان الله يسال الانبيا عليهم الصلاة والسلام هل بلغتم فيقولون نعم
فتنكر اممهم فيقول لهم من يشهد لكم فيقولون محمد وامته فتشهد امة محمد ويشهد
عليه الصلاة والسلام لامته بصدقهم وهذا معنى لانه وهذه الشهادة لهم
لا عليهم لكن ضمن شهيدا معنى رقيبا وقدم الجار لاختصاصه بهذه الشهادة
وفيه فضيلة له صلى الله عليه وسلم فان الانبيا يحاسبون يوم القيامة وهو
لا يحاسب وفضيلة لامته اذ لم يكذبوا تبليغه وقد تقدم الكلام على هذه الاية
وهو اي الشهيد الذي اطلق عليه صلى الله عليه وسلم بمعنى الاول اي الشاهد
او بمعنى الشهيد الاول الذي اطلق على الله والاولية على الوجهين لمطلق
التقدم وقيل وصف اسمه الشاهد بالاولية مع كونه ثانيا لذكر امته قبل اية
اسمه الشهيد ومن اسمائه تعالى اي من اسما الله التي سمى بها نبيه الكريم ومعناه — خ كثير
الكثير الخير وهذا اصل معناه لغة وان اختص في عرف اللغة والعرف العام

بالتسمي الكثير العطا واليه اشار المص بقوله وقيل المفضل بوزن محسن ومعناه
ولذا فسر بمن يعطي عفوا بغير وسيلة وسؤال وقيل العفو فعول من العفو
وهو التجاوز عن سيئات من اسا فيل وهو ابلغ من الغفور من حيث ان الغفر ستر
السيئة والعفو محوها وهو في الاصل القصد لتناول الشيء فاستعير لقصد ازالة
المحو وقيل العلي وهو البالغ الى رتبة فوق كل رتبة فهو العلي في ذاته وصفاته
وفسره الغزالي بانه الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا اعطى زاد على منتهى
الرجا ولا يبالي كم اعطا ولا لمن اعطا وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب
وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا فيغنيه عن الوسايل والشفعا فمن اجتمع
له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم المطلق وذلك هو الله وحده لا يناله غيره
الا بالاكتساب والتحمل ومع ذلك لا يستوفي في جميع انواعه ولذا جاز اطلاقه على غيره
تعالى كالنبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المروي الذي رواه ابن ماجه في سننه
في اسمايه تعالى اي في اسما الله وهو متعلق بالمروي او بمقدر اي عد في اسمايه
الاكرم اي الزايد على غيره في صفة الكرم وهذا يقتضي مشاركته لغيره في هذه
الصفة ان فسرت بمعنى يوجد فيه وفي غيره فان فسرت بما تقدم عن الغزالي
وهو مختص بالله فالتفضيل ليس على بابه بل بمعنى الكريم او على اصله على طريق
التسامح كما في قوله احسن الخالقين قال ابن عبد السلام في ما يشبه هذا وخير الراحم
الراحمين واحكم الحاكمين مشكل لان افعل يضاف الى جنسه وهذا ليس كذلك لان
خلق الله ايجاده وهو من غيره بمعنى الكسب وهما متباينان والرحمة من الله ان
حملت على الارادة صح لان المعنى اعظم ارادة من سائر المريدين وان حمل من مجاز التشبيه
وهو ان معاملته تشبه معاملة الراحم صح ايضا لانه مشترك بينه وبين عباده
فان اريد ايجاد الرحمة فهو مشكل اذ لا موجد غير الله واجاب الامدي بان معناه
اعظم من يسمى بهذا الاسم واستشكل بان التفاضل في غير ما وضع له اللفظ يصح
على مذهب المعتزلة لان الفاعلين عندهم كثير ثم انه قيل على المص ان اثباته تسمية
الله بالاكرم بالحديث غفلة عن تسميته بذلك في القران في قوله تعالى اقرا وربك
الاكرم ولك ان تقول ان الذي في الاية على سبيل التوصيف والذي ذكره انه عد
في الحديث في سلك الاسما الحسنى وهو ادل على مراده وسماه الله تعالى كريما
اي سمى الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله انه لقول رسول كريم قيل اي
قال بعض المفسرين هو في هذه الاية محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو جبريل
عليه الصلاة والسلام وهو قول اكثر المفسرين كما مر لانه الظاهر من السياق
وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد ادم اي اشرف من سائر الخلق الانبيا
وغيرهم وقد تقدم مرارا وانه ومعناه ثم اشار بقوله ومعاني الاسم
اي الكريم والاكرم صحيحة في حقه صلى الله عليه وسلم لاتصافه بغاية الكرم
الى انه لاتصافه بمعناه والمراد بالاسم ما يطلق عليه سوا كان اسما او صفة
فسقط ما قيل ان تسميته كريما على سبيل التوصيف لا على طريق الاسما الاعلام
وقوله اكرم ولد ادم المراد به تفضيله صلى الله عليه وسلم عليهم لا التسمية هنا

الكم

الاسم بل ينبغي ان يقال باختصاص الاكرم بالله وهو فعله عما قررناه بل هو ناش عن عدم
فهم كلام المص وفي ذلك اشارة الى شرفه بكونه كريما واكرم ومن اسمائه تعالى العظيم
وهو الذي عظم حسا او قدرا ورتبة والمراد الثاني لانه عز وجل هو العظيم على الاطلاق ق
لبلوغه مرتبة من العظمة لا تحيط بتصورها الافهام ولا تتخيلها الاوهام لتنزهه عن
ان تحيط العقول بكنه ذاته وصفاته فلذا قال ومعناه الجليل الشان بهمز او الف
مبدلة منها الذي كل شي دونه اي قاصر عن بلوغ رتبته اذ لا كمال يدنو من كماله في ذاته ابن اقبرس
وصفاته والعظيم والجليل والكبير معانيها متقاربة الا انه قيل ان الكبير هو الكامل
في ذاته والجليل هو الكامل في صفاته والعظيم هو الكامل فيهما وقال تعالى في حق النبي
عليه الصلاة والسلام وانك لعلى خلق عظيم فقد جمع الله له من محاسن الاخلاق ما لا
يتصور في احد سواه واذا وصف خلقه بالعظيم فقد وصفه به فكان من اسمائه فلا يرد
عليه انه وصف لخلقه صلى الله عليه وسلم لا له فيلبس ولا ان العظمة مختصة بالله
او نقول انه توطية لقوله ووقع في اول سفر من التوراة بكسر السين وسكون الفاء
وراء مهملة وهو الكتاب عن اسمعيل ابن ابراهيم خليل الله عليهما الصلاة والسلام
وكان الظاهر ان يقول في حق اسمعيل فكانه صفة سفر اي سفر فيه ما يتعلق باسمعيل
عليه الصلاة والسلام وسيلد عظيما لامة عظيمة وفيه مبالغة في وصفه بالعظمة اذ

جعل اتباعه عظماء فما بالك به

واذا سخر الاله سعيدا • لاناس فانهم سعداء

ومن اسمائه تعالى الجبار وهو صيغة مبالغة على خلاف القياس اذ لم يجئ جبر بل اجبر
فهو مجبر وجبار وجبر متعد ولازم يقال جبرت العظم وجبر جبورا وجبر الفقير ونحوه
من الناس الشديد العدوان وله معان في كلام العرب القهار والمسلط قال تعالى
وما انت عليهم بجبار كما يأتي والقوي العظيم الجسم والمتكبر والقتال والنخلة
الطويلة وتجبر النبت طال وجبره على كذا اكرهه والجبر خلاف الغدر والجبرية
بفتح البا وسكونها وقال ابو عبيد انه مولد والمجبر الذي يجبر العظام المكسورة
اي يصلحها يقال اجبرت وجبرت وهو اكثر قال • قد جبر الدين الاله فجبر • ويقال
جبرتها ايضا ولما ذكرناه من معناه الحقيقي لغة اختلفوا في تفسيره حيث وقع
صفة كما قال المص ومعناه المصلح للعالم ولامور عباده تفضلا به من جبرت
العظم والفقير فهو من صفات الافعال وقيل القاهر فيرجع الى صفات القدرة
الذاتية فما من مخلوق الا وهو مقهور في قبضة تصرفه يفعل به ما يريد وقيل
العلي العظيم الشان من قولهم نخلة جبارة ونبت جبار اي طويل فاستعير من العلو
الحسي للمعنوي ولذا فسروه بالعالي فوق خلقه فهو صفة ذاتيه وقيل المتكبر
المتعظم الذي يرى الكل حقيرا بالاضافة الى ذاته من قولهم فيه جبرية وجبروة
اي تكبر وعظمة ولذا كان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده وركوعه سبحان
ذي الملك والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت وسمي النبي صلى الله عليه وسلم
بالبناء للمجهول اي سماه الله في كتاب داود اي الصحف الالهية المنزلة عليه
صلى الله عليه وسلم بجبار فقال الله مخاطبا له صلى الله عليه وسلم لتنزيله

منزلة الموجود لتحققه في علمه الحضوري عنده تقلدا ايها الجبار سيفك يقال تقلد السيف
اذا احتمل حمايله على عاتقه وجعله كالقلادة وفيه اشارة الى انه سيؤمر بالقتال فان
ناموسك اي الوحي النازل عليك او عظمتك في قلوب الناس وهذا المعنى شايع بين
الناس واصل معناه كما في القاموس صاحب السر المطلع على باطن امرك او صاحب سر الخير
وصاحب سر الشر جاسوس وقترة الصايد وهي شي يختفي فيه الصايد لياخذ الصيد
وفي البيان للجاحظ قال الزبيدي الناموس دويبة تلسع الانسان مشتق من نمس
الكلام اخفاه وسمي جبريل عليه الصلاة والسلام بالناموس الاكبر لانه يخفي الكلام
حتى يلقيها الى الرسل عليهم الصلاة والسلام انتهى وشرايعك يحتمل انه عطف
تفسير ولذا وحد الخبر في قوله مقرونة بهيبة يمينك اي بالخوف من سيفك فكنى بما
ذكر عنه او نحوه باليمين عما فيه ومعناه في حقه النبي صلى الله عليه وسلم اي معنى
الجبار الذي هو من اسما الله اذا اطلق في وصف النبي صلى الله عليه وسلم يقال كذا
ورد في حق كذا اي امره وشانه المتحقق فيه ولو فسر الجبار في كتاب داود بالمجاهد القتال
الذي هو احد معانيه بقرينة ما بعده كان اولى من قوله اما لاصلاحه لامته بالهداية
والتعليم اي ارشادهم لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم وتعليم امور دينهم فعلى هذا
سمي صلى الله عليه وسلم باسمه الجبار بمعنى المصلح او لقهر اعدائه وفي نسخة لقهره
اعداه وهذا اشارة الى انه سمي بالمعنى الثاني الذي مر بيانه او لعلو منزلته على
البشر فهو مسمى به باعتبار المعنى الثالث وهو العلي ولو قال على الخلق كان احسن
وقيل انه يفهم من تفضيله على البشر تفضيله على الجن والملك بالطريق الاولى
وفيه نظر وعظيم خطره هذا اشارة الى انه اما مستعار من العلو الحسي فيتنزل الرتبة
فيتنزل منزلته ويتخيل فيه انه ارتفع في مكان عال او علو القدر وهو العظمة وهنا
على هذا الوجه وعلى الاول هو كقول ابي تمام وقد ذكر علو مد وجد
ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السما
واصل الخطر ما يعطى في الرهان للسابقة ثم استعير للشرف فيقال له خطر ورجل
خطير وهو من اضافة الصفة لموصوفها ولله در الغزالي رحمه الله في قوله
الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو
رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء به وعلى متابعته في سمته
وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد ويؤثر ولا يتاثر ويستتبع ولا يتبع
لا يشاهده احد الا ويفنى عن ملاحظة نفسه ويصير مستوفى الهمة به غير ملتفت
الى ذاته ولا يطمع احد في استدراجه واستتباعه وانما حظي بهذا الوصف سيد
البشر صلوات الله وسلامه عليه حيث قال لو كان موسى عليه الصلاة والسلام
حيا لما وسعه الا اتباعي وانا سيد ولد ادم ولا فخر وفي كلامه لف ونشر وايجاز
اذ اصل معناه في حقه عليه الصلاة والسلام كمعناه في حق الله وان لم يكن
يساويه او يقاربه ويدانيه ولما كان المعنى الاخير وهو المتكبر لا يصح في حق النبي
صلى الله عليه وسلم بوجه من الوجوه قال ونفى عنه في القران جبرية المتكبر
لعصمته الذي بالجبروت وجبروت وجبروة كفروجة الكبر كما قاله القرطبي في شرح

الاسما

عوض

الاسما الحسنى واضافتها الى التكبر احترازا عن الجبرية بمعنى الجبر وهو خلاف القدر
وقال القرطبي الجبرية بفتح البا خلاف القدرية عن الجوهري وحكى عن الزجاج الجبرية
بالاسكان وهو الصواب وعن ابي عبيد انه مولد التي لا تليق به صلى الله عليه وسلم لما
تقدم من تواضعه صلى الله عليه وسلم ولان الكبريا والتكبر من صفات الله التي لا تليق
بغيره ومعنى يليق يناسب ويحسن فقال وما انت عليهم بجبار تفسير لقوله لستعليهم
وتقدم انه فسر بمسلط والتكبر هو التعاظم على الغير واستحقاره وهو محرم على كل
مخلوق وبما ذكرناه علم ما في قول القرطبي في شرح الاسما الحسنى انه يجب على كل مسلم
مكلف ان لا يتصف باسم الجبار ولا يتعاطاه وانما حظه الاتصاف بنقيضه فان اطلاقه
بإبائه اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم فينبغي تقييده ببعض معانيه وقيل تفسيره
بالمسلط اولى لانه نزل في حق اهل مكة وانكارهم لبعثته فامره بان ينذرهم ولا
يجبرهم على الايمان ويتسلط عليهم حتى يسلموا او لانه منسوخة باية السيف لانها
من سورة قاف وهي مكية وانما امر صلى الله عليه وسلم بالقتال بالمدينة وعلى ما
ذكره المص تكون غير منسوخة ومن اسمائه تعالى الخبير وقد ورد في القرآن معرفا
ومنكرا قال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير من الخبر بالضم وحقيقته استكشاف
باطن المخبور حتى يستوي عنده ظاهره وباطنه ولذا قيل للحارث خابر ويكون بمعنى
المخبر والمختبر والله تعالى مختبر لعباده قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة فهو من صفات
الافعال ويكون بمعنى العليم من صفات الذات واذا كان بمعنى المخبر رجع الى صفة الكلام
فقوله ومعناه اذا اطلق على الله المطلع على كنه الشي اي الواقف على حقائق الاشيا
وكنه الشي بضم فسكون له معان منها الحقيقة كما في التهذيب يقال اكتنهه
اذا بلغ كنهه فقوله في شرح المفتاح انه مولد لا وجه له وتعديه بعلى لانه
بمعنى العالم بحقيقته وهي ذاته لا غايته كما قيل وقيل معناه المختبر
واصله المجرب والمراد به في حقه تعالى استدراج عباده حتى يعلم الصابر من
غيره فتلزمه الحجة او يعلم سلوكه المحجة وهو اعلم بهم وفي بعض النسخ المخبر
اي المخبر انبياءه ورسله بكلامه المنزل عليهم او المخبر عباده يوم القيامة بما عملوا
فانه لا يعزب عن علمه شي ثم شرع في بيان تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم
به فقال قال الله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم
استوى على العرش الرحمن فاسال به خبيرا اي عنه والباء بمعنى عن والضمير
لخلق السموات والارض والاستوا على العرش المذكور قبله والخبير بمعنى العالم
ثم قال المؤلف رحمه الله قال القاضي بكر بن العلا بفتح الموحدة والعين
المهملة وهو بكر بن محمد بن العلا بن زياد القشيري من ولد عمران بن الحصين
رضي الله عنه توفي ليلة السبت لسبع بقين من ربيع الاول سنة اربع
واربعين وثلثمائة المامور بالسؤال في الاية غير النبي صلى الله عليه وسلم
من كل من يتاتى منه السؤال لا النبي لانه المخاطب والمسؤول الخبير هو النبي صلى
الله عليه وسلم لانه العالم بحقيقة ما ذكر دون غيره ففيه دليل على تسميته
خبيرا وقال غيره اي غير القاضي بكر بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم لانه

ع صح

ع صح

لهم

المخاطب به والمسؤل الله تعالى فالنبي خبير بالوجهين المذكورين اي على التفسيرين فالبا
بمعنى على او ظرفية اما الاول فظاهر لاطلاقه عليه ولانه لو لم يكن خبيرا لم يؤمر
بسؤاله واما على الثاني فلانه اذ تعلق في السؤال دال على اعلامه به وقيل المراد بالوجهين للسائل
تفسير الخبير بالعالم بالحقيقة وتفسيره بالمخبر قيل لانه عالم على غاية من العلم
بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته اي سمي خبيرا لما اعلمه الله به من الخفيات
والمغيبات التي اطلعه عليها بوحيه وما جبله عليه من المعرفة العظيمة مخبر لامته
بما اذن له في اعلامهم به دون ما لم يؤذن فيه من الاسرار الالهية وما بعد قيل
ناظر لكونه بمعنى العالم وهذا لكونه بمعنى المخبر والفرق بين هذا وما قبله لانه سمي
خبيرا باعتبار ما اجابه به بعد سؤاله والقبل باعتبار انه عالم قبل السؤال
فتدبر ومن اسمائه تعالى الفتاح قال الراغب اصل معنى الفتح ازالة الاغلاق
والاشكال وهو ضربان احدهما ما يدرك بالبصر كفتح الباب والقفل والمتاع
والثاني ما يدرك بالبصيرة كفتح الهم والمشكل ومنه فتح القضية اذا فصل الحكم
فيهما ومنه الفاتح والفتاح للقاضي وفتح الممالك الطغر بجامعة وفتح الله برزقه
اذا جاءه من حيث لا يحتسب ومعناه في حق الله الحاكم بين عباده في فصل القضاء او
بانتصاف المظلوم من الظالم وهو من صفات الافعال او فاتح ابواب الرزق والرحمة
لهم بتيسير ارزاقهم وتهيئة اسبابها وفتح اقفال موانعها والرحمة الانعام
اي المنعم عليهم الرازق لهم قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهو
استعارة في الاصل صار حقيقة عرفية والمنغلق من امورهم عليهم بالجر عطف
على ابواب اي فاتح المنغلق بمعنى ميسر كل صعب ومسهله وعليهم متعلق بفاتح
او بالمنغلق او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق الذي هو الله او خلاف الباطل
اي يزيل اقفال قلوبهم المانعة لهم وغشاوة ابصارهم وبصائرهم حتى يعرفوه
ويهتدوا لهدايته ويفتح مضارع معطوف على فاتح فان الفعل يعطف على الاسم
المشتقة لانها بمعنى وفي بعض النسخ بفتح بالبا الجارة والظاهر الاول وهذا معطوف
على مقدر اي المنغلق بتيسيره او بفتح الخ ويكون الفتاح ايضا كما كان بمعنى الحاكم
بمعنى الناصر المعين لان من شان الحاكم نصرة المظلوم وحمايته استشهد له بقوله
كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي لانه فسر هكذا ان تستنصروا
فقد جاءكم النصر من عند الله محمد لان اعدادينه وينصرنه للحق وقيل معناه مبتدى
الفتح والنصر لان الفتح جا بمعنى البدء ومنه فاتحة الكتاب لاوله ومبدئه ومعنى
مبتدي النصر انه موجده وميسره وما النصر الا من عند الله وقوله ان تستفتحوا
خطاب من الله لاهل مكة ابي جهل واصحابه ممن قتل ببدر تعلقوا باستار
الكعبة عند خروجهم من مكة وقالوا اللهم انصر على الجندين واهدى الفريقين
واكرم الحزبين فاجابهم الله تعالى متهكما بهم ان قد نصرتم وسمى الله تعالى
نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسرا الطويل الذي تقدم
ذكره من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة والفاتح ابن انس
بمعنى الفتاح والمبالغة التي فيه لا تنافي مشاركته له في اصل معناه كما توهم

وكذا

وكذا ما قيل من انه ليس بخاص به ولا على وجه التسمية ونحوه مما لا ينبغي ذكره وفيه
اي في حديث الاسرا من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما خاطبه به اذ
عرج به وجعلتك فاتحا وخاتما اي اول الانبيا واخرهم لما مر من انه صلى الله عليه
نبي قبل خلقهم وقد تقدم بيانه والمراد به ما قاله في شرح قوله وفيه اي في حديث
الاسرا من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنايه على ربه اذ حمده بمحامد لم يلهمها
قبل ونعد بد مراتبه اي مقاماته بين يدي ربه ورفع لي ذكري بجعله قرينا لذكره
كما تقدم وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا الحاكم واما خصه بذلك لانه لم يكن هم
لاحد قبل شرعه كمن بعثه او الفاتح لابواب الرحمة على امته اذ هداهم الى ما ارشد
الى سعادة الدارين او الفاتح لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان بالله لدعوتهم الى معرفته
تعالى وتوحيده او الناصر للحق والدين القويم بجهاده في سبيله تعالى او المبدي
هداية الامة لتقديمه ذلك على كل مهم له او المبدا المقدم في الانبيا كما بيناه اولا ه
والمبدا بضم الميم وتشديد الدال المهملة وهمزة كما قاله البرهان فالمقدم تفسير
له فان كانت به رواية فيهما والا فيجوز فتح الميم وسكون البا الموحدة المفتوحة
اولا وتخفيف الدال بمعنى الاول والخاتم لهم كما قال كنت اول الانبيا في الخلق لخلق
نور روحه قبلهم واخذ عليهم الميثاق في اتباع من ادركه منهم واخرهم في البعث
باعتبار الزمان وبما قررناه علمت الجواب عما قيل من انه لا اختصاص لما ذكر غير
الاخير به الا ان يقال انه وقع على اتم وجه بحيث لا يشاركه فيه غيره ثم ان المص لم
يقل انه لا بد في اسمايه من اختصاص معانيها به فتدبر ومن اسمايه اي من اسما
الله التي سمى بها نبيه صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه
الترمذي وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه في تعداد الاسما الحسنى الشكور وفي
القران ان ربنا لغفور شكور وللشكر معنيان لغوي وعرفي مشهوران واما في
حقه تعالى فمعناه المثيب اي المعطي الثواب الجزيل على العمل القليل فهو من
صفات الافعال وهو مجاز لان حقيقته الثنا المقابل للاحسان فاطلق على الانعام
المقابل للشكر لان العمل شكر اذ هو لا يختص باللسان فهو استعارة او من اطلاق
السبب على المسبب كقوله لين شكرتم لازيدنكم وهذا اقرب مما قيل انه الذي
يجازي على قليل من عمل الطاعة في ايام قليلة ما لا نهاية له من النعيم المخلد
كما قال تعالى كلوا واشربوا هنيا بما اسلفتم في الايام الخالية اي في الحياة الدنيا عرضي
لان المغايرة بينهما سهلة خلافا لمن توهم ذلك وقيل المثني على المطيعين وهذا
انسب بمعنى الشكر الحقيقي واقرب وقد اثنى الله على عباده الصالحين كثيرا في القران
وكتبه المنزلة وهو الذي خلق فيهم القدرة على الطاعة ووفقهم لها كما قال
ابن عطا الله في حكمه من نعمه عليك ان خلق فيك ونسب اليك ومع ذلك يثني بها نه
عليك فهو انما اثنى في الحقيقة على نفسه ثم ذكر ما يدل على ان اسما الله التي
سمى بها رسوله صلى الله عليه وسلم لا يلزم اختصاصه بها فقد يشرف بها غيره
كما مر فقال ووصفه اي الله عز وجل نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام بذلك عرضي
فقال انه كان عبدا شكورا قيل ويعلم من وصفه به وصف من هو افضل منه

وهو محمد صلى الله عليه وسلم فلانيا في ما هو بصدده من ذكر تسمية نبينا صلى الله
عليه وسلم باسمايه ولا حاجة اليه مع قوله وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم
نفسه بذلك فقال في حديث مشهور تقدم ذكره افلا اكون عبدا شكورا فان الاستفهام
الانكاري يدل على انه وصف مقرر له وما ذكره في حق نوح عليه الصلاة والسلام
مبني على ان الضمير راجع له لقربه لا لموسى عليه الصلاة والسلام كما ذهب اليه
بعض المعتبرين اي معترفا بنعم ربي مذعنا بها عارفا بقدر ذلك مؤديا لحقه مثنيا عليه
بلساني واركاني مجهدا بذلته منعم اي باذلا جهدي وطاقتي ومتعبا نفسي في الزيادة
من ذلك اي من الاعتراف والثنا عملا بقوله لين شكرتم لازيدنكم من النعم التي شكرتموها
وعدا ممن لا يخلف الميعاد اذ قال لبني اسرائيل واذ تاذن ربكم لين شكرتم لازيدنكم
ومن اسمايه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة اي احاط علمه بكل شي
مما غاب وخفي وما حضر وظهر ودق وجل وعلمه تعالى لا يشبه علم غيره وتحقيقه
في علم الكلام ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمرتبة منه مرتبة
كرعية بمرعي فضيلة وقال العلامة في شرح المفتاح لا ينبغي منه فعل وتبعه
لبعضهم هنا وفي الاساس تعوذ بتعليمه ومر التنبيه على ذلك وفسر المزية بقوله عوضي
فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما مما خصك به من العلم والمعارف
الالهية والامور الدينية وفيه اشارة الى ان له صلى الله عليه وسلم مزية في ذلك
لم ينلها غيره ولا انبيا فيه قوله وقال كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا
ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون مما لا طريق له
سوى الوحي غير المتلو ولذا اعاد الفعل لتغايرهما ولما كان هو المعلم لهم
وما علمهم بعض مما علمه الله لم يشاركوه في هذه المزية وانما ذكر هذه الاية
وان كان ظاهرها ليس مما هو بصدده لانها تدل على زيادة علمه صلى الله عليه
وسلم وانه معلم لغيره متعلم من غير ربه ومن اسمايه تعالى الاول والاخر
وقد سمي به في القران والاحاديث الصحيحة ومعناه بحسب اللغة وبحسب الاشتقاق
وكون فايه واوا وهمزة مخلوم في العربية ووزنه افعل ويكون اولا اسم
تفضيل وظرفا وليس هذا محل الكلام فيه وانما الكلام في معناه في اسما الله تعالى
ابن العربي للعلما فيه عبارات فقيل الاول الموجود قبل الخلق فكان ولا شي قبله
ولا معه قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقيل انه الذي لا ابتدا له وقيل انه الذي
له كل شي وبه كل شي ومنه كل شي كما يقال فلان اول هذا الامر واخره وقيل الاول
بصفاته وقيل المحسن لاوليايه ومقابله الاخر فقيل هو الموجود بعد الخلق
فلا شي بعده وقيل هو الذي لا انتها له وقيل هو الذي يرجع اليه كل شي
وقال الضحاك هو الذي اخر الاواخر اي الذي جعل لكل شي اخرا وقيل الاخر
بعطايه وقدره وقال الغزالي رحمه الله الاول والاخر متنافيان فالشي
الواحد لا يكون اولا واخرا من وجه واحد فانت اذا نظرت الى ترتيب سلسلة الوجود
فالله تعالى بالاضافة اليها اول لانها استفادت منه الوجود واما هو فموجود
بمعنى انه غير مستفيد لوجوده من غيره فاذا نظرت الى ترتيب السلوك ومنازل

السائرين

هٰا

دلجي

عرصي

ابن اقبرس

السايرين فيه اليه فهو اخر ما ينتهي اليه درجة العارفين ولما كان الاول والاخر مع
كونهما كالمتضادين يوهم الانتهاء من الطرفين فسره بما فيه دقة والى هذا اشار المص
بقوله ومعناهما السابق للاشياء اي جميع الموجودات قبل وجودها لانه الذي اوجد
وابتدعها والباقي بعد فنائها ثم صرح بالمقصود من دفع الايهام فقال وحقيقته انه
ليس له اول ولا اخر ولا ابتدا ولا انتها فلا سابق عليه ولا باقي بعده فهو واجب الوجود
وجوده عين ذاته لا يتصور انفكاكه عنه فهو من صفات التنزيه وقال القرطبي انه الاول
بوجوده في الازل وقبل الابتدا والاخر بوجوده في الابد وبعد الانتها وعلى هذا
يكون من اسما الذات ويجوز ان يكون من اسما الافعال على معنى اول الاول واخر
الاخر في الوجود ثم اشار الى اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم بقوله وقال عليه
الصلاة والسلام كنت اول الانبيا في الخلق يعني انه في عالم الذر والارواح خلقت
روحه ونبئ قبلهم ولذا عبر بالانبيا دون الرسل كما تقدم بيانه ولا وجه لتفسيره
بانه كان نورا في وجه ادم اذ لا يطابق قوله صلى الله عليه وسلم واخرهم في البعث
فهو خاتم ونبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته لا تنقطع بموته وفسر بعد اي
بتقدم خلقه وتاخر بعثته قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح الميثاق هو ان يؤمنوا بالله ويوحدوه فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم
في الذكر لتقدمه في الخلق بل والبعث وهذا التفسير رواه قتادة عن الحسن
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله
عز وجل واذ اخذنا الاية فقال كنت اولهم في الخلق واخرهم في البعث واما ما روي
عن مجاهد من ان هذا في ظهر ادم عليه الصلاة والسلام فتفسير اخر لا وجه لذكره
هنا وقد اشار الى نحو من هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله كما تقدم لما بكى
على النبي صلى الله عليه وسلم اذ توفي بابي انت وامي انت يا رسول الله لقد بلغ
من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر الانبيا وذكرك اولهم فقال واذ اخذنا من
النبيين الاية وانما قال اشار ونحوه لانه ليس فيه تصريح بتقدم خلقه صلى الله عليه
وسلم اذ التقدم الذكري ليس صريحا فيه لجواز كونه لشرف رتبته عنده ومنه اي
من قبيل ذكر كونه اولا واخرا قوله نحن الاخرون اي هو صلى الله عليه وسلم اخر الانبيا
بعثة وامته اخر الامم السابقون اي اول من يقضي بينهم ويقضى لهم يوم القيامة
قبل الخلائق كما صرح به في حديث مسلم وقوله صلى الله عليه وسلم كما تقدم
انا اول من تنشق عنه الارض في الخروج من القبور للحشر واول من يدخل الجنة
هو وامته كما مر واول شافع واول مشفع اي ماذون له في الشفاعة المقبولة
وهذا بيان لاطلاق الاول عليه وقوله وهو خاتم النبيين واخر الرسل صلى الله
عليه وسلم لبيان اطلاق الاخر عليه ايضا فعلم منه كله انه يقال له صلى الله عليه
وسلم الاول والاخر كما يقال لله تعالى وان كان اطلاقهما على الله بمعنى يختص به
كما مر واطلاقهما عليه صلى الله عليه وسلم بمعنى اخر مقيد بقيود اخر
تدل على تغايرهما فكفاه شرفا تسميته باسم الله ومشاركته في لفظه فسقط
ما قيل ليس هذا المعنى بالمعنى الاول قطعا ولا نسبة بينهما فهو غفلة منه

تلمساني

ورد له وقدم اذ مثله لا يخفى على مثله واعلم انه وقع هنا في بعض الحواشي انه سماه بالاول
والاخر والظاهر والباطن وفسر الاول والاخر بما مر والظاهر بانه الذي لا يخفى على
غافل وجوده او القادر والباطن بالمحجوب عن عباده في الدنيا او الذي لا يحاط به او
الذي لا كيفية له وقيل الظاهر القريب والباطن العليم الحكيم وروي فيه حديثا وهو
ان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل عليه صلى الله عليه وسلم وقال السلام عليك يا اول
يا اخر السلام عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن فقال يا جبريل كيف تكون هذه الصفة
لمخلوق مثلي وهي صفة للخالق لا تليق الا به فقال ان الله امرني ان اسلم عليك بها
وقد خصك بها دون الانبيا والمرسلين وشق لك اسما من اسمه وصفة من صفته وسماك
بالاول لانك اول الانبيا خلقا وسماك اخرا لانك خاتم النبيين وسماك ~~اخرا لانك~~ بالباطن
لانه عز وجل كتب اسمك مع اسمه بالنور الاحمر على ساق العرش قبل ان يخلق اباك ادم
بالفي عام الى ما لا غاية له ولا نهاية وامرني بالصلاة والسلام عليك فصليت عليك
الف عام حتى بعثك الله بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماك
بالظاهر لانه اظهرك في عصرك واظهر دينك على الدين كله وفضلك على اهل السموات
والارض فما منهم احد الا وقد صلى عليك صلى الله عليك وسلم فربك محمود وانت
محمد وربك الاول والاخر والظاهر والباطن وانت الاول والاخر والظاهر والباطن فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي فضلني على جميع النبيين في اسمي وصفتي
انتهى وهذا انما لم نره لغيره ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين اي الشديد
المحكم قوته فالمتين اخص من القوي ولذا وصف بها والقوي وذو القوة ورد اطلاقهما
عليه في القران واصله قووي فاعل بالقلب والقوة خلاف الضعف وهي ما يجد به
القادر بنفسه مستطيعا لتقدير المراد وان لم يفعله بعد والقدرة متقاربان وقد
يراد بالقوة كثرة الاسباب المعينة كالجند والمال ونحوه ومنه قوله تعالى واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة وقال الخطابي القوي يكون بمعنى القادر ومن قوي
على شي قدر عليه ويكون معناها التام القوة الذي لا يستولي عليه العجز بحال
من الاحوال فيما لا يتناهى وهي مخصوصة بالله ولذا قال تعالى ان القوة لله جميعا
فلا قوة لعبده الا اذا قواه الله ولذا نعتقد بقول لا حول ولا قوة الا بالله كما
قيل بها اسطر اذا اسطرت ولولاك لما استمسكت قوى او صالح
ومعناه القادر وان كان بين القوة والقدرة فرقا كما اشرنا اليه ولكنهما متلازمان
ولذا فسره به الخطابي واباه القرطبي في شرح الاسما الحسنى الا انه لا خلاف بينهما
وقد وصفه الله تعالى اي وصف الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال
الله لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين اي ذي مكانة ورتبة علية
عند الله وقيل المراد بذي قوة محمد وقيل جبريل عليهما الصلاة والسلام وعليه
اكثر المفسرين كما مر وبه استدل المعتزلة على تفضيل جبريل ولا دليل فيه كما
سياتي ومن اسمائه تعالى التي سمى بها رسوله صلى الله عليه وسلم الصادق
المصدوق كما رواه ابن ماجه والمصدق وهو بمعنى المصدق فيما جا به وقد ورد
في اسما الله الحسنى في الحديث المأثور المروي بسند صحيح وورد في الحديث ايضا

سميته

نبيه صلى الله عليه وسلم بالصادق المصدوق وتقدم لفظه والكلام عليه في الفصل
السابق ومن اسمائه تعالى الولي كما قال تعالى الله ولي الذين امنوا اي الذي يتولى
امرهم ويقوم بنصرتهم ومن اسمائه ايضا الوالي وهو بمعناه والمولى كما قال تعالى
ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم ومعناهما اي الولي والمولى
الناصر اي الذي ينصرهم على اعدائهم وقال تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين
امنوا اي ناصركم ولم يقل اولياؤكم لان نصرتهم واحدة او لان الناصر انما هو الله
وغيره بتبعيته واعانته كما قال تعالى وما النصر الا من عند الله وقد قال عليه
الصلاة والسلام انا ولي كل مؤمن كما رواه البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه
ورواه احمد وابو داود انا اولى بكل مؤمن من نفسه وفي البخاري ايضا انا اولى
بالمؤمنين من انفسهم فمن مات وعليه دين ولم يترك وفا فعلي قضاؤه ومن
ترك مالا فلورثته وكان صلى الله عليه وسلم في اول الاسلام يؤتى بالرجل المتوفى
فيسال هل عليه دين وهل له وفا فان قالوا له عليه دين وليس له وفا قال صلوا على
صاحبكم والا صلى عليه فلما فتح الله بالفتوح والغنائم قال صلى الله عليه وسلم من
مات وعليه دين فعلي قضاؤه فقيل انه كان واجبا عليه وانما كان يفعله تكرما
وهل كان صلى الله عليه وسلم يقضيه من الغنائم او من خالص ماله احتمالان
وقد قال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اي احق بهم من انفسهم فانه
يتولى صلاحهم وينصرهم ويقضي ديونهم كما مر ويخلصهم مما يكرهون في الدنيا
والاخرة وقال عليه الصلاة والسلام في حديث رواه الترمذي وحسنه من كنت
مولاه فعلي مولاه والمراد ولاء الاسلام ونصرته كما قاله الشافعي وهذا الحديث
ورد في قصة غدير خم وقيل سببه ان اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال لعلي
كرم الله وجهه لست مولاي انما مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كنت الخ ولا دليل للشيعة فيه
على انه رضي الله عنه وكرم وجهه احق بالخلافة لا سيما والمولى من الولاء وله معان
كالنصرة والعتق وغيره فلا حجة فيه لهم ومن اسمائه تعالى العفو مبالغة في
العفو عن السيئات وهي محوها وازالتها ولذا قيل انه ابلغ من الغفور لانه من
الغفر وهو الستر واما الصفح فمعناه الاعراض وهو دونهما لكنه يطلق على ذلك
ايضا فلذا قال ومعناه الصفوح فلا يرد عليه انه لا ينبغي تفسيره به وقد وصف
الله تعالى بهذا نبيه عليه الصلاة والسلام في القران اذ امره به فيه اذ قال
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فامره صلى الله عليه وسلم بالتخلق
بذلك فكان ممتثلا له متخلقا به فيقتضي الاتصاف به على ابلغ وجه والتمدح
كان جبلة له صلى الله عليه وسلم فلا يرد عليه انه لم يطلق عليه في القران وانما
امر به ولو سلم اتصافه به لانه لا يعصي له امرا لا يقتضي كونه على وجه المبالغة
التي دل عليها صيغة فعول والامر لا يقتضي التكرار على الاصح وفي التوراة وفي نسخة
والانجيل وامره بالعفو فقال بيان لما في القران خذ العفو وقال فاعف عنهم
واصفح هذا مبني على ان العفو في هذه الاية الصفح ويدل عليه ما روي انها

ع صح

لما نزلت قال صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا فقال لا ادري حتى اسال ربي فساله
ثم رجع فقال ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
وتحسن الى من اساء اليك وهذا رواه البغوي والقرطبي ونقل بصيغة التمريض
وعليه اعتمد المص بقوله وقال له جبريل عليهما الصلاة والسلام وقد ساله
صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك واختصره
والذي عليه الاكثر ان العفو المال الفاضل عن نفقة العيال كما في قوله يسالونك
ماذا ينفقون قل العفو ثم نسخ بآية الزكاة فلا شاهد فيهما على ما نحن بصدده
وقال هذا ايماء لما في التوراة وفي بعض النسخ التصريح بقوله في التوراة والانجيل
في الحديث المشهور الذي تقدم عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه صلى الله عليه وسلم
ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح وقد تقدم شرحه وان قول النساء لعمر رضي
الله عنه في قصة الحجاب لانت افظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس
التفضيل وبه على اصلها او انه فظ على من يستحق الفظاظة كالكفرة ومن اسمائه تعالى
الهادي وهو المصير للهداية التي في ضمن الهادي وذكره لان تانيث المصدر غير
معتبر او لانه بمعنى ان يهدي كما في الكشاف بمعنى توفيق الله لمن اراد من
عباده اللام زائدة للتقوية لتعدي التوفيق بنفسه واصل معنى الهداية كما
قاله الراغب الدلالة بلطف لما يوصل او الموصلة على الخلاف المشهور وهي على
انواع الاول ما يعم كل مكلف من العقل والعلوم الضرورية والثاني دعاؤه
اياهم على السنة رسله والثالث التوفيق الذي يختص به من اهتدى والرابع
الهداية في الآخرة التي في قوله الحمد لله الذي هدانا لهذا والانسان لا يقدر ان يهدي
احدا الا بالدعاء ولذا نفيت تارة واثبتت اخرى انتهى والى احد انواعها اشار بما
ذكر واشار الى الآخر بقوله وبمعنى الدلالة والدعاء اي الدعوة قال الله تعالى
والله يدعو الى دار السلام اي الجنة ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم اي
يرشدهم الى طريق مستقيم يوصلهم الى الجنة بما خلقه فيهم من العقل
وارسل من الرسل ووفقهم لاتباعهم وتقدم ان التوفيق خلق قدرة الطاعة
في العبد وضده الخذلان ومن فسر المعنى بالهداية والتوفيق فقد ضل عن
الطريق وكذا ما بناه عليه من ان تفسير الهداية بما ذكر مبني على مذهب المعتزلة
في خلق العباد لافعالهم وان ما ذكره المص لا تساعده الاصول الى غير ذلك
من الخلط الناشئ عن عدم فهم فتنبه لقدر المص واصل الجميع من معاني الهداية
وفيه اشارة الى انها معان مختلفة اصلها لغة من الميل فمعنى هداه الى كذا
صرفه اليه وامالة عن غيره لانه من التهادي وهو التمايل وفي الحديث
خرج صلى الله عليه وسلم يتهادى بين اثنين اي يتمايل وقيل انها ماخوذة
لغة من التقديم ومنه هوادي الوحش للمتقدم منها والهادية العنق وهو
الذي ارتضاه الراغب ثم شرع في بيان الدلالة على النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل في تفسير طه يا طاهر يا هادي على طريق الرمز والاكتفاء بحرفين من الاسمين
يدلان على الباقي كما في قوله قلت لها قفي فقالت قاف اي وقفت يعني انه

عوضي

النبي

البني صلى الله عليه وسلم اي يريد الله بعد بين الاسمين بنبيه صلى الله عليه وسلم الطهارته
من الدنس وهدايته لخلقه وقال له الله تعالى خطابا لرسوله صلى الله عليه وسلم
وانك لتهدي الى صراط مستقيم اي تدل وتدعو الى الاسلام والطريق الموصلة الى سعادة
الدارين وهذا اعلى فخرا بنصبه للفاعل وهي المشهورة وعلى المجهولة هو لله وقال فيه اي
في حقه وشانه صلى الله عليه وسلم وداعيا الى الله باذنه اي بتيسيره وارادته والاذن
يستعمل مجازا مشهورا في ذلك واصل الاذن معروف الاجازة وعبر في الاولى بقوله
انك لكونه بصيغة الخطاب كقوله قال له كذا اذا خاطبه ولما لم يكن في الثانية خطابا قال
فيه لانه في حقه ووصفه فلا وجه لما قيل انه لا وجه لتغاير المتعلقين ثم اشار الى انه عرضي
تعالى الهداية منها ما يختص بالله ومنها ما يطلق عليه وعلى غيره فقال والهداية
بالمعنى الاول وهو التوفيق بخلق الاهتدا اختص بالله فانه لا يقدر عليه سواه
ولذا نفي عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى قال تعالى انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء ويريد توفيقه وبمعنى الدلالة بكسر الدال المهملة وفتحها
وهي اراءة الطريق تطلق على غيره تعالى كالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين العلما
لوقوع الدلالة منهم وقوله انك لا تهدي نزلت في ابي طالب عمه لا في العباس عمه رضي الله
عنه كما قيل وكان صلى الله عليه وسلم حريصا على اسلامه حتى دخل عليه في مرض عرضي
موته وقال له يا عماه قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله وعنده ابو جهل وصناديد بد
قريش فقالوا له اترغب عن ملة عبد المطلب فكان آخر ما قال انه على ملة عبد المطلب
فنزلت هذه الاية والشيعة يقولون انه قالها خفية وشهد بذلك فمات مسلما
وقد رده الحفاظ وقالوا انه لم يثبت ومن اسمائه تعالى التي سماه صلى الله عليه وسلم
بها المؤمن المهيمن قيل هما في اسماء الله بمعنى واحد ولفظهما من مادة واحدة
لان الهاء عند هذا القائل مبدلة من همزته فمعنى المؤمن على هذا القول في حقه
تعالى المصدق وعده اي ما وعد به عباده في الدنيا من الثواب ونعيم الاخرة
والنصر لعباده في الدنيا الى غيره لكذبه ووعده لا يخلف الميعاد والمصدق قوله الحق
اي الذي صدق ما قاله من الحق كما قال فورب السماء والارض انه لحق والمصدق
لعباده المؤمنين ورسله اي يصدق ما قالوه او جاعلهم صادقين في قولهم ملتزمين
للصدق في اقوالهم وعهودهم كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فعلى الاول اللام غير زايدة وعلى الثاني مزيدة للتقوية وتحقيقه ان هذا الاسم
سمى الله به نفسه في القران والاحاديث الصحيحة واجمعت عليه الامة وهو من امن
يؤمن ايمانا فهو مؤمن اي مصدق فانه كذلك في لغة العرب واستعمالهم وعلى هذا
فقيل معناه مصدق مؤمن عباده او الذي لا يخاف ظلما وقيل معناه الذي يامن
اولياؤه عذابه كما قال الشاعر

والمؤمن العايذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند

وقال الحاكم معناه انه اذا وعد صدق وعده وقال الخطابي بعد ما فسره بالصدق
انه يحتمل وجوها احدها انه يصدق عباده وعده ويفي بما ضمنه لهم من رزق الدنيا
وثواب الاخرة والاخر انه يصدق ظنون عباده المؤمنين ولا يخيب امالهم كقوله

انا عند ظن عبدي بي وقيل الموحد نفسه بقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقوله
انني انا الله لا اله الا انا فصدق ما نطقت به الكائنات وحكته البراهين من توحده في
الوهيته وهذا كله على انه من الايمان بمعنى التصديق وقوله وقيل المؤمن عباده
كلهم مؤمنهم وكافرهم في الدنيا من ظلمه لتنزهه عنه وما ربك بظلام للعبيد وللمؤمنين
في الاخرة من عذابه معطوف على قوله عباده مفعول لمؤمن بوزن منصف بمعنى معطي
الامان وعلى هذا هو من الامن ضد الخوف فهو من صفات الافعال وعلى الاول صفة
ذاتية لانه راجع للكلام ثم بعد ما بين معنى المؤمن شرع في بيان معنى المهيمن
انه بمعناه فقال وقيل المهيمن بمعنى الامين فوزنه مفيعل وهمزته مبدلة فيه
هاء واصله ما يمن وميمه الاولى مضمومة زائدة ومعناه الامين كما ذكره بعض
الشيخ بمعنى الامن وهو من طغيان القلم الا ان يراد معنى مادته المأخوذ منها
وهو من اسمائه الواردة في القران والحديث واجمعت عليه الامة وورد اطلاقه على
غيره تعالى كما سياتي في بيت العباس واطلق على ابي بكر ايضا رضي الله عنه في قول
الشاعر ● الا ان خير الناس بعد نبيه ● مهيمنه التاليه في العرف والنكر ● ●
ولم ينكره وقال ابن الحصار لا نعلم احدا سمي به الا انه ليس في الشرع ما يمنعه
وقوله مصغر منه اي مصغر من الامين وهو قول ابن قتيبة الا انه رد بانه
قول مرغوب عنه لان اسماء الله لا يجوز تصغيرها لايهامه التحقير والتحاشي
للتعظيم في قوله ● دويهية تصفر منها الانامل ● ● لانه انما جاء فيما يجعل تصغيره
فصغره تلطفا منهم كما قال وتقدم كما قلت حبيبي من التحقير ● بل هذه
اسم الشخص بالتصغير ● ● واما اسماؤه تعالى واسماء انبيائه عليهم الصلاة
والسلام فلا يجوز ذلك فيها قطعا وانما هو اسم فاعل من هيمن يهيمن
والياء فيه كيا ضيغم وحيدر وليست للتصغير ● وقد جاء في كلامهم الفاظ على وزنه
كمسيطر ومصيطر ومبيطر وهو البيطار ويقال له بيطر ايضا والمدبير بالمد
من الادبار ومجيمر اسم جبل وهذا البناء من النوادر غير منصرف ولم يرد له فعل ولا يقال
هيمن يهيمن هيمنة وحكى الخطابي عن بعض اهل اللغة الهيمنة بمعنى القيام
على الشيء والرعاية له وذكره ابن الانباري في الزاهر ولغرابته اختلفوا في معناه
على اقوال عشرة الاول انه بمعنى الامين كما ذكره المص فقلبت الهمزة هاء لانها اخف
منها كما قالوا في اراق هراق وفي اياك هياك وقول المص انه مصغر منه اي من
مادته ونوعه والا فهو من الامن مصغر مؤمن ويجوز ان يعود ضمير منه الى مؤمن
فليس مراده انه تصغير امين كما توهمه عبارته الا انه لظهوره لم يوضح عبارته
فلا يرد عليه ما قيل انه سهو منه لان تصغير امين أُمَيِّن بضم اوله وتشديد يائه
وجعله شاذا لا داعي اليه واسماء الله لا تصغر فياؤه زائدة للتكثير ثم ذكر اسما اخر من
هذه المادة فقال وقد قيل ان قولهم في الدعاء امين بالمد وقد يقصر اسم فعل
كصه ومه قال الحسن معناه استجب وافعل او لا تخيب وامن اذا قال امين ●
وقال مجاهد انه اسم من اسماء الله تعالى بدل من قولهم ان قوله قبل اصله
على هذا امين بالقصر مبني على الفتح وادخلت عليه همزة النداء وابدلت الثانية

موضي

القاورده ابن قرقول بانه ليس في اسما الله اسم مبني وقال الراغب عن ابي علي ان القايل بذ كذ
ارادته وفيه ضمير الله لان معناه استجب وقيل انه عبراني وقيل سرياني وقيل لا يعلم اصله
ومعناه معنى المومن اذا كان من اسما الله ولذا قيل ينبغي تقديمه على هذا والكلام عليه
مفصل في التفاسير والقول الثاني في المهيمن ما اشار اليه بقوله وقيل المهيمن
بمعنى الشاهد اي الحاكم او الذي يشهد على كل نفس بما كسبت وقريب منه الثالث وهو
الشهيد والرابع الحافظ للموجودات عن العدم حتى يريد تغييره او المحصي لاقوالهم
وافعالهم والخامس انه بمعنى العلي المتعالي والسادس الشريف وهو قريب مما قبله
والسابع المصدق والثامن الوالي قاله عكرمة والتاسع القاضي قاله ابن الزبير والعا شو
الرقيب ومنه كلام في شرح الاسما الحسنى للقرطبي ثم شرع في ذكر تسمية النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك فقال والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومومن اي يسمى
بهذه الاسما الثلاثة التي سمى الله بها وان لم تتحد معانيهما من كل الوجوه لشهادة حديث
اني لامين في الارض وامين في السما وكانت قريش تسميه صلى الله عليه وسلم قبل
البعثة محمد الامين كما مر واشار اليه بعد وسياتي ذكر المهيمن وقد سماه الله تعالى
ايضا فقال مطاع ثم امين ان لم نقل المراد به جبريل عليه الصلاة والسلام كما تقدم
انه مطاع امين وامين على وحيه واسراره وكان يعرف بالامين وشهرته قبل النبوة
وبعدها بين اهل مكة وطوايف العرب والفضل ما شهدت به الاعدا وهذا مويد
لما قبله لان شهرته بذلك بتقدير الله واظهاره فلا يرد عليه انه يسدد تسمية
الله له صلى الله عليه وسلم لا الناس حتى يقال انه لما اقره ورضي به دل على انه
باذن الله وسمي بالمامون ايضا كما مر في قول ابن كعب

سقاك بها المامون كاسا روية * فانهلك المامون منها وعلكا

فلما سمعها صلى الله عليه وسلم قال مامون ان شا الله ان لم نقل المراد به ابو
بكر رضي الله عنه ثم بين تسميته صلى الله عليه وسلم بالمهيمن بقوله وسماه
العباس رضي الله عنه ابن عبد المطلب عمه في شعره مهيمنا في قوله في الشعر الذي
قدمناه مع شرحه

ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف * عليا تحتها النطق

وتقدم شرحه فانظره وقيل المراد بها المهيمن ولولا هذا لم يكن اسما وقد مر منه
الم ونبرا منه لعزوه لغايليه بقوله قاله القتيبي عبد الله بن مسلم بن قتيبة
الدينوري البغدادي الامام المشهور نسبة لقتيبة جده توفي سنة ست وسبعين
ومايتين وتاليفه كثيرة والامام ابو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن
منسوب لقشير قبيلته وانما مر منه لانه تكلف متعسف لان المعرف بال لا ينادى وانعقد
وتقدير الجامع تقدير حرف الندا لا يرتضيه نحوي واثقل من هذا ما قيل ان
البيت هنا بمعنى العز والشرف كما في قوله

ان الذي سمك السما بنى لنا * بيتا دعايمه اعز واطول

واذا عزه وشرفه بالمهيمن كان صفة له على ابلغ وجه لان صفة الصفة صفة
ومثل هذه الدقة لا يتحملها الكلام فانه زهرة لا تحتمل العرك وقال تعالى

في وصفه صلى الله عليه وسلم بانه مؤمن اي مصدق يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق
اصله بخلوصهم واللام لتضمينه معنى يذعن ويسلم او مزيدة والاية نزلت في حقه صلى الله
عليه وسلم لما قالوا في حقه امرا منكرا وقالوا اذا بلغه ذلك نحلف له ونعتذر فانه اذن
اي يصدق بكل ما يسمعه فقال تعالى قل هو اذن خير لكم يؤمن الخ وقال صلى الله عليه وسلم
انا امنة لاصحابي هذا طرف من حديث النجوم امنة في السما فاذا ذهبت الى السما ما توعد
وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت الى اصحابي ما يوعدون واصحابي امنة لامتي فاذا ذهب اصحابي
اتى امتي ما يوعدون يعني ان النجوم اذا وقعت قرب وقت فنائها وانشقاقها ولذا كثر
سقوطها عند بعثته صلى الله عليه وسلم اشارة الى قرب الساعة فهو صلى الله عليه
وسلم امان لاصحابه رضي الله عنهم من وقوع باسهم بينهم ووقوع الفتن فاذا توفاه
الله ابتدا وقوع ذلك كقصة عثمان وعلي وابنه الحسين واصحابه صلى الله عليه وسلم
امان للناس من ظهور الفساد في البر والبحر فاذا ذهبوا ابتدا ظهور ذلك وامنة بفتح
الهمزة وضمها مصدر بمعنى الامان او بزنته المبالغة كرجل عدل فيقع على الواحد
وغيره قال الراغب يقال رجل امنة وامنة يثق بكل احد وامين ويؤمن به انتهى
ونحوه في الاساس وكونه جمع امين وهو الحافظ خلاف الظاهر للاخبار به عن الواحد
واما ذكره المص تاييدا لما قبله لانه خارج عما هو بصدده من ذكر تسميته صلى الله
عليه وسلم باسما الله اذ ليس من هذا القبيل ومن اسمائه تعالى التي اطلقت عليه
صلى الله عليه وسلم القدوس مبالغة من القدس وهو الطهارة والنزاهة
باتفاق اهل اللغة وهو بضم القاف في الاشهر وان كان الاقيس فتحها وهو لغة
فيه وقرئ بها وكل اسم على فعول مفتوح الاول كتنور وسمور الا السبوح ومنه
القدس بفتحتين للسطل والعامة تقول له قادوس وظاهر كلام القرطبي في شرح
الاسما الحسنى انه سمع والمشهور خلافه ومعناه المنزه عن النقايص المطهر عن
سمات الحدوث اي علاماته واثاره فلا يتصف بشي منها وسمي بيت المقدس به
اي من هذه المادة بالمعنى المذكور بيت المقدس مخفف بزنة مرجع اسم مكان
او مصدر ميمي من القدس وهو الطهر وجا فيه ضم الميم وفتح القاف والدال
المشددة من التقديس وهو التطهير وجا بكسر الدال المشددة اسم فاعل
ويقال له البيت المقدس بالتوصيف والاشهر الاضافة قاله الكرماني وقد
تقدم لانه يتطهر فيه من الذنوب بزيارته والعبادة فيه وروى النساي
باسناد صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود عليهما الصلاة
والسلام لما بنى بيت المقدس سال الله تعالى خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه
وملكا لا ينبغي لاحد من بعده وان لا ياتي بيت المقدس احد لا ينهزه الا الصلاة
فيه يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه فاعطي جميع ذلك انتهى ولذا اشد اليه
المطي كما تشد الى الكعبة ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم ومنه الوادي
المقدس المسمى طوى وهو واد بالشام كلم الله فيه موسى عليه الصلاة والسلام
سمي به لان الله قدسه وشرفه بظهور كلامه فيه وهو من الارض المقدسة ايضا
فهو مطهر مبارك وقد فسر المقدس بالمباركة ايضا ومنه روح القدس بضمتين

وثم فيكون كما مر وهو جبريل عليه الصلاة والسلام قال تعالى قل نزله روح القدس لنزوله
بما تطهر النفوس من القرآن والحكمة والفيض الالهي وهذا هو الاصح وفيه وجوه اخر ووقع
في كتب بعض الانبيا المنزلة من عند الله عليهم في اسمائه عليه الصلاة والسلام القدس
وهذا هو الصحيح وما في بعض النسخ من انه القدوس من غلط الناسخ قال المغاربة لا يجوز ان
يقال في حق مخلوق القدوس مطلقا اي المطهر من الذنوب لعصمة الله له صلى الله عليه وسلم
من التدنس بها ومغفرتها لو فرض وقوع شي منها يسمى ذنبا بالنسبة له صلى الله عليه وسلم
كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل المراد ما تقدم من ذنوب
امتك وما تاخر منها كما سياتي بيانه وخوطب لانه سبب المغفرة او الذي يتطهر به من
الذنوب ويتنزه بجنابه المجهول فيهما والتنزه البعد ولذا اخره لاستعارة التطهير بالوقوع
وقوله باتباعه عنها متعلق بيتنزه والباء سببية لان من اتبعه صلى الله عليه وسلم
واتبع شرعه المطهر لا يرتكب الذنوب وان ارتكبها غفرت ببركته صلى الله عليه وسلم كما
قال الله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم يطهرهم
من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم ما يكفهم عن الاثام وقال ويخرجهم من الظلمات
الى النور اي من الكفر والمعاصي الى الايمان وتقوى الله وطاعته بارشادهم وتوفيق
الله لهم ببركته صلى الله عليه وسلم ففيه استعارة تصريحية او يكون مقدسا الموصوف
به النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة بالمعجمة اي المذمومة
والاوصاف الدنية الحقيرة التي لا تليق بجنابه صلى الله عليه وسلم وفي الشرح الجديد
هنا ما تركه خير منه ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الذي لا ينال ولا يدرك
والعرب تقول لحصن عزيز اذا كان لا يوصل اليه قال الهذلي في العقاب

حتى انتهيت الى فراش عزيزة * سوداء روثة انفها كالمخصف

كذا قاله القرطبي نقلا في شرح الاسما الحسنى وهذه صفة ذاتية وقوله الغالب
القاهر من صفات الافعال فكان ينبغي ان يقول او الغالب لانه معنى اخر كما صرحوا
به في شرح اسما الله والجمع بينهما على انه مركب من نعت حقيقي ونعت تنزيهي
كما قيل خلط وخبط يعرفه من نظر شرح القرطبي لاسما الله الحسنى ثم ان اطلاق الغالب
على الله لم يات في تعداد الاسما وورد في قوله والله غالب على امره اي الفعال في
خلقه فانه ما يريده احبوا او كرهوا وفي التنزيل كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقال
الحاكم الغالب والطالب جرت عادتهم باستعمالهما في اليمين اي الممتنع اي الممهل
فانه يمهل ولا يهمل وهو على الامهال بالغ امره انما نملي لهم ليزدادوا اثما
او الذي لا نظير له هكذا معنى اخر قال الخطابي العزة تكون بمعنى نفاسة القدر
يقال منه عز يعز بكسر العين فيتناول معنى العزيز على هذا انه لا يعادله شي
وانه لا مثل له انتهى ومما سمعته من تفسير العزيز ظهر ان ما قيل ان ما انحصر في وجود
الشمس والقمر داخل فيه ويحتاج لزيادة قيود اخر ليس بشي او المعز لغيره فهو
فعيل بمعنى مفعل وهو عزيز في العربية ولذا اخره المص يعني به انه لا معز الا
من اعزه فالعز له وبيده لا بيد غيره وبهذا صح الاستشهاد له بقوله وقال
تعالى ولله العزة ولرسوله صلى الله عليه وسلم والاية نزلت في حق المنافق عبد

دلجي

عرضي

الله بن ابي ابن سلول حيث قال ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل
المسلمين فرده الله عليه على طريق القول بالموجب ثم نفاها عنه بتقديم الخبر هنا
فلا يتوهم ان انحصار العزة في الله لا يقتضي انه معز بل معزز بالفتح وقد جوز
في الاسم الشريف ان يكون المعز المعظم وقد يقال يكفي في كونه معزا اثبات العزة
للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وانه محل الاستشهاد اي الامتناع وجلالة
القدر معطوف على ما قبله لانه بمعنى العزة عدم النظير وتقديره وبزيادة الميم
لما ذكر انه مع ما تقدم ايضا وقال الغزالي العزيز من العباد من يحتاج اليه في اهم
وهو الحياة الاخروية وهو مما يعز وجوده وهو مرتبة الانبيا والخلفاء ورثتهم
من العلما المرشدين وذوي العدالة من الحكام ثم ذكر اسما للرسول وصفه بها الله
لا على طريق الاسمية فقال وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة الاول
بكسر اوله والثاني بفتحه والبشارة الخبر السار سمي به لانه يؤثر في بشرة الوجه
ولذا لو قال لعبيده من بشرني بقدوم زيد فهو حر فبشروه على الترتيب عتق الاول
ولو قال من اخبرني عتق الجميع كما مر والنذارة الاعلام بما فيه وعظ وتخويف
وقوله فبشرهم بعذاب اليم تهكم كما مر فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ومن يكتفي
بوجود المادة يجوز ان يسمى الله مبشرا ومنذرا ومثله يكفي في كونه توقيفيا
والاشعري رحمه الله يقول لا بد من وروده بعينه وسماه الله تعالى مبشرا
ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته بما يسرهم في الدنيا والاخرة ونذيرا
لاهل معصيته بما يسوءهم من العقاب ونحوه ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض
المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم وتقدم الكلام عليه مفصلا فلا حاجة لاعادته تنبيه في فتاوى السبكي
في قوله تعالى في سورة الاسرا انه هو السميع البصير ان الضمير في قوله انه يعود
على الله تعالى وقد ورد في اربعة مواضع من القران وقال بعضهم ان الضمير هنا يعود
على النبي صلى الله عليه وسلم فيكون هذان الاسمان من اسمائه صلى الله عليه وسلم
ومعنى وصفه بهما انه الكامل في السمع والبصر اللذين يدرك بهما الايات التي يريه
اياها وهو نذير والانذار بالعقل واعظم الحواس الموصلة الى العقل السمع
والبصر فعلى هذا وصفه صلى الله عليه وسلم بذلك لانه لا احد اكمل منه في الانذار
والاستدلال انتهى اقول يعني ان وصفه صلى الله عليه وسلم بهما هنا على هذا وقع
بطريق الحصر المستفاد من تعريف الطرفين وسيق للمدح وهو امر عام فنفسه بما فائدة
تخصصه به ويصيره ممدحا له ولا حاجة لهذا مع بعده فانه قد تبين توجيه اظهر
منه وهو السميع لكلام الله من غير واسطة والناظر الى نور جماله وجلاله بعينيه
وهذا انما اختص به صلى الله عليه وسلم

## فصل

قال القاضي ابو الفضل عياض المولف رضي الله عنه وها هنا نكت وفي نسخة
وها انا اذكر نكتة وها حرف تنبيه والاكثر وقوع اسم الاشارة خبرا عن المبتدأ
الواقع بعدها نحو ها انا ذا اقول وقد لا يؤتى به كما صرحوا به فمن ظنه

لانها

لانما واعتر من نكت الملح لم يجب والنكتة بضم اولها وفتح المثناة الفوقية هي الامر
الدقيق المحتاج الى فكر وتامل سميت بها لان صاحبها كثيرا ما يبحث في الارض بقضيب ونحوه
وهو معنى النكت لغة اذيل بها هذا القسم اي اختمه بها واطوله فيكون كذيل الثوب
الذي يطول به وفي حديث مصعب بن عمير رضي الله عنه انه كان في الجاهلية مترفا يدهن
بالعنبر ويذيل يمنة اليمن اي يطيل ذيلها واليمنة برد من برود اليمن ففيه
استعارة تصريحية تبعية واليه اشار بقوله واختم به هذا القسم الذي فيه ذكر
الاسما وازيح الاشكال بها فيما تقدم اي ازيل ما يشكل على سامعه عن كل ضعيف
الوهم فالمراد بالوهم الذهن والادراك لا القوة الواهمة العارضة للعقل فان
معونها بقوة العقل المزيل للاوهام والاشكال فقوله سقيم الفهم كالتفسير له وسقمه
بمعنى قلته فهو استعارة وتعبيره في الاول بالضعف وفي هذا بالسقم تفنن حسن
والوهم بسكون الهاء وفتحها تخلصه من مهاوي التشبيه بكسر الواو جمع مهواة
وهي كالهاوية الحفرة العميقة التي يقع فيها من يصعب طلوعه وهو من اضافة المشبه
للمشبه به كلجين الماء وهي تخييلية ومكنية والمراد بالتشبيه تشبيه الله وصفاته
بغيرها لان اطلاق بعض الاسما على الله وعلى غيره يقتضي ذلك وتزحزحه اي تزيله
وتبعده قال تعالى فمن زحزح عن النار عن شبه التمويه الشبه بزنة غرف جمع
شبهة وهو ما يلتبس واصله ما لا يتميز عن غيره لما بينهما من التشابه والتمويه من
الما والمراد به زخرفة الكلام الذي لا حقيقة له وتحسينه حتى يروج على من
لا علم عنده وهو استعارة قال في الاساس سرج مموه مطلي بالذهب او الفضة
وحديث مموه مزخرف وما احسن موهة وجهه ماؤه ورونقه انتهى وانما
سمي تمويها لانه يذاب حتى يصير كالما وتقال موه عليه الخبر اخبره بخلاف
بح سهما ما ساله عنه وهو عايد على ما يفهم مما تقدم وهو ما يزيل الاشكال ويز
الاوهام والعجب ممن اعاده على ضعيف الوهم وسقيم الفهم ان تعتقد ان الله
جل اسمه اي عظم وتنزه عن الالحاد في اسمايه بالتاويلات الباطلة ولقد اصاب
قوله هنا جل اسمه محزه وطبق مفصله في عظمته وكبريايه الكبريا الترفع عن الانقيا
والعظمة جلالة ذاته في نفسها ولظهورها لا ولي ورد في الحديث الكبريا ردايي
والعظمة ازاري من نازعني في شي منهما قصمته والفرق بينهما فيه تفصيل
ليس هذا محله والجار والمجرور متعلق بما ياتي من قوله لا يشبه الخ وقيل
انه حال لازمة من ضمير اسمه اي متصفا بهما وبما بعدهما وكني بالظرفية عن
دلجي تمكنه فيهما من غير تصور ظرفية واستقراره فيه استعارة تبعية او هو ظرف
مستقر كانه لتمكنه وانفراده باعلى مراتبهما فيهما انتهى وفيه تكلف وملكوته
اي عظمه وعز سلطانه وهي كما مر صيغة مبالغة من الملك كالجبروت وقد
يقابل بالملك فيراد به عالم الغيب وبالملك عالم الشهادة وكلا المعنيين
صحيح هنا وحسنى اسمايه اي اسماؤه الحسنى ووصفت بالحسنى لدلالتها على
احسن المعاني وامدحها في صفة كاشفة لا مخصصة ومنها ما يختص به
كالخالق وما يطلق عليه وعلى غيره ولها تقاسيم اخر وعلا صفاته بضم العين

وفتح اللام مقصور جمع عليا وهي الشريفة الرفيعة وروي علي بفتح العين وكسر اللام
وتشديد اليا وهما بمعنى لا تشبه شيا من مخلوقاته بالتا الفوقية اي المذكورات من
لفظ العظمة وما بعده وهو خبران وما بعده متعلق به او حال مما قبله وليس
معترضا كما قيل ولا تشبه به مبني للمجهول بضم الفوقية مشدد اليا الموحدة
ويجوز ضبطهما بالتحتية اي معاني اسمايه وصفاته لا تشابه غيرها بوجه من
الوجوه لقدمها وكونها على اعظم رتبة لا يصل اليها غيرها وهو جواب عن
سوال وشبهة نشات مما تقدم تقديره ان بعض اسمايه تعالى اطلق على نبيه
صلى الله عليه وسلم وغيره فيلزم مشاركة عبيده له فيها كما قال وانما
جا من اسمايه تعالى مما اطلقه الشرع في القران والاحاديث والكتب الالهية
على الخالق وعلى المخلوق كشكور وحفيظ وغيره مما تقدم واعاد الجار اشارة
الى تغايرهما وان اتحد لفظهما فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي الذي هو
ماخذ الاشتقاق من الشكر والحفظ قال العلامة ابن القيم في كتابه بدايع
الفوايد اسماوه تعالى التي تطلق عليه وعلى غيره كسميع هل هي حقيقة فيه
مجاز في غيره او مجاز فيه حقيقة في غيره او حقيقة فيهما ثلاثة اقوال والاسما
الحسنى منها ما هو علم وصفة والوصف بها لا ينافي العلمية بخلاف العباد
فانها مشتركة انتهى وهو كلام مشكل فان منها ما هو حقيقة قطعا كالاله
والخالق ومنها ما هو مجاز كالرحيم فان الرحمة رقة القلب وقد صرحوا بانه
اطلق عليه باعتبار غايته الا ان يقال انه حقيقة شرعية فان تغايرها
باعتبار الصفات كالقدم والحدوث لا يستلزم اشتراكها بل كونها مقولة
بالتشكيك فقوله اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق لا يتم دليلا على
مدعاه فكما ان ذاته لا تشبه الذوات اي حقيقته ونفسه ومن ذهب الى
ان الذات لم ترد بهذا المعنى سكر دخول ال عليه الا ان الظاهر صحته ويشهد له
قولهم الذوى لملوك اليمن وقوله تعالى ذواتا افنان وكذلك صفاته لا تشبه
صفات المخلوقين وكون ذاته لا تشبه شيا من الذوات هو الحق الذي ذهب اليه الاشعري
وغيره من المتكلمين خلافا لمن ذهب الى انها تشبه غيرها في الحقيقة وانما امتازت
بالوجوب والالوهية وغيرهما وتفصيله في الكتب الكلامية واعلم ان في اطلاق
لفظ الذات على الله شرعا ولغة خلاف فقيل انه غير صحيح لانه مونث ذو ودخول
ال عليه غير صحيح لغة وقال السهيلي ذهب كثيرا الى اطلاقها عليه وجواز
تعريفها لانها بمعنى النفس والتانيث غير مراد فيقولون ذات البارى بمعنى
حقيقته ويحتجون بما ورد في الحديث الصحيح ثلاث كذبات في ذات الله وقول
خبيب رضي الله عنه

وذلك في ذات الاله وان يشا • يبارك على اوصال شلو ممزع

وقد اثبت ذلك البخاري واحمد في مسنده وقال ابن القيم وابن قدامة ليست
هذه اللفظة كما زعموا في اللغة والشرع بالاستقرا ولم يردا لا مجرورا بفي
والظرفية غير صحيحة بل صفة لمونث مقدر ومعناها طاعة الله وشريعته

دلجي

كما قال

كما قال النابغة • محلتهم ذات الاله ودينهم • ومن فسر بغير ذلك فقد وهم فتدبر
ادصفاتهم لاتنفك عن الاعراض والاعراض الاول بعين مهملة والثاني بغين معجمة
والعكس براء مهملة وضاد معجمة فيهما فالاول جمع عرض بفتحتين وهو ما يقابل الجوهر
اي ما لا يقوم بذاته او بمعنيه كالمرض ويكون بمعناه ايضا لان ما يعرض للبدن ان استمر
فهو مرض عند الاطبا والا فعرض ويطلق كل منهما على الاخر والثاني هو الامر الباعث
على وجود الفعل وايجاده وهذا التعليل لكون ذات الله وما تعلق بها لا يشبه شيا
من المخلوقات فان الخلق وصفاتهم لا تنفك اي لا تفارق الاعراض والله تعالى منزه
عن الاعراض المحسوسة والكيفيات النفسانية لانها تابعة للمزاج المستلزم للتركيب
المستلزم للحدوث المنافي لوجوب الوجود الذاتي خلافا للحكما والكرامية وافعاله
تعالى لا تعلل بالاعراض وان كان لها ثمرات وحكم كثيرة جليلة وهي تسمى عرضا ايضا
ولكنه ليس محل خلاف وذهب النسفي وبعض المحققين الى جوازه والخلاف فيه لفظي
فان العرض ان كان ما يستكمل به الفاعل ويحتاج اليه فهو منفي عنه والا فيجوز اثباته
له خلافا للحكما وليس هذا محل بسط الكلام فيه وفي كلامه تخبيش وهو تعالى منزه
عن ذلك فلا يحل به عرض ولا يفعل لعرض بل لم يزل موجودا ازلا وابدا بصفاته
واسمائه الدالة على ذاته وصفاته هي قديمة اما صفاته الذاتية فلا كلام في قدمها
ومنها ما هو عينه ومنها ما هو غيره او لا عينه ولا غيره عند الاشعري واما صفات
الافعال كالاحيا والاماتة والخلق فاختلف فيها فقيل انها قديمة والحادث تعلقها
عند الماتريدية والمص تبعهم هنا وقيل انها حادثة اذ هي اضافات تعرض له
ولا محذور فيه كما حققه المتكلمون وصفاته السلبية قديمة ايضا واسماوه على
ما ذكره قديمة ايضا لانه تعالى سمى نفسه بها في كلامه وهذا بنا على قدم الكلام
اللفظي وهو مذهب السلف وبعض الخلف كالشهرستاني وكفى بهذا اي يكفي في
اثبات كون ذاته وصفاته واسمائه لا يشبهه شي فيها قوله تعالى ليس كمثله شي
فانه صريح فيه سوا قلنا ان مثله كناية عن ذاته كقولهم مثلك لا يبخل والكاف
غير زايدة او قلنا انها زايدة وقيل الفرق بين مثله وكمثله ان الاول يدل
على المشابهة من ساير الوجوه وكمثله يدل على المشابهة بوجه ما ولله در من
تالمن العلما العارفين المحققين الدر بفتح الدال المهملة وتشديد الراء
المهملتين اصل معناه اللبن الحليب ويتجوز به عن الخير والعمل الصالح واللام
في لله للتعجب وكذا استعملوه فيقال لله دره للثنا عليه والتعجب من محاسنه
ولم يقولوا لولا الله هو لانه ابلغ بمراتب لتعجبهم من لبن ارتضعه كما تقال لله
ابوه وبلده واضافوه لله اشارة الى انه لا يقدر عليه سواه واراد بالعارفين
مشايخ الصوفية لما سيحكيه عنهم فان العارف مختص في العرف باوليا الله ه
التوحيد اثبات ذات وهي ذات الله غير مشبهة للذوات جميعها بوجه من
الوجوه ولا معطلة من الصفات اصل معنى المعطل فقد الزينة والشغل
والمراد به النفي هنا اي غير منفي عنها الصفات كما يقول له المعتزلة هربا من
تعدد القدما والمحذور تعدد ذوات قدما لا ذات وصفات وفيه تشبيه

تلمساني

للصفات بالرتبة وزاد هذه النكتة وهي معنى التوحيد الذي قاله المشايخ الواسطي
تقدمت ترجمته بيانا وهي اي الزيادة التي زادها تنوعا بديعا ما يفهم مما قبله مقصودنا مقصودنا
له لا انه باعث على ما عقد له هذا التمثيل فقال ليس كذاته ذات اي ليس كحقيقته حقيقة
ولا يشاركه بوجه من الوجوه اذ لو شاركته لزم امر اخر يميز ذاته عن ذات
غيره والا لا اتحدا وهكذا يستلزم التركيب والحدوث ولا كاسمه اسم اي لا يشبهه
مدلول اسمه مدلول اسم اخر كما مر ولا كفعله فعل لانه في غاية الكمال والاتقان
وليس لغرض ولا عوضا كما مر ولا كصفته صفة لانها عظيمة قديمة وغيرها ليس
كذلك الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ في بعضها كسميع وبصير وحي فمثل ذلك
في حقه ليس مثله في غيره وان كان اللفظ متحدا لمناسبة ما ثم وضحه فقال
وجلت الذات القديمة اي عظمت وتعالت وتنزهت عن ان يكون لها صفة
حديثة اي محدثة موجودة بعد العدم لانها ان كانت صفة كمال لزم خلو الذات
عنها قبل وجودها وهي نقص لا يليق بكماله والا استحال اتصافه بها وهذا
مبني على قدم صفات الافعال كما تقدم كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة
قديمة لامتناع وجود صفة قبل موصوفها وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة
والجماعة الماتريدية فالجماعة اذا اطلق فالمراد به هؤلاء دون غيرهم من الفرق
الضالة المضلة وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري تقدمت ترجمته قوله هذا
اي قول الواسطي السابق ليزيده بيانا وايضاحا على ايضاح فقال هذه الحكاية
اي الحكم المنقول عن الواسطي يشتمل وفي نسخة اشتملت على جوامع اي امور جامعة
مستوفية من مسائل التوحيد وهو اعتقاد ان الله واحد في ذاته وصفاته
لا مثل له ولا ضد ولا ند ولا شريك له في الوهيته واستحقاقه للعبادة وكيف
تشبه ذاته ذات المحدثات بفتح الدال المهملة اي الامور الحادثة وهي بوجودها
مستغنية مستقلة غير محتاجة ومستندة لغيرها الوجوب وجودها
وكونه عين ذاتها والا كانت ممكنة وكيف يشبه فعله فعل الخلق في حقيقته
ولوازمه وكماله وهو اي فعله لغير جلب بفتح الجيم وسكون اللام وفتحها
وبا موحدة وهو التحصيل واصل معناه السوق انس اي استيناس ودفع
وحشة لاستغنائه عن الانيس والجليس او دفع نقص حصل اي ليس شيء
من افعاله لنفع له بل كله لنفع عباده فانه الغني المطلق ولا بخواطر واغراض
والباعثية وفي نسخة لخواطر باللام التعليلية واغراض بغين معجمة
اي ليس شيء من افعاله تعالى لخاطر يخطر وعلية وباعث يدعوه لفعله كما
تقدم وفي نسخة ولا بجواهر واعراض بالمهملة والتصحيح وانه ومعنى
الاول وهذا تحريف من النساخ وان احتمل رجوع الجواهر للذات والاعراض
لافعاله على ما فيه وقوله وجد ماض للمجهول كما قاله البرهان وقع
في مقابلة قوله حصل اي ليس لدفع نقص حاصل ولا لخاطر وغرض موجود دلجي
وفي بعض الشروح بكسر الجيم وتشديد الدال اي ليس فعله باجتهاد وجد
منه والذي غره قوله ولا بمباشرة ومعالجة الا ان قوله ظهر بآياته

فان

فان الانفعالات الثلاثة فيها ضمير عايد على الفعل فان معناه ليس فعله لدفع نقص حصل له
او الخاطر وعرض وجد في نفسه ولا نكد ظهر وقت فعله وقد وقع كل من الانفعالات
الثلاثة في محله فوصف النقص بحصل لانه طارئ عليه ووصف الخاطر بانه وجد في نفسه
في نفسه كما هو شانه كما ان شان المباشرة كونها محسوسة فهذا ناش من عدم تامل كلامه
والمباشرة فعل الشيء بنفسه ومزاولته بجوارحه والفعل مركب بمباشرة وتولد
لانه يمس بشرته وظاهر بدنه والمعالجة المباشرة بجد وقوة يقال اعتلجوا اذا اقتتلوا
اي ليس فعله كفعل غيره بعلاج واعمال وانما هو بارادته من غير شيء من ذلك انما امره
اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه المذكورة من
جلب نفع ودفع ضر واغراض ومباشرة ومعالجة وقد قال اخر من مشايخنا جمع شيخ
والشيخ من كبر سنه وفي العرف من تصدر للافادة لانه انما يحصل باتفاق العمر وله
جموع منها مشايخ على الاصح وقال بعض اهل اللغة انه لا اصل له ولم يسمع في كلام
العرب ورد بانه سمع كما في شرح الفصيح مهما توهمتموه باوهامكم اي كل شيء واقع
في اوهام الناس انه حقيقة الباري ليس كما توهموه او ادركتموه بعقولكم اي تصورتموه
وعلمتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم لان الاوهام والعقول مالوفة بادراك ما شاهدوه
فتظن ان الله جل وعلا مثله وتقيس الغايب على الشاهد والله اجل من ان يحيط به
الادراك المدرك للامور المحدودة المتناهية وهو تعالى منزه عما لا يليق به مما
الفته النفس من المدركات وليس المراد انه لا تدرك ذاته وصفاته بوجه ما فانه
معلوم بالنظر الصحيح والبراهين القاطعة فالمراد انه لا يدرك كنه ذاته وصفاته
ومسمى اسمائه بكنهه ولم نكلف بهذا وانما كلفنا ان نعرف ذاته وصفاته ووحدانيته
وانه لا رب ومعبود سواه وقال الامام ابو المعالي الجويني امام الحرمين
عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني النيسابوري ابو المعالي امام
الايمة عربا وعجما فريد دهره تحفة الفلك ونكتة عطارد صاحب الفضايل والتاليف
الجليلة ولد ثاني عشر المحرم سنة تسع عشرة واربعمائة في خامس عشرين من ربيع
الثاني وجوين بضم الجيم من نواحي نيسابور وهو شيخ الغزالي ومفهوم من اطمان
بطا مهملة ساكنة وميم وهمزة مفتوحة ونون مشددة بمعنى سكن بعد انزعاج
اي تقرر وتيقن عنده بعد الشك والشبه الى موجود انتهى اليه فكره اي
تيقن امرا موجودا على وجه معين ارتسم في ذهنه انه الله فهو مشبه اي
معتقد لتشبيه الله بغيره مما في خزانة فكره وهو خطأ لانه ليس كمثله
شيء وفكره انما هو مدرك انه المشاهدة فيا بينه التشبيه منها واحترز بقوله اطما
عن الوسوسة فانها ليست بتشبيه لعدم ركون النفس لها ومن اطمان الى
النفي المحض اي الخالص بان نفى ذات الباري حقيقة او حكما كالفلاسفة القا
لا يصدر عن الواحد بالذات الا واحد فهو معطل ناف للصانع وهم الدهرية
القايلون بالطبايع الى غير ذلك مما لا يصدر عن عاقل وان قطع اي جزم
بموجود اله واجب الوجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته بسكون الرا
وقد تفتح اصل معناه اللحوق ثم صار بمعنى العلم كالادراك لو عود العقل

ن

يلون

اليه اي عجز عن علمه بكنهه فهو موحد لانه عرف الله و وحده واعترف بانه لا يقدر على معرفته بكنهه وهو التوحيد الصرف قال الراغب روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال يا من غاية معرفته ان يعرف الاشيا فيعلم انه ليس شي منه ولا يمثله بل هو موجد كل ما ادركته انتهى وما احسن قول ذي النون المصري الزاهد العارف بالله ابو الفيض ويقال ابو الفياض واسمه ثوبان بن ابراهيم الاخميمي كان ابوه نوبيا توفي رحمه الله سنة خمس واربعين ومائتين وكان عالما بالعلوم والخطوط القديمة وحدث انه قرا من خط قديم

تدبر بالنجوم ولست تدري • وربّ النجم يفعل ما يشا

وله ترجمة في الميزان حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشيا اي في ايجادها وابدائها بلا علاج اي بلا معالجة ومكابدة واستعمال آلة وتعلم ان صنعه لها بلا امزاج المزاج لغة كالمزج الخلط وما ركب عليه البدن من الطبايع وعند الاطبا كيفية له من العناصر المتماسة بحيث يكسر سورة كل منهما سورة الاخر وهو بالمركبات العنصرية والمراد ان ايجاده لها لا يحتاج الى مادة ومعاونة تركب منها بل قدرته تعالى العلية اوجدته ابتدا من العدم بعد ان لم يكن بمجرد قوله كن فيكون فلا يحتاج الى شي من العلل الاربع كما اشار اليه بقوله وعلة كل شي صنعه بمجرده ومجرد قدرته ولا علة لصنعه تعيينه في ايجاده اذا افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض وما تصور في وهمك فالله بخلافه فان ذاته لا تشبه الذوات وافعاله لا تشبه افعال غيره فهو منزه عن ان تتصوره الاوهام وهذا الكلام عجيب نفيس محقق من النفاسة وهي الشرف وعلو القدر والفصل الاخير من كلام ذي النون وهو الفقرة الثالثة اعني قوله وما تصور في وهمك فالله بخلافه تفسير لقوله عز وجل اي بمعنى قوله ليس كمثله شي فان ما لا مثل له لا يرتسم في الوهم والثاني اي الفصل الثاني وهو قوله وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه تفسير وبيان لمعنى قوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فانه لا علة لفعله حتى يقال له لم فعلت كذا بخلاف غيره من عبيده المكلفين والثالث في العدد وهو الاول اعني قوله حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشيا بلا علاج وصنعه لها بلا امزاج تفسير لقوله انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ففي كلامه لف ونشر غير مرتب وهذا تمثيل لسرعة الايجاد والتسخير ثبتنا الله واياك على التوحيد اي على العقيدة الحقة في اعتقاد وحدانية الله في ذاته وانفراده بجميع شؤونه والاثبات اي اثبات ما يليق بذاته لذاته وبصفاته لصفاته وليس المراد اثبات واجب الوجود النافي للتعطيل فانه معلوم من التوحيد الا انه يريد مجرد التوكيد والتنزيه لذاته وصفاته عما لا يليق بهما وجنبنا اي بعدنا طل في الضلالة والغواية من طرفي التعطيل والتشبيه من بيانية واراد بالضلالة التعطيل وبالغواية ادعا التشبيه والتجسيم وجعل للاعتقاد الحق طرفي افراط وتفريط والوسط هو الصراط المستقيم والدين القويم وهذا كله استدلال على ان ما اطلق على الله وعلى غيره ليس لاشتراكهما في حقيقة المدلول والمسمى

كما مر بيانه

كما مر بيانه مبسوطا ولما كانت هذه التسمية تشريفا وتمييزا لهم عما عداهم اردفه بما ايدوا به التمييز وهو المعجزات فقال

## الباب الرابع

من القسم الاول فيما اظهره الله على يديه صلى الله عليه وسلم ما على اليد هو ما وقع فوقها بكذبه مما كان مشاهدا من المعجزات وهي الامور الخارقة للعادة التي يظهرها الله على يد انبيائه عليهم الصلاة والسلام لالزام من كذبهم اذا عجز واعن الاتيان بالمثل وهذا هو الفرق بينها وبين الكرامة وليس الفرق ان المعجزة للنبي والكرامة للرسول كما قيل فان الكرامة تكون للنبي ايضا كما اشار اليه المص بقوله وشرف به من الخصايص والكرامات اي ما خصه الله به واكرمه مما لم يكن لغيره والفرق بينها وبين السحر ليس ادعا النبوة فان الساحر قد يدعيها كاذبا بل الفرق ان الفرق ليس بمزاولة العزايم ونحوها من تسخير الكواكب كما يدل عليه قوله اظهره الله وهي داله على صدقه في دعوى النبوة وما كان قبل البعثة من خوارقها من اي تاسيس للنبوة وادخلها بعضهم في المعجزة قال الزركشي في البحر اختلف في دلالتها فذهب الشيخ الى انها وضعية وما دل وضعا يجوز ان يتبدل واختار الامام في الارشاد وابو اسحق انها عقلية وقال الامدي في ابكار الافكار الذي ذهب اليه المحققون ان دلالة المعجزة على صدق الرسول ليست دلالة عقلية ولا سمعية اما الاول فلان ما يدل عقلا يدل بنفسه ويرتبط بمدلوله لذاته وقد تقع الخوارق عند تصرم الدنيا مع عدم دلالته على تصديق مدعي النبوة فانه لا ارسال ولا رسول اذ ذاك واما الثاني فلان الدلالة السمعية تتوقف على صدقه فلو توقف صدق الرسول عليها كان دورا بل دلالتها على صدقه غير خارج عن الدلالات الوضعية النازلة منزلة قول الله صدق عبدي انتهى وفيه بحث قال القاضي ابو الفضل عياض المولف رضي الله عنه بحسب المتامل بسكون التبين اي يكفيه او كفايته والمتامل هو المفكر الناظر نظرا صحيحا ان كتابنا هذا لم يجمعه اي لم يولفه لمنكر بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ممن كذبه ولا لطاعن في معجزاته اي معترض ومعارض معاند في ثبوت بعضها وان كان مظهرا للاسلام كبعض الزنادقة واصل الطعن الرشق بالسنان ونحوه فاستعير لتغييب لسان وذمهم يقال طعنه يطعنه بالضم والفتح وقال ابن بري الاكثر في طعن السلاح ضم عين المضارع وفي القول فتحها ونقله بعضهم عن غيره من الايمة فتامله فيحتاج بالرفع على الاستيناف او النصب في جواب النفي بناء على راي من جوزه مستند لا يبقوله

لم الق بعدهم حيا فاخبرهم ※ الا يزيدهم حبا الي هم

وقد منعه بعض نحاة المغرب الى نصب لبراهين عليها اي على اثباتها ※ بالادلة القاطعة الملزمة لمن انكرها او طعن فيها ونصبها اقامتها وايضا من قولهم نصب رايا اذا اشار اليه بان لا يعدل عنه كما في الاساس وتحصين حوزتها بفتح الحا المهملة وسكون الواو وفتح الزاي المعجمة وهي الناحية والجانب وتحصينها جعلها حصينة محفوظة كان عليها حصنا يحميها وفيه استعارة تمثيلية تخييلية بجعل المنكر كالعدو والمقاصد كالخراب الممكنة

ابن افتوس

تلمساني

نخ

وما اصاحب من قوم فاذكرهم ※
الا يزيدهم حبا الي هم

حيا

ويقال حمي حوزته وبيضة بلده اذا حفظ حوائجه وما يلزمه حفظه حتى لا يتوصل
الطاعن اليها جمع مطعن وهو الطعن والرد بالاباطيل الفاسدة التي تصدر عن اهل
الالحاد وضمير اليها للحوزة او للمعجزة والاول اولى وابلغ لان عدم الوصول الى الحوزة
يستلزم عدم الوصول اليها ولنذكر شروط المعجزة والتحدي بفتح المثناة الفوقية
المشددة والحاء المهملة وكسر الدال المهملة المشددة وياء تحتية وهو طلب المعارضة
واصله تقابل الحاديين في حدا الابل وحده معطوف وعلى يحتاج الداخل في حيز النفي
وحده بمعنى تفرده منصوب كقوله وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع ورده
اي لا نذكر فساده ورده معطوف وعلى فساد او ماض معطوف على ابطل اي لم
نجمعه لاجل شيء من ذلك حتى يحتاج الى ذكر ما يدفعه ويقيم الحجة على بطلانه كما
هو داب المتكلمين ان يقدموا قبل مباحث اثبات النبوة او ذكر المعجزات مبحث ابطال
قول المنكرين لعدم فرقهم بينه وبين البدا وهم اليهود الذين تمسكوا بذلك
في ابطال نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبوة عيسى عليه الصلاة والسلام
لنقلهم عن التوراة ما يدل على تابيد شريعة موسى عليه الصلاة والسلام مع
وقوع النسخ فيها كما فصل في كتب الاصلين بل القناة لاهل ملته اي انما القناة
لاهل ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المؤمنين به الملبين لدعوته بالباء الموحدة
المشددة اي القايلين له اذ دعاهم صلى الله عليه وسلم للتوحيد والدين الحق
لبيك وهو عبارة عن اطاعته وتصديقه ولذا قال المصدقين لنبوته لاقرارهم
واعترافهم بل كلما اجابه ولا يقال ان جميع التاليف الاسلامية كذلك فانه ليس شيء
اي اعترافهم
من بين الداعي لتاليفه فقال ليكون تاكيدا في محبتهم له صلى الله عليه وسلم
دفعا لما عسى يقال ان المؤمنين غير محتاجين له مع اعترافهم واقرارهم بذلك
فاجاب بانه موكد لمحبتهم له صلى الله عليه وسلم ضماه لا عمالهم بالنون من
النمو بمعنى الزيادة مصدر او اسم محل اي يزيدهم رغبة في اعمالهم الصالحة او
يبلغهم الاعمال او يبلغ اعمالهم الى الله من تنمية الحديث اذا بلغته وليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم بذلك فانه يزيده او يثبته في قلوبهم وفي تقديمه زيادة
الاعمال على زيادة الايمان اشارة الى ان زيادته مبنية على دخول الاعمال
والقول في قبول الايمان الزيادة مقرر في محله وثبتنا بالنون والمثناة التحتية
المشددة والمثناة الفوقية والنون قبل الالف اي قعدنا وما عزمنا عليه في هذا
الباب ان نثبت في هذا الباب اي نقرر ونكتب وهو بكسر الموحدة مخففة ومشددة
رواية من الافعال او التفعيل امهات معجزاته اي كبارها وعظامها جمع ام
ومشاهيرها بانه غاير بينهما تفننا فان الايات بمعنى المعجزات ايضا او المراد
ما اشتهر من كراماته صلى الله عليه وسلم من غير تحدي غيره ليدل لما اثبتناه
على عظيم قدره عند ربه لما اجراه على يديه من عظيم الايات واثبتنا منها اي ذكرنا
من تلك المعجزات بالمحقق اي بما اشتهر وشاع حتى لم يبق فيه شبهة والصحيح
الاسناد اي ما صح سنده وتقدم ان الاسناد الاتيان بالسند وهو عبارة عن الرجال
الذين نقلوا الحديث منقول من سند الجبل وهو ما ارتفع من سفل الجبل وقد

يكون

يكون الاسناد بمعنى السند وصحته باستيفاء شروطه المذكورة في كتاب ابن الصلاح وغيره
واكثرها اي اكثر ما انبانا به مما بلغ القطع اي وصل الى رتبة القطع بحيث لا يقبل التشكيك
كالقران او كاد اي قارب بلوغ القطع لشهرته وصحته نحو وان كان ظنيا لكنه قوي
حتى صار متيقنا بما حفه من القراين وحذف معمول كاد شايع في كلام العرب لا سيما في
السجع كما هو فيما نحن فيه واضفنا اليها اي ضممنا الى المعجزات المحققة والمقاربة
لها بعض ما وقع في مشاهير كتب الايمة بعض ايمة الحديث الذين تلقى الامة كتبهم
بالقبول كدلايل النبوة للبيهقي والسنن وبقية الكتب واذا تامل المتامل المنصف
ما قدمناه اي من نظر بعين الرضا والانصاف في صفاته صلى الله عليه وسلم التي
قدمنا المهم قبل هذا الباب وهذا تاكيد لما قبله من ان ذكر المعجزات ليس لاثبات نبوته
صلى الله عليه وسلم لان من تامل صفاته علم انه غير محتاج في اثبات نبوته صلى الله
عليه وسلم الى برهان بذكر معجزاته وانما ذكرت لمحبتها وتاكيد ذلك كما قال المتنبي

صفاته لم تزده معرفة ۞ لكنها لذة ذكرناها

من جميل اثره بفتحتين وهو بقية الشي وما يبقى بعده من اثار وفعله كالصدقة
الجارية والولد الصالح والعلم النافع مما يرسم في صحايف الايام وقيل جمع اثره
من اثره يوثره ايثارا اذا اعطاه وما ثر العرب مكارمها ومفاخرها التي تروى وتذكر
وحميد سيره جمع سيرة كسدرة وسدر وهي الطريقة والسنة المحمودة وبراعة
علمه اي علمه الفايق به على غيره يقال برع براعة وبروعا اذا فاق في علم او غيره
ورجاحة عقله اي عقله الزايد بحيث لو وزن بغيره رجح عليه وحلمه الراجح
ايضا وجملة كماله اي جميع كمالاته التي لم تجتمع لغيره وجميع خصاله جمع خصلة
وهي الصفة الحسنة وهي مجاز من الخصل وهي ما يعطى في الرهان فاستعير لما ذكر كما
ذكره في الاساس وشاهد حاله اي ما حكي عما كان يشاهد من حاله وفي تعبيره بالشاهد
لطف لان فيه ايهام انه يشهد لمحاسنه وهو بمعنى الحاضر وصواب مقاله اي ما يحكى
من كلامه صلى الله عليه وسلم الذي هو صواب كله وحكم وحكم والكل بالجر عطف على
جمله وقوله لم يمتر جواب اذا اي لم يشك ويشتبه عليه ويقع له تردد في صحة
نبوته اي صدقه صلى الله عليه وسلم في مدعاه او فيما دعا الخلق اليه من دينه
وتوحيد ربه وقد كفى هذا غير واحد هذا فاعل كفى وهو اشارة لما ذكر من الجهل
وما بعده وغير مفعول له في اسلامه والايمان به اي كفاه ما راه من احواله صلى
الله عليه وسلم عن طلب برهان واية على نبوته وصدق رسالته والانقياد لامره
فاسلم وامن به وتبعه من غير تلعثم كابي بكر رضي الله عنه فانه كان كلما راه صلى
الله عليه وسلم قال ما خلق هذا الا لامر عظيم فلما دعاه للاسلام قال هذا الذي
كنت ارجوه منك فروينا عن الترمذي الامام المشهور صاحب السنن وقدمنا ترجمته
وابن قانع بقاف ونون مكسورة بعد الالف وعين مهملة وصحفه بعضهم
بنافع بنون وفاء وهو غلط وهو عبد الباقي بن قانع الامام الحافظ كما تقدم
وغيرهما باسانيدهم جمع اسناد وجمع وان كان مصدرا لنقله الى الاسمية
الى عبد الله بن سلام الصحابي المشهور وهو بتخفيف اللام وغيره مشدد اللام

التي ادعاها اي اظهرها وصدق دعوته صح

ولحتلف في تقصها ايضا قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في هجرته
هو وابو بكر رضي الله عنه جئته لانظر اليه جواب لما يعني انه سمع بقدومه صلى الله
عليه وسلم من مكة وقولهم انه رسول الله فاتاه ليعرف امره وهو من علما اهل الكتاب
صاحب فراسة وذكاء فلما استبنت وجهه استفعال من البيان وهو الوضوح والظهور
والتبين للمبالغة عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب اي لاح له من سيماه ونور
النبوة في محياه صلى الله عليه وسلم ان مثله لا يكذب فيما ادعاه فخلق الله فيه علما
ضروريا فصدقه صلى الله عليه وسلم مع ما كان يعلمه من صفته في التوراة والكتب
السالفة وقال لليهود يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم
لتعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تجدونه عندكم مكتوبا في التوراة
باسمه وصفته واني اومن به واصدقه ثم شرع في ذكر سنده لما رواه عن الترمذي
ولم يقدمه لئلا يفصل بينه وبين ما استشهد له به فقال حدثنا به اي بحديثه ابن
سلام القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله الحافظ المعروف بابن سكرة كما تقدم
قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي بالتصغير ومن قال ابو الحسن مكبرا فهو مخطئ
وابو الفضل بن خيرون تقدمت ترجمته عن ابي يعلى البغدادي بفتح التحتية
وهو المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم عن ابي علي السنجي تقدم مع ضبطه
وبيان نسبته عن ابن محبوب المعروف بالمحبوبي راوي السنن عن الترمذي
كما تقدم قال حدثنا محمد بن بشار بفتح الموحدة وتشديد المعجمة كما تقدم قال
حدثنا عبد الوهاب الثقفي ابن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله بن الحكم
ابن ابي العاص الثقفي الحافظ وثقه ابن معين وقيل انه اختلط في اخر عمره توفي
سنة اربع وتسعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة وترجمته في الميزان
ومحمد بن جعفر هو غندر كما تقدم وابن ابي عدي محمد بن ابراهيم بن ابي عدي
البصري الثقة توفي سنة اربع وتسعين ومائة وروى له اصحاب الكتب الستة
ويحيى بن سعيد بن فروخ ابو سعيد القطان البصري التميمي الحافظ احد الائمة
الاعلام توفي سنة ثمان وتسعين ومائة وترجمته في الميزان عن عوف بن ابي
جميلة بفتح الجيم وكسر الميم الاعرابي سمي به لسكناه بدرب الاعراب قال
ابن دقيق العيد وهو ثقة ثبت توفي سنة سبع واربعين ومائة واخرج له
اصحاب الكتب الستة كما في الميزان عن زرارة بن ابي اوفى وفي نسخة ابن اوفى
وهو من خطا الناسخ وزرارة بضم الزاي المعجمة وراءين مهملتين وهو
مكنى بابي حاجب قاضي البصرة ثقة عالم تقي امهم في داره فقرا فاذا نقر في الناقور
فشهق شهقة ومات سنة ثلاث وتسعين وروى له اصحاب الكتب الستة
عن عبد الله بن سلام الحديث كما تقدم وعن ابي رمثة التيمي بكسر الراء
المهملة وسكون الميم ومثلثة قيل هاء علم منقول من رمثة نوع من
النبات واختلف في اسمه فقيل رفاعة وقيل عمارة وقيل غير ذلك التيمي
وقيل التميمي اختلف في نسبته لتيم او تميم وهما قبيلتان مشهورتان
وقيل انه بلوي ايضا اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي حكاية لحاله

الى

التي جاء بها والاولاد خل له في الغضبة فارنيه اي اراأيته وعرفني غيري باطارع
ونحوها وهو بضم الهمزة مجهول اراه بربه لانه لم يكن راه قبل ذلك فلما رأيته قلت
هذا نبي الله اي المجد تعلق نظم به اعترف بنبوته صلى الله عليه وسلم لما شاهده
من عظمته ونور نبوته فاوقع الله في قلبه علما ضروريا بصدقه صلى الله عليه وسلم
روى مسلم وغيره ان ضمادا بكسر الضاد المعجمة وميم مفتوحة مخففة والف ودال
مهملة وهو ضماد بن ثعلبة الازدي نسبة لازد شنوءة قبيلة مشهورة وكان صديقا
للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فلما قدم مكة وسمعهم يقولون فيه ما قالوا لوع
تابعه واسلم في اول الاسلام وكان عاقلا لبيبا طبيبا ويرقي ذكره ابن عبد البر في الصحابة
وفي الصحابة شخص اخر يسمى ضمادا وله وفادة ولا ثالث لهما لما وفد عليه اي
لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة في ابتداء الاسلام وتقدم مراد الوفود
القدوم على العظما من مكان بعيد قصدا وكان راقيا يرقي الناس في الجاهلية
فلما سمعهم يقولون ان محمدا مجنون وفد عليه وقال يا محمد اني راق فهل بك من شيء
فارقيك فاجابه صلى الله عليه وسلم دفعا لما قاله مما نسبه اليه كما بينه بقوله
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله جوز فيه ان كسر الهمزة وتشديد النون مشهور
وفتح الهمزة مع التخفيف وهو ظاهر والحمد وكون جملته انشائية او خبرية مشهور
وحسن تاكيده سؤاله وطلبه ان يرقيه لتوهمه ضد ما فهم فيما قالوه فاجابه
صلى الله عليه وسلم وصدر كلامه بحمد الله اشارة الى ان الله انعم عليه بنبوته
فيه رد لما زعموه على ابلغ وجه ثم قال نحمده ونستعينه فاردف الجملة الاسمية
بفعلية مضارعية لانه قصد بالاولى ان الحمد ثابت ومستحق له بالاستحقاق
بقطع النظر عن الحامدين والجملة محتملة للخبرية والانشائية ثم اردفها بجملة اخرى
لانشاء حمده بنفسه لما انعم الله به عليه من جلائل النعم التي اجلها نعم النبوة المؤيدة
بالمعجزات الباهرة ولذا قطعها عما قبلها واتى بها مضارعية لتدل على الاستمرار
التجددي واسنده لضمير المتكلم مع الغير اشارة الى انه لا يقدر وحده على وفاء حق
حمده فانه كان الضمير له وحده فليس لتعظيم نفسه بل لتعظيم الحمد والمحمود ونستعينه
بمعنى نطلب المعونة والمساعدة منه على اداء حق حمده او على جميع امورنا التي
من جملتها الحمد وفيه اقتداء بما ارشدنا اليه من ان الطالب للشيء يقدم عليه حمد الله
وتعظيمه كما في سورة الفاتحة ولذا اردفه بقوله من يهده الله اشارة الى انه طلب منه
الهداية الى الطريق المستقيم كما في قوله اهدنا الصراط المستقيم ومن شرطية جوابها قوله
فلا مضل له اي لا يقدر احد على اضلاله ومن يضلل فلا هادي له وفيه تعريض بمن تعرض
له صلى الله عليه وسلم باسناده له ما لا يليق به وان الله بيده الهداية والضلال
واشهد اي اعلم واذعن واعتقد ان لا اله الا الله اي لا معبود بحق سواه واجب
الوجود المستحق لجميع المحامد وحده لا شريك له في الوهيته وجميع شؤونه وهو مؤكد دم
لما قبله لتضمنه للحصر المتقدم عليه وان محمدا عبده ورسوله ارسله لهداية خلقه وارشادهم
لتوحيده وفيه دعوة اعتراف بانه عبده وجواب لما قوله قال له ضماد المذكور لما سمع
ما قاله صلى الله عليه وسلم اعد علي كلماتك هؤلاء المذكورة من قوله الحمد لله الخ وانما طلب

اعاد بها الينا قليلها ويفهم ما اراده وهؤلاء واولئك اشارة الجمع المذكر والمؤنث من العقلا
وغيرهم كما قال الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة اللوى ● والعيش بعد اولئك الايام

فالمشار اليه هنا الكلمات فلقد بلغت قاموس البحر اي اشتهرت هذه الكلمات في جميع
اقطار الارض شرقا وغربا وقاموس البحر وسطه او لجته او قعره كما في كتب اللغة من
قمسه اذا غمسه ووزنه فاعول وهذه اشهر الروايات واصحها وفيه روايات اخر
فروي ناعوس بمثناة فوقية وعين وسين مهملتين بينهما واو ساكنة وروي
قاعوس بتقديم القاف ورواه ابو داود قاموس او قابوس على الشك في الميم
والبا الموحدة وروي ناعوس بالنون ايضا وقيل ان الكل تصحيف ما عدا قاموس
وقاعوس كما قاله ابن قرقول يقال قال فلان قولا بلغ قاموس البحر اي بعد غوره
وروح حتى دوا البحر وهو مبالغة في شيوعه وروي قاعوس من القعس وهو
خروج الصدر وبروزه وقيل انه تعجب ممن لم يسمعها ولم يصدق بها من
العلامة مع بلوغها هذا المبلغ هات بكسر التا اسم فعل معناه اعطي يدك ابايعك
بالجزم في جواب الامر ووجه استشهاد المص به انه بمجرد رؤيته وسماع كلامه
صلى الله عليه وسلم امن به من غير تردد وليس في كلامه ما يدل على صدق بدعاه
ولكنه لما راي نور وجهه الشريف وحسن بهجته امن به وقال جامع بن شداد في حديث
رواه عنه البيهقي وهو ابو صخرة الاسدي الكوفي الحديث روي عن صفوان وغيره
واخرج له ابو داود والنسائي وتوفي سنة ثمان او سبع عشرة او عشرين ومائة
كان رجل منا يقال له طارق بن عبد الله المحاربي وهو صحابي كما اشار اليه بقوله
فاخبر انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة كما قاله ابن شداد وغيره
وله رواية عنه وقال ابن حبان انما راه بمكة بذي المجاز وهو سوق بينه وبين
عرفة فرسخ وهو مخالف لما قاله المص فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ولمن
لقيه معه هل معكم شي تبيعونه انما سالهم لانهم اعراب وانما يقدم مثلهم للبيع
والشرا قلنا هذا البعير فقال بكم تبيعونه قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر بكسر الواو
وفتحها وهو ستون صاعا فاخذ بخطامه بخا معجمة وطا مهملة وميم وهو
كالزمام وزنا ومعنى اي رسنه الذي يقاد به والبا زائدة اي اخذه بيده ويذهب
به وسار اي ذهب من عندنا بالبعير فقلنا اي قال بعضنا لبعض بعنا بعيرنا من
رجل لا ندري من هو حتى نطالبه بالثمن والوسق المبهم في الحديث كان ستون صاعا
كما ورد التصريح به في رواية اخرى وقوله من هو مفعول ندري والمعنى لا ندري
جواب هذا السؤال وعدى البيع بمن وهو متعد بنفسه اما بناء على مذهب
الاخفش من جواز زيادة من في الاثبات وقال النووي انه لغة فيه فيتعدى
بنفسه وبمن كانكح وزوج فانه يقال انكحه وزوجه وانكح منه وزوج منه وقد
وقع هذا في كثير من الاحاديث فلا عبرة بقول من عده من لحن الفقها وفي مسلم
لو بعت من اخيك وفي البخاري نبيعه من المقواعين الى غيره لكنهما لا يحصى
تنبيه قوله وسقا منصوب لانه تمييز وكذا اكثر من كان التشبيه

واسم

واسم الاشارة يكنى به عن العدد وغيره ويكون مفردة ومكررة بعطف ودونه وذهب البصريون الى ان المميز هنا لا يكون الا مفردا منصوبا وذهب الكوفيون الى انه يجب ما يكني به عنه فكذا اعبد كناية عن ثلاثة الى عشرة وكذا كذا اعبد كناية عن مائة فصاعدا وكذا كذا عبدا كناية عن احد عشر واخواته وكذا كذا اعبد كناية عن واحد وعشرين الى تسعة وتسعين وكذا وكذا عبدا كناية عن عشرين واخواته وتفصيله في شروح التسهيل وقد افرده بالتصنيف ابن هشام وغيره ومعنا ظعينة جملة حالية والمراد بالظعينة المراة من الظعن وهو الارتحال ولذا قيل ان حقيقته امراة في هودج على جمل ثم تجوز به عما ذكر وللهودج بلا امراة وللجمل نفسه وهو بظا معجمة وعين مهملة وسميت المراة ظعينة لظعنها مع زوجها فقالت اي المراة لما سمعت كلامهم انا ضامنة لثمن البعير اي اعطيه لكم من عندي ان لم يجي لكم منه وانما ارادت انها واثقة بانه لا بد ان يجي به لما وقع في قلبها من ان مثله صلى الله عليه وسلم لا يغدر ولا يخلف بفراسة منها حين شاهدته ولذا قالت رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر هذا استيناف بيان لوجه ضمانها لمن لم تعرفه بانها رات في وجهه صلى الله عليه وسلم نورا وحسن سيما تدل على انه ليس ممن يبدو منه شر وشبهت وجهه الشريف بالقمر عند كماله وزيادة نوره على عادتهم في تشبيه الوجه الحسن به والا فمن اين للبدر مثل نوره وحسنه ولقد اجاد بعض الظرفا في قوله

فلا عيبة للبدر وجهك اجمل … وما انا فيما قلته متجمل
لكنما الشي بالشي يذكر كما قيل
ظبي اذا ما بدا محياه … اقول ربي وربك الله

وقد هجا ابن الرومي البدر فقال

لو اراد الاديب ان يهجو البدر … رماه بالخطة الشنعاء
قال يا بدر انت تغدر بالساري … وتغري بزورة الحسناء
كلف في شحوب وجهك يحكي … نمشا فوق وجنة برصاء
يعتريك المحاق في كل شهر … فترى كالقلامة الحجناء
وبليك النقصان في اخر الشهر … فيمحوك من اديم السماء

لا يخيس بكم اي حسن صورته صلى الله عليه وسلم يدل على حسن سيرته فمثله لا يصدر عنه ما ظننتموه يقال خاس يخيس ويخوس اذا غدر وكذب فنكث عهده واخلف وعده وهو بخا معجمة وسين مهملة فاصبحنا اي مضى بعد اخذه صلى الله عليه وسلم البعير يوم وليلة ثم دخلنا في صبيحة يوم بعده فجا رجل من اتباعه صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل لا يعرف اسمه بتمر فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم ثم استانف جواب سؤال مقدر او مطوي كانهم قالوا ما فعل او ما يقول فقال يامركم ان تاكلوا من هذا التمر الذي جابه وتكتالوا اي تكيلوا منه ثمن البعير حتى تستوفوا اي تاخذوا الثمن من التمر الذي جابه وافيا كاملا غير ما اكلتموه فانه هبة منه لكم وفيه من المكارم وحسن المعاملة ما لا يخفى وفي الحديث خياركم احسنكم قضا وورد في حديث رواه ابن اسحاق في خبر الجلندي

وقصته وهو اي الجلندي ملك عمان وسلطانها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي القاموس
جلندا بضم اوله وفتح ثانيه وهو اللام المخففة ممدودا وبضم ثانيه فيقصر وهو
الجوهري فقصره مع فتح ثانيه قال الاعشى وجلندا في عمان مقيما ثم قيسا في حضرموت المنيف
ولا حجة له فيما ذكر لاحتمال انه مد وزنه كما قاله تلميذه البرهان الحلبي وفي شرح المفصل
لابن الحاجب الاولى ان لا تدخل عليه الالف واللام ومعناه القوي المتحمل من الجلادة
كما قاله المعري في رسالة الغفران وعمان بفتح العين المهملة وتشديد الميم مدينة
قديمة بالشام وبالضم والتخفيف صقع عند البحرين وفي الشروح نقلا عن الذهبي
ان له شعرا يدل على اسلامه وهذا يدل على عدم جزمه به والذي نقله النويري في
تاريخه الجزم به وانه صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص في سنة ثمان من الهجرة
الى جيفر وعبد ابني الجلندي وهما من الازد والملك منهما جيفر وكتب اليهما كتابا
فلما قدم عمان عمد الى عبد وكان اعلمهما واحسنهما خلقا فقال اني رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليك والى اخيك فقال اخي تقدم علي في السن وهو الملك وانا
اوصلك اليه فمكثت ببابه اياما ثم دعاني فدخلت عليه ودفعت اليه الكتاب ففض
ختمه وقراه ثم دفعه الى اخيه فقراه فقال دعني يومي هذا وارجع الي غدا فلما
رجعت اليه قال انا فكرت فيما دعوتني اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا
ما في يدي فقلت اني خارج فلما ايقن بخروجي ارسل الي واجاب الى الاسلام هو واخوه
وصدقا بالنبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة والحكم بينهم فلم ازل
مقيما بينهم حتى بلغني وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وهذا يدل على
ان ملك عمان ابن الجلندي لا هو الا ان يقال كل من ملك عمان يكنى جلندي واما ما في
بعض الشروح من ان في بعض النسخ ملك غسان بتشديد السين كشداد اسم قبيلة
ولعل تلك القبيلة سكنت تلك البلدة وكان الجلندي ملكها فمما لا يعول عليه
لمخالفته الرواية والنسخ الصحيحة وهو الذي صححه السهيلي والشراح كلهم لما
بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام كما سمعته مفصلا
قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي الذي لا يقرا ولا يكتب ووصفه
بذلك لشهرته صلى الله عليه وسلم به في الكتب القديمة ولانه مدح له كما تقدم انه
لا يامر بخير الا كان اول اخذ اي اول عامل بما امر به صلى الله عليه وسلم ولا ينهى
عن شيء الا كان اول تارك له كما قال صلى الله عليه وسلم اني لاتقاكم لله واخشاكم
له وهو كما قيل

لا تنه عن خلق وتاتي مثله • عار عليك اذا فعلت عظيم

وقوله انه الخ اسم ان تاويلا وهو فاعل دل وانه يغلب اعداه وينتصر عليهم
وهو مبني للفاعل فلا يبطر اي لا يطغى ويتكبر ويظهر الفرح وهو بفتحة مدنونة
ويبطر من باب علم ويغلب بالبناء للمفعول اي يغلب احيانا فان الحرب سجال كما
جرت به عادة الله في ايامه فلا يضجر اي يقلق ويجزع بل يصبر ويتحمل ما اصابه
في سبيل الله احتسابا للاجر ورضا بما قدره الله كما هو عادة الانبياء عليهم الصلاة
والسلام ويفي بالعهد فاذا عاهد صلى الله عليه وسلم احدا لا ينكث عهده كما

عوني

قال

والله تعالى واوفوا بالعهد وينجز الموعود اي يعجل ما وعد به لكرمه فالموعود اسم مفعول
ويجوز ان يكون مصدرا فانه جا على مفعول الا انه نادر واشهد انه نبي لما تحققه من
اخلاقه وكمال صفاته صلى الله عليه وسلم وهذا شاهد لما عقد له الفصل من ان من تامل
صفاته صلى الله عليه وسلم صدق بنبوته وان لم يشاهد معجزاته وقال نفطويه ابراهيم
ابن محمد الامام الجليل ابن عرفة بن سليمان الازدي الواسطي النحوي المفسر الاديب وقد
تقدمت ترجمته وضبط اسمه بفتح اوله وواوه وسكون يائه وان المحدثين يضمون ما
قبل الواو ويسكنونها المامر في قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في
زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
هذا بناء على الوقف على قوله الله نور السموات والارض وان معنى قوله مثل نوره
وان الضمير في قوله مثل نوره لمحمد صلى الله عليه وسلم وان المشكاة هو او صدره
والمصباح علمه والزجاجة قلبه والزيتونة نبوته والمعنى ان نبوته تظهر وان لم
يبد معجزة ويرهانا عليها وقد تقدم ذكر المص لهذه الاية وان هذا احد تفاسيرها
وانه بعيد وانما اعادها هنا لما فيها على هذا من دلالتها على المقصود من ان المتامل
يشهد ويصدق بنبوته وان لم يقم برهانا عليها فلا تكرار في كلامه كما توهم وهو
على هذا التشبيه تمثيلي وهو ظاهر يقول الله تعالى يكاد منظره اي ما يتعلق به
النظر من ذاته صلى الله عليه وسلم وصفاته يدل على نبوته وان لم يتل قرانا
اي وان لم يظهر صلى الله عليه وسلم معجزة وخص القران لانه اعظم معجزاته وتلاوة
القران معلومة وروي وان لم يقل قرانا ثم استشهد لذلك بما يدل على معناه فقال
كما قال ابن رواحة رضي الله عنه وهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الانصاري
الصحابي احد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شهد معه المشاهد
الا الفتح فانه مات شهيدا بموتة سنة ثمان من الهجرة وهو احد الامراء الثلاثة
بها وهم زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب ومما روي من مدحه له صلى الله
عليه وسلم قوله • لو لم يكن فيه ايات مبينة كان منظره ينبيك بالخبر • ومبينة
بكسر اليا المشددة اسم فاعل وبفتحها اسم مفعول ومنظره مراه وظاهره وفي رواية
لكانت بداهته وهذا على نهج قوله • نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه • اي مما
يترتب الجواب فيه على وجود الشرط وعدمه وهو على فقد الشرط اولى ويجوز
ان يبقى على حاله لانه عند ظهور الايات لا يحتاج الى الاستدلال بظاهر الحال فلا
اشكال فيه اصلا واصل ينبيك ينبوك بالهمز فابدلت يا وسكنت على حد قراءة
بارئكم وفي جعل المنظر مخبرا من البلاغة ما لا يخفى وقد آن ان ناخذ اي نشرع
في ذكر النبوة والوحي والرسالة تقال اخذ في القراءة اي شرع فيها واصل الاخذ
التناول باليد ثم تجوز به عن معان منها هذا وآن بمعنى قرب اوانه وبعده
اي بعد ذكرها نشرع في معجزة القران وما فيه من برهان ودلالة اي دليل قاطع على
نبوته وهي بفتح الدال وكسرها مصدر ويستعمل بمعنى الدليل **فصل** اعلم
امر بالعلم اهتماما بما بعده والخطاب عام لكل من وقف على كتابه او لمن ساله تاليفه

ابن اقترس

كما تقدم أن الله جل اسمه اي عظم وعظمت اسماؤه وجلا له اسمه تدل على تجلاته بالطريق
الاولى قادر على خلق المعرفة وهي العلم بالجزئيات وتكون بمعنى مطلق العلم ايضا
والعلوم بذاته علما يقينيا وان لم يكن بالكنه والحقيقة واسمائه وصفاته الذاتية
وغيرها وجميع تكليفاته التي الزمهم بها من الامور الشرعية والعبادات ابتداء
فترة بقوله دون واسطة يتوسط بينه وبينهم في اعلامهم وتعليمهم ما ذكر لو
شا كما حكى عن سنته اي عادته تعالى وطريقته في بعض الانبيا عليهم الصلاة
والسلام اذ عرفهم بعض الامور السابقة بدون واسطة بان اوقع ذلك في قلوبهم
وكشفه لهم او الهمهم او اراهم ذلك في منامهم الصادقة وهذا اسماع وذاع
وملا الاسماع وكون كل علم منقسم الى نظري وضروري المراد به غير علوم الانبيا كما
صرحوا به وفي الكشاف جرت العادة بان كل علم نظري كسبي ثم في قدرة الله تعالى
احداث علم واحداث القدرة عليه من غير تقدم نظر قال بعضهم كعلوم الانبيا التي
ليست ضرورية ولا نظرية فيخلق فيهم العلم بلا تقدم نظر لئلا يكونوا زمان النظر
شاكين وذلك لا يصح عليهم في التوحيد ولو كان ضروريا لم يكن عليه اجر فجمع
بين كونه متقدم النيل لنوال الاجر وعدم تقدم النظر لينتفي الريب وهذا هو
الذي ارتضاه المحققون فما نقل عن بعض المشايخ الصوفية ان علوم الانبيا
جميعها ضرورية غير مسلم وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا بناء على ان الوحي يشمل الالهام ونحوه وليس المراد به ما كان
بواسطة الملك فقط وجائز ان يوصل الله معطوف على قوله اولا قادر اليهم
جميع ذلك المذكور من العلوم السالفة بواسطة يبلغهم صفة واسطة بالفوقية
او التحتية اي يوصله بكلام يدل عليه وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر
كالملائكة مع الانبيا عليهم الصلاة والسلام سواء اكانوا متمثلين بصورة غير
صورتهم او على صورتهم الاصلية كما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم اولم
يروهم كما كان ياتيه صلى الله عليه وسلم الوحي احيانا كصلصلة الجرس وليست
رؤية الملك مخصوصة بالانبيا عليهم الصلاة والسلام بل قد يراه غيرهم من
خلص عباده كمريم او من جنسهم كالانبيا مع الامم الذين يبلغونهم عن الله ما امرهم
بتبليغه ولا مانع لهذا المذكور بقسميه من دليل العقل اي من دليل هو العقل
فالاضافة بيانية او هي حقيقية يعني انه غير مستحيل خلافا للبراهمة الذين
جعلوه مستحيلا لا لذاته فمنعوا ارسال الرسل كفرا وضلالا لما نطقت به الكتب
الالهية وذلت عليه الادلة العقلية كما بين في الكتب الكلامية كما اشار اليه
بقوله واذا جاز هذا ولم يستحل اي لم يبعد محالا عقلا وجاءت الرسل بما دل
على صدقهم من معجزاتهم الظاهرة المحققة وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به
عن الله وبلغوه لاممهم لان المعجز مع التحدي من النبي اي اظهار النبي معجزة
له وطلبه ممن انكر نبوته الاتيان بما يماثلها لان معنى التحدي هو الطلب
المذكور لانه ماخوذ من تحدي الابل اذا تغنى لها ليبسطها او من حدا بهم فيه ان
يتقابل متخصمان بيننا وبان ذلك فهو من النبي قائم مقام قول الله الذي اقدره على

ذلك

ذلك وامره به صدق عبدي ورسولي فيما ادعاه لما معه من البرهان الذي لا يقدر عليه احد من
جنسه فاطيعوه واتبعوه في كل ما يامركم به لانه من عند الله وشاهد على صدقه في كل ما قاله
وهو معطوف على قوله قايم خبر ان وقد تقدم الكلام على دلالة المعجزة والمفاسعية
اووضعية والفرق بينها وبين الكرامة والسحر وهذا الكلام كاف فيما قصدناه والتطويل
به خارج عن الغرض الذي صنف الكتاب لاجله فمن اراد تتبعه اي الوقوف عليه وجده
مستوفي حضر من اوجوابها اي بقف عليه بتمامه وتفصيله في مصنفات ايمتنا وعلمايينا
ربي نسخة في كتب ايمتنا والنبوة في لغة من همز اشارة الى ان فيه لغتين الهمز وتركه
الا ان الهمز هو الاصل كما ذهب اليه كثير من اللغويين والنحاة وان كان ترك الهمز هو
الاكثر ولذا قيل انه لغة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه انكر على من قال له
يا نبيء الله بالهمز وياتي الكلام عليه ماخوذ من النبا وهو الخبر لانبيايه واخباره عن الله
وقال الراغب النبا خبر ذو فايدة عظيمة يحصل به علم او غلبة ظن فلا يقال له نبا حتى
يتضمن هذه الاشيا الثلاثة ويكون صادقا فالخبر اعم منه وقد لا يهمز بالنبا العوقية
والنبا المهموز اي النبوة ويجوز قراته بالمثناة التحتية باعتبار اللفظ على هذا
التاويل اي تفسيره بالنبا تسهيلا اي تبدل همزته واوا تخفيفا لكثرة الاستعمال
فتبدل من جنس الحركة التي قبلها وهي الضمة والتسهيل عند القرا بمعنى جعل الهمزة
بينها وبين الحرف الذي منه حركتها وليس بمراد هنا والمعنى اي معنى النبي المفهوم
من الكلام على هكذا القول ان الله اطلعه على غيبه اي اعلمه واخبره بمغيباته
واعلمه انه نبيه الموحى اليه فيكون نبيا منبيا بصيغة المفعول مشدد الباء الموحدة
ويجوز تخفيفها اي يكون من اطلعه الله واعلمه نبيا بمعنى منبا فهو فعيل
بمعنى مفعول او يكون معناه مخبر ابكسر البا اسم فاعل عما بعثه الله به ومنبيا اسم
فاعل بتشديد البا وتخفيفها عما اطلعه الله عليه من علمه ومغيباته فهو فعيل
بمعنى فاعل على هذا او يكون عند من لم يهمز اي يقول بان اصله الهمز من النبا ماخوذ
من النبوة مصدر بزنة سلوة في الاصل نقل وشاع بمعنى المرتفع وهو ذكره باعتبار
اللفظ او نظرا للخبر اي ما ارتفع من الارض هو كالربوة لفظا ومعنى ممن بين المراد منه
بقوله معناه ان له عند الله وفي الواقع رتبة شريفة ومكانة نبيهة اي عالية
مشهورة والنبيه ضد الخامل لتنبه سعده من نومة الخمول والمكانة كالرتبة
تختص بالمنازل المعنوية فجعل علوه بظهوره كعلوه حسا عند مولاه وربه الذي
تولى اموره منيعة عالية لا يصعد لها سواه وهو على هذا ايضا فعيل بمعنى مفعول
لانه صلى الله عليه وسلم مرفوع على غيره او بمعنى فاعل لانه مرتفع لما له من
رفيع الدرجات فالوصفان اي وصفه بالنبي بمعنى المخبر او بمعنى المرتفع
موتلفان اي متوافقان بحسب المعنى لان من بعثه الله واطلعه على ما لم
يطلع عليه غيره له منزلة عالية ومن له مقام عال يطلع على ذلك والمراد
بالوصفين فعيل بمعنى فاعل او مفعول والذي ارتضاه سيبويه انه مهموز
كالذرية والبرية التزم تخفيفه في الاكثر وكلاهما لغة والخلاف انما هو في
ايهما اصل ولذا قدم المص المهموز وفيما يروى في السبع كما ياتي وقرا نافع بالهمز

في جميع القرآن الا في موضعين ان وهبت نفسها للنبي لا تدخلوا بيوت النبي واما الرسول
فهو المرسل اسم مفعول من ارسله اذا بعثه لامر وتبليغ رسالة ولو رأيت فعول بفتح اوله
اسم مفعول من الافعال بمعنى مُفعَل بضم الميم وفتح العين المهملة في اللغة اي لغة
العرب وكلامهم ويجوز ان يراد به علم اللغة وكونها الا نادرا الا في الفاظ قليلة قال الشمني
في الدر المصون فعول بمعنى مفعول قليل جاء منه ركوب وحلوب بمعنى المركوب
والمحلوب والرسول بمعنى المرسل انتهى وكلام المص يقتضي ان النادر فعول بمعنى
مفعل من المزيد وكلام العرب انه قليل بمعنى المفعول مطلقا فان الغالب فيه معنى
الفاعل كصبور وشكور لانه ان قيل ان الرسول في الاصل مصدر بمعنى الرسالة
لم يكن مما نحن فيه بل مجاز للمبالغة كالدرهم ضرب الامير اي مضروبه وقد ورد في قول
كثير بهذا المعنى وهو قوله

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول

اي برسالة فيما قيل ان فيه شيئا ليس بشيء وارساله امر الله له بالبلاغ الى من ارسل — ابن اقبرس
اليه اي تبليغهم شريعته ودينه بنفسه او بواسطة واشتقاقه من الارسال بمعنى التتابع
اي التوالي والتكرار لتبليغه فالمناسبة بينهما ظاهرة ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اي
افواجا جمع رسل بفتحتين اي فرقة بعد فرقة متتابعين يتبع بعضهم بعضا كما بينه
بقوله اذا تبع بعضهم بعضا كما ورد في الحديث انه صلوا عليه صلى الله عليه وسلم
ارسالا لا يتبع بعضهم بعضا كما ورد في نزبتي وجه اشتقاقه بقوله فكانه صلى الله عليه وسلم
الزم تكرير التبليغ مرة بعد اخرى الى امته والزم الامة اتباعه فرقة بعد فرقة وامة
بعد امة لعموم رسالته فالتكرار والتتابع اما في نفس تبليغه او باعتبار اتباعه
وامته ولو عطفه باو كما في نسخة كان احسن فما قيل من ان في كلامه بحثا لانه ماخوذ — ابن اقبرس
من جهة المعنى والاشتقاق من الالفاظ وان قولهم جاء الناس ارسالا ليس مصدر ارسله
لاختلاف المعنى كلام ناش من عدم فهم كلام المص وفيه خلط وخبط لا يخفى على من له
بصيرة واختلف العلماء في جواب قولهم هل النبي والرسول بمعنى واحد فهما مترادفان
او بمعنيين فهما متغايران غير مترادفين وفي نسخة بمعنيين ولذا قيل انه لو
احسن هنا وفيه كلام في المغني وشرح وجه ليس هذا محله فقيل هما سواء اي
متساويان او مترادفان لان الاول التساوي في الماصدق دون المفهوم كالانسان
والناطق والثاني التساوي فيهما فعبارته شاملة لهما الا ان ما بعده اقرب
الى الاول فمعناهما كل من اوحي اليه بشرع واصله من الانبا وهو الاعلام والارسال
فيه اعلام ايضا لانه انما ارسل لذلك فهما متساويان وان اختلف مفهومهما وتركه
بيانه للعلم به مما قبله فلا يرد عليه ان الاعلام اعم لانه قد يعلمهم بما لم يرسل به — ابن اقبرس
من نبوته وكذا قوله ان الاية لا تدل على ما ذكر فانه من تلقي الركبان واستدلوا على
تساويهما بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي لانه علق فعل
الارسال بهما فاذا ارسل النبي لزم ان يكون الرسول نبيا والنبي رسولا والله اعلم
بقوله فقد اثبت لهما معا الارسال قال المستدل ولا يكون النبي الا رسولا ولا
الرسول الا نبيا وقيل عليه ان الاية انما تدل على ان النبي اعم من الرسول فانهما

ترق

ترقي من ذكر الاخص الى ذكر الاعم والحديث الآتي الناطق بزيادة عدد الانبيا على عدد الرسل اياه
واعادة النفي لتقتضي المغايرة فما ذكر ممنوع وقيل هما متغايران من وجه فبينهما عموم وخصوص من
وجه فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول فمآله الى موجبة كلية وسالبة جزئية كما سياتي
بيانه والمشهور انه على هذا من اوحي اليه بامر الهي امر بتبليغه او لا والرسول من اوحي
اليه بذلك وامر بالتبليغ وقيل انه من كانت له شريعة ناسخة لغيرها وقيل من انزل عليه
كتاب والى هذا اشار المص بقوله اذ قد اجتمعا اي النبوة والرسالة في النبوة التي هي الاطلاع
بتشديد الطا وتخفيفها اي سكونها على الغيب اراد به ما لم يعلمه من اوامر الله وتشريعه
له ما يختص به او به وبغيره والاعلام من الله بخواص النبوة اي ما يختص بالنبوة الشاملة
للرسالة كالعصمة والوحي بواسطة الملك او بدونها كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام
اذ كلمه الله قبل الرسالة او الرفعة بمعرفة ذلك المذكور من الاطلاع والاعلام وفي نسخة
لمعرفة باللام بدل الباء السببية وحوز درجتهما اي درجة النبوة العلية والحوز بحاء
مهملة مفتوحة وواو ساكنة وزاي معجمة وهي حيازتها وتحصيلها وقوله الاطلاع
والاعلام اشارة الى الفاهم النبا المهموز وما بعده الى انه من النبوة الواوي وهي
الرفعة كما تقدم ولا تكلف في شيء من كلامه كما توهم وافترقا اي النبوة والرسالة في زيادة
الرسالة اي الامر بالتبليغ المعتبر في الرسول دون النبي وهو اي الرسالة وذكرها عاد
للخبر وهو الامر بالانذار والاعلام بما امر بتبليغه وهذا القيد المخصوص هو الذي
حصل به الافتراق في ما صدق عليه النبي فلا مخالفة بينه وبين ما قاله المنطقيون
كما قيل لانهم اعتبروا ذلك فيما صدق عليه لا في المفهوم وهذا الكلام ناشي من قلة التدبر
كما قلنا اشارة الى ما قرره اولا وحجتهم اي دليل القايلين بان بينهما العموم والخصوص
من وجه وليسا مترادفين ماخوذة من الاية نفسها التي استدل بها من ذهب الى القول
الاول بني عليهم لا لهم اذ التفريق بين الاسمين يعني النبي والرسول فان العطف واعادة
النفي يدل على تغايرهما ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ وليس
المقام مقام اطناب ولا تاكيد اذ لو كان كذلك لحسن التكرار كقوله كلا سوف تعلمون ثم
كلا سوف تعلمون ونحوه قالوا والمعنى اي معنى الاية على هذا وما ارسلنا قبلك اي
اوحينا واعلمنا من رسول الى امة امر بتبليغهم ما ارسل به وفي بعض النسخ من
نبي والاولى اوفق بالنظم واظهر او نبي ليس بمرسل الى احد فافترقا على هذا
التفسير افتراقا ظاهرا وفي كلامه نوع خفا اراد بعضهم ان يصلحه فافسده
وفي الاية ترق لانه ترقى في النفي بذكر العام بعد الخاص وفي الاثبات ترقي
به على العكس كما تقول ما في الدار انسان ولا حيوان ولو عكست كان ذكر الانسان
بعده لغوا فان قلت الذي استدل به ولا تعلق ارسلنا بهما فانه يقتضي ان
النبي مرسل ايضا وما ذكره المص لا يدفعه قلت وجه دفعه بما ذكر انه لما اقتضى
هذا العطف التغاير لزم تاويل ارسلنا بمعنى يشملهما اي ما ارسلنا ملائكتنا او وحينا
لاحد من نبي او رسول لان ارسل متعد بنفسه او هو من قبيل ورحمن الحاجب
والعيونا ومن زايدة لتعدد النفي اي ما ارسلنا ولا انبانا نبيا فتامل وقد ذهب بعضهم
مجاز من الذهاب وهو الخروج من مكان الى اخر قال في الاساس ذهب فلان الى القول الى

اي افترقا

عرضي

عرضي

حقيقة اذا اخذ به واتخذه مذهبا الى ان الرسول من جاء بشرع مبتداء ولم يكن مقررا
لشرع غيره فشرعه لم يسبق اليه ومبتدا بفتح التاء صفة شرع ويجوز كسرها على انه حال
من ضمير والاول اولى ومن لم يأت به اي بشرع مبتدا لم يسبق اليه بنبي غير رسول وان
امر بالابلاغ والانذار فبينهما عموم من وجه من وجه آخر والصحيح والذي عليه الجما
الغفير بمد الجماء في نسخة الجم والمعنى واحد اي الجماعة الكثيرة والجم بفتح الجيم
وتشديد الميم والغفير بغين معجمة وقال في الصحاح الجماء الغفير جماعة الناس يقال
جاؤا جماعة غفيرا بمد ويقصر والجماء الغفير بالمد وجم الغفير والجم الغفير
اي جميعا والراء زائدة والغفير صفة لازمة للجماء لا يوجد بدونها من الغفر وهو الستر
كانهم لكثرتهم ستروا وجه الارض ومعناه جاؤا جميعهم بجملتهم شريفهم ووضيعهم
وهو اسم ينصب كالمصدر كجاؤا جميعا وقاطبة والجم الكثير وينصبه لانه اسم وضع
موضع المصدر وقيل انه مصدر ولا يلزم نصبه عند الكسائي وعليه يمشي كلام المص
لا على من الزمه النصب وليس المراد الجميع بل الاكثر حتى يستشكل ويجاب بانه لم يعتد بغيرهم  وحي
وصيرهم كالعدم ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وهو صادق بالقولين الاخيرين
فبينهما عموم وخصوص من وجه لانه يشترط في الرسول دون النبي ان يؤمر بالتبليغ
او ان يكون له شرع جديد او انزل عليه كتاب والاول هو المشهور ولذا قال المحدثون
اذا ورد في الحديث ذكر احدهما او قال قال رسوله او نبيه لا يجوز له ان يبدله من
بروية وقيل انه لا يلزم ولكنه اولى وهذا في غيرالاذكار فالحاق تعبدية ولذا
ورد في حديث ان بعضهم قال في بعض الادعية امنت بكتابك الذي انزلت ورسولك
الذي ارسلت فقال له صلى الله عليه وسلم قل ونبيك الذي ارسلت كما في شرح
مسلم وفيه بحث وقيل الرسول اعم ليشمل رسل الملائكة كجبريل عليه الصلاة
والسلام لكن الكلام انما هو في رسل البشر وقال صاحب القاموس في كتاب الصلاة
والبشر ان النبي من اوحي اليه بامر يختص به في نفسه حتى لا يجوز لغيره ان يتبعه فيه
فان امر بتبليغ ما امر به لامة مخصوصة او لجميع الناس فهو رسول فان لم يكن له حكم
يختص به فهو رسول لا نبي وان كان مع التبليغ له ما يختص به كنبينا صلى الله عليه وسلم
فهو نبي ورسول فعلى هذا بينهما عموم وخصوص مطلق وليس كل رسول نبي
وقال انه الحق الذي لا شك فيه وهو مخالف لكلام المص واعلم ان النبي ان كان من
النبأ فهو مهموز وان كان من النبوة فغير مهموز كما تقدم وكلاهما جائز وبهما
قرئ في السبعة واما قوله صلى الله عليه وسلم لاعرابي قال له يا نبيء الله اي
بالهمز لست بنبيء الله ولكني نبي الله لانه في لغة نبا بمعنى خرج من ارض وطرد
فلا يهامه لذلك منعه وورد ايضا لا تنبؤوا باسمي فانما انا نبي الله ومعنى
لا تنبؤوا لا تهمزوا وليس في هذا ما يقتضي منعه على الاطلاق كما قاله ابن سبع
واول الرسل ادم واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ولا ينافي هذا ما في البخاري
في حديث الشفاعة من انهم يقولون لنوح عليه الصلاة والسلام انت اول الرسل
الى اهل الارض لانهم لم يقولوا انه اول الرسل مطلقا بل اول الرسل الى اهل الارض
بعد عيسى ولذا قال في الدعاء عليهم لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وادم عليه

الصلاة والسلام

الصلاة والسلام انما ارسل الى بنيه وهم مؤمنون به وادريس وشيث عليهما الصلاة والسلام
لم تعم رسالتهما وهذا الاينافي اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بعدم الرسالة الى اخر الزمان
فلم تختص ببعض ولا بقوم وعمت رسالته الانس والجن والملك كما تقدم وفي حديث ابي
ذر الذي رواه احمد في مسنده وابن حبان والحاكم في مستدركه وسياتي بطوله عنه صلى
الله عليه انه قال ان الانبيا مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وقد قال الحاكم في
مستدركه انه طعن في بعض رواته وقيل انه منكر وقال القرطبي انه اصح حديث ورد
في عدد الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام وقيل ان اصحابه عليه الصلاة والسلام
كانوا بهذه العدة ايضا عنده وفاته صلى الله عليه وسلم وعن كعب الاحبار انهم الفي الف
ومائتي الف وعن مقاتل انهم الف الف واربعمائة الف واربعة وعشرون الفا وقد
عرفت ان الاول اصح ما في الباب وذكر ان الرسل منهم اي من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم ادم عليه الصلاة والسلام وقيل اربعة عشر كعدد اصحاب
طالوت ويوافقه ان احرف اسم نبينا بالجمل الكبير ثلاثمائة واربعة عشر اذ فيه ثلاث
ميمات لان الحرف المشدد بحرفين ولفظ ميم ثلاثة احرف جملتها مايتان وستون
ولفظ دال خمسة وثلاثين ولفظ حا بتسعة ففي اسمه الكريم اشارة الى ان جميع الكمالات
الموجودة في المرسلين موجودة فيه صلى الله عليه وسلم وزيادة واحد على القول
الاول والحديث طويل اورده الحاكم في مستدركه كما مر ونقل البرهان ما في بعض
رواته من الكلام وطويناه لانه لاثمرة له هنا فقد بان لك معنى النبوة والرسالة
على الاقوال الثلاثة من الترادف والعموم والخصوص من وجه او مطلقا كما فصلناه
وليستا اي النبوة والرسالة ذاتا للنبي عند المحققين اي ليستا امرا ذاتيا في
الرسول جبلة طبعه الله عليها كالعقل وغيره من الغرايب وليست النبوة مكتسبة
برياضة وتصفية باطن كما ذهب اليه الحكما وانما هي امر طاري عليه بارادة الله
وفضله والله اعلم حيث يجعل رسالاته ولا صفة ذات اي ليست صفة قائمة بذاته
موجودة فيه صلى الله عليه وسلم قبل الوحي اليه خلافا للكرامية فانهم قالوا
انهما امران غير الوحي وامر الله له بتبليغ شريعته فصاحبهما متصف بهما وان لم يوح
اليه اولا ان اراد هولا ان الله خلق له صلى الله عليه وسلم نفسا قدسية واودع
فيها قوى يستعد بها لتلقي الوحي والعلم بربه وان مسمى النبوة هذا وان المتو
على ما يترتب عليها وانه ركب فيه نورا كان يشاهد في ابائه وينتقل في اصلابهم
وذلك من نعم الله ايضا كايجادنا ابتدا فالامر فيه سهل والا فهو لغو من القول
والكرامية بتشديد الرا وتخفيفها على القولين وفتح الكاف وكسرها على التخفيف
قال في المغرب اخبرني صديقي الثقة ابن خولة ان عبد العزيز العرجي ذكر في
تاريخه هذا الرجل وهو محمد بن كرام الذي ينسب اليه الكرامية فقال كرام بوزن
حذام وقطام وقيل انه كرام على لفظ جمع كريم وهو الجاري على السنة اهل
سجستان وهي بلدته كما قال فيه البستي رحمه الله

ان الذين بجهلهم لم يقتدوا • بمحمد بن كرام غير كرام
الفقه فقه ابي حنيفة وحده • والدين دين محمد بن كرام

فهم منسوبون لمحمد بن كرام بفتح الكاف وتشديد الرا كما قاله السمعاني وقال لان والده
كان يحفظ كرما او يعمل فيه وكذا صححه في الميزان وقال ابن الصلاح انه لا معدل عنه وكذا
صححه ابن ماكولا والذهبي وانكره ابن الهيثم وهو من اهل مذهبه ادعى انه ادرى به
كما مر عن البستي وانما هو مخفف الرا مع فتح الكاف بمعنى كرم او كرامه وبكسرها
على لفظ الجمع وكان صاحب مذهب في العقايد وغيرها وله رواية في الحديث وكان
يجوز الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم في الترغيب والترهيب لانه له لا عليه
تعليه ما عليه ومات في القدس في صفر سنة خمس وخمسين ومايتين في تطويل لهم في
بيان معقتقدهم وتاييدها وتهويل اي تخويف وتفزيع لمن عدل عن مذهبهم
في هذا ليس عليه تعويل اي هو مع ذلك ساقط ضعيف لا يعتمد عليه ولا يلتفت
اليه ويجوز ان يريد بالتهويل تزيين الباطل وزخرفته ففي القاموس التهويل
الالوان المختلفة وزينة النصارى وهذا قريب لتسمية المصنف واما الوحي فاصله اي
معناه الحقيقي الذي وضع له اولا الاسراع وفي الحديث اذا اردت امرا فتدبر
عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فتوحه اي اسرع فيه والها للسكت وقال
الاصمعي

مثل ريح المسك ذاك ريحها ❊ صبها الساقي اذا قيل توحه

ويقال اوحى بمعنى اوما او تكلم بكلام خفي فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى
ما ياتيه من ربه بعجل سمي اي ما ياتيه من ربه وحيا اي متلقى بسرعة فاطلق عليه المصدر
مبالغة ثم صار حقيقة في كل ما يوحى اليه وسميت الانواع الالهاميات وحيا كقوله
تعالى واوحى ربك الى النحل تشبيها بالوحي الى النبي في سرعة وقوعها في القلب
فهو استعارة تحقيقية والالهام القا امر في الروع باعث على الفعل او الترك
وسمي اللحظ وحيا على الاستعارة التحقيقية ايضا او المجاز المرسل لسرعة حركته
بدلالته هو وجه الشبه بينهما ووحي الحاجب واللحظ هو في الاصل موخر العين ثم
اطلق على النظر فيقال لحظه بعينه وهو هنا مستعار لسرعة اشارتهما اي حركتهما
بسرعة للاشارة بهما ومنه اي من اطلاق الوحي على الاشارة قوله تعالى فاوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا اي اومى اليهم في آخره وقد استعمل مقصورا ايضا بالالف كاوحى
لفظا ومعنى وقد مر بتخفيف الميم اي اشار بالعين او الشفة وقيل معناه هنا
كتب لان الوحي يكون بمعنى الكتابة كما تقدم ومنه قولهم اي قول العرب الوحا الوحا
بفتح الواو والمد والقصر ويقال بكاف الخطاب ايضا كما في الاساس وهو منصوب
بفعل مقدر للاغرا اي السرعة والعجلة وقيل اصل الوحي لغة الستر والاخفا
ومنه اي من كونه بمعنى الاخفا سمي الالهام وحيا لخفايه وهو اظهر مما تقدم من ان
معناه السرعة ومنه اي من هذا القبيل قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى
اوليايهم اي من بني آدم ويراد قومهم من المشركين اي يوسوسون في صدورهم
اي يلقون في قلوبهم والمراد بالشياطين مردة الجن والمراد باوليايهم كفرة قريش
او مردة الانس من مجوس هجر وفارس والوسوسة كالالهام الا القا في القلب لا ان الاول
تختص بالخير وهذا بالغير ولذا اتبعه بقوله ومنه قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه

قلت قاتله الله وقبحه هو ومن اتبعه

اي العبارة

اي

اي القي بينا المجهول في قلبهما مناما او الهاما وقيل انه وحي حقيقي كالوحي للانبيا عليهم
الصلاة والسلام وقد قيل ذلك التفسير السابق في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة والذي يجوز في هذه الاية ان المراد بالوحي
فيها المشافهة بكلام الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وكلامه لموسى
عليه الصلاة والسلام وحديث ابي ذر المشار اليه هو هذا قال دخلت المسجد فاذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فجلست اليه فقلت بابي انت وامي امرتني بالصلاة
فاي الصلاة قال الصلاة خير موضوع استكثر منه او اقل قال فقلت فاي الاعمال افضل
قال ايمان بالله وجهاد في سبيل الله فقلت اي المؤمنين اكمل ايمانا قال احسنهم خلقا
فقلت اي المسلمين اسلم قال من سلم المسلمون من يده ولسانه فقلت اي الهجرة افضل
قال هجر السيات فقلت اي الصلاة افضل قال طول القنوت قلت اي الليل افضل قال
جوف الليل الغابر قلت فاي الصلاة افضل قال فمن يجزى عند الله وعند الله اضعاف
كثيرة قلت اي الصدقة افضل قال الجهد من نقل بصبر الى نقير قلت فاي الرقاب افضل
قال اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها قلت فاي الجهاد افضل قال من اهرق دمه وعقر
جواده قلت فاي شي اعظم مما انزل الله قال اية الكرسي يا اباذر ما السموات السبع
والارضون السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة في فلاة من الارض وفضل العرش على
الكرسي كفضل تلك الفلاة على الحلقة قلت بابي انت وامي فكم الانبيا فقال مائة الف
واربعة وعشرون الفا قلت فكم الرسل من ذلك قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير
قلت فمن كان اولهم قال ادم قلت نبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من
روحه ثم سواه قبلا يا اباذر اربعة سريانيون ادم وشيث واخنوخ وهو ادريس
وهو اول من خط بالقلم ونوح واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيكم
يعني نفسه صلى الله عليه وسلم وابراهيم وسايرهم من بني اسرائيل فاول الانبيا
ادم واخرهم انا واول انبيا بني اسرائيل موسى واخرهم عيسى قلت فكم كتاب انزله
الله قال مائة كتاب واربعة كتب انزل على شيث بن ادم خمسين صحيفة وانزل على اخنوخ
ثلاثين صحيفة وانزل على ابراهيم عشر صحايف وانزل على موسى قبل التوراة عشر
صحايف وانزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قلت فما كان في صحف ابراهيم قال
كانت امثالا كلها منها ايها الملك المغرور المسلط اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض
ولكن لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها ومنها على العاقل ما لم يكن مغلوبا
على عقله ان لا يكون ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد وحرفة لمعاش ولذة في غير محرم

## فصل

اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبيا عليهم الصلاة
والسلام معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها العجز عند العرب ان لا
يقدر على ما يريده يقال عجز بفتح الجيم يعجز بكسرها ويقال ايضا بكسر الجيم في الماضي
وفتحها في المضارع كما حكاه الاصمعي وغيره ويقال عجزه كذا اذا فاته وقيل المعجز
في الحقيقة هو الله خالق العجز في من تحدى فلم يقدر على المثل فان من خرجت
عن مقدورهم لا يتصور فيهم العجز لعدم قدرتهم وما هم عليه قدرة لا يتصور
عجزهم عنه ايضا فان العجز يقارن المعجوز عنه فلو عجزوا وجدت المعارضة منهم

خ
استثقل منه او استكثر

ولو توجد فالمعنى مجازا امتناع المعارضة وانتفا القدرة وحقيقة ان الاعجاز اثبات
عجز المرسل اليهم فاستعير لاظهار العجز واسند لسببه الذي هو اظهار الخوارق وجعل
اسما له فالتا للنقل من الوصفية الى الاسمية او للمبالغة كما علامة وفيه بحث لا يخفى
وهي اي المعجزة على ضربين اي هي اسم شامل لنوعين مقدور وغير مقدور ضرب هو
من نوع قدرة البشر اي مقدورهم الذي يمكنهم الاتيان بما يماثله من نوعه فعجزوا
عنه العادة فيجب اي فطلب منهم فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه اي جعلهم عاجزين والمصدر
مضاف لمفعوله اي تعجيز الله اياهم فعل الله دل على صدق نبيه اي خلق العجز فيهم
ومنعهم مما من شانهم القدرة عليه نزل في قوة قول الله تعالى صدق عبدي فيما ادعاه
والعادة جارية بانه يقع بعده علم ضروري بصدقه كمنعهم عن تمني الموت اي منع الله
اليهود عن تمني الموت لما قالوا نحن ابنا الله واحباوه وقالوا لن يدخل الجنة الا من
كان هودا فكذبهم الله والزمهم بقوله قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة
من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين اي قل لهم يا محمد اذا كنتم احباب الله والجنة
مختصة بكم فاطلبوا الموت فان من احب الله احب لقاه ومن كانت دار الجنة يبادر
لدخولها فلم يتمنه احد منهم ولو بلسانه لصرف الله لهم عن ذلك ولذا ورد ولو
تمنوه لم يبق على وجه الارض يهودي وسياتي بيان هذا اطول لا في محله وهذا اعظم
حجة على صدقه صلى الله عليه وسلم كما قاله المفسرون وهذا وان كان تركا وعدما
تضمن لمعنى وجودي وهو السكوت والحوف ونحوه فسقط ما قيل ان المعجزة فعل
خارق وليس هذا من قبيل الافعال وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على راي
بعضهم القايل بانه اعجازه بالصرفة اي بصرف العرب الفصحا عن معارضته مع تحديه
لهم وتقريعهم بذلك على رؤوس الاشهاد حتى عدلوا عن مجادلة الحروف الى مجالدة
السيوف كما هو مشهور معروف وهذا مذهب النظام وبعض المعتزلة والشيعة
فقيل صرفهم بان لم يكن لهم دواعي وبواعث لذلك وقيل سلبهم العارف المركوزة
في طبايعهم من معرفة فنون البلاغة واساليبها على الغولين المشهورين في الصرفة
والذي عليه الجمهور المحققون ان اعجازه انما هو بما تضمنه من الفصاحة والبلاغة
وغرابة الاساليب وبلاغة التراكيب وجزالتها وانواع البديع ومطابقة المقامات
وبدايع الفواتح والمقاطع وروايع الاستعارات الى غير ذلك مما خرج عن طوق
البشر وبلغ الى ذروة لا تصل اليها خطى الافكار مع حلاوة وطلاوة تعيي السامع
الى غير ذلك مما قرروه وقيل اعجازه بما فيه من المغيبات وقيل بجميع ذلك والاقوال
معروفة مفصلة في الاصول والمعاني وغيرها من كتب السلف ونحوه مما نوعه مقدور
لهم وضرب من المعجزة هو خارج عن قدرتهم اذ تحداهم به فلم يقدروا على الاتيان
بمثله كاحيا الموتى الذي وقع لابراهيم ولعيسى عليهما الصلاة والسلام وما دلي
قيل ان ما كان يدعو عيسى عليه الصلاة والسلام معجزة له انما كان من الله لا منه
لشهادة واحيي الموتى باذن الله واذ تخرج الموتى باذني لا وجه له وهذا ايضا مما
وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم فيما وقع لابويه على الصحيح وقلب العصا حية
معجزة لموسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم وسياتي انه ما من معجزة لنبي من الانبيا
اي اعيزيهم

الا

الا ونبينا صلى الله عليه وسلم مثلها وزيادة واخراج ناقة من صخرة بلا واسطة واسباب
معتادة معجزة لصالح عليه الصلاة والسلام لما اقترح عليه جندع بن عمرو سيد قومه ان يخرج
لهم من صخرة اسمها الكاثبة ناقة عشرا فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشرا وهم ينظرون ثم نتجت مثلها في العظم فامن جندع في جمع
من قومه ونادى غيرهم في الكفر حتى عقروا الناقة فاخذتهم الرجفة وكلام الشجرة
وفي نسخة الشجر وهذا انما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم ومثله حنين الجذع المشهود
ونبع الماء من الاصابع اي من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وهذا انما وقع له صلى الله
عليه وسلم ايضا كما سياتي ولله در الابوصيري في قصيدة عارض بها بانت سعاد حيث
قال • ومنبع الماء عذبا من اصابعه • وذاك صنع به فينا جرى المثل •
وانشقاق القمر معجزة له صلى الله عليه وسلم حتى صار فلقتين يشاهده الناس
وقد ثبت هذا في الاحاديث الصحيحة وروى من طرق متعددة خرجها السيوطي
وبه فسر قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ولعل النبوة تقتضي لتفصيله
وهذا النوع كله وامثاله مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله عز وجل فيكون اجراء ذلك
على يد النبي اي وقوعه من نبي من انبيائه بحسب الظاهر فعله وهو في الحقيقة
من فعل الله تعالى الذي اظهره على يده بقدرته وتحديه بتشديد الدال مصدر مضاف
للفاعل وهو ضمير النبي ويجوز عوده على الله لامره به وهو طلب المعارضة والاتيان
بمثله كما تقدم وهو مبتدا وقوله من يكذبه مفعوله وقوله ان ياتي بمثله
بتقدير الجار اي لان ياتي بمثله او بدل من تحديه او خبر وقوله تعجيز له خبر تحديه
اي يظهر عجزه عن ذلك واعلم ان المعجزات جمع معجزة وقيل جمع معجز لانه لما لا يعقل
التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم وصدرت منه ودلائل نبوته وبراهين
صدقه على تفسيره له كانشقاق القمر ونحوه مما تقدم وسياتي مما لا يحصى من هذين
النوعين متواترات اي بعضها متواتر وبعضها غير متواتر كالقران ونحوه وقوله اي
نبينا صلى الله عليه وسلم اكثر الانبيا معجزة منصوب على التمييز اي معجزاته اكثر
من معجزات ساير الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام واظهرهم اية تمييز والاية
المعجزة لانها علامة للنبوة والظهر افعل تفضيل من ظهر بمعنى ظهورا وغلب تعالى ظهر
القمر وهو باهر اذا ملا الارض وفي ذلك قول عمر بن ابي ربيعة •
• ثم قالوا تحبها قلت بهرا • عدد الرمل والحصى والتراب •
وفيه وجوه ذكرها الادبا فالمعنى ان معجزاته صلى الله عليه وسلم اكثر واظهر واقوى
واظهرهم برهانا هذا اعم مما تقدم لان البرهان وهو الدليل القاطع اعم من المعجزة
ويجوز ان يريد المعجزة ايضا كما سنبينه في اخر هذا الباب وفي قوله اكثر واظهر ما
يدل على ان ساير الانبيا اتت بدلايل ومعجزات وبراهين ومعجزات نبينا صلى الله
عليه وسلم وبراهينه اقوى واظهر وانها تسمى بذلك كما تسمى بوابا نسبيا وقد اطلق
عليها اية وبرهان الا انه لم يطلق عليها في القران معجزة قيل ولا في السنة والمعجزة مخصوصة
بالانبيا عليهم الصلاة والسلام وخوارق الاوليا تسمى كرامة وقد تطلق عليها واطلق عليها
المعجزة ايضا الامام احمد بن حنبل واباه غيره وهي اي معجزاته صلى الله عليه وسلم في كثرتها

عرضي

لا يحيط بها ضبط اي لا يحيط بها ضبط حصر وعدد او حفظ لان الناس يطلقونه على هذا
تجوزا من الضبط بمعنى الاخذ باليد والحفظ بمعنى الصيانة واما اطلاقهم الضابط على
القاعدة الكلية فمولد من كلام المصنفين ووجه التجوز فيه احاطته بافراده ففي
كلامه استعارة مكنية وتخييلية ولم يتعرض له في الاساس ثم بين ذلك بقوله وان
واحدا منها اي معجزة واحدة من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم وهو القران
فانه بجملته معجز وكذا الاية والسورة قال الامام مجد الدين في نهاية العقود
التحدي وقع مرة بالقران كقوله على ان يأتوا بمثل هذا القران ومرة لعشر سور
كقوله بعشر سور ومرة لسورة كقوله فاتوا بسورة من مثله ومرة باية كقوله
فليأتوا بحديث مثله وذلك نهاية التحدي وهو كقول الرجل لمن يفاخره هات
قوما كقومي هات كنسقهم هات كبعضهم هات كواحد منهم انتهى والى هذا
اشار المص بقوله لا يحصى اي لا يعد ويضبط وكانوا يعدون ما كثر بالحصى ثم استعمل
في مطلق العدد ولذا قال الاعشى
ولست بالاكثر منهم حصى * وانما العدة للكاثر *
عدد معجزاته اي معجزات القران بالعقل ولا الغيب لما في كل اية من الاعجاز ولا اكثر
من ذلك لما في الفاظه من البلاغة وفنونها كالتوكيد والتلميح والتشبيه والاستعارة
والايجاز وحسن الفواتح والخواتم والفواصل الى غير ذلك مما لا يحصى لان النبي
صلى الله عليه وسلم قد تحدى لسورة منه اي طلب مثلها من بلغا قريش فعجز عنها
فاعل عجز من تحداه العلوم مما قبله او هو مبني للمجهول وهذا اولى قال
اهل العلم بالقران وبلاغته واقصر سورة من القران وهو منون او هو جمع
مضاف لضميره انا اعطيناك الكوثر سميت بجزئها هذا كما تسمى سورة الكوثر لذكره
فيها لانها ثلاث ايات وسورة قل هو الله احد كذلك وسورة النصر الا ان حروف
هذه اقل منهما فكل اية طويلة من القران بعدد حروفها ومقدارها او ايات منه
اي القران بعددها اي بعدد الكوثر ايات وحروفا وكلمات وقدرها معجزة للبلغا
عن معارضتها لما فيها من البلاغة وهذا بيان لاقل مراتب الاعجاز فيه ومنه يعلم
كثرته ثم فيها نفسها اي في سورة الكوثر معجزات كثيرة على ما سنفصله ونبينه
تفصيلا فيما انطوى اي اشتمل القران عليه من المعجزات التي لا تحصى ولا تحصر
ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين اي علم واستقراء انقسامها انقسام
الكلي الى جزئياته فشبه استقراءها باشتمال التراكيب على مركوبه لانها اما ان نعلم
علما يقينيا قطعيا اولا فالاول قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقران فلا مرية
بكسر الميم وضمها وسكون الرا المهملة ومثناة تحتية وهي الشك والتردد كما تقدم
بيانه ولا خلاف بمجي النبي صلى الله عليه وسلم به البا الاولى بمعنى في والثانية
صلة المجي ولا خلاف ولا مرية في ظهوره من قبله بكسر القاف وفتح البا الموحدة
ومعناه جهته وجانبه كما سيأتي في قوله من قبل الله على ما فيه واستدلاله اي
استدلال النبي صلى الله عليه وسلم على صدقه ونبوته بحجته الاضافة بيانية
اي بحجة هي القران وان انكر هذا المذكور الذي لا مرية فيه معاند جاحد اي

منكر

منكر له عنادا مع علمه به فهو كانكار وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا وهو
سفسطة وانكار للمحسوسات التي لا تسمع ولا تصدر من عاقل وانما جا اعتراض الجاحدين
اشارة الى ان انكارهم لما علموا خلافه في الحجة به اي الاحتجاج به وانه كلام الله كقول المشركين
هذا سحر مبين واساطير الاولين وما انزل الله على بشر من شيء الى غير ذلك فهو اي القرآن
في نفسه اي في كلامه الفرد وجميع ما تضمنه واشتمل عليه من معجز اي من كل امر معجز كالبلا غة
والاخبار عن المغيبات معلوم ضرورة علما ضروريا لمن كان من اهل البلاغة ولذا قال
الوليد بن المغيرة لما سمعه ان له حلاوة وعليه طلاوة واسفله مغدق واعلاه
مثمر وما هو من كلام البشر كما يأتي بيانه • والفضل ما شهدت به الاعدا • فوجه
اعجازه معلوم ضرورة عند اهل اللسان لا عند كل احد لما فيه من فنون البلاغة ونظرا اي
استدلالا لا عند غيرهم اولا فتقار بعض وجوهه اليه كما سنشرحه ونبينه قريبا قال
بعض ائمتنا اي علما الحديث والتفسير لا المالكية اذ لا اختصاص لما ذكر بمذهب وتجري
هذا المجرى بفتح الميم اسم مكان او مصدر ميمي اي تقارب ما تقدم وتشبهه لان ما جرى
في مجرى شيء ساواه على الجملة اي اجمالا من غير تفصيل لوجه المشابهة وفاعل تجري
انه قد جرى على يديه اي صدر منه صلى الله عليه وسلم آيات وخوارق عادات
عطف تفسيري او من عطف الخاص على العام والاول اولى ان لم تبلغ اي تصل واحد
منها معينا اسم مفعول حال من النكرة لوصفها ولو رفع كان اولى القطع والجزم مفعول
يبلغ فقد بلغ جميعها اي مجموعها وهذا يسمى التواتر المعنوي كشجاعة علي وزهد
الحسن البصري فان كل حال من احوال هؤلاء لم يبلغ مبلغ التواتر ومجموعها اجمالا بلغ
ذلك بحيث لم يبق شبهة فيه كذا لم يبلغه الخبر تماما شاهده من خوارق عاداته
وانقياد الملوك له وغير ذلك فلا مرية في جريان معانيها على يديه مشهورة بالمعجزة
يشهد بقوته شاهد برسالته ولا يختلف مؤمن ولا كافر من الامم السالفة انه اي
نبيهم قد جرت على يديه عجائب اي امور خارقة للعادة حيرت ابصارهم والبابهم
حتى تعجب المعجب منها وانما وقع خلاف المعاند في كونها اي تلك العجائب صادرة من
قبل الله بكسر القاف وفتح البا اي من المبدأ الفياض المبدع البدائع وقد قدمنا اولا
كونها بيان كون العجائب من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله اي الله عز وجل لرسوله
صدقت في نبوتك وما ادعيته ومعنى مثابته منزلته وفي حكم مفعله من اثابه كذا
اذا عوضه ومنه الثواب بالتا المثلثة لجزا الطاعة والجاحد العنيد يزعم تارة انه
سحر وكهانة وان ما سمع من كلام الشجر والجماد كلام جن سحرها الى غير ذلك من الخرافات
التي صاروا اليها سحرة اذا عرفت هذا فقد علم وقوع مثل هذا الذي وقع للانبيا
والامم السالفة مما علمه كل مؤمن وكافر وبر وفاجر ايضا كما وقع لاولئك من نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة اي علم علما ضروريا متواترا معنويا لاتفاق
معانيها اي لتوافقها كلها في معنى واحد بعلم ضرورة جود حاتم الطائي وشهرته
تغني عن ذكره فاخباره في الجود مشهورة ايضا وكان في الجاهلية قريبا من مبعثه
صلى الله عليه وسلم وادرك ابنه عدي الاسلام وكان من كبار الصحابة رضي الله عنهم
وشجاعة عنترة بالجماد ويقال لها عنتر ايضا وهو عنترة بن معاوية بن شداد

العبسي وهو علم منقول من عنتر وهو نوع من الذباب ازرق وتنوينه اختلف في زيادته
وهو من فرسان العرب وفصحائها المشهورين وحلم احنف بن قيس التميمي ادرك الاسلام
واسلم لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم وهو من كبار التابعين والاحنف بفتح
الهمزة وسكون الحاء المهملة معناه مائل الرجل وله كلمات من الحكم مشهورة في كتب
وعنه في الحلم حكايات عجيبة وكان من المعمرين ثم ومنح ذلك على طريق اللف والنشر المرتب
فقال لاتفاق الاخبار الواردة اي المروية عن كل واحد منهم ثم ابدل من قوله عن كل
واحد قوله على كرم هذا يعني حاتما وشجاعة هذا يعني عنترة وحلم هذا يعني احنفه
واشار بهذا الغرب ذكرهم وحضورهم في الذهن وان كان كل خبر من اخبار هؤلاء الثلاثة
بنفسه اي وحده لا يوجب العلم القطعي ولا يقطع بصحته لعدم تواتره بانفراده وانما
المتواتر ما يحصل من مجموعها كالكرم والشجاعة والحلم والحاصل ان ما جرى على
يديه صلى الله عليه وسلم تواتر تواترا معنويا لا لفظيا حقيقيا والمعنوي هو
حصول العلم القطعي من مجموع امور جزئية واخبار واردة مستفيضة كما اذا
اخبر واحد بان حاتما اعطاه دينارا وآخر بانه اعطاه بعيرا واخر بانه وهبه غنما
واخر بانه كساه واخر بانه ذبح له فرسه فقد اتفقوا كلهم على مطلق الاعطا والتواتر
الحقيقي ان يخبر جماعة عن جماعة الخ يؤمن تواطيهم على الكذب في خبر واحد متفق
اللفظ والمعنى وكلاهما يفيد علما ضروريا عند سماعه من غير حاجة الى نظر واستدلال
بشروط مقررة في الاصول خلافا لامام الحرمين والرازي فانه عندهما يفيد علما
نظريا لتوقفه على مقدمات اخر ولا يشترط فيه عدد مخصوص ولا اسلام والقسم
الثاني من المعجزات ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع عطف تفسيري اي لم يصل
الى مرتبته وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر اي له شهرة وشيوع بين الناس
ويسميه المحدثون مشهورا ومستفيضا رواه العدد الكثير وشاع الخبر به عند
المحدثين الحفاظ الذين دونوه وهو لا يبلغ رتبة التواتر المفيد للعلم الضروري
ولا النظري وذهب بعض الاصوليين الى انه يفيد العلم القطعي وقيل انه يفيد
العلم النظري والمشهور انه يفيد الظن ولا بد ان تكون شهرته عن اصل ورواية
فان اشتهر لا عن اصل وهو المسمى بالمشهور على الالسنة لم يعتد به المحدثون ما لم
يعلم اصله فان علم ذلك تقوى بشهرته في الجملة والرواة ونقلة السير جمع ناقل
بفتحتين ككاتب وكتبة والسير جمع سيرة كما مر وهي اخبار المغازي والاخبار
عطف تفسيري كنبع الماء من بين الاصابع اي اصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثير
الطعام الذي رواه انس وغيره كحنين الجذع وكلام الضب والذراع الذي رواه
الشيخان وغيرهما ونوع منه لم يشتهر ولم ينتشر بل اختص به رواية الواحد
والاثنان ومن رواه العدد اليسير اي القليل ولم يشتهر اشتهار غيره كالقسم
الاول والنوع الاول من القسم الثاني ويسمى عزيزا وهو لا يفيد العلم الا
بقرينة كما في جمع الجوامع وقيل لا يفيده مطلقا وقال احمد انه يفيد العلم
مع عدالة رواته وبه لوجوب العمل به ولو لم يفده لم يجب العمل به وله ادلة
مذكورة مع الجواب عنها في الاصول لكنه اذا جمع الى مثله من احاديث

٤٩٦

المعجزات اتفقا في المعنى من اصل الاعجاز وبنيته كما اشار اليه بقوله على لانبائه اي اتيان
النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجز كما قدمناه منسوبا لفاعلي يديه وانضمام بعضها الى
بعض المقوي له قال القاضي ابو الفضل عياض المتقدم رضي الله عنه وانا اقول صدعا بالحق
تقديم المسند لافادة التقوية ويجوز ارادة الحصر لانفراده بعبارته المخصوصة
ومجموع ما قاله وقوله صدعا اي صادعا فاصدعا فهو حال او مفعول لاجله او مطلق
لمقدر او لا اقول لانه بمعناه كقوله فاصدع بما تؤمر مستعار من صدع الزجاج ونحوه
من الاجرام الصلبة لاظهار الحق والجهر به كانه يصدع قلبه او يصدع شبهته ويبطلها
او من انصداع الفجر لظهوره ويقال للفجر صديع لهذا ان كثيرا من هذه الايات والمعجزات
المأثورة عنه اي المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع لتواترها ه
حقيقة او معنى اما انشقاق القمر اي اما معجزته صلى الله عليه وسلم بانشقاق
القمر له بمكة حين سأله كفار قريش اية غير ما جاءهم او لا فارقهم ذلك فيما ظاهرهم باهرة
فالقرآن نص بوقوعه اي صرح به في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر واخبر
وقد انشق اي اقتربت وقد حصل من ايات اقترابها انشقاقه ولتضمنه معنى صرح
عداه بالباء لا بهو متعد بعلى فقد تواتر ذلك لفظا على القراءة المشهورة ومجيئه
بعد يأتي تأويله بان معناه انه سينشق اذا قامت القيامة والتعبير عنه بالماضي
لتحقق وقوعه فهو استعارة تبعية وقرينتها اقترانها بلفظ الساعة فلا يرد عليه
انه ليس معه قرينة تصححه كما توهم الا انه لا يكرع كونه خلاف الظاهر واخبر
بوجوده في هذه الاية وقراءة انشق تؤيد التأويل فقد تعرضنا ورجح الاول انه
الاصل والمتبادر منه ولا يعدل عن ظاهر بالتنوين اي عن ظاهر القرآن الا بدليل
قوي يقتضي العدول عنه وتأويله بما تقدم وقولهم انه لو وقع شاهده الناس
كلهم يرده انه اية ليلية قد تخفى على بعض الناس وجابر مع احتماله صحيح الاخبار
اي احتمال خلاف الظاهر ورد في الاخبار الصحيحة ما يرفعه ويدفعه كما سيأتي
من طرق كثيرة تؤيد حمل الاية على ظاهرها لا سيما وقد روي في الصحيحين وقد قال
خاتمة الحفاظ ابن حجر ما روي في الصحيحين يفيد علما نظريا وان لم يتواتر
وقد صرح بهذا قبله ابو اسحاق الاسفرايني والحميدي وابو الفضل بن طاهر
قال احتف به قرائن وورد من طرق اخر زاد قوة وبلغ العلم المستفاد منه نسبة
تقرب من القطعي ثم اشار الى انه لا يلتفت لخلاف من خالف في مثل هذه المطالب
فقال فلا يوهن بالتخفيف والتشديد اي يضعف عزمنا اي ما عزمنا عليه
ونقدناه حزما من اثبات هذه المعجزات وحمل النصوص الواردة بها على
ظاهرها من غير تأويل خلاف اخرق بالاضافة اي مخالفة شخص احمق والامثلة
الذي لا يحسن العمل بيده كانه يخرق ما يريد زيفه وقال الثعالبي في فقه
اللغة في انواع الحمق اولها احمق ثم ابله فان كان معه عدم الرفق فهو اخرق
فالحاصل ان المخالف في مثله جاهل لا دراية له ولا معرفة بالاحاديث ثم وصف
ذلك المخالف بقوله منحل عرى الدين فهو بالجر صفة اخرق اي هو مع جهله قليل
الدين ضعيفه لعدوله عن ظواهر النصوص وتشبثه باذيال الشبه وعرى بضم

ابن القيم

العين وفتح الرا المهملتين والف مقصورة جمع عروة وهي ما يعقد في الحبل ليتمسك
به قال الراغب العرى مقصور الناحية ومنه العروة وهو ما يتمسك به قال تعالى
فقد استمسك بالعروة الوثقى وهو على طريق التمثيل انتهى فان شبه الدين بالعروة
فهو من اضافة المشبه للمشبه به كلجين الما او انه شبه بالحبل المتوصل به لما يعلو كما
في الحديث كتاب الله حبل ممدود من السما الى الارض فان الحبل مستعار في كلام العرب
كقوله • الى حبلك وامل حبلى • فهو استعارة مكنية وتخييلية والمراد انه غير متمسك
بالدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع الالتفات الانحراف للنظر الى شي ثم صار كالنظر
كناية عن الرعاية بلطف واحسان ومنه قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة ٥
والسخافة اصلها عدم احكام النسج ثم تجوز به عن قلة العقل فيقال هو سخيف
العقل لمن عقله وفكره غير قوي والمبتدع مرتكب البدع وهو المحدث على خلاف الشرع
وقوله لم يلقي الشك على قلوب ضعفا المؤمنين اشارة الى ما هو من شان اهل البدع
من القايهم الشبه والمشككات على الضعفا العقول من المومنين وخصهم بذلك
لان غيرهم لا يقبل مثل هذه الاراء الواهية واما ضعيف العقل فقد يا خذ
باقوالهم فيتبعهم ويفتتن بل يرغم بهذا انفه اي يرد ما قاله ويظهر
جهله وسخافة عقله حتى يفتضح ويذل ويخزى لان اصله ان يلصق انفه
بالرغام وهو التراب فتجوز به عن الاذلال والتضعيف • وكنى به هنا عما فسرناه
به وهذه اشارة الى ما ذكر من النقول الصحيحة التي لا تصرف عن ظاهرها بغير دليل
وينبذ بالعرا سخفه النبذ بنون وموحدة وذال معجمة يقال نبذه ينبذه
كضربه يضربه اذا طرحه والقاه • والعرا بالمد المكان الخالي الذي لا ستر فيه ٥
وبالقصر الناحية ويقال عراه اذا قصده وسخفه قلة عقله ودينه وينبذ سخفه
بالعرا اي القاه في مكان خالي عن الناس وهو عبارة عن ابطاله بالكلية وهذا
ابلغ من عدم الالتفات الذي هو معنى الاعراض وعدم الاعتداد بالشي فهذا
ترق لان الاول يكون مع استماعه وحضوره عنده وهذا ابعاد له ورميه بالفلاة
ولا تكرار في كلامه وتفسيره باهماله مهمل لا يلتفت اليه وحاصله ان انشقاق
القمر في الاية على ظاهره لوروده في الاحاديث الصحيحة من طرق متعددة • عرضي
فمن حمله على ان المراد انه سينشق اذا قامت القيامة يوم تنشق السما
لمريات بشي وان ارتضاه لانه لو وقع شاع وذاع وملا الاسماع لانه اية
عظيمة وقيل معناه ظهر الامر لان العرب تضرب المثل بالقمر لما وضح كما قال الشنفرى
في لامية العرب

فقد حمت الحاجات والليل مقمر • وشدت لطيات مطايا وارحل •

وقيل معناه انشقاق الظلم عنه بطلوعه كما يقال انفلق الصبح وانشق
كما قال النابغة

فلما ادبروا ولهم دوي • دعانا عند شق الصبح داعي •

والداعي لهم على هذا عدم الوقوف على ما ورد في السنة والفهم لاقوال
الحكما الذاهبين الى امتناع الخرق والالتيام في الاجرام الفلكية وكونه من

الخرافات

الخرافات الفلسفية وكذلك قصة نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثير
الطعام القليل ببركته ووضع يده الشريفة فيه رواها اي القصة الثقات من حفاظ المحدثين
والعدد الكثير عن الجم الغفير تقدم معناه معناه مفصلا وياتي ايضا مع زيادة عن
العدد الكثير من الصحابة كما في الصحيحين عن انس رضي الله عنه والبخاري عن ابن مسعود
رضي الله عنه قيل استعمل الجم الغفير محلى بال والحرف والذي في كتب العربية انه لازم
النصب وجوز بعضهم رفعه كما تقدم ولا وجه له لان من لم يقل بلزوم نصبه يجوز
جره ايضا اذ لا مانع منه ومنها اي رواية قصة تكثير الماء والطعام ما رواه الكافة عن
الكافة اي ما رواه جماعة عن جماعة ومثل هذه العبارة من تعريف كافة وجره وقع في
كلام كثير من العلماء والفصحاء وقد خطاهم فيه الحريري في درة الغواص وتبعه صاحب
القاموس وغيره بناء على انه يلزم تنكيرها ونصبها وقد صرح به كثير من النحاة قال في
القاموس لا يقال جاءت الكافة لانه لا يدخلها ال ووهم الجوهري وقد بسطنا
الكلام عليه في شرح الدرة وبينا انه مردود رواية ودراية فانه سمع في كلام العرب
فان اردت معرفة ذلك فانظره متصلا عمن حدث بها اي بتلك القصة من جملة الصحابة
واخبارهم بفتح الهمزة وكسرها مرفوع معطوف على قوله ما رواه انه ذلك بفتح الهمزة
اي بانه اي وتجوز كسرها كان في موطن بمعنى محل واصله محل التوطن اجتماع الكثير منهم
في يوم الخندق بالمدينة وهو بفتح الخاء المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة
وقاف وهو فارسي معرب كند بمعنى الحفر والاخدود وغزوة الخندق وتسمى غزوة
الاحزاب لاجتماع احزاب المشركين واليهود بها حول المدينة فامر النبي صلى الله عليه
وسلم بحفر خندق حول المدينة اشار عليه به سلمان الفارسي رضي الله عنه ولم
يكن ذلك معروفا عند العرب وانما هو من مكايد الفرس وكان ذلك في شوال وقيل
في ذي القعدة سنة اربع او خمس من الهجرة النبوية وقد فصلوها في السير وفي
غزوة بواط بضم الباء وفتحها وهو اسم جبل من جبال جهينة بينه وبين المدينة اربعة
برد بقرب رضوى وهو جبل ايضا وهي التي ظفر فيها النبي صلى الله عليه وسلم بعير
قريش سنة اثنتين ولم يكن بها حرب ايضا وبواط قيل فيه الصرف وعدمه والظاهر
الاول واشار بالاول الى قصة جابر رضي الله عنه لما دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعناق ذبحها مع صاع من شعير خبزه فاتاه صلى الله عليه وسلم ومعه ناس
كثير وكان دعاه وحده فاكلوا وشبعوا وفضل ذلك الطعام وكانوا نحو الالف وبالثاني
الى قصة بواط وهي انه وضع عنده صلى الله عليه وسلم ماء قليل للوضوء فقال
لجابر نادي الناس فلما اتوا وضع يده الشريفة في الماء فنبع الماء من بين اصابعه حتى
توضؤوا كلهم كما سياتي وعمرة الحديبية بالجر عطف على الجر وريتي قبله والحديبية
مصغر كذا وتخفيفه اسم مكان او بئر فيه قريبة من مكة سميت لشجرة حدباء فيها وهي
التي وقع تحتها بيعة الرضوان وهي بتخفيف الياء الثانية على الصحيح وشددها
بعضهم واليه ذهب كثير من المحدثين وكانت في سنة ست والاية التي كانت
فيها انه صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة معتمرا فلما وصلها صده
المشركون عن البيت وكان بين يديه ركوة فتوضا منها وما البئر فقليل جدا نزحه الناس

نزحه

وشكوا العطش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزع سهما من كنانته واعطاه لناجية
ابن جندب فغرزه في البير فجاش ماوها وجاءت جارية من الانصار معها دلو فاقبلت به
على ناجية وهو في القليب وقالت منشدة

يا ايها الماتح دلوي دونكا * اني رايت الناس يحمدونكا
يثنون خيرا ويمجدونكا * ارجوك للخير كما يرجونكا

الى اخر ما فصل في السير وسياتي بتمامه وغزوة تبوك في السنة التاسعة من
هجرته عليه الصلاة والسلام او السابعة وهو اسم موضع بين الشام والمدينة
غير منصرف وسميت بعين ماء بها امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمسوا
ماءها فسبق رجلان بسهمين يجعلاهما فيها ليكثر ماوها فزجرهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال لهما ما زلتما تبوكانها اي تحفرانها ليخرج ماوها واشا
المص الى اية فيها رواها ابو هريرة رضي الله عنه وهي ان الناس اصابتهم مجاعة فقال
عمر رضي الله عنه يا رسول الله ادع بفضل الازواد فدعي بنطع وبسطه ودعي
بفضل الازواد فجعل الرجل يجيء بكف من ذرة والاخر بكف من تمر والاخر بكف من
شعير فاجتمع ذلك وبرك عليه ثم قال خذوا فاخذوا في اوعيتهم حتى ما بقي في
العسكر وعاء الا ملئ فاكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة وعقد المص رحمه الله
لكل اية فصلا كما سياتي وامثالها من محافل المسلمين مجرور معطوف على موطن
والضمير للغزوات المذكورة والمحافل جمع محفل من حفل القوم اذا اجتمعوا وكثروا
وقيل المحفل مجمع الرجال والماتم مجمع النساء والنادي مجمع الناس في الشتاء
ودار الندوة والمصطبة مجمع الغرباء وقيل محل اجتماعهم لامورهم والمجلس مقر
الناس في بيوتهم والخان محل المسافرين والحانوت محل البيع والشراء وقد يخص
بمحل بيع الخمر ومجمع العساكر اي محل اجتماعهم وهو المعركة والعساكر جمع عسكر
وهو الجيش والجمع الكثير مطلقا من الرجال والخيل وقيل انه معرب ولم يوثر بالبنا
للمجهول اي لم ينقل من اثره اذا نقله ومنه الاثر بمعنى الخبر وقد يخص بغير
الحديث عن احد من الصحابة مخالفة للراوي نايب الفاعل فيما حكاه الراوي
من الامور والايات المذكورة ولا نقل عن احد انكار لما ذكر عنهم وذكر مبني
للمجهول نايب فاعله الضمير او هو كما راه اي لم ينقل انكار الغير ولا من النبي
صلى الله عليه وسلم كما راه منهم الاخر بل سكتوا حين سمعوا من بعض الرواة
انه شاهد بعض اياته صلى الله عليه وسلم فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق
لانه في محله اقرار اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل يسمعه من غيره ولا
يصرح له بانكاره وكون السكوت كالنطق ليس على اطلاقه كما ذكره الفقهاء
واهل الاصول ولذا قالوا السكوت في محل الحاجة بيان والمنزهون عن
المداهنة في كذب فان الصحابة كلهم عدول لا يخشون في الله لومة لايم له
والمداهنة الملاينة والمطاوعة الا ان العرف بينها وبين المداراة ان
المداراة في الحق والمداهنة في غيره ولذا جعلت من الغش قال تعالى افبهذا
الحديث انتم مدهنون وهي استعارة من الدهن للين كلام صاحبها وجانبه

وهي

وهي مدة موهمة لا يخاف نفاق وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم اي الصحابة رضي الله عنهم
ليسوا ممن يطمع ويرغب في دنيا غيره ولا يخاف احد احدا عدا لهن الحق لصلابة دينهم
فلا يداهنون لان الحامل على المداهنة هذان الامران فليس عندهم ما يمنعهم من الانكار
على من كذب ولو كان الاحسن ان يقول فلو بالفا لترتبه على ما قبله ما سمعوه منكرا عندهم
اي في اعتقادهم وغير معروف لديهم اذ لم يبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثله لانكروه على قايله تنزها عن الاقرار على الباطل وما يخالف الظاهر واما
احتمال ان غيرهم سمع ما لم يسمعه وحمل قايله على الصلاح فغير متات هنا لان الصحابة
رضي الله عنهم في العصر الاول كان عندهم حرص على معرفة احواله صلى الله عليه وسلم
واقواله لشرفها واعيتهم على تعلمها والعمل بها والمعجزات المتحدي بها الغرابتها وعظمها
ليس مما يخفى مثله نعم قد يجد عصرهم تجوز هذا لان خبر الاحاد مقبول فقد بر كما انكر
بعضهم اي بعض الصحابة على بعض منهم اشياء واها من السنن اي سنن النبي صلى
الله عليه وسلم جمع سنة بمعنى طريقة والمراد الاحاديث النبوية والسير جمع سيرة
وهي احوال الغزاة وحروف القران اي قراته المتعددة فان كل وجه من القراة
يطلق عليه حرف وبه فسر حديث انزل القران على سبعة احرف اي لغات ووجوه منقولة
على المعنى المشهور من معانيه وفي السنن الستة ان عمر رضي الله عنه انكر على هشام
ابن حكيم قراة قراها في سورة الفرقان لم يسمعها فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال سمعت هذا يقرا بغير ما اقرانيها فقال اقرا يا هشام فقرا فقال هكذا انزلت
ثم قال اقرا يا عمر فقرا ثم قال له هكذا انزلت ان هذا القران انزل على سبعة احرف
فاقرءوا ما تيسر منه وفيه بيان لحكمته وكما وقع بين عمر وابن عباس رضي الله عنهم
في انكاره عليه ما قاله في نكاح المتعة وامثاله كثيرة في كتب الحديث وخطا بعضهم
بعضا ووهمه في ذلك يعني ان بعض الصحابة نسب بعضهم الى الخطا والوهم
اذا ذكر امرا لم يكن معروفا عندهم مما يتعلق النبي صلى الله عليه وسلم وسيره
او بالقراات وغير ذلك مما يتوقف على النقل ولا ينال بالراي فانهم لا مداهنة
عندهم ولا مداراة في الحق الا ترى ان عمر رضي الله عنه معجلا لنه لما قبل
الحجر الاسود وقال اني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولكن رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقبلك فقبلتك فسمعه علي كرم الله وجهه فقال له لا تقل
كذا فان الله لما اخذ العهد على ذرات بني ادم اودع كتاب العهد فيه وقال من
قبله فقد وفي بالعهد فيشهد له الحجر بذلك يوم القيامة فدعا له عمر وقال
لا عدمناك يا ابا الحسن والوهم والخطا هنا بمعنى ور وي ووهنه بالوهن من
الوهن وهو الضعف في الراي مما هو معلوم بيان لذلك فهذا النوع كله من
المعجزات المروية بطريق الاحاد ولم يشتهر اشتهارا تاما يقرب من التواتر يلحق بقسم
اوله وصفه بالقطعي اي يعد من قبيل المقطوع به من معجزاته كما بيناه من نقل
بعض الصحابة له نقلا صحيحا وسكوت غيرهم عليه ممن بلغه وهو كالاجماع
السكوتي وايضا لنا وجه يؤيد كونها كالقطعي فان امثال هذه الاخبار المتعلقة
بالمعجزات الثابتة في عصر الصحابة لو لم تكن صحيحة وكانت من الاخبار التي لا اصل لها

رواية وتبنت على باطل بان كانت كذبا محضا تبطل وتضمحل اذ لا بد مع مرور الازمان
علمها اي نقلها في عصر بعد عصر وتداول الناس اي تلقي الناس لها فيما بينهم عصرا بعد
عصر قال الراغب تعالى تداول القوم كذا اذا تناوله واخذه تقمنهم من بعض
قال تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس واهل البحث اي التفتيش عنها والمراد
علما الحديث الذين يبحثون عن رواة الحديث صحة وسقما من انكشاف ضعفها اي
ظهوره وخمول ذكرها بان تنسى ولا يشتهر لها ذكر لكونها لا اصل لها كما تبنا هذه
بالمثناة التحتية او الفوقية وتجوز قراته بالنون اي نعرف ونحقق في كثير من
الاخبار الكاذبة التي ظهرت في بعض الازمنة ثم تبين كذبها وصارت كان لم تكن شيا
مذكورا كاخبار مسيلمة الكذاب واضرابه والاراجيف الطارية اي الاكاذيب التي حدثت
في بعض السنين الخالية والاراجيف جمع ارجاف بكسر الهمزة وفتحها وقيل انه جمع رجفة
من الرجف وهو الاضطراب والتحريك بحركات متوالية ولذا سمي البحر رجافا لاضطراب
امواجه وقال بعض الشعرا فيمن اصابته رعشة في يده

ما كان من رجاف بكف منكر ۞ فالبحر من اسمائه الرجاف

وهي هنا بمعنى الاخبار السيئة التي تشيع بين الناس ثم تنسى لظهور كذبها والطارية
بالهمزة والياء التحتية من طرا اذا حدث وتجددوا اعلام نبينا صلى الله عليه وسلم
بفتح الهمزة جمع علم بمعنى علامة او راية كبيرة والمراد معجزاته المعلومة المشهورة
هذه الواردة اي المروية من طريق الاحاد بالمد اي التي رويت احادا ولم تتواتر
لا تزداد مع مرور الازمان الا ظهورا ولو كانت غير صحيحة ازدادت خفا وضعفا ومع
تداول الفرق اي تكلم الناس بها فرقة بعد فرقة وهو بكسر الفا وفتح الرا جمع فرقة
وكثرة طعن العدو ومن اعدا الدين الكفرة والطعن القدح والدخل بالمعارضة وحرصه
على توهينها اي تضعيفها وفي نسخة بدل حرصه حضه بضاد معجمة اي حثه
وتحريضه وتضعيف اصلها بالانكار والعناد وادعا انها سحر وافترا واجتهاد
الملحد اي بذل طاقته وقوته والملحد العادل عن الحق من الزنادقة والالحاد
الميل عن الاستقامة والحد ولحد في دين الله حاد عنه وعدل وعن ابن عباس
في قوله تعالى ان الذين يلحدون في اياتنا هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه
وفي نسخة باجتهاد بدون تا من اجتهد اي اتعابه نفسه وكدها محافظ على اطفا
نورها اي ابطالها فشبه المعجزات بسراج منير ونار على علم في الظهور والتحقق
على طريق الاستعارة المكنية واثبات الاطفا اليها على طريق التخييل وعدى الاجتهاد
بعلى مشاكلة لما قبله او ضمنه معنى الملازمة والانكباب فهو كما قال تعالى
يريدون ليطفيوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ومن حكم
اهل الهند ان الرجل ذو المروة والعقل ليكون خامل المنزلة غامض الامر فما
تبرح به مروته وعقله حتى يستبين ويعرف كالشعلة من النار التي يسترها
صاحبها وتابى الا ارتفاعا ومنه اخذ ابن الرومي قوله

كالذي طالما الشهاب ليخفى ۞ وهو ادعى له الى التشهير

ومنه اخذ الارجاني قوله

ما الشانك يلتظي من غرور ○ وله اخي تترقب فعه
كلما رام منه للراس رفعا ○ زاد خفضا كانه نار شمعه
واحسن من هذا كله قولي في بعض الحساد
رام بالذل ان ينكس قدري ○ حاسد زادني سنا وسناء
قلت ان الشهاب شعلة نار ○ كلما نكسوه زاد ضياء

وقوله الا قوة وقبولا معطوف على قوله الا ظهورا كما ان قوله ومع تداول العرق معطوف على قوله مع مرور الازمان وفي نسخة الزمان وقوته نظهور حقيته وتيقنه وهو مقابل لما في ضده من التضعيف والقبول باذعان العقول التسليم له وهو مقابل لطعن الطاعنين وانكارهم وللطاعن اي المنفصل الذي يعيبها ويبغي في ابطالها والجار والمجرور حال من المستثنى تجده بعده ما كان صفة وعداه تعالى في قوله عليها لانه ضمنه معنى المتعدي عليها لانه يتعدى بعلى وقوله الا حسرة وهي التاسف والتندم على فوتهم فانه واليس منه وغليلا بالغين المعجمة واصله حرارة وتلهف في الجوف من شدة العطش والمراد به هنا مجازا الحقد الغم والحسد معطوف عليه وان لم يشاركه في متعلقه الا بتاويل فتدبر وكذلك اي كما علامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الانباء اخبار بكسر الهمزة مصدر اخبر عن الغيوب جمع غيب وهو ما خفي علمه عن الناس كالدجال والمهدي ودابة الارض وغير ذلك مما اخبر به بعض الصحابة رضي الله عنهم وانباوه بوزن اخبار ومعناه بما يكون في المستقبل من اشراط الساعة وبما يقع بين امته عليه الصلاة والسلام من الفتن وغيرها وما كان في الماضي كاحوال الانبياء عليهم الصلاة والسلام والامم السالفة ونحوه مما لا يعلم الا بوحي وحفظ الكتب الالهية التي لم يقراها ولم ير من عرفها معلوما انه من اياته ومعجزاته الخارقة للعادة اما الاول فظاهر واما الثاني فلانه عليه الصلاة والسلام امي ولم يخالط من علم ذلك

كفاك بالعلم في الامي معجزة ○ في الجاهلية والتاديب في اليتم

على الجملة بالضرورة اي معلوم بعلم ضروري مجموعه واجماله وان لم يكن كل فرد فرد كذلك وهذا احق اي امر محقق متيقن لا غطا عليه ظاهر منكشف من غير لبس وشبهة فيه وقد قال به اي اعتقده وصرح به نقال قال كذا اذا نطق به وقال به اذا ذهب اليه واختاره من ايمتنا المقتدى بهم من الاشعرية او المالكية القاضي ابو بكر الباقلاني الاصولي المالكي لانه المراد به اذا اطلق وبه صرح صاحب المقتفي هنا قال والمراد بقوله والاستاذ ابو بكر بن فورك كما تقدم في كلام المص وقيل المراد بالاول ابو بكر بن العربي شارح الترمذي وبالثاني ابو بكر الباقلاني او العكس والاول مالكي والثاني عده المص من المالكية وعده السبكي في طبقاته من الشافعية وقال التلمساني ان المراد بالثاني ابو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي والاستاذ بضم الهمزة واخره ذال معجمة معناه الماهر وهو معرب فارسيته بالدال المهملة والمولدون يريدون به الطواشي وقد بسطنا الكلام عليه في كتابنا شفا الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل وغيرها

من الايمة اي ذهب هؤلاء كلهم الى انها معلومة بعلم ضروري قطعي فهي متواترة بحسب
المعنى وان لم تتواتر مفرداتها وما عندي اوجب قول القايل وفي نسخة تا خبر ما عن
عندي وهي نافية وهو معنى عندي في اعتقادي وحكمي وهو متعلق باوجب ان هذه
القصص المشهورة من باب خبر الواحد اي من قبيل خبر الاحاد التي لا توجب العمل ه
واوجب بمعنى اقتضى واستلزم والجا اي لم يلجيه لذلك الا قلة مطالعته للاخبار
النبوية ومطالعتها الاطلاع عليها واتيانها وشغله بضم اوله اي اشتغاله بغير
ذلك من المعارف غير الاحاديث من العربية والامور والعلوم العقلية وفيه تادب
مع العلما وعدم المجاهرة بالقدح فيهم والا اي لو لم نقل بقلة اطلاعهم لاشتغالهم
بما ذكر فمن اعتنى اي كانت له عناية واشتغال بطرق النقل اي الامور النقلية السماعية
وطالع الاحاديث والسير النبوية بان درسها وقراها لم يرتب اي لم يحصل عنده
ريبة وشك في صحة هذه القصص المشهورة عند المحدثين والحفاظ على الوجه الذي
ذكرناه من جمع طرقها وضم بعضها البعض حتى تقوى وتصير متواترة بحسب المعنى
فيل وقوله لم يرتب قامن برد اعتراضه على من قال انها احاد اذ لم يرد به مجموعها بل جميع
افرادها وفيه نظر ثم اشار الى دفع شبهة هي انه لو كانت الاحاد تصل رتبة التواتر
بالاعتنا بالمنقول ومطالعة الاحاديث كانت متواترة فهي عند غيره فقال ولا يبعد
ان يحصل العلم بالتواتر الحقيقي عند واحد ولا يحصل عند اخر فبالطريق الاولى التواتر
المعنوي وقد قيل بمثل هذا اي البسملة وجمع به بين الخلاف بين الايمة فان
اثباتها في اوايل السور واسقاطها قراآت متواترات من السلف كما قاله ابن
حجر ومن تبعه وان خفي على كثير فان اكثر الناس يعلمون بالخبر المتواتر كون بغداد
موجودة وهي المدينة المشهورة بدار السلام اما لسلامة اهلها من فساد وتغير
المزاج او لان نهرها يسمى السلام وهي فارسية معربة ومعناها محل البساتين لان
باغ معناه بستان وقيل بغ اسم صنم وداد معناه العطية اي عطية الصنم ولذا
كره بعضهم تسميتها بذلك وفيها ستة لغات اهمال الدالين واعجامهما واهمال
الاول واعجام الثاني وعكسه وبغدان بالنون مع الاهمال وزاد يعقوب ابدال
البا ميما مع الدال والنون والاهمال والاعجام والاهمال اصح وقالوا بغد بن اخشا
والها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة بكسر اولهما وهما بمعنى فالخلافة
هي الولاية العامة لانه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي السلطنة
بحق وسميت امامة لان الامامة والخطبة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
والخلفا الراشدين لازمة له لا يقوم بها غيره الا بطريق النيابة عنه كالقضا
والحكومة ولذا احتاجت لتقليد السلطان ونحوه ومعنى دارها مقرها ومحلها
واول من بنى بغداد هذه ابو جعفر المنصور المعروف بالدوانيقي ثاني خلفا
بني العباس واحاد بالمد جمع واحد لا يعلمونها اسمها العدم سماعه فضلا عن
وصفها من كونها دار الخلافة متنزهة عظيمة البنا وفضلا منصوب بالمصدرية
يفيد اولوية ما بعدها والكلام فيها مبسوط في العربية مشهور لم نذكر مثالا
اخر في الشرعيات فقال وهكذا اي مثل امر بغداد يعلم الفقها من اصحاب مالك

دجلي

المعلمين

المقلدين لمذهبه فتحقيه بالصحبة مما ذكر تحقيقاً مشهوراً بالضرورة اي بالعلم الضروري اي
البديهي لا الاضطراري لتواتره عندهم فقوله وتواتر النقل عنه كالمفسر له ان مذهبه
ايجاب ام القران اي الفاتحة ووجه التسمية مشهورة في الصلاة للمنفرد والامام دون
المأموم فان قراءة امامه قراءة له وان لم يسمعها ولا فرق بين الصلاة الجهرية وغيرها
وكذا مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه كما فصل في كتب الفقه واجزاء النية اي نية
صوم رمضان كله في اول ليلة من رمضان مما سواه الضمير راجع لاول فلا يحتاج في
بقية الشهر الى نية اخرى اكتفاء بتلك النية والاجزاء بمعنى الكفاية والاغناء وقيل
معناه سقوط القضاء ورده الاصفهاني في شرح المحصول والفرق بينه وبين الصحة
مفصل في كتب اصول الفقه وان الشافعي رضي الله عنه بريء من الراي بمعنى المذهب
تجديد النية كل ليلة قبل الفجر فمذهبه ان النية واجبة في كل ليلة لا مندوبة
وهذا معلوم بالضرورة عند الفقهاء لتواتره عند اصحابه وغيرهم لان صوم كل يوم
عبادة مستقلة فيفتقر الى نية جديدة لحديث انما الاعمال بالنيات والمراد الاعمال
الشرعية اي انما صحتها وغيره بتقدير انما كمالها كما بين في محله والاقتصار على مسح
بعض الراس اي وبعلم ضرورة ان الاقتصار على مسح بعض الراس يجزي عند الشافعي
لتواتر نقل ذلك عنه خلافا لمالك فانه يجب عنده مسح الراس كله احتياطا وان
مذهبهما اي مالك والشافعي القصاص اي وجوبه في القتل بالمحدد اسم مفعول
من حدد الدال وهو حديد له حد جارح كالسيف ونحوه وغيره مما لا حد له كالعصا
والحجر والسحر وايجاب النية في الوضوء فهي واجبة عندهما لانه عبادة فلا بد من
النية فيه ليكون قربة ولتمييز العبادة عن العادة باخلاص العمل بالنية واشتراط
الولي وهو من تكون له ولاية شرعية على المنكوحة كالاب والسيد في النكاح اي
في صحته وانعقاده كما فصل في كتب الفقه وان ابا حنيفة النعمان بن ثابت الامام
المشهور شهرة تغني عن ذكر ترجمته يخالفهما في هذه المسائل فلا يوجب القصاص
في غير المحدد بل الدية ولا يوجب النية في الوضوء وخالف فيه بعض الحنفية كما
في الاسرار للدبوسي ولا يشترط في النكاح الولي كما فصلوه يعني ان مذهبه يخالف
مذهبهما في هذه المسائل فانه لم يرهما حتى يخالفهما والفقهاء يستعملون مثل
هذه العبارة كثيرا في كتبهم فيقولون خالف فلان في كذا فلانا وان تقدم عصره عليه
وغيرهم اي غير الفقهاء واصحاب المذاهب ممن لم يشتغل بمذاهبهم اي مذاهب
الفقهاء ومن ذكر من الايمة ولا روى اقوالهم ممن قلدهم واشتغل بكتبهم لا يعرف
هذا الامر الذي وقع فيه الخلاف منهم من مذاهبهم واقوالهم فضلا عما سواه
اي سوى هذا من دقائق المذاهب ومسائلها الغريبة وقد ذكرنا احاد هذه المعجزا
تزيد الكلام فيما بيانا بتفصيلها وذكر ما يتعلق بها من الفوائد ان شاء الله تعالى

## فصل في اعجاز القران

ذكره اي في بيان اعجازه والقران بالهمز وقد يسهل ويبدل وزنه فعلان على الصحيح وتقدم بيان الاعجاز وهو
جعل غيره عاجزا عن معارضته والاتيان بمثله اعلم وفقنا الله واياك
اي رزقنا التوفيق والجملة دعائية وتصديره باعلم تنبيها له على ان ما بعده

امر مهم يلزم علمه ان كتاب الله العزيز بفتح الهمزة وهو وما بعده ساد مسد مفعولي
اعلم وتقدم ان العزيز بمعنى القوي الغالب وبمعنى الذي لا نظير له ويجوز فيه الجر
والنصب على انه صفة الله او الكتاب ولكن الرفع قطعا والكتاب المراد به القرآن
لغلبته فيه وله معنيان الكلام النفسي وما بين الدفتين وكلاهما قديم عند بعض
المحققين كالشمس الشاني والكلام فيه مشهور والمراد هنا الثاني لانه هو المتصف
بالاعجاز منطو اي مشتمل ومحتو افتعال من الطي وهو معروف على وجوه من الاعجاز
كثيرة اي انواع يعرف بها اعجازه وكونه لا يقدر عليه البشر وتحصيلها اي تحصلها
اجمالا فالمراد بالمصدر اسم المفعول مبالغة كالدرهم ضرب الامير اي مضروبه والضمير
للوجوه من جهة ضبط انواعها اي حصرها وجعلها مضبوطة محفوظة في اربعة
اوجه خبر تحصيل او متعلق بقوله ضبط اولها حسن تاليفه اي نظم كلماته مؤتلفة
متوافقة والتيام كلمه عطف تفسيري اي كونها متناسبة بحسب الدلالة بحسب مقتضى
معانيها والكلم اسم جنس جمعي لكلمة كتمر وتمرة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح وفصاحته
قدمها على البلاغة لتوقفها عليها بمعناها المشهور في كتب المعاني ووجوه ايجازه
اي قلة لفظه وكثرة معانيه ووجوهه معروفة في المعاني وبلاغته الخارقة عادة
العرب عادة بالنصب مفعول خارقة بمعنى خارجة عن عادتهم كما يقال خرق
الاجماع اذا خالفه وخرج عنه ثم بين ذلك فقال وذلك اي ما ذكر من عادتهم لانهم
اي العرب كانوا ارباب هذا الشان هو الامر العظيم والمراد به البلاغة وجعلهم اربابها
اي اصحابها المالكون لها الذين بيدهم ازمتها وهو مبالغة في اتصافهم بالفصاحة والبلاغة
وفرسان الكلام جمع فارس او جمع فرس الذي هو جمعه والفرس يكون ايضا جمع فارسي بمعنى
عجمي كما في شرح شواهد الايضاح ومنه قولهم لغة الفرس فشبه الكلام الذي تمكنوا
من التصرف فيه بجواد علوه وتسابقوا به في ميادين البلاغة والرهان وفازوا بقصب
السبق فيه قد خصوا من البلاغة والحكم اي خصهم الله من دون الناس ببلاغة كلامهم
المخصوصة بلغاتهم وبما تضمنه من الحكم اي المعاني المحكمة المتقنة وما يحث على مكارم
الاخلاق ومحاسن الصفات وفيه كلام تقدم وبما لم يخص به غيرهم قيل كان الظاهر ان يقول
بما لم يوجد في غيرهم لكنه عبر به ليشاكل ما قبله ولان نفي الوجود يفهم من اختصاصهم
به دون غيرهم فلا يقال انه لا يلزم من نفي الاختصاص نفي الوجود وهو المقصود وفيه
بحث من الامم اي من جميع الامم السابقة واللاحقة واوتوا بالبنا للمجهول اي اعطاهم
الله من ذرابة اللسان المراد الجارحة المعروفة والكلام نفسه والذرابة بذال معجمة
وراء مهملة وموحدة اصل معناها حدة السيف والسنان ونحوه وقيل هي ان تسقي
السم والذراب السم فاستعير لطلاقة اللسان مع الخلوص من اللكنة قال

ارحني واسترح مني فاني * ثقيل محملي ذرب لساني

وهذا امر محمود وقد يكون بمعنى كونه سليطا صخابا فيكون ذما كالحدة قال تعالى
سلقوكم بالسنة حداد ما لم يؤت انسان اي لم يؤته غيرهم من الامم لكونه اي
بما ذكر لفقد السجع والخطابة كقوله ومن فصل الخطاب اي الخطاب البين الفاصل
عند المحاجة الذي لا لبس فيه ولا خفا كما تقدم مما يفيد الالباب جمع لب وهو العقل

عربي

ويفيدها

ويقيدها بمعنى يحبرها اذا سمعته حتى كانها قيدت ومنعت عن الحركة لدهشتها من حسنه
وبراعته فجعل الله لهم ذلك المذكور الذي خصوا به طبعا وخلقة مركوزة في طبايعهم لا بتكلف
وتعلم وتقليد لغيرهم وفيهم غريزة اي جبلة وسجية مركوزة فيهم وقوة المراد بالقوة ما
مقابل الفعل وليست بمعنى الشدة وهذا الاستعمال مولد وهو قريب من الطبيعة ايضا
وتكرار الالفاظ المتقاربة لا باس به هنا لانه مقام خطابة او المراد بالقوة القدرة اي هذا
امر طبعهم الله عليه وجعل لهم زيادة قدرة فيه فلذا اعقبه بقوله يا توب منه على البديهة
بالعجب اصل معنى البديهة الفجاة ولذا قيل لكل كلام من غير اتعاب فكر ونظر بديهة فيقال
اجاب على البديهة وله بدايع بداية وهذا معلوم في بداية العقول ولحقه في بدايه ن
جريه والعجب بمعنى الامر الذي يعد عجيبا لحسنه وجزالة معناه فكانه لم يعهد فما قيل
انه غير صحيح هنا لا وجه له ويدلون به بضم المثناة التحتية وسكون الدال المهملة وباللام تلمساني
من ادلى دلوه في البير اي ارسله لاخذ الما ثم عبر به عن مطلق التوصل كما قال عمر رضي الله
عنه لما استسقى بالعباس رضي الله عنه وقد دلونا اليك مستشفعين اي توسلنا
الى كل سبب اي طريق ووسيلة الى حصول مهمات امورهم كالزام الخصوم وجلب محبة القلوب
واستعطاف الملوك والروسا فاذا ذكروا هذه الوسايل عبروا عنها بعبارات بليغة رايقة
تسحر السامعين وتقود بعنان البيان سواد القلوب والخواطر وفي قوله سبب هنا تورية
لانه في الاصل بمعنى الحبل فذكره بعد الادلا فيه لطف وقيل المراد اقبلنا وسعينا من الدلو
وهو السوق والرفق وقيل المراد بالسبب الطلب العالي لشبيه باسباب السموات
اي نواحيها كانه شبه ذلك الطلب في عزة نيله بنواحي السما والعرب كانوا يصلون
الى هاتيك المطالب بما انالوه من القرايح الزكية ولعل المراد بالاسباب مقتضيات
الاحوال وقد بين ذلك بقوله فيخطبون الخ انتهى ولا يخفى انه لا يلايم ما نحن فيه
بديهة اي ينشدون الخطب بمقتضى طبايعهم بديهة من غير تكلف في المقامات اي محافل
الناس ومجامعهم على رؤس الاشهاد بديهة من غير تصنع جمع مقام او مقامة يقال قام
بين يدي الامير مقامة حسنة اذا تكلم بعظة ونحوها وكانوا يخطبون قياما فلذا
سميت مقامة ثم اطلقت على نفس الكلام المقول فيها كمقامات البديع والحريري وغيرها
وشديد الخطب اي الامر العظيم الشان الذي من شانه ان تقع فيه المخاطبات والمنازعات
فكان لكل قوم خطيب يقوم بينهم ويحثهم على مهماتهم وقيل ان الخطب الشان عظم او تلمساني وابن افندي
صغر وسبب الامر ولا يناسب المقام والتكلم بكلام بليغ ارتجالا اي لعلى سجية وغريزة
قوية ويرتجزون به اي ينشدون رجزا في تلك المقامات بديهة يعدونه كالخطب
ولذا ذهب بعضهم الى انه ليس بشعر بين الطعن والضرب كما ينشدونه في الذبيهم
وهذا كقول علي رضي الله عنه
انا الذي سمتني امي حيدره ۝ كليث غابات كريه المنظره
اكيلكم بالسيف كيل السندره
وامثاله مما لا يخفى ويمدحون من يستحق المدح في مقاماتهم بديهة بابلغ الاشعار
ويتدحون اي يذمون ويهجون بمقاد قدح في عرضه اذا عابه ومن فسره بقوله اي دلجي
يتدحون افكارهم فيستخرجون معنى الكلام في احسن نظام لم يصب من الكلام ويتوكلون

تماذكو من بليغ الكلام نظمًا ونثرا وَيتوصلونَ عطف تفسير اي بالمذكور الي مَطالبهم العالية
وَيرفعُون مَن مَدحوه بمدايحهم حَتي يرتقي لمرتبة لم تكن له يشتهر مَدحه فيصير نابه
الذكر بعد ان كان خاملا كما وَقع للمحلق لما نزل عنده الاعشي ضيفا فنحر له وسقاه
وَعنده بنات لم يرغب احد في تزوجهن فمَدحه بقصيدة قافية مشهورة فلم يمض
زمن حتي خطبوا بناته ورغبوا فيهن وَيضعُون مقدار من ذموه بقدحهم حَتي
يصير سبة بينهم وفيه لف وَنشر فيأتون من ذلك المذكور كله بالسحر الحلال السحر
في الاصل الفطنة وَكل مادق ثم انه يشبه به الكلام البليغ الذي تلذ به النفوس
وَتنجذب له القلوب وَمنه ان من البيان لسحرا فهو تشبيه بليغ وَالسحر معناه الحقيقي
معرُوف وَهو قبيح محرم فوصفه بالحلال بيان للمعني المراد منه وَتجريد للتشبيه والسحر
معناه الحقيقي حق وَاقع وَهو بامور يعرفها اهلها سيأتي الكلام عليها عند قوله
وَقولهم ان هذا الاسحر يؤثر وَيطوقونه بالتشديد من الطوق وَهو ما يجعل في
العنق من ذهب وَنحوه من اوصافهم البديعة البليغة وَفيه استعارة مكنية وتخييلية
اي من وصفهم لغيرهم بمدحهم اجمل من سمط اللآل اجمل بمعني ازين وَاحسن وسمط
بكسر فسكون المراد به جنسه لعمومه بالاضافة فمن قال سموا به سموطه لم يصب
وَهو السلك ما دام فيه الخرز وَالا فهو خيط وَقال البرهان السمط الخيط ما دام
فيه الخرز وَالا فهو سلك وَكتبه الانطاكي وَنسبه للجوهري وَقال ان غيره قال
ان السمط للجوهر وَالسلك للخرز وَالنظام للابر وَفيه نظر وَفضله عقد المدائح
علي اللآلي لانه لا يفني وَلا يبقا ومعه ثمن لعزته وَاصل اللآل اللآلي بهمزة في اخره فابدلها
يا لسكونها وَقفا ثم عامله معاملة المعتل في الوقف فاسقطها كالقاض فيخدعون
الالباب الخداع هو المكر وَاظهار امر علي خلافه لمن يريد به امرا مكروها وَالالباب
جمع لب وَهو العقل كما مر وَالمراد انهم يستميلون العقول حتي تنقاد لهم ففيه
استعارة مكنية وَتخييلية وَتقدير ذوي العقول يذهب برونق الكلام ويذللون
الصعاب اي يسهلون بفصاحتهم الامور الصعبة فان كان من الذل بالكسر وَالذال
معجمة من الارض الذلول وَهي التي يسهل المشي فيها ففيه استعارة تبعية وَكذا
ان كان من الذل بضمها وَالمراد علي كليهما انهم يجعلونها مطيعة لهم وَيجوز ان تكون
مكنية وَتخييلية علي ان الصعاب جمع صعبة وَهي الناقة التي لا تنقاد ويذهبون
الاحن بكسر الهمزة وَفتح الحاء المهملة جمع احنة بكسر فسكون وَهي الحقد ويمحون
الدمن بضم اوله وَفتح ثانيه وَكسر المثناة التحتية المشددة وَيجوز كسر الهاء مع
اليا اي يحركونها وَنظيرها وَجها وَالدمن بكسر الدال المهملة وَفتح الميم وَالنون
جمع دمنة وَهي في الاصل ما في مبارك الابل مما يعرها المتلبد بما عليه من ابوالها
استعير للحقد المضمر المجتمع في الباطن وَهي استعارة بليغة شايعة في كلامهم قال
ارى الامانة لا اخون ولا ارى ابدا اذمّ من عرضة الاخوان
وَكون المراد بها اثار السكان في الديار وَالمعني انهم يبدلون الاطلال وَسكانها
فيمحون الاشواق بذكرها وَان سلم من التكرار بعيد هنا فلا يغتر بما قيل
وَيجرّون الجبان بالتشديد وَالهمز من الجراة وَهي الاقدام وَالشجاعة فالجبان

ضد

تمسابلي

تلهيطي

ضد الشجاع اي يحملون ذلك شجاعا ما يجد جبنه و يبسطون يد الجعد البنان باضافة الجعد الى البنان و البنان الاصابع و عقدها و بسطها مدها و اذهاب جعودتها و هي انقباضها و الجعد اذا اضيف الى اليد او البنان كان للذم بمعنى البخيل اللئيم فان اطلق كان بمعنى الجواد الكريم و الجعودة ضد السبوطة و هي الانبساط و المعنى انهم يجعلون البخيل كريما قال ابو عبيد الجعد في صفة الرجال يكون مدحا و يكون ذما فالمدح معناه شديد الخلق مدبر للامور او ان شعره جعد غير سبط لان السبوطة اكثر في العجم و في الذم معناه القصير او البخيل و يصيرون الناقص كاملا يحملونه على اكتساب الكمال حتى يصير التطبع طبعا و ان كانت الطباع يعسر تغييرها و تبدلها و يتركون النبيه الشريف المذكور خاملا اي خامل الذكر متروكا بعد شهرته بسبب ذمهم له و تنقيصه بالهجا و نحوه ثم قسمهم فقال منهم من العرب البدوي و هم سكان البادية النازلون في الاخبية و الدار و هو بالبا الموحدة و الدال المفتوحتين الذي لا يسكنون القرى و الامصار و تسمى ساكنها حضرا و حاضرة لحضور بعضهم لبعض فيها و النسبة للبادية او للبدو و بالسكون على خلاف القياس و يقال بداوي بفتح اوله و كسره او هو نسبة للبدا كالفتى بمعنى البادية ايضا و اللفظ الجزل اي صاحب اللفظ المحكم القاطع الفاصل و يكون الجزل بمعنى الكثير ايضا و منه الثواب الجزيل و القول الفصل بالصاد المهملة اي الفاصل بين الحق و الباطل قال تعالى انه لقول فصل و ما هو بالهزل و اصل معنى الفصل الحجز و منه فصول الكتب و الكلام الفخم اي المفخم المعظم لشهامتهم و عدم مداراتهم و المنتقي المعاني الرائقة يقال وجه فخم اذا كان له جمال و مهابة او هو من التفخيم ضد الترقيق لاعتيادهم باخراج الحروف من اقصى مخارجها و الجهر بها لقوله و الطبع الجهوري اي طبعوا على جهر الصوت و علوه و منه الحروف المجهورة قال في القاموس جهر ككرم فخم و الصوت ارتفع و كلام جهر و مجهر و جهوري عال و في الحديث نادي بصوت جهوري و في نسخة جوهري نسبة للجوهر و هو الخالص النقي او المقدم الجري فان كان من الجوهر المعروف كالياقوت و الزمرد و نحوه فهو استعارة للنفيس و في القاموس الجوهر كل حجر يستخرج منه شي ينتفع به و من الشي ما وضعت عليه جبلته و الجري المقدم انتهى و الواو زائدة و قيل انه بمعناه المعروف معرب و العرب تمدح بالجهر بالكلام و تعبر به عن البهاء و الحسن كما قال الاعرابي

جهير الرواء جهير الكلام ؞ جهير العطاس جهير النعم

و هذا التشبيه بطريقة المتمم في فصاحته و المنزع القوي مفعل من النزع و هو الجذب و الاخذ و نزع الماء من البير اخرجه و نزع القوس جذبه و هو مصدر ميمي او اسم مكان و الاول اظهر اي يأتون بنوع من الكلام يستخرجونه من بين انواع الكلام بطبائعهم السليمة بحيث اذا سمعه السامع يشفي غليله و منهم الحضري نسبة الى الحضر بفتحتين مقابل البدو و هو الحاضرة اي الحاضرة سكنى الحضر و هي الامصار و القرى و ذو البلاغة البارعة اي الفائقة من برع اقرانه اذا فاقهم برقة طبعه و تهذيب كلامه و الالفاظ الناصعة اي الخالصة من الالفاظ الوحشية الغريبة السالمة من الركاكة و الكلمات الجامعة للمعاني الكثيرة في الالفاظ القليلة

المعجزة والطبع السهل الذي المنقاد لسهولته لسلامته ذوقه وانسجام كلامه الذي هو
ارق من النسيم يكاد من عذوبة الالفاظ تشربه مسامع الحفاظ فيدخل الاذن بلا اذن
والتصرف في القول القليل الكلفة فيخرج من نوع لنوع من غير تكلف لكونه سجية لا
والقليل صفة للتصرف او للقول فلا يورد في كلامه ما يعسر فهمه على السامع لغرابته
او تعقيده الكثير الرونق اي الحسن واللطافة من رونق السيف وهو ماؤه وحسنه
كما قال البحتري

وبديع كانه الزهر الضاحك • في رونق الربيع الجديد
مشرق في جوانب السمع ما • يخلقه عوده على المستعيد

الرقيق الحاشية اصل الحاشية طرف البرد والثوب ورقة حاشيته عبارة عن رقته
وحسن نسجه والكلام يشبه بالحلل والبرود والتكلم بالنسج وفي الاساس من المجاز
عيش رقيق الحواشي وكلام رقيق الحواشي وهو عبارة عن سهولته وسلاسته بان
يكون لفظه رشيقا عذبا وفخما سهلا ومعناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا وكلا
البابين اي كلا القسمين من كلام البدوي والحضري في مقامه ومحله وعند اهله فلهما
في البلاغة الحجة البالغة قيل ان في الكلام تقديرا واصله واما كلا البابين الخ
فالفاء واقعة في جواب اما المقدرة ولا يخفى انه ركيك ولو حذفها كان اولى
ولعل قيل كلا مبتدا خبره مقدر تقديره وكلاهما مما اختصوا به او تمالوا شان عظيم
وما بعده مبني عليه كان احسن لان اما حذفها من غير عذر بل ليس سهلا والحجة
البرهان والدليل من حجه اذا خصمه والزمه والبالغة بمعنى الواصلة والا فصح
افراد ضمير كلا رعاية للفظه ومعناه وان جاز تثنيته وقد جمع بينهما القايل
في قوله

كلاهما حين جد الجري بينهما • قد اقلعا وكلا انفيهما رابي

والقوة الدامغة اي الطالبة لغيرها من سائر اللغات واصل الدمغ الضرب
على الدماغ فاريد به ما ذكر من الغلبة والقهر يقال دمغ الحق الباطل اي ابطله
ودمغت فلانا قهرته والقدح الفالج بكسر القاف وسكون الدال والحا المهملتين
واحد قداح الميسر وهو سهم بغير ريش وقداح الميسر التي كانوا يتقامرون بها
في الجاهلية ولها اسما مشهورة ومنها ما له نصيب زايد ومنها ما لا نصيب له
والفالج بالفا واللام والجيم بمعنى الغالب يقال فلج امره اي فاز وسعد
اي لهذه اللغة شرف وفوز عند سامعها وقيل المراد ما تنتجه الافكار واصابة
الارا وجودة الانظار وهو امر لا تعلق له بفنون الكلام والكلام فيه تكلف
الناهج بفتح الميم وسكون الها وفتح المثناة التحتية وهو الطريق الواسع والناهج
بمعنى البين الواضح المسلوك واصله السالك فتجوز به عن المسلوك كماء
دافق بمعنى مدفوق وعيشة راضية واراد به سعة لغتهم وظهور دلالتها
لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم قيل كان الاحسن الظاهر ان يقول لا يشك
بالبنا المجهول ليكون ابلغ وهذا من عدم معرفته بمقاصده فان هذا هو المناسب
لما هو بصدده فان البليغ الفايق اذا كان هذا حاله كان له اقدام على المعارضة

ابن اقبرس

عند التحدي فلله درهم ما ادق نظرهم والمراد انهم يعلمون ما جبلوا عليه من البلاغة والقدرة
على ايراد كل كلام بليغ في مقامه على ما يقتضيه حال وسبكه في قوالبه ونظمه لاساليبه ٭
المطاوعة له ومعرفته بذلك والبلاغة ملك قيادهم بكسر القاف وهو حبل تقاد به الدابة
اي والبلاغة مملوكة لهم منقادة واصله ملكهم وفي قيادهم فعدل عنه لما ذكره لانه
ابلغ وفيه استعارة في الملك والقياد وهي اضافية على حد قوله مكر الليل يعني انهم
متصرفون في افانينها من غير تكلف قد حووا فنونها اي جمعوا وحازوا انواع البلاغة
واقسامها والفنون جمع فن واستنبطوا عيونها اي استخرجوا خيارها ومحاسنها
واصل معنى الاستنباط استخراج الما من الابار والعيون النابعة فعيون هنا بنوعيها
وفيها تورية لا يهامه لعيون الما والمراد خيارها لان عين كل شي خياره وليس من
اطلاق اسم الجزء على الكل كما توهم ودخلوا من كل باب من ابوابها اي سهل عليهم الوصول
الى مقاصدهم باي عبارة ارادوها كالحقيقة والمجاز والكناية وبسط الكلام في مقام
والايجاز في مقام والتصريح والاخفا وفيه استعارة مكنية وتخييلية بجعل مقاماتها
قصورا واسعة لها ابواب متعددة ولذا عقبه بقوله وعلوا ابرجا وهو البيت العالي
المحرف بناؤه والبيت المنفرد وعلوا بتخفيف اللام بمعنى صعدوا ويجوز تشديدها
لبلوغ اسبابها جمع سبب وهو كل ما يتوصل به لشي اخر كالحبل والسلم وهو علة للعلو
اي علوا قصر البلاغة ليصلوا الى ما فيه من الاسباب الموصلة لمهماتهم ومطالبهم
النفيسة كمن يدخل قصرا لمقاتل الملك فيقال عنده لغاية انعامه واحسانه وفيه
ايما لقوله تعالى يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب الاية فما قيل ان الاحسن
ان يقول صرح اسبابها تركه احسن منه لان معناه انهم علوا ذروة البلاغة ووصلوا
بها الى كل ما ارادوه فعبروا بعبارات لمقاصدهم واللام لام العاقبة هنا وفيه
استعارة مكنية تخييلية لتشبيه مرتبة الاعجاز التي تحدوا بعبها لم يصلوا
اليها فقالوا اي تكلموا بكلامهم البليغ في الخطير اي في الامر العظيم الذي له خطر اي شرف
ومزية على غيره والمهين بفتح الميم اي الحقير من المهانة وهي الحقارة وتفننوا اي
اتوا بكل فن من فنون الكلام متفننين في الغث بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة
واصله اللحم المهزول الذي يكره تناوله فاستعير للامر القبيح والفاسد وضده
السمين وفي حديث ام زرع زوجي لحم جمل غث وفي المثل غثك خير من سمين غيرك
وقد علمت ان تقالوا في اكثر النسخ بالقاف من القول وفي بعضها فغالوا بالغين
المعجمة وفتح اللام اي زادوا والاول رواية الانطاكي وفسره التلمساني بانشا
المديح والهجا والمدح والذم او الجد والهزل وله وجه وتقاولوا التفاعل من
القول اي اداروا الكلام بينهم في القل والكثر بضم اولهما واجاز البرهان كسرها
اي القليل والكثير مدحا وذما وجدا وهزلا قيل ومنه نقل ولو قال في الكثير
والنزر كان احسن واخف وانسب بقوله وتساجلوا في النظم والنثر والتساجل تفاعل
من السجل بالفتح وهو الدلو الكبير وسجلت الما صببته ثم لما كانوا يتناوبون في سقي
الما استعار والتساجل للعطا وللمفاخرة كما قال ٭ ٭
من يساجلني يساجل ماجدا ٭ يملو الدلو الى عقد الكرب ٭

دجى

ابن اقبوس

وقيل الحرب سجال اي تارة يغلب وتارة يغلب كما قيل

فيوما علينا ويوما لنا • ويوما نساء ويوما نسر

فالمراد انهم تسابقوا وتفاخروا او تعارضوا في عد المآثر كما هو متعارف عندهم وليس المراد به المبارزة بان يدعو احدهما الاخر للقتال فيبرز من الصف كما قيل فانه لا وجه له هنا وهي جايزة لفعل الصحابة رضي الله عنهم لها ومنعها بعضهم شرعا لما فيها من المخاطرة والنظم والنثر غني عن البيان فما راعهم اي بينما هم كذلك فجاهم امر بغتة لم يكن لهم علم به ولم يطرق مسامعهم مثله وفي الاساس ما راعني الا مجيئك اي ما شعرت الا به وهو من الروع بمعنى الخوف والفزع الا رسول كريم بعث بين اظهرهم صلى الله عليه وسلم بكتاب عزيز لا نظير له شريف ومنيع بحماية الله وهو استثناء مفرغ من عام مقدر اي لم يفجاهم ويفزعهم شي سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهم من الله اتاهم بخلاف هواهم وعكس مناهم اذ كانوا يتوهمون ان رتبتهم في البلاغة لا يفوقها كلام فاتاهم بكتاب اخرس شقاشقهم واصم اسماعهم وانبا للمصاحبة اي مؤيد بكلام معجز لا ياتيه الباطل اي لا ياتيه باطل وامر فاسد بحسب العقل والشرع او ما يبطله كالنسخ والطعن المقبول من بين يديه اي قدامه وفي مقابلته ولا من خلفه اي وراه والمراد من جهة من الجهات فلا يجد سبيلا يوصله اليه وما وقع فيه من المطاعن اضمحل والمحق حتى صار كالعدم ولذا قال تعالى لا ريب فيه وقال تعالى جالكم ورهق الباطل تنزيل من حكيم محكم لمصنوعاته وتدبيره لجميع مخلوقاته حميد محمود بحمده جميع الكاينات بلسان المقال والحال احكمت اياته اي نظمت نظما محكما لا يعتريه فساد ولا خلل ومنعها الله وحفظها من التبديل والتحريف الذي وقع في غيره من كتب من احكمت الدابة اذا وضعت في فمها حكمة تمنعها الجماح او جعلت حكيمة لاشتمالها على امهات الحكم النظرية والعملية من حكم بالضم اذا صار حكيما وايات القران جمع اية وهي جملة كلمات من القران لها ابتدا ومقطع وفصلت كلماته اي فصل وبين ما فيها من الفوايد الجليلة كالعقايد الحقة والاحكام الشرعية والمواعظ والاخبار الصادقة او جعلت سورا او انزلت نجما نجما او فرق بين الحق والباطل وجمعت الوعد والوعيد وبهرت اي غلبت وادهشت بلاغته العقول جميعها لغرابته اسلوبها وحسن بديعها الذي اعجز البلغا وظهرت فصاحته اي اتضحت كالشمس وسط النهار او علت وارتفعت مرتبة اعجازها على كل مقول اي كل كلام نظما ونثرا وتظافر بالظا المشالة كما في اكثر النسخ تفاعل من الظفر وهو الفوز وتيل الاماني ايجازه اي كونه في اعلى مراتب البلاغة المعجزة للبشر فالمعنى ان الايجاز اخذ من الاعجاز ما يليق به والاعجاز استوفى من الاعجاز ما يحق له ففيه مع المبالغة استعارة مكنية وتخييلية فمن قال انه لم يجد في كتب اللغة ما يفسره به فقد قصر وفي بعض النسخ بالضاد المعجمة اخت الصاد المهملة بمعنى تعاونا وتقويا على منع معارضته والاتيان بمثله من ضفر الحبل والشعر اذا جمع بعضه على بعض ليتقوى وهو مجاز مستعمل يقال تضافر القوم اذا اجتمعوا وتعاونوا وقيل انه بالطا المهملة من الطفرة بمعنى الوثوب اي وثب كل منهما والمراد انهما بلغا الغاية في بابهما

تلماني

قوله الشاقشق الواحدة شقشقة وهي شي كالرية يخرجها البعير من فيه

مي

والادجه

وَالاوجه الثلاثة مُعَانيهما متقاربة فلا وجه لتصويب بعضها دون بعض وتظاهرت حقيقته
ومجازه اي عضد كل منهما الاخر وقواه لما صار له ظهيرا ومستندا لما بينهما من العلاقة أو
تشابها في الظهور لوضوح معانيه وظهور قرائنه لا كما يكون في بعض المجازات من الخفا
والتعقيد وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه اي تشابهت وتساوت اوايله واواخره خ ع
من قولهم فلان يباري فلانا اذا فعل مثله والتباري يكون بمعنى التسابق في الجري ه
فالمعنى ان مطلعه وهو مبدوه ومقطعه وهو منتهاه وغايته كفواتح السور والايات
وخواتمهما يجاري كل منهما الاخر ويسابقه ليحوز قصب السبق من الفصاحة وصحة المعاني
وهو عبارة عن تشابههما وحوت كل البيان اي ما ينبغي بيانه واظهاره جوامعه اي جوامع
كلمه التي جمعت المعاني الكثيرة في الفاظ قليلة وبدائعه اي ما ابتدع فيه مما لم يسبق مثله
في كتابه وكلام الله مما لا يقبل تحريفا ولا يحتمل تصحيفا وكفى بالدهر مصليا وبالدين مستمليا
واعتدلت اي استقام من غير افراط ولا تفريط مع ايجازه وعدم تطويل لفظه حسن نظمه
اي تناسب كلماته لفظا ومعنى وقلما يكون ايجاز كذلك وهذا من ادلة اعجازه وليس هذا مكررا
مع قوله حوت كل البيان جوامعه وبدائعه كما توهم وانطبق اي وافق على كثرة فوائده ابن اقبرس
اي معانيها التي تفيدها مختار لفظه اي لفظه المهذب بالذي كانه انتخب ونقي وهذا
من وجوه الاعجاز ايضا لان اللفظ الذي يفيد معاني كثيرة من الفصحا يحتاج غالبا الى
تركيب الفاظ غير منقحة وهم اي فصحا العرب من كل باد وحاضر افسح ما كانوا في هذا الباب
مجالا اي اوسع يقال فسحت مجلسه فتفسح فيه ومنه فسحت له ان يفعل كذا اي وسعت
له وهو في نسخة مرة وما كانوا بمعنى اكوانهم فما مصدرية واضافة افعل للمصدر على
التجوز كاخطب ما يكون الامير قائما والمجال محل الجولان وهو الحركة والجملة حالية من ضمير
راعهم ومجالا تمييز عن النسبة محول عن الفاعل والمراد بالباب جنس البلاغة وجعله بابا
لوصولهم به الى مقاصدهم اي جاهم صلى الله عليه وسلم بالكتاب المجيد ومجالهم في غاية
الاتساع وتفسير المجال بالاتساع وان كان يغني عنه فيه تكلف واشهر اي اعظم شهرة تلمسانيه
وفي نسخة واشهرهم بالاضافة لضمير الناس في الخطابة بفتح الخا اي انشا الكلام في المحافل
وقوله رجالا تمييز كالذي قبله واشهر معطوف على خبرهم اي ومجالهم اشهر من
غيرهم في هذا وليس المراد بالرجال مطلق الذكور بل الاشراف كما يقال رجالات قريش
لاشرافهم وليس هذا منافيا لقوله لمختصوا من البلاغة والحكم بما لم يختص به احد ابن اقبرس
من الامم لان اسم التفضيل يقتضي مشاركة غيرهم لهم فيما كان مختصا بهم لان اختصاصهم
بما ذكر على ظاهره والتفضيل مجازي بان يكون على طريقة الزمن كما في حديث ما رايت ناقصات
عقل ودين اذهب للب الرجل منكن اذ الخطاب لجنس النسا او تقول انه على حد قوله
الخل احلى من العسل اي انه في حموضته اقوى من العسل في حلاوته ولاسم التفضيل
استعمالات احرز ذكرها في المطولات واكثر في السجع وهو الكلام المنثور الذي له
فواصل مقفاة كالشعر وهو منقول من سجع الحمام لكونه على وتيرة واحدة ولذا
لا يجوز اطلاقه على القران والشعر وهو الكلام الموزون المقفى بالقصد ارتجالا
اي تكلما به من غير فكر وروية وهو في الاصل الانتصاب والقيام على الارجل فاطلق
على التكلم قايما لانه كان عادة لهم ثم نقل لما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه وفي

كتاب بدايع البداية انه في الاصل الانتصاب بسهولة ومنه شعر رجل وقيل هو من ارتجال البير وهو ان ينزلها بر جليه من غير حبل كالبديهة وهو من بدهه بمعنى بداه كما قالوا مدحه ومدهه الا ان الارتجال اسرع من البديهة وبعده التروية انتهى وفي نسخة واكثر في الشعر والسجع سجالا والمراد بالسجال هنا المجاورة واصل معناه الدلو كما تقدم وقيل المراد به المفاخرة واوسع في الغريب المراد به ما يستغرب من الكنايات والمجاز البديعة لتفننهم في الكلام وقيل المراد به ما يحتاج الى تفسير وتفتيش من كتب اللغة وهو بالنسبة الينا فان قلت هذا انما يخل بالفصاحة وسياق الكلام لمدحهم قلت قال ابو هلال في كتاب الصناعتين انه ليس مخلا بها الا اذا كانت لغته من الاعراب والعجم من من العرب العربا فاطلاق اهل المعاني غير صحيح ولم ار من نبه عليه واللغة معنا لا اللغة معناها الكلام ولكل قوم لغة وتكون اسما للعلم المدون بما فيه معناها والمراد هنا الاول والمقال مصدر ميمي بمعنى القول يعني ان لغة العرب اكثر من ساير اللغات الفاظا فقلما يكون معنى الا وله اسما مترادفة حتى انه يوجد في كلامهم ما له ما يقارب اكثر وقد افردوه بالتاليف وهذا كناية عن كونهما اقدر على الكلام من غيرهم فاذا اعجزهما القران فغيرهم يعلم عجزه بالطريق الاولى وعطف اللغة على الغريب من عطف العام على الخاص بلغتهم التي بها يتحاورون الحوار والمحاورة لغة كتابا وكلاما والتحاور ادارة الكلام والمراجعة فيه سؤالا وجوابا من الحور وهو التردد والضمير للعرب وقيل لقريش لان القران نزل بلغتهم فان كان ما قبله كذلك فلا اشكال في كلامه ومنازعهم بفتح الميم والنون وزاي معجمة وعين مهملة جمع منزع بالفتح مجرور بالعطف على لغتهم من النزع وهو كما مر الجذب والاخذ والمنزع مصدر بمعنى النزع واسم مكان ويكون اسما للسهم الذي يرمى به يقال رماه بمنزع اي سهم بعيد المرمى قال

فهو كالمنزع المريش من الشو حط الت به يمين المغالي

قاله في الاساس قيل وهو المراد هنا لمناسبته لقوله التي عنها يتناضلون بالضاد المعجمة اي يترامون بالسهم يقال ناضلته وخرجوا يتناضلون ويتنضلون وتنضلت من الكنانة سهما اخترته ومن المجاز ناضل عن قومه اذا دافع وحاج والمناضلة المفاخرة فشبه الكلام الدائر بينهم في المخاصمة والمفاخرة بالسهام واثبت له المناضلة تخييلا وقيل المنزع هنا اسم مكان والمعنى انهم يتبعون في كلامهم نظما ونثرا في حال المنازعة وهي المجاذبة في الاعيان والمعاني وهو بعيد وابعد منه ما قيل ان المنزع ما يرجع اليه الرجل من رايه وطريقته اي اتاهم الكتاب بما هو ديدنهم الذي لا يتركونه فاكبوا على مدارسته صارخا بهم في كل حين حال من الكتاب او الرسول من الصراخ وهو الصياح والندا بصوت شديد يسمع من بعيد اي صرخا بصوته في كل وقت يتلو القران عليهم ويبكتهم ويدعوهم لمعارضته ومقرعا لهم بضم الميم وفتح القاف وتشديد الرا المهملة وبعين مهملة معيرا او موبخا لهم من القرع وهو الضرب ومنه القرعة لهم ببضع وعشرين سنة وهو بكسر البا الموحدة وضاد معجمة ساكنة وعين مهملة وهو من الثلاث الى التسع من كسور العدد



تلسائي

دلجي

عرضي

ويقال البضعة ايضا في لغة قليلة وفيه اقوال اخر في القاموس هذا اصحها ويستعمل مع العشرة
وما فوقها الى تسعين ولا يختص ببعض العقود منها وهذه المدة مدة دعوته صلى الله عليه
وسلم من بعثته الى وفاته وقد اختلف فيها مع انه بعث على راس الاربعين وحياته
بعده قيل عشرون وقيل ثلاث وعشرون وهو الاصح وقيل خمس وعشرون ولذا قال
بضعا من غير تعيين ولذا اختاره لان بها حسابهم ولانها قد يعبر بها عن الشدة والحيل
واعلم ان البضع ليس كصريح العدد في انه يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر وما نقله
في القاموس عن مبرمان برده ما في الحديث الايمان بضعة وسبعون شعبة فلا يرد على
المص ان الصواب ان يقول بضعة وعشرون كما قيل ولا حاجة للتاويل على رؤوس الملا
اجمعين الرؤوس جمع راس وهو العضو المعروف والشريف السيد والملا الجماعة وقد يخص
بالاشراف ويقال كلمة على رؤوس الناس وعلى رؤوس الاشهاد اذا صرح بما يريده واشاعه
لان من يريد ذلك يقوم في المحافل مستعليا على رؤوسهم اي انه صلى الله عليه وسلم لم
يزل مظهرا لدعوته مدة بعثته منذرا لهم قائما عليهم بين اظهرهم والجار متعلق
بقوله مقرعا او تنازعه مقرعا وصارخا ام يقولون افتراه هذا حال ايضا اي قائلا
وتاليا لهم ام يقولون الخ ولم يعطفه رعاية لنظم القران فيكون اقتباسا من مشكاة
القران والافترا كالاختلاق الكذب والاستفهام انكاري توبيخي قل ان كان الامر كما
زعمتم فاتوا بسورة مثله في النظم والبلاغة فانه نزل بلغتكم وانتم فصحا وادعوا
من استطعتم اي كل من قدرتم على دعوته ليعينكم على افترا كلام يضاهيه من دون
الله اي غير الله فانه القادر على كل شيء ان كنتم صادقين في قولكم انه افتراه وهذا
توبيخ بتعجيزهم عن اقل مراتبه وليس مقابلا للسجعة الاولى كما قيل ثم اشار الى
اية اخرى في معناها فقال وان كنتم في ريب في شك وشبهة مما نزلنا على عبدنا
اي نزله منجما بحسب الوقايع فاتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا وقوله من
مثله صفة سورة اي سورة كاينة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض والتبيين
زايدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقران في البلاغة وحسن النظم او
لعبدنا ومن للابتدا اي بسورة كاينة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرا
الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد وهذه الاية ابلغ مما قبلها
للدلالة على عجزهم في المستقبل بقوله ولن تفعلوا والكلام على الاية مما كفانا
المفسرون مؤنته وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران
نظما وبلاغة لا ياتون بمثله الاية وهو جواب قسم مقدر ولذا لم يجزم ولم
يذكر الملايكة لان اتيانهم بمثله لا ينافي اعجازه فتامل وقل فاتوا بعشر سور
مثله مفتريات اي محض كذب واختلاق منكم وخص الكذب بالذكر لقوله وذلك
اي طلب الاتيان بالمفترى تهكما وتعريضا ان المفترى اسم مفعول اسهل تلفيقا
ووضع الباطل اقرب تناولا واروج تمنيقا ومع ذلك لم يقدروا عليه واللفظ
اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب لانه يلاحظ فيه ما في الواقع وتغيرا لامر ثم
يؤتى باللفظ على طبقه وترتيبه بحيث لا يخرج عنه والمختلق بفتح اللام اسم
مفعول بمعنى الكذب المفترى كما قال تعالى وتخلقون افكا وهو من الخلق

بمعنى التقدير لانه امر يقدر في النفس من غير نظر للواقع وقيل انه من الخلق وهو
الوجه الثاني لان الحق ثابت بذاته يوم وجده والكذب يزداد بناء على الاختيار اقرب
المراد بالاختيار ضد الالجاء والاضطرار فان الصادق مضطر الى اتباع الحق وقد يضيق
عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب فانه يجد برا واسعا كما قال تعالى الم تر انهم في كل
واد يهيمون وقيل هاهنا بحث وهو ان التحدي بقوله فاتوا بسورة الخ ان كان الاتيان
بما هو واقع على وجه الحق فهو غير ممكن قطعا وان كان بالاتيان بمثله وهو على
صورته لفظا فلا يخرج عن كونه مفتري وحينئذ يستوي الامران والذي ذكر
في حل ذلك انه ذكر مفتريات لمشاكلة قوله افتراه تهكما وتقريعا لا لما قاله المص انتهى
وليس بشيء لانا نختار الثاني ويقولهم انهم لعجزهم لا يستويان وهو في غاية الظهور
فتدبر ومن اقرب معنى اهون ولذا عداه بعلى كقوله وهو اهون عليه ولولا ذلك
عداه بالى او اللام ولذا اي لكون المختلق اسهل واقرب من الحق الصحيح عبارة قيل
اي قال الادبا ومن لهم دربة في صناعة الصياغة للكلام فلان اي المنشي لرسايل
الملوك ونحوه ممن يقول الحكم والمواعظ من الفصحا يكتب كما يقال له اكتب في شان
امر واقع رسالة فيغلق اكمام الكلام عن زهر المعاني الزاهية الزاهرة حتى يفوح عبيرها
في نادي البلاغة وفلان ممن ينشي المقامات يكتب كما يريد من كل ما يخطر على خاطره
من غير نظر لصدقه وكذبه فاذا صعب عليه التعبير عن معنى عدل عنه لغيره فهو
يكتب كما يريد لا كما يراد وهذا اشارة الى ما حكي عن بديع الزمان انه رتب له راتب بين
كتبة الديوان فلم يقدر على كتابة الرسايل فلما اخبر الصاحب بذلك قال دعوه فانه يكتب
كما يريد لا كما يراد وحكي مثله عن الحريري ايضا وللاول الذي يكتب كما يقال له على الثاني
وهو الذي يكتب كما يريد والمراد بالكتابة هنا مطلق الكلام وان لم يكتب فضل اي
زيادة شرف ورتبة وبينهما شاو اي مسافة ومدا بعيد والشاو بفتح الشين
المعجمة وسكون الهمزة وقد تبدل الفا وبالواو بمعنى السبق والغاية والامد
فتجوز به عن المسافة ثم كني به التفاوت الزايد فلم يزل صلى الله عليه وسلم يقرعهم
اي يعيرهم ويعيبهم ويشنع عليهم لما تحداهم بالقرآن اشد التقريع لانذارهم
بالهلاك والعذاب الاليم ويوبخهم غاية التوبيخ فهو بمعنى ما قبله لكن المقام
مقام اطناب وخطاب يحسن فيه مثله ويسفه احلامهم اي يصفهم بالسفه وهو
قلة العقل وخفته والسفه الخفة والاحلام جمع حلم بضمتين وهو قلة
العقل ويحط اعلامهم نحا بمهملة مضمومة واعلام جمع علم بفتحتين وهي الراية
الكبيرة والجبل والسيد والاسم المختص والكل محتمل هنا اي ينكس راياتهم
ويهد جبالهم ويذل ساداتهم ويزري باسمائهم والمعنى على كل حال انه
يحقرهم ويقهرهم ليطعن فيهم واظهار رضلا لهم وسوء حالهم ويشتت
نظامهم اي يفرق جمعهم ويبطل آراءهم بجداله وجلاده والنظام ما ينظم
به الدر ونحوها والتشتيت التفريق كما مر فاستعير لما ذكر ويذم آلهتهم
اي اصنامهم التي عبد وها في الجاهلية واباءهم الذين اقتدوا بهم في الكفر
وقالوا انا وجدنا اباانا على امة وانا على اثارهم مقتدون والاباء بالمد

اي افترى

رسم مكرر؟

جمع اب

جمع اب وتستبيح ارضهم وديارهم اي يجعلها مباحة للمسلمين باستيلائهم عليها واجلائهم
عنها واموالهم ما ملكوه من الاثاث والمواشي وغيرها وهم في كل هذا المذكور من التوبيخ
والتسفيه وما بعده الى استباحة الاموال والديار ناكصون يقال نكص على عقبيه
اذا احجم وتاخر فاستعير للاعراض عن معارضته فيما فعله وما اتى به للقران عن معارضته
والاتيان بمثله والجملة حالية من الضمير قبلها محجمون عن مماثلته اي عن الاتيان
بشي مماثل اقصر سورة منه لما تحداهم واحجم كنكص بمعنى تاخر وهو كناية عن
عدم القدرة يقال احجمته فاحجم وهو من النوادر كمثل كببته فاكب يخادعون انفسهم
اي يمنون انفسهم اماني كاذبة ويأملون امالا فارغة ويمكرون مكرا يعود عليهم
بالوبال فكانهم بذلك خادعوا انفسهم فهو كقوله وما يخادعون الا انفسهم وتحقيقه
في الكشاف وشروحه بالتشعيب وهو تفتيح الشق والفتق من الشعب بفتح العين
المعجمة وسكونها والتكذيب اي بادعائهم كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء
به من الحق الذي لا مرية فيه وقيل هو من قولهم كذبته نفسه اذا خيلت له اماني حملته على
اتباع الباطل وهو تعسف لا وجه له والذي غره قوله والاغترا بالافترا هكذا في النسخ
الصحيحة بغين معجمة وراء مهملة ومدة وفي بعضها الاغترا افتعال منه وقال
التلمساني صوابه الاغرا بغير تاء وهو المولع بالحث والتحريض قال تعالى فاغرينا
بينهم العداوة اي الزمناها اقول قال بعضهم اصله من الغرا الذي يلصق به وعلى
هذا فالاغترا من ساقط لما في القاموس من انه يقال اغتراه اذا الصقه والمراد
من ان يعرفهم في اللغة فانه قد وقع فيها ولا حاجة الى انه لمشاكلة الافترا والافترا
الكذب كما تقدم وصيغة الافتعال تفيد مبالغة ليس في المجرد كما قرروه في قوله
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقولهم بالحق متعلق بتعاطي التكذيب ان هذا الا
سحر يؤثر اي ينقل ويروى عن السحرة كاهل بابل وغيرهم وسبب نزول هذه
الاية ان الوليد لما سمع منه صلى الله عليه وسلم حم السجدة قال سمعت من محمد كلاما
ليس بكلام انس ولا جن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل قد صبا الوليد فقال ابن اخيه
ابو جهل لعنه الله انا اكفيكموه فجلس عنده حزينا وكلمه بكلام احماه فقال
لهم تزعمون ان محمدا مجنون هل رايتموه يخنق وتزعمون انه كاهن هل رايتموه يتكهن
وانه شاعر هل رايتموه قال شعرا قالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق
بين المرء واهله وولده فاهتز النادي فرحا وياتي ذكر ذلك كله مبسوطا واعلم ان
السحر كما نقله الاكفاني في ارشاده قد صنف فيه كتب كثيرة اكبرها غاية الحكيم
للمجريطي وهو حقيقي وغير حقيقي يقال له الاخذ بالعيون والى القسمين الاشارة
بقوله سحروا اعين الناس وقوله واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ولما خفيت
اسبابه اختلفت طرقه فطريقة اهل الهند تصفية النفس وتجريدها لانهم
راوا افعالا تصدر عن النفس وطريقة النبط عمل اشيا مناسبة للغرض
المطلوب مضافة لرقية وعزيمة ودخنة في وقت مناسب وتلك الاشياء
تماثيل وتصاوير وعقد ينفثون فيها وكتابة تدفن او تعلق في الهوا وتحرق
والعزائم تضرع للكواكب المؤثرة عندهم وطريقة اليونان تسخير روحانية

في قوله

الافلاك والكواكب دون اجرامها في وقت خاص وطريقة القبط والعبرانيين والعرب الاعتماد
علي اسما وعزايم يحصل له كانهم يخاطبون بها خاصتها لاعتقاد ان فيها تصرف عن الجن بتسخير
الملايكة لها وانواعه ثلاثة الاستخدام والاستنزال والاستحضار وتكون بفقط بتوسط
تلبس الروح بجسد منفعل ينطق بلسانه كصبي وامراة خال عينيه عن الحس ويختص باسم
الاستحضار فانه كان منها ما اختص باسم الجليان انتهي ملخصا او سحر مستمر ابدا ايهم باق
لما راوه من تتابع الوحي عشا طويا او محكم متقن واصله من مر الحبل وهو فتل مرايره
وهي طاقاته او ذاهب غير قار من المرور او مبشع من المرارة وافك افتراه اي كذب
اخترعه واختلقه والافك اسوء الكذب واساطير الاولين اي شي اخذه مما سطره
الاولون وزخرفوه وهو جمع سطر اي صف من الكتابة علي خلاف القياس وقال المبرد
انه جمع اسطورة كارجوحة واراجيح علي القياس او له مفرد مقدر كاسطارة واسطيرة
وقايل هذا هو النضر بن الحارث بن كلدة وفيه نزلت الاية وقتل يوم بدر والمباهتة
بالجر عطفا علي التكذيب وهي بمعني البهتان وهي الكذب الذي يبهت ويدهش سامعه
وكذا قوله والرضا بالدنية بالجر وتبدل فتدغم ومعناه الخصلة الحقيرة الخسيسة
المنحطة التي لا يرضي بها من له عقل ومروة وفسرها بقوله كقولهم قلوبنا غلف
لان ظاهره الوصف بالحماقة وعدم الفهم وهو امر مذموم لا يرتضيه العقل وهو جمع
اغلف اي في غلاف نحو قوله سيف اغلف فهي بمعني في اكنة جمع كنان بزنة كتاب غطا
ومعناها مغطاة وغلام اغلف بمعني اقلف والغلفة القلفة وقيل انه جمع غلاف
واصله غلف بضم اللام ككتب وبه قري ثم خفف بالسكون اي هي اوعية للعلم
مملوة به فلا تحتاج للتعلم منك وعلي الاول معناه لا نفهم ما تقول ولا نعقل
الينا وهذا هو الملايم لكلام المص ولقوله وفي اكنة مما تدعونا اليه وهو القران
والايمان وفي اذاننا وقر اي صمم واصل معناه الثقل والحمل ومن بيننا وبينك
حجاب اي مانع من وصول ما تقوله لنا وفي من ابتدائية اي انه مبتدا وانه استوعب
المسافة المتوسطة بينهما حيث لم يبق فراغ وهو تمثيل لنبو قلوبهم عن
ادراكها ما دعاه له ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم له وقال
الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران اي لا تصغوا وتنصتوا له والغوا فيه بفتح الغين
المعجمة وضمها من لغي يلغي ويلغو والاول اصح وهو المروي به والمراد هنا رفع
الاصوات باي كلام كان حتي لتشوش علي قاريه فينقطع قراته او يمنع من استماعه
واللغو الكلام ما لا يعتد به وهو من اللغا وهي اصوات الطيور يقال لغي لغوا
ولغا وقد يسمي كل كلام قبيح لغوا قال تعالي لا يسمعون فيها لغوا اي قبيحا كما
قاله الراغب وانما فعلوا هذا العجزهم عن معارضته لعلكم تغلبون قاريه
بقطع قراته فغلبتهم انما هي بالجهل والسفه كما هو شان العاجز المعاند في
دينه لا ترتجي والادعا محروم كالذي قبله مع العجز نحو لهم لو نشا لقلنا مثل
هذا وهذه وقاحة لفرط عنادهم ومكابرة ولو استطاعوه ما منعهم ان ياتوا
وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشرين سنة ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا
مع اتساع ميدانهم من ان يغلبوا خصومهم في الفصاحة وقايل هذا هو النضر

ابن الحارث

ابن الحارث ايضًا لكنه اسنده الي الجميع كاسناد فعل الرجل الي الرؤسين او علي حذف قولهم
بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم وقد قال لهم الله تعالي مكذبًا لهم ولن
تفعلوا فنفي قدرتهم في المستقبل فلو قدروا والحمية تهم لفعلوا ولم يفعل فلن تأتوا بسورة
من مثله لما فيه من الكناية والايجاز فما فعلوا ولا قدروا فنفي الفعل ظاهر والقدرة
في الانسان قوة غير محسوسة فنفيها يعلم من انهم تحدوا وعيروا فلم ينطقوا ببنت
شفة مع شدة غيرتهم واشتعال نار حميتهم ومن تعاطى ذلك اي فعله وتكلم بما توهمه
معارضة واصل معناه المناولة من سخفا بهم ممن له طيش وقلة عقل كمسيلمة
تصغير مسلمة فلامه مكسورة وميمه مضمومة والعامة تفتح لامه وهو خطا منهم
والمهير المعرب وهو كذاب يضرب به المثل فيقال اكذب من مسيلمة وهو ابن حبيب
اليمني من بني الحنفية قبيلة وهذا لقبه واسمه هارون ويقال له ابو ثمامة
وكان وفد علي النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسلم حتى قتله خالد بن الوليد في خلافة
ابي بكر رضي الله عنه وقيل قتله وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وكان له حيل
ونيرنجيات يوهم انها معجزات وارسل للنبي صلى الله عليه وسلم مكتوبا صورته
من مسيلمة رسول الله سلام عليك اما بعد فاني قد اشركت معك بان لنا نصف الارض
ولقريش نصفها ولكن قريشا يعتدون علينا فاجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكتب اليه من محمد رسول الله الي مسيلمة الكذاب سلام علي من اتبع الهدى اما بعد
فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين انتهى ومن هذيانه
الذي زعم انه وحي نزل عليه والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والطاحنات
طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا ضفدع بنت ضفدعين الي كم تنقين لا الما
تكدرين ولا الشراب تمنعين الي غير ذلك مما تمجه الاسماع وتستقبحه الطباع
فكشف عواره في نسخة بدون فا وانثنى لها اخرس اي اظهر قبح ما قاله من الكلام السخيف
الركيك عييد وحماقته وهو بضم العين المهملة بزنة غراب علي الافصح واخره را
مهملة وبفتح العين ايضا وقيل انها الافصح لجميعهم اي العرب ممن سمعه
وقد نقل صاحب الدلائل منه كلاما كثيرا وشرحه ولا حاجة لتسويد وجه الصحف
به والعوار ماخوذ من عور العين وفيه اشارة الي ما نقل من انه مسح عين من استشفى
بمسحه فابيضت عينه وسلبهم الله اي اخذ منهم والضمير لمن وجع نظر المعناه
ما الفوه اي اعتادوه وبطباعهم من فصيح كلامهم بيان لما ارادوا المعارضة لم يقدروا
علي كلام مثل كلامهم قبله وليس هذا قولا بالصرفة كما توهم لان من قال هذا ليس له دبجي
مرقة وهذه الجملة معطوفة علي جملة ما فعلوا وليست الواو للمعية ولا حالية
كما قيل والا اي وان لم يسلبهم الله فصاحتهم المالوفة فلم تخف علي اهل الميز
بفتح الميم وسكون التحتية والزاي المعجمة اي التمييز والعقل وزاد الفاء في الجواب
لانه مامن لفظا ومعنى او بتقدير المبتدا اي فهو لم يخف الخ ووجهه دفع
توهم كونه الا استثنائية فاندفع ما قيل ان الصواب اسقاطها لصحة مباشرة عوض
الشرط تقاد مارة بمبيزه اذا ميزه اي لو نظر تلك الجمل وما زها ظهر انه كلام
مارق وما زهي انه ليس من نمط فصاحتهم بفتحتين ونون وميم وطاء

مهملة اي من نوع الفصاحة وعلى طريقتها التي اعتادها فانه معجز خارق عن طوق البشر
وتمييز انه للقران ثم قال عندي متاع من هذا النمط وهذا ابلغ من ليس مشبها لانه نفي
عنه كونه من جنسه ولا يجنس بلاغتهم لركاكته وقباحته بل ولوا عنه مدبرين
اعراضا عن مثله ومدبرين اي معرضين حال مؤكدة لولوا المعنى رجعوا واعرضوا
وانوا مذعنين بذال معجمة وعين مهملة اي منقادين مسلمين والاذعان الانقياد
واما الملاقة على العلو في قولهم اذعان النسبة تصديق قوله ليس من كلامهم من
بين مهتد اي مصدق بحقيقته واعجازه لهداية الله له وبين مفتون متحير في امره
منكر لاعجازه ومنه لف ونشر مشوش ولهذا اي لكونه ليس من نمط كلامهم لما سمع
الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان
الاية لما ساله ان يقرا عليه شيئا من القران لينظر في امره وقرا هذه عليه دون الآية
غيرها لمناسبتها له لانه من اقاربه وفيها عظة له وتنبيه وهو من رؤسائهم
وجبابرتهم لكن ان يهديه الله للاسلام قال السيوطي وهذا الحديث رواه البيهقي
عن عكرمة مرسلا وفي المغني في الاحيا في اداب تلاوة القران حديث ان خالد بن
عقبة جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرا علي فقرا عليه ان الله يامر
بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الاية فقال اعد فاعاد فقال ان له لحلاوة
الى اخر ما ذكره المص هنا وكذا ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير اسناد ورواه
البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد الا انه قال ان الوليد بن المغيرة
بدل خالد بن عقبة كما قاله المص وكذا ذكره ابن اسحاق في سيرته فان صح فلعلهما قضيتان
والوليد والد خالد بن الوليد والمغيرة بضم الميم وكسر الغين المعجمة هو ابن
عبد الله المخزومي وبا في نسبه معروف مات كافرا وترجمته معروفة قال لما سمع
ما تلاه عليه النبي صلى الله عليه وسلم والله ان له اي لما تلا لحلاوة اي عذوبة
فصاحة عند من له ذوق فهو استعارة لما يستلذه السمع وان عليه لطلاوة
بضم الطا وتجوز فتحها لغة وشاكلة وتكرا ايضا فهو مثلث ومعناها الحسن والقبول
والرونق وجا بمعنى السحر ايضا وهو استعارة كالذي قبله واكده بالقسم وان
والاسمية وقدم الخبر للحصر اشارة الى انه لا يشبهه غيره من الكلام وان اسفله
لمغدق بلام التوكيد وضم الميم وسكون الغين المعجمة وكسر الدال المهملة كما في
النسخ كلها من الغدق بفتحتين وهو كثرة الماء ورواه ابن اسحاق وان اصله لغدق
وان فرعه لجناه والعذق منه بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة هو النخلة
التي اصلها ثابت ورواه ابن هشام لعذق بفتح المعجمة وكسر المهملة من الغدق
بفتحتين قال السهيلي ورواية ابن اسحاق افصح لانها استعارة تامة فيها
اجزا الكلام تشبه اوله والجناه بفتح الجيم والنون الثمر وان اعلاه لمثمر اي له
ثمر طيب كثير والجملة الثانية بتمامها استعارة تمثيلية والمراد انه كلام اصله قوي
ليس من جنس كلام البشر ومعانيه مفيدة مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة
وهو كقوله تعالى ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما
او استعارتان تمثيليتان واراد باسفله ما تضمنه من المعاني كما يقال تحت هذا

الكلام

الكلام معان غزيرة واراد باعلاه ما ينتجه من الفوايد والعوايد التي تظهر من فهم
معانيه وينتفع بها فشبه الكلام لفصاحته وبلاغته بشجرة مثمرة عروقها ما غزر وافاقت
وربت واينعت ثمراتها وكثرت وعذبت ويجوز ان تكون مكنية وتخييلية قلت
اختلاف الروايات يدل على تعدد القضية ثم بني على هذا قوله ما هذا بقول بشر
لانه لا يشبه كلامهم بوجه من الوجوه وفي نسخة ما يقول هذا البشر بصيغة المضارع
اي ليس من كلام البشر لحلاوة نظمه وبديع اسلوبه وبلاغة معانيه وجزالة مبانيه
يعني انه ليس مفترى مختلقا وخص البشر لانهم المعروفون بالبلاغة والا فهو معجز
للجن ايضا مع ان في هذا الخبر المصرح بذلك بحثا قال وليس بشعر فما فيكم رجل اعلم
بالشعر مني ولا اعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول
شيئا من هذا وانه ليعلو وما يعلى وانه ليحطم ما تحته كما رواه البيهقي في الدلايل
ثم انه روي العزيري ان القاري على الوليد عثمان بن مظعون لا النبي صلى الله عليه وسلم
كما رواه المصنف فان عثمان رضي الله عنه قال ما اسلمت ابتدا الا حياء من رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى نزلت ان الله يامر الاية وانا عنده فاستقر الايمان في قلبي فقراتها
على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخي اعد الي اخر الحديث وهذا يؤيد ما سبق من
تعدد القضية وحكى ابو عبيد القاسم بن سلام بتشديد اللام الامام في الفقه والحديث
واللغة البغدادي الحبر الهمام الجليل اخذ عن الشافعي وغيره وكان عبدا رومياً
لرجل من هراة واحواله وترجمته معروفة توفي سنة اربع او ثلاث وعشرين ومايتين
ان اعرابيا سمع رجلا يقرو فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين اي اجهر بما امرت
بتبليغه ولا تبال بما يقولونه وما موصولة او مصدرية واصل معنى الصدع
التفريق والتمييز فاستعير لما ذكر لتفريقه بين الحق والباطل وما قيل من انه لا يجوز
ان تكون مصدرية لانه بمعنى امرك وهو مصدر مبني للمفعول والصحيح عدم
جوازه ولا موصولة لانه يحتاج لتقدير العايد اي تؤمر به ولا يجوز الا اذا جر بما
جر به الموصول واتحدا متعلقا والاول متعلق باصدع والثاني بتؤمر تهوين قايله
وان سبقه اليه بعض المعربين لان الخلاف في المصدر الصريح لا في ان والفعل كما في
هذه الاية ولانه انما حذف العايد بعد حذف الجار ونصبه فسجد الاعرابي
لما ادهشه من بلاغته وقال سجدت لفصاحته اذ ليست اية سجدة وانما هزه
العجب لفصاحته حتى ذل وخر وحمد في التراب وكان هذا متعارفا في مثله حتى قال
بعضهم للشعر سجدات وليس المعنى سجدت لله لاجل فصاحته كما توهم وضمير فصاحته
للكلام المقرو لا لقاريه كما توهم لانه لا يناسب المقام وسمع اعرابي اخر رجلا يقرو
قوله تعالى فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا اي لما يئسوا من يوسف عليه الصلاة
والسلام وزيدت السين والتا للمبالغة في الياس وخلصوا بمعنى اعتزلوا
وانفردوا ونجيا بمعنى متناجين في تدبير امرهم وهو يطلق على الواحد المذكر وغيره
فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام لاعجاز بلاغته وخروجها عن
طوق البشر فانك اذا وزنت قولك لما لم يطعمهم يوسف عليه الصلاة والسلام
ولم يجبهم ذهبوا وتشاوروا فيما يقولون بعد هذا وكيف يرجعون لابيهم

عرضي

سفاقسي

ابن الفرس
عرضي

لهذا النظم عرفت بالذوق انه لا مناسبة بينهما ولولا خوف السامة فصلنا وجوه البلاغة
فيها وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان نايما بالمسجد اي مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينة والظاهر ان مراده بقوله نايما مضطجعا لا النايم فانه يستعمل كثيرا
لهذا المعنى لقوله وعلى راسه قايم اي في جانب راسه رجل منتصب القامة وليس المراد
انه واطي لراسه وهو حقيقة عرفية في مثله والجملة حالية والضمير لعمر رضي الله عنه
وفي نسخ فاذا هو بقايم على راسه فاذا للمفاجاة والبا للملابسة يتشهد شهادة الحق اي
يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاستخبره اي طلب عمر رضي الله عنه منه
الاخبار عن سبب تشهده وعن حاله فاعلمه ذلك الرجل المتشهد انه من بطارقة الروم
بطارقة جمع بطريق بكسر الرا معرب بترك ومعناه الرئيس وقايد الجيش وقد تكلمت به
العرب قديما قال الجواليقي في كتاب المعرب البطريق بلغة الروم هو القايد للجيش
وجمعه بطارقة وقد تكلموا به ولما سمعت العرب بان البطارقة اهل رياسة وسموا
الرئيس به يريدون المدح قال ابو ذويب

هم رجعوا بالعرج والقوم شهد ❊ هوازن تحدوها حماة بطارق

وهذا يقتضي ان بطريق هو المعرب وهو المعروف وقال ابن خالويه في كتاب ليس
البطرك معرب بطريق عربية العرب قديما قال

يعلو الطواهر فرد في الثلاث له ❊ كبطرك قد مشى في عبط كتان

وهذا مما يتعجب منه لحريره والروم جيل من الناس معروفون سموا باسم جدهم روم
ابن عيصو بن اسحاق وكان اصفر فلذا قيل لهم بنو الاصفر والواحد رومي وقد رد
الجوهري راي غلط منه بمن يحسن كلام العرب وغيرها من العبرانية والسريانية
والرومية وانما قال هذا لو طرفه لانه يفهم القران والانجيل ويقدر على النظر
في معانيهما ولذا قال وانه سمع رجلا من اسارى المسلمين بفتح الهمزة وضمها جمع
اسير واصله من الاسر وهو الشد بالقيد ثم عم لكل من اسر وصار في يد عدو
يقرو اية من كتابكم ايها المسلمون يعني القران فتاملتها اي نظرت بفكري في
معناها فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام
في الانجيل من احوال الدنيا والاخرة بيان لما اي من الاحوال التي تلزم العبد في
الدنيا التي هي سبب للفوز والنجاح في الاخرة وهي اي الاية التي سمعها قوله
عز وجل ومن يطع الله ورسوله في امره مما فرض وسن ويبعد عن نهيه ويخش
الله ويتقه اي يخافه ويجتنب ما يستوجب عقوبته فاولئك هم الفايزون بسعادة
الدارين وقوله جمع بالبنا للمفعول ويجوز بناوه للفاعل ويقرو بالافراد فاعله
ضمير رجل وقيل انه روي يقرون بضمير الجمع للاسارى وهو محتاج للتكلف وحكي
الاصمعي بفتح همزة ساكنة وميم مفتوحة وعين مهملة وهو عبد الملك بن
قريب بالتصغير ابن اصمع وهو لقب جده ومعناه صغير الاذن وهو امام اللغة
والنحو والادب والنوادر ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائة وتوفي بها
سنة عشر ومايتين انه سمع جارية اي امراة شابة من العرب تتكلم بكلام فصيح
فقال لها قاتلك الله ما افصحك لتعجب من فصاحة لسانها وبالغ في تعجبه

ما لها

والها ايضا للتنبيه اي بامر بديع عجيب وهي في الاصل جملة دعائية يراد بها شدة الاستحسان
كانه يقول ليستحق ان يحسد ويدعى عليه فقالت او بفتح الهمزة الاستفهامية والواو
العاطفة والهمزة مقدمة من تاخير او داخلة على مقدر معطوف عليه وبعد بالكيا التحتية
يجود او الفوقية معلوم هذا الكلام فصاحة اي فصيحا بعد قول الله اي مع فصاحة
القران لا يقال لكلام غيره انه فصيح لمن سمعه فانه ازرى بكل فصاحة فصيرها كالعدم
كالمتاع النفيس اذا انتشر بجنب ما هو اعظم نفاسة منه فانه يعد غير نفيس كما قيل

ولا قبح فيها غير ان جمالها يصير كل الغانيات قباحا

واوحينا الى ام موسى اي الهمناها او اريناها مناما ان ارضعيه الاية اي فاذا خفت
عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين جمع في
اية والجملة بين امرين ارضعيه والقيه ونهيين لا تخافي ولا تحزني وخبرين اوحينا
وخفت عليه وبشارتين رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين والمراد بالفصاحة هنا
البلاغة فانها تطلق عليها كما ذكره الشيخ عبد القاهر فهذا اي الجمع بين ما ذكر في اية
واحدة نوع من اعجازه اي القران منفرد بذاته اي مستقل بنفسه غير محتاج لغيره غير
مضاف لغيره اي غير تابع لنوع غيره من البلاغة على التحقيق لما في الواقع عند من
عرفه والتصحيح من القولين بالجر معطوف على التحقيق والظاهر ان مراده بالقولين
هنا كما قاله بعضهم القول بان اعجاز القران هل هو لمجموع بلاغته واسلوب
نظمه او هو متحقق بكل واحد منهما على حدته وانفراده بدون اضافة احدهما الى
الاخر فان كلا منهما خارق للعادة خارج عن طوق البشر وهذا هو المتبادر من سياقه
وقيل المراد بالقولين القول بان اعجازه ببلاغته التي لا يرتقي احد الى رتبتها والقول
بانه معجز بغير ذلك كالصرفة والاخبار بالمغيبات ولا شك في ان من يقول باعجازه
لبلاغته واسلوبه يقول ايضا انه بالنظر لمعناه ايضا اذ لا يمكن قطع النظر عنه كما
قاله العلامة الزركشي في برهانه اذ قال اكثر المحققين على ان الاعجاز من جهة البلاغة
لكن تعذر الاحاطة بتفصيلها فان اجناس الكلام مختلفة ومراتب البيان متفاوتة
فمنها البليغ الرصين الجزل والفصيح القريب السهل والجائز الطلق الرسل
وهذه اقسامها المحمودة والاول اعلاها والثاني اوسطها والثالث ادناها وقد
حازت بلاغة القران من كل شعبة فانتظم له نمط جمع الفخامة والعذوبة وهما
كالمتضادين لان العذوبة نتاج السهولة والمتانة والجزالة يعالجان الوعورة
فكان اجتماعهما فضيلة خص بها القران ليكون اية بينة وانما تعذر على البشر لانه
علمهم لا يحيط بجميع اللغة العربية وظروف معانيها وافهامهم لا تدرك جميع معانيها
ووجوه نظمها فيتخيرون احسنها حتى ياتوا بمثله وانما يقوم الكلام بلفظ حامل
ومعنى عليه قايم ورباط له ناظم فاذا تاملت القران وجدته استوفى ذلك كله
ورقى لاعلى درجاته وهذا لا يتيسر لغير العليم القدير فانما صار معجزا لانه جاء باحسن
الالفاظ وابدع النظم والتاليف واصح المعاني من الدعا للتوحيد وطاعة الرب المجيد
والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد الى محاسن الاخلاق والزجر عن
مساويها واضعا كل شيء في موضعه بحيث لا يرى محلا اولى من محل مودعا فيه مثلات

تلمساني

أكثر الشراح والعرضي

اخبار القرون الماضية منبئاً بالحوادث المستقبلة ان ما لها جامعا للحجج والحجج له
المؤكدة للزوم ما دعي له ولا شك ان استيفا هذه الامور متسقا احسن لتسق لا يمكن
لغيره عز وجل وكون القران من قبل النبي صلى الله عليه وسلم بكسر القاف وفتح الباء
الموحدة واللام اي من عنده قال تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين ويستعار للقوة
والقدرة على المقابلة اي المجازاة فيقال لا قبل لي بكذا ومنه قوله بجنود لا قبل لهم
بها والمراد كونه بلغه فقوله وانه اي به عطف تفسير فليس المراد انه كلامه صلى الله
عليه وسلم معلوم ضرورة للتواتر وتوفر الدواعي على نقله وكذا اكوله صلى الله عليه وسلم
متحديا اي طالبا منهم الاتيان بمثله معلوم ضرورة لسماعهم له وكذا عجز العرب عن
الاتيان به اي بمثله معلوم ضرورة لمشاهدتهم له وكذا كونه في فصاحته في سببية
مستعارة استعارة تبعية بتشبيه السبب بالظرف المتمكن فيه خارقا للعادة اي مخالفا
للعادة فصحا العرب في كلامهم الفصيح من قولهم خرق الصف اذا تجاوزه وتعداه
معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة اي انواعها ومقاماتها
المقتضية لها لعجزهم عن معارضته وقد طلب منهم ذلك مرارا لا يخفى وهم احرص
الناس على ذلك وسبيل من ليس من اهلها اي طريق من ليس من اهل الفصاحة الجبلية
الموصلة لمعرفة اعجازه كالمولدين والعجم علم ذلك اي الاعجاز واسم الاشارة قائم
مقام الضمير بعجز المنكرين من اهلها لاعجازه وانه ليس من كلام البشر اذا تحدوا عن معارضته
والاتيان بمثله وعن متعلق بعجز واعتراف هو في الاصل افتعال من المعرفة صار
بمعنى الاقرار بما عرفوه وقوله المقرين بانه كلام الله المعجز من اقامة الظاهر مقام
الضمير باعجاز بلاغته لهم ولغيرهم عن ان يرتقوا ابنيته شعفه الا من غلبت عليه
الشقوة وتعلق هذا بما يجد بضده دا اظهر من الشمس وانكاره مكابرة وقوله سبيل
مبتدا او علم بزنة مسك خبره مصدر علم يعلم والمبتدا معرفة باضافته لمن الموصولة
والخبر باضافته لاسم الاشارة وللارباب الحواشي هنا خبط يتعجب منه فمنهم من قال علم
مجرور بدل من من الموصولة وذلك مفعوله ومعجز الخ خبره اي سبيل علم من ليس
اهلا ذلك اي كونه خارقا للعادة هو بعجز الخ واعجب منه قولهم ان علم بفتح العين
وسكون اللام مصدر علامة من علمت شفته اذا انشقت فهو اعلم وبعجز متعلق به
وقيل علم فعل ماض مبني للمجهول او للمعلوم وهو تخليط لا داعي له ثم ذكر ايات استوضح
بها ما قدمه فقال وانت اذا تاملت اي امعنت النظر ودققته كمن ينظر لماله
فيه امل وانت فاعل فعل مقدر يفسره ما بعده على حد قوله اذا السما انشقت ان
من معتاد دخولها على الجملة الاسمية قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وما اودع
فيه من البدايع الروايع مع لطايف الايجاز وانوار الاعجاز الساطعة من مشكاته
ومن شموخ عز وقعه في الفصاحة وحلاوة ثمرات بلاغته في الذوق وما اشتمل عليه
من بديع البديع كالاعراب بجعل القتل الذي هو ضد الحياة ظرفا لها لان من علم
انه اذا قتل اقتص منه كف عنه فكان سببا لحياة من يهم بقتله وهو اوجز مما
عدوه من افصح كلامهم وهو قولهم القتل انفى للقتل مع ما فيه من التكرار والقتل
مطلقا لا ينفيه بل القصاص لتصريح بالمعنى المراد اذ القتل قد يكون ظلما وفيه كلام

وفوايد

ابن افترس

الزرقاني وتبعه ابن
افترس والتلمساني

وفوايد كثيرة في شروح الكشاف والمفتاح والهمزة تدل على التبجح ولا افوه البعير تدل على
البعير لما فيه من خاسة سوء الادب وقوله ولو ترى اذ فزعوا من حلول الاجل اومن تعنيهم
من القبور او في يوم بدر فلا فوت واخذوا من مكان قريب اي من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف
الى النار او من صحرا بدر الى قليبها وفي هذه الاية من الايجاز والبلاغة وعذوبة الالفاظ
ما يعرفه من له بصيرة وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن اي ادفع سيئة من اسا اليك
بالحسنة التي هي احسن من كل شيء حسن او باحسن ما يمكن دفعه ولا حاجة الى القول بان احسن
بمعنى حسن وعدل عنه للمبالغة فانظر ما في هذه الاية من الايجاز بحذف مفعول احسن
وهو السيئة لانه لا يدفع الحسن ولطف المعنى وما تضمنه من المبالغة ومكارم الاخلاق
وهذا كقولهم احسن الى من اسا كفى المسيء فعله وفي طي ذكر السيئة نكتة سنية واما
دعوى المناسبة للمقام بما فيهما من دفع الصايل وتكلف المناسبة بينهما وبين قوله وقوله
تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سما اقلعي فبعيدة بمراحل وتكلف من غير طايل
وفي هذه الاية من البلاغة المعجزة مع الايجاز انه خاطبهما كما ينادي العقلا وامرهما
بما يؤمرون به تمثيل لباهر قدرته وعظمته لانقيادهما لما اراد كالمامور المطيع المبادر
للامتثال حذرا من سطوة امره والبلع استعارة للجفاف والاقلاع الامساك وفيها
لطايف اخر مفصلة في شرح المفتاح الاية وتمامها وغيض الما وقضي الامر واستوت
على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين وقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه ممن ذكر قبله
من المكذبين اخذنا بذنبه اي عاقبناه به فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا اي ريحا
عاصفة فيها حصبا وهي الحجارة الصغيرة او ملكا رماهم بها وهم قوم لوط عليه
الصلاة والسلام الاية وتمامها ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض
ومنهم من اغرقنا والاول قوم ثمود ومدين والثاني قارون والثالث قوم نوح
وفرعون وفي الاية من وجوه البلاغة الاجمال والتفصيل وحسن السبك والنظم
والاعلام باحوال من مضى للاعتبار والايجاز والانسجام الرائق واشباههما اي
ما يشابهها مما ذكر في البلاغة ووجوه الايجاز من الاي اسم جنس جمعي ككلم وكلمة او اسم
جمع وهو منصوب معطوف على مفعول تاملت ثم اضرب بيانا لانه لا ينحصر في
ايات مخصوصة مشيرا الى وجوه من الايجاز فيها فقال بل اكثر القران وجواب
اذا قوله حققت ما بينته لك انفا من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها مع لطايف
ودقايق ولطايف ديباجة عبارتها قيل معنى الديباج نوع من الحرير له وبه يقال
فلان يلبس الديباج ويركب الهملاج وقيل انه معرب فاصله ديباز زيد فيه الجيم
كما يقال في فولون وهو من الامعا فولنج ثم استعير فقالوا دبج المطر الارض
اذا زينها بالنبات والرياض وفلان يصون ديباجتيه اي خديه وفي ضده يبتذلهما
ومنه اخذ ديباجة الكتاب والقصيدة لاوله والحواميم ديباج القران اي رياضه
التي يرتع فيها القارئ فالمراد حسن عبارته وفيه استعارة مكنية وتخييلية شبهت
العبارة بجميل وانبت له الديباج بمعنى الرياض والنبات ثم كنى به عما من حسن تاليف
وفصاحة حيث كانت سالمة من التنافر والثقل وحسن تلاؤم كلماتها بالهمز وقد تبدل
بافتعال تلايم وملايمة اي مناسبة وموافقة واما ابدالها واوا فهو خطا من رسم

اي اقطعي

يبتذلهما

الجرة بالواو لان الملاومة مفاعلة من اللوم فقراة بعض المحدثين له بالواو لحن يعني ليس
فيه تعقيد ولا ضعف تاليف وتنافر كلمات وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة اي فيها معان
كثيرة وفوايد عزيزة وجعل ما يدل عليه تحته تجوزا وفصولا جمة اي انواعا كثيرة من
محاسن الكلام كما يقال جعل الكلام فصلا فصلا والجم الكثير وغاير بينهما تفننا كقوله وعلوما
زواخر براي وخا معجمتين بعد را مهملة اي علوما كثيرة كالبحار الزواخر من زخر البحر اذا كثر
ماوه وارتفعت امواجه ففيه مكنية وتخييلية ويجوز ان تكون تشبيها بليغا واستعارة
مصرحة وزواخر ممنوع الصرف وما في بعض النسخ من تنوينه للتناسب لا وجه له مليت
الدواوين اي امتلات كتب التفسير وغيره من الفنون من بعض ما استفيد بالبالي منها او
اي اخذه كل باحث عنه بحسب فهمه واذا ملاها بعضه فكله لا يمكن حصره ولا يحويه
كتاب كما قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
ودواوين جمع ديوان وهو الكتاب وقد تقدم الكلام عليه وكثرت المقالات اي كلام
الايمة والمصنفين في المستنبطات منها اي في المعاني والاحكام المستخرجة بطريق الاشارة
والدلالات الالتزامية وهو من قولهم استنبط الماء من البير اذا استخرجه فما استفيد هو
ما دل عليه صريحا وما استنبط غيره ثم هو اي القران وعطفه بثم لتراخي رتبته عما قبله
في سرد القصص لطوال اي ذكرها في اثنايه مستعار من سرد الدرع لنسجه والاخبار
القرون السوالف معطوف على القصص جمع قصة والمراد بالقرون السوالف الامم
المتقدمة على عصر النبوة من سلف بمعنى تقدم والقرن مدة من الزمان مختلف فيها
والمراد اهله التي تضعف في عادة الفصحا عندها الكلام صفة للقصص والاخبار اي
انها لطولها اذا اريد ذكرها بتمامها يصعب على الفصيح حكايتها وتضعف نطقها عن
ادايها واجمالها من لا يفعلها لا تفيده فايدة يعتد بها وليس المراد انه واقع في الخارج
بعجز الفصيح عن مطابقة حكايته له ويذهب ما البيان اي رونقه وحسنه لانه
لطولها قد لا تناسب كلماته ويتسق نظامه ويحكم ارتباطه والبيان ايضاح المعاني
وهو معطوف على تضعف الصلة وفيه عايد مقدر كالذي قبله اية لمتامله اي
علامة بينة لمن تامل نظمه وسرده القصص والاخبار واية خبر المبتدا الذي هو
ثم هو او مبتدا مؤخر والجار والمجرور خبر مقدم والجملة خبر هو والرابط الالف
واللام القايمة مقام الضمير اي هو في سرد قصصه اية لمن تامله حق التامل وقوله
من ربط الكلام صفة لاية ومن بيانية او متعلق بمقدر اي تظهر كونه اية دالة
على اعجازه من ارتباط الكلام بعضه ببعض بالجر بدل من الكلام اي من كون اجزايه
الى غاية التناسب حتى كان كل كلمة مرتبطة باختها والتيام سرده بالهمز والياء اي
مناسبة كلماته المسرودة اي المتتابعة كحلق الدرع الداخل بعضها في بعض
مع فصاحتها وحسن تاليفها وتناصف وجوهه المراد بالوجوه انواع بلاغته
من الاستعارة والكناية وتناصف تفاعل من النصفة والانصاف يقال اعتناوه
متناصفة حسنا اي لا يفضل حسن بعضها على بعض وهو من بليغ الكلام الذي
لا يعرفه الا من ذاق حلاوة العربية كما اشار اليه المبرد رحمه الله تعالى في الكامل وقال
الشاعر ❁ لما عرضنا الى تناصف وجهها ● عرض المحب الى الحبيب لاود ❁

عرضي

وامنر

واصل معنى الانصاف المواساة ونحوها كما يكن يعطيه نصفا وياخذ نصفا ومن ظن عدم تغاير هذه
المعاني فقد وهم كقصة يوسف عليه الصلاة والسلام على طولها فقصها الله تعالى على اعجب ترتيب
وابدع تهذيب بحيث لم يغصب ما بيانها ولم يخل بعقد نظامها موشحة الهوادي بالاعجاز على اصح
نمط واوضح نهج ثم اذا تردد فيها اي اذا كررت قصته المذكورة في القرآن من قولهم فلان يتردد على فلان
اذا كان يكثر الاتيان اليه كقول بعضهم

اذا كنت لم اكثر زيارة حبكم فتحسبني لكم بعد تردد

اي ما كرر من قصص القرآن ليس تكرارا مخلا اذ قد اختلفت العبارات عنها فذكر من كل مكان
معنى مترتب له مثلا غير المكان الاخر وحكيت بعبارات مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى واحدا
على كثرة ترددها وتكرارها والجار والمجرور حال من ضمير عنها وهذا من عظيم قدرة قائلها وحكي
عن ابن عباد رحمه الله انه مات له ولد فاشتد حزنه على فقده فلما صلوا على جنازته ذهب في
جمع عظيم قام الناس لتعزيته فلم يعد عيادة للتعزية لهم مع كثرتهم وكونه في حالة حزن
والوحي تعجب الحاضرون من بلاغته حتى تكاد كل واحدة من القصص المكررة تنسي في البيان
صاحبتها يعني ان سامعها كانه انما سمعها الآن ولم يسبق لها ذكر قبل ذلك لان العبارة غير الاولى
والسياق ومناسبة المقام تفيد فوائد اخر وتجدد لمن سمعها حظا عظيما العبارة المغايرة
لما تقدمها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها لتفاوتهما باعتبار المقامات المحكية فيها
كقصة آدم وحوى وموسى عليه الصلاة والسلام مع بني اسرائيل ولا نفور للنفوس
من ترديدها وتكريرها وهذا اشارة الى الجواب عما قاله بعض الطاعنين في القرآن بان
فيه مكررات كثيرة وهو مما ينفر الطبع السليم ولا معاداة لمعادها اي لا تعادي الطباع
المكررة المعاد في القرآن من قصصه كما قال الشاعر طبع النفوس معاداة المعادات
وفيه تلميح لما ذكر وتجنيس لطيف

## فصل

الوجه الثاني من وجوه اعجاز
القرآن من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب اشارة بالاسلوب والصورة
الى رشاقة عباراته وفخامة معانيه وهذا باعتبار نظمه وطريقه الوارد فيهما فانه مع
الرقة لا يشبه الشعر ولا الخطب ولا غيرها مما كان عادتهم ومحاوراتهم فرق الاسماع
نوابغ فوائده وهذا احسن مما قيل انه بحسب المعنى راجع للاول لان حسن البلاغة
والنظام كله راجع لصورة نظمه فان قيل ان قوله المخالف لاساليب كلام العرب مغن
عنه قلت لا لان قوله الخارق للعادة بمعناه انتهى والاساليب جمع اسلوب وهو الفن
والنوع وفي كلامه اشارة الى ان الاعجاز ليس مداره على الالفاظ ولذا عبر بالنظم دون
اللفظ فان عبد القاهر توخي المعاني على حسب الاغراض التي صيغ لها الكلام لا توالي في
النطق وضم بعضها البعض كيف ما اتفق ومناهج نظمها ونثرها مجرور معطوف على اساليب
اي مخالف لمناهجها جمع منهج وهو الطريق اي لا يشبه كلامهم المنظوم وهو الشعر ولا
المنثور من الخطب وغيرها الذي جاء عليه صفة نظمه اي النظم الذي جاء عليه من عند
الله واردا على اسلوبه العجيب الذي لا يشبه كلام البشر ووقفت مقاطع آيه جمع آية
مضاف لضمير القرآن وفي نسخة آياته والمقاطع جمع مقطع وهو آخر الكلام الذي
يقف عليه القارئ وقفا تاما او كافيا واسناد الوقف اليها مجازي والواقف انما
هو القارئ وهو بمعنى انتهت ووصلت ولذا عداه بالى وهو معطوف على الصلة

ابن الحبوس

وانتهت فواصل كلمات آياته وفي بعض النسخ وقوفت مطالع آيه عليه والفواصل جمع فاصلة
وهي الكلمة الاخيرة من الفقرة ونحوها والضمير للموصول بتقدير مضاف الى اخره قالوا
لا يقال في القران انه سجع وانما يقال فواصل لقوله فصلت اياته ولم يوجد اي لم يسمع
كلام بليغ قبله ولا بعده نظير له يماثله في بلاغته وعلو مرتبته وغرابة اسلوبه ولا
استطاع وقدر احد يماثله شي منه بان ياتي بكلام ما يشبهه في الجزالة والبلاغة
بل حارت فيه عقول لهم فوقعوا في الحيرة فالعناد يمنعهم من الاعتراف وظهور العجز
يكذبهم في قولهم انه مفترى او سحر ونحوه مما لا يقبله الطبع وتدلهت به دونه احلامهم
بفتح الدال المهملة واللام المشددة اي دهشت وتحيرت في شانه بنوع ما قبله وفي
نسخة تولهت بواو بدل الدال من الوله وهو الحيرة ايضا والاحسن ان يفسر التدله
بذهاب العقل من الهوى فيكون ترقي من حيرته الى ذهابه ودونه بمعنى ما لم يبلغ
منزلته كما في قوله تعالى لا تتخذوا بطانة من دونكم والاحلام جمع حلم وهو بمعنى
العقل وله معان اخر يعني ان عقولهم لم تصل اليه اذا تحيرت فيما هو اقل منه وكيف
به ولم يهتدوا الى مثله اي لم يستمعوا به من فصحائهم ولم يقدروا على الاتيان بشي يماثله
او يقرب منه في حسن كلامهم الذي يقدرون عليه وتبغي به قواهم البشرية من
نثر كالخطب والرسايل او نظم من القصايد والفقر او سجع وهو الكلام المقفى
غير المنظوم وهو يطلق على مجموع هذا او على الكلمات الاخيرة من النثر وتطلق
على الاتيان به وبمعنى التوافق الواقع فيه او رجز وهو نوع من الشعر معروف
وافرده بالذكر مع دخوله في النظم لانه خلافه في عدم التزامهم رويا واحدا
فعد نوعا مستقلا من الكلام افرد باسم يخصه ولم يعده بعضهم من الشعر
حتى سمي قايله راجزا لا شاعرا او شعر لو لم يذكره كان احسن لانه مكرر مع النظم
ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة تقدم ضبطه وابنه ابو خالد
وكان من صناديد قريش وعقلايهم وفصحايهم الا ان الله لم يهده الى الاسلام
كما مر واسم ولده خالد رضي الله عنه سيف الله وقرا عليه القران اي اسمع الوليد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض القران رجا اسلامه رق قلبه ومال طبعه
الى الاعتراف به والاسلام واصل الرقة ضد الغلظة فتجوز به عن الملايمة
والميل كما قال ابن سعيد المغربي

قد طال شوقي الى ثغور ٭ ملاي من الشوق والرحيق ٭
عنها اخذت الذي تراه ٭ يعذب من شعري الرقيق ٭

جا ابو جهل لعنه الله لما بلغه ميله الى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليصده عنه وكان ابن اخيه واسمه عمرو بن هشام منكرا عليه بميله له
واستحسانه لما قراه عليه صلى الله عليه وسلم وهو حال من فاعل جا فقال
اي الوليد ردا لانكار ابي جهل عليه والله ما منكم يا معشر قريش احد اعلم
بالاشعار مني انكارا لقولهم انه شاعر والله ما يشبه الذي يقوله محمد صلى
الله عليه وسلم من القران شيا من هذا الشعر الذي ينشد واشار اليه بالقرب
لشهرته وحضوره في الذهن كالشاهد المحسوس وفي خبره الاخر اي في خبر اخر عن

الوليد

هم

الوليد رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما حين جمع الوليد قريشا يعني اشرافهم ورؤسا
عند حضور الموسم مفعل الوسم وهو العلامة والمراد موسم الحجاج وهو زمان اجتماعهم لانها
معالم كانوا يجتمعون فيها بمكة وحضوره مجيء زمانه او مجيء اهله ولما كان يجتمع به جميع
قبايل العرب من كل فج خشي ان يسمعوا بامر النبي صلى الله عليه وسلم فيتبعوه فجمعهم
واخذهم ليتشاوروا ويروا رايا فيما يقوله الناس عنه صلى الله عليه وسلم كما اشار
اليه بذلك بقوله وقال ان وفود العرب جمع وفد وهم كما مر الجماعة الذين يقدمون
من بلادهم الى مكة من غير اهلها واصل معنى الوفد الاشراف ترد اي يقدمون من
غير البلاد واصل الورود الذهاب للما فاجمعوا فيه اي في النبي صلى الله عليه وسلم
وامره اي دبروا وتداركوا رايا اي امرا تعتقدون له فايدة ونتيجة واجمعوا تفعل
الهمز من الاجماع يقال اجمعت كذا وكذا واجمعت عليه واكثر ما يقال فيما يكون جمعا
يتوصل اليه بالفكر نحو فاجمعوا امركم وشركاكم ويقال اجمع المسلمون على كذا اذا اجتمع
اراؤهم عليه ويجوز ان تكون همزته همزة وصل ايضا لانه يقال جمع له رايا ايضا ومنه
قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم اي جمعوا اراءهم وتدبيرهم كما قال الراغب ولا
عبرة بانكار الحريري في الدرة لصحته كما بيناه في شرحها لا يكذب بعضكم بعضا اي اتفقوا
على امر فيه قد وهم حتى لا يحصل افتراق كلمة واختلاف في شانهم فقالوا نقول
هو كاهن وهو الذي يخبر بالمغيبات ويدعي معرفة الاسرار وكانوا في العرب كثيرا
كشق وسطيح وكان لهم كلام مسجع مصنع فمنهم من له جني يخبره ويلقي اليه
الاخبار ومنهم من يدعي معرفة ذلك باسباب وامور ياخذها من كلام السايل وفعله
وحاله ويقال له عراف واكثرها امور ظنية تخطي وتصيب احيانا فقال الوليد
لهم والله ما هو بكاهن اي حاله لا تشبه حال الكهان وكلامه لا يشبه كلامهم المسجع
الذي كانوا يلفقونه ويتمقونه وفيه اكاذيب باطلة فليس هذا رايا مقبولا
يروج عند العقلا ما هو بزمزمته ولا سجعه المعني للنبي صلى الله عليه وسلم
والتاء للنسبة اي ليس معروفا بزمزمته او كلامه المفهوم من السياق اي وما
كلامه مشبها بزمزمته والزمزمة صوت خفي لا يكاد يفهم وكان للكهان زمزمة
يزعمون بها الجن وزمزمة المجوس قراتهم وكلام الكهان كان سجعا ولذا
ذكره النبي صلى الله عليه وسلم قول القايل في الجنين كيف يدي من لا اكل ولا شرب
ولا استهل ومثل ذلك يطل وقال هذا من اخوان الكهان وهذا لا يدل على
كراهة السجع مطلقا لوقوعه في كلامه صلى الله عليه وسلم به احيانا فلما لم يرض
الوليد هذا الراي فيه صلى الله عليه وسلم قالوا نقول هو مجنون اي رجل
اختلط عقله فاختل كلامه وفعله وذلك باصابة الجن له وهو المعروف عند الاطبا
واصله من جنه واجنه اذا ستره لاستتار عقله ومنه الجان والجني قال الوليد
رادا لرايهم هذا ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته اي لا يشبه حاله حال
المجانين والخنق بفتح الخا المعجمة وسكون النون مصدر وهو الاختناق والجنون
يقال له خنق بكسر النون وفتحها والوسوسة بفتح الواو مصدر وهو شي يلقى
في القلب وفي النفس بصوت خفي وقد تحدث المرء به نفسه ولذا سمي حديث النفس قالوا

زمزمة

فنقول شاعر قال اي الوليد ما هو بشاعر اي ليس كلامه بشعر ولا وزنا ولا معنى اذ
الشعر مدح وهجو وتشبيب وليس فيما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم شيء من ذلك قد
عرفت الشعر كله بانواعه واوزانه ومعانيه ثم فصل بعضا منه بقوله رجزه هو نوع
من الشعر معروف يسمى بالرجز ويقال للقصيدة منه ارجوزة وجمعها اراجيز
وسمي رجزا لاضطرابه في وزنه واختلاف اوزانه واختلاف قوافيه وهزجه بفتحتين
ومعجمتين وهو اسم لبحر من بحور الشعر معروف به فسر هنا ولكن الذي قالوا ان
اسما البحور منقولات اصطلاحية نقلها الخليل بن احمد فهي منقوله من الهزج لنوع
مطرب من الاغاني ولو قيل انه اسم لضرب من الشعر كانت العرب تتغنى به كان اقرب
والسبب نقوله وقريضه لانه ليس اسم بحر من بحور العروض لانه في اللغة بمعنى الشعر
مطلقا من قرضه بمعنى قطعه فعيل بمعنى مفعول لان الشاعر يقتطع نوعا مخصوصا
من الكلام لغرض له فالظاهر ان المراد به ما يقابل القصائد وهي المقطوعات وقريض
الشعر ملكة يقتدر بها على نظمه وفي العرف معرفة محاسن الشعر وقبيحه ومبسوطه
اي مطولات قصائده مطلقا المقابلة لما قبله فيتناول جميع انواعه من الطويل والبسيط
وغيره فمن فسره ببحر البسيط وقال زيادة الميم فيه للمشاكلة قوله ومقبوضه فقد
تكلف ما لا دليل عليه وكان المراد بمقبوضه مختصرا وزانه المسمى في العروض بالمجزوء
والمنهوك وليس المراد مصطلح العروضيين وهو الحذف ثاني السبب الخفيف
الذي هو خامس كمفاعيلن الذي حذفت ياؤه فصار مفاعلن لان هذا اصطلاح احدثه
المولدون لا تعرفه العرب قديما وقوله رجزه وما عطف عليه منصوب بدل لا من الشعر
لا من كله لانه تأكيد لا يصح البدل منه لا لانه لا يقع معمولا كما توهم قالوا فنقول
هو ساحر قال اي الوليد ما هو بساحر انكر لما يعلمه من ان الساحر هو الذي
يستعين على ما ياتي من خارق العادة بامر علوي او تعزائم يسخر بها الجن او بطلسمات بطلسمات
ليمتزج بها السفلي بالعلوي والناس جميعهم يعلمون انه صلى الله عليه وسلم
ليس كذلك ولذا قال ولا نفثه ولا عقده بفتح العين المهملة وسكون
القاف او بضم ففتح جمع عقدة والنفث النفخ مع ريق والعقد عقد حبال
او شعر منفوس ونحوه كما يعرفه السحرة مما يؤثر امورا خارقة للعادة
في الخارج عنه وكنى به عن انه ليس عمل مما يعمله السحرة فقد نزل نبي صلى الله عليه
وسلم بين اظهرهم ولم ير احد منه ذلك فلذا اخطاهم الوليد في وصفهم له
صلى الله عليه وسلم وبين لهم ان تدبيرهم الباطل لا يروج على عاقل كما قيل

يا سطوة الله حلي عقد ما ربطوا ۞ وشتتي شمل اقوام بنا اختلطوا
الله اكبر سيف الله قاطعهم ۞ وكلما قد علوا في ذمهم هبطوا

قال فما تقول انت بالوليد او بالمنادة العوفية اي نحن او انت يا وليد وما رايك
قال ما انتم تعايلين من هذا اي من مثل هذه الاراء شيئا في حقه الا وانا اعرف
انه باطل ليس مقبول عندي ولا عند العقلاء الذين يعرفونه وتقديم الضمير
لتقوية الحكم لانه يقدم لتقوية الكلام او الحصر لتعسفهم اعتقاد بعض جهلهم
فيه والجملة حالية مستثناة يجوز اقترانها بالواو وعدمه وان اقرب

القول

الذي في حقه وان كان الكل مفتري انه ساحر بفتح الهمزة وكسرها كما في كل ما وقع بعد افعل
تفضيل مضاف للقول على ان المبتدا خبران والجملة المحكية ولا احتياج لرابط لانها على المبتدا هنا
وهذا الحال عاقل ختم الله على قلبه وسمعه وتسجيل عناكب الضلالة على بصره ثم بين وجه
انه سحر بحسب النظر الحمقي بقوله فانه سحر اي كالسحر ووجه المشابهة انه يفرق بين المرء
وابنه بالبا الموحدة والنون وابيه بالبا المثناة التحتية ومعناهما ظاهر والمرء واخيه وفي نسخة
بين المرء وابنه واخيه والمرء وزوجه اي امراته وفيه لغتان هذه وزوجته بالتانيث
والمرء وعشيرته اي اقاربه الادنون المعاشرين له وقد كان ذلك فان من ذاق حلاوة الاسلام
ترك ما عداه لاجله صلى الله عليه وسلم كما كان شاهدا في الصحابة رضي الله عنهم ومنهم
من ترك ملكه كثير من النجاشي كما في سيرة ابن هشام والتوفيق بين هذا وبين ما حكاه
الزمخشري عن الوليد هذا من انه قال لهم ما هو الا سحر اما رايتموه يفرق بين المرء الخ وما
حكاه عنه من قوله ان هذا الا سحر يؤثر كما تقدم انه اراد ما هنا من انه كالساحر فما ذكر
لكنه ساقه في معرض الجزم والترويج عندهم او انه قال مرة ثم راجع عقله فرجع عنه وهو
الاوفق بما في الاية ومناسبة ما ذكر لما هو بصدده في غاية الظهور فالعود بان الانسب
ان يذكر ما حكي عنه من انه قال لبني مخزوم والله قد سمعت محمدا يقول كلاما ما هو بقول
الانس ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى كما
تقدم ولا وجه له فتفرقوا من المجلس الذي جمعهم للمشاورة فيه وجلسوا على السبل
بضمتين جمع سبيل وهو الطريق ليخبروا الوافدين بما قالوه حتى لا يتبعوه صلى الله
عليه وسلم ويحذرون الناس منه حتى لا يصدقوه ويتبعوه فيقولون لكل من راه محمد شانه
كذا وكذا فاحذروه لا يفتنكم عن دينكم والجملة الاولى معطوفة او حالية بتقدير
قد وكذا الثانية من ضمير تفرقوا وهما حالان متداخلتان فقوله لكل من قدم
للحج ففشا امره صلى الله عليه وسلم في قبائل العرب وخشي ابو طالب من ذلك ومن تغييبه
النبي صلى الله عليه وسلم لا لهم وسبهما ان يقع منهم ما يحرضهم على ضرره فقال
قصيدته اللامية الطويلة المشهورة بمدحه صلى الله عليه وسلم ويذكر حسن حاله
وما هو صلى الله عليه وسلم فيها فمنها قوله

لعمري لقد كلفت وجدا باحمد * واحببته داب المحب المواصل

الى اخرها ولولا خوف الاطالة اوردتها لما فيها من مدحه صلى الله عليه وسلم وبيان
حقيقته وتفنيده بحميته فانزل الله في الوليد وقصته المذكورة التي هي سبب النزول
وهذا من اقامة الظاهر مقام المضمر للتسجيل عليه بذم الله له ذرني ومن خلقت
وحيدا الايات اي دعني معه فانا اكفيه من كيد اعدا ابيه وان كان وحيدا منفردا عن
اهله وعشيرته ليركبهم له اولا نظير له وتمام النظم وجعلت له مالا ممدودا وبنين
شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لاياتنا عنيدا ساارهقه
صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر
واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر والكلام على هذه الايات مفصل في التفسير والمقام
لا يسعه وقال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف والد هند ام معاوية
رضي الله عنهما وهذا قتله عبيدة بن الحارث في غزوة بدر كافرا حين سمع القران يا قوم

لقد علمت اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقراته وقلته هذا عبارة عن انه عنده علم
بالكتب المنزلة لغاية تعجبنا فانه قرا القصص السالفة وقال الشعر وله سعة علم
بالبلاغة وليس ظاهره بمراد اذ لا يمكن لمثل ما ادعاه والله لقد سمعت قولا يعني به القران
العظيم الذي سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه والله ما سمعت مثله قط هو للاستغراق
في الماضي ما هو بالشعر لما زائدة اي ليس بشعر ولا يشبهه كما مر ولا بالسحر ولا بالكهانة
اي ليس يشبه كلام السحرة والكهنة المسجع المتكلف ولم يكن في قائله شيء من اعمال السحرة
المعهودة والكهانة مصدر كهن يكهن بكسر الكاف وفتحها كالكتابة والقسامة كما
قاله الشريشي في شرح المقامات وقال النضر بفتح النون المشددة وسكون الضاد
المعجمة علم منقول من النضارة بمعنى الحسن ابن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد
مناف بن عبد الدار الذي قتله النبي صلى الله عليه وسلم بالصفراء صبرا وقصته
مذكورة في السير كذا اي مثل ما قاله عتبة والوليد في اعترافه بالقران وانه
لا يشبه كلام البشر وفي حديث اسلام ابي ذر الغفاري الصحابي رضي الله عنه وهو
جندب بن جنادة كما مر وغفار قبيلة من العرب مشهورة وغفار قبيلة من كنانة
وهو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة وحديثه
رواه مسلم وغيره ووصله البيهقي في دلايل النبوة واسنده الى عبد الله بن
الصامت وهو حديث طويل وكان اسلامه بمكة رابع اربعة فلذا كان يقول كنت
ربع الاسلام قوله ووصف اخاه انيسا بالتصغير ووصف ماض والجملة
حالية بتقدير قد فقال تفسير لوصفه المذكور والله ما سمعت باشعر من اخي
انيس لقد ناقض بقاف وضاد معجمة من المناقضة مفاعلة من النقض وهو
هدم البنا وحل ما انعقد ثم صار بمعنى كون الكلام له معنى لا يمكن
اجتماعه مع نقيضه كزيد قائم وزيد ليس بقائم وهذا اصطلاح المنطقيين
وعند العرب نقائض الشعر في الجاهلية انه اذا قال احدهم شعرا ذكر فيه
افتخارا بابائه وشرفهم على قوم غيره او ذكر فيه هجا غيره ومثالبه ونقيض حسبه
واله فيعارضه غيره بشعر يذكر فيه ضد ما قاله فيسمى ذلك مناقضة ويقال
للقصايد نقائض ومنه نقائض جرير والفرزدق لقصايد من الطرفين جمعت
وشرحت وفي الاساس يقال في كلامه تناقض وهذا مناقضة ونقيضة وتناقض
القولان والشعران وناقض احدهما الاخر بقول قصيدة فينقض صاحبه عليه
وهذه القصيدة نقيضة قصيدة فلان وهما نقائض ومنه نقائض جرير
والفرزدق انتهى وفسره في الشرح الجديد بما في النهاية من ان المناقضة مفاعلة
من نقض البنا وهو هدمه اي ينقض قولهم وينقضون قوله واراد بها المراجعة
والمراودة انتهى وهو تفسير لا يفي بالمقصود لما عرفته اثني عشر شاعرا في
الجاهلية اي عارضهم في قصايدهم فاتى بمثلها وهذا يدل على فصاحته ومعرفته
بالشعر وقدرته على انشائه وزمان الجاهلية كان فيه الشعرا الفحول كثيرا
وذكر هذا تمهيدا لما ساتي من انكاره عليهم في قولهم ان النبي صلى الله عليه
وسلم شاعر انا احدهم ذكره اعترافا بفقد شاعريته وانه اي اخاه انيسا انطلق

الى مكة

الى مكة اي ذهب اليها تجد ما كان في غنم لهما ترعى فقال لاخيه ان لي صاحبا بمكة فاكفني امر
الغنم حتى اتيك فانطلق حتى اتى مكة فابطا على ابي ذر ثم اتاه فقال ما حبسك قال رايت
رجلا يزعم ان الله على دينك الى اخر القصة التي ذكرها البيهقي واشار الى بعض منها المص بقوله
وجاء خبر النبي صلى الله عليه وسلم الى اخيه ابي ذر وكان اسلم بمكة قبل اخيه واسلم
اخوه بعده فهما صحابيان قلت له بعد ما اخبرني فما يقول الناس فيه صلى الله عليه وسلم
قال يقولون شاعر كاهن ساحر اي بعضهم يقول هذا وبعضهم يقول هذا ثم اشار الى
بطلان ما قالوه بقوله لقد سمعت قول الكهنة جمع كاهن مثل كاتب وكتبة فما هو اي النبي
صلى الله عليه وسلم او كلامه ملتبس بقولهم ولقد وضعته بالضاد المعجمة المفتوحة
والعين المهملة الساكنة اي وضعت قوله صلى الله عليه وسلم على اقراء الشعر يعني
انه قابله وقاسه بالشعر ونزله عليه لينظر هل فيه ما يشبهه وهو مجاز من قولهم
وضع النعل على النعل اي حاذيته به لينظر هل هو مساوله والاقراء بفتح الهمزة والمد
قيل اريد به الكثرة هنا قال في القاموس من اقراء الشعر انواعه واتحاده اي امثاله فهو
جمع قرء بالضم وقيل انه جمع قرء بالفتح وهو طرقه وانواعه وبحوره وقال الزمخشري
انه قوافيه التي يختم بها كاقراء الطهر التي ينقطع عندها الدم واحدها قرء فتحا
وكسرا وضما فهو مقاطع ابياته وحدودها فلم يلتئم بالهمز من الملائمة اي لم ار له
مناسبا ولا موافقا لفظا ولا معنى واين الثريا من الثرى ولذا قال الفقهاء رحمهم الله
لا يكتب فيه البسملة واجازها بعضهم مع الكراهة قال وهذا في مدح النبي صلى
الله عليه وسلم ونحوه من التوحيد ومنظومات العلوم واما الهجا فينبغي ان لا
يختلف في عدم كتابتها فيه كما قاله التلمساني وما يلتئم اي يتيسر ويتفق على
لسان احد بعدي انه شعر بفتح همزة انه اي لا يتم لاحد غيري اي يقول انه شعر
لانه ليس احد باعلم بالشعر واقدر عليه مني فلو امكن لاحد ان ينزله على الشعر
ويعارضه به كنت فعلت حيث لم يتيسر لي لا يتيسر لغيري والمراد ابطال كونه
سحرا وكهانة فلذا اعقبه بقوله وانه اي النبي صلى الله عليه وسلم لصادق في قوله
انه كلام معجز من عند الله وانهم اي الكفرة لكاذبون في جميع ما قالوه ونسبوه
له من الاباطيل وتتمة الخبر انه قال لانيس هل انت كافي حتى انطلق فانظر قال نعم
وكن على حذر من اهل مكة فانطلقت حتى اتيت مكة فقلت لرجل اين هذا الذي
تدعونه الصابي فاشار الي فمال علي اهل الوادي بكل حجر حتى خررت مغشيا
علي ثم اتيت زمزم فشربت منها وغسلت الدم ودخلت تحت استار الكعبة ولبثت
نحو ثلاثين ليلة وما لي طعام الا ماء زمزم فسمنت وما وجدت جوعا فبينما انا في
ليلة واذا امراتان تطوفان وتدعوان اسافا ونايلة فلما رايا مالي ولولا وانطلقتا
فاستقبلهما ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم هابطين من الجبل فقالا
ما لكما قالتا الصابي بين الكعبة واستارها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر فاستلما الحجر وطافا ثم صليا فاتيته فحييته بتحية الاسلام وكنت
اول من حياه بها فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فمن انت قلت من غفار
فرفع راسه ثم قال متى كنت هاهنا قلت منذ ثلاثين ليلة ويوم قال فما كان طعامك

قلت ما كان لي طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني فقال انها مباركة انها طعام
طعم وشفا سقم فقال ابو بكر يا رسول الله ايذن لي في طعامه الليلة فانطلقت معهما
حتى فتح ابو بكر بابه وجعل يقبض لي من زبيب الطائف فكان ذلك اول طعام اكلت بمكة
ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني وجهت الى ارض ذات نخل ما احسبها
الا يثرب فهل انت مبلغ عني قومك لعل الله ينفعهم بك ويوجرك فانطلقت حتى
اتيت اخي انيسا فقال لي ما صنعت قلت اسلمت فقال ما بي رغبة عن دينك فاني
اسلمت وصدقت ثم اتيت امي فقالت مثله ثم احتملت واتيت قومي فاسلم نصفهم قبل
ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان يؤمنا احناف وهو سيد
قومنا فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسلم بقية قومي وجاءت
اسلم فقالوا يا رسول الله نسلم على الذي اسلم عليه اخواننا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله وهذا خبر اسلامه باختصار
والاخبار في هذا الذي ذكر من اعتراف البلغا باعجازه وانقيادهم هداهم الله
للايمان به صحيحة كثيرة مع اختلاف انواعهما وابانتها اي الاعجاز لجميع الخلق
بتعجيزهم عن الاتيان بمثله بكل واحد من النوعين اللذين ذكرهما والنوع
الاول منهما الايجاز والبلاغة بذاتها اشارة الى قوله في اول هذا الفصل اولها
حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة الخارقة
العرب وحاصله ان اعجازه من خصوص كلامه بكونه في اعلا طبقات البلاغة
والفصاحة بحيث يسلم عن ضعف التاليف وتنافر الحروف والكلمات وايجازه
ورعاية معان ووجوه يقتضيها المقام ويتضمن نكات يعجز عنها طاقة البشر
منهما والنوع الثاني ما اشار اليه بقوله او الاسلوب الغريب يريد انه يعني كونه
على نمط لا يشبه نمط كلامهم المنظوم ولا المنثور فانه ليس بشعر ولا سجع
ولا خطب وان وقع فيه من غير تكلف سجع احيانا ونظم حتى ذهب الخطيب
في تكملة العمدة ان النظم الواقع فيه مقصودا كالابيات واشعارها التي تقع في
اثنا الانشا نادرا ولا يسمى بها الكلام شعرا لانه لم يقصده بالذات وهو قول
غريب وقوله بالك ان يجمع فقط وتغاير النوعين ظاهر وان لم يفرق بينهما
بعض الشراح وقال في النوعين تداخلا اذ لم يتصور كونه اسلوبا غريبا دون
البلاغة الى اخر ما ذكره مما لا طائل تحته اذ كل واحد منهما بضمير الموحدة
المؤنثة الراجع للبلاغة وفي نسخة منهما مثنى والضمير للنوعين وقيل الاولى
اولى وكل مبتدا خبره نوع اعجاز على التحقيق غير محتاج الى الاخر ثم بين
اعجازه بقوله لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما وفي نسخة منهما كما تقدم
خارج عن قدرتها لانه مباين اي مخالف لفصاحتها وكلامها لما فيه من وجوه
البلاغة التي لا تحيط بها قدرهم ولم تالف طباعهم مع انسجامها وعذوبة
الفاظه والى هذا القول الدال على ان كل واحد منهما نوع مستقل من الاعجاز كاف
في اثباته ذهب غير واحد اي جماعة كثيرة من ايمة المحققين العارفين بالبلاغة
ووجوه الاعجاز يعني ان منهم من قال بلاغته باسلوبه الغريب ونظمه العجيب الذي

لا يشبه

لا يشبه كلام البشر ولا يطيقه القوي والقدر مع انه بلغتهم وكلماته كلماتهم التي يعرفونها
كما قيل في معنى الحروف في اوايل السور نحو الم والمر ايعني انه كلام مركب من هذه
الحروف التي تركب منها كلامكم فلم يأتوا بمثله وذهب بعض المعتدين بهم اسم مفعول
بوزن مصطفى الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب لا بكل واحد منهما وحده
واني على ذلك القول الذي اختاره وضمن اتى معنى استدل فعداه بعلى بقوله لمجه نمجه
المبرد ونحوه بعضهم فمجهما اي ترميه ولا يعتد به الاسماع بفتح الهمزة جمع سمع بمعنى
الاسماع وبمعنى جارحة السمع بقاديح المائق فيه اذا طرحه ففيه استعارة مكنية
وتخييلية لتشبيه الاذن بالفم والكلام بالماء في الرقة والعذوبة وتبريد الحرارة
كما قال بعض اهل العصر

يكاد من عذوبة الالفاظ ¤ تشربه مسامع الحفاظ

وقال الغزي

ويخبر المعناد بحسن بعضه ¤ للورد خدا بالانوف يقبل

وتنفر عنه القلوب من النفار وهو الذهاب بسرعة فكان القلوب تهرب منه لعدم
قبولها له وهو عبارة عن كونه قولا ضعيفا مردودا ولذا قال في الاول انه قول
الايمة المحققين واشار بالمعتدين بهم الى ان هذا القول له وجه ايضا كالقول
بالصرفة والصحيح ما قدمناه من ان كل واحد منهما وجه في الاعجاز
كاف فيه والعلم بهذا كله اعني العلم باعجازه وبلاغته واساليبه العجيبة على
القولين ضرورة وقطعا بنصبهما اي من سمعه قطع بما عنده من العلم الضروري
بانه في اعلا طبقات الكلام وهو مما يدرك بالذوق ولا يدرك بالوصف كالملاحة والطرب
له تتبع كلام البلغا وخدمة علم البلاغة الذي يورثه علما ضروريا ولذا قال
ومن تفنن في علوم البلاغة اي عرف فنونها ومارسها حتى حصل له ملكة يعرف بها
خواص التراكيب ووجوه ايرادها في طرقها المختلفة في الوضوح وانواع محاسنها
البديعية وهو من علمي المعاني والبيان وتوابعهما وارهف اي سن وحدد ودقق
من قولهم ارهف السيف فهو مرهف اذا سنه ودقق حده خاطره ولسانه اي فكره ونطقه
بحيث يسهل عليه تصوره والتعبير عنه واصل الخاطر المعنى الذي يخطر على قلبه
الذي هو محل العقل والفهم ويراد به نفس الوهم والعقل وارهافه ممارسته
حتى يتمكن من علمه واللسان الجارحة ويراد به نفس الكلام فشبه ذلك بالسيف
المسنون في سرعة نفوذه ودقته وارهف فعل ماض فاعله ادب هذه الصناعة
اي صناعة البلاغة وعلم المعاني والبيان والادب بدون طلب يكون بمعنى الظرف
والحسن والعلم يقال اديبه فاحسن تاديبه اي علمه واصله من المادبة وهي
الطعام الذي يدعى له كما قيل الادب مادبة ما لاحد فيها ما ربه ويصح ارادة
كل واحد هنا وانما الاخير فاما اطلاق الادب على علمي النظم والنثر فمولد
وان قرب من معناه الاصلي واصل الصناعة معرفة ما يزاول بالجوارح
كالخياطة ثم شاع في معنى العلم لم يخف عليه ما قلنا اي جميع ما تقدم من
ان كلا منهما نوع مستقل وقد اختلف اهل السنة في وجه عجزهم عنه اي في

شبهه ومشابه الذي يوجه عجز الفصحاء عن معارضته فاكثرهم يقول اي قال وعبر
به لحكاية الحال الماضية حتى كانها حاضرة انه وجه اعجازه ما اشتمل عليه مما جمع في قوة جزالته
الجزالة الغلظة والصلابة والقوة يقال حطب جزل ثم يطلق على الكثرة فيقال
عطاؤه جزيل فاستعير هنا لاحكام نظمه وعدم ركاكته واضاف اليه القوة اشارة
الى انه في اعلى مراتب الاحكام حتى لا يتطرق اليه خلل اصلا ولا يختلف نظمه ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا حاجة لتفسيره بالقوة ويقال
للقوة قوة ويبعد اضافتها اليها ونصاعة الفاظه بفتح النون والصاد والعين
المهملتين اي وضوحها وخلوصها ومنه ابيض ناصع وقيل الجزالة القطع ومنه
القضاء الجزل اي القاطع للشك ونصاعة بيانه وهو تكلف لا داعي اليه وكونه
اشار الى المحسنات البديعية لا وجه له وحسن نظمه وايجازه لسلاسته وانسجامه
وبديع تاليفه وتراكيب كلماته المؤتلفة المتواخية واسلوبه طريقه بلاغته اي
لا يسلكها كلام غيره وقوله مما جمع مقدم من تاخير متعلق بقوله لا يصح ان يكون
في مقدور البشر مقدور اسم مفعول او مصدر على وزن مفعول بمعنى القدرة
اي لا يمكنهم القدرة على مثله لما جمعه مما لا تطيقه قدرتهم وانه من الخوارق اي
من جنسها ونوعها يقال هذا من باب هذا وبابته اي من جنسه الممتنعة عن
اقدار الخلق عليها اي التي لا يقدرون عليها لانها ممتنعة منهم وانت مطاوعتهم
وهو من بليغ الكلام كاحيا الموتى بفتح الميم جمع ميت وهذا انما وقع لعيسى عليه
الصلاة والسلام وابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وقلب العصا حية كما
وقع لموسى عليه الصلاة والسلام وسبقا حديدا كما وقع لنبينا واطلقه المص
ليشملهما فيكون فيه ذكر لمعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وهو المناسب لقوله
وتسبيح الحصا في كفه صلى الله عليه وسلم كما ثبت في معجزاته ثم ذكر مذهبا اخر
فقال ذهب الشيخ ابو الحسن الاشعري امام اهل السنة وقد تقدم بعض من ترجمته
الى انه اي القران المعجز مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر اي انه فرد
من افراد الكلام البليغ داخل فيه مندرج في جنسه ومثله قولهم الحيوان منه
جنس تحته الانسان والفرس وهو نحو معروف ويقدرهم الله عليه عطف
تفسير لما قبله على مذهبه من خلق الافعال ولكنه لم يكن هذا فيما مضى ولا
يكون في الحال والمستقبل فمنعهم الله عن هذا اي عن معارضته والاتيان
بمثله وهذا هو القول بالصرفة وفيه اختلاف ايضا فقيل معناه ان فيهم قدرة
على التكلم بمثله وعندهم بوجوه البلاغة واساليبها حالة التحدي لكن الله
صرف دواعيهم عن ذلك مع توفر اسبابها من التقريع والتبكيت وتكرير الطلب
وهو قول النظام والاستاد من اهل السنة وقيل بل سلبهم الله عند
التحدي القدرة والعلم بعلوم البلاغة فاذا ارادوا ذلك لم يقدروا عليه
ولشبهة التحدي موقوفة بحسب ظاهر حالهم وما علم من اقتدارهم وهذا مذهب
٢٠١ المرتضى علم الهدى من الشيعة ونقل عن الاشعري الا انه لم يشتهر عنه
وكلام المص محتمل للوجهين فان قلنا هذا اشارة الى الاتيان بمثله فهو المذهب

تلساني

الاول وان قلنا الاقدار فهو الثاني وحمله بعضهم على الثاني وقال يحتمل ان يكون المراد
بابي الحسن رجل اخر غير الاشعري ولا حاجة لمثله من التكلف وعلى الطريقين بل الطرق فاعجازه
ببلاغته واسلوبه والصرفة فعجز العرب عنه ثابت محقق مع كمال بلاغتهم وفرط
تهالكهم ونفح عنادهم لاطفاء نوره وما زاده الا اشتعالا وامنا ة واقامة الحجة
عليهم بتكليفهم باقل قليل منه بما يصح اي يمكن وينبغي فانه ورد بهذا المعنى
في اللغة ان يكون في مقدورهم على مذهب الاشعري وتحديهم مصدر مضاف لمفعوله
اي طلب النبي صلى الله عليه وسلم من العرب لمعارضته بان ياتوا بمثله اي مثل القران في البلاغة
وعجز العرب مبتدا خبره ثابت واقامة مبتدا خبره قاطع بعجزهم عما لا ريب فيه وهو اي ما ذكر
او التحدي بما هو مقدورهم ابلغ في التعجيز تعبيره مما لا يقدرون كاحيا الموتى واحرى افعل
تفضيل تحاور ما مهملتين بمعنى احق واولى بالتقريع وهو التوبيخ والتعبير من القرع
بالعصا وهو الضرب والاحتجاج الحجوي بشر مثلهم من جنسهم واهل لغتهم بشي ليس من
قدرة البشر لازم على القول الاول من اعجازه بمادته وصورته وهو اي المذكور
من عدم قدرتهم اظهر ايته اي اظهرها واغلبها الشايع الايات الباهرة لارتفاع شانه
وعلوه في مرتبة من لا يبدو منها الكلام بليغ كما مر تفصيله واقنع دلالة بالنصب على
التمييز والجر على الاضافة والدلالة بكسر الدال مصدرا وبمعنى الدليل واقمع من
قمعه اذا قهره وردعه واذله بعجزهم عن معارضته وعلى كل حال من الاحوال السالفة
اي سوا قلنا بانه معجز ببلاغته او بالصرف عن معارضته فقد عجزوا فما اتوا في ذلك بمقال
اي لم يسمع منهم كلام عارضوه به ولو صدر منهم ذلك شاع وذاع بل صبروا على الجلا
بفتح الجيم والمد وهو ترك الوطن والمال والقتل لفرط عنادهم وعدم انقيادهم
وتجرعوا اي شربوا جرعة بعد جرعة كاسات جمع كاس وهي ما يشرب به الخمر ونفس
الخمر الصغار والذل بفتح الصاد المهملة وهو المذلة فالعطف تفسيري وفيه
استعارة تصريحية او مكنية اي صبروا على التحقير والاهانة وتجرعوا غصصهما
وكانوا من شموخ الانف بفتح الهمزة والمد وضم النون كذا ضبطوه ويجوز فتح الهمزة
وسكون النون بالافراد والشموخ بضم الشين المعجمة مصدر شمخ اذا ارتفع وهو
كناية عن غاية التكبر والجملة حالية بتقدير قد واباه الضيم بكسر الهمزة والموحدة
والمد مصدر ابا اذا امتنع مما يكرهه والضيم الذل والتحقير بحيث لا يبوءون بالمثلة
اي لا يرضون ذلك اي الذل والضيم اختيارا اي باختيارهم وعدم جبرهم وقهرهم ولا
يرضونه الا اضطرارا اي قسرا والجا وهو عطف تفسير لما قبله ونصبهما على التمييز او
المفعول المطلق والا مركب من ان الشرطية ولا النافية اي وان لم يكن الامر كما ذكر
فالمعارضة للقران بالاتيان بما يماثله لو كانت من قدرهم بضم القاف وفتح الدال
المهملة جمع قدرة اي لو كانت المعارضة مقدورة لهم والتشغل بها اهون عليهم
جملة حالية اي اشتغالهم بمعارضته اسهل عليهم من الصبر على ما ذكر واسرع
بالنجح بضم النون وسكون الجيم وحا مهملة وهو الظفر والفوز بمطلوبهم وهو
ابطال الحجة عليهم وقطع العذر اي قطع ما اعتذروا به عن عدم المعارضة
من الاعذار الفاسدة واقحام الخصم اي اسكاته عما افزعهم به لديهم اي عندهم وهو متعلق

بجميع ما قبله من اسرع واهون وقطع والغام وهم من هم قدرة تمييز والجملة حالية
وليس قدرة حال بمعنى مقتدرين كما قيل لتكلفه وهم مبتدا اول ومن استفهامية وهم تلسانه
الثاني خبره او بالعكس على المذهبين والجملة خبر هم اي وهم اي شي هم اي امر عظيم
لا يقدر قدره ولا يعلم كنهه وهو من ابلغ المدح كقولهم زيد وما زيد كقوله تعالى
الحاقة ما الحاقة وهو مشهور في كلام العرب والعجم وقد يقال هم هم بدون من
اي هم العقوم المعروفون بالبلاغة وشهامة النفس واباة الضيم الذين لا يعادلهم فيه
احد فناهيك بما اوقعهم في حضيض الذل ومن فهم الصبا والدبور ايدي سبا
على الكلام متعلق بقدرة وقدوة اي مقتدي بهم وهو منصوب رواية ودراية
معطوف على قدرة في المعرفة به اي بمعرفة الكلام وصياغته لسلامة فطرتهم
وصفا قرائحهم لجميع الانام متعلق بقدوة والجي به للقافية اي هم في ذلك
ايمة مقتدى بهم لا تبعا لغيرهم فكيف عجزوا ورضوا بما رضوا به انه لما ذكر شيم
القيهم وتكبرهم بما توهموا منهم ان تركهم للمعارضة لعدم تنزلهم وعدم
مبالاتهم فدفعه بقوله وما منهم احد الا من جهد ما من زائدة من جنب فالاستثنا
مفرغ من عام مقدر جهده بفتح الجيم وضمها الطاقة والمشقة وقيل الجهد بالفتح
المشقة وبالضم الوسع وقيل الجهد بالضم ما يجهد الانسان فيه اي يجهد فيه
ويتعب نفسه كقوله تعالى لا يجدون الا جهدهم فالمعنى انهم بذلوا ما عندهم
في الطلب فلم يقدروا على شي منه واستنفد ما عنده بالدال المهملة اي استفرغ
ما في طاقته وقوته في اخماد نوره اي القرآن او النبي صلى الله عليه وسلم واطفاء الكوز ونحوهم
نوره ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون فما جلوا اي اظهروا من جلا العروس
على المنصة بزينتها الذكر البنات لعجده في ذلك اي ما اجتهدوا فيه وحاولوه خبيئة
بفتح الخا المعجمة وكسر الباء الموحدة وسكون المثناة التحتية والهمزة والها فعيلة بمعنى
مفعولة اي مخباة في ضمايرهم ومستورة خلف استار سرايرهم من بنات شفاههم
اي كلمة يتلفظون بها شبهت بالبنت بالشفة بالام لظهورها منها وهي استعارة
مشهورة مكنية او مصرحة ولا انوا بنطفة بضم النون وسكون الطا المهملة
والفا وهي الما الصافي من نطف بمعنى صب والناطف السايل والمراد القطرة
القليلة وفي بعض النسخ نقطة بالقاف مقدمة على الطا وتسمى اللولوة نطفة
ايضا كما قاله الراغب والنطفة تطلق على قليل الما وعلى كثيره كما جا في الحديث
مار رجل بنطفة في اداوة وهو المراد هنا من معين مياههم المعين الما الجاري ظاهرا
والميم زايدة من العين وقيل انها اصلية من معن بمعنى سار في الارض ومياه
جمع ما واصله موه اي لم يقدروا على شي مما طلب منهم وهو استعارة مصرحة
مرشحة او مكنية اي مع ما لهم من موارد فصاحتهم وجاري كلامهم لم يجدوا
قطرة من قليب فطانتهم مع طول الامد اي اتساع زمن التحدي وكثرة العدد من
فصحايهم وتظاهر اي تعاون ومساعدة الوالد وما ولد اي الكبير والصغير وهذا
دفع للشبه وازالة الاعذار اذ لو ضاق الزمان وقل الاخوان كان لهم معذرة
ما بلسوا بفتح البا للفاعل وفتح الهمزة يقال ابلس اذا ايس فيه ومنه ابليس لياسه

من

من رحمة الله وكان اسمه عزازيل ويكون بمعنى الانكسار والحزن والمراد الاول فما ابلسوا
بنون وبا موحدة مفتوحة مخففة وورد بتشديدها كما في قوله ان كنت غير صابر بمفتبس
ومعناه نطقوا قيل هو مختص بالنفي وارد البيت المذكور وقد يقال المخصوص بالنفي المحقق
تقديره ومنعوا بالبنا للمجهول فانقطعوا عن المعارضة لعجزهم وقد يقال هذا اشارة
الى القولين فابلسوا فما ابلسوا بشعر لعجز طاقتهم عن بلاغته ومنعوا اي منعهم الله
اما للصرفة وفي الارشاد لامام الحرمين فان قيل ان العرب لم تترك المعارضة للعجز بل لعدم
الاكتراث به قيل هو ركيك من القول لا يخطر ببال عاقل وقد كانوا اذا قال شاعر شعرا
يحفظهم هاموا المعارضة فكيف وقد وبخوا اشد توبيخ وحقرت اصنامهم وسفهت احلامهم
وقوتلوا حتى نكست اعلامهم وقد مر ما نبهناك عليه من اشارة المصنف لهذا وجوابه
والاضراب لتوكيد نفي المعارضة كما يقال ما تكلم زيد بل سكت عجزا فهذان نوعان
من اعجازه الاشارة الى اعجازه بنفس كلامه وخواص تراكيبه وبصورة نظمه واسلوبه
ولو يلتفت للصرفة لضعف القول بها عنده كما تقدم فانهم افسدوه بان قوله قل لئن اجتمعت
الخ دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لانهم
حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد
على اضافة الاعجاز الى القران والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله تعالى لا الى
القران وحينئذ يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وفيه خرق لاجماع الامة
ان معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية اظهر من القران ويلزم الصرفة ايضا
انه لا فضيلة للقران على غيره فان قلت القول بعجزهم مع بقاء قدرهم فيه الجمع بين النقيضين
وهو محال قلت معنى قدرتهم ان هممهم لو توجهت الى المحاكاة لظننا القدرة عليها
فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا للمعارضة اصلا لقطعهم من نفوسهم بعجز
وانه لا قدرة لها عليه البتة فان قلت توجه الهمم اليها مع العجز عنها في نفس الامر
لا تسمى قدرة قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات
ولا شك ان فحول اهل البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة عن المحاكاة ابتداء بل بعد
الاختبار فتامله لتعلم سقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع بعجزهم عنه
ونظير ذلك خطاب الله من علم منه عدم الايمان بالايمان كابي جهل وابي لهب نظرا
لقدرتهم عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للغايات

## فصل

الوجه الثالث من وجوه الاعجاز اي اعجاز القران الكريم بوجه اخر غير الوجهين
السابقين او غير الوجوه الثلاثة ما انطوى عليه اي اشتمل عليه ووقع في ضمنه
من الاخبار بكسر الهمزة مصدر بالمغيبات بفتح اليا المثناة التحتية المشددة جمع
مغيب او مغيبة اسم مفعول وهو شامل لما سبق مما لم يدركه هو ولا اهل عصره
وما سيقع بعد ذلك مما لا يعلمه الا الله والمراد هنا الثاني لان الاول يمكن د
الوقوف عليه فلذا عطف عليه قوله وما لم يكن ولم يقع فمن فسره بما كان ه
ووقع من القرون الماضية بناء على ان الاصل في العطف التغاير فقد خالف كلامه
الاتي من جميع ما مثل به وان كان صحيحا في نفسه لا بد راجعه فيها فوجد بعد ذلك
مطابقا لخبره ومعتقد قائله وعبر عنه بالماضي وان كان مستقبلا بالنسبة لما قبله

علي الوجه الذي اخبر به في هذه الاية كقوله تعالي في سورة الفتح لتدخلن المسجد الحرام
اللام داخلة علي جواب قسم مقدر للتاكيد والتحقيق ان شا الله علقه بالمشية مع تحققه
تعليما للعباد او للوجادة بعدم دخول بعضهم لموته او غيبته او حكاية لما قاله ملك
الروبا او النبي صلي الله عليه وسلم امنين حال من فاعل لتدخلن والشرط اعتراض
لانه صلي الله عليه وسلم راي وهو بالمدينة قبل عام الحديبية انه دخله مع اصحابه
واخبرهم بذلك فظنوه انه في ذلك العام فلما صدهم المشركون عن الدخول شق عليهم
ذلك واخبرهم الله بانه سيقع بعد ذلك وكان كما اخبر وقوله تعالي وهم من
بعد غلبهم سيغلبون فاخبر الله تعالي ان الروم تغلب فارس بعد مدة اقل من
عشر سنة وكان كما اخبر الله به في كتابه وذلك ان الروم كانوا اهل كتاب وفارس
لا كتاب لهم كالمشركين فكان المشركون كلما تحاربت فارس والروم يرجون غلبة فارس
ويفرحون بذلك تفاولا بغلبتهم للمسلمين فبعث كسري جيشا الي الروم فالتقيا
باذرعات وبصري فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق ذلك علي المسلمين
فانزل الله هذه الاية واخبر ابو بكر رضي الله عنه المشركين بذلك وقال ستظهر الروم
علي فارس فلا تفرحوا وقد اخبر الله نبينا صلي الله عليه وسلم بذلك فقال له امية
ابي خلف كذبت فقال بل انت كذبت يا عدو الله فقال اجعل بيني وبينك اجلا علي عشر
قلايص ياخذها الصادق منا فراهنه علي ذلك لثلاث سنين واخبر رسول الله صلي
الله عليه وسلم بذلك فقال له مد الاجل وزد في الرهان فان الله قال في بضع
سنين وهي من الثلاث الي التسع فجعل القلايص ماية الي تسع سنين ففعل فوقع
ذلك بعد سبع سنين فاخذ القلايص ابو بكر رضي الله عنه فقال له صلي الله عليه
وسلم تصدق بها وكان هذا قبل تحريم القمار وانما امره بالتصدق بها لانه علم
خبثها لانها سحت او شكرا لله علي تصديق مقالتهم وقوله تعالي ليظهره علي
الدين كله وعد من الله بان دين رسوله صلي الله عليه وسلم سيظهر ويغلب
ساير الاديان وتقهر امته جميع الامم فان العزة لله ولرسوله وكان كما قال من
غير شبهة وكم شاهدنا من تاييد الله لجنده ونصرهم مع ما للكفرة من الكثرة
في المال والجند وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
الاية اي ليجعلنهم خلفا في ارضه مالكين لها منصورين علي اعدايهم وهذه
الاية وان كانت عامة المراد بها غلبة المسلمين لاهل الردة في خلافة ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وقوله اذا جا نصر الله الي اخرها اي الي اخر السورة وهذه الاية
وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة ناعية لرسول الله صلي
الله عليه وسلم ولما نزلت وتلاها رسول الله صلي الله عليه وسلم عليهم بكي
العباس رضي الله عنه فقال ما يبكيك يا عم فقال نعيت اليك نفسك فقال انه
كما تقول وعبر بالمجي ايما الي ان المقدرات متوجهة من الازل الي اوقاتها
المعينة لها متقربة القدوم وفيه من البلاغة ما لا يخفي بل اشار الي تفسير ما
ذكر بقوله فكان بجميع هذا كما قال الشاعر وحل مطابقا لما اخبر به والاشارة
الي ما تقدم من المغيبات المخبر بها وكان بمعني تحقق ووقع بعد الاخبار به

ثم

ثم فضله على الغرب والشرق بقوله وغلبت الروم وهم جيل من الناس مغلوبون فارس وهم
الفرس اي قوم العجم وتطلق على بلادهم ايضا وهو لفظ معرب فان اريد الثاني قدر
اهل وقد تقدم بيانه وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث في بضع سنين اي
سبع سنين كما مر اي في راس سبع سنين واخرها والراس يطلق على ذلك مع الزمان ويكون
بمعنى الاول ايضا ودخل الناس في الاسلام افواجا اي جماعات كثيرة بعد جماعات كثيرة
فوجا بعد فوج لما اعز الله الدين ونشر اعلامه في الخافقين وهذا اشارة لما في سورة
النصر السالفة فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام
واستخلف الله المؤمنين في الارض اي جعلهم خلفا لرسوله صلى الله عليه وسلم بعده
ولعل هذه الاية عن ذكر سورة النصر لان الاستخلاف وقع بعد ذلك الدخول وان تقدم
نزولا ذكر قبله وهذا مبني على عموم الذين امنوا في قوله وعد الله الذين امنوا الاية  هنا
لجميع الامة وعدم اختصاصها بابي بكر الصديق رضي الله عنه كما تقدم ومكن
فيها اي في الارض دينهم وهو دين الاسلام اي جعله متمكنا قارا لا يزول الى يوم
القيامة يقال مكنته ومكنت له فتمكن وهو في الاصل التمكن من المكان وملكهم اياها
اي الارض لان اشرف المعمور منها في ايديهم وباقيها في انقياد لهم فهم بالقوة كالمالكين
لها وانه باعتبار ما سيكون بعد نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام الى الارض
على دينه معقد ودامت امته صلى الله عليه وسلم ولذا قال من اقصى المشارق الى اقصى
المغارب اي ابعد مكان من جانب المشرق الى ابعده من جانب المغرب وقدم المشارق
اقتداء بالكتاب والسنة اولشرفه لانه محل الرسل وفيه الاراضي المقدسة وقد
وقع للادبا مفاخرة بينهما فقال محيي الدين بن سحنون من ابيات للغرب فضل الالى يتغالى
والشمس تفقد فيه والبدر يلقى هلالا دلايل النقص فيه فكيف يحوي الكمالا
وقال
فلا تبخسوا لشرق حقا وخذ من الوصف فيه على ما اتفق
مهب الصبا ومغيب الضيا ووجه الزمان وثغر الفلق
وعارضه الرداعي رحمه الله فقال
الغرب خير وعند ساكنه امانة اوجبت تقدمه
فالشرق من نيريه عندهم يودع ديناره ودرهمه
ثم انتقل من قال
حوى كل من الافقين فضلا يقر به الغبي مع النبيه
فهذا مطلع الانوار منه وهذا منبع الايوا فيه
وهذه لمحة ادبية ونفحة مسكية احمضنا بها كما قال عليه الصلاة والسلام
في حديث صحيح رواه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه زويت لي الارض بزاي معجمة
وواو وياء مبني للمجهول اي جمعت وطويت فاريت مبني للمجهول من الرؤية اي
اراني الله مشارقها ومغاربها اي جميع اماكنها وبلدانها وسيبلغ ملك بضم  رب
الميم امتي ما زوي لي منها وجمع بمراى عيني وما زوي منها هو المشارق والمغا  ابن الاثير
السالفة وتوهم بعضهم انه غيره وان اول الحديث مخالف لاخره ثم جمع بينهما
بان المراد بما زوي المعمور منها وما من شانه ان يملك فكانه قال جميعها وفيه

ما لا يخفى وقدم المتوجه الله على الحديث رعاية للادب بتقديم الاصل الاشرف وقوله
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فاخبر بانه تعالى حفظ القران من التبديل والتغيير
في سائر الزمان بدلالة الاسمية المؤكدة فكان كذلك في المستقبل كما اخبر فلا مبدل
له لانه بخلاف سائر الكتب فانه تعالى وكل حفظها للامم المنزلة عليهم فقال
بما استحفظوا من كتاب الله اي طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل والتحريف
حتى صارت لا يوثق بما نقل منها والمراد بالذكر القران لا يكاد يبعد بالكتاب المجهول
اي لا يبعد لكثرته من سعى اي اجتهد في تغييره وتبديل محكمه ويكاد بمعنى يقرب
ونفي القرب من البعد ابلغ من نفي البعد وقال تبديل محكمه دون تبديله ارشادا
للمانع من تبديله وقوله من الملحدة بيان لمن اي من الطايفة الملحدة من الالحاد
وهو الميل كما مر سموا بذلك لعدولهم عن ظواهر الشريعة وتاويلها بامور
سخيفة ويسمون باطنية وهم الاسماعيلية وزعم بعضهم ان مصحف عثمان رضي الله
عنه نقص منه بعض القران كما ذكره القرطبي في اول تفسيره والمعطلة الذين نفوا
الصانع وتستروا بزي الاسلام حوفا من القتل وسعوا في نقض الدين وترويج
ما يروج على بعض العقول القاصرة لا سيما القرامطة هم طايفة من الملحدين
ايضا قال السمعاني في الانساب القرمطي بكسر القاف وسكون الرا وكسر الميم والطا
المهملة نسبة لطايفة خبيثة وهم من اهل هجر والحسا واصلهم رجل من سواد
الكوفة يقال له قرمط وقيل حمدان بن قرمط وسبب ظهورهم ان جماعة من
اولاد بهرام جوبين ذكروا اباهم وجدودهم وما كانوا فيه من العز والملك
وزوال ذلك بدولة الاسلام في ايام ابي مسلم الخراساني ونقله الخلافة الى المروانية
وهو من الموالي وهم من اولاد الملوك فاتفقوا على رفع الاسلام وقالوا ينبغي
ان نفرقهم ونفسد الرعايا عليهم فقسموا الدنيا اربعة اقسام لكل ربع رجل منهم
واحد ذهب الى الكوفة فاول من اجابه حماد بن قرمط فاعانه على الدعوة وقيل انما
سموا قرامطة لان النبي صلى الله عليه وسلم راى عامر لميمي وهو من اهل المدينة فقال
انه ليقرمط في مشيه انتهى اي يقارب خطاه ومنه الخط المقرمط وعلى هذا فهو
عربي وقيل انه معرب وان جدهم كان يسمى كرميد فغيروه وعربوه وكان
رجلا احمر العينين من سواد الكوفة فالكاف عجمية في الاصل من الكرمية وهي
الحرارة وكان ظهوره في سنة ثمان وسبعين ومايتين فلم يزل يظهر الصلاح حتى
اجتمع عليه الخلق فزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر به وانه الامام
المنتظر فابتدع مقالات وزعم انه انتقل اليه كلمة المسيح وجعل الصلاة ركعتين
بعد الصبح وركعتين بعد المغرب والصوم يومين بالنيروز والمهرجان فكانت
له وقايع وحروب ودعا وخلفا مدة كونه في التواريخ حتى ظهر منهم سليمان بن
الحسن الجنابي فعاث في البلاد وافسد وقصد مكة فدخلها يوم التروية سنة
سبع عشرة وثلاثمائة في خلافة المقتدر فقتل الحجاج وزمزم وهدم زمزم
وقلع باب الكعبة واخذ كسوتها واخذ الحجر الاسود فبقي عندهم سنين ثم
ردوه مكسورا فنصب في محله وقد كان بذل لهم فيه خمسون الف دينار فابوا

ولم

ولم يزالوا كذلك حتى اخذوا الشام وغيرها حتى قاتلهم جوهر القايد فهزمهم وقتل
بهم خلقا كثيرا وكانت مدة خروجهم سبعا وثمانين سنة وكانوا يحرفون القران ويأولونه نه
تأويلات فاسدة لم تقبلها العقول وما بعد سيما نحوه فيه وجوه الاعراب الثلاثة
كما تقدم بيانه فاجمعوا كيدهم بقطع الهمزة والمراد بالكيد الحيلة والمكر في تحريف القران
وحولهم وقولهم اي اعملوا حيلهم وبذلوا قوتهم وقدرتهم في ان يحرفوا القران اليوم
منصوب على الظرفية وقيل بتقدير اعلم اليوم او بنزع الخافض اي الى هذا اليوم والمراد تلمساني
مطلق الزمان والوقت الحاضر في زمن المصنف رحمه الله نيفا بكسر اليا المشددة وسكونها بعد
نون مفتوحة ومعناه الزيادة اي مدة تزيد على خمسماية عام وهي مدة سعي هولاء فيما
ذكر فما قدروا في هذه المدة الطويلة على المعاني من نور تنقيل حالهم في سعيهم
في تحريف القران بعد ارادة اطفاء نور عظيم منتشر في الافاق ولا على تغيير كلمة من كلامه تغيير
لما نيله بجعل كلام الله نورا ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه فضلا عن كلمة من كلامه
بمؤمن في والحمد لله على هذه المنة العظيمة وهي حفظ الله لكلامه وبقاء رونق نظامه وخيبة
سعي من سعى في اطفائه وافتضاح جملة اعدائه ومنه اي مما اخبر به من المغيبات المحتمة
قوله عز وجل سيهزم الجمع ويولون الدبر نزلت بمكة فلم يدر الصحابة رضي الله عنهم ما
المراد بها حتى كان يوم بدر بعد سبع سنين من نزولها فلبس صلى الله عليه وسلم درعه
وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر قال ابن عمر رضي الله عنهما فعلمت المراد منها
اي سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين ادبارهم اي يجعلون المسلمين متولين على
ادبارهم بالطعن والضرب فعبر عن شدة انهزامهم بابلغ عبارة ففيها اعجاز لفظا
ومعنى وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية اي ويخزهم وينصركم عليهم
ويشف صدور قوم مؤمنين وفيها من الاخبار عن الغيب ان ناسا من اليمن وبني خزاعة عة
اسلموا وقدموا مكة بعد الهجرة فلقوا من المشركين اذى شديدا فشكوا ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا وابشروا ان الفرج قريب فنزلت هذه الاية
فكان بعدها ما اوقع الله بهم من القتل ونصرة المومنين التي شفيت بها صدورهم
وخزيهم بالسبي والجلاء وسلب نعمهم وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية
فيها اخبار بالغيب من ظهور دينه على ساير الاديان على رغم انفهم وقد تقدم الكلام
على هذه الاية وقوله لن يضروكم الا اذى اي لا يقدرون عليكم الا باذية يسيرة كالطعن
فيهم وتهديدهم وان يقاتلوكم الاية اي يولوكم الادبار ثم لا ينصرون فاخبر
انهم كلما قاتلوا غلبوا وكانت عاقبة النصر لنا عليهم والامور بخواتيمها والحرب سجال
فكان كل ذلك اي وقع كما اخبر الله به قبل على طبق خبره من هزيمة جموعهم وتعذ
بهم بما يشفي صدور المؤمنين واظهار دينه وتولية الدبر كل من قاتل منهم وتمامه في بهم
القران من المغيبات ما فيه اي القران من كشف اسرار المنافقين اي اظهار ما اخفاه
المنافقون في قلوبهم مما لا يعلمه الا الله مما انزله في حقهم في سورة المنافقين وكشف
اسرار اليهود ومقالهم اي اظهار ما قالوه فيما بينهم وهم ظنوا ان الله لا يشعر
به غيرهم وكذبهم في حلفهم اي كذب المنافقين وقسمهم بمكة رسول الله صلى
الله عليه وسلم على مقالتهم انها صادقة والله يعلم انهم كاذبون كما ذكر في سورة

المنافقين ومثله كثير في القران وترنيمهم بذلك اي توبيخ الله لهم بسبب ما قالوه وحلفهم
بايمان فاجرة ثم مثل لما ذكر فقال كقوله عز وجل ويقولون في انفسهم اي قول اليهود فيما
بينهم وفي خلوة تناجيهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا عذبنا الله بقولنا في حق
محمد لو كان نبيا ادعى علينا حتى نعذب او بما كانوا يقولون هم والمنافقون فيما بينهم في
حق النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فاخبر الله بذلك وفضح سرائرهم وزاد بقوله
حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقوله تعالى يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك
الاية يعني انهم يسرون في ضمائرهم غير ما يظهرون لك اذا اتوك وهذا بيان لحال
المنافقين ومكرهم والذي اخفوه قولهم يوم احد وقد غشيهم النعاس ولم يكن لهم
هم غير تخليص انفسهم من القتل وقال بعضهم لبعض في خلوة من المؤمنين لو كان لنا
من الامر شيء ما قتلنا هاهنا الاية فاعلم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك
فاخبرهم بما قالوه وهو من جملة المغيبات وقوله عز وجل ومن الذين هادوا سماعون
للكذب اي سماعون لقوم اخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقوله من
الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا
ليا بالسنتهم وطعنا في الدين دعي عليهم بالصمم او بالموت اولا نسمع ما دعينا اليه
فاخبر الله تعالى بتحريفهم كتابهم وتمنالتهم وعدم طاعتهم وهو من الاخبار بالغيب
الدال على اعجاز القران وهذا في حق اليهود وفي الاية كلام مفصل في التفاسير واحتمالات
اخر ووجوه من الاعراب ليس هذا محل تفصيلها وقوله في هذه الاية وراعنا ليا
بالسنتهم وطعنا في الدين اي بالتكذيب والاستهزاء والسخرية فهذا اخبار بالغيب عما
كان اليهود يقصدونه من التحقير ويسرون سبه في صورة التوقير فيقولون راعنا
ويتفالون صلى الله عليه وسلم بالرعونة موهمين الناس نظرة ورعايته لهم مكرا
منهم وليا بالسنتهم وكلامهم وقد قال الله تعالى حال كونه مبينا بالغيب اي مظهرا
ما قدره الله وقضى به واعتقده المؤمنون من الظفر باحدى الطائفتين العير
او النفير يوم بدر اي في وقعتها لان اليوم يطلق على ذلك في قولهم ايام العرب كما
تقدم وهو من المغيبات التي اخبرهم بها بقوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم بدلا مما قبله وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم الشوكة مستعارة من
الشوكة المعروفة للقوة والحدة بكثرة السلاح والرجال ومنه شاكي وشاك السلاح
للرجل المستعد للحرب بالالة وهذا اخبار للمؤمنين بامر وقع في انفسهم ودوه
واحبوه وهو مغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم اعلمه به جبريل عليه الصلاة
والسلام فلما تلاه عليهم سر اذا يمانهم باعجاز القران وذلك ان المسلمين لما
علموا بقدوم عير المشركين بما لهم من التجارة واحبوا الخروج اليها علم الكفار بذلك
فخرج ابو جهل بمقاتلة مكة وهم النفير ولما علم ابو سفيان بخروج النبي صلى
الله عليه وسلم لذلك اخذ الى جانب ساحل البحر فقيل لابي جهل ارجع بالناس
فابى وسار بمن معه الى بدر فوعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم باحد الامرين
الظفر بالعير او قتل النفير وكانت الصحابة رضي الله عنهم يودون في انفسهم اخذ
العير لما فيها من المال وقلة ما عندهم من السلاح والرجال فقدر الله انهم يلقون

الذي ليقطع دابر الكافرين فقتل صناديدهم وايّد الله المؤمنين واعز الدين ومنه اي من
اخباره بالغيب في كلامه المعجز قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم خمسة من الكفار وسبعة
كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم اشد الاذى ويسخرون به فاخبره الله بهلاكهم صريحا وكفا
امرهم قبل وقوعه فكان كما قال وهذا من جملة المغيبات التي اخبر بها رسوله صلى الله
عليه وسلم كالتي قبله ولذا اجعلهما في قرن كما اشار اليه بقوله في سبب نزول هذه الاية
كما رواه الطبراني في الاوسط ولما نزلت هذه الاية عليه صلى الله عليه وسلم بشر بذلك
اصحابه اي بهلاكهم لما كان عندهم من الالم من شدة بغيهم فاخبرهم بان الله كفاه اياهم
باهلاكهم وكان المستهزؤن نفرا بمكة من اهلها ينفرون الناس عنه صلى الله عليه وسلم ويطعنهم
واستهزؤا به ويؤذونه فهلكوا وهم الاسود بن يغوث والاسود بن عبد المطلب والوليد
ابن المغيرة والعاص بن وايل السهمي وعدي بن قيس وقيل منهم الحارث بن عيطلة ٥
وفكيهة بن عامر الفهري والحارث بن الطلاطلة ذكرهما الماوردي في اعلام النبوة ٥
وروي ان جبريل اخبره صلى الله عليه وسلم بهلاكهم وكيفيته وقد مر رواية رجلا رجلا
وكيفية هلاكهم مفصل في السير وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم هلكوا في ليلة وا
والذي ذكره غيره انهم هلكوا في ايام متقاربة بعد ما دعى عليهم بفناء البيت فاجاب الله
دعوته صلى الله عليه وسلم وانزل عليه الاية كما قال في الهمزية

وكفاه المستهزئين وكم سا ۞ نبيا من قومه استهزا
ورماهم بدعوة من فنا البيت ۞ فيها للظالمين فناء
خمسة كلهم اصيبوا بدا ۞ والردا من جنوده الادوا

ومن الاخبار بالغيب قوله والله يعصمك من الناس اي يحفظك من جميع الناس الذين
يريدون بك سوا وكان الصحابة يحرسون النبي صلى الله عليه وسلم في اسفاره فلما نزلت
منعهم من الحراسة ومراده هذا الاية في ما اصابه صلى الله عليه وسلم باحد لان
الاية نزلت بعدها او المراد حفظه من القتل كما فصله الخيضري في خصايصه فكان
كذلك اي محفوظا معصوما كما اخبره الله وكان هنا تامة وكذلك اي وقع ووجد
كما اخبر به او ناقصة وكذلك خبرها وقوله على كثرة من رام اي قصد وضره متعلق
وقع بقوله وقصد قتله اشارة الى صحة ما تقدم عن الخيضري من ان العصمة انما
هي عن القتل لا عن غيره من انواع الاذى كما مر والاخبار بذلك معروفة صحيحة كما
في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
نجد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاه فنزل تحت شجرة فعلق
سيفه بغصن من اغصانها وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر فاتاه رجل
وهو صلى الله عليه وسلم نايم فاخذ السيف فاستيقظ وهو قايم على راسه والسيف
مسلت في يده فقال له من يمنعك مني قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله
فشام السيف قال وها هو جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان ملك قومه فانصرف حين عفا عنه وقال والله لا اكون في قوم هم حرب لك
ومثله كثير

## فصل

الوجه الرابع من وجوه الاعجاز القرانية
ما انبأ به اي ما اخبر الله به من اخبار القرون السالفة هو جمع قرن وهم اهل كل

بينه

حق

عشر وزمان من الاقتران لاقتران زمانهم ولحوق الهم فقيل هو اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل هو مطلق الزمان اي اخبار الامم والملل المتقدمة والبلاد البعيدة مما لا يطلع عليه الامن تتبع التواريخ او ساح في اقطار الارض وقد عمر عمرا طويلا وكلا الامرين منتف في حقه صلى الله عليه وسلم والامم البائدة اي الهالكة الذين افناهم الموت وطحنتهم رحى الدهر حتى اندرست اثارهم والشرايع الدائرة بدال مهملة وثا مثلثة من دثر اذا اندرس ولم يبق له اثر والدثور ورد بمعنى النسيان فالمراد معرفته بالشرايع القديمة التي نسيت ولم يبق احكامها من تذكر بحثا به اذا نطق بها وفي تعبيره نوع من البلاغة يسمى التفنن لان السالفة والبائدة والدائرة متغايرة اللفظ متقاربة المعاني مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة بيان لما كعلمه من اخبار على حد قوله تعالى كما ذر فوامنها من ثمرة رزقا على ما حققه في شروح الكشاف الا الفذ الفذ هو الفرد والشاذ وهما بمعنى وكلاهما بذال معجمة وفي الحديث لا تدع شاذة ولا فاذة من احبار اهل الكتاب احبار جمع حبر بكسر الحا المهملة وفتحها وسكون الموحدة وراء مهملة ومعناه العالم الحافظ الواسع علمه والعرف يخصصه بعلما اهل الكتاب ومنه كعب الاحبار التابعي المشهور ويقال له كعب الحبر وهو المداد الذي يكتب به واليه نسب كعب لمذكور او لانه يحبر الكلام ويزينه وفي المصباح الحبر بالكسر المداد الذي يكتب به واليه نسب كعب فقيل كعب الحبر لكثرة كتابته بالحبر حكاه الازهري وعن الفرا الحبر العالم والجمع احبار مثل حمل واحمال ويقال الاحبار انبياء اي عالم العلما وكذا في تهذيب الاسما للنووي وحينئذ فلا عبرة بقوله في القاموس كعب الحبر بالفتح ويكسر ولا تقل كعب الاحبار الذي قطع عمره في تعلم ذلك اي تعلم اخبار من سلف وشرايعهم فاذا كان لا يعلمه الامن قراه ودرسه طول عمره واما من كان اميا في امة امية لم يعاشر من له علم به وتعلمه واخبار به مفصلا امر خارق للعادة في حقه محال لا لذاته بل لذاته فوروده متفرع على قوله انبا اي اذا اخبر به النبي في الوحي المتلو المنزل عليه يورده اي يذكره النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه حال من الفاعل او صفة مصدر مقدر اي ايرادا كاينا على وجهه اي على انه حال يليق به وينبغي له كما يقال دبر الامر على وجهه كما في الاساس ويأتي به على نصه اي في غاية مرتبة من كماله ونعته يقال بلغ الشيء نصه اي نهايته كما في الاساس لان معنى نص رفع ومنه المنصة وفيه تورية لان عبارة القران تسمى نصا فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه اي من يعلم تلك الاخبار والشرايع اذا سمعها من لم يسمع لها علم صحة كلامه وصدقه فيما قاله او ان مثله اي مثل النبي صلى الله عليه وسلم او مثل هذا الكلام لم ينله اي لم يصل اليه النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم اي من البشر بل بوحي الله وقد علموا اي علم الناس من المسلمين والمشركين انه صلى الله عليه وسلم امي اي لا يعرف القراة ولا الكتابة فقوله لا يقرؤ ولا يكتب صفة له مفسرة وموضحة وقول النحاة الجملة المفسرة لا محل لها من الاعراب ليس على اطلاقه ولما كان هذا لا يكفي لاحتمال ان يسمعه ممن قرا وكتب قال ولا يشتغل بمدارسة اي بحفظ وتلق من الافواه ولا مثافنة بضم الميم وتليها مثلثة ثم الف ونا وقاف اي مداومة

رد على القاموس

طلب

كلب وتجالسة تحك فيه الركب بالركب حتى يؤثر فيها الاحتكاك وهو عبارة عن كثرة الجلوس
مع اهل العلم بالاخبار والشايع للتعلم منهم وهو مجاز من ثفن البعير اذا بركت والثفنة
ركبته التي يبرك عليها حتى يغلظ من حك الارض كثفنيه على كذا اذا اعتنقه وكان يقال
لابن عباس ذو الثفنات لطول جلوسه في طلب العلم او لكثرة سجوده حتى يصير في جبهته تلمساني
اثر السجود وهذا ابلغ مما قبله وهو الصحيح الموافق لدأب لمن في بلاغته وما قيل
من انه بمثلثة وقاف وموحدة من ثقب رأيه اذا انفذ وذهن ثاقب وان الاول
تصحيف الثقب من ثفنت يد الرجل بكسر الفاء اذا غلظت من كثرة العمل فهو من تحريف
الكتبة الذي لا يلتفت اليه من له علم بكلام العرب وان نقله عن بعض الشراح وقد تقدم
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يعرف الخط ولا يكتب وانه من معجزاته ورد ما
ما قيل انه مخصوص بأول امره وانه كتب بيده الشريفة عام الحديبية فكان ذلك معجزة
له اخرى وقد شنع على قائله علماء الاندلس ونسبوه للزندقة كما مر مبسوطا غير مرة
ولم يغب عنهم اي لم يغب صلى الله عليه وسلم عن قومه غيبة يحتمل انه تعلم فيها ما اخبرهم
به ولا جهل حاله احد منهم من ولادته صلى الله عليه وسلم الى وفاته حتى يتوهم تعلمه ذلك
من اهل الكتاب وقد كان اهل الكتاب اي احبار اليهود والنصارى كثيرا ما يسالونه
اي في كثير من الاحيان فهو منصوب على الظرفية وما مزيدة لتأكيد معنى الكثرة او هو
صفة مصدر مقدر اي يسالونه صلى الله عليه وسلم سؤالا كثيرا عن هذا اي عن خبر
من تقدم من الامم السالفة فينزل عليه عقب سؤالهم جوابا لهم من القرآن ما يتلو
عليهم منه ذكرا المراد بالذكر القرآن المذكر لهم كقصص مصدر بالفتح او جمع قصة بالفتح او بالكسر جمع قصة صح
بالكسر اي سير الانبيا مع قومهم فيذكره صلى الله عليه وسلم لهم مفصلا بالغ عبارة
والطف اشارة وخبر موسى والخضر بفتح الخا وكسر الضاد المعجمتين ويجوز سكون ثانيه
مع فتح اوله وكسره وهو ما قصه الله في سورة الكهف وموسى هو ابن عمران الكليم
على الاصح لا نبي آخر كما يزعمه اهل الكتاب والخضر هو بليا بن ملكان على اقوال في الاختلاف
في اسمه وقد اختلف ايضا في نبوته ورسالته وانه هل هو حي الى الآن او مات قبل
تمام المائة الاولى او قبل زمانه صلى الله عليه وسلم واكثر علما الصوفية
على انه حي الآن الا ان الله اخفاه عنا وقد اطبق اكثر الصالحين على ذلك
والقول بلا نبوته وبتجدد ثوبه مع عمره وانه يحج في كل سنة وليس في ذلك دليل
قاطع ولكن حسن الظن يصدق فيما قالوه والاكثر انه ولي لا نبي ومن الغريب ما قيل
انه ملك وقيل انه لا يموت الا في آخر الزمان حين يرتفع القرآن وفي صحيح مسلم
في حديث الدجال انه يقتل رجلا ثم يحييه قال ابراهيم بن سفيان راوي كتاب
مسلم يقال انه الخضر وكذلك قال معمر في مسنده وسمي خضرا لانه اذا جلس على
ارض اخضرت له او لانه اذا صلى اخضر ما حوله وفي جامع الاصول عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم انما سمي بذلك لانه جلس على فروة
بيضا فاخضرت تحته وفي صحيح البخاري من حديث همام بن منبه عن ابي هريرة مرفوعا
انما سمي الخضر لانه جلس على فروة فاذا هي تهتز من خلفه خضرا والفروة الارض اليابسة
او الحشيش اليابس قال ابن فارس الفروة كل نبات مجتمع اذا يبس وقال الخطابي الفروة وجه الارض

انبتة واحصرت بعدان كانت جردا ويوسف واخوته وهي واسما اخوته والخلاف في كونهم
انبيا ام لا سياتي مفصلا وقد كان اليهود سالوه صلى الله عليه وسلم عنهما فانزل
الله عليه السورة واصحاب الكهف ومعناه المغارة لانهم وجدوا بها واختلف في
مكانها ولهم اسما يونانية اختلف في ضبطها وكانوا فروا من ملك يسمى دقيانوس
وقصتهم مفصلة في التفاسير وسبب نزولها ان قريشا بعثوا النضر بن الحارث وعقبة
ابن ابي معيط الى احبار اليهود ليسالوهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره
لانهم عندهم علم من الكتاب الاول فقدموا المدينة قبل الهجرة وسالوهم عن ذلك فقال
لهم الاحبار سلوه عن ثلاث فان اخبركم عنها فهو نبي مرسل والا فهو متقول سلوه
عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان امرهم العجيب وعن رجل طاف مشارق الارض
ومغاربها ما كان نباوه وسلوه عن الروح ما هي فان لم يبينها فهو نبي مرسل علي
ما ياتي فسالوه عن ذلك فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شا الله فانقطع عنه الوحي
ايا ما اختلف في عددها فارجف بذلك كفار مكة وحزن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم انزل الله عليه ما قصته في سورة الكهف وذي القرنين اختلف فيه وفي اسمه
وسبب تسميته فقيل يوناني اسمه هرديس وقيل حميري اسمه الصعب بن ذي مراثد
وفي خطبة لقس بن ساعدة بن الصعب ذو القرنين * ملك الخافقين * واذل الثقلين *
وعمر العين * ثم كان كلحظة عين * وهو الاسكندر وسمي ذا القرنين فقيل لانه عمر مدة
قرنين وقيل لانه ضربه على قرني راسه وقيل له وابتغى له والعز المشعر وغير
ذلك ولقمان وابنه وهو لقمان بن عنقا بن مروان وكان وليا صالحا وقيل انه نبي
والاصح خلافه وقيل انه نوبي من اهل ايلة واسم ابنه فاران عند ابن قتيبة
واشباه ذلك من الانبا والقصص والاخبار المذكورة في القران عمن مضى من الامم السالفة
وبدء الخلق اي ابتدا خلق الله للدنيا وما جرى في ذلك مما لا يطلع عليه الا من قرا
الكتب ودرسها وخلقه للسموات والارض وما في التوراة والانجيل من احكام الشرايع
والتوحيد والزبور وصحف ابراهيم وموسى من المواعظ والاذكار وذكر لبدء الخلق
لما تضمنه من الاخبار عما سلف ايضا من اخبار الامم فلا يرد عليه ما قيل من ان بدء
ابن الجوزي
الخلق اخبار عن فعل الله وهو جدير بالحاقه بالاخبار بالغيب مما صدقه فيه العلما
بها اي الاحبار من اهل الكتاب حين ذكره لهم ولم تعدو اعلى تكذيب ما ذكره منها لكونها
مطابقة للواقع ولما عندهم مما لم يمكن انكاره بل اذعنوا لذلك فاقروا به واعترفوا
متعادين له فمن موفق اسم مفعول من التوفيق اي الذين سمعوا ما قصه صلى الله
عليه وسلم عليهم وعرفوا احقيته منهم من وفقه الله فهداه وامن بالمد وفعل
ماض مفتوح الاخر بما سبق له من خير اي بسبب ما سبق له في علم الله الازلي وحكم
بانه سعيد فسبق فعل ماض بسين مهملة وبا موحدة وقاف والخير هو احسان
الله والانعام عليه بهدايته ويجوز كسر سينه وقيل يا مثناة تحتية ماض مجهول
ساقه اي بما ساقه الله له واوصله اليه من الخير ومن شقي معاند حاسد اي
اشقاه الله حتى حمله العناد والحسد على عدم الانقياد لما علم حقيته كما
حمل الحسد ابليس لعنه الله على ضلاله لما كتب له من الشقاوة الازلية

فلم تصدق ولم يومن ومع هذا العناد والحسد الذي اظهروه وقلم علمك بالنبا اليهود ونايب فاعله
انه انكر الواقع بعد سطور وهو بالغا التوبيخية تفصيل وتبيين لقوله لم يقدروا على
تكذيب ما ذكر منهما والمقام مقام الاطناب وخطابة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لا موقع له ابن اقبوس
بعدما تقدم اي لم يقدر كل واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له صلى الله عليه
وسلم اي هم مع انهم اشد الناس عداوة له وعلى بغضهم مع كفرهم وانه احب الخلق على الخير اي صح
لشديد واحرصهم على تكذيبه اي على شيء من كلامه يقدرون على نسبته الى الكذب فيه وطول
احتجاجه عليه الصلاة والسلام عليهم اي اقامة الحجة عليهم بما في كتبهم المنزلة على الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وتقريعهم اي توبيخهم وتفضيحهم بما انطوت عليه مصاحفهم
جمع مصحف بتثليث الميم كما نقل عن ثعلب والشيخ غريب من اصحف اذا جمع الصحف فهو
بمعنى الصحف هنا وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام عما لا يعلمه الا من له تبحر في العلم
منهم وتعنيتهم اياه تفعيل من العنت وهو المشقة والتعب اي تكليفهم بما هو شاق عن اخبار
انبيائهم متعلق بسؤالهم واسرار علومهم اي الامور الخفية الدقيقة من علومهم ومستودع عات
سيرهم اي سؤالهم عما اودع في مصاحفهم من سير انبيائهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم
وفي نسخة بمكنون بدل مكتوم اي اخباره صلى الله عليه وسلم لمن سأله منهم عن امور مكنونة
مخفية عندهم سترها عن غيرهم ومضمنات كتبهم اي ما تضمنتها كتبهم من الاحكام
وغيرها مثل سؤالهم عن الروح في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان كما تقدم بيانه
وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى لما قال علما اليهود للمشركين سلوه عنها فان سكت
او اجاب عن الجميع فليس بنبي وان اجاب عن الاولين وسكت عن الروح ووكل علمها
الى الله فانه كذلك في التوراة فهو نبي مرسل وحكم الرجم اي سؤالهم له صلى الله عليه وسلم
عن حكم الرجم للزاني المحصن الذي انكروه فبينه لهم صلى الله عليه وسلم كما في
التوراة وما حرم اسرائيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب عليه الصلاة والسلام
ومعناه صفوة الله وكان اليهود سألوه امتحانا له عما حرم على نفسه فقال لحوم
الابل والبانها والعرق وما فيه عرق فصد فوه لانه كان يسكن البدو وخوفا من
اخيه العيص ثم نذر انه ان دخل بيت المقدس سليما من الامراض والآفات ان يذبح
احد اولاده واعزهم عليه فلما سار وقرب منه بعث الله ملكا وكز فخذه ثم من بعرق
النسا حتى كان من وجعه ما كان وذلك لئلا يلزمه ذبح ولده فحرم على نفسه ما مر
لانه بعضو عرق النسا وكان ذلك باجتهاد منه والانبيا يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح
ويعقوب مات بمصر فحمله يوسف عليهما الصلاة والسلام ودفنه عند ابيه
بوصية منه وسألوه ايضا عن ما حرم عليهم اي على بني اسرائيل من الانعام ومن
طيبات من المآكل كانت احلت لهم اي جعلها الله حلالا لهم فحرمت عليهم ببغيهم
اي حرمت عليهم عقوبة بسبب ظلمهم يشير الى قوله تعالى وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر الاية فحرم الله عليهم ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطير
كالابل والنعام والاوز والبط وقيل كل ذي مخلب من الطيور وكل ذي حافر من الدواب
وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكليتين الا ما التصق بالظهر والجنب كما بينه
المفسرون وفصلوه في سورة الانعام وقوله ببغيهم اي بقتل انبيائهم

ولحذهم اموال الناس بالباطل فقالوا ان الله لو يحرم علينا شيئا ونزلت هذه الايات بتكذيبهم
حتى افتضحوا وادعنوا وقوله ومثل قوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل الاية
الاشارة الى قوله تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود كزرع اخرج شطأه الى اخر
ما ذكره في اخر سورة الفتح فاخبرهم الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بما
في كتابهم وغير ذلك من امورهم التي نزل بها القران مما لا يعلم مثله الا بوحي فاجابهم
عما سالوه وعرفهم بما كتموه بما اوحي اليه من ذلك السابق ذكره كله انه انكروا كذا او
كذبه بفتح همزة ان وان المصدر المسبوك منهما وما دخلت عليه نايب فاعله لم يحك وهو ظاهر
ثم اضرب عن ذلك اضرابا انتقاليا على سبيل الترقي فقال بل اكثرهم صرح اي تكلم بكلام
صريح ناطق بصحة نبوته اي بان انه صلى الله عليه وسلم صادق في دعوى النبوة
وان له نبوة صحيحة وصدق مقالته اي صدق في كل ما قاله صلى الله عليه وسلم مما
ادعاه ومما نقله عن كتبهم وصدق مصدر مضاف للفاعل او مقالته مجرور او فعل
ماض مشدد الدال ومقالته منصوب مفعوله واعترف لعناده وحسده اياه
فاقر بان جحده لما قاله صلى الله عليه وسلم محض عناد وحسد وافراد ضمير حسده
رعاية لافراد لفظ اكثر وروي بضمير الجمع رعاية لمعناه وليس حسده فعلا ماضيا
لقوله اياه فانه يأباه كاهل نجران بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة قبل الالف
ونون وهم قوم من نصارى العرب منزلهم بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة
سموا بنجران بن زيد بن سبا وسيأتي الكلام عليهم وابن صوريا بفتح الصاد
وراء مهملتين وواو ساكنة قبل الراء ومثناة تحتية مقصور وجوز البرهان مده
وهو عبد الله بن صوريا وهو حبر من احبار اليهود الذين كانوا بالمدينة وهو
الذي وضع يده على اية الرجم وهو لفظ عبراني واختلف في اسلامه فقيل انه
اسلم وقيل مات على كفره وابني اخطب تثنية ابن واخطب بزنة افعل التفضيل
بخاء معجمة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وموحدة علم لابيهما وهما حيي بضم الحاء
المهملة وفتح الياء المثناة التحتية يليهما ياء مشددة وابو ياسر وهما يهوديان
من يهود المدينة معروفان ماتا على كفرهما وحيي هذا هو ابو صفية ام المؤمنين
رضي الله عنها قالت كان عمي ابو ياسر احسن رايا من ابي كان يقول السنة نجده في كتبنا
فيقول نعم هو هو فيقول له فما في نفسك منه فيقول معاداته وغيرهم من
احبار اليهود والنصارى ومن باهت في ذلك بعض المباهتة اي لم يقر بحقية ما جاء به
صلى الله عليه وسلم وادعى انه كذبه مكابرة منه يقال بهته وباهته اذا كذبه ودعته
للبهتان ومنكر طيب المسك كذبه الشذا وقوله بعض المباهتة اي في بعض
اموره التي يمكن المكابرة فيها وفيه اشارة الى ان من اخباره صلى الله عليه وسلم ما لا
يمكن انكاره من احد من العقلاء وقد علمت انه يقال بهته بكذا وباهته كما في الاساس اي افترى
ومن انكره فقد اتى ببهتان من عنده وادعى ان فيما عندهم من كتبهم من ذلك لما
حكاه متعلق بقوله مخالفة بالنصب اسم ان ومن الموصولة في قوله ومن باهت مبتدا
خبره دعي بالبنا للمجهول اي دعاه الرسول صلى الله عليه وسلم باذن ربه الى اقامة
حجته اي الهدى لبدلوا بالاتيان بنص من كتبهم يخالف ما اخبرهم به وكشف دعوته اي بان

ما ادعاه فقيل له اي قال الله له صلى الله عليه وسلم قل لهم فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم
صادقين الى قوله الظالمون يعني قوله فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون
وسبب نزولها ان اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم تزعم انك على ملة ابراهيم وانت تاكل
لحم الابل ولبنها وذلك محرم في شرعه وقيل ان المسلمين قالوا لهم اباحه منه عليكم الطيبات ببغيكم
فقالوا انها كانت محرمة قبل ذلك فامروا باحضار التوراة حتى يتلى ما فيها من تحريم ذلك فلم يجدوا
ذلك فيها وافتضحوا وقيل انهم اتوا برجل وامراة زنيا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
كيف تفعلون فقالوا نحممهما ونضربهما فقال لهم ان الذي في التوراة رجمهما فانكروه فقال
لهم كذبتم ائتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فاتوا بها وقرءوا حكم الزاني فيها فوضع القارئ
يده على اية الرجم وقرا ما قبلها وما بعدها فانتزعت من يده ووجد فيها الرجم فرجما فقرع
ووبخ اي قرعهم الله وعيرهم بتكذيبهم وافترائهم على الله صريحا وتلويحا وجعلهم لما لمبين
ودعي الى احضار ممكن غير ممتنع وهو امرهم بالاتيان بالتوراة وهي حاضرة بين ايديهم
فصاروا فئتين فمن معترف بما جحده وانكره من احكام التوراة ومن متواقح بفتح الميم
وبمثناة فوقية مفتوحة وقاف مكسورة وحاء مهملة اي متكلف للوقاحة وهي قلة
الحيا وصلابة الوجه حتى لا يبالي بافتضاحه والمراد به ابن صوريا الذي وضع يده على
اية الرجم فقال له ابن سلام ارفع يدك يا اعور كما اشار اليه بقوله يلقي على فضيحته
اي ما يفضحه ويجعله سخرية بين الناس من كتابه اي من الكتاب الذي معه بيده اي يضعها
عليه وعلى الاية التي فيها ما يخالف دعواه ويكذبه ولم يؤثر بالبناء للمجهول يعني ينقل
معطوف على قوله فلم يحك المتقدم ونائب فاعله ان واحدا منهم اي من اهل الكتاب من
اظهر خلاف قوله صلى الله عليه وسلم من كتبه اي من الكتب التي عندهم مما انزل على انبيائهم
ولا ابدا اي اظهر نقلا صحيحا ولا سقيما اي محرفا لفظه او مؤولا معناه من صحفه جمع
صحيفة وهي الكتاب قال الله تعالى بيانا لما كانوا عليه في هذا الامر يا اهل الكتاب قد
جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كصفته صلى الله عليه وسلم وقصة
الرجم وبشارة الكتب ببعثته صلى الله عليه وسلم وشانه ويعفو عن كثير لحلمه وستره
عليهم من جاهدا بينهم بنبوته ونبوة الله الانبيين وهما قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه
ويهديهم الى صراط مستقيم **فصل** هذه الوجوه الاربعة
من اعجازه بينة في غاية الظهور لا نزاع فيها اي لا ينازع احد من العقلاء في كونها
ثابتة معجزة ولا مرية بكسر الميم وضمها كما مر بمعنى شبهة وشك في ذلك وهي
عامة في جميع الايات وفي جميع الاخبار الواقعة فيها كما قال ذلك الكتاب لا ريب
فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه
الوجوه الاربعة اي جمع اية او اسم جنس جمعي كتمر وتمرة وليس بجمع ما يفرق بينه
وبين واحده بالتاء اسم جنس جمعي كما فصله البدر بن مالك في باب الجمع من شرح
الالفية والاية جملة من القران لها مبدا ومقطع كما مر وردت بتعجيز قوم
اي جاءت باظهار عجز طائفة مخصوصة من الناس في قضايا جمع قضية وهي
الحادثة الواقعة في حكم قضاء الله وقدره واعلامهم انهم لا يفعلونها الاعلام

بكمال الهمة متعذرا علم عجزه ومعطوف على تعجيزه والضمير للقضايا لما فعلوا ولا قدروا على ذلك
المذكور من تلك القضايا ونفي القدرة ابلغ من نفي العلم كقوله عز وجل لليهود لما ادعوا دعاوي
باطلة كقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فكذبهم والزمهم الحجة فقال
خطابا له صلى الله عليه وسلم قل ان كانت لكم الدار الاخرة وهي الجنة عند الله خالصة
اي خاصة بكم وهو حال من الدار الاخرة والخطاب لاهل الكتاب من دون الناس اي باقيهم
من المؤمنين غيرهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين في قولكم انكم من اهل الجنة وانها مخصوصة
بكم لان من تيقن دخول الجنة اشتاق لها واحب التخلص من هذه الدار واكدارها
ومن احب لقا الله احب الله لقاه ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم فنفى عنهم تمني
الموت في جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وابدا وما قدمته ايديهم الكفر بالله
وتحريفهم التوراة فما في هذه الاية من المعجزات لانه اخبار بالغيب وهو كما اخبر
اذ لو تمناه احد منهم مع توفر الدواعي على نقله اشتهر والتمني وان كان من اعمال القلب
الخفية كما ياتي فالنطق به وقولهم تمنينا مما لا يخفى ولو تمنوه ماتوا لغصهم بريقهم
على الحياة وحرصهم لن يتمنوه وقد صرفهم الله عن ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم
وقد استشكل ما قاله المص هنا بان ما ذكره هنا داخل في الوجوه السابقة فان قوله لن اي اخبرهم
يتمنوه ابدا مثل قوله فاتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
لاعلامهم بانهم لا يفعلون لعجزهم وعدم قدرتهم فهو داخل في النوع المتقدم ولانه
اخبار عما استاثر الله بعلمه في المستقبل فجعله ادنى منه غير مسلم وقد سوى بينهما
في الكشاف والجواب عنه ان ما تقدم امر معجز في نفسه في سائر الازمنة بخلاف
ما نحن فيه فان قول احدهم ليتني اموت ونحوه امر ممكن لهم ولغيرهم والعبارة
انما هو مجرد الاخبار عن عدمه ووقوعه فهو مغاير لما قبله وادنى منه بمراتب
قال ابو اسحاق الزجاج في تفسيره المسمى بمعاني القران وهو تفسير جليل يعتمد
عليه الزمخشري في كشافه وهو ماخذه كما مر وهو العلامة في فنون العربية
التي تلقاها عن المبرد واسمه ابرهيم بن السري بن سهل بن الزجاج نسبة لصنعته
توفي سنة احدى عشرة وثلاثمائة يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الاخرة كما تقدم
في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة اي رسالة نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم لانه قال فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه
واحد منهم وفي نسخة احد منهم وفي الكشاف فان قلت التمني من اعمال القلوب
وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لن يتمنوه قلت ليس التمني من اعمال
القلوب وانما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا او ليت كلمة تمن ومحال ان يقع
التحدي بما في الضماير والقلوب ولو كان بالقلوب لقالوا قد تمنيناه بقلوبنا
ولم ينقل انهم قالوه وفي حواشيه للقطب انه استدلال على ان التمني ليس من
افعال القلوب لان التحدي انما يكون بامر ظاهر وفيه ان التحدي انما يكون باظهار
العجز لا لزام من لم يقبل الدعوى والتمني ليس بمعجز فهو كقول الخصم احلف لي ان
كنت صادقا ويمكن ان يقال التحدي هنا طلب دفع المعجزة فان اخباره بانهم
لن يتمنوه ابدا معجزة طلب دفعها بتمنيهم والدفع لا يكون الا بامر ظاهر وهو

بكلام

لا يخفى موقعه فيه لو لم يحمل الى المعقود وعن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
البيهقي من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما بهذا اللفظ الاتي واحمد في
مسنده عن ابن عباس مرفوعا بسند جيد بلفظ لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا والذي نفسي
بيده اقسم بالله فيما مناسبا للمقسم عليه فان معناه ان روحه بيد الله ان شاء ارسلها فيحيى
وان شاء امسكها فيموت وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقسم به لا يقولها اي كلمة
التمني المفهومة من السياق رجل منهم اي واحد من بني اسرائيل والرجل على ظاهره او المراد
ما يعم المراة الا غص بريقه غص بضم الغين المعجمة وفتح الصاد المشددة المهملة او بفتحها
وفاعله ضمير الرجل وعليه اقتصر بعضهم ولا ينافي الاول كونه لازما كما توهم والغصة
ما يقف في الحلق فيمنع التنفس حتى يهلكه يقال غص بالطعام وشرق بالشراب وشجي بالعظم
وجرض بالريق وقد يستعمل كل منهما مكان الاخر والريق رطوبة الفم وعصير الدهر مصابيه
وهو كناية عن سرعة وقوع الموت بهم كما في النهاية واليه اشار بقوله يعني يموت
مكانه اي في مكانه الذي غص فيه فلا يمهل لانتقاله لفراشه فصرفهم الله عن تمنيه مصدر
مضاف لمفعوله وهو ضمير الموت وجزعهم بفتح الجيم وتشديد الزاي المعجمة وفتحها وفتح
العين المهملة وفي نسخة فجزعهم وكونه جرعهم براء مهملة غلط ليظهر صدق رسوله
صلى الله عليه وسلم وصحة ما اوحي اليه بقوله اذ لم يتمنه احد منهم لخوف الموت
لتيقن صدق خبره وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا واعلى تكذيبه بان يتمنوا ولا يموتوا
والجملة حالية بتقدير قد ولكن الله بالتخفيف والتشديد يفعل ما يريد من تمنيهم وعدمه
فظهر بذلك اي بصرفهم عما هم احرص عليه معجزته وبانت حجته بصدق خبره عن
الغيب قال ابو محمد الاصيلي تقدم الكلام عليه وعلى نسبته من اعجب امرهم اي اليهود
انه الضمير للشان لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يومئذ اي من حين امر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم بقوله قل لهم فتمنوا الموت يقدم عليه اي على تمني الموت
ولا يجيب اليه اي الى قوله تمنوا الموت او الى قول احد تمن الموت لشدة خوفهم
ولما جبلهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال ولتجدنهم احرص الناس
على حياة وهذا المذكور من امتناعهم عن التمني موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه
منهم اي كل من اراد ان يعرفه اذا ذكره لهم ظهر به ما في طباعهم والامتحان هو التجربة
وانما ذكره دفعا لما يقال التمني امر خفي فقد يقال انه موجود ولم يطلع عليه
وكذلك اية المباهلة اي مثل قصة النبي صلى الله عليه وسلم في بني اسرائيل
قصة المباهلة في نصارى نجران لان فيها تكليفا لهم بامر لو قالوه هلكوا وقد
اخبره الله به قبل وقوعه فكان كما اخبر ولم يجبه احد منهم الى ما دعاهم اليه
كما لم يتمن اليهود الموت وهي من هذا المعنى يعني انهما متقاربان كما قررناه انفا
واصل معنى المباهلة كما حققه الراغب من البهل وهو الاهمال كارسال البعير
بحل صراره اي ناقة بهال اي مهملة فلانا اذا خليته وارادته ومنه الابتهال وهو التضرع
الدعاء قال ومن فسره باللعن فلما فيه من الاسترسال وفيه قال الشاعر نظر الدهر اليهم فابتهل
اي استرسل اليهم فافناهم انتهى وفيه رد على بعض اهل اللغة اذ ظن ان حقيقته
الملاعنة وتاويله ظاهر فقوله ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين حيث ورد

دلجي

عليه الوفد هو القادم من غير اهل الديار كما مر وحيث هنا للزمان اي لما قدموا عليه من
ديارهم اساقفة نجران جمع اسقف بضم الهمزة والقاف وبينهما سين مهملة واخره فاء مشددة
وهو رئيس النصارى في دينهم قاضيهم وامامهم قيل سمي به لانحنائه وخضوعه ونجران
بفتح النون واسكان الجيم بلدة كانوا فيها وهي بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة ٥
قدموا منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ستون راكبا منهم اربعة عشر رجلا
روساهم ومنهم ثلاثة تفزع اليهم في كل امرهم واميرهم اسمه العاقب كما ياتي وذو رايهم
كان واسمه المسيح وثمالهم السيد وصاحب رحلهم الايهم وابو حارثة بن علقمة
اخو بكر بن وايل اسقفهم وامامهم وقصتهم مشهورة في الاسلام وابوا الاسلام
اي امتنعوا ان يسلموا لادعائهم حقية دينهم وعدم نسخه فانزل الله عليه صلى الله
عليه وسلم في حقهم اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم الاية
وتمامها فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل
فنجعل لعنة الله على الكاذبين ومعنى انفسنا وانفسكم اي ليدع بعضنا بعضا فان
الانسان لا يدعو نفسه وكيفيتها كما قدمته الله ان يجمع كل من المتخاصمين اهله ثم يتوجه
كل منهما الى الله ويقول اللهم ان هذا يقول كذا وكذا وانا اقول كذا وكذا اللهم
فاجعل لعنتك على الكاذب منا فان عذاب الله يحل بمن كذب من نظره وهذا لم يتبع
فان سلطان العلماء العز بن عبد السلام اسند اليه بعض اهله شيئا لم يقله فقال
اباهله الى الله فعل فلم يمض سنة حتى هلك من باهله وانما جمع الاهل تحويفا لهم
بخلول العذاب من الله بهم اجمعين ومن قال هنا بمعنى البهلة بالضم والفتح
اللعنة لم يصب كما مر عن الراغب وهذا انما كان دينه من وجه ومن قال الاسقف
مشتق من السقف كما قاله ابن السكيت والها للعجمة ففي كلامه تناقض فامتنعوا
منها اي من المباهلة خافوا لما شاهدوه من الهلاك على انفسهم بدعائه صلى الله
عليه وسلم ورضوا باداء الجزية وهي الخراج الموظف على الناس ويطلق على ما يوظف
على الاراضي فاختاروها مع ما فيها من المذلة وكانوا قالوا له صلى الله عليه وسلم
مالك تشتم نبينا فتقول عبد الله فقال هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها
الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا من غير اب فانزل الله عز
وجل ان مثل عيسى عند الله الخ ثم دعاهم للمباهلة وذلك ان العاقب عظيمهم
قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم
اي هلكوا جميعا لاجابة دعائه عليهم ثم قال لهم ان ابيتم الا الاقامة على دينكم
فصالحوه وانصرفوا الى دياركم وروي ان القائل لهذا منهم هو السيد الذي كان
يسمى شرحبيل فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا يكن لكم وعليكم
ما للمسلمين وعليهم فابوا فقال نقاتلكم فقالوا ما لنا طاقة بحربك ولكن نصالحك
على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة
الف في صفر والف في رجب فصالحهم صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال لو تلاعنوا
مسخوا قردة وخنازير واضطرم عليهم الوادي نارا وفيه دليل على مشروعية
الملاعنة قال في المواهب وقد جربت وانه لا يمضي على الكاذب سنة كما سمعته

دلجي

م تلمساني

وقد علمت ان هؤلا امتنعوا من الملاعنة كما امتنع اليهود عن تمني الموت ولذا اورده المص
هنا ومثله قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
اي مثل قوله فمن حاجك فيه فاخبرهم الله في هذه الاية انهم لا يفعلون في المستقبل ابدا
وهذا ما دل عليه الجملة المعترضة بين الشرط وجزائه وهي قوله ولن تفعلوا كما كان في
الماضي الدال عليه فان لم تفعلوا فان عجزهم عن معارضة القران امر محقق ووقع ولما
اتى بان الشرطية وكان مقتضي المقام اذا باعتبار ما عندهم من الشك في قدرتهم تهكما بهم
وهذه الاية اي قوله تعالى وان كنتم في ريب الخ ادخل في باب الاخبار بالغيب اي اندراجها
فيه اظهر واوضح لتحقق النفي في المستقبل بالنفي في الماضي الذي علم من التحدي بخلاف اية
تمني الموت واية المباهلة لعدم تقدم شيء من نوعها وقيل لان فيها النص بجانبي فعلهم
في المستقبل بخلاف آية المباهلة فان فيها اشعارا بالعجز عن المباهلة في الحال والاشعار
بالنفي في المستقبل الذي هو من الاخبار بالغيب من لوازمها الا من صريحها وفيه بحث
ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها اي في آية سورة البقرة التي فيها تعجيزهم عن
الاتيان بمثل سورة ما من مثله تعجيز كتعجيزهم عن المباهلة وفيه نظر فانهم لم
يعجزوا عن المباهلة وانما خافوا من عاقبتها فاحجموا عنها ولو ارادوها لم يكن
عندهم مانع منها فتدبره

**فصل** ومنها اي من وجوه اعجاز القران
وجه غير الوجوه الاربعة التي تقدمت الروعة بفتح الرا والعين المهملتين المرة
من الروع وهو الفزع والخوف الذي يطرؤ عند سماعه لجلالته وهيبته كما وقع
لسيدنا عمر رضي الله عنه لما سمع اول سورة طه فاسلم من غير تردد لما وقع في قلبه
عند سماعه التي يلحق قلوب سامعيه اصله تلحق قلوب السامعين له فحذفت نونه
لاضافته لضمير القران واسماعهم بالنصب معطوف على قلوب مفعول تلحق وهو جمع
سمع بمعني الحاسة وفيه تسمح لان الفزع لا يلحق السمع وانما يلحق القلب بواسطته
وهو كقوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى او لتذكر احداهما الاخرى
اذا ضلت كما حقق في الكشاف وشروحه وانما عطف عليه ليفيد ان هذه الروعة
تلحق من يفهمه ومن لا يفهمه مؤمنا كان او كافرا فما قيل ان في عد هذا وجها
مستقلا من وجوه الاعجاز نظرا لانه معنى زايد على النظم مشروط بتدبره وهو في
المؤمن واضح واما في الكافر فليقرر بهه لتيسر بيد لمن القى السمع وهو شهيد
وقوله عند سماعه باباه والضمير للقران والهيبة بالرفع معطوف على الروعة
ومعناه الخوف يقال هابه اذا خافه كما في القاموس وهو قريب من الروعة
والتحقيق انهما ليسا بمعنى واحد كما في عروس الافراح قال بعضهم ان الروع
والمهابة واحد وليس كذلك بل الروع الفزع والمهابة الاجلال قال

اهابك اجلالا ومابك قدرة علي ولكن ملء عين حبيبها

وقال الشريف في قول السكاكي ادخال الروعة وتربية المهابة المهابة يراد
بها عرفا الحالة التي تكون في قلوب الناظرين الى الملوك وتربيتها تقويتها
والروعة الخوف الذي يتجدد بمخاطبتهم مما يتفق التي تعتريهم اي تطرؤ عليهم
وتغشاهم عند تلاوته وقراءته والاول ناظر للسامع والثاني للقاري بنفسه

موضي

ابن اقتبرى

او هنا بمعنى لغوة حالة اي لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والانذار
وهذا ناظر للروعة عند من فهمه واناقه خطره اي علو مرتبته على غيره من الكلام الذي
يهابه سامعه فهو ناظر للهيبة ويمكن كل منهما لكل منهما وهي اي الروعة والهيبة
وافرد الضمير لانهما شي واحد او كالواحد على المكذبين به اعظم منها على المومنين لشدة
خوفهم منه كما قيل الخاين خايف والمومن وان هابه فهو متلذذ به مطمئن قلبه ببشائره
حتى كانوا اي المكذبون يستثقلون سماعه لصعوبة ما فيه عليهم ويزيدهم سماعه نفورا
عن الحق والاصغا اليه كما قال تعالى واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم
نفورا اي ولوا معرضين عنه لعدم ذكر الهتهم فيه ويودون اي يحبون انقطاعه
اي قطع تلاوته عندهم لكراهتهم له لخبث طباعهم كما تتضرر ارياح الورد بالجعل
ولهذا المذكور من محبة انقطاعه وكراهتهم له قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
الذي رواه الديلمي وغيره عن الحكم بن عمير وسياتي بتمامه ان القران صعب في نفسه
بمعنى انه لا يقدر احد على محاكاته وضبط الفاظه وحفظها بسهولة كما قال تعالى
انا سنلقي عليك قولا ثقيلا مستصعب بفتح العين وكسرها اي يعسر فهمه وتفسيره
بالراي ولا يمكن تغييره وتحريفه لانه لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
لانه ليس من جنس كلام البشر على من كرهه من الكفار والمنافقين وهو اي القران الحكيم
بفتح ثم كسر اي الحاكم الفاصل بين الحق والباطل بما تضمنه من الاحكام والبرهان القاطع بما
نصب فيه من الادلة الدالة على حقيته ولذا قيل له فرقان وهذا في حق غير المومن
واما المومن فعاد له لا انما مقدرة معلومة مما قبله اي اما غير المومن فلا يريد الاصغا
عليه لكراهته له واما المومن فلا تزال روعته بفتح الراي فزعه وخوفه من
زواجره ومواعظه وهيبته منه لما الحاصلة بسببه وهيبته اياه الضمير الاول للمومن
والثاني للقران او بالعكس مع تلاوته اي قراته من تلاه اذا تبعه او هو بمعناه
اللغوي اي اتباعه لاوامره ونواهيه والتلاوة في العرف تختص بالقران وقيل لا
تختص به تولية اي تعطيه من اولاه معروفا اذا اعطاه فهو بضم المثناة الفوقية
وسكون الواو وكسر اللام المخففة اخذا بنون وجيم وذال معجمة وموحدة 1
من جذبه اذا اماله لجهته بشدة اي يستميل قلبه وسمعه لمحبته له وبه التي
ينجذب اليه وتكسبه بضم التا الفوقية وسكون الكاف هشاشة بفتح الهاء والشين
المعجمة اي مسرة وخفة ولينا لما فيه من البشاير السارة والمعاني اللذيذة التي
تحصل له نشاط لميل قلبه اليه وتحصيل ثوابه فهو دايما يرتفع فكره منه في
روضات انيقة فاذا عرف من يناجي وانه جليس الرحمن سر ونشط ثم استشهد
لهذا النقل بقوله قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله اي يعرض للجلود ابدا لهم قشعريرة اي قيام من الخوف
من هيبته فاذا تاملت في تدبره لان قلبه وجلده لانسه وسروره به ولذا
ترى بعض الصالحين اذا تلي القران تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى ذلك
الى الغشي وشق الثياب ونحوه ومثله لا ينكر ومن لم يذق لا يعرف ولا يابى
هذا انه لم يقع من الصحابة رضي الله عنهم لان مقامهم مقام تمكين وقد بسط

هذا في الاحيا فان اردته فارجع اليه وعدي تلين بالي لما فيه من معنى الميل وذكر الجلود في
الاول وضم اليهما القلوب في الثاني اشارة الى ان الاول قبل التدبر التام فاذا تدبره تمكن وقر
في قلبه وزالت تلك الحالة الظاهرة عنه وقال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل الاية
يعني لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
وهذا تمثيل لما فيه من الروعة التي تهد الجبال فما بالك بالرجال والاية مبينة في
التفاسير فلا حاجة للتطويل بذكر ما فيهما او يدل على ان هذا اي ما يحدث للقلوب والا
من الروعة والمهابة شيء خص به اي القران دون غيره من الكلام انه امر يعتري اي
يطرق ويحدث من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره فضلا عن تمارس كتبه ويقروها
حتى يقف على دقايقه ولطايفه فعلم من هذا ان تاثر السامع به لسر فيه وامر باقي
ولذا كان ينتاب قاريه وسامعه وان لم يفهمه بخلاف غيره كما روي عن نصراني
ليس من شانه فهم القران ولا الوقوف على تفسيره فهذا ايضاح لما قبله انه مر
لقارئ يتلو القران جهرا فوقف ليسمع قراءته وهو يبكي فقيل له مم تبكي واما سيل عن سبب
بكايه لانه لا يصدق به ولا يفهمه فقال للشجا والنظم الشجا بفتح الشين المعجمة والجيم
مقصور يقال شجا يشجي شجا وهو شجي اذا احزن او طرب او غضب والثاني انسب هنا
كما قاله البرهان والمراد بالنظم ونفس انتظامه وحسن انسجامه فاثر ذلك في نفسه
وهو لا يفهمه حتى ابكاه وسمع بعض العرب بخراسان مغنية حسنة الصوت تغني
بالفارسية فشوقه ذلك واشجاه وقال

ومسمعة يحار السمع فيها ∗ ولا يفهم لا يبصر صداها
ولم افهم معانيها ولكن ∗ ورت كبدي فلم اجهل شجاها
فكنت كانني اعمى معنى ∗ يحب الغانيات ولا يراها

ولم يذكر المص رحمه الله ان ذلك القارئ قرا بصوت حسن حتى يكون تاثره وطربه
لنغماته وهو ابلغ وادل على ما قصده وهذه الروعة الحاصلة عند سماع القران
لمن لم يتدبره قد اعترت جماعة وحصلت لهم قبل الاسلام اي قبل اسلامهم وبعده
لو فصل حال من اعترته الروعة قبل اسلامه لكنه تسمح في العبارة لان القبلية تقتضي
عروض الاسلام فلا ينافي قوله ومنهم من كفر وكذلك قوله بعده فعبارته لا تخلو من
المسامحة وكان الظاهر ان يقول اعترت جماعة منهم من اسلم ومنهم من بقي على كفره
بقوله فمنهم من اسلم اي لهذه الروعة لاول وهلة بفتح الواو وسكون الهاء وهي
المرة من الوهل وهو الفزع يقال وهل منه واليه اذا فزع ثم قيل اول وهلة
لاول ما يقرع السمع ويقع في الوهم والفكر وهو المراد كما اشار اليه في الاساس واسلم
بمعنى اقر واعترف وامن به اي صدق بقلبه ومنهم من كفر اي دام على كفره
لاصراره على عناده لحماقته وجاهليته فحكي في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري
مسندا عن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف الصحابي رضي الله عنه
وقد تقدمت ترجمته وانه اسلم في فتح خيبر او فتح مكة انه قال سمعت رسول الله
وفي نسخة النبي صلى الله عليه وسلم يقرو في صلاة المغرب وذلك قبل اسلامه
بالطور اي بسورة الطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شيء اي من غير خالق لهم

سماع

كما يقول الدهرية ام هم الخالقون لانفسهم لشهادة قوله بعده ام خلقوا السموات
والارض وقرأ الى قوله ام هم المسيطرون اي المدبرون للاشيا كما يريدون وبينهما بل
لا يوقنون ام عندهم خزاين ربك يقال مصيطر ومسيطر للسيد المالك كاد قلبي ان
يطير اي حدث عندي فزع وخوف شديد ظننت ان قلبي ذاب وفني حتى لو بقي معي
وطيران القلب يراد به تارة شدة الخوف وهو المراد هنا لان القلب متحرك دايما بالحرارة
فاذا زالت الحرارة الغريزية لخوف او شدة شوق وحب زاد خفقانه فيشبه حينئذ
بطاير يخفق جناحه كما قال القايل

كان قطاة علقت بين اضلعي * لان فؤادي دايم الخفقان *
وقلت * عجبا لقلبي طاير فزعا * وعليه ناحل اضلعي قفص *

وعليه قول العرب افرخ روعه كما حقق في كتب اللغة وفي رواية اخرى غير
رواية الشيخين وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وقر بالقاف بزنة ضرب
بمعنى سكن وثبت وذلك انه كان مشركا في اسارى بدر او في فدا اسارها فلما
سمع الاية وفهمها علم ما فيهما من برهان الايمان القاطع لعرق الكفر لدلالتها
على انه لا خالق يستحق العبادة الا الله سكن قلبه بعد اضطرابه حتى كاد يطير
وهذه رواية البخاري ايضا في المغازي وفي رواية فصدع قلبي وفيه دليل على
صحة رواية المسلم ما تحمل حال كفره وفيه بيان لروعة القران لمن سمعه وان تلك
الروعة سبب لاسلامه وعن عتبة بن ربيعة هو ابو الوليد بن عبد شمس بن مناف
المشهور وهو ممن قتل كافرا ببدر فلا يتوهم اسلامه بقول المص عن عتبة هنا وهذا
الحديث رواه ابن اسحاق في سيرته والبغوي في تفسيره انه كلم النبي صلى الله عليه
وسلم فيما جابه من خلاف قومه يشير لما في السير من ان ابا جهل لعنه الله قال
لقريش قد انتشر علينا امر محمد فلو اتاه منا من كلمه فذهب اليه عتبة وكان ذا
راي وحزم وقال له يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب فلم تشتم
الهتنا وتسفه احلامنا وتضللنا وانت منا بسطة قومنا فان كنت تريد الرياسة
عقدنا لك اللوا وكنت رئيسنا وان كان بك الباه زوجناك من تختار من بنات
قريش وان كنت تريد المال جمعنا لك من اموالنا حتى تكون من اكثرنا مالا وان كان
لك راي لا تستطيع رده طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا او كما قال والنبي
صلى الله عليه وسلم يسمع كلامه حتى تم فقال له افرغت يا ابا الوليد قال نعم
قال اسمع مني ما اقول فتلى عليهم اي على الوليد ومن معه او من علم انه سيبلغه
ما تلاه عليه من سورة حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته الى قوله
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي الصاعقة التي
اهلكت قوم هود وقوم صالح فامسك عتبة على فيه اي وضع يده على فم النبي
صلى الله عليه وسلم حتى يقطع كلامه وما تلاه عليه من هذه السورة لخوفه
من وقوع ما انذرهم به وفي نسخة فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه
وسلم وناشده الرحم اي سأله مقسما عليه بالرحم وهي القرابة القريبة
المقتضية للرحمة والتعطف عليهم من حلول ما ذكر من العقاب بهم يقال ناشدته

وفي نسخة عليه بالاذراع

وناشدته

وتشدته اذا اقسمت عليه فتم استعطاف وفي رواية اخرى لابن اسحاق في سيرته عن كعب
القرظي فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤ قال الراغب جعل لفظ عام في الافعال كلها
اعم من فعل وصنع واخواتها وتاتي على اوجه فيجري مجرى صار وطفق فلا تتعدى نقول
جعل زيد يقول كذا الخ فالمعنى انطلق في قراءة السورة وقوله لاتتعدى اي هي من
افعال الشروع والفعل خبرها لامفعولها والشروع لاينافي الاستمرار كما توهم وعتبة
منصت اسم فاعل مغفل بوزن منذر اي مستمع لقراءته منصت لها ملق بيديه خلف ظهره
لاعتماده عليهما فقوله معتمد عليهما كالتفسير له حتى انتهى اي وصل الى آية السجدة
فسجد صلى الله عليه وسلم وقام عتبة من عنده لايدري بم يراجعه اي بكلمة يعقب
تلاوته لروعته اي ادهشته بما سمعه منه صلى الله عليه وسلم ورجع الى اهله اي
دخل عتبة منزله ولم يقابل احدا ممن كان ينتظر خبره ولم يخرج من بيته الى قومه واستمر
في بيته حتى اتوه ليسالوه عن انقطاعه عنهم ما سببه فاعتذر لهم عن عدم خروجه
لهم واخبارهم بما جرى له معه صلى الله عليه وسلم وقال فيما اعتذر لهم به والله لقد
كلمني النبي صلى الله عليه وسلم بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط اي مماثل له
في حسنه وحسن النظم وتاثيره في القلوب فما دريت ما اقول له فبهت الذي كفر والله
لا يهدي القوم الظالمين وفيه دليل لما نحن فيه من الروعة والهيبة لمن بقي على كونه
ممن اضله الله على علم وفي رواية لما راوه قالوا والله لقد جاءكم ابو الوليد بغير
الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال ورائي اني
سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة
يا معشر قريش اطيعوني وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله
ليكونن لقوله الذي سمعته نبأ عظيم فان تصبه العرب كفيتموه بغيركم وان يظهر على
العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به فقالوا سحرك والله يا ابا الوليد
قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم وقد حكي بالبناء للمجهول عن غير واحد اي عن كثير
وغير الواحد شامل للقليل والكثير ولكنه خص عرفا بهذا كما مر من رام معارضة
اي قصد ان ياتي بكلام يماثله في البلاغة انه اعترته اي حدثت له واصابته روعة
وهيبة حين تلاه وسمعه كف بها اي بتلك الروعة والفزع عن ذلك اي المذكور من
روم المعارضة ثم ذكر بعض من سخف عقله ممن هم بذلك فقال فحكي ان ابن المقفع
طلب ذلك ورامه اي قصد معارضة القرآن والكلام بما يماثله وفي المقتفي للبر
الحلبي المقفع بضم الميم وفتح القاف والفاء المشددة قبل العين المهملة ولم يتعرض
ابن ماكولا لبيان حركة القاف وهي مضبوطة في النسخ بالكسر والذي حفظه الفتح
وذكر ابن ماكولا شخصا يقال له مروان بن المقفع فلينظر هل هو هذا ام لا انتهى
وهو غريب من مثل هذا الحافظ فانه بالفتح من غير شبهة قال في القاموس مقفع
اليدين كمعظم متشنجهما ومروان بن المقفع تابعي وابو عبد الله بن المقفع فصيح
بليغ وكان اسمه روزبه او داذبه بن داذويه قبل اسلامه وكنيته ابو عمرو
ولقب ابوه بالمقفع فتقفعت يداه اي تشنجتا وهذا مما يعرفه الخاصة والعامة
الا ان التلمساني قال في حواشيه المقفع اليابس اليدين والرجلين من برد وقال

ابن مكي في تثقيف اللسان ان الصواب فيه المقفع بكسر الفا لانه كان يعمل القفاع جمع
قفعة وهي شي يشبه الزنبيل بلا عروة من خوص وليس بالكبير وقيل انه كان كاتب
المنصور وهو اول من هذب المنطق وقتله سفيان المهلبي لما ولي البصرة وحضره اهلها
وفيهم ابن المقفع فذكر عنده الوطيس فلم يعرفه وسال عنه من حضر فضحك ابن
المقفع ثم انصرفوا فامر ابن المقفع بالجلوس حتى خلا المجلس فامر بتنور عظيم وامر
بان يسجر وامر بطرحه فيه فاحترق كما في مشكاة انوار الخلفا وكان ابن المقفع من جملة
قوم زنادقة كانوا يجتمعون لذكر مطاعن القران وصياغة هذيان يعارضونه بها
كما اشار اليه المصنف بقوله وشرع فيه اي في المعارضة وذكره لان تانيث المصادر غير
معتبر لتاويله بان والفعل فمر بصبي يقرا وقيل يا ارض ابلعي ماءك وقد تقدم
بيان بلاغتها وما فيها من الاعجاز على ما في المفتاح وشروحه فمحى جميع ما عمل بعض
عمله وابطل ما في صحيفته لما راها لا مناسبة بينها وبين شي من الكتاب العزيز وقال
وقال اشهد اي اقر واعترف واعلم كل احد ان هذا الايجاز مما اي لا يقدر احد على
الاتيان بمثله وما هو من كلام البشر لظهور اعجازه وكان افصح اهل وقته فليس
حتى قال ذلك بغير علم لمعرفته بصناعة الصياغة والمراد فنه زمانه وعصره
الموجود فيه فائدة قال ابو الفرج ابن الجوزي نقلت من خط ابي الوفا علي بن عقيل
الحنبلي صاحب الفنون قال وجدت في تعاليق محقق من اهل العلم ان سبعة مات
كل منهم وله ست وثلاثون سنة فتعجبت من قصر اعمارهم مع بلوغ كل واحد منهم
الغاية فيما كان فيه وانتهى اليه فمنهم الاسكندر ذو القرنين وابو مسلم صاحب
الدولة العباسية وابن المقفع صاحب الخطابة والفصاحة وسيبويه صاحب
التصانيف والتقدم في علم العربية وابو تمام الطائي وما بلغ في الشعر
وعلومه وابراهيم النظام المتعمق في علم الكلام وابن الراوندي وما انتهى اليه
من التوغل في المخازي فهؤلاء السبعة لم يجاوز احد منهم ستا وثلاثين سنة بل
اتفقوا على هذا القدر من العمر انتهى وليس بطرد الزركشي فانه لم يجاوز الاربعين
فانه مات في ست وثلاثين فينضم اليهم وكذلك شيخ الاسلام تقي الدين السبكي
فانظر الى مؤلفاته التي زادت على اكثر من ثلاثين ما بين مبسوط ومختصرات
عن خمسة وعشرين سنة فينضم اليهم وكان يحيى بن الحكم بفتح الحا المهملة والكاف
مفتوحة بعدها وقيل انما هو الحكيم بوزن الطبيب كما ذكره الذهبي وقال انه من
شعرا المائة الثانية توفي في بعد مائة وخمسين ولست على ثقة منه وذكره ابن
خلكان في تاريخه وقال انه من شعرا الاندلس وذكره في الذخيرة ايضا الغزال
بمعجمتين وزاي مشددة وقيل انها مخففة عند الذهبي ايضا في كتاب المشتبه
نقلا الاول هو وصف منسوب لصنعة الغزل وعلى الثاني هو علم منقول
من اسم الحيوان وهو بكري قرطبي لانه كان في زمن هشام بن الحكم فقول الذي ذكره
ابن حيان في المقتبس تاريخ الاندلس انه يحيى بن الحكم البكري الجياني لقب بالغزال
في صغره لحسنه وكان في المائة الثالثة حكيم الاندلس وشاعرها وله شعر في غاية
الحسن وارتحل للمشرق ثم عاد للاندلس وعمر حتى بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة

الثمانية

وارسل

وارسل رسولا لبلاد الزنج فاعجب ملكها فنادمه وسالته امراته عن سنه فقال عشرين
سنة فقالت له فما هذا الشيب فقال اما رايت مهرا ولد اشهب فضحكت والي هذا يشير بقوله
في قصيدة ٭ قالت اري فوديه قد نورا ٭ دعابة توجب ان اُدعبا ٭
قلت لها ما باله اسنه ٭ قد ينتج المهر كذا اشهبا ٭
قال وحكي انه اراد ان لا يعارض سورة الاخلاص فعرضت له حالة اوجبت توبته وهو
ما ذكره المصنف الاتي بقوله بليغ الاندلس في زمنه اي معروف بالبلاغة وفصاحة النظم والنثر
في عصره والاندلس بفتح الهمزة وضم الدال وفتحها وضم اللام لبيبا لا وهي معربة لم يتكلم
بها العرب قديما وانما عرفتها في الاسلام وقال ياقوت في معجمه اشتهر على الالسنة الفا
تلزمها ال وقد وردت بدونها في قول بعض العرب سالت القوم عن انس فقالوا باندلس
واندلس بعيد وهي بلغاتها لا نظير لها سواء قلنا فعلل او فيعلل والظاهر ان الهمزة
زائدة لان بعدها اربعة احرف ولو كانت عربية جاز ان يقال وزنها انفعل فان قلت
قال سيبويه انفعل ليس في الاسماء ولا يعرف ما في اوله زيادتان مما ليس جاريا على الفعل
قلت هو في العربي البحت وهي بجانب تونس ارض تحتوي على بلاد وليست جزيرة الا ان البحر
يحيط بها من ثلاث جهات هي اكثرها فلذا سماها بعضهم جزيرة يحكي بالبناء للمجهول
انه رام شيئا من هذا اي معارضة القران ونسج كلام على منواله في الفصاحة فنظر في
سورة الاخلاص التي هي اقصر سورة اي تدبر في نظمها لياتي من عنده بمثلها وسميت
سورة الاخلاص لاشتمالها على ما يجب اخلاص اعتقاده من التوحيد لذات الله وصفاته
ليحذو على مثالها من حذوته بحاء مهملة وذال معجمة اذا قفوت بحذائه اي مقابلته
وحذا النعل بالنعل اذا قطعها بمقدارها وقالبها فالمعني ليقول مثلها وفي الحديث
لتركبن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل اي تعملون مثل اعمالهم من غير زيادة
ونقص فهو استعارة تمثيلية وينسج بزعمه بزاي معجمة مثلثة وهو الظن واكثر
ما يستعمل في الكذب فان زعم مطية الكذب على منوالها هو بمعني ما قبله والمنوال بكسر
الميم خشبة ينسج عليها الثياب فهو استعارة تخييلية ومكنية بتشبيه التكلم والكلام
بثوب ينسج واثبت لها ما له من النسج والمنوال او هي تمثيلية او تبعية وهو امر
سهل قال اي ابن الحكم فاعترتني اي عرضت لي في حال النظر خشية اي خوف وتعظيم
له ورقة اي رقة قلب وخشوع او ضعف ولين حملته النفات اذ الظاهر حملتني
والجد الالجا والقسر على التوبة عما كنت هممت به والندامة على ما عزم عليه والانابة
اي الرجوع عنه وفي نسخة والاوبة وتركه لذلك لعلمه بانه امر لا يقدر عليه البشر
**فصل** ومن وجوه اعجازه المعدودة اي الذي عده العلماء منها اشارة
الي انه مسبوق بذكره كونه اية ومعجزة باقية فسره بقوله لا يعدم ما بقيت الدنيا
اي مدة بقائها الي قيام الساعة وما ورد في حديث حذيفة من انه تاتي ليلة يرفع
فيها القران لا يبقي في الارض منه اية هو بعد نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة
والسلام وظهور ياجوج وماجوج وهو في حكم الساعة ووجود الدنيا حينئذ
والعدم سواء وبقاؤه ببقاء تلاوته محفوظا من النسخ والتبديل والتغيير وهذا
فضل تميز به عن سائر الكتب الالهية فضلا عن غيرها وما قيل من ان عد هذا من

ابن اقبرس

وَجُوه الاعجاز لا وجه له فانه لا تعلق له بالنظم المعجز سافلا فان بقاه كما ذكر من لوازم
اعجازه بعدم مسابقته لكلام البشر حتى يؤتى بامثاله او يدخل فيه ما ليس منه او تقول انه
من جملة ما اخبر الله به عنه فهو من غيبه وهذا انسب بقوله مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والمراد بالذكر القران وضمير له له لا له صلى الله عليه
وسلم فلما تولى حفظه بعظمته وجلال ذاته ولم يكله لغيره كغيره المنقول فيه بما استحفظوا
من كتاب الله كما تقدم وتاييد حفظه لبقا حافظه ورفعة ذروة حفظه وقال لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية فلا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات ما يبطله
ولا يكون قبله ولا بعده ما يكذبه او ينسخه وساير معجزات الانبيا والرسل عليهم الصلاة
والسلام اي بقيتها غيره انقضت اي مضت وذهبت بانقضا اوقاتها اي بعد عصرهم
وزمن وجودهم انعدمت فلم يبق الا خبرها اي الاخبار الماثورة عنها دون ذاتها
ونفسها كعصا موسى وناقة صالح وانفلاق البحر وغيرها مما هو مذكور في السير كما
قيل ❁ وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى ❁
والقران العزيز اي المنيع المحمي بحماية من قاله الباهرة اياته اي الغالبة لغيرها ❁
والظاهرة واياته بمعنى انواع معجزاته السالفة او كل اية متلوة منه فقوله الظاهر
معجزاته على الاول توضيح وتوكيد وعلى الثاني بيان وتاسيس باقية على ما كان عليه
اليوم اي الى يومنا هذا فتعريف اليوم للتعريف الحضوري كهذا الان والجار والمجرور
خبر المبتدا وهو القران والمراد باليوم عصر المؤلف كما اشار اليه بقوله مدة خمسماية
عام وخمس وثلاثين سنة وروي سبع بدل خمس والصواب الاول لانه روي ان تاليفه
للشفا كان في ايام قضائه في سنة خمس وثلاثين وخمسماية قال التلمساني هكذا نقله
الثقاة من ابي عبد الله بن مرزوق ولم اسمعه منه انتهى لاول نزوله الى وقتنا هذا
اي من ابتدا الوحي ونزول القران على نبينا صلى الله عليه وسلم الى وقت تاليف المصنف
لهذا الكتاب فاللام بمعنى من نحو سمعت له صريخا اي منه كما ذكره النحاة ويدل عليه
مقابلته بالى حجته قاهرة المراد بالحجة نفس القران اي هو حجة غالبة لمن كذب به والمراد
ما فيه من الحجج والادلة ومعارضته ممتنعة اي الاتيان بمثله لا يمكن ولم يقع ❁
والاعصار كلها طافحة الاعصار جمع عصر بفتح فسكون لا فتح وسكون لا تجمع اجمع
غير قياسي وطافحة تطاوحا ممتليين بينهما الف وفا من طفح اذا فاض وندفق
باهل البيان متعلق بطافحة فان كان مجازا مرسلا بمعنى ممتلية فظاهر وان كان
استعارة تخييلية على ان البيان مشبه بالما على طريق الكناية والمعنى بفتاد اهل
الكناية والمراد العارفون بايراد التراكيب البليغة على حسب مقاماتها وحملة
اللسان حملة جمع حامل ككاتب وكتبة وهو الحافظ للسان بمعنى اللغة العربية
وايمة البلاغة اي العلما بعلم البلاغة من المعاني والبيان وفرسان الشعر وغيره
من العلوم الادبية وفرسان الكلام الذين لهم فطرة مجبولة على القدرة على التكلم
بكلام بليغ نظما ونثرا وفيه استعارة مكنية وتخييلية اذ شبه الكلام بجواد
فارع والمتكلم برجل عارف برياضته والسبق به واثبته له وجهابذة البراعة
اي اساتذة الفصاحة الفايقة في بابها جمع جهبذ بكسر الجيم والبا وبينهما

تلمساني

ها

فساكنة وآخره ذال معجمة يقال رجل جهبذ اي عالم نحرير وهو لفظ معرب واصل معنى الجهبذ
النقاد البصير والسمسار الخبير فاستعير لما ذكر كذا قالوا والذي عندي في هذه التراكيب
الجنسة ان المراد بها اهل اللسان العارفون به جبلة نقادة وطبيعة وقادة والعلما
بعلوم العربية واللغة فالمراد باهل البيان الفصحا وبالحملة علما اللغة وبالايمة البلغا
المتنامون العرب العربا وبالفرسان الشعرا واهل الانشا المحدثين وبالجهابذة العلما بفنون
الشعر وانشا النثر فلا تكرار في كلامه وان كان مقام خطابته يحمد فيه البسط والاسهاب
ولذا كان هولا فرقتان ممتنع لا يكد طبعه في العناد ومنده والملحد فيهم كثير الملحد اسم
فاعل من الحد عن الحق اذا مال ومنه لحد القبر والالحاد كما قال الراغب ضربان الحاد
الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب والاول ينافي الايمان ويبطله والثاني يوهن
عراه ولا يحل عقدته والمعادي للشرع عنيد اي معاند حاضر بادل جهده في عداوته واعتد
واعد متقاربان لفظا ومعنى اي مع كثرة من يريد المعارضة فما منهم من اتى بشيء من
الكلام يوثر اي يحفظ وينقل في معارضته والاتيان بما يماثله ولا الف كلمتين في مناقضته
المناقضة التكلم بما يخالفه ويبطله ومنه نقايض جرير كما تقدم وهي المراجعة والمحاورة
ولا قدر فيه على مطعن صحيح اي لم يعبه ولم يعترض عليه باعتراض يسمع منه وقد فعل ذلك
بعض الزنادقة فافتضح وما سمع كما بين في مطاعن القرآن التي ذكرها السلف ولا قدح
القدح ذكر المعايب يقال قدح في نسبه وعرضه اذا ذمه وقدح الزناد ضربه لاخراج النار
والمراد الاول لكن فيه تورية بالثاني لقوله المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح ٥
والمتكلف هو الذي يفعل ما لا يحسنه بكلفة منه والذهن قوة الفكر وذلك اشارة الى القدح
والطعن والشحيح البخيل استعارة للزند الذي لا يخرج منه شرر منيرة اي لم يفده قدحه
شيا غير الخيبة يقال زند شحيح اذا كان لا يوري ولله در المصنف ما الطف طبعه ومن لم يذق

ابن اقبرس

حلاوة كلامه قال لو قال ولا ضرب المتكلف بسيف ذهنه الا ارتد وهو جريح وحسن
استعارته كون الذهن يوصف بالتوقد والاشتعال كما قيل

ويكاد يحرق فيه توقد ذهنه ... لولا مياه الجود فيه والندا

لكن لا تقدم الحسنا اذا ما قيل ابلغ السكوت في محله بل الماثور والمنقول عن كل من
رام ذلك اي قصد الطعن فيه بذكر ما يؤدي الى كلام حمقه القاوه في العجز ينبذ به الالقا
بالقاف بمعنى الرمي ومفعوله محذوف اي القاوه نفسه ورميها في مهالك العجز
ومهاويه فنسبة العجز اليه ونحوها مما يهلك الواقع فيه وينبذ به متعلق به اي

دلجي

هو الرامي والطارح لنفسه وقيل معناه الغي نفسه بما في العجز واللزومه
له جعله ظل فاله وهو معنى ركيك وقول التلمساني انه الغا بالغين المعجمة من لغو
الكلام الذي يحسن السكوت عنه لا عليه والنكوص على عقبيه اي الماثور الرجوع
عما قاله بالاعتراف بعجزه يقال نكص على عقبيه وهما مؤخر الرجل اذا رجع القهقرا
وقال الراغب النكوص الاحجام عن الشيء وفي القاموس نكص على عقبيه رجع عما كان

موصي

عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري في اطلاقه وقيل عليه ان
تلك معارضة القرآن شر فكيف يكون الرجوع عنها نكوصا على العقبين قلت
هو مبني على زعمه او هو تهكم به كما اطلق على رجوع الشيطان يوم بدر عن اغاثة

وبني علي النبي صلي الله عليه وسلم في قوله تعالي فلما تراآت الفيتان نكص علي عقبيه علي ان الاصح جواز اطلاقه علي خلافه نادرا اقول هذا استعارة من رجوع القهقري لانه معني الرجوع علي العقبين حقيقة فيتجوز به عن العود الي حالة الاول مطلقا شرا كان او خيرا فالحق ما قاله الجوهري •

## فصل

وقد عد جماعة من الايمة ومقلدي الامة ضبطه بفتح لام مقلد ليناسب ما قبله وقيل انه بكسرها والمراد بالاول المجتهدين ولك ان تقول انه اشارة الي متعرف فوق الهم في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قاريه لا يمله اي لا يسام طبعه من كثرة قراته ولو اعاده مرارا كثيرة مع ان الطباع جبلت علي معاداة المعادات وسامعه لا يمجه اي لا يكره تكراره علي مسامعه يقال مج الشراب ونحوه اذا رماه من فيه فالمج حقيقة طرح المايع من الفم فان كان غير مايع يقال لفظه فاوقع الاذن مقام الفم واللفظ مقام الما لرقته ولطفه وهي استعارة لطيفة كما قال الغزي فيما تقدم •

• وتغير المعتاد يحسن بعضه • للورد خد الانوف يقبل •

فاستغير لتركه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية وكانه كالنفس الذي يكرره لا يمل منه لانه مادة الحياة كما قال المعري •

• رددي حديثك ما امللت مستمعا • ومن يمل من الانفاس ترديدا •

ومجه يمجه بضم ميم المضارع كقتله يقتله من باب قتل بل الاكباب علي تلاوته اي ملازمة قراته وتكراره فهو مجاز من الاكباب وهو الوقوع علي الوجه كما قال افمن يمشي مكبا علي وجهه وفي اختياره علي الوقوع اشارة الي توجهه اليه قال لبيد

• يتوح البكي علي يديه • مكبا يجتلي نقب النصال •

يزيده حلاوة اي تزداد قراته تزيده حلاوة ففيه ترق من عدم الملل الي زيادة حلاوته واصابه المحز لان ما يمج يكون مرا او ما لحا يكرهه الطبع وهو كقول الشاطبي رحمه الله تعالي •

• وخير جليس لا يمل حديثه • وترداده يزداد فيه تجملا •

وترديده اي اعادته وتكريره يوجب له محبة لزيادة حلاوته وحسنه لا يزال كلما كرر غضا اي جديدا وهو مجاز من غض الشوك والطرف قال جاريته شبت شبابا غضا طريا اي رطبا ناعما فلا تتغير بهجته ونضارته قال الشاطبي رحمه الله • واخلق به اذ ليس يخلق جدة • جديدا مواليه علي الجد مقبلا •

فكانه في كل مرة قريب عهد بالنزول وغيره من الكلام ولو بلغ من الحسن والبلاغة مبلغه اي لو فرض ان بعض كلام البشر وصل الي رتبته في البلاغة يمل بالتكرير اي يمله قاريه وسامعه مع الترديد اي مع التكرير مرارا ويعادي اذا اعيد اي يكره ويثقل وتنفر منه النفس كما تنفر ممن تعاديها وهذا علي فرض المحال والا فقد تقدم انه لا يوجد مثله ولا ما يقرب منه واين الثريا عن يد المتناول وكتابنا معاشر الامة المحمدية النازل الينا بواسطة نبينا صلي الله عليه وسلم وهو القران مستلذ به في الخلوات اي يجد قاريه لذة اذا اختلي بقراته وحق الخلوة لانها محل اجتماع الحواس واطمينان القلوب بذكر الله فتوفيهما

الفهم

اعظم لذة وان كان له لذة لذة ايضا بقراته بين الناس ايضا وتوثق بالبنا للمجهول اي تجد به انسا
يدفع وحشته في الازمات جمع ازمة وهي الشدة كما في حديث اشتدي ازمة تنفرجي ولام
خلوة وزاي ازمات ساكنتان في المفرد والجمع لانه اذا جمع على فعلات يسكن في الاسما ويحرك في
الصفات كما بين في التصريف والضمير في كانا للجماعة المومنين لا للتعظيم لانه لا يناسب المقام
قيل ولو قال كانا بنا انس به في الخلوات ونستعان به على الازمات كان احسن ومعتمده
المرا علاما ما قاله لان الخلوة انسب باللذة وقرينتها لان المرا يستلذ الخلوة بمن يحبه

ولذة الاحمق مكشوفة • يسعى بها كل عدو رقيب •

والشدائد لا يجد فيها رفيقا يعينه عليها ويدفع كربها والمعالي قليلة الرفقا وكل
وجهة وسواه من الكتب سوى اذا ضم اوله وكسر قصر واذا فتح مد والرواية على القصر
وهو بمعنى غير لكنه لتفنن فعبر في الاول بغير وفي هذا بسوى والظاهر ان المراد بالكتب
الكتب المنزلة قبله كالزبور لا يوجد فيها ذلك اي اللذة والانس المذكورين حتى احدث
اصحابها اي اخترعوا والغوا والمراد باصحابها من يقروها لها لحونا اي للكتب التي يدرسونها
واللحون جمع لحن واحد الحان الاغاني والنغمات التي تزين بها الاصوات وتوزن
بضروب الموسيقي على مقاماتها وشعبها مما هو معروف عندهم يقال لحن في قراته
اذا طرب وللحن معان منها هذا والايما والرمز وان اشتهر في خطا الاعراب والمراد به هنا
ترجيع الاصوات للتطريب والغنا تحسينا للقراة والشعر وفي الحديث اقروا القران
بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكتابين يعني اليهود والنصارى
يقروون كتبهم بنحو من ذلك وهكذا يفعل اهل مصر يقروا نهم في مجامع الناس المعروفة
بالحوق وهي مما حرمه الفقها وشددوا النكير على فاعله وهو لا ينافي قوله صلى الله
عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران على احد المعنيين فان المراد به الحان العرب
المذكورة من غير تمطيط وتغيير كما فصل في ادب القاري وطرقا جمع طريق وهي ما
يجري على قانون الموسيقي وضروبها الموزونة يستجلبونها اي يطلبون وجودها
او يجلبون بها الهم ولمن يسمعهم بتلك اللحون والنغمات تنشيطهم اي وجود نشاطهم
وطربهم على قراتها اي على تطويل قراتها وزيادتها او على ان يقراها غيرهم كقراتهم ان
اريد باللحون تغني القاري بنفسه ويحتمل ان يريد بما احدثوه ما يكون مع القاري
من آلات الطرب كالمزامير وما يسمى ارغنون من اوتار كثيرة تضرب مع القراة ويالف
بعضها ببعض حتى كان القاري على نغماته على قرع الاته

يملي على عود له انغامه • وتراه يعرك اذنه ان قصرا •

ولهذا اي لما اختص به القران من عدم ملل قاريه وما بعده وصف رسول الله صلى الله
عليه وسلم القران في حديث رواه الترمذي عن علي كرم الله وجهه بدون قوله الاتي
هو الذي لم تنته الجن الخ بانه لا يخلق بفتح اليا وضم اللام اي لا يبلى ويتغير حاله
بمرور الزمان ويجوز فتحهما وضم اوله وكسر ثالثه من اخلق بمعنى خلق لانه ورد
متعديا ولازما فلامه مثلثة بمعنى واحد وبمعنى مع على كثرة الرد والرد كالترديد
بمعنى كثرة التكرار في قراته ورده ورددة بمعنى كرره وكثرة التكرار في العادة
تورث ونفي ما كرر كالثوب اذا تكرر لبسه كما قيل •

ابن الفترس

اما ترى الجبل بتكراره ● في الصخرة الصما قد اثرا ●

وفيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيهه ببردة فيق يلبس ليتجمل به والمراد به اما الملل
منه فهو بمعنى ما تقدم من ان قاريه لا يمله وكل مكرر يمل ولا يتغير بحر يف ونسخ ولا
يبلى وقد ورد ان بعضهم كرر اية واحدة طول ليله ولا تنقضي عبره بكسر العين المهملة
وفتح البا الموحدة جمع عبرة بسكونها والمراد بها عجايبه او مواعظه التي يعمل بها ويعتبر
وهو عبارة عن كثرتها وبقايها والثاني اولى لئلا يتكرر مع قوله ولا تفنى عجايبه اي
لكثرتها لا تنفد وتنتهي جمع عجيبة وهي ما يتعجب منه فكلما اعدت النظر فيها ظهر لك ما هو
اغرب واعجب مما عرفته اولا هو الفصل اي الحد الفاصل بين الحق والباطل يقال كلام فصل
اي حق مبين محكم او المفصول المتميز من غيره فهو فعل بمعنى فاعل او مفعول ليس
بالهزل كما قال تعالى وما هو بالهزل اي ليس فيه لعب ولا كلام سخيف وهو في الاصل
من الهزال ضد السمن فهو كله سمين لا غث فيه لما فيه من الاوامر والنواهي التي لها بها
سامعها لا تشبع منه العلما اي لا تستغني عنه ولا تزال تستنبط منه معاني وفوايد
في كل حين وفي الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا فشبهه بما كول به
قوام حياته الا ان كل ماكول يشبع اكله اذا امتلا منه جوفه وهذا مخالف له كما فيه
استعارة تبعية او مكنية وتخييلية ● ● ●

لم تزل فوايده ممدودة ● والوان لذايذه غير مقطوعة ولا ممنوعة

ولا تزيغ به الاهوا بفتح المثناة الفوقية وزاي وغين معجمتين بينهما تحتية ساكنة
من زاغ اذا مال وعدل عن منهجه والاهوا بالمد جمع هوى وهو ما تهواه وتشتهيه
النفوس من الضلال اي لا يضل من اتبعه ويميل الى هوى نفسه الامارة ولا تلتبس
به الالسنة جمع لسان وهو الجارحة المعروفة وشاع في الكلام واللغات فالمعنى انه
لا يشبهه غيره من الكلام فلا يمكن اختلاطه به وادخاله فيه لان اسلوبه ونظمه لا يشبهه
غيره فالمراد انه لا يمكن ان يدس فيه دسيسة وقيل المعنى انه لا يعسر قراءته على
المومنين وهو بعيد لانه افتعال من اللبس وهو الاشتباه وقوله هو الذي لم
تنته الجن حين سمعته ان قالوا اصل معنى انتهى بلغ النهاية وهي اخر الشي
وغايته ويكون بمعنى كف وترك وهذا هو المراد هنا اي لم تكف الجن عن هذه
المقالة ومن لم يترك شيا بادر اليه واقبل عليه ولذا قيل معناه لم يلبثوا وان
مصدرية بفتح الهمزة ومحله نصب او جر بتقدير عن وما قيل انه في معنى العلة اي
لم ينتهوا عن القول من اجل قولهم لغوهم اذ رجعوا اليهم فيه خلط وخبط انا سمعنا
قرانا عجبا اي عجيبا في بلاغته وعلو رتبته وبركته وعزته يهدي الى الرشد اي يدل
على الصواب من الايمان والتوحيد وهو تبكيت لقريش اذ مكثوا سنين مع معرفتهم
بالفصاحة لم يفهموه وهولاء الجن بمجرد سماعهم من غير توقف امنوا به وقال
الزمخشري كانوا سبعة شاصر وماصر ومنشي وماشي والاحقب وهولا الخمسة
ذكرهم ابن دريد في مناقب عمر بن عبد العزيز قال بينما هو يمشي بفلاة اذا هو بحية
ميتة فكفنها بفضل ردايه ودفنها فاذا قايل يقول يا سرق اشهد بالله لقد
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستموت بارض فلاة ويدفنك رجل

ابن دريد
د يحيى

صالح

صالح فقال له عمر رضي الله عنه من انت يرحمك الله قال رجل من الجن الذين سمعوا القران من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا سرق قد مات وعن ابن مسعود رضي الله
عنه انه كان في نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشون فرفع لهم اعصار عظيم
ثم انقشع فاذا حية قتيل فعمد رجل منا الى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها
فلما جن الليل اذا امراتان تسالان ايكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ما ندري من عمرو فقالتا
ان كنتم ابتغيتم الاجر فقد وجدتموه ان فسقة الجن اقتتلوا مع مؤمنيهم فقتل عمرو وهو
الحية التي رايتموها وهو ممن استمع القران من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الذهبي الذي دفنه بالعرج صفوان بن المعطل وهو من الصحابة وسماه عمرو بن طارق ومن
لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنا منهم عد من الصحابة والاعتراض بانه يقتضي
ان يعد منهم الملائكة ايضا كجبريل وميكائيل رده الذهبي بانه ارسل اليهم ولم يرسل للملائكة
وبيانه يحتاج لتفصيل ليس هذا محله ومشى شيخنا الرملي على مقتضى كلام الذهبي تبعا للوالد
والمعتمد خلافه فارساله صلى الله عليه وسلم عام لكل الخلق حتى الجن وهؤلاء من جن
نصيبين بلدة بالجزيرة لا باليمن كما قيل والكلام على الجن مبسوط في كتاب لقط المرجان في
احكام الجان وسياتي بيانه في الكلام على نطق الشجر ومنها اي من وجوه اعجازه التي ذكرها
بعضهم جمعه لعلوم ومعارف اي علوم كلية كانت في الامم السالفة كعلم النجوم ودقايقه
وعلم الطب كما في قوله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر وقوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا
والمعارف الجزئية كالاخبار عن قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وتفصيلها تماما الا لمن
الامي شاهدها ومن ذلك ما قيل ان قوله تعالى الى ظل ذي ثلاث شعب انه اشارة
الى شكل المثلث وبعض احكامه المذكورة في الهندسة وفيه اشارة الى انه لا يليق بهم نفيس
الامن تضلع من جميع العلوم لم تعهد العرب بالبنا للمفعول اي لم تعرف في عهدها وزما بها
عامة اي جميع العرب وعامة منصوب على الحال لافادة العموم مثل كافة وطرا ولا احد
صلى الله عليه وسلم قبل نبوته ونزول الوحي بها عليه خاصة اي لم تعرف له صلى الله
عليه وسلم بخصوصه علم بها قبل البعثة اما بعدها فقد اطلعه الله على علوم
الاولين والاخرين جمع فيها متعلق بتعهد والضمير للعلوم والمعارف ولا القيام بها
ومداومة عليها ولا يحيط بها احد من علما الامم اي لم يحط علم احد من علما السلف
كالحكما والاحبار من اهل الكتاب بشي منها ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم اي لم
يدون قبله حتى يقال انه اخذ علمه منها وفسر ما ذكره بقوله جمع فيه من بيان علم
الشرايع جمع مبني للمجهول اي جمع الله في كلامه ما ذكر والشرايع جمع شريعة وهي
والملة والدين بمعنى متحد الماصدق متغاير المفهوم وهي وضع الهي سايق الى ما
فيه الخير في الدارين منقول من الشريعة وهي مورد الما اذ الطريق الواسع
كالشارع والتنبيه على طرق الحجج العقليات اي تنبيه الناس وارشادهم الى
نصب الادلة العقلية وكيفية الزام الخصم بها كما في قصة ابراهيم عليه الصلاة
والسلام ونظره للكواكب لاقامة الحجة على وجود الصانع وكما في قوله لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا وغيره مما لا يحصى كما ياتي بيانه والرد على فرق الامم الضالة ممن عبد
الكواكب وغيرهم ببراهين قوية محكمة الالزام جارية على قانون المناظرة والجدل وادابه

البحث بينة ظاهرة سهلة الالفاظ يفهمها كل من سمعها ٭ تكاد من عذوبة الالفاظ تشربها
مسامع الحفاظ ٭ كما هي موجزة المقاصد قليلة الفاظها الدالة على معانيها المهمة الكثيرة
فليس فيها اختصار مخل ولا عبارة مغلقة ترام المتحذلق لقوله تعجز بالبنا على المجهول اي
تعجز الوقوف عليها والمتحذلق لقوله بزنة اسم الفاعل بحا مهملة وذال معجمة ولام
وقاف وهو مدعي الحذق وهو سرعة الفهم اي فصد مدعي الذكا في العلم واقامة
البراهين يقال تحذلق اذا اظهر الحذق وادعى اكثر مما عنده كتحذلق فهو ماخوذ
من الحذق ولامه زائدة ان ينصبوا ادلة مثلها تنصب لدليل واقامة ذكره في مقام
المخاصمة فلم يقدروا عليها اي لم يكن لهم قدرة على الاتيان بمثل ادلته وبراهينه
كقوله اوليس الذي خلق السموات والارض رد على منكري الحشر والمعاد الجسماني اي
من قدر على اختراع مثل هذه الاجرام العظيمة من العدم قادر على ان يخلق مثلهم
اي مثل هذه الاجسام الحقيرة الصغيرة ويعيدها وهو اهون عليه كما قال تعالى
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فهذه حجة ظاهرة وقوله قل يحييها
الذي انشاها اول مرة اي من اوجدها من عدم محض قادر على اعادتها واحيائها
بطريق الاولى وفي هذا ايضا حجة باهرة ومنها قوله لو كان فيهما اي في السما والارض
الهة الا الله لفسدتا فلو تعددت الالهة فسد نظام العالم وبطل وفيها برهان
قوي قطعي وليس اقناعيا كما في شرح العقايد ويسمى برهان التمانع وفي بيانه
واعرابه كلام مفصل لا يسعه هذا المقام وقد اورده بالتاليف خاتمة المحققين
مصلح الدين اللاري فحسبك من القلادة ما احاط بعنق التقليد فان لكل مقام مقالا
الى ما حواه اي مضموم ما ذكر من البراهين الى ما اشتمل القران عليه من علوم السير
جمع سيرة وهي الطريقة والاخلاق الحميدة وتختص في العرف بالغزوات واخبار
الجهاد ولكل وجهة هنا وانباء الامم اي اخبار من مضى منهم والمواعظ والحكم
اي امور الترغيب والترهيب وجوامع الكلم المحكمة المرشدة لتكميل النفوس بالملكات
الفاضلة واخبار الدار الاخرة من الجنة والنار والحشر واهوال الموقف وغير
ذلك ومحاسن الاداب جمع ادب وهو الاوصاف المحمودة التي يشرف صاحبها والشيم
بشين معجمة ومثناة تحتية وقد يهمز ايضا بزنة عنب جمع شيمة وهي الطبيعة
واهل مصر يستعملها بمعنى دارانا كقول القيراطي رحمه الله تعالى ٭٭
لك يا نيل مصرنا ٭ كرم اخجل الديم ٭ انت فينا حقيقة ٭ ظاهر الوصف والشيم ٭
وهي لغة عامية لا اصل لها قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء اي لم نترك
شيئا يحتاج اليه الا بيناه في القران بنا على ان المراد بالكتاب القران لا اللوح المحفوظ
كما قيل والتفريط الترك المخل ضد الافراط وهو يتعدى بفي من غير تضمين معنى
اغفلنا كما توهم والمعنى انه مشتمل على جميع ما يحتاج اليه اجمالا او تفصيلا عربي
كما بينه المفسرون ومن زائدة تعمد النفي في المفعول الذي تعدى اليه بتضمين
ترك ونحوه ثم اردفه باية تؤيد ان المراد بالكتاب القران فقال ونزلنا عليك
يا محمد الكتاب تبيانا لكل شيء اي مبينا لكل شيء يحتاج اليه وهو بكسر التاء
على خلاف القياس بمعنى مبين ولا ثاني له غير تلقاء على كلام فيه ولقد ضربنا

للناس في هذا القران من كل مثل ضرب المثل مثلوه اي اتينا لكل امر مهم بمثال يوضحه لما في
ضرب الامثال من الفوايد المهمة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي
عن علي رضي الله عنه تقدم بعض منه واورد تفسيره هنا مع زيادة فيه ان الله انزل القرآن
من اللوح المحفوظ منجما بحسب المصالح وانزل ونزل يستعمل كل منهما بمعنى الاخر فاذا اجتمع
بينهما او قامت قرينة اريد بالانزال الدفعي وبالتنزيل التدريجي كما فصلوه امرا
بالمد حال من الفاعل او المفعول على الاسناد المجازي وزاجرا اي مانعا وكافيا وناهيا
والزجر الطرد بصوت ثم يستعمل تارة في الطرد واخرى في الصوت كما قاله الراغب
وسنة خالية اي طريقة متبعة مستقيمة لمن كان قبلكم من الامم من خلا بمعنى ذهب
ومضى ويكون بمعنى تفرغ ومثلا مضروبا جعله عين المثل مبالغة لكثرة اشتماله على
الامثال كغيره من الكتب الالهية وهي معجزة لما مثل له التنزيل المعقول منزلة المحسوس
قال البيضاوي ولا مرية ما اكثر الله والانبيا والحكما في كلامهم من الامثال وقوله فيه
نباكم بالرفع كالمعطوف عليه اذ كان نايب فاعل مضمر وبالنصب بتقدير مضاف اي
مثل نبايكم وان كان مبتدا ففيه خبر مقدم والجملة حالية وتغيير الاسلوب يحتاج
لنكتة فكانها الاشارة الى انها حال اخرى غير مختصة بالقران كالتي قبلها والنبا الخبر
عن امر عظيم والخطاب للامة وقيل للصحابة رضوان الله عليهم وخبر ما كان قبلكم عبر
بالخبر تفننا واشارة لشرف هذه الامة وما شامل لمن يعقل تغليبا للاكثر او لصفات
من يعقل كقوله وما ملكت ايمانكم ونبا ما بعدكم اي ما بعد النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه رضي الله عنهم او لما يقع بعدهم من الفتن واشراط الساعة وغير ذلك الى
يوم القيامة وحكم ما بينكم اي بيان للاحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر هذه الامة
المحمدية وهو بضم الحا المهملة وسكون الكاف لا يخلقه طول الرد تقدم معناه وانه
بضم اوله وفتحه من الثلاثي والمزيد اي لا يبليه ويفنيه تكرار تلاوته ولا تنقضي
عجايبه هو الحق ليس بالهزل تقدم تفسيره من قال به صدق اي من اختار ما فيه
وحكم به فقد اخبر بامر صادق لا ريب فيه وفي القاموس قال به غلب ومنه سبحان من
تعطف بالعز وقال به وهذا لا يناسب قوله صدق ومن حكم به عدل اي قضى بما فيه
من الاحكام فهو عادل فانه حكم الله وما ربك بظلام للعبيد ومن خاصم به اي خاصم
بحجة وادلة ماخوذة منه فلج اي غلب وفاز بالنصر على من خاصمه وهو بفتح الفاء
واللام والجيم يقال فلج اذا فاز وظفر بالغلبة ومن قسم به اقسط قسم بفتح القاف
والسين المخففة اي من تولى قسمة امر فقسمها بما في كتاب الله كقسمة المواريث
والغنايم وغيرها عدل يقال قسط اذا جار واقسط بالهمزة اذا عدل فهو مقسط
فالهمزة للسلب كاشكيته اذا ازلت شكايته وهو ماخوذ من القسط وهو الميزان
كالقسطاس وفي الحديث ان الله يخفض القسط ويرفعه وهو تمثيل ويقال قسط
اذا عدل ايضا فهو من الاضداد ومن عمل به اجر بالبنا للمفعول اي حاز الاجر والثواب
الجزيل ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم هو كقوله فقد استمسك بالعروة
الوثقى وفيه استعارة مكنية وتخييلية هنا بتنزيل المعقول منزلة المحسوس
لا يضل لمن اقتدى به الى الطريق الحق وهو الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه

ولا ضلالة ومن طلب الهدى من غيره كعقله واقوال غيره اضله الله اي جعله شقيا ضالا
بعيدا عن الطريق الحق ومن حكم بحكم غيره قصمه الله اي قتله واهلكه هلاكا شديدا
واصل معنى القصم القطع بابانة وانفصال فاستعير لما ذكر وتجوز في هذه الجملة ان
تكون خبرية ودعائية انشائية هو الذكر الحكيم الذكر بمعنى القران والحكيم ذو الحكمة
لاشتماله عليها او سمي باسم قايله اي الحكيم قايله فعيل بمعنى فاعل اي الذي يحكم الاشيا
ويتقنها او الحاكم لهم وعليهم او المحكم الذي لا خلل فيه والنور المبين الواضح البين
الذي تهتدي بانوار العقول الى الخروج من ظلمة الجهل والضلالة والصراط المستقيم
اي الموصل الى السعادة الابدية فيصل الناس به ومنه الى المقصد الاسنى كما تصل
من الطريق الى ما تريد من الدار ومنازلها وحبل الله المتين اي عهده وامانه الذي
يؤمن العذاب وكل ما يكره ويشق على النفس ويتوصل به الى ما يحبه ويوصله
لمطالبه والمتين بمعنى القوي المحكم يقال متن اذا صلب والشفا النافع اما ان يراد
بالشفا ظاهره لانه لا يستشفى به فيشفي من بعض الامراض او يراد به مطلق النفع على
طريق المجاز كالمستقر او على طريق الاستعارة بان يشبه الجهل بالدا ويجعل ما يزيله
كالدوا والعلاج النافع الذي لا سقم بعده لنفعه في الدنيا والاخرة عصمة لمن تمسك
به بكسر العين وسكون الصاد المهملتين فعلة من العصم وهو الامساك والاعتصام
التمسك ويجوز فتح عينه ايضا والاكثر الفتح الكسر وتجي العصمة بمعنى السؤال
ومنه العصم لانه محلها والمراد انه حام ومانع لمن اتبعه وعمل به عن ارتكاب الفاحشة
والزلل ونجاة لمن اتبعه اي منج له ومخلص مما يخشاه لا يعوج بفتح اوله وتشديد
جيمه ورفعه اي ليس فيه خلل لفظا ولا معنى كما قال تعالى ولم يجعل له عوجا
والعوج بفتحتين الميل والانعطاف المدرك بالبصر وبكسر اوله ما يدرك بالبصيرة
فيقوم بالنصب في جواب النفي اي لا يحتاج الى تقويم بل هو مستقيم فليس كساير الكلام
المحتاج للاصلاح ولا يزيغ بمعجمتين بوزن نصير اي لا يميل عن الحق والصواب
فيستعتب بالبناء للمفعول اي لا يستحق العتاب واللوم لعدم خروجه عن الاستقامة
والعتب لمخاطبة ادلال وموجدة وفيه استعارة مكنية وتخييلية وفي رواية الترمذي
ولا تزيغ به الاهوا اي تميله ولا تنقضي عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد تقدم بيانه
ونحوه اي نحو هذا الحديث المروي عن علي كرم الله وجهه ما رواه الحاكم عن ابن
مسعود وقال اي ابن مسعود رضي الله عنه فيه ولا يختلف اي لا يقع فيه ما يخالف
بعضه بعضا مع طوله وبعد مدده ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا ولا يتشان بفتح اليا التحتية والتا الفوقية والشين المعجمة والف بعدها
نون مشددة تفاعل من الشن وهو القربة البالية فهو مستعار للبلا والفنا
بمعنى قوله في الرواية الاخرى لا يخلق على كثرة الرد وفي رواية لا تفه ولا
يتشان والتفه الحقارة وشي تفه حقير كذا هو في اكثر الروايات وصحح
وفي نسخة ولا يتشانا بيا تحتية مفتوحة او مضمومة وتا فوقية مفتوحة
وشين معجمة والف بعدها نون وهمزة من الشنان وهو البغض والعداوة
فاستعير لتنافر الكلمات وعدم تناسبها حتى كان بينهما عداوة او لتخالف معانيه

١

فهو كقوله ولا يختلف معنى وهو معنى ظاهر مكشوف فما قيل ان الصواب هو الاول ان ارادوا
بحسب الرواية فمسلم وان اراد وبحسب الدراية فلا وجه له فيه نبأ الاولين والاخرين تقدم
بيانه بما يغني عن اعادته وفي الحديث الذي رواه ابن الضريس في فضائل القران عن كعب
الاحبار انه قال في التوراة انزلت على محمد فذكره ولا حرج ابن ابي شيبة في المصنف عن
مغيث بن سمي مرسلا انزلت على توراة الخ قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم اني
منزل عليك توراة اي كتابا سماه تشبيها بالتوراة لكثرة ما اشتمل عليه من الاحكام والمواعظ
والوعد والوعيد والامثال والحكم والعقائد اليقينية فاطلاق التوراة عليه استعارة
تصريحية او مجازا مرسلا او حقيقة قلنا انه عبراني معناه كتاب وانما عبر به لشهرته وعظم
شانه فانه اجل كتاب نزل قبل القران ولشهرته بين اليهود من اهل الكتاب الذين هم اقرب
اليه وهو حديث قديم نزل عليه صلى الله عليه وسلم قبل الوحي وفي انتداء امر حديثه
اي قريبة عهد بالنزول وهو كقوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث فلا دليل فيه
لمن يقول بحدوث القران ولما كان كلام الله يسمي نورا وشفا قال تفتح بها اعينا عميا
اي ترشد بها من كان في ضلالة كالاعمى لعدم اهتدائه للحق واذانا صما اي وتسمع بها
اذانا لا تسمع الحق فتقبله وقلوبا غلفا لا يصل اليها ما يهتدي بها الى السعادة كانها
في غلاف وغشاء مانع عن وصول الحق اليها وعن العمى وقد تقدم بيانه وسمي ازالة
المانع مطلقا فتحا او هو من قبيل قوله متقلدا سيفا ورمحا فيها اي في التوراة
بمعنى القران ينابيع العلم جمع ينبوع وهي العين التي ينبع منها الماء الجاري فشبه
العلم النافع بالماء الذي يحيى به النفوس على طريق الاستعارة المكنية واثبت له
الينبوع على طريق التخييل وفهم الحكمة اي ما يفهم الحكم وهي المواعظ وكل كلام محكم
نافع جعل الفهم كانه فيها مبالغة لكونها ينبوعه ومعدنه وربيع القلوب الربيع
يكون بمعنى الخصب والمطر اي فيها ما يحيى به القلوب وتنمو وتخصب وتفرح وتنشر
وتتنزه وتفرح ففيه استعارة لطيفة وعن كعب بن مانع المعروف بكعب الاحبار
كما تقدم عليكم بالقران اسم فعل بمعنى الزموا وتمسكوا انيا دعليك كذا او بكذا
فالمراد ملازمة تلاوته وتدبر معانيه فانه فهم العقول اي مفهم للعقول ما يخفى عليها
فهو مصدر بمعنى اسم فاعل مبالغة لا بمعنى مفعول كنسج بمعنى منسوج فانه ركيك
كما يرشد اليه قوله بعده هذا بيان للناس ونور الحكمة اي منورها او هو كلجين الماء
اي فيه حكم بين في نورها وبيانها او وضوحها وتهتدي بها وقال تعالى ان هذا القران
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون يعني انه يبين فيه لاهل الكتاب
ما اشتبه عليهم واختلفوا فيه مما لم يعرفوه من كتابهم ففيه اشارة الى ان القران
اجمع للاحكام من غيره من الكتب المنزلة قبله واوضح وقال تعالى هذا بيان للناس
وهدى الاية اي لجميع الناس من اهل الكتاب وغيرهم وموعظة للمتقين والاتيان
بما يؤيد ما قاله كعب ثم وضح ما قاله وفسره بقوله يجمع فيه اي في القران مع وجازة
الفاظه اي اختصارها وقلة الفاظه مع كثرة معانيه وجوامع كلمه معنى جوامع الكلم
انها الكلام الجامع للمعاني الجمة في الفاظ قليلة واضحة وتطلق على القران كما في حديث
اوتيت جوامع الكلم اضعاف ما في الكتب قبله مفعول لجمع اي جمع ما يزيد على سائر

ح

عربي

الكتب مثله او مثليه التي الفاظها على الضعف منه مراحة اي مع زيادة الفاظها عليه بامثاله
جمع من المعاني ما يزيد على امثاله معانيه و ضعف الشي يكون بمعنى مثليه وامثاله والضعف
الزيادة مطلقا وفيه كلام لاهل اللغة ليس هذا محله ومنها اي من وجوه الاعجاز التي
ذكروها جميعه فيه اي جمع الله في القران بين الدليل والمدلول فالدليل هو الدال المرشد
اي ما يمكن التوصل بالنظر فيه الى مطلوب خبري والمدلول هو المطلوب بالدليل هنا
وان كان بمعنى المعنى مطلقا ثم بين معنى الجمع المذكور بقوله وذلك اي الجمع بينهما
انه احتج بالنبا المحمود لنحو بنظمه او له و تاليفه اي ان الله اقام فيه الحجة على ما اراد
ابانته والالزام به لمن اقيمت عليهم الحجة بنظم القران اي بنظامه البديع المعجز وحسن
رصفه براو صاد مهملتين وقالا بواو كما في بعض النسخ وهو من رصف البنا وهو ضم بعضه
الى بعض فالمراد حسن نظمه وتاليفه كما يولف البنا شيئا بعد شي حتى يتم ويكمل في نهايته
الاحكام وضمير انه لله او للقران واعجازه وبلاغته وفي نسخة اعجازه اي كونه في اعلا
طبقات البلاغة المعجزة لكل بليغ واثنا هذه البلاغة بالنصب على الظرفية خبر مقدم
اي في خلالها واثنائها او زن افعال جمع ثنا بالضم والفتح وهو ما انثني ودخل بعضه
في بعض كما اشار اليه ابن هشام اللخمي في شرح الدريدية كما تر وهذا هو الدليل
السابق ذكره ثم ذكر المدلول فقال امره ونهيه ووعده ووعيده وغير ذلك من
المقاصد العظيمة التي ارادها الله فالتالي له اي القاري يفهم وتدبر لمعانيه
يفهم موضع الحجة والتكليف بالحي والنصب من كلام واحد وسورة منفردة عن غيرها
مما هو حجة او محتج عليه يعني ان كل مقدار معجز منه ذا البلغ مقصد من مقاصده
يكون ذا الاعلى مطلوب ومدعى وعبارة الدالة عليه برهان مصدق له لاعجازها
وقيل المعنى انه وقع فيه الجمع المذكور لما في قوله في سورة الواقعة لما حكى كلام
منكري المعاد وهو ايذا متنا الخ تعقبه بما قطع عرق شبهتهم بقوله افرايتم
ما تمنون الخ وقيل انه كقوله فلا تقل لهما اف انه حجة لتحريم التافيف وتكلف
باجتنابه وقوله فصل لربك وانحر حجة لوجوب الصلاة والاضحية وانه مكلف
بهما وهذا الكلام لا محصل له ومحل يحتاج للتحرير ومنها اي من وجوه اعجازه
انه جعله في حيز نقاد تحيز وتحوز تفعيل وهذه المادة معناها في كلام العرب
بمعنى العدول من جهة اخرى من الحيز وهو فنا الدار ومرافقها ثم قيل
لكل ناحية فالمستقر في موضعه كالجبل لا يقال له متحيز ويراد بالمتحيز عند
غير العرب ما يحيط به حيز موجود وهو اعم من هذا والمتكلمون يريدون بها اعم
من هذا وهو كل ما اشير اليه سوا كان له حيز او لا فالعالم كله متحيز كما قاله
ابن تيمية المنظوم الذي لم يعهد اي المولف الواقع على طريقه لا يشابه شيئا
من كلامهم المنظوم لا شعرا ولا خطبة ولا رسالة مع كونه واضح الدلالة
بلسانهم وهذا انما يعرفه من له معرفة بكلام العرب نظمه ونثره وسجعه
كما بينته في كتاب الابانة ثم قال فان قلت وما هذه المباينة العظيمة التي بين
القران وبين سائر كلام العرب وجميع المنظوم والاوزان حتى صار لاجلها معجزا
باهرا قلت هي ما في القران من البلاغة التي لا يقدر اشد اهل البلاغة واللسن

عوضي

دبجي

متقدما

مقدما في البيان اذ ياتي بمثلها او بما يقاربها ولم تكن في حيز المنثور اي لم يشبه اقسام
منثورهم من السجع الملتزم فيه حروف تجري روي الشعر ولا الخطابة لمقاطع فصول
الخطب ومواضع استراحاتها لا لاشتماله على الفواصل كما توهم لان المنظوم اسهل على عوضي
النفوس اي الكلام المشتمل نظمه وتاليفه على نهج واحد والمعتمد عليه المنثور بالمعنى
السابق واوعى للقلوب جمع قلب اي ادخل في وعايه وهو القوة الحافظة له وفي
الحديث بعد ذكر الانبيا الذي راهم في السما اوعيت منهم اي ادخلته في وعا قلبي فهو
اسم تفضيل من المبني للفاعل على القياس واللام داخلة على الفاعل كما يقال هو
اعجب لي ولا قلب فيه والصواب والقلوب اوعى له كما توهم واسمع في الاذان تلمساني
سببين وجامع لمثلين اي اسهل مستعار من السماحة وليق من اسمع المزيد كما قيل ابن افندي
وليق ايضا بالخا المعجمة من السماخ وهو الصماخ اي منفذ الاذن كما توهم واحلى على
الافهام اي يستعذبه الذوق السليم فيجد له لذة وحلاوة فالناس اليه اميل اي
اكثر ميلا ومحبة كما قال الشنفرى • فاني الى قوم سواكم لاميل • والاهوا النواسع
جمع هوى وهو ميل النفس والخذ الجها اي ميل القلوب نحوه اشد من ميلها للعين
ومنها اي من وجوه اعجازه تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه اي من يريد تعلمه وتقريبه
على متحفظيه اي تسهيل حفظه لمن يريده قال تعالى ولقد يسرنا القران للذكر في الكشاف
معنى الاية سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه
من الوعد والوعيد وقيل معناها سهلناه للحفظ واعنا من اراد حفظه ويجوز
ان يكون معنى يسرناه هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها وفرسه للغزو اذا
اسرجه والجمه كما قال •

وقمت اليها باللجام ميسرا • هنالك يجزيني الذي كنت اصنع •

وعلى الوجه الثاني بنى المصنف استشهاده بالاية وسائر الامم التي قبل هذه الامة
من اهل الكتابين وغيرهم لا يحفظ كتبها الواحد منهم اي لا يوجد فيها واحد يحفظ
كتابهم المنزل على انبيائهم الا نادرا وروي عن ابن جبير ان بني اسرائيل لم يكن فيهم
من يحفظ التوراة فكانوا لا يعرفونها الا نظرا في صحفها غير موسى وهارون ويوشع بن
نون وعزير وقيل العزار رفعها الله وقيل الها حرقت فحفظ عزير وتلاها عليهم كما
انزلت من حفظه فافتتنوا به وقالوا انه ابن الله وقد من الله على هذه الامة بان
يسر عليهم حفظ كتابه وحصل فيهم حفظة له لا تحصى الى الان فكيف بجما منهم اي فاذا
لم يتيسر ذلك لواحد منهم الا نادرا كيف يتيسر للكثير والجما بفتح الجيم المشددة والمد
لعدد جم مفتوحة من الجموم وهو الاجتماع والكثرة التي لا تعد وفي بعض النسخ فكيف بجم
بدون مد وكلاهما صحيح رواية ودراية وفي الاساس عدد دعدم واحد حباجما
وجا واجما غفيرا والجما الغفير اشتق من جمة الشعر وما قيل من ان الصواب الجم تلمساني
لانه لا يتلفظ بالجما الا موصوفا محرفا او الجما الغفير لا اصل له وذلك انما هو اذا
كان منصوبا كما ذكره اهل العربية على مرور السنين عليهم اي مع طول اعمارهم
وامتداد زمنهم لم يتيسر لهم حفظ كتبهم والقران ميسر حفظه للغلمان
اي لغلمان هذه الامة واطفالهم في مكتبهم في اقرب مدة اي في زمن قليل كسنة

ونحوها كما شاهدناه وعلمان نكبر العين المعجمة وهو من حين يولد الى ان يبيت ومنها اي
من وجوه الاعجاز عنده بعضهم مشاكلة بعض اجزائه بعضا اي مشابهة بعضه لبعض
قال الراغب المشاكلة في الهيئة والصورة والند في الجنسية والشبه في الكيفية والشكل
الدل وهو في الحقيقة الانس الذي بين المتماثلين في الطريقة ومن هذا قيل الناس
اشكال والاف واصل المشاكلة من الشكل اي تقييد الدابة بالشكال ومنه شكل الكتاب
وحسن ائتلاف انواعها اي مناسبة انواع تلك الاجزا فتكون كلماته متناسبة وجمله
المركبة ايضا بينهما الفة وحسن مناسبة تامة والتيام اقسامها بهمزة وتجوز ابدالها
يا ايضا اي توافقها وانضمام كل قسم الى مشاكله وحسن التخلص من قصة الى اخرى
وهو ان يوافق مطلع السابقة مبدأ واللاحقة حتى يصيرا كالقصة الواحدة
والخروج من باب الى غيره اي الانتقال من نوع من الكلام الى نوع اخر وفي ذكر الخروج
مع الباب لطف ظاهر على اختلاف معانيه الضمير للقران وعلى بمعنى مع اي تراه مع
اختلاف مقاصده لا يخرج عن المناسبة التامة في جمله وتفاصيله وهذا يعلم من
كتاب المناسبات وقد صنف فيه كتب اجلها مناسبات البقاعي وحسن التخلص مما اعتنى
به البلغاء والشعراء كقوله

يقول في قومس صحبي وقد اخذت … مني السرى وخطى المهرية القود
امطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا … فقلت كلا ولكن مطلع الجود

والانتقال من غير مناسبة يسمى اقتضابا وانقسام السورة الواحدة على امر ونهي
وخبر واستخبار اي استفهام وهو احد اقسام الانشا المقابل للخبر وعدم الاقسام
بعلى فالمعروف تعديه بالى الى اقسامه وانما يتعدى بعلى لمن يعطي تلك الاقسام
فتقول النقد ينقسم الى دراهم ودنانير وتقول قسمته على الفقراء والمساكين
واذا استعمل احدهما في مكان الاخر واراد الكلام كان تجوز النكتة وهي هنا جعل القسم
الكلي كانه امر خارج قسم على افراده او انواعه فتنال كل حصة منه لوجوده في ضمنه
فلا يحس ذلك في كل محل ولا من كل قايل ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد
كقوله وما كنت ثاويا في اهل مدين اذ قضينا الى موسى الامر وقوله انما الله اله
واحد وتقرير لبعض ما شرع اولا وترغيب وترهيب بوعد من اتقى بالنعيم المخلد
وان من كفر في سوا الجحيم منغمسا ما ذكر الى غير ذلك من فوايده كضرب الامثال وذكر
القصص للعبرة نهاد وتخلل اي امتزج به وتنقصه بتخلل فصوله اي يكون في
اثنا فصوله والفصل عبارة عن جمل من الكلام مستقلة وقيل انه بمعنى الفاصلة
وهي الكلمة مما يضاهي السجع والكلام الفصيح من كلام البشر اذا اعتوره اي ورد عليه
وطرا وتداوله مثل هذا اي تضمن انواعا من المقاصد كوعد ووعيد وعبرة وتخلل
فصوله التي بينها المتكلم الفصيح ضعفت قوته لانه يكل خاطر قايله بتعدد انواع
المقاصد وينزل عن مرتبته التي ساقها اي اوله ولا تنتجز التئامه اي صلابته وشدته
نتغلب لمنعها وقل رونقه اي صفاوه ونضارته وتقلقلت الفاظه اي اضطربت
والقلقلة في الاصل الحركة بعنف ويقال تقلقل في البلاد اذا طال سفره فاستعير
لتنافر الكلام الطويل فتامل اي تدبر واطل النظر والفكر اول سورة ص والقران

ذي

ذي الذكر الخ وما جمع فيهما بالبناء للفاعل او المفعول وانث ضميرا قد لانه بمعنى الفاتحة
او لاكتسابه التانيث مما اضيف اليه من اسم السورة من اخبار الكفار اي كفار قريش من
تعجبهم بارسالهم نذيرا منهم وقولهم انه ساحر كذاب وغيره وشقاقهم اي عداوتهم
لله ورسوله صلى الله عليه وسلم بقوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق وتخويفهم
وتوبيخهم باهلاك القرون من قبلهم بقوله كم اهلكنا قبلهم من قرن وما ذكر فيها
من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم في قولهم ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا
اختلاق وتعجبهم مما اخبر به في قوله االنزل عليه الذكر من بيننا والخبر عن اجتماع ملئهم
عن الكفر الخبر هنا بمعنى الاخبار والملا الجماعة الاشراف والرؤسا وذلك انه لما اسلم
عمر رضي الله عنه شق عليهم اسلامه فاجتمعوا عند ابي طالب وقالوا له انت شيخنا
وكبيرنا وقد رايت ما فعل هؤلاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن اخيك فجا بهم له
صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد هؤلاء قومك يسالونك القصد فلا تمل عليهم كل
الميل فقال لهم ما تسالوني قالوا دعنا والهتنا وندعك والهك فقال ارايتم ان
اعطيتكم ما سالتموه اتعطوني انتم كلمة واحدة تدين لكم بها العرب والعجم قالوا نعم
وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقالوا امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا لشيء يراد
وما ظهر من الحسد في كلامهم اي ما ظهر في كلامهم مما يدل على حسدهم له صلى الله عليه
وسلم على ما اتاه الله في قولهم االنزل عليه الذكر من بيننا مما دل على اعترافهم
وتيقنهم بصدقه صلى الله عليه وسلم الا ان الحسد اخرس السنتهم واعمى
قلوبهم وتعجيزهم حيث قال ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم
ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب فانهم لما انكروا اختصاصه
صلى الله عليه وسلم من بينهم بالنبوة بين لهم انها رحمة منه يصيب بها من يشا
ممن ارتضاه من عباده فلا مانع لما اراد فانهم لا يملكون خزائنه والتصرف فيها
حتى يمنعوا النبوة في صناديدهم فان انكروا ذلك فليصعدوا الى السما ولينزلوا
الوحي لمن ارادوه في هذا غاية التهكم بهم واظهار عجزهم وقصورهم وتوهينهم
اي اظهار ضعفهم ووهن كيدهم وتحقيرهم بقوله جند ما هنالك مهزوم
من الاحزاب اي هؤلاء الذين كذبوك وتحزبوا عليك جند ذوو حقارة لا قدرة
لهم على التصرف في الامور الربانية فلا تكترث بهم ووعيدهم بخزي الدنيا
لهم بهزيمتهم والاخرة بذوقهم العذاب فيهما وتكذيبهم الامم قبلهم اي وعيدهم
بذكر من كذب من الامم قبلهم واهلاك الله لهم بقوله كذبت قبلهم قوم نوح
وعاد وفرعون الى قوله فحق عقاب ووعيد هؤلاء يعني كفار قريش الذين كذبوا
كما كذب الامم من قبلهم فسيحل بهم ما حل بهم مثل ما اصابهم منصوب بقوله وعيدهم
وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم اي امره بالصبر بقوله اصبر
على ما يقولون الخ وتسليته بكل ما تقدم ذكره من بيان مآل الله امرهم وان له
صلى الله عليه وسلم فيمن تقدمه من الرسل اسوة ثم اخذ اي شرع بعد
تصبيره وتسليته في ذكر داود عليه الصلاة والسلام بقوله واذكر عبدنا
داود الخ فقيل لما في قصته من تقطيع المعصية بذكر ما صدر منه من خلاف

الاولى الذي صدر منه فعوتب عليه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فما بالك بغيره فهذا
وجه ذكره هنا فتدبر وقصص الانبيا بفتح القاف وكسرها كسليمان وايوب وابراهيم واسحق
ويعقوب عليهم الصلاة والسلام بقوله ولقد فتنا سليمان الخ فذكرهم الله مثنيا
عليهم كل هذا المذكور في اول سورة ص مذكور في اوجز كلام واحسن نظام على اتم
ارتباط من غير خلل بزيادة ونقص وبقل ما فصاحته ومنه اي من اعجاز القران وفي
بعض النسخ ومنها ويحتمل ان يريد مما ذكر في اول سورة ص الجمل الكثيرة من المعاني
لقوله التي انطوت عليها واشتملت الكلمات القليلة بالنسبة لمعانيها وفي القلة
والكثرة طباق البديع وقيل عليه ان محصل هذا انه ايجاز وقد تقدم ذكره غير
مرة فلا حاجة لاعادته وعده وجها مستقلا ولذا استدرك بقوله وهذا كله اي
ما ذكرهنا انه ذكر في اعجاز القران مضافا الى وجوه كثيرة لم يذكرها الايمة اكثرها
داخل في بلاغته اشار بقوله اكثرها الى ان منها ما لا يدخل في البلاغة كتسهيل
حفظه وان كان يرجع اليه بوجه بعيد والا لم يعده الايمة من وجوه الاعجاز فلا
يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه بل يجعل من توابعه او ثمراته الا في باب تفصيل
فنون البلاغة فيعد فنا منها كمشاكلة اجزائه وحسن التخلص فانه فن منفرد
من البلاغة لا من الاعجاز فانه لا يتوقف عليه اذ من المعجز ما لا يكون ذلك كسورة
الاخلاص مثلا وكذلك اي مثل المذكور كثير مما قدمناه عنهم اي عن الايمة يعد
في خواصه وفضايله لا اعجازه لانه لا مدخل له فيه وحقيقة الاعجاز عند من لم
يقل بالصرفة انما هي الوجوه الاربعة التي قدمها المص اولا كما قال التي ذكرنا
فليعتمد عليها في تحقيق الاعجاز وليستند اليها من اراد تحقيقه وما بعدها
مما ذكر في هذا الكتاب فانما هو من خواص القران التي لا توجد في كلام غيره
وعجايبه التي لا تنقضي اي لا تعد ولا تتناهى وبالله التوفيق اي ما التوفيق
والهداية للوقوف على عجايبه التي لا تتناهى الا من الله وعنايته وفي بعض
النسخ والله الموفق وفي حديث قدسي من شغله القران عن دعاي ومسالتي
اعطيته افضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعله ربيع قلبي وشفا همي وغمي ثم
عقب معجزة القران التي هي اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم بمعجزة اخرى
عظيمة مناسبة له في انها سماوية ومعجزة علية فقال

## فصل

في انشقاق القمر وحبس الشمس اي في ذكر معجزته صلى الله عليه وسلم بشق
القمر له وجعله فلقتين وفي منع الشمس عن مسيرها للغروب كما ياتي بيانه
وهذا كان عقب قصة الاسرا وفي معناه رد الشمس الاتي في قصة علي واقتصر
في الترجمة على هذا لانهما في المعنى سوا ولما ياتي قال الله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر قدم اقتراب الساعة عليها تخويفا لمنكري ذلك واثباتا
له وتقريرا في نفوس المومنين بها اذ تنشق السموات فيها فالقادر على ذلك
القادر لما يريد كيف لا يقدر على شق القمر واقتربت بمعنى صارت قريبة
من بعثته صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث بعثت انا والساعة كهاتين
واشار باصبعه الوسطى والسبابة لان التفاوت بينهما مقدار سبع وبعثته

دلجي

ابن الفتيري

وكثير مما ذكرنا في هذا الفصل من ادلة الاعجاز

صلى الله عليه وسلم

وبعثته صلى الله عليه وسلم في الالف السابعة على ما اشتهر عند المحدثين وغيرهم
وانما كانت الساعة قريبة لان عمر الدنيا على المشهور سبعة الاف وكسور وقيل اكثر
من ذلك وقد بعث نبينا صلى الله عليه وسلم في اخرها الفا وحينئذ لم يبق الا ساعة
وقوله وانشق القمر اي وقع شقه وجعله فلقتين في الزمن الماضي بمكة معجزة
له صلى الله عليه وسلم اذ قال المشركون له ارنا اية وهذا ما عليه جمهور المفسرين
وقيل ان المعنى انه سينشق في المستقبل اذا قامت القيامة وعبر بالماضي لتحققه
ورده جماعة وقالوا انه مبني على قول الفلاسفة ان الاجرام العلوية لا تقبل الخرق
والالتيام ويكذبه القران وقوله فاذا انشقت السما فكانت وردة كالدهان وقوله
وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اي دايم او محكم من امر الحبل اذا احكم فتله
وقد ثبت انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم في الصحيحين واخبر به جماعة من
الصحابة والى بيان ذلك اشار بقوله اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي
واعراض الكفرة عن اياته ومعجزاته التي لا يمكن البشر الاتيان بمثلها واجمع المفسرون
واهل السنة على وقوعه في الماضي وقال السبكي رحمه الله انه متواتر لا يجوز انكاره
وردوا قول الماوردي ان الجمهور على خلافه وتاويل ينشق بمعنى سينشق فانه
لو وقع لم يبق احد الا راه ولم يعتد المص رحمه الله بهذه المقالة وهي لا تخرق اجماع
السلف من اهل السنة ومثله ليس من اهل التفسير بل من اهل الهوا وميل عنده الا ان
بعضهم تكلم في حكاية الاجماع بان السجاوندي والنسفي قالا في تفسيرهما انه منقول
عن الحسن البصري وكذا قال ابو الليث في تفسيره ان معناه سينشق وعزاه بعضهم
للجمهور ومن الغريب ما حكي عن بعض شراح المدونة ان فلقة منه نزلت لجيبه
وخرجت من كمه صلى الله عليه وسلم ولما ارسل ابو بكر بن الطيب رسولا لملك الروم
بقسطنطينية وقيل له انه اجل علما الاسلام احضر بعض بطارقته لمناظرته فقال له
تزعمون ان القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى تروه دون غيركم فقال له
وهل بينكم وبين المايدة اخوة ونسب اذ رايتموها ولم يرها اليهود واليونان والمجوس
الذين انكروها وهم في جواركم فافحم ولم ينطق بشي اخبرنا الحسين بن محمد هو
ابو علي الغساني الجياني تقدم مفصلا ترجمته الحافظ من كتابه لا بقرائته عليه قال
حدثنا القاضي سراج بن عبد الله الاصيلي السابق ترجمته وفي نسخة اخبرنا في جميع
ما ياتي قال حدثنا المروزي تقدم مع بيان نسبته قال حدثنا الفربري تقدم بيانه
وضبط نسبته قال حدثنا البخاري الامام المشهور قال حدثنا مسدد عبد الملك بن
عبد العزيز الاسدي ومسدد بوزن اسم المفعول لقبه كمسرهد وهو مسدد
ابن مسرهد بن مسربل بن مغربل بن مرعبل بن ارندل بن سرندل بن عرندل بن ماسك
ابن المستورد محدث البصرة وقال ابو نعيم لو كان في اول هذه النسبة بسم الله الرحمن
الرحيم كانت رقية للعقرب وهو امام حافظ روى عنه اصحاب الكتب الستة وتوفي
سنة ثمان وعشرين ومايتين قال حدثنا يحيى بن سعيد بن ابان الاموي الحافظ اخرج
له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة اربع وتسعين ومائة وسنه ثمانون وترجمته
في الميزان عن شعبة بن الحجاج العتكي الحافظ امير المؤمنين في الحديث كما تقدم

وسفيان بن عيينة ابو محمد الهلالي الكوفي احد الاعلام الذي اخرج له الستة وتوفي
سنة ثمان وتسعين ومائة كما تقدم من الاعمش سليمان بن مهران التابعي ترجمته
عن ابراهيم النخعي التابعي ترجمته عن ابي معمر الازدي الكوفي وهو بفتح الميمين وسكون
العين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي في زمنه وحياته والعهد ياتي بهذا المعنى كما في القاموس وغيره وذكره
للرد على من يقول انه سيكون لعده يوم القيامة فرقتين بكسر الفا وسكون الرا المهملة
بمعنى قطعتين والمراد شقين وانتصابه على المصدرية من معنى انشق كقعد جلوسا
او بتقدير وافترق فرقة فوق الجبل وفرقة دونه بالنصب بدل من فرقتين والجبل
حرا او ابو قبيس وفوق يجوز رفعه ونصبه ودونه بمعنى في مقابلته منفصلا
عنه لا تحته كما قيل لما سياتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وانما تلشاني
قال ذلك لان المشركين اجتمعوا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا
فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسال ربه ان يعطيه
ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان
يا فلان اشهدوا وذلك بمكة قبل الهجرة رواه ابن الجوزي في الوفا عن ابن عباس
رضي الله عنهما وقاله لانه وقع ليلا في وقت الغفلة اي اشهدوا واعلموا معجزتي
ونبوتي وقوع ما طلبوه لا يعلم اهل لبنان وجحد وفي صحيح مسلم انه انشق مرتين
قال ابن القيم في كتاب اغاثة اللهفان المرات يراد بها الافعال تارة والاعيان
اخرى والاكثر ما يستعمل في الافعال واما في الاعيان فكقوله في الحديث انشق القمر
مرتين اي فلقتين ولما خفي هذا على بعضهم زعم ان الانشقاق وقع مرتين وهذا
ما يعلم عن قريب وفي رواية مجاهد التي رويت عن ابن مسعود في الصحيحين وكنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم جملة حالية تفيد انه شاهد ذلك ولم يسمعه من
غيره وفي بعض طرق الاعمش كما رواه احمد في مسنده بزيادة قوله بمنى منون
وغير منون اسم بقعة معلومة سميت بها لكثرة ما يمنى بها من الدماء اي يراق ويقال
لها المنازل ايضا ويقال نزلوا اذا اتوا منى قال انا زلة اسما ام غير نازلة • قاله
ابن هشام اللخمي في شرح المقصورة واختلفت الروايات في محل الانشقاق فقيل
بمكة وقيل بمنى وفي اخرى رايت حرا بينهما وقيل شقه منه على ابي قبيس
واخرى على السويدا والجماعة الذين طلبوا ذلك منه صلى الله عليه وسلم الوليد
ابن المغيرة وابو جهل والعاص بن وايل والعاص بن هشام والاسود بن عبد
يغوث والاسود بن عبد المطلب ونظراوهم وهذه الروايات في محله لا تنافي بينها
لان كل راء يرى القمر بازا مكانه فينبه ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود
ابن يزيد بن قيس بن عبد الله بن علقمة بن سلامان ولم يعيبه المصنف لشهرته
وهو من كبار التابعين معروف بالرواية عن ابن مسعود وهو من المعروفين
بالزهد وكثرة العبادة توفي سنة خمس وسبعين وقال اي ابن مسعود حتى
رايت الجبل يعني جبلا حرا على ما تقدم بين فرجتي القمر اي فلقتيه وقطعتيه
لبعد ما بينهما وهي بضم الفاء وفتحها والضم اولى لان فعلة بالفتح للمرة

وبالكسر

وبالكسر للهيئة وبالفتح للمقدار الحاصل بالفرقة للمفروق والفرجة الفضاء بين الشيئين
فتميز بعض المنفرج نفسه اذ الظاهر بين القطعتين المنفرجتين وقصة ابي عمرو مع
الحجاج في قرائته غرفة وسماعه من العرب ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال مشهورة
وروا ابي ما ذكر عنه اي عن ابن مسعود كما ذكره البيهقي في الدلايل مسروق بن الاجدع
الهمداني الكوفي من كبار التابعين تقدمت ترجمته وانه توفي سنة ثلاث وستين انه
اي الشق او ابن مسعود كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة يعنون
النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر هو احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم لامه
وقيل عليه ان ام وهب اسمها عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال ولم يقل احد من
النسابين ان الاوقص يكنى بابي كبشة وقيل هو جد عبد المطلب لامه وتعقب ايضا
بان ام عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجي ولم يقل احد انه يكنى بابي كبشة
ايضا وقيل انه ابوه من الرضاعة وهو الحارث بن عبد العزى وله بنت تسمى كبشة
كني بها وذكر ابن حبيب ان له صلى الله عليه وسلم اجدادا من قبل ابيه وامه تكنوا بذلك
وانما قالوه لان من عادتهم اذا انتقصوا احدا نسبوه لجد غامض له وفي النهاية انه رجل
من خزاعة خالف قريشا في عبادة الاوثان وعبد الشعرى العبور فلما خالفهم النبي صلى
الله عليه وسلم ولم يرض الهتهم شبهوه به في ذلك وفي القاموس انها كنية وهب بن عبد
مناف او كنية عمرو والد حليمة السعدية مرضعته صلى الله عليه وسلم وعلى كل حال
ارادوا به تنقيصه فزاده ذلك شرفا فقال رجل منهم اي من كفار قريش قيل انه
ابو جهل ان محمدا ان كان سحر القمر حتى شقه او خيل لكم شقه فانه لا يبلغ اي لا يصل سحره
من سحره ان يسحر اهل الارض كلها اي اهلها كلهم فسلوا من ياتيكم من بلد اخر غير مكة
هل راوه اي القمر او شقه او الامر الذي وقع وفي نسخة هل راوا هذا فاتوا اي الذين
قدموا على اهل مكة من غيرها فسالوهم اي سالوهم هل راوا ذلك فاخبروهم لما سالوهم
انهم راوا مثل ذلك اي مثل ما راوه فالتشبيه بين الرؤيتين والمرئي واحد وهو
القمر المنشق وحكى السمرقندي تقدم ترجمته عن الضحاك نحوه اي مثل الحديث الذي
ذكر اولا وقال اي الضحاك فيما رواه فقال ابو جهل لقريش لما شاهدوا انشقاق
القمر بعد ما سالوه فابعثوا الى اهل الافاق بالمد جمع افق بضمتين او بضم فسكون وهو
هنا بمعنى الناحية وما ظهر من الفلك ومطلع الشمس كما بينه علما الهيئة وهو الافق
المرئي والافق الغير المرئي له احكام اخر والمعنى ارسلوا ناسا لمن جاوركم من البلاد
ليسالوا من بها حتى ينظروا اي يعرفوا اراوا ذلك ام لا الهمزة استفهامية وفي نسخة
هل راوا او شاهدوا مثل ما راه اهل مكة ام لم يروه لانهم حيل لهم امر لم يقع وفي
نسخة حتى ننظر بنونين فاخبر اهل الافاق انهم راوه اي القمر حاله كونه منشقا
والفاء فصيحة اي فسالوهم فاخبروا فقالوا بعض الكفار هذا سحر مستمر اي دائم
باق غير ذاهب على حاله الى غير النهاية من المرور او محكم قوي من امرار الحبل وهو
شدة فتله وقال ابو عبيدة معناه باطل وهو بعيد بحسب اللغة وانما قالوا انه
مستمر لان هذا اشارة الى ما صدر قبله من الايات المتتابعة بعضها بعضا الى قيام
كما اشار اليه القاضي ولولا هذا الترتيب ما قالوه فان انشقاقه لم يستمر بعد الليلة

التي وقع فيها وهذا يكون اشارة للشخص وللنوع كما حققه النحاة ورواه ايضا عن
ابن مسعود علقمة بن قيس بن مالك النخعي الفقيه الكبير التابعي الجليل ولد في حياة
النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي في سنة اثنين وستين والرواية عنه مشهورة في
الكتب الستة بنحو الاربعة يعني مجاهد او الاسود ومسروقا وعلقمة كلهم رووا هذا
الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه تفرد كوله طريقا اخر فقال وقد رواه غير
ابن مسعود كما رواه ابن مسعود وقد مر حديث ابن مسعود وجعل رواية غيره
كالمتابعة له لانه لم يرو حديث الانشقاق رواية مسند كما في غاية الصحة واشهرها
الائمة غيره وهي مما اتفق عليه الشيخان واحمد بن حنبل وابن الصلاح وغيره رحموا
ما اتفق عليه الشيخان على غيره وقال انه مقطوع بصحته منهم اي ممن رواه غير ابن
مسعود واعاد ضمير الجمع نظرا للمضاف انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير
ابن مطعم رضي الله عنهم وهذه الروايات كلها في الكتب الستة وغيرها مخرجة فرواية
انس وابن عباس في الصحيحين ورواية ابن عمر في صحيح مسلم والترمذي ورواية
حذيفة بن اليمان في الدلائل وغيرها ورواية ابن مطعم بكسر العين في مسند احمد والبيهقي
ولذا قال فقال علي كرم الله وجهه من رواية ابي حذيفة الارحبي واسمه سلمة بن صهيب
على الاصح نسبة لارحب حي من همدان بهمزة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وحاء مهملة مفتوحة
وباء موحدة قبل يا النسبة وهو من الثقات المشهورين انشق القمر ونحن مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم والجملة حالية وضمير نحن لعلي ومن كان معه لا لمن تقدم وعن
انس خادمه صلى الله عليه وسلم وحديثه من مرسل الصحابة لان الحادثة وقعت وهو
لم يسلم اذ ذاك وهو من رجحان حديث ابن مسعود رضي الله عنه سال اهل مكة النبي
صلى الله عليه وسلم ان يريهم معجزة غير ما راوه وفي الرواية المتقدمة انهم سالوه ان
ينشق لهم القمر فاراهم انشقاق القمر فرقتين بكسر الفا وسكون الرا وفي رواية
فلقتين باللام بدلها وهما بمعنى قطعتين وشقين كما مر حتى راوا حرا ما بينهما
اي بين القطعتين وما زائدة للتاكيد وفي نسخة حذفها وحرا بكسر الحا وفتح الرا
المهملتين وهمزة ممدودة وتفتح حاؤه مع القصر وهو جبل بين مكة معروف
كان صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه كذا قاله التلمساني وقال انه يذكر ويؤنث
ويجري ولا يجري وهذا انما ذكره غيره من اهل اللغة اذا عرفت هذا فما قاله الخطابي
من العوام يغلطون في حرا ثلاث غلطات يفتحون حاءه وهي مكسورة ويقصرونه
وهو ممدود ويميلونه وهو لا يمال شيء لا اصل له الا قلة النظر في كتب اللغة
رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اي عن انس اراهم
القمر مرتين انشقاقه بالنصب بدل من القمر بدل اشتمال وفي تقديم مرتين في هذه
الرواية دليل على ما قلناه سابقا من ان التعدد في الاراءة لا في الانشقاق وانه
مرتين كما ذهب اليه من نظر لظاهر هذه الرواية وان ما قيل من ان اصل المراتب
في الازمان والافعال والها قد تكون في الاعيان والاول اكثر وهذا من قبيل
الثاني فمعناه ومعنى فرقتين وفلقتين واحد وان هذا خفي على من قال ان
الانشقاق وقع مرتين وهو لم يقع الامرة بلا اختلاف فيه ودعوى الحافظ

ابن القيم

العراقي

الواقع في منظومته الاجماع على تعدده سهو منه وغفلة عما ذكرنا ادعوا ه تواتره فيهما وما
نقل من انه كان مرة بمكة ومرة بحرا وهو على ثلاثة اميال من مكة في طريق الذاهب لمنى تلمساني
وانه يدل على تعدد الازمان والا لزم التناقض في هذه الروايات وهي كلها صحيحة ولا
يمكن عادة ان يكون الناس الذين رواه في ذلك الوقت في هذه الامكنة الثلاثة وقد قالوا
ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا انما يغلط بتعدد الازمنة والامكنة
ليس بشيء فانهم ارادوا انهم رأوه بمكة تشاهدوا وقوع فلقة منه خلف حرا واخرى امامه
من تعدد النظر لسعته من الافق وان لم يكن تواتمه كما مر ولا يخفى بعد كون من ذكر
من كبار الكفرة معه ليلا بحرا وغيره من جبال مكة وبراريها فالذي يحرر في الجمع
بين هذه الروايات انه تباعد ما بين الفلقتين جدا ليكون اظهر في دفع الاشكال
فانه لو تقاربت لقال هؤلا الجهول العقول انه من غلط الحس فلما اشهدهم النبي صلى
الله عليه وسلم على ذلك اشار مرة الى فلقة منه وقال اشهد يا فلان ويا فلان ثم
اراهم مرة اخرى فلقة اخرى وقال اشهدوا وكل هذا كان بمكة ليلا والقمر في وسط
السماء تحت حرا وتحت اعيرها من الجبال والاماكن البعيدة فلا تعدد في الشق ولا
تدافع بين الروايات ولا يطعن في شيء منها وهذا ان شاء الله مما لا ينبغي العدول عنه
فان القول بان الملاق في الاعيان لا صحة له في اللغة واستعمال الناس فلو قطع انسان
بطيخة قطعتين دفعة واحدة وقال قطعتها مرتين كذبه من سمعه واستهزأ به
فعليك بالنظر الحديد وان تطرح من جمد فكرك على التقليد فقوله اقتربت الساعة
وانشق القمر مؤيد المعجزته صلى الله عليه وسلم وبهذا تقوى الحديث وصار كالمتواتر
وتاويله بانه سينشق اذا قامت القيامة يأباه قوله بعده وان يروا اية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر كما لا يخفى على من له نظر سديد ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد
وابن ابنه جبير بن محمد فرواه عن ابيه عن جده وجبير الثاني روى عنه ابو داود
حديثا واحدا قال البرهان ولا اعلم له تجريحا ولا توثيقا وورد بان ابن حبان ذكره
في كتاب الثقات ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الامام الجليل
القدر احد الفقها السبعة وهو ثقة مأمون خرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي
سنة ثمان وتسعين ومائة ورواه عن ابن عمر مجاهد بن جبير وقد مناترجمته
ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي بضم السين وفتح اللام وهو ابو
عبد الرحمن عبد الله بن حبيب الامام المشهور مقرئ الكوفة وحافظ السنة توفي
سنة ثلاث وسبعين تقريبا وخرج له الايمة الستة ومسلم بن ابي عمران الازدي
البصري وهو ابو عبد الله المعروف بالبطين نسبة للازد بسكون الزاي المعجمة
ويقال لها اسد بالسين ايضا اسم قبيلة عظيمة والازد اسم جدهم الاعلى وهم
حي باليمن واليهم ينتهي نسب الانصار واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة
الطرق هي الاسانيد والرواة تسمى طرقا لوصولها الحديث الينا منها وعبر بالاكثر
اشارة الى ان في بعضها ضعفا وقيل مراده بالصحيح هنا ما يقابل الحسن فكلها
صحيحة مع التفاوت فيها والاية مصرحة بما في الاحاديث من الانشقاق وفيه
اشارة لما قلناه من ان فيها ما يمنع التاويل الذي جوزه بعضهم ولا يلتفت

اي اعتراض محذوف اصل معنى الخذلان ترك النصرة والاعانة ثم قيل لكل من لم يكن
على الحق وطريق الهداية والمراد به من انكر هذا القصد الطعن في المعجزة لا من اول
الاية بخلافه فانه ذهب اليه بعض المفسرين كما مر لا انه ايضا لا ينبغي العود به
ايضا بانه لو كان هذا الانشقاق لم يخف على اهل الارض كلهم اذ هو شيء ظاهر لجميعهم
تعليل لقوله لم يخف اذ لو نقل الينا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة اي
ترقبوه ونظروا الى مطلعه والرصد الترقب ومنه اخذ الرصد المعروف عند
المنجمين فهو منقول منه وليس بمعنى لغوي فلم يروه انشق راي بصرية
والشق حال اي وقد انشق ولا يلزم ان يعرفوا انه سينشق في تلك الليلة
فيرصدوه كما قيل بل يكفي فيه سماعهم له من النبي صلى الله عليه وسلم فيرصدوا دجي
ما وعدهم به ليعرفوا حال خبره وهو ظاهر واذا الثانية تعليل لعدم الالتفات
ثم اجاب بجواب اخر على فرض تسليم ما ذكر فقال ولو نقل بالبنا للمجهول الينا
انهم رصدوه فلم يروه انشق عمن لا يجوز تمالؤهم على الكذب اي طائفة من اهل
الارض لا يجوز اجتماعهم على الكذب في خبرهم لكثرتهم من الملا وهم الجماعة الجمهور
المتفقون على امر واحد لانهم يملاون مكانا اجتماعهم لما اللام جواب لو وما
نافية فيهما مخففة كانت علينا به حجة اي لم يكن ما اجتمعوا عليه حجة ودليلا
يقدم على عدم وقوعه فعلينا متقدم من تاخير متعلق بحجة لتوسعهم في الظرف
اذ ليس القمر في حد واحد الحد الوصف المميز للشيء ماخوذ من الحد بمعنى الحاجز
ومنه حدود الدار اي ليس القمر على حال واحد لجميع اهل الارض اي عند جميعهم
لاختلاف احواله باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض فقد يطلع في
ليلة في بعض البلاد دون بعض كما بينه علما الهيئة فقد يكون ليلة انشقاقه
طالعا بمكة دون غيرها فلو قال غيرهم لم نره انشق في تلك الليلة لم يكذبوا
ولذا قال المص فقد يطلع على قوم دون ان يطلع على اخرين ولهذا لو شهد اهل
بلد برؤية هلال رمضان لم يلزم غيرهم صومه كما قرره الفقها وقد يكون
راي القمر من قوم بضد ما هو من مقابلتهم من اقطار الارض جمع قطر بضم فسكون
وهو الناحية كالطلوع في بعضها والخفا في بعض او يحول بالحا المهملة اي يكون حائلا
مانعا من رؤيته بين قوم وبينه سحاب او جبال شاهقة فلا يرونه مع رؤية
غيرهم له ولهذا اي لكونه ليس على حال وحدة واحد من جميع اقطار الارض
تجد الكسوفات في بعض دون بعض منها والكسوف معروف وهو كون جرم
القمر غير مضي مسود لحيلولة الارض بيننا وبينه كما بين في محله وفي بعضها في البلاد
جزئية وفي بعضها كلية والكسوف الجزئي كسوف جزء منه والكلي كسوف
جميع جرمه نسبة للجزء والكل وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها
اي في بعض البلاد يعرف الكسوفات بعض الناس الذين يعرفون علم الهيئة
دون غيرهم ممن لا يعرفونه كالكسوف تحت الارض فانه يقع كثيرا عندهم
ويترتب عليه احكامه وغيرهم لا يعرفها بل لا يقدر على تصورها وعبر
بالادعا اشارة الى ان مثله ليس بثابت عند علما الشريعة وليس المراد باختلاف

الطالع كما قيل وما ذكره المص بناء على ان الكسوف يقال في القمر فلا يرد عليه ما قيل من ان الصواب ان يكون الخسوف قال الراغب الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقال بعضهم الكسوف فيهما اذا زال بعض ضوئهما والخسوف اذا ذهب كله يقال خسفه الله وكسفه هذا انتهى وقد يستعمل كل منهما بمعنى الاخر مطلقا وعليه الاستعمال في عرف التخاطب وعليه مشى المص فلا اعتراض عليه وله تفصيل ليس هذا محله ذلك تقدير العزيز العليم اي سير القمر واحواله من الكسوف وغيره كله بتقدير الله العلي العظيم الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علمه بكل معلوم لا كما يقول الفلاسفة انه بقوة فلكية لاحكام جرمية لا يمكن تخلفها وقيل انه وقع في اصل الحكيم بدل العليم وان صوابه العليم لانه الموافق للتلاوة واعتذر له بانه لم يرد الاقتباس من القران ولذا لم يقل قال الله تعالى والذي رايناه في جميع النسخ العليم واية القمر كانت ليلا اي الاية والمعجزة بانشقاق القمر وقعت في الليل قال الخطابي الحكمة في ذلك ان من طلبها من قريش طلبها ليلا فاراد الله وقوعها ليلا ولو اراد وقوعها نهارا لتكون حجة لكل احد فعل ذلك ولكن الله جرت عادته باهلاك كل امة اتاها نبيها باية عامة يدركها الحس ان لم تؤمن بها فخص الله هذه الامة برحمته فجعل اية نبيها صلى الله عليه وسلم على حال لا يقتضي اهلاكها والعادة من الناس بالليل اي فيه الهدو والسكون عطف تفسيري اي النوم وعدم الحركة كما قال جعل الليل سكنا والهدو بهمزة بعد الواو ويجوز ابدالها واوا وادغامها وايجاف الابواب اي اغلاقها بكسر الهمزة وسكون المثناة التحتية وجيم وفاء واصل معناه الاسراع في السير واستعمل في الاغلاق لانه مما يسارع اليه عند الحاجة لا سيما ليلا وهو تجوز سائغ شائع فما قيل انه لم يوجد في كتب اللغة فلعله هنا وجف بمعنى اضطرب والهمزة فيه للسلب لان تغلق الابواب يزول الاضطراب تكلف لا داعي له ومن يغلق بابه ولا يخرج من بيته لا يرى القمر فكيف به عن ذلك وقطع التصرف والنظر لشيء فضلا عن رصد النجوم وكل هذا مبالغة في ان هذا الامر لا يستبعد ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك اي الامر تقيد بالنظر اليه وترقبه ليلا واهتبل به اي بذل جهده واعتنى به غاية الاعتناء من قول العرب اهتبل الصيد اذا طلبه من مظانه وهو متعد بنفسه وعداه المص بالبا لانه ضمنه معنى الاعتناء ولذلك اي لكونه امرا ليليا في زمان غفلة ودوم ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد ما زائدة لتحقيق الكلام وقيد بالقمري بناء على شمول الكسوف للشمس والقمر واحترز عن الشمس لظهوره واكثرهم لا يعلمونه حتى يخبر بالبناء للمجهول اي يخبر الناس العارفون به لوقوعه وكثيرا ما منصوب على الظرفية او المصدرية وما زائدة للتاكيد يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار بيان العجائب وجمع النور وهو على ظاهره لانه قد يحدث في الجو نور زائد على ما يعهد او المراد به شعل نارية كذوات الاذناب التي تمتد في الافق في بعض الليالي وينسب لها امور تذكر في كتب الملاحم ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان

بالليل في السما ولا علم عند احد منها لا بها انسين تحت الارض حتى تقطع درجات في دابرتها
وتصل الى مافوق الارض فتطهر بعد الخفا وهو مشاهد كثيرا مفصل في فنه وحرج
الطحاوي بالخا المعجمة المفتوحة وتشديد الرا المهملة المفتوحة قبل الجيم ه
والتخريج نقل حديث بسنده من الكتب المعتمدة ومسانيد الايمة المحدثين وبيان
صحته وغيرها والطحاوي بفتح الطا والحا المهملتين والف وواو بعدها يا نسبة
منسوب لطحا قرية من قرى مصر وهو الامام الجليل القدر المحدث ابو جعفر
احمد بن محمد بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم الازدي ثم المصري الحنفي
لا المالكي كما قيل ولد سنة تسع وثلاثين ومايتين وتوفي ليلة الخميس مستهل
ذي القعدة سنة احدى وعشرين وثلاث مائة وكان اولا شافعيا من تلامذة
المزني ثم تحنف وانتهت اليه رياسة الحنفية بمصر وله تاليف جليلة في مشكل
الحديث وهو كتاب جليل له في الحديث اشتهر بالاثار عن اسما بنت عميس معزوجة
وهي زوجة ابي بكر الصديق رضي الله عنهما ومن حمتهما مشهورة وكانت اولا زوجة
جعفر بن ابي طالب من طريقين وسندين مختلفين في روايته هذا الحديث عنهما
ورواه الطبراني باسانيد مختلفة رجال اكثرها ثقات وهذا الحديث في رد الشمس
او حبسها لعلي رضي الله عنه كما سياتي قال ابن الجوزي انه موضوع بلا شك
ورواياته مضطربة وفي رواته رجال متهمون بالكذب والوضع كاحمد بن داود
فان الدارقطني وابن حبان قالا انه كذاب وضاع وعمار بن مطر متروك ايضا ذكره
الذهبي في الميزان وذكر كلام الناس فيه وانه روى حديث رد الشمس ونقعته مما
روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لم ترد الشمس الا
على يوشع بن نون وفي طريقه الثاني فضيل بن مرزوق وقد ضعفه يحيى
وقال ابن حبان انه يروي الموضوعات وهذا الحديث باطل قال ابن الجوزي ولا
اتهم فيه الا ابن عقدة فانه رافضي يحدث بمثالب الصحابة وقد رواه ابن مردويه
من حديث داود بن فراهيج عن ابي هريرة قال نام رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حجر علي ولم يكن اي علي صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه وداود
ضعيف ضعفه شعبة قال ابن الجوزي ومن غفلة واضعه انه نظر الى فضيلة
ولم يتلمح الى عدم الفايدة فيها فان صلاة العصر بعد غيبوبة الشمس صارت
صارت قضا ورجوع الشمس لا يعيدها ادا وقد ذكر ابن تيمية الحديث في كتاب رد
الروافض بطرقه وما فيه وافاد فيه قلت طالعته ورايت ما ذكر فيه من ان ذلك
كان مرتين وانشد فيه شعرا للحميري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه مرة
بالصهبا وراسه الشريف في حجر علي جملة حالية والحجر بثلث الحا المهملة قبل جيم
ساكنة ورا مهملة بمعنى الحضن وهو معروف والاظهر ان المراد انها كانت موضوعة
على ركبته وهو نايم فلم يصل علي رضي الله عنه العصر حتى غربت الشمس وغابت
فانتبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي اصليت يا علي بهمزة الاستفهام
وفي نسخة هل صليت فقال لا اي لم اصلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك لانه لم يزعج رسول الله صلى الله عليه وسلم

صح
الحا والرا المهملتين بينهما جيم ساكنة

من فاته

من نامه وانتظر يقظته فارددْ عليه الشمس اي اعدها لمكانها الذي غربت منه ليصلي الصلاة
في وقتها يقال ارددْ بالفك وردّ بالادغام وهو دعاء فقد سمعت ما قاله ابن الجوزي
انه لا فائدة فيه بعد ما صارت قضاء وبالحق ما فيه شروقها اي محل شروقها وفي رواية
شروقها وهذا في بعض النسخ وهو بفتح الرا وسكونها وهو بدل من الشمس او منصوب
على الظرفية ومعناه ضوؤها اولا تعاعها على الحيطان او انبساطها على الارض وقيل
انها انما حبست ومنعت من الحركة حتى يودي الصلاة في وقتها وبيان فيه قوله فقالت
اسما فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والارض وذلك
بالصهبا في القاموس قلعة بقرب خيبر وكذا قاله غيره ففي قوله في خيبر مسامحة
او فيه مضاف مقدر اي في قربها وخيبر بوزن دفيعم ارض بقرب المدينة فيها قلاع
وقرى كان لها مساكن اليهود ثم خربت واليه الاشارة بقولي في الهمزية

ردت الشمس والشروق عليه لعلي حتى يتم الادا
ثم ولت لها صرير وهذا الفراق له الوصال دوا

قال في الطحاوي وهذان الحديثان ثابتان رواية ورواتهما اي اكثرهما ثقات جعلها
حديثين والمذكور حديث واحد نسخا لانه روي من طريقين كما ذكره واعترض
ابن الجوزي
عليه بعض الشراح وقال انه موضوع ورجاله مطعون فيهم كذا ابو داود ووضا
عون
ولم يدر ان الحق خلافه والذي غره كلام ابن الجوزي السابق ولم نقف على ان
كتابه اكثره مردود وقد قال خاتمة الحفاظ السيوطي وكذا السخاوي ان ابن
الجوزي في موضوعاته تحامل تحاملا كثيرا حتى ادرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة
كما اشار اليه ابن الصلاح وهذا الحديث صححه المص واشار الى ان تعدد طرقه شاهد
صدق على صحته وقد صححه قبله كثير من الايمة كالطحاوي واخرجه ابن شاهين وابن
منده وابن مردويه والطبراني في معجمه وقال انه حسن وحكاه العراقي في التقريب
ولفظه انه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهبا ثم ارسل عليا في حاجة فرجع
وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع راسه في حجر علي فنام ولم يحركه
حتى غابت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ان عبدك عليا انما احتبس نفسه
على نبيه فرد عليه الشمس الخ وانكار ابن الجوزي فائدة ردها مع القضا لا وجه له
فانها فائتة لعذر مانع عن الادا وهو عدم تشويشه على النبي صلى الله عليه
وسلم وهذه فضيلة اي فضيلة فلما عادت الشمس حاز فضيلة الادا ايضا وقد
قال ابن حجر في شرح الارشاد لو غربت الشمس ثم عادت عاد الوقت ايضا لهذا
الحديث واما حديث ان الشمس لم ترد الا ليوشع حين قاتل الجبارين يوم الجمعة
فلما ادبرت الشمس خاف ان تغيب الشمس ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فدعى
الله فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم فقد اجيب عنه بانه قاله قبل قصة
خيبر او المراد انها لم ترد لاحد من الامم السالفة والحصر اضافي مع انه نقل ابن
حجر عن المص في الاكمال ان الشمس حبست لنبينا صلى الله عليه وسلم في الخندق
حين شغل عن صلاة العصر حتى ادركها ادا وما روي انه قضاها بعد ما غربت
الشمس لعله كان في يوم اخر وفي تفسير البغوي والكواشي والثعلبي ان الشمس

ردت لسليمان ايضا وروي عن علي وسمير رد وهاغابد على الشمس في الاية لعلها وان
لم يجر لها ذكر واقول ان السيوطي صنف في هذا الحديث رسالة مستقلة سماها كشف
اللبس عن حديث رد الشمس وقال انه سبق بمثله لابي الحسن الفضلي اورد طرقه باسانيد
كثيرة وصححه بما لا مزيد عليه ونازع ابن الجوزي في بعض من طعن فيه من رجاله والحاجة
التي ارسل صلى الله عليه وسلم لها عليا قسمة غنائم خيبر وما ذكره من الحديث المعارض
له لا يعارضه وهو انه لم يكن لنبي معجزة الا وكان لنبينا مثلها وهذه المعجزة كانت ليوشع
وسليمان ومن غريب فهم ما رواه الطبراني في الكبير عن اسما ايضا قالت اشتغل
علي رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قسمة الغنائم يوم خيبر
حتى غابت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي اصليت العصر قال لا
يا رسول الله فتوضا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس في المسجد فتكلم بكلمتين او
ثلاثة كانها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر فقام علي فتوضا وصلى
العصر ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس
الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار في الخشبة وطلعت الكواكب انتهى واذا صح الحديث
علم منه ان الصلاة ليست قضا بل يتعين بعد الدعا الادا والا لم يكن له فايدة فما
اورده وارد عليه ولا وجه الى ان يقال انه من خصايصه فانه لا يقع مثله حتى يقاس
عليه وقد يقال نظير على القول باختلاف المطالع ما لو صام اول يوم من رمضان
ببلده ثم سافر وافطر ووصل لبلد فيها الشهر ناقص وعلم انه ثم ببلدته فهل
يلزمه قضاؤه نظرا تماما ام لا وحكى الطحاوي عن احمد بن صالح هو ابو جعفر الطبري
الحافظ الثقة روى عنه اصحاب السنن وتوفي سنة ثمان واربعين ومايتين وله
ترجمة في الميزان كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم اي لمن طريقته وداءبه الاشتغال
بالعلم ومعرفة الحديث لجعل نفس العلم طريقا لانه يتوصل به صاحبه الى سعادة
الدارين التخلف عن حفظ حديث اسما بنت عميس الذي رونه في رد الشمس لانه من
علامات النبوة اي من الايات الدالة على نبوته لانه معجزة عظيمة وهذا مؤيد لصحته
فان احمد هذا من كبار ايمة الحديث الثقات ويكفي في توثيقه ان البخاري روى عنه في
صحيحه فلا يلتفت الى من ضعفه وطعن في روايته وبهذا ايضا سقط ما قاله ابن
تيمية وابن الجوزي من ان هذا الحديث موضوع فانه مجازفة منهما واما قيل من ابن تيمية
ان هذه الحكاية لا موقع لها لعدم تهمتهم على وضع الحديث وان كونه من علامات
النبوة لا يقتضي تخصيصه بالحفظ خلط وخبط لا يعبؤ به بعد ما سمعت وروى
يونس بن بكير بالتصغير وهو ابو بكر الشيباني الامام الثقة وقول ابي داود انه
ليس بحجة مردود فان ابن معين وثقه وقال انه صدوق توفي سنة تسع وتسعين
ومائة وله ترجمة في الميزان في زيادة المغازي روايته عن ابن اسحاق محمد
ابن يسار صاحب السيرة وروايته مفعول روى لما اسري برسول الله صلى الله
عليه وسلم واخبر قومه من قريش بعد اسرائه بالرفقة والعلامة التي في العير
بكسر العين المهملة وهي الابل والرفقة جمع رفيق مثلث الراء اي اخبرهم بقافلتهم
ومن فيها من الجماعة المترافقين والعلامة هي قوله صلى الله عليه وسلم انه

يقدمها

يقدمها جمل اورق على ما فصل واشتهر في السير وياتي بعضه قريبا قالوا متى تجي جواب لما اي
في اي يوم تدخل مكة وسؤالهم لامتحانه صلى الله عليه وسلم قال يوم الاربعا بتثليث
البا والمد اي تجي يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم بالرفع والنصب والاول اولى لانه نعت
فاعل كان التامة بمعنى وجد اشرفت قريش بشين معجمة وراء مهملة اي قامت على شرف وهو
المكان المرتفع وقوله ينتظرون حال او مستانف اي يترقبون قدوم عيرهم وقافلتهم
في اليوم الموعود وقد ولى النهار اي قارب ذلك اليوم وهو يوم الاربعا ان يتم ويدخل
الليل بغروب الشمس فيه ولم تجي العير وتقبل اليهم في المكان الذي وقفوا فيه لانتظارها
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي سال ربه وتضرع له ان يمدد ذلك اليوم حتى
تجي العير قبل انقضائه فزيد له في النهار ساعة وذلك انه حبست له الشمس ساعة اي
امسكها الله بقدرته وعوقها عن سيرها المعتاد مقدار ساعة حتى قدمت العير قبل
غروبها في ذلك اليوم وقد تقدم انها حبست له صلى الله عليه وسلم في الخندق ايضا
وفي سيرة مغلطاي نقلا عن الخطيب في كتاب النجوم انها حبست لداود عليه الصلاة والسلام
وقال انه رواية ضعيفة وذكر البغوي وغيره في سورة ص انها حبست لسليمان عليه
الصلاة والسلام حين عرض الجياد كما مر انفا تنبيه الذي ذكره هنا من حبس
الشمس وان العير قدمت بعد العصر قبيل الغروب ينافيه ما ورد من انها قدمت صباحا
وعليه اقتصر المفسرون كالزمخشري والبيضاوي في اول سورة الاسرا وهو انه صلى الله
عليه وسلم لما رجع من الاسرا قعد حزينا لعلمه بتكذيبهم له فمر به ابو جهل عدو الله
وقال له مستهزئا هل استفدت من شي قال نعم اسري بي الليلة الى بيت المقدس قال
واصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال اتحدث قومك بهذا قال نعم فنادى هلموا فانفضوا
اليه حتى جلسوا اليهما فقال حدثهم بما حدثتني به فقصه عليهم فمن مصفق وواضع
يده على راسه تعجبا للكذب على زعمهم وارتد ناس وسعى بعضهم الى ابي بكر رضي
الله عنه وقال له هل لك في صاحبك يزعم انه اسري به الخ قال قد صدق واني
لاصدقه فيما هو اعظم من ذلك من اخبار السما فسمي لذلك الصديق وكان فيهم من
راى المسجد الاقصى فقالوا له هل تستطيع ان تنعته لنا قال نعم فنعته لهم ثم
التبس عليه بعض النعت فجي بالمسجد الاقصى ووضع دون دار عقيل فنظر ونعته
لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب ثم قالوا له اخبرنا عن عيرنا هل لقيتها قال نعم مررت على عير
بني فلان بالروحا وقد ضلوا بعيرا لهم وطلبوه وفي رحالهم قدح ما فعطشت فشربته
فسالوهم هل وجدوا الما في القدح قالوا لا وهذه اية قال ومررت بعير بني فلان
وفلان راكب قعودا لهم فنفر منه وانكسر قالوا نعم وهذه اية قالوا فاخبرنا عن
عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا اخبرنا عن عدتها واحمالها وهيئتها ومن
فيها قال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له فنعت ذلك لهم وقال يقدمها
جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا نعم
وهذه اية اخرى ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وقالوا لقد قص محمد شيئا
وبينه حتى اتوا كدا فجلسوا ينتظرون طلوع الشمس كي يكذبونه فقال قايل منهم
هذه الشمس قد طلعت وقال اخر هذه الابل قد طلعت يقدمها بعير اورق فرادا

فيما مثل ما ذكره فقالوا ان هذا الاسم مبني انه مخطي لبعض الغالط وهذا المنافي لما
رواه المصنف رحمه الله والعجب من بعضهم اذ اورده هاهنا ولم يتنبه لما قلنا

فوالله ما ادري احلام نايم • المت بنا ام كان في الركب يوشع •

لطيفة من الاتفاقات الحسنة ان المطوعي الواعظ ذكر يوما فضايل علي
كرم الله وجهه ورد الشمس له والسما مغيمة غيما مطبقا فظنوا ان الشمس غربت وهموا
بالانصراف فانصحت السما ولاحت الشمس صافية الاشراق فاشار اليهم بالجلوس وانشد
ارتجالا

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي • مدحي لآل المصطفى ولنجله •
واثني عنانك ان اردت ثناهم • انسيت اذ كان الوقوف لاجله •
ان كان للمولى وقوفك فليكن • هذا الوقوف لخيله ولرجله •

## فصل في نبع الماء من بين اصابعه

اي بخروجه من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم معجزة له يقال نبع ينبع مثلث
من باب نصر وعلم وضرب ومنه الينبوع لعين الماء وهو مصدر مضاف لفاعله وتكثيره
ببركته صلى الله عليه وسلم اي تكثيرا لما ببركته وقع بكله الشريفة فيه وهو نبع ايضا
وان لم يشاهده الناس وقد كان هذا مرات كثيرة وروي بطرق متعددة في الصحيحين
وغيرهما ففي بعضها انه في قدح وفي بعضها جفنة وفي بعضها ميضاة وهي اناء يعد
للوضوء وفي بعضها مزادة والماء قليل فكفى جماعة كثيرة في بعضها كانوا خمسماية وفي
بعضها ثمانماية وفي بعضها خمسماية والف الى غير ذلك مما اعتنوا بجمعه في المعجزات
وهذه المعجزة اعظم من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام اذ نبع له الماء من الحجر
لانه معتاد وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار الاية واما خروجه من لحم ودم فلم
يعهد كما قال الشاعر رحمه الله

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر • فان في الكف معنى ليس في الحجر •

ولله در الابوصيري في قوله في لاميته

ومنبع الماء عذبا من اصابعه • وذي اياد عليها قد جرى النيل •

قالوا وهذا الماء افضل من ماء زمزم والكوثر ويحتمل قوله وتكثيره ان لا يكون
عطف تفسير من عطف الاعم على الاخص ليشمل ما كان بدعائه وتفله ريقه فيه وهو
الاظهر والبركة اليمن واصل معناه زيادة الخير فهو مناسب هنا جدا اذ الماء الاحاديث
في هذا فكثيرة جدا اي كثيرة عظيمة تفوت الحصر وهو مصدر لازم النصب والتنكير
وفيه ايما الى انها لا تدرك الا بغاية الجد والاجتهاد فيها وقال النووي رحمه الله
انها بلغت مرتبة التواتر روى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم
جماعة من الصحابة بفتح الصاد مصدر في الاصل كالصحبة ثم صار جمعا للصحابي
منهم انس وجابر وابن مسعود رضي الله عنهم واشار بمن التبعيضية
الى انه روي عن كثير غير هولاء كالبلاد وابن عباس لانه وقع بين الجم الغفير
منهم في الحديبية وغيرها كما قال اولا ان احاديثه كثيرة جدا فلا حاجة
لما قيل ان الكثرة باعتبار المخرجين لها في كتبهم من ايمة الحديث حتى صار
متواترا تواترا معنويا وانما نص على رواية هولاء لقوة صحتها برواية

لولا ولتسلسله

عرضي

الامام

لامام مالك والشيخين لها حدثنا ابو اسحاق بن جعفر الفقيه رحمه الله تعالى عليه
هو احمد القاسمي اللواتي نسبة للواتة بفتح اللام والواو المخففة تليها الف ثم ثناة فوقية
وهو شيخ المص قال حدثنا القاضي عيسى بن سهل مفيد المصعب وتقدمت ترجمته
قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد كما تقدم في ترجمته قال حدثنا ابو عمر بن الفخار
بفتح الفا وتشديد الخا لقب بمعنى كثير الفخر ونوع من الاواني يجعل من الطين
ولها قيل ۞ لا يفخرن امرؤ بذات يده ۞ فالكسر بدو لكل فخار ۞
وقيل على المص ان الصواب ابو عبد الله بن الفخار قال ابن رشد ابو عمر الذي يروي
عن ابي عيسى ليس بابن الفخار وانما هو ابن القطان الفقيه وهو ابو عمر احمد بن محمد
ابن عيسى القرطبي المتوفي سنة ستين واربعماية وقراءته على ابي عيسى سمع الموطا
يونس بن المغيث لكن ابن حاتم لم يذكر الرواية عنه وانما يروي عن عبد الله بن محمد
ابن عمر الفخار المتوفي سنة تسع عشرة واربعماية ففي كلام المص سهو من وجهين اذ سماه
ابو عمر وهو ابو عبد الله وفي قوله حدثنا ابو عيسى قال حدثنا يحيى اذ اسقط راويا
بين ابي عيسى ويحيى وهو عبد الله ابو مروان وقد ذكره المص على الصواب في غير
هذا المحل فيما مر وفيما سياتي وابو عيسى هذا هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى
ابن كثير صاحب مالك وراوي الموطا عنه وليس من قبيل الانقطاع لتصريحه بصيغة
التحديث اللهم الا ان يقال انه حمل اتصاله في غير هذا المحل قرينة على تقديره
هنا فليتامل قال ابو محمد القرطبي صوابه حدثنا عيسى حدثنا عبيد الله الخ وصوابه
ابو عيسى بالكنية لا عيسى بالاسم لان ابا عيسى انما يحدث عن عبيد الله بن يحيى عن ابيه يحيى
وابو عيسى هو يحيى بن عبد الله بالتكبير ابن يحيى سمع عم ابيه عبيد الله بالتصغير
ابن يحيى وقد تقدم على الصواب في فصل الحلم والاحتمال وياتي ايضا كذلك
في فصل كنيته قال حدثنا مالك امام دار الهجرة المشهور عن اسحاق بن عبد الله
ابن ابي طلحة الامام المشهور الفقيه والتابعي توفي سنة اثنين وثلاثين ومائة
عن انس بن مالك قال فيما رواه مالك في موطايه عنه والشيخان عنه رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة العصر بمهملة ونون اي قربت
او دخل وقتها وهو ماخوذ من الحين بمعنى الوقت فالتمس الناس الوضوء بفتح
الواو وهو الما الذي يتوضا به ويجوز ضمها والالتماس افتعال من اللمس بمعنى
المس ثم صار حقيقة في مطلق الطلب فلم يجدوه فاتي بالبنا للمجهول بوضوء
تقديره باناء وضوء بوزنه قوله فوضع يده فيه وفي مسلم بقدح رحراح وامر
الناس ان يتوضؤوا منه قال اي انس فرايت الما ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس
من عند اخرهم اي جميعهم وتقدم معنى ينبع وانه بتثليث البا وقد قالوا انه
يحتمل ان الما خرج من اصابعه صلى الله عليه وسلم حقيقة وهو الظاهر ويحتمل
انه كثر من غير نبع منها وانما وضع يده فيه سترا عن الناس حتى لا يروه
فيفتتن بعضهم به ونادبا مع الله الذي لا يوجد المعدوم سواه والاصابع
جمع اصبع وفيه عشر لغات تثليث الهمزة مع تثليث البا والعاشرة اصبوع قال
ابن مالك رحمه الله ۞ تثليث با اصبع مع ضم همزته ۞ والفتح والكسر والاصبوع قد كملا ۞

وعنه مثلث العين والافصح الكسر وهي ظرف مكان يلزم النصب على الظرفية او الجر
بمن ويتجوز بها عن العلم وغيره من معانيه وقوله من عند اخرهم لفظ مسموع من
فصحاء العرب قديما وقال النووي انه لغة لبعضهم وعند هو من للغاية بمعنى الى
ولو بانه على الاصل لان الى عنده لحن عندهم ونقله عن سيبويه وقيل بل هي هنا عرفي
ابتدائية لابتدا الغاية اذ لم تسمع بمعنى الى وانه كناية عن الاستيعاب والشمول
والمعنى توضوا كلهم بحيث لو قيل ان ابتدا وضوئهم كان من اخرهم صدق قايله اولو
سمع ايضا من اخرهم بدون عند كما في الكشاف في اول البقرة وما ذكره ركيك جدا
فالصواب ان يقال انه كناية كما قال وتوجيهه اذ ما الوضو كانه ملحوظ
ومبذول من اخرهم والمعروف انه لا يبذل الا ما فضل عن حاجته فكانهم بذلوه
لاولهم ولمن بعدهم وما قاله النووي اسهل واظهر وقد نقل انه لغة في شرح
مسلم وهي عبارة النبي صلى الله عليه وسلم ولشراح الكشاف فيه كلام فيهما
ورواه ايضا اي كالرواية السابقة عن انس رضي الله عنه قتادة كما في صحيح مسلم
قال اي انس في هذه الرواية فاتي باناء فيه ما الا انا بكسر الهمزة مفرد وتقدم ان
آنية جمعه وليس مفردا كما يتوهم يغمر اصابعه بالغين المعجمة وميم وراء مهملة
هو ما يسترها ومنه استعير الغمرة للشدة او لا يكاد يغمرها يعني انه قليل
لا يغطيها وتقدم انه صلى الله عليه وسلم فعله تسترا وتادبا مع الله الذي
لا يوجد المعدوم سواه وكاد للمقاربة ونفيها ابلغ من نفي الفعل الذي هو
خبرها والكلام عليها مشهور فلا حاجة لتكثير السواد به هنا كما فعله بعضهم
قال اي قتادة لانس رضي الله عنه كم كنتم معاشر الناس الذين توضوا من ذلك عرني
الما قال زها بضم الزاي المعجمة والمد ويقال ايضا لها بالامالة مقدار
ثلاثماية رجل واصل الزها العدد الذي يقدر بالتخمين فقد ينقص ويزيد
بمقدار يسير يقال زهوت القوم اذا حزرتهم وقدرتهم من غير عد حقيقي
وليس من الزهو بمعنى الفخر والعجب وفي رواية عنه اي عن انس رضي الله
عنه وهم بالزوراء عند السوق الزوراء مكان مرتفع قريب من مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم بالمدينة وثمة سوق فيها ورواه اي حديث نبع الما ايضا حميد
بالتصغير وهو المعروف بالطويل واختلفوا في اسمه فقيل تير وقيل تيرويه
وقيل طرخان وقيل غير ذلك وهو ابو عبيدة مولى الطلحات الخزاعي او الدارمي
مات وهو قايم يصلي سنة اثنين واربعين ومائة وهو ثقة اخرج له الايمة
الستة الا انه نسب للتدليس وترجمته في الميزان وثابت والحسن بن ابي الحسن
البصري كما تقدم عن انس وتفرد البخاري عن مسلم بالرواية الاولى والثالثة
واتفقا على الثانية وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال كانوا ثمانين ونحوه
عن ثابت عنه اي عن انس وعنه ايضا اي عن انس وهم نحو من سبعين رجلا
وفي مسلم عنه ايضا بين الستين الى الثمانين وحمل اختلاف الرواية عنه على
انهما كانا قضيتين في وقتين وواقعتا حال حدث عنهما واذا كان الامر على
التقريب والتخمين فلا اشكال ايضا واما ابن مسعود ففي الصحيح اي الحديث

الصحيح

الصحيح او صحيح البخاري عنه اي عن ابن مسعود رضي الله عنه من رواية علقمة
تقدم ترجمته بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اي كانوا مجتمعين عنده
وبين ظرف والالف فيه اشباع كافة عن الاضافة كما ذكره النحاة وفي نسخة بينما
وهي كبينا فيما ذكر وتقع بعدها الجملة الاسمية والفعلية وقد يتلقى باذ واذا والاصمعي
يستفصح تركهما كما هنا وليس معنا ما فقال لنا اطلبوا من معه فضل ما اي بقية
من ما كان او زيادة منه على حاجته وقد مر انه صلى الله عليه وسلم انما طلبه نشرا
لئلا يتوهم انه موجد له من العدم دون الله وهو الواحد الموجد لكل فما ذهب بذلك
مع الله ولو شا لاوجده بدعائه وطلبه له من الله ولو شا لاوجده ابتدا من غير شي
فاتي بما بالبنا للمجهول والفا فصيحة اي فطلبوا الما فوجده بعضهم واتي به فصبه
في انا اي صبه وسكبه في انا اخر مكشوف وكانه اتي به في مزادة لا تدخلها اليد ثم
وضع كفه فيه اي في الانا الثاني والعطف بثم لما بينهما من تراخ يسير بدعائه
اي دعا الله ثم اخذ فجعل ينبع بتثليث الموحدة كما مر وجعل بمعنى صار وليس
الاسناد مجازيا كما قيل من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وهذه القصة هي
المتقدمة وانما اعادها اشارة الى تعدد طرقها الدالة على ذلك ويحتمل
انها غيرها وفي الصحيح اي صحيح البخاري او المراد في الحديث الصحيح له ولغيره
عن سالم بن ابي الجعد الاشجعي الكوفي وهو من كبار التابعين الثقات روى عن ابن
عباس وغيره وتوفي في سنة مائة وله ترجمة مفصلة في الميزان عن جابر رضي
الله عنه عطش الناس يوم الحديبية وهو موضع معروف بمكان معروف بين
مكة والطائف وهو مصغر وياؤه مخففة على الافصح ويجوز تشديدها كما
تقدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه اي عنده في مكان قريب
منه ركوة بتثليث الرا المهملة وكاف وواو والافصح فيه الفتح وجمعه
ركا بالكسر والمد وهي انا صغير من جلد كالابريق فتوضا صلى الله عليه وسلم
منها واقبل الناس نحوه اي جاؤوا له صلى الله عليه وسلم وقالوا له ليس عندنا
ما الا ما في ركوتك جملة حالية والاستثنا متصل فوضع النبي صلى الله عليه
وسلم يده في الركوة فجعل الما يفور اي ينبع ويرتفع لزيادته من بين اصابعه
كامثال العيون اي كان بين كل اصبعين من اصابعه الشريفة عين ما نابعة وفيه
اي في حديث سالم هذا فقلت لجابر رضي الله عنه كم كنتم معاشر الصحابة قال لو
كنا مائة الف لكفانا ذلك الما لما شاهد من فوره انه الدال على عدم انقطاعه
كنا خمس عشرة مائة يعني الفا وخمسمائة رجل وهم اصحاب الشجرة وبيعة الرضوان
وقد اختلف في عددهم وهذه رواية مشهورة ولذا اقتصر عليها المص وقيل
كانوا الفا واربعمائة وصحح هذه الرواية البيهقي وقيل كانوا الفا وستمائة
وقيل الفا وخمسمائة واربعون وقيل وخمسة وعشرون وقيل وثمانون وقيل
وثلاثمائة وجمع ابن دحية رحمه الله بين الروايات بانه كان حزرا وتخمينا
لا تحقيقا وتحديدا ورواية سبعمائة وهم من راويها وروى مثله بالبنا
للمجهول اي مثل حديث سالم المذكور عن انس عن جابر صحح في النسخ بدون عاطف

دجلي

بينهما فان صح هذا فليس من رواية انس عن جابر في الكتب الستة كما قاله البرهان
الحلبي وفيه اي في هذا الحديث انه كان بالحديبية كما في الرواية التي قبله وفي رواية
الوليد بن عبادة بن الصامت عنه اي عن جابر رضي الله عنه والوليد هذا ولد
في حياته صلى الله عليه وسلم وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان وهو ثقة
لكنه قليل الحديث واخرج له الشيخان والترمذي وابن ماجه وهو يروي عن
ابيه في حديث مسلم الطويل سقة للحديث في ذكر غزوة بواط بضم الباء الموحدة
وفتح الواو المخففة والف وطاء مهملة وهي ثاني غزواته وهي مفصلة في مسلم
وغيره ويجوز فتح بائه ايضا وهو اسم لجبال جهينة على ابراد من المدينة في طريق
الينبع وكانت في ربيع الاول سنة اثنين وفي هذا الحديث معجزات له صلى الله
عليه وسلم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء
ناد امر من النداء محذوف الاخر المعتل والوضوء بفتح الواو وهو منصوب بمقدر
ومفعول ناد مقدر ايضا اي ناد الناس وقل لهم اعطوا او ناولوا الوضوء وهو
الماء الذي يتوضأ به وفيه حث لهم عليه وذكر الحديث بطوله وفيه ان رجلا من الانصار
كان يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماء في سقا فلما اخبره انه نادى فلم يجد
الماء قال له انطلق الى فلان الانصاري فانظر هل في اشجابه من شيء قال فانطلقت
اليه واخبره بما عنده وانه لم يجد عند الانصاري الا قطرة اراد ماء قليلا جدا
في عزلا شجب بالاضافة اي فم قربة بالية وعزلا بفتح العين المهملة وسكون
الزاي المعجمة ولام بعدها ممدودة وهمزة وهو فم الراوية ومصب الماء منها
وجمعه عزالي بفتح اللام وكسرها وشجب بفتح الشين المعجمة قيل او كسرها
وسكون الجيم وباء موحدة ما قدم من القرب او اعواد تعلق عليها القرب
ونحوها وجمعه شجب واشجاب واصل معناه الهلاك فاتي به بنيا المفعول ويكون
بناؤه للفاعل والرواية الاول وضميره للمذكور النبي صلى الله عليه وسلم
فغمزه بفتح الغين المعجمة والميم والزاي المعجمة اي وضع يده عليه وكبسه
بها والغمز هنا كالذي في قوله

وكنت اذا غمزت قناة قوم ۞ كسرت كعوبها او تستقيما

والغمز بالعين الاشارة بها ما معنى اخر وتكلم بشيء لا ادري ما هو وفي الحديث انه
صلى الله عليه وسلم جعل يتكلم بشيء لا ادري ما هو فكانه سر من اسرار الله تكلم
به بالسريانية ونحوها المخفي على غيره وقد تقدم حكاية مثله في برد السهم المتقدم
وقال ناد بجفنة الركب الجفنة كالقصعة لفظا ومعنى وهي التي تشبع عشرة
فاكثر ودونها الصحفة ثم الماكلة والركب بفتح ثم سكون اسم جمع لراكب والمراد
الناس وان يكونوا راكبين بالفعل وهذا وقع في رواية لقتادة والذي في مسلم
ناد بجفنة فكانه لم يكن معهم الا جفنة واحدة وضمن ناد معنى ائت بها ابد ليد
قوله فاتيت بها بالبناء للمفعول كما قاله البرهان وغيره ويجوز البناء للفاعل
وقيل مفعوله محذوف اي ناد القوم ليأتوا بجفنتهم او هي منزلة منزلة
من يعقل لان الله خلق فيها ادراكا حتى تنادي هي فتاتي بنفسها ويكون ذلك

معجزة له صلى الله عليه وسلم لانه لم ينقل لنا مثله فوضعتها بين يديه وذكر جابر رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده بالسين والصاد وبهما قرئ اي وضع
يده الشريفة في الجفنة مبسوطة ليكون ابرك وفرق اصابعه وصب جابر عليه ما كان
في القربة من الماء وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله ابركه واطلب نبع الماء
ويحتمل القسم لصحة نيته بذلك واقتصر عليه لانه المأثور في سائر الافعال لا لبيان
انه يجزئ بدون الرحمن الرحيم كما قيل وهو قولنا فاعل قال بسم الله جابر كان اوفق بما
في الرواية من انه وضع يده في قعر الجفنة وقال خذ يا جابر صب علي وقل بسم الله
فصببت عليه صلى الله عليه وسلم وقلت بسم الله فلا يقال كيف استند جابر ما لم
ينقله فيجاب بان كمال جابر وما علم من داب الصحابة رضي الله عنهم معه صلى الله عليه
وسلم قرينة على ما ذكر قال جابر رضي الله عنه فرايت الماء يفور اي يزيد ويرتفع حتى
يتدفق من فار القدر اذا غلا ما فيه من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ثم فارت
الجفنة اي فار ماؤها ففيه مضاف مقدر او الاسناد مجازي للمبالغة في فورانه
واستدارت اي دار ماؤها لان الماء اذا زاد بسرعة يرى كانه يدور وليس المراد ان الجفنة
نفسها استدارت لعظم الامر فانه لا يحصل له حتى امتلات وامر الناس بالاستقاء
فاستقوا حتى رووا اي اخذ كل منهم من الماء ما يكفيه ودوابه وشربوا حتى ذهب
عطشهم والري مقابل العطش وفيما رواه المص بعض مخالفة لما في صحيح مسلم بحسب
اللفظ دون المعنى كقوله ودارت وفي بعض نسخه فارت الجفنة ثم فارت بالتكرار
فقلت هل بقي احد له حاجة اي قال جابر فقلت الخ وهل هنا قيل انها نافية كقوله
صلى الله عليه وسلم هل ترك لنا عقيل من دار ويجوز ان تكون استفهامية وقوله
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة الفاء فيه فصيحة اي فقال
لا فرفع الخ وحديث جابر هذا ليس في شيء من الكتب الستة غير مسلم وهي ملاى
دون سكري اي مملوءة بالماء لم تنقص شيئا اخذوه وعن الشعبي هو من كبار
التابعين يحدثه هذا مرسل والمرسل يستدل به عند مالك والمص مالكي المذهب
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي ليلا للتهجد اي اتاه بعض الصحابة باداوة
بكسر الهمزة وفتح الدال المهملة والف وواو وهاء وجمعها اداوى وهي اناء صغير
للماء من جلد ولذا اضافها لقوله بماء في بعض اسفاره وقيل ما معنا يا رسول الله
ماء غيرها فسكبها اي صبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه او امر
بصبها ووضع اصبعه بالافراد وقد تقدم لغات الاصبع وانها عشرة وسطها
بفتح السين وسكونها وهو منصوب على الظرفية اي وضعه في وسط ما بها
وفي الفرق بين الوسط ساكنا ومحركا كلام في كتب العربية لسنا هنا بمحله
وبيناه في شرح الدرة وتقدم فيما مر ما فيه الكفاية وغمسها في الماء تفسير
لما قبله والغمس بغين معجمة الادخال وجعل الناس يجيئون ويتوضئون
جعل هنا بمعنى صار وطفق نحو جعل زيد يقول كذا وهي احد مقاربه
الخمسة ثم يقومون بعد الوضوء قال الترمذي ابو عيسى امام اهل السنة
المشهور صاحب الجامع وغيره وفي الباب اي في هذا الباب الذي ذكر فيه معجزاته

عوضي

عرضي

تلمساني

ونبع الماء من عمران بن حصين بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين اي روي عنه مثله ومثل
هذا الامر المعجز المروي في هذا الحديث في هذه المواطن جمع موطن وهو موضع التوطن
وهو هنا بمعنى المجالس الحفلة بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء واللام والهاء اي الكثيرة
الناس والجموع الكثيرة اي جموع الناس الكثيرة في مثل هذه المحافل لا تتطرق التهمة
بضم المثناة الفوقية وفتح الهاء ويجوز تسكينها وتاؤه مبدلة من الواو والتهمة
ما يتوهم ويظن في شيء بخلاف الواقع وقيل التسكين غلط وهو ظاهر ما في
القاموس والصحاح ولا يكون الا اسما لما يتهم به وقيل انه بالسكون مصدر وبالفتح
اسم كما في شرح المفتاح لابن كمال وفيه نظر وتتطرق بمعنى يتسلط واصل معناه
تجد طريقا الى المحدث به بفتح الدال المهملة المشددة وكسرها لانهم كانوا
اسرع شيء الى تكذيبه اي تكذيب المخبر عنه او الخبر لوقوعه بين ناس كثيرين لا يمكن
تواطيهم على الكذب لما جبلت عليه النفوس من ذلك اي الاسراع الى التكذيب ولانهم
اي من حضر تلك المحافل كانوا ممن لا يسكت على باطل فلا يقرونه على ما قاله
اذا كذب فيهم وهم عرفوا خلافه ولا يخافون في الله لومة لايم وهؤلاء المذكورون
من الصحابة وغيرهم قد رووا هذا الحديث الذي فيه نبع الماء من بين اصابعه صلى
الله عليه وسلم واشاعوه ونسبوا حضور الجما الغفير له اي قالوا انه وقع في
محافل ناس لا يحصون كثرة فلا يمكن كونه كذبا وحضور الجما الغفير بجاوا الجما الغفير
اي كلهم شريفهم ووضيعهم بحيث لم يتخلف منهم احد وفيه لغات واستعمالات
كثيرة ذكرها في القاموس وليس هذا محل تفصيلها ولم ينكر احد من الناس عليهم
ما حدثوا به عنهم اي لم يقل احد ان ما نقلوه من هذه المعجزة انها لا اصل لها
ونحوه انهم فعلوه وشاهدوه بفتح همزة انه بدل من ما حدثوا وما فعلوه كوضوئهم
وتعديهم الاداوة وصب الماء وغيره مما تقدم وما شاهدوه نبع الماء وتدفقه
وكثرته فصار ما ذكر من كثرة من نقله من عدول الصحابة وعدم انكار غيره
كتصديقهم له اي لذلك الخبر والحديث فيتواتر تواترا معنويا
وامرا مجمعا عليه وفي نسخة لهم

## فصل

ومما يشبه هذا
اي من المعجزات المشبهة لنبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم من معجزاته
بيان لما او حال من اسم الاشارة تفجير الماء ببركته صلى الله عليه وسلم والتفجير
الشق الواسع يقال فجر الارض فانفجرت وتفجرت ومنه الفجر بمعنى الصبح
فاضافته للماء اضافة مجازية من اضافة ما للمحل الى الحال قال عز وجل وفجرنا
الارض عيونا والتفجير مجاز بمعنى الاخراج وهو شايع فيه وقوله ببركته
اي بيمنه وجوده في مكان اخرج منه الماء والبركة الخير الدايم وهي في الاصل
من البرك وهو الموضع الذي يضعه البعير على الارض اذا برك ومنه البركة
وهي الموضع الذي يحبس فيه الماء وقوله تبارك وتعالى انزلني منزلا مباركا
اي كثير الخير وتبارك الله بمعنى تزايد خيره الذي اضافه على عباده وهو
لا يتصرف ولا يستعمل في غير الله وابتعاثه وهو افتعال من البعث وهو الاثارة
والاخراج للماء حتى يجري بمسه ودعوته اي بلمسه لمحله ودعائه لله واخذ

هذا حتى تبعه من بين اصابعه لان الاول اقوى في المعجزة لاحتمال هذا لكونه من الاتفاقيات
كغيره من الماء الجاري وفي بعض النسخ انبعث من الانفعال بالنون وهما بمعنى واحد
مطاوع بعثه فانبعث وابتعث كاستوى واستوى وجعل هذا استشهادا لما تقدم
مما روى مالك في الموطأ ومسلم في صحيحه وعزاه المصنف للموطأ دونه لانه روايته له
اعلا اسنادا عنده او للترجيح روايته عن معاذ بن جبل الصحابي المشهور رضي الله عنه
في قصة غزوة تبوك بفتح المثناة الفوقية اسم مكان بين الشام والمدينة غزاه
صلى الله عليه وسلم في غزوة مبينة في السير والقوم اي الجيش الذين كانوا معه صلى
الله عليه وسلم وردوا العين بتعريفها للعهد اي عينا بتبوك نزلوا عليها وهم
هذا وهي تبض مضارع بض بزنة رد بموحدة وضاد معجمة مشددة من بض الماء
اذا سال سيلانا قليلا ويجوز ان يكون بصاد مهملة من بص اذا لمع وبرق وهو رواية
فيه وهو كناية عن قلة الماء ولذا قال بشيء من ماء مثل الشراك بكسر الشين المعجمة
وفتح الراء المهملة والف وكاف وهو سير النعل الذي يكون على وجهه وشبهه
به لقلته وضعف جريانه وليس بمعنى اخدود في الارض كما قيل فغرفوا من العين
بايديهم حتى اجتمع الماء الذي غرفوه في شيء من الاواني التي كانت معهم وليس فيه
قلب وان الاصل غرفوا في شيء حتى اجتمع ماء كثير كما توهم ثم غسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه ضمير فيه للشيء بمعنى الاناء او للماء وهذا
الظاهر منه ولكنه لمشاكلة قوله واعاده فيها اي في العين التي غرفوا منها وضمير
اعاده للماء لا للوجه كما توهم فجرت بماء كثير اي جرى من تلك العين ماء كثير فاستقى
الناس اي شربوا وسقوا دوابهم قال اي معاذ بن جبل رضي الله عنه في حديث ابن
اسحاق صاحب السير فيما رواه عن معاذ في سيرته فانخرق بنون وخاء معجمة وراء
مهملة وقاف اي انفجر انفجارا شديدا من الماء ماله حس كحس الصواعق الحس
بحاء وسين مهملتين بمعنى الصوت المحسوس بحاسة السمع وهو مجاز مشهور
يقال لمشبه حس اي يسمع حركته والصواعق يكون معها اصوات شديدة
من الصعقة وهي الصيحة وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس وهذا كان في رجعته
صلى الله عليه وسلم من تبوك كما قال ابن اسحاق ثم انصرف قافلا من تبوك الى
المدينة وكان في الطريق ماء يخرج من وشل ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة
بواد يقال له وادي المشقق فذكر القصة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد جرى الاستقا يوشك بضم اليا المثناة التحتية وواو وشين معجمة مكسو
وكاف مضارع اوشك وفتح شينه لغة ردية كما في القاموس وغيره ومعناه
يقرب ويسرع من غير بطء يا معاذ ان طالت بك حياة اي ان اطال الله عمرك
ورات هذا المكان ان ترى بعينك وهو فاعل يوشك وان بالفتح مصدرية ما
هاهنا ما موصولة اي الذي هاهنا وهو اشارة للمكان قد ملئ بالبنا للمجهول
جنانا منصوب على التمييز وهو بكسر الجيم جمع جنة بفتحها وهو البستان اي
يكثر ماؤه ويخصب ارضه فيكون بساتين ذات ثمار وشجر كثيرة والحديث طويل
اقتصر المصنف منه على بعضه المراد منه اختصارا وفي حديث البراء بن عازب بفتح

الباء الموحدة كما تقدم وسلمة بن الاكوع افعل من الكوع بفتحتين وهو اعوجاج اليد
وحديث البراء في صحيح البخاري وحديث سلمة بفتحتين في مسلم وحديثه اي حديث
سلمة الذي رواه مسلم اتم من حديث البراء كما يأتي في قصة الحديبية التي قدمناها
وفيها بيعة الرضوان وهم اربع عشرة مائة رجل من الصحابة كما تقدم وبيرها
اي وما بيرها لا يروي بضم المثناة الفوقية خمسين شاة الشاة معروفة ويروي
اشاه بهمزة مكسورة في اوله ومفتوحة في اخره وهي النخلة الصغيرة فنزحناها
اي اخرجنا جميع ما فيها من الماء بطنبه فلم نترك فيها قطرة من ما بها فقعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها بفتح الجيم والباء الموحدة مقصور
وهو فم البئر وما حولها وبالكسر ما جمع فيها من الماء ويروي شفاها بشين
معجمة وهما بمعنى وقال البراء اتي بالماء المفهوم بدلو منها اي من تلك البئر اي بماء لو
بماء نحوه منها فبصق اي النبي بعد ودعا بعد بصاقه او هو شك من الراوي هل
بصق فيها او دعا الله لتكثير ماءها كما اشار اليه بقوله وقال سلمة راوي الحديث
اما دعا واما بصق فيها بكسر همزة اما فيهما بيان للشك في الرواية وفي نسخة فاما دعا الخ
وضمير فيها راجع للبئر لا للدلو كما قيل فجاشت البئر اي فارت وعلا حتى ارتفع لفمها
من جاشت القدر اذا غلت فارووا انفسهم وركابهم اي شربوا منها حتى ارتووا وسقوا
ركابهم حتى رويت والركاب بكسر الراء المهملة الابل جمع لا واحد له من لفظه وقد
علم ان حديث البراء رواه البخاري ولفظه قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان
فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ
فتمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا ما نحن وركابنا اي
صرفتنا ونحن وابلنا رواء ولم يجنح للنظام بها لاجل الماء وان حديث سلمة في صحيح
مسلم وهو انه قال قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
اربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا ترويها قال فقعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الركية فاما دعا واما بصق فيها قال فجاشت فسقينا واستقينا
قال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعانا للبيعة في اصل الشجرة فبايعته
اول الناس ثم بايع حتى اذا كان في وسط الناس قال بايع يا سلمة فقلت قد بايعتك
يا رسول الله في اول الناس قال وايضا ورآني رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعزل اي ليس معي سلاح فاعطاني حجفة او درقة ثم بايع حتى كان في اخر الناس
قال الا تبايعني يا سلمة قلت قد بايعتك يا رسول الله اول الناس واوسط الناس
قال وايضا فبايعته الثالثة الحديث ومنه تعلم ما قدمه المص من ان حديث
سلمة اتم لما فيه من تفصيل القصة وانه كان عليها من يستقي للساحين قدموا
ولذكره كيفية المبايعة وما جرى له معه صلى الله عليه وسلم وفي غير هذه
الروايتين كذا في اكثر النسخ بتوحيد هذه وفي بعضها هاتين الروايتين للمسابي
قيل وهو الصواب لتثنية المشار اليه ووجه الاول بانه وحد اسم الاشارة

لاتحاد

لاتحاد الروايتين معنى لان القصة فيهما واحدة لكنه لا يخلو من تكلف والروايتان رواية
البراء ورواية سلمة في هذه القصة اي قصة الحديبية من طريق ابن شهاب الزهري وقد
تقدمت ترجمته من انا في الحديبية تفسير للقصة فاخرج سهما من كنانته هي ما يوضع
فيه السهام لانها تكنها اي تسترها فوضع بالبنا للمجهول وفي بعض النسخ فوضعه اي
امر بوضعه في قليب ليس فيه ما القليب البير المحفورة من غير بنا فان بنيت فهي طوي
وتذكر وتونث وهو مخالف للرواية السابقة انه كان ما قليل والذي وضع
السهم البراء وقيل ناجية على ما ياتي فروى الناس بفتح الرا المهملة والمثناة التحتية
بينهما واو مكسورة اي شبعوا هم وردوا ابلهم لقوله حتى ضربوا بعطن هو بفتح
العين والطا المهملتين ونون محل تبرك فيه الابل عند الما بعد شربها العود
لعلل بعد نهل وضربوا بمعنى اقاموا من ضرب الخيمة اذا نصبها اي الامر بيته الابل
بعطن اذا بركت يعني انهم لما رووا كثرة الما نزلوا عنده وهذا الحديث رواه البيهقي
مسندا لمروان بن الحكم والمسور بن مخرمة قال فيه خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم لزيارة البيت لا يريد حربا فذكر الحديث وفيه انه صلى الله عليه وسلم
قال ايها الناس انزلوا فقالوا ما بالوادي ما ننزل عليه فاخرج سهما من كنانته
اعطاه رجلا من اصحابه فقال انزل للقليب واغرزه فيه ففعل فجاش الما حتى ضرب
الناس بعطن وفيه ان الذي نزل في البير خلاد الغفاري دلاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعمامته وقيل هو ناجية السلمي وكان البراء بن عازب رضي الله
عنه يقول انا الذي نزلت كذا في دلايل النبوة وعن ابي قتادة هو الحارث بن
ربعي وقيل النعمان بن ربعي وقيل اسمه عمرو وهذا الحديث رواه البيهقي ايضا
فلذا اعطفه فقال وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
العطش في بعض اسفاره لانه كان يوما شديد الحر فدعا بالميضاة بكسر الميم وبا
منقلبة عن واو لانها آلة الوضوء وهي مقصورة وزنها مفعلة وقد تمد فوزنها
مفعالة ودعا بمعنى طلب مطهرة ما الوضوء فاتي بها فجعلها في ضبنه بكسر الضاد
المعجمة وسكون البا الموحدة والنون وهو ما تحت الابط قريب من الحضن
يقال اضطبنته اذا جعلته في ضبنك وبه سمي العيال كما في الغريبين والمراد
انه امسكها وضمها اليه ثم التقم فمها اي ادخل فمها في فيه كما تدخل اللقمة
فالله اعلم اي قال الراوي اني لا اعلم نفث فيها ام لا اي انفث في تلك الميضاة
ام لا والنفث بنون وفا وثا مثلثة نفخ لطيف بغير ريق كالنفخ واقل من
التفل فشرب الناس من تلك الميضاة حتى رووا اي حصل لهم الري المزيل
للعطش وملاوا كل انا معهم مما فضل عن شربهم مخيل بالبنا للمجهول اي انها
كما اخذتها مني اي مثل ما اخذتها مني لم تنقص شيئا مما كان فيها حين اخذتها
مني وانما قال خيل لانه بالحدس اذ لم يتحقق مقدار ما كان فيها وكانوا اثنين
وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري محمد بن جرير الامام
المشهور حديث ابي قتادة المذكور على غير ما ذكره اهل الصحيح اي فيه مخالفة
لما رواه اصحاب الحديث المعتنون بتصحيحه وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج

بهم أي بهؤلاء المذكورين من الصحابة رضي الله عنهم ممدا لأهل مؤتة بضم الميم وسكون
الواو وجوز بعضهم همزها ساكنة ثم مثناة فوقية وهي أرض من البلقاء وقرية
بين تبوك وحوران من الشام وممدا بمعنى مقويا ومعينا عند ما بلغه قتل
الأمراء ما مصدرية والأمراء جمع أمير وهم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وذلك أنه صلى الله
عليه وسلم أرسل الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى ملك بصرى فلما نزل بمؤتة
عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل رسول له قبله فأمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف وأرسلهم لقتال شرحبيل
وقال إن قتل زيد فأميركم جعفر فإن قتل جعفر فأميركم عبد الله بن رواحة
فإن قتل فليرض المسلمون برجل منهم وعقد للسرية لواء دفعه لزيد وأوصاهم
كما ذكره أهل السير فلما التقوا قتل زيد ثم جعفر ثم عبد الله كما أخبرهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدفعت الراية لخالد بن الوليد إلى آخر الحديث وفيه
معجزات له صلى الله عليه وسلم من إخباره بالغيب كما أشار إليه بقوله وذكر أي
ابن جرير حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر
وما شاهده من جعفر وطيرانه في الجنة بجناحين وغير ذلك مما فضله الله به
وعظم قدره وفيه إعلامهم أنهم يفقدون الماء غدا وذكر ابن جرير حديث الميضأة
السابق قال والقوم زهاء ثلاثمائة أي قريب من ذلك بطريق الجزم والتحقيق
كما تقدم قريبا وفي كتاب مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبي قتادة وقد
رأى معه ميضأة له احفظ علي وفي نسخة علينا ميضأتك هذه وأمسكها عندك
فإنه سيكون لها نبأ أي خبر عظيم وقصة عجيبة في أمر مائها وكفايته
القوم وما يظهر بها من المعجزة العظيمة وذكر نحوه أي مثل ما تقدم ومن ذلك
أي من قبيل المعجزة السابقة في تكثير الماء حديث عمران بن حصين حين أصاب النبي
صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض أسفارهم فوجه رجلين من
أصحابه أي أرسلهما لجهة من الجهات وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا
الرجلين عمران بن حصين الراوي وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقيل
إنهما علي والزبير بن العوام وفي البيهقي أن عليا خرج في نفر من أصحابه
ولم يسم أحد هذه المرأة إلا أنه وقع في السير أنها أسلمت ولم يذكروا اسم
المكان إلا أن في الحديث أنه بروضة خاخ إن كانت القصة واحدة معها بعير
قال أهل اللغة إنه يطلق على الذكر والأنثى عليه مزادتان المزادة
بفتح الميم ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالقربة وهو من الزيادة لأنه يزيد
فيه جلد مع جلد لا من الزاد كما توهمه بعضهم فقال تثنية المزود الحديث
فوجداها أي المرأة وأتيا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في إناء من
مزادتيها أي جعل شيئا من مائها في إناء عنده أي ومج فيه بعض ماء المزادتين
وقال فيه أي في الماء الموضوع في الإناء ما شاء الله أن يقول المراد دعا فيه وذكر
اسم الله عليه ونحوه مما لم يسموه ولذا أبهموه ثم أعادوا الماء الذي أخذه في

اتاية من المزادتين وزد بعد ما دعا له في المزادتين اللتين للمراة ثم فتحت عزاليهما
بينا الفعل للمجهول وعزاليهما بكسر اللام جمع عزلا وهو فم القربة كما تقدم والتانيث
والجمع والتثنية للقربة الام واحد قيل لانها كانت تتعدد في فم عزلا وان من اسفل
وعزلاوان من فوق وما كان من اسفل يخص باسم العزلا والاحسن ان الجمع قد يطلق
على الواحد وللتثنية على حدة في قوله فقد صغت قلوبكما لاختصاصه بهما اذا كان المضاف
مثنى واما حتى على ما انها لانها كانت حرتيه ولمن ورد العطش وقد قيل ان هذه
المراة اسلمت لما شاهدت هذه المعجزة العظيمة منه صلى الله عليه وسلم وامر
صلى الله عليه وسلم الناس ان يملوا منه فملوا اسقيتهم جمع سقا وهو انا
من جلد يوضع فيه الماء حتى لم يدعوا شيئا من اوانيهم الا ملوه ما قال عمران بن حصين
رضي الله عنه وانا يخيل الي بالبنا للمجهول انهما لم يزدادا الا امتلاء فالجملة
حالية بتقدير مبتدا اي حال كوني وقع في تخيلي ان المزادتين تحولت احد الناس
منهما الماء انهما لم ينقصا بل زادا عما كانا عليه ثم امر صلى الله عليه وسلم ان نعطي
من زادهم شيئا لا ثمنا اخذ من مائها تفضلا منه فان ماءها لم ينقص فجمع بالبناء
للمفعول اي جمع الناس للمراة حتى ملوا ثوبها وحملوه على بعيرها وقال صلى الله
عليه وسلم للمراة اذهبي فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا من فضله
واختلفت الروايات هنا ففي بعضها ما ذكره المص فقط وفي بعضها انهم ملوا
اسقيتهم وسقوا ابلهم وانه امرهم بذلك واستعماله صلى الله عليه وسلم
من ما القربة التي للكافرة لا ينافي النهي منه عن استعمال اوانيهم وانهم كانوا
يغسلونها اذا اضطروا لاستعمالها لاختصاصه بما يحتمل النجاسة كقدورهم واوانيهم
التي يتنعمون فيها الخمر والخنزير وقرب الماء لا يتوهم فيها ذلك الحديث بطوله
اي اقرا الحديث بطوله وتمامه ان اردت الوقوف عليه وفيه اشارة الى انه
حديث طويل مروي في كتب الحديث كالبخاري وغيره لاشتماله على رجوعها الى قومها
وذكرها لهم القصة بتمامها وتعجبهما مما راته من المعجزة له صلى الله عليه وسلم
لكن المص اقتصر على محل الشاهد منه وعن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه تقدم
بيانه انه قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم في يوم من الايام هل من وضوء
بفتح الواو كما تقدم وانه الماء الذي يتوضا به وبالضم نفس الفعل ومن زائدة
في المبتدا المقدر خبره اي هل معكم وضوء وسوغ الابتدا بالنكرة وقوعه بعد
الاستفهام فجاء رجل باداوة بكسر الهمزة ودال مهملة اي انا من جلد صغير فيها
نطفة اي ما قليل وقد تطلق على غيره لتنزيله منزلته لنكتة واصل معناها
القطع ومنه نطفة الرجل لمنيه فافرغها في قدح اي صبها في انا فتوضانا كلنا
بالرفع توكيد لضمير الفاعل ندغفقه دغفقة مفعول مطلق وندغفقه
بضم النون وفتح الدال المهملة وسكون الغين المعجمة ثم فا مكسورة
وقاف اي نصبه صبا كثيرا من قولهم عيش دغفق اي واسع اربع عشرة مائة من
الرجال واربع بالرفع خبر مبتدا مقدر اي ونحن اربع الخ او بدل من ضمير ندغفقه
او توضانا لانه بيان لعدد من توضا وكثرتهم مع قلة الماء وصغر الاناء ونصبه

ها

نيهم

على الحالة من احد الصحابة وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رواه
البيهقي والبزار وابن خزيمة في مسنده بسند صحيح في جيش العسرة بضم العين وسكون
السين المهملتين وهي غزوة تبوك الواقعة في سنة تسع من الهجرة وسميت بذلك
لانها اتفقت في زمان كانت النفقة والزاد في غاية القلة عندهم ولذا المؤونة
النبي صلى الله عليه وسلم فيهما كما كانت عادته في اسفاره ولعثمان بن عفان رضي
الله عنه فيهما اليد البيضاء لما جهزهم بماله كما بين في السير وسميها الفاضحة
لافتضاح المنافقين فيها والعسرة هي الشدة والضيق وذكر عمر رضي الله عنه
ما اصابهم اي جيش العسرة من العطش لقلة الماء حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر
فرثه هو ما في كرشه فيشربه اي يشرب ما عصر منه مع تغيره وقلته وهم كانوا
يفعلون ذلك في ضرورتهم فرغب ابو بكر رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه
وسلم والرغبة طلب ما يحبه ويتعدى للمطلوب بفي فيقال رغب في كذا ولضده
بعن فيقال رغب عنه ويكون بمعنى التضرع فيتعدى بالى لمن طلب منه اي
تضرع وتذلل في الدعاء اي في دعائه صلى الله عليه وسلم وتوجهه لربه لما نزل
ما بالناس من البلاء الذي علمه منهم فرفع يديه نحو السماء التي جعلها الله قبلة
للدعاء ورفع اليدين نحوها سنة كمسح الوجه بهما بعده كما ذكره ابن حجر ايضا ودعا
ربه وتضرع اليه كما ورد انه طفق يهتف بربه اي يدعوه ويناشده في سرعة
اجابته فلم يرجعهما بفتح الياء اي لم يرد يديه من دعائه ويرجع منتعد كما في
قوله فان رجعك الله ويكون لازما ايضا حتى قالت السماء اي غيمت وظهر فيها
سحاب من فوقهم قال كذا اذا تهيا له واستعد كما في القاموس وفي بعض الحواشي
يقال قالت السماء اذا ارعدت وغيمت وتفسيرها بامطرت لا يناسب قوله فانسكبت
اي انسكب ماؤها فالاسناد مجازي وكون السماء بمعنى المطر بعيد هنا وكذا
كونه استخداما كقوله

اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا

فملؤوا ما معهم من آنية جمع اناء كاواني ولعبعضهم بظنه مفردا وهو وهم كما
مر والاناء معروف ولم يجاوز العسكر في نجاة وضمير مستتر راجع للسماء بمعنى
السحاب او للمطر المعلوم من السياق وهذه معجزة اخرى وعن عمرو بن شعيب
ابن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي الصحابي المشهور وفي الاحتجاج
بعمرو هذا اختلاف واقوال والاكثر على الاحتجاج به وهو يروي عن ابيه
وغيره واخرج له اربعة من اصحاب السنن وهذا الحديث ليس فيهما وتوفي
سنة ثمان عشرة ومائة ودفن بالطائف ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه
وسلم وهو رديفه اي راكب خلفه وضمير هو للنبي صلى الله عليه وسلم
وضمير رديفه لابي طالب بذي المجاز بفتح الميم والجيم والف بعد زاي معجمة
وذي بمعنى صاحب اي محل الجواز وذو المجاز اسم سوق بقرب عرفة كانوا
يجتمعون فيه في الجاهلية كما كانوا يجتمعون بعكاظ وهذا الحديث رواه
ابن سعد عن اسحاق بن الازرق عن عبد الله بن عون عن عمرو عطشت وليس
عندي ما فنزل النبي صلى الله عليه وسلم عن الدابة التي اردفه عليها

تلساني

دلجي

وضرب

ومزنب بعد منه الارض فخرج الما فقال صلى الله عليه وسلم لابي طالب اشرب قيل هذا
كان قبل البعثة قيل ولم يذكره على سبيل الاحتجاج لان ابا طالب كافر لا يستدل بقوله
والحديث في هذا الباب اي باب نبع الما وخروجه ببركته صلى الله عليه وسلم كثير
ومنه الاجابة بدعا الاستسقا اي بدعائه صلى الله عليه وسلم بطلب السقيا والحيا
الما عند الحاجة له وما جانسه اي شابه الاستسقا من السما كما ذكر هنا وهو
ماخوذ من الجنس وهو معروف **فصل** مناسب لما قبله لان الاكل
والشرب توامان ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعايه
النافعين عند الحاجة وبداه بحديث رواه مسلم في صحيحه بسند صحيح وهو
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله هو الحافظ ابن سكرة وتقدمت ترجمته
قال حدثنا العذري قال حدثنا الرازي تقدمت ترجمتهما وبيان نسبتهما قال
حدثنا الجلودي تقدمت ترجمته ونسبته وانه يجوز ضم الجيم وفتحها قال حدثنا
ابن سفيان ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم وقد تقدمت ترجمته
قال حدثنا مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح المشهور كما تقدم قال حدثنا سلمة بن
شبيب ابو عبد الرحمن النيسابوري الحافظ الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي
سنة سبع واربعين ومايتين قال حدثنا الحسن بن اعين افعل تفضيل من العين
وهو الحسن ابن اعين بن محمد الحراني الثقة قال حدثنا معقل بفتح الميم وسكون
المهملة والقاف المكسورة عن ابي الزبير محمد بن مسلم الثقة وترجمته مشهورة
عن جابر الصحابي المشهور رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
يستطعمه اي يطلب منه طعاما له ولاهله لشدة احتياجه وهذا الرجل لم
يعرفوا اسمه لانه من اهل البادية والطعام ما يوكل وبه قوام البدن ويطلق
على غيره مجازا فاطعمه اي اعطاه لان الاطعام يكون بمعنى الاعطا كثيرا حتى انه
لكثرته يستعمل فيما لم يكن ماكولا فيقال اطعمه السلطان بلدة وهو مجاز
مرسل او استعارة شطر وسق شعير الشطر هنا بمعنى النصف وهو اصله
ويكون بمعنى البعض مطلقا وبمعنى الجهة كقوله فول وجهك شطر المسجد
الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والمراد جهته والوسق بفتح
الواو وكسرها وسكون السين المهملة وقاف بمعنى الحمل فيقال وسق
لبعير اي حمله ثم خص وصار حقيقة عرفية في ستون صاعا بصاعه صلى الله
عليه وسلم وهو ثلاثمائة وعشرون رطلا حجازية واربعمائة وثمانون رطلا
عراقية على الاختلاف في قدر الصاع والمد فشطره ثلاثون صاعا وعلى الاول
مائة وستون رطلا وعلى الثاني مايتان واربعون رطلا والكلام في المقادير
الشرعية مفصل في كتب الفروع فما زال ياكل منه وامراته بالرفع معطوف
على الضمير المستتر في ياكل من غير فصل موكد كاسكن انت وزوجك الجنة وهو
الافصح وقد يعطف بفاصل من غير ضمير كما هنا فانه فصله بقوله منه وهو
فصيح ايضا وقد يعطف من غير فاصل اصلا كما في قول علي كرم الله وجهه
كنت وابو بكر وعمر قليل وضيفهما اي من نزل عليه من غير اهله وهو يطلق

على الواحد وغيره وقد يختص بالفرد فيقال ضيفه وضيفان وضيوف اي لم يزالوا
يأكلون منه وهو باق بحاله من غير نقص لانه لا يزال يكثر ببركة النبي صلى الله عليه وسلم
وهو محل الاستشهاد المراد وفي نسخة وضيف حتى كاله غاية لاكله اي استمر اطعامهم منه
من غير نقص شيء منه الى ان كاله فظهر نقصه بعد الكيل بما يأخذه منه وكانت
البركة في ترك كيله حتى لو لم يكله لم ينفد وترك الكيل والعد فيه بركة لما فيه
من الاتكال على الله وهو اكثر بركة وهكذا اجرى عادة الله واما ما ورد في الحديث من
قوله صلى الله عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فهو بالنسبة لمن كان يخشى
خيانة فيه وقيل المراد كيلوا ما تخرجونه للنفقة منه لئلا يخرج اكثر من الحاجة او اقل
بشرط ان يبقى الباقي مجهولا غير مكيل وقيل انه انما كان كذلك لافشائه سرا من اسرار الله
ينبغي كتمه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بتكثير ما اعطاه له صلى الله عليه
وسلم ببركته فقال لو لم تكله لاكلتم منه اي لاستمر اكلكم منه الى غير النهاية ولقام بكم
اي لكفاكم مدة حياتكم وكان فيه قوام لكم من غير نقص وهذا الرجل هو جد سعيد
ابن الحارث وكان استعان به صلى الله عليه وسلم في نكاحه فانكحه امرأة فطلب منه
طعاما يقوم به وبزوجته ولم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء
فبعث ابا رافع وابا ايوب الانصاريين بدرعه فرهناه عند يهودي بشطر وسق
من شعير ودفعه اليه قال فاكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما
ادخلناه ومن ذلك اي تكثير الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم حديث ابي طلحة
المشهور في قصته التي رواها الشيخان عن انس رضي الله عنه وهو زيد بن سهل
ابن الاسود الانصاري الصحابي رضي الله عنه توفي سنة احدى وثلاثين وقيل
غير ذلك والمشهور بمعنى انه كثرت روايته في كتب الحديث وتعددت طرقه ويحتمل
ان يريد بالمشهور معناه المعروف في مصطلح الحديث واطعامه صلى الله عليه وسلم
مرفوع عطف على حديث ثمانين او سبعين رجلا وخبركم مسلم بالثمانين من اقراص شعير
جمع قرص وهو رغيف صغير اتى بها انس بن مالك وفي نسخة جاء وهو عم ابي طلحة
تحت يده اي ابطه بكسر الهمزة والباء وتسكينها والابط ما تحت المنكب وفسره به لان اليد
تشمله وغيره والابط يذكر ويؤنث فامر بها اي بالاقراص ففتت يقال فته اذا قطعه
باصابعه قطعا صغيرة بمقدار اللقمة وقد يطلق بمعنى التكسير مطلقا وقال فيها
اي في شأنها بان دعا ببركتها وذكر اسم الله عليها وقيل في بمعنى على كقوله لاصلبنكم
في جذوع النخل ما شاء الله ان يقول اي ما قدره وعلمه من الذكر الذي لم يطلع عليه
وهو حديث طويل في الصحيحين فاقتصر المص على بعضه اعتمادا على شهرته وفيه ان ابا
طلحة رضي الله عنه قال لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضعيفا اعرف فيه الجوع فهل عندك شيء فقالت نعم فاخرجت اقراصا من شعير
وفيه انه دعا القوم عشرة عشرة وحكمته ان لا يزدحموا على قصعة واحدة كانت صغيرة
وهذا كان بالمدينة لا بالخندق كما توهمه القسطلاني وقد علمت ان الحديث
طويل والكلام عليه مفصل وفيه انهم بعدما اكلوا دفعه لاهل المنزل فاكلوا
واطعموا جيرانهم وحديث جابر رضي الله عنه الذي رواه البخاري في اطعامه

من اقراص من شعير

صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم يوم الخندق اي وقعة الخندق المشهورة في السير ومعناه معروف وهو
معرب كنده بمعنى الحفر الذي رجل بالنصب مفعول لاطعام ويوم الخندق منصوب على الظرفية
وحديث مبتدا خبره مقدر اي من ذلك وقوله من صاع شعير بالاضافة وفي نسخة من صاع من
شعير وتقدم معنى الصاع وعناق بفتح العين وهي الانثى من اولاد المعز لم يتم لها
سنة وقيل هي التي قارب الحمل ولم تحمل قال جابر فاقسم بالله لاكلوا وفي نسخة لقد
اكلوا ولما كان هذا الامر غريبا خارقا للعادة اكده بالقسم لانه مظنة الانكار حتى تركوه
وانحرفوا اي اكلوا كلهم حتى شبعوا وقاموا وانصرفوا والانحراف الميل الى جهة اخرى
غير التي كان متوجها لها من الحرف وهو الطرف ومنه قوله تعالى ومن الناس من يعبد
الله على حرف اي على طرف غير متمكن وان برمتنا لتغط البرمة بضم البا الموحدة وسكون
الرا المهملة ثم ميم وهي القدر مطلقا او من حجارة وهو المعروف وجمعها برام وتغط
بفتح المثناة وفتح او كسر الغين المعجمة وبعدها طا مهملة مشددة اي تغلي غليانا
شديدا يسمع له صوت كهدير النائم والمخنوق كما هي اي على حالها الاول لم ينقص
منها شي مع كثرة من اكل منها وهذا محل الشاهد وان عجيننا ليخبز اي انهم استمروا على
خبز العجين وايضا انه شيا فشيا لمن ياكل منه ولم ينقص ببركة النبي صلى الله عليه
وسلم لانه بصق في البرمة والعجين وبارك عليه كما ذكره المصنف بقوله وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك فيهما ومعنى بارك دعا
فيهما بالبركة كما مر اي الزيادة والنمو رواه اي روى هذا الحديث عن جابر سعيد
ابن ميناء بكسر الميم وسكون المثناة التحتية والنون والمد والقصر والصرف وعدمه
على ان وزنه فعلا او مفعال وسعيد هذا اخرج له البخاري ومسلم وميناء علم
منقول من الميناء وهي مرسى السفن وجوهر الزجاج وايمن بزنة افعل من اليمن
وهو ايمن الحبشي المكي والد عبد الواحد ابن ايمن مولى ابن عمر المخزومي الثقة
وقال ابن حبان انه ايمن بن ام ايمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم واخو
اسامة لامه قال البرهان وفيه نظر لان ابن ام ايمن هذا قتل بحنين فقد خلط
ترجمة بترجمة وتبعه التلمساني وعن ثابت مثله اي مثل حديث جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما عن رجل من الانصار وامراته ولم يسمهما قال وجي بمثل الكف وفي
نسخة بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الانا ويقول
ما شا الله ان يقول فاكل من في البيت والحجر والدار وكان ذلك اي ما ذكر من الثلاثة
قد امتلا ممن قدم معه صلى الله عليه وسلم لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل
ما كان في الانا وقد علم ان ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم وحديث ابي ايوب
ومن ذلك حديث ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه الذي رواه عنه الطبراني
والبيهقي وهو انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر حين قدما
المدينة في الهجرة من الطعام زهاء اي مقدار ما يكفيهما اي طعاما يكفي رجلين
فقط وهو بيان لقلته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبره بذلك
وقال له ادع ثلاثين من اشراف الانصار لما خصهم وقيل لتاليفهم كي يسلموا
فان ذلك كان في اول الهجرة وسماهم انصارا لعلمه صلى الله عليه وسلم بانهم

سينمر ونه وتعاولا بذلك فدعاهم فالمواحقة تركوه اي شبعوا وتركوا الطعام او الاكل
منه ثم قال صلى الله عليه وسلم ادع سبعين اي من اشراف الانصار فكان مثل ذلك اي
المواحقة تركوه ثم قال صلى الله عليه وسلم ادع ستعين فدعاهم فالمواحق تركوا
الطعام والاكل كما مر ولم يخرج احد منهم اي ممن دعاه واكل حتى شبع وحتى اسلم
وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجهاد معه وبشرته لما راوا من تلك المعجزة
ولطفه بهم وفي نسخة الاحق اسلم قيل وصوابه اسقاط الا ولا وجه له قال ابو البر
رضي الله عنه فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا ذكر بعضا منهم وترك الباقي
كانه لكونهم لم يدعهم بامره والمذكور رواية وسنون غير ابي بكر والنبي صلى الله عليه
وسلم وعن سمرة بن جندب تقدمت ترجمته وانه بضم الدال وفتحها اتي النبي صلى الله
عليه وسلم بالبنا للمجهول اذ لا يتعلق غرض ببيان الاتي هنا بقصعة بفتح القاف
ولا تكسر القصعة فيها لحم مطبوخ فتعاقبوها اي دخل جماعة من الصحابة بعد
جماعة لان كلا منهم اتي على عقب بعض اي من غير فاصل بينهم لانه محل الاعجاز
من غدوة حتى الليل بالجر ويجوز رفعه ونصبه تقوم قوم ويقعد اخرون
تفسير لما قبله من تعاقب القوم وقيل عليه المعروف من حديث سمرة من غدوة تلمساني
الى الظهر فيقوم قوم ويقعد اخرون قال فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن
اي شي تعجب ما كان الا من هنا واشار الى السما ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي
بكر الصديق رضي الله عنهما اي من معجزاته صلى الله عليه وسلم في تكثير الطعام
ببركته وهذا الحديث رواه الشيخان في صحيحيهما كنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم ضمير كنا له مع غيره من الصحابة وخبر كان ثلاثين ومائة ومع النبي حال من
اسم كان او هما خبران اي خبر بعد خبر وذكر في الحديث انه عجن صاعا من طعام روي
ببنا عجن للفاعل ونصب صاعا وببنائه للمفعول ورفعه وصنعت بمعنى طبخت
في قوله وصنعت شاة فشوي ببنا المفعول سواد بطنها المراد به الكبد خاصة
او حشوها مطلقا والاول اظهر قال اي عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما
وايم الله قسم كعهد الله وهو مبتدا خبره محذوف تقديره قسمي فهو مرفوع
وجوز بعضهم جره بوا القسم وفيه لغات كثيرة وهمزته همزة وصل وهو اسم
وقيل حرف وقيل انه في الاصل جمع يمين والكلام عليه مفصل في باب القسم ولا يجر
بالاضافة بعده الا لفظ الله وجوز ابن مالك جر غيره ما من الثلاثين ومائة
احد الا وقد حز له حزة بفتح الحا المهملة والزاي المشددة والحز هو القطع
بالسكين والحزة بالضم القطعة من اللحم من سواد بطنها اي كبدها كما مر والجر
بعينه بحسب الظاهر وهو انسب بمحل الاستشهاد لكفاية الكبد لهم في توزيعها
عليهم ثم جعل منها اي طبخ من الشاة ما جعل ملي قصعتين فاكلنا اجمعون بالرفع
تاكيد لاسم كان من غير ان يكون تابعا الكل كقوله لاغوينهم اجمعين وفضل في
القصعتين اي فضل من لحمها مقدار في القصعتين بعد ما اكلوا حتى شبعوا
وقد صرح به في الصحيحين قيل ولو ذكره المص كان اولى لانه محل الشاهد
وفضل بمعنى بقي فيه ثلاث لغات كدخل يدخل وعلم يعلم وبالكسر في

الماضي وضم عين المضارع وهي شاذة او من التفاعل فان كان من الفضيلة فبالفتح والضم لاغير محلته على التعبير فيه اشارة لكثرة ما بقي بعد اكلهم كلهم ومن ذلك اي من معجزاته صلى الله عليه وسلم في تكثير الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن سعد والبيهقي وصححاه حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة بفتح العين وسكون الميم وراء مهملة الانصا عن ابيه ابي عمرة بشير بن عمرو بن محصن الانصاري النجاري الصحابي البدري قتل مع علي كرم الله وجهه بصفين وفي اسم ابي عمرة اختلاف وابنه عبد الرحمن اخرج له اصحاب الكتب الستة لا الدارقطني فقط وهو ثقة وهذا الحديث مروي في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم ومثله اي مثل حديث عبد الرحمن لسلمة بن الاكوع وابي هريرة في مسلم وعمر بن الخطاب ورواه ابو يعلى بسند جيد فذكروا اي هؤلا مخمصة بفتح الميمين بينهما خا معجمة ساكنة ثم صاد مهملة وهي الجوع من الخمص وهو خلو البطن من الطعام اي مجاعة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه جمع مغزاة بمعنى موضع الغزو او هو بمعنى الغزو في نفسه واختلف في هذه الغزوة والذي في مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة وفي دلايل النبوة انه في غزوة غطفان وفي غيره عن ابن عباس انه في رجعتهم من الحديبية كلهم بعض اصحابه وقالوا جهدنا وفي الناس ظهر فانحر لنا الحديث فالقضية وقعت مرتين فدعا ببقية الازواد اي طلب من كل رجل منهم ان ياتي بما بقي عنده من زاده فجا الرجل بالحثية بفتح الحا المهملة وسكون الثا المثلثة والمثناة التحتية ويقال حثوة بالواو لانه يقال حثى يحثي وحثا يحثو وهي والحفنة بالفا والنون بمعنى وهو ما يملؤ اليدين معا وقيل بالفا في اليدين وبالثاني احدهما وروي بالخبنة بخا معجمة مضمومة وبعدها موحدة تحتية ساكنة ونون وهي ما يحمل في الحضن تحت الكشح والاول اشهر واظهر وتعريف الرجل هنا للعهد الذهني كادخل السوق وليس المراد به رجل معين من الطعام اليسير الذي بقي عنده وفوق ذلك اي ازيد منه بيسير واعلاهم اي اكثرهم زادا وبقية الذي ياتي بالصاع من التمر فجعله اي وضع ما اجتمع من الازواد على نطع بكسر النون وفتح الطا المهملة بوزن عنب بساط من ادم وفيه لغات اربع هذه افصحها وبفتح نونه مع فتح الطا وسكونها وبكسر نونه مع سكون الطا قال سلمة فحزرته بحا مهملة وزاي معجمة وراء مهملة اي قدرته بطريق الحدس والتخمين كربضة العنز بزاء مهملة مفتوحة وقيل انها مكسورة لا غير لان المراد بيان الهيئة وموحدة وضاد معجمة من الربوض وهو كالجلوس في الانسان والبروك للابل والجثوم للطير اي مقدار مقعد او جثة عنز باركة على الارض او هو تقدير لموضع من النطع بموضع ربوضها ثم دعا الناس باوعيتهم اي طلب جبيثهم ومعهم اوعيتهم لياخذوا مما اجتمع عنده وفي الحديث حتى ملؤا ازودتهم قال المصنف في الاكمال كذا الرواية عن جميع شيوخنا والازودة بمعنى الاوعية كما سميت الاسقية روايا وورد ايضا جاؤا باوعيتهم فما بقي في الجيش وعا الا ملؤه مما اجتمع عنده وبقي منه اي فضل منه بقية بعد ما اخذ الجميع كفايتهم والمصنف اقتصر على محل الشاهد

في الحديث لطوله وفيه انهم اكلوا حتى شبعوا ثم حشوا في اوعيتهم وقبله انهم لما اصابهم
الجوع قال له بعضهم لو امرتنا نحرنا نواضحنا اي ابلنا فقال افعلوا فقال عمر رضي الله عنه
ان فعلوا قل الظهر يعني ما يركب ولكن ادع بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجي بكف ذرة
والاخر بكف تمر والاخر بكسرة حتى اجتمع على النطع فدعا بالبركة وقال خذوا فاخذوا
كلهم وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله
واني رسول الله الحديث وعن ابي هريرة في حديث رواه ابن ابي شيبة والطبراني
بسند جيد امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة تقدم
ان الصفة محل مرتفع في الدار والمسجد وغيره مفروز عن غيره للجلوس فيه وكان
في مسجده صلى الله عليه وسلم محل كذلك فيه المنقطعين عنده صلى الله عليه
وسلم من فقرا الصحابة الاعراب وغيرهم كسلمان وابي ذر قال ابو نعيم في الحلية
كانوا نيفا ومائة وفي عوارف المعارف انهم كانوا نحو الاربعماية ونحوه في الكشاف
ولا ينافيه ما روي انه رؤي منهم نحو ثلاثين رجلا يصلون مع النبي صلى الله عليه
وسلم بلا اردية وهؤلاء هم صفوة خلق الله هنيا لهم وانا اتوسل الى الله بهم
ان يجعلنا في بركتهم فتتبعتهم اي ذهبت لكل واحد منهم في مكان كان فيه لانهم
في النهار يتفرقون في المدينة لان كل احد لا يخلو من حاجة يذهب لها حتى جمعتهم
عند النبي صلى الله عليه وسلم فوضعت بالبنا للمجهول بين ايدينا صحفة بالرفع
نايب الفاعل وهي انا بين الصغير والكبير تعد للطعام واكلنا ما شينا وفرغنا
اي حتى شبعنا وانتهت ارادتنا للاكل وهي مثل ما وضعت جملة حالية اي وهي مملوة
بما فيها كما كانت حين وضعت بين ايدينا الا ان فيها اثر الاصابع اي اصابع من
اكل منها وهذا تشبيه لحالها بعد الاكل بحالها قبله فليس فيه تشبيه الشي بنفسه
كما لا يخفى وكان اهل الصفة يسمون اضياف الاسلام لان اكثرهم اعراب وقال
اكلنا بضمير المتكلم مع الغير لان ابا هريرة منهم وعن علي بن ابي طالب في حديث رواه
احمد والبيهقي بسند جيد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب
وكانوا اربعين رجلا وهذا كان بمكة في ابتدا البعثة منهم قوم وهو في الاصل مصدر
قام ثم صار اسم جمع للرجال خاصة لقيامهم بالامور ياكلون الجذعة بفتح الجيم
والذال المعجمة والعين المهملة وهي من البقر والغنم ما تم له سنة وقيل
انه في البقر ما دخل في الثالثة والمراد هنا الاول اي اقل ما يكفيهم كما يقال
لمن دون بعضهم اكلة راس ويشربون الفرق بفتح الفا والرا المهملة ويجوز تسكينها
وهو مكيال يسع ثلاثة اصع وهو ستة عشر رطلا كما تقدم اي يشربون
ما فيه وفي النسخ هنا اختلاف ففي بعضها بني عبد المطلب منهم من ياكل الجذعة
بني عبد المطلب منهم قوم من ياكل الجذعة وفي بعضها منهم قوم ياكل
وفي بعضها منهم قوم ياكلون وهذه اقرب وفي التي قبلها قلق ما وقال
التلمساني المراد بالجذعة جذعة الابل كما ورد مفسرا في بعض الروايات
وهي التي تدخل في الخامسة فصنع لهم مدا من طعام اي طبخه وسواه فاكلوا
حتى شبعوا وبقي كما هو ما موصولة وهو مبتدا خبره محذوف اي قبل الاكل

والجملة

والجملة صلة والمراد انه لم ينقص كانه ما اكل منه شي ثم دعا بعس بضم المهملة وتشديد
السين المهملة وهو قدح من خشب يروي الثلاثة والاربعة والمعنى بعس من لبن طلبه من
اهله لهم فشربوا من العس حتى رووا اي ثم شربوا منه وبقي كانه لم يشرب منه شي وتفصيله
كما في الدلائل للبيهقي وغيره بسند صحيح انه لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
وانذر عشيرتك الاقربين الاية قال صلى الله عليه وسلم ان بدات قومي بها رايت منهم
ما اكره فصمت فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد ان لم تفعل ما امرك به ربك
عذبك ربك فدعا عليا رضي الله عنه واخبره بذلك وبما قاله جبريل ثم قال له فاصنع طعاما
واعدد لنا عس لبن ثم اجمع بني عبد المطلب وهم عوار يعيب من اعمامه فلما اجتمعوا
قدم لهم الطعام وقال كلوا باسم الله فاكلوا ثم شربوا فلما اراد ان يكلمهم قال ابو لهب
سحركم محمد فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان الغد فعل مثل ذلك فلما اراد ان يكلمهم تفرقوا
وفي الثالثة قال لهم يا بني عبد المطلب اني لم يجيكم احد بافضل مما جئتكم به اني قد
جئتكم بامر الدنيا والاخرة الى اخر الحديث والذي في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما
انها لما نزلت صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى يا بني فهر
يا بني عدي ويا بطون قريش حتى اجتمعوا الخ ولعل ذلك تكرر فتحقق اولا ثم عم وقال
انس في حديث رواه الشيخان واللفظ لمسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وفي نسخة
حين ابتنى بزينب بنت جحش ام المومنين رضي الله عنها وهو افتعال من البنا وهو
التزوج هنا ويقال بنى بها وعليها امره اي امر النبي صلى الله عليه وسلم انسا ان يدعو
له قوما سماهم اي عينهم باسمائهم وكل من لقيته بتا الخطاب ومن منصوبة محلا بمقدر
اي قال له صلى الله عليه وسلم ادعهم وادع كل من لقيت من غيرهم فهو تعميم بعد
تخصيص لمن اعتنى به فدعاهم او فقال فدعوتهم حتى امتلا البيت بالناس المراد به
المنزل كله وقيل انه اراد به الصفة التي فيه كما ورد مصرحا به والحجرة هي بمعنى
البيت والغرفة وكان لكل زوجة من ازواجه صلى الله عليه وسلم حجرة تخصها واصل
معنى الحجرة القطعة تفرز بجنا الحجر ثم وقدم اليهم تور بالمثناة فوقية مفتوحة
وواو ساكنة وراء مهملة وهو انا من صفر او حجارة كالاجانة او كالقدح الذي يشرب
فيه فيه قدر مد من تمر بيان للمد وقد تقدم تفسيره فجعل بالبنا للمفعول حيسا
مفعول له الثاني وهو بفتح الحا المهملة وسكون المثناة التحتية والسين المهملة
وهو تمر خلط بسمن واقط او دقيق قال

التمر والسمن يقال الاقط • او الدقيق الحيس لما يختلط

وقال ابن قرقول انه قيل انه تمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف واصل
معنى الحيس الخلط فوضعه صلى الله عليه وسلم والضمير للتور قدامه بين يديه
وغمس ثلاث اصابعه اي ادخلها فيه لتحصل البركة وليطيب قلوبهم بالاكل معهم لان
السنة ان ياكل بثلاث اصابع ففيه تعليم لهم وجعل القوم يتغدون بدال معجمة
من الغدا بالمعجمتين وهو اعم من العشا بالدال المهملة وفي مسلم انه دعا الناس
بعد ارتفاع النهار فيصح ان يكون بالمهملة ايضا كما في المفهم ويخرجون من
الحجرة وبقي التور نحو ما صبر اي وحاله مثل ما كان قبل الاكل منه لم ينقص نقصا كثيرا

وكان القوم احدا واثنين وسبعين رجلا وهو شك من الراوي وقيل ان هذه القصة
في بنائه صلى الله عليه وسلم بصفية والراوي ادخل قصة في قصة وقيل يحتمل
انه اتفق الشيئان من الشاة والحيس الذي لام سليم وفي قوله بقي التور نحوا اي
بقي ما فيه وفي رواية اخرى في هذه القصة اي قصة وليمة زينب رضي الله عنها
او مثلها فذكر من الطعام ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة اي مقدارهم وانهم اكلوا
حتى شبعوا وقال لي بعد ما شبعوا ارفع التور من مكانه فما ادري حين وضعت
بضم التاء للمتكلم اي حين وضعته او بتاء التانيث الساكنة كالتي في قوله كانت بالتانيث
باعتبار انه آنية اكثر ام حين رفعت بالوجهين وروي لترفع بدل ارفع بلام
الامر والخطاب والاول اولى وافصح وهذا الحديث طويل في مسلم اختصر
المتن اقتصارا على محل الشاهد منه وفي حديث جعفر الصادق عن ابيه محمد
الباقر عن علي بن ابي طالب جد والد محمد اعني زين العابدين بن علي بن الحسين
ابن علي فهو حديث منقطع كما رواه ابن سعد فان كان عليا المذكور علي الاصغر
فالحديث مرسل او معضل فهو ضعيف ان فاطمة الزهراء طبخت قدرا اي طعاما
في قدر ففيه تجوزا وهو بتقدير مضاف اي طعام قدر لغداء بالمعجمة وهو كل
ما يوكل في اي وقت او بمهملة وهو ما يوكل اول النهار اي لاجل غدائهما
وفي نسخة تتغدى به وفي نسخة لغدائهما ووجهت عليا اي ارسلته الى
النبي صلى الله عليه وسلم اي الجمعة والمراد بيته ليتغدى معهما وفي نسخة معهما
فامرها اي قال لها اغرفي من القدر فغرفت بالغين المعجمة لجميع نسائه التسع
المعروفة صحفة صحفة منصوب كتعلمت النحو بابا بابا والصحفة اناء صغير
معروف ثم له ولعلي اي ثم غرفت له صلى الله عليه وسلم ولعلي ثم لها
اي ثم غرفت لنفسها ما تتغدى به رضي الله عنها ثم رفعت القدر بعد ما
غرفت لجميع من ذكر وانها لتفيض جملة حالية وتفيض بفاء وضاد معجمة من
الفيض والمراد انه بعد ما غرف منه بقي مملوا بالطعام كثيرا يسيل من جوانبه
ببركته صلى الله عليه وسلم وكانها بعثت له صلى الله عليه وسلم ليجيئها
ويأكل معهما وحده فلم يات وامرها بما ذكر فيه لما فيه من مكارم الاخلاق والايثار
قالت فاطمة فاكلنا منها اي اكلنا من طعامها والضمير للقدر لانها مؤنثة
وقيل يجوز تذكيرها وتانيثها فالمراد اهل فاطمة واهل بيتها اكلوا مما بقي
في القدر بعد ما فرقته ما شاء الله الذي اراده الله لنا او مدة ارادة الله
ذلك وهو كناية عن كثرة ذلك وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث
اخر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يزود اربعمائة راكبا اي يعطيهم ما يكفيهم
من الزاد من احمس بزنة احمر بحا وسين مهملتين بينهما ميم اسم قوم من العرب
وهو بطن من ضبيعة يقال لهم بنو احمس وهو من الحماسة وهي الشدة والصلابة
ويقال لقريش الحمس لتصلبهم في دينهم في الجاهلية فقال عمر رضي الله عنه
يا رسول الله ما هي الا اصوع بفتح الهمزة وضم الواو ويجوز ان تبدل همزة كما
في الصحاح وهو اناء يشرب فيه ومكيال معلوم وهو جمع صاع قال ابن قرقول فيه

لغات

٥٢٩٠

لغات صاع وصوع وصواع ويجمع على اصوع وصيعان وفي كثير من الروايات اي في الحديث
امتع بالمد والصواب اصوع انتهى وقوله والصواب اصوع غير مسلم واذا جا نهر الله
بطل نهر معقل وهو مبني على عدم صحة الاسناد لا ان بالحديث في العربية وهو على الاطلاق
فاسد اي قال عمر رضي الله عنه ليس التمر الذي عندي يكفي فانه اصوع قليلة فان الصاع
مكيال يسع اربعة امداد والمد رطل وثلث او رطلان عراقيان على اختلاف فيه كما تقدم
والضمير اعني هي راجع للاصوع وان تاخر لا للوديعة كما في قوله تعالى ان هي الا حياتنا
الدنيا قال الزمخشري هذا ضمير لا يعلم ما يعني به الا بما يتلوه واصله ان الحياة الا حياتنا
الدنيا ثم وضع الضمير موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه قوله

هي النفس ما حملتها تتحمل • وهي العرب تقول ما شاءت

انتهى قال ابن مالك وهذا من جيد كلامه وفيه كلام في شرح التسهيل لا يسعه المقام
قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه اذهب وافعل ما امرتك به ولا تبال بقلة ما
عندك فذهب عمر فزودهم منه اي اعطاهم ما يكفيهم من التمر الذي عنده وكان اي التمر
قدر الفصيل هو ولد الناقة الصغير الرابض اي البارك على الارض وهو بيان
لمقداره تخمينا من التمر بيان لقدر وبقي بحاله اي لم ينقص شيئا مع ما اعطاهم
منه وهو من المعجزات من رواية دكين خبر مبتدا مقدر اي وهذا الحديث من رواية
دكين وهو بضم الدال المهملة وكاف مفتوحة ثم يا تصغير ونون ورواه العزفي
بالرا بدل الدال وقال انه الصحيح ودكين هو ابن سعيد بالتصغير وقيل سعد
وقيل مسعد المزني وقيل الخثعمي وله صحبة وهذا الحديث رواه ابو داود في
الادب قال اتينا النبي صلى الله عليه وسلم فسالناه الطعام فقال يا عمر اذهب فاعطهم
فارتقى بنا الى علية فاخذ المفتاح من حجرته ففتح وليس له غير هذا الحديث ولم
يرو عنه غير ابي داود الاحمسي نسبة لبني احمس قبيلة كما تقدم وهو صفة دكين
ومن رواية جرير اي مثل رواية دكين ولم يخرجه ومثله اي مثل المروي المذكور
ما اخرجه احمد والبيهقي بسند صحيح من رواية النعمان بن مقرن بضم الميم وفتح
القاف وكسر الرا المهملة المشددة وقيل القاف ساكنة والرا مخففة مكسورة
وهو احمسي ايضا واحمس فخذ من مزينة وتقدم انهم من ضبيعة بن نزار
ابن طابخة وللنعمان سبعة اخوة كلهم صحابة هم النعمان ومعقل وعقيل
وسويد وسنان وعبد الرحمن ولم يسم السابع قال السهيلي بنو مقرن المزني
هم البكاؤون الذين نزل فيهم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم الاية الخبر
بعينه بالرفع والنصب والبا مزيدة في التاكيد يقال هذا عينه وبعينه
كما ذكره وتلطف القائل متغزلا • فقلت هذا قاتلي بعينه وحاجبه
وزيادة حاجبه فيه من كلام المولدين لتوهمهما ولايهامهما انها الباصرة
الا انه قال في هذه الرواية اربعمائة راكب من مزينة فزاد قوله من مزينة
وكذا رواه ابو داود في سننه قيل واختلاف الروايات يدل على تعدد
القصة وفيه شي ومن ذلك اي من معجزاته صلى الله عليه وسلم وجعل
القليل كثيرا حديث جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنهما وهذا الحديث

رواه البخاري في دين ابيه بعد موته اي في قصته لما مات ابوه وعليه دين اراد اداؤه
لغرمائه وكان قد بذل بموحدة وذال معجمة اي اعطى وهو مجاز بمعنى اراد بذله
لغرماء ابيه جمع غريم وهو صاحب الدين الطالب له من الغرام وهو اللزوم كما قال
تعالى ان عذابها كان غراما اصل ماله اراد باصل ماله بستانه ونخلا له كان ينتفع
منه والمال في لسان العرب لا يختص بالنقود كما في العرف وشاع اطلاقه على الابل
قديما كما يشير اليه قوله فلم يقبلوه اما لانه لا يفي بدينهم او لعدم احتياجهم
او لانه لم يكن مرضيا لهم ولم يكن في ثمرها ان الضمير الراجع للمال نظرا لمعناه لان
المراد بها هنا النخيل جمع نخل وهي تؤنث والثمر بالمثلثة واحده ثمرة ولا حاجة
لجعله راجعا للاموال المعلومة من قوله مال ولا الى تفسيره بالفوايد مطلقا
فيشمل الالبان والنتاج كما قيل ولا وجه لما سيقع في الحديث وقوله سنتين منى
سنة وفي نسخة سنين بصيغة الجمع والاول هو الصحيح كفاف دينهم بفتح الكاف
بمعنى ما يفي به ويكفيه ومنه اللهم اجعل رزقي كفافا اي بقدر الكفاية وبكسرها
معناه الخيار وهو غير مناسب هنا كغراه ثمر بمثناة فوقية وان صح معنى وسنتين
ظرف مستقر لانه متعلق بثمر بالمعنى المصدري حال من ثمر فجاء النبي صلى الله
عليه وسلم بعد اذا امر بجدادها بفتح جيمه وذال معجمة ويجوز اهمالها وكلاهما
بمعنى قطع الثمار وجمعها وجعلها بصيغة المفتحة بيادر بمثناة تحتية ودال
وراء مهملتين جمع بيدر بزنة حيدر وهو الموضع الذي يوضع فيه الثمر لينشف
والبر ونحوه ليخلص من تبنه والكوم من الطعام كالثمر والحنطة ويصح ارادة كل
منهما هنا والظاهر الثاني والبيدر هو الجرين والجرن واهل العراق يسمونه الاندر
وجمعه انادر وفي المغرب يسمونه نادر وكانه غلط من الاندر في اصولها اي جعلها
كوما في اصول الثمار وهي النخل والمراد انه كوم مد في حديقة نخله حتى يعلم مقدارها
فمشى فيها النبي صلى الله عليه وسلم وفيه مضاف مقدر اي في ارضها او المراد بينها
وفعل ذلك لتحصل البركة ويثمر ما فيها ودعا الله تبارك وتعالى ان يبارك فيها
فثمنت وزادت فاوفى منه جابر غرماءه اي اعطاهم مما في البيدر مقدار حقهم
بتمامه من وفى لهم اوفاه حقه ووفاه فاستوفاه وتوفاه اخذه بتمامه وفي نسخة
غرماء لابيه لعلمه مما تقدم اوله لقيامه مقامه في اداء دينه وفي نسخة غرماء
ابيه وهي ظاهرة وفضل اي بقي منه بعد ما ادى كل ذي حق حقه وهو مثلث
الضاد المعجمة والفتح افصح مثل ما كانوا يجدون بفتح المثناة التحتية وضم
الجيم وتشديد الدال معجمة او مهملة اي ما كانوا يقطعونه من ثمارها كل
سنة اي فيها وفي رواية مثل ما اعطاهم اي بقي مثل ما اعطى غرماء ابيه وفيه
زيادة كثيرة على ما في الرواية الاولى من ان ثمرها لا يفي بدينهم في سنتين او سنة
قال اي جابر رضي الله عنه وكان الغرماء يهود بالنصب خبر كان وهو ممنوع من
الصرف لانه علم لهذه الطايفة وقد ينكر وينون فعجبوا من ذلك اي مما
راوه من كفاية ثمرها وزيادته مع انه كان لا يكفي في سنتين وهو من معجزاته
صلى الله عليه وسلم العظيمة وهذا الحديث قد علمت انه في البخاري وكذا في

٣ وصي
ستقسمه

بنيره

غيره واقتصرا لمم على محل الشاهد منه وكان ابو جابر عبد الله استشهد باحد وترك عليه
دينا كثيرا وله ست بنات وكان الدين لرجل من اليهود كما علم ثلاثين وسقا فاستنظره
جابر فلم ينظره فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فكلم اليهودي فلم يرض فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما مر فاتاه وطاف بنيه ثلاث مرات وامر بان يكيل
لهم فكال حقه وبقي لهم ثلاثين وفضل سبعة عشر وسقا فلما حضر جبره اذا النخل اتيته
صلى الله عليه وسلم وفيه تصريح بان ماله حديقة نخل وهذا ما وعدنا كانه فلا
تكن من الغافلين وقال ابو هريرة رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي مسندا اصاب
الناس مخمصة اي جوع كما مر فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عندك
من شيء من جنس الطعام ومن زايدة هنا لاطراد زيادتها بعد النفي والاستفهام وشيء
مبتدا خبره مقدر كما ذكرناه قلت نعم شيء من التمر قليل في المزود بكسر الميم وهو وعا
الزاد قال فاتيني به فاتاه به اي بالمزود والتمر فادخل يده الشريفة في المزود فاخرج
منه قبضة بفتح القاف وهي المرة كالضربة اريد بها المقبوض من القبض وهو الاخذ
بالكف وبالضم اسم المقبوض فبسطها اي وضعها مبسوطة متفرقة ليعلم قلتها ودعا
بالبركة اي بان يبارك الله فيها حتى تزيد ثم قال صلى الله عليه وسلم بعد ما دعا ادع
عشرة من الناس فدعاهم فاكلوا حتى شبعوا من ذلك التمر ثم قال ادع عشرة كذا كذا اي
ندعو بهم فاكلوا حتى شبعوا وهكذا حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا وهذا يقتضي
انه كان في بعض غزواته وقد صرح به في بعض الروايات وسياتي وقال لي خذ ما جيت
به لانه اطعمهم كلهم وبقي ما جا به كما كان وهو محل الاستشهاد فانه امر برفعه
وان ياخذ كل ما اراد وقال له ولا تكبه ليبارك فيه كما مر وادخل يدك واقبض منه
ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جيت به قال فاكلت منه واطعمت اهلي ومن اردت
اطعامه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مدة حياة ابي بكر وعمر الى ان قتل
عثمان بن عفان رضي الله عنهم فانتهب مني بالبنا للمجهول اي نهبه الناس واغاروا
عليه فاخذوه في زمن الفتنة فذهب اي عدم ولم يبق منه شيء ولولا ذلك لكفاه
مدة حياته لما فيه من البركة وفي رواية رواها الترمذي في سننه وحسنها عن
ابي هريرة رضي الله عنه فقد حملت من ذلك التمر الذي اعطانيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي جعلته محمولا معي في اسفاري كذا وكذا كناية عن مقدار ما حملته
من وسق بيان لكذا وكذا والوسق حمل بعير كما مر في سبيل الله اي في اسفاري
غازيا وسبيل الله الطريق الموصلة اليه فاذا اطلق فالمراد به ما ذكر وفي رواية
فلقد حملت بلام القسم وكان يعلقه خلف رحله وكان يقول اصبت بثلاث مصايب
لم اصب بمثلهن موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل عثمان وذهاب مزودي
وروي هذا الحديث بطرق اخر قريبة مما هنا وذكرت مثل هذه الحكاية بالبناء
للمجهول وانثه لانه اكتسب التانيث من المضاف اليه وفي نسخة وذكر في غزوة تبوك
وان التمر كان بضعة عشر تمرة ذكره لانه ابلغ في المعجزة لغاية قلته ومنه اي من
تكثير الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم ايضا حديث ابي هريرة رضي الله عنه
الذي رواه البخاري حين اصابه الجوع وعلمه منه صلى الله عليه وسلم فاستتبعه

اي مدة حياته

النبي صلى الله عليه وسلم اي طلب منه ان يتبعه فقال له اتبعني ولكن ماشيا معي فتبعه فوجد لبنا في قدح في بيته قد اهدي النبي صلى الله عليه وسلم وامره ان يدعوا اهل الصفة ليكونوا تابعين معه وهم فقراء المهاجرين الذين تقدم بيانهم قال فقلت ما موقع هذا اللبن فيهم وما مقدار القليل كان لهم كنت احق منهم لسد جوعي وما علم الرسول من حالي بان اصيب منه شربة اتقوى بها اي يكون فيها تقوية لضعف جوعي وليس هذا انكارا على النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يليق بمثله فهو انما تعجب منه لما استغربه قبل مشاهدة الحقيقة ومثله من الخواطر لا يؤاخذ بها وقيل غايته انه ارتكب خلاف الاولى ولا حاجة لمثله فدعوتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وبعد حضورهم امرني ان اسقيهم وفي نسخة وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسقيهم فجعلت اي شرعت اعطي الرجل منهم فيشرب بالنصب حتى يروى بفتح المثناة اي يروي عطشه ثم يأخذه الآخر اي فيشرب حتى يروى وهكذا حتى روى جميعهم اي جميع اهل الصفة قال ابو هريرة فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح الذي فيه اللبن وهذا القدح يحتمل ان يكون لصاحب اللبن الذي اهداه له او هو من اقداحه صلى الله عليه وسلم صب فيه اللبن الذي جاءه وقال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة بقيت انا تأكيد لضمير الفاعل ليعطف عليه قوله وانت اقعد فاشرب امر بالقعود لان الشرب قائما من غير ضرورة مكروه فشربت ثم قال اشرب مرة اخرى وما زال يقولها اي كلمة اشرب واشرب بالرفع اي وانا اشرب والجملة حالية حتى قلت لا اشرب بعد هذا النفي للشرب المأمور به واعتذر عن رده بقوله والذي بعثك بالحق لا اجد له اي اللبن مسلكا اي لم يبق في جوفي محلا خاليا يدخله وهو جواب القسم ان لم يكن تأكيدا للنفي قبله وما بعده استئناف او تعليل له فاخذ صلى الله عليه وسلم اي تناول من يد ابي هريرة رضي الله عنه القدح فحمد الله على ما انعم به من الزيادة وسمى فقال بسم الله وشرب الفضلة اي ما بقي منهم بعد شربهم كلهم والحديث بتمامه في صحيح البخاري واقتصر المصنف على محل الشاهد منه كما هو دابه وفي حديث خالد بن عبد العزى الذي رواه البيهقي مسندا عنه ولم يذكره اصحاب الكتب الستة وخالد هذا كما قاله البرهان هو ابن سلامة ابو خناش بخاء معجمة مضمومة ونون واخره شين معجمة والنون مخففة وهو خزاعي وله صحبة وروى عنه ابن مسعود رضي الله عنه وقال التلمساني انه خالد بن حزام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي هاجر الى الحبشة في المرة الثانية فمات في الطريق وهو ابن اخي خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها انه اجزر للنبي صلى الله عليه وسلم شاة بالنصب مفعول اجزر بمعنى اعطى والنبي بالنصب ايضا مفعوله اول واجزره اعطاه جزرة وهي شاة او نعجة او كبش او عنز تعطى لتجزر اي تذبح ولا تكون في الناقة فانه يقال اجزره وجزره اذا اعطاه جزورا لغير الذبح كالركوب وهو معنى قول الجوهري يقال اجزرت القوم اذا اعطيتهم شاة يذبحونها او كبشا او عنزا ولا تكون الجزرة الا من الغنم ولا يقال اجزرهم ناقة لانها قد تصلح لغير الذبح انتهى وفي القاموس هنا كلام غير مهذب وقصة خالد هذه كانت بالجعرانة

من ذلك اللبن شيء

عني

سله

دلجي

لما نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامسى ثم بدا له صلى الله عليه وسلم العود فاد
الى رجل من تهامة كما في بعض الشروح هنا وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة لاجلهم والطعامهم
فلا تبد عياله بفتح المثناة الفوقية وضمها وضم الموحدة وكسرها وفاعله ضمير الشاة
يقال بدده بموحدة ودال مهملة مشددة يبدده اذا فرقه وقال ابن القطاع بددت
الشيء فرقته وابددتهم العطا فرقته فيهم وفي المحكم ابد الطعام بينهم اذا اعطى كل واحد
منهم نصيبه على حده وهو بيان لكثرتهم يعني ان الشاة اذا فرقت عليهم لا يكفيهم وقوله
عظما عظما اي اذا فرقت عليهم قطعة قطعة وعظمة بعد عظمة لا تكفيهم لكثرتهم
وان النبي صلى الله عليه وسلم بفتح همزة ان بالعطف على قوله انه اجزر الذي هو
مبتدا تقدم خبره وهو قوله في حديث خالد اكل من هذه الشاة التي اجزرها لخالد
وجعل فضلتها اي ما بقي منها بعد اكلهم في دلو خالد هو وعامر اد وجلد يستقي
به الما فالمراد به هنا جراب يشبه الدلو ويجوز ان يراد حقيقته لانه لم يكن معه
وعاء غيره ودعا له اي لخالد ويجوز ان يعود للدلو بالبركة اي بالزيادة ولفظه
اللهم بارك لابي خناس فنثر ذلك الطعام الذي في الدلو اي رماه لعياله بكسر العين
قال الصاغاني في التكملة انه جمع عيل كجياد جمع جيد وهو من يلزمه الانفاق عليه
ويكون اسما للواحد كما استعمله الحريري في مقاماته وذكره المطرزي في شرحه فاكلوا
وافضلوا اي ابقوا بقية زادت عن كفايتهم ببركته صلى الله عليه وسلم وبركة دعائه
ذكر خبره اي خبر خالد او خبر ما ذكر من الاكل والزيادة الدولابي فاعل ذكر وهو بضم
الدال المهملة وواو ساكنة ولام والف وبا موحدة وهو اسم بلدة نسب اليها وهو
منقول من الدواب بضم الدال وفتحها معرب دولب وهو الحافظ ابو بشر محمد بن احمد
ابن حماد بن سعيد بن مسلم الانصاري الرازي الوراق المحدث الجليل صاحب
التصانيف روى عنه الكبار كالطبراني وابو حاتم وتوفي بين مكة والمدينة بالعرج
في ذي القعدة سنة عشر وثلاثمائة ومولده سنة اربع وعشرين وفيه كلام مفصل
في الميزان في ترجمته وله ذرية مشهورة ولهم دولاب اخر وهو ابو جعفر بن الصباح
صاحب السنن والمراد الاول كما ذكره البرهان وغيره وفي حديث الاجري بالمد وضم الجيم
وتشديد الرا المهملة منسوب للاجر المعروف بالطوب نسب لعمله وهو ابو بكر بن
محمد الامام البغدادي كما تقدم تفصيله في ترجمته في انكاح النبي صلى الله عليه
وسلم فاطمة لعلي اي عقده نكاحها واللام زائدة للتقوية ان النبي صلى الله
عليه وسلم امر بلالا ان ياتي بقصعة مملوءة من اربعة امداد او خمسة من حنطة
او غيرها ويذبح جزورا بنصب يذبح بان مضمرة بعد مقدرة وجزورا مفعول اي
ان يذبح او معطوف على مقدر كما اشرنا اليه او على امر بتقدير وامره ان يذبح
والجزور بوزن الشكور راس من الابل ناقة او جملا سميت بها لانها مما يجزر
اي وهي مؤنثة سماعية وان كانت فيما اشبه تغليب فاعلم لوليمتها الوليمة
الدعوة للطعام يصنع في النكاح خاصة وتجمع على ولايم وهو مستحب قال بلال
رضي الله عنه فاتيته بذلك الذي امرني به من القصعة والجزور فطعن في
راسها ان كان الضمير للقصعة فراسها بمعنى اعلاها وان كان للجزور فنوطاها

وطعمه فيهما ادخال يده فيهما او مسها لتحصل البركة فيهما ثم ادخل الناس اي امر صلى الله
عليه وسلم بدخولهم ليأكلوا رفقة رفقة بالنصب حال كون دخولهم جماعة بعد جماعة
والرفقة بضم الرا وكسرها بمعنى الجماعة المترافقين المتصاحبين يأكلون منها جملة
مستأنفة او حال مقدرة حتى فرغوا اي اكلوا جميعا الى ان شبعوا وفرغوا من الاكل ثم
وبقيت منها فضلة اي فضل منها ما زاد على اكلهم فبرك فيها وفي نسخة بها وبرك
بتشديد الرا المهملة اي دعا بان يبارك فيها ويجعل فيها البركة وهي الزيادة والنمو
كما مر وامر بحملها اي بحمل القصعة بما فيها او بحمل الفضلة الى ازواجه اي الى
بيوتهن وقال لانس واجمع كلي واطعم كل من غشيكم بفتح العين وكسر الشين المعجمة
اي كل من يأتي اليكم من غير اهل البيت يقال غشيه غشيا وغشيانا اذا اتاه اتيانا ما وقد
غشيه اي ستره وفي حديث انس الذي رواه الشيخان مسندا انه تزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعض ازواجه وهي صفية بنت حيي رضي الله عنها في مرجعه
من خيبر بمحل يسمى سد الصهبا قال انس رضي الله عنه فصنعت امي وكنية
والدة انس ام سليم بضم السين مصغرا واسمها سهلة وهي زوجة ابي طلحة الخزرجية
الصحابية الصالحة القانتة وكان لها منزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيسا وقد تقدم انه طعام يصنع من لبن واقط وتمر وسمن يخلط اي يخلط
بعضه ببعض فجعلته اي وضعته في تور بفتح المثناة الفوقية وواو ساكنة وراء
مهملة وهو انا من صفر او حجارة واسع رحراح كالصينية الغريبة القعر فذهبت
بضم التا وهو ضمير انس المتكلم به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه
على الارض وادع لي فلانا وفلانا ممن كان معه ثمة من كبار الصحابة وخصهما
لشرفهما ثم عمم فقال ومن لقيت اي وادع كل من صادفته فدعوتهم اي
دعوت من عينه اولا ولم يقل دعوتهما لان قوله فلانا وفلانا مختصر
كناية عمن عينه من القوم او لان الاثنين جمع على قول ولم ادع اي لم اترك احدا
اي دعوته لقيته الا دعوته كما امرني به وذكر انس انهم اي من دعاهم كانوا
زهاء اي مقدار ثلاثمائة رجل فاجتمعوا ثمة حتى ملؤا الصفة وهي موضع
مظلل قدام البيت او دكة عليها فيه وليس المراد صفة المسجد المعهودة والحجرة
وهي البيت الصغير المحرز من الدار فقال لهم صلى الله عليه وسلم بعد
اجتماعهم تحلقوا تفعل اي استديروا واحدقوا الطعام كالحلقة طائفة بعد طائفة
من غير ازدحام عشرة عشرة ليسعهم مكان الطعام ووضع النبي صلى الله عليه وسلم
يده على الطعام الموضوع وهو الطعام الذي جاءه فدعا فيه بالبركة وقال
ما شاء الله ان يقول اي ما اراد الله من دعائه الذي علمه وابهمه لانه اسره
فلم يسمعوه لانه من الاسرار التي خصه الله بها فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال
صلى الله عليه وسلم لي اي لانس ارفع التور بما فيه فما ادري حين وضع
عنده قبل الاكل منه كان الطعام اكثر ام حين رفع بالبنا للمجهول وفي بعض
النسخ وضعت ورفعت واعلم ان هذا الحديث ذكره بعينه عن انس قبل هذا
فاعادته هنا يقتضي ان القصة صح تكررها وانه وقع مرة في تزوجه صلى

الله

الله عليه وسلم بزينب بنت جحش واخرى حين تزوج صفية وقد استشكله المص في
شرح مسلم فقال ما وقع في الحديث من ان تكثير الطعام كان في وليمة زينب يخالف الروايات
المشهورة من ان وليمتها كانت بالخبز واللحم ولم يذكر فيها تكثير الطعام وانما فيه
انهم شبعوا من الخبز واللحم فيعيبه وهم من الراوي ادخل فيه قصة في قصة فالتكثير
في قصة صفية لا في وليمة زينب التي نزلت فيها اية الحجاب وتعقبه القرطبي بانه
لا وهم فيه وانه لا مانع من الجمع بين الروايتين بان الذين دعوا للخبز واللحم اكلوا
وذهب منهم جمع وبقي اخرون ثم تجدد تولد تحا النبي بالحيس ودعا الناس كما ذكره
المص هنا وقال ابن حجر ايضا لا وجه لانكاره وتكثير الطعام في حديث الخبز واللحم
فان انسا قال انه اولم بشاة اشبعت الناس وما قدرها حتى تشبعهم وهو نحو
الالف فالظاهر ان المص راى هنا تعدد القصة ولذا صرح بزينب اولا ولم يسمها
اشارة الى الخاصقية الا ان فيه توقفا عندي من جهة اخرى فان وليمة صفية
كانت في السفر وذكر القصعة والجمع بما فيه والحيس فيها ما صنعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا ام سليم وما قيل من ان ام سليم اهدته له صلى الله عليه وسلم
بعد قدومه المدينة فرحا بتزوجه لا يخفى ما فيه من البعد وبعد كل كلام فكلام
المص فيه اضطراب يحتاج للتحرير واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة اي نبع الما
من بين اصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته في الصحيح من الاحاديث
وكتبنا المعتمدة وقوله اكثر اشارة لضعف بعضها وقد اجتمع على معنى هذا الفصل
بضعة عشر من الصحابة يعني توافقوا على ما يفيده المجموع بقطع النظر عن كل
واحدة على واحدة وتقدم ان البضع بكسر الباء من الثلاثة الى التسعة مع
اختلاف في استعماله فيما فوق العشرين والصحيح جوازه لوروده في الحديث
وقوله ببضع وعشرين درجة في فضل الصلاة وتفصيله مشهور رواه عنهم
اضعافهم من التابعين ثم رواه عن الاضعاف من التابعين وتبع التابعين
من لا يعد بعدهم بصيغة المجهول وفي بعض النسخ من لا نعد بالنون واكثرها
اي اكثر احاديث الفصول الثلاثة في قصص مشهورة بحسب الرواية ومجامع
مشهودة جمع مجمع وهو محل يجتمع فيه الناس بكثرة قال الفرزدق
اذا جمعتنا يا جرير المحافل * والمشهد من الشهود بمعنى الحضور وفيه تجنيس
وتورية بديعية وما يقع بين كثير من الناس لا يمكن ان يكون غير واقع او
متنقل ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق اي لا ينقل عن مثلها الا الامور الصادقة
المحققة ولا يمكن ان يسكت الحاضر في مجالس وقوعها والتحدث بها وضمن
الحاضر معنى السامع فعداه باللام في قوله لها على ما انكره منها مما خالف الواقع

## فصل في كلام الشجر

الاتي بيانه والشجر ما قام
على ساق واحد شجرة وما عداه نبات وقد يطلق على بعض النبات شجر
كاليقطين والحنظل والكلام ما يتلفظ به اسم ويجيء بمعنى التكلم وتكليمه
له صلى الله عليه وسلم بان يخلق الله فيه نطقا ولما كان هذا امرا خارقا
للعادة لم يعقل ومن معجزاته فلا حاجة لذكره كما قيل وشهادتها له بالنبوة

عني

ابن افيرس

من عطف الخاص على العام واجابتهما دعوته اي طلبه صلى الله عليه وسلم منها ان تجي نحوه كما سياتي وله منها حديث رواه البيهقي والبزار والدارمي مسندا عن ابن عمر وهو ما ذكره بقوله حدثنا احمد بن محمد بن غلبون بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وموحدة ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة كزيدون وسعدون ومثله كثير في لسان اهل المغرب الشيخ الصالح فيما اجازنيه تعداه بنفسه لمفعولين وهو لغة حكاها ابن فارس في المجمل ويتعدى باللام والبا والاجازة الاذن في الرواية عنه والكلام على انواعها ولغتها مفصل في ابن الصلاح وحواشيه فلا حاجة لذكره هنا عن ابي عمر الطلمنكي بالطا المهملة واللام والميم المفتوحات ونون ساكنة وكاف تقدم الكلام عليه وعلى نسبته عن ابي بكر بن المهندس المعروف بابن ابي طاهر والمهندس بوزن اسم الفاعل ويقال مهندز بالزاي وهو معرب وليس في لغة العرب دال بعدها زاي والهندسة اسم علم معروف من الرياضيات وفي العرف العارف باحوال البنا عن ابي القاسم البغوي نسبة الى بغ ويقال بغا وهي قرية بين مرو وهراة واصلها بغيوي فخففت وهذا هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان الامام الحافظ الجليل البغدادي ابن بنت احمد بن منيع وليس هو البغوي المشهور صاحب المصابيح والتفسير محيي السنة ومولد هذا في رمضان سنة اربع عشرة ومائتين وتوفي ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلاثمائة وترجمته في الميزان قال حدثنا احمد ابن عمران الاخنسي بيا النسبة لاخنس بخا معجمة ونون وسين مهملة بوزن افعل وقيل انه الاخنس بغير نسبة لقب له وهو كذلك في بعض النسخ وقيل اسمه محمد وقيل هما واحد وتوفي في نحو ود الثلاثين ومائتين وكان ببغداد وفيه كلام قال حدثنا ابو حيان التيمي بحا مهملة مفتوحة وتناة تحتية مشددة منسوب لتيم قبيلة مشهورة وهو امام ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة خمس واربعين ومائة وهذا الحديث منقطع فانه سقط بين ابن عمران وابي حيان راو وهو محمد بن فضيل كما سياتي في كلام المص في بعض النسخ وتردد في تعيينه البرهان ومثله لا يكون رجما بالغيب وكان سعد وقاو ثقة ردا على من طعن فيه عن مجاهد تقدمت ترجمته عن ابن عمر الصحابي المشهور رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اي قرب منه من الدنو اعرابي نسبة الى الاعراب وهم سكان البادية من العرب وفي النسبة اليه وهو جمع خفيه ان برد لمؤده كلام مشهور فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا اعرابي ابن تريد اي تقصد بمسيرك وسفرك هذا قال الى اهلي اي اريد مكانا فيه اهلي ولم يعينه لا بهم نزالة رحاله وعداه بالى لتضمنه معنى التوجه والارادة متعدية بنفسها وانما قدم سؤاله تانيسا له وازالة لما في نفسه من مهابته صلى الله عليه وسلم فانه كان مهيبا لمن راه وتوطية لقوله قال هل لك الى خير اي هل تنقاد وتدعن لخير ما انت فيه قال وما هو اي الخير الذي دعوتني له قال تشهد ان مخففة من الثقيلة

لا اله الا الله وحده حال لازمة اي متوحدا منزها عما ينافي ذاته وصفاته وفي كونه
معبودا بحق وقوله لا شريك له تاكيد لوحدانيته بعد تاكيد وان محمدا عبده ورسوله
قدم العبودية تنزيها لنفسه عن الاطرا في مدحه قال الاعرابي من يشهد لك على ما تقول
من دعوى الرسالة قال هذه السمرة بفتح السين المهملة وضم الميم وراء مهملة مفتوحة
وهي شجرة عظيمة ذات شوكة من الطلح واشار اليها لعزتها منه وفي نسخة بعد ما تقدم
فادعها فانها ستجيبك قال فدعوتها وهي اي السمرة بشاطئ الوادي بشين معجمة والف
وطا مهملة وهمزة بمعنى جانب وطرف والوادي الارض الواسعة المستوية من ودي
بمعنى سال لما فيها من المياه السايلة فاقبلت الفا فصيحة اي فدعاها لتشهد له
فاقبلت تخد الارض بمثناة فوقية وخا معجمة مضمومة ودال مهملة مشددة اي تشقها
ومنه الاخدود وشقها المشعر بعروقها التي في جوف الارض ولولا ذلك لم تتحرك
حتى وقفت بين يديه صلى الله عليه وسلم بان قامت محاذية له قريبا منه فاستشهدها ها
ثلاثا اي قال لها ثلاث مرات وطلب منها ان تشهد له بانه رسول الله وجملة تخد
الارض حالية او مستانفة وانما كرر استشهادها تاكيدا ليقرر ذلك في قلب الاعرابي
فشهدت له بانه رسول الله حقا ارسله الله الذي لا شريك له ولم يبين ما نطقت
به لانه معلوم من السياق ثم رجعت الى مكانها الذي كانت فيه وفي هذه القصة
معجزات له صلى الله عليه وسلم بخلق الله في الجماد ادراكا ونطقا وحركة ارادية
بمجيئها وذهابها وقد وقعت على سبيل التحدي فحد المعجز منطبق على كل واحد
منها وفي حديث رواه البزار مسندا عن بريدة بضم الموحدة وفتح الرا المهملة
ومثناة تحتية ودال مهملة علم منقول من مصغر البردة المعروفة وهو ابو عبد
الله بن الحصيب مصغر حصب بمهملتين وموحدة وهو صحابي اسلم قبل بدر
وشهد الحديبية ومات بمرو خراسان غازيا في ايام معاوية او يزيد سنة
اثنين او ثلاث وستين من هجرته صلى الله عليه وسلم سال اعرابي النبي صلى الله
عليه وسلم آية اي علامة ومعجزة تدل على انه رسول الله حتى يؤمن به فقال
له قل لتلك الشجرة مشيرا للسمرة كان ثمة وهي تلك السمرة المذكورة في الحديث كذ
الذي قبله او غيرها رسول الله يدعوك بكسر الكاف اي يطلب منك المجي اليه ولحو
نحوه قال اي بريدة فدعاها فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها
وخلفها اي مالت ميلا شديدا وتحركت في جهاتها الاربع حتى تخلص عروقها
من الارض ويمكنها الحركة نحوه صلى الله عليه وسلم فتقطعت عروقها التكنة
في مغرسها وهو اما على ظاهره او المراد انها تخلصت وهذا هو الظاهر من قوله
ثم جاءت تخد الارض وتشقها تجر عروقها من خلفها وهذا يدل على انها لم
تنقطع ولو تقطعت فسدت ولم تبق نابتة بحالها وقيل انه معجزة اخرى عرضي
مخالفة للعادة من بقا نباتها بعد تقطع عروقها التي هي سبب حياتها
والجملتان حالان مترادفتان او متداخلتان والثانية مؤكدة للاولى ولذا
لم تعطف عليها مغبرة اي مسرعة في مشيها قاله تعالى فالمغيرات صبحا ومنه
الغارة على العدو وهو منصوب على الحال ايضا ومغبرة اسم فاعل من الغارة

من عطف الخاص على العام واجابتها دعوته اي طلبه صلى الله عليه وسلم منها ان تجي بحوم كما سياتي وله منها حديث رواه البيهقي والبزار والدارمي مسندا عن ابن عمر وهو ما ذكره بقوله حدثنا احمد بن محمد بن غلبون بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وموحدة ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة كزيدون وسعدون ومثله كثير في لسان اهل المغرب الشيخ الصالح فيما اجازنيه علاه بنفسه لمفعولين وهو لغة حكاها ابن فارس في المجمل ويتعدى باللام والبا والاجازة الاذن في الرواية عنه والكلام على انواعها ولغتها مفصل في ابن الصلاح وحواشيه فلا حاجة لذكره هنا عن ابي عمر الطلمنكي بالطا المهملة واللام والميم المفتوحات ونون ساكنة وكاف تقدم الكلام عليه وعلى نسبته عن ابي بكر بن المهندس المعروف بابن ابي طاهر والمهندس بوزن اسم الفاعل ويقال مهندز بالزاي وهو معرب وليس في لغة العرب دال بعدها زاي والهندسة اسم علم معروف من الرياضيات وفي العرف العارف باحوال البنا عن ابي القاسم البغوي نسبة الى بغ ويقال بغاو وهي قرية بين مرو وهراة واصلها بغيوي فخففت وهذا هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان الامام الحافظ الجليل البغدادي ابن بنت احمد بن منيع وليس هو البغوي المشهور صاحب المصابيح والتفسير محيي السنة ومولد هذا في رمضان سنة اربع عشر ومايتين وتوفي ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلاثماية وترجمته في الميزان قال حدثنا احمد ابن عمران الاخنسي بيا النسبة لاخنس بخا معجمة ونون وسين مهملة بوزن افعل وقيل انه الاخنس بغير نسبة لقب له وهو كذلك في بعض النسخ وقيل اسمه محمد وقيل هما واحد وتوفي في نحو الثلاثين ومايتين وكان ببغداد وفيه كلام قال حدثنا ابو حيان التيمي بحا مهملة مفتوحة ومثناة تحتية مشددة منسوب لتيم قبيلة مشهورة وهو امام ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة خمس واربعين ومائة وهذا الحديث منقطع فانه سقط بين ابن عمران وابي حيان راو وهو محمد بن فضيل كما سياتي في كلام المصنف في بعض النسخ وتردد في تعيينه البرهان ومثله لا يكون رجما بالغيب وكان سعد وقاو ثقة ردا على من طعن فيه عن مجاهد تقدمت ترجمته عن ابن عمر الصحابي المشهور رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اي قرب منه من الدنو اعرابي نسبة الى الاعراب وهم سكان البادية من العرب والنسبة اليه وهو جمع حقه ان يرد لمفرده كلام مشهور فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا اعرابي اين تريد اي تقصد بمسيرك وسفرك هذا قال الى اهلي اي اريد مكانا فيه اهلي ولم يعينه لانه لم يزل رحالة وعداه بالى لتضمنه معنى التوجه والارادة متعدية بنفسها وانما قدم سواله تانيسا له وازالة لما في نفسه من مهابته صلى الله عليه وسلم فانه كان مهيبا لمن راه وتوطية لقوله قال هل لك الى خير اي هل تنقاد وتذعن لخير تمالت فيه قال وما هو اي الخير الذي دعوتني له قال تشهد ان محمدا من التنفيلة

حدثنا ابو الطاهر
احمد بن عمرو بن سرح اخبرنا ابن وهب
اخبرني يونس عن ابن شهاب
قال حدثني كثير بن عباس بن عبد المطلب
قال قال عباس شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم حنين فلزمت انا وابو سفيان بن الحارث بن
عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه
ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء اهداها له فروة بن
نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولى
المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم
يركض بغلته قبل الكفار قال عباس وانا آخذ بلجام
بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها ارادة ان لا
تسرع وابو سفيان آخذ بركاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عباس ناد
اصحاب السمرة فقال عباس وكان رجلا صيتا فقلت
باعلى صوتي اين اصحاب السمرة قال فوالله لكان عطفتهم
حين سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك
قال فاقتتلوا والكفار والدعوة في الانصار يقولون
يا معشر الانصار يا معشر الانصار قال ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن
الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول
عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين
حمي الوطيس قال ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا
ورب محمد قال فذهبت انظر فاذا القتال على
هيئته فيما ارى قال فوالله ما هو الا ان رماهم
بحصياته فما زلت ارى حدهم كليلا وامرهم مدبرا

مسلم

نسخة الهادي المحلى
انما زلت ارى
وهم ضعيف نووي

لا اله الا الله وحده حال لا...
معبود الحق وقوله لا...
تدم العبودية تنزيها...
من دعوى الرسالة قال...
وهي شجرة عظيمة ذات ش...
فادعها فانها ستجيبك...
وطا ممدلة وهي بمعنى...
بمعنى سال ما فيها من...
فاقبلت تخد الارض بعننا...
ومنه الاخدود وشقها...
حتى وقفت بين يديه...
ثلاثا اي قال لها ثلاث...
الارض حالية او مستانفة...
فشهدت له بانه رسول...
بولانه معلوم من السنة...
معجزات له صلى الله...
تجيء بها وتذهب وق...
منها وفي حديث رواه...
ومثناة تحتية ودال...
الله بن الحسيب متعرج...
وشهد الحديبية و...
اثنين او ثلاث وستين...
عليه وسلم آية اي علا...
له قل لتلك الشجرة...
الذي قبله او غيرها...
نحو قال اي بريدة ف...
وخلفها اي مالت ميلا...
من الارض وتمكنها الحر...
في معنى سها او هو تاغلب...
لو جاءت تخد الارض و...
تنقطع ولو تقطعت...
مخالفة للعادة من بقا...
والجلدان حالان منتز...
لو تقطعت عليها مغيرة...
العارض على العد و وه...

ها

كة

عرضي

من غطفي الخامس على الهام واجابتهما دعوته اي طلبه صلى الله عليه وسلم منهما ان
تجي نحوه كما سياتي وله منهما حديث رواه البيهقي والبزار والدارمي مسندا عن
ابن عمر وهو ما ذكره بقوله حدثنا احمد بن محمد بن غلبون بفتح الغين المعجمة
وسكون اللام وموحدة ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة كزيدون
وسعدون ومثله كثير في لسان اهل المغرب الشيخ الصالح فيما اجازنيه تعدى
بنفسه لمفعولين وهو لغة حكاها ابن فارس في المجمل ويتعدى باللام والبا
والاجازة الاذن في الرواية عنه والكلام على انواعها ولغتها مفصل في ابن
الصلاح وحواشيه فلا حاجة لذكره هنا عن ابي عمر الطلمنكي بالطا المهملة
واللام والميم المفتوحات ونون ساكنة وكاف تقدم الكلام عليه وعلى نسبته
عن ابي بكر بن المهندس المعروف بابن ابي طاهر والمهندس بوزن اسم الفاعل
ويقال مهندز بالزاي وهو معرب وليس في لغة العرب دال بعدها زاي والهندسة
اسم علم معروف من الرياضيات وفي العرف العارف باحوال البنا عن ابي القاسم البغوي
نسبة الى بغ ويقال بغا وهي قرية بين مرو وهراة واصلها بغيوي تخففت
وهذا هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان الامام الحافظ الجليل البغدادي
ابن بنت احمد بن منيع وليس هو البغوي المشهور صاحب المصابيح والتفسير
محيي السنة ومولد هذا في رمضان سنة اربع عشر ومايتين وتوفي ليلة
عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلاثماية وترجمته في الميزان قال حدثنا احمد
ابن عمران الاخنسي بيا النسبة لاخنس بخا معجمة ونون وسين مهملة
بوزن افعل وقيل انه الاخنس بغير نسبة لقب له وهو كذلك في بعض
النسخ وقيل اسمه محمد وقيل هما واحد وتوفي في نحو الثلاثين ومايتين
وكان ببغداد وفيه كلام قال حدثنا ابو حيان التيمي بحا مهملة مفتوحة وشناة
تحتية مشددة منسوب لتيم قبيلة مشهورة وهو امام ثقة اخرج له الستة
وتوفي سنة خمس واربعين ومائة وهذا الحديث منقطع فانه سقط بين ابن
عمران وابي حيان راو وهو محمد بن فضيل كما سياتي في كلام المص في بعض النسخ
وتردد في تعيينه البرهان ومثله لا يكون رجما بالغيب وكان مسدد وقد وثقه
ردا على من طعن فيه عن مجاهد تقدمت ترجمته عن ابن عمر الصحابي المشهور
رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اي
قرب منه من الدنو اعرابي نسبة الى الاعراب وهم سكان البادية من العرب
وفي النسبة اليه وهو جمع حقه ان يرد لمفرده كلام مشهور فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم يا اعرابي اين تريد اي تقصد بمسيرك وسفرك هذا قال
الى اهلي اي اريد مكانا فيه اهلي ولم يعينه لانهم نزالة رحالة وعداه بالى
لتضمنه معنى التوجه والارادة متعدية بنفسها وانما قدم رسول الله تنبيها
له وازالة لما في نفسه من مهابته صلى الله عليه وسلم فانه كان مهيبا لمن
رآه وتوطئة لقوله قال هل لك الى خير اي هل تنقاد وتذعن لخير مما انت
فيه قال وما هو اي الخير الذي دعوتني له قال تشهد ان محمدا من النقيلة

لا اله الا الله وحده حال لازمة اي متوحدا منزها عما يشاركه في ذاته وصفاته وفي كونه
معبودا بالحق وقوله لا شريك له تاكيد لوحده انيته بعد تاكيد وان محمدا عبده ورسوله
قدم العبودية تنويها بالنفسه عن ...
من دعوى الرسالة قال هذه ال
وهي شجرة عظيمة ذات شوكة من ال
فادعها فانها ستجيبك قال فدع
وطا مهملة وهمزة بمعنى جانب و
بمعنى سال لما فيهما من الياء ال
فاقبلت تخد الارض بمثناة فوقية
ومنه الاخدود وشقها النسعي
حتى وقفت بين يديه صلى الله
ثلاثا اي قال لها ثلاث مرات وط
الارض حالية اومستانفة وانما
فشهدت له بانه رسول الله
به لانه معلوم من السياق ثم
معجزات له صلى الله عليه وسلم
يجيء بها ويذهب وقد وقعت
منها وفي حديث رواه البزار
ومثناة تحتية ودال مهملة علم
الله بن الحصيب مصغر حصب بم
وشهد الحديبية ومات بمرو
اثنين او ثلاث وستين من هجرة
عليه وسلم آية اي علامة وم
له قل لتلك الشجرة مشيرا ال
الذي قبله او غيرها رسول ا
نحوه قال اي بريدة فدعا
وخلفها اي ما لت ميلا شديدا
من الارض وتمكنها الحركة تح
في مغرسها وهو اما على ظاهر
لو جاءت تخد الارض وتشقها
تنقطع ولو تقطعت فسد
مخالفة للعادة من بقائها
والجملتان حالان متراد فتا
لم تنقطع عليها مغبرة اي م
الغارة على العدو وهو من

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
عند اصحاب الشجرة [illegible] بيعة الرضوان يوم الحديبية
الشجرة التي [illegible]
ومعناه [illegible]

ها

كة

عرضي

وبعد العين المعجمة مثناة تحتية ساكنة وقيل انه بيا موحدة مشددة مكسورة وراء
مهملة مخففة وقيل العين ساكنة والبا مفتوحة مخففة والرا مفتوحة مشددة من
الغبار وهو حال من الفاعل المستتر او من العروق ولكل منهما ذهب بعض حتى وقفت
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا منه مواجهة له فقالت السلام عليك
يا رسول الله وفيه شهادة برسالته وتوقيره ولم يذكر انه رد عليها السلام لان السلام
انما شرع تحية موجبة للرد في حق البشر لانه امان وليست من اهله فما قيل من انه صلى
الله عليه وسلم رد عليها السلام مكافاة لها لا وجوبا اذ ليست مكلفة امر يحتاج للنقل
فكان عليه بيانه والسلام دعا بالسلامة وقيل انه هنا اسم لله اي الله معك حفيظ لك
وفيه كلام ليس هذا محله فقال الاعرابي مرها بضم الميم امر اصله اومرها فخفف
فلترجع الى منبتها تفسير للامر ومنبتها بكسر الباء موضع نباتها ويجوز فتحها
فامرها فرجعت لمحلها فدلت عروقها اي ادخلتها في الارض اصلها فاستوت اي
انتصبت قايمة من غير ميل لها فقال الاعرابي لما راى هذه المعجزة وآمن به صلى
الله عليه وسلم ايذن لي امر من الاذن بكسر الهمزة الاولى وسكون الثانية ويجوز
ابدالها يا اسجد لك مجزوم في جواب الامر او جواب شرط مقدر اي ان تاذن لي في السجود
اسجد لك فابى صلى الله عليه وسلم ذلك وقال له لو امرت احدا ان يسجد لاحد
اي لو جاز لي امر مخلوق بالسجود لمخلوق مثله لامرت المراة ان تسجد لزوجها لوجوب
طاعته عليها ولما له عليها من الحقوق الموجبة للتعظيم والخضوع والسجود
والركوع لا يجوز لغير الله في ملتنا وقد قيل انه كان جايزا في الشرايع التي قبل
شريعتنا بقصد التعظيم لا العبادة ولذا قال تعالى ورفع ابويه على العرش
وخروا له سجدا اذا كان الضمير ليوسف عليه الصلاة والسلام ولذلك جاز سجود
الملايكة لادم عليه وعليهم الصلاة والسلام ثم نسخ هذا في شريعتنا وكان ذلك
تحية الملوك عندهم ولذا طلب الاعرابي الاذن في تعظيمه عليه الصلاة
والسلام لذلك فنهاه عنه وكذلك الانحنا على هيئة الركوع لنهينا عنه وعوضنا
عن ذلك تحية الناس بالسلام والمصافحة وقال الاعرابي لما نهاه النبي صلى
الله عليه وسلم عن السجود فاذن لي اقبل مجزوم في جواب الامر يديك ورجليك
تعظيما لك فاذن له في تقبيل يديه ورجليه فقبلهما وفيه دليل على جواز
تقبيل اليد والرجل من الفاضل للمفضول اذا كان لزهده وصلاحه او علمه
وشرفه وليس مكروه بل يستحب اذا كان تعظيمه لامر ديني كما قاله النووي
في الاذكار فان كان لامر دنيوي فهو مكروه وقد ورد في احاديث كثيرة صحيحة
تقبيل يد النبي صلى الله عليه وسلم وهذا رد على المتولي من ايمة الشافعية
حيث اطلق القول بعدم جوازه وفي الصحيح اي الحديث الصحيح او المراد به
صحيح مسلم لانه روى هذا الحديث مسندا فيه في حديث جابر بن عبد الله
الطويل بالجر صفة لحديث وصفه به لتوجيه عدم ايراده بتمامه هنا ذهب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصحرا ليقضي حاجته لانه لم يكن
في بيته خلا وهكذا سائر بيوتهم وهو كناية عن التغوط اي ذهب لاجل ذلك

فلم ير شيئا يستتر به اي حائلا بينه وبين رؤية عورته بعد كشفها فاذا شجرتين اذا الفجائية
والبا زائدة اي فاجاه بغتة من غير ترقب منه اي فاذا هو فالمبتدا مقدر هنا في شاطي
الوادي بالهمزة اي طرفه وجانبه فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما
اي توجه الى احدى الشجرتين حتى قرب منها فاخذ بغصن من اغصانها اي امسكه صلى
الله عليه وسلم بيده فقال للشجرة انقادي علي اي طاوعيني وميلي علي لتكوني ساترة
له عن الاعين باذن الله اي بتيسيره وتسهيله وارادته لا بقوة جذبي واذن الله تجوز
به تجوزا مشهورا فانقادت معه اي طاوعته ومالت حتى سترته كما اراد وانما امسك
غصنها ولم يكتف بمجرد دعوتها كما في الحديث الذي قبله لان ذلك كان لاظهار المعجزة
حتى يسلم الاعرابي وهنا لم يقصد ذلك كالبعير المخشوش اي كما ينقاد البعير المخشوش
لمن يقوده بسهولة وهو اسم مفعول بخا وشينين معجمتين وهو الذي يوضع
في انفه خشاش بكسر الخا والبعير الذي يعسر قوده يجر في انفه ويوضع فيه شي يذلل
به فان كان عودا من خشب فهو خشاش وان كان مفتولا من وبر ونحوه فهو خزام وان
كان من نحاس ونحوه من المعدنيات فهو برة كما قاله الخطابي ولهذا اعلمت موقع
قوله المخشوش هنا لان الغصن من جنس العود فلذا لم يقل المخزوم وهي نكتة سرية
لم ينبهوا عليها والتشبيه في السرعة والسهولة وفيه تشبيه الشجر بالبعير
وهو واقع في كلامهم كعكسه في قوله في الابل

لمن شجر قد اثقلتها ثمارها • سفاين بر والسراب بحارها •

والخشاش ماخوذ من قولهم خش بمعنى دخل لادخاله في الانف وقوله الذي
يصانع قائده صفة البعير وهو يطلق على الذكر والانثى كما مر والمصانعة
مفاعلة من الصنع وهو العمل والمراد به الملاينة وسهولة الانقياد مستعار من
المصانعة وهي المداراة والاعطا ولذا قيل للرشوة مصانعة كما قاله الراغب
وذكر اي جابر رضي الله عنه في هذا انه صلى الله عليه وسلم فعل بالاخرى اي
بالشجرة الاخرى التي كانت بالوادي مثل ذلك اي مثل ما فعل بالاولى بان امسك غصنا
منها حتى انقادت له صلى الله عليه وسلم بسهولة حتى اذا كان صلى الله عليه وسلم
اي حل ووجد بالمنصف بفتح الميم وسكون النون وفتح الصاد المهملة المخففة اي حل في
وسط المكان بينهما اي بين الشجرتين وهذا استر له قال التأما بفتح المثناة الفو
وكسر الهمزة اي انضما واجتمعا علي باذن الله بتيسيره وارادته والالتيام الاجتماع
ومنه التيام الجرح والاستتار من رؤية العورة واجب اذا كان عند من لا يغض
بصره ممن يحرم نظره اليها وهذا لا ينافي كون هذا معجزة له صلى الله عليه وسلم فان
اللازم التستر باي وجه كان وفي رواية اخرى لحديث جابر رضي الله عنه من طريق
مسلم فقال صلى الله عليه وسلم يا جابر قل لهذه الشجرة التي بشاطئ الوادي يقول
لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك اي اخرجي واذهبي حتى
تكوني مع الشجرة الاخرى وسماها صاحبة لكونهما في واد واحد او باعتبار ما تؤول
له بعد اللحوق والانضمام حتى اجلس لقضا الحاجة مستترا خلفكما فرجعتا بزاي

حلمه

قبة

معجمة وحا مهملة وفا وفي نسخة ورجعت براو وعين مهملتين بينهما جيم حتى لحقت
بصاحبتها الجلوس خلفهما بان جعلهما بينه وبين الناس قال جابر رضي الله عنه فخرجت
أحضر بضم الهمزة وسكون الحا المهملة وكسر الضاد المعجمة والرا المهملة اي اسرع
في العدو من الحضر بالضم والسكون قال الجوهري الحضر بالضم العدو ويقال احضر
الفرس احضارا واحتضر اذا عدا انتهى فهو مضارع المزيد للمتكلم كاكرم يكرم وجلست
احدث نفسي حديث النفس مجاز عما يخطر بالبال من هذه الامور العجيبة والمنقبة
الشريفة التي شاهدها رضي الله عنه من معجزاته صلى الله عليه وسلم وانما اسرع
وعدا لما كان يعلمه منه من المبالغة في التستر والابعاد عن الناس اذا قضى حاجته
لشدة حيائه صلى الله عليه وسلم حتى انه كان يذهب وهو بمكة لقضاء حاجته الى
المغمس وهو مكان بينه وبين مكة نحو ميلين ولذا تادب ولم يمش على تؤدته حتى يقف
صلى الله عليه وسلم منتظرا لبعده عنه فالتفتت اي حولت وجهي والتجأت الى
جانبه لانظر ما حدث بعد الحدث فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل
اذا الجائية اي فاجاني لقيته بعد الفعل الذي فاتصرته ومقبل اسم فاعل من الاقبال
مرفوع خبر رسول وفي نسخة مقبلا بالنصب على الحالية من مقدر اي جاء مقبلا
والجملة خبر المبتدا والحال موكدة كولى مدبرا والشجرتان قد افترقتا وعادت كل
واحدة منهما لمحلها وهي جملة اسمية حال من الضمير المستتر في قوله مقبل فقامت
كل واحدة منهما على ساق منتصبة في منبتها مفارقة لصاحبتها والساق
حقيقة فيما قام عليه الشجر وما لا ساق له فهو نجم ونبت فاذا ظهر على وجه
الارض فهو عشب فاذا غطى الارض فهو كلا كما فصله اهل اللغة فوقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقفة ببصيرته ينتظر لما اكرمه الله به من مشي الشجر لاجله
فقال براسه اي حركه هكذا وفسره بقوله يمينا وشمالا منصوب على الظرفية
اي في جانبي اليمين والشمال وقال هنا بمعنى مال اي ميل راسه الشريف في الجهتين
قال في القاموس قال ابن الانباري تقول العرب قال بمعان تقول قال فاكل وقال فضرب
وقال فتكلم ومال واقبل الى آخر ما فصله وقيل قال هنا مجاز عن الاشارة لاشراكهما
في الافهام وقيل انه اذن لهما في الرجوع الى مكانهما وهو لا يوافق قوله فقامت
كل واحدة منهما على ساق فتدبر وروى اسامة بن زيد في حديث اخرجه البيهقي
في الدلايل وابو يعلى بسند حسن عنه نحوه اي بمعنى الحديث الذي قبله قال
اسامة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه جمع مغزاه
بمعنى الغزاة او محلها كما مر هل استفهام حذف المستفهم عنه للعلم به
او استهجانا لذكره اولانه لم يسمعه او لم يفهمه او لم يجده في اصله اي هل ترى
مكانا لا يقال لقضاء الحاجة واليه اشار بقوله يعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحاجة كناية عن البول والغايط فقلت ان الوادي ما فيه موضع
بالناس المناسبة وما نافية اي ما فيه موضع خال بسبب نزول الناس فيه
فهو مملو بهم فقال هل ترى من نخل او حجارة مرتفعة يمكن ان يستتر

ابن اعنرى

دجلي

بها كالنخل الذي يقضي الحاجة خلفه ويكون فيه سترة ومن زائدة بعد الاستفهام قلت
أرى نخلات جمع نخلة متقاربات أي قريب بعضها من بعض وهو مناسب للسترة لها
للخلوص بينهما وروي متكاربات بالكاف وهي لغة بمعنى متقاربات والقاف تبدل كافا
كثيرا وذكر في السواد لا تكهر في لا تقهر ورأي بصرتيه وكونها علية بعيد في صنعة
نخلات منصوبة قال انطلق وقل لهن أي للنخلات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمركن ان تأتين أي تجتمعن وتتزايدن فتركن لتكون استرا له لمخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم أي لمكان خروجه اليه لقضاء حاجته فيه وقل للحجارة مثل ذلك أي مثل
قولك للنخلات من أمره صلى الله عليه وسلم لها ان تأتين لمخرجه وفي كلام أسامة
لم يأمر الحجارة اما لعدم الحاجة اليها مع النخل أو لانها لم تكن مرفوعة حتى تعد
ساترة فقلت ذلك لهن الفاء فصيحة أي فذهبت فقلت ما أمرني به لهن فوالذي بعثه
بالحق قسم أي بالدين الحق لقد رأيت النخلات يتقاربن أي يدنو بعضها من بعض حتى
اجتمعن في مكان واحد والحجارة بالنصب يتعاقدن أي ينضم بعضها الى بعض حتى
يصرن كالبنيان المعقود بعضه ببعض حتى صرن ركاما بضم الراء المهملة أي بعضها
فوق بعض خلفهن متعلق بركاما والضمير للنخلات يعني ان الحجارة اجتمعت مع النخل
وفي نسخة فعلى خلفهن فالضمير للنخلات والحجارة فلما قضى حاجته قال لي قل لهن
يفترقن أي يرجع كل نخلة وحجر الى موضعه الذي كان فيه أولا فوالذي نفسي بيده
أي الله الذي روحي في قبضة تصرفه وارادته ان شاء ابقاها وان شاء امالها ٥
والنفس لها معان مشهورة منها الروح وغاير بين العبارتين تفننا مع مناسبة الأول
للقسم عليه من ان له دينا حقا وهو رسول له معجزات منها ما ذكر ومناسبة الثاني
لحاله من انه ممن آمن بالله وخشيه لا يتكلم الا بالحق لا سيما فيما ذكر لرائيه والحجارة
بالنصب عطف على الضمير أو هو مفعول معه والضمير للنخلات واللام في جواب
القسم يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وفيه معجزات له صلى الله عليه وسلم
في سعي النخل والحجارة بأمره مرتين وخلق الله فيهما قوة تسمع وتأتمر بأمره
والحديث طويل وفيه معجزات أخر من اتيان امرأة له صلى الله عليه وسلم بولد
لها صغير كان يصرع فتفل في فيه فلم يعد له ذلك وان امه اتت له صلى الله
عليه وسلم بشاة فشواها أسامة له فقال له ناولني منها ذراعا فناوله
ثم قال ذلك فناوله ثم قاله فقال أسامة انما لها ذراعين فقال لو سكت
لم تزل تناولني منها وكان ذلك في سفره للحج بمحل يقال له الروحاء وقال يعلى
ابن سيابة في حديث صحيح رواه أحمد والبيهقي والطبراني ويعلى بزنة يرضى
علم منقول من المضارع وسيابة بفتح السين المهملة وتشديد المثناة التحتية
والف وموحدة يليها هاء اسم امه فنسب اليها لا للعلة وابوه مرة بن مرارة
وقيل مرة بن وهب الثقفي وقيل انهما اثنان وهو صحابي بصري او كوفي
وترجمته مفصلة في الاصابة والرواية عنه نادرة وهو من اهل الشجرة
كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير بفتح الميم مصدر ميمي واسم
زمان او مكان قيل والاول اولى وذكر كلا من هذين الحديثين اللذين قبله في

ذهابه لقضاء حاجته وامره للشجرتين عين انه قال وذكر فامر وديتين تثنية ودية
بفتح الواو وكسر الدال المهملة والمثناة المشددة قبل الهاء وهي صغار النخل
التي تخرج من اصول كبارها فتنقل وتغرس وتسمى فسيلا وفراخا فانضمتا اي انضمت
احديهما للاخرى كالذي مر وفي رواية اشاءتين بفتح الهمزة وكسرها في بعض النسخ خطا
وشين معجمة والف ممدودة وهمزة وتاء تانيث مثنى اشاءة وهي من صغار النخل ايضا
لكنها اكبر من الودية وهمزته الثانية منقلبة عن يا وقيل اصلية وعن غيلان بن
سلمة الثقفي في شجرتين وغيلان بفتح الغين المعجمة وتحتية مثناة ولام ونون
وهو غيلان بن سلمة بن معتب بوزن معلم بالتشديد بن مالك بن كعب بن عمرو
ابن سعد بن عوف بن ثقيف الصحابي الشاعر اسلم بعد الطائف وتوفي في آخر
خلافة عمر وهو الذي اسلم على عشر نسوة وفي هذه الرواية لم تعين الشجرتان
وعن ابن مسعود مثله في غزاة حنين اسم موضع معروف وغزوة حنين كانت
بعد الفتح بسنة كما فصل في السير وضمير مثله راجع لما ذكر من امر الشجرتين
وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا اشارة الى ما مر من الاختلاف في اسم ابيه
كما سمعته انفا وان سيابة اسم امه وذكر اشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي ذكر ابن سيابة امورا خارقة للعادة من معجزاته صلى الله عليه وسلم
شاهدها منه صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة فذكر ان طلحة او سمرة بفتح
المهملة وضم الميم كما مر نوع من شجر البرية ذات شوك تسمى العضاة واو للشك
من الراوي في تلك الشجرة جاءت فطافت به صلى الله عليه وسلم اي دارت حوله وفي
بعض النسخ فاطافت بهمزة قبل الطاء المهملة وهو بمعناه يقال طاف واطاف وتطوف
واستطاف بكذا اذا الم به ودار حوله واما كونه من الطوف بمعنى الغائط
ويقال منه ايضا طاف واطاف اذا ذهب الى البراز ليتغوط وانه اسند الى الشجرة
مجازا فتكلف لا حاجة اليه وليس في هذا التجوز معنى حسن يرتكب لاجله وان كان
صحيحا بحسب اللغة ولا يناسبه قوله بعده ثم رجعت الى منبتها اي موضعها
الاول الذي نبتت فيه فقال صلى الله عليه وسلم انها اي تلك الشجرة استاذنت
ان تسلم علي اي استاذنت ربها ويجوز ان يكون هذا مجازا والمعنى انها طلبت من
الله ان يعطيها قدرة كقدرة العقلاء من المشي اليه صلى الله عليه وسلم والسلام
عليه بالمقال لا بلسان الحال وهذا صريح في انه لم يكن للتغوط كما قيل وفي حديث
عبد الله بن مسعود الذي رواه الشيخان مسندا اذنت بالمد بمعنى اعلمت
وفاعله شجرة الاتي وقوله النبي صلى الله عليه وسلم بالنصب مفعوله وبالجن
متعلق به اي بحضورهم عنده صلى الله عليه وسلم واستماعهم منه القرآن
ليلة استمعوا له منسوب على الظرفية اي في الليلة التي استمعوا قراءته صلى
الله عليه وسلم للقرآن شجرة وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم لم يرهم
عيانا في هذه القصة وانما كانوا عنده وهو لم يرهم وانما نطقت الشجرة
واعلمته بحضورهم واستماعهم وفي هذه القصة كلام يستفصله وعن مجاهد
عن ابن مسعود في هذا الحديث الذي رواه الشيخان ان الجن قالوا له صلى الله

ابن الجزري

عليه وسلم

عليه وسلم لما اجتمعوا به من يشهد لك بانك رسول الله قال هذه الشجرة ثم دعاها للشهادة فقال تعالي يا شجرة بفتح اللام وسكون اليا التحتية وهو امر من تعالى يتعالى بالطلوع لمكان عال ثم عم وصار بمعنى اقبل مطلقا وكسر اللام قال كثير من النحاة انه لحن ولم يرتضه الزمخشري وقال انه قري به في الشواذ وانه لغة وعليه قول ابي فراس وهو

اسير بسجع ثم يدي حمامة سوقته لاوطانه … ومعاهد الفه واخوانه

اقول وقد ناحت بقربي حمامة … ايا جارتي هل بات حالك حالي

معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى … ولا خطرت منك الهموم ببالي

اتحمل محزون الفواد قوادم … الي غصن نائي المسافة عالي

ايا جارتا في ما انصف الدهر بيننا … تعالي اقاسمك الهموم تعالي

تعالي تري روحا لدي ضعيفة … تردد في جسم يعذب بالي

ايضحك ماسور ويبكي طليقة … ويسكت محزون ويندب سالي

لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة … ولكن دمعي في الحوادث غالي

في انه امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم اذ قال تعالي تخد الارض وفيها الانها لما خرجت من محلها اخرجت عروقها التي كانت في داخل الارض فلما مشت انجرت خلفها لها اي لعروقها او للشجرة نفسها قعاقع اي صوت قوي كصوت الرحا وهو جمع قعقعة وهي حكاية صوت الحركة من الاجرام الصلبة وقيل يجوز ان يراد به صوت كلام جهوري لها اذا انطقها الله او الصوت من شق الارض كما مر انها جات تخد الارض او صوت اصطكاك اعضايها وقال الحافظ العراقي في حديث مجاهد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرسل نقلا عن شيخه العلاي وابن الصلاح وذكر مجاهد مثل الحديث اي ما يشابهه لفظا ومعنى او نحوه اي قريبا منه وان لم يكن بينهما شبه تام ونحو يكون بمعنى مثل مطلقا ويكون بمعنى ما يقرب منه وان لم يكن مثله وهو المراد هنا الجمع بينهما وقوله في اول الحديث ان الشجرة اعلمته بالجن يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يرهم وقوله بعده انهم قالوا له من يشهد لك يقتضي انه راهم وخاطبهم ولا تنافي فيه لان القصة تعددت وتحقيقها كما في كتاب اكام المرجان في احكام الجان انه صلى الله عليه وسلم لما ايس من ثقيف رجع من الطايف لمكة فقام بنخلة يصلي جوف الليل فمر به نفر من الجن جن نصيبين وسمعوا قراته فامنوا به واتوا قومهم منذرين كما اخبر الله عنهم بقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الخ وفي هذه القصة كما في الصحيحين لم يقرا عليهم ولا راهم وانما كانت الشياطين لما حيل بينهم وبين خبر السما تفرقوا في الارض ليعلموا سبب ما حدث فمر به صلى الله عليه وسلم بعضهم من جا بتهامة وهو راجع من عكاظ وقد قام يصلي الفجر باصحابه فلما سمعوا قراته صلى الله عليه وسلم قالوا هذا هو الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا واخبروا قومهم وانزل الله عليه قل اوحي السورة كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما قال البيهقي وهذا كان في اول امره ولم يرهم واتاه مرة اخرى داعي الجن فراهم وقرا عليهم

كما رواه ابن مسعود وفي القصة الاولى لم يرهم وانما الذي اعلمه بهم الشجرة وروى
انه صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم سورة الرحمن فكانوا كلما قال فبأي آلاء ربكما تكذبان
قالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد وابن مسعود اعلم بقصة الجن من ابن
عباس لانها كانت قبل الهجرة سنة احدى عشرة من النبوة وابن عباس طفل وقال السهيلي
رحمه الله انهم كانوا يهود لقولهم من بعد موسى دون عيسى كما ذكره ابن سلام واختلف
في عددهم فقيل سبعة وقيل تسعة وفي مسلم انه قيل لابن مسعود هل صحب احد
منكم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال لا وكنا فقدناه ليلة فالتمسناه في الاودية
فلم نجده وبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا جاء من قبل حرا وقال اتاني الليلة داعي الجن
فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن وانطلق بنا وارانا آثارهم وذكر لنا ما امر
لهم به من الزاد وهذه غير الليلة التي اعلمهم بها وذهب معه ابن مسعود وخط له
خطا وغاب عنه ثم عاد اليه وكانت بمكة وقد قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه
من احب منكم ان يحضر الليلة امر الجن فليفعل فلم يحضر احد منهم غيري فانطلقنا
حتى اذا كنا باعلا مكة خط لي برجله خطا امرني ان اجلس فيه ثم انطلق حتى قام فقرأ
فغشيته اسودة حالت بيني وبينه صلى الله عليه وسلم ثم انصرفوا مثل قطع
السحاب الى الفجر ثم اتاني وفي هذه الرواية ان ابن مسعود قال سمعتهم يقولون
من يشهد انك رسول الله الى آخر ما ذكر من قصة الشجرة وما هنا من اعلامه لهم
وحضوره معه الخ وما روي عنه من الخط المتقدم والتبشير بليلة يدل على ان قصة
الجن تعددت وقول البيهقي انها واحدة لا يمكن فيه الجمع بين الروايتين ويعينه
ما رواه ابو نعيم في دلائله من ان القصة كانت بالمدينة بالبقيع وروى ابن الزبير
انه حضرها بالمدينة فهذه مرة ثالثة وذكر مثله عن بلال باحاديث مفصلة ثم قال
دل مجموع الاحاديث ان وفادة الجن عليه صلى الله عليه وسلم كانت ست مرات
الاولى لم يشعر بها والتقدم فيها فلم يحضره والثانية كانت باعلى مكة في الجبال
والثالثة ببقيع الغرقد قد حضرها ابن مسعود رضي الله عنه وخط عليه الخط
والرابعة كانت مع ابن مسعود ايضا والخامسة خارج المدينة مع ابن الزبير
والسادسة في بعض اسفاره مع بلال رضي الله عنه ولكل منها حديث مسند ان
اردته فانظر الكتاب المذكور فانه لم يسبق في معناه مثله اقول وفيما ذكرناه
معجزات اخر منها انقياد الجن له صلى الله عليه وسلم باختيارهم وهي اعظم من
تسخيرهم لسليمان عليه الصلاة والسلام ومنها كلام الشجرة له ومنها سعيها
له وعودها لمحلها بعد خروجها وعروقها من منبتها وهو امر خارق للعادة
وفي الحديث فوايد منها كراهة الاستنجا بالعظم فانه صلى الله عليه وسلم نهى
عن ذلك فيه ومنها ان غيره صلى الله عليه وسلم من الانبيا بعث للجن كموسى
عليه الصلاة والسلام وانهم مكلفون وقد اختلف هل بعث منهم رسول
ام لا فقيل منهم رسول يسمى يوسف وثمة فوايد اخر لا يسعها نطاق البيان
هنا قال القاضي ابو الفضل هو عياض المتقدم رضي الله عنه وهذا قد ذكره لما
تقدم بقوله فهذا ابن عمر رضي الله عنهما وبريدة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما

وعبد الله

وعبد الله بن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وعبد
الله بن عباس رضي الله عنهم وغيرهم الى قوله قد اتفقوا على هذه القصة نفسها يعني
كلام الشجرة او معناها تماما يدل على ذلك وقد رواها عنهم اي عمن ذكر من الصحابة من التابعين
اضعافهم لتعدد طرقهم والضعف هو المثل او المثلان فصارت في انتشارها اي اشتهار
روايتها عنهم من القوة بحيث هي يعني لما نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين حتى بلغت
التواتر المعنوي وصارت في مرتبة قوية لا يشك فيها احد من العقلاء بحيث ظرف مكان
مضاف لجملة وهي ضمير القصة مبتدا خبره محذوف تقديره هي معروفة مشهورة وذكرابن
فورك تقدم الكلام عليه وعلى صرف فورك وعدمه وانه امام ثقة جليل القدر انه
صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطايف اسم بلدة قريبة من مكة كثيرة المياه والاشجار
يقال ان جبريل اقتطعها من ارض صنعا وهي المذكورة في سورة ن في قوله تعالى
فطاف عليها طايف من ربك وهم نايمون والطايف هو جبريل عليه الصلاة والسلام
اقتلعها وطاف بها حول البيت ثم انزلها حيث هي كما نقله السهيلي عن بعض المفسرين
قال فلذا سميت بالطايف وهذه الغزوة كانت في السنة الثانية من الهجرة ليلا متعلق
بسار وهو وسن بزنة حذر والوسن قريب من النعاس وفي فقه اللغة في مراتب
النوم اوله النعاس ثم الوسن ثم الترنيق ثم الكرا والغمض ثم التغفيق ثم الاغفا ثم
التهويم ثم الغرار ثم التهجاج وهو الهجوع يعني انه صلى الله عليه وسلم نعس وهو
سائر على دابته بحيث لا يرى ما في طريقه فاعترضته سدرة اي وقع اتفاقا ان شجرة
في طريقه اتت دابته لها بحيث كادت تمنعه عن سيره لسدها طريقه وهو صلى الله عليه
وسلم لنومه لم يعدل عنها لطريق اخرى فانفرجت له نصفين اي انشقت وتباعد
بعضها عن بعض بحيث صار بينهما فرجة يمر فيها الراكب حتى جاز بينهما اي بين
النصفين وبقيت الشجرة شجرتين على ساقين قايمة الى وقتنا اي الى زمن ادركها ابن
فورك وهي هناك اي في الارض التي فيها من الطايف معروفة معظمة لانها من اثار
معجزاته صلى الله عليه وسلم ومن ذلك اي من معجزاته صلى الله عليه وسلم في
الشجر ما ورد في حديث رواه الدارمي وابن ماجه والبيهقي كما قاله السيوطي وهو
حديث انس ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورا
حزينا جملة حالية اي وقد راه محزونا لعدم اطاعة قومه له في اول البعثة اذ
عرض نفسه على القبايل اتحب ان اريك اية اي معجزة تزيل حزنك لانه اذا اطاع
دعوته لجماد دل ذلك على ان الناس ستطيعه ولكن تاخيره لحكم خفية قال نعم
احب ذلك ليزول حزني واعلم ان الله سينصرني ويلين قلوب قومي لاجابة دعوتي
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من ورا الوادي الذي كان فيه مع
جبريل فقال جبريل له صلى الله عليه وسلم ادع تلك الشجرة اي مرها بان تاتي
اليك ولم يدعها هو لتكون معجزة له لا لجبريل كما توهم فامرها فجات تمشي حتى قامت
بين يديه صلى الله عليه وسلم بمكان قريب منه ثم قال مرها فلترجع الى مكانها
الذي كانت فيه فامرها فعادت الى مكانها كما كانت وعن علي كرم الله وجهه
نحوه قال السيوطي لم اجده عن علي وانما هو عن جابر رضي الله عنه ولم

يذكر فيها اي في هذه الرواية جبريل وكلامه له وانما الذي فيه انه صلى الله عليه وسلم
قال اللهم أرني آية اي معجزة ملزمة لمن راها دالة على أني مستجاب دعوتي ويسعد بلاغي
واللهم معناه يا الله كما فصل في النحو وتقدم منه ما فيه الكفاية لا ابالي من كذبني بعدها
لانها معجزة قطعية لا يفيد انكارها وجحدها عنادا او لا ابالي بمعنى لا اعتد ولا التفت
لمن خالفها قال ابن فارس رحمه الله في المجمل استعمل على الاشتقاق لا ابالي قرابة قول ليلى
الاخيلية * تبالي به وايا هم مبالة بعد ما * وردن المنايا الجم برئ محنى * اذ فسر التبالي بالمبادرة
للاستقاء تقول تبالي القوم اذا تبادروا الماء عند قلته وانتظار بعضهم لبعض فقولهم
لا ابالي معناه لا ابادر الى اقتنائه بل انبذه ولا اعتد به انتهى فدعا شجرة وذكر نسله
من مجيئها ورجوعها وحزنه بالسبب كما مر لتكذيب قومه له في اول امره وطلبه الآية
لهم اي لقومه المكذبين لا له صلى الله عليه وسلم لانه على يقين من امره وعلمه بقدرة ربه
وذكر ابن اسحاق فيما رواه في سيرته ورواه ابو نعيم والبيهقي عن ابي امامة بسند من
طريقين مرفوعا ومرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ركانة مثل هذه الآية في
شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت كما ستسمعه قريبا
في الحديث الذي اذكره لك وركانة بضم الرا المهملة وفتح الكاف المخففة والف بعدها نون
وهاء وهو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المكي الصحابي الذي اسلم
عام الفتح وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة اثنين واربعين وكان شديد
الباس قويا جسيما معروفا بالقوة في المصارعة بحيث انه لم يصرعه احد قط ولم يمس جنبه
الارض مغلوبا قط وقد صح انه صلى الله عليه وسلم صارعه فصرعه واما مصارعته
لرجل اخر يقال له ابو جهل فلم تصح كما قاله المقدسي وكان ركانة قبل اسلامه يرعى غنما
له بوادي اضم بالمدينة وهو من افتك الناس واشدهم فخرج صلى الله عليه وسلم يوما
من بيته وتوجه لذلك الوادي فلقيه ركانة وليس ثمة احد غيرهما فقال له انت الذي
تشتم آلهتنا وتدعو الهك العزيز ولولا رحم بيني وبينك قتلتك ولكن ادع الهك
ان ينجيك مني اليوم وانا ادعوك لامر وهو ان تصارعني وتدعو الهك وادعو اللات
والعزى فان غلبتني فلك من غنمي هذه عشرة تختارها فصارعه صلى الله عليه وسلم
فغلبه فقال لم تصرعني وانما غلبني الهك وخذلني اللات والعزى وما وضع جنبي
على الارض احد قبلك ولكن عد فان صرعتني فلك علي عشرة اخرى فعاد فصرعه
فقال له كما قال اولا ثم دعاه ثالثة فصرعه فقال له دونكها ثلاثين من غنمي
تختارها فقال له لا اريد ذلك ولكن ادعوك الى الاسلام فاسلم تسلم من النار فقال لا
الا ان تريني آية فقال له ان اريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها
اقبلي باذن الله فانشقت اثنتين واقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله عليه
وسلم وبين ركانة فقال اريتني امرا عظيما فمرها فلترجع فقال ان امرتها فرجعت
اتسلم قال نعم فامرها فرجعت والتزمت بنصفها وفروعها مع نصفها الاخر فقال
له اسلم فقال اكره ان يتحدث نساء المدينة وصبيانها اني اجبتك لرعب قلبي منك
ولكن الغنم لك فقال لا حاجة لي بها وانطلق فلقيه ابو بكر رضي الله عنه فقال
له نخرج الى الوادي وبه ركانة فضحك صلى الله عليه وسلم فقال ان الله
عصمني وحدثه الحديث المار والحديث يقتضي جواز المصارعة الا انهم قالوا

الخا

انما المال الحرام كالمتابعة عليه والجواب انه صلى الله عليه وسلم لم يطلب منه ذلك وانما اقرع
على ما قاله ليريه آية رجي بها اسلامه او انه من خصائصه صلى الله عليه وسلم او نحو به
وترد العنم عليه وقيل انه كان بعد اسلامه ومصارعته هنا ثلاثا كما علم وقيل ركانة
وقيل انه كان صارعه بمكة ولم يسلم الا يوم الفتح وعن الحسن في حديث رواه البيهقي
مرسلا وهو الحسن بن علي رضي الله عنهما وقيل يحتمل انه الحسن البصري رحمه الله عوضي
انه صلى الله عليه وسلم شكى الى ربه من قومه في اوائل البعثة قبل فشو الاسلام واهله
وانهم يخوفونه كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
وهو عطف تفسيري لان المراد انه صلى الله عليه وسلم شكى له تعالى تخويفهم له وانما
شكى ذلك لانه خاف القصور في تبليغ ما ارسل به فلا ينافي كونه صلى الله عليه وسلم ابن اقوص
على كمال اليقين من الله في رسالته كما توهم وهذا كان قبل الهجرة وقبل نزول قوله
والله يعصمك من الناس وساله آية ومعجزة يعلم بها ان لا مخافة عليه ان هنا مخففة
من الثقيلة واسمها انه فاوحى الله اليه ان ايت وادي كذا من اودية مكة فان فيه
شجرة فادع غصنا منها اي غصنا وطرفا من اطرافها يأتك مجزوم في جواب الامر ففعل
اي اتى الوادي ودعا الغصن كما امر فجاء يخط الارض خطا اي يشقها شقا وهذا يدل
على انه غصن مع بعض ساق منها وهو بمعنى قوله فيما تقدم يجر ويحتمل ان الخطا
منه له من الدال المهملة وقيل المراد بالخط اثر مشيه الذي يشبه خط الكتابة كقول
الابوصيري • جاءت لدعوته الاشجار ساجدة • تمشي اليه على ساق بلا قدم •
• كانما سطرت سطرا لما كتبت • فروعها من بديع الخط في اللقم •
حتى انتصب بين يديه اي قام عنده فحبسه ما شاء الله اي جعله مدة من الزمان
ارادها الله قائما عنده ثم قال ارجع كما جئت فرجع الى مكانه الذي كان فيه والتأم
باصله فقال صلى الله عليه وسلم علمت ان لا مخافة علي بتسخير الجمادات لامتثال امري
الدال على ان من عصاه سيرجع كما كان عليه ونحو منه اي فيما رواه البزار وابو
يعلى والبيهقي بسند حسن ما هو قريب مما ذكر في هذا الحديث مروي عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه وقال عمر فيه اي فيما رواه ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها
اي لا اعتد واهتم به لاطمئنان قلبي وذهاب خوفي فذكر نحوه وعن ابن عباس رضي
الله عنهما في حديث رواه البخاري في تاريخه والدارمي والبيهقي مسندا انه
صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت بهمزة الاستفهام وتاء الخطاب بمعنى
اخبرني وقل لي وهو مجاز مشهور ورأي فيه علمية او بصرية فاريد به لازمه
كما بينه النحاة ان دعوت ان شرطية اي امرت هذا العذق اشارة لعذق كان ثمة
وهو بكسر العين المهملة وسكون الذال المعجمة والقاف وهو العرجون من
النخلة وشماريخها كما بينه بقوله من هذه النخلة وقد يطلق على النخلة عوضي
نفسها ولا يناسبه قوله من هذه النخلة فلا وجه لتفسيره به هنا وقيل ان النخلة
يقال لها عذق بفتح العين اتؤمن بأني رسول الله اي اتؤمن بي وبما ارسلت به
وتعترف بذلك قال نعم اشهد بانك رسول الله فدعاه اي العذق بان امره بالمجيء اليه
فجعل اي طفق وصار العذق ينقز بفتح المثناة التحتية وسكون النون وضم

القاف وكسرها كما في المحكم فعلى لا فالاقتصار على الضم قصور واخره زاي معجمة ومعناه
يثب صعدا وروى هذا الحديث مفصلا البيهقي وقال ان الاعرابي من بني عامر حتى
اتاه ووصل الى مكانه عنده بقربه فقال له ارجع فعاد الى مكانه الذي كان فيه
وخرجه بالتشديد اي رواه بسنده الترمذي وقال هذا حديث صحيح متنا وسندا
**فصل** من معجزاته صلى الله عليه وسلم ما اشتهر في قصة
حنين الجذع الحنين بفتح الحا المهملة ونونين بينهما يا تحتية وهو صوت كالانين
يكون عند الشوق لمن يهواه اذا فارقه وتوصف به الابل كثيرا قال الجوهري الحنين
الشوق وتوقان النفس تقول حن اليه يحن حنينا وحنين الناقة صوتها في نزاعها
الى ولدها والجذع بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة وعين مهملة وهو ساق النخلة
اليابس وقيل انه لا يختص به لقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة وتعريف
الجذع للعهد والمراد به جذع كان قايما بالمسجد النبوي كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا خطب يستند اليه ويخطب قايما ولم يكن له منبر فلما وضع له المنبر وخطب عليه
صلى الله عليه وسلم سمع للجذع حنين لمفارقته له كما ياتي قال البرهان وغيره
ان الخبر به متواتر وكذا قال المص هنا وهذا الجذع من سواري المسجد النبوي وهكذا
كانت سواريه كلها وسقفه من جريد النخل كما ياتي في رواية جابر ولا بدع في ان يخلق
الله فيه حياة وصوتا فما قيل انه لا يلزم من سماع صوته عنده ان يكون منه
مما لا ينبغي ذكره ويعضد هذه الاخبار المذكورة في الفصل الذي قبل هذا من
كلام الشجر ومشيها اليه صلى الله عليه وسلم اي تقويها وتزيدها وهو بعين
مهملة وضاد معجمة من عضد اليد وساعدها حديث انين الجذع الانين
صوت المريض والانين والحنين متقاربان وقيل الانين فيه زيادة امتداد الصوت
وفي تعبيره به اشارة الى انه لحقه الم كما يلحق المريض ولله در الشهاب المنصوري
في قوله • يا الشافعيحا فقد حنت • ان الجماد بفضله نطقا •
واعلم ان المص انما عطف الانين على الحنين لنكتة وهي ان حقيقة الحنين في الابل
فتحن اذا فارقت اولادها ثم شاع في مطلق الشوق ولو بالكلام كقوله •
والمرء يشتاق الديار واهلها • وحنينه ابدا لاول منزل •
واما الانين فانه بما لا يفهم كالتاوه ففيه اشارة الى ان حنين الجذع لم
يكن بكلام يفهم وانما كان بصوت يفهم منه الحزن بدلالة طبيعية كانين المريض
فهو من عطف الخاص على العام فتنبه وهو اي حديث الجذع في نفسه بقطع النظر
عن غيره مما يؤيده فانه غير محتاج لذلك لانه مشهور منتشر اي شايع بين
الخلف والسلف والخبر به متواتر لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة له عن
جماعة لا يمكن تواطيهم على الكذب خرجه اهل الصحيح اي رواه مسندا
اصحاب الكتب الستة الصحيحة كالبخاري ومسلم وابن حبان وابن خزيمة
وما وصل الى مثلهم بطرق متعددة صحيحة يكون متواترا حقيقة لاجماع
من بعدهم على صحتها كما قاله ابن حجر ردا على ابن الصلاح في قوله ان التواتر
لا يكاد يوجد كما بينته في شرح النخبة والمراد باهل الصحيح من التزم انه يورد

في كتابه الاحاديث الصحيحة عنده ورواه من الصحابة بضعة عشر تقدم ان البضع من الثلاثة
الى تسعة فما زاد على العقود مطلقا كبضعة وستين ويجوز على الصحيح عند اهل اللغة
وهو كما مر بكسر الباء وفتحها منهم اي من الصحابة الذين رووه مرفوعا ابي بن كعب كما
رواه عنه الشافعي في مسنده وابن ماجه والدارمي والبيهقي وجابر بن عبد الله كما
رواه عنه البخاري وانس بن مالك كما رواه عنه الترمذي وصححه وعبد الله بن عمر
كما رواه عنه البخاري وعبد الله بن عباس كما رواه عنه احمد في مسنده باسناد
صحيح على شرط مسلم والدارمي والبيهقي وسهل بن سعد كما رواه عنه الشيخان
وابو سعيد الخدري بالدال المهملة كما تقدم في ترجمته رواه عنه الدارمي
والمطلب بن ابي وداعة بفتح الواو والدال المهملة والعين مهملة بعدها
ها ابن الحارث بن صبرة بن سعيد القرشي السهمي الصحابي ممن اسلم عام الفتح رواه
عنه احمد والزبير بن بكار كلهم يحدث بمعنى الحديث بجميع رواياتهم متفقة بحسب
المعنى وكانه اشارة الى ان تواتره معنوي لا اصطلاحي لما مر عن ابن الصلاح وقد
علمت ما فيه قال الترمذي صاحب السنن الامام المشهور وقد تقدمت ترجمته وحديث
انس صحيح انما نص على صحته لرجحانه عنده على غيره لا لنفي صحة غيره حتى ينافي ما مر
من رواية اهل الصحيح له اولان في بعض رجاله شي وقال جابر بن عبد الله في روايته
كان المسجد اي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة مسقوفا اسم مفعول من
سقفت البيت ونحوه اذا جعلت عليه سقفا وهو معروف على جذوع نخل جمع جذع
وقد تقدم بمعنى ان له سواري وضع السقف عليها من النخل والاضافة بيانية فكان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب اي قام للخطبة يقوم مستندا الى جذع منها وكان
هنا تفيد تكرار ذلك كثيرا منه صلى الله عليه وسلم لان كان اذا كان خبرها مضارعا
تفيد ذلك في استعمالهم كقولهم كان حاتم يقري الضيف وقال الله تعالى وكان
يامر اهله بالصلاة والزكاة وهو مما صرح به في كتب العربية والاصول وفي وجه
دلالتها على ذلك كلام مقرر مشهور لا حاجة لنا به هنا فلما صنع بالبنا للمجهول وفي
نسخة وضع له صلى الله عليه وسلم المنبر بكسر الميم من نبره بمعنى رفعه وسماه
لانه يرتفع القايم عليه به عن غيره سمعنا لذلك الجذع الذي كان يستند اليه
صلى الله عليه وسلم في خطبه صوتا كصوت العشار بكسر العين المهملة وشين
معجمة والف وراء مهملة جمع عشرا كنفسا وهي الناقة التي اتى عليها الحمل عشرة
اشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد وضعها ايضا
والمراد خوارها حين وضعها او عقبه نزاعا الى ولدها اذ الموتره وفيه مناسبة
تامة هنا لما عرفته من ان الحنين اصله في النوق والتشبيه به لشدته والحزنه
على مفارقته صلى الله عليه وسلم كما انه في النوق كذلك ويزيده حسنا ان
النوق تشبه النخل فليس المقصود تشبيه مسموع بمسموع كما قيل وفي رواية
انس انه صلى الله عليه وسلم لما قعد على المنبر خار الجذع حتى ارتج المسجد
بهمزة الوصل وسكون الرا المهملة وفتح التا الفوقية وتشديد الجيم مطاوع
رجه فارتج اذا حركه حركة شديدة واضطرب وهو يتعدى بمضاف اي اهله

وام سلمة ام المؤمنين كما رواه عنهما البيهقي

اي البري

او هو على ظاهره بان تحرك حيطانه وجدرانه لشدة صوته اما حقيقة او لظن ذلك ممن هو
فيه لخوار بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وبعدها الف وراء مهملة بوزن فعال وهو
بناء مطرد في اسماء الاصوات والخوار في الاصل كما قاله الراغب يختص بصياح البقر
ثم توسعوا فيه في اصوات جميع البهائم وفي بعض النسخ جؤار بضم الجيم وفتح
الهمزة والراء المهملة وهو بمعنى الاول وقال الراغب قال تعالى اليه تجأرون
من جأر اذا افرط في الدعاء تشبيها له بجؤار الوحشيات كالظباء ونحوها انتهى
فيهما واحد اي صاح وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به البكاء بمد وقصر
معروف وما موصولة والعائد محذوف اي راوه بالجذع وراي بصرية وكونها
قلبية يجوز على بعد والمراد حركته ونحوها والباء بمعنى في او سببية وفيه
تجوز اي للذي راوا اثاره بسببه اذ الصوت لا يرى ويجوز كونها مصدرية
وفي رواية المطلب بن ابي وداعة وابي بن كعب حتى تصدع وانشق عطف تفسير
لان حقيقة التصدع شق الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد يقال صدعته
فانصدع وصدعت عنه فتصدع ثم استعير منه صدع الامر اذا فصله كقوله
فاصدع بما تؤمر ومنه صداع الراس لوجعه وانصداع الفجر وهو مبالغة
في شدة صياحه كما يقال صاح حتى انفلق ويجوز بقاؤه على ظاهره ويؤيد
الاول قوله حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم اي نزل عن منبره واتى له فوضع
يده عليه فسكت اي ترك جؤاره لما زال الهم بتعزيته صلى الله عليه وسلم
ومنه مسحه له زاد غيره اي غير المطلب وهو في رواية ابي بن كعب فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر فقد كقتل من الفقد
وهو العدم بعد الوجود فهو اخص من العدم والمراد بالذكر ذكر الله او
الموعظة او القران ويجوز ان يكون نفس النبي صلى الله عليه وسلم لانه اطلق
عليه الذكر ايضا وزاد غيره اي غير الغير او من ذكر والذي نفسي بيده قسم
بالله على عادته صلى الله عليه وسلم والنفس الروح هنا وبيده معناه بقبضة
قدرته وتصرفه حياته ومماته متى اراد لو لم التزمه هو افتعال من اللزوم
وعدم الفراق ثم استعير للعناق كما في الاساس يقال التزمه اذا اعتنقه وضمه
اليه لم يزل هكذا اي له صراخ وجؤار الى يوم القيامة تحزنا على مفارقة رسول
الله صلى الله عليه وسلم والتحزن تفعل من الحزن والمراد به الزيادة لا التكلف
فامر به نبي الله صلى الله عليه وسلم اي امر بعض الصحابة باخذه او بدفنه فدفن
تحت المنبر وانما امر بذلك لئلا يشتغل به الناس وربما افتتن به بعد العصر
الاول وفيه اشارة الى انه سينبت في الجنة كما سياتي في ان بعض اغصان
الاشجار بعد قطعها اذا دفن نبت وطلع من الارض واعلم ان سواري
المسجد في زمنه صلى الله عليه وسلم معدودة مفصلة في تاريخ المدينة
كهيئة حرمه ومنبره صلى الله عليه وسلم كان من خشب اثل الغابة والاثل
بالمثلثة شجر معروف والغابة اسم موضع بالمدينة فيه اشجار وفي النجار
الذي صنعه له صلى الله عليه وسلم اقوال فقيل انه قبيصة المخزومي

وقيل

وقيل انه غلام للعباس اسمه صباح وقيل هو غلام اسمه باقوم او باقول باللام وغلام سعيد
ابن العاص وقيل هو تميم الداري وقيل غلام لسعد بن عبادة وقيل انه غلام امراة
انصارية وقول الكرماني رحمه الله انه غلام لعايشة رضي الله عنها لا مستند له فيه
وقيل انها عايشة الانصارية وقيل هي من بني ساعدة وكان وضع منبره صلى الله عليه
وسلم في السنة السابعة وقيل الثامنة من الهجرة وعلى القول بانه تميم يكون التاسعة
لانه اسلم سنة تسع الا ان يقال عمله قبل اسلامه وهو اول منبر في الاسلام وكان
درجه ثلاثا ومن قال اثنتين اسقط محل قيامه صلى الله عليه وسلم عليه وقيل
انه كان اكثر من ثلاث وكان طوله اكثر من ذراعين وعرضه ذراع وطول صدره وهو
مستنده ذراع وثم رمانتاه اللتان يمسكهما بيده الكريمة في قيامه ولما حج معاوية
رضي الله عنه كساه قباطي ثم لما رجع الى الشام كتب لمروان وهو عامله على المدينة
ان يرفعه وزاد عليه ست درجات فصارت تسعا ثم لما قدم جدده بعض بني العباس
واتخذ من اعواده القديمة امشاطا يتبرك بها الى اخر ما فصل في تاريخ المدينة
كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحاق عن انس وفي بعض النسخ هنا وفي بعض
الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره او جعلت في السقف انتهى وضمير دفنت وجعلت
على هذه الرواية لاعواده اولتاويل الجذع بالخشبة واسحاق المذكور هو ابن عبد الله
ابن ابي طلحة الانصاري اخرج له الستة وتوفي سنة اثنين وثلاثين ومائة من الهجرة
وكونه دفن تحت المنبر على ظاهره او تسمح فيه لانه قيل انه دفن في يسار المنبر وروى
ودفن في المسجد وفي حديث ابي كان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه
اي استقبله وجعله كالسترة للمصلي من المارين فلما هدم بضم الهاء مبنيا للمجهول والهدم
والهد نقض البنا ونحوه المسجد اي مسجده صلى الله عليه وسلم وهدمه في زمن عمر
رضي الله عنه لان بناه في عهده صلى الله عليه وسلم لم يكن بالحجارة ثم هدمه
عثمان رضي الله عنه وزاد فيه كما ذكر في تاريخ المدينة اخذه ابي رضي الله عنه
هذا لا ينافي ما مر من انه جعل في السقف او دفن تحت المنبر او في المسجد فربما انه
لجواز وضع النبي صلى الله عليه وسلم له تحت المنبر ثم رفع في السقف لئلا يداس بالا
تكريما لاثر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم حين الهدم اخذه ابي تبركا به وكان عنده
الى ان اكلته الارضة وقع في رواية الارمنة بفتحات وهي دويبة صغيرة تاكل
الخشب وغيره من الثياب والكتب وهي العثة وقال الامام المزي ان هذه الرواية
هي المشهورة عند المحدثين وما ذكره المص صحيح والارض فيه اما بمعناها المشهور
لانها تبلى ما يدفن فيها فاستعير له الاكل او هو تصحيف براي دابة الارض وهي
تلك المتقدمة بعينها او مصدر ارض يارض ارضا اذا اكلته الارضة وبه فسر
قوله تعالى دابة الارض تاكل منساته كما ذكره السيوطي ولابن عنين

يا اهل مصر وجدت ايديكم ۝ عن بسطها بالنوال منقبضه

لما عدمت النوال عندكم ۝ اكلت كتبي كانني ارضه

فليس في كلامه ما يعترض به عليه كما توهم قال القسطلاني فان قلت هذا يخالف
قوله صلى الله عليه وسلم لو لم التزمه بقي هكذا الى يوم القيامة وكيف يتصور

رجل

عرضي

هذا امع قوله كل من عليها فان قلت هذا وقع على طريق المبالغة كقولهم حتى يلج الجمل في
سم الخياط وان لم يتيسر وهذا انما لا حاجة اليه وبقاؤه على ظاهره لا مانع منه فانه علق بقاه
على عدم فعله به ما وعده فاذا فعله تغير وفني وقد علم الله بما ذكر وعادة فانا عادها
بمعنى صار لا بمعنى رجع لامر كان عليه وهو احد معنييه كما بين في كتب اللغة وغيرها
والان فان نوى ن غراب براء مهملة وقاف ومثناة فوقية كالغراب وهو ما تكسر وتفرق
وذكر الاسفرايني بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الفا والرا المهملة والف
بعدها همزة مكسورة ونون بلدة بالعجم نسب اليها هذا الاستاذ الامام الاصولي
المتبحر في سائر العلوم المعروف بالزهد والورع وهو ابو اسحاق لانه اذا اطلق
فالمراد هو وان نسب لهذه البلدة غيره من الايمة كابي حامد وطاهر بن محمد ان النبي
صلى الله عليه وسلم دعاه اي دعا الجذع المذكور الى نفسه اي امره بان يأتيه وينقل
ساعيا اليه وزاد لفظ نفس هنا لئلا يتحد ضمير الفاعل والمفعول بواسطة ودونها
فانه ممتنع في غير افعال القلوب وما الحق بها كما مر وقد اورد عليه نحو قوله
وهزي اليك بجذع النخلة واضمم اليك وقد اجيب عنه بما يطول وقد فصلناه
في الشرح والمقام يضيق عنه هنا فجاء يخرق الارض اي يشقها بمشيه فيها
فالتزمه واعتنقه ثم امره بالرجوع لمحله فعاد الى مكانه الذي كان فيه من المسجد
وهذه زيادة منه لا يقال مثلها من قبل الراي وهو ما مر نقله على ان هذا رواه
الامام البيهقي في دلايله والحافظ ابو القاسم في تاريخه عن العباس كما في الشرح
الجديد ولم يقف عليه المحشي عزاه له وفي حديث بريدة علم منقول من تصغير
البردة المعروفة وهو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الاعرج السلمي
واختلف في كنيته فقيل ابو عبد الله وقيل ابو سهل وقيل غير ذلك وهو
صحابي اسلم حين مر به النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا ثم قدم المدينة
قبل الخندق ثم نزل البصرة واخرج له احمد في مسنده وغيره وليس هو بريدة
الاعرج
الاسلمي كما توهم فانه تابعي وله احاديث مرسلة فظن انه صحابي وله ترجمة
في الميزان فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم للجذع حين سمع حنينه ان شئت
يا الخطاب خاطبه لما علم ان الله خلق فيه حياة وادراكا ان اردك الى مكانك
الحايط الذي كنت فيه هو في الاصل اسم فاعل من حاطه اذا احاط به ودار عليه
ثم نقل للبستان نفسه الذي فيه الشجر والنخل وهو المراد هنا ولذا قال الذي
كنت فيه ينبت لك عروقك بدل من قوله اردك او مستانف لبيان علة الرد
الى مكانه الذي نبت فيه ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة الخوص بضم
الخا المعجمة وواو ساكنة وصاد مهملة واحده خوصة وهي كالورق للنخل والثمر
بمثلثة واحده ثمرة اي تعود لك خلقتك بتمامها ونضارتها وان شئت مفعوله
مقدر اي غرسك فغرسك في الجنة جواب الشرط مجزوم فيأكل اولياء
الله من ثمرك معطوف على الجواب وهذا مرتبط بقوله فالتزمه في الكلام الذي
قبله لتخييره صلى الله عليه وسلم بين الحياة الدنيوية والحياة الاخروية
ثم اصغى له صلى الله عليه وسلم بصاد مهملة وغين معجمة اي امال راسه

وقد هامنه

وَقُرْبِهَا مِنْهُ يَسْتَمِعُ مَا يَقُولُ اي يسمع قوله وما يجيبه به وهو من السمع بمعنى الميل كما
علمه يقال اصغت الشمس اذا مالت للغروب وصغيت الانا واصغيته اذا امليته واصغيت
الى فلان ملت بسمعي نحوه وحكي صغوت اليه اصغو صغوا وصغيت اصغى قاله الراغب
فقال اي الجذع بل تغرسني في الجنة اي تصيرني من غراس الجنة ولا تغرسني بيدك فيأكل
مني اي من ثمري اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه ابلى كافني لفظا ومعنى من البلا بالكسر
وهو الفنا فاختار الحياة الباقية كساير اهل الجنة واشجارها وابلى بفتح الهمزة وضمها خطا
فسمعه من يليه اي سمع كلام الجذع والضمير الاول له والثاني يحتمل عوده له وللنبي صلى الله
عليه وسلم ويليه بمعنى يقرب منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت بضم التاء
للتكلم اي اجعلك من غراس الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اختار دار البقا وهي الجنة
كما تقدم على دار الفنا وهي الدنيا فكان الحسن البصري التابعي الامام المشهور اذا احدث
بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم
تفسير الحنين شوقا اليه مفعول مطلق لقوله تحن كجلست قعودا او مفعول له والاول
اولى لان قوله لمكانه لامه للتعليل ان لم يكن بدلا من قوله اليه وقيل انه مطلقه مقدرا
شوقا علة لتحن ولمكانه علة لقوله شوقا اي الخشبة اشتاقت لعلو مقامه وجلا
قدره وهي جماد وهذه معجزة له صلى الله عليه وسلم اعظم من معجزة موسى عليه
الصلاة والسلام في العصا واحيا عيسى عليه الصلاة والسلام للموتى لان الشوق
والكلام يستلزمان الاحيا عند الاشعري وان قيل ان مجرد الصوت المسموع لا يستلزمه
كما تقرر في محله فالمكان على حقيقته وهو الجنة او بمعنى علو قدره وشرفه صلى الله
عليه وسلم كما اشرنا اليه فانتم احق من الجماد ان تشتاقوا الى لقايه ونقل عن صاحب
القاموس انه استاذن سلطان اليمن في الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم فكتب
اليه بكلام قال فيه انه صح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لا يحل بالمومن
ان يمر عليه اربع سنين ولا يتجدد له شوق للحج وزيارة سيد المرسلين وقد تجدد
لي من الشوق ما شب عمرو عن الطوق وقد تضعضع السن وتقعقع الشن فما
هو الا عظم في جراب وقد بلغت دقاقة الرقاب الى اخر ما قاله وقلت انا حيث
وقفت على ما كتبه لم لا احن الى المختار من اضم والجذع حن اشتياقا بعد فرقته
اني لاعجب من خشب مسندة ما هزها الشوق احيانا لروضته والشوق نزاع النفس
للشيء والهيجان اليه ونقل ابن عطية في سورة الكهف انه سمع الجوهري الواعظ يقول
كلب احب اهل الخير نالته بركتهم وشرف صحبتهم حتى ذكره الله في كتابه فالخشبة تحن
والكلب يحب وهذه عبارة لاولي الالباب وفقنا الله لما يقربنا اليه ورواه عن جابر
حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص بتصغير عبيد فيهما وقيل انه
حفص بن عبد الله بلا تصغير قال البرهان والصواب الاول وهو حفص بن عبيد
الله بن انس بن مالك وهو يروي عن جده وروى عنه اصحاب السنن وقال ابو
حاتم انه لم يثبت له سماع الا عن جده وايمن الحبشي والد عبد الواحد بن ايمن
مولى ابن ابي عمرة المخزومي وقد وثقه ابو زرعة وقد تقدم فيه كلام وان ابن
حبان غلط في ترجمته وايمن منقول من افعل التفضيل من اليمن وهو البركة

يعني اكابر حجة

ل

خلة

لة

وابو نضرة بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وراء مهملة ووقع في بعض النسخ بصرة
بباء موحدة وصاد مهملة وهو تحريف وليس لنا ابو بصرة غير ابي بصرة واسمه جميل وليس
له رواية عن جابر كما قاله الحافظ الحلبي وابو نضرة الاول اسمه المنذر بن مالك بن
قطعة العبدي البصري له رواية عن ابن عباس وغيره واخرج له اصحاب السنن
وله ترجمة في الميزان وكان فصيحا ثقة توفي سنة تسع ومائة وابن المسيب سعيد
الامام المعروف تقدمت ترجمته واباه تفتح وتكسر وسعيد بن ابي كرب بكاف
وراء مهملة وباء موحدة الهمداني وله ترجمة في الميزان وكريب مثله الا انه مصغر وهو
ابن رشدين مولى ابن عباس وابو صالح وهو ذكوان السمان وتقدمت ترجمته وروايته
عن انس بن مالك الحسن البصري وقد تقدمت ترجمته وثابت البناني وقد تقدمت
ترجمته واسحاق بن ابي طلحة السابق ترجمته وروايته عن ابن عمر نافع ابو عبد الله
مولى ابن عمر الامام الثقة المشهور توفي سنة سبع عشرة ومائة واخرج له الستة
وابو حية بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية واسمه يحيى الكلبي الكوفي الامام
الثقة والد ابي جناب يروي عن ابن عمر وهو ابو حية آخر يروي عن علي وترجمته في
الميزان وروايته ابو نضرة السابق ذكره قريبا وابو الوداك بفتح الواو وتشديد
الدال المهملة ثم الف وكاف وهو جبر بن نوف البكالي له ترجمة في الميزان عن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه وقد قدمنا ترجمته وعمار بن ابي عمار مولى
ابي هاشم وهو ثقة اخرج له مسلم عن ابن عباس وابو حازم بحاء مهملة وزاي
معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج المدني الثقة احد الاعلام اخرج له الستة
وعباس بفتح وسين مهملتين بينهما موحدة مشددة وهو ابن سهل بن سعد الساعدي
توفي سنة بضع عشرة ومائة وقد زاد على التسعين واخرج له اصحاب السنن عن سهل
ابن سعد ابو عباس المذكور روى عنه ابنه وغيره وكثير بفتح الكاف ومثلثة وراء
مهملة ابن زيد الاسلمي ابو محمد المدني وله ترجمة في الميزان عن المطلب السابق
ذكره وروايته كثير عنه ليس لها ذكر في الكتب الستة كما قاله البرهان وعبيد الله
ابن بريدة عن ابيه عبد الله قاضي مرو وعالمها الثقة وترجمته في الميزان
والطفيل بصيغة تصغير طفل ابن ابي عن ابيه ابي بن كعب وكنيته ابو بطن لعظم في
بطنه قال القاضي ابو الفضل وهو عياض المتقدم رضي الله عنه فهذا يعني حديث
حنين الجذع حديث كما تراه يعني انه علم مما ذكر من كثرة طرقه عن الصحابة
والتابعين وغيرهم انه خرجه اهل الصحة اي الثقات من المصنفين الذين
التزموا في كتبهم وانه الاحاديث الصحيحة ورواه من الصحابة ممن ذكرناه في
هذا الفصل وغيرهم من التابعين ضعفهم بكسر الضاد المعجمة لان كل صحابي
روى عنه من طرق كما فصلته فاذا ضممتهم الى من لم نذكره فاذا اعلمت هذا تحقق
عندك القطع بصحته لتواتره ومن دون وفي نسخة وبدون هذا العدد الذي
ذكر يقع العلم اي يوجد العلم وتتفق صحته فكيف به لمن اعتنى اي اهتم به
وتقيد بهذا الباب من معجزاته صلى الله عليه وسلم والله المثبت بضم الميم
وبالمثلثة المفتوحة وتشديد الموحدة قبل المثناة اي توفيق الثبات

وعدم

وعدم تقلب القلب نعمة من الله على عبده المؤمن فيثبته على الصواب وهو ضد الخطا
فصل ومثل هذا من حنين الجذع واشتياقه ونطقه في سائر الجمادات
اي جميعها او بقيتها والجماد ما لا روح له ومثل مرفوع خبره ما بعده او فاعل فعل مقدر
اي ورد مثله وهذا يحتمل انه اشارة لجميع ما سبق من كلام الشجر وغيره واشتهر كحديث
رواه البخاري وهو ما اشار اليه بقوله حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي
تقدم بيانه وترجمته قال حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط بصيغة اسم
الفاعل من المرابطة وهي الاقامة بالثغور بنية الجهاد وهو محمد بن خلف بن سعيد بن
وهب المري توفي بالمدينة قاضيا بها سنة ثمانين واربعمائة وكان متفننا في العلوم سمع
من المهلب والداني وغيرهما قال حدثنا المهلب ابو القاسم والمهلب بصيغة المفعول
وهو ابن ابي صفرة وفي التكنية بابي القاسم وجوازه على الصحيح كلام مشهور تقدم
وسياتي بيانه ايضا قال حدثنا ابو الحسن القابسي علي بن محمد بن خلف الحافظ المعافري
كما تقدم قال حدثنا المروزي ابو زيد كما تقدم قال حدثنا الفربري تقدم بيانه
وبيان نسبته على اللغتين في اسم بلده قال حدثنا البخاري صاحب الصحيح وقد
تقدم بيانه قال حدثنا محمد بن المثنى وهو محمد بن المثنى ابو موسى العنزي الحافظ
الثقة الورع توفي سنة اثنين وخمسين ومائتين وترجمته مفصلة في الميزان
قال حدثنا ابو احمد الزبيري بضم الزاي المعجمة وهو محمد بن عبد الله بن الزبير
ابن عمر الزبيري نسبة لجده وليس هو الزبير بن العوام بل هو كوفي مولى لبني اسد
توفي سنة ثلاث ومائتين حدثنا اسرائيل بن يونس بن اسحاق السبيعي الكوفي
ابو يوسف الثقة اخرج له الستة وتوفي سنة اثنين وستين ومائة وترجمته
في الميزان عن منصور ابو عتاب بن المعتمر السلمي من ايمة الكوفة عن ابراهيم بن
يزيد النخعي عن علقمة بن قيس تقدم بيانه عن عبد الله بن مسعود قال اي ابن
مسعود لقد كنا معاشر الصحابة نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل جملة حالية اي
في حال اكلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي غير هذه الرواية يعني رواية
البخاري وهو رواية الترمذي عن ابن مسعود ايضا كنا ناكل مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه اي قوله سبحان الله وهذا انما يانس
به لان معنى قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده تسبيح حقيقي بلسان القال
لا بلسان الحال وانه يشهد له تذييله بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهو حديث
صحيح حسن اخرجه الترمذي عن ابن يسار ايضا من طريق اخر وفي قوله كنا الخ
دليل على تكرره وانه وقع مرارا عديدة كما تقدم وفي هذا معجزة للنبي صلى الله
عليه وسلم وكرامة للصحابة اذ سمعوا ما لم يسمعه غيرهم وهذه المعجزة اعظم من
معجزة فهم منطق الطير والجبال لسليمان وداود عليهما الصلاة والسلام
وفي الدر المنثور للسيوطي ان كل شيء يسبح الا الكلب والحمار وتقدم ان التسبيح
معناه تنزيه الله عما لا يليق به واهل الظاهر اولوا الاية بلسان الحال كالزمخشري
وجعلوه خطابا للمشركين ولذا قال لا تفقهون ولم يقل لا تسمعون وذكر المصنف
هذه الرواية لما فيها من التصريح بانه كان معه صلى الله عليه وسلم ولم يقتص

ابن الفيرس

الشراح هنا كلاما طويلا لا طائل تحته وقال انس في حديث اخرجه ابن عساكر في تاريخه اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا اي مقدارا يملؤ الكف وهو باطن اليد وقيل فيه مضاف مقدر اي ملء كف من حصى جمع حصاة وهي صغار الحجارة فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما او اشارة الى انه معجزة وفي نسخة في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن اي وضعهن وهو استعارة شائعة في الاجرام المتعبة كصببنا الصبرة من المكيل واصله في المايعات كالماء في يد ابي بكر فسبحن حالة ثم صبهن في ايدينا فما سبحن وفي قوله حتى سمعنا اشارة الى خفا صوتهن وفيه دليل ظاهر على فضل ابي بكر رضي الله عنه على غيره وايما الى خلافته ومعنى قوله فما سبحن انه ما سمع تسبيحهن او ان التسبيح لم يكن من الجمادات دائما والاول اولى وروى مثله ابو ذر رضي الله عنه رواه الطبراني والبيهقي والبزار والمثلية في مجرد تسبيح الحصا فلا ينافي قوله وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان رضي الله عنهما ولفظ هذا الحديث عن ابي ذر في دلايل البيهقي قال كنت اتتبع خلوات رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يوما خاليا فاغتنمت خلوته وجئته حتى جلست اليه فجاء ابو بكر فسلم ثم جلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين ابي بكر ثم جاء عثمان فسلم وجلس عن يمين عمر وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فاخذهن ثم وضعهن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم اخذهن فوضعهن في يد ابي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه خلافة النبوة وهكذا اخرجه الحافظ ابو القاسم في تاريخه مسندا عن انس رضي الله عنه وزاد فيه بعد عثمان ثم وضعهن في ايدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن وفي رواية صبهن في ايدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن وفي رواية الخ وفي الشرح الجديد انه لم يذكر عليا رضي الله عنه وكرم وجهه فان كان تسبيحها في يد غيره مخصوصا بالخلفا فهو خليفة كابنه الحسن ايضا واجاب بانه لم يكن حاضرا ثمة او لان خلافته ادركتها الفتنة على ان مثله لا ينفي مقامه رضي الله عنه مع ما له من المناقب اقول الظاهر ان هذه الواقعة تعددت لان رواية ابي ذر انه لم يكن ثمة غيره وما في رواية البيهقي يقتضي انه حضرها جماعة من الصحابة لقوله رجلا رجلا وعلى كليهما لم يكن معهم علي رضي الله عنه وفيهما اشارة الى عدم امتداد خلافته استقلالا وقال علي رضي الله عنه في حديث رواه الدارمي والترمذي بسند حسن كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج صلى الله عليه وسلم الى بعض نواحيها فما استقبله وفي بعض النسخ فما استقبلته شجر اي وقعت في مقابلة وجهه قريبا منه ولا جبل الا قال له كل واحد منهما السلام عليك يا رسول الله بان خلق الله فيه نطقا وان لم يكن معه حياة لانه لا تلازم بينهما ولكن الظاهر انه كان فيه حياة ايضا وهذا كما قاله ابن اسحاق رحمه الله كان في بدء النبوة تطمينا لقلبه صلى الله عليه وسلم وتبشيرا

عوني

لهُ

له بانقياد الخلق له بعده واجابتهم لدعوته وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم في حديث صحيح رواه مسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي اي يقول السلام
عليك يا رسول الله ونحوه قيل انه الحجر الاسود فقد قال السهيلي وغيره روي في
المسند ان هذا الحجر هو الحجر الاسود وهذا هو المأثور وقد قيل انه حجر غيره وانه
معروف الى الآن بمكة في محل يقال له زقاق المرفق والناس يتبركون به الآن ويقولون
انه الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهذه المعجزة اعظم من معجزة داود
عليه الصلاة والسلام في قوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن لانها لم تسبح بيده وفي يده من
ارادة من امته وتسبيح الطعام اعظم منهما لانه لم يعهد مثله والجبال قد وصفت
بالخضوع والخشوع وتأكيده بان وتنكيره اشارة الى ان له شأنا خاصا به وانه حجر
ليس كسائر الحجارة ولذا فسر بالحجر الاسود فلا يقال ما الفائدة في ذكر حجر واحد وهو
صلى الله عليه وسلم كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه كما اشار اليه بقوله وعن عائشة
رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه البزار في مسنده لما
استقبلني جبريل عليه الصلاة والسلام اي نزل علي واتاني بالرسالة جعلت اي صرت
لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله تبشيرا له وتطمينا وايقانا لهم
العموم
برسالته وامر يليق به الحجر كيف ينكره البشر وعن جابر بن عبد الله في حديث رواه البيهقي
لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابتداء بعثته يمر بشجر ولا حجر الا سجد له
اي انخفض حتى مس الارض على هيئة السجود تواضعا له صلى الله عليه وسلم له
وتعظيما له وتكريما كما سجدت الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام والسجود
لغير الله انما يمتنع من البشر وهذا محمول على السماع منه صلى الله عليه وسلم
لما ورد التصريح به في الحديث السابق ومثله لا يقال من قبل الرأي فلا حاجة الى ان
ابن اقيرس
يقال انه علم من باب الكشف ويحتمل ان الراوي شاهد ذلك في حال مروره معه
صلى الله عليه وسلم وفي حديث العباس رضي الله عنه الذي رواه البيهقي عن اسيد
الساعدي اذ اشتمل عليه صلى الله عليه وسلم الضمير للعباس اي الحديث الذي ذكر فيه
انه كان في وقت اشتمل اي منه صلى الله عليه وسلم في رداءه وبنيه وهم عبد الله
وعبيد الله والفضل وقثم بملاءة بميم مضمومة ولام وهمزة ممدودة وهاء وهي
الازار والملحفة وقيل الملاءة الازار الذي له شقتان فان كان له شقة واحدة
فهي ريطة براء وطاء مهملتين والجمع ملاء وريط ودعا لهم اي للعباس وبنيه
بالستر من النار والستر ما يمنع المستور ويحجبه فهو مجاز واستعارة لما يمنعهم
من دخولهم للنار وعن ارتكاب ما يوجب العذاب بها وهو بفتح السين مصدر
ستره ثم شبه بعد التجوز في قوله كستره صلى الله عليه وسلم اياهم بملاءته
اذ قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كستري اياهم
بملاءتي هذه فامنت بفتح الهمزة والميم المشددة والنون اي قالت آمين
طلبا لاستجابة دعائه اسكفة الباب بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم
الكاف وفاء مشددة مفتوحة وهاء وهي العتبة وما يعلوه الداخل من الباب
ومن المجاز وقعت الدمعة على اسكفة عينه اي جفنه الاسفل وهذا

محل الشاهد من الحديث لنطق الجماد منه وحوائط البيت جمع حائط وهو معروف اي جدرانه المحيطة بجوانبه ونواحيه امين امين هو اسم فعل امر بمعنى استجب وفيه لغات اشهرها مدّ الهمزة وتخفيف الميم وروي قصرها وتشديد الميم وفيه كلام في التفسير واللغة مشهور وامين امين اما معمول لمقدر اي وقالت امين او لامنت لتضمنه معنى القول وتكريره اما على التوزيع اي قالت الاسكفة امين والحوائط امين ويحتمل ان كل واحد منهما كرر قوله امين تاكيدا وتحقيقا للمقال اذ قد يغفل عن مثله وهذا الحديث بتمامه في دلائل البيهقي وفيه انه قال للعباس يا ابا الفضل لا تفارق انت وبنوك بيتك حتى اتيك فاني بكم حاجة فانتظروه فلما اتاهم قال كيف اصبحتم قالوا بخير فقال تقاربوا تقاربوا فاجتمعوا فجمعهم معه في ملاءته وقال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار الى اخر ما ذكره المصنف وفي دلائل ابي نعيم انهم كانوا سبعة الفضل وعبد الله حبر الامة ابو الخلفا وعبيد الله وعبد الرحمن وقثم وسعيد وام حبيبة اختهم وفيهم يقول عبد الله الهلالي

ما ولدت نجيبة من فحل • بجبل نعلمه او سهل

كستة من بطن ام الفضل • اكرم بها من كهلة وكهل

عم النبي المصطفى ذي الفضل • وخاتم الرسل وخير الرسل

ومثل هذه القصة حديث اهل الكسا في المباهلة المتقدم وهو جمع النبي صلى الله عليه وسلم الخمسة من اهل بيته وهم النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسنان في كسائه ويقال ان جبريل عليه الصلاة والسلام كان معهم كما قيل • افضل من تحت الفلك خمسة رهط وملك • وقال الخالدي • اعاذني انه كسا التقا • كسا بنيه حبي لال الكسا

وقال ابو علي الضرير لمن وعده بكساء ثم اخلف

من عز لي من هذا الكسا وتنجيز من • هل في عمان طوبه ام في عدن

ولاي وقت تعده تحت قرة • هبت وامطار المنى تخترن

ام ذا كسا الغزال محمد • فالعفو عن بذل له ام حسن

وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس المشاهد فلا يقال عليه ان المشبه هنا اعظم من المشبه به والمعهود في التشبيه عكسه كما قيل وعن جعفر بن محمد عن ابيه محمد الباقر بن زين العابدين وقال السيوطي لم اجد هذا في كتب الحديث يعني المشهورة فلا ينافي اطلاع المصنف عليه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام بطبق فيه رمان وعنب المذكور في اللغة ان الطبق بمعنى الغطا والمراد به هنا الوعا مجازا لانه على هيئته والظاهر انهما من ثمرات الجنة وكونه من ثمرات الدنيا وانه لو كان من الاخرة لم يكفي لقوله الجماد انه لا يلتفت اليه كالبحث عن كونهما فاكهة اولا فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح اي فاراد الاكل منه اذ تناوله بيده لا بعد الاكل كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الاية ولم يذكر هذا مع الطعام لكونه ليس من طعام الدنيا المعقود له فصله فلذا ذكره مع الجماد وهو مالا روح له مطلقا وعن انس بن مالك في حديث رواه احمد والبخاري والترمذي وابن ماجه صعد النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا بضمتين وقد يسكن ثانيه وقيل ان تسكينه ضرورة وهو
جبل معروف بقرب المدينة وقد قال صلى الله عليه وسلم فيه انه جبل يحبنا ونحبه واخبر
انه سيكون في الجنة فرجف الجبل بهم اي تحرك حركة شديدة واضطرب واضطرابه اما
لهيبته صلى الله عليه وسلم او لخوفه من الله او لانه لزلزله اتفقت عند صعودهم الايه
فقال اثبت احد بضم احره من غير تنوين اي يا احد فامره صلى الله عليه وسلم بالثبات
وعدم الحركة وقد خلق الله فيه ادراكا وحياة اذ فهم كلامه وامتثل امره وهو محل الشاهد
في هذا الحديث اي ينبغي ان يكون فيك وقار وسكون لشرف من علا عليك ممن ينبغي
عدم الاضطراب المشوش عليهم فلذا قال فانما عليك نبي يعني نفسه صلى الله عليه
وسلم وصديق يعني ابا بكر رضي الله عنه وشهيدان يعني عمر وعثمان رضي الله عنهما
لانهما قتلا ظلما كما لا يخفى وفي رواية بعضهم وشهيد بالافراد وقال لم يصف عثمان
بالشهادة اختصارا واقتصارا ولا وجه له وكل الشراح على خلافه وروي انه صلى الله
عليه وسلم ضربه برجله اي ركضه بها ومثله اي مثل الحديث الذي في احد ما رواه مسلم
عن ابي هريرة في حرا بالمد والقصر والتذكير والتانيث والصرف وعدمه وهو جبل
معروف على ثلاثة اميال من مكة وقد تقدم الكلام عليه وزاد في هذه الرواية على ما
تقدم من ذكر عمر وعثمان وابي بكر ومعه علي وطلحة والزبير وفي رواية سعد بن ابي
وقاص بدل علي وقال في هذه الرواية فانما عليك نبي او صديق او شهيد او هنا
بمعنى الواو او للتقسيم ونها عبر المصنف عند سياقه هذه الرواية فيما ياتي فقال
اثبت انما عليك نبي وصديق وشهيد وياتي الكلام عليها واراد بذلك ما يشمل
ما فوق الواحد وبالشهيد المقتول ظلما مطلقا لان عمر رضي الله عنه قتله ابو
لؤلؤة غلام المغيرة الكافر وعثمان قتل يوم الدار واختلف في قاتله وعلي رضي
الله عنه قتله ابن ملجم الخارجي الشقي والزبير رضي الله عنه قتل بوادي السباع
ظلما وطلحة رضي الله عنه اعتزل الناس فاصابه سهم فقتله فكلهم قتلوا ظلما فهم
شهداء حقيقة وحكما وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اسكن حرا واهدا حرا
الخ كما رواه مسلم والترمذي ولم يذكر سعدا كما ياتي والخبر الذي رواه مسلم
والترمذي عن ابي هريرة رواه الترمذي والنسائي في حرا ايضا عن عثمان بن عفان
رضي الله عنه قال عثمان في هذه الرواية ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد
في رواية عثمان عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن ابي وقاص قال وسبت الاثنين
تتمة العشرة وهما طلحة والزبير وفي حديث اخر رواه ابو داود والترمذي والنسائي
وابن ماجه سعيد بن زيد ايضا ابن عمرو بن نفيل احد العشرة المبشرة مثله الا مثل
حديث عثمان وفي الصحابة سعيد بن زيد انصاري اسلمي وهو غير هذا الا انه
لا يعرف له رواية وذكر في هذه الرواية ايضا عشرة وزاد نفسه فيهم وقد روي
في حديث الهجرة المذكور في السير ولم يذكره السيوطي هنا انه صلى الله عليه وسلم
حين طلبته قريش لما خرج مهاجرا وارسلوا خلفه من يطلبه منهم قال له ثبير
بثاء مثلثة مفتوحة وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة
جبل بالمزدلفة على يسار الذاهب الى منى ولهم جبال اخر تسمى ثبيرا كلها حجازية

ابن افنوس

وسمي ثبيرا من الثبور باسم رجل كان يسمى ثبيرا دفن به فسمي باسمه اهبط يا رسول الله
اي انزل من على ظهري واذهب الى مكان اخر تختفي به عنهم ثم علل امره بالهبوط والنزول
منه الى مكان آخر بقوله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله بالنصب
مقطوف على يقتلوك وانما خاف العذاب بسبب قتله لانه لو لم يذكر له ذلك مع
علمه بانه ليس فيه مكان يستره كان غشا منه يستحق به العذاب اولانه لو قتل على
ظهره غضب الله على المكان الذي يقع فيه مثل هذا الامر العظيم كما غضب على ارض
ثمود فلا يقال انه كيف يعذب بذنب غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى حتى يوجه
بان خوفه بمعنى حزنه وتأسفه عليه ونحوه من التخيلات التي لا وجه لها كما قيل
فقال حرا اسم جبل كما تقدم الي يا رسول الله بتشديد يا اليا المفتوحة تقديره
ايت الي او هو اسم فعل بمعنى اقبل وقال له ذلك لانه الهمه الله انه يقدر على
ان يشق له ويستتر في جوفه ونحو ذلك مما تقع به سلامته صلى الله عليه وسلم
وكان هذا قبل توجهه صلى الله عليه وسلم الى غار ثور الذي اختفى فيه عند الهجرة
وروى ابن عمر في حديث رواه مسلم والنسائي واحمد في مسنده وما ذكره المص
هو رواية احمد بلفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر آية وما قدروا
الله حق قدره اي ما عظموه حق تعظيمه وما عرفوه حق معرفته قيل ان بعض احبار
اليهود قال له يا محمد ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع والارضين
على اصبع والجبال على اصبع والما والثرى على اصبع وساير الخلق على اصبع ويقول
انا الملك انا الله فضحك صلى الله عليه وسلم تصديقا له وتعجبا ثم قرا وما
قدروا الله الآية ونحوه في جامع الترمذي وقال الخطابي انه انكار لمقالته
لتوهمه ان لله يدا حقيقية ذات اصابع وهو منزه عن مثله ولذا قال ثم قال
اي النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما تلى الآية يمجد الجبار نفسه اي يعظم
وينزه ذاته وروي يحمد بالحا المهملة من الحمد والثنا الجميل وفي ذكر الجبار
موافقة القرآن وهو صيغة مبالغة من الجبر وهو القهر ونفوذ الامر والنهي
وفيه دليل على جواز اطلاق النفس بمعنى الذات على الله وان لم يكن بطريق المشاكلة
كما ورد في القرآن ايضا وليس من قبيل قوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
فانه يشترط فيه المشاكلة لانه اطلاق آخر ومن اشترط ذلك مطلقا فقد وهم
وهذا مما خفي على كثير من الفضلا يعني المقصود من الآية تعظيم كبريائه توقيفا
لعباده على كنه ذاته فلذا قال انا الجبار انا الجبار وكرره للتاكيد والتهويل انا
الكبير المتعال اي المتعالي في عظمته عما يخطر بالعقول وحذف اليا في الوقف
وهو جايز اي انا الجليل المتكبر العلي الاعلى المنزه عن الجارحة وفيه اشارة
الى ان ما ذكر من الاصبع واليد والقبضة تمثيل لجلاله قدره وعظم ذاته
فرجف المنبر اي اهتز واضطرب من مهابة مقاله صلى الله عليه وسلم حتى قلنا
اي قال من كان حاضرا ليخرن عنه اي ليقع النبي صلى الله عليه وسلم من شدة
اضطراب المنبر من عليه او ليهدن المنبر وهذا وما قبله من معجزاته صلى
الله عليه وسلم لنطق الجبل له وفهم المنبر كلامه وتحركه وهو محل الشاهد

اي اتبرم وطرحني تبعا للقسطلاني

وعن

وعن ابن عباس في حديث اخرجه الشيخان والبزار والطبراني وابو يعلى عن جابر وابن مسعود
ايضا كان حول البيت في الجاهلية وقبل الفتح ستون وثلاثمائة صنم اتخذها قريش آلهة
تعبد وثنا من دون الله مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة اي قيدت ارجلها ومكنت
في الارض برصاص جعل عليها حتى لا تسقط وتزول من مكانها والرصاص معروف قال
الجوهري بفتح الراء والعامة تكسره انتهى فكسره كضمه لحن من العامة وكون الاصنام حول
الكعبة لا ينافي ما ورد في كثير من الروايات فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد
اي مسجد مكة المشرفة عام الفتح اي فتح مكة جعل اي شرع وطفق يشير بقضيب وعصا
كانت في يده اليها اي الى الاصنام المذكورة واليها متعلق بيشير ولا يمسها بيده ولا
بقضيبه لاستكراهه صلى الله عليه وسلم لها ولانه لو مسها توهم ان سقوطها بشدة
دفعه لها ويقول حال من فاعل يشير كما قيل وان جاز بتكلف اي قائلا جاء الحق
وزهق الباطل والحق التوحيد والاسلام والباطل ضده وزهوقه زواله واضمحلاله
وزهقت نفسه خرجت فما اشار بالقضيب الى وجه صنم اي ما هو على صورة وجه
مقابل له الا وقع حرسا قطا لقفاه اي على قفاه فاللام بمعنى على كقوله وخر صريعا
لليدين وللفم والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي في حال من الاحوال الا حال سقوطه
ولا اشار لقفاه الا وقع لوجهه اي اي جهة اشار صلى الله عليه وسلم اليها من
الصنم وقع على مقابلها حتى سقطت كلها وما بقي منها صنم قائم اذ سقطت كلها
والقفا مقابل الوجه وهو مقصور وسمع مده في لغة ضعيفة وقيل انه ضرورة
والحاصل انها سقطت كلها باشارته صلى الله عليه وسلم من غير ان يمسها واختلفت
الروايات فقيل اشار بيده وقيل بقوس وقيل بقضيب وقيل بعود وهذا
فيما كان حول البيت واما ما كان في جوفه فامر باخراجه ولم يدخل صلى الله عليه
وسلم البيت حتى اخرجت منه ومحيت الصور التي كانت فيه ولم يتعرض له المص مع
انه في الصحيحين لان كلامه في اطاعة الجمادات له صلى الله عليه وسلم وقد علم
ان هذه الاصنام كانت موثقة بالرصاص لو اراد احد قلعها لم يقلعها الا بعلاج
شديد وقد سقطت باشارته من بعيد فهو كتحريك الشجر من غرسه له صلى
الله عليه وسلم فلذا اقتصر عليه المص واشار بقوله مثبتة بالرصاص ومثله اي
مثل هذا الحديث وبمعناه في حديث ابن مسعود الذي رواه الشيخان وقال اي
ابن مسعود في روايته فجعل يطعنها اي الاصنام المذكورة ويطعن بفتح العين
كمنع يمنع ويجوز ضمها والاول اشهر وافصح خلافا لمن عكس وقد تقدم اختلاف
الروايات فيما طعن به وهي متقاربة والذي مر في الرواية السابقة انه اشار اليها
من غير ان يمسها بيده وما فيها من عصى ونحوها وهذه الرواية تقتضي انه مسها
بالعصا ودفعها بها كالطاعن لها فبينهما اختلاف ولذا فسر بعضهم طعنها
باشار اليها من غير مس وهو خلاف الظاهر وقيل انها كانت كثيرة فاشار
لبعض منها وطعن بعضا منها فلا تعارض في الروايات ويقول معطوف او حال
بتقدير وهو يقول جاء الحق اي الدين الحق والتوحيد او وعد الله بفتح
مكة وما يبدئ الباطل وما يعيد الا بدا الايجاد ابتداء من غير سبق ايجاد

اخر والاعادة الايجاد مرة بعد مرة اخرى وما هنا يجوز فيهما ان تكون نافية اي ان الشرك
هكذا واستعمل واستفهامية استفهاما انكاريا وهو بمعنى النفي ايضا فالمعنى واحد
واما ذكر حديث ابن مسعود لانه في الصحيحين وقدم الاول لانه اوفق بمراده
هنا وفيه زيادة ثقة وهي مقبولة ومن ذلك اي مما ذكر من امر الجمادات حديثه
الذي رواه الترمذي والبيهقي مع الراهب وهو بحيرا واسمه جرجيس ويقال جرجيس
يا من عبد القيس نصارى بتيما او بصرى وهو ممن امن به صلى الله عليه وسلم قبل
بعثته صلى الله عليه وسلم ولذا عده بعضهم من الصحابة كورقة بن نوفل وفي
المسالة اختلاف ذكره البرهان في النبراس وغيره وقيل انه حبرا يهودي واسمه
بفتح الباء مقصور وروي مده وتسميته راهبا تؤيد نصرانيته لان الرهبانية
وهي الزهد في الماكل وغيره لشدة رهبته اي خوفه معروفة فيهم كما لا يخفى في ابتدا
امره صلى الله عليه وسلم اي وهو صغير السن لم يبعث اذ خرج تاجرا اي لاجل
التجارة مع عمه ابي طالب واعترض عليه بانه لما خرج مع عمه المذكور كان عمره تسع سنين
وقيل اثنا عشر ولم يكن تاجرا وانما تعرض لعمه وهو خارج وقال له لا تتركني وليس
معي احد فاخذه معه واما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة
رضي الله عنها وميسرة هذا لم يذكر في الصحابة وقد مات قبل البعثة وفي هذه
الخرجة لقي راهبا اخر وهو نسطورا وقصته مشهورة ايضا ففي كلام المص ما لا يخفى
وما قيل في الجواب من ان تاجرا حال من ضمير عمه او حال من ضميره صلى الله عليه
وسلم المستتر في خرج وجعله تاجرا لمجاورته لعمه الذي خرج للتجارة تعسف
وتكلف جدا وكان الراهب لا يخرج من صومعة له كان يترهب فيها الى احد ممن
يمر عليه من ابناء السبيل لان صومعته كانت على طريق قريش في ممرهم للشام
تجارا فكان يراهم ولا يخرج اليهم لانفراده واشتغاله بعبادته على عادته فخرج
على خلاف عادته لما نزلوا قريبا منه ابو طالب والنبي صلى الله عليه وسلم معه والرهط
وجعل اي صار يتخللهم بفتح المثناة التحتية والفوقية والخاء المعجمة واللام
المشددة بعدها لام مخففة اي يدخل في خلالهم ويدور بينهم ينظرهم واحدا
بعد واحد من تخلل القوم اذا دخل بينهم كما في الصحاح حتى اخذ بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي امسكه بيده الشريفة فقال هذا سيد العالمين اي
اشرف المخلوقات كلهم لما راى فيه من الصفات التي علمها من كتبهم يبعثه الله
اي يرسله لدعوة الكافة بعد ما نبأه رحمة للعالمين اي لاجل رحمتهم جميعا
لمجيئه بما يسعدهم في الدنيا والاخرة كما تقدم فقال له اي للراهب اشياخ
من قريش جمع شيخ وحقيقته الكبير السن ثم شاع في الشريف المتقدم على
غيره ما علمك بما ذكرته من كونه سيدا ورحمة عامة اي من اين عرفت هذا
فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له وهو شاهد ذلك من صومعته لما
نزلوا عنده ومن معه لم يروا ذلك لاشتغالهم باحوالهم في السفر ولا تسجد
الا لنبي تعظيما له اذا مر بها او نزل عندها والسجود للتحية والاكرام
كان سنة عندهم على ان امتناعه انما هو في حق العقلاء دون غيرهم كما مر

فانهم لا ينسون منهم شركة فالبحث عنه لا وجه له وذكر القصة الى اخرها مفصلة كما في السير وسنعرض نحن عن ذكرها ثم قال اي الراهب فاقبل صلى الله عليه وسلم للنزول وعليه غمامة تظلله دون من معه من رفقته فلما دنا من القوم الا فقيل له الذين نزلوا قبله وجدهم سبقوه الى في الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال الفيء اليه اي الى جانبه الذي جلس فيه والفيء هو الظل او الظل بالغداة والفيء بالعشي لانه من فاء اذا رجع وهذا هو اشكل معناه لكن نوزعوا فيه فاستعملوا كلا منهما مقام الاخر والغمامة السحابة البيضاء والمراد الاول وخبر بحيرا صحيح روي من طرق صحيحة الا انه طعن فيما رواه الحاكم فيه من ان سبعة من الروم اقبلوا يقصدون قتله صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم بحيرا وقال لهم ما جاء بكم فقالوا ان هذا النبي خارج في هذا الشهر وانا بعثنا له فقال لهم ارايتم امرا اراده الله هل يستطيع احد رده قالوا لا فصدهم عما ارادوه واقاموا معه ورده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا رضي الله عنهما وقال الذهبي انه حديث منكر وانما طعن فيه لان ابا بكر رضي الله عنه كان صغيرا اذ ذاك ولم يملك بلالا وقيل ان هذا مدرج فيه من حديث اخر والافة فيه من رواته وما افة الاخبار الا رواتها

## فصل في الايات

في ضروب الحيوانات الايات جمع اية وهي العلامة والمعجزة لانها علامة نبوة النبي والضروب جمع ضرب وهو النوع حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ قال حدثنا ابي قال حدثنا القاضي يونس رجال هذا السند تقدموا كلهم مع الكلام عليهم وعلى اسمائهم فلا حاجة للتكرار الممل قال حدثنا ابو الفضل الصقلي بفتح الصاد المهملة والقاف وكسر اللام المشددة وبالنسبة نسبة لصقلية جزيرة بالاندلس كثيرة الاشجار والثمار قال الشاعر

ذكرت صقلية والاسى • يوجج نيران تذكارها

وكسر صادها خطا وان ذكره البرهان ظنا من عنده قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا ابو العلا احمد بن عمران قال حدثنا يونس بن عمرو كذا في النسخ وقد سقط منه راو وصوابه حدثنا احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس بن عمرو كما في بعض النسخ موصولا وهو من رجال مسلم واصحاب السنن الاربعة وترجمته في شروحها كما تقدم ويونس هو ابن اسحاق السبيعي وهو ثقة صدوق وقيل انه مضطرب لا يحتج به وترجمته في الميزان توفي سنة تسع وخمسين ومائة قال حدثنا مجاهد وفي نسخة عن مجاهد عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها ومجاهد هو ابن جبر كما تقدم وقيل ان مجاهدا لم يسمع منها والصحيح خلافه قالت عائشة كان عندنا داجن من الدجنة وهي لزوم البيوت وسكونها والمراد بها شاة تالف البيوت وتعلف فيها وتطلق على غيرها من الحيوانات التي تربى في البيوت كالناقة والحمام والمراد بقولها عندنا منزله الذي يسكنه وكذا في قوله فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه اي وقف او ربض في مكانه لا يتحرك ما دام معه صلى الله عليه وسلم واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزله جاء وذهب

اي مشي في البيت وتردد فيه لانه ليس ثمة من يعابه وقيل المعنى انه لم يتبق لعدم رؤيته عيني
صلى الله عليه وسلم اشيا فالرؤية وهذا حديث صحيح رواه احمد والبزار وابو يعلى والبيهقي
والدارقطني وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لالف الحيوانات التي لا تعقل وصاحبتها
له وروي داجنة بالها وراجن بالرا وقد علم ان قرمن القرار وهو السكون وعدم الحركة
وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث رواه الطبراني والبيهقي وروي ايضا
عن عايشة وابي هريرة وهو ضعيف كما قاله السيوطي وليس بموضوع كما قيل ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل بفتح الميم وسكون الحا المهملة وكسر الفا
واللام محل يجتمع فيه ناس كثيرون من حفل بمعنى جمع من اصحابه اذ جا اعرابي اي دخل
بغتة عليهم رجل من اهل البادية غير معروف قد صاد ضبا جملة حالية بفتح الضاد المعجمة
وتشديد البا الموحدة حيوان بري اكبر من الجرذون يبيض والاعراب تصطاده وتاكله
فقال الاعرابي للصحابة من هذا سال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ينكره
او لم يعرفه قالوا له جوابا نبي الله اي هو نبي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
وليس قولك من هذا ابصايره البيت يعرف من انكرته والحرم • • • •
فقالوا اللات والعزى وهما صنمان عبدا في الجاهلية واصل اللات اللاه فحذفوا
الها وادخلوا تا التانيث تحو مناعنها وهو من لوي سمي به لانهم يلتوون في طوافهم
حولها وكان بنخلة والطايف لقريش وثقيف والعزى تانيث الاعز شجرة من السمر
كانت لغطفان بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها
فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها فقتلها وقال يا عزى كفرانك
لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك ثم اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا واقسم الاعرابي بهما لانه لم يكن مسلما كما يدل
عليه ما بعده من قوله لا امنت بك اي بانك رسول الله او يؤمن بك هذا الضب
بنصب يؤمن اي الا ان يؤمن هذا الضب فاومن انا بك ايضا تعلقا رؤية معجزتك
من نطق هذا الحيوان واقراره برسالتك وا وبمعنى الا او الى غاية لانتفا ايمانه
وهذا مما ينتصب بعده المضارع بعد النفي ونحوه وفي نسخة حتى بدل او وطرحه
اي رمى الاعرابي الضب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اي في مقابلته قريبا
منه فقال صلى الله عليه وسلم له اي للضب يا ضب بالضم لانه منادى مفرد فاجابه
بلسان بين كلامه او بكلام ظاهر مفهوم يسمعه القوم الذين عنده جميعا لبيك اي
اجابة لك بعد اجابة وهو مثنى منصوب على المصدرية كما بينه النحاة
وسعديك اي مساعدة وطاعة لك بعد طاعة وهو مثله في العمل والنصب
وهما عبارة عن سرعة الاجابة والانقياد والطاعة يا زين من وافى القيامة
اي من تزين وحسن كل من جا الى القيامة والموافاة الحضور والمجي والقيامة
معروفة وانما جعله زينا اي مزينا لاهلها ومن جا لانه صلى الله عليه وسلم
سيدهم وقايدهم والشفيع فيهم وهذه العبارة شايعة في لسان عامة العرب
فيقولون يا زين القوم لاشرفهم واحسنهم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم للضب من تعبد سال له ليقر بعبوديته لله ويصفه بما يعرفه كل احد

قال

قال اعبد الذي في السماء عرشه وهو في الاصل سرير الملك والعرش والكرسي احما لا يعلم
وتحقيقه في كتب التفسير والمراد بالسماء ما يقابل الارض او جهة العلو مطلقا فلا ينافي
ما ورد من ان الله فوق السموات كما قال وسع كرسيه السموات والارض وللكلام في هذا
مقام اخر لا تحيط به ظروف الحروف وفي الارض سلطانه اي في الارض ومن فيها يظهر
عدله وحكمه وقهره لمن فيهما من الثقلين وسلطانه وان كان على كل موجود لكن ظهوره
فيمن قد يخالف ظاهر فيهما والسلطان في الاصل مصدر من التسلط والقهر وفي البحر
سبيله اي طريقه التي جعلها مسلوكة لعباده بتسخير الريح ونحوه مما لا يقدر عليه
غيره كما قال تعالى وهو الذي يسيركم في البر والبحر ولذا كانت الكفرة لا يدعون فيه
سواه كما قال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وفي الجنة رحمته المختصة
به العظيمة الباقية وان كان رحيم الدنيا والاخرة وفي النار عذابه وفي نسخة عقابه
فلما امن بالله ووصفه بما هو مختص به دال على عظمته قال له صلى الله عليه وسلم
ليكمل ايمانه فمن انا اذا امنت بي فمن انا قال رسول رب العالمين اشارة الى عموم
رسالته صلى الله عليه وسلم لكل موجود حتى الجمادات والحيوانات وخاتم النبيين
فلا نبي بعدك كما تقدم وقد افلح وفاز بسعادة الدارين من صدقك واقر برسالتك
وخاب من كذبك بانكار رسالتك وعدم اجابة دعوتك فاسلم الاعرابي لما راى
معجزته صلى الله عليه وسلم وعلم علما ضروريا بتوحيد الله والاقرار برسالة رسوله
صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث طويل رواه البيهقي وفيه ان الاعرابي من بني
سليم وانه كان ذاهبا بالضب ليشويه وياكله فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم
ووقع له معه ما ذكره المصنف من اسلامه قال لا اتبع امرا بعد عيني والله لقد جئتك
وما على ظهر الارض ابغض الي منك وانت اليوم احب الي من نفسي وولدي فلما اسلم
وتشهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك ان هذا الدين
يعلو ولا يعلى ولا يقبل الا بصلاة ولا صلاة الا بقران ثم علمه الصلاة والقراءة
وعلمه سورة الاخلاص وكان هذا سببا لاسلام قومه وقدومهم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد علمت ضعف الحديث وان قال ابن دحية انه موضوع ومن
ذلك اية من معجزاته صلى الله عليه وسلم في تسخير الحيوانات وانطاقها قصة
كلام الذيب المشهورة التي رواها احمد والبزار والبيهقي وصححها عن ابي سعيد
الخدري هو سعيد بن مالك الصحابي كما تقدم بينا راع تقدم انه بينا من الظروف
وان الالف للاشباع او كافة عن الاضافة فراع في محل رفع او جر وهو اسم فاعل
من رعي الغنم ونحوها وهو معروف وقوله يرعى غنما له ذكره لبيان ان الغنم
له فليس باجنبي وانه كان يرعى غنما فان الراعي قد يرعى غيرها كالابل والبقر
واختلف في اسم هذا الراعي فقيل انه اهبان بن اوس وقد جرى عليه المصنف
فيما ياتي وانه وقع مثل هذه القصة لابي سفيان بن حرب وصفوان بن
امية في ذيب اخذ ظبيا ولابي جهل واصحابه وفي حديث اخر ان الذيب اخذ
شاة فتبعه الراعي فقال له الذيب من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري
وان الذي كلمه الذيب اهبان بن اوس الاسلمي وقيل اهبان بن عقبة ثم سلمة

ابن الاكوع احد اصحاب الشجرة وقيل اهبان بن الاكوع وعند السهيلي انه رافع بن ربيعة وقيل هو اهبان بن عباد الخزاعي وقيل الذي كلمه الذيب سلمة بن الاكوع وبيان ذلك كله وقيل اهبان بن صيفي وعن ابن عساكر ان الذي كلمه الذيب رافع بن عميرة الطائي كلمه الذيب وهو في ضان له يرعاها ودعاه الى النبي صلى الله عليه وسلم وامره باللحوق به صلى الله عليه وسلم فقال

رعيت الضان احميها زمانا من الضبع الخفي وكل ذيب
فلما ان سمعت الذيب نادي يبشرني باحمد من قريب
سعيت اليه قد شمرت ثوبي عن الساقين قاصدة الركيب
فالفيت النبي يقول قولا صدوقا ليس بالقول الكذوب
فبشرني بدين الحق حتى تبينت الشريعة للمنيب
وابصرت الضياء يضي حولي امامي ان سعيت ومن جنوبي
الا ابلغ بني عمرو بن عوف واخوتهم جديلة ان اجيبي
دعا المصطفى لا شك فيه فانك ان اجبت فلن تخيبي

وقد علم ان قصة كلام الذيب وقعت مرارا عديدة على انحاء مختلفة وكلامه وان كان لغيره لكن اقراره به معجزة له صلى الله عليه وسلم عرض الذيب لشاة منها اي اتاها لاختطافها واخذها فاخذها الراعي منه اي ادركه وانتزعها من يديه وردها فاقعى الذيب اي نكث على عقبيه ناصبا يديه كما هو معروف في اقعا الكلب والذيب وللاقعاء معنى اخر كما ذكره الفقها في كتاب الصلاة فقال الذيب بعد اقعائه للراعي الا حرف استفتاح هنا تتقي الله اي تخافه وتحذره حلت بضم الحا المهملة وسكون اللام وفتح تا الخطاب اي فصلت وفرقت بيني وبين رزق في الذي رزقه الله قال الراعي العجب من ذيب يتكلم بكلام الانس وفي نسخة البشر وهما بمعنى تعجب من نطقه وليس من شانه ذلك فقال الذيب مجيبا له الا اخبرك باعجب من ذلك اي من كلام حيوان اعجم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين بفتح الحا وتشديد الرا المهملتين وتا تانيث مثنى حرة وهي ثنية مرتفعة ذات حجارة سود كانها احترقت من الحر والحرتان بالمدينة يحدث الناس بانبا ما سبق وفي نسخة من سبق اي الامم السابقة واخبارهم وانما جعله اعجب لانه اخبار بالغيب معجز فلذا عده اعجب من نطق حيوان انطقه الله الذي انطق كل شي وكون الامر اعجب يختلف باختلاف الاسباب والانبا جمع نبا وهو الخبر فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بكلام الذيب وقصته معه فقال النبي صلى الله عليه وسلم للراعي قم من عندي فاذهب للحاضرين فحدثهم بما شاهدته ليزداد ايمانهم وتيرهم ما ظهر من معجزاته ثم قال صدق والحديث فيه قصة لما فيه من الغرابة وانه من اشراط الساعة لقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الناس ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه وتخبره فخذه بما حدث في اهله ولما لم يكن في هذا استشهاد لما هو بصدده اسقطه واعتذر عنه بقوله وفيه اي في نقصه ولما كان طول ولذا تركه لعدم الحاجة اليه هنا

وروي حديث الذيب عن ابي هريرة رضي الله عنه من رواه احمد والبزار والبيهقي وصححه
والبغوي وابو نعيم بسند صحيح وفي بعض الطرق بتضمين جمع طريق يخبر بعض الرواية
فقال الذيب للراعي انت اعجب اي حالك اعجب من حالي في حال كونك واقفا على غنمك
اي مراعيا وحافظا لها وتركت نبيا اي وقد تركت لخ فالجملة حالية بتقدير قد لم يبعث
الله نبيا من انبيايه السالفة قط اعظم منه عنده واجل قدرا ومنزلة عند ربه وهو
تمييز لنسبة اعظم وقد فتحت له ابواب الجنة بتشديد تا فتحت وتخفيفها اي هييت
واعدت له والجملة حالية ايضا وقوله واشرف اهلها يدل على ان المراد انها انفتحت
حقيقة لينظر من فيها من الملايكة والاشراف النظر من مكان عال ماخوذ من الشرف وهو
المكان العالي على اصحابه ينظرون قتالهم اي ينظرون اليهم وهم صفوف واقفون في
القتال كصفوف الملايكة وما بينك وبينه الا هذا الشعب بكسر الشين المعجمة وسكون
العين المهملة بعدها موحدة وهو منفرج بين جبلين يعني انه قريب منك لا عذر
لك في التخلف عنه فتصير في جنود الله اذا ذهبت اليه وتصير من حزب الله المفلحين
فتخلفك مع هذا اعجب من نطقي الذي تعجبت منه قال الراعي للذيب لما اشار اليه
بالذهاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لي بغنمي اي اذا ذهبت اليه من يتكفل
لي بحفظ غنمي حتى اجي قال الذيب انا ارعاها اي احفظها واحرسها حتى ترجع اليها
من عنده صلى الله عليه وسلم فاسلم الرجل وهو الراعي اليه غنمه اي سلمها للذيب
وتركها عنده ومضى الى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له قصته مع الذيب وما
كلمه به وما فعله معه واسلامه الغنم له ووجود النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل
كما قال له الذيب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما قص قصته عليه
واسلم وامن به صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها بفتح الواو وسكون
الفا اي بتمامها وكمالها لم ينقص منها شي من قولهم ارض وفرة لم يرع نباتها
فوجدها كذلك اي تامة غير ناقصة وذبح للذيب منها شاة جزا له على صنيعه
وارشاده له وعن اهبان بن اوس عطفا على قوله عن ابي هريرة وهو بضم همزة
اهبان واوس بفتحها علم منقول معناه العطية وهذا الحديث رواه البيهقي والبخاري
في تاريخه عنه انه كان صاحب هذه القصة المذكورة في كلام الذيب وانه المحدث بها
والمكلم الذيب كما في الروض الانف وانه كان في غنم في ذي قرد وروي ايضا عن
سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه اي ابن الاكوع لا سلمة كما قيل ويجوز فتح همزة انه ذكر
كان صاحب هذه القصة ايضا يعني انها تعددت وكانت سبب اسلامه وفي مراة
الزمان لسبط ابن الجوزي اهبان بن الاكوع اسمه عقبة من الطبقة الثالثة من
المهاجرين وهو مكلم الذيب في رواية هشام وقد اختلفوا فيه فقال هشام هو
اهبان بن الاكوع وعن الواقدي هو اهبان بن اوس الاسلمي الصحابي من اسلم
نزل الكوفة وتوفي في خلافة معاوية وحكى ابن سعد عن ابن الاشعث ان مكلم
الذيب اهبان بن عباد بن ربيعة بن كعب بن امية بن نفطة بن خزيمة من اسلم
وذكر حدي في التلقيح ان اسم اهبان اربعة اهبان بن الاكوع ابو عقبة ٥
واهبان بن اوس الاسلمي واهبان بن صيفي الغفاري واهبان بن عباد الخزاعي

بكلم الذيب قال وقيل ان مكلم الذيب اهبان بن اوس انتهى ولم يذكر في الرواة منهم سوى
اهبان بن صيفي والحاصل ان مكلم الذيب على رواية هشام اهبان بن الاكوع وعلى
قول الواقدي اهبان بن اوس الاسلمي وعلى قول ابن الاشعث اهبان بن صيفي الغفاري
انتهى وفيه اقوال ارتضى المصنف منها قول الواقدي فان كانت القصة تعددت فلا خلاف
وليس في الصحابة من اسمه اهبان بن عقبة وقد يقال انه غلط من ابي عقبة فليحرر
بمثل حديث ابي سعيد الخدري اي روي بسند سلامه بمثله وروى عبد الله بن
وهب السابق ترجمته مثل هذا المذكور من كلام الذيب انه جرى اي وقع واتفق
لابي سفيان بن حرب والد معاوية وام حبيبة المشهور رضي الله عنهم وصفوان بن
امية الصحابي المعروف وقع هذا لهما قبل اسلامهما وكانا من اشد الناس عداوة
له صلى الله عليه وسلم قبل اسلامهما فلما اسلما صار صلى الله عليه وسلم احب
اليهما من نفسيهما مع ذيب وجداه اخذ ظبيا اي اراد اخذه يجري خلفه في الحل ليأخذه
لغريسته قوله فدخل الظبي الحرم فانصرف الذيب عنه لانه في الحرم المحرم صيده او
انه انفلت منه بعد اخذه فعجبا من ذلك اي من كون الذيب عرف حرمة الحرم
وكف عن صيد امكنه وهو ليس من العقلا فقال الذيب لما سمع تعجبهما وعلمه
من حالهما اعجب من ذلك العجب الذي شهدتماه منه محمد بن عبد الله موجود بالمدينة
يدعوكم الى الجنة بدعوته للاسلام الذي هو مقتض لدخولها وتدعونه الى النار
بقولكم له لم لا توافقنا وتعبد الهتنا مما هو سبب للخلود في النار وانما كان
هذا العجب لانه مخالف لما يقتضيه العقل ونطق حيوان اعجم لقدرة الله واقداره
ليس بعجيب كهذا اي النظر السديد والعقل السليم وليس باعزب من عبادة الحجارة
فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت بضم التاء وفتحها هذا اي تكلم الذيب
وما قاله بمكة اي ذكرته لاهلها لتتركنها خلوفا بضم الخاء المعجمة واللام والفاء
مصدرا وجمع خالف والمراد تركها خالية من اهلها بان يسلموا جميعا ويتحولون له
صلى الله عليه وسلم لان من سمع مثله لا يتردد في صحة رسالته صلى الله عليه وسلم
وسعادة من اتبعه او المراد يذهبوا واهلها متغيرة فاسدة لما يقع بين اهلها من
الفساد والفتن باختلاف الكلمة فالاول من قولهم اتيت الحي فوجدتهم خلوفا اي
ليس فيه احد من الرجال بل النسا ويقال لهن خوالف لانهن يخلفن الرجال
والثاني من قوله صلى الله عليه وسلم لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من
ريح المسك اي رائحة تغيره وقد روي مثل هذا الخبر الذي وقع لابي سفيان
وصفوان وانه جرى لابي جهل واصحابه اي انهم شاهدوا امثله ونجحوا امنه
ولكن الله اشقاه واشقاهم وعن عباس بن مرداس بكسر الميم وهو من الصحابة
شاعر مجيد وشجاع شهم وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كالصديق
رضي الله عنه وجماعة الا انه كان من المولفة قلوبهم ثم حسن اسلامه ونور
الله قلبه لما تعجب لما ظرف متعلق بتعجب اي وقع ذلك اول شرطية جوابها
قوله فاذا انا براح فانه جواب لما قد يقترن بالفا لكنه نادر من كلامهم ضمار
بكسر الضاد المعجمة وميم واخره را مهملة بوزن كتاب كما في القاموس

وفي بعض

وفي بعض نسخ الذيل والصلة للصاغاني بالدال المهملة وفيه نظر كما قاله البرهان الحلبي
مبنيه بالجر بدل من ضمار فانه اسم صنم كان يعبده مرداس ورهطه وانشاده بالجر معطوف على
كلام الشعر بالنصب مفعول المصدر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم صفة الشعر
وضمير انشاده للصنم وسبب ذلك ان مرداس لما احتضر قال لابنه يا عباس اي بني اعبد
ضمارا فانه سينفعك ويضرك فتفكر عباس يوما عند ضمار وقال انه حجر لا يضر ولا
ينفع ثم صاح باعلا صوته يا الهي الاعلى اهدني للتي هي اقوم فصاح صائح من جوف
الصنم • اودى ضمار وكان يعبد مرة • قبل البيان من النبي محمد •
• وهو الذي ورث النبوة والهدى • بعد ابن مريم من قريش مهتد •
• قل للقبائل من سليم كلها • اودى ضمار وعاش اهل المسجد •
فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط اي خر من الجو
لعله عليه فقال الطائر يا عباس اتعجب من كلام ضمار بالتنوين والصرف لانه وقع في الشعر
غير مصروف فان لم يكن ضرورة فهو جائز وتعجبه لنطق الجماد بما سمع من جوفه
وانكاره لتعجبه لانه كلام شيطان في جوفه وكلام الطائر اعجب منه ولا تعجب من نفسك
ان رسول الله يدعو الى الاسلام حذف مفعوله للتعميم اي كل احد اليه وانت جالس
في منزلك متخلف عن اجابة دعوته صلى الله عليه وسلم التي هي السعادة العظمى
وكان ذلك المذكور مما سمعه من الصنم والطائر سبب اسلامه لانه لما سمع ما ذكر نهض
في ثلاثمائة فارس من قومه وهم سليم فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم تبسم وقال
له يا عباس حدثنا بما رايت فقص عليه القصة واسلم وقيل ان ضمارا كان صنما
لخزاعة يتحاكمون اليه وان قصة نطقه وقعت لعمر بن الخطاب وكانه صنم آخر
والقصة ونطق الاصنام واخبارها ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم وقعت
عوضي
مرارا وفيها اخبار مذكورة في السير وقيل انما نزلها المنم لان النطق المسموع
منها من الجن وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حديث رواه البيهقي عن رجل
اسمه اسلم وعن الواقدي ان اسمه يسار وهو رجل اسود كما يأتي قال غيره حتى
قتل كما ذكره ابن سيد الناس في سيرته في غزوة خيبر اتى النبي صلى الله عليه وسلم
وآمن به وهو على بعض حصون خيبر قوله وهو جملة حالية اي وهو صلى الله
عليه وسلم محاصر عنده لفتحه والحصون جمع حصن وهي القلعة التي يتحصن بها
٣ عوضي
دبلي
لا القصر كما قيل ولا حذف في هذا الكلام وقيل الضمير للرجل ويبعده قوله
وكان في غنم يرعاها لهم اي لاهل خيبر والظرفية بمعنى المعية او هي مجاز كقوله
واذا كنت فيهم الآية فقال يا رسول الله فكيف بالغنم اي كيف افعل بالغنم
اذا اسلمت وهي ملك غيري وانا اجير فقال له صلى الله عليه وسلم احصب
وجوهها اي ارمها في وجوهها بالحصباء وهي صغار الحجارة ودقاقها وما
قيل من ان حكمة هذا ان الحصاة وردت بمعنى العقل في قوله •
• وان لسان المرء ما لم يكن له • حصاة على عوراته لدليل •
ومنه الاحصاء بمعنى العد او اجد العلم والهداية لها الى اهلها هذيان لا معنى
له وانما المراد انه اذا ضرب وجوهها ولت مدبرة فهداها الله ببركته صلى الله عليه

وسلم للرجوع لمنازل اصحابها حتي يخلص من عهدة ضمانها كما اشار اليه بقوله فان الله
سيؤدي عنك امانتك وهي الغنم التي سلمت لك اي يوصلها ويبلغها ويردها الي
اهلها وهم اصحابها المالكون لها فتخرج انت من عهدة ضمانها ففعل ما امره به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسارت كل شاة حتي دخلت الي اهلها وانما كان هذا لانه
كان مستامنا وفي يده امانة لاهل خيبر قبل فتحها فلذا ردها صلى الله عليه وسلم
لاصحابها مع ما فيه من تطمين قلبه من خروجه من عهدة لها ولذا لم يجعلها فيئا
مع انه علم انها ستكون كذلك بعد الفتح وقيل الراعي كان عبدا اسود رقيقا لبعض
اهل خيبر فلما غزاها النبي صلى الله عليه وسلم وسمع خبر النبي من اليهود جاه واسلم
وحسن اسلامه واستشهد في تلك الغزوة بحجر اصابه او سهم ولم يصل صلاة قط
فشهد له صلى الله عليه وسلم بالجنة واخبر انه راي عنده حوريتان من الحور
العين كما رواه مفصلا في دلائل النبوة وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم الظاهرة
كما لا يخفي وعن انس في حديث صحيح مسنده رواه احمد والبزار دخل النبي صلى الله
عليه وسلم حايط انصاري الحايط معروف ويتجوز به عن البستان وهو المراد هنا وابو
بكر ورجل من الانصار وفي الحايط اي البستان غنم فسجدت له صلى الله عليه وسلم تعظيما
له لما شاهدت من نور نبوته والهمها الله معرفته فقال ابو بكر لما راي سجودها له صلى
الله عليه وسلم نحن احق بالسجود لك منها يعني لو كان السجود لغير الله والجار
الاول متعلق بالسجود والثاني باحق وفي بعض النسخ تقديم لك على السجود لانه
ظرف يتوسع فيه ومعمول المصدر غيره لا يتقدم عليه لضعف عمله الحديث وتتمته
انه صلى الله عليه وسلم قال له لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد واحد المخصوص بالنفي
يشمل الواحد وغيره ويختص بالعقلا كما صرحوا به ففي ذلك اشارة الي ان الغنم ونحوها
من غير جنس الناس سجودها تعظيما ليس ممنوعا كسجود الكواكب ليوسف عليه الصلاة
والسلام وعن ابي هريرة قال السيوطي هذا الحديث رواه البزار بسند حسن وحديث
ثعلبة بن مالك الاتي رواه ابو نعيم وحديث جابر رواه احمد والدارمي
والبزار والبيهقي وحديث يعلي بن مرة رواه احمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح
وحديث عبد الله بن جعفر رواه مسلم وابو داود وحديث عبد الله بن ابي
اوفي رواه ابو نعيم والبيهقي دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايطا اي بستانا
فجا بعير كان في البستان فسجد له صلى الله عليه وسلم وذكر مثله اي مثل الحديث
الذي قبله فقالوا هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق ان نسجد
لك فقال صلى الله عليه وسلم لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر ولو صلح لامرت المراة
ان تسجد لزوجها لما له من الحق عليها ورد وروي مثله في الجمل عن ثعلبة بن
مالك الصحابي وهو ممن استشهد باحد لكن الذي ذكره ابن عبد البر انه ثعلبة
ابن ابي مالك القرظي وابوه قدم من اليمن علي دين اليهودية فنزل علي بني
قريظة فنسب اليهم ثم اسلم فقوله ابن مالك صوابه ابن ابي مالك وجابر بن عبد
الله ويعلي بن مرة وعبد الله بن جعفر فحديث الجمل وسجوده روي من
طرق متعددة مروية عمن ذكر والقصة واحدة كما بينه السيوطي قال

كل

كل منهم او عبد الله بن جعفر وكان لا يدخل احد الحائط من غير اصحاب البستان الا شد عليه
الجمل شد هنا بمعنى اسرع وحمل حملة عليه وقال الراغب يقال شد واشتد اذا اسرع وشد
عليه حمل يعني انه كان عقورا هايجا فلما كل من استعز به فلما دخل النبي صلى الله عليه
وسلم عليه اي على الجمل في البستان دعاه وامره بالاقبال عليه فوضع مشفره في الارض بكسر
الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء وراء مهملة وهو في الابل كالشفة للانسان
والجحفلة للفرس والخرطومة للسباع والمنقار للطير كما بينه اهل اللغة في الفروق
وبرك بين يديه البروك للجمل كالجلوس للانسان من البرك وهو صدر الجمل ونحوه
فخطمه اي وضع زمامه الذي يقاد به في راسه وعلى فمه لانه برك عنده صلى الله
عليه وسلم وانقاد له منقادا للاخذ ما كان لا يطاق وقال صلى الله عليه وسلم لمن
عنده ما بين السماء والارض شيء من الحيوان والطيور وغيرها والمراد بالارض الجنس
فيشمل الارضين السبع الا يعلم وفي نسخة الا ويعلم اني رسول الله بعلم خلقه الله
فيه ويلهمه له الا عاصي الجن والانس اي الا من عصى الله ورسوله وكفر فانه ينكر معرفتي
اي معرفة اني رسول الله حقا وعاصي يجوز ان يكون مفردا واصله عاصين فحذفت
النون للاضافة والياء لالتقاء الساكنين وقدم الجن لسبقهم خلقا ومعصية لان اول
من عصى الله ابليس والاكثر حيث اجتمعا تقديم الجن في القران ومثله عن عبد الله بن
ابي اوفى هو وابوه صحابيان رضي الله عنهما شهدا المشاهد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم حين اتى اليه بصدقته
وقال اللهم صل على آل ابي اوفى وحديثه مذكور في دلائل النبوة لابي نعيم
والبيهقي كما علمت ولفظه قريب مما ذكره اولا وفي خبر اخر في حديث الجمل ان النبي
صلى الله عليه وسلم سالهم عن شانه لما اتى منهم وبطش بكل من قرب منه
فاخبروه وفي نسخة فاخبر بالبناء للمفعول انهم ارادوا ذبحه لانه ضعف كما سياتي
وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف
وهو بفتحتين فعل بمعنى المفعول والمعلوف يطلق على قوت الدواب من الحبوب
وغيرها وشكايته الظاهر انها بنطق فهو من المعجزات وفي رواية انه شكى الي انكم
اردتم ذبحه ونحره واكثر ما يستعمل في الابل النحر وفي غيرها الذبح والفرق بينهما
قريب جدا ولذا استعمل كل منهما بمعنى الاخر ومعنى فيما اردتم ذبحه بالهائم
بعد ان استعملتموه اي اكثرتم العمل به من التحميل ونحوه في شاق العمل اي فيما
يشق اي يصعب عليه من العمل وفي لهم عمل مشق غير مسموع فانه مبني على ان
التعدية بالهمزة مقيسة وفيه خلاف مذكور في كتب اللغة من صغره الى ان بلغ الكبر
وعجز عن العمل فقالوا نعم اعترفوا بما ذكر فبئس الجزاء الذي اردتموه وهذا الحديث
اخرجه الطبراني وابن ماجه في سننه في غزوة ذات الرقاع عن جابر وتميم الداري
وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال لهم ما هكذا جزاء المملوك الصالح بعينه فابنا
منه وارسله يرعى في الشجر حتى قوي والحديث فيه طول وقد روي بالبناء للمجهول
قيل وهذه القصة بهذا التفصيل لا تصح لا يعرف راويها في قصة الناقة
العضبا بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة والموحدة والمد وهي

اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ومعناها المشقوقة الاذن وقد اختلف في ناقته العضبا
والقصوا والجدعا بالمد فيهما ايضا هل هن ثلاثة او واحدة لها القاب متعددة واشار
فذهب اليتيمي والعراقي في منظومته الى انها واحدة ولا عضب ولا جدع اي شق لاذن
فيها وانما هو لقب وقيل كان باذنها عضب اي شق وفي البخاري ان الجدعا هي التي هاجر
عليها وقيل ان التي هاجر عليها القصوا وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم
خرج ذات ليلة فمر بناقة باركة في الدار فقالت السلام عليك يا نبي الله يا زين القيامة
يا رسول رب العالمين فالتفت لها وقال وعليكما السلام فقالت اني كنت لرجل من بني
يقال له اعضب فهربت منه فوقعت في مغارة وكان اذا غشيني الليل اختفوا السباع
ينادي بعضهما بعضا لا تؤذ وها فانها مركب محمد فاذا اصبحت رتعت نادتني كل شجرة
الي الي فانك مركب محمد حتى وقفت هاهنا فسميت عضبا باسم صاحبها وفيه انها
قالت له صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يجعلني مركبك في الجنة فقال قد قضيت
وقد قيل ان هذا الحديث كله في سنده طعن وقد علمت انها واحدة وقد سميت عضبا
وقصوا وجدعا بدال مهملة وصلما ومخضرمة والكل متقاربة المعاني والجدع
قطع طرف الاذن فاذا بلغ الربع فهو قصو فاذا جاوزه فهو عضب فان استوصل
فصلم ونقل ابن الجوزي عن ثعلب انها كلها القاب لناقة له صلى الله عليه وسلم
ولا جدع لها ولا عضب واختاره في القاموس وكلامها للنبي صلى الله عليه وسلم كلام
بمعنى تكليم متعد والنبي منصوب به مفعول له وتعريفهما له بنفسهما كما سمعته
انفا ومبادرة العشب ليهما بالدال المهملة مفاعلة من البدار وهو الاسراع وقد
تقدم انه كان ينادي بها الي الي فالمراد طلبه منهما ان ترعاه قبل غيره والعشب بالضم
معروف للرعي اي مكان رعيها وتجنب الوحوش لها اي عدم اذيتها والهامها له كما
مر وندايهم لها انك معدة لمحمد ولركوبه وضميرهم للعقلا وعبر به لصدور
فعل العقلا منها وهو الندا كما في قوله رايتهم لي ساجدين وانها لم تاكل ولم
تشرب بعد موته صلى الله عليه وسلم حتى ماتت من الحزن والاسف على فراقه
صلى الله عليه وسلم وقيل انها التي اشتراها ابو بكر رضي الله عنه من بني الحريش
مع اخرى بثمانماية درهم فلما هاجرا اشتراها صلى الله عليه وسلم منه صلى الله
عليه وسلم منه باربعماية درهم وقد ذكر قصتهما مفصلة ابو سعيد في كتاب الشرف
وكان له صلى الله عليه وسلم نوق اخر كما بينه اصحاب السير ذكره الاسزايي
رحمه الله وقد تقدمت نسبته وترجمته وروى ابن وهب رحمه الله وهذا
الحديث لم يخرجوه واما ابن وهب فقد تقدمت ترجمته ان حمام مكة الموجود
بحرمها الى الان والحمام كل ذات طوق بري او اهلي وقيل انه مخصوص بالبري
وقيل انه كل ما عب وهدر والعب كرع الما من غير تنفس والهدير ترجيع الصوت
ترجيع صوت الطاير المعروف اظلت النبي صلى الله عليه وسلم اي اجتمعت
لتجعل ظلها عليه وقاية من الحر قيل ولذا كانت محترمة لا تصاد وقيل انها
من نسل حمامتي الغار وسياتي يوم فتحها اي فتح مكة فدعا لها بالبركة فاجاب
الله دعاءه وكانت محترمة لا تصاد كما تقدم وروي عن انس رواه عنه

ابن

ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وابو نعيم وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة قال
امر الله ليلة الغار منصوب على الظرفية والغار هو ثور الذي اختفى فيه صلى الله
عليه وسلم لما هاجر وقصته مشهورة مذكورة في القرآن غنية عن البيان شجرة
فنبتت من وقتها والامر هنا مجاز عن التسخير كقوله كونوا قردة فنزلها منزلة
المأمور المختار وروي بشجرة بالباء الجارة وهما بمعنى والشجرة كانت من الطلح تسمى
الرا كما قاله السهيلي وهي بمقدار القامة ولها زهر ابيض وبها شيء شبه القطن
يحشى به المخاد كالريش خفة ولينا واحده راءة كما في كتاب النبات قال الشاعر

ترى ودك السديف على لحاهم ● كمثل الرا لبده الصقيع

تجاه النبي صلى الله عليه وسلم تجاه بضم التاء المثناة الفوقية المبدلة من الواو
واصله وجاه اي في مقابلة وجهه باب الغار فسترته عمن ينظره بحيث لا يراه من
طلبه من كفار قريش وامر اي الهم الله حمامتين ذكرا وانثى فعششتا وباضتا
على تلك الشجرة فوقفتا بفمه اي بفم الغار لان مثله لا يكون الا بمكان خال من الناس
وورد في الحديث فسمت عليهما صلى الله عليه وسلم اي دعا لهما بالبركة فانحدرتا
الى الحرم فافرختا كل حمام به وفي حديث الاكل سموا الله وادنوا وسمتوا اي اذا ابتدأتم
بالاكل كلوا مما يليكم وادنوا منكم واذا فرغتم فسمتوا اي ادعوا لمن اطعمكم عنده وقيل
ان الشجرة جاءت تسعى من مكان اخر تشق الارض كما اشار اليه القايل

قامت اليه سرحة سترته من ● نظر العدو باحسن الاغصان

وفي حديث اخر رواه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وابو نعيم عن انس
وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة وفيه فسمت عليهما ودعا لهما وانحدرتا الى
الحرم فافرخ ذلك الزوج كل شيء في الحرم كما تقدم وان العنكبوت نسجت على بابه
اي على باب الغار وفمه فلما اتى الطالبون له صلى الله عليه وسلم الذين قصوا اثره
واتبعوه لياخذوه وراوا ذلك المذكور من الشجرة والحمام والعنكبوت بباب الغار
قالوا لو كان فيه اي في هذا الغار احد من الناس لم تكن الحمامتان يقران ببابه
الذي منه المرور والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم لقربهم منه بحيث
لو امعنوا النظر راوه فانصرفوا راجعين تاركين للطلب وكانوا فتيانا من قريش
قصوا اخلفه صلى الله عليه وسلم ومعهم سراقة القايف يقص اثره فلما انتهوا الى
الغار راوا نسج العنكبوت والحمامتين على بيضهما فقالوا انه لو دخل احد لم
يكن مثل هذا مع قربهم منه بحيث لو طاطا احد راسه راه صلى الله عليه وسلم وفي
هذا معجزات شاعت حتى بلغت حد التواتر ورواه المحدثون من طرق كثيرة
صحيحة وقد قال فيها الشعرا كثيرا ويعجبني قول ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا ● يجمل لبسه في كل زي
فان العنكبوت اجل منها ● بما نسجت على راس النبي

وانظر هذا مع قول

على غار ثور عنكبوت بنسجه ● لقد حاز فخرا فاق كل فخار
لذلك دود القز يهلك نفسه ● وقد غار من نسج له بفم الغار

وفيه معان اخر لا نطيل بها تنبيه قول الابوصيري في همزيته

اخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الجنانة الحصداء

الجنانة بنونين هي الدرع لانها تجن البدن اي تستره والحصداء المحكمة النسج كما في كتب اللغة وهذا البيت حرفه شراحه وصاحب المواهب اذ جعلوه الحمامة الحصداء اي الكثيرة الريش وهذا قول من لم يصل الى العنقود وبعضه قوله في البردة

وقاية الله اغنت عن مضاعفة * الدروع وعن عال من الاطم

وعن عبد الله بن قرط بضم القاف وراء مهملة ساكنة يليها طاء مهملة وهو صحابي ثمالي وكان اميرا على حمص من قبل معاوية وقتل بارض الروم سنة ست وخمسين واخرج له اصحاب السنن واحمد في مسنده وغيرهم وهذا الحديث رواه الحاكم والطبراني وابو نعيم مسندا قرب بالبنا للمفعول اي الى بعض الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات جمع بدنة وهو ما يهدى للحرم من الابل خاصة ولا تطلق على البقر وغيرها وان كانت في حكمها شرعا في الاجزاء عن سبعة وقال ابن الاثير انها من الابل والبقر حقيقة وبدنات بفتحات وقال العز في انه بدنات بضم الموحدة وسكون الدال ورد بانه على خلاف القياس الا ان يكون جمع بدن فهو جمع الجمع وهو بعيد الا ان تساعده الرواية وسميت بدنة لعظم بدنها خمس او ست او سبع الشك من الراوي لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه افتعال من الزلفى وهي القرب ابدلت تاؤه دالا لاجل الزاي اي تقدم كل واحدة منهن اليه صلى الله عليه وسلم رغبة في ان يذبحها وانقيادا له بالهام من الله بايتهن يبدا في الذبح وهذه معجزة باهرة وعن ام سلمة في حديث رواه الطبراني والبيهقي واسمها هند او رملة كما تقدم كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحرا فنادته ظبية اي كلمته بنطق سمعه الناس لا بلسان الحال قالت له يا رسول الله فالتفت اليها فاذا هي موثقة عندها اعرابي نايم فقال ما حاجتك حتى ناديتيني قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان مثنى خشف بوزن طفل بمعجمتين وهو الظبي الصغير الذي ولدته امه في ذلك الجبل تشير لجبل بتلك الصحرا فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع بنفسي لا فعال الثلاثة قال او تفعلين اي ترجعين الي ان اطلقتك قالت نعم فاطلقها والاعرابي نايم لا يشعر بذلك فذهبت وارضعتهما ورجعت فاوثقها وربطها كما كانت فانتبه الاعرابي وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها من وثاقها فخرجت تجري وهي تقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فالجملة حالية بتقدير مبتدا وقد ذكرنا من روى هذا الحديث وقد صححه ابن حجر لوروده من طرق اخر فلا تلتفت لقول ابن كثير انه لا اصل له لان في سنده مجاهيل وانما استاذنت النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لانه ملكها بالحيازة واتلاف ملك الغير بغير اذنه ممنوع والواو في قوله او تفعلين محركة عاطفة على مقدر اي اتقولين ذلك لي

وترجعين اليّ او استينا فيه على القولين في مثله وفي الحديث معجزات ظاهرة ومن هذا
الباب اي باب المعجزات باطاعة الحيوانات ما روي قال السيوطي لم اقف على هذا الحديث
هكذا واخرج البيهقي انه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش بارض الروم الا ان
البخاري ذكره في تاريخه كما قاله المحشي فلا اعتراض عليه من تسخير الاسد اي
تذليله وانقياده لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من خدمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي لقبه سفينة لانه رآه في بعض اسفاره
حاملا لامتعة فقال له انما انت سفينة فاشتهر بذلك واختلف في اسمه فقيل رومان
وقيل مهران وقيل طهمان وروى عنه مسلم وغيره من اصحاب السنن وفي الحديث
مناسبة اتفاقية لاسمه اذ وجهه الى معاذ بن جبل حال كونه باليمن وهو الاقليم
المعروف وسفينة من مولدي العرب وقيل من فارس اشتراه رسول الله صلى الله
عليه وسلم واعتقه وقيل ان ام سلمة اعتقته لخدمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان صلى الله عليه وسلم ارسل معاذ بن جبل لليمن ليجمع الزكاة فلقي الاسد
في طريقه فعرفه اي قال له انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه
فالهمه الله فهم كلامه وكف عنه فهمهم الهمهمة صوت لا يفهم وقيل صوت فيه
بحة وفي الحديث ان سفينة قال ظننته السلام يعني عليه او على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتنحى عن الطريق اي تاخر عنه في ناحية متباعدة عن الطريق
ذهابا لخوفه وذكر اي سفينة في منصرفه اي انصرافه ورجوعه من اليمن مثل ذلك
اي مثل ما وقع له في ذهابه فيكون لقيه في سفره هذا مرتين وفي رواية اخرى عنه
اي عن سفينة وهذه الرواية هي التي رواها البيهقي والبزار وصححها السيوطي
في تخريجه ان سفينة تكسرت به في بعض اسفاره فخرج الى جزيرة فاذا الاسد
اي فاجأه بها اسد لقيه فيها والجزيرة معروفة فقلت للاسد انا مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخفض اي طفق وصار يغمزني بسكون الغين المعجمة
وكسر الميم وضمها وزاي معجمة واصل الغمز الاشارة بالجفن فيتجوز به عن الدفع
الخفيف ببدنه قوله بمنكبه بفتح الميم وكسر الكاف وهو راس الذراع وما بين
الكتف والعنق حتى اقامني على الطريق اي حتى اتى بي الى الطريق لتعرفه بما
يذهب فيه وقال البيهقي قال سفينة وكنت في البحر فانكسرت السفينة
فركبت لوحا منها فاخرجني الى اجمة فيها اسد فرايته اقبل الي فقلت
يا ابا الحارث انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل نحوي حتى
ضربني بمنكبه ثم مشى معي حتى اقامني على الطريق ثم همهم ساعة وضربني
بذنبه فظننته انه يودعني فكان آخر عهدي به وفيه معجزة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بانقياد الاسد له اذ ذكر اسمه وكرامة لسفينة
ايضا رضي الله عنه واخذ عليه الصلاة والسلام باذن شاة اي امسكها
والاخذ المتعدي بالباء بمعنى امسك بخلاف اخذه فهو تناول لقوم من بني عبد
القيس اسم قبيلة مشهورة بين اصبعيه بكسر الهمزة مثنى اصبع معروف وفيه
لغات عشر تقدمت ثم خلاها اي نحى اصبعيه عنها وتركها فصار ذلك

اي اخذه باذنها يعني اثره وميسما بكسر الميم اصله موسم فقلبت واوه ياء من الوسم وهو
الكي فهو اسم آلة الكي من الحديد فاطلقت على العلامة واثرها مجازا كما تطلق على
العضو الذي فيه الاثر كما ورد في الحديث فيها اي الشاة وينسلها تعد بالبنا على النعم
اي تعدها او تجد اخذه وعمله قالوا وهذا الحديث لا يعلم من رواه من المحدثين
وما روي عن ابراهيم بن حماد بسنده هذا الحديث رواه ابن حبان لكنهم قالوا انه
ضعيف من كلام الحمار ونطقه له صلى الله عليه وسلم صريحا بمقاله الذي اصابه
بخيبر اي وجده بها لما فتحها وقال له ما اسمك قال يزيد بن شهاب وانه من نسل
ستين حمارا كلها لم يركبها الا نبي وقال له كنت اتوقع ان تركبني اذ لم يبق من نسل
جدي غيري ولا من الانبياء غيرك وكنت ليهودي فكنت اعثر به عمدا فكان يجيعني
ويضربني فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا هو في اكثر النسخ مصروف
منون منصوب لانه مفعول سمى وروي غير منون قيل لمنع صرفه للعلمية ووزن
الفعل كيعقوب قال التلمساني اقول فيه نظر لان زيادة الواو فيه اخرجته عن
شبه الفعل والظاهر صرفه ويعقوب لم يمنع صرفه لذلك بل للعلمية والعجمة
الا ترى ان يعفر بضم اليا ايضا ف لذلك قال في الصحاح الاسود بن يعفر بضم اليا
منصرف لانه قد زال عنه شبه الفعل انتهى وليس في اوزان الفعل يفعول
وفي هذه المسالة كلام في شرح التسهيل واعلم انه صلى الله عليه وسلم كان له
حماران يعفور وعفير وهو الذي رمى نفسه في البير كما سياتي ويقال فيهما
واحد وقال ابن فورك انه كان من مغانم خيبر وقيل ان عفير كان اشهب
وهو مما اهداه له المقوقس ملك القبط وكان له حمار اخر اهداه له فروة
كان يركبه واخر اعطاه له سعد بن عبادة وقصة يعفور هذه نقلها السهيلي
في الروض عن ابن فورك في كتاب الفصول قال السهيلي وزاد الجوفي في كتاب
الشامل وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه (ن)
ويستدعيهم ومعنى يوجهه يرسله الى جهة ودور جمع دار ويستدعيهم
بمعنى يطلب منهم اجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم
كانوا اذا خرجوا لدفعه الباب وراوه علموا انه يطلبهم لا انه يكلمهم لكنه
يفهم ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم بالهام من الله وهو من معجزاته
اذ سخر له وفهم مراده وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى الحمار
اي القى نفسه وطرحها في بير كانت بالمدينة معروفة لابي الهيثم بن التيهان
فكانت البير قبره والتردي تفعل من الردى وهو الهلاك وهو مخصوص
بهلاك من القى نفسه يقال تردى من الجبل وفي البير اذا سقط او القى
نفسه فيها جزعا وحزنا على فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفقده فمات وكونه صلى الله عليه وسلم كان له حمار وانه كان يركبه
وان ركوبه سنة لا كلام فيه وانما الكلام في هذا الحديث فانه رواه ابن
حبان بسند ضعيف فيه من طعن فيه حتى قيل انه كذب موضوع كما
قاله ابن الجوزي وغيره وقال بعضهم لا اصل له ومما ذكر من معجزاته

صلى الله عليه وسلم في الجماد والبهايم ونظمها حديث الناقة الذي رواه الطبراني عن
زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم عن ابن عمر وقال الذهبي انه موضوع التي شهدت
بنطق بين عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها ومالكها الذي قيل انه سرقها فقالت
انه ما سرقها وانها ملكه فحكم له صلى الله عليه وسلم بها لان للقاضي ان يحكم بعلمه او
نقول انه من خصايص الانبيا عليهم الصلاة والسلام والحديث هو ما قال زيد بن ثابت
غزونا معه صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بمجمع طرق المدينة بصرنا باعرابي اخذ
بخطام بعير حتى وقف عليه صلى الله عليه وسلم وقال السلام عليك يا نبي الله فرد
عليه السلام فجا رجل وقال انه سرق هذا البعير فرغا البعير وهو منصت له ثم
قال للرجل انصرف فان البعير شهد بانك كاذب الى اخره وفي العنز اي في حديث العنز
الذي اخرجه ابن سعد والبيهقي وابن عدي عن سعد مولى ابي بكر رضي الله عنه
التي اتت رسول الله صفة العنز وفي نسخة النبي صلى الله عليه وسلم في عسكره حال
اي وهو في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء اي في مكان لا ما فيه وهم
زها ثلاثماية اي قريب عددهم تخمينا من ثلاثماية رجل وقد تقدم الكلام على
زها ومعناه وضبطه فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل انه على ظاهره
وان يكون امر بحلبها والاسناد مجازي فاروى بلبنها الجند باجمعهم لما سقاهم
فشربوا حتى زال ما كان بهم من العطش والري ضد له ومنه اروى والعسكر والجيش
والجند بمعنى وفيه تفنن واسناد اروى للنبي صلى الله عليه وسلم لانه سببه
بحلبه وسقيه فهو مجاز ايضا ان لم نجعل فاعل اروى ضمير يعود على ما حلبه المفهوم
مما قبله مع بعده ثم قال صلى الله عليه وسلم لرافع براء وعين مهملتين بينهما الف
وقاف بزنة اسم فاعل من الرفع علم لصحابي كانت تلك العنز عنده وتقدمت ترجمته
املكها اي خذها واتخذها ملكا لك لانها لا صاحب لها اذا وجدت بارض العدو و
يحتمل ان يكون معناه شدها واوثقها من ملاك الامر او ملك العجين ونحوه
وما اراك مالكها او فاعلا ذلك وهو بضم الهمزة مبني للمجهول اي لا اظنك تملكها
او تحفظها فربطها وشدها بوثاق ثم ذهب ورجع فوجدها قد انطلقت اي انحلت
وثاقها ومضت وغابت عنه فالقا فصيحة رواه اي حديث هذه العنز ابن قانع
بقاف ونون وعين مهملة وغيره من الرواة من غير هذه الطريق فقد رواه البيهقي
وابن عدي عن جماعة من الصحابة قالوا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
سفر وكنا اربعماية فنزلنا في موضع ليس فيه ما فشق ذلك علينا واعلمناه بذلك
فجات شويهة لها قرنان وقامت بين يديه صلى الله عليه وسلم فحلبها وشرب
حتى روي وسقانا حتى روينا وقال يا رافع املكها الليلة وما اراك تملكها
فاخذتها ووتدت لها وثقت ثم قمت في بعض الليل فلم اجدها فاخبرت النبي
صلى الله عليه وسلم قبل ان يسالني فقال يا رافع ذهب بها الذي جا بها وما
قيل من انها ليست من جنس حيوان الدنيا وانما هي ككبش الفدا وانما سماها
عنزا لكونها على صورتها ولا وجه له ومثله من خلاف الظاهر يحتاج للرواية
والذي اوهمه ذلك قوله وفيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرافع لما

عوضي

اخبره بانطلاقهما ان الذي جاء بهما هو الذي ذهب بهما يعني الله او الملك ومن هذا القبيل ما روي
انه عليه الصلاة والسلام قال لفرسه والفرس واحد الخيل يطلق على الذكر والانثى الا انه
مؤنث سماعي وسمع فرسه وكان له صلى الله عليه وسلم عدة افراس مذكورة في السير
باسمائها ومن ابن ملكهما ولا داعي لتفصيلها هنا كما ذكره بعضهم وقد قام الى الصلاة
في بعض اسفاره والفرس غير مربوط ولم يامر احدا بامساكه بل خاطب الفرس وقال له
لا تبرح اي لا تزل من مكانك الذي اوقفتك فيه من البراح وهو المكان الواسع وبرح
بمعنى ثبت في مكانه وبمعنى زال وهو نفي معنى فاذا دخل عليه صار لنفي النفي وهو
اثبات كما هنا فمعناه اثبت والزم كما حققه النحاة واهل اللغة بارك الله فيك دعا
له من البركة وقد تقدم تحقيقهما وباقي ايضا مع زيادة حتى نفرغ من صلاتنا
وتتمها وهو غاية للثبات في مكانه وجعله قبلته اي جعله في جهة قبلته ساترا
ومانعا لمن يمر بين يديه صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على جواز الاستتار
بالحيوان والكلام عليه مفصل في كتب الفقه لا حاجة لذكره هنا فما حرك الفرس
عضوا من اعضائه وهو بضم العين وكسرها وسكون الضاد المعجمة معروف حتى صلى
اي اتم صلاته صلى الله عليه وسلم وفيه معجزة له عليه الصلاة والسلام لفهم الحيوان
كلامه واطاعته له وانقياده لعلمه بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض
النسخ هنا زيادة وهي ويلتحق بهذا المذكور من معجزاته او من كلام الحيوانات لان فهم
لغة لم يعرفها كفهم العربي كلام العجمي قريب منه ومشابه له ما روى الواقدي
صاحب السير وهو محمد بن عمر بن واقد قاضي العراق وعالمها وقد قيل فيه انه ضعيف
ونسب للوضع وقيل انه مجمع على ضعفه ونازع فيه بعضهم وقال كفى برواية
الشافعي عنه دليلا على صحة ما رواه وترجمته في الميزان مفصلة وكذا في اول سيرة
ابن سيد الناس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله جمع رسول الى الملوك من
العرب والعجم اي ارسلهم لجهتهم وناحيتهم لما فشا الاسلام وقوي فخرج ستة
نفر منهم اي ستة رجال من الرسل والنفر اسم جمع للثلاثة فما فوقها الا انه يستعمل
بمعنى الرجل الواحد كما بيناه في شرح الدرة وقد صرح به الكرماني في شرح البخاري
وهو عربي فصيح ايضا وكان ارساله لهم في يوم واحد خرجوا من عنده صلى
الله عليه وسلم فيه فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه صلى
الله عليه وسلم اليهم من غير مضي زمان يحتمل التعلم فيه وتفصيل الرسل ومن
ارسلوا اليه مفصل في السير ايضا وهذا معجزة له صلى الله عليه وسلم لشمول
بركته لهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك ومما
وقع منه في كتب الائمة رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم خاتمة
مما يلتحق بمعجزاته صلى الله عليه وسلم في الحيوانات والجمادات ما ذكر في
بعض الكتب وشاع في الاقطار ونظمه الشعراء في فصيح الاشعار من انه صلى الله
عليه وسلم كان في بعض الاحيان اذا مشى غاص قدمه في الحجارة بحيث بقي ذلك الى
الان وارتسم فيها مثاله بعينه والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه كما في
القدس وينقل منه لمصر في اماكن متعددة حتى قيل ان السلطان قايتباي

اشتراه

اشتراه بعض بني الف دينار واوصى بجعله عند قبره وهو موجود الى الآن وانه صلى الله
عليه وسلم اذا مشى على الرمل احيانا لا يكون لقدمه اثر فيه الا ان هذا لم ينضبط لان هذا
امر عدمي لا يعرفه الا من كان حاضرا ثمه وقد ذكر هذا السبكي في تائيته وغيره قال الامام
القسطلاني في المواهب اللدنية كان صلى الله عليه وسلم اذا مشى على الصخر غاصت
قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به الشعراء في قصائدهم
النبوية والبلغاء في منثورهم مع اعتقاده بوجود اثر قدمي الخليل عليه الصلاة والسلام
في حجر المقام المنوه به في التنزيل في قوله تعالى فيه آيات بينات البالغ تعيينه وانه
اثره مبلغ التواتر وفيه يقول ابو طالب

وموطئ ابراهيم في الصخر وطؤه على قدميه حافيا غير ناعل

ونما في البخاري من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بتأثير ضربه في الحجر ستا او
سبعا لما فر بثوبه حين اغتسل وقد صح ما من معجزة لنبي الا ولنبينا صلى الله عليه
وسلم مثلها ويؤيده وجود اثر حافر بغلته صلى الله عليه وسلم في مسجد بطيبة
عرف بها الى الآن يقال له مسجد البغلة وما ذاك الا من سره صلى الله عليه وسلم
الساري فيها فيكون اوضح في الدلالة على انه اوتي مثل ما اوتي الخليل صلى الله عليه
وسلم على وجه اعلى منه ونقل المجد الشيرازي عن ابن جبار في المغانم المطابة
بعد ذكره لحافر البغلة وسجدها انه في غربي هذا المسجد اثر كانه اثر مرفق يذكر
انه صلى الله عليه وسلم اتكى عليه بمرفقه الشريف فاثر فيه وفي آخر اثر اصابعه
انتهى وممن ذكر اثر البغلة السيد السمهودي في تاريخ المدينة قال انه مسجد
بني ظفر من الاوس شرقي البقيع بطرف الحرة الغربية ويعرف بذلك وذكره ابن النجار
في تاريخه ايضا لكن قال الشيخ محمد بن يوسف الدمشقي في سيرته ان هذا لا وجود
له في شيء من كتب الحديث وممن انكره الشيخ برهان الدين الناجي وقال السيوطي
في فتاويه لم اقف له على اصل ولا سند ولا رايت من خرجه في شيء من كتب الحديث
وتبعه تلميذه العلقمي في شرح الجامع الصغير وزاد انه لم يوجد في شيء من التواريخ
المعتمدة فلا ينبغي نسبته له صلى الله عليه وسلم وقد تعقبه من علماء عصره
الشيخ الصالح المحدث احمد المتبولي شارح الجامع الصغير فقال بعد ما ساق ما قلناه
مفصلا سبحان من لا ينسى كيف سها السيوطي وقد قال في بعض خصائصه الصغرى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وطئ على صخر الا واثر فيه وعزاه للحافظ
رزين العبدري انتهى قلت لا سهو ولا نسيان فان السيوطي رحمه الله لم ينكر هذه
المعجزة وانما انكر ما يؤثر تعيينه في الاماكن التي ذكروها وكذا ما قاله صاحب المواهب
الا ان ما نقله السيوطي من قوله ما وطئ صلى الله عليه وسلم على صخر الا واثر فيه
لا ينبغي لان الظاهر انه كان في اول البعثة ككلام الحجر والشجر الذي تقدم واما
كونه لا اثر لقدمه صلى الله عليه وسلم في الرمل فقد رواه ابن سبع والنسا
وغيرهما باسناد ضعيف وقال انه صلى الله عليه وسلم الطف خلق الله
واخفهم ولذا لم يؤثر مشيه في الرمل ولا ينافيه تاثيره في الحجارة فانما
هو لبقائه وتبكيت حاسديه وانهم اقسى من الحجارة الا انه وقع في الاحيا

بوري

مايقتضي خلافه لانه نقل فيه اثرا فيه ان بعض الصحابة انكر على ابي موسى رضي الله عنه
دعاه على المنبر لعمر رضي الله عنه اذ لم يذكروا ابا بكر رضي الله عنه فقام بين الملا بالمسجد
وقال له ابن من كان قبله فشكاه لعمر فامر باشخاصه اليه من البصرة فلما جاءه دق
عليه الباب فخرج عليه وقال له ان تحنقني من وطني فسأله عن سبب شكايته امس
منه فقص عليه القصة فبكا رضي الله عنه وقال والله ليوم وليلة لابي بكر رضي
الله عنه خير من خلافتي يعني باليوم لما قام على المنبر خطيبا يوم مات النبي صلى
الله عليه وسلم وبالليلة ليلة ذهابه معه الى الغار فكان يمشي تارة خلفه وتارة
امامه وتارة يحمله يقصد بذلك اخفا اثر قدامه في الرمل حتى لا يشعر به من يقص
اثره قلت وكان هذا هو مستند ابن خلدون في مقدمة تاريخه اذ ذكر فيها ان الدعا
للسلاطين في الخطبة سنة واذا كان الزركشي قال في كتاب احكام المساجد انه بدعة
لا ينبغي تركها لخوف الفتنة فاعرفه فانه من الفوايد النفيسة الجليلة

## فصل

من معجزاته صلى الله عليه وسلم في احيا الموتى
وكلامهم له صلى الله عليه وسلم واحيا مصدر مضاف لمفعوله وفاعله الله او
النبي صلى الله عليه وسلم لانه سببه وان كان الفاعل الحقيقي هو الله وهو اعظم
معجزاته صلى الله عليه وسلم ولذا قال في البردة

لو ناسبت قدره اياته عظما ۝ احيى اسمه حين يدعى دارس الرمم ۝

وقد تكلم الناس في معنى هذا البيت واورد عليه ان من جملة معجزاته صلى الله عليه
وسلم القران وقد قال صلى الله عليه وسلم اية من كتاب الله خير من محمد وال محمد
فكيف لا يكون في معجزاته ما يناسب مقداره في الشرف واجيب بان المراد بمعجزاته
ما احدثه الله على يديه والقران صفة لله قديمة ومعناه انه لا يبعد شيا من معجزاته
عظيما بالنسبة اليه الا ان يكون من ما ان كل احد لو دعا باسمه وتوسل به في احيا الموتى
وقع له ذلك بان يقول اللهم اني اسالك بمحمد صلى الله عليه وسلم ان تحيي صاحب
هذا القبر وليس عطف الكلام من عطف الخاص على العام كما توهم وكلام الصبيان
الذي في المهد لم يصلوا لسن تتكلم فيه مثلهم ولذا عطف على كلام الموتى لانه ليس
من شانهم الكلام واخره لانهم احيا من شانهم الكلام فهو دونه مرتبة والمراضع
جمع مرضع اسم مفعول وهو الولد الصغير على القياس وليس جمع راضع على
خلاف القياس كما قيل وليس جمع مرضع بكسر الضاد وهو الام لانه ليس فيه
خرق للعادة ولا مرضعة بالفتح بنت صغيرة ترضع وان لا احسن ان يعود الاطفال
لانه عطف تفسير للصبيان بمعنى من ابتدا رضاعه والاطفال كالصبيان
لا تودي مؤداه الذي قصده وشهادتهم له صلى الله عليه وسلم بالنبوة
اي قول من في المهد انك نبي الله ورسوله وعطفه على كلام الصبيان من عطف
الخاص على العام ثم شرع في اثبات ما ذكره بحديث اورده ابو داود مسندا
عن ابي هريرة رضي الله عنه فقال حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه
اي المتبحر في معرفة الاحكام الشرعية الفرعية وقيل المراد به العالم بالعلوم
الشرعية مطلقا بقراتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد حكم منقول

من ضر

ابن اقبوس

دلجي

من مذا لعي وهو محمد بن احمد بن احمد بن رشد الامام في كل فن الجليل قاضي قرطبة تولى قضاها بعد ابي القاسم بن احمد بن سنة احدى عشرة وخمسماية ثم عزل سنة اربع عشرة وولي ابو القاسم وذلك في سلطنة يوسف بن تاشفين والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي الذي تقدمت ترجمته وغير واحد سماعا واذا تابعي انه سمع منهم واذن له في الرواية عنهم قالوا حدثنا ابو علي الحافظ الغساني الذي تقدم قال حدثنا ابو عمر الحافظ هو ابن عبد البر الامام المشهور كما تقدم قال حدثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى بن محمد المعروف بابن العطار قال حدثنا احمد بن سعيد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابن الاعرابي تقدم قال حدثنا ابو داود الامام صاحب السنن قال حدثنا وهب بن بقية الواسطي ابو محمد ويقال له وهبان توفي سنة تسع وثلاثين ومائتين وروى له مسلم وابو داود والنسائي عن خالد هو الطحان هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد المعروف بالطحان كان من الزهاد الصالحين يقال انه اشترى نفسه من الله ثلاث مرات فتصدق بوزنه فضة توفي سنة تسع وتسعين ومائة وولد سنة عشر ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة عن محمد بن عمرو بن علقمة وله ترجمة في الميزان عن ابي سلمة احد الفقهاء السبعة كما تقدم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان يهودية من يهود خيبر اسمها زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم صاحب الكنز وهو من بني النضير وقيل انها زينب اخت عبد الله بن سلام اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية اي مشوية من صلاه بالنار اذا شواه واصلها مصلوية فقلبت الواو يا وادغمت وكسر ما قبلها سمتها اي وضعت فيها السم يقال سممته انا والعامة تقول سميته وهو خطا كما قال السراج الوراق رحمه الله

رزقت بنتا ليلتها لم تكن • في ليلة كالدهر قضيتها

فقيل ما سميتها قلت لو • مكنت منها كنت سميتها

وقد يقال اصله سممتها بثلاث ميمات ابدلت الثالثة يا على القياس فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم الذين كانوا معه من الصحابة رضي الله عنهم اي شرعوا في الاكل فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم اي كفوها عن الاخذ منها للاكل وابعدوا ايديكم عنها واصل الرفع الاعلى فكني به عما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه فانها اخبرتني انها مسمومة وهذا دال على ان هذه لانها كلمته صلى الله عليه وسلم وهي ميتة بكلام لم يسمعه غيره ولو شا الله اسمعهم كلامها فمات بشر بن البرا بفتح البا الموحدة والرا المهملة والمد ابن معرور بسكون العين المهملة وفتحها خطا وهو صحابي خزرجي شهد العقبة وبدرا قيل انه مات في الحال وقيل لم يزل مريضا حتى مات بعد سنة وقال صلى الله عليه وسلم لليهودية ما حملك على ما صنعت من السم ووضعه حتى حصل منه ما حصل وهو مجاز مشهور من الحمل المشهور من قوله حمله كذا او حمله عليه اذا كلفه به قال تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها اي كلفوا

ان يعنو موا حفظهما فلم يفعلوا فالمعنى ما دعاك لصنعك هذا قالت الداعي الى ارادة
معرفة حالك واختبارك ان كنت نبيا لم يضرك ما في نسخة الذي صنعت من وضع
السم والاهلاك له وان كنت ملكا يكسرا للاهراي سلطانا ارحت الناس منك بموتك فلما لم
يضره السم ضررا يظهر لغيره علم بذلك انه نبي وهذه معجزة له صلى الله عليه وسلم
لان الله عصمه من اذى الناس ولم يمكن احدا من قتله صلى الله عليه وسلم باي طريق كان
وانما احتجم بعده كما روي هنا بيانا لاستحباب المداومة وتعليما للامة ولذا لم تخبره
الشاة قبل الاكل ولينال مرتبة الشهادة العظمى من غيرها انه له صلى الله عليه وسلم
واختلف في السم هل كان في الشاة كلها او في الذراع زيادة على غيره لانها سالت ما احبها
اليه فقالوا الذراع او كان في الذراعين فقط لذلك ذهب الى كل منهما ناس وانما
سالها صلى الله عليه وسلم لتقر فتتبين القصة ولانه كان بينه وبين اليهود
عهد له وهذا نقض له قال اي ابو هريرة راوي الحديث كما ذكره البيهقي وان كان
رواه مرسلا في محل اخر فامر بها اي بقتلها فقتلت وقد روي هذا الحديث اي
حديث ابي هريرة رضي الله عنه من طريق اخر في الصحيحين عن انس بن مالك وفيه
اي فيما رواه انس قالت اردت قتلك ان لم يكن نبيا كما مر فقال لها ما كان الله
ليسلطك من التسليط والسلاطة وهي التمكن من القهر والاذية كما قال تعالى
ولو شاء الله لسلطهم عليكم على ذلك اي القتل وروي علي مسندا لياء المتكلم
والكاف مكسورة لان الخطاب لمؤنث كما قاله التلمساني فقالوا اتقتلها وفي
نسخة نقتلها بتقدير همزة الاستفهام وفي اخرى الا نقتلها قال لا تقتلوها
ولعل هذا كان قبل موت بشر بن البرا وبهذا يجمع بين هذه الرواية وبين
رواية ابي هريرة انه قتلها وبه يجاب عما قيل انه مشكل لانه كيف يعفو
عنها مع قتلها للبرا الا ان يقال ان البرا عفى عنها او على انه لا يقتل بالسم وانما
يستحق الدية على ما فصل في كتب الفقه وكذلك روي بالبناء للمجهول اي روي
هذا الحديث عن ابي هريرة من رواية غير ابن وهب بن بقية شيخ ابي داود انه
روي وقال فما عرض لها بفتحتين بمعنى تعرض المسند اي تركها
ورواه ايضا جابر بن عبد الله كما في سنن ابي داود والبيهقي وفيه اي فيما
رواه جابر اخبرتني به اي بالسم الذي فيها هذه الذراع اي ذراع الشاة وهو
مؤنث سماعي ولذا قال هذه وكذا الفخذ لانه مؤنث قال جابر رضي الله عنه
ولم يعاقبها اي لم يقتلها وفي بعض النسخ وفي رواية الحسن البصري ان فخذها
هو بفتح الفاء وكسر الخاء وسكونها ما فوق الساق كلمتني اي قالت لي انها الشاة
مسمومة اما لان السم عمها او في ذراعها فقط كما مر وهذا لا ينافي ما مر
من ان الذراع كلمته لانه لا مانع من ان تكلمه الذراع والفخذ معا ويكون عود
الضمير للفخذ بناء على احد الوجهين وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن قالت
اني مسمومة وكذلك اي مثل هذه الرواية ذكر الخبر السابق ابن اسحاق في
سيرته وقال فيه فتجاوز عنها اي عفى عنها ولم يقتلها في اول الامر ثم لما
مات بشر بن البرا قتلها به كما مر في الجمع بين الروايتين اذ لم يقتلها بسببه

اما لانه لا يوجب القتل او لامر اخر تراه وفي الحديث الاخر الذي رواه الشيخان عن انس انه
قال فما زلت اعرفها اي اعرف العلامة التي فعلتها اليهودية في لهوات رسول الله صلى
الله عليه وسلم بفتح اللام والهاء والواو جمع لهاة بوزن فتاة وهي لحمة في اقصى
سقف الفم تنطبق على اخر اخر اللسان واول الحلق وهي لا ترى الا اذا فتح الفم انفتاحا
تاما فكانه يريد بها الفم باطلاق الجزء على الاكل كما في قولهم اللهي بفتح اللهاة فلان
لها اثر في ظاهر فمه من بثر ونحوها لان الاطلاع على حقيقتها بعيد وقيل المراد وهي
انها اثرت في صورة تاثيرا قليلا يظهر لمن تاملها فاراد باللهاة الصوت ولا يخفى ما
فيه والحديث في البخاري وفيه كلام في شروحه والحاصل انهم اختلفوا في قتلها كما
مر وعن ابن شهاب انها اسلمت فتركها لاسلامها وفي الروض الانف انه تركها اولا لانه
كان لا ينتقم لنفسه فلما مات بشر قتلها قصاصا به الا ان فيه ان فقهائنا والشافعي
قالوا ان من قدم لضيفه طعاما مسموما فاكل منه وهو لا يعلم فمات لا يجب القصاص
ولذا قيل انه انما قتلها سياسة او لنقض العهد والقصاص يجب فيه المماثلة
والذي في البخاري ان اليهود سموها لا ينافيه لانه كان بامرهم والتعاقد منهم
وفي حديث عن ابي هريرة الذي رواه عنه ابن سعد بسند صحيح ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في وجعه بعين مرضه فعبر عنه بلازمه الذي مات
فيه اي مات فيه اي مات متلبسا به او في زمنه وروي منه بدل ما زالت الاكلة بضم
فسكون وهي ما يوكل كاللقمة لما يعرف لان فعله بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة
وبالضم للمقدار كما قاله النحاة خيبر بجمع الصرف بلدة على اميال من المدينة
اهلها يهود تعادني بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة والف ودال
مهملة مشددة ونون الوقاية وضمير المتكلم اي تعود الي مرة بعد مرة اخرى
في اوقات معلومة من العداد وهو كما قال ابن الاثير ما ياتي لوقت كالحمى
والسم وقال السهيلي تعادني بمعنى تعتادني وقيل هو ما يهيج بعد سنة من الم
لدغ ونحوه وليس المراد بالالم نقص في الذوق لانه لا يعد مثله الما وما قيل من انه
المراد مكابرة في المحسوس لا وجه له مع انه ينافي قوله فالان مبني على الفتح ولا
يستعمل بغير ال وهو الزمن الحاضر اوان قطعت الاكلة بسمها وتاثيره الابهري وهي
بهمزة مفتوحة وموحدة وراء مهملة بزنة افعل التفضيل وهو عرق وهام
كبير متصل بالقلب او داخله وهما ابهران وقيل هو الوريد وهو اذا
انقطع يموت صاحبه وقيل انه الاكحل وموته بهذا السم لا ينافي قوله
تعالى والله يعصمك الخ لا لانه قبل نزول هذه الاية بل لان المراد عصمته صلى
الله عليه وسلم من قتلهم له بسيف ونحوها مجاهرة بحيث يظهر في وقته وهذا
مع انه سم ساعة لم يظهر فيه صلى الله عليه وسلم حتى عد من معجزاته لخفاء
اثره وانما قدر الله تاثيره فيه بعد زمان ليرزقه الشهادة وهذا انما لا دخل
لمخلوق فيه ومرضه الذي مات منه صلى الله عليه وسلم كان حمى مع صداع
وروى ابو يعلى بسند ضعيف انه ذات الجنب وا ورد عليه انه صلى الله عليه
وسلم لد تبقسط وزينب فلما افاق صلى الله عليه وسلم قال اكنتم ترون ان

بي ذات الجنب ما كان الله ليجعل لها علي سلطانا والله لا يبقى احد في البيت الا لدّ فلدوه
واللدود وا ذات الجنب من الشيطان واجيب بان ذات الجنب قسمان ورم حار يكون
يكون في مستبطن الحشا وهو المنفي واخر يكون بين الاضلاع وهو المروي في الحديث المذكور
والحمى المذكورة انما كانت بسبب ذلك السم وحكي ابن اسحاق ان بكسر الهمزة وتخفيف النون
الساكنة المخففة من الثقيلة واسمها محذوف راسله انهم كان المسلمون ليرون بفتح اللام
وهي لام الابتدا ويرون بضم اليا المثناة التحتية اي يحزرون ويجوزون فيها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا بسم الشاة ليكرمه الله بنيل الشهادة مع ما اكرمه
الله من النبوة وقال ابن سحنون بضم السين وفتحها ومنع الصرف وهو محمد بن عبد السلام
المالكي الامام المشهور رحلة مذهب مالك كما تقدم اجمع اهل الحديث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته كما مر في بعض الروايات مع ما فيه
ودعواه الاجماع مع هذا غير مسلمة منه وكون الرواية الاخرى ما قاله عنده كما مر
لا ينبغي كدره واليه اشار المص بقوله وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك الدال
على خلاف ما قاله ابن سحنون عن ابي هريرة وانس وجابر وغيرهم من الصحابة فمع ذلك
كيف تصح دعوى الاجماع وما ذكر في الحديث الذي قبل هذا من كون اثار السم تشاهد
في لهواته من نهشة القضمة فلا ينافي كون الفصل معقودا لاحيا الموتى كما توهم
وكذا ما ذكر في هذا الحديث وفي رواية ابن عباس التي رواها ابن سعد انه صلى الله
عليه وسلم دفعها اي سلم المراة التي سمته لاوليا بشر بن البرا بعي وربته الذين
لهم دعوى القصاص وكذلك اي مثل ما اختلف في قتل من سمه وحكمه قد اختلف
في قتل من سحره وفي نسخة الذي سحره وهو رجل يهودي من بني زريق يقال له لبيد
ابن الاعصم كما صرح به بعد سحره صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل له انه يفعل الشي
وما يفعله ثم شفاه الله منه كما سياتي الكلام على قصته في كلام المص وقال الواقدي
وعفوه عنه اي الساحر اثبت اي اقوى واصح واصل معناه اشد ثبوتا ولزوما
فاستغير لما ذكر عندنا معاشر اهل السنة والحديث وروي عنه انه قتله
وفي الوفا عن زيد بن ارقم قال سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يهودي
فاشتكى لذلك اياما فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان رجلا من
اليهود سحرك عقد لك عقدا في بير كذا وكذا فارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليا فاستخرجها وجا بها وحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة
فقام كانما نشط من عقال فما ذكر لذلك اليهودي ولا راه في وجهه قط وقال
الثعلبي انهم قالوا له صلى الله عليه وسلم اما نأخذ الخبيث فنقتله فقال اما
انا فقد شفاني الله واكره ان اثير على الناس منه شرا بسببي وقتل الساحر
ذكره الفقها مفصلا في الفروع وفي السحر وجواز تعلمه كلام مشهور وبيناه في غير
هذا المحل وروى الحديث اي حديث الشاة المسمومة السابق لا حديث السحر كما عن بني
توهم البزار عن ابي سعيد الخدري فذكر مثله الا انه قال في اخره فبسط يده
ومدها صلى الله عليه وسلم لتناول من لحمها وقال لمن عنده من الصحابة كلوا
متبركين بسم الله فاكلنا منها فلم يضر منا احدا وهو مصادم لحديث البرا الصحيح

الذي

الذي تقدم وقال السيوطي نقلا عن الشيخ ابن حجران هذا الحديث مشكل قال القاضي ابو
الفضل عياض مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه وقد خرج حديث الشاة المسمومة
اهل الصحيح الذين اعتنوا بتصحيح الحديث وروايته وخرجه الايمة في كتبهم كاصحاب
السنن وهو حديث مشهور بين المحدثين واختلف ايمة النظر من المتكلمين وغيرهم من
نقاد الحديث في هذا الباب اي باب خلق الله الكلام في اجسام غير ناطقة تمييز وجوه
اختلافهم بقوله فمن قايل يقول هو كلام يخلقه الله في الشاة الميتة بالتشديد
والتخفيف او الحجر والشجر ولما كان الكلام يطلق عند المتكلمين على اللفظي والنفسي
بالاشتراك او بالحقيقة في الاول والمجاز في الثاني او بالعكس اشار الى ان المراد
الاول بقوله وحروف واصوات اي هو الخرج من الجسم متكيف بكيفية مخصوصة
ويعبر عما هو الحروف ذات المخارج المعروفة وهو معطوف على قوله كلام يحدثها
اي يوجد تلك الحروف والاصوات فيها اي في تلك الاجسام بلا حياة مخلوقة فيها العدم
توقفها عليها ويسمعها بضم التحتية اي يجعلها مدركة بالسمع لمن شاء من خلقه الاحيا
منها اي من تلك الاجسام لا من الاصوات والحروف كما قيل دون تغيير اشكالها
جمع شكل بفتح فسكون وهو الصورة والهيئة ومنه المشاكلة قال تعالى واخر من
شكله ازواج اي هو مثله في الهيئة ومنه قولهم الناس اشكال والاف وهو من
الشكل بمعنى تقييد الدابة كما قاله الراغب فقوله ونقلها من هياتها اي نقلها
من هياتها الاصلية الى هيئة اخرى لذوات الارواح والنطق وهو اي عدم لزوم
ما ذكر مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري امام اهل السنة والقاضي ابي بكر الباقلاني
فعندهما الحياة ليست بشرط لخلق الكلام في الاجسام وقوم اخرون من اهل السنة
ذهبوا الى اشتراط ذلك والى ايجاد الحياة بها اولا قبل نطقها وصدور الكلام منها
ثم الكلام بعده اي بعد ايجاد الحياة بها وحكي هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن الاشعري
كما حكي القول الاول عنه فله قولان في هذه المسئلة والضمير لاهل السنة المعلوم
من السياق والشيخ هو المسن وشاع بمعنى الاستاذ كما مر ولا يلزم ان يكون المعمر
ادركه وتلمذ له كما لا يخفى في مثله وكل من القولين محتمل اسم مفعول اي جائز عقلا
فيحتمل فيما صدر عنه النطق ان يخلق الله فيه حياة وان ينطقه بدونها ولا
تناقض على ما قررناه في كلام الشيخ حتى يحتاج لحمل احد قوليه على الكلام النفسي
لاستلزامه الحياة كاستلزام العلم لها والاخر على اللفظي لعدم استلزام خلقه
في محل خلقها فيه ومثل هذا لا يلتفت له حتى يسود به وجه الصحف كما لا يخفى
اذا لم يجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات وحينئذ يحتمل ان الله تعالى
خلق فيها حياة ويحتمل انه انطقها بدون ذلك اذ لا يشترط وجوده ولا عدمه
اذ لا يستحيل ويمتنع عقلا وجودها اي الحروف والاصوات مع عدم الحياة
بمجردها اي وحدها من غير جارحة وحياة ونحوها فاما اذا كانت اي الحروف
والاصوات اوهذه العبارة التي هي الكلام فالتانيث لمراعاة الخبر في قوله
عبارة اي معبرا بها والظاهر انها خرج عن الكلام النفسي الذي يعبر به عندهم
وتحقيق الكلام النفسي والفرق بينه وبين العلم فيه كلام طويل في علم الكلام

دلجي

دلجي وعزمي

يضيق طوق المقام عنه فلا بد من شرط الحياة لهما لانتفا العلم او مستلزمه له وعلى كل حال
فلا بد من الحياة فيهما اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي اذ لا بد له من نفس يقوم والنفس
لا تكون الا ذات حياة واما الكلام اللفظي فلا يشترط فيه ذلك خلافا للجبائي بضم
الجيم وفتح البا الموحدة المشددة والمد وبالنسبة الى الجبا قرية بالسواد وهو
ابو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام مخففا للامام ابن خالد بن حمدان بن ابان مولى
عثمان بن عفان البصري رئيس المعتزلة مات سنة ثلاث وثلاثمائة من بين ساير
متكلمي الفرق اي فرق اهل السنة والمعتزلة فانه تفرد في احالة وجود الكلام
اللفظي اي علمه بمحالا عقلا وعادة والحروف والاصوات الا من حي مركب قايم
بحسب الصورة على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات بان يكون جسما
له آلة نطق وجوف ثم لما ورد عليه ما تواتر من نطق غيره قال الدفع اله يلزمه
واليه اشار بقوله والتزم ذلك اي وجود التركيب المذكور في الحصا بمهملتين
جمع حصاة والجذع والذراع الذي نطق له صلى الله عليه وسلم لتواتره وقال
ان الله خلق فيها حياة وخرق لها فما اي ابدعه وميزه عن غيره من الاعضا كما
خرق سمعه وشقه اذا ابرزه وصوره ولسانا او آلة للكلام امكنها اقدرها وجعلها
متمكنة بها من الكلام والنطق وهذا اي المذكور من الآلة والاعضا دعوى بلا بينة
اذ لو كان اي ما ادعاه وقع في الخارج لكان نقله اي وجد نقله وسمع فكان فيهما
تامة والتهمم به تفعل من الهم اي الاهتمام والاعتنا به آكد بالمد واوكد بالواو
بمعناه اي اقوى واشد من التهمم بنقل تسبيحه اي تسبيح الحصا وحنينه اي
الجذع كما تقدم والامر بالعكس فانه نقل تسبيحه وحنينه ونطقه نقلا شايعا
ولم ينقل انه رؤي له فم ولا لسان فما ذكره مكابرة في المحسوسات ودعوى يشهد
الحس بخلافها ولم ينقل احد من اهل السير اي رواة الحديث والسير النبوية
والروايات وفي نسخة الرواية شيا من ذلك المذكور الذي ادعاه فدل عدم نقلهم
على سقوط دعواه اي بطلانها مع انه لا ضرورة داعية اليه في النظر والفكر في
الامور المعقولة واما كون الله خلق ذلك واخفاه فاوهى من دعواه والله
الموفق للصواب وروى وكيع بفتح الواو والكاف المكسورة هو ابو سفيان
ابن الجراح بن مليح بن عدي الرواسي رفعه اي رواه مرفوعا له صلى الله عليه
وسلم عن فهد بن عطية هو بفا مفتوحة وها ساكنة ودال مهملة وفي نسخة
را مهملة قال البرهان لا اعرف فهدا ولا برا والذي في البيهقي انه عن سمي
ابن عطية عن بعض اشياخه فيحتمل انه تحرف على الناسخ ان النبي صلى الله عليه
وسلم اتي بصبي قد شب اي كبر وصار شابا وهو لم يتكلم قط من طفوليته لشبابه
لانه خلق اخرس فقال له من انا فقال انت رسول الله فانطقه الله معجزة
له صلى الله عليه وسلم بعد ما كان ابكم وذكر هذا في الفصل الذي بعده اظهر
وان كان هذا تنزيلا لابكم منزلة الميت والجماد لعدم القدرة على النطق وروي
عن معرض بن معيقيب بميم مضمومة وعين مهملة فيهما وضاد معجمة بزنة اسم
الفاعل وقيل الرا مكسورة مشددة وروي معيقيب بيا وقيل معيقل

بلام

بغلام رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا اي امرا عجيبا وقع عنده وهو انه جيء بالمبارك
المولود اي جاء اليه بعضهم بصبي يوم ولد مجهول اسما ذكرا وبه وهو معرض مسألة اي
مثل ما مر من انه قال له صلى الله عليه وسلم من انا فقال له انت رسول الله وهو معروف
في المعجزات بانه حديث مبارك اليمامة وفي نسخة وكان يسمى اي ذلك الولد مبارك اليمامة
لقوله صلى الله عليه وسلم له بارك الله فيك واليمامة علم لارض باليمن منقول من اسم طاير
وهذا موخر في النسخ كما سياتي ويعرف ذلك الحديث بحديث شاصونة بشين معجمة والف
وصاد مهملة وواو ساكنة يليها نون وها وهو اسم راويه اي راوي هذا الحديث وبيانه
ما قاله السيوطي في خصايصه الكبرى قال الخطيب اخبرني علي بن احمد الرزاز قال
حدثنا ابو عمر محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم املا قال حدثنا محمد بن يونس بن موسى
الكديمي املا قال حدثنا شاصونة بن عبيد ابو محمد اليمامي منصرفا من عدن سنة
عشر ومايتين بقرية يقال لها الجردة قال حدثنا معرض بن عبد الله اليمامي عن ابيه
عن جده قال حججت حجة الوداع فدخلت مكة فرايت فيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ووجهه مثل دارة القمر وسمعت منه عجبا جاءه رجل من اهل اليمامة بغلام
يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام
من انا فقال انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم حتى
شب قال ابي فكنا نسميه مبارك اليمامة قال شاصونة وسمعت هذا الحديث منه
منذ ثمانون سنة ولم اسمع منه الا هذا الحديث قال الدارقطني كان الكديمي يتهم
بوضع الحديث ومما تكلم به فيه حديث شاصونة وقيل انه حدث عمن لم يخلق بعد
فلما بلغه ذلك قال عقدت بيني وبينه عقدة لا احلها الا بين يدي الجبار
فانتهى اليه الخبر فكان لا يذكره الا بخير وقال الخطيب ان الكديمي لما املى هذا الحديث
استعظمه الناس وقالوا انه كذاب الا انه قد وقع الينا من غير طريق الكديمي
لو ساقه بسنده اهـ قال السيوطي فقد وقع روايته من طرق فهو حديث حسن
وسبب انكاره انه من الامور الخارقة للعادة وقد وقع في حجة الوداع مع كثرة
الناس فكان بحقه ان يشتهر انتهى باختصار فقول بعض الشراح تبعا لابن دحية انه
موضوع غير مسلم وتبعه السيوطي هنا من غير تعقب له فبين كلاميه تناف
وفيه اي في هذا الحديث فقال النبي صلى الله عليه وسلم له اي للصبي حين تكلم
صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد مبني على الضم اي بعد ذلك
الكلام حتى شب اي كبر ووصل سن النطق فكان يسمى مبارك اليمامة لدعا النبي
صلى الله عليه وسلم له بالبركة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع بفتح
الواو وكسرها سميت بها لانها اخر حجه صلى الله عليه وسلم وقد ذكر فيها ما
يشعر بقرب اجله وانه يوادع فيها امته وعن الحسن البصري وقدمنا ترجمته
وهذا الحديث لم يخرجه السيوطي اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر
انه طرح بنية له صغيرة بنت في وادي كذا لم يعينه راويه اي رماها ثمة
فماتت وقيل انه وادها على عادة الجاهلية فانطلق اي النبي مشى صلى
الله عليه وسلم معه الى الوادي الذي ذكره له وناداها اي نادى النبي صلى الله

دلجي

عليه وسلم بنت ذلك الرجل باسمها يا فلانة احيي باذن الله تعالى اي بارادة الله تعالى
وقدرته والاذن يتجوز به عما ذكر تجوزا مشهورا فخرجت حية من قبرها وهي تقول لبيك
وسعديك اي اجابة لك بعد اجابة واسعاد لك بعد اسعاد ومعناه سرعة الاجابة
والانقياد ولا يستعمل الا مثنى والكلام عليه مشهور في كتب النحو كما تقدم فقال لها
لما اجابته ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما بعد استقرار الحياة فيك
رددتك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما ولا اريد الرجوع اليهما وجدت الله وما عنده
من الخير خيرا لي منهما ومما عندهما وفيه دليل ان صح الحديث على ان اطفال الكفار
غير معذبين وهو الاصح وفيه من المعجزات احيا الموتى وكلامهم ونطق الطفل الصغير
ايضا وقد نطق في المهد جماعة منهم من ذكر في هذه الاحاديث وسياتي تمامه
واعلم ان من تكلم في المهد من الاطفال كثير عدد وامنهم عيسى بن مريم وصاحب
الاخدود وابن ماشطة فرعون وصاحب جريج وشاهد يوسف وشاهد الامة
والجبار وما ذكره المص وقد نظمهم السيوطي في قوله

تكلم في المهد النبي محمد ٭ ويحيى وعيسى والخليل ومريم ٭
ومبري جريج ثم شاهد يوسف ٭ وطفل لذي الاخدود رواه مسلم ٭
وطفل عليه مر بالامة التي ٭ يقال لها تزني ولا تتكلم ٭
وماشطة في عهد فرعون طفلها ٭ وفي زمن الهادي المبارك يختم ٭٭

وقد تقدمت الاشارة الى ذلك ايضا وعن انس في حديث رواه البيهقي وابن عدي
مسندا انه شابا من الانصار توفي وامه عجوز عميا وهذا اتما يدل على شدة
حزنها الكبر سنها وعجزها المحوج لولدها فسجيناه بالسين المهملة والجيم اي
غطيناه من قولهم سجا الليل اذا ستر بظلمته الارض او كفناه وعزيناها اي صبرناها
وسليناها بذكر ما لها من الاجر ونحوه كما هو معلوم والتعزية تسلية اهل الميت عنه
وهي سنة معروفة فقالت لهم لما عزوها مات ابني فيه استفهام مقدر اي امات
ابني وانما قالته اما لانها لم تعلم او لتذكر ما بعده او لذهولها بالمصيبة قلنا نعم
فقالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت الهجرة الانتقال من بلد الى اخر وهذا الانبائي
كونها من الانصار لانها قد تسكن في مكان بعيد هاجرت منه اليك والى نبيك
الهجرة الى الله بالهجرة لرسوله صلى الله عليه وسلم والا فالله معها اينما كانت
رجاء ان تعينني بالفوقية خطاب لله لانه هو المعين على كل شدة الشدة بمعنى
المعونة هنا اي على كل امر شاق يصعب علي ويعسر تحمله لا سيما فقد الولد
مع كبر السن وعدم البصر وعلقته بان المشعرة بعدم الجزم باعتبار ان خلوصها
في هجرتها لله ورسوله مما يخفى على غيرها ومن شانه ان يشك فيه لا لانها
لا تعلم ذلك لانه ينافي توسلها به الى الله او باعتبار القبول ونجاهلا رجا
للاجابة ورجا منصوب مفعول له فلا تحملن بالحا المهملة وتشديد الميم
ونون التوكيد بمعنى لا تكلفني لان التكليف كالحمل الثقيل فاستعير له كقوله
تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به على تجرتا اي تكلفني هذه المصيبة بفقد موت
ولدها في هذه الحالة فما برحنا اي ما ذهبنا من مكاننا الذي كنا فيه حتى

كشف

كشف والدها الثوب عن وجهه بعد ما غطي به فطعم وطعمنا اي قدم لنا طعاما اكل منه ولدها
واكلنا معه وذكروا انه عاش الى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بقي بعده
كما ذكره ابن ابي الصيف وفيه معجزة حيث انه احيي الميت للدعا باسم النبي صلى الله
عليه وسلم فلا تغالي ان هذه كرامة لام النبي وروي الراوي له البيهقي رحمه
الله عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري بتصغير الثاني كنت فيمن دفن ثابت بن
قيس اي حضر دفنه وهو ابن مالك بن زهير بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن
كعب بن حرث الانصاري المدني الصحابي وكان خطيب الانصار وشهد له النبي صلى
الله عليه وسلم بالجنة وكان قتل باليمامة وروى له البخاري والنسائي وابو
داود وكان جهوري الصوت فلما نزل يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي اختبى عن الحضور عنده لانه كان يرفع صوته اذا تكلم فسئل عن
سبب ذلك فقال قد علمتم اني ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخشى
ان اكون من اهل النار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل
هو من اهل الجنة وقال التلمساني انه كان باذنه صمم فلذا كان يرفع صوته وفيه
ان الاصم لا يحتاج لرفع صوته وقد قال ابن حجر ان الصحابة لم يكن فيهم اصم وكانت
وقعة اليمامة في ربيع الاول سنة اثنتي عشرة في خلافة الصديق واليمامة
اسم بلدة من جانب اليمن كما مر وهي بلدة مسيلمة الكذاب وهي على ستة عشر
مرحلة من المدينة وقد قالوا انه اوصى بعد موته وتنفذ وصيته ولم
تنفذ وصية احد بعد موته الا هو وذلك انه لما قتل كان له درعان فسرقت
احدهما وجعلت تحت قدر وكانت النفس درعيه فراى رجل ثابتا في منامه
فقال اوصيك بوصية فاياك ان تقول انه حلم فتضيعها اني قتلت امس فمر
بي رجل فاخذ درعي ومنزله في اقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله
وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحلا فأت خالدا يعني اميرهم فمره
فليأخذها واذا قدمت المدينة فقل لابي بكر ان علي دينا لناس مقداره كذا
وان ابن فلان وفلان وان رقيقي فلان احرار فاتى الرجل خالدا فاخبره فبعث
الى من عنده الدرع فوجدها كما وصف واخبر ابو بكر بوصيته فاجازها
فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول اي سمعنا كلامه وفيه مضاف مقدر او
الضمير مفعوله الاول وقوله يقول مفعوله الثاني على ما ذهب اليه ابو علي
الفارسي من ان سمع اذا تعدي لغير مسموع نصب مفعولين وغيره يقول انه
متعد لواحد مقدر والجملة حالية او مستانفة وقد خطا ابن السيد ابا علي
في هذه المسئلة في كتاب الحلل كما فصلناه في غير هذا المحل واجبنا عنه محمد
رسول الله ابو بكر الصديق مبتدا وخبر اي الكامل في التصديق والصدق لانه
لم يرتب في تصديقه صلى الله عليه وسلم وقد سبق الناس في ذلك فلذا خص
بالصديقية وسياتي تخفيفها عمر الشهيد اي المخصوص بالشهادة الكاملة
من بين الخلفا لان قاتله كافر مجوسي وهو ابو لؤلؤة غلام المغيرة بخلاف قاتل
عثمان فانه من رعاع الناس وهو شهيد ايضا عثمان بن عفان البر الرحيم ذو

البر والاحسان لشهرته بالكرم وهو رحيم ايضا اي ذو رحمة ورافة بالمسلمين لحسن
اخلاقه وشفقته فنظرنا اليه لما تكلم بعد موته لتوهمنا انه عادت اليه حياته فاذا هو
ميت اي فاجانا بغتة معرفة كونه ميتا على حاله وانما انطقه الله الذي انطق كل شيء
لتحقق حياة الشهدا قيل وقوله هذا كان عند سؤال الملكين له ان قلنا ان الشهدا
يسالون وفيه نظر وذكر بالبنا للمجهول وهذا مما رواه الطبراني وابو نعيم وابن
منده ورواه ابن ابي الدنيا عن ابيه ايضا عن النعمان بن بشير الصحابي الانصاري
الخزرجي البدري وهو اول من بايع ابا بكر واستشهد مع خالد بن الوليد بعين
التمر بعد انصرافه من اليمامة والنعمان اول مولود بعد الهجرة ولد بعد اربعة عشر
شهرا منها ومات بقرية من قرى حمص في ذي الحجة سنة اربع وستين وولاه معاوية
حمصا والكوفة ان زيد بن خارجة هذا اصح مما وقع في بعض النسخ ابن حارثة
وان كان من بني الحارث بن الخزرج قال في الاستيعاب ولم يختلفوا في انه هو الذي
تكلم بعد الموت وقال ابن سيد الناس قال ابو نعيم لا صحبة لابي خارجة بن زيد
هو الذي تكلم بعد الموت على اختلاف فيه والصحيح انه زيد بن خارجة كما قاله
ابن عبد البر وابن الاثير في اسد الغابة وكذا قال الذهبي وقيل المتكلم ابوه
وهو وهم لانه قتل باحد وجزم به ابن الجوزي ولم يحك فيه خلافا ولابن ابي الدنيا
جزا افرده لمن تكلم بعد الموت ولم نقف عليه خر ميتا اي سقط من قيام في حال
كونه ميتا واصل معنى خر سقط سقوطا يسمع معه خرير وتقدم ان الخرير
صوت الما والريح ونحوه مما يسقط من علو قال تعالى وخروا له سجدا في بعض
ازقة المدينة جمع زقاق كغراب وهو الطريق فرفع بالبنا للمجهول اي اخذ من
مكانه الذي سقط فيه وسجي بالبنا للمجهول اي غطي اذ سمعوه بين العشائين اذ
هنا فجائية والتقدير فبينما هو كذلك اذ سمعوه الخ والعشائين يعني المغرب
والعشا على التغليب والنسا يصرخن بالصاد المهملة والخا المعجمة ونون
النسوة حوله بقول مفعول ثان لقوله سمعوه او حال او هو جملة مستانفة
كما مر ومقول القول انصتوا انصتوا اي استمعوا وكرره للتاكيد فحسر عن
وجهه بضم الحا وكسر السين وبالرا المهملات اي كشف عنه بعد ما كان عليه
غطا فقال لما كشف عن وجهه محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين
اي اخرهم بعثا كما مر كان ذلك المذكور من كونه رسولا ونبيا اميا خاتما
للرسل في الكتاب الاول اي في جنسه من الكتب المتقدمة او اللوح المحفوظ
المكتوب فيه كل ما قدره الله ثم قال زيد بن خارجة مخاطبا لمن كان عنده
او لمن يصح ان يتوجه الخطاب اليه او مجردا من نفسه مخاطبا مامورا ان كان قوله
صدق صدق امرا كما ذهب اليه بعض الشراح فان كان ماضيا كما رايناه د
بضبط القلم واعتمد عليه في الشرح الجديد وقال فاعله ضمير مستتر عايد
للنبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغ عن الله وذكر بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابا بكر وعمر وعثمان وكانه لم يذكر عليا رضي الله عنه لعدم
ادراكه خلافته لانه توفي في زمن عثمان كما ذكره ومراده الثنا عليهم

رضي الله

رضي الله عنهم بما فعلوه وايد وابه الدين الذي بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ربه ثم قال السلام عليك يا رسول الله دعا له صلى الله عليه وسلم واصله
سلمت سلاما فاقيم المصدر مقام فعله ثم عدل الى الرفع وجعل مبتدا للدلالة
على الثبوت ثم عرف ليدل على استغراق انواع السلام الذي يوجه للانبيا وزيادة
ومعناه السلامة من النقايص والتكريم والتشريف له بما يليق بجنابه كما بيناه
وخص وصف الرسالة بالذكر لانتفاع الامة بها الذي هو من جملتهم ورحمة الله
وبركاته والرحمة بمعنى الانعام والاحسان او ارادة ذلك وفيه دليل على جواز
الدعا بالرحمة للنبي صلى الله عليه وسلم خلافا لمن اباه لورودها في حديث التشهد
كما مر وياتي بيانه ايضا والبركات جمع بركة وهي الخير الالهي وكثرته قال الراغب
اصل البركة صدر البعير وغيره وبرك البعير القى بركه واعتبر فيه معنى اللزوم
فقيل ابتركوا في الحرب وبركا القتال مكان يلزمه الابطال وسمي محبس الما بركة والبركة
والبركة ثبوت الخير الالهي في الشي قال تعالى لفتحنا عليهم بركات من السما والارض
ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل
ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة ثم عاد ميتا كما كان
قبل تكلمه حين سجي وكفن فان قلت المقام والفصل معقود لذكر معجزاته صلى الله
عليه وسلم باحيا الموتى وانطاق من ليس اهلا للنطق له وما في هذا الحديث ليس
كذلك قلت هو من امته صلى الله عليه وسلم وصحابته وكلامه بعد موته
كرامة له وكرامات الامة من جملة كراماته وقد يقال انه دليل على ما قبله
ومؤكد له لانه اذا كان في امته من يصدر عنه مثله فكيف لا يصدر عنه صلى الله
عليه وسلم

## فصل من معجزاته صلى الله عليه وسلم في ابرا المرضى

جمع مريض كقتلى وقتيل وابراؤهم ازال مرضهم
وحصول الشفا لهم واصل البرء والبراة والتبري التفصي مما يكره ولذلك
قيل بريت من المرض اذا خلصت منه وذوي العاهات جمع عاهة وهي الافة
ويقال عاه الزرع اذا اصابته العاهة والعاهة قد تخص بالامراض المزمنة
وقد لا تخص بها فتكون الامراض ما يعرض مما لم يزمن كالحميات ونحوها فيكون ذا تم
فايدة وهو المراد هنا فليس من عطف المترادفين وتطلق العاهة على بعض
الاعضا كالشلل والعرج والعمى وقد يكون بعضها خلقيا ايضا وهذا هو
المعروف اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقراته على غيره
فقد مر الكلام على هذا اي على معنى الاجازة قال حدثنا ابو اسحاق الحبال بحا
مهملة وموحدة مشددة كما تقدم في ترجمته قال حدثنا ابو محمد بن
النحاس بحا مهملة ايضا كما تقدم قال حدثنا ابو الورد عبد الله بن جعفر
ابن محمد بن الورد ابن زنجويه راوي سيرة ابن هشام عن البرقي هو ابو سعيد
عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم بن ابي زرعة البغدادي الزهري
مولاهم المعروف بابن البرقي نسبة لبرقة اسم مكان عن ابن هشام ابو محمد
عبد الملك بن هشام بن ايوب الامام الاديب النحوي صاحب السيرة وهو

حميري معافري بصري وسكن مصر وتوفي بها سنة ثلاث عشرة ومايتين وله تاليف نفيسة كمكتاب الانساب وتهذيب اشعار السير وغيره كما فصله ابن خلكان وفي تاريخ وفاته اختلاف عن زياد البكاي بفتح الموحدة وتشديد الكاف والمد وهو ربيعة ابن عامر ابن مرعصعة سمي البكاي لانه دخل على امه فراها تحت ابيه وهو صغير فخرج يصيح ويقول ان ابي قتل امي توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة وروي له اصحاب السنن وترجمته في الميزان مفصلة عن محمد بن اسحاق الامام صاحب المغازي والسير كما تقدم قال حدثنا ابن شهاب محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري شيخ ابن اسحاق الامام المشهور كما تقدم ووقع في بعض النسخ هنا ابن هشام وهو غلط من الناسخ كما في المقتفي وعاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الظفري الثقة امام رواة المغازي توفي سنة تسع اوسبع وعشرين او عشرين ومائة اخرج له الستة وترجمته في الميزان وجماعة ذكرهم فاعل ذكرهم لابن شهاب الزهري بقضية احد بطولها متعلق بذكرهم والبا بمعنى في وقضية احد غزاتها وما وقع فيها قال قالوا اي الجماعة المذكورون الذين روا هذا الحديث من طريق ابن اسحاق التي اسندها المص عنهم ورواه البيهقي ايضا قال سعد بن ابي وقاص الصحابي المشهور في قصة احد التي رواها بطولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني اي يعطيني بيده وهو معنى المناولة ومنه النوال بمعنى العطية السهم الذي لانصل له بفتح النون وسكون الصاد المهملة فلام وهو حديدة في طرف السهم والرمح وفي بعض النسخ نضل بضاد معجمة بدل الصاد قال البرهان والصحيح الاول والثاني لايتضح معناه ولا يستعمل قلت هو بعيد هنا رواية ودراية وكانه من تحريف النساخ الا ان معناه صحيح ايضا لان النضل رمي السهام فالمعنى انه ليس مما يرمى به لانه لانصل له فيؤول الى الرواية الاخرى وان كان لاوجه له هنا فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بعد مناولته السهم له ارم به بكسر الهمزة والميم امر من الرمي والضمير للسهم وفي الكلام مقدر اي فيرمي ويقتل من اصابه سهمه مع انه لانصل له ومثله لايقتل عادة وهذه معجزة له صلى الله عليه وسلم ولذا ذكره المص وان لم يكن محل الشاهد وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ اي يوم احد عن قوسه يقال رمى عن قوسه وبقوسه لا قوسه حتى اندقت اي انكسرت والقوس مؤنثة سماعية واصل معنى الدق الرض بجرم صلب واصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان اصيبت مبني للمجهول اي اصابها سهم فاخرجها واذهبها وروي اصيب بدون تانيث للتاويل بالعضو وللفاصل بينهما حتى وقعت عينه على وجنته الوجنة اعلى الخد وما يلي العين من الوجه ويطلق على الخد كله فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اي اعاد حدقة عينه التي سالت لمكانها فكانت العين المردودة بيده صلى الله عليه وسلم احسن عينيه اي اجملهما واقواهما حسنا اي احسن من عينيه اللتين كانتا له قبل ما اصيب وردت عينه فلا يرد عليه ان الشيء لايكون احسن من نفسه وقوله

اصيبت عينه ظاهره ان ما اصيب عين واحدة وهو كذلك عند الاكثر وروي انه عينيه
اصيبتا فيكون من التعبير عن العضوين المتفقين ذاتا وصفة واسما باحدهما وهو
فصيح مشهور كما يقال نظرت بعينيه ومشى بقدمه كما قرره النحاة وقالوا انه حقيقة
مشهورة وروي ان عاصم بن عمر بن قتادة وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
فقال له من انت فقال بديهة

انا ابن الذي سالت على الخد عينه ... فردت بكف المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت لاول امرها ... فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بما فعادا بعد ابوالا

وروي انه صلى الله عليه وسلم قال له ان شئت رددتها وان شئت فاصبر ولك الجنة
فقال يا رسول الله ان الجنة لعطاء جزيل جميل ولكني اكره العور فردها واسال الله لي
الجنة فردها ودعا له وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قسي اختلف اهل
السير في عددها فقيل سبع وقيل ست وهي الروحاء والصفراء من نبع والبيضاء من
شوحط والزوراء والكتوم سميت به لعدم صوت لها والسداد ورند المرنان لصو
والتي انكسرت باحد هي الكتوم كما في الهدي النبوي والكلام على قسيه صلى الله عليه
وسلم ومن اين صارت وتوجيه تسميتها مذكور في السير وشروحها وروي قصة
قتادة المذكور فيها رد عينه وهي قصة فيها طول اقتصر المص منها على محل الشاهد
وذكروا لها ما فيه من المعجزة ايضا عاصم بن عمر بن قتادة صاحب القصة ويزيد
ابن عمر بن قتادة كذا في النسخ كما قاله البرهان الحلبي والصواب يزيد بن عياض
عن ابن عمر بن قتادة وفيه سقط لان عاصما شيخ يزيد او سقط عن عاصم ويزيد بن
عياض الليثي الحجازي حديثه نافع الجاحد وكذا وقع في نسخة على الصواب ورواها
ابو سعيد الخدري عن قتادة وابو سعيد هو اخو قتادة لامه وقتادة بن
النعمان انصاري اوسي وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم بدرا واحدا وغيرهما
من المشاهد وكانت واقعته يوم احد وقيل يوم بدر وقيل يوم الخندق ٥
والصحيح الاول كما قاله ابن عبد البر وقد اختلف كما مر هل قلعت عينه او
عيناه والمشهور الاول ووقع الثاني مصرحا به في بعض الروايات ايضا كما رواه
ابو نعيم الاصبهاني ونقله السهيلي وقال الدارقطني انه غريب تفرد به عمار
ابن نصر عن مالك وهو ثقة قال ابن حجر في شرح الهمزية وهي زيادة ثقة
فتقبل ويترجح به رواية الثنتين وهو رد على من قال ان هذه الرواية غلط
وفيه نظر وقد اختلف ايضا هل انفصلت اولا فقيل انها بقيت معلقة وقيل
سقطت فاتى بها او بما في كفه فقال له رسول الله ان شئت فاصبر ولك الجنة
وان شئت رددتها فقال يا رسول الله اني محب للنساء وعندي امراة احبها فاخشى
ان تقذرني فردها وادع الله لي بالجنة ففعل فكانت اقوى عينيه واحسنهما
وتوفي وهو ابن خمس وستين سنة سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر رضي الله
عنهما وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم بصق على اثر سهم اي محل رميه
وما فعله على جراحة في وجه ابي قتادة الحارث بن ربعي الانصاري السلمي الصحا

لها

بخ

توفي بالمدينة وهو ابن اربع وخمسين وقيل ابن سبعين وفي وجه ظرف لغو متعلق بقوله
نصحي او مستقر حال او صفة لسهم في يوم ذي قرد بقاف وراء مفتوحتين ودال مهملة
وروي بضمتين كجنب وهو اسم ما بينه وبين المدينة مسافة يوم وليلتين من جهة
خيبر والقرد الوبر والصوف الردي المتجعد سمي به لانه معاطن فيها ذلك او لكثرة
طلبه التشبيه به واليوم هنا بمعنى الغزو كما يقال ايام العرب وقد تقدم ويقال ذو القرد
مغروا وهي غزوة تسمى ايضا غزوة الغابة وكانت قبل الحديبية وقيل بعدها
ورده في الهدي النبوي والقرطبي في شرح مسلم وسببها انه كان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لقاح ترعى بالغابة فيها ابن ابي ذر وامراة من غفار فاغار عليها
عيينة بن حصن الفزاري في اربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن ابي ذر وسبوا
المراة فركبت المراة ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على غفلة منهم ونذرت
ان نجت لتنحرنها فنجت فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال
لا نذر في معصية الله ولا لاحد فيما لا يملك وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونودي يا خيل الله اركبي وكان اول ما نودي به فادركهم في خمسمائة وقيل سبعمائة
فاستنقذ منهم عشرا وفروا بما بقيها كما فصل في السير قال ابو قتادة فما ضرب
الجرح واثر السهم عليه اي ما اشتكى ولا اوجعني ضربانه ولا سلط على ضربانه من
الضربان يقال ضرب الدهر بمعنى الم ولا قاح اي سال منه قيح ومدة يقال قاح
وقيح وتقيح والقيح صديد وهو شيء كالماء اصفر يخالطه قليل دم وهذا حديث
حسن صحيح رواه الترمذي والبيهقي وروى النسائي والترمذي والحاكم والبيهقي
وصححوه والنسائي بالهمزة نسبة لنسا بلدة ويقال النسوي بالواو ايضا وهو ابو عبد
الرحمن احمد بن شعيب بن علي بن سنان الامام المشهور صاحب السنن توفي سنة
ثلاث وثلثمائة على الاصح وله ثمان وثمانون ولم يتاخر عن الثلاثمائة من اصحاب
السنن غيره عن عثمان بن حنيف بضم الحاء المهملة ونون وفاء مصغر وهو اخو عباد
وسهل ابنا وهب وله صحبة ورواية وروى عنه احمد واصحاب السنن وهو من
الاشراف ولي سواد العراق والبصرة وعاش الى زمن معاوية وسنقرر هذا الحديث
قريبا الا ان البرهان قال كان ينبغي للقاضي ان يذكر سنده ليعلم انه صحابي ليلا
يتوهم ان النسائي سمع منه ومثله سهو ان اعمى لم يذكروا اسمه قال يا رسول الله
ادع الله لي ان يكشف عن بصري اي المعنى ان يدعو له بان يصح بصره ويزيل الله عنه
العمى فعبر عنه بالكشف وهو ازالة الغطاء فاما ان يكون على بصره غشاوة وجلدة
رقيقة طلب ازالتها او شبه عدم الرؤية بحجاب حائل بينه وبين المبصرات
والرؤية بازالته ففيه استعارة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
امره انطلق اي قم من مجلسك هذا فتوضأ امر بالوضوء ثم صل ركعتين نافلة
وتسمى صلاة الحاجة وصنعه اخذ ان كل من اهمه امر ينبغي له ويستحب ان يصلي
قبل الدعاء تقربا الى الله ثم قل اللهم اي يا الله والكلام عليه مشهور ذكرناه
في غير هذا المحل اني اسالك واطلب منك حاجتي هذه واتوجه اليك اصل
معنى التوجه المقابلة بالوجه فاريد الاخلاص في القصد للدعاء والتوسل

بنبيك

بنبيك وفي بعض النسخ بنبيي بالاضافة لليا المتكلم محمد نبي الرحمة بدل من نبيك او عطف بيان وقد تقدم معناه ثم التفت من خطابه لله الى خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم لانه واسطة في كل ما يصل من الاحسان والفيض الالهي يا محمد اني اتوجه بك الى ربك اي اتوسل بك فيما اطلبه من الله وهو ان تكشف عن بصري حجابه المانع له عن الروية وفيه مقدر اي فدعا فابصر وندآوه صلى الله عليه وسلم باسمه انما يحرم اذا كان بحضرته واذا لم يكن في دعا مانور امر به كما هنا العوله قل اللهم الخ فان امتثال الامر هو عين الادب كما ذكره ابن حجر فما قيل ان نداوه صلى الله عليه وسلم باسمه لعله كان قبل علمه بتحريمه او قبل تحريمه بقوله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا ليس بظاهر وعدله صلى الله عليه وسلم عن دعائه له بامره ان يدعو لنفسه تعليما وارشادا لامته وتواضعا وتادبا مع الله وهذا الحديث مسند صحيح اخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما وكان ابن حنيف ونحوه يعلمونه الناس وقد حكوا فيه حكايات فيها اجابة دعا من دعا به من غير تاخير وقد خرجه البرهان الحلبي من طرق متعددة فلم يبق فيه شبهة واحفظه اللهم شفعه اي اقبل شفاعته في وهو يحتمل ان يريد شفاعته صلى الله عليه وسلم فيه في الدنيا برد بصره او شفاعته له في الاخرة او ما يشملهما وهذا اولى ومنه علم استحباب الدعا عقب الصلاة وروي بالبنا للمجهول والراوي له الواقدي وابو نعيم عن عروة ان ابن ملاعب الاسنة قال البرهان الحلبي ان ملاعب الاسنة لا يعرف اسمه ولا ترجمته واما ملاعب الاسنة فهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة سمي ملاعب الاسنة جمع سنان وهو حديد في طرف الرمح بعد للطعن ويقال له ملاعب الرماح سمي بذلك لانه في يوم سوبان بزنة طوفان وهو يوم كان فيه بني قيس وتميم وقعة وكان اخوه طفيل بن مالك فارس قرزل وهو اسم فرس له فر في ذلك اليوم فقال فيه الشاعر

فررتم واسلمتم ابن امك عامرا ❊ يلاعب اطراف الوشيج المزعزع

فسمي بذلك ملاعب الرماح وملاعب الاسنة وهو عم لبيد وهو ابو برا عامر وذكره بعضهم في الصحابة وقال الذهبي الاصح انه لم يسلم لانه قدم المدينة وعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام فلم يسلم وهو عم لبيد بن ربيعة المسمى بربيعة المعترين اصابه استسقا اصل معناه طلب السقي وهو اسم مرض معروف قال في الاساس سقي بطنه واستسقى وبه سقي بكسر السين وهو ان يقع الما الاصفر في بطنه انتهى وهو مرض علاجه صعب لا يكاد ينجو من اصابه منه فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا يلتمس منه الدعا وان يشفيه الله ببركته وهذا يدل على انه اسلم بخلاف ابيه كما مر فاخذ صلى الله عليه وسلم لما قص عليه قاصده امره بيده الشريفة حثوة من الارض بفتح الحا المهملة وسكون المثلثة وبقال حثية باليا ايضا وهو ملء يده او بيديه وهي من التراب هنا فتفل بفتح المثناة الفوقية والفا وفي نسخة بصق عليها اي الحثوة من ما فمه المبارك ثم اعطاها اي حثوة التراب رسوله الذي ارسله للنبي صلى الله عليه وسلم فاخذها متعجبا مما اعطاه وان مثله لا يداوي به الاستسقا

بل يزيده لان مبداه شدة في الجوف والتراب يزيدها كما يشاهد ممن يأكل الطين يرى
بفتح اليا وضمها اي يظن ان قد هذي به الضمير للرسول او لمرسله وهذي بالبنا للمجهول دعوة
فيه بنا الفاعل ايضا فاتاه بها اي بالحنوة وهو اي ابن ملاعب الاسنة على شفا بفتح
الشين المعجمة والقا مقصورا اي قريب من الموت واصل الشفا مكان متصل بحفرة كالبئر
قال تعالى على شفا جرف هار ويجوز ان يراد به الكناية عن الموت ويراد بالحفرة القبر
والجملة حالية وبينه وبين قوله فشربها فشفاه الله تجنيس بديع اي وضعها
في ماء وشربها فشفاه الله ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وذكر العقيلي بالتصغير
وهو الامام الحافظ ابو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي صاحب كتاب الضعفا
الذي رتبه الهيثمي وهو ثقة جليل توفي سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة عن حبيب
ابن فديك حبيب بفتح الحا المهملة وموحدتين بينهما يا مثناة تحتية وقيل انه
خا معجمة مضمومة وفديك وقيل فويك بضم الفا ودال مهملة مفتوحة مصغر
وكاف وقيل انه بواو بدل الدال وقيل برا مهملة ذكره الذهبي في الصحابة وقيل
انه حبيب بن عمرو بن فديك السلاماني وقد اضطرب فيه وفي اسمه واخرج حديثه
هذا البيهقي والطبراني وابن ابي شيبة في مسنده عن رجل من بني سلامان عن امه
ان خالها حبيب بن فديك حدثها ان اباه خرج به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعيناه مبيضتان فسأله ما اصابه فقال كنت اقود جملا لي فوقعت رجلي على
بيض حية فاصيب بصري فلا ابصر شيئا والى بعض ما ذكر من الاختلاف في اسمه
اشار بقوله ويقال فويك بواو وبرا بدل الدال ان اباه ابيضت عيناه لغشاوة
غطتها او هو عبارة عن العمى فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمثلثة اي تفل ريقه في عينيه فابصر بهما وذهب عنه عماه في ساعته فرايته
يدخل الخيط في الابرة لقوة بصره وصحته وهو ابن ثمانين سنة وهو سن يضعف فيه
بصر مثله وان لم يعرض له عارض وليس في الحديث ان البياض لم يزل بعينيه
مع شدة نظره وقوته وانه اعظم في المعجزة كما قيل لاحتمال ان البياض زال
ببركته صلى الله عليه وسلم ولم يصرح به لانه معلوم ورمي بالبنا للمجهول
كلثوم بن الحصين بضم الحا وفتح الصاد المهملتين ونون مصغر حصن وهو ابو
رهم الغفاري الصحابي وهو من اصحاب الشجرة وشهد احدا واستخلفه رسول
الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح يوم احد لما وقع السهم في نحره وخشي الموت
من وقوع السهم في نحره اي مقدم عنقه عند حبل الوريد الذي لا يعيش من
جرح به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اي في نحره ومحل جراحته
فبرا بفتحات وهمزة مقصورة اخره ويقال برئ ايضا بزنة علم وضرب كما قاله
ابن السكيت اي حصل له البرء من حينه وهذا الحديث لم يخرجه وروى
الطبراني حديثا مسندا فيه انه صلى الله عليه وسلم تفل بتا مثناة فوقية وفا
ولام مفتوحات اي بصق على شجة عبد الله بن انيس الشجة بفتح الشين
المعجمة والجيم المشددة جراحته ضربه في الوجه والراس وقد تطلق
على ما في غيرهما من الجسد والمعروف الاول وانيس مصغر ابن اسعد

او الصفة

عرضي

ابن

ابن حرام بن مالك بن غنم بن كعب الجهني الانصاري الصحابي شهد احدا وكان صلى الله عليه وسلم
بعثه مع عبد الله بن رواحة ونفر من الصحابة الى اليسير بن رزام بخيبر لما يجمع جمعا
من غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له ان قدمت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم اكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم فحمله ابن انيس على بعيره حتى اذا كانوا
بالقرقرة بقرب خيبر ندم ففطن له ابن انيس وضربه بسيفه فقطع رجله وضرب اليسير
ابن انيس بعصاه فشجه فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل في شجته فلم
تمد بضم المثناة الفوقية وكسر الميم وتشديد الدال المهملة المفتوحة اي لم يبق فيها
مدة وقيح يقال امد الجرح اذا صارت فيه مدة وهي القيح كما في الصحاح وغيره والمدة
بكسر الميم وتفل في عيني علي بن ابي طالب رضي الله عنه في حديث رواه الشيخان عن سهل
ابن سعد يوم خيبر وكان رمدا بزنة حذر منصوب منون اي به رمد والرمد وجع العين
فاصبح بارئا اي صار بارئا في الحال لا انه تاخر برؤه الى وقت الصباح واصبح له معنيان
هذا احدهما والحديث بتمامه في الصحيحين وغيرهما وفي دلائل البيهقي عن بريدة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما اخذته الحمى فيمكث اليوم او اليومين لا يخرج فلما
نزل خيبر اخذته فلم يخرج فاخذ ابو بكر رضي الله عنه الراية وقاتل قتالا شديدا ثم
اخذها عمر وقاتل فلما خرج واخبر بذلك قال لاعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله
ويحبه الله ورسوله فتطاول الناس لذلك فاصبح وجاء علي وقد عصب عينيه فقال
ادن الي وتفل في عينيه ففتحهما واعطاه الراية وروي انه وضع راسه في حجره
ثم بصق في راحتيه ودلك بهما عينيه والحديث طويل والكلام عليه وعلى الاستدلال
به لتفضيل علي مشهور غير محتاج للبيان وفي صحيح البخاري انه صلى الله عليه
وسلم نفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت من حينها والضمير
للساق لانها تؤنث سماعا او للضربة وبرؤها بذهاب اثر الجراحة والتحامها وروى
عبد بن حميد في تفسيره انه صلى الله عليه وسلم نفث في جراحة رجل زيد بن معاذ
اي جعل ريقه عليها حين اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرأت
رجله او جراحتها واعترض البرهان الحلبي على المصنف بان قصة كعب بن الاشرف مذكورة
في السير ورواها مسلم في الجهاد كغيره وذكروا الجماعة الذين اشتركوا في قتله
باسمائهم وليس فيهم من اسمه زيد بن معاذ بل لا يعرف في الصحابة من اسمه زيد بن
معاذ الا ان يكون نسبه الى احد اجداده والى جد اعلا له وهو خلاف الظاهر
والجرح الذي في راسه او رجله على الشك من الراوي في قصة كعب انما هو للحارث
ابن اوس بن معاذ بن النعمان بن اخي سعد بن معاذ الاشهلي وقد سمى البخاري الذين
قتلوا كعبا وسمى منهم الحارث بن اوس بن سعد بن النعمان وهو الذي تفل رسول
الله صلى الله عليه وسلم على جرحه وقيل هو الحارث بن اوس بن نعمان وقيل هما
واحد وقال التلمساني ان العزيزي نقل في تفسيره في سورة الحشر ما ذكره المصنف
بعينه وقال انه زيد بن معاذ وهو ابن اخي سعد بن معاذ فالمصنف لم يقل ما قاله
الا عن تحقيق وقع له ولا يخفى ما فيه فانه مصادم للنقول الصحيحة ومثله
لا يقال بسلامة الامير وكعب بن الاشرف بزنة افعل التفضيل من الشرف

يهودي من بني نبهان وقصته كما في السيرة انه لما اصيب اصحاب القليب من كفار قريش
وبلغه الخبر قال ان كان محمد اصاب هؤلاء لبطن الارض خير من ظهرها فلما تحقق الخبر
خرج لمكة يحرض الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبكي اصحاب القليب
ويؤنبهم لشعره تارة وتارة يشبب بنساء المسلمين حتى اذاهم فقال صلى الله عليه وسلم
من لابن الاشرف فانه اذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة اخو بني عبد الاشهل
انا لك به يا رسول الله قال فافعل ان قدرت فرجع واقام ثلاثا لا ياكل الطعام ولا
يشرب فقال له صلى الله عليه وسلم لم تركت الطعام والشراب قال قلت قولا لا ادري
افي به ام لا قال عليك الجهد فقال لا بد ان نقول فقال صلى الله عليه وسلم قولوا
ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة ابو
نايلة الاشهلي وكان اخا ابن الاشرف من الرضاعة وعباد بن بشر وقيس وابو عبس
ابن جبير ثم قدموا الى عدو الله فتقدم ابن سلامة رضيعه وتحدث معه وتناشد
الاشعار وكان شاعرا ثم قال له ويحك يا ابن الاشرف اني جئتك لحاجة اذكرها لك
فاكتمها قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا
عن قوس واحدة وانقطعت عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت الانفس فقال
كعب قد اخبرتك ان الامر سيصير لما اقول فقال انا لا نحب ان ندعه حتى ننظر
لم يصير شانه واني قد جئتك استسلفك وقال الدمياطي الذي تحدث معه
ابو نايلة وهو الذي نزل له كعب من حصنه فلما استسلفه وقال له نرهنك
ما تثق به قال ارهنوا ابناكم ونساكم قال اردت ان تفضحنا فانت اشب اهل
يثرب واعطرهم ولكن نرهنك الحلقة والسلاح فقال ان فيها لوفاء واراد
ان لا ينكر مجيئهم مسلحين ولي اصحاب جاوا لذلك ثم رجع الى اصحابه وامرهم ان ياخذوا
السلاح ويجتمعوا اليه فلما فعلوا شيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
البقيع في ليلة مقمرة فلما انتهوا الى حصنه هتف به ابو نايلة وكان كعب حديث
عهد بعرس فقالت له امراته انك رجل محارب لا ينبغي لك الخروج في مثل هذا
الوقت وان في الصوت لسوا وانه صوت يقطر منه الدم فقال ان الكريم لو
دعي لطعنة ليلا اجاب ● والبلا موكل بالمنطق ● فقال لها ابو نايلة لو وجدك
نايما ما ايقظك ونزل لهم في ملحفة فتحدثوا معه ثم قالوا نمشي لشعب العجوز
نتحدث بقية ليلتنا قال ان شيتم فتماشوا ساعة ثم وضع ابو نايلة يده على
راسه ثم شمها وقال ما رايت كالليلة طيبا اعطر من هذا ثم تماشى ساعة
وفعل مثل ذلك ثم اخذ بفود راسه وقال اضربوا عدو الله فصاح صيحة
اشرف عليه اهل الحصون فلما قتلوه واتوا براسه ويقال انها اول راس حملت
في الاسلام وقيل بل راس ابي عزة الجمحي وقيل راس عمرو بن الحمق فاصاب الحارث
ابن اوس سيف من اصحابه برجله فاتكا عليهم ثم اتاهم يتحامل فحملوه اخر الليل
واتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فاخبروه بقتله
وجراحة صاحبهم فتفل على جراحته كما ذكره المص على ما فيه وفي هذه
القصة اشكال مشهور وهو انهم تكلموا في حقه صلى الله عليه وسلم بما لا

يجوز

بحجة مما ظاهره ومثله كفر ولا اكراه فيه وقد اجاب عنه الفقها وغيرهم بانه لو تفيد
ظاهره وهو من المعاريض التي تجوز لمصلحة واذا تاملت ما قالوه تجده يحتمل المدح
وقد اذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم فيه وسياتي تفصيله في محله اخر الكتاب ان شا
الله وفي قوله الى الكعب نكتة يعني ان مقدمة السيف امتدت الى ان وصلت الى كعبه
وكانه قصد تجنيسا الا ان ابن الاشرف اسمه كعب كما علمت فكانه قال خرج الى الكعب في
قمة كعب وعلى كل حال فكلامه هنا فيه ما فيه فتامل ونفث على ساق علي بن الحكم يوم
الخندق وعلي هذا صحابي وهو اخو معاوية بن الحكم السلمي وهذا الحديث اخرجه ابو
القاسم البغوي في معجمه كما قاله السيوطي ويوم الخندق هذا كان في غزوة الاحزاب
سمي به لان سلمان رضي الله عنه اشار على النبي صلى الله عليه وسلم بحفر خندق حول
المدينة ولم تكن العرب تعرف ذلك وانما كان تعمله ملوك الفرس قال الطبري ان اول
من عمله منوشهر بن ايرج فريدون وهو من عمل ابن فريدون ابن اسحاق واكثرهم ابن هو
على خلافه وخندق معرب كنده ومعناه الحفر وهو من الالفاظ الاسلامية اذ
انكسرت اي ساقه لانها موننة وهي ما بين القدم والركبة فبرئ اي صح وزال ما به
من الكسر ويقال برئ كعلم وبرا كضرب واحتج مهموز مكانه بالنصب على الظرفية اي
كائنا في مكانه وسرجه الذي ركب عليه وما نزل عن فرسه الذي كان عليه لما جاءه
يستشفيه قال ابو القاسم البغوي باسناده عن معاوية بن الحكم عن ابيه قال
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فانزى اخي علي ابن الحكم فرسا له الخندق فاصاب
رجله جدار الخندق فدقها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وما نزل عن فرسه
فمسحها وقال بسم الله فما اذاه شيء منها وقد عده ابو حاتم البغوي في
الثقات وروى البيهقي في الدلايل عن علي كرم الله وجهه قال اشتكى علي بن ابي
طالب اي مرض مرضا والمرض يسمى شكاة فجعل يدعو الله لما صح كما سياتي فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لما سمعه اللهم اشفه او عافه شك من الراوي في لفظه
والمعنى واحد ثم ضربه برجله ليقوم من مضجعه فقام وما اشتكى ذلك الوجع
بعد مبني على الضم اي بعد ضربه او دعائه او هما ولفظ البيهقي عن عبد الله
ابن سلمة قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول اتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانا شاك اقول اللهم ان كان اجلي قد حضر فارحني وان كان متاخرا
فاشفني وان كان بلا فصبرني فضربني برجله وقال كيف قلت فاعدت عليه
فقال اللهم اشفه او قال اللهم عافه قال علي فما اشتكيت وجعي ذلك بعد
وقطع ابو جهل يوم بدر اعترض على المصنف بان المعروف ان القاطع عكرمة
ابن ابي جهل لا هو وان المقطوع معاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب اباه وقد
نقله ابن سيد الناس عن المصنف يد معوذ بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد
الواو المكسورة وتفتح وذال معجمة ابن عفرا بفتح عين مهملة وفا ساكنة ورا مهملة
ومدة اسم امه وهو من جملة شهدا بدر وهم اربعة عشر ومعوذ بن الحارث
ابن رفاعة البخاري الانصاري وعفرا بنت عبيد بن ثعلبة النجارية وعرف بامه
هو واخواه معاذ وعوف شهدوا بدرا فاستشهد عوف ومعوذ بها وبقي معاذ

الي بن عفان رضي الله عنه والذي في سيرة ابن سيد الناس ان معاذ بن عفرا قتل
اباجهل فضربه ابنه عكرمة على عاتقه فطرح يده وتعلقت بجلدة من جنبه واجهضه
القتال فقاتل يومه وهو يسحب يده خلفه فلما اذته وضع عليها قدمه فقطعها
فجاء بها يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت
كما كانت في مكانها ببركته وبركة ريقه الشريف الذي تفله عليها وهذا لاينافي
كونه فعل الله تعالى ولا حاجة لذكر مثله رواه ابن وهب وقد علمت ما يخالفه
مما رواه ابن اسحاق وصححه ابن سيد الناس والمصنف في غير هذا الكتاب وقيل ان ابن
وهب لاشك في جلالته فما رواه لايخالف ما قاله ابن اسحاق فيجوز كون معاذ
قطعت يده ايضا وعكرمة قطع يد اخيه معاذ وابوجهل نفسه قطع يد معوذ
والصقها له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قتل وهذا من غير نقل صريح
لايقبل مثله لمجرد الاحتمال فلا يكتفى بكونه من غير ثبت ومن رواية اي رواية
ابن وهب التي رواها ابن اسحاق والبيهقي عنه كما نقله السيوطي ايضا كرواية
الاولى ان خبيب بالتصغير وخا معجمة وموحدتين تصغير خب وهو
المغفل ابن يساف بكسر اليا اخر الحروف وسين مهملة والف وفا ويقال
اساف بهمزة مكسورة اصيب بالبنا للمجهول اي اصابته ضربة سيف يوم
بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لضربة على عاتقه وكتفه حتى مال شقه
الذي اصابته الضربة بقطع يده وانفصالها عن عاتقه من غير انفصالها
فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رجوعه الى مكانه الذي كان فيه ونفث
عليه حتى صح اي التام وعاد كما كان ويساف هو ابن عتبة بن عمرو الخزرجي
شهد ابنه خبيب بدرا واحدا وكان بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتاخر اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر فلحقه واسلم وشهد
بدرا فضربه رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فاتاه صلى الله عليه وسلم فتفل عليه
ورده فالتام فانطلق وقتل الذي ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك فكانت تقول لاعدمت
رجلا وشحك هذا الوشاح يعني الضربة التي في محل الوشاح فيقول لاعدمت رجلا عجل
اباك الى النار والى ذلك اشار المصنف بما ذكره وفي ابن ابي شيبة عن ام جندب
الله صلى الله عليه وسلم اتته امراة من خثعم بخا معجمة ومثلثة وعين مهملة وميم
بزنة جعفر اسم جبل واسم قبيلة نزلت عنده منها هذه المراة لا انها كانت نازلة
بالجبل كما توهم معها صبي وهو ابنها به بلا وهو ما يبتلي به الناس وفسر بقوله
لايتكلم فان كان بمعنى لايقدر على الكلام فبلاؤه انه كان اخرس او ابكم وان كان
بمعنى انه به ذهول وعدم عقل للكلام فهو مستانف وهذا هو المراد كما سياتي
فاتي بماء بالبنا للمجهول اي امر من ياتيه بماء من انا فاتاه به فمضمض فاه مضمض
متعد وفاه مفعوله والمضمضة ادارة الما في الفم بذكر الفم بعده تجريد
او هو لازم وضمن معنى غسل وغسل يديه بذلك الما ثم اعطاها اياه اي اعطى
المراة ذلك الما الذي رده في انائه بعد المضمضة وغسل اليدين منه وامرها
بسقيه اي امر المراة بان تسقي الصبي من ذلك الما ومسه به متعد مضاف

اي اقبرس

وشب

حرص

للمفعول

ابن اقبرس

للعقود اي مسحه بالماء فقلبا وفعلت ما امرها به برأ الغلام وعقل عقلا بفتح فسكون بزنة يعقد ويرقد
عقول الناس اي يزيد على عقول الناس الذين من امثاله وهذا الحديث رواه احمد في مسنده
بسند متصل بابن عباس قال ان امراة جاءت بولدها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت يا رسول الله ان به لمما اي جنونا ياخذه عند طعامنا فيفسده علينا قال فمسح
رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا له فثع ثعة اي قيئا فخرج من فيه مثل
الجرو وهو الكلب الصغير جدا وفي كون هذه القصة ما ذكر القاضي بعينه نظر لما بينهما
من الخلاف مع احتمال تعدد القصة وهو الظاهر فلا وجه لجعلهما قصة واحدة بل هذه
التي رواها احمد والبيهقي وابن ابي شيبة ما اشار اليه المتن بقوله وعن ابن عباس رضي
الله عنهما جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صلى الله عليه وسلم صدره بيده المباركة
الشريفة فثع ثعة بفتح المثلثة وتشديد العين المهملة اي قاء مرة واحدة كذا قاله
اهل اللغة وقال بعض اهل اللغة ثع بمعنى سعل وروي الحديث من طرق متعددة
فخرج من جوفه وبطنه مثل الجرو الاسود بجيم مثلثة وراء مهملة ساكنة وواو وهو
الصغير من اولاد الكلاب والسباع ويطلق على صغار الحنظل والقثاء ايضا وهو محتمل هنا
وجمعه اجرو كادل بكسر اخره وحذف الواو وبعد قلبها ياء فسعى بالبناء للمجهول اي شفاه
الله وفي حديث رواه البيهقي والنسائي والطيالسي مسندا صحيحا فيه انه انكفأت
بنون وكاف وفاء وهمزة مفتوحة بعدها تاء تانيث ساكنة اي انقلبت القدر التي يطبخ
فيها اي وقع ما فيها من طعام حار كالنار المحرقة على ذراع محمد بن حاطب بن الحارث
ابن معمر القرشي الجمحي الصحابي الذي ولد بالحبشة وهو اول من سمي محمدا في الاسلام
وحاطب بزنة فاعل بحاء وطاء مهملتين وموحدة علم منقول من جامع الحطب وسمي به
لذلك وهو طفل صغير والجملة حالية وفيه تقدير اي فحرق ذراعه فمسح عليه
اي انه صلى الله عليه وسلم مسح على ذراع محمد او على محمد نفسه ودعا له وتفل
عليه اي نفخ نفخا فيه بريقه الشريف وفي نسخة وتفل فيه فبرأ الحينه من غير بطوء
ومثله يكون في ايام عديدة ومحمد بن حاطب هذا صحابي ابن صحابي توفي عام اربع
وسبعين بمكة وقيل بالكوفة وفي حديث رواه الطبراني والبيهقي مسندا كانت في
كف شرحبيل بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملتين وموحدة مكسورة
ومثناة تحتية ساكنة ولام قال ابن السيد في شرح ادب الكاتب عن الاصمعي شرحبيل
اعجمي وكذا شراحيل وابيل معناه الله ومعنى شراحيل وديعة الله عند اهل
اليمن ورأى اكثر البصريين خلافه بل شرحبيل [illegible] وشراحيل كسراويل جمع
سمي به او بزنة الجمع انتهى وهو عند سيبويه اسم عربي غير منصرف الجعفي بضم الجيم
نسبة للجعفة مكان معروف وشرحبيل صحابي ذكره الذهبي سلعة بكسر السين
وسكون اللام وعين مهملة زيادة بين الجلد واللحم كالغدة وفيها اللغات فتح سينها
مع سكون اللام وفتحها ويقال سلعة بزنة عنبة وقول البرهان هنا من فتح اراد
الشجة لا وجه له فانها لغة واهل بمعنى ولا ينافي كون السلعة بمعنى الشجة كما في
القاموس والسلعة المتاع الذي يباع ايضا ممنوعة اي تلك السلعة لكونها في
داخل كفه القابض على السيف وعنان الدابة بكسر العين المهملة وهو ما يقاد به

الوس ونحوه فتمسكها اصله شكى منها لعن رهاله للنبي صلى الله عليه وسلم فقال الد يلحسها
اي بيدي بركة كفه الشريفة عليها بالمسوح كما تدل وبرا الرحا وهو بفتح الحا ودون كسا لا بسا الحتى رفعها
اي حتى ازالها من كفه ولم يبق لها اثر في كفه بيمنه وبيمنه ففي قوله يلحسها استعارة
وفي حديث رواه الطبراني عن ابي امامة انه صلى الله عليه وسلم سالته جارية اي امراة
صغيرة السن او خادمة لبعض اهل المدينة وهو بالجملة حالية اي حال تناوله من طعامه
فناولها اي اعطاها من بين يديه اي من طعامه صلى الله عليه وسلم الذي كان بين يديه
وكانت الجارية قليلة الحيا من الناس لو قاحتها فقالت الجارية له صلى الله عليه وسلم انما
اريد بسؤالي ان تناولني من الذي وضعته من الطعام في فيك وقصدت التبرك والتلذذ
بما فيه ريقه الشريف لكن فيه من ترك الادب ما لا يخفى فناولها ما في فيه ولم يجبهها
ويردها بعنف ولم يكن صلى الله عليه وسلم يُسال بالبنا للمجهول اي يسال احد شيا
فيمنعه بالنصب في جواب النفي فلما استقر الطعام الذي ناولها من فيه في جوفها القى
بالبنا للمفعول اي القى الله عليها من الحيا بالمد واما بالقصر فهو المطر ما لم تكن امراة
بالمدينة اشد حيا منها اي حيا لم يكن في امراة غيرها اشد منه ببركته صلى الله عليه وسلم
فما موصولة او موصوفة في محل رفع نايب فاعل القى والجملة صلة او صفة بتقدير
العايد اي ما لم يكن به اي بسببه وذكر هذا الان قلة الحيا من العاهات النفسية والجبلة
الخبيثة التي يمتعب زوالها فمناسبته الحديث ظاهرة هنا وفي هذا الباب من امثال
ماذكر احاديث كثيرة من ارادها فعليه بالنظر في مطولات كتب الحديث **فصل**

## في اجابة دعايه صلى الله عليه وسلم

اي دعايه للناس وعليهم وهذا الامر المذكور هنا او الاجابة وذكرها رعاية للخبر في قوله باب واسع جدا بكسر الجيم
منصوب على المصدرية فهو في الاصل ضد الهزل ثم استعمل في معنى الزيادة المفرطة
المحققة هنا وهو ظاهر واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم الجماعة اي لاجل ناس اخص
ذلك سواكان ذلك لهم او عليهم كما اشار اليه بقوله دعا لهم وعليهم فان دعا اذا تعدى
باللام كان للنفع لانه اوصل لهم بدعايه ما ينفعهم واذا تعدى بعلى كان للضرر كانه
انزل عليهم البلا وصبه عليهم وهذا مخصوص بلفظ دعا الا ترى صلى الله على محمد فانه
تعدى بعلى للرحمة لما فيه من الحنو والشفقة قيل انما اعاده بلفظ الافراد دون
الجمع المعنوي كدعايه كما تقدم لارادة التنصيص على ما وقع منه فردا فردا
فالاول على الاجمال المطلق والثاني على الاجمال التخصيصي وقد ادرج شيا مما عقد له
هذا الفصل في الفصل الذي قبله انتهى متواتر على الجملة اي متواتر تواتر المعنى
باعتبار معناه الاجمالي وان لم تتواتر افراده معلوم متواتر اي بعلم ضروري
غير محتاج لدليل وقد جا اي ورد في حديث رواه احمد بن حنبل في حديث حذيفة
ابن اليمان الصحابي المشهور كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل ادركت
اي وصلت واثرت دعوته المستجابة له ولده وولد ولده فوصل اثرها لهم وظهر
فيهم ثم استشهد لما ذكره بقوله فيما رواه من حديث الصحيحين عن انس رضي
الله عنه حدثنا ابو محمد العتابي هو بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية
نسبة لعتاب كما تقدم بقرائه عليه من صحيح البخاري قال حدثنا ابو العاصم

حاتم

ابن العربي

حاتم بن محمد الذي تقدمت ترجمته وتقدم رواية انه يجوز التكني بابي القاسم على الصحيح
من ان النهي مخصوص بعصره صلى الله عليه وسلم او بالجمع بين الاسم والكنية قال حدثنا ابو الحسن
القابسي الحافظ السابق ترجمته قال حدثنا ابو زيد المروزي نسبة لمرو كما تقدم قال حدثنا
محمد بن يوسف الفربري كما تقدم قال حدثنا محمد بن اسمعيل الامام البخاري قال حدثنا عبد
الله بن ابي الاسود واسمه حميد البصري الحافظ روى عنه البخاري وغيره وتوفي سنة
ثلاث وعشرين ومايتين وترجمته في الميزان قال حدثنا حرمي بفتح الحا والرا المهملتين وهو
حرمي بن عمارة بن ابي حفصة العتكي توفي سنة احدى ومائتين قال حدثنا شعبة عن
قتادة عن انس تقدم تراجم هولاء كلهم قال انس رضي الله عنه قالت امي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم امه رميلة وقيل الرميصا وهي انصارية صحابية وهي ام سليم يار
سؤل
الله خادمك انس بن مالك بن ضمضم بن زيد الانصاري النجاري وكنيته ابو حمزة وكان
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صغيرا لخدمته وشهد معه المشاهد وفي
عمره اختلاف والاصح انه عمر مائة الا سنة وقيل احدى وتسعين وقيل مائة وعشرين وقال
النووي الاصح انه جاوز المائة ومات بمكان يسمى الطف على فرسخين من البصرة ودفن به وقيل
انه اخر من مات بالبصرة من الصحابة وقال ابن عبد البر لا اعلم احدا مات بعده غير ابي
الطفيل وخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة اقامته بالمدينة وروى عنه كثيرا
فروي عنه الفي حديث ومايتين وستة وثمانين حديثا ادع الله له ولم تعين الدعوة
بل فوضتها له صلى الله عليه وسلم قال اللهم اكثر ماله وولده اكثر وكثر بمعنى وبارك
له فيما اتيته اي فيما اعطيته من المال والولد فاجاب الله دعوته حتى مات له في
الطاعون الجارف من نسله سبعون ولدا وقيل وفي هذا دليل على فضل الغنى على الفقير
وان نقول ان الغني الشاكر خير من غيره والفقير الصابر خير من غيره والظاهر انه يتفاوت
بحسب الناس كما ورد في الحديث القدسي ان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى وان من عبادي
من لا يصلحه الا الفقر ودعا له صلى الله عليه وسلم بالبركة لان من بورك له فيما اوتي
لم يكن فيه ضرر ولا تقصير في الحقوق وهو غني محمود ومن رواية عكرمة عن انس
كما اخرجه مسلم قال انس فوالله ان مالي لكثير ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم
وان ولدي وولد ولدي لكثير لما مر ليعادون اليوم المراد باليوم الزمن الحاضر مطلقا
ويعادون بضم اليا المثناة التحتية وفتح العين المهملة المخففة والعد بعدها دال
مشددة وواو الجماعة ونون اي يزيدون على نحو المائة وهو مفاعلة من العدد وروي
في الصحيحين وغيرهما ليتعادون بزيادة تا فوقية والمعنى واحد وقد وقع في نسخ
الشفا بالروايتين ايضا وفي الاساس بنو فلان يتعادون على بني فلان اي يزيدون
انتهى كان بعضهم يعد بعضا ثم عبر به عما ذكر والحاصل والمعنى انهم يزيدون
على ما يقرب من المائة اقتصارا على المتيقن المتحقق وفي رواية قالوا هذه الرواية
لا يعرف معناها وما اعلم احدا اصاب اي وجد عنده من رخا العيش اصل الرخا
بفتح الرا المهملة وخا معجمة وقد بمعنى اللين ثم استعير للسعة والعيش بمعنى
المعيشة ما اصبت اي كالذي اصبته انا ولقد جواب قسم مقدر وقد هنا للتحقيق
وكثيرا ما يقرنون بها جواب القسم دفنت بيدي بالتثنية هاتين اشارة ليديه ليبين

انه على ظاهره وحقيقته في الجارحة لاستحالة القدرة والتصرف مائة من ولدي ثم بين ان المراد
بالولد اولاده الكبار لصلبه فقال لا اقول ان الولد كان سقطا بتثليث السين المهملة وهو
ما سقط من بطن امه قبل مدة تمام حمله وان تولا دتمه ولا ولد ولد نفاه لان الولد قد
يطلق عليه مجازا وعلى ما يشمل الولد الصلبي وغيره بعموم المجاز وهو منصوب بمقدر
اي لا اقول دفنت سقطا الخ والجملة مقول القول وحديث انس هذا صحيح روي من طرق
مختلفة في الفاظها اختلاف يحتاج للتوفيق وان لم تكن القصة متعددة وفي الوفا لابن
الجوزي انه صلى الله عليه وسلم قال في دعائه له واطل حياته وان انسا قال فاكثر الله مالي
حتى ان لي كرما يحمل في السنة مرتين وولد لصلبي مائة وستة وفي مسلم انه قال دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم علينا وما هو الا انا وامي وام حرام خالتي فقالت امي يا رسول
الله خويدمك انس ادع الله له فدعا لي بكل خير وكان في اخر ما دعا لي اللهم اكثر ماله وولده
وبارك له فيه وفيه ايضا جاءت امي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ازرتني
بنصف خمارها وردتني بنصفه فقالت هذا ابني اتيتك به يخدمك فدعا له وفيه
انه صلى الله عليه وسلم مر بامي فسمعت صوته فقيل يجوز ان يكون مر فعرفت صوته
فدعته لدخول دارها فدخلها تخبيه قال ابن قتيبة ان ثلاثة من اهل البصرة
رزق كل منهم مائة ولد لصلبه انس وابو بكرة وخليفة بن بدر وفي تاريخ ابن خلكان
ان تميم بن المعز بن باديس خلف مائة ذكر وستين انثى ومنه اي من دعائه صلى
الله عليه وسلم كما رواه البيهقي دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف الصحابي احد
العشرة المبشرة بالجنة وهو من اغنيا الصحابة وترجمته معروفة بالبركة اي بان يبارك
الله له فيما رزقه قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا من مكانه بيدي لرجوت ببركة
دعائه صلى الله عليه وسلم ان اصيب واجد تحته ذهبا وفتح الله عليه اي يسر له
امور الدنيا بسهولة وتقدم ان اصل الفتح ازالة الاغلاق والاشكال قال تعالى
فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي وسعنا عليهم بافضال انواع الخيرات عليهم وهذا ببركة
دعائه صلى الله عليه وسلم له فانه لما قدم المدينة اخا بينه وبين سعد بن
الربيع وتعاطى التجارة فرزقه الله مالا كثيرا ومات في سنة احدى وثلاثين وقيل
اثنين وثلاثين وهو ابن خمس او ثلاث او اثنين وسبعين سنة ودفن بالبقيع
حفر الذهب من تركته بالفؤس الحفر معروف وهو في الاصل اخراج تراب الارض
قيل المراد به هنا قطعه لانه في صدر الاسلام لم تكن تضرب الدنانير وانما كانت تاتي
من عند غيرهم ويجعل الذهب والفضة سبايك وقطع توزن فكان عنده منها
قطع كثيرة لما اريد قسمتها كسرت والتركة بفتح اوله وكسر ثانيه ما تركه الميت خالصا
من حق الغير والفؤس بفتح فهمزة ساكنة وتبدل الفا حتى مجلت فيه الايدي بفتح
الميم والجيم ويجوز كسرها وفي اخره لام وتا تانيث وضمير فيه للحفر المعلوم مما قبله
والمجل تقشر يكون في اليد من كثرة العمل حتى خرج في ايديهم نفاطات وجراحات
من كثرة عملهم واخذت كل زوجة واحدة من زوجاته ثمانين الفا لم يبين هل هي
ذهبا وفضة وهل هي مثاقيل او دراهم لا انه وقع التصريح في روايته بانها
دراهم والعادة ان يعد الذهب بالمثاقيل والفضة بالدراهم ولكن اي

أي زوجاته التي مات عنهن وورثته اربعا من النسوة وقيل ان نصيب كل واحدة من هولا
الزوجات الاربع ماية الف وقيل بل صولحت بالبنا المجهول احداهن اي صالحها بعض ورثته
بعد موته على ربع الخارج من التركة لانه طلقها في مرضه الذي مات فيه والمطلقة في مرض
الموت ترث اذا مات وهي في العدة ولم يكن الطلاق بطلب منها ابتدا ومفصله في كتب الفقه
وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه وخالفه في ذلك الشافعي في احد قوليه وذهب
الى كل من المذهبين كثير من الصحابة كما فصل في كتب الفقه وليس هذا محله على نيف
بفتح النون وتشديد اليا المكسورة بوزن كيس وهو كل ما زاد على عقد الى ان يبلغ ما فوقه
من العقود من ناف بمعنى زاد ويجوز تخفيفه وثمانين الفا من الدنانير واوصى بخمسين
الفا من الدنانير كما ذكره الطبري في الرياض النضرة قال اوصى عبد الرحمن بن عوف بخمسين
الف دينار في سبيل الله واوصى بحديقة لامهات المؤمنين فبيعت باربعماية الف دينار
وبالف فرس في سبيل الله وهذا كله بعد من العادة الفاشية اي الظاهرة المشهورة من
فيض السر اذا شاع في حياته وعوارفه العظيمة جمع عارفة وهي ما يعتاد من الاحسان والعطا
بحمل المعروف عارفا مبالغة وتمليحا وهو من لطايفهم المشهورة ثم اشار الى نحو مما
ذكر فقال اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق يوما بعير بكسر العين المهملة وهي الجمال التي
تحمل الميرة اسم جمع لا واحد له وقد يقال لكل ما تحمل الميرة من الابل وغيرها والمراد الاول
لقوله فيها سبع ماية بعير وردت عليه اي جاته مع قافلة ارسلها للتجارة تحمل من
كل شي اي عليها احمال من امور مختلفة كالبر والتمر والثياب والاستغراق عرفي اي
من كل ما يعد حمله للتجارة فتصدق بها اي بالابل وبما عليها من طعام وغيره باقتابها
جمع قتب بفتحتين ويجوز اسكان ثانيه وهو اكاف صغير يوضع على سنام البعير
ليقيه من الاذي وباحلاسها جمع حلس بكسر الحا المهملة وسكون اللام وسين مهملة
وهو كسا يوضع تحت الاكاف على ظهر البعير وهذا قليل مما ذكر في مناقب ابن عوف
ومع ذلك فانه لا يعد ولا يحصى وكان اهل المدينة عيالا عليه يصلهم دايما
ويقضي ديونهم ويعطيهم مؤونة فقرايهم وليس هذا محل تفصيله ودعا صلى
الله عليه وسلم لمعاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما بالتمكن في البلاد التمكن
تفعل من المكان والمراد به القدرة على التصرف فيها تقول مكنته ومكنت له قال
تعالى ولقد مكناكم في الارض فنال الخلافة اي صار خليفة وسلطانا مالكا للبلاد
بدعايه صلى الله عليه وسلم وهو اشارة الى حديث رواه ابن سعد وفيه انه
قال له اللهم علمه الكتاب ومكن له في البلاد وقه العذاب ومعاوية رضي الله
عنه اسلم هو وابوه وامه هند واخوه يزيد في فتح مكة وقال معاوية انه اسلم يوم
الحديبية وكتم اسلامه عن ابويه وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا
فاعطاه من غنايم هوازن اربعين اوقية ولما بعث ابو بكر رضي الله عنه الجيش
الى الشام سار هو واخوه يزيد معهم فاستخلفه ابو بكر على دمشق ثم اقره
عمر عليها ثم اقره عثمان عليها فلما قتل لم يبايع عليا لطلبه بدم عثمان ممن كان
معه وممن باشر قتله وجرى بينهما ما جرى في وقعة صفين مما ينبغي الكف
عنه وقال صلى الله عليه وسلم لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا وورد

الف واوصى في اهل بدر لكل رجل اربعماية الف

في فضائله احاديث اخر فكان في اول امره اميرًا لابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فلما قتل
عثمان استقر مكانه ولم يمتثل امر علي كرم الله وجهه لاجتهاد اداه لذلك فلما قتل علي
واستخلف ابنه الحسن رضي الله عنه سار معاوية الى العراق وسار اليه الحسن ثم راى
ان الخطب عظيم تراق فيه دما المسلمين فسلم الامر الى معاوية باختيار منه ثم رجع الى
المدينة فتسلم منه معاوية الخلافة واتى الكوفة فبايعه الناس واجتمعوا عليه فسمي ذلك
العام عام الجماعة وصار معاوية خليفة حقيقة بعد ما كان الحق مع علي كرم الله وجهه
كما ارتضاه القاضي ابو بكر بن العربي لا متغلبا كما اشار اليه المصنف بقوله نال الخلافة
فاندفع ما قيل من ان الصواب ان يقول نال الامارة او الملك لقوله صلى الله عليه
وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا وسياتي الكلام على ذكر تلمساني
كله وكملت الخلافة بمدة الحسن بعد ابيه ستة اشهر وقيل الخلافة بالمعنى
اللغوي لانه خلف من قبله او الخلافة اتباع السنة ودعا صلى الله عليه وسلم
لسعد بن ابي وقاص اي دعى دعا مستجابا لسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه
كما ورد في حديث رواه الترمذي مسندا متصلا عن سعد والبيهقي عن قيس بن ابي
حازم مرسلا حسنا وابو وقاص كنية ابيه وهو مالك بن وهيب بن عبد مناف الزهري
القرشي احد المبشرة بالجنة وهو اول من اراق دما في الاسلام وهو من الشجعان العشرة
الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم واخر العشرة موتا مات سنة
خمس وخمسين وله بضع وستون او سبعون سنة او ثمانون ودفن في البقيع
ومناقبه مشهورة ان يجيب الله دعوته اي كل دعوة له فما دعا على احد الا استجيب
له بالبنا للمجهول والاستجابة بمعنى الاجابة قال

وداعٍ دعا يا من يجيب الى الندا ● فلم يجبه عند ذاك مجيب ●

واصل معناه الاجابة قال الترمذي قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم استجب
لسعد اذا دعاك وعن المقداد رضي الله عنه ان سعدا قال يا رسول الله ادع الله ان
يستجيب دعاي فقال يا سعد ان الله لا يستجيب دعا احد حتى يطيب طعمته فقال
ادع الله ان يطيب طعمتي فاني لا اقوى الا بدعايك فقال اللهم اطب طعمة سعد
الحديث ودعواته مشهورة ماثورة وقد اجيب له دعوات مخرجة في الصحيح وغيره
ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ليعز
الاسلام اي بان الله يعز الاسلام اي يقويه وينصره ويظهره باحد الرجلين
بعمر رضي الله عنه او بابي جهل لما كان يعلم من شدتهما وشجاعتهما وتفرسه
فيهما لا لاجلي التعيين وكان هذا بمكة قبل الهجرة وتمكن المسلمين من اظهار الدين
فاستجيب له في عمر باد هداه الله واعز به دينه فسبقت له السعادة وسبقت
الشقاوة لابي جهل عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله فقتل كافرا
يوم بدر في السنة الثانية من الهجرة والمراد بعز الاسلام عز اهله والا فهو
دايما عزيز لانهم كانوا قبل اسلام عمر لا يظهرون صلاتهم عند البيت خوفا
من المشركين فلما اسلم رضي الله عنه قاتلهم حتى صلوا معه عند الكعبة ولذا
قال ابن مسعود رضي الله عنه كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وخلافته رحمة

وشريكه

ونشر بركة صلى الله عليه وسلم له في هذا مع ابي جهل لانه لم يتعين عنده احدهما او لم
يتعينه لامر ما وقد روي من طرق انه صلى الله عليه وسلم خص عمر بالدعا فقال اللهم
اعز الاسلام بعمر بن الخطاب اللهم ايد الاسلام بعمر وجمع بين الروايتين بانه لما تعرض
فيهما الشهامة ونفوذ الكلمة بحيث لا يعجبه امرهما دعا بذلك ثم لما تبين له باعلام
من الله والهام منه ان اللايق بذلك عمر خصه بدعايه ثانيا وكرره حتى استجيب له
وقصة اسلامه مفصلة في السير قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر لانه
اظهر ذلك وقاتلهم في بلادهم كما فعل حمزة ايضا رضي الله عنه فكان ذلك ابتدا
الظهور وكان ما كان مما لم يتخيل في خواطر الانسان ومما وقع له صلى الله عليه وسلم
من اجابة دعايه ما رواه البيهقي والحاكم وصححه عن عمر رضي الله عنه اصاب الناس
في بعض مغازيه صلى الله عليه وسلم عطش فساله عمر الدعا للناس ان يسقيهم الله
من فيض فضله فدعا فجاءت سحابة اي ظهرت سحابة عقب دعايه صلى الله عليه وسلم
وفيه استعارة لتشبيههما برجل يسمع نداه فجاءه فهي تصريحية تبعية او تخييلية
كما في قوله فسقتهم اي شربوا من ما مطرها وقوله حاجتهم مفعول له لتضمينه
معنى اعطتهم حاجتهم وهي الما الذي يزيل عطشهم ثم اقلعت اي انجلت وكفت عن
المطر بعد قضا حاجتهم من مايها فقيل هذه الغزاة هي غزاة بدر المشار اليها
بقوله في سورة الانفال وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به كما ذكره ابن
الجوزي في الوفا وساق الحديث بتمامه ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الشيخان عن انس رضي الله عنه في الاستسقا اي في دعايه وطلبه ان يسقيهم
فسقوا بالبنا للمجهول اي سقاهم الله عقب دعايه ودام السحاب بمطر ثم شكوا
اليه المطر اي من كثرته ودوامه المضر بهم فدعا الله بان يكف المطر ويقلع السحاب
فصحوا اي صحت السما وانكشف غيمها فاسناد الصحو لهم مجازي وهو بفتح
الحا بزنة رموا وروي بضمها واصله صحووا فنقل وحذف ودعا لابي قتادة
الحارث بن ربعي الصحابي وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البيهقي
في الدلايل وبين دعاه بقوله افلح وجهك الفلاح الظفر وادراك البغية وهو
دنيوي وهو نيل ما يطلب به حياة الدنيا والبقا في عز وغنى واخروي وهو النعيم
المخلد والوجه معروف وقد يعبر به عن الذات كما في قوله ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والاكرام اللهم بارك له اي لابي قتادة رضي الله عنه وتقدم معنى
البركة في شعره وبشره والشعر معروف والمراد به ما يستحسن ويعد زينة والبشر
ظاهر الجلد والبدن وكني بذلك عن جملته وجميع بدنه فدعا له صلى الله عليه
وسلم بان يبقى معمرا على احسن تقويم كاملا جميع اعضايه فمات وهو ابن سبعين
سنة فكان ابن خمسة عشر سنة في نضارته وقوته لم يتغير بدنه ولم يشب شعره
ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم له وتوفي بالمدينة سنة اربع وخمسين وقد
تقدم ان الفلاح دنيوي واخروي وما ذكره من تمام خلقته دنيوي فتمامه
يدل على فوزه بالفلاح الاخروي لان اكثر ما اذا طلب منه امران فعجل احدهما
دل على انه يعطي الاخر وانما اقتصر على هذا لانه معلوم مشاهد دال على غيره كما

قيل كما احسن الله فيما مضى سيحسن الله فيما بقي

وقال صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدي وهو قيس وقيل حبان بن عبد الله
ابن عمرو بن عدس بن ربيعة بن عمرو في الشعراء من لقب بالنابغة غيره كالنابغة الذبياني ولكنه
اذا اطلق يراد به هذا وهو احد المخضرمين المعمرين قيل انه عاش مائتين وثمانين
سنة وقيل مائتين واربعين وقيل مائة وعشرين سنة كما سياتي واجتمع بالنبي
صلى الله عليه وسلم واخرج له بقي بن مخلد حديثا ومدح النبي صلى الله عليه وسلم
بقصيدته الرائية وهي نحو مائة بيت في غاية البلاغة انشدها بين يديه صلى الله
عليه وسلم ودعا له بما ذكره المصنف ولما بلغ قوله فيها

بلغنا السما مجدنا وسناؤنا ... وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة قال نعم ان شاء الله ثم لما انشده صلى الله عليه
وسلم قوله

ولا خير في حلم اذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه ان يكدرا

ولا خير في جهل اذا لم يكن له ... حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

قال له صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك وروي لا يفضي الله فاك بضم
اوله وسكون ثانيه وكسر الضاد يليها يا ساكنة مضارع افضى كاعلى يعلي قال
المرزوقي في شرح الفصيح تقول العرب في الدعا عليه فض الله فاه وفي الدعا
له لا يفضض الله فاه ومصدره الفض ومعناه الكسر وبعض العرب تقول لا يفضي
الله فاك اي لا يجعله فضا خاليا من الاسنان وهذا كقوله قد تركت البرى فاه بلدا
انتهى فعلى الاول الفم مجاز عما فيه من الاسنان وعلى الثاني على حقيقته والنابغة
لقب له لانه نبغ في الشعراي فاق اقرانه والهاء للمبالغة كعلامة فما سقطت
له سن ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم له والسن واحدة الاسنان المعروفة
وقد قالوا زيادة السن نقص في السن فالسن الاول العمر والثاني واحد
الاسنان وفي رواية لحديث النابغة المذكور فكان احسن الناس ثغرا بثا
مثلثة مفتوحة وغين معجمة ساكنة ورا مهملة وهو ما تقدم من الاسنان
ويقال اثغر الغلام بتشديد المثلثة واثغر بتشديد المثناة ويطلق
الثغر على الفم ويصح ارادته هنا وثغرا منصوب بتمييز اذا سقطت له سن
نبتت له اخرى مكانها لئلا يخلو فمه من الاسنان وعاش عشرين ومائة وقيل
اكثر من هذا فقيل مائة واربعين وقيل مائتين واربعين وقيل مائتين وثمانين
لان دعاه صلى الله عليه وسلم له بان لا تسقط اسنانه يتضمن الدعا له بطول
العمر وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم باجابة دعوته فيه واكثر اعمار هذه الامة
ما بين الستين والسبعين وما زاد لا يزيد غالبا على مائة وعشرين ويزعم الاطبا
انه العمر الطبيعي وقد زاد بعضهم على ذلك كما استقصاه الاصمعي في كتاب
المعمرين ومنهم سلمان الفارسي وقد اختلفوا في مدته كما هو مفصل في ترجمته
وفي الحديث ما يدل على ان مدح الشعرا للانسان غير مكروه وان الاحسان
لمن مدحهم بعطية وجائزة او بدعا وجميل من القول سنة وقصيدة النابغة

هذه

هذه طويلة بليغة واها ابن حجر بتمامها في بعض كتبه ولولا خوف الاطالة لاوردناها
هنا ودعا صلى الله عليه وسلم لابن عباس في حديث صحيح رواه الشيخان وابن عباس
هو عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب غلب عليه حتى صار علما بالغلبة له دون سائر
بنيه وقوله اللهم فقهه في الدين معمول مقدر اي فقال او قائلا الخ اي فهمه
وعلمه قال الراغب الفقه التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو اخص من العلم قال
تعالى ذلك بانهم قوم لا يفقهون والفقه العلم بالاحكام الشرعية يقال فقه اذا صار
فقيها وفقه بمعنى فهم وفقهه فهمه وتفقه اذا طلبه فتخصص به كما قال تعالى
ليتفقهوا في الدين انتهى وعلمه التاويل اي التفسير وقد يفرق بينهما فيقال
التفسير بيان معنى القران بما هو ماثور عن النبي صلى الله عليه وسلم او كبار
الصحابة والتاويل بيانه بما يقتضيه قواعد العربية وهو تفعيل من الاول بمعنى
الرجوع الى الاصل ومنه الموئل لموضع الرجوع فهو رد الشيء الى الغاية المرادة
منه علما كان او فعلا فالعلم كقوله وما يعلم تاويله الا الله والفعل كقوله
وللنوى قبل يوم البين تاويل وقوله تعالى يوم ياتي تاويله اي بيان غايته
المقصودة منه وقوله ذلك خير واحسن تاويلا بمعنى احسن ترجمة وقيل
احسن ثوابا في الاخرة فدعاؤه له صلى الله عليه وسلم بان يعلمه الله الشريعة
المحمدية وان يهديه للوقوف على معاني كلامه فاجاب الله دعاءه حتى كان معول
الناس عليه في ذلك فسمي بعد بالبناء على الضم اي بعد دعائه صلى الله عليه وسلم
له او بعد موته صلى الله عليه وسلم الحبر مفعول سمي وهو بكسر الحاء وفتحها
ومعناه العالم المتقن الذي يبقى اثاره بعده فاصل معنى الحبر الاثر المستحسن
ومنه ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاؤه اي كان الصحابة وسائر الناس يسمونه
بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم توفي وابن عباس ابن عشر او ثلاث عشرة او خمس عشرة
سنة على اختلاف فيه وترجمان القران ترجمان بالضم كعنوان والفتح كزعفران
وبفتح اوله وضم الجيم وهو من يفسر لسانا بلسان ويطلق الترجمان على من
يبلغ الكلام وللترجمة اطلاقات اخر وفي كلام المصنف شبه اللف والنشر فان كونه
حبر الامة ناظر لقوله فقهه في الدين وكونه ترجمان القران ناظر لعلم التاويل
والتفسير ودعاؤه صلى الله عليه وسلم لابن عباس وقع مرارا وروي من
طرق صحيحة منها ما روي عنه انه قال اتى صلى الله عليه وسلم الخلاء فوضعت
له وضوءا اي ما يتطهر به فقال من صنع هذا فقالوا ابن عباس فقال اللهم الخ
قال ابن المنير مناسبة الدعاء لما فعله انه يدل على ذكائه لعلمه بانه يحتاج
لطلب الماء فبادر لذلك وكان عند خالته ميمونة ليلا وهي المخبرة له صلى الله
عليه وسلم بما صنعه وفي رواية علمه الكتاب وزده علما وفهما ووضع
يده الشريفة على كتفه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم ضمه لصدره
واول من لقبه بترجمان القران ابن مسعود وكان اعلم الناس بالفقه
والفرائض واشعار العرب وايامها وكان يجلس لافادته فكان لا يسال عن
شيء الا وجد عنده علم منه كل ذلك ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم

ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي عن عمرو بن حريث لعبد الله بن جعفر
ابن ابي طالب بن عبد المطلب فعبد الله هاشمي مدني صحابي ولد بالحبشة وتوفي
سنة ثمانين او ثمانين وروي عنه احاديث عدة وجعفر هو الطيار ذو الجناحين
وكان عبد الله ولده من اسخى الناس حتى لقب بحر الجود وقطب السخا بالبركة اي
الزيادة والنما في صفقة يمينه اي في بيعه وشرايه ومعاملته وسميت ذلك
صفقة لانهم كانوا اذا تبايعوا يصفق احدهم بيده بيد الاخر والصفقة
ضرب اليد بصوت وذكر اليمين لان الاكثر في الاخذ والعطا بها يمينا فما اشترى
شيا الا ربح فيه اي وجد فيه ربحا وفايدة ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
البيهقي في الدلايل وابو نعيم للمقداد بن الاسود والمقداد هو ابن عمرو بن ثعلبة
ويأتي انه اشتهر بابن الاسود لانه تربى في حجره وهو صحابي مشهور توفي
في خلافة عثمان رضي الله عنه بالبركة اي الزيادة في ماله فكان عنده غرائر من
المال ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم له والغرائر جمع غرارة بكسر الغين
المعجمة وهي معروفة وقال الجوهري اظنها معربة قال ابو نعيم قالت ضباعة
بنت الزبير وهي زوجة المقداد خرج المقداد يوما لقضاء حاجته فبينما
هو جالس خرج جرذ من جحره بدينار ولم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة
عشر فجاء بها المقداد للنبي صلى الله عليه وسلم واخبره بخبره فقال له ادخلت
يدك في الجحر قال لا والذي بعثك بالحق فقال صدقة تصدق الله بها عليك بارك
الله لك فيها قالت ضباعة فما فني اخرها حتى رايت غرائر الورق في بيت المقداد
انتهى ودعا بمثله اي بمثل ما دعا للمقداد وغيره في حديث رواه البخاري والدارقطني
واحمد في مسنده لعروة بن ابي الجعد البارقي وقيل الازدي واختلف فيه فقيل
عروة بن ابي الجعد وقيل ابن الجعد وهو صحابي مشهور اخرج له الستة واحمد
وبارق بطن من الازد نزلوا عند جبل يقال له بارق فنسبوا له قيل من قال ابن
الجعد فقد اخطا وولاه عمر قضا الكوفة قال لعروة فلقد كنت حواب قسم مقدر
اقوم بالكناسة بضم الكاف محلها الثمامة ثم صارت علما للسوق مشهور بالكوفة
وقيل انه يجوز ان يراد به حقيقته اي اقوم بمقام حقير يستبعد الكسب في مثله
وهو لعينه فما ارجع اي اعود من المحل الذي قمت فيه حتى اربح اربعين الفا
مما ابيعه واشتريه وقال البخاري فيه اي في حديث عروة فكان عروة رضي الله
عنه لو اشترى التراب ربح فيه ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم وروي مثل
هذا اي مثل حديث عروة المذكور لغرقدة ايضا بفتح الغين المعجمة وسكون
الرا المهملة وقاف ودال مهملة واحدة الغرقد وهو شجر معروف له شوك
يسمى العوسج والعضاة وبه سمي بقيع الغرقد وهو مقبرة اهل المدينة
وغرقدة صحابي يسمى ابا شبيب روى عنه ابنه وكانت له ناقة الصبر للنبي
صلى الله عليه وسلم وند ماض بفتح النون وتشديد الدال المهملة
بمعنى نفرت وشردت حتى غابت عن نظره فلا يراها واصل معناه النفرة
عن انداده وهذا يختص بالابل ونحوها فلا يقال ند الرجل وليس منه له

عرفي

لغرقدة

لعزقدة كما توهمه بعضهم بجانبها اعصار ريح الاعصار بكسر وفي مهملة ريح شديدة
تثير غبارا وترتفع الى السما كانها عمود وهي الزوابع وقيل ريح تثير سحابا ذات رعد
وبرق والمراد الاول هنا حتى ردها الاعصار عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم وهذا
الحديث لم ار من خرجه وكون الضمير لعزقدة لا يناسب المقام وان اتفقوا عليه والظاهر
ما قلناه وليس من هذا ايضا كما في الشرح الحديث ما وقع في غزوة بني المصطلق
لانها هاجت فيها ريح شديدة فاذتهم وكانت ناقته صلى الله عليه وسلم ضلت
ليلا فقال صلى الله عليه وسلم انها هبت لموت عظيم من الكفار وهو رفاعة
ابن زيد فقال بعض المنافقين ابن عم محمد انه يعلم الغيب وهو لا يعلم مكان ناقته
فاتاه جبريل واخبره بما قاله وبمكان ناقته بالشعب الى اخر القصة اذ ليس فيها
ان الريح ردت الناقة عليه فلعل المصنف وقف عليه من طريق اخر فيه الريح ودعا
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم فيه انه دعا لام ابي هريرة رضي الله عنهما
بان يهديها الله للاسلام وكانت مشركة فاسلمت وهداها الله للاسلام وحازت
شرف الصحبة واسمها اميمة بنت صبيح بن الحارث بن دوس كما ذكر ابن بشكوال
فابوها صبيح بالموحدة وقيل صفيح بالفا وقيل اسمها ميمونة وحكى القولين
ابن الاثير في اسد الغابة واما ابو هريرة فقد تقدم الكلام على اسمه والخلاف
فيه وكان رضي الله عنه حريصا على اسلامها فدعاها للاسلام فاسمعته ما يكره
في حق النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يبكي وقال له اني كنت ادعوها للاسلام
فتابى فدعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما اكره فادع الله ان يهديها فقال اللهم
اهد ام ابي هريرة فخرج مستبشرا بدعائه صلى الله عليه وسلم فلما اتى الباب
سمعت خشف اقدامه فقالت مكانك يا ابا هريرة فسمع صب الما فاغتسلت ولبست
درعها وخمارها وفتحت له الباب فلما دخل قالت يا ابا هريرة اني اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فرجع الى رسول الله فرحا وقال ابشر
يا رسول الله فقد اجيبت دعوتك وهدى الله امي للاسلام فحمد الله تعالى
فقال يا رسول الله ادع الله ان يحببني انا وامي الى عباده المؤمنين ويحببهم
الينا فقال اللهم حبب عبيدك هذا وامه الى عبادك وحببهم لهما فكان
لا يسمع به احد ولا يراه الا احبه كما ذكره مسلم والبيهقي في دلائله ودعا صلى
الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب في حديث رواه البيهقي وابن ماجه بسند
صحيح متصل لعلي رضي الله عنه ان يكفى بالبنا للمجهول ان يكفيه الله بفضله
الحر والقر اي البرد وهو بفتح الحا وتشديد الرا المهملتين وهو ضد البرد
والحرارة سخونة تعرض للهوا من نحو الشمس والنار ومنها ما يعرض للبدن من
الطبيعة كحرارة المحموم والقر بضم القاف وتشديد الرا هو البرد ويخص ببرد
الشتا كما يخص الحر بحرارة الصيف وهو المراد وحكى ابن قتيبة تثليث قافه
فيجوز فتحها هنا للازدواج واصله من القرار لان البرد يقتضي السكون والحر
يقتضي الحركة كما قاله الراغب فكان علي رضي الله عنه بعد دعائه صلى الله
عليه وسلم له يلبس في زمن الشتا ثياب الصيف الخفيفة كالقميص الواحد

وفي زمن الصيف ثياب الشتاء وهي لصرباب المحشوة والثياب الثخينة ولا يصيبه اي
لا يجد ويحس حر ولا برد اي المضرهما ويفسد باطنها ذلك انه اختص بامر يخالف
به غيره لدعائه صلى الله عليه وسلم له واذا كان لا يضره شدة حر الصيف لا سيما في الحجاز
ولا شدة برد فصل الشتاء فغيره بالطريق الاولى وكان دعاؤه صلى الله عليه وسلم
له بخيبر لما اصابه لها رمد شديد قال عبد الرحمن بن ابي ليلى كان علي رضي
الله عنه يلبس في الحر القبا المحشو الثخين ولا يبالي بشدة الحر ويخرج في البرد
الشديد بثوب خفيف ولا يبالي فسئل عن ذلك فقال انه صلى الله عليه وسلم
اعطى الراية يوم خيبر ابا بكر ثم عمر فلم يحصل فتح على يديهما فقال لاعطين الراية
اليوم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله خيبر على يديه
فدعاني واعطاني الراية وكان بي رمد شكوت له صلى الله عليه وسلم فقال اللهم
اكفه الحر والبرد فما وجدت لهما الما بعد ذلك وانما دعا له بدفع الحر والبرد
مع ان تالمه رضي الله عنه كان من الرمد ووجع العين لانه صلى الله عليه وسلم
علم ان رمده كان من زيادة الدم الذي يحصل له من الحر فدعا له بدفع سبب
ذلك وزاد عليه دفع الم البرد لانه ضده فربما اذاه لقوته بعدم ضده وروي
يشيه من الاسات ويسوء من السوء بدل قوله يصيبه والمعنى واحد ودعا صلى
الله عليه وسلم لفاطمة ابنته رضي الله عنها في حديث رواه البيهقي عن عمران بن حصين
الله معقود دعاؤه في نسخة ان الله ان لا يجيعها اي ان لا يجعلها متالمة من الجوع
وترك الطعام والمه قالت فاطمة رضي الله عنها فما جعت بضمير المتكلم بعد مبني
على الضم اي بعد دعائه وبركته قال عمران بن حصين كنت معه صلى الله عليه وسلم
فاقبلت فاطمة ووقفت بين يديه فنظر اليها وقد اصفر وجهها من الجوع فوضع
يديه على صدرها وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد
قال عمران فرايت وجهها وقد احمر وذهبت صفرته ثم حيثتها فقالت لي ما جعت
بعد يا عمران قال البيهقي بعد ما ذكر الحديث هذا كان قبل نزول اية الحجاب
وذكر دفع الجوع عنها بعد دفع الحر والبرد عن علي لما بينهما من المناسبة
بما لا يخفى وساله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن اسحاق بلا اسناد
والبيهقي عنه وابن جرير من طريق الكلبي الطفيل بن عمرو بضم الطا المهملة
المشددة والفا المفتوحة وسكون المثناة التحتية واللام كتصغير عقيل
ابن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم الازدي الدوسي ويقال له ذو
النور وقتل في وقعة اليمامة وتعدد ان وقعتها كانت في ربيع الاول سنة
اثني عشر في خلافة ابي بكر رضي الله عنه وقيل في عام اليرموك في خلافة عمر
رضي الله عنه وهو من كبار الصحابة ومن اصحاب النور وهم ستة اسيد بن
حضير بضم الحمزة وعباد بن بشر وحمزة بن عمرو الاسلمي وقتادة بن النعمان كما يأتي
والطفيل هذا والحسن بن علي رضي الله عنهم ولكل منهم قصة مذكورة في محلها
اية لقومه مفعول سال اي ساله صلى الله عليه وسلم معجزة تكون معه يومن
لها قومه اذا دعاهم للاسلام وكان امن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة

ودعا قومه فلم يطيعوه فقال يا رسول الله ان دوسا قد عصت وابت فادع عليها فقالوا
هلكت دوس ان دعا عليها فقال اللهم اهد دوسا فعلم ان الله يهديهم ببركة دعائه
فطلب الطفيل منه صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية يهتدوا بها فقال اللهم نور له
الضمير للطفيل اي اجعل معه نورا يكون آية لصدقه رضي الله عنه فسطع له نور بين
عينيه اي ظهر بين عينيه نور ساطع واصل معنى السطوع الارتفاع والظهور
وهو المراد هنا فقال اي الطفيل لما علم بذلك النور الذي بين عينيه يا رب اني اخاف
من قومي اذا رأوا ذلك النور ان يقولوا مثلة خبر مبتدا مقدر اي هو او هذا مثلة بفتح
الميم وسكون الثاء المثلثة ولام بعدها هاء وهو التنكيل والعقوبة وتغيير الخلقة
الاصلية بقطع بعض الاعضاء وتسويد الوجه ونحوه وهذا هو المراد هنا اي خشي
ان يعدوه عارا لتوهمهم انه برص ونحوه وجوز بعضهم ضمه وفتح ميمه وكسرها
وهو تكلف لا داعي له فتحول ذلك النور الى طرف سوطه اي لما شكى الى الله مخافة
وتضرع اليه انتقل ذلك النور من بين عينيه الى سوط كان معه والسوط في الاصل
بمعنى الخلط فسمي به ما يعد للضرب من جلد ونحوه وهو معروف فكان اي سوطه
يضيء في الليلة المظلمة كالشمع والمصباح فسمي الطفيل ذا النور اي صاحب النور
لذلك وروي الظلما بدل المظلمة ولا اشكال في شيء من هذا كما توهمه بعضهم
واغرب منه انه قال روي صوته بصاد مهملة ومثناة فوقية ثم تكلم في
تاويله بما فانه لا ينبغي تسويدها لوجه الصحف وقصة الطفيل ما نقله ابن
عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان الطفيل سيدا مطاعا في قومه
وشاعرا بليغا فقدم مكة ومشى لقريش فقالوا له انك سيد قومك وانا
نخشى ان يلقاك هذا الرجل يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصيبك
فانه يفرق بين المرء وزوجه وولده فما زالوا يهولون ويجدون بي منه حتى
قلت لهم لا ادخل المسجد الا سادا اذني خشية مما كرفسا اي قطنا ودخلت
المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما فرسا امي وابى الله الا
ان يسمعني قوله فقلت في نفسي ان هذا العجز وانا امرء ثبت لا يخفى علي الحسن
والقبيح والله لاسمعنه فاذا كان رشدا اخذته او غيا تركته فنزعت ما باذني
واستمعت له فلم اسمع باحسن واحلى مما قاله فانتظرته صلى الله عليه وسلم
حتى انصرف وتبعته فدخلت منزله معه وقلت له يا محمد ان قومك قالوا
كذا وكذا وقد سمعت ما قلت ووقع في نفسي انه حق فاعرض علي دينك وما
تامر به وتنهى عنه ففعل فاسلمت ثم قلت يا رسول الله اني راجع لدوس
وانا فيهم سيد مطاع وانا داعيهم الى الاسلام فادع الله ان يجعل لي آية
تكون عونا لي عليهم فقال اللهم اجعل له آية فقال فخرجت حتى اشرفت على
حاضرة دوس ولي هناك اب شيخ كبير وامرأة وولد فلما علوت الثنية ظهر
بين عينيّ نور كالشهاب فقلت اللهم في غير وجهي فاني اخشى ان يظنوا
مثلة لفراق دينهم فتحول في رأس سوطي فلقد رايتني اسير وانه على رأس
سوطي كأنه قنديل معلق فيه فلما قدمت عليهم اتاني ابي فقلت اليك

ابن اجتوس

عني فلست منك ولست مني فاني اسلمت واتبعت دين محمد فقال اي بني ان ديني دينك فاسلم وحسن اسلامه ثم اتتني صاحبتي فقلت لها كما قلت لابي فاسلمت وحسن اسلامها واغتسلت ثم دعوت دوسا فابت وتعاصت علي فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فقلت يا رسول الله ان دوسا غلب عليها الزنا والربا فادع عليهم فقال اللهم اهد دوسا فرجعت اليهم واقمت بين ظهرانيهم ادعوهم الى الاسلام حتى استجاب لي منهم من استجاب ثم قدمت المدينة عليه صلى الله عليه وسلم بعد احد والخندق بثمانين او سبعين من اهل بيتي حين فتحت مكة وارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحراق صنم عمرو بن حممة فاحرقه واقام معه حتى قبض ثم بعثه ابو بكر رضي الله عنه الى مسيلمة فاستشهد باليمامة وقيل باليرموك في خلافة عمر كما تقدم ودعا على مضر اي انه صلى الله عليه وسلم كما ورد في حديث صحيح رواه الشيخان والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه دعا عليهم ومضر اسم قبيلة عظيمة سميت باسم الجد وهو مضر بن معد بن عدنان وفي وجه تسميته اختلاف وتسمى مضر الحمراء وتسمى مضر ربيعة وقبيلة ربيعة الفرس لان نزارا ابوهم اوصى لمضر بالذهب وهو قد يؤنث فيوصف بالحمرة ويقال ذهب حمراء واعطى ربيعة الخيل فيقال لها ربيعة الخيل وكان شعارهم في الحرب العمايم والرايات الحمر وشعار اهل اليمن الصفر وبه فسر قول ابي تمام في الربيع •

محمرة مصفرة فكانها • عصب تيمن في الوغى وتمضر •

ومضر ابو قريش فاقحطوا بالبناء للمجهول اي اصابهم القحط لاحتباس المطر عنهم حتى كادوا يهلكون ويهلك دوابهم ويجوز بناؤه للفاعل قيل وهو الافصح لانه لازم والهمزة للصيرورة لا للتعدية حتى استعطفته قريش اي سالوه صلى الله عليه وسلم ان يعطف عليهم ويرحمهم برفع القحط عليهم وما حل بهم من البلاء فدعا الله لهم ان يمطرهم ويزيل قحطهم فسقوا اي سقاهم الله وامطر ارضهم فزال عنهم القحط بدعائه صلى الله عليه وسلم سريعا وكان دعاؤه صلى الله عليه وسلم لما لم يجيبوا دعوته انه قال اللهم اجعلها عليهم سنينا كسني يوسف فاقحطوا حتى اكلوا الجراد والدم والعظام فقال له ابو سفيان او كعب بن مرة انك لا تامر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريعا طبقا غدقا عاجلا غير رايث نافعا غير ضار فما اتى عليهم جمعة حتى مطروا كما رواه ابو نعيم في الدلايل ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما على كسرى بكسر الكاف وقد تفتح كما مر وهو معرب خسرو وهو لقب لكل من ملك الفرس واسم هذا الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام ابرويز بن هرمز وهو من اولاد انوشروان قيل ابرويز معناه المظفر وانوشروان معناه مجدد الملك كما قاله السهيلي رحمه الله حين مزق كتابه الذي بعثه صلى الله عليه وسلم اليه بجنده فنيه

علي

على الاسلام وسعادة الدارين وكان بعثه صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن حذافة
السهمي وقيل مع غيره فقطعه بخفير ابيه وقيل جعله هدفا ورماه بالسهام حتى
تمزق بخبرا منه وقيل لانه كتب اسمه فوق اسمه وصورة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله
وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ارسلني الى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق
القول على الكافرين اسلم تسلم فان توليت فان عليك اثم المجوس وقوله حين مزق كتابه
وان كان الدعا بعد حين بلغه خبره بعد زمان اما لان المراد زمان ممتد لان الحين
يطلق على مطلق المدة كما في قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر والمراد حين بلغه
تمزيقه فقيد تقدير فما قيل انه كان ينبغي ان يقول من اجل تمزيقه كتابه ليس بشيء
ان يمزق الله ملكه معمول لدعا اي بان يمزق ملكه معمول لدعا بان يمزق اي باهلاكه
وانتقال ملكه لغيره فمزق كل ممزق فلم يبق له اي لكسرى او لملكه باقية اي نفس باقية
من عقبه او هو مصدر بمعنى بقية او بقا والمصدر يكون بوزن فاعلة قليلا ولا
بقيت لفارس هو معرب بارس بالبا العجمية ويطلق على القبيلة وعلى بلادهم
رياسة اي ملك ونفاذ كلمة في اقطار الدنيا وفي نسخة البلاد اي في جميع نواحيها
فقطع الله دابرهم وافناهم بدعائه صلى الله عليه وسلم عليهم لما عصوه
وتجبروا فلم يزل امره في انحطاط حتى قتله ابنه شيرويه ثم مات ابنه بعده
بزمن يسير وزالت دولتهم حتى انقرضوا كما فصل في التواريخ والحديث في
البخاري والكلام عليه مبسوط في شروحه ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه ابو داود والبيهقي انه دعا على صبي صغير قال ابن حبان اسم الصبي يزيد
ابن نمران وقيل انه لا يعرف اسمه وحديثه ضعيف وقال الذهبي اظنه موضوعا
لانه اشكل عليهم بان الصغير غير مكلف فكيف يدعو صلى الله عليه وسلم عليه
مع رأفته به ومما اجاب به البرهان الحلبي من ان الاحكام انما تعلقت بالبلوغ
بعد احد كما قاله التقي السبكي او بعد الهجرة كما قاله غيره او هو من باب
خطاب الوضع المتعلق بالاتلاف وهو لا يشترط فيه التكليف لا يخفى ما فيه على
بعده وابعد منه واغرب ما قيل ان الله اطلعه صلى الله عليه وسلم على
حال هذا الصبي وانه سيصير متعديا وانه لو لم يكن كذلك اضر بالناس
فلذا دعا عليه كما اطلع الخضر عليه الصلاة والسلام على حال الغلام الذي
قتله وانه لو عاش كان كافرا وقد قرر ائمة الحديث انه صلى الله عليه وسلم
له ان يحكم بالباطن احيانا كما يحكم بالظاهر وانه من خصايصه صلى الله عليه
وسلم وقد افرده السيوطي بجزء الفه فيه الا انه هنا تعسف لا يلتفت
اليه قطع علينا صلاتنا بمروره بين يديه صلى الله عليه وسلم وقطع
الصلاة مجاز عن افسادها وقبل تمامها حتى يحتاج للاعادة والمصلي اذا صلى
في غير العمران يستحب له ان يجعل بين يديه سترة تمنع المار عن المرور
بينه وبين القبلة وينبغي ان تكون مرتفعة ارتفاعا تاما فكانه صلى
الله عليه وسلم لم يكن له سترة في هذه الصلاة او كانت ومر الصبي بينه

ابن اقبرس

ابن اقبرس والعرضي

وبين السترة وحينئذ فلو مر انسان او حيوان لا يقطع صلاته عند الجمهور من
المحدثين والفقهاء ولا يفسدها كما صرحوا به وذهب بعضهم الى انه يقطعها
لانه ورد في احاديث صحيحة منها ما رواه ابو ذر انه صلى الله عليه وسلم قال اذا
قام احدكم يصلي يستره ما يمنعه بين يديه مثل اخرة الرحل فاذا لم يكن ذلك فانه
يقطع صلاته الحمار والمراة والكلب الاسود وحكمته لانه ورد في الحديث الكلب الاسود
شيطان وقد علمت ان الجمهور على خلافه فقيل انه منسوخ وقيل انه مأول والمعنى
يقطع خشوعه في صلاته وهو صلى الله عليه وسلم وان كان لا يشغله عن الله شيء
فعله تشريعا للامة ان يقطع الله اثره معمول لدعا اي دعا صلى الله عليه وسلم
على ذلك الصبي بان يقطع الله اثره والاثر بفتحتين ما يؤثر بمشيه وغيره ويبقى
بعده علامة عليه وقطع الاثر يكنى به في الاكثر عن الفناء والذهاب بالكلية
فيقال ما بقي له عين ولا اثر كما قيل الدهر يفجع بعد العين بالاثر فالبكاء على
الاشباح والصور وهو هنا كناية عن كونه زمنا مقعدا لان الاثر انما يكون
من المشي فاذا انقطع مشيه انقطع اثره كما تقرر ويجوز ان يراد المعنى الحقيقي
فلذا قيل انه كناية لا مجاز كما اشار اليه بقوله فاقعد الصبي وصار مقعدا
زمنا لا يمكنه المشي ليبس اعصاب رجله التي يتحرك بها وروي ان يقطع الله
دابره والدابر في الاصل الاخر كما في قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا
اي اخرهم فلم يبق منهم احد فاستعير هنا للزمانة بان يسلبه الله قوة
مشيه وهذا رواه ابن حبان عن ابن مهران قال رايت مقعدا بتبوك فحدثني
يزيد بن بهرام يقول مررت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يصلي فقال اللهم اقطع اثره فما مشيت بعد وقد سمعت ما فيه وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع انه صلى الله عليه
وسلم قال لرجل قال البرهان الحلبي اسم هذا الرجل بسر بضم الموحدة وسكون
الشين وراء مهملتين ومن اعجمه فقد صحف وهو بسر بن راعي العير
الاشجعي رآه يأكل بشماله كل بيمينك ارشادا له للسنة فان الاكل بغير اليمين
مكروه وقوله كل اي مقول القول فقال لا استطيع اي لا اقدر على الاكل
بيميني فقال له صلى الله عليه وسلم لا استطعت بناء الخطاب وهو دعاء عليه
بان يسلبه الله القدرة على الاكل باليمين فلم يرفعها اي يده اليمنى لانها مؤنثة
سماعا اي لم يقدر بعد دعائه صلى الله عليه وسلم عليه ان يرفع يده اليمنى
الى فيه ويحركها لانها شلت وبطل عملها بها لانه صلى الله عليه وسلم امره
باليمين وهو سنة في الاكل والشرب لقوله اذا اكل احدكم فليأكل بيمينه
واذا شرب فليشرب بيمينه فلا يتركه الا لعذر وقد علم صلى الله عليه وسلم
انه لا عذر له وانه انما لم يمتثل امره الا لتكبره ولذا قال المص في شرح
مسلم انه كان منافقا الا ان الذهبي قال انه صحابي جليل فيحتمل انه كذلك   كان
في اول امره ثم لما ظهرت له هذه الآية تاب واخلص لله فلا اشكال فيه وما
قيل من ان ترك المندوب لا يقتضي استحقاق العقاب ليس بشيء لان مخالفة   ابن العربي

امره صلى الله عليه وسلم مشافهة بغير علم لا يجوز وليس هذا الرجل جاهليا كما توهم
هذا القايل وخبط وخلط هنا على عادته ولبس في قوله قال دون دعا اشارة لما
توهمه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الحاكم والبيهقي وابن اسحاق من
طرق صحيحة مسندة لعتبة بن ابي لهب الجهني عند والله ورسوله واسمه عبد العزى
ابن عبد المطلب بن هاشم المشهور وكان له ثلاثة اولاد عتبة وعتيبة بالتصغير
ومعتب اسلم منهم اثنان يوم الفتح ولم يهاجرا من مكة وبقي واحد منهم على الكفر
وهو عقير الاسد وكان عنده ابنة للنبي صلى الله عليه وسلم فطلقها فاذاه فدعا
عليه بما ياتي فافترسه الاسد بالزرقاء من ارض الشام كما رواه الحاكم من حديث
ابي نوفل وقال انه صحيح الاسناد قال تجهز ابو لهب وابنه عتبة الى الشام فنزل
بالشراة قريبا من صومعة راهب فقال لهم الراهب هنا سباع فاحذروا فقال لهم
فقال ابو لهب لمن معه انتم قد عرفتم سني وحقي قالوا اجل فقال ان محمدا دعا
على ابني فاجمعوا متاعكم على هذه الصومعة وافترشوا لابني عليها وناموا حوله
ففعلوا ونام عتبة فوق متاع عال فجا اسد يتشمم وجوههم ووثب على عتبة
فقطع راسه وذهب قيل انه لم ياكله لما فيه من خبث الطوية ببغض خير البرية
الا انه قيل ان العقير عتيبة مصغر وان عتبة اسلم وحسن اسلامه فهو من
كبار الصحابة والصواب عتيبة وقال البرهان ان الذي في نسخ الشفا بالتكبير
وكذا صححه بعضهم وقال الذي اسلم عتيبة بالتصغير والمشهور ان المصغر
عقير الاسد والمكبر هو الصحابي فما في بعض النسخ مما خالفه على قول خلاف المشهور
انتهى فقد علمت الاختلاف فيه وفي النسخ والاصح منها اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
قال في حياة الحيوان الاسد يسمى كلبا لانه يشبهه في بعض احواله ويرفع رجله اذا
بال فلما اضاف الكلب الى العظيم علم انه اعظم ما يسمى بذلك الاسم كما قاله
الثعالبي والى ذلك اشار بقوله فاكله الاسد وفي دلايل النبوة للبيهقي كانت ام
كلثوم ابنته صلى الله عليه وسلم في الجاهلية تحت عتيبة بن ابي لهب واختها
رقية تحت اخيه عتبة فلما نزل تبت يدي ابي لهب وتب قال ابو لهب لابنيه
راسي من راسيكما حرام ان لم تطلقا ابنتي محمد وقالت امهما حمالة الحطب مثله
فطلقهما عتيبة واتاه صلى الله عليه وسلم فقال له اني طلقت ابنتك فاني لا احبك
ولا تحبني وشق ازاره وسفه عليه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم سلط
عليه كلبا ثم خرج في نفر من قريش الى الشام فكانت قصة الاسد وغيره وابنيها وتسمية
ابنه اختلاف كما مر ولا خلاف في اصل القصة وقد ذكرها حسان رضي الله عنه
في شعره وقال صلى الله عليه وسلم لامراة يا كلك وفي نسخة اكلك الاسد فاكلها
الاسد قال البرهان الحلبي هذه المراة لا اعرفها وذكر غيره انها بنت المطعم الانصا رية
فانها اتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو مولي ظهره الشمس فضربت منكبه فقال
من هذا اكله الاسد فقالت انا ابنة مطعم الطير ومباري الريح ابو ليلى جيت لاعرض
نفسي عليك لتتزوجني فقال قد فعلت فرجعت الى قومها واخبرتهم الخبر فقالوا
انت امراة غيرى وللنبي صلى الله عليه وسلم نسا فيدعو عليك فرجعت وقالت له

اقلني فاقالها وتزوجت بغيره فبينما هي في حائط بالمدينة افترسها ذيب فالاسد هنا
بمعنى الحيوان المفترس فلا يقال ان دعوته صلى الله عليه وسلم عليها لم تتحقق
وهذا الحديث سقط من بعض النسخ ومن ذلك حديثه صلى الله عليه وسلم المشهور
الذي رواه مسلم والبخاري عن عبد الله بن مسعود في دعائه صلى الله عليه وسلم على
قريش قبل الهجرة بمكة حين وضعوا اي حين وضع اذ بعض منهم فهو من اضافة ما للبعض
الى الكل السلا بفتح السين المهملة واللام المخففة مقصور وهو جلد رقيق يخرج
مع الولد من بطن امه ملفوفا فيه قيل وهو كالمشيمة من المراة وفي النهاية الاول
اشبه لان المشيمة انما تخرج بعد الولد والسلا وهو للمواشي ان نزع عنه ساعة
يولد بقي حيا والا هلك وكذا اذا انقطع في البطن ويقال للمولد بعينه سلا ايضا تسمية
له باسم محله ويكون فيه دم ونحوه على رقبته الشريف والرقبة مؤخر اصل العنق
عند الكتفين وهو ساجد عند البيت في صلاته والجملة حالية مع الفرث والدم
حال من السلا والفرث بالفاء والراء مهملة وثاء مثلثة هو السرجين ما دام في الكرش
وسماهم فاعل سمى ضمير ابن مسعود فضمير المفعول لقريش وهو يدل على ان
المراد بعضهم لا الجميع كما اشرنا اليه وهم المشهورون المذكورون في الاية وكانوا
سبعة كما تقدم ويحتمل ان فاعل سمى هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي
صرح به سياق اصل الحديث فقال اي ابن مسعود فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر
فاجاب الله دعوته صلى الله عليه وسلم فيهم وحديث ابن مسعود هذا في الصحيح
كما مر قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند البيت وابو جهل واصحاب
له جلوس فقال بعضهم لبعض ايكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر
محمد اذا سجد فانبعث اشقى القوم فجاء به وانتظر النبي صلى الله عليه وسلم
حتى سجد فجعله بين كتفيه وانا انظر فجعلوا يضحكون ورسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يرفع راسه حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها فطرحته عنه فرفع صلى الله
عليه وسلم راسه الشريف ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات اللهم عليك
بابي جهل وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي
معيط وعمارة بن الوليد وعدهم والذي جاء بالسلا والقاه عقبة وهو اشقاهم
لمباشرته الفعل كاشقى ثمود والكلام على الحديث مفصل في شروح البخاري
واما استمراره صلى الله عليه وسلم في سجوده مع ما عليه من النجاسة المفسدة
للصلاة فقد اجابوا عنه باجوبة منها انه صلى الله عليه وسلم لم يرها حتى
يتحقق نجاستها وكان هذا في اول الصلاة فلا يلزم اعادتها مع انه كان قبل الهجرة
وتحقق شروط الصلاة المفروضة ثم ان قيل الخمسة كلهم لم يقتلوا ببدر ولم يلقوا
في قليبها فان عقبة بن ابي معيط اسر ببدر ثم قتله صلى الله عليه وسلم
بعد مرحلة منها وعمارة بن الوليد مات بالحبشة فقيل انه باعتبار الاكثر
والغالب منهم على ما فيه ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي مسندا
من طرق صحيحة على الحكم بن ابي العاص بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي
القرشي الاموي وهو ابو مروان وعم عثمان بن عفان وهو ممن اسلم في الفتح

وكان اي الحكم يختلج بوجهه اي يحرك وجهه وبعضه كحاجبيه وعينيه ويغمز بعينيه اي
يحركهما مشيرا بهما وهو جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا باشارته وغمزه لمن يراه
ثمة من المنافقين ونحوهم ان ما حدث به الرسول صلى الله عليه وسلم لا اصل له كما اشار
اليه بقوله اي لا فهو تفسير للغمز بالمراد منه وليس المراد بالغمز هنا العيب كما قيل
لانه غير مناسب هنا وان كان ورد بهذا المعنى في اللغة فلا وجه لتفسير يغمز بيعيب
لانه كان يخبر المنافقين باسراره صلى الله عليه وسلم ولا لما قيل انه كان يحرك
ذقنه وشفتيه محاكاة لفعله صلى الله عليه وسلم فراه صلى الله عليه وسلم وهو
يختلج فقال له كن كذلك دعا عليه بان لا يزال وجهه يختلج وفي نسخة كذلك كن فلم
يزل يختلج الى ان مات بدعائه وكان موته في خلافة عثمان قبل قتلته والقيام عليه
باشهر وكان صلى الله عليه وسلم اخرجه من المدينة ونفاه الى الطائف ومعه ابنه
مروان وقيل ان مروان ولد بالطائف فلم يزل بها الى ان رده عثمان في خلافته فكان
بسبب رده وابنه ما كان ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سال عثمان ابا بكر
رضي الله عنه في رده فقال ما كنت لارد من نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اني سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رده فوعدني به فقال ابو بكر رضي
الله عنه اني لم اسمع ذلك ولم يكن معه بينة ثم لما ولي عمر ساله ذلك فقال كما
قال ابو بكر فلما تولى عثمان عمل بعلمه ورده فلا وجه للتشنيع عليه بذلك والطعن
بسببه في خلافته كما تزعم الشيعة مع انه رضي الله عنه علم من الحكم انه تاب وخلصت
طويته واختلف في سبب نفيه فقيل انه كان يستخفي ويسمع ما يسره رسول الله صلى
الله عليه وسلم لكبار الصحابة في امر المشركين والمنافقين فيخبرهم به وقيل
انه كان يحاكي مشيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحركاته فيفعل مثلها ويتبعا
في مجلسه كما مر فلما علم ذلك منه نفاه وروي عن عائشة ام المؤمنين رضي الله
عنها انها قالت لمروان لما قال في حق اخيها عبد الرحمن ما قال اما انت فاشهد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن اباك وانت في صلبه تشير الى ما روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لاصحابه سيدخل عليكم رجل لعين
فدخل عليهم الحكم ولذا قيل

شعر فليت عثمان لم يحكم بعودته ✽ رمى بما حكم الصديق في الحكم ✽ سعد

ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي وابن جرير موصولا عن ابن
عمر رضي الله عنهما قال بلغنا انه صلى الله عليه وسلم دعا على محلم بميم مضمومة
وحا مهملة مفتوحة ولام مشددة مكسورة فميم ابن جثامة بجيم الجيم
وتشديد الثا المثلثة والف وميم وها واسمه جثامة بن بدر بن قيس بن
ربيعة الكناني الليثي اخو الصعب وقيل انه نزل فيه اذا ضربتم في سبيل الله الاية
كما ياتي فمات اي محلم هلك عقب دعائه عليه لسبع اي عند سبع او بعد سبع
ليال من دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا رواه ابن سيد الناس وغيره وقال
السهيلي انه مات بحمص بامر ابن الزبير وسياتي مثله وبينهما بون بعيد
كما قاله البرهان الحلبي فلفظته الارض اي قذفته وطرحته واخرجته من

بطنها العدم قبولها له وهذا مما شوهد كثيرا وورد في الحديث يجيء في كل ارض سوا
اهلها تلفظهم ارضوهم بثور وري بواو بين مضمومة فساكنة فرا مكسورة ومثناة
تحتية اي ستر وغطي وغيب بنو مجهول وارآه اذا غيبته فلفظته الارض مرات
فكانوا لما دفنوه اصبحوا اراوه فوق الارض تفضيحا له واشارة الي انه من الاشرار
فعجزوا فالقوه اي الفوا بدن محلم بين صدين مثني صد بضم الصاد وفتحها وتشديد
الدال المهملتين وهو ناحية الوادي او الشعب والجبل ورضموا عليه الحجارة رضم
بفتح الرا المهملة والضاد المعجمة وميم من الرضم بالفتح والسكون وهو وضع الصخور
بعضها فوق بعض كالبنا والصد بالضم والفتح جانب الوادي وهو الارض الواسعة
وهذا احد الاقوال فيه كما تقدم وسبب دعائه عليه الصلاة والسلام انه
بعثه في سرية امر عليها عامر بن الاضبط فبلغوا بطن واد فقتل محلم عامرا فلما
بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال اللهم لا تغفر لمحلم ثلاث مرات فمات فلفظته
الارض مرات فقال صلى الله عليه وسلم ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن
اراد الله ان يجعله لكم عبرة فالقوه بين صوحي جبل حتي اكلته السباع قال
الزبيدي الصوح الشق قال التلمساني والذي رواه ابن عبد البر مسندا الي
القعقاع عن ابيه انه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية الي
اضم فلقينا عامر بن الاضبط فحيانا بتحية الاسلام فحمل عليه محلم فقتله وسلبه فلما
قدمنا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرناه نزل يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم
في سبيل الله فتبينوا الاية وقد قيل ان الملفوظ غير محلم بن جثامة وان محلما
نزل حمصا ومات بها في زمن ابن الزبير رضي الله عنهما ولهم اختلاف في سبب نزول
الاية المذكورة وفيمن نزلت علي اقوال كثيرة وقد اختلف في محلم هذا لعدم
تحقق اسلامه وصحبته هل كان منا فقا ام لا وجحده صلى الله عليه وسلم رجل
بيع فرس اي انكره وكان اشتراها منه صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل اعرابي
يسمي سواد بن قيس وقيل ابن الحارث وهو صحابي والفرس المرتجز كما قاله
الجوهري وقيل الطرف بكسر الطا المهملة وقيل النجيب وهي اي هذه الفرس
التي شهد فيها اي في بيعها للنبي صلى الله عليه وسلم خزيمة بخا وزاي معجمتين
ويقال اسمه ابو خزيمة وهو صحابي مشهور قتل بصفين مع علي رضي الله
عنهما سنة سبع وثلاثين ولما شهد له قبل صلى الله عليه وسلم شهادته
وجعل شهادته بشهادتين وهو من خصايصه رضي الله عنه فرد الفرس بالبنا
مفعول رد بعد مبني علي الضم اي بعد جحده وشهادة خزيمة له النبي
صلى الله عليه وسلم هو فاعل رد علي الرجل الذي جحد البيع وهو متعلق
برد وانما ردها صلى الله عليه وسلم لتحقق امنه وتكرما وقال اذ ردها
اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها اي لا تجعل له بركة في فرسه فاصبحت
اي الفرس شاصية برجلها الباء زايدة وشاصية بشين معجمة والف وصاد
مهملة ومثناة تحتية وهي اي رافعة رجلها والمراد ان رجلها مرفوعة
والاسناد مجازي وارتفاع رجلها كناية عن الهامانة والانتفاخ بطنها حتي

صارت رجلهما مرفوعة كما يشاهد في الجيفة بعد ايام يقال شصا الميت اذا انتفخ
وارتفعت يداه ورجلاه كما قاله اهل اللغة ووقوع مثله عادة لا يكون الا بعد
ايام فوقوعه بسرعة من الايات ايضا وحاصل قصة خزيمة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابتاع الفرس من ذلك الاعرابي وتبعه ليقبض الثمن فجعل الناس يساو مونه
ويزيدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشعر فناداه الاعرابي ان كنت
مبتاعا الفرس والا بعته فقال صلى الله عليه وسلم قد ابتعته فقال هلم شاهدا
فقال خزيمة انا اشهد فقال له صلى الله عليه وسلم احضرتنا فقال بابي انت
وامي انا اصدقك في اخبار السما فلا اصدقك في ابتياع فرس فسماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذا الشهادتين وقال من شهد له خزيمة فحسبه وكان
كلام الاعرابي كان قبل اسلامه او قبل خلوص اسلامه والا فمثله لا يليق
وهذا الباب اي باب دعا النبي صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه وقع كثيرا
وروي في احاديث كثيرة اكثر من ان تحاط به اي لا يمكن احد من علما هذه الامة
ان يعلم جميع دعواته صلى الله عليه وسلم فانها كثيرة جدا وما نقله المص منها
قطرة من بحر يعلم بها ما سواه اجمالا ويحصل به اليقين لمن كان من المؤمنين
وقوله اكثر من ان يحاط به كقولهم اكثر من ان يحصى ومثله كثير وتاويله مشهور
فان ظاهره غير مراد اذ لا يعني انه اكثر من الاحاطة وقد بينوه في محله حتى
افرده بعض فضلا العصر بجزء مستقل والاحاطة بالشيء معناها استقصا
جميع افراده **تنبيه** مراة الدعا معناه التضرع الى الله في جلب ما ينفع
ودفع ما يضر وقد قيل اذا كان كل شيء بقضا وقدر وقد جف القلم فما فائدة
الدعا واجيب بانه امر تعبدي محافظة على مقام العبودية وقد يكون
ذلك معلقا بالدعا موقوفا عليه كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله
اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن انكر الدعا وقال انه لا فائدة فيه فقد ضل
عن سوا السبيل فاعرفه

## فصل في كراماته

صلى الله عليه وسلم اي ما اكرمه الله به من الامور الخارقة للعادة والكرامة
اعم من المعجزة فان المعجزة تكون بعد دعوى النبوة مقارنة للتحدي بالفعل او بالقوة
والكرامة لا يشترط فيها ذلك وتكون للنبي وغيره من اوليا الله وان غلب في العرف
جعل الكرامة للولي والمعجزة للنبي الا انها لا تختص بذلك على ما عرف وما كان منها
قبل النبوة للنبي يسمى ارهاصا لانه تاسيس للنبوة ومقدمة لها وبركاته اي
ما وقع له صلى الله عليه وسلم ببركته من الخوارق وانقلاب الاعيان له اي
تبدل حقيقتها وماهيتها وصورتها وذلك جائز وواقع على الاصح وليس
بممتنع كما توهم وليس هذا الفصل مقصورا على هذا وان كان اعظمه فما قيل
الاحسن ان يقول في كراماته بانقلاب الاعيان ليس بظاهر والاعيان جمع عين
وهي الذات فيما لمسه صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة او باشره المباشرة
ان يلي الامر بنفسه فهي اعم من اللمس واللمس والمس متقاربان اخبرنا احمد
ابن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن غلبون الخولاني شيخ المص توفي سنة ثمان

وحمايته وكان في الحديث وسائر الفنون امام عصره قال حدثنا ابو ذر الهروي تقدم بيان
ترجمته اجازة وحدثنا القاضي ابو علي سماعا ابو علي هو ابن سكرة السابق ترجمته والقاضي
ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما ابن عبد الرحمن هو ابن سعيد كما تقدم قالوا
حدثنا ابو الوليد القاضي الباجي الحافظ وقد تقدم قال حدثنا ابو ذر يعني الهروي
المتقدم قال حدثنا ابو محمد السرخسي المتقدم وابو اسحاق المستملي المتقدم وابو
الهيثم الكشميهني المشهور قالوا حدثنا الفربري تقدم بيانه ولغته ونسبته
قال حدثنا البخاري صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا يزيد بن زريع بالتصغير
ابو معاوية البصري ولد سنة احدى ومائة ومات سنة ست وثمانين ومائة
كذا في النسخ هنا وصوابه حدثنا البخاري حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا يزيد
ابن زريع وهكذا هو في صحيح البخاري فسقط منه اما من قلم المص قال حدثنا
سعيد بن ابي عروبة كما تقدم وفي نسخة عن سعيد عن قتادة تقدمت ترجمته
عن انس بن مالك الصحابي المشهور ان اهل المدينة فزعوا مرة اي وقع بهم فزع بفتح
الفاء والزاي المعجمة والعين المهملة قال المبرد في الكامل الفزع في كلام العرب على
وجهين احدهما الخوف والذعر والاخر الاستنجاد والاستصراخ يقال افزع
وافزع وهو من الاضداد قال زهير

اذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم ... طوال الرماح لا ضعاف ولا عزل

وقال النبي صلى الله عليه وسلم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع
والمراد هنا الاول اي وقع خوف استصرخوا بسببه وهو انهم معنيه فركب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع صياح الناس وفزعهم لظنهم ان عدوا
هجم عليهم فسبق الناس كلهم الى الجانب الذي سمع منه الصوت ورأى الناس
في رجوعه فقال لهم لن تراعوا وهو راكب فرسا لابي طلحة ركبها عريا من غير
سرج عليه وابو طلحة هو زيد بن سهل الانصاري النجاري الصحابي البدري
وهو احد النقباء ليلة العقبة وممن شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وله مقام محمود باحد كما تقدم وروي عنه احاديث كثيرة وتوفي
سنة اربع وثلاثين من هجرته كان يقطف او به قطاف بكسر القاف وبالطاء المهملة
والفاء والشك فيه من الراوي قال البرهان يقطف بضم الطاء في لغتهم تقطف
الدابة بمعنى تبطئ واما من قطف العنب فبكسر الطاء كما قاله الزمخشري
والقطاف بكسر القاف الاسم منه وقال الجوهري المقطوف في الدواب البطيء وقال
ابو زيد الضيق المشي وهما متقاربان ويوصف به الانسان والخيل وهو عيب
في الخيل وهو معنى قوله وبه قطاف وقال غيره اي عبر انس ببطء مكان يقطف
بمثناة تحتية مضمومة وبا موحدة وهمزة مضارع بطؤ والبطء ضيق الخطا
وهو قريب من الرواية الاولى والظاهر ان المراد به هنا انه كان يوصف بالبطء
ويعيب البطء بذلك وهو مبني للمجهول فلما رجع رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الفزع ولقي ابا طلحة قال له وجدنا فرسك بحرا اي كالبحر في شدة
جريه وعدوه لسهولته وهذا استعارة تصريحية كما يقال بحر فلان في

عليه

عليه اي توسيع فكان ذلك الفرس بعدُ مبني على الضم اي بعد قول النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك ببركته لا يجارى مبني للمجهول مفاعلة من الجري وهو مما يوصف به الماء والحيوان
ايضا فهو تجريد شبيه بالترشيح وفيه مبالغة والمعنى لا يسبق فكانه لذلك لا يجاريه
احد بقرينة السياق وهذا الحديث رواه البخاري والكلام عليه مفصل في شروحه
وكان ذلك الفرس يسمى مندوبا ومما رواه الشيخان من هذا النوع انه صلى الله عليه
وسلم نخس جمل جابر بن عبد الله الانصاري الصحابي المعروف رضي الله عنهما ونخس
بخاء معجمة وسين مهملة كنصر من النخس وهو ان يطعنه في جنبه او نحوه بعود او نحوه
وكان ذلك بمحجن في يده الشريفة وكان ذلك الجمل قد اعيا اي تعب وقلت حركته
من السير فنشط بكسر الشين المعجمة في الماضي وفتحها في المضارع اي اسرع في السير
وخف من النشاط ضد الكسل والمراد انه ذهب اعياؤه فابدا قوة وسرعة وفي النهاية
روي كثيرا انشط وليس بصحيح يقال نشطت العقدة اذا عقدتها وانشطتها وفي
الحديث كانما انشط من عقال ونشطت الدلو اذا جذبتها بقوة انتهى يعني ان الصواب
هنا النشاط من المزيد واصل معناه الجذب بسرعة واذا صحت الرواية بخلافه فكيف
يقال انه غير صواب ولا يخفى انه استعارة فيجوز ان يستعار من نشط الدلو اذا
نزعها فيشبه الجمل بدلو في بئر ويشبه نخسه له حتى جد في سيره باخراجه من البئر
كانه جذبه وابدا قوته التي لم تكن ظاهرة فيه حتى كان ذا اي جابر او الجمل لا يملك زمامه
الزمام مقود الجمل ويملك يجوز بناؤه للمعلوم فالضمير فيه لجابر وللمجهول فهو
للجمل ومعناه انه لا يقدر على ضبطه وحبسه لانه لشدة نشاطه يجذبه من يده
وينازعه فيه والحديث كما في الصحيحين قال جابر رضي الله عنه انه كان معه صلى الله
عليه وسلم في غزاة فابطا به جمله ومر به صلى الله عليه وسلم فقال له ما شانك
فقال ابطا بي جملي واعيا فتخلفت فنزل ونخسه بمحجن وقال له اركب قال فصار
لا يقدر على كفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه اشتراه منه ثم وهبه له
كما فصل قصته في الحديث وشروحه وفي ثمنه اختلاف ايضا وفيه من بركته صلى
الله عليه وسلم ولطف معاملته مع اصحابه وكرمه ما لا يخفى وهذه الغزوة هي
غزوة ذات الرقاع كما في شرح البخاري وصنع مثل ذلك اي مثل ما صنع مع جابر
رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي بفرس جعيل بضم الجيم وفتح العين المهملة
وياء تصغير ولام وهو جعيل بن زياد وقيل انه سمرة الصحابي الكوفي وقيل اسمه
جعال الاشجعي بشين معجمة وجيم وعين مهملة منسوب لاشجع وهي قبيلة
وحديثه هذا رواه عنه عبد الله بن ابي الجعد قال كنت في بعض غزواته
صلى الله عليه وسلم على فرس عجفاء ضعيفة في اخريات الناس فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما شانك فقلت انها عجفاء ضعيفة فضربها بمخفقة كانت في يده
وقال بارك الله لك فيها قال فلقد رايتني اول الناس ما املك راسها وبعت
من بطنها عدة كثيرة واليه اشار بقوله خفقها رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي ضربها بالمخفقة كانت معه بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الفاء وقاف
وهاء اسم آلة من الخفق وهي الدرة وقيل انها عصا والخفق الضرب ومنه خفق

الطير بجناحه وخفقان القلب والخافقان كله يرجع لهذا او برك عليها بالتشديد تفعيل
من البركة اي دعا لها مرارا بالبركة فيها فلم تملك راسها اي لم يقدر على ضبط راسها بالجلها
لفوق سيرها وتجاذبها له وهذا من قولهم ملكت العجين اذا اجنه بقوة والملك ماخوذ
من هذا وهو حقيقته نشاطا اي من شدة نشاطها وباع من بطنها اي مما ولدته وحصل
من نسلها الخارج من بطنها والبطن حقيقة الجوف ثم شاع في الولد والنسل باثني
عشر الفا وهذه بركة عظيمة لدعائه صلى الله عليه وسلم ولعله كان عنده منها بطون
متعددة تتناسل فيكون ذلك ولدها وولد اولادها وفيه لف ونشر فقوله لم تملك
ناظر لقوله خفقها وقوله وباع الخ ناظر لقوله وبرك عليها وهو ظاهر وهذا رواه
النسائي وابن عبد البر في الاستيعاب وفي حديث رواه ابن سعد من حديث اسحق
ابن عبد الله بن ابي طلحة انه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا قطوفا قليل السير
متقارب الخطى لسعد بن عبادة الانصاري سيدهم المشهور فرده اي اعاده
صلى الله عليه وسلم لصاحبه بعد ما ركبه او معناه صيره لان رد يكون بمعناها
ويعمل عملها كما مر جوابه فعلى الاول ما بعده حال وعلى الثاني مفعول ثان
هملاجا بكسر الهاء وسكون الميم ولام وجيم وهو فارسي معرب وهو من البراذين
ما يسرع مشيه ويكثر نقله على هيئة مخصوصة والعامة يسمونه رهوان ٥
لا يسابر مبني للمجهول اي يسبق كل ما سار معه فعبر بما ذكر مبالغة كما مر في قوله
لا يجاري وروى البيهقي انه كانت شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم وهو
بفتح العين فيهما في قلنسوة خالد بن الوليد اي انه رضي الله عنه وضعها في
داخل قلنسوته تيمنا بها والقلنسوة بفتح القاف واللام وضم السين وفتح الواو
قبل هائه ما يوضع على الراس وهي معروفة ويقال قلنسية كما في الصحاح فلم
يشهد اي لم يحضر قتالا او حربا قاتل فيه الا رزق النصر اي الا نصره الله تعالى على
اعدائه فيقتلهم او يجي منهم ببركة تلك الشعرات التي كانت في قلنسوته وجملة
الا رزق في محل حال مستثناة استثناء مفرغا من اعم الاحوال وحكى ابن العديم ان ابن
ابي طاهر العلوي كان عنده الدعة عشر شعرة من شعره صلى الله عليه وسلم ٥
فبلغه ان بعض امراء حلب يحب العلويين وله كرم فارتحل له واهدى تلك
الشعرات له فاكرمه ثم اتاه بعد ايام فعبس في وجهه ولم يلتفت اليه فساله
عن السبب فقال له قال لي فلان ان هذه الشعرات لا اصل لها فساله احضارها
فاحضرت فطلب منه نارا موقدة فاتي بها فرمى شعرات منها في النار فلم تحترق
بل كانت احسن مما كانت فقبل رجله وانعم عليه بنعم لا تحصى واكرمه غاية الاكرام
وفي الصحيح اي في الحديث الصحيح او صحيح مسلم لان هذا الحديث رواه مسلم وابو
داود والنسائي وابن ماجه عن اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما انها اي
اسما اخرجت اي اظهرت وارت الناس جبة بضم الجيم وتشديد البا الموحدة وهي
ثوب مخيط طيالسة قال النووي انه روي باضافة جبة لطيالسة جمع طيلسان
بتثليث اللام والاشهر فتحها وطيالسة منون مصروف لانه بزنة ثمانية
ورفاهية ونحوه نصبه على انه صفة جبة كثوب اخلاق وقد سقط لفظ

طيالسة

طيالسة من بعض النسخ وهذه الجبة كانت عند اختها عائشة ام المؤمنين فلما ماتت بعد
النبي صلى الله عليه وسلم بنحو خمسة واربعين سنة انتقلت لها والطيالسة نوع من الاكسية
قيل افادا ان اعلام خضر ولذا روي جبة خضرا فوصفت بوصف بعضها وقيل معنى طيالسة
خلقة وقيل انه جمع طيلس كصيقل وهو المتقن النسج وقيل الطيلسان كسا اخضر يعرف
بالساج وقيل الطيلسان ردا من صوف تستعمله العجم ولذا يقال يا ابن الطيلسان في الشتم
وقالت اسما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها اي كان يكثر لبس هذه الجبة
لان كان يفعل كذا يدل على تكرر الفعل عرفا كما ذكره الاصوليون وليس بطريق الوضع
كما مر فنحن نغسلها وناخذ ماء غسلها فنعطيه للمرضى ونستشفي المرضى بها اي بمائها
بان يشربوا منه ويمسح به الابدان تيمنا باثاره صلى الله عليه وسلم فيرزقهم الله الشفا
ببركته وفي مسلم انها جبة كسروانية نسبة لكسرى اي عجمية وانها كانت مكفوفة
بالديباج واستدل به بعضهم على حل التسجاف من الحرير وقيده بعضهم بان لا يزيد
على اربعة اصابع ولا ينافي كونها من الطيالسة ما قيل انه صلى الله عليه وسلم لم
يستعمل الطيلسان وكرهه بعضهم لما ورد انه حلية قوم الدجال وحدثنا القاضي
ابو علي هو ابن سكرة وقد تقدم عن شيخه ابي القاسم بن المامون بن محمد بن هشام
الرعيني السبتي المعروف بابن المامون الامام المشهور قال كانت عندنا قصعة
بفتح القاف ولا تكسر كما مر وهي الجفنة المعروفة وتختص في العرف بما كان من الخشب
وقيدها النووي بما كانت تشبع عشرة القايل ابن المامون فيحتمل انها كانت عنده
وصلت اليه بطريق من الطرق ويحتمل انها كانت بديارهم وبلادهم من قصاع النبي
صلى الله عليه وسلم بكسر القاف كجمع جفنة وجفان ويجمع على قصع ايضا وقصاعه
صلى الله عليه وسلم لم تعدوها ولم يذكروا اصنافها لانه كان لا يعتني بها ولا
يعددها ولا يدخرها فكنا نجعل فيها الماء للمرضى جمع مريض فيستشفون بها
اي يطلبون الشفا فيحصل لهم برؤهم مما وضع فيها لبركة اثاره اثاره واخذ
جهجاه الغفاري جهجاه بجيمين مفتوحتين بينهما ها وبعد الاخيرة الف
وها وقيل ان صوابه جهجا مقصورا لاها في اخره والغفاري بكسر العين نسبة
لغفار وهي قبيلة معروفة واختلف في اسم ابيه فقيل هو ابن مسعود وقيل
ابن سعد بن حرام وقيل ابن سعيد وقيل ابن قيس وهو صحابي مهاجري مدني
روى عنه احاديث وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي
بعد عثمان رضي الله عنه بسنة القضيب يعني قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي كان مع الخلفا والقضيب عصا قضيبة من يد عثمان بن عفان لما قام عليه قبل
يوم الدار فقيل اخذه وجذبه من يده وهو على المنبر وقيل بعد نزوله منه تنا
وله ليكسره اي اخذه بقصد ان يكسره وظاهره انه لم يكسره لصياح الناس عليه
وقال ابن عبد البر وبعض اهل السير انه كسره على ركبته اي اتكى على ركبته في
كسره كما هو معتاد فصاح به الناس ليمنعوه من كسر قضيب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانه امر عظيم وجراة لم يرضوها ولذا قال ابن العربي لا يصح
كسر العصا ممن اطاع او عصا وهذه العصا كان يعتمد عليها النبي صلى الله عليه

وسلم اذا خطب وكذا الخلفا بعده فاخذته اي اصابته ووقعت به واصل معنى الاخذ التناول
فتجوز به عما ذكر الاكلة كفرحة وهو داء يصيب بعض الاعضا فيتاكل اي يتفتت وينقطع وهو
نوع من الجذام والفرق بينهما مذكور في مفصلات كتب الطب والناس تقول آكلة بالمد وقد
قيل انه خطا الا ان الثعالبي انشد لبعض العرب في كتابه ثمار القلوب

ومن انت هل انت الا امرؤ • اذا صح نسلك في باهله •
وللباهلي على خبزه • كتاب لاهله الا كله •

ولم يخطيه فيه وهو من ايمة اللغة فيصح ان تفسر عبارة المصنف به الا انه مغاير لضبط الرواية
فقطعها اي قطع جهجاه ركبته او رجله من ذلك لئلا يسري المرض لبدنه فان هذا المرض
يعالج بقطع العضو كما قيل • القطع طب كل عضو فاسد • ولا حاجة لما قيل ان ضمير
الفاعل للاكلة وذكره بتاويل المرض ونحوه ومات الجهجاه من قطعها قبل تمام الحول اي
السنة التي وقع فيها القطع بسبب اهانته لقضيبه صلى الله عليه وسلم قال ابن عبد
البر في الاستيعاب انه تناول العصا من يد عثمان رضي الله عنه وهو يخطب فكسرها
فوقعت الاكلة في ركبته وتوفي بعد عثمان بسنة وهو مناف لكلام المصنف من وجهين لان
ظاهره انه لم يكسرها وانه حال عليه الحول وفي الروض الانف انه انتزعها من يد عثمان
رضي الله عنه حين اخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه وهو ايضا مخالف لكلام ابن
عبد البر في قوله انه اخذها وهو على المنبر وكان عثمان لما قام عليه الناس وهجموا
المدينة يخرج يصلي بالناس على عادة الخلفا الراشدين ثم خرج في اخر جمعة فحصبوه
حتى وقع من على المنبر ولم يقدر على الامامة فصلى بهم ابو امامة بن سهل ثم
حصروه ومنعوه من المسجد وكان من القايمين عليه الجهجاه وشافهه بما لا
يليق وفعل بالقضيب ما فعل وفي جراته على قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع انه من الصحابة الذين شهدوا المشاهد معه صلى الله عليه وسلم اشكال لا يخفى فان
الظاهر انه يعرف القضيب وحرمته وغضبه على عثمان رضي الله عنه لا يسوغ له مثل
ذلك وعثمان رضي الله عنه كان مجتهدا متاولا فيما انكروه عليه وما هذه الا زلة
عظيمة لا تليق بمن كان مومنا صحابيا وروى البيهقي عن انس رضي الله عنه
حديثا متصلا انه صلى الله عليه وسلم سكب من فضل وضوئه السكب بمعنى الصب
والفضل وضوئه ما زاد عليه وقال شيخنا المقدسي قدس الله سره وجدت في كتابه الرمز
ان الوضوء بالفتح في المصدر كما في الصحاح وبالضم مصدر عن اليزيدي والفتح
اولى وفي كتاب سيبويه فيما جاء على فعول بالفتح توضا وضوءا وتطهر طهورا
وولع ولوعا وقبل قبولا وقال ابن حزم في شرحه زعموا ان الوضوء بالفتح اسم
الما لا المصدر ولم يحك عن يونس به الوضوء بالضم قلت ولولا انه ضعيف ما تبرا
منه الجوهري والقاضي عياض وتبعه النووي وكلاهما لم يجوزاه انتهى ما قاله
شيخنا فلذا هنا الفتح والضم في بير قبا بضم القاف والمد مكان بقرب المدينة
الشريفة غير مصروف ويجوز صرفه ايضا باعتبار المكان والهاء ليست للتانيث
وقال في التبصير انه اسم اماكن ثلاثة فينسب اليه قبائي والى قبا فرغانة
قباوي والقصر لغة فيه ايضا فما نزفت البير اي انقطع ماوها بعد مبني على

تلساني

الفتح اي بعد ما سكب فيها وفضل وضوئه صلى الله عليه وسلم ونزفت بفتح الزاي المعجمة ويجوز
كسرها هو مبني للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول ايضا لانه ورد متعديا وغير متعد فمن اقتصر
على الثاني فقد قصر وقد ورد ثلاثيه متعديا ومزيده لازما على خلاف القياس ككبه الله ١
فاكب وله اخوات فصلناها مع الكلام عليها في السوانح والمع قال انفصب فضل وضوئه
اي بقيته ووقع في رواية انه تفل فيها وعد هذا من كرامانه صلى الله عليه وسلم وتقدم
انه من معجزاته صلى الله عليه وسلم تفجيرا لماء في بئر الحديبية وبئر تبوك لانه ثمة وقع
التحدي لمشاهدة الكفار له وهنا لم يقصد التحدي كما قيل وروى ابو نعيم في دلايله
انه صلى الله عليه وسلم برق بزاي وصاد وكلاهما بمعنى وهو مج الريق من فيه في بير
كانت في دار انس بن مالك خادمه صلى الله عليه وسلم فلم يكن بالمدينة بئر من ابارها اعذب
منها اي احلى والذ من مائها وهذا كان بين اظهر المؤمنين فلذا لم نعده معجزة كما اشرنا ٦
اليه ومر صلى الله عليه وسلم على ماء في بعض اسفاره فسأل عنه اي عن اسمه فقيل له اسمه
بيسان بموحدة مكسورة وقال التلمساني بالفتح وهو الظاهر لموازنته لنعمان الاتي ولولا ٥
جاز فتحه وكسره ومثناة تحتية ساكنة وسين مهملة والف ونون وماؤه ملح جملة حالية
اي لا عذب فيه فلما سمي بما يوهم البوس ضد النعيم لم يحب صلى الله عليه وسلم ما
يتشاءم به وغيره لانه كان يحب الفال الحسن فقال بل هو نعمان بفتح النون فعلان من
النعيم والنعمة وبيسان موضعان احدهما بالشام وهو في حديث الدجال
والاخر بالحجاز وهو الذي مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذي قرد
وهو المذكور هنا فغير اسمه وغير الله ماءه فاشتراه طلحة رضي الله عنه وتصدق به
فقيل له طلحة الفياض وضبط الانطاكي في حواشيه هنا نعمان بضم النون والصواب
ما تقدم وفي الشرح الجديد انه بكسر النون فكانه قصد به كل موافقة بيسان وملح وهو
الفصيح ومالح لغة ايضا لكنها غير فصيحة وليست لحنا كما قيل لورودها في النظم والنثر
كثيرا ولولا خوف الاطالة اوردنا ذلك وماؤه طيب هذا من جملة معجزاته صلى الله عليه
وسلم ولا تناقض كلامه فطاب ببركته صلى الله عليه وسلم لما غير اسمه وقال انه
طيب وروى ابن ماجة في حديث اخر مسندا انه صلى الله عليه وسلم اتي بالدلو المجهول
اي اعطاه بعض اصحابه صلى الله عليه وسلم وجاء به بدلو مملوء من ماء زمزم ورواه
البيهقي عن وائل الحضرمي الا انه لم يقل فيه انه من ماء زمزم وفيه اي التي فيه
صلى الله عليه وسلم ما في فمه وريقه فصارت رائحته اطيب من رائحة المسك وله
وقريب منه قصة نافع احد القراء السبعة المذكورة في شروح الشاطبية ومن
كراماته صلى الله عليه وسلم ما رواه الطبراني عن ابي هريرة انه عليه الصلاة والسلام اعطى الحسن والحسين
لسانه الشريف اي وضعه في فمهما فمصاه اي جذبا بريقه وشربا منه وهما يبكيان
جملة حالية اي باكين عطشا تمييز او مفعول له والعطش حرارة تقتضي اشتهاء ما يشرب
فسكتا اي فسكن عطشهما وتركا البكاء وكان الاحسن ان يذكر هذا مع قوله وكان يتفل في
افواه الصبيان الخ وفي حديث صحيح رواه مسلم عن جابر انه كان لام مالك الانصارية
الصحابية وهي ام سليمان بنت ملحان قيل والصواب ان يقول ام انس بن مالك وفي
الصحابة ام مالك البهزية وليست هذه وفيه نظر لان ام مالك هذه لست ام انس

تلمساني

نوزكي

تلمساني

وقد قالوا انه لا يعرف اسمها وفي شرح المصابيح للتوربشتي ام مالك في الصحابة اثنتا
ام مالك الانصارية وام مالك البهزية وهي صاحبة العكة انتهى عكة بتثليث العين المهملة
والمشهور ضمها وهي وعا من جلد يوضع فيه السمن غالبا وكانت مسددة تهدي فيها
للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا اي ترسل به له على طريق الهدية وهو بفتح السين
المهملة وسكون الميم وفتحها لحن قال الزبيدي السمن للبقر غالبا ويكون للمعز
ايضا وفي القاموس انه سلا الزبد ولم يغيده فامرها النبي صلى الله عليه وسلم
ان لا تعصرها الامر هنا بمعناه اللغوي لان قوله لا تعصرها نهي لا امر وهو باعتبار
لازمه لان النهي يلزمه الامر بالكف وعلى الاول هو مطلق الطلب والعصر الضغط للعرد
ليخرج بقية ما فيه مما قل فعنه اشارة الى انه لا ينبغي النظر لقلة ما فيها واحتقاره
وتعظيم ما قل من نعم الله يزيده ويحصل فيه البركة ولذا قيل ان فيه دقيقة لمن نظر
بعين الحقيقة وبعض يكسر التاء كضرب يضرب ثم دفعها اي دفع صلى الله عليه وسلم
العكة اليها اي الى ام مالك المهدية له فاذا هي مملوءة سمنا اي فاجاها بغتة ملؤها
ذلك مملوءة بزنة المفعول بهمزة ويجوز ابدال الهمزة واوا وادغامها فيا فيها تاتيها بنوها
يسالونها الادم بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وضمها وهو جمع ادام وهو ما يؤتدم
به مع الخبز كالسمن والعسل واختلف الفقها في اللحم هل يسمى اداما عرفا ام لا فلا
ينافي ما ورد في الحديث سيد ادام الدنيا والاخرة اللحم وقيل الادم ما يصلح به الطعام
وليس عندهم شيء يعني من الادام فتعمد اليها اي تقصدها وتمسكها بيدها وعمد
يعمد بفتح الميم في الماضي وكسرها في المضارع ويجوز العكس كما في شرح الفصيح
للبلي فتجد فيها سمنا كما كانت فلا تنقص فكانت تقيم ادمها اي تجده قايما اي
باقيا على حاله حتى عصرته غاية للاقامة اي لما عصرته انتهت اقامة السمن في العكة
وفقدته وذهبت بركته لما خالفت امره صلى الله عليه وسلم قال النووي في
شرح مسلم الحكمة في ذلك ان عصرها يضاد التوكل والتسليم ويتضمن التدبير
والاخذ بالحول والقوة فعاقبهما الله بزوال ما انعم به عليهما ولم يذكر هذا
في المعجزات لانه لم يتحد به ولانه محتمل في بيت ام مالك وفي اسد الغابة لابن
الاثير انه صلى الله عليه وسلم امر بلالا لا يعصرها ثم دفعها اليها فلما اخذتها
اذا هي مملوءة فاتت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله نزل في شيء
فقال ماذاك يا ام مالك قالت رددت علي هديتي فدعا بلالا وساله عن ذلك
فقال والذي بعثك بالحق لقد عصرتها حتى استحييت فقال هنيا لك يا ام
مالك هذه بركة عجل الله ثوابها ثم علمها صلى الله عليه وسلم ان تقول دبر
كل صلاة سبحان الله عشرا والحمد لله عشرا والله اكبر عشرا وهذا صريح في ان ما ذكر عوض
كان بركة لا معجزة بملاحظته صلى الله عليه وسلم كما قيل فتدبر وفي حديث رواه
البيهقي انه صلى الله عليه وسلم كان يتفل بفتح المثناة التحتية وسكون التاء المثناة
الفوقية وضم الفا وكسرها والتفل البصاق وخصه البيهقي بيوم عاشورا
في افواه الصبيان وافواه جمع فم باعتبار اصله لان اصله فوه والصبيان جمع صبي
والمراد بهم الصغار الذين يرضعون ولهذا قال الا المراضع بزنة مساجد جمع مرضع بفتح الصاد

دجى

ابن اقيرش

اسم مفعول من الرضاعة وهم مثل الثدي لا جمع رضيع بمعنى مرضع كما قيل فان فعيل لا يجمع
على مفاعل وادعا انه على خلاف القياس لا حاجة اليه وفي بعض النسخ مراضيع بزيادة الياء فان
صحت رواية فهو على خلاف القياس كما قيل في جمع خاتم خواتيم الا ان ابن مسعود قال انه
شاذ وادعا بعضهم انه ضرورة لا يصح فانه ورد في الحديث الاعمال بخواتيمها وما قيل
ان تقدير هذا الكلام صبيان المراضع وهذه الاضافة خطا الفهم الا ان وقع له رواية صبيان
المراضع بالاضافة ولم يحله في شيء من النسخ فيجزئهم بضم المثلثة التحتية وسكون الجيم
وكسر الزاي المعجمة وهمزة اي يكفيهم واهل الاصول فسروا الاجزا بالصحة وفي المحصول
وشرحه كلام في الفرق بين الاجزا والصحة ريقه الشريف الى الليل اي فيكفيهم عن
الرضاعة النهار كله ببركته صلى الله عليه وسلم ويقوم المقام منه مقام لبن الام الكثير
ومن كرامته اي من كرامة النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه البيهقي بركة يده فيما
لمسه اللمس قريب من المس وهو وضع اليد على الشيء فقوله بيده تاكيد او تجريد
كنظرت بعيني والبركة الزيادة المعنوية والحسية كما تقدم وغرسه لسلمان
الفارسي اي لاجله كما سياتي والغرس وضع اصول الشجر في الارض لينمو وفي
نسخة اوغرسه فهو شك من الراوي وسلمان هو ابو عبد الله الفارسي مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو من قرية يقال لها جي من قرى اصبهان او رام هرمز ولم
يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اعتقه وكان من علما الصحابة
وزهادهم المعمرين وكان رضي الله عنه يعمل الخوص وياكل منه مع ان عطاءه من
بيت المال خمسة الاف كل سنة وكان اذا اخذها تصدق بها قال النووي رحمه الله
اتفقوا على انه عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمائة وخمسين سنة وتوفي
بالمدائن ودفن بها سنة خمس او ست وثلاثين وقد قال صلى الله عليه وسلم ان
الجنة لتشتاق له وكان مولاه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من اليهود
فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وقصته مشهورة حين كاتبه
مواليه من اليهود وهذا ينافي ما قاله البرهان انه صلى الله عليه وسلم اشتراه
وجمع الموالي ولم يكن له الا مولى واحد تجوزا وقد قيل انه على ظاهره لانه ورد انه
اشتراه من قوم من اليهود وفيه نظر والمولى هنا هو السيد وهو مشترك بينه وبين
العبد وله معان اخر والكتابة معلومة مفصلة في كتب الفقه على ثلاثمائة ودية
بفتح الواو وكسر الدال المهملة وياء مثناة تحتية مشددة قبل الهاء وهي صغار
النخل يغرسها لهم كلها تعلق بفتح التاء الفوقية وسكون العين المهملة وفتح اللام
ثم قاف اي نبتت بعد غرسها وفي نسخة بضم غراسها من علقت المراة اذا حبلت وقال بعض
الشراح ثم كل نخرتها من علق يعلق كعلم يعلم وقيل تدرك وتضم لامه كيكتب
فهو متداخل من بابين والمراد الاكل هنا وهو الظاهر وجملة كلها تعلق بدل مما قبله
وقوله وتطعم اي يوجد فيها ما يوكل من ثمرها يؤيد ان المراد مما قبله تدرك وان جاز
ان يكون عطف تفسير وهو بوزن تكرم وعلى اربعين اوقية بضم الهمزة وتشديد
الياء ويقال وقية ايضا بفتح الواو وقال السعد في شرح الكشاف الاوقية افعولة
فاصلها اوقوية فاعلت او فعلية من الاوق وهو الثقل والمراد اربعون درهما

كما في كتب اللغة وعند الاطبا وهو المتعارف الان الها عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم
وقال الزمخشري الها اثنان واربعون درهما انتهى وقيل الها سبعة مثاقيل من
ذهب بيان للاوقية والها ليست من فضة ولفظ الوقية وقع في حديث رواه الشيخان
فقول بعضهم الها عامية كما في النهاية لاوجه له اللهم الا ان يريد الها المشهورة بين
العوام فلا ينافي تصحيح اهل اللغة لها كما في القاموس وغيره والنش بفتح النون وتشديد
الشين المعجمة عشرون درهما فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه الى
محل عين لغراسها فيه وغرسها له بيده الشريفة تبركا الا واحدة منها غرسها غيره
قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما رواه ابن عبد البر وقيل انه سلمان ووفق
بينهما بانهما غرساها معا او ان كل واحد منهما غرس واحدة فاخذت كلها بمعنى الجفا
فلعت وادركت فهو مجاز كانها اخذت من الارض ما قامت به ونمت كما يدل عليه الكلام
الا تلك الواحدة التي غرسها غيره فقلعها من محلها وردها اي اعادها الى محلها
فاخذت اي نبتت وادركت ببركة يده الشريفة ومسها وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم
الباهرة وقوله الا واحدة يدل على بطلان التوفيق بانهما غرس كل واحد منهما واحدة
وفي بعض السير انه صلى الله عليه وسلم غرسها كلها من غير ذكر الواحدة فينبغي ان يحمل
على البعض اجمالا فانه غرس تلك الواحدة بعد ذلك فلا منافاة بينهما وفي كتاب البزار
بموحدة وزاي معجمة والف وراء مهملة نسبة لعمل بزر الكتان زيتا عند البغداديين
وهو الحافظ المشهور فاطعم النخل اي اثمر ذلك النخل الذي غرسه صلى الله عليه وسلم
بيده الشريفة من عامه اي في سنته التي غرس فيها ومن ابتدائه الا الواحدة فقلعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واضافة العام لها
حقيقية لوقوع الغراس فيه واعطاه اي اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان
مما كوتب عليه مثل بيضة الدجاجة اي قدر حجمها لا وزنها قيل من ذهب جاءه من
الغنايم بعد ما ادارها على لسانه الشريف ليحصل فيها بركة ولا حاجة الى ان يقال انه
صلى الله عليه وسلم دعا بالبركة فيها ولو ليسمع فانه لا يقال مثله بالراي فوزن سلمان
رضي الله عنه منها لمواليه اي لمن كاتبه كما مر اربعين اوقيه وبقي عنده مثل ما اعطاهم
وهي اربعون اخرى وكانت في راي العين دون ما كوتب عليه من الذهب لكنها زادت
وزنا ورجحت ببركته صلى الله عليه وسلم وهو من نمو الاعيان قيل يجوز ان يكون
فاعل وزن النبي صلى الله عليه وسلم وكذا ابقى وهو بكسر القاف المخففة ويجوز فتحها
مشددة وقصة سلمان رضي الله عنه طويلة مفصلة في السير وحاصلها انه كان
بجي وهي قرية من فارس كان ابوه دهقانها وهو ممن يعبد النار فمر سلمان برهبان
في كنيسة يصلون ويتعبدون فاعجبه امرهم وقال هذا خير من ديننا فلما اخبر
اباه بذلك نقم عليه وقيده مخافة ان يتبعهم فارسل سلمان اليهم يقول اذا كانت
عندكم من يذهب الى الشام اخبروني به وكانوا قالوا له ان ديننا هذا بالشام
فاخبروه فكسر قيده وذهب معهم وجا الى الشام ودخل كنيسة فيها قسيس يتعبد
لها فاستمر عنده الى ان مات ثم ذهب لاخر بعمورية ثم لاخر بالموصل ومكث عنده
لمعين وناسف على الموت فقال له ان مدنا ما فعل قال ان ديننا هذا اقديم وقد

دعي

ذي زمن نبي على الحنيفية يظهر بارض النخل فسأله عن علامته فقال به خاتم
النبوة ولا ياكل الصدقة وياكل من الهدية فمر به قوم من كلب وكان له بقرات وغنيمات
اكتسبها من عمله فاعطاها لهم على ان يحملوه الى ارض العرب فغدروا به واسروه وباعوه
من يهودي وقيل ابتاعته امراة والاصح الاول فكان يخدمه حتى قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة فبينما هو على نخلة من النخيل وسيده الذي اشتراه منهم تحتها
اذا رجل غريب جا الى سيده المذكور وقال هل سمعت ما فعلته الانصار قدم عليهم رجل من
مكة وهو معهم نبيا الان فلما سمع سلمان مقالته عراه نافض كالحمى ونزل يسال الرجل عما قاله
فنهره سيده فامر مقالته ثم ذهب اليه صلى الله عليه وسلم بتمرات من نخل سيده فاكلها
فلما راى العلامات المذكورة جا واتبعه سيده على ما ذكره المص قال قلت تقدم في الحديث
انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سلمان منا اهل البيت فكيف يكون هذا
وهو مكاتب وكيف اكل صلى الله عليه وسلم مما اتى به والعبد لا يملك شيا قلت اجابوا
عنه بوجوه منها انه ورد انه صلى الله عليه وسلم اشتراه منه بما ذكر وعلى هذا فلا
اشكال ومنها انه علم انه لم يمسه الرق كما مر وانما باعوه ظلما وغصبا ولو سلم فهو
مولى موالاة لا مولى رق ولذا اكل صلى الله عليه وسلم ما اهداه له لانه اجرة له
او اذن له سيده في دفعه لمن يريد وفي حديث حنش بفتح الحا المهملة والنون
وشين معجمة ابن عقيل بفتح العين وكسر القاف وليس مصغرا وهو صحابي ترجمته
في الاستيعاب وغيره وهذا الحديث رواه بطوله قاسم بن ثابت في الدلايل عن المسور
ابن مخرمة سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق بالسين وقد
تبدل صادا وهو قمح يقلى ويطحن ثم يجعل في ما ونحوه من المايعات ويشرب فهو طعام
وشراب وشربة بفتح الشين المرة من المشروب وليس بضم الشين كما قيل فهو مفعول
به لا مفعول مطلق كما قيل شرب صلى الله عليه وسلم اولها وشربت اخرها يعني انه
صلى الله عليه وسلم شرب منها اولا لتحصل البركة فيها ثم ناولها لي ثانيا فشربت بقيتها
فما برحت اي لم ازل بعد ما شربت سوره اجد شبعها اي يحصل عندي الشبع منه
العنب وهو معروف اذا جعت اي اذا جا وقت الجوع والحاجة الى الطعام وريها
بكسر الرا وهو برد يحصل في الجوف من الما ونحوه يغني عن الما اذا عطشت اي جا
وقت الحاجة الى الشرب والمهيا للشربة وبردها اذا ظميت بزنة علمت بهمز بعد
الميم ويجوز ابدالها وهو من الظما وهو العطش فغاير بينهما في العبارة تفننا اي
لم يفارق بعد شربها الشبع والري لبركة سوره صلى الله عليه وسلم وفي حديث
صحيح رواه احمد في مسنده عن ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم اعطى قتادة
ابن النعمان بن زيد ويكنى ابا عمرو وهو صحابي مشهور توفي سنة ثلاث وعشرين وصلى
عليه عمر رضي الله عنه وهو الذي رد نه عينه كما تقدم وهو من الانصار وصلى بعد العشا
جملة حالية بتقدير قد اي وقد صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشا في
ليلة مظلمة مطيرة اي ذات ظلمة من ظلمة الليل والسحاب المطبق بالمطر وهو متعلق باعطى
عرجونا بضم العين وسكون الرا المهملتين وضم الجيم كعنقود ويكسر ويفتح كفردوس
والهما زايدة وهو فعلول من الانعراج وهو الانعطاف وقيل وزنه فعلول والبه

ذهب صاحب القاموس والصحيح الاول وقال صلى الله عليه وسلم لقتادة انطلق به اي خذ
العرجون واذهب به لمنزلك فانه سيضيء من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا اي مقدار
عشرة اذرع في طريقك حتى تبصرها وليست العشرة من الاشبار كما قيل فاذا دخلت بيتك
فسترى سوادا وهو ضد البياض والمراد جسم اسود والسواد يطلق على الجثة والشبح
وفي توثيق عرى الايمان للبارزي انه كان هيئة قنفذ فاذا رايته فاضربه حتى يخرج
من البيت فانه اي السواد المرئي الشيطان تصور بهذه الصورة فانطلق قتادة فاضاء
له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج من بيته كما اخبره به يومي
صلى الله عليه وسلم وقيل ما ذكره المص رحمه الله رواية بالمعنى فان لفظ الحديث كما رواه
ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة لصلاة العشاء
وهاجت السما والظلمة ثم برقت فراى رسول الله صلى الله عليه وسلم قتادة فقال له
قتادة قال نعم يا رسول الله علمت ان شاهد الصلاة قليل فاحببت ان اشهدها فقال له
اذا انصرفت فاتني فلما انصرف اعطاه عرجونا وقال خذه فسيضيء امامك عشرا وخلفك
عشرا الحديث ويجي جا متعديا فعل مفعول له ولازما وهو منصوب على الظرفية والشيطان
المارد به واحد من الجن المردة او ابليس بعينه ومنها اي من كراماته صلى الله عليه وسلم
في قلب الاعيان ما رواه البيهقي في حديث مسند وهو دفعه لعكاشة بن محصن الصحابي
المشهور وهو بضم العين وتخفيف الكاف وتشديدها وشين معجمة علم منقول واصله
العنكبوت او نتنه وهذه القصة وقعت له وهو ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والدفع اصل معناه الازاحة باليد والمنع ويطلق على الاعطا والتسليم كما يقال
دفع له المال جذل حطب بجيم مكسورة وذال معجمة ساكنة ولام وقد تفتح جيمه وهو
عود غليظ او اصل من اصول الشجر ومنه المثل انا جذيلها المحكك وهو عود ينصب
لتحتك به الابل الجربى فاستعير لمن يرجع لرايه ويستشفى بهدايته في المهمات
والحطب ما يبس من اغصان الشجر وهو معروف وهو الذي قال فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقد كان قال يدخل الجنة سبعون الفا بغير حساب
وهم الذين لا يرقون ولا يسترقون فقال عكاشة ادع الله ان يجعلني منهم فقال جعلك
الله منهم ثم قام اخر فقال مثل ما قال فقال له صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة
فقال ابن عبد البر الثاني كان من المنافقين ورده السهيلي بانه ورد في رواية فقام
رجل من خيار المهاجرين وايضا ورد انه انما قال له لثالث ولعل الساعة الاولى كانت
ساعة اجابة انقضت او لانه عرف صلى الله عليه وسلم انه لو دعا له استرسل الامر وطال
وعم مثله الناس وهو مما يكم وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر اي في وقعة بدر
كما مر في الملاقي اليوم على مثله فعاد في يده سيفا اي صار لان عاد يكون بمعنى رجع وليس
مناسبا هنا وبمعنى صار كما فصل في محله وقوله صارما اي قاطعا ومنه الصرم وهو الهجر
والقطيعة طويل القامة اي طويلا مستقيما ابيض اللون شديد المتن اي قوي الحرم صلبا
من المتانة وهي القوة ولذا سمي الظهر متنا لقوته واشتداد الاعصا وقوامها به فقاتل
به بيده حتى انقضت ثم لم يزل السيف عنده اي في ملكه وتصرفه والعند للحضرة
وترد لمعاني اخر منها هذا ايشهد اي يحضر به المواقف اي قتال الكفرة الى ان استشهد عربي
في قتال اهل الردة واستشهد بمعنى صار شهيدا وقيل معناه طلب الله منه الشها

وذكر

وذلك في خلافة ابي بكر رضي الله عنه وهو مشهور وقوله الى ان استشهد الى غاية لبقائه
في يده فلا ينافيه بقاؤه عند اهله بعده كما توهم وكان هذا السيف يقال له العون سمي
بهذا المصدر مبالغة لاعانته على الاعداء وكان من عادة العرب واهل الصدر الاول انهم
يسمون الالات حربهم وخيولهم باسما كالاناسي ودفعه مصدر مرفوع مبتدا خبره مقدر
اي من كراماته صلى الله عليه وسلم دفعه او هو معطوف على دفعه السابق بلا تقدير وهو
الاولى لعبد الله بن جحش يوم احد اي في وقعة احد المشهورة وهو ابن عمته صلى الله عليه وسلم
اميمة بنت عبد المطلب وهو من المهاجرين بالهجرتين ويسمى المجدع لانه استشهد باحد ومثل
بقطع انفه واذنيه لانه طلب ذلك من الله وقصته مشهورة في السير ورواها البيهقي مسندة
وقد ذهب سيفه جملة حالية او معترضة فاعطاه صلى الله عليه وسلم عسيب نخل عسيب
بوزن كريم بعين وسين مهملتين ومثناة ساكنة تحتية وباء موحدة فيلا وهي جريدة
النخل لا خوص عليها او الصواب ما في الصحاح من انه من السعف ما فوق الكرب لم ينبت عليه
خوص كعسب الذنب رجع اي صار العسيب وهو احد معنيي الرجوع ويكون لازما ومتعديا
سيفا مفعول رجع قال ابن عبد البر في الاستيعاب انقطع سيف عبد الله بن جحش يوم احد
فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد عرجونا نخلة فصار في يده سيفا يقال
ان قايمه كان منه وبقي الى ان بيع من بغا التركي بمايتي دينار وكذا ذكره ابن سيد الناس
وغيره وهذه الرواية تدل على ان العسيب اصل العرجون لا الجريد كما قيل قيل وهذه
اعظم من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام في عصاه لانها بقيت بعده صلى الله عليه
وسلم وعصا موسى لم تبق بعد موته وقد وقعت مرارا في عصي متعددة وتلك
عصاة واحدة وفي سيرة ابن سيد الناس مثله لسلمة بن اسلم يوم بدر ومنه اي ومن
هذا النوع من الكرامات والبركات بركته صلى الله عليه وسلم في در ودر الشاة در ود
بدال وراء مهملتين مصدر درت الشاة ونحو هادر وراسال لبنها من ضرعها بكثرة
والدر اللبن ومنه لله دره ثم شاع في معنى الخير والنفع والشاة من الغنم واصلها شوهة
فاعلة وتطلق على ما يشمل المعز مجازا والشياه من نفرد لجمع شاة الحوايل
جمع حايل وهي التي لم تحمل مطلقا او ما حمل عليها فلم تحمل وقيل انها ما لم تحمل سنة
او سنتين وقيل العجاف جمع حول جمع حايل جمع الجمع ووصفها بذلك لانها لبعدهن الدر
باللبن الكثير ذكره للايضاح والتاكيد او اراد بالدر مطلق الخروج على طريق التجريد
والمجاز المرسل كقصة شاة ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعي اخت حبيش الصحابي
المعروف بالاشعر وابو معبد اسلم ومات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وله
رواية وقال السهيلي انه لا يعرف اسمه وقيل اسمه حبيش وقيل اكثم بن ابي الجون
ومنزله بقديد وقصة ام معبد مشهورة وتقدمت الاشارة اليها واوردها الحافظ
العلاي بالتاليف وملخصها ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على خبايها وهو مهاجر
للمدينة فنزل عندها وطلب منها زادا فقالت ما عندي غير شاة عجفا لا لبن فيها
فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها فدرت ما كفاه ومن معه وبقي في الاناء بقية
فلما جا زوجها اخبرته بخبره وصفته فعرفه ثم قدم عليه صلى الله عليه وسلم المدينة
بولد صغير لها واسلمت كما بيناه سابقا ونفصله في السيرة وشرحها وهو هو

لاحاجة لذكره هنا ومنها قصة اعنز جمع عنز معاوية بن ثور بالمثلثة ابن عبادة بكسر
العين ابن البكا والد بشر وقصته رواها ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله
وفي نسخة العرني انه معونة بعين مضمومة وذون ومحجة ولم يذكره الا الحافظ
الحلبي ونقل خلافه عن الذهبي وكان وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وهو شيخ
كبير ومعه ولده بشر ومعه الفجيع بن البكا والاصم بن كعب فقال يا نبي الله بابي
انت وامي امسح على وجه ابني فمسح عليه واعطاه اعنزا سبعا ودعا لها بالبركة قال
الجعد • وكانت السنة ذات قحط وغلا اصاب بني البكا فما اصابتهم ببركته صلى الله عليه
وسلم ونمت الاعنز وكتب لهم كتابا هو عند بني بشر المذكور وفيه قصة الاعنز
وفي ذلك يقول بشر رضي الله عنه

وانا الذي مسح الرسول براسه • ودعا له بالخير والبركات •

وشاة الس وقصتها كقصة شاة ام معبد الا ان الشراح لم يذكروها ولم يذكرها
السيوطي في تخريجه ايضا لعدم الوقوف عليها وغنم حليمة مرضعته صلى الله عليه وسلم
اي قصة غنمها التي رواها ابو يعلى والطبراني وغيرهما بسند حسن لما حملته صلى
الله عليه وسلم لترضعه في سنة كان فيها قحط اصاب ارض قومها وقل النبات فيها
فكان غنمها تاتي من المرعى وقد رعت كثيرا ودر لبنها وغنم قومها تاتي عجافا جافة
الضروع فيتعجبون منها وما ذاك الا ببركته صلى الله عليه وسلم ويمن قدمه
وحليمة هي بنت عبد الله بن الحارث السعدية وزوجها هو الحارث بن عبد العزى
وقد اسلمت هي وزوجها واولادها كما تقدم ومرضعته بالجر بدل من حليمة
وشارف فيها بالجر عطف على غنم والشارف الناقة المسنة الهرمة وقيل انها تشمل
الذكر والانثى والمعز والمراد الاول وكانت خرجت من بلدها مع زوجها وابن رضيع
لها ومعهم شارف ليس في ضرعها قطرة لبن فكانوا لا ينامون من الجوع فلما اخذت
النبي صلى الله عليه وسلم لترضعه قام زوجها فوجد شارفه حافلة بالدر
فحلب منها ما شربوا كلهم وشبعوا وباتوا بخير ليلة فقال لحليمة انه نسمة مباركة
فقالت اني والله ارجو بركته الى اخر القصة وشاة عبد الله بن مسعود التي روى
قصتها البيهقي وابن مسعود رضي الله عنه من كبار المهاجرين السابقين وترجمته
تقدمت وكان وهو صغير يرعى غنما لعقبة بن ابي معيط فمر عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه فقال له هل عندك لبن قال نعم لكني مؤتمن
فقال ايتني بشاة لم ينز عليها الفحل فاتيته بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها
ودعا الله واتاه ابو بكر بصحفة فحلب فيها وقال لابي بكر اشرب ثم قال للضرع
اقلص فعاد كما كان وكان هذا سبب اسلامه وكانت لم ينز عليها فحل نزا الذكر
على الانثى اذا علاها لينكحها وانزاه غيره وهو مخصوص بالبهايم والسباع
والفحل الذكر فيصح في ينز ان يكون بفتح اليا التحتية وضم الزاي المعجمة مبني للفاعل
ويصح ضم اوله وفتح اخره بالبنا للمجهول وهو مبالغة في عدم اللبن بنفي اللازم
البعيد لانه اذا نزا عليها حملت ثم ولدت ثم بدر لبنها وشاة المقداد بالجر
اي قصتها التي رواها مسلم في البيهقي وهو ابن عمرو لا الاسود وان اشتهر به

كما يأتي ابن عبد يغوث الصحابي المشهور وقصته انه قال كنت انا وصاحبان لي قد بلغ منا
الجهد فعرضنا انفسنا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبلنا احد فاتينا
النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق بنا الى اهله فاذا ثلاثة اعنز فقال احتلبوا منها البنا
بيننا فكنا نحتلبه ويشرب منا كل نصيبه ونرفع للنبي صلى الله عليه وسلم نصيبه فيجي من
الليل ويشربه فوقع في نفسي ذات ليلة انه صلى الله عليه وسلم ياتيه الانصار لحاجتهم
لهذه الجرعة فشربتها ثم ندمت خشية انه اذا لم يجدها يدعو علي فاهلك فلم انم
وقد نام صاحباي فجا صلى الله عليه وسلم كعادته ليكشف الانا فلم يجد شيئا ورفع
بصره الى السما فقلت الآن يدعو علي فقال اللهم اطعم من اطعمني واسق من سقاني
فاخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز لاذبح ما سمن منها فاذا هن حفل كلها فحلبت انا حتى
علته رغوته وجئت اليه صلى الله عليه وسلم به فشرب ثم ناولني فلما علمت انه روي
واصبت دعوته ضحكت حتى استلقيت فقال صلى الله عليه وسلم احدى سوآتك يا مقداد
يعني انك فعلت سوءة فما هي فقلت يا رسول الله كان مني كذا وكذا فقال ما هذه الا
رحمة من الله لو كنت ايقظت صاحبيك فاصابا منها فقلت والذي بعثك بالحق ما ابالي اذا
اصبتها واصبته فضلك من اخطاته من الناس ومن ذلك اي من كراماته وبركاته صلى
الله عليه وسلم كما رواه ابن سعد عن سالم بن ابي الجعد مرسلا تزويده اصحابه
اي اعطاهم ما يتزودونه اي يكون زادا والزاد يشمل الما والطعام والمراد الاول
لقوله سقاء ما السقاء ككساء جلد كالقربة يوضع فيه الما واللبن ونحوه وضمن تزويد
معنى اعطى ولذا انتصب السقاء او هو على النسخ وقوله سقاء ما المراد به سقاء فيه
ما كما يشهد له ما بعده بعد ان اوكاه اي شده بالوكاء وهو ما يربط به القربة
ونحوها ودعا فيه اي دعا في شأنه وامره ولسببه وبعد متعلق بتزويد فلما
حضرتهم الصلاة اي دخل وقتها حتى كانها حاجتهم وهذا يقتضي انه كان ما يصلح
للوضوء نزلوا فحلوه اي حلوا اوكاه ليستعملوا ماءه فاذا هو لبن طيب اي فاجاهم
كونه لبنا خالصا بعد ما كان ماء وهذا من قلب الاعيان ببركته صلى الله عليه وسلم
وزبدة بتاء الوحدة او بالاضافة لضمير اللبن او للسقاء بادي ملابسة في فمه اي في
فم ذلك السقاء والزبد دليل على خلوص لبنه وجودته واما اوكاه لئلا يتوهم ان اللبن
وضع فيه وبدل لمن لم يكن معه وفي نسخة فنزلا فحلاه بضمير التثنية لرجلين
كان السقاء معهما وهذا الحديث من رواية حماد بن سلمة بن دينار الامام ابو سلمة
احد الاعلام وله ترجمة في الميزان كما تقدم وذكر انه من رواته على خلاف المعتاد
من اسلوبه في تخريجه قبل بيانا لشأن هذا الحديث حيث رواه مثل هذا الامام الثقة
العابد الزاهد الذي كان مجاب الدعوة معدودا من الابدال ومسلم ممن احتج به
وروى عنه والمغاربة والمصريون من اجلهم يعيبون اي مسلما فلا يعتدون بمن
عفى عنه وقال ان البخاري لم يرو عنه الا على طريق الاستشهاد وهذا من قلة
الانصاف وسلمة بفتحتين كما مر ومسح على راس عمير بن سعد اي امر صلى الله عليه
وسلم بيده على راسه قال الحافظ البرهان الحلبي كذا في نسخ من الكتاب وفي بعضها
عمر بن سعد بلا تصغير وهو ابو كبشة الانصاري الصحابي وعمير من الصحابة ايضا

ولا امرؤ من جرت له هذه القصة منهما قال السيوطي ان الذي رواه الزبير بن بكار في اخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد انه عبادة لا عمير ولعل ذلك واقعتان وفي نسخة التلمساني عمر بن سعيد وقال انه ابو يحيى النخعي الكوفي مات سنة خمس عشرة ومائة وبرك بالتشديد اي دعا له صلى الله عليه وسلم بالبركة في عمره وحياته فمات وهو ابن ثمانين اي وقد بلغ سن الثمانين فجعله ابنها مجازا ومثله مشهور يجعلون الدهر كالاب والام كما يقال الليالي حبالى قال

تمخضت المنون له بيوم ● اتى ولكل حاملة تمام ●

فما شاب اي ببركة مسح يده الشريفة له لم يشب راسه وشعره ولم يظهر فيه الهرم بنفي الشيب لانه من لوازمه مهموز روي للبنا للمجهول نايب فاعله مثل هذه القصص من بركاته صلى الله عليه وسلم عن غير واحد اي عن كثير فنفي الوحدة كناية عن الكثرة منهم السايب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الاسود ومدلوك بفتح الميم وسكون الدال المهملة وضم اللام وواو تليها كاف وهو ابو سفيان الفزاري له وفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم مع مواليه وعلق البخاري حديثه في غير الصحيح وذكره ابن حبان فقال مدلوك ابو سفيان كان يسكن الشام واتى النبي صلى الله عليه وسلم فمسح براسه فكان ما مست يده اسود وسائر راسه ابيض انتهى وفيه تفضيل عدم الشيب عليه وان كان الشيب وقارا لان مدحه لدلالته على الصحة كما مر ولكل شي جهة مدح وجهة ذم وقد افرد ذلك الثعالبي في كتاب سماه مدح الشي وذمه وروي الطبراني والبيهقي انه كان يوجد لعتبة بن فرقد اي كان موجودا عنده والمضارع لحكاية الحال الماضية وهو ابو عبد الله عتبة بن فرقد بن يربوع السلمي الصحابي شهد خيبر وابتنى بالموصل دارا ومسجدا وابنه عمرو عد من الاولياء وسكن عتبة الكوفة ويقال لاولاده الفراقدة وولي الموصل طيب نايب فاعل يوجد والمراد بالطيب الرايحة الطيبة وقيل انه بتقدير مضاف اي رايحة طيب يشم من جسده ويفوح في مجلسه يغلب طيبه نسايه اصل معنى الغلبة القهر والاستيلا فاستعير للزيادة والقوة كما ورد غلبت رحمتي غضبي وروي سبقت فالمراد ان رايحته تزيد على رايحة غيره حتى لا يظهر عندها فانه روي كما في الدلايل والاستيعاب عن امه زوجته ام عاصم انها قالت كنا عنده ثلاث نسوة ما منا واحدة الا وهي تجتهد في الطيب لتكون اطيب من صاحبتها وعتبة لا يمس طيبا فكان اطيب منا ريحا فقلت له في ذلك فقال اصابني الشرا على عهده صلى الله عليه وسلم فاقعدني بين يديه وتجردت من ثيابي فتفل في كفه ودلك الاخرى ثم امرهما على ظهري وبطني فعبق بي ما ترون واليه اشار بقوله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على بطنه وظهره وهو متعلق وتعليل لقوله يغلبه وسلت الدم عن وجه عايذ ابن عمرو اي مسح صلى الله عليه وسلم وجهه بيده منكبا عليه حتى اخرج ما عليه من الدم وهذا معنى السلت ويختص باخراج المايع والرطب الملتصق بشي اخر يقال سلت القصعة اذا مر اصابعه على جوانبها لتنظف كما في

٦٢٤

صحاح الجوهري وهو معنى معروف فلا وجه لما قيل انه من سلت الدم قطعه وعايذ بعين
مهملة وذال معجمة اسم فاعل من العوذ سمي به وهو عايذ بن عمرو بن هلال المزني الصحابي
من اصحاب الشجرة وهو مزني وحديثه هذا رواه عنه الطبراني وكان عايذ جرح يوم حنين
اي في وقعته التي وقعت مع هوازن سنة ثمان من الهجرة كما فصل في السير وحنين اسم
موضع قريب من الطايف بينه وبين مكة ثلاثة اميال سمي باسم حنين بن مهلايل لنزوله
به كما مر وجبلة وكان اخ خالية ودعا له الجهاد في سبيل الله فكانت له غرة بيضاء مثل
كغرة الفرس من اثر يده الشريفة لما مسح وجهه والغرة بياض منتشر طولا وعرضا في
وجهه فان قلت سميت فرحة وليس فيه مثلة كما توهم فانه كبياض يد موسى عليه الصلاة
والسلام والفرق بينه وبين البرص ظاهر وفي نسخة ولا كغرة الفرس اي لا تشبه غرته لما فيه
من النور وليس كالوضح في البدن وذكر ابن الكلبي انه صلى الله عليه وسلم مسح على راس قيس
ابن زيد وهو صحابي له وفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سيد قومه
وفي بعض النسخ بن يزيد بياء في اوله وابوه يسمى عامر الجذامي نسبة لجذام كغراب قبيلة
مشهورة ودعا له صلى الله عليه وسلم بتمامه بتمام صحته وعافيته فهلك اي مات فالهلاك
والموت بمعنى وقد يخص الهلاك بموت غير مرض لكنه ليس معنى ومتعينا وهو ابن مائة
سنة وراسه ابيض لشيبه وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت عليه من
اسود لم يشب ببركته صلى الله عليه وسلم وكان يدعى الاعزاي كان يسمى بالاعز
لما في وجهه من النور يقول لدعوت ابني محمدا اذا سميته به وروي بالبناء للمجهول
والذي رواه البيهقي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني في مسحه صلى الله
عليه وسلم براسه وبقاء اثره في وجهه وموته كما مات قيس على احسن حالة وثعلبة
هو وهب بن عدي بن مالك البخاري الزهري والجهني منسوب لجهينة وهي
قبيلة مشهورة وقصته كما في دلائل البيهقي انه قال لقيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالسيالة فاسلمت ومسح على وجهي فمات عمرو وقد اتت عليه مائة سنة
وما شاب منه شعرة مستها يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه وراسه
والسيالة بوزن سجادة بسين مهملة ولام موضع قريب من المدينة الشريفة ومسح
صلى الله عليه وسلم على وجه اخر قال البرهان لا اعرفه وقيل اخر يعني سواد بن
الحارث لانه روي انه مسح على وجهه فصارت له غرة بيضاء وقيل لعله طلحة بن ام
سليم فانه روي انه صلى الله عليه وسلم مسح بناصيته فكان كغرة فما زال على وجهه
نور من اثار انوار صلى الله عليه وسلم ومسح صلى الله عليه وسلم وجه قتادة
ابن ملحان بكسر الميم ويجوز فيه الصرف وعدمه وقتادة هذا صحابي له رواية
وترجمة فكان لوجهه بريق اي لمعان وصفاء بشرة من اثر مرور يده الشريفة عليه
حتى كان ينظر بالبناء للمجهول في وجهه اي يقابل وجهه بوجهه ليرى الناظر صورة
وجهه فيه لشدة صفاء بشرته كما ينظر في المرآة بكسر الميم اسم آلة من الرؤية معروف
والظاهر انه مبالغة في صفائه وحسنه وليس المراد حقيقته ووضع صلى الله عليه
وسلم يده على راس حنظلة في حديث رواه البيهقي بطوله مسندا ابن حذيم
قال ابن ماكولا هو بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة وفتح المثناة التحتية

عليه

لعله

فه

وميم وقال انه حنيفة بن خديم ابو حنظلة له صحبة وكذا قال الذهبي في المشتبه والتجريد
حنيفة والد خديم ولد لهما صحبة وحنظلة ابنه وذكر خديما فقال خديم بن حنيفة
ابن خديم الحنفي والد الله فيما قيل صحبة وقد قال ابن الجوزي لا يعلم اربعة ادركوه
صلى الله عليه وسلم الا ابا قحافة وابنه ابا بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد ويكنى
ابا عتيق انتهى والصحيح ان عتيق تابعي وجرى عليه الذهبي في تجريده ولو قال وعبد
الله بن الزبير وامه اسما وابوها ابو بكر وابوه ابو قحافة كان صوابا فانه لا خلاف
في صحبتهم فحصل من مجموعه ثلاثة اشخاص ولهم رابع ذكره العراقي في حاشية العمدة
وحنظلة مالكي وقيل حنفي وقيل سعدي هذا محتمل ما قاله البرهان وبرك عليه
بالتشديد اي دعا له بالبركة وقال بارك الله فيك فكان يوتى بصيغة المجهول اي ياتيه
الناس بالرجل تعريفه للعهد الذهني المساوي للنكرة قد ورم وجهه جملة حالية اي
اصابه مرض ورم منه وجهه والشاة بالجر من المعز والضان قد ورم ضرعها وهو
كالثدي للانسان وهو معروف فيمسح محل الورم من الوجه والضرع على موضع كف
النبي صلى الله عليه وسلم الذي مسته به فيذهب الورم الذي كان اصابه وروى
ابن عبد البر في الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم نضح في وجه زينب بنت
ام سلمة بفتحتين علم منقول من اسم شجرة معروفة وام سلمة هي ام المومنين وزينب بنتها
ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم واخت ابن الزبير من الرضاعة ونضح
بتفتح من باب ضرب يضرب بمعنى رش بالما ونحوه نضحة اي رشة من ما فما كان
يعرف في وجه امراة اي ما كان يرى وينظر في وجه احد من النسا او يعلم بالاخبار
لمن لم يرها من الجمال اي حسن الوجه ورونقه ما بها اي ما كان بها من ذلك الما
الذي رشه صلى الله عليه وسلم في وجهها لان ذلك الما كان مسه صلى الله عليه وسلم
قال ابن عبد البر في الاستيعاب دخلت زينب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يغتسل فنضح في وجهها فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى كبرت
وعجزت وكانت عند عبد الله بن زمعة فولدت له وكانت من افقه اهل زمانها
واعقلهم وتقدم ان اسم ام سلمة هند وقيل رملة وابوها احد يقال المعروف
بزاد الراكب وزينب ولدت بارض الحبشة فقدمت بها امها وكان اسمها برة فسماها
رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ومسح صلى الله عليه وسلم بيده الزكية
المباركة على راس صبي كان ذلك الصبي به عاهة اي افة ومرض والمراد انه كان اقرع
واسم هذا الصبي لا يعرف فبرا اي ثبت ضرب واخره مهموز واما برى بمعنى خلق
فمعتل اي زالت عاهته وشفي مما به واستوى شعره اي نبت وتم وحسن من
قولهم استوت الثمرة اذا كملت والشعر معروف بفتح العين وسكونها وهذا
الحديث لم يخرجه السيوطي ولا غيره من الشراح ومثله روي في خبر المطلب
ابن قتادة ومسح صلى الله عليه وسلم على غير واحد اي على كثير كما مر بيانه من
الصبيان المرضى جمع مريض والمجانين فبراوا اي زال ما بهم من المرض والجنون قيل هذا
كله كان ينبغي ذكره في فصل ابرا المرضى وذوي العاهات واكثر فصوله متداخلة
والكل يحتمل لمن تدبر وعرف مقاصدهم وفي حديث لم يخرجوه انه صلى الله عليه وسلم

ببركته

ابن قتادة

اتاه رجل به ادرة بضم الهمزة وسكون الدال وبالرا المهملتين وهي انتفاخ في الخصيتين
معروف فامره ان ينضحها اي يرش على ادرته بما من عين مج فيها اي كان صلى الله عليه وسلم
تفل يعني فيها ففعل اي رش من مايها على ادرته فبرا اي شفاه الله وزال ورمه على
الشريعة ببركة الله وبركته صلى الله عليه وسلم في الما الذي خالطه فيه وضمير فيها للعين
اي عين الما لانها مونثة وفي بعض النسخ فيه بالتذكير فالضمير للما والعين لتاويلها به
والامر فيه سهل وجوز في الادرة فتح الهمزة مع سكون الدال وفتحها وقد قيل انها
انفتاق فيهما او في احد جانبيهما وقد يكون بلحم يزيد فيهما او ريح كما يعرفه الاطبا
وينضحها يجوز في ضادها الفتح والكسر وفي بعض الحواشي ان الرجل اسمه المهلب
ابن قنافة بفتح القاف والبا الموحدة الخفيفة ولامروه وي هلب بن قنافة وهلب
بضم الها وسكون اللام بزنة قفل وقنافة بضم القاف ونون مفتوحة مخففة
وقال ابن عبد البر هو الصواب ان لم يكونا قصتين وقال الطبري هو المهلب
ابن يزيد بن عدي بن قنافة بن عدي بن عبد شمس بن عوف الطائي وفد على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبه قرع فمسح براسه ونبت شعره فسمي المهلب لذلك وفي
حديث روي عن طاوس بن كيسان اليماني ابو عبد الرحمن اليماني المشهور وهو من
ابنا الفرس واسمه ذكوان فلقب بطاوس لانه طاوس القرا روي عن ابن عباس وابي
هريرة وغيرهما وكان راسا في العلم والعمل توفي سنة ست او خمس ومائة واخرج
له الستة وهو ممن اتفق على زهده وعلمه حج اربعين حجة وصلى الصبح بوضوء
العتمة اربعين سنة الى غير ذلك من مناقبه وهو من اجل التابعين دفن بمكة
رضي الله عنه لم يوت النبي صلى الله عليه وسلم بالنبا المجنون اي لم ياته احد
باحد به مس سياتي تفسيره فصك في صدره بصاد مهملة وكاف مشددة اي ضرب
صدره بيده المباركة والصك مطلق الضرب او اشده الا ذهب المس عنه ويروى
بمايه وهذا الحديث موقوف على طاوس ولم يذكروا من رواه عنه والجملة حالية
تاتي بالواو وقد وبدونهما والمس الجنون والمس واللمس مستعاران الا انه يكنى
به عن الجنون قال تعالى كالذي يتخبطه الشيطان من المس لانه يقال لكل على ما ينال
الانسان من الاذى كقوله مستهم الباسا والضرا روى احمد عن وايل بن حجر مسندا
انه صلى الله عليه وسلم مج اي صب من فيه في دلو فيه ما اخرج من بير ثم صب فيها
اي في البير الما الذي مج فيه من فيه ففاح منها ريح المسك الريح هنا بمعنى الرايحة
ويطلق في الاصل على نفس الهوى والمراد انه مثله في الطيب وهو انم منه واطيب
ولكن جعل مشبها به لشهرته وفي حديث مشهور رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع
انه صلى الله عليه وسلم اخذ قبضة بفتح القاف وضمها من تراب اي مل كفه
من التراب يوم حنين اي في وقعتها المشهورة في السير ورمى بها اي بترابها في وجوه
الكفار فاصابتهم جميعا وقال شاهت الوجوه جملة دعايية بمعنى قبحت وقبحها
الله وهي من التشوه والتشويه وهو القبح قيل واول من تكلم به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووقع مثله في يوم بدر كما في السير وهو سر انعم الله
عليه كما قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فان ايصال هذا القدر اليسير الى

اعني هولاء الجم الغفير من صنع الملك القدير فانصرفوا اي ولي الكفار حال كونهم يمسحون
القذا بفتح القاف والذال المعجمة والف مقصورة وهو ما يقع في العين من التراب
ويكون ايضا ما يقع في الماء المشروب ونحوه مما يكدره عن اعينهم اي يمسحونه ويزيلونه
منها لتاذيهم به ومنعه من الابصار وفتح العين وهو معروف وواحده قذاة
وفي الحديث يرى احدكم القذاة في عين اخيه ويعمى عن الجذع في عينه وهو مثل
يضرب لمن يرى عيوب الناس الصغيرة ولا يرى عيوبه الكبيرة وهو مثل تمثل
به النبي صلى الله عليه وسلم ونظمه بعض المتاخرين فقال

واعجبا للمرء مع علمه ❊ ان لياليه عمره سارية
ينظر في عين اخيه القذا ❊ ولا يرى في عينه السارية

وقوله فانصرفوا بمعنى انهزموا لما وصل التراب الى اعينهم وقال شاهت
الوجوه وفيه معجزة عظيمة له صلى الله عليه وسلم وفي بعض النسخ انه صلى
الله عليه وسلم ضرب صدر جرير بن عبد الله البجلي الصحابي رضي الله عنه وليس
هو جرير الشاعر وخص الصدر لانه محل الرهبة والامن لانه مقر القلب ودعا له
وكان جرير ذكر له صلى الله عليه وسلم انه لا يثبت على الخيل اي لا يقر على ظهورها
لعدم فروسيته فصار جرير رضي الله عنه حينئذ من افرس العرب اي اقواهم واثبتهم
على ظهورها ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم له فالفا فصيحة اي فدعا له فصار
الخ ومسح صلى الله عليه وسلم راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بن نفيل القرشي
العدوي المدني الصحابي وهو صغير وكان اتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم
فحنكه وكان دميما بدال مهملة بمعنى حقير واما ذميم بالمعجمة فهو بمعنى
مذموم وليس مرادا هنا ودعا له بالبركة اي بالزيادة في خلقته وساير اموره
ففرع بفا وزا وعين مهملتين مفتوحات الناس اي جنسهم وفي نسخة الرجال بدله
بمعنى زاد عليهم طولا اي في طول قامته وتماما اي بان تم سائر اعضائه وكمل
الله خلقته بدعائه له صلى الله عليه وسلم والى هنا انتهى ما زيد في الاصل
ونقل من خط المص وشكى اليه صلى الله عليه وسلم ابو هريرة الصحابي المشهور
رضي الله عنه وقد قدمنا ترجمته وما يتعلق به من الشرف وعدمه وما فيه
من الكلام للناس النسيان مصدر بكسر النون وهو ضد الحفظ والفرق بينه
وبين السهو ان الناسي ينتبه صاحبه باد في تنبيه والفرق بينه وبين الخطا انه
صدور امر من غير قصد فامره صلى الله عليه وسلم ببسط ثوبه اي ما كان
لابسا له في ذلك الوقت اي بان يضعه على الارض وينشره وغرف بيده فيه
اي فعل فعلا شبيها بمن يغرف من شي ما يضعه في اخر وضمير فيه للثوب الذي
امره صلى الله عليه وسلم ببسطه للامر الذي اراده له ثم امره بعد ما غرف
فيه بضمه اي ضم ثوبه على جسده ففعل اي ضمه عليه حتى كانه صار بدنه ما
غرفه له فما نسي بعد بالبنا على الضم لما تقرر في محله في علم العربية اي لم ينس
ابو هريرة شيا مما كان يسمعه منه صلى الله عليه وسلم ومن غيره لما ناله من
البركة قال ابو هريرة رضي الله عنه فما كان احد احفظ مني لحديث الرسول صلى

الله عليه وسلم الا ابن عمر رضي الله عنهما المتقدم اسلامه عليه ولانه كان يكتب وهذا الحديث
رواه البخاري وفيه بدل الثوب لردا ولا مخالفة بينهما لان المراد بالثوب الملبوس مطلقا
كما تقرر وان خص في العرف بالمخيط منه وما فعله صلى الله عليه وسلم من العرف ونحو
يجعل المعاني المعقولة بمنزلة الامور المحسوسة يجعل الحفظ كشيء عنده اغترف منه حتى
ملا رداه وضمه عليه حتى يحيط به ويسري من ظاهره لباطنه وهو صلى الله عليه وسلم
كما يؤمن اليه التصرف في عالم الشهادة فوض اليه التصرف
في غيره ايضا وهو سر من الاسرار دقيق لا يوقف
عليه الا بالكشف والله سبحانه وتعالى اعلم
بالصواب واليه المرجع والمآب
تم الجزء الاول بحمد الله
الوهاب وصلى الله
على سيدنا محمد
وآله وصحبه
وسلم



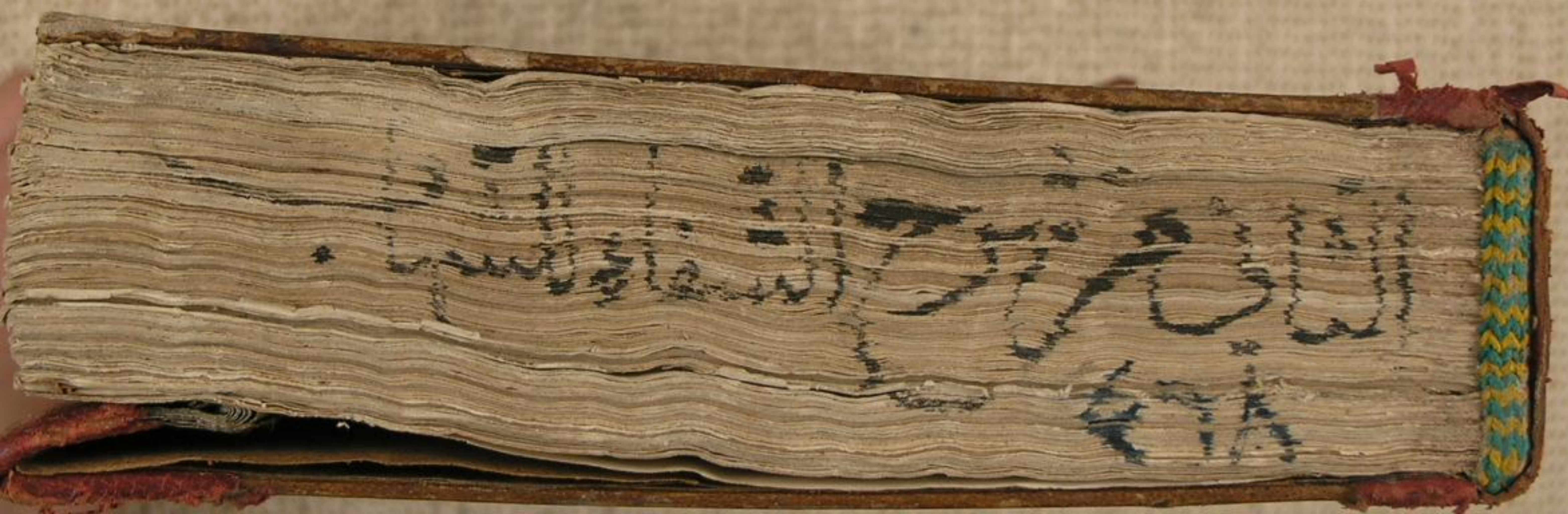


بیک اوچیوز درت سنه‌سنده الفقیر [illegible] قرمی
قطب الدین ابن ضیاء الدین مطالعه
ایتدی عفی الله عنهما
۱۴۰۸ سنه سنه‌سنده مولانا دفعهٔ ثانیه وثالثه
ورابعه اولرق مطالعه ایلدیکم [illegible]


MILLET
368
FEYZULLAH.EF







ياحفيظ

كتاب الثالث من شرح ال...

نبى وا بسطه وا نما اطلاعه عليه باعلام الله له فامر
...ذا الامر ان نفى من تسود قال ابن عطا الله في
...الله بنور منه بدليل اتقوا فراسة المؤمن
...يتهم الذي يبصر به فمن كان الحق بصره
...نفي من تسود لا ينافي
...ل النص فان السلطان
...فكذلك الولي
...الله

الجلد الثالث من شرح الشفا الشريف للشهاب الدين ال...

عفي








بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر يا كريم

**فصل ومن ذلك** اي من خصايصه صلى الله عليه وسلم وكراماته
الباهرة ما اطلع عليه هو اما مبني للمجهول من الافعال اي اطلعه الله تعالى او من الافعال
مبني للفاعل بتشديد الطاء من الغيوب بضم الغين المعجمة جمع غيب المصدر على خلاف القياس
من غاب بمعنى استتر عن العين يقال غاب عني كذا و يستعمل في كل غايب عن الحاسة
وما يغيب عن الانسان بمعنى الغايب والغيب بالنسبة للناس لا لله فانه لا يعزب عنه
مثقال ذرة و قوله عالم الغيب والشهادة اي ما يغيب عنكم وما تشاهدونه وقوله
يؤمنون بالغيب اي بما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداهة العقول وانما يعلم
باخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام وما يكون في المستقبل وهو معطوف على
الغيوب عطف الخاص على العام لان الغيب اما باعتبار انه موجود لم يطلع عليه غير
الله او ما سيوجد فهو قبل وجوده والعلم به من المغيبات والاحاديث الواردة
في هذا الباب اي في هذا النوع من كراماته صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الغيب
الذي اطلعه الله عليه فانه لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول بحر
تشبيه بليغ اي في كثرتها كالبحر لا يدرك نزحه بالبنا للمجهول والادراك الوصول وقعره
قراره وارضه اي لا يصل احد الى نهايته ولا ينزف بمعجمة وفا مبني للمفعول او
للفاعل بزنة يضرب والنزف والنزح بمعنى اي لا ينفد ويفنى غمره بفتح الغين المعجمة
وسكون الميم قبل را مهملة وهو الما الكثير جدا وهذه المعجزة في اطلاعه صلى الله
عليه وسلم على الغيب من جملة معجزاته اشارة الى كثرتها التي لا يحصر عنه ولا حرج
المعلومة للناس على طريق القطع بتحققها بحيث لا يمكن انكارها او التردد فيها لاحد
من العقلا وقوله المعلومة على طريق القطع بتحققها بحيث لا يمكن انكارها او
التردد فيها ● القطع صفة للمعجزات والقطع بنوعها ومجموعها وكذا تواترها تواترا
معنويا حاصلا من مجموعها بقطع النظر عن كل فرد فرد منها مما لا شبهة فيه كتواتر
جود حاتم وهذا غير التواتر المصطلح عليه فانه جار في بعضها كالقران والى هذا
اشار بقوله الواصل الينا خبرها جاريا على نهج التواتر المشهور لكثرة رواتها اي
رواة مجموعها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب اي الامور الغيبية وهذا
لا ينافي الايات الدالة على انه لا يعلم الغيب الا الله وقوله ولو كنت اعلم الغيب

لاستكثرت

لاستكثرت من الخير فان المنفي علمه من غير واسطة واما اطلاعه عليه باعلام الله له فامر
متحقق لقوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول قال ابن عطاء الله في
لطائف المنن اطلاع العبد على غيب من غيوب الله بنور منه بدليل اتقوا فراسة المؤمن
فانه ينظر بنور الله لا يستغرب وهو معنى قوله كنت بصره الذي يبصر به فمن كان الحق بصره
اطلاعه على غيبه غير مستغرب وقال بعض العارفين قوله الا من ارتضى من رسول لا ينافي
قول المرسي في تفسيرها الا رسول او صديق او ولي ولا زيادة فيه على النص فان السلطان
اذا قال لا يدخل علي اليوم الا الوزير لا ينافي دخول اتباع الوزير معه فكذلك الولي
اذا اطلعه الله على غيبه لم يره بنوره بل بنور متبوعه ولم يكلفنا الله
الايمان بالغيب الا وقد فتح لنا باب غيبه والى هذا اشار الغزالي في اماليه على الاحيا
ثم قال ويحتمل ان يكون المراد بالرسول في الاية ملك الوحي الذي بواسطته تنكشف
الغيوب وبواسطة للاعلام بمشافهة او القاء في روع او ضرب مثل في يقظة او منام ليطلع
من اراد على غائبة الاخبار امتنانا على من رزقه الله ذلك واعلامه بانه لم يصل اليه
بحوله وقوته فلا يظهر على غيبه احدا من عباده الا على يدي رسول من ملائكته
ارسله لمن فرغ قلبه لانصباب انوار العلوم الغيبية في اوديته حتى يصل لاسرار
الغيب المكنونة في خزائن الالوهية انتهى فاعرفه فانه من المهمات واليه اشار
القاضي في تفسيره وبقي ثمة اسرار لا تسعها الحروف ثم انه بين ما اجمل بحديث
رواه ابو داود عن حذيفة وعدل عما رواه الشيخان لما في طريقه الذي رواه
منه من الزيادة فقال حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري المعروف
اجازة منه برواية عنه وقراءته على غيره اشارة الى انه رواه من طرق متعددة
قوية والقراءة والاجازة طريقان اختلف في ايهما اقوى وقيل انهما متساويان
وهو الظاهر قال ابو بكر حدثنا ابو علي التستري علي بن احمد بن علي الامام المشهور
احد رواة سنن ابي داود وتستر كجندب بلد معروف وسينه مهملة واعجامها
لحن قال حدثنا ابو عمر الهاشمي وهو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد قال حدثنا
اللؤلؤي وهو ابو علي محمد بن احمد بن عمر السابق ترجمته قال حدثنا ابو داود صاحب
السنن المشهور كما تقدم قال حدثنا عثمان بن ابي شيبة بن محمد بن ابراهيم ابو
الحسن الكوفي الحافظ توفي سنة تسع وثلاثين ومائتين واخرج له اصحاب
السنن وغيرهم وترجمته في الميزان قال حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي صاحب
المصنفات المشهورة الثقة توفي سنة ثمان وثمانين ومائة واخرج له الستة
وترجمته في الميزان وغيره عن الاعمش هو سليمان بن مهران كما تقدم في ترجمته
عن ابي وائل سفيان بن سلمة الاسدي المخضرم توفي سنة اثنين وثمانين وهو من
العلماء العاملين ثقة اخرج له الستة عن حذيفة بن اليمان الصحابي المشهور
صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اخبره بالفتن وما سيكون
وروى عنه احاديث كثيرة وكان عمر رضي الله عنه اذا لم يشهد حذيفة جنازة
لا يشهدها هو لاطلاعه على المنافقين باعلام منه صلى الله عليه وسلم له بذلك
توفي رضي الله عنه سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان وروى عنه لا تقوم الساعة

حتى يسود كل قبيلة منافقوها وحديثه الطويل في الفتن مشهور واليه اشار بقوله
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الضمير للصحابة والمراد انه خطبهم يوما فعبر
بالقيام عن الخطبة لان الخطيب يخطب قايما اي قام وكنا عنده فالظرفية مجازية
مقاما بفتح الميم اسم مكان او مصدر ميمي فهو مفعول مطلق فما ترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مقامه هذا شيا مما يكون اي يوجد ويحدث بعده مما يهم
من احوال المسلمين ومن يتولى امورهم بعده ومما يكون بعده من الفتن والحروب
فيكون تامة والجملة صفة شيا في مقامه ذلك اي في خطبته التي خطبها وهو من
وضع الظاهر موضع المضمر لكمال العناية به الى قيام الساعة اي من اول زمنه
الخ تقديره لدلالة المقام عليه الا حدثه اي الا حدثنا به وذكر لنا انه سيوجد وفي
نسخة حدث به والفعل في تاويل الاسم كقولهم انشدك الله الا فعلت والاستثنا
متصل لدخول المحدث به في الشي وقيل انه منقطع بمعنى لكن حفظه من حفظه
الضمير للحديث المفهوم من السياق ونسيه من نسيه اي حفظه بعض السامعين له
ونسيه بعضهم قد علمه اصحابي هولا الحاضرون عنده او المراد اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذه الزيادة في رواية ابي داود لم يذكرها البخاري وانه
الضمير للشان ليكون منه الشي اي يوجد شي مما حدثنا به في ذلك المقام في الخارج
قد نسيته لطول العهد بحديثه فاراه بعيني بعد ما وجد فاعرفه فاذكره اي — مما اخبرنا
اتذكره بعد ما نسيته اي اتذكر ما اخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نسيته
تذكره ايضا حاله بقوله كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه
فيه تقديم وتاخير اي كما ان الرجل اذا غاب عنه رجل كان يعرف وجهه وسيماه
وهو في مخيلته الا انه لم يذكره فاذا راه تذكره وعرفه فليس اذا متعلقا بيذكر
بل بمعنى المعلوم من الكلام وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس تشبيها تمثيليا
ثم قال حذيفة فيما رواه ابو داود وزاده على ما رواه الشيخان ما ادري انسي
اصحابي هذا الحديث ام تناسوه اي اظهروا نسيانه خوف الفتن لا لقلة الاهتمام
به كما قيل بل لانه من الاسرار التي لا ينبغي ان يحدث بها كل احد والله قسم اكد — دجلي
به ما بعده ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قايد بالقاف والدال
المهملة ومن زايدة والمراد به المتغلبة الذين معهم جند تتبعهم كما يتبع الجمل
والفرس من يقوده ويمشي خلفه فتنة تفضي للمحاربة وايقاع الضرر بالمسلمين
كالحجاج وغيره من اصحاب البدع من زمنه الى ان تنقضي الدنيا اي الى ان تتم وتنتهي
مدة بقائها وخراب العالم وتبدو مقدمات الساعة بخروج الدجال وياجوج وماجوج
يبلغ من معه اي يصل من معه من اتباعه والضمير للقايد ثلاثماية رجل فصاعدا
الا قد سماه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه واسم ابيه وقبيلته بحيث لم
يبق شبهة فيه وهذا الحديث روي من طريق اخر مفصلا على كلام فيه ذكره ابن
الجوزي وغيره وقال ابو ذر الصحابي المشهور في حديث رواه احمد والطبراني
وغيرهما بسند صحيح لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ذهب عنا
وانتقل الى الاخرة من بين اظهرنا ولم يدع شيا الا بينه لنا بحيث لا يخفى علينا

شي

شيء بعده وكان قد خطب قبل موته خطبا طالت فيها من الصباح الى الظهر ومن الظهر
الى قبيل الغروب لم يدع شيئا الا بينه لاصحابه وما حرك طائر جناحيه في السما اي في الجو
وهو كناية عن بيان كل شيء الا ذكر لنا منه علما وفي نسخة الا ذكرنا منه علما اي تذكرنا
من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره مما يهمنا في الارض وهذا تمثيل لبيان كل شيء تفصيلا
تارة واجمالا اخرى وقد خرج اهل الصحيح اي رووا باسانيدهم ما صح عندهم كالشيخين
واصحاب السنن والمسانيد والائمة الحفاظ الثقات كاحمد والشافعي وابي حنيفة ومالك
ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به بيانا لما من الظهور على اعدائه
بغلبتهم وفل شوكتهم وفتح مكة الذي اخبر به قبل وقوعه فحققه الله وفتح بيت
المقدس كما رواه البخاري وغيره وبيت المقدس تقدم الكلام فيه وقد اخبر صلى الله عليه
وسلم تميما الداري بفتحه لما اسلم واقطعه ارضا بها ثم فتح في خلافة عمر رضي الله عنه
فاعطى تميما اقطاعه في سنة ستة عشر من الهجرة وفتح الشام وفتح اليمن وفتح العراق
يعني به ما يشمل العراقين عراق العرب والعجم وكلها مجرورة بالعطف على مكة كما علم
والشام واليمن والعراق بلاد معروفة وكان اخباره صلى الله عليه وسلم بفتحها بمكة
قبل الهجرة في حديث رواه ابن دحية في كتاب مرج البحرين في اخبار المشرقين والمغربين
واصل معنى العراق شاطئ البحر وقيل انه معرب وظهور الامن في الممالك الاسلامية
وهو مجرور اي اعلم اصحابه بظهور الامن حتى تظعن المراة بظاء معجمة وعين مهملة
في لوثة اي تسافر وحدها من الظعن بفتح العين وسكونها وهو السفر قال تعالى
يوم ظعنكم وذكر المراة للمبالغة في الامن لا لخفاء ضعفها وشدة خوفها اذا امنت علم
امن غيرها بالطريق الاولى من الحيرة الى مكة بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية
وفتح الراء المهملة والهاء مدينة بقرب الكوفة واسم بلدة اخرى بقرب نيسابور لا تخاف
المراة الا الله كناية عن انها لا تخاف احدا من الناس من قطاع الطريق واللصوص وغيرهم وان
المدينة يعني طيبة وهو علم بالغلبة عليها واصل معناها كل قرية يجتمع فيه الناس
ستغزى روي بغين وزاي معجمتين من الغزو وهو القتال وهو اشارة الى وقعة
الحرة الاتي ذكرها فانها وقعة عظيمة قتل فيها المسلمون حتى تركت الصلاة في الحرم
وروي بعين وراء مهملتين ومثناة فوقية مفتوحة وهي مضمومة في الرواية
الاولى اي تخرب وتخلو فتصير عرا ليس فيها احد والعرا الفضا الخالي من الناس
قال تعالى فنبذناه بالعرا وهذا لم يقع بعد وانما يكون قرب الساعة وقيل انه
وقع وهو مقتضى السياق فهو اشارة الى قصة الحرة ايضا فان الناس ان تخلوا
فيها منها وتركت الصلاة والاذان حتى سمع الاذان من قبره صلى الله عليه وسلم
ثم امنهم يزيد حتى عادوا لها واعلمهم صلى الله عليه وسلم بفتح خيبر على يد
علي في غد يومه الذي اخبرهم فيه بفتحها كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد لما
كانت وقعة خيبر وتعسر فتحها قال صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا عليا وكان ارمد
فبصق في عينيه فبرا وفتحها الله على يديه على ما فصل في السير وتقدم الكلام على
شيء منه واعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه بما يفتح الله على امته اي بما ييسره

الله لامته من فتح البلدان وما يوسعه لهم من الدنيا بكثرة المال والعز ويما يؤتون
بالبناء للمجهول اي يؤتيهم الله من زهرتها اي زهرة الحياة الدنيا وهي زينتها وطيب
نضارتها ونعيمها وهذا رواه الشيخان من طرق في صحيحهما وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر
الكنوز جمع كنز معرب كنج وهو المال المدفون ويطلق على كل نفيس مدخر والمراد هنا
خزائنهما واموالهما وكسرى بكسر الكاف وفتحها وهو علم لملك من ملوك الفرس ثم صار
علم جنس لكل من ملكهما ونكو وقيصر علم ملك من ملوك الروم ثم اطلق على ملكهم
كذلك ومعناه المشقوق لان امه ماتت حين ارادة وضعه فشقت بطنها واخرج
منها حيا وهو اشارة لحديث رواه الشيخان عن ابي هريرة وغيره من طرق وفيه اذا
هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفس محمد بيده
لتنفقن كنوزها في سبيل الله وقد حقق الله ما اخبر به صلى الله عليه وسلم وصدق
الله وعده وكان ذلك على يد خلفائه رضي الله عنهم وما يحدث بينهم اي اعلمهم
صلى الله عليه وسلم بما يحدث بين امته من الفتون بوزن دخول مصدر بمعنى
الافتتان كما في اكثر النسخ جمع فتنة كما قاله البرهان والفتنة اصلها الاختبار
ثم قيلت لكل ما يقع بين الناس من النزاع والحروب وقيل صوابه الفتن جمع
فتنة كما في بعض النسخ لان الفتون الميل للزنا وخوف من الفجور ولبس بشيء فانه
ورد بمعنى الفتنة ايضا وهو بطريق المجاز اي مطلق الميل والاختلاف في الملة
والاراء وهو سبب الفتن ولذا قيل انه لو قدمه كان احسن والاهوا بالمد هو
وهو ما تهواه النفس وتميل له واذا اطلق خص بالامور الباطلة وسلوك
سبيل من قبلهم من الامم اشارة لما رواه الشيخان لتتبعن سنن من قبلكم شبرا
بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود
والنصارى قال فمن والسنن بفتحتين الطريق وهو تمثيل لما احدثوه من الضلال
والبدع والتحريف كما صرح به في الحديث وافتراقهم اي افتراق هذه الامة
على ثلاث وسبعين فرقة اي ينقسمون الى هذه الانقسام وعداه بعلى لما وقع
عليه الانقسام من النهج المخصوص كما يقال الدار مبنية على طبقات ثلاث
وعلى ثمانية كما قال الدواني في حواشي الشمسية في قوله رتبته على مقدمة
الخ فقال الترتيب لا يتعدى بعلى فاما ان يكون بتضمين معنى الاشتمال واما
بعلى انه يتضمن معنى البناء فانه يتعدى بعلى الى اسلوبه فيقال بنى الدار
على طبقتين او يقال تعدى بها بناء على ان معنى الترتيب جعل الاجزاء مترتبة
وهو مقصور على اجزاء فيتعدى بعلى الى النحو المعين انتهى وهذا الحديث
رواه احمد وابو داود والترمذي والحاكم كما في مناهل الصفا للجلال السيوطي
الناجية منها واحدة اي الفرقة الناجية من هذه الفرق فرقة واحدة وهم
اهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله كما بينه رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث فانه قال فيه ليأتين على امتي ما اتى
على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وان بني اسرائيل افترقت

تلساني

على

على ثنتين وسبعين ملة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا ملة
واحدة او فرقة واحدة قالوا يا رسول الله من هم اي الناجون منهم قال من كان على
ما انا عليه واصحابي فمعنى الناجية انهم على الحق فهم ناجون من غضب الله وعذابه
وفي قوله ستفترق اشارة الى انه ليس في زمانه صلى الله عليه وسلم اختلاف وانه
انما يحدث ذلك بعده بل بعد الخلفا الراشدين وفي قوله ملة اشارة الى ان الخلاف المذكور
في الدين والاعتقاد فلا ينافيه ما وقع بينهم في امور جزئية وقد بينت هذه الفرق
وفصلت في كتاب الملل والنحل وفي علم اصول الدين وهذا من جملة ما اطلعه الله عليه
من المغيبات وفي حديث رواه الشيخان عن جابر رضي الله عنه وانهم سيكون لهم
انماط جمع نمط كسبب واسباب وهو البساط يعني ان امته صلى الله عليه وسلم يتوسعون
في الدنيا حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسط الله لهم الرزق بعد ما كانوا فيه من
الفقر وضيق المعيشة وقوله يغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى وما بعده
من حديث رواه الترمذي عن علي وحسنه والغدو بغين معجمة ودال مهملة
سير اول النهار ويقابله الرواح والحلة هو الثوب النفيس ولا تطلق الا على ثوبين
احدهما فوق الاخر كما مر الا انهم توسعوا فيه فاطلقوه على ما قلناه والمراد
تعدد لباسهم ونفاسته بعد ما كانوا عليه من التقشف كما ان قوله وتوضع بين
يديه اي بين يدي احدهم صحفة بزنة قصعة وهي انا الطعام وترفع اخرى
اي صحفة اخرى اشارة الى انه تلون اطعمتهم وتعددها ونفاستها وتستر
بيوتهم بالبنا للمجهول اي يسترون حيطان بيوتهم وابوابها في شتحة ويسترون
بيوتهم كما تستر الكعبة وهذا كما يفعله الامرا والعظما الذين اتسعت دنياهم
حتى كسوا الحجارة والجدران وهذا لم يكن في العصر الاول وهو اسراف وقد ورد النهي
عنه ثم قال صلى الله عليه وسلم مخاطبا لاصحابه في اخر الحديث الذي رواه الترمذي
وغيره وانتم اليوم المراد به مطلق الزمان الحاضر خير منكم يومئذ اي احسن منكم
حالا من حالكم الاتي الذي يبسط لكم فيه الرزق ويوسع عليكم ففضلهم على انفسهم
باعتبارين لان الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب
والبدن كما يشاهد من ابتلي به ومما اعلم به صلى الله عليه وسلم اصحابه انهم
اذا مشوا المطيطا كما ورد في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر الا ان الذهبي قال
في ميزانه انه لم يصح والمطيطا بضم الميم وفتح الطا المهملة ومثناة تحتية
ساكنة والمد كما في الصحاح ويقصر ايضا كما في النهاية وهو مبني على
التصغير كالكميت وهي مشية فيها مد اليدين وهو منصوب على المصدرية والمراد
به التبختر وهو كالثريا والمريطا ويجوز فتح ميمه وكسر طائه وهو من مط بمعنى
مد او من مطا يمطو كما بين في كتب اللغة وخدمتهم بنات فارس والروم اي اتخذوا
الجواري والخدم منهم وخصهما لان الرقيق كان منهم في الاكثر لانهم كونهم بجلب
سبيهم لاهل الاسلام كثيرا ولانهم مع تكبرهم وتعاظمهم يصيرون خدمة ارقا
لاهل الاسلام ففيه اشارة لعزتهم وعلوهم على غيرهم وفارس علم للجيل المعروف
ممنوع من الصرف ويطلق على بلادهم ايضا وهو معرب بارس بالبا العجمية

ولا يدخل عليه الالف واللام والروم جيل معروف ايضا سموا باسم ابيهم رد الله بأسهم
بينهم جواب اذا والباس معناه الخوف الشديد لا مطلقه والمراد به العداوة ووقوع
القتال بينهم لان الله كان اعطى نبيه صلى الله عليه وسلم النصرة بايقاع الرعب في قلوب
اعدايه الكفرة وبقي من ذلك اثر فيمن اقتدي به من الخلفا فلما اشتغلوا بزخرف الدنيا نزع
الخوف من قلوب الاعدا وصار بعضهم يعادي بعضا ويقاتله لما بينهم من التحاسد
والتباغض وطلب كل منهم ما في يد الاخر لما ظهرت الملوك المتغلبة فصار الامر لمن غلب
وتسلط شرارهم على خيارهم الشرار جمع شر بمعنى شرير وخيار جمع خير بمعنى
اخير او مخفف خير وتسليطهم بقهرهم والعلو عليهم بالباطل وهو كالتفسير لما
قبله وكان ابتدا ذلك بعد فتح فارس والروم وسبي ذراريهم واستخدامهم
وتنافسهم في الدنيا وذلك من الدولة الاموية الى الان واخبر هو صلى الله عليه
وسلم بقتالهم الترك كما ورد في حديث رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا
الترك صغار الاعين حمر الوجوه دلف الانوف كان وجوههم المجان المطرقة وقد
ورد هذا الحديث من طرق بالفاظ مختلفة والترك بضم التا جيل معروف من الناس
يقال لهم بنو قنطورا وهي امة لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واختلف
في نسبهم اختلافا كثيرا والمشهور انهم اولاد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام
وقيل انهم الديلم وقيل المراد بهم هنا ياجوج وماجوج وعلى كل حال فهم قوم
من الكفرة دارهم بعيدة من ديار الاسلام ومنهم التتار ولهم وقايع مشهورة
كوقعة جنكيز وهلاكه المفصلة في التواريخ والخزر بضم الخا وسكون الزاي
المعجمتين وزا مهملة وهم جيل من الناس كفرة قيل انهم من الترك وقيل من العجم
وقيل من التاتار لانهم جمع اخزر وهو الضيق العين وقيل المراد بهم الاكراد
ووقايعهم كلها مشهورة فقد وقع ذلك كما اخبر به صلى الله عليه وسلم ويروى
الخزر بفتحتين ايضا وفي بعض نسخ الشفا خا مضمومة وواو وزاي معجمة ساكنة
وفيه نظر والخزر ضيق العين كما علمت اوالنظر بموخرها والروم اي مما وقع
من اخباره صلى الله عليه وسلم اصحابه اخباره بما سيكون من قتال الروم وهم
قوم معروفون من ولد روم بن عيص بن اسحاق سموا باسم ابيهم ثم قيل روم
وروم كزنج وزنجي وقد ملكوا الشام واختلط بهم قوم من العرب من
غسان واصل مساكنهم جهة الشمال وذهاب كسرى بفتح الكاف وكسرها كما مر
اي ذهاب ملكه وقومه بعد ظهور دولته وتغلبه وفارس من ارض العراق
وغيرها وقد تقدم بيانه حتى لا كسرى ولا فارس اي حتى لا يبقى له ذكر ولا ملك
لا قيصر فهو كقولهم لكل فرعون موسى اي لكل جبار مبطل محق يغلب عليه
والمحوا اثره او فيه مقدر اي لا مثل كسرى ومثل وغير لا يتعرفان بالاضافة بعده
اي لا يكون بعده من جنسه وذهاب قيصر ملك الروم بذهاب ملكه وقومه
حتى لا قيصر بعده وهذا مما رواه الشيخان ايضا بدون فارس الا انه
وقع في رواية من غير طريقهما وذكر صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به من

المغيبات التي كانت كما قال ان الروم اي جنسهم المعروف ذات قرون وفي نسخة ذات القرون
بالتعريف جمع قرن وهم الجماعة في عصر واحد اي كلما مضى قرن خلفه قرن وقوم يملك ملكهم
منهم وقيل القرن السيد اي كلما هلك ملك ملك بعده غيره كما بينته رواية كلما هلك قرن
خلفه مكانه قرن وقيل المراد قرون شعورهم التي كانوا يطولونها ويعرفون بها للاشارة
الى طول همتهم الى اخر الدهر اي يمتد ملكهم بديارهم بخلاف فارس فان الله مزقهم
ومزق ملكهم بدعوته صلى الله عليه وسلم عليهم لما مزقوا كتابه لهم كما هو مذكور
في السير وقد تقدم ايضا وهو مشاهد الى الان ليس لغيرهم ملك كملكهم وذلك
انه صلى الله عليه وسلم لما ارسل الكتب للملوك في عصره كتب لكسرى فلما قرا كسرى
كتابه مزقه فقال صلى الله عليه وسلم مزق الله ملكهم فكان كما قيل

وكسر كسرى بتمزيق الكتاب فقد ... اذاقه الله تمزيقا بتمزيق

واما قيصر فلما اتاه كتابه صلى الله عليه وسلم مع دحية قبله وإجلاله وقد عاله رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان يثبت ملكه وقد ذكروا انه مكتوبه صلى الله عليه وسلم
الى الان عند ملوكهم يتلقونه وهو محفوظ عندهم في صندوق من ذهب واوصى بعضهم
بعضا بحفظه فان ملكهم لا يزال قايما ما دام هذا الكتاب عندهم حتى انهم اخرجوه
لابن الصايغ الحنفي لما ارسله السلطان قلاوون الى ملك النصارى بالمغرب لامر
مهم وقالوا له هذا كتاب نبيكم لجدنا نحفظه ونتبرك به وكان عند ملك طليطلة
وهو الى الان عندهم ولكن الله يهدي من يشا والله اعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه يذهب
الامثل فالامثل من الناس الامثل هنا بمعنى الاشرف لانه اكثر مماثلة ومشابهة لاهل الحق
والقصد الاول والفا لترتيب التفاضل لا بانته للاول ثم للثاني وهكذا الى ان يبقى
حثالة لا عبرة بهم وفي الصحاح فلان امثل بني فلان اي ادناهم للخير وهولا اماثل
القوم اي خيارهم اي اعلمهم صلى الله عليه وسلم بموت الاقرب الى الخير قبل غيره
وفي البخاري يذهب الصالحون الاول فالاول وتبقى حثالة كحثالة الشعير
او التمر لا يباليهم الله بالة اي لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا والحثالة
بالفا والثا المثلثة من كل شي رديه وتقارب الزمان في حديث رواه الترمذي
عن انس رضي الله عنه لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة
كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار
بضاد مفتوحة معجمة وراء مهملة مفتوحة وهي حشيش يحترق بسرعة والتقارب
تفاعل من القرب والمراد قصره وقلته لان القصير يقرب بعضه من بعض ويقال
للقصير متقارب ومتقارف وهذا يكون اذا قربت الساعة في اخر الزمان كما ورد
التصريح به في بعض الروايات واختلفوا في معناه فقيل المراد انهم يوسع عليهم
من الدنيا فيستلذون معيشتهم ويكونون مسرورين وما زال الناس يصفون الايام
الهنية بالقصر وللشعرا فيها مبالغات ومعان لطيفة يعرفها من له المام بالادب
كقول ابي تمام

اعوام وصل كاد ينسي طيبها ... ذكر النوى فكانها ايام

ثم انبرت ايام هجر اعقبت ... نحوي اسى فكانها اعوام

مبحوثين

ثم انقضت تلك السنون واهلها • فكانها وكانهم احلام •

وهذا المذكور هو الذي ارتضاه الخطابي واعترض عليه الكرماني بانه لا يناسب قوله بعده وقبض العلم وقال ابن حجر انما احتاج الخطابي لتاويله بما ذكر لانه لم يشاهد النقص في زمنه والذي تضمنه الحديث نجده في زماننا هذا فانا نجد من سرعة الايام ما لم نجده في العصر الذي قبله وان لم يكن هناك عيش مستلذ كما قيل

كيف حزنا ان لا حياة هنية • ولا عمل يرضى به الله صالح •

فالحق ان المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان وذلك من علامات قرب الساعة وهذا هو الذي ارتضاه النووي رحمه الله وقيل المراد بتقاربه وقصره قصر الاعمار فان كل قرن اهله اقصر اعمارا من اعمار القرن الذي قبله وقال البيضاوي في شرح المصابيح المراد تسارع انقضاء الدول وانقراضها وهنا وجه اخر قريب من الاول وهو انه لكثرة الظلم والاحزان والاشتغال بامور الدنيا وكثرة الحرص على تحصيلها يغفلون عن اوقاتهم ولا يشعرون بها كما قلت

لهفي الزمان معشر ذهبت به • بركاته اذ زادت الاثام •
ما نياك الا انه قد فر من • جور وقد جارت به الحكام •

وهو مناسب لذكر الفتن بعده في قوله وظهور الفتن والهرج وهي جمع فتنة وهي معروفة وهذا ايضا شاهدناه وقبض العلم بمعنى اخذه ونزعه من الناس وذلك بموت العلماء حتى لا يبقى الا اناس جهلة اذا استفتوا افتوا بغير علم وبهذا فسره صلى الله عليه وسلم لما سئل عنه وموتهم بالكلية انما يكون اذا قربت الساعة فلا ينافي هذا قوله في الحديث الصحيح الاتي لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى ياتيهم امر الله فانه قبل ذلك والهرج بالهاء وسكون الراء المهملة وجيم بمعنى القتل واصل معناه لغة الكثرة وقد ورد تفسيره في الحديث بالقتل وورد بمعنى اختلاط الناس بعضهم ببعض وقيل انه لغة حبشية ثم عرب صار عربيا فصيحا ومنه قولهم هم في هرج ومرج وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن زينب ام المؤمنين رضي الله عنها ويل للعرب من شر قد اقترب اي قرب ودنا زمنه وويل كلمة تفجع وتعجب فتعجب مما ينالهم من المشقة والهلاك بفتن تقع بين المسلمين كقطع الليل المظلم يصير المتمسك فيها بدينه كالقابض على الجمر بشير بذلك الى امر عثمان وعلي رضي الله عنهما وويل مبتدا وان كان نكرة لما فيه من الدعاء مثل سلام عليكم وهي ترد للتحزن والتحسر والكلام عليها مفصل في العربية واللغة والمراد بالشر ما مر لقوله اقترب وقيل انه اشارة الى فتح سد ياجوج وماجوج لان الحديث اوله قالت زينب رضي الله عنها استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا وجهه وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب الخ فتح اليوم من ردم ياجوج اي السد وعقد تسعين يعني جعل سبابته مضمومة لاصل ابهامه يشير للفرجة اليسيرة بينهما حسبما بينهم المشهور ومثله كثير في الحديث لتعارفه بينهم والحديث والكلام عليه مبسوط في شروحه واعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه ايضا بانه زويت له الارض

مبني للمجهول اي جمعت وضم بعضها البعض حتى يطلع على جميعها فاري مشارقها ومغاربها اي
جميع الارض وجوانبها كما يضم البساط الكبير حتى يصير في محل واحد يحيط به الناظر اليه سريعا
واري بضم الهمزة مبني للمجهول اي اراه الله جميع ذلك ومشارقها مفعول ثان والمشا
والمغارب كناية عن الجميع كما في قوله رب المشارق والمغارب والجمع باعتبار تعدد
المطالع كما ذكره المفسرون وقيل انه لم يذكر الجنوب والشمال لان معظم امتداد ملك
هذه الامة في جهتي المشرق والمغرب وهكذا هو في الواقع كما اخبر به صلى الله عليه وسلم
وفي قوله وسيبلغ اي يصل ملك امته اي سلطانهم وحكمهم اشارة اليه ما زوي له صلى
الله عليه وسلم منها اي الارض او المشارق والمغارب وهو من تتمة الحديث ومن تفصيلية
بيانية او تبعيضية لما مر وكذلك كان اي وقع ما ذكر من الامتداد امتدت مملكتهم
واتسعت او امته بمعنى انتشرت في نواحيها في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند
بيان للمشارق والمغارب او بدل اقصى المشرق بيان لارض الهند او بدل ايضا الى بحر
طنجة بفتح الطا المهملة ونون ساكنة وجيم بلدة مشهورة بساحل بحر المغرب حيث
لا عمارة وراه اي انتهت الى مكان من ذلك البحر لا عمارة بكسر العين اي ليس بعده
بلاد ولا جزاير معمورة وطنجة لفظ بربري وهي مدينة عظيمة فتحت في الاسلام ثم
استولى عليها النصارى في سنة سبعين وثمانماية بعد قتال عظيم فيما راى المسلمون
ان لا معين لهم ولا مغيث سلموها لهم فانا لله وانا اليه راجعون ولم تزل النصارى
ظاهرين ثمة حتى تملكوا اكثر البلاد فعاد الاسلام غريبا كما بدا ومن اراد تفصيل
ذلك فلينظر تاريخ الاندلس وذلك الذي امتد لهذه الامة ما لم يملكه احد من
الامم السالفة ولم يمتد الممالك الاسلامية في جهة الجنوب ولا في جهة الشمال
مثل ذلك اي مثل امتدادها في المشرق والمغرب فافيد في تفسيره انه يبلغ ملكها
اقصى الجهات الاربع مهاب الريح قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا لم يتنبه لما قلناه
وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن سعد بن ابي وقاص رضي الله
عنه لا يزال اهل المغرب سياتي تفسيره مفصلا في كلامه ظاهرين على الحق حتى تقوم
الساعة غاية لاستمرار ظهورهم بتاييد الله لهم واعلائه لكلمة الدين بجهادهم وقوله
ظاهرين اصل معنى الظهور العلو على الظهر ويطلق على ما يلزمه وهو الشهرة والعلو
وقد يراد به العلو المعنوي وهو الغلبة والقهر وقد اختلفوا في المشرق والمغرب
ايهما افضل وقد ذهب الى كل منهما طايفة وهو خلاف لا طايل تحته قال ابن العماد
في كتابه كشف الاسرار استدل من قال بفضل الغرب بهذا الحديث واجيب
بان الثابت لا تزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق حتى ياتي امر الله وهم بالشام
فان ثبت هذا اللفظ فالمراد الشام لانه غربي المدينة وقوله على الحق خبر بعد خبر
لانه ليس المعنى على الظهور على الحق بل انهم ظاهرون وانهم على الحق وهو ضد الباطل
او هو متعلق بظاهرين بتضمينه معنى محافظين مثلا او مبني على اقامة الحق
وشعايرالدين ذهب ابن المديني في تفسير هذا الحديث وهو علي بن عبد الله بن
جعفر بن نجيح ابو الحسن امام اهل الحديث واعلمهم به في عصره وقال النسائي كان
الله لم يخلقه الا لهذا الشان وقال البخاري ما استصغرت نفسي الا بين يدي

ق٧

تلمساني

دبحي

علي بن المديني الخ وكان من احسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
توفي لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة اربع وثلاثين ومايتين وله ثلاث وسبعون
سنة وروي عنه البخاري وغيره من اصحاب السنن وهو منسوب لمدينة الرسول على
خلاف القياس والقياس مدني كما بينه النحاة والمشهور ان يقال مديني في النسبة لمدينة
المنصور فانه بينه وبين المنسوب للمدينة المنورة ولكنه اشتهر بذلك وله ترجمة
في الميزان وقال ابن الاثير النسبة الى المدينة مديني والاكثر مدني والمديني نسبة
الى مدائن شرعه غيرها كما فصله وقال الجوهري المديني نسبة لمدينة الرسول
والمدني نسبة لمدينة المنصور وبين كلاميهما تناف وقال ابن الصلاح في الكلام
على المسلسل بالاولية المديني نسبة الى مدينة اصبهان وهو من المدينة الا انه سكن البصرة
وفي القاموس النسبة لمدينة الرسول مدني ولمدينة المنصور واصبهان وغيرها
مديني وقال الكرماني قال الحافظ المقدسي قال البخاري المديني الذي اقام بمدينة
الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها والمدني الذي تحول عنها وكان منها
انتهى اي الجم العرب مطلقا ووجه تسميتهم باهل الغرب بقوله لانهم المخصوصون
بالسقي بالغرب بفتح الغين المعجمة وسكون الرا المهملة والموحدة وهي الدلو
العظيمة المعروفة تذكر وتؤنث سماعا وقيل المراد بالغرب في الحديث الحدة
والشوكة وتقدم تفسيره بالشام ايضا ومنه غرب الشباب لحدته وللغرب
معان كثيرة في كتب اللغة وغيره اي غير ابن المديني من علما الحديث يذهب الى انهم
في الحديث اهل المغرب بميم في اوله وقد ورد المغرب كذا اي بهذا اللفظ في بعض
الروايات وهو مؤيد للتفسير الثاني ولا يعينه لاحتمال انه روي في الحديث
بمعناه بنحو رواية بالمعنى ولولا هذا الم يعسر تغييره وفي حديث اخر من هذا
القبيل رواه الطبراني وعبد الله بن احمد بن حنبل من رواية ابي امامة عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين
لعدوهم من الكفرة بالجهاد في سبيل الله حتى يأتيهم امر الله بعني الساعة
واشراطها وهو غاية لظهورهم على ظاهرها او المراد انهم لا يعدم ظهورهم
كقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا كما حققه الكرماني وغيره
وهم كذلك اي باقون على حالهم والجملة حالية قيل يا رسول الله واين
هم من البلاد ومغرهم قال ببيت المقدس بالاضافة وفيه لغات فمقدس كمرجع
اسم مكان او مصدر ميمي من القدس وهو الطهر اي المكان الذي يطهر فيه العابد
من الذنوب او يتطهر فيه للعبادة من الاصنام وجا فيه ضم الميم وفتح القاف
والدال المشددة اسم مفعول من التقديس اي التطهير وجا بكسر الدال المشددة
اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه من الاثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف
والاظهر الاضافة والظاهر ان الطايفة المذكورة الامرا والحكام وولاة الامور
لانهم المعروفون بالقهر والغلبة وقيل انه يشملهم ويشمل غيرهم من الفقها
والمحدثين وكل من يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وقال البخاري هم اهل
العلم ونقل عنه ايضا انهم اهل الحديث وكل محتمل والتعميم اولى كما لا يخفى

وفي

وفي شرح مسلم للقرطبي بعد ما ذكر رواية اهل الغرب من طرق متعددة وصححها انه يدل
على ابطال التاويلات فيه والمراد بالغرب جهة الغرب من المدينة الى اقصى بلاد الغرب
فيدخل فيه الشام وبيت المقدس فلا منافاة بين الروايات وفي رسالة للطرطوسي
ارسلها لاهل الغرب وذكر فيها هذا الحديث وقال فيها ما اراد كم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بهذا الا لما انتم عليه من التمسك بالسنة وطهارتكم من البدع واقتفا
اثر السلف وفيه دليل على صحة الاجماع واخبر صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي رضي الله عنهما بملك بني امية وهذا من جملة ما
اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وهم بنو مروان بن الحكم بن ابي العاص
ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وقد رواه البيهقي مرسلا من طريق اخر
في سنده ضعف وولاية معاوية بن ابي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس ولقد
اجاد المص رحمه الله اذ عبر في بني امية بالملك ولم يدخل فيهم معاوية وعبر في معاوية
رضي الله عنه بالولاية الشاملة للملك والخلافة كما ستبينه عن قريب والفرق بين
الملك والخلافة والولاية ان الملك هو السلطنة بطريق التغلب والخلافة ما كان
ببيعة اهل الحق لمن هو قرشي جامع لشروط الخلافة المذكورة في الاصول والولاية
اعم منهما فتشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلفا وغيرهم كما في الحديث الاتي
مع الكلام عليه الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تصير ملكا عضوضا ومعاوية كما
تقدم كان اولا اميرا ثم صار ملكا وهو اول ملوك الاسلام ثم لما بايعه الحسن
رضي الله عنه برضاه صار خليفة فلذا كان ذكر الولاية فيه اشارة لهذا وليس عثمان
رضي الله عنه من بني امية لانه خليفة حق قطعا وبقي وان كان منهم نسبا لان ابا
سفيان كما علمت ابن حرب بن امية فلم يدخله المص فيهم لما ذكرناه وقيل انه اول
ملوك بني امية ولكل وجهة وقد ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم راى
مناما بني امية على منبره الشريف فساءه ذلك فانزل الله عليه تسلية له صلى الله
عليه وسلم سورة الكوثر وسورة القدر لان ملك بني امية كان الف شهر لا تزيد
ولا تنقص فاعطى الله امته في كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد بما لا يحصى من
العجائب الواقعة في تلك الليلة مما لا يعلم مقدار ثوابه الا الله تعالى يعرف
ذلك من الهمه الله تعالى العلم الثاقب وخصه بالمواهب وفيه من الاسرار الخفية
ما لا يخفى على ذي بصيرة ووصاه اي وصى عليه الصلاة والسلام معاوية اذا
تملك بالعدل والرفق لما قال له اذا ملكت فاسجح قال معاوية رضي الله عنه فما
زلت اطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل في
قوله اذا ملكت اشارة الى انه رضي الله عنه لم يكن خليفة وانما كان ملكا وروى
البيهقي عن معاوية انه قال ما حملني على الخلافة الا قوله صلى الله عليه وسلم
يا معاوية ان ملكت فاحسن وهو ضعيف الا ان له شواهد منها ما روي انه
تبع بالاداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا معاوية ان وليت
امرا فاتق الله واعدل وروي ما يقرب منه من طرق متعددة وهذا من جملة
ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ومنه ايضا قوله واتخاذ بني امية

مال الله دولا كما ورد في حديث رواه الترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه اذا بلغ بنو ابي العاص اي تعبئوا وثلاثين اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا ودول بضم الدال المهملة وفتح الواو ولام جمع دولة بالضم والفتح وهو ما يتداول اي ياخذه واحد بعد واحد والمراد انهم استاثروا به ومنعوا حقوقه فاسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين وهم اول من فعل ذلك في الاسلام واول ملوكهم بعد معاوية بن يزيد مروان بن الحكم ثم ولي ابنه عبد الملك وعمت دولتهم بالرابع عشر مروان بن محمد كما فصله المؤرخون ومنه ايضا خروج ولد العباس بعد انقراض الدولة الاموية اي ولد العباس بن عبد المطلب كما ورد في حديث رواه احمد والبيهقي بسند فيه ضعف وهو مما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا والولد يطلق على الواحد والجمع والمراد هنا الثاني بالرايات السود اشارة الى ما في هذا الحديث تظهر الرايات السود لبني العباس حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على ايديهم كل جبار وعدو لهم وفي رواية تخرج الرايات السود من خراسان لا يردها شيء حتى تنصب بايليا اي بيت المقدس وفي سنده ضعف وكان صلى الله عليه وسلم اخبر العباس ان الخلافة تكون في ولده فكانوا يتوقعون ذلك وقد روي تبشيره صلى الله عليه وسلم بذلك له ولام الفضل من وجوه من طرق افردها السخاوي بتاليف ليس يسع تفصيله هذا المقام وكان شعار بني العباس السواد في لباسهم وراياتهم وسببه انه صلى الله عليه وسلم اخبرهم بذلك وقيل سببه ان مروان الحمار اخر بني امية لما بلغته دعوة ابي مسلم الى محمد بن علي الامام ومات محمد فعهد الى ابنه ابراهيم فاتى به مروان وسجنه فلما احس بالقتل اوصى اتباعه بالثبات على امرهم واستخلاف اخيه السفاح فلما قتل لبسوا السواد اظهارا للحزن عليه وحثا للاخذ بثاره فاستمر ذلك فيهم ولا منافاة بين الروايتين ولم يزل ذلك الى عهد المامون بن الرشيد في سنة احدى ومايتين فامر بترك السواد ولبس الخضرة المحببة للعلويين حتى خلع اخاه المؤتمن وجعل العهد لعلي الرضى فمات ولم يتم امره فكلمه العباسيون في اعادة شعار السواد وترك الخضرة ففعل وهذا اول لبس العلويين الخضرة وليس مبداه كما توهمه المتاخرون في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة برسم الملك الاشرف بمصر وفي ذلك يقول ابن جابر الاندلسي

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم * يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وقال ابن حبيب

عمائم الاشراف قد تميزت * بخضرة رقت وراقت منظرا
وهذه اشارة ان لهم * في جنة الخلد لباسا اخضرا

وقال ابن المنذر

اطراف تيجان اتت من سندس * خضر كاعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها * شرفا لنعرفهم من الاطراف

ولكن الاول لما لم يستمر وترك حتى نسي توهموا ان ابتداءه كان كذلك وكان سبب حدوث
شعارهم ان يهوديا دخل بعمامة فعظم ودخل بعض الاشراف فلم يلتفت اليه لعدم العلم
به فامر بذلك وقال السبكي انه مستحب واستنبطه من قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن
فلا يؤذين وهو كلام حسن وملكهم اي تملك بني العباس الخلفا اضعاف ما ملكوا اي اضعاف
تملك بني امية واضعافا فخلفا لهم فاذا اولهم السفاح بويع في ربيع الاخر سنة اثنتين
وثلاثين ومائة واستمر ملكهم الى سنة ست وخمسماية وكانوا نحو ثلاثين ببغداد ثم
انقضت تلك السنون واهلها ولله الامر من قبل ومن بعد ٭ وخروج المهدي في اخر
الزمان كما ورد في حديث رواه اصحاب السنن وغيرهم من طرق كثيرة الا انه قيل ان
اسانيده لا تخلو من ضعف وفيه اختلاف كثير افرد بالتاليف فقيل انه عباسي وقيل
انه علوي وانه يملك سبع سنين وكنيته ابو القاسم واسمه محمد بن عبد الله وفي زمنه
ينبسط الامن والعدل وقيل المراد به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذكره
النبي صلى الله عليه وسلم باسمه وصفته كما فصلوه واحواله مبسوطة في تذكرة
القرطبي وهو ممن يملك الارض كلها وقد ملكها قبل مسلمان سليمان عليه الصلاة
والسلام وذو القرنين وكافران نمرود وبخت نصر وما ينال اهل بيته وتقتيلهم
وتشريدهم يقال نال كذا اذا وصل اليه فيجوز ان يكون فاعله مستتر يعود لما
فاعل منصوب ويجوز رفعه تبعا بدا اي ما يناله اهل بيته وما قيل انه لا يجوز رفعه
لا وجه له اي مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات كما في حديث رواه الحاكم
ان اهل بيتي سيلقون بعدي من امتي قتلا وتشريدا وضعفه الذهبي والتشريد
الطرد والتفريق من شرد البعير اذا ند وشردت فلانا من البلاد وشردت به قال تعالى
فشرد بهم من خلفهم وقتل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اي مما اخبر به صلى الله عليه
وسلم قتل علي كما رواه احمد والطبراني في حديث فيه وان اشقاها اي اشقى الخلائق
او الدنيا او الطايفة الخوارج او اشقى هذه الامة الذي تخضب هذه اشار به الى
لحيته من هذه اشارة لراسه اي يضرب به على راسه ضربة يسيل دمه حتى يبل لحيته
والخضاب صبغ معروف فشبه دمه بالخضاب لتغييره لونها كما يغير الخضاب ففيه
استعارة وهو عبد الرحمن بن ملجم بضم الميم وسكون اللام وفتح الجيم على زنة
اسم المفعول كما قاله النووي في تهذيبه وغيره اي لحيته من راسه اي من دمهما
وهو تفسير لما قبله وقصته الخوارج والتحكيم وقتل علي مشهورة لا حاجة لنا لها
وكذا قصة قتل اهل بيته واخباره بقتل سبطه بكربلا وانه يعني عليا كرم الله
وجهه قسيم النار ظاهر كلامه ان هذا مما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم الا انهم
قالوا لم يروه احد من المحدثين الا ان ابن الاثير قال في النهاية الا ان عليا قال انا
قسيم النار يعني اراد ان الناس فريقان فريق معي فهم على هدى وفريق علي فهم
على ضلال فنصف معي في الجنة ونصف علي في النار انتهى قلت ابن الاثير ثقة وما ذكره
علي لا يقال من قبل الراي فهو في حكم المرفوع اذ لا مجال فيه للاجتهاد ومعناه انا
ومن معي قسيم لاهل النار اي مقابل لهم لانه من اهل الجنة وقيل القسيم القاسم
كالجليس والسمير وقيل اراد بهم الخوارج ومن قاتله كما في النهاية بدعة

عوض

اوليآؤه الجنة اي من والاه ونصره وكان من حزبه وتدخل بفتح المثناة التحتيه وضم الخا
المعجمة ويجوز ضم اوله وكسر ثالثه فيرفع اولياؤه او بنيسيا وتدخل بالفوقية وذلك باذن
من الله تكريما له على الثاني لان كبار الامة لهم شفاعة ثمة كما ورد في الحديث وتدخل
اعداؤه النار لبغضهم له وعدم اتباعهم الحق وفي الغيلانيات انه ينادي يوم القيامة
اين اصحاب محمد فيؤتى بالخلفاء رضي الله عنهم فيقول الله لهم ادخلوا من شئتم الجنة ودعوا من
شئتم او ما هو بمعناه فكان ممن عاداه اي اظهر العداوة الخوارج وهم الذين خرجوا عليه
عند التحكيم فكانوا اثني عشر الفا اصحاب صلاة وصيام وقد اخبر عنهم النبي صلى الله عليه
وسلم وذكرهم بصفاتهم وكان لعلي رضي الله عنه وقايع مدونة في التواريخ وهم من الفرقة
الضالة ولهم اعتقادات فاسدة واعمال كاسدة والواحد منهم خارج وخارجي
والناصبة اي الفرقة او الطايفة الناصبة ويقال لهم النواصب وهم قوم تدينوا
ببغض علي كرم الله وجهه قال ابن السيد من نصبت الشركة والحبالة فاستعير ذلك
لكل من يكيد وتوقع المكروه واشتق منه هذا الاسم انتهى وفي الكشاف النصب بغض
علي وعداوته وهو بالصاد المهملة وهم من الخوارج ايضا وطايفة ممن ينتسب
بالياء التحتية او بالمثناة الفوقية وروي ينتسب افتعال من النسبة اليه اي الى علي
لانهم كانوا يعتقدون انه الخليفة بحق وان الامامة حقه وتلك الطايفة من
الروافض من الرفض وهو الترك سموا بذلك لتركهم السنة والجماعة كفروه اي
نسبوه الى الكفر لتركه الخلافة وهي حقه وهو زعم فاسد وحماقة وهم المنكرون
للتحكيم وقولهم لا حكم الا الله وهي كلمة حق اريد بها باطل وقد كفروا غيره من الصحابة
ايضا وفي قوله السابق ممن عاداه اشارة الى ان من عاداه ليس محصورا فيمن ذكر
فان كثيرا من بني امية والعباسيين اظهروا عداوته وسبه وقال صلى الله عليه
وسلم كما رواه الشيخان بقتل عثمان وهو يقرا القران في داره في المصحف وروى
الترمذي عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما
يعني عثمان رضي الله عنه وحسنه وهو من جملة ما اخبر به من المغيبات فكان كما قال
والمصحف بضم الميم وكسرها محل الصحف لجمعه ما كان فيها كما يأتي وان الله عسى ان
يلبسه قميصا اي لعثمان هنا تادبا لعدم جزمه واستعارها للاستقبال اللازم
للترجي اي سيلبسه واستعار القميص للخلافة استعارة مرشحة بقوله وانهم يريدون
خلعه ان الضمير للقميص ويجوز عوده لعثمان وخلعه بمعنى عزله فانهم اجتمعوا لخلعه
فلم يرض لانه صلى الله عليه وسلم نهاه عنه بقوله فلا تخلعه فقتلوه فاهدر الله
بدمه سبعين الفا قتلوا بصفين وغيرها كما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها
وهو حديث حسن وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه اي عثمان اصبح يحدث الناس فقال
رايت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عثمان افطر عندنا فاصبح صايما وقتل في
يومه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم اي ناخذ ثارك
ممن يقتلك وهذا رواه الطبري في كتابه الرياض النضرة ورواه الحاكم عن ابن
عباس وقال الذهبي انه موضوع وتبعه السيوطي والظاهر منه ان دمه وقع
على هذه الاية وقيل المراد انه اريق دمه وهو يقراها وهو بعيد وفيه اخبار

وظاهره

ابن افرس

بمغيبات منها وقوع هذه الفتنة وان عثمان سيقتل شهيدا وان القران سينضح في مصحف فانه لم يكن
في زمنه صلى الله عليه وسلم مصحف واختلفوا فيمن قتله فقيل رومان بن سرحان وقيل الاسود
التجيبي وهذه اول فتنة ومصيبة وقعت في الاسلام

ومن لم يتغابن لدهر لم يعرف الاسى ● وفي عبر الايام ما وعد الدهر

ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم ان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا روى البيهقي هذا الحديث
عن ابن عمر رضي الله عنهما والشيخان عن حذيفة ولقي يوما عمر اباذر فاخذ بيده وعصرها
فقال دع يدي يا قفل الفتنة فقال له ما هذا يا اباذر قال جئت يوما ونحن عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكرهت ان اتخطى الناس فجلست في ادبارهم فقال لا تصيبكم فتنة
ما دام هذا فيكم وقال عمر رضي الله عنه يوما ايكم يحفظ ما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الفتنة التي تموج كموج البحر فقال حذيفة ليس عليك منها يا امير المؤمنين
ان بينك وبينها بابا مغلقا قال ايفتح ام يكسر قال يكسر قال اذا لا يغلق ابدا فقيل
له اكان عمر يعلمه قال نعم كما ان دون الغد الليلة اقول في هذا اسرار من كنايات البلاغة
عجيب فان قوله فيه تموج اشارة الى الغالبين فتنة المال والاولاد وقوله يكسر يشير
الى انه يقتل فيجترئ الناس على الخلفاء والباب اذا انكسر لا يقفل وقوله دون الغد
الليلة كناية عن انه كان يقينا عنده وانما سال ليعلم هل علمه غيره ام لا وخطب خالد
ابن الوليد يوما فقال ان امير المؤمنين قد بعثني الى الشام وهو بهمه فالقى بوانيه
بثنية وعسلا اراد ان يوثر به غيري فقال له رجل اصبر ايها الامير فان الفتن قد ظهرت
فقال اما وابن الخطاب حي فلا انما ذاك بعده اذا كان الناس بذي بلى او بذي بلبان ه
فينظر الرجل هل يجد مكانا لم ينزل به ما نزل بمكانه من الشر فلا يجده نعوذ بالله ان
تدركني واياكم اولئك الايام وبوانيه جمع بانية اي خيره وسعته والبثنية حنطة
منسوبة لبثنية ناحية بدمشق وقيل هي الزبدة اي كانها عسل وزبد لما يجبى
من اموالها وذي بلى وذي بلبان يريد به طوائف بلا امام وكل من بعد حتى لا يدرى
موضعه فهو بذي بلي من بلي في الارض اذا ذهب اراد ان امور الناس تضيع بعد
عمر رضي الله عنه واخبر صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي من طرق وهو
مما اخبر به من المغيبات بمحاربة الزبير لعلي وهو ظالم له وكان صلى الله عليه وسلم
راهما يوما وكل منهما يضحك فقال لعلي اتحبه فقال كيف لا احبه وهو ابن عمتي صفية
وعلى ديني فقال للزبير اتحبه فقال كيف لا احبه وهو ابن خالي وعلى ديني فقال اما
انك ستقاتله وانت له ظالم فلما كان يوم الجمل قاتله فبرز له علي رضي الله عنه وقال
ناشدتك الله اسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله انك ستقاتلني وانت
لي ظالم قال نعم ولكن انسيته وانصرف عنه فلما كان بوادي السباع خرج عليه ابن
جرموز وهو نائم فقتله واتى براسه كما فصله المؤرخون ومما اخبر به صلى الله
عليه وسلم من المغيبات نباح كلاب الحوءب على بعض ازواجه يعني عائشة رضي الله
عنها وهو بحا مهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة اسم ماء او موضع وقع
فيه الماء في طريق الذاهب من المدينة الى البصرة قال ابن عبد ربه في العقد وبعضهم
يقول فيه الحوّب بضم الحاء وتشديد الواو والمشهور الاول قال الشاعر من

الخوارج وانا البري من الزبير وطلحة ومن التي ينبحث كلاب الحواب

وفي معجم البلدان اصل معناه الوادي الواسع وانما كان المراد عايشة رضي الله عنها لانه صلى الله عليه وسلم كان يوما جالسا وعنده نساوه يتحدثن معه فقال ايتكن تنبحها كلاب الحواب سايرة الى المشرق في كتيبة فكانت عايشة في وقعة الجمل ولما مرت بذلك المكان نبحتها كلابه فسالت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحواب فهمت بالرجوع فحلفوا لها انه ليس بالحواب والحواب ايضا اسم مخلاف بالطايف قتلت فيه سلمى المرادية عتيقة عايشة وقيل ايضا انها المرادة بالحديث ايضا لانها كانت مع نسايه صلى الله عليه وسلم لما حدثهن به كما في المعجم والصحيح خلافه لما ياتي في بقية الحديث والنباح بضم النون وكسرها صوت الكلب والتيس وقيل انه اي الحواب سمي باسم حواب بنت كلب لنزولها به كما قاله ابن ماكولا واختلف في وزنه فقيل فوعل وقيل فعال وفيه الاخبار بالمغيبات وهو حديث صحيح رواه البزار عن ابن عباس وهو من تتمة حديث الزبير رضي الله عنه لان عايشة ذهبت معه لتصلح بينه وبين علي فاتفق ما اتفق في وقعة الجمل واخبر صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث انه يقتل حولها من كان معها قتلى كثيرة قيل كانوا نحو ثلاثين الفا وتنجو اي تسلم هي بعدما كادت اي قاربت عدم النجاة فنبحت كلاب الحواب على عايشة عند خروجها الى البصرة وهذا الحديث صحيح كما مر وروي من طرق عدة فعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لنسايه ليت شعري ايتكن صاحبة الجمل الازب تنبحها كلاب الحوايب والازب كثير شعر الوجه وفك ادغامه لمشاكلة الحوايب فكان ما اخبر به لانه لما قتل عثمان رضي الله عنه وكانت هي وامهات المومنين حاجات في ذلك العام فبايع الناس عليا وانحاز اليه قتلة عثمان من غير رضى منه لكنه خشي الفتنة لكثرتهم وتغلبهم واشتد غيظ الناس فخطبتهم عايشة رضي الله عنها وحثتهم على الطلب بدمه ودفع الخوارج عن البلد الحرام فاجابها الناس وقالوا لها حيثما سرت فنحن معك فسارت في هودجها على جمل يقال له عسكر وودعها امهات المومنين يبكين فسمي ذلك العام عام النحيب فلما وصلت الى الحوايب واناخوا جملها نبحتها الكلاب فقالت ردوني واخبرت بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها الزبير يا ام المومنين اصلحي بين الناس فسارت لذلك وكان ما كان ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ان عمار بن ياسر الصحابي المشهور تقتله الفية الباغية من البغي وهو الخروج بغير حق على الامام ولفظ مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمار تقتلك الفية الباغية وروي وقاتله في النار فقتله اصحاب معاوية وكان هو مع علي بصفين وهو صريح في ان الخليفة بحق هو علي رضي الله عنه وان معاوية مخطي في اجتهاده كما في حديث اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وابن سمية هو عمار رضي الله عنه كان مع علي وهذا هو الذي ندين الله به وهو ان عليا كرم الله وجهه على الحق ومجتهد مصيب في عدم تسليم قتلة عثمان ومعاوية رضي الله عنه مجتهد مخطي فدع القيل والقال فماذا بعد الحق الا الضلال وقد تاول معاوية حديث عمار لما لم يجد مجالا لانكاره فقال انما قتله من اخرجه ولذا افاد علي كرم الله وجهه لما بلغه قوله فرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل حمزة

رضي

رضي الله عنه لما اخرجه لاحد كما نقله ابن دحية رحمه الله وقتل عمار بصفين وهو ابن سبعين
سنة قتله ابن الغادية واحتز راسه ابن جزء ودفنه علي رضي الله عنه وقال صلى الله عليه
عليه وسلم في حديث تقدم لعبد الله بن الزبير لما شرب دما من فضلاته صلى الله عليه وسلم
ويل للناس منك وويل لك من الناس وويل هنا للتحسر والتاسف وتكون للدعاء بالهلاك
وكان صلى الله عليه وسلم احتجم واعطاه دمه وقال له اريقه في محل لا يرى فلما رجع
قال له صلى الله عليه وسلم لعلك شربته فقال نعم فقال له ذلك واستدل به على طهارة
فضلاته صلى الله عليه وسلم كما مر وكان الناس يرون ان ما عنده من القوة والجراءة
مكتسبة من ذلك الدم والمراد من الناس الجنس وويله من الناس لان من كان على الحق
جريا على المقاتلة عليه يكثر اعداؤه وحساده وينال من الناس اذى وقد وقع له ذلك رضي
الله عنه حتى قتل هو وابنه ظلما وعدوانا كما اخبر به صلى الله عليه وسلم فلم يرق ذلك
الدم حتى اراق دمه وقال صلى الله عليه وسلم في اخباره عن المغيبات في حديث صحيح
رواه الشيخان في حق قزمان بقاف مضمومة وزاي معجمة ساكنة وميم وهو مولى لبعض
الانصار وكان شجاعا لكنه منافق وكان قاتل قتال الاشد بدا العجب للصحابة رضي الله عنهم
كما اشار اليه بقوله وقد ابلى مع المسلمين وابلى بفتح الهمزة وموحدة ساكنة ولام والف
مقصورة فعل ماض من ابلى بمعنى اختبر ويقال ابلى بلاء حسنا في الحرب اذا اصيب في قتاله
واجاد والجملة حالية اي ابان شجاعته واقدامه الا ان ذلك لم يكن خالصا لله وقد اطلع
الله رسوله صلى الله عليه وسلم على حاله فقال فيه انه من اهل النار فعجب الناس
من ذلك فاظهره الله لهم فقتل نفسه لما كثرت الجراحة فيه واثخنته واختلفت
الرواية في اي موطن قال صلى الله عليه وسلم هذا الحديث بعد الاتفاق على صحته
لرواية الشيخين له عن ابي هريرة فقيل انه كان ذلك باحد وقيل بحنين وقيل بخيبر وان
حنين الواقع في صحيح مسلم محرف من خيبر لقرب رسمهما بها خطا وقيل ان القصة تعددت
فانه صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته راى رجلا فقال انه من اهل النار فلما
قاتلوا قاتل معهم اشد القتال حتى اثخن بجراحات كثيرة فقال صلى الله عليه وسلم
انه من اهل النار فكاد بعض الناس يرتاب فلما اشتد عليه الم جراحاته قتل
نفسه فقيل انه جعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات وقيل اخرج من
كنانته سهما نحر به نفسه وقيل قطع عروق يديه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
تصديقا لمقالته فقال ان الله ليبصر الدين بالرجل الفاجر وامر مناديا ينادي في الناس
انه لا يدخل الجنة الا مؤمن اي مؤمن كامل او وقد علم منه انه منافق او انه ارتد قبيل
موته والمنادي قيل انه عمر رضي الله عنه وقيل بلال وقيل عبد الرحمن بن عوف
وجمع بين الروايات بتعدد القصة او بانه وقع كل ذلك من تحامله وغيره وتعدد
من نادى وفيه اشارة الى انه لا ينبغي النظر لظاهر العمل ولا الاتكال عليه وروى
الطبراني والبيهقي من طرق بعضها متصل وبعضها مرسل وبعضها منقطع
انه صلى الله عليه وسلم قال في حق جماعة من الصحابة كانوا عنده فيهم ابو
هريرة وحذيفة وسمرة بن جندب اخركم موتا في النار اخركم مبتدا خبره محذوف
تقديره يموت موتا في النار فموتا مفعول مطلق والجار والمجرور متعلق بالخبر

أو بالمقدر أو آخركم فاعل يموت وإما كونه مبتدأ وموتاً تمييز والظرف خبر وإن احتمل
فليس بمراد ولذا قيل إن فيه إيهاماً وتورية لأن المراد أنه يحترق في الدنيا حتى يموت
به لا أنه يدخل نار جهنم لأن ابن عساكر روى عن ابن سيرين أن سمرة أصابه كزاز
وهو من يصيب صاحبه برد لا يدفأ منه فكان يملأ له قدر عظيم ماء سخن ويجلس
عليه ليدفأ من بخاره فسقط فيه فاحترق وقيل إنه مات في حريق قيل ويحتمل
أنه على ظاهره بأن يدخل النار في الآخرة ثم يخرج لأمر صدر منه والذي صححه البيهقي
وغيره الأول وإليه يشير المصنف بقوله فكان بعضهم أي بعض من قيل في حقه ذلك
ممن تقدم يسأل عن البعض من رفقائه الذين قال صلى الله عليه وسلم فيهم ما مر
قال ابن حكيم الضبي كنت إذا لقيت أبا هريرة سألني عن سمرة فإذا أخبرته بحياته
فرح فسألته عن ذلك فقال كنا عشرة في بيت فقال صلى الله عليه وسلم آخركم
موتاً في النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره وكان إذا قيل له مات
سمرة يغشى عليه حتى مات قبله فكان سمرة آخرهم موتاً هرم بزنة علم أي كبر سنه
وضعف بدنه وأصابه هزال الشيخوخة وخرف بخاء معجمة مفتوحة وراء مهملة
مكسورة أي فسد عقله وتغير من الكبر فاصطلى اصتلى فأبدلت التاء طاء لمجاورة الصاد
أي تدفأ بالنار أي بنار أوقد له فاحترق فيها لغفلة أهله عنه وضعفه
عن الحركة فعلم صحة ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ولم
يكشف لهم الغطا عن مراده ليجدوا في أعمالهم ويدوموا على الخوف والمراقبة
أو لأنه صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له في ذلك وهو من الحكم الخفية قيل إن ما
ذكر لم ير منقولاً عن غير المصنف ولم يذكر أحد أن سمرة حرق بل لم ينقل أن أحداً من
الصحابة حرق إلا بسر بن أرطاة أو ابن أبي أرطاة على القول بأنه صحابي وقد
نفي بسر أو سفينة مولاه صلى الله عليه وسلم كما قاله البرهان وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أنه قال في
حنظلة بن أبي عامر الأنصاري الصحابي المشهور بالغسيل فعيل بمعنى مفعول
من الغسل سمي بذلك لأن الملائكة غسلته لما استشهد بأحد وكان جنباً
فقتله أبو سفيان بن حرب وقيل قتله شداد بن أوس الليثي وهو حنظلة
ابن عامر الراهب الذي لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاسق فرأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة تغسله مع أنه شهيد فقال سلوا
زوجته يعني امرأته وزوجته فإنه يقال للمرأة زوج كالرجل في الفصيح وقد
يقال زوجة للفرق عنه أي عن حاله فإنه صلى الله عليه وسلم علم أن تغسيله
لجنابته وهي لا يطلع عليها غيرها كما أشار إليه بقوله فإني رأيت الملائكة
تغسله والشهيد لا يغسل وكان ذلك بأحد فسألوها فقالت إنه خرج
من بيته لأحد جنباً من جماع امرأته أعجله الحال أي محبة الجهاد واللحوق
برسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغسل بضم فسكون عن أن
يغتسل من جنابته لخوفه أن يبطئ عن حضوره معه صلى الله عليه وسلم فيفوته
ذلك الموقف وفي رواية قالت كان جنباً فغسلت أحد شقي رأسه فلما سمع صوتاً

خرج فقتل وكان ابتنى بزوجته في تلك الليلة وهي جميلة بنت ابي بن سلول المنافق
قال ابو سعيد بن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم ذكره مرارا فوجدنا راسه اي
راس حنظلة لما قتل يقطر ماء من اثر تغسيل الملائكة له وهذا من ظهور ما في عالم الغيب
وهذا مما وقع في بعض النسخ ملحقا بالام والشهيد في المعركة لا يغسل لكنه لو كان جنبا
هل يلزم تغسيله ام لا اختلف فيه فقيل يجب لانه سبب اخر وهو ظاهر الحديث والكلام
عليه مفصل في كتب الفقه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه احمد والترمذي وهو
مما عد فيه اذ فيه مع الحكم اخبار ببعض المغيبات الخلافة في قريش ولو كان هذا لمجرد
الحكم لم يكن مما عد فيه لانه صلى الله عليه وسلم حكم باستحقاقهم لها وقع ام لم يقع وقد
وقع كما اخبر مدة طويلة الى انقضاء دولة بني العباس وفي حديث اخر رواه البخاري
لن يزال هذا الامر يعني الخلافة في قريش ما اقاموا الدين بيان لغايته اي ما حموا شوكة
الاسلام واقاموا شعائر الدين الظاهرة فاذا غيروا غيرهم الله ونزع الملك منهم وقد
وقع كما قال صلى الله عليه وسلم وفيه روايات متغايرة تحتاج لكلام طويل طويناه
خوف السآمة والملل وفي رواية حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة وما ظرفية
مصدرية اي مدة اقامتهم والاجماع منعقد على ان الخلافة مختصة بقريش
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم والبيهقي يكون اي يوجد بعده
صلى الله عليه وسلم في ثقيف قبيلة معروفة كذاب ومبير اي مهلك يكثر القتل
بغير حق من البوار وهو الهلاك قال تعالى وكنتم قوما بورا اي هالكين فراوهما
من الراي اي راى العلما ان المراد في الحديث بهما الحجاج بن يوسف الثقفي وهذا مما
اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ففي حديث اسما رضي الله عنها من طريق مسلم
انها قالت للحجاج ان في ثقيف كذابا ومبيرا اما الكذاب فقد رايناه واما المبير فلا
اخالك الا اياه وقال النووي رحمه الله اجمع العلما على ان المبير هو الحجاج وقال
هشام بن حسان انه قتل مائة وعشرين الفا والكذاب هو المختار بن ابي عبيد الثقفي
ابن مسعود بن عمرو بن عمير ففي عبارته لف ونشر مشوش وابوه اسلم في حياة النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يره فلم يعد في الصحابة والمختار هذا كان يزعم ان جبريل
عليه الصلاة والسلام ياتيه وكان يظهر مدح ابن الزبير ومحمد بن الحنفية واستولى على
الكوفة واظهر التشيع واجتمع عليه ناس كثيرون وطلب الاخذ بثار الحسين فقتل كثيرا
من قتلته وعظم امره وكان يتكهن ويزعم انه يوحى اليه وله كرسي يضاهي به تابوت
بني اسرائيل هو ضال مضل واستمر ذلك مدة حتى قتله مصعب بن الزبير وامر
الحجاج اشهر من ان يذكر وان مسيلمة يعقره الله اي مما اخبر به صلى الله عليه وسلم
من المغيبات ما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابن عباس رضي
الله عنهما من ظهور مسيلمة الكذاب وان الله يقتله ومسيلمة بصيغة التصغير
ولامه مكسورة والعامة تفتحها وهو خطأ قبيح كما مر وهو رجل من بني
حنيفة كنيته ابو ثمامة ادعى النبوة وزعم انه ياتيه الوحي بقران فكان
له هذيانات سخيفة تقدم بعض منها ولما قدم وفد بني حنيفة المدينة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معهم لم يقابله وقال لو جعل

علي بو

الامر لي بعد انبعثه فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله فقال لو سالني هذه
الشطبة ما اعطيتها له ثم رجع معهم وتحرف لبشعبذة فافتتنوا به وزعم ان النبي صلى
الله عليه وسلم اشركه معه في امره وكتب اليه من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله
اما بعد فاني قد اشركت في الامر معك فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكنهم يعتدون
فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما
بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فاخفى الكتاب
وكتب كتابا من عنده اظهره لاصحابه زعم انه صدقه فيما قاله فكذبه من بني حنيفة
ثمامة بن مالك رضي الله عنه ونهى الناس عنه وقال يخاطبه وكان مؤمنا رضي الله
عنه

مسيلمة ارجع ولا تمحك • فانك في الامر لم تشرك •
كذبت على الله في وحيه • هواك هوى الاحمق الانوك •
فما في السما لك مصعد • وما لك في الارض من مبرك •

وكان يلقب نفسه برحمن اليمامة ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
جمع جموعا سفهاء فجهز له ابو بكر رضي الله عنه جيشا اميرهم خالد بن الوليد
رضي الله عنه فقتل مسيلمة كافرا لعنه الله قتله وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه
وشاركه فيه ناس والعقر اصله يستعمل في الحيوان كعقر الناقة ونحوها ففيه
اشارة الى ان بهيمة من البهائم مات ميتة جاهلية فلم يدرك ولم يزك ومما اخبر
به صلى الله عليه وسلم لحاقا من المغيبات ما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله وروي
عنها ان فاطمة الزهراء بنته صلى الله عليه وسلم ورضي عنها اول اهله لحوقا به اي
اول من يموت بعده صلى الله عليه وسلم من اهل البيت فماتت بعد ستة اشهر
وقيل ثمانية اشهر وقيل مائة يوم وهي اصغر بناته صلى الله عليه وسلم واحبهن اليه
وهي اول من غطي نعشه من النساء في الاسلام واول الحديث انه صلى الله عليه وسلم بحر
سارها في مرض موته فبكت ثم دعاها وسارها بشيء فضحكت فسئلت عن ذلك بعد
موته صلى الله عليه وسلم فقالت سارني اولا بانه يموت في مرضه هذا فبكيت ثم
سارني باني اول اهله يتبعه فضحكت ولما توفيت دفنها علي كرم الله وجهه ليلا واختلف
في محل دفنها فقيل في قبة ولدها الحسن قرب محرابها وروى احمد بن حنبل في المناقب
انها اغتسلت ولبست ثيابا لها وكفنا وقالت اني مقبوضة فلا يغسلني ولا يكشفني احد
فامتثل امرها وفيه كلام للفقهاء وانه هل يكفي غسلها في الحياة عن غسل الميت ام لا
الا انه يعارضه ما روي من انها امرت فاطمة بنت عميس ان تغسلها وقيل انه من
خصايصها وفي اللالي للسيوطي عن ام سلمة قالت مرضت فاطمة فقالت يا امتاه اسكبي
لي غسلا فسكبته فاغتسلت ثم قالت هاتي ثيابي الجدد فناولتها فلبستها فقالت
قدمي الفراش فقدمته فاضطجعت مستقبلة ثم قالت اني اليوم مقبوضة فلا يكشفني
احد فقبضت مكانها واتى علي فاخبرته فدفنها بغسلها وقال ابن الجوزي انه موضوع
ورد بانه رواه الطبراني الا انه يعارضه ما روي بخلافه كما مر ولعله من
خصوصياتها وانه صلى الله عليه وسلم اخبرها به وانذر بالردة اي اعلم صلى
الله عليه وسلم اصحابه بمن يرتد بعده وما يكون من قتالهم وقد وقع ذلك

في خلافة ابي بكر رضي الله عنه والانذار اخبار بامر مكروه مخوف ضد التبشير وهو
مما رواه الشيخان ايضا عن ابن عمر رضي الله عنهما وكان ذلك بعد ابتدا خلافة الصديق
بسبعة اشهر وستة ايام فانه بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد كثير
من الناس الا اهل الحرمين والبحرين فكفى الله امرهم بابي بكر رضي الله عنهم بعد ان قاسى منه
امورا شديدة ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات في حديث رواه اصحاب الكتب
الستة مسندا وفيه ان الخلافة اي خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحق وخلافة
النبوة انما تكون لمن تمسك بالسنة من قريش وهي بعده ثلاثون سنة ثم تكون اي تتحول
الخلافة وتصير ملكا عضوضا اي سلطنة بالقهر والتغلب من غير وجود شروطها
فكانت الخلافة الحقيقية كذلك اي كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وتمت المدة التي
ذكرها بمدة الحسن بن علي بن ابي طالب كما رواه سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانت خلافة الصديق رضي الله عنه سنتين واربعة اشهر وخلافة عمر رضي الله عنه عشر
سنين ونصفا وخلافة عثمان رضي الله عنه اثني عشر سنة الا اياما وخلافة علي رضي
الله عنه اربع سنين وتسعة اشهر واياما وفي المعرب خلافة ابي بكر سنتان وثلاثة
اشهر وتسع ليال وعمر عشر سنين وستة اشهر وخمس ليال وعثمان اثني عشر سنة الا اثني
عشر ليلة وعلي خمس سنين الا ثلاثة اشهر فتتم المدة بمدة الحسن لما بويع في
عشر رمضان الاخير سنة اربعين من هجرته ثم سلمها لمعاوية في نصف جمادى الاولى
سنة احدى واربعين فمدته كانت سبعة اشهر ونصفا واياما فبها تتم الثلاثون
كما ذكره المص والملك بضم الميم والعضوض بفتح العين صيغة مبالغة وروي ثم
يكون ملك عضوض بضم العين جمع عض بكسرها وهو الشرس الخبيث والملك
السلطان والخليفة امير المؤمنين ويقال خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه خلفه في القيام بامر المسلمين ولا يقال خليفة الله لغير داود صلى الله عليه
وسلم وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البزار عن ابي عبيدة رضي الله
عنه والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان هذا الامر اراد به دين الاسلام
وامر الشريعة المحمدية بدا بالهمزة في اخره اي ابتدا في اول امره او بالف مقصورة
بمعنى ظهر وبرز من كمون العدم الى الخارج والظاهر الاول هنا نبوة ورحمة
بالنصب على الحالية او بنزع الخافض اي بدا بنبوته صلى الله عليه وسلم ورحمة
للعالمين بانقاذهم من الضلال والكفر وامور الجاهلية وهذا في حياته صلى
الله عليه وسلم ثم تكون بعده رحمة وخلافة في زمن الخلفا الراشدين واخر
الرحمة اولا لانها ناشئة من النبوة وقدمها هنا لسبقها على الخلافة فان رحمته
صلى الله عليه وسلم كانت قبلهم واستمرت ثم يكون بعد الخلافة ملكا عضوضا
بفتح العين وضمها كما تقدم وفي رواية ملك عضوض وهو استعارة تصريحية
او مكنية بتشبيه ظلمهم وتعديهم على الرعية بعض حيوان مفترس بعض
من رآه ثم يكون بالتحتية والضمير للامر عتوا وجبرية العتو بضم العين الخروج
عن طاعة الله تعالى يقال عتا يعتو عتوا وعتيا والجبرية بفتح الجيم والموحدة
وتسكن ايضا من الجبر وهو الاكراه والقهر قال الراغب الاجبار في الاصل حمل الغير

على ان يجبره الامر لكن تعورف في الاكراه المجرد فقيل اجبرته على كذا وسمي الذين يدعون
ان الله يكره العباد على المعاصي في تعارف المتكلمين مجبرة وفي قول المتقدمين جبرية
وجبرية انتهى وقال غيره الجبرية بفتح الباء بفتح الباء فيهما وتكبرا ولفظ الحديث الذي رواه
البيهقي ان الله بدا هذا الامر نبوة ورحمة وكاينا خلافة ورحمة وكاينا ملكا عضوضا
وكاينا عتوا وجبرية وفسادا في الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون
على ذلك ويرزقون ابدا حتى يلقوا الله وهما منصوبان خبر كان وروي بالرفع فكان
تامة وروي جبروتا بمثناة فوقية والعتو بمثناة ايضا وما قيل انه بمثلثة ومعناه
الفساد وقوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين فالحال مؤكدة وقوله في الحديث
عتوا وجبروتا وفسادا في الامة يلزمه عطف الشيء على نفسه وفي الكشاف معناه
اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم انتهى وكونه اشد
الفساد يحتاج الى النقل وفي الصحاح ما يخالفه لانه فسره بمطلق الفساد ويلزمه
ان يكون النهي عن التمادي في حال الفساد انتهى ملخصه وفيه بحث وانما تركناه لانه اطال
فيه من غير طائل وانا اقول لا يخلو ما في كلامه من الخبط فان العتو هنا بالمثناة فقط
والمثلثة تحريف واعتراضه على العلامة من قصور نظره فان مثله لا يطلب منه النقل
ومراده ان العتو ان كان بمعنى الفساد فالمراد بقوله مفسدين مستمرين على الفساد
لان الاصل التاسيس وقد قرره في سورة البقرة في امر المؤمنين بالايمان ومثله كثير
ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم عن المغيبات ما اشار اليه بقوله واخبر صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه مسلم لبشارة اويس بن عامر المرادي نسبة لمراد قبيلة مشهورة
القرني بفتحتين نسبة لقرن بن ردمان بن ناجية بن مراد وغلط الجوهري في نسبته
لقرن المنازل كما غلط في فتح راء قرن المنازل كما في القاموس وتبعه بعض الشراح هنا
وقال ابن حجر في فتح الباري بالغ النووي في حكاية الاتفاق على تخطيته في تحريك قرن
المنازل وحكى المصنف عن تعليق القابسي ان من قال بالاسكان اراد الجبل ومن قال
بالتحريك اراد البلد وقال الكرماني اويس القرني منسوب الى قبيلة بني قرن
ولا منافاة بينه وبين ما قدمناه وفي طبقات الاولياء للسرجي انه خير التابعين
مطلقا بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم له وكان ادرك زمن النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يره لاشتغاله ببر امه وعن عمر رضي الله عنه انه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتيكم اويس بن عامر مع امداد من
اهل اليمن من مراد من قرن كان به برص فبرا منه الا موضع درهم منه لانه
دعا الله ان يزيله الا لمعة اذكرها نعمة علي فمن ادركه منكم فاستطاع ان
يستغفر له فليفعل ووصفه صلى الله عليه وسلم بانه اشهل ذو صهوبة
بعيد ما بين المنكبين شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى
موضع سجوده يبكي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه به مجهول في الارض معروف في السما
لو اقسم على الله لابره تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء الا وانه اذا كان يوم القيامة
قيل للناس ادخلوا الجنة وقيل لاويس قف واشفع فيشفعه الله في ربيعة
ومضر يا عمر ويا علي اذا انتما لقيتماه فاطلبا منه ان يستغفر لكما فمكثا عشر سنة

ابن اقوى

دبجي

بطلبانه

يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التي توفي فيها عمر قام على ابي قبيس فنادى يا اهل اليمن
هل فيكم اويس فقام شيخ وقال لا ندري ما اويس ولكن ابن اخ لي اخمل ذكرا واهون من ان
نرفعه اليك وهو في ابلنا يرعاها فعمى عليه عمر رضي الله عنه كانه لا يريده ثم قال اين هو
فقال باراك عرفات فركب عمر وعلي رضي الله عنهما اليه فاذا هو قائم يصلي فسلما عليه
وقالا من الرجل فقال راعي ابل واجير فقالا لسنا نسألك عن ذلك ما اسمك فقال عبد الله
فقالا كلنا عبيد الله ما اسمك الذي سمتك امك به قال ما تريدان فاخبراه بما قاله
رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما وعرفاه بانفسهما فقام وسلم عليهما وقال لهما
جزاكما الله عن امة محمد خيرا واستغفر لهما كما امرهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذلك فقال له عمر رضي الله عنه مكانك يرحمك الله حتى اتيك بنفقة من عطائي
وكسوة من ثيابي فقال لا ميعاد لي ولا تراني بعد اليوم وما اصنع بالنفقة والكسوة
ثم اقبل على العبادة وتوفي بصفين على ما قيل عام سبع وثلاثين شهيدا مع اصحاب
علي رضي الله عنهم وقال ابن سلمة غزونا اذربيجان في زمن عمر رضي الله عنه
ومعنا اويس فلما رجعنا مرض ومات فدفناه وجعلنا على القبر علامة فلما
رجعنا لم نجد له اثرا والاول اصح لقول ابي هريرة اذ اجتماعه بعمر في السنة
التي توفي فيها فكيف يكون غزا في ايامه وقيل دفن بدمشق والله اعلم انتهى
وهذا هو المراد ببيانه الذي اشار اليه المص وبما مر علمت ان اويسا لم يرد قرن
باليمن كما توهمه بعض الناس وانه افضل التابعين وقد لقي عليا وعمر وادرك
زمنه صلى الله عليه وسلم لما ورد في الحديث الصحيح ان خير التابعين رجل
يقال له اويس القرني وقال احمد بن حنبل افضل التابعين سعيد بن المسيب
قال العراقي لعل احمد لم يقف على هذا الحديث او لم يصح عنده وفيه انه
ذكره في مسنده ولم يضعفه وانما وجهه انه رواه ان من خير التابعين بمن
التبعيضية وقال النووي افضلية اويس بشدة زهده وخشيته لله ك
وافضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه للحديث فلا منافاة بينهما وقيل افضلهم
الحسن البصري وقيل حفصة بنت سيرين ولا شك ان الافضلية على الاطلاق
لاويس وبالعلم النافع لسعيد وفيه نظر ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم
ما رواه مسلم من طرق عن ابي ذر رضي الله عنه بان امراء يؤخرون الصلاة عن
وقتها ولفظ الحديث كيف انت اذا كنت وعليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها
قلت فما تأمرني قال صل الصلاة لوقتها فان ادركتها فصل فانها لك نافلة
وفي رواية والا كنت قد احرزت صلاتك قال النووي المراد في الحديث تاخيرها
عن وقتها الاختياري لا عن وقتها مطلقا بشهادة امره صلى الله عليه وسلم
باعادتها معهم بعد ادائها منفردا اذ لا اعادة بعد خروج وقت الصلاة
ولا جماعة في الصلاة المقضية والقول بان المراد تاخيرها عن جميع وقتها دعوى
بلا بينة وتلك شهود لم تكن تقبل الرشا والمراد الامراء فيشمل الملوك
وخصهم لان الامامة كانت وظيفة لهم فكل سلطان او حاكم بلدة يؤم
الناس في المكتوبات او يستخلف من يصلي بهم وقد وقع هذا في زمن بني امية

الحجاج

لا نغموا اول من غير رسم الخلافة وقد وقع هذا في زمن الحجاج وانكر عليه ذلك وهذا
اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه احمد والطبراني والبزار انه
قال سيكون في امتي وفي بعض النسخ في امته ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة ادخال
النسوة فيهم بطريق التغليب والذي في صحيح مسلم انهم قريب من ثلاثين وورد
في حديث اخر انهم سبعة وعشرون دجالا فيهم اربع نسوة والذي ذكره المص رواية
اخرى وتسميتهم امة بناء على ظاهر حالهم او المراد بالامة امة الدعوة والمراد بالكذب
فيهم كذب مخصوص وهو ادعاء النبوة وقد وقع هذا بعده صلى الله عليه وسلم
من الرجال لمسيلمة والاسود العنسي بالنون ومن النسا لسجاح التي ظهرت باليمن
وقصتها مشهورة وتفسيره بما ذكر ورد مصرحا به في الحديث كحديث في امتي دجالون
كذابون وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولو استقصي عددهم لطال وما ذكر والدجال
الكذاب الذي يخلط ويلبس يقال دجل امره اذا خلطه وموهه ولبس فيه حتى يخفي
ومنه الدجال المشهور وجمعه دجالون ودجاجلة وفي حديث اخر رواه الشيخان
عن ابي هريرة رضي الله عنه ثلاثون دجالا كذابا عطف بيان على ما قبله اخرهم
الدجال الكذاب الاعور الذي يظهر في اخر الزمان ويقتله عيسى بن مريم عليه
الصلاة والسلام فالتعريف فيه للعهد وتقدم انه من الدجل وهو الكذب والتمويه
وفي تذكرة القرطبي فيه اقوال اخرها احدها انه ابن صياد يدعي الالوهية ويظهر امورا
خارقة للعادة ولا يدخل مكة والمدينة والقدس معه جنة ونار وجبال من خبز
كلهم يكذب على الله ورسوله كذبه على الله قوله انه اوحي اليه وعلى رسوله قوله
انه بشر بي واخبر بنبوتي كقول مسيلمة المتقدم انه اشركني في امره ويحتمل ان يكون
الرسول من رسل الملائكة كقولهم ان جبريل نزل علي واوحى الي كذا وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه البزار والطبراني بسند صحيح من حديث طويل فيه يوشك
بفتح اوله مضارع اوشك بمعنى قرب ودنا واسرع يقال وشك واوشك ان يكثر فيكم
العجم هم خلاف العرب مطلقا لان السنتهم عجم اي غير ظاهرة لهم وقد يخص باهل
فارس والاول اقرب هنا والمراد انه يكثر فيهم حكمهم وامارتهم عليهم كما في كثير من
الدول كالنوبة والاكراد والاتراك الذين كانت فيهم السلطنة والدولة ولذا قال
ياكلون افياكم جمع فيء وهو الغنيمة من الكفار بغير قتال ويطلق على مطلق الغنيمة
والاكل فيه مجاز على الاستيلاء عليه واخذه قهرا ومنع المستحقين منه بغير
وجه واضافة الافياء اليهم باعتبار استحقاقهم ويحتمل ان يراد بافيائهم
ما لهم الذي بايديهم سماه فيئا لانه مما افاء الله لهم لغير مشقة عليهم ويضربون
رقابكم اي يقتلونهم بغير حق والخطاب خطاب مشافهة لجنس المؤمنين
من العرب فيشمل جميع من بعد عصر النبوة كما في غيره من خطابات الشارع
وانما جعله قريبا منهم لان كل ات قريب والدنيا ساعة وقد فسره الشارح
الجديد بما لا وجه له فتركه خير من ذكره وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه اي يملك الناس
ويسوقهم كما يريد من غير مانع ولا كد وتعب وفيه استعارة تمثيلية

عرضي

لتشبيهه

لتشبيههم برعاة الغنم يسوقونها بعصاه يهش بها عليها وفيه اشارة الى ضعف الناس
وجهلهم فكانهم غنم سائمة همها ان ترعى والعصا فيه كما في قولهم فلان تحت عصا
فلان اي منقاد لامره وحكمه وهم عبيد العصا رجل من قحطان اي من عرب اليمن وقحطان
ابو اليمن وهذا الرجل يسمى الجهجاه كما ورد في الحديث وقحطان اسمه يقظا او يقظان وكان
يتجبر ويمنع ارزاق الناس فسمي قحطان لقحط الرزق بسببه وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه الشيخان ايضا خيركم المراد امته ولفظ الصحيحين خير امتي
وهو المراد قرني اي عصري وزماني الذي انا فيه والمراد اهله لقوله ثم الذين يلونهم
اي يقربون بعدهم بلا فصل وهم الصحابة والتابعون لهم باحسان ثم الذين يلونهم
وهم تبع التابعين والقرن اهل زمان اجتمعوا واقترنوا فيه في اعمارهم وجميع
احوالهم وفي تفضيله كلام تقدم والخيرية ان كانت بالنسبة لما بعده وهو
الظاهر فلا كلام فيه وان كان على الاطلاق فه لا يلزم منه تفضيل اصحابه على الانبياء عليهم
الصلاة والسلام لان المراد تفضيل الجملة والمجموع على المجموع لا تفضيل كل فرد
على كل فرد وثم لبيان التراخي في الرتب كالافضل والافضل ولا شبهة في فضل العصر
وجلالة اهله من غير تفضيل فلا ينافيه حديث امتي كالمطر لا يدري الخير في اوله
ام في اخره فان هذا من واد وذاك من واد آخر وهذا اشارة الى انه قد يجيء في الامة
من ينفع الناس نفعا عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه وهذا بالنظر لافراد مخصوصة
وذاك بالنظر لمجموع العصر وشتان ما بينهما ولذا عبر بالفرد فلا يتوهم
وايهم نظر لعمر بن عبد العزيز وما صدر منه ولعثمان وما كان في عصره
تفضيل لعصره فيفضل ويفضل ثم ياتي بعد ذلك قوم وروي ثم ان بعدكم قوما
يشهدون ولا يستشهدون اي يؤدون الشهادة قبل ان تطلب منهم ومثله
لا يقبل وهذا لا ينافي ما ورد في الحديث ان خير الشهود من ياتي بالشهادة قبل ان
يسالها فان هذا محمول على من كان عنده علم بامر وشهادة فيه وصاحبها لا يدري
انها عنده فيخبره بما عنده ليستشهده عند حاجته ولكل مقام مقال ويخونون
ولا يؤتمنون هو عطف مؤكد لما قبله لان الخائن لا يؤتمن او المراد ظهور خيانتهم
حتى لا يامنهم احد بعد ذلك بخلاف من خان مرة فانه قد يؤتمن او المراد انهم
يخونون فيما لم يؤتمنوا عليه كمن سرق او غصب ويخون وينذرون بضم الذال
المعجمة وكسرها ولا يوفون بما نذروه من غير عذر ومانع لهم ويقال
وفى ووافى بمعنى ويظهر فيهم السمن اي عظم البدن بكثرة لحمه وهذا علامة
على كثرة اكلهم وشربهم وترفههم وعدم خوفهم من الله وعدم تفكرهم
في عواقب الامور وروي ياتي في اخر الزمان قوم يتسمنون وفي التوراة ان
الله يبغض الحبر السمين وفي الغالب ان من سمن وكثرت رطوبة بدنه كان
بليدا مغفلا غير مكترث بدينه ودنياه فيحمل هذا الكناية عما ذكر لانه من
لوازمه غالبا فلا ينافيه ما يشاهد من كون بعض العلماء والصلحاء سمين الجثة
خلقة انشاه الله عليها لقوة نطفة الابوية وقيل المذموم منه ما يكتسب دون
الخلقي لانه ورد في الحديث ويل للمتسمنات يوم القيامة اي اللواتي يستعملن

السمنة وهي دوا يسمن به وروي يخلف قوم يحبون السمانة بفتح السين المهملة وهي
السمن وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري عن انس رضي الله عنه لا ياتي
زمان الا والذي بعده شر منه المستثنى جملة حالية يجوز في مثلها الواو وتركها
والحديث هكذا قال الزبير بن عدي اتينا انسا رضي الله عنه فشكونا اليه الحجاج فقال
اصبروا فانه لا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم
صلى الله عليه وسلم وروي اشر على الاصل كاخير والمستعمل منهما خير وشر وسمعا
على الاصل نادرا وفي معنى هذا الحديث ما اشتهر من انه صلى الله عليه وسلم قال
كل عام ترذلون الا انهم قالوا انه لم يرد بهذا اللفظ وان كان معناه ثابت في احاديث
كثيرة فهو رواية بالمعنى وقال الحسن البصري لما ذكر يحيى ابن عبد العزيز بعد الحجاج
لابد للناس من تنفس يعني ان الله ينفس عن عباده ويكشف عنهم البلا احيانا
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان هلاك امتي على يدي
اغيلمة من قريش اغيلمة تصغير اغلمة وهو جمع قلة يجوز فيه التصغير على لفظه
وهو في حكم المفرد وفي القاموس جمع غلام غلمة واغلمة وغلمان والغلام الشاب
قد طر شاربه وهو المراد فما في النهاية من انه تصغير غلمة على القياس ولم يرد
في جمعه اغلمة ومثله اصيبية تصغير صبية كلام لا وجه له فان رد جمع القلة
لجمع قلة اخرى في التصغير مما لا يعقل ولا يسمع ولما لم يرد غير هذا دلنا على انه
سمع فيه اغلمة فلا حاجة للتعسف في تاويله والمراد هلاكهم ضياع امورهم
وهلاك بعضهم قال ابو هريرة راويه اي راوي هذا الحديث لو شئت سميتهم
لكم بنو فلان وبنو فلان اي لو اردت ان اسميهم لكم سميتهم كيزيد فانه
اباح المدينة ثلاثة ايام وقتل من خيار اهلها ناسا فيهم ثلاثة من الصحابة
وافتض بكارة الف عذرا وكبني مروان بن الحكم وغيرهم من بني امية ولم
يسمهم خوف الفتنة واخبر صلى الله عليه وسلم عن بعض المغيبات في حديث
رواه الترمذي وابو داود والحاكم بظهور القدرية في قوله صلى الله عليه وسلم
القدرية مجوس هذه الامة وهم لما قالوا بان الامور كلها ليست بقضا الله
وقدره وان الانسان خالق لافعاله وانها بقدرته سموا قدرية لاثباتهم
للعبد قدرة لا لانكار قدرة الله على افعاله وشبههم بالمجوس لانهم اثبتوا
خالقين خالق الخير وهو النور الذي سموه يزدان وخالق الشر الظلمة سموها
اهرمن وهولاء لما نسبوا افعال العباد لهم قالوا بتعدد الخالق على ما تقرر في
الاصول واما معنى القضا والقدر فعند السلف القضا ارادة الله الازلية
المتعلقة بجميع الاشيا خيرها وشرها والقدر ايجاده اياها على ما قضاه اولا
وعند الفلاسفة القضا علمه بما عليه الوجود حتى يكون على احسن نظام ه
ويسمونه العناية والقدر خروجها على وفقه وهولا القدرية هم المعتزلة
واما القدرية الذين انكروا القدر وان الامر انف اي مستانف لا يعلمه
الله الا بعد وجوده فليسوا المراد بالحديث هم لانهم انقرضوا ولم يبق منهم احد
والرافضة الذين اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهورهم كما ورد

بحديث

في حديث رواه البيهقي من طرق الا انها كلها ضعيفة فقال يكون في امتي قوم في اخر الزمان
يسمون الرافضة يرفضون الاسلام وروي ويلفظونه فاقتلوهم فانهم مشركون انتهى
وفيه بيان لوجه التسمية فان الرفض معناه لغة الترك وقيل هم قوم تركوا حب الشيخين
من الشيعة وهم اثنان وعشرون فرقة وقد وقع ما اخبر به الصادق الامين لما ظهر
الفاطميون ومن بالعجم الان منهم وسب اخر هذه الامة اولها اي اخبر صلى الله عليه
وسلم بان من تاخر من امته سيظهر سب اولها وهذا من المغيبات وورد في حديث
رواه البغوي عن عايشة مرفوعا فقال لا تذهب هذه الامة حتى يلعن اخرها
اولها وقد وقع هذا كثيرا من الرافضة فاظهروا سب الشيخين وسب عايشة ومعا ونفي
وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم ووقع من بني امية سب علي كرم الله وجهه
على المنابر وادخل بعضهم في هذا من سب بعض الاوليا وعلما السلف وذكرهم
بالسوء وافترى عليهم ما لم يقولوه كما شاهدناه من بعض السفها يسبون
العارف بالله تعالى سيدي محي الدين بن عربي وسيدي عمر بن الفارض ونحوهما
من اوليا الله حتى صنف بعضهم تصانيف في الرد عليهم ومقامهم اعلى من ذلك
والاشتغال بمثل هذا تضييع للزمان وتسويد لوجوه الاوراق ويخشى على
المتصدي لذلك من سوء الخاتمة نفعنا الله ببركاتهم وحشرنا في زمرتهم واخبر
صلى الله عليه وسلم بقلة الانصار بعد عصر النبوة وهم الاوس والخزرج وسموا
انصارا لانهم نصروا الرسول صلى الله عليه وسلم واووه وهو جمع ناصر او
نصير غلب على هذه القبيلة ولذا نسب اليهم انصاري ولم يرد لواحده وهذا
اشارة لما رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال خرج علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه فجلس على المنبر وحمد الله
واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الناس يكثرون وتقل الانصار حتى يكونوا
كالملح في الطعام فمن ولي منكم شيئا يضر فيه قوما وينفع فيه اخرين فليقبل من
محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم اي ان اهل الاسلام لا يزالون يدخلون فيه
افواجا افواجا وهؤلا يقلون ويفنى نسلهم فان خيار الاكثر قليل في كل جيل ولم تزل
قلتهم الى ان صاروا بالنسبة لغيرهم كالملح في الطعام ووجه التشبيه انهم
مع قلتهم فيهم صلاح واصلاح وانهم يذوبون بينهم كالملح فانه يذوب فيما
وضع فيه وقد كان كما قال فان الان في المدينة لم يبق منهم الا اقل من القليل
كما اشار اليه بقوله فلم يزل امرهم يتبدد المراد بامرهم ما به بقاؤهم وانتظام
حالهم من املاكهم واموالهم ويتبدد بمعنى يتفرق ويتشتت حتى يفنى
ويضمحل ويقلون حتى لم يبق لهم جماعة اي لم يبق من نسلهم قوم يجتمعون
بالمدينة كما كانوا عليه اولا وهكذا السادات العظام اذا مات واحد منهم
لم يعقبه بعده من يخلفه واشار لسبب ذلك بقوله وانهم سيلقون بعده
اي يلقى الانصار بعده رسول الله صلى الله عليه وسلم اثرة بفتح الهمزة
والمثلثة والرا المهملة قيل ويجوز كسر الهمزة وسكون المثلثة وهما بمعنى
يعني وهو الاستبداد وقيل الثاني شدة الاستبداد اي يلقون بعده صلى الله

عليه وسلم من يوثر عليهم غيرهم ويقدمه عليهم في العطا من الديوان فيقل نفيهم
من الفيء فتضيق معيشتهم وفي نفسهم شرف رحمته فيتشتتوا ويتبدد امرهم
قال ابن سيد الناس كان ابتدا هذا في زمن معاوية رضي الله عنه ويجوز في اثرة
ان يكون جمع اثر ككاتب وكتبة اي اثر لنفسه وقومه عليهم وبعده فاصبروا
حتى تلقوني على الحوض والحديث طويل في الصحيحين وهذه الجملة من الاخبار عن
المغيبات ومنه اخباره صلى الله عليه وسلم بشان الخوارج الذين خرجوا على امير
المؤمنين علي كرم الله وجهه بالنهروان وهم نحو اربعة الاف فقاتلهم حتى قتلهم
واستشهد بحزبهم بعض اصحابه وقيل كانوا اكثر من ذلك بكثير وحديثهم رواه
الشيخان ووصفهم بالحج عطفا على شان وهم فرق من اهل الضلال كالمحكمة
الذين انكروا تحكيم الحكمين والازارقة المنسوبين الى نافع بن الازرق وغيرهم
مما لا حاجة لتفصيل احوالهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم انهم
اهل صلاة وصيام يحقر احدكم صلاته في جنب صلاتهم وصيامه في جنب صيامهم
الا انهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقد كفروا مرتكب الكبيرة
واكثر الصحابة ومواطنهم الجزيرة وعمان والموصل وحضرموت وبعض نواحي
المغرب واخبر صلى الله عليه وسلم بالمخدج الذي فيهم وهو بضم الميم
وسكون الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة ويروى بفتح الخاء وتشديد
الدال والمعنى واحد وروي المخدوج وهو الناقص خلقه ومنه الخداج
وهو اشارة لما في حديث الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قسم في
بعض الايام قسمة فقال له رجل من تميم وهو ذو الخويصرة اعدل يا رسول
الله فقال ويحك ومن يعدل اذا لم اعدل لخبت وخسرت فقال عمر رضي الله عنه
ايذن لي اضرب عنقه فقال له دعه ان له اصحابا يحقر احدكم صلاته الى اخره
وايتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي المراة او مثل البضعة تدردر
ولما كانت وقعتهم وقتل علي لهم خطب الناس وذكر الحديث وقال
اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاوا به فقال شقوا عليه
فشقوه فلما راى احدى ثديبه مثل ثدي المراة عليه شعرات سجد شكرا
لله تعالى اذ صدق نبيه صلى الله عليه وسلم وعلم انه على الحق وهم على
الباطل وان سيماهم بكسر السين وهي العلامة التحليق اي يحلقون شعور
رؤسهم ولم يكن في الصدر الاول حلق الرؤس الا في النسك وهذه الاحاديث
ظاهرة في تكفيرهم كما قاله الخطابي وفيه اختلاف وقيل المراد جلوسهم تلمساني
حلقا حلقا وليس بشيء وقيل المراد به العلو والارتفاع من قولهم حلق
الطاير اذا طار وعلا وبما ذكرناه علم ان حلق جميع الراس ليس بممنوع
وليس فيما ذكر دليل على حرمته ولا كراهته على انه استدل لجوازه بحديث
صحيح على شرط الشيخين انه صلى الله عليه وسلم راى صبيا حلق بعض
راسه فقال احلقوه كله او اتركوه كله قال النووي رحمه الله في شرح
مسلم وهو صريح في اباحته وقال قال الفقها انه جايز على كل حال

فان

فان شق عليه تعهده بالتسريح والدهن استحب حلقه وان لم يشق استحب تركه وترى
رعا الشاة بري بالتحتية مبني للمجهول ورعا بكسر الرا المهملة والمد جمع راع
كرعاة ورعيان والشا بالمد جمع شاة وهي معروفة ومن الناس ومن جمع راعي
وهو مجاز مشهور يعني الرئيس وروي نرى بالنون الفوقية والخطاب لغير معين
نحو ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم ونحوه رفعه ونصبه والعراة الحفاة
العراة جمع عار من اللباس والحفاة جمع حاف وهو من ليس في رجله نعل وهذا
الحديث في الصحيحين بمعناه وبعض الفاظه فالمصر رواه من طريق آخر ورواه بالمعنى
يتبارون في البنيان اي يباهي بعضهم بعضا في بنايه فيريد كل منهم ان يزيد على
غيره يقال باراه اذا عارضه فتبارى وانبرى وهذا وما قبله كناية عن توسع من
لا قدرة له في الدنيا عليها وعلوه على غيره حتى يصير بيتا بعد فقر وذله وكثرة
مفاخرة بعضهم لبعض في البنا العالي كالقصور المشيدة والمساجد المزخرفة
وفي مسلم ان ترى الحفاة العراة رعا الشا الصم البكم ملوك الارض وروي
يتطاولون في البنا يعني ان من اشراط الساعة ان اهل البادية ونحوهم ممن لا بال
له ولا نعل يتوطنون البلاد ويبنون القصور ويترأسون وجهلة الناس وانما دلم
يصير حاكما واليا عظيم الشان ولقد ظهر ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من هذه المغيبات وهو الآن عيان رأي العين وكفى بكونهم رعا الى انهم
مجهولون الانساب جهلة وانهم مشغولون عن عبادة الله وروي يتبارون
بالميم بمعنى يتبارزون والمعنى واحد وان تلد الامة اي الجارية المملوكة
التي اتخذت سرية ربتها بتا التانيث وربت ورب بمعنى سيد وسيدة
والرب لغة له معان السيد والملك والمربي والمدبر والقيم والمنعم ويطلق
على الله وعلى غيره مضافا وغير مضاف نكرة ومعرفة بحسب القراين والمقامات
والمراد هنا السيد ذكرا كان او انثى وانثه باعتبار النسمة وهو من حديث صحيح
مشهور رواه الشيخان وغيرهما وهو من المغيبات واشراط الساعة التي
اخبر بها صلى الله عليه وسلم اصحابه وفي معناه اختلاف كثير فقيل معناه
ان الاما تلدن الملوك فتكون امه امة من جملة رعيته وقيل هو عبارة
عن فساد احوال الناس في آخر الزمان وكثرة بيع امهات الاولاد حتى يشتري
الرجل امه وهو لا يدري انه ابنها فلا يختص بام الولد والامة قد تلد حرا
من غير سيدها لوطيها بشبهة فوطئ او رقيقا بنكاح او زنا ويعتق وتتداول
الايدي امه حتى يشتريها ابنها وقيل معناه كثرة العقوق حتى يستطيل
الولد على امه استطالة السيد والذي عد من الاشراط على الاول كثرة التسري
فلا ينافي تسري النبي صلى الله عليه وسلم بمارية وغيره وفي الشروح كلام
مبسوط في هذا الحديث وفيه من دلايل النبوة الاعلام بكثرة التسري والتي
بعد ظهور الاسلام واستيلاء المومنين على الكفرة وتملك ديارهم والانذار
بان غايته الانحطاط لا يؤذن بقيام الساعة وكل شي بلغ الحد انتهى ومما
اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان وهو ان قريشا

والاحزاب لا يغزونه ابدا الاحزاب جمع حزب وهو الطايفة الكثيرة المجتمعة للتعصب
والقتال وتعريفه هنا للعهد اذ المراد احزاب مخصوصون في الغزوة المشهورة
وانه هو الذي يغزوهم بعد اخباره بذلك في الاحزاب وهي غزوة الخندق وبعد
احد والخندق لم تغزه قريش وهو صلى الله عليه وسلم غزاهم حين فتح مكة
واتى بالجملة مؤكدة بالاسمية وان وضمير الفصل للتحقيق وقوعه ونصره
ولذا قال صلى الله عليه وسلم يوم فتحها لا تغزى قريش بعد هذا الى يوم
القيامة اي لا تعود مكة دار كفر ولا تغزوها الكفار فلا ينافي ما وقع لبعض
المسلمين كالحجاج وكذا حديث ذي السويق من قال الواقدي انه صلى الله عليه
وسلم قال هذا السبع بقين من ذي القعدة وتمام رواه الشيخان اينما انه
صلى الله عليه وسلم اخبر بالموتان بضم الميم بزنة بطلان وبفتحها وسكون
الواو وهو مصدر بمعنى الموت الكثير وفتح الميم والواو لا يصح هنا لانه
اسم يقابل الحيوان وفي القاموس الموتان خلاف الحيوان ارض لم تحيى بعد
وبالضم موت يقع في الماشية وتفتح انتهى يعني ان فعلان بفتحتين في المصادر
يختص بما يدل على الحركة كالجولان والدوران وهو من محاسن اللغة العربية
اذ جعل اللفظ على وفق معناه فلذا امتنع ههنا الذي يكون بعد فتح
بيت المقدس وكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه بعمواس بفتحتين وهي
قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكره وهو اول طاعون وقع في الاسلام
مات فيه سبعون الفا في ثلاثة ايام وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة وعمواس
هذه هي القرية التي بين الرملة وبيت المقدس مات فيها ابو عبيدة بن الجراح
والحديث اوله عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال اتيت النبي صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدي الساعة
موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان ياخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين
وصاد مهملتين وامر تموت به الغنم من وقتها ثم استفاضة المال وعدها
الى اخرها وفتنة وهدنة بينكم وبين بني الاصفر والموتان ان خص بالماشية
كما مر فهو هنا مجاز مرسل لمطلق الموت او استعارة ولا ينافيه التصريح باداة
التشبيه لانه من وجه اخر وهو شدة السرعة والمنافي له ذكر التشبيه
في ذلك المجاز بعينه وقد اشار لما قلناه الشريف في حواشي الكشاف في قوله
كان اذ في قلبه خطلا وانه وهو من الفوايد النفيسة وما وعد من سكنى
البصرة بتثليث الباء ومعناها ارض غليظة او ذات حجارة والفتح اشهر
وافصح وهي بلدة اسلامية ويقال لها بصيرة بالتصغير ايضا بناها
عتبة بن غزوان في خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنت سنة ثمان ومن
شرفها انه لم يعبد بها صنم وينسب اليها بصري بكسر وفتح ولا يجوز الضم
وهذا الحديث رواه ابو داود عن انس انه قال له صلى الله عليه وسلم
يا انس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال له البصرة
فان انت مررت بها او دخلتها فاياك وسباخها وكلاها وسوقها وباب

امرايها

امرآيها وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف ومسخ وضواحيها
نواحيها ومنه قريش الضواحي للنازلين ببطحائها وظواهرها وكلاوها تبشد بد
اللام مرسى سفنها وفي هذا من اعلام النبوة والاخبار بالغيب ما لا يخفى ويحوز
كسر ميمها وفتح صادها ولهم بلدة بالغرب تسمى البصرة ايضا والمراد الاولى وسكنى مصدر
كعقبى بمعنى الاقامة بها ونزولها ومن اخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيب
ايضا في حديث رواه الشيخان المعبرا اي امته عليه الصلاة والسلام يغزون في
البحر بعده صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن ذلك في حياته والمراد بالبحر البحر الملح
لانه اذا اطلق ينصرف اليه ولم يعهد في غيره الا نادرا كالملوك على الاسرة وهو
تشبيه بليغ والاسرة جمع سرير وهو مقعد يعد للملوك ومن نحو يجلسون عليه
ترفعا وتعظيما ومركب الماكب المعدة للغزو والذي يقعد عليه رئيسهم يعمل
على هيئة سرير الملك بعينه كما يعرفه من شاهده فهو من الاعلام العجيبة لانه
لم يكن ذلك بديار العرب ولم يره احد منهم فتوصيفه صلى الله عليه وسلم
له كمن عرفه وتجلى عليه مما تحار فيه العقول والحديث عن انس رضي
الله عنه عن خالته ام حرام بنت ملحان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نام عندها يوما لانه محرم لها ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يتبسم فقالت له ما اضحكك يا رسول الله قال اناس من امتي عرضوا على
يركبون البحر الاخضر كالملوك على الاسرة قالت ادع الله ان يجعلني منهم
فدعا لها ثم نام فراى ذلك فقال لها ما قال اولا ودعا لها وقال لها انت
من الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت مع المسلمين الغزاة في البحر
مع معاوية رضي الله عنه فلما ارسوا قرب لها دابة تركبها فوقعت وماتت
شهيدة ثمة واختلف في زمنه فقيل في زمن معاوية كما علمت وقيل في
زمن عثمان رضي الله عنه وجمع بينهما بانه في زمن عثمان امر معاوية ان
يغزو البحر فغزاه بامر عثمان ثم لما ولي الخلافة غزاه بنفسه وفي الحديث
معجزات اخباره صلى الله عليه وسلم عن غزو امته في البحر وغلبتهم وظهور
شوكة الملوك فيهم وان ام حرام من اولهم وفيه دليل على جواز ركوب
البحر للرجال والنساء خلافا لمالك في كراهته للنساء في رواية عنه وان
الغزو فيه مشروع مطلوب وورد في الحديث ان غزو البحر يزيد اجره على
البر بعشر درجات لما فيه من المشاق وهذه الغزاة اول غزاة فيه وهي فتح
قبرس وكان عمر رضي الله عنه لم ياذن في ذلك اولا ثم لما ذكر له هذا الحديث
امر به وجهز الاسطول كما هو مفصل في محله وليس المراد بالبحر في الحديث
بحر الشام وتعريفه للعهد بل مطلقه كما لا يخفى وام حرام رضي الله
عنها مدفونة بقبرس وقبرها معروف بها يزار وفي نسخ ثبج البحر
بمثلثة وموحدة وجيم وهو وسطه ومعظمه واخبر صلى الله عليه وسلم
ان الدين لو كان منوطا اي معلقا بالثريا لناله اي وصل اليه رجال من ابناء
فارس اي ناس منهم ومناط الثريا كناية عن غاية البعد وهي اي الثريا كواكب

مجتمعة اختلف في عددها كما مر وهي المنازل المشهورة وهي مشهورة بالعلو في السما
ويضرب بها المثل ولفظها مصغر من الثروة كما تقدم والدين بمعنى الايمان او الشرع
وما يتعلق به وهو كناية عن ان هولا يصلون منه لما لم يصل اليه غيرهم قط وهذا
من حديث رواه الشيخان وهو من اعلام النبوة ايضا لما ظهر فيهم من الاوليا والعلما
وما ظهر منهم من التصانيف التي لا تعد ولم يات الدهر بمثلها وما كان فيهم من خدمة
كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم فلا تجد فنا الا وقد حازوا قصب
السبق فيه وانظر الى البخاري هل له مثيل وليست هذه شعوبية كما يتوهمه
من يتعصب تعصب الجاهلية وانما هو تحقيق لما اخبر به سيد البرية صلى الله عليه
وسلم وفارس جيل معروف ويقال لهم الفرس ايضا وهم من اولاد سام بن نوح على
الاشهر وفارس اسم جدهم سموا به ويطلق على بلادهم ايضا والحديث مروي عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا عنده صلى الله عليه وسلم فانزل عليه سورة
الجمعة وقوله فيها وآخرين منهم لما يلحقوا بهم فقلت من هم يا رسول الله وفينا
سلمان الفارسي رضي الله عنه فوضع صلى الله عليه وسلم يده عليه ثم قال لو كان
الايمان عند الثريا لناله رجال او رجل من هولا وفي رواية لو كان العلم وروى
ايضا ان ذلك كان عند نزول قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ولا
مانع من تعدد سبب النزول كما حققه المفسرون والاشارة بهولا مع ان المشار
اليه واحد وهو سلمان لان المراد به الجنس او هو بتقدير من جنس هولا ومن ذلك
ما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه انه هاجت اي هبت ريح بشدة والنبي صلى
الله عليه وسلم في غزاته اي في غزوة من غزواته وهي غزوة تبوك وهو محل من
ارض الشام كما قيل وفيه نظر فقال لها الموت منافق اي رجل من المنافقين وهو
رفاعة بن زيد بن التابوت احد بني قينقاع وكان من عظما اليهود كهفا للمنافقين
فلذا سماه منافقا وقال ابن الجوزي انه ابن عم قتادة بن النعمان وذكر عند
قتادة رضي الله عنه انه راي منه ما يدل على صحة اسلامه وقال الذهبي
في التجريد ان له صحبة فتسميته منافقا على حقيقته وظاهره وروي لها الموت
عظيم من عظما الكفار وهذا ايضا محمول على ظاهره او هو باعتبار ما في قلبه
من الكفر المضمر وصحح البرهان ان هذه الغزوة غزوة بني المصطلق وكان ذلك
في رجوعه منها سنة ست او اربع او خمس قبل الخندق على اختلاف فيها
وهذه علامة لما ذكر لا انها تدل على غضب الله كما في ريح عاد التي اهلكتهم
كما تهلك ريح السموم من هبت عليه لانه استدل بها كما يستدل بالنجوم
وحوادث الجو عند الحكما والمنجمين ولا حاجة الى ان يقال انها علامة لما
صنعه الله وقدره واطلع من اراد عليه والممنوع انما هو اسناده لها
وجعلها مؤثرة فيه فلما رجعوا اي النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه
من تلك الغزاة وجدوا ذلك اي ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم
من العيان بموت ذلك المنافق المذكور فهلك في وقت اخباره صلى الله عليه
وسلم وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الطبراني عن رافع بن خديج

دحلي

رضي الله عنه

ابن افتوى

رضي الله عنه بسند صحيح لقوم من جلسائه من الصحابة رضي الله عنهم وهو جمع جليس
بمعنى مجالس مثل كريم وكرماء ضرس احدكم اي واحد منكم ايها الحاضرون في النار اي
اذا كان في جهنم مثل احد اي كالجبل المذكور عظما وهو عبارة عن ان احدهم يكون
كافرا لما في حديث اخر ضرس الكافر مثل احد وجسم المعذب كلما زاد زاد عذابه فكان
اشد عليه وكونه عبارة عن ثباته على ايمانه وفوق صبرهم عليه كما قيل في غاية البعد
قال ابو هريرة رضي الله عنه الذي كان الخطاب له وقد ذهب القوم الذين كانوا جلساءه
اي ماتوا كلهم كما اشار اليه بقوله يعني ابو هريرة بقوله ذهب القوم ماتوا فان
الذهاب حقيقته الانصراف عن مكانه وقد يجيء بالموت كقول قس • • • شعر
في الذاهبين الهالكين لنا بصائر • وبقيت انا ورجل منهم ولم يعينه لكراهته
والستر على من كان صحابيا بحسب الظاهر واسمه الرحال بن عنفوة والرحال براء وحاء
مهملتين ولام وقيل انه بالجيم وهو الاصح رواية وهو من اهل اليمامة
فقتل مرتدا حال من ضمير قتل النايب عن الفاعل والضمير لرجل يوم اليمامة اي
في حرب كان باليمامة وهي اسم ارض معروفة شرقي الحجاز ومدينتها العظمى الحجر •
وتسمى حجر اليمامة ايضا وقتله زيد بن الخطاب في حرب مسيلمة لعنه الله وكان
معه وقدم مع وفد بني حنيفة على النبي صلى الله عليه وسلم وتعلم القران
فلما ادعى مسيلمة الشرك مع النبي صلى الله عليه وسلم في الوحي ارتد وشهد له
بذلك واعلم الصحابة رضي الله عنهم بعيب عنهم وهو ماض مبني للفاعل بوزن
اكرم وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه ابو داود ٥
والنسائي عن زيد بن خالد الجهني بالذي غل بغين معجمة ولام مشددة
من الغلول وهو السرقة خفية كان الايدي غلت عنها او من الغلل وهو الما
الجاري تحت النبات وكثر استعماله في السرقة من الغنايم خرزا بخاء معجمة وراء
مهملة وزاي معجمة واحده خرزة وهي حجارة تنتظم ويتزين بها وكل جوهر
من خرز يهود ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطايفة سموا باسم جدهم
يهود بن يعقوب اخو يوسف والمراد يهود خيبر لانه توفي بها وقد ذكر ذلك له
صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك
فقال ان صاحبكم قد غل في سبيل الله ففتشنا متاعه وما معه فوجدت تلك
الخرز التي غلها في رحله اي في منزله وما معه بعد موته وهي لا تساوي درهمين
واصل الرحل ما يوضع على البعير وتجوز به هنا عن محله النازل فيه بما معه وهذا
الرجل لا يعرف اسمه واعلم ايضا بما هو من الغيب بالذي غل اي سرق كما مر الشملة
وهي المرة من الشمول وكساء صغير يشتمل به الانسان وهذا القصص حديث رواه البخا
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اهدى رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه سهم
عاير فقتله فقلنا هنيا له الجنة فقال صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي
بيده ان الشملة التي اخذها يوم خيبر من الغنايم قبل القسمة لتشتعل عليه
نارا ففيه اخبار عن الغيب باعتبار اخباره بسرقته وبكونه معذبا او عابر

بعين وراء مهملتين اصابه من غير قصد من عار الفرس اذا انفلت وقيل انه اشارة لحديث تلمساني
المصابيح وهو ان رجلا قتل عليه صلى الله عليه وسلم يقال له كركرة بفتحتين او كسرتين
فمات فقال صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون فوجدوا عنده عباءة
قد غلها واقتصر السيوطي رحمه الله على الاول وانه الذي عناه المص وهو الظاهر
والنووي في المبهمات على الثاني والبرهان تبعه والذي اوجب عدول الحلال عنه لفظ
الصملة وفيه تعظيم الغلول في الغنائم لتعلق حق المسلمين كلهم به واذا عرف يرد
للامام او يتصدق به وقيل انه يحرق وقيل انه مبني على التعزير باخذ المال وهو منسوخ
واذا كان هذا من الكبائر فما حال ولاة الامور اليوم فانا لله وانا اليه راجعون وحديث
ناقته اي مما اعلم به صلى الله عليه وسلم من المغيبات حديث ناقته الذي رواه البيهقي
عن عروة مرسلا حين ضلت ناقته وغابت عنه حتى لم يرها وكيف تعلقت ناقته
بالشجرة بخطامها بكسر الخاء المعجمة وهو زمامها ومقودها وكان صلى الله عليه
وسلم طلبها لما ضلت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم محمد انه يعلم الغيب ولا يعلم
مكان ناقته الا يخبره الذي ياتيه بالوحي فاتاه جبريل واخبره بقول المنافق وبمكان
ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ما ازعم اني اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله اخبرني
بقول المنافق وبمكان ناقتي وهي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا فخرجوا
يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك
المنافق وهو زيد اللصيت او ابن اللصيت بفتح اللام وكسر الصاد المهملة وكان
اولا من اليهود وما ذكرناه من عبارة المتن هو الصحيح كما ذكره السيوطي في مناهل
الصفا في تخريج احاديث الشفا ووقع في بعض النسخ وحيث هي ناقته حين ضلت
وفي اخرى ومن ضلت ناقته حيث هي ضلت وكيف الخ فقال بعضهم هو مجرور عطف عن بني
على الذي او مبني على الكسر كما جوزه النحاة وحيث خرجت عن الظرفية معمول
لا علم وناقته مبتدا وهي مبتدا ثان خبره محذوف اي موجودة والجملة في محل
جر باضافة حيث وانت في غنى عن مثله ومن المغيبات التي اعلم النبي صلى الله
عليه وسلم اصحابه بها ما رواه الشيخان عن علي كرم الله وجهه حين اعلم بشان
كتاب حاطب بن ابي بلتعة الصحابي البدري المشهور الذي ارسله الى اهل
مكة لما تجهز النبي صلى الله عليه وسلم لفتح مكة ولم يعلم احدا بتوجهه
ومقصده فكتب حاطب كتابا اليهم فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو سار اليكم وحده
نصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده فعليكم الحذر فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعلي وبعض الصحابة اذهبوا الى روضة خاخ ففيها جارية
معها مكتوب فائتوني به وكان صلى الله عليه وسلم اخفى مسيره فاتوا المحل
فوجدوا الجارية فانكرت ففتشوها فلم يجدوا معها شيا فهموا بالرجوع
ثم بدا لعلي رضي الله عنه ان خبره صلى الله عليه وسلم صدق فهدد الجارية
فاخرجت الكتاب من عقيصتها فلما اتوا به قال عمر رضي الله عنه دعني اضرب
عنق حاطب فقال صلى الله عليه وسلم لا فان الله اطلع على اهل بدر وقال

اصنعوا

استعملوا ما شئتم فاعتذر له حاطب بان له ثمة اهلا ومالا اخشى ضياعه فاراد ان يصنع فيهم يدا
تقتضي حفظه فقبل عذره كما تقدم والقصة مفصلة في شروح السير والبخاري ه
والكتاب كان مع امراة تسمى ام سارة ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات
ما رواه ابن اسحاق والبيهقي والطبراني حين اعلم بقصة عمير بالتصغير بن وهب بن
خلف مع صفوان بن امية بن خلف حين ساره اي اخبر عمير صفوان سرا في خفية لم
يسمعه احد وذلك السر انه يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتيه بغتة بحيث لم يشعر
به احد وكان شجاعا فاتكا وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم اي اشترط عليه ما
يعطيه ان فعل ذلك وحاصل ذلك ان عمير بن وهب جلس مع صفوان فلما جا عمير الى النبي
صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر
والسر الذي كان بينهما لم يطلع عليه غيرهما وهما بمكة اسلم عمير وحسن اسلامه
لما شاهده من المعجزة الباهرة وحاصل ذلك ان عمير بن وهب جلس مع صفوان بن امية
وهو ابن عمه في الحجر بعد بدر فذكروا اصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله
ليس في العيش بعدهم خير فقال عمير صدقت والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه
وعيال اخشى ضياعهم لكنت الى محمد حتى اقتله فان لي فيهم علة اسير عنده فاغتنمها
صفوان فقال علي دينك اقضيه وعيالك مع عيالي اواسيهم ما بقوا فقال اكتم علي
شاني ثم شحذ سيفه اي سنه وسمه وانطلق حتى اتى المدينة واناخ بباب المسجد
متوشحا بسيفه فراه عمر رضي الله عنه فقال هذا الكلب عدو الله ما جا الا لشر
واخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ادخله علي فاقبل عمر رضي
الله عنه حتى اخذ بحمالة سيفه لببه بها ثم ادخله فلما راه صلى الله عليه
وسلم قال ارسله يا عمر ادن يا عمير فدنا فقال ما جابك قال جيت لهذا الاسير فاحسنوا
فيه قال فما بال السيف في عنقك قال قبحها الله ما اغنت شيا قال اصدقني ما الذي
جيت له قال ما جيت الا لذلك قال بل قعدت انت وصفوان بالحجر وذكرا اصحاب القليب
وقلت لولا دين علي وعيالي خرجت الى محمد حتى اقتله فتحمل دينك وعيالك على
لتقتلني فقال اشهد انك رسول الله وقد كنا نكذبك وهذا امر لم يحضره
الا انا وصفوان فوالله اني لاعلم انه ما اتاك به الا الله فالحمد لله الذي هداني
للاسلام وتشهد فقال صلى الله عليه وسلم فقهوا اخاكم دينه واقروه القران
واطلقوا اسيره واما صفوان فهرب خايفا يوم الفتح ثم جا مستامنا فاسلم
وحسن اسلامه وكان عمير ابغض الناس لعمر فلما اسلم كان احب الناس اليه وهو
من سادات قريش وفصحائها فتمت سيادته بالاسلام وله احاديث في السنن واخبر
ايضا صلى الله عليه وسلم فيما رواه احمد عن ابن عباس والحاكم والبيهقي عن
عايشة بسند صحيح بالمال الذي تركه عمه العباس بمكة عند ام الفضل لبابة
بنت الحارث بن حرب الهلالية زوجته كنيت باسم ابنها الفضل كما كني العباس
ابو الفضل وهي من اشراف الصحابة رضي الله عنها يقال انها اول امراة اسلمت
بعد خديجة وكان كتم ماله عندها واخفاه حتى عن اولاده كما اشار اليه
بقوله بعد ان كتمه فلما اسر ببدر لما خرج مع كفار قريش وطلب منه الفدا

خ ركبت لمحمد

فقال لا مال لي فقال له صلى الله عليه وسلم ما صنع المال الذي وضعته عند ام الفضل
فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم وقيل له لم لم تسلم قبل الفدا ليبقى لك مالك
الذي افتديت به فقال لم اكن لاحرم المؤمنين ما طمعوا فيه من مالي وقد قيل انه اسلم
قبله ولكن كان يخفي اسلامه لما فيه من نفع المسلمين من وجوه لا تعد وفي بعض النسخ
ام الفضيل بالتصغير وهو خطا من الناسخ واصل الحديث انه كانت قريش بعثت بفدا اسراهم
فقال العباس يا رسول الله اني كنت مسلما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله
اعلم باسلامك فان يكن كما تقول فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا فافد
نفسك وابني اخيك نوفل بن الحارث وعقيل بن ابي طالب وحليفك عتبة واخي بني
الحارث قال ما عندي ما يفي بالفدا قال ما فعلت بالمال الذي دفنته عند ام الفضل
وقلت ان اصبت في سفري فالمال لولدي فقال والله يا رسول الله هذا شيء ما علمه
غيري وغيرها فاحسب لي ما اصبتم فقال لا ذاك اعطاه الله لنا ففداهم فانزل الله
يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى الاية ومقتضى قول المص فاسلم انه ما اسلم
الا حينئذ والذي قالوه انه اسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه وقال ابن عبد البر
قيل ان اسلامه كان قبل بدر وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان العباس يكتب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم احوال المشركين واحب ان يقدم عليه المدينة فكتب اليه
مقامك بمكة خير ولذا قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر من لقي العباس فلا يقتله
فانه انما خرج مكرها ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي عن عروة
وسعيد بن المسيب مرسلا انه اعلم انه سيقتل بنفسه ابي بن خلف كما تقدم
فخرجه ليعنقه في احد فمات بمحل يسمى سرفا وكان قبل ذلك اذا لقيه بمكة يقول عندي
فرس اعلفها كل يوم لا قتلك عليها فيقول له صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك
ان شا الله فلما كان يوم احد اقبل يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فاعترض دونه
جماعة من المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم خلوا سبيله وتناول فرجة من درعه
على ترقوته فطعنه طعنة لم يخرج منها دم ووقع عن فرسه ورجع اليهم فقالوا
له ما بك من باس فقال لو بصق علي محمد لقتلني فقتل قاتله الله في مرجعه
من احد ومما اعلم به صلى الله عليه وسلم انه قال في عتيبة بن ابي لهب انه
ياكله كلب من كلاب الله فاكله الاسد وهو ذاهب الى الشام والاسد يسمى كلبا
وهو يشبهه صورة ولما اضافه لله افادته الاضافة تعظيما كما قاله الثعالبي
في المضاف والمنسوب وقد تقدم ان ابا لهب كان له اولاد معتب وعتبة وعتيبة
بالتصغير وان المصغر هو عقير الاسد والمكبر اسلم وكان من كبار الصحابة
فالصواب ان يقول المص عتيبة بالتصغير الا ان من علما الحديث من قال
مثل ما قاله المص فالاعتراض غير مسلم كما مر ثم ان المص ذكر هذا في فصل
اجابة دعائه فتكون هذه الجملة دعائية انشائية وكلامه هنا يقتضي بانها
خبرية اخبر بها عن امر مغيب فبين كلاميه تدافع والجواب عنه ان كلا منهما
محتمل فذكره ثمة باعتبار وهنا باعتبار ويؤيده انه لما خاف من الاسد قال له
رفقاؤه لم اشتد رعبك قال ان محمدا قال لي كذا وهو لا يقول الا صدقا فالصدق

من

من خوارق الخبر وقد يقال ان الدعا عنده من تحقق اجابته خبر معنى وأخبر صلى الله
عليه وسلم عن مصارع اهل بدر اي محال قتلهم ووقوعهم على الارض يعني من
قتل بها من كفار قريش وصناديدهم فقال قبل وقعتها هذا مصرع فلان وهذا
مصرع فلان مشيرا الى محال قتلاهم بها قبل وقوعه وسماهم اهلها لبقا جثثهم فيها
كما يقال اهل الدار لمن بها فكان ما اخبر به صلى الله عليه وسلم عن مصارعهم كما قال
لم يتجاوز احد منهم موضعه الذي عينه له رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه
من الاخبار بالغيب ما لا يخفى واصل هذا الحديث كما في صحيح مسلم وغيره انه صلى
الله عليه وسلم قام بيده قبل قتالهم وقال هذا مصرع فلان ووضع يده على
الارض ثم قال هذا مصرع فلان ووضع يده عليها وعدهم واحدا واحدا مشيرا
لمصارعهم فلم يتجاوز احدهم موضعه فصرعوا كذلك ثم جروا بارجلهم وطرحوا
في القليب ثم جا صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم وقال يا فلان بن فلان يا فلان
ابن فلان يناديهم باسمائهم واحدا بعد واحد هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فقال
الصحابة يا رسول الله اتكلم اجسادا لا ارواح لها فقال والذي نفسي بيده ما انتم
باسمع منهم لكلامي ولكنهم لا يستطيعون ان يردوا وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما في الحسن بن علي بن ابي طالب ان ابني هذا
سماه ابنا له مجازا لانه يطلق على الولد وعلى ولد الولد اطلاقا مشهورا حتى
صار حقيقة عرفية فيه سيد اي شريف رئيس مسود في قومه لشرف نسبه
وذاته وفضله على غيره من جهات وللسيد اطلاقات ويطلق على الله وعلى غيره
كما تقدم تفصيله وسيصلح الله به اي بسببه سيقع الصلح والاصلاح بين فئتين
عظيمتين من المسلمين والفئة الجماعة من فا بمعنى رجع والمراد بهما من كان معه
ومن كان مع معاوية رضي الله عنهما وفي صحيح البخاري عن الحسن عن ابي بكرة قال
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن الى جنبه وهو يلتفت الى
الناس مرة واليه مرة ويقول ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين
من المسلمين وهو حديث صحيح مروي من طرق وفي رواية فئتين عظيمتين قال
ابن عبد البر رحمه الله في الاستيعاب لما قتل علي رضي الله عنه بايع الحسن اكثر
من اربعين الفا على الموت وكانوا اطوع واحب له من ابيه فبقي نحو سبعة اشهر
خليفة بالعراق وخراسان وما وراءها ثم سار رضي الله عنه الى معاوية وسار
معاوية اليه فلما تراءى الجمعان بناحية الانبار علم الحسن انه سيقع قتال يذهب
فيه كثير من المسلمين فارسل الى معاوية يخبره انه يفوض الامر له بشرط ان لا يطلب
احدا من اهل المدينة والحجاز والعراق بشيء كان في ايام ابيه فاجابه معاوية
لذلك وقد طار فرحا الا انه قال عشرة انفس لا آمنهم منهم قيس بن سعد
فراجعه الحسن وقال لا ابايعك وانت تطلب احدا منهم لا قيس ولا غيره فارسل
له معاوية رقا ابيض وقال اكتب فيه ما شئت وانا التزمه فاصطلحا على ذلك
وعلى ان الامر له بعد معاوية فالتزمه كله معاوية وساء ذلك اكثر الناس حتى
كانوا يقولون للحسن يا ذل المسلمين وعار المؤمنين ولما سلم الامر له قال له

احطب الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان اكيس الكيس التقي وان اعجز
العجز الفجور الا وان هذا الامر الذي اختلفت فيه انا ومعاوية حق لامرء كان احق
بي او حق لي تركته لمعاوية ارادة اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان ادري لعله
فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر الله ونزل ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم ما
رواه الشيخان من قوله لسعد بن ابي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف احد العشرة
واصحاب الشورى ولتبادره اذا اطلق لم يقيد به مما يخرج سعد بن معاذ وغيره
من سعود الصحابة فلا اعتراض عليه كما قيل ولسعد معطوف على قوله في الحسن
اي قال لسعد لعلك تخلف وفي نسخة ان تخلف بان المصدرية في خبرها حملا لها
على عسى لانها اختيتا في الترجي كما قال لعلك يوما ان تلم ملمة وكان سعد
رضي الله عنه مرض بمكة وكان يكره ان يموت بالارض التي هاجر منها فاتاه صلى الله
عليه وسلم يعوده فقال يا رسول الله اوصي بمالي كله فقال لا الى ان قال
الثلث والثلث كثير الى اخر الحديث وهو مشهور ولم يكن له الا ابنة وقد كان
ثم يخشى ان يموت ثمة وذلك في حجة الوداع وقوله تخلف بضم المثناة الفوقية
وتشديد اللام اي يبقى بعد هذا الزمان فكان كما قال فانه عاش بعد ذلك
نحو خمسين سنة وقوله حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون قال النووي
في هذا الحديث من المعجزات تحقق ما اخبر به فانه عاش بعد ذلك زمانا كما تقدم
ونفع الله به المسلمين لما كان على يديه من الفتوح وهدى الله به ناسا اسلموا
على يديه وغنموا معه وضر الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبا
وليس المراد بضرره ضرر المسلمين لان ابنه عمر كان اميرا على الجيش الذي قتلوا الحسين
لانه لم يرض بذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى وقال ابن حبيب المراد به انه تولى
العراق واتي بقوم ارتدوا وتجمعوا بسجع مسيلمة الكذاب لعنه الله فاستتابهم
فتاب بعضهم وانتفع به واتي بعضهم فقتلهم فتضرروا به وهذا تاويله
عند بعضهم وقيل الرواية انما هي يضر بك اخرون والمصنف اراد باستفعل
فعل وجعل المصنف الترجي اخبارا لانه بمعناه وهو المراد لكن عبر به تادبا منه وقد
صرحوا بان الترجي في حق الله والرسول والاولياء تحقيق معنى كما قاله ابن الملقن
واخبر صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه البخاري عن انس بقتل اهل
مونة بضم الميم وسكون الواو والهمزة فان فيها لغتين كما في القاموس وهو اسم
موضع بالشام كان فيه غزاة مشهورة واضافة اهل للعهد ولا يجوز ان تكون للاستغراق
كما قيل لانه انما اخبر بقتل ناس منهم قبل مجيء الخبر له صلى الله عليه وسلم بيوم
والذي اتى بالخبر يعلى بن منية وكان صلى الله عليه وسلم نعاهم لاصحابه فقال
اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها جعفر فاصيب ثم اخذها ابن رواحة فاصيب
وعيناه تذرفان حتى اخذ الراية سيف من سيوف الله يعني خالد بن الوليد
ففتح الله عليهم فلما اتاه يعلى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان شئت اخبرني وان شئت اخبرتك فقال اخبرني فاخبره ووصفهم له
فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا وقوله يوم

قتلوا

عرضي

قبلوا متعلق بأخبر وبينه صلى الله عليه وسلم وبينهم أي المقتولين بمؤتة مسيرة شهر
أو أزيد ذكره تخفيفا لأنه إخبار بالغيب لبعده بحيث لا يمكن مجيء الخبر له صلى الله عليه وسلم
في يومه ولذا ورد في هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله رفع لي الأرض حتى
رأيت معتركهم وما قيل إن المدينة ليس بينها وبين مؤتة هذا المقدار بل بينهما
نحو عشرة مراحل كما يعرفه من سلك طريقها لكنه لم يعرفه لبعد بلاده يقيني أنه
قاله من نفسه من غير تثبت فيه وليس كذلك فإنه يختلف باختلاف الأحوال كالسير
ماشيا وكثير الجمال في القافلة بأحمالها بخلاف الرسان ويختلف أيضا بطول الأيام
وقصرها والأمر فيه سهل وبموت النجاشي أي أخبر صلى الله عليه وسلم بموته
كما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه يوم مات متعلق بأخبر وذلك سنة
سبع من الهجرة وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب وبه
استدل الشافعي على جوازها وهو ملك الحبشة واسمه أصحمة كما تقدم وهو الذي
أرسل إليه مكتوبه خلافا لابن القيم في الهدي النبوي إذ قال إن الذي كاتبه غيره فإن
كل من ملك الحبشة يقال له نجاشي بفتح النون وكسرها وتخفيف الياء وتشديدها
وهو بأرضه جملة حالية والمعنى للنجاشي أي والحال أن النجاشي مات بأرض الحبشة فهو
إخبار عن الغيب ويحتمل أن يعود للنبي صلى الله عليه وسلم أي والنبي صلى الله عليه
وسلم وقت موت النجاشي كان بأرضه أي المدينة فلا يحتمل أنه رآه عادة وإن أمكن أن
يرفع له حتى رآه كما قاله من لم يقل بالصلاة على الغائب كما قيل إنه من خصائصه
أيضا وأخبر أيضا صلى الله عليه وسلم في حديث آخر رواه البيهقي فيروز علم عجمي
ممنوع من الصرف وهو وزير كسرى ملك فارس ومعناه الفوز والظفر وفاؤه
مفتوحة وقد تكسر وفيروز ديلمي والديلم جيل من العجم إذ ورد أي جاء فيروز
وقدم عليه أي على النبي صلى الله عليه وسلم رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك
اليوم بنصبه على الظرفية أي يوم ورد عليه أو يوم مات كسرى فلما تحقق فيروز
القصة التي قصها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بموت كسرى
الذي هو رسوله أسلم فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وفاز فوزا عظيما
وقصته رويت من طرق وحاصلها أنه صلى الله عليه وسلم كتب لكسرى مكتوبا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع
الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله
وأدعوك بداعية الله عز وجل فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان
حيا ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم الخ فلما قرأ كتابه مزقه فمزق الله
ملكه وكتب إلى باذان عامله على اليمن أن ابعث إليه رجلين جلدين يأتيانه فبعث
قهرمانه بانويه ومعه آخر من الفرس ومعهما مكتوب يأمره فيه بالانصراف معهما
فلما أتياه قال لهما إن الله سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في وقت كذا
فأخبرا باذان بما قاله صلى الله عليه وسلم فقال لننظرن ما قال فإن تحقق
فهو نبي مرسل فلم يلبث أن قدم عليه مكتوب شيرويه بما وقع فأسلم
وأسلم معه أبناء فارس باليمن وحسن إسلامهم وقوله بن كسرى هذا اسمه أبرويز

وهذا انما ذكره المؤرخون واصحاب السير واما ما ذكره المص فلم يشتهر ولم ينقل احد ان
من الصحابة من اسمه فيروز لكن السيوطي نقله عن دلايل النبوة للبيهقي فقيل انه ليس
فيما ذكر وفي الاستيعاب ان فيروز الديلمي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانه الذي قتل الاسود العنسي وكذلك ذكر قضية فيروز على الوجه الذي ذكره
المص الماوردي في اعلام النبوة واطال فيها واخبر صلى الله عليه وسلم اباذر الغفاري
كما رواه احمد في مسنده بتطريده اي بتغييبه من المدينة وقد ذكر الحريري في الدرة
الغراق بين طرده واطرده وطرده المشدد وانه انما يقال في النفي الاشدد كقول ابي
سفيان وانت الذي طردتني كل مطرد وطرده واطرده بمعنى نحاه وكثير من اهل
اللغة لم يفرقوه كما كان اي وقع ما اخبر به صلى الله عليه وسلم بعينه ووحده
اي وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اباذر في المسجد اي مسجده بالمدينة
نايما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت منه اي من هذا
المسجد وكيف استفهام عن الحال والظاهر انه ليس على حقيقته هنا فانه صلى الله
عليه وسلم علم ما يجري عليه وانما مراده اخباره بحاله وما يكون له كقوله
تعالى وما تلك بيمينك يا موسى والمعنى كيف ظنك او علمك بك في هذه الحال قال
اسكن المسجد الحرام يعني مكة المشرفة قال فاذا اخرجت منه الحديث اي اقرا الحديث
او اذكر الحديث الذي رواه احمد ومعناه انه كان يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وينام في المسجد وليس له ماوى غيره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
فراه نايما فقال له اراك نايما فقال اين انام وهل لي بيت غيره فقال له صلى
الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجوك منه قال الحق بالمسجد الحرام فقال له كيف
بك اذا اخرجوك منه قال الحق بالشام ارض المنشر والمحشر وارض الانبيا فاكون
رجلا من اهلها قال فاذا اخرجوك من الشام قال ارجع اليه فيكون مني لي قال
فكيف بك اذا اخرجوك منه الثانية قال اخذ سيفي واقاتل حتى اموت فوكزه صلى
الله عليه وسلم بيده وقال خير لك منه ان تنقاد حيث قادوك حتى تلقاني
وانت على ذلك وانما تطريده رضي الله عنه فرواه بعض الشيعة على وجه منكر
اسندوا فيه لعثمان رضي الله عنه ما لا اصل له والصحيح ما رواه قتادة
من انه صلى الله عليه وسلم قال له اذا رايت المدينة بلغ بناوها سلعا
فاخرج منها واشار الى جهة الشام فلما زاد بناوها ذهب الى الشام ثم انه رضي
الله عنه انكر على معاوية بعض امور فشكاه لعثمان فكتب اليه اقبل الينا فلما
ارتحل لحقك فقدم عليه ثم استاذنه في الخروج الى الربذة فاذن له فاقام بها
الى ان مات وما قيل ان عثمان امر بان عاجه بعنف فلما وصل اليه قال له ما
حملك على ما صدر منك قال اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين
الله دغلا ثم يريح الله العباد منهم فقال له اخرج من هذه البلدة فخرج منها
قال اكثرهم لا اصل له وليعيشه وحده اي اخبره رسول الله صلى الله عليه
وسلم بانه يعيش بعد خروجه من المدينة ثانيا وحده معتزلا عن الناس ع مني

وفي

وفي نسخة عيشته بالتاو مونة وحده وكان كما قال لان البيهقي روي ان امرد لما حضرته
الوفاة بكت فقال لها ما يبكيك فقالت مالي لا ابكي وانت تموت بفلاة وليس عندنا كفن فقال
لا تبكي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنفر كنت فيهم ليموتن احد كم بفلاة
يشهده عصابة من المسلمين وانا ذلك الرجل فابصري الطريق فخرجت فاذا برجال على
رحالهم فاخبرتهم بذلك فدخلوا عليه فقال انشدكم الله ان يكفنني منكم من لم يكن
نقيبا ولا اميرا فقال غلام منهم انا اكفنك باعمي في داري وثوبين في عيبتي من غزل
امي قال فكفني فلما مات كفنوه وصلوا عليه ودفنوه واخبر صلى الله عليه وسلم فيما
رواه مسلم ان اسرع ازواجه به لحوقا اي اول من يموت من امهات المؤمنين بعده
اطولهن يدا لم يقل طولاهن بالتانيث لان اسم التفضيل المضاف يجوز فيه المطابقة
وعدمها وهذا يحتمل ان يكون من الطول بالضم ضد القصر ومن الطول بالفتح وهو
الجود والانعام ولاحتمال المعنيين فيدل ازواجه صلى الله عليه وسلم بعده كن
يقسن اذرعتهن لينظرن للاطول منها فلما ماتت زينب رضي الله عنها علمن ان المراد
الثاني فان كان من الاول كان استعارة وبدا ترشيح للاستعارة مع ما فيه من التورية
لان اليد بمعنى النعمة فكانت اي اطولهن يدا واسرعهن لحوقا به صلى الله عليه وسلم
فاسمها نبوع ما يدل على ما ذكره وقد لدن زينب بالنصب خبرها وهي زينب بنت
جحش ام المؤمنين رضي الله عنها لطول يدها بالصدقة فبيان للمراد كما تقدم وتوفيت
رضي الله عنها سنة عشرين او احدى وعشرين وليس المراد بذلك زينب بنت خزيمة
التي كانت تدعى ام المساكين والحديث عن عائشة من طرق قالت قلن ايتنا اسرع لحوقا
بك قال اطولكن يدا فاخذن ينذرعن وفي رواية اخذن قصبة يذرعن بها اي يقسن
اذرعتهن لظنهن ان المراد الحقيقة فلما توفيت زينب علمن المراد لانها كانت اكثرهن
صدقة وكانت تعمل بيدها وتتصدق وما في البخاري عن عائشة رضي الله عنها
انه اجتمع زوجاته صلى الله عليه وسلم عنده فقلن له ايتنا اسرع لحوقا بك
قال اطولكن يدا فكانت سودة بنت زمعة فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانت اسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها الصدقة وكانت تحب الصدقة
مشكل لمخالفته لما رواه مسلم من انها زينب وهو الذي صححوه وفيه اضطراب ايضا
لان اوله يقتضي ان المراد الطول الحقيقي وما بعده يدل على خلافه ولذا قال
الكرماني ان فيه تلفيقا وحذفا ولم يلتفت لايهامه خلاف المراد اعتمادا على شهرة
القصة وهو غاية ما يقال فيه قيل وهو مجاز مرسل لعلاقة مجاورة الصدقة
لليد او شبه الصدقة باليد فهو استعارة مصرحة والطول ترشيح والقرينة
ان علموا لابد ان لا يقتضي جوز هذه الفضيلة فلابد انه ان لم يكن فيه قرينة
لم يصح المجاز وان كانت كيف يفهمن خلاف المراد حين تذارعن وهن من
اهل اللسان اقول التحقيق انه استعارة تمثيلية بان يشبه كثرة الاحسان
والتصدق وايصال البر ومن اوصله لمستحقه له طول في يديه يصل به لما
يصل اليه غيره اذا مد هما او هو مجاز مرسل باستعمال طول اليد في لازمه
وهو ايصال الانعام او اليد استعارة مصرحة والطول ترشيح ويحتمل انه

توضيح

واخبر صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي من طرق بقتل الحسين بن علي بن ابي طالب رضي
الله عنهما بالطف بفتح الطا المشددة وتشديد الفا وهو مكان بناحية الكوفة واخرج
صلى الله عليه وسلم تربة اي مقدار ملء كف من ترابه اراه لبعض اصحابه واهل
بيته وقال اذا اخرجها فيها اي في ارض هذا التراب منها وفيها يموت ويقتل مضجعه
اي مصرعه اذ يقتل وجيمه مفتوحة وتكسر والاول اقيس وافصح وفي التعبير به
ايما الى انه رضي الله عنه حي شهيد لان اصله محل يضطجع فيه النايم واصل
الحديث عن عايشة رضي الله عنها ان جبريل كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخل عليه الحسين فقال جبريل من هذا قال ابني فقال ستقتله امتك فان شيت
اخبرتك بالارض التي يقتل فيها واشار جبريل بيده الى الطف من ارض العراق
واخذ تربة حمرا فاراه اياها ولا ينافي ذلك ما جا انه يقتل بكربلا لان كربلا اسم الموضع
والطف ناحية تشتمل عليه وكان قتله في عاشورا وقتل معه جماعة من اهل البيت
وقيل ان هذه التربة كانت عندهم والقاني يوم قتله يظهر عليها دم واختلف
فيمن باشر قتله قاتله الله واخزاه وجعل سجين مثواه ولابن العربي هنا
مقالة اظنه بري منها وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن عدي
والبيهقي مسندا في زيد بن صوحان بضم الصاد المهملة وواو ساكنة وحا
مهملة والف ونون وهو زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي اخو صعصعة
وله وفادة على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه تابعي وقال الذهبي ومن
خطه نقلت كان زيد بن صوحان مواخيا لسلمان حتى يكثر يا سلمان لحبه له وكان
زاهدا عابدا ذكر له مناقب كثيرة وعده من الصحابة وصوحان بمعناه اليابس
يقال صوح النبت اذا صار هشيما يسبقه عضو من اعضايه الى الجنة اي يدخل
الجنة قبله لانه قطع في سبيل الله قبل موته ومعنى السبق اما تقدمه حقيقة
ولا مانع من ان يحفظها الله في الجنة فاذا استشهد وصلها ببقية اعضايه
في الجنة وامور الاخرة لا تقاس على امور الدنيا ويجوز ان يراد ان يده تقطع
في سبيل الله اولا ثم يستشهد بعد ذلك فكنى عنه بما ذكر ولفظ الحديث من
سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض اعضايه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان
وفي سنده هذيل بن بلال وهو ضعيف فقطعت يده الشمال كما رواه الذهبي
في الجهاد لم يعينه للخلاف فيه فقيل انه كان يوم نهاوند وقيل في قتال المشركين
وقد روي انه صلى الله عليه وسلم شهد لثلاثة من التابعين بالجنة اويس
القرني وزيد بن صوحان وجندب الخير وقتل مع علي رضي الله عنه في وقعة
الجمل وعلى هذا فاخباره عن المغيب اقوى وابلغ في اطلاعه على امر قبل خلقه
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره في الذين كانوا معه
اي حاضرين معه وهم على حرا اسم جبل معروف بقرب مكة بنحو ثلاثة
اميال يمد ويقصر ويذكر ويونث فيجوز صرفه وعدم صرفه كما تقدم
فتحرك وهم عليه فقال له صلى الله عليه وسلم اثبت اي لا تتحرك وترجف
وتتزلزل ولفظه كما في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

علي حرا هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحرك بهم فقال اهدا فما عليك
الا نبي او صديق او شهيد وزاد بعضهم سعدا وابن ده بعضهم مكان علي والمص
رواه انما عليك نبي وصديق وشهيد والمعنى واحد والنبي معناه المراد به ظاهر وكذا
الشهيد وتفصيله وقد وقع الترتيب في الحديث على وفق ما في القران والصديق
فعيل صيغة مبالغة من الصدق ضد الكذب ولهم في تفسيره اقوال فقال ابن
الملك انه من صدق بامر الله وبرسله بحيث لا يخالجه شك في شي وقال الكلبي رحمه
الله الصديقون افاضل الصحابة واختاره البغوي وقيل من صدق بالانبيا
حين غابتهم واختار الرازي انهم اول من صدق الرسل ويؤيده قوله صلى
الله عليه وسلم ما عرضت الاسلام علي احد الا وله كبوة الا ابو بكر فلذا رضي الله عنه
مزية بانه صار فدوة لغيره ولذا اجمعوا علي تسليم هذا اللقب له ومرتبة الصديقية
تلي مرتبة النبوة وقد افرد ذلك بالتاليف الكمال ابن الزملكاني فقتل علي وعمر وعثمان
فقتل عليا كرم الله وجهه عبد الرحمن بن ملجم من الخوارج وقصته مشهورة وقتل عمر
رضي الله عنه ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وكان عمر رضي الله عنه لا ياذن لحتلم من
المشركين ان يدخل المدينة فاستاذنه المغيرة في غلامه هذا لانه كان نجارا وله منافع
ينتفع بها الناس فاذن له في دخوله فضرب عليه سيده في كل شهر ماية درهم فشكى
ذلك لعمر فساله عن صنعته فاخبره فقال ما خراجك بكثير فغاظه ذلك وامر قتله
فضربه بخنجره وهو يصلي فاستشهد وعثمان رضي الله عنه استشهد يوم
الدار في قصته المشهورة وطلحة والزبير اما طلحة عبد الله فقتل يوم الجمل وهو
محارب لعلي وقيل كما مر انه ذكره ووعظه فاعتزل حربه ثم اصابه سهم فمات
منه واما الزبير رضي الله عنه فرجع عن قتال علي بعد تذكيره له بما مر فقتله
ابن جرموز بوادي السباع كما تقدم وطعن بالبنا للمجهول سعد بن ابي وقاص
سنة خمس او اربع وخمسين وهو اخر من مات من العشرة المبشرة بالجنة وقيل مات
سنة ست وقيل سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وقيل سنة اثنان وثمانون وطعن
بمعنى اصيب بالطاعون وهو من اقسام الشهادة ايضا وان لم يكن مثل غيره من
كل وجه ولذا اخره المص وقول بعضهم انه لم تناله الشهادة غير مناسب هنا
الا ان يدخله في الصديق وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي
لسراقة بضم السين وفتح الرا المهملتين مخفف وقاف وهو سراقة بن مالك
ابن جعشم بن مالك بن عمرو ابو سفيان الكناني المدلجي سكن مكة وهو الذي خرج
في طلب النبي صلى الله عليه وسلم فساخت به فرسه في القصة المشهورة ويأتي
في كلام المص الاشارة لبعضها ثم اسلم وتوفي سنة اربع وعشرين وقيل مات
بعد عثمان في الصحابة من اسمه سراقة غيره وفي هذا اخبار عن الغيب
وخص سراقة لانه اعرابي من البادية ولبس مثله لما يلبسه المترفون
من ملوك العجم اية عظيمة من ايات النبوة وعز الدين كيف بك كيف جواب عما
انهم من الاحوال وهو استخبار يتضمن التعجب من حاله التي هو عليها لان كل
احد لا ينفك عن حال من الاحوال اذا اطلع عليه ما لم يعهد مثله ونال ما لم

دلجي

نيله امثاله فكفى بما ذكره فيه من البلاغة ما لا يخفى اذا ألبست اي وضعت في يديك وساعديك
ومثله يسمى لبسا وان كان المعروف اطلاقه على ما يعم البدن من الثياب والحلل سواري
مثنى سوار بضم السين وكسرها ويقال اسوار بضم الهمزة وكسرها ايضا وهذا انما كان
يتزين به العجم والملوك وان كان الآن مختصا بالنسا عند العرب وبعد الاسلام حتى
يعاب على غيرهن كسرى تقدم انه لكل من ملك العجم وتخص ببعضهم وهو كسرى الذي
ادرك عهد الاسلام كما تقدم وان كافه مكسورة وتفتح وهو معرب خسرو ومعناه
واسع الملك فيما اي بهما اي بسواري كسرى لعمر همز اي بصيغة المجهول معديا وصل
وعدي باللام وفي نسخة عمر بدل لها البسهما اياه اي سراقة تحقيقا لما اخبر به صلى
الله عليه وسلم ويجوز البسه اياهما وقيل وهو الاولى وقال عمر رضي الله عنه
الحمد لله حمد الله على تمهيد تلك كلمة النبوة واعزاز دينه وزوال شوكة اعدائه وما
فتح الله على يديه الذي سلبهما من يدي كسرى والبسهما سراقة وهو بدوي اعرابي
متقشف هو من احاديث امته صلى الله عليه وسلم واصل الحديث كما في دلائل
النبوة عن الحسن ان عمر رضي الله عنه لما اتي بسواري كسرى بن هرمز وضعنا بين
يديه وفي القوم سراقة وضعهما في يديه فبلغا منكبيه فقال الحمد لله الذي جعل
سواري كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك ثم قال له قل الله اكبر الله اكبر
وحمد الله لما من به من نعمة الفتح واعزاز الدين وكبر تعظيما لمالك الملك الذي
يؤتي ملكه من يشا وينزعه ممن يشا فتبارك الذي بيده الملك الذي قصم من
نازعه رداء كبريائه فلا سلطان الا سلطانه ولا عز لغير من اعزه ولبسه في هذا
استعمال للذهب ولبس الرجال له وهو من المحرمات لانه لم يفعله الا تحقيقا
وتصديقا لقول رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ان يبرهما ومثله لا يعد
استعمالا فلا حاجة لما قيل ان فيه مصلحة ومفسدة ارتكبت المفسدة فيه
عرضي
لاجل المصلحة وهي تحقيق المعجزة فانه لا محصل له وقال صلى الله عليه وسلم
في جملة اخباره عن المغيبات في حديث رواه ابو نعيم في الدلائل والخطيب
في تاريخه تبنى بالبنا للمجهول والباني ابو جعفر الدوانيقي ثاني خلفا بني
العباس مدينة هي البلدة العظيمة من التمدن وهو التعيش والتسكن الكثيرة
وتكون اكبر من البلدة والقرية بين دجلة بدال مهملة مفتوحة او مكسورة
من دجله اذا غطاه ومنه الدجال لحقا امره بتخليطه في اموره وهو علم لنهر
مشهور بالعراق ولا يجوز دخول الالف واللام عليه لانه علم مرتجل ودجيل
مصغر علم نهر بالاهواز حفره ازدشير بن بابك اول ملوك بني ساسان بالمدائن
عليه قرى كثيرة ومخرجه من اصبهان وقيل انه خليج منشعب من دجلة وقطربل
بضم القاف وسكون الطا المهملة وضم الرا المهملتين وضم البا الموحدة
المشددة وقد تخفف وتشدد اللام وهو موضع بالعراق تنسب اليه الخمر
والصراة بفتح الصاد المشددة والرا المخففة المهملتين ثم الف وها وهو نهر
بالعراق ايضا مشهور وهذا الاصح المعروف وفي بعض النسخ والهراة بالها بدل
الصاد وهي بلدة بالعجم وقد ضرب عليه وصحح الصراة وهو المعتمد بحيي

اليها

بخسف بها

اليها اي يجمع مال غيرها من البلاد الى تلك المدينة وهو عبارة عن بغداد دار الخلافة العظمى
وكرسي الممالك يعني الخراج والمال اذا جمعه للسلطان بامر خزاين الارض اي مملكتنا
ونحن في غيرها من البلاد بيد اهاليها يخسف الله ارضها ودورها باهلها وقد وقع
ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من بنائها في الدولة العباسية وجباية الاموال اليها
وبقي امر الخسف وسيظهر كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وقد ذكره الذهبي في
ميزانه في ترجمة عمار بن سيف الضبي الكوفي راوي هذا الحديث وقال انه منكر جدا والله
اعلم بامره يعني بغداد اسم المدينة المشهورة وتسمى دار السلام وهو اسم اعجمي عرب
وفيه لغات تقدم الكلام عليها وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الامام
احمد والبيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا وحسنه قال ولد لاخي ام سلمة منا منها
غلام سموه الوليد فقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا باسما فراعنتكم فسموه عبد
الله فانه سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتي من فرعون
لقومه قال الاوزاعي كانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم راوا انه ابن اخيه الوليد
ابن يزيد بن عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح ابواب الفتن على هذه الامة وكان
ما جاسعيهما مدمنا للخمر ينسب اليه ما يقتضي الكفر وقيل ويجوز ان يراد كلاهما
لخبثهما وعتوهما الا ان الثاني اشقاهما وفي هذا معنى حسن وهو ان فرعون
مصر الكافر كان اسمه الوليد كما اشار اليه في الحديث وقال ابن الجوزي ان هذا
الحديث موضوع فكانه ثبت عند المصنف فان موضوعات ابن الجوزي مدخولة
تكلم في كثير منها وصحح في الشرح الجديد ان المراد انما هو الثاني المعروف
بالفاسق بويع بالخلافة بعد هشام بن عبد الملك لست خلون من ربيع الاخر
سنة خمس وعشرين ومائة واظهر من فسقه وولعه بالملاهي وتهاونه بالدين امورا
شنيعة لا حاجة لنا بها ولذا جعله صلى الله عليه وسلم شرا من فرعون موسى
مع الاتفاق على كفره لانه كان في زمان الكفر وهذا كان والاسلام غض طري
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان لا تقوم الساعة اي لا
ياتي زمانها ويقرب اوانها حتى يقتتل فيتان اي طايفتان وجيشان من هذه
الامة المسلمة دعواهما في اعتقادهما ودينهما واحدة وهي الاسلام والدين
الحق وقد وقع هذا في صفين في وقعة علي ومعاوية رضي الله عنهما ثم سرى
ذلك لكثير بعد ذلك فكم وقع بين المسلمين من الحروب والوقايع التي لا تحصى
الا ان الوقعة الاولى اول ما ذهم اهل الاسلام من الامور المنكرة التي كانت
ثلمة في الدين وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي والحاكم
عن الحسن بن محمد مرسلا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في سهيل بن عمرو بن عبد
شمس بن عبد ود ابو يزيد العامري القرشي احد خطبا قريش اسلم يوم
الفتح واستشهد باليرموك وقيل توفي بالشام سنة ثمان عشرة وقال
الواقدي توفي سنة تسع عشرة في طاعون عمواس وكان يقوم خطيبا بحرض
المشركين على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما اسر يوم بدر قال عمر يا رسول
الله انه رجل مفوه فدعني انتزع ثنيتيه السفليين فلا يقوم خطيبا

وصي

عليك بعد اليوم لانه كان اعلم السفلي اي مشقوقها فاذا انتزعت ثنيتاه السفليين
يندلع لسانه فلا يطيق الكلام وهذا من عمر رضي الله عنه امر بديع فقال صلى الله عليه
وسلم لعمر دعه عسى ان يقوم مقاما اي يقوم خطيبا في مقام يستفتح بخطبته ويأتي بما
يمحو مقاماته الاول وقد مر ان عسى من الله ومن رسول الله تحقيق يسرك يا عمر
فكان كذلك اي وقع ما قاله صلى الله عليه وسلم وتحقق ما اخبر به من المغيبات
فسره وسر المسلمين مقامه لما قام بمكة مقام ابي بكر الصديق رضي الله عنه اي
مثل مقامه بالمدينة وخطب بخطبة مثل خطبته يوم بلغهم اي بلغ المسلمين بمكة
موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطبهم في مقامه بمكة بنحو خطبته اي بخطبة مثل
خطبة ابي بكر بالمدينة لفظا ومعنى ثم بين المماثلة بقوله وثبتهم اي ثبت المسلمين
على دينهم وقوى بصايرهم باعلامهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر وكل
نفس ذائقة الموت فقال من كان محمد الهه فان محمدا قد مات والله حي لا يموت وابو
بكر رضي الله عنه قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله
فان الله حي لا يموت فتواردا على معنى واحد في مقام غفل فيه كثير من كبار الصحابة
دهشة من هذه المصيبة العظيمة وقال صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن اسحاق
والبيهقي لخالد بن الوليد حين وجهه اي ارسله صلى الله عليه وسلم متوجها
لاكيدر بضم الهمزة وكاف مفتوحة وياء مثناة تحتية ساكنة ودال مكسورة وراء
مهملتين كمصغر اكدر ويقال له اكيدر دومة بضم الدال المهملة وقد تفتح
ويقال لها دوما الجندل ويقال دوما بالمد وهي ايليا وهو موضع بين مكة وبرك
الغماد او بين الحجاز والشام سميت بدومان بن اسماعيل لانه كان بنى بها انك
تجده اي تصادف اكيدر يصيد البقر اي بقر الوحش لانها التي تصاد وكان صلى الله عليه
وسلم بعثه في اربعماية وعشرين فارسا الى اكيدر بن عبد الملك بن عبد الحق بن
اعيا بن الحارث بن معاوية الكندي كما قاله الخطيب والماوردي وفي مختصر
الشافعي انه من كندة او غسان وكان نصرانيا قد ملك دومة واهلها فاتاه خالد
رضي الله عنه في ليلة مقمرة فوجده يصطاد الوحش هو واخوه حسان فشدوا
عليه فاستأسروا اكيدر وقاتل اخوه حسان فقتل فقدم به على النبي صلى الله عليه
وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله فمات نصرانيا وقال البلاذري
انه عاد الى دومة فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم نقض العهد فحاصره
خالد وقتله مشركا نصرانيا وقيل انه اسلم واهدى للنبي صلى الله عليه وسلم
حلة سيرا فوهبها لعمر وعده ابن منده وابو نعيم في الصحابة وقال ابن الاثير
ان الهدية صحيحة واما اسلامه فغلط باتفاق اهل السير وقيل انه اسلم ثم ارتد
بعده صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لا يعد في الصحابة ايضا فوجدت بالبنا
للمجهول هذه الامور المذكورة في هذا الفصل كلها في حياته بعد ما اخبر بها
ووجد بعضها بعد موته كما قاله صلى الله عليه وسلم اي مطابقة لخبره
ومماثلة له منتهية او مضمومة الى ما اخبر به جلساءه من الصحابة من
اسرارهم اي ما اسروه واخفوه وبواطنهم اي امورهم المخفية وقلوبهم

وهو

وهو بيان لما اخبر به واطلع عليه عطف على ما اخبر به من اسرار المنافقين اي ما اسروه في
انفسهم ولم يخبروا به احدا منهم ولا من غيرهم او ما كانوا يقولونه سرا بينهم
بحيث لا يطلع عليه المؤمنون وكفرهم المضمر في قلوبهم مع اظهارهم الايمان وقولهم فيه
اي في حق النبي صلى الله عليه وسلم وفي المؤمنين وهو معطوف على اسرار المنافقين
عطف تفسير كقول راسهم ابن ابي لهم وقد استقبله الصحابة انظروا كيف ارد هولا
السفها عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال له مرحبا بسيد تيم وشيخ الاسلام وثاني
اثنين في الغار وباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال له مرحبا
بسيد بني عدي الفاروق في دين الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله
وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني
فعلت فاثنوا عليه خيرا ان يكسر لهمزة وسكون النون المخففة من الثقيلة واسمها
ضمير شان مقدر كان بعضهم اي بعض المنافقين يقول وفي نسخة ليقول لصاحبه
اي من هو معه منهم اذا اراد ان يتكلم بشي في حقه صلى الله عليه وسلم سرا
معه اسكت ولا تنطق بشي من امره ثم بين وجه امره بالسكوت مقسما عليه ليحقق
ما قاله فقال فوالله لو لم يكن عنده من يخبره بما يقوله في شانه من ملك او جن
يبلغه ما يقال فيه لاخبرته حجارة البطحا وهي ارض مستوية بسيل فيها الما
والمراد بحجارتها ما فيها من الحصبا يعني ان الحجارة تعلمه بما غاب عنه وهذا
اشارة ايضا لما وقع له صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وامر بلالا ان يعلو ظهر
الكعبة ويؤذن عليها وابو سفيان بن حرب وعتاب بن اسيد والحارث بن هشام
جلوس بفنا الكعبة فقال عتاب لقد اكرم الله اسيدا اذ لم ير هذا اليوم وقال
الحارث اما وجد محمد مؤذنا غير هذا الغراب الاسود فقال ابو سفيان لا اقول شيا
ولو تكلمت لاخبرته هذه الحصبا فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال
علمت الذي قلتم وذكر مقالتهم فقال الحارث وعتاب نشهد انك رسول الله
ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك به واعلامه بالحاء معطوف على ما
اخبر به وهو اشارة الى ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها وهو مصدر
مضاف لفاعله ومفعوله محذوف اي اعلامه الناس بصفة السحر الذي سحر
به لبيد بن الاعصم وهو يهودي من بني زريق وقصة سحره مشهورة في السير
والتفسير وكونه اي السحر المذكور الذي وضعه في مشط بضم الميم وكسرها
وسكون الشين المعجمة وطا مهملة اسم آلة معروفة يسرح بها الشعر ويقال
لها ممشط ايضا ومشاطة بضم الميم وهي ما يسقط من الشعر اذا سرح وفي
نسخة مشاقة بقاف بدل الطا وهما بمعنى او الاول من الشعر والثاني من
الكتان في جف بضم الجيم وتشديد الفا وهو وعا الطلع الذي يكون عليه
كالغشا وفي نسخة جب بالبا موحدة بمعنى داخل وجوف ومنه جب البير
وهو مضاف لقوله طلع نخلة ذكر والطلع ما يخرج من النخل في ظرف
منطبق عليه معروف والنخل منه ذكر وانثى تحمل ثمرها المعروف وانه
بفتح الهمزة والضمير للسحر المذكور الذي في بير ذروان اي وضع في هذه

البئر وهي بئر بالمدينة لبني زريق وهي بذال معجمة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وواو
بوزن فعلان فكان ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال ووجد السحر على
تلك الصفة التي وصفها فهو من اخباره بالغيب بوحي من الله كما فصلوه وعن هشام بن عروة
عن ابيه عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم لما سحر قال اتاني رجلان فقعد احدهما
عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب
اي مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اي شيء قال في مشط ومشاطة
وجف طلع ذكر قال واين هو قال في بئر ذروان فجاءها صلى الله عليه وسلم في ناس
من اصحابه فاستخرجه فلما رجع قال يا عائشة كان ماءها نقاعة الحناء وكان رؤوس
نخلها رؤوس الشياطين فقالت هلا احرقته يا رسول الله قال قد عافاني الله فكرهت ان
اثير على الناس منه شرا فامر بها فدفنت قال ابو عبيدة هو عند المحدثين هكذا بئر
ذروان وقال ابن قتيبة عن الاصمعي هو خطا وصوابه اروان بالهمزة انتهى وفي القاموس
بئر ذروان بالمدينة وهي ذو اروان بسكون الراء وقيل بتحريكه انتهى وفي مسلم
بئر ذي اروان قال النووي وهو صحيح والاول اجود واصح ويحتمل ان الاول
مخفف منه واعلامه صلى الله عليه وسلم قريشا كما رواه البيهقي عن الزهري
في الدلائل باكل الارضة بفتحات دودة تاكل الورق وتتكون فيه اذا انطبق
زمانا بحيث لا يصل اليه الهواء وهي معروفة وعلى انواع ومنها ما ياكل الخشب فمن
فسرها هنا بدويبة تاكل الخشب قال تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل
منساته والارض بالسكون مصدر ارض اذا كان به ارضة اضيفت لها لم يطبق المفصل
وليست هي الدابة المسماة سرفة كما قيل وكذا من قال انها سوس الخشب ما في صحيفتهم
الاضافة للعهد اي الصحيفة المشهورة وسياتي بيانها التي تظاهروا بها اي
تعصبوا وتعاونوا بانفاقهم على عهود كتبوها في تلك الصحيفة كما سياتي على
بني هاشم وهم فخذ من قريش وقطعوا بها رحمهم اي قصدوا بما كتب في
الصحيفة قطع رحمهم اي قرابتهم اي ابطلوا حقوق القرابة بينهم وبين
بني عمهم من بني هاشم واصل الرحم مقر الولد ثم شاع في القرابة حتى صار حقيقة
فيها وانها اي الارضة وهو معطوف على اكل الارضة اي واعلامه صلى الله
عليه وسلم بانها ابقت فيها اي الصحيفة كل اسم لله دون غيره مما عاهدهم
عليه فمحته لانه باطل وابقت اسم الله تبركا وتادبا وهذا على احدى الروايتين
والاخرى ستاتي وتوجيههما فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم واخبر
به عن الغيب فهو من معجزاته وما ذكره المصنف من انها ابقت اسم الله تادبا ومحت
غيره للاشارة الى انه امر باطل على احدى الروايتين كما علمت وفي رواية
اخرى انها لحست اسم الله وابقت غيره من عهودهم الفاسدة للاشارة الى
ان الله بريء منهم وانه لا يليق ذكر اسمه بين ذكر عهودهم ولكل وجهة
والروايتان ذكرهما ابن سيد الناس في سيرته فان صحت الروايتان اشكل
ذلك لان القصة واحدة والصحيفة واحدة وقول البرهان في التوفيق
بينهما ان لم تنقل ان رواية انها لحست اسم الله اقوى والمعقول انما هو

عرضي ودلجي

عليها

عليها انه كتب نسختان علقت احداهما في الكعبة والاخرى كانت عندهم بعيد اذ لم يقع
ذلك في رواية اصلا وقد قيل ان كاتبها شلت يده وهو منصور بن عكرمة وقيل
بغيض بن عامر بن هشام وحاصل قضيتها انهم لما اشتد عليهم امره صلى الله عليه
وسلم واشتد على المسلمين قهرهم ارادوا قتله فلم يرض به ابو طالب وبنو هاشم فقالوا
اما ان تسلموه لنا او تعتزلوا عنا جميعا في الشعب بحيث لا يعاملوننا ولا يجتمعوا
معنا فرضوا بذلك وكتبوا بالعهد صحيفة علقوها في الكعبة فكان كلما جاء اهل
البادية بما يباع منعوهم عنهم فمكثوا ثلاث سنين كذلك حتى ضاق عليهم الحال
وندم بعض قريش واراد نقض العهد فبينما هم كذلك اذ قال النبي صلى الله
عليه وسلم لابي طالب يا عم ان الله ابطل عهدهم واكلته الارضة فخرج اليهم
فظنوه انه اتاهم ليسلم لهم النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرهم بالقصة
فاتوا بالصحيفة فوجدوها كما قال فاذنوا لهم بالخروج من الشعب على ما فصل
في السير وكان ذلك مما اطلعه الله عليه من غيبه وهذا يقتضي صحة ما قاله
المص وان الرواية الاخرى غير ثابتة عنده وعلى كل حال فلم يجد ما ينبغي التدارك
ووصفه لكفار قريش بعد الاسرا كما تقدم تفصيله بيت المقدس مفعول وصف
وقوله حين كذبوه في خبر الاسرا اي في اخباره بانه اسري به لبيت المقدس
ونعته اياه اي بيت المقدس نعت من عرفه بالنصب مفعول نعته والنعت
والوصف متقاربان والمص غاير بينهما تفننا وقيل النعت يقال في غير الله
ولا يقال نعت الله ذكره بعض النحاة ولم يذكر له وجها واعلامهم بالجر اي اعلام
الكفار بعيرهم بكسر العين اي قافلتهم من غار بمعنى سار واما بالفتح فهو
الحمار وليس بمراد هنا التي مر عليها في طريقه لما رجع من الاسرا وانذارهم
بوقت وصولها لهم والانذار هنا بمعنى الاعلام مجازا واصله التخويف والاخبار
بما فيه خوف ضد التبشير كما تقدم ومن فسره بالتخويف هنا لم يصب بعين قوله
صلى الله عليه وسلم الها تقدم وفي كذا يقدمها جمل اورق كما مر فكان ذلك
كله اي وجد ووقع كما قال صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص فيما
اخبر به وقد قدمنا تفصيله ثمة فلا حاجة لاعادته الى ما اخبر به من الحوادث
اي ما تقدم من بين هنا وبين ما تقدم لغيره مما اخبر به مما سيحدثه الله بعده من
الامور التي تكون في المستقبل ولم يات بعد مبني على الضم اي لم يقع عقب
اخباره بل بعده بازمان متباعدة بعضها ظهرت مقدماتها وبعضها لم يظهر
فاذا جاء الاوان تجلى فان خبره صلى الله عليه وسلم لا يتخلف والى ذلك اشار
بقوله منها ما ظهرت مقدماته بكسر الدال اي علاماته المتقدمة عليه كقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود في سننه عمران بيت المقدس
بضم العين مصدر كالعمران بمعنى كونه معمورا باتمام بنائه وكثرة سكانه
وذلك باستيلاء الكفرة عليه وتعميره وتقدم معنى كونه مقدسا بما فيه وهو
مبتدا خبره خراب يثرب بالمثلثة ومنع الصرف وهو اسم المدينة الشريفة
وجعله عينه مبالغة كقولهم زعنا به السيف وليس المراد التشبيه فالحمل في قوله

ابن افتوس

الشيخ مو

في النسخة الاسنادية عمران بيت المقدس خراب يثرب وما بعده على طريق المجاز

فكيف اخبر به عنه بجعل ما يوجد من وبلا معه كانه هو بعينه فلا انقياد انه غيره

وخراب يثرب الذي يعمر عنده بيت المقدس وخروج الملحمة والملحمة بميم مفتوحة

وميم ساكنة وحا مهملة وهي موضع المعركة والقتال ويكون بمعنى الحرب نفسه

كما في النهاية الاثيرية وفي الصحاح انها الوقعة العظيمة في الفتنة من اللحم

بمعنى اشتبك ودخل بعضه في بعض كالتشابك واللحمة او من اللحم لكثرة لحوم

القتلى فيها ومنه الملحمة اسم كتاب يذكر فيه احكام النجوم واثار الجو من

السحاب ونحوه والمراد به الفتن العظيمة والهرج الذي يكون في اخر الزمان

وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفي نسخة قسطنطينية بغير الف ولام وبعد

النون الثانية يا مشددة وتخفف وهي مدينة عظيمة هي قاعدة ديار الكفر

وكرسيها وهي منسوبة لقسطنطين اسم اول ملك بناها وهو اول من اظهر

دين النصرانية وقرونه وهي مدينة عظيمة الشكل منها جانبان في البحر وجانب

في البر ولها سبعة اسوار وسمك سورها الكبير احد وعشرون ذراعا وفيه

مائة باب وبابها الكبير يسمى باب الذهب وهو باب مموه بالذهب وفيها

منارة من نحاس قد قلبت قطعة واحدة وليس لها باب وفيها منارة قريبة

من مارستانها قد البست كلها بالنحاس وعليها قبر قسطنطين وهو راكب على

فرس وقوايمه محكمة بالرصاص ما عدا يده اليمنى فانها مطلقة في الهوى

كانه سائر والملك على ظهره ويده موقوفه في الجو وقد فتح كفه يشير نحو بلاد

الشام ويده اليسرى فيها كرة مكتوب عليها ملكت الدنيا حتى بقيت في كفي

مثل هذه الكرة وخرجت منها كما ترى وفيها لغات ضم القاف وفتح الطا الاولى

ومنها مع تخفيف اليا الاخيرة وتشديدها وحذفها في سنن وقعت في

الحديث بالالف واللام واستعملها الناس بحذفها كقول ابي تمام

حتى النوى من نفح قسطلها على حيطان قسطنطينية الاعصار

وهي المسماة برومية وقد اختلف هل فتحت هذه ام لا فقيل فتحت في زمن

الخلفا والاصح انها انما تفتح في اخر الزمان قبل خروج المهدي وهو الذي

صححه المقدسي في كتاب الدرر في اخبار المهدي المنتظر والذي اوقعهم في

اللبس اشتراك الاسم فانه سمي بها مدن متعددة والمذكور في هذا الحديث

كله يكون اذا قرب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وكذا ما معه من الاشراط

واليه اشار بقوله ومن اشراط الساعة واياتها جملة لها معطوف على قوله

من الحوادث والاشراط جمع شرط بفتحتين وهي العلامة والمقدمة وهي

والاية بمعنى وقيل هي ما ينكره الناس من صغار امورها وعلامات القيامة

التي تكون في اخر الزمان كالدجال ودابة الارض وغيره مما هو مشهور غني

عن البيان وهذا كله مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وقد

فصله القرطبي في تذكرته وذكر النشر والحشر الذي هو اخر الاشراط

واخر الدنيا اذا نفخ في الصور والنشر للميت اي يحيى فيقوم من قبره من نشر

النوب

الثوب اذا بسطه قال الشاعر

طوتك خطوب دهرك بعد نشر ۞ كذاك خطوبه طيا ونشرا

والحشر سوق الناس الى المحشر للحساب واخبار الابرار بالجزاء اي مما اخبر به صلى الله
عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث من اخباره عن صلحاء امته وفجارهم
او اخبارهم بما يسرهم وتقربه اعينهم واخبار غيرهم بما يسوئهم ويبكيهم
فالخبار بفتح الهمزة جمع خبر او بكسرها مصدر اخبر والابرار جمع بر او بار كرب
وارباب ومصاحب واصحاب وهو التقي الصالح والفجار جمع فاجر وهو الفاسق
المجاهر بالمعاصي والمعنى انه صلى الله عليه وسلم اعلم امته بما سيكون فيهم
وهو كثير في الاحاديث والجنة والنار اي ذكر احوالهما واهلهما وما سيكون فيهما
وعرصات القيامة بفتحات جمع عرصة بسكونها وهي كل موضع واسع لا بنا فيه
اي مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث من بيان مواقف
القيامة وعرصاتها ووصفها بصفاتها وبحسب هذا الفصل البالغ الزائدة كما في
قولهم بحسبك درهم وهو بسكون السين المهملة مبتدا خبره ان يكون ديوانا
اي كتابا مدونا مستقلا وقد تقدم لفظ الديوان ومعناه وهذا الفصل اشارة
الى الفصل المعقود لاخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وهذا عبارة عن المبالغة
في كثرته كما ذكره في اوله وانه لو الف فيه تاليف مستقل دون غيره من معجزاته لم يكن
امرا غريبا مفردا عن غيره من المعجزات يشتمل ذلك الديوان المؤلف له على اجزا يتميز
انواعه وافراد كل نوع بباب وحده منفردا من بينها ثم اعتذر لعدم افراده
بالتاليف بقوله وفيما اشرنا اليه اي ما ذكره في هذا الفصل منه وهو خبر مقدم
نكت من نكت الاحاديث التي ذكرناها اي لطايف ودقايق نفيسة وقد تقدم بيان
النكت مفصلا وقوله كفاية مبتدا موخر ولو حذف قوله نكت كان احسن لانه
اذا كان مبتدا كان قوله كفاية مبتدا اخر او بدلا او صفة بتاويله بكافية وكله
تكلف اي المقدار الذي اقتصر عليه المصنف عن افراده بالتاليف واكثرها
اي النكت المذكورة في هذا الفصل منقول في الصحيح من كتب الحديث المعتمدة
وموجود عند الايمة من علما الاثر ومشايخ الامة وفي تعبيره بالاكثر اشارة
الى ان فيه ما هو ضعيف او لم يثبت كما بيناه لك في اثنا شرحه **فصل**
في عصمة الله له صلى الله عليه وسلم من الناس اصل معنى العصمة الامساك
والسند قال الراغب الاعتصام التمسك بالشي واستعصم استمسك كانه طلب
ما يعتصم به من ركوب الفاحشة وعصمة الله للانبيا حفظه اياهم بما خصهم
من صفا الجوهر ثم بما اولاهم من الفضايل الجسمية والنفسية ثم بالنصرة
وتثبيت اقدامهم ثم بانزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق
انتهى يعني ان حقيقتها التمسك ثم صار حقيقة في المنع عن ارتكاب المعاصي
وفي الحفظ عن نيل المضرة من اعدايهم والمراد هنا المعنى الاخير كما اشار اليه
بقوله وكفايته من اذاه اي كفاية الله اياه بحفظه ممن قصد اذيته والمراد
بالناس ما يشمل الانس والجن فانه ورد بهذا المعنى كما ذكروه في تفسير

المعوذتين اوخصهم لانهم الذين عادوه صلى الله عليه وسلم وقصدوا اذيته وقوله من
اذاه من ذكر العام بعد الخاص ليشملهم صريحا واستشهاده له بقوله قال الله تعالى
والله يعصمك من الناس يقتضي انه لم يقصد الاخير بحسب الظاهر وهذه الاية
وسورتها مدنية على الاشهر وقال العلامة الخيضري في الخصائص بردة ما روي
عن ابن عباس وغيره انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج
بعث معه ابو طالب من يحرسه حتى نزلت هذه الاية فقال له يا عم ان الله عصمني يا عماه
من الجن والانس فلا حاجة لي بمن تبعثه معي وهذا يدل على انها مكية وفي
مسلم عن عايشة ارق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة اي عند
تقدمه المدينة فقال ليت رجلا صالحا من اصحابي يحرسني الليلة فسمعنا صوت
السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابي وقاص جيت لاحرسك فنام حتى سمعنا
غطيطه وروى الترمذي عن عايشة كما ياتي كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحرس حتى نزلت الاية الخ اي فهذا يدل على انها مدنية فيحتاج للجمع وكونها
نزلت مرتين بمعنيين فالناس على الاول اهل مكة وعلى الثاني اعم خلاف الظاهر
ثم قال اكثر المعترضين ان هذا الذي كان يخشاه فعصم منه القتل لا الاعم فلا يرد
عليه انه اذا عصم لم لبس لدرعه وشج وكسرت رباعيته وكان يحرس مع انه
قيل انه كان تشريعا للامة لياخذوا بالحزم وكسر الرباعية والشج قيل انه
لحكمة وهي كما مر ان يشارك المومنين في المصيبة تسلية لهم عما نالهم من
فقد احبابهم ويشتد غيظهم على الكفار فيشتد بطشهم بهم انتهى واما
العصمة عن الذنوب فسياتي في محلها والى ما قدمناه اشار في الكشاف ومن
لم يفهم كلامه اعترض عليه بما لا يحتمل له وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم ابن اقيش
سم بخيبر وقال انه سبب موته لقوله الاكلة خيبر قطعت ابهري وقالوا حكمته
ان ينال اجر الشهادة ورتبتها مع مرتبته العلية فيرد هذا على ما قالوه
واجيب بان الله كفاه قتله بالسم حين الاكلة فلم يوثر فيه فلما قضى اجله اثر عني
فيه بقيته لعلو رتبته وليس لاحد صنع فيه واعترض بان الشج وغيره كان
قبل نزول الاية ينافيه ثبوت انها نزلت بمكة ولا مانع من ضمان الله عصمته
بوحي غير متلو بمكة وضمانه بالمتلو بالمدينة انتهى ولا يخفى ما في كلامه كما
يعلم مما مر وقصة السم غير واردة على العصمة من القتل لان المفهوم منه
حفظه عن ان يقتله عدو له مجاهرة بالبطش فيه بسلاح ونحوه خصوصا
ولم يظهر له اثر حال الاكل ولا بعده بما يطلع عليه اعداوه وانما كان
بالسراية بعد زمان طويل ومثله لا يعد قتلا وقال تعالى واصبر لحكم
ربك فانك باعيننا امره بالصبر على اعباء الرسالة ومشقة تبليغ ما امر
بتبليغه ثم سلاه بانه لا يخاف من احد فانه محفوظ بعين العناية من الله
فاستعار العين للحفظ وجمعها جمع قلة لانه محفوظ من جهاته الست
ومن ظاهره وباطنه وهذا اظهر مما في الكشاف من انه للمبالغة
والتاكيد قال الراغب يقال فلان بعيني اي احفظه واراعيه كقولهم

فهو مني

هو مني بمراي ومسمع و قوله واصنع الفلك باعيننا اي بحيث يرى ويحفظ وفيه كلام
مفصل ليس هذا محله و قال اليس الله بكاف عبده فيه اثبات لكفاية الله له على ابلغ
وجه لانه استفهام انكاري وهو نفي معنى ونفي النفي اثبات بمعنى ان عبادي
يحفظون عبيدهم فكيف لا احفظ عبدي ولما كان العبد عند عبيدي هنا اشار بقوله
نقلا عن السلف انه قيل ان معناه بكاف محمدا المراد بعبده لان الاضافة عهدية
اعداه المشركين وبهذا يكون ذا الاعلى المقصود ومطابقا لما قدمه وما قيل من انها
نزلت لما قالوا له صلى الله عليه وسلم اما تخاف ان تخبلك الهتنا لكونك تعيبها
ليس مطابقا لهذا المقام وقوله اعداه المشركين يابا ه وقيل في تفسير هذه الاية
غير هذا كالقول بان المراد انه تعالى تكفل بارزاق جميع عباده ويؤيده انه قرئ
بكاف عباده بصيغة الجمع ونمايدل على عصمة الله له قوله تعالى انا كفيناك ه
المستهزئين الهزؤ السخرية والتهكم على سبيل التحقير والمراد بهم نفر من قريش
كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم ويهزؤن به فاهلكهم الله لما اشتدت
اذيتهم ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بينه المفسرون
والمحدثون في تفسير هذه الاية وهذا نوع من حفظ الله له بتعجيل اهلاك
عدوه وقد تقدم الكلام على هذه الاية وبيان هؤلاء المستهزئين وذكر هلاكهم
والمقصود من ذكر هذه الايات الاستدلال على ما عقد له الفصل بما يدل عليه
ويذكر بعض افراده المثبت لمراده وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقد
تقدمت هذه الاية وبيان معناها وانما اتى بها المصنف هنا استشهادا على عصمة
الله له كما هو دابه والمكر الحيلة والخداع ولا يوصف به الله الا مجازا على طريق
المشاكلة وهي اشارة الى ما كان فيهم بدار الندوة وهو مشهور غير محتاج للبيان ه
واعلم ان الشيخ الاكبر قال في بعض رسايله ان الله كما عصم نبينا في حياته عصم
رؤياه في المنام بعده وفاته من دعاية الشيطان التخيلي وتمثله في صورته
فطبعه كذا انه معصوم من ان يؤذ به الاحلام وعبارته كل من يرى في المنام
فتمثله في خيال الرائي الملك او النفس والشيطان الا الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فان الشيطان لا يتمثل به عصمة لهم كما كانوا في حياتهم معصومين في البواطن
من القائه فانسحبت عليهم حياة وموتا في الحمل الذين كانوا معصومين
فيه والرؤية والنوم من عالم الباطن انتهى ثم شرع في ذكر الحديث الذي رواه
الترمذي عن عايشة فقال اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي الاندلسي
المعروف بابن سكرة ووصف بالشهيد لانه استشهد في وقعة بالاندلس
وقد تقدم الكلام عليه وترجمته والصدفي بفتحتين نسبة لصدف بفتحتين
قرية بقرب فيروان بقراءتي عليه لا بالاجازة والفقيه الحافظ ابو بكر محمد
ابن عبد الله المعافري هو القاضي ابو بكر بن العربي ويقال ابن عربي ايضا
معرفا ومنكرا وبعضهم يخصه بالتعريف ويقول ابن عربي بدون ال
هو الشيخ محي الدين المتوفي نفعنا الله به وهذا المذكور هو محمد بن عبد الله
صاحب التصانيف الجليلة وابوه من كبار اصحاب ابن حزم الظاهري وابنه

دلجي

ممن اخذ عن الغزالي وغيره ورحل لملاقاة الكبار والاخذ عنهم وتوفي بفاس في
ربيع الاخر سنة ثلاث واربعين وخمسماية ونسبته لمعافر بفتح معجمة وفا وراء
مهملة وميمه مفتوحة ويحكى في اسم الحي الفتح وانكره ابن السكيت حي من همدان
وبلدة ولا ينصرف واليه تنسب الثياب المعافرية قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي
المبارك بن عبد الجبار والحسين بالتصغير وما في بعض النسخ الحسن مكبرا خطا من
الناسخ وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو يعلى بفتح المثناة التحتية واللام
والف البغدادي نسبة للمدينة المعروفة قال حدثنا ابو علي السنجي نسبة لسنج
بسين مهملة مكسورة ونون وجيم وهي قرية بمرو قال حدثنا ابو العباس المروزي
وهو محمد بن احمد بن محبوب راوي الترمذي وقد تقدم قال حدثنا ابو عيسى
الحافظ ابن سعد الترمذي صاحب السنن امام الحديث المشهور شهرة تغني عن ذكره
قال حدثنا عبد بن حميد بلا اضافة لعبد وقد تقدم قال حدثنا مسلم بن ابراهيم
الازدي الفراهيدي ابو عمرو الامام الحافظ الذي احتج له الستة توفي سنة
مايتين واثنين وعشرين قال حدثنا الحارث بن عبيد ابو قدامة الايادي
البصري له ترجمة في الميزان عن سعيد بن الجريري بضم الجيم وفتح الرا كالمصغر
نسب لجرير بن العني كما في الكاشف للذهبي عباد وترجمته في الميزان عن عبد الله بن
شقيق التابعي العقيلي من كبار التابعين توفي سنة ماية او ثمان وماية
عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس بصيغة المجهول
اي يحرسه الصحابة رضي الله عنهم في وقت الحاجة لذلك كالليل ووقت القيلولة
اذا كان خارج بيته حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس ونزولها
بالمدينة لان سورة المايدة من اخر ما نزل وتقدم قول اخر بانها مكية لكن الصحيح تلمساني
خلافه وفي بعض الحواشي عن ابن عرفة انهم اختلفوا في صحة الدعا بالعصمة لغير النبي
صلى الله عليه وسلم والاية تدل على صحته فان العصمة مقولة بالتشكيك وقد
كان صلى الله عليه وسلم معصوما قبل نزولها والمراد بالناس الكفار فهو
عام مخصوص ولا مانع من ابقايه على عمومه لان من المسلمين من يتصور اذيته
له من غير قصد انتهى قلت قال شيخ والدي الشهاب ابن حجر في شرح الارشاد
اختلف في سوال العصمة فقيل يجوز لقول مالك والشافعي في الرسالة نسالك
العصمة وكذا قول الشاذلي نسالك العصمة في الحركات والسكنات وفي الحديث
اذا دخل احدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم
اعصمني من الشيطان وقيل يمتنع والحق انه ان سال التوقي عن جميع المعاصي
والرذايل في جميع الاحوال امتنع لانه طلب مقام النبوة فان قصد التحصن
عن افعال السوء فلا باس به انتهى وهذا كله كلام غير مهذب لان العصمة
لها معنيان احدهما الحفظ من اذية الناس والثاني حفظه في نفسه عن
ارتكاب المعاصي وكل منهما يكون مقيدا ومطلقا فان قيد فهو جايز فيهما
كاللهم اعصمني من الكذب او الزنا او اللهم احفظني من اسر الكفار واعصمني
من كيد الشيطان والفجار ومطلق فيهما ولا مانع منه ايضا اذ لا مانع ان

نقول

يقول اللهم اعصمني من جميع الذنوب او من جميع الناس فانه امر مطلوب وقوله انه طلب
مقام النبوة كلام مردود والذي اختصت به الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقوعه لهم
لا طلبه فقد خلط هولا المعترضون ولم يقفوا على الفرق بين المقامين فاعرفه واخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة بالضم وتشديد الموحدة وهي كل
مرتفع من البنا او الخيمة والخبا من وقب اذا علا وليس معناه ما هو مستدير على
شكل كري كما تفهمه العامة فانه عرف طار والمراد به هنا خبا كان فيه صلى الله
عليه وسلم في بعض اسفاره وقيل انه بيت صغير مستدير من الخيام وبيوت العرب
ومن يحرسه من الصحابة ناس كثيرون عدهم البخاري في شرحه ولا يترتب عليه فايدة
هنا فلذا تركناه فقال لهم ايها الناس انصرفوا من حولي واتركوا احراسي فقد
عصمني وحفظني ربي عز وجل فلا حاجة لي ان يحرسني الناس وروي بصيغة المجهول
انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اي اقام به مما اختار له اصحابه
شجرة يقيل تحتها من قال يقيل قيلولة اذا نزل في وقت القايلة وهي الظهيرة
وما قرب منها للاستراحة سوا نام ام لا وان كثر فيها النوم فاتاه اعرابي هكذا
فاصبحه اي فاختاروا له في بعض اسفاره شجرة لقيلولته فنزل تحتها وليس معه
من يحرسه فاتاه الخ والاعرابي رجل من اهل البادية تقدم بيانه فاخترط سيفه
اي سله واخرجه من قرابه ليضربه به وضمير سيفه اما للاعرابي فمعناه سل سيفا
كان معه او للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان سيفه معلقا بالشجرة فلما هجم
عليه الاعرابي اخذه وسله وهو صريح ما ياتي في لفظ رواية الصحيحين واصل
معنى الاخترط ازالة ما على القضيب من ورق او قشر وشبه ازالة غمده بذلك او هو
من اخترطه اذا اخرجه من خريطته بحصل الغمد كالخريطة ثم قال الاعرابي بعد
اختراطه له صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني الاستفهام انكاري بمعنى
النفي اي لا يمنعك مني احد لاني دخلت على حين غفلة وليس معك احد وعطف
بثم والظاهر انها لا مهلة هنا فاما ان يكون تربص لينظر ما يصنع او كان اتاه من
خلفه او استعمل ثم بمعنى الفا وهو كثير فقال الله اي يمنعني الله او الله منعني
وحماني فارعدت يد الاعرابي وقع في بعض النسخ بالهمزة المضمومة مبني للمجهول
اي اصابته رعدة بكسر الرا وفتحها وهي اهتزاز اليد واضطرابها من غير قصد
لشدة الخوف وقال التلمساني انه الصواب يعني لا رعدت الثلاثي وهو خطا
منه فان الذي صححه البرهان انه رعدت ثلاثي مبني للمفعول وتبعه الشمني
وغيره وقالوا انه من الافعال التي لم يسمع فيها الا المجهول كحوجن وهو
الموافق للرواية واللغة وسقط سيفه من يده لشدة ارتعاده من خوفه وضرب
ذلك الاعرابي براسه الشجرة لما اعتراه من ذهاب عقله فلم يزل ينطحها حتى تكسر
عظم راسه وسال دماغه لما كسر قحفه الذي كان فيه الدماغ فنزلت الاية المذكورة
والله يعصمك الخ وسيلان دماغه لانه كالدهن فلما انكسر راسه سال منه وليس
فيه كما توهم حذف لئلا يذهب النفس كل مذهب ممكن اي سال دما او نحوه وهذا
الحديث بهذا اللفظ قالوا لم يوجد في الكتب المعتبرة عند اهل الاثر ولم

دجى

يذكروه في اسباب النزول واليه اشارة بقوله وقد روت هذه القصة يعني قصة
الاعرابي في الصحيح اي في الحديث الصحيح او في صحيح البخاري وان غورث بن الحارث
وفي نسخة غويرث بالتصغير وغورث بغين معجمة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة
مفتوحة في المكبر ومثلثة صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه
وهذا يخالف ما قبله في تلك الرواية من انه ضرب براسه الشجرة الخ اذ صريحها انه هلك
بذلك السبب فبينا في العفو عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس لما راه
من حلمه وعفوه عنه مع قدرته عليه وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم عن جابر رضي
الله عنه قال غزونا قبل نجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قفلنا ادركتنا
القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس
يستظلون بالشجر ورسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه ونمنا
نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وعنده اعرابي فقال ان هذا
اخترط سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في يده مصلتا فقال من يمنعك مني
فقلت الله عز وجل ثلاثا ولم يعاقبه وروي انه شام السيف اي اغمده وفي
سيرة ابن سيد الناس ان غورث رجل من محارب قال لقومه الا اقتل لكم محمدا
افتك به فاقبل اليه وسيفه في حجره فقال يا محمد اعطني سيفك انظر اليه
فاعطاه له فاستله وجعل يهزه ويهم به فمنعه الله فقال يا محمد اما تخافني
وفي يدي السيف قال لا يمنعني الله منك فرد السيف فانزل الله يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وروي ان السيف سقط من يده فاخذه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك مني فقال له كن خير اخذ
واسلم ورجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكي مثل هذه الحكاية
وفي كثير من النسخ حكيت مثل هذه الحكاية بتاء التانيث لان المضاف يكتسب التانيث
من المضاف اليه كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم وهو كثير وجعله
صفة مؤنث مقدر اي حكاية مثل هذه الخ كما قيل تكلف لا حاجة اليه وفي بعض عوض
النسخ وقد حكيت هذه الحكاية وهي ظاهرة بحسب اللفظ والاولى اظهر بحسب
المعنى انها جرت له صلى الله عليه وسلم اي وقعت يوم بدر اي في وقعة
بدر يقال جرى لنا كذا اي وقع وهو مجاز من الجري فاستعير لما ذكر ثم
صار حقيقة عرفية فيه وقوله وقد انفرد من اصحابه جملة حالية من
ضمير له اي منفردا عنهم لقضاء حاجته كناية عن البراز مشهورة فتبعه رجل
من المنافقين وذكر مثله بالنصب مفعول ذكر ومماثلته له في سل سيفه وقوله
من يمنعك ونحوه مما ذكر قبله وهذا الرجل لا يعرف كما قاله البرهان والحديث
لم يخرج ايضا وقد روي رواه ابن اسحاق في سيرته عن جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما انه وقع له صلى الله عليه وسلم مثلها اي مثل هذه الحكاية
والواقعة في غزوة غطفان بغين معجمة وطاء مهملة مفتوحتين وهي
قبيلة مشهورة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم في سرية نحو اربعمائة وخمسين
فارسا في ربيع الاول بعد خمسة اشهر من الهجرة بذي امر بهمزة وميم

مفتوحتين

مفتوحتين وراء مهملة وهو اسم مكان ويسمى غزوة غطفان وغزوة انمار وغزوة ذي امر
وانما راسم ذلك المكان ايضًا مع رجل متعلق برفع اسمه دعثور بضم الدال وسكون
العين المهملتين ومثلثة وواو ساكنة وراء مهملة وهو علم بزنة بهلول منقول من
اسم الحوض الصغير ابن الحارث وهو رجل من بني محارب وتقدم ان غورث بن الحارث
وقال ابن سيد الناس في غزوة ذات الرقاع ان الخبرين واحد وكان جمع بني
ثعلبة ومحارب للاغارة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج اليهم
واستخلف على المدينة عثمان بن عفان فهربوا في رؤس الجبال وكان قبل ذلك يدعي انه
يهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرته ويقتله فكان منه مثل هذه القصة
وروي ان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه به اي حرضوه على الفتك
برسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمه الله منه وكان ذلك الرجل سيدهم واشجعهم
جملة معترضة بين لما وجوابها بيان لسبب اغرائهم له واقدامه على ذلك قالوا
له جواب لما اين ما كنت تقول انك اعليه لما هرب وقد كان يقول اني اقتل محمدًا
وقد امكنك فاعله ضمير مستتر يرجع لما وامكنه الامر اذا لم يمنعه مانع
فصار ممكنا له ويجوز ان يكون للنبي صلى الله عليه وسلم لعلمه من السياق
اي تمكنت منه لما دفعته له وحده ومعه سيف مسلول في يده فقال اني
نظرت الى رجل ابيض طويل حال بيني وبينه ودفع في صدري فوقعت لظهري
اي وقعت على ظهري لشدة دفعه وقوته وسقط السيف الذي كان بيدي من يده
فعرفت انه اي الرجل الذي دفعني ملك لانه لم يكن ثمة احد حين هجمت عليه
ولان قوة دفعه ومهابته ليست مما عهدته واسلمت لما شاهدته مما يدل على نبوته
قال ابن اسحاق اصابه صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره مطر فنزع ثوبه
ونشره على شجرة ليجف واضطجع تحته فقالوا لدعثور الفرد محمد فعليك به
فاقبل بسيفه حتى قام على راسه وقال من يمنعك اليوم مني فقال الله فتمثل
له جبريل عليه الصلاة والسلام ودفع في صدره فوقع سيفه فاخذه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك مني فقال لا احد وانا اشهد
ان لا اله الا الله وانك رسول الله ورجع لقومه ودعاهم للاسلام قيل وفيه
اي في هذا الرجل وقصته نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم الاية وفي سبب نزولها اقوال اخر فقيل نزلت بعسفان لما شرعت
صلاة الخوف وقيل في بني قريظة وقيل في بني النضير كما سياتي وفي رواية
الخطابي وهو حمد او احمد بن محمد بن ابراهيم الامام الجليل في العلوم الرفيعة
ينتسب لجده الخطاب وقيل لزيد بن الخطاب اخي امير المؤمنين عمر رضي الله عنه
وتاليفه جليلة مشهورة ككتاب الاثار وشرح السنن وغيره ان غورث بن
الحارث المحاربي منسوب لمحارب القبيلة المشهورة وفي نسخة غويرث
بالتصغير كما تقدم وقد مر ان ابن سيد الناس قال في غزوة ذات الرقاع
في دعثور بن الحارث ان المذكور في غزوة ذي امر من الخبر يشبه هذا الخبر
فالظاهر ان الخبرين واحد وقال الذهبي في التجريد دعثور بن الحارث

الغطفاني الاشبه انه غورث وقال البرهان انه صنيب عليه بنو عنده غلط وفي
هامش نسخته من الشفا عوض دعثور غويرث وعليها علامة نسخة وصحت ايضا
انتهى وهو كلام مضطرب يحتاج للتحرير اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم
يفتك مثلث التا من الفتك وهو الهجوم من حيث لا يشعر به على امر عظيم فيه
مخاطرة ويطلق ويراد به القتل مطلقا وقيل الفتك القتل مجاهرة فلم يشعر به
اي لم يعلمه ويجيء به في حال من الاحوال الا وهو قايم على راسه المراد بقيامه على
راسه وقوفه خلفه متصلا به منتضيا بضاد معجمة ومثناة تحتية اي مجردا وسالا
سيفه ليضربه به فقال زاد قال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيه بما شيت الضمير
لغورث وبما شيت ما موصولة عايدها مقدر اي بالامر والسبب الذي شيته
واردته والمراد تفويض امر كفايته الى الله وتسليم امره له كما ورد اللهم اكفنا
السوء بما شيت وكيف شيت وهو اقرب الى الاجابة من تعيين ما يدفعه عنه
فعقب قوله من غير مهلة انكب لوجهه اللام بمعنى على اي سقط على وجهه
يقال كبه فاكب وانكب اذا وقع وثلاثيه متعد ومزيده لازم على خلاف القياس
وجات اللام بمعنى على كما في قوله • فخر صريعا لليدين وللفم • وقوله من
زلخة متعلق بانكب والزلخة بضم الزاي المعجمة وفتح اللام المشددة وخا
معجمة وتاكيد وروى بعضهم بتخفيف لام زلخة زلخها بضم الزاي وتشديد
اللام المكسورة وخا مفتوحة معجمة وها ضمير للزلخة وقراه بعضهم بالجيم
وهو غلط كما قاله الخطابي وهو ماض مجهول متعد لمفعولين من باب اعطي
وفاعله الله والمراد وجدها الله حين سل السيف وقوله بين كتفيه لا ينافي
تفسير الزلخة المذكور فان ما بين كتفيه من اعلى الظهر فهو تاسيس واشارة
لعلة سقوط سيفه فانه اذا امتد للكتفين ضعفت اليد عن حمله وندر سيفه
من يده اي من داخل قبضة كفه واصابعه وندر بنون ودال مهملة مفتوحتين
وراء مهملة اي سقط يقال ندر اذا خرج وسقط من جوف او من بين اشيا والزلخة
وجع ياخذ في الظهر فيمنع الانسان من الحركة من الزلخ وهو الزلل ويقال
لزحلوقة تلعب بها الصبيان وقيل اي قال غير الخطابي في قصته اي قصة
غورث غير هذا المذكور من ارادته الفتك فانه روي انه جمع ناسا للاغارة
على المسلمين فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم هربوا في رؤس
الجبال كما مر وان الامر والشان فضميره مقدر فيه اي في غورث نزلت اية يايها
الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان صلى الله عليه
وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية وهي يايها الذين امنوا الخ او قوله والله
يعصمك من الناس استلقى اي نام صلى الله عليه وسلم وامتعاظهم على الارض
لامنه اعداه واطمينان قلبه ثم قال من شا فليخذلني بخا وذال مضمومة
معجمتين والخذلان ترك النصرة واللام للامر وظاهره غير مراد فانه انشا بمعنى
الخبر اي الى غنى عن المعين والحرس لان الله حامي ومتولي انه لا يضرني احد
بمثل اي ولذا استلقى على ظهره واظهر هيئة الامن والتبري من حوله وقوته

اعتمادًا على وعد الله وحكاه بقيل لانه يقتضي ان هذه الاية مكية لان خوفه من قريش
انما كان بمكة وسورة المائدة كلها مدنية على الصحيح وتكرر النزول بعيد كما تقدم
وذكر عبد بن حميد الحافظ المشهور وقد تقدم بيانه وهذا رواه ابن جبير بن نفير
مرسلا قال كانت حمالة الحطب وهي ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان بن
حرب زوجة ابي لهب وسميت حمالة لانها كانت تضع الغضاة بغين وضاد معجمتين
واحدة الغضا وهو شجر له شوك اذا اوقد كان شديد الاحتراق فلذا قالوا نار
الغضا للنار القوية وقوله وهي جمر يحتمل ان يكون تفسيرا للغضا لانه يطلق على نار
كما يطلق على محله قال فسقى الغضا والساكنيه وان هم ● شبوه بين جوانحي وضلوعي ●
وان يكون حالا من الغضا وجمر بمعنى متوقدة اي تضعه حالة كونه جمرا على طريق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وممره من بيته للحرم وغيره تقصد بذلك ان
يمشي عليه فيؤذيه ويؤثر في قدمه وقد قيل في تسميتها حمالة الحطب وجوه اخر بزيادة ما
مذكورة في التفاسير منها انه على ظاهره ومنها انه عبارة عن النميمة وحمل الاوزار
فكان صلى الله عليه وسلم وفي نسخ فكانما بزيادة ما يطؤها اي يضع قدمه على
تلك الغضاة وهو حاف او بنعل يؤثر مثلها فيه فيجدها كثيبا بالمثلثة ومثناة
تحتية وموحدة وهو ما اجتمع من الرمل اهيل مبني للمجهول يقال هال الرمل
اذا اساله ولم تجمعه كالربوة والمشي عليه حينئذ اسهل واليه اي يجده صلى
الله عليه وسلم سهلا لا يؤذيه كما كانت نار الخليل عليه الصلاة والسلام وقال ابن
نقيل ● بمشيه هيل النقا لانت جوانبه ● بينها الحينا وبينها الثرى حينا ●
وذكر ابن اسحاق امام اهل السير وهو محمد بن اسحاق بن يسار الامام الثقة
المتقن وان طعن فيه بعضهم وترجمته مفصلة في الميزان وغيره انها
لما بلغها نزول سورة تبت يدا ابي لهب وذكرها مصدر مرفوع معطوف على
نزول بما ذكرها الله به مع زوجها من الذم بيان لما وهو ما في السورة اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه
وفي يدها فهر بكسر الفاء وسكون الهاء وراء مهملة وهو حجر ملء الكف او هو الحجر
مطلقا وهو في قوله يهود حزحوا من فهرهم بيت دراسهم كلمة معربة اصلها
بهر بالباء وقوله من حجارة بيان لفهر فلما وقفت عليهما اي على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابي بكر لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها اي قبض وحبس
نظرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم اي عن رؤيته وهو جالس عندها
فاخفاه الله عصمة له صلى الله عليه وسلم عن اذيتها وهذا يقتضي ان عصمته
صلى الله عليه وسلم كانت ثابتة قبل الهجرة كما تقدم فقالت يا ابا بكر ان صاحبك
فقد بلغني انه يهجوني اي يذمني على ان الهجو لا يختص بالشعر حقيقة او
مجازا او هو منها لتوهمها انه شاعر كما ادعاه غيرها تريد به ما نزل في
حقها في سورة تبت والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه خصته لانه محل
النطق بذمها ثم رجعت خاسئة وهذا رواه البيهقي وغيره عن اسما بنت ابي
بكر الصديق رضي الله عنهما كما رواه ابن اسحاق وروى ابو نعيم في الدلايل

والطبراني بسند جيد عن الحكم بن ابي العاص والد مروان وهو ممن اسلم عام الفتح
وتوفي في خلافة عثمان وفي الصحابة من وافقه في اسمه واسم ابيه ولكن المشهور
هو هذا اولا ذا لم يميزه المص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم اي تواعدهو
وبعض الكفرة على قتله صلى الله عليه وسلم والفتك به في بعض الليالي وخرجنا
في الميعاد فوقفنا مرقبه حتى اذا رأيناه اي لما قرب منا وابصرناه بحيث تمكنا منه
سمعنا صوتا اي صيحة عظيمة خلفنا اي من خلفنا ما ظننا انه لم يبق بتهامة احد
ما يحتمل ان تكون زائدة ان كان التقدير انه لم يبق احد بتهامة الا وقد هلك
بتلك الصيحة وان تكون نافية اذا اريد ان جميع اهل تهامة صاحوا علينا صيحة
واحدة وقد لحقونا ليقتلونا فالمعنى اننا ظننا وجودهم خلفنا والمعنيان
متقاربان والمآل واحد وللهم هنا كلام لم يفصح بالمراد وتهامة بكسر التاء معناها
ارض منخفضة ويقابلها نجد من التهم وهو الاختلاط او شدة الحر والريح
او لتغير هواها يقال تهم الدهر اذا تغير وهي ارض معينه وترامكه من المغرب
من ذات عرق الى البحر والمدينة لا تهامية ولا نجدية فوقعنا مغشيا علينا
من هول تلك الصعقة والغشي كالاغماء ذهاب العقل مع سقوط القوى فما
افقنا من ذلك الغشي حتى قضى صلاته اي فرغ منها واتمها ومضى الى اهله
اي رجع صلى الله عليه وسلم من صلاته بالمسجد الحرام الى منزله ليلا ولم نطق
منه بشيء اردناه ثم تواعدنا على ما قصدناه وان نعود لذلك ليلة اخرى فجئنا
حتى اذا رأيناه يقربنا وهو مار للمسجد ليصلي به كما في المرة الاولى جاءت الصفا
والمروة هما ربوتان مرتفعتان في محل سعي الحجاج معروفتان والمراد بمجيئهما
تحركهما من مكانهما حتى كانا بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم كما بينه بقوله
فحالتا اي الصفا والمروة بيننا وبينه فمنعنا من الوصول اليه لعصمة الله
له والصفا كالمروة مؤنثة باعتبار البقعة والربوة وافرد ضميرهما وكان
الظاهر فحالتا لتاويله بحالت كل واحدة منهما وفي هذا معجزة له صلى الله عليه
وسلم ظاهرة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تواعدت انا اكد ضميره ليعطف عليه
قوله وابو جهم بن حذيفة واسمه عامر او عبيد بن حذيفة بن غانم بن
عامر العدوي اسلم عام الفتح وصحبه صلى الله عليه وسلم وكان معظما في قريش
توفي في ايام معاوية وترجمته معروفة وهو صاحب الانبجانية ليلة
منصوب على الظرفية منون قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم منصوب
على انه مفعول له او بنزع الخافض اي على قتله او لقتله او بتقدير اي واضمرنا
قتله فجئنا منزله ليلا خفية فسمعنا اليه وفي نسخة له وفي نسخة فسمعنا
اي اطلنا السماع لا تكلفناه كما قيل وعداه بالى لتضمنه معنى اصغينا
لقراءته حتى نسمعها وهو يقرأ في صلاة الليل فافتتح ابتداء قراءته وقرأ
الحاقة ما الحاقة حتى انتهى الى قوله فهل ترى لهم من باقية يعني قوله كذبت
ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح
صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فترى القوم

فيها

عرضي

فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية والمراد بالحاقة ما حق وقوعه
بهم من الداهية او الساعة التي وقعت فيها من حق بمعنى وجب وثبت وقوله وما ادراك
ما الحاقة تهويل وتعظيم لها والطاغية الداهية المتجاوزة الحد وهي الصيحة او
الرجفة وغايته شديدة العتو والطغيان والحسوم ايام نحسة من صبيحة يوم
الاربعا الى اربعا آخر الشهر وقوله فهل ترى لهم من باقية استفهام بمعنى النفي اي
ما ترى لهم بقية او بقاء على انه مصدر بزنة فاعلة وهو قليل في كلامهم او نفسا
باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال لعمر ابخ اي فهم لتنبج من وقوع الهلاك
بكا خوفا من ان يحل بهما ما حل بثمود وعاد لانهما كانا مكذبين له كما كذب اولئك
رسلهم وقراها ربين اي قاما من محلهما مسرعين جادين في الهرب لخوفهما مما
ذكرا وهو كقوله فتبسم ضاحكا فهاربين حال مؤكدة وعلى الاول هو تجريد نحو
وكان اي ما ذكر من هذه القضية من مقدمات اسلام عمر لتاثيرها في قلبه فاسلم
بعدها بمدة يسيرة وهذا الحديث لم يوجد بهذا اللفظ الا انه في مسند احمد بما
يقرب منه وهو ان عمر رضي الله عنه قال خرجت ليلة لاتعرض لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل ان اسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح
الحاقة فجلست اعجب من تاليف القران فقلت والله ما هو بشاعر كما قالت قريش
فقرا انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فقلت هو
كاهن فقرا ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الخ فوقع الاسلام
في قلبي كل موقع وليس فيه انه صحب اباجهم وفي التعبير بمن التبعيضية
اشارة الى ان له مقدمات اخر الى ان اسلم لما سمع سورة طه في بيت اخته في
قصته المشهورة ومنه اي مما يشهد لان الله تعالى عصمه صلى الله عليه وسلم
من اعدايه العبرة المشهورة بكسر العين وسكون الموحدة وهو الامر العجيب
الذي يعتبر به ويتعظ من الاعتبار والعبرة هي الحالة التي يتوصل بها من معرفة
الشاهد الى الغايب من العبور ومنه العبارة واشار بقوله المشهورة الى انها ثابتة
مشهورة بين المحدثين غير محتاجة الى النقل من كتاب معين والكفاية التامة
اي كون الله عصمه وصانه صيانة تامة ليس ككفاية غيره كما قال يا ايها النبي
حسبك الله عند ما اخافته قريش تفعل من الخوف وهو توقع المكروه يقال
خوفه واخافه اذا فعل او قال ما يدل على انه يهم بايقاع المكروه به وفسره بقوله
واجتمعت على قتله اي اتفقوا على ذلك الا قليل منهم لقلتهم لم يعدوا ه
وتبيتوه اي قصدوا قتله واتباعه ليلا في خفية قال الراغب التبييت قصد
العدو ليلا ويقال لكل فعل دبر بالليل بيت قال تعالى اذ يبيتون ما لا
يرضى من القول وعلى هذا الحديث لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل وبات
موضوعة لما يفعل بالليل كظل لما يفعل بالنهار انتهى ويقال هذا امر بيت
بليل اذ دبر وغلة ليلا لتوقع غيلة على غيره فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم
من بيته وهم لا يشعرون كما رواه ابن اسحاق والبيهقي فقام على رؤوسهم
اي وقف عندهم وهم نيام وقد ضرب الله على ابصارهم اي لم يحسوا به

وتبروه لاستغراقهم بالنوم وحجب عيونهم عنه وقد كانوا احاطوا ببيته ليقتلوه عليه
الصلاة والسلام وذر بذال معجمة وراء مهملة مشددة اي نثر التراب على رؤوسهم
اهانة لهم وخلص منهم اي نجا منهم ما دبروه وهموا به وامثل ذلك كما قال ابن عباس
رضي الله عنهما ان قريشا حين اسلم الانصار رضي الله عنهم خافوا ان يتفاقم امره عليه
الصلاة والسلام عليهم فاجتمع كبارهم في دار الندوة واتفقوا على قتله وبيتوه
ليخرج عليهم وفعل ما ذكر وذهب الى الغار مهاجرا الى الله كما فصل في السير
وذكر فيها هؤلاء الذين اجتمعوا وبينوا باسمائهم وانهم نحو مائة وانه صلى الله عليه
وسلم خرج من ظهر البيت وطاطات له جارية اسمها مارية خادمه حتى تسور الجدار
الذي من ظهر البيت وحمايته اي حماية الله له صلى الله عليه وسلم منهم وحفظه
بعصمته من اعدائه ومنعهم عن رؤيتهما اياه وابا بكر وهما في الغار اي غار ثور
وثور اسم جبل بيمنة مكة والغار كالمغار نقرة في الجبل كالبيت وسمي بثور بن عبد مناة
لنزوله به ويقال له ثور اطحل وهو اسم جبل اخر خلف احد بما هيا الله اي بما اعده
ويسره له والجار متعلق بحمايته والبا للسببية العادية من الايات بيان لما
اي المعجزات والعلامات الدالة على نبوته وصدقه وعصمته ومن العنكبوت الذي
نسج عليه نسج سنين في طرفة عين والعنكبوت دويبة معروفة تذكر وتؤنث
وتنسجها خيوطا دقيقة تمدها في الهوا لتصيد الذباب وانما يكون ذلك في مكان
خال لا يمر به شي حتى قال امية بن خلف احد صناديد قريش وقد تقدم انه
مات كافرا ببدر وهو اسم موضع معروف حين قالوا اي كفرة قريش لما قصوا اثره
صلى الله عليه وسلم وانتهوا الى فم ذلك الغار ندخل الغار لنفتشه لاحتمال
انه مختف به ما اربكم بفتح الهمزة والرا المهملة والموحدة ويجوز كسر الهمزة
وتسكين الرا وهو الحاجة المطلوبة وما استفهامية او نافية اي ليس لكم مطلوب
وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولا حاجة فيه اي في الغار وعليه اي على فم
الغار ومدخله وروي ما اربكم من الريبة اي ما اوقعكم في الشك فيما لا شك
فيه من نسج العنكبوت ما ارى بضم الهمزة وفتحها اي اظن واعتقد انه قديم
قبل ان يولد محمد اي قبل وجوده وولادته لان مثله لا يكون الا في مدة طويلة
وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم كما قيل

ألقيني في لظى فان احرقتني ۞ فتيقن ان لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن ۞ ليس داود فيه كالعنكبوت

وقال الابوصيري رحمه الله

وقاية الله اغنت عن مضاعفة ۞ من الدروع وعن عال من الاطم

ووقفت حمامتان ذكر وانثى على عش فيه بيض لهما ومثله لا يكون الا في محل خال
من الناس ووقفت بالقاف وروي بالعين المهملة من وقوع الطاير وهو
نزوله بمحل على فم الغار اي مدخله فقالت قريش لو كان فيه اي في الغار احد
لما كان هناك الحمام لمعرفته انها وفي نسخة هنالك باللام وهو اسم اشارة
للمكان وقصة الحمام كما رواه البزار مسندا وغيره ان الله امر العنكبوت

فنسجت

فنسجت على فم الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجهه فصد به المشركين
عنه وحمام مكة من فراخهما وفي المواهب ان الحمامتين باضتا في اسفل فم الغار ونسج العنكبوت
عليه فقالوا لو دخلاه تكسر البيض وزال النسج وروي ايضا كما تقدم انه نبت في فمه
شجرة صغيرة تسمى شجر الرا وهي شجرة بمقدار القامة لها زهر وشيء كالقطن يحشى به الوسايد
كما مر امرها الله بان تنبت لتسترهما لما اقبل فتيان قريش باسلحتهم حتى اتوا الغار فلما
راوا ما به من الامور المذكورة رجعوا وقال ابو بكر لو نظر احدهم الى قدمه رآنا فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقد قص القافة
اثرهما فانتهى للغار فلما رآهم ابو بكر اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان قتلت انا فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فقال له لا تحزن
ان الله معنا فانظر قوله لا تحزن دون لا تخف فان فيه اشارة الى انه لم يخف على نفسه وانما
حزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامنه لانه احب اليه من نفسه وكل شيء ولسع
ابو بكر في هذه الليلة غير مرة فمزق ثوبه وجعله في الشقوق التي في الغار وسد
بعضها بقدمه اتقاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقام فيه ثلاثة ايام ثم
خرج منه فلقيه سراقة ولذلك ذكر الناظم قصته عقب ذلك بقوله وقصته صلى
الله عليه وسلم اي ومما يدل على عصمة الله له وحمايته سيرته الواقعة له مع
سراقة بن مالك بن جعشم بضم الجيم والشين وروي فتح شينه ايضا وفي بعض النسخ
جشعم بتقديم الشين كما في المغني وفيه نظر وقصته في الصحيحين وهي مشهورة
فانهم كما ذكره الناظم جعلوا لكل من دل عليه صلى الله عليه وسلم جعلا عظيما
فلما خرج من الغار رآه سراقة وكان ينزل بقديد بين مكة والمدينة وهو من جملة
من توجه اليه لطلبه فركب فرسه ليدركه فلما دنا منه صلى الله عليه وسلم ساخت
قوائم فرسه الى ابطها في الارض لدعائه عليه كما يأتي بقوله اللهم اكفنا سراقة
ثم ان الله هداه للاسلام فاسلم في مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من حنين فهو صحابي
مدلجي حجازي كناني وهو الذي اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبس
سواري كسرى لما راى ذراعيه دقيقتين اشعرين في حديثه المشهور المتقدم
وقوله حين الهجرة اي في وقت هجرته من مكة الى المدينة وذكر ابن سعد ان
سراقة عارضهم يوم الثلاثا بقديد والهجرة ترك الوطن من الهجر وهو بكسر
الهاء وفتحها وقد تضم وقد جعلت قريش جملة حالية وجعلت من الجعل وهو
ما يعطى في مقابلة عمل ما فيه اي في شان رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاخبار به وفي ابي بكر لانه كان رضي الله عنه معه كما علمت الجعل جمع جعيلة
وهي كالجعالة معنى والجعالة مثلثة الجيم ويقال جعال ككتاب وجعل بوزن
قفل ومعناه تقدم وتلك الجعالة كما قاله السهيلي كانت مائة ناقة اي
جمل كما قاله الماوردي في الاعلام وانذرته بالنبأ المجهول اي اعلم سراقة
بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال انذرته بكذا بنون ومعجمة اي اعلمته
ويكون الانذار بمعنى التخويف ايضا وكيفية الاعلام مشهورة في السير ايضا
وحاصلها ان رجلا اتى سراقة وقال له اني رايت اسودة بالساحل اظنهم

وهو ان كان لبس القبا به
اوقتله دينه
صح

محمدا واصحابه فقال لهم ما عرف انهم هم ليسوا هو ولا ثم اخرج بعد ذلك فرسه وذهب
خلفهم فكان ما ذكره المصنف بقوله فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي
صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه اي غاصت في الارض ودخلت فيها حتى
كادت تبتلعها وتنخسف من تحتها يقال ساخ يسوخ ويسيخ بسين مهملة وخاء
معجمة في آخره بمعنى غاص ودخل وبمعنى الخسف فيقال ساخ الفرس وساخت الارض
وهما بمعنى يختلف باختلاف المسند اليه وهذا مما اتفقت عليه كلمة اهل اللغة وفي
القاموس ساخت قوائمه ثاخت والشيء رسب والارض بهم سوخا انخسفت وثاخت في
تفسيره بثاء مثلثة بمعنى غاصت كما ذكره في فصله وقد تحرف على الشارح الجديد
فتوهم انه ناخت بنون بمعنى بركت فقال لا ينبغي هذا والذي ينبغي انه يفسر بغاصت
وهو غلط فاحش منه وقوائم الفرس يداها ورجلاها فخر عنها اي سقط من فوق
ورمى نفسه عنها خوفا من ان تخسف به الارض فيهلك لدعاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليه لما لحقه كما مر وضمير عنه للفرس لانها تذكر وتؤنث وتقع على
الذكر والانثى وقد قيل انها كانت انثى تسمى العود وقد نقل بعض اهل السير
ان الصديق رضي الله عنه له قصيدة قصت فيها هذه القصة منها

حتى اذا قلت قد انجدن عارضها ... من مدلج فارس في منصب واري
يردي به مشرف الاقطار معتزم ... كالسيد ذي اللبدة المستأسد الضاري
فقال كروا فقلنا ان كرتنا ... من دونها لك نصر الخالق الباري
ان تخسف الارض بالاحوى وفارسه ... فانظر الى اربع في الارض غوار
فهيل لما رأى ارساغ مقربه ... قد سخن في الارض لم تحفر بحفار
فقال هل لكم ان تطلقوا فرسي ... وتاخذوا موثقي في نصح اسراري

واستقسم بالازلام جمع زلم بفتحتين وبضم وفتح بوزن عمر وهي قداح اي
سهام لا ريش لها ولا نصل كانوا في الجاهلية يكتبون على بعضها افعل وعلى بعض
لا تفعل ويضعونها في متاعهم اذا سافروا فاذا عرض لهم مهم اخرجوا منها زلما
يتفاءلون به فيفعلون او يتركون وهو معنى الاستقسام اي طلب ما قسم وقدر
له وقيل كان يكتب على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها
غفل اي خال من الكتابة فاذا خرج غير الغفل عملوا به وان خرج الغفل
اعادوا حتى يخرج غيره ويسمون ذلك استقساما ولهم ازلام اخرى سهام
كانت في الكعبة مكتوب عليها النوازل وهي التي استقسم بها عبد المطلب على
ذبح ولده وكذا كان عند كهانهم ولهم مثلها اقداح الميسر السبعة التي كانوا
يتقامرون بها وقيل الازلام حصى صغار يتفاءلون بها والصحيح الاول فخرج له اي
لسراقة ما يكره اي ما لم يرده لانه اي لم يرده صلى الله عليه وسلم وابا بكر ويأخذ من
قريش الجعل المتقدم فخرج له لا تفعل فلم يثنه ثم ركب فرسه ثانيا بعد ما سقط
عنها وساخت قوائمها ودنا اي قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
سائر بعيره حتى اذا سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت له
لعدم مبالاته به ولاعتماده على ربه وكان ابو بكر يلتفت وراءه لخوفه على رسول

عرضي

ابن اقيرس

الله

الله صلى الله عليه وسلم او ليري ما يصدر من سراقة وخوفه لشدة حبه وان كان قال له
في الغار لا تحزن ان الله معنا لانه قد يتوهم انه مخصوص بذلك الوقت فتدبر فقال
ابو بكر له صلى الله عليه وسلم اتينا بالبنا للمجهول اي اتانا العدو وادركنا
من يطلبنا منهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ولا تخف ممن اتانا
ان الله معنا اي مصاحبا لنا بتاييده ونصره وحفظه وعصمته لنا من جميع الاعدا فلا
تخف ممن لحقنا منهم ولذا لم يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم لتمكنه وشدة
ثقته وحزن ابي بكر رضي الله عنه لخوفه وشفقته على رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما تقرر وليس بمعصية لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عنه لانه امر
طبيعي ولا دنيا فالقول له له في الغار فان المحب ظنين ومنين بمحبوبه لا سيما
هذا الرسول العظيم وليس هنا ما يحتاج لجر ذيل البيان فانه تطويل بغير طائل
فساخت قوائم فرس سراقة مرة ثانية بعد المرة الاولى الى ركبتيها تثنية ركبة
وهي ما بينا من يديها ورجليها وخرعنها اي وقع وسقط عن فرسه لما ساخت
وانكبت على وجهها وزجرها اي صاح عليها فنهضت اي قامت وخلصت قوائمها
من الارض ولقوائمها مثل الدخان اي غبار ينفع في الجو كانه دخان كما ورد
التصريح به في السير قال ابن سيد الناس ولقوائمها عثان مثل الدخان والعثان
بضم العين المهملة ومثلثة هو العبار هنا ويكون بمعنى الدخان والدخان بضم
الدال وتخفيف الخا وقد تشدد ويقال دخ ودخن والكل بمعنى وفي رواية
ولقوائمها دخان وهو استعارة للعبار فناداهم اي نادى سراقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعامر بن فهيرة رفيقهما بالامان اي رفع صوته
به قايلا لهم الامان الامان كما يفعله الناس والمراد تامينهم منه واعلامهم لا يلحقهم
منه ضرر وخوف باخباره الاعدا او طلب منهم والمراد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يعطوه امانا فلا يلحقه ضرر لخوفه منه ومن دعايه عليه وقد ورد
التصريح بالامانين في سيرة ابن اسحاق والى الثاني اشار بقوله فكتب له النبي
صلى الله عليه وسلم امانا اي امر بكتابته له فالاسناد مجازي لقوله كتبه اي
كتاب الامان ابن فهيرة وهو رقعة من ادم وفي رواية ابن اسحاق فكتب لي
كتابا في عظم او رقعة او خرقة ثم القاه الي فاخذته ثم جعلته في كنانتي ثم
رجعت ابن فهيرة مصغر فهرة وهو عامر بن فهيرة مولى ابي بكر رضي الله عنه
وهو من مولدي الازد مملوك للطفيل فاشتراه ابو بكر منه فاعتقه واسلم
وكان يرعى غنما لابي بكر ويجي لهما كل ليلة في الغار باللبن يتغذيان به ثم
هاجر معهما وشهد بدرا واحدا وقتل ببير معونة فلم يوجد جسده مع
القتلى فيقال ان الملايكة دفنته وقيل رفعته الى السما كما مر وقيل
كتبه ابو بكر وجمع بينهما بان ابن فهيرة كتبه اولا فلم يرض سراقة
بكتابته وطلب كتابة ابي بكر لشرفه وشهرته فكتبه له وللنبي صلى الله عليه
وسلم كتاب تزيد على الاربعين مذكورة في المفصلات واوردهم ابن الحديد
الحديد بتاليف مستقل واخبرهم اي اخبر سراقة النبي صلى الله عليه وسلم

عرضي

وابابكر وابن فهيرة بالاخبار اي باخبار قريش وما جرى منهم لتعدحز وجهدهم من مكة
وجعلهم الجعايل ان لمن اتى بهما او قتلهم ديتهم كما مر وامرهم النبي صلى الله عليه
وسلم اي امر سراقة ان لا يترك احدا من قريش اي لا يدع احدا ويمكنه باخبارهم
حتى يلحق بهما اي يسير خلفهم ويصل اليهم بان يقول لهم ارهم ونحوه ولوكذبا
اذ هو يجوز عند الضرورة والحاجة بل قد يجب وفي حديث انس فقال يا نبي الله
مرني بما شئت قال تقعد مكانك لا تتركن احدا يلحق بنا قال فكان اول النهار
جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اخر النهار مسلحة له فانصرف
اي رجع سراقة عنهم حال كونه يقول للناس جملة حالية مضارعية لا تقترن
بواو في الفصيح اي قايلا للناس والمراد بالناس ان كان من لقيهم ممن ذهب
لطلبهم ويقول كفيتم ما هاهنا معناه ارجعوا كفيتم الطلب فاني لم اجدهم
وما موصولة ويحتمل ان تكون نافية اي ما هنا احد وان كان المراد النبي
ورفيقاه فالمعنى عصمتم وسلمتم مما هنا من الخوف والى كلا الوجهين ذهب
الشيخ وفي الشرح الجديد خلط هنا عن الرد وذكر ابن سعد انه لما رجع
قال لقريش قد عرفتم بصري بالطريق وبالاثر وقد استبرات لكم فلم ار شيا
فرجعوا وقيل بل قال لهما اي للنبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله
عنهما ولم يذكر ابن فهيرة لانه انما خاف دعاهما لاعتقاده فيهما اراكما
دعوتما علي فلذا كادت الارض تبتلعني فادعوا لي بالسلامة فدعوا له
فنجا اي ذهب امنا مما خافه ووقع في نفسه اي خطر بباله ووقر في قلبه
واعتقد لما شاهده ظهور النبي صلى الله عليه وسلم اي ظهوره على اعدايه
وغلبتهم وظهور نبوته وعلو شانه وكان ذلك من مقدمات اسلامه قال ابن
اسحاق وقال ابو جهل لما بلغه ما لقي سراقة فلامه في تركهم فانشده

اباحكم واللات لو كنت شاهدا ۝ لامر جوادي اذ تسيخ قوايمه
عجبت ولم تشكك بان محمدا ۝ نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه

وفي خبر اخر يتعلق بما نحن فيه الا انه قيل انه لا يعرف من رواه ان راعيا
من رعاة الغنم في البرية عرف خبرهما اي خبر النبي صلى الله عليه وسلم
بوقوفه على مكانهما في الغار فخرج الراعي من محله يشتد اي يسرع في مشيه
قال الراغب اشتد اذا اسرع يجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح انتهى
وانما اسرع لاجل ان يعلم قريشا خبرهما ومكانهما فلما ورد الى مكة اي
جاها من محله الذي رعى فيه الغنم واصل الورود المجي للما فاستعير للغريب
القادم لحاجة ثم عم لكل جاء وشاع فيه حتى صار حقيقة فيه ضرب بالبناء
للمجهول اي ضرب الله على قلبه اي منع من الادراك وذهل عما جاء له كقوله
تعالى وضربنا على اذانهم وهو مستعار من ضرب الخيمة في الارض لضرب
اوتادها واصله ايقاع شي على شي كما قاله الراغب فليس كناية عن الذهول
والغفلة كما قيل فما يدري ويعرف ما يصنع ويقول وانسي بمجهودا ايضا
ما خرج له اي ما جاء له من مكانه الذي خرج منه حتى رجع الى موضعه الذي جا

دجى

منه

منه وهذه معجزة ظاهرة وعصمة قوية وفي دلايل ابي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه صلى الله عليه وسلم جاءه فيما ذكر ابن اسحاق في سيرته وغيره ابو جهل عمرو بن
هشام فرعون هذه الامة لعنه الله وهو فاعل جاء وقوله بصخرة متعلق به اي
حجر كبير وهو اي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ساجد وقريش
ينظرون له ما يصنع وكان ذهب ليطرحها اي ليرمي الصخرة عليه وفي نسخة هنا
وقد كان حلف ان راه ساجدا ليدمغنه اي ليضربنه بها ضربة تكسر راسه وتبلغ
دماغه وتسمى هذه الدامغة احد الشجاج التي ذكرها الفقها في الجنايات فلزقت
الصخرة بيده ولم تقع عليه صلى الله عليه وسلم ولزق بلام وزاي معجمة لغة
في لصق بالصاد بمعنى التصق ويبست يداه الى عنقه اي تشبثت بحيث لا يمكنه
تحريكها واقبل اي انصرف من مقصده نحو قريش حال كونه يرجع اي راجعا
القهقرى ومعناه الى خلفه موليا عن وجهته وفي العين القهقرى الرجوع
على الدبر وهو قريب منه وهو مفعول مطلق مؤكد للرجوع ثم سأله اي
سال ابو جهل لعنه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو له ففعل
اي دعا له صلى الله عليه وسلم لكرمه وحلمه فانطلقت يداه اي عادتا لما
كانتا عليه ولم ينتفعا ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وكان ابو جهل
تواعد مع قريش بذلك اي بطرح الصخرة عليه صلى الله عليه وسلم اذا راه
يصلي وحلف لئن راه ساجدا ليدمغنه اي ليضربنه بصخرة بكسر راسه وتخرج
دماغه وهي احد الشجاج يقال دمغه اذا اصاب دماغه فقتله وهذا تقدم
في بعض النسخ كما مر وليدمغنه بفتح اليا وجوز بعضهم ضمها والظاهر الاول
فسالوه اي سال قريش اباجهل عن شانه اي امره وما منعه عما قصده
فذكر لهم انه اي الشان او ابو جهل عرض لي اي له كما في نسخة ففيه التفات وقيل غلب
معنى التكلم لان ذكر بمعنى قال دونه ظرف اي حال بيني وبينه فحل اي جمل عظيم هايج
وهو مخصوص بالبعير الذكر ما رايت مثله في عظمته وشدته قط اي في جميع الزمان
الماضي وهي ظرف لتوكيد نفي الماضي بفتح القاف وتشديد الطا المهملة وكسرها
وسكونها مخففة هم بي اي عزم على الحملة علي والهجوم وقوله ان ياكلني بدل
اشتمال من ضمير المتكلم اي هم باكلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع مقالته
لهم ذاك جبريل تمثل له بصورة فحل لو دنا اي قرب ابو جهل من رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالصخرة التي اراد طرحها لاخذه واكله واهلكه اخذ عزيز
مقتدر وتفصيله كما في دلايل البيهقي والتيسير ان ابا جهل قال يا معشر قريش
ان هذا الرجل قد ابى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم ابائنا والهتنا وتسفيه
احلامنا واني اعاهد الله لاجلسن عند الحجر بحجر ما اطيق حمله فاذا سجد رضخت
به راسه فامنعوني وليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله
لا نسلمك لاحد فامض لما تريد فلما اصبح جلس ينتظره صلى الله عليه وسلم وجلسوا
في انديتهم ينتظرون ما هو فاعل فلما جا صلى الله عليه وسلم وصلى فعل
ما ذكره المص وله وقايع مثل هذه حماه الله منها وعصمه وذكر السمرقندي امام

اللعين

الحنفية المشهور وقد تقدمت ترجمته ان رجلا من بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن
مخزوم جد ابي جهل وهذا الرجل قال البرهان لا اعرفه وقال غيره انه الوليد بن
المغيرة وقيل انه ابو جهل اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله
بصره اي غطاه وغشاه حتى لم يره لانه اعماه واذهبه بالكلية كما يدل عليه
قوله فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه باسمه
فعرف مكانهم واتاهم ثم راهم بعد ذلك بشهادة حتى ويحتمل انه عمي وذهب
بصره وذكر الشمس فندي ان في هاتين القصتين اي قصة ابي جهل وقصة هذا
الرجل نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الا يتين يعني فهي الى الاذقان فهم
مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
قال البغوي في تفسيره هذه الاية نزلت في ابي جهل ورفيقه المخزومي حين حلف
ان راه صلى الله عليه وسلم ليرضخن راسه وذكر ما ذكره المص غير قوله انه
حال بينه وبينه فحل وقال المخزومي انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي
فاعماه الله الخ ما ذكره المص وفي تفسير القرطبي انها نزلت في ابي جهل وصاحبيه
المخزوميين ثم ذكر قصة ابي جهل وان صاحبه الثاني هو الوليد بن المغيرة
وانه الذي اعمى الله بصره ولم ير اصحابه حتى نادوه فقال الثالث والله لاشدخن
راسه وانه رجع وقال بعد ما خر مغشيا عليه وسئل عن امره فقال حال بيني وبينه
فحل لو دنوت منه اكلني وانه لم ير مثله فنزلت هذه الاية فقيل انه معارض لما
ذكره المص فانه يقتضي ان الذي حال بينه وبينه الفحل الرجل الثاني لا ابا جهل عوض
واما كونه من بني المغيرة او مخزومي فلا منافاة فيه لان كلا نسبة الى احد جديه
كما مر واجيب بان قصة ابي جهل تكررت فعلها مرة وحده ورأى الفحل ومرة
مع غيره او اقتصر في هذه الرواية على بعض القصة وفيه نظر والاية على هذا
من الاستعارة التمثيلية فشبه يبس يديه وعدم قدرته على تحريكهما والرمي
بمن غلت يده لعنقه وشبه حالهم وما حال بينهم وبينه بمن بينه وبين
مقصده سد مانع عن الوصول وما قيل من ان الاية تعريض لتصميم اهل مكة
على كفرهم وابطال الله كيدهم فشبهت حالهم بهذه الحال لا منافاة بينه
وبين ما قبله لصدق هذا على ما قبله ومن هذا اعلم ما في كلام البيضاوي من
سؤال يجاب كما بيناه في حواشيه ومن ذلك اي حفظ الله وعصمته ما ذكره
ابن اسحاق امام اهل السير وسيرته وغيره كالكلبي في تفسيره في قصته
صلى الله عليه وسلم اذ خرج الى بني قريظة بالظاء المعجمة وصيغة التصغير
كجهينة قبيلة من يهود خيبر معه وفي اصحابه اي في جماعة منهم ابو بكر
وغيره فجلس مستندا الى جدار لبعض اطامهم بالمد والطاء المهملة جمع اطم
بضمتين وهو الحصن هنا ويكون بمعنى البيت المربع والقصر فانبعث مطاوع
لبعثه فانبعث اي توجه وقام واصل معنى البعث الاثارة وقيل معناه
هنا اسرع والدفع عمرو بن جحاش بفتح الجيم والحاء المهملة المشددة
وآخره شين معجمة وهو من بني قريظة فقال كافرا احدهم اي بني قريظة

ليطرح

ليطرح من فوق الجدار عليه صلى الله عليه وسلم رحى يقتله بها لانه صلى الله عليه وسلم
لما جلس تحت الحايط تخافتوا بينهم وقالوا لن تجدوه على مثل هذه الحالة ابدا فمن
يعلو الجدار ليخبرك بما هم متمر به ويكون هذا سببا لنقض العهد ويرسل عليه حجرا
يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به ويكون هذا سببا
لنقض العهد بيننا وبينه فاخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بذلك فقام النبي
صلى الله عليه وسلم وانصرف الى المدينة وكان هذا سببا لغزوهم ونقض عهدهم
واعلمهم بقصتهم اي اخبر بني قريظة في نبذ عهدهم واصحابه بعد انصرافه او قبله
وقد اعترض على المص بان هذه القصة ليست مع بني قريظة كما في السير وسياتي
ايضا في هذا الكتاب وانما هو مع بني النضير وهو سبب غزوة بني النضير واما سبب
غزوة بني قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهرهم مع قريش ونقضهم العهد وهو
الصواب قال ابن سيد الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النضير
ليستعين بهم في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري لحلف بينهم
وبين بني عامر فلما اتاهم قالوا نعينك يا ابا القاسم على ما احببت ثم خلا بعضهم
الى بعض وهموا به كما مر وقال ابن الملقن انه روي ان بني النضير لما توامروا
القوا عليه حجرا فاخذه جبريل ولم يصل اليه صلى الله عليه وسلم ويأتي ما فيه
وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
في هذه القصة نزلت وجعل الهم حينئذ بالمومنين وان بسط اليد اليهم مع
انه بالنبي صلى الله عليه وسلم وحده لان ما يصيبه يصيبهم ومونته مونتهم
ولذا قيل انها نزلت في الكفرة لما كانوا عازمين على المومنين يوصلون اليهم المضر
والاذية وقيل نزلت في الاعرابي الذي اخترط سيفه اذ وجده صلى الله عليه وسلم
وحده كما مر في قوله وقد قيل يحتمل ان يكون اشارة الى ان هذه القصة في بني
قريظة وان خالف الصحيح المنقول والواقع وقع في بعض التفاسير فتامله
فان غفلته عما ذكر بعيدة مع قوله عقبه وحكي السير فتدبر انه صلى الله عليه وسلم
كما رواه ابن سيد الناس وغيره من اصحاب السير وقد تقدم انه الصحيح وان في
كلام المص رحمه الله اشارة اليه خرج من المدينة الى بني النضير بنون مفتوحة وضاد
معجمة مكسورة وهم قوم من يهود خيبر يستعين بهم في عقل الكلابيين مثنى
كلابي رجل منسوب لبني كلاب وهي قبيلة من قريش والعقل مصدر عقل البعير
يعقله اذا ربطه بالعقال المانع له من الحركة واصل معنى العقل المنع ومنه
العقل المعروف لمنعه عما لا يليق كما اشار اليه القايل

قد عقلنا والعقل اي وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق

وسميت به دية المقتول لانها كانت عند العرب ابلا يسوقها القاتل ونحوه فيعقلها
بفنا اهل القتيل لياخذوها واستعانته صلى الله عليه وسلم المراد بها طلبه
ان يعينوه في الدية لما سياتي اللذين قتلهما عمرو بن امية وفي نسخة الكلابي
بالافراد وقتل مفرد ايضا وعمرو بن امية هو الضمري بضاد معجمة مفتوحة وميم
ساكنة وراء مهملة نسبة لبني ضمرة وهم قومه فهو عمرو بن امية بن خويلد بن

الحنفية المشهور وقد تقدمت ترجمته ان رجلا من بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن
مخزوم جد ابي جهل وهذا الرجل قال البرهان لا اعرفه وقال غيره انه الوليد بن
المغيرة وقيل انه ابو جهل اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله
بصره اي غطاه وغشاه حتى لم يره لانه اعماه واذهبه بالكلية كما يدل عليه
قوله فلم يرا النبي صلى الله عليه وسلم فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه باسمه
فعرف مكانهم واتاهم ثم راهم بعد ذلك بشهادة حتى ويحتمل انه عمي وذهب
بصره وذكر الشم فندي ان في هاتين القصتين اي قصة ابي جهل وقصة هذا
الرجل نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الا بيتين بعني فهي الى الاذقان فهم
مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
قال البغوي في تفسيره هذه الاية نزلت في ابي جهل ورفيقه المخزومي حين حلف
ان راه صلى الله عليه وسلم ليرضخن راسه وذكر ما ذكره المص غير قوله انه
حال بينه وبينه فحل وقال المخزومي انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي
فاعماه الله الخ ما ذكره المص وفي تفسير القرطبي انها نزلت في ابي جهل وصاحبيه
المخزوميين ثم ذكر قصة ابي جهل وان صاحبه الثاني هو الوليد بن المغيرة
وانه الذي اعمى الله بصره ولم ير اصحابه حتى نادوه وقال الثالث والله لاشدخن
راسه وانه رجع وقال بعد ما خر مغشيا عليه وسئل عن امره فقال حال بيني وبينه
فحل لو دنوت منه لاكلني وانه لم ير مثله فنزلت هذه الاية فقيل انه معارض لما
ذكره المص فانه يقتضي ان الذي حال بينه وبينه الفحل الرجل الثاني لا ابا جهل عرضي
واما كونه من بني المغيرة او مخزومي فلا منافاة فيه لان كلا نسبة الى احد جديه
كما مر واجيب بان قصة ابي جهل تكررت فعلها مرة وحده ورأى الفحل ومرة
مع غيره او اقتصر في هذه الرواية على بعض القصة وفيه نظر والاية على هذا
من الاستعارة التمثيلية فشبه يبس يديه وعدم قدرته على تحريكهما والرمي
بمن غلت يداه لعنقه وشبه حالهم وما حال بينهم وبينه بمن بينه وبين
مقصده سد مانع عن الوصول وما قيل من ان الاية تعريض لتصميم اهل مكة
على كفرهم وابطال الله كيدهم فشبهت حالهم بهذه الحال لا منافاة بينه
وبين ما قبله لصدق هذا على ما قبله ومن هذا اعلم ما في كلام البيضاوي من
سوء الايجاب كما بيناه في حواشيه ومن ذلك اي حفظ الله وعصمته ما ذكره
ابن اسحاق امام اهل السير وسيرته وغيره كالكلبي في تفسيره في قصته
صلى الله عليه وسلم اذ خرج الى بني قريظة بالظاء المعجمة وصيغة التصغير
كجهينة قبيلة من يهود خيبر معه وفد في اصحابه اي في جماعة منهم ابو بكر
وعمر فجلس مستندا الى جدار لبعض اطامهم بالمد والطاء المهملة جمع اطم
بضمتين وهو الحصن هنا ويكون بمعنى البيت المربع والقصر فانبعث مطاوع
بعثه فانبعث اي توجه وقام واصل معنى البعث الاثارة وقيل معناه
هنا اسرع واندفع عمرو بن جحاش بفتح الجيم والحاء المهملة المشددة
واخره شين معجمة وهو من بني قريظة فتل كافرا احدهم اي بني قريظة

ليطرح من فوق الجدار عليه صلى الله عليه وسلم رحى يقتله بها لانه صلى الله عليه وسلم
لما جلس تحت الحايط تخافتوا بينهم وقالوا لن تجدوه على مثل هذه الحالة ابدا فمن
يعلو الجدار ليخبره بما هم مترددون به ويكون هذا سببا لنقض العهد ويرسل عليه حجرا
يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به ويكون هذا سببا
لنقض العهد بيننا وبينه فاخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بذلك فقام النبي
صلى الله عليه وسلم وانصرف الى المدينة وكان هذا سببا لغزوهم ونقض عهدهم
واعلمهم بقصتهم اي اخبر بني قريظة في نبذ عهدهم واصحابه بعد انصرافه او قبله
وقد اعترض على المص بان هذه القصة ليست مع بني قريظة كما في السير وسياتي
ايضا في هذا الكتاب وانما هو مع بني النضير وهو سبب غزوة بني النضير واما سبب
غزوة بني قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهرهم مع قريش ونقضهم العهد وهو
الصواب قال ابن سيد الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النضير
ليستعين بهم في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري لحلف بينهم
وبين بني عامر فلما اتاهم قالوا نعينك يا ابا القاسم على ما جيت ثم خلى بعضهم
الى بعض وهموا به كما مر وقال ابن الملقن انه روي ان بني النضير لما توامروا
القوا عليه حجرا فاخذه جبريل ولم يصل اليه صلى الله عليه وسلم ويأتي ما فيه
وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
في هذه القصة نزلت وجعل الهم حينئذ بالمؤمنين وان بسط اليد اليهم مع
...ه يصيبهم ومونته موذلهم
...نين يوصلون اليهم المزد
...ه اذ وجله صلى الله عليه وسلم
... الى ان هذه القصة في بني
...نع في بعض التفاسير فتامله
... فندي انه صلى الله عليه وسلم
... تقدم انه الصحيح وان في
...لنضير بنون مفتوحة وضاد
...هم في عقل الكلابيين متني
...ل العقل مصدر عقل البعير
... بمعنى العقل المنع ومنه
• •
...ايل
... مر المذاق • •
...و فينا القاتل وعقوه فيعقلا
... عليه وسلم المراد بها طلبه
...ن امية وفي نسخة الكلابي
... الضمري بضاد معجمة مفتوحة وميم
ساكنة وراء مهملة نسبة لبني ضمرة وهم قومه فهو عمرو بن امية بن خويلد بن

بتغيير ادراكه ادر الروح هو الاصعب فان الادراك عنده الروح في زاد
بمنزلة بالسهل والاقرب الى الاذهان ليتلا يعرض له خلالا
اصلا ولا يشك في ان الاحسن والاوضح للتحقيق ان
فيرجع العقل لا يوافقه فيقع غلطا فيه
مستقيما منتظما لا ينازعه الوهم
السهل والكامل كونه
للعلم الربانية

عبد الله بن اياس الصحابي الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه في اموره
وهو الذي ذهب للنجاشي بكتابه فاجابه واسلم وزوجه صلى الله عليه وسلم ام حبيبة
اسلم بعد احد وشهد بير معونة ومات بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه
وهو الذي قتل الكلابيين فهو مرفوع فاعل قتل والتثنية هي الموافقة لما في السير
من انه صلى الله عليه وسلم بعث المنذر بن عمرو الساعدي احد نقباء ليلة العقبة
في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فلقوا عامر بن الطفيل
ببير معونة فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه ونجا عمرو الضمري وحده او وصاحب
له على اختلاف في الرواية ورجعا فلقيا رجلين من بني سليم وكان بينهم وبين النبي
صلى الله عليه وسلم موادعة فانتسبا لهما الى بني عامر فقتلاهما وكان عمرو لا يعرف
ذلك العهد ولو عرفه لم يفعله ولذا لزمت الدية لانه خطأ فقدم فوديهما على
النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون ديتهما فخرج لبني النضير هو وابو بكر وعمر وعلي
رضي الله عنهم ليستعين بهم في العقل لانهم كانوا عاهدوه على ترك القتال والاعانة
في الديات فلما دخل عليهم وطلب ذلك منهم اجابوه وقالوا له اجلس حتى نأتي لك
بما سألت فجلس بجنب جدار من بيوتهم كما اشار الى ذلك بقوله فقال له اي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم اسمه حيي بضم الحاء المهملة ومثناتين
تحتيتين الاولى مفتوحة مخففة والثانية مشددة ابن اخطب بزنة افعل بخاء
معجمة وطاء مهملة وموحدة وجوز في حائه الكسر وهو من يهود بني النضير
ومن رؤسائهم والد صفية ام المؤمنين اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك
ما سألتنا من الدية وهو عطف تفسير على نطعمك لان الطعم بالضم في الاصل المأكول
فتجوز به عما ذكر كما يقال اقطعه الارض طعمة له اي عطية فجلس النبي صلى الله عليه
وسلم مع ابي بكر وعمر وزاد ابو نعيم الزبير وطلحة وسعد بن معاذ واسيد بن
حضير وسعد بن عبادة وفي سيرة ابن اسحاق في نفر من اصحابه فيهم ابو بكر وعمر
وعلي ولا منافاة بين الروايات وتوامر بفتح التاء الفوقية والواو ويقال
بالهمز تفاعل من الامر اي نظر كل امرا لاخر والمراد به هنا المشاورة يقال وامره
وآمره وقيل الواو لغة العامة حيي معهم اي مع بني النضير اي تشاوروا
واتفقوا على قتله صلى الله عليه وسلم بالقاء الحجر عليه فاعلم جبريل النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك الذي ارادوه قبل وقوعه فقام من تحت الجدار
بسرعة كانه يريد حاجة اي اراهم صلى الله عليه وسلم انه يريد حاجة له وفي
نسخة حاجته بالاضافة فيحتمل قضاء الحاجة المعهودة للانسان فانه يكنى بها
عنها كثيرا حتى دخل المدينة ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال وهم داخل حصنهم
فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم كما قال حسان

وهان على سراة بني لوي * حريق بالبويرة مستطيرا

فقال صلى الله عليه وسلم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا
ما لهم من الامتعة على ستمائة بعير ولحقوا بخيبر واخذ منهم صلى الله عليه وسلم
الاموال ومن الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة واربعين سيفا

فكان

فكان ذلك رصدا لنوائبه ولم يعطهم منها لاحد غير ابي دجانة وسهل بن حنيف لفقرهما
ثم قسمها بين المهاجرين ورفع المؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قاسموهم الاموال والديار
لما هاجروا الى المدينة ثم انه قيل ان ما ذكره المص يقتضي ان اليهود هموا بالقا الحجر عليه
ولم يلقوه وذكر ابن الملقن كما مر انهم القوه عليه صلى الله عليه وسلم فاخذه
جبريل عليه الصلاة والسلام ومنعه عن الوصول اليه والمشهور الاول وذكر اهل
التفسير معنى الحديث عن ابي هريرة كما رواه مسلم والنسائي اي روى هذا المعنى
وفي بعض النسخ وروى اهل التفسير الحديث عن ابي هريرة وهما احسن مما في بعض
النسخ وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث بالواو العاطفة فانه محتاج للتقدير اي
وذكره اهل الحديث وعلى هذا فقوله عن ابي هريرة خبر عن معنى وهو مبتدا والجملة
معترضة بين ذكر ومفعوله وهو ان ابا جهل وعد قريشا لئن راى محمدا ساجدا فقسم
مقدر لما مر من انه حلف لهم على ما وعدهم به وقوله يصلي جملة حالية ليطان
رقبته اي يدوس على عنقه الشريف برجله حماه الله فلما صلى النبي صلى الله عليه
وسلم بالمسجد الحرام اعلموه اي اعلمه قريش به فاقبل متوجها اليه ليدوسه اهانة
منه لمن اعزه الله فلما قرب منه ولى ورجع عن مقصده حال كونه ناكصا على عقبيه
اي متاخرا راجعا الخلف والعقب مؤخر القدم متقيا بيديه اي مادا يديه كمن
يدفع امرا يتقيه وفي بعض النسخ ولى هاربا ناكصا على عقبيه في حال متداخلة
او مترادفة ونكص على عقبيه يستعمل فيمن ولى عن خير او عن شر يخاف عاقبته
كما هنا الا انه قيل ان الثاني نادر وذهب الجوهري وصاحب النهاية الى انه
يختص بالاول وفي القاموس نكص عن الامر نكصا كاعنه واحجم وعلى عقبيه رجع
عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري في اطلاقه
او هو في الشر نادر انتهى وفي نفوذ السهم فيما في الجوهري من الوهم كون النكوص
مخصوصا بما ذكر غير ثابت في اللغة وقوله فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه
لا دليل فيه لانه وان كان رجوع الشيطان عن معاونة الكفار ببدر ليس
رجوعا عن خير يحتمل الاستعارة التهكمية وقد مر الكلام عليه ايضا في اعجاز
القران فتناسل فسئل اي سال قريش ابا جهل عن ذلك اي عن رجوعه كذلك
وما سببه فقال مجيبا لهم لما دنوت منه اشرفت اي اطلعت قريبا مني على
خندق حفير مملوء نارا كدت اهوي اي اقع واسقط فيه وابصرت هولا عظيما
اي امرا مخوفا عظيما المراد مثله مما ذكر ومن غيره كالفحل الذي اراد اهلاكه
وخفق اجنحة يضرب بعضها بعضا لها اصوات هائلة قد ملات الارض الذي كان
فيها وهي اجنحة الملائكة التي ارسلت لحمايته ونصره صلى الله عليه وسلم كما اشار
اليه بقوله فقال عليه الصلاة والسلام تلك الملائكة لو دنا اي قرب منه لايقاع
ما قصده لاختطفته الملائكة عضوا عضوا اي مزقته وفرقت اعضاءه وهو
منصوب على الحال بتاويل ممزقا ممزقا كقرات النحو بابا بابا كما فصله
النحاة ثم انزل الله وحيه على النبي صلى الله عليه وسلم في شان ذلك فقال
كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى الى اخر السورة يعني ان الى ربك الرجعى

ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الخ ويناسب ما ذكر قوله كلا لئن لم ينته لنسفعن ه
بالناصية وقوله سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب فالمراد بالانسان ابو
جهل وطغيانه تجاوز حده قيل هذه القصة في صحيح مسلم فالذي ينبغي نقلها منه
دون التفاسير وهو امر سهل لا ينبغي الاعتراض بمثله وتفصيل معنى الاية في التفاسير
فلا حاجة لذكره وروى الراوي له ابو نعيم في الدلايل ان شيبة بن عثمان الحجبي بفتح
الحا المهملة والجيم وموحدة وياء نسبة لحجبة جمع حاجب ككتبة جمع كاتب
وفي النسبة الى الجمع يرد الى مفرده والقياس حاجبي لكنه لما غلب على حجبة الكعبة
جاز النسبة اليه كانصاري اولانه على زنة المفرد ومثله ينسب اليه على لفظه
والحاجب من يتولى الحجابة وهو البواب ومن بيده المفتاح من الحجب وهو المنع
وشيبة علم منقول من الشيب المعروف وهو شيبة بن عثمان بن ابي طلحة بن عبد
العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي الصحابي المشهور خادم الكعبة ومن بيده
مفتاحها وهو بيد اولاده الى الان اسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين ومات
سنة تسع وخمسين واخرج له البخاري واحمد في مسنده وابو داود وترجمته
معروفة وما في بعض النسخ الجمحي بميم غلط من الناسخ ادركه صلى الله عليه وسلم
اي لحق به ووصل اليه يوم حنين في غزاتها وهو واد قريب من الطايف معروف
وكان قبل ذلك حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد الشهدا قد قتل
اباه عثمان بن ابي طلحة وعمه طلحة بن ابي طلحة المشهور وكان قتله لهما باحد
وكان طلحة ليث الكتيبة وحامل لوا الكفرة فلما قتل حمل اللوا اخوه عثمان
فقتل الا انه قيل ان المروي في السير ان الذي قتل طلحة علي بن ابي طالب
فلما اخذ اللوا اخوه عثمان حمل عليه حمزة فقتله وقال الذهبي في تجريده ان
الذي قتل ابا شيبة علي ايضا وهو مخالف لما قاله المص كما قاله البرهان الحلبي
وفي سيرة ابن سيد الناس ان عليا ضرب اباه فازال منعته فحمل عليه حمزة فقطع
يده وكتفه وقده حتى بلغ سحره اي رئته فكل من علي وحمزة له دخل في قتله
الا ان عليا لما ازال منعته وقوته نسب القتل له حتى استحق سلبه فلا منافاة
بين كلام المص وكلام غيره فقال شيبة لما ادركه اليوم المراد به الوقت الحاضر
ادرك ثاري بمثلثه ورا مهملة بينهما الف ولهمزة وهي الاصل وهو طلب
الدم واخذ حق من قتله من محمد لانه سبب قتله فاراد ان ينتقم منه ويشفي
غيظه وحزازة نفسه لتمكنه منه فلما اختلط الناس في القتال وازدحموا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اتاه من خلفه بحيث لا يراه ورفع
سيفه بيده ليصبه عليه اي ليضرب به ويقتله وياخذ بثاره ويشفي غليله
ممن كان سببا لقتل ابيه وعمه واصل الصب اراقة الما واستعير للضرب
بالاله كالسيف قال تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب وفيه تشبيه ان السيف
يشبه بالما لرونقه وفرنده قال شيبة فلما دنوت منه اي لما قصدته فكدت
ارتفع الى اي علا وصعد الي من جانبه شواظ اي لهب من نار والشواظ
اللهب مطلقا او لهب لا دخان له او لا يخالطه غيره او يخالطه شي اخر

وهو

وهو بضم الشين المعجمة وكسرها وقوله من نار بيان موكد لان اللهب لا يكون الا من النار
اسرع في ارتفاعه من البرق فوليت هاربا خوفا من ان يحرقني فحسّ بي رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي علم رجوعي عنه فدعاني فجئته فوضع يده على صدري وهو
ابغض الخلق الي لانه اسلم خوفا من القتل ولم يخلص ايمانه وفي قلبه حقد على
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل ابيه وعمه فما رفعها اي يده عن صدري
الا وهو احب الخلق الي فبدل الله بغضه بحبه وازال عن صدره وقلبه الحقد
واثر الكفر فلما علم ذلك منه الرسول صلى الله عليه وسلم احبه وقال لي ادن من
العدو او مني وقاتل في سبيل الله خالصا لسرك مخلصا ببركة مسح يده صلى الله
عليه وسلم له فتقدمت امامه بين يديه اضرب بسيفي كل من لقيته من الكفار
واقيه بنفسي اي اجعلها وقاية له صلى الله عليه وسلم مانعة عنه ولو لقيت
تلك الساعة التي قاتلت فيها ابي لاوقعت به سيفي وقتلته وفي بعض النسخ
دونه وانما خص للمبالغة في عموم قتله لمن لقي حتى اعز الناس وللاشارة الى ان
شيبة بعينه وهو قتل ابيه قد زال بالكلية حتى يجوز عنده ان يقتله بنفسه
فضلا عن قتل قاتله والحديث مفصل في سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح
مروي عن شيبة نفسه وكان صالحا ذا فضل حدث باسلامه وانه انما سار
لحنين ليغتال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكراهته له وان ذلك لم يزداد
في قلبه وتصميم عزمه على قتله فلما اختلط الناس نزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن بغلته فدنوت منه وذكر ما هم به وان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مسح صدره وقال اللهم اعذه من الشيطان فاذهب الله ما بقلبه
حتى صار احب اليه من نفسه واهله وابيه فلما رجع ودخل خباءه دخلت
عليه كغيري حبا لرؤية وجهه فقال لي يا شيبة الذي اراد الله بك خير مما
اردت بنفسك وحدثني بكل ما اضمرته في نفسي مما لم اذكره فقلت اني اشهد
ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم قلت استغفر لي فقال غفر الله لك
وعن فضالة بن عمرو عند ابن اسحاق وابن سيد الناس وفضالة بضم الفاء
وفتحها وتخفيف الضاد المعجمة واللام وابوه عمرو ويقال عمير بالتصغير
ابن الملوح الليثي والتصغير اصح والملوح بكسر الواو المشددة وفتحها واقتصر
على الثاني في القاموس قال اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح
اي فتح مكة وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة الهمزة للنداء
وفي نسخة فضالة بدون همزة وحرف الندا مقدر فيه قيل ويمكن ان تكون
الهمزة للاستفهام وفضالة خبر مبتدا محذوف تقديره انت فضالة فقال
نعم بضد يقاله والاستفهام حقيقي وكونه للتعجب مما يختلج في صدره
او اجابة لندائه او اعلام له بانه فضالة كما قيل تكلف لا يخفى قلت نعم
قال ما كنت تحدث به نفسك حديث النفس عبارة عما يخطر بالقلب قلت
لا شيء اي لم يخطر بقلبي شيء مما ظننته فضحك واستغفر لي اي دعا لي بان
يغفر الله لي ما خطر بقلبي ووضع يده على صدري ليذهب الله ما فيه من

عرضي

الضلال وما عزم عليه من الاوهام فسكن قلبي اي اطمان وذهب ما فيه من الوسواس
وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وثلج صدره ببرد اليقين قال فضالة فوالله
ما رفعها اي رفع يده عن صدره حتى ما خلق الله شيا احب الي منه وحديثه كما في
سيرة ابن اسحاق وابن سيد الناس انه اراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يطوف عام الفتح وذكرا ما ذكره المص ثم قال فرجعت الى اهلي ومررت بامراة كنت
اتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعثت اقول

قالت هلم الى الحديث فقلت لا ۞ يابى عليك الله والاسلام
او ما رايت محمدا وقبيله ۞ بالفتح يوم تكسر الاصنام
لرايت دين الله اضحى بينا ۞ والشرك يغشى وجهه الاظلام

وقضا له الليثي هذا هو ابن وهب بن بحرة بن يحيى بن مالك وليس هو الزهراني
قاله ثابت بن عبيرة ومن ظنه هذا فقد اخطا ومن مشهور ذلك اي عصمة الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن اسحاق والبيهقي بلا اسناد وابو نعيم في الدلائل
مسندا الى عروة خبر عامر بن الطفيل العامري وهو عامر بن الطفيل بن عامر بن
مالك سيد بني عامر في الجاهلية مات كافرا بالاتفاق واربد بن قيس بفتح
الهمزة وسكون الرا المهملة وفتح الموحدة ودال مهملة وهو اخو لبيد بن
ربيعة الصحابي لامه وكان شاعرا مفلقا ومات على الكفر ايضا حين وفدا على
النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تبوك واسلمت ثقيف ودخل الناس في الاسلام افواجا قدم عليه وفود
الناس افواجا فوفد عليه اربعة من بني وسايهم عامر بن الطفيل واربد بن قيس
وغيرهما وكان عامر قال له اي لاربد انا اشغل عنك وجه محمد اي الهيه حتى
تنطق فاضربه انت وخصه بسره لما بينهما من الصداقة فامتثل امره وهم بذلك
فانتظر ليفعل ما امره به فلم يره اي لم ير عامر اربد فعل شيا مما اتفقا عليه
من البطش به وعامر يكلمه صلى الله عليه وسلم ويلهيه فلما كلمه اي كلم عامر
اربد في ذلك اي في الامر الذي اتفقا عليه بان قال له ما لك لم تفعل ما اتفقنا
عليه من البطش برسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر اليه وقال والله
ما هممت ان اضربه اي اضرب النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف الا وجدتك
بيني وبينه اي ارى جسدك حايلا بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم بحيث
لو ضربت ضربت صاحبه افاضربك انكار له اي كيف اضربك وكان عامر شاعرا
ورئيسا مطاعا في قومه فقالوا له لما جا العرب افواجا للاسلام ان الناس
قد اسلموا فاسلم فقال الى الست لا انتهي حتى تتبع العرب عقبي فاتبع فتى
من قريش ثم قدم هو واربد على النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ما قصه
المص فخرجوا راجعين لبلادهم وفي الدلايل انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
خالني يا محمد فقال لا حتى تؤمن بالله وحده وقال ذلك مرارا وهو يجيبه
بذلك فقال والله لاملاها عليك خيلا ورجلا توعدا له بان يغزو المدينة
فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني عامرا فلما رجع اصابه طاعون

قبلهم

في عنقه

في حنقه فمات في بيت امراة من سلول فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية
يعني احسن مونة في احسن قبيلة فمات كافرا وواروا جثته التراب ورجع اصحابه لقومهم
فقالوا لاربد ما وراءك يا اربد فقال لا شيء لقد دعانا لعبادة شيء ولقد وددت انه
عندي الان فارميه بالنبل حتى اقتله ثم خرج بعد مقالته هذه بيوم او يومين
ومعه جمل له فاصابتهما صاعقة احرقتهما فهلك كافرا كما مر وعن ابن عباس ان عامرا
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد مع اصحابه وكان من اجمل
الناس الا انه كان اعور فجعل الناس ينظرون لجماله واخبروا به رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ان يرد الله به خيرا يهديه فقام وقال يا محمد ما لي ان اسلمت
فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال اتجعل لي الامر بعدك قال ذاك ليس
الي انما هو لله يجعله حيث يشاء قال اتجعلني على الوبر وانت على المدر اي حكم البادية
وحكم المدن قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل الغازية في سبيل
الله قال اوليس لي اعنة الخيل اليوم قم معي اكلمك فقام صلى الله عليه وسلم
معه وكان عامر وصى اربد اذا خلا به ان يدور من خلفه ويضربه بسيفه وروي ان
الغدة كانت في ركبته ورويت القصة على وجوه اخر هذا محصلها كما في السير
وكتب التفسير غير ان البغوي والقرطبي في التفسير ذكرا ان اربد دار خلفه صلى
الله عليه وسلم واخترط سيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فوقعت عليه صاعقة
فاهلكته وهو يقتضي انه مات قبل عامر وفي هذين التفسيرين ان اربد بن ربيعة
والمص قال انه ابن قيس ولا منافاة بينهما كما توهم لان ربيعة جده الاعلى وفي عرضي
اربد نزل قوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء واجمعوا على ان عامرا
مات كافرا كما مر وفي التجريد للذهبي عامر بن الطفيل بن مالك العامري سيد
بني عامر في الجاهلية روى عنه ابو امامة كما ذكره المستغفري ونقله البرهان
الحلبي وفيه نظر ومن عصمته اي حفظ الله له ان كثيرا من اليهود والكهنة جمع
كاهن وهو الذي يخبر عن المغيبات وما يقع في المستقبل بما يتلقاه او يعرفه
بفراسته ويسمى الثاني عرافا انذروا به اي اخبروا واعلموا والانذار اعلام
المخوف قبل وقوعه وعينوه لقريش اي بينوا اذ انه الشريعة لهم واخبروهم
بسطوته بهم اي انه يعز وهم ويقتلهم وحضوهم على قتله اي حثوهم وحرضوهم هم
على ذلك حتى يسلموا منه فعصمه الله عز وجل بانه حفظه ومنعه من كيدهم
مع انه صلى الله عليه وسلم كان بين اظهرهم بمفرده حتى بلغ الله بلطفه وحفظه
له فيه امره بان نصره واظهر دينه على جميع الاديان ان الله بالغ امره وبلغ
بفتح اللام المخففة من البلوغ قال الراغب هو الانتهاء الى اقصى الامد ه
والمنتهى مكانا او زمانا او امرا من الامور المقدرة انتهى ومن ذلك اي عصمة الله
له صلى الله عليه وسلم وصيانته ما رواه الشيخان وهو نصره بالرعب اي بالقاء
الخوف منه في قلوب اعدائه ومن لم يتبعه مسيرة شهر اي من مكان بعيد عنه
اقل ما يقطع مسافته في شهر اي في ثلاثين يوما كما قال صلى الله عليه وسلم
اي انه ثابت بهذا اللفظ في الحديث الصحيح كما تقدم وهو في الصحيحين وفي

مسند احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال عليه الصلاة والسلام بعثت بجوامع
الكلم ونصرت بالرعب قيل وهو مخصوص به صلى الله عليه وسلم ولو كان وحده وتقييده
بالشهر لانه لم يكن بينه وبين اعدائه اكثر منه وتخصيصه باعتبار من قبله فان ابن
حجر رحمه الله قال ان ذلك لامته من بعده ايضا ويؤيده ان في مسند احمد الرعب

فصل

يسعى بين يدي امتي شهرا والرعب كناية عما يلزمه من الظفر
مما اكرمه صلى الله عليه وسلم من معجزاته اي اموره الخارقة للعادة التي يعجز غيره
عنها وعن معارضتها والاتيان بمثلها وتا المعجزة للمبالغة كها علامة او للتانيث
لان المراد الاية والعلامة او الخصلة المعجزة الباهرة اي الغالبة او الظاهرة على غيرها
من بهر القمر بضوئه الكواكب حتى اخفاها وهو تشبيه بليغ او استعارة مصرحة ما جمعه
الله له من العلوم والمعارف جمع معرفة لا معروف كما قيل لانه على تقدير غير مناسب
والعلم والمعرفة بمعنى وقد يفرق بينهما بتخصيص الثاني بالامور الجزئية او بما
يسبقه جهل على كلام وبه تقدم تفصيله ومن بيانية فيجوز ان تكون تبعيضية
والاول اظهر وخصه به اي جعله مخصوصا به دون من قبله وكذا اخص امته بما
لم يكن لغيرهم من الامم من العلم وكثرة التاليف والتصنيف الذي لم يكن لامة من الامم
مع قصر اعمارهم وضعف ابدانهم والباء تدخل على المقصور والمقصور عليه وفي
ايهما الاصل كلام مفصل في حواشي المطول لا حاجة لنا به هنا من الاطلاع اي الوقوف
والعلم وهو بيان لما على جميع مصالح الدنيا والدين متعلق بالاطلاع ومصالح الدنيا
ما يصلح به امر المعاش ومصالح الدين معرفة احكامه المصلحة لهم في الدارين ولا
ينافي هذا اي اطلاعه على مصالحهما قصة بدر في اختياره صلى الله عليه وسلم الفدا
وكان الاولى به ما راه عمر رضي الله عنه من قتلهم حتى عوتب صلى الله عليه وسلم على
ذلك وكذا امتنعه صلى الله عليه وسلم الناس من تابير النخل فلم يثمر في ذلك العام
فقال انتم اعلم بامور دنياكم مني اما لانه كما قيل كان له حالات واطوار منها
ما يغلب عليه فيه عدم الالتفات للاسباب الظاهرة لقصر نظره على تفويض الامر
لله والتوجه للعلم بالله وقطع نظره عن الحوادث الكونية وعلم عمر رضي الله عنه
مقتبس منه ومن نور مشكاته كما قيل

كالبحر يمطره السحاب وما له ۞ من عليه لانه من مائه

وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم بنى امره في ذلك على الظن دون الجزم
والانبيا قد يظنون في امور الدنيا المجردة عن الاخرة ما الامر على خلافه لبشريتهم
وقيل انه انما كان ليعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاهدة وتبيين الامر
حتى يكون شرعا متبعا ولو تقرر الامر كما كان فقد يقال انه كما وجد نبي والحكم
بالدليل اقوى منه بالسكوت وفيه نظر وقال السنوسي اراد صلى الله عليه وسلم
ان يحملهم على خرق العوايد في ذلك اعتمادا على التوكل فلم يمتثلوا ولو يصبروا
ولو صبروا كان خيرا لهم بان يبتلوا ويصبروا سنين فاكثر فلو فعلوا كفوا ذلك
لانه اعلم منهم بذلك وغيره قيل وهو في غاية الحسن لمن تامله وسياتي تتمته
ان شاء الله تعالى ومعرفته صلى الله عليه وسلم بامور شرايعه التي شرعها الله

له

لهو لعباده على لسانه جمع شريعة وهي في الاصل طريق مسلوكة ومورده ما يباح نقلته
لوضع الهي موصل لسعادة الدارين والمناسبة بينهما ظاهرة وقوانين دينه جمع قانون
وهي لفظة معربة من الرومية معناه الاصل المقيس عليه ثم نقل لقضية كلية
يستخرج منها احكام جزئياتها بجعلها كبرى لصغرى سهلة الحصول تنتج المطلوب
كما تقرر في محله والدين والملة بمعنى وان تغايرا مفهوما والمراد بمصالح الدنيا
والدين منافع ذلك وحكمه وفوائده وهو غير ضبطه لامور الشريعة وقوانينها فاقيل ابن اقوس
من انه اذا حصل له العلم بجميع مصالح الدنيا والدين فقد خص بما لم يخص به من قبله
فيكون الثاني غير الاول فاموقع قوله ومعرفته الخ لان جملة الدين مبنية على جلب
المصالح ودرء المفاسد خبط لا فائدة فيه كما يعلم مما قررناه وسياسة عباده اي
القيام بضبط العامة من عباد الله فالضمير لله والسياسة لفظ عربي من ساسه ابن كمال
يسوسه اذا دبر امره ومن قال انه معرب من سه سا اي ثلاثة قوانين فقد اخطا
ولها معنى اخر عند الفقها وربما تجعل مقابلة للشرع ولا يصح ذلك هنا وفي
القاموس انها مصدر سست الرعية سياسة اذا امرتها ونهيتها ومصالح امته
المراد امة الاجابة وامة الدعوة والظاهر ان المراد غير ما تقدم كالسؤال عن امورهم
وقضاء ديونهم والاحسان الى فقرائهم وغير ذلك من لطفه بهم ومعرفة ما كان في
الامم قبله مما وقع لهم وجرى بينهم من الاختلاف اي مخالفة بعضهم لبعض وما
جرى لهم من النعم والنقم التي لا يعلمها الا القليل من اهل الكتاب وعلمائهم وهو
صلى الله عليه وسلم امي نشا في امة امية ولم يرحل للبلاد النائية ولم يعاشر
بقايا الامم الخالية مما بينته احسن بيان وقررته احسن تقرير وقصص الانبيا
والرسل من عطف العام على الخاص والفرق بينهما مشهور وقصص بكسر القاف
جمع قصة او بفتحها مصدر قصه يقصه قصصا اذا حكاه والجبابرة جمع جبار
وهو المتكبر قال الراغب الجبار في صفة الانسان الذي يجبر نفسه بادعا منزلة
من التعالي لا يستحقها ولا يقال الا على طريق الذم كقوله وخاب كل جبار عنيد
ويقال للقاهر لغيره جبار كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار انتهى وقد تقدم
ما فيه الكفاية والقرون الماضية قبله من الامم وقد تقدم معنى القرن ومقدار
زمانه واصله الزمان ثم اطلق على اهله فيل يجوز ان يراد الامم التي هلكت
ولم يبق منها احد لانه يطلق على ذلك وان يراد الزمن نفسه من لدن ادم الى
زمنه لدن ظرف زمان مبني ومعرب في لغة قيس وهو قريب من معنى عند وبينهما
فرق ذكره النحاة اي احاط علمه بذلك واخبر به امته وحفظ شرائعهم وكتبهم
ولم تغيرا ولم تكتب ووعى سيرهم الوعي الحفظ والجمع والسير جمع سيرة بالكسر
وهي حالة الانسان غريزة او مكتسبة يقال سيرة حسنة وسيرة قبيحة
قال تعالى سنعيدها سيرتها الاولى اي الى حالتها الاولى اي حفظه وجمعه
في ذهنه لاحوالهم وما كانوا عليه وسرد انبائهم اي سوق اخبارهم للناس
سوقا حسنا منتظما كسرد حلقات الدرع ونسجها وايام الله فيهم اي وقائعهم
التي قدرها الله لهم والايام تطلق على الوقائع والحروب كايام العرب وهو

معنى مشهور صار حقيقة عرفية وقيل المراد بحمه ولا وجه له وصفات اعيانهم اي
كبارهم ورؤسائهم وقيل المراد ذوو الهمم كما وقع في الاسرا من ذكر الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وصفات ذوي الهمم واختلاف ارائهم جمع راي اي عقايدهم ونحوها
والمعرفة بمدد هم جمع مدة وهي مقدار من الزمن اي كم كانت مدة كل امة ومدة
ملكهم وملوكهم وانبيائهم واعمارهم جمع عمر بضم العين وفتحها وهي مدة الحياة
وحكم جمع حكمة وهو القول الصواب المتضمن النصيحة اي موعظة حكمائهم جمع حكيم
وهو العالم بالحكمة الناصح لغيره المعلم للحكمة في عصره كحكما الفرس والعرب وغيرهم
ومحاجة كل امة من الكفرة اي ذكر حجته وبرهانه وما حاج به غيره وقيل المراد كحاجته
نفسه لغيره كمحاجته لنصارى نجران ومباهلته لهم والظاهر ما قدمناه ومعارضة
اي مخالفته ورده كل فرقة وطايفة من الكتابيين اي اهل الكتاب والمراد به التوراة
والانجيل لان الزبور والصحف لم تتضمن الاحكام ولم تشتهر وهو جمع كتابي بيا
النسبة بما في كتبهم متعلق بمعارضة وجمعهما لاشتمالهما على ما في غيرهما ولان
الجمع باعتبار المعنى كثير واعلامهم باسرارها اي دقايق معناها التي لم يطلعوا
عليها ومخبآت علومها واخبارهم بكسر الهمزة مصدر مضاف للفاعل ويجوز
فتحها اي ما خفي عليهم منها بما كتموه اي اخفوه كصفته صلى الله عليه وسلم
وقصة رجم الزاني المشهورة من ذلك الاعلام وما معه وغيروه بتحريف
لفظه وتاويله بغير معناه الى الاحتوا اي الاشتمال والحفظ والتضمن متعلق
بجمع السابق اول الفصل لتضمنه معنى ضم او الى بمعنى مع على لغات العرب
جميعها من غير قومه وغريب الفاظ فرقها جمع فرقة وهي الطايفة المتفرقة
والاحاطة بضروب فصاحتها تركيبا وافرادا فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب
كل قوم بلغتهم كما تقدم وامثالها جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده
وحكمها اي جوامع كلمها في النصايح فان العرب معروفة بذلك وحكما العرب وحكمهم
مشهورة ومعاني اشعارها فانه صلى الله عليه وسلم كان يعرفها وان لم ينشدها
موزونة ويتكلم بها والتخصيص اي تخصيص الله اياه بنطقه بجوامع كلام العرب
اي الالفاظ الحسنة البليغة الجامعة للمعاني الكثيرة في الفاظ قليلة وقد يراد
به القران وليس بمراد ومزيده جامعه الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة الامثال
المتقدمة امثال صادرة ممن قبله وهذه امثال صادرة ممن قبله ابتدعها صلى
الله عليه وسلم والامثال النبوية مشهورة مدونة والى كالتي تقدمت والجار
والمجرور هنا وما بعده متعلق بمقدر او بدل مما قبله او متعلق به لتعدد
تقييده والى فيهما بمعنى اللام لان العامل الواحد لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد
فاكثر الا على هذه الوجوه كما قرروه في قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة
رزقا وتقدم تفسير المثل وان ضربه من ضرب الخاتم اذا طبعه وصاغه وانها
صادرة كثيرا من الانبيا عليهم الصلاة والسلام لتقرير المعاني في النفوس
وايضاحها بجعل المعقول كالمحسوس كما حققه في الكشاف والحكم البينة
اي الظاهرة في نفسها المظهرة لامور بديعة ومعان لطيفة لتقريب التفهيم



عرفي

ببه

للغامض اي المعنى الخفي الدقيق وهو في الاصل المكان المنخفض فاستعير لما ذكر وتقرير
ايضاحه والجار الاول متعلق بضرب الامثال والثاني بالتفهيم وقوله والتنبيه
للمشكل اي اظهار ما التبس وان كان غير غامض واصل معنى الاشكال كونه غير متميز
عن اشكاله واشباهه وهو متعلق وراجع للحكم السنية الى تمهيد اي تبسطه
بتوطينه له وبيان مقدمات قواعد الشرع اي اساسه وقضاياه واصوله
الكلية المحمدي الذي جاء بوحي من الله الذي لا تناقض فيه اي لا تخالف بين قضاياه
واحكامه لاحكامها ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا تخاذل
تخاوذ المجتمعين ولا مر تفاعل من الخذلان وهو ترك نصرة من لا يستحق نصرته
وهو استعارة تمثيلية لان الشرع يعضد بعضه بعضا ويؤيده واحكامه
متناسبة متعاضدة كما ان القران يفسر بعضه بعضا ومن فسره بان قواعد

عوضي

الشرع مستقلة على انه لا يخذل اخاه اذا ظلم لا قتضا قواعد الشرع استوا الرفيع
والوضيع والمالك والمملوك والعالم والجاهل في جريان احكامه عليه من غير فرق
بين صغير وكبير لم يات بشي يعتد به مع استعماله شريعته وتضمنها واحتوائها على
محاسن الاخلاق اي على بيانها للناس على التحلي بها وقد ورد في الحديث بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق وقد تقدم معنى الخلق وان منه مكتسبا وطبيعيا
وان الخلق يقبل التغير ولذا ورد في الشرع النهي عن الاخلاق الردية والامر بضدها
ولولا ذلك لم يفد ومحامد الاداب جمع محمدة وهي ما يحمد فعله والاداب بالمد
جمع ادب بفتحتين وهو معاملة الخلق بلطف ومداراتهم كما قال صلى الله عليه
وسلم ادبني ربي فاحسن تاديبي وهو من اضافة الصفة للموصوف اي الاداب
المحمودة وفسر الادب في القاموس بالظرف وحسن التناول والفعل الجميل
وكل شي مستحسن عند ارباب الطباع السليمة وهو بحر ذو معطوف على
محاسن الاخلاق مفضل بزنة اسم المفعول بالضاد المعجمة والصاد المهملة
كما قاله اي مفضل على غيره او فضله للناس تفضلا لم ينكر منه ملحدا اي
عادل عن الحق زنديق ومعناه لغة الميل فخص بالميل عن الحق قال الراغب الالحاد
ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب فالاول ينافي الايمان
ويبطله والثاني يوهن عراه ولا يبطله انتهى ذو عقل سليم مستقيم مدرك
ادراكا سالما عما يضعفه ويمنعه من العدول الى الحق شيا مفعول ينكر الامن

فيف

جهة الخذلان تقدم ان الخذلان لغة عدم النصر والمراد به عدم التوفيق والتوفيق
خلق قدرة الطاعة في العبد عندنا وفسره المعتزلة بلطف الله بعبده
والخذلان المقابل له عدم لطفه به كما فصل في علم الكلام يعني لا ينكره الا
من خذله الله ولم يوفقه للعلم به ومشاهدة احواله ثم ترقى عما ذكره
فاضرب اضرابا انتقاليا او ابطاليا لا انكار باثبات ضده فقال بل كل جاحد
اي منكر له اي لما ذكر مما قدمه وكافر بما جاء به من الجاهلية اي اهلها به اذا
سمع ما يدعو صلى الله عليه وسلم الخلق اليه من الحق المبين صوبه اي اعتقد
انه صواب واعترف به لان انكاره مكابرة تاباها العقول السليمة والطباع

المستقيمة واستحسنه اي عرف حسنه واعترف به دون طلب اقامة برهان وحجة عليه اي على ما اتى به لظهور حقيته كنار على علم كعبد الله بن ابي بن سلول وغيره مما ذكر في كتب الحديث والسير ثم ما احل لهم من الطيبات اي اشتمال شريعته على ما جعلته حلالا للناس مما حرمه غيره كبني اسرائيل الذين حرموا كل ذي ظفر من البقر والغنم لحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا وحرم عليهم من الخبائث كالميتة والدم ولحم الخنزير والزنا وغير ذلك من المحرمات وعطف بثم لما بينهما من تفاوت الرتبة وقيل لان الاول تفصيل وهذا اجمال وبينهما تفاوت وبون ظاهر وفسر الشافعي الطيبات بما ليس بمستقذر والخبائث بضده والعبرة في ذلك بالطباع السليمة واشتمال شريعته على ما من الهلاك كتحريم قتل النفس بغير حق وقصاصه لقاتل واعراضهم بفتح الهمزة جمع عرض بكسر العين وسكون الراء وهو في العرف كل ما يحل تركه بالانسان وهو المراد واختلف في معناه الحقيقي لغة فقيل هو ما يمدح به المرء او يذم سواء وصف به دون اسلافه ام لا وفي الحديث كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وفي حديث اهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون وانما هو عرق من اعراضهم وفسر بكل موضع يعرق من الجسد وقال الاصمعي يقال هو طيب العرض اي الريح وفسر بعضهم العرض بالنفس فعلى هذا هو عطف تفسير واموالهم فمن امن به صلى الله عليه وسلم واتبع شرعه صان دمه وعرضه وماله من المعاقبات بيان لما صان كالحد والتعزير والحبس والحدود كحد الزنا والسرقة والقذف وشرب الخمر عاجلا اي في الدنيا وهو حال مفيد للمعاقبات والحدود والتحريق بالنار اجلا في الاخرة لانه مستقبل من الاجل وهو الوقت المحدود وفي بعض النسخ بدل التخويف التحريق تفعيل من الحرق بالنار اي نار جهنم واختلفوا فيمن حد وعوقب في الدنيا هل يسقط عنه عذاب الاخرة ام لا فقيل يسقط مطلقا وقيل بشرط التوبة ايضا والى هذا ذهب المعتزلة وقيل لا يسقط وانما شرع زجرا لغيره ليرتدع الناس عنه والاصح الاول لما ورد في الحديث من اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفى عنه وان شاء عاقبه وما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم قال لا ادري الحدود كفارة لاهلها ام لا فقيل الاول اصح وقيل انه صلى الله عليه وسلم قاله قبل العلم به فهو منسوخ وقوله مما لا يعلم بالبناء للمجهول اي لا يعلمه غيره من الناس وهو بيان لجميع ما تقدم من اول الفصل الى هنا ولا يقوم به جملة اي يحفظه ويتقنه كما هو حقه وبه فسر القيوم بل ولا بعضه فضلا عن كله الا من مارس الدرس اي لازم مدارسة الكتب واجتهد فيها والعكوف على الكتب السالفة قال الراغب العكوف الاقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم ومنه الاعتكاف انتهى وهذا تاييد لانه نسخة الصحيحة خصته الله بها فما قيل انه لا حاجة اليه وهم من قائله فقوله لا حاجة اليه لا حاجة اليه صح فاعرفه فانه في غاية الظهور ه ومناقشة لبعض هذا الظاهر انه بميم ونون وقاف ومثلثة وهو بمعنى الاستخراج كما في القاموس معطوف على الدرس والمعنى ظاهر وما في بعض

ابن اقبري

النسخ

النسخ من انه بالقاء مفاعله بنوع من النفث وهو نفل الريق من الساحر والراقي ويطلق
على لازمه وهو السحر والسحر قد شاع في الدقة وكانه المراد اي والدقيق في تعمق
هذه الامور وقوله مما يعلم الى هنا ساقط من اكثر النسخ ولم يتعرض له الشراح
الى الاختفا اي مع اشتمالها او مضموما الى الاشتمال على ضروب العلم اي انواعه
جمع ضرب بفتح الضاد وكسرها ويكون بمعنى المثل ايضا وفنون المعارف اي
اقسام المعرفة المتعلقة باحوال الدنيا واهلها كما ان ضروب العلم المراد بها
ما يتعلق بالشرايع والاخرة فهو من عطف المتغايرين لا من غيره على انه نقل الفرق
بين العلم والمعرفة مشهور كالطب اي معرفة ما يتعلق ببدن الانسان من حيث
الصحة والسقم وكان صلى الله عليه وسلم اعرف الناس به كما في الطب النبوي وهو
من العلوم القديمة المدونة وله معان في اللغة وهو مثلث الطا مشهور دالبا
والعبارة بكسر العين المهملة اي تعبير رؤيا المنام وفعله عبر بتخفيف البا والناس
يشددونها وقد انكره بعض اهل اللغة الا انه سمع في بيت انشده المبرد رحمه الله
في الكامل وهو

رأيت رؤيا ثم عبرتها ۝ وكنت للاحلام عبارا

كما في الكشاف ووقع في بعض النسخ العبارة مضبوطا بفتح العين ولم اقف عليه
والفرايض جمع فريضة وهو النصيب من الميراث والفرايض صار علما للعلم بذلك وهو
قسم من علم الفقه افرد بالتاليف فصار علما مستقلا ولذا نسب اليه فقيل فرايضي
والحساب هو علم يتعلق بالعدد ولابتنا الفرايض عليه في الاكثر قرنه به والنسب
اي معرفته بانساب العرب وغيرهم وهو من علم التاريخ وكان الصديق رضي الله عنه
اعلم الناس به بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من العلم وانواعه
مما اتخذ اهل هذه المعارف لو قال اهله كان اظهر واشمل واختصر كلامه صلى
الله عليه وسلم فيها اي في هذه العلوم والمعارف وقيد الضمير للشريعة اي في
شريعته وهو خلاف الظاهر قدوة واصولا اي ادلة مثبتة لها او قواعد
وضوابط يرجعون اليها في الحوادث الجزئية اذا وقعت لهم في علمهم اي علومهم
التي دونوها في هذه الفنون كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن
ماجه عن النبي الرؤيا اي ما يرى في المنام من الاحلام مصدر يختص بذلك
ويقال في غيره رؤية بالتا ورايا لاول عابر متعلق بمقدر اي مصادفة له
وموافقة لاول تعبير يعتبر به والعابر هو الذي يبين الرؤيا ويفسرها
واول الحديث اعتبروها باسمائها وكنوها بكناها والرؤيا لاول عابر اي فسروها
بما يناسب الفاظها كما قيل سالم فاول بالسلامة وهو نوع من التعبير والتكنية
ليس من الكنية المشهورة بل المراد به التمثيل كما في النهاية وهي عند اهل السنة
امر يلقيه الله في قلب عبده كالالهام وورد ان ملكا يلقيه وهو ملك الرؤيا
وعند الحكما ان الروح في النوم تفارق البدن وتتصل بالملا الاعلى فيلقى
اليها ما يتضمنه على ذهن النايم فمنه ما يقع بعينه ومنه ما يأول بغيره
ومنها اضغاث احلام ودعابة للشيطان لا تاويل له ومن هذا القبيل

دلجي

ما هو من غلبة الاخلاط كالصفرا اذا غلبت يرى النايم نارا والبلغم يرى ما والسودا
يرى شيئا اسود وليس كل رؤيا كذلك كما يوهمه كلام الاطبا وانكار هذا القسم
لا وجه له ايضا والكلام على الرؤيا وحقيقتها واقسامها مبسوط في محله
قيل المراد بالعابر هنا العالم باحوال الرؤيا لا كل عابر وظاهر كلام اهل هذا الفن خلافه
لانه عندهم كالفال والالهام فلا يختص بمن ذكر وقد قيل ان رجلا راى انه شرب
البحر فقصه على ابن سيرين فقال له هل ذكرته لاحد قال نعم قال ما قال لك قال
ينشق بطنك فلم يعبرها له وقال قضي الامر وقوله وهي على رجل طاير رواه ابو
داود والترمذي عن ابي ذر وصححه يؤيده بل بعينه واول الحديث رؤيا
المؤمن جزء من ستة واربعين جزا من النبوة وهي على رجل طاير ما لم تعبر فاذا
عبرت وقعت فلا يحدث بها الا حبيبا او لبيبا ورجل بكسر الرا وسكون الجيم ولام
وهو تمثيل لكونها كالفال على قدر جار من خير وشر قدر لصاحبها فكانها بصدد
وقرب من ان تقع بادنى حركة فهو بمعنى قوله لاول عابر وفيه من لطف البلاغة
وسرها ما لا يخفى فان الطاير يكون للفال ومنه التطير وليس المراد به ظاهره
كما توهم وقد وقع في بعض الكتب الرؤيا على جناح طاير اذا قص وقع ولا ادري
هل هي رواية بالمعنى تطرفا او رواية وفيه تورية في القص لانه يكون من قص
الجناح اذا قطع ريشه ومن قصص الرؤيا اي ذكرها للعابر فوقع يحتمل المعنيين
ايضا من الوقوع والسقوط ونظمه بعض المتاخرين فقال

رؤيا اذا قصصتها • وافق كيدر فال طالع
على جناح طاير • هو اذا قص وقع

وهذا الحديث روي من طرق اختلف العدد فيها فروي سبعين واربعة وعشرين
وستة واربعين جزا والاخير من رواية البخاري وجعلها جزا من النبوة لان
رؤياهم وحي صادق فقيل حقيقة العدد وقدره غير مقصود والمقصود
التكثير وقيل وجهه انه صلى الله عليه وسلم اوحي اليه احد وعشرين سنة
ستة منها مناما والباقي وحي يقظة على انواع بينوها وجات امراة للنبي صلى الله
عليه وسلم فقالت رايت ان جذع السقف من بيتي وقع وعندي ولد اعور
فقال يقدم زوجك وتلدين ولدا برا ثم راتها بعد ذلك فقصتها على ابي بكر رضي
الله عنه فقال يموت زوجك وتلدين فاجرا لانها في زمن الرؤيا كان زوجها
غايبا وهو عمود البيت فسقوطه بجيئه قال

فاسقط علينا كسقوط الندا • بالليل لا نار ولا امر

واول العمود بالبر لعفته بعيره عن المحرمات وفي وقت كلامها لابي بكر كان زوجها
مقيما او سقوطه موته والاعور يتشام به فالنام واحد اختلفا وبله بحسب
الحال وامثاله كثيرة وقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا ثلاث انواع رؤيا
حق بالاضافة والتوصيف والظاهر الثاني وهو المناسب لما بعده وعلى الاول
الاضافة بيانية اي رؤيا هي حق فالمعنى واحد ورؤيا يحدث بها المرء نفسه
المراد بها ما يخطر بالبال لا امور مفاضة من عالم المثال والملك يبشره

تلمساني

دلجي

ابن عبد الظاهر

بمن

بمن يجاوره غيره في خلوة لما يورده عليها من الاماني والاوهام وهو في معنى التجريد المذكور في علم البديع فهو بديع وليس المراد من نفسه ذاته وهما معنيان متغايران يعني انه رأى في منامه ما كان في فكره قبله وهو من اضغاث الاحلام ورؤيا من تحزين الشيطان بان يلقي له ما يكره ويخاف بوسوسته وورد في الحديث انه ينبغي للانسان ان يتحول من شقه الذي نام عليه ويستعيذ بالله من شره ويتفل عن يساره او يصلي ركعتين ان انتبه ولا يحدث به احدا قال السيوطي في مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما عن بضعة عشر من الصحابة الا انه قيل ان الذي في مسلم عن ابن سيرين عن ابي هريرة اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب واصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاث رؤيا صالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا يحدث بها المرء نفسه فان رأى احدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس قال واحب القيد واكره الغل والقيد ثبات في الدين فلا ادري اهو في الحديث ام قاله ابن سيرين انتهى ما في مسلم وقد اختلفوا فيما ذكر من كون الرؤيا ثلاثا الخ فقيل هو مدرج في الحديث من كلام ابن سيرين وقيل هو موقوف على ابي هريرة وقيل فيه انه مرفوع ويؤيده ان ابن حنبل رفعه مسندا والحافظ السيوطي اعتمده وكذا المصنف فلا يرد عليه ان ابن الملقن قال في شرح البخاري ان الصحيح انه ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم واختلف في قائله والصحيح انه ابن سيرين وقول ابن حجر في فتح الباري انها ليست منحصرة في الثلاث فان منها رابعا وهو تهويل الشيطان وخامسا وهو ما يهم به المرء في يقظته وسادسا وهو تلاعب الشيطان وسابعا وهو ما يعتاده الانسان وبينه وبين حديث النفس عموم وخصوص ليس بشيء لانه راجع لما ذكر او في معناه وقد بسطنا الكلام على الرؤيا في تعليقة مستقلة يضيق عنها نطاق المقام فانظرها ان شئت وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة مسندا اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب التقارب تفاعل من القرب ضد البعد واختلف في المراد به هنا فقيل المراد به زمان الربيع وقرب الليل والنهار من التساوي وهو زمان تدرك فيه الثمار وتتفتح الازهار ويرق النسيم فتعتدل الطباع البشرية فيه فيقوى قواها على تلقي ما يفاض عليها ولذا قال اهل التعبير اصدق زمان لوقوع الرؤيا زمان الربيع وقيل المراد به اخر الزمان اذا اقتربت الساعة كما في زمان المهدي وتقاربه وقصره اما حقيقة لما في الحديث في ايامه السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم واليوم كساعة وقيل انه لكثرة اشتغال الناس بالدنيا لسعتها عليهم او لغير ذلك وذهب بعض للترجيح لاحد الوجهين لورود ما يؤيده وقوله لم تكد الخ نفي للكذب بابلغ وجه برهاني لان ما لا يقرب من الوقوع ابلغ مما لا يقع فليس نفيها اثباتا ولا اثباتها نفيا كما توهم والملغز به واجيب عنه كما فصله النحاة وشهرته تغني عن ذكره وخص المؤمن لان نفسه اقوى وعقله انور من غيره وقيل انه لبعد العهد بالوحي عوضوا المبشرا

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الدارقطني وضعفه فلا وجه لما قيل
من انه لا صحة له اصل كل داء اي مرض وتغيير مزاج البردة بموحدة ورا ودال
مهملتين مفتوحات وهي والتخمة الاكثار من الطعام حتى لا يقدر المعدة على هضمه
سميت بها البرد المعدة حتى تضعف عن طبخه وتصفية اخلاطه والمراد بكونه اصلا
لذلك انه منشؤه ومبدؤه في الغالب

فان الداء اكثر ما تراه * يكون من الطعام او الشراب

وما روي عنه صلى الله عليه وسلم والراوي له الطبراني في الاوسط كما ياتي
بيانه والمص لم يثبته في حديث ابي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم المعدة
بوزن كلمة وبكسر الميم وسكون العين ودال مهملة مقر الطعام كالكرش للحيوان
والحوصلة للطاير حوض من البدن تشبيه بليغ والحوض مجمع الما فشبهها به
وشبه البدن بما يستقي منه وقيل شبهها بعروق الشجرة والبدن بعروقها ابن افتوس
وورقها وهو مكدر لما في الحوض من الصفا والتشبيه ثم رشح ذلك بقوله والعروق
اليها واردة جمع عرق وهو مجرى الدم والورود الاتيان للما مفرد او جمع وارد
نسبة ايصال خلاصة الغذا الى الاعضا بالاخذ من الحوض المورود والعروق
تنقسم الى شريانات واوردة كما ذكره اهل التشريح فان كان هذا احد نيا خبر كان
وقوله لا نصححه اي لا نحكم بصحته خبر ما الموصولة قيل وروي حديث بالرفع
بدلا من هذا والنصب اولى لضعفه وكونه موضوعا بالجر نزق من ضعفه ويجوز
رفعه على انه مبتدا خبره تكلم عليه الامام ابو الحسن الدارقطني نسبة لدار القطن
محلة ببغداد ولا يرد على المص انه كيف ذكر الموضوع وهو كذب عليه صلى الله
عليه وسلم وهو ممتنع لان ذلك في ذكره مع عدم بيانه وقد اختلف فيه فقيل
انه مرفوع قال الطبراني في الاوسط عن الزهري عن ابي هريرة مرفوعا المعدة
حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق
بالصحة واذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم ولم يروه عن الزهري
الا زيد بن ابي انيسة تفرد به الرهاوي وقوله تكلم الخ اي بحث في سنده وكونه
مرفوعا وقال في كتاب العلل اختلف فيه عن الزهري فرواه ابو قرة الراوي
عنه وقاد عن عايشة ولم يقل عن ابي هريرة وكلا الروايتين عن ابي هريرة
لم يصح ولا يعرف من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو من كلام عبد الملك
ابن سعيد بن ابجر وقيل انه من كلام الحرث بن كلدة وعن ابن منبه ما يقرب
منه وذكر ابن ابي الدنيا انه اجمعت الاطبا على ان راس الطب الحمية والحكما على
ان راس الحكمة الصمت وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت الازمة دوا والمعدة
دا وعودوا كل بدن ما اعتاده وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما خير ما تداويتم به السعوط بفتح السين
وضم العين ووا وطا مهملات وكذا كل ما يداوى به فانه على فعول بالفتح
وهو ما يجعل في الانف ويستنشق به لفتح السدد الدماغية ومنع النزلات
واللدود بفتح اللام وضم الدال المهملة ووا ودال مهملة وهو ما يجعل

في احد

في الحديث نقي الغم ويتبغ عنه به لدفع ورم به يعتري الشبان وهما في الاصل اسمان
لمرضين في الراس واعلا الحلق ويسمى الثاني نزلة الحلق وهو ورم فيه معروف
وكان الشان يعالجنه برفعه بالاصبع فنهاهم صلى الله عليه وسلم عنه وامرهم
بما ذكر وهو العود الهندي يحك في الماء ثم يفعل به ذلك فيحلله بحرارته وهو
ماخوذ من اللديد وهو جانب الوادي كما قاله الاصمعي وهذا من معجزاته صلى
الله عليه وسلم فانه مرض خفي لا يعرفه اكثر الاطبا قديما فضلا عن زماننا
وفي الهدي النبوي لابن القيم من هذا النوع ما فيه شفا للقصد ورة الحجامة
وهي مص الدم بالة معروفة في الراس وبين الكتفين وهي في موخر الدماغ
تورث النسيان وهي دوا للشقيقة في الراس مع انه مرض مزمن وورد فيها
احاديث منها انه صلى الله عليه وسلم ما مر ليلة الاسرا بملا من الملايكة الا
قالوا له مر امتك بالحجامة والمشي بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وتشديد
المثناة التحتية وهو المسهل يقال شربت مشيا ومشوا سمي به لان صاحبه يكثر
المشي للخلا وفي الحديث لو كان شي فيه شفا من الموت لكان في السنا ولبعض الشراح
هنا كلام محتمل تركه خير منه وخير الحجامة اي انفعها بعد نصف الشهر يوم سبع
عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين في الوتر دون الشفع وهذا الحديث رواه
الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه وابو داود عن ابي هريرة مرفوعا
وسينه مفتوحة وساكنة وغلب فيه المونث على المذكر او ذكر لحذف المميز
ونهي عن الحجامة في يوم الاربعا والسبت والاحد وروي عن ابن حنبل انه كره
الحجامة في هذه الايام وانما كانت الحجامة في النصف الاخير والرابع الثالث
من الشهر انفع لان الاخلاط تهيج في اوله وتسكن بعده لهبوط العمر فالاستفراغ
فيه اقل فلا يضعف ويقولون انه ينبغي ان يكون في الساعة الثانية او الثالثة
ولا يكون عقب حمام ولا جوع وشبع ولا في الصوم وفي العود الهندي سبعة
اشفية والمراد بالعود الهندي العود المعروف وقيل القسط الابيض
وهو مبين في باب المفردات من الطب والاشفية جمع شفا على خلاف القياس
والقسط بضم القاف ويقال كسط بالكاف والسبعة انه ينفع من ذات الجنب
وحصر البول وضعف شهوة الطعام والجماع والسم ويدر الطمث وينفع امراض
الكبد والريح والسبعة علمت بالوحي وما عداها بالتجربة وقوله صلى الله
عليه وسلم كما تقدم الكلام فيه ما ملا ابن ادم وعا شرا من بطن شبه البطن
بالوعا الذي فيه الطعام وفي بعض النسخ من بطنه والشرية في البطن مخففة
لانه يضر ويورث الكسل المانع من العبادة وفي المفضل عليه تقدير به
فان كان ولا بد اي ان لزم واصل معنى البد المفارقة يقال لا بد من كذا اولا
محالة اي لا مفارقة ولا تحول فارتد به لازمه فثلث من البطن للطعام وثلث
للشراب وثلث يكون خاليا للنفس اي لدخوله وخروجه وهذا ايما الى انه لا ينبغي
ملوه بتمامه وان يكون ما فيه اقل من ملء ثلثيه وهذا بعض حديث رواه
ابن ماجه والترمذي وابن خزيمة مرفوعا وحسنوه وهو ما ملا ابن ادم

ابن اقنوس

وعاشوا من بطون حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث الخ وجعله
من طبه لانه بين مبدأ الصحة والمرض ومقدار ما يكفي البدن وربما ينوههم بقمتهم
الله بصنعه وقد قال بعض اهل الكتاب ليس في كتابكم الطب فقال له بعضهم قوله
تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال الها جمعت طب جالينوس ثم ذكر ما يتعلق
بعلمه صلى الله عليه وسلم بالانساب ولم يراع في اللف والنشر ترتيبا فانه ليس
بلازم وقد يستحسن تركه اعتمادا على فهم السامع فقال وقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الترمذي عن فروة واحمد عن ابن عباس مسندا وقد سئل عن
سبا بهمزة في آخره يجوز ابدالها الفا وعليه همزة يصرف ولا يصرف فيجوز تنوينه
وعدمه وهذا مما اختلفوا فيه وفي مسماه اهو رجل ام امرأة ام هو اسم ارض
كان يسكنها وينزل بها فقال هو اسم رجل سمي باسمه ارض وهي مدينة بلقيس
باليمن فلا خلاف بين القولين فصرفه ظاهر ومنعه لانه اريد به قبيلته فان
اريد به الارض فباعتبار البقعة ولد عشرة من الاولاد الذكور ولذا قال عشرة
تيامن منهم ستة اي سكن اليمن فبنوا له منه اكثرهم وينسبوا اليه وهم مذحج
وحمير وكندة والازد والاشعريون كما ذكره علماء النسب واهل التاريخ ه
واليمن اقليم معروف منه تهامة ومنها المدينة وتشاءم اربعة اي سكنوا الشام
بالهمزة وقد تمد وتبدل الفا وهو من الزوات الى العرب وهم لخم وجذام وعاملة
وغسان كما قاله الواحدي في تفسيره وتحت هؤلاء قبائل وبطون وافخاذ ليس
هذا محل تفصيلها الحديث بطوله بالنسبة اي اذكر هذا الحديث وفيه اشارة
الى انه اقتصر على بعض منه يكفي فيما اراده وتركه الباقي لطوله والغنى
عنه واختلف في وجه تسمية الشام شاما فقيل لانها في جانب اليسار ويقال
له شامي كسري وقيل سميت باسم سام بن نوح وعوتب بالاعجام وقيل انه يعني
الشامة لشامات حمر وسود فيها وكذلك اي مثل ما تقدم من علمه صلى الله
عليه وسلم بالانساب جوابه صلى الله عليه وسلم لمن ساله وهو عمرو بن مرة
في نسب قضاعة في حديث رواه احمد وابو يعلى والطبراني عن عمرو بن مرة
الجهني انه صلى الله عليه وسلم قال من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال
اقعد فقلت ممن نحن قال انتم من قضاعة بن مالك بن حمير وقضاعة بضم
القاف وضاد معجمة وعين مهملة ابو حي من اليمن لقب به لانفصاله
عن الناس لان القضاعة ما ينفصل عن اصل الحايط وقيل من قضع بمعنى
قهر لقهره لشجاعته من عاداه وقيل القضاعة من اسما الفهد او كلب الما
وغير ذلك المذكور مما اضطرنا بالنبا للمعهود وهو لغة القرآن الفصحى
او الفاعل افتعال من الضرورة والاحتياج قال تعالى امن يجيب المضطر
اذا دعاه العرب على اي مع شغلها بضم الشين المعجمة ويجوز فتحها
والاولاد هنا اولى اي اشتغالها وتقيدها بالنسب اي بمعرفته وحفظه
لاعتنايهم بضبط انسابهم ومع ذلك اضطروا فالتجأوا الى رسوله صلى
الله عليه وسلم عما اختلفوا فيه لخفائه عليهم من ذلك اي معرفة ذلك

اي مشكل انسابهم ومعرفة ما اشكل عليهم مما جل امرهم ضبطه وهو صلى الله عليه
وسلم لا يعتني به ولا يشتغل بحفظه وذلك يدل على فوق معرفته بالانساب وفي
نسخة مصححة ومن ذلك بالواو وهو خبر مقدم وقوله فوله مبتدا وه اي قوله
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البزار حمير وهم قوم من العرب بورن ت
درهم بن سنان بن يشجب راس العرب اي منزلتهم من الشرف في العرب بمنزلة
الراس من الجسد ونابها وهو سن كبير خلف الرباعية اي هم معد تميم ومن اشدهم
وهم من ولد معد بن عدنان ومن ذرية اسمعيل ومذحج بفتح الميم وسكون
الذال المعجمة وكسر الحا المهملة وجيم وهما حيان من العرب مالك وطي سميا
باسم اكمة ولدتهما امهما عندها وميمه زايدة فوزنه مفعل وقال الجوهري
اصلية فوزنه فعلل ووهم فيه مما فصل في كتاب سيبويه وشروحه وليس
هذا محله هامتها اي راسها وغلصمتها بفتح العين المعجمة وسكون اللام
وفتح الصاد المهملة وميم وها وهي لحمة بين الراس والعنق او راس الحلقوم
وفيه اشارة الى اشتراكهما في الشرف وتخصيص كل بفضيلة مع التفنن في التعبير
فان الراس والهامة متقاربان والناب والغلصمة يحتاج لكل منهما في اساغة
الطعام الذي هو مادة الحياة وقيل انه تفضيل لمذحج لان الحاجة للغلصمة
اشد ولك ان تقول انه اشارة الى ان في حمير مع الشرف شدة وقهر وفي مذحج
لين ونفع وعلى كل حال فما وصفوا به دال على المدح والشرف على طريق التشبيه
البليغ او المجاز المرسل بتسمية الكل باسم الجزء وقول ابي بكر رضي الله عنه
في حديثه المشهور امن هامها ام من لهازمها اي اشرافها او اوساطها يدل
على تفضيل حمير والازد بهمزة مفتوحة وزاي معجمة ساكنة ودال مهملة
وهو الازد في الغوث وهو بالسين افصح كما في القاموس ابو حي باليمن
منه الانصار ويقال ازد شنوءة وعمان وسراة وازد بن الغنج محدث كاهلها
بوزن فاعل وهو ما يلي العنق من اعلى الظهر كما قاله الخليل وعليه الكل
والحمل وقيل ما بين كتفيه او موضع العنق في الصلب وجمجمتها بضم الجيمين
وميمين الاولى ساكنة والثانية مفتوحة وهي عظام الراس وتطلق على
الراس نفسها وجماجم العرب بطون منها والجمجمة ايضا اسم قدح ونعل
معروف وفيه اشارة الى ان غيرهم وان كان اشرف كالمهاجرين والخلفا
فهم لهم العضد بمعاونتهم وحملهم كد هم لان الانصار منهم وهمدان
بسكون الميم ودال مهملة قبيلة باليمن وبفتح الميم اسم بلدة غاربها هو
من البعير كالكاهل من الانسان والكتف وذروها بكسر الذال المعجمة
وضمها وسكون الرا المهملة اي اعلاها وسنامها ففيه من المعرفة
بانساب العرب ومنازلها في الشرف والاحاطة باحوالها ما لا يهتدي
له بسواه صلى الله عليه وسلم وقيل اراد بالذروة اعلا السنام وان
غايره المنعف والنكارة لا تصح على هذا الحديث لتكرره ذكر الراس بالفاظ
مختلفة ولذا جزم ابن حجر بانه منكر قلت انما انكاره من جهة الرواية

فسلم واما من جهة تكرار المذكور فمتضمن لبديع وقوع من الفصاحة فلا وجه
للاشتغال به وهو علته وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان
عن ابي بكرة في خطبة حجة الوداع ولفظ قوله في جميع ما وقع هنا بالجر رواية
عن المتن وان جاز رفع بعضها ان الزمان قد استدار اي عاد لما كان عليه
كالدايرة التي يرجع انتهاؤها الى ابتدائها كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض وتتمة الحديث السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر بين جمادى وشعبان انتهى
وفيده بذلك دفعا للنسيء وتغيير الشهور الذي كانت الجاهلية تفعله
فانهم كانوا اهل حروب وغارات فربما اتاهم بعض الاشهر الحرم وهم محاربون
فيشق عليهم الترك فيحلونه ويبدلونه من شهر الى اخر ويستمر نقله
من شهر لاخر سنة بعد سنة حتى يعود لموضعه الاول فينتقل بذلك
شهر الحج وكانوا يحجون في كل شهر عامين فوافق حجة ابي بكر العام الثاني من
حجة ذي القعدة فلما حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وافق حجه
شهر ذي الحجة المشروع فوقف كما هو الان فخطب واعلمهم ان حجه في هذا
الشهر ليس اتفاقيا بموافقته لدور الشهور في الجاهلية وانما هو امر
شرعه الله وقدره في الازل وامره به نسخا لما كانوا يفعلونه وامرهم صلى
الله عليه وسلم بالمحافظة عليه وان لا يبدل ويدور دور الجاهلية الاولى
فقوله استدار بمعنى رجع لما في علم الله وقضائه به قديما وهو معنى قوله
يوم خلق الله الخ فنفي النسيء ونسخ وكانوا اذا ارادوا ذلك يقوم رجل من
بني كنانة لانهم اهل غارات على جمل بالموسم وينادي باعلا صوته ان الهتكم
قد احلت لكم المحرم فاحلوها واستدارته بموافقة حجه للمشروع ولذا لم
يحج صلى الله عليه وسلم قبله وارسل ابا بكر رضي الله عنه بالعهد ليطهر
الحرم قبل حجه ونقل ابن حجر ان حجة الوداع كانت والشمس في الحمل وقد
تساوى الليل والنهار واعتدل بشروق شمس النبوة وقال القصير القونوي
في شرح الاربعين حديثا له ان في هذا الحديث اسرارا الهية لا يطلع
عليها الا بعض الكمل ثم قال ان النوع الانساني اوجد بالامر الالهي
في اول دور السنبلة ومدته سبعة الاف سنة بعث نبينا صلى الله
عليه وسلم في الالف الاخير منها الجامع بين احكام السنبلة والميزان المختص
بالاخرة والبروج تتمازج بالزمان فامتزج في زمان بعثته الدنيا بالاخرة
البرزخية كالصبح بالنسبة للنهار فظهور النور تدريجا حتى تطلع الشمس
وكذلك ظهور احكام الاخرة من حين المبعث الى طلوع الشمس من مغربها
ومنه ظهر سر ختمية النبوة والولاية انتهى ملخصا ومن لم يفهم الحديث
ذكر ما لا مساس له به ولا ينبغي ذكره وذكر هذا الحديث هنا انبانا لعلمه
عليه الصلاة والسلام بالحساب فان الزمان وحركاته الدورية
مبنية عليه وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان

المحرم فاحلوه

ابن الفرس

عن

عن ابن عمر رضي الله عنهما في الحوض اي في شان حوضه الذي يكون يوم القيامة يشرب منه
العطاش وقد تقدم الكلام فيه رزقنا الله وروده وسقانا منه شربة لا نظمأ
بعدها ان وزواياه سوا جمع زاوية وهو ما يحصل من تلاقي خطين من داخله وسوا
بمعنى متساوية وهذا يقتضي انه مربع متساوي الاضلاع مستقيمها فانه
لا تتساوي زواياه الا استقامت اضلاعه وهذا امر مبني على المسامحة
ودقايق الهندسة وذكر ابن ابي الاصبع انه نوع من البديع غريب سماه الاستقصا
وان منه قوله تعالى الى ظل ذي ثلاث شعب فقال انه ايما الى انه ليس بظل
لان المثلث لا ظل له وهذا كله كلام يحتاج للتحرير لكن لكل مقام مقال وهذا لا ينافي
ما ورد فيه من ان مسافته ما بين ايلة وصنعا ومسافة شهر وغير ذلك كما مر
لا لانه اعلم باحواله شيئا بعد شي كما قيل بل لان المراد من كل زيادة سعته
فهو كما في المثل لا جابني هرسي البيه طريف وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه ابو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
في حديث الذكر وهو انه صلى الله عليه وسلم قال خصلتان لا يحصيهما رجل
مسلم الا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله عز وجل دبر
كل صلاة عشرا ويحمده عشرا ويكبره عشرا قال فرايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعقدها بيده فذلك خمسون ومية باللسان والف وخمسماية في
الميزان فاذا اوى الى فراشه سبح وحمد وكبر ماية فتلك ماية باللسان والف
في الميزان فايكم يعمل في اليوم الفين وخمسماية سيئة الى اخر الحديث وان الحسنة
بعشر امثالها فتلك مائة وخمسون على اللسان اي اذا جرت على اللسان وذكر
في دبر كل صلاة من الصلوات الخمس فانها تلاوتها مضروبة في خمسماية والف
وخمسماية في الميزان التي توزن بها الاعمال والوزن اما لصحفها او لها انفسها
بجعل الاعراض اجساما وعند المعتزلة انه تمثيل لمضاعفة اجرها فان
الحسنة بعشر امثالها كما ورد به النص وهو اقل مراتبها وقد يزيد على ذلك
وهذا الشدلال من المصطفى مع فتنه صلى الله عليه وسلم بالحساب وهو بالنسبة
لمقامه وحدة ذهنه امر سهل وقوله يعقدها اشارة الى انه لم يكن له
صلى الله عليه وسلم مسبحة يسبح بها ولذا قال بعضهم الخالد عنه وقد
قال السيوطي في رسالة سماها المنحة في السبحة الحاسنة وان لم يباشرها
بنفسه لانه صلى الله عليه وسلم راى عند بعض الصحابيات نوى تعد به
الذكر فاقرها عليه وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الطبراني
عن ابي رافع بسند قالوا ان فيه ضعفا وهو في موضع جملة حالية وفي نسخة
ومر بموضع نعم موضع الحمام هذا بفتح الحا المهملة وتشديد الميم بيت يعد
للغسل يذكر ويونث ولم يكن في عصره صلى الله عليه وسلم بالمدينة حمام
ولم يدخله وهذا التمثيل لما لم يذكره فان فيه الاخبار بحال البنا ومهاب
الهوا ونعم للمدح والمخصوص به هذا او قيل موضع الحمام كقوله نعم دار المتقين
وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن ابي هريرة

وصححه ما بين المشرق والمغرب قبلة القبلة تطلق على المسجد كما في قوله واجعلوا
بيوتكم قبلة في احد التفاسير وعلى الكعبة وعلى جهتها وسمتها وهو المراد هنا
لانه المراد عند الاطلاق وهو انما بيان لقبلة اهل المدينة لانهم المخاطبون او
على من هي في جنوبه او شماله والتبست عليه وقال ابن عمر اذا جعلت المغرب
عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة واما كون الواجب استقبال
عين الكعبة او جهتها فبحث طويل مفصل في التفسير وكتب الفقه لا يسعه
هذا المقام والشاهد في الحديث انه يدل على علمه صلى الله عليه وسلم بعلم
الميقات فان معرفة سمت القبلة باب منه تضمنه هذا الحديث وقوله صلى الله
عليه وسلم في حديث ذكره ابن الاثير في النهاية ولم يخرجه السيوطي لانه لم
يقف عليه لعيينة بن حصن الفزاري ويكنى ابا مالك واسلم يوم الفتح وكان من
المؤلفة وكان من جفاة الاعراب وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم
انه الاحمق المطاع لانه كان سيد قومه وعيينة علم منقول من تصغير العين
او الاقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي واسمه
فراس ولقب بالاقرع لقرع في راسه وهو من المؤلفة ايضا وكان شجاعا
فارسا شريفا في قومه في الجاهلية والاسلام اسلم وقدم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم في وفد بني تميم وهو الذي نزل فيه ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات وقصته مذكورة في السير والشك في المقول له من الراوي
وقال ابن الاثير انه صلى الله عليه وسلم عرض عليه الخيل وعنده عيينة
فقال انا اعلم بالخيل منك فقال صلى الله عليه وسلم انا افرس بالخيل منك
اي ابصر واعرف ومصدره الفراسة بفتح الفاء والفراسة بالكسر من
التفرس وهو معنى اخر وهو رد عليه باسلوب حكيم ولم يقل له لست
كذلك لما يعلمه من انه اعرابي جافي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الترمذي عن زيد بن ثابت لكاتبه وكان له كتبة عدة كما مر والمقول
له منهم قيل انه معاوية رضي الله عنه وقد عد البرهان في حاشيته هنا
كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ عددهم ثلاثة واربعين وعدهم
شيخه الحافظ العراقي وقال ان شيخه الجمال الانصاري افردهم بتاليف
قلت وقد وقفت انا ايضا على تاليف لابن ابي الحديد فيهم وكانه لم يقف
عليه ولم نفصلهم هنا لان له مقاما اخر وكان المداوم على الكتابة له
صلى الله عليه وسلم زيد ومعاوية ضع القلم على اذنك لم يعينها
والمراد اليمنى فانه اي وضعها كذلك اذكر اي اكثر ذكرا بكسر الذال
وضمها وهو ضد النسيان للمملي اسم فاعل اصله المملل وجوز فيه
ان يكون اسم مفعول ايضا اي ما يذكر ويملي وامل واملى بمعنى وهو
وهو القاء ما يكتب على الكاتب وبهما ورد القران قال تعالى فليملل
الذي عليه الحق وقال تعالى فهي تملى عليه والاصل امللت
فقلبت تخفيفا كما قاله الراغب واما قوله تعالى واملي لهم ان

كيدي

كبدي متين فمعناه امهلهم هذا اي خذ هذا او اذكره وقيل ها اسم فعل بمعنى
خذ من غير تقدير والرسم يخالفه وهي كلمة مستعملة في الانتقال والتخلص من كلام لاخر
او ما يتمه وهي كذلك في القران وكلام العرب اي معرفته صلى الله عليه وسلم بالكتابة
واحوالها مع انه صلى الله عليه وسلم امي من امة امية لا يكتب ولا يحسب فهو من
معجزاته لانه كان لا يكتب كما تقدم بيانه وانه قيل انه كان ذلك في اول امره وانه
كتب بعد ذلك في الحديبية كما ذكره بعضهم وقد ردوه وشنعوا عليه كما فصله
ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي وقد تقدم بيانه في غير ما موضع ولكنه
صلى الله عليه وسلم اوتي بالبنا للمفعول للعلم بان المؤتي له هو الله علم كل شي
حتى قد وردت اثار جمع اثر وهو ما يؤثر ويروى مطلقا وقد يخص بما يقابل
الحديث المرفوع من كلام بعض الصحابة او التابعين بمعرفته حروف الخط اي
كيفية رسمها وحسن تصويرها اي صورتها المستحسنة عند اهلها ومن مارسها
كقوله صلى الله عليه وسلم لكاتبه لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم اي لا تجعل
السين مدة طويلة من غير بيان لسنانها فانه يلبس صورتها وفي نسخة لا تمدوا
رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس رضي الله عنهما وابن شعبان هو محمد بن
القاسم بن شعبان بن اسحاق المصري المالكي توفي سنة خمس وخمسين ومائة
وضعفه ابن حزم وله ترجمة في الميزان وقال السيوطي حديث ابن عباس لا تمد
بسم الله الرحمن الرحيم لم اجده وللديلمي من حديث انس اذا كتب احدكم
بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن وله من حديث زيد بن ثابت اذا كتبت فبين
السين في بسم الله الرحمن الرحيم وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر
الذي يروى بالبنا للمجهول ونايب فاعله قوله عن معاوية بن ابي سفيان
احد كتبته صلى الله عليه وسلم كما تقدم وفي نسخة الذي يروي معاوية
اي يرويه عنه صلى الله عليه وسلم ويروي مبني للفاعل على هذا انه
كان يكتب بين يديه اي عنده وفي مجلسه فقال له الق الدواة الق اي
بفتح الهمزة وكسر اللام والقاف لالتقاء الساكنين يقال لاق الدواة يليقها
ليقة وليقا والاقها ولاق يتعدى ولا يتعدى اي اصلح مدادها من قولهم
لاق به اذا التصق ومنه يليق بك كذا او لا يليق اي يناسب واشتهر استعمال
ذلك فيما يجعل في الدواة في حبرا ولبد او نحوه لانه يصلحها لمنعه كثرة
اخذ المداد في القلم الذي قد يفسد الخط وحرف القلم اي اجعل قطه محرفا
فانه اعون على تصوير الشان ويكون تحريفه من جهة اليمين واقم الباء اي اجعلها
مستقيمة او طولها قليلا لانها عوض عن الف اسم وفرق السين اي اجعل
سنها متفصلا بعضها من بعض ولا تعور الميم اي لا تجعل دايرتها مطموسة
كالعين العورا وهو بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وكسر
الواو المشددة وراء مهملة وحسن الله اي كتابته وصورة لفظه تعظيما
لمسماه ومد الرحمن لم يبينوا معنى المد فيه فهو يحتمل مدما بين الميم
والنون هكذا الرحمن عوضا عن الالف الساقطة خطا او المراد اسم الغا

بعده ويبعد مخالفة رسم المصحف العثماني وجود الرحيم اي حسن كتابته والتجويد
مطلق التحسين ويختص في العرف بتحسين الخط وفي عرف القراء بتحسين التلفظ
بالحروف ورعاية مخارجها وصفاتها وهذا الحديث رواه الديلمي في مسند الفردوس
وهذا اي معرفته صلى الله عليه وسلم بالخط وهو مبتدا خبره قوله الاتي فلا
يبعد والفاء زائدة او خبر مقدر اي محقق ونحوه والفاء في جواب الشرط وان لم
تصح الرواية انه عليه الصلاة والسلام كتب بيده الشريفة اشارة الى ما قاله
الباجي من انه روي انه صلى الله عليه وسلم كتب بيده في الحديبية كما تقدم
وانه لا يضر في كونه اميا لانه كان في بدء امره لامر انقضى بانقضاء سببه فهو
معجزة اخرى له صلى الله عليه وسلم فلا يبعد عقلا ان يرزق علم هذا اي علم
الخط من غير تعليم ويمنع الكتابة والقراءة من المصحف قيل ولا يبعد ان
يقع منه الكتابة والقراءة في وقت معجزة اخرى له بشهادة ما في البخاري
انه صلى الله عليه وسلم اخذ الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول
الله في عمرة القضاء وانه قال لعلي كرم الله وجهه امح رسول الله لما اباها
بعض المشركين فقال والله لا امحوها ابدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب
فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله اقول قد علمت ان هذه مقالة
صدرت عن الباجي انكرها عليه اهل عصره ونسبوه للزندقة وعقد
مجلس له فحاجه علماء عصره وقالوا انه مخالف لنص الحديث والقران وكونه
عد من معجزاته فاجاب بانه مصرح به في حديث البخاري والنحو بخلاف الاصل
وفي القران ما يشير اليه لان قوله ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك يقتضي كتابته من بعده وهو معجزة لا تنافي كون اميته معجزة
في اول امره وقد ذكره ابن حجر وغيره من شراح البخاري واما علمه صلى
الله عليه وسلم بلغات العرب جميعها قبائل وبطونا وكل احد لا يعرف
ولا ينطق الا بلغته حتى لو حاول التكلم بغيرها لم ينطق وحفظ معاني اشعارها
وان كان لا يقول الشعر ولا ينشد وان انشده نادرا غيره وزنه في اكثر
احواله الا انه كان ترد عليه شعراء العرب المفلقون بمدائح يمدحونه بها
وتنشد بين يديه فيصغي لها ويعلم منها ما لم يعلمه غيره من فصحائهم
الا ترى كعبا لما انشده قصيدته وقال فيها

فنوا في حرتيها للبصير بها • عتق مبين وفي الخدين تسهيل

قال الصحابة رضي الله عنهم الحرتان العينان فقال لهم صلى الله
عليه وسلم لا بل الاذنان وهو كذلك عند العرب الا ترى قول علقمة

له جرتان يعرف العتق فيهما • كسامعتي مذعورة وسط ربرب

وقد نقل بعضهم نظائر لهذه القصة والشمرة تدل على الشجرة
وفي ذكر الشعر بعد الكتابة مناسبة تامة اذ كل منهما مما عرفه صلى الله
عليه وسلم انه معرفة ولم يباشره وهو من مقاصده الحسنة وفيه
دليل على ان ذكر الشعر والبحث عنه امر مشروع كغيره من العلوم

دجي

وقد

٢٠٧

[illegible]

فهم بو

وقد قالوا ان معرفته من فروض الكفاية حتى شغل الولدين كما ذكره السيوطي في شرح
منظومة المعاني والبيان واختلفوا بعد الاتفاق على امتناع الخط حتى قال الشافعية
يحرم منها اهل كان بحسنهما ولا فضيل بكل من القولين كما في الروضة والحفظ يتعلق
بالمعاني والالفاظ فلا وجه للاعتراض عليه بانه لو قال معاني اشعارها كان اظهر
فامر مشهور قد نبهنا على تحقيقه في اول الكتاب في فصل فصاحته كما تقدم وكذلك
اي مثل معرفته للغات العرب حفظه لكثير من لغات الامم غير العرب وهذا ارق
في معرفته لذلك ودليل على انه معجزة وموهبة ربانية كقوله في الحديث الذي
رواه البخاري عن ام خالد سنه سنه قاله صلى الله عليه وسلم لام خالد وهي
بنت خالد بن سعيد بن العاص وامها اميمة بنت خلف تزوجها الزبير وهي
صحابية ولدت بالحبشة وتربت بها وهي صغيرة ولذا انطلق النبي صلى الله عليه
وسلم بها وخاطبها بما تعرفه من لغتهم وان كانت عربية من صميم العرب وقاله
لها لانه اتى بثياب فيها خميصة صغيرة سوداء فيها اعلام صفر وخضر فدعاها
والبسها لها وقال لها ذلك كما فصله البخاري وفيها لغات سنه سنه كما ذكر
وسنا سنا بالقصر وسناه سناه مع تخفيف النون وتشديدها وانكر بعضهم
تخفيفها وروي بكسر سين سنا فقول الكرماني انها عربية واصلها حسنه
فخففت بحذف الحا كقوله كفا بالسيف شا اي شاهدا تأباه هذه الروايات
وان الحذف من الاسما في غير ترخيم النداء مع شذوذه لم يعهد من الاول وهي اي
سنه بمعنى حسنه انتها باعتبار الجنسية ولمناسبة سنه لفظا بالحبشية
اي فلغة الحبشة وهم جيل معروف وقوله صلى الله عليه وسلم في
حديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق في حديث الفتن المتقدم ويكثر الهرج
بفتح الها وسكون الرا المهملة وجيم وهو القتل بها اي بلغة الحبشة
فعربه صلى الله عليه وسلم وقال ابن قرقول في المطالع فسر في الحديث بالقتل
بلغة الحبشة وهو وهم من بعض الرواة والا فهي عربية صحيحة واصل معناه
اختلاط الناس بعضهم ببعض ومنه لن يزال الهرج الى يوم القيامة والعبادة
في الهرج كهجرة الي انتهى وهو رد لما قاله المصنف ولمن توهم انه تفسيره مروي في
الحديث ومنه يعلم انه ورد بمعنى الفتنة وما قيل من انه المهرجان اسم يوم
لانه يوم قتل يحيى بن زكريا لا وجه له لانه يقتضي انه فارسي ولم يقله احد
وقيل انه من توافق اللغتين وهو اقرب الى الصواب ان صحت الرواية فيه
ومنه المثل هم في هرج ومرج والمرج بمعناه وتسكينه للازدواج وقد
تظرف القايل

الي زمن الربيع فهاج قوم ۞ الى الصهباء في هرج ومرج

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة الذي رواه ابن ماجه عنه
اشكنب درد وفي بعض الروايات اشكنب درد م بزيادة ميم ساكنة واشكنب

بهمزة مفتوحة وشين معجمة ساكنة وكاف عربية مفتوحة ونون ساكنة وبا موحدة
ساكنة وفتح الميم وفي الفارسية بهمزة مكسورة وقد تفتح وتزاد فيهما
هافيقال اشكنبه بكسر الشين فعربت وغير لفظها ومعناها فان معناها الكرش عند
العجم ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما را مهملة ساكنة والميم عندهم
ضمير المتكلم وسياتي ما فيه وقد علمت ان الصحيح اهمال الدالين واسقاط الميم كما
رواه ابن ماجه وضبطت به الرواية عنه فانه قزويني اعلم بلغته ولغة في
الرواية فما قيل ان دال درد الاولى معجمة وهم من راويه كرواية الميم لانه عُني
لا يناسب قوله اي وجع البطن فانه لو صح ذلك قال اي وجع بطنك وفسره غيره
بوجع بطنك وهو انسب بترك الميم الا ان يقال ترك معناه التقريب والذي
رواه ابن ماجه شكم بشين مكسورة وكاف مفتوحة وهو اصح لان شكم بالفارسية
معناه البطن وفي سننه قال ابو هريرة هجر النبي صلى الله عليه وسلم فهجرت وصليت
ثم جلست فالتفت الي وقال شكم درد فقلت نعم يا رسول الله فقال قم فصل فان
في الصلاة شفا كذا صححه الشارح الجديد نقلا عن شيخنا ابن عبد الحق السنباطي
وغيره وهو الحق المعتمد فاعرفه فان شيخنا هذا خاتمة الحفاظ بمصر واليه انتهى
علم القراات وله تاليف مشهورة رحمه الله وروي اشكنب بكسر الهمزة وان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قاله لابي الدرداء والمشهور الاول كما قاله التلمساني
ولم يذكروا وجه تكلمه صلى الله عليه وسلم معه بالفارسية وهو ليس بعجمي
فلعله اراد ستره ولذا ورد انه قال ثم فسره لي وذكر البرهان بعضا مما تقدم
وقال انه في بعض النسخ اشقنب بالقاف وهو غريب ولم يسنده لرواية فاعتمد
على ما قدمناه وقوله بالفارسية اي باللغة الفارسية نسبة لفارس بن كومرث
وكومرث بن سام او يافث وقيل انه ولد لصلبه وقيل انه آدم عندهم وتنقاد
لهم الفرس ومما تكلم به صلى الله عليه وسلم بالفارسية لفظ سور في حديث
جابر وهو الدعوة للطعام وبالفارسية العرب الى غير ذلك اي مجموعا ما ذكر من
معرفته باللغات او من معارفه التي لا تحصر مما لا يعلم بعض هذا وفي نسخة
بعضه فضلا عن كله ولا يقوم به اي يوفي حقه كله ولا ببعضه فضلا عنه كله
الا من مارس الدرس اي عالجه واجتهد في حفظه ودراسته وتلقيه من اهله وفي
نسخة الدروس والعكوف على الكتب اي ملازمة مطالعتها ومذاكرتها والنظر
فيها من الاعتكاف وهو ملازمة المكان فاستعاره لما ذكر وفيما تقدم دليل على
جواز التكلم بغير العربية ولو بلا ضرورة خلافا لمن ذهب لكراهته وروي فيه
احاديث واهية كمن تكلم بالفارسية نقصت مروته وانه يورث النفاق وانه
لسان اهل النار ويدل لعدم الكراهة احاديث كحديث الفارسية الدرية لسان
اهل الجنة في الجنة ومشافهته اهلها مفاعلة من ثفن بمثلثة وفا ونون اي جالسهم
ولازمهم وهو ابلغ منه لانه من ثفن البعير اذا برك والثفنات ما غلظ لطول
مسه للارض كالركب وصدر الدابة من ذوات الاربع يعني جلس بين يديهم للتعلم
كالبعير البارك على الارض وهذه هيئة المتعلم في ادبه وقال التلمساني هي الثفنة

من

من تاونه اعتنته وروي مثاقبة بمثلثة وقاف وموحدة كما تقدم انتهى وفي بعض
النسخ منافنة بنون وفاو مثلثة اي مباحثة ونظر في الدقايق التي كتفات السمي وفيه
نظر وفي بعض الشروح ما لا معنى له هنا عمره منصوب على الظرفية متعلق بجميع ماقبله
اي فعل ذلك مدة عمره كلها ولم يترك طرفة عين وهو صلى الله عليه وسلم رجل كما
قال الله تعالى امي منسوب الى الام كانه كما خرج من بطن امه لم يتعلم وهو مبرو
من كل عيب او الى امة العرب لانهم معروفون بذلك كما مر وقال الشاعر
عمي خالي وابي امي فقوله لم يكتب ولم يقرا صفة كاشفة مفسرة وانما ذكر فوله كما
قال الله تعالى تادبا يعني لم اصفه صلى الله عليه وسلم بهذا الا اتباعا لما
وصفه الله به بقوله ان اوحينا الى رجل منهم وهو قيد لما بعده وما قبله فلا يقال
انه ترك ادب فان مثله لا يقال له يا رجل كما لا ينادي باسمه فيته در المص ما ابعد مرماه
ولا عرف بصحبة من هذه اي الكتابة والقراة صفته حتى يقال انه تعلم منه فقده
الصفة في حقه معجزة وفي حق غيره نقص كما قال كفاك بالعلم في الامي معجزة
ولا انشا اي لم يكن من اول نشانه وبدء امره الى بعثته بين قوم لهم علم اي معرفة
بشي من العلوم لانهم من الجاهلية ولا قراه لشي من هذه الامور اي الكتب وغير
لانهم لم يكونوا اهل كتاب ولا عرف هو صلى الله عليه وسلم قبل مبني على الضم
اي قبل بعثته وظهور معرفته بما ذكر بشي منها اي مما ذكر من المعارف اللدنية
ثم استدل على ذلك بقوله قال الله تعالى وفي نسخة عز وجل وما كنت تتلو من
قبله اي القران وما علمك الله من كتاب ولا تخطه بيمينك اي بيدك اليمنى التي
يكتب بها وهو تاكيد وتصوير وبين الله علة ذلك بقوله اذا لارتاب المبطلون
اي شكوا وقالوا نقله ممن قراه وكتبه ثم بين حال قومه في عدم ما ذكر بقوله
انما كانت غاية معارف العرب اي ما انتهى اليه علمهم النسب اي معرفة انساب قبايلهم
الى اجدادهم واخبار اوايلها اي ما وقع لابايهم واسلافهم من الحروب والو
والشعر اي حفظ شعر من قبلهم من القصايد والقطعات والابيات والبيان
ليس المراد به علم البيان المعروف لانه امر حادث كانوا في غنى عنه بالسليقة ولا
ولا ثمرة علم البلاغة كله كما توهم ايضا وانما المراد به المنطق الفصيح المعرب
في الضماير ويعنى به الخطب والرسايل ونحوها من الكلام المشهور الذي كانوا
يذكرونه في محافلهم لمقابلته للشعر وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم
ان من البيان لسحرا وانما حصل ذلك لهم اي معرفة النسب وما بعده بعد
التفرغ لعلم ذلك اي مع ذلك لم يكن علمهم بما ذكر الا بمزاولة واكتساب وفي
زمان لكسبه حتى عرف به بعضهم دون بعض فكان يقال فلان نسابة وفلان
راوية ونحوه والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه بالسوال عنه والحفظ له
ولم يعهد منه اعتنا بذلك في اول امره وهذا الفن اي النوع الذي كانت
العرب تعرفه وتعتني به نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم اي اقل قليل
بالنسبة لما ظهر من علمه لهم ونقطة استعارة وبحر علمه استعارة او تشبيه لما
ولا سبيلا الى جحد الملحد اي لا يمكن الكفر المايل عن الطريق المستقيم انكار

ها

قابع

عني

وهو اشارة لتفسير قوله اذا لارتاب المبطلون لشيء مما ذكرناه من معارفه متعلق
بجحد واللام زائدة للتقوية ولا وجد الكفرة حيلة بيد ونفيا تلبيسا اي دفع ما قصصناه
بما قدم تفصيله الا قولهم اساطير الاولين استثناء متصل لانه مما اختالوا به على
بعض ضعفا العقول او منقطع لانه لا حيلة فيه وهو جمع اسطورة كاحدوثة
او جمع اسطار جمع سطر او اسطير او اسطور اي هي احاديث مما سطره من قبله والاحاديث
وقالوا انما يعلمه بشر اي هو مما تلقاه من غيره وتعلمه فرد الله قولهم المذكور
وابطله بقوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين اي لسان
من ادعوا انه تعلم منه لسان عجمي فكيف يمكن تعليمه او التعلم منه ومعنى يلحدون
يميلون عن الحق بمقالتهم هذه ثم قالوا من انه يعلمه رجل اعجمي وفي نسخة قالوه
بها الضمير مكابرة العيان بكسر العين ولا تفتح فيه كما مر والمكابرة الانكار من غير
دليل واصل معناه هجوم السارق نهارا اي معاندة في المحسوس لا تفيد فان الذي
نسبوا تعليمه له صلى الله عليه وسلم بزعمهم الباطل اليه متعلق بنسبوا اي اسندوه
له اما سلمان الفارسي الصحابي المشهور رضي الله عنه لانه كان عنده صلى الله عليه
وسلم او العبد الرومي وهو يعيش غلام حويطب بن عبد العزى الرومي وكان ممن
قرا الكتب ثم اسلم وسياتي تفصيل قصته وسلمان انما اسلم وعرفه بالمدينة بعد الهجرة
وعلومه صلى الله عليه وسلم ومعارفه هذه كانت ظاهرة قبل ذلك فكيف انه كان يعلمه
وبعد نزول كثير من القران حتى هذه الاية وبعد ظهور وفي نسخة نزول ما لا يعد
لكثرته من الايات القرانية او العلامة الدالة على نبوته من المعارف المذكورة على ابطال
زعمهم واما العبد الرومي فكان اسلم قبل الهجرة ولكنه كان يقرو على النبي صلى
الله عليه وسلم ويتعلم منه فكيف يقال انه يعلمه واختلف بالبنا للمجهول اي
اختلف المحدثون في اسمه كما سياتي في كلامه فقيل انه بلعام او يعيش وجبر او
يسار اما بلعام فبموحدة مكسورة وقوله البرهان الها مفتوحة لا اصل له
ولام ساكنة وعين مهملة والف وميم ويعيش ياتي انه بفتح التحتية وعين
مهملة مكسورة وتحتية ساكنة وشين معجمة ذكره الذهبي في الصحابة وقال
انه غلام المغيرة وهو الذي نزل فيه قوله تعالى انما يعلمه بشر وجبر ياتي ايضا
انه بجيم مفتوحة وموحدة ساكنة وراء مهملة قال البرهان لم اقف عليه في
الصحابة وكذا يسار بفتح التحتية المثناة وسياتي تتمة لهذا في محله وقيل بل كان
النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده اضراب عن اسلامه وقراته عليه الى انه كان
عبدا روميا يحترف بصقل السيوف عند المروة مع الناس فكيف قالوا انه تعلم منه
وهو لم يخل معه ولم يعرف وقيل المخالفة بينه وبين الاول في انهما كان يجلس
عند الاخر فالاضراب انتقالي لا ابطالي وكلاهما اي سلمان والغلام الرومي اعجمي
اللسان اي لسان كل منهما فيه عجمة وهم اي الطاعنون فيه بما ذكر واسناد التعلم
له الفصحا اللد جمع الد وهو الشديد الخصومة ويجمع على لد اذا ايضا من اللدد
وهو العناد وفي الحديث ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وهم الخطبا جمع
خطيب وهو من يقوم على روس القوم بكلام بليغ ملزم مفحم ولا يشترط فيه ان يكون

سحبا

سجعًا وقد كان للعرب ولكل قوم منهم خطباء معروفون بالبلاغة فارتجال الكلام الجزل
اللسن بضم اللام وسكون السين جمع لسن ككتف وهو الفصيح اللسان الطلق البيان
وقيل جمع السن فلا اسهاب فيه كما قيل وقد عجزوا بفتح الجيم وكسرها عن عوضي
معارضة ما اتى به اي مقابلته بكلام يحكيه والاتيان بمثله عطف تفسير مع
تحديه وطلبه منهم وتقريعهم بل عجز والكلهم عن فهم وصفه ومعرفة كنه
بلاغته ووجه اعجازه ونظمه فتارة قالوا هو شعر وتارة قالوا انه سحر وكهانة
والحسن يكذبهم والفصاحة تنادي على فصاحتهم وصورة تاليفه اي عجزوا عن
فهم صورة تاليفه ونظمه المعجز فانه لا يشبه كلام البشر والتاليف اخص من التركيب
لانه تركيب مع الفة ومناسبة وفي اكثر النسخ رصفه بالرا المهملة جمع رصف
بفتحتين وهو في الاصل وضع بعض الحجارة على بعض فاستعير لترتيب الكلام
المتين المحكم وفي بعض النسخ ونظمه وهو وما قبله معطوف على وصفه ويجوز
عطفه على معارضة والاول هو اقرب والنظم مستعار من نظم الدر لتناسق
الكلمات التي هي كالجواهر وما بعده يدل ترقى في المعجز ومغايرته لما قبله ظاهرة ابن اقيوس
لا يحتاج لتوجيهه الا عند عدم الفهم فكيف هي للاستفهام عن الحال والوصف المبهم
ويراد بها التعجب نحو كيف تكفرون بالله وقوله بالعجمي متعلق بمقدر اي كيف الظن
بالعجمي وهذا التركيب سايغ في كلامهم تقول كيف بك اذا جا الشتا الكن من اللكنة
وهي عدم افصاح اللسان وبيان النطق نعم بفتحتين وقد تكسر عينه ويقال
نعام ايضا في لغة وهي كلمة تقع في جواب الكلام الموجب وقد تقع في ابتدا الكلام
كما هنا فكانها جواب سوال مقدر وفي غير جواب كما يقال لمن طرق الباب نعم
وعليه حمل قول جحدر نعم واري الهلال كما تراه كما ياتي وقال بعضهم انها
زايدة في مثله وفيه كلام لم يحضرني الان وقد كان سلمان الفارسي رضي الله عنه
او بلعام وهو بفتح البا الموحدة على ما تقدم واشتهر كسرها ويقال بلعم
ايضا وهو اسم الغلام الرومي او يعيش بفتح المثناة التحتية وعين مهملة
مكسورة ويا تحتية ساكنة وشين معجمة علم منقول من المضارع او جبر
بفتح الجيم وسكون البا الموحدة ورا مهملة وهو عبد للفاكهة بن المغيرة
وقيل لعباد الحضرمي قيل ان سيده كان يضربه ويقول له انت تعلم محمدا
فيقول لا والله بل هو يعلمني ويهديني او يسار بفتح المثناة التحتية وهذا
المذكور مبني على اختلافهم في اسمه كما تقدم بين اظهرهم جمع ظهر كان اي مقيما
بينهم يعرفونه ويقال ظهرانيهم بالف ونون مفتوحة كانه لاستناده اليهم
ظهر وراه وظهر قدامه ثم كثر وشاع في الاقامة بين قوم يخالطهم يكلمونه ن
مدا اعمارهم اي في جميع مدة اعمارهم يخالطهم ويكلمهم ويكلمونه فكيف لا يعرفون
حاله وهو استدلال على كذبهم واصل معنى المدا الغاية ويطلق على جميع
المدة الطويلة كما في النهاية وذكر الماوردي ان غلامين نصرانيين من عين
التمر احدهما يسار والاخر جبر كانوا يسندون لهما ما ذكر وقيل غير ذلك
فهل حكي عن واحد منهم اي من الكفرة شيء من مثل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم

وفيه حذف تقديره نقله عن هذين فان كان ضمير منهم لسلمان والغلام ففيه تعبير
عن المثنى بضمير الجمع تجوزا وفي نسخة من مثل ما كان يجيء به صلى الله عليه وسلم
وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الآيات الباهرة وهو كالذي قبله وما منع العدو وحينئذ اي حين حضورهم
معه على كثرة عدده بفتح العين اي اي مانع لهم مع كثرتهم وحرصهم على تكذيبه
ودؤوب طلبه بدال مهملة وهمزة وواو وموحدة مصدر بوزن القعود من
الدأب وهو الجد والتعب يقال دأبه اذا اتعبه ثم صار بمعنى العادة المسببة
عن ذلك وصار حقيقة فيه وفرط حسده بحاء مهملة وهو مما يبعثهم على
الطلب وحثهم ان يجلس الى هذا الذي زعموا انه يعلمه فيأخذ عنه اي يتلقى
ويتعلمه منه ايضا اي كما تعلم منه النبي صلى الله عليه وسلم على زعمهم الفاسد
ما يعارض به ما جاء به ويتعلم ما يحتج به اي يجعله حجة ودليلا على شغبه اي
لجاجه في خصومته وعناده وتهييج الشر بفتنته يقال شغب به وعليه وهو
بفتح الغين المعجمة هنا لوقوعه قافية لقوله طلبه وهو لغة فيه كما في القاموس
وغيره وتسكن ايضا وهي اللغة المشهورة فيه ومن انكر الفتح وقال انه لغة عامية
كالحريري لم يصب مع ان الكوفيين يجوزون تحريك كل ما عينه حرف حلق كالشعر
على انه لو صح ما قاله قلنا له انه ازدواج ومشاكلة وحرفه تقتضي بشيعته
كفعل النضر بن الحارث وهو من كفار قريش وكان ذهب الى الحيرة ليتعلم منهم
اخبار ملوك الفرس رستم واضرابه فكان اذا قرأ النبي صلى الله عليه وسلم
القرآن وقص عليهم قصص الامم وحذرهم ما وقع جلس النضر بن قريش وقص
عليهم قصص ملوك الفرس وقال قد انبأتكم باحسن مما جاء به محمد وهو الذي
نزل فيه ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله الآية ثم انه لم يزل كذلك مصرا على عداوته
صلى الله عليه وسلم حتى اظفره الله عليه فقتله كما ذكر في السير بما كان يخرف
متعلق بفعل ويخرف بمعنى يكذب والخرافة لفظة مولدة ومعناها افتعال
الكذب يتلهى به احد وقامت المخراف وهي خرقة يلعب بها من يرقص وهذه
لفظة عربية مهملة ابدا ونصرف فيها المولدون وتوهموا اصالة مهملها
كما في قولهم تمسكن وتمخرف بضم التحتية وفتح الميم وخاء معجمة وراء مهملة
وقاف من اخبار كتبه التي كان يأتي بها ويقصها عليهم ولا غاب النبي صلى
الله عليه وسلم عن قومه ولا خرج من بلده الى بلاد بعيدة اقامة
اقامة يحتمل انه لقي بها من تعلم منه وهذا معطوف على قوله ولا عرف
اي ولا يضر طول الفصل وما اعترض بين المعطوفين ولا كثرت اختلافاته
ويذهب اليها لانها مخالفة لمقره المعروف الى بلاد اهل الكتاب وهم اليهود
والنصارى والتعبير بالكثرة هنا اشارة بما يأتي انه صلى الله عليه وسلم
وقع له ذلك مرة او مرتين لا انه فيهما لم يفارق رفقاه من قومه ولم يقم
عند غيرهم حين سافر الى الشام كما يأتي فيقال انه استفاد منهم اي

دجي

طلب المدد والاعانة من اهل الكتاب بتعليمه لشي مما كان يتلوه على قريش بل لم يزل مقيما
عندهم بين اظهرهم في وسطهم مختلطا معهم وتقدم انه يقال بين اظهرهم وظهرانيهم
يرعى ضبطه بعضهم بفتح المثناة التحتية اي يلاحظ ويحفظ ثم بمراى منهم ومسمع لا يخفى
امره عليهم وبعضهم فتحه وجعله من رعاية الغنم والمواشي وهو المناسب لقوله في
صغره اي وهو طفل وشبابه اي بعد ما بلغ وصار شابا وكان من ذهب الى الاول انف
من جعله صلى الله عليه وسلم راعيا ولكنه وقع ذلك له ولغيره من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ولم يكن معيبا عندهم وهو اقوى في اثبات مدعاه لان من يرعى يكون
في الغالب معتزلا عن الناس بعيدا عن التعلم ثم لم يخرج من بلادهم بعد ما شب وبلغ
او بعد ما وجد وعرف حاله الا في سفرة واحدة او سفرتين الى بلاد الشام مرة مع ابي
طالب ورده من الطريق باشارة بحيرا الراهب كما مر ومرة في تجارة لام المومنين
خديجة رضي الله عنها مع غلامها ميسرة فلم يتزود عن اهل بلدته ابدا سفرا واقامة
ولم يتردد المصنف في السفرتين حتى يرد عليه قول البرهان ان السفرتين محققتين
كما في السير فكان ينبغي ان يقول الا في سفرتين جزما لان السفرة الاولى لما رده فيها
عمه ابو طالب من الطريق كانت كالعدم فانه يقال لمن رجع انه لم يسافر فلا وجه
للاعتراض عليه ومثله لا يخفى واما ذهابه صلى الله عليه وسلم مع مرضعته حليمة
لبني سعد فلا يعد مثله سفرا لا سيما والمراد سفر خاص لديار اهل الكتاب وسفر
يمكنه التعلم فيه وكذا ذهابه صلى الله عليه وسلم الى الطائف الى بني عبد ياليل
فانه لقربه لا يعد سفرا واهلها جهلة اهل شرك لا علم عندهم يعلمونه له وقوله
لم يطل فيهما اي في جنس السفرة مكثه اي اقامته وهو بفتح الميم وضمها مدة يحتمل
فيها اي في المدة تعليم القليل وتعلمه من علم وغيره فكيف الكثير الذي كانوا يعرفونه
منه وهذا استفهام انكاري بتعنيه بطريق برهاني ثم اكده واثبت مدعاه بقوله
بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه لم يفارقهم ولم يخالف غيرهم طرفة عين ورفاقة
بفتح اوله مصدر كالسماحة بمعنى المرافقة وهي الاجتماع في السير والتسمية من الرفق
لان كلا منهما يرفق بصاحبه عشيرته اي قومه وقبيلته من العشرة وهي الاختلاط
قال في القاموس عشيرة الرجل بنو ابيه الادنون او قبيلته لم يغب عنهم ويغاير ثم
مفارقة تحتمل ملاقاة اهل الكتاب وتعلمه منهم ولا خالف حاله التي نشا عليها
وعرف بها مدة مقامه بضم الميم مصدر بمعنى الاقامة بمكة الى ان هاجر صلى الله
عليه وسلم الى المدينة وفاعل خالف ضمير يعود له صلى الله عليه وسلم وحاله
مفعوله وقوله من تعليم بيان لمقدر في قوة المذكور لعلمه مما قبله اي ما خالف
لامر اخر من تعليم الخ وليست من زائدة في الفاعل ومحله رفع كما قيل واختلاف
اي مجيء وذهاب واصله مجيء القوم بعضهم خلف بعض فاستعمل المقيد في المطلق
ومنه اختلاف الليل والنهار الى حبر بكسر الحاء وفتحها وهو العالم من علماء اليهود
او منجم اي عالم بالنجوم واحكامها او قس بفتح القاف كما في القاموس وغيره واشتهر
ضمه وذكره ابن السيد في المثلثات رئيس علماء النصارى او كاهن وهو من العرب
من يخبر عن المغيبات بواسطة جن ونحوه فاستق في اقسام من يمكن التعلم منه

ابن افتوس

دبلجي

من انواع الناس ثم شرع في ابطال ما قالوه فقال بل لو كان هذا اي لو فرض من خلاف ما ذكر من
حاله صلى الله عليه وسلم بان فرضنا اسفارا كثيرة له ومكثا مع اهل الكتاب واختلافا
للمقتبسين والاخبار بعد مبني على الضم والتقدير بعد ثبوت خلافه لا بعد مكثه
بين اظهرهم بل عي في ضعفه وشبابه كما قيل فانه غير مناسب لمن تامل كلامه كله دجي
لكان مجي ما اتى به صلى الله عليه وسلم من معجز القرآن الذي لا يشبهه شيا من كلام
البشر قاطعا لكل عذر اعتذار وابه عن مخالفتهم له عنادا او بغيا منهم وجعله عذرا
ايما الى انهم معترفون بعجزهم بدلالة الحال ومدحضا اي مزيلا ومبطلا من الادحاض
وهو الازلاق ففيه استعارة مكنية لتشبيههم بمن زلت قدمه لمشيه في وحال
الشرك لكل حجة تشبثوا بها وهي اوهى من بيت العنكبوت وفي نسخة لكل شبهة
ومجليا بضم الميم وفتح الجيم وكسر اللام المشددة ويجوز تخفيفها وتسكين الجيم
وقال البرهان انه بضم الميم وسكون الخا المعجمة والظاهر ما قدمناه اي موضحا
وكاشفا او مزيلا ومبعدا لكل امر عنهم تخيلوه وتلبيس اختلقوا به

## فصل

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم التي خصه
الله بها عن غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائر الخلق وكراماته
التي اكرمه الله وشرفه بها وباهر اياته اي ظاهر علامات نبوته ومعجزاته واخبار
والجن ومن خبر مقدم للحصر والاعتناء وقوله انباؤه بفتح الهمزة جمع نبا وهو الخبر
اي اخباره الصحيحة الواقعة له صلى الله عليه وسلم مع الملائكة والجن وامداد
الله له بالملائكة بكسر الهمزة مصدر امده امدادا من المد قال الراغب امددت الجيش
بمدد والانسان بطعام واكثر ما جا الامداد في المحبوب والمد في المكروه نحو
امددناهم بفاكهة ونمد له من العذاب مدا انتهى اي ارسال الله الملائكة عليهم
الصلاة والسلام مددا له صلى الله عليه وسلم واعانة كما سياتي وطاعة الجن
له بانقيادهم واسلامهم لا بامدادهم ولذا خالف في العبارة بينهم وبين الملائكة
ورؤية كثير من اصحابه لهم اي للملائكة والجن كما سياتي ولا وجه لتخصيصه بالجن ابن الجوزي
ثم انه انما يثبت ما قاله من القران فقال قال الله تعالى وان تظاهرا اي تتعاونا
عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم بما يسوؤه فان الله هو مولاه اي ناصره
ومعينه وجبريل وصالح المؤمنين ابو بكر وعمر معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه
الاية اي والملائكة بعد ذلك ظهير وضمير تظاهرا لحفصة وعائشة امي المؤمنين
والاية وسبب نزولها وتفسيرها مبسوط في محله وقد تقدم في اول الكتاب
بعض منه وقال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم بنصري وتاييدي
فثبتوا الذين امنوا بالقتال معهم وتقوية قلوبهم بوعدهم بالنصر وظهورهم
على اعدائهم وهذا كان ببدر وقد كثر اعداؤه المشركون وعددهم وقلة
المسلمين وضعفهم وهو تعالى يؤيد من يشا بنصره وقال في وقعة بدر
اذ تستغيثون ربكم تطلبون غوثه واعانته فاستجاب لكم اجاب دعاكم
وانجز وعده لكم اني ممدكم الاية اي اقرأهما الى اخرهما اي اني ممدكم
بالف من الملائكة مردفين اي متتابعين وقال تعالى واذ صرفنا اليك

نفرا

نفرا من الجن يستمعون القرآن الاية اي املناهم واوصلناهم اليك والنفر ما دون
العشرة وهؤلاء جن نصيبين وهذا كان ببطن نخلة في منصرفه صلى الله عليه وسلم من
الطائف وقد ذكر هؤلاء النفر وعدتهم واسماهم في مفصلات التفسير واجتماع الجن
به صلى الله عليه وسلم وقع مرتين بل اكثر وهو شاهد على انه صلى الله عليه وسلم
مرسل للجن ولا شبهة فيه ولا خلاف عند من يعتد به حدثنا سفيان بن العاصي
الفقيه بسماعي عليه تقدم بيانه وبيان السماع وترجمته قال حدثنا ابو الليث
السمرقندي تقدمت ترجمته قال حدثنا عبد الغافر الفارسي تقدم ايضا قال
حدثنا ابو احمد الجلودي تقدم ضبطه وترجمته قال حدثنا ابن سفيان هو ابراهيم
ابن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم عنه وترجمته معروفة قال حدثنا مسلم
القشيري النيسابوري صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا عبيد الله بن معاذ
ابو عمرو العنبري الحافظ الفصيح الثقة توفي سنة مائتين وسبع وثلاثين واخرج
له اصحاب السنن قال حدثنا ابي معاذ بن معاذ التميمي الحافظ قاضي البصرة والية
انتهى علم الحديث توفي سنة مائة وستة وتسعين واخرج له اصحاب السنن ايضا
قال حدثنا شعبة تقدمت ترجمته ايضا قال حدثنا سليمان الشيباني ابن ابي سليمان
فيروز او خاقان الشيباني بالمعجمة مولاهم الكوفي الحافظ الثقة توفي في سنة ثمان
وثلاثين او احدى او اثنتين واربعين وقول الواقدي وابن كثير سنة تسع وعشرين
غلط واخرج له الائمة الستة سمع زر بكسر الزاي المعجمة وتشديد الراء المهملة
ابن حبيش بالتصغير بحاء مهملة وموحدة وتحتية ساكنة وشين معجمة وهو ابو مريم
الاسدي ادرك وسمع عليا وعمر رضي الله عنهما وعاش مائة وعشرين سنة وتوفي
سنة اثنتين وثمانين واخرج له الستة عن عبد الله بن مسعود الصحابي
المشهور وهذا التفسير الذي اخرجه مسلم والترمذي والنسائي موقوفا
والذي ذكره المصنف رواية السنن وقال الترمذي انه حسن صحيح ولفظه قال
تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيره
وهو موقوف له حكم الرفع رأى جبريل في صورته الاصلية التي خلق عليها
له ستمائة جناح اللام جواب قسم مقدر اي رأى الاية الكبرى من آيات ربه
والكبرى اسم تفضيل مؤنث اكبر ومن تبعيضية وفيه ايماء الى انه رأى
ربه وهو قول الاكثر فقد رآه بعين بصره وهو مذهب ابن عباس وارتضاه
الاشعري والنووي وما نقل عن عائشة رضي الله عنها من انكاره فقيل ان
الذي قالته كما في مسلم عن مسروق انه قال كنت متكئا عند عائشة فقالت
يا ابا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله الفرية قلت
ما هن قالت من زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد اعظم على
الله الفرية قال وكنت متكئا فجلست فقلت يا ام المؤمنين انظريني ولا تعجلي
الم يقل الله عز وجل ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة اخرى فقالت
انا اول من سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما هو
جبريل لم اره على صورته غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا

عظم خلقه ما بين السماء والارض الحديث فليس فيه نفي رؤيته لربه وانه صلى الله عليه وسلم
ذكرها ذلك وقد تعدد ذلك مع ما فيه وقد ذكر هنا انه رأى جبريل وله ستمائة
جناح سد ما بين السما والارض والعدد لا مفهوم له فلا ينافي ان تكون اجنحته
تزيد على ذلك فان الملائكة اجساما مجردة قابلة للتشكل والخبر الحديث
الصحيح المسند في محادثته صلى الله عليه وسلم مع جبريل واسرافيل وغيرهم
من الملائكة اعاد ضمير الجمع على المثنى تعظيما لهما تنزيلا لهما منزلة الجماعة او لتنزيل
ذلك منزلة تعدد الصور الذي يشير اليه ما قبله ويبينه بقوله بعده وما شاهده
من كثرتهم وعظيم صورهم ليلة الاسرا مشهور وفي نسخة وصورة بعضهم وفي نسخة
وعظيم ظهورهن وحديث الاسرا ورؤيته صلى الله عليه وسلم الملائكة والانبيا
مشهور وتقدم طرف منه ورؤيته للملائكة كذلك الجبال وملك المطر واسرافيل صحيح
مشهور ايضا ومن اراد تفصيله فلينظر كتاب السيوطي المسمى بالحبائك في اخبار الملائك
فانه كتاب جليل في بابه وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما عيره المشركون بالفاقة اي الفقر وقالوا ما فضله الله من قوله
ما لهذا الرسول ياكل الطعام الاية حزن لذلك فنزل عليه جبريل وقال رب العزة
يقريك السلام ويقول لك وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
الخ فبينما جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم يتحدثان اذ ذاب حتى صار مثل البردة
وهي العدسة فقال له صلى الله عليه وسلم ما لك يا جبريل فقال فتح باب من
السما لم يفتح قبل ثم عاد لحاله وقال ابشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة فاقبل رضوان
وسلم وقال يا محمد رب العزة يقريك السلام ومعه سفط من نور يتلالا ويقول
لك هذه مفاتيح خزائن الارض فنظر لجبريل كالمستبشر فضرب جبريل بيده الارض
وقال تواضع لله عز وجل فقال يا رضوان لا حاجة لي في الدنيا قال اصبت اصاب
الله بك ويرون ان هذه الاية انزلها رضوان تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من
ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا اقول ومن هذا علم انه
لم ينزل بالقران الا جبريل غير هذه الاية والسر فيما ذكر ان نزول رضوان وهو
ملك الجنان وتخييره دون ان يعطاها علم منه جبريل ان الله اراد له صلى الله
عليه وسلم ما هو اسنى من ذلك في الجنة وانه لم يرض محوز الدنيا الفانية ان
تكون له ولو اراد خلافه اتاه ملائكة الارض ومن له التصرف فيها كاسرافيل
والا جبريل عليه الصلاة والسلام لا يقول شيئا برايه ولا يفعل الا ما يومر به
فافهم وقدرها مراي الملائكة تحضر ناديه في مجلسه صلى الله عليه وسلم والحضرة
مثلثة الحا مصدر حضر يحضر اذا جا وقدم ويجوز فيه تجوزا مشهورا عن مكان
الحضور نفسه ويستعمل للتعظيم في صاحب المجلس فيقال الحضرة العالية
تاثر يكذا كالمقام كما يكتبه اصحاب الترسل جماعة من اصحابه في مواطن
جمع موطن وهو محل الوطن وهو هنا المطلق المكان مجازا مرسلا مختلفة اي
متعددة واصل معناه المتغايرة فاستعمل في لازم معناه وقد تقدم
بعض من الكلام على رؤية بعض الصحابة للملائكة عنده صلى الله عليه وسلم

وفي بعض النسخ فرأى اصحابه جبريل في صورة رجل يساله عن الاسلام والايمان
والاحسان وعن الساعة وهو اشارة الى الحديث الذي في اول البخاري والكلام عليه
وعلى الفرق بينه وبين الاسلام مفصل في شروحه ورأى ابن عباس واسامة بن
زيد وغيرهما من الصحابة كعائشة وام سلمة وعمر وحارثة عنده صلى الله عليه وسلم
جبريل في صورة دحية بن خليفة الكلبي الصحابي الجليل المشهود نوفي في خلافة
معاوية وكان من اجمل الناس واجلهم ولذا كان جبريل عليه الصلاة والسلام
ياتي النبي صلى الله عليه وسلم على صورته رضي الله عنه ودحية بفتح الدال
وكسرها ومعناه الرئيس بلغة اليمن وتمثل الملك مع عظم خلقته الاصلية بصورة
صغيرة ليس بافناء بعض اجزائه ولا بازالتها ثم اعادتها كما قيل بل لانهم انوار لطيفة
قابلة للتشكل والانضمام والانتشار كما نشاهد في اللهب في هبوب الرياح وقول
امام الحرمين انه كالقطن المنفوش تمثيل وتقريب للعقول ايضا فلا ينقلب حقيقة
اذا تمثل رجلا تانيسا لمن يخاطبه ولا بعد في ان يخص الله بعض الانفس القدسية
الملكية بقوة يقدر بها على التصرف في بدنه كما يريد كما قيل ان الابدال سموا ابدالا
لانهم كانوا يرى لهم في بعض الامكنة شبحا يقوم مقامهم لقدرة ارواحهم القدسية
على التصور بصورتهم وهو المسمى بعالم المثال وفيه كلام في كتب الاصول والحكمة
وبعض اهل الشرع ينكره وتبعهم شارح المقاصد وقوله في صورة دحية بتقدير
مضاف اي في مثل صورة دحية وما قيل انه تمثيل لتمكنه منها واستقراره فيها
استقرار المظروف في ظرفه تكلف لا حاجة اليه لان مثله للتمثيل والاحاطة بعد ظرفا
حقيقة في العرف ورؤية ابن عباس رضي الله عنهما له مرتين رواها الترمذي
ورؤية اسامة له رواها الشيخان عنه فقول الشارح الجديد لم اقف عليها
من قصور النظر ورأى سعد بن ابي وقاص في حديث رواه الشيخان عن يمينه
ويساره جبريل وميكائيل لف ونشر مرتب في صورة رجلين عليهما ثياب نسميهما
وقع في الحديث عن غير واحد وهذا كان بغزوة احد وقد قاتلا معه صلى الله عليه
وسلم قال النووي في شرح مسلم هذا انما اكرمه الله به وفيه رد لمن قال
ان الملائكة لم تقاتل معه بغير بدر وقد صح انهم قاتلوا معه بحنين وهذا
هو الصواب وقال القرطبي في تفسيره لم تقاتل الا ببدر ووعد الله المؤمنين
باحد ان صبروا وثبتوا ان يمدهم بالملائكة فلم يصبروا ولم يمدهم وكان للنبي صلى
الله عليه وسلم ملكان يقاتلان عنه دائما وفي الحديث دليل على ان رؤية الملائكة
لا تختص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فيراهم الصحابة والاولياء ومثله عن
غير واحد اي روي مثل ما في هذا الحديث عن ناس كثيرين من طرق متعددة وسمع
بعضهم اي بعض الصحابة وغيرهم من الحاضرين زجر الملائكة زجرها حثها
خيلها على الجري بصوت يوم بدر اي وقعتها حين القتال وهذا رواه ابو نعيم
والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا من غفار قال قدمت انا وابن عم لي
ونحن مشركان وصعدنا على جبل مشرف على بدر ننظر الوقعة وننظر على من تكون
الدبرة فبينا نحن كذلك اذ دنت سحابة فيها حمحمة خيل فسمعت قائلا يقول

اقدم حيزوم وهو فمات ابن تيمي من خوفه وكذا اهلكه وحيزوم منادى اسم فرس الملك
بالميم وروي حيزون بالنون والصحيح الاول وبعضهم راى تطاير الرؤوس اي
سرعة وقوعها بخفة كتطاير طائر عن مقره وهذا رواه البيهقي عن سهل بن حنيف
وابي واقد الليثي من الكفار في يوم بدر ولا يرون الضارب لانه ملك خفي عنهم
وبعضهم راه وعرفه وقد روي كلاهما في احاديث ذكروها ويجوز ان يقول
ان التطاير استعارة شبهت بتطاير وحمام كما رمى بزج بدنه بنفسه كانه ليس جزءا
منه بدليل قوله ولا يرون الضارب ثم لا الضرب قال ابو داود المازني اني لاتبع
رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقع راسه قبل ان يصل اليه سيفي وكانوا
يعرفون قتلى الملائكة بان بهم سمة نار وتحرق ورأى ابو سفيان بن الحارث بن عبد
المطلب قبل اسلامه يومئذ اي يوم بدر رجالا بيضا وجوههم وابدانهم على خيل
بلق اي فيها بياض ولون اخر ما يقوم لها شيء اي لا يمكن ان يقاومها وقتالها
شيء من غيرهم فلا او كثر لما رآه من مهابة بطشها وسرعته وقيل ان الرائي لذلك دلجي
سهيل بن عمرو كما رواه البيهقي وهو مخالف لما رواه المص هنا وهو هكذا في
تخريج السيوطي لاحاديث هذا الكتاب وفي الشرح الجديد انه رواه ابن اسحاق
في سيرته ونقله في حديث طويل في مهلك ابي لهب والعهدة فيه عليه وقد كانت
الملائكة تصافح عمران بن حصين باكفها والذي رواه مسلم انها كانت تسلم عليه
ولا منافاة بينهما فان المتلاقيين يستحب لهما السلام والمصافحة تحية واكراما
لان السلام امان والمصافحة تسليم يده له فهو امان لفظا ومعنى وحسا وعمران بن
حصين هذا هو الصحابي الخزاعي رضي الله عنه وحصين علم منقول من مصغر
حصن وهو كما قالوا افضل من نزل البصرة توفي في خلافة معاوية سنة اثنتين
وخمسين ومصافحة الملائكة له مشهورة في الكتب المعتمدة واما السلام ففي صحيح
مسلم مسندا الى مطرف ان عمران رضي الله عنه قال له كانت الملائكة تسلم علي حتى
اكتويت فتركت الملائكة السلام علي ثم تركت الكي فعادوا وقال له اكتم ما دمت قال
حيا قال النووي رحمه الله كان به بواسير فاكتوى لها لقطع دمها وكان عظيم الصبر
والتوكل وفي العلاج ترك التوكل فلذا قطعت الملائكة السلام عليه والا فالكي
ليس محرما وان قيل بكراهته اذا امكن العلاج بغيره كما ورد في المثل اخر الدواء
الكي وروي انه كان يسمع في داره السلام عليه من غير ان يرى اهل الدار المسلم
كما ذكره الترمذي وهذا وان كان خارجا عما عقد له الفصل من رؤية النبي
صلى الله عليه وسلم الملائكة ورؤية الصحابة لهم عنده فهو يعلم منه المقصود
بالطريق الاولى او هو استطراد وارى النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه البيهقي مرسلا عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما وارى بصيغة تعدت بالهمزة
لمفعولين اولهما حمزة بن عبد المطلب عمه صلى الله عليه وسلم وفي نسخة
لحمزة باللام وهي زائدة كما في ردف لكم وثانيهما جبريل في الكعبة اي في داخلها
او عندها فخر مغشيا عليه خوفا من مهابته لانه راه على صورته ففي
دلائل البيهقي وطبقات ابن سعد عن عمار بن ياسر ان حمزة رضي الله عنه

قار

قال يا رسول الله ارني جبريل على صورته قال انك لا تستطيع ان تراه قال بلى
فارنيه فقال له اقعد فقعد فنزل جبريل على خشبة كانت في الكعبة فقال له صلى
الله عليه وسلم ارفع طرفك فانظر فرفع طرفه فرأى قدمه مثل الزبرجد الاخضر
فخر مغشيا عليه واعلم ان رأى اذا تعدى بالهمزة لمفعولين كان من باب اعطى قال ابن
مالك لا تدخل اللام عليهما لانه يلزم تعدي فعل بحرفين بمعنى وان تعدى احدهما
لزم الترجيح بلا مرجح ما لم يتقدم ما او احدهما فتعديه هنا باللام لا وجه له وقال
ابن هشام انه شاذ واللام زائدة كقول ليلى الاخيلية

احجاج لا تعطي العصاة مناهم ... ولا الله يعطي للعصاة مناها

فان كان هذا ورد كذا فهو من الشاذ المسموع ولا اعتراض عليه واعلم ان الحافظ
السخاوي قال في كتابه عمدة الناس في مناقب العباس رضي الله عنه ان العباس
بعث ابنه عبد الله الى النبي صلى الله عليه وسلم فقام وراءه وعنده رجل فالتفت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه فقال له متى جئت فقال منذ ساعة قال
هل رأيت رجلا قال نعم قال ذاك جبريل ولم يره خلق الا عمي الا ان يكون نبيا لكن
اسأل الله ان يجعل ذلك في آخر عمرك وله طرق من الاسانيد الا انه معارض برؤية
جماعة من الصحابة لجبريل لم يعموا ولكن هذا ضعيف وتلك صحيحة فلا يتكلف الجمع
بينهما وقد عمي ابن عباس في آخر عمره فقال

ان يأخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور
عقل صحيح ورأي غير ذي زلل ... وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وقال له بعض الامويين ما لكم يا بني هاشم تصابون في ابصاركم فقال وانتم يا بني
امية تصابون في بصائركم اقول ما ذكره من حديث عمى الرائي لجبريل اذا ورد
من طرق صار قويا وليس من قبيل الاحكام فيجعل معارضه ناسخا فلا بد
من التوفيق فيحمل على من رآه وحده في بيت ونحوه من مكان منحصر كالبيت
من غير علم للنبي صلى الله عليه وسلم برؤيته فلا يرد رؤية عائشة وغيرها
له وذلك لانه نور شديد قد يورث ضعف البصر المؤدي للعمى اذا احدق فيه
الناظر واطال النظر في نوره الذي لم يتعرف وهو من الاسرار الالهية فتأمله
ثم ان المصنف قدم الملائكة لشرفهم ثم ذكر امر الجن فقال ورأى ابن مسعود
في حديث رواه البيهقي الجن في ليلة الجن اي في ليلة رأى فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم الجن وقد امر بانذارهم ودعوتهم للاسلام فدعاهم
وسمع كلامهم قال البرهان في المقتفى الذي في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود
انه لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن وقال ابن سيد الناس
في سيرته ان حديث ابن مسعود في كونه كان حاضرا في ليلة الجن روي من طرق
ومنه انه توضأ بنبيذ التمر وذكر الشراح هنا كلاما لا محصل له والحق ما قاله
ابو البقا الشبلي الحنفي في كتابه آكام المرجان في احكام الجان من انه روي فيه
احاديث متعددة منها ما رواه ابو داود عن ابن مسعود ان علقمة قال له
هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن احد قال ما صحبه منا احد

ولكن فقدناه ليلة فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا اغتيل فبتنا بشر ليلة
فلما اصبحنا جاء من قبل حراء وقال اتاني داعي الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن
وانطلق بنا وارانا اثارهم ونيرانهم وذكر انهم سالوه الزاد فقال لكم العظم والبعر
ونهى عن الاستنجاء بهما رواه احمد وهذه الليلة غير الليلة التي حضرها ابن مسعود
وهي في دلائل البيهقي مسندة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لاصحابه بمكة من احب منكم ان يحضر الليلة الجن فليفعل فلم يحضر احد غيري فانطلقنا
حتى اذا كنا باعلا مكة خط لي برجله خطا امرني بالجلوس فيه وانطلق حتى قام
وافتتح القرآن فغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته الى
الفجر وسمعتهم يقولون له من يشهد لك انك رسول الله وبقربه شجرة فقال
ارأيتم ان شهدت هذه الشجرة تؤمنون قالوا نعم فدعاها فاتت فشهدت له
فآمنوا به وجمع البيهقي بين الروايتين فقال قوله ما صحبه منا احد اراد به حال
ذهابه لقراءة القرآن الا ان قوله انه اعلم اصحابه بخروجه ينافي فقدهم له
حتى قالوا انه استطير او اغتيل وفيه تصريح بانه ممن فقده والتمسه وفي
هذا الحديث انه خرج له وخط له خطا جلس فيه فلا يصح ما قاله البيهقي وهذا
كله مشعر بظنهم انها ليلة واحدة ولا شك انها تعددت فمنها ما كان بمكة
كما تقدم ومنها ما كان بالمدينة كما في دلائل النبوة لابي نعيم مسندا لابن مسعود
وانه قيل له اكنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن قال
اخذ احد كل رجل رجلا من اهل الصفة يعشيه ولم ياخذني احد فمر بي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال ما اخذك احد يعشيك قلت لا قال انطلق
معي لعلي اجد لك ما يعشيك فانطلقت معه حجرة ام سلمة فتركني ودخل
ثم خرجت جاريته فقالت لي لم نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لك عشاء
فرجعت الى المسجد والتففت بثوبي فجاءت الجارية وقالت اجب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتيته ارجو العشاء فخرج وفي يده عسيب نخل فعرض
به على صدري وقال انطلق معي حيث انطلقت فقلت ما شاء الله وكررتها
ثلاث مرات فانطلقنا حتى اتينا بقيع الغرقد فخط بعصاه خطا وقال اجلس فيه
حتى اتيك ولا تبرح فانطلق وانا اراه خلال النخل فثارت مثل عجاجة سوداء فخفت
عليه وقلت الحق او استغيث الناس لظني هوازن مكرت به ثم ذكرت قوله صلى
الله عليه وسلم لا تبرح فسمعته يقول اجلسوا وهو يقرعهم بعصاه فجلسوا
حتى كاد ينشق عمود الصبح فذهبوا واتى لي فذكرت له ما في نفسي فقال هم
وفد نصيبين الخ فهذه الليلة كانت بالمدينة حضرها ابن مسعود وما سئل
عنه اولا كان بمكة وقد وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم مرة اخرى حضرها
ابن الزبير رواها الطبراني ومرارا اخر ذكرها في باب مستقل بطولها ثم
قال وهذه الاحاديث تدل على ان وفادة الجن كانت ست مرات الاولى فقد
فيها وقيل اغتيل والتمس بمكة والثانية كانت بالحجون والثالثة كانت
باعلا مكة بالجبال والرابعة كانت ببقيع الغرقد والخامسة كانت خارج المدينة

حضرها ابن الزبير والسادسة كانت في بعض اسفاره حضرها بلال انتهى ملخصه وشبههم
اي ابن مسعود لا النبي صلى الله عليه وسلم لقول قتادة ان ابن مسعود لما قدم الكوفة
راى شيوخا سودا افزعوه فقال اخرجوهم ما اشبههم بالنفر الذين صرفوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الجن وفيه دليل على انه راهم برجال الزط
متعلق بقوله شبههم والزط بضم الزاي المعجمة وتشديد الطا المهملة قوم
من السودان طوال وفي القاموس الزط جيل بالهند معرب جت بفتح الجيم والقياس
يقتضي فتح معربه والواحد زطي وذكر ابن سعد وهو محمد بن سعد كاتب الواقدي
وقد تقدم وهو بصري ان مصعب بن عمير القرشي العبدري الصحابي البدري وهو
ممن اسلم قديما وكان يحمل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه لما
قتل يوم احد اي في وقعته قتله ابن قمية لعنه الله ظانا انه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري عن خباب ان مصعبا لما قتل لم يكن له الا نمرة
كنا اذا غطينا راسه بها بدت رجلاه واذا غطي رجلاه بدت راسه فجعلوا على رجليه
شيئا من الاذخر اخذ الراية ملك على صورته اي تشكل بشكله وتزيا على صورته
حتى لا تقع راية المسلمين فان وقوع راية العسكر فيه ضعف لهم ولتمام تلك
الصورة فيه جعل كانه عليها راكب لتمكنه فيه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
له تقدم يا مصعب لنحو الاعدا في القتال فان الراية يتبعها المقاتلون لانه صلى الله
عليه وسلم لشدة توجهه للقتال لم يشعر بقتل مصعب ولم يتامل حامل الراية
فقال له الملك لست بمصعب كما ظننته وفيه لطف وتبشير بسهولة الامر وظهور
النصر وان مع العسر يسرا وهذا بنا على انه لم يعلمه كما رواه ابن سعد في طبقاته
وعلى ما رواه ابن ابي شيبة في مصنفه من انه صلى الله عليه وسلم قال يوم احد
اقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف لما سمع مقالته يا رسول الله الم يقتل مصعب
يعني فكيف تناديه قال بلى ولكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه فهو الذي ناديته
يكون علم صلى الله عليه وسلم انه ملك وانما تسمى باسمه لئلا يعلم الناس قتل حامل
الراية فيحصل فيهم اضطراب وتشمت الاعدا بهم ويتمنون انهزامهم فعلم صلى
الله عليه وسلم قتل مصعب وعلى الاول لم يشعر بقتله وكونه علمه ونسيه او
ظن ان الله احياه كما قيل بعيد فلا يقال كيف ناداه باسمه بعد ما علم انه
ملك مع ان هذا السؤال غير وارد راسا بعد علمه انه تسمى باسمه لما امر وكان
مصعب رضي الله عنه حامل راية المهاجرين باحد ولوا الخزرج حامله الحباب
ابن المنذر وقيل سعد بن عبادة وراية الاوس بيد اسيد بن حضير وما روي
من ان حامل رايته باحد علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لا ينافيه لان الراية
كانت اولا بيد مصعب فلما استشهد اخذها الملك فلما انجلى الامر وعلم ان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل كما اشيع به ابن قمية وصرح ابليس اللعين
ان محمدا قد قتل اخذ علي الراية بعد ما امسكها الملك لحظة لئلا تسقط وتخذ
المسلمون وتفترا عين الكفار وقول الملك لست بمصعب يعني لست مصعبا
المعروف لكم فلا يقال كيف قال ذلك بعد ما تسمى مصعبا وذكر غير واحد من

عوضي

ل

المصنفين كالبيهقي وابن ماكولا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال بينا نحن جلوس مع
النبي صلى الله عليه وسلم اذا اقبل شيخ بيده عصى كونه بيده عصى تحقيق لشيخوخته
فان العصا سلاح المشايخ ولله در الباخرزي في قوله

حمل العصا للمبتلى بالشيب عنوان البلا
وصف المسافر انه القى العصا كي ينزلا
فعلى القياس سبيل من حمل العصا ان يرحلا

وهو تلميح لقوله فالقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم سلامه بان
قال له وعليك السلام وجواب السلام يقال له رد حقيقة وهو في الاصل مجاز
لتشبيهه بمن اعطي شيا فاعاده لصاحبه ثم صار حقيقة فيما ذكر وقال صلى الله عليه
وسلم لمن سلم عليه بعد رده جوابه نغمة الجن وفي نسخة نغمة جني اي هذه او نغمتك
نغمة الجن وصوتهم فهو خبر مبتدا مقدر وقال الثعالبي في فقه اللغة جرس الكلام
وحسن الصوت والنغمة بالفتح جمعها نغم بفتح النون وكسرها وهو شاذ ومع شذوذه
فله نظاير كهضبة وهضب وخيمة وخيم وبضعة وبضع من انت من الجن وما اسمك
وسمه نك وفيه اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم يعرفهم لانهم وفدوا عليه مرارا
كما تقدم قال انا هامة بن الهيم بها مكسورة فمثناة تحتية فميم ابن لاقس بن ابليس
في ضبط هذه الاسما اختلاف فقيل هامة بوزن قامة وقيل الام بالعين ولام دونها
والصحيح الاول والهيم بوزن الغيل كما مر وقيل انه بهمون بوزن كيف وقيل
وفي الشرح انه مضبوط بخط الحافظ بتشديد اليا بوزن فيم ولا يعتمد عليه والكلام
على ابليس مشهور وهو ابو الجن كما ان ادم عليه الصلاة والسلام ابو البشر
ويسمى عزازيل وقيل الحارث ويكنى بابي مرة ولاقس بزنة فاعل وفي بعض النسخ
لاقيس بزيادة يا وهو الاشهر الاصح حتى قيل ان اليا سقطت سهوا من الكاتب
فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم انه لقي نوحا عليه الصلاة والسلام ومن
بعده من الرسل والانبيا في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه
سورا من القران ستاتي والحديث عن عمر رضي الله عنه قال بينا نحن مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال تهامة اذا اقبل شيخ في يده
عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وله نغمة الجن وعيهم فقال من انت
قال هامة بن الهيم بن لاقس بن ابليس قال ليس بينك وبين ابليس الا ابوين قال
نعم قال فكم لك من العمر قال افنيت الدنيا عمرها وكنت مع نوح في مسجده مع من
امن به من قومه فلم ازل اعاتبه على دعوته عليهم حتى بكى وابكاني فقال
لاجرم اني على ذلك من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين وقلت له
يا نوح اني ممن شارك في دم الشهيد هابيل فهل تجد لي من توبة قال يا هام
هم بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة اني قرات فيما انزل الله علي انه
ليس من عبد تاب الى الله بالغا ذنبه ما بلغ الا تاب الله عليه فقم وتوضا
واسجد لله سجدتين ففعلت من ساعتي ما امرني به فناداني ارفع راسك فقد

نزلت نوبتكم من السماء فخر رستا ساجدا لله وكنت مع هود في مسجده مع من امن به من قومه
فلم ازل اعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وابكاني وكنت مع يوسف بالمكان المكين وكنت
القى الياس في الاودية واني القاه الان ولقيت موسى بن عمران فعلمني من التوراة
وقال ان لقيت عيسى بن مريم فاقره مني السلام وان عيسى قال ان لقيت محمدا فاقره
مني السلام فبكى صلى الله عليه وسلم وقال على عيسى السلام ما دامت الدنيا وعليك
يا هامة لاداءك الامانة فقال يا رسول الله افعل بي ما فعله موسى بن عمران فانه
علمني من التوراة فعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المرسلات وعم يتساءلون
عن النبا العظيم واذا الشمس كورت وقل هو الله احد والمعوذتين وقال له ارفع
الينا حاجتك يا هام ولا تدع زيارتنا فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
ينعه لنا فلست ادري احي هو ام ميت انتهى واعلم انهم اختلفوا في هذا الحديث
فقال ابن الجوزي انه حديث موضوع لا اصل له وذكر له طرقا ذكر من في رواتها
من الكذابين ومن لم تقبل روايته وخالفه فيه غيره وقال ان تعدد طرقه تدل
على صحته وابن الجوزي له مجازفة في موضوعاته اكثرها مردودة وقد روى هذا
الحديث من يعتمد عليه كالبيهقي كما علمت وابن عساكر وغيرهما وذكر الواقدي محمد
ابن عمر بن واقد المدني صاحب التاليف الكثيرة الغريبة وقد وثقه كثير وطعن فيه
اخرون توفي ببغداد سنة سبع ومائتين وعمره ثمان وسبعون كما تقدم وهذا
حديث صحيح رواه البيهقي والنسائي وغيرهما وهو مذكور في اكثر التفاسير
قتل خالد بن الوليد وهو مصدر مضاف لفاعله ومفعوله السودا عند هدمه
العزى وفي نسخة قطعه وهي اظهر لان العزى كانت شجرة او ثلاث اشجار في مكان
واحد بنوا عليها بنا وكانوا يعبدونها ويسمع منها اصوات فذكر الهدم باعتبار
ما حولها فهو بتقدير مضاف وهو مفعول هدم كقطع اي قطعها او هدم بنائها
وكانت لغطفان وهي شجرة السودا مفعول قتل كما مر وفي نسخة للسودا واللام
للتقوية وهي شيطانة في صورة امراة سودا التي خرجت له اي لخالد رضي الله عنه
لما باشر قطعها ناشرة شعرها عريانة واضعة يدها على راسها صائحة بويلها
وناشرة وما بعده منصوب على الحالية وشعر بسكون العين وفتحها فجزلها
بجيم وزاي معجمة مفتوحتين والزاي مشددة للمبالغة ومخففة اي
جعلها جزلين او قطعتين وروي جدلها بدال مهملة مشددة وروي عن
خذله بخاء وذال معجمتين بمعنى قطعها ومعانيها متقاربة واشهرها اولها
والضمير للسودا اي قطعها قطعا بسيفه وهو يقول يا عزى كفرانك لاغفرانك
اني رايت الله قد اهانك والعزى تانيث الاعز واعلم خالد بما فعله النبي صلى
الله عليه وسلم فقال تلك العزى ان كانت الاشارة لما وقع به الفعل من الشجرة
فظاهر وان كانت الاشارة للسودا فتسميتها عزى وهي اسم للشجر والبنا
باعتبار انها هي التي عبدوها حقيقة وسمعوا منها ما كانت تخبرهم به من
المغيبات ونحوها كما يقال الحج الحج والعج باطلاق الشيء على المقصود منه في
مجاز وكانت نخلة يعبدها قريش وكنانة وهي من اجل اصنامهم وقصته

هديتها مفصلة في التيسير وكان خروج خالد لها في ثلاثين فارسا والجن قادرة على التشكل
بصور مختلفة كالملائكة الا ان هذه اذا قتلت ما تقدر منها هلكت ولما قتلها خالد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك العزى لن تعبد ابدا او قتل سادنها
اي خادمها الموكل بها وهو دبية بضم الدال المهملة وفتح البا الموحدة وتشديد
المثناة التحتية ابن حرمي من بني مرة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه
الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان شيطانا هو المتمرد من الجن من شطن اذا
بعد او من شاط اذا احترق ونونه زايدة او اصلية تفلت بتشديد اللام بعد
اي وثب بسرعة بغتة واصله التخلص بغتة يقال انفلتت الدابة اذا تخلصت
من مربطها البارحة هي الليلة الماضية قبل وقتك الذي تكلمت فيه بعقب في
ليلة بيومه وقد ترد بمعنى اليوم الذي قبل يومك وفيه كلام في شرحنا الدرة
الغواص ليقطع على بتشديد اليا متعلق بيقطع بمعنى يبطل صلاتي التي كنت
اصليها ويجوز ان يتنازعه هو وتفلت فامكنني الله منه اي اقدرني عليه وعلى
اخذه وحبسه فاخذته اي امسكته وعقته عن بغيه وهو ربه مني فاردت ان
اربطه بكسر البا وضمها اي اوثقه بوثاق بضمه الى سارية اي عمود واسطوانة
من عمد المسجد ومن سواري جمع سارية المسجد المدني حتى تنظروا اليه كلكم لاجل
ان تروه مربوطا فذكرت دعوة اخي سليمان بن داود نبي الله عليهما الصلاة والسلام
وهي قوله في دعائه رب اغفر لي كل ما صدر مني من تقصير بالنسبة لمقام النبوة وان
كان معصوما وهب لي ملكا اي سلطانا عظيما لا ينبغي لاحد من بعدي اي لا يتيسر
لاحد غيري وهو احد معاني الانبغا مطاوع بغى بمعنى طلب وليس هذا حرصا
منه عليه الصلاة والسلام على الملك وسعة الدنيا وانما طلب عظمة يتفرد
بها لتكون خارقة للعادة دالة على نبوته بعد رده على تنفيذ اوامر ربه
واظهار دينه وفي تقديم الدعا بالمغفرة على حصول الملك ايما الى ان السلطنة
لا تخلو من امور تحتاج لعفو الله او حيا من الله لطلبه امرا لا يليق بغير ولتركه
مقام العبودية الذي ارتضاه نبينا صلى الله عليه وسلم وقال الزمخشري ان
سليمان عليه الصلاة والسلام نشا في بيت ملك ونبوة فاراد ان يكون ما
ورثه زايدا على غيره خارقا للعادة ليتم به امره ويعلم انه باستحقاق للفيض
الالهي لا بمجرد ميراث كاولاد الملوك ولا يتوهم انه طلب فقد نعم الله عليه
والمؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم لان خصايص
الانبيا وطلبها امر اخر وقد علم ان هذا الشيطان مارد من المردة ويأتي الكلام
في تعيينه التي على النبي صلى الله عليه وسلم شعلة نار وهو يصلي ليقطع
صلاته فاخذه هو بنفسه لا ملك منعه عنه كما قيل ولبعضهم هنا ابحاث ابن اقبرس
زوايد لا طائل تحتها وقوله رب اغفر لي بدل مغتفر لقوله دعوة اخي وتسخير
الجن داخل في هذه الدعوة لقوله بعدها فسخرنا له الريح تجري بامره رخا
حيث اصاب والشياطين الخ ولما استجاب الله دعوته ترك صلى الله عليه
وسلم ذلك تادبا منه وتواضعا وتوقيرا لسليمان صلى الله عليه وسلم قال

ابن

ابن عرفة رحمه الله وما نقل عن الحجاج من انه قال في حق نبي الله سليمان انه كان حسودا
من فسقه وجهله بل من كفره وعدم علمه بمقامات الانبيا عليهم الصلاة والسلام فان للانسان
ان يطلب من الملك شيئا يخصه به اذا علم انه لا يعطيه الا لواحد من مملكته فيجوز ان يكون
هو ذلك الواحد وقوله فرده الله اي رد الله ذلك الشيطان باقداري عليه وتمكيني منه
خاسيا اي خايبا حقيرا ممثل وذا من كلامه صلى الله عليه وسلم كما هو واضح وقول البخاري
قال روح فرده الله خاسيا بيان لانه وقع من روايته لانه روي فرددته وهي صريحة
في ذلك وهذا الحديث روي من طرق وفيها زيادة واختلاف ففي بعضها عرض لي في
صورة هر واخذته فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدي وروي انه سمع صلى الله
عليه وسلم يتعوذ في صلاته اعوذ بالله منك والعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده
كانه يتناول شيئا فسالوه عن ذلك فقال ان عدو الله ابليس لعنه الله جا بشهاب من
نار ليجعله في وجهي وقوله في الرواية المارة فاخذته وخنقته يعلم منه ان قول
المص في شرح مسلم انه يحتمل انه لم يقدر عليه لا وجه له فانه صلى الله عليه وسلم
كان قادرا على ذلك فانه اولى بمثل كل معجزة لغيره كما ياتي وفي بعض طرق هذا الحديث
تصريح بان الشيطان هو ابليس وقيل يحتمل انه غيره وان الواقعة تعددت قال
ابن عبد البر الجن على مراتب جني وعامر وهو الذي يخالط الناس والارواح وهم الذين
يتعرضون للصبيان واجنبها قيل وقرب الانبيا والعباد يقال له الابيض كما في
تفسير القرطبي وهذا اي ما كان له صلى الله عليه وسلم مع الملايكة والجن باب
واسع اشارة الى ان ما ذكره قليل من كثير وغيض من فيض وفي احكام المرجان ربطه
الى السارية من التصرف الملكي الذي تركه لسليمان وتصرفه صلى الله عليه وسلم
نبوي بالدعوة للاسلام والامر والنهي فان كان عبدا رسولا وهو افضل من الملك
النبي ثم ان خنقه وفعله به ما فعله في صلاته احتج به على جواز مثله في الصلاة
كدفع المار وقتل الاسودين والمسابقة في صلاة الخوف انتهى وفيه تامل

## فصل

ومن دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم والدليل
ما يعلم منه شي اخر ويكون قطعيا وظنيا قال استاذ والدي الشيخ احمد بن قاسم
في الايات البينات هي جمع دليل على خلاف القياس ويحتمل ان يكون جمع دلالة
بمعنى دليل فان امام الحرمين قال ان الدليل يسمى دلالة وجمع فعالة على
فعايل قياسي والظاهر ان تسمية الدليل دلالة مجاز انتهى وقال الراغب
الدلالة ما يتوصل به الى معرفة الشي وتسمية الدال والدليل دلالة كتسمية
الشي بمصدره انتهى وفيه دليل لما قاله امام الحرمين وانه سمع فلا وجه
للتوقف فيه ولا لقول بعض شراح المنهاج الاصولي في قوله دلايل الفقه
صوابه ادلة وقال ابن مالك في شرح الكافية لم يات فعايل جمع اسم جنس
على فعيل فيما اعلم لكنه بمقتضى القياس جايز في علم المؤنث كسعيد علم
امراة جمع على سعايد وذكر النحاة انه في غاية القلة وورد منه لفظين
لا يقاس عليهما وهما وصايد جمع وصيد وهو الباب وسلايل جمع سليل
وهو واد وزاد الجوهري تبايع جمع تبيع وافايل جمع افيل وهو الصغير

من الابل وقول بعضهم انه قيده بفعله فقد يقال انه لا يمتنع سماعا ولا قياسا
خبط لا معنى له وعلامات رسالته العلامة الامارة واكثر ما تستعمل في الظنيات وفيما ابن اقبرس
يكون قبل الوقوع والفرق بين النبوة والرسالة مشهور وقد يكون اتى بجمعي
واضافة الدلايل للنبوة والعلامات للرسالة تفننا وقيل لان النبوة اصل والرسالة ابن اقبرس
وصف زايد انتهى والظاهر ما قلناه انه غاير بينهما تفننا والمراد بالدلايل الدلايل
القطعية وقدمها لشرفها واضافها للنبوة لسبقها على الرسالة وكل ما دل على
النبوة دل على الرسالة للزوم تصديقه بعد ثبوت نبوته في قوله اني رسول
الله اليكم وكذا الرسالة مستلزمة للنبوة ومبنية عليها فعلاماتها علاماتها
تترادفت به الاخبار اي تتابعت فجا بعضها يتبع بعضا من غير انفصال
كان بعضها ركب خلف الاخر ففيه استعارة مكنية وتخييلية والاخبار جمع
خبر عن الرهبان وهم عباد النصارى وعلماؤهم كبحيرا في قصته المشهورة
جمع راهب من الرهبة وهي الخوف لاظهارهم خشية الله والخوف منه مقابل
للراغب لتركهم الرغبة في الدنيا كما قيل

يهوى غلاما من نصارى يحاق * فاعجب له من راغب في راهب

والاحبار جمع حبر بالفتح والكسر كما مر وهو العالم من اهل الكتاب واشتهر
في علماء اليهود وقوله وعلما اهل الكتاب من عطف العام على الخاص واهل الكتاب
غلب على اليهود والنصارى فالمراد بالكتاب التوراة والانجيل وغيرهما من
الكتب السماوية وفي نسخة الكتب جمعا وهنا بمعنى من صفته صلى الله عليه وسلم
وصفة امته واسمه وعلامته ففي التوراة عن كعب محمد رسول الله عبدي المختار
الخ وامته الحمادون وفي الزبور عن وهب بن منبه سياتي من بعدك نبي يسمى
احمد ومحمدا امته مرحومة اعطيتهم مثل ما اعطيت الانبيا الى غير ذلك مما نقله
الثقات كقوله في علامته في الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والهراوة الجعد
الراس الصلت الجبين الى اخر ما ذكره من حليته وفيه وذكر الخاتم بالفتح والكسر
يعني خاتم النبوة الذي بين كتفيه وقد تقدم الكلام عليه وانه مثل زر
الحجلة وبيضة الحمام وانه ختم به بعد شق صدره وفيه شعرات وخيلان
عند نغض كتفه اليسرى وهو مذكور في كتب الله القديمة وما وجد بالبناء
للمفعول من ذلك اي مما يدل على نبوته ورسالته في اشعار المتقدمين من الحبر
المتالهين قبل بعثته صلى الله عليه وسلم العالمين بما في الكتب السماوية
القديمة من شعر تبع بيان لما وجد وتبع بضم التاء وتشديد البا الموحدة
اسم لملك اليمن وجمعه تبابعة سمي به لكثرة اتباعه المنقادين له واصل
معناه الظل ولا يسمى تبعا الا اذا ملك حمير وحضرموت واشتهر منهم اثنان
تبع الاكبر الاول والثاني اباكرب وتبع الثاني هو الذي اراد تخريب
المدينة واستيصال اليهود لما شكى له الانصار منهم لانهم من اليمن
نزلوا عندهم فقال له رجل معمر الملك اجل من ان يطير به نزق او
يستخفه غضب وامره اعظم من ان يضيق حلمه او يخرم صفحه وهذه البلدة

مهاج

مُهَاجر نبي يبعث بعد بن ابراهيم قال السهيلي وهذا الحد من اليهود وهو احد الحبرين
اللذين كانا الملك شخينة وهنبه او بنيامين ويأتي ان شامول كلمة ايضا فآمن به عليه
الصلاة والسلام وكسي الكعبة وهو اول من كساها والشعر المذكور قوله

شهدت على احمد انه • نبي من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره • لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف اعداءه • وفرجت عن صدره كل غم
له امة سميت في الزبور • وامته هي خير الامم

وقوله ويأتي بعدهم رجل عظيم • نبي لا يرخص في الحرام
يسمى احمد يا ليت اني • اعمر بعد بعثته بعام

والاوس بن حارثة بن ثعلبة العنقا بن عمرو مزيقيا بن ماء السما بن حارثة
الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الازد بن الغوث
ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان والاوس
في اللغة الذيب والعطية سمي به وله تنتسب الانصار وكان اوس من عدة
ناس في الفترة هداهم الله للتوحيد ولم يعبدوا الاصنام وكانوا يعاشرون
اهل الكتاب فيخبرونهم بما في كتبهم من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيذكرونه
في خطبهم واشعارهم ولاوس شعر فيه لم يذكره احد هنا من الشراح وهو
سيد جواد طائي كان صديقا لحاتم الطائي والاوس بالالف واللام للمح ولذا
قال السهيلي انه منقول من اسم العطية لا من اسم الذيب لانه علم جنس كاسامة
لا تدخل عليه الالف واللام وقبل النقل فنعده اولى وقال التلمساني انه
روي هنا بدون الف ولام وهو مخالف لما قاله الامام السهيلي وكعب بن
لوي هذا هو الصواب وفي بعض النسخ لوي بن كعب وهو غلط من الناسخ ولوي
يهمز ولا يهمز وهو تصغير لاي بمعنى البطو وهو اول من جمع يوم الجمعة
وسماها جمعة وكانت تسمى عروبة في الجاهلية فكان يخطب فيه الناس ويبشر
بالنبي صلى الله عليه وسلم فمما نقل من كلامه نظما ونثرا انه قال في خطبة
له اما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ليل ساج ونهار ضاح والارض
مهاد والسما بنا والجبال اوتاد والنجوم اعلام الى قوله الدار اماكم والظن
غير ما تقولون حرمكم زينوه وعظموه فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي
كريم وينشد

نهار وليل كل يوم بحادث • سوا علينا ليلها ونهارها
يؤوبان بالاحداث حين تأوبا • وبالنعم الضافي علينا ستورها
على غفلة يأتي النبي محمد • فيخبر اخبارا صدوق خبيرها

الى اخر ما رواه ابن الجوزي مسندا في كتاب الوفا وسفيان بن مجاشع التميمي
الدارمي المجاشعي جد الفرزدق والاقرع بن حابس وكان احتمل عن قومه ديات
فخرج الحي من تميم فاذا هم مجتمعون عند كاهنة فاتاهم وجلس عندهم
فسمع الكاهنة تقول العزيز من والاه والذليل من خالاه والموفور من

رسول

عظموه وتمسكوا به

والاه والموتور من عالاه فقال سفيان من تذكر بي لله ابوك فقال صاحب هدي وعلم وبطش وحلم وحرب وسلم وراس رؤس ورابض سموس وماحق بوس وماهد زموس وناعس ومنعوس فقال سفيان لله ابوك من هو قالت نبي مؤيد قد اتي حين يوجد ودنا اوان يولد يبعث الي الاحمر والاسود بكتاب لا يفند اسمه محمد قال سفيان لله ابوك اعربي هو ام عجمي فقالت الا والسماء ذات العنان والشجر ذات الافنان انه لمن معد بن عدنان فامسك عن سؤالها ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمد الرجاان يكون هو النبي المذكور وهو احد من سمي باسمه صلي الله عليه وسلم قبل مبعثه كما تقدم وهذا ماذكره المص من تبشيرهم به ولم يعر فيه الا ان الشراح قالوا لم نقف عليه وما ذكر يكفي في المقصود وقس بن ساعدة الايادي قس بضم القاف وتشديد السين وفي الحديث انه قس بن ساعدة يبعث امة وحده والقس العالم والايادي بكسر الهمزة نسبة لاياد حي من معد وكان من الحكما الزهاد كعمه وخاله منقطعا للعبادة في برية وامن بالنبي صلي الله عليه وسلم قبل مبعثه وراه النبي صلي الله عليه وسلم مرتين بسوق عكاظ ولذا عده ابن شاهين وغيره في الصحابة وعمر حتي قيل انه عاش ستماية او سبعماية سنة وادرك الحواريين فكان علي دين عيسي عليه الصلاة والسلام وكانت السباع تدور عنده ولا تؤذيه وربما ضرب لها دعصاه وهو خطيب مفلق يضرب به المثل وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم الجارود علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان سيد قومه قال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل وبشر بك ابن البتول وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله فامن هو وكل سيد من قومه وسر بذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال له يا جارود هل في وفد عبد القيس من يعرف قسا قال كلنا نعرفه وكنت اقفو اثره كاني انظر اليه يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب اجله وبقول

هاج للقلب من جواه ادكار ۞ وليال خلالهن نهار

في ابيات اخر فقال له صلي الله عليه وسلم فلست انساه بسوق عكاظ يذكر كلاما ما احفظه فقال ابو بكر رضي الله عنه كنت حاضرا وانا احفظه سمعته يقول في خطبته يا ايها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو ات ات مطر ونبات وارزاق واقوات واباء وامهات واحيا واموات وجمع واشتات وايات بعد ايات ان في السما لخبرا وان في الارض لعبرا ليل داج وسما ذات ابراج وارض ذات رتاج وبحار ذات امواج ما لي اري الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا هناك فناموا اقسم قس قسما حاتما لا حانثا فيه ولا اثما ان لله دينا هو احسن من دينكم الذي انتم عليه ونبيا قد حان حينه واظلكم اوانه فطوبي لمن امن به فهداه وويل لمن خالفه وعصاه تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يا معشر اياد اين الاباء والاجداد

واين

ح اجتمعوا واذا اجتمعتم فاسمعوا

ح ٣ فقولوا واذا قلتم فاصدقوا

٣ علي حالهم

بالله قسم حق لا كذب فيه ولا اثم
في الارض رضا ليكونن سخط

مرضي وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور

وابن الدين والعواد وابن الفراعنة الشداد وابن من زخرف وعقد وعزه المال والولد ابن من بغي وطغي وجمع فاوعي وقال انا ربكم الاعلي الم يكونوا اكثر منكم اموالا واطول منكم اجالا وابعد منكم امالا طحنهم الثري بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم باليه وبيوتهم خاويه عمرتها الذياب العاويه كلا بل هو الله احد الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود وانشا يقول

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصاير ۔ لما رايت موارد للموت ليس لها مصادر

ورايت قومي نحوها تمضي الاصاغر والاكابر ۔ لا يرجع الماضي الي ولا من الباقين غابر

ايقنت اني لا محالة ۔ حيث صار القوم صاير

انتهي وروي له اشعار كثيرة فيها ذكره صلي الله عليه وسلم كقوله

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث ۔ ولم يخلنا سدي من بعد عيسي واكترث

ارسل فينا احمدا خير نبي قد بعث ۔ صلي عليه الله ما حج له ركب وحث

الي اخر ما ذكروه الا ان ابن الجوزي قال حديث قس المذكور موضوع وذكر اسانيد وبين ما فيها من الكذابين ورده السخاوي وقال انه يجازف في الوضع ولا يلزم من كون السند فيه كذاب ان يكون المتن كذبا اذا تعددت طرقه وقد رواه ابن سيد الناس بسند ليس فيه كذاب ورواه غيره ايضا فالصحيح انه ليس بموضوع وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهما ابن ذي يزن من ملوك حمير وتنسب اليه الرماح فيقال رمح يزني وازني ويزاني وفيه وفي اشتقاقه كلام طويل للصاغاني وقال البرهان انه مصروف والذي في القاموس انه ممنوع من الصرف لوزن الفعل واصله يزان ورد الصاغاني في الذيل والصلة منع صرفه واطال فيه وقال مادة زان غير معروفة ولا نضاف ذو وهنا الا الي اسما الاجناس وفي شرح الدريدية لابن النحاس ان فيه قولين احدهما انه من وزن حذفت الواو لوقوعها بين فتحة وكسرة ثم ابدلت الكسرة فتحة تخفيفا فلا ينصرف علي هذا الثاني انه مما اصله وزن قلبت الواو همزة كما في احد ثم ابدلت يا وسمي به فهو منصرف انتهي وهذا لا يرد عليه ما اورده الصاغاني وقوله لا تضاف ذوا الا لاسما الاجناس ممنوع فانه يضاف للاعلام كما هنا وهي لغة اهل اليمن فيضيفونه لاعلام ملوكهم وعظمايهم وهو من اضافة المسمي للاسم ويقال لملوك اليمن الاذواء وقصته سيف مشهورة في التواريخ والسير وكان ظهر علي اليمن وظفر بالحبشة فنفاهم بعد مولد النبي صلي الله عليه وسلم بسنتين فاتته وفود العرب تهنيه وتمدحه فاتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب وامية بن عبد شمس وخويلد بن اسد وغيرهم من وجوه قريش واستاذنوا عليه فاذن لهم وهو معطر بالمسك والعنبر وحوله ابنا الملوك فقال لعبد المطلب ان كنت ممن يتكلم بين الملوك فتكلم فقال ايها الملك ان الله قد احلك محلا رفيعا شامخا منيعا وانبتك منبتا طابت ارومته وعذبت جرثومته وثبت اصله وبسق فرعه في اطيب موطن واكرم معدن وانت ابيت اللعن ايها الملك راس العرب

سنيد وهم

مصادر

عابر سكنوا اللحود فوطنوا اد اللحود ١٣ الاوابد والاواخر

البكر

وعزة

في اكرم موطن واطيب موطن

وربيعها التي تخصب به وراسها الذي له ينقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها
الذي اليه يلجوا العباد وسلفك لنا خير سلف وانت لنا منهم خير خلف ونحن ايها
الملك اهل حرم الله وبيته اشخصنا اليك الذي ابهجنا بك لكشفك الكرب الذي قد
حنا فنحن وفد التهنية لا وفد المرزية فقال له سيف وايهم انت ايها المتكلم قال
انا عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا قال نعم فادناه واقبل عليه وعلى القوم وقال
مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا ربحلا يعطي عطا جزلا قد
سمعت مقالتكم وعرفت قرابتكم وقبلت وسيلتكم وانتم اهل الليل والنهار
لكم الكرامة ما اقمتم والحبا اذا ظعنتم انهضوا الى دار الضيافة والوفود وامر
لهم بالانزال فاقاموا شهرا لا يصلون اليه ولا ياذن لهم في الانصراف ثم ارسل
الى عبد المطلب وقال له بعد ما قرب مجلسه يا عبد المطلب اني مفض اليك بسر
لو يكون غيرك لم ابح به ولكن وجدتك معدنه فليكن عندك مطويا حتى ياذن
الله فيه فانه بالغ امره اني اجد في الكتاب المكنون والسر المخزون الذي اختزناه
لانفسنا دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة
للناس كافة ولرهطك عامة ولك خاصة فقال عبد المطلب مثلك ايها الملك
من سر وبر فما هو فداك اهل الوبر والمدر زمرا بعد زمر فقال له
اذا ولد بتهامه غلام به علامه بين كتفيه شامه كانت له الامامه ولكم
به الزعامه الى يوم القيامه فقال له عبد المطلب ابيت اللعن لولا هيبة
الملك واجلاله لسالته مما ازداد به سرورا قال هذا حينه الذي يولد
فيه او قد ولد واسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه قد ولدناه
مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم اولياءه ويذل
بهم اعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض ويستبيح بهم كرائم الارض يعبد
الرحمن ويدحر الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل
وحكمه عدل يامر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال عبد المطلب
ايها الملك عز جارك وسعد جدك وعلا كعبك ودام امرك وطال
عمرك فهل للملك ان يسرني بافصاح فقد اوضح لي بعض الايضاح فقال
والبيت ذي الحجب والعلامات على النقب انك لجده بلا كذب فخر عبد
المطلب ساجدا فقال له ارفع راسك فقد ثلج صدرك وعلا امرك فهل
احسست شيا مما ذكرت فقال نعم ايها الملك انه كان لي ابن كنت به معجبا
فزوجته كريمة من كرايم قومي امنة بنت وهب بن عبد مناف فجات
بغلام سميته محمدا ومات ابوه وامه وكفلته انا وعمه بين كتفيه
شامه وفيه كل ما ذكرت من علامه فقال الذي ذكرت كما ذكرت فاحتفظ
به واحذر عليه اليهود فانهم له اعدا ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا
واطو ما ذكرت لك دون هذا الرهط الذي معك فاني لست امن ان تدخلهم
النفاسه فيبغون لك الغوايل وينصبون له الحبايل وهم فاعلون
او ابناوهم ولولا اني اعلم ان الموت مجتاحي قبل بعثه لسرت بخيلي ورجلي

حتى

وكرامة وفضلا

حتى اتي يثرب واصير بها دار مملكتي فاني اجد في الكتاب الناطق والعلم السابق
ان يثرب استحكام امره وموضع قبره واهل نصرته ولولا اني اقيه الافات واحذر عليه
العاهات لاوطات العرب كعبه واعلنت على حداثة سنه ذكره ثم امر لكل رجل منهم
بمائة من الابل وعشرة اعبد وعشرة اماء وعشرة ارطال فضة وخمسة ذهبا وكرش
مملوء عنبرا وامر لعبد المطلب باضعافه وقال له اذا كان راس الحول فائتني
بخبره وما يكون من امره فهلك قبل راس الحول فكان عبد المطلب يقول لا يغبطني
احد من قريش بجزيل الملك فانه الى نفاد ولكن الغبطة بما يبقى لي شرفه وذكره
في العقبى فاذا سئل عنه قال سيظهر بعد حين وفيه شعر له وعن ابن عباس انه
قال لعبد المطلب اشهد ان في احدى يديك ملكا وفي الاخرى نبوة فكانت النبوة
والخلافة العباسية كما في كتب السير والتواريخ وبما ذكرناه من انه مات
قبل الحول يعلم انه ليس بصحابي ولا تابعي فذكر الذهبي له في الصحابة لا وجه
له والعجب من بعض الشراح حيث نقل ما ذكرناه وقال انه تابعي فالحق انه
ليس كذلك ولا مخضرم ايضا كما قيل ولعل الذي ذكره الذهبي اشارة الى ان مثله
لا يقال بالراي ايضا وما عرف به من امره وكونه نبيا مرسلا وعرف بتشديد الرا
مبني للفاعل لا للمفعول وان صح بناء على انه عرفه به اهل الكتاب والفاعل
او نابيه زيد بن عمرو بن نفيل قال الذهبي هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى
ابن رباح العدوي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يبعث
امة وحده لانه كان يطلب دين ابراهيم ويكره الشرك واهله ويوحد الله ه
ويقول لقريش ما فيكم على شيء قد اخطاوا دين ابراهيم باوثان لا تضر ولا
تنفع بعد وكان يخالفهم ولا ياكل ذبايحهم فاجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم
قبل نبوته وتوفي قبل مبعثه وقال شاممت اليهودية والنصرانية فكرهتهما
وكنت بالشام فاتيت راهبا فقصصت عليه فقال اراك تريد دين ابراهيم يا اخا
اهل مكة انك لتطلب دينا لا يوجد اليوم وهو دين ابيك ابراهيم فالحق ببلدك
فان الله يبعث لك من ياتي بدين ابراهيم الحنيفية وهو اكرم الخلق على الله انتهى
المراد منه ومن خطه نقلت وروى غيره ايضا انه لقي راهبا بالجزيرة فساله عن دين
ابراهيم فقال له ان كل من تراه من الاحبار والرهبان في ضلال وانك لتسال عن دين
الله وقد خرج في ارضك او هو خارج نبي يدعو اليه فارجع اليه وصدقه فلقيه
قبل مبعثه ببلد حينئذ فقال يا عم ما لي ارى قومك قد ابغضوك فقال اما
والله ان ذلك لغير ثايرة مني اليهم ولكني اراهم على ضلالة فخرجت ابتغي هذا
الدين ثم اخبره بما عرفه به الراهب من امره صلى الله عليه وسلم وهذا اما اشار
اليه المص وعده من الصحابة توسعا لانه لم يجتمع به صلى الله عليه وسلم بعد
النبوة ونفيل بتصغير نفل وهو العطية نقل للعلمية وقيل ان اليهود قتلوه
بالخمر وورقة بن نوفل احد النفر الذين كانوا في الفترة على الدين الحق من
قريش وهو ورقة بن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو معطوف على زيد
وما عرف به ورقة من امره صلى الله عليه وسلم واخبر به خديجة ام المومنين

رضي الله عنها كما ذكره البخاري فامن به بعد رسالته ولذا قيل انها اول الصحابة وكان شيخا كبيرا يقرا الكتب ويعرف العبرانية وقال للنبي صلى الله عليه وسلم لما اخبره بامر البشر فانك الذي بشر به ابن مريم وراه صلى الله عليه وسلم في الجنة عليه ثياب خضر وقال لا تسبوا ورقة كما تقدم وله اشعار مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم وعثكلان الحميري بفتح العين المهملة وسكون المثلثة وكاف ولام والف ونون والحميري نسبة لحمير قبيلة باليمن سميت باسم حمير بن سبا اي ما عرف به من امره صلى الله عليه وسلم عمن لقيه من الرهبان وقال الشراح لم نقف على قصة عثكلان وفي الخصايص ان ابن عساكر اخرج من طريق عبد الرحمن بن عبد ابن عوف بن عبد عبد عوف عن ابيه عن جده قال سافرت الى اليمن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت على عثكلان بن عواكن الحميري وكان شيخا كبيرا انزل عليه اذا جيت اليمن فنزلت عليه مرة فسالني عن مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم احد خالف دينكم فقلت لا ثم قدمت عليه بعد بعثه صلى الله عليه وسلم وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده واخبروه بمكاني فشد على عينيه عصابة واستند وقعد وقال لي انتسب يا اخا قريش فقلت انا عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة قال حسبك يا اخا زهرة الا ابشرك ببشارة هي خير لك من التجارة قلت بلى قال انبيك بالمعجمة وابشرك بالمرغبة ان الله قد بعث في الشهر الاول من قومك نبيا ارتضاه صفيا وانزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام يامر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله فقلت ممن هو قال لا من الازد ولا ثماله ولا من السرو ولا تباله هو من بني هاشم وانتم اخواله يا عبد الرحمن اخف الوقعة وعجل الرجعة ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الابيات

اشهد بالله ذي المعالي * وفالق الليل والصباح
انك في السر من قريش * يا ابن المفدي من الذباح
ارسلت تدعو الى يقين * ترشد للحق والفلاح
اشهد بالله رب موسى * انك ارسلت بالبطاح
فكن شفيعي الى مليك * يدعو البرايا الى الفلاح

قال عبد الرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت ابا بكر رضي الله عنه واخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فاته فلما اتيت بيت خديجة رانى صلى الله عليه وسلم فضحك وقال لي اري وجها خليقا ان ارجو له خيرا فما وراك قلت وديعة فقال ارسلكا مرسل برسالة هاتها فاخبرته واسلمت فقال اخا حمير مؤمن مصدق بي وما شاهدني اوليك من اخواني حقا انتهى وعلما يهود وفي نسخة علما اليهود بالالف واللام وكلاهما صحيح كما بينه سيبويه في باب العلم فانه يكون علما لهذه القبيلة فيمنع من الصرف ولا تدخله الالف واللام قال الشاعر

اولئك اولى من يهود بمدحة • اذا انت يوما قلتها لم تؤنب
واذا قلت اليهود فانه بمعنى اليهوديين ولكن حذفوا يا النسبة انتهى وفي تله
شراحه اي ما عرف به من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم علماؤهم مما قرؤوه
في كتبهم ورووه عن اسلافهم كابن صوريا وابن اخطب وابن ياسر • ووهب بن
يهوذ وغيرهم ممن لا يحصى • ومنهم من اسلم ومنهم من عاند حسدا فمات
على كفره ثم ذكر بعضا منهم وعطفه عطف الخاص على العام فقال وشامول عالمهم
بشين معجمة وميم ولام بينهما الف بوزن فاعول وهو من علما اليهود وكان
مع تبع وصاحبه وفي كتاب الوفا لما قدم تبع المدينة لنصرة الاوس والخزرج
على اليهود قال اني مخرب هذه البلدة حتى لا يقوم لها يهودية ويرجع الامر
لدين العرب فقال له شامول اليهودي وهو يومئذ اعلم اليهود ايها الملك
ان هذه البلدة مهاجر نبي من بني اسمعيل مولده مكة واسمه محمد وهذه
دار هجرته وان منزلك الذي انت به سيكون فيه من القتلى من اصحابه واعدا
امر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبي قال له قومه قال واين قبره
قال بهذه البلدة قال فاذا قوتل لمن تكون النصرة قال تكون له مرة وعليه اخرى
ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه احد ثم سأله عن صفته فاخبره
بها كما مر في حديث الحلية الشريفة وقوله صاحب تبع اي الذي كان معه ه
وزهبان اخرين لما قدم المدينة فقالوا له لما قص عليهم شامول القصة
المارة انا لم نبرح هاهنا لعلنا ندركه او ابناؤنا فاعطى كل واحد منهم ما لا
وجارية فمكثوا فيها وقوله من صفته وخبره صلى الله عليه وسلم كما عرفته
الغائبات لما عرف به ولما الفي من ذلك اي من صفته وخبره في التوراة والانجيل
والفي بهمزة مضمومة ولام ساكنة وفا مكسورة ومثناة تحتية مبني للمجهول
بمعنى وجد والنصوص للتوراة والانجيل كثيرة وسياتي طرف منها واعلم ان
التابعة اربعة وقد اختلفوا في ايهم امن به صلى الله عليه وسلم هل هو الاكبر
او غيره كما قاله السهيلي وليس هذا محل تفصيله وتقدم بيانه اجمالا
وقوله مما جمعه العلما في تاليفهم بيان لما الفي فيهما من صفته صلى الله عليه
وسلم وخبره وبينوه اي اظهروه ووضحوه للناس ونقله عنهم ثقات من
اسلم منهما اي من اهل الكتابين مثل عالمهم وحبرهم عبد الله بن سلام ه
بتخفيف اللام وهو من اليهود وتقدم الكلام عليه وعلى اسلامه وبني سعية
بني جمع ابن وسعية بسين مفتوحة وعين مهملتين ساكنة ومثناة تحتية
وقيل صوابه النون بدل المثناة التحتية وقيل النون اكثر واشهر وهم ثعلبة
واسيد بالتصغير والتكبير وفتح الهمزة وزيد وقيل انهم سبعة لكن الذي
في سيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحاق ان ثعلبة بن سعية واسد بن عبيد
وهم نفر من هدل بنو عم قريظة والنضير اسلموا في الليلة التي نزلت فيها
قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البرهان وهذا هو الذي
اعرفه وانهما اثنان لا جماعة فيحتمل ان القاضي راى معهم اسد بن عبيد

فطنه احاهم ويحتمل انه وقف على الجمع ثلاثة انتهى وسبب اسلامهم انه قدم عليهم
رجل من اهل الشام نقال له ابن الهيبان اقام عندهم وكان عالما يستسقون به
ويستسقون فيسقون فلما حضرته الوفاة قال يامعشر يهود انما اقدمني
هذه البلدة خروج نبي قد اظل زمانه وهذه البلدة مهاجره وقد كنت ارجو
ان ادركه فاتبعه فلما بعث صلى الله عليه وسلم وهاجر وحاصر بني قريظة
قال لهم بنو سعية وهم احداث والله انه هو الذي عهد اليكم فيه ابن الهيبان
فقالوا ليس به قالوا بل هو هو بصفته فنزلوا واسلموا واحرزوا اهلهم
واموالهم ودماءهم كما في الاكتفاء ودلايل البيهقي وابن يامين بن عمير بن عمرو
ابن كعب بن جحاش من بني النضير وقيل انه بليامين باللام وهو احد الحبرين
اللذين قدما من اليمن مع تبع واسم الاخر سحيت كما مر وكانه تصغير سحت كما
قاله التلمساني وقال الشارح الجديد لم اطلع عليه ومخيريق بضم الميم وفتح
الخا المعجمة والياء الساكنة وكسر الرا المهملة والياء الساكنة وقاف بصيغة
المصغر وهو كما مر كان عالما حبرا من احبار اليهود كثير المال والنخيل وكان
يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته الا انه غلبه الف دينه فلما
كان يوم احد يوم السبت قال يامعشر يهود انكم لتعلمون ان نصر محمد لحق عليكم فقالوا
اليوم يوم السبت فقال انكم لا سبت لكم ثم اخذ سلاحه وخرج حتى اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه باحد وعهد الى قومه ان قتلت هذا اليوم فاموالي
لمحمد يصنع بها ما اراه ثم قاتل حتى قتل فجعل ماله صدقة بالمدينة وكان
صلى الله عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود ويهود كما مر اسم هذه القبيلة
ولا شك انه منها ومن خيرها فلا يقال كيف اثنى عليهم بعد اسلامه والامر
فيه سهل وكعب بن ماتع وهو كعب الاحبار كما تقدم التابعي المشهور ادرك
زمنه صلى الله عليه وسلم واسلم في خلافة ابي بكر رضي الله عنه وتوفي في خلافة
عثمان سنة ثنتين وثلاثين ودفن بحمص على ما مر وروي عنه اثار كثيرة في
صفاته صلى الله عليه وسلم في التوراة كما في الوفا وكتاب الشرف لابي سعيد
وفي خبر البشر لابن ظفر وساله عمر رضي الله عنه عن صفته صلى الله عليه وسلم
في التوراة فقال ان فيها ان سيد الناس والصفوة من ولد ادم وخاتم النبيين
يخرج من جبال فاران ومنبت القرظ من الوادي المقدس فيظهر التوحيد والحق
ثم ينتقل الى طيبة فتكون حروبه وايامه ثم يقبض ويدفن بها الى غير
ذلك مما لا يحصى كثرة واشباههم من علمائهم الذين كانوا يعرفون امره صلى
الله عليه وسلم واخباره من كتبهم ممن اسلم وامن برسول الله صلى الله
عليه وسلم وراه كمخيريق او لم يره ككعب من علماء يهود وبحيرا عطف على
علماء يهود لانه ليس منهم فانه كان نصرانيا وبحيرا بفتح الموحدة وكسر الحا
المهملة ومثناة تحتية وراء مهملة والف مقصورة على المشهور الا ان البرهان
قال ان راه ممدودة بخط العلامة ابن المرحل فلعله وقف على لغة فيه
وقصته صحيحة مشهورة في السير وهو راهب كان منقطعا للعبادة بصومعة

عن بني

له عند محل يقال له بصرى في طريق الشام وكانت قافلة قريش تمر عليه فلا يلتفت
لاحد منها فلما ذهب ابو طالب الى الشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
صغير ابن تسع او اثنتي عشرة سنة نزل لهم وقال يا معشر قريش اني صنعت لكم طعاما
فذهبوا معه وتركوه في رحالهم لصغر سنه فقال لهم هل بقي احد قالوا لا الا
ولد صغير قد غادرناه في رحالنا فسألوه عن سبب هذا ولم يكن دابه فقال اني رايت غمامة
تظله ولما نزل عند الشجرة مالت لجانبه وان مثله لا يكون الا لنبي وانا نجده في
كتابنا وهذه صفته ونظر لخاتم النبوة فيه فقال لابي طالب احترس عليه من
اليهود واقسم عليه ان يرده فقيل انه رده وقيل اسرع في سفره وعاد به
والقصة مفصلة في السير وبحيرا هذا من اول من آمن به وعد من الصحابة
ان قلنا ان من اجتمع به مؤمنا مطلقا يعد من الصحابة ونسطور الحبشة
احترز به عن نسطور الشام وغيره ونسطور معرب ويقرا بالسين والصاد
كما في بعض الشروح ونسطور الشام قصته مذكورة في السير وهي قريبة من
قصة بحيرا وفي بعض النسخ نسطور بدون اضافة للحبشة وقد قال الشراح
ان نسطور الحبشة غير معروف ولعله من علماء اهل الكتاب الذين كانوا عند
النجاشي وصاحب بصرى بضم الباء الحبلي بلدة بالشام وهي بين المدينة والشام
وقيل الحاوران وهذا هو المعروف وفي نسخة راهب بصرى وصاحبها ملكها
الذي ارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم دحية بكتابه وهو الحارث بن
ابي شمر الغساني كما قاله ابن حجر وقال انه مات عام الفتح ولم يذكر قصته
واسلامه وما اخبر به عن امره صلى الله عليه وسلم واسقف الشام وفي نسخة
اساقفة الشام ويعني بهم صاحب ايليا وهرقل وابن الناطور وغيرهم واسقف
بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم القاف وتشديد الفاء ولا نظير له الا اسرع
وحكى ابن سيده ثالثا وهو الاسلف للصالح وقال العيني في شرح البخاري
ولا يرد عليه الابرح لانه جمع والكلام في المفرد وفيه نظر لا يخفى وقال عبد الغافر
الفارسي في كتاب مجمع الرغايب والغرايب في الحديث في كتابه صلى الله عليه
وسلم لاهل نجران لا يمنع اسقف من سقيفاه وجمعه اساقفة والسقيفي
مصدر كالخليفي ومعناه لا يمنع اسقف من تسقيفه ولا راهب من ترهبه
والمسقف الطويل مع انحناء وكذا الاسقف ويقال هو بين السقف وفي
خطبة الحجاج المروية اياكم وهؤلاء السقفاء قال القتيبي اكثرت السؤال
عنه فلم يعرفه احد وقال بعض اهل اللغة انما هو الشفعاء اي الذين
يشفعون عند السلطان في المريب انتهى وفي القاموس وقول الحجاج اياكم
وهذه السقفاء تصحيف صوابه الشفعاء كانوا يجتمعون عند السلطان
فيشفعون في المريب انتهى وليس كما قال فان الزمخشري اثبته في الفائق
والاسقف عالم النصارى ورئيسهم وضغاطر بضاد وغين معجمتين
مفتوحتين بعدهما الف وطاء وراء مهملتان ويقال ضغاطر بنون
ولغاطر بموحدة تحتية مفتوحة وقاف وهو اسقف من كبار الروم

اسلم على يد دحية رضي الله عنه لما ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل
وغير لباسه واظهر اسلامه فقتلوه كما ذكره الذهبي وكان ذلك في سنة ست من الهجرة
وهو الذي ابهمه البخاري في اوله في قصة قيصر حيث قال كتب هرقل الى صاحب له
برومية كان نظيره في العلم قال دحية لما خرج عظما الروم من عنده هرقل ادخلني
عليه وارسل الى اسقف كان صاحب امرهم فقال عن امر النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له هذا الذي كنا ننتظره وبشرنا به عيسى عليه الصلاة والسلام اما
انا فمصدقه ومتبعه فقال قيصر له ان فعلت ذهب ملكي فقال لي الاسقف
خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرا عليه السلام واخبره اني اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واني قد امنت به وصدقته وروى ابن
اسحاق ان هرقل ارسل دحية الى ضغاطر الرومي وقال انه في الروم انفذ قولا
مني فاظهر اسلامه والقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام
وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما رجع دحية الى هرقل قال له اما قلت لك
انا نخافهم على انفسنا فضغاطر كان عندهم اعظم مني وحينئذ فضغاطر
تابعي مخضرم وقيل انه المراد باسقف الشام السابق لكونه كان ساكنا
بها وهو عندهم رئيس دينهم وعالمهم المتعبد المتخشع وهو فوق
القسيس ودون المطران وكان عالما بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
في كتبهم وقيل انه غيره ودحية رضي الله عنه وفد على هرقل مرتين
والجارود بن عمرو بن العلا او ابن العلا ويكنى ابا عتاب واسمه بشر وكان
سيد عبد القيس على دين النصرانية وفد على النبي صلى الله عليه وسلم
سنة تسع فعرض عليه الاسلام ورغبه فيه فاسلم هو واصحابه وحسن
اسلامه وكان متصلبا في دينه وادرك الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى
الحق وقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وكفر
من لم يشهد وله اشعار رويت في السير كقوله

شهدت بان الله حق وسامحت • بنات فؤادي بالشهادة والنهض
فابلغ رسول الله عني رسالة • باني حنيف حيث كنت من الارض

وسكن بالبصرة وقيل بفارس وقتل بها وذلك سنة احدى وعشرين وسمي
الجارود لانه غار على بكر بن وايل فجردهم كما قال العبدي

ودسناهم بالخيل من كل جانب • كما جرد الجارود بكر بن وايل

وقيل انه فر بابله وبها داء الى اخواله بني شيبان ففشا الداء في ابلهم
حتى اهلكها نهو فاعول من الجرد بالجيم وهو الاستيصال وسلمان الفارسي
وقصة اسلامه ومـلا فاته للرهبان وتبشيرهم له ببعث النبي صلى
الله عليه وسلم مشهورة تقدم بعض منها وتميم الداري ينتسب
للدار وهم بطن باليمن من لخم وهم ولد هاني بن حبيب بن نمارة بن لخم
ابن عبد الحارث بن مرة بن ادد منهم تميم بن اوس بن خارجة بن سواد
ويقال سود بن جذيمة بن دراع بن عدي بن الدار ويكنى بابي رقية

رسول الله ص

واسلم تميم سنة تسع وسكن المدينة ثم انتقل الى الشام بعد قتل عثمان
وكان من اهل الكتاب عالما بكتبهم فقرا فيها بعثة رسول الله صلى الله عليه
وسلم والتبشير به فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامن به واقطعه
اراضي بالقدس وقصته مشهورة اوردها ابن حجر وكذا السيوطي بالتاليف ٥
والنجاشي بفتح النون وكسرها وتشديد اليا وتخفيفها واسمه اصحمة وقيل
غير ذلك كسليم بالتصغير وهو ملك الحبشة توفي في السنة التاسعة
من الهجرة في شهر رجب وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
الغايب وهاجر اليه المسلمون الهجرة الاولى وكان من قصة اسلامه المشهورة انه قال
للقسيسين اشهد انه رسول الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا انا ما انا فيه
من الملك اتيته وكنت احمل نعليه وكان من اعلم اهل عصره بالانجيل بتغير
صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبكي حتى يبل لحيته وقد تقدم الكلام
في ترجمته ونصارى الحبشة هم قوم منهم عرفوا صفته صلى الله عليه وسلم
في الانجيل واخبروا بها واساقفة نجران وفي نسخة اساقف بدون ها جمع اسقف
وقد تقدم الكلام عليهم قريبا اي علما وهم قرن وسا وهم ونجران بفتح النون
وسكون الجيم وراء مهملة والف ونون وهو موضع باليمن سمي بنجران بن
زيدان بن سبا بينه وبين مكة سبع مراحل وليس من الحجاز وبه يسمي
اهله وهم نصارى وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ستون
راكبا من اشرافهم وكان لهم علم بالكتاب واشرفهم ابو حارثة كان ملوك النصارى
يحلقونه لعلمه بالنصرانية فملكوه ونولوه وبنوا له كنايس واخدموه فقدم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اخوه كوز بضم الكاف واخره
زاي معجمة على بغلة له فعثرت فقال له كوز تعس الابعد فقال له لم
يا اخي قال لم لم تؤمن بهذا النبي وانه الذي كنا ننتظره فقال بلى والله
فقال له ما يمنعك ما اصنع هولا القوم شرفونا ومولونا وقد ابوا الا خلافه
فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فاضمرها في نفسه حتى اسلم وكان يحدث به -
فلما دخلوا المسجد الشريف وقت العصر وعليهم الحبرات في جمال لم ير مثله
فحانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون
الى المشرق فقال دعوهم ثم اتوه صلى الله عليه وسلم فكلمه منهم ابو حارثة
والعاقب والايهم ودينهم النصرانية والتثليث فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قال كذبتم يمنعكم الاسلام
دعاؤكم لله ولدا وعبادة الصليب واكل الخنزير فانزل الله فيهم اول سورة
ال عمران فلما اراد صلى الله عليه وسلم ملاعنتهم تشاوروا فقالوا
انه ما لاعن نبي قوما الا استوصلوا ثم نزلوا على امره فاسلم بعضهم
وقبل بعضهم الجزية وارسل معهما ابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه
ليقضي بينهم والقصة مفصلة في كتب التفسير والسير وغيرهم
ممن اسلم من علما النصارى وقد اعترف بذلك اي ببعثته صلى

الله عليه وسلم وانه لبشر به في الكتب القديمة هرقل ملك الروم وقصته مذكورة
في اول البخاري وهرقل بكسر الهاء وفتح الرا وسكون القاف كما مر وحكي اسكان الراء
وكسر القاف وكان يعرف امره صلى الله عليه وسلم في الكتب الالهية ولكن احب الملك
فحكم بشقايه ما لك الملك وفي الاستيعاب انه آمن به صلى الله عليه وسلم وفيه
نظر لانه قاتل المسلمين بموتة ووعدهم ان ياتيهم في العام القابل فالاصح
الاول وقد مات على النصرانية وكان عالما بالكتاب وباحوال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما اخبر به دحية وصاحب رومة بضم الراء وسكون الواو
وميم مخففة مفتوحة يليها ها في اكثر النسخ وفي بعضها رومية بيا مخففة
عند اهل اللغة كانطاكية وغيرها وعدوا التشديد بدلحنا لانه ليس بنسبة
عربية وبعضهم يشددها واختلف فيه فقيل هو ابن الناطور بطا مهملة
وهو لفظ اعجمي معناه حارس الكروم والعامة تقول ناطر بدون واو
ويجعله بمعنى الحارس مطلقا واعجمه بعضهم وقيل هو ضغاطر الذي تقدم
واعترض بانه اسلم فلا يناسبه قوله بعده انه ممن حمله الشقا على البقا
على كونه الان يخص ذلك باليهود وهو بعيد وفي القاموس رومة بلدة عند عرضي
طبرية فيها ربانيهم وعلماؤهم وقيل غير ذلك ولا وجه لما قيل ان الصواب
صاحبه برومة كما ورد في الحديث ولا دليل لما ذكره على ما زعم عالما النصارى
مبني على أنه بينما هم مبني عليه وهو سيد القوم وحاكمهم وهذا
صريح فيما قلناه من انه كان صاحب رومية اي حاكمها ومقوقس صاحب مصر
اي ملكها ومقوقس بزنة اسم فاعل فوعل علم رومي قيل معناه عندهم
مطول البنا وهو الذي اهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم قدحا من
قوارير وجاريته مارية احدث مصر ولم يسلم وغلط من عده من الصحابة
كيف وهو لم يلاق النبي صلى الله عليه وسلم وما زال نصرانيا على الاصح
واسمه جريج بن مينا كما قاله الدارقطني ولهم مقوقس آخر عد في الصحابة
قال الذهبي ولعله الاول وهو ملك القبط وصاحب الاسكندرية وارسل له
النبي صلى الله عليه وسلم كتابا بالدعوة فيه الى الاسلام فاجابه بما هو
معلوم في كتب الحديث والسير وقد يدخلون عليه الالف واللام والشيخ
صاحبه اي صاحب المقوقس قال البرهان وغيره وهذا الشيخ لا نعرفه الا ان
المسعودي ذكره وذكر له قصة في كتاب العجايب احال عليها في مروج الذهب
فان وقفنا عليها الحقناها بما هنا وابن صوريا بضم الصاد المهملة وواو تلمساني
ساكنة يليها را مهملة مكسورة ومثناة تحتية والف مقصورة وقيل
الهاممالة وهو عبد الله بن صوريا الاعور اليهودي ولم يكن في زمانه
اعلم منه بالتوراة وقال النقاش انه اسلم وقيل اسلم ثم ارتد ولم
يذكر ابن اسحاق اسلامه وعد في الاصابة من الصحابة وفي معالم التنزيل
انه الذي نزل فيه قوله تعالى من كان عدوا لجبريل وكلام المص مبني على
عدم اسلامه وابن اخطب بزنة افعل من الخطبة وهو حيي ابو ام المؤمنين

صفية رضي الله عنها واخوه ابو ياسر اليهوديان اللذان قتلا كافرين صبرا في اسرا
بني قريظة وكانا يعلمان امر النبي صلى الله عليه وسلم وما في التوراة من ذكره
بصفته ومع ذلك كانا اشد الناس عداوة له كما ذكرته ذلك صفية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلمت وقالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المدينة غدا اليه ابي وعمي ثم جا ابا العشي فسمعت عمي يقول لابي
اهو هو قال نعم الحديث وكعب بن اسد من بني قريظة وهو صاحب عقدهم
وقال لهم لما حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر يهود انكم
ترون ما نزل بكم من الامر فتعالوا نتابعه ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه
نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتامنوا على نسايكم واموالكم
واهلكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره الى اخر القصة
وما فيها من نقضهم العهد وقتلهم ويقال ان اسم كعب كتد بفتحتين وكاف
ومثناة فوقية ودال مهملة والزبير بن باطيا الزبير هنا بفتح الزا المعجمة
وهو من يهود بني قريظة ايضا قتل كافرا في وقعة بني قريظة وهو جد
عبد الرحمن بن الزبير بضم الزاو وقيل انه بفتحها كاسم جده قيل والصحيح انه
بالضم كما في تاريخ البخاري وقال ابن مرزوق الزبير بفتح الزاي في اليهود
وفي غيرهم بالضم والزبير هذا قتله ثابت بن قيس بن شماس يوم بني قريظة
وكان من اعلم اليهود روى عنه ابنه انه كان يقول الي وجدت سفرا كان
ابي يختمه فيه ذكر احمد نبي يخرج بارض القرظ صفته كذا وكذا فتحدث
به الزبير بعد ابيه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث فما هو الا ان سمع
بان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بمكة فعمد الى السفر فمحاه وكتم شانه
صلى الله عليه وسلم وصفته وقال ليس به وباطيا بموحدة والف تليها
طا مهملة ومثناة تحتية والف مقصورة وفي بعض النسخ باطا بدون يا
وكتب عليها صح وقال التلمساني الخفاف وانه فيه وغيرهم من علما يهود
الذين عرفوا نبوته صلى الله عليه وسلم وذكروه بصفته نقلا عن كتبهم
واحبارهم ولهم ذكر في مفصلات السير ممن حمله الحسد له صلى الله
عليه وسلم كابن سلول والحسد للعرب اذ كان هذا الرسول منهم دون
بني اسرايل والنفاسة بفتح النون بمعنى المنافسة وفسرت بالحسد
وهي مغايرة لا محالة المنازعة في الانفسية بان يدعي انه النفس واحق
بما هو فيه وانه لا يستاهله وبحقه وحمله بمعنى بعثه ودعاه لما
ذكر حتى كانه حمله حتى اوصله له ثم صار حقيقة عرفية فيما ذكر على البقا
على الشقا اي اصرار على كونه او ازدياده عنادا والشقا ضد السعادة وبين
الشقا والبقا تجنيس والاخبار الواردة في هذا الباب كثيرة لا تنحصر اشارة
الى ان ما ذكره قليل بالنسبة لما تركه منها اذ هي لا يمكن حصرها اي الاحا
طة بها وقد قرئ بالبنا للفاعل والتخفيف والتشديد والقرع الضرب والصدم
بما يسمع له صوت فاذا شدد كان مبالغة فيه ويكون بمعنى التوبيخ والتعيير

فاذ احفف بها استعارة للمبالغة في الجهر حتى كانه يضرب اسماعهم فاذا اشتد فالمراد
به ونق بحثهم بما ذكر اسماع اليهود والنصارى خصهم لانهم اهل الكتاب وقدم
اليهود لانهم اشد عداوة له صلى الله عليه وسلم واكثر انكارا وعنادا او في بعض
النسخ يهود والنصارى وعرف النصارى بال دون يهود لانه علم كما مر وقيل
لان اليهود اشد عداوة للمؤمنين وفيه نظر بما ذكرناه في كتبهم متعلق بنوع اي افترى
وفاعله النبي صلى الله عليه وسلم من صفته صلى الله عليه وسلم وصفة اصحابه
وفي نسخة وصف امته وكلاهما صحيح متقارب المعنى فانه وقع في الكتب الالهية
ذكرهما خصوصا وعموما ففي التوراة انهم خير امة هم الاخرون السابقون يوم
القيامة اناجيلهم صدورهم يؤمنون بالكتاب الاول والاخر ويقاتلون اهل
الضلالة الى غير ذلك مما استوفاه ابن ظفر في كتاب خير البشر بخير البشر واحتج
صلى الله عليه وسلم اي اقام الحجة عليهم بما انطوت عليه صحفهم اي بما
حوته واشتملت عليه وفيه اشارة الى اخفاء ما فيها وكتمه لان الصحيفة
اذا طويت لم ينظر لما فيها وتحقق بمضمونه ويشكل تخفيفا جمع صحيفة وهي
الكتاب والاكثر جمعه على صحائف لان فعيلة لا تجمع على فعل الا نادرا من ذلك
اي صفته صلى الله عليه وسلم وصفة امته وذمهم بتحريف ذلك المذكور في
كتبهم بتغيير بعض الفاظه وتفسيره بغير المراد منه كقوله تعالى من الذين
هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الآية فبدلوا صفته صلى الله عليه وسلم
حتى اصلحوها لهم وقالوا ليس هو الموعود به في كتابنا وكتمانه اي اخفاء
صفته صلى الله عليه وسلم وصفة امته كما قال تعالى ولا تلبسوا الحق
بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون وليهم السنتهم ببيان امره اي صرفه لغيره
حسدا او بغيا بان يتركوا بيانه ويعدلوا عنه لغيره واصل اللي فتل الحبل
ونحوه فاستعير لصرفهما عن الصدق الى الكذب قال الراغب لوى لسانه بكذا
كناية عن الكذب قال تعالى يلوون السنتهم بالكتاب انتهى ودعوتهم
الى المباهلة على الكاذب اي قرع اسماعهم بدعوتهم اليها وطلبها منهم كما
وقع له صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران اذ دعاهم للمباهلة فابوا
وبذلوا الجزية كما مر والمباهلة الملاعنة من البهل وهي اللعنة بان يقول
كل منهما لعنة الله على الظالم والكاذب منا وقد جرت ان المباهل لا تمضي
عليه سنة وقيل معناها التضرع والاجتهاد في الدعاء وتتعدى بعلى فما
احد منهم اي اليهود والنصارى الا من نفر اي اعرض وهرب عن معارضته
فيما قرع بها اسماعهم وذمهم به فترك المعارضة لعدم قدرته عليها
وابدا فاعله ضمير من وافرده نظرا للفظه وجمعه في قوله ما الزمهم نظرا للمعنى
من وفاعل الزم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله من كتبهم بيان لما اي
مما الزمهم به من نصوص كتبهم كقصة الرجم المشهورة اظهاره مفعول
الزم اي الزمهم اظهاره اذ كتموه ولو وجد واخلاف قوله في كتبهم لكان
اظهاره اسهل وقوله اهون عليهم اي اسهل خبر كان من بذل النفوس بوجه

وذال

وذال معجمة اي اعطا بها اله بالقتل والاموال التي غنمها واخذها منهم قهرا وتخريب الديار
كما وقع ليهود خيبر وبني النضير ونبذ القتال اي تركه وهو اشتغى لغليلهم يقال
نبذ النواة اذا طرحها وقد قال لهم جملة حالية اي لليهود لما فرع اسماعهم بقوله
تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر فقالوا لسنا اول من حرمت عليه فقد حرمت على ابراهيم ومن بعده
حتى انتهى الامر الينا فقال لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين لنظهر انها
لم تحرم الا عليكم لظلمكم وبغيكم فامر بمحاجتهم بما فيها توبيخا لهم فلما قال لهم ذلك
بهتوا ولم ياتوا ببنت شفة لانقطاع حجتهم وظهور كذبهم كما في قصة الرجم وكانوا
ادعوا ان لحوم الابل حرمت على يعقوب وبنيه في التوراة فنحن نحرمها فقال لهم صلى
الله عليه وسلم انها لم تحرم عليه وانما امتنع يعقوب من اكلها لانه كان به عرق النسا
وهي مضره الى ما انذرته به الكهان جمع كاهن وهو الذي كان يخبر بالامور قبل وقوعها
ويدعي الاطلاع عليها والانذار الاعلام بما فيه موعظة وتخويفا والى غاية
لما تقدم اي انتهى ما ترادف من الاخبار الى انذارهم به بقرب زمانه او الى بمعنى
مع وكانت الكهان تتلقى ذلك من الشياطين مثل شافع بن كليب مصغر كلب وهو
كاهن من كهان العرب اخبر قبل مبعثه بخبر النبي صلى الله عليه وسلم ومهاجره الى المدينة
كما تقدم بيانه وقال الحافظ ومن تبعه لا اعرفه وشق وسطيح وهما كاهنان
من كهان العرب وشق بكسر الشين المعجمة وهو شق بن مصعب بن يشكر وجده
الاعلى ربيعة بن انمار وكان بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وكانت
العرب تاتيه فيخبرهم بما ياتي وسطيح بفتح السين وكسر الطا المهملتين ومثناة
تحتية ساكنة وحا مهملة وهو ابن ربيعة بن مسعود بن مازن بن غسان قيل
ان جسده كان لا عظم فيه غير جمجمة راسه فكان يدرج كالثوب فاذا غضب انتفخ
وقيل انه عاش ثلاثمائة سنة وقصتهما مشهورة وذكرهما النبي صلى الله عليه
وسلم لما ارسل كسرى عبد المسيح يسالهما عن رؤياه فالقصة مذكورة في السير مشهورة بيسالهما
ولهما قصص كثيرة في التواريخ وادركا زمانه صلى الله عليه وسلم وسواد
ابن قارب بلفظ السواد ضد البياض وقارب بزنة اسم فاعل من القرب وهو سواد
الدوسي الصحابي وكان كاهنا من كهان العرب له رئي من الجن ياتيه ويخبره
بالمغيبات فبينما هو ذات ليلة اذ اتاه فضربه برجله وقال له قم يا سواد
ابن قارب فاسمع مقالتي ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب
يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم اتاه ليالي يقول له مثل مقالته
فركب ناقته واتى المدينة واجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وامن
به واخبره بخبر رئيه وما قال له من الاشعار فسر بذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتفصيله في السير وخنافر بضم الخا المعجمة ونون والف
بعدها فا مكسورة ورا مهملة وهو كاهن من حمير له رئي من الجن اخبره
ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم على يد معاذ رضي الله عنه كما ياتي
ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم فهو تابعي وهو ابن التوام الحميري وله جنية

تسمى شصار او شاصر وكان غانيا ذا مال وسعة فاسلم وحسن اسلامه وفي امالي
القالي عن الكلبي قال كان خنافر بن التوام الحميري كاهنا قد اوتي بسطة في الجسم
وسعة المال وكان غانيا فلما وفدت وفود اليمن على النبي صلى الله عليه وسلم
وظهر الاسلام اغار على ابل لمراد فلحق باهله وبها الشحر فخالف بها جودان وهو
سيد منيع ونزل عنده بواد مخصب وكان له رئي في الجاهلية لا يكاد يغيب
عنه فلما فشى الاسلام فقده مدة حتى ساءه ذلك فبينما هو بذلك الوادي
هوى عليه هوي العقاب ونادى خنافر فقال شصار قال افل قال فاسمع
تقال ع تغنم لكل مدة نهاية وكل ذي امد الى غاية قلت اجل قال كل ذي دولة
الى اجل ثم تاح له حول انتسخت النحل ورجعت الى حقايقها الملل انك ثم
موصول والنصح لك مبذول اني انست بارض الشام نفرا من ال العرام حكاما
على الحكام يزبرون ذا رونق من الكلام ليس بالشعر المؤلف ولا السجع المتكلف
فاصغيت فزجرت فعاودت فطلعت فقلت بم تهيمنون والى م تعتزون قالوا
خطابا كبارا جاء من عند الملك الجبار فاسمع يا شصار اصدق الاخبار واسلك
اوضح الاثار تنج من اوار النار قلت وما هذا الكلام قالوا فرقان بين الكفر
والايمان رسول من مضر من اهل المدر ابتعث فظهر فجاء بقول قد بهر واوضح
نهجا قد دثر وفيه مواعظ لمن اعتبر ومعاذ لمن ازدجر الف بالاي الكبر قلت
ومن هذا المبعوث من مضر قالوا احمد خير البشر فان امنت اعطيت الشبر
وان خالفت اصليت سقر فامنت يا خنافر واقبلت اليك ابادر فجانب كل
نجس كافر وشايع كل مؤمن طاهر والا فهو الفراق عن لا تلاق قلت من
اين ابغي هذا الدين قال من ذات الاحرين والنفر المياميين اهل الماء والطين
قلت اوضح قال الحق بيثرب ذات النخل والحرة ذات النعل فهناك اهل الطول
والفضل والمواساة والبذل ثم املس عني فبت مذعورا اراعي الصباح فلما
برق لي النور امتطيت راحلتي واذنت عبدي واحتملت باهلي حتى وردت
الجوف فرددت الابل على اربابها بحولها واسقابها واقبلت اريد صنعا فاصبت
بها معاذ بن جبل امير رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته على الاسلام
وعلمني سورا من القران فمن الله علي بالهدى بعد الضلالة والعلم بعد
الجهالة ثم ذكر له شعرا وشرح ما في الخبر من اللغة فان اردته فارجع اليه
وفيما ذكرنا كفاية وافعى نجران هو ملك من ملوك نجران كان كاهنا وهو
الافعى بن الافعى الجرهمي عن عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم شيخ من صدا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اربعون رجلا يحفون به فقال
يا رسول الله حرفت ودرد رت وشمطت ثم رجح ذلك فاسود شعري
وثار عقلي ونبتت اسناني وبهولا ولدي لصلبي وخلفهم من نسلهم
اضعافهم وقد سمعت افعى نجران يذكر في غابر الزمان انه سيبعث
نبي من صفته ان له خاتما يسطع نوره بين كتفيه يبعث بمكة ومهاجره
الى طيبة فبالذي فضلك بالرسالة وايضاح الدلالة الا كشفت لي عن خاتم

بنو بكر

نبوتك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حفظت على طول العهد
وان فيك لمعتبر ثم كشف له عن خاتم النبوة فاكب عليه يقبله وافعى نجران
هذا هو الذي حكم بين اولاد نزار لما تشاجروا في ميراث ابيهم وهم مضر وربيعة
وانمار واياد وقال يا مضر انت ابو النبي التهامي فانا نجد في الاثار انه من ولد
نزار بن معد بن عدنان واني لارى للنبوة بين عينيك نورا واجلسه على سرير
ملكه وجلس تحته وهذا اما اشار اليه الملم والشراح كلهم لم يقفوا عليه
وجدل بن جدل الكندي قال الحافظ الحلبي لا اعرفه وتبعه غيره من الشراح
وهو كاهن من كهان العرب اخبر بمبعثه صلى الله عليه وسلم قديما ولم نر تفصيل
قصته الا ان التلمساني قال جدل بكسر الجيم وسكون الدال المعجمة ولام وقيل انه
بجيم ودال مهملة مفتوحتين من كندة وهي قبيلة معروفة لما ولدته امه التمست
ذكره فلم تجده من شدة البرد فظنته جارية فطرحته ورد وجهها في سكرات الموت
فاشتغلت بموته ثم ذكرت بعد ثلاث رؤيا بشرت فيها بولد ذكر تسميه باسم ابيه
فقامت وهي تظن انه مات فوجدت كلبة ترضعه فحملته وسمته باسم ابيه وابن
خلصة الدوسي بخاء معجمة ولام وصاد مهملة مفتوحات وهو كاهن من كهان العرب
بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكروا له ترجمة ودوس بفتح الدال
المهملة قبيلة معروفة وقال في الخصايص الكبرى نقلا عن الهواتف عن مرداس
ابن قيس الدوسي قال ذكرت الكهانة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله كانت عندنا جارية يقال لها خلصة لم نعلم عليها الا خيرا
فجاءتنا فقالت يا معشر دوس هل علمتم بي الا خيرا قلنا وما ذاك قالت اني لفي
غنمي اذ غشيتني ظلمة فوجدت كحس الرجل مع المراة فحبلت فلما دنت الولادة
وضعت غلاما اعصف له اذنان كاذني الكلب فمكث فينا وكان لا يقول شيا فلما
كان مبعثك صار يكذب فقلنا له ما هذا فقال ما ادري كذبني الذي كان
يصدقني اسجنوني في بيتي ثلاثا ثم ايتوني ففعلنا وفتحنا عنه فاذا هو
كانه جمرة نار فقال يا معشر دوس حرست السما وخرج خير الانبيا فقلنا من اين
قال بمكة وانا ميت فادفنوني براس جبل فاني سا ضطرم نارا فاذا رايتم ذلك
فاقذفوني بثلاثة احجار وقولوا مع كل حجر باسمك اللهم فاني اهدي واطفى
ففعلنا ذلك واقمنا حتى قدم علينا الحاج فاخبرنا بمبعثك يا رسول الله انتهى
ومنه نعلم ان الشراح لعدم وقوفهم على قصتها ظنوها كما هنا ذكرا وانما
هي كاهنة فاعرفه فان خلصة امراة والكاهن ابنها وسعدى بنت كريز
بضم الكاف العربية وبالرا المهملة واخره زاي معجمة وفي النسخ هنا
اختلاف والصحيح ما ذكرناه وهي خالة عثمان بن عفان اخت امه كانت في
الجاهلية لها علم وكهانة فاخبرت عثمان ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم
وتزوجه بابنته رقية فقصدهما وكان ذلك سبب اسلامه فلما اسلم كانت
تنشد • • • • •
• هدى الله عثمانا بقولي الى الهدى • فارشده والله يهدي الى الحق •

وفي بعض النسخ سعدي بنت كريز وفاطمة بنت النعمان قال التلمساني هي فاطمة
بنت النعمان النجارية كان لها تابع من الجن وكان اذا جا اقتحم عليها فلما بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتاها وقعد على حايط الدار فقالت له لم لا تدخل
فقال قد بعث نبي يحرم الزنا فكان ذلك اول ما سمع بذكر النبي صلى الله عليه
وسلم بالمدينة وكانت في الجاهلية عالمة كاهنة ونعمان بضم النون هو نعمان بن
فراد وقيل هو علي بن نعمان بن فراد وروي عن ابن عمر وغيره نحو تابعي ونعمان
اسم موضع واسم الدم ايضا ومن لا يعد كثرة وفي نسخة سعد مطاوع بعدم
اي لا يعد لكثرته لا لعدم اعتباره معموما او منتهيا الى ما ظهر على السنة الاصنا
الظاهر انه استعارة تمثيلية بتشبيهها في ظهور صورة شخص تكلم بكلام وقيل
هذا لا يصح لانه على مذهب الجبائي الذي يشترط الالة المخصوصة للنطق ويحن
لا نشترط الا الحياة فالمتواتر كلام الاصنام او نطق الاصنام الا ان يراد باللسان
الكلام وليس بشي لما علمت من انه استعارة وهذا التعبير في وجوه الحسان وقد
ذكر ابن اسحاق وغيره كثيرا مما سمعه المشركون من اجواف اصنامهم يقول ان
امرهم بطل بظهور الرسول صلى الله عليه وسلم ويامرهم باتباعه وان الباطل
بطل وقد جا الحق من نبوته صلى الله عليه وسلم وحلول وقت رسالته ومن
يمانية لما كمثل كان لمازن الطاي فقرب له يوما قربانا فسمعه يقول يا مازن
اقبل الي اقبل تسمع ما لا تجهل هذا نبي مرسل جا بحق منزل امن به كي تعدل
عن حر نار تشعل الى اخر ما في السير من انه سمعه منه مرارا فكسره ورحل
الى النبي صلى الله عليه وسلم واسلم ونظايره كثيرة وكانت الشياطين هي التي
تسمعهم الكلام من عبدان بروهم وسمع مبني للمفعول معطوف على ظهر من
هواتف الجن وفي نسخة الجان وهما بمعنى وقد فرق بينهما بان الجان ابو الجن
والجن الجن كله والهواتف جمع هاتف من الهتف وهو الصوت العالي مطلقا
او خفق بصوت يسمع ممن لا يرى شخصه من صرح ولذا اختص بالجن عند العرب
وكان عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم كثير ذلك وللخرايطي كتاب الهواتف
جمع فيه ذلك فكانت تلك الهواتف تخبر ببعض احواله صلى الله عليه وسلم
وهذه اية عظيمة من اياته وظهور ببيناته كسماع ذياب بن الحارث هاتفا
يقول يا ذياب يا ذياب اسمع العجاب بعث محمد بالكتاب يدعو فلا يجاب
وسماع ابن فزة الغطفاني هاتفا يقول جا حق فسطع ودمر باطل فانقمع
وسماع قريش هاتفا يخبر بنزوله صلى الله عليه وسلم على ام معبد
الى غير ذلك فكل الكون السنة تنطق تخبر به وتدل على علو منزلته
ولكن الله يضل من يشا ويهدي من يشا والصوفية يسمون الواردات
الالهية هاتفا كما مر ومن ذبايح النصب اي ما سمع منها اذا قربت للذبح
والذبايح جمع ذبيحة وهي ما يذبح من بقر ونحوه والنصب بضمتين جمع نصب
بفتح فسكون وهو ما ينصب من الحجارة والاصنام للعبادة وهو مثل ما سمع
عمر رضي الله عنه من عجل قربه رجل ليذبحه قربانا لصنم فقال يا ال ذريح



تلمساني

امر عجيب رجل فصيح يقول لا اله الا الله الي اخر ما رووه واجواف الصور اي
ما سمع من الاصنام التي كانوا يصورونها فهو جمع صورة بمعنى جثة مصورة وهي
التمثال والاجواف جمع جوف وهو داخل كل شيء وما وجد من اسم النبي صلى الله
عليه وسلم مكتوبا اي على الحجارة والقبور اي وعلى القبور بالخط القديم المتقدم
عهد كتابته والشهادة له بالرسالة بذكر اسمه وانه نبي مرسل من الله ما اكثره
مشهور بين الناس وما الثانية بدل من الاولى او خبر والاولى مبتدا او هما موصولتان
وقد نقله ثقات المؤرخين في قصص لا تحصى ومكتوبا روي مرفوعا خبر مبتدا
محذوف ومنصوبا مفعول ثان لوجد والخبر مقدر اي ثابت وقد تقدم انه وجد
بخط عبراني على بعض الحجارة محمد تقي مصلح امين وان في تفسير قوله تعالى وكان
تحته كنز لهما عن ابن عباس انه لوح من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالقدر
كيف ينصب وعجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها كيف
يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وتقدم شرح ذلك كله بما فيه
الكفاية واسلام من اسلم بسبب ذلك اي بسبب ما راه من الكتابة القديمة والمراد
انها بغير اللسان العربي وهو مما يدل على صدق ما كتب فاعرفه معلوم مذكور في السير
والتواريخ

**فصل**

ومن ذلك اي مما يدل على نبوته صلى الله
عليه وسلم ورسالته ما ظهر من الايات اي العلامات او الادلة عند مولده اي
ولادته صلى الله عليه وسلم فهو مصدر ميمي مما حكته امه آمنة بنت وهب
وهي اشهر من ان تذكر ومن حضر ولادته من العجايب قيل اخر هذا الفصل
وكان ينبغي تقديمه لانه اول احواله لتقدم المعجزات بحسب الشرف وبابا
انه ذكر فيه ما يتعلق بوفاته صلى الله عليه وسلم وهي متاخرة فهو ناظر لذلك
او لانه لا يختص بزمان وهو كالاجمال لما قدمه والعذر لكله تؤخر والعجايب
وما معه اشارة الى ما رواه ابو نعيم عن ابن عباس من ان امه صلى الله عليه وسلم
لما حملت به اتاها آت في منامها بعد ستة اشهر وقال لها يا آمنة انك حملت
بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمي شانك فلما اخذني ما ياخذ
النسا لم يعلم بي احد واني لوحيدة في منزلي في طرفه فسمعت وجبة عظيمة
وامرا عظيما هالني فرايت كان جناح طاير ابيض قد مسح على فؤادي فذهب عني
الرعب وكل ما اجد ثم التفت فاذا انا بشربة لبن وكنت عطشى فتناولتها فشربتها فاصابني نور عال ولبسوا طوال حولي فقلت من اين
علمن بي وفي رواية الهن قلن نحن آسية امراة فرعون ومريم ابنت عمران
وهؤلاء من الحور العين فبينا انا كذلك واذا انا بديباج ابيض بين السما والارض
وقايل يقول خذاه عن اعين الناس ورجال في الهوا بايديهم اباريق من
فضة وقطعة من الطير ما قرها من زمرد واجنحتها من الياقوت فكشف الله
عن بصري فرايت مشارق الارض ومغاربها وعلما بالمشرق وعلما بالمغرب ٥
ووضعته صلى الله عليه وسلم وكانت قريش مجدبة فاخصبت الى غير ذلك
مما ذكروه قال ابن الجوزي في تلقيح الفكر اتفقوا على انه ولد يوم الاثنين
في شهر ربيع الاول عام الفيل واختلفوا فيما مضى منه على اربعة اقوال فقيل

لثنتين خلتا منه وقيل لثمان وقيل لعشر وقيل لاثنتي عشر خلت منه ومات ابوه وهو
ابن خمس وعشرين سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل وقيل ابن سبعة اشهر
وقيل ابن ثمان وعشرين شهرا والاصح الاول وكونه رافعا راسه عند ما وضعته
اي رفعه نحو السما كما رواه البيهقي شاخصا ببصره الى السما قال الراغب شخص من
بلده ذهب وشخص سمعه وبصره واشخصه صاحبه وقوله شاخصة ابصارهم
اي اجفانهم لا تطرف انتهى وقوله الى السما تنازعه رافعا وشاخصا وهذا اشارة
الى تعلقه صلى الله عليه وسلم بالملا الاعلى وتوجهه لذلك من اول امره كما
قال الابوصيري

رافعا راسه وفي ذلك الرفع الى كل سودد ايما
رامقا طرفه الى السما ومرمى عين من شانه العلو العلا

وروي انه خرج معه نور اضاءت له المشرق والمغرب وروي انه ولد واضعا يده مقبوضة
مشيرا بالسبابة كالمسبح وما راته امه كما رواه احمد والبيهقي من النور الذي
خرج معه عند ولادته وحديث النور الذي خرج معه اضاءت له جميع الارض رواه
جماعة وصححه ابن حبان والحاكم وعن اسحاق بن عبد الله ان امه صلى الله عليه وسلم
قالت لما ولدته خرج من فرجي نور اضاءت له قصور الشام وتقدم في كلام المصنف
عن امه الشفا قالت ولدته نظيفا ما به قذر قال ابو شامة كان امر هذا النور
استمر ذكره في قريش واليه اشار العباس كما مر بقوله

وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق

الخ وقال حسان رضي الله عنه نورا اضا على البرية كلها من يهد للنور المبارك يهتدي
قال ابن رجب رحمه الله وهو اشارة الى نور هدايته الذي محى ظلمة الشرك كما
قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقوله واضاءت له قصور الشام
خصه لانه مشرق انوار النبوة وهي دار ملكه وما رايته اذ ذاك اي وقت ولادته
ام عثمان بن ابي العاص ابو عبد الله بن بشير الثقفي وامه اسمها فاطمة بنت عبد
الله وعثمان هذا من اكابر الصحابة وله فتوحات وتولى قضا البصرة وروى عنها
ابنها الشفا شهدت مولده صلى الله عليه وسلم ورات ما راته من تدلي النجوم
التدلي الدنو والقرب كما قاله الراغب وهو في الاصل استعارة من الدلو وصار
حقيقة عرفية في القرب وظهور النور الذي خرج معه كما مر ويحتمل انه
نور النجوم لقربها حتى ما تنظر اي ام عثمان المذكورة بالمضارعة ويجوز ان
يقرا بالنون للحاضرين والموجودين والاول اولى رواية ودراية الا النور اي
لا ترى شيا غير النور وهو مبالغة في قوته وانتشاره في جميع النواحي
والظاهر ان تدلي النجوم على ظاهره قال الابوصيري رحمه الله

وتدلت زهر النجوم اليه فاضاءت بضوئها الارجا

وقيل معنى تدليها سقوطها ولا ينبغي مثله وقول الشفا ام عبد الرحمن تلمساني
ابن عوف الشفا بشين معجمة مفتوحة وفا مشددة ومد كما قاله الدلجي
والمعقود عليه ما قاله البرهان الحلبي انه بكسر الشين والقصر وهي كما

قال

قال الذهبي بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرين والدة عبد الرحمن وبنت عم ابيه عوف
ابن الحارث وقال السهيلي ان اسمها يمن ايضا وفي الاستيعاب انها اخت عبد الرحمن
ابن عوف وحكاه عن الزبير قال وقد قيل انها امه لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدي
اي وضعته امه فنزل على يديها واستهل اي عطس لا صاح وان كان يقال استهل
الصبي اذا صاح بدليل قولها سمعت قايلا اي ملكا يقول له صلى الله عليه وسلم رحمك
الله او رحمك ربك او يرحمك ربك تشميتا له بناء على ان رحمك بفتح الكاف وقال
التلمساني انه روي بكسرها والظاهر الاول وهو لم يفسره فالخطاب لامه او له صلى
الله عليه وسلم باعتبار التسمية وتفسيرها استهل بعطس ذكره الدلجي ويشهد
له قول الابوصيري

شمتته الاملاك اذ وضعته ● وشفتنا بقولها الشفا

اذ القول المذكور لا يقال الا عند العطاس اي الذي التشميت بالشين المعجمة والمهملة
فلذا حمل الاستهلال على العطاس مع تصريحهم بانه لم يكن في شيء من الاحاديث انه صلى
الله عليه وسلم لما ولد عطس وفي الجامع الصغير استهلال الصبي العطاس
فاستهلال المولود له معنيان بمجرد رفع الصوت والعطاس فلذا حمل هنا على
العطاس بقرينة الجواب الذي لا يقال الا عند العطاس وهذا الحديث رواه
ابو نعيم في الدلايل عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه واضا لي ما بين المشرق
والمغرب حتى رايت قصور الروم ولا منافاة بين هذه الرواية وبين رواية قصور
بصري والروم لانها كانت اذ ذاك بيد الروم وتتمة الحديث ثم اضجعته فلم انشب
ان غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيبت عني فسمعت قايلا يقول اين ذهبت
به قال الي المشرق فلم يزل ذلك على بالي حتى ابتعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكنت اول الناس اسلاما وفي الخوارق امور غريبة من تنكيس اسرة الملوك
وذهاب الحيوانات من الغرب للمشرق للتبشير به صلى الله عليه وسلم وروي كما
تقدم في كلامه انه ولد مختونا مسرورا اي مقطوع السرة كما تقدم في الجزم به
في كلام المص بل قال الحاكم في مستدركه انه تواترت به الاخبار وقال الذهبي
لا اعلم صحته فضلا عن تواتره واجاب بعضهم بانه اراد بالتواتر الاشتهار
فقد جاءت احاديث كثيرة من ذلك قال الحافظ ابن كثير فمن الحفاظ من صححها
ومنهم من ضعفها ومنهم من راها من الحسان وتقدم ان هذا الجواب بعيد
وقيل انه ختن يوم سابعه وتقدم ما عليه من الكلام وما اخرفت به حليمة
بنت ابي ذويب السعدية ثم مرضعته صلى الله عليه وسلم وخبر مشهور وزوجها
الحارث بن عبد العزى ظيراه عطف بيان او بدل من حليمة وزوجها وهو تثنية
ظير وهو المرضعة في الاصل وتطلق على الاب من الرضاعة كما هنا والظير مشترك
معنوي لانه من ظار اذا عطف فلا اشكال في تثنيته فانه ليس جمعا بين
معنيين مع انه ممنوع ايضا من بركته صلى الله عليه وسلم لما اخذته من امه ودرور
لبنها له اي زيادته حين وجهه له صلى الله عليه وسلم ولاخيه من الرضاعة بعد
قلته ولبن شارفها اي ودر لبن شارفها والشارف الناقة المسنة والغالب

ان لبنها لا يدر وتخصب غنمها بكسر الخا اي رعيها في مكان مخصب في سنة مجدبة او هو مجاز
عن سمنها وكثرة لبنها وكل ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم لكونه عندها والاصل
معنى الخصب بكسر الخا المعجمة المكان الكثير العشب واول من ارضعته صلى الله عليه
وسلم ثويبة جارية ابي لهب ثم حليمة رضي الله عنها وقد تقدم ان حليمة وفدت
على النبي صلى الله عليه وسلم فاكرمها وبسط لها رداه لتجلس عليه وقال ابن عبد
البر انها اسلمت وانكره الدمياطي وصنف فيه مغلطاي جزا وله صلى الله عليه وسلم
اخوة من الرضاعة مفصلة في السير كما فصل فيها احوال مرضعته وذهابه صلى
الله عليه وسلم الى ارض قومها وسرعة شبابه وحسن نشاته اي سرعة نمو خلقه
وقامته ونشاته ابتدا امره في صغره من نشا ينشا نمو ناشي وان حليمة قالت والله
ما بلغ سنته حتى صار غلاما جفرا وما جرى اي وقع وحدث من العجايب في ليلة
مولده اي في ليلة ولادته مما رواه البيهقي وغيره وفي نسخة ببلاده وهما بمعنى
وهذا يدل على انه ولد ليلا وهو الذي رواه ابن السكن في حديث تقدم والذي في
مسلم وصححوه انه ولد نهارا بعد الفجر وقبل طلوع الشمس وجمع بينهما بان تلك
الحصة قد تعد ليلا لقربها منه وبعضهم يرى ان اليوم من طلوع الشمس والحاصل
انه لا ينافي ما تقرر من ولادته نهارا الحديث المتقدم عن ام عثمان بن ابي العاص
على تقدير صحته من دلالته على انه ولد ليلا فان زمان النبوة صالح للخوارق ه
ويجوز ان تسقط النجوم نهارا اي فضلا عن ان تكاد تسقط سيما ان قلنا ولد عند
الفجر لان ذلك ملحق بالليل كما تقرر من ارتجاج اي تحرك واضطراب ايوان كسرى
وهو قصره ومن الاولى بيان لما والثانية للعجايب وقيل بيان لما ايضا وفيه نظر
عرصي
وكسرى تقدم انه بكسر الكاف وفتحها معرب خسرو وكسرى هذا هو انوشروان
ابن قباد وهو غير كسرى الذي كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمزق
كتابه فهو ابرويز بن هرمز بن انوشروان وهذا الحديث رواه البيهقي وابن ابي
الدنيا وابن السكن والايوان الصفة العظيمة والبنا العالي العظيم واصله اوان
بتشديد الواو فابدلت الاولى يا وفسر بعضهم الايوان ببيت الملك العظيم
المعد لجلوسه مع وزرائه لفصل الامور وسقوط شرفاته بضمتين كما في
تثقيف اللسان ويجوز سكونها وفتحها كما قاله البرهان جمع شرفة بضمتين
او بضم فسكون بوزن غرفة وفسرت بانها البيوت وانما هي ما يبنى على الحايط اعلا
منفصلا بعضه من بعض على هيئة معروفة وله شرفات كثيرة فسقط منها
اربعة عشر بعدد من ملك منا اولاده بعد ظهور الاسلام وانقضت مدتهم
في زمان قليل واطلاق شرفات على ما ذكر لاستوا القلة والكثرة فيه لاضافته
او لانه لا جمع له سواه او لانه يجوز استعمال كل من الجمعين في معنى الاخر وغيض
بحيرة طبرية غيض بفتح الغين المعجمة وسكون اليا التحتية وضاد معجمة مصدر
غاض يغيض اذا قل او ذهب يقال غاض الما وغاضه الله واما غاضه فيتعدى
ولا يتعدى وبحيرة تصغير بحر وهي البركة الكبيرة التي كثر ماوها ويطلق على
الارض الواسعة والمراد الاول وطبرية بلدة بالشام معروفة من الارض المقدسة

بينهما

بينها وبين القدس مرحلتين وبحيرة ساوة عظيمة الى الان البرهان قال المعروف بالغيض بحيرة
ساوة اللهم الا ان يريد عند خروج ياجوج وماجوج فان اولهم يمر بها ويجي اخرهم
فيقول كان هاهنا ما انتهى اقول ما قاله غير صحيح هنا لان الكلام فيما حصل عند ولادته
صلى الله عليه وسلم من الايات والعجب ممن تابعه على هذا مع ظهوره وساوة بلدة اخرى
بينها وبين الري اثنان وعشرون فرسخا والجواب الحق ان المراد بحيرة طبرية وطولها تلمساني
ستة اميال وكذا عرضها وقد روى الحديث البيهقي وابن ابي الدنيا وابن السكن كما
نقله السيوطي وغيره فالمعترض لم يقف على هذه الرواية فلعل ماءها نقص نقصا
لا ينقص مثله في زمان طويل او غار ماؤها ثم عاد بعد ذلك لما فيها من العيون النابعة
التي تمدها الامطار وقد علمت ان بحيرة تصغير بحرة لا بحر والتاء زائدة كما قيل وهي تلمساني
ممنوعة من الصرف للعلمية والتانيث وليست التاء زائدة فيها لبعد العلمية كزي
الندبة لتاويلها بالبقعة وهو تكلف لا داعي له وخمود نار فارس بمنع الصرف لانه
علم اعجمي وفارس اقليم معروف هو واهله فكان ما غاض من الماء فاض على النار
فاطفاها والخمود الانطفاء وكان هذا ليلة مولده صلى الله عليه وسلم كما تقرر وكان
لها اي لتلك النار الف عام لم تخمد لشدة اشتعالها وكثرة امدادها دايما وكانوا
يعبدونها كما قال ابن هاني

سجدت الى النيران اعمرها وهذه سفرتي به سجدت له نيرانها

وقال اخر

وذاك دليل للنجاة من اللظا به لا انطفا النار من كل موقد

وقوله لم تخمد بضم الميم وفتحها لانه ورد من باب نصر وعلم وكان كسرى واتباعه
يعبدونها ويرمون فيها المسك والعنبر ونحوه ولهم بها فتنة عظيمة اذ لم تزل
تتوهج وان لم تمد وقصة النار ورويا كسرى وقصها على سطيح مذكورة في السير
مشهورة وانه صلى الله عليه وسلم كان وهو طفل صغير كما رواه ابن سعد وغيره
عن ابن عباس اذا اكل مع عمه ابي طالب واله اي اهل بيته وكان صلى الله عليه وسلم
عنده في حضانته بعد عبد المطلب وهو صغير حيلة خالية شبعوا من الطعام
ورووا اذا شربوا لبنا ونحوه لا ما ولذا جعله ماكولا لانه غذا ابركته صلى الله
عليه وسلم مما لا يشبع منه مثلهم لقلته واذا غاب عنهم فلم يكن معهم فاكلوا
وحدهم في غيبته عنهم لم يشبعوا وباتوا جياعا وكان ساير ولد ابي طالب اي جميعهم
او بقيتهم بعده صلى الله عليه وسلم شعثا تعليلا وانكر بعضهم في وروده ساير
بمعنى جميع ورددناه في شرح الدرة بصحوته اذا قاموا من نومهم شعثا جمع
اشعث وهو المغبر المتغير لونه كما هو عادة الاطفال اذا قاموا من نومهم
في مضاجعهم ويصبح صلى الله عليه وسلم اي يدخل في وقت الصباح اذا قام
من نومه صقيلا اي رايق اللون غير متغير البشرة وهو استعارة من المراة الصقيلة
دهينا اي كان وجهه دهن بغالية ونحوها مما كانوا يدهنون به حتى يبرق وجوههم
كحيلا اي مكحل العين وكل ذلك من غير صنع لاحد وهي منصوبة بيصبح ان
كانت ناقصة او احوال وكان اولاد ابي طالب سبعة اذ ذاك عقيل وجعفر وطالب

وعلي وام هاني وام طالب وجمانة وكلهم اسلموا الا طالبا فانه مات كافرا وهذا مجاز او
حقيقة وفسر المدهون بخلاف الاشعث والمصفوف بالمسوي الشعر والكحيل بالذي
لا رمص بعينيه ولا قذي وكان ابو طالب يحبه صلى الله عليه وسلم حبا شديدا ويؤثره تلمساني
علي اولاده فاذا اتي بطعام يقول لا تاكلوا حتي ياتي ابني ويروي في بعض النسخ وفاة
ام ايمن هي بركة بنت محصن بن ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن
النعمان مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضنته التي كانت تربيه طفلا سميت
حاضنة لانها تجعل الولد في حضنها وقيل انها ارضعته وهي حبشية وابنها ايمن
ابن عبيد الحبشي وتزوجها زيد بن حارثة وكانت وصيفة لعبد الله ابيه صلى الله عليه
وسلم وروي عنها في الصحيحين وادركت خلافة عثمان كما نقله الذهبي عن الواقدي
وفي مسلم عن الزهري انها توفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة او ستة اشهر
وهو الذي صححه النووي وخطا الواقدي فيما قاله وانما حضنته لموت امه آمنة
ما رايته صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا لان الله تكفل به
فكان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه كما قال ووجدك يتيما فاوى وحاضنة اسم
فاعل مؤنث من الحضن وليس فعلا من المفاعلة وانه عدل عن حضنه لحاضنته للاشعار
بالفاعلية من جانبه ببركاته كما توهم وهو خطا فاحش علي عادته ومن ذلك اي ابن اقبرس
دلايل رسالته المشاهدة عند ولادته حراسة السما بالشهب وهي شعل النار
المرتبة في نجوم السما جمع شهاب وقطع رصد الشياطين اي ترصدهم وترقبهم لسماع
ما تقوله الملايكة فتحفظه وتلقيه للكهنة فهو مصدر ويكون بمعني راصد وجمعا
له فلذا اطلق علي الواحد وغيره والشياطين مردة الجن ومنعهم اي منع الله لهم من
استراق السمع وهو ان يختفي احد ليسمع كلام من لم يرد سماعه فكانه يسرق الكلام
الذي سمعه واعلم ان رمي الشياطين بالشهب لم تحدث في زمنه صلى الله عليه وسلم
فانه كان قبل ذلك ايضا ولكنه لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمان
كان كثير الكهنة وكانت الجن تخبرهم ببعض المغيبات فيلقونها للناس منعهم الله من
ذلك بالكلية حتي لا يلتبس الوحي بغيره فكثر الرجم بالشهب من جميع النواحي فبطلت
الكهانة ومنع الجن من الاطلاع علي المغيبات ولذا لما رات قريش كثرة القذف
بالنجوم قالوا اقتربت الساعة وخراب الدنيا فقال لهم عتبة بن ربيعة انظروا الي
العيوق ان كان رمي به فقد ان قيام الساعة والا فلا والي هذا يشير قوله تعالي
وانا لمسنا السما فوجدناها ملئت حرسا شديدا الاية وقد روي ان ابليس كان
يخترق السموات فلما ولد عيسي حجب عن ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم
حجب عن جميعها ومنع غيره من القرب منها والشهاب الذي يرمي به قيل انه لا يخطيه
ولكنه يحرقه ولا يقتله وقال الحسن انه يقتله فقد علمت ان رمي الشهب لم يحدث
في زمنه صلى الله عليه وسلم كما توهمه بعضهم وانما كثر واشتد فيه وكانوا في
الجاهلية اذا راوا شهابا سقط قالوا يموت او يولد عظيم كما ورد في الحديث ومن
دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم ما نشا عليه اي خلقه الله عليه من ابتدا
انشاته وطفوليته من بغض الاصنام وكراهة قربها ومسها كما روي البيهقي

ان

اذن زيد بن حارثة من تحتهم فتمسح به فقال له صلى الله عليه وسلم لا تمسه ولهاه عن القرب
منه كما نهي ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ازر عنها والعفة عن امور الجاهلية
التي كانوا يرتكبونها لحلقه الله متعففا عنها السلامة طبعه كاللهو واللعب وغيره والعفة
حالة للنفس تمنع من غلبة الشهوة والمتعفف عن تعاطيها كما قاله الراغب وما خصه
الله به من ذلك تحعل فيه اخلاقا مرضية واعمالا زكية ونفسا قدسية فصانه وحماه
فبل بعثته من الصفات الردية حتى في ستره بفتح السين المهملة وسكون المثناة الفوقية
مصدرا اي ستر بدنه حتى لا يرى احد منه صلى الله عليه وسلم ما لا ينبغي رويته كالعورة
فكان لا يتعرى عند احد وكانت الجاهلية تفعله حتى كانوا يطوفون عراة احيانا وفي
نسخة حتى ستره بحر وزائدتي وهو غاية لما قبله من الحماية وما قيل ان كان المراد كشف
ابن افيتوس العورة فهو قبيح عقلا وعادة ولهذا ليس بقبيح عقلا وشرعا الا ان يقال انه من خصوصيته
الداله على نبوته امر لا طايل تحته في الخبر المشهور الذي رواه الشيخان عن جابر رضي الله عنه
والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما عند بنا الكعبة اي لما بناها قريش ونقلهم الحجارة
معهم لبنائها وكان صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة معهم اذ اخذ ازاره اي ملحفته
التي كان موتزرا بها ليجعله على عاتقه اي اخذ الازار ليجعله على كتفه اي يضع عليه
الحجارة حتى لا تؤذيه ليحمل عليه اي على عاتقه او ازاره الحجارة وتعرى اي انكشف
اشتغله لنزع الازار عنه فسقط الى الارض مغشيا عليه وعينه شاخصة للسما
حتى رد ازاره عليه وستر عورته فقال له عمه وهو العباس كما صرح به ما بالك
اي ما شانك وحالك الذي عرض لك حتى سقطت قال انى نهيت بالبنا للمجهول
عن التعري وكشف العورة كغيري وكانت قريش بنت الكعبة لسيل اتى من فوق
الردم ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة قال العباس
فكانوا ينفردون رجلين رجلين ينقلون الحجارة فكان العباس مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكانوا يجعلون ازرهم على عواتقهم فاذا دنوا من الناس لبسوها
فبينما هو كذلك صرع رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث رافعا بصره
الى السما فقال له ما بالك يا ابن اخي فقال نهيت ان امشي عريانا فكتمتها حتى
بعثه الله مخافة ان يقال انه مجنون وفي رواية ان ملكا مهيبا ناداه اشدد
ازارك وروي انه لكمه لكمة شديدة قيل وهو اول ما نودي به ومن ذلك
اي مما دل على نبوته في اول امره ما رواه الترمذي والبيهقي اظلال الله تعالى له
بالغمام في سفره اي كون غمامة تسير معه صلى الله عليه وسلم الى سار تقيه
حر الشمس دون غيره من الركب كما راه بحيرا لما سافر للشام مع عمه وراه ميسرة
غلام خديجة لما سافر معه للشام وحمل السفر لانه يحل التاثر اي التالم من
الشمس وفي رواية لابن سعد ان خديجة ام المومنين ونساها اي النسا التي كن
معها عند الرؤية فلا منافاة لا دني ملابسة راتيه لما قدم لمكة من سفره للشام
في تجارة لها وملكان يظللانه اي يريد ان اجنحتهما عليه ليكون ظلة له ووقاية
من الشمس فذكرته خديجة ذلك اي ما راته لميسرة غلامها الذي بعثته معه
صلى الله عليه وسلم في سفره وميسرة بفتح الشين وضمها فاخبرها ميسرة انه

راى ذلك اي كونه مظللا من السما بالملكين فلا ينافي ان خديجة رات تظليل الملايكة
وميسرة راي تظليل الغمام او ان الغمام كانت تسوقه ملايكة فجعلت مظللة له لحامل
الظلة يسمى مظللا منذ خرج معه في سفره الي الشام اي من اوله الي اخره وهذا
الحديث رواه الواقدي عن نفيسة بنت منبه وهي احدي النسا اللاتي كن مع
خديجة في علية لها تنظر الي رسول الله صلي الله عليه وسلم حين قدم قال البرهان
لم يذكر ميسرة في الصحابة فكانه مات قبل نبوته صلي الله عليه وسلم وفي
رؤية خديجة الملايكة كرامة لها رضي الله عنها وقد روي بالبنا للمجهول ه
والذي رواه الواقدي وابن سعد وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس ان
حليمة بنت ابي ذؤيب السعدية التي ارضعته صلي الله عليه وسلم رات غمامة
تظله وتغنيه من حر الشمس وهو مقيم عندها لما اخذته صلي الله عليه وسلم
لحيها لترضعه روي ذلك اي تظليل الغمامة له عن اخته من الرضاعة يعني
انه راه في صغره ورواه بعد كبره لانه كان معه والظاهر ان مراده انه هو
الذي ذكره لامه والا فلم تشاهده لان عبارة الواقدي عن ابن عباس ان حليمة
خرجت تطلبه صلي الله عليه وسلم فوجدته مع اخته من الرضاعة وهو
ولدها فقالت اني حر الشمس يمكث شفقة عليه صلي الله عليه وسلم منها
فقال اخوه يا اماه ما وجد اخي حرا رايت غمامة تظله اذا وقف وقفت
واذا سار سارت معه وهذا يدل علي انه ليس امرا اتفاقيا وهل كان هذا
دايما او احيانا لم ينقل فيه شي وما في المواهب نقلا عن الزركشي في شرح
البردة عن بعض العارفين انه صلي الله عليه وسلم كان مزاجه معتدل الحرارة
والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد فكانه صلي الله عليه وسلم في ظل غمامة
من اعتداله وقيل عليه انه ساقط لانه يقتضي ان تظليل الغمامة لم يكن حقيقيا
محسوسا وانما هو علي طريق التمثيل قلت ان اراد ذلك فهو وارد عليه ويحتمل
ان يريد انه لم يدم ذلك ولم يكن بعد بلوغه سن الاعتدال بعد النبوة لتمام
اعتداله المغني عنه او انه كان غنيا عنه وانما هذا تكريم من الله له لم يرد
عليه شي فاعرفه فانه لا يخفي مثله علي مثله وقد علمت ان الذي في نسخ الشفا
كما قاله البرهان عن اخته مدكر بيا تحتية والذي في سيرة ابن سيد الناس
اخته بالمثناة الفوقية فهذا تصحيف او رواية راها ايضا ومن ذلك اي مما
يدل علي نبوته صلي الله عليه وسلم وهذا لم يذكروا من رواه من المحدثين
انه نزل اي قعد في محل نزل به في بعض اسفاره قبل مبعثه مصدر ميمي
بمعني بعثته ونبوته تحت شجرة يابسة اي ليست مخضرة وليس لها ورق
فاعشوشب ما حولها من الارض اي ظهر به عشب لم يكن واخضرت من ساعتها
وافعوعل للمبالغة اي كثر عشبه ونباته والعشب الكلا ما دام رطبا
وقدمه لما فيه من المبالغة وانيعت هي اي الشجرة وابرزت الصهر لئلا
يتوهم انه عايد علي ما حولها باعتبار انه ارض وهي مؤنثة سماعية
ومعني اينعت ظهر خضرة ورقها وازهرها او ثمرها يقال ينعت الثمر

عرضي

ينعها

ينعا وينعًا وايبعت ايناعًا اذا انضجت قال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وينعه وهو جمع يانع وهو المدرك قاله الراغب فاشرقت اي نمت وعلت اغصانها وتدلت عليه صلى الله عليه وسلم قضبانها لتقيه وتظلله اغصانها جمع غصن وهي اعلاها وفروعها بمحضر من راه اي ان من كان عنده شاهد حدوث ذلك وعلم منه ما يدل على كرامته لربه ومن ذلك ميل في الشجر الفيء هو الظل مطلقا او بعد الظهيرة لانه من فاء اذا رجع والكلام عليه مفصل في كتب اللغة وميل الفيء اما وحده او مع ميل الشجرة نفسها في الخبر الاخر الذي روي عنه صلى الله عليه وسلم في سفره الى الشام وقصته مع بحيرا الراهب كما تقدم حتى اظلته علة او غاية مقصودة من ميلها وكانت رفقاؤه صلى الله عليه وسلم سبقوه فجلسوا في الفيء فلما جلس في الجانب الاخر مالت الشجرة عليه بفيئها فظللته فراه الراهب في قصته التي تقدمت وكان مع عمه ابي طالب وهو ابن عشر سنين ومن دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم ما ذكر بالبنا للمجهول والذي ذكره ابن سبع من انه بيان لما الموصولة لا ظل لشخصه اي لجسده الشريف اللطيف اذا كان في شمس ولا قمر مما ترى فيه الظلال لحجب الاجسام ضوء النيرين ونحوهما وعلل ذلك ابن سبع بقوله لانه صلى الله عليه وسلم كان نورا والانوار شفافة لطيفة لا تحجب غيرها من الانوار فلا ظل لها كما هو مشاهد في الانوار الحقيقية وهذا رواه صاحب الوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظل ولم يقم مع شمس الا غلب ضوءه ضوءها ولا مع سراج الا غلب ضوءه ضوءه وقد تقدم هذا والكلام عليه ٥ ولرباعيتنا فيه وهي

ما حر لظل احمد اذ نال • في الارض كرامة كما قالوا
هذا عجب وكم به من عجب • والناس بظله جميعا قالوا

وقالوا هذا من القيلولة وقد نطق القران بانه النور المبين وكونه بشرا لا ينافيه كما توهم فان فهمت فهو نور على نور فان النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره وتفصيله في مشكاة الانوار للغزالي ومن دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم ان الذباب كان لا يقع على ما ظهر من جسده ولا يقع على ثيابه وهذا مما قاله ابن سبع ايضا الا انهم قالوا لا يعلم من روى هذا والذباب واحده ذبابة قيل انه سمي به لانه كلما ذب آب اي كلما طرد رجع وهذا مما اكرمه الله به لانه طهره من جميع الاقذار وهو مع استقذاره قد يجي من مستقذر قيل وقد نقل مثله عن ولي الله العارف به الشيخ عبد القادر الكيلاني ولا بعد فيه لان معجزات الانبيا قد تكون كرامة لاوليا امته وفي رباعية لي

من اكرم مرسل عظيم حلا • لم تدن ذبابة اذا ما حلا
هذا عجب ولم يذق ذو نظر • في الموجود من حلاه احلا

ونظر فيه بعض علما العجم فقال محمد رسول الله ليس فيه حرف منقوط لان المنقوط يشبه الذباب فصين عنه اسمه ونعته عنه كما قلت في مدحه صلى الله عليه وسلم • لقد ذب الذباب فليس يعلو • رسول الله محمودا محمدا •

ابن افتوم

ملا جامي

وتعظ الحرف بحكيه بشكل لذاك الخط عنه قد تجرد

ومن ذلك اي من دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم في اقدامه ومنتهاه كما رواه الشيخان تحبيب الله بجعله طبيعة له الخلوة اي الوحدة والانفراد عن الناس للعبادة اليه حتى اوحي اليه اي انه كان يفعل قبل بعثته حتى نزل الوحي عليه تكريما له صلى الله عليه وسلم وفي البخاري ثم حبب اليه الخلا اي العزلة عن الناس اذ بها فراغ القلب والاعانة على التفكر والانقطاع من مالوفات النفس فكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل النبوة فاذا نزل منه طاف بالبيت وذهب لاهله وخص حرا كما قاله ابن ابي جمرة لانه كان يتبرك به وينظر منه البيت فيتعقله وقال حبب بصيغة المجهول اشارة الى انه ليس تقليدا لغيره وانما هو جبلي بالهام الله له وهو من الارهاصات حتى جاءه الوحي وهو فيه ثم اعلامه صلى الله عليه وسلم اي اعلام الله له بقرب موته ودنو اجله اي اخر عمره الذي اجل له وقدر وهذا مما رواه الشيخان وفهمه صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى فسبح بحمد ربك وفي الصحيحين انه مر على قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحيا والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين يديكم فرط وانا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض الخ وقوله في خطبته له ان عبدا خيره الله بين ان يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى ابو بكر رضي الله عنه وقال فديناك باباينا وامهاتنا فقال عمر انظروا لهذا الشيخ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيره بين زهرة الدنيا وما عنده فاختار ما عنده فكان الصديق اعلمهم بكلامه صلى الله عليه وسلم واسراره بذلك لفاطمة كما تقدم في الحديث الى غير ذلك مما لا يحصى واعلامه صلى الله عليه وسلم بان قبره بالمدينة كما رواه ابو نعيم عن معقل بن يسار بلفظ المدينة مهاجري ومضجعي من الارض وان قبره في بيته فقبره صلى الله عليه وسلم في مسكنه وكذا كان كثير من الانبيا عليهم الصلاة والسلام اشارة الى انهم احيا عند ربهم يرزقون وان بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة كما سياتي يعني انها تنقل وتجعل روضة في الجنة او ان العمل فيهما يوجب لصاحبه روضة من رياض الجنة وقال ابن ابي جمرة الاظهر ارادة المعنيين والجمع بينهما مقال لا مانع منه ومن لم يعرف هذا قال لا بد من تاويله باعتبار القرب من اقرب الخلق الى الله ومن قرب منه كالجالس في رياض الجنة لتنزل الرحمات ۞ ابن اقبرس

وتلذذه بالمشاهدات كما يقال اللهم اجعل قبر فلان روضة من رياض الجنة وتخييرالله له عند موته اي لما قرب موته خيره الله بين البقا في الدنيا والاخرة كما سمعته القاضي رواه البيهقي في دلايله وعن عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحته يقول لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ويخير فلما اشتكى صلى الله عليه وسلم غشي عليه فلما افاق شخص بصره لسقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى فقالت لا يختارنا وعرفت انه خير وفهمت ما فهم ابوها رضي الله عنهما وهو حديث صحيح رواه احمد في مسنده وغيره وقد صرح به صلى الله عليه وسلم فقال اوتيت مفاتيح

خزاين الارض والخلد فيها ثم الجنة فاختزت الى اخره مما تطول ذكره وما اشتمل عليه حديث
الوفاة اي وفاته صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل رواه الشافعي والبيهقي
في سننه من كراماته التي اكرمه الله بها عند موته كسماعه بكا الملايكة وسماعه صوتا من السما
ينادي واحمداه الحديث وقول جبريل له صلى الله عليه وسلم ان الله يقريك السلام
ويقول لك وهو اعلم كيف تجدك الى غير ذلك وتبشيره بما سره وغيره وصلاة الملايكة
على جسده وفي نسخة عليه وكان افخام الجسد هنا لان الصلاة معناها الدعا وروحه
صلى الله عليه وسلم غير محتاجة لذلك او لنكتة اخرى فيلد هي ان الصلاة على جسده
وروحه مستمرة دايما لقوله ان الله وملايكته يصلون الاية على ما روينا في بعضها
اي في بعض طرق حديث الوفاة وهو ما روي عن ابن عباس انه لما جهز صلى الله عليه
وسلم يوم الثلاثا وضع على سريره في بيته فصلت عليه الملايكة فوجا فوجا ثم الناس
فوجا فوجا ثم نساوه ثم النسا ثم الصبيان ولم يومهم احد وكان صلى الله عليه وسلم
اوصى بذلك وذلك لعظيم امره وليلا يتنافسون في الامامة والخلافة لان الخليفة
يستحقها ومن زعم ان المراد بالصلاة مجرد الدعا دون صلاة الجنازة لم يات بشي وكونه
لم يومهم احد ذكره الامام الشافعي رضي الله عنه في الام وغيره وصححوه وحكمته ما ذكر
ولم يدع له صلى الله عليه وسلم بدعا الجنازة المشهور كما ذكره السهيلي بل قالوا
انا نشهد انك بلغت الامانة ونصحت الامة الى اخر ما ذكره والحديث بطوله مذكور
في كثير من كتب الحديث تركناه لطوله واستيذان ملك الموت عليه اي طلبه الاذن
منه في قبض روحه الشريف ان اراد او تركه حيا ولم يستاذن على غيره نبيا او غيره
قبله روي ان جبريل قال له صلى الله عليه وسلم ان ملك الموت بالباب يستاذن
عليك ولم يستاذن على احد قبلك ولا بعدك فقال ايذن له فقال السلام عليك
يا محمد ان ربي امرني ان اطيعك فيما امرتني به ان اقبض نفسك قبضتها وان اتركها
تركتها فقال اقبض يا ملك الموت كما امرت فقال جبريل السلام عليك يا رسول الله
هذا اخر موطي من الارض وندايهم اي ندا الملايكة لهم الذي سمعوه ولم يروا من
ينادي ان لا اي بان لا الخ فان مصدرية ولا نافية تنزعوا القميص عنه اي قميصه الذي
عليه لما ارادوا نزعه عند غسله بنحو العنق ونحوه فيها اشارة لما في حديث ابي
داود والبيهقي الصحيح عن عايشة رضي الله عنها انهم لما ارادوا غسله صلى الله عليه
وسلم قالوا لا ندري انجرده من ثيابه كما نجرد موتانا ام نغسله وعليه ثيابه
واختلفوا فغشيهم النوم فاذا قايل من ناحية البيت لا يرونه غسلوه في ثيابه
فغسلوه وعليه قميصه يصبون الما فوق القميص ويدلكونه بالقميص وهو
من جملة حديث الوفاة وهذا تكريم له باجرايه على عادته فانه صلى الله عليه وسلم
كان لا يتجرد عند احد واشارة الى ان تغسيله ليس للاحتياج اليه وانما هو
اجرا السنة وكفن في ثلاث اثواب يمنية سحولية وما روي من تعزية الخضر
عليه الصلاة والسلام كما رواه البيهقي في دلايله يشير الى ما روي عن علي كرم
الله وجهه ورضي عنه انه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوا
صوتا ولم يروا شخصا وهو يقول السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته كل

نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة وان في الله عز وجل لعزاء من كل
مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا واعلموا ان
المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فكانوا يرون انه الخضر عليه
الصلاة والسلام كما رواه البيهقي وابن ابي حاتم وقال في مرآة الزمان ان المعزي
هو جبريل لا الخضر ورواه العراقي في تخريج احاديث الاحيا بلفظ ان في الله خلفا
من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا وسمعوا
آخر بعده يقول ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا
وبامره فاعملوا فقال ابو بكر رضي الله عنه هذا الخضر واليسع ولم اجد في رواية
ذكر اليسع واما ذكر الخضر في التعزية فقد انكر النووي وجوده في كتب الحديث
واما ذكره الاصحاب قلت بل رواه الحاكم في المستدرك من حديث انس ولم يصححه
ولا يصح ورواه ابن ابي الدنيا في كتاب العزا قال لما قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم اجتمع اصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين
في ازار ورداء فتخطى الصحابة بعضادتي الباب وبكى ثم قال ان في الله عزاء من كل
مصيبة وعوضا من كل من مات وخلفا من كل هالك فالى الله فانيبوا ولم والله
البلاء فانظروا فان المصاب من حرم الثواب فقال ابو بكر هل هذا الخضر اخو نبينا
جاء يعزينا رواه الطبراني في الاوسط واسناده ضعيف جدا وابن ابي الدنيا عن علي
بسند واه ايضا وذكره الشافعي في الام من غير ذكر الخضر انتهى واما قال الحاكم وغيره
انه غير صحيح لحديث انه لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها احد على راس مائة
سنة من تلك الليلة واراد به انخرام كل احد فيشمل الخضر وغيره يعني به انكار
وجوده وسئل عنه ابن حجر رحمه الله فقال سنده ضعيف ولو قدر ثبوته
لم يخالف الحديث المذكور لانه يخص من عمومه ان صح ما ينقل عن بعض الصالحين
من اجتماعهم بالخضر الا انا لم نجد خبرا صحيحا يقتضي انه صاحب موسى عليه الصلاة
والسلام والعلم عند الله والحاصل انهم قد اختلفوا في وجوده فالصوفية
يثبتون وجوده وان منهم من رآه والمحدثون ينكرونه وبعضهم توقف فيه
كابن حجر ومنهم من شدد النكير على من اثبت حياته كصاحب مرآة الزمان
حتى صنف في ابطاله كتابا مستقلا سماه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر
ولكنا لا ننكر ما قاله المشايخ واختلفوا فيه هل هو نبي او ملك او عبد صالح
من اولياء الله تعالى اطال الله عمره وجعل مرجع الاولياء والاقطاب اليه وما مر
من انه لم ير شخصه يقتضي انه ملك وقوله والملائكة بالجر عطف على الخضر يشير
لما قلناه اهل بيته مقصود التعزية وهي الارشاد للصبر والتسلية عند
المصيبة واعلم انه ليس الخلاف في وجود الخضر صاحب موسى عليه الصلاة
والسلام انما هو في كونه عاش الى زمن النبوة والى الان الى ما ظهر على
اصحابه صلى الله عليه وسلم والى هنا متعلقة بمقدر اي مضموما ما ذكر
من اول الفصل الى هنا او منتهيا وهو كما يقولوه المصنفون الى آخره
اشارة الى انه ترك امورا كثيرة من جنس ما ذكروا المراد بظهوره ها عليهم ان

ابن اوى

سرف

من ذو محبته صلى الله عليه وسلم اثر فيهم حتى ظهرت منه امور تشابه ما ظهر منه ببركته
صلى الله عليه وسلم من كراماته وبركاته اي من مثل ذلك في حياته ومماته او بعد موته
كاستسقا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعمه العباس رضي الله عنهما بن عبد المطلب
اي تقديمه في دعا الاستسقا كما رواه البخاري وتقييده صلى الله عليه وسلم بالعباس
وان كان له اعمام غيره لانه لم يعش بعده صلى الله عليه وسلم غير العباس وقد
صرح به في الحديث واعمامه ابو طالب والزبير وعبد الكعبة وحمزة والغيداق وحجل
واسمه المغيرة والعوام وضرار والحارث وهو اكبرهم وقثم مات صغيرا وابو لهب
واسمه عبد العزى والغيداق واسمه مصعب ونوفل فهم ثلاثة عشر ولم يسلم منهم
غير حمزة والعباس وجعل بعضهم الغيداق وحجل واحدا فعدهم اثني عشر
واسقط بعضهم العوام وعبد الكعبة فعدهم احد عشر وبعضهم عدهم سبعة
وبعضهم عشرة لاسقاط بعضهم وحاصل ما اشار اليه كما روي عن عمر رضي الله
عنه اذا وقع قحط استسقي بالعباس رضي الله عنه فوقع جدب شديد في خلا
عام الرمادة سنة سبع عشرة فقال كعب يا امير المومنين ان بني اسرائيل كانوا
اذا اصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبيا فقال عمر هذا عم النبي صلى الله
عليه وسلم صنو ابيه وسيد بني هاشم ثم صعد المنبر ومعه العباس وقال اللهم
انا نتقرب اليك بعم نبيك ونستشفع به اتيناك مستغفرين مستشفعين ثم
اقبل على الناس وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا الى
قوله انهارا ثم قام العباس رضي الله عنه وعيناه تنضحان فقال اللهم عندك
سحابا وعندك ما فانشر السحاب ثم انزل الما منه علينا فاشدد به الاصل وطل
به الفرع وادر به الضرع اللهم انك لم تنزل بلا الا بذنب ولم تكشفه الا بتوبة
وقد توجه القوم بي اليك فاسقنا اللهم الغيث وشفعنا في انفسنا واهلينا
وفينا لا ينطق من بهايمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعا نافعا طبقا
سحا عاما اللهم انا لا نرجوا الا اياك ولا ندعوا غيرك ولا نرغب الا اليك اللهم اليك
نشكوا جوع كل جايع وعري كل عار وخوف كل خايف وضعف كل ضعيف اللهم
انت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير
ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم واغثهم بغياثك
قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلم
يتم دعاه حتى نشأت سحابة فقال الناس ترون ترون ثم تلامت ومشت
وانتشرت ثم درت وارخت عزاليها كافواه القرب فما برحوا حتى علقوا الحذا
وقلصوا المازر وطفق الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيا لك يا ساقي
الحرمين وفي ذلك قال حسان رضي الله عنه

سال الامام وقد تتابع جدبنا • فسقى الغمام بغرة العباس
احيى الاله به البلاد فاصبحت • مخضرة الارجا بعد الياس

في ابيات اخر وتبرك غير واحد اي كثير من الناس بذريته صلى الله عليه وسلم
من السادة الاشراف نفعنا الله بهم ولهم في ذلك حكايات كثيرة ليس هذا محلها

منهم صح

انه كان في زمن عمر رضي الله عنه

فتنه

**فصل** وقد امده السيد السمهودي شكر الله سعيه بتاليف مستقل نافع
فيه في تلك هذا الباب قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله قد اتينا
اي ذكرنا وجمعنا في هذا الباب الرابع المذكور فيه معجزاته صلى الله عليه وسلم ودلايل
نبوته واصل الاتيان المجيء بسهولة وقد يكون بمعنى المرور فيتعدى بعلى ولذا قال
على نكت من معجزاته واضحة الا انه تجوز به عما ذكر من الجمع وعداه بتعديته الاصلية
لانه من لوازم من يريد اخذ شيء وجمعه انه ياتي له حتى يصل اليه ويقال اتى على كذا
اذا استوفاه واستوعبه والنكت جمع نكتة وهي الامر الدقيق الذي يحصل بفكر
يقارنه نكت الارض بقضيب ونحوه كما مر والنكت بمثناة فوقية ومن نطق بها بالمثلثة
فقد اخطا فلا وجه لما ذكره البرهان هنا وجمل جمع جملة وهي الامر المجمل من علامات
نبوته صلى الله عليه وسلم مقنعة اي كافية عن غيرها مستعار من القناعة وفي نسخة
مغنية بالغين المعجمة والنون اي يستغنى بها عن غيرها وهو مجرور صفة جملة
ويجوز نصبه على الحالية في واحد منها الكفاية عن غيره كالقران اي في الاقتصار
عليه وضمير منها للنكت والجمل والغنية بالضم والسكون في ثانيه اي الاستغنا
عن غيره لانه يدل عليه دلالة قوية وتركنا الكثير منها سوى ما ذكرنا اشارة
الى ان ما ذكره قليل بالنسبة لما تركه واقتصرنا من الاحاديث الطوال بكسر الطا
جمع طويل على عين الغرض عين الشيء المختار منه وهو المراد منه لا الحقيقة وان
كان احد معانيها والغرض ما يقصد منه وفائدته واصل معناه الهدف كما للشامي
مر فنقل لما ذكر وفص المقصد والفص مثلث الفا اي الامر المقصود بمعنى الاصل
يقال اتى بالامر من فصه اي من اصله قال الشاعر

ورب امرء تزدريه العيون ... ويأتيك بالامر من فصه

وفص الخاتم ما يزين به من الجواهر ويقال نقل الحديث بفصه اذا استوفاه
وتظرف ابن نباتة رحمه الله تعالى في قوله

حملت خاتم فيه فصا ازرقا ... من كثرة اللثم الذي لم احصه
لولاه ما علم الرقيب فياله ... من خاتم نقل الحديث بفصه

وقول الجوهري العامة تقول الفص بالكسر ظاهره انه غير صحيح وقد نقل
الثقاة كابن السيد وغيره تثليثه كما علم والقصد بكسر الصاد وهو القياس
وفتحها لبعضهم والمراد به المقصود كما مر فهو مصدر ميمي تجوز فيه واقتصرنا
من كثير الاحاديث وغريبها هو بمعناه اللغوي اي ما تعد مستغربا غير معهود
او غير مشهور والمراد به ما اصطلح عليه المحدثون وهو كما قال ابن الصلاح
ما انفرد به بعض الرواة سوا انفرد بجمعه او بزيادة فيه كزيادة ثلاث في حديث
حبب الي من دنياكم ثلاث النسا والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة التي
تفرد بها ابن فورك وتبعه غيره كما مر وهو لا ينافي الصحة اذا كان رواته
ثقة وقد يكون ضعيفا واضافة كثير من اضافة الصفة للموصوف اي الاحاديث
الكثيرة على ما صح نقله وروايته واشتهر بين المحدثين الا يسيرا اي قليلا
نورده وان لم يصح ويشتهر واليسير ما تيسر وسهل وشاع استعماله بمعنى

القليل

القليل لسهولة من غريبه اي غريب الحديث وانما اقتصر على المشهور الصحيح الشامل المحسن
لان المعجزات الخارقة للعادة لا تخفى غالبا ثم اعتذر عن ايراده في كتابه بقوله مما ذكره
مشاهير الايمة لا يهم بعتمد على نقلهم لشهرة علمهم وفضلهم وان لم نره لغيرهم
وحذفنا اي تركنا وعبر بالحذف وهو الترك بعد الذكر اما التنزيل ذكر غيره منزلة
ذكره او لجعله لكونه مهما وحقه ان يذكر بمنزلة المذكور والحذف اخص من الترك
الاسناد اراد به السند تسمحا اسناديا وهو رواة الحديث او هو بمعناه الحقيقي في
جمهورها اي معظم الاحاديث واكثرها وقد يورد الحديث مسندا طلبا للاختصار
وعدم التطويل وهو مفعول لاجله ونحسب هذا الباب المذكور فيه المعجزات وحسب
بفتح فسكون بمعنى كافي او كفاية وهو مبتدا مجرور بالبا الزائدة وخبره ان يكون
الاتي اي يكفيه في شرفه والعلم بكثرة ما ورد فيه عن ذكره واستقصائه وهو
في المعنى تعليل ثان لاختصاره الا ان العبارة لا تخلو من الحزازة لو تقصى مبني للمجهول
بقاف وصاد مهملة اي استوفي وبلغ اقصاه ولغايته وضبطه بعضهم بفا بدل
القاف وهو غير مناسب هنا لان التقصي التخلص وهو غير مراد وتفسيره بتتبع
وخلص من مظانه تكلف لا يخفى اذ يكون ديوانا اي كتابا مستقلا مدونا جامعا لما في
عينه وتقدم الكلام على الديوان وانه معرب بكسر الدال وفتحها يشتمل على مجلدات
على اي كتب من شانها ان تجلد متعددة وعدة بكسر العين بمعنى معدودة
ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من ساير معجزات الرسل عليهم الصلاة
والسلام اي من بقيتها او جميعها بوجهين احدهما كثرتها وشهرتها لان
الكثرة تستلزم الشهرة تنبيه قال التلمساني مجلدات جمع مجلدة وهي
الكتب الكثيرة وهي عبارة فقهية مولدة ولا وجه له لان المجلد ما عليه جلد كما
في القاموس وفي رسالة المجلد لابي العلا المعري المجلد لا يزال فيما غبر من الزمان
تقيمن مجلد العرب من شام ويمان قال الراجز

هل انت كماسل المعتمل • مجلد يكشف عن مخض الابل

انتهى فقد اثبت ذلك وناهيك به من امام في اللغة فان اراد تخصيصها بالكتب
الفقهية وانها لم ترد في كلام العرب فهو مجاز لا يتوقف على السماع والتجلد
يكون بمعنى التصبر وتطرق بعض المتاخرين في قوله

مكث كتابا اخلق الدهر جلده • وما احد في دهره بمخلد
اذا غابت كتبي لقد بيه حبله • يقولون لا تهلك اسى وتجلد

وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها اي من نوعها
مساوية لها او مقاربة في الاعجاز او ما هو ابلغ منها البلغ ليس من البلاغة
كما توهمه من قال كالقران العظيم فانه ابلغ معجزة اوتيت فان معناها هنا
اعظم واقوى وليس مقيدا بالقران لان بلوغ الشي وصوله لغايته ومنتهاه
او هو من المبالغة على خلاف القياس وكثيرا ما يقولونه بهذا المعنى والمعجزة
هنا في سياق النفي فتعم وتفيد الكثرة والخارق للعادة اذا اعظم من شانه
الشهرة والظهور فلا يرد عليه انه كان ينبغي ان يقول اظهر وانه لا يلزم

دمجي

هذا التنبيه جميعه متقدم على قوله والمرو معجزات نبينا الخ

دمجي

ابن اقبرس

مما ذكره الظهور الذي ادعاه وقد نبه الناس على ذلك اي تنبيه علما الحديث والاثار وفصلوه
في كتبهم كابن المنير في كتاب المقتفي فان اردته اي اردت معرفته والوقوف على ما بينوه
فتامل فصول هذا الباب اي اعد النظر فيه وتامل وتدبر معانيه ومعجزات من تقدم
من الانبيا عليهم الصلاة والسلام تقف بحذو ما في جوابا لامر على ذلك ان شا الله
تعالى والوقوف في الاصل القيام بحذوه وابه عن المعرفة وهو مجاز مشهور قال
بعض الشراح ذكرهنا امورا شرفه الله بها لغيره من الانبيا الامساس لها بالمعجزات
تركناها ولم نطول بذكرها واما كونها كثيرة فهذا القران كله معجز وفي بعض النسخ
وكله معجز بالواو والتقدير فهذا القران موجود معروف وجميع اجزائه معجزة له
فناهيك به كثرة ثم شرع في بيان المقدار الذي يتحقق به الاعجاز فقال واقل ما يقع
الاعجاز فيه عند بعض ايمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر وهي اقصر سورة
في القران او اية بقدرها اي مساوية لها في الحروف والكلمات وسورة مرفوع خبر
اقل وفي نسخة بسورة بالجر وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت طويلة
بمقدار سورة ام لا معجزة وزاد بعضهم وفي نسخة اخرون اي ترقى عن هذا المقدار
الى ان كل جملة منتظمة منه اي مفيدة تامة معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين
فان قلت كيف تكون جملة منتظمة وهي كلمة قلت تكون فيها مقدر كمدهامتان
ونحوها فتامل وليس هذا مبني على ان الاعجاز بالصرفة كما قيل والحق ما ذكرناه
اولا من ان المعجز اقصر سورة او مقدارها لقوله تعالى فاتوا بسورة اي سورة كائنة
من مثله في الاعجاز والضمير للقران او للنبي صلى الله عليه وسلم كما في الكشاف
وفيه كلام مشهور وقد خلت مقدار السورة فيه بدلالة النص فلا يتوهم انه ليس فيه
التعرض للدليل على مدعاه وهو اي ما ذكرنا اقل ما تحداهم الله او الرسول صلى الله
عليه وسلم به اي طلب منهم معارضته مع ما ينصر هذا القول المذكور اولا اي
يقويه ويؤيده من نظر اي فكر وتدبر وتحقيق يطول بسطه ببيان الحق
بالادلة والبراهين القايمة لمن تدبره ونظر ما فيه من مراعاة كل مقام وما احتوى
عليه من الجزالة واللطافة التي تحير العقول فقد تحداهم اولا بجملته فقال
فاتوا بكتاب من عند الله ثم تحداهم بعشر سور فقال فاتوا بعشر سور مثله
ثم تحداهم بسورة فسجل عجزهم بعد ارخا عنان التكليف والحاصل ان الكلام
اللفظي الذي وقع التحدي به لا النفسي فانه لا يتصور فيه ذلك على الصحيح
اختلفوا في مقدار معجزه فذهب بعض المعتزلة الى انه بجميع القران ورد بالايتين
المذكورتين وقال القاضي يتعلق بسورة طويلة او قصيرة لظاهر الاية
وقال في موضع بها او بمقدارها قالوا ولم يقل دليل على العجز عن اقل من
هذا القدر وقيل لا يحصل العجز الا بايات كثيرة وقيل قليله وكثيره
معجز لقوله فلياتوا بحديث مثله فاذا كان هذا اي ثبت ان ما تحداهم به هذا
المقدار لا اقل ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف
اي وزيادة على هذا المقدار من ناف بمعنى زاد وياؤه تخفف وتشدد
وكلما زاد على عقد حتى يبلغ ما بعده فهو نيف على عدد بعضهم اي هذا

ومنى ودلجي

دلجي

رد على ابن فارس

مقداره

تلمساني

مقداره عند بعض دون غيره فانه كما قال الداني رحمه الله سبعة وتسعون بالثا
الموفية الفا واربعماية وتسع وثمانون كلمة وحروفه ثلاثماية الف وثلاثة وعشرون الفا
وقيل ثلاثماية الف واحد وعشرون الف وخمسماية وثلاثة وثلاثون حرفا وقيل
اله الصواب لا ما ذكره المص وهذا مع تصريحه بالنقل واتيانه بلفظة غير وارد عند
من انصف ولهم في عدده اختلاف قيل لان الكلمة والحرف لهما اطلاقات وقول
السخاوي لا فائدة في عدد حروفه لانه لا يقبل زيادة ولا نقصا لا وجه له
غير الكسل وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزي القران بسبعة
المقدار وفي نسخة فنجزي بالمضارع المجهول ولكن مهموز ويجوز ابداله الفا
اي بان نعد عشر ايات عشرة اجزا على نسبة انا اعطيناك الكوثر اي على مقدارها
وانما زاد نسبة ليشمل اية واحدة بمقدارها كما مر فالنسبة مجاز عن المقدار
ومعناها الحقيقي لغة واصطلاحا مشهور ازيد بالرفع خبر تجزي المقدر
وبالنصب ان كان فعلا اي نجزي به ازيدا ويكون ازيد من سبعة الاف جز كل واحد
منها معجز في نفسه اي تنقطع النظر عن غيره ففيه ازيد من سبع الف معجزة وهذا
مبني على ما تقدم من العدد ثم اعجازه اي القران كما تقدم من ذكر الاختلاف
في مقداره بوجهين الاول بلاغته اي ما فيه من مراعاة الوجوه التي بها يطابق
اللفظ مقتضى الحال والثاني طريق نظمه اي اسلوبه وكونه على نسق لا يشبه غيره
من الكلام نظما وسجعا ونثرا وتناسب كلماته وجمله واتيان كل كلمة منه ما تستحقه
وتنزيلها في محل لا يليق بها غيره كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة فقارئه لا يمله
وان كرره كما لا يخفى على من تامله حق التامل ونظر فيه بنور الايمان فصار
في كل جز من هذا العدد المذكور انه معجزتان من جهة بلاغته ومن جهة نظمه
فتضاعف العدد اي عدد معجزاته وهو ماض من التفاعل او مضارع من
المفاعلة من هذا الوجه اي من هاتين الجهتين البلاغة والنظم فان قلنا كلا انه
معجزة صار فيه من المعجزات ما لا يعد ولا يحصى قال ابن عطية رحمه الله الصحيح
الذي عليه الحذاق ان اعجازه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة الفاظه
لانه عز وجل احاط بكل شيء علما وبكل كلام فاتى في كلامه بما لا يحيط به علم غيره
وقدرته ولهذا ابطل القول بالصرفة ثم فيه وجوه اعجاز اخر غير ما ذكر من
الطريقين من الاخبار بعلوم الغيب بيان لوجوه اي الامور الغيبية بما وقع
او سيقع فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزية اي الاجزاء المذكورة
المضاعفة من جهتي الاعجاز الخبر اي الاخبار عن اشياء من الغيب اي الامور
المغيبة عن علمنا كل خبر منها بنفسه معجز اي باعتبار اخباره عن الغيب
وقطع النظر عن غيره من وجوه الاعجاز فتضاعف بصيغة الماضي
والمضارع كما مر العدد اي العدد المذكور المضاعف لقوله كرة اخرى
اي بعد مضاعفته السابقة وكرة بمعنى مرة واصل الكر الرجوع بعد
الذي هو ضد الفرار قال امرؤ القيس مكر مفر مقبل مدبر معا ثم وجوه
الاعجاز الاخر التي ذكرناها وهي ذكر المغيبات توجب التضعيف والزيادة

لقصة موسى وهارون وفرعون وهامان وقارون [illegible]
علي القاري

اي ما لا يكاد يحصى كثرة هذا في حق القرآن دون غيره من المعجزات التي تزيد على معجزات
سائر الانبيا فلا يكاد يأخذ العد معجزاته وفي نسخة العدد وهنا بمعنى والمراد بالاخذ
الاحاطة مجازا بليغا كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم اي لا يغلبه ذلك اي لا يحيط
بها العدد لكثرتها وهو مبالغة ولذا قال لا يكاد ولم يقل لا يعد ولا يحوي
الحصر اي الاحاطة براهينه اي براهين الاعجاز لان كل جزء فيه معجزة قاطعة
البرهان واضحة البيان ولما فرغ من وجوه الاعجاز العقلية اراد فيها بالنقلية
فقال ثم الاحاديث النبوية الواردة في الروايات الصحيحة والاخبار الصادرة
عنه عليه الصلاة والسلام في هذه الابواب اي ابواب اعجاز القرآن والتحدي
به او ابواب معجزاته عليه الصلاة والسلام كما يؤيده قوله وعن ما دل
على امره اي نبوته وعلو شانه مما اشرنا فيما سبق من هذا الكتاب الى جملة منه
وفي نسخة الى جمل يبلغ نحوا اي قريبا من هذا المقدار الكثير الوجه الثاني من
وجهي ظهور معجزاته وشهرتها وانها اظهر من معجزات سائر الرسل قبله وضوح
معجزاته اي شهرتها بحيث لا تجهل وهذا غير ظهورها او مستلزم له والمراد به
شدة ايضاحها بحيث لا تخفى على احد غير اعمى الفكر والنظر وانها لا يرتاب فيها
عاقل مع بقائها على ممر الدهور وازدياد شهرتها في كل عصر كالشمس في رابعة
النهار وهذا انما يدل على اظهريتها لا لانه ظاهر لا غيرها فسقط ما قيل
ان المدعي ان معجزاته اظهر من غيرها والوضوح عين الظهور فهو مصادرة
اي افترى
للاستدلال على الشيء بنفسه وحاصله الظهور بالكثرة فيرجع الى الوجه الذي
قبله الا ان يقال المراد بقاؤها على وجه الدهر الى يوم القيامة فيكون المراد
الزيادة في الوضوح بهذا الاعتبار وان كان فيه الاختيار بمعجزات الرسل وفيه
خلط وخبط لا يخفى وقد اشار الى ما ذكرناه المص بتعبيره بقوله فان معجزات
الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم اي هممهم فيما يهتمون به ويفتنون
وبحسب بفتح الحاء والسين المهملتين وقيل انه بسكون السين وهو بمعنى
المقدار الفن اي النوع الذي سما اي اشتهر وعلا مقداره بينهم لاعتنائهم به
فيه قرنه بفتح القاف وسكون الرا اي عصره والمراد به اهله مجازا او بتقدير
مضاف والقرن الزمن المقترن فيه اعمارهم واحوالهم واختلف في مقداره
هل هو مائة سنة او ثمانون او اقل كما تقدم ثم فصل هذا بقوله فلما كان زمان
موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام اي زمن بعثته ونبوته غاية
علم اهله اي اهمه واعظمه عندهم السحر وهو معروف وتقدم الكلام عليه
بعث اليهم بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه ولبست منه للفرق بين السحر
والمعجزة فجاءهم موسى عليه الصلاة والسلام منها على يد ما خرق عادتهم
اي خالف ما يعتادونه وتبهل عليهم فعله واصل الخرق ابانة جسم من
اخر فقيل لما ذكر خرق الاجماع اي مخالفته وهو استعارة صار حقيقة عرفية
وذلك كقلب العصا حية واليد البيضا من غير سوء ولم يكن ما جاء به في قدرتهم
اي لا يقدرون عليه فيدخل في جملة مقدوراتهم وقد بطل سحرهم بما عارضهم

به وهي جملة حالية تبشير الى ما قصه الله في كتابه العزيز وفي نسخة وابطل بدون قد
فهو معطوف على جاءهم وكذلك اي كون موسى عليه الصلاة والسلام زمن
عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم اعنى ما كان الطب اي اعظم ما كان في عصره وعهد
رسالته عليه والطب في اللغة معناه العادة والسحر وفي العرف علم يعرف به احوال
الانسان من حيث الصحة والسقم واعنى افعل تفضيل بغين معجمة ونون من الغنا
وهو الفائدة وقيل انه بعين مهملة ومثناة تحتية اي اكثر مشقة وتعبا وقيل
انه بغين معجمة ومثناة تحتية من الغاية وهو النهاية وهو بعيد ولم نره في كلامهم
لتفسيره بانهى والطب مثلث الطا مشددا البا واوفر ما كان اهله اي اهل الطب
وعلاؤه اي اكثر ما كان في زمنهم فجاءهم على يد عيسى عليه الصلاة والسلام امر
لا يقدرون عليه بواسطة علمهم بالطب فانهم لا يقدرون على ازالة الامراض ه
المزمنة والخلقية وقدرتهم في الاكثر على حفظ الصحة وكم مرض اعيى الطبيب
المداويا واتاهم ما لم يحتسبوه اي ما لم يخطر ببالهم وقدر حسابهم وما لم
يترقبوه وجعل امر وما فاعل ولم يغل اتاهم بامر وربما وهو الظاهر اشارة
الى انه من عند الله من غير تصنع وحيلة وفي نسخة يحسبوه اي يظنوه ويقدر ع
قيل ويجوز فيه ضم اليا اي ينكرونه وهو بعيد لفظا لا معنى من احيا الميت
بتخفيف اليا وتشديدها وابرا الاكمه اي الذي ولد اعمى مطموس العين اي فتح
عينيه حتى يبصر والابرص وهو الذي فيه بياض يخالف لونه والخفيف منه يسمى
بهقا من دون معالجة المعالجة الاولى وعند الاطبا مداواة الامراض بعد
تشخيصهما وطب المراد به هنا المعنى المصدري اي اعطا الدوا وانما كان مداواة
عيسى عليه الصلاة والسلام بالدعا والتوجه الى الله وكان يجتمع عنده من
المرضى العدد الكثير ومن لم يقدر على المجيء اليه يذهب بنفسه اليه وكان
اطبا عصره لا يقدرون على ما ذكر فلذا كان معجزة له صلى الله عليه وسلم تنبيه
قال البخاري في تفسيره الاكمه انه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل انتهى
وقال الشمني انه قول فيه فلا يرد الاعتراض بانه معنى الاعشا وانما
الاكمه من ولد اعمى وهكذا اي مثل ما ذكر سائر معجزات الانبيا فانها كانت
بمقدار علم اهل زمانهم وما يهتمون به من الاحوال والعلوم ثم ان الله
تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب جمع معرفة بمعنى وجملة
المعروف عندهم لا جمع معروف ضد المنكر المجهول كما قيل وعلومها اي ما يعلمونه
من الجزئيات والكليات اربعة انواع البلاغة اي الملكة والجبلة التي يقدرون
بها تادية الكلام حقه في كل مقام من مقاماته نظما ونثرا وهم فرسان ميدانها
والشعر الكلام الموزون المقفى والخبر عمن سلف وما لهم من الوقايع والايام
والانساب والمنازل والكهانة بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته
وهي معاناة علم المغيبات بتلقيها عن الجن كما مر فانزل عليه القران اي
انزل الله عليه صلى الله عليه وسلم ما يناسب قرنه واهل عصره المعجز القران
اي كلامه الموحى اليه الخارق اي المخالف لهذه الاربعة فصولا اي الانواع المذكورة

وهي البلاغة وما معهما اي جمع فصل وهو النوع المشتغل المنفصل المتميز عن غيره من
الفصاحة وهي خلوص الكلام عن الغرابة وغيرها مما بينته من فصح بمعنى خلص ويشمل
البلاغة والفرق بينهما اصطلاح طارئ في علم المعاني ومعناهما عندهم غني عن البيان
لشهرته والايجاز اي اختصار الكلام اختصارا غير مخل ويقابله الاطناب والمساواة
ولم يذكرهما لعلمهما بالمقابلة ولانهما الاكثر وكان الايجاز اكثر واعظم نواهم
عندهم والبلاغة وقيدها بقوله الخارجة عن نمط كلامهم اي كلام العرب لدخولها
في الفصاحة كما مر والنمط بمعنى الجنس والطريقة اي لا يعرفون مثل بلاغته لخروجها
عن جنس بلاغتهم وما يعهدونه في تخاطبهم وتحاورهم والنمط الجماعة من
الناس امرهم واحد فاستعير لما ذكر اي نوعه وطريقته ومن النظم اي تأليف
الكلمات وتركيبها متناسبة كنظم الجواهر وعقدها وليس المراد الكلام المنظوم
شعرا الغريب اي الذي لم يعهده البلغا في كلامهم والاسلوب اي الطريق العجيب
اي الذي يتعجب منه سامعه او يعجبه ويستحسنه الذي لم يهتدوا اي لم يميلوا
ولم يقدروا في المنظوم اي المؤلف من كلامهم الى طريقه فضلا عن الاهتدا اليه
نفسه حتى يعارضوه وينسجوا على منواله الذي هو نسيج وحده ولا علموا في
اساليب كلام مطلقا والمنثور من خطبهم واسجاعهم والاوزان الشعرية
الموزونة على بحوره منهجه اي طريقه ومن الاخبار بكسر الهمزة ويجوز فتحها
جمع خبر عن الكوائن اي عما سيكون في المستقبل من المغيبات جمع كائن وهو معطوف
على قوله من النظم واعاد من لانه نوع اخر من الاعجاز ولطول الفصل بينهما
كقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا والحوادث اي ما يحدث في المستقبل ايضا
والاسرار اي ما اسروه في انفسهم كقوله تعالى في قصة ازواجه صلى الله عليه
وسلم واظهره الله عليه والمخبآت اي ما اخفوه عنه فاطلعه الله عليه والضما
اي ما اضمروه في انفسهم كقصة مسجد الضرار ثم فسر ذلك بقوله فتوجد تلك
الامور المخبر عنها وما اسر واخفي عنه على ما كانت عليه ذاتا وصفة مطابقة
لما قاله ويعترف ويقر المخبر بفتح البا اسم مفعول اي من اخبره الرسول بما
اطلعه الله عليه عنها بصحة ذلك الخبر الذي اخبره به وصدقه بمطابقته
للواقع وان كان المخبر بالفتح اعدى العدو اي اقوى اعدائه واشدهم عداوة
له صلى الله عليه وسلم فاعدى افعل تفضيل من العداوة مسموع على خلاف
القياس والعدو بمعنى الاعدا لانه يطلق على الواحد وغيره كقوله تعالى من
قوم عدو لكم اي مع شدة عداوته لا يمكنه انكاره ظاهرا من وصمة التكذيب لظهور
صدقه فابطل القرآن او النبي صلى الله عليه وسلم الكهانة بفتح الكاف مصدر
وبكسرها صناعته وحرفته كما مر والرواية هنا الكسر لانه الانسب التي تصدق
مرة وتكذب عشرا صفة الكهانة اي التي كذبها اكثر من صدقها كما ورد في الحديث
انه تعالى كان اذا قضى امرا في السما سبحت حملة العرش ثم اهل كل سما حتى
ينتهي الى السما الدنيا فتستخبر اهل كل سما من فوقهم حتى ينتهي الخبر
الى اهل هذه السما فتخطفه منهم الجن ويزيدون فيه من عندهم ما يزيدون

من كاذبيهم

تلمساني

من الكاذبين وبما فسرناه ظهر سقوط ما قيل سوابه ماية بدل قوله عشرا لانه ورد في الحديث
يكذب ماية او اكثر من ماية ثم اجتثها بجيم ومثناة فوقية ومثلثة والضمير للكهانة
اي قطعها بعد ابطالها وعطف بثم لانه ابلغ مما قبله والبعد رتبة واصل معناه نزع الشي
وقلعه بعروقه واصوله كقوله اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ففيه استعارة
مرشحة بقوله من اصلها وان كان المراد به ازالتها بالكلية برمي الشهب بضم الها وسكونها
جمع شهاب اي رمي الشياطين بشهب تمنعهم من استراق السمع لما تلقي الكهنة والمراد
زيادة الرمي وكثرته فان كان قبل كما مر وفي نسخة رجم بدل رمي ورصد النجوم
رصد بسكون الصاد المهملة رصده يرصده اذا ترقبه واعد له ما يمنعه ويجوز
فتحها ويكون واحدا وجمعا للراصد كخدم نوع من اصناف الصنعة لموضوعها اي النجوم
المرصدة اي المعدة لمنعهم من السمع وذلك لان الشهب نجوم او شعل نار تنفصل منها
وارتضاه كثيرون فرصدها لانها سبب لما يمنعهم وجا في القران من الاخبار عن
القرون والامم السالفة اي الماضية قديما وانبا جمع نبا وهو الخبر الانبيا والامم
البائدة اي الهالكة الفانية في الزمن السابق يقال باد يبيد اذا هلك وفي الحديث
الجنة لا تبيد ابدا اي لا تهلك ولا تفنى اهلها والحوادث اي الامور الواقعة من خير
وشر في الازمان السالفة الماضية قبل ذلك ما يعجز من تفرغ لهذا العلم اي العلم بالانبا
وتواريخ الامم عن بعضه اي عن معرفة بعض منه فضلا عن جميعه وما فاعل جا ومن
فاعل يعجز على الوجوه التي بسطناها اي جا مبينا على وجوه تقدمت مفصلة وبينا
المعجز فيها اي اوضحنا المعجزات فيها بما اغنى عن اعادته ثم بقيت هذه المعجزة اي
القران وفي نسخة المعجزات باعتبار وجوه الجارية الجامعة لهذه الوجوه اي وجوه
الاعجاز المذكورة انفا المضمومة الى الفصول الاخر يعني الاربعة المتقدمة التي
ذكرنا في معجزات القران ثابتة الى يوم القيامة لا تبدل ولا تغير ولا تذهب بقاها
الله بينة الحجة اي ظاهرة الدلالة على رسالته صلى الله عليه وسلم لكل امة
تاتي بعد نزول القران جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر لا يخفى وجوه ذلك الاعجاز
الذي ذكرا ولا على من نظر فيه اي من نظر في القران بتلاوته او سماعه وتامل وجوه
اعجازه اي اطال النظر فيها وكرره وهو من الامل تفعل تجوز به عما ذكر لترقبنا لامل
وامتداده الى ما اخبر به من الغيوب اي مع ما اخبر به من المغيبات على هذا السبيل
والطريق المذكور فلا يمر عصر ومن من اي تجيء كالمار على اهله ولعل المراد به ينقضي
لقوله الا ويظهر فيه صدقه اي صدق القران او النبي صلى الله عليه وسلم بظهور
مخبره بفتح البا اي ما اخبر به او خبره على ما اخبر كاينا متحققا على وفق خبره
اوبا قيا على حاله في وجوه المجارة السابقة اي اخبر به نوع مبين للفاعل فيتجدد
الايمان به كل ما ظهر امر جديد مصدق له بوقوع ما فيه ويتظاهر البرهان اي
يقوى الدليل ويزيد قوة واصل التظاهر المعاونة والمساعدة كانه يستند
لظهر ولعين الخبر كالعيان وهو بكسر العين المعاينة والمشاهدة ولا تفتح فيه العين
وهو مثل ورد في الحديث الصحيح ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر يحتمل الصدق والكذب
بقطع النظر عن قايله فاذا شوهد معناه دان المراد واطمان الفؤاد ولذا قال

ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي كما قيل ۞ ولكن للعيان لطيف معنى ۞ له سال المعاينة الكليم
وللمشاهدة بحسب النظر زيادة في اليقين الذي كان بالبرهان القاطع والنفس اشد
طمانينة الطمانينة والاطمينان السكون بعد الانزعاج الى عين اليقين اي الى ما
يتيقن بالمعاينة والمشاهدة منها اي من طمانينتها الى علم اليقين اي العلم المتيقن
بالبرهان القاطع فالنفس مفضل ومفضل عليه باعتبار حالتين وان كان كل
من عين اليقين وعلم اليقين عندها اي عند النفس وفي علمها فان عند يكون
بمعنى العلم كما فسر عند الله بعلمه تارة وحكمه اخرى حقا اي متحققا ثابتا بلا
مرية لكن الاول اقوى وفيه اشارة الى الفرق بين عين اليقين وعلم اليقين وحق
اليقين وفيه كلام فصلناه في غير هذا المحل والاول ضروري وغيره نظري وسائر
معجزات الرسل قدمت وفصلنا في شرح الدرة ان لفظ سائر ورد بمعنى الباقي من
السؤر المهموز وبمعنى الجميع من السير المعتل وان من النحويين كالحريري
وغيره لم يثبت انقرضت بانقراضهم اي انقطعت وذهبت معهم بسبب ذهابهم وعدمت
بعد وجودها وعدم مبني للمجهول لانه يقال عدمه كعلمه بمعنى اعدمه
وعدم من كرم بعدم بفتحتين او بضم فسكون ذواتها اي الرسل وفي نسخة
ذواتهم جمع ذات بمعنى نفس وفي ثبوتها في اللغة كلام تقدم وياتي والمعروف
انه بمعنى صاحبة مؤنث ذو المشهور في العربية اي تلك المعجزات تقدم فتنقرض
وان علم ثبوتها لكونها امر غير مؤبد ومعنى عدم ذوات الانبياء ذهابها من الدنيا
وعن الحس وان كانت باقية في البرزخ احيا لا يموتون كما في حديث الاسرا
والاجتماع بالانبيا ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم يعني القران لا تبيد
اي لا تفنى وتعدم ولا تنقطع اي تذهب بالكلية واياته اي معجزاته صلى الله
عليه وسلم التي تضمنها القران تتجدد ولا تضمحل بالضاد المعجمة والميم والحا
المهملة واللام المشددة اي لا تنحل وتفنى كاضمحل السحاب اذا انقشع
ولهذا المذكور من بقا معجزته صلى الله عليه وسلم اشار صلى الله عليه وسلم
بقوله في حديث صحيح رواه البخاري رحمه الله والاشارة هنا بمعنى التصريح
او عبر به لانه غير صريح فيما ذكر لان الوحي الاتي اعم من القران فيحتمل ان
المراد به احكام شريعته الباقية الى يوم القيامة والظاهر ان المشار اليه ما مر
من ان القران فيه معجزات لا تحصى وليس بصريح الحديث كما ستعرفه فيما
حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي بن سكرة وقد مر ترجمته قال حدثنا القاضي
ابو الوليد تقدم ايضا قال حدثنا ابو ذر الهروي وقد تقدم قال حدثنا ابو محمد
ابن حموية السرخسي وقد تقدم وابو اسحاق المستملي كما تقدم وابو الهيثم
الكشميهني كما تقدم قالوا حدثنا الفربري راوي صحيح البخاري وقد تقدم
ضبط نسبته قال حدثنا البخاري صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا عبد العزيز
ابن عبد الله العامري الاويسي الفقيه الحافظ الثقة وترجمته في الميزان
قال حدثنا الليث تقدمت ترجمته عن سعيد المعروف بالمقبري عن ابيه
كيسان ابو سعيد المقبري نسبة للمقابر لانه كان يتولى حفرها وهو مولى

اى ابن سعد

بني ليث روى عنه اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة مائة في خلافة الوليد وهو ثقة عن
ابي هريرة رضي الله عنه عبد الرحمن بن صخر وفي اسمه اختلاف كثير لشهرته بكنيته كما مر
عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه البخاري ومسلم والنسائي وما
ذكره المص لفظ البخاري قال ما من الانبيا تقديره ما من نبي من الانبيا الا اعطي بالبنا
للمجهول اي الا اعطاه الله من الايات اي المعجزات الظاهرة ما مثله ما موصول له
او موصوفة آمن بالمد ماض اي صدق عليه البشر على تغليبه كما في قوله تعالى
على ما هدى اكرما وتقديره مستقرا عليه البشر يعني اهل عصره وانما كان الذي اوتيت
من الايات والمعجزات وحيا اوحاه الله الي يعني القرآن المعجز المتحدي به ثم بين عليه
قوله فارجو من الله بما اكرمني به من المعجزة المشتملة على معجزات لا تتناهى الباقية
الي يوم القيامة التي ليست كمعجزة غيري تنقرض بانقراضهم فيؤمن بها في كل امة ما لا
يحصى فلذا رجوت ان اكون وقوله اكثرهم تبعا اي امة يوم القيامة اذ احشرت الامم
مع انبيائها هذا معنى هذا الحديث عند بعضهم ممن فسره وهو المراد منه فنبه اشارة
الي كثرة ما فيه من المعجزات وانه باق على وجه الدهر الي يوم القيامة لا يقبل نسخا ولا
تبديلا ولا يبلى كغيره من الكتب والمعجزات ومثله المتقدم المراد به نفسه كما في قولهم
مثلك لا يبخل وعليه التعليل كما مر وعبر بها لما فيهما من الدلالة على الاستعلا بالقهر
والغلبة الملزم لهم بالايمان به وقال انما مع كثرة ما له من المعجزات اشارة الي انه اعظم
معجزاته والعرب قد تحصر الشيء في فرد كامل منه بادعا ان ما عداه لا يعتد معه لكما
عن غيره وقد حقق الله رجاه صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر من معنى الحديث
والتصحيح ان شا الله وقد تقدم هذا الحديث مستوفى مشارا الي ان فيه وجوها
اخر بقوله وذهب غير واحد اي كثير من العلما اي علما الحديث في تاويل هذا الحديث
اي تفسيره وبيان ما يؤول اليه وعبر بالتاويل اشارة الي انه خلاف الظاهر بعد
ما صرح به وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اي في بيان وجه ظهورها
الي معنى اخر غير ما ذكرناه من ظهورها اي بيان ظهورها بكونها اي هذه المعجزة
الباهرة وحيا اي كلاما موحى اليه من الله فقوله وكلاما عطف تفسير لان الوحي
يحتمل المعنى المصدري ثم بين وجه الظهور على هذا فقال لا يمكن لاحد من نكته
التخييل فيه تفعيل من الخيال بالخا المعجمة وفي نسخة التخيل بالتفعيل منه
والاولى انسب بقوله ولا التحيل عليه بالحا المهملة لانه كلام بليغ دال على معنى
وما قصد به دلالة عن المعنى لا يمكن المعاند عليه ان يقول انه تخييل وتمويه
لا اصل له ولا ان يعمل حيلة في الاتيان بمثله كما فعل سحرة موسى عليه الصلاة
والسلام بحبالهم اذ جعلوها تتحرك كعصاه والتشبيه به فان غيرها
اي غير المعجزة القرآنية من معجزات الرسل كلها قد رام اي قصد وطلب المعاندون
اي المنكرون لها عنادا لها باشيا متعلق برام طمعوا اي توهموا فجعل كالمتوهم لقربه منه
معنى في التخييل والتمويه بها باظهار ما لا حقيقة له على الضعفا المراد بهم العامة
الذين ضعف عقلهم عن الفرق بين السحر والمعجزة لعدم تمييزهم كالقا السحرة
عند فرعون جمع ساحر حبالهم وعصيهم جمع حبل وعصا لابطال معجزة عصى

مغ

بنه

نخ
وما قصد به ذلك

موسى بالاتيان بمثلها فلما انبلعت عصا موسى عليه الصلاة والسلام ما القوه وانقلبته
علموا انها معجزة فامنوا به واختاروا القتل على اتباع فرعون ولم يغن كيده شيئا وشبه
هذا المذكور في قصة موسى مما يخيله بالمعجمة اي يلبس به ويموه الساحر او يخيل
فيه بالحا المهملة اي ياتي به بحيلة منه غير واقعة ثم اشار الى انه معجزة نبينا صلى
الله عليه وسلم لا تفتعل ما ذكر بقوله والقران كلام من جنس الكلام البالغ غاية البلاغة
ومثله ليس للحيلة ممن لا يقدر عليه ولا للسحر في التخييل فيه بان يعمل بقوة السحر
ما يؤثر في شخص لا بلاغة له حتى يتكلم بكلام بليغ خطبة او شعرا عمل اي تاثير كما عرفته
انفا فان ساحرا لو اتى عاميا لا قدرة له على كلام حسن ثم سحره بجميع انواع سحره لا يمكنه
ان يقوم في نادٍ منشدا او خطيبا فانه امر جبلي لا يمكن ايجاده لغير خالق القوى والقدر
فتجد الجلف الاعرابي يتكلم بكلام عند اعقل الناس واظرفهم لا يمكنه ان ياتي بشيء
منه ولهذا اعلم ان الكلام لا يكون بحيلة ولا سحر فما بالك بكلام افحم جميع الفصحا
واخرس السنة البلغا وهو المراد بقوله فكان القران من حيث كونه كلاما من هذا
الجهة اي من الجهة المذكورة تقطع النظر عن غيرها من جهات الاعجاز عندهم اي عند
المنكرين لهذا الحديث بما ذكرنا انبا اظهر من غيره من المعجزات لعدم قبول التخييل
والتمويه كما لا يتم اي يحصل ويتيسر وعبر بالتمام لانه يتحقق به الامر ولذا قيل
الاعمال بخواتيمها او باواخرها الشاعر يتكلم بالمنظوم ولا خطيب يتكلم بالمنثور ان
يكون شاعرا او خطيبا بتزيد اي بشيء ونوع من الحيل جمع حيلة والتمويه اي
التخييل والتلبيس وهو ماخوذ من قولهم موه النحاس بذهب او فضة لتوهم
من رآه انه ذهب او فضة وهو في الاصل من الما يذاب فيصير كالما ثم يطلى به
وتقول العامة لمذابه ما الذهب وما الفضة وصيغة فعل تكون للتشبيه كثيرا
فانكار اهل المعاني لقوله الف مسرج بمعنى كالسراج في البريق واللمعان
لا وجه له كما مر والتاويل اي التفسير الاول الذي قال انه الظاهر الصحيح
اخلص افعل تفضيل من خلص بخا معجمة ولام وصاد مهملة اي اصفا من الكدر
اي الاشكال قال في المغرب الخلوص الصفا ويستعار للوصول الشيء او هو بمعنى
اجود او من الخلاص بمعنى النجاة والسلامة وارضى افعل تفضيل من الرضى اي
اكثر رضى وقبول عند العقول السليمة وفي هذا التاويل الثاني الذي ذهب
اليه غيره من علما الحديث ما يغمض بالبنا للمجهول وتشديد الميم قبل صاد معجمة
من تغميض الجفن وهو غطا العين ومعنى يغمض عليه الجفن انه يغمض عنه البصر
والنظر فلا يلتفت اليه ولا يعتنى به او هو كالقذا في العين الذي يمنع انفتاح
الاجفان وهو كناية عن انه غير سالم من الاعتراض ويغضى بغين وضاد معجمتين
والف مبني للمجهول لاجل قافية السجع من اغضى الجفن اذا اطبقه او بمعنى
سكت وهو قريب مما قبله قيل جعله مرجوحا لما فيه من ايهام ان معجزات الانبيا
عليهم الصلاة والسلام يمكن معارضتها ولو بطريق التخييل والحيلة وفيه
وجوه اخر وجدنا لك في اعجاز القران وانه اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم
على مذهب من قال بالصرفة اي ان اعجازه بصرف الله قدرتهم وتمكنهم من

معارضته

معارضته مع انهم عند البلغاء قادرون على الاتيان بمثله لولا ما ذكر والى هذا ذهب النظام
وكثير من المعتزلة والشريف المرتضى من الشيعة وان المعارضة له والاتيان بمثله
كانت في قدرة البشر فصرفوا عنها اما بسلب قدرتهم ودواعيهم او بسبب علمهم بتاليف
كلام مثله وتمكنهم منه او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس
مقدورهم على الاتيان بكلام من جنسه اي بما هو في قدرتهم متمكنون منه ولكن
لم يكن ذلك قبل بالبتا على الختم اي قبل ظهوره ولا يكون بعده بالختم وقيل المراد
قبل التحدي وبعده لان الله لم يقدرهم بسكون القاف وفتحها وتشديد الدال
وتخفيفها اي لم يجعل فيهم القدرة على الاتيان بمثله قبله لانهم لم يسمعوا كلاما
مثله ولا يقدرهم عليه بعده ولما كان هذا المذهب قريبا مما قبله اشار الى الفرق
بينهما بقوله وبين المذهبين اي مذهب الصرفة والمذهب المذكور بعده فرق
بين بالتشديد واضح ظاهر لتمكنهم على الاول من الاتيان بمثله لكن صرفوا عنه
ولعدم تمكنهم منه على الثاني مع انه من جنس مقدورهم ومثله في الجملة
وليس هذا النوع من الصرفة وذهب اليه بعض اهل السنة كما توهم وهو عجيب
من قائله فتدبر وعليهما جميعا اي على هذين القولين فترك العرب الفصحا على
المذهب الاول الاتيان بما في مقدورهم اي قدرتهم على الاتيان بما هو من مثله او
مثل بعضه كاقصر سورة منه او تركهم على الثاني ما هو من جنس مقدورهم اي من
جنس كلامهم البليغ الذي يقدرون عليه ورضاهم اي اختيارهم بالبلا اي بما
ابتلوا به لعنادهم والجلا بفتح الجيم واللام والمد بوزن البلا وهو اخراجهم من
من ديارهم واوطانهم والسبا بكسر السين المهملة والموحدة والمد وهو سبي
اولادهم واهلهم واسترقاقهم والاذلال لانفسهم واهليهم وتغيير الحال
التي كانوا عليها من العزة والشهامة وسلبا لنفوسهم بالقتل والفتك فيهم والاموال
باخذ الغنايم منهم والتقريع باللوم والزجر والتعيير والتوبيخ بذمهم وتقبيح
ما هم عليه من الجهل والتعجيز باظهار عجزهم بالتحدي والتهديد لهم بانذارهم
بعذاب الدنيا والاخرة والوعيد بما يقع بهم ان لم يؤمنوا ابين اية اي اظهر
علامة وهو خبر قوله فترك العرب للعجز عن الاتيان بمثله اي بمثل القران
في فصاحته واعجازه والنكول وهو النكوص اي الرجوع والاعراض عن معارضته
اي الاتيان بمثله وانهم منعوا من شيء هو من جنس مقدورهم اي كلامهم الذي
يقدرون عليه لا من نوعه المشابه له من جميع الوجوه والى هذا المذهب وهو
انهم قادرون على شيء من جنسه عاجزون عن مثله لا بالصرفة الصرفة وهذا
هو الفرق بين القولين ذهب اي اختاره مذهبا الامام ابو المعالي الجويني
منسوب الى جوين بزنة المصغر اسم بلدة وهو امام اهل السنة عربا وعجما
فرد الامة عبد الملك بن عبد الله بن يوسف النيسابوري الشافعي امام الحرمين
اعلم ايمة الشافعية هو ووالده ولد في ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة واربعما
في الخامس والعشرين من ربيع الاخر وغيره من اهل السنة قال ابو المعالي
وهذا الاعجاز عندنا ابلغ اي اقوى واكثر مبالغة في خرق العادة بالافعال

دجلي

عرضي

نفـ

البديعة اي المبتدعة الغريبة في انفسها اي في حد ذاتها وهو متعلق بالبديعة
وفي نسخة في انفسنا وهو متعلق بابلغ كقلب العصا حية لموسى عليه الصلاة والسلام
وكانت من شجر اللوز وفيها معجزات كانت تثمر له وتضيء وينتفع بها الى غير ذلك مما
فصلوه ونحوها كاليد البيضا وابرا الابرص والاكمه واحيا الموتى فانه اي الامر
والشان اوكون هذا ابلغ قد يسبق الى بال الناظر فيها وفكره وخاطره بدارا اي مبادرا
بسرعة في اول نظره ان ذلك الامر البديع الخارق للعادة نشا من اختصاص صاحب
ذلك الامر الذي ظهر على يديه بمزية معرفة اي بزيادة معرفة امتاز بها عمن لم
يقدر عليها في ذلك الفن اي النوع الذي كان يعتني به اهل زمانه وفضل علم به
واحواله الى ان يرد ذلك الخاطر الذي سبق لفهمه صحيح النظر بالتامل والتدبر
فيه حتى يعلموا اعجازه ثم يتبين ابلغيته وقوته بقوله واما التحدي اي طلب معارضة
الكلام وتقدم انه مشتق من الحدا اي التقابل الحداة في حدائهم للابل للحث فيعجز خليقة
بمعنى خلق مئين بكسر الميم جمع مائة من السنين في عصر النبوة وبعده الى غير النهاية
بكلام من جنس كلامهم المتحدى بهم ليأتوا بمثله علة للتحدي فلم ياتوا اي لم يقدروا
على مثله وهم فحول البلاغة وقد تحدوا او عيروا على رؤس الاشهاد ولم يبق بعد
توفر الدواعي اي كثرة ما يدعوهم لمعارضته ويحثهم عليها من الحمية الجاهلية
على المعارضة ثم عدمها اي المعارضة مع كثرة دواعيها الا ان منع الله الخلق
عنها بالصرفة او بعدم القدرة على نوعه دون جنسه فيصدق على المذهبين
وفي نسخة الا منع الله الخ بمثابة اي هذا المنع بمثابته واصل المثابة المكان
الذي يرجع الناس اليه او يكتسبون فيه الثواب ثم شاع فيما ذكر كما اشار اليه
الراغب وقيل اصله مبلغ جموم البئر والحجارة حولها ثم نقل لما ذكر وقد اصطلح
الفقهاء على استعماله للتشبيه كما قيل فالمراد انه نحو ما لو قال نبي ومعجزتي ان
يمنع الله القيام على الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم بان لا
يكونوا مقعدين وهو بيان لمقدرتهم على القيام والمقدرة بضم الدال وفتحها
كما تقدم فلو كان ذلك اي عدم قيامهم وعجزهم بتشديد الجيم اي جعلهم الله
عاجزين عنه لكان ذلك من الظاهر اي اقوى معجزة واظهر دلالة على نبوته
وبالله التوفيق فيه اشارة الى ان فيه توفيقا بين القولين لاتفاقهم من وجه
واختلافهم من اخر وقد غاب عن بعض العلما اي خفي عليهم لان من شان الغايب
ان يخفى فاريد به لازمه ظهور آيته صلى الله عليه وسلم ولتضمينه معنى العلو
قال على سائر ايات الانبيا الذين سلفوا قبله حتى احتاج للعذر عن ذلك اي
عن كون معجزته اظهر من معجزات غيره مع ان احيا الموتى ونحوه من ايات الانبيا
قد يتوهم انه اقوى واظهر بدقة افهام العرب اصل معنى الدقة كون الشي دقيقا
ثم استعير للوقوف على ما خفي من الامور وذكا البابها جمع لب وهو العقل
الخالص والذكا قوة للذهن تقتضي سرعة الانتقال ووفور عقولها الوفور
من الوفر وهي الكثرة والزيادة والعقول جمع عقل وهو القوة المدركة
يعني ان هذا من شان هذا الجنس ولا يضره تفاوتهم بحسب الاشخاص فيما ذكر

كانوهم

كما نوهم مع انه لا يرد على المص لانه حكاه عن غيره والفهم لما خصوا به من الذكاء والفطنة
ادركوا المعجز فيه اي في القران لما علموه من خواص تراكيبه وجزالة معانيه وحسن
نظمه واتساقه بفطنتهم اي قوة ذكائهم وتجاهم من ذلك اي يحصل في نفوسهم
من معرفة الاعجاز وظهوره على غيره بحسب ادراكهم بفتح السين اي حصل منه على مقدار
ادراكهم وفوته وغيرهم من الامم من القبط وغيرهم القبط بكسر القاف جيل من
الناس كانوا قوم فرعون بمصر وبني اسرائيل اولاد يعقوب بن ابراهيم واسرائيل
لقب يعقوب لم يكونوا بهذه السبيل اصل معناه الطريق وهو هنا كناية عن
عدم ذكائهم وفهمهم كالعرب ونفي سبيل الشيء ابلغ من نفيه بل كانوا من
الغباوة وقلة الفطنة الغباوة عدم الفهم والبلادة وعطف قلة الفطنة عليه
عطف تفسير ورجل غبي جاهل قال

ليس الغبي بسيد في قومه ۞ لكن سيد قومه المتغابي

بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم حيث ظرف مكان وهو خبر كان اي بلغت غباوتهم
ان فرعون قال لهم انا ربكم الاعلى فسلموا له ذلك وهذا بالنسبة للقبط وجوز
عليهم السامري وهو رجل من بني اسرائيل يسمى موسى بن ظفر وهو منسوب لرجل
اسمه سامر ذلك في العجل اي انه ربهم فعبدوه والعجل الصغير من البقر بعد ايمانهم
بالله فاضلهم السامري وكان من اهل كرمان من قوم تسمى السامرة يعبدون البقر
وكان منافقا يظهر الاسلام فلما مضى موسى عليه الصلاة والسلام صاغ لهم عجلا
من الحلي وزينه بالجواهر وقذف فيه ترابا من اثر فرس ركبه جبريل فكان يتحرك
فقال لهم هذا الهكم واله موسى وان موسى اخطا الطريق اليه فجاكم يكلمكم كما كلمه
فاتبعوه لسخافة عقولهم كما فصله المفسرون وغيرهم وعبدوا اي بنو اسرائيل
المسيح عيسى بن مريم مع اجماعهم على صلبه واذا كان ربا كيف يصلب مع انه
اعتقاد باطل وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اي القي شبهه على رجل اسرا
فظن اليهود انه عيسى عليه الصلاة والسلام فصلبوه وهذا اجهل عظيم
منهم مع ما جاءهم من الايات الظاهرة البينة للابصار اي لعدم دقة افهامهم كانت
اياتهم في غاية الظهور تدرك بالبصر لبعد غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه فاعل
جا وعدم شكهم لظهور ما جاءهم ومع هذا الظهور فقالوا لموسى لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة اي معاينة بابصارنا لشكهم فيما اتاهم به وتفصيله في التفاسير
غني عن البيان ولم يصبروا اي بنو اسرائيل على المن وهو طل كالعسل ينزل على
الاشجار فيجمع ويوكل والسلوى وهو طاير كالسماني واحده سلواه وكانوا
لما خرجوا من التيه قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام اخرجتنا من العمران
للقفر فادع الله ان يرزقنا فرزقهم المن ثم سالوه ان يطعمهم من اللحوم فاتاهم
بالسلوى فكانوا ياخذونها بايديهم ثم قالوا لن نصبر على طعام واحد واستبدلوا
الذي هو ادنى اي طلبوا بدلا ادنى مما عندهم وهو الفوم والعدس والبصل
بالذي هو خير وهو المن والسلوى والبادية اخلة على المتروك وفيها تفصيل
او ذو بالتاليف والعرب على جاهليتها اي على حالها التي كانت عليه قبل الاسلام

يبلي

نوا

من الجهل والعامة امية والجاهلية مصدر بمعنى الجهل وعلى بمعنى مع وقيل الكلا استعارة لتمكنهم في الجهل كقوله على هدى من ربهم اكثرها يعترف بالصانع اي بوجوده تعالى وليست معطلة لبعض الامم واطلاق الصانع على الله صحيح ثبت في السنة كما ذكره السيوطي رحمه الله وليس مما احدثوه وفي قوله اكثرها اشارة الى ان بعضهم فرقة دهرية قالوا ما يهلكنا الا الدهر وفرقة عبدوا الملائكة وفرقة عبدت الكواكب واما كانت عبدة الاصنام منهم تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ولا تدري الها خالقه زلفة وزلفى مقصور بمعنى الحظوة من ازدلف بمعنى دنى وهو مصدر كالزلفة مؤكد لتتقرب من غير لفظه ومنهم من امن بالله وحده من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم في الجاهلية كابن نفيل وقس ابن ساعدة وامية بن ابي الصلت بدليل عقله وصفا لبه الذي هداه الى معرفة الله تعالى وتوحيده للنظر في مصنوعاته • وفي كل شيء له اية تدل على انه الواحد • ولما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم اي بعثه الله تعالى ليهديهم الى الله بكتاب الله المنزل عليه فهموا حكمته اي ما فيه من الحكم والعلوم النافعة وتبينوا لفضل ادراكهم وزيادة عقلهم لاول وهلة اي في اول نظرة بالبديهة منهم يقال لقيته اول وهلة بسكون الهاء وفتحها اي اول شيء ولام لاول توقيتية اي عند اول وهلة معجزته يعني القران فامنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا وتصديقا بنبوته ومعجزته والايمان بمعنى التصديق يقبل الزيادة قوة وضعفا عند المحققين وان لم نقل ان الاعمال داخلة فيه كما تقرر في علم الكلام ورفضوا اي تركوا الدنيا كلها في صحبته اي لاختيار صحبته على كل شيء وهجروا ديارهم ٥ واموالهم طلبا لرضى الله ورضاه صلى الله عليه وسلم وقتلوا اباهم وابناهم المعادين له لاجل نصرته واعزاز دينه في نصرته في هنا تعليلية والى هذا القايل الذي غاب عنه ما تقدم في معنى هذا وزعم ان ظهورا باية لما قاله بما يلوح له رونق اي يظهر له لفظ حسن ويعجب منه زبرج بكسر الزاي المعجمة وسكون البا الموحدة وكسر الرا المهملة وجيم وهي الزينة والوشي الذي هو كالطلاء وفيه اشارة الى عدم قبوله لضعفه ولذا قال لو احتيج اليه وتحقق اي ثبتت حقيقته لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها من غير حاجة لما ذكره من ذكا العرب وفهمهم ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك اي ادعا مثل هذه الامور الخفية المتكلفة وظهورها اي ما يظهر منها قبل تدقيق النظر والتدبر وبالله استعين والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وعلى اله وصحبه وسلم القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام الوجوب الشرعي ما يلزم شرعا وهو ظاهر والانام الخلق والناس والحقوق جمع حق وهو ما يستحقه عليه الصلاة والسلام وهذا قسم من الاقسام الاربعة التي ذكرها المص لخص الكلام فيه اي اختصره من غيره من الكتب وبيناه وسهلناه في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب في اجمال ما اشتمل عليه وفهرسته ومجموعها اي محصلها واجمالها من قولهم

جمل

جمل الحساب والصغير للابواب الاربعة في وجوب تصديقه عليه الصلاة والسلام
في كل ما جاء به عن ربه ويدخل فيه الايمان بانه رسول والايمان بسائر الرسل والكتب
المنزلة وقدمه لانه الاصل فلا حاجة لما قيل من انه ختمه لانه المقصود من تصنيف
الكتاب ولانه اشرفهم وخاتمهم واتباعه صلى الله عليه وسلم اي الاقتداء به فيما
ليس من خواصه وهو مجرور معطوف على تصديقه اي بان يجب اتباعه في وجوب
الواجب وسنية المسنون واباحة المباح وتحريم المحرم وقيل ينبغي تقييده بالواجب
لا المسنون وطاعته بامتثال اوامره واجتناب نواهيه والطاعة كما قاله الراغب
الانقياد ويضادها الكره قال تعالى ائتيا طوعا او كرها والاكثر ما يقال لما امر به
فلذا عطفها على الاتباع فانه قد يكون كرها فمن قال في العرف ان المطيع مسلوب
الاختيار مع المطاع وفي الصحاح فلان مطيع لك اي منقاد لم يبق في مدعاه
واستدلاله ومحبته بان يكون صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه واهله
وماله والمحبة الميل النفساني وهي معروفة ومناصحته له وهي لغة الخلوص
وشرعا ارادة الخير للمنصوح وسيأتي وعبر بالمناصحة دون نصحه لانها ابلغ ولان
الرسول صلى الله عليه وسلم نصح الامة وبالغ في نصحهم وتوقيره اي تعظيمه
والتأدب معه بما هو لائق به صلى الله عليه وسلم وبره صلى الله عليه وسلم
ببذل ما في وسعه له من المال وغيره من امور الدنيا فما قيل من انه تكرار ينبغي تركه
لانه للطاعة لا وجه له وحكم الصلاة عليه والسلام من الوجوب ومحله وزيارة
قبره اي وحكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وعبر بالحكم فيهما لان وجوب
ما قبلهما مستمر دونهما وتعبيره به لانه في بيته صلى الله عليه وسلم وهذا حكمة
دفنه فيه دون المقابر تقدم وجه تقديمه

## الباب الاول

في ومن الايمان به صلى الله عليه وسلم عبر فيما سبق بوجوب تصديقه وهنا
بومن الايمان تفننا واشارة الى ان المؤمن والواجب بمعنى عنده هنا وان المراد
بالتصديق الايمان لا معناه اللغوي والحنفية تقدم انهم فرقوا بين الفرض
والواجب بان الفرض ما ثبت بدليل قطعي بخلاف الواجب فان الفرض لغة القطع
وخالفهم فيه غيرهم كما بين في الاصول ووجوب طاعته اي بوجوب هنا لما
ذكرناه وللاشارة الى انه فيما سبق معطوف على تصديقه لا على وجوب فلا وجه
لما قيل انه لا حاجة اليه وانه ينبغي تقديمه واتباع سنته اي طريقته التي
سنها صلى الله عليه وسلم وشرعها وهو بالمعنى اللغوي فيدخل فيه السنن
الاصطلاحية وغيرها وهو مقابل لقوله اولا اتباعه ولم يجد في لانه غير مغاير
لما قبله لان اتباع سنته طاعة له فلا يقال انه ينبغي ذكره اذا تقرر وثبت بما
قدمناه في هذا الكتاب ثبوت نبوته بالوحي اليه وصحة رسالته لجميع الخلق
واخرها لانها اخص وعبر بالصحة تفننا ولان من الكفرة من ادعى عدم صحتها
كاليهود المنكرين للنسخ وبعض من غيرهم ادعى عدم عموم رسالته وجب الايمان
به وتصديقه في جميع ما اتى به واخبرنا به ومنه الايمان بالله ورسله وكتبه
وغيرها ان لم نقل ان الايمان بالله واجب عقلا مقدما على ما عداه لئلا يلزم

ابن اقبرس

ابن اقبرس

ابن اقبرس

ابن اقبرس

ابن اقبرس

ابن اقبرس

ابن الفتوح

الدور كما ارتضاه بعض الماتريدية وخالف فيه بعض الاشعرية كما حقق في كتب الكلام
وقيل الايمان بالله تعالى متقدم على الايمان بالرسل والايمان بالرسل متوقف
على ثبوت الرسالة كما قاله ثم من امن به وجب عليه طاعته بامتثال ما جاء به من
الشرايع انتهى وفيه نظر قال تعالى فامنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه
وسلم والنور الذي انزلنا يعني ما اوحي به اليه صلى الله عليه وسلم من الشريعة
وهذا هو المناسب لما قبله وقيل المراد به القران اذ هو باعجازه ظاهر بنفسه

دلجي

مظهر لغيره ببديع بيانه فاطلاق النور عليه استعارة كما ذكرا ولانه يهتدى به
والامر للوجوب والاستدلال بالاية ظاهر وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا
على من صدق وكذب ليثاب او يعاقب ومبشرا لمن امن بسعادة الدارين وحذف
المبشر به تفخيما لتذهب نفس السامع كل مذهب كما في قوله ونذيرا اي منذرا ومخوفا
لمن عصاك لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب في انا ارسلناك له صلى الله عليه وسلم
واللام لتؤمنوا لام كي وقيل انها تحتمل ان تكون لام امر وهو بعيد وقرئ ليومنوا
بالغيبة وهي ظاهرة لان خطابه صلى الله عليه وسلم خطاب لامته وفيه كلام
بيناه في حاشية القاضي والاستدلال بالاية على التعليل لان الانذار يقتضي
وجوب اتباعه على انه في غنية عنه بما قبله وبعده من قوله وقال تعالى
فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الاية اي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه
لعلكم تهتدون وقد تكرر الامر به في القران في ايات كثيرة فالايمان بالنبي محمد
صلى الله عليه وسلم واجب لامر الله به مرارا متعين اي فرض عين لا فرض
كفاية فيجب الاعتراف به باللسان ان قدر والتصديق بالجنان فلا بد منهما شرعا
اذ لا يتم ولا يصح ايمان لاحد بالله الا به اي بالايمان برسوله صلى الله عليه
وسلم وبكل ما جاء به ولا يصح اسلام الا معه اي الا مع الايمان بالله وبرسوله
بعينه وليس هذا مبنيا على تغاير الايمان والاسلام على قول بل هو تاكيد لما قبله
لتغايرهما بحسب المفهوم وان اتحدا بحسب الماصدق فانه لا يكون مؤمن الا وهو
مسلم ولا مسلم الا وهو مؤمن لقوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين قال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وفي الاية نص على ان الايمان المعتد به انما يكون
بالجمع بين الايمان بالله وبرسوله فينتفي بانتفا احدهما لتفريع قوله فانا
اعتدنا الخ عليه حدثنا ابو محمد الخشني بقراتي عليه وهو حديث صحيح رواه
مسلم والبخاري والخشني بضم الخا وفتح الشين المعجمتين ونون وياء نسبة
تقدمت ترجمته قال حدثنا الامام ابو علي الطبري تقدمت ترجمته قال
حدثنا عبد الغافر الفارسي تقدمت ترجمته قال حدثنا ابن عمرويه الجلودي
وقد تقدم وان عمرويه بفتح العين وسكون الميم وفتح الرا وضمها وانه مثله
صيغة تصغير عند اهل البصرة مولدة قال حدثنا ابن سفيان ابراهيم
ابن محمد بن سفيان راوي مسلم قال حدثنا ابو الحسين هو الامام مسلم القشيري
صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا امية بن بسطام بكسر الباء الموحدة وفتحها

وفيه

قادح

وفيه الصرف وعده مدلس في سنة احدى وثلاثين ومائة وهو امام جليل اخرج له
الشيخان والنسائي قال حدثنا يزيد بن زريع بزنة مصغر الزرع الامام الحافظ ابو
معاوية البصري كما تقدم قال حدثنا روح بفتح الرا المهملة وواو ساكنة وحا مهملة
وهو ابن القاسم التميمي البصري الامام الثقة مات سنة نيف وخمسين ومائة عن
العلا بفتح العين المهملة والمد ابن عبد الرحمن بن يعقوب عالم المدينة وهو
ابو شبل مولى الحرقة اخرج له مسلم واصحاب السنن عن ابيه عبد الرحمن عن ابي
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت بالبنا للمجهول اي
امرني الله اذ لا آمر له صلى الله عليه وسلم سواه ان اقاتل الناس اي بان اقاتلهم
ومحله بعد حذف الجار نصب او جر وهو عام للناس كلهم خص منه من ضربت
عليه الجزية حتى يشهدوا ان لا اله الا الله غاية لقتالهم ينتهي به وتخصص بالغاية
ويؤمنوا بي اي بكوني نبيا رسولا ويؤمنوا بما جئت به من الله واوحاه اليه من
شريعته التي امر بتبليغها وتكليفهم بها فاذا فعلوا ذلك المذكور من الشهادة
والتصديق لما جا به والتزام احكام شريعته عصموا اي صانوا وحفظوا مني دماهم
لعدم المقاتلة لهم واموالهم فلا تؤخذ بالغنايم ولا بسبب من الاسباب الا
بحقها اي ان تستحق اباحة دمايهم بقتل نفس ظلما ونحوه او تستحق اموالهم
بمنع زكاة او بشي تستحق عليهم وحسابهم على الله اي امرهم بعد ما ذكر موكول
الى الله اذ لحاسبهم على ما اسروه في انفسهم وما لم تطلع عليه من الكفر
والمعاصي فيثيب من يشا ويعاقب من يشا والمنافق لا يقتل الا اذا ظهر منه
ما يقتضي كفره ومثله الزنديق واختلفوا في قبول توبته فقيل يقبل مطلقا
وقيل قبل الاخذ وقيل لا يقبل مطلقا وتوبته ان خلصت نفعته في الاخرة
وقيل اذا تاب مرة قبلت وان تكررت لا وقيل لا يقبل ان ادعى الزندقة وقوله
صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا بي اشارة الى ان اهل الكتاب لا يمنع قتالهم
مجرد الشهادة بان لا اله الا الله ودخل قتال البغاة ومانعي الزكاة وتارك
الصلاة في قوله الا بحقها وفي الحديث دليل على ان الايمان يكفي فيه الاقرار
بما ذكر فيه وانه لا يشترط فيه معرفة الادلة الاصولية كما قاله النووي رحمه الله
وليس مبنيا على قبول ايمان المقلد كما توهم قال القاضي ابو الفضل عياض
المؤلف رضي الله عنه والايمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته
اي التصديق بها ورسالة الله له اي ارساله والاضافة اختصاصية لا بمعنى
اللام كما توهم وان كان المعنى عليها وتصديقه في جميع ما جاء به عن الله بالوحي
بانواعه وما قاله اي في جميع اقواله لانه صلى الله عليه وسلم معصوم
لا يصدر عنه ما يخالف الواقع لا سيما ما امر بتبليغه ومطابقة اي موافقة
تصديق القلب اي اعتقاده والجزم به واصل المطابقة وضع شي على شي هو
طبقه وقوله بذلك اي بالتصديق بالنبوة والرسالة وما جا به بشهادة اللسان
بنطقه واعترافه بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به صلى الله عليه وسلم
بالقلب والنطق بالشهادة بذلك المذكور من رسالته وما جا به باللسان ثم

الايمان الحقيقي المنجي في الدنيا والاخرة والتصديق له اي كيفيته ولفظه كما ورد في
هذا الحديث الذي رواه المص عن ابي هريرة نفسه بالجر تاكيد للحديث من رواية عبد
الله بن عمر رضي الله عنهما امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وهذه رواية مسلم عن ابن عمر وفيهما ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة
فاذا فعلوا الخ وقوله ثم الايمان اي تحقق وصح وليس مراده انه اذا وجد احدهما
كتصديق القلب كان ايمانا ناقصا كما سنفصله والنطق بالشهادة مع انه لا بد
منه اختلف فيه هل هو شطر او شرط والاعمال ليست داخلة فيه عند المحققين
وفيه كلام مفصل في كتب الاصول وشروح الصحيحين بضيق المقام عنه وقد
زاده وضوحا اي زاد صلى الله عليه وسلم ما ذكر بيانا في حديث جبريل عليه
الصلاة والسلام الذي رواه الشيخان كما تقدم مرادا قال له جبريل لما جاءه صلى
الله عليه وسلم في صورة انسان اخبرني عن الاسلام اي حقيقته ومعناه شرعا
وهو في اللغة الانقياد والطاعة كما علم وقيل السؤال عن شرائطه وشروطه
فقال صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله ان مخففة من الثقيلة
وتشهد بمعنى تعلم بان تقول اشهد الخ وقد اختلف هل يشترط فيه لفظ
الشهادة او يكفي ما يؤدي معناه والصحيح عندنا معاشر الحنفية الثاني
ولو بغير لفظ العربية لمن لا يقدر عليه وان محمدا رسول الله ارسله لجميع
خلقه وذكر اركان الاسلام يعني قوله وتقيم الصلاة بالنصب عطف على تشهد
وحذف بعضهم فعده استثنيا فانظر الى انه يكفي في اجرا احكام الاسلام الشهادتان
وكذا ما بعده وجوابه انه بيان لاكمله واقامة الصلاة اداؤها وتؤتي
الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت
فعجبنا له كيف يسأله ويصدقه ثم سأله صلى الله عليه وسلم عن الايمان
اي عما يجب التصديق به شرعا فقال مجيبا له ان تؤمن بالله اي تصدق
بوجوده وانه واجب في ذاته وصفاته وافعاله ولا شريك له في ذلك وليس
هذا التعريف للشيء بنفسه لانه يكون متعديا بنفسه ومعناه ان يامن
التكذيب ومتعديا بالبا لتضمنه معنى الاعتراف وقد يتعدى باللام لتضمنه
معنى القبول والاذعان والمعروف هو الاول وما وقع في التعريف هو
الثاني بل لان الاول معلوم والمسئول عنه بيان متعلقاته التي يجب الايمان
بها اجمالا وعلم من الحديث تغاير مفهوم الاسلام والايمان فان الاسلام كما مر
لغة الاستسلام والانقياد وهو جزء من مفهوم الايمان الذي هو التصديق
بالقلب واللسان وقيل انهما مترادفان والاظهر انهما متلازمان لا ينفك
احدهما عن الاخر وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق وان الاسلام يتناول
التصديق وامتثال الطاعات كما فصل في علم الكلام وملائكته جمع ملك
من الالوكة وهي الرسالة واصله مالك ثم قلب وجمع وحقق مفرده وتاؤه
لتانيث الجمع والمبالغة وتقدم الكلام على ذلك في الخطبة وهم اجساد
نورانية سالمة من الكدورات الجسمانية قابلة للتشكل والايمان بهم ان

نؤمن

تؤمن بانهم عباد الله معصومون لا يفعلون غير ما يؤمرون لا يعلم عددهم الا الله وكتبه
التي هي كلامه تعالى المنزل على رسله الازلي فتصدق بحقيتها وحقية ما تضمنته ورسله
جمع رسول وهو من اوحي اليه بشرع وكتاب وامر بتبليغه عباده الحديث بالنصب
اي اذكره او اقراه واعرف ذلك الخ وهو واليوم الاخر والقدر خيره وشره واقتصر
المص رحمه الله على المقصود منه فقد قرر اي بين النبي صلى الله عليه وسلم في
هذا الحديث ان الايمان به اي بالله او بما ذكر في الحديث محتاج الى العقد اي
الاعتقاد الجازم بالجنان بفتح الجيم وهو القلب سمي به لاستتاره او استتار
ما فيه من جنه اذا ستره والاسلام به اي بالله او بما ذكر مضطر اي محتاج اليه
مزورة لانه لا يظهر الانقياد بدونه ولذا اعتبر بينهما الى النطق باللسان بعلم
ما في قلبه وهذه الحالة اي اعتقاد الجنان والنطق باللسان هي المحمودة عند
الله والناس التامة بناء على انه اسم لفعل القلب واللسان كما ذهب اليه بعض
الاشعرية ووصفها بالتمام اشارة الى ان عقد الجنان كاف وان لم ينطق به
والنطق شرط لاجراء احكام الاسلام عليه في الدنيا كالصلاة عليه ودفنه في
مقابرنا فمن امن بقلبه ولم يعلم به احد نفعه ايمانه الا على وجه الاباء واما
الحالة المذمومة لصاحبها في الاخرة فالشهادة باللسان اي الاقرار والتلفظ
بالشهادة به دون تصديق القلب بالاعتقاد الجازم وهذا هو النفاق الذي
يسمى صاحبه منافقا وهو من يظهر الايمان ويخفي الكفر وهو لغة اظهار
خلاف ما يضمر من نافقاء اليربوع وهو ما يخفيه من ابواب جحره ليخرج منه
اذا احس بصائده كما قال ويستخرج اليربوع من نافقائه قال الله تعالى اذا
جاءك المنافقون الخطاب له صلى الله عليه وسلم قالوا نشهد انك لرسول الله
فاقروا بشهادة مواطئة لقلوبهم بزعمهم فرد عليهم علام الغيوب بقوله والله
يعلم انك لرسوله وهو توطئة لقوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
في قولهم ذلك اي قولهم انك لرسول الله عن اعتقاد وتصميم لان سياقه
موكدا بهذه التاكيدات يقتضي انه ناش عن اعتقادهم الجازم وتصديقهم
القلبي او اللساني وهم لا يعتقدونه جملة حالية اي والحال انهم ليسوا
معتقدين لذلك كما اخبر الله به فلما لم تصدق في ذلك العقود ضمايرهم اي
ما اضمروه في قلوبهم او قلبهم لان الضمير يطلق عليه لم ينفعهم ان يقو
اي قولهم لم يفدهم في الاخرة لانهم في الدرك الاسفل من النار بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم لاعتقادهم خلافه فهو كذب غير مطابق للواقع وليس
هذا مبنيا على ان الكذب ما خالف الاعتقاد كما حققه اهل المعاني وهذه
الاية نزلت في ابن ابي ابن سلول راس المنافقين واصحابه وقصتهم مشهورة
في كتب الحديث فلا ينطقون بها فخرجوا عن اسم الايمان اي عن ان يسموا
بما اتسق منه فيقال لهم مؤمنين في الدنيا عند من عرفهم ولم يكن
لهم في الاخرة حكمه وهو دخول الجنة فهم في الدرك الاسفل من النار
مع الكفار كما ياتي وقوله في الاخرة اشارة الى انهم يجري عليهم في الدنيا حكمه

اى بانهم مبعوثون من الله تع الى خلقه صادقون فيما جاؤا به عم القاري

لوا

نظرا لظاهر حالهم كما بينه بقوله اذ لم يكن معهم ايمان في الاخرة لانكشاف حالهم ثم
وافتضاحهم فيها وقال معهم ولم يقل اذ لم يكونوا مؤمنين ايما الي ان ايمانهم
لم يكن في قلوبهم فكانه كان رفيقا لهم لتلفظهم به فاذا ماتوا فارقهم وتبطل حكمه
ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار الدرك بفتح الرا وسكونها ما ينزل
به لاسفل مثل الدرج يعني الهم في قعر جهنم واخر طبقة منها وهي سبع طبقات
جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ويطلق اسم كل طبقة
منها على الجميع ايضا بالاشتراك اللفظي او المعنوي وتجري عليهم حكم الاسلام
في الدنيا فيعاملون معاملة المسلمين فيما لهم وعليهم باظهار شهادة اللسان
اي بسببه لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والمراد بحكم الاسلام كل ما كان
داخلا في احكام الدنيا اي ما يحكم به لهم وعليهم من احكام الشرع المتعلقة بالايمة
اي السلاطين والخلفا لا العلما لانهم ليسوا مامورين باجرائها وحكام المسلمين دلجي
كالقضاة وغيرهم من النواب وهذا حكم من لم يظهر لنا حاله منهم فان من ظهر
حاله يكون كافرا فلا وجه لايراده نقضا هنا كما توهم ولذا لم يصل النبي صلى ابن اقبرس
الله عليه وسلم على ابنه ابي ابن سلول وان كنا نصلي عليهم وانما لم يقتله
لمصلحة اشار اليها في الحديث الاتي بقوله لئلا يتحدث الناس بان محمدا يقتل
اصحابه فكان هذا من خصايصه في ابتدا الاسلام ثم انتهى بانتهاء سببه ولذا رفع
عمر رضي الله عنه حكم المؤلفة قلوبهم وهذا من عطف العام على الخاص ثم
زادهم بيانا بقوله الذين احكامهم جارية ومبنية على الظواهر من احوال
الناس كلهم بما اظهروه من علامة الاسلام اي ان احكام الدنيا جارية عليهم
بسبب اظهارهم الاسلام بانقيادهم له والتزامهم احكامه ظاهرا وان لم
يعتقدوها بقلوبهم وفي نسخة علامات وارادها اشارة الى انهم ليسوا على
حقيقة وانما عليهم علامة اذ لم يجعل بالبنا للمجهول اي لم يجعل الله للبشر
اي الناس كلهم سبيل اي طريق الى السراير جمع سريرة وهي ما في القلب مما لم
يطلع عليه فلم يكلفهم بمعرفته واجرا احكامه ولا امروا الضمير للبشر باعتبار
المعنى بالبحث اي التفحص والتفتيش عنها اي عن السراير ثم ترقى فقال بل
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها اي الحكم على السراير وعبر بالتحكم
لما فيه من التكلف او لانه ليس بحكم كما يقال تحكم الرجل لمن لا حكم له فقال صلى
الله عليه وسلم لاسامة بن زيد في حديث صحيح رواه البخاري لما اضطر بعض
الكفار فاسلم فقتله اسامة لاعتقاده ان اسلامه بلسانه خوفا من
القتل فقال له اقتلته بعد ان اسلم هلا شققت عن قلبه وهلا
اداة تحضيض اذا دخلت على المستقبل افادت الامر وان دخلت على الماضي
افادت الانكار والتوبيخ وشق متعد بنفسه وعداه بعن لتضمينه
معنى التفتيش اي شققت قلبه لتفتش عما فيه من الاعتقاد وتعلم اقال
ما قاله خوفا ام لا وهو كناية عن استحالة الوقوف عليه لانه يشقه لا يدري
ما فيه والذم فيه ظاهر لما فيه من التوبيخ على ما لا يليق به وكان عليه ان

يخبره

يخبره حتى يعلم هل هو مخلص ام لا لكن لما راه لم يسلم حتى رفع السيف لقتله ظن انه ايمان
باس لا يفيده كحال الغرغرة فهو متأول لا متعمد للخطا في قتله والحديث كما في الصحيحين
عنه بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت
انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف عنه الانصاري
وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لي يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت يا رسول الله انما كان متعوذا
فقال اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله ولم يزل يكررها وقال هلا شققت
عن قلبه وكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة فقلت استغفر لي
يا رسول الله فقال كيف تصنع بلا اله الا الله الخ فلم يقبل عذره وفيه تنبيه
وموعظة وزجر والرجل المقتول اسمه مرداس الغزاري او الفدكي وبما ذكرناه
علم ان اسامة رضي الله عنه متاول في قتله ولم يسمع منه كلمة الشهادة بتمامها
حتى يحكم باسلامه وانما لامه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعجلته وعدم
تثبته وانه كان يجب عليه ان يختبره فلم يقتله وهو مسلم شرعا كما لا يخفى
فقول الداودي انه يلزمه الدية لقتله لمسلم خطا وانما سكت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عند ذكرها لعلمه لعلم السامع بذلك او لانه كان قبل نزول
اية الدية والكفارة وقول القرطبي انه لا يلزم من السكوت عدم الوقوع وقول
غيره انه يحتمل انه لم يجب عليه شيء لانه ماذون له في اصل القتل فهو
كالطبيب والخاتن او لم يكن له وارث مسلم ولا ولي واسامة رضي الله عنه اقر
بذلك لا حاجة اليه اقول اذا لم يكن له وارث دينه لبيت المال ولا يصح عفو
الامام عنه عندنا وان رجح السبكي في فتاويه جوازه لمصلحة ولا دليل في
الحديث له لما عرفته ولانه يستحق من بيت المال فتنفيله الدية لا يكون عفوا
والفرق بين القول اي مجرد التلفظ بالشهادة باللسان والعقد اي التصديق
بقلبه واعتقاد جنانه ما جعل ما مصدرية اي جعله في حديث جبريل الذي
تقدم في سؤاله عن الاسلام والايمان الشهادة اي التلفظ بها ركنا من
الاسلام لما قال في جوابه ان تشهد الخ وجعله التصديق من الايمان اي
الاعتقاد بالقلب وهذا ابتناء على تغاير الاسلام والايمان وفيه اشارة الى
تفسير تؤمن في قوله ان تؤمن بالله الخ وبقيت حالتان اخيرتان بين هذين
اي الاقرار باللسان والتصديق بجنانه اي الجمع بينهما احداهما ان يصدق
المكلف بقلبه ثم تخترم بخاء معجمة وتا مثناة فوقية ورا مهملة مبني للمجهول
يقال اخترمته المنية والموت اذا اتاه بغتة بسرعة واصل معنى الخرم
القطع والتفريق المنفصل فقيل له ذلك لقطعه للحياة كما اشار اليه بقوله
قبل اتساع وقت الشهادة اي التلفظ والنطق بها المضيق الزمن فهذه حالة
بين الحالتين السابقتين وهما الاقرار اللساني والتصديق بقلبه الموافق
له وهو مؤمن بالاتفاق والثانية الاقرار باللسان وقلبه غير مصدق فهو
منافق بالاتفاق وحكمه ما مر وهذه حالة بينهما فاختلف فيه اي في من هذه

حاله أمؤمن هو أم لا فشرط بعضهم أي قال إنه من تمام الإيمان القول والشهادة
به باللسان فلا يكون هذا مؤمنا عنده لعدم تمام إيمانه وفقد شرطه عنده وعند
بعضهم أن الشهادة جزء من الإيمان وركن لا شرط فعرفه بأنه إقرار باللسان
وتصديق بالجنان وهو المشهور عند الأشاعرة فلا إيمان له إلا عند العجز
عن النطق ورآه مؤمنا من الرأي بعضهم فقال من اعتقد بقلبه واخترم قبل
تمكنه من النطق مؤمن كالعاجز فيكون مؤمنا حقيقة مستوجبا أي مستحقا
للجنة ونحولها لعذره بعدم تمكنه ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الشيخان يخرج مروي بالبناء للفاعل والمفعول من النار من كان في قلبه
باعتقاده مثقال ذرة أي وزنها ومقدارها في الثقل والذرة بالمعجمة صغار
النمل والهباء وهو كناية عن غاية القلة وإن كان عند الله عظيما وهو بعض
من حديث في الصحيحين ولم يقل يدخل الجنة ابتداء لأن المراد به العصاة المعذبون
بسبب آخر أو بترك الشهادة فيكون عاصيا بذلك والظاهر الأول ولذا بينه
وبنى الاستدلال بقوله فلم يذكر في الحديث شيئا سوى ما في القلب من إيمان
بمقدار ذرة وهذا المصدق بقلبه دون لسانه لعدم تمكنه من النطق مؤمن
بقلبه فلينفعه إيمانه عند الله لأنه غير عاص أي تارك لما يلزمه ولا مفرط
بتشديد الراء المهملة أي مقصر عمدا بترك غيره وهو التلفظ بالشهادة
وهذا الرأي الذي رآه بعضهم هو الصحيح في هذا الوجه أي الحالة المعذور
فيها بعدم تمكنه وهذا وإن صححه المتكلمون إلا أنه قيل إنما استدل به المصنف
لا يثبت ما ادعاه لأن هذا في عصاة أمته الذين ثبت إيمانهم ويدل عليه ما في
الصحيح عن النبي أنه صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا إله إلا الله
وفي قلبه وزن شعيرة من خير ثم إن ذكر الوزن في الإيمان وهو من المعاني لأنه
كما قال الكرماني شبه بالجسم فأضيف إليه ما هو من لوازمه وهو الوزن
ففيه استعارة بالكناية الثانية أي الحالة الثانية من هاتين الحالتين أن يصدق
بقلبه أي يعتقد اعتقادا جازما ويطول بضم التحتية وفتح الطاء المهملة
وتشديد الواو المكسورة مهلة بميم وهاء مفتوحتين مفعول مطول
ويجوز تسكين هائه مع فتح ميمه وضمها وهي التؤدة والثاني فأريد به لازمه
وهو طول الزمان والمراد زمان سكوته وعدم نطقه بالشهادة وعلم ما يلزمه
من الشهادة والنطق بها وهذه جملة حالية بتقدير قد أي سكت زمانا
طويلا مع علمه بلزوم النطق والاعتراف بما صدق به بقلبه فلم ينطق بها
أي بالشهادة جملة معطوفة على الحالية والمراد به مجموعهما بأن لم يؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره إجمالا بأن لا يفصل
الملائكة والكتب ونحوها ولا استشهد في عمره ومدة حياته أي أتى بالشهادة
وفي نسخة يشهد ولا مرة أي مرة واحدة فهذا اختلف فيه أيضا كما اختلف في
الذي قبله وهو في الأصل مصدر آض إذا رجع وشاع في التشبيه وفي نصبه
كلام مشهور فقيل هو مؤمن لأنه مصدق وحقيقة الإيمان هو التصديق

القلبي

التلبي وقد انضم به فيكفيه والشهادة من جملة الاعمال الزايدة على حقيقة الايمان
وان كانت لازمة شرعا فهو عاص بتركها كمرتكب الكباير غير كافر فهو غير مخلد
في النار عند اهل السنة القايلين بان اصحاب الكباير غير مخلدين وقيل ليس بمؤمن
لان الشهادة شرط فيه او شطر حتى يقارن عقده اي اعتقاد قلبه وجزمه شهادة
اللسان اي التلفظ بها مطابقة لما في قلبه اذ الشهادة انشا عقد عند الاصوليين
لانها عندهم انشا يتضمن الاخبار بالمشهود به لا الاخبار وعزي الثاني اي انه خبر
لابي حنيفة وانكره السروجي وقال لا نعرفه وانما هو انشا عندنا ايضا ونظر
فيه بانهم عرفوها بانها اخبار بحق للغير على اخر وقد يقال انه بحسب ظاهره
لانه خبر لفظا اريد به الانشا كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ومن لم يفهم تلمساني
مراده قال انشاوه بمعنى ابتدائه والتزام ايمان اي التزام لاحكامه وهي اي
الشهادة مرتبطة اي ملازمة متصلة مع العقد الجناني لا تفارقه فلا يكتفى
باحدهما ولا يتم التصديق ويكتفى به مع المهلة اي تاخير النطق زمانا طويلا
من غير مانع الاتيان اي بالشهادة والنطق بها وهذا القول هو الصحيح من انه
ليس بمؤمن لعدم مقارنة الاعتقاد للاقرار مع التمكن منه ومن يقول انه التصديق
فقط يقول انه مؤمن وان لم يقر بلسانه وان لم تجر عليه احكام الايمان في الدنيا
فهو ينفعه في الاخرة والاصح انه لابد منه في الاعتداد به في الدنيا والاخرة
وهو شرط او شطر لكنهم اتفقوا على انه يلزم المصدق ان يعتقد انه متى
طولب به اتى به فانه ان طولب به فلم يقر فهو كفر عناد وهذا نبذ بفتح النون
وسكون الموحدة والذال المعجمة وهو الشي اليسير واصله الرمي والطرح فكانه
لقلته مما يطرح وفي نسخة هذه نبذ بضم النون وفتح الموحدة جمع نبذة بزنة
عزفة وقيل انه بضم فسكون والمعروف ما قدمناه يفضي الى متسع من دلجي
الكلام يفضي بضم المثناة الفوقية وسكون الفا وكسر الضاد المعجمة فتبا
يا ساكنة مضارع افضى بمعنى اوصل واصل معناه الايصال الى الفضا
والمتسع بزنة اسم المفعول وهو مصدر ميمي او اسم بمعنى انها تحتاج
الى بسط وانتشار لكثرة مباحثه وما للعلما فيه من القيل والقال في
الاسلام والايمان اي فيما يتعلق بهما وابوابهما المعقودة لتفصيلهما وفي
الزيادة فيهما والنقصان فيهما والكلام في انهما يقبلان زيادة ونقصا وفيه
اختلاف مشهور وهل التجزي بالزيادة والنقص فيهما ممتنع على مجرد
التصديق بنوعيه لعينه من غير نظر لما ينضم له من الاقوال والاعمال فهو
لا يقبلهما فانه كما مر قيل انه مجرد التصديق وهو لا يزيد ولا ينقص
وقيل انه قول واعتقاد وقيل قول وعمل واعتقاد فعلى هذا ايقبل
التجزي وقوله لا يصح فيه اي في التصديق تجزي بزيادة ونقص جملة اي
مجموعه او الاجمالي منه لا يقبل التجزي وانما يرجع تجزيه والزيادة فيه الى
ما زاد عليه اي ما زاد على التصديق من عمل ونحوه فانه قد يزيد وقد
ينقص بل قد لا يكون كمن اسلم ثم مات فجاة فلم ياتي بشي من الاعمال الصالحة

وقد يعرض فيه اي قد يطرأ على التصديق نفسه زيادة او نقص وتغير فانه من
الكيفيات النفسانية وهي تتفاوت قوة وضعفا فان العلوم بطلوع الشمس وان
الواحد نصف الاثنين ليس كالعلم بحدوث العالم ولا شك في ان ايمان ابي بكر رضي
الله عنه ليس كايمان غيره وقال الشمني في الصحاح عرض له كذا يعرض اي ظهر
وعرضت العود على الاناء عرضه وتعرضه هذه وحدها بالضم وعرضت له القول
بالكسر اح لاختلاف صفاته قوة وضعفا وتباين اي تبعد وافتراق حالاته بعضها
عن بعض من فوق يغني بيان للصفات والحالات وتصميم اعتقاد اي الجزم به بحيث
لا يقبل الشك لمشاهدة وقوة ادلة وو وضوح معرفة اي ظهورها كمن شاهده
صلى الله عليه وسلم وعاين معجزاته ودوام حالة اي استمرار التصديق وامتداده
فانه زيادة فيه وحضور قلب اي حضور التصديق فيه حتى لا يغفل عنه قلبه المطمئن
وفي بسط هذا اي بسط الكلام فيما ذكر وذكر تفاصيله وتحقيق ادلته مع ما لهما
وعليهما خروج عن غرض التاليف اي المقصود منه وهو بيان علو مقامه صلى
الله عليه وسلم وما يجب له وهذا يكفي فيه الاجمال وقطع النظر عن الاستدلال
وفيما ذكرناه غنية بضم الغين المعجمة وسكون ساكنة ويا مثناة تحتية مفتوحة
اي كفاية مغنية عن غيره فيما قصدناه في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهذا الذي
ذكره المص مذهب المحققين الاظهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة
النظر ووضوح الادلة ولا شك في ان ايمان الصديقين اقوى من ايمان غيرهم

## فصل

واما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم بامتثال اوامره
واجتناب نواهيه فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به من الله وقد علم
هذا مما تقدم في اول الباب وجبت طاعته لان من صدقه واخبره بما يلزمه
يلزمه اتباع امره ونهيه فلو خالفه من غير انكار منه كان عاصيا بترك ما يجب عليه
لان ذلك اي وجوب طاعته مما اتى به عن الله بوحيه كما يدل عليه ما قال الله
تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله قدم طاعة الله لمفيد الوجوب	خ واطيعوا الرسول
طاعة رسوله واشارة الى ان طاعته تعالى بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
وهما شيء واحد ولذا وحد الضمير في قوله ولا تولوا عنه وهو قياس منطقي
تقديره وجوب طاعته مما اتى به من عند الله وكلما اتى به من عند الله يجب
الايمان به فتجب طاعته وشرك بينهما في صيغة الامر لما ذكرناه وقال تعالى
قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول قال القاضي امر الله ان يبلغ المومنين
ما خاطبهم به مبالغة في تبكيتهم يعني ان هذه الاية نزلت في بشر المنافق
لما دعي خصما له يهوديا الى كعب بن الاشرف ودعاه خصمه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم الاتي بيانه ولا ينافي هذا ان الكلام في وجوب طاعته على
المومنين لان العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب وقال تعالى واطيعوا
الله والرسول لعلكم ترحمون الترجي بلعل وعسى على لسان العباد للاشارة
الى عزة المطلوب وان العبد دايما بين الرجا والخوف وقال تعالى وان تطيعوه
تهتدوا الحفل هذا انهم متوقفة على طاعته والهداية للحق والايمان وغيره

امر لازم

امر لازم لهم وقال ومن يطع الرسول فقد اطاع الله جعل طاعته هي طاعة الله لانه لا يامر
الا بامره ولا ينهي الا بنهيه ولذا اردفه بقوله وقال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا هذا محمول على العموم في جميع اوامره ونواهيه لانه لا يامر
الا بصلاح ولا ينهي الا عن فساد وان كانت الاية نزلت في الفيء والغنايم كما يدل عليه
قوله وما اتاكم الرسول فخذوه اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر
فلا يتوهم انها غير مناسبة لما هو بصدده وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك المطيعون
مع الذين انعم الله عليهم الاية من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وسياتي
ان هذه الاية نزلت في ابن عبد ربه الانصاري حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم
اذا مت كنت في عليين فلا نراك وذكر شدة حزنه لذلك فنزلت فلما مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعي الله ان يعمي بصره حتى لا يرى غيره فعمي مكانه وهو الذي راي
واقعة الاذان وقيل نزلت في ثوبان مولاه صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب
لرسول الله لا يصبر عن روئيته فحزن حتى تغير لونه فساله رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقال ما بي ضر غير اني لا اصبر عنك فذكرت الاخرة واني لا اراك
ثمة لرفعة مقامك وهبوط منزلتي والمراد بالمعية سهولة الاجتماع والتزاور بينهم
في الجنة وان تفاوتت مراتبهم ومنازلهم فيها وقال تعالى وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله الاذن مجاز عن ارادة التسهيل والتوفيق او هو لفظ التسهيل
والتوفيق اي الا ليطيعه من بعثه ويرضي بحكمه فمن لم يرض به لم يرض برسالته
فهو تارك لما يجب عليه كافر وقيل اذن بمعني امر وقال القاضي كانه اي الله احتج
بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كافر مستوجب للقتل انتهي وقيل
في توجيهه ان من لم يرض بحكمه لم يرض بحكم الله ومن لم يرض بحكم الله كافر ولذا
لما تخاصم المنافق واليهودي وطلب اليهودي حكم رسول الله وكان محقا يعلم حكم
رسول الله له فابي المنافق وطلب ان يتحاكما عند كعب بن الاشرف وابي اليهودي
واتيا رسول الله فحكم له فلم يقبل المنافق فاتيا ابا بكر رضي الله عنه فحكم بما حكم
به رسول الله فلم يرض فاتيا عمر وذكر له اليهودي ما وقع فقال رويدكما ودخل
بيته وخرج بسيفه وضرب به المنافق فقتله وبلغ ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم ينكره فجعل طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته
فهما شيء واحد لانه لا يامر الا بامره ولا ينهي الا بنهيه بنص قوله من يطع
الرسول فقد اطاع الله وقرن طاعته بطاعته في القران كما في قوله اطيعوا
الله واطيعوا الرسول وفيه من تعظيمه ووجوب طاعته ما لا يخفى ووعد
على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب الجزيل بمعني العظيم
او الكثير وعبر في جانب الثواب بالوعد وفي جانب العقاب بالايعاد المزيد لما
اشتهر من الفرق بينهما في اصل الاستعمال كما قال الشاعر

وانى وان اوعدته او وعدته ۞ لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

وقد يستعمل كل منهما في مكان الاخر لنكتة وتقدم الكلام على ذلك مبسوطا
في خطبة الكتاب وسوء العقاب بمعني العقاب السيء وهو ظاهر واوجب الله

عرضي

بقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون
عن امره ان تصيبهم فتنة او
يصيبهم عذاب اليم

تعالى امتثال امره بالاتيان بما امر به واجتناب نهيه بتركه ما نهاه عنه فقال وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا كما تقدم بيانه وقال المفسرون في تفاسيرهم
والايمة اي ايمة الدين من الفقهاء والمحدثين طاعة الرسول التي امرنا الله بها
في القران متحققة ومتبينة في التزام سنته اي المداومة على سلوك طريقته فالسنة
بمعناها اللغوي فيعمل ما عمله ويترك ما تركه والتسليم اي الانقياد والمتابعة
له لما جاء به من شرعه الموحى اليه الذي اخبرنا به وتصديقه فيما اخبر به من غير تحكيم
العقل وقالوا ايضا ما ارسل الله من رسول من زايدة في النفي لتاكيد العموم
الا فرض طاعته اي جعلها فرضا متحتما يثاب فاعله ويعاقب تاركه على من ارسله
اليه لتبليغ شرعه والضمير لمن باعتبار لفظه وقالوا اي المفسرون والايمة
من يطع الرسول في سنته بنون مشددة وتا مثناة فوقية اي في طريقته وشريعته
من امر ونهي وسنة وفرض وليس المراد بها ما يقابل الفرض كما توهمه قوله يطع
الله في فرايضه جمع فريضة بمعنى الفرض وفي بعض النسخ سننه بنونين جمع سنة
ويحتمل ان تفسر السنة والسنن بمعنى بما يقابل الفرض لان من اتبع الرسول
فيما سنه من غير ايجاب عليه كان متبعا له في فرايض الله بالطريق الاولى والمراد
ان طاعة الله وما جاء به عين طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم لا ينفصل احدهما
عن الاخر وفي الام للشافعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم
متكيا على اريكته ما امرت او نهيت فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله عملنا به
وسياتي بيان الفاظه عند ذكر المص له قريبا مرتين لا ما اقتضاه فهذا بيان
لان العمل بسنة رسول الله عمل بكتاب الله وهو معنى ما قالوه هنا وسيل سهل
ابن عبد الله التستري الامام الزاهد المشهور عن شرايع الاسلام اي ما المقصود
منها والمراد فقال سهل في الجواب وما اتاكم الرسول فخذوه اي تمسكوا به وقال
الامام ابو الليث الفقيه المشهور السمرقندي يقال في طاعة الله ورسوله
ان معناه اطيعوا الله في فرايضه اي فيما فرضه عليكم في كتابه الكريم والرسول
في سننه اي ما سنه وشرعه لنا وقيل في معنى اطيعوا الله واطيعوا الرسول
اطيعوا الله فيما حرم عليكم باجتناب جميع محرماته وكان الظاهر ان يقال فيما اوجبه
وحرمه وغيره كما عمم اتباع الرسول بقوله والرسول اي واطيعوا الرسول
فيما بلغكم عن الله من اوامره ونواهيه مخلصا في ذلك فانه مامور بتبليغه وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ويقال في معناه اطيعوا الله بالشهادة
اي الاقرار والاعتراف له بالربوبية اي انه رب خالق مالك لجميع الموجودات
منفرد بالملك والربوبية والنبي بالنصب اي واطيعوا النبي صلى الله عليه وسلم
بالشهادة بالنبوة المراد بالنبي هنا محمد صلى الله عليه وسلم فال للعهد وهو الفرد
الكامل المتبادر عند الاطلاق فيدل حينئذ على رسالته وانه رسول وان
قلنا النبي اعم من الرسول بناء على المشهور فلا حاجة لما قيل ان المراد النبوة
المقترنة بالرسالة وانه كان ينبغي له الجمع بينهما اظهارا للنعمة بما عليه
وتعظيما للمنة لديه والعدول عن الظاهر ان قلنا ان النبوة افضل لها هو

ابن اقبرس

لا لرعاية السجع كما قيل حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه وهو حديث رواه الشيخان
ومحمد بن عتاب تقدمت ترجمته قال حدثنا حاتم بن محمد المعروف بابن الطرابلسي كما تقدم قال
حدثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف الحافظ القابسي كما تقدم قال حدثنا محمد بن احمد وهو
ابو زيد المروزي كما تقدم قال حدثنا محمد بن يوسف الفربري راوي صحيح البخاري
كما تقدم قال حدثنا البخاري قال حدثنا عبدان يعني عبد الله بن عثمان بن جبلة بفتح
الجيم والموحدة ابن ابي رواد الحافظ المروزي الثقة توفي سنة احدي وعشرين
وماتين قال اخبرنا ابن المبارك المروزي قال حدثنا يونس بن يزيد الايلي الامام
الثقة توفي سنة تسع وخمسين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة عن الزهري
محمد بن عبيد الله بن شهاب الزهري الامام المشهور كما تقدم مرارا قال اخبرني
ابو سلمة بن عبد الرحمن احد فقهاء المدينة السبعة على قول الاكثر واسمه عبد الله
او اسماعيل انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني
فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله لانه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما
نهى الله عنه فمن امتثل امره واجتنب نهيه امتثل امر الله ونهيه او ان الله عز
وجل امر بطاعة رسوله وامره ونهيه فمن امتثل امره ونهيه اطاع الله في امره ونهيه
بطاعته كما تقدم ومن اطاع اميري اي من جعلته اميرا وخليفة حاكما على امتي
فقد اطاعني لان طاعته طاعة من امره لانه مبلغ عنه ومن عصى اميري فقد عصاني
قيل ان قريشا وساير العرب كانوا لا يعرفون الامارة وانما كانوا يطيعون رؤسا
قبايلهم فلما ان ظهر الاسلام وولي عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامرا
انكروا ذلك ولم يطيعوا الامرا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك اعلاما لهم بانهم يلزمهم الطاعة لامرايه وتوقيرهم والاقتدا بهم في
اقوالهم وافعالهم ورواه مسلم الاميرا بالف واللام وطاعة الرسول اي رسول
الله صلى الله عليه وسلم من طاعة الله المرسل له اذ الله امر بطاعته اي لان الله
امر جميع الناس باتباعه فيما جا به من الله فطاعته اي الرسول ورسوله امتثال
لما امر الله به في قوله اطيعوا الرسول وطاعة له اي الله لانه امرهم بها لا بالطاعة
فطاعته طاعة لربه لانا نطيعه لامرنا بطاعته في اموره ونواهيه وهو انما يامرنا
بما امره الله بتبليغه وما ينطق عن الهوى ويدخله ما كان باجتهاده لانه امر
بالاجتهاد على الاصح وهذا البسط لما قدمه وايضاح له ولا تكرار فيه كما قيل
وقد حكى الله عن الكفار ما سيقولونه اي ذكر في القران اخبارا عنهم بما سيكون
وهذه العبارة ما تورة عن السلف من غير انكار لها الا ان العارف بالله ابن عباد
المغربي قال انه ليس بصواب لان كلام الله صفة قديمة فلا يقال حكى الله
في كلامه عن كذا لان الحكاية متاخرة عن المحكي وانما يقال اخبر الله ونحوه
انتهى وهذا مما لا وجه له لانه تعالى قال نقص عليك والقصص والحكاية
بمعنى وما احتج به لا حجة له فيه فانه وارد على الاخبار بعينه من غير فرق
في دركات جهنم اي محلهم الاسفل فيها يوم تقلب وجوههم في النار
اي تصرف من جهة الى اخرى لاضطرابهم فيها كقطع لحم تغلي في قدر يقولون

عبد الله

ابن اقبرس

او تقلبها تغيرها عن حالها وهيآتها او تبدل الوانها وخص الوجه لانه اشرف الاعضا
واظهرها والمراد به الجملة يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا لتسلم مما
نحن فيه لندمهم حيث لا ينفع الندم فتمنوا طاعته صلى الله عليه وسلم حيث لا ينفعهم
التمني اي في زمان او مكان لا ينفعهم تمنيهم فيه والتمني طلب ما لا يمكن حصوله
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان اذا نهيتكم عن شيء محرما او مكروه
فاجتنبوه اي اتركوه كانه طرح في جانب منكم واذا امرتكم بامر اي بمامور به ايجابا
او ندبا فاتوا منه ما استطعتم اي قدرتم عليه من غير تركه للواجب لغير علة واول
هذا الحديث دعوني ما تركتكم انما هلك من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم
فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه الخ وسببه انه صلى الله عليه وسلم قال في خطبة ان الله قد فرض
عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال لو
قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال دعوني الحديث وزاد الدارقطني فنزلت
يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم وروي ذلك عن ابن عباس
في التفسير وشيء عام خص منه ما اكره عليه المكلف وفيه خلاف هل الاكراه على المعصية
يبيحها او هي باقية على حرمتها ولا ياثم مرتكبها وهو مبني على الخلاف في ان المكره
مكلف ام لا ومعنى اتوا منه ما استطعتم افعلوا على قدر استطاعتكم قال النووي
وهذا الحديث من جوامع الكلم وقواعد الاسلام يدخل فيه كثير من الاحكام كمن عجز
عن ركن من اركان الصلاة او شرط من شروطها ياتي بمقدوره ولا يسقط عنه
مقدوره ولذا قال الفقها الميسور لا يسقط بالمعسور وفي الحديث اشارة الى اعتنا
الشارع بالمنهيات لاطلاقه الاجتناب ولو مع مشقة الترك وتقييد المامورات
بالاستطاعة والطاقة كما قاله احمد بن حنبل فان قلت الاستطاعة معتبرة في
النهي فلا يكلف الله نفسا الا وسعها قلت قال ابن حجر الاستطاعة لا تتسلط على الدعي
وهوا لا اعتنا بل هو جهة الكف وكل احد قادر عليه لولا داعية الشهوة فكل
احد قادر على الترك بخلاف الفعل فان العجز عنه محسوس فلذا قيد الامر
بالاستطاعة دون النهي وقال الماوردي الكف عن المعاصي ترك وهو سهل
وعمل الطاعة فعل وهو شاق فلذا لم يبح ارتكاب المعاصي مع العذر وابيح
ترك العمل للعذر وقال بعضهم في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم انه
يتناول امتثال المامور واجتناب المنهي وقيد الامر بالاستطاعة لكثرته
فان العجز في النهي محصور في الاضطرار لقوله الا ما اضطررتم اليه وقيل ان قوله
اتقوا الله ما استطعتم منسوخ بقوله اتقوا الله حق تقاته والصحيح انه غير
منسوخ والمراد بحق تقاته امتثال امره واجتناب نهيه مع القدرة دون العجز
عنه وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه الذي رواه الحاكم كل امتي يعني
امة الاجابة يدخلون الجنة الضمير لكل باعتبار معناه ويجوز افراده باعتبار
لفظه ولفظ الحاكم كلكم يدخل الجنة والخطاب خطاب مشافهة للامة ايضا وقيل
انه لم يرو بهذا اللفظ والسيوطي في تخريجه سكت عنه لنكتة الا من ابى
اي امتنع ثم فسره بقوله قالوا يا رسول الله ومن يابى فهموا منه انه ابى

دخول

دخول الجنة ولا يأباها احد لانه رُوي كما في النهاية وسود قال صلى الله عليه وسلم
مجيبا لهم من اطاعني وانقاد ممتثلا لامري ومجتنبا لنهيي دخل الجنة وفاز بنعيمها
ومن عصاني وخالفني فقد ابى اي امتنع من دخول الجنة لانه بسبب تركه للطاعة باختيار
كانه دعي الى الجنة فامتنع واعلم انه ان اريد بالعصاة المذنبين من المؤمنين فهو تمثيل
ولا ينافي العفو عنهم ولا اخراجهم من النار وان اريد الكفار فهو استعارة ايضا والمراد الخلود
في النار قال التلمساني بعد قوله الا من ابى اي امتنع قولا وفعلا ولم يقبل شيئا فالامة
امة الدعوة اي كلهم الا من ابى وهم الكفار لا يدخلون الجنة ويحتمل ان يريد بالامة امة
الاجابة فالآبي هو العاصي من امته فاستثناهم تغليظا عليهم وزجرا لهم عن المعاصي
وزاد في الجواب فقد ابى توضيحا لبيان الشقي والتقدير من اطاعني وتمسك بالكتاب
والسنة دخل الجنة ومن اتبع هواه ضل عن سواء السبيل ودخل النار انتهى وفي الحديث
الاخر عرفه اشارة الى انه معلوم مشهور لانه رواه البخاري في كتابه ولذا وصفه بقوله
الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام مثلي ومثل ما بعثني الله به ضرب للناس مثلا فيما
جاءهم به مما يورث الفوز بخير الدارين وانتظام امر المعاش والمعاد والمثل بفتحتين
كالمثل والمثيل في الاصل بمعنى النظير كشبه وشبه وشبيه نقل الى قول شبه مضربه
بمورده واكثر ما يكون بامر عجيب غريب ثم نقل لكل حالة وقصة او صفة والذي
في البخاري مثلي ومثل ما بعثني الله وليس فيه به فقال ابن حجر انه مقدر وما موصولة وقيل
عليه شرط حذف العائد المجرور جر الموصول بمثله لفظا ومعنى وان لم يجد استعملها
مصدرية لا عائد لها اقول ما ذكره النحاة انما هو لجوازه قياسا مطردا الا لعدم
حذفه فيما سمع منه واقتضاه المقام وقد ذكر المصنف انه كان لرواية وقعت له فظاهر
او لبيان انه مقدر فيه فهو رواية بالمعنى يدل على ما قاله ابن حجر والمعنى عليه
وفيما ذكره دليل لا يخفى كمثل رجل اتى قوما ليحذرهم وينذرهم بعدوهم الذي
قرب بجيشه لهلاكهم فقال يا قوم اني رأيت الجيش هو جمع كثيرون سائرون للمحاربة
والقتال بعيني هو مفرد مكسور النون مضاف لياء المتكلم المخففة او بفتحها وياء
مشددة مفتوحة مثنى وهو لتاكيد الرؤية وتحقيق انها رؤية حقيقية بصرية
ضرورية حسية وانا النذير اي المنذر للحلم عما يحذر قبل وقوعه العريان
اي المجرد من ثيابه المكشوف جميع بدنه وهو مثل تمثل به صلى الله عليه وسلم
والمراد به المبالغة في الانذار ووضوح ما انذر به وعدم احتمال خلافه
واصله ان الرجل كان اذا رأى العدو قرب جدا وليس بينهم وبينهم حجاب
يمنعهم عن رؤيته وخشي ان يسبق خبره وقف على مكان عال ونزع عنه ثوبه
ورفعه يلوح به اي بادروا الى الحذر والفرار فقد جاءكم من العدو ما لا
تطيقونه واصله كان في رجل معين من خثعم قطع رجل يده ويد امرأته
فاتى قومه يحذرهم فعل ذلك وقيل انما هي امرأة وقيل هو عوف بن
عامر اليشكري وامرأة من كنانة وقيل امرأة من بني عامر وقيل ابرهة
الحبشي وقيل انه رجل سلبه العدو واتى قومه عريانا لما انفلت منهم
فتحققوا صدقه وعلى كل حال فهو استعارة ومن اللطائف ما قاله الامام

التمثيلي في قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر ان تعبيره بالمدثر والمزمل فيه
ملاطفة له صلى الله عليه وسلم كانه يقول له انا ارسلناك نذيرا والنذير يكون
عريانا لا ملفوفا بثيابه وهي نكتة سرية فالنجا بالنصب على المصدر بعامل محذوف
لضيق المقام ومعناه الخلاص والفرار اي الحوا بسرعة من غير لبث فتاد على
عامله وعرف وهو ممدود او مقصور بنية الوقف ورواه البخاري النجا النجا
بالتكرير بمدهما وقصرهما وبمد الاول وقصر الثاني وهو منصوب على الاغرا
اي اطلبوا النجا بالهرب ويجوز رفعه اي النجا حاصل لكم فاطاعه طائفة اي جماعة
وفرقة من قومه لما اتاهم وقال لهم ما قاله فادلجوا اي ساروا من اول الليل
او ساروا الليل كله هربا من عدوهم وهو بتخفيف الدال وتشديدها وقيل
المخفف سير اول الليل والمشدد سير اخره والاسم الدلجة بالضم والفتح
وانطلقوا اي ساروا طالبين النجاة من عدوهم على مهلهم اي متمهلين
بتؤدة وتان لبعد ذلك او في سيرهم هذا السعة وفتهم ومهل بفتح الميم
مع فتح الهاء وسكونها وبضم الميم وسكون الهاء كما مر وفي مسلم مهلتهم بزياده
تا والكل بمعنى واحد فنجوا بفتح النون مع الجيم اي سلموا من عدوهم وكذبت
طائفة منهم النذير في انذارهم بالعدو فاصبحوا اي مكثوا مكانهم اي في
مكانهم الذي كانوا فيه حتى دخلوا في الصباح فصبحهم الجيش اي اتاهم في
وقت الصباح واهلكهم واجتاحهم بجيم ومثناة فوقية والف وحاء مهملة
اي اهلكهم جميعا واستاصلهم فلم يبق لهم باقية من الذراري والاموال
والجائحة الافة التي تصيب الثمار فتستاصلها اي تفنيها من اصلها وكل مصيبة
عظيمة فهي جائحة فذلك المذكور والمثل المضروب لكم مثل من اطاعني فتبعوا
بمن صدق النذير فنجا فاتبع ما جئت به فصدقه وعمل بما امر به مما اوحاه
الله اليه واجتنب ما نهاه عنه فسلم ونجا وفاز بالسعادة الابدية ومثل
من عصاني وكذب ما جئت به من الحق فهو كمن كذب النذير ومكث مكانه حتى
هلك ومن معه وفي شرح المشكاة للطيبي انه صلى الله عليه وسلم شبه نفسه
وانذاره بالعذاب القريب بالرجل الذي انذر قومه بالجيش المصبح وشبه من
اطاعه من امته ومن عصاه بمكذب الرجل ومن صدقه وقيل عليه انما هو
تشبيه تمثيلي شبه فيه المجموع بالمجموع وهينه لا تشبيه الاجزا بالاجزا
فان الاول ابلغ واحسن اقول اعادة مثل في الحديث تقتضي ما قاله الطيبي
والمال واحد والبلغية ما ذكر في هذا المقام غير مسلمة بسلامة الامير وقيل
انه تشبيه بليغ استعير فيه المثل للحال والقصة والصفة الغريبة العجيبة
وهو وجه وجيه وتحقيق في شروح الكشاف وفي الحديث الاخر الذي رواه
الشيخان في مثله اي تمثيل حاله وصفته صلى الله عليه وسلم مع امته في
دعوته لهم كمثل بفتحتين او كصفة وقصة من بني دار اعظمه انشاها
وزينها بفرش نفيسة وجعل فيها مادبة بميم مفتوحة وهمزة ساكنة ودال
مهملة مثلثة والاشهر الضم ثم الفتح وبا موحدة وها وهي الاطعمة الكثيرة

عرض

دبجو

النفيسة

النفيسة المعدة لاكرام الضيوف والاصحاب وفي القاموس الطعام صنع لدعوة او عرس
والمشهور الاول في عامة لكل دعوة وفي فقه اللغة القرى بكسر القاف والقصر وفتحها
والمد طعام الضيف الغريب وهو للزاير تحفة وللاملاك شنوخة وللعرس وليمة
وللولادة خرس وحلق شعر المولود عقيقة وهو في الاصل اسم لنفس الشعر
من عقه قطعه وللختان عذيرة وللعلل قبل الغدا سلفة ولمستعجل الغدا عجالة
ولكرامة منزلة من النزل انتهى والمادبة من الادبة بالضم وهي الطعام وبعث داعيا
يدعو لمنزله واكل طعامه فمن اجاب الداعي اي امتثل دعوته وذهب معه دخل الدار
التي بناها واكل من طعام المادبة التي اكرم بها ومن لم يجب الداعي لدعوته لم يدخل
الدار ولم ياكل من المادبة التي حرم منها ثم فصل التشبيه وبينه وسكت عن بيان
من بني وهو الله الذي خلق الجنة وهيا اسباب دخولها لظهوره مما بعده وهو قوله
فالدار الجنة التي اعدها الله لمن اختاره من عباده ومادبتها جميع ما فيها من النعيم
ومما تشتهيه الانفس والداعي لها محمد صلى الله عليه وسلم مما بلغهم عن الله وامرهم
به مما يدخلهم جنته ويوصلهم للسعادة والنعيم المخلد فمن اطاع محمدا فقد
اطاع الله لما تقدم بيانه ومن عصى محمدا فقد عصى الله لان مخالفه مخالف لامر الله كما
مر ومحمد فرق بين الناس فرق بفتح الفا وسكون الرا المهملة وتنوينه مصدر
بمعنى فارق بين المؤمنين والكافرين بطاعته وعصيانه وروي فرق بصيغة الماضي
مشدد الرا المهملة اي فرق بين مؤمنهم وكافرهم او بين من دعي للجنة وبين
من لم يدع لها وهذا انسب بالسياق والمعنى واحد واول هذا الحديث انه صلى الله
عليه وسلم نام وكان اذا نام نفخ فجاءه ملايكة وهو نايم فقال بعضهم لبعض
ان العين نايمة والقلب يقظان فقالوا امثله كمثل رجل الخ وفيه فقالوا اولوها
له يفقهها فقالوا الدار الجنة الخ فالممثل الملايكة وكذا المبين له وهذه رواية
غير رواية المتن وفي رواية ان القايل جبريل وميكاييل ولا يخفى ان ظاهر الحديث
انه تشبيه مركب فقول الكرماني انه ليس المقصود تشبيه المفردات بل هو تشبيه
تمثيل مما لا وجه له

وكان

## فصل واما وجوب اتباعه

صلى الله عليه وسلم وامتثال سنته السنة هنا بمعناها اللغوي وهي الطريقة
والسيرة بمعنى وهي اقواله وافعاله وتقريراته وليس المراد بها ما يقابل الفرض
حتى يتوهم منافاتها للوجوب لانه معطوف على اتباعه والاقتدا بهديه هدى
بزنة ضرب بمعنى سنته وطريقته ايضا وفي نسخة والاهتدا بهديه فقد
قال الله تعالى هو جواب اما اي فقد ثبت ذلك بنص القرآن كقوله عز وجل
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني اي اقتدوا بسنتي واهتدوا بهديي يحببكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم الاية فسر ومحبة الله ورسوله باتباعهما ومحبة الله
بانعامه وفضله وهذا تفسير له بلازمه المتجوز فان المحبة الحقيقية ميل
النفس لما يستلذه وهو غير متصور هنا ولذا قال الغزالي ان العصيان يضاد
اصل المحبة وقال البيضاوي يحببكم الله يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم
بالتجاوز عما فرط منكم ويقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر

عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة اي المشاكلة ولبعض الشراح من
المتاخرين هنا كلام لا طائل تحته غير التطويل وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي
الامي والايمان به وتصديقه يقتضي اتباعه وطاعته الذي يؤمن بالله وكلماته
التي نزل بها الوحي عليه وما اوحي الى من قبله من الرسل من الكتب والشرايع وعبر
عما ذكر بالكلمات اشارة الى انها بالنسبة لعلمه المحيط بكل شيء وكلامه الذي يفني
مداد البحار في دواة الامكان كالكلمات القليلة وجمع بين النبوة والرسالة لان
المقام مقام مدح واطناب ولانه يجب الايمان بكل من الوصفين وان كان ذكر الاخص
يكفي هنا اعني الرسول وعبر بالظاهر ولم يقل بي لبلاغة الالتفات ولتجري عليه
الصفات الداعية للايمان به واتباعه وعبر بالرجا في قوله واتبعوه لعلكم
تهتدون اي راجين الاهتدا باتباعه تحريضا لهم على اتباعه وايما الى ان من امن
به ولم يقتد بما شرعه لهم لا يخرج من الضلال والرجا بالنسبة للمخاطبين او هو
مجاز عن التعليل كما ذهب اليه بعض النحاة وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون
لا مزيدة للتاكيد او نفي لما تقدمها اي ليس الامر كما يزعمون من انهم امنوا بما
انزل اليك وقيل لا الثانية زايدة والقسم معترض بين حرفي النفي حتى يحكموك
اي يرجعون لحكمك ويرضون به وهو غاية لصحة ايمانهم فيما شجر بينهم اي فيما
وقع بينهم من المشاجرة وهي المخاصمة واصل معناه الاختلاط ومنه الشجر لتداخل
اغصانه واختلاطها الى قوله تسليما يعني قوله ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما
قضيت ويسلموا تسليما والحرج ضيق الصدر او الشك وهذه الاية نزلت في بعض
الانصار لما اختصم مع الزبير في ما سقي به ارضه وسياتي تفصيله اي ينقادون
لحكمك تفسير لقوله ويسلموا تسليما واكده ليفيد الانقياد ظاهرا وباطنا وفي
نسخة ينقادوا قيل وهو الظاهر لانه منصوب بحذف النون لا سيما ان قيل ان اي
عاطفة وليس بلازم لانه مفسر للجملة بتمامها لا للمضارع وحده يقال سلم عيني
بالتشديد واستسلم اي طلب السلامة بانقياده واسلم اذا انقاد هذا هو
المصرح به في كتب اللغة كما ذكره الراغب وغيره فما قيل ان المذكور في القاموس
ان التسليم الرضى والاستسلام الانقياد فلو فسر التسليم في الاية بالرضى
الاحق كان احسن ليس بشيء وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة بالكسر
والضم اي قدوة يقال اسيته بما لي اسوة واسيته لغة قليلة وقيل هي
الصواب هي الخصلة التي يراد الاتصاف بها حسنة اي خصلة حسنة من
حقها ان يؤتسى بها اي يقتدي ويجوز ان يراد بالاسوة النبي صلى الله عليه
وسلم نفسه لانه قدوة يحسن التاسي به في اقواله وافعاله وحسنة هنا
على الاول صفة مؤكدة ويجوز ان تكون احترازا عما هو من خصايصه صلى
الله عليه وسلم فيكون صفة مقيدة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر اي يرجو
ثوابه ولقاه ونعيم الاخرة او ايامه الاخر خصوصا مع قوله لمن كان وفي الكشاف
ان لمن بدل من لكم وقيل والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه فهو صلة
او صفة لحسنة وقرن كثرته بالرجا لا بد انها ملازمة الطاعة اذ المؤتسي من

شانه

شانه ذلك قال محمد بن علي الترمذي هو المعروف بالحكيم الترمذي المتوفى صاحب نوادر
الاصول وليس هو صاحب السنن وقد تقدمت ترجمته الاسوة في الرسول تعريفه للعهد
الخارجي فالمراد به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم او هو للعهد الذهني او الاستغراق
فهو عام اي في حق رسول من الرسل اي كل رسول الا قتدا به في اقواله وافعاله كما في قوله
فبهداهم اقتده والاتباع لسنته اي لطريقته وشريعته وترك مخالفته في قوله
قاله امرا او نهيا او ارشادا او فعل فعله ليقتدي به فيه لانه ليس من خصايصه
صلى الله عليه وسلم وقال غير واحد تقدم ان معناه ما تى كثيرون من المفسرين بمعناه
اي قالوا قولا بمعنى ما قاله الترمذي وقيل معنى الاية المذكورة هو عتاب من الله اي
توبيخ ولوم للمتخلفين عنه صلى الله عليه وسلم ممن لم يخرج معه لمحاربة
اعدائه لانهم كان عليهم ان يقتدوا به في جهاد اعدا الدين ومقاساة اهوال الحروب
وكان ذلك في غزوة الاحزاب او تبوك حبا للبقا والراحة وكان عليهم المبادرة لطاعته
صلى الله عليه وسلم وبذل انفسهم له لانه سبب سعادتهم وحياتهم الابدية وفيه
دليل على ما ذكر على التفاسير ومعنى الظرفية ان قلنا الاسوة افعاله واقواله
المتبعة ظرفية الموصوف للصفة لانها قايمة به كقيام المظروف بظرفه فان قلنا
الاسوة نفسه صلى الله عليه وسلم فهو تجريد بجعل كانه فيه مقتدي به منتزع
كقوله لهم فيها دار الخلد وليست هذه الظرفية كقولهم الدار في نفسها تساوي
كذا او في البيضة عشرون منا من حديد كما قيل وقد اشرنا الى ان الاقتدا انما يجب فيما
ليس من خصايصه كالامور الجبلية فيه فانها لا يمكن ان تكون لغيره وقال سهل
ابن عبد الله التستري وقد قدمنا ترجمته في قوله تعالى صراط الذين انعمت
عليهم بين ما انعم به على من سلك الطريق المستقيم قال سهل في تفسيره انه انعم
عليهم بمتابعة السنة اي اتباع طريقه الذي هو الصراط المستقيم الذي يجب
اتباعه فامرهم الله تعالى بذلك اي باتباعه ووعدهم الجزا عليه اعني الاهتدا
باتباعه اي حصول الهداية التي طلبوها بقوله لهم اهدنا الصراط المستقيم فقال
واتبعوه لعلكم تهتدون وفيه ايما الى ان الترجي من الله وعد ممن لا يخلف الميعاد
لان الله ارسله بالهدى اي بما فيه هدايتهم ودين الحق اي الدين الحق او دين الله
ليزكيهم اي تطهرهم من الشرك والمعاصي ويعلمهم الكتاب اي القران والحكمة اي
العلوم النافعة الحكمة والشريعة التي صيرتهم حكما متقنون للعلم والعمل
ويهديهم الى صراط مستقيم بالاسلام وطاعة الله ورسوله الموصل لهم للنعيم المقيم
ووعدهم محبته تعالى اي محبة الله لهم فالمصدر مضاف لفاعله في الاية الاخرى
يعني قوله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ومغفرته بقوله
ويغفر لكم ذنوبكم اذا اتبعوه لان جواب الامر في معنى جواب الشرط وانزوه بالمد
اي قدموه واختاروه من الاثرة على اهوايهم جمع هوى بالقصر وهو ما تميل
اليه النفس وتدعو اليه وهو اذا اطلق يراد به ما ليس بمحمود من الشهوات
وما يخنح بجيم ونون وحا مهملة ويجوز في نونه الفتح والضم والكسر بمعنى
تميل واصله الميل على احد شقيه ماخوذ من الجناح اليه نفوسهم ووضع

الظاهر فيه موضع المضمر اذ المعنى يحبون اليه ويفقدون اتباعه ويحبونه على محبة انفسهم
واموالهم واولادهم والناس اجمعين كما ورد في الحديث واخبرهم بان صحة ايمانهم
في انقيادهم له في جميع ما امرهم به ونهاهم عنه ورضاهم بحكمه فيما تخاصموا
فيه بقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وترك الاعتراض عليه فيما حكم به
ومخالفته ومعارضته وعدم رضاه كما تقدم في قصة الانصاري مع الزبير
وروي عن الحسن البصري رحمه الله والراوي له ابن المنذر في تفسيره ويحتمل انه
الحسن بن علي رضي الله عنهما ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله اي تميل
اليه انفسنا ونخصه بالعبادة والرغبة لما رغبنا فيه فانزل الله مبينا لهم محبتهم
والمراد منها بقوله قل ان كنتم تحبون الله الاية اي فاتبعوني يحببكم الله يعني ان
محبته تعالى انما تتحقق بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
ومن احب الله احبه الله كما قيل ⁂ ما جزى من يحب الا يحب ⁂ وروي في سبب
نزول هذه الاية ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف وهو رجل من عظماء اليهود
من بني النضير وامه من طي وقتل كافرا بعد بدر بستة اشهر كما تقدم وقصته
مشهورة مفصلة في السير وغيره من اليهود اتباعه والمراد اي ابن الاشرف واتباعه
قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله وهذا ما حكاه الله عنهم في قوله
وقالت اليهود والنصارى الخ وكانوا اتوه صلى الله عليه وسلم فانذرهم وخوفهم
عذاب الله فقالوا انما تخوفنا يا محمد نحن ابناء الله الخ فقال لهم معاذ بن جبل
وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب يا معشر اليهود اتقوا الله فانكم تعلمون
انه رسول الله وكنتم تصفونه قبل مبعثه فقالوا ما قلنا هذا وما انزل
الله بعد موسى كتابا ولا بعث رسولا ومعنى قول النصارى نحن ابناء الله
انهم اشياع عيسى صلى الله عليه وسلم الذي زعموا انه ابن الله ومعنى قول
اليهود ذلك انهم اشياع عزير الذي زعموا انه ابن الله وقيل تقديره ابناء
رسل الله فانزل الله الاية جوابا لهم بقوله قل فلم يعذبكم الله الاية وقال
الزجاج في تفسير هذه الاية معناه ان كنتم تحبون الله اي تقصدوا طاعته
اذ لا يصح تفسير المحبة فيهما بما تعارفه الناس وفي نسخة ان تقصدوا وهذا
تفسير لمحبة العبد فافعلوا ما امركم الله به الفا فصيحة اي اتبعوني فافعلوا
الخ اذ محبة العبد لله والرسول اي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاللام
عوض عن المضاف طاعته لهما باتباع امرهما ونهيهما ورضاه بما امرا
بان يطيعه ظاهرا وباطنا اذ لو لم يطعه باطنا كان منافقا ومحبة الله لهم
اي لعباده فقد فسر محبة الله بعد تفسير محبة عباده لذكرهما في الاية عفوه
عنهم بمغفرة ذنوبهم وقدمه على قوله وانعامه اي الله عليهم اي على
عباده برحمته اهتماما به والرحمة في حق الله بمعنى الانعام وارادته
في حقه تعالى لان معناها الحقيقي لا يصح في حقه تعالى فالمراد بها هنا
لطفه بعباده ورافته بهم وتبيان في تفسير محبة الله ومحبة عباده له

ان

ان معنى الحب من الله عصمة اي حفظ الله لعبده من مخالفة امره ونهيه والعصمة بمعنى
مطلق الحفظ لا يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم فيكون لغيره وتجوز الدعاء بها لكل احد
كما تقدم والذي يختص به صلى الله عليه وسلم دون غيره هو ان يخلق الله فيه جبلة
تمنعه عن كل ما لا يرضاه الله وان لا يقدر احد على قتله ونحوه واليه اشار بقوله
وتوفيق اي خلق الله فيه قدرة على طاعة الله ومراقبته في السر والعلانية حتى يمتنع
من المحرمات ومبدؤه ميل نفسه الى ما يرضى الله تعالى عنه والمحبة معناها طاعة وانقياد
لله ورسوله كما قال القائل اي معنى ما ذكر وهو معنى قول هذا الشاعر وهو
كما في زهر الاداب للحصري محمود بن حسن الوراق وقيل انه لمنصور الفقيه وهو بليغ
مفلق كان في اول الدولة العباسية وكان كثيرا ما يأخذ حكم المتقدمين من الفلاسفة
وغيرهم فينظمها في شعره كقوله

اذا كان شكري نعمة الله نعمة ۞ علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ۞ وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها ۞ وان مس بالضراء اعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة ۞ يضيق بها الاوهام والبر والبحر

تعصي الاله وانت تظهر حبه ۞ هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ۞ ان المحب لمن يحب مطيع

وفي معناه قول منصور الفقيه ايضا

غلط فاحش وجهل مبين ۞ وعمى لا يحول لا بل جنون
طمع العبد في كرامة مولاه ۞ واصراره على ما يهين

ومعنى الشعر انك تدعي محبة الله وانت عاص له ولو كنت صادقا لم تعص لان المحب
لا يخالف حبيبه والعمر بفتح العين الحياة كالعمر بضمها الا انهم في القسم التزموا
فتحها لا شك وذا وهو مبتدا خبره محذوف تقديره قسمي والقياس لغة
تقدير الشيء بذراع ونحوه وفي الاصطلاح الحاق شيء بشيء لمناسبة بينهما ويطلق
بمعنى الدليل المعروف والمراد قياسه بغيره وبديع بمعنى غريب عجيب يعني
ان العاصي لا يتصور المحبة لان المتنافيين لا يؤاخذ احدهما الاخر وهو امر عجيب
ومقتضى القياس ان المحب لا يعصي امر حبيبه ويجوز ان يراد القياس المنطقي كما
قيل وهو تكلف ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه اي خوفه اذا
تامل عظمته ومحبة الله له اي لعبده رحمته له اي احسانه واكرامه لان
معناه الحقيقي لا يليق به فاريد به غايته وارادة الفضل الجميل له وتكون
بالمثناة الفوقية وفيه ضمير المحبة وقيل انه بالتحتية والضمير للجميل والاول
اولى بمعنى مدحه والثناء عليه اي على العبد قال القشيري الامام الزاهد
ابو القاسم صاحب الرسالة وقد تقدمت ترجمته فاذا كان اي الرحمة ذكره
لتاويله او لان تانيث المصدر غير معتبر لنا ويله باذن والفضل او الضمير
للجميل بمعنى الرحمة والارادة عطف تفسير لان الرحمة تفسيرها الانعام
فيكون من صفات الافعال والمدح في كلامه الازلي كالثناء على المؤمنين في القران

وفي العباد ح

دجي

دجي

كان من صفات الذات اما الارادة فظاهر واما المدح فلانه يرجع لصفة الكلام
والكلام على صفات الذات والافعال مفروغ منه في علم الكلام وسيأتي بعد مبني
على الفتح لقطعه عن الاضافة اي بعد هذا في ذكر محبة العبد غير هذا فاعل سيأتي
اي غير ما ذكرهنا بحول الله تعالى اي باعانته وقوته لانه الحول له مصان منهما
هذا اذ ذكر حديثا مسندًا رواه الاجري شاهدًا لوجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم
فقال حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه بن احمد شيخ المصنف قال حدثنا
ابو الاصبغ عيسى بن سهل اصبغ بصاد مهملة وموحدة وغين معجمة ح وحدثنا
تقدم ان ح بحا مهملة يذكرها المحدثون اذا ارادوا التحول من رواية لرواية
اخرى كما بينه ابن الصلاح ابو الحسن يونس بن مغيث بميم مضمومة وغين معجمة
وياء تحتية ساكنة ومثلثة الفقيه بقرائتي عليه قال حدثنا حاتم بن محمد تقدم
بيانه قال حدثنا ابو حفص الجهني نسبة لجهينة مصغرا قبيلة مشهورة قال
حدثنا ابو بكر الاجري بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم وتشديد الراء المهملة
نسبة للاجر وهو الطوب المعروف وهو الامام الحافظ محمد بن الحسين وقد تقدم
بيانه قال حدثنا ابراهيم بن موسى الجوزي بفتح الجيم وسكون الواو وزاي معجمة
مكسورة وياء نسبة وهو ابو اسحاق الجوزي نسبة لجوزة قرية من قرى بغداد
وعلى هذا اقتصر الحافظ الحلبي وقال التلمساني انه كذا في اصل المصنف ورواه
العزفي خوزي بخا معجمة مضمومة وواو ساكنة وزاي معجمة نسبة لخوز
جيل من الناس او قرية مشهورة قال حدثنا داود بن رشيد بالتصغير علم منقول
وهو ابو الفضل الخوارزمي الحافظ الثقة روى عنه اصحاب السنن وتوفي في
شعبان سنة تسع وثلاثين ومائتين قال حدثنا الوليد بن مسلم الحافظ ابو العباس
عالم الشام صاحب التاليف الجليلة روى له اصحاب الكتب الستة الا انه نسب
الى التدليس وتوفي في سنة خمس وتسعين ومائة وله ترجمة في الميزان عن ثور
ابن يزيد الحافظ الحمصي ثقة لكنه نسب الى القدرية حتى اخرج من حمص وتوفي
سنة ثلاث وخمسين ومائة عن خالد بن معدان الكلاعي الزاهد الفقيه الجليل
اخرج له اصحاب الكتب الستة توفي سنة اربع وثمانين ومائة قيل انه كان
يسبح في كل يوم اربعين الف تسبيحة عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي كذا في
النسخ وصوابه كما قال البرهان الحلبي السلمي بضم السين المهملة وفتح اللام
وهو ابن عنبسة وهو حافظ ثقة توفي سنة عشرة ومائة وحجر الكلاعي حجر بضم
الحا المهملة وسكون الجيم وراء مهملة والكلاعي بفتح الكاف ولام والف وعين
نسبة الى كلاع بزنة سحاب بلدة بالاندلس وذو الكلاع من ملوك اليمن
المسمين بالاذواء وهذه النسبة لاحدهما توفي سنة خمس وسبعين وروى له
اصحاب السنن عن ابن نجيح العرباض بعين مهملة مكسورة وراء مهملة ساكنة
وباء موحدة وضاد معجمة واصله الطويل وتقدم الكلام عليه ابن سارية
بسين مهملة وياء اخر الحروف صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل
الصفة سكن حمص في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

اي في حديث وعظ فيه النبي صلى الله عليه وسلم من كان في مجلسه من الصحابة
وذلك ان عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا اتينا العرباض
ابن سارية وهو ممن نزل فيه قوله تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد
ما احملكم عليه وقلنا اتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال صلى بنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها
العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فماذا
تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من
يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين
تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة رواه علي عن الولنيد كذا قاله الذهبي في تاريخه ومن خطه نقلت
واعلم ان الموعظة هي التذكير بما يحث على الطاعة وعليكم اسم فعل يتعدى بنفسه
ان كان بمعنى الزم كقوله عليكم انفسكم وبالباء ان كان بمعنى تمسك كما هنا والسنة
الطريقة بما هم عليه والخلفاء جمع خليفة والراشدين جمع راشد ضد الغاوي والمراد
بهم الخلفاء الاربعة ومن كان على طريقتهم كعمر بن عبد العزيز وائمة الاسلام المجتهدين
في اعلاء كلمة الله وقوله عضوا الخ فعل امر والنواجذ بالذال المعجمة جمع ناجذ
اقصى الاضراس وهي اربعة او الانياب او التي تليها والمراد الاجتهاد في التمسك بها
فهو استعارة تمثيلية لما ذكر لا كناية ويجوز ان يكون استعارة تصريحية تبعية
وقيل المراد بالنواجذ جميع الاسنان هنا وقال البرهان عن المنذري انه يجوز
اهمال ذاله وفيه نظر لمخالفته لكتب اللغة واياكم تحذير اي احذروا المحدثات
والزموا بها وهي جمع محدثة اسم مفعول وهو ما احدث مما خالف الكتاب والسنة
واجماع المسلمين والبدعة بمعناها وهي ما لم يعهد في عصره صلى الله عليه وسلم
وهي كما قاله العز بن عبد السلام تنقسم الى واجبة ومحرمة ومندوبة
ومباحة فالمندوبة كتدوين الكتب وعلم النحو واللغة والاشتغال بذلك واحداث
الربط والمدارس ومن المكروه تزويق المصاحف والمساجد وتكبير العمائم وتوسيع
الملابس ومن الواجب وفرض الكفاية تعلم علم العربية الذي يتوقف عليه فهم كلام
الله وكلام رسوله ولا ينافي هذا قوله كل بدعة ضلالة لان البدعة لها معنيان
كل ما حدث بعد العصر الاول وهو المنقسم للاقسام المذكورة ولذا قال صلى
الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها واليه الاشارة
بقوله سنة الخلفاء وقد خصها الشارع بما هو مذموم لعدم دخوله تحت
القواعد الشرعية وهذا هو المراد بالبدعة عند الاطلاق وهو الذي جعل
ضلالة وفي عوارف المعارف واحيا الغزالي البدعة المذمومة ما زاحم السنة
المأثورة او كان يفضي الى تغييرها وفي كتاب المدخل لابن الحاج بيان لها شاف كاف
ونراكم على ما رواه العرباض في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الذي
رواه مسلم بمعناه اي ملتبسا بمعنى حديث العرباض موافق له وليس المراد
انه رواية بالمعنى كما قيل وكل ضلالة اي ضال بارتكاب البدع المذمومة في النار

اي معذب بها او مستحق للعذاب وقيل انه متضمن لشكل منطقي منتج لما ذكر اي
كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة معذب مرتكبها فكل محدث ضلالة مستوجب
للعذاب الاليم وفي حديث ابي رافع الصحيح الذي رواه ابو داود والترمذي
وابن ماجه وابو رافع هو الصحابي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
قبطيا واختلف في اسمه فقيل ابراهيم وقيل اسلم وقيل ثابت وقيل هرمز
ولهذا ابو رافع غير راوي هذا الحديث معدود في الصحابة ايضا يروي عنه
عليه الصلاة والسلام لا الفين نفي بمعنى النهي اي لا اجدن والفي بمعنى وجد
قال تعالى والفيا سيدها لدى الباب وروي لا لقين كما تقدم عن الام للشافعي
والصحيح رواية الاول وان صح هذا ايضا كانه لتحققه وجده هو وهو بضم
الهمزة وسكون اللام وكسرها وفتح المثناة التحتية وتشديد النون اي
لا يفعل احدكم معاشر الامة او الصحابة فعلا يكون هذا من سببه وهو نهي
في الحقيقة عن التكبر والبطر متكيا اي مائلا مستندا معتمدا وهو بالهمزة
والياء ايضا وتقدم ان العامة لا تعرف المتكي الا من مال في قعوده معتمدا على
احد شقيه وتاوره مبدلة من واو من الوكا على اريكته هي سرير مزين
متخذ في قبة او بيت وليس مطلق السرير اريكة وقيل هو سرير في حجلة
وقيل كل ما اتكي عليه من سرير او فراش او منصة او مخدة مما يفعله
المترفون وجمعه ارائك وقال الراغب سمي به لاتخاذه من الاراك او لانه
محل الاقامة من ارك بالمكان اروكا اذا اقام به واصله الاقامة على الاراك
ثم تجوز به عن كل اقامة ياتيه الامر من امري اي شي مما امرت به فقوله مما دلجي
امرت به تفسير لقوله من امري بدل منه ومن بيانية فيهما وقيل الثانية
بمعنى الباء كقوله ينظرون من طرف خفي اي به متعلقة بامري والامر الاول
بمعنى الشان شامل للنهي وغيره والثاني مقابل النهي لقوله او نهيت عنه
فيقول لا ادري هذا الامر الذي تعلمونه لنا ولا اتبع ولا اعرف غير القران
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه دون غيره مما روي في الاحاديث ولم يعرف
ان ما في الحديث عن الله ايضا وان الوحي وحيان متلو وغير متلو وان السنة
لا تخالف الكتاب وقد قال تعالى ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا ولم يخبر عن ترك امتثال امره واجتناب نهيه والعمل بهما
وسنة رسوله ككتابه يجب اتباعه سوا تواترت ام لا وفي الحديث الصحيح
الذي رواه الترمذي الا اني اوتيت القران ومثله معه الا يوشك رجل
شبعان على اريكته يقول عليكم بالقران فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه
وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وان ما حرم رسول الله كما حرم الله
الحديث ومعلوم ان هذه شبهة فاسدة مبطلة لكثير من الشرع كشبهة
الخوارج وفي حديث عائشة المروي في الصحيحين وما ذكره المصنف لفظ البخاري
صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ياتي بيانه ترخص فيه اي ارتكب
فيه الرخصة وترك العزيمة والرخصة الامر المتغير من صعوبة الى سهولة

كعتم

ابن اقبرس

كغفر المسافر صلاته وافطاره وهذه الرخصة انه صلى الله عليه وسلم كان يصبح
جنبا وهو صايم فبلغ ذلك بعضهم فقال لسنا كرسول الله فسمعه صلى الله عليه وسلم
فغضب فقال لا ارجو ان اكون اخشاكم لله واتقاكم وقيل هو ان بعض الصحابة سال
ازواجه صلى الله عليه وسلم عن عبادته ليلا فلما اخبر بها استقلها وقال انه
غفر له ما تقدم وما تاخر فانا اصلي الليل كله وقيل ان بعضهم قال اعتزل النسا
ولا اتزوج وقال البرهان نقلا عن شيخه ابن الملقن انه افطاره صلى الله عليه وسلم
عام الفتح والكل صحيح هنا فتنزه اي تباعد قوم عن العمل بما ترخص فيه فبلغه
ذلك اي نقل له صلى الله عليه وسلم تنزههم ولا في خطبتهم موعظة على عادته
فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال قوم اي ما شانهم وحالهم وهو استفهام انكار
يتنزهون عن الشي حال كوني اصنعه فتركهم لمثله لانهم يظنون ان خوفهم
من الله اشد من خوفي له لان الله غفر لي ما تقدم وما تاخر ولم يكلفني ما كلفهم
فوالله تاكيدا وتقريرا لقوله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية اي خوفا وقدم
اعلميته به لان الخشية بمقدار العلم كما قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما
فانكر عليهم ذلك لظنهم ان حالهم ليس كحاله وان ارتكاب سبلهم الرخص يفضي
الى عدم الخوف والتهاون بالعبادة وليس كذلك بل لان الله يحب ان تؤتى
رخصه كما يحب ان تؤتى عزايمه فالمبادرة في فعل ما تصدق الله بها عليهم لا يليق
عدم قبولها وقيل انه ليس محلا للانكار لكنه نزله منزلة المنكر بما لاح عليهم
من علامات الانكار وليس بشي وروي عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه
الديلمي وابو نعيم وابو الشيخ مسندا انه قال القران صعب بسكون العين
ضد السهل مستصعب بكسر العين اسم فاعل من استصعب الامر بمعنى صعب
ويكونها من استصعبت الامر بمعنى وجدته صعبا او صيرته صعبا اي هو في
نفسه عسر على من اراد حفظه وفهمه والعمل به وقد صيره الله ايضا صعبا
على من كرهه اي من لم يرد حفظه وتدبر اياته واما من احبه وتلذذ بتلاوته
ودام على مدارسته وتامله فيسهله الله عليه وهو اي القران الحكم بفتحتين
اي الذي يحكم على الناس بما تضمنه من الاحكام والحكم من الامثال والمواعظ وجعله
حكما اي حاكما بنفسه مبالغة فمن استمسك بحديثي الموحى وفهمه وحفظه
بتدبر معانيه وضبط الفاظه جا يوم القيامة محشورا مع القران اي اذا استمسك
به وعمل بما فيه وفيه استعارة بتشبيه العامل به بالمتمسك بشي محكم وثيق
لا ينقطع فانه حبل الله المتين والعروة الوثقى كما ورد التعبير به عنه في
الاحاديث وفيه اشارة الى ان الحديث لا يفارق القران وانهما كشي واحد لان
السنة تبين القران وتجيبه معه اما مجيئه مع اهله او مع نوره او اعماله التي
عمل بها منه او هو على ظاهره بان يجي تاليا له فيشفع فيه ويقال اقرا وارق
كما ورد في الحديث والمراد بالقران الفاظه لان الكلام النفسي الذي هو صفة
ذاتية ومن تهاون بالقران اي اعرض عنه ولم يتوجه اليه فكره لاهانته او
عدم هيبته وحديثي بعدم حفظه والعمل به فقد خسر الدنيا لانه يجي جاهلا

منها دنيا وأخرى لفوات السعادة والفوز بنعيمها كما قال الله تعالى ومن أعرض
عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى الآية أمرني بالبنا للمجهول
أي أمر الله أمتي أن يأخذوا بقولي أي يتمسكوا بحديثي ويعملوا به كما سيأتي ويطيعوا
أمري لقوله وأطيعوا الرسول ويتبعوا سنتي أي يقتدوا بي ويسلكوا طريقي
ومنهجي المستقيم كما قال واتبعوه لعلكم تهتدون فالعمل بسنته عمل بالقرآن
لا يختلفان وفيه رد على من قال لا أعمل إلا بالقرآن ونفى عن ترك السنة
وخبر الآحاد كما تقدم فمن رضي بقولي فاتبعه وعمل به فقد رضي بالقرآن لأنه موافق
له وغير مخالف له فهما كالشيء الواحد قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا عنه فارضوا بما رضيه واكرهوا ما كرهه فإن سنته
مبينة وموضحة للقرآن فمن خالفه فقد ضل ولذا قالوا من أراد تفسير القرآن
فليتأمله فإن بعضه يفسر بعضا فإن لم يجده فيه فعليه بالسنة فإن لم يجد
ما أراده فيهما فعليه بأقوال الصحابة فإنها في حكم المرفوع لأنه صلى الله عليه وسلم
كان يقرئهم القرآن ويبين لهم معانيه كما رواه ابن تيمية وقال صلى الله عليه
وسلم فيما رواه عبد الرزاق عن الحسن مرسلا بلفظ من استن بسنتي أي
اتبعها وعمل بما فيها أو المنصوص رواه بلفظ من اقتدى بي في سنتي ومن يتبعني فهو
مني أي من أتباعي وأشياعي الذين يحشرون معي ويتصلون بي حتى كأنهم بعض
مني لا ينفصل عني ومن هذه تسمى من الاتصالية كقوله صلى الله عليه وسلم
لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى ومن رغب عن سنتي أي تركها وأعرض
عنها يقال رغب عنه إذا كرهه وضده رغب فيه وسنته طريقته وأحاديثه
المروية عنه الشاملة لأقواله وأفعاله وتقريراته وهما متقاربان معنى
فليس مني هذا تبرؤ منه كقوله لست من قيس ولا قيس مني ونحو هذا مذكور
في الصحيحين أيضا ومعناه ليس مقربا مني أي هو كامل على ملتي لإهانته الحديث
وعن أبي هريرة رضي الله عنه ولم يخرجه الشيخان بهذا اللفظ عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال أحسن الحديث كتاب الله كما قال الله تعالى الله نزل
أحسن الحديث الآية وخير الهدي بالنصب ويجوز رفعه هدي محمد بفتح الهاء وسكون
الدال المهملة وتخفيفه وهو مصدر بمعنى السيرة والطريقة من قولهم تهادى
في مشيته قيل روايته هنا كما قاله القاضي في الإكمال الهدى بضم الهاء وفتح الدال
مقصورا والهداية بمعنى الدلالة والتأييد بالعصمة وهذه هي التي تضاف إلى
الله وشر الأمور محدثاتها بفتح الدال تقدم تفسيره وعن عبد الله بن عمرو بن
العاص في حديث رواه أبو داود وابن ماجه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
العلم ثلاثة أقسام وحصره فيها إن قلنا العدد يفيد الحصر لعدم الاعتداد
لغيرها وما سوى ذلك وفي نسخة وما سوى ذلك فضل أي زائد لا حاجة
إليه ولا يفتقر إليه وتفسيره بالبقية غير سديد هنا والأظهر ما قيل إن المراد
كل علم غير هذه الثلاثة وما يتعلق بها وما يتوقف عليه فهو زائد لا ضرورة
داعية لمعرفته ومعنى الفضل في اللغة الزيادة كما علم آية من كتاب الله

عرضي

محكمة

محكمة غير متشاوية لقوله تعالى منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
او غير منسوخة لان المحكم يفسر بهذا ايضا والمراد ما يشملهما لاحكام بيانها حتى لا يحتاج
لزيادة واحكام نظمها فلا خلل فيها ويطلق المحكم على جميع القران ايضا كما قال تعالى
احكمت اياته ويجوز ارادته ايضا او سنة قايمة اي دايمة مستمرة يعني لم تنسخ
لدوام العمل بها او فريضة عادلة اي لا جور فيها وفسرت هنا بالاحكام المستنبطة
من القران والحديث تشبيها لها باعظم اقسامها اولانها استنبطت بالاجتهاد المن ومن
على هذه الامة وسميت عادلة لمساواتها للنص او المراد بها فريضة المواريث وقسمتها
وهو المشهور ويطلق على ما يقابل العايلة وليس مرادا هنا وفيه اشارة الى ان
العلم اللازم العلوم الشرعية وهي التفسير والحديث والفقه وعن الحسن ب
ابي الحسن هو الحسن بن يسار البصري وقد تقدم وهو حديث رواه عبد الرزاق
عن معمر مرسلا والدارمي متصلا عن ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم وفي
نسخة قال عليه الصلاة والسلام عمل قليل في سنة في هنا بمعنى مع كقوله تعالى
ادخلوا في امم اي موافق للسنة ومصاحبها وان قل خير من عمل كثير في بدعة وان
كثر لزيادة نفعه وكثرة ثوابه والتعبير بفي اشارة الى انه يراعي السنة في جميعه عدد
وهيئة حتى يحيط السنة به وقيل انه لمصاحبته للسنة وتمكنه فيها شبه بالظرف
والمظروف وهذا كمن تهجد بثنتي عشرة ركعة ولم يصل الصلوات التي ابتدعها بعض
الصوفية بجماعة كالرغايب وجهه ظاهر وخير اسم تفضيل يقتضي الخيرية في
البدعة بحسب ظاهره وليست مرادة وانما عبر بها هنا بناء على اعتقاد فاعلها الرؤية
فيما فعله وقيل المراد الابتداع بالاعمال التي لها اصل في العبادة كوصال الصوم وما
اشبهه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة الواحدة
وان قلت يتمسك بها اي امتثلها وعمل بها مخلصا وعن ابي هريرة في حديث رواه
الطبراني في الاوسط المتمسك بسنتي اي العامل بها والسالك طريقها عند
فساد امتي اي تغيرا حوالها وتركها امور الدين واتباع البدع وذلك في اخر الزمان
له اجر مائة شهيد فيه اشارة الى ان المراد بالتمسك بها العمل بها وامر غيره
بالعمل ايضا فيامر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو الجهاد الاكبر وايضا هو يجاهد
نفسه حتى يترك ما الفه الناس ومثله مما يرغب الناس عنه فيؤذيه اشد الاذى
فلذا اعطي ثواب الشهيد او جعله اجر مائة للتكثير او للاشارة الى ان اكثر ما يقال وهو
عشرة والحسنة بعشر امثالها وقيل ان الشهيد يرمي نفسه لله بتركه الدنيا ويبذل
نفسه في نصرة الدين وثناء غيره عليه ودعائه له ومن وفقه الله مع فساد عصره
واهله فقد اختار دار البقاء على دار الفناء وارتكب المشاق لمخالفة الناس والتقوى
بين الفجار كالمعصية بين الابرار كما ان الجود بين اللئام يعيبه البخل بين الكرام
كما قيل

رايت عبيد الله اكرم من مشى ... واكرم من فضل بن يحيى بن خالد
اوليك جادوا والزمان مساعد ... وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي ان بني اسرايل افترقوا

ابن اقنوس

والتقوى

اي صاروا فرقا واسرائيل لقب يعقوب بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
واليه انتسب كل من كان قبيلة وهم قوم مشهورون على اثنين وسبعين ملة
اي مذهبا او دينا لان الملة والدين بمعنى وان افترقا فمفهوما واستعما لا وقد
تقدم تفصيله وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين فرقة مختلفة الاعتقاد
والمذاهب وروي فرقة مكان ملة وفي الحديث وابانة مختلفة كلها في النار
الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله هكذا روي قالوا وعا طفة على مقدر
اي هذا عددهم ومن هم اوهي زايدة قال هم الذين على الذي انا عليه واصحابي
وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب فان ذلك لم يكن في عصره
ولا عصر الخلفا الراشدين من بعده وقد وقع ذلك كما قال وهذا باعتبار
اصول الفرق فان شعبها كثيرة وقد الف في بيانها تاليف اجلها كتاب الملل
والنحل للشهرستاني وقد عدوها فكانت كما ذكره صلى الله عليه وسلم والشيعة
والخوارج والمعتزلة ونحوهم من الفرق واصنافها مما يطول ذكره والمراد
بكونهم في النار انهم مستحقون للعذاب دون الخلود الا ان يكون في اعتقادهم
ما يقتضي الكفر كبعض غلاة الرافضة والفرقة الناجية اهل السنة والجماعة
لاتباعهم القران والحديث في الاعتقاد من غير ارتكاب تاويلات بعيدة وزعم
الطوسي وابن مطهر انهم الامامية ورده الجلال الدواني في شرح العقايد
كما بيناه في حواشيها ومطابقة الجواب للسؤال ظاهرة من غير احتياج للتاويل
كما توهم وعن انس رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الاصفهاني في ترغيبه وغيره من احيا سنتي اي اظهرها بالعمل بها والحث
على اتباعها جعل ذلك بمنزلة الاحيا ففيه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية
وهو كالحديث الذي رواه ابو هريرة لان المراد اظهارها بعد تركها فقد احياني
اي اظهر ذكري ورفع امري فجعله بمنزلة احيايه كما قيل
وتحسبه قد عاش اخرد هره • الى الحشر ان ابقى الجميل من الذكر •
ومن احياني ببقاء ذكري وشرعي كان اي تحقق ان جزاه انه يكون معي في الجنة
والمراد دخوله فيها وعلو مرتبته لا مساواته فيها وحذف ظرف المعية من
الزمان والمكان تفخيما له لتذهب نفسه كل مذهب وعن عمرو بن عوف
ابن زيد بن مليحة المزني الصحابي وهو قديم الاسلام شهد المشاهد وتوفي
في زمن معاوية وهو منسوب لمزينة قبيلة مشهورة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لبلال بن الحارث بن عاصم بن سعيد بن قرة بن مازن ابو عبد الرحمن
المزني الصحابي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد مزينة وسكن
وراء المدينة وتوفي سنة ستين وسنه ثمانون سنة من احيا سنة من سنتي
قد اميتت بعدي اي تركت وترك العمل بها فشبه الترك بالموت لاشتراكهما
في العدم وسنته طريقته وشريعته فهي تشمل السنن وغيرها فلا وجه لما
قيل الظاهر سنتي بصيغة الرواية بالافراد والاماتة ضد الاحيا وتختص
بالحيوان حقيقة كان له من الاجر اي الثواب مثل من عمل بها وفيه مضاف
ابن اقبرس
تلمساني
مقدر

مقدم اي اجر من عمل بها من غير ان ينقص ذلك اي الاجر الذي له من اجورهم شيئا ذوقا
لتوهم انه يعطي من ثوابهم فينقص اجرهم ومن ابتدع بدعة ضلالة وفسرها بقوله
لا ترضي الله ورسوله لا لحابدعة غير مرضية كان عليه مثل اثام بالمد جمع اثم وهو
الوزر من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا وهذا رواه الترمذي وابن
ماجه وحسنه وفي من الموصولة من العموم ما لا يخفى وكذا قوله شيئا وقوله بدعة
ضلالة بالاضافة والتوصيف ولا ينافي هذا قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى
لان هذا اوزره وكسبه لانه بجعله سنها لهم وارشدهم لفعلها وحسنها لهم فكان
في قوة الامر لهم كما ذكره شراح الحديث وقيل المراد ان عليهم اثما يلاقي المقدار
مثل اثام العاملين بها من جهة انه كان طريقا لهم في العمل بها ولذا غاير بين المقامين
لفظا فقال فله من الاجر مثل الخ ولم يقل عليه من الاثم انتهي ولا حاجة لما طوله
وتحقيقه انه كان سببا في الخير والثاني سببا لضده والسبب منزل منزلة الفاعل
فله ما له وعليه ما عليه اي مثله وفي الحديث الدال على الخير كفاعله كمن حفر بئرا
فوقع فيها غيره فانه يضمن في بعض الصور وهو لا ينافي الاية اما لان المراد بها ان
وزر غيره لا ينتقل له او لانه مخصوص بغير السبب بالاحاديث المذكورة واخذ
من الخبر المذكور ان الداعي الي الاثم كفاعله وقد صرح به في بعض الروايات قال
شيخ والدي الشهاب ابن حجر في شرح المشكاة لكن لو تاب الداعي الي الاثم وبقي العمل
به فهل ينقطع اثمه لان توبته تجب ما قبلها او لا لان شرطها
رد الظلامة والاقلاع وما دام العمل به لانه موجودا فالفعل منسوب فكانه
لم يرد ولم يقلع كل محتمل ولم ار في ذلك نقلا والذي يتجه الان الثاني انتهي
وفيه نظر ظاهر **فصل** واما ما ورد عن السلف الصالحين
يعني الصحابة والتابعين في اول القرون واما اشارة الي انه قسيم لما قبله
مما في القران والحديث ولذا قال ورد والايمة يعني من تقدم من العلما
والمجتهدين من اتباع سنته اي طريقته وهو بيان لها وفي نسخة في اتباعه
متعلق بوروده بمعنى جا والاقتدا بهديه وسيرته عطفه تفسير لما قبله
وهديه وسيرته بمعنى وهو الهيئة والطريقة ايضا فحدثنا الشيخ اصل
معناه الكبير سنا ثم شاع عرفا بمعنى من كان قدوة مفيد الطلبة العلم لانه
في الغالب يكون مسنا وهذا انما استعمل قديما واول من اطلق عليه شيخ
الاسلام الصديق رضي الله عنه كما قاله السخاوي رحمه الله ابو عمران ابن موسى ح
عبد الرحمن الرعيني علامة عصره بالمغرب وقد تقدمت ترجمته ابن ابي
تليد بفتح المثناة الفوقية منقول من تليد بمعنى قديم الفقيه سماعا
عليه وهذا الحديث من احاديث الموطا رواه النسائي وابن ماجه قال
حدثنا ابو عمر الحافظ هو ابن عبد البر وتقدم بيانه قال حدثنا سعيد
ابن نصر تقدمت ترجمته قال حدثنا قاسم بن اصبغ بالغين المعجمة كما تقدم
ووهب بن ميسرة كذا في بعض النسخ بتحتية بعد الميم وقال التلمساني
المهملة مفعلة من السرور ووهب بحركة ويسكن وهو وهب بن مسرة

ابن اقبرس

ابن مفرج بن بكر التيمي مات بقرطبة منتصف شعبان سنة اثنتين واربعين وثلاثمائة
انتهى قالا لابنته وهو الصحيح وروي قال اي كل واحد منهما او اكتفا باحدهما
حدثنا محمد بن وضاح تقدم ايضا قال حدثنا يحيى بن يحيى الليثي راوي الموطا
قال حدثنا مالك امام دار الهجرة المغني عن البيان عن ابن شهاب محمد بن مسلم
الزهري وقد تقدم بيانه عن رجل من آل خالد اي اهله وقومه وهو غير مسمى
فقال الحلبي لا اعرفه وقال التلمساني هو امية بن عبد الله بن خالد بن اسيد
بفتح الهمزة وكسر السين او بضمها وفتح السين والاول اصح وهكذا رواه مالك
ولم يدخل بينه وبين ابن شهاب احدا ورواه الليث بن سعد فسمى الرجل
وادخل بين ابن شهاب وامية عبد الله بن ابي بكر وامية هذا يروي عن ابن
عمر توفي سنة سبع وثمانين انتهى وقال القرطبي في تفسيره انه يعلى بن
امية بن عبد الله الخ وخالد هو ابن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين على ما مر
وبالدال المهملة وهو ابن ابي العيص بن امية بن عبد شمس اخو عتاب انه
سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر
بفتحتين اي الصلاة من غير قصر مذكورة في القران ولا نجد صلاة السفر
المقصورة في القران فقال ابن عمر في جوابه يا ابن اخي هذا جار على عادة العرب
في الشفقة بالصغير وقولهم له يا ابني ويا ابن اخي كما يقال للكبير يا ابي
ويا عمي ان الله بعث الينا محمدا اي نبأه فارسله صلى الله عليه وسلم ونحن
لا نعلم شيئا من امور الدين فانما نفعل كما رايناه يفعل وروي ما رايناه بدون
كاف وما موصولة او مصدرية اي نقتدي به فيما جاء به وهذا هو المقصود
هنا اما صلاة الخوف فقد ذكرت في القران وهي سنة خلافا لمن قال انها
مخصوصة به صلى الله عليه وسلم واما قصر الصلاة سفرا فقد ذكرت في القران
في قوله لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة لكنها مقيدة بقوله ان خفتم
الاية ولذا سالوا عنها الا ان اطلاقها مبين بالسنة فقد سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن قصرها فقال تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا
صدقته وقد يذكر الله شيا مقيدا بشرط ويبيحه على لسان نبيه صلى الله
عليه وسلم من غير شرط وقد ورد فيها احاديث اخر وقال عمر بن عبد العزيز
الخليفة العادل الزاهد المشهور رضي الله عنه سن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي اتى بافعال واقوال وطريقة شرعا هو وولاة الامر بعده بضم
الواو جمع وال وهو من يتولى امور الناس والمراد بهم هنا الخلفا الراشدون
سننا جمع سنة الاخذ بها اي العمل لها واتباعها تصديق لكتاب الله بالبا
واللام لانه امر بالعمل بها واتباع سبيل المؤمنين واستعمال لطاعة الله لان
طاعتهم طاعة له في الحقيقة لانهم لا يقولون شيئا من عند انفسهم وانما
يقولون ما رووه عنه صلى الله عليه وسلم او ما استنبطوه من الكتاب
والسنة وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها اي تغيير تلك السنن بوجه
من الوجوه ولا تبديلها بان يبدل لها بمغايرها وهو اخص من التغيير لشموله

الزيادة

الزيادة والنقص ويجوز ان يكون بالجمعي ولا النظر في راي من يخالفهما اي لا يلتفت
اليه ولا يعتبر ما خالفهما اصلا وليس المراد بالنظر حقيقته حتى يقال يجوز ان ينظر
فيه ليرده من اقتدى بها اي عمل بتلك السنن فهو مهتد لانهم على هدى من الله ومن
انتصر بها فهو منصور على من خالفه ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين غير
ما هم عليه من اعتقاد او عمل ولاه الله ما تولى اي جعله واليا لما تولى من
الضلال وخلى بينه وبين من اختاره من الضلالة واصلاه جهنم ادخله فيها
وساءت مصيرا جهنم وفي ذلك دليل على حرمة مخالفة الاجماع وقال الحسن بن ابي
الحسن هو الحسن البصري كما تقدم عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة
تقدم هذا وقد بينا معناه قيل ولا تكرار فيه لانه ذكره اولا خبرا وذكره هنا اثرا
وفيه نظر وقال ابن شهاب الزهري بلغنا عن رجال من اهل العلم انهم قالوا
الاعتصام بالسنة اي التمسك بها نجاة مما يخافه المرء في الدنيا والاخرة وفي
القاموس اعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية اي من تلبس بالسنة حفظ من
ان يقع في معاصي الله وفيه حث على حفظها والعمل بها وكتب عمر بن الخطاب رضي
الله عنه الى عماله ونوابه وامرهم بتعلم السنة اي ما روي عنه صلى الله عليه
وسلم من اقواله وافعاله في اسفاره واقامته والفرايض اي قسمة المواريث لانها
نصف العلم وفقدها من اشراط الساعة واللحن بفتح اللام وسكون الحا المهملة
وفسره بقوله اي اللغة والمراد بها لغة العرب وما يتعلق بها من الاعراب وعلم
البلاغة وقال الازهري معناه تعلموا لغة العرب في القران واعرفوا معانيه واللحن
بسكون الحا كما علمت وقد تفتح له معان منها التعريض وفحوى الكلام كقوله تعالى
ولتعرفنهم في لحن القول والخطا في الاعراب وقال الزمخشري معنى اللحن في كلام
عمر رضي الله عنه وقوله تعلموا اللحن الغريب واللحن علم الغريب لوقوعه في القران
والحديث ومن لم يعرفه لم يتحقق اكثر كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
وهذا رواه سعيد بن منصور في سننه فاللحن من الاضداد ومن معانيه الفطنة
وقال ابن الاعرابي ان اللحن بالسكون الفطنة والخطا وقال غيره من اهل
اللغة الفطنة بالفتح والخطا بالسكون وقال اي عمر رضي الله عنه في اثر اخر
رواه عنه الدارمي ان ناسا يجادلونكم يعني بالقران اي يخاصمونكم وينازعونكم
في بعض الاحكام التي قلتم بها فيقولون القران فيه ما يخالفكم نظرا لظاهره مما
بينته او خصصته او نسخته السنة فخذوهم انتم اي حجوهم واغلبوهم
بالسنن الواردة عنه صلى الله عليه وسلم فان اصحاب السنن اي علما الحديث
ونقاده اعلم بكتاب الله اي بمعاني القران ممن يتمسك بظواهر القران لمعرفتهم
بناسخه ومنسوخه ومخصصه وماوله فان تفسير القران انما يعلم من السنة
وفي خبره اي خبر عمر الذي رواه عنه مسلم حين صلى عمر رضي الله عنه بذي
الحليفة بضم الحا المهملة ولام وفا بصيغة المصغر اسم مكان على ستة او سبعة
او اربعة اميال من المدينة من جهة الشام وهو ميقات اهل المدينة والشام
الذي يحرمون منه ركعتين اختلفوا فيهما والاصح انهما سنة لمن اراد ان يحرم

بعشكره مؤكدة عند اكثر الفقهاء في تركهما فوات فضيلة من فضائل الاحرام ولم
يخالفه فيه الا الحسن البصري فانه استحب كونه اي الاحرام بعد صلاة فرض
لانه روي انها كانت صلاة الصبح والصحيح غيره ولو كان كذلك لم يسال عنهما ولم
يحتج لقوله فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فاقتدى
باثاره وكل ما اي صنعه وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في اثر رواه
عنه البخاري والنسائي حين قرن بين الحج والعمرة في حجة حجها فقال له اي لعلي
عثمان بن عفان وهو خليفة اذ ذاك وفي نسخة فقال له عمر والصحيح رواية
ان القائل له عثمان رضي الله عنه كما في الصحيحين وغيرهما فهذا وهم من الناسخ
تراني وفي نسخة ترى اني اي تعلم انهى الناس عنه اي عن
القران وتفعله انت فانكر عليه عدم اتباعه له قال علي لعثمان رضي الله عنهما
ادع واترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من الناس اي لاجل لم اكن
احد من الناس خالف فعله فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتدي بغيره
مع علمي بما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث عن مروان
ابن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضي الله عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع
بينهما وعلي رضي الله عنه اهل بهما وقال لبيك بعمرة وحجة فلما كلمه عثمان
في ذلك قال له ما ذكره المص والمتعة تستعمل بمعنيين احدهما ان يحرم بالعمرة
ثم يحرم بالحج كالمكي فالعطف من عطف المتغايرين وان يجمع بين الحج والعمرة
معا باحرام واحد والعطف على هذا تفسيري وهذا هو المراد كما هو صريح
الحديث واحتمال ارادة الاول كما قيل يأباه الحديث وسمي متعة لما فيه من
ترك السفر والاحرام مرتين وكل منهما جائز وانما نهى عن ذلك لترك الافضل عنده
وعلي رضي الله عنه انما خالفه لاعتقاده خلافه وللايذان او لئلا يتوهم احد انه
ممتنع وكل منهما مجتهد ماجور وهذا مبني على مسئلة اصولية وهي انه
اذا وقع الاختلاف في عهد الصحابة في حكم شرعي هل يصح الاجماع بعدهم
على احد قولي الصحابة فذهب احمد واكثر الاشاعرة والشافعية ان حكم
الخلاف لا يرتفع وذهب الغزالي وبعض الشافعية واكثر الحنفية الى ارتفاع
الخلاف كبيع ام الولد فان الصحابة اختلفوا فيه ثم اجمع الفقهاء على منعه
وفيه بحث وهذا الخلاف بين علي وعثمان مبني على الاختلاف في حج رسول
الله صلى الله عليه وسلم او على ما روي من ان عثمان رضي الله عنه لما
كلم عليا كرم الله وجهه في ذلك قال له علي قد علمت انا تمتعنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اجل ولكنا كنا خائفين يعني ان فعله ذلك
لعارض لا انه الافضل وروي ان عثمان رجع لما قال له علي وقال ما كنت
لادع عليا لكنه مما تفرد به مسلم وكان الكلام بينهما بعسفان وهو اسم موضع
معروف وعنه اي مما روي عن علي رضي الله عنه ولم يذكروا من رواه
عنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي بالشيء المجهول ولكني اعمل بكتاب الله
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استطعت اي ما لم اضطر الى

خلافهما

خلافهما فان الصمت وكان يبيح المحظورات وفي نسخة وسنة نبيه وكان ابن مسعود رضي الله
عنه يقول في اثره رواه الدارمي والطبراني عن ابي الدردا القصد اصل معنى القصد
التوجه الى جهة ويطلق على استقامة الطريق ثم شاع في الاعتدال بين الافراط
والتفريط كما قاله الراغب وهذا هو المراد في السنة اي في سلوك طريقة رسول
الله صلى الله عليه وسلم خير من الاجتهاد اي الاكثار منه وبذل الجهد والطاقة
في العمل الملتبس بغيرها وهو معنى قوله في البدعة وتقدم تفسيرها وانقسامها
لواجب وسنة ومحرم ومكروه كما قاله ابن عبد السلام وقال ابن عمر رضي الله عنهما
فيما رواه عبد بن حميد في مسنده بسند صحيح صلاة السفر اي المقصورة فيه وجوبا
او استحبابا ركعتان من خالف السنة اي طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصر
الصلاة سفرا كفر اي صار كافرا ان قصد مخالفة فعله صلى الله عليه وسلم عنادا
او انكر جواز فعله والا فهو مجرد الاثم مبتدع عند ابي حنيفة رحمه الله وبعض
الفقها وقيل الكفر بمعنى كفران النعمة التي انعم الله بها عليه من احسانه عليهم
بتسهيل امره وقال ابي ابن كعب رضي الله عنه فيما رواه الاصبهاني في ترغيبه
وغيره وابي هو ابن المنذر البخاري الانصاري الصحابي توفي سنة تسع عشرة على
الاصح وقيل سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان عليكم هو هنا اسم فعل بمعنى
الزموا او تمسكوا بالسبيل اي طريق الله وصراطه المستقيم وهو العمل الخالص
تقربا الى الله تعالى والسنة اي طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه
وقدم السبيل اهتماما بالاخلاص ان لم نقل ان العطف تفسيري وهو جايز فانه
تغليب للحث على التمسك بالسنة والضمير للشان ما على الارض الظاهر ان المراد
بمن عليها كل موجود من الاحيا العقلا من هذه الامة من عصره الى يوم القيامة وقيل
المراد به من كان موجودا في عصره من الصحابة وخصهم لان قرنه خير القرون وثوابهم
اكثر من ثواب غيرهم والظاهر ما قدمناه لما مر من ان العامل بسنتي عند فساد
امتي له اجر مائة شهيد من عبد من زايدة للاستغراق على السبيل والسنة متمسك
بهما والسبيل كالطريق يذكر ويؤنث وجعله لتمكنه كانه راكب مستعل عليها فهو ممتثل
ذكر الله صفة مخصوصة لعبد ففاضت عيناه اي فاض ما عينيه بكاية من خشية
الله وخوفه وفي نسخة من خشية ربه فيعذبه الله ابدا اي الا لم يعذبه الله ابدا
ولا يدخله النار وان كان مذنبا ولا يعذبه في قبره ايضا ويعذبه بالنصب في جواب
النفي المحض كقوله لا يقضى عليهم فيموتوا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة
اي متق سالك طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتد به في اقواله
وافعاله ذكر الله في نفسه اي احضر الله في قلبه وفرغ فكره وذهنه لملاحظة
ربه وجلاله وعظمته والظاهر ان هذا المجرد التصور من غير لفظ لمقابلته للذكر
قبله والذكر المذكور المراد به المقارن للفكر لانه لا يفيض ما عينيه الا التصور
واحضاره في قلبه وقيل ان هذا يحتمل التصور المجرد والمقارن للذكر اللساني
ولا يخفى ما فيه فاقشعر جلده اقشعر بالتشديد اي اخذته قشعريرة وهي
الرعدة كما في القاموس من خشية الله اي من شدة خوفه قال الراغب

الخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه ولذا خص العلما بها
في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء انتهى الا كان مثله بفتحتين اي صفته
وحاله العجيبة كمثل بفتحتين اي كهذه الصفة شجرة ذات اغصان وورق قد يبس
ورقها صفة شجرة وانما وصفها بهذا توطية للتحات الاتي لانه لا يكون كذلك الا
الورق اليابس وهو اشارة الى ان له خطايا كثيرة قديمة هي كذلك اي مثل ذا بيمة
قائمة على هذه الحالة من قدما ورقها وبيبسها واصله فبينما هي كذلك اذا اصابتها
ريح شديدة والريح مؤنثة فتحات عنها ورقها اي سقط وفي القاموس حته
فركه وقشره فانحت وتحات والورق سقط كانحت انتهى وفتحات بفتحات
وتا مشددة اخره مطاوع حته الا حط الله خطاياه المراد بالحط هنا المغفرة
وعبر بها على طريق الاستعارة وعبر به لمناسبة المشبه وخطايا جمع خطيئة
وهي الذنب وهذا بدل من الا الاولى وما معها وكرر الا مع البدل تاكيدا لبعد
المسافة باعتراض المثل وقيل انه استثنا وجوابا لمقدر كانه قيل ماذا دجي
يترتب على استشعاره من الخشية مع مراعاة النهي فقيل الا حط عنه خطاياه
كما تحات اصله تتحات مضارع بمعنى تسقط عن الشجرة ورقها فان اقتصادا
اي اعتدالا وتوسطا من غير تفريط كما تقدم وهو افتعال من القصد وهو تعليل
لما تضمنه ما قبله من مغفرة الذنوب الكثيرة بمجرد ذكر الله او تذكره مع الخشوع
والخشية وهو قليل ظاهرا وان كان عظيما في نفسه في سبيل الله وسنته عبر
بفي لمناسبة السبيل ولان ذلك الاتباع والاقتدا يحيط بعمله احاطة الظرف
بالمظروف خير من اجتهاد اي زيادة وبذل لجهده وطاقته في خلاف سبيل الله
وسنة اي بدعة مخالفة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وتقدم تفسيره
فانظروا المراد بالنظر هنا التدبر والتامل وهذا تتميم لما قبله وتاكيد له
ان يكون عملكم ان كان اقتصادا واجتهادا اي تدبروا في جميع اعمالكم قليلة
كانت او كثيرة سوا بالغتم فيها او لم تبالغوا ان تكون اعمالكم كلها وهو مع
ما بعده بدل مما قبله او تاكيد له واعادة للفصل بينهما كما تقدم
وان بفتح الهمزة هي المصدرية لا الشرطية مكسورة على منهاج الانبياء
اي على طريقتهم والمنهاج والمنهج بمعنى الطريق الواضح وسنتهم اي
طريقتهم وشريعتهم وعبر بالانبيا والمراد منهاج نبينا صلى الله عليه وسلم
اشارة الى ان منهاجه جار على منهاجهم غير مخالف له كما قال تعالى فبهداهم
اقتده وجريه باعتبار التوحيد والعقايد الحقة والاعمال الصالحة
والاخلاص لا لانا مامورون باتباعهم فيما لم يرد فيه نص كما توهم وان عرضي
كان صلى الله عليه وسلم نفسه كذلك وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه وعمال بضم العين وتشديد الميم جمع عامل وهو الامير
المولى من جانب الخليفة لعمله في الاموال والمصالح الى عمر بحال بلده اي
بخبره بحال بلده الذي ولاه عليها وهي حمص كما قاله وكثرة لصوصه
عطف تفسير لحال جمع لص بتثليث اللام وهي السارق وقاطع الطريق

وغيرهما من

وغيرهما من الذين يأخذون اموال الناس بالباطل وهذا ما رواه اللالكائي في السنة كما قاله
السيوطي رحمه الله هل يأخذهم اي يحبسهم وتعيا فيهم بالظنة بكسر الظا المعجمة المثالة
وتشديد النون اي لمجرد الظن بانهم لصوص او يحلفهم اي يطلب منهم ويكلفهم على البينة
كما في قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها اي تكلفوا حملها كما قاله الراغب
وضمير يأخذهم للصوص وضمير يحلفهم للمدعين عليهم المعلومين من السياق وعداه
بعلى باعتبار معناه الاصلي كما تقدم وما جرت عليه السنة اي ما اقتضته الرعية
من لزوم الثبوت بالبينة ونحوه مما يترتب عليه الحكم دون السياسة المحضة وان
كان ذلك يجوز للحكم في بعض الاحيان فكتب اليه اي الى عامله عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه خذهم اي احكم عليهم بالبينة وما جرت عليه السنة اي وردت واستقرت
عليه فان لم يصلحهم الحق اي حكم الشريعة دون السياسة والعنف فلا اصلحهم الله
اي بل نقم منهم اذ لم يرد فقهم لعمل الخير وهذا من شدة تقواه وانقياده
للشريعة واحكامها فقد فكان من ثبت عليه سرقة نصاب قطع يده فمادار الحول
وفيها سارق وعن عطا في تفسير قوله تبارك وتعالى فان تنازعتم اي اختلفتم
ايها الناس في شي من امور الدين فردوه اي ارجعوا منه الى الله والى الرسول اي
الى ما لاقاه اي الى كتاب الله وشريعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا مؤيد
لما قاله عمر رضي الله عنه ولذا ساقه عقبه وهذا الاينافي ما ذكره الفقها من حبس
المتهم وضربه حتى يقر وانه قد يعمل باقراره كما ذهب اليه مالك وغيره فانه
استحسان منهم اذا قويت التهمة واقتضته الحال كما فصله الفقها وما قاله
عمر رضي الله عنه شي اخر وعطا هو عطا بن ابي رباح المفسر كان من كبار التابعين
وتوفي سنة خمس عشرة ومائة وقال الشافعي الامام المشهور امام الايمة وسلطان
الامة ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لم يثبت في حديث في
شريعته الا اتباعها اي اتباع السنة والعمل بها وكان يقول اذا صح الحديث
فهو مذهبي واذا خالف قولي الحديث فاضربوا به عرض الحائط وهكذا اتبعه
ايمتنا الشافعية رضي الله عنهم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما رواه
عنه الشيخان وقد نظر الى الحجر الاسود في طوافه والجملة حالية بتقدير
قد او معترضة مؤذنة بان قوله ذلك حال مشاهدته له انك حجر لا تضر ولا تنفع
اي لا تقدر على ضرر ونفع بالذات وان كان الله جعله سببا لاجابة الدعا عنده
وسببيته ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك
اي في طوافه وانما استحب تقبيله لانه نزل من الجنة وكان ابيض كاللبن فسودته
خطايا بني ادم كما رووه ثم قبله عمر بعد ما ذكر وروى الحاكم ان عليا رضي الله
عنه كان خلف عمر فلما سمع قوله هذا قال له بل يضر وينفع فان الله لما اخذ
الميثاق على بني ادم في عالم الذر كتبه ذلك في رق والقمه الحجر الاسود وياتي
يوم القيامة وله لسان يشهد به لمن استلمه بالتوحيد ووفائه بالعهد وروى
ان ذلك ذكره صلى الله عليه وسلم فاقوم وقد قالوا ان عمر رضي الله عنه كان
عالما بذلك ولكنه قال ما قاله هذا واسمعه للناس لقرب عهدهم بالجاهلية

ورد عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كان خلقه القرآن اي يأتمر باوامره وينتهي بزواجره
علي القاري

اي لولا اني تقبيل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مستصحبة لما قبلتك
علي القاري

وعبادة الاحجار فخشي ان يضلوا ويعتقدوا انفعها قياسا عليه وقد ورد ان الحجر الاسود
يمين الله في ارضه اي وضعه في الارض ليقبل كما تقبل اليد اليمنى دون اليسرى
تكريما لها او ان تقبيله نفع في الانعام والرضى كتقبيل يد العظما فهو استعارة
والاضافة للتشريف كبيت الله وفيه رد على من قال ان الحجر الاسود له خاصية
في ذاته كخاصية المغناطيس لجذب الحديد وفي الحديث من الاحكام انه يكره تقبيل
ما لم يرد الشرع بتقبيله كما يفعله بعض العوام من تقبيل قبور الاولياء والاماكن
المباركة وقول الشافعي رضي الله عنه كل مكان قبل من البيت حسن لم يرد به
استحبابه وانما اراد اباحته لان المباح حسن عند بعض الاصوليين وروي بني
للمجهول برا مهملة مضمومة وهمزة مكسورة ويا مفتوحة وقال ابن مرزوق
انه بوزن قيل ففيه ما فيه من اللغات واخره همزة بالقلب المكاني وتبعه بعضهم
فان ساعده رواية فبها ونعمت والا فهو تكلف لا حاجة اليه عبد الله بن عمر
الصحابي المشهور رواه عنه احمد بن حنبل والبزار بسند صحيح يدير ناقته
في مكان وهو راكبها اي يلفت وجهها او يطيفها حوله حتى عادت لموضعها
الاول فسئل عن فعله ذلك لاي شي هو فقال لا ادري وجه ما فعلته وحكمته
الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله اي يدير ناقته في
هذا المكان ففعلته اقتدا به صلى الله عليه وسلم وفيه انه يستحب الاقتدا
بافعاله صلى الله عليه وسلم تبركا وتيمنا الا انه قيل اذا صدر عنه امر
يحتمل انه اتفاقي بمقتضى الجبلة البشرية لا بنية التعبد هل يستحب فعله
ام لا فذهب الاكثرون الى انه لا يستحب الا انه لا باس به وهو الظاهر واما
غيره فيكره الاقتدا به في مثله كما يفعله بعض الصوفية في اتباع اثار
مشايخهم ومن هذا القبيل لبس الخرقة ونحوه فاعرفه وقال ابو عثمان الحيري
شيخ الصوفية بنيسابور وهو بكسر الحا والرا المهملتين وبينهما مثناة
تحتية وفي اخره يا النسبة مشددة نسبة للحيرة اسم محلة بها كان يسكنها
وهو ابو عثمان سعيد بن اسماعيل توفي سنة ثمان وتسعين ومايتين وهو
من كبار الزهاد والمشايخ الصوفية وهو صاحب ابي حفص النيسابوري
كما قاله ابن ماكولا والذهبي وذكره القشيري في رسالته ونقل ما ذكره
المص عنه وذكر انه صحب شاه الكرماني ويحيى بن معاذ الرازي ثم ورد
نيسابور مع شاه الكرماني على ابي حفص الحداد فتخرج عليه وزوجه
ابنته وقد صحف الناس هنا نسبته فقيل ان الحنيزي بحا مهملة مضمومة ونون
مفتوحة بعدها يا ساكنة وذال معجمة مكسورة ويا نسبة كذا في اصل
ابي العباس الغزي وهو مخالف لما في اصل المص بخطه وهو الصحيح وفي
بعض النسخ الجنيدي بجيم مضمومة ودال مهملة وفي بعضها الحميدي مصغرا
بحا ودال مهملتين والكل تحريف وتصحيف والصحيح ما نقلناه اولا واذا
جاهل الله تبطل بهم معقل وافرتجها الجنيدي فانه كان على طريقته في الزهد
ولم يكن في عصره اعرف به بطريق المشايخ ومن كلامه رضي الله عنه الصحبة

تلمساني

مع

مع الله عز وجل بحسن الادب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم باتباع سنته وظاهر فعله والصحبة مع اولياء الله بالاحترام والخدمة والصحبة
مع الاهل بحسن الخلق والصحبة مع الاخوان بدوام البشر والصحبة مع العوام بالدعا
والرحمة لهم من امر السنة على نفسه وهو بفتح الهمزة وتشديد الميم وراء مهملة
حقيقة اي جعل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقته قولا وفعلا اي في
اقواله وافعاله فهو منصوب على الظرفية او تمييز محول عن المفعول اي جعلها
اميرا عليه وحاكما وهو عبارة عن عدم مخالفتها وقيل انه بفتح الهمزة والميم المخففة
وتشديد الراء المهملة اي اجراها وامضاها عليه وهو بعيد نطق بالحكمة اي القول
الصواب النافع له في الدنيا والاخرة وكل كلام وافق الحق فهو حكمة ومن امر الهوى
امر كالذي قبله ففيه استعارة والهوى ما تهواه نفسه الامارة وتشتهيه نطق
بالبدعة اي بما يخالف الحق مما زينه له الشيطان من الضلالة وقال سهل التستري
وهو سهل بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع شيخ الصوفية الزهاد تقدمت
ترجمته والكلام على بلدته تستر وهي مشهورة اصول مذهبنا اي التصوف اي
قواعده المبني عليها ثلاثة اولها واعظمها الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم
واتباعه في الاخلاق والافعال والثاني اكل الحلال والثالث اخلاص النية في
الاعمال وهذه الاصول وان كانت اصول الصوفية هي اصول الشريعة
ايضا وقد ورد في الحديث بمعناه وهو ظاهر وجا اي ورد عن السلف في التفا
المأثورة في تفسير قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
انه بفتح الهمزة فاعل جا الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم فان العمل لا يكون
صالحا مقبولا الا اذا وافق الكتاب والسنة وموافقتهما عين الاقتدا به قولا
وفعلا وضمير انه للعمل الصالح وضمير يرفعه المرفوع والمنصوب الاول للكلم الطيب
وهو التوحيد والثاني للعمل والرفع بمعنى القبول ويجوز العكس اي يرفع
التوحيد الاقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقبل بدونه وعلى
الثاني المراد بالكلم الطيب الاذكار وما هو قريب منها وهي انما تقبل اذا وافقت
السنة والكلام عليه مفصل في كتب التفسير وحكي بالبناء للمجهول اي نقل لنا
ان الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى وحنبل اسم جده فانه احمد بن محمد بن
حنبل كما اشار اليه المص فيما يأتي ابن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي
لانه تولى بها ودفن فيها ثاني عشر ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين
وهو امام السنة صاحب المذهب الزاهد العابد وله مناقب افردت بالتاليف
قال كنت يوما مع جماعة تجردوا من ثيابهم عرايا ودخلوا الما للاغتسال
فاستعملت الحديث اي عملت به فالسين للتاكيد وقيل المعنى طلبت ذلك
من نفسي وقلت لا توافق هولا وهذا الحديث رواه مسلم والترمذي
وهو من كان يؤمن بالله اي يصدق ويعترف بالله واليوم الاخر اي يوم
البعث والحشر وهو يوم القيامة والايمان بهما عبارة عن الايمان
بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فكنى بالطرفين عن الجميع

تلمسانی

وروی عن عائشة رضی الله تعالی عنها انها قالت کان خلقه القرآن ای یأتمر باوامره وینتهی بزواجره علی القاری

عینی

وهو من باب الاكتفا فلا يدخل الحمام المراد به كل مكان فيه ما يغتسل به ثم غلب في العرف
على محل مخصوص الا بميزر المبزر بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل ياء بمعنى الازار
وهو ما يستتر به نصفه الاسفل ولم اتجرد انا اي لم اخلع ثيابي واتعرى منها
وهو عطف تفسير لاستعملت الحديث فرايت في المنام تلك الليلة اي في تلك الليلة
التي تلي يوم تجردهم قايلا لي اي شخصا يقول لي يا احمد ابشر اي متبشرا من الله بما يسرك
ان الله قد غفر لك اي عفا عنك وانعم عليك بقبول ما صدر منك باستعمال السنة
اي بسبب اقتدايك بالرسول صلى الله عليه وسلم والعمل بحديثه وجعلك اماما
يؤتم بك ويقتدي بك لكونك مجتهدا صاحب مذهب قلت لمن رايته في المنام
من انت استفهاما يريد تعيينه عنده قال جبريل اي انا جبريل رسول الله الى عباده

## فصل

ومخالفة امره اي بترك ما امر الامة به وتبديل سنته اي
تغييرها بوجه من وجوه التغيير ولو بتاويله على خلاف مراده ضلال اي عدول
عن الطريق المستقيم وهي طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وشر بعينه وبدعة
اي امر احدث في الدين واذا اطلقت البدعة انصرفت الى غير الحسنة وهي المرادة هنا
متوعد عليها اي ورد الوعيد لفاعلها في احاديث كثيرة تقدم بعضها وفي ايات
قرانية من الله بالخذلان متعلق بقوله متوعد والخذلان ضد التوفيق وهو
ان يخلق الله فيه داعية المعاصي في الدنيا والعذاب الاليم في الاخرة قال الله
تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم
ضمن يخالفون معنى يعرضون فلذا عداه بعن وهو متعد بنفسه وضمير امره
للنبي صلى الله عليه وسلم لانه المقصود بالذكر في الاية وهو الذي بني المصنف عليه
كلامه هنا وفيه وجوه اخر انه لله لانه الامر الحقيقي والفتنة ما في الدنيا من
المصايب والمحنة الدنيوية والعذاب الاليم في الاخرة وقال تعالى ومن يشاقق
الرسول اي يعاديه ويخاصمه فيكون في شق وهو في شق اخر من ابتداية او
زايدة بعد ما تبين له الهدى اي ظهر له الحق وثبت معانيه بمعجزاته صلى
الله عليه وسلم وهداية الله لمن هداه برسوله صلى الله عليه وسلم ويتبع
غير سبيل المؤمنين اي يسلك طريقا غير طريقتهم في الاعتقاد والعمل نوله
ما تولى اي نجعله متوليا لما تولاه من الضلال له والبدع الاية اي اقراها بعد
قوله ونصله جهنم وساءت مصيرا وهذا وعيد شديد لمن لم يقتد به صلى
الله عليه وسلم واستدل بهذه الاية على حجية الاجماع كما بين في كتب الاصول
ثم ذكر حديثا رواه مسلم والامام مالك مسندا شاهدا لما ذكره فقال حدثنا
ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر هو عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسني وقد
تقدمت ترجمته وعبد الله بن عتاب تقدم ايضا بقراتي عليهما بيان لطريق
روايته ويسمى عرضا قالا حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد تقدم ايضا قال
حدثنا ابو الحسن القابسي تقدم قريبا قال حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ
بسين مهملة مفتوح من اسم المفعول وهو علي بن محمد بن مسرور توفي في
منتصف رمضان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة قال حدثنا احمد بن ابي سليمان

هو

هو تلميذ سحنون وهو مولى لربيعة ويكنى ابا جعفر توفي في سنة احدى وسبعين ومايتين وقد
ناهز التسعين قال حدثنا سحنون عبد السلام بن سعيد وستاتي ترجمته مفصلة قال حدثنا
ابن القاسم تقدمت ترجمته قال حدثنا مالك الامام المشهور عن العلا بن عبد الرحمن تقدم
ايضا عن ابيه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة مثلثة البا
والكسر لغة قليلة فيها وذكر الحديث في صفة امته صلى الله عليه وسلم يعني قوله
كم سيما ليست لاحد من الامم تردون علي غرا محجلين من اثار الوضو وفيه اي في الحديث
المذكور فليذادن رجال عن حوضي اللام في جواب قسم مقدر ويذادن مبني للمجهول
بذال معجمة والف بعدها دال مهملة ونون توكيد مشددة والذود هنا بمعنى الطرد
والمنع وهذه رواية ابن القاسم ورواية غيره فلا يذادن ولا نافية او ناهية اي لا
يفعل احدكم فعلا يطرد بسببه عن حوضي على معنى التحذير والاشفاق ورجحت
الرواية التي اختارها المص كما يذاد البعير الضال اي كما يطرد البعير اذا ضل من صاحبه
واتى ليدخل في ابل اخرى يستقي فيطرد من بينها لئلا ينقص شربها فاناديهم
اذا طردوا الا هلم الا هلم الا هلم كرره للتاكيد على العادة في ندا من ضل وهذا ايناد
لحسه صلى الله عليه وسلم على ردهم لشفقته عليهم ورحمته لهم وهلم بفتح
الها وضم اللام وقد تفتح وهي اسم فعل بمعنى اقبل واحضر ويتعدى بنفسها وبالى
واللام وميمها مشددة مفتوحة يستوي فيها المذكر وغيره وهي بسيطة في الاصل
او مركبة من ها ولم او من هل ام وهذه لغة اهل الحجاز وهي الفصحى لانها لغة القران
ولغة غيرهم هلم وهلما وهلموا وهلممن فهي عندهم فعل لان اسم الفعل لا يتصل
به الضماير والمطرودون من المنافقين والمرتدين لكونهم اظهروا الاسلام وتوضوا
وصلوا فيكونون غرا محجلين ولذا دعاهم وناداهم ولو لم تكن هذه السيما الا للمومنين
لم يدعوا فان كان المراد اهل البدع من المومنين واصحاب الكباير فالامر ظاهر وقال
النووي اختلف في المراد به على اقوال احدها ان المراد بهم المنافقون ويجوز ان
ان يحشروا غرا محجلين فينادون بسيماهم فيقال انهم بدلوا ولم يموتوا على الاسلام
والثاني ان المراد من كان في زمنه صلى الله عليه وسلم ثم ارتد فيناديهم وان لم
يكن لهم سيما لانه عرفهم والثالث ان المراد اصحاب الكباير والمعاصي الموحدين
واصحاب البدع فيذادون عقوبة لهم فيقال بالبنا للمجهول اي يقول الله تعالى
او الملايكة او من عرفهم من الصحابة انهم قد بدلوا بعدك اي غيروا سنتك وارتكبوا
ما لم تعهده منهم وفي نسخة انهم قد تبدلوا بعدك فاقول سحقا سحقا وفي
نسخة فسحقا باعادة الفا للتاكيد وهو بضم السين والحا وتسكن تخفيفا
قال تعالى فسحقا اي جعلهم الله في مكان سحيق اي بعيد واصله من سحقه
اذا فتته والسحق الثوب البالي وهو على تقدير اسحقوا وابعدوا بعدا شديدا
ويحتمل انه دعا عليهم تقديره الزمهم الله سحقا فنصبه على المصدرية
او هو مفعول به واذا كان دعا فعامله محذوف وجوبا كجدعا وعقرا فقيل
هل هو مصدر لفعل ثلاثي وهو سحقه او لغيره اي اسحقه على حذف الزوايد
وقياسه اسحاقا ولا يحتاج لذلك وان اختاره ابو علي اقول بل له داع لان

سحقه بمعنى فتته كسحق المسك ونحوه واما من البعد فالمستعمل اسحقه يقال
ابعده الله واسحقه كما قاله الراغب وروى انس بن مالك في حديث رواه الشيخان
انه صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي اي تركها لان رغب اذا تعدى
بعن يكون بمعنى الترك ضد رغب فيه وسنته طريقته وشريعته فليس مني
اي ليس من اتباعي واشياعي ومن اتصالية كما تقدم بيانه وهذا تبري منه
وترد له فهو في معنى الحديث الذي قبله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الشيخان من ادخل في امرنا اي احدث بدعة في الدين وروي من احدث
وهما بمعنى هذا عبر باسم الاشارة الى انه لظهوره بمنزلة المحسوس
المشاهد ما ليس منه اي امر مخالف للكتاب والسنة فهو رد اي مردود وعبر
بالمصدر للمبالغة كرجل عدل وهذا من حديث طويل من قواعد الدين وقال
الطوفي انه نصف الدين وروى ابن ابي رافع عن ابيه وهذا الحديث رواه ابو
داود والترمذي وابن ماجه كما تقدم قريبا عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا الفين احدكم بالبنا للمجهول نهي لنفسه والمراد به نهي غيره عن ان يجده
وتراهم على هذه الحالة متكئا على اريكته اي متوسطا جالسا على سريره وتقدم
بيان الاريكة ياتيه الامر جملة حالية تقرب المتكئ وسوء ادبه من امري مما
امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما اتيت به لا ادري غير كتاب الله
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وقد تقدم قريبا الكلام عليه زاد المقدام
في هذا الحديث كما رواه الحاكم عنه وهو المقدام بكسر الميم ابن معدي كرب
الكندي المكنى بابي صالح ممن وفد على النبي صلى الله عليه وسلم من كندة
وتوفي بالشام سنة سبع وثمانين وهو ابن احدى وتسعين سنة الا انه
الهمزة كلمة استفتاح وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله لانه مبلغ
عنه فيجب اجتناب ما حرمه وفيه رد على القايل لا نتبع الا كتاب الله
وفيه اشارة الى انه معصوم في اقواله وافعاله وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه الدارمي وابن المنذر وابن جرير وابو داود مرسلا
وجيء مجهول جاء الجملة حالية بتقدير قد او معترضة بكتاب اي مكتوب
في كتف اي في عظم كتف لانهم في الصدر الاول كانوا يكتبون فيها وفي الجلود
لعزة الورق اذ ذاك والاتي به عمر رضي الله عنه او ابنته حفصة
او عايشة كما قيل وقيل انه شي كان كتبه لبعض المسلمين عن اليهود
فلما راه صلى الله عليه وسلم القاه وقال كفى بقوم متعلق بكفى او
البا زايدة في المفعول حمقا او قال ضلالا لا شك من الراوي ونصبهما
على التمييز والحمق الغباوة وعدم الفهم والضلال ضد الهداية
وحمله كذلك لنظرهم في امور منسوخة محرفة وتركهم السنة ورسول
الله صلى الله عليه وسلم معهم بين اظهرهم كما بينه بقوله ان رغبوا
هو فاعل كفى اي رغبتهم عما جاءهم به نبيهم معرضين عنه مشتغلين
بما لا يعنيهم الى ما جاء به غير نبيهم اي ناظرين اليه راغبين فيه وهم

لا يعلمون

لايعلمون بصحته اوناظرين الي كتاب غير كتابهم الذي انزله الله علي رسولهم فلا ينبغي
لهم الا الاقتدابه والسماع منه اغتنامًا له وهو بين وفيه اشارة الي انه كان امرًا
متفقًا لاعن اليهود كما نقله في زاد المسير فنزلت آية اولم يكفهم انا انزلنا عليك
الكتاب اي القران الذي ما فرطنا فيه من شيء توبيخ لهم علي ما فعلوه وهو عطف علي
ما قبله والهمزة مقدمة من تاخير او علي مقدر معلوم من الحال اي قالوا ذلك ونقلوه
ولم يكتفوا الخ وهذا سبب نزول الاية كما نقله في اسباب النزول وقيل سبب
نزولها ان المشركين طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيانهم باية من ايات
الانبيا عليهم الصلاة والسلام كعصي موسى وناقة صالح فقال الله لهم او لم يكفهم
معجزة القران التي هي اعظم المعجزات وهي باقية مستمرة ولذا قال يتلى عليهم الاية
وعبر بالمضارع والضمير لليهود او المسلمين او المشركين وقيل ان كلا منهما سبب لنزولها
ولا مانع من تعدد السبب ولا حاجة لتعدد النزول كما قيل وفيه دليل علي النهي
عن قراة الكتب المنسوخة الا لمصلحة بمن يعرف النسخ والتحريف وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه هلك المتنطعون
اي وقع في امر يهلكه ويودي الي غضب الله وعقابه من تنطع اي بالغ وغالي في الامر
وتشدق بكلام لا حاجة اليه من النطع وهو الغار الاعلي من الفم استعير لكل
متعمق في قول او فعل غير مهتم واصله من يفتح فمه في تكلمه وقال الخطابي المتنطع
المتعمق المتكلف للبحث عن مذاهب اهل الكلام الخايض فيما لا يبلغه عقله ومناسبته
لما نحن فيه ان من تنطع خرج عن ظاهر السنة وعدل عن ظاهر سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبه صرح اول الحديث وهو تعلموا الفرايض قبل ان يقبض واياكم
والتنطع والتعمق والبدع وهكذا جا من باب ضرب ومنع وعلم وقال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه وهذا رواه عنه ابو داود والبخاري وغيرهما لست تاركا شيا كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به من سنته في اقواله وافعاله واحكامه
وهديه الا عملته اقتدابه صلى الله عليه وسلم واتباعًا لاثاره الحميدة اني اخشى
اي اخاف ان تركت شيا من امره اي شانه وحاله الذي كان عليه ان ازيغ براي وعني
متجنبين اي امبل عن الحق والسنة واصل معنى الزيغ الميل عن الاستقامة
قال الله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اي لما فارقوا الاستقامة عاملهم الله
بذلك

## الباب الثاني من القسم الثاني في ذكر

ما يدل علي لزوم محبته اي وجوبها علي كل مكلف من امته وفي نسخة فصل
والصحيح الاول ووجوبها عقلا وشرعا لقوله قال الله تعالى قل ان كان
اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم اي زوجاتكم جمع زوج وهو يطلق علي
الذكر والانثى وزوجة لغة ايضًا وقابيت المذكر والمونث وعشيرتكم وهم
اقربا النسب واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وملكتموها الا بنداي اقو
تعد ما ذكر وهو وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من
الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره وسبب نزولها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امر بالهجرة تخلف بعضهم عنه فنزلت

ذيلمي

العلم ص

اما

قوله

وتفسير الاية معلوم من التفاسير لا حاجة لذكره هنا فكفى بهذا المذكور في الاية
حضا اي حثا وتحريضا وترغيبا قال الراغب الحض التحريك كالحث الا ان الحث يكون
بسير وسوق والحض لا يكون بذلك واصله الحث على الحضيض وهو قرار الارض
انتهى وتنبيها اي ايقاظا لهم من نومة الغفلة عن محبته صلى الله عليه وسلم
حتى لا يغيب عنهم طرفة عين ودلالة لهم على ما يجب من محبته وحجة اي ثباتا ودليلا
وجوب محبته عليهم والاحزان بالنسبة لمن لا يعرف ذلك وما قبله لغيره على
التزام محبته اي لزومها عقلا ووجوب فرضها عليهم شرعا وعظم خطرها
اي قدرها وفائدتها واصله ما يعطى عند الرهان واستحقاقه صلى الله
عليه وسلم لها اي للمحبة المذكورة كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبي ۞ فان ترد الزيادة هات قلبا ۞

اللهم املا قلبي بنور ايمانك وبحبك ومحبة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم
حتى لا يكون فيه محلا لغيرك اذ فرع بفتح القاف والرا المهملة المشددة
وعين مهملة اي وبخ وقيل وفي اصل المص تقريع والصواب الاول تعالى من
كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم
بين تقريعه بقوله واوعدهم بقوله فتربصوا اي انتظروا امره وفيه من التوبيخ
ما لا يخفى وفسقهم اي وصفهم ونسبهم للفسق بتمام الاية اي بما ذكر
في اخرها حيث قال والله لا يهدي القوم الفاسقين فجعلهم فاسقين بتخلفهم
عن الهجرة وسلب عنهم الهداية بوصف يشعر بعليتها وهو معنى قوله
واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله تبارك وتعالى حدثنا ابو علي
الغساني الجياني الحافظ وتقدمت ترجمته فيما اجازنيه يعني انه رواه
عنه بالاجازة ولم يقراه عليه مع انه معاصر له وهو اي هذا الحديث الذي
رواه البخاري وغيره مما قراته على غير واحد من المشايخ غيره فله في
روايته طرق كثيرة اقوى من هذه وانما اختارها لعلو سنده وجلالته
قال الغساني حدثنا سراج بن عبد الله القاضي تقدم بيانه قال حدثنا
ابو محمد الاصيلي تقدم ايضا قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف
هو الفربري راوي البخاري وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا محمد
بن اسمعيل هو امام اهل السنة صاحب صحيح البخاري قال حدثنا
يعقوب بن ابراهيم بن كثير البغدادي الدورقي صاحب المسند وامام
الحديث توفي في سنة اثنين وخمسين ومائتين ونسب الى دورق اسم بلدة
او الى صنعة الدوارق وهو نوع من القلانس قال حدثنا ابن علية
بالتصغير الامام الثقة الحافظ اسمعيل بن ابراهيم بن مقسم المشهور
بابن علية اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي في سنة ثلاث
وتسعين ومائة وله ترجمة في كتاب الميزان وعلية امه عن
عبد العزيز بن صهيب علم منقول من المصغر وهو البناني الاعمى
الامام الثقة الحافظ اخرج له الستة وتوفي في سنة خمس وثلاثين

ومائة

ومائة وتوجيه مشهورة عن انس بن مالك الصحابي المشهور ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يؤمن احدكم هو من خطاب المشافهة يعم الموجودين وغيرهم وقيل
خص بالخطاب الموجودين والحكم عام بشهادة انه روي بغير خطاب في مسلم لا يؤمن
عبد وفي رواية غيره احد اي لا يؤمن ايمانا كاملا كما في رواية ابن حبان لا يبلغ عبد
حقيقة الايمان حتى اكون بالنصب وهو غاية لما قبله احب اليه من ولده ووالده
والناس اجمعين ايثارا له صلى الله عليه وسلم واكراما له واجلالا واحب بمعنى
اكثر محبوبيته على خلاف القياس كاشغل من ذات النحيين ولم يذكر نفسه لدخولها
في الناس وقوله اليه لا يقتضي جر وجها المغاير بما له من جهة كونه محبا وهي
محبوبية والام وسائر الاهل داخل في الناس ايضا ولا حاجة لادخالها في الوالد
كما قيل وسياتي معنى محبتهم له صلى الله عليه وسلم وعن ابي هريرة رضي الله
عنه نحوه اي روي عنه حديث بمعنى الحديث المذكور وروي عن انس خادم رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام
ثلاث خصال او خصال ثلاث فالوصف المقدر سوغ الابتدا بالنكرة كقولهم ضعيف
عاذ بقرملة اي رجل ضعيف من كن اي الخصال فيه وجد حلاوة الايمان خبر المبتدا
وصفته وكن بمعنى وجدن فكان تامة وحلاوة الايمان لذته ففيه استعارة
او هو مجاز مرسل الخصلة الاولى ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
جمع الله وغيره في ضمير وقد نهى صلى الله عليه وسلم عنه كما تقدم حيث قال
للخطيب الذي قال ومن يعصهما فقد غوى بيس خطيب القوم انت قل ومن يعص
الله ورسوله لايهامه التسوية بين الله وغيره ولذا قيل انه مكروه واجيب
عنه بان الخطبة مقام اطناب لا ايجاز او انه يجوز لله ورسوله ذلك دون غيرهما
فهو من خصائصه واليه مال ابن عبد السلام وقيل الهاوافعة حال لا تخصص
لاحتمال انه كان بالمجلس من يتوهم التسوية او ان هذا كان في ابتدا الاسلام
ووجود المشركين بين اظهرهم لا سيما اذا قصد المبالغة في تعظيم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان لا يفصل بين محبته ومحبة الله بفاصل لفظي وملا
انه لا يمكن التسوية بين العبد وسيده وفيه كلام فصلناه في غير هذا المحل والثانية
ان يحب المرء بالنصب مفعول يحب وفاعله ضمير من لا يحبه الا لله اي يخلص في محبته
من غير ملاحظة انتفاع ما وعلامته ان لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفا كما قاله ابن
معاذ والثالثة ان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار لتمكن الايمان
من قلبه ومحبته له واطمينان قلبه وفي رواية بعد اذ انقذه الله منه والانقاذ
الاخراج وهذا ظاهر في حق من تلبس بالكفر كما العود فانه بمعنى الرجوع اما
من ولد مسلما واستمر على اسلامه فيعلم بالمقايسة عليه وبالطريق الاولى
وقيل الانقاذ بمعنى العصمة منه والعود بمعنى الصيرورة ويعدى العود
بفي وهو يتعدى بالى لتضمنه معنى الاستقرار كما في قوله وما يكون لنا
ان نعود فيها وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث رواه البخاري
عن عبد الله بن هشام انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي

حيوانات واللام في جواب قسم مقدر من كل شيء في الدنيا وغيرها الا نفسي التي
بين جنبي بتشديد الياء كيا الي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه ايثارا له صلى الله عليه وسلم على نفسه
وغيره فقال عمر محبا له صلى الله عليه وسلم والذي اي الله الذي انزل عليك
الكتاب واوحي اليك القران لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم الان نطقت بالحق او ظهر اتصافك بكمال الايمان
فهو متعلق بمقدر وهو مبني على الفتح والاضافة لازمة كما اتفق عليه النحاة
وهو اسم للزمان الحاضر يا عمر صرح باسمه اشارة الى انه وصل لرتبة علية تختصه
بالنسبة لبعض من عداه اي لا يكفيك المرتبة الاولى ولا يليق بعلو همتك الاقتصار
عليها وانما اقتصر على الاول احترازا عن المبالغة لان محبة المرء لنفسه وترجيحها
امر طبيعي لا يسلم منه الا من ملك نفسه وجاهدها وقال ابن حجر جوابه
اولا كان بحسب ما طبع عليه ثم تامل فعرف بالاستدلال انه صلى الله عليه وسلم
احب اليه منها لانه الذي نجاه من الهلاك في الدنيا والاخرة فاخبره بذلك ثانيا
ولذا قال له الان تحققت ونطقت وقيل معناه لن يؤمن احدكم ايمانا يعتد به
حتى يقتضي عقله ترجيح رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما سواه وفيه
سؤال جوابه ثم قال والحديث يومي الى ان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم
امر غير اعتقاد اعظميته كما زعمه المظهر ورده القرطبي ولا وجه له فان عمر
لا يشك انه صلى الله عليه وسلم اعظم من نفسه ومن كل شيء ولا يلزم من
اعتقاد الاعظمية المحبة كما لا يخفى والمراد بالحب هنا العقلي الاختياري
الذي يقتضي العقل ايثاره وان خالف كمحبة المريض للدواء لا الطبيعي الذي ابن التين
لا يدخل تحت اختياره فان الله لا يؤاخذه به لانه لا يدخل تحت استطاعته
والمراد بالنفس هنا الذات ولوازمها من الحياة ونحوها وقيل المراد الروح واذ
فرقوا بينهما واراد بالتي بين جنبيه السر القايم به الحياة واضافه اليهما
لجري العادة بسلب الحياة بسلب ما بينهما وهو القلب وما يتعلق به من
ساير الاعضاء الرئيسة وليس هذا موضع الكلام على الروح انتهى وابن
عمر رضي الله عنه القسم بعد ما قدره تحقيقا لخلوص طويته في مقالته
ولذا قال له صلى الله عليه وسلم الان لما علمه منه وقال سهل بن عبد الله
التستري من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع
احواله الولاية بكسر الواو وفتحها بمعنى نفوذ حكمه وسلطانه حتى كانه
مملوك له وقال الراغب الولاية بالفتح النصرة وبالكسر تولي الامر
وقيل الولاية والولاية واحد وهي مصدر نحو الدلالة والدلالة ه
وحقيقتها تولي الامر انتهى والمراد انه لا يخالفه في امر من اموره ويرى
نفسه في ملكه بكسر الميم اي يملكه حتى كانه عنده صلى الله عليه وسلم
لا يذوق حلاوة سنته استعارة تصريحية او مكنية وتخييلية والمراد
انه اذا اسلم ولاية رسوله بطيب قلب منشرح الله صدره لاتباعه والاقتدا

به فاستلذ بالاعمال الصالحة فقاموا لكن له مقام الغذا الحلو اللذيذ وهذا ماخوذ من
قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
مما قضيت ويسلموا تسليما كما تقدم بيانه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن
احدكم اي لا يكمل ايمانه حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث منسوب باعين ونحو
وتقدم تمام الحديث ووجه مناسبة كلام سهل لما نحن فيه ولما علل به انه يدل على
ان من جعل نفسه تابعة للرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله تلذذ
بالاقتدا به ولا يستلذ بذلك الا اذا احبه فان المحب لا يخالف محبوبه فيترك مراده
لمراده وهذا ادل على الاجنبية وطابقت العلة معلولها كما لا يخفى وقد تقدم قوله
ان المحب لمن يحب مطيع مع الكلام عليه **فصل** في ثواب محبته صلى
الله عليه وسلم بما يرجوه من بركتها في الدنيا ومن سعادته بها في الاخرة كما
قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب والثواب لجزائه ثم اسند حديثا في ذلك
رواه البخاري فقال حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراتي عليه تقدم بيانه وان القراة
والاجازة سوا عند المصنف وعند غيره القراة اقوى وهو الظاهر قال حدثنا
ابو القاسم حاتم بن محمد تقدم ايضا والكلام على التكني بابي القاسم مشهور
سياتي منه ما فيه الكفاية قال حدثنا ابو الحسن محمد بن خلف القابسي كما تقدم
قال حدثنا ابو زيد المروزي تقدم ايضا قال حدثنا محمد بن يوسف الفربري
وقد تقدم قال حدثنا محمد بن اسمعيل البخاري وقد تقدم قال حدثنا عبدان
عبيد الله بن عثمان وقد تقدم قال حدثنا ابي ابو عثمان بن جبلة بن ابي
رواد العتكي ثقة اخرج له اصحاب السنن قال حدثنا شعبة تقدمت ترجمته
عن عمرو بن مرة الجملي بفتحتين نسبة الى جمل ابو عبد الله احد الاعلام العاملين اخرج
له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ست عشرة ومائة عن سالم بن ابي الجعد الا
الكوفي توفي سنة خمس وخمسين ومائة واخرج له الستة واسمه رافع عن انس
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم قيل ان الرجل اعرابي لا يعرف وقيل هو
الاعرابي الذي بال في المسجد وقال ابن بشكوال انه ابو موسى الاشعري رضي الله عنه
او ابو ذر رضي الله عنه واحتج بحديثين لا حجة له فيهما وقيل انه اعرابي اسمه
ذو الخويصرة وقيل ان السايل عمير بن قتادة وفي معلم الذهبي انه عمر بن
الخطاب وابان قيل ولذلك اورد البخاري هذا الحديث في مناقب عمر رضي الله
عنه قلت التعبير برجل من غير تعيين ياتي كونه عمر وغيره من مشاهير
الصحابة الا ان يكون الراوي نسيه والظاهر انه اعرابي فقال متى الساعة
يا رسول الله ساله عن تعيين زمانها ووقوعها والساعة جزء من اربعة وعشرين
جزا من اليوم والليلة ثم اطلق لغة على كل زمان قليل فتقول جلست عندك
ساعة اي قليلا ثم شاع في يوم القيامة وصار حقيقة فيه اما لانه قليل بالنسبة
لما بعده من الخلود او بالنسبة لما يقع فيه من الامور العظيمة وهو مجاز صار
حقيقة في عرف الشرع واللغة وقيل سميت بها لانها كانها لتحقق وقوعها
تقع بعد ساعة او لانها تاتي بغتة او لان البعث من القبور يكون في اسرع من

سنجي

عوضي

لجة ولا يخفى ما فيه قال صلى الله عليه وسلم ما اعددت لها اي ماهيات واحضرت
لها من الاعمال الصالحة التي تنفعك فيها اذا قامت وهذا قريب من الاسلوب
الحكيم لانه ترك جوابه وسأله عما هو عدة له فيها اشارة الى انها لا يعين زمان
وقوعها لانه مما لا يعلمه الا الله قال ما هي نافية اعددت لها من كثير
بالمثلثة وفي بعض النسخ بالموحدة التحتية وهو صحيح ايضا صلاة ولا
صيام ولا صدقة من اضافة الصفة للموصوف اي لم اعد لها ما ينفعني فيها
ولكن احب الله ورسوله استدراك على ما ذكره من تفريطه وتركه ما ينفعه
اي ليس عندي ما ينفعني ثمة الا الايمان بالله ورسوله ومحبتهما قال انت
مع من احببت وفيه جواب له على احسن الوجوه وتبشير له ولمن احب الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم ولذا قال في تتمة الحديث انه من حضر من
الصحابة قالوا يا رسول الله ونحن كذلك قال نعم قالوا ففرحنا بذلك
فرحا شديدا وليس المراد بكونه معه انه مساو له في منزلته وعلو رتبته
كما مر وانما المراد انه يدخل الجنة في زمرة المؤمنين وان كانت مراتبهم متفاوتة
وقد نظم معنى الحديث الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى كما تقدم فقال

وقائل هل عمل صالح اعددته ينفع عند الكرب
فقلت حسبي خدمة المصطفى وحبه فالمرء مع من احب

ومن شعر الصبا قولي

وحق المصطفى لي فيه حب اذا امرضني الجفا يكون طبا
ولا ارضى سوى الفردوس مأوى اذا كان الفتى مع من احبا

وتقدم ايضا وعن صفوان بن قدامة الصحابي التميمي المرادي كما قاله
الذهبي وله ولابنه صحبة واسمه عبد الرحمن هاجرت الى النبي صلى الله
عليه وسلم اي سافرت ليبلغني رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسلم فاتيته
فقلت يا رسول الله ناولني يدك اي امددها الي كما كان عادته في المبايعة
ابايعك بجزم في جواب الامر والمبايعة الاقرار بما جاء به واتباعه صلى
الله عليه وسلم مفاعلة من البيع نقلت لما ذكرنا وليناوله يده فقلت يا رسول
الله اني احبك قال المرء مع من احب تقدم تفسيره وكان قدم المدينة مع ابنه
له كما ذكره الترمذي والنسائي وروي هذا اللفظ يعني قوله صلى الله
عليه وسلم المرء مع من احب عن النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا به من
ذكر محبته له عبد الله بن مسعود وابو موسى الاشعري وانس رضي الله عنهم
وعن ابي ذر بمعناه وهذا سبب ما تقدم من اختلافهم في تعيين الرجل
الذي ورد مبهما في الحديث السابق ونسبة بعضهم الى الغلط فيه وعن
علي بن ابي طالب في حديث رواه عنه الترمذي ان النبي صلى الله عليه
وسلم اخذ بيد حسن وحسين ابني علي رضي الله عنهم اي امسكهما فقال
وفي نسخة وقال من احبني واحب هذين اشارة الى السبطين الحسن والحسين
واباهما عليا رضي الله عنه وامهما فاطمة الزهراء اي ما ل اليهما ميلا

اختيار قيا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كان معي في درجتي اي رتبتي ومنزلتي قال الراغب
الدرجة تعتبر بالصعود دون الامتداد كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة
الرفيعة قال تعالى وللرجال عليهن درجة انتهى يوم القيامة ان اريد بيوم القيامة
في الحشر فالمعية على ظاهرها والمعنى الحقهم معه صلى الله عليه وسلم في صعيد واحد
لقربهم منه وتقدمهم على غيرهم من امته وسائر الامم وان اريد به الاخرة الشاملة
للجنة فالمعية والدرجة عبارة عن زيادة القرب لا المعية الحقيقية كما مر وروى
رواه الطبراني وابن مردويه عن عايشة وابن عباس رضي الله عنهم ان رجلا اتى
النبي صلى الله عليه وسلم قال البغوي في تفسيره انه ثوبان مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل هو صاحب الاذان اي قيل هو عبد الله بن زيد
ابن ثعلبة بن عبد ربه الانصاري الحارثي فقال له لانت اللام جواب قسم مقدر
احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك اي اتذكرك في ذهني واتصورك او اذكر
اسمك وصفتك وهو من الذكر بالكسر او الضم فما اصبر عنك اي عن رؤيتك لشدة
محبتي لك حتى انظر اليك فيطمين قلبي وتقر عيني برؤيتك واني ذكرت موتي
وموتك اي انا سنموت وننتقل من هذه الدار لدار اخرى فعرفت وتحققت انك
اذا دخلت الجنة وبعد الموت رفعت الى الدرجات العلى مع النبيين صلوات
الله وسلامه عليهم اجمعين وان دخلتها انا بمنه تعا وعبر في جانب النبي باذا
لتحقق دخوله صلى الله عليه وسلم الجنة ورفعته فيها وفي جانبه هو
بان لعدم جزمه في نفسه بذلك لا اراك بعد الدخول لانك في مقام عال
لا يصل اليه غيرك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول صلى الله عليه
وسلم في امتثال امره ونهيه ويلزمه محبته له ايضا ولم يذكر لتحققها لذكر
الرجل لها وعلمه صلى الله عليه وسلم بخلوصه فيها فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم بنعيم الجنة وعالي مراتبها وفيه تبشير له بموافقة اكرم خلق الله
واقربهم وارفعهم منزلة من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين بيان
للمنعم عليهم بما اخفي لهم من قرة الاعين وحسن اولئك رفيقا اي ما احسنهم
رفيقا تمييز ولم يجمع لوقوعه على الواحد وغيره او لارادة كل واحد منهم
فدعا به صلى الله عليه وسلم اي طلب حضور ذلك الرجل فقراها اي هذه
الاية عليه جوابا له وتبشيرا وفي تفسير القرطبي انه لما قراها صلى الله
عليه وسلم عليه دعا الله ان يعميه حتى لا يرى احدا غيره في الدنيا فعمي
مكانه وقسمهم كما قال البيضاوي اربعة اقسام باعتبار منازلهم في العلم
والعمل وهم الانبيا الفايزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال
الى درجة التكميل ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة الى مراقي النظر في
الحجج والايات واخرى الى معارج القدس بالرياضة والتصفية حتى اطلعوا
على ما لم يطلع عليه غيرهم ثم شهدا بذلوا انفسهم في اعلا كلمة الله واظهار
الحق ثم صالحون صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته والمراد
بالمعية ما تقدم وفي حديث اخر لم يعز لنا قلته كان رجل قيل هو ثوبان او

متى تعدد ذكره قريبًا عند النبي صلى الله عليه وسلم اي ملازمًا لمجلسه ينظر اليه
اي يديم النظر الى وجهه الكريم لا يطرف بفتح اليا وسكون الطا وكسر الرا المهملتين
وقا اي لا يطبق احد جفنيه على الاخر ويغض بصره او يبصر فقد غفل من طرفة العين
من طرف يطرف كضرب يضرب وماطرف البصر اي تحرك وظاهر قول بعضهم اي دلجي
لا يغض بصره مطرقًا راميًا ببصره الى الارض انه من الاطراق بضم اوله وقاف وهو
صحيح ايضًا لكني لا اعرف هل هو رواية او تحرف عليها وتسامح في تفسيره فقال له
صلى الله عليه وسلم ما بالك اي ما شانك حتى تحدد النظر وتديمه كالمبهوت قال
افديك بابي وامي جريًا على عادتهم فيمن يحبونه ويجلونه اتمتع بالنظر اليك اي
اتلذذ بادامة نظري في وجهك مادام ممكنًا في الدنيا لا تنتفع به واتزود منه فاذا
كان يوم القيامة وبعد هاري فعك الله الى المنازل العالية في جوار بتفضيلك
اي بسبب تفضيل الله لك على سائر مخلوقاته فانزل الله الاية المذكورة يعني قوله
ومن يطع الله والرسول الخ وفي حديث انس رضي الله عنه الذي رواه الاصفهاني
في ترغيبه وسياتي اخراج المصنف له بطوله في فصل علامة محبته ومن احبني كان
معي في الجنة اي قريبًا مني متمكنًا من رؤيتي وزيارتي وليس المراد المعية الحقيقية
كما تقدم

## فصل

فيما روي عن السلف من العلما والصلحا
والايمة وفي نسخة بعكسه الايمة والسلف وهو من عطف الخاص على العام
وقد يفسران بما يقتضي المغايرة ففسر بعضهم السلف بالصحابة والتابعين
والايمة باتباع التابعين ومن بعدهم من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم
وشوقهم له والمحبة الميل الروحاني طبيعيًا كان او مكتسبًا اختياريًا والمحبة
تكون في الحضور والغيبة والشوق انجذاب النفس في الغيبة فهو اخص من
المحبة وقال القيصري رحمه الله في شرح قول ابن الفارض قدس سره

وما بين شوق واشتياق فنيت في تولة تحظر او تجل بحضرة

الشوق انجذاب باطن المحب الى محبوبه حال الفراق والاشتياق انجذابه حال
الوصال لنيل زيادة او دوامها انتهى والفرق المذكور اما من اللغوي او هو
اصطلاح للقوم حدثنا القاضي الشهيد ابن سكرة وقد تقدم قال حدثنا
العذري نسبة لبني عذرة وقد تقدم قال حدثنا الرازي تقدم وهو نسبة
الى الري على خلاف القياس قال حدثنا الجلودي تقدم بيانه وبيان نسبته قال
حدثنا ابن سفيان وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان كما تقدم قال حدثنا مسلم
امام السنة وصاحب الصحيح كما تقدم قال حدثنا قتيبة بن سعيد واختلف في
اسمه فقيل يحيى وقيل علي وقيل سيار قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن
القاري نزيل الاسكندرية الثقة اخرج له الستة وتوفي سنة احدى وثمانين
ومائة عن سهيل تقدم بيانه عن ابيه هو صالح السمان المعروف بذكوان
عن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث صحيح رواه مسلم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبًا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله وفي رواية منسوب على التمييز ولم يقل احب مع
انه اخصر لان هذا ابلغ وان وافق السماع والقياس لدلالته صريحًا على المراد

وكونه

وكونه بالصيغة والمادة كقوله تعالى اشد قسوة دون اقسى واي بعض التبعيضية لانهم
مثل من كان في عصره وهو احب اليه من نفسه واهله ومن لم يفهم هذا مع ظهوره قال
الحب يتفاوت شدة وضعفا وينفي مفهوم قوله لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه
من نفسه ولا يجئ فوقه الا ان يقال الهم من جملة من بلغ هذا المبلغ في محبته انتهى
والتفضيل تختلف جهاته فلسلامة محبته من لوم الداخلة في الايمان تفضل بيرها
بهذا الاعتبار ولذا قال ناس يكونون بعدي فبين اشدية بهذا وبقوله يود
احدهم اي يحب ويرغب في انه لو راني ببصره وشاهدني ولو للتمني باهله وماله
الباهنا للبدلية والمقابلة كبعته بكذا اي يتمنى لو بذل اهله وماله لاجل رؤيته
وفي لو في مثله اقوال فقيل الشرطية محذوفة الجواب ومفعول يود مقدر اي
يتمنى رؤيتي ويودها بيذل كل ما يعز عليه والتقدير لو راني بمقابلة كل شي له
فعل وقيل انها مصدرية وهي مع ما بعدها مفعول يود وقيل انها حرف تمن
كما بينه النحاة ومثله اي بمعناه وقريب منه لفظا عن ابي ذر الغفاري الصحابي المشهور
وقد تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي
وتقدم تفصيله في الفصل الذي قبل هذا وما تقدم عن الصحابة كثوبان
وصفوان وغيرهما في مثله من كونه احب اليهم من انفسهم وعن عمرو بن العاص بحذف
اليا وابناتها وقفا كما مر ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا من حديث صحيح طويل رواه مسلم فيه انه بكى عند موته وقال ما بعد ما ذكر
مبايعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منه ان يدعو له بمغفرة
ما صدر منه وانه كان ابغض الناس له واحرصهم على قتله وبعد ما بايعه واسلم
قال ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني
منه وما كنت اطيق ان املى عيني منه اجلالا له حتى لو قيل لي صفه ما استطعت
ان اصفه الخ وسياتي الكلام عليه عند ذكر المصنف له بسنده في فصل تعظيم الصحابة
له صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان بفتح الميم وسكون العين
وفتح الدال المهملتين والف ونون تقدم الكلام عليه واما بنته عبدة فبفتح العين
المهملة وسكون الموحدة ودال مهملة قال البرهان الحلبي لا اعرفها وفي الصحابة
عبدة بنت صفوان ذكرها الحاكم قالت ما كان خالد ياتي اباها يأوي الى فراشه
اي اذا اراد النوم ليلا وخص هذا الوقت لان المرء فيه يتذكر من يهواه غالبا
كما قال الشاعر

يهاري بهار الناس حتى اذا الجا ... الى الليل هزتني اليك المضاجع

الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استثنا من اعم الاحوال
اي لم يكن له غير هذه الحال والى اصحابه الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اولى الذين من المهاجرين والانصار وخالد هذا هو الكلاعي الحمصي لقي سبعين
رجلا من الصحابة يسميهم اي يعدهم باسمائهم ويقول هم اصلي وفصلي يعني
الذي افتخر بهم وانتسب اليهم دون ابائي وقبيلتي كذا قيل من غير نقل وهو
اتباع وفي المجمل ما له اصل وفصل اي حسب ولسان وكذا في الصحاح ومن

اب ا فنرى

بن

حوضي

تغلب قولهم لا اصل له ولا فصل الاصل الوالد والفصل الولد هذا ما ذكره اهل اللغة
والظاهر ان المراد ان عليهم عهدي وبهما افضل واحكم فليحرر واليهم لا الى غيرهم
يحن قلبي اي يشتاق بتذكر عهودهم من الحنين طال شوقي اليهم لبعد عهدي لهم
وطول تفارقتي بيوتهم فعجل يا رب قبضي اليك اي عجل موتي حتى القاهم ولا تزداد
برد ذلك حتى يغلبه النوم اي حتى ينام ويستغرق في نومه فيترك قوله هذا
وتمني الموت وان كان مكروها فانه يجوز اذا خاف فتنة في دينه فلعل خالدا كان
كذلك ويأتي لهذا مزيد بيان في الفصل الاتي عن الحكيم الترمذي وعن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه وفي نسخة وروي انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما
اسلم ابو قحافة والده كما رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر رضي الله عنهما
والذي بعثك بالحق اي بالدين الحق وهو قسم لاسلام ابي طالب جواب القسم
يعني عمه صلى الله عليه وسلم كان اي اسلامه اقر لعيني اي اسر واحب عندي
وهو قرة عيني من القر وهو البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار او
من القرار والثبات فان العين اذا رأت ما يسرها سكنت ولم تلتفت لغيره من
اسلامه يعني اباه ابا قحافة رضي الله عنه وابو قحافة هو ابو الصديق وهو
عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم اسلم يوم الفتح وحسن اسلامه وبقي
بعد وفاة ابنه حتى توفي في سنة اربع عشرة وليس في الصحابة من اسمه ابو قحافة
غيره وغير ابي قحافة المزني كما ذكره الذهبي وسقط من بعض النسخ هنا لفظ
اباه بيان وذلك المذكور من كون اسلام ابي طالب اقر لعينه من اسلام ابيه
ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك اي احب اليك من كثير من الامور فانه كان
يحبه حبا شديدا وكان بمنزلة والده اذ كان في كفالته وكان صلى الله عليه
وسلم يتمنى ان يهديه الله للاسلام فمات كافرا وهذا الحديث رواه احمد
وابن اسحاق وابو حاتم وليس قوله المم وروي كما في بعض النسخ تمريض له
كما توهم حتى يعترض عليه بانه صحيح تعددت طرقه وكان رسول الله صلى عوضي
الله عليه وسلم يوم الفتح دخل المسجد فاتاه ابو بكر رضي الله عنه بابيه يقوده
وكان قد عمي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا تركت الشيخ
في بيته حتى اكون انا اتيه فقال ابو بكر يا رسول الله هو احق ان يمشي اليك
فاجلسه صلى الله عليه وسلم بين يديه ثم مسح صدره وقال له اسلم فاسلم
وراسه كالثغامة بياضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غيروا
هذا يعني اخضبوه ولما سر باسلامه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابو بكر والذي بعثك بالحق الخ وفيه من محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما لا يخفى حيث قدم ما يسره ط تقديما له على نفسه واعلم ان ابا
طالب كانت محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفته بانه رسول الله
وتصديقه في قلبه محققة لكن الله لم يهده للاسلام وفيه حكمة عظيمة
وهو انه صلى الله عليه وسلم كان في جواره وحمايته ظاهرا حتى ما كان
احد يجتري عليه فلو اسلم لم يقبلوا جواره اذ لا جوار للمسلمين عندهم

فحم

فختم الله على لسانه لذلك ولد المامات لزمنة الهجرة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم واهل بيته وهذا مما تفطن له بعض العلما كابن القيم في الهدي النبوي وملح
الاسماع ونحوه اي في معنى ما رواه البيهقي والبزار عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال للعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسلم يكتنه
همزة ان الشرطية ان كان قاله له قبل اسلامه وبفتحها على انها مصدرية ان كان
بعده والصحيح الثاني لما يأتي احب الي من اسلام الخطاب يعني اباه لان ذلك
اي اسلام العباس احب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم ما يحبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ما يحبه لنفسه وكان قوله ذلك له في فتح مكة لما
اشرف صلى الله عليه وسلم على مكة وركب العباس بغلته صلى الله عليه وسلم
واركب ابا سفيان بن حرب خلفه وهو كافر فركضها فرآه عمر فقال ابو سفيان
عدو الله الحمد لله الذي امكنني منك فاستحر به حتى دخل به على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعمر خلفه فقال دعني اضرب عنقه فقال العباس اني اجرته
يا رسول الله فلما اكثر عمر في شانه قال مهلا يا ابن الخطاب لو كان من رجال بني
عدي ما قلت مثل هذا فقال مهلا يا عباس لاسلامك يوم اسلامك احب الي من
اسلام الخطاب لو اسلم الخ وعن ابن اسحاق صاحب السيرة وقد تقدم ترجمته
وهذا رواه ايضا البيهقي عن اسمعيل بن محمد بن سعد بن ابي وقاص مرسلا
ان امراة من الانصار هي من بني دينار ولم يسمها قتل ابوها واخوها وزوجها
شهدا يوم احد اسم جبل كانت عنده الغزاة المشهورة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المراد
السؤال عن فعله حقيقة وانما المراد السؤال عن سلامته وحياته وعبرت
بذلك تادبا لان الفعل يستلزم الحياة فاريد لازمه قالوا خيرا اي فعل خيرا
والمراد انه بخير ولذا قالوا بعده هو بحمد الله كما تحبين اي سالم سمنون
مطمئن قالت ارنيه اي دلني عليه حتى اراه وانظر ذلك وفي نسخة
اروني فلما رأته بعد ما دلها عليه قالت كل مصيبة تصيبك المال والاهل
بعدك اي بعد سلامتك ورؤيتك جلل بفتح الجيم واللام ثم لام اخرى
بمعنى هين لا ابالي به ولا احزن عليه ويكون جلل بمعنى عظيم ايضا لانه
من الاضداد والمراد الاول وشاهد الاول قول امرء القيس

بقتل بني اسد ربهم • الا كل شيء خلاه جلل

والثاني قوله

فلئن عفوت لاعفون جللا • ولئن سطوت لاوهنن عظمي

وهو دليل على قوة ايمانها وتقديمها محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
على محبة غيره من الاهل وسئل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ولم يذكروا
من رواه عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما مقداره
في شدته قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا وابائنا وامهاتنا
بضم الهمزة وكسرها مع فتح الميم وكسرها جمع امهة بمعنى ام لغة فيه الا انه

بمشاهدته

تختص ببني آدم قال امهني خندف والياس ابي وتعالى في النهاية امات واحب من الماء البارد على الظما بمعنى شدة العطش ويمد ويقصر فالافصح قصره واعاد الجار لانه نوع اخر مما يحب ولشدة منفعته وخص الظما لانه حال محبة الماء وشدة الرغبة فيه وعن زيد بن اسلم الفقيه العمري توفي سنة ست وثلاثين ومائة اخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان قال خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بيته لارقة المدينة ليلة يحرس الناس على عادته في خلافته اذ كان يدور في الارقة ويعس ليعرف حال الناس فراى مصباحا موقدا في بيت فقصده ليرى ما في البيت الذي هو فيه فراى عجوزا اي امراة مسنة ويقال عجوزة ايضا ولم ار من الشراح هنا من ترجمها بشيء تنفش صوفا بضم الفاء وشين معجمة وتفش لقطن والقطن لاصلاحه معلوم وهي تقول اي تنشد شعرا من بحر السريع على محمد صلاة الابرار معنى الصلاة مشهور وعلى متعلق بصلاة او بمقدر ويجوز تقديم الظرف على المصدر لتوسعهم فيه والابرار جمع بر او بار وهو كل مطيع لربه متق اي ادعو له بكل ما تدعوا له الابرار صلى الله عليه الطيبون الاخيار المراد بالطيبين المنقون الذين طابت ظواهرهم وسرائرهم والاخيار جمع خير مخفف او جمع خير بمعنى اخير والتقي قد كنت قواما بكا بالاسحار قواما اي متهجدا لان القيام يختص بصلاة الليل اي كثير القيام للعبادة وبكا بضم الباء والقصر مصدر بمعنى اسم الفاعل اطلق عليه للمبالغة وهو يمد ويقصر والاسحار جمع سحر وهو اخر الليل والبا بمعنى في هذا هو الصواب رواية ودراية وما قيل من انه بكا بتشديد الكاف والكلام سجع لا نظم لانكسار الوزن وكذا ما قيل من انه بكا بمد وقد مضاف للاسحار بدون باء والاضافة على معنى في تكلف وتعسف يا ليت شعري والمنايا اطوار شعري بمعنى علمي وهو اسم ليت وخبره محذوف اي حاصل وقوله هل يجمعني وحبيبي الدار قائم مقام معمول شعري علق عنه والمنايا جمع منية وهي الموت من منى بمعنى تضير وتقدر والاطوار جمع طور وهو الحال اي امور شتى مختلفة ومرادها بالحبيب كما قاله المص النبي صلى الله عليه وسلم والظاهر ان مرادها بالدار الاخرة اي هل اراه صلى الله عليه وسلم بعد الموت فانه مقرر وله اسباب مختلفة كما قيل

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تعددت الاسباب والدا واحد

وقيل المعنى هل تجمعنا الدار او يجود بيني وبينه الموت فالمراد بالدار الدنيا وليس بمناسب هنا وهذه القصة حكاها ابن المبارك في كتاب الزهد وفيها فما زال عمر رضي الله عنه يبكي وطرق عليها الباب فقالت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقالت مالي ولعمر في هذه الساعة فقال افتحي رحمك الله فلا باس عليك ففتحت له فدخل عليها وقال ردي الكلمات التي قلتيها انفا فردتها فقال ادخليني معكما وقولي وعمر فاغفر له يا غفار تعني تقصد بقولها حبيبي النبي صلى الله عليه وسلم وفيه مناسبة لما نحن فيه

تلساني

دجي

مجلس

مجلس عمر رضي الله عنه يبكي وفي الحكاية التي نقلها ابن المبارك طول اقتصرنا منها على
المراد منها وروي ان ابن عمر رضي الله عنهما رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة خدرت
رجله بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال وفتح الراء المهملتين اي اصابها خدر وهو امر
يعتري الرجل لما يصيب العصب ويمنع عن تحريكها بسهولة ويزول سريعا لانه لو
امتد كان فلجا او من مقدماته فقيل له اذكر احب الناس اليك لان الناس جربوا في
الخدر انه من اصابه اذا ذكر محبوبه زال بسهولة لانه بمسرته تنتعش الحرارة الغريزية
فتدفع الخدر فصاح يا محمداه يعنيه صلى الله عليه وسلم لانه احب الناس اليه والى
كل مؤمن كما مر ويا محمداه مفعول صاح لتضمنه معنى القول او القول مقدر
دلجي
بعده كما هو مشهور في امثاله عند النحاة ومن قال انه لم يعطف على جملة صاح
لكمال الانفصال بينهما فهو كابو حفص عمر عطف بيان لم يصب المحز فانتشرت رجله
اي امتدت لزوال الخدر عنها وهذا يقتضي صحة ما جربوه وقد روي انه وقع مثله
لابن عباس رضي الله عنهما وذكره النووي في اذكاره وروي ايضا عن غيرهما وفيه
يقول ابو العتاهية

وتخدر في بعض الاحايين رجله ٭ فان لم يقل يا عتب لم يذهب الخدر

وهذا مما تعاهده اهل المدينة وقوله يا محمداه بالالف والهاء للندبة في النداء لمن
يتوجع او يتفجع كما قرره النحاة ولما احتضر بلال رضي الله عنه بالبناء للمجهول
ه
اي حضرته الملائكة لتقبض روحه نادته امرأته اي صاحت باعلا صوتها واحربا
بفتح الحاء والراء المهملتين وبا موحدة وهو في الاصل النهب والسلب من
دلجي
حربته اذا سلبته ماله وما يعيش به وقيل فكانها لتفجعها الموت نهبت وسلبت وفي
القاموس قيل ان اصله ان حرب بن امية لما مات قيل في ندبه واحرباه ثم
نقل ذلك فيقال في كل نعي وحرب كعارة واحرف ندبة والمندوب اما ميت
تلمسانية
ينعى او امر يتفجع منه نحو يا حسرتا وقيل انه روي حزناه بفتح الحاء المهملة
والزاي المعجمة او بضم اوله وسكون ثانيه وروي ايضا حوباه بفتح الحاء
وواو ساكنة تليها با موحدة من الحوب وهو الاثم فالمراد انهما الشدة
جزعها وقلقها في المصيبة فهي تتفجع على نفسها او هو من الحوبة بمعنى
رقة القلب وهو تكلف والرواية الاولى اي كما تقدم فقال بلال رضي الله
عنه ردا لما قالته واطرباه الطرب خفة تعتري المرء لحزن او سرور فهو
مشترك بينهما والمراد هنا الثاني والواو هنا للنداء والالف والهاء مزيدة
في آخره كانه يستغيث بطربه ويدعوه في سكرات الموت لما يتيقنه من الثواب
وملاقاة الاحباب لعلمه بان الارواح تتلاقى في البرزخ كما اشار اليه بقوله
غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه محمدا وحزبه بيان للمراد بالاحبة والحزب
الجماعة المتحزبون اي المجتمعون والمراد بهم الصحابة رضي الله عنهم والمراد
بقوله غدا الزمان المستقبل بعد الموت وروي كما يأتي نلقى الاحبة
محمدا وصحبه وهذا بيت من مجزوء بحر الوافر وفيه زحاف يعلمه من له
خبرة بعلم العروض ومن ذكره القشيري رحمه الله ومثله روي عن حذيفة بن اليمان

رضي الله عنهما وروي ان امراة قالت لعايشة رضي الله عنها اكشفي لي عن قبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانه كان في بيتها وكان مستورا عن الناس تكريما
له صلى الله عليه وسلم فكشفته لها برفع الستارة عنه فبكت حتى ماتت لشدة محبتها
للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا لم يخرجوه وروى البيهقي عن عروة انه لما اخرج
اهل مكة زيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتسكن ونون وهاء
تانيث اسم والده من قولهم دثن الطاير اذا طار حول وكره ولم يسقط عليه
او من دثن اذا اتخذ عشا وهو زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن معاوية
ابن عامر بن بياضة الخزرجي البياضي وكان اسر يوم الرجيع من الحرم ليقتلوه
فقتل صبرا وانما اخرجوه منه لانهم كانوا لا يقتلون فيه تعظيما له وكان قتله في
السنة الثالثة من الهجرة قال له قبل قتله ابو سفيان بن حرب والد معاوية
وكان ذلك قبل اسلامه وقيل ان الذي قيل له ذلك الا في خبيب بن عدي
حين رفع على خشبة فقال لا والله فضحكوا منه كما نقله ابن سيد الناس في
سيرته عن ابن عقبة وما ذكره المصنف رواية ابن اسحاق انشدك الله قسم
وانشدك بفتح الهمزة وضمها يقال نشدته وانشدته اذا سالته وفي القاموس نشد
نشد فلانا عرفه وبالله استحلفه وقال له نشدتك الله اي سالتك بالله ونشد
الله بالفتح انشدك الله وقد ناشده مناشدة ونشادا احلفه والله منصوب
بنزع الخافض اي اسالك بالله وفي النهاية انه متعد لمفعولين وقال الوقشي
الصواب نشدتك الله فليحرر يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك تضرب
عنقه فتقتل حماه الله من ذلك وانك بفتح الهمزة سالما مقيما في اهلك فقال
زيد رضي الله عنه والله ما احب وارضي ان محمدا في مكانه الذي هو فيه مقيم تصيبه
شوكة اي اقل شي من الاذى فضلا عما قلتم وانا جالس في اهلي سالم من الاذى وهو
مناد فقال ابو سفيان ما رايت احدا من الناس ما نافية لا تعجبية كما توهم وان كان ابن اتبرى
مراده بهذا الكلام التعجب من شدة محبة اصحاب محمد له يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا
مفعول حب المصدر وهذه القصة مفصلة في السير لا نطيل بذكرها هنا وعن
ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه ابن جرير والبزار كانت المراة اذا اتت النبي
صلى الله عليه وسلم مهاجرة الى المدينة احلفها بالله وفي نسخة حلفها بالتشديد
وهما بمعنى اي كلفها القسم بالله انها ما خرجت من ارضها وبلدها من بغض زوج
لها ناشزة منه ولا راغبة بارض اي في ارض عن ارض خرجت منها وانها ما خرجت
من ارضها الشي الا حبا لله ورسوله فهي هجرة خالصة لله وفيه وجوب محبة الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قصده المصنف هنا وكان ذلك لما وقعت
الهدنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين وشرطوا عليه صلى الله
عليه وسلم ان يرد عليهم كل من اتاه من اهل مكة ولو كان مسلما فرد ابا
جندل رضي الله عنه ولم يرد النساء اما لعدم دخولهن في العهد او لان الله
نسخه سوغا للعزوج ولضعفهن فكان صلى الله عليه وسلم لا يرد من ظهر
اسلامها فامره الله بامتحانهن باستحلافهن بما ذكر فاذا حلفهن اعطى

مهرهن

ابن اقبرس

مهرهن ونفقتهن وهو المراد بقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى
الكفار الاية وبما ذكرنا سقط ما قيل في نظم هذا الى هذا العمل نوع نظر و وقف ابن عمر
رضي الله عنه كما رواه ابن سعد على عبد الله بن الزبير بعد قتله رضي الله عنهما
حين قتله الحجاج وصلبه على جذع وقد حاصره ثم قتله سنة ثلاث وسبعين يوم
الثلاثا سابع عشر جمادى الاولى او الاخرة كما فصل في التواريخ فاستغفر له اي دعا
له ابن عمر بالمغفرة وقال ابن عمر مخاطبا له بعد موته كنت والله فيما علمت اي فيما ثبت
وتحقق في علمي بك صواما اي مبالغا في الصوم وكونه قواما اي كثير القيام والتهجد
كما مر قيل انه كان رضي الله عنه قسم لياليه ثلاثة اقسام ليلة يصلي قايما الى
الصباح وليلة راكعا الى الصباح وليلة ساجدا الى الصباح يحب الله ورسوله
اي مخلصا في محبتهما موثرا لهما على كل شيء حتى على نفسه واهله اما عبادته رضي
الله عنه وتوجهه الى الله فيها فنقل عنه امور عجيبة وكان اذا توجه انتصب
كانه جذع لا يحس بشيء ولا يتحرك حتى يقع عليه الطير ورمي بحجر من المنجنيق
وهو يصلي في ايام محاصرته فلم يقطع صلاته وقد جذبه مغناطيس المحبة فدفن
قريبا منه صلى الله عليه وسلم فانهم لما انزلوه عن جذعه الذي صلب عليه
غسلته امه اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما بعد ان قطعت مفاصله
وحنطته وكفنته وصلت عليه وحملته الى المدينة ودفنته في دار صفية
ام المؤمنين رضي الله عنها وهذه الدار زيدت في المسجد النبوي على صاحبه
افضل الصلاة واشرف السلام

## فصل

في علامة محبته
عليه الصلاة والسلام اي في ذكر صفات تدل على ان من اتصف بها محب له
صلى الله عليه وسلم اعلم امر لكل من توجه اليه الخطاب من غير تعيين شدد
مسند مفعول لينه فوله ان من احب شيا اثره اي اختاره وقدمه على غيره وهو بفتح
الهمزة والمد كقوله واثر موافقته في اقواله وافعاله والاء وان لم يوثره
ويوثر موافقته واصله والايات الشرطية ولا التاخية لم يكن صادقا في دعوى
المحبة كما قال في حبه وكان مدعيا اي كاذبا في دعواه لان المدعي هو الزاعم
للباطل عند الاطلاق ولذا يقال مسيلمة مدعي النبوة لكن لا يقال مثله في حق
النبي صلى الله عليه وسلم كما قال

وكل يدعي وصلا لليلى ... وليلى لا تقر له بذاكا

وقال

ولما ادعيت الحب قال كذبتني ... فما لي ارى الاعضا منك كواسيا
فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا ... وتذهل حتى لا تجيب المناديا

فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من يظهر عليه علامات ذلك الحب
الذي ادعاه بحيث لا يخفى واولها اي اول تلك العلامات الاقتدا به صلى الله
عليه وسلم باتباع اقواله وافعاله واثاره واستعمال سنته اي العمل بها
واتباع اقواله وافعاله فلا تخالفهما وامتثال اوامره واجتناب نواهيه بان يفعل
ما امر به ويترك ما نهي عنه بقدر استطاعته قال ابن هشام في تذكرته ومن خطه

نقلت قال الاصوليون ان الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على اوامر وبمعنى
الفعل او الشان على امور ولا نعلم من وافقهم الا الجوهري وفي التهذيب خلافه
ولم يذكر النحاة ان فعلا يجمع على فواعل وفي شرح البرهان قول الجوهري غير
معروف وصحح بوجوه الاول انه جمع آمر لانه اسم او صفة لما لا يعقل وهو مجاز
لان الآمر الشخص لا القول ولم يقولوا انه مجاز وصرحوا بانه جمع امر فكيف
يخرج عليه كلامهم الثاني انه جمع آمرة وهي الصيغة وفيه ما مر وقال ابن سيدة
امرة مصدر كالعافية وعليه جرت هذه الصيغة ورد بانه لا يناسب لان معناها
ايجاد الطلب لا الصيغة الثالث انه جمع الجمع جمع على افعل وجمع افعل على افاعل
ورد بان اوامر فواعل لا افاعل والابدال فيه مطرد وقال الاصفهاني
في شرح المحصول هذا التوجيه لا يتم في النواهي وكونه جمع ناهية مجازا
تكلف وكونه لمشاكلة الاوامر يرده استعماله مفردا انتهى والتادب باداب
الادب حسن تناول الامور والتلطف فيها والمراد التخلق باخلاقه صلى الله
عليه وسلم في الكرم وحسن الشيم والادب غلب في العرف على هذا المعنى وعسره
ويسره بضمتين فيهما ويسكن السين تخفيفا في الشدة والرخاء والضمير للنبي
صلى الله عليه وسلم او لصاحب الحالة المصدر به ومنشطه اي في نشاطه
وخفته ومكرهه اي كراهته لامر يتحمله من غيره وميمهما مفتوحة ه
وشاهد هذا المذكور كله اي ما يشهد له ويدل عليه حتى كانه شاهد به ه
واثبته قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله جعل
محبة الله لازمة لاتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ومن احب الله احب
رسوله فكانه قال ان كنتم تحبوني فاتبعوني وبهذا ظهر مطابقة هذه الاية
لما عقد له الفصل وايثار ما شرعه من احكامه الواجبة وغيرها وحض
عليه اي حث الناس على فعله وحرضهم عليه على هوى نفسه اي ما
تهواه وتميل اليه وموافقة شهوته اي ما تشتهيه نفسه وتميل
اليه طبعه لان الاشتهاء ميل طبيعي غير مقدور ولذا لا يعاقب المكلف
بارادة المعاصي عند بعضهم ولا يعاقب باشتهائها والشهوة مغايرة
للارادة لان الشهوة توقان النفس الى الامور المستلذة والارادة قد
تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل باللذات فان
تعلقت بنفسها كانت مجازا عن المجازاة كما في قوله اشتهي ان اشتهي
قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار اي سكنوها واستقروا بها وهم
الانصار والمراد بالدار المدينة والايمان اي واخلصوا الايمان وعطفه
على الدار على حد قوله وزججن الحواجب والعيونا او جعل الايمان
لملازمتهم له كالمنزل المستقر فيه ساكنه وتحقيقه في الكشاف
وشروحه من قبلهم يحبون من هاجر اليهم من المؤمنين ولا يجدون
في صدورهم اي في قلوبهم وانفسهم وما وقع في بعض النسخ في
انفسهم سهو من الكاتب حاجة مما اوتوا اي لا يخطر ببالهم وتطمح

انفسهم

١٠٨

انفسهم الى ما اعطى المهاجرون من فيء وغيره حسدا وطمعا ويؤثرون على انفسهم الخ
يقدمون المهاجرين على انفسهم تكرما منهم ولو كان بهم اي فيهم خصاصة احتياجا
وفاقة لما اثروهم به وسبب نزول هذه الآية انه صلى الله عليه وسلم قسم بين الصحابة
غنايم بني النضير ولم يعط الانصار منها الا ثلاثة من فقرائهم وقال لهم ان شئتم
اشركتكم معهم وقسمتم لهم من دياركم واموالكم وان شئتم كان لكم اموالكم ودياركم
ولا تاخذوا منه شيئا فقالوا بل نؤثرهم بالفيء ونقسم لهم من ديارنا واموالنا فلله
درهم ما اكرمهم واعونهم على البر والتقوى وهذا كله محبة لله ورسوله صلى الله
عليه وسلم وكان المهاجرون قبل ذلك نزلوا دور الانصار فلما فتح الله عليهم فعل
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسخاط العباد اي اغضابهم عليهم لمخالفتهم
في رضى الله اي فيما يرضيه وهذا وما قبله معطوف على لا فتدا وهذا كما قال الحريري

وابغ رضى الله فاغبى الورى * من اغضب المولى وارضى العبيد

حدثنا القاضي ابو علي الحافظ هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا
ابو الحسن الصيرفي تقدم ايضا وفي نسخة الحسين وهو سهو وابو الفضل بن خيرون
تقدم ايضا قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي الذي يقال له زوج الحرة كما تقدم
قال حدثنا ابو علي السنجي تقدم ايضا قال حدثنا محمد بن محبوب تقدم ايضا
قال حدثنا ابو عيسى هو الامام الترمذي صاحب السنن وهو محمد بن عيسى بن
سورة كما تقدم حدثنا مسلم بن حاتم الانصاري امام جامع البصرة حدثنا محمد بن عبد
الله الانصاري هو محمد بن عبد الله بن المثنى الانصاري قاضي البصرة الامام
الثقة توفي في رجب سنة خمسة عشر ومايتين وله ترجمة في الميزان عن ابيه هو
عبد الله بن المثنى البصري وقد وثقوه وله ترجمة في الميزان عن علي بن زيد بن
عبد الله بن ابي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب البصري احد
الحفاظ وان قيل فيه لين وليس بثبت واخرج له الاربعة وله ترجمة في الميزان
توفي سنة احدى وثلاثين او سبعة وعشرين ومائة عن سعيد بن المسيب تقدم
ايضا قال قال انس بن مالك الصحابي المشهور خادمه قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا بني مصغر بتشديد اليا ويجوز كسرها وفتحها والتصغير
للشفقة والمحبة وكان خادمه صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة على انه صلى
الله عليه وسلم ابو المؤمنين كما ان زوجاته رضي الله عنهن امهاتهم وبناته اخواتهم
وقد وقع اطلاق هذا كله في الاحاديث الصحيحة وقرئ وازواجه امهاتهم
وهو اب لهم وقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم المنفي فيه ابوة النسب
حقيقة خلافا لمن لم يجوز اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم عملا بظاهر الاية
والصحيح خلافه كما تقدم بيانه في اول فصل واما حسن عشرته الى اخره
ان قدرت ان تصبح وتمسي ان امكنك ذلك ولم يمنعك منه مانع اي على الذي
لان حذف الجار هنا مطرد والمراد بالاصباح والامسا جميع زمانه لا خصوصهما
اذ لا وجه للتخصيص وهما فعلان تامان وقوله ليس في قلبك غش لاحد
جملة حالية بدون تقدير قد لجموده فعلما او هي خبر وهما ناقصان والغش

كم

يخ
في رضاه

وَالغش بكسر الغين المعجمة ضد النصح وَالمراد به هنا مجازا غل وَحقد وَهو المراد

ان اضيف للقلب وَلو كان على ظاهره فهو بتقدير مضاف اي نية غش وَالاول احسن واوفق

فافعل اي فكن مدا وما على ذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم لي يا بني وَذلك اي

نزع الغش من القلب من سنتي اظهرها وَاتبعها فقد احبني اي علم حبه لي وَهذه

رواية وَالذي في الترمذي فقد احياني وَهو الظاهر وَمن احبني كان معي في الجنة

لان المرء مع من احب كما تقدم وَالمحب الصادق لا يخالف من احبه بل يقدم مراده

على مراده لانه احب اليه من نفسه فمن اتصف بهذه الصفة اي باحيا السنة

وَاتباعها وَقيل المراد بالصفة ان لا يكون في قلبه غش لاحد فهو كامل المحبة لله

وَرسوله وَمن خالفها اي خالف السنة في بعض هذه الامور كترك بعض ما امر

به اواتي بعض ما نهي عنه احيانا فهو ناقص المحبة لا كاملها وَلا يخرج بارتكاب

البعض عن اسمها اي عن الاتصاف بها وَتسميته محبا في الجملة وَلا ينافي هذا قوله

المتقدم لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع لان ذلك في المحبة

الكاملة التي هي محبة الخواص على نهج قوله لا يزني الزاني وَهو مؤمن وَلذا

عقبه بقوله وَدليل اي دليل ان بعض المخالفة لا يخرجه عن اتصافه بالمحبة

قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه للذي

حده في الخمر اي اقام عليه الحد لشربه الخمر وَاللام كهي في قوله وَقال الذين

كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قوله في حقه وَشانه وَهي في

الحقيقة لام تعليل وَالصحابي الذي حد في الخمر في هذا الحديث قيل هو عبد الله

الملقب حمارا باسم الحيوان بحا مهملة وَقيل بل هو بخا معجمة مكسورة وَالله

الصواب وَقيل ابن نعيمان او نعيمان نفسه ابن عمرو بن رفاعة البدري وَهو

الذي حد في الخمر مرارا وَهو صاحب الدعابة الذي كان صلى الله عليه وسلم

يضحك منه توفي في زمن معاوية وَصحح هذا وَقصة حمار اخري كانت بخيبر وَقيل

انه هو نفسه وَقال الحافظ الدمياطي ان كون هذا الرجل حمارا وَهم وَانما هو

نعيمان وَحمار هذا معدود في الصحابة وَلم يذكروا نسبه فلعنه بعضهم

اي قال اللهم العنه وَروي انه قال له اخزاك الله تعالى وَالقائل له

عمر بن الخطاب كما رواه البيهقي وَقال ما اكثر ما يوتي به نفحه من كثرة ما اتي

به النبي صلى الله عليه وسلم وَهو سكران فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه

فانه يحب الله وَرسوله وَفيه دليل على ان المسلم وَان ارتكب الكبائر لا يجوز لعنه

وَمن كان كذلك لا يجوز لعنه وَفيه ان محبة الله وَرسوله من اعظم الحسنات

وَفيه رد على المعتزلة في ان مرتكب الكبيرة مخلد في النار وَمن علامات محبة

النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره صلى الله عليه وسلم وَذكره بالصلاة عليه

وَمنه علم فضيلة الحديث وَاهله لذكرهم له صلى الله عليه وسلم كثيرا وَمن

احب شيئا اكثر من ذكره وَهذا امثل مشهور وَهو امر طبيعي عادي وَمنها اي

علامات محبته صلى الله عليه وسلم كثرة شوقه الى لقائه اما في حياته فظاهر

وَاما بعد موته صلى الله عليه وسلم فبان يشتاق للقائه في الاخرة وَيشاهد

اي طريقتي واخلاقي ومن احيا سنتي

تلمسانى

ذاته

ذاته الكريمة اللهم ارزقنا ذلك لكل حبيب اي محب يحب لقا حبيبه اي محبوبه فان فعيل
ياتي بمعني اسم الفاعل والمفعول وان اشتهر هذا في الثاني وذكره معاد لا لقوله قبله
من احب شيا الخ وكل منهما علة لما قبله وهو من حسن التعليل البديعي الشي بالشي
يذكر ما احسن قول عروة بن حزام في قصيدة له

وانى لاهوى الحشر اذ قيل انني ۞ وعفرا يوم الحشر نلتقيان

ومنه اخذ ابن رواحة قوله

ان كان يحلو لديك ظلمي ۞ فزد من الهجر في عذابي
عسى يطيل الوقوف بيني ۞ وبينك الله في الحساب

وقلت انا في رباعيه

كم قال لحبه الكثير الافات ۞ واطول وقوفنا بيوم العرصات
هيهات لين بدا محياه لكه ۞ يعفو ويهب له جميع الزلات

وفي حديث الاشعريين يعني ابا موسى الاشعري واصحابه المنسوبون الى اشعر ابو
قبيلة باليمن وكانوا قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم سنة سبع من الهجرة
وكان صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يقدم عليكم قوم ارق قلوبا منكم فقدم
الاشعريون فكانوا عند قدومهم المدينة منصوب بنزع الخافض لانه يقال قدم
فلان على فلان وقدم الى بلد كذا انهم كانوا يرتجزون اي ينشدون شعرا وكلاما
موزونا وهو قولهم غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه لكنهم قالوا انما يقال ارتجز اذا انشد
شعرا من بحر الرجز وتمامه مستفعلن ست مرات ويجزوه اربعا وهذا ليس منه وانما
هو من الوافر او الهزج وقيل انما سماه رجزا لمشابهته له لتقارب اجزايه وقلة
حروفه ولعل العرب كانت تطلق على ما يقوله الركبان من الاوزان العشرة رجزا
وما ذكروه من تخصيصه بهذا الوزن اصطلاح حدث بعد الخليل رحمه الله والذي
يظهر ان هذا كله تكلف لا حاجة اليه فانه هنا بمعناه اللغوي وهو يصيحون ويصو
فانه اصل معناه ومنه المرتجز اسم فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحسن
صهيله وصوته وكونه المتجني عليه مثل هذا اسوة لك به وفي نسخة وحزبه بدل
صحبه كما تقدم وتقدم قول بلال مثله يعني ان بلالا ذكر مثله لفظا ومعنى وان
اختلف مرادهما فان مراد هذا القايل لقا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في
الحياة الدنيا وبلال رضي الله عنه اراد لقاهم في الاخرة مرانه يحتمل انه توارد معهم
في هذا الكلام وانه تمثل به ومثله اي المذكور وان لم يشابهه ما قاله عمار بن ياسر
الصحابي حين قتل اي قتله اهل الشام الذين كانوا مع معاوية اي لما قتل بصفين
مع علي رضي الله عنه سنة ست وثلاثين فيما رواه ابن سلمة قال كاني انظر الى عمار
يوم صفين وقد استسقى فاتته امراة بشربة من لبن فشربها ثم قال اليوم القى
الاحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي ان اخر شربة اشربها من الدنيا
شربة لبن ثم قاتل حتى قتل وقد قال صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفية الباغية
كما تقدم ومنه علم ان عليا كرم الله وجهه كان على الحق ومثله ايضا ما ذكرنا من
قصة خالد بن معدان التي تقدمت من انه كان اذا اوى الى فراشه لا يزال يذكر شوقه

عوضي

نوقة

الي النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه حتي يغلب عليه النوم وليس هذا من تمني الموت
المنهي عنه فان من احب الله ورسوله صلي الله عليه وسلم وتمني الموت لاجل
لقائه والاستراحة من الدنيا وغمها ليس من هذا كما قاله في الفتوحات ومن هذا
ما تقدم انه صلي الله عليه وسلم لما خير بين البقا في الدنيا والانتقال للاخرة
قال اللهم الرفيق الاعلي واعلم ان تحقيق هذا المقام ما قاله الحكيم الترمذي
في قوته ان تمني الموت علي ثلاثة اقسام الاول تمني عبد اقترب الي ربه في منازل
القرب لما بطهر من ادناس الشهوة وكدورة الاخلاق فكلما اقترب ازداد شوقا فتمني
الموت والثاني عبد راي نعمة الله عليه في دينه شاملة بكل خير فخاف زوالها لما
راي من نفس خادعة وعدو لا يالوه خبالا فتمني الموت رجا ان يحرز ذلك لنفسه في حله
فهذا ان محمودان وردا عن الصحابة كسلمان رضي الله عنه اذ قال احب الموت
اشتياقا وقال ابن مسعود رضي الله عنه احب الموت لاني لا ادري ما ينزل بي
فاخاف علي ديني والاول قول صديق والثاني قول صادق والحظ لصاحبه فيهما
والثالث عبد ترني في رفاهية عيش وفضل نعمة ثم انقلب الزمان عليه ونغصته
النوايب فقل صبره وتمني الموت وهذا امر مذموم ولذا جا في الحديث لا يتمني احدكم
الموت لضر نزل به واما تمني مريم رضي الله عنها الموت وقولها يا ليتني مت قبل
هذا الخ فلخبر مضي ولذا لم تقل الان وهو لا مرد بين رجال لا يزول لما رات قتلا
بموج وذلك لما اتهموا زكريا وهموا بقتله فجاها النداء والبشري فصدقت بكلمات
ربها وسميت صديقة انتهي اذا علمت هذا فقول السخاوي كغيره تمني الموت
منهي عنه ولذا جا في الحديث الصحيح فان كان ولا بد فاعلا فليقل اللهم احيني ما كانت
الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي انتهي باطلاقه ليس كما ينبغي والتحقيق
ما عرفت ومن علامة مانه اي علامة حب الله ورسوله فالضمير راجع للمحبة لتاولها
بالحب وليس راجعا للقا المحب حبيبه وان كان اقرب وغير محتاج للتاويل كما
قيل مع كثرة ذكره له صلي الله عليه وسلم تعظيمه له وتوقيره حتي توقيره عند
ذكره له واظهار الخشوع اي الخضوع والانكسار اي التذلل والتواضع مع
سماع اسمه اي اذا ذكر غيره لاسمه صلي الله عليه وسلم وقال اسحاق التجيبي
هو امام المحدثين ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم التجيبي توفي لثمان بقين من
ذي القعدة سنة اثنين وخمسين وثلاثماية وهو منسوب لقبيلة من
كندة تسمي تجيب واختلف في تائه هل هي اصلية ام زايدة ومنهما المحدثون
وكثير من الادبا وفتحها غيرهم قال في القاموس تجيب بالضم وتفتح بطن من
كندة منهم كنانة بن بشر التجيبي وتجوب بالواو قبيلة من حمير منهم ابن
ملجم التجوبي قاتل علي كرم الله وجهه وغلط الجوهري وحرف بيت الوليد
ابن عقبة

الا ان خير الناس بعد ثلاثة ❊ قتيل التجيبي الذي جا من مصر

انتهي يعني انه انشده التجيبي وانما هو التجوبي كما في كامل المبرد واعلم
ان بعضهم زعم ان تاه اصلية لانه في العين ذكره في فصل التا وتبعه صاحب

القاموس

دبجي

القاموس وهي زايدة كما قاله ابن السيد وجوزه في تائيه الوجهين اي الفتح والضم
وقال النووي في شرح مسلم ان التا زايدة لانه من جاب يجوب كانه اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم بعده اي بعد وفاته لا يذكرونه الا خشعوا اي اظهروا الخشوع
والتذلل واقشعرت جلودهم اي عرض لها قشعريرة وبكوا حزنا لفراقه وشوقا
للقايه صلى الله عليه وسلم وكذلك اي ومثل الصحابة فيما ذكر كثير من التابعين لهم
باحسان يفعلون كفعلهم منهم من يفعل ذلك اي من المذكورين كلهم الصحابة
والتابعين او من التابعين من يبكي ويخشع ويقشعر جلده محبة له وشوقا اليه
تمييزا ومفعول له اي من محبته وشوقه او لاجلهما ومنهم من يفعله لهيبة وتو
اي لمهابته صلى الله عليه وسلم في نفوسهم واجلاله وتكريمه ومنها اي من علاماته
محبته صلى الله عليه وسلم محبته اي محبة الانسان لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم
بالرفع والعايد محذوف اي احبه النبي صلى الله عليه وسلم ومحبة بسببه الباء
للملابسة اي تلبس بسبب من اسبابه وكان بينه وبينه علامة لقرابة او صهارة
وقال في النهاية السبب الزواج واصله الحبل الذي يتوصل به لسقي الما واستعير
لكل ما يتوصل به قال تعالى وتقطعت بهم الاسباب اي الوصل والمودات نكتة
انما خص ابن الاثير السبب هنا بالزواج وان كان عاما لان الزواج لمناسبة الما المخصص
في المستعار لانه يطلق على المني كما في الحديث انما الما من الما وفي قوله تقطعت
في الاية لطف خفي وقوله من اهل بيته الخ بيان لمن احبه ومن هو بسببه ويجوز ان
يكون بيانا لمن هو بسببه بناء على عمومه وفي نسخة من آل بيته وفيهم خلاف والمشهور
عند الشافعي انهم المومنون من بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف لا بني عبد
شمس وبني نوفل ابني عبد مناف لانه صلى الله عليه وسلم اشرك الاولين في خمس
الخمس الذي هو سهم ذوي القربى دون هولا وقال انهم والعونا في الجاهلية والاسلام
وصحابته بفتح الصاد جمع او اسم جمع صاحب وهو في الاصل مصدر وهو كل مسلم
لقي النبي صلى الله عليه وسلم بعد بعثته ومات على ذلك فان تخللت ردة ولم
تدم لم يضر وهم لا يحصون كثرة وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قبض عن مائة
واربعة وعشرين الفا والله اعلم والمهاجرين هو من هاجر وترك وطنه لله ورسوله
صلى الله عليه وسلم فيدخل فيه مهاجرو المدينة والحبشة وقدمهم لانهم افضل
والانصار جمع ناصر او نصير غلب على الاوس والخزرج ولذا نسب اليه وقيل الانصار
او هو تخصيص بعد تعميم لانهم افضل من غيرهم وفي نسخة من المهاجرين
والانصار والظاهر انه عبارة عن جميع الصحابة ليشمل من مات قبل الهجرة
كخديجة رضي الله عنها وقيل انهم في حكم المهاجرين لانهم السابقون باحسان
قبل غيرهم فتامله وعداوة من عاداهم اي من علامات المحبة لهم عداوة
من عاداهم ظلما وبغيا كالخوارج فلا يدخل فيه ما وقع بين الصحابة ظاهرا
وبغض من ابغضهم اي كرههم وقلاهم وسبهم واظهر شتمهم كالروافض قاتلهم
الله فان من احب شيا احب من يحبه وكره من يكرهه كما قيل وقد تقدم ٣
اذا صافى صديقك من تعادي * فقد عاداك وانفصل الكلام

قيلوا

وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحسن والحسين اي في حقهما وشأنهما كما رواه
البخاري اللهم اي يا الله ناداه بيانا لتحقق حبه وعلم الله به وتوطئة لما طلب منه
اني احبهما فاحبهما اي اعطهما الكل حبي دنيوي واخروي كما سيأتي في بيان محبة الله
وهذا بلفظه وقع في رواية الترمذي في حديث قال انه حسن صحيح والذي في
الصحيحين ذكر فيه اسامة والحسن وغيره روايات مختلفة ليس هذا محل تفصيلها
واليه اشار المص بقوله وفي رواية في الحسن وحده وليس المراد التخصيص اللهم
اني احبه فاحب من يحبه وقال صلى الله عليه وسلم في رواية اخرى من احبهما
اي الحسن والحسين فقد احبني ومن احبني فقد احب الله لعلمه بالطريق
الاولى ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي وغيره الله الله بنصبهما
بتقدير اتقوا الله واحذروه واخشوه وفي تكريره تخويف وتحذير على وجه
المبالغة في اصحابي اي في شأنهم وحقهم فاحذروا تنقيصهم ونسبتهم لما
لا يليق بهم والطعن فيهم ثم بين ذلك بقوله لا تتخذوهم غرضا بالغين معجمة
وراء مهملة مفتوحتين وضاد معجمة وهو الهدف الذي يرمى بالسهام فهو
استعارة او تشبيه بليغ على القول في مثله كما بين في المعاني اي لا تقصدوا
ذكرهم بسوء ولا تجعلوا عما وقع منهم ولذا منع السلف منه فمن احبهم
فبحبي احبهم اي بسبب حبي لهم ويلزم من المحبة لهم ان لا يذكروا بسوء
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ولذا ذهب بعض المالكية كما سيأتي
الى قتل من سبهم لانه كسبه صلى الله عليه وسلم ومن اذاهم بذكر ما
يسوؤهم فقد اذاني لانه يسوءه ذلك ومن اذاني فقد اذى الله اي عصاه
وفعل ما لا يرضاه وهو المراد باذية الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه
اي يهلكه سريعا ولا يمهله فيأخذه اخذ عزيز مقتدر وفي النهاية يوشك
ان يكون كذا اي يقرب ويسرع وقال صلى الله عليه وسلم في فاطمة رضي الله
عنها اي في حقها وشأنها في حديث رواه البخاري وغيره انها بضعة
بفتح الباء وكسرها اي قطعة وجزء مني لان الولد حاصل من ابيه وقطعة
من كبده يغضبني ما يغضبها اي يسوؤني ويؤذيني كل ما اذاها لان الم الجزء
يتالم به الكل فهو كالدليل لما قبله وسبب الحديث ان عليا كرم الله وجهه
خطب بنتا لابي جهل فسمعت بذلك فاطمة رضي الله عنها فاتت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح
بنت ابي جهل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشهد وقال اما
بعد فان فاطمة بضعة مني واني اكره ان يسوؤها والله لا تجتمع بنت رسول
الله وبنت عدو الله عند رجل واحد فترك علي ذلك والحديث وتفسيره
مفصل في كتب الحديث وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي
عن عائشة وحسنه لعائشة في اسامة بن زيد اي في حقه وشأنه
احبيه فاني احبه وقد قال صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد احب الناس

الي

الى فاستوصوا به خيرا ولذا امر عايشة ان تستوصي به خيرا بعده وهذا مما اخبر به
صلى الله عليه وسلم من المغيبات وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان اية
الايمان اي علامة تحققه وصدقه وكماله حب الانصار لمحبة النبي صلى الله عليه
وسلم لهم ومحبتهم له ولانهم نصروا الدين وساعدوا المومنين من الصحابة وواسوهم
بما هو معلوم واية النفاق المنافي لتحقق الايمان بغضهم وصحف بعضهم الحديث
فقال انه بالهمزة المكسورة والنون المشددة وضمير الشان وهو سهو ظاهر وفي حديث
ابن عمر كما اخرجه البيهقي في دلايله من احب العرب والمراد بهم هولا الجيل المعروف
مطلقا فبحبي اي بسبب حبي احبهم ومن ابغضهم من حيث ذواتهم لا لسبب اخر يكون
لبعض منهم فببغضي ابغضهم وفي حديث رواه الترمذي عن سلمان انه صلى الله
عليه وسلم قال له لا تبغضني فتفارق دينك قال كيف ابغضك وبك هدانا الله
قال تبغض العرب فتبغضني وفي شعب الايمان للحليمي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله عز وجل خلق الخلق فاختار منهم بني ادم واختار من بني
ادم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم
فانا خيار من خيار فمن احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي
ابغضهم ولذا قيل اطلاق اللسان بالوقيعة فيهم كالشعوبية اذية لله
ورسوله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والاخرة وقد فصل ذلك الحافظ العراقي في تاليف له مستقل
سماه القرب في بيان فضل العرب قال المولف رحمه الله فبالحقيقة اي
بسبب النظر للحقيقة وبالنظر لامر المحقق عند العقول السليمة من احب شيا
من الاشيا احب كل شي يحبه محبوبه وهذه سيرة السلف اي دابهم وطريقتهم
في محبتهم كل ما كان يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى المباحات
اي كانوا يحبون ما احبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الامور المباحة
وشهوات النفس اي فيتبعونه صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بشهوات النفس
والطبيعة البشرية كمحبة الطيب وبعض الاطعمة والزوجات وغير ذلك واستشهد
لذلك بقوله وقد قال انس رضي الله عنه انه راى النبي صلى الله عليه وسلم
يتتبع الدبا بضم الدال المهملة وتشديد الموحدة والمد والهمزة في اخره للالحاق
والواحدة دباه وهي نوع من الماكول معروف عند الناس بالقرع ومعنى
تتبعها انه ياخذ قطع القرع من اي محل وجدت فيه فان قلت اكل الانسان
مما يليه مستحب واكله من غيره مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم كل مما يليك
لمن راه يجيل يده في الطعام الا في الفواكه فانه لا يكره فيها ذلك لعدم الاستكراه
واليه الاشارة بقوله تعالى وفاكهة مما يشتهون قلت قالوا انه اذا كان
الاكل ممن يتبرك به لا يكره في حقه ذلك لا سيما النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
هو مخصوص بما للون الواحد وهذا كان معه قديد وقيل انه صنع له صلى
الله عليه وسلم وحده فله ان يفعل فيه ما يريد لعلمه برضا صاحبه وقيل
هو مخصوص بمن لم ينو اكله اتباعه وخدمه واعلم ان القرع معروف واما الدبا

بالمد كما مر وجوز بعضهم قصره وانكره القرطبي فقيل هو والقرع بمعنى واحد وقيل
هو المستدير منه وقيل هو اليابس منه وقال ابن حجر انه سهو من النووي وهو اليقطين
وهمزته زايدة ولذا ذكره في باب دبب وخطا صاحب القاموس الجوهري في ذكره في
المعتل في مادة دبي فقال وهو وهم وليست همزته منقلبة عن واو ولا ياء
اقول اخطا من خطاه ومن تبعه هنا لان الزمخشري ذكره في المعتل ايضا ووجهه
ان الهمزة للالحاق كما ذكروه فهي في حكم الاصلية كما حرروه في باب الالحاق من
حوالي القصعة بفتح القاف اي نواحيها وفي ق وحوالي مثنى حوال بمعنى حول وجانب
والتثنية لمجرد التعدد والتكرار كما في ارجع البصر كرتين وهو بفتح الحاء واللام ويجوز
كسر اللام وياء التثنية ساكنة وفيه لغات مذكورة في كتب اللغة فما زلت هذا
مقول انس فتاؤه مضمومة احب الدبا اي احب اكلها تبركا بها من يومئذ اي يوم
اذ رآه يتتبعها ولحبها لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وهذا من علامات
صدق محبته وهو شاهد لاتباعه له في المباحات وما يشتهيه الانفس وهذا الحديث
اخرجه الشيخان وكان الذي دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك خياطا
صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما من الدبا ودعاه له فذهب معه
انس وقال ابن حجر انه لم يقف على اسم هذا الخياط وهذا الحسن بن علي بن ابي طالب
وكان الظاهر ان يقول وابي الحسن وابن عباس الخ فعدل عنه لانه لشهرته
كالمشاهد وابن عباس وابن جعفر ان سلمى بفتح السين وهي زوجة ابي رافع
ومولاة صفية عمته صلى الله عليه وسلم وقيل مولاته صلى الله عليه وسلم
ودايه فاطمة الزهرا وهي التي غسلتها لما ماتت وقابلة ابراهيم بن النبي
صلى الله عليه وسلم وهي صحابية مشهورة وفي الصحابة سلمى غيرها خمس عشرة امراة
وسالوها ان تصنع لهم طعاما اي تطبخه وتحضره لهم مما كان يعجبه صلى الله
عليه وسلم وانما سالوها ذلك لانها كانت تخدمه صلى الله عليه وسلم وتعرف
ماكوله ومشروبه والعجب عندهم حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء
وهذه الحالة تكون كثيرا مع الاستحسان فيلزمها الميل والمحبة فاريد به لازمه وهو
المحبة وفيه دليل على محبة ما يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المراد وهذا
رواه الترمذي في الشمايل وابن جعفر هذا هو عبد الله بن جعفر بن ابي طالب
الطيار ذو الجناحين الصحابي بن الصحابي وتتمة الحديث مما كان يعجب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويحسن اكله فقالت انا لا تشتهيه اليوم فقالوا بلى اصنعيه لنا فقامت
وطحنت شيئا من شعير وجعلته في قدر وصبت عليه شيئا من زيت وفلفل وتوابل
وقربته اليهم وكان ابن عمر عبد الله الصحابي ابن الصحابي رضي الله عنهما في حديث
رواه الشيخان يلبس النعال جمع نعل وهو كل ما وقيت به الرجل وهي مؤنثة
السبتية بكسر السين المهملة وسكون الموحدة وياء نسبة الى السبت
وهو جلد دبغ وازيل شعره من سبته اذا قطعه لازالة شعره وكانوا في
الجاهلية لا يلبس النعال المدبوغة منهم الا اهل السعة والجاه وهي
منسوبة لمحل يسمى سوق السبت كما قاله ابن قرقول وقيل انه يجوز

فتح اوله ايضا وتعال النعال نعال سود ويصبغ بالصفرة وهو كل ما يصفر الشعر وغيره
كالحنا والكتم ويصبغ مثلث المعجمة وفيه تسمح لانه لا يصبغ بنفس الصفرة وانما هو
يصبغ اصفر والمراد انه يصبغ ثيابه بشيء اصفر كالزعفران ونقل عن مالك جواز لبسه وما
ورد من النهي عنه ليس نهيا تحريميا وانما نهي عنه المحرم في الحج وحمله بعضهم ويدل على
الجواز ما روي عن ابن جعفر انه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه
ثوبان مصبوغان بالزعفران كما رواه الحاكم والطبراني وغيرهما وكذا احاديث كثيرة
صحيحة يدل على جوازه ايضا وقوله اذ راى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو
ذلك تعليل لفعله ومحبته لما احبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة
الى الصبغ اوله وللبس النعال وهو انسب باشارة البعيد وهذا استنبها انه لا اقتدا به
صلى الله عليه وسلم في المباحات بالنسبة اليه وان اختلف في الاقتدا به في مثله هل
هو مباح في حق المقتدي به ام لا كذهابه في العيد من طريق وعوده من اخرى ورجحوا
الندب لمن نوى الاقتدا به صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر ومنها اي من علامات
محبته صلى الله عليه وسلم بغض من ابغض الله ورسوله بغض الرسول صلى الله عليه وسلم
ظاهر في مثل ابي جهل وبغض الله تعالى اما ببغض رسوله او بكونه او بانكاره كالمعطلة
والدهرية ومعاداة من عاداه اي من يتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم عدوا
ولم يقل من عاداهما لان معاداة الله انما هي بمعاداة رسوله صلى الله عليه وسلم
لان عداوته تعالى حقيقة لا تتصور ومجانبة من خالف سنته اي اجتناب
من لم يتبع طريقته والبعد عنه وابتدع في دينه اي اظهر البدع وخالف الشريعة
وهو عطف تفسيري لما قبله واستثقال كل من يخالف شريعته اي عده ثقيلا
متنفرا عنه غير مقبول واصل الثقل في الاجسام ضد الخفة وفي نسخة كلام
ثم ذكر ما يبينه من الكتاب العزيز فقال قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الاخر اي لا يكون كذا حتى تجدهم فانه لا ينبغي ان تكون وهو مبالغة
في النهي يوادون اي يكون بينهم وبينهم مودة من حاد الله ورسوله اي يخالفونه
ويعارضونه وهو لاصحابه رضي الله عنهم اي بما علم من حال اصحابه بحق كانهم
يشاهدون متلبسين به فقد قتلوا احبابهم اي اعدائهم قبل الاسلام وقد
وقع هذا الكثير من الصحابة وروي قتلوا اي ابغضوهم والعدو وهم قال تعالى ما ودعك
ربك وما قلى وقاتلوا اباهم وابناهم الذين بغوا على الكفر في مرضاته في تغليبه
والرضاة مصدر ميمي بمعنى الرضا كابي عبيدة بن الجراح قتل اباه ببدر وعمر
رضي الله عنه قتل خاله العاص ومصعب بن عمير رضي الله عنه قتل اخاه
ونحوه مما هو مذكور في السير وقال له صلى الله عليه وسلم عبد الله رضي
الله عنه بن عبد الله بن ابي ابن سلول راس المنافقين وابنه عبد الله هذا
كان من الصحابة المخلصين محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاتيتك براسه يعني اباه عبد الله بن سلول
اي قتلته واتيت براسه لك وكان ابن سلول رئيس اهل يثرب قبل الهجرة
فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهر الاسلام بطلت رياسته

فكان حرصه على الدنيا يكره الاسلام ويظهر النفاق وهو الذي نزل في حقه سورة المنافقين
واما ابنه عبد الله فكان من خيار الصحابة الصادقين كما علم غير مرة فلما ظهر من ابيه
ما ظهر قال يا رسول الله اسألك بالله الا ما اذنت لي في قتل ابي فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن اليه وهذا اجمال رواه البخاري ومنها اي من
علامات محبته صلى الله عليه وسلم ان يحب القرآن الذي اتى به للناس من عند ربه
عز وجل وهدى به الخلق كلهم لسعادة الدارين واهتدى هواي وصل الى الله به
وتخلق اي اتخذه خلقا له يعمل بكل ما فيه حتى قالت عائشة رضي الله عنها وقد
سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه
القرآن اي كان دابه التمسك به والتادب بادابه والعمل بما فيه من مكارم الخصال
فجعلت القرآن نفس خلقه مبالغة في شدة تمسكه به وانه صار سجية له وطبيعة
كانه طبع عليها فتخلق بمعنى اظهر الخلق كتجمل بمعنى اظهر الجمال كما في كامل المبرد
رحمه الله وقد يكون التخلق للتكلف كما في قوله
يا ايها المتحلي غير شيمته • ان التخلق ياتي دونه الخلق •
وليس بمراد هنا وحبه للقرآن تلاوته اي كثرة تلاوته له على الوجه المرضي فيها
عند اهل الاداء وليس المراد مطلق القراءة والعمل به اي بما فيه من الاحكام
والمواعظ وتفهمه اي التقيد بفهم معانيه وجعل هذا عين الحب للتنبيه
عليه ومن العلامات لمحبته صلى الله عليه وسلم ايضا ان يحب سنته اي
طريقته وهديه بالاقتداء به قولا وفعلا ويجوز ان يريد بسنته احاديثه المروية
عنه بقرينة جعلها قرينة للقرآن وكثيرا ما نطق عليه ويقف عند حدودها
اي لا يتعداها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وحدود الله
محارمه واحكامه من الحد وهو المنع والفصل ومنه حدود الدار واستعير
الحد لما ذكر فالوقوف عليه ترشيح مليح قال سهل بن عبد الله التستري وقد
تقدم علامة حب الله اي امارته ودليله حب القرآن وتقدم بيانه وعلامة
حب الله حب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم فان من احب الله احب حبيبه
وكلامه وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة فان من احبه لا يخالفه
ولا يعصيه وعلامة حب السنة حب الآخرة لان من احبه واتبعه احب لقاءه ورغب
في الآخرة كما مر وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا والزهد فيها لانهما ضرتان
لا يجتمعان في قلب مؤمن وبغضها لا يقتضي التبذير والاسراف كما توهم وانما
هو كما قيل اللهم اجعلها في ايدينا ولا تجعلها في قلوبنا وعلامة بغض الدنيا
ان لا يدخر ويقتني منها الا زادا اي مقدار ما يتزود به ويتقوت ولا يجمع منها
ما لا حاجة له به كما قيل
يكفيك مما تبتغيه القوت • ما اكثر القوت لمن يموت •
او بلغة بضم فسكون اي ما يبلغه به الى الدار الآخرة كالمسافر يحمل من الزاد
ما يبلغه لمقصده ومنزله فانما الدنيا دار سفر لا دار مقر
وانا لفي الدنيا كركب سفينة • نظن وقوفا والزمان بنا يسري •

وعن ابن مسعود في حديث رواه البيهقي في الادب وابن الضريس في فضائل القرآن
وفي النسخة وقال ابن مسعود لا يسال احد من غيره عن نفسه اي عن احوال نفسه
في محبته الله ورسوله الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله
فاذا اراد ان يعرف حاله ينظر في ذلك فيستدل به حتى كانه ساله واجابه ببيان
حاله فاذا استلذ بتلاوته وسماعه علم حاله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه
وهو غاية مطلوبه كما قيل ۞ اذ كنت توهم حبي ۞ فلم هجرت كتابي ۞ اما تاملت ما فيه
من لذيذ خطابي ۞ ومن علامات محبته للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على
امته بان يحبهم ويتلطف بهم ويرفق قلبه عليهم وينصحهم لهم ببيان ما يصلحهم
من امورهم وسعيه في مصالحهم بشفاعته ومعاونته وقضاء حوائجهم
ورفع المضار عنهم بدفع المظالم وازالة مصايبهم كما كان صلى الله عليه
وسلم بالمؤمنين منا ومن غيرنا لا يغيرهم رؤوفا رحيما منعما متفضلا
عليهم كما وصفه الله به في كتابه العزيز فعلينا الاقتداء به والتخلق باخلاقه
ومن تمام محبته اي كمالها وافضي مراتبها التي لا تتم الا بها زهد مدعيها
اي المحبة في الدنيا وامورها وزخرفها وايثاره الفقر اي اختياره وتقديمه
على الغنا وسعة الدنيا واتصافه به اي جعله شعارا او صفة له تواضعا وزهد
وقد قال عليه الصلاة والسلام لابي سعيد الخدري رضي الله عنه تقدمه
ترجمته ان الفقر الى من يحبني منكم معاشر المسلمين او الصحابة اسرع اي يصل
اليكم بسرعة اقوى من سرعة السيل اذا انحدر ونزل من اعلى الوادي وهو
الموضع الذي يسيل منه الماء من ودى بمعنى سال ويسمى الفرجة بين جبلين
واديا ويستعار للطريقة والمذهب كما قال تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون
او من الجبل الى اسفله والماء النازل من علو لسفل في غاية السرعة فضرب به مثلا
لسرعة افتقارهم والى متعلق باسم التفضيل ومنه اسفله لاحد الامرين من
الوادي او الجبل وافرد لانه بعد منتين عطفا باو وهذا البعض من الحديث
الذي بعده وقد رواه الترمذي وحسنه وفي حديث عبد الله بن مغفل
بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفاء المفتوحة ولام وهو صحابي
مزني من اصحاب الشجرة اخرج له الستة وغيرهم توفي سنة ستين
قال رجل من الصحابة ولم يسم للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
اني احبك فقال انظر ما تقول اي تفكر فيه وتامل فان محبتي امر عظيم
من اختارها صادقا مخلصا ينبغي ان لا يحب امرا من امور الدنيا وهو امر
صعب فقال والله اني احبك اكده بالقسم لما راى من قوله صلى الله عليه وسلم
له المشعر بالتردد فيه واراد ان كرره ثلاث مرات ليزيل الشبهة قال له صلى
الله عليه وسلم ان كنت تحبني حبا خالصا صادقا لا تؤثر عليه شيئا فاعد
اي احضر وهيئ للفقر تجفافا بكسر المثناة الفوقية وسكون الجيم وفاء بين
بينهما الف وتاء فوقية مزيدة من جف اذا يبس وهي شيء يوضع على الخيل ليقيها
في الحرب الاذى كالدرع للانسان وقد يلبسه الناس وجمعه تجافيف اي اعد له

عدة تفيك من اذى الفقر فان النفوس لا تتحمله يعني الصبر عليه وريا منة
النفس في تحمله فشبه الفقر بجواد محصن بما يقيه لا يما له الى السعادة او شبه
صاحبه بجواد والفقر بالمحاربة لمجاهدة النفس به وفيه ايما الى ان من احبه صلى
الله عليه وسلم يبتلي بالفقر وكانه فقر اختياري بزهده في الدنيا وقد اختلف في
الفقر والغني وفي الفقير الصابر والغني الشاكر ايهما افضل وظاهر هذا الحديث
الاول والكلام عليه مفصل في كتب المشايخ وغيرها وقدمنا منه ما فيه الكفاية
وروي جلبابا بدل تجفافا فانه ذكر اي رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا
الكلام الذي قاله للرجل المذكور نحو حديث ابي سعيد الخدري اي ما يشبهه
بمعناه يعني قوله في الحديث الذي سبق للفقر اسرع الى من يحبني من السيل الى
مقره ومنتهاه تشبيها له بالسيل واشارة الى تلاحق النوايب به سريعا
حتى لا يخلص منها فليستعد لها **فصل** في معنى المحبة للنبي
صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اي المعنى الذي وضعه لها واضع اللغة
وعين لفظه اختلف الناس المراد بهم علما السلف والخلف وسبب اختلافهم
ان المحبة التي تعارفها الناس كما سنبينه بحسب الظاهر لا تليق بالله ورسوله
في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم اي في بيان المراد بها وكثرت
عباراتهم في ذلك التفسير وليست ترجع بالحقيقة اي ليس ما لها اذ نظر الى
نفس الامر المحقق في الواقع الى اختلاف مقال اي ليس اختلافا لفظيا والمعنى
واحد ولكنها اختلاف احوال اي سبب اختلافهم اختلاف حال المحب وحال
المحبة قوة وضعفا فكل نظر الى حال من احوالها وفسرها بتفسير يناسبه فليس
اختلافا حقيقيا ولا لفظيا فانما هو باعتبار المحبوب والمحب وحالاتهما
حتى انكر بعضهم امكان محبة الله حقيقة كما في الاحيا وقال لا معنى لها
الا المواظبة على طاعته وقال القشيري هي حالة للقلب تلطف عن العبارة
تحمل على التعظيم وايثار رضاه واشتقاقها قيل من حبب الاسنان وبياضها
الصفا موردها وقيل من الحباب الذي يعلو الما اذا انصب وتحركه لغورانها
في القلب وقيل من احب البعير اذا برك لثبات القلب عليها وهو اشتقاق بعيد
وحقيقتها ميل النفس ميلا كليا لما يدعوه لحبوبه من رايي جمال او وقايع
كمال او فايض احسان وافضال فقال سفيان يحتمل سفيان بن عيينة وسفيان
الثوري قيل والظاهر انه الثوري لطول باعه في علوم القوم وعلو رتبته
في العلوم الظاهرة ايضا فانه كان مجتهدا وصاحب مذهب مستقل في عزة المحبة
يعني محبة الله بدليل الاية التي استدل بها اتباع الرسول صلى الله عليه
وسلم في اقواله وافعاله وكل ما جا به عن الله لان من احب الله لا يعصيه
فيما امره به وانما يعلم اوامره ونواهيه منه وهي تفسير لها بلازمها
ولما كان في هذا اخفا قال كانه اي سفيان التفت اي نظر في تفسيره هذا
الى قوله تعالى واستنبط منه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله فانه اقام اتباعه مقام محبته اذ لم يذكر محبتهم وذكر محبته وهي

٧ تكون

لا تكون الا لمن احبه والاية نزلت في اليهود لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فارشدهم
الى ما يحقق مدعاهم فان حقيقة المحبة ميل النفس الى شيء ادركت منه كمالا يحمله
على ما يقربه اليه والكمال الحقيقي ليس الا لله وكل كمال في غيره فهو منه فمحبته تقتضي
طاعته والرغبة فيما يقربه اليه وليس ذلك الا باطاعته وطاعته لا تقبل الا باتباعه
صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم في معنى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم انها
اعتقاد نصرته ونصرته بالمجاهدة لنفسه وبعلي كلمته والذب بالمعجمة اي المنع
والطرد عن سنته اي كل بدعة وشر بدعته برد ما يخالفها ودفع الشبه الموردة عليها
وتصحيح احاديثه وتفسيرها وبيانها والانقياد لها بان لا يخالفها وبعدها
وهيبة مخالفته اي الخوف من مخالفته مع تعظيمه واجلاله وفي نسخة مخالفتها
اي السنة وفي النسخة الاولى الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم
في تفسير مطلق المحبة ويحتمل انه بيان لمحبة الله دوام الذكر للمحبوب لان من احب
شيئا اكثر من ذكره كما مر وقال آخر ايثار المحبوب اي اختياره وتقديمه على ما سواه
بان يكون احب اليه من نفسه واهله وماله كما تقدم وقال بعضهم المحبة معناها معناها
الشوق الى المحبوب بان يكون نفسه وقلبه دائما تدعوه الى قربه وتحثه على لقائه
وقد تقدم الفرق بين الشوق والاشتياق وانه من الاصطلاحات الصوفية
لا من المعاني اللغوية وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب بضم الميم وطاء
مهملة تليها همزة ومعناها الموافقة واصله ان يطأ الرجل برجله موطئ صاحبه
قال تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله اي موافقة القلب لمراد الرب بان لا يريد الا ما اراده عدة ما
فيترك ما يريده لما يريده الله ثم بينه بقوله فيحب مضارعا احب ما احب ويكره
ما كره وفي نسخة ما يكره والاولى اولى وقال آخر المحبة ميل القلب الى قبول
قوله اي المحبوب والمراد كل ما يقوله وهذا كله من كلام اهل الطريقة وله امثال
كثيرة كقول ذي النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله تمقت وقال
آخر المحبة ميل القلب الى موافق له اي موافق لما يرضاه ويريده محبوبه
وهي اقوال متقاربة واكثر العبارات المتقدمة من اول الفصل الى هنا
اشارة الى ثمرات المحبة انما قال اشارة لانهم لم يصرحوا بانها من ثمراتها
والمثل الثمرة نتاج الشجر ثم قيل لكل نفع يصدر عن شيء ثمرة كثمرة العلم العمل
فهو استعارة تصريحية او تخييلية ومكنية او مجاز مرسل دون حقيقتها اي
لا حقيقتها او ودون ترد لمعان هذا منها وانما قال اكثر لان منها ما هو سبب كاتباعه
او لانه احتراز عن الاخير لانه حقيقته لغوية وفيه نظر ثم بين حقيقتها بقوله
وحقيقة المحبة الموضوعة لها مطلقا الميل معناه حقيقة العدول عن الوسط
الى احد الجانبين ثم تجوز به عن ارادته والرغبة فيه الى ما يوافق الانسان ابن اقبرس
اي طبيعته قيل هذا التعبير هو المعنى الاخير وفيه ان معنى قوله موافق
له ثمة موافق لمحبوبه وهنا لنفسه فبينهما فرق نعم هو قريب منه
وبين الموافقة بقوله وتكون موافقته له اي لنفس المحب اما لاستلذاذه
اي عده لذيذا لتشهيه لنفسه ولتحسنه بادراك منه امرا محققا محبوبا

كالطعم الحلو والمشروب العذب وكحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة
والاشربة اللذيذة واشباههما كالروايح الطيبة والملابس الفاخرة وهو اشارة
الى المحسوس بالحواس الظاهرة مما لا طبع سليم من غلظ الطبع وفساد الحواس كالمريض
يجد الحلو مرا لفساد ذوقه فهذا الايرد نقضا ما يلذ اليه لموا فقته له طبعا وفي
نسخة موافقتها اي المذكورات او لاستلذاذه اي وجود لذته واللذة من الكيفيات
النفسية وضدها الالم وتصورهما بديهي لانه من الوجدانيات وهي ادراك
الملايم من حيث هو ملايم والالم ضده والمراد بالملايم للشيء كماله اللايق به
كالتكيف بالحلاوة للذايقة ونحوه من المحسوسات وكتعقل الاشيا على ما هي
عليه للقوة العاقلة وقيد بالحيثية لان الشيء قد يكون ملايما من وجه دون
وجه اخر والمراد بادراكه ادراكه بعد الوصول لا مجرد تخيله كما تقرر في كتب
الحكمة فاللذة تكون حسية وعقلية واليه اشار بقوله او لا بادراكه الخ وهو
القسم الاول والثاني بينه بقوله بادراكه بعد الوصول اليه لا قبله بحاسة
عقله وقلبه وفيه تسمح على راي الحكما لان المدرك عندهم القوى البالغة
في الدماغ لا العقل المدرك للكليات لكن لما كان اهل الشرع لم يثبتوها تسمح
فيهما معاني باطنه غير مدركة بالحواس الظاهرة شريفة اي نفيسة القدر دقيقة
عالية القدر كانها في شرف اي مكان عال وحاسة العقل قوته المدركة فالاضافة
لامية او المراد حاسة هي العقل فالاضافة بيانية كحب الصالحين والعلما واهل
المعروف المراد بالمعروف كما يعرف بالشرع والعقل حسنه كالجود كما قاله الراغب
وحب الماثور اي المنقول عنهم السير المراد بها الاحوال والصفات الجميلة الحسنة
المحمودة شرعا وعقلا والافعال الحسنة كالكرم والعلم والزهد كالحسن البصري
فان طبع الانسان مايل الى الشغف اي المحبة الزايدة وهي بشين وغين معجمتين
وقا من شغفه الحب اذا وصل الى شغاف قلبه اي غلافه او نياطه او داخله
وحبته وهذا انسب بالمراد وروي بعين مهملة فقيل هما بمعنى وقيل
الثاني بمعنى الاحراق يقال شعفه الحب اذا احرقه وامرضه ومع ذلك يجد
له لذة فان عذابه عذب لذيذ ويأتي لهذا مزيد بيان وقوله بامثال هولا
اي هولا وامثالهم او المراد بامثالهم انفسهم كمثلك لا يبخل وهو كناية عما
تقرر في كتب المعاني والاشارة للصالحين ومن بعدهم حتى يبلغ الشغف بهولا
وفرط حبهم التعصب تفعل من العصبة وهي الجماعة المتعاضدة المتعاونة
والمعنى اظهار الحمية والمبالغة في الصيانة حتى يفارقوا من خالفهم في محبتهم
الحمية والغضب لمن احبه والتشيع تفعل من الشيعة فهو هنا بمعنى التعصب
ايضا وضمنه معنى الانفصال لقوله من امة اي فارقوا امة خالفوهم وصاروا
في اخرين اي في قوم اخرين وفي نسخة اخرى اي امة اخرى والشيعة من المشايعة
وهي المتابعة والشيعة الفرقة من الناس غلب على من والى عليا رضي الله عنه
كما مر ويأتي ما يودي اي يوصل يقال اداه الى كذا اي اوصله وهو
بهمزة ودال مشددة وهو مفعول يبلغ اي يصل والتعصب فاعله فان

تعصب

نصب على انه مفعول وفاعله ضمير الشغف فهو بدل منه والثاني اقرب الى الجلا بفتح
الجيم واللام والمد الخروج عن الاوطان اي المساكن والبلاد والاهل وهتك الحرم
بضم الحاء وفتح الرا المهملتين جمع حرمة والهتك بمثناة فوقية وكاف كشف الستر
بازالته وتقطيعه والحرم جمع حرمة بضمتين وضم فسكون وفتح كهمزة وهو كل ما يصان
ويمنع ولذا قيل للنساء حرم اي افتضاح نسائهم وذهاب عرضهم وكل ما يلزمهم
صيانته واخترامهم بخا معجمة ومثناة وراء مهملة النفوس اي الذوات او الارواح
اي اهلاكهم بسرعة يقال اخترمته المنية كانها قطعت عمره وكل ما استاصل شيا اخترمه
وفي نسخة القلوب والاولى احسن فترى المرء يحب هؤلاء وان لم يرهم فحبهم جبلة على
ما ذكرته ذكر سببا ثانيا للمحبة فقال او يكون حبه اياه وميل نفسه وطبعه اليه
لموافقته له اي لملايمته وموافقة طبعه من جهة احسانه اليه اي انعامه
وبذله وجوده وفي نسخة له اي لاجل ذلك فقوله وانعامه عليه عطف تفسير فقد
جبلت النفوس بالبنا للمفعول اي جعلت مطبوعة ومخلوقة على حب من احسن اليها
كما جبلت على بغض من اساء اليها وقيل انه هذا من الفاظ النبوة ولم ار من يعينه حديثا
الا انه ورد بمعناه وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تجعل
لفاجر على يدا فيحبه قلبي فاشار الى ان حب المحسن اضطراري وفي الاحياء المحبة
قد تكون لغير هذا من الالف الروحانية من غير سبب ظاهر وقال فيه ايضا
في ايتلاف القلوب امر غامض لا يطلع عليه فقد يحب المرء من غير حسن واحسان وسبب
ظاهر بل لمناسبة روحانية وشبه الشيء منجذب اليه وفي الحديث الارواح جنود
مجندة ما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف وقول المنجمين انه دائر
على الطالع ومقابلة لا اصل له وورد في حديث رواه في الفردوس لو ان مومنا
دخل مجلسا فيه مائة منافق ومومن واحد لجاءه حتى جلس اليه ولو ان منافقا
دخل مجلسا فيه مائة مومن ومنافق واحد لجاءه حتى جلس اليه فما ذكره هو لاغلب
المعروف فاذا تقرر اي ثبت وتحقق لك هذا المذكور من اسباب المحبة نظرنا الى
هذه الاسباب كلها اي عرفناها بنظر سديد وكلها تاكيد للاسباب او مبتدا خبره
في حقه اي موجودة في حقه وشانه صفة مخففة فعلمنا انه عليه الصلاة
والسلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة بمقتضى العقل والشرع
والطبع السليم ثم بين ذلك بقوله اما جمال الصورة وهو السبب الاول وهو
حب الصورة الحسنة والصورة الهيئة والمراد ما يظهر للناظر كالوجه والظاهر
عطف تفسير للصورة وكمال الاخلاق اي كونها في غاية الكمال فيه صلى الله عليه وسلم
وهذا ليس من الحسن الظاهري بل حسن باطني كالصورة لان حسن الصورة يدل على
حسن السيرة فقوله والباطن عطف تفسير له فقد قررنا اي بينا في هذا
الكتاب سابقا منها قبل مبني على الضم فيما مر اول الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة
فيه هنا واما احسانه صلى الله عليه وسلم هذا هو السبب الثاني وانعامه
على امته يعني امة الاجابة فكذلك اي مثل ما قبله في عدم احتياجه للبيان
هنا لانه قد مر منه اشارة الى ان ما ذكر بعض منه لا يمكن استيفاؤه

ووصفه • يعني الزمان وفيه ما لم توصف
وعلى نقيض ما دحيه
في اوصاف الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم جمع وصف بمعنى صفة او توصيف ثم
بينه بقوله من رافته بهم اي شفقته ولطفه بهم كما مر ورحمته لهم اي
انعامه صلى الله عليه وسلم عليهم وكرمه وهدايته اياهم اي من احسانه
انه هداهم الى سعادة الدارين واي احسان اعظم من هذا وشفقته اي حنوه
عليهم ومرحمته لهم واستنقاذهم اي تخليص الله هذه الامة به اي بسببه
صلى الله عليه وسلم اذ بعثه اليهم من النار وعذاب جهنم اذ هداهم لطريق
النجاة منهما وانه بالمؤمنين رؤف رحيم كما في قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم
كما مر مع تفسيره وانه رحمة للعالمين فهو مرفوع وضبط في بعض النسخ منصوبا
اي كونه رحمة ويؤيد ذلك قوله ومبشرا لكل خير ونذيرا مخوفا لهم ليرتدعوا
عما يضرهم وداعيا الى الله ودينه الحق باذنه في الدعوة او بارادته كما مر وسراجا
منيرا منقذا لهم من ظلمة الجهالة والضلال ويتلو عليهم اياته المرشدة لهم فيقرا
عليهم ما يوحي اليه من دلايل التوحيد والنبوة ويزكيهم يطهرهم من الشرك
والمعاصي ويعلمهم الكتاب اي القران العظيم والحكمة وما يكملهم من المعارف
والاحكام ويهديهم الى صراط مستقيم يدلهم على الطريق الموصل الى الله بلطف
وهذا اتما وصفه الله به في كتابه العزيز واي احسان اي للتعظيم والتفخيم
كما يقال عندي رجل اي كامل الرجولية اجل قدرا وارفع رتبة
واعظم خطرا بفتح الخا المعجمة والطا المهملة اي قدرا وشرفا فغاير بينهما
تفننا من احسانه اي احسان هذا النبي الكريم على امته فكيف لا يحسن الى جميع المؤمنين
وخصهم لانهم هم المنتفعون به والا فاحسانه عام واي افضال بمعنى
احسان وتفضل اعم منفعة واكثر فايدة على كافة المسلمين اي جميعهم وقد
قيل كما مر ان كافة تلزم التنكير والنصب على الحالية واستعمالها على خلاف
ذلك خطا وانه وقع في عباراتهم كما في درة الغواص وقد اجبنا عنه في شرح
تلك الدرة وبينا انه سمع خلافه اذ تعليلية اي لانه صلى الله عليه وسلم كان
ذريعتهم اي وسيلتهم وسببهم موصل لهم الى الهداية اي ما يخلصهم وينجيهم
واصل الذريعة سترة يتخذها الصايد للغزال بالصيد والوصول اليه وهو
صلى الله عليه وسلم سترة من النيران وجنة لمن طلب الجنان ومنقذهم
مخلصهم من العماية بفتح العين وهي الغواية والجهالة وداعيهم الى الفلاح
اي الفوز والظفر بسعادة الدارين والى الكرامة اي الاكرام بنيل الخير
ووسيلتهم الى ربهم اي موصلهم ومقربهم اليه وجاعل لهم منزلة عنده
وشفيعهم في الدنيا والاخرة والمتكلم عنهم عند الله ببيان اعذارهم
وهم احوج ما يكونون الى الكلام وقد خرست الالسن ولم يؤذن لاحد
غيره صلى الله عليه وسلم ان يتكلم والشاهد لهم بانهم امنوا وصدقوا
يوم القيامة حين يشهدون للانبيا عليهم الصلاة والسلام ان قد
بلغوا قومهم فيزكيهم كما تقدم والموجب لهم اي الذي يحقق لهم البقا

ترفهم

الدايم بالخلود في الجنة وليس المراد الوجوب الشرعي لانه لا يجب على الله شيء والنعيم في الجنة
السرمد اي الدايم الذي لا ينقطع ولولاه صلى الله عليه وسلم لم يكن شيء من ذلك
فقد استبان لك بما ذكر اي ظهر وانفتح انه عليه الصلاة والسلام مستوجب اي
مستحق للمحبة الحقيقية لان اسبابها متوفرة فيه صلى الله عليه وسلم على الكمال
وجه لا يتيسر لغيره شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار الموجبة له مزيد شرف وحسن
وانه المحسن والمتفضل بكل خير وانا مامورون بمحبته واتباعه بامر من الله له
وعادة معطوف على قوله شرعا اي ما اعتاده الناس في كل عصر من محبة من حاز الكمال
كله وجبلة لان كل خير واحسان وصل الينا فهو منه صلى الله عليه وسلم والنفوس
مجبولة على حب من احسن اليها كما مر والجبلة بمعنى الطبيعة قال تعالى واتقوا
الذي خلقكم والجبلة الاولين مما ذكرنا متعلق باستبان انفا بالمد اي قريبا وهو
منصوب على الظرفية من انف بمعنى تقدم ومنه الانف اسم الجارحة لا قاضيه اي
اعطائه من بحر كرمه الاحسان بكل خير دنيوي واخروي وعموم الاجمال اي تعميم الجميل
منه لكل احد وهذا اجمال لما قدمه بذكر السابغة ثم وضحه بقوله فان كان الانسان
يحب من منحه اي اعطاه والمنحة العطية في دنياه اي في حياته في الدنيا مرة او مرتين
معروفا اي شيا حسنا كما مر تفسيره او استنقذه ونجاه من هلكة بفتح الهاء واللام
امر مهلك او مضرة امر يضره ويؤذيه بفتح الميم والضاد مدة التاذي بها اي
بالمضرة قليل منقطع اي زايل في زمن قليل وذكره لان المدة بمعنى الزمان او لانه
فعيل ومنقطع لمشاكلته ومدة مضافة للتاذي او منون منصوب والتاذي
مبتدا خبره قليل وعلى الاول المبتدا مدة فمن منحه ما لا يبيد بمثناة تحتية
مفتوحة وبموحدة مكسورة وتحتية ساكنة ودال مهملة اي يذهب وينفد
من النعيم المخلد في الجنة وهذه النسخة اولى مما وقع في بعض النسخ من النعم جمع
نعمة للسجع في الاولى ووقاه بالتشديد والتخفيف اي صانه وحماه ما لا يفنى
من عذاب الجحيم اي النار من جحم بمعنى توقد وقد يخص بطبقة منها وقوله اولى
ما يجب بالبنا للمفعول وفي نسخة اولى بالحب واولى افعل تفضيل بمعنى احق و
خبر من اي احق من كل شيء يحب من نفسه وماله واهله واذا كان يحب مبني للمجهول
ايضا بالطبع متعلق بيحب وخص هذا بالطبع لانه ليس محبوبا شرعا والعقل
والعادة لا تخالفه لملك بكسر اللام نايب فاعل يحب فهو مرفوع وكذا ما بعده وفي
نسخة بنصب الجميع ويحب مبني للفاعل لحسن سيرته تدعو له في رعيته او حاكم عبر
سلك كاميرا لما يؤثر اي ينقل عنه وهو محمود ايضا من قوام طريقته اي حسن
سلوكه وقوام بكسر القاف وهو العماد والنظام وتجوز فتحها بمعنى الاعتدال
قال تعالى وكان بين ذلك قواما اي معتدلا او قاض بضاد معجمة اي حاكم الشرع
اذا سمع بعدله وهو بعيد الدار عنه وروي بصاد مهملة فبعيد تفسيره له
لما يشاد مبني للمجهول اي لاجل ما يشيع ويشتهر من ذكره بين الناس وهو
مستعار من شاد البنا بشين معجمة ودال مهملة اذا رفعه ومنه وقصر مشيد
وغلط من قال انه بذال معجمة من شاذ نقل وفي نسخة لما فشا بالفا والشين المعجمة

اي ظهر ولينتشر من عمله او كرم شيمته اي سجيته وخلقه وهذا مناسب لاهمال قاص واذا
كان يجب من فيه لبعض هذه الخصال فمن جمع هذه الخصال كلها وحواها وكل منها وفيه
مستقر على غاية مراتب الكمال بحيث لا يشبه صفاته صفات غيره كما قال الابوصيري
رحمه الله

انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الما

احق بالحب مما عداه واولى بالميل اليه واعلم انه انما ذكره من قوله فقد استبان ذلك
الخ لدفع شبهة لمن لا بصيرة له وهي ان هذه الامور انما تحقق فيه صلى الله عليه
وسلم عند من راه وشاهد منه لانها المؤثرة في الطباع بان وصول نفعه وخير
لمن بعده معلوم لكل مؤمن بالغيب وكما لاته صلى الله عليه وسلم لتواترها وبقا
اثارها كالمحسوس المشاهد وقد قال علي رضي الله عنه في حديث الحلية السابق ذكره
من راه صلى الله عليه وسلم بديهة اي البصره في اول مرة هابه توقيرا واجلا
لما يرى من نور نبوته ومن خالطه اي صاحبه صلى الله عليه وسلم وعاشره معرفة
احبه اي بعد ما عرف فضائله وفواضله وشاهد شمايله لا بد ان يحبه وذكرنا
في فضل ثواب محبته عن بعض الصحابة وهو ثوبان كما تقدم انه كان لا يصبر وتعبر
عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

## فصل

في وجوب مناصحته النصح معناه الخلوص لغة ثم قيل لارادة الخير بقلبه ولسانه
وانما قاله بصيغة المفاعلة لان نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم امر مقرر لكل
احد فاذا نصحه احد من امته تحققت المناصحة من الجانبين واخر هذا الفصل
عن المحبة لانها تترتب عليهما واعلم انه ياتي ان اصل معنى النصح تصفية العسل
وخياطة الثوب ثم استعمل في ضد الغش والاخلاص كالتوبة النصوح قال تعالى
ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اي اثم وضيق اذا تخلفوا عن الخروج
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوهم المانع لهم اذا نصحوا لله ورسوله
الخ اي اذا اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما ظاهرا وباطنا ما استطاعوا او
اخلصوا لهما من فعل وقول يعود على المسلمين بالصلاح وفي الصحيحين عن
جابر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال
ان بالمدينة ناسا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض
شركوكم في الاجر ففي الاية دليل على وجوب النصح لله ورسوله كما اشرنا
اليه ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل
ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين
غير معاتبين في ذلك والله غفور رحيم لهما وللمسيء فكيف المحسن قال اهل
التفسير في بيان معنى الاية انما لا اذا نصحوا لله ورسوله معناه اذا كانوا مخلصين
في اقوالهم وافعالهم مسلمين متقنا دين مطيعين حال لازمة في السرا
فيما في باطنهم مما اسروه والعلانية ظاهر حالهم المطابق لما في ضمايرهم
والعلن والعلانية بتخفيف اليا مصدر الجهر والاظهار فالنصح هنا بمعنى
الاخلاص والصدق ثم اتبع ما استشهد به من الكتاب العزيز بحديث رواه

ابو داود كما رواه مسلم فقال حدثنا ابو الوليد شيخ المصنف بقراتي عليه قال حدثنا حسين
ابن محمد هو ابو علي الغساني وقد تقدم ترجمته قال حدثنا يوسف بن عبد الله هو
حافظ الاسلام ابن عبد البر وقد تقدم قال حدثنا ابو محمد بن عبد المومن تقدم ايضا
قال حدثنا ابو بكر بن التمار قال حدثنا ابو داود صاحب السنن قال حدثنا احمد بن يونس
ابو عبد الله احمد بن عبد الله بن يونس اليربوعي الكوفي الحافظ الثقة المتقن المتقن
روى عنه الستة توفي سنة سبع وعشرين ومايتين قال حدثنا زهير بن محمد المروزي
نزيل الشام الثقة توفي سنة اثنين وستين ومائة اخرج له الستة وترجمته في المراد
قال حدثنا سهيل بن ابي صالح تقدم ترجمته عن عطا بن يزيد الليثي الثقة التابعي
توفي سنة سبع او خمس ومائة واخرج له الستة عن تميم الداري وهو تميم بن اوس
ابن خارجة اللخمي المكني بابي رقية وهي ابنة له لم يولد له غيرها والداري نسبة
لجده الدار بن هاني او لدارين اسم مكان ويقال الديري لدير كان يتعبد فيه وقيل
انه اسم قبيلة وهو بعيد كما في المطالع وكان نصرانيا اسلم سنة تسع بالمثناة
من الهجرة وتوفي سنة اربعين منها وروى عنه في السنن ومسند احمد وقصته
في الجساسة مشهورة قال تميم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين
النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة كررها ثلاثا لزيادة الحث والتحريض
ولذا عدل المصنف عن رواية مسلم مع ان كتابه اصح الكتب عند علما المغرب وما قيل
انها مكررة في هامش نسخة مسلم فلا وجه للعدول عنه امر سهل وسوال ساقط
والدين ملة الاسلام والنصيحة تقدم بيانها وفي رواية انما الدين النصيحة
وهما بمعنى لافادة تعريف الطرفين الحصر قالوا اي الصحابة الحاضرون عنده
لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه بالعمل بما فيه وتعظيمه وحفظه ولرسوله بالايمان
به واتباعه وطاعته ولايمة المسلمين الخلفا والسلاطين والحكام وعامتهم ان اريد
العوام فظاهر وان اريد جميعهم فهو من عطف العام على الخاص وسياتي بيانه قال
ايمتنا المراد بهم علما الاسلام او ايمة مذهبه النصيحة لله ولرسوله ولايمة المسلمين
وعامتهم واجبة اي فرض عين على كل مكلف ونقل النووي انها فرض كفاية فان
حمل اذ هو في سعة من الترك قال الامام ابو سليمان البستي بضم الموحدة
وسكون مهملة ومثناة فوقية وياء نسبة بلدة بسجستان وهو ابو سليمان بن محمد
ابن ابراهيم بن خطاب المعروف بالخطابي الامام المشهور واختلف في اسمه
فقيل احمد وقيل حمد توفي ببست في ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين
وثلاثمائة النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة بالتنوين فقوله ارادة الخير بدل
منه او مرفوع او منصوب على هذا او لا مانع من الاضافة للمنصوح له وليس
يمكن ان يعبر عنها اي عن الجملة بكلمة واحدة تحصرها اي تجمع جميع معانيها
قيل تقديره غيرها اي غير هذه الكلمة وهي النصيحة ومادتها كالنصح
والنصاحة وفي كلامه تسمح فان مجرد ارادة الخير لا يسمى نصحا فالظاهر انه
تقول ارشاد المنصوح للخير وايضا في تركيبه شي لان اسم ليس الظاهر انه
ان يعبر وجملة يمكن خبرها فيتعين تاخيرها لما فيه من اللبس بالفاعل

عيني

دجي

ومراده ان هذه من اوجز الاسما واخصرها لدلالتها على معان بمفردها وكذا قيل في لفظ
الفلاح انه ليس في كلام العرب كله اي جمع لخيري الدنيا والاخرة منها ثم اشار الى اصل
معناها لغة بعد ما بين حاصل معناها في عرف اللغة والشرع بقوله ومعناها في اللغة
اي في عرف اهل اللغة الاخلاص اي لنفسه وغيره من قولهم نصحت العسل اذا خلصته
وصفيته من شمعه بسكون الميم وفتحها مضاف لضمير العسل فهي فعيلة بمعنى فاعلة
او مفعول له لانها خلصت من الغش كما خلص العسل من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحاق
الخفاف وهو امام من ايمة اللغة ترجمته مذكورة في التواريخ وفي نسخة ابن اسحاق
وهو ابو بكر احمد بن عمر بن يوسف الشافعي وهو صاحب كتاب الخصال في مذهب
الشافعية كما قاله الرافعي النصح فعل الشي الذي به الصلاح لنفسه وغيره
واراد بالفعل ما يشمل القول والملايمة بضم الميم ومد الهمزة من لايمت بينهم
اذا وفقت وتلاموا والتاموا بمعنى وقد تبدل همزته يا ماخوذة اي مشتقة
اشتقاقا وكثيرا ما يعبر عنه بالاخذ ويقولون دايرة الاخذ اوسع من دايرة
الاشتقاق من النصاح بكسر النون وتخفيف الصاد وهو الخيط الذي يخاط به
الثوب فتلتيم اجزاوه فالنصيحة على هذا ماخوذة من نصح الثوب اذا خاطه
ولا حاجة لنقله عن الخفاف فانه في اكثر كتب اللغة وقال ابو اسحاق الزجاج
امام العربية والتفسير تلميذ المبرد وشيخ ابي علي الفارسي وهو ابراهيم بن
سهل الزجاج منسوب لعمل الزجاج لانه كان حرفته توفي في جمادى الاخرة
من سنة احدى عشر وثلثمائة وقد ناف على الثمانين نحوه اي قريب مما قاله
الخطابي معنى ثم فرع على ما بينه من معناه لغة وعرفا بيان اقسامه فقال فنصيحة
الله معناها والمراد بها صحة الاعتقاد اي اخلاص الايمان به ولذا عداه باللام
في قوله له وذلك بتخصيصه بالوحدانية اي بانه واحد احد لا شريك له ٣ عن علم
في الالوهية ولا يشاركه احد في ذاته وصفاته وهو مصدر بمعنى الانفراد
وزيدت فيه الالف والنون على خلاف القياس قاله الكرماني ووصفه بما هو
اهله اي بما يستحقه ويليق به كما يقال هو اهل للحمد وهو اهله ومحله
وهو مجاز ماثور مشهور وتنزيهه عما لا يجوز عليه في كل ما يوهم نقصا
والرغبة في محابه بفتح الميم جمع محب اسم مفعول احب بمعنى محبوب اي يرغب
في كل ما يحبه ويرضاه والبعد عن مساخطه بفتح الميم جمع مسخط اسم مفعول
اي كل ما يسخط الله ويورث غضبه من المعاصي وقيل هما جمع مسخوط ومحبوب تلمساني
والاصل محابيب ومساخيط والاخلاص في عبادته فيعبده امتثالا لامره
من غير ريا ولا ارادة امر اخر ولا تحضر العبادة رجا جنته وخوف ناره وان
قال الرازي انه لا اخلاص نعم هو مرتبة الخواص وقد فصلناه في محل
اخر فالنصيحة لله حقيقة راجعة الى العبد نفسه لانه تعالى له ناصح
ولا يتصور في حقه فلذا اجملت على هذا والنصيحة لكتابه معناها الايمان
به اي بانه كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم فنصدق به وبذلك
تصديقا لا ريب فيه والعمل بما فيه باتباع اوامره ونواهيه وتسليم

متشابهه

متشابهه والايمان به وتحسين تلاوته بالتجويد والترتيل بان يخرج حروفه من مخارجها من غير تكلف وتشدق فيه ويدخل فيه تحسين الصوت به من غير تغن وزيادة مد وقد قال القرا ان تجويده واجب واختلف هل هو واجب شرعا او صناعة فذهب الى كل من القولين قوم من الفقها والحق انه واجب شرعا للقادر عليه من غير مشقة لبعض العجم العجم والتخشع عنده اي عند تلاوة القران وسماعه فينبغي له ان يظهر الخشوع وان لم يكن خاشعا كبعض العوام كما قيل ان لم يكن باكيا فكن متباكي وصير عنده للكفا وقيل انه التحسين التلاوة والاول اولى وافيد وفي التخشع ما يفيد انه لا ينبغي الصياح واظهار الوجد ما لم يكن عن حال سلب اختياره والتعظيم له بان لا يقراه محدثا وان لا يمد رجليه حال تلاوته ولا يجلس لها في محل قذر ولذا كرهت القراءة في الحمام وعلى الطرقات والاسواق وتفهمه اي تدبر معانيه والفكر فيها بدقة نظر والتفقه فيه اي فهم معانيه او النظر في احكامه الفقهية من حلاله وحرامه والاتعاظ بمواعظه ونصائحه وامثاله والذب عنه بمعجمة وموحدة اي زجر من طعن فيه من الملحدين من تاويل الغالين وطعن الملحدين في تاويله بما لا يليق به من الغلو وهو تجاوز الحد وتاليه ومستمعه اداب كثيرة بينها النووي في كتاب التبيان في اداب حملة القران فعليك به والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم التصديق بنبوته ورسالته الى الناس كافة والى غيرهم كذلك من الملايكة والجن وبذل الطاعة فيما امر به ونهى عنه لان طاعته واجبة وهي طاعة لله كما مر قاله ابو سليمان هو الخطابي الذي تقدم بيانه وقال ابو بكر هو ابن ابي اسحاق الخفاف الذي مر ذكره وهو الطاهر الذي ذكره الثقات وقيل هو الحافظ الاجري الاتي قريبا وموازرته بواو مفتوحة او همزة من الازر وهو القوة او من الوزر وهو الملجا اي معاضدته ومعاونته وهو معطوف على مقدر او على ما قبله عطف تلقين ونصرته اي اعانته على اعدايه ونصرة دينه واعلا كلمته وحمايته اي دفع السوء عنه حيا بالمجاهدة معه وخدمته وميتا بتقوية دينه ه وتاييد شريعته وهو راجع لكل ما قبله واحيا سنته اي هديه وطريقته وفيه استعارة تصريحية بالطلب لها بان يسال عنها ويجتهد في معرفتها والذب عنها اي دفع الشبه عنها والتاويلات الفارغة ونشرها اي اظهارها واشاعتها وتعليمها من انتشر الحديث اذا شاع والتخلق باخلاقه اي الاتصاف بمثل صفاته الماثورة عنه وان لم يتمكن مساواته ان التشبه بالكرام فلاح الكريمة اي المكرمة الممجدة وادابه الجميلة التي فيها جمال ومدح لمن اتصف بها وقال ابو ابراهيم اسحاق التجيبي تقدم بيانه وانه بفتح التاء منهما وانه المعروف بالوراق نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم معناها التصديق بما جابه اي الايمان بكل ما جا به عن الله والاعتصام بسنته اي التمسك بها ونشرها والحض عليها اي حث الناس وتحريضهم على اتباعها والدعوة الى الله اي الى الايمان به وتوحيده والى كتابه القران بالايمان به والعمل بما فيه والى رسوله بالايمان به واتباعه والى بها اي الدعوة الى سنته والى

ابن اقبرس

العمل بها كما مر وقال احمد بن محمد هو الامام المشهور احمد بن حنبل نفعنا الله ببركاته
وهذا اما وعدناك به من نسبته الى ابيه محمد من مر وضمانة القلوب اي تمامونن ووجب
اعتقاده وجزم القلوب به اعتقاد وجوب النصيحة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمعنى المتقدم وقال ابو بكر الاجري الحافظ وقد تقدم بيانه وغيره من
الايمة النصح له صلى الله عليه وسلم يقتضي نصحين اي منقسم الى قسمين نصحا
في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته اي النصح له وهو حي نصح اصحابه اي هو
نصح اصحابه او كنصح اصحابه له بالنصر له على اعدائه والمحاماة عنه بدفع السوء
عنه وعن يريده ومعاداة من عاداه ببغضه وتنقيصه وعدم موالاته والسمع
اي امتثال ما يقوله وقبوله كما في قوله سمع الله لمن حمده فانه فسر بقبله ه
والطاعة له اي الانقياد التام وبذل النفوس اي الذوات او الارواح والاموال
دونه اي من فيها والجود بها في حمايته صلى الله عليه وسلم وتقديمها دون ما
يضره كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية اي عاهدوا الله من المؤمنين رجال
على بذل ارواحهم واموالهم في سبيل الله ونصرة رسوله صلى الله عليه وسلم
فوفوا بعهدهم وهذه الاية كما في الصحيحين نزلت في انس بن النضر وكان شق عليه
انه لم يحضر بدرا وقال اول مشهد من مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
غبت عنه لئن اراني الله مشهدا بعده ليرين الله ما اصنع فلما كان من العام المقبل
وقعة احد استقبله سعد بن مالك فقال له يا ابا محمد الى اين قال واها
لريح الجنة اجدها دون احد فقاتل حتى قتل رضي الله عنه ووجد فيه بضعا
وثمانين ما بين طعنة وضربة وقال تعالى وينصرون الله ورسوله الاية اولئك
هم الصادقون وهذه الاية نزلت في المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم ابتغاء
رضوان الله واما نصيحة المسلمين له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فالتزام
التوقير اي الادب والتعظيم والاجلال لقدره برفع ذكره وتعظيمه وشدة
المحبة له بكونه احب عنده من نفسه واهله وماله والمثابرة بمثلثة وموحدة
ومهملة اي المداومة والمحافظة على تعلم سنته وفي نسخة تعليم وسنته
طريقته وهديه او حديثه والتفقه في شريعته بفهم معانيها والعلم باحكامها مما
ومحبة آل بيته وهم اقرباؤه الذين لا تحل لهم الزكاة وقد تقدم بيانهم ه
واصحابه وهم كل من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا ومات على ذلك ه
ومجانبة من رغب عن سنته اي البعد عن كل من تركها او عدم الركون اليه
وانحرف عنها اي مال عنها ورغب في غيرها وبغضه اي اظهار عداوته ه
والتحذير منه من لا يعرفه بان يعرفهم حاله وينهاهم عن استماع كلامه
والشفقة على امته اي اللطف بهم والاحسان اليهم لاجله صلى الله عليه وسلم
لا لامر آخر والبحث اي التفتيش عن تعرف احواله صلى الله عليه وسلم اي
احواله المعروفة وفي نسخة اخلاقه وسيرته قال المرزوقي معناها حالة
من احوال السير ثم اجري مجرى الشيم والعادات انتهى وادابه ليقتدى بها
والصبر على ذلك اي حبس النفس عليها بحيث تصير طبيعة له فعلى ما ذكره

اي الخفاف او الاجري بكون النصيحة احدي ثمرات المحبة لان كل ما ذكره متفرع عليها كما
يعرفه من له تامل وعلامة من علاماتها كما قد بيناه في فصل العلامات ولذا قدم المص
امر المحبة علي النصيحة كما مر وحكي الامام ابو القاسم القشيري عبد الملك بن هوازن
ابن عبد الملك النيسابوري صاحب الرسالة وشيخ الطريقة فريد دهره علما وعملا وعلامة
اهل السنة وفقيها الشافعية الجامع بين الشريعة والحقيقة وترجمته مشهورة ه
وتقدم طرف منها توفي سنة خمس وستين واربعمائة وعمره تسع وثمانون سنة ان
عمرو بن الليث احد ملوك خراسان اقليم معروف وعمرو هذا اخو يعقوب الصفار
وكان يعقوب هذا كما قاله المسعودي في خلافة المعتضد بالله احد الخلفا العباسيين
في صغره صفارا فتغلب وصار له جيوش عظيمة فتسلطن ثم توفي في سنة خمس وستين
ومائتين وخلف اموالا كثيرة خلفه عليها اخوه عمرو المذكور ومشاهير جمع مشهور
الثوار بضم المثلثة وتشديد الواو والف تليها را مهملة جمع ثائر من ثار يثور
اذا هاج ووثب عليه والمراد بهم المتغلبون علي الملك فانه كان كذلك لشجاعته وكثرة
جنده المعروف بالصفار منسوب لعمل الصفر وهو نوع من النحاس تعمل منه الاواني
وقد مر وجه التسمية به رؤي مبني للمجهول من الرؤيا وهو بهمزة اي رآه بعضهم
في المنام وفي نسخة في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي ذنوبي ومحي
سيئاتي فقيل بماذا اي باي سبب هذا الذي نلته فقال صعدت بكسر العين في الماضي
وفتحها في المستقبل اي ارتقيت وعلوت ذروة بكسر الذال المعجمة وضمها وهي اعلي
كل مرتفع من جبل ونحوه يوما فاشرفت علي جنودي اي رايتهم من مكان عال واطلعت
عليهم فاعجبني كثرتهم اي حسنت عندي فسرتني فتمنيت اني حضرت رسول الله
صلي الله عليه وسلم اي كنت في عصره فشهدت غزواته وحروبه بجندي فاعنته
ونصرته علي اعدائه بمقاتلتي انا وجندي معه فشكر الله لي ذلك القول والتمني
كما قال ورزقه باليتني فيما جذع اخب فيها واضع ومعني شكر الله ثوابه وانعامه
وغفر لي بسبب قولي هذا وقال ابن فورك شكر الله ثناؤه عليه عند ملائكته
وقيل هو مضاعفة ثوابه واما النصح لائمة المسلمين جمع امام وهو الخليفة
والسلطان المقتدي به والمراد الحكام مطلقا هنا فمعناه طاعتهم في الحق الموافق
للشرع اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما ورد في الحديث ولقوله اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ومعونتهم فيه اي في الحق لا في الباطل فالمعونة
والاعانة بمعني وامرهم به اي باتباعه وتذكيرهم اياه بان يذكره لهم ويعظهم
ويحثهم علي اتباعه علي احسن وجه برفق وتلطيف القول وتحسينه فانه ادعي
للامتثال وتنبيههم علي ما غفلوا عنه لعدم العلم به لخفائه او لعدم الوقوف
عليه وكتم عنهم بان خفي عليهم ولم يبلغهم خبره من امور المسلمين فيمنوه عليهم
وترك الخروج عليهم بمخالفتهم وعصيان اوامرهم وهو معطوف علي طاعتهم
وترك تضريب الناس بمثناة فوقية مفتوحة وسكون الضاد المعجمة وكسر الرا المهملة
ومثناة ساكنة وموحدة تحتيتين مجرور اي ترك تضريبهم وهو اغراؤهم وتحريكهم
عليهم يقال ضربه اذا اغراه وافساد قلوبهم اي ترك افساد قلوب الناس عليهم

بذمهم وتشهير مساويهم حتى تنفر عنهم القلوب فتودي الى التجري عليهم ومخالفتهم
بجر الى مفاسد عظيمة واما النصح لعامة المسلمين المراد بالعامة هنا من عدا الحكام
لا العوام بالمعنى العرفي فمعناه ارشادهم الى مصالحهم اي دلالتهم على ما يوصلهم
الى ما فيه صلاح امورهم ومعونتهم اي اعانتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول
والفعل وتنبيه غافلهم لما غفل عنه من مصالحه وتبصير جاهلهم اي تعريفه
بما جهله ليكون ذا بصيرة في اموره ورفد محتاجهم بفتح الرا المهملة اي اعانته
ويجوز كسرها فان الرفد بمعنى العطا والصلة وكل شي عدته وجعلت له عونا فقد
رفدته ومنه الرفادة التي كانت لقريش في الجاهلية وستر عوراتهم اي بستر عليهم
بعض معاصيهم اذا راها فلا يذكرها حتى يفتضح مرتكبها فاذا ارشده لتركه ذكره
خفية فان النصيحة بين الملا تقريع ودفع المضار عنهم اي ما يضرهم في دينهم ودنياهم
وجلب المنافع لهم اي كل ما ينفعهم دينا او دنيا

# الباب الثالث في تعظيم امره

اي شانه وقدره والامور المتعلقة به ووجوب توقيره اي تبجيله
وترجيح ما يتعلق به وبره وصلته بالدعا له والصلاة عليه وزيادة
مقامه وبر اهل بيته قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا لتومنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه هكذا في اكثر
النسخ وليس موافقا للتلاوة لان اية الاحزاب المصدرة بيا ايها النبي ليس فيها
لتومنوا الخ والتي في الفتح انا ارسلناك دون يا ايها النبي فقيل كانه بدا باية الاحزاب
وثنى باية الفتح فسقط الفاصل بينهما سهوا او بيض له فوصله الناسخ وفي
بعض النسخ انا ارسلناك فقط وشاهدا وما بعده احوال مقدرة لجامعة صفة
ما يبدا به غدا واستشهاده بالاية بنا على ما ذهب اليه الضحاك من ان الضمائر كلها له
صلى الله عليه وسلم وشهادته لهم يوم القيامة بما عملوه من طاعة وغيرها
وعلى هذا فالوقف على قوله وتوقروه كما اشار اليه المص وهو وقف كاف
وقال القرطبي انه تام وفيه نظر فقوله وتسبحوه ابتدا كلام فان ضميره لله
وقال عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله تقدموا
بضم اوله مضارع قدم بمعنى تقدم فتوافق القراة الاخرى بفتحها وهو
مضارع قدمه المتعدي حذف مفعوله لتذهب النفس كل مذهب او لتنزيله
منزلة اللازم والمراد نهي التقديم مطلقا وعلى كل حال فالشاهد فيها ظاهر فلا
يتوهم انه لا شاهد فيها على القراة المشهورة وقال يا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي لا تجعلوا اصواتكم في خطابكم جهر
فوق جهره صلى الله عليه وسلم بالقول واخفضوها تادبا وتكريما له
فانه لعظم مقامه لا يليق عنده الصخب واللغط على عادة جفاة الاعراب
في ترك الادب الايات الثلاث وهي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم عند

رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم واضافة ذي
الالف واللام لمثله جائزة في الثلاث ونحوه كما تقرر لمن عنده علم بالعربية والشاهد فيها
انه امرهم اذا خاطبوه صلى الله عليه وسلم ان لا يجهروا ويخفضوا اصواتهم تادبا
معه لما في الجهر من الاستخفاف المؤدي الى الكفر المحبط للاعمال لما فيه من الاهانة وعدم
الاعتنا بمقام النبوة ثم اثنا على من غض صوته عنده بان الله امتحنه ووعده بان
له مغفرة واجرا عظيما لارتضائه له وفيه تعريض لشناعة الجهر وانه لا يليق وان من
ناداه صلى الله عليه وسلم وهو في حجراته مع ازواجه مسلوب العقل لعدم ادبه
وارشدهم الى الاولى بهم وهو الصبر حتى يخرج اليهم من نفسه من غير ندائه فيكون
هو المفتتح بكلامهم والكلام على الآية مفصل في كتب التفاسير وقال تعالى لا تجعلوا
دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا بان تنادونه باسمه يا محمد ونحوه كما سياتي فلا
تقيسوه بغيره فاوجب تعالى على المؤمنين تعزيره براي معجمة وراء مهملة اي اجلاله
وتوقيره اي التأدب معه والزم اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس معنى تعزروه
تجلوه الاجلال افعال من الجلال وهو التناهي في عظم القدر ولذا اختص بالله فقيل
ذو الجلال والاكرام كما قاله الراغب وقال المبرد شيخ التفسير والعربية تعزروه
تبالغوا في تعظيمه وهو موافق لما قاله ابن عباس رضي الله عنهما وليس اخص منه
كما توهم وقال الاخفش الكبير لتبادره وقيل هو الاوسط صاحب التفسير المسمى
بالمعاني والاخافشة المشهورة ثلاث وهو لقب له من الخفش وهو ضعف البصر وهو
من يرى ليلا ولا يرى نهارا تنصروه وقال الراغب التعزير نصرة مع تعظيم
وقال الطبري وهو محمد بن جرير كما تقدم تقيموه الاعانة اعم من النصرة ه
والتعزير من العزر بفتح فسكون وهو الرد والدفع ثم نقل لما ذكر لما فيه من دفع
العدو والنقائص ولذا قيل لما دون الحد تعزير لردعه ودفع عوده لجنايته
وله معنى اخر وهو الوقوف على الاحكام وقرئ في الشواذ تعززوه بزاءين
معجمتين تفعيل من العز وهو التقوية والغلبة كما في قوله تعالى فعززنا
بثالث والعزيز رفيع القدر وهذه كالمفسرة للقراءة المشهورة ونهوا اي نهاهم
الله في الآية الثانية عن التقدم بين يديه اي بحضرته وعنده بالقول بان
يسبقه بالكلام وسوء الادب بسبقه بالكلام في امر ما وهو قول ابن عباس وغيره
واختيار ثعلب في تفسير الآية لقب امام العربية واللغة وهو ابو العباس احمد
ابن يحيى بن يزيد الشيباني البغدادي توفي سنة احدى وتسعين ومائتين وقال
سهل بن عبد الله التستري الامام الزاهد شيخ الطريقة في تفسير قوله تعالى
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله لا تقولوا قبل ان يقول فتستفتحون الكلام
عنده وهو ترك ادب واذا قال فاستمعوا له وانصتوا اي اسكتوا ثم عطف عليه
عطف تفسير قوله ونهوا عن التقدم والتعجل بقضا امر قبل قضائه فيه
اي في الامر وان يفتاتوا اي يستبدوا ويستقلوا بشي في ذلك اي في قضا امر
من الامور عنده يقال افتات تفاوهمزة اصلية عند ابي عمرو وغيره من
اهل اللغة او هي مبدلة من حرف العلة كما قالوا في رثيت الميت رثأته

ق

ابن اقبرس

يتوهمون الفوت عنده بقضيتهم ويقال افتات بالامر ويقال افتات الباطل اذا اختلقه
من قتادة او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يستبقونه به والى هذا المذكور في تفسير
الاية يرجع قول الحسن البصري ومجاهد والضحاك والسدي وسفيان الثوري
يعني انهم فسروا الاية بما هذا حاصله وماله اشارة الى ان اكثر المفسرين ارتضوه
ثم وعظهم الله في الاية بعد ما ذكر وحذرهم مخالفة ذلك اي امره في قضائه
بعد ما نهاهم عن سبقه بالقول فقال واتقوا الله فدل على ان مخالفه
غير متق ان الله سميع لاقوالهم عند رسوله صلى الله عليه وسلم عليم
بافعالهم فهو رقيب عليهم يخشى من غضبه وعقابه ففيه من الموعظة
والتحذير ما لا يخفى قال الماوردي ابو الحسن وقد تقدم ذكره التقوى يعني
اي يريد الله به هنا في التقدم بقرينة اول الاية وان كان مطلقا وقال
السلمي ابو عبد الرحمن كما تقدم اتقوا الله في اهمال اي ترك حقه وتضييع
حرمته اي احترامه ثم بين انه سميع لقولكم عليم بفعلكم فمن سبقه صلى الله
عليه وسلم بالقول ترك الادب من فعله لم يراع حقه ولا وقر حرمته ثم نهى
ما قبله ثم انه تعالى نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته في الايات الاخيرة
واعاد النداء اهتماما بما به وتنبيها على انه امر اخر مستقل بالنهي ورفع الصوت
لشدة الجهر سوء ادب وغلظة يعتادها العوام والجهر له صلى الله عليه وسلم
عطف تفسير على رفع الصوت بالقول كما يجهر بعضهم لبعض وبرفع صوته فالمراد
النهي عن ارتفاع الاصوات عنده وان لم يكن الخطاب له في النداء وقيل كما ينادي
بعضهم بعضا فالمراد برفع الصوت النداء فنهاهم عن ان ينادوه كما ينادي
بعضهم بعضا باسمه فعبر عن النداء برفع الصوت لانه يلزمه غالبا ثم كقوله
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وبيانه ما قال ابو محمد مكي
وهو مكي بن ابي طالب القيرواني المالكي نزيل قرطبة كان متبحرا في العلوم
لا سيما علوم القران مجودا مقرئا مجاب الدعوة له تصانيف جليلة منها تفسيره
المسمى بالهداية وكتاب احكام القران توفي سنة سبع وثلاثين واربعمائة
اي لا تسابقوه بالكلام هو معنى قوله لا تقدموا الخ وتغلظوا له بالخطاب
اي تخاطبوه بغلظة واصل الغلظة ضد الرقة في الاجسام ثم شاع في المعاني
والخطاب توجيه الخطاب للغير والمراد به هنا الكلام المخاطب به ولا تنادوه
باسمه نداء بعضكم بعضا اي كنداء بعضكم فهو منصوب على المصدرية وهو عطف
تفسير ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يجب ان ينادى به يا نبي الله يا رسول
الله بدل من اشرف وهذا معنى قوله لا تجهروا له بالقول لان كثيرا من جفاة الاعراب
دابهم فيما بينهم هذا او هذا اي ما قاله مكي كقوله في الاية الاخرى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ووجهه ان النهي عن الشيء امر بضده
او بنقيضه وقد نهى الله عن هذه الامور التي تقتضي اهانته فكانه امر بتعظيمه
وتوقيره على احد التاويلين اي التفسيرين اللذين ذكرا في التفاسير وهو ان
يكون الدعاء بمعنى النداء والتسمية اي لا تنادوه باسمه رافعين اصواتكم بان

يقولوا

يقولوا يا محمد يا ابا القاسم كما ينادي بعضكم بعضا اذا طلب اقباله بل خاطبوه بادب فقو لوا
يا رسول الله يا نبي الله يا خير خلق الله ونحوه والثاني ان يكون المراد بالدعا الدعا على
احد اي لا تطلقوا ان دعاه كدعا بعضكم يحتمل الاجابة وعدمها كدعا بعضكم سوا كان بخير
او شر فان الله ضمن له اجابة دعائه ووعده بها من لا يخلف الميعاد وهذا غير
مراد هنا كما اشار اليه المص وهو الذي قاله مكي وقال غيره اي غير مكي معنى الاية اي
لا تجهروا له بالقول الخ لا تخاطبوه الا مستفهمين وفي نسخة الا مستفقين من الاشفاق
وهو الخوف وعلى الاول معناه الا سائلين له متعلمين منه بالادب ثم خوفهم الله عز وجل
من ان تحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك اي جهروا له بالقول ولم ينقادوا لما عنده وحذرهم
منه اي من فعلهم هذا بقوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون فان تحبط في محل
نصب بنزع الخافض اي بحذف المضاف اي لان تفعلوا ما يؤدي الى احباط اعمالكم
بالاستخفاف به وهو كفر فليس فيه دليل لاحباط الاعمال بالكبيرة كما قالته
المعتزلة والخوارج قال في الامتاع من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه لا يجوز
لاحد ان يناديه باسمه وما ورد في الحديث من ان اعرابيا قال له صلى الله عليه وسلم
يا محمد انا سائلك الخ صدر منه قبل اسلامه او قبل النهي او قيل له به ثم انه لو
ناداه احد بكنيته فقال يا ابا القاسم هل يحرم ام لا انتهى فتأمل ما فيه وان
هذا مخصوص بحياته ولا يخفى ان هذا مقيد بما فيه استخفاف فلو اقتضته حال
لم يحرم كما في حال الحرب والمجادلة قيل نزلت الاية في وفد بني تميم قبيلة مشهورة
سموا باسم جدهم والوفد جمع وافد وهو القادم على العظما لامر ما وكان ذلك
في سنة تسع وهي سنة الوفود وكان صلى الله عليه وسلم ارسل لهم سرية فهجموا
عليهم واخذوا مواشيهم واسارى فقدموا بها المدينة فحبسوا في دار رملة بنت
الحارث فارسلوا عدة منهم وسابقهم فجاؤوا بابه صلى الله عليه وسلم ونادوا
يا محمد اخرج الينا كما فصل في السير وقيل نزلت الاية في غير هؤلاء عن بني
تميم من العرب اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه من خلف داره يا محمد
اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل بمقام النبوة وترك الادب ووصفهم بان اكثرهم
لا يعقلون بقوله ان الذين ينادونك من ورا الحجرات اكثرهم لا يعقلون وقيل
نزلت الاية الاولى اي قوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي في محاورة
بميم مضمومة وحا وراء مهملتين وهي المجادلة ومراجعة القول بين ابي بكر
وعمر رضي الله عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اي في مجلسه وحضوره
والخلاف جرى اي وقع بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وهو كما في البخاري
عن الزبير رضي الله عنه وهو ان ابا بكر رضي الله عنه قال في امر بني تميم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر عليهم القعقاع بن معبد فقال
عمر رضي الله عنه بل الاقرع بن حابس فقال ابو بكر ما اردت الا خلافي فقال
عمر ما اردت خلافك وتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت الاية فما كان
عمر بعدها يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستفهمه والحكم
عام وسببه خاص وقيل انه في امر الزبرقان والذي ارتضاه السيوطي الاول

تلمساني

وقيل نزلت الاية كما روي عن ابن عباس في ثابت بن قيس بن شماس بن مالك بن امرئ
القيس الخزرجي الانصاري وكان خطيب الانصار وكان ايضا خطيب النبي صلى الله عليه
وسلم ليس المراد بالخطيب خطيب الجمعة والعيدين بل ما كان من عادة العرب اذا
اجتمعوا لمهم يقوم واحد منهم ويذكر كلاما بليغا يقدمه للامر الذي اجتمعوا
له كالمفاخرة وتفضيل بعضهم بعضا ما اثر فكان له صلى الله عليه وسلم خطيبا
عند الوفود وشاعرا كحسان رضي الله عنه في مفاخرة بني تميم لما قدم وفدهم
عليه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اخرج الينا يا محمد ورفعوا اصواتهم فاذى رسول الله صلى
الله عليه وسلم صياحهم فخرج اليهم فقالوا جئناك لنفاخرك فاذن لخطيبنا
وشاعرنا فاذن لهم فقام خطيبهم وهو عطارد فقال الحمد لله الذي له علينا
الفضل والمن وهو اهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا اموالا عظاما نفعل
فيها المعروف وجعلنا اعز اهل المشرق واكثره عددا وعدة فمن مثلنا في
الناس السنا برؤس الناس واولي فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ولو
شئنا لاكثرنا الكلام ولكنا نحيا من الاكثار فيما اعطانا وانا نعرف بذلك اقول
هذا لان تأتوا بمثل قولنا او امر افضل من امرنا ثم جلس فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس الخزرجي قم فاجبه فقام وقال الحمد لله
الذي السموات والارض خلقه قضى فيهن امره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء
قط الا من فضله ثم كان من قدرته ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه
رسولا اكرمه نسبا واصدقه حديثا وافضله حسبا فانزل عليه كتابه وائتمنه
على خلقه فكان خيرة الله من العالمين دعا الناس الى الايمان به فامن برسوله
المهاجرون من قومه وذوي رحمه اكرم الناس احسابا واحسنهم وجوها
وخيرهم فعالا ثم كنا اول الخلق اجابة لله حين دعانا رسوله صلى الله عليه
وسلم فنحن انصار الله ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم نقاتل
الناس حتى يؤمنوا فمن امن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه
وكان قتله علينا يسيرا اقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات
والسلام عليكم ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر فانشد شعرا في فخر قومه
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان فاجابه كما هو مبسوط في السير
فاسلم بنو تميم فرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيهم
وما لهم وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لهم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر
ولكن هاتوا ما عندكم وكان في اذنيه اي اذني ثابت رضي الله عنه صمم
فكان يرفع صوته اي كان هذا ادابه كما نراه فيمن به صمم وانما المحتاج
لرفع الصوت من يكلمه ليسمعه او يسبب لرفع له لانه سببه والاول هو
المراد كما صرح به فلما نزلت هذه الاية التي نهت عن رفع الاصوات
عنده اقام في منزله يعني لم يات مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم وخشي ان يحبط عمله برفع الصوت عنده صلى الله عليه وسلم ثم اني

البني

النبي صلى الله عليه وسلم ليعتذر له عن سبب تخلفه عنه بعد ما سال عنه فقال
يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت اي تحقق هلاكي لاني ان حضرت عندك تبطل
علي وان تخلفت فاتني كل خير وليس المراد بلزوم منزله انه ترك حضور صلاة وبي
الجماعة معه لمرض لحقه من شدة خوفه كما قيل اذ ليس هنا ما يدل عليه وقد
بين موجب هلاكه الذي تحقق عنده حتى كانه وقع بقوله نهانا الله ان نجهر بالقول
عندك وانا امرؤ جهير الصوت فقال صلى الله عليه وسلم له يا ثابت اما ترضى
ان تعيش حميدا اي محمودا عند الله والناس وهذا يدل على قبول عمله وانه لا يحبط
من الجواب حقيقة وتقتل شهيدا فيكون ذلك خير الدنيا والاخرة وتدخل الجنة
وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب كما اشار اليه بقوله فقتل
يوم اليمامة اي في وقعة اليمامة في خلافة الصديق في سنة ثنتي عشرة في ربيع
الاول وهي وقعة مسيلمة المشهورة واليمامة اسم مدينة من جانب اليمن على مرحلتين
من الطايف واربع من مكة وكان خروج في وقعتها مع خالد بن الوليد فلما التقوا لم
يثبتوا فقال ثابت وسالم مولى ابي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحفر كل واحد منهما حفرة له وثبت وقاتلا حتى قتلا وروى رواه
طارق بن شهاب ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي قال ابو بكر امنا لا نقول لله تعالى نحو فامن
مخالفة نهيه ولذا اكده بالقسم فقال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها اي
بعد نزول هذه الاية الا كاخي السرار اي الا كلاما خفيا كالمسارة وهي الكلام ذا
بخفية حتى لا يسمعه من عنده والسرار بكسر السين مصدر ساره مسارة وسرا
وهي مفاعلة من السر والاخ في النسب معروف يتجوز به عن المثل والشبه
كقولهم كان واخواتها ويكون بمعنى الصاحب والمراد الاول ويجوز ارادة الثاني
وهذا مروي عن ابن عباس وعمر ايضا كما ذكره المص بقوله وان عمر كان اذا حدثه
صلى الله عليه وسلم حدثه كاخي السرار وهذه العبارة من كلامهم قد يما ما كان
يسمع بضم اليا وكسر الميم وفاعله ضمير ابي بكر او عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد نزول هذه الاية حتى يستفهمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة
اخفائه كلامه وهو تفسير لقوله كاخي السرار فانزل الله فيهم اي في حق ابي بكر
وعمر ومن مثلهما هاهنا كناية مدحا لهم ان الذين يغضون اصواتهم اي يخفونها
عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم هم
والامتحان التجربة والمراد انه عاملهم معاملة المحنة ليظهر للناس اذ يعلم وفقوا
واستحقاقهم للاجر العظيم وقيل نزلت اية ان الذين ينادونك الخ في غير بني
تميم من الاعراب نادوه باسمه لجهلهم بمقامه وعدم مرادهم وروى رواه الترمذي
والنسائي عن صفوان بن عسال بفتح العين والسين المشددة المهملتين
ابن الربيع بن زاهر المرادي الكوفي الصحابي المشهور روى عنه الستة بينما
بالف كافة كبينما او في نسخة بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر
اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري بفتح الجيم وسكون الهاء وواو مفتوحة

اي صياح شديد يعني المجهور وجهر اذا رفع صوته وهو جهوري الصوت وجهير
اي رفيعه وبين ظرف مكان او زمان تجاب بجملة وقد تقرن باذ واذا الفجائية هو
والافصح تركها كقوله [illegible]

فبينا نحن نرقبه اتانا ● معلق وفضة وزناد راعي ●

وقد تقع بعد هذا الجمل اذا كفت بما او الف ايا محمد ايا محمد مرتين وفي نسخة
ثلاثا وايا بناء ينادي بها البعيد فقلنا له اي قال له الصحابة تعظيما له وتاديبا
اغضض من صوتك اي لا ترفعه فانك قد نهيت اي نهاك الله عنه حرمة وفي
فاعلة للعلم به واعلم ان رفع الصوت يكره في بعض المواضع كمجالس العلما
اذا تكلم ذلك من غير داع وقد يستحب في بعض المواضع كمجالس العلما كالاذان
وكمجالس الوعظ والخطبة ولذا روي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب
وذكر الساعة غضب وعلا صوته حتى يسمع بالسوق وكانت العرب تفتخر
بالصوت الجهير كما قيل جهير الكلام جهير العطاس جهير الروا جهير النغم
فنهى الله عما اعتادوه في الجاهلية وقول لقمان لابنه اغضض من صوتك نهي عن
الجهر تهاونا بالناس ثم ذكر من توقيره صلى الله عليه وسلم امرا اخر فقال
وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا كان المومنون يقولونه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خاطبهم بريد ونراني خطابك
حتى نفهم كلامك فراع مقامنا فانا لسنا نفهم مثلك فانظر حالنا فانتهز اليهود
الفرصة وقالوها لانها كانت كلمة يتسابون بها كما ياتي عن الكشاف قال
بعض المفسرين هي لغة في الانصار كانوا يقولونها في محاورتهم اذا ارادوا
التفهم نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم لايهامها ولا عتبا
خطاب الاقران وتبجيلا له اي تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهو ابلغ من
التعظيم لان معناه قال له بجل اي حسبك لان مقتضاها ارعنا نرعك من المراعاة
اي احفظنا نحفظك فنهوا عن قولها اي هذه الكلمة لان مقتضاها على تفسيرها
السابق انهم لا يرعونه ويراعون مقامه الا مراعاته لهم لان المعنى ارعنا
نرعك بل حقه اللائق به ان يرعى على كل حال راعاهم ام لا بخلاف انظرنا فان
معناها انظر الينا وفهمنا وبين لنا وهي كلمة ادب فلذا امر الله بان تقال
له انظرنا دون راعنا وقيل كانت اليهود تعرض بها له صلى الله عليه وسلم
بالرعونة وهي الحمق والحماقة وجعلها تعريضا لانها تحتمل الرعاية احتمالا
ظاهرا وقول البرهان انها انما تاتي على قراءة شاذة راعنا بالتنوين والنصب
ليس بشي لانه لو كان كذلك كان تصريحا لا تعريضا ولذا روي ان اليهود
قالوا كنا نسب محمدا سرا فصار ذلك علنا فكانوا يقولون يا محمد راعنا
ويضحكون ففطن لهم سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال لليهود عليكم
لعنة الله والله لا من عنق من سمعته يقولها فنهى المسلمون عنها
للفعول اي نهاهم الله عز وجل عن قولها قطعا للذريعة الذريعة
في اللغة الوسيلة والسبب وقال بعض شراح المدونة ان اصل معناها

لغة

لعله بجمل يترك هملا في فلاة يصاد فيها الظباء والحمر الوحشية فتانس به الصيد وتدنو
معه فاذا ذهبوا للصيد لم تهرب الجمل منهم لالفه بالناس فاذا وقف وقف الصيد معه
فياخذونه منه بسهولة ثم سمي به كل ما كان سببا للهلاك فانه سبب لهلاك الصيد الذي
معه كما ان هذه سبب لهلاك من قالها فلذلك جعلت ذريعة وهي فعيلة بذال معجمة
وراء وعين مهملتين واعلم ان الشراح رحمهم الله لم يتعرضوا هنا لبيان المراد بهذه
العبارة هنا وهي اشارة الى قاعدة مشهورة في مذهب الامام مالك وهي وجوب سد
الذريعة اي يجب دفع كل ما يؤدي الى فساد في امر مشروع وقد ظن كثيرون ان هذه المسئلة
مخصوصة بمذهب مالك وانه واجب عنده مطلقا وليس كذلك كما قال العلامة
القرافي حيث قال ليس كل ذريعة فساد يجب سدها مطلقا فان الذرائع ثلاثة اقسام
فمنها ما اجمع الناس على وجوب سده كسب الاصنام عند من يسب الله اذا سبت
وحفر الابار في طريق المسلمين والقاء السم في طعامهم ومنها ما اجمعوا على عدمه كالمنع
من غرس الكروم لئلا يتخذ منها خمر ومنها ما اختلف فيه كبيوع الآجال ومنها ما يكون
خلاف الاولى وقد تكون ذريعة الفساد ذريعة لمصلحة ايضا فيقدم الارجح منهما
كدفع المال للكفار لافتداء الاسير والحاصل كما نقله بعضهم عن علمائهم المتاخرين
ان سد الذريعة في الاصل من باب الورع والاحتياط لا من الواجب اذ المفعول بها
ليس فسادا في حد ذاته والفساد معها مظنون وقد اشتهر نسبة هذه المسالة
للمالكية حتى ظن كثير انها من خواصهم وليس كذلك كما علم مما بيناه القرافي ومنها
للتشبيه بهم اي ان يتشبه المؤمنون باليهود في قولها اي في التكلم بهذه الكلمة
لمشاركة اللفظ واتحاده وان كان قصد المسلمين غير ما قصده اليهود وقال
الواحدي في الوسيط النهي عن التكلم بهذه الكلمة مخصوص بذلك الوقت لاجماع
الامة على جواز المخاطبة بهذه اللفظة الآن ونقله الاصبهاني في تفسيره وبقي
الكلام في استحباب الترك وقيل في تفسير هذه الآية غير هذا المذكور في تفسيرها
ففي الكشاف كان المسلمون يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من
كلامه راعنا اي تأن حتى نفهم كلامك ونحفظه وكان لليهود كلمة سريانية او عبرانية
يتسابون بها وهي راعينا فلما سمعوا قول المسلمين راعنا بمعنى انظر الينا انتهزوا
الرعونة وقالوها يريدون سبه صلى الله عليه وسلم بها فنهي المسلمون
عن قولها لما فيها من الايهام وامروا ان يقولوا انظرنا من النظر اي امهلنا

## فصل في عادة الصحابة

في تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره واجلاله اي في نقل اخبارهم
فيما كانوا يعتادونه من المعاملة معه بالادب وغاية الاجلال فمنه ما رواه
المص هنا من حديث طويل رواه مسلم واشار اليه بقوله حدثنا القاضي ابو علي
الصدفي هو ابن سكرة وقد تقدم وان الصدفي نسبة لصدف قرية بالمغرب
وابو بحر الاسدي نسبة لقبيلته سماعا عليهما اي اخبرني مبتدأ وخبر اشارة
الى انهما من مشايخه في طريقي روايته هذا الحديث عنهما قالوا اي شيخاه

عرض

لاهما والاخرون لانه لو بر وعنهم وعبر بينهم الجمع بفعلها اولان الواحد وما فوقه
جمع حدثنا احمد بن عمر قال حدثنا احمد بن الحسن ابو العباس بن بندار الرازي المعروف
بالرواية وفي بعض النسخ للحسين والصحيح الاول قال حدثنا محمد بن عيسى هو الجلودي
كما تقدم قال حدثنا ابراهيم بن سفيان قدمنا ترجمته قال حدثنا مسلم صاحب
الصحيح وتقدمت ترجمته قال حدثنا محمد بن مثنى وتقدم تفصيل ترجمته وابو
معن الرقاشي وهو زيد بن يزيد البصري الثقة واسحاق بن منصور الحافظ الثقة
المعروف بالكوسج اخرج له السنة وتوفي سنة احدى وخمسين ومايتين
قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد ابو عاصم الشيباني البصري الثقة توفي في ذي
الحجة سنة ثلاث عشر ومايتين وترجمته في الميزان قال حدثنا حيوة بن شريح
تقدم ايضا وفي نسخة انبانا قال حدثنا يزيد بن ابي حبيب الازدي محدث مصر
وكان حبشيا من العلماء الحكماء الاتقياء توفي سنة ثمان وعشرين ومائة واخرج
له السنة عن ابن شماسة بضم الشين المعجمة وفتحها وميم مخففة والف وسين
مهملة واسمه عبد الرحمن المهري بميم مفتوحة وها ساكنة وراء مهملة
وياء نسبة وهو حافظ ثقة توفي في خلافة يزيد بن عبد الملك وما وقع في
بعض النسخ من انه الزهري بالقاف بدل الميم تحريف قال حضرنا عمرو بن العاص
يرسم بياء وقد تحذف كما مر فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان
احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احد اجل في عيني منه
تثنية عيني ويجوز افراده والمعنى واحد وما كنت اطيق اي اقدر ان املا
عيني منه اي اطيل النظر اليه وملء العين تحقيق النظر وتطويله وهو
مجاز مشهور وقوله ولكن ملء عين حبيبها بمعنى اخر بمعنى ما يعجبه
ويحسن منظره اجلالا له اي لاجله ومهابته ولو شئت ان اصفه لحليته ما طقت
وقدرت لعدم احاطة علمي به لاني لم اكن املا عيني منه لو هنا للتحقيق والجواب
على كل حال كقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اي لا اقدر
ان اصفه على تقدير اني شئت فكيف اذا لم اشا فلا يقال ان لو لامتناع الشرط
والجواب فيقتضي انه يطيق وصفه والمراد خلافه وحديث مسلم في الايمان
حضرنا عمرا في سياقة الموت يبكي طويلا وحول وجهه الى الجدار فقال ابنه
عبد الله يا ابتاه اما بشرك رسول الله بكذا او كذا فاقبل بوجهه وقال ان
افضل ما نعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اني كنت على
اطباق ثلاث الحديث ذكر حاله في جاهليته وبغضه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم ذكر اسلامه وشدة حبه له بعد ذلك ثم ذكر ما آل اليه امره
في الولاية وخوفه من اثامها رضي الله عنه وروى الترمذي والحاكم عن
انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج من بيته
على اصحابه من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم وعداه بعلى وهو يتعدى
بالى ومعناه خروج خاص لمن لم ينتظر وهم جلوس في المسجد فيهم ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما فلا يرفع احد منهم اليه بصره بل يطرقون لمهابته

الا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ويجوز الا ابا بكر وعمر نصبا فانهما كانا ينظران اليه وينظر
اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما لما بينهما من الالفة وقدم الصحبة والمهارة
ولتمكن مقامهما عنده صلى الله عليه وسلم وروى اسامة بن شريك الصحابي الثعلبي
من ثعلبة بن يربوع وهو الاصح وقيل من ثعلبة بن بشكر وقد اخرج له اصحاب السنن
واحمد في مسنده قال اي اسامة اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله
اي يحيطون به في مجلسه كانما على رؤوسهم الطير هذا مثل تضربه العرب لشدة الرزانة
والسكون لان الطير لا تنزل الا على ساكن وقد تقدم في مقصورة ابي البنوهية

كانما الطير على رؤوسهم من كل غصن في ربا المجد نما

وهذا الحديث رواه الاربعة وصححه الترمذي وفي حديث صفته بالتاء المثناة
الفوقية يعني حديث الحلية المشهور وصحفه بعضهم بصفية بالياء التحتية
اسم امراة ولا يعرف هذا وانما المعروف روايته عن هند بنت ابي هالة كما
تقدم اذا تكلم صلى الله عليه وسلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير
اي كانما طوائر رؤوسهم تادبا وذكر هذا مع ما تقدم اشارة لتعدد طرقه ولما بينهما
من المغايرة بذكر وجه الشبه والعموم في الجلساء لما فيه من ان كل من حضر مجلسه
صلى الله عليه وسلم ولو من اعدائه يتادب لانه امر ذاتي له وقال عروة بن
مسعود رضي الله عنه ابن معتب الثقفي حين وجهته قريش الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم سنة سبع بالحديبية لما صدوه عن دخول مكة معتمرا
عام القضية ارادها قصة الحديبية وقيل اراد السنة التي قضى فيها العمرة
فالقضية بمعنى القضاء والمراد عام جرى فيه القضاء والقضية اذ القضاء وقع
بعد الحديبية وعروة انما جاء بالحديبية فهو محتاج للتاويل ولذا قيل ان
القضية وقعت عام الحديبية سنة ست وعام القضاء كان سنة سبع بعد فتح
خيبر فلعل المص اراد القضية اللغوية التي جرت في الحديبية من الصلح
والصد عن البيت وبيعة الشجرة ولم يرد القضية التي ارادها اهل السير
انتهى وهذا ابتناء على ان عمرته صلى الله عليه وسلم بالحديبية لم تتم فقصدت
لما صدوه عن البيت وقد اختلف الفقهاء في مثله فقيل يجب الهدي ولا قضاء
وقيل يجب القضاء بلا هدي وقيل لا يلزمه هدي ولا قضاء وقيل يلزمه الهدي
والقضاء وقصة القضية مفصلة في السير وعروة هذا اسلم لما انصرف النبي
صلى الله عليه وسلم من الطائف وادركه قبل وصوله الى المدينة وكان حين
ارسلوه مشركا ورأى عروة من تعظيم اصحابه له صلى الله عليه وسلم ما راى
هذا فيه من المبالغة ما في قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم اي رأى
من اكرامهم له صلى الله عليه وسلم وتعظيمهم له شيئا عظيما لا يمكن التعبير
عنه لفواته الحصر ولذا ابهمه وان ذكر بعضا منه بقوله وانه صلى الله عليه
وسلم لا يتوضا الا ابتدروا اي اسرعوا واخذوا وضوءه بفتح الواو اي بقية
الماء الذي توضا به وما تساقط منه قبل وصوله الى الارض وكادوا اي
قربوا لازدحامهم ودفع بعضهم بعضا من ان يقتتلوا عليه اي على وضوئه

واخذه لحرصهم على التبرك بما مسه صلى الله عليه وسلم بيده ولا يبصق بصاقا اي رمى
شيئا من ريقه الشريف ولا يتنخم نخامة بضم النون لان فعالة وضعها لكل قليل
انفصل من شيء كالبراية والتنخم اخراجه من الفم والفرق بين البصاق والنخامة
ان الاول ما يخرج من الفم والثاني ما يخرج من اقصى الحلق الا تلقوها اي
النخامة باكفهم واكتفى بضميرها عن ضمير البصاق وكان الظاهر تلقوهما او
جعلهما شيئا واحدا لاتحادهما جنسا فدلكوا بها وجوههم واجسادهم
تبركا بهما ولا تسقط منه شعرة بفتح العين وسكونها في حلاقة راس ونحوه الا
ابتدروها وسارعوا لاخذها واذا امرهم بامر ابتدروا امره بل لامتثال ١٧١ خ ابتدروها
الامر مصدرا او بمعنى المامور وكان حقه ان يقول ابتدروه فصرح به
تفخيما لشانه وتنويها لقدره واذا تكلم صلى الله عليه وسلم خفضوا اصواتهم
عنده لتبيين ما يقول لهم ولا يحدون اليه النظر اي لا ينظرون اليه صلى الله
عليه وسلم نظرا حديدا اي قويا او لا يبلغ نظرهم اليه حده ومنتهاه بل
ينظرون اليه من طرف خفي مثل فين وسهم تادبا اجلالا له في قلوبهم
تعظيما له صلى الله عليه وسلم علة للنفي لا للمنفي اي يتركون كمال نظرهم
لتعظيمه صلى الله عليه وسلم فلما رجع عروة الى قريش قال لهم يا معشر
قريش المعشر والعشيرة بمعنى اني جئت كسرى بفتح الكاف وكسرها ملك فارس
كما تقدم في ملكه في زمان سلطنته وقيصر ملك الروم في ملكه وجئت
النجاشي ملك الحبشة في ملكه فرايتهم وشاهدت عظمتهم والنجاشي بفتح
النون وكسرها وياؤه مشددة ومخففة كما مر واني والله ما رايت ملكا
في قوم قط مثل محمد في اصحابه اي لا يعظمون ملكهم كما يعظمه صلى الله عليه
وسلم اصحابه وفي رواية لحديث عروة ان بكسر وتخفيف نافية بمعنى
ما رايت ملكا قط يعظمه اصحابه كمثل ما يعظم محمدا اصحابه ففيه مضاف
مقدر وما مصدرية او موصولة اي كالتعظيم الذي يعظمه اصحابه فالعائد
مقدر وقد رايت قوما يعني بهم الصحابة رضي الله عنهم لا يسلمونه بضم
اوله وسكون ثانيه المهمل وكسر لامه مضارع اسلمه يقال اسلمه لعدوه اذا
امكنه منه وخلى بينهم وبينه ويقال اسلمه اذا القاه في هلكه فهو عام اريد
به خاص ابدا ظرف لاستغراق الزمان المستقبل كما ان قط لاستغراق الماضي
يعني ان ما شاهدته من احوالهم في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وانقيادهم
له يدل على انهم لا يقصرون في نصره ويبذلون انفسهم دونه فاياكم ان تطمعوا
في خلافه وهذا البعض من حديث طويل رواه البخاري وعن انس في حديث
رواه مسلم قال فيه لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق
بتشديد اللام وهو الذي يحلق شعر راسه فقوله يحلقه بتقدير
مضاف وقد اطاف به اصحابه اي جلسوا حلقة حوله صلى الله عليه وسلم
وطاف بمعنى دار واطاف بمعنى استدار من غير حركة فما يريدون
ان يقع شعرة من شعر راسه الا في يد رجل منهم حرصا على التبرك

بإثاره صلى الله عليه وسلم والذي حلق رأسه وقلم أظفاره معمر بن عبد الله العدوي
في حجة الوداع وقال ابن الأثير في الأنساب انه خراش بن أمية الكلبي وكان ذلك يوم الحديبية
كما قاله ابن عبد البر والذي حلقه بالجعرانة ابو هند وكان صلى الله عليه وسلم لا يحلق
رأسه الا في حج أو عمرة ومن هذا اي تعظيم الصحابة له صلى الله عليه وسلم لما أذنت
قريش لعثمان بن عفان رضي الله عنه حين ارسله صلى الله عليه وسلم الى اهل مكة وهو
بالحديبية وقد صد وهو عن البيت وارساله لاعلامهم بانهم لما يأتوا لقتالهم فلا وجه
لصدهم عن دخول الحرم فلم يرضوا بذلك ولكنهم أذنوا لعثمان رضي الله عنه في الطواف
بالبيت بعد منعهم منه له كغيره حين وجهه اي ارسله رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليهم في القضية اي قضية صدهم المسلمين عن البيت وهم بالحديبية كما مر
أبى الطواف وقال جوابا لما وقال ما كنت لأفعل الطواف وحدي ورسول الله
صلى الله عليه وسلم قد منع منه ولم يرسلني لذلك فلا أطوف حتى يطوف به رسول
الله صلى الله عليه وسلم ففيه من تعظيمه والوقوف عند أمره ما لا يخفى وهذه
القصة مفصلة في السير وحاصل ذلك انهم لما صدوه وهو عن دخول مكة وارسلوا
عروة لاعلامهم بذلك ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان لعظماء
قريش ليخبرهم لمجيئه صلى الله عليه وسلم معتمرا لا مقاتلا فلما دخل مكة
أجاره أبان بن العاص حتى بلغ رسالته فلما بلغهم قالوا له يا عثمان ان شئت
فطف فقال ما كنت لأفعل فاحتبسوه وبلغ المسلمين انه قتل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم الحرب وبايع اصحابه بيعة الرضوان
تحت الشجرة كما رواه الترمذي عن طلحة رضي الله عنه وقال انه حسن غريب
وقوله ما كنت لأفعل ابلغ من لا أطوف وفي حديث طلحة الذي رواه الترمذي
وحسنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لأعرابي جاهل سله
اي سل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قضى نحبه في قوله تعالى من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه والنحب النذر والعهد
استعير هنا للموت لانه كاللازم في رقبته كأنه نذر في ذمته يجب قضاؤه والزم نفسه
ان يجاهد في سبيل الله وقتال اعدائه والثبات في مواقعه حتى كأنه نذر عليه
والمراد هذا الثاني فمن اقتصر على الاول فقد قصر اي منهم من قاتل حتى مات
شهيدا كحمزة رضي الله عنه وكانوا اي اصحابه يهابونه ويوقرونه فلا يكررون
سؤاله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فسأله الاعرابي فاعرض عنه ولم يجبه
اذ طلع طلحة اي كان اعراضه في وقت طلوعه اي مجيئه لمجلسه صلى الله عليه
وسلم وقيل اذ هنا فجائية كقوله فبينما العسر اذ دارت مياسير اي فاجأهم
طلوعه عليهم بغتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى
نحبه وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد احد العشرة وفي
الصحابة طلحة تيمي غيره وهو الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم ان
تؤذوا رسول الله الآية وروى ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم تلا هذه
الآية على المنبر فسأله رجل من هؤلاء فاقبل طلحة بن عبيد الله فقال هذا

منهم وكذا في سنن ابن ماجه وفي تفسير ابن ابي حاتم ان عمارا منهم وفي تفسير
يحيى بن سلام هم حمزة واصحابه قال ابن النحوي كان ممن مات ذلك اليوم عبد الله
ابن جحش ومنهم من ينتظر منهم طلحة بن عبيد الله انتهى قال ابن الملقن فاجتمع
منهم انس بن النضر وطلحة بن عبيد الله وعمار وحمزة واصحابه الذين قتلوا معه
باحد انتهى وطلحة هذا هو الملقب بطلحة الخير والفياض وانما قال صلى الله عليه
وسلم في حقه ذلك لانه كان قد غاب عن بدر فقال لئن حضرت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم مشهدا آخر ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد ابلى فيه بلاء
حسنا ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بنفسه واتقى النبل عنه
بيده حتى شلت اصابعه وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى
استعلى الصخرة فلذا شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شهد وهو احد
العشرة فالنحب هنا بمعنى العهد لانه مشترك بينه وبين النذر والموت وفي
الاية كلام طويل في التفاسير واما في ابن الحاجب ليس هذا محله وفي حديث قيلة
الذي رواه ابو داود والترمذي وقيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية
ولام وهي بنت مخرمة العنبرية الصحابية وقيل القايمية كما تقدم وحديثها
في الشمايل وفيه قالت فلما رايته صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء
وهو نوع من الجلوس محتبيا بيديه قال في القاموس القرفصاء مثلث القاف
والفاء مقصور والقرفصاء بضم القاف والراء ان يجلس على اليتيه ويلصق
فخذيه ببطنه ويحتبي بيديه ويضعهما على ساقيه او يجلس على ركبتيه
متكيا ببطنه بفخذيه انتهى ارعدت اي حصل لي رعدة واضطراب من الفرق
بفتحتين اي شدة الخوف وذلك انما كان لي من الرعدة والخوف هيبة له
وتعظيما لجلالته وعظمته في عين راتيه وفي حديث المغيرة بن شعبة الذي
رواه الحاكم والبيهقي كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
اتوه لامر وهو في منزله يقرعون القرع ضرب خفيف ومتى له صوت
بابه بالاظافير جمع ظفر على غير القياس وجمع اظفور او اظفار بمعنى ظفر
فاظافير جمع الجمع فالاول اولى لان جمع المفرد افصح من جمع الجمع وهذا
اي ذكر الباب والقرع يقتضي ان حجرته صلى الله عليه وسلم كان لها
باب من خشب ونحوه وقد ورد انه كان عليه ستر او مسح وجمع بانه كان من
جلد يقرع فليحرر فان مثله لا يقال بالراي واعلم ان مثل هذا هل يسمى
حديثا اولا وعلى تقدير تسميته حديثا هل هو مرفوع ام لا اختلفوا
فيه كما قال الحافظ العراقي في الفيته

لكن حديث كان باب المصطفى ۝ يقرع بالاظفار حتما وقفا
حكما لدى الحاكم والخطيب ۝ والرفع عند الشيخ ذو تصويب

والمراد بالشيخ ابن الصلاح رحمه الله وقال البراء بن عازب بن حارث
الخزرجي الانصاري توفي في ايام مصعب بن الزبير في حديث رواه ابو
يعلى وصححه لقد كنت اللام جواب قسم مقدر اي والله اريد ان اسال

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر من الامور التي تهمني او تخطر ببالي مما احتاج
لبيانه فاوخر بهمز ثم نون وقد تبدل الثانية واوا والافصح الاول سنتين متى سنة
وفي نسخة سنين بصيغة الجمع من هيبته صلى الله عليه وسلم اي من مهابته في قلبي وعظمته
في نفسي

## فصل واعلم

امر من العلم معطوف على ما قبله والخطاب عام لكل من يصلح له وسد مسد مفعوليه
قوله ان حرمته صلى الله عليه وسلم بضم فسكون وبضمتين وكهمزة وهي المهابة
اي احترامه والتادب معه بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم على كل احد كما
كان لازما في حال حياته لبقاء نبوته ورسالته وذلك اي ما ذكر من احترامه
وتعظيمه لازم عند ذكره وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة
آله تقدم بيان المراد بهم وعترته بكسر العين وسكون المثناة وكونها مثلثة خطا
من العامة وهم نسله ورهطه وعشيرته الادنون ومعاملتهم بمعنى مخالطتهم
في امور دينية او دنيوية وتعظيم اهل بيته اي زوجاته وخدمه واتباعه
وليس المراد آله وعترته حتى يكون اطنابا وصحابته رضي الله عنهم قال ابو ابراهيم
التجيبي بضم التا وفتحها كما تقدم واجب على كل مؤمن خصه لان الكافر لا يجب
عليه ذلك وقيل انه يجب عليه ايضا بناء على انه مخاطب بفروع الشريعة والوجوب
عليه بمعنى مطالبته به في الآخرة وعقابه عليه متى ذكره صلى الله عليه وسلم
او ذكر عنده وسمعه ان يخضع اي يبدي التذلل والاستكانة وخفض الجناح
وخضع يكون لازما وهو المعروف ومتعديا يقال اخضع الحديث اي لينه
ويخشع الخضوع والخشوع متقاربان كما قاله الراغب وقيل الخشوع اعم
لانه يوصف به القلب والجماد كترى الارض خاشعة ولا يخفى انه مجاز لا يدل
على مدعاه ويتوقر اي يظهر الوقار والرزانة ويسكن من حركته ويأخذ اي
يشرع في هيبته اي اظهار مهابته صلى الله عليه وسلم عنده واجلاله
بتعظيمه حق تعظيمه بما كان يأخذ به نفسه اي يكلفها ويلزمها لو كان بين
يديه صلى الله عليه وسلم حاضرا في مجلسه فيتم من ذلك ويلاحظه ويتمثله
فكانه عنده ويتادب بما ادبنا الله به مثل قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
الخ ولا ترفعوا اصواتكم وغيره مما تقدم آنفا وفيه اشارة الى ان هذا ثابت
بالقرآن ايضا لدخوله في عموم ما تقدم واطلاقه وان لم يرد تصريح فيه
بخصوصه في النصوص القرآنية ومن لم ينتبه لهذا قال كان على المصنف
ان يقدم دليلا قرآنيا على الحديثي يدل على ان وجوب حرمته ميتا كحرمته
حيا كما هو دابه وان يذكر انه حكم عام فيه صلى الله عليه وسلم وفي ساير
الانبيا لما ورد في حقهم من المدح والتعظيم وقوله فبهداهم اقتده
ولقوله ورفعنا لك ذكرك واقترانه اسمه باسمه الواجب التعظيم يقتضي
تعظيمه ولقوله صلى الله عليه وسلم الا رغم انف من ذكرت عنده فلم
يصل علي ولا يخفى ما فيه قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله

ابن اقبرس

ابن اقبرس

وهذه الامور المذكورة من توقيره صلى الله عليه وسلم حيا وميتا وانته باعتبار ما ذكر
لقوله كانت سيرة سلفنا الصالح اي داب وطريقة من تقدم الصالحين والعلما
العاملين رضي الله عنهم ثم بين هذه السيرة بقوله حدثنا ابو عبد الله محمد
ابن عبد الرحمن الاشعري هو ابن سعيد القرطبي وقد تقدم وابو القاسم
ابن بقي بفتح الموحدة وكسر القاف وتشديد المكسورة وياء مثناة تحتية الحاكم
وهو احمد بن محمد بن احمد بن مخلد بن يزيد بن بقي وغير واحد فيما اجازونيه
اي رووه عنهم بطريق الاجازة المعروفة بين المحدثين كما بينه ابن الصلاح
وغيره قالوا اي قال هولا كلهم انبانا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث
بكسر الدال المهملة وسكون اللام وها والف يليهما ثا مثلثة بزنة جلباب
علم مصروف منقول من اسم الاسد كدلهث ودلاهث قال حدثنا ابو الحسن
علي بن فهر بالكسر كاسم القبيلة قال حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج قال
حدثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب بضم الميم وسكون النون وتا مثناة فوقية
والف وبا موحدة وهو عبد الله بن المنتاب بن الفضل بن ايوب قاضي المدينة
قال حدثنا يعقوب بن اسحاق بن ابي اسرائيل قال حدثنا ابو حميد بالتصغير
ابن حميد بن ثعلبة احد رواة مالك قال ناظر مالكا من المناظرة وهي المباحثة
في امر من الامور وهي مفاعلة من النظر بمعنى الفكر لان كلا منهما ينظر في كلام
من يجادله وفيه كلام في شرح اداب البحث ليس هذا محله ابو جعفر امير المومنين
ثاني خلفا بني العباس اخو السفاح المعروف بالمنصور وترجمته مفصلة في التواريخ
مالكا امام المدينة وعالمها المشهور رحمه الله في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرفع صوته في مناظرته فقال مالك يا امير المومنين
لا ترفع صوتك في هذا المسجد النبوي المحترم واول من سمي بامير المومنين
على العموم عمر بن الخطاب رضي الله عنه سماه به المغيرة بن شعبة وقيل
لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم حين وفدا عليه من العراق وقيل انه رضي
الله عنه قال للناس انتم المومنون وانا اميركم فسمي بذلك وكان قبل ذلك
يقال له يا خليفة خليفة رسول الله فعدلوا عن ذلك لطوله واحترزنا
بعلى العموم عن عبد الله بن جحش فانه سمي بها على الخصوص في ولايته على
سرية اثنا عشر رجلا وقيل ثمانية واول من سمي بامير المسلمين يوسف بن
تاشفين الملثم فان الله ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم الخ وتقدم
تفسيرها ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الخ وتقدم
بيانها ايضا وذم قوما فقال ان الذين ينادونك الخ كما تقدم وان
حرمته صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا اي ما يجب ان يراعى في حقه
في حياته يراعى بعد مماته فاستكان لها ابو جعفر استكان افتعل من
المسكنة بمعنى خضع وذل اشبعت حركته كما في القاموس وفيه كلام
في التصريف وضمير لها راجع لمقالة الامام مالك المعلومة من المقام
ولم يذكروا ما ناظره فيه لانه لا يترتب عليه فائدة هنا وقال ابو جعفر

للامام

للامام مالك يا ابا عبد الله تعظيما له بسؤاله بقوله استقبل القبلة اصله
استقبل بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة المضارع للمتكلم فحذفت الاولى للتخفيف ولوجود
القرينة وقد ورد حذفها كثيرا كقوله

فوالله ما ادري وان كنت داريا ۞ بسبع رمين الجمر ام بثمان

وهو من خصائص الهمزة وادعو اذا اردت زيارته صلى الله عليه وسلم ام استقبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي اجعل وجهي مقابلا لجهته وحينئذ يكون مستدبر
القبلة فلذا اشكل عليه لان استقبال القبلة في الدعاء مشروع فاذا عارضه هذا
فايهما يقدم فقال له مالك رحمه الله ولم تصرف وجهك عنه اي عن مقابلته
ومواجهته حال الدعاء وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه الصلاة والسلام
الى الله يوم القيامة المراد بالوسيلة وهي السبب ما يتوصل به الى اجابة الدعا وكني
بذلك عن جميع الناس اي هو الشفيع المشفع المتوسل به الى الله تعالى يوم القيمة
اشارة الى حديث الشفاعة العظمى وقد تقدم والى ما ورد من ان الداعي اذا قال
اللهم اني استشفع اليك بنبيك يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له بل
استقبله صلى الله عليه وسلم بوجهك في دعائك بما تريد واستشفع به الى الله
في الاجابة فانه شفيع لا يرد من توسل به اليه فيشفعه الله فيك ويقبل دعاءك
وفي نسخة فيشفعك الله وهي مشكلة اذ المراد الاول واولت هذه بان اصلها
فيشفعه فيك فحذف المفعول والجار ووصل به الضمير وقيل المعنى يقبل
شفاعتك والمصدر مضاف للمفعول ولا يخفى ما فيه وفي هذا رد على ما قاله
ابن تيمية من ان استقبال القبر الشريف في الدعاء عند الزيارة امر منكر لم يقل به
احد ولم يرو الا في حكاية مفتراة على الامام مالك يعني هذه القصة التي اورد
المصنف هنا ولله دره حيث اوردها بسند صحيح وذكر انه تلقاها من عدة من ثقات
مشايخه فقوله انها كذب محض ومجازفة من ترهاته وقوله لم ينقل ولم يرو
باطل فان مذهب مالك واحمد والشافعي رضي الله عنهم استحباب استقبال القبر
الشريف في السلام والدعاء وهو مسطر في كتبهم وصرح به النووي في اذكاره وايضاحه
وقال السبكي صرح اصحابنا بانه يستحب ان ياتي القبر ويستقبله ويستدبر القبلة
ليبعد من راس القبر نحو اربع اذرع فيسلم عليه صلى الله عليه وسلم ثم
يتاخر ويسلم على ابي بكر رضي الله عنه ثم يرجع لموقفه الاول مستقبلا للقبر
ويدعو بما اراد وقد نقل عن ابي حنيفة رضي الله عنه ان يستقبله صلى الله
عليه وسلم في الزيارة ثم يستقبل القبلة بعده ويدعو كما ذكره السروجي
من ايمتنا وقيل في قوله وسيلة ابيك ادم انه ادم عليه الصلاة والسلام
لما اكل من الشجرة ثم ندم قال يا رب اسالك بحق محمد الا غفرت لي فقال له الله
كيف عرفت محمدا فقال لاني رايت على قوائم العرش لا اله الا الله محمد رسول الله
فعرفت انك لم تضف لنفسك الا احب الخلق اليك فقال صدقت يا ادم انه
لاحب الخلق الي ولولاه ما خلقتك وهو حديث صحيح رواه الحاكم قال الله
تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك الاية استدل بهذه الاية على

برهان

ها

ما ادعاه من التوسل به صلى الله عليه وسلم وقبول التوسل به كما ينادي عليه لوجدوا
الله توابا رحيما للتعليق قبول استغفارهم على استغفاره صلى الله عليه وسلم لهم
واستشفعوا به لاستحباب استقباله ايضا دون استقبال القبلة لانه صلى الله عليه
وسلم حي في قبره يسمع دعاء الزائر ومن جاء عظيم الرجا شفاعته له لا شك في انه يتوجه
اليه بقلبه وقالبه كما قال ابن المقرئ رحمه الله

تخاطبه لما تناجيه مقبلا ● على غيره فيها الا لضرورة
ولو رد من ناجاك للغير طرفه ● تميزت من غيظ عليه وغيرة

تدبر وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني وهو الامام ابو بكر
البصري التابعي سيد الفقها والمحدثين روى عنه مالك والثوري وغيره
والسختياني بكسر السين نسبة لعمل السختيان وهو الجلد المدبوغ وهو
معرب وتاؤه تفتح وتكسر اخرج له الستة وتوفي سنة احدى وثلاثين
ومائة وقيل غير ذلك ما حدثتكم اي رويت لكم عن احد من مشايخه الا
وايوب افضل منه قال مالك وحج حجتين وكنت حاجا اذ ذاك فكنت ارمقه
اي انظر اليه بمقدار رمقة اذا نظر اليه ولا اسمع منه شيئا يتكلم به لطول صمته
كذا قيل والظاهر انه اراد لا اسمع منه الحديث فاروي عنه لما سيأتي من قوله
كتبت عنه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عنده بكى حتى ارحمه
اي يرق قلبي عليه رحمة له بما اراه منه فلما رايت منه ما رايت واجلاله للنبي صلى
الله عليه وسلم واتباع سنته في جميع احواله المقتضية لمحبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وخشوعه لذكره علمت شدة ديانته وانه ثقة ظاهر العدالة
فسمعت منه وكتبت عنه الحديث ورويته عنه وهذا يدل على كمال ورعه
في الرواية وانه لا يروي عن كل احد حتى يختبره وبكاؤه اما للتحسر على انه
لم يره صلى الله عليه وسلم واشتياقه له او لخوفه من تقصيره في اتباعه
او لاجلاله وتذكر مهابته حتى كانه يراه وهذا اقرب للسياق وقال مصعب
بصيغة المفعول علم منقول من الفعل الشديد ابن عبد الله بن مصعب
ابن ثابت الزبيري الحافظ احد رواة الامام مالك بن انس رضي الله عنه
ورحمه اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عنده يتغير لونه بان يصفر كما
يعتري من اشتد خوفه من شيء وينحني اي يتضاءل لشدة خشوعه حتى
يصير كالمنحني حتى يصعب ذلك على جلسائه وتلامذته لخوفهم عليه فقيل له
في ذلك اي سئل عنه وما سببه فقال لو رايتم ما رايت من السلف من خشوعهم
واجلالهم لذكره صلى الله عليه وسلم لما انكرتم علي ما ترون مما شاهدتموه
من حالتي لقد رايت محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمي المدني الحافظ توفي
في سنة خمس ومائتين اخرج له الستة وكان سيد القراء اي كان في عصره
رئيس العلماء العارفين بالقران وتفسيره ووجوه قراآته واحكامه لا نكاد
نساله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه شفقة عليه لما نراه من اضطرابه
لشدة مهابته لذكره صلى الله عليه وسلم او لشدة شوقه الى لقائه

دجى

كان مالك رضي

وتاسعه

وتأسفه على عدم رؤيته صلى الله عليه وسلم وكاد هنا زائدة لتأكيد الكلام وقد
ورد في كلامهم كثيرا كما في القاموس وهو احد الوجوه في قوله تعالى لم يكد يراها
اي لم يرها وهو المراد وابدا المطلق الاستغراق ويكون لاستغراق الازمنة المستقبلة
فهي هنا لحكاية الحال الماضية وتنزيلها منزلة ما حضر واستمر كالمضارع في قوله
هنا لا يبكي قال الامام مالك رحمه الله ولقد كنت ارى جعفر بن محمد اللام في
جواب قسم مقدر ووقع في بعض النسخ هنا تلقيب جعفر الصادق ومحمد هو الباقر
ابن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وكان كثير
الدعابة بضم الدال والعين المهملتين والف وباء موحدة وهي المزاح والتبسم
وهو اقل الضحك والجملة معترضة ومع كثرة مزاحه وانشراح صدره اذا ذكر
عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وتغير وجهه لمهابته واجلاله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا وهو على طهارة اي بوضوء لنقل الحديث فيعلم منه نفي الحدث
الاكبر بالطريق الاولى وذلك لتعظيمه الحديث ولقد اختلفت اليه زمانا
كثيرا اي ذهبت اليه مرارا كثيرة يقال اختلف اليه اذا جاء وذهب واتى وقتا
بعد وقت في اوقات مختلفة فقوله اختلاف الاوقات منزلة اختلاف الذوات
وضمير اليه لجعفر المذكور وما كنت اراه الا مستمرا على ثلاث خصال اما مصليا
واما صامتا لا يتكلم واما يقرأ القران فيناجي ربه ولا يتكلم فيما لا يعنيه
بفتح اوله اي يهمه وتجرده نفعا الصون لسانه عن اللغو وكان من العلماء
بالعلوم الشرعية ومن العباد الذين يخشون الله تعالى وهذا حاله في منزله
وخلوته والدعابة والتبسم اذا كان في ملإ من الناس تلطفا بهم وحسن خلق فلا
منافاة بينهما كما توهم قال مالك رحمه الله ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم
ابن محمد بن ابي بكر الصديق احد فقهاء المدينة توفي رحمه الله تعالى سنة احدى
وثلاثين ومائة وابوه احد الفقهاء السبعة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم
فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم نزف مبني للمجهول ومعناه سال وفيه
تسمح او تقدير اذ اللون لا ينزف فالمراد انه سال دمه فاصفر صفرة مفرطة
لان حمرة البشرة بما تحتها من الدم وتوهم بعضهم ان معناه انه احمر خجلا
واعترض بان المناسب لقوله وقد جف لسانه في فمه الاصفرار لا الاحمرار ثم قال
ولعله يحصل له حالة خجل من حالة خوف وهو من عدم التامل وجفاف
اللسان بذهاب ريقه لخوفه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم معطوف
له لما قبله وقيل لعذر ليتحد فاعلاهما ولا حاجة اليه وان جاز ولقد كنت
آتي عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام العابد الجليل القدر اخرج له الستة
توفي بعد عشرين ومائة وهو بحيث معه فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه
وسلم يبكي حتى لا يبقى في عينيه دموع اي لبكائه بكاء شديدا لما مر ولقد كنت
آتي صفوان بن سليم مصغرا وهو مولى حميد بن عبد الرحمن الزهري القرشي
مات سنة اثنين وثلاثين ومائة وكان اكثر اهل المدينة عبادة وزهدا وفضلا

ابن اقيش

عوضي

وثمانين في كما قال وكان صفوان المذكور من المتعبدين اي المكثرين للعبادة المداومين
عليها المجتهدين في العبادة المجدين فيها ويحتمل ان يكون وصل لمرتبة الاجتهاد في احكام
الدين لزيادة فضله واحاطته بالسنة وهو جملة معترضة فاذا ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم عنده بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه لاتصال بكائه وطوله
ولقد رأيت الزهري الامام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب التابعي
الامام الجليل المشهور توفي في رمضان سنة اربع وعشرين ومائة وهو ابن اثنين
وسبعين كما تقدم وكان من اهنا الناس اي اسهلهم واحسنهم خلقا والينهم
عريكة مستعار من هنو الطعام اذا ساغ وسهل واقربهم الى الناس لحسن توده
لهم ومع ذلك اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته
لدهشته وحيرته واعراضه عمن عنده وذهوله عن معرفته لاشتغال قلبه
وحواسه بالفكر لاجلاله له وتعظيمه وقد ذكر مالك رحمه الله هؤلاء بيانا لانه
اقتدى بهم واهتدى بهديهم وان حاله لم يصل لحالهم فلا يتعجب منه وروي
عن قتادة تقدم بيانه انه كان اذا سمع الحديث يقرؤ عنده اخذه اي عرض له
واستولى عليه حتى كانه اخذه العويل بعين مهملة هو صياح مع البكاء والزويل
بفتح الزاي المعجمة وكسر الواو ويا ولام وهو القلق والانزعاج لشدة الخوف
يقال زال زويله في الدعاء اي ذهب ذعره وهو ماخوذ من الزوال لتغير
حاله عما كان عليه ولما كثر على الامام مالك الناس اي اجتمع عنده لسماع الحديث
ناس لا يحصون كثرة واتوه من كل فج قيل له لو جعلت مستمليا اي احدا يجلس
قريبا منك وتملي عليه الحديث فياخذه عنك فيبلغهم ويسمعهم ما يعيده
لهم لكثرتهم وبعد بعضهم عنك ممن في اخر الحلقة ولو للتمني للمناسبة
بينهما في عدم الوقوع ولما لزم مما قالوه رفع صوت المبلغ كما هو
المعتاد لم يرتض ما قالوه من وضع مستمل في الحلقة والاستملا طلب
الاملا وهو القا الكلام على الغير فقال مالك مجيبا ارشادا لهم وتاديبا
مستدلا بقوله تعالى كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
الخ فقد منع رفع الصوت في مجلس قراة الحديث لان منعه في مجلسه حال
حياته وبعده بقوله وحرمته اي احترامه وتوقيره حيا وميتا سوا فكما
يلزم الاول يلزم الثاني ثم تعلل بما يوافق ما قاله مالك بقوله وكان
ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع
وكان عبد الرحمن بن مهدي بن حسان ابو سعيد الحافظ الثقة البصري
المعروف باللؤلؤي احد اعلام الحديث وقال ابن المديني اعلم الناس
بالحديث ابن مهدي توفي سنة ثمان وتسعين ومائة واخرج له اصحاب
الكتب الستة اذا قرا حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم اي امر من
حضر في مجلسه بالسكوت والانصات لاستماعه وقال مخاطبا لمن عنده
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتاول الاية التي تلاها بجعل
الصوت شاملا لحكايته وانه عام لهما ودال على انه يجب له صلى الله عليه

وسلم

وسلم من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله حقيقة في حياته لما فيه من
التوقير وحرمته وحسن الادب كما قيل حديثه او حديث عنه يطربني هذا اذا غاب او اذا حضره
فان قلت ما نقله عن مالك من انه لم ير من يستملي في مجلسه ينافي ما نقل عنه انه
كان له مستمل يبلغ الناس عنه قلت حاله الاول كان قبل كثرة الناس حيث
يسمعون كلامه بغير واسطة ثم كثر الناس عليه بعد ذلك فراى ان المستملي لا بد
منه فاتخذه للضرورة وقد قال المحدثون انه لا يمنع مستمليا اذا سمعوه لان اعلى
مرتبة السماع ما كان من لفظه فان لم يتيسر ذلك اتخذ مستمليا واحدا فاكثر
واستدلوا لذلك بانه صلى الله عليه وسلم خطب الناس بمنى على بغلته الشهبا
وعلي رضي الله عنه يبلغ الناس فعلم مما تقرر انهم ان كثروا بحيث لا يكفي مستمل
واحد زادوا بقدر الحاجة ويكون المستملي على مكان واحد مرتفع من كرسي ونحوه او قائما
ان امكنه

## فصل في سيرة السلف

وعاداتهم في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسنته عطف تفسير لشمولها لاقواله وافعاله وجميع ما يتعلق به وفي نسخة
سننه بصيغة الجمع وفي اخرى وسننهم وهذا تتمة للفصل الذي قبله كما
ادرجه في ترجمته لكنه فصله لاختصاصه بالحديث واتى له بشاهد رواه مسندا
فقال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ المعروف بابن سكرة كما تقدم قال حدثنا
ابو الفضل بن خيرون تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه الصرف وعدمه قال
حدثنا ابو بكر البرقاني وهو احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمي الشافعي شيخ بغداد
واحد الاعلام بها صاحب التصانيف الجليلة بها وتخريج الصحيحين روى عنه
كثير كالصوري والبيهقي والخطيب وابي اسحاق الشيرازي وابن خيرون المذكور
وتوفي ببغداد في اول رجب سنة خمس وعشرين واربعمائة وترجمته معروفة
والبرقاني بباء موحدة وراء مهملة وقاف وغيره قال حدثنا ابو الحسن الدارقطني
شيخ الاسلام الحافظ تقدم وانه منسوب لدار قطن محلة ببغداد وراؤه
مفتوحة وبعضهم يسكنها كما قاله ابن مرزوق والاولى الاول قال حدثنا
ابو علي بن مبشر بن اسمعيل الكلبي لغة وشينه معجمة مشددة مكسورة
بوزن اسم الفاعل قال حدثنا احمد بن سنان القطان ابو جعفر الحافظ الواسطي
الثقة امام اهل زمانه توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين واخرج له اصحاب
السنن قال حدثنا يزيد بن هارون ابو خالد السلمي الواسطي العابد الزاهد
احد الاعلام قال ابن المديني ما رايت احفظ منه وعمي في اخر عمره وتوفي في سنة ست
ومائتين واخرج له الستة قال حدثنا المسعودي عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة
ابن عبد الله بن مسعود ولذا عرف بالمسعودي وهو كوفي روى عنه خلق كثير
وهو ثقة كثير الحديث توفي سنة ستين ومائة وترجمته في الميزان عن مسلم
البطين بفتح الموحدة وكسر الطاء المهملة وهو مسلم بن عمران ابو عبد الله الكوفي
وثقه احمد واخرج له الستة عن عمرو بن ميمون العابد التابعي الاودي ادرك

زمنه صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وهو ثقة حج مائة حجة وتوفي سنة اربع وسبعين ومائة
قال اختلفت الى ابن مسعود اي ترددت عليه سنة تمييز فما سمعته اذا احدث يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صونا لذكره وهيبته له واحتياطا في النقل عنه
الا انه حدث يوما بحديث نقله فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم علاه كرب اي ظهر عليه حزن وغم يؤدي لضيق نفس فرايت العرق يتحدر
اي ينزل سائلا منه منفصلا عن جبهته ثم قال ابن مسعود هكذا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما رويته لكم مساوي له لفظا ومعنى ان شا الله اشارة
الى انه لم يقصد عن جزم منه وهذا ابا منه على عدم جواز الرواية بالمعنى
وفيه خلاف مشهور تفصيله في كتاب ابن الصلاح وهو احتراز عن الكذب عليه
وان يقول ما لم يقله او فوق ذا اي يزيد عليه يسيرا او ما دون ذا اي ينقص
عنه او قريب من ذا مما يخالفه بامر قليل جدا وهو احتياط منه رضي الله عنه
وفي رواية فتربد وجهه بربا موحدة تعدم الرا ثم دال مهملتين اي تغير لونه
كلمودة من شدة الكرب وقد تغرغرت عيناه اي امتلاتا بدمع متردد كالما
في فم من يتغرغر به فهو مجاز كما في حديث تقبل توبة العبد ما لم يغرغر
اي تبلغ روحه حلقومه كما الغرغرة وانتفخت اوداجه جمع ودج بفتحتين
وهو عرق غليظ في العنق والودجان يقطعهما الذابح وانتفاخهما كبرهما لغليان
الدمع لانتشار الحرارة الغريزية لخوف وخشوع وقال ابراهيم بن عبد الله بن
قريم بضم القاف وفتح الرا المهملة ومثناة تحتية وميم مصغر قوم الانصاري
قاضي المدينة ذكره في التهذيب والميزان واخرج له الترمذي في علل جامعه
ولم يترجموه وروى عن مالك كما قال مر مالك بن انس على ابي حازم بحا
مهملة وزاي معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج احد الاعلام الذي روى عنه
مالك وغيره ثقة لم يكن في زمانه مثله توفي سنة اربعين ومائة واخرج له
الستة وهو يحدث اي يروي الحديث لمن عنده فجازه اي تجاوز مجلسه
ولم يقف وقال حين سئل عن سبب ذلك اني لم اجد موضعا اجلس فيه لكثرة
الناس فكرهت ان اخذ اي اسمع لاروي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا قايم صونا للحديث عن الابتذال والامتهان واستماعه في محل يخل بتعظيمه
وهكذا كان دابه ولذا رفع الله قدره وشيد ذكره وهذا الاينافي ما نقل عنه
من انه كان لا يعمل بالحديث ما لم توافق عمل اهل المدينة فانه لشدة احتياطه
في احاديث الاحكام فلا وجه لايراد هذا هنا وقيل التعظيم شي اخر لا مساس له
هنا وقال مالك جا رجل الى ابن المسيب فساله عن حديث وهو مضطجع
اي واضع جنبه على الارض والجملة حالية فجلس وحدثه فقال له الرجل
وددت اي كان احب الي انك لم تتعن اي لم تتعب وتترك راحتك
فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
مضطجع تعظيما للحديث وتادبا معه وروي عن محمد بن سيرين انه
قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده في حال ضحكه حديث رسول الله صلى الله

ماهو ٤

عليه وسلم

ابن افنوس

عليه وسلم خشع اي اظهر الخشوع والاستكانة تادبا ومهابة وقال ابو مصعب كان
مالك لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اي متوضيا
متطهرا اجلالا له اي للحديث وحكى مالك ذلك اي الحديث على وضوء عن جعفر بن محمد
الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب وقد تقدم قريبا وقال
مصعب بن عبد الله وهو الزبيري كما تقدم كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي اذا اراد ان يحدث عنه توضأ وتهيأ للحديث باصلاح
هيئته في ثيابه وجلوسه ثم يحدث تعظيما لذلك قال مصعب فسئل عن ذلك اي
عن الداعي له فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة لانه
وهو من بليغ المدح كما اذا قيل لك لم عظمت فلانا فتقول انه فلان ولا تزيد
اي حقيق بذلك وشهرة استحقاقه تغني عن بيان وجهه فلا حاجة لتقدير
وهو جدير بالتعظيم كما قيل وقال مطرف بزنة الفاعل بكسر الراء المشددة مهملتين
وفا وهو مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار مولى ميمونة وهو ابن اخت
الامام مالك توفي سنة عشرين ومايتين وترجمته في الميزان كان اذا اتى الناس
مالكا الطلبة العلم وهو داخل منزله وطلبوا حضور وجههم لا قرايهم خرجت اليهم
الجارية اي ارسل لهم جارية له اليه فتقول لهم لما تعلم من العادة يقول لكم الشيخ
تعني مالكا تريدون الحديث بتقدير اداة الاستفهام اي اتريدون قراءة الحديث
وسماعه او المسايل تعني بعنه للعهد اي مسايل الفقه فان قالوا نريد المسايل اي
قراتها خرج اليهم بسرعة من غير تهيئ وان قالوا نريد الحديث اي قراته دخل
مغتسله اي موضعه المعد للغسل والطهارة في بيته واغتسل وتطيب وتضمخ
بما تطيب رايحته ولبس ثيابا جددا بضم اوله وثانيه جمع جديد بكسر ثم وشر
ولبس ساجه هو الطيلسان مطلقا او الاخضر او الاسود منه وهو شيء كالبرنس
وتعمم اي وضع عمامته المعدة للتجمل على راسه ووضع على راسه رداه على
عادة اشراف العرب وتلقى له منصة في مجلسه المعد له لاقرايه وهو بكسر
الميم وفتحها شيء عال كالكرسي والسرير من نصصته اذا رفعته فيخرج من
بيته للناس ويجلس عليها وعليه الخشوع اي السكينة والوقار ولا يزال
يبخر بالبناء للمفعول ويجوز بناوه للفاعل بمعنى يامر بالعود الهندي المعروف
ويوقد عنده ليعطر مجلسه بحيث يفرغ من قراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجلالا له وتكريما وتطييبا فانه صلى الله عليه وسلم كان يحب الرايحة الطيبة فجعل
مجلس حديثه لمجلسه حيا كما تقدم قال غيره اي غير مطرف ولم يكن يجلس على
تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم انه انما
فعله رعاية للحديث لا لنفسه قال ابن اويس هو اسماعيل بن عبد الله بن
اويس بن ابي عامر وقيل اسماعيل بن عبد العزيز بن عبد الله توفي سنة
ست او سبع وعشرين ومايتين في رجب وهو ابن عم الامام مالك وابن اخته
وزوج بنته روى عنه وعن غيره ولازم مالكا احدى وعشرين سنة واخرج
له في الصحيحين والسنن وضعفه النسائي لانه كان مغفلا كما قاله

ابو حازم ومرحمته في الميزان فقيل لمالك في ذلك اي سُئل عن سبب ما كان يفعله من
لباسه واغتساله وبخوره وجميع ما تقدم عنه فقال احب ان اعظم حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما فعلته ولا احدث به اي بحديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا على طهارة كاملة متمكنا اي جالسا في مكانه على هيئة مستقرة
غير مستوفز لما فيه من عدم المبالات بما حدثه عنه صلى الله عليه وسلم
وكان مالك رحمه الله يكره ان يحدث اي ينقل الحديث وهو مار في الطريق او هو
قائم على رجليه او مستعجل اي على عجلة فيتأنى فان الخير كله في ترك العجلة
ولذا قيل العجلة من الشيطان وقد يكون مع المستعجل الزلل فيخطي فيما
نقله وقال مالك احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذا
تأنى في نقله ليكون اعون على فهمه وقال ضرار بن مرة ابو سنان الشيباني
الكوفي العابد الثقة اخرج له اصحاب السنن كانوا اي السلف ومن لقيتهم
من التابعين يكرهون ان يحدثوا اي ينقلوا الحديث النبوي على غير وضوء
وطهارة ونحوه روي عن قتادة وقد تقدمت ترجمته وفي نسخة هنا وكان
الاعمش سليمان بن مهران اذا احب ان يحدث وهو على غير وضوء ولم يتمكن
منه تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ويأبى الكلام على ذلك آخر
الفصل قال عبد الله بن المبارك تقدمت ترجمته كنت عند مالك
ابن انس وهو يحدثنا اي ينقل لنا الحديث فلدغته عقرب اي في حال قراءته
والعقرب من ذوات السموم المعروفة وسمها في راس ذنبها فاذا ضربت به احدا
انتشر فيه سمها فيقتله ولدغها ضربها بعقد ذنبها وقد اشتهر على الالسنة
ان اللدغ بذال وغين معجمتين وقد قال الشراح هنا ان الصحيح انه بدال
مهملة وغينه معجمة وانه يقال لدغته العقرب ولسعته الحية ويقال عقرب
وعقربة ونقل بعض العلماء ان الذال والغين المعجمتين لا يجتمعان في كلمة
عربية اما لذع النار فهو باعجام الاولى واهمال الثانية معناه الاحراق
وقوله ست عشرة مرة كذا في النسخ وصوابه ست عشرة بلحوق التاء في جزئه الثاني
كذا قيل وفيه نظر وهو يتغير لونه ويصفر عطف تفسير ولا يقطع حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم احتراما له واجلالا فلما فرغ من المجلس
اي اتم نقل الحديث وتفرق عنه الناس المستمعون له قلت له يا ابا عبد الله
لقد رايت منك اليوم عجبا اي امرا يتعجب منه لصبرك وعدم تحركك قال
نعم ما قلته صحيح انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ لم يتحرك ويتزعج وهو يحدث وقال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى
العقيق هو اسم لمواضع كثيرة بالحجاز والمراد به هنا موضع قريب من المدينة
على نحو ميلين منها يتنزه فيه اهل المدينة فسالته وانا ماش معه في الطريق
عن حديث من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهرني اي زجرني
والنهر الزجر كما قال تعالى واما السائل فلا تنهر وقال بعد الزجر
باسكت ونحوه موبخا لي كنت في عيني كناية عن اعتقاده فيه الناشي عن رؤيته

اجل من ان تسالني فيه توسع معروف كاكثر من ان يحصي اي اعظم من السائلين عن حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي جملة حالية وساله يعني الامام مالك
رحمه الله جرير بن عبد الحميد القاضي الضبي الثقة المحدث صاحب المصنفات الجليلة
روى عنه البخاري وغيره من اصحاب الكتب الستة وكان رحلة توفي سنة ثمان وثمانين
ومائة عن حديث وهو قائم الضمير لجرير ويحتمل ان يكون لمالك رحمه الله فامر مالك
بحبسه قيل مالك لم يكن حاكما حتى يحبسه بامره واجيب بان الولاة كانوا يمتثلون
امره فالمعنى ارسله للحاكم ليحبسه فحبسه وفي تاريخ الذهبي ان مالكا كان يجلس في
المسجد يحدث ويفتي فان كان اذن له في القضاء في بعض الامور فهو على ظاهره قيل
له ان ذلك لا يليق حبسه فقال القاضي احق من ادب بالهمزة المضمومة لا بواو
وان رسم بها في بعض النسخ يعني ان العلماء والاشراف اولى برعاية الادب فاذا تركوه
كانوا احق بذلك من العوام وذكر ان هشام بن الغازي بغين وزاي معجمتين بزنة
فاعل من الغزو قالوا وهذا اليق بالصواب فان هشام بن الغازي بن ربيعة تابعي
مات قبل مالك ولا يروي عنه والحكاية المذكورة انما وقعت لمالك مع هشام بن
عمار خطيب دمشق كما رواها مسندة البرهان الحلبي وقيل انها تصحفت على الناسخ
وصوابها القارئ بالقاف والراء المهملة وقيل ما في الاصل صواب وهو هشام بن
الغازي بن ربيعة الشامي وفيه ان الحافظ الحلبي اسند ان هذه القصة
عن هشام بن عمار عما علمت سال مالكا عن حديث وهو اي هشام او مالك رحمه
الله واقف فضربه عشرين سوطا وهذا دليل على انه كان ماذونا له في اجراء الاحكام
على تلاميذه او كان يعلم برضاهم بحكمه فهو يحكم فيهم ثم اشفق عليه اي حصل
عنده رقة قلب وشفقة لضربه لا لانه ضربه بغير ذنب كما قيل وهذا ابنا
على انه يجوز ان يزاد على عشرة اسواط في غير الحدود كما هو مذهب ابي حنيفة
والحديث الوارد في النهي عنه فيه كلام للمحدثين ليس هذا محل تفصيله
ولعله وجه اشفاقه عليه فحدثه اي افاده مالك هشاما ما روي له عشرين حديثا
تطييبا للخاطر فقال هشام بعد ذلك لاصحابه وددت اي احببت يقال وددت
كذا اذا رغبت فيه واحببته لو زادني سياطا اي ضربا بها ويزيدني حديثا
بعدد زيادة ضربه لي ولو مصدرية او شرطية جوابها مقدر وقال عبد
الله بن صالح الجهني ويقال له الحراني العجلي وله ترجمة في الميزان مطولة
توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين وعمره ست وثمانون سنة واخرج له اصحاب
السنن كان مالك والليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصري الفقيه البارع
الذي قيل فيه انه كان افقه من مالك الا ان اصحابه اضاعوه وهو من تبع
التابعين توفي سنة خمس وسبعين ومائة وحيث قال مالك اخبرني من
ارضى به من اهل العلم فهو الليث لا يكتبان العلم الا وهما طاهران اي على طهارة
تامة وجملة هما طاهران حالية يجوز اقترانها بالواو وتركها الا صفة واوها
للالصاق كما قيد وتحقيقه في كتب العربية والظاهر ان المراد بالعلم مطلقه
لا الحديث وكان قتادة يستحب ان لا يقرا احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على

فقبل له انه قاض

تلمساني

دبجي

ومتوضئا اي متوضيا لتعظيما لحديثه صلى الله عليه وسلم ولا يحدث بتشديد الدال
اي ينقل الحديث ويجوز بناؤه للمفعول اي يسمع من غيره حديثا الا على طهارة فليس
المراد انه يغتسل لكل مرة بل نية ما قبله وكان الاعمش سليمان بن مهران كما تقدم مراد المراد
ان يحدث وهو على غير وضوء جملة معترضة او حالية تيمم ان لم يحضر عنده الما
يستهون به لشدة اعتنائه بتعظيم الحديث وللمحدث اداب اخر ذكرها المحدثون
كافتتاح اول مجلسه وختمه بالحمد لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه
وسلم وانه لا يقوم في مجلسه لاحد من الناس

## فصل ومن توقيره

صلى الله عليه وسلم اي تعظيمه وتبجيله وبره اي صلته ورعاية جنابه وللبر
معان اخر غير مرادة هنا والجار والمجرور خبر مقدم لقوله بر آله تقدم ان
في آله خلاف فقيل انهم ذوو القربى ومن تحرم عليهم الصدقة وهم المؤمنون
من بني هاشم وبني المطلب دون غيرهم كما بينه الفقها وان اصله اول وقيل
اهل وبرهما الاحسان اليهم ومعاونتهم ومودتهم ورعايتهم وذريته
الذرية النسل من الاولاد واولادهم وهو بضم الذال وكسرها وفي اشتقاقه
خلاف فقيل من الذر وهو صغار النمل اعتبارا باول احوالهم وقيل من ذرا
بالهمز بمعنى خلق والتزم ابدالها يا بعد النقل وامهات المؤمنين فسره
بقوله ازواجه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن جمع زوج لاطلاقه على
الذكر والانثى او زوجة على لغة فيه واطلاقه عليهن لحرمة نكاحهن بعده
واختلف في وجهه هل هو لتكريمه صلى الله عليه وسلم او لانه حي ولذا
وجبت النفقة عليهن لحرمة نكاحهن بعده وهل هن امهات للمؤمنات
ايضا فقيل لا والا حرم نكاحهن عليه وقيل نعم لوجوب اكرامهن لهن
وهو تشبيه بليغ لا يراعى فيه جميع وجوه الشبه واسما ازواجه صلى الله
عليه وسلم مشهورة في السير فلك عنها ايضا كما حض اي حث وحرض
بطلبه من كل احد عليها اي على بر من ذكر عليه الصلاة والسلام بما روي
عنه من الاحاديث وسياتي بعضها وسلكها السلف الصالح من الصحابة
والتابعين ومن بعدهم من العلما العاملين والتقدير سلك طريقه او شبه برهم
بطريق مسلوكة فهو استعارة مكنية تخيلية ثم ايده بدليل من القران فقال قال الله
تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اصل معناه القذر الحسي ثم استعير
للاثم والذنب وهو المراد اهل البيت نصب على الندا او المدح والاختصاص ويطهركم
تطهيرا ترشيح لاستعارة الرجس للذنب واستشهاده بهذه الاية بنا على ان اهل بيته
ذريته وازواجه كما اختاره ابن عطية في تفسيره وهو احد الاقوال فيه وقيل
هم اهل الكسا الذين بيانهم علي وفاطمة وابناهما لما روي في الحديث انه خرج
عليه الصلاة والسلام غداة وعليه مرط مرحل فادخلهم فيه ثم تلا الاية وقيل
المراد نجاته وتذكير الضمير باعتباره ووجه الاستشهاد ان من طهره الله من الاثام

وهن خديجة وعائشة
وحفصة وام حبيبة وسودة
وام سلمة وميمونة وزينب
وجويرية وصفية رضي الله
تعالى عنهن

احبه الله

احبه الله ورسوله ومن احبائه بل منا محبته ومن وصلته وقال تعالى وازواجه امهاتهم
ان كانت شاهدا لتسميته امهات بحق ظاهر وان كان للزوم برهن وتكريمهن فلان حق الوالدة
على الولد ولزوم برها امر معلوم مركوز في الطباع لان وجه الشبه وجوب احترامهن
وبرهن والحصر نفيتضي ان اكرامهن احق من الامهات الحقيقية ثم اسند المص حديثا
محتجا شاهدا لما قدمه رواه من طريق له عن مشايخه مع انه في غيره من السنن كمسلم
والنسائي بسند اعلا مما هنا واعتذر له بانه تنويع لما فيه من الفائدة الزائدة
ولانه اسلم من التدليس فقال اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد التميمي
العدل من كتابه وكتبت من اصله اشارة الى ضبطه فيما رواه عنه والمراد باصله
نسخته التي قرا منها قال حدثنا ابو الحسن المقري الزعافي بفا وعين معجمة نسبة لزغانه
اسم بلدة قال حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف قال حدثني ابي قال حدثنا
حاتم هو ابن عقيل قال حدثنا يحيى هو ابن اسماعيل قال حدثنا يحيى هو الحماني
قال حدثنا وكيع هو وكيع بن الجراح بن فليح بن عدي الرواسي احد الاعلام المشهورين
توفي سنة سبع وتسعين ومائة اخرج له الايمة الستة عن ابيه الجراح عن سعيد
ابن مسروق الثوري الثقة توفي سنة ست وعشرين ومائة واخرج له الستة عن يزيد
ابن حيان بفتح الحا المهملة ومثناة تحتية وهو التيمي الثقة عن زيد بن ارقم رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله اي اسالكم
بالله واقسم عليكم به يقال انشدك الله وبالله اي اذكرك به ثم استعمل في القسم
وصار حقيقة فيه فليس السؤال مرادا هنا بل المراد حقيقته وتقدم فيه كلام
واهل بيتي معطوف على الله اي واذكركم اهل بيتي فلا تنسوا حقوقهم
ورعايتهم فان رعايتهم رعاية لي وقيل انه منصوب بنزع الخافض اي في
اهل بيتي كما روي في هذا الحديث ولا وجه له فانه تعسف من غير داع له
ومثله قول المزي ومن تبعه هنا لعله في اهل بيتي ثلاثا كرره للاهتمام به
والتشديد في رعايتهم قلنا لزيد بن ارقم راوي الحديث لما ذكره وما في
بعض النسخ ليزيد من غلط الكاتب من اهل بيته اي ما المراد بهم في هذا الحديث
قال ال علي بن ابي طالب وهم اولاده واهل بيته من اقاربه الادنون
وال جعفر وال عقيل وال العباس وهم من حرم عليهم الصدقة فذهب
اقاربه كما تقدم وهذا كما رواه مسلم في فضائل ال البيت في خطبة
خطبها صلى الله عليه وسلم وهو راجع من حجة الوداع في اخر عمره قال
فيها اما بعد ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي
فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا به
واهل بيتي وفيه ما ذكره المص من تفسيره لاهل بيته بما ذكر وهو الذي
فهم عنه صلى الله عليه وسلم هنا لانه علم بالوحي ما يكون بعده في امر
الخلافة والفتن فلذا خصهم وحرص على رعايتهم كما اقتضاه المقام
وما قيل من ان جوابه هنا خاص باقاربه وهو احد الافراد وبجازمه
الاية الدالة على دخول ازواجه صلى الله عليه وسلم واهل بيته كما تقدم

ابن ابونرس

لا وجه له لما عرفته من وجه تخصيصه هنا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الترمذي عن زيد بن ارقم وجابر وحسنه اني تارك فيكم اشارة الى قرب اجله
صلى الله عليه وسلم وانه وصية لامته ما ان اخذتم به اي تمسكتم وعملتم به
واتبعتموه وما موصوفة وان شرطية والجملة صفة او موصولة وصلته لن
تضلوا بمخالفة الشريعة والطريق المستقيم كتاب الله بدل من ما مفسر له
وعترتي بمثناة فوقية ومعناه اهل بيتي لتساوي بيانهم ووجه تخصيصهم
هنا اوري لم تضلوا وما قيل ان قوله اخذتم به هنا يدل على ارادة المجتهدين ابن ارقم
منهم فلا يبعد دخول الصحابة المتصفين بهذه الصفة كما دلت الاية على
دخول ازواجه صلى الله عليه وسلم غير مناسب لسياق الحديث والمراد
منه هنا فانظروا كيف تخلفوني فيهما اي بعدي وفاتي انظروا في عملكم
بكتاب الله واتباعكم لاهل بيتي ورعايتهم وبرهم بعدي فان ما برهم
يسرني وما يسوؤهم يسوؤني وقال عليه الصلاة والسلام في حديث
لم يخرجوه معرفة ال محمد براءة من النار اي معرفة مقدارهم وحرمتهم ورعاية
ما يجب من حقهم فان محبتهم لاجله صلى الله عليه وسلم تدل على خلوص محبته
له وذلك مرتبة مستوجبة لذلك تفضلا من الله وكرامة لرسوله صلى الله
عليه وسلم وحب ال محمد جواز على الصراط اي مرور عليه بسرعة جوازا
موصلا للجنان فان المرء مع من احب ومن فسر الجواز بالجائز بمعنى العطية دلجي
فقد تعسف تعسفا غريبا والولاية بفتح الواو ويجوز كسرها لانها ترد
بمعناها وان اشتهرت في الملك والحكومة اي الموالاة بالنصرة والمودة
لال محمد امان من العذاب وقال بعض العلما معرفتهم اي معرفة الال المذكور
هي معرفة مكانهم منه صلى الله عليه وسلم والمراد بالمكان المنزلة المعنوية
وهي قرب نسبهم ومرتبتهم منه صلى الله عليه وسلم ولذا علق به قوله منه واذا
عرفهم بذلك اي بسبب علو مرتبتهم لقربهم منه عرف وجوب حقهم وحرمتهم
اي احترامهم واكرامهم بسببه صلى الله عليه وسلم لا لغرض اخر وقد دعا
النبي صلى الله عليه وسلم لمن احبهم لحبه صلى الله عليه وسلم ومن اراد
تفصيل هذا فلينظر كتاب السيد السمهودي الذي صنفه في فضائل ال البيت
فانه جمع فاوعى جزاه الله خيرا وعن عمر بن ابي سلمة في حديث رواه الترمذي
وابن ابي سلمة هو الصحابي المخزومي ربيبه صلى الله عليه وسلم وابن
اخيه من الرضاع وترجمته مشهورة لما نزلت اية انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت الاية وقد قدمنا تفسيرها فكفينا مؤنته هنا
وذلك اي نزولها كان في بيت ام سلمة ام المومنين رضي الله عنها دعا جواب
لما اي طلب صلى الله عليه وسلم ونادى فاطمة الزهرا رضي الله عنها
وحسنا وحسينا سبطاه وريحانتاه رضي الله عنهما فجللهم اي غشاهم
وغطاهم ومنه الجل للفرس بكسا وهو مرط من شعر كما ورد في رواية
اخرى وعلي كرم الله وجهه خلف ظهره صلى الله عليه وسلم داخل

الكسا

الكسا اليضا وانما جعله خلف ظهره ليفرق بينه وبين زوجته وقت الدعا ثم قال اللهم
هولا اهل بيتي ليبين المراد الحصر وهو مراد لارادته اقرب الناس اليه نسبا فاذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اي جنبهم الاثام والمعاصي وما يشينهم ولذا
سموا اهل الكسا وادخالهم في الكسا اشارة الى قربهم منه صلى الله عليه وسلم
وان الله سترهم كما سترهم الكسا وانه ساقهم واحرزهم تقا ولا يبعد كذلك كما
جوزه صلى الله عليه وسلم رداه في الاستسقا اشارة الى تبديل الحال وتغيرها
عما هي فيه وذلك بسبب الدعا واتمام دعاهم بما ذكر بعد ما ذكر الله تعالى
انه اراد ذلك لهم وارادته تعالى لا تتخلف عن مراده اما تاكيدا او تنويها بقدرهم
ليعلم الناس به او المراد دوام ذلك وثباته وزيادته وعن سعد بن ابي وقاص
في حديث رواه مسلم في صحيحه لما نزلت اية المباهلة تقدم ان المباهلة مفاعلة
من البهلة وهي اللعنة اي الملاعنة وهي ان يقول كل من المتخاصمين في المجادلة
لعنة الله على الظالم منا والاية هي قوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك
من العلم فقل تعالوا ندع ابنانا وابناكم الخ وذلك لما وفد عليه صلى الله عليه
وسلم نصارى نجران ودعاهم للاسلام فلم يسلموا وادعوا حقية دينهم
وانه لم ينسخ وقصتهم مفصلة في كتب التفسير والسير دعا النبي صلى الله
عليه وسلم جواب لما اي احضر عنده عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضي الله عنهم
لانهم كانوا في المباهلة يحضرون اولادهم واهلهم ويدعون بوقوع العقاب
على الكاذب واهله جميعا ولذا قال وقال صلى الله عليه وسلم اللهم هولاء
اهلي واقربائي فامتنعوا من المباهلة لعلمهم بانه صلى الله عليه وسلم نبي
وانه ما باهل نبي قوما الا اهلكهم الله ورضوا بالجزية وقال صلى الله عليه
وسلم لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير واشتعل عليهم الوادي نارا وحكم
المباهلة باق الى الان وقد فعله العز بن عبد السلام فلم يمض الحول حتى هلك
من باهله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم في علي بن ابي طالب
اي في حقه وشانه وسبب قوله هذا ان اسامة قال لعلي لست مولاي انما
مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا في سفره وهو عند غدير خم
وقد خطب الناس فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اي ولي وحكم والمولى له معان
منها السيد وهو المراد والمعتق والمنعم والمعاهد والصهر الى غير ذلك من
المعاني وقال الشافعي رضي الله عنه المراد ولا الاسلام وقوله فعلي مولاه
اي سيده وناصره واستدل به على الولا بعض الفقها وغيرهم تقول المراد
بره وصلته وهو الموافق لسياق الحديث واستدل به بعض الشيعة على تقدم
علي كرم الله وجهه على غيره في الخلافة ولا دليل لهم فيه لما عرفته من
معاني المولى وانما المراد من احبني احبه لقوله اللهم وال من والاه وعاد
من عاداه اي من كرهه غضب الله عليه وانتقم منه فالمعاداة من الله مجاز
ومشاكلة وقال فيه اي في حق علي كرم الله وجهه كما في مسلم لا يحبك الا مومن
ولا يبغضك الا منافق لان من احب اصحابه واقرباءه لمحبته فهو مومن ومن كان

الى اخرها

خلاف ذلك ففي قلبه كفر مضمر وان اظهر اسلامه كالخوارج والمقصود ذمه والتهديد له
والمبالغة في النهي عنه ولكون ظاهره الاسلام وارتكب ما لا يليق باهل الاسلام
سماه منافقا مجازا ومثله في الخطابيات كثير وقال صلى الله عليه وسلم
للعباس بن عبد المطلب عمه في حديث صحيح رواه الترمذي وابن ماجه والذي
نفسي اي روحي وحياتي ومماتي بيده اي في قبضة تصرفه لانه المحيي والمميت
وهو قسم للتاكيد والتحقيق لا يدخل قلب رجل الايمان اي لا يؤمن ويصير
مؤمنا كاملا ففي الدخول استعارة ظاهرة حتى يحبكم يعني آل النبي صلى الله عليه
وسلم واقرباءه فيخص من رآه وعرفه كمن عرفهم كلهم لله ولرسوله اي محبة
خالصة من الاعراض الدنيوية والريا فانما هي لمحبة الله ورسوله ورضاهما
ومن اذى عمي بشيء يؤذيه فقد اذاني لانه ما يؤذيه الى يعني يؤذيني وانما
عم الرجل صنو ابيه الصنو بكسر الصاد وضمها وهو هنا بمعنى المثل اي في المعنى
ابوه والرجل يغار لابيه ويؤذيه ما يؤذيه واصل معناه نخلتان فاكثر
تخرج من اصل واحد فاستعير للاخ ولما ذكر اي كانه اجيب على بره
وكذا على غيري ورئي العباس صنوي اي مثلي في النسب وسبب قوله
صلى الله عليه وسلم هذا ان العباس دخل عليه مغضبا فقال له
ما اغضبك قال يا رسول الله ما لنا ولقريش اذا تلاقوا فيما بينهم تلاقوا
بوجوه مسفرة واذا لقونا لقونا بغير ذلك فغضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى احمر وجهه ثم قال ما ذكره المظهر وقال صلى الله عليه
وسلم للعباس ايضا في حديث رواه البيهقي اغد علي يا عم اي ائتني يقال
غدا عليه اذا اتى واصل معناه المجي في وقت الغداة فاستعمل في مطلق
المجي مع ولدك اي مع اولادك وكان له صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه
اذ ذاك عدة اولاد عشرة ذكور الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله
ومعبد وعبد الرحمن وغيرهم من الذكور والاناث واشهرهم عبد الله
وهو البحر وترجمان القرآن وابو الخلفا فجمعهم اي فجمع العباس
رضي الله عنه اولاده عند رسول الله صلى الله عليه وسلم او المراد ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمهم اليه وقال ابن الجوزي في الوفا
ان الذي جمعهم من اولاده سبعة وجللهم اي غطاهم وسترهم والبسهم
بملائة بضم الميم ولام وهمزة ممدودة وهو برد او ملحفة وقد يختص بما يكون
من ثوبين وقال صلى الله عليه وسلم بعد ما ضمهم كما فعل مع علي واهله
فيما تقدم هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي اي من اقربائي فاسترهم
من النار كستري اياهم اشارة الى وجه ادخالهم في ملائة كما تقدم فامنت
بتشديد الميم اي قالت بعد قوله صلى الله عليه وسلم ودعائه هذا
اسكفة الباب بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وتشديد
الفاء بزنة طرطبة ويقال اسكوفة فابدل احد حرفي التضعيف واوا وتخفف
الفاء ايضا وحوائطه جمع حائط وهو معروف امين امين بالمد وبقصر ويشدد

وهو

وهو اسم فعل معناه استجب وفيه كلام ليس هذا محله وهو مقصود امتن لانه تضمن
معنى قالت او مقدر قبله وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم بنطق الجماد له كرامة
لاهل البيت وكان صلى الله عليه وسلم كما في حديث رواه البخاري يأخذ بيد اسامة
ابن زيد والحسن اي يمسكهما بيده وسقط لفظ بيده من بعض النسخ فالمعنى يضمهما
اليه ويقول داعيا لهما اللهم اني احبهما فاحبهما بالادغام ويجوز فكه فيقال
احببهما والامر للدعا والدعا بذلك لعلمه بان من احب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحبه الله وعكسه والقول بان احبهما مشاكلة لا وجه له لان محبة الله لعبده مجاز
باعتبار غايته ويرد كثيرا من غير مشاكلة واسامة بن زيد هو ابن حارثة مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وحبه وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ارقبوا محمدا
ارقب وراقب من المراقبة وهي ادامة النظر في مقابلة شيء لارادته به لازمه وهو
الحفظ فالمراد احفظوا محمدا اي حقه عليكم في اهل بيته اي في رعايتهم واكرامهم
وبرهم فان رعاية حقه تتحقق بذلك بعد موته وقال ابو بكر رضي الله عنه
ايضا اي كمقالته المذكورة فيما رواه الشيخان والله الذي نفسي اي روحي وحياتي
بيده بقبضة تصرفه لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مصدر
صارت اسم جمع لقريب لنسب احب الي ان اصل اي صلتهم بدل اشتمال من قرابة
من قرابتي فيه مضاف مقدر اي من صلة قرابتي قال هذا لما ارسلت اليه
فاطمة الزهرا رضي الله تعالى عنها تطلب ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فدك وغيرها وقال له الامام علي كرم الله وجهه ورضي عنه قرابة رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلتهم لازمة فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا لا نورث ليس لال محمد ان يزيدوا على الماكل لا اغير شيا كان في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ماجه
والترمذي وحسنه احب الله من احب حسنا دعا او خبر فحب حسن حسن
وبغضه قبيح وروي حسينا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم
من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما عليا رضي الله عنهم
معطوف على هذين وامهما فاطمة الزهرا رضي الله عنها كان معي في درجتي
بدل من معي اي في منزلتي ومرتبتي في الجنة يوم القيامة ان كان على ظاهره
وانه معه في المحشر فهو كناية عن سلامته من هوله فان اريد به الاخرة مطلقا
فالمراد قربه منه لانه لا يساويه صلى الله عليه وسلم في درجته احد كقوله
المرء مع من احب وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي وحسنه
من اهان قريشا اهانه الله لانهم اكرم الناس في الجاهلية فكانوا سادة العرب
لهم الرياسة والرفادة وفي الاسلام لان الامامة بحق لهم وقريش مصغر
تصغير تعظيم لقب لنضر بن كنانة ونسله من التقرش وهو التجارة والاكتساب
او التجمع لاجتماعهم في الحرم وهو من توافق اللغات وقيل سموا باسم دابة عظيمة
في البحر لانطلاقها كما قيل

وقريش هي التي تسكن البحر · بها سميت قريش قريشا

دجلي

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البزار عن علي وابن ابي شيبة عن سهل قدموا قريشا في كل امر من الامور لا سيما الامارة والخلافة واقتدوا بها تأمروهم ولا تقدموها نهي عن تأخيرهم والتقدم عليهم مؤكد للامر قبله وهو بفتح المثناة والدال المهملة المشددة واصله تتقدموا بتائين حذفت احديهما تخفيفا وقال صلى الله عليه وسلم لام سلمة في حديث رواه البخاري لا تؤذيني في عائشة رضي الله عنها وسببه انه قيل لام سلمة ام المؤمنين رضي الله عنها ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة فقولي له صلى الله عليه وسلم يأمر الناس بان يهدوا اليه حيث كان او حيث يدور فذكرت ذلك له صلى الله عليه وسلم مرتين وهو يعرض عنها فلما كان في الثالثة قال لها يا ام سلمة لا تؤذيني في عائشة فانه ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امرأة منكن غيرها فبين صلى الله عليه وسلم لها محبته لها وتقدمها عنده وان الناس لذلك خصوا يومها بالهدايا واستدل به هذا على تفضيل عائشة رضي الله عنها على سائر امهات المؤمنين حتى خديجة وقال السبكي الذي ندين الله به ان فاطمة افضل ثم خديجة ثم عائشة والحديث مخصوص بمن كان موجودا حال الخطاب بقوله منكن وقال ابن تيمية الراي في هذا التوقف لتقابل احاديث التفضيل وتكافؤها واختصاص نزول الوحي بلحافها وجه بانها كانت تبالغ في التنظف والتعطر والعبادة مع شدة حبها وشوقها الرسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها الاوامر ونواهيه حتى غلبت صفاته صفاتها فصارت معه كشيء واحد رضي الله عنها وعن عقبة بن الحارث في حديث رواه البخاري عنه رايت ابا بكر الصديق رضي الله عنه وقد جعل الحسن على عنقه اي حمله على عاتقه المجاور لعنقه ففيه تجوز وهو يقول الجملتان حاليتان اي حاملا وقائلا شعرا من مجزو الكامل لا رجز وقيل انه منه وهو مجزوم بابي شبيه بالنبي اي افديه بابي من اشتد شبهه برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كناية عن شدة المحبة وتقدم الرتبة عنده ليس شبيها بعلي اي ليس شبيها بابيه رضي الله عنهما شبها تاما وانما تم شبهه بجده صلى الله عليه وسلم والبا متعلقة بافديه فليست قسمية وقيل انها قسمية وقد ورد النهي عنه بحديث لا تحلفوا بآبائكم واجيبت بانه قبل النهي وهو بعيد والظاهر ان النهي عن القسم الحقيقي لا عما ورد للتعظيم والاستعطاف وهذا كله في غير الله ورسوله فان لهما ان يقسما بما ارادا ويقال بابي وبابا الرجل اذا قال بابي وعلي يضحك من فعل ابي بكر رضي الله عنهما وقوله هذا تعجبا منه وسرورا وفرحا بذلك وتعجبا من ان الظاهر ان كل احد يشابه اباه ومن يشابه ابه فما ظلم ولكنه جذبه عرقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا سماه صلى الله عليه وسلم ابناله وجعل نسبه منه وهي خاصية لحكم ربانية وقد روي ان فاطمة رضي الله عنها كانت ترقص الحسن وهو طفل وتقول بابي شبيه بالنبي الخ فيحتمل التوارد او ان ابا بكر تمثل به بعد ما سمعه ووقع في البخاري ليس شبيه بعلي بالرفع فقال ابن مالك

ليس حرفي غطى كما ذهب اليه الكوفيون وغيرهم بقولون هو اسمها والخبر محذوف اي ليس الشبيه غيره وقديما وقد يقع ذلك وهذا الاينافي ما في الشفا بل لم ار قبله ولا بعده مثله لان المنفي المماثلة من جميع الوجوه والمثبت من بعضها وقيل المثل اخص من الشبيه ولا ينتفي الاعم بانتفا الاخص والذين يشبهون برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو العشرة الحسن والحسين وقيل الحسن كان اعلاه اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم والحسين اسفله وجعفر بن ابي طالب وقثم بن العباس والسايب بن يزيد احد اجداد الشافعي وابو سفيان بن الحارث وكابس بن ربيعة الاتي في كلام المصنف وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف ومسلم بن معتب وعبد الرحمن ابن عبد الله بن محمد بن عقيل بن ابي طالب وابنه القاسم رضي الله عنهم ونظم بعضهم ابن سيد الناس رحمه الله تعالى فقال

خمسة شبه المختار من مضر ... يا حسن ما حولوا من شبهه الحسن
بجعفر وابن عم المصطفى قثم ... وسايب وابي سفيان والحسن

وقال ابو محمد الامدي وزاد اثنين وقيل انه للعراقي رحمه الله

وسبعة شبهوا بالمصطفى فسما ... لهم بذلك قدر قدر زكي وسما
سبطا النبي ابو سفيان سايبهم ... وجعفر وابنه ذو الجود مع قثما

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى وزاد ثامنا

قد اشبه المصطفى الهادي ثمانية ... من صحبه فعلا في الناس قدرهم
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم ... وجعفر وابنه مع سايب قثم

وزاد عليه ابن سيدي الحسن فقال

قد اشبه المصطفى المختار من مضر ... جماعة عدهم يربو على عشرة
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم ... وجعفر ما سما هم سادة خيرة
وسايب مسلم وكابس قثم ... وسبط نجل عقيل وابنه البررة

وقد يزيد على هذا كثير بلغوا العشرين في بعضها كلام وطعن وتطوها اختصارا مشكلا ولذا لم اتعرض له فتابعهم ابن الشحنة في نظم له خمسة عشر فزاد ابن عقيل الثاني ويزيد عبد الله بن الحارث الملقب ببه وقد مات في حياته صلى الله عليه وسلم ويزيد عثمان بن عفان لانه صلى الله عليه وسلم قال انه اشبه الناس بابيه ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام والنبي صلى الله عليه وسلم كان يشبه الخليل ايضا وشبيه الشبيه شبيه وعد ابن سعد منهم علي بن بجاد بن رفاعة ولو ذكر كل من قيل انه يشبهه صلى الله عليه وسلم لبلغ تعداد كثيرا فانه ذكر منهم عبد الله بن محمد بن عقيل وابراهيم وعبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي ويحيى بن القاسم بن جعفر العلوي ومنهم كما قيل المهدي الذي يخرج اخر الزمان والظاهر منهم انهم تشبهوا في وجه الشبه في الخلق والخلق فان الشبه التام لم يثبت لاحد كيف وقد اعطي صلى الله عليه وسلم الحسن كله واعطي يوسف عليه الصلاة والسلام شطره كما قيل

انما مثلوا اصحابك للناس كما مثل النجوم الما

وروي ان عبد الله بن حسن بن حسين بن علي بن ابي طالب وهو من ثقات آل البيت
وفضلائهم وله ترجمة واخرج له اصحاب السنن قال اتيت عمر بن عبد العزيز في
حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب لي كتابا تعلمني فيه بحاجتك
فاني استحيي من الله ان يراك واقفا على بابي كما هو المعتاد لمن اتى باب عظيم ان
يقف حتى يؤذن له وهذا التعظيم منه لآل البيت لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وآله وعن الشعبي عامر بن شرحبيل كما تقدم وهذا رواه الحاكم والبيهقي وصححه
قال صلى زيد بن ثابت بن قيس بن شماس الانصاري الصحابي المشهور رضي الله عنه
وقال البرهان زيد بن ثابت الحلبي على جنازة امه اي ام زيد والجنازة بفتح الجيم
وكسرها الميت او التابوت وامه هي النوار بنت مالك بن معاوية بن عدي بن عامر
الانصارية ثم قربت له بغلته ليركبها فلما ركبها جاءه ابن عباس رضي الله عنهما
واخذ بركابه اي امسكه ليركب او مشى معه ممسكا ركابه فقال زيد لابن عباس
خل عنه اي دع الركاب وتباعد عنه يا ابن عم رسول الله يعني انه لا يليق مثله
بآل البيت لتعظيمهم وتكريمهم اللازم لكل احد فقال ابن عباس مجيبا له
هكذا نفعل بالعلما اي مثل هذا التعظيم نعظم به علمانا فقبل زيد يد ابن
عباس تعظيما له وجزا لاكرامه فقال هكذا امرنا ان نفعل بآل بيت نبينا صلى
الله عليه وسلم وقول الصحابي امرنا كما بين في مصطلح الحديث له حكم الرفع
على كلام فيه ليس هذا محله والشاهد فيه تعظيم آل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومحبتهم وروى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما احد العبادلة
المشهور محمد بن اسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا الحديث في صحيح البخاري فقال ليت هذا عندي بكسر العين وسكون
النون او بفتحها والبا الموحدة الساكنة وروي بالوجهين والذي رجحوه
الاول وهكذا اضبطه الحافظ العراقي وتمنى ذلك ليعلمه ويؤدبه ولم يكن
عرفه حين رآه فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا راسه اي خفضها واطرق
حيا لما عرفه وتقريبه الارض وهو يتفكر فيما قاله ندما عليه وقال ابن
عمر لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه كما كان يحب اباه اسامة
وانما فعل ما قال ذلك تعظيما لمولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال الاوزاعي الامام العابد الزاهد الحافظ صاحب المذهب الذي كان
عليه اهل المغرب قبل اتباع مذهب الامام مالك سكن الشام حتى مات
وهو منسوب للاوزاع بطن من حمير او من همدان او قرية وقد تقدم دخلت
بنت اسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمها فاطمة
وكانت تسكن المزة بالشام كما ذكره ابن عبد البر صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالجر صفة اسامة او زيد فان كلا منهما صحابي مشهور على عمر
ابن عبد العزيز وهو خليفة وقيل انها دخلت عليه وهو امير بالمدينة
قبل خلافته في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان والصحيح الاول

لان هذه القصة ذكرها ابن عساكر في تاريخه وان اسامة توفي بقرية له بوادي القرى
وخلف بنته فاطمة بالمزة فلم تزل بها الى ان ولي عمر بن عبد العزيز فاتته ومعها مولى
لها اي عبد يمسك بيدها لكبرها وضعف بصرها فلما راها عمر قام لها ومشى اليها
تكريما وتعظيما لها لكونها من نسل موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
جعل يدها بين يديه بان امسكها بيده لا عن مولاها وتولى خدمتها ويداه في ثيابه
اي مغشاة بكمه حتى لا يمس بدنه بدن اجنبية لتقواه ومشى بها حتى اجلسها
على مجلسه اي على فراشه الذي كان جالسا عليه وجلس بين يديها كما يفعله الصغير
مع الكبير تادبا منه واكراما وتعظيما وما ترك لها حاجة ذكرتها له الا قضاها
ونجزها وكان قال لها ما حاجتك يا فاطمة قالت تحملني الى اخي فجهزها وحملها اليه
فانظر رحمك الله الى الخلفا الراشدين لم تمنعهم الخلافة عن قضا الحوايج للناس
والتواضع لهم ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ديوانه الذي رتب فيه
الوظايف للناس وهذا ايضا رواه الترمذي وحسنه فلما عين من بيت المال لهم
فرض لابنه عبد الله وظيفة في ثلاثة الاف اي في الطبقة التي واحد منها ثلاثة
الاف في السنة وفرض لاسامة بن زيد في ثلاثة الاف وخمسماية فجعل وظيفته من
بيت المال في رتبة اعلى من ابنه عبد الله قال جواب لما عبد الله ابنه لابيه عمر رضي
الله عنه لم فضلته علي بزيادة عطايه فوالله ما سبقني الى مشهد اي محل
شهده الناس من الجهاد وخدمة الدين التي ترتب الوظايف بقدرها وبالتقدم
فيها فقال عمر له اي لابنه مجيبا له لان زيدا اباه احب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ابيك يعني نفسه فتقديمه انما هو لمحبة رسول الله لا لسبقه
لك وهي مما يقتضي التقديم وزيادة التكريم وهذا ايضا انه تواضع منه لمحبة
لموالي رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فهو احب الى رسول الله لحديث عمرو
ابن العاص قلت يا رسول الله اي الناس احب اليك قال عايشة قلت من الرجال
قال ابوها قلت ثم من قال عمر ولك ان تقول الاحبية تختلف فاسامة رضي
الله عنه احبيته لكونه من خدمته المقربين له فلا ينافي كون عمر احب اليه من
غيره لكن الوجه فاتر القرب منه على غيره ثم ان ما ذكره من الفرض المذكور
يخالفه ما في الاستيعاب انه فرض لاسامة خمسة الاف ولابنه ثلاثة الاف
لكنه لا ينافي المقصود من القصة وهذا كله من الغنايم كما فصلوه فاثرت
اي اخترت وقدمت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي بضم الحا
فيهما اي محبته او بكسرها بمعنى محبوبه على محبوبي وبلغ معاوية بن ابي
سفيان رضي الله عنهما فيما رواه ابن عساكر ان كابس بن ربيعة بن مالك بن
لؤي الشامي البصري بسين مهملة من بني سامة بن لؤي وكابس بكاف وبا
موحدة بعد الف وسين مهملة وما قيل من انه بمثناة تحتية واده صحح
في نسخة العرقي تلميذ المص تصحيف من ناقله وقول القرطبي ان المحفوظ فيه
عابس التصحيح خلافه يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم بنوع من
الشبه واين الثرى والثريا فلما دخل عليه من باب الدار العادل على مقدر

قلت

اي وجه له من احضره فلما دخل باب داره قام عن سريره فمشى له وتلقاه وقبل بين
عينيه تكريما لمشابهته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان انس بن مالك اذا
رآه بكى لتذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم واقطعه المرغاب اسم ارض بمرو
الشاهجان او قرية بهراة كانت ذات غلة كثيرة يرغب فيها وهو بكسر الميم وغين
معجمة والف وبا موحدة قبلهما را مهملة والاقطاع ان يعين الامام ارضا
بتمليك ونحوه ويسوغه لمن هو اهل له وفي شرح احكام عبد الحق انه اسم نهر بالبصرة
وما في القاموس مما يقتضي ان ميمه مفتوحة مخالف لما نقله اهل اللغة كابي
عبيد في معجمه والظاهر انه لا وجه له وعبارته المرغاب ع ونهر بمرو والشاهجان
وبلدة بهراة وبالكسر سيف مالك بن حمار انتهى وقوله لشبهه صورة رسول الله
صلى الله عليه وسلم متعلق بما قبله جميعه اي كل ما فعله معاوية رضي الله عنه
معه من تعظيمه له لمشابهته له صلى الله عليه وسلم والصورة ظاهر الوجه
وهيئة الانسان وصفته وصورة مضاف لما بعده مفعول او منصوب منون
تمييز للنسبة وروي ان مالكا هو ابن انس الامام المعروف لما ضربه الامير
جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وجعفر هذا كان واليا
على المدينة من قبل عمه المنصور ونال منه ما نال من تجريده من ثيابه واهانته
وسبه وكان سببه انه بلغه انه يقول ان الايمان في بيعة الخلفا ليست لازمة
لان الناس مكرهون فيها فغضب لذلك ودعاه فحصل منه ما لا خير فيه وحمل
لمنزله مغشيا عليه من الضرب وانه مدت يده حتى خلعت من كتفه دخل عليه الناس
جواب لما فافاق من غشيه فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي اي الآمر بضربي
ومن باشره في حل بكسر الحا يقال هو في حل من كذا اذا ابرا منه من عهدته فقيل
مالك بعد ذلك عن وجه ما قاله واسقاطه حقه فقال اني خفت ان اموت
فالقى النبي صلى الله عليه وسلم في الدار الآخرة فاستحيي منه لما يلحقني من الخجل
منه خوفا ان يدخل بعض اله من اقربائه النار بسبب جزائه على ما فعله لان
حق العبد لا يسقط الا برضاه فاذا لم يرض يعذبه الله عدلا منه فلذا حالله
حذرا من ذلك ولذا جزم بذلك واحتمال ارضا الله له وغيره امر مخالف للظاهر
فلا وجه للاعتراض على حرفه بذلك كما قيل ولله در الامام النووي رحمه الله
في قوله

من نالني او علقت بي منه * ابراته لله شاكر منته
والله ما طالبت عبدا لعبيد * ولئن طلبت رجوت واسع رحمته
اارى معوق مومن يوم الجزا * او ان اسوء محمدا في امته

وقيل ان المنصور الخليفة العباسي المشهور اقاده من جعفر اي امره ان يقتص
لمالك من جعفر فيضرب كما ضربه وسياتي كلام في قصاص الضرب فقال اعوذ
بالله والتجئ اليه في الاعانة على عدم ما اريد وهو عبارة في العرف عند عدم
الرضا والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي في حال الضرب الا وقد جعلته في حل
وابراته منه منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم تكريما له

ابن امير

لتعظيمه

لتعظيمه ومحبته وقال ابو بكر بن عياش بفتح العين المهملة وتشديد المثناة التحتية واخر
شين معجمة ابن سالم الازدي المقري احد الاعلام اختلف في اسمه فقيل شعبة وقيل
اسمه كنيته وشهرته تغني عن ذكره توفي سنة تسع وثلاثين ومائة في جمادى الاولى وعمره
ست وتسعون سنة لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي في حاجة اقدمت علي قبلهما لبدات بحاجة
علي قبلهما ولقدمته عليهما وهما ما هما ايثارا له عليهما لقرابته وفي نسخة لقرابة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة قربه وصهارته فتقدمه ذاتي وعرضي وقربها
منه لا يمنعه ولئن اخر من السما الى الارض هذا تمثيل لصعوبته حتى ان مخالفته عنده
اشد عنده من انه يرفع الى السما ويرمي به منها الى الارض فينقطع وتنكسر جميع اعضايه
واخر مصعقا اسقط احب الي من ان اقدمهما عليه يعني لولا قرابته منه صلى الله عليه
وسلم ما قدمته عليهما مع علمي بافضليتهما عليه وانما قدمته لما فيه من صلة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

ولاحل عين الى عين تكرم فهو الكلام تقدم بركما استرنا اليه وقيل لابن عباس
كما رواه ابو داود والترمذي وحسنه ماتت فلانة كناية عن امراة معينة كما
بينه بقوله لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعينوها وقيل هي ميمونة
وقيل زينب فسجد فقيل له اتسجد في هذه الساعة اي في مثل هذه الساعة التي
اخبرت فيها بهذه المصيبة والسجود انما يكون لشكر ونحوه فقال الم يقل رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا واي امر اعظم مما فيه عبرة كالكسوف
والخسوف وجزم بعضهم بانها ميمونة خالة ابن عباس وهي اخر زوجاته صلى الله عليه
وسلم موتا وفي القراضة يخشى رفع الرحمة من الارض وغضب الله على اهلها وفي
السجود والصلاة تذلل يرفع غضب الرب ولذا استحب بعضهم الصلاة للخسوف
والزلزلة واي اية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وغلق
بابه فانه امر عظيم يورث حزنا واسفا وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة
النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها فاقتديا
به واحبا ما احب واسمها بركة بنت حفص بن ثعلبة بن عمرو بن حفص بن مالك بن سلمان
ابن عمرو بن النعمان كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب وتزوجها زيد مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له اسامة وهاجرت الهجرتين وكانت
الف اليه من ابيه وقيل كانت لامه وكان صلى الله عليه وسلم يحبها ويحب
زوجها وابنها ويقول هي امي بعد امي فلذا كان يزورها ويصلها وكانت
تحبه وتحضنه وامنت به صلى الله عليه وسلم قبل بعثته لان امه ذهبت به
لاخواله بني النجار بالمدينة واقامت شهرا عندهم فكان اليهود يختلفون اليه
وينظرونه فسمعتهم اقرابهم يقولون هذا نبي هذه الامة فوقر ذلك في قلبها
فهي اول من امن به صلى الله عليه وسلم ثم رجعت به امه فماتت بالابوا
وقبرها هناك فحضنته ام ايمن ولما وردت حليمة السعدية من بني سعد
على النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته وهي امه صلى الله عليه وسلم
من الرضاعة وهذا الحديث رواه ابن سعد رحمه الله بسط لها رداه لتجلس

عليه اكرامًا لها ولحق امومة الرضاع وقضى حاجتها التي سالته فقضاها فلما توفي
صلى الله عليه وسلم وفدت اي جاءت وافدة وقادمة من محل بعيد على ابي بكر وعمر
في خلافتهما الحاجة لها فصنعا لها مثل ذلك اي بسطا رداءهما لها واكرماها وقضيا
حاجتها تاسيا به صلى الله عليه وسلم ومحبة لمن احب واعترض عليه البرهان وقال
ان التي قدمت عليه صلى الله عليه وسلم انما هي بنت حليمة المسماة بالشيما وهي
التي اسلمت لا حليمة كما ذكره الدمياطي رحمه الله وتبعه غيره لكن رد عليه ذلك
مغلطاي في مؤلف له سماه التحفة الجسيمة في اسلام حليمة والحاصل كما تقدم
انهم اختلفوا في اسلامها وانها صحابية فانكره بعضهم وقال انه غلط من بنتها
الشيما فانها اسلمت وقال ابن عبد البر في الاستيعاب انها اتته صلى الله عليه وسلم
يوم حنين فبسط لها رداءه وانه روي عنها حديث ورد بانه لم يصح والتي اتته
بنتها الشيما بنت الحارث كما مر واسمها حذافة واما هي فاتته صلى الله عليه وسلم
زمن خديجة فاعطاها اربعين شاة وجملا وانصرفت الى اهلها ولم يذكروا اسلامها الجم
الا ان ابن عبد البر اثبته وعدها في الصحابة وقال هي التي اتته بحنين
وروى عنها عبد الله بن جعفر وذكر في الوفا انها اسلمت هي وزوجها وبنتها
وكفى بهذا مستندا للمص رحمه الله فالمخطي له مخطي والشاهد فيما ذكر لما ابن اقبرس
عن فيه ان ابا بكر اكرمها وعظمها اقتداء به صلى الله عليه وسلم ومحبة لمن احبه
وهي في حكم اله بيته لانها امه من الرضاعة وهي في حكم القرابة وهذا مع ظهوره
لم يفهمه من قال معترضا على المص ان هذه القصة لا مدخل لها في هذا الفصل
لانه معقود لتوقير اله واصحابه تكريما له وتعظيما وهذا انما هو من قبل تعظيم
النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لغيره وهذه غفلة منه عجيبة

## فصل ومن توقيره

صلى الله عليه وسلم وبره توقيره بتعظيمه وبره مضاف الى المفعول بمعنى
الاحسان والمراد به رعاية جانبه وصلته توقير اصحابه وبرهم اي تعظيمهم
والاحسان اليهم بموالاتهم ونصرتهم وكل ما يليق بهم قولا وفعلا فان من كرم
عظيما اكرم اتباعه والاصحاب جمع صاحب وتعريفه كما تقدم من راه صلى
الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك وتفصيله في كتب الحديث والاصلين
ومعرفة حقهم اي ما يلزم لهم من تكريمهم وحسن معاملتهم وتنزيل كل منهم
في منزلته اللائقة به وليس المراد مجرد المعرفة حتى يقال ينبغي ان يقول القيام ابن اقبرس
بها لان ثمرة العلم العمل ولذا اعطف عليه قوله والاقتداء بهم اي اتباع اقوالهم
وافعالهم فانهم على هدى اضاءت في مشكاتهم الانوار النبوية فهم خير الناس ومجموعهم
افضل من مجموع من بعدهم واما كون كل فرد منهم افضل من كل فرد من غيرهم
فصرحوا بانه لا يلزم فقد يكون بعض التابعين افضل من بعض الصحابة واستدل
بحديث امتي كالمطر لا يدري الخير في اوله ام اخره والمناقشة فيه بانه باعتبار النفع
لا الفضيلة غير مسلمة وبالجملة فكلهم عدول مطلقا صغيرهم وكبيرهم وحسن

الثنا

الثنا عليهم اذا ذكروا ومدحوا والاستغفار لهم اي الدعا لهم بالمغفرة والرحمة نحو رحمهم
الله ورضي عنهم والامساك اي السكوت يقال امسك عن ذكره اذا سكت وهو مجاز صار
حقيقة فيه عما اي عن كل امر شجر بينهم اي وقع فيه خلاف ونزاع ماخوذ من الشجر المختلف
المتداخل اغصانه بعضها في بعض وفي الحديث اياكم وما شجر بين اصحابي ومعاداة من
عاداهم كالخوارج والرفضة والاضراب اي الترك والاعراض عن اخبار المورخين
التي نقلوها عنهم فانها تورث تنقيص بعضهم بما نقلوه وجملة الرواة الذين
رووا قصصا باطلة تودي لسوء الظن بهم وضلال الشيعة بضم الضاد المعجمة
وتشديد اللام جمع ضال والشيعة كل فرقة تابعة لاحد ثم خصت بفرقة مخصوصة
شايعوا عليا وبالغوا فيه وقالوا ان الامامة حقه وحق بنيه دون غيرهم
وهو من اضافة الصفة لموصوفها اي الشيعة والصفة كاشفة معرفة لا مقيدة
حتى يتوهم ان من الشيعة فرقة غير ضالة او هي مقيدة للمعطوف والمعطوف عليه
اعني قوله والمبتدعين فان البدعة على اقسام كما تقدم والمراد ابتداع العقايد
الفاسدة كالخوارج وبعض المعتزلة وقوله القادحة صفة اخبار والقدح الذم
والتنقيص بذكر ما يودي اليه في احد منهم اي من الصحابة واذ يلتمس لهم اي يطلب
لهم واصله ادراك ظاهر البشرة كالمس فعبر به عن مطلق الطلب فيما نقل من مثل ذلك
الامر المنقود عنهم في الاخبار المروية فيما كان بينهم من الفتن كما وقع بين علي
ومعاوية رضي الله عنهما احسن التاويلات والمحامل لانها امور وقعت باجتهاد
منهم لا لاغراض نفسانية ومطامع دنيوية كما يظنه الجهلة ويخرج بضم اوله
مجهول كقوله يلتمس المتقدم ايضا اصوب المخارج بان يحمله على امر محمود ويأوله
بما يخرجه عن عده من المعايب الى الحاقه بالمحاسن اذ هم اهل ذلك اي مستحقون
بان يحمل ما صدر منهم على امور حسنة محمودة ولا يذكر مبني للمجهول احد منهم
بسوء اي بامر قبيح ولا يغمص عليه امر بضم اليا التحتية وسكون الغين المعجمة
وميم مفتوحة وصاد مهملة مبني للمجهول اي لا يعاب ولا ينقص في امر من اموره
يقال غمصه اذا احتقره وتهاون به وحوز فيه ايضا اعجام صاده من اغمض الجفن
اذا طبقه لبعضه على بعض ثم استعير للتغافل والتساهل قال تعالى الا ان تغمضوا
فيه فالمعنى لا يختفى والاول اولى رواية ودراية بل يذكر حسناتهم المروية
عنهم من عباداتهم وزهدهم وفضايلهم الكثيرة من علمهم وكرمهم وحلمهم وحميد
سيرهم من انصافهم وعدلهم واصابة رايهم وعلو همتهم ويسكت مجهول
عما وراء ذلك اي عن غيره مما لا يليق بشرف مقامهم كما قال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الطبراني وابو اسامة عن ابن مسعود اذا ذكر اصحابي بذكرا حولهم
فامسكوا عن الطعن فيهم وذكرهم بما يوهم نقصا فيهم وقال تعالى محمد
رسول الله والذين معه اشدا على الكفار رحما بينهم الى اخر السورة فتضمن
خاتمة سورة الفتح الثنا عليهم كلهم وان الله وعدهم بمغفرته واجر عظيم منه
وانهم من ابتدا امرهم الى اخره نفع وخير كزرع تكامل شيا فشيا حتى تمت سنابله
وعم نفعه والاية وما فيها من التفاسير قد كفينا مونته هنا والذي يراد

ابن اوبتوس

منها هنا ان من مدحه الله وبالغ في مدحه في كتبه المنزلة على رسله لا يحتاج لمدح فكيف
يقدح فيه بقدح قادح لكني اقول اعمى البصاير يابى التكحل بذهب وقال الله عز وجل
في حقهم ايضا والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الاية وفي هذه الاية مدح
عظيم ايضا لهم ووعد عظيم بما لهم في العقبى وهم على طبقات ثلاث الاولى السابقون
الاولون الذين صلوا للقبلتين وشهدوا بدرا والذين اسلموا قبل الهجرة الثانية
السابقون الاولون للبيعة وهم الانصار اصحاب العقبة الاولى والثانية والثالثة
الذين اتبعوا هؤلا باحسان وهم اللاحقون بالسابقين من اهل القبلتين وشمل
هؤلا كلهم الثنا والوعد وقد قسموا اقساما اخر ليس هذا محل تفصيلها وقال
تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهذه قصة الحديبية
وما وقع فيها مما يغني شهرته عن ذكره وقال تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه الاية هذه الاية قدمنا انها نزلت في ناس من الصحابة منهم
انس بن النضر عم انس بن مالك كان لم يشهد بدرا فكبر عليه ذلك فقال اول مشهد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه والله لين اراني الله مشهدا بعده
ليرين الله ما اصنع فلما كانت وقعة احد من العام القابل قاتل فيها حتى قتل
ومنهم حمزة وسعد بن معاذ وطلحة بن عبيد الله كما تقدم حدثنا القاضي ابو علي
هو ابن سكرة كما تقدم قال حدثنا ابو الحسين تقدم ايضا وابو الفضل بن خيرون
قالا حدثنا ابو يعلى احمد بن عبد الواحد الثقة الاديب وقد تقدم قال حدثنا ابو علي
السنجي قال حدثنا محمد بن محبوب المعروف بالمحبوبي كما تقدم قال حدثنا الترمذي
الحافظ ابو عيسى صاحب السنن قال حدثنا الحسن بن الصباح هو البزار براء مهملة في آخره
كما تقدم وهو الحسن بن محمد بن الصباح ابو علي الزعفراني قال حدثنا سفيان بن عيينة
تقدم ايضا عن زايدة بن قدامة ابو الصلت الثقفي الكوفي الحافظ الثقة الحجة
توفي غازيا بالروم سنة ستين او احدى وستين ومائة واخرج له الستة عن عبد
الملك بن عمير الكوفي التابعي روى عنه الستة توفي سنة ست وثلاثين ومائة
عن ربعي بكسر الرا المهملة وسكون الموحدة ابن حراش بكسر الحا وفتح الرا المهملتين
وآخره شين معجمة وما عداه خراش بخا معجمة وهو ابو مريم العبسي عن حذيفة
ابن اليماني باثبات اليا وهو الافصح وبحذفها وهو الاشهر الصحابي المشهور رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي
وابن ماجه اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر اراد بهم الخلفا الراشدين مطلقا
وخص منهما ابا بكر وعمر لزيادة فضلهما وتقدمهما على غيرهما وهذا الحديث اخرجه
الحاكم وابن حبان ايضا وفي طرقه اختلاف بزيادة ونحوها واوله قال حذيفة رضي
الله عنه كنا جلوسا عنده صلى الله عليه وسلم فقال اني لا ادري ما بقاي فيكم
فاقتدوا بالذين من بعدي واشار الى ابي بكر وعمر واخرجه القضاعي بلفظ اقتدوا
بالذين من بعدي ابي بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد
تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والمراد الاقتدا بهما اذا قاما مقامه
في الخلافة وهو دليل على خلافتهما وعلى ان قول الصحابي حجة مقدمة على

العباس ومنهم من خصه بابي بكر وعمر واستدل بهذا الحديث كما فصل في كتب الاصول
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث اخر رواه الدارقطني وابن عبد البر في العلم من طرق
اسانيدها كلها ضعيفة حتى قال ابن حزم انه موضوع وقال الحافظ العراقي كان ينبغي
للمص ان لا يورده بصيغة الجزم وما قيل من انه ليس بوارد لان المص ساقه في فضل
الصحابة وقد اتفقوا على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضايل الاعمال وفضايل
فضايل الرجال لا وجه له لان قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم فيه العمل
بما فعلوه وقالوه من الاحكام وليس هذا من قبيل الفضايل التي يجوز فيها العمل
بالضعيف فلو قال انه بمعنى الحديث الذي قبله وهو حديث صحيح يعمل به ولذا ساقه
بعده كالمتابعة له ولذا جزم به كان اقوى واحسن مما قاله وقال ابن الرومي رحمه
الله تعالى

قوم اذا دجت الخطوب فانما • اراوهم في الحادثات نجوم
منها مصابيح الدجى ومعالم • فيها الهدى والاخريات رجوم

وليس هذا مع ما قبله حديثا واحدا كما نبه عليه المص بقوله وقال فوجه التنبيه
ما ذكر مع العلو والشرف وعن انس بن مالك فيما رواه البزار وابو يعلى قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام اي فيما
يطبخ ويوكل مما يعتاد اصلاحه بالملح ووجه الشبه الاصلاح وان من كثير الملح واصلح
قليله ولدفع توهم ضرر كثرتهم قال لا يصلح الطعام الا بالملح وليجوز
نيافة للمفعول لا يصلح الا به اي بوضعه فيه وهذا الحديث رواه ابن ابي حاتم
وغيره من طرق مختلفة وقال الحسن البصري فقد ذهب ملحنا فكيف يصلح واصلا
بارشادهم وهدايتهم وحثهم على الطاعات وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر
وخلافتهم وبيان الشريعة وامور الدين فعلينا باتباعهم واقتفاء اثارهم ومن
اشراط الساعة فساد العلماء كما قيل

بالملح يصلح ما يرجى تغيره • فكيف بالملح ان حلت به الغير

قيل فيه دقيقة وهي الاشارة الى الاعتدال وان هذه الامة وسط ولا يخفى بعده
ولو قيل انه اشارة الى قلتهم وسرعة انقراضهم كان اظهر فتامل وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث تقدم الله الله في اصحابي اي اتقوا الله فيهم وكرره للحث
والتاكيد وهو منصوب على التحذير بعامل يجب حذفه لقيام التكرير مقامه ولولا
حسن اظهاره كما قاله ابن مالك وفي البسيط يجوز اظهاره وقال الجزولي انه يجوز مع
فتحه لا تتخذوهم غرضا بعدي الظرف متعلق بالفعل لا صفة غرضا والغرض
الهدف الذي يرمى بالسهام والمعنى لا تذموهم وتطعنوا فيهم باسناد امور
قبيحة لهم فمن احبهم وصان اعراضهم فبحبي احبهم اي فانما يحبهم لاجل
محبتي لهم لمحبتهم عين محبتي وبرهم بري ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله اذية الله عبارة عن فعل
ما لا يرضاه اذ معناها الحقيقي لا يتصور في حقه تعالى فهو مشاكلة ومن
اذى الله يوشك بكسر الشين وقد تفتح بمعنى يقرب ويسرع ان ياخذه

ابن اقبرس

نادرة الفتاح جامع

جمع

ابن اقبرس

اي يهلكه ويستاصله بعذابه ويوشك يجوز رفعه وجزمه لان من شرطية او موصولة
وفي رواية في المصابيح فيوشك بالفاء والرفع بتقدير مبتدا وهو مستانف دليل على
الجواب وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره لا تسبوا اصحابي
فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا وفي بعض الروايات من طريق ابي بكر بن عياش
زيادة كل يوم واحد اسم جبل معروف اي لو بذل في سبيل الله مقدار وزنه ذهبا
ما بلغ اي ما وصل وساوى في ثوابه مد احدهم ولا نصيفه الذي يتصدق
به من تمر او شعير او قمح ونحوه وفيه من المبالغة ما لا يخفى والمد بضم الميم ربع صاع
وهو اقل ما يتصدق به عادة وهو رطل وثلث عراقي عند الشافعي ورطلان
عند ابي حنيفة وروي مد بفتح الميم اي مداه وغايته كمدة البصر ومداه والنصيف
بفتح النون وكسر الصاد المهملة بوزن رغيف وفيه اربع لغات نصف بكسر النون
وضمها وفتحها ونصيف بزيادة ياء لغة في النصف كثمين بمعنى ثمن وقيل النصيف
مكيال دون المد اي اعلى صدقتكم وانفاقكم لله لا يبلغ اجره وموقعه عند الله
اقل صدقتهم لسبقهم في الخير وخلوص نيتهم به وزيادة يقينهم وقد انفقوا رضي
الله عنهم وهم في فاقة وقلة ومن بعدهم انفق والدنيا واسعة دائرة عليهم
مع شدة الحاجة لما انفقوه في اول ظهور الاسلام وقتال اعداء الدين مع
بذلهم اهلهم وارواحهم في سبيل الله كما قيل

رايت عبيد الله اكرم من مشى * واكرم من فضل بن يحيى بن خالد
اولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جاد ذا والدهر غير مساعد
ولهيا رحدث وقارا والزمان هازل * وجاد عفوا والزمان جامد

والخطاب للموجودين من غير الصحابة ولمن يوجد بعدهم كما قيل او المراد
باصحابه هنا السابقون الاولون منهم كما قال تعالى لا يستوي منكم من انفق
من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة الاية والاصحاب جماعة مخصوصون
منهم واختلف في حكم من سبهم هل هو كبيرة يعزر فاعله او كفر فيقتل
وسياتي تفصيله اخر الكتاب وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الديلمي
وابو نعيم في الحلية عن جابر رضي الله عنه من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين اللعنة بمعنى الابعاد والطرد والمراد بعده من رحمة الله وبهذا
تمسك من قال بكفره وقتله ومثله كثير في احاديث التهديد والتخويف حتى
لا يتجرا عليه احد من الناس لا يقبل منه اي ممن سبهم صرفا ولا عدلا في
تفسيرهما اقوال فقيل الصرف التوبة وقيل التصرف في الامور وقيل التطوع
وقيل الوزن وقيل الغنيمة وقيل المثل وقيل ما يصرف فيه وقيل الزيادة
والعدل قيل الفرض وقيل الفدية وقيل الكيل وقيل المثل وقيل الفضل
قال النووي ومعنى الفدية انه لا يجد في يوم القيامة من يفتدي به فان بعض
المؤمنين قد يفديه الله ببعض الكفار كما ورد في الحديث وقال صلى الله عليه
وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا اي اذا ذكروا بسوء وغيبة فاتركوا ذكره ولا
تخوضوا مع الخائضين فيهم وقد تقدم هذا وبيانه وقال صلى الله عليه وسلم

في

في حديث جابر رضي الله عنه الذي رواه البزار والديلمي عنه صلى الله عليه وسلم
ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين اي فضلهم على الناس كلهم وجعلهم خيرة خلقه
عدولا انفيا كلهم سوى الانبيا والمرسلين فانهم افضل منهم واختار لي منهم
اي من اصحابي فضلهم على غيرهم من الصحابة اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وقد
روى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم راى ابا بكر وعمر فقال هذان السمع والبصر
ثم فسر اختياره لهم بقوله فجعلهم خير اصحابي وافضلهم وفي اصحابي كلهم خير اي فضل
وتقوى فكلهم علما عدول كما في حديث خير القرون قرني ثم وثم وهذا سبب ما حكاه
امام الحرمين رحمه الله من الاجماع على عدالتهم كلهم صغيرهم وكبيرهم فلا يجوز
الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم مما ادى اليه اجتهاده لما اوجب القطع
بانهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين ولما العوه من الهجرة وترك الاهل
والاوطان وبذل النفوس والاموال في نصرة الدين وقتل الآبا والابنا والمناصحة
في الدين وقوة الايمان واليقين وغير ذلك من المنح الالهية وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه الطبراني في اوسطه بسند حسن من احب عمر فقد احبني
ومن ابغض عمر فقد ابغضني خصه بذلك لما كان فيه من الشدة على امور الدين
التي قد تورث حزازة في بعض النفوس القاصرة ولا يلزم منه تفضيله على ابي
بكر رضي الله عنه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغضه بغضا فكذا
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم احبه وارتضاه وقدمه فعدم ارتضائه
يفضي الى عدم ارتضا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قيل
عن المرء لا تسال وسل عن قرينه • **نكتة** • من خصائص
ابي بكر وعمر رضي الله عنهما انهما جليساه وضجيعاه صلى الله عليه وسلم في حياته
ومماته وقد ورد في حديث ان كل واحد يدفن في تربته التي خلق منها وهو يدل
على انهما خلقا من طينة واحدة وليس بعد هذه المنقبة شرف اعظم منها وقال
الامام مالك بن انس شيخ السنة وامام دار الهجرة وغيره من الائمة اشارة الى
انه رحمه الله لم ينفرد بهذا الاستنباط فانه سبقه له ابن عباس كما نقله ابن تيمية
في كتاب رد الرافضي من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في في المسلمين حق الفيء
ما اخذ غنيمة من الكفار وهو مرصد للمسلمين فعدم نصيبه منه عقوبة له على
ما فعل وفيه اشارة الى انه يخرج بذلك عن الاسلام ولذا حكم بعض المالكية
بقتله ان لم يتب كما سياتي والفيء هنا شامل للغنيمة فان كلا منهما يطلق على
الاخر وان فرق بينهما الفقها واهل اللغة وقد قال مشايخنا في هذا ونحوه انه
كالمسكين والفقير اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا وهو معنى بديع سمعته
من شيخنا النور الزيادي ونزع بنون وزاي معجمة وعين مهملة مبني للفاعل
ويجوز جعله مبنيا للمجهول ايضا فعلى الاول فاعله ضمير من ذكر او ضمير مالك
وغيره وعلى الثاني نايب فاعله باية سورة الحشر وقيل ضمير من ابغضهم وفيه
نظر وقد نزع بمعنى استدل واستخرج من الاية وسياتي في اخر الكتاب قال مالك
من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق

انهم خلقوا

قد قسم الله الفي في ثلاثة اصناف فقال للفقرا المهاجرين الاية الخ فمن نقصهم
فلاحق له في الاسلام وعطف سبهم على بغض عطف تفسيري لان البغض امر
قلبي لا يطلع عليه وهذا اقوى امارانه فلا يرد عليه انه تعليق الحكم بما يتفق
انه لا يكفي احدهما فيه وهو محل نظر كما قيل ومن فسر نزع ببعد عن الايمان
بشهادة حديث الله الله في اصحابي الخ لم يصب واصل معنى النزع القلع
والخروج فتجوز به عما ذكر فليس من النزوع عن الاوطان والتغرب كما توهمه
هذا القايل والاية المذكورة هي قوله تعالى وما افا الله على رسوله الى
قوله والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم ووجه
الاستدلال بالاية انه جعل ما افا الله على رسوله حقا للفقرا المهاجرين
والفقرا الذين تبوؤا الدار والايمان والفقرا الذين جاوا من بعدهم
مهاجرين بعد ما قوي الاسلام والتابعين لهم باحسان ممن امن بعد
المهاجرين والانصار الى اخر الزمان وجملة يقولون الخ حال اي قايلين
ربنا اغفر لنا ولاخواننا وهي حال مفيدة تجعل شرطا استحقاقهم قولهم ذلك
ومن لم يسبهم لم يقل ذلك لا قتضائه محبتهم والشفقة عليهم وانهم
لا غل ولا بغض لهم فيهم حيث قالوا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا
وسيذكره المصنف في اخر الكتاب ثم انه بين ان هذا يقتضي كفرهم والكفار
لاحق لهم في الفي فلذا قال وقال مالك بن انس رحمه الله من غاظه
بظا مشالة فيك وبالضاد ايضا وهو لغة فيه لا ابدال واختلف في الغيظ
والغضب هل هما بمعنى او الغيظ اشد الغضب والكمين في النفس او الغضب
للقادر والغيظ للعاجز اي من اغتاظ واحتد اذا ذكر اصحاب محمد عنده
فهو كافر لان من ابغضهم فقد ابغضه صلى الله عليه وسلم وبغضه كفر
وهذا رواه الخطيب البغدادي عن عروة الزبيري قال كنا عند مالك بن انس
فذكر عنده رجل انتقص الصحابة فتلا قوله تعالى محمد رسول الله والذين
معه اشدا على الكفار الخ وقال من اصبح في قلبه غيظ على اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية لا نها صدرت بلام التعليل فهي اما علة
لما قبلها من تشبيههم بالزرع في النمو والاستحكام ثم ذكر انه انما شبههم
بذلك ليغيظهم قال تعالى ليغيظ بهم الكفار فالمؤمن لا يكون عنده غيظ
منهم او علة لقوله بعده وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم
فانما وعدهم ليغيظ الكفار بوعده لهم فالحاصل انه لا يغتبط باصحابه
مؤمنا من غيرهم فخرج غيظ بعضهم على بعض لما ادى اليه اجتهاده وقال
عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا من كل امر يشينه ويغضبه
عند الله الصدق بان يجري الصدق في جميع اقواله حتى يكون عند الله
صديقا وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كبيرهم وصغيرهم حتى
يقدمهم على نفسه واهله وليس هذا من كلام ابن المبارك بل هو حديث

ابن اقبرس دبجي

رواه

رواه ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الصدق يهدي الى البر وان البر
يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى
الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا
وقد روي من طريق اخر بمعناه وترتب الجزاء على ما ذكر سر من اسرار الله يطلع الله
عليه من شاء من خلص عباده ومنهم ابن المبارك وناهيك به وقال ايوب السختياني
التابعي المشهور من احب ابا بكر فقد اقام الدين لان الدين استقام به في صحبته
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اول البعثة وفي اول الهجرة وفي قيامه مقامه
صلى الله عليه وسلم بعده وفاته وقد تزلزل الناس وارتد بعضهم وفاض النفاق
وانفرج الخلاف بين العود والعمل وقد نزل بهم ما لو نزل بالجبال هاضها
فحمل اعبا الخلافة حتى قوّم الدين وقام قاومن احب احدا كان معه وتخلق باخلاقه
ومن احب عمر فقد اوضح السبيل اي بين طريق الحق لمن اراد سلوك الطريق المستقيم
لانه بعده صلى الله عليه وسلم اظهر الدين واقعم به الاقطار وقضى لاهله
الاوطار وفتح الفتوح حتى بلغ صيت الاسلام اقصى الارض كما في حديث الشيخين
بينا انا نائم رايتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شا الله ثم اخذها
ابن ابي قحافة فنزع بها ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له
ثم استحالت غربا اي دلوا كبيرا فاخذها ابن الخطاب فلم ار عبقريا من الناس
ينزع نزع عمر وفي رواية فلم ار عبقريا من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس
بعطن وهو تمثيل لطول مدة خلافته وكثرة فتوحاته في الاسلام ومن احب
عثمان فقد استضا بنور الله الذي اظهره الله فيه ولذا لقب بذي النورين
لما فيه من الكرم والحلم والزهد والورع والصبر على ما ابتلاه الله به حتى
لقي الله وهو عليه راض وكان اشد الناس حيا ومن احب عليا فقد استمسك
بالعروة الوثقى اي تمسك بها لكونه عالما بعلم الحقيقة وقايما بالذب
عن حوزة الدين لا يلحقه في الله لومة لايم وهو باب مدينة العلم فمن احبه
مستمسك بالعروة الوثقى اي بالحق والراي القويم الذي هو عروة
لا تنفصم وهي استعارة مصرحة من عروة الكلا وهو ما له اصل ثابت
واطراف لا تنقص اذا سقطت الاوراق ومن احسن الثنا بمدح ناش عن محبة
خالصة فان الظاهر عنوان الباطن على اصحاب محمد تعميم بعد التخصيص
فقد بري اي اسلم وخلص من النفاق المراد به معناه العرفي وهو مخالفة
الظاهر للباطن مطلقا واصله اخفا الكفر واظهار الاسلام ويجوز ان
يراد هذا والمراد بالثنا ثنا من غير غلو كغلو الشيعة ومن انتقص اي نقص
واحدا منهم بذمه وذكر ما يشينه فهو مبتدع لمخالفته السنة واتيانه
ما نهى الله عنه ورسوله وفي نسخة الجنس ثم فسر المبتدع بقوله مخالف
السنة اي لهديه وطريقته صلى الله عليه وسلم في جميع اقواله وافعاله
والسلف الصالح من الصحابة والتابعين واخاف اي اظن او اعلم ان لا
يصعد له عمل من اعماله الصالحة اي لا يقبله الله منه ولا يثيبه عليه ويخ

الاعمال بعبيد به عما ذكر وليس الخوف هنا بمعناه الحقيقي وهو ضد الامن لعدم مناسبته هنا قال الراغب الخوف توقع مكروه عن امارة مظنونة او معلومة وفسر قوله تعالى ان خفتم شقاق بينهما بعرفتم انتهى الي الشما لعدم تمسكه بالكتاب والسنة حتى يجمعهم جميعا ويكون قلبه سليما من بغضهم مقتديا بالسلف الصالح وفي حديث خالد بن سعيد بن العاص بن امية بن عبد شمس الصحابي وهو ثالث او رابع او خامس من اسلم وسبق غيره ويقال اسلم قبل الصديق ويقال اسلم قبل علي وليس في الصحابة من اسمه خالد بن سعيد غيره ولم يرو عنه حديث في الكتب الستة وهذا الحديث ولا في مسند احمد ولا في مسند بقي بن مخلد وهذا الحديث رواه الطبراني وابن منده وما ذكره المص نقله البرهان الحلبي وقال غيره انه خالد بن عمرو بن سعيد فسعيد جده وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وذكر سبب اسلامه في واقعة رآها وخالد بن سعيد ان كان غير المذكور لانه لم تشتهر عنه الرواية فالحديث مرسل والا فمعضل والظاهر هو المتقدم واول هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم لما قدم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك اي رضاي عنه في صحبته له وانه لم يأل جهدا في خدمته ولم يفارقه في حياته ومماته ولم يرو منه الا ما يسر وفي تقديمه وافراده له بالذكر وعدم تشريكه له مع غيره ما يدل على خلافته له وفضله على سائر الصحابة وهو صريح فيه الا عند من ختم الله على قلبه وسمعه وسياتي ان من انكر خلافة ابي بكر يبدع ولا يكفر ومن سب احدا من الصحابة ولم يستحل يفسق والا كفر ايها الناس اني راض عن عمر وعن عثمان وعن علي وعن طلحة والزبير بن العوام رضي الله عنهم وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الرحمن بن عوف الزهري فاعرفوا ذلك لهم اي كوني راضيا عنهم والمراد بمعرفتهم رعاية حقوقهم وتوقيرهم ومحبتهم والوا ولا تدل على الترتيب وان كان اهل السنة على تقديم ابي بكر ثم عمر بالاتفاق واختلفوا في عثمان وعلي ايهما افضل والمشهور تقديم عثمان ومنهم من قدم عليا ومنهم من توقف في ايهما الافضل فان هذه المسالة غير قطعية عندهم لكن الذي عليه اعتقاد السلف الصالح واعتقادنا ما ذكر وبقية الصحابة لم يتفقوا على شيء فيهم ولم يذكر عاشرهم وهو ابو عبيدة بن الجراح لدخوله في الصحابة وشهرته ايها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر كلهم جميع ما صدر منهم لحضورهم اول مشهد اعز الله به الاسلام والمسلمين وبدر اسم موضع معروف سميت باسم رجل حفر بيرها كما تقدم واهل الحديبية بتشديد اليا وتخفيفها وهي اسم مكان قريب من مكة من الحرم او خارجه او بعضه منه اقوال وفيه الشجرة التي كان تحتها بيعة الرضوان وقصتها معروفة في السير وقد تقدم ذكرها ايها الناس احفظوني اي احفظوا حقي وقدري برعاية ما يجب منه كما تقدم تفصيله في اصحابي

ايها الناس الخ ... ان النبي صلعم قال [illegible] من يوم

اي

اي وحفظ حقي بينهم وتحقق بحفظ اصحابي ومحبتهم وتوقيرهم فان من بغضهم بغضني
ولم يحفظني ثم خص بعد التعميم احتياطا وحثا بقوله واصهاري واختاني الاصهار
جمع صهر بكسر فسكون قال الجوهري هو اهل المراة عن الخليل قال ومن العرب من
يجعل الصهر من الاحماء والاختان جميعا والختن بفتحتين واحد الاختان كل من كان
من قبل المراة كالاب والاخ وعند العامة ختن الرجل زوج ابنته وكل شي من قبل
الزوج فهو حمو وفيه لغات مشهورة فالمراد بهما هنا من بينه صلى الله عليه وسلم
وبينه علاقة بسببية بنت وبجهة والتزوج منه لا يطالبنكم معاشر الناس اجمعين
احد منهم اي من المذكورين من اصحابي واتباعي اي لا يكون لاحد منهم عليكم حق
يستحق ان يطالبكم به ويدعيه عليكم وهو معنى قوله بمظلمة بكسر اللام
وفتحها وهي ما يوخذ ظلما وجورا فيطالب به ويشكي ممن اخذه والكسر
فيها اكثر واشهر فانها مظلمة اي حق للعبد اخذ منه ظلما لا توهب في القيامة
غدا اي لا يهبها الله لانها حق العبد فالامر من صاحبها لا تترك وقوله غدا
اشارة الى قرب اليوم الذي يواخذ فيه العباد ترهيبا لهم وتخويفا وقال
رجل للمعافا بفتح الفا والقصر ابن عمران ابو مسعود الازدي الموصلي
احد الاعلام من المحدثين كان يقال له ياقوتة العلما توفي سنة خمس وثما
ومائة واخرج له البخاري وغيره والقائل له لا يعرف اين عمر بن عبد العزيز
الخليفة العابد الزاهد العادل من معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما
اي ايهما افضل وخصهما بالسوال لانهما امويان فاين تذهب انت في
الفرق بينهما فغضب على السائل لما لاح عليه من تفضيله لابن عبد العزيز
نظرا لظاهر الحال وقال لا يقاس اي لا يسوي فضلا عن التفضيل باصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم احد وفي لفظ على اصحاب النبي وقاس يتعدي
بالبا وعلى وقد يعدي بالى لما فيه من معنى الجمع والضم قال المتنبي

بمن تضرب الامثال ام من اقيسه ۝ اليك واهل الدهر دونك والدهر

ثم اشار لفضل معاوية على غيره بقوله معاوية صاحبه صلى الله عليه وسلم
وصهره لانه اخو زوجته ام حبيبة بنت ابي سفيان ام المومنين رضي الله عنهم
وكاتبه لما ثبت من انه احد كتابه صلى الله عليه وسلم وامينه على وحيه
لانه تقدم انه استكتبه كان يكتب ما ينزل عليه من الوحي ولو لم يكن امينه
صلى الله عليه وسلم ما استكتبه الوحي وكفاك بهذه منقبة لم يصل اليها
عمر بن عبد العزيز واضرابه وابشر ان صح عنه برد ما قيل ان معاوية لم يكتب
له صلى الله عليه وسلم شيا من الوحي وانما كان يكتب له كتبه الى الاطراف
ولم يذكر فضل معاوية بقرب نسبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان عمر بن عبد العزيز شاركه في ذلك وروي ان عمر سمع مثله فقال لغبار غزوة
غزاها معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر وال عمر

وفي الطاعن في معاوية ما قيل ۝

ومن يكن يطعن في معاويه ۝ فذاك كلب من كلاب الهاويه ۝

وروى الترمذي عن جابر وضعفه انه قال اتي بالبنا للمفعول النبي صلى الله
عليه وسلم بجنازة رجل بفتح الجيم وكسرها الميت ونعشه ليصلي عليه ونحو
لتحت وقد يعكس فلم يصل عليه وقال كان هذا الميت يبغض عثمان فابغضه
فلذا لم يصل عليه لان صلاته على المبتدع اهانة وتشييعا له يحرم من ذلك
والعياذ بالله وفي نسخة بدل ماذكر فابغضه الله وهو خبر او دعا عليه
والمبتنى في الحديث انه صلى الله عليه وسلم نهي عن الصلاة عليه حتى يقتضي
كونه كما توهم لجواز ان لا يصلي هو ويصلي غيره كما في المديون والبغض
لا يقتضي الكفر وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان إنما قبرص
في الانصار اي في حقهم والوصية بهم وقيل في شانهم وفضلهم اعفوا عن
مسيئهم واقبلوا اي عمن وقع منه اساءة ما واقبلوا من محسنهم كل
ما احسنوه بحذف مفعوله تعميما وفي البخاري اوصي الخليفة من بعدي
بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم اي ما فرط
منه من زلة والانصار اسم حدث لهم في الاسلام وهم الاوس والخزرج
والتجاوز عن مسيئهم في غير الحدود وحقوق الناس وما ذكر بعض من الحديث
الذي رواه الشيخان وفي البخاري عن انس بن مالك ان ابا بكر والعباس
رضي الله عنهما مرا بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون في مرضه صلى الله
عليه وسلم فقال ما يبكيكم قالوا ذكرنا مجلسه صلى الله عليه وسلم منا فقد
خلا عنه صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فخرج وقد عصب على راسه
حاشية برد فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ولم يصعده بعد ذلك
فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد
قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن
مسيئهم وهذا تمثيل لان الكرش يجمع الغذا الذي به حياة الحيوان ونماؤه
ويقال لفلان كرش منثورة اي عيال كثيرة والعيبة بفتح العين المهملة
ما يحرز فيه المتاع يريد صلى الله عليه وسلم بذلك انهم موضع سره
وامانته قال ابن دريد وهو من موجز الكلام الذي لم يسبق اليه
صلى الله عليه وسلم وقيل الكرش بمنزلة المعدة والعيبة مستودع
الثياب والاول امر باطن والثاني ظاهر فضربه مثلا لاختصاصهم باموره
الباطنة والظاهرة وهو تشبيه بليغ او استعارة واراد صلى الله عليه
وسلم بما عليهم نصرته وقضاءهما تابعوه عليه وما لهم الجزا في الدنيا والاخرة
وقد علمت ان معنى وتجاوزوا عن مسيئهم اي في غير الحدود وحقوق الادميين
وهذا ايضا محل الخبر الصحيح اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم ومن ثم ورد
في رواية الا في الحدود وفسرهم الشافعي بانهم الذين لا يعرفون بالشر
ويقرب منه قول غيره هم اصحاب الصغاير دون الكباير وقيل من اذا
اذنب تاب وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو نعيم والديلمي
عن عياض الانصاري وابن منيع عن انس رضي الله عنه احفظوني

في اصحابي

ابن اقبرس

في اصحابي واصهاري تقدم بيانه فانه اي الشان من حفظني فيهم برعاية حقوقهم
واكرامهم حفظه الله في الدنيا والاخرة حفظه في الدنيا مما يسوءه وتوفيقه
لترك المعاصي وفي الاخرة من العذاب والعقاب ومن لم يحفظني فيهم بترك
ما امر تخلى الله منه اي اعرض عنه وتركه في غيه استدراجا له ومن تخلى الله
منه يوشك بسرع ويقرب ان ياخذه اخذ عزيز مقتدر بان يهلكه ويستاصله له
مستعار من الاخذ المعروف وقوله تخلى الله الخ اخبار عما يقع به وكونه انشا
للدعا عليه يأباه السياق فما قيل انه اقرب ليس بشيء ولهذه الزيادة ذكره
المص واذ تقدم وعنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه سعيد بن منصور
عن عطا مرسلا من حفظني في اصحابي برعاية حقهم فيهم كنت له حافظا يوم
القيامة اي مانعا له من هول المحشر وما يسوءه فيه وقال صلى الله عليه وسلم
كما رواه الطبراني بسند ضعيف من حفظني في اصحابي ورد علي الحوض اي وصل
اليه وشرب منه حتى لا يظما بعده ومن لم يحفظني في اصحابي بتضييع حقوقهم
وعدم محبتهم ورعاية ذريتهم لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد
فلا يقرب منه صلى الله عليه وسلم لان من ابغض اصحابه مقته الله فاستحق
الطرد عن الحوض وعدم شفاعته صلى الله عليه وسلم له وتفوته بركته له
وعنايته في مثل ذلك اليوم الشديد الهول قال مالك امام دار الهجرة
ونجم السنة رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم عبر باسم الاشارة الموضوع
لانه لحضوره في قلبه وذهنه قدر نفسه كانه بين يديه بمرأى منه صلى الله
عليه وسلم الذي هدانا الله به لخيري الدنيا والاخرة والمنير للناس كلهم
وجعله رحمة عامة للعالمين وجميع المخلوقين يخرج في جوف الليل اي فيه
شبهه بالجوف وهو داخل البدن وعبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية الى
البقيع اسم موضع بظاهر المدينة واصله اسم كل مكان متسع فيه شجر ويقال
له بقيع الغرقد بغين معجمة وهو اسم لنوع من شجر العضاه كان به ثم زال
وصار مقبرة لاهل المدينة المنورة وانما كان صلى الله عليه وسلم يخرج له
لناجي ربه متخليا عن اهله فيدعو لهم اي يدعو لمن بتلك المقبرة منهم
ويستغفر لهم اي يدعو لاموالهم واحيائهم بالمغفرة كالمودع لهم كانه
يودع من بتلك الجبانة لعلمه صلى الله عليه وسلم بقرب اجله ومفارقه
زيارتهم وبذلك امره الله اي امره بان يدعو لامته اولا موالهم ويستغفر
لهم وفيه دليل على شدة محبته لهم فيجب علينا اتباعه في ذلك وامر
بالنا للمحقور النبي صلى الله عليه وسلم اي امره الله بمحبتهم لله
ومولاتهم اي معاونتهم ونصرتهم كما امر وابذلك ومعاداة من
عاداهم من الكفرة والمنافقين وهو اشارة لما رواه مسلم عن عائشة
رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج في ليلتها اخر الليل
الى البقيع ويقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله
بكم لاحقون اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد وكان ذلك لما خرج خرجة

عايشة وىراه مستخفية منه فاحس صلى الله عليه وسلم بذلك وسالته عما صنع
فقال ان جبريل اتاني وناداني ولم يدخل عليك ولما وقطك خشية ان تستوحشي
فقال ان ربك يامرك ان تاتي اهل البقيع فتستغفر لهم فقلت كيف اقول فقال
تقول السلام على اهل الديار من المومنين والمسلمين ويرحم الله عز وجل المستقدمين
منا والمستاخرين وانا بكم ان شا الله لاحقون وهو ما اشار اليه مالك رحمه الله
وقيل انه اشارة الى قوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم فاذا امرك بذلك
فنحن احق به والظاهر ما قدمناه وقال كعب الاحبار التابعي المشهور وهذا
رواه عنه ابن سعد بلفظ ليس مومن بدل قوله ليس احد من اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم الا وله شفاعة في غيره من المومنين يوم القيامة وهذا
ما روي عنه صلى الله عليه وسلم فهو مرسل او هو مما قراه في الكتب القديمة
لانه كان عالما بها وفيه تكريم لهم وما يقتضي محبتهم رجا شفاعتهم فيمن احبهم
وطلب اي كعب الاحبار وهذا دليل على صحة اعتقاده لما قاله وانه كان محبا
لهم مترجيا لشفاعتهم رضي الله عنهم من المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد
المطلب بن هاشم القرشي الصحابي ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمكة قبل الهجرة وكان من انصار علي رضي الله عنه وقيل انه لم يدرك
من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ست سنين وكان قاضيا في
خلافة عثمان وعد من الصحابة وطلب كعب منه ان يشفع له يوم القيامة
يدل عليه ونوفل والده هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والحارث
جده لم يدرك الاسلام وهذا ما ذكره البرهان ومن تبعه وقال التلمسا..
نوفل والده هو ابن معاوية بن عروة الدولي من كنانة سمع النبي صلى الله
عليه وسلم ومات في زمن يزيد بن معاوية وقد بلغ المائة كما قاله
الواقدي وقال البرهان الحلبي الحارث بن عبد المطلب قال ابن عبد الغني
المقدسي انه لم يدرك الاسلام واسلم من اولاده اربعة نوفل وربيعة
وابو سفيان وعبد الله ونوفل اسن اخوته واسن من اسلم من بني هاشم
ولم يذكر المغيرة فيهم ومنهم من جعل المغيرة اسم ابي سفيان والصحيح
خلافه وانه غيره ولم يتعقب بالفتح اليعمري حين ذكره وقال الذهبي في
التجريد ابو سفيان اسمه المغيرة قاله ابن المنذر ولم يتعقبه وقال سهل
ابن عبد الله التستري بتقدم ضبطه لم يومن بالرسول صلى الله عليه
وسلم ايمانا كاملا من لم يوقر اصحابه بتعظيمهم ومحبتهم ولم يعز
من اعزه اذا نصره وقواه او جعله عزيزا مبجلا موقرا معظما او امره
جمع امر وقد تقدم الكلام عليه قبل وهذا يقتضي ان سب الصحابة
وتنقيصهم كفر وقيل انه كبيرة قال الزركشي وينبغي ان يقيد
الخلاف بغير من فعل ذلك لهم لكونهم صحابة لا لامر آخر وهو مقتضى
مذهبنا ايضا وفي منظومة ابن وهبان رحمه الله تعالى

اخاف على من قال ابغض عالما ٭ من الكفر اذ لا يقتضي الكفر نظير

فيرى

وسابه

وسيأتي تفصيله آخر الكتاب إن شاء الله تعالى

## فصل ومن إعظامه

وإكباره صلى الله عليه وسلم إعظامه وإكباره بمعنى تعظيمه وتكبيره وإجلاله وفي القاموس أعظمه فخمه وكبره واستعظمه رآه عظيما أي من تفخيمه وتعظيمه اللذين هما واجبان على المؤمن إعظام جميع أسبابه قيل هو بالمعنى العرفي وهو كل ما ينسب إليه صلى الله عليه وسلم من قراءته ولباسه مما الأرواح له أوله روح كعبده ودوابه وقال الراغب السبب الحبل الذي يصعد به النخل قال تعالى فليرتقوا في الأسباب ويسمى كل ما يتوصل به سببا وتسمى العمامة والخمار والثوب الطويل سببا تشبيها بالحبل في الطول انتهى وإكرام مشاهده جمع مشهد وهو محل الشهود أي الحضور من المشاهدة وهي الإدراك بالبصيرة والبصر ومشاهد الحج مواضع النسك وأمكنته جمع مكان عطف تفسير من مكة والمدينة بيان للأمكنة فالمراد به مساكنه ومحل إقامته لا مطلق المكان ومعاهده أي المحال اللاتي عهد العهد صلى الله عليه وسلم لها كالأساطين التي كان يصلي عندها ومحل صلاته في المساجد والأماكن المباركة ومنازله وما لمسه بيده أو بغيره من أعضائه كالحجر الأسود والركن اليماني واللمس والملتزم متقاربان أو عرف به كالأماكن التي جاهد فيها والغار الذي دخله صلى الله عليه وسلم وقد مر أن ابن عمر كان يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث حل صلى الله عليه وسلم ونزل وما روي عن مالك مما يخالف ذلك فهو جري على قاعدته في سد الذرائع المتقدمة وكذا ما جاء عن عمر أنه رأى الناس في الرجوع من الحج ابتدروا مسجدا فقال ما هذا قالوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار الأنبياء بيعا من عرضت له منكم الصلاة فيه فليصل ومن لم تعرض له فليمض وكلام المصنف هنا غير موافق لما مر عن مالك لا يقال يمكن حمل كلامه على إكرامه ذلك بغير نحو الصلاة فيه ليوافق ما مر عن إمامه لأنا نقول يمكن لكنه بعيد من ظاهر عبارته ويؤيد ظاهرها أن محققهم الشيخ خليل لما قال من زيارة البقيع ومسجد قبا قيد ذلك بمن كثرت إقامته بالمدينة قال والأفضل المقام عنده صلى الله عليه وسلم أحسن ليغتنم مشاهدته ثم نقل عن العارف ابن أبي جمرة أنه من حين دخل المسجد ما جلس إلا للصلاة حتى رحل الركب ولم يخرج لبقيع ولا غيره ولما خطر له ذلك قال هذا باب الله تعالى مفتوح للسائلين والمتضرعين وليس ثم من يقصد مثله وروي عن صفية بنت نجدة في الحولية التلمسانية أن هذه المرأة زوجة أبي محذورة الآتي ذكره وقد روى عنها أيوب ابن ثابت وروت هي عن زوجها أبي محذورة واختلف في ضبط اسم أبيها نجدة فقيل إنه بنون مفتوحة وجيم ساكنة ودال مهملة وهاء وقيل نجداه بدال مهملة تليها ألف وهاء وقيل بجراه براء مهملة بدل الدال المهملة وقيل الصواب بحره بموحدة مفتوحة وحاء وراء مهملتين وهاء قال كان لأبي

محذورة بحا مهملة وذال معجمة وبعدها را مهملة وها بوزنه اسم مفعول وهو محذورة
ابن معير بميم مكسورة وعين مهملة ساكنة ومثناة تحتية مفتوحة ورا مهملة
وقيل معين بنون بدل الرا ابن لوذان بفتح اللام وضمها وواو وذال معجمة
القرشي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يزل الاذان فيه وفي عقبه
واختلف في اسمه اختلافا كثيرا فقيل سمرة وقيل اوس وقيل سلمان وقيل سلمة
وهو جمحي صحابي توفي سنة تسع وخمسين او سبعين واخرج له مسلم واحد
واصحاب السنن قصة بضم القاف وتشديد الصاد المهملة وهي خصلة من شعر
الراس في مقدم راسه مما يلي وجهه من الناصية سميت بها لانها مما يقص وقال
ابن دريد كل خصلة من الشعر قصة وقال الجوهري هو شعر الناصية وسبب
توفيرها ان النبي صلى الله عليه وسلم مسحها بيده فابقاها تبركا بما مسته وهو
محل الشاهد وكان ابو محذورة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة واذن له خرج مع فتية من قريش سمعوا الاذان فاستهزؤا وابه وجعل ابو محذورة
يحاكي الاذان استهزا فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر باحضاره
فلما مثل بين يديه ظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم
ناصيته وصدره بيده قال فامتلا قلبي يقينا وايمانا وعلمت انه رسول الله
فاسلم وعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وامره ان يؤذن لاهل
مكة وهو ابن ستة عشر سنة فكان مؤذنهم حتى مات اذا قعد وارسلها اي حل
عقصها وسدل شعرها اصابت الارض اي وصلت اليها لطولها فقيل له اي قال
الناس لابي محذورة الا تحلقها بكسر اللام مضارع حلق الشعر بفتحها والا
للعرض والاستفتاح فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة فابقاها تبركا بما مسته يده وبهذا زالت
الكراهة وان قيل بها في غيره وفي حديث رواه ابو يعلى قال كانت في قلنسوة
خالد بن الوليد بن المغيرة الصحابي المخزومي المشهور والقلنسوة ما يوضع
ويأتي ما يتعلق بهذا التركيب في الكتاب على الراس تحت العمامة وتسمى
شاشية وقبعا ويقال قلنسة وهو بفتح القاف وضمها وضم السين وكسرها
ففيه لغات شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم جعلها في داخلها تبركا
بها فسقطت قلنسوته عن راسه في بعض حروبه قيل هو في غزاة اليمامة
في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فشد عليها شدة اي كرة فوثبة
اي رجع لاخذها وهو بعد وعد واشد يدا سريعا يقال شد اذا حرك
حركا قويا اي كان عليها لياخذها خوفا من ضياعها انكر اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم رجوعه لاجل عمامة لظنهم انه حرص عليها لذاتها كثرة من
قتل فيها اي في شدته هذه ممن رجع معه لجانب العدو وبسببه وكثرة منصوب
مفعول الكرا وهو مفعول لاجله فقال لم افعلها اي هذه الشدة والكرة
بسبب اخذ هذه القلنسوة كما ظننتم بل فعلتها لما تضمنته اي لما في ضمنها
وداخلها من شعره صلى الله عليه وسلم بفتح العين وسكونها لئلا تسلب

بالبنا للمجهول ونايب فاعله بركتها وتسلب بمعنى تذهب بركتها مني وذلك امر عظيم
يخاطر بالارواح لاجله وفي نسخة اسلب ويحتمل انه من السلب بفتحتين اي ياخذها
العدو ويدل عليه قوله وتقع في ايدي المشركين الذين لا يليق ان تكون عندهم
اثار النبي صلى الله عليه وسلم وروي وضبطه للمجهول الهمزة فنقل اليا الجرّة ابن عمر
واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي موضع قعوده من المنبر
ثم وضعها على وجهه اي مسحه بها تبركا بمس ما مس جسده الشريف وثيابه وهذا
رواه ابن سعد وياتي الكلام على ذلك عند اعادة المصنف له وهذا ايدل على جواز
التبرك بالانبيا والصالحين واثارهم وما يتعلق بهم ما لم يود الى فتنة او فساد
عقيدة وعلى هذا يحمل ما روي عن عمر رضي الله عنه من انه قطع الشجرة التي
وقعت تحتها البيعة لئلا يفتتن بها الناس لقرب عهدهم بالجاهلية ولا منافاة
بينهما ولا عبرة بمن انكر مثله من جهلة عصرنا وفي معناه انشدوا اي تمثلوا
امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا قيل الشغف باطن القلب وقيل شغاف القلب
غلافه وهو جلدة عليه وقيل هو وسط القلب والمعنى في هذه الاقوال
متقارب اي ما وصل حب الديار الى شغاف قلبي فغلب عليه قال النابغة
وقد حال هم دون ذلك داخل دخول الشغاف تبتغيه الاصابع
وروي الشعف بالعين المهملة ومعناه الاحراق وعلى الاول العمل قال
الجوهري وشعفه الحب احرق قلبه وقال ابو زيد امرضه وقد شعف بكذا فهو
مشعوف وروي عن الشعبي انه قال الشغف بالغين المعجمة حب وبالمهملة
جنون وقيل الاول حجاب القلب والثاني سويدا القلب ويقال ان الشغاف
الجلدة اللاصقة بالكبد التي لا ترى وهي الجلدة البيضا وهذا السند وقع
مقدما في بعض النسخ ولهذا اي للتبرك باثاره صلى الله عليه وسلم كان
الامام مالك لا يركب بالمدينة دابة فرسا ونحوها مما يركب رجالا ان يمس جسده
ترابا مشى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما ذكره بقوله وكان
يقول اذا سئل عن ذلك استحيي من الله اي اخشى وكراهة ان اطا تربة فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة اي ارضا ذات تراب وبسبب الوطى له مع انه
للدابة لانه منسوب له والحافر للفرس ونحوها كالخف للبعير والقدم
للانسان ثم [illegible] ان عدم ركوبه لم يكن لكونه ليس له دواب بل لتعظيمه صلى الله
عليه وسلم فقال وروي عنه اي عن الامام مالك انه وهب للامام الشافعي
لما كان عنده بالمدينة وممن وهب معنى اهدى فعداه باللام وهو متعد
لاثنين بنفسه كراعا بضم الكاف اي عدد من الخيل وله معان اخر فيطلق
على الجند والسلاح وما استدق من الساق واسم موضع كثيرا كان عنده
اي في ملكه وحيازته وهو يدل على كرمه واجلاله للامام الشافعي فقال
له الشافعي لما وهبه جميعه وانه امسك منها دابة اي ابقها عندك لتركبها
فاجابه بمثل هذا الجواب الذي اجاب به من تقدم بانه يستحيي من الركوب بالمدينة

الح وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي بضم السين وفتح اللام الامام الجليل شيخ الامام
القشيري صاحب الرسالة عن احمد بن فضلويه بفتح الفا وسكون الضاد المعجمة
وفتح اللام والواو وسكون اليا ويجوز ضم اللام وسكون الواو وفتح اليا وهو
كل نفقة العجز بين يقولونه كراهة من لفظة ويه فانه كلمة تدل على مكروه كالويل
وقال المعري انها كلمة تستعمل عند عوام البصرة ثم وصفه بقوله الزاهد وكان
من الرماة الغزاة كان مكثرا للمجاهدة في سبيل الله مجيدا الرمي بالسهام ملازما
للمجاهدة بها انه قال ما مسست القوس بيدي ولمسته بها حال الرمي وغيره
الا على طهارة اي متوضيا منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس
بيده اي امسكها وهو كناية عن الرمي بها وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم
حض على الرمي وامر به وحرض فيه ففي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الا ان القوة الرمي وكررها ثلاثا
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة
صانعه والرامي به ومنبله اي من يناوله السهم ليرميها وصح انه صلى الله
عليه وسلم رمى بالسهام في غزوة احد وكان له قسي ست مذكورة في السير
ثم انه قيل ان تخصيصه الطهارة بمس القوس دون السيف وغيره مما
مسه وتعظيمه ازيد من غيره من الات الحرب لما فيه من دفعه عنه دون
مشقة كما في غيره ولذا كانت العرب تسميها اي السهام رسل المنايا وما
قيل انه يحتمل انه كان يفعل ذلك في كل نوع من الالات لا يساعده لفظه
وقد افتى الامام مالك فيمن قال تربة المدينة اي ارضها ردية لمن يحل
فيها غير طيبة ذات وبا منعفنة الهوى وردية مهموز وغير مهموز ماخوذ
من الردي يضرب ثلاثين درة بكسر الدال وتشديد الرا المهملتين وهي
آلة من جلد غليظ يضرب بها معروفة وفي الكلام مقدر اي وقال انه يضرب
او يضرب بدل من افتى وامر بحبسه تعزيرا له وكان الذي حبسه له قدر
عظيم وشرف بين الناس وذكر هذا لان التعزير يختلف حاله بحال من عزر
ففيه اشارة الى انه اذنب ذنبا عظيما اذ لو كان امرا سهلا صدر من رفيع
لعزره باللسان والزجر والى هذا اشار بقوله وقال الامام مالك
ما احوجه تعجب من استحقاقه لعقاب اشد مما فعله وفيه نحو لانه جعل
استحقاقه بمقتضى ما صدر عنه كان له حاجة اليه لان العاقل لا يفعل
ما لا يحتاج اليه فعليه تهكم به يومي الى عدم شعوره بمصالحه الى ضرب
عنقه اي القتل تربة وارض دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزعم انها غير طيبة اي ردية متغيرة الهوا ذات وبا وهي وان كانت ذات
حمى قبل الهجرة فقد دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها
بنقل حماها وعفونة هواها الى الجحفة فصارت معتدلة طيبة
كما هو مشاهد فيها وعبر بيزعم للاشارة الى انه قول باطل وان كان

اي الفتى

ابن افتيرس

الزعم

الزعم يجيء بمعنى القول ولذا قالوا انه مطية الكذب وهذا مبالغة في زجره سعاديا عن
تنقيص ما هو من افضل الاماكن عند الله وان امكن حمله على محمل اخر من ان بعض اماكنها
سباخ ولكونها كانت ذات وبال لما قدم الصحابة لها واخذتهم الحمى قال صلى الله عليه وسلم
اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد اللهم بارك لنا فيها وصححها لنا وانقل
حماها الى الجحفة فطابت وطابت تربتها حتى صار تراها شفاء من الجذام كما ورد في
الاثار وقال الابوصيري

لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه • طوبى لمنتشق منه وملتثم •

وفي الصحيح اي الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن النبي انه صلى الله عليه وسلم
قال في المدينة اي في حقها وشانها من احدث فيها حدثا اي من فعل فيها امرا قبيحا
ابتدعه فيها كالمظالم واصل الحدث كل ما حدث وتجدد ثم خصه العرف بما ذكر من
البدع المنكرة شرعا كما في النهاية ومن موصولة او شرطية او آوى بالمد ويجوز قصره
محدثا بكسر الدال اسم فاعل من احدث اي ادخله وضمه لاهلها يقال اوى اليه كذا اذا
انضم اليه اي ادخلها جانيا فاجاره ونصره على خصمه وفتح داله كما قيل على انه بمعنى
الامر المبتدع وايواؤه الرضى به تكلف لا حاجة اليه فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقد تقدم تفسيره وانه تغليظ
في الزجر ومؤول كما قدمناه وفيه من تعظيم المدينة لكونها مكانه صلى الله عليه
وسلم ما لا يخفى ولها حرمة الحرم كما فصلوه وسياتي وحكي بالبنا للمفعول والذي
حكاه هو ابن عبد البر رحمه الله كما تقدم ان جهجاها الغفاري بن سعد بن حرام
قاله الطبري كذا رواه الجدلوده والصواب جهجاه بلا ها وقال الذهبي هو جهجاه
ابن قيس وقيل ابن سعيد وهو مدني صحابي شهد بيعة الرضوان وبعض الغزوات
وتوفي بعد عثمان بسنة وتقدم ويأتي انه مات قبل الحول اخذ قضيب النبي صلى
الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله منه ليكسره على ركبته كما
هو معتاد في كسر ما يحتاج كسره لقوة والقضيب عصا قصيرة كان يمسكها صلى الله
عليه وسلم في يده وكذا فعله الصحابة بعده رضي الله عنهم فصاح به الناس
تحذيرا له وزجرا ليرتدع عما اراده فاخذته الاكلة اي اصابته وبدت به
في ركبته لوضعه القضيب ليكسره عليها فقطعها لان العضو المتاكل ان لم
يقطع سرت الاكلة للبدن واهلكته ومات قبل الحول الذي بعده او قبل
تمام الحول الذي فعله فيه وروي انه مات عقبه كما تقدم قال في القاموس
الاكلة بضم الهمزة وسكون الكاف وورد كسرها ايضا قال بعض الفقها وما اشتهر
من مدها خطا وفيه نظر فقد روى الثعالبي في ثمار القلوب شعرا فيه
ذكر الاكلة بالمد ولم ينكره وهو ما قيل في هجا الاصمعي

ومن انت هل انت الا امرؤ • اذا صح نسلك من باهله •
وللباهلي على خبزه • كتاب لآكلة الآكله •

والاكلة كالآكال مرض يفسد الاعضا كالجذام معروف وليس في كلام
القاضي رحمه الله هنا وفيما تقدم ما يقتضي انه كسر ذلك القضيب

البرهان وحلبي وعيني

وروى الطبري في الرياض النضرة انه كسرها او رواية انقاعصى ليبت مبالغة لما ذكرها

لان الغضب يعمي ويصم وكان هذا في الفتنة لما حصب الناس عثمان وهو على المنبر

فلما نزل اخذ الجهجاه منه العصا التي كانت بيده وكان ممن قام عليه في قصته

المشهورة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مالك وابو داود والنسائي

وابن ماجه عن ابي هريرة من حلف على منبري المراد بكونه على المنبر انه عنده

ويجوز ابقاؤه على ظاهره بان يصعد عليه ويحلف وقد نص عليه الشافعية

وانه يجوز ان يوم يصعده ولكن الاصح الاول عندنا وهذا بنا على ان اليمين

تغلظ بالمكان والزمان فيذهب بالحالف للمسجد وكان في حياته صلى الله عليه

وسلم يحلف عند المنبر لان ما بينه وبين القبر الشريف افضل بقعة بالمدينة

بعد مرقده الشريف وما صمه جسده العظيم المنيف كاذبا فليتبوأ مقعده

من النار يتبوا بمعنى يتخذه مباءة اي مقرا ومسكنا يقال تبوأه اذا اسكنه

وهو دعا او امر اريد به الخبر وجعل استحقاقه العذاب بمنزلة حضوره وحضور

محله فامر بان يجعله مقرا له على طريق التمثيل وهو من بليغ الكلام وبديعه

الذي يعرفه من ذاق حلاوة البلاغة والفصاحة وحدث بالنبا المجهول

ان ابا الفضل الجوهري ليس هو عبد الله بن الحسن المصري الواعظ بجامع

مصر في حدود التسعين واربعمائة وكان من العلما الصالحين يتبرك به ويقتدى

به في السلوك وانما هو كما في تاريخ الاندلس عبد الله بن الحكيم الزبيدي

الاندلسي ذو الوزارتين له فضل وحسب وفضل باهر وادب عالم بالقراآت

والحديث وله شعر رايق ونثر فايق وارتحل للمشرق فاخذ بها عن ابن عساكر

واكثر الرواية عنه وله رياسة في عصره صار بها كالمثل السائر الى ان ردته

منه الايام ما وهبت فانقضت ايامه وذهبت فقتل لما خلع سلطانه فنهبت

امواله وكتبه ومات شهيدا رحمه الله لما ورد المدينة زايرا وقرب من بيوتها

ترجل اي نزل عن دابته التي كان راكبها نادبا ومشى باكيا خضوعا وخشية

وعليه شوقا ومسرة فان من المسرة قد يحصل البكا منشدا انشاد الشعر

قراءته والمراد انه تمثل به لان الشعر من قصيدة المتنبي اولها

فديناك من ربع وان زدتنا كربا ◆ لانك كنت الشرق للشمس والغربا

ومنها ولما رايناً رسم من لم يدع لنا ◆ فواد العرفان الرسوم ولا لبا

نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ◆ لمن بان عنه ان يلم به ركبا

وغيره قليلا لانه في ديوانه وكيف عرفنا رسم الخ والقصيدة في مدح سيف

الدولة ولقد اجاد في تمثله به ونقله لمحل لايق به وقد ضمنه المصانيفا

في قصيدة نبوية له فقال بعده

ولحقنا باكناف الخيام نواجلا ◆ نقبلها طورا ونرشفها حبا

ونبدي سرورا والفواد بحبها ◆ تقطع والاكباد اورثها لهبا

اقدم رجلا بعد رجل مهابة ◆ واسحب خدي في مواطنها سحبا

واسكب دمعي في مناهل حبها ◆ وارسل حبا في اماكنها النجبا

[illegible]

وادمو

دجى

عرضى

المذكورة صح

وادعو دعا البايس لواله الذي * براه الهوى حتى بدا اشخصه سحبا *

والفؤاد القلب او داخله والعرفان والعرق بمعنى واللب العقل اي الخالص من الشوايب سمي به لانه خالص ما في الانسان من قواه كاللباب من الشيء واما تفسيره بمطلق العقل اخذا من القاموس ففيه نظر والاكوار جمع كور بضم الكاف وهو للابل بمنزلة السرج وبان هنا بمعنى بعد اي لا يليق به الركوب لمن قرب من مقامه تادبا وتلم تابيه لزيارته والالمام الاتيان قليلا ويكون بمعنى القرب ومن فسر بان هنا بمعنى ظهر لم يصب والركب اسم جمع لراكب ويختص بالابل وقد يعم وقد شرح البيت هنا بعضهم بما استحيي من ايراده وحكي عن بعض المريدين والمريد صاحب الارادة لغة والمراد به ما اصطلح عليه مشايخ الصوفية من هو طالب الحق على يد المرشد الكامل بجعل ارادته ما عدا الحق عبثا انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم اي قرب منها بحيث يراها واصل الاشراف النظر من مكان عال اريد به لازمه انشا اي شرع والانشا يكون بهذا المعنى وبمعنى الايجاد ابتدا بقوله متمثلا التمثيل انشاد شعر الغير في مقام يناسبه وهو من قصيدة لابي نواس بن هاني في مدح محمد الامين الخليفة ابن هارون الرشيد العباسي من قصيدة فقصد المتمثل به لمدح النبي صلى الله عليه وسلم لموافقة اسمه اسمه وهذا النوع من البلاغة قريب من التضمين وهو ان يورد شعرا لغيره في مقام يكون احق به من صاحبه ولم يتعرض له اصحاب البديع الا ان الامام محمد التوزري اورده في كتاب الغرة اللايحة واورد منه ما ذكره المص رحمه الله هنا بقوله

رفع الحجاب لنا فلاح لناظري * قمر تقطع دونه الاوهام *

واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام *

قربننا من خير من وطي الثرا * فلها علينا حرمة وذمام *

واول هذه القصيدة المشهورة *

يا دار ما فعلت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تستام *

والمراد برفع الحجاب في كلام ابي نواس ستنابرا بواب الملوك والعظام وهو هنا بمعنى انقضا المسافة والقرب من المدينة والقمر الممدوح فيهما ويقطع فعل ماض او مضارع حذف منه احدى تايه تخفيفا والاوهام جمع وهم وتقطعها اضمحلالها باليقين وناظر اسم فاعل ينظر او ناظر العين وانسانها والمطي جمع مطية ناقة تمتطى اي تركب ولاح بمعنى بدا وظهر ودونه بمعنى قريبا منه ويجوز في تقطع بناوه للمجهول ايضا وقوله فظهورهن اح جمع ظهر وهو معروف والرحال بحا مهملة جمع رحل وهو للابل كالسرج للخيل او نحيه جمع رجل دكر من بني ادم والمعنى متقارب اي اذا اوصلتهم لمقاصدهم كان لها حرمة تقتضي رعايتها وراحتها فلا يركبها بعد ذلك رجل ولا يوضع على ظهرها رحل بل تترك سارحة منعمة في مرعاها ومعناه ظاهر وبين علة هذه الرعاية بقوله قربننا وهي جملة مستانفة استينافا بيانيا والحرمة الحق الذي يلزمه احترامه والذمام موحد بمعنى

ما يلزم احترامه او جمع ذمة وهي العهد وما يجب الوفاء به والمعنى ظاهر لا حاجة للتطويل
بشرحه ومن وطئ الثرى وهو التراب كناية عن الناس كلهم ومما قاله ابن نواس من
خزيمة كونها كناية بديعية لانه يشير الى ان من وصل له لا يرحل بعده لعدم
حاجته لسواه ولانه لا يتقدم على مفارقة من هو غاية ما تمناه وقد كان ذلك
كما قال عبد الله بن رواحة في قصيدة له

اذا ادنيتني وحملت رحلي ۞ مسيرة اربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم ۞ ولا ارجع الى اهلي ورائي

وفيه رد على الشماخ في قوله

اذا بلغتني وحملت رحلي ۞ عرابة فاشرقي بدم الوتين

وقال المبرد بعد ما انشد قول ابن رواحة المذكور لقد احسن كل الاحسان
حيث قال لا احتاج الى ان ارحل لغيره وقد عاب الرواة قول الشماخ المذكور
ولذا قال صلى الله عليه وسلم للانصارية التي اتته على ناقة لها وقالت
اني نذرت ان نجوت عليها ان انحرها بئس ما جزيتيها وقال في الموازنة ان
الشماخ راى ناقته سئمت السير وهزلت ودبرت كما قال

اليك بعثت راحلتي تشكى ۞ كلوما بعد محفدها السمين

فقال اذا بلغتني عرابة فلا ابالي ان تهلكي وليس دعا عليها وانما اراد انه
بلغ المنى وليس هذا انضاد القول ابي نواس وانما يضاده قول الانصارية
وللشعراء والادباء هنا كلام كثير لا يسعه هذا المقام وقلت ابياتا في معناه

اذا بلغتنا النوق حين تلفتت ۞ قريرة عين في اعز المسارح
وحق لها تجزى الخدود ونفتدى ۞ بانفسنا من فادحات الطوائح
فيا ليتها تمشي لاكرام مثلها ۞ جميع نياق الارض ناقة صالح

وحكي عن بعض المشايخ يعني به كبار الصالحين والعلماء انه حج ماشيا تواضعا
وقصد الزيادة في الثواب وقد قال الفقهاء انه افضل لمن قدر عليه من دار
فان لم يقدر فمن الميقات فان لم يقدر فمن دون الميقات فان لم يقدر فعند
الدخول ونحوه وذكر مجاهد ان ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام
حجا ماشيين وحج الحسين رضي الله عنه ماشيا ونجائبه تقاد معه فقيل
له في ذلك اي سئل لم فعله فقال العبد الابق اي الفار من سيده اذا رجع
اليه لا يأتي الى بيت مولاه اي سيده راكبا وفي نسخة يأتي بدون لا وتقديرها
ايأتي بتقدير الاستفهام الانكاري واراد بالابق المذنب المقصر في خدمة مولاه
مجازا اي انا مذنب مقصر حقيق بالخضوع والتذلل لو قدرت ان امشي على
راسي ما مشيت على قدمي مثنى قدم مضاف ليا المتكلم والمشي على الراس
عبارة عن غاية الجد والاجتهاد والتذلل كما قيل

سعيا على الراس لا سعيا على القدم

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه يعني المصنف عياض في بيان ايضاح انه
ينبغي للزائر المشي واظهار الخضوع والذلة وجدير اي خليق وحقيق

وهو مبتدا وباقية لمواطن اي اماكن ومساكن جمع موطن وهو محل التوطن والاقامة والمراد
بها مكة والمدينة عمرت اي صارت معمورة بالوحي والتنزيل من عطف الخاص على العام
والبا للسببية او هي با التعدية بجعل الوحي بمنزلة ساكن عمرها وتردد جبريل
وميكايل التردد بمعنى المجيء والذهاب من قولهم فلان يتردد الينا وليس من
التردد بمعنى الشك اما تردد جبريل فظاهر واما ميكايل فكان ينزل عليه صلى الله
عليه وسلم احيانا وعرجت اي صعدت من عنده منها اي من المواطن الملايكة والروح
هو جبريل عليهم عطف الخاص على العام وقيل ملايكة كالحفظة على الملايكة لانراهم
الملايكة كما انا لانراهم واما ان المراد به ارواح الناس فمما لايليق ذكره هنا وضجت
عرصاتها بالتسبيح والتقديس هما لغة التطهير والتنزيه والمراد بهما هنا توحيد
الله وذكره كقوله سبحان الله ولا اله الا الله والضجيج والضجاج الصياح ورفع
الاصوات المختلفة واصله صياح العاجز المغلوب والعرصات بفتحتين جمع عرصة
وهي الارض والساحة المتسعة من غير بنا والمراد هنا الارض مطلقا واسناد الضجيج
للعرصات تجوزا للمبالغة في كثرة الدعا والتلاوة واشتملت تربتها اي تضمنت وحوت
ارضها على جسد سيد البشر وهو صلى الله عليه وسلم اشرف المخلوقات فالمكان
الذي حواه افضل الامكنة فيلزم تعظيمه والسعي اليه ماشيا بالذلة والادب
لم نذكر بعد فضيلتها الذاتية ما نشا عنها وعرض منها فقال وانتشر اي شاع
وتفرق واشتهر في الارض منتقلا عنها اي عن تلك المواطن وفي نسخة منها
من دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما انتشر اي امر عظيم كبير
لا يعلمه الا الله ولذا عبر بما المبهمة كقوله الحاقة ما الحاقة مدارس ايات
عطف بيان او بدل من مواطن اي محال يدرس فيها القران جمع مدرس من درس
اذا قرا وتلى وقيل جمع مدارس ومفعال غريب في اسم المكان كالمرصاد والاحاجة
لارتكابه ومساجد جمع مسجد بالكسر اسم موضع السجود ويجوز فتحها وهو وضع
الجبهة على الارض خضوعا وعبادة وليس المراد به الموضع المعد للعبادة وان
صحت ارادته وصلوات جمع صلاة وهي العبادة المعروفة واصل معناها الدعا
ص وتجوز ارادته هنا وفي نسخة مساجد صلوات بالاضافة على تقدير لام الاختصا
ومن قال معناه مساجد لاجل الصلوات لم يصب ومشاهد الفضايل والخيرات
المشاهد جمع مشهد وهو محل يشهده الناس ويجتمعون فيه والفضايل جمع
فضيلة كالعلم وتعلم الاداب وغيرها من الكمالات والخيرات هي خير الدنيا والاخرة
ومعاهد البراهين والمعجزات اي محل فيها ظهور معجزاته صلى الله عليه وسلم
وبراهين نبوته الدالة على صدقه وهو عطف تفسير وقيل البراهين اعم من
المعجزات ومناسك الدين جمع منسك وهو محل العبادة والنسك ومشاعر
المسلمين اي محال معالمهم التي يجب القيام لها من الواجبات وغيرها ومواقف
سيد المرسلين اي المحال التي قام فيها صلى الله عليه وسلم لاعلاء كلمة الله
واظهار دينه كمحاربيه ومحال صلاته ومتبوا خاتم النبيين بفتح الثا وكسرها
اي مساكنه ومحل اقامته حيث انفجرت النبوة اي ظهرت وفاض على جميع

الخلق منافعها واشرق في القلوب انوارها ففيه استعارة مكنية وتخييلية اما بتشبيه النبوة
بالبحر والصبح الصادق في ظهوره الماحي لظلمة الكفر او بمنبع الما المروي للناس بعد ظمي
الجهل فقوله واين فاض عبابها بضم العين وهو الما الكثير كالسيل او الما الكثير المتدفق
الغايض وحيث تكون ظرف زمان ومكان وفيه لغات مشهورة واين اسم يستفهم به على المكان
يجرد عن الاستفهام لمجرد المكان وقيل انها باقية على اصلها اي هي جواب من سال وقال
اين فاض عباب النبوة فيقال في هذه الاماكن ومواطن مهبط الرسالة مهبط مصدر
ميمي بمعنى الهبوط اي محال نزول الوحي برسالته وامر بتبليغ الخلق ما ارسل به
لهم والمراد مكة لان مراده مدح الحرمين كما فسرنا به المواطن اولا ولذا قال واول
ارض مس جلد المصطفى ترابها هو يكنى به عن مولد كل احد لانه لو فرض انه سقط
على ارضها كان كذلك كما قال

بلاد بها نيطت علي تمايمي • واول ارض مس جلدي ترابها

ومنه اخذ المصنف كلامه ولمح به ان تعظم عرصاتها جمع عرصة وهي كما تقدم
ارض لا بنا فيها فالمراد بها هنا مطلق الارض او معناها الحقيقي وهو ساحة المدينة
ومكة وفنا ارضهما فيعلم منه غيرها بالطريق الاولى وهذا هو خبر المبتدا الذي
تقدم وطول ليتشوق سامعه اليه وينتظره وتتنسم نفحاتها تفعل من النسيم
مبني للمجهول والمراد ما في النسيم من نفحاتها الطيبة والنفحة في الاصل دفعة
من الريح يجوز بها عن الطيب الذي ترتاح له النفس من نفح الطيب اذا فاح وفي
الحديث ان لربكم في دهركم نفحات فتعرضوا لها فشبه ما فيهما من بركاته بطيب نسيم
روايح استعارة تبعية او مكنية وتخييلية وتقبل اي تلثم وتباشر بالشفاه
ربوعها جمع ربع وهو المنزل في الربيع ويطلق على المنزل مطلقا وهو المراد هنا
وجدرانها بضم الجيم وسكون الدال وبالرا المهملتين والف ونون جمع جدار
وهو اصل الحائط ويطلق عليه ايضا ويجوز ان يكون بنا التانيث جمع
الجمع ثم لما تزايد شوقه لمعاهده صلى الله عليه وسلم قال مخاطبا لها بتنزيلها
منزلة العقلا في شعر له مروي عنه وهو قوله

يا دار خير المرسلين ومن به • هدي الانام وخص بالآيات

اراد بدار محل قره فيه مطلقا فيشمل مكة والمدينة وفي نسخة المسلمين والاولى
اولى وهدي مبني للمجهول اي هدى الله به والانام الخلق مطلقا او كل ذي
روح كما مر وقوله خص بالآيات المراد بها القران او جميع المعجزات لان الله
خصه منها بما لم يكن لغيره والتعريف فيه للعهد

عندي لاجلك لوعة وصبابة • وتشوق متوقد الجمرات

اللوعة شدة الحب وحرقته والصبابة رقة الشوق من صبا اليه اذا مال
والتشوق زيادة الشوق وشبه ما في القلب منه بجمرات محرقة ومتوقد بكسر
القاف من اضافة الصفة للموصوف وضبط بفتحها ايضا كما في المقتفي

وعلي عهد ان ملات محاجري • من تلكم الجدران والعرصات

وعلي عهد اي موثقة التزمته وهو يمين كما يقال علي عهد الله والمحاجر

جمع

جمع محجر وهو جوانب العين ومليها بجاز عن النظر اليها وابصارها وتلكم الجدرات جمع مونث
لجدر جمع جدار كما تقدم والعرصات تقدم تفسيرها

لاعزن مصون شيبي بلبنها من كثرة التقبيل والرشفات

التعفير بتمريغه في التراب ويقال له عفار واراد بتشبيه لحيته المبيضة وبينها
اي بين ترابها وارضها وجعله مصونا لانه محفوظ عما يلوثه ويشينه والتقبيل
اللثم والرشفات جمع رشفة وهي مص الريق ونحوه وفسر هنا بالتقبيل ايضا وتفسيره
بمص ريق المحبوب غير مناسب هنا واللام جواب لقسم الذي تضمنه قوله وعلى
عهد

لولا العوادي والاعادي زرتها ابدا ولو سحبا على الوجنات

العوادي جمع عادية وهي الامور التي تمنع عن زيارتها والعوايق او الظلمة جمع عادية
بمعنى غايرة ظالمة والاعادي جمع عدوا وهو جمع اعدا جمع الجمع والوجنات جمع
وجنة وهي اعلى الخد وما ارتفع منه وغلظ وسحبا منصوب بمقدر اي اسحب وجهي
على الارض بذلة وخضوع وضمير زرتها للدار وابدا ظرف لما يستقبل من الزمان
والمعنى لولا عوايق الدهر لم افارقها ولم اتخلف عنها

لكن شاهدي من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات

استدراك على ما افاده ما قبله اي ان منعت عن زيارتها والاقامة بها والتفسح
بتربتها فاني اهدي لمن سكنها يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
الذين دفنوا بها والاهدا الارسال والحفيل بحا مهملة مفتوحة وفا مكسورة وتحتية
ساكنة ولام بمعنى كثير مقيس يحتفل به والتحية من الحياة بمعنى السلام والقطين
بقاف مفتوحة وطا مهملة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة ونون بمعنى المقيم ويطلق
على الاتباع والخدم والحجرات جمع حجرة وهي بيت منفرد من تلك الدار محوط وتحجر
اشارة الى حجراته صلى الله عليه وسلم التي كان بها وحجرات امهات المومنين رضي
الله عنهن اجمعين وكان سيدي الشيخ احمد بن الرفاعي كل عام يرسل مع الحجاج السلام
على النبي صلى الله عليه وسلم فلما زاره وقف تجاه مرقده وانشد

في حالة البعد روحي كنت ارسلها تقبل الارض عني وهي نايبتي
وهذه نوبة الاشباح قد حضرت فامدد يديك لكي تحظى بها شفتي

فقيل ان اليد الشريفة بدت له فقبلها فهنيا له ثم هنيا

اذكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالاصال والبكرات

اذكى بمعنى اكثر طيبا ورايحة طيبة والمفتق بزنة مكرم بالتشديد من فتق المسك
والطيب اذا خلطه بغيره مما يزيد طيبه كماء الورد ونفحة تقدم تفسيرها وهو
منصوب تمييز وروي بالرفع واضافته لها اي رايحته نايب فاعل المفتق
وتغشاه تعرض له او تغطيه وتخلله من الغشا والاصال جمع اصيل او جمع اصل
جمعه فهو جمع الجمع وهو ما قرب من الغروب والبكرات جمع بكرة وهي اول النهار وخصهما
لطيب النسيم ولطافة الهوا فيهما

وتخصه بزواكي الصلوات ونوامي التسليم والبركات

وتخصه بتا التانيث فاعله ضمير التحية او بنون المتكلم مع الغير والزواكي جمع

دجلي

زاكية وهي النامية بمعنى النوامي جمع نامية وحركة يا وهما بالكسر للضرورة والصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم معناهما ظاهر ويأتي قريبا ولقد اجاد في الختم بهما والبركات جمع بركة ولا وجه لما قيل انه فاسد الوزن وصوابه ان يختمه ازكى صلاة دايما بنوامي التسليم والبركات مع انه وقع فيما هرب منه روي ان المص رحمه الله تعالى لم يحج ولم يزر صلى الله عليه وسلم فقال هذه الابيات الثمانية متحسرا علما فانه كما وقع للعارف بالله ابي العباس بن العريف نفعنا الله به فقال متاسفا على فوات ذلك

سار الركاب وسوء الحظ اقعدني ● ولم اجد لبلوغ القصد مفتاحا ●

يا سايرين الى المختار من اضم ● سرتم جسوما وسرنا نحن ارواحا ●

انا اقمنا على عجز ومسكنة ● ومن اقام على عجز كمن راحا ●

# الباب الرابع من القسم الثاني

في حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والتسليم والصلاة اصل معناها الدعا والعبادة المخصوصة لما فيهما من تحريك الصلوين والمراد بها ان يقال صلى الله عليه وسلم والتسليم مصدر سلم تسليما ككلمه تكليما اذا انقاد له وسلم امره اليه وفرض ذلك اي وجوبها على امته في اي مقام وفضيلته اي فضيلة ما ذكر من الصلاة والتسليم وتبين الضمير للتسليم فقط والمراد بفضيلته ما هو اعم من الوجوب فيشمل الندب والاستحباب وقال ابو ذر ابتدا مشروعية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كان في السنة الخامسة من الهجرة وقيل كان الابتدا بمكة لانه ورد في حديث الاسرا وما قاله ابو ذر هو ابتدا اظهاره للناس وهذا مما خص به صلى الله عليه وسلم دون الانبيا كلهم فانه لم يشرع ذلك لامههم وان كانت الصلاة والسلام عليهم مشروعة كما سياتي قال الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية صدر بهذه الاية لاثبات مدعاه لان الامر يحتمل الايجاب والندب واعلم ان معنى الصلاة كما تقدم لغة الدعا وتطلق شرعا على العبادة المخصوصة واختلف هل هي منقولة من المعنى اللغوي لمعنى اخر وضعه الشارع له لمناسبة لمعناه الاصلي لاشتمالها على الدعا او لما فيها من تحريك الصلوين كما مر وهما طرفا العجز او هي مجاز لاشتمالها على الدعا والظاهر الاول وقال ابن القيم وبعض المتاخرين انها باقية على معناها اللغوي ولا نقل فيها ولا تجوز لان المصلي في جميع صلاته في دعا وعبادة غايته ان الشارع خصها بفرد من افراد الحقيقة كالدابة لذوات الاربع ورد بانه كلام من لم يعرف معنى النقل واهل الشرع اذا استعملوها لا يلاحظون معناها اللغوي ولا ينظرون اليه وهو كلام غير مهذب فان المجاز اذا اشتهر يتناسى منه المعنى الاصلي ويصير كالعلم بالغلبة وهو المراد بقولهم انه حقيقة عرفية شرعية فالمال واحد والخلاف لفظي وهذه الاية مدنية اخبر الله عباده فيها بشرف منزلته صلى الله عليه وسلم

ابن افندي س

مرضي

عنده

عنده وان الله وملايكته يثنون عليه في الملا الاعلى ثم امر اهل العالم السفلي بان يفعلوا
كفعلهم وفي الكشاف لما نزلت هذه الاية قالوا ما خصك الله بشرف الا شركنا فيه فنزل
هو الذي يصلي عليكم وملايكته قال الحافظ السخاوي لم اقف على اصله الى الان وقال
شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي رحمه الله هو موافق لما اخرجه ابو نعيم في الدلايل في
ترجمة سفيان بن عيينة انه سيل عن قوله اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم فقال اكرم الله امة محمد صلى الله عليه وسلم فصلى
عليهم كما صلى على الانبيا فقال هو الذي يصلي عليكم وملايكته وقال لنبيه
عليه الصلاة والسلام وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم اي سكينة وصلى عليهم
كما صلى على ابراهيم واسحاق ويعقوب والاسباط وهولاء انبيا مخصوصون منهم
وعم هذه الامة بالصلاة وادخلهم فيما ادخل فيه نبيهم صلى الله عليه وسلم
ولم يدخل في شي الا دخل فيه امته ثم تلى ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية
وقال هو الذي يصلي عليكم وملايكته واشار الى مزيد خصوصيته على امته
باسناد الصلاة عليهم اليه والى ملايكته وصلاة الملايكة على الامة لا تكون الا
بتبعيته وجمهور القرا على نصب الملايكة عطفا على اسم ان ويصلون خبر عنهما
وقيل خبر ملايكته وخبر الجلالة محذوف لدلالة يصلون عليه ورجح بتغاير
الصلاتين ورجح الاول ابو حيان والجملة اسمية خبرها مضارع لافادة الاستمرار
التجددي فالملايكة استمرت صلاتهم عليه وهذه منقبة لم توجد لغيره اعظم من
سجود الملايكة لادم الذي وقع وانقطع وقال على النبي دون محمد والرسول
تنويها بقدره صلى الله عليه وسلم والنبوة اشرف من الرسالة لانها اتصال بالله
واشتغال به والرسالة اشتغال بالناس ثم انه اكد السلام وخصه بالمومنين
قيل لان الصلاة مؤكد معنى بصدورها من الله وملايكته فكيف لا تصلي عليه
امته ولانها مؤكدة بان والجملة الاسمية والسلام سوى الان بمعنى الانقياد او بمعنى
السلامة من الايذا لا يليق اسناده الى الله والملايكة ولذا استحق التاكيد لصدق
خلافه من جنسهم ولا يرد عليه قوله تعالى سلام على ابراهيم وقوله والملايكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم كما اورده السخاوي لانه تحية واكرام
ولنا هنا كلام بيناه في رسالة مستقلة ثم شرع في بيان معنى الصلاة فقال قال
ابن عباس رضي الله عنهما معناه اي معنى الصلاة وذكره لنا وتاويله بالدعا ولان
تاويل المصادر غير معتبر وهذا رواه ابن جرير وابن ابي حاتم ان الله وملايكته يباركون ح
يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم اي يدعون له بزيادة بركة لايقة
بمقامه وشرف قدره وسياتي فيه كلام واصل معنى البركة النمو وزيادة الخير
اللازم وقيل في معناه انه بمعنى ان الله يترحم على النبي صلى الله عليه وسلم
اي يدعو له بالرحمة وفي القاموس رحمت عليه وترحمت والاولى الفصحى وهو
رد على من قال ترحمت عليه لحن كما نقله الصاغاني ورد بانه ورد في الحديث
وياتي الاشارة اليه ايضا وملايكته يدعون له ولم يبين الدعا للتفسير بقوله
وقال المبرد معنى الصلاة الترحم اي الانعام او الدعا بالرحمة ومعنى الدعا

من الله الارادة او التبشير به لان معناه الحقيقي لا يتصور في حق الله فاريد به لازمه
وغايته ولذا فسره بقوله وهي من الله رحمة اي انعام وارادة ومن الملائكة رقة
اي شفقة عليه ومحبة واسند عا للرحمة من الله له اي طلبها والدعا بها وقد
ورد في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة صفة صلاة الملائكة على من جلس
ينتظر الصلاة في المسجد اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعا لهم بالمغفرة والرحمة
وقد صرح بهذا في قوله في حق الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون
للذين امنوا وفي قوله والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض
وقد بينا وجه الدعا بخصوص الاستغفار فيما ياتي في فصل المواطن ولفظ
الحديث في مسلم لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة والملائكة
تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه حتى ينصرف او يحدث وقال الامام ابو بكر
القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي اي لمن منزلته دون منزلته
من الامة رحمة اي طلبت ان يرحمه الله واما النبي فمرحوم باعلا انواع الرحمة
فهو غير محتاج لان يدعى له بها وفي فتاوي الصوفيه لو قال اللهم ارحم محمدا
كما رحمت او ترحمت على ابراهيم قال الصفار انه مكروه في حق الانبيا والرسل وحكى
عن محمد انه كان يكرهه ويقول فيه ظن نوع تقصير بهم فانه لا يستحق الرحمة
الا من اتى بما يلام عليه وقد امرنا بتعظيم الانبيا وتوقيرهم فاذا ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم لا يقال رحمه الله بل صلى الله عليه بل لا يقال للصحابة
رحمهم الله بل رضي عنهم وكذا قال خواهر زاده وصاحب المحيط والظهيرية
وانا اقول ان اللهم ارحم محمدا وال محمد جا من متوارث وكان الشيخ الزاهد
الرستغفني يقول معنى ارحم محمدا ارحم امة محمد فالترحم لامته لا له كما يقال
لمن يراد عقابه وله اب حاضر يتوجع لابنه ارحم هذا الشيخ الكبير وهو لم يجن
ولم يؤاخذ كما في جامع المضمرات وقال الزيلعي رحمه الله الصحيح انه
لا يكره لانه صلى الله عليه وسلم من اشوق الناس الى رحمة ربه انتهى وللنبي
صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة مكرمة بفتح في اوله وراء مضمومة وفي
نسخة تكرمة بتبادل الميم وراء مكسورة وهما مصدران وظاهر ان معنى
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم غير الرحمة وانما هي في حقه بمعنى
التشريف والتعظيم اللايق به وقد علمت ما فيه وانه ورد الدعا له بالرحمة
ولكن استحقوا الدعا له بلفظ الصلاة تادبا وفرقا بينه وبين غيره وقال
ابو العالية صلاة الله عليه صلى الله عليه وسلم ثناوه عليه بمدحه
وبيان منزلته عنده عند الملائكة اي بحيث يطلعون على ذلك وصلاة
الملائكة الدعا له كما مر قال القاضي ابو الفضل عياض مصنف هذا
الكتاب رضي الله عنه وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدلت تفريقه بينهما
بعطف احدهما على الاخر على انهما بمعنيين متغايرين وحديث تعليم
الصلاة سياتي بيانه وبيان طرقه ومراده ان بعضهم فسر الصلاة بالبركة

وهذا الحز

وهذا الحديث يدل على خلافه وكونه عطف تفسير خلاف الظاهر والفرق بينهما ان
الصلاة كما تقدم معناها الرحمة والبركة كما قال الراغب اصلها من البرك وهو
صدر البعير ومنه برك البعير اذا القى بركه واعتبر فيهما معنى اللزوم ولذا سمي
محلس الما بركة فالبركة ثبوت الخير الالهي في الشيء والمبارك ما فيه ذلك الشيء ولما
كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصر وقيل لكل ما يشاهد منه
زيادة غير محسوسة مباركة وفيه بركة وكل ما ذكر فيه مبارك تنبيه على اختصاصه
تعالى بالخيرات المذكورة معه فمعنى صل وبارك على محمد ارحمه وادم خيراتك
التي لا تخفى ثم ان اطلاق الصلاة على رسول الله وعلى غيره مشهور وهي على انبيائه
ثنا وتعظيم وعلى غيرهم رحمة من رحمته التي وسعت كل شيء وقال الغزالي
لفظ الصلاة مشترك في الاعتنا بالمصلى عليه ثم لما فسر الصلاة وذكر الاقوال
فيها ذكر تفسير السلام الذي هو قرينها فقال واما التسليم الذي امر الله تعالى
به عباده في قوله وسلموا تسليما فقال القاضي ابو بكر بن بكير بالتصغير وهو
ابو بكر محمد بن احمد بن عبد الله بن بكير التميمي المالكي البغدادي الفقيه الثقة
صاحب التاليف الجليلة التي منها احكام القران وهو عراقي من اقران ابن الجهم
وقيل اسمه احمد بن محمد بن بكير وقيل محمد بن بكير لا غير فبكير ابوه او جده
نزلت هذه الاية يعني قوله ان الله وملائكته يصلون الخ على النبي صلى الله
عليه وسلم فامر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه ان يسلموا عليه امتثالا لامر
الله لهم وكذلك من بعدهم امروا ان يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم عند
حضورهم قبره وعند ذكره في ساير مجالسهم كما سياتي بيانه وهذا مبني على ان
الامر العام النازل عليه صلى الله عليه وسلم هل يختص بالموجودين او يعمهم
ومن بعدهم وهو خطاب المشافهة والكلام عليه مبسوط في كتب الاصول وعلى
الاول اذا قام دليل او قياس جلي على شموله لمن بعدهم يعمل به وما نحن
فيه من هذا القبيل وفي معنى السلام عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة اوجه وفي
نسخة ثلاثة وجوه باستعمال جمع القلة للكثرة وهو جايز شايع في كلامهم
احدها انه بمعنى السلامة من النقايص والافات ثابتة لك ومعك اي
مصاحبة وملازمة لك ويكون على هذا التفسير السلام مصدرا بمعنى السلامة
كاللذاذ واللذاذة بمعنى التلذذ باللذة فمعناهما واحد بنا ودونها
ومثله كثير كالملام والملامة والمقال والمقالة ولما في السلام من التباعد يعلى
لانه بمعنى القضا كالدعا لا يتعدى بعلى للنفع ولا لتضمنه معنى الولاية
والاستيلا لانه وجه اخر ذكره بقوله الثاني اي السلام مدام على حفظك
ورعايتك اي اكرامك وعنايته بك ومرا قبتك ومتول له اي قايم به
بحيث لا يكل امرك لغيره وكفيل به اي متكفل ملتزم له ويكون هنا اي
في هذا الوجه السلام اسم الله تعالى ومعناه ذو السلامة وليس في
اسما الله مصدر غيره الثالث من الاوجه ان السلام بمعنى المسالمة
له والانقياد عطف تفسير فالمسالمة التسليم وعدم المخالفة كما قال

والمعنى فحق السلام عليك السلام اولا فلان عربي
لان القضا كالدعا عام

تعالى فلا وربك قسم جوابه لا يؤمنون اي لا يظهر ايمانهم ولا يكمل حتى يحكموك اي
يفوضون الحكم اليك فيما شجر بينهم اي وقع بينهم من التنازعات والدعاوي
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا اي ضيقا لعدم رضاهم مما قضيت حكمت به عليهم
ويسلموا تسليما اي يذعنون وينقادون لامرك منشرحة صدورهم لقبوله قال
الراغب السلام والسلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة والسلام من
اسمائه لسلامته وتنزهه عما لا يليق به انتهى وقال الخطابي صيغته خبر ومعناها
الدعاء والطلب ومثله يحتاج للنية الا اذا شاع فيه عرفا فانه لا يحتاج حينئذ
للنية انتهى ومعناه من الله في صلى الله عليه وسلم على محمد ونحوه فانه لا يتصور
في حقه الطلب من غيره اذ هو المطلوب منه انه يريد من نفسه له الخير والسلامة
والعزة حتى ينقاد الناس كلهم له فبين الطالب والمطلوب تغاير اعتباري
ومثله يكفي في هذا المقام وقد افرد السلام بتاليف نفيس للسيد السمهودي
وقفت عليه وفيه امور يضيق المقام عنها وفي الشرح الجديد هنا كلام غير
محرر وانما تركنا التعرض له اولى وفي الاذكار للنووي انه يكره افراد الصلاة عني
عن السلام في حقه صلى الله عليه وسلم وياتي فيه كلام وهذه الآية الاخيرة
نزلت في حق من خاصم الزبير في سقاية الماء وسياتي الكلام عليه ان شاء الله
تعالى مع تقدم بعضه

## فصل اعلم

ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض في الجملة اي اجمالا من
غير تعيين زمان او محل غير محدد بحاء ودال مشددة مهملتين اي غير
معين واصله ما له حدود فاستعمل في لازم معناه بوقت من الاوقات
المعلومة واستدل على مطلق الوجوب بقوله لامر الله تعالى والاصل في الامر
للوجوب بالصلاة عليه بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما وحمل الايمة
من السلف والعلماء من اهل التفسير له على الوجوب اي على انه امر ايجاب
لا ندب اي فسروه بان المراد منه ذلك يقال حملت كلامه على كذا اذا فسرته به
واجمعوا عليه اي على انه للوجوب من غير تعيين محل او زمان والآية
تدل على ذلك عند الجمهور لانه الاصل في الامر وحقيقته عند الاكثر وتقرر
في كتب الاصول ومستند الاجماع هذه الآية وما عضدها من الاحاديث لا الآية
فقط حتى يقال انه ينافيه ما حكاه عقبه من قوله وحكى ابو جعفر الطبري هو
الامام محمد بن جرير وقد تقدم بيانه ان محمل الآية اي المراد منها وما فيها من
الامر عنده اي عند ابي جعفر على الندب وفيه تفرد براي تبعا لغيره والا
فلا معنى لحكايته ما عنده ويدل على التفرد قوله وادعى فيه اي في ان الامر
فيها للندب الاجماع وفي قوله ادعى اشارة الى ان ما قاله ممنوع عنده لثبوت
خلافه عنده ثم وفق بينه وبين ما ذكره قبله فقال ولعله اي ما ادعاه
فيما زاد على مرة واحدة في العمر فانه لا خلاف في عدم وجوبه على كل احد
والواجب منه مبتدا خبره مرة الآتي الذي تسقط به الحرج اي التضييق

على

ابن افتوح

علي الناس لو وجب دايما او كلما ذكر او الاثم فان الحرج وتردد بين المعنيين كما صرحوا
به ومما ثم تركه الفرض اي يسقط به الاثم عن تركه اذا كان فرضا فالماثم بالمثلثة مصدر
ميمي بمعني الاثم مضاف لتركه المضاف للفرض بمعني الواجب مرة موقوف علي الخبرية
كالشهادة له صلي الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة فانها واجبة في العمر مرة فاذا
سقط الوجوب بمرة يتحقق في ضمنها ماهية المامور به فالصلاة بالطريق الاولي
وهو احد المذاهب في الصلاة كما سياتي بيانه ومما علا ذلك اي المرة الواحدة في
الصلاة والشهادة فمندوب مرغب فيه بكثرة ثوابه وفوايده من سنن الاسلام
وشعار اهله اي دابهم الذي هو علامة لهم وهو لغة بمعني العلامة وله
معان اخر وهذا جواب عما اعترض به علي ابن جرير بما خالف الاجماع الذي حكاه
المص وليس مذهب مالك كما نقله بعض الشراح وما نقله المص صرح به ابن عبد
من غير عزو له لمذهب وهو ظاهر قال القاضي ابو الحسن بن القصار بقاف
وصاد مشددة وراء مهملتين وهو علي بن عمر بن احمد الفقيه الثقة له كتاب
في الخلاف كثير الفوايد لم يصنف في بابه احسن منه وفي بعض النسخ الصفار
بصاد مهملة بعدها فا مشددة ثم الف وراء قال التلمساني والاول هو
المعتمد وهو من ايمة المالكية منسوب لصنعة قصارة الثياب وهي تبييضها
والثاني لبيع الصفر وهو النحاس المشهور عن اصحابنا يعني المالكية ان ذلك اي
الصلاة علي رسول الله صلي الله عليه وسلم واجب في الجملة اي اجمالا او مطلقا
من غير تعيين وقت له علي الانسان وفرض عليه اشارة الي ان الواجب والفرض
عنده بمعني كالشافعية خلافا للحنفية ان ياتي به مرة من دهره اي في مدة عمر
لخروجه بذلك عن عهدته مع القدرة علي ذلك اي شرط في وجوبه مرة في عمر
ان يقدر علي التكلم به فلو عجز عنه لمانع منعه من التلفظ به سقط عنه كساير
الواجبات كمن اخترمته المنية وقوله لا ينافي ما تقدم من الاجماع لانه لا مفهوم
له ومقصوده انه مع الاجماع مما اشتهر بين الايمة ايضا او هو اشارة لما نقله
عن الطبري وان كان عنده لا ينافي الاجماع لكونه رواه او ما قيل كما تقدم ولم
يتعرضوا لحكم السلام عنده ونقل الحطاب من متاخري المالكية عن الرصاع ان الذي
يظهر ان السلام عليه صلي الله عليه وسلم واجب مرة مثل الصلاة عليه
والزايد مستحب لقول ابن عباس رضي الله عنهما فريضة من الله علينا ان نصلي
علي نبينا ونسلم تسليما وما نقل عن مشايخ المغاربة من التوقف في وجوبه
لا اصل له فالحق ان حكمه حكم الصلاة انتهي وقال القاضي ابو بكر بن بكير وقد
تقدمت ترجمته افترض الله عز وجل علي خلقه جميعا وافترض بمعني اوجب وفيه
زيادة تاكيد لزيادة بنيته ان يصلوا علي نبيه ويسلموا تسليما كما مر نقله عن
ابن عباس من فرضها للصلاة والسلام وينبغي ذكره مع مصدره المؤكد امتثالا
للمامور ولم يجعل ذلك الافتراض لوقت معلوم ردا للامرية للتوقيت والظرفية
كما يقال كتبت لستة عشر خلا فالواجب علي الخلق ان يكثر المرء اي الرجل والمراد
به الانسان ولو امراة تغليبا منها اي من الصلاة عليه صلي الله عليه وسلم

ولا يغفل عنها اي يتركها ويشتغل عنها بغيرها وفي كلامه شي لانه بصدد بيان وجوبها
مرة وكونه يكثر منها ولا يغفل عنها منافي له لاقتضائه تكرارها كثيرة فان اراد انه ان
فعلها في وقت ما يكررها مرارا في ذلك الوقت فايجاب مثله غير ظاهر مما نقله قبله
فان كان قولا اخر فسياقه لا يساعده واما الاعتراض عليه بانه امر مطلق لا تعرض
فيه لعدم تعيين وقتها فلا معنى له وفي بعض الشروح انه قول ثالث انه يجب الاكثار
منها مطلقا من غير تعيين مقدار ووقت وهو كلام حسن وقال القاضي ابو محمد بن نصر ابن القصار
المالكي وهو القاضي عبد الوهاب بن نصر بن احمد بن حسين وقيل ابن الحسن بن احمد
ابن هارون بن مالك ادركه الشيرازي وسمع منه في النظر وكان فقيها شاعرا بليغا
اديبا له شعر كثير وكتب كثيرة في كل فن وارتحل في اخر عمره لمصر فحصلت له ثروة
وتوفي سنة احدى وعشرين واربعمائة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
واجبة في الجملة اي من غير تعيين مقدار ولا زمان ولا غيره قال القاضي ابو عبد
الله محمد بن سعد قيل هو محمد بن سعيد بن بشير بن شرحبيل الفقيه كتب في حداثته
للقاضي مصعب بن عمران ثم رحل الى المشرق فلقي مالكا رضي الله عنه فقراه عليه ثم
انصرف للاندلس والتزم صحبته بباجة الى ان توفي سنة ثمان وتسعين
ومائة كما قاله القاضي في المدارك ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل
العلم الى ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة اي اجمالا من
غير تعيين مقدار ووقت بعقد الايمان اصل معنى العقد ربط اطراف الشي
كعقد الحبل وعقد الايمان والايمان بفتح الهمزة وكسرها بمعنى تصميمها
واعتقادها يقينا فقوله بعقد الايمان بكسر الهمزة والبا سببية او بمعنى
بعد اي هي اول ما يفرض بعقد الايمان بالله ورسوله لا يتعين في الصلاة اي
ليس وقت لها مخصوصا وموقتا لها وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره
ومدة حياته الى موته سقط الفرض عنه لخروجه عن عهدته قيل حاصل
ما ذكره المص غير ما نقله عن الطبري ولم يرتضه قولان الاول انها فرض في
الجملة تسقط بمرة والثاني انه يجب الاكثار منها من غير تعيين وتقدم ما فيه
والفرق بين القول بانها تجب مرة والقول بانها تجب في الجملة مطلقا انه ما
زاد على المرة في القول الاول يقع نفلا وعلى الثاني يقع الكل فرضا ويثاب
عليه ثواب الفرض قيل وهو التحقيق ونظيره ما قاله الشافعي رحمه
الله في مسح الراس انه يجب مسحه مطلقا ولو مسح شعرة حصل الفرض ولو
مسح الجميع وقع فرضا وبقي اقوال اخر غير ما ذكره المص منها انها تجب في
كل مجلس مرة في جلسته وهل هي فرض كفاية على اهل المجلس فلو صلى واحد
كفى عن الجميع او فرض عين ومنها انها تجب كلما ذكر وما نقل عن الطحاوي
وبعض الحنفية والشافعية للحديث الاتي رغم انف رجل ذكرت عنده
فلم يصل علي وقيل انه مبني على ان الامر يفيد التكرار وهو ضعيف
ورد عليه انه يلزمه شغل المرء عن غيرها من العبادة وانه يقتضي
وجوب ذلك على المصلي وقارئ القران والمتشهد ويلزمه التسلسل

وفيه

عرضي

دلجي

وفيه مشقة على الناس ولم ينقل مثله عن احد من الصحابة والتابعين ولو كان كذلك
وجب النقل الينا كما ذكر بالطريق الاولى ولم ينقله احد **واجب**
بانه منقول عن الائمة الاجلة وانه مخصوص بما لم يكن في الصلاة ونحوها والحرج
فيه غير مسلم وانا نلتزم وجوب الثناء على الله ايضا او نقول بالفرق بينهما بانه تعالى
غني مطلق وعظمته غير موقوفة على ذكرها واما هذا حق العبد وكذا حق الله وهو
مبني على المسامحة دون المشاحة والقول بانه حق الله ايضا لامر به ناش من عدم
فهم المراد بحق الله وقال اصحاب الشافعي الغرض منها الذي امر الله به في الاية المذكورة
اولا وامر به رسوله عليه الصلاة والسلام كما سياتي بيانه هو في الصلاة اي هو
عقب التشهد قبل التحلل وسياتي تفصيله وذكر الاحاديث التي استدل بها الشافعي
واصحابه كما صرح به في الام وقول القرافي في الذخيرة انه استدل بالاجماع مردود
بانه صرح بخلافه ولا اجماع على وجوبها وقالوا اي اصحاب الشافعي واما في غيرها
اي غير الصلاة وهو خارجها فلا خلاف في انها غير واجبة المراد انه لا خلاف عند
الشافعي واصحابه والا فقد تقدم القول بوجوبها وتقديرا لامر واحكاه
كما مر لا يجدي نفعا الا ان نفي الخلاف هنا على المشهور عندهم وفي الشرح الجديد
ما نقله المص عن الشافعية غير صحيح فان المفتى به عندهم ان الصلاة واجبة
في الخطبة الاولى والثانية للجمعة لانه لم ينقل عن الخلفاء الراشدين تركها
فيها ووافقه احمد وهما اماما السنة وقال الشافعي ايضا بوجوبها في صلاة
الجنازة اي بعد التكبيرة الثانية كما سياتي بيانه ووافقه احمد واتباعه
ايضا وورد فيه احاديث صحيحة واما في الصلاة اي حكمها فيها فحكى الامامان
ابو جعفر يعني محمد بن جرير الطبري وقد تقدمت ترجمته والطحاوي احمد بن محمد
ابن سلامة كما تقدم بيانه وهما ممن قال بعدم وجوبها في الصلاة وغيرهما
من الائمة اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الاول والاخير منها غير واجبة وشذ
الشافعي رحمه الله اي انه بقول شاذ انفرد به عن جميع ائمة الدين ولم يقل
به احد قبله ولم يوافقه عليه احد في ذلك اي بقوله بوجوبها في تشهد
الصلاة الاخير فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد
التشهد الاخير وقبل السلام فصلاته فاسدة لانها ركن من اركان الصلاة فتفسد
بتركها في التشهد الاخير فقط وان صلى عليه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك اي
قبل التشهد الاخير وقوله فيه اشهد ان محمدا رسول الله لم تجز به صلاته
اي لم تصح ولم يسقط عنه الفرض فيجب عليه اعادة صلاته ولا سلف له في
هذا القول بوجوبها في التشهد الاخير اي لم يقل به احد من السلف ولا سنة
يتبعها اي لم يثبت في السنة والاحاديث النبوية ما يكون دليلا على ما قاله
الامام الشافعي وقد بالغ في انكار هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه
من الائمة والسلف جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها مقصود شنعوا بمعنى
قبحوا اي عدوا ما قاله امرا قبيحا وقولا مبتدعا منهم الامام محمد بن جرير

الطبري والامام القشيري قيل المراد به ابو ناصر صاحب الرسالة اهـ ابو بكر بن العلاء
القشيري المالكي والامام القشيري صاحب الرسالة فهو شافعي لم ينكر عليه شيئا امام
مما ذكر وغير واحد اي ناس كثيرون من الفقهاء والعلماء وقال ابو بكر بن المنذر بصيغة
اسم الفاعل وهو الامام الاوحد ابو بكر محمد بن ابراهيم النيسابوري الثقة الحجة
امام عصره وشيخ الحرم توفي بمكة سنة تسع او عشر وثلاثمائة يستحب ان لا يصلي
احد صلاة ما فرضا كانت او نفلا او جنازة الا صلي فيها على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد التشهد وبعد التكبيرة الثانية فان ترك ذلك تارك اي واحد اي
واحد كان في اي صلاة كانت فصلاته مجزية اي صحيحة وان كان الافضل عدم
الترك في مذهب مالك واهل المدينة اي علمائها وهو من عطف العام على الخاص
وسفيان الثوري صرح به لانه مجتهد صاحب مذهب واهل الكوفة اي علمائها
من اصحاب الراي المراد بالراي القياس في عرف الفقهاء والمالكية والشافعية
يريدون بهذه العبارة اتباع ابي حنيفة وتقابلهم اهل الحديث لاقتصارهم في
العمل عليه وغيرهم من العلماء وهو قول جل اهل العلم الجل بضم الجيم المعظم
والاكثر من كل شيء وحكي عن مالك وسفيان الثوري انها في التشهد الاخير مستحبة
لا واجبة وحمل الاخير لانه محل الخلاف وان تاركها في التشهد مسيء غير محسن
لارتكابه امرا مكروها فقصده وشذ الشافعي اي انفرد رحمه الله بهذه المقالة
المخالفة عن غيره من الائمة فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة لتركه
ركنا به تتم سواء تركها عمدا او سهوا واوجب اسحاق بن ابراهيم بن مخلد وهو
الامام الجليل ابو يعقوب بن راهويه عالم خراسان ومحدثها توفي وسنه
سبع وتسعون سنة في شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين الاعادة مع تعمد
تركها دون النسيان وحكى الشيخ ابو محمد بن ابي زيد هو صاحب الرسالة المشهورة
وهو من ائمة المالكية عن محمد بن المواز بفتح الميم والواو المشددة واخره زاي
معجمة وهو الامام محمد بن ابراهيم ومن اجل الائمة في مذهب مالك وعليه
المعول فيه وهو اسكندراني تفقه بابن الماجشون وابن عبد الحكم الاني واعتمد
على اصبغ وتوفي ببعض حصون الشام وقد هرب في فتنة واختفى به ووفاته
سنة احدى وثمانين ومائتين ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة
ولم يبين لزومها وقتا ولا غيره قال ابو محمد هو ابن ابي زيد المار ذكره
قريبا في تفسير كلام ابن المواز يريد ليست من فرائض الصلاة بل هي فرض
في الجملة كما تقدم وسياتي ما يخالفه وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره
هو ابو عبد الله محمد بن عبد الحكم المصري صاحب الامام الشافعي لم يكن في
عصره اجل منه ولا اعرف باقوال الصحابة والتابعين منه ولد سنة اثنين
وثمانين ومائة وتوفي لليلة خلت من ذي القعدة سنة ثمان او تسع وستين
ومائتين واخرج له النسائي رحمه الله وحكى ابن القصار وعبد الوهاب
من ائمة المالكية ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الامام (١) في
وقد نقل الاسنوي رحمه الله ايضا ان للشافعي رضي الله عنه قولا احد

غير

غير ما اشتهر عنه انها سنة في الصلاة لا ركنا واجبا وقال ابن عبد السلام المالكي هو ظاهر
كلام ابن المواز وصححه ابن الحاجب في مختصره الفرعي وابن العربي في سراج المريدين وحكى
ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب ايضا عن مذهب الامام مالك رحمه الله فيهما اي في الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة اقوال في الصلاة الاول الوجوب والثاني السنة
والثالث الندب جريا على اصطلاحهم في التفرقة بين السنة والندب وقد خالف الامام
الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسئلة قال الخطابي وليست
بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي فانه ذهب لوجوبها فيهما
ولا اعلم له فيها قدوة اي ما يقتدي به من الادلة والسلف وسياتي رد هذا
والدليل على انها ليست من فروض الصلاة كما قاله الشافعي عمل السلف الصالح
قبل الشافعي من الصحابة والتابعين وهذا لا وجه له كما سياتي بيانه واجماعهم
عليه سياتي ايضا انه لا اجماع فيه وقد شنع الناس عليه في هذه المسئلة جدا اي قبحوه
وانكروه اي تشنيعا كثيرا اجتهدوا وجدوا فيه جدا ثم بين وجه الانكار بقوله وهذا
تشهد ابن مسعود جعله لشهرته كمحسوس حاضر عنده يشير اليه الذي اختاره اي فعل
رضي الله عنه اي رجحه على غيره فان التشهد له طرق مختلفة وهو الذي علمه له النبي
صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وما قاله
مردود ايضا فانه انما اختار تشهد ابن عباس الذي فيه زيادة لفظ المباركات لموافقته
لقوله تعالى تحية من عند الله مباركة طيبة ولتاخره عن تعليم ابن مسعود كما
قاله البيهقي رحمه الله وكذلك اي مثله في عدم ذكر الصلاة عليه فيه كل من روى
التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة الذين علمهم التشهد كابي هريرة
وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله
ابن الزبير كلهم لم يذكروا فيه اي في تشهدهم الذي تعلموه صلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم هذا اعظم ما تمسك به المصنف في رده لما ذكر لما يلزم من عدم
ذكرهم انه لم يامرهم به وهو مردود ايضا لان تعليمهم ذلك كان في ابتداء الهجرة
قبل نزول الاية والامر بها في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه الاية
فلذا لم يامرهم صلى الله عليه وسلم بما لم يؤمر به فلما نزلت امرهم وهذا
مصرح به في الحديث وسياتي نقله مفصلا بطرقه وقد قال ابن عباس وجابر
في حديث رواه مسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا
السورة من القران فيقروه عليهم ويامرهم بتلقنه بالفاظه وحفظه فكيف
يترك ما هو مذكور فيه وقد عرفت جوابه ونحوه اي مثل ما ذكر عن ابي سعيد
الخدري كما رواه ابن ابي شيبة في مصنفه وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد
على المنبر وهو يخطب عليه في خلافته كما تعلمون الصبيان في الكتاب بضم الكاف
وتشديد المثناة الفوقية وهو اسم للمحل الذي فيه الصبيان منقول من جمع
كاتب فهو تسمية للمحل باسم الحال فيه وقد ورد بهذا المعنى في كلامهم كما ذكره
الزمخشري في الاساس وغيره ولا عبرة بمن انكره او قال انه مولد والصواب
المكتب وعلمه اي التشهد ايضا على المنبر عمر بن الخطاب كما علمه عليه ابو بكر في

خلافته يعني بذلك شهرته بحيث لا يخفى على احد ولا يتركه ولا دليل له فيه لان ما علم على المنبر لم يذكر ولم ينقل بدون ذكر الصلاة حتى يتم له ما ادعاه ثم اشار الى الجواب عن بعض ما استدل به الشافعية فقال وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه والحاكم في مستدركه والطبراني والدارقطني والبيهقي وفي بعض الفاظه اختلاف ما لا صلاة لمن لم يصل على بالتشديد وروي لمن لم يصل على نبيه وهو بظاهره دليل للشافعي على ان الصلاة لا تصح بدونها قال ابن القصار معناه المراد منه كاملة الاجر وهو صرف للنفي عن المتبادر منه من نفي الصحة الى نفي الكمال فتصح وان لم يكمل وهذا مبني على قاعدة اصولية وهي ان النفي اذا دخل على شيء ليس بمنفي هل يقدر الصحة او الكمال فقال الشافعي الارجح تقدير الصحة لانه اقرب الى نفي ذات الشيء وقال غيره تقدير الكمال وقد بينه البيضاوي في شرح المصابيح في حديث انما الاعمال بالنيات اولمن لم يصل على من في كرم وهو تحكم وترجيح بلا مرجح وسياتي تفصيله ثم بين ما فيه بحسب الرواية بقوله وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث لانه كما قاله الامام الخيضري في كتابه اللوء المعلم من حديث عبد المهيمن بن عباس عن ابيه عن جده وعبد المهيمن ليس بحجة وروي من طريق اخرى لم تثبت انتهى وفي حديث ابي جعفر محمد الباقر بن زين العابدين عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل علي فيها ولا على اهل بيتي لم تقبل منه وهذا يفيد ان الصلاة على الآل في التشهد الاخير واجبة كالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيه وفيها قولان للشافعي والصحيح في المذهب انها غير واجبة واما في التشهد الاول فمن قال انها واجبة في الاخير قال باستحبابها فيه ومما ينسب للشافعي رضي الله عنه في ذلك

يا اهل بيت رسول الله حبكم ۞ فرض من الله في القران انزله
كفاكم من عظيم القدر انكم ۞ من لم يصل عليكم لا صلاة له

فيحتمل لا صلاة له صحيحة فيكون موافقا لقوله بوجوب الصلاة على الآل ويحتمل لا صلاة له كاملة فيوافق اظهر قوليه قال الدارقطني الصواب انه من قول ابي جعفر محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم وهذا يوافق ما قاله الشافعي رحمه الله تعالى فعينه تاييد له دون ما قاله المص واعلم ان الامام الخيضري رحمه الله صنف في هذه المسئلة كتابا سماه زهر الرياض في رد ما شنعه القاضي عياض طالعته بتمامه وقد قال فيه ما قصدت به تنفيس مقداره فانه طراز هذه العصابة وتلخيصه ان الامام الشافعي رضي الله عنه قال في الام فرض الله عز وجل الصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله وملائكته الاية فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع اولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة بما وصفت عنه صلى الله عليه وسلم ثم ساق باسناده الى ابي هريرة انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني في الصلاة قال تقولون اللهم صل على محمد الخ وساق بسنده ايضا الى كعب بن

عجرة عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة اللهم صل على محمد الخ فلما روي
انه كان يعلمهم التشهد في الصلاة وانه علمهم كيف يصلون عليه فيها لم يجز ان يقول
التشهد واجب والصلاة غير واجبة والخبر فيهما عنه صلى الله عليه وسلم فعلى كل
كل مسلم وجبت عليه الفرايض ان يتعلم التشهد والصلاة عليه فمن صلى ولم يتشهد
ولم يصل عليه صلى الله عليه وسلم فعليه اعادتها انتهى ثم ذكر ما قاله المص وقال
هذا قول لا ينبغي الاعتماد عليه ولا الاستناد اليه ولقد عجبت منه كيف اقدم على هذه
المقالة الشنيعة وتجاسر على الاتيان بهذه العبارة الوضيعة وهي فوقيلة غير
صحيحة ينادي مدعيها على نفسه بفضيحة واي فضيحة وسترى حججا بالغة
وبينا مشروعة ونمار براهين لا مقطوعة ولا ممنوعة فمن الادلة على وجوبها
في التشهد الاخير الاية المذكورة لانا فهم على ان الامر المطلق يقتضي الوجوب ما لم
يقم الدليل على خلافه والله قد امر عباده بالصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه
وسلم وثبت ان الصحابة رضوان الله عليهم سالوه عن كيفية هذه الصلاة
المامور بها فقال قولوا اللهم صل على محمد الخ والسلام الذي علموه هو السلام
في الصلاة والتشهد فمخرج الامرين والتعليمين والمحلين واحد ويوضحه انه صلى
الله عليه وسلم لما علمهم التشهد علمهم التسليم فيه فقالوا كيف الصلاة عليك
المامور بها فقال اللهم صل الخ وهما في الصلاة في ظاهر الحال ويؤيده انه
لو كان خارج الصلاة كان كل من دخل عليه صلى الله عليه وسلم يقول له السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته كما علموه وكذا كل من واجهه بالصلاة عليه
بهذه الالفاظ بتمامها والمنقول انهم كانوا يقولون في تحية الصلاة السلام عليك
يا رسول الله او نبي الله صلى الله عليك ونحوه فما نعلموه زايد على التحية والصلاة
فخرج هذا مخرج البيان لما في القران وظهر وجه دلالة الاية عليه واورد عليه
ان قول الصحابة قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلاة يحتمل ان يراد به السلام
في الخروج من الصلاة كما قاله ابن عبد البر والدليل اذا طرقه الاحتمال بطل
به الاستدلال وان غاية ما ذكر مجرد دلالة اقتران الصلاة بالسلام على الوجوب
في الصلاة ودلالة الاقتران ضعيفة وهذا انما يتم اذا سلم وجوب السلام وهو
غير مسلم واجيب بان الاول فاسد يرده لفظ الحديث وقولهم هذا السلام
عليك لا السلام فقط حتى يكون المراد السلام من الصلاة والثاني لم يستدل
باقترانه وانما استدل بالامر بها في الاية وبهذا اسقط ما بعده والدليل الثاني
من السنة ما في البخاري مسندا قال عبد الرحمن بن ابي ليلى لقيني كعب بن
عجرة فقال الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا
يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد
وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد واخرجه مسلم وغيره من
طرق سايقها واصحاب السنن فان قلت قد علمنا من الاحاديث صفة الصلاة
لكنها مطلقة لم تقيد بالصلاة قلت علم هذا من طباق العلما والمحدثين

من غير نكير على ان المراد بها في الصلاة ولذا اوردت مذكورة في التشهد في كتبهم دون
باب الادعية ولا يكتفي بهذا بل نقول ورد التصريح بذلك في الحديث ايضا فيما
رواه احمد في مسنده من طريقين عن ابن اسحاق قال حدث في الصلاة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا المرء المسلم صلى عليه في صلاته وساقه الخ والعجب
من المص رحمه الله انه قال في شرح مسلم في سؤالهم عن الصلاة يحتمل انه في
غير الصلاة وفي الصلاة والاظهر الثاني لقوله والسلام كما علمتم انتهى فسبحان الله
كيف ينكر بعد هذا على الشافعي وهذا من زيادة الثقة فهي مقبولة وقد رواها
الشافعي في مسنده فدعاه ذلك الى حمل الاية عليها فان قلت بعد تخصيصه
بالصلاة ليس في الحديث ما يدل على الوجوب قلت الوجوب معلوم من قوله
صلى الله عليه وسلم صلوا كما رايتموني اصلي ولا يلزمه وجوب ما في صلاته
من السنن لقيام دليل من خارج على عدم وجوبها ثم ذكر احاديث احر صريحة
فيما ذكره واهابمعنى ما سبق ومن الادلة ما في مسند احمد الاتي في كلام المص
ايضا انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلاته فلم يمجد الله في صلاته خ يحمد الله
ولم يصل عليه فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له او
لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتمجيده والثنا عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه خ بتحميده
وسلم ثم يدعو بما شا وهو حديث صحيح اخرجه الترمذي والحاكم وابن حبان
وقال انه على شرط الشيخين فان قلت ان هذا ايدل على عدم الوجوب لانه لم
يامره باعادة الصلاة وقد يقال ايضا ان هذا الدعا كان خارج الصلاة لان
الترمذي روى هذا الحديث في جامعه عن فضالة بن عبيد بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قاعد اذ دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفر لي
وارحمني فقال له عجلت ايها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو
اهله وصل علي ثم ادعه وفي رواية بما تحب قلت انه كان غير عالم بوجوبها خ بما اثنا
فلم يامره بالاعادة ويحتمل انه اعادها او انها نفل لا تجب اعادته وما ذكر
من الحديث رواية غير ثقات فهو ضعيف لا يصلح لمعارضة الحديث الاخر مع
قوته وروايته على شرط الشيخين وقد ورد التصريح بانه يتشهد ويصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم بعده في الصلاة ثم اورد على قول المص انه اي
الشافعي لا سلف له فيما قاله انه قال به جماعة من الصحابة والتابعين
منهم عبد الله بن مسعود راوي حديث التشهد وروي عنه انه كان يراها
واجبة في الصلاة وابو مسعود البدري روي عنه مرفوعا وموقوفا
ومنهم عبد الله بن عمر وابو جعفر محمد بن علي بن الحسين والشعبي كما
نقله البيهقي ومقاتل بن حيان ومحمد بن كعب القرظي كما نقله الماوردي
واسحاق بن راهويه كما نقله المص واحمد بن حنبل في رواية عنه ومن
العجايب ان المص انكر على الشافعي ما ذكر وقال في شرح مسلم ما نصه حكي
بعض البغداديين عن مذهب مالك في المسئلة ثلاثة اقوال الوجوب
والسنة والفضيلة وحمل بعضهم كلام ابن المواز على الوجوب في الصلاة

كمذهب

كمذهب الشافعي وكلامه محتمل للمجيب على الجملة ونقله ايضا في كتابه هذا وعبارة
ابن القصار في كتابه عيون الادلة وهو من اجل كتبهم بعد ما نقل ما سياتي من ادلة
المخالفين في فرضيتها في الصلاة وجه ما نقل عن ابن المواز ما استدل به القائلون
بالوجوب فتكون الجلسة الاخيرة للتسليم عليه وان الصلاة لما تضمنت ذكر الله
وتمجيده كما في فاتحة الكتاب وجب ان يذكر فيها الصلاة والسلام على الرسول
صلى الله عليه وسلم حتى لا تخلو الصلاة من ذكره مع الله كما في الاذان والاقامة
فذكر وجهه يدل على انه مال اليه وقال ابن العربي في احكام القران ان الصحيح
ما قاله ابن المواز فتعينت كيفية ووقتا كما بيناه في مسايل الخلاف انتهى وهو
امام مشهور من ايمتهم وكذا ذكره ابن الحاجب في مختصره الكبير وشارحه ابن عبد
السلام فظهر منه انه قول راجح في مذهبهم وانه ذهب اليه كثير من السلف
فنسبته الى الشذوذ خطا ظاهر مع ما بينا فتنبه من كلامه هنا وان نقل هذا عن
الصحابي ولم يصرح غيره بخلافه يصير اجماعا سكوتيا وحكمه مفصل في الاصول
وعمل الناس على الصلاة عليه بعد التشهد وتعليمها للصبيان فكيف يدعى خلافه
واما ادلة المخالفين للشافعي كابي حنيفة واتباعه ومالك في احد قوليه
واليه ذهب بعض الشافعية كابن المنذر والخطابي والقشيري كما نقله المصنف
ولهم ادلة وحديث التشهد المروي عن نحو اربعة وعشرين من الصحابة وليس
في رواية منه ذكر الصلاة ثم سردها واحدا وفصلها تفصيلا لم يسبق اليه
ثم قال والجواب عنه من وجوه منها انه لم ينقل انه جميع الواجب في الجلسة
الاخيرة فايجاب الصلاة فيها بدليل اخر لا ينافيه ومنها انكم قلتم بوجوب السلام
ولم يامرهم به في هذا التشهد فيلزمكم عدم وجوبه وقد اوجبتموه فما
كان جوابكم فهو جوابنا لثبوته بدليل اخر وايضا التشهد ثبت بتعليمه وكذا
الصلاة فاي فرق بينهما وقد بينا انه مخصوص بالصلاة كالسلام ومنها ان
احاديث التشهد لو كانت نافية للوجوب كان الوجوب مقدما عليها لان النافي
مستصحب للاصل من عدم الوجوب والموجب ناقل وهو مقدم على المستصحب
لزيادة علمه فكيف اذا لم يعارضه راسا وردا ايضا بان التشهد فرض حين
فرضت الصلاة وفرضت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم حين نزلت اية
الاحزاب بعد تخييره ازواجه فالتشهد كان تعليمه قبل فرضها فلا يضر عدم
ذكره في تلك الرواية فلذا قالوا له صلى الله عليه وسلم قد عرفنا السلام
عليك فكيف نصلي عليك فان قلت ما تقول في الحديث الصحيح المروي الذي
فيه انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد ابن مسعود وعلمه التشهد الى
قوله اشهد ان محمدا عبده ورسوله ثم قال فاذا قلت هذا او قضيت هذا
فقد قضيت صلاتك ان شئت ان تقوم فقم وان شئت ان تقعد فاقعد
فانه يدل على ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيها ليست بواجبة
ولا سنة كما قاله ابن عبد البر في التمهيد قلت هذا مطعون فيه وقد
قال الدارقطني في العلل انه من زيادة زهير مدرجة في الحديث وصله

بكلام النبي صلى الله عليه وسلم وليس منه وتتبع طرق الحديث شاهدة لما قالوه
وايضا انه يحتمل انه قبل ايجاب الصلاة عليه وايضا هو ورد نفيا لما كانوا يقولونه
السلام على الله فقال لهم لا تقولوا هذا فان الله هو السلام ولكن قولوا
كذا مع سائر ما علمتم وجوبه ولذا لم يتعرض لذكر السلام مع وجوبه مع ان المستدل
بهذا اصحاب ابي حنيفة القائلين بان التشهد ليس بواجب وانما الواجب الجلوس
بمقداره فلو تم هذا كان دليلا عليهم لا لهم لتعليقه تمام الصلاة على التشهد
وهم لا يقولون به فبطلت المعارضة به ولا يصح ان يقال المراد تمام الاستحباب
لانه موقوف عليها عندهم انتهى زبدة ما ذكره الامام الخيضري مما يهمنا
هنا وقد بالغ الشافعية في الرد على المصنف وتخطيئه فيما قاله كما سمعته
حتى قال بعضهم هذا المشنع انما هو يشنع على نفسه لا على الشافعي اذ لم يخالف
كتابا ولا سنة ولا اجماعا ولا مصلحة راجحة بل تمسك بادلة واضحة تامة
وعد ذلك من محاسن مذهبه ولم ينفرد بذلك قال بعض المحققين
ولو سلم تفرده بذلك لكان حبذا التفرد انتهى وقال شيخنا ابن قاسم فلت
واي محذور في تفرد ابن ادريس واي حاجة له الى موافقة غيره له انتهى
ولكن اذا امعنت النظر علمت انه اي المصنف ناقل لما قاله الطحاوي ومن تبعه
وما على الناقل الا تصحيح نقله وما على الرسول الا البلاغ ففيما قالوه ايضا
تحامل عليه لكن الجزاء من جنس العمل وهذا من باب الالباب الذي لا نجده في غير
هذا الكتاب وههنا بحث ذكره الاسنوي رحمه الله في التمهيد وهو ان
الامر بعد سؤال التعليم كالامر بعد الاستيذان او بعد الحظر يفيد الاباحة
عند الشافعية والوجوب عند ابي حنيفة فلا يستقيم الاستدلال لهم على وجوب
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بقوله قولوا اللهم صل الخ بعد قولهم كيف
نصلي عليك الا ان يقال استفيد الوجوب من امر خارجي فيكون الامر للوجوب
لانه بيان لكيفية واجب انتهى وفيه نظر

## فصل

في المواطن اي الاماكن وهو من قبيل المشفر لان معناه مكان التوطن
والاقامة التي تستحب وليس فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله
عليه وسلم ويرغب بالبناء للمفعول وتشديدا لمعجمة من الترغيب وتجوز
تخفيفهما وهو عطف تفسير والرغبة بمعرفة ما فيه من الفوايد والثواب
من ذلك المستحب المرغب فيه في تشهد الصلاة وهو الثناء على الله في الجلسة
فيها وسمي تشهدا باسم جزئه وهو قوله فيها اشهد ان لا اله الا الله الخ
والمطلقة ليشمل الاول والاخير فانها مستحبة في الاول واجبة في الاخير
كما تقدم تفصيله كما قدمناه في الفصل الذي قبله وذلك اي موطنه
ومحله المعلوم مما قبله بعد التشهد اي قوله اشهد ان محمدا رسول الله
وقبل الدعا الماثور في كتب الفقه او بما شاء حدثنا القاضي ابو علي هو ابن
سكرة بشيخه كما تقدم بقراتي عليه لا بغيرها من طرق الاجازة حدثنا ابو
القاسم البلخي نسبة لبلخ مدينة معروفة قال حدثنا الفارسي تقدمت

ترجمته عن ابي القاسم الخزاعي عن الهيثم بن كليب عن ابي عيسى الحافظ هو الترمذي صاحب الشمايل والسنن وقد تقدم قال حدثنا محمود بن غيلان ابو احمد الحافظ المروزي اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة تسع وعشرين ومايتين قال حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ وفي نسخة زيد بدل يزيد والصواب الاول وهو المعروف بالقصير البصري نزيل مكة ومولى آل عمر بن الخطاب وهو حافظ ثقة روى عن ابي حنيفة وغيره وتوفي سنة ثلاث عشرة ومايتين عن حيوة بن شريح تقدم بيانه وحيوة على خلاف القياس في الاعلام وقياسه حية قال حدثني ابو هانئ الخولاني اسمه حميد بن هانئ وهانئ بهمزة في اخره يجوز ابداله الفا ياء وقال البرهان انه احمد بن هلال وهو ثقة توفي سنة اثنين واربعين ومايتين ان عمرو بن مالك الجنبي في نسخة عمرو بواو وهي الصواب وابو علي الجنبي بفتح الجيم ثم نون ساكنة وبا موحدة نسبة لجنب بطن من مذحج وهو مصري ثقة وذكره في الميزان توفي سنة اثنين او ثلاث ومائة اخبره انه سمع فضالة بفتح الفا والضاد المعجمة ولام وها تانيث ابن عبيد بالتصغير بن نافذ بن قيس الانصاري الاوسي ابو محمد الصحابي ولي قضا دمشق وتوفي سنة ثلاث وخمسين ومائة واخرج له احمد وغيره يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته بعد التشهد في الجلسة الاخيرة فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد تشهده فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا بفتح العين وكسر الجيم اي اسرع بدعائه واتى به في غير محله قبل ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لان الدعا معلق حتى يصلي عليه كما ياتي فان من سال حاجة لا بد له ان يقدم وسيلة تتوصل لقضا حاجته ثم دعاه اي طلب ذلك الرجل وقربه اليه فقال له او لغيره اي وجه خطابه لغيره وهو يسمع وهو المراد بالاعلام وفي نسخة ولغيره بالواو اذا صلى احدكم فليبدا بالهمز اي يقدم على دعائه ليقبل بتحميد الله والثنا عليه عطف تفسير لبيان ان المراد ما يفيد المدح والثنا لا خصوص الحمد والمراد قوله التحيات الخ وفي كيفيته روايات مختلفة بلغت نحو ثلاثة عشر كما فصل في محله ثم يصلي على ثم ليدع بلام مكسورة او ساكنة للامر بما شا من الخير والدعا بالماثور افضل ويروى من غير هذا السند الذي رواه المص عن الترمذي ورواه ابو داود بتمجيد الله بميم وجيم ودال مهملة ومعناهما متقاربان والرواية الثانية لابن ماجه بسند آخر وهو اصح رواية لقوة سنده لا من حيث المعنى وان قيل انه امدح وفيه نظر وانما تم استدلال المص به ان كان في الصلاة وقد استدل به الشافعي على وجوبها فيها كما مر وقد نوزع فيه بانه ورد من طريق اخر تقدمت قريبا بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذ دخل عليه رجل فصلى وقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال صلى الله عليه وسلم له عجلت ايها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو اهله وصل علي ثم ادع وظاهر قوله فقعدت انه كان بعد الصلاة فلا يدل على مدعاه اقول قد اجاب الخيضري عنه باجوبة حاصلها انه ليس نصا فيما ذكرت لان المراد بالقعود الجلسة الاخيرة في التشهد وقد ورد التصريح به في

رواية اخرى فاندفع الايراد وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما رواه الترمذي
قال الدعاء والصلاة عطف تفسير او المراد به العبادة المخصوصة الا انه قيل ان
هذا اللفظ اي الصلاة ليس مذكورا في الترمذي وهو المشهور معلق كل منهما
اي موقوف قبوله فهو استعارة او حقيقة لان الملائكة لا تصعد به بين السماء
والارض لا يصعد الى الله منه شيء لعدم رضاه برفعه اليه حتى يصلي عليه صلى
الله عليه وسلم لان اعمال المؤمنين تكتب وترفع الى السما اذا قبلت وقبولها
متوقف على الصلاة عليه لانه هو الذي هدانا وارشدنا الى الله وهو وسيلتنا
العظما اليه وقد فسر قوله تعالى لا تفتح لهم ابواب السما بهذا والرفع والصعود
من صفات الاجسام فالمراد رفع صحفها وقيل انها تجسم ولاما نع منه وعن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه رواه البيهقي وابن عساكر وغيره عن النبي صلى الله عليه
وسلم بمعناه اي بمعنى حديث عمر الا انه زاد فيه وعن عائشة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال وعلى ال محمد فلا بد من الصلاة على الال مع الصلاة عليه وهذا
هو الاكمل وحقها تقدم الكلام عليه وروي رواه عبد الرزاق والطبراني
بسند صحيح عن ابن مسعود ان الدعا محجوب عن السما فلا تفتح له ويلزمه انه
لا يقبل ويجوز ان يكون تمثيلا واستعارة لعدم القبول حتى يصلي الداعي على
النبي صلى الله عليه وسلم وليس في هذا دليل على وجوبه في الصلاة اذ القبول
ليس من شرائط الصحة ومن ادعاه فقد تبرع بما لا يملكه ولا يقبل ولو عد المص ابن اقبرس
هذا موطنا مستقلا كان اولى كما فعله غيره لكنه ادرجه في التشهد لانه محل للدعا
ايضا وعن ابن مسعود في حديث صحيح مسند اذا اراد احدكم ان يسال الله شيئا
ويدعو به فليبدا بمدحه والثنا عليه بما هو اهله اي بما يستحقه ويليق
به كما ارشدنا لذلك في سورة الفاتحة قال ابن برجان في تفسيره اذا قيل لك
ان اجلا احبا منينا بقراة الفاتحة فلا ينكره وليقراها ملاحظا للثنا عليه وحمده
لانه المنعم بجميع النعم الدنيوية والاخروية جليلها ودقيقها كما اشار اليه
بقوله بسم الله الرحمن الرحيم الخ ثم يلاحظ عظمته وجلاله المشير اليه بقوله
اياك نعبد ثم تفويض امور اليه مالك يوم الدين ثم يخضع غاية الخضوع
كما يشير اليه قوله اياك نعبد ثم يفوض امور اليه لقوله اياك نستعين ثم
يساله حاجته لقوله اهدنا الخ ولذلك سميت سورة تعليم الدعا ثم يصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم ليستشفع باقرب مخلوقاته واحبهم اليه فانه
الوسيلة العظمى فانه اي دعاه بهذه الكيفية اجدر اي احق واليق ان ينجح
بضم اوله مبني للفاعل من انجح اذا فاز وبلغ مقصوده ومطلوبه وهذا
الحديث رواه عبد الرزاق والطبراني وابن ابي الدنيا بسند صحيح فيقدم
صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم ويختم بها ويوسطها في دعائه كما
قاله الخيضري ويكثر له ما باخر فكلما اكثر من صلاته عليه صلى الله عليه وسلم
تحققت الاجابة وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فيما رواه البزار
وابو يعلى والبيهقي في شعب الايمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا تجعلوني

لا تجعلوني كقدح الراكب قيل وما قدحه يا رسول الله قال فان الراكب اي من يريد ركوب
راحلته لسفر ونحوه يملؤ قدحه وهو اناء صغير من خشب ونحوه يشرب به ثم يضعه عنده
ويرفع متاعه الذي يريد حمله على راحلته فان احتاج الى شراب اي شرب ما شربه اي شرب
ما قدحه الذي وضعه فيه او الوضوء من ما قدحه توضأ بالهمزة ويجوز ابدالها الفا
والا اي وان لم يكن محتاجا لشرب او وضوء هراقه بتقدير مضاف اي هراق ماءه اي صبه
على الارض لاستغنائه عنه واصل هراقه اراقه فابدلت همزتها هاء وقد يجمع بينهما
فيقال اهراقه وتفصيله في كتب اللغة والعربية قال ابن الاثير وغيره معناه
لا تؤخروني اذا صليتم علي في الذكر وتجعلوا ذكري تبعا لغيره بل اعتنوا به فقد
واذكروه في وسطه واختموا به كما اشار اليه بقوله ولكن اجعلوني اي اجعلوا ذكري
بالصلاة علي في اول الدعاء واوسطه واخره ففيه تشبيه تمثيلي بليغ لتاخير ذكره
عن دعائه كما ان من يريد الركوب لرحيله يبدا بمتاعه فيحمله ويجمع ماله وقدحه
موضوع على الارض ثم يتناول قدحه فياخذ ما فيه او يريقه هذا كقول حسان رضي
الله عنه في هجائه

فانت هجين نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

والراكب يجعل القدح خلفه وفي هذا الحديث زيادة على ما قبله بجعله اولا ووسطا
واخرا وقال ابن عطا ابو العباس احمد بن محمد بن سهل الادمي وهو من اجل مشايخ
الصوفية توفي سنة تسع وثلاثمائة للدعاء اركان اي امور مهمة لابد منها شبهت
باركان البناء ومنه اركان الصلاة عند الفقهاء واجنحة جناح الطير كاليد للانسان
يحصل بها ما يريد وفيه استعارة تخييلية ومكنية شبه ما هو مقدمة لقبوله
ورفعه الى السماء بالاجنحة للطائر واسباب اي وسائل للوصول للمطلوب والفوز
به واوقات مخصوصة يكون فيها اسرع اجابة كاوقات الصلاة فان وافق اركانه
اي قارنها وكانت تامة قوي اي كمل وتم كما يتقوى البناء والبدن باركانه وان وافق
اجنحته بان كان له اجنحة كاملة طار في السماء اي صعد اليها وقبل كما مر وان وا
موافيته جمع ميقات بمعنى الوقت اي ان وقع في اوقاته فاز اي ظفر بالاجابة
وحصلها وان وافق اسبابه انجح اي تم وكمل نجاحه وسعادته ثم بين ذلك
فقال فاركانه حضور القلب اي توجهه توجها تاما بجميع فكره وحواسه والرقة
اي رقة القلب وفسرها بقوله والاستكانة اي الخضوع والانقياد والخشوع
بالذلة والخوف وعدم رفع الصوت والبصر وتعلق القلب بالله بقطع النظر
عما سواه وقطعه الاسباب بان لا يرجو غيره كما في الدعاء المأثور اللهم اقذف في
قلبي رجاءك واقطع رجائي عما سواك واجنحته الصدق بان يوقن بانه لا معطي
ولا مانع غيره تعالى وفي الحديث الصدق يهدي الى البر والصدق معناه
خلوص النية والطوية ومواقيته الاسحار اي اواخر الليل لانها محل الاجابة
وتجلي الرحمن وقرب عباده منه وهو اقوى في التوجه وفيه تهب نفحات
الرحمة ونسمات الخير كما قال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقال وقرآن
الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا واسبابه المسرعة لحصول المراد الصلاة على محمد صلى

موم

فق

الله عليه وسلم كما تقدم وقال اسبابه والمراد اسباب اجابته ففي ذلك اشارة الى انه بدون
الاجابة كالعدم وفيه اشارة الى الحديث ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا في الثلث الاخير
فيقول من يدعوني فاستجيب له ومن يسالني فاعطيه ومن يستغفرني فاغفر له كما في
الصحيحين وقد اختلفوا اهل الدنيا افضل لما فيه من التذلل والافتقار او السكوت
لما فيه من التسليم والرضا فذهب الى كل طايفة وقيل انه يختلف باختلاف الاحوال
وهو الارجح عند البعض وفيه كلام ليس هذا محله وفي حديث لم يذكر وا من رواه
الدعا الواقع بين الصلاتين على بان يصلى عليه صلى الله عليه وسلم قبله وبعده
لا يرد اي فيستجاب ذلك الدعا فان الصلاة عليه مقبولة ومن كرم الله تعالى اذا
قبل الطرفين لا يترك ما بينهما وسيل السنوسي رحمه الله عن القطع بقبول الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم فاجاب بانه منصوص عن السلف واستشكله بانه لو
قطع بها للمومن المصلي عليه لقطع له بحسن الخاتمة اذا دعا بها مع الصلاة وبين
الصلاتين عليه وهي مجهولة لكل احد واجاب بان معنى القطع بقبولها انه اذا
قضى الله له بخاتمة الايمان ووجدت حسنة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهي
مقبولة بلا ريب فيها بفضل الله بخلاف ساير الحسنات فانه لا وثوق بقبولها ويحتمل
انها اذا صدرت على سبيل المحبة من صاحبها ينقطع بانتفاعه بها في الاخرة بوجه ما ولو
بتخفيف العذاب وفيه نظر وفي حديث كل دعا محجوب دون السما كما مر في حديث
الترمذي عن عمر رضي الله عنه فاذا جات الصلاة علي اي ذكرت معه صعد الدعا الى السما
اي قبل واستجيب وقد اخرج الديلمي انه صلى الله عليه وسلم قال الدعا محجوب حتى
يصلى على محمد واهل بيته وفي دعا ابن عباس الذي رواه عنه حنش بفتح الحا المهملة
والنون وشين معجمة وهو ابن عبد الله بن عمرو بن حنظلة بن صهد ابو رشد التابعي
الصنعاني احد الداخلين الى الاندلس في صدر الاسلام وله رواية عن علي وابن
عباس وغيرهما الا ان هذا الحديث لم ير وعنه في الكتب وروى له غيره توفي بافريقية
سنة مائة وقيل ان قبره بسرقسطة فقال في اخره اي اخر الدعا واستجب دعاي
ثم تبدا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قبل ما تدعو به وتقول اسالك
ان تصلي على محمد عبدك ورسولك صلاة من افضل ما صليت على احد من خلقك
اجمعين امين اي استجب وهو اسم فعل له فان قلت هل يحسن ان يقال صل على سيدنا
محمد قلت نعم فيجوز اتباع الماثور عنه ولكن اختلف في ايهما الافضل رعاية الادب
او امتثال الامر فذهب الى كل من القولين بعض وقيل امتثال الامر عين الادب
وهو الظاهر ولنا عودة الى بسط الكلام فيه واطلاق السيد عليه صلى الله عليه
وسلم جاير وكذا على الله وفيه خلاف ليس هذا محله ومن مواطن الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم واما كنها عند ذكره وسماع اسمه او كتابته وتقدم القول بان
ذلك واجب كل ما ذكر او سمع وذكره اعم من ان يكون في الصلاة او عند قراة القران
كما ذكره الخيضري في كتابه اللوا المعلم ورواه عن السلف وقوله او كتابته اي
عند كتابة اسمه وهل يكتفى بكتابة الصلاة عليه او الافضل ان يتلفظ بها
تردد فيه بعضهم والافضل ان يكتبه ويتلفظ به ليحصل له الثواب الاتي

في حديث

وفي حديث من صلى علي في كتاب الحج علما يأتي فيه «وعند الأذان أي بعده وهو مستحب
للمؤذن وسامعه» وقال بعض الحفاظ كنت أكتب الحديث فأكتب الصلاة فقط فرأيت النبي
صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي ما لك لا تتم الصلاة في كتابك فما كتبت بعد ذلك إلا
صليت عليه وسلمت «أو عند الأذان» أي بعده وهو مستحب للمؤذن وسامعه لما رواه
مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم
صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا الحديث الآتي مع الكلام
عليه وهل يقتصر على الصلاة أو يذكر معها السلام لما ذكروه من كراهة الاقتصار
عليها مطلقا للآية السابقة كما صرح به النووي وقال غيره يقتصر عليها لظاهر حديث
مسلم قال الخيضري وتستحب الصلاة عليه أيضا بعد الإقامة لما رواه الطبراني
في كتاب الدعاء عن أبي الدرداء أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع
المؤذن يقيم يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا سؤله
يوم القيامة يسمعها من حوله ويحب أن يقولوا مثله وهذا مما سكتوا عنه انتهى وفيه
أن الذي فيه استحباب الدعاء لا الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن أبي هريرة رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي
فيدخل فيه ما في هذا الموطن كله لأن الذكر يشمل ذكره وذكر غيره والكتابة ذكر معنى
وهذا دعاء عليه بأن يذله الله لعدم إعزاز رسوله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر
عنده فلم يصل عليه ورغم برغم كسال يسال رغما وأرغمه الله أذله وهو من الرغام
بمعنى التراب فجعل عبارة عما ذكروا لذا ذكر الأنف الذي من الأنف رفعه ويقال
رفع أنفه إذا تكبر وهذا الحديث رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه
أنه صلى الله عليه وسلم قال رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف
رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه
الكبر فلم يدخلاه الجنة ورواه الحاكم أيضا وقال هو صحيح الإسناد وسيأتي
الكلام عليه عند ذكر المتم له برمته «وكره ابن حبيب» وهو عبد الملك بن حبيب بن سليمان
ابن هارون السلمي من ولد العباس بن مرداس الصحابي وقيل عبد الملك بن سليمان
وهو فقيه نحوي طبيب مفسر محدث إلا أنه لم يكن له نقد ونظر تام في الحديث
توفي سنة ثمان أو تسع وثمانين ومائتين «ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح»
وهو مذهب مالك وقال غيره يستحب وإنما كره لئلا يكون مما أهل به لغير الله وإلى
هذا ذهب الحنفية كما في المحيط وخالفهم الشافعي في الأم فقال وليس التسمية
على الذبيحة عند الذبح باسم الله ولا أكره أن يقول وصلى الله على رسول الله بل أحبه
وقال المزني إنها لا تستحب ولا تكره فهي مباحة وقال الأذرعي يختص ذلك بما إذا كان
قربة كالأضحية وقال الرافعي لا يجوز أن يقول باسم محمد ولا باسم الله واسم محمد
وذهب بعضهم إلى أن ما ذبح باسم غير الله لا يحل أكله وكذا ما ذبح للكعبة أو عند
قدوم سلطان وقيل إن قصد التبرك جاز ونقل عن ابن حنبل فيه خلاف وكذا
قيل إنه لا يستحب عند العطاس كما يأتي وقيل إنما يكره إذا لم يقصد بعد
الحمد الصلاة على من سنه وقال الحطاب الذي تحصل من كلام المالكية أن في

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح والعطاس فقولين وتكره عند الجماع والحاجة انتهى وكره سحنون الفقيه المشهور المالكي واسمه عبد السلام بن عبد السلام ابن سعيد بن حبيب بن حسان التنوخي وهو بمرتبة من الكمال فضلا وزهدا وسماحة ولد في رمضان سنة ستين او احدى وستين ومائة وتوفي لتسع خلون من رجب سنة اربعين ومائتين وله ثمانون سنة كما في الميزان وسينه مضمومة ويجوز منع صرفه وفتح سينه ايضا كما سياتي الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند التعجب لرؤية امر عجيب وهو مذهب مالك واليه ذهب الشافعية كما في الاذكار للنووي وقال الحليمي من الشافعية لا يكره كسبحان الله لان التسبيح تنزيه لموجد العجائب والصلاة عليه لانه اعظم المخلوقات واعجبها والشيء بالشيء يذكر وقال قاضيخان لو راى شيا جيدا فقال اللهم صل على محمد ان قصد الاعلام بجودته كره والناس يستعملونه نظما ونثرا قال عرفله

اقبل لهتر في غلالته • من ليس يشفي لعاشق محله
فقال كل امرئ تامل • الف صلاة على رسول الله

وقلت في مطلع قصيد

قلبي على الصب سلم • صلى على المصطفى وسلم

وقال سحنون لا يصلى عليه صلى الله عليه وسلم الا على طريق الاحتساب اي من غير سبب بل خالصا لوجه الله وحسبة وطلبا لثواب لا للتعجب وغيره كما امرنا الله به تعظيما له صلى الله عليه وسلم واما عند الضحك ورؤية مستقذر فقالوا يخشى عليه الكفر وقال العيني رحمه الله لا يؤمر بها عند الغضب خوفا من ان يحمله الغضب على الكفر ونقله النووي في اذكاره عن بعض الشافعية واقره عليه وقال اصبغ هو ابو عبد الله اصبغ بن فرج بن سعيد بن نافع الاموي مولى عمر بن عبد العزيز المصري الفقيه الجليل المحدث روى عنه البخاري وغيره وتوفي سنة خمس وعشرين ومائتين في قول عن ابن القاسم عبد الرحمن بن قاسم بن خالد بن جنادة المصري امام الفقه صاحب الامام مالك وهو ثقة حجة توفي سنة احدى وتسعين ومائة وارتحل الى الامام مالك اثني عشر مرة انفق في كل مرة الف دينار موطنان لا يذكر فيهما الا اسم الله الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما محمد رسول الله اي لا تقول فيهما باسم الله وباسم الله محمد رسول الله لئلا يكون اهلالا في الذبيحة لغير الله والعطاس يدل على فتوح الدماغ الدافعة لاذى البخار وهو نعمة من الله خفية لا يقدر عليهما غير الله فيذكر اسمه شكرا له على نعمه دون غيره قال اصبغ ولو قال بعد ذكر الله فيهما وصلى الله على محمد لم يكن ذلك تسمية له مع الله ولكنه صلاة عليه بنية التقرب الى الله بالصلاة عليه فلا تكره وعن ابي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وسلم قال من عطس فقال الحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد وعلى اهل بيته اخرج الله من منخره الايسر طائرا يقول اللهم اغفر لقائلها اخرجه الديلمي في الفردوس بسند لا باس به وعطس رجل عند ابن عمر رضي الله عنهما

محمد الله

فحمد الله فقال له لقد تخلت هلا حيث حمدت الله صليت على نبيه صلى الله عليه وسلم
ولذا رجح البيهقي استحباب الصلاة عليه عند العطاس واليه ذهب جماعة وقال اخرون
لا يستحب ولكل موطن ذكر يخصه واسند لوا بحديث لا تذكروني في ثلاث مواطن عند العطاس
والذبيحة والتعجب وروي بعد تسمية الطعام بدل التعجب اخرجه الديلمي في مسنده
وفيه من اتهم بالوضع وقال الحنيضري يستحب لمن تعجب ان يصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم ذكره شيخنا وقال اخذته من نص الشافعي في قوله احب ان يكثر الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم في كل الحالات فدخل ذلك في عمومه وفيه نظر وقاله اشهب اي كما قال
اصبغ واشهب هو ابو عمر كعب مسكين بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم العبسي ولد
سنة اربعين ومائة وقيل سنة ست وخمسين وتوفي سنة ثلاث او اربع ومائتين بعد
الشافعي بثمانية عشر يوما وستة اربع وستون واخرج له اصحاب السنن وهو احد
فقهاء مصر لما لكية حتى فضل على ابن القاسم قال اشهب ولا ينبغي ان تجعل الصلاة فيه
اي فيما ذكر من الذبيحة والعطاس استنانا اي سنة وطريقة لانه تشريع فيما لم ينقل
وقيل الاستنان هنا بمعنى المرح والنشاط واللعب وقيل معنى استن جرى في غير
طريقة وهو خلاف الظاهر والذي عليه الشراح الاول والكلام على ذكر الله والتسمية
عند الذبح وانه سنة او واجب مفصل في الفروع وروي النسائي وابو داود
وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن اوس بن اوس الثقفي الصحابي ويقال اوس
ابن ابي اوس كما في الاستيعاب عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها لانه افضل الاوقات
ولما ورد ان الصلاة عليه تعرض عليه فيه والحديث المذكور طرف من حديث
وهو من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق الله ادم وفيه قبض وفيه النفخة
وفيه الصعقة فاكثروا من الصلاة فيه علي فان صلاتكم علي معروضة قالوا
يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعني بليت فقال ان الله حرم
على الارض ان تاكل اجساد الانبيا وفيه احاديث اخر بمعناه وهذا احد مواطن
الصلاة عليه ومن مواطن الصلاة اي استحباب الصلاة عليه والسلام دخول
المسجد اي عند ارادة دخوله والخروج منه كما سيصرح به لورود الامر به في الحديث
وقال ابو اسحاق بن شعبان هو محمد بن قاسم المصري وقد تقدم بيانه وينبغي
لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله تبعا له
كما مر وان يترحم عليه وعلى اله اي فيقول اللهم ارحم محمدا وال محمد وقد
تقدم الكلام في الدعا له بالرحمة وما فيه ويبارك عليه وعلى اله اي يقول
اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد اي ازد البركة وادمها لهم كما تقدم شرحه
وسلم تسليما اي يقول صل عليه وسلم تسليما فياتي بالسلام مؤكدا كما ورد
الامر به في الاية الكريمة وتقدم ان النووي كره افراد الصلاة عن السلام
ويقول بعد الصلاة والسلام في الاذكار يقول اعوذ بالله العظيم وبوجهه
الكريم وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وروي النسائي وابن ماجه اذا

اي الطابخي

دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لي ابواب
رحمتك واذا خرج صلى وقال اللهم اني اسالك من فضلك قره وي اجرني من الشيطان
وما في معناه وفيما ذكره النووي زيادة وسياتي للمص ذكرها في اداب المسجد النبوي قيل
وينبغي ذكر السلام ايضا وسياتي ما يصرح به وذلك لان المساجد محل العبادة والثواب
والرحمة والمراد بابواب الرحمة انواعها وفتحها تيسيرها واعطاؤها وعبر بالفتح
والابواب لمناسبته للدخول ففيه من اللطف ما لا يخفى وكذا في قوله واذا
خرج من المسجد فقل مثل ذلك اي يقول ما قاله بعينه ويجعل موضع رحمتك
فضلك لان من خرج من المسجد يخرج لكسبه ومصالحه ملتمسا لفضل الله كما
قال فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وسياتي
بسط الكلام على ذلك والحديث في مسلم الا قوله يترحم ويبارك وقال عمرو بن دينار
هو ابو محمد مولى قيس الامام المكي التابعي توفي سنة ست وعشرين ومائة وله
ترجمة في الميزان في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم الاية فهذا
احد المواطن التي تستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول
المرء منزله وفي هذه الاية اقوال للمفسرين فقيل البيوت المساكن وقيل المساجد
كما ياتي وفي قوله على انفسكم وجهان ايضا فقيل هو على ظاهره وقيل المراد
به من فيها جعله كنفسه لاتحاد جنسه واهله وقال تحية من عند الله مباركة طيبة
ومعنى كونها من عند الله انه امره بها وكونها مباركة لحصول البركة وسعة
الرزق بها وطيبها لذلك ولطيبا لانفس بها فائدة قال الامام الخيضري
في اللوا المعلم روى ابو موسى المديني عن سهل بن سعد قال جاء رجل الى النبي صلى
الله عليه وسلم فشكى اليه الفقر وضيق العيش والمعايش فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دخلت منزلك فسلم ان كان فيه احد او لم يكن ثم سلم علي
ثم اقرا قل هو الله احد مرة واحدة ففعل الرجل فادر الله عليه الرزق حتى افاض
عليه جيرانه قال اي ابن دينار ان لم يكن في البيت احد تسلم عليه فقل السلام على
النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين من الملائكة
وغيرهم السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته كلام المص هنا في استحباب
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لمن دخل المسجد وهذا التفسير لا يوافقه لانه لم
يذكر فيه صلاة وهو مبني على ان المراد بالبيوت المنازل فاما ان يقال ذكره استطرادا
او تتميما لكلام المفسرين فيها او يقال انه اذا شرع التسليم على اهل كل بيت
فبيت الله واهله اولى ولكن حمل التحية على هذا على الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم مع انه خلاف الظاهر لم ينقله المفسرون فان التحية عندهم على هذا
بمعنى السلام على من بالمنزل لما رواه الترمذي من انه صلى الله عليه وسلم
قال اذا دخلت على اهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى اهل بيتك كذا قيل وهو
تكلف لا داعي له قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه عنه ابن ابي حاتم
المراد بالبيوت هنا اي في هذه الاية المساجد لانه ورد اطلاقها عليها حقيقة
فاذا دخلها سن له الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم تفصيله

عرض

وقال

وقال النخعي بفتح المعجمة نسبة لقبيلة وهو ابراهيم بن يزيد بن الاسود بن عمرو بن
ربيعة فقيه الكوفة المشهور توفي سنة خمس او ست وتسعين لا الاسود بن يزيد
الكوفي كما قيل لان الاول هو المتبادر لشهرته اذا لم يكن في المسجد احد ودخلته
يا رجل فقل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم تحية من عند الله مباركة
طيبة واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وهذا يقتضي استحباب السلام عليه صلى الله عليه وسلم وان لم يذكر معه الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم وهكذا ورد في الحديث كما تقدم وقد عدوا من مواطن
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم دخول المنزل والمسجد كما علم وعن علقمة بن
قيس ابو شبل النخعي كما تقدم اذا دخلت انا المسجد اقول السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد كما تقدم من انه يسن للداخل
المسجد والخارج منه ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا زيادة السلام
عليه على الصلاة وتقديمه عليها ونحوه مروي عن كعب الاحبار وقد تقدم بيانه
اذا دخل المسجد واذا خرج منه ولم يذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي
مستحبة ايضا واحتج ابن شعبان لما ذكره فيما تقدم من استحباب ان يصلى عليه
صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليهم ويبارك ويسلم تسليما بحديث
فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الله عليه وسلم كان يفعله
اذا دخل المسجد الذي تقدم الا انه ليس فيه ترحم وتبرك ومثله اي حديث فاطمة
وبمعناه روي عن ابي بكر بن عمرو بن حزم هو محمد بن عمرو بن حزم قاضي المدينة
واميرها ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فسماه النبي صلى
الله عليه وسلم محمدا وقيل انه ولد بنجران وابوه عامل عليها من قبله صلى
الله عليه وسلم في سنة عشر من الهجرة فسماه ابوه سليمان وكتب بذلك الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامره ان يسميه محمدا ويكنيه بعبد الملك ففعل
وتوفي في سنة عشرين ومائة واخرج له الستة وذكر ابن حزم السلام
والرحمة اي الدعاء بهما وقد ذكرنا هذا الحديث يعني حديث فاطمة الزهرا
في اخر القسم الثاني من هذا الكتاب وذكرنا الاختلاف في بعض الفاظه لتعدد
طرقه وتغاير بعض الفاظه ومن مواطنها اي الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
التي تستحب فيها الصلاة على الجنائز وهي عند الشافعي رضي الله عنه من اركانها
بعد التكبيرة الثانية ويقرؤ بعد الاولى سورة الفاتحة ثم يدعو للميت
بعد الثالثة كما بينه الفقهاء وتجزئ الفاتحة بعد غير الاولى وعن ابي
امامة هو اسعد بن سهل بن حنيف بن واهب بن العليم بن ثعلبة الانصاري
ولد في زمنه صلى الله عليه وسلم فكناه وبرك عليه ولم يسمع منه صلى
الله عليه وسلم وحديثه مرسل وتوفي سنة مائة واخرج له الستة انها اي
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من السنة فتستحب في صلاة الجنازة
عنده وليست من اركانها وذهب الشافعي في احد قوليه الى انها واجبة واستدل
بقول ابي امامة هذا قال لان مراده بالسنة طريقته صلى الله عليه وسلم

فيشمل الواجب وغيره وقول الصحابي ونحوه من السنة كذا في حكم المرفوع واختلفوا
في الصلاة على الآل هنا ايضا فقيل واجبة وقيل سنة وروي المنذري انه يحمد الله ثم
يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو للمؤمنين والمؤمنات وقيل ان التحميد
لا يعرف هنا ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند ادخال الميت قبره ايضا
فيقول بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه الترمذي
وابو داود وهذا الحديث رواه الشافعي في الام الا ان في سنده ضعفا كما
قاله الخيضري ورواه الحاكم والبيهقي وغيرهما وهذا اوجه عند ابي حنيفة
واحمد ومالك ومن مواطن الصلاة التي يستحب فيها التي مضى عليها عمل
الامة ولم تنكرها الامة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله
تعالى في الرسايل جمع رسالة كعصابة بمعنى المفعول وهو المكتوب الذي
يرسل مطلقا ولا وجه لتخصيصه بما يكتب بين الاخوان كما قيل وما يكتب
بعد البسملة اي كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وهو من باب النحت كالحوقلة
والسبحلة وليس بمولد كما قيل لسماعه من العرب كما رواه اهل اللغة وكتابة
البسملة سنة في الكتب مقررة في القرآن والسنة كقوله تعالى انه من سليمان
وانه بسم الله الرحمن الرحيم وتقدم على غيرها وذكر سليمان انما هو عنوان
للكتاب لا فاتحة له كما ذكره المفسرون ولم يكن هذا اي ابتدا الكتب بالصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدر الاول اي في ابتدا الاسلام
وزمن الخلفا الراشدين فالصدر مستعار للابتدا والاول صفة موضحة
ومفسرة له واحدث عند ولاية بني هاشم يعني بني العباس واختلف في اول
من كتبه منهم فقيل السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس
وقيل هارون الرشيد واورد عليه ان الكلاعي قال في كتاب الاكتفا عن الواقدي عرفي
بسنده ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كتب في ردة بني سليم الى طريفة بن حاجز
عامله ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم من ابي بكر خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى طريفة بن حاجز سلام عليك فاني احمد الله الذي
لا اله الا هو اليك واساله ان يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم اما بعد
الخ فهذا يدل على ان اول من فعله الصديق الا انه ترك ذلك في زمن بني
امية وفي الاذكار مثله وهو يدل على انه سنة قديمة وهذا غفلة من عرضي
مورده عن قوله بعد البسملة فانهم احدثوا ان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فتصديره بذلك على جميع ما بعده وليس فيما ذكره ذلك فتفطن له ثم
اختلفوا في الصلاة هل تعطف اولا على قولين فمن عطف فظاهر ومن
قطعه راه انشا وفي عطفه على الخبر كلام طويل في كتب النحو والمعاني
فمضى عليه عمل الناس في اقطار الارض اي اسم فصار سنة اوبدعة
حسنة مستحبة ومنهم من يختم به ايضا الكتب اي كما بدا بها به فيجعل
في الاول والاخر ليشمل بركته جميع ما كتبه وقال عليه الصلاة والسلام
من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي مكتوبا في ذلك

الكتاب

الكتاب اي المكتوب مطلقا وليس المراد به المصنفات كما يتوهم حتى يقال انه تدوين
الكتب حدث بعد العصر الاول اوهو من المغيبات التي اخبر بها صلى الله عليه وسلم وقال
الشيخ زروق في معنى ذلك يحتمل ان يكون المراد كتب الصلاة وهو اظهر او قرا الصلاة المكتوبة
وهو اوسع وارجى انتهى وقال بعضهم انه يشترط في حصول الثواب المذكور ان يتلفظ
بالصلاة في حال الكتابة وهو خلاف ظاهر الحديث وكلام العلما وقال السخاوي في كتابه
القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع هذا الحديث رواه الطبراني في الاوسط
والخطيب في شرف اصحاب الحديث وابو الشيخ والمستغفري وصاحب الترغيب بسند
ضعيف واورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال ابن كثير انه لم يصح وروي
من كتب في كتاب صلى الله على محمد لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام في كتابه انتهى
والمراد باستغفار الملائكة دعاؤهم لبني ادم مطلقا حيث ورد حتى للانبيا بالاستغفا
قال تعالى في حق الملائكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين
امنوا وكان وجهه انهم لما علموا ان ما ركب في طبيعة النوع الانساني من الشهوات
والمشاغل التي هي من لوازم البشرية يقتضي الاشتغال بغير الله تعالى وهم
لا يفترون عن التسبيح ولا يغفلون الا ما يوسر ون استغفروا عليه وراموا
ان الله لا يواخذه بشي من تبعاته فاعرفه فاني لم ار من نبه عليه وذكروا في ذلك
اثارا عن السلف الصالحين ومنامات منها ان الشافعي رضي الله عنه رؤي في
المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي ولم يحاسبني واكرمني لصلاة
صليتها عليه صلى الله عليه وسلم في اول الرسالة وهي اللهم صل على محمد كلما
ذكرك الذاكرون وصل على محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون وصل عليه في الاولين
والاخرين افضل واكثر وازكى ما صل على احد من خلقه وقد روي هذا من طرق
بالفاظ مختلفة ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم اي الاماكن
التي يستحب فيها السلام عليه تشهد الصلاة الذي يذكر في اخرها او اطلقه ليشمل
الاول والثاني كما مر وا ورد في ذلك حديثا رواه البخاري وهو حدثنا ابو القاسم
خلف بن ابراهيم المقري الخطيب وغيره قال حدثتني كريمة بنت محمد وتقدمت ترجمتها
قالت حدثنا ابو الهيثم تقدم ايضا قال حدثنا محمد بن يوسف هو الفربري كما تقدم
قال حدثنا محمد بن اسمعيل هو الامام البخاري كما تقدم قال حدثنا ابو نعيم الفضل
ابن دكين بن عمرو بن حماد الحافظ توفي في سلخ شعبان سنة تسع عشرة ومايتين اخرج
له الستة وترجمته في الميزان قال حدثنا الاعمش سليمان بن مهران وقد تقدم
عن شقيق بن سلمة الاسدي المخضرم توفي في سنة احدى وثمانين كما تقدم
عن عبد الله بن مسعود قال اي ابن مسعود فهو موقوف له حكم المرفوع
وفي نسخة عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو مرفوع اذا صلى احدكم صلاة
ما فرضا او نفلا فليقل التحيات الخ والتحية تفعلة من الحياة ومعناها
الاحيا او الابقا والملك وكل منها صحيح هنا اي كل تحية يحيى بها الملوك والعظما
ثابتة لله لا تليق بغيره والصلوات اي انواع الدعا الذي يراد به الثنا وقيل
الصلاة المعتادة والطيبات اي جميع كلمات الثنا الطيب لله لا لغيره السلام عليك

ايها النبي حكاية لما علمه لهم حال حياته صلى الله عليه وسلم ثم استمر والعلي ذلك
تعبدا وعن ابن مسعود رضي الله عنه كنا نقوله وهو بين اظهرنا فلما قبض قلنا
السلام على النبي ورحمة الله وبركاته اي كل نعمة وخير كثير لا منه ثابت له صلى الله
عليه وسلم في كل زمانه السلام علينا معاشر الامة وعلى عباد الله الصالحين من
جميع الامم السالفة وملائكة السماء والارضين والجن المؤمنين كما قال فانكم
اذا قلتموها اي قلتم هذه الكلمات وهي السلام علينا الخ اصابت اي نالت رحمتها
وبركتها كل عبد لله صالح في السماء والارض لعموم الجمع المحلى بالالف واللام ومن
هنا علم ان المصلي محسن لنفسه ولجميع خلق الله وان تارك الصلاة ظالم
لنفسه ولجميع خلق الله قيل الفصل معقود لمواطن الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم وهو وان لم يقل بوجوبها الا بنكر كونها سنة واجيب بانه لما ذكر
الصلاة عليه شرع في مواطن السلام عليه وقد يقال انه طوى ذكر الصلاة
لعلمها مما تقدم هكذا اي التشهد في الصلاة احد مواطن التسليم عليه اشارة
الى ان له مواطن اخر وسنته اي استحبابه وفي نسخة سنيته بيا النسبة وهي
اولى اول التشهد اي قبل ان يقول اشهد ان لا اله الا الله وبعد التحيات
لله وفي التشهد كيفيته وروايات مفصلة في كتب الفقه وقد روى مالك
عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك اي السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اذا فرغ من
تشهده واراد ان يسلم سلام التحلل اي الخروج من الصلاة واستحب مالك في
المبسوطة اسم كتاب له وفي نسخة المبسوط ان يسلم بمثل ذلك المذكور من السلام
على النبي صلى الله عليه وسلم الخ قبل السلام من صلاته وهو فيما قيل خلاف
المشهور من مذهبه قال محمد بن مسلمة بفتح الميمين وهو محمد بن مسلمة بن هشام
ابن الوليد بن المغيرة توفي سنة ستة عشر وما تين اراد ما جاء من رواية عن عايشة
وابن عمر رضي الله عنهم انهما كانا يقولان عند سلامهما اي قبل سلام الخروج
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
ثم يقول السلام عليكم وهو خاتمة الصلاة واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان
المصلي اماما او مقتديا او منفردا حين سلامه اي قوله السلام في صلاته كل عبد
اي السلام على كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة وبني آدم ومؤمني
الجن وقيل الامام ينوي السلام على من اقتدى به وهم ينوون الرد عليه وغيره
ينوي به من على يمينه ويساره وهم الرد وغيرهم ينوي من حضر او غاب
قال مالك في المجموعة قيل اراد بها المدونة واحب للمأموم اذا سلم امامه
ان يقول قبل ان يسلم هو السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين ثم يقول السلام عليكم واعلم ان المص عقد
الفصل الذي قبل هذا لوجوب الصلاة عليه وعقبه بفصل عقده
للمواطن التي تستحب فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقد افرد له
الخيضري رحمه الله كتابا مستقلا سماه اللواء المعلم في المواطن التي تستحب فيها

ابن اقبرس

الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقد أفرد له الخيضري رحمه الله كتابا مستقلا
ولما انهى المصنف رحمه الله ما قصده شرع في بيان كيفيتها فقال

# فصل في كيفية أي بيان الفاظ

الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وهو لفظ مولد نسب لكيف اسم الاستفهام
لانها من شانها ان يسال بها عن مثله والتسليم عليه اي كيف يذكر السلام عليه
والمراد بيان الهيئة الفاضلة اذ اصلها معلوم وبدا بحديث رواه وهو قوله
حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه وقد تقدم وقوله بقراتي عليه هو
احد طرق الرواية كما مر قال حدثنا القاضي ابو الاصبغ عيسى بن سهل صاحب
كتاب الاعلام في نوازل الاحكام قال حدثنا ابو عبد الله بن عتاب تقدم بيانه
قال حدثنا ابو بكر بن واقد وغيره بالقاف وهو معروف قال حدثنا ابو عيسى
هو عم يحيى بن كثير الذي تقدم بيانه قال حدثنا عبيد الله قال حدثنا يحيى
ابن يحيى الليثي احد رواة الموطا عن مالك كما تقدم قال حدثنا مالك الامام
المشهور عن عبد الله بن ابي بكر بن عمرو بن حزم عن ابيه تقدم ترجمته عن عمرو بن
سليم الزرقي سليم بضم السين وفتح اللام والزرقي بضم الزاي المعجمة وفتح الرا
المهملة قبل القاف وهو من الانصار وترجمته في الميزان قال اخبرني
ابو حميد الساعدي اسمه عبد الرحمن بن عمرو بن سعد وقيل المنذر بن
سعد وهو خزرجي مدني له صحبة اخرج له الستة واحمد في مسنده وتوفي
في حدود الستين انهم اي الصحابة قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك سالوه
عنه لعدم ورود الامر به في الاية ان الله وملائكته الخ فقال صلى الله عليه
وسلم قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته ازواجه صلى الله عليه وسلم
امهات المؤمنين معلومة والذرية النسل والولد بضم الذال وكسرها فعيله
من ذرا بمعنى خلق ترك همزته في الاستعمال تخفيفا وقيل انه نسبة الى
الذر لصغرهم والذرية الولد وولده ويشمل اولاد البنات كما ذكروه مفصلا في
كتب الفقه وسؤالهم بكيف المراد به السؤال عن العبارة التي يعبر بها واي كيفية
تؤدي وقيل عن معناها ولا يخفى ما فيه فانهم لما سمعوا السلام عليه في التشهد
وامروا بالصلاة سالوه عما يقولونه فعلمهم ذلك وفيه من التعظيم ما لا يخفى
فانه امرهم ان يطلبوا من الله ان يصلي هو عليه فكانهم قالوا لا نقدر على اداء
الصلاة حق الاداء فافعل انت ما يليق به كما صليت على ابراهيم على ازواجه
وذريته والتشبيه انما وقع بهم لشهرتهم وتقرره وفي الرواية الاتية المسلسلة
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم الخ وآله فيهم انبياء ورسل
فشبه المجموع بالمجموع او الآل بالآل فلا يرد عليه ان المشبه دون المشبه به
فكيف شبه صلاة نبينا بصلاة ابراهيم وهو افضل منه في السؤال المشهور
وقد اجيب عنه باجوبة هذا محصلها وللجلال الدواني رسالة فيه مشهورة
تشهد بها تغني عن ذكرها وياتي الكلام عليه ايضا قريبا فان قلت

الذي في الاية الامر بالصلاة عليه فقط من غير تشبيه بابراهيم وآله قلت لما كان معني الصلاة
الرحمة وهو صلى الله عليه وسلم مرحوم ومنعم عليه في الدارين باعظم النعم ضم ذكر الصلاة
عليه اشارة الى ان المقصود من رحمته رحمة اهل بيته كما يقال لمن يراد عقوبة
ولده ارحم هذا الشيخ كما اشير اليه بقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على
ابراهيم اي ادم وكثر الخيرات النازلة عليهم كما ادمت ذلك لابراهيم وآله
في العالمين انك حميد مجيد اي رحمة وبركة منتشرة في جميع الخلق وحميد فعيل
من الحمد وهو الثناء الجميل ومجيد فعيل من المجد وهو الشرف والكرم وفعيل
فيهما بمعنى فاعل او مفعول اي انت فاعل الجميل وواهبه او انت المحمود
المعظم فلا حمد واكرام لرسلك واتباعهم عايدا اليك فانه لاجلك وامتثال امرك
وهو تذييل في موقع جليل ومما ذكرناه علمت معنى قوله على آل ابراهيم دون
ابراهيم فتفطن لهذه الدقايق وخبه وانه مالك في الموطا عن ابي مسعود
الانصاري الصحابي البدري رضي الله عنه قال قولوا اللهم صل على محمد
وعلى آله كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين
انك حميد مجيد ذكره ايشارة الى ان له طرقا كثيرة وانه انما قدم رواية الموطا
لعلو سند فيها فلا وجه لما قيل انه لا فايدة في ذكره وهو بعينه ما قبله والسلام ابن اقبرس
اي كيفيته ولفظه كما قد علمتم في التشهد كما ذكره المص سابقا وسياتي ايضا شرحه
في كلامه وعلمتم بفتح العين وكسر اللام المخففة مبني للفاعل او بضمها وتشديد اللام
مبني للمجهول من العلم او التعليم وكلاهما صحيح رواية ودراية كما قاله النووي
وقيل الاول اصح ولفظ الموطا عن ابي مسعود قال اتانا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول
الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه
لم يسأله ثم قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد
والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة في الترمذي وهو بضم العين وسكون
الجيم وراء مهملة وهو ابو محمد او ابو عبد الله او ابو اسحاق من بني سالم بن عوف
او من غيرهم صحابي شهد بيعة الرضوان وتوفي سنة اثنين او احدى وخمسين
واخرج له الستة وغيرهم قال قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد علمناه
فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على
آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك
حميد مجيد قال الترمذي حديث كعب بن عجرة حديث حسن صحيح وهذا الحديث
ايضا رواه الشيخان عن عبد بن ابي ليلى عن كعب قال قلنا يا رسول الله قد
علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل الخ وهو متفق عليه
الا ان لفظ البخاري على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في الموضعين وسقط منه آل
في الموضعين من رواية المص تخالفه وعن عقبة بن عمرو عبد الله الانصاري

الصحابي

الصحابي توفي بالمدينة سنة احدى واربعين في ايام علي ومعاوية وكان علي كرم الله وجهه
استخلفه على الكوفة لما خرج لصفين في حديثه الذي رواه اللهم صل على محمد النبي الامي
وعلى ال محمد هم المؤمنون من ازواجه وذريته ومن تحرم عليهم الصدقة من اقربائه على
الراجح وفسر بجميع امته ايضا كما ياتي جميعه في كلام المص وهذا الحديث اخرجه احمد
وابن حبان والدارقطني والبيهقي ومسلم بدون لفظ النبي الامي وفي رواية ابي
سعيد الخدري وهو سعد بن مالك بن سنان كما تقدم اللهم صل على محمد عبدك ورسولك
اخرجه الحاكم بسند في بعض رجاله وذكر معناه اي معنى الحديث السابق من قوله كما صليت
الخ ورواه البخاري ايضا ثم اورده المص من طريق اخر مسلسل فيه زيادة والمسلسل
ما وقع معه امر من النبي صلى الله عليه وسلم من قول او فعل ونحوه ووقع مثله قصدا
من جميع رواته تبركا بالمحاكاة في حال صدوره كالعد في اليد هنا وهو قوله وحدثنا
القاضي ابو عبد الله التميمي تقدم بيانه سماعا عليه بقراءة غيره عليه وابو علي الحسن
ابن طريف النحوي طريف بفتح الطاء وكسر الرا المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وفا احد
شيوخ المص ولم يذكره في كتابه الا في هذا الموضع توفي تاسع ذي الحجة سنة احدى
او عشرين وخمسمائة وفيها توفي ابن رشد بقراءتي عليه قالا حدثنا ابو علي بن سكرة
الصدفي يعني به كما تقدم في ذكر المتوفى اليه قال حدثنا ابو بكر المطوعي بضم الميم
وفتح الطا وكسر الواو المشددتين وعين مهملة بليهما يا نسبة غلبت على المجاهد
تطوعا بلا اجرة وهو محمد بن علي الغازي النيسابوري قال حدثنا ابو عبد الله الحاكم
محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري الامام الحافظ شيخ الحديث
في عصره عرف بابن البيع صاحب التصانيف الجليلة ولد في ربيع الاول سنة احدى
وعشرين وثلاثمائة وتوفي في صفر سنة خمس واربعمائة وله ترجمة في الميزان وفي
مستدركه احاديث ضعيفة وموضوعة انتقدت عليه عن ابي بكر بن دارم الحافظ
المسند السبيعي الحاكم احمد بن محمد بن السري بن يحيى بن السري التميمي الكوفي محدث
الكوفة روى عنه الحاكم وغيره وهو متهم بالكذب توفي في المحرم سنة اثنتين
او ست وخمسين وثلاثمائة وله ترجمة في الميزان عن علي بن احمد العجلي هو ممن يروي
عنه ابو بكر المذكور ولم يعرف عن حرب بن الحسن في نسخة ابن الحسين وهو
الطحان قال في الميزان ليس حديثه بذاك وذكره ابن حبان في الثقات عن يحيى بن
المساور بميم مضمومة وسين ورا مهملتين قيل انه كذاب عن عمرو بن خالد
ابو خالد القرشي مولى بني هاشم الكوفي روى عنه خلق الا انه كذاب له قبايح
مذكورة في الميزان عن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو ابو الحسين
العلوي المدني اخو محمد الباقر السبط لامام الثقة راى جماعة من الصحابة
واستشهد رضي الله عنه سنة اثنتين وعشرين ومائة عن ابيه علي بن الحسين
ابن علي بن ابي طالب قال الزهري ما رايت قرشيا افضل منه توفي سنة اربع وتسعين
وهو امام ثقة جليل اخرج له الستة عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي
طالب قال علي رضي الله عنه عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
صفة لعدد اي كلمات يذكر في التشهد او صلوات ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم

يشير الى انه حديث مسلسل بالعد
وكان في حال ذكرها يعدها في يدي باشكالها
في اليد الى جبريل عليه الصلاة والسلام تنبيهًا على حفظها وانه لا يترك واحدة
منها قال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا اي بهذا العدد نزلت من عند رب
العزة سبحانه وتعالى والعزة كما قال الراغب حال يقتضي الامتناع من القهر والغلبة
من الارض العزاز وهي الصلبة فرب العزة اما بمعنى من له العزة وهو مالكها
كما قال ولله العزة ولرسوله او من يعطيها من يشا كما قال تعالى تعز من تشا
وتذل من تشا وله موقع هنا لاعزازه واكرامه لرسوله صلى الله عليه وسلم
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد اي افض عليه وعلى اله رحمتك وانعامك كما
صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم جعله مشبهًا به لشهرته لا لانه افضل واعلى
كما مر انك حميد مجيد اي محمود ممجد او المستحق للثنا والشرف من انيب
عليه وشرفته اللهم بارك على محمد اي انزل البركة عليه ولذا عداه بعلى
وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم
على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد
وفيه انه يدل على جواز الدعا للانبيا عليهم الصلاة والسلام بالرحمة والترحم
عليهم كما تقدم ويأتي ذلك مطولا في كلام المص مع الكلام على ما فيه اللهم
وتحنن على محمد وعلى ال محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد
مجيد تحنن تفعل من الحنين صار بمعنى الرحمة والشفقة والحنان المنان من
اسما الله بمعنى الرؤف المنعم اللهم وسلم على محمد وعلى ال محمد كما سلمت على
ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد قال السيوطي في الجامع الكبير قال
الحاكم هكذا بلغنا هذا الحديث واسناده ضعيف واخرجه الديلمي وابن منده
والترمذي وقال العراقي ضعيف جدا وعمرو بن خالد كذاب وضاع وكذا
ابن مساور وحرب بن الحسن اورده الازدي في الضعفا وقال حديثه
ليس بذاك وقال ابن حجر في اماليه اعتقادي انه موضوع وفي سنده ثلاثة
ضعفا وبعضهم ممن نسب الى الوضع والكذب قلت وجدنا له متابعات
تخبره وان لم تخل من الضعف ووجدنا له طريقا اخر عن النبي في مسنده
انتهى قلت ذكر البرهان انه رواه مسندا ايضا فبتعدد هذه الطرق
يقتضي انه غير موضوع غاية ما يقال فيه انه ضعيف فاعرفه وقد
علمت ان الحديث مسلسل وانه ما تواردت وانه على حالة واحدة او صفة
في اسناده او صيغ اداية ومن قوله وترحم الخ يرد قول ابن العربي ان زيادة
الترحم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بدعة وقال الصيدلاني
انه مع انه لم يرد غير صحيح لانه لا يقال رحمت عليه بل رحمته وفي
الترحم معنى التكلف فلا يصح اطلاقه على الله ويأتي رده وفي الاذكار ان
زيادة ارحم محمدا بدعة لا اصل لها وقال ابن ابي زيد المالكي وبعض
المالكية بسنيت زيادة ارحم محمدا في التشهد ويأتي نقله عنه في كلام
المص مع رده وفي شرح مسلم الاختيار تركه اذ لم يات في خبر صحيح وقال

السخاوي

السخاوي من زاده راه من فضايل الاعمال يكفي فيه الحديث الضعيف وقال ابو جعفر
والسرخسي من الحنفية باستحبابه لتوارث العمل به وبرحمة الله لا يستغني احد عنها وذهب
كثير الى انه لا يدعى للانبيا عليهم الصلاة والسلام بالرحمة وفي شرح البخاري لابن
حجر انه غير مسلم لوروده في احاديث كثيرة منها التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته وسبقه اليه صاحب القاموس واستدل عليه بقول الاعرابي له صلى
الله عليه وسلم اللهم ارحمني وارحم محمدا وتقريره له وفي حديث ابن عباس اسالك
رحمة من عندك وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم استغفرك لذنبي واسالك
رحمتك يا حي يا قيوم برحمتك استغيث وفي الذخيرة من كتب الحنفية كراهته
وجزم الغزالي بعدم جوازه مفردا لايهامه النقص وانه صلى الله عليه وسلم
كغيره يدعى له بالرحمة اقول هذا كلام مضطرب وتحريره ان يقال دعاؤه صلى الله
عليه وسلم لنفسه بالرحمة لا منع منه اصلا واما دعا غيره له فيما لم يؤثر فعلى
الافراد مكروه وبالتبع للصلاة ونحوها لا كراهة فيه وهذا هو الحق عندي لان
الصاغاني نقل في العباب ان قول الناس ترحمت عليه لحن والصواب رحمت
ترحيما وفي الحديث ما يرده وخص ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالتشبيه قال
البغوي عن مقاتل لانه افضل الانبيا بعد نبينا عليه الصلاة والسلام
ومكافاة له على دعائه لامة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله رب اغفر لي ولوالدي
وللمؤمنين او لمشاركته له في التاذين للحج والايمان او امر بذلك اجابة لدعائه
بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين ولانه امرنا بالاقتدا به واما التشبيه به
والمشبه دون المشبه به فقد عرفته واجيب عنه ايضا بانه قاله قبل ان يعلم
انه افضل منه او لسبق زمانه واشتهاره لا لعلو مرتبته وقيل انه من باب
التهييج وفيه نظر وقيل الكاف للتعليل وقيل المشبه ال محمد وفيه تحقيقات
في رسالة الجلال الدواني المتقدمة وفي الدر المنضود لشيخ مشايخنا ابن حجر ان
التشبيه للمجموع بالمجموع فان الانبيا من آل ابراهيم كثيرون فاذا قوبلت تلك
الذوات الكثيرة من ابراهيم وآله بالصفات الكثيرة التي لمحمد صلى الله عليه وسلم
امكن انتفاء التفاضل ويقرب منه قول ابن عساكر وابن عبد السلام ما حاصله
ان الصلاة على النبي وآله شبهت بالصلاة على ابراهيم وآله فيحصل لنبينا وآله
من آثار الرضوان ما يقارب الحاصل لابراهيم وآله الذين هم معظم الانبيا ثم تقسم
الجملة فلا يحصل لآله منها ما حصل لآل ابراهيم اذ غير الانبيا لا يساويهم
فيتوفر ما بقي من آثار الرضوان الشاملة لمحمد وآله على محمد صلى الله عليه وسلم
وهذا يشعر بانه افضل من ابراهيم انتهى واعترض بانه جار في رواية مقابلة
الاسم بالاسم فقط ولفظها اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم انتهى وعن
ابي هريرة في حديث رواه ابو داود وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من
سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت اي من احب ان ياتي
باحسن صلاة واعظمها ومن اراد ان ينال اجرا لا يساويه فيه غيره فالاكتيال
عبارة عن ذلك استعارة تبعية مصرحة او شبه الاجر بما يشترى من الحبوب

والنمر وشبه ذكره او مثله باكتيال له لاستيفا به على طريقة المكنية والتخييلية
والاجر لظهور ازادته في فوق المذكور ووجه الشبه انه به النفاق والمكيال بكسر الميم
آلة الكيل والاوفى افعل تفضيل من الوفا وهو استيفا الشي وحيازته والمراد
الترغيب في الصلاة عليه وعلى اهل بيته بهذه العبارة المخصوصة فليقل اذا
صلى عليهم اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المومنين وذريته واهل
بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وتفضيل هذه الصلاة لما فيها من شمول
آل بيته كلهم وتعظيمه بوصفه بالنبوة التي هي اقرب منزلة اليه وتعظيم ازواجه
بما يحبه وذكر الصلاة على ابيه ابراهيم والايماء به وبغيره من الانبيا وهذا
الحديث صحيح اخرجه ابو داود والطبراني وغيرهما كما علمت وفي رواية زيد
ابن خارجة الانصاري الصحابي المعروف توفي في خلافة عثمان وله قصة في تكلمه
بعد موته تقدمت وهذا اخرجه الديلمي في مسند الفردوس وابو نعيم والنسائي
والطحاوي والبغوي سالت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك هذه
الجملة معمولة لسالت لتضمنه القول او لقول مقدر فقال صلوا علي واجتهدوا
في الدعا المراد به الصلاة وعبر به تفننا او المراد الدعا لانفسهم بما يريدون واجتهدوا
بمعنى بالغوا في ذلك بالاتيان بجهدكم وطاقتكم ثم قولوا بعد الصلاة عليه
وعلى اله وازواجه وذريته وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم انك
حميد مجيد تقدم ما يغني عن اعادته وعن سلامة الكندي هو سلامة بن قيصر
الحضرمي التابعي ذكره ابن حبان في الثقات وانه يروي عن علي كرم الله وجهه
كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية يعلم الناس ويقول
قولوا وفي الدر المنضود ان ذلك جا عن علي بسند ضعيف وله طرق اخرى
رجالها رجال الصحيح الا انها مرسلة لان راويها لم يدرك عليا اللهم داحي
المدحوات وروي المدحيات ودحى بمعنى بسط قال تعالى والارض بعد ذلك
دحاها اي مدها وبسطها لانها خلقت اولا ربوة ثم بسطت ومهدت والمدحوات
الارضين السبع ومنه اطلاق الداحي على الله واستدل به من قال الاسما ليست
توقيفية وانه يكفي ورود مادتها كالداحي وبارى بالهمزة اسم فاعل من برا بمعنى خلق
على غير مثال او ميز وابرز والمسموكات بمعنى المرفوعات والمراد بها السموات
وروي سامك المسموكات وسمك بمعنى رفع وارتفع متعدي ولازم وجبار
القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها اي من جبر واجبر بمعنى قهر اي قاهر القلوب
جميعها واثبتها على ما فطرها عليه من معرفته اجعل شرايف صلواتك اي افضل
صلاتك واعلاها جمع شريفة بمعنى عالية رفيعة المقدار من الشرف واصله
ما علا من الارض على غيره ونوامي بركاتك اي ما زاد الى غير النهاية من خيراتك
اي بركاتك النامية فهو من اضافة الصفة لموصوفها ورافة تحننك اي لطفك
ورحمتك وعنايتك نازلة متوالية على محمد عبدك قدمه لشرف العبودية
على غيرها ابدا لانها اعلى القرب ورسولك الذي ارسلته لجميع خلقك الفاتح
لما اغلق بفتح الهمزة وكسر اللام مبني لما لم يسم فاعله من اغلق الباب والقفل

وعنه اذا فتله وهو ضد الغلق هذا حقيقته ويستعار لما صعب واشكل وابهم فالمعنى
انه فتح ما كان غير مفتوح من الشرائع لارساله بعد الفترة الجاهلية او انه فتح الله به
على عباده انواع الخيرات وابواب السعادات الدنيوية والاخروية او بين لامته ما اوحي
اليه بتفسيره وتيسيره وايضاحه وفك فيه اشكاله بايضاح براهينه وحججه وتفسيره تلمساني
بانه اول الناس خلقا واخرهم بعثا كما فسر به جملتك فاتحا وخاتما كما قيل بعيد
هنا كما لا يخفى وفيه استعارة وتلميح لقوله صلى الله عليه وسلم اوتيت مفاتيح
الكلام لما اوتيه ببراعته وبلاغته ويجوز ان يراد به ما فتح الله به عليه وعلى امته
من تيسير الفتوحات وتسخير الممالك كما في قوله صلى الله عليه وسلم اوتيت مفاتيح
خزائن السموات والارض والخاتم لما سبق من النبوة والرسالة فانه لا نبي ولا رسول
يرسل بعده ولا نبي بعده وعيسى عليه الصلاة والسلام اذا نزل كان على شريعته
ومن امته والخضر والياس ان قيل بنبوتهما لم تعد بعثته من امته ايضا ولا حاجة
لتفسير ما سبق بالانبيا والرسل وجعل ما بمعنى من والمعلن اسم فاعل بمعنى المظهر
من الاعلان وهو الجهر الحق بالنصب مفعول المعلن والجر باضافته له وليس تلمساني
منصوبا بنزع الخافض اي بالحق وقوله بالحق اي بالامر الحق لا بالقهر والغلبة
والمراد بالحق الدين والشرع ففيه اقامة الظاهر مقام الضمير والحق الثاني المراد به
الله عز وجل فانه من اسمائه اي بمعونة الله وتاييده الدامغ اي الدافع والمزيل
ومنه حجة دامغة وهو مستعار من دمغه اذا كسر دماغه كما قاله الراغب قال
تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه جيشات الاباطيل جمع جيشة وهي
المرة من جاش يجيش اذا فار وارتفع والاباطيل جمع باطل وهو مقابل الحق على
خلاف القياس او جمع مفرد مقدر اي الدافع لما ظهر من الباطل وشاع ففيه استعارة
وتمثيل لما ظهر من الكفر والفساد بامر علا والقي عليه صخرة رضته والصقته بتراب
المذلة وتفسير الجيشات بالاختبار لا ينبغي وقيل الاباطيل جمع ابطولة تلمساني
او ابطيلة او ابطالة ولم يسمع كما حمل بضم الحاء المهملة وكسر الميم المشددة
مبني للمجهول فاضطلع بضاد معجمة وطاء مهملة بمعنى قوي على حمله ونهض
به لشدة تحمله عليه وقيامه باعبائه وهو افتعال من الضلاعة وهي القوة
واصلها قوة الاضلاع والكاف للتشبيه ويجوز ان تكون للتعليل وان تكون
بمعنى على والاول اولى واظهر فهو متعلق بما قبله او خبر مبتدا مقدر
اي هذه الحالة المذكورة ثابتة له صلى الله عليه وسلم كما ثبت له تحمله
اثقال الرسالة واعبائها فقام بها اتم قيام او صلى وسلم عليه لقيامه
بذلك او افعل به هذا جزا له على ذلك بامرك اي قام بها بسبب امرك امتثالا
له لا لغرض اخر او المراد بامره تيسيره واعانته وقوله بطاعتك بدل
مما قبله او متعلق به لامره بطاعتك فامتثله وادي ما كلفت به وفي نسخة
لطاعتك باللام مستوفزا حال من الضمير في حمل او اضطلع والاستيفاز الو ذوب
في الانتصاب من قعود والمراد به التقيد وعدم الاهمال اي مسرعا مستعجلا
في الابتداء بما امرته به جادا غير متوان ومنه قولهم لقيته على اوفاز اي على

المفعول بشيريه الي المنتوي عله جمع وفود ومن العجيب ما قيل انه اسم مكان بزنة
الذي سمع فيه صريف الاقلام وتاخر عنه جبريل وفيه خبط لا يخفي علي عادته
في مرضاتك مصدر ميمي بمعني الرضي وفي ظرفية ويجوز كونها بمعني لام التعليل
كما في حديث دخلت امراة النار في هرة وفي بعض النسخ بغير نكل في قدم ولا
وهن في عزم اي لاجبن بطل وعليه في اقدامه ولا ضعف في عزيمته ويروي
واهيا بالمثناة التحتية واعيا اي حافظا ضابطا لوحيك الذي اوحيته اليه
لم يشغله عنه ما حمله من الاعباء وما لقيه من المشاق في تبليغ الرسالة
ومنه اذن واعية واصل الوعي جعل الشيء في وعا قال
والشر اخبث ما اوعيت من زاد وحفظه شامل للعمل به حافظا
لعهدك اي متمسكا وممدا او دعلي ما عهدته عليه من الايمان بك والاخلاص
في طاعتك وامتثال امرك ونهيك كما قال صلي الله عليه وسلم وانا
علي عهدك ووعدك ما استطعت ماضيا اي مجتهدا مستمرا علي امضاء
ما عهدته وانزلته مدا او ماعلي نفاذ امرك بذال معجمة من النفذ كذا
اذا امضاه وبلغ اقصاه حتي اوري قبسا لقابس لابرا قدح الزناد لخروج
النار شررا ابو قدعنه والقبس ما يتناول من الشعلة قال تعالي او اتيكم
بشهاب قبس والاقتباس طلبه ثم استعير ذلك لاظهار الحق وما
يهدي به الناس وفي المثل ما كل قادح زنده يوري اي لم يزل صلي الله
عليه وسلم مجاهدا قايما علي الحق حتي اظهره ابلج نيرا فاهتدي بنوره
من كان في ظلمات الجهالة وقوله لقابس اي لقابل وطالب نور الحق والهداية
التي هي من الاء الله بالمد اي نعمه وفيه لغات بكسر الهمزة وبفتحها وبالتنوين
فيهما والخامسة الي بكسر فسكون ومعناها النعم الالهية والسعادة
الابدية في الدارين بواسطته صلي الله عليه وسلم تصل لاهله اسبابه
الجملة صفة قبسا اي ذلك القبس سبب موصل لمن طلبه من اهله الذين
الهمهم الله له ووفقهم لقبوله ونور بصايرهم بانواره والسبب تقدم
ان معناه الحبل ثم صار بمعني كل واسطة موصلة به اي بذلك القبس الذي
اوراه فراه من راه وقيل الضمير له صلي الله عليه وسلم هديت بالبنا للفاعل
والمفعول القلوب الضالة عن طريق الحق في ظلمة الجهل بعد خوضات الفتن
والاثم جمع خوضة بمعجمتين وهي المرة من الخوض وهو الدخول في الما ويستعار
للشروع والدخول في كل امر بدم والاثم الذنب والفتن جمع فتنة وهي ما يفتتن
به المرء وتطلق علي الكفر وبه فسر قوله والفتنة اشد من القتل وهو المراد
هنا اي بعد كفرهم وارتكابهم الاثام والنهج موضحات الاعلام وقع في النسخ
هنا اختلاف فسقط من اكثرها لفظ النهج فموضحات بفتح الضاد اسم مفعول
لهديت بنزع الخافض اي الي موضحات الاعلام او هو حال من القلوب والاعلام
جمع علم بمعني علامة وقيل انه جمع علامة ولا وجه له ويجوز رفعه
علي انه خبر مبتدا مقدر وهو ضمير القلوب اي هي ظاهرة ادلة هديها



ابا قتبوس

وَيُجُوز فيه كسر الضاد جمع مُوضحة اسم فاعل من الايضاح وَهوَ الكشف اي صَارت القلوب
بما رزقت من الهدَاية مَنشورات الاعلام او ناشرة لها فالعلم بمعنى اللوا استعارة
لما ذكر ومن ابنت الهج مَا من نهج بالنون من النهج بمعني اوضح وَبين وَسهل وَفقه
كما ذكره ابن القوطية كما في لفظ الشرح وفي بعضها ابهج بالبا الموحدة من
البهجة اي انار واشرق وهذا ساقط من خط المص رحمه الله كما قاله التلمساني
وَنايرات الاحكام جمع نايرة اسم فاعل من النور وَالضيا من نار لازم بمعني ظهر
وَانضح وَالاحكام احكام الشريعة من الحلال وَالحرام وغيرهما وَفي القاموس نار
نورا وَانار وَاستنار وَنور وَتنور انتهي وَمنيرات الاسلام من اناره المتعدي
وَالاسلام بمعني الدين او الاستسلام وَالانقياد لامر الله فان قلت علي النسخة
المشهورة الساقط منها لفظ ابهج فالمعني ظاهر لان ما له الي انك هديت به القلوب
للادلة الدالة علي ما هداهم الله له من احكام الشريعة الظاهرة ولما يظهر الاسلام
وَيؤيده من نصرة الاسلام باليد واللسان وَاما علي النسخة الاخرى التي فيها ابهج
بمعناه ففيه تحصيل الحاصل لان ما لها اظهار الظاهر والمظهر قلت علي هذه
الرواية انه ظاهر في نفسه لمن له بصيرة وَنفس قدسية وَاظهاره بالنسبة لغيرهم
او اظهاره اشاعته وَانتشاره الي ان يصل الي اقصي الارض فتدين له الجبابرة
وَالملوك وهو صلي الله عليه وَسلم امينك علي وحيك وَاسرار ملكك وملكوتك
التي اطلعته عليها المامون الذي ارتضيته لحفظ اسرارك او خلقته حفيظا
عليما كما اشار اليه بقوله وَخازن علمك المخزون في خزاين ملكوتك وَكنوز
عرشك حتي انزلته له وَاستمنته عليه دون غيره وَامرته بايصاله لمن يليق له
الاطلاع عليه وَشهيدك فعيل بمعنى فاعل صيغ للمبالغة فارتضاه للشهادة
علي الانبيا وَامتهم اي تشهد بصدقهم علي تبليغهم لهم كما قال الله تعالي فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد وَجئنا بك علي هولا شهيدا كما تقدم يوم الدين
اي القيامة وَالجزا بما يعلمه الله وَبعيثك وقيل بمعنى مفعول مبعوثك
وَرسولك الذي بعثته وَارسلته لتبليغ اوامرك وَنواهيك نعمة مفعول لاجله
اي بعثته ليكون نعمة وَرحمة للعالمين وَرسولك الذي ارسلته للناس كافة
خاتما للنبوة وَالرسالة بالحق متعلق برسول اي ارسلته بالدين الحق الثابت في
نفس الامر رحمة عامة لجميع خلقك وهو منصوب مفعول له ايضا فهو رحمة
في الدنيا وَالاخرة لمن امن به وَفي الدنيا لمن كفر بحقن دمه وَصيانة ماله وَقد
يحصل لبعضهم رحمة في الاخرة بتخفيف عذابه ايضا وَقد يفرق بين النعمة
وَالرحمة هنا بان يقال النعمة ما حصل به من الخير وَالبركة ليمنه وَالرحمة هدا
بسببه التي كانت سببا لخلوصهم من الكفر وَالضلال لئلا يكون تكرارا وَافسح
له في عدنك الفسحة التوسعة وعدن تسكون الدال اسم للجنة ومعناها
دار الاقامة وَالخلود من عدن بمعني اقام فهو اسم للجنة مطلقا وَلها
اسما اخر وَتكون اسما للجنة مخصوصة ايضا عن فيها الهم وَالمراد بالدعا له
بالفسحة طلب بهجة مقامه وَزيادة حسنه وَشرفا منظره لان سعة المنزل

بتهم

الجنة معلومة والا فسعة النظر فيه ماسافر المنازل احسن قالوا ولذا مستحسن امر
مضاعفات واجزه به بمايليق له وجزايك لتكن معد باللاوي لك وعد وي فيل
الخيرات من له نضاعفه ما وفضلك انعامك من اعطه المعنى وصلك من الخير
الاخروية مما لاعين رات ولا اذن سمعت وهو ظاهر لا انه قد اختلف في ضبطه
بعد الاتفاق فعلى انه بهمزة وجيم وزاي معجمة فقيل انه بهمزة وصل وجيم
ساكنة من الجزا فانه ثلاثي وقيل انه بهمزة قطع مفتوحة وجيم مكسورة وزاي دبلي
ساكنة من الجايزة وهي العطية وقال السخاوي في القول البديع في الصلاة على
الحبيب الشفيع انه بفتح الهمزة وجيم ساكنة وزاي مكسورة من الجزا كما ضبط في
بعض النسخ لشفا والصواب كما وجد في بعض الاصول المعتمد بها وصل الهمزة
لان فعله ثلاثي كما قال تعالى وجزاهم بما صبروا اجمتي اقول اما صحة الرواية
بما ذكره اولا فتوجيهه انه من الاجزا بمعنى الكفاية ابدلت همزته الاخيرة ثم عومل
معاملة المعتل كارم والمعنى اكفه عمن سواك لما كلفته به من القيام باعباء رسالتك
والضعف المثل فما زاد وليس بمحصور كما حققه اهل اللغة وقوله من فضلك
اشارة الى ان الثواب تفضل من الله لانه لا يجب عليه شي خلافا للمعتزلة كما
بينه المتكلمون مهنات له صلى الله عليه وسلم جمع مهناة بتشديد النون
وبالهمزة اسم مفعول من الهني وهو السايغ وكل ما اتى من غير تنغيص وتعب وهو
حال من مضاعفات غير مكدرات اي منغصات وهو حال ايضا او صفة لمهنات مؤكدة
من فوق بقا وزاي معجمة عند الاكثر وهو الظاهر بدليل البغية وقيل انه براء
مهملة بمعنى سريع عاجل كما قيل اهنؤ البر عاجله مستعار من فارت القدر
اذا غلت ثوابك الثواب العطائي مقابلة عمل المحلول بحا مهملة اسم مفعول
من حل المكان وبه وفيه اذا نزل اي الكامن في الجنة او الذي او صلته له فصار
صفة حالة فيه وقيل معناه المستوجب بفتح الجيم اي الذي استوجبته واستحقه تلمساني
من حل اذا وجب وهو بعيد متكلف وفي رواية المصون بدل المحلول اي الذي
يضن به لنفاسته وجزيلا اي كثيرا عظيم عطايك اي احسانك وانعامك المعلول
اي المضاعف من العلل وهو الشرب مرة بعد اخرى ويقابله النهل وهو الشرب
مرة قال كعب كانه منهل بالراح معلول فشبه عطاه بمنهل عذب برده العطاش
كما تزيد برارا فهو استعارة والمراد انه كثير لا ينقطع اللهم اعل بقطع الهمزة
على بنا الناس بموحدة ونون وروي بدل الناس البانين جمع بان بناه بموحدة
ونون اي اجعله عاليا رفيعا اي اجعل مقامه في الجنة فوق كل مقام او اجعل
مقداره ارفع من كل مقدار وذاته اشرف من جميع الذوات لان الذوات بنا الله
كما ورد في الحديث وصح في بعض النسخ ثنا الناس وثناه بمثلثة اي اجعل مدحه
والثنا عليه فوق ما يثني به الناس عليه فانهم لا يقدرون على اداية حق
الاداء واكرم مثواه لديك اي اجعل مقامه عندك كريما اي حسنا مرضيا
من ثوي بالمكان اذا اقام به ونزله بضم النون وسكون الزاي ويجوز ضمها
وهو القرى المعد للضيف اذا نزل والمراد به ثوابه واجره وحسن استعارته

هنا

هنا ذكره بعد المثوى وهو المنزل فانه كرم على كرم وأتمم له نوره اي اجعل النور الذي
اودعته فيه تاما كاملا فيكون في ساير جهاته وحواسه وقلبه كما ورد في دعائه عليه
الصلاة والسلام اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي ساير
جهاتي نورا واجزه فيه ما تقدم من الضبط فريبا من ابتعاثك افتعال من البعث بمعنى الحركة
والمشتقة اي بعثك له بالنبوة والرسالة فقوله له متعلق به وليست اللام للتعليل
متعلقة باجزه كما قيل اي كافئه على ما قام به من امور الرسالة مقبول الشهادة اي
شهادته في المحشر للانبيا عليهم الصلاة والسلام وعلى الامم مرضي المقالة اي ما
يقوله ثمة من الشهادة والشفاعة فلا يسخط ولا يرد له قول ذا منطق عدل
مصدر ميمي بمعنى النطق وعدل بمعنى معتدل مستقيم وهو حال ايضا والمراد
به ما يقوله لعد الشفاعة من حمده تعالى بمحامد لا نحصيها هو وخطة فصل
بتقدير مضاف اي وذا خطة وهي بضم الخا المعجمة وتشديد الطا المهملة وهي الامر
والشان والفصل الحاجز بين الحق والباطل يوم القيامة وبرهان عظيم اي دليل
نبوته ورسالته القوي القاطع من معجزاته الباهرة وقد ذكر هذا صاحب القاموس
في كتابه المسمى بالصلات والبشر في الصلاة على خير البشر مع ما فيه من الزيادات
واختلاف الروايات وحسبك من القلادة ما احاط بالعنق وزاد ابو بكر بن ابي شيبة
في رواية فيهما نجهود اللهم اجعلنا سامعين مطيعين واوليا مخلصين ورفقا
مصاحبين اللهم ابلغه منا السلام واردد عليه منا السلام وعنه اي عن علي كرم
الله وجهه ايضا في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لكن قال الحافظ
السخاوي انه لم نقف على اصله انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله وملايكته
يصلون على النبي الاية اي وتلا الاية الامرة بذلك الى اخرها التفع صلاته بعدها
امتثالا لامر الله في قوله عقبها لبيك اللهم وسعديك اي اجابة بعد اجابة
واسعادا بعد اسعاد في طاعتك وامتثال اوامرك والتثنية فيهما لمجرد التكرار
وعاملهما محذوف وجوبا كما فصل في النحو صلوات الله البر الرحيم اي المنعم
المتفضل بانواع البر والرحمة ومعنى البر العطوف اللطيف بعباده وهو
من اسمايه تعالى ولم يسمع بار لان البر ابلغ منه وصلوات الملايكة المقربين
كجبريل واسرافيل وخصهم لشرفهم والنبيين والصديقين اي المبالغين
في الصدق والاخلاص من اشراف المومنين الصالحين والشهدا او الصالحين
لكل خير القايمين من غير تقصير بحقوق الله وحقوق عباده والشهدا
جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل او مفعول وهو من قتل مجاهدا في سبيل الله
لاعلا كلمته تعالى ومن الحق بهم كالمبطون والغريق ونحوهما سمي به لان
الله وملايكته ودمه يشهدون له بالجنة اولانه حي فكانه شاهد حاضر
اولان ملايكة الرحمة تشهده اولقيامه بشهادة الحق او لشهوده ما اعد
له من الكرامة حين قتل ما سبح لك من شي ما مصدرية ومن زايدة وهو
للتابيد اي صلوات هولا دايمة مستمرة مدة تسبيح الاشيا لك وان من شي
الا يسبح بحمده وهذا على ما وقع بدون واو في قوله ما سبح الخ وفي نسخة

بالجيدم

وماسبح فماموصولة معطوفة على الاسم ومن بيانية اي وصلوات الله وصلوات كل شي سبحك
يارب العالمين اي جميع المخلوقات فهو شامل للعقلا وغيرهم تغليبا كما حقق في كتب
التفسير على محمد بن عبد الله متعلق بمقدر خبر لصلوات الله خاتم النبيين اي اخرهم
بعثة وسيد المرسلين اي افضلهم واشرفهم واضافة خاتم للنبيين متابعة لما في القران
وسيد المرسلين تفننا واطلاق السيد عليه ثابت بالاحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد ادم ولا فخر واما قوله لا تسموني سيدا فما قال بلا تفضلوني بسيادة
كسيادتكم او هو تواضع منه وورد اطلاقه على الله تعالى ايضا بمعنى المالك كما
فصلناه في غير هذا المحل وامام المتقين الذين يقتدون به في العلم والعمل ورسول
رب العالمين الى الخلق اجمعين الشاهد على الانبيا فانهم بلغوا اممهم وعلى اممهم
بما بلغوهم يوم القيامة كما قال تعالى وجئنا بك على هؤلا شهيدا كما تقدم
تحقيقه البشير للمؤمنين بسعادة الدارين الداعي اليك اي الذي دعا الخلق
الى طاعة الله وتوحيده باذنك اي بامرك له بدعوتهم او تيسيرك وتسهيلك
السراج المنير شبهه بذلك لازالته ظلمة الكفر وتنويره لقلوب المومنين بنور
هدايته وتوضيحه لطرق الحق والحقيقة ولان ذاته صلى الله عليه وسلم نور
ولذا ورد انه لم يكن له ظل كما مر وعليه السلام اي السلامة من كل وصمة ونقص
وعن ابن مسعود كما رواه ابن ماجه والبيهقي في كيفية اخرى للصلاة عليه اللهم
اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك المراد بجعلها انزالها ولذا عداه بعلى فقال
على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد بالجر بدل مما قبله عبدك
ورسولك قدم وصفه بالعبودية لشرفها بالاختصاص وتقدمها امام الخير
امام الاخيار والمقتدى به في كل خير ورسول الرحمة اي الذي ارسله الله رحمة
للعالمين وقد ورد في حديث مسلم انا نبي الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يحمده
فيه جميع الانبيا وساير الخلق وهو مقام الشفاعة العظمى وقد ورد تفسيره
بهذا ومقاما منصوب على الظرفية بابعثه بمعنى اقمه وفسر بعضهم البعث
بالاحيا والتنكير للتعظيم يغبطه فيه الاولون والاخرون اي يتمنون نيل مثله
من غير زواله وهذا هو الفرق بين الغبطة والحسد ولذا قيل ان الغبطة
حسد غير مذموم وقد يراد بالغبطة لازمها وهي المحبة والسرور بما راوه
فقط وهو اللايق بمقام الرسل والكمل فان منهم من تمنى مقام غيره الذي
خصه الله به كانه يقول هلا ساويته في مقامه وفيه اعتراض خفي ولذا
لما قيل له صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة
الخبط فاشار الى ان فيه ضررا ليس كضرر تمني الزوال فان الخبط بقطع
الورق دون الاغصان والساق فاعرفه فانه دقيق اللهم صل على محمد وعلى
ال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد تقدم بيانه وبارك على محمد
وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وال ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن
البصري رحمه الله يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى اراد به انا فيه
مايرويه ويزيد من الوفا وهو الكثرة وفي القاموس وفي وافي ونحو كثر

فهو

ذا وان درهم يقولون بانهم العوام حق في الزبيدي ورده المراد وهو واف ووفي هو
كان بين يدي في وزنه وقال ابو بكر الوافي الذي لا زيادة فيه ولا نقص وهو الذي وفي بوزنته
انتهى من حوض المصطفى الذي يسقي منه العطاش يوم القيامة وهل هو الكوثر او
غيره فيه ما فيه فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته
بيائهم في محله بضم المعجمة وقد تكسر كما مر نسل الانسان من ذكر وانثى وقد يخص بالنسا
والاطفال ومنه ذراري المشركين من الذر وهو الخلق وكسرها اسقط الهمز وقيل من
ذر فرق او من الذر لانهم خلقوا اولا مثل الذر وهو النمل الصغير وعليهما فلا اصل
له في الهمز ويدخل فيهم اولاد البنات اتفاقا على ما قاله ابن الحاجب لكن رد بان مذهب
ابي حنيفة انهم لا يدخلون وهو رواية عن احمد نعم اجمعوا على دخول اولاد بنته فاطمة
في ذريته صلى الله عليه وسلم خصوصية لهم لشرفها هذا الاصل العظيم والمجد الكريم
وبين الازواج والاولاد عموم وخصوص من وجه وبين الذرية والاولاد عموم وخصوص
مطلق واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه اي اتباعه جمع شيعة وشيعة الرجل
اتباعه والفرقة على حدة ويقع على الواحد المذكور وغيره وغلب بعد ذلك على
طايفة ادعت تفضيل علي كرم الله وجهه على غيره ومحبيه المراد بهم من بلغت محبته
منه محلا لا يصل اليه غيره بحيث يكون احب اليه من نفسه واهله وماله وامته
من عطف العام على الخاص ليشمل جميع الامة وعلينا يعني المتكلم ومن يختص به معهم
اجمعين يا ارحم الراحمين ولتعميمه في هذا الدعا وتفصيله تفصيلا تاما كان جزا
من صلى عليه صلى الله عليه وسلم ودعا له بهذا الدعا من حبني عمله بان يكون
مشربه اوفى وعن طاوس هو الامام ابو عبد الرحمن بن كيسان كما تقدم عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه كان يقول اذا صلى عليه صلى الله عليه وسلم اللهم تقبل
شفاعة محمد الكبرى يوم القيامة اذا قيل له صلى الله عليه وسلم اشفع تشفع
وقال الكبرى لان له صلى الله عليه وسلم شفاعات ثمة بلغها النووي رحمه الله
خمسا وقد تقدم ذكرها والمراد بها شفاعته لفصل القضا لا الاخراج عصاة المؤمنين
من النار كما قيل فان قلت شفاعته صلى الله عليه وسلم مقبولة فما فايدة الدعا
له صلى الله عليه وسلم بهذا قلت هذا امر يا به تعبدا لنيل الثواب وان كان
امرا محققا كما في قوله وارفع درجته العليا ومرتبته في جنات النعيم والمراد
بهذا كله تعظيمه صلى الله عليه وسلم واته اي اعطه وانعم عليه سوله
فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز اي مسئوله ومطلوبه وما يحبه
ويبتغيه في الاخرة والاولى اي الدنيا سميت اولى لتقدمها على الاخرة ومطلوبه
في الاخرة درجات قربه ونجاة امته وفي الدنيا اعلا كلمة الله ونصره ونصر امته
وسعة ملكهم وان لا يسلط عليهم اعداهم ولا يستاصلهم ولا يهلكهم
بسنة عامة ونحوه مما ورد في الحديث كما انيت ابراهيم وموسى فان قلت
الفصل معقود لبيان كيفية الصلاة وليس في هذا ذكرها قلت المراد بالصلاة
الدعا له صلى الله عليه وسلم وهو دعا فيه تعظيم وثنا عليه بما يليق به
وعن وهيب بالتصغير ابن الورد ويقال ابن ابي الورد المخزومي المكي الزاهد

الثقة مولاهم واسمه عبد الوهاب ووهيب لقبه وكنيته ابو عثمان روي عن عطا
مرسلا وغيره وروي عنه كثير واخرج له مسلم واصحاب السنن وله احاديث ومواعظ
توفي سنة ثلاث وخمسين ومايه وفي بعض النسخ وهب مكبرا والمعروف الاول انه كان
يقول في دعايه له صلى الله عليه وسلم اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه
اي اجب دعاه فيما احب لنفسه واعط محمدا افضل ما سالك له اي لاجله احد من خلقك
فاستجب دعاهم له واعط محمدا ما انت مسول له الي يوم القيامة نعيم بعد نعيم
وعن ابن مسعود رواه عنه ابن ماجه والبيهقي والديلمي والدارقطني
وتمام في فوايده انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم
فاحسنوا الصلاة عليه اي افضلوا احسنها وقولوه فانكم لا تدرون انها
تبلغه ام لعل ذلك الدعا والصلاة يعرض عليه ويبلغه صلاتكم عليه فينبغي
ان يتحري الاحسن حتى يسره صلى الله عليه وسلم ما يبلغه منه فقيل لعل هنا
للجزم فانه ورد انها تعرض عليه صلى الله عليه وسلم وسياتي وسيل ابن حجر
رحمه الله هل الافضل والاحسن في الصلاة عليه ان يقول صل على محمد
او على سيدنا محمد بصفة السيادة فاجاب بان اتباع الاثار الواردة ارجح
لا يقال لعله تركه تواضعا منه كما لم يكن يقول عند ذكر اسمه صلى الله عليه
وسلم وهو مندوب لغيره لانا نقول لو كان كذلك جا عن الصحابة والتابعين
ولم يرو عنهم الا في حديث ضعيف في الشفا عن ابن مسعود وذكر الشافعية
انه لو حلف احد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم افضل صلاة فبره
بان يقول اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وسهى عن ذكره الغافلون
وقال النووي رحمه الله افضله ما في التشهد والحاصل انه لم يرد ذكر
سيدنا عن احد من الصحابة ولو كان مندوبا ما خفي عليهم والخير كله في الاتباع
انتهى وهذا يقرب من مسالة اصولية وهي ان الادب احسن او الاتباع والامتثال
ورجح الثاني وقيل انه هو الادب كما مر وقوله وقولوا اللهم اجعل
صلواتك ورحمتك الي قوله انك حميد مجيد تقدم بيانه بما يغني عن اعادته عوضي
الا انه قيل انه بيان للحسن الذي ذكره ابن مسعود وارشاد لما امر به من
الاحسان في الصلاة عليه وانه الاحسن وقيل انه يحتمله ويحتمل ان يكون
تمثيلا للحسن منه وان كان فوقه ما هو احسن منه والاول هو الظاهر وفيه نظر اي اقرب
وما يوثر بالبنا للمجهول اي ينقل عنه صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة
والتابعين وما اسم موصول مبتدا خبره كثير الاتي من تطويل الصلاة
وتكثير الثنا على اهل البيت وغيرهم من الصحابة وتفضيلهم كما مر
كثير في الاثار الخ ويذكر عن السلف حتى افردت بتاليف من احسنها القول البديع
للسخاوي لمتقدم ذكره وقوله في الحديث المتقدم في التشهد والسلام
كما علمتم يعني في تشهد الصلاة في قوله السلام عليك ايها النبي الخ وهو
اشارة الي تفسير ما سبق في رواية مالك عن ابن مسعود لما سالوه كيف نصلي
عليك اخره الي هنا وهو اشارة الي ما علمهم من التشهد وعلمتم بالبنا
للمجهول

للمجهول وتشديد اللام او بالبنا للفاعل وتخفيف اللام كما تقدم والمعنى ظاهر
وهما متلازمان لانهم اذا علموا علموا لكن ما بعده يقتضي الاول اعني قوله هو ما علمهم
في التشهد من قوله صلى الله عليه وسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تقدم تفسيره وفي تشهد علي رضي الله عنه
وتقدم ان التشهد روي عن الصحابة من طرق كثيرة اسندوها وهذا لم يرو من رواه
عن علي السلام على نبي الله السلام على انبيا الله ورسله قدمه لبيان شرفه وتفضيله
عليهم السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل اخر وصفه بالرسالة اشا
الى تاخر رسالته بحسب الزمان لانه مسك الختام السلام على محمد بن عبد الله كرر
السلام عليه باسمه ونسبه تاكيدا السلام علينا وعلى المومنين والمومنات من غاب
منهم ومن شهد اي حضر اللهم اغفر لمحمد شرع في بيان الدعا له صلى الله عليه وسلم
بالمغفرة وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي بالتشديد مضاف
الى المتكلم وما ولدا ارادة ليشمل اقاربه المسلمين وحواشي نسبه الا ان فيه اشكالا لان
عليا كرم الله وجهه هو الذي قال له فكيف يدعو لوالديه وامه فاطمة بنت اسد
ابن عبد مناف وهي اول هاشمية ولدت هاشميا اسلمت وتوفيت بالمدينة وكفنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه واضطجع في قبرها وقال جزاك الله من
ام خيرا لانها ربته صلى الله عليه وسلم واحسنت صنيعها معه كما ذكره الطبري
في الرياض النضرة وانما اضطجع صلى الله عليه وسلم في قبرها ليخفف عنها ضغطة
القبر كما صرح به في الحديث وابو طالب توفي كافرا وادعا بعض الشيعة انه اسلم لا اصل
له وقد نهي عن الاستغفار للمشركين كما في الاية الكريمة واجيب عنه باجوبة فقيل
انه تغليب لامه ولا وجه له وقيل المراد بابويه ادم وحوى ولا يخفى بعده وقيل
المراد تعليم من يدعو من المومنين ان يقوله وهو اقربها وما قيل انه سهو من الناسخ
زاد فيه الفا وانما هو ولدي يعني الحسن والحسين واولادهما ليس بشي وكذا
ان كان من كلامه صلى الله عليه وسلم او هو مبني على اسلام ابويه على ما ارتضاه
السهيلي وسياتي بيانه وارحمهما فيه ما تقدم السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته تقدم بيانه جا في هذا الحديث
عن علي الدعا للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران وهو المغفرة وهي كما قال
الراغب الباس الشي ما يصونه فهي من الله صون عبده عن مس العذاب والدعا
له بها صلى الله عليه وسلم من امته لا ينبغي لانه امامهم المغفور من المدعو له
واما قول الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ودعاوه
لنفسه بالمغفرة فلا يقاس عليه وفي حديث الصلاة صلى الله عليه وسلم
عنه ايضا اي عن علي مثله قبل بالبنا على الضم اي قبل هذا تقدم من طريق
الحاكم الدعا له صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة والبركة
اقتصارا على ما ورد في حقه وان كان معناها الرحمة لكنها رحمة خاصة مشعرة
بنوع تعظيم ولم يات في غيره اي في غير هذا الحديث من الاحاديث المرفوعة
المعروفة المنسوبة اليه صلى الله عليه وسلم وهو بيان لغيره وقد ذهب

ابو عمر بن عبد البر الامام الجليل القدر كما تقدم وغيره من علما المالكية والحديث
الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة فهو مكروه عندهم لايهامه
التقصير وانما يدعى له بالصلاة اي بهذا اللفظ المامور به في القران والبركة
التي تختص به يعني التي بمعنى الدوام والثبوت على التشريف والتكريم بكثرة الخيرات
الالهية وفيض المواهب اللدنية ويدعى لغيره من المومنين بالرحمة والمغفرة
لانه غير معصوم ولا يخلو من تقصير فهو محتاج لمغفرة الله ورحمته اشد لا كالرسول
المعصوم الذي غفر الله له ما تقدم وما تاخر والمراد غيره صلى الله عليه وسلم
من امته لا الانبيا فان من الادب ان لا يدعى لهم بذلك ايضا وكذلك الصحابة
ينبغي ان يقال فيهم رضي الله عنهم ولا يرد على هذا ان الصلاة معناها الرحمة ابن القيم
فانه لا يلزم من كون لفظ بمعنى لفظ انه يستعمل في محله مع انه غير مسلم فان
الصلاة فيها معنى التعظيم ولو كانت مطلق الرحمة لزم استعمالها في حق غيره
وليس كذلك وقد ذكر الامام ابو محمد بن ابي زيد في مذهب مالك صاحب الرسالة
المشهورة كما تقدم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في تشهد الصلاة
اللهم ارحم محمدا وال محمد كما ترحمت على ابراهيم وال ابراهيم ورده المم بقوله
ولم يات هذا في حديث صحيح وحجته في جواز الدعا له صلى الله عليه وسلم
بالرحمة الذي منعه غيره قوله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه في السلام
المروي في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فاطلاق الرحمة
عليه هنا يدل على جواز الدعا له صلى الله عليه وسلم بالرحمة اذ لا فرق بينهما
وقال الرافعي في الشرح الكبير من الناس من زاد وارحم محمدا كما رحمت على
ابراهيم وربما يقولون وترحمت على ابراهيم بالتا ولم يرد ذلك في خبر وهو
غير فصيح فانه لا يقال ترحمت عليه وانما يقال رحمته وفي الترحم تكلف لا يحسن
اطلاقه على الله وقال الاسنوي فيه امور وقد استنبطها النووي في الروضة
وقول الرافعي انه لا يقال ترحمت عليه غير مستقيم فان الصغاني قال يقال
ترحمت عليه وقال الغزالي لا يجوز ترحم بالتا اي وهو مراد الرافعي بقوله
انه لا يحسن وقال النووي انه بدعة وبالغ ابن العربي في انكاره وتخطية
ابن ابي زيد وفي الاذكار ما قاله بعض اصحابنا وابن ابي زيد من استحباب
زيادة وارحم محمدا وال محمد بدعة لا اصل لها وقد جهل ابن العربي في شرح
الترمذي قائله لانه ليس في التشهد الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصحابة فالزيادة استدراك عليه وقال بعضهم انكاره غلط لان الحاكم
رواه في مستدركه باسانيد صحيحة عن ابن مسعود وكذا رواه الذهبي
وقد قاله الشافعي في رسالته وهو رد لما قاله مقلدوه كما قاله البرهان
الحلبي في حواشيه اقول محصل ما قالوه باسرهم انهم اختلفوا في جواز
الدعا له صلى الله عليه وسلم بالرحمة والمغفرة وفي وروده في الحديث
والذي صححه اكثر الفقها والحفاظ ثبوته وجوازه ومنشو الخلاف
ان الرحمة والمغفرة تقتضي قصورا او ذنبا حماه الله منه واعطاه براة منه

اذ قال له صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
وسوى بينهما ايما الى ان المتقدم كالمتاخر في عدم الوقوع ولذا قيل المراد ذنبه
ذنب امته كما تقدم فينبغي ان يقال نحو انهم مغفورونا بغيره غير منفرد تعبدا او طلبا
للثواب والمغفور له ليس ذنبا كذنوبنا بل امور تقتضيها الجبلة البشرية وتاباه
العادة المكية من الاشتغال الدنيوية وان كانت مباحة او لازمة لمقامه صلى الله
عليه وسلم ولذا قال انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة مايه مرة
وسياتي تحقيقه ان شا الله

## فصل في فضيلة الصلاه

عليه صلى الله عليه وسلم اي ثوابها وفضايلها وفوايدها لمن قالها والتسليم
عليه اي قوله السلام عليك ايها النبي ونحوه والدعا له الماثور نحو اللهم اته
الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة والمراد تعظيمه صلى الله عليه وسلم
واظهار محبته بطلب بغيته فليس من تحصيل الحاصل ولا لاحتياج له صلى الله
عليه وسلم وقدم المص حديثا مسندا تبركا به رواه النساي ومسلم عن ابن عمر رضي
الله عنهما حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه قالوا من روى عنه المص
من مشايخه واسمه احمد بن محمد عدة تابعين منهم احمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن
ابن غلبون الخولاني واحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي وهو ابن الرمي ابو جعفر
واحمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله الشاطبي والمراد الاول لانه اشهر مشايخه وكان
عليه ان يذكر ما يعينه فكانه اعتمد على شهرته قال حدثنا القاضي يونس بن
مغيث تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو بكر بن معاوية بن الاحمر الاندلسي وهو
محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن اسحاق بن عبد الله بن هشام بن عبد
الملك بن مروان ابو بكر القرطبي الامام الثقة الجليل رحل الى المشرق سنة خمس
وتسعين ومايتين وسمع من النساي وغيره ودخل الهند تاجرا وتوفي سنة
ثمان وخمسين وثلاثماية قال حدثنا النساي امام الحديث وصاحب السنن
المشهورة واسمه احمد بن شعيب كما تقدم بيانه قال حدثنا وفي نسخة اخبرنا
من هنا الى سويد بن نصر ابو الفضل المروزي المعروف بالشاة الامام روى
عن ابن المبارك وغيره واخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة اربعين ومايتين
قال اخبرنا عبد الله عن حيوة بن شريح هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك
ابن واضح التميمي مولاهم المروزي شيخ خراسان وابوه تركي تاجر وامه خوارزمية
ولد سنة ثمان عشرة وماية وتوفي سنة احدى وثمانين وماية وقبره بهيت
يزار واخرج له الستة كما تقدم وحيوة بن شريح تقدمت ترجمته وما بينه
قال اخبرني كعب بن علقمة بن كعب بن عدي التنوخي المصري التابعي الثقة توفي
سنة ثلاثين وماية واخرج له اصحاب السنن وفي بعض النسخ كعب عن علقمة
وهو سهو وقد تقدم هذا الحديث انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى
نافع الامام الجليل الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة سبع وتسعين
انه سمع عبد الله بن عمرو الصحابي المشهور رضي الله عنه يقول سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن وهو يؤذن للصلاه اي

او غيرها فقولوا مثل ما يقول من تكبير وتشهد وصلاة وحيعلة فخذ ليقا وهو سنة معروفة وقيل انه واجب وتقدم بسط الكلام فيه وصلوا علي وفي مسلم ثم صلوا علي والمعنى واحد وقد علمت ان احد المواطن التي يستحب فيها الصلاة عليه كما تقدم وانه يقرن فيه الصلاة بالسلام فانه الافضل وارتكاب خلافه مكروه ولا يحتج بتعليمهم كيفية الصلاة السابقة لان السلام سبقها في التشهد فلا افراد فيه وقد جاء ذكر الصلاة مقرونا بالسلام في مواطن منها عقب ما يقال عند ركوب الدابة كما رواه الدارقطني في الدعاء مرفوعا وكذا في غيره وانما حذف في بعض المواضع اختصارا وكذا يستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الاقامة كما ذكره الحميري فيما تقدم فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا فان الحسنة بعشر امثالها وكون الله عز وجل يصلي عليه فيه من الرحمة له واعلا الله قدره ما لا يخفى وقال يقول بالمضارع اشارة الى انه يقوله من غير تاخر لما بعد الاذان وظاهره انه يتابعه في الحيعلتين وهو قول فيه وفي قول معتمد انه يقول عندهما لا حول ولا قوة الا بالله اي لا قدرة للعبد على طاعته التي دعي اليهما الا بتوفيقه وكان ابن جبير يقول سمعنا واطعنا ويسن ان لا يرفع المجيب صوته في الاجابة لان التشبيه ليس من كل الوجوه ثم سلوا الله لي الوسيلة بان تقولوا اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته فان من قال ذلك حلت له شفاعتي يوم القيامة والوسيلة لغة ما يتقرب به الى كل كبير وفسرت في الحديث بقوله فانها منزلة في الجنة من اعلا منازلها وقد يرد هذا المعنى اللغوي فانها تقربه الى الله لا تنبغي لاحد من عباد الله اي لا تليق بكل احد فانها اعلا المنازل فلا تليق الا باقرب البشر وانا ارجو ان اكون انا هو عبر بالرجا وان كان الله اعطاه ذلك لوعد من لا يخلف الميعاد تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وتفويضا للامر فيما يستقبل الى الله وتعليما لامته وارشادا لهم لان يكونوا بين الخوف والرجا لا سيما في امور الاخرة وقد فسرت الوسيلة بالشفاعة العظمى كما مر وجمع بينهما بان صاحب تلك المنزلة هو صاحب الشفاعة العظمى ايضا وانا تاكيد لاسم كان المستتر وهو خبرها ووضع موضع اياه استغنى بضمير الرفع لضمير النصب وتقدم ان ذلك خلاف الظاهر وقيل اسمها ضمير مستتر وانا هو مبتدا وخبر والجملة خبر اكون وما قيل من ان هو وضع موضع اياه استغنى بضمير الرفع اسم الاشارة اي ان اكون ذلك العبد كما في قوله

فيها خطوط من سواد وبلق ۞ كانه في الجلد توليع البهق ۞

لا وجه له لان مثله انما ذكروه في وضع الضمير المفرد موضع غيره لا في وضع المرفوع موضع غيره كما ذكره النحاة فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة اي استحقت ووجبت له بفضل الله من حل بمعنى نزل وفي البخاري حلت له وهما بمعنى والشفاعة هنا مطلقة فان كان مذنبا خلصته شفاعته صلى الله عليه وسلم من العذاب والا شفع له باعلاء درجته او بادخاله الجنة من غير حساب وفي شرح مسلم للقاضي ان هذا مختص بمن قاله مخلصا قاصدا لا بد لكن تعظيمه

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم لا بمجرد الثواب وقال ابن حجر انه تحكم غير مرضي ولو اخرج الغافل كان
اشبه وتقدم الكلام على ذلك كله وفيه الحث على الدعا في اوقات الصلاة لانه محل الاجابة
كما قالوه وروي انس بن مالك كما في شعب الايمان للبيهقي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من صلى علي صلاة واحدة في وقت ما صلى الله عليه عشر صلوات اي رحمه الله رحمة
مضاعفة معظمة لا تشابه غيرها لان اضافته الى الله اضافة تعظيم وتشريف وان كان
كل من جا بحسنة له عشر امثالها وحط عنه عشر خطيات ان كان ارتكب خطية ورفع له
عشر درجات باعلا مقاماته في جنة النعيم وعلو منزلته لقربه من الله وفي رواية اخرى
رواها ابو يعلى وكتب له عشر حسنات فان الصلاة عليه حسنة وكل حسنة بعشر امثالها
والزيادة هنا باسناد ذلك الى الله تعالى وانه فعل ذلك بنفسه ولم يوله للملايكة
الكتبة فيدل على انها اعظم من سائر الحسنات وصلاة الله كما علمت رحمته رحمة خاصة
به فهي على حقيقتها من غير مشاكلة كما قيل وعن انس بن مالك انه روي عنه صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه ابن ابي شيبة في مسنده انه قال ان جبريل عليه الصلاة
والسلام ناداني اي قال لي ويحتمل انه ناداه في الافق فناداه بصوت عال قال فيه
له من صلى الخ ويؤيد الاول قوله في بعض النسخ فقال من صلى عليك صلاة بالحلا
يقصد بها تعظيمك على ما مر صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات فوق مقامه
الذي يستحقه وصلاة الله على من صلى عليه ثابتة في عدة احاديث كثيرة مسندة
صحيحة وفي بعض الروايات زيادة على العشر والاقل لا ينفي الاكثر وفي رواية عبد
الرحمن بن عوف التي رواها الحاكم والبيهقي وصححاها عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال لقيت جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ابشرك اي اخبرك
بما يسرك سرورا عظيما يظهر في وجهك وبشرك وهو اصل معناه ان الله اي بان الله
يقول من سلم عليك اي قال السلام عليك ايها النبي داعيا لك بالسلامة من كل
نقص وسوء وملقيا اليك عنا بتسليمه سلمت عليه اي سلمته من كل سوء وحفظته
عنا بتي وعبر بهذا مشاكلة ومن صلى عليك صليت عليه ليس في هذه الرواية
عدد ولا عشر فهي محمولة على ما مر والحديث صحيح روي من طرق وسببه ان عبد
الرحمن بن عوف كان يلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخدمه ليلا ونهارا
فاتبعه ليلة وقد خرج من منزله فدخل حايطا وسجد سجودا اطول حتى ظن انه
قبض روحه فبكى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك فاخبره بما خطر
بباله فقال له جاني جبريل واخبرني بان الله يقول لي من سلم عليك سلمت عليه
ومن صلى عليك صليت عليه فسجدت شكرا له وهو حديث صحيح المتن والسند
وقال الحاكم لا اعلم في سجدة الشكر اصح منه والاحاديث في فضل الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تحصى ونحوه اي مثل هذا الحديث لفظا ومعنى من
رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان بفتح الحاء والدال المهملتين وثلثة
والف ونون علم منقول من المصدر ومالك هذا هو تابعي مخضرم ادرك الجاهلية
والاسلام واخرج له الستة واختلف فيه هل هو صحابي راى النبي صلى الله
عليه وسلم وروي عنه احاديث مرفوعة او تابعي وانها مرسلة والاصح عند

لها

ابن اقبوس

أي ح

الذهبي وغيره انه تابعي وتوفي في سنة اثنين وتسعين وهو اي حديث ما روي
عن عمر بن الخطاب انه صلى الله عليه وسلم خرج يتبرز ولم يجد من يتبعه ففزع
عمر واتبعه بمطهرة فوجده ساجدا في شربه فتنحى عنه حتى رفع راسه فقال له
احسنت يا عمر لتنحيه عنه تادبا ثم قال له ان جبريل اتاني فقال من صلى عليك
واحدة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات اخرجه البخاري في الادب وغيره
وعبيد الله بن ابي طلحة الانصاري وهو بالتصغير وفي نسخة عبد الله مكبرا قال
البرهان وهو الاصح بل الصواب وهو عبد الله بن ابي طلحة زيد بن سهل الانصاري
اخو انس لامه ووالد اسحاق واخوته وهو صحابي له رواية توفي في زمن الوليد
وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه وحديثه رواه احمد والحاكم
وابن حبان والنسائي قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
والبشر يرى في وجهه فقال لما سئل عن سبب بشره جاءني جبريل فقال
اما يرضيك يا محمد انه لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا
ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا واخرجه ابن الجوزي في
الوفا بزيادة ولا يكون لصلاته منتهى دون العرش ولا تمر بملك الا قال
صلوا على قائلها كما صلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن زيد بن الحباب
بضم الحاء المهملة وموحدتين بينهما الف قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ظاهره انه صحابي سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في ساير
النسخ وهو كما قالوه وهم او تبيض له او سقط من الكاتب فان ابن الحباب
ليس بصحابي ولا تابعي واين هو واين رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه وان صحت روايته وقيل انه لم يكن به باس ورحل في طلب الحديث الى
الاندلس مع فقره وله ترجمة في الميزان وكان المص لما اراد كتابة الحديث سقط
او لسند ولذا قال يحيى بن علي الزشي المحدث انه وهم ظاهر فانه ليس
بتابعي ولا من اتباعه وانما روي عن مالك وامثاله وليس له نظير في اسمه
واسم ابيه من الصحابة وهذا الحديث رواه ابن الحباب عن ابن لهيعة عن بكر بن
سوادة عن زياد بن نعيم عن ابن شريح الحضرمي عن رويفع بن ثابت الصحابي
عنه صلى الله عليه وسلم فهو معضل لا مرسل كما قيل وابن الحباب توفي
سنة ثلاث ومائتين وقيل انما حذف سنده لضعفه وهو اعتذار اعظم من
الذنب فانه ليس بمعضل ايضا لان المعضل اذا قال سمعت يكون كذبا فالصواب
انه وهم وجواب السمني عنه بان المص اسقط ما عدا زيد لانه لا غرض له
في ذكره وانه لا وجه له وانما يصح لو لم يقل سمعت وزيد هذا هو ابو الحسين
الحافظ الخراساني والذي يخطر بالبال ان قوله سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس من قول زيد وانما هو قول ابي هريرة وهو المقصود
بالرواية وما بعده متابعة له وبيان لكثرة طرقه وهذا غاية ما يمكن
في توجيهه لحسن الظن به وليس ببعيد الا ان نظر الزيادة قوله وعن من
قال في صلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على محمد

تلمساني

وا ترك

وانزله اي اعطه المنزل المقرب بصيغة المفعول وتجوز كسر زايه يوم القيامة هو على ظاهره او المراد في الاخرة والقرب منه رفعة معنوية المراد منه عظيم الثواب وفيض المواهب الربانية لا قرب مكاني لان الله منزه عنه وجبت له شفاعتي اي تعينت وتحققت بلا تردد لان الله لا يجب عليه شي عندنا وروى ابن مسعود في حديث صحيح رواه الترمذي وابن حبان وفي نسخة وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيامة اي احقهم بشفاعتي وعنايتي واقربهم مني منزلة اكثرهم صلاة علي لان ذلك يدل على محبته والمرء مع من احب وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب كتبه من تاليف ورسالة وغيره كما مر بيانه لم تزل الملائكة تستغفر له اي تدعو له بالمغفرة ما بقي اسمي اي مدة بقائه مكتوبا في ذلك الكتاب والمراد التابيد كقوله تعالى ما دامت السموات والارض قال الطبراني في الاوسط رواه ابو الشيخ في الثواب والمستغفري وقال العراقي في تخريج احاديث الاحياء رواه بسند فيه ضعف ومثله يعمل به في فضائل الاعمال وقال خاتمة العلما المالكية الحطاب في معنى ذلك يحتمل ان المراد انه كتب الصلاة عليه في كتابه ويحتمل انه قرا الصلاة عليه المكتوبة وهو اوسع وارجى والاول اظهر واقوى انتهى وتقدم نقله عن الشيخ زروق قلت الاول هو المراد لان المعنى انه سن بذلك سنة حسنة لما كتبه وكان سببا لقراته فله اجره واجر من قراه اجرا غير مقطوع ولا ممنون به وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر العطف للتخيير والفا فصيحة اي اذا عرفت بقا هذا او دوامه ونفعه لك فان شئت اكثرته من كتابته كما استفيد من الاول او التلفظ به كما استفيد من هذا الترجيح جا كثيرا دايما وان لم تشا فاقتصر على قليل منه نافع لك وهذا في الحقيقة حث له على الاكثار فان العاقل لا يترك الخير الكثير ما امكنه ولذا قيل التخيير بعد الاعلام بما هو خير اكثر تحذيرا من التفريط في تحصيله قريب من التهديد وفيه من البلاغة ما لا يخفى وعن ابي بن كعب في حديث رواه الترمذي وحسنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل اي الاول وكان فعل ما مضى لكنها تستعمل عرفا للدوام نحو كان الله غفورا رحيما كما ذكره ابن جني في الخصايص قام من نومه وانتبه بعد استراحته فقال لمن عنده من زوجاته واهل بيته يا ايها الناس اذكروا الله بتمجيده وتحميده باسمايه الحسنى فهو ذكرهم وعظهم وقيامه بتهجد وخص هذا الوقت بما ذكر لانه وقت غفلة بمقتضى الطبيعة البشرية جات الراجفة تتبعها الرادفة والراجفة من الرجف وهي الحركة بشدة والرعدة معها صوت واضطراب ولذا قيل للبحر رجاف كما مر وقد تظرف ابن نباته المصري كما مر في وصف من حدث له رعشة في كفه فقال

ما كان من رجاف كفك منكر ۔ فالبحر من اسمايه الرجاف

والمراد بالراجفة ما يكون بين يدي الساعة من الفتن والهرج والمرج والزلازل

والمراد فيه من ردف بمعنى تبع والمراد الساعة او الصيحة او النفخة او الزلزلة
اخرى والمراد اخبارهم بقرب الساعة واشراطها حاثا المؤمنين بما فيه من سكراته
واهواله وهو اقرب لكل احد من حبل الوريد والمراد حثهم على طاعة الله
وايقاظهم من نومة الغفلة فقال ابي بن كعب لما قال له صلى الله عليه وسلم
يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك واشتغل بها او قال بعد اداء الفرايض
ونحوها فكم اجعل لك من صلاتي اي من مقدار الوقت الذي اصلي عليك فيه
قال ما شئت اي اي قدر تريده وتيسر لك قال الربع اي اصرف ربع
اوقاتي لها قال ما شئت فان زدت على الربع فهو خير لك نافع في الدنيا والاخرة
قال الثلث اي اصرف لها ثلث وقتي قال ما شئت اي يكفي هذا وان زدت فهو
خير واحسن لك قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين
قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله اجعل صلاتي كلها لك
قال اذن يكفي اي تغنيك عما عداها لان فيها خيرا الدنيا والاخرة وزيادة الرزق
ببركتها وتغفر ذنبك لانها مكفرة لساير الذنوب فقول الصلاة في هذا الحديث
بمعنى الدعا كما ذكره في كتاب الصلات والبشر ومعناه انه في موطن الدعا
كعقب الصلوات ونحوها اذا اراد ان يدعو لنفسه وله صلى الله عليه وسلم
هل يزيد في دعايه لنفسه على الصلاة عليه او يسوي بينهما او يزيد
في الصلاة عليه او يجعل دعاه كله له ويترك دعاه لنفسه فانه اذا فعل
كفاه عن الدعا لنفسه فان الله يصلي عليه اضعاف صلاته فينال كل خير من الله
من غير طلب وهذا اولى واحب الى الله ورسوله اذا عرفت هذا فما قيل هنا
من ان هذا الحديث يقتضي ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم افضل من
ساير العبادات لان الشارع اذا خص وقتا بعبادة تكون فيه افضل من غيرها ه
كاذكار الركوع والسجود فانها افضل من غيرها وان كان غيرها في نفسه افضل
فالصلاة عليه لمن يريد الدعا افضل من قول لا اله الا الله وان ورد في الحديث
افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وقد سئل شيخ الاسلام
السراج البلقيني عن قراءة القران وذكر الله والصلاة على رسول الله ايها
افضل فاجاب بان كلا منها افضل في محله فالصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم في وقت الدعا وهي في الصلاة واجبة فهي افضل من غيرها فاذا جعل
الانسان دعاه كله صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فانه يكفي عما همه
وهي افضل من الاستغفار وغيره من الدعا لا وجه له ولا حاجة بنا اليه
فان الحديث كما علمت انما يدل على ان صلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم
تغني عن دعايه لنفسه ولا يقتضي انها افضل من ساير العبادات ولا من قراءة
القران وغيرها كما لا يخفى وقد اطال هذا القايل من غير طايل وبعد
عن المرام بمراحل ولبعض الشراح هنا كلام لا مساس له لهذا المقام ه
وهذا الحديث في المعنى كالحديث القدسي من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته
افضل ما اعطي السايلين وعن ابي طلحة زيد بن سهل الصحابي وفي الصحابة

عوضي

ابن الفرس

ابو طلحة

ابو طلحة اخر وهو الذي نزل فيه قوله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
كما قاله الخطيب وقال البرهان لا اعرف في الصحابة من اسمه ابو طلحة غير ابن سهل هذا
وحديثه هذا اخرجه النسائي انه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت
في وجهه من اثار بشره اي مسرته وانشراحه وطلاقته لم اره قط فيه لان دابه الخشوع
والسكون والطلاقة مصدر بمعنى البشاشة قال الراغب يقال هو طلق الوجه
وطليق الوجه اذا لم يكن كالحا انتهى وهو في الاصل من الاطلاق من الوثاق فاستعير
للبشاشة والسرور فسالته عن سبب ذلك فقال وما يمنعني من المسرة وانشراح
الصدر وقد خرج جبريل من عندي انفا اي قريبا من مجيئك فاتاني ببشارة
من ربي الظاهر ان فيه قلبا اي اتاني ببشارة ثم خرج ومثله كثير في كلامهم والحديث
صحيح اخرجه احمد واصحاب السنن ان الله بفتح الهمزة بدل مما قبله وبكسرها والجملة
مفسرة للبشارة وهي الخبر السار بعثني اي ارسلني اليك ابشرك انه ليس احد من
امتك يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها اي بصلاته التي صلاها عشرا
وقد تقدم هذا وتفسيره وعن جابر بن عبد الله في حديث رواه البخاري قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اي الاذان فرغ من الجميع
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة اي الدائمة او التي تقوم لها الناس
في معيشة راضية ات محمدا الوسيلة والفضيلة والبعثه مقاما محمودا الذي وعدته
حلت له شفاعتي اي تحققت يوم القيامة وظاهره انه يقوله وهو يسمع الاذان من
اجابته وبه استدل الطحاوي على انه لا تتعين الاجابة او المراد انه يقوله حين
يسمع النداء بتمامه فيكون بعد الاجابة والرواية بتنكير مقاما حكاية لما في القران
وهو منصوب مفعول ات والذي بدل او عطف بيان او هو منصوب على الظرفية
والذي مفعول وروي المقام المحمود بالتعريف كما قاله النووي ولا وجه لانكاره
وقد تقدم بيانه وعن سعد بن ابي وقاص في حديث صحيح رواه مسلم من قال حين
يسمع المؤذن اي اذانه وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له اي جميع ذنوبه
وذكره استطرادا لمناسبته لما قبله لانه ليس فيه شي مما نحن فيه من فضيلة الصلاة
عليه وما قيل انه يعلم منه التزاما لان مجرد الرضا به اذا كان سببا للمغفرة
فكيف اذا قرن به الصلاة والسلام عليه بعيد جدا لانه ليس في الكلام ما يدل
عليه بوجه من الوجوه وروى ابن وهب هو الامام ابو محمد عبد الله الفهري
كما تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا اي قال السلام
عليك يا رسول الله عشر مرات فكانما اعتق رقبة اي عبدا وعبر بالجزء عن الكل
اي كان ثوابه مثل ثواب ذلك وفي بعضها لانا رجح اثر بمعنى الخبر الذي يؤثر اي ينقل
والمراد به هنا الحديث ليردن علي اقوام اي يانون على الحوض لا اعرفهم الا بكثرة صلاتهم
وفي نسخة ما يدل الا بكثرة انه صلى الله عليه وسلم يرى في وجوههم نورا وعلامة
من اثار الصلاة عليه وفي حديث اخرجه الحاكم اي اسرعكم نجاة وخلاصا يوم القيامة
من اهوالها اي شدائدها ومخاوفها ومواطنها المشهورة للاهوال او للقيامة التي تخافونها

يشهد

علي

اكثر كم علي صلاة يعني ان بركتها تسهل عليه شدائدها وهذا الحديث رواه الاصبهاني
في ترغيبه عن انس رضي الله عنه وفيه ايضا عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب اي اشد ابطالا واذهابا من محق الشيء
اذا ابطله من الما البارد للنار فانه اذا صب عليها اطفاها واذهب ضررها فقرنه
تشبيه للصلاة بذلك والسلام عليه صلى الله عليه وسلم افضل من عتق الرقاب
انما خص السلام بجعل ثوابه كثواب عتق الرقاب لان السلام فيه تسليم له من سائر
النقائص ومن اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار فسلم
مما يخشاه في الاخرة فلذا جعل السلام عليه واجره كالاعتاق واجره وشبهه
به دون الصلاة وهذه نكتة لطيفة لا تنافي ما مر لان وجه الشبه قد يكون
اقوى في المشبه وفي بعض الشروح هنا كلام تركه خير منه

## فصل

في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه لتركه الواجب عليه وذمه
بترك الافضل في حقه ففيه اشارة الى انه قد يجب وقد يندب كما مر وهذا
اخر هذا الفصل عما قبله وصدره بحديث مسند رواه مسلم والترمذي كما هو
دابه في كتابه هذا فقال حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله هو ابن سكرة
وقد تقدم مرارا قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون هو احمد بن الحسن بن خيرون
البغدادي الحافظ الناقد وقد تقدم ايضا وابو الحسن الصيرفي كذا في النسخ والصو
ابو الحسين بالتصغير وقد تقدمت ترجمته ايضا قالا حدثنا ابو يعلى هو احمد بن
عبد الواحد المعروف بزوج الحرة كما تقدم قال حدثنا السنجي وبيان
نسبته وضبطها قال حدثنا محمد بن محبوب تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو
عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المشهور وقد تقدم بيانه قال حدثنا
احمد بن ابراهيم الدورقي هو احمد بن ابراهيم البغدادي الحافظ والدورقي
بفتح الدال المشددة والرا المهملتين بينهما واو ساكنة ويليهما قاف
وياء نسبة منسوب لبلد وهو في الاصل اسم انا للما كالجرة ولنوع من القلانس
شبهت بالاواني لطولها ووهم من غلط المزي في قوله انه اسم بلد فانه سبقه
اليه الحاكم في كتاب الكنى والمعترض اعتمد على كتاب الرشاطي وقد رده البرهان
الحلبي في المقتفي والدورقي كان امام الحديث في عصره اخرج له الستة وغيرهم
ولد في سنة ست واربعين ومائتين قال حدثنا ربعي بن ابراهيم هو ربعي
ابن مقسم الاسدي الثقة الحافظ توفي سنة سبع وتسعين ومائة عن عبد
الرحمن بن اسحاق بن عبد الله بن الحارث بن كنانة القرشي العامري المدني
ويقال له عبادة بن اسحاق وثقوه وضعفه بعضهم وله ترجمة في الميزان
عن سعيد بن ابي سعيد هو المقبري وقد تقدم عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل اي اذله الله
واخزاه وحقيقته الصق الله وجهه بالرغام وهو التراب فكني به عما
ذكر واضيف للانف لتقدمه كما مر عنده فلم يصل علي لان الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم تعظيم له وثواب لفاعله وعدمه له باعزاز نبيه

وفي الدر المنضود بعد كلام الصديق هنا وجب رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من مهج الانفس
او قال من ضرب بالسيف في سبيل الله وله حكم الرفوع اذ مثله لا يقال من قبل الراي واخرجه التيمي
وعنه ابو القاسم بن عساكر من طريقه اليمن بن عساكر بلفظ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
افضل من عتق الرقاب او قال من ضرب بالسيف في سبيل الله وسنده ضعيف قيل ولعل وجه كون السلام
عليه افضل من عتق الرقاب لان ثواب العتق انما علم من جهته ولان العتق يقابله العتق من
النار لما في الحديث الصحيح من اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه حتى الفرج
بالفرج والسلام عليه يقابله سلام الله على المصلي عشرا وسلام الله عز وجل
افضل من مائة الف الف الف جنة فناهيك بها من منة انتهى

صلى الله عليه وسلم فمن تركه مع سهولته عليه كان مستحقا للاهانة وهذا الحديث
اخرجه الترمذي كما علمت وحسنه والحاكم وصححه ورغم انف رجل دخل رمضان اي جا
زمانه والتعبير فيه بالدخول حقيقة عرفا اي في عرف اللغة ثم انسلخ اي تم
ومضى واصل السلخ نزع جلد الحيوان فاستعير لكل اخراج يقال سلخت درعه اي
نزعته ومنه سلخ الشهر لاخره قال تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وتماقلته
اذهم الليل حين كان نحرونا ۞ سلخت بذي لاهلة سلخا
قبل ان يغفر له اي ولم يغفر له وفي التعبير بالقبلية اشارة الى انه لكونه محل
المغفرة كانت كالموجودة فذهب قبلها ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر
اي ادركا الشيخوخة وعمرا وهو معهما الا انه لم يبرهما ولم يعاملهما بما يرضيهما
فلم يدخلاه الجنة لانه لو فعل ذلك بهما اثابه الله وادخله الجنة فان الجنة تحت
اقدام الوالدين كما ورد في الحديث قال عبد الرحمن بن اسحاق الذي تقدم قريبا
واظنه اي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال او احدهما اي احد ابويه ونحوه
عود الضمير لابي هريرة وفيه شك من الراوي وستاتي تتمة الكلام على هذا الحديث ه
والجامع بين هذين الذين في صوم رمضان رضى ربه وخالقه وفي رضا الوالدين برضى
هو سببه لوجوده وفي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم رضا من هو سبب
لبقائه في النعيم المخلد والشوق مرضا للرب بامر ليس عليه فيه كلفة كالصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فقد احرم نفسه من فائدة عظيمة بتركه امثالها
لامشقة فيه ورواه مسلم بثم بدل الفا لاستبعاده ممن له عقل والفا نظرا
لكون ذلك واقعا عقبه لان الفا بمعنى ثم كما توهم وقيد بالوالدين بحال الكبر
لانها حالة العجز ورحمتهما والاسناد في قوله يدخلاه اسناد مجازي للتسبب وفي
حديث اخر رواه الحاكم وصححه عن كعب بن عجرة بطريق اطول من هذا ان النبي صلى
الله عليه وسلم صعد المنبر صعد بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل كما
قاله البرهان الحلبي والمنبر بكسر الميم اسم آلة من نبر بمعنى ارتفع لارتفاع
الخطيب عليه فقال آمين اذ صعد درجة وآمين اسم فعل بمعنى استجب كما مر وقوله
آمين يقتضي انه سمع داعيا يدعو ولم يكن معه احد فلذا سالوه عن سبب قوله
هذا كما سياتي ثم صعد درجة اخرى من درجات المنبر فقال آمين ثم صعد درجة
فقال آمين فسال له معاذ راوي الحديث عن ذلك اي عن قوله آمين ثلاثا وما
سببه فقال مجيبا للسائل عن سؤاله ان جبريل اتاني لما صعدت المنبر وروي
انه اتاه قبله فقال يا محمد وروي انه قال له لبيك وسعديك من سمي للمجهول
وتا الخطاب المفتوحة نائب الفاعل اي ذكر اسمك بين يديه اي عنده وهو حاضر
يسمع ولم يصل عليك فمات تاركا للصلاة عليك والتعقيب عرفي كثم ودخ ء
فوله له فدخل النار عقوبة له على تركه الصلاة وقد قدمنا انه يقتضي وجوبها فه
كلما سمع اسمه والحواجب عنه فابعده الله عن رحمته ونعيم جنته وقال
له جبريل قل آمين كلما طلب منه الدعا من على دعائه ليستجاب وفيه تعليم
له لا يخفى فقلت آمين امتثالا لامره الذي بلغه عن ربه قال ابن حجر في

ابن اقتبوس

الزواجر ولهذا الوعيد بتكرير الدعا عليه بالبعد والسحق وعده ابخل الناس عدّوا ترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند ذكره من الكبائر بنا على وجوبها كل ما سمع ذكره كما ذهب اليه طائفة من الحنفية وغيرهم ويمكن حمله على من ترك الصلاة عليه لاشتغاله بلهو ولعب على وجه يشعر بالاستخفاف بحقه صلى الله عليه وسلم فيكون الترك حينئذ كبيرة مفسقة فلا منافاة بين هذا وبين القول بعدم الوجوب بالكلية وهذا امر مهم لم ار من نبه عليه انتهى وقال فيمن ادرك رمضان وصومه فلم يقبله منه مبني للمجهول اي لم يتقبله الله منه بان ابطل واحبط عمله فمات مثل ذلك اي فدخل النار فابعده الله قل امين فقلت امين ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما اي لم يقم بواجب حقوقهما وما يستحقانه يقال بر بفتح عين الماضي يبره بضمها لانه مضاعف متعد والمطرد فيه ذلك الا افعالا قليلة جا فيها الضم والكسر كما قاله ابن القوطية وغيره كما فصل في كتب الصرف فمات مثله بالنصب اي وذكر مثله اي فدخل النار فابعده الله الخ اي وعدم قبول رمضان اما لانه لم يات به على وفق امر الله له بان اخل به او اما لانه لم يخلص نيته فيه وهذا حديث صحيح روي من طرق كثيرة باسانيد متعددة وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من حديث صحيح رواه الترمذي وصححه والبيهقي والنسائي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال البخيل كل البخيل الذي اذا ذكرت عنده فلم يصل علي وتعريف الطرفين يدل على الحصر اي لا بخيل الا هذا او البخل الامساك عن بذل ما ينبغي شرعا او مروة والشرع يقتضي ذلك لانه امرنا به وكذا المروة لانها تقتضي الثناء على من انعم واحسن واي منعم مثله صلى الله عليه وسلم فانه واسطة لكل احد في جميع النعم التي وصل اليها والبخل بكلمة تنفع في الدنيا والاخرة بخل لا يضاهيه بخل وفي الحديث روايات مختلفة فروي البخيل كل البخيل وموكدا بان كما ياتي وفيه مبالغة لا تخفى وهو هنا استعارة تبعية بتشبيه ترك الصلاة بترك الانفاق او مكنية وتخييلية بتشبيه الصلاة بالمال الذي ينبغي انفاقه وعن جعفر الصادق بن محمد الباقر عن ابيه محمد الباقر وهو تابعي فالحديث مرسل كما في شعب الايمان للبيهقي ورواه الطبراني في الكبير متصلا عن الحسين بن علي جده رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به طريق الجنة اخطئ بضم الهمزة وكسر الطاء في اكثر النسخ مبني لما لم يسم فاعله وجوز بناؤه للفاعل ايضا اي دخل النار لانه اخطا عن طريق الجنة فكانت طريقه الى النار لانه قد اضله الله عن طريقها وهذا رواه جماعة من طرق متعددة وفي بعضها خطئ وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وكل هنا صفة البخيل للمبالغة كانه جمع افراده كلها ووجب حينئذ اضافته

لظاهر مماثل لموصوفه لفظا ومعنى كما هنا وكقوله

وان الذي حانت بفلج دماؤهم ۞ هم القوم كل القوم يا ام خالد

وقد ينافي لما يماثله معنى فقط وهذا الحديث اخرج من طرق متعددة اخرجه النسائي
والبيهقي والبخاري في تاريخه وعن ابي هريرة رضي الله عنه رواه ابو داود والترمذي
وحسنه والحاكم وصححه قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم اي هنا للعموم
وما مزيدة اي كل قوم جلسوا مجلسا اي في مجلس ثم لم يتفرقوا اي قاموا من مجلسهم قبل
ان يذكروا الله اي من غير ذكر له تعالى في مجلسهم او عند قيامهم منه وقيل ان يصلوا
على كانت عليهم من الله ترة وترة بكسر التا المهملة المثناة وفتح الرا المهملة
وها تانيث عوض من الفا المحذوفة كعدة وزنة وهي مرفوعة اسم كان وعليهم خبر
مقدم وجوز نصبها على الخبرية واسم كان ضمير مستتر راجع الى الجلسة المفهومة
مما قبله والترة لها معان الظلم والذنب والنقص والتبعة وقد فسرت بالحسرة وهو
اقربها لانه ورد كذلك في رواية كما ياتي وقوله ان شا عذبهم وان شا غفر لهم يقتضي
انه بمعنى الذنب والخطيئة فهو كالتفسير لما قبله والمعاني كلها متقاربة وقيل
انها بمعنى الحجة القايمة عليهم فهم في مشية الله ان شا عذبهم بترك الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم وان شا غفر لهم لانه الغفور الرحيم وقد علم ان الترة
هي في الاصل النقص قال تعالى ولن يتركم اعمالكم ومعناها هنا التبعة كما في
شرح السنة وفي غريب المدونة ان بعض الفقها حرفه وقراه بالثا المثلثة من
الثار بالهمز اي طلب الدم من القاتل واين هو منه لفظا ومعنى اذا علمت هذا فليس
لمن اراد القيام من مجلسه ان يقول لا اله الا الله وصلى الله وسلم على رسوله ليكون
مكفرا لما في ذلك المجلس وعن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي في
الشعب من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة اوله ونسي بضم اوله وتشديد ثانيه مبني للمجهول وفي نسخة
نسي بخفة مبني للفاعل طريق الجنة ففيه جعل الصلاة كالهادي لمن ترسل
لطريق الجنة او هو كره يذكرها ففيه استعارة او النسيان بمعنى الترك
مجازا من ذكر المقيد وارادة المطلق كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم وقوله
وكذلك اليوم تنسى وعن قتادة عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
عبد الرزاق عن معمر والحديث مرسل يستدل به في الفضايل دون الاحكام
كما علم مما مر من الجفا ان اذكر عند الرجل وفي نسخة رجل وفي اخرى احد فلا
يصلي علي الجفا ترك الصلة والبر ويكون بمعنى غلظة الطبع ومنه قيل
للاعراب اهل الجفا يمد ويقصر وهو ضد الصلة والمراد بالرجل الجنس كاللئيم
في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وعن جابر رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي
عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن ريح منتن ومنهم انتن افعل من النتن
وهي الرايحة الخبيثة التي يكرهها كل طبع ويكون من اللحوم المتغيرة بعد الموت
وفعلها نتن بالكسر والضم عند ابن القوطية فافعل من الثلاثي على القياس
او من نتن على مذهب سيبويه فلا قيل ان صوابه اشد نتنا لا وجه له مع

تلمساني

انه يكفي لصحته ورودة في كلام افصح الناس صلى الله عليه وسلم من ريح الجيفة الى آخ اما
على ظاهره او بمعنى الرائحة والجيفة في الاصل رمة الحيوان اذا انتفخت وتغيرت لانهم
انوا بما هو مذموم فشبه المعقول بالمحسوس وقيل انه لما صدر عنهم من الكلام المذموم
شرعا من غير مكفر له وهو تقييد من غير دليل وقيل انه ريحهم في الملا الاعلا او يوم القيامة
بين اهل الموقف وهو بعيد لا يلايمه السياق فالظاهر انه على التشبيه او المراد انه كذلك
في الدنيا وقد نقل عن بعض المشايخ انه كان يشم من اهل الغيبة رائحة خبيثة وهذا
الحديث رواه الطيالسي والبيهقي والنسائي والضيائي المختارة بسند صحيح الا انه
فيه ذكر الله مع الصلاة كما مر والمشبه به اما فرد من افراد الجيفة او شيء غيرها
اشد نتنا منها وعن ابي سعيد الخدري في حديث رواه البيهقي وسعيد بن
منصور وغيرهما من طرق صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم
مجلسا اي في مجلس يتحدثون فيه ولا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم
في اثنائه او في آخره الا كان ذلك المجلس حسرة عليهم اي ندامة وتاسفا على ما فاتهم
فيه وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب لمن صلى عليه والقوم جماعة الرجال
خاصة لقوله اقوم آل حصن ام نسا ويطلق على ما يشملهم تغليبا وقيل انه عام
لكل جماعة وهو المناسب هنا وقد تقدم معنى حسرة وهي في الاصل بمعنى الانقطاع
من حسرت الناقة اذا انقطعت عن السير لكلال ويجوز في كان ان تكون تامة وناقصة
وجعله نفس الحسرة مبالغة كقوله وانه لحسرة على الكافرين او اسناده مجازي وحكى
ابو عيسى الترمذي امام الحديث وصاحب الجامع والشمائل وقد قدمنا ترجمته
وشهرته تغني عن ذكره عن بعض اهل العلم انه قال اذا صلى الرجل على النبي صلى
الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزا بالهمزة عنه ما كان في ذلك المجلس اي كفت المرة عن
تكريرها بتعدد ما ذكر اسمه في ذلك المجلس فهو سنة كفاية او من كفاية بنا على الخلاف
السابق وفي بعض الحواشي اختلفت الرواية فيه فعن صاحب المجتبى من الحنفية
انه يتكرر الوجوب بتكرر ذكره وقيل لا يتكرر كما لو تكررت آيات السجدة في مجلس
فانه يكفي فيها سجدة واحدة وقيل المراد بما كان في ذلك المجلس ونحوه مما يحتاج
للكفارة ويؤيده ما ورد في الحديث من صلى علي مرة واحدة محى الله عنه بها
ذنوب ثمانين سنة فيعلم منه ما ذكر بالطريق الاولى وكذا ورد عنه صلى الله
عليه وسلم ان من قال اذا قام من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان
لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك فاذا
ضم اليه ذلك الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم حاز فضلا عظيما
وكفر عنه ما صدر منه ومن اهل مجلسه واعلم انه قال في الخزانة انه صلى الله
عليه وسلم لا يجب عليه ان يصلي على نفسه انتهى قيل فاذا كان لا يجب عليه
ذلك فهل كانت صلاته صلى الله عليه وسلم على نفسه في صلاته بطريق
الاستحباب ولم يكن يصلي على نفسه فيها قيل لم يصرح به احد انتهى وفي
فتاوى السبكي الحلبيات الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجبة بالاجماع
وكونها ركنا من الصلاة مذهب الشافعي والظاهر ان النبي صلى الله عليه وسلم

دجي

عوضي

مشاركة

مشاركة لامته في هذا الحكم من كونها واجبة عليه في صلاته ركنا فيهما فان نقل اجماع انه لم يكن
يجب على الامم المتقدمة ان يصلوا على انبيائهم فينبغي ان تعد من الخصايص واما غير
الانبيا فاقل من ان يتوهم مشاركتهم في الوجوب حتى ينتفي خصوصيته وما نقله
الحجازي من انها لا تجب على غيره استقلالا الا بالاجماع وان اريد في غير هذه الملة انه صح
ثبتت الخصوصية وان اريد انه لا يجب علينا في ملتنا ان نصلي على غيره استقلالا لا
فيفهم انه يجب بغير استقلال ولا نعرفه انتهى

## فصل

في خصيصه عليه الصلاة والسلام بتبليغ صلاة من صلى عليه
او سلم من الانام كسحاب مطلق او كل ذي روح او الجن او الانس خاصة وتبليغ انام
بالمد كساباط والانيم كاسير وبدا لحديث رواه احمد وابو داود والبيهقي بسند حسن
وهو قوله حدثنا القاضي ابو عبد الله التيمي قال حدثنا الحسين بن محمد ابو علي

قال حدثنا ح

الغساني وقد تقدم مما قال حدثنا ابو عمر الحافظ ابن عبد المؤمن هو ابن عبد البر
كما تقدم قال حدثنا ابن داسة تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو داود امام الحديث
وصاحب السنن كما تقدم قال حدثنا ابن عوف محمد بن عوف الطائي الحمصي راوي
سنن ابي داود عنه توفي سنة اثنين وسبعين ومايتين قال حدثنا المقرئ
ابو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد القصير المقري مولى عمر رضي الله عنه وهو ثقة
اخرج له الستة وتوفي سنة ثلاث عشر ومايتين كما تقدم قال حدثنا حيوة بن
شريح كما تقدم قريبا عن ابي صخر حميد بن زياد الخراط قال احمد لا باس به وله
ترجمة في الميزان عن يزيد بن عبد الله بن قسيط بالتصغير الليثي التابعي الثقة
توفي سنة اثنين وعشرين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم
علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام اي اجيبه وكلام المتن في تبليغ
الصلاة له وهذا في تبليغ السلام ولذا قيل انه مخصوص بوقت الزيارة وان
نوزع فيه كما ياتي فاما ان يكون ذكره لمناسبته للصلاة او فهم منه ان المراد
بالسلام قولهم الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وفيه دليل على انه صلى
الله عليه وسلم حي حياة مستمرة لان الكون لا يخلو من مسلم يصلي عليه في كل لحظة
وقد ثبت بالاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه الصلاة والسلام وسلم وساير
الانبيا عليهم الصلاة والسلام احيا حياة حقيقية كالشهدا وان كان حال البرزخ
لا يقاس على حال الدنيا وقد قال ابن العماد رحمه الله ان رد الروح يقتضي الموت
وهو خلاف المقصود وقد اجيب عنه باجوبة منها ما قاله صاحب القاموس
في كتاب الصلات والبشر ان البيهقي قال معناه ان الله رد روحه الشريفة لاجل
رد سلام من يسلم عليه ثم استمرت في جسده وقال عبد الكافي السبكي شيخه انه يحتمل
انه رد معنوي بان تكون روحه مشتغلة بشهود الحضرة الالهية والملا الاعلى عن
عالم الدنيا فاذا سلم عليه اقبلت روحه لهذا العالم لرد السلام وقال السخاوي
في كتابه القول البديع رد روحه يلزمه تعدد حياته ووفاته في اقل من ساعة
اذ الكون لا يخلو من مسلم عليه بل قد تتعدد في آن واحد كثيرا واجاب الفاكهاني

والنطق من
وبعضهم بان الروح هنا بمعنى النطق مجازا فكانه قال رد الله علي نطقي والنطق من
لوازم وجود الروح بالفعل او بالقوة فعبر باحد المتلازمين عن الاخر ويؤيده
ان الحياة مرتين لا غير لقوله تعالى امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وقيل انه على ظاهره
بلا مشقة وقيل المراد بالروح ملك وكل بابلاغه السلام وفيه نظر انتهى وفي رواية
كما قاله السبكي ما من احد يسلم علي عند قبري فان ثبتت فهو مخصوص ولا
يرد بالراي قال في الدر وزيادة عند قبري لعد علي قال السخاوي لم اقف عليها
فيما رايته من طرق الحديث اقول هذا جملة ما في الحديث من القيل والقال وللنظر
فيه مجال اما اولا فاستعارة رد الروح للنطق بعيدة وغير معروفة ولا ما لوفة
وليس لها رونق يليق بالفصاحة النبوية ولو سلم لكان ركيكا لان قوله حتى ارد
عليه السلام ياباه ولو قيل انه مجاز عن المسرة كان اقرب فانه يقال لمن سر
عادت له روحه ولمنده راحت روحه ولولا خوف الاطالة اوردت له شواهد
وهذا ايضا نحوا ما سادسا وجواب البيهقي خلاف الظاهر كما لا يخفى وكون
المراد بالروح الملك ياباه الاضافة لضميره الا ان يقال انه ملك كان ملازما له صلى
الله عليه وسلم فاختص به على انه اقرب الاجوبة وقد ورد في بعض الاحاديث
وقال ابو داود بلغني ان ملكا موكلا بكل من صلى عليه صلى الله عليه وسلم حتى
يبلغه سلامه ويأتي الكلام عليه وقد ورد ايضا اطلاق الروح على الملك في
القران واذا اختص هذا بالزوار فان امر وجملة رد الله علي روحي حالية ولا تلزمها
قد اذا وقعت بعد الا كما ذكره التسهيلي وهو استثناء من اعم الاحوال وبالجملة
فهذا الحديث لا يخلو من الاشكال واقول الذي يظهر في تفسير الحديث من غير تكلف
ان الانبياء والشهداء احيا وحياة الانبيا اقوى ولذا لم تتسلط عليهم الارض
فهم كالنائم والنائم لا يسمع ولا ينطق حتى ينتبه كما قال تعالى والتي لم تمت
في منامها اي يرسلها فالمراد بالرد الارسال الذي في الاية وحينئذ فمعناه انه
اذا سمع السلام والصلاة بواسطة او بدونها تيقظ ورد لا ان روحه تقبض
قبض الممات ثم تنفخ وتعاد كموت الدنيا وحياتها لان روحه صلى الله عليه وسلم
مجردة نورانية وهذا لمن زاره ومن بعد عنه يبلغه الملك سلامه كما ذكر بعد
فلا اشكال اصلا الا انه لم يتبين وما قيل ان رده صلى الله عليه وسلم مختص
بسلام زائره مردود بعموم الحديث فدعوى التخصيص تحتاج لدليل ويرده ايضا
الخبر الصحيح ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا
عرفه ورد عليه السلام فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم بزائره لم يكن له
خصوصية به لما علمت ان غيره يشاركه في ذلك قال ابو اليمن بن عساكر واذا جاز
رده صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه من الزائرين لقبره جاز رده على من يسلم
عليه من جميع الافاق من امته على بعد مسافته وذكر ابو بكر بن ابي شيبة هو عبد
الله بن محمد العبسي الكوفي الحافظ الثقة صاحب التصانيف الجليلة اخرج له
الايمة الستة وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وترجمته مفصلة في الميزان عن
ابي هريرة رضي الله عنه كما رواه البيهقي وابو الشيخ قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا اي بعيدا عني والناي
بالهمز البعيد بلغته بالبناء للمفعول اي بلغتني الملائكة سلامه وصلاته كما ورد مصرحا
به في الحديث وفي بعضها انه ملك معين وقوله وعن ابي مسعود عقبة بن عمرو الانصاري
وفي نسخة ابن مسعود وهو غلط ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي
السلام وفي اخرى ان لله ملائكة يسيحون في الارض يبلغوني صلاة من صلى علي من امتي
وهذا يقتضي انهم جماعة كثيرة لا واحد معين والسياحين جمع سياح صيغة مبالغة
من السياحة وهي الطواف في الارض والدوران فيها والذهاب الى البلاد البعيدة
وكانت النصارى تفعله تعبدا فنهي عنه صلى الله عليه وسلم بقوله لا سياحة في
الاسلام لما فيه من ترك الجمعة والجماعة وهو مستعار من ساح الما اذا جرى على وجه
الارض اما الملائكة اذا امروا بذلك فهذه الخدمة نوع عبادة لهم لانهم لا يفعلون الا
ما يؤمرون وقوله يبلغوني الخ صفة لملائكة او جملة مستانفة استينافا بيانيا وليس
هذا الحديث موقوفا بل هو مرفوع رواه احمد والنسائي والبيهقي والدارمي
وابن حبان وابو نعيم والخلعي بسند صحيح ونحوه عن ابي هريرة اي بمعناه ما رواه
في الترغيب عن ابي هريرة وفي الحلية لابي نعيم واللفظ الذي في الترغيب عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل سيارة من الملائكة
اذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض اقعدوا فاذا دعا القوم امنوا على دعا
فاذا صلوا علي صلوا معهم حتى يفرغوا ثم يقول بعضهم لبعض طوبى لهؤلاء
فانهم مغفور لهم وفي الحلية انه يبلغ صلاتهم ويكفوا امر دنياهم واخرتهم
وعن ابن عمر رضي الله عنهما ولم يخرجوا هذا الحديث اكثروا من السلام على نبيكم
كل جمعة المراد به الصلاة والسلام عليه في يوم الجمعة وليلتها ويحتمل ان يريد
السلام وحده فانه اي السلام يؤتى به منكم في كل جمعة لانه يوم تعرض فيه الاعمال
وللصلاة فيه فضل على غيره وذكر في الدر المنضود ان في رواية ليس احد يصلي علي
يوم الجمعة الا عرضت علي صلاته صححها الحاكم والبيهقي وفي سندها راو
وثقه البخاري وضعفه غيره وفي رواية اخرى فان احدا لا يصلي علي في ذلك
اليوم وليلته الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها قال السخاوي رحمه الله
هذا الحديث لم اقف عليه وفي الدر المنضود وفي رواية رجالها ثقات الا انها منقطعة
اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلي علي
الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها قال راويه ابو الدرداء وبعد الموت قال وبعد
الموت وروى البيهقي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقربكم مني
يوم القيامة اكثركم علي صلاة في الدنيا ومن صلى علي يوم الجمعة وليلة الجمعة
قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الاخرة وثلاثين من حوائج الدنيا وورد في
الاحاديث الحث عليها في يوم الجمعة وانه يوم مشهود والانبيا احيا في قبورهم
كما تعرف فان قلت ورد تبليغ الصلاة عليه له صلى الله عليه وسلم مطلقا في
احاديث تاتي وفي بعضها مقيدا بيوم الجمعة كما ياتي فما وجهه قلت يجوز ان
يكون عرضها وتبليغها كل يوم من بعض الملائكة وما في يوم الجمعة من اخرين او ذاك

عرض لها فرادي وهذا اجمله على وجه نخاص او لتكتب في صحف عنده كما وقع في بعض الروايات
وعن الحسن بن علي بن ابي طالب في حديث رواه ابن ابي شيبة والطبراني وابو يعلى بسند
صحيح عنه صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني اي تبلغها
له الملايكة كما تقدم وحيث اذا اتصلت بما هي شرطية وهي ظرف مكان وتاتي للزمان
كما في قوله • حيثما تستقم يقدر الله لك نجاحا في غابر الازمان • وعن ابن عباس في
حديث موقوف رواه البيهقي وابن راهويه ليس احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم
يصلي او يسلم عليه الا بلغه بضم اليا وكسر اللام المشددة مبني للمجهول اي بلغته الملايكة
سلامه وصلاته وهذا يحتمل تعيين المصلي وعدمه فلذا اردفه بقوله وذكر بعضهم
ان العبد اذا صلى او سلم على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه صلى الله عليه
وسلم صلاته وسلامه واسمه واسم ابيه وعشيرته فيثبت عنده في صحيفته كما ورد
في حديث مرفوع وقيل المراد ببعضهم النميري عن حماد وياتي قريبا ما يويد صحة
ما قاله • وعن الحسن بن علي اذا دخلت يا الخطاب لغيره معين المسجد تعريفه للجنس
فان كل من دخل مسجدا كان يستحب له ان يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما ذكره الخيضري في كتابه اللوا المعلم وقيل تعريفه للعهد والمراد به مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم والظاهر الموافق للرواية الاول والذي حمله على هذا
قوله فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تتخذوا بيتي عيدا فان بيته عند مسجده • ولذا قيل المراد ببيته قبره
فانه في بيته دفن وياتي في رواية اخرى ولا تجعلوا قبري عيدا مع الكلام عليها
والعيد الموسم الذي يجتمع فيه وياوه منقلبة عن الواو ولانه سمي به لعوده في كل
عام وانما جمع على اعياد وقياسه على الجمع اعواد للفرق بينه وبين جمع عود
ونهيه صلى الله عليه وسلم عما كان يفعله اليهود والنصارى عند قبور
انبيايهم من الزينة واللهو والطرب وقيل النهي عن تعظيمها لما فيه من
الفتنة بها حتى لا تتخذ وثنا يعبد وقيل المراد لا تتخذ وها كالعيد تزورها
في العام مرة بل اكثروا من زيارتها ولا تتخذوا بيوتكم قبورا اي لا تتركوا الصلاة
والعبادة فيها فتكونوا فيها كانكم اموات ولذا قيل •
فيا نايم الليل هنية • فقبل الممات سكنت القبورا •
وقيل المراد لا تدفنوا في البيوت بل في الجبانة ولا يرد عليه انه صلى الله عليه
وسلم دفن ببيته لانه اتبع فيه سنة الانبيا قبله كما ورد ما قبض نبي
الا دفن حيث قبض فهو مخصوص بهم وصلوا علي حيث كنتم اي في اي مكان
فلا تحتاج للاتيان لمسجده ولا لقبره الشريف حتى يسلم عليه وهذا دليل
على ان المسجد في اول الحديث ليس المراد به مسجده صلى الله عليه وسلم فان
صلاتكم تبلغني حيث كنتم اعاد حيث كنتم لئلا يتوهم ان الصلاة انما تبلغه
ممن كان عنده في مسجده الشريف او عند قبره الشريف وليس تاكيدا لما قبله
لافادته تعميما اخر لا يعلم مما قبله وهذا الحديث اخرجه الطبراني وابو يعلى
وفي حديث اوس بن اوس الصحابي الثقفي اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة

ابن اقبرس

خصها

خصتها لما فيها من الفضل وهي يوم تشهده الملائكة وتعرض عليه صلاة من صلى عليه والصلاة
عليه فيه تفضل على غيرها ولما فيه من الصلة ولانه يوم يزار فيه وهذا الحديث رواه ابو
داود والنسائي واحمد في مسنده والبيهقي وغيرهم وصححوه وقيل انما خص يوم الجمعة
لانه كما ورد في الحديث افضل ايام الجمعة وفيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام وقبضت
روحه وفيه النفخة والصعقة وقيل حد اقل الكثرة من الصلاة ثلاثمائة وبضع عشرة
كما في قوت القلوب قال السخاوي ولم اقف له على مستند فلعله تلقاه عن احد من
الصالحين عرفه بتجارب او غيره او رآه اقل ما يحصل به الكثرة فان صلاتكم معروضة
علي تقدم بيانه قريبا وعن سليمان بن سحيم بالتصغير وسين وحا مهملتين وهو
مولى آل العباس وقيل آل الحسين وهو من علما الحجاز المشهورين وحيث اطلق في
النقل فهو المراد ولهم سليمان بن سحيم آخر لكنه لم يشتهر النقل عنه وهو ثقة توفي
في خلافة المنصور وهذا رواه عنه ابن ابي الدنيا والبيهقي في حياة الانبياء رايت
النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ومن رآه في المنام فقد رآه حقا فان الشيطان
لا يتمثل في صورته فقلت يا رسول الله هؤلا الذين ياتونك فيسلمون عليك اذا
زاروا امثالهم بعد الانتقال اتفقه سلامهم اي اتسمعه وتفهمه قال نعم وارد عليهم
وفقه يفقهه ورد من باب نصر وفرح ومعناه فهم وعن ابراهيم بن شيبان تقدمت
الى القبر الشريف فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته من داخل القبر
يقول وعليك السلام ووقع للسيد نور الدين بن العفيف الايجي انه سمع جواب
سلامه من داخل القبر الشريف عليك السلام يا ولدي وفي مسند الدارمي ان
الاذان والاقامة تركا ايام الحرة وان ابن المسيب لم يبرح مقيما في المسجد فكان لا يعرف
وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبره صلى الله عليه وسلم وقوله وارد
عطف على قول السايل اتفقه ويسمى هذا عطف التلقين وقد فصل في شروح
الكشاف في قوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا ويكون في الجمل والمفردات
كما تقدم ونعم وقع في الجواب عما سئل عنه وهو ظاهر تنبيه اذا راى احد
النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وامره بامر هل يلزمه العمل بما قاله فيه
تفصيل فان وافق الشرع فلنفسه العمل به ولا يلزمه امر غيره به وما عداه
لا يلزمه العمل به لان الرؤيا لا يضبطها النائم ويحتمل التاويل وهذا هو
الصحيح وفيه كلام ليس هذا محله وعن ابن شهاب هو الزهري كما تقدم
وهذا رواه عنه النميري بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
وفي نسخة بلغنا ان رسول الله قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهرا
واليوم الازهر يعني ليلة الجمعة ويومها ومعنى الازهر الابيض المستنير ولذا
كان الازهر لا يطلق في وضع اللغة على غير اللون الابيض وان شاع بعد ذلك في
مطلقه ونورهما البركة فيهما وما في ذلك اليوم من العبادة التي خص بها وما فيه
من ساعة الاجابة وغير ذلك مما ذكر في فضايله وهو عيد المؤمنين وتنزل
فيه الملايكة كثيرا فانهما اي يوم الجمعة وليلتها يؤديان عنكم بضم المثناة التحتية
وفتح الهمزة والدال المهملة المشددة اي يوصلان صلاتكم علي ويبلغانها الي والاسناد

الى الزمان اسناد مجازي اي يودي الملايكة فيهما ذلك وكونهما تخلف لهما انطقا بذلك الا ادا خلاف الظاهر وان جاز الا ان التصريح بعده بحمل الملك لذلك يا باه وبما تقرر في هذه الاحاديث علم انه صلى الله عليه وسلم تبلغه الصلاة والسلام عليه اذا صدرا من بعد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف بلا واسطة سوى ليلة الجمعة وغيرها وافتى النووي فيمن حلف بالطلاق الثلاث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع الصلاة عليه هل يحنث بانه لا يحكم عليه بالحنث للشك في ذلك والورع ان يلتزم الحنث وان الارض لا تاكل اجساد الانبيا لانهم عليهم الصلاة والسلام احيا في قبورهم لا تبلى اجسادهم وهذا جواب عن سوال مقدر كانه قيل كيف يكون ذلك لمن مات واكلته الارض كما ورد مصرحا به في حديث اخر وان بكسر الهمزة والجملة حالية او بفتحها بتقدير وبلغنا ان الارض الخ وقيل انه بيان لخاصية اخرى والاول اولى ولا ينافي ما تقرر من حياتهم ما في صحيح ابن حبان في قصة عجوز بني اسرايل انها دلت موسى على الصندوق الذي فيه عظام يوسف فاستخرجه وحمله معهم عند قصدهم الذهاب من مصر الى الارض المقدسة اما لانها ارادت بالعظام كل البدن او لان الجسد لما لم يشاهد فيه روح عبر عنه بالعظم الذي من شانه عدم البلا او ان ذلك باعتبار ظنها انه لا بد ان الانبيا كابد ان غيرهم في البلا وما من مسلم من مزيدة للتعميم اي كل مسلم يصلي علي وهو بعيد الا حملها اي صلاته وسلامه ملك حتى يوديها اي يوصلها الي ويسميه حتى انه بكسر الهمزة يقول ان فلانا يقول لك كذا وكذا فيذكر ما قاله بعينه بعد تعيينه باسمه واسم ابيه ومكانه وشهرته واخرج جمع انه صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملكا اعطاه اسماع الخلايق فهو قايم على قبري اذا مت فليس احد يصلي علي صلاة الا قال يا محمد صلى عليك فلان فيصلي الرب تعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا وفي رواية فهو قايم على قبري حتى تقوم الساعة ليس احد من امتي يصلي علي صلاة الا قال يا احمد فلان بن فلان باسمه واسم ابيه يصلي عليك كذا وكذا وضمن لي الرب انه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا وان زاد زاده الله وتقدم انه كان من عادة السلف ايضا ان يرسلوا السلام له صلى الله عليه وسلم مع الزوار ايضا كل عام كما قيل

الا ايها الغادي الى يثرب مهلا ❊ لتحمل شوقا ما اطيق له حملا

تحمل رعاك الله مني تحية ❊ وبلغ سلامي روح من طيبه حلا

## فصل في الاختلاف الواقع بين العلما

في الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم اي في جواز الصلاة على غيره من المومنين غير الانبيا كالصحابة ونحوهم وساير الانبيا اي بقيتهم غيره كابراهيم وموسى ونحوهما فساير بمعنى باقي كما تقدم والخلاف في جواز الصلاة على من ذكر استقلالا لا بطريق التبعية له كالصلاة على آله وازواجه قال القاضي ابو الفضل عياض المولف وفقه الله تعالى عامة اهل العلم اي جميعهم

عرضي

ابن ابي القيس

منقوض على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم من الانبيا والملائكة
والمومنين ودعواه الاتفاق مطلقا ليس بمسلم وقد قال النووي في الاذكار اجمعوا
على الصلاة على نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك اجمع من يعتد به على استحبابها
على سائر الانبيا والملائكة استقلالا واما على غيرهم ابتدا فالجمهور على انه لا يصلى
عليهم واختلف في هذا المنع فقال بعض اصحابنا انه حرام والاكثر على انه مكروه
كراهة تنزيه وذهب كثير الى انه خلاف الاولى وليس مكروها والصحيح الذي
عليه الاكثرون كراهته تنزيها لانه شعار اهل البدع انتهى ملخصا فدعواه
الاتفاق مخالفة للمنقول وقال الجويني ان السلام مثل الصلاة فلا يقال علي
عليه السلام تقدم على كلام الجويني اللهم الا ان يقال مراده بغير النبي بقية الانبيا
الا انه تخصيص من غير دليل وروي عن ابن عباس انه لا يجوز الصلاة على غير النبي صلى
الله عليه وسلم رواه البيهقي في الشعب وسعيد بن منصور في سننه والطبراني
وابن ابي شيبة وعبد الرزاق ومراده بغيره بقية امته لقوله عنه ولكن يدعى للمسلمين
والمسلمات بالاستغفار ولقوله وروي عنه اي عن ابن عباس رواه القاضي اسمعيل
في احكام القران لا ينبغي الصلاة من احد على احد الا للنبيين وهذا مفسر لما قبله
وقال سفيان الثوري يكره ان يصلى الا على نبي وهو موافق لكلام ابن عباس ولما في
الكراهة من معنى النفي صح وقوع الاستثنا المفرغ بعده وهذه احدى الروايتين
عن سفيان رواها عنه عبد الرزاق والبيهقي والاخرى تفرد بها البيهقي يكره
ان يصلى على غير النبي صلى الله عليه وسلم ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب
مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبيا سوى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى
هذا لا يصلى على غيره من الانبيا استقلالا وهو احدى الروايتين عن الثوري كما
تقدم وهذا غير معروف من مذهبه اي مذهب الامام مالك وايد كونه غير معروف
من مذهبه بقوله وقد قال الامام مالك في المبسوطة اسم كتاب كالمدونة ليحيى
ابن اسحاق الذي روى المبسوطة عن مالك وهو يحيى بن اسحاق بن عبد الله بن
اسحاق بن المهلب بن جعفر ويكنى ابا بكر وله بيت شريف بقرطبة اكره الصلاة على غير
الانبيا وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به فلا نتجاوزه لغيره لانه امر تعبدي
لا يعقل معناه بالراي ونقتصر فيه على ما روي عنهم وقال يحيى بن يحيى الليثي
عالم الاندلس وراوي الموطا عن مالك رحمه الله لست اخذ بقوله اي لا اتمسك
بقول مالك ما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
قطعي فقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية ومن عزا لمالك عدم
الجواز حمل قوله ما ينبغي على عدم الجواز فعزاه له وهو مستعمل لهذا المعنى وورد
لغيره ايضا ولا باس بالصلاة على الانبيا كلهم وعلى غيرهم من الملائكة والمومنين
واحتج يحيى بن يحيى لما قاله بحديث ابن عمر الاتي انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى ابي بكر وعمر موقوفا وبما جا في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة
الصلاة عليه كما مر وبقوله اي في حديث تعليمه ايضا وعلى ازواجه وعلى اله
فهذا ونحوه يدل على ان الصلاة على غير الانبيا جايزة الا ان هذا الطريق التبعية

والخلاف في الصلاة على غيرهم استقلالا كما مر وحينئذ فما ذكرنا في ما قاله
مالك ولا يتجه ما قاله يحيى بن يحيى رحمه الله وفي بعض النسخ زيادة وهي وقد
وجدت معلقا اي مكتوبا في بعض الكتب وقيل التعليق هنا ما اصطلح عليه
المحدثون من ذكر حديث طوى بسنده او بعضه وقوله وجدت من الوجادة وهي
في اصطلاح المحدثين ان يجد حديثا بخط من يعرفه سواء عاصره ام لا فيرويه
عن ابي عمران الفاسي هو موسى بن عيسى الغفجومي بفتح الغين المعجمة
وسكون المثلثة وجيم وواو وميم نسبة لقبيلة من البربر والفاسي نسبة
لفاس بلدة بالمغرب وقوله في القاموس انه بهمزة لا اصل له وابو عمران فقيه
المغرب توفي سنة ثلاثين واربعمائة في ثالث شهر رمضان روي عن ابن عباس
كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم نبيا او غيره قال ابو عمران
وبه نقول اي نعتقده ونعمل به ولم تكن الصلاة على غير نبينا استقلالا لا
تستعمل فيما مضى من عصر الصحابة فمن بعدهم وهو غير مسلم كما تقدم
وقد روى عبد الرزاق وهو امام الحديث ابو بكر بن همام بن نافع الحميري وله
تصانيف جليلة وروى عنه احمد وغيره وتوفي سنة احدى عشر ومائتين
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله رضي الله عنه ح
ورسله فان الله بعثهم كما بعثني تعليلا للصلاة عليهم بانهم ساووه في اصل
البعثة فينبغي ان يصلى عليهم كما يصلى عليه وهذا الحديث رواه الطبراني
والقاضي اسمعيل والتيمي في الترغيب وغيرهم بسند صحيح قالوا والاسانيد
عن ابن عباس الواردة في منع الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم لينة اي
لينة غير قوية فلا تعارض ما روي عنه وعن غيره من طرق متعددة باسانيد صحيحة
قوية وهذا اصطلاح المحدثين يقال فلان لين الحديث وسند لين اذا كان لا يصلح
للاحتجاج به واللين غير الضعيف لكنه يقرب منه وقيل ان رجاله رجال الصحيح
فليس بلين فتامله ثم رده بوجه اخر مقبول فقال والصلاة معناها التي
وضعت له في لسان العرب اي في لغتهم واللسان اسم للجارحة التي هي آلة النطق
تجوز بها عما ذكر كما قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه بمعنى
الترحم والدعاء بالرحمة وذلك اي الدعاء بالرحمة على الاطلاق اي يجوز مطلقا
على نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى غيره وليس فوق وذلك اشارة الى قوله
بحيث لا باس بها على الانبياء وغيرهم كما قيل حتى يمنع منه حديث صحيح او دعلي
اجماع لان الاصل ان كل لفظ وضع لمعنى يجوز اطلاقه على ما وجد فيه
ذلك المعنى الا ان هذا غير مسلم فانه لم يوضع لمطلق الدعاء بالرحمة بل هو
مقيد بنوع من التعظيم يليق بمقام النبوة ثم انه اورد دليلا قويا من هذا
فقال وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته ففي هذه الاية
دليل على انه يجوز الصلاة على كل مؤمن فضلا عن الانبياء عليهم الصلاة
والسلام لان سبب نزولها كما مر انه لما نزل عليه ان الله وملائكته
يصلون على النبي قال الصحابة هذا لك يا رسول الله خاصة وليس لنا

فيه

فيه شيء فانزل الله هذه الاية وتقدم ان صلاة الله رحمته وصلاة الملائكة الدعا
والاستغفار لسائر المؤمنين وقال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
بها الاية وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم فامره بالدعا لهم بلفظ الصلاة لمن ادى الصدقة
فكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم صل على ال ابي اوفى كما ياتي وفي دعائه بذلك
دليل على جوازه مطلقا وتطهيرهم بمغفرة ذنوبهم وسكنهم باطمينان قلوبهم
وقال تعالى اوليك الاشارة لمن صبر عند المصيبة من المومنين عليهم صلوات من
ربهم ورحمة وعطف الرحمة عطف تفسير وان قلنا انها اعم لانه يجوز التفسير
بالاعم المقصود منه فلا يرد عليه ان العطف يقتضي المغايرة لان الصلاة رحمة
مشتملة على تعظيم وتكريم وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان
اللهم صل على ال ابي اوفى بفتح الهمزة والفا بينهما واو ساكنة وهذا الحديث روي
عن عبد الله بن ابي اوفى وتتمته كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل
على ال فلان فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على ال ابي اوفى والصدقة
هنا المراد بها الزكاة وان كانت عامة ومعنى صل عليهم ارحمهم وطهرهم
وزك اموالهم التي بذلوا زكاتها وآله اهله واتباعه وقيل المراد نفسه
وذاته كما في قوله لقد اوتي مزمارا من مزامير ال داود اي من مزامير
داود عليه الصلاة والسلام نظير ما ذكره المص في تفسير آله صلى الله عليه
وسلم كما ياتي وابو اوفى هو علقمة بن خالد بن الحارث الاسلمي الصحابي
وهو اخر من مات من الصحابة بالكوفة سنة سبع وثمانين وابنه صحابي
ايضا شهد مع ابيه بيعة الرضوان وهذا الحديث من اقوى ما استدل
به على جواز الصلاة على غير الانبيا استقلالا وفي حديث الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم في التشهد وقد تقدم بيانه وبيان وطرقه مفصلا اللهم صل
على محمد وعلى ازواجه وذريته وهم نسله واولاده كما تقدم وفي حديث اخر
روي في صلاة التشهد وعلى ال محمد وفسر الاول بقوله وقيل آله اتباعه جمع
تابع او تبيع وهو من يقفو اثره ويلحقه وخص عرفا بمن يخدمه من الاهل
والخدم وقيل آله امته والمراد امة الاجابة وهم كل من امن به وامة
الدعوة اعم منهم وقيل هم الاتباع والرهط والعشيرة الرهط القبيلة
مطلقا وهو في الاصل ما دون العشرة ثم عم والعشيرة بنو ابيه الادنون
وقبيلته وقيل ال الرجل ولده اي نسله مطلقا وقيل قومه وقيل
اهله الذين حرمت عليهم الصدقة لانها اوساخ الناس فلا تليق بهم
وقد طهرهم الله وهم بنو هاشم والمطلب الذين لهم سهم من خمس الخمس
يكفيهم وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من ال محمد فقال
كل تقي وهذا حديث صحيح روي من طرق رواه الطبراني والديلمي وشيبان
وغيرهم وهذا معنى مجازي كقوله صلى الله عليه وسلم سلمان منا ال
البيت لان الله طهر ال البيت ووعدهم بمغفرة ذنوبهم فاطلق على كل تقي
اكرمه الله وغفر سياته وهذا معروف في لسانهم كما قيل رب اخ لي لم تلده امي

ونجيء على مذهب الحسن البصري رضي الله عنه والضمير المستتر في يجيء للآل
اي المراد بآل محمد الوارد في الصلاة عليه محمد نفسه اي وعنده ان الآل معناه الذات
والنفس فيقال آل فلان بمعنى ذاته وغيره من النحاة واللغويين يجعله في
مثله زايدا مقحما والزيادة في الاستعمال خلاف ما عهد من كلامهم وان امكن حمل
كلامه عليه الا ان ابن حبيب نقل عن محمد بن سلام ان الحسن قال ذلك فائدة
روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يكون ارض يقال لها البصرة اقوم الارضين
قبلة قارئها اقرأ الناس وعابدها اعبد الناس ومتصدقها اعظم الناس
صدقة وتاجرها اعظم الناس تجارة منها قرية يقال لها الابلة اربعة فراسخ
يستشهد عند مسجدها تسعون الف شهيد من افضل الشهداء قلت
وعلماؤها اقوى الهوى في العربية متقدمة على غيرهم لمدحه صلى الله عليه وسلم
لها فانه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد اللهم
اجعل صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بهم الياء
وكسر الخاء المعجمة وتشديد اللام اي لا يترك والخلل يأتي بمعنى الترك
والنقص بالفرض يعني به الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويأتي
بالنفل يعني به الصلاة على آله صلى الله عليه وسلم واعترض عليه بما تقدم
من ان الصلاة عليه في التشهد ليست بفرض الا عند الشافعي وعند المهم
انه شذ فيه ولم يوافقه غيره فيه كما مر لان الفرض الذي امر الله به
في آية صلوا عليه وسلموا تسليما هو الصلاة على محمد نفسه لا على آله
كما ذهب اليه الشافعي فموافقة الحسن له تنافي الشذوذ الذي ذكره وشنع
عليه والجواب عنه ان مراده بالفرض ما لا بد منه لمن اراد الصلاة فانه
يلزمه ان يذكره ولا يتركه مقتصرا على غيره او يقول انه مذهب الحسن
وموافقة واحد لا تنافي الشذوذ عنده وهذا اي ذكر الآل وارادة
الذات منه مثل قوله صلى الله عليه وسلم في حق ابي موسى الاشعري
لما سمعه يتلو القرآن بصوت حسن كما رواه الشيخان عنه لقد اوتي
اي والله لقد اعطي الله ابا موسى مزمارا من مزامير داود يريد صلى الله
عليه وسلم من مزامير داود نبي الله صلى الله عليه وسلم فآله بمعنى
نفسه كما في صلاة الحسن وقد تقدم بيانه والمزامير جمع مزمار بكسر
الميم وهو اسم آلة ويقال مزمور ايضا والزمر النفخ في المزمار
والصوت الحسن بغير آلة لان اصل معنى الزمر الحسن كما قال الشاعر
ربابان حنانان بينهما ❊ رجل احش غناؤه زمر
اي حسن كما قاله ابن الانباري فمزاميره بمعنى ترنماته لا انه كان له آلة
المعروفة والمنقول انها له نفسه لا لآله وكان حسن صوته اذا قرأ
يتلو بلحنه الزبور وادعيته تقف له الطيور والدواب حتى قيل ان الماء
الجاري يقف له وهو مبالغة في نهاية حسنه واول هذا الحديث انه صلى
الله عليه وسلم مر هو وعائشة على بيت ابي موسى وهو يقرأ القرآن ليلة

ابن الاثير

آلصي

لهُ الآلة

فوقفا

فوقفا يستمعان له وكان من احسن الناس صوتا فلما اصبح صلى الله عليه وسلم اخبره
بانصاته له وقال له لقد اوتيت مزمارا من مزامير ال داود فقال لو علمت بذلك لحبرته
تحبيرا اي لزدت في تحسين صوتي به لاستماعك لي وفي حديث ابي حميد بالتصغير
الساعدي وهو ابو عبد الرحمن بن عمرو بن سعد الخزرجي كما تقدم الذي رواه في
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد اللهم صل على محمد وازواجه
وذريته وهو يدل على جواز الصلاة على غير الانبيا لكن تبعا لهم وفي حديث ابن
عمر رضي الله عنهما انه اي ابن عمر كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي
بكر وعمر ذكره مالك في الموطا من رواية يحيى بن يحيى الاندلسي عن مالك وانما
قيد بالاندلسي لان الموطا رواه عن مالك اثنان كل منهما يسمى يحيى بن يحيى احدهما
يحيى بن يحيى بن كثير الاندلسي الليثي مات سنة اربع وثلاثين وما يتين والاخر ابو زكريا
يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمي النيسابوري توفي سنة ست وعشرين
وما يتين وله رواية في الصحيحين كما قاله السيوطي في مناقب مالك وتقدم
ضبط الاندلسي بفتح الهمزة والدال وضمها والصحيح رواية غيره ويدعو لابي
بكر وعمر رضي الله عنهما وروي ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا
بالغيب حال اي في حال غيبتهم عنا وعدم حضورهم معنا فنقول في دعائنا لهم
اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومونه بالليل للتهجد
والعبادة ويصومونه بالنهار ففي هكذا ليدل على جواز الصلاة على غير الانبيا
استقلالا وقوله الذين بدل من قوم مفسر له قال القاضي ابو الفضل عياض رحمه
الله والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه اي ارجحه واعتقد صحته والميل
في الاجسام معروف وشايع في المحبة والمصر تجوزا به عما قلناه ما قاله مالك بن انس
امام اهل الحديث وسفيان الثوري رحمهما الله وروي عن ابن عباس واختاره
غير واحد اي كثير من الفقها والمتكلمين اي اهل علم الكلام لان منهم من ذكرها في
السمعيات كمسايل الامامة انه بفتح الهمزة بدل من ما لا يصلى على غير الانبيا
بانفراده ولا عند ذكرهم اي ذكر الانبيا والصلاة عليهم فلا يصلى على غيرهم
تبعا والصحيح جوازه تبعا وعود ضمير ذكر لغير واحد باباه قوله بل هو
اي المذكور وهو الصلاة او ذكر رعاية للخبر شي يختص به الانبيا عليهم
الصلاة والسلام لا يشاركهم فيه غيرهم مطلقا وقيل لا يشاركهم في
الانفراد به وفيه نظر توقيرا لهم وتعزيرا اي تعظيما وتبجيلا بجعله
شعارا لهم كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه اراد به قوله سبحانه
فان معناه انزهه والانبيا عليهم الصلاة والسلام منزهون عن النقايص
ولكن لا يجوز ان يقال في حقهم ذلك والتقديس باطلاق قدس وقدوس
ونحوه وهو بمعنى التطهير والتعظيم المخصوص به نحو جل جلاله
وعز وجل فتعريفه للعهد وليس المراد به هذه المادة لعدم صحته
ولا يشاركه فيه غيره اي لا يشارك الله فيما ذكر من التنزيه وما بعده
غيره من نبي وغيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وساير

الانبيا بالصلاة والتسليم اي بهما معا ولا يشارك مبني للفاعل او المفعول هنا
فيه اي في ذكر الصلاة والتسليم سواهم من غير الانبيا وفي نسخة ولا يشاركهم
كما امر الله بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما وقوله بيان لما ذكر لا دليل لما
ذكره لانه ليس فيه جواز الصلاة على غيره ولا منعها عمن عداهم لان التخصيص
بالذكر لا يفيده ثم بين كيفية الدعا لغيرهم فقال ويذكر من سواهم
اي من سوى الانبيا والرسل في الدعا لهم من الايمة اي ايمة الدين او الخلفا
وغيرهم من ساير العلما والمومنين بالغفران والرضى فيقال غفر الله لهم
ورضي عنهم كما قال تعالى ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين
اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم فيدعى بذلك المذكور من المغفرة والرحمة
والرضى لساير المومنين والصحابة وقيل في الاستدلال لا دلالة بما ذكر نظر فان قوله
رضي الله عنهم ليس دعا لهم بل اخبار بان الله رضي عنهم واعد لهم جنات النعيم
ولا يلزمه جواز الدعا به كما ان اخبار الله بالصلاة على المومنين بمعنى
رحمتهم لا يدل على جواز الصلاة عليهم وهو مردود بان من رضي الله عنه
يدعى له بزيادة رضوانه ولا مانع منه وقياسه على الصلاة قياس مع الفارق
واما ما قيل من انه لا يدعى للصحابة الا برضي الله عنهم فهو امر حسن للادب
وليس بلازم فلو قال للصحابي رحمه الله او غفر له كان حسنا الا اذا اوهم
وقوع ذنب ونحوه ومن لا يعلم صحة نبوته كمريم ولقمان والخضر لا يصلى
عليهم وقال النووي لا باس به والاصح ان يقال رضي الله عنهم وقول امام
الحرمين في الارشاد مريم ليست نبية بالاجماع مردود بذهاب بعضهم
بنبوتها وصححه ابن السيد وايضا فهو اي الصلاة عليهم امر لم يكن
معروفا في الصدر الاول اي عصر الصحابة ومن قرب منهم والفا في فهو
جواب شرط مقدر اي فان ارتكب ذلك ولا اوضح مما ذكر فهو الح وفيه بحث
سياتي في اخر هذا الفصل كما قاله ابو عمران موسى بن عيسى الفاسي
فقيه القيروان كما تقدم قريبا وانما احدثه الرافضة والشيعة
في بعض الايمة هما طايفتان من اهل البدع والاهوا المخالفين لاهل
السنة والرافضة قيل انهم فرقة من الشيعة وكلاهما ممن اتفق على
تفضيل علي كرم الله وجهه وان الخلافة حقه وسموا رافضة من الرفض
وهو الترك لانهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين لما طلبوا منه ان يتبرا من
الشيخين وان يقول امامتهما باطلة فابى وقال ان الخلافة فوضت
لابي بكر لمصلحة راوها من تسكين نايرة الفتنة وتطييب قلوب العامة
فتركوه حتى قتل وصلب وليست الشيعة قوما اظهروا بغض علي كما توهم واصل
معنى الشيعة الجماعة مطلقا ثم خص بهولاء والذي احدثه هولاء انما
هو الصلاة على علي وحده فترك ذلك لكونه شعارهم وطردوه في ساير
الصحابة حسما لمادة المخالفة فسقط ما قيل ان الكلام في الصلاة على غير الانبيا

مطلقا

عوضي

المراد علي واولاده وفي نسخة
في بعض الايمة

عوضي

تلمساني

مطلقا والشيعة انما يصلون على علي فقط فلا مناسبة لما هو بصدده والرافضة
اسم جمع لرافضي والمتشيعة اسم جمع لمتشيع من تشيع اذا عد نفسه من الشيعة وفي
نسخة الشيعة بدل المتشيعة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة عليهم بانفرادهم
وان لم يكونوا تبعا له صلى الله عليه وسلم وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك اي في قولهم في الدعا لكل واحد منهم صلى الله عليه وسلم لاعتقادهم عصمتهم
وان الامامة العظمى لهم كالنبي صلى الله عليه وسلم فصلوا عليهم استقلالا لا
كما صلوا عليه وايضا مما يدل على عدم الصلاة على غير الانبيا فان التشبه باهل
البدع المراد بهم اصحاب المذاهب الباطلة منهي عنه شرعا فتجب مخالفتهم فيما
الزموه من ذلك اي الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم وفيه ان ذلك غير فا[ر]ج
عند من لم يمنعه فتامله ثم اجاب عما ورد عليه بقوله وذكر الصلاة على
الال والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والكلام في ذكر مستقلا
فلا يرد هذا انقضا عليه والاضافة اليه صلى الله عليه وسلم اي انما ذكر الصلاة
عليهم بعد ذكر الصلاة عليه فتعظيمهم بذلك انما هو لكونهم من اتباعه
صلى الله عليه وسلم فتعظيمهم تعظيم له في الحقيقة لا على التخصيص لهم
بذلك قالوا اي جمهور العلما الذاهبين لمنع الصلاة على غيره بانفراده
مجيبين عما استدل به من خالفهم وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من
صلى عليه بانفراده كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى كما تقدم مجراها مجرى الدعا
بضم الجيم وفتحها فيهما والجري المشي السريع والمجرى محل الجري او الاجرا وجريه
في مجراه جعله مثله ومن نوعه اي المقصود بها الدعا بالرحمة لهم والمواجهة
لهم بالدعا لهم بان يرحمهم تعطفا عليهم وجبرا لقلوبهم فهي كالسلام يقال
تحية لكل احد تواجهه ولا يقال فلان عليه السلام دون مواجهة لانه في المواجهة
يقصد به مجرد معناه الحقيقي وفي ذكره في الغيبة زيادة توقير لا تليق لكل
احد كما قال وليس فيها اي في المواجهة معنى التعظيم والتوقير الذي في الغيبة
فانه من خصايص مقام النبوة وهذا مما دل عليه الاستعمال وعرف التخاطب
ويدرك بالذوق ومن لم يذق لم يعرف وقالوا تاييدا لما ذكروه من الفرق بين
المواجهة وغيرها تمسكا بقوله وقد قال تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم
كدعا بعضكم بعضا فالدعا وقوله بينكم خصه بالمواجهة فلا تنادونه باسمه
كما ينادي بعضكم بعضا فلا يقال يا محمد بل يا رسول الله ونحوه فاذا كان له
صلى الله عليه وسلم شان يخصه فيما يطلق عليه مواجهة ليس لغيره فكذا
الدعا له بغير مواجهة ينبغي ان يكون نهاية التعظيم والتوقير فسقط ما قيل
من انه ليس في هذه الاية مناسبة لمقصوده وما هو بصدده فكذلك اي مثل
ما يجب له في الدعا مواجهة يجب ان يكون الدعا له في غير حال المواجهة مخالفا
لدعا الناس بعضهم لبعض فلذا خص بالصلاة عليه التي قصد بها التوقير
وغاية التعظيم وهذا اي اختصاصه بالصلاة استقلالا وفي نسخة وهو
اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا اي من كبار علما اهل السنة

ابن اقبرس

تنزيهة مقابلة الرافضة واسفرايين بلدة بخراسان معروفة وابو المظفر كنيته
طاهر بن احمد وهو الملقب بشاه كما تقدم وبه قال الامام ابو عمر بن عبد البر
رحمه الله وتقدمت ترجمته واعلم ان حاصل ما تقدم ان الصلاة والتسليم
على نبينا صلى الله عليه وسلم مطلوبة امرنا بالتعبد بها فهي واجبة له
على اختلاف محل الوجوب كما تقدم والصلاة على غيره من الانبيا ايضا استقلالا
مستحبة وما نقل عن مالك من انها منهي عنها مخالف للقول الصحيح وقال
القرطبي انه مجمع عليه والصلاة على غير الانبيا تبعا لنبينا صلى الله عليه وسلم
مستحبة ايضا كما في التشهد ولا عبرة بمن خالف فيه ايضا فلم يبق محل الخلاف
الا في الصلاة على غير الانبيا بانفرادهم فالصحيح انه مكروه وان كراهته كراهة
تنزيه لا تحريم لانه اختص به صلى الله عليه وسلم كما اختص عز وجل بالله تعالى
فلا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا هذا هو الصحيح فلا يعتد بخلافه
وقد قيل ان السلام مثل الصلاة مخصوص بالانبيا ايضا فلا يقال في غيرهم
عليه السلام كما صرح به الفقها فهو مكروه تنزيها

## فصل

في حكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام اي ذكر ما يتعلق به
من سننه وادابه وما يلزم من اتاه والزيارة مصدر زاره يزوره زيارة
ومزارا فالمزار مصدر واسم مكان ايضا والزيارة تختص بمجي بعض الاحيا
لبعض مودة ومحبة هذا الاصل معناها لغة واستعمالها في القبور للاموات
لاعطايهم حكم الاحيا وصار حقيقة عرفية فيه لشيوعه فيها وفضيلة من
زاره بالجر عطفا على الحكم او على ما اضيف اليه والضمير له صلى الله عليه وسلم
او للقبر وفضيلته ما يستحقه من الثنا والثواب وسلم عليه وكيف يسلم
من زاره صلى الله عليه وسلم اي ما يقوله ويفعله عند الزيارة ويدعو
له اي وكيف يدعو له صلى الله عليه وسلم عند زيارته بما يليق بمقامه
وزيارة قبره سنة ماثورة مستحبة مجمع عليها اي على كونها سنة ولا
عبرة بمن خالف فيها كابن تيمية كما سيأتي بيانه وفضيلة مرغب فيها
بصيغة المفعول مشددة بغين معجمة اي رغب السلف فيها وحثوا عليها
وزيارة القبور اما للتذكر بها الموت ويتعظ وهذا يجري في جميعها ولو كانت
لاهلها المشركين كما زار صلى الله عليه وسلم البقيع وهذا مستحب
او للتبرك بمن فيها من الانبيا والصالحين فينتفع بزيارتهم فذهب
بعض المالكية الى انه مخصوص بالانبيا وانه في غيرهم بدعة واما في
الانبيا فهي مشروعة وتوقف فيه السبكي وقد يقصد بالزيارة برهم
واكرامهم كزيارة قبر الوالدين ومن له عليه حق لاكرامه فان الميت يكرم
كالحي وقد يقصد بالزيارة تانيس الميت ورحمته وهو مستحب ايضا لما
روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الميت انس ما يكون اذا زاره من كان
يحبه في دار الدنيا وزيارته صلى الله عليه وسلم جامعة لهذه المعاني
كلها فلهذا كانت سنة وان كان غنيا عن الدعا وما عدا ذلك بدعة

كقبيل

كتقبيل القبور وغيره مما يفعله العوام وروي عن ابن عمر رواه ابن خزيمة والبزار
والطبراني والذهبي وحسنه وله طرق وشواهد تعضده والطعن في رواته مردود وقد
كما بينه السبكي واطال فيه وقول البيهقي انه منكر يجاب عنه بان معناه انه تفرد به
رواته والفرد قد يطلق عليه ذلك كما قاله احمد في حديثه دعاء الاستخارة مع انه في
الصحيحين وقول الذهبي طرقه كلها لينة يقوي بعضها بعضا لا ينافيه لان غايته
انه بتسليم ذلك حسن او هو يطلق عليه الصحة كما بين في محله وفي نسخة هنا حدثنا
القاضي ابو علي تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون تقدم ايضا قال
حدثنا الحسن بن جعفر قال حدثنا ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني المشهور كنار على
علم قال حدثنا القاضي المحاملي قال حدثنا محمد بن عبد الرزاق قال حدثنا موسى
ابن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما فذكره قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي اي سؤالي الله له ان يتجاوز
عنه مكافاة له ومعنى وجبت تحققت وثبتت فهي ثابتة له بالوعد الصادق لا بد
منها وليس المراد به الوجوب الشرعي وروي حلت له شفاعتي والمراد انه يخصه
بشفاعة ليست لغيره واضافته لنفسه للتنويه به والتعظيم قال شيخ والدي
الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمي وافاد قوله له مع عموم شفاعته له ولغيره
انه يخص بشفاعة تناسب عظيم عمله اما بزيادة النعيم واما بتخفيف الاهوال
عنه في ذلك اليوم واما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب واما برفع درجات
في الجنة واما بزيادة شهود الحق والنظر اليه واما بغيره كما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا كله ان اريد انه يخص بشفاعة لا تحصل لغيره
ويحتمل ان يراد انه يفرد بشفاعة مما تحصل لغيره والافراد للتشريف والتنويه
بسبب الزيارة وان يراد انه ببركتها يجب دخوله فيمن تناله الشفاعة فهو بشرى
بموته مسلما فيجري على عمومه ولا يضمن فيه شرط الوفاة على الاسلام والا لم
يكن لذكر الزيارة معنى لان الاسلام وحده كاف في نيل مثل هذه الشفاعة بخلافه على
الاولين وافادت اضافة الشفاعة له صلى الله عليه وسلم انها شفاعة عظيمة
جليلة اذ هي تعظم بعظم الشافع ولا اعظم منه صلى الله عليه وسلم ولا اعظم
من شفاعته ثم اشار الى ان هذا الثواب العظيم وهو الفوز بتلك الشفاعة
العظيمة منه صلى الله عليه وسلم لا يحصل الا لمن اخلص وجهته فيهما بان
لا يقصد بها او معها امرا اخرينا فيهما يفعله وعن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبري في المدينة محتسبا اي ناويا
بزيارته وجه الله من غير غرض مخلصا في نيته وقصد اكرامه لا يبغي غيره
والاحتساب افتعال من الحساب معناه الاعتداد والاسم منه الحسبة وعن عمر
رضي الله عنه ايها الناس احتسبوا اعمالكم فان من احتسب عمله كتب له اجر عمله
واجر حسبته فالمراد انه يقصد بالزيارة اكرامه صلى الله عليه وسلم وتفويض
اجره فيه الى الله كان في جواري اي له منزلة رفيعة في الاخرة او المراد انه يكون
في امانه وعهده فلا يناله مكروه اصلا والجوار مصدر بكسر الجيم وضمها والكسر

افضح وكنت له شفيعا يوم القيامة المراد به شفاعة خاصة غير الشفاعة العامة
فاة له شفاعة كما تقدم وفي قوله في المدينة اعلام بانه صلى الله عليه وسلم
يموت بالمدينة ويدفن بها وهو من اخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وان
كان لا يدري نفس باي ارض تموت وفي حديث اخر رواه البيهقي والدارقطني
والطبراني وابن منصور عن ابن عمر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي
لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يدري بمن يزوره ويرد سلامه كما تقدم
وروي هذا بلفظه من طرق كثيرة وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه
وسلم هكذا روي عنه واختلف في معنى ذلك وما اراده مالك رحمه الله
لانه خلاف المعروف بين الناس فقيل قد كراهة للاسم اي اسم الزيارة واطلاقها
لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور فلعنهن
من حيث انهن زوارات يقتضي ذم الزيارة وهذا رواه احمد والترمذي
وابن حبان عن ابي هريرة وهذا يرده قوله صلى الله عليه وسلم نهيتكم
بالبنا للمجهول وفي رواية كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
ولا تقولوا هجرا فهذا ناسخ له لانه امر بعد نهي وهذا الدليل وجوابه اوهى
من بيت العنكبوت لان الاول في حق النسا المكثرين للزيارة وهذا المطلق زيارة
الرجال ودخول النسا تغليبا لا يسلمه المعترض ولكن عهدته على قائله لا على
المعترض فانه ناقل غير مرتض لما نقله وقيل ان الحديث الاول خاص بزوارات
القبور المتخذات عليها مساجد وسرجا كما ورد مصرحا به في حديث رواه
ابو داود والترمذي وحسنه فليس بمنسوخ والحديثان مرويان في السنن
من طرق صحيحة ولما كان هذا في غير ما نحن فيه من اطلاق الزيارة على قبره صلى
الله عليه وسلم اورد ما يدل عليه ايضا فقال وقوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الذي تقدمت روايته عن ابن عمر من زار قبري فقد اطلق اسم
الزيارة فدل على ان الكراهة التي رويت عن مالك ليست لهذا كما توهم
وقيل وجه كراهته لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهو من يزار
ولا يقال فيه مزار بفتح الميم وقول العامة في قبضته المزار خطا قبيح
وهذا ايضا كالذي قبله ليس بشي يعتد به بل عكسه اقرب الى الصواب
منه اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وهي الافضلية فقد يكون مساويا لها
او ادنى منه وليس عموما في كل زائر وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم
لربهم في الجنة وهم عبيد لا مناسبة بينهم وبينه في العظمة فكيف
يتوهم هذا ولم يمنع اطلاق هذا اللفظ في حقه تعالى ولو كان كذلك
لم يجز وحديث الزيارة هذا روي على وجوه منها ما رواه ابو نعيم عن علي
كرم الله وجهه اذا سكن اهل الجنة الجنة اتاهم ملك يقول ان الله يامركم
ان تزوروه فيجتمعون ثم يدعو لهم بمائدة الحديث وقال ابو عمران رحمه
الله انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم
لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله

اي كلاما يوجب اثما ~~ عـ القاري

بان لهم

عليه وسلم

لا وجوب فرضا ح

عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ والذي يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه
وسلم وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطي الى قبره صلى الله عليه
وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد والذي عندي في وجه الكراهة
عنده وفي نسخة والاولى عندي اي في اعتقادي وحكمي في توجيه الكراهة عنده
ان منعه من اطلاق الزيارة ووجه كراهة مالك له انه لو لهم زرنا قبر النبي صلى الله
عليه وسلم الاضافة اي نسبة الزيارة الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وابقاءهما
عليه فليبت الاضافة هنا نحوية بلا عرفية وذلك بذكر القبر وجعله من زواته
لو قال الكل قايل زرنا النبي صلى الله عليه وسلم بدون ذكر القبر لم يكرهه اي
على ما ياتي قبل وهو مناف لما قدمه من حديث ابن عمر من زار قبري وجبت له شفاعتي
الا ان يقول انه ضعيف وان الصحيح حديث انس من زارني بدون ذكر قبر الا انه
غير مسلم وان الصحيح لان عبد الحق رواه في الاحكام ولم يتعقبه وتقدم
ايضا ان الكلام فيه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا
اي كالوثن وهو الصنم من الحجارة يعبد بعدي اي بعد موتي فيه وقيل
الفرق بين الوثن والصنم ان الاول ما كان نحيتا من حجارة وغيرها والثاني
ما كان صورة عبسة وقيل هما بمعنى فيطلقان عليهما معا وهو المشهور
اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيايهم مساجد اي يسجدون لها كما
يسجدون للاوثان قال الشراح هنا كالنصارى وهو مشكل كما ذكروه لان نبي
النصارى عيسى صلى الله عليه وسلم ولا قبر له فانه رفع الى السما اللهم الا ان
يقال انه تعليل في قبور كبارهم ممن يعتقدونه ويعظمونه الا انه بعيد
جدا فلا حاجة لتفسير الحديث هنا بهذا نعم وقع في حديث اخر لعن الله اليهود
والنصارى اتخذوا قبور انبيايهم مساجد وهذا يشكل عليه ما ذكرناه
ويحتاج الى الجواب بما قلناه والمصنف لم يورده هنا فلا حاجة الى الكلام عليه
واعلم ان هذا الحديث هو الذي دعا ابن تيمية ومن تبعه كابن القيم الى مقالته
الشنيعة التي كفروه بها وصنف فيها السبكي مصنفا مستقلا وهي منعه من
زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وشد الرحال اليه وهو كما قيل

لمهبط الوحي حقا ترحل النجب ۞ وعند ذاك المرجى ينتهي الطلب

فيتوهم انه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها فانها لا تصدر
عن عاقل فضلا عن فاضل سامحه الله واما قوله صلى الله عليه وسلم الاتي
لا تتخذوا قبري عيدا فقيل كره الاجتماع عنده في يوم معين على هيئة مخصوصة
وقيل المراد لا تزوروه في العام هذا مرة فقط بل اكثروا من الزيارة له كما مر
واما احتماله للنهي عنها فهو بعيد من ان المراد محمول على حالة مخصوصة اي
لا تتخذوه كالعيد في العكوف عليه واظهار الزينة عنده وغيره مما يجتمع
له في الاعياد بل لا يوتى الا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف عنه وما في
شان مالك رحمه الله اضافة هذا اللفظ اي لفظ الزيارة اضافة معنوية
الى القبر يعني قبره الشريف صلى الله عليه وسلم والتشبه بفعل اوليك

دبجي

الكعبة الذين اتخذوا قبور الانبيا مواطن للسجود قطعا للذريعة وحسما اي قطعا
وسدا للباب اي باب الذريعة وهذا مبني على سد الذرايع التي هي من قواعد مذهب
مالك وقد قدمنا تحقيقه والله اعلم بمراد مالك فيما قاله وهذا كما قيل انما
يتعجب منه فانه لا تشبيه فيه بوجه من الوجوه اصلا بفعل اوليك فالظاهر
انه لم يصح عنه واما المروي عنه كما وقع هنا في بعض النسخ وهو كما قال ابو
عمران موسى بن عيسى الفاسي فقيه المغرب وان قد تقدم من ترجمته انما كره ان
يقول طواف الزيارة الذي يكون بعد رمي الجمار فقال انما يقال له طواف
الافاضة وطواف الصدر لانه لا معنى للزيارة هنا عنده وان خالفه في الملاه
عنده والتبس عليهم كراهة اطلاق الزيارة في كلام مالك وفي نسخة بدل
هذه النسخة قيل فعله والذي عندي الخ وقال تنبيه ما ادعى المص انه
الاولى لا وجه له رواية ودراية فقد ورد اطلاق الزيارة لقبره في احاديث
كثيرة منها ما تقدم وما رواه ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال من حج فزار
قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني الا ان قوله وصحبني تفرد
به بعض رواته كما قاله ابن عساكر وقال ابن حجر الهاذ زيادة منكرة ورد بان
له متابعات وليس التشبيه من كل الوجوه فلاينا في خبر لو انفق احدكم مثل
احد ذهبا الحديث وروي ايضا في معناه احاديث كثيرة قال السبكي كالعالم
تبلغ مالك رحمه الله مع انه روي عنه كراهة ان يقال زرنا النبي صلى الله
عليه وسلم لانه اعظم من ان يزار ولانه اشتهر في الموتى وهو صلى الله عليه
وسلم حي في قبره والذي رواه هو ابن رشد حيث قال عنه واكره ما يقول
الناس زرنا النبي صلى الله عليه وسلم واعظم ان يكون النبي يزار ووجهه
ابن رشد بان الزيارة تستعمل في الموتى فكره مالك ذلك ليلا يتوهم منه
انه صلى الله عليه وسلم كغيره من الموتى كما كره ان يقال العتمة وايام
التشريق وطواف الزيارة انتهى وبه ظهر انه انما كره اللفظ دون المعنى
ومع ذلك يرد بمنع اختصاص الزيارة بالموتى لان الغرض انه لم يذكر القبر
فلا يتوهم ذلك احد وقيل كرهه لان الذهاب للزيارة ليس لصلته ونفعهم
وانما هو رغبة في الثواب قال السبكي وهو الاقرب في توجيه كلام مالك
اي ومع ذلك لا نسلم ان زرنا النبي يوهم ذلك لان كل مسلم علم جلالته
صلى الله عليه وسلم وان كل احد من امته وان جلت مرتبته مفتقر الى
التبرك به والسؤال في حضرته وان كان المختار الصحيح انه لا يكره شيء من ذلك
وقيل كرهه لان الزيارة من شا فعلها او من شا تركها وهي كالواجب عنده
واختار ابن رشد انه انما كره لفظ القبر لانه صلى الله عليه وسلم حي
قال اسحاق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج اي انه استمر
من عادة السلف اذا حجوا ان ياتوا المزور قيل انه بكسر الميم وسكون الزاء
المعجمة وفتح الواو مصدر ميمي بمعنى الزيارة وقوله بالمدينة متعلق
به وهو تكلف لا يخفى ولا رواية تدعو اليه والظاهر كما في بعض النسخ

انه بفتح الميم وراين مهملتين مصدر زار اي من حج يمر بالمدينة ويقصدها ويدل
عليه قوله والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدا
به صلى الله عليه وسلم فانه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد وصلى فيه والتبرك
برؤية روضته وهي ما بين قبره الشريف ومنبره سميت روضة لقوله صلى الله عليه
وسلم فيهما انها روضة من رياض الجنة وقبره وكيفية التبرك به ستاتي ومجلسه اي
موضع جلوسه في الروضة الماثور وملامس يديه اي المحال التي لمسها بيديه في حجرته
فيها ومواطن قدميه والعمود الذي استند اليه باسناد ظهره الشريف اليه في خلوته
ومنزل جبريل بالوحي فيه عليه وكان مراده انه يقصد التبرك بمسجده الشريف
لانه كان محلا لما ذكر وان لم يكن ذلك مبنيا الان فان نقل تعيين شي من ذلك فعل به
ذلك رزقنا الله الفوز بالوصول الى السعادة العظمى بمشاهدة تلك الماثر
والمشاهد بجاه محمد صلى الله عليه وسلم ومن عمر بتخفيف الميم اي سكنه واما
تشديد الميم فمن التعمير وهو طول العمر بضم الميم اي مدة الحياة كما اعتمده
اهل اللغة وقصده من الصحابة وايمة المسلمين والاعتبار بذلك كله اي الاعتنا
به تعظيما وتكريما او التفكر فيهم وفي ماثرهم وقال ابن ابي فديك محمد بن
اسمعيل بن مسلم بن ابي فديك بضم الفا ودال مهملة وبالتصغير وكان الامام
الثقة روى عنه الستة واحمد وتوفي سنة مايتين وله ترجمة في الميزان وحديثه
هذا رواه البيهقي سمعت من ادركت يقال ادركته فلان انا اذا ادركت زمانه
وراه والمراد من ادركه من العلما والصلحا يقول انه من وقف عند قبر النبي صلى
الله عليه وسلم متوجها له وقال تاليا هذه الاية ان الله وملايكته الخ ثم قال
بعد تلاوتها صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان
ولم تسقط له حاجة وفي رواية ولم يسقط لك اليوم حاجة اي لا ترد ولا تخيب
شبه عدم قبولها بسقوط شي يمتنع منه وخص السبعين لانها محل الاجابة
كما قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة وقد قيل على هذا انه ينافي ما قالوه
كما مر من انه لا يجوز نداوه باسمه يا احمد يا محمد في حياته وبعد مماته لقوله تعالى
لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا بل يقال يا رسول الله ونحوه
تعظيما وكذا لا ينادي بكنيته كابي القاسم وقد تقدم فان كان هذا ماثورا
عنه فيغتفر اتباعا للماثور ولتقديم تعظيمه هنا بقوله صلى الله عليك فليتامل
هذا وفي الدر المنظم بعد ذكره اخراج البيهقي لما ذكر عن ابن ابي فديك ما نصه
ولا دليل فيه لجواز نداايه صلى الله عليه وسلم باسمه فقد صرح ايمتنا بحرمة
ذلك وظاهره انه لا فرق بين ان يتقدمه تعظيم له وان لا وهو ظاهر خلافا لمن
بحث تخصيصه بالثاني وذلك لما في النداا بالاسم وان تقدمه تعظيم كما هو
جلي من ترك التعظيم اذ مثله يقع من بعضنا لبعض وما تقدمه لا نظر اليه
لا نقضايه قال ايمتنا وانما ينادي بنحو يا نبي الله يا رسول الله فقول الذين
المراعي الاولى لمن عمل بالاثر ان يقول يا رسول الله وهو بل الصواب ان
ذلك واجب لا اولى انتهى وعن يزيد بن ابي سعيد المهري بفتح الميم نسبة الى

مهملة قبيلة وهو محدث مشهور اخرج له مسلم وغيره قال قدمت على عمر بن عبد العزيز
اي اتاه قاصدا له واجتمع به فلما ودعته اي لما اردت الانصراف من عنده قال لي الك
حاجة اسالك قضاها وهي انك اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
اذا رايته فاقرئه مني السلام اي بلغه سلامي والى مسلم عليه يقال اقرأ
عليه واقرأه السلام اذا بلغه سلاما من غايب عليه وقيل لا يقال اقرأه الا اذا
كان مكتوبا والمشهور انهما بمعنى وهو الذي يناسب الحديث الذي نحن فيه
وقال غيره اي غير بن يزيد المذكور والقايل هو حاتم بن وردان كما ذكره البيهقي
في شعب الايمان كان اي عمر بن عبد العزيز الخليفة المشهور الجليل القدر يبرد
بفتح اوله من ابرد بمعنى ارسل اليه صلى الله عليه وسلم البريد من الشام لا يخفى
كان مقر الخلفا اي يرسل رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبلغه
سلامه وتعريبه السلام لا لقصد غير ذلك البتة وكان ذلك في صدر زمن التابعين
ولم ينكر ذلك احد منهم فالبريد كما علمت هو الرسول الذي يكون مستعجلا
لتبليغ امر الخلفا ونحوهم وهو في الاصل فارسي معرب من بريده دم اي
مقطوع الذنب لانهم كانوا يضعون في المنازل بغالا تركبها الرسل لتبليغ الاخبار
بعجلة ويحملون فقطع اذنابها علامة لها ثم اطلق على الرسول وصار حقيقة
فيه مطلقا وقيل سمي الرسول بريدا لانه يقطع البريد وهو اثنا عشر ميلا
وصاحب البريد رجل نصب لتبليغ الاخبار واحوال البلاد والولاة فاصحاب البريد
قوم معدون لذلك عندهم براذين سيارة فاذا وقع امر عظيم وجههم صاحب
البريد للاخبار به وتقدم انه كان من داب السلف انهم يرسلون السلام الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يفعله ويرسل له عليه الصلاة
والسلام السلام ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما او رسول الله صلى الله عليه
وسلم وان كان يبلغه سلام من سلم عليه وان كان بعيدا عنه لكن في هذا
فضيلة حظا به عنده ورده عليه السلام بنفسه كما مر الا انه قيل انه
لا يجب عليه تبليغه بخلاف من قال سلم لي على فلان فانه يجب عليه اذا
امانة له اي ان لم يصرح له بعدم القبول كما هو ظاهر ويجب على المسلم
عليه الرد بلسانه فورا كما لو كان المسلم حاضرا وفرق بينهما بان القصد
بالسلام ابتدا وردا من الاحيا التواصل وعدم التقاطع الذي يغلب وقوعه
بين الاحيا وحينئذ فارسال السلام للغايب المقصد به مواصلته وعدم مقاطعته
واذا كان هذا هو المقصد به كان تركه مع تحمله تسببا او وسيلة الى المقاطعة
المحرمة اي من شانه ذلك وللوسايل حكم المقاصد واما ارسال السلام له
صلى الله عليه وسلم فالقصد به الاستمداد منه وعود البركة على المسلم
فتركه ليس فيه الا عدم اكتساب فضيلة للغير فالتبليغ سنة لا واجب
ولا يقال تفويت الفضايل على الغير حرام لانا نقول فرق واضح بين
عدم اكتساب الفضيلة للغير وتفويت الفضيلة الحاصلة على الغير
فايدة قال صاحب القاموس في رسالته الصلاة له ان السلام

عليه

عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره افضل من الصلاة عليه اي للاخبار الكثيرة ومنها
ما من احد يسلم علي عند قبري الخ وفيه نظر ثم رايت في الدر المنظم بعد ذكره له وتعارضه
ما تقدم ان الله تعالى يصلي هو وملائكته على المصلي بدل الصلاة الواحدة عشرا
او مائة على ما مر وصلاة الله افضل من رده صلى الله عليه وسلم على انه مر انه صلى
الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى ان يوجه افضلية السلام
بانه شعار اللقا والتحية وحينئذ يختص افضليته بحالة اللقا عند كل زيارة اما
اذا سلم سلام اللقا فالصلاة بعده اولى من استمرار السلام وان كان باقيا في مقام
الزيارة ويدل لذلك صنيع العلما فانهم لما ذكروا ان الزائر يبتدئ بالسلام ذكروا
انه يختم بالصلاة عليه قال بعضهم رايت انس بن مالك الصحابي خادم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم لزيارته فوقف عند
القبر فرفع يديه للدعا فانه مستحب لمن زاره صلى الله عليه وسلم ان يدعو
ح ويستشفع به ويتضرع حتى ظننت انه افتتح الصلاة لانه يسن رفع اليدين لافتتاح
الصلاة ولعله كان مستقبل القبلة للظن المذكور فسلم على النبي صلى الله عليه
وسلم بعد رفع يديه ودعائه ثم انصرف من عنده قال مالك في رواية ابن وهب
عنه وهو عبد الله بن وهب عالم مصر كما تقدم وهو ممن روى عن الامام
مالك اذا سلم الزائر لقبره الشريف صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا
بما يريد الدعا به يقف عنده ووجهه الى القبر لا الى القبلة كما يستحب للداعي
في غير هذا الموطن لان استدبارها خلاف الادب ويدنو اي يقرب من القبر في حال
الدعا ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم ولا يمس القبر بيده فيكره الصاق
الظهر والبطن بجدار القبر المكرم ويلحق بجداره جدار البناء عليه المستور
بالحرير الان لما في ذلك من مخالفة الادب معه صلى الله عليه وسلم ومن ثم
تعين على كل احد ان لا يعظمه صلى الله عليه وسلم الا بما اذن الله فيه لامته
في جنسه مما يليق بالبشر فان مجاوزة ذلك تفضي الى الكفر والعياذ بالله بل
مجاوزة الوارد من حيث هو ربما تؤدي الى محذور فليقتصر على الوارد ما امكن
واستقبال وجهه صلى الله عليه وسلم واستدبار القبلة مذهب الشافعي
والجمهور ونقل عن ابي حنيفة وقال ابن الهمام ما نقل عن ابي حنيفة
انه يستقبل القبلة مردود بما روي عن ابن عمر انه من السنة ان يستقبل
القبر المكرم ويجعل ظهره للقبلة وهو الصحيح من مذهب ابي حنيفة
وقول الكرماني ان مذهبه بخلافه ليس بشيء لانه صلى الله عليه وسلم
حي في ضريحه يعلم بزائره ومن ياتيه في حياته انما يتوجه اليه ويستحب
القيام في حال الزيارة كما نبه عليه المص بقوله يقف وهو افضل من الجلوس
عند القبر عند الجمهور ومن خير بينهما اراد الجواز دون المساواة
فان جلس فالافضل ان يجثو على ركبتيه ولا يفترش ولا يتربع لانه الاليق
بالادب وقال مالك في المبسوط اسم كتاب له كما تقدم لا ارى اي لا استحسنه
واعده رايا ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اي في حال كونه

داعيا بما اراد ولكن يسلم عليه ويمضي اي ينصرف من عنده من غير وقوف وظاهره
انه مذهب مالك عدم استحباب الوقوف مطلقا ونقل الشافعية عنه ان
استحبابه عدم الوقوف عنده لاهل المدينة المقيمين بها الا للغربا الزوار
فانه يستحب لهم الوقوف للدعا له صلى الله عليه وسلم ولابي بكر وعمر
ففرق بين المدني وغيره فلا يجعل المدني قبره الشريف كالمسجد يأتيه في اكثر
ايامه للعبادة والقربة بناء على قاعدته في سد الذرايع وسياتي ايضا بيان
ذلك في كلام المص عن المبسوط والصحيح عند غيره انه لا فرق بين المدني
وغيره من استحباب الاكثار من زيارته والوقوف عنده للدعا ففي المسالة
ثلاثة مذاهب وقال ابن ابي مليكة هو عبد الله بن عبيد الله بن ابي
مليكة بالتصغير وهو من اعلام التابعين وابوه ابو مليكة صحابي جليل
وابنه توفي سنة سبع عشرة ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة من احب
ان يكون وفي نسخة يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم اي في مواجهته
ومقابلته ووجاه مثلث الواو بمعنى تجاه وهو مثلث التا ايضا كما في
مثلثات صاحب القاموس ومعناه ان يقابل وجهه وجهه وتجاه مبدلة
من الواو كتخمة فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر الشريف
على راسه اي محاذيا لها والقنديل بكسر القاف مصباح من زجاج يعلق
وهو معروف وبفتح القاف معناه العظيم الراس ووزنه فعليل وقيل
فنعيل ونونه زايدة وهو ارشاد لكيفية الزيارة وانه يكون بينه وبين
القبر فاصل فقيل انه يبعد عنه بمقدار اربعة اذرع وقيل ثلاثة
وهذا مبني على ان البعد اولى والبق بالادب كما كان في حياته صلى الله عليه
وسلم وعليه الاكثر وذهب بعض المالكية الى ان القرب اولى وقيل يعامله
معاملته في حياته فيختلف ذلك باختلاف الناس وهذا باعتبار ما كان في العصر
الاول واما اليوم فعليه مقصورة تمنع من دنو الزاير فيقف عند الشباك
وقال نافع هو ابن هرمز مولى ابن عمر اشتراه من سبي خراسان وهو تابعي
جليل توفي بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة وهو غير نافع بن عبد الرحمن
المدني المقري وهذا رواه البيهقي وغيره كان ابن عمر الصحابي المشهور
يسلم على القبر الشريف رايته مائة مرة واكثر ياتي القبر بدل من قوله
يسلم مفسر له فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على
ابي وفي نسخة ابي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم ينصرف فيقل
وفيه اشارة الى انه لا ينبغي له ان يطيل الكلام عند السلام ويختصر
وقيل يطيل بما شا في الثنا والدعا والتوسل وقيل يختلف باختلاف الناس
والاحوال وياتي للزيارة من قبل راسه الشريف صلى الله عليه وسلم ثم
يتاخر لابي بكر وعمر رضي الله عنهما فيبدا بالاشرف فالاشرف تعظيما لهما
كما يليق وقيل ياتي من قبل رجل عمر لانه من الادب ويتاخر قليلا قليلا
وفي كيفيته ووضع القبور الثلاثة اختلاف مذكور في تاريخ المدينة

الكبير

الكبير للسيد السمهودي مفصلا ليس هذا محله وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى
الليثي تقدم ان يحيى بن يحيى راوي الموطا عن مالك اثبات انه كان يقف على قبر
النبي صلى الله عليه وسلم على هنا بمعنى عند وهذا اشارة الى اختيار القرب
منه صلى الله عليه وسلم كما مر فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى
ابي بكر وعمر تبعا له او يصلي بمعنى يدعو وعند ابن القاسم عبد الرحمن فقيه
مصر كما تقدم والقعنبي بفتح القاف وسكون العين المهملة وفتح النون
بعدها با موحدة ويا نسبة وهو عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي ابو
عبد الرحمن احد الاعلام روى عنه البخاري وابو داود وغيرهما وهو
ثقة حجة توفي سنة عشرين او احدى وعشرين ومائتين اخرج له الشيخان
وغيرهما كما علم في روايتهما عن مالك بلفظ ويدعو لابي بكر وعمر لا بلفظ يصلي
كما مر قال مالك في رواية ابن وهب عنه يقول المسلم او الزائر السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته وقال مالك في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر
بعد السلام عليه صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو الوليد الباجي
تقدمت ترجمته وعندي اي الراجح عندي انه يدعو للنبي صلى الله عليه
وسلم بلفظ الصلاة لما فيها من التعظيم كما تقدم ويدعو لابي بكر وعمر كما
في حديث ابن عمر الذي تقدم وقوله فيه السلام على ابي بكر السلام على ابي عمر
فيدعو لهما بالسلامة من كل مكروه ولا يصلي عليهما لما مر من الخلاف اي
مخالفة الدعا لهما للدعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي المناسك
هنا الفضيل طويل فيما يقوله الناس ليس هذا محله وقال ابن حبيب عبد
الملك بن حبيب القرطبي الامام الجليل الثقة مصنف كتاب الواضحة ولا
يلتفت لمن نسبه للكذب وترجمته في الميزان ويقول الزائر اذا دخل مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله صلى الله عليه
وسلم السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك اي يسر لي ما يوصل اليهما فان دخوله
من باب المسجد الموصل لجنة روضته شوقه الى الجنان وقوى رجاه فناسب
دعاءه بما ذكر فلما سلك الطريق الموصلة اعتصم بالله من قطاع طريقها
بقوله واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد بعد الدعا الى الروضة وهي
ما بين القبر والمنبر واركع فيها ركعتين تحية المسجد شكرا لهذه النعمة
قبل وقوفك بالقبر اي عنده وتحمد الله فيهما اي في تلك الصلاة وتساله
تمام ما خرجت اليه من زيارتك وسفرك والعون عليه اي المساعدة
بتيسيره له وان كانت ركعتاك في غير الروضة من المسجد النبوي اجزاتاك
بالهمز كفاتاك في ادا السنة وفي الروضة افضل اي اكثر ثوابا اقتدا
به صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه الصلاة والسلام ما بين قبري
ومنبري روضة من رياض الجنة وياتي الكلام عليه وما بين القبر
والمنبر نحو خمسين ذراعا ومعنى كونه روضة من رياض الجنة انه يودي

ك

الى دخولها فكانه منها فاطلق السبب واراد المسبب او هو تشبيه بليغ وقيل انه على
حقيقته وانه ينقل الى الجنة وفي حديث اخر يأتي وان اوهم كلامه هنا انه من
تتمة الاول ومنبري على ترعة من ترع الجنة ترعة وترع بضمتاه كغرفة وغرف قيل
هي الروضة تكون في مكان مرتفع وقيل الباب والروضة محل الاشجار مطلقا او في
مكان مطمئن تحت اشجارا او رياحين والترعة يكون ايضا محل الماء وبمعنى الدرجة
كما ذكره اهل اللغة والكل محتمل هنا والكلام في هذا كما تقدم في قوله روضة
من رياض الجنة في احتمال التشبيه والاستعارة ويأتي بيان الحديث في كلام المصنف
ثم يقف بالقبر اي عنده متواضعا متوقرا اي بتواضع ووقار اي سكون تادبا
بهيبة واجلال وغض طرف وقال الكرماني الحنفي في مناسكه انه يضع يمينه
على شماله كما يفعله في الصلاة وقال غيره الاولى الارسال لئلا يتشبه بالمصلي
فانه منهي عنه فيصلي بالخطاب لكل زائر عليه ويثني عليه ثناء بما يليق به بما
يحضر كذا اي يخطر بباله من غير تكلف لامور تستعد لها المسبحة ونحوها فيقبح
الانحناء وتقبيل الارض ومما يظنه جهلة العوام من ان فيه زيادة تعظيم
لمن يستحق ويسلم على ابي بكر وعمر ويدعو لهما بما يناسب مقامهما كما مر واكثر
من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار والمراد بالمسجد
هنا هو المراد بقوله صلاة في مسجدي هذا تعدل الف صلاة في غيره كما يأتي
وهو ما كان مسجدا في زمنه صلى الله عليه وسلم لا ما زيد فيه كما قاله
النووي وغيره والاشارة بقوله هذا للتعيين واعترض ابن تيمية عليه بما ورد
في الحديث لو زيد في مسجدي الى ذي الحليفة كان مسجدي ورد بانه لا ينفي مساواته
من كل وجه ولا شك في ان الاول افضل من غيره وفي حديث الزيادة معجزة
واخبار بالغيب ولا ينبغي للزائر جعل القبر خلف ظهره ولا بجانبه كما قاله
ابن عبد السلام ولا يدع بالخطاب والزمراي يترك ان يأتي مسجد قباء بضم
القاف ويمد ويقصر ويذكر ويؤنث فيجوز صرفه ومنع صرفه وهو اسم
موضع قريب من المدينة بني فيه بنو عمرو بن عوف الانصاري مسجدا اتاه النبي
صلى الله عليه وسلم وصلى فيه وهو المراد بقوله تعالى لمسجد اسس
على التقوى على الراجح كما يأتي وكان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا
وماشيا في كل سبت وحكمة تخصيصه ان في اتيانه زيارة اهله والموفي بعلمون
يزورهم يوما قبل الجمعة ويوما بعده واعطى اهل احد يوم الخميس لانهم
افضل فبقي السبت لاهل قبا وقال صلى الله عليه وسلم صلاة ركعتين
فيه كعمرة ويقال له مسجد الفتح وكان عمر رضي الله عنه يأتيه في كل اثنين
وخميس وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ينقلون
حجارته على بطونهم فلو كان في طرف الارض لضربنا اليه اكباد الابل وقال
صلاة ركعتين فيه احب الي من ان يأتي بيت المقدس مرتين وكذا يستحب
اتيان غيره من المساجد المأثور صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيها كمسجد القبلتين وقبورا لشهداء المعهودين وهم شهداء احد رضي الله

عنهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يزورهم وينبغي ان لا تدع زيارتهم وان تبدا بهم
بحمزة سيد الشهدا في الدنيا والاخرة وقال مالك في كتاب محمد ويسلم عليه صلى الله عليه
وسلم اذا دخل وخرج اي اذا دخل مسجد المدينة وخرج منه اي عند ارادة ذلك وفيما
بين ذلك اي في ايام اقامته بالمدينة يدخل المسجد ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم كلما
دخل وخرج قال محمد واذا خرج من المدينة من اتاها زائرا جعل اخر عهده بالمدينة الوقوف
بالقبر اي عنده للوداع وكذلك كل من خرج مسافرا من المدينة يجعل اخر عهده زيارته
صلى الله عليه وسلم والسلام عليه وروى ابن وهب عن فاطمة الزهرا بنت النبي
صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها اذا دخلت المسجد يعني مسجده
صلى الله عليه وسلم او الاعم منه فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وقولي اللهم
اغفر ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وفيه مناسبة تامة لان العبارة مكفرة للسيئات
وللدخول بفتح الباب وهو باب موصل لاعظم رحمة واذا خرجت من المسجد النبوي
او الاعم منه فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي بترك
العمل الصالح وافتح لي ابواب فضلك وذكر الفضل هنا انسب لان الخارج من المسجد
يخرج لكسب مصالحه والفضل الرزق وفتح الباب كناية عن تسهيل اموره
وتيسير مسالكه واسباب معاشه وقد علم بذلك حكمة ذكر الرحمة في الدخول
والفضل في الخروج وحاصلها ان المساجد محال رحمة الحق تعالى لعباده رحمة
مخصوصة تناسب قصدهم وعبادتهم فطلب تلك الرحمة الخاصة عند دخولها
واما الخروج منها فهو الى محال الاسباب والاكتساب التي لها تحصل الارزاق
والغنا عن الناس وهذا مظهر الفضائل التي تفضل بها على عباده فسال عند
التوجه ليفاض عليه منه ما يتوفر به خشوعه وانقطاعه الى الله تعالى قالوا
ويصلي ركعتين نفلا مطلقا وقيل انهما سنة الوداع واختلف هل يقدم
الوداع على الصلاة او يؤخرها ليكون اخر عهده صلاة فانه صلى الله عليه وسلم
ويحسن ان يقول اللهم لا تجعل هذا اخر العهد بحرم رسولك صلى الله عليه وسلم
ويسر لي العود اليه وارزقني العفو والعافية في الدنيا والاخرة ويتاسف
على مفارقته واعلم ان هذا الحديث رواه اصحاب السنن على انه سنة لدخول كل
مسجد وليس مخصوصا بالمسجد النبوي كما ذكره الخنيزي في اللوا المعلم
الا انه يكفي انه يدخل فيه دخولا اوليا وزاد بعضهم في المسجد النبوي رب
وفقني وسددني واصلحني واعني على ما يرضيك عني ومن علي بحسن الادب
في هذه الحضرة الشريفة وفي رواية اخرى من طريق اخرى في حديث فاطمة رواه
احمد وابو يعلى والترمذي وحسنه فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج
اللهم اني اسالك من فضلك وفي رواية اخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم
وهذه الامور كلها محل ذكرها مناسك الحج وفضلت ثم وعن محمد بن سيرين
التابعي المشهور كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد النبوي صلى الله
وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا
وبسم الله خرجنا اي ندخل وعبر بالماضي مشاكلة واشارة الى ان المساجد انما

هي للعبادة وليست بمحل مكث وإقامة لغير المعتكف وعلى الله توكلنا اي فوضنا اليه امورنا
كلها التبرك من دخل المسجد امور دنياه فان توجهه فيه انما هو لله وكانوا يقولون
اذا خرجوا مثل ذلك وهذا ليس خاصا بمسجد المدينة بل هو مستحب في كل مسجد و
الصلاة عليه عند دخولها والخروج منها لانه صلى الله عليه وسلم هو الذي
بين لنا العبادة فيها وهدانا لطرق الخير فكان حقا علينا ان نذكره رحمة والدعا له والمراد
بالناس هنا الصحابة ففعلهم يدل على انه سنة ماثورة فلا يتوهم انه كيف يكون
دليلا على انه سنة ولذا اردفه بما يوضحه من قوله وروي عن فاطمة ايضا اي كما روي
عنها قبل هذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد
وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله الذي وفقه للعبادة
وسمى الله تيمنا وتبركا لبتم ما شرع فيه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم لما مر
وذكر مثله اي ما هو بمعناه وفي رواية يقول اذا دخل المسجد بسم الله والسلام على
رسول الله فهذا صريح في ان ما فعله الناس فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنفسه فهم مقتدون به وروي عن غيرها اي غير فاطمة رضي الله عنها كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك
وانعامك بنعم الدنيا والاخرة ويسر لي ابواب رزقك اي سهلها وبشر اسبابها
والتعبير بالتيسير اشارة الى انه مما قضي وفرغ منه وعن ابي هريرة رضي الله عنه
اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح
لي يعني ما تقدم بتمامه وحاصله ان هذه الاحاديث تدل على ان من دخل المسجد
او خرج منه او مر به اي مسجد كان يستحب له ان يسمي الله ويصلي ويسلم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويدعو بخير من خيري الدنيا والاخرة والماثور
افضل وهذا مما اتفقوا عليه وورد فيه احاديث صحيحة مسندة في
باب الدعوات وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد النبوي
وخرج منه من اهل المدينة المقيمين بها الوقوف بالقبر اي عنده للزيارة
وانما يلزم ذلك اي الوقوف لازم للغرباء الذين جاءوا المدينة للزيارة وليس
اللزوم هنا بمعنى الوجوب الشرعي بل التاكد في حقه وقال مالك فيه اي
في كتاب المبسوط ايضا كما نقل عنه اولا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى
سفر من اهل المدينة ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم اي يقوم
عنده زائرا فيصلي عليه صلى الله عليه وسلم ويدعو له ولابي بكر
وعمر بعد الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ان ناسا
من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه اي الخروج للسفر فهم
مقيمون يفعلون ذلك اي الوقوف عند القبر والصلاة عليه والدعا
لصاحبيه في اليوم الواحد مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او الايام
المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون عليه صلى الله عليه وسلم
ويدعون لابي بكر وعمر ساعة فقال مالك لما ذكر له ذلك لم يبلغني هذا
اي وقوف المدني من غير سفر عند القبر عن احد من اهل الفقه

عن سو

ببلدنا يعني المدينة لان عمل اهلها حجة عنده وتركه اي تركه هذا الفعل واسع اي اكثر
واولى ولا يصلح آخر هذه الامة المحمدية وآخرها من بعد الصحابة والعصر الاول الا ما
اصلح اولها اي لا يصلح لآخرهم الا ما صلح لأولهم ولا يستحب لهم الا ما استحبوه اولا ولم
يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها من الصحابة ومن الحق بهم انهم كانوا يفعلون
ذلك اي الوقوف للزيارة من غير الغرباء بلا ارادة سفر اي لم اسمعه بنقل صحيح
ويكره ذلك الا لمن جاء من سفر او اراده من اهل المدينة وقال ابن القاسم من اتباع
الامام مالك ورأيت اهل المدينة اذا خرجوا منها للسفر او دخلوها قادمين من
السفر اتوا القبر فسلموا عليه صلى الله عليه وسلم قال ابن القاسم وذلك رأي
اي قول لمالك وفي نسخة رأيي بالاضافة اي انه يقول به وقال الباجي بموحدة
نسبة لباجة اسم بلدة بالمغرب وهو ابو الوليد الحافظ من ائمة المالكية وقد
تقدم ففرق مالك او ابن القاسم رواية عنه بين اهل المدينة والغرباء فاستحب
للغرباء الزيارة في الدخول للمسجد في كل حين ولم يستحبه للبلدي الا اذا خرج لسفر
او قدم منه لان الغرباء قصدوا المدينة لذلك اي لاجل الزيارة فينبغي لهم
فعل ذلك في كل حين واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اوطانهم
من اجل زيارة القبر والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم قال السبكي في
كتابه شفاء السقام بعد نقل ما هنا ما مذهب مالك ان الزيارة قربة لكنه كره
الاكثار منها للمقيم بالمدينة على قاعدته في سد الذرائع وغيره من اهل المذاهب
قالوا باستحباب الاكثار منها مطلقا واتفقوا عليه وهو الحق الذي لا شبهة فيه
والذريعة ليست بمسموعة في كل مقام كما تقدم عن القرافي وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه عبد الرزاق ومالك في الموطأ عن عطاء بن يسار اللهم
لا تجعل قبري وثنا اي كالوثن وهو الصنم الذي يعبد اي يتخذ معبودا وتقدم
وفيه زيادة بعده اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد اي
يسجدون لها كما يسجدون لله وقد تقدم الكلام عليه وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه ابن ابي شيبة وغيره بسند متصل لا تجعلوا قبري عيدا
اي كالعيد باجتماع الناس عنده وقد تقدم تأويل الحديث وانه لا حجة فيه لما
قاله ابن تيمية وغيره فان اجماع الامة على خلافه يقتضي تفسيره بغير
ما فهموه فانه نزعة شيطانية وقوله وقال الخ يحتمل انه من كلام الباجي
او من كلام مالك وابن القاسم تأييدا لما قاله وهو الظاهر واحتمال انه من
كلام الناس غير مناسب لما عقد له هذا الفصل ونقل من كتاب احمد بن سعيد
الهندي عالم الاندلس توفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وعمره سبع وسبعون
سنة وترجمته مبسوطة في التواريخ وفي نسخة سعد الهندي والصحيح
الاولى فيمن وقف بالقبر اي قال في حقه وبيان حاله انه ينبغي له انه
لا يلصق به صدره ولا يمسه بشيء من جسده فلا يقبله فيكره مسه وتقبيله
والصاق صدره به لانه ترك ادب وكذا كل ضريح يكره فيه ذلك وهذا امر
غير مجمع عليه ولذا قال احمد والطبري لا بأس بتقبيله والتزامه وروي

ان ابا ايوب الانصاري كان يلتزم القبر الشريف قيل وهذا الغير من لم يغلبه الشوق
والمحبة وهو كلام حسن ولا يقف عنده طويلا بل بمقدار الصلاة عليه والدعا
تادبا منه فهذا مستحب عنده وفي العتبية بضم العين المهملة وسكون المثناة وكسر
الموحدة وياء نسبة اسم كتاب يعرف بالعتبية وبالمستخرجة من الاسمعة اي مما
سمع من مالك من مسايل المدونة وصاحبها يسمى العتبي نسبة لعتبة بن ابي
سفيان وهو فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبد العزيز بن عتبة بن ابي
سفيان القرطبي توفي في منتصف ربيع سنة خمسين او اربع وخمسين وماتين
واخذ عن يحيى بن يحيى الليثي وطبقته ويقال انه من موالي عتبة وله
رحلة الى المشرق وفي تاريخ الاندلس محمد العتبي هو محمد بن احمد بن عتبة
الاموي من اهل قرطبة وقيل هو مولى لال عتبة بن ابي سفيان وهو
الاصح وسمع من سحنون واصبغ وغيرهما وجمع كتابا سماه المستخرجة
اكثر فيه من الشواذ والمسايل الغريبة فاذا سمع غريبة قال ادخلوها
في المستخرجة وقال ابن وضاح في المستخرجة خطا كثير بيد وبالركوع
المراد به الصلاة اي تحية المسجد اذا دخله تسمية باسم الجزء كالركعة قبل
السلام على قبره عليه الصلاة والسلام وزيارته وهو احد القولين
كما تقدم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل يسلم اولا ثم يصلي
ويتحرى بصلاته محلا كان يصلي فيه صلى الله عليه وسلم وله علامة
ذكروها ويتعهم المنبر وهو على يسار محراب الشافعية ويشمل ذلك عموم
قوله واحب افعل تفضيل من المحبة مواضع التنفل اي افضلها للصلاة
النافلة وتحية المسجد والزيارة مصلى النبي صلى الله عليه وسلم اي
محل صلاته المالوف وبين محله بقوله حيث العمود المخلق بضم الميم
وفتح الخا المعجمة وتشديد اللام وقاف وهو ما عليه الخلوق بالفتح
وهو نوع من الطيب اصفر فيه زعفران والعمود هو السارية والاسطوانة
وسمي مخلقا لانه كان يطيب بالخلوق تعظيما وهذا هو المعروف وقيل
انه محلق بحا مهملة اي له حلقة من حديد ونحوه قيل وهو محل
جذعه الذي كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده قبل عمل المنبر له
وهذه الاماكن الشريفة واسماوها وفضايلها من اراد الوقوف عليها
فليطالع تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودي وفضيلة هذا المحل
والصلاة عنده انما هي للمتنفل الزاير واما في صلاة الفريضة فالتقدم
الى الصفوف اي التقدم في الصف الاول افضل من غيره مطلقا والتنفل
اي صلاة النافلة فيه اي في المسجد النبوي للغربا الذين قدموا للزيارة
وليسوا من اهل المدينة المقيمين بها احب الي اي افضل عندي من
التنفل في البيوت اي مساكنهم ومحل نزولهم وهذا مستثنى مما قاله
الفقها واطلقوه ان الافضل في الفرض الصلاة في المساجد والنافلة
الافضل فيها ان يصلي في المنازل ووجه المخالفة ان الصلاة في مسجد

المدينة افضل من الف صلاة في غيره على ما ياتي وهذا مبني على ان المضاعفة تختص بمسجد المدينة وذهب بعضهم الى ان الصلاة في المدينة مطلقا مضاعفة لا في بقعة فرضها ونفلها في مسجدها او غيره فعلى هذا انا قلتها كغيرها الا ان الغريب يستحب له الاكثار من المكث في مسجدها والزيارة والتبرك بمواطن عبادته فله شان يخصه وهو الظاهر

## فصل فيما يلزم من

دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب اللازم لمن حضر مجلسه في حياته سوى ما قدمناه في الفصل الذي قبل هذا وفضله اي المسجد النبوي وفضل الصلاة فيه اي زيادة ثوابها على ثواب غيرها وفي مسجد مكة وفضله وفضل الصلاة فيه وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة والمجاورة فيهما قال تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم وضع اساسه فيه احق ان تقوم فيه للصلاة من غيره وقد اختلف فيه كما سياتي روي عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المراد في هذه الاية اي مسجد هو فقال مسجدي هذا يعني به الذي هو داخل المدينة وهو معروف وهو اي كونه المراد في الاية قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم من كبار الصحابة قيل كان ينبغي له تقديم ابن عمر ثم زيد ثم ابن المسيب ثم مالك لكنه قدم الاسن والترتيب في الذكر ليس بلازم وعن ابن عباس انه مسجد قبا الذي تقدم بيانه وهو المراد في الاية عنده لانه صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام اقامته الى الاثنين وكلاهما مما اسس على التقوى الا ان تاسيس مسجد قبا كان في ابتدا دخوله صلى الله عليه وسلم دار الهجرة ثم انتقل منه واسسوا الاخر فالاولية ظاهرة فيه الا انه يحتمل شاملة للحقيقية والنسبية والمراد بالتقوى الاخلاص في رضى الله لا كمسجد الضرار وما ذكره ابن عباس هو الذي ارتضاه المفسرون وهو الظاهر والاول ايضا مروي عن كبار الصحابة مسندا له صلى الله عليه وسلم وقد رواه مسلم واصحاب السنن ولذا قيل كان ينبغي للمص ان يقول صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا روي بصيغة المجهول التي تغلب استعمالها في الضعيف فكانه ايما منه الى ان الاقوى ما قاله ابن عباس وهو مشكل وغاية ما يقال فيه ان الاولية اضافية باعتبار ما بني بعد الهجرة ومسجد مكة فيشمل مسجد قبا ومسجد المدينة والمراد اخراج مسجد الضرار ولا ينافيه ما بعده لانه اثنى على اهل احد المسجدين بزياده بزيادة الطهارة وانما فسره صلى الله عليه وسلم بمسجده [illegible] قوله احق ان تقوم فيه لانه انما كان اكثر قيامه به فلو فسر بمسجد قبا لكان صلى الله عليه وسلم تاركا للاحق ففسره بما يدل على دخوله مع مسجد قبا في الحكم ونص على ما خرج عن منطوقه لانه هو المحتاج للبيان فاعرفه فانه دقيق جدا حدثنا هشام ابن احمد الفقيه هو احد شيوخ المص رحمه الله لقوله بقراتي عليه قال حدثنا الحسن بن محمد الحافظ هو الغساني وقد تقدم قال حدثنا ابو عمر هو ابن عبد البر كما قد تقدم النمري تقدم بيانه ايضا قال حدثنا ابو محمد بن

لاجل

عبد المؤمن تقدم بيانه قال حدثنا ابو بكر بن داسة تقدم ايضا قال حدثنا ابو داود
صاحب السنن تقدم ايضا قال حدثنا مسدد تقدم قال حدثنا سفيان هو ابن
عيينة وقد تقدم عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة تراجمهم
تقدمت كلها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تشد الرحال لا نافية
وتشد مضارع مجهول وهو خبر اريد به النهي وهو ابلغ في النهي لانه جعله كانه امر
لا يقع في الخارج اخبر عنه بالحقيقة والرحال بالحاء المهملة جمع رحل وهو للجمال كالسرج
للخيل كما مر لا جمع راحلة كما توهم وهي البعير وتحوه والمقصود منه المنع او نهي دجي
شدها كناية عن منع السفر اي لا ينبغي السفر وقطع المسافة الا الى ثلاثة مساجد
جمع مسجد وهو المكان المعد للعبادة واصله موضع السجود مسجد الحرام بالحركات
الثلاث وفي نسخة المسجد الحرام وهو مسجد مكة ويطلق على مكة نفسها وكلاهما
جائز هنا والاول من اضافة الموصوف للصفة اي المسجد الذي جعله محترما
وهو مشهور غني عن البيان ومسجدي هذا اي مسجد المدينة المعروف ومسجد الاقصى
بالاضافة كالاول وفي نسخة والمسجد الاقصى اي الابعد لانه ابعد من مكة بالنسبة
للمدينة وفيه كلام مشهور ليس هذا محله واختلف في هذا النهي هل هو على
ظاهره للتحريم كما ذهب اليه بعضهم والصحيح انه مأول اي لا تشد الرحال
لنذر العبادة الا فيها ولذا قالوا لو نذر الصلاة في غيرها لم يلزمه شيء فلا
يكره له شد الرحل لبعض الاماكن المتبركة بها او لزيارة من فيها من الصالحين
او لطلب العلم بل قد يكون هذا واجبا عليه وقد تقدمت الاثار والاحاديث
في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد النبوي
في الفصل الذي قبل هذا كما سمعته انفا والاثار كل ما اثر اي روي
فيشمل الحديث وغيره ويطلق على ما يقابله والفرق بين الحديث والخبر والاثر
مشهور في مصطلح الحديث ككتاب ابن الصلاح وغيره وعن عبد الله بن عمرو
ابن العاص في حديث رواه ابو داود باسناد جيد حسن كما في الاذكار للنووي
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد اي مسجده بالمدينة
وتقدم ان هذا مستحب في كل مسجد قال اعوذ بالله العظيم اي التجئ في اموري
كلها وفي التوفيق للعبادة واخلاصها الى العظيم لا يخاف من التجا اليه وبوجهه
الكريم الوجه معروف فاذا اضيف الى الله فالمراد به ذاته المكرمة المبجلة
وسلطانه القديم سلطانه بمعنى عزه وغلبته والقديم صفة سلطان
وذلك ثابت له في الازل والقدم من الشيطان الرجيم المطرود عن رحمة الله
وقربه واستعاذته منه لئلا يصده عما نواه من العبادة ويشغله بوسوسته
وتتمة الحديث فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم وقال
مالك بن انس في حديث رواه البخاري والنسائي فيه سمع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه صوتا عاليا كالصياح في المسجد اي مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم فدعا صاحبه اي امر بمجيئه اليه فجيء له به وسقط هذا من بعض
النسخ فالفاء في قوله فقال ممن انت فصيحة اي من اي قبيلة وطايفة

من الناس قال من ثقيف قبيلة من العرب مشهورة من هوازن قال عمر رضي الله عنه له لو كنتما
من اهل هاتين القريتين يعني مكة والمدينة لادبتكما كما في نسخة وفي اخرى لاوجعتكما بالدرة
بكسر الدال وفتح الرا المشددة تين المهملتين وهي سوط عريض يضرب به وعلوتكما
بمعنى ضربتكما وهو تعبير فصيح مشهور لانه يضربه على راسه واعالي بدنه يقال
علاه بالدرة وجلله وقنعه بالسيف وهذا انسا فيطا من بعض النسخ فالجواب مقدر كقوله
تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال ونحوه وانما قال له هذا لان من كان من اهل الحرمين
وهما مهبط الوحي ومقر الدين لا يعذر في الجهل بالشرع وادابه ثم بين له وجه ما قاله
بقوله ان مسجدنا يعني مسجد المدينة او الاعم منه لا يرفع فيه الصوت فعلى الاول
يعلم غيره بالقياس وعلى الثاني هو داخل نصا وهو الظاهر لانه ورد من الطريق
الاخر ومساجدنا وذهب كثير من الفقها ان رفع الصوت في المساجد مطلقا مكروه لحديث
جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم لانها متخذة
للعبادة ولذا تكره اليوم فيها لغير ضرورة الا انه قيل ان مرتكب المكروه لا يعزر وكلام
عمر رضي الله تعالى عنه يدل على انه لو كان من اهل القريتين عزره لانه لا يعذر
بجهله واجيب بانه علم منه عدم اكتراثه بحضرته صلى الله عليه وسلم وهو حرام
يؤدي الى الكفر والعياذ بالله قلت ليس كما قاله بل لانه يمتنع رفع الصوت عند
صلى الله عليه وسلم لقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي عنده وهو حي
حياته كما تقدم الا ان قوله ان مسجدنا يأباه فان قيل المراد بمسجدنا مسجده صلى الله
عليه وسلم بخصوصه فالاضافة عهدية لم يرد عليه شي فاعرفه ويستثنى
من هذا رفع الصوت بالاذان والاقامة وكذا التلبية كما صرحوا به على ما باتي
قال محمد بن مسلمة بميمين مفتوحتين كما تقدم لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد
اي يقصده وفي نسخة يتعمد برفع الصوت فيه يقال عمده واعتمده اذا قصده
فان فعله لا عن عمد لجهل وغيره جاز له ذلك وقوله ولا بشي من الاذى هو كل
مستقذر لان الطبع يتاذى به وان ينزه بالبنا للمجهول اي يبعد عنه فيبعد
هو عما يكره بمجهول ايضا والمكروه المراد به ايضا المستقذرات ولا ينبغي تحتمل
الكراهة والحرمة وخلاف الاولى وقد صرح الفقها بمنع جعل النجاسة والمستقذرات
في المساجد حتى النخاعة والروايح الخبيثة كرايحة البصل والثوم الى غير ذلك
مما فصل في احكام المساجد وقد افرده بالتاليف الامام الزركشي فلا حاجة
لذكره هنا لانا لسنا بصدده قال القاضي هو المص عياض رحمه الله حكى ذكر المذكور
كلمة القاضي اسماعيل بن اسحاق بن اسمعيل الازدي البصري العلامة الرحلة في ساير
الفنون والادب وكان ممن له معرفة بكتاب سيبويه حتى عد من افراد المبرد
حتى قيل لولا اشتغاله بالقضا لذهب ذكر المبرد ومات سنة اثنين وثمانين
ومايتين ببغداد فجاة في مبسوطه اسم كتاب له كما تقدم في باب فضل مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم والعلما كلهم متفقون على ان حكم ساير المساجد هذا
الحكم لان المقصود منها واحد وشرفها كلها لكونها محلا لعبادة الله تعالى فاذا
تساوت في ذلك كان حكمها واحدا قال القاضي اسمعيل بن اسحاق المتقدم

وقال محمد بن مسلمة المتقدم يكره في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الجهر
على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم اي يشوش عليهم الخلط مزج شيء بشيء
من المايعات ونحوها بحيث لا يتميز احدهما عن الاخر كالدقيق والشعير بالبر
فالمراد اذا اصواتهم لشدة الجهر تلهيهم عن قراءتهم وصلاتهم فاستعير
لذلك الخلط وليس كراهة رفع الصوت مما يختص به المساجد فثبتت كراهة
رفع الصوت رفع اسم ليس خبره الجار والمجرور قبله ويكره رفع الصوت بالتلبية
اي قول الحاج لبيك اللهم لبيك في مساجد الجماعات التي يجتمع فيها الصلاة
الجمعة ونحوها الا المسجد الحرام يعني مسجد مكة ومسجد نا يعني مسجد المدينة
لان محمد بن مسلمة كان من شكا نها فرفع الصوت بالتلبية مامور به لحديث
افضل الحج العج والثج فالعج رفع الصوت والثج اراقة الدما ورفع الصوت
مستحب لغير المراة والخنثى وهذا مذهب مالك وخالفه غيره فجعله مستحبا
في جميع المساجد وانما كرهه مالك في المساجد لانها محل الخشوع وقال ابو
هريرة في حديث رواه الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام صلاة في مسجدي
هذا خير اي افضل واكثر ثوابا من الف صلاة فيما سواه من جميع المساجد
الا المسجد الحرام يعني مسجد مكة المشرفة وسمي حراما لحرمة القتال فيه وكذا
الصيد وقطع اشجاره وتتمة الحديث وصلاة في المسجد الحرام افضل من مائة
صلاة في مسجدي هذا قال القاضي ابو الفضل مصنف هذا الكتاب وهو
عياض رحمه الله تعالى اختلف بالبنا للمجهول اي اختلف العلما والفقها
في معنى هذا الاستثنا يعني المراد بقوله الا المسجد الحرام واختلافهم فيه
مبني على اختلافهم في المفاضلة اي القول بانهما افضل من الاخرى بين مكة
والمدينة فذهب الامام مالك في رواية اشهب بن عبد العزيز ابو عمرو القيسي
المصري تلميذ الامام مالك في رواية عنه اي عن مالك وقال عبد الله بن نافع
صاحب اي صاحب الامام مالك الذي يروي عنه وجماعة اصحابه اي اصحاب
مالك الى ان معنى الحديث المذكور والاستثنا فيه لانه ان لم يكن خيرا من الف
صلاة فيما سواه احتمل ان يكون الصلاة في المسجد الحرام اكثر ثوابا من الصلاة
في المسجد النبوي وان الصلاة فيه تفضل صلاة المسجد الحرام باقل من الف
او ان الصلاة في المسجد النبوي لا تفضله بل تساويه والكل محتمل وهذه
رواية اشهب عنه ورواية ابن وهب وابن مطرف وابن حبيب من اصحاب
مالك عنه موافقة للجمهور في تفضيل مكة على المدينة والاولون على ان
معناه ان الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة
في ساير المساجد اي باقيها بالف صلاة الا المسجد الحرام وان الصلاة في مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه اي افضل في المسجد
الحرام بدون الالف اي اقل منه وهو تاويل بعيد وممن استبعده من المالكية
ابن عبد البر رحمه الله وناهيك به لما ثبت في مسند احمد عن عبد الله
ابن الزبير انه صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا افضل

من الف

من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام افضل
من مائة صلاة في مسجدي هذا او سيذكره المص قريبا وهو حديث حسن كما ذكره
البيهقي كيف لا وقد مدحه الله وامر بالحج اليه وفي الحديث ايضا انه صلى الله عليه
وسلم وقف على راحلته بمكة وهو يقول والله انك لخير ارض الله واحب ارض
الله الى الله ولولا اني اخرجت منك ما خرجت رواه الترمذي والنسائي وقال
انه حديث حسن واحتجوا لما ذهبوا اليه من تفضيل المدينة بما روي عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه اي
غير مسجد المدينة لما علم مما تقدم فتاتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله
عليه وسلم عليه اي على المسجد الحرام بتسعمائة وعلى غيره بالف اي غيره من
المساجد ورد بان هذه الرواية شاذة والمحفوظ ما رواه سليمان بن عتيق
عن ابن الزبير عن عمر رضي الله عنهم بلفظ صلاة في المسجد الحرام افضل من الف
صلاة فيما سواه الا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فان فضله عليه
بمائة صلاة وقد روي من طرق وهذا اي ما ذكر من ان الصلاة في مسجد الرسول
افضل من الصلاة في مسجد مكة بدون الالف مبني على تفضيل المدينة على
مكة على ما قدمناه قريبا وهو اي تفضيلها عليها قول عمر بن الخطاب ومالك
في احدى الروايتين عنه واكثر المدنيين اي علمائها ولقوله ما بين قبري
ومنبري الخ ونحوه وذهب اهل مكة وعلما الكوفة الى تفضيل مكة على المدينة
وهو قول ابن وهب وعطا وابن حبيب من اصحاب مالك في رواية عنه وحكاه
الساجي بسين مهملة وجيم نسبة الى ساج بلدة وهو ابو يحيى زكريا ابن
يحيى الضبي البصري عن الشافعي رضي الله عنه لانه من ائمة الشافعية توفي
بالبصرة سنة سبع وثلاثمائة وله كتاب جليل في علل الحديث وكتاب في اختلاف
الفقها وهو حجة وان ضعفه بعضهم وله ترجمة في الميزان وحملوا اي المفضلون
لمكة الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره من استثنائه واخراجه مما فضل
عليه مسجد المدينة فلا يكون مفضلا عليه بالف دونه لما عرفته فلا بد ان يحمل
على المساواة وهو على هذا مستثنى مما سواه لقربه واحتجوا لما قالوه بحديث عبد الله
ابن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي اخرجه احمد وابن حبان بمثل حديث
ابي هريرة وفيه اي في حديث ابن الزبير وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة
في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى قتادة مثله اي مثل حديث ابن الزبير في
افضلية مكة فياتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا الذي رواه ابن الزبير
وقتادة على الصلاة في ساير المساجد بمائة الف وفيما قاله شيء لانه كما قيل
اسقط منه مضاف الى صلاة اي مائة الف صلاة وهو كذلك في رواية احمد
وابن ماجه باسنادين صحيحين فلا يخفى ما فيه وحديث ابن الزبير هذا روى
مثله ابو هريرة وعجزه عمر ما عرفه ولا خلاف بين العلما والمحدثين في ان
موضع قبره اي الموضع الذي قبر فيه صلى الله عليه وسلم وضم جسده
الشريف افضل من ساير بقاع الارض كلها بل هي افضل من السموات والعرش

والكعبة كما نقله السبكي لشرفه صلى الله عليه وسلم وعلو قدره وقال القرافي في القواعد للتفضيل اسباب فقد يكون للذات كتفضيل العلم وقد يكون بكثرة العبادة له او لما وقع فيه وقد يكون بالمجاورة كتفضيل جلد المصحف وقد يكون بالحلول كتفضيل قبره صلى الله عليه وسلم على البقاع فلا وجه لانكار ما في الشفا بان التفضيل انما هو بكثرة الثواب على الاعمال ولا عمل على القبر فانه ممنوع ويلزمه ان لا يكون جلد المصحف بل المصحف مفضلا وبطلانه معلوم من الدين بالضرورة ووافقه السبكي رحمه الله فقال الاجماع على ان قبره افضل البقاع وهو مستثنى من تفضيل مكة على المدينة كما قيل

جزم الجميع بان خير الارض ما * قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت * كالنفس حين زكت زكى ماواها

وقال ابن عبد السلام التفضيل يكون لامور غير العمل فقبره صلى الله عليه وسلم افضل الامكنة لتجلي الله له بما ينزل له عليه من الرحمة والرضوان والملائكة ولا حاجة الى ما قيل لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره له اعمال فيه مضاعفة وان كان صحيحا ولو سلمنا ان المكان لا فضل له في ذاته كفى انه لاجل ما حل فيه وقول السروجي من الحنفية لم نجد من تعرض لهذا فعن مذهبنا بتوقيف فيه بل لعدم وقوفه عليه ويكفي لفضله ما اشتهر من ان كل احد يدفن في التربة التي خلق منها وعلى هذا فقد روى الزبير بن بكار ان جبريل اخذ التراب الذي خلق منه صلى الله عليه وسلم من تراب الكعبة فرجع الفضل المذكور الى الكعبة اذ هي ذلك البقعة التي اخذ منها ترابه وهو موضع الكعبة فكيف يستدل بهذا على تفضيل البقعة التي ضمت اعضاءه قلت وفي هذا افضل لمجيئه ونحن نعلي شرفهما كما مر حتى قال في عوارف المعارف روي عن ابن عباس ان اصل طينته صلى الله عليه وسلم من سرة الارض وهو موضع الكعبة بمكة فاول ما اجاب ذريته صلى الله عليه وسلم ومنها دحيت الارض فهو اصل التكوين والكائنات تبع له ولما تموج الطوفان الى بطينته لمحل دفنه ففي الحقيقة لم يدفن الا في اصل الكعبة الذي خلق منه صلى الله عليه وسلم انتهى وهو غريب لا يعلم مثله الا بالنقل وهو ثقة ويؤيده ما جاء في بعض الاثار ان سليمان عليه الصلاة والسلام زار محل قبر نبينا واخبر انه سيقبر فيه وترك ثم اربعماية من احبار بني اسرائيل ينتظرون بعثته وهجرته اليهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وها هنا بحث وهو ان البقعة التي ضمت الجسد العظيم اذا كانت افضل من ساير البقاع يلزم ان يكون المدينة افضل من مكة بلا نزاع لان المدينة هي تلك البقعة مع زيادة وزيادة الخير خير فكيف يتصور الخلاف بينهم على هذا بل نقول المدينة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم اليها واقامته بها تفضل مكة حينئذ لان شرف المكان بالمكين فلا بد من تحرير محل الخلاف حتى يقام عليه الدليل وفي كلام شيخنا ابن قاسم يقتضي ما تقرر ان فضل البقعة التي ضمت

اعضاء

لحصناه عليه الصلاة والسلام ثابت قبل دفنه فيها بل وقبل موته بل وقبل هجرته نعم
قد يقال تفضيلها على الكعبة والعرش والكرسي انما ثبت بعد دفنه فيها لتشرفها به
لا قبله لانها حينئذ ليس فيها الا مجرد الحاجز من الكعبة فلا يزيد على بقية اجزائها
الا ان يقال اعلاؤها لدفنه صلى الله عليه وسلم فيها فتقتضي مزيتها على بقية
الاجزاء قبل دفنه فيها ايضا وهل البقعة المذكورة افضل من منزله عليه الصلاة
والسلام في الجنة او منزله فيها افضل كما يسبق الى الفهم وقد يقال هذه افضل ما دام
فيها فاذا صار في الجنة صار منزله افضل وقد يقال يجوز ان تكون هذه منقولة
من منزله في الجنة او ينقل اليها فلها حكمه فليتأمل واعلم ان العز بن عبد السلام
لما قال ان الامكنة والازمنة متساوية لا تفاضل بينهما ظن بعضهم ان القبر الشريف
لا يتصور تفضيله لذلك فان التفضيل للمكان انما هو بحسب فضل الاعمال الواقعة
فيه ورد بان التفضيل له اسباب غير ذلك كما مر وفضل الاعمال في المدينة على
اعمال مكة غير مسلم كما مر ولو سلم ففيهما اعمال كثيرة ليست لغيرها كالحج والعمرة والمناسك
فهي تزيد بذلك فان قال مالك في المدينة ايضا ما ليس في غيرها كمجاورة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وظهور الاسلام ونحوه فالخلاف لفظي قد بر قال القاضي
ابو الوليد الباجي بموحدة وقد تقدمت ترجمته الذي يقتضيه الحديث المتقدم
الذي في فضل مسجديهما مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد حتى مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم لانه ذكر فيه التفاضل بين الصلاة في المسجدين ولا يعلم منه
اي من الحديث الذي استدل لوابه حكمهما اي حكم مكة في التفاضل مع المدينة
اي بالقياس اليها بالتفاضل وانهما الفضلي وهو الذي ذكر الخلاف فيه بين مالك
وغيره وذهب الطحاوي هو الامام ابو جعفر احمد بن محمد الحنفي كما تقدم الى
ان هذا التفضيل بالضاد المعجمة اي تضعيف اجر الصلاة باحد المسجدين مسجد
مكة او المدينة وضبطه بعضهم بالصاد المهملة وقال انه المسمى عن المقم
في الاسود والظاهر الاول انما هو في صلاة الفرض وانه الذي يضاعف ثوابه
وعممه بعضهم في الفرض والنفل وهو المختار واليه اشار بقوله وذهب
مطرف بضم الميم وفتح الطا وكسر الرا المهملتين المشددة وفاؤه وهو ابو مصعب
مطرف عبد الله بن مطرف اليساري المدني ابن اخت الامام مالك روى عنه
البخاري وهو ممن جاز القنطرة حتى روى عنه مالك وان كان من اتباعه
في الفقه توفي في سنة عشرين ومائتين وعمره ثلاث وثمانون سنة من اصحابنا
اي المالكية وقيد به احترازا عن مطرف بن عبد الله بن الشخير البصري
الزاهد توفي في سنة خمس وتسعين كما في الحلية لابي نعيم الى ان ذلك اي
مضاعفة ثواب الصلاة في النافلة ايضا اي كالفرض لظاهر عموم الحديث
وهو المختار عند الشافعي اذ لا داعي للتخصيص بل شامل لسائر العبادة
بدلالة النص كما اشار اليه بقوله قال اي مطرف وقيل الضمير للطحاوي
وجمعة خير من جمعة اي ثواب جمعة فيه يزيد على جمعة في غيره ويحتمل
انه جمع جمعة مضاف لضمير المسجد والاول اولى بقوله ورمضان فيه خير

من رمضان في غيره وهو ممنوع مصروف لتنكيره وقد ذكر عبد الرزاق بن همام المحدث
الحافظ كما تقدم في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها من البلاد حديثا نحوه اي مثل
الحديث المذكور في فضل الصلاة وهو ما رواه الطبراني وغيره عن بلال رضي
الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال صيام شهر رمضان في المدينة كصيام الف شهر
فيما سواها ثم رجع الى بيان فضائل المدينة فقال وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الشيخان ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة تقدم
بعض من الكلام عليه وان الروضة ارض في مكان مطمئن ذات اشجار ومياه ومثله
في معناه ولفظه عن الجمهور واي سعيد الخدري وزاد فيه ابو سعيد كما
في الموطا ومنبري على حوضي قيل انه تمثيل لان الذكر والعبادة عنده والايقاظ
تورث الري من العطش في هول القيامة وفي حديث اخر تقدم منبري على ترعة
من ترع الجنة تقدم بيانه وهو تمثيل ايضا وتقدم تفسير الترعة وقال الطبري
محمد بن جرير لا الكيا كما قيل فيه معنيان اي وجهان واحتمالان احدهما ان المراد
بالبيت بيت سكناه الذي كان يسكنه وهذا مبني على الظاهر المتبادر من لفظه
مع انه ورد في بعض الروايات ما بينه وبين المراد منه وهو ما بين حجرتي ويعيّن
ومنبري لان الحجرة بضم الحا محل السكنى على وحجر الارض وقد فسرت بالغرفة
فلم يبق احتمال ارادة القبر لانه لا يطلق عليه حجرة والثاني ان البيت هنا
اي في الحديث المذكور المراد به القبر فانه يطلق عليه بيت مجازا الان فعناه
ما يبيت فيه الحي وقرينته هنا انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وهو
قول رزين ابن اسلم الفقيه العمري كما تقدم في هذا الحديث وفسر به
كما روي ما بين قبري ومنبري فهذا يؤيده ووفق بين القولين بما
قاله الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن
بينهما خلاف بحسب المعنى لان قبره في حجرته وهو بيته واخباره صلى الله
عليه وسلم به قبل موته اخبار بالحوادث المغيبات الحسن فهو من معجزاته
وقوله في هذا الحديث ومنبري على حوضي في تفسيره اقوال منها ما قيل
انه يحتمل انه منبره المعروف بعينه الذي كان في الدنيا وهو الاظهر لتبادره
من غير داع لتاويله فينقل ويجعل ثمة كما ان الجذع الذي كان صلى الله
عليه وسلم يخطب عنده يغرس في الجنة كما مر وياتي والقول الثاني انه
يكون له هناك اي في المحشر عند الحوض منبر اخر يوضع له عند الحوض
تكريما له صلى الله عليه وسلم ويقوم عليه لدعوة الخلق لحوضه كرما
له ولامته والقول الثالث انه ليس على حقيقته بل من باب ذكر
السبب وارادة المسبب فالمراد ان قصد منبره والحضور عنده في الدنيا
لملازمة الاعمال الصالحة متعلق بقصد وحضوره وهو علة مقدمة
لقوله يورد الحوض ويوجب الشرب منه لاعماله الصالحة في الدنيا
قاله الباجي تقدم بيانه وقوله في الحديث روضة من رياض الجنة
يحتمل معنيين وتفسيرين انه موجب لذلك اي مقتض له اقتضا

محققا

محققا فكانه موجب له اي لدخول روضة من رياض الجنة لمن دخله في الدنيا وان
الدعا والصلاة فيه اي فيما بين المنبر والقبر يستحق صاحبها ذلك من الثواب
بيان لذلك او تعليل له ففيه تجوز كما قيل في حديث صحيح في الترغيب في
الجهاد والشهادة فيه الجنة تحت ظلال السيوف كناية عن دنو المجاهد من الجنة
حتى كانه اذا ارفع سيفه للضرب به او علاه سيف لمن يضربه وظهر ظله فالجنة
تحت ذلك الظل او ظلال السيوف كناية عن القتال بها فجعله سببا للدخول من
اطلاله الجنة وهذا المراد القاضي هنا والثاني من معانيه المحتملة ان تلك
البقعة من بقاع المسجد التي بين القبر والمنبر قد ينقلها الله من الدنيا الى
الاخرة فتكون في الجنة بعينها فهو على حقيقته قاله الداودي هو احد من نص
شارح البخاري وهو ابو جعفر الاسد بن البسكري التلمساني توفي بتلمسان
سنة اربعين واربعمائة وتلمسان بكسر التا واللام ويقال تلمسين ويجوز
تسكين لامها وفي نسخة الماوردي وقال ابن حجر ان معنى قوله روضة الخ انه
كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة لمن بلازم حلق
ذكرها لا سيما في عهده صلى الله عليه وسلم فهو تشبيه بليغ ومعناه ان
العبادة فيه تؤدي الى الجنة او هو على ظاهره بان ينقل من الدنيا الى الاخرة
قال والوجوه الثلاثة على ترتيبها في القوة فالوجه الاخير اضعفها وقال بعضهم
انه اقواها لان الاصل الحقيقة ولا يخفى ما فيه ثم قال ابن حجر والاظهر
الجمع بين المعنيين يعني انها تنقل الى الجنة وتؤديه الى رياضها ويؤيده
ويقويه ان الصلاة فيه بالف صلاة في غيره وان الجذع الذي كان صلى الله عليه
وسلم يخطب عنده يغرس في الجنة فهذا يقتضي ان البقعة تنقل اليها ايضا
ولا يخفى ما بين اول كلامه واخره من التدافع وقوله الجنة تحت ظلال السيوف
حديث صحيح كما مر رواه الشيخان ايضا عن عبد الله بن ابي اوفى واوله
انه صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته انتظر حتى مالت الشمس ثم قام
في الناس خطيبا فقال يا ايها الناس لا تتمنوا لقا العدو وسلوا الله العافية
فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف اللهم منزل
الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم وفي النهاية
انه كناية عن الضراب والجهاد والدنو منه والظل والفيء بمعنى وقد يقال
الظل لما قبل الزوال والفيء لما بعده كما فصله اهل اللغة ٭ ٭ ٭
وقلت في قطعة قلت له لما رنا طرفه ٭ السيوف بناظر اهدي الينا الحتوف
او جنة من تحت اهدابه ام جنة تحت ظلال السيوف ٭ وروي ابن عمر
في حديث رواه مسلم وجماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم قال
في حق المدينة والساكنين بها انه لا يصبر على لاوايها بفتح اللام وسكون
الهمزة وواو بعدها همزة وشدتها عطف تفسير لان اللاواء هي الشدة
والمشقة والضيق وجاء بمعنى القحط وترجح الاخير فيكون تاسيسا
احد فاعل يصبر الا كنت عبر بالماضي لتحققه اي اكون له شهيدا او

شفيعا يوم القيامة قال المص والنووي او هنا ليست للشك من الراوي لانه رواه
نحو عشرة من الصحابة كذا اولا يظهر اتفاقهم على الشك فهو صلى الله عليه وسلم قاله
هكذا فاو للتقسيم اي شهيدا للبعض وشفيعا للبعض او شهيدا للمطيعين ولمن مات
في حياته وشفيعا للعاصين ولمن مات بعده وشهادته لهم بانهم ماتوا على خير
وشفاعته لهم بتضعيف ثوابهم او تخفيف حسابهم وغير ذلك وينبغي ان تكون
هذه خصوصية زايدة لعموم شفاعته صلى الله عليه وسلم وشهادته كما قال
تعالى وجينا بك على هولا شهيدا او ان او بمعنى الوا و وقال بعضهم
انها للشك وعليه فرواية شهيدا ظاهر ورواية شفيعا المراد بها شفاعة
خاصة لهم بعلو درجاتهم وجعلهم في جواره دنيا واخرة وفي الحديث دليل
لمن استحب الجوار بالحرمين ومن كرهه لامر خاص بمن لا يراعي حقوقهما المضاعفة
الاعمال اثمة وقاله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان فيمن
يحمل عن المدينة اي رحل عنها وفارقها يختار السكنى غيرها عليها ومعنى
يحمل رفع حمله وامتعته منها فكنى به عما ذكر وفي نسخة يحتمل وهما بمعنى
والمدينة خير لهم من غيرها من البلاد لو كانوا يعلمون فيه ايجاز اي لو كانوا يعلمون
فضلها ما اختاروا غيرها من البلاد ويحتمل ان لا يقدر شي والمعنى لو كانوا
من ذوي العلم والادراك وهو ابلغ في ادا المراد ولو شرطية او للتمني اي
ليتهم علموا ذلك وهو من حديث طويل معناه انه ستفتح بلاد اليمن
والشام ويأتي منها قوم يسوقون اهليهم وذراريهم ثم يترحلون عن المدينة
وهي خير لهم والحديث في البخاري وشروحه وفيه معجزة له باخباره صلى الله
عليه وسلم بالمغيبات لانها فتحت في عهد الخلفا واختاروا اسكناها وقال صلى
الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن جابر انما المدينة كالكير بكسر الكاف
وسكون المثناة التحتية وراء مهملة وهو آلة الحداد معروفة ينفخ بها النار
لايقادها على الحديد والكور البنا من طين ونحوه يوضع عليه وقيل هما بمعنى
والبنا منقلبة عن الواو وهما من الكور وهو الزيادة وقيل الكير البنا
وقيل هو الزق والحصر فيه اضافي وفي الصحاح خلافه ووجه الشبه
انها تنفي خبثها بفتحتين واخره مثلثة تنصب على المفعولية اي تخرج
ما خبث منها ولا تقبله كما ينفي الكير خبث الحديد لان ما فيه من الصدا
والاجزا التي ليست خالصة منه تتطاير عنه مع الشرار وتبقي خالصة
فكذلك المدينة لا يخرج عنها ويختار غيرها من غير ضرورة الا من
خبث طويته فهو لا يترك فيها من في قلبه غل وعدم صدق فتميزه عن
غيره كما يميز الحداد بكيره جيد الحديد من رديه وتنصع طيبها بكسر
الطا وسكون المثناة التحتية وموحدة وروي طيب بزنة سيد
وهو مرفوع فاعل وينصع بفتح اليا وسكون النون وفتح الصاد
المهملة وبعدها عين مهملة اي يخلص ويبقي خالصا فيها ما طاب
كما يبقي من الحديد جيده ويذهب رديه من المصنوع وهو صفا

البيان ومنه ابيض ناصع واكثر الرواة على تشديد يائه وان ينصع بمثناة تحتية ورفع
طيبها على الفاعلية حتى قيل ان التشديد متفق عليه وروي تنصع بمثناة فوقية
ونصب طيبها وفاعله ضمير المدينة وضبط الفزاري طيبها بكسر اوله واستشكله بان
النصوع لا يعرف في الطيب والمعروف فيه ينضوع بضاد معجمة وواو مشددة واعرب
في الفائق فقال انه بموحدة وضاد معجمة من ابضع التاجر اعطى لبضاعة
اي تعطي طيبها من يسكنها وتبعه في النهاية وقال الصاغاني انه خالف فيه
جميع الرواة وكانه تصحيف وروي تنضخ بضاد وخاء معجمتين ففيه روايات
مختلفة اصحها انه بصاد وعين مهملتين بعد النون وقال المظ في شرح مسلم
الاظهر ان هذا مختص بزمنه صلى الله عليه وسلم والهجرة واجبة لانه لا يصبر
على الهجرة والاقامة بها الا من ثبت على ايمانه لا المنافقون وجهلة الاعراب
كما وقع للاعرابي الذي اصابه الوعك وقال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اقلني فقال هذا في حقه وقال النووي ليس هذا الظاهر لما في صحيح
مسلم لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها يعني في زمن الدجال وان
المدينة ترجف ثلاث رجفات فيخرج منها كل كافر ومنافق ويحتمل انه يكون
هذا في ازمنة متفرقة انتهى قلت ان اراد المظ انه المراد بهذا الحديث
بقرينة سببه وقصة الاعرابي لا يرد عليه ما قاله النووي وروي عنه وفي
نسخة وقال صلى الله عليه وسلم كما في مسلم رواية عن جابر لا يخرج احد من
المدينة رغبة عنها من غير داع له ولا ضرورة الا ابدلها الله خيرا منه يقال
رغب عنه اذا كرهه فالمنهي عنه ذلك فلا ينافي ان بعض الصحابة ارتحل عنها
كبلال ومعاذ وابي موسى الاشعري او هو مخصوص بزمنه صلى الله عليه وسلم
اذ كانت الهجرة لها واجبة وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال في
حديث رواه البيهقي والدارقطني عن عائشة رضي الله عنها باسناد ضعيف
من مات في احد الحرمين حرم مكة والمدينة حاجا او معتمرا اي قاصدا لاحرام
بحج او عمرة وهو حال من الفاعل بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب
وانما فسرناه بقاصدا لذلك لان الاحرام من المدينة لا يتصور الا لمن احرم من
دويرة اهله او لقرب ميقاتها والاحرام من الميقات افضل عند بعضهم
وقيل انه بتقدير او زائرا واكتفى بها لاحد الحرمين بعلم ما لغيره وهو
متجه ايضا وقوله لا حساب عليه ولا عذاب حال مقدرة او ما قوله ه
بعبس ونحوه وفي طريق اخر في هذا الحديث للبيهقي والطبراني بعث
اي احيي بعد موته من الامنين يوم القيامة اي امنا من مناقشة الحساب
والعذاب وعن ابن عمر رضي الله عنهما في حديث رواه ابن ماجه وابن حبان
والترمذي وصححه من استطاع ان يموت بالمدينة اي يقيم بها حتى يموت
لان الموت ليس بقدرته واختياره فليمت بها اي فليقم بها حتى ياتيه الموت
كما سبق انفا والامر للاستحباب فاني اشفع لمن يموت بها شفاعة خاصة
به كما مر لانه في جواره وحمايته وهو صلى الله عليه وسلم اوصى بالجار

وروي فانها تشفع على الاسناد المجازي فان قيل قد جاء ما يعارض هذا او هو ما رواه
النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ليته مات بغير مولده قالوا
لم ذاك يا رسول الله قال ان الرجل اذا مات بغير مولده يقاس له من مولده
الى منقطع اثره في الجنة وذكره ابن طاهر في الصفوة وبوب عليه ايثارهم
الغربة على الوطن فالجواب ان صح ذلك فلا معارضة بل الحديث خاص
بمن لم يولد في المدينة وقد احسن المص حيث ختم ما يتعلق بالمدينة مع ذكر الحرمين
لذكر بعده ما يتعلق بمكة كما اشار اليه في الترجمة وقوله وقال تعالى
ان اول بيت وضع للناس الى قوله امنا وشروع في بيان فضل مكة وضعه
للناس جعله متعبدا لهم او قبلة لهم وبكة ومكة بمعنى عند جماعة والباء
تعاقب الميم كثيرا وقيل بكة موضع الكعبة ومكة اسم البلد وقال اخرون
مكة الحرم كله وبكة المسجد خاصة حكاه الماوردي عن الزهري وزيد بن
اسلم وبكة من بكه اذا دقه وهي تدق اعناق الجبابرة اذا قصدوها بسوء
او هو اشارة الى ازدحام الناس اذا طافوا وسئل صلى الله عليه وسلم عن اول
بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما
فقال اربعون سنة وهو حديث صحيح لكنه مشكل لان وضع المسجد في
زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ووضع بيت المقدس في زمن داود
وسليمان وبينهما زمان اطول من تلك الاربعين باضعاف مضاعفة
واجيب بان داود عليه الصلاة والسلام لم يضعه وانما تمم كما بيناه
في حواشي البيضاوي وتفسيره لانه ظاهر تكفلت به التفاسير وبركته
كثرة الخير فيه ومضاعفة ثواب العمل فيه قال بعض المفسرين في هذه
الاية معنى قوله ومن دخله كان امنا امنه من النار وعذابها في الاخرة
اذا دخله مؤمنا به وورد انه يدخل الجنة بغير حساب وقيل المراد بالامن
امنه في الدنيا وفي بعض النسخ بل اضراب عن التفسير الاول كان يامن من
الطلب من احدث حدثا اي فعل امرا يستحق به العقوبة كالقتل ولجأ
بالحرم بوزن ضرب بمعنى التجأ واعتصم من عدوه اليه اي المسجد الحرام
بدخوله فيها هاربا في الجاهلية هو زمن الفترة بين عيسى ونبينا
صلى الله عليهما وسلم سمي بها لكثرة الجهل فيه فكان الرجل اذا اجنى جناية
ودخله لا يمسكه احد حتى يخرج وقال ابو حنيفة من لزمه القتل ودخل
الحرم لا يتعرض له ولكنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يعامل حتى
يضطر للخروج منه وعنه نقول ان الحدود تقام ويؤخذ من دخله
فارا واليه اشار المص بقوله كان اشارة الى تغير هذا الحكم بعد مجيء
الاسلام وهذا اي قوله من دخله كان امنا مثل قوله تعالى واذ جعلنا
البيت اي الكعبة وحرمها مثابة للناس اي ملجأ ومرجعا من ثاب
يثوب اذا رجع ومثابة اسم مكان منه ومعناه ملجأ لكل مطلوب بجرم

للذي ببكة مباركا وهدى
للعالمين فيه آيات بينات
مقام ابراهيم ومن دخله
كان آمنا

ولا

عرضي
عرضي

ولا يليق تفسيره هنا بمرجع الزيادة لانه يأباه سياق المصنف لقوله وامنا في قول بعضهم
اشارة الى ادنى الاية اقوا الا اخر منها انه محل الثواب وحكي ان قوما الو اسعد ون
الخولاني بخا معجمة نسبة لخولان قبيلة من اليمن مشهورة واسمه ابكل بن احمد بن
مالك وهو من اهل القيروان وعظما علما بها وسعدون لقب له بصورة الجمع
ومثله يجوز فيه الصرف وعدمه للعلمية وشبه العجمة وقول بعض الشراح
انه منصرف ولا وجه لما وقع في بعض كتب الحديث من ضبطه غير منصرف وغفلة
منه بالمنستير اليا بمعنى في والمنستير بميم ونون وسين مهملة ومثناة فوقية
وراء مهملة وهذا لفظ رومي معناه عندهم خانقاه للرهبان على الطريق
لينزل فيه ابنا السبيل والذي سمعناه منهم فتح الميم والف مع سكون السين
وكسر التا الفوقية وبالتحتية وقد يخفف بحذف الالف واليا وهذا اسما لابنية
فيه عندهم فقوله في القاموس منستير بضم الميم وفتح النون موضع بافريقية
معبد الزهاد والمنقطعين وبلد اخر بافريقية اهله من قريش بينه وبين
القيروان ستة مراحل وموضع بشرقي الاندلس انتهى مخالف لما صح سماعا فان
كان عربيا فهو خطا وان قال غريب وغير كان عليه ان ينبه عليه وقال
التلمساني انه بضم الميم والنون وبجوز كسر نونه والعامة تفتحها وعليه
اقتصر الشمني وهي بلدة بساحل البحر وحصن بطرابلس افريقية له سور
بناه هرثمة بن اعين حين بعثه الرشيد لافريقية سنة تسع وسبعين
ومائة وهو الذي بنى سور طرابلس الغرب فاعلموا ان كتامة بضم الكاف وفتح
المثناة الفوقية والف وميم مخففة اسم لقبيلة من البربر واصلهم فيما قيل
من حمير قتلوا رجلا واضرموا عليه النار اي اوقدوها ووقودا اشد بدل
طول الليل منصوب بنزع الظرفية والطول بضم الطا المهملة مصدر طال
وطول الليل بمعنى الليل كله والناس يستعملونه بهذا المعنى تسمحا وتجوزا
ووجهه ان الطول لا بعد الامتداد في استعماله شغل غيره بالطريق الاولى
وقد سمع في كلامهم كقول الوزير المهلبي

قال لي من احب والبين قد جد ⁂ وفي مهجتي لهيب الحريق
ما الذي في الطريق تصنع بعدي ⁂ قلت ابكي عليك طول الطريق

ثم استعمل فيما لا طول له ولا عرض كقوله تعالى فذو دعاء عريض فلم
تعمل فيه هو مجاز بمعنى لم تؤثر فيه وبقي ابيض اللون لم يتغير لونه
ولو احرق اسود لونه وفي نسخة ابيض الجلد فقال لعله اي الرجل
المقتول والقاضي سحنون وجهه فقال الخ ولعل هنا مجاز
عن الظن اذ لا وجه للترجي هنا حج ثلاث حجج بكسر الحا بمعنى حجة وهي
المرة من الحج قالوا نعم اي الامر كذلك قال حديث بالبنا للمجهول اي روي لي
من سمعت منه الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان من حج حجة اي مرة
ادى فرضه لانه فرض على كل احد ان يحج في عمره مرة لقوله تعالى ولله على
الناس حج البيت الاية ومن حج ثانية بعد اداء الفرض داين ربه اي اقرضه

كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والدين والقرض دفع شيء الى غيره ليرد مثله
او بدله قال الراغب قال ابو عبيدة يقال دنته اذا اقرضته فهو داين وذاك مدين
ومديون وهو لما لم يكن هذا الحج فرضا عليه كانه اعطاه لله قرضا ليرد عليه ثوابه
الذي هو كبدل القرض فهو استعارة ومن فسر داين هنا بمعنى اطاع وعبد لم يصب
وفي نسخة داين مفاعلة منه وهما بمعنى وتمام الحديث فينادي غدا ملك عند الله دلجي
من كان له دين عند الله فليقم ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره اي ظاهر جلده
وبدنه على النار اي لم تعذبه ولم يدخله نار جهنم وفيه كناية بليغة وقوله
فينادي الخ سقط من بعض النسخ والمراد بقوله غدا يوم القيامة واصل معناه
اليوم الذي قبل يومك وعبر به ايما لقربه وهذا الحديث لا يعرف من رواه ولما
نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة لما جاها في حجة الوداع
او يوم الفتح كما رواه الطبراني في الاوسط عن جابر رضي الله عنه قال مرحبا
بك بفتح الكاف وكسرها اصله دعا للقادم بالرحب والسعة اريد به هنا اظهار
تحسنه لها والقرب منها من بيت بيان للمدعو له ما اعظمك عند الله وعند الخلق
واعظم حرمتك اي احترامك وشرفك وهو تعجب اريد به المبالغة في عظمته
وتعظيمه وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما من احد يدعو الله عند الركن
الاسود المراد به الركن الذي فيه الحجر الاسود وهو معروف الا استجاب الله له
دعاه اي قبله واعطاه ما دعا به او خيرا منه والحجر الاسود لما نزل من الجنة
كان اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني ادم وابقي سواده ليكون عبرة
والكلام عليه مبسوط في تاريخ مكة وكذلك استجابة الدعا عند الميزاب
والملتزم والمسعا وغيرها من المواطن التي جا في الحديث الصحيح استجابة
الدعا عندها والميزاب هو المسمى الان ميزاب الرحمة وهو مسيل ما السطح
وهو معروف من جانب الحجر وفي كتاب العلل لابن فارس الميزاب مهموز
واصحابنا يقولون ليس فيه همز لانه من وزب يوزب انتهى ووزب بمعنى
سال ويقال انه فارسي معرب معناه سيل الما واطال التلمساني هنا
بذكر مساحة البيت والحرم وغيره مما ليس هذا محله وعنه اي روي عنه
صلى الله عليه وسلم والراوي هو الحسن البصري في رسالته الى اهل مكة
من صلى خلف المقام اي مقام ابراهيم الخليل المعروف الذي قام عليه لما
بنى الكعبة ركعتين نافلة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم
القيامة من الامنين من العذاب وهول المحشر والمغفور له الصغاير والكبائر
وقيل الصغاير فقط والمقام معروف في موضعه الذي كان فيه قديما وتفصيله
في تاريخ مكة قرات على القاضي الحافظ ابو علي هو ابن سكرة وقد تقدم قلت
حدثك ابو العباس العذري قد تقدمت ترجمته وهذا طريق من طرق الرواية
يقولها التلميذ لشيخه ويصدقه عليه قال حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد
الهروي قال حدثنا الحسن بن رشيق عبد الغني بن سعيد العسكري الحافظ
العالي السند وترجمته في الميزان يقولها سمعت ابا الحسن محمد بن الحسين

قال الفقيه القاضي ابو الفضل

ابن

ابن راشد في الميزان محمد بن الحسن بن علي بن راشد الانصاري وفيه كلام سمعت ابا بكر
محمد بن ادريس ذكر كنيته وقدمها لئلا يلتبس بمحمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه
فان كنيته ابو عبد الله لا ابو بكر وهو محمد بن ادريس بن عمر وهو من اهل مكة سمعت
الحميدي بالتصغير وهو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله القرشي الاسدي المكي
صاحب الشافعي ورفيقه في رحلته لمصر وهو شيخ البخاري وهو لاهل الحجاز كاحمد
ابن حنبل لاهل العراق وهو نسبة لحميد بطن من اسد بن عبد العزى وقيل نسب
للحميدات وهي قبيلة توفي في سنة تسع عشرة او عشرين ومايتين قال سمعت سفيان
ابن عيينة تقدم بيانه قال سمعت عمرو بن دينار تقدمت ترجمته قال سمعت ابن
عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشي في
هذا الملتزم وبزنة اسم المفعول من التزمه اذا امسكه سمي به لالتصاق الناس في
الدعا وعنده هو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وقدره عشرة اشبار واربعة
اذرع وتسميته بهذا قديمة وردت في الحديث ويسمى المدعا والمتعوذ بفتح الواو
المشددة وهو احد المواضع التي ورد استجابة الدعا فيها وقد جرب كذلك
قال ابن عباس رضي الله عنهما وانا ما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي الى اخر
الحديث وهو ظاهر غير محتاج للشرح الا كلمات يسيرة فيه والفا في قوله فما
دعوت الله الخ اما زايدة بنا على انه يجوز زيادتها في الخبر مطلقا والمشهور زيادتها
في الخبر اذا تضمن المبتدا معنى الشرط نحو وما بكم من نعمة فمن الله وبعضهم قيد
زيادتها بكون الخبر امرا او نهيا كقوله وقايلة خولان فانكح فتاتهم واما عاطفة
على مقدر تقديره وانا جربت ذلك فما دعوت الخ واما جواب شرط مقدر اي اذ سالت
عما عندي فيه فما الخ وقوله منذ في الجميع روي مذ بدون نون ومنذ بضم اوله
وكسره معناه اشهر من ان يذكر وقال عمرو بن دينار الراوي عن ابن عباس وانا ما
دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال
سفيان المتقدم ذكره وانا ما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من عمرو بن دينار الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس المكي ابو بكر وانا ما دعوت
الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو
الحسن محمد بن الحسن وانا ما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من محمد بن ادريس المتقدم الا استجيب لي وهذا الحديث مسلسل بالسماع
رواه البيهقي وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق بينوها قال ابو
اسامة وما ذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيا اي لم يحفظ عنه انه قال
كغيره وانا ما دعوت الله بشي الا استجيب لي والتسلسل قد ينقطع بعضه
في اوله او اخره او وسطه فلا يضر التسلسل مع ان هذا ليس بقطع في الواقع
والاحاديث المسلسلة صحيحها قليلة وتقدم ان التسلسل يقع بامور متغايرة
من الاقوال والافعال والامكنة والازمنة كما فصل في مصطلح الحديث
وانا ما دعوت الله بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق

(margin:) الا استجيب لي صح

(margin:) وقال الحميدي وانا ما دعوت الله تعالى بشي في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي صح

الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الاخرة قال العذري وانا ما دعوت
الله لشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا
قد دعوت الله فيه باشيا كثيرة استجيب لي بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب
لي بقيتها اي ارجو ذلك لزيادة كرمه وسعة بفتح السين وكسرها بمعنى الوسع قال
القاضي ابو الفضل عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله ذكرنا نبذا بفتح النون
وسكون الموحدة وذال معجمة اي شيئا قليلا واصل معناه الطرح والرمي كانه
لقلته مما يطرح ويجوز ضم اوله وفتح ثانيه على انه جمع نبذة كما مر من هذه النكت
جمع نكتة وتقدم بيانها في هذا الفصل الذي نحن فيه وان لم يكن من الباب اي
من المعاني التي عقد لها الباب فانه معقود للصلاة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتعظيمه فذكر فضائل مكة وحرمها البيت فيه تبل من موضوع كتابنا لتعلقها
اي مناسبتها بالفصل الذي قبله من ذكر مسجده صلى الله عليه وسلم وما يتعلق
به حرصا على تمام الفائدة بافادة امور مهمة يرغب فيها والشيء بالشيء يذكر

## القسم الثالث من هذا الكتاب فيما يجب على النبي

صلى الله عليه وسلم المراد به الوجوب الشرعي او العقلي لقوله وما يستحيل
في حقه اي يعد محالا عقلا لانه لا يليق بجنابه العظيم او عادة واصل معنى
الاستحالة التغير من حالة الى اخرى ومنه استحال الخمر خلا او يجوز عليه مما
لا يخل بشريف مقامه وما يمتنع في حقه شرعا وعادة وعقلا او يصح وصفه به
واطلاقه عليه كما سياتي من الاحوال البشرية اي التي تطرأ عليه باعتبار انه
وهو بيان لما ان يضاف اليه اي تنسب اليه والاضافة بمعناها اللغوي لا النحوي
ثم صدر الكلام باية دالة على ما سياتي اجمالا فقال قال الله تعالى في حقه صلى
الله عليه وسلم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل
الاية فهذا بيان لما يجوز عليه ويصح من الاحوال البشرية كالموت والقتل كما ان الرسل
قبله منهم من مات ومنهم من قتل والعطف فيهما منفصلا اي ليس لمحمد حتى يستبعد
موته او قتله وهذا كما وقع باحد لما نادى ابليس لعنه الله ان محمدا قد قتل فقال
ناس من المنافقين ارجعوا الى دينكم فان محمدا لو كان نبيا ما قتل وقال المؤمنون ان
كان محمد مات فرب محمد لا يموت فانتفع بالحياة فقاتلوا على ما قاتل عليه
وكما وقع لبعض الصحابة لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم الهم
ذهلوا من عظم المصيبة فخطبهم ابو بكر رضي الله عنه وتلى هذه الاية كما مر
والقصة مشهورة وقوله افائن الخ انكار توبيخي لمن توهم خلافه والانقلاب
على العقب كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الدين وقال الله تعالى ما المسيح
ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة الاية اي ليس المسيح
الا رسول كغيره من الرسل له ايات ومعجزات مثلهم وليس باله كما زعمت النصارى
وامه صديقة اي صادقة في اقوالها وافعالها او مصدقة للرسل وهذا
غاية امرهما دون ما يزعمونه فيه ولذا اتى باثبات صفات بشرية تنافي الالوهية

من

محمد ح

دجلي

من الاكل ونحوه ولذا قال تعالى انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون وقال وما
ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق فهو كغيره من البشر يبيح
له ما يبيح لهم وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية فلا يزيد على البشر الا بما خصه الله
من الوحي والرسالة والتوحيد فقد امتاز عنهم ولذا قال محمد صلى الله عليه وسلم ٥
وسائر الانبياء اي باقيهم من عطف المتغايرين لا من عطف العام على الخاص كما توهم وانما
يكون كذلك لو فسر بجميع ما تقدم من البشر اي من جنسهم تمييز وامتازهم بانهم ارسلوا الى البشر
لتبليغ ما امرهم الله به ووضع فيه الظاهر موضع الضمير ولولا ذلك اي كونهم من جنس البشر
بان كانوا ملائكة لما اطاق الناس مقاومتهم اي مقابلتهم في الامور الدنيوية لقدرة
الملائكة على ما لا يقدر عليه غيرهم والقبول عنهم اي ما بلغوهم عن الله مما ارسلوا به
ومخاطبتهم حتى يبلغوهم عن الله ثم اثبت هذا بقوله ولو جعلناه اي النبي صلى الله
عليه وسلم ملكا اي قدرنا ارسال الملك للبشر من غير جنسهم كما اقترحوا لجعلناه رجلا
اي لما كان الا في صورة البشر تفسير لجعله رجلا واشارة الى انه بحسب الصورة لان
الملك يتصور باي صورة اراد ثم بين وجهه بقوله الذي يمكنكم بحسب الطاقة
البشرية مخالطتهم اي معاشرتهم والاختلاط معهم وفي نسخة مخاطبتهم وفي اخرى
مخاللتهم اي اتخاذهم اخلاء وهي متقاربة معنى اذ لا يطيقون مقاومة الملك
ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته الاصلية التي خلق عليها ابتداء وقال الله تعالى
قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
هذا جواب عن شبهة المشركين وقولهم بعد مشاهدة الايات التي القمتهم الحجر
فقالوا لم لم يرسل الله ملكا يبلغ اوامره ونواهيه فقال الله لرسول الله قل لهم
جوابا عن شبهتهم الواهية انما يرسل الله الملائكة لو كان اهل الارض ملائكة من
جنسهم كما قال الحق اي لا يمكن في سنة الله اي طريقته وعادته المستمرة ارسال
الملك الا لمن هو من جنسه حتى يمكنه مخالطته وتلقيه عنه ولما نافى هذا الحصر
ارسال الرسل من الملائكة الى الانبياء بين وجهه بقوله او من خصه الله معطوف
على من هو من جنسه اي خصه بنفس قدسية ملكية واصطفاه اي اختاره من
نوع البشر لتلقي وحيه من الملك وقواه على مقاومته اي مقاومة الملك ومخالطته
لمناسبة تامة بينه وبين الملك باستعداده حتى يكون واسطة بينه وبين الناس
كالانبياء والرسل فانهم خلقهم الله بابدان بشرية وارواح ملكية فكانوا دون
غيرهم مستعدين لمقاومة الملك ومخالطته ومخاطبته ثم فصل هذا فقال
فالانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وسائط بين الله وبين خلقه
وتوسطهم لامر هو انهم يبلغونهم عن الله اوامره ونواهيه اي كل امر ونهي
لهم وفي كتب الاصول تبعا للصحاح ان الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على
اوامر وبمعنى الفعل والشان يجمع على امور ولم يوافقهم عليه احد من النحاة
واهل اللغة فان فعلا لا يجمع على فواعل ونقل ابن هشام في تذكرته انه صحح
بوجهين احدهما انه جمع امر اسم فاعل لما لا يعقل وسمي القول امرا مجازا
وكلامهم لا يدل عليه والثاني انه جمع امرة مصدر كالعافية اي صيغة امرة

للامر بهما وقد نقله ابن سيدة وقيل انه جمع الجمع فجمع امر على امر كالطب ثم جمع على
اوامر كالطالب فهو فواعل او افاعل وقال الاصفهاني في شرح المحصول ان هذا التوجيه
لا يتم في النواهي وكونه جمع ناهية مجازا تكلف وكذا كونه مشاكلة للاوامر فانه
استعمل مفردا انتهى وقد تقدم ايضا ذكرنا لهذا ووعده ووعيده الوعد يستعمل
في الخير والوعيد في الشر كما فصلوه في محله ويعرفهم ما لم يعلموه من امره
هو الفعل والشان واحد الامور كما مر اي اقواله وافعاله فيما سبق فقضاؤه
في كل شي وقيل يجوز ان يراد بالامر هنا عالم الامر بقرينة قوله وخلقه وعالم
ما ابدعه الله من غير مادة وتولد من اصل بمجرد كن وعالم الخلق مقابله قال عوضي
تعالى الا له الخلق والامر وعلى الاول الخلق بمعنى الايجاد وجلاله اي مثل
معناه العظمة وهو في صفاته تعالى كما يقتضيه كلام الغزالي والقشيري
الصفات الثبوتية وكلام غيرهما يقتضي انه الصفات السلبية او ما يعمهما
وقال الغزالي في معنى ذي الجلال والاكرام ان الجلال كماله في ذاته والاكرام
ما كان منه لغيره وسلطانه اي قهره وغلبته او حجته الباهرة او ملكه اي انهم
يبينون للناس ذلك وجبروته وملكوته التافيه زائدة اي كونه جبارا قهارا
ومالكا الملك الذي لا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه ثم فصل هذا بقوله
فظواهرهم اي ما يظهر من حال انبيا الله ورسله وصفاتهم واجسادهم
اي ذواتهم الظاهرة المشاهدة وبنيتهم بكسر البا اي هيئة تركيب ابدانهم
التي خلقهم الله عليها لانه بناء الله وهو في الاصل مصدر ثم اطلق على الهيكل
المخصوص والبدن المحسوس متصفة باوصاف البشر من الخلق والتركيب ونحوه
طارية بهمزة في اخره وابدالها يا اي حادثة متجددة عليهما ما يطرو على البشر
لان الاجسام كلها متساوية في قبول ذلك من الاعراض جمع عرض والمراد به
مطلق الالام وما لا يكون فاشيا منها ويقابله عند الاطبا الامراض
والاسقام جمع سقم وسقم كحزن وحزن والموت والفنا الموت ضد الحياة
واختلف فيه هل هو عدمي او وجودي كما بين في محله ويطلق مجازا على
النوم والجهل كما في قوله ذو الجهل ميت وثوبه كفنه واما الفنا فهو
تفرق الاعضا وتفتيتها حتى تضمحل وهذا لا يكون في الانبيا عليهم الصلاة
والسلام لان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا كما ورد في الحديث المتقدم
ولذا قيل انه كان ينبغي للمصنف ان يبدل قوله السابق متصفة بقوله قابلة
وقد يقال المراد بالفنا هنا كبر السن والهرم ومنه الشيخ الفاني الا ان اقترانه
بالموت يبعده ونعوت الانسانية جمع نعت وفسره النحاة واللغويون
بالوصف مطلقا فهما مترادفان ومنهم من فرق بينهما فقيل انه لا يطلق
على الله ولم يبين وجهه فقيل لانه ما يصيب ويطرو من العوارض وهذه
قضية مطلقة فلا يقتضي ان الانبيا لا يصيبهم بعض الامراض المنفرة وهي
ما يفسخ بها النكاح كالبرص والجذام والعمى واما ما اصاب ايوب ويعقوب
عليهما الصلاة والسلام فلم يكن من ذلك وليعقوب انما ضعف بصره

وقيل

وقيل ان بعضها يجوز عليهم بعد استقرار النبوة فيهم وانما يمتنع عند ابتدا
الدعوة والحق انها لا تطرو عليهم اصلا وارواحهم وبواطنهم كالقلب والدماغ
وما لا يدرك بالحواس الظاهرة والباطن خلاف الظاهر متصفة باعلى من اوصاف البشر
اي باوصاف اعلى منها من الفضائل الروحانية والتبري من العلائق الجسمانية
كحب المال والتنعم بالماكل والمشارب فارواحهم وبواطنهم متعلقة بالملاء
الاعلى هو كالرفيق الاعلى الملائكة العلوية وتعلقها به اتصالها قال الراغب
الملا جماعة تملا العيون رؤا والقلوب جلالة وبها متشبهة بصفات الملائكة
في القوة والتجرد من العلائق الدنيوية وترك الشهوات والانهماك ولا يفعلون
الا ما يؤمرون غالبا سليمة من التغير اي تبدل احوالهم الصالحة بغيرها
والافات وهي النقائص لا تلحقها اي لا تطرو على ارواحهم وبواطنهم غالبا
عجز البشرية كالجبن والخوف المفرط المانع من تحصيل المهمات وقال غالبا
لانه قد يلحقهم شيء منه كما في قوله فاوجس في نفسه خيفة ولا ضعف
الانسانية فانه لا يلحقهم وان كان الانسان خلق ضعيفا الا انه قد يعرض لهم
شيء من ذلك بحسب الجبلية البشرية ولا يخرجهم عن كمال القوة والهمة اذ
لو كانت بواطنهم اي امورهم الباطنة وهو شامل لارواحهم هنا خالصة
للبشرية كظواهرهم وظواهر غيرهم وبواطنهم لما اطاقوا الاخذ اي قدروا
على تلقي الوحي عن الملائكة برؤيتهم ومخاطبتهم اي مكالمتهم ومخالتهم
بضم الميم وفتح الخا المعجمة والف ولام مشددة مفاعلة من الخلة بالضم
وهي اتخاذه خليلا وصديقا وقد تقدم معناه والفرق بينه وبين المحبة
ويجوز مخاللتهم بفك الادغام كما مر والاول افصح كما لا يطيقه اي وكما
لعده غيرهم اي غير الانبيا من البشر لضعف ارواحهم وبواطنهم ولو كانت
اجسامهم اي الانبيا وفي نسخة اجسادهم وظواهرهم متسمة اي موصوفة
مستعار من السمة وهي العلامة والوسم بمعنى الكي بنعوت الملائكة اي
صفاتهم الذاتية وهيآتها الحقيقية وبخلاف صفات البشر مما خلقت عليه
الملائكة وصورهم التي صوروا عليها عظما ونورانية لما اطاق البشر غير الانبيا
ومن ارسلوا اي الانبيا اليهم من اممهم مخاطبتهم ورؤيتهم ومخالطتهم
كما تقدم من قول الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وهو يدل
على انهم لا يطيقون رؤية الملك على خلقته الاصلية بخلاف ما لو تمثل
بصورة البشر فانه يمكن البشر رؤيته كما كان ياتي بصورة دحية وتراه
الصحابة وكما كان يتمثل لمريم فما قيل من ان هذا لا يتم ان لو كان رؤيتهم
ومخالطتهم وهم على خلقتهم والوارد في القرآن والحديث خلافه وقد
راهم بعض الصالحين واصحاب الرياضة تخلط وخبط ناش من عدم الفهم
فجعلوا اي الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من جهة الاجسام
والظواهر مع البشر اي موافقين لهم في صورها ومن جهة الارواح والبواطن
مع الملائكة اي متصفين بصفاتهم والمراد بالمعية المشاكلة في الروحانية

ابن اقبرس

والقوى الباطنية حتى اطافوا رؤيتهم ومخالطتهم ومخالفتهم كما قال صلى
الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري وغيره يشهد لمخالفته للملائكة لو كنت
متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا فانه اقرب الناس اليه واصدقهم
محبة له واعظمهم مواساة له بماله ونفسه واسبق الناس لاتباعه له فاذا
لم يتخذه خليلا لم يتخذ احدا غيره وهذا دليل على انه لم يكن من البشر بباطنه
فهو لا يعتمد على غير الله ولا يحتاج لاحد سواه ثم استدرك على ما يتوهم من نفي
خلة ابي بكر من انه لا مناسبة بينه وبينه فقال ولكن بيني وبين ابي بكر اخوة
الاسلام اي ان لم يكن خليلي فهو اخي في الله وفي دين الاسلام لاشتراكه معي
في محبة الله وطاعته واتباع دينه والاخلاص فيه والاخوة بضم الهمزة مصدر
اي كونه اخا لي ويقال خوة بضم الخا وحذف الهمزة وهي لغة قليلة فيه
والحاصل ان بواطنهم وقواهم الروحانية ملكية ولذا ترى مشارق الارض
ومغاربها وتسمع اطيط السما وتشم رائحة جبريل عليه الصلاة والسلام
اذا اراد النزول اليهم كما شم يعقوب عليه الصلاة والسلام رائحة يوسف
صلى الله عليه وسلم ولذا عرج به صلى الله عليه وسلم الى السما ولما
نفى الخلة عن ابي بكر رضي الله عنه استدرك توهم نبوتها لغيره من الناس
فقال لكن صاحبكم خليل الرحمن وقال صاحبكم ولم يقل ولكني وهو اخصر
واظهر اشارة الى ان مناسبته لهم بحسب الظاهر فانه بين اظهرهم لا بحسب
الحقيقة وقال خليل الرحمن دون خليل الله اشارة الى ان خلته لله وتخلقه
بصفة الرحمة فليس خليله الا الله لان الخلة تخلل المحبة في باطنه وباطنه
مشغول بمحبة الله عما سواه وهذا للانبيا في ما ورد في حديث اخر لم يكن نبي
الا وقد اتخذ من امته خليلا الا ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم
خليلا لان النفي للخلة الحقيقية المقتضية لاعتماده عليه ظاهرا وباطنا
والمثبتة الخلة بحسب الظاهر بحيث يكون وزيره ووكيله في امور الدنيا وايضا
خليل فعيل بمعنى فاعل ومفعول وابو بكر رضي الله عنه خليله بمعنى
الفاعل وليس مخاللا له بمعنى المفعول او انه كان خليله اولا ثم لم تخص خلته
بعد ذلك لله عند ما قربت رحلته للقاء ربه فان اول الحديث كما في البخاري
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم الناس فقال ان الله عز وجل خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار
ذلك العبد ما عند الله فبكى ابو بكر رضي الله عنه فعجبنا لبكائه من اخبار
عن عبد خير فكان اعلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من امن
الناس علي في صحبته وماله ابو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذته ابا بكر
خليلا ولكن اخوة الاسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب الا سد الا باب
ابي بكر وهو نص منه صلى الله عليه وسلم على خلافته كما يعرفه من له
بصيرة وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما يدل على ان باطنه ملكي
وظاهره بشري تنام عيناي بتغميض الاجفان والنوم ظاهرا ولا ينام قلبي

لبقا

ابن اقبوس

عرضي

لبقا احساسه وتعلقه بالملا الاعلى وكذا ساير الانبيا تنام اعينهم دون قلوبهم
كما ورد مصرحا به في حديث البخاري فليس ذلك من خواصه صلى الله عليه وسلم
كما توهمه القضاعي ومن تبعه هنا وهذا دليل على ان ظاهره صلى الله عليه وسلم
بشري وباطنه ملكي ولذا قالوا ان نومه عليه الصلاة والسلام لا ينقض وضوء
كما صرحوا به ولا يقاس عليه غيره من الامة كما توهم وتوضيه صلى الله عليه وسلم
بعد نومه استحبابا او تعليما لغيره او لعروض ما يقتضيه وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في النهي عن صوم الوصال في الصوم مع
فعله صلى الله عليه وسلم له اني لست كهياتكم اي لست في حالي واموري
مثلكم فان لي خواص خصني الله بها اكراما منه واصل معنى الهيئة الصورة
الظاهرة تجوز بها عن الكيفيات النفسانية تنزيل المعقول منزلة المحسوس
ثم بين ذلك بقوله اني اظل بفتحتين اي اكون عند ربي في حضرة الرب اشارة
الى تربيته له باعطائه ما يقوته فلذا وقع موقعه هنا ولم يقل عند الله
ونحوه يطعمني ويسقيني اي يهبني قوة على ذلك حتى اكون كاني اكلت وشربت
وليس المراد انه يطعمه ويسقيه حقيقة وطعام الجنة وشرابها لا يفطر كما
قيل لانه ينافي الغرض المقصود منه من اختصاصه بامر ليس لغيره مع ان
قوله اظل ياباه بحسب الظاهر وان امكنه التجوز فيه لان ظل حقيقته فعل
نهارا ولو كان كذلك لم يكن صايما وكون طعام الجنة لا يفطر لم يقل به احد
وهذه القوة تدل على انه صلى الله عليه وسلم ملكي الباطن وقول ابن حبان
وغيره اذا اعطاه الله قوة الصوم من غير جوع لم يكن فيه عظيم اجر فهو
لا يناسبه وقوله انه يدل على ان ما روي من انه صلى الله عليه وسلم
كان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه لا يصح وانما هو الحجز بزاي معجمة وشد
الحجر لا معنى له في اذهاب الجوع غير ظاهر لان جوعه صلى الله عليه وسلم
وشكواه منه وحزن وجهه لاصحابه وسؤالهم له فاخبرهم فشكوا له مما شكاه
وشد الحجارة على بطونهم امر ثابت في الاحاديث لا وجه لانكاره وشد الحجر يخفف
الم الجوع ببرده واقامة صلبه ومنع امعاه من الارتخا ولا ينافي هذا انه
يطعمه ربه لاختلاف الحالتين فانه في الصوم ربانية وانجذاب للملا الاعلى
واشتغال الروح عن البدن يمنع الجوع الا ترى المريض يمكث اياما لا ياكل
ولا يضره وقد بين وجهه الشيخ في اخر كتاب الاشارات فهذه القوة ملكية
روحانية واستبعد القرطبي ما قيل ان الله يخلق فيه شبعا كما يخلقه
فيمن اكل ومراده ما ذكرناه فلا وجه لاستبعاده فبواطنهم اي بواطن
الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم منزهة عن الافات اي ما ينقص قواهم
الملكية مطهرة عن النقايص والاعتلالات اي العلل المضعفة لهم فهذه
جملة ما يختص بالانبيا عليهم الصلاة والسلام اجمالا لكن يكتفي بمجموعها
اي ما تضمنته ودلت عليه كل ذي همة في تحصيل المنا بل الاكثر محتاج
الى بسط اي تطويل وتفصيل على ما ناتي به صفة لبسط وتفصيل اي تفصيل

على نهج ما ناتي به بعد في البابين المذكورين عقب هذا بعون الله اي اعانته على ما
نقصده وهو حسبي ونعم الوكيل الذي لا يكل من توكل عليه لغيره

# الباب الاول فيما يجب للانبيا

عليهم الصلاة والسلام ويمتنع عليهم فيما يختص بالامور الدينية
اي ما هو من الدين والشرايع النبوية والكلام في عصمة نبينا اي وفي الكلام
في عصمته صلى الله عليه وسلم وفي عصمة ساير الانبيا اي باقيهم صلوات
الله وسلامه عليهم والعصمة قال التخصيص قدرته بالطاعة دون المعصية
او خلق مانع فيه عن المعصية لكن لا بحيث ان يلجيه ويسلب اختياره ويجبره
على الطاعة بل هي لطف من الله يحمله على الطاعة ويزجره عن المعصية
مع بقا الاختيار تحقيقا للابتلا والتكليف كما قاله الماتريدي ويابى الكلام
على ذلك مبسوطا وقال القاضي ابو الفضل المصنف عياض رحمه الله بتمهيد
مقدمة لما سياتي اعلم ان الطوارى اي ما يحدث من غير ما قارن خلقته من
التغيرات المغيرة لما خلق عليه والافات جمع آفة وهي ما يفسد ما اصابه
والماوف ما اصابته وانكره ابو حاتم وقال انما هو مئوف كما في افعال
البشر فيسطو على احاد البشر بالمد جمع واحد ابدلت واوه همزة ثم الفالانه
من الوحدة اي افرادهم واشخاصهم لا يخلو من ان يطرا على جسمه اي ظاهر بدنه
وجسده او على حواسه جمع حاسة وهي ما يدرك به من البصر والسمع والشم
واللمس والذوق فالمراد الحواس الظاهرة وفعله احس وحس لغة قليلة
ومعناهما ادرك وحواس وحاسة من هذه اللغة غير الفصحى وانكره
بعضهم وقال انه لم يسمع وقياسه محسة بغير قصد واختيار بل يخلق
الله المنافية كالامراض والاسقام السقم بمعنى المرض كما في الصحاح وقيل
السقم مسبب عن المرض فالحمى مرض وتغير البدن وضعفه سقم ويقال
سقم وسقم وسقام بمعنى ا ويطرو بقصد واختيار كافعال العبد واعماله
وكل اي كل ما يطرو باختياره وغيره في الحقيقة اي حقيقة الامر في الواقع
عمل وفعل قال في القاموس الفعل بالكسر الانشا وكناية عن كل عمل فهما
على هذا بمعنى وقال الصاغاني بينهما فرق فالفعل احداث شي من عمل او
غيره فهو اعم وقال الجوهري العقل ما يكون في زمان يسير من غير تكرير والعمل وفعال
ما تكرر وطال زمنه وقيل العقل يختص بمن يعقل ورد بقوله صلى الله عليه
وسلم في الحديث يا ابا عمير ما فعل النغير ولكن جرى رسم المشايخ اي استمرت
عادتهم والرسم المشهور بكتابة ونحوها والفقها استعملوه بمعنى العادة
وهو المراد هنا والمراد بالمشايخ العلما بتفصيل اي تفصيل ما يطرا الى
ثلاثة انواع الاول عقد بالقلب اي نيته نية جازمة وعزما مصمما
سادقا والعقد بهذا المعنى ورد في الحديث واصل معناه الربط المحكم
والثاني قول باللسان والثالث عمل بالجوارح جمع جارحة وهي العضو

من

من اعضا البدن من الاجتراح وهو الاكتساب وجميع البشر يطرو عليهم الافات والتغير
بالاختيار وبغير الاختيار اي لهم حالات مختلفة تنتقل منها من حال الى حال من نعيم
وبوس ونصر وقهر وهذا امر عام شامل وليس المراد به العزايم واحوال القلب كما
قيل في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم اي جنس النبي او كل نبي
تفرعنه جنسي او استغراقي وليس المراد نبيا مخصوصا لاستوايهم فيما ذكر وان
كان من جنس البشر ويجوز على جبلته بكسر الجيم والبا الموحدة وفتح اللام المشددة
بمعنى الطبيعة والخلقة التي خلق عليها بحيث لا يقبل التغير بسهولة ما يجوز
على البشر سواه وما موصولة في محل رفع فاعل يجوز الذي تقدم فقد قامت اي
تحققت وظهرت البراهين جمع برهان وهو الدليل والحجة كما تقدم القاطعة اي
القطعية دلالتها على ما ثبتت بها وتمت كلمة الاجماع اي انعقد اجماع من يعتد
باجماعه واتفقوا عليه حتى كان كلامهم كلمة واحدة تامة على خروجه عنهم اي
خروج النبي عن جنس البشر غيره وتنزيهه اي تبريته بنفي ذلك عنه وتبعيد
ساحته عن كثير من الافات اي العوارض التي تطرو على البشر فتنقص مقاماتهم
العلية التي تقع اي تسند وتتحقق في الواقع والخارج على الاختيار وغير
الاختيار لتكريم الله لهم بالعصمة من امثالها كالامور القبيحة والاخلاق الذميمة
كما سنبينه ان شا الله تعالى فيما ياتي به من هذا الكتاب وهذا القسم من
التقاسيم الموضح لها

## فصل في حكم عقد قلب النبي

صلى الله عليه وسلم والمراد بعقد قلبه ما انعقد عليه اعتقاده.
وجزم به وتمكنت عنده يقينا من وقت نبوته او رسالته اي اظهارها
للناس بعد الوحي اليه والغاية محذوفة للعلم بها اي الى اخر عمره فعقد
القلب هو الاعتقاد الجازم الذي لا يحتمل النقيض اصلا اعلم تقدم ان
مثله يبتدو به فيما يهتم به والخطاب عام لكل من يصلح للخطاب منحنا
الله عز وجل اي اعطانا وانعم علينا واياك الخطاب كالذي قبله وهو معطوف
على المفعول الاول وقوله توفيقه المفعول الثاني وقوله ان ما يتعلق
منه بطي يفي التوحيد منير منه لعقد قلب النبي اي اعتقاده وعلمه اليقين
الجازم الذي اتصف به بعد نبوته وما موصولة والعقايد منه اي
علمه الذي له تعلق بالتوحيد والعلم بالله اي بذاته وحقيقته وصفاته
الذاتية الثبوتية والسلبية والاضافية وغيرها والايمان به اي بما ذكر
من توحيده وتحقق ذاته وصفاته وبما اوحي اليه بالبنا للمجهول اي بكل
ما اوحاه الله اليه من شرعه ليعمل به او يبلغه لغيره فعلى غاية المعرفة
الفا زايدة في خبر الموصول ودخول الفا لا يمنع منه كما بينه النحاة يعني
ان علم الانبيا المتعلق باصول الدين والعقايد وصل الى النهاية والغاية
التي لا يصل اليها سواهم ووضوح العلم واليقين اي لتيقنهم لذلك انكشف
لهم انكشافا تاما بحيث انه لا يقبل الزوال ولا يرتاب فيه انفسهم القدسية
وعلى غاية الانتفا عن الجهل بشي من ذلك فليس لهم جهل بشي من ذلك اصلا

او الشك او الريب فيه اي التردد واحتمال نقيضه لانه كون اليقين الذي لا يطرو
عليه شي من ذلك والعصمة بالجر عطف على المعرفة اي على غاية العصمة وتقدم
معناها عن كل ما يضاد المعرفة بذلك المذكور من التوحيد وما بعده بان
يجهل شيا منها وتضاد اليقين من شك او ريب في شي منها هذا المذكور من
علم الانبيا بما ذكر مما وقع اجماع المسلمين عليه ولم يخالف فيه احد منهم
ولا يصح بالبراهين الواضحة التي هي في غاية الظهور ان يكون في عقود
الانبيا اي عقايدهم التي ارتبطت عليها قلوبهم سواه اي غيره مما يخالفه
اصلا ولا يعترض على هذا اي ما وقع عليه الاجماع وكشفته البراهين
القاطعة حتى لا يحتمل غيره بوجه من الوجوه بقول ابراهيم الخليل
صلى الله عليه وسلم فيما حكاه الله عنه اذ قال بلى ولكن ليطمين قلبي
يحمل اطمينان قلبه بمشاهدة الاحيا يقتضي انه عنده ريبة وشبهة
في ذلك ورده بقوله اذ لم يشك ابراهيم متعلق بالنفي اي انتفى الاعتراض
بما ذكر في اخبار الله تعالى له باحيا الموتى اي ما اخبر الله به من انه هو
الذي يحيي الموتى ويوجدها من العدم ولكن اراد بما قاله مما يوهم الشك
طمانينة القلب قال الراغب الاطمينان السكون بعد الانزعاج واطمان
وتطامن متقاربان لفظا ومعنى انتهى فطمانينته زوال قلقه
وانزعاجه من امرهما وترك المنازعة مفاعلة من النزع وهو جذب الشي
عن مقره كنزع القوس ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة ومنازعة
القلوب ميلها الى شي ما والمراد هنا ترك القلق او ترك الميل الى
الشبهة في كيفيته ذلك بعد تحققه عنده كما اشار اليه بقوله
مشاهدة الاحيا وكيفية صدوره عن القدرة يحصل له العلم الاول
بوقوعه اي تحققه ووقوعه من الله احيا الامن غير شبهة فيه واراد
بسواله ربه العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته اي مشاهدة صدوره
عن الله تفصيلا ليزيد علمه واطمينانه لا انه شك فيه وهو جواب
عن الاعتراض الوارد على قولهم ان علم الانبيا عليهم الصلاة والسلام
بالله لا يعتريه شك بان الخليل عليه الصلاة والسلام من اجلهم
وقد شك فاجاب بانه لم يشك ولم يجهل وانما اراد الانتقال
عن علم اليقين وهذا امر لا ضير فيه الوجه الثاني في جواب الاعتراض
على ما وقع من الخليل ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم انما اراد
بسواله ربه اختبار منزلته عنده ربه المراد بالاختبار لازمه وهو
العلم اي ان يتحقق رتبته عند الله وعلم اجابته ودعوته اي
يعلم انه مقبول عنده حتى لا يرد دعاه ولا يخيب منه رجاه وان يريه
كيف احيا الموتى وفي نسخة اجابة دعوته بالاضافة وعدم تحقق رتبته
عند الله ليس فيه ما ينقص ويبغض مقرفته بربه فما قيل انه يقتضي
شكه في منزلته عند الله وهو خير واقع لا وجه له ولما كان قوله

تعالى

٢٠٤

[illegible]

تعالى في جوابه اولم تؤمن بالاستفهام الانكاري المقتضي بحسب الظاهر نفي ايمانه
فيأول اي الم تصدق بمنزلتك مني وخلتك اي اتخاذك خليلا واصطفائك اي
اختيارك على غيرك تشريفا وتكريما لك فالايمان بمعناه اللغوي وهو التصديق
والمصدق به المنزلة والاصطفاء فانه لا يلزم من النبوة اصطفاؤه بحيث يطلعه على
اسرار قدرته ولعله كان في اول امره الوجه الثالث انه سال من ربه زيادة يقين
ووفور طمانينة اي ان يقوى طمانينة قلبه وسكونه بحيث يقر قرارا متمكنا
غاية التمكن وان لم يكن في علمه الاول الذي كان قبل المشاهدة شك في شيء من امور
الرب وتوحيده وقدرته وهو دفع لما يتوهم من ان هذا الطلب يقتضي الشك
منه بانه انما هو لقبول اليقين الزيادة كما بينه بقوله اذ العلوم الضرورية
التي تحصل من غير استدلال لظهورها والنظرية التي تتوقف على نظر واستدلال
لكونها غير بديهية قد تتفاضل اي يزيد بعضها على بعض لانه تفاعل من
الفضل بمعنى الزيادة كما وكيفا في قوتها لانها كيفيات نفسانية تقبل
التفاوت في الوضوح والخفاء والعلم ينقسم الى ضروري ونظري وعلم الله
حضوري لا يوصف بذلك امثلا وطريان بفتحات بمعنى حدوث الشكوك
جمع شك على الضروريات اي العلوم الضرورية كالواحد نصف الاثنين
والضدان لا يجتمعان ممتنع لما هو ظاهر ومجوز بصيغة المفعول اي
يجوز العقل طريانها وعروضها في النظريات المكتسبة بالنظر والفكر يعني ان علم
الخليل عليه الصلاة والسلام بذلك اولا كان نظريا يقينيا لا شبهة له فيه
ولكن النظريات من شانها انها تحتمل الشكوك فاراد الانتقال الى رتبة اعلى
منها يكون علمه بقدرة الله على الاحياء ضروريا فيها لا يحتمل خلافه اصلا ليطمئن
قلبه بذلك فقط وهذا معنى ما في المواقف من ان سؤال الخليل عليه الصلاة
والسلام لم يكن عن شك في قدرته تعالى بل طلبه لان في عين اليقين ما ليس
في علم اليقين فان للوهم باحداث الوساوس والدغدغة سلطانا على القلب
عند علم اليقين دون عين اليقين وليس في كلام المص رحمه الله ما يقتضي ان
ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقع منه شك في علمه النظري بل ان النظري
من حيث هو يجوز طريان الشك عليه وفرق بين الشك وجوازه فجوازه
على العلم اليقيني لا يقتضي وقوعه حتى يعترض عليه بان علم ابراهيم يقيني
لا يحتمل النقيض وانه يجوز ان يخلق الله فيه علما ضروريا بذلك بعد الوحي
او الكشف وكذا ما قيل من انه اذا علم منه ذلك فما وجه قوله اولم تؤمن لان
المص اشار الى دفعه في الجواب الثاني فعلم بالقياس عليه اي لم نعلم ذلك
علما غير محتاج للمشاهدة والى هذا اشار المص بقوله فاراد ابراهيم صلى
الله عليه وسلم بسؤاله الانتقال من النظري من العلم الحاصل من البرهان
القطعي اليقيني الذي لا يحتمل النقيض والخبر الصادق بالوحي اليه الذي
لا شك فيه الى المشاهدة والنظر بعينه والترقي اي الصعود الى الاعلى
عن علم اليقين الحاصل بالنظر والخبر الى عين اليقين الحاصل بمشاهدته

ويجوز

عرضي

ابن اضرس

عيانا وهذا يقتضي ان المحسوسات والعلوم الضرورية تسمى يقينا وايقانا وفي
الكشاف وشروحه وتفسير القاضي ان العلم الذي من شانه ان يتطرق اليه الشك
والشبهة اذا انتفيا عنه كان ايقانا ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا
الضروري فلا يقال تيقنت ان الكل اعظم من الجزء وقيل اه وفيه فقوله في سورة
التكاثر علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين وقد بيناه في حواشي القاضي فليس
الخبر كالمعاينة هذا من الامثال النبوية ورد في حديث مرفوع رواه احمد
في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس الخبر كالمعاينة ان الله اخبر موسى بما صنع قومه بالعجل فلم يلق الالواح
فلما عاين ما صنعوا القى الالواح فانكسرت وقال الشاعر

وكن للعيان لطيف معنى له سال المعاينة الكليم

ولهذا قال سهل بن عبد الله التستري وقد قدمنا ترجمته سال الخليل
عليه الصلاة والسلام كشف غطا العيان اي الغطا المانع للعيان بكسر العين
كما مر اي المعاينة والغطا ما يغطيه ويستره ليزداد بنور اليقين اي بما
ينوره ويظهره عيانا تمكنا في حاله من العلم والمشاهدة ليكون على بصيرة
تامة في معرفة الله وفيه استعارة مكنية مرشحة لتشبيهه بامر محتجب تحت
غطا ازالته المشاهدة والكلام على علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين
والفرق بينهما بحسب اللغة ظاهر وللصوفية فيهما اصطلاح اورده بعضهم عرضي
هنا وبنى عليها امورا واهية ولا حاجة لنا به وها هنا سوال مشهور وهو
مروي عن علي كرم الله وجهه انه قال لو كشف الغطا ما ازددت يقينا
فقيل كيف يقول هذا والخليل عليه الصلاة والسلام يقول ولكن
ليطمئن قلبي فطلب كشف الغطا ليزداد يقينا وهو اجل رتبة ونقل
السبكي عن الغزالي رحمه الله انه قال اليقين يتصور ان يطرا عليه
الجحود لقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم والطمانينة
لا يطرا عليها ذلك وقال ابن عبد السلام اراد علي ما ازددت يقينا
في الايمان وان كان برؤيته يزداد بمعرفة تفاصيلها كمن راي بنار
عجيبا علم ان له صانعا قادرا فطلب ان يرى كيف يبني وعندي ان السوال
غير وارد راسا حتى يحتاج لما قالوه فان كلاهما لم يتواردا على امر واحد
اذ مراد علي كرم الله وجهه ان امور الاخرة التي عرفها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووقف على حقايقها بالكشف اذا شاهدها عيانا
لا يزيد يقينه بها والخليل عليه الصلاة والسلام طلب في الدنيا
ان يشاهد كيفية الاحيا ونفخ الروح لامر اقتضته واين هذا من هذا فيه
يحتاج للتوفيق الوجه الرابع انه اي ابراهيم عليه الصلاة والسلام
لما احتج على المشركين يعني نمروذ وقومه بان ربه يحيي ويميت
بقوله ربي الذي يحيي ويميت طلب ذلك اي سال ربه الاحيا وكيفيته
ليصح احتجاجه ويتحقق ما انكروه عيانا ومشاهدة ليقطع عنادهم

ويبطل

ويبطل شركتهم • وهو في نفسه غير متردد فيه فقوله او لم تؤمن تعريض لهم على حد عرضي
قوله اياك اعني فاسمعي يا جارة • ولا طريق لالزامهم الا هذا فسقط ما قيل انه
لا يلزم من اقامة البرهان نفي مشاهدته الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال
على طريق الادب والمراد منه حقيقة اقدرني على احيا الموتى ليكون معجزة له كما
وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام ليفحم من عارضه ودون تحكمهم فلم يسند الاحيا
اليه تادبا منه واسنده الى الله لانه المحيي والمميت حقيقة وان اجراه على يد
غيره ومعنى قوله ليطمئن قلبي على هذا التقدير اطمئنانه عن هذه الامنية
بفتح الهمزة ما يتمنى ويراد وهي معجزة احيائه الموتى عيانا وقوله او لم تؤمن
اي او لم تصدق باني مجيب دعوتك ومعطيك امنيتك او تعريض كما تقدم
وقوله ارني الخ تجوز به عن سببه ولازمه لانه اذا اقدره على ذلك ووقع عرضي
منه رآه فلا يرد انه لا دلالة للفظ على هذا المعنى ولا تمكن مع قوله او لم تؤمن
الوجه السادس انه ارى اي اظهر لغيره من نفسه وفي نسخة رأى في نفسه والاصح
ما تقدم لاحتياج هذه للتكلف الشك اي صورته والتكلم به وما شك حقيقة
لقوة يقينه وكمال علمه بالله وقدرته ولكن فعل ذلك ليجاوب بالبنا للمجهول
اي ليجيبه ربه تادبا منه فيزداد قربه من الله حال مناجاته له ويتلذذ
بخطابه وشرفه بقرب منزلته عنده لاعتنائه باجابته واستبعد هذا عرضي
بانه كيف يظهر ما هو منتف عنه مما يؤدي الى تنقيصه وسوء الظن
باعتقاده وليس بشيء لانه انما يتم ما قاله لو استقر على حاله اما اذا ادى
الى ما تحقق كماله ويثبته كما هو معروف في طريق المجادلة والجري مع
الخصم حتى يفحمه فلا وقوف لنبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك
من ابراهيم هذا جواب عن سؤال تقديره قد نفيت الشك عن ابراهيم عليه
الصلاة والسلام في هذه الاجوبة والنبي صلى الله عليه وسلم اثبت له في
هذا الحديث وجعل نفسه احق بذلك منه فاجاب بما اجاب به المزني صاحب
الشافعي فقال هو نفي لان يكون ابراهيم شك وابعاد للخواطر جمع خاطر او
خاطرة بمعنى القلب او الشبهة لانها في الاصل ما يعرض للانسان من الافكار
والشبه ويتجوز بها عن محله وهو القلب ويصح ارادة كل منهما هنا وقوله
الضعيفة اي التي تدفع بادنى تامل لظهور بطلانها وان يظن هذا اي الشك
بابراهيم لان مقامه يجل عن مثله وحاصله انه صلى الله عليه وسلم قصد
نفي الشك عنه ببرهان قوي وقياس منطقي تقريره لو شك ابراهيم كنت انا
شاكا ايضا لاني احق اي اولى واقرب لذلك مني لاني يجوز علي ما يجوز على
غيري من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وما كنت بدعا من الرسل وقد
علم اني لم يقع مني شك قط فكذلك ابراهيم ايضا فنفاه بنفي لازمه لانه
صلى الله عليه وسلم افضل من ابراهيم ولا يلزم من نفي شيء عن الفاضل
نفيه عن المفضول فكيف قال انه احق منه واشار المص الى جوابه بقوله
اي نحن موقنون بالبعث واحيا الموتى عطف تفسير على البعث فلو شك

ابراهيم اشارة الى انه قياس استثنائي لكنا اولى بيان لان احق بمعنى اولى
بالشك منه اي من ابراهيم ثم اشار الى دفع السؤال الوارد على قوله احق كما
قدمناه بانه اما على طريق الادب منه مع ابيه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام
بقوله احق او ان يريد بقوله نحن امته الذين يجوز عليهم الشك لعدم عصمتهم
لانه كثيرا ما يسند لنفسه ما هو لامته لنكتة تقتضيه اي انتم مع انكم دون
مقام ابراهيم لم تشكوا فكيف به لانه قيل ان بعضهم لما سمع قوله اولم الخ
قال ان ابراهيم شك او قاله على طريق التواضع منه وهو قريب من الجواب
الاول مع العرف الظاهر والاشفاق اي الخوف من ان يبتلى بما ابتلي به
ان حملت بالبنا للمفعول ونايب فاعله قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
في سؤاله ربه على اختبار حاله بالبا الموحدة وهو الوجه الثاني من الاجوبة
السابقة كما تقدم او زيادة يقينه وقيل انه قاله قبل علمه بانه افضل
من ابراهيم وقيل انما قاله لما غاب من انكار قومه البعث فتامل ثم اورد
دفع شبهة تتوهم من ظاهر بعض الايات وتقريرها ان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام لا يطرو عليهم شك في عقايدهم وفيما اوحي اليهم
فقال فان قلت فما معنى قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك
بنا على ان الخطاب له صلى الله عليه وسلم لا عام له ولغيره والشك
فيه شك في انه من عند الله ومطابق لما اوحي لغيره من الانبيا فاسئل الذين
يقرءون الكتاب من قبلك الايتين يعني لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن
من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين وفي
الاربعين ان هذه الشرطية غير ممكنة فاحذر ثبت الله قلبك جملة
دعائية معترضة ان يخطر ببالك اي قلبك وفكرك ما ذكره بعض المفسرين
ممن لم يذق فن النظر وليس من اهل التحقيق وهو مبالغة في عدم
اعتقاد مثله عن ابن عباس او غيره من السلف من اثبات شك النبي
صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه بنا على ظاهر اللفظ وانه من البشر
فيطرو عليه صلى الله عليه وسلم ما يطرو عليهم فمثل هذا اي هذا
وامثاله او ومثله غير جايز فكيف به لا يجوز اي يطرا عليه جملة اي
لا يجوز كله ولا شي منه بل اضراب انتقالي قد قال ابن عباس فيما صح
روايته عنه كما قاله ابن ابي حاتم في تفسيره لم يشك النبي صلى الله
عليه وسلم لان الشرطية فرضية غير ممكنة ولو قلنا الخطاب له صلى
الله عليه وسلم ولم يسال احدا من اهل الكتاب ونحوه عن ابن جبير
والحسن البصري وحكى قتادة كما رواه ابن جرير ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لما نزلت الاية لا اشك ولا اسال وفي نسخة ما اشك في شي
من ذلك وعامة المفسرين اي كلهم يقال جاوا عامة وقاطبة اي
جميعا على هذا اي متفقون على انه ليس المراد انه شك او سال
وبعد اتفاقهم على هذا اختلفوا في معنى الاية المقصود بها فقيل

المراد

المراد قل يا محمد للشاك اي لمن يشك في الوحي المنزل عليك ان كنت في شك من ديني
الاية فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فلا ترد الشبهة وبراءة ساحته نزيهة
فرية وتقدير القول كثير في كلام العرب قالوا اي الذاهبون لهذا التاويل وفي
السورة نفسها عطف على مقدر اي في القران ما يدل عليه وفي السورة الخ ما يدل
على هذا التاويل قوله قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية وقوله قد
بدل من ما او خبر مبتدا تقديره هو ويجوز نصبه اي اعني قوله والاية بتمامها
فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ووجه السوال
ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يعتريهم شك في شيء من امور الدين ٥
والاية بحسب الظاهر دالة على خلافه فاجاب بان الخطاب لغيره وايده بانه ورد
مصرحا به في هذه السورة والقران يفسر بعضه بعضا كثيرا ووصف الله بانه
الذي يتوفاهم ويميتهم كما احياهم لتهديدهم وتنبيها لهم على انه الذي
ينبغي ان يخاف منه ولا يشك فيه احد فضلا عن سيد الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وقيل المراد بالخطاب في قوله فان كنت في شك الاية العرب وغير
النبي صلى الله عليه وسلم وافرد الضمير لتاويله بمن يسمع الخطاب فالخطاب
بحسب الظاهر له والمراد غيره بطريق التعريض ومثله كثير في القران وكلام العرب
كقوله يا ايها النبي اتق الله بدليل قوله بعده واتبع ما يوحى اليك من ربك
ان الله كان بما تعملون خبيرا ولو كان الخطاب له قال بما تعمل ووجه الخطاب تعظيما
له وتهويلا لامر الشرك كما قال الله عز وجل لئن اشركت ليحبطن عملك اي يفسد
وتسقط عن الاعتبار ويبطل من حبطت الدابة اذا افرطت في المرعى حتى ماتت
وانتفخت وجعل هذه الاية مشبها بها لانه اظهر في التعليق بالحال لان الخطاب
فيها للرسل كلهم اذ اولها ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من
الرسل لئن اشركت الخ وافرد لان المراد كل واحد منهم وهو منزه عن الشرك
فالمراد بذلك اممهم ممن يجوز عليه الشرك واليه اشار بقوله الخطاب له
والمراد غيره تعريضا وتقبيحا لحميتهم حتى ينتهوا عما لو وقع من احب خلق
الله لم يعف عنه ومثله اي مما ذكر من الخطاب المقصود به غيره قوله تعالى
فلا تك في مرية اي شك وريب مما يعبد هؤلاء اي لا تشك في انه ضلال باطل
مود الى العذاب الشديد ونظيره مما قصد بالخطاب فيه الغير كثير في القران
وكلام العرب وهو باب واسع يسمونه التعريض والتلويح وله نكات
ومقاصد جليلة كحمله على قبول ما يلقى والاذعان واطفاء نار الغضب وجهة
كما فصله اهل المعاني وقسموه اقساما مشهورة قال بكر بن العلا بفتح
العين وهو القاضي بكر بن العلا من علما المالكية الاجلا ومما قاله مؤيد
لما قدمه من ان الخطاب لغيره الانزاه اي الله عز وجل يقول في هذه الاية
ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فهذا شاهد صدق في غاية الظهور
وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب بالتشديد وصيغة اسم المفعول
من التكذيب فهذا كله مما ذكر في تلوين الخطاب يدل على ان المراد بالخطاب

٧ فيما يدعو اليه اي من التوحيد
فكيف يكون محمد كذب به

غيره لانه لايصح كونه مرادا بالخطاب لظهور فساده لما عرفته مما قرره ومثل
هذه الاية في ان المقصود بالخطاب غير من القي اليه قوله تعالى الرحمن فاسيل
به خبيرا اي هذه الاية دليلا لما قاله من انه قد يومر الرسول بامر والمقصود
امر غيره من امته اذ يسال النبي صلى الله عليه وسلم فهو مسئول وان كان
ظاهرا لتظمر انه سايل كما بينه بقوله المامور هاهنا اي في قوله فاسيل به
خبيرا غير النبي صلى الله عليه وسلم من امته ليسال النبي والنبي هو المقصود
بقوله الخبير اي العارف بحقيقة الامر فهو في الحقيقة المسئول منه لا المستخبر
السايل فهو تفسير للمستخبر اي الطالب للخبر السايل عنه وهذا وما بعده
من كلام بكر بن العلا رحمه الله وهذا بنا على احد التفاسير في هذه الاية
وقيل انه صلى الله عليه وسلم امر ان يسال جبريلا والله عز وجل
والاية على ظاهرها وقيل انه امر بسوال اهل الكتاب فيصدقوه لتندفع
شبهة المشركين وقيل الضمير راجع للرحمن وان المشركين انكروا اسم الرحمن
فالمعنى ان انكروا اطلاق الرحمن على الله فاسئل اهل الكتاب ليخبروهم
باطلاقه عليه في الكتب المنزلة على غيرك من الرسل وعلى هذا فلا شاهد
فيه لما نحن بصدده والباء سببية او تجريدية او بمعنى عن وقال بكر بن
العلا في معنى قوله تعالى فان كنت في شك الاية ان هذا الشك الذي
امر به غير النبي صلى الله عليه وسلم بسوال الذين يقرون الكتاب
عنه من الاحبار والرهبان انما هو فيما قصه الله عز وجل في كتابه
الكريم من اخبار الامم السالفة مع انبيائهم ونجاة المومنين منهم وهلاك
من كفر فانهم امة امية لا يعرفون احوال الامم ولم يصدقوا ما قصه الله
عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم لا فيما دعى النبي صلى الله عليه
وسلم اليه اي الى الايمان به من التوحيد اي الايمان بالله ووحدانيته
والشريعة التي شرعها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وبلغها لهم
وامرهم باتباعها من الملة الحنيفية فان هذا امر لا تندفع شبهة المشركين
فيه بسوال اهل الكتاب وانما تندفع بالبراهين والمعجزات الباهرة وهذا
اي امر النبي صلى الله عليه وسلم بالسوال والمقصود امر غيره مثل
قوله عز وجل واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية اي اقرا الاية
بتمامها وهو اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون استفهام انكاري
لتكذيبهم ونفي ما ادعوه ببرهان تقريره اي لم نجعل الهة غير الله تعبد
في ملة من الملل لاجماع من قبلك من الانبيا على توحيد الله فهو امر لم تبتدعه
فكيف يكذب ويعادى من اتى به ولما كان هذا ظاهر الاية مشكل لانه
امره صلى الله عليه وسلم بسوال الرسل الذين قبله وهم غير موجودين
فكيف يتمكن من سوالهم وهو ايضا عالم بالتوحيد متيقن له كما اخبره
الله به غير محتاج للسوال عنه اشار الى تاويلها بقوله المراد به المشركون
والمسئول منه اهل الكتاب واحبارهم فالمعنى اسالوا علما اهل الكتاب

العالمين

اي اسأل عنه تعالى عالما يخبرك بجلال ذاته و كمال صفاته علي القاري

العالمين بما انزل على الرسل من قبلك هل في كتبهم غير التوحيد والخطاب في
هذه الاية مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم لامر به ظاهرا والمقصود غيره
من المشركين قال اي هذا التاويل والتوجيه القتيبي اختلفت النسخ هنا
ففي اكثرها القتيبي بقاف مضمومة ومثناة فوقية مفتوحة وباء موحدة
وياء نسبة مشددة وفي بعضها القتيبي بزيادة ياء مثناة تحتية بعد التاء
الفوقية وهما بمعنى والمراد به امام اهل اللغة والتفسير ابن قتيبة بن
سعيد بن طريف بن جميل صاحب التاليف الجليلة المشهورة وفي بعضها العتبي
بضم العين المهملة وسكون التاء المثناة الفوقية والموحدة وهو عالم
مذهب مالك فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبد العزيز القرطبي العتبي
نسبة لعتبة بن ابي سفيان لانه من مواليه وهو صاحب كتاب العتبية
المشهورة في مذهب مالك وتسمى المستخرجة كما تقدم بيانه ورجح البرهان
الحلبي النسخة الاولى وقيل معناه المذكور في هذه الاية سلنا اصله اسالنا
فنقل حركة الهمزة للسين فحذفت همزة الوصل وهي لغة مشهورة وضمير
العظمة لله وحده عمن ارسلنا فحذف الخافض اي عن الجارة وتم الكلام من غير
تعلق له بما بعده بعد حذف المفعول والجار وايصال الفعل بنفسه ومثله
كثير وان كان غير مقيس ثم ابتدا الكلام واستانفه فقال اجعلنا من دون
الرحمن الى اخر الاية يعني الهة يعبدون على طريق الانكار لعبادة غير الله
بالاستفهام الانكاري الذي هو في معنى النفي فلذا قال اي ما جعلنا الهة
فلا عبادة لغيره وفي نسخة ما جعلناه وفي نسخة حكاه قاله مكي بن ابي طالب
الامام المفسر الزاهد صاحب التاليف الجليلة ولد بالقيروان واقام بالاندلس
بعد اقامته بمكة ولذا نسبت اليها كما تقدم وقيل في تاليف لاية وامره بسؤال
الرسل وهم غير موجودين انه امر صلى الله عليه وسلم وامر مبني للمفعول
او الفاعل اي امره الله ورجح الاول هنا ان يسال الانبيا لما اجتمع بهم ليلة
الاسرا كما مر من اجتماعه بهم في السما عن ذلك اي عن جعله الهة تعبد
من دونه فكان صلى الله عليه وسلم بما كشف له من عين اليقين اشد
يقينا واكثر علما بالله وبما جعله من سائر الانبيا من ان يحتاج الى السؤال
منهم لانه اعرفهم بالله وبما فعله وفي فعله وقيل اشارة الى ضعفه الا
ان مثله لا يقال من قبل الراي وسلة بتقيته صلى الله عليه وسلم معروف
فامره بذلك انما هو لاظهار امره ورفعة قدره فلا وجه للاعتراض عليه بما
ذكر فروى انه صلى الله عليه وسلم وروي مبني للمجهول واوله انه
صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به بعث الله له ادم وولده من الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فاذن جبريل ثم قال له يا محمد سل بهم فلما ع
قال له عن الله سل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن
الهة يعبدون ومن ثم قيل ان هذه الاية قد سبقت بناء على ان ذلك كان
ببيت المقدس قبل العروج فقال لا اسال احدا منهم قد كفيت وفي نسخة

ابن اقيوس

اكتفيته بما عندي من اليقين الذي ثلج به صدري قاله ابن زيد هو عبد الرحمن
ابن زيد بن اسلم كما تقدم وليس فيه مخالفة لامر الله له بالسؤال لانه علم انه ليس امر
ايجاب بل اظهار لعلمه وشدة يقينه وقيل معناها سل امم من ارسلنا بتقدير
مضاف بقرينة ان الرسل لم يكونوا موجودين لما امر بالسؤال بل الاخبار من اممهم
هل جاوهم اي هل جاهم رسلهم من عند الله بغير التوحيد اي اعتقاد
وحدانيته وعبادته وحده والاستفهام تقريري اي ما جاوهم الا بهذا
فهو لنفي مجيئهم بغيره وهو اي ما ذكر معنى قول مجاهد والسدي والضحاك
وقتادة في تفسير هذه الاية والمراد بهذا اي ما قاله مجاهد ومن ذكر بعده
والذي قبله مما حكاه بقيل او ما ذكره ابن زيد ومن تقدمه وقيل المراد
بهذا قوله واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية والذي قبله قوله دبجي
فان كنت في شك الخ اعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعثت به الرسل
من التوحيد وانه سبحانه وتعالى لم ياذن لاحد من الرسل وامهم في
عبادة غيره عز وجل ردا على مشركي العرب وغيرهم من عبدة الاصنام وغيرهم
ورد مفعول لاجله تعليلا لما قبله من مراد الله فانه لا يتصور نسبة ما ذكر
له صلى الله عليه وسلم في قوله سبحانه وتعالى حكاية عنهم ما نعبدهم
اي الاوثان الا ليقربونا الى الله زلفى اي قربى من زلف بمعنى قرب وهو
مؤكد لما قبله وفي نسخة في قولهم انما نعبدهم ليقربونا وتفصيله في
التفاسير وفي الشرح الجديد ان الاجوبة المذكورة كلها بعيدة وان الداعي
لهم لتاويل الاية بما ذكر قصور النظر عن تصور مقامه صلى الله عليه وسلم
واتصاله بالملا الاعلى في كل حين واجتماعه بارواح الانبيا واطال في ذلك
بنقل كلام ساداتنا الصوفية وهو قريب مما ذكره المص في سؤاله في
قصة الاسرا ولولا خشية الاطالة بلا طائل نقلنا كلامه هنا وكذلك
اي مثل ما ذكر من الايات التي نسب له صلى الله عليه وسلم الشك فيها والمراد
غيره بلا شك قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه اي القران
منزل من ربك بالحق اي ملتبسا به ونسب العلم لجميعهم لعلم احبارهم به
وتمكن باقيهم من ذلك بادنى تامل فلا تكونن من الممترين اي لا يكن
عندك شك فالمراد ظاهرا نهيه عن الشك والمراد نهي غيره كقوله قل
يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني ووجه اخر اشار اليه بقوله اي
في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك اي بحقية ما نزل عليك وانك
رسول الله حسدا منهم بعد ما تبين لهم الحق وليس المراد به اي بقوله
فلا تكونن من الممترين شكه صلى الله عليه وسلم فيما ذكر في اول الاية
يعني قوله فان كنت في شك كما يتوهم من ظاهر الاية بل المراد ما قدمنا
ذكره وقد يكون ايضا هذه الاية واردة على مثل ما تقدم اي على طريقته
في التاويل السابق بان يكون الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمقصود
غيره على نهج الكناية التعريضية التلويحية اي قل يا محمد لمن امترى

وشك

وشك في ذلك اي في حقيقة ذلك وانك رسول الله فلا تكونن من الممترين في ان القران
نزل عليك من الله ارسلك به وايدك بمعجزاته فليست الاية على ظاهرها بدليل قوله
تعالى في اول الاية التي فيها والذين اتيناهم الكتاب افغير الله ابتغي حكما الاية
اي لا اريد حاكما غير الله يحكم بيني وبينكم يميز المحق والمبطل فهذا صريح في
انه صلى الله عليه وسلم متبرا عن الشك والريب وان النبي صلى الله عليه وسلم
يخاطب بذلك اي بما يدل على الشك والامترا غيره من اهل الكتاب والمشركين
كما تقدم بيانه وقيل هو اي ما ذكر مما اسند اليه فيه ما لا يليق وقيل المراد
امره صلى الله عليه وسلم بالسوال في الاية تقرير اي حمل لغيره على اذ يقر بما
عنده فيزجر عنه او بالحق حتى يسجل عليه كقوله اانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله فانه استفهام تقريري حمله على الاعتراف توبيخا لغيره
ممن اسند ذلك لغيره وقد علم الله سبحانه وتعالى انه لم يقل ذلك وقيل
معناه اي معنى الامر بالسوال في الاية ما كنت في شك في حقيقة ما انزل اليك
فاسل الذين يقرون الكتاب تزدد بسوالك طمانينة اطمئنان قلب وعلما الى علمك
ويقينا الى يقينك فانه يقبل الزيادة كما تقدم وقيل معناه وتاويله
ان كنت تشك فيما شرفناك وعظمناك وفضلناك به لا في امر التوحيد والذين
فسلهم اي اهل الكتاب عن صفتك في الكتب المنزلة على من قبلك ونشر فضايلك
اي ما انتشر فيها وشاع من فضايلك التي فضلك الله بها على غيرك من الرسل
وحكي عن ابي عبيدة معمر بن المثنى التيمي امام اهل اللغة توفي سنة عشر
او احدى عشرة وماتين وقد قارب المائة ان المراد من هذه الاية اذ كنت في
شك من غيرك من اعتقاد غيرك فيما انزلنا عليك من الحق المنقذ
من الضلال فاسل الذين يقرون الكتاب حتى يخبروك بما عندهم فيه
فان قيل فما معنى قوله عز وجل حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد
كذبوا جاءهم نصرنا على قراءة التخفيف في كذبوا اي تخفيف الذال والبناء
للمفعول استياس استفعل من الياس ضد الرجا واستياس بمعنى ييس
كاستعجب بمعنى عجب الا ان فيه مبالغة في الياس عند الزمخشري لان زيادة
المبنى انما تدل على زيادة المعنى وبهذه القراءة قرا عاصم وحمزة والكسائي
وغيرهم والمعنى انهم لشدة مخالفة اممهم لهم ييسوا منهم فظنوا انهم
ان ما وعدوا به من النصر عليهم كذبا والوعد من الله الذي لا يخلف الميعاد
فهذا منهم يقتضي شكهم فيما جاءهم من الوحي وهم منزهون عن مثله
فهذه شبهة تقتضي خلاف ما قررتم اولا وحتى غاية معناها محذوف
قدروه بوجوه متقاربة منها ما ارسلنا قبلك الا رجالا لا تراخي النصر عنهم
حتى ييسوا منه وظنوا تخلف ما وعدهم الله به فاجاب المص عنه بقوله
قلنا جوابا عن هذه الشبهة التي هي اقوى مما قبلها الان في تلك نسبة
الشك بحرف الشرط المقتضي لعدم وقوعه وفي هذه نسبة الظن باذا
المقتضية لتحقيقه المعنى في ذلك اي في نسبة الظن المذكور في الاية

ما قالته عائشة ام المؤمنين معاذ الله منصوب على المصدرية اي انزه الله وابرئه
ان يظن ذلك الرسل بربها اي تظن ان الله اخلفهم ما وعدهم به وانما معنى ذلك اي
ما ذكر في الاية ان الرسل لما استياسوا ليس المراد انهم وقع منهم ياس من انجاز ما
وعدهم الله به بل المراد انه طالت المدة عليهم فاستعار اليأس له والمراد انهم
يئسوا من اتباعهم بقرينة قوله ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم جمع تابع
كاصحاب جمع صاحب كذبوهم بالتخفيف والتشديد اي اخلفوا ما وعدوا وارسلهم
به من نصرهم على عدوهم فليس ياسهم وظنهم التكذيب معناه اليأس من
نصر الله والتكذيب كذب وعد الله لهم فلا يرد عليه ما ذكر من الشبهة وعلى
هذا التاويل اكثر المفسرين وفيما نقله المص عن عائشة نظر فان المروي عنها
في صحيح البخاري ان عروة بن الزبير سالها عن هذه الاية فقال لها وقد تلا
الاية اهي كذبوا ام كذبوا اي بالتشديد او بالتخفيف فقالت كذبوا بالتشديد
فقال اجل لعمري لقد استيقنوا بذلك وظنوا انهم قد كذبوا قالت معاذ
الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها فقال لها فما هذه الاية قالت هم
اتباع الرسل الذين امنوا بربهم عز وجل وصدقوهم وطال عليهم البلا
واستاخر عنهم النصر حتى استياس الرسل ممن كذبهم من قومهم فظنت الرسل
ان اتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك قلت لا منافاة بين ما
ذكره المص هنا وبين ما في صحيح البخاري اذ مراده انه على قراة التخفيف
والتشديد المعنى واحد وانكارها قراة التشديد لانها لم تبلغها
لا لان معناها لا يصح ولا لانها لا تاول بما ذكر وقول عائشة معاذ الله ليس
لانكار هذه القراة بل لما فهمه عروة منها من ان الرسل ظنوا بربهم ما هم
معصومون عنه فضمير ظنوا للرسل وكذبوا مبني للمجهول وفاعله
اتباع الرسل لا الله كما تقدم وقيل الظن هنا بمعنى الوسوسة
والهاجس وان انفسهم كذبتهم حين حدثتهم بانهم ينصرون وله
تفصيل في الكشاف وشروحه وقيل ان الضمير في ظنوا عايد على
الاتباع والامم اي امم الدعوة لا امم الاجابة المؤمنين برسلهم
لا على الانبيا والرسل فظن بعض امتهم ممن لم يؤمن بهم ان الرسل
كذبوا فيما وعدوهم من النصر على اعدائهم وضمير الاتباع وان لم يسبق لهم
ذكر معلومون من فحوى الكلام لان الرسل لا بد لهم من مرسل اليه
مومنا كان او كافرا فهي مرجع الضمير من اختلاف بين المفسرين على ما ذكر
ويجوز ان يراد امة الاجابة مطلقا وهذا الظن يقع مثله وان كان
منكرا من المومن مثله وهو اي هذا التفسير المذكور قول ابن عباس
والنخعي وابن جبير وجماعة من العلما اي علما التفسير من السلف
ولهذا المعنى اي بسبب هذا المعنى الذي جعل فيه ضمير ظنوا للامم قرا
مجاهد اي اختار ورجح قراة كذبوا بالفتح اي للكاف والتخفيف مبنيا
للفاعل اي ظنوا ان رسلهم كذبوا فيما وعدوهم به من النصرة على

٢٠٨

اعدائهم فان القراءة سنة متبعة لا تكون بالرأي وان جاز ترجيحها على غيرها كاختيار
القراء وجهه كما قيل انه على هذه القراءة يكون ضمير ظنوا للاتباع اي ظن اتباع
الرسل ان الرسل كذبوا فيما وعدوهم به من النصرة على اعدائهم فلا ينافي هذا
عصمة الرسل لان صدور مثل هذا الظن عن غيرهم جائز عقلا ويمكن على
قراءة التخفيف والبناء للمجهول ايضا ان يفسر بهذا ايضا بان يجعل فاعل كذبوا
المحذوف راجع الى الاتباع وقيل انه تمثيل كيتقدم رجلا ويؤخر اخرى فشبه
حال الرسل لما ابطا عليهم النصر وصاروا في غم وكرب بحال من وعد بامر يحتاج
اليه ولم يجد له فقط وحديث نفسه بان مواعيده عرقوبية فبينما هو كذلك
جاءه الفرج واليه ذهب الزمخشري فلا تشتغل بالكد الفا فصيحة في جواب شرط
مقدر اي اذا عرفت ان ما فسر به الاية جاريا على مقتضى مقام النبوة فلا تجعل
فكرك مشغولا بغيره مما يؤدي الى خلافه فالبال بمعنى القلب والفكر وتشغل
بفتح اوله وثالثه هو الفصيح من شاذ التفسير اي غريبه مما لم يشتهر
فالشاذ حقيقته المنفرد فتجوز به عما ذكر وهو بيان لقوله بسواه اي بغيره
والضمير لما ذكر وقيل لقول عائشة رضي الله عنها مما لا يليق اي يناسب وهو
بدل من قوله بسواه بمنصب العلا اي بمقامهم ومقدارهم وهذا معناه
لغة ويكون بمعنى الحسب واطلاقه على الاعمال السلطانية مولد وما موصولة
عبارة عن الشك في مثله فكيف بالانبيا اي فكيف يليق بهم عليهم الصلاة
والسلام وكيف تجوز بها عن الاستبعاد نحو كيف تكفرون بالله ويجوز
ان يريد بالشاذ ما ذكر في مصطلح الحديث وهو ما خالف الراوي فيه غيره
من الثقات والمراد به ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم اخلفوا
ما وعدهم الله به لانهم بشر وتلا قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول
الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله وقد ضعف ابن الانباري هذه
الرواية عن ابن عباس وقال الزمخشري ان صح عنه هذا فالمراد بالظن
الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشر لا الطرف الراجح فانه لا يليق
لهم ان يظنوا ان الله يخلف وعده وتوقف في صحة هذه الرواية عنه وتبعه
البيضاوي واعترض عليه بانها ثابتة عنه في صحيح البخاري وقال الخطابي
لا شك ان ابن عباس لا يجوز على الرسل الشك في الوحي فيحمل كلامه على انهم
لشدة تأخره وابطائه توهموا ان انفسهم غلطت في تلقي ما ورد عليهم
منه فالمراد بالكذب الغلط كقولهم كذبتك نفسك وقال القشيري انه
هاجس خطر على قلوبهم فصرفوه عنها فالمعنى انهم قربوا من الظن وقال
الحكيم انهم ظنوا تخلفه لتخلف بعض شروطه لا انهم اتهموا الوحي ورجح
ابن حجر ان الظان اتباعهم وحمل عليه كلام ابن عباس وهو بعيد جدا
وكذلك اي مثل ما ذكر مما ظاهره الشك فيما جاء من الوحي وهو ما اول
او مثل قوله استيأس الرسل الاية ما ورد في حديث السنة اي الحديث
المتعلق ببدء نبوته وطريقته صلى الله عليه وسلم في النبوة وهو مما رواه

رأته

عوضي

١٢

البخاري وغيره ومبدا الوحي اي ما وقع له صلى الله عليه وسلم في ابتدائه من قوله
لخديجة ام المؤمنين رضي الله عنها لما اخبرها برؤية جبريل عليه الصلاة والسلام وهو
بحرا لقد خشيت على نفسي اي خفت عليها فان ظاهره انه شك في انه وحي اتاه به الملك
لان مثله صلى الله عليه وسلم لا يخشى وليس معناه الشك فيما اتاه الله اي اوحي
الله به اليه ولكن لعله خشي وخاف ان لا تحتمل قوته اي لا تطيق قواه البشرية مقاومة
الملك اي مقابلته وان لا يقوم بحقه ومكالمته واعبا الوحي استعارة لانه جمع عب
وهو الحمل فاستعير لمقاساة مشاقه ففيه استعارة مكنية وتخييلية فيخلع قلبه
وفي نسخة لينخلع قلبه واصل معنى الخلع النزع كما قال تعالى فاخلع نعليك
فاستعير لشدة الخوف كانه نزع قلبه وتزهق نفسه اي تخرج روحه من فزعه
وهذا ابنا على ما ورد في الحديث الصحيح انه قاله اي قوله خشيت على نفسي بعد
لقائه الملك حين ظهر له وبشره بانه رسول الله او يكون قال ذلك قبل لقائه الملك
وقبل اعلام الله له بالنبوة اي انه صيره نبيا وفيما اخشيه اثناعشر وجها فقيل
خشي الجنون او انه هاجس وهو باطل ايضا لانه لا يستقر وهذا استقر وحصلت
بينهما المراجعة ووسوسة او الموت من شدة الرعب او المرض وبه جزم ابن ابي جمرة
او دوامه او العجز عن النظر للملك او القتل او عدم الصبر على اذى قومه او
تكذيبهم الى غير ذلك من الاقوال واضعفها الاول والثالث وكذا القول بانه
خشي تعييرهم اياه هو الصحيح لما في البخاري وغيره كما يأتي من انه غطه وقال
له اقرا ومن قال انه قبله يقول في زمن الارهاص والمنامات وضعفه الكرماني
لاولا اللام بمعنى في كما في قولهم كتبته لست خلون من الشهر مما عرضت بالبناء
للمجهول اي اظهر له ورآه من العجائب اي الامور الخارقة للعادة المفسرة بقوله
وسلم عليه الحجر والشجر اي قال السلام عليك يا رسول الله والمراد الجنس او
شيء معين منهما وقد روي انه الحجر الاسود كما تقدم في المعجزات وهو كان
قبل النبوة وبعد مبعثه ايضا وبداءته المنامات الصالحة التي كان يراها
صلى الله عليه وسلم في اول امره ورؤيا الانبيا قسم من الوحي والتباشير اي
العلامات المبشرة له صلى الله عليه وسلم بالنبوة والمقدمات الدالة على
النتائج قال في الاساس من المجاز تباشير الفجر وهي اوايله كانها جمع تبشير
مصدر بشر وفيه مخايل الخير وتباشيره وتباشير النخل بواكيره قال ابن كمال
وهذا ابين مما في قول الجوهري التباشير البشرى وتباشير الصبح اوايله وكذا
اوايل كل شيء ولا يكون منه فعل من الخلل قلت يعني انه انكر فعله وكلام
الزمخشري يدل على خلافه والمخطئ ابن اخت خالته لان الفعل من البشارة وهي
الخبر السار لا من الاولية والتقدم واعلم انه يقال في تباشير بشاير ايضا
قال ابو فراس • اقول وقد نم الحلي بحسه • علينا ولاحت للصباح بشايره ••
كما روي في بعض طرق هذا الحديث اي حديث مبدا الوحي ان ذلك اي المذكور
من التباشير كان في المنام اولا اي في ابتدا البعثة ثم اري في اليقظة عند
المنام مثل ذلك اي مثل ما راي في المنام اولا تانيسا له صلى الله عليه وسلم

اي

اي ليحصل له الانس بالملايكة والوحي فيراه اولا مناما ثم يراه جهرة لئلا يفجاه اي يراه بغتة
وابتدا من غير تدرج في رويته مشاهدة برؤية البصر ومشافهة اي يخاطبه بفهمه
حقيقة فلا يحتمله اي يقدر عليه ويطيقه لاول حاله بالاضافة للضمير وبتا التانيث
اي في اول احواله لعدم تدرجه به وتانسه بنبيه فعلة بالكسر لهيبة البنا والمراد جبلة
وما جبلت عليه البشرية اي الانسانية فانه لا يطيق رؤية الملايكة ابتدا وهذا اشارة
الى حديث البخاري من انه صلى الله عليه وسلم كان في اول امره يجاور في كل سنة شهرا
في غار حرا يتعبد فيه وكان ذلك عادة قريش فاذا انصرف صلى الله عليه وسلم منه طاف
بالبيت ويرجع لبيته فكان يرى في منامه ما يرى ثم جاه جبريل الى اخر الحديث المشهور
في اول البخاري والكلام عليه مفصل في شروحه وفي الصحيح اي الحديث الصحيح او
البخاري ومسلم عن عايشة وهو من مرسل الصحابة لانها رضي الله عنها لم تكن معه صلى
الله عليه وسلم او هي سمعته منه فهو متصل اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الوحي الرويا الصادقة فكان لا يرى رويا الا جات كفلق الصبح وهكذا رويا
الانبيا عليهم الصلاة والسلام فانها قسم من الوحي كما مر وروي الصالحة بدون
الصادقة وهما بمعنى قالت عايشة رضي الله عنها ثم حبب بالبنا للمجهول اليه الخلا
بفتح اوله والمد وهو المكان او بمعنى الخلوة وهو الانفراد عن الناس لفراغ القلب
وتوجه الفكر والرياضة ليفرغ قلبه عما سوى الله ليتمكن الوحي منه اذا اتاه فصادف قلبا
خاليا فتمكنا وقالت الى ان جاه الحق اي الوحي الذي تحققه وراه عيانا وهو في غار
حرا الغار هو النقب في الجبل وحرا بكسر اوله والمد والقصر يذكر ويونث فيجوز صرفه
وعدم صرفه وبينه وبين مكة ثلاثة اميال على يمين السائر لمنى والجملة حالية الحديث
بالنصب اي اذكره او اقراه وعن ابن عباس في حديث مسند رواه ابن سعد مكث النبي
صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة قال البرهان الحلبي هذا على القول
المرجوح انه عاش خمسا وستين سنة والصحيح انه عاش ثلاثا وستين منها بمكة
ثلاث عشرة وبالمدينة عشرة وقيل انه عاش ستين سنة وقد جمع بين الاقوال
الثلاثة انتهى يعني انه عد الكسر سنة وفيه نظر وبعث على راس الاربعين يسمع
الصوت اي يسمع صوت ملك يناديه ولا يراه وكان من الانبيا من يسمع الملك ولا
يراه كما حكاه ابن سيد الناس عن ابن عباس ويرى الضوء اي نور الملائكة من غير
رؤية ذاته لان الملايكة انوار مجردة وسبع سنين قبل ان يظهر له الملك لا يرى شيا
وثمان سنين يوحى اليه اي ياتيه الملك فاجا له بالوحي من الله وهذا مبني على القول
السابق لا على الثاني كما توهم وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم هذه رواية لم
تخرج ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بكسر الجيم وضمها كما مر اي مجاورة
واعتكافه والجوار رجا بمعنى الاقامة ومعناه الاخر معروف والجوار اعم من
الاعتكاف لانه يختص بالمسجد كما قاله ابن عبد البر بغار حرا اي اقامته به
كما تقدم بيانه قال تاكيدا لقال الاول فجاني يعني الملك وهو جبريل وانا
نايم الظاهر انه نوم حقيقي لما ياتي من قوله هببت من نومي ويحتمل انه يريد
انه مضطجع على هيئة النايم فقال اقرا اي قلت ما اقرو ما استفهامية او

ابن اثير

نافية لانه روي ما انا بقاري وتفصيله في شروح البخاري وذكر الراوي نحو حديث عايشة
فغطه له بفتح الغين المعجمة وتشديد الطا المهملة مصدر بمعني شده ضمه وخنقه
وعمه ليصرفه عن الدنيا ويوقظه لما يلقيه له واستدل به علي تاديب المعلم للمتعلم
منه واقرا به اقرا باسم ربك السورة واستدل به علي ان البسملة ليست اية من كل
سورة وفيه نظر وهذه اول نازل في قوله قال النبي صلي الله عليه وسلم فانصرف
جبريل عني اي فارقني وهببت بتاين موحدتين فعل ماض مسند الي ضمير المتكلم
يقال هب اذا استيقظ من منامه وتحرك من هبت الريح من نومي اي استيقظت
منه وتقدم كلام فيه كانما صورت سورة اقرا في قلبي اي مثلث السورة في
قلبه صلي الله عليه وسلم لحفظها وفي رواية كانما كتبت في قلبي وهو كناية عن
حفظها وبقايها في قوته الحافظة بحيث لا ينساها بعده ورويا الانبيا وان كانت
وحيا الا ان رواية ابن اسحاق هذه تدل علي ان من القران ما نزل عليه مناما وقد
قسموا النزول الي اقسام منها ما نزل سفرا وحضرا وقل من تعرض الي نزوله
يقظة ومناما ولم يتعرض له الشراح هنا ولم يكن كان ان كانت ناقصة فاسمها
ضمير يرجع الي شي المفهوم من السياق وخبرها قوله البغض الي اي اشد بغضا
عندي من ان يقال الي شاعرا ومجنون وقيل ان اسمها ضمير شان والبغض خبرها
وهذا ابنا علي انه يجوز الاخبار عن ضمير الشان بمفرد نحو ان هي الا حياتنا الدنيا
وقيل اسمها البغض وهو صفة موصوف مقدر والخبر محذوف ايضا وتقدير
لم يكن شي البغض الي موجودا او كان تامة والبغض فاعلها واما البغض هذا لانه
اذا اخبر قريشا انه جاه ملك بوحي يتلوه عليهم منهم من يقول انه شاعر
ومنهم من يقول انه مجنون ثم قلت اي قال صلي الله عليه وسلم لما اوحي
اليه وخشي مما مر لا تحدث مضارع مرفوع بتاين فوقانيتين حذف احديهما
تخفيفا او تجوز بناوه للمجهول وهو نفي بمعني الخبر اي لا يخبرهم احد
سمعه مني وينقله عني ابدا وهذا اشارة الي كونه شاعرا او مجنونا لاعمدن
جواب قسم مقدر اي والله لاعمدن اي اقصدن مضارع من العمد بمعني
القصد بكسر الميم وفتحها وماضيه عمدهما والمشهور فتحه كضرب يضرب
الي حالق من الجبل بالحا المهملة واللام المكسورة والقاف اي مكان مرتفع
منه وقيل انه الجبل المرتفع من قولهم حلق الطاير اذا ارتفع في الجو
فلاطرحن نفسي منه اي ارمين جسدي من اعلي الجبل فلا قتلنها برميها
من الجبل حتي لا يبلغني ما يتحدثون به من اني شاعر او مجنون اذا بلغهم
ما جري لي فبينا انا عامد لذلك اي وقع لي عقب اذ كنت قاصدا لالقا نفسي
من اعلي الجبل لاهلكها حتي لا اسمع ما يتحدثون به في حقي وهذا كان هاجسا
خطر علي قلبه صلي الله عليه وسلم لشدة حميته وغيرته علي عرضه ولم
يكن في ابتدا امره معصوما شرعا عن مثله فلا يتوهم انه امر حرمه به وهو ممتنع
شرعا اذ سمعت مناديا اي سمعت صوته وندا له لي ينادي من السما اي من جانبها
يسمعه ولا يراه كما تقدم وهو يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل

دلجي

عرضي

ارسلني

ارسلني الله اليك لتبليغ وحيه تغيبيا لمن ناداه لئلا يظنه غيره فرفعت راسي
الي جانب السما الا راه فاذا اي فاجاني بغتة رؤيته جبريل على صورة رجل حال من جبريل
اي متمثلا بصورته دون صورته الحقيقية حتى لا يهوله في ابتدا امر الحديث
اي اذكر الحديث الذي رواه ابن اسحاق الخ ثم انه فسر ما ذكر بقوله فقد بين الراوي
للحديث او النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ان قوله صلى الله عليه وسلم
لما قال بكسر اللام وتخفيف الميم اي لقوله وقوله فصل معطوف على قوله وقوله
لما قصد متعلق به وما موصوله والعايد مقدر تقديره لما قصد وما قاله
خشية ان يتحدثوا بانه شاعر اذا تلي عليهم ما اوحي اليه او مجنون اذا قيل انه
يسمع صوتا او يرى في الافق مكانا لتوهمهم انه كلامه شعر وما تراى له جني انما
كان قبل لقا جبريل عليه السلام اي قبل رؤيته على صورة رجل وقبل اعلام الله
له بالنبوة بواسطة جبريل واخباره له واظهاره اي الله او جبريل عليه الصلاة
والسلام واصطفائه اي الله له بالرسالة اما بعد ذلك فلا فانه حينئذ
لا يخشى احدا ولا يتوهم شيئا يضيق به صدره ومثله اي مثل حديث ابن اسحاق
فيما ذكر حديث عمرو بن شرحبيل الذي رواه البيهقي وشرحبيل بضم الشين
المعجمة وفتح الرا وسكون الحا المهملتين وموحدة مكسورة ومثناة تحتية
ولام وعمرو وابنه تابعي عابد جليل توفي سنة ثلاث وستين ومائة وهو ابو
ميسرة الهمداني وفيهم عمرو بن شرحبيل آخر خزرجي وليس بمراد هنا انه
صلى الله عليه وسلم وهو بفتح الهمزة بدل من حديث عمرو قال لخديجة ام
المؤمنين رضي الله عنها اني اذا خلوت وحدي سمعت ندا يا محمد وقد خشيت
والله ان يكون هذا الندا الامر يصيبني مما لم احط به خبرا فقالت له معاذ الله
ما كان الله ليفعل بك ذلك فوالله انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق
الحديث فمثلك لا يخشى مرا شيطانيا وفي رواية حماد بن سلمة كما رواه
الطبراني وابن منيع عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة
اني لاسمع صوتا من جانب السما وارى ضوا اي نور الملك النازل عليه قبل
تمثله له وظهوره له عيانا واخشى ان يكون بي جنون يخيل لي ما ذكر وهذا
كله قبل ظهور الامر له صلى الله عليه وسلم كما مر وعلى هذا المذكور يتاول
لو صح رواية قوله صلى الله عليه وسلم في بعض الاحاديث التي ورد فيها انه الا
شاعرا او مجنونا فخشي ان ما سمعه شعر تلقيه الجن عليه كما كان في الجاهلية
لبعض الشعرا رئي من الجن ومثل هذه الكلمة تقولها العرب اذا تحاشوا
تادبا عن اطلاق شي على المخاطب اي الشاعر امر متباعد عنك وان قاله
غيرك فيا توذنه به في مكان انت كذا وهو استعمال شايع فما قيل من انه
شتم معناه الخاين الذي لا خير فيه ليس بشي والفاظا ورد عنه صلى
الله عليه وسلم في بعض الاحاديث يفهم منها معاني الشك من صحيح ما راه
اي فيما اوحي اليه ومثله صلى الله عليه وسلم لا يليق به شك وتردد
في مثله فهو لا يرتاب في شي مما ذكر وانه كان كله في ابتدا امره وقبل لقا الملك

بعد

تلمساني

له وقبل اعلام الله له انه رسوله و تعبده اطمان قلبه ويشاهد الامر عيانا وبعض
هذه الالفاظ الموهمة لما ذكر لا نعول فيها بحسب الرواية واما بعد اعلام الله تعالى
له والقايه الملك فلا يمنح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه من الوحي
فان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يتصور منهم ذلك وروى ابن اسحاق صاحب
السيرة في سيرته عن شيوخه ممن لقيه واخذ عنه وله شيوخ كثيرون ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بالبنا للمجهول من الرقية المعروفة
بمكة من العين اي صيانة له صلى الله عليه وسلم من اصابة العين والعين حق
كما ورد في الحديث قال ابن القيم في كتاب الروح تاثير النفس امر لا ينكر لاسيما
عند تجردها عن العلايق البدنية وحينئذ تؤثر ما يعجز عنه البدن كمن
كمن نظر الى بحر نسفه او الى نعمة فازالها وهذا مما شاهده الناس على اختلاف
الملل والاعصار ويسمونه اصابة العين يضيفون الامر الى العين وانما هو
للنفس المتكيفة بالكيفية الردية السمية فيكون بواسطتها وقد يكون
بدونها فيوصف له شي بتوجه اليه فيوثر فيه وان لم يره بعينه وقد امر النبي صلى
الله عليه وسلم ان يغسل معاين العاين مما يمس على من اصابته عينه فيزول
عنه ما يجده والمعاين بعين معجمة وبا موحدة وبنون المواضع القذرة من
البدن كتحت الابط وهو امر طبيعي اقتضته الحكمة فان الارواح الخبيثة
تالف هذه المواضع فتنساعدها فاذا اغسلت انطفت نارها كما فصله صاحب
النهاية في حرف العين في حديث العين حق ولو كان شي سابق القدر سبقته
العين واذا استغسلتم فاغسلوا وفي شرح مسلم انهم اخذوا بظاهر الحديث
وانكره بعض المبتدعة واهل الطبايع وزعموا انه ينبعث من عينه قوة
سمية تؤثر فيما نظره وقيل انه ينفصل عنه اجزا لطيفة يخلقها الله
ولا ترى وقيل انه ليس بانفصال شي وقد قيل انه يجب عليه اذا استغسل
ان يغسل وان من عرف بذلك يلزمه الامام بيته ويرزقه من بيت المال
وتداوى صلى الله عليه وسلم بما في معروف قبل الاصابة وبعدها
ومن فسر العين هنا بما يلم به من العوارض عدل عن الظاهر بغير داع له
قبل ان ينزل عليه بالبنا للمجهول اي قبل نزول القران عليه فلما نزل
عليه القران واصابه ما كان يصيبه من العين كما قال تعالى وان يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ولم يبينه احد بالكثرة تماذكر فقالت له
خديجة بنت خويلد ام المومنين رضي الله عنها اوجه اليك اي اوجه
بحذف همزة الاستفهام ومعناه ارسل لك من يرقيك اي يقرا عليك
رقية قال اما الان فلا الان الزمان الحاضر وهو ظرف متعلق بمقدر اي
ان اردت ان ترقيني الان فلا تفعلي ذلك اي لا احتاج بالرقى بعد نزول
القران فانه شفا من كل دا وقد ورد في احاديث كثيرة الرقى وجوازها والنهي
عنها وجمع بينهما بان الجايز منها ما كان بلسان عربي ظاهر المعنى كاسما
الله وسورة الفاتحة وورد في الحديث ان جبريل جاءه عليهما الصلاة والسلام

وقد

وقد اصابته حمى فقال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس او عين حاسد
الله يشفيك بسم الله ارقيك والممنوع المنهي عنه ما لم يكن بشيء مما ذكر واعتقاد
تاثيرها بنفسها ولذا ورد ما توكل من استرقى ولما كانت الرقى من باب مباشرة
الاسباب وتركها توكل وتسليم لله وهو اليق بمقام النبوة تركها صلى الله عليه وسلم
وله رقى مأثورة استوفيت في محلها وحديث خديجة رضي الله عنها الذي رواه
ابن اسحاق والبيهقي وابو نعيم في الدلائل واختبارها بخاء معجمة ومثناة فوقية
وبا موحدة وراء مهملة اي تجربة خديجة امر جبريل عليه الصلاة والسلام لما
اخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بمجيئه اليه فارادت ان تعرف امره هل هو ملك
ام لا بكشف راسها الحديث لان الملك لا يدخل بيتا فيه عورة مكشوفة والمراة الحرة
بدنها كله عورة وكانت قالت له صلى الله عليه وسلم اذا اتاك جبريل اخبرني به
فلما اتاه واخبرها كشفت راسها فرجع فعلمت انه ملك لانه لو كان شيطانا لدخل
البيت ولما كان في اقرار النبي صلى الله عليه وسلم لما فعلته خديجة ما يوهم الشك
دفعه بقوله انما ذلك الاختبار والتردد واقع في حق خديجة لا صادر منه صلى
الله عليه وسلم حتى يوهم شكه في نزول الملك عليه لتتحقق خديجة صحة نبوته
صلى الله عليه وسلم واذا الذي ملك ونزول الشك عنها لا عنه صلى الله عليه
وسلم كما توهم لا لها فعلت ذلك الاختبار للنبي صلى الله عليه وسلم ولا نافية داخلة
على انه المفتوحة وما وقع في بعض النسخ من لا لها بالتعليل خطا من الكاتب وليختبر
اي ليعرف هو صلى الله عليه وسلم حاله بذلك وهو معطوف على المنفي فهو منفي
اي لم تفعله لازالة شكه ولا لاختباره فالاختبار بكشف راسها وهي كانت جازمة
بنبوته ولكن ارادت كشف الغطا لتزداد يقينا فالمراد بالشك مجرد الاحتمال المرجوح
لا المتساوي الطرفين كما يعرفه من وقف على جلية حالها بل اضراب انتقالي
قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير المدني وقد قال
ابن حبان فيه انه متروك الحديث يروي الموضوعات وله ترجمة في الميزان
عن هشام عن ابيه هو هشام بن عروة بن الزبير ابو المنذر وقيل ابو عبد الله
القرشي مولاهم توفي سنة ست واربعين ومائة وهو امام ثقة اخرج له
الستة وقال ابن القطان انه اختلط في اخر عمره ورده الذهبي كما فصله في
ترجمته عن عائشة ام المومنين رضي الله عنها ان ورقة بن نوفل بن اسد المشهور
ام خديجة بنت خويلد بن اسد ام المومنين وورقة ابن عمها كانت تاتيه
وتذكر له ما كان يراه النبي صلى الله عليه وسلم في اول بعثته اي تعرض
عليه ما كان يراه وانه يقول انه ياتيه بالوحي ملك فامرها ان تختبر
الامر اي امر الملك مع النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي بكشف راسها
اذا اتاه وهو عندها فانه رجع فهو ملك والا فلا ففعلت كما امر وتختبر
بلا نفح المثناة الفوقية وسكون الخا المعجمة وضم البا الموحدة
وراء مهملة مضارع خبر اذا امتحنه وجربه وحاصله انه لم يكن من النبي
صلى الله عليه وسلم شك في امره وانما هو تردد مما من خديجة في اول امرها

بلغ

كما ذكره في الحديث الذي بعده في قوله وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم الذي رواه
ابن اسحاق ايضا وحكيم بفتح الحا المهملة وكسر الكاف ومثناة تحتية وميم واسمعيل
ابنه قرشي مدني ثقة كان كاتبا لعمر بن عبد العزيز في خلافته اخرج له مسلم وغيره
من اصحاب السنن وتوفي سنة ثلاثين ومائة انها اي خديجة قالت لرسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ابن عم وهو صلى الله عليه وسلم ابن عمها لاجتماع نسبهما في قصي
فانه صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
ابن قصي وهي خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي ولا حاجة لما
قيل انه جار على عادة العرب في تخاطبهم بل لا وجه له هل تستطيع ان تخبرني
بصاحبك يعني الملك الذي ياتيك وهو جبريل اذا جاءك بالوحي جهرة وانما
قالت له هل تستطيع لانها تخشى انه لا يقدر على اخبار غيره لما يغشاه من دهشة
الوحي وشدته عليه قال نعم اخبرك به فلما جاءه جبريل وهو عندها اخبرها
لمجيئه اليه فقالت له اجلس الى شقي بكسر الشين المعجمة اي جنبي ملاصقا لي
وذكر اسمعيل الحديث الى اخره يعني من انه جلس وجبريل قادم عليه وكشفت
راسها فلم يدخل جبريل عليه فاخبرها بذلك وفيه فقالت ما هذا الا ملك
لا شيطان هذا الملك يا ابن عم لانه لو كان شيطانا لدخل البيت وراسها مكشوفة
فاثبت له اذا جاءك واسمع منه ما اتاك به من الوحي والبشرى فقر عينا وكن
مسرورا وانما الكرمك الله به وامنت به صلى الله عليه وسلم وبرسالته
وهي اول من امن به مطلقا او من النسا رضي الله عنها هذا اي ما روي عن خديجة
يدل على انها اي خديجة مستثبتة اي طالبة للثبات باطمئنان القلب وزيادة
اليقين بما فعلته من السؤال والاختبار لنفسها ومستظهرة لايمانها اي طالبة
لظهور ما امنت به حتى لا يبقى عندها شائبة تردد لا للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه لا شبهة عنده ولا تردد اصلا ومما يوهم وقوع ما نزهه عنه قول معمر
ابن راشد اليماني فيما رواه عنه احمد والبيهقي في حديث فترة الوحي اي
انقطاعه في ابتدا امره مقدار سنتين ونصف والفترة والفتور سكون بعد حدة
ولين بعد شدة وضعف بعد قوة قال تعالى على فترة من الرسل قال الراغب
والمراد ما مر فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عرض له حزن
وغم لانقطاع الوحي فيما بلغنا روايه حتى غلبه حزنا غدا بالغين المعجمة
اي ذهب ومشى به اي بسبب حزنه لذلك وفي نسخة منه مرارا متعددة
كي يتردى اي يلقي بنفسه وهو في الاصل تفعل من الردى بمعنى الهلاك لان
من يفعله يهلك غالبا من رؤس شواهق الجبال اي من اعالي جبال مكة وهذا
جواب سؤال تقديره اذا كان الامر كما قلت انه صلى الله عليه وسلم لا يعتريه
شك فيما يتعلق بالعقايد والنبوة فلم حزن حتى كاد يقتل نفسه فيما رواه
معمر اجاب عنه بانه لا يقدح اي لا يطعن فيما قلناه ولا ينقص من القدح بمعنى
الذم في هذا الاصل اي القضية الكلية من انه في غاية اليقين لامور الوحي
والتوحيد وليس المراد به ما قاله لخديجة كما قيل لترتب عدم القدح

جهري

بوجوه

بوجوه الاول قوله لقول معمر بفتح الميمين وهو من اتباع التابعين عنه صلى الله عليه
وسلم فيما بلغنا ولم يسنده اي لم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فلا يستدل بقوله لا
ذكره وانه جمع راو وهو من رواه عنه ولا من حدث به عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا ابن سيد الناس رواه مسندا من طريق الدولابي ولم يذكر فيه معمرا بل
رواه عن الزهري عن عروة عن عايشة فقال لم يلبث ورقة ان توفي وفتر
الوحي وذكر هذا الحديث ولا ذكر معمر ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف
مثل ذلك وفي نسخة ولا يعرف مثل هذا من احواله الا من جهة النبي صلى الله عليه
وسلم لان مثله لا يقال من قبل الراي فهو في حكم المرفوع وان كان منقطعا والجواب
الثاني ما اشار اليه بقوله على انه اي ما ذكر من حزنه الى اخره وفي نسخة مع انه
قد يحمل على انه كان اول الامر اي اول امره قبل ان يلقاه جبريل ويعلمه بانه رسول
الله وانه اوحى اليه ويتمكن من حمل اعباء النبوة وجواب اخر اشار اليه بقوله او
انه فعل ذلك المذكور لما اخرجه بكسر اللام وتخفيف الميم واحرجه بحاء مهملة
وجيم اي اوقعه في حرج وضيق صدر من تكذيب من بلغه ما ارسل به اليهم
وهو بتشديد اللام ونحوه بتخفيفها كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك
على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا وباخع بمعنى قاتل من بخع
الشاة اذا ذبحها والاسف الحزن على ما فات وعلى اثارهم اي بعدهم جمع اثر
فحزنه صلى الله عليه وسلم لم يكن لشك اعتراه وانما كان لتكذيبهم له وعدم
طاعتهم له وهو حريص على ان يهديهم الله رحمة منه لما فاتهم من سعادة
الدارين وهذه الشفقة عليهم تسلية له صلى الله عليه وسلم ويصحح معنى
هذا التاويل اي تاويل ما رواه معمر وجعله بمعنى الاية المذكورة حديث
رواه شريك والراوي له عنه البزار وهو شريك بن عبد الله النخعي الامام
الثقة وقد وثقه ابن معين وقال غيره لا باس به وقد قيل انه كان سيء الحفظ
توفي سنة سبع وسبعين ومائة وسنه ثمانون سنة وله ترجمة في الميزان
عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن ابي طالب بن عبد المطلب توفي بعد
الاربعين ومائة وهو لين الحديث قيل انه لا يحتج بروايته عن جابر بن عبد الله
ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة بفتح النون وسكون الدال المهملة ٥
والندوة بمعنى الاجتماع ومنه النادي ودار الندوة دار كانت بمكة يجتمع
فيها قريش للمشاورة والحكومة بناها قصي بن كلاب فكانت دواوينهم وسايرهم
للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بعد موت خديجة
رضي الله عنها وابي طالب وقد امر صلى الله عليه وسلم بانذارهم وانذرهم
مرارا كما هو مشهور مفصل في السير وحضور ابليس لعنه الله ورايه في
هذه القصة مشهور واتفق رايهم على ان يقولوا انه ساحر كما مر
عن ابي جهل والوليد بن المغيرة اشتد ذلك اي قولهم واشتد عليه
الامر بمعنى صعب وعسر عليه صلى الله عليه وسلم وتزمل في ثيابه
اي تلففوا فيها كالنايم وتدثر فيها اي تغطى بها فوق لباسه الذي على بدنه

وتجديده ومنه الحديث الانصار شعاري والعرب دثاري فاتاه جبريل عليه
الصلاة والسلام فقال له جبريل يا ايها المزمل يا ايها المدثر واصله المتزمل والمتدثر
تفعل من زمله اذا لفه ودثره اذا غطاه فابدل وادغم على قاعدة اهل الصرف وفي
قيل انه اجتمع في دار الندوة ابو لهب وابو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر
ابن الحارث وامية بن خلف والعاص بن وائل ومطعم بن عدي وقال ان العرب
يجتمعون في ايام الحج ويسألون عن امر محمد صلى الله عليه وسلم وقد
اختلفتم فيه فاجتمعوا على راي فيما يقال لهم فقال رجل منهم نقول انه
شاعر فقال الوليد قد سمعت الشعر وكلام محمد لا يشبهه فقالوا نقول
كاهن فقال الكاهن يكذب ويصدق وما كذب محمد قط فقالوا نقول انه
مجنون فقال المجنون يخنق ولم يخنق ثم انصرف لبيته فقالوا صبا الوليد
فذهب له ابو جهل وقال له انا نجمع لك شيئا من المال فقال ما لي حاجة اليه
ولم اصبأ وانما فكرت في امره فرايته يفرق بين المرء وزوجه وبين الوالد وولده
وهذا شان الساحر فنقول انه ساحر فلما سمع هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حزن حزنا شديدا كما ذكره المص وغيره من غير تعقب له ولا يخفى انه مخالف
للرواية الصحيحة من ان اجتماعهم بدار الندوة انما كان وقت الهجرة ونزول
يا ايها المزمل ويا ايها المدثر كان في ابتدا نزول الوحي عليه كما في البخاري وهو
مخالف لما هنا فان صحت هذه الرواية تكون نزلت عليه مرتين ومن
العجب ان الشراح لم ينبهوا على هذا مع ظهوره ثم اجاب بجواب
اخر عن هذه الشبهة فقال ثم خاف صلى الله عليه وسلم من ان الفترة
اي انقطاع الوحي عنه سنة ونصف او سنتين او سنتين ونصف على
اختلاف فيه كان لامر صدر منه او سبب صدر منه لم يعرفه فخشي ان تكون
انقطاع الوحي عنه عقوبة من ربه لغضبه عليه ففعل ذلك اي الهم
بان يلقي نفسه من اعالي الجبال حتى يهلك نفسه اي بذاته وجسمه ولم يرد
بعد بالتابع القسم اي بعد ما وقع له صلى الله عليه وسلم وما هم به
شرع مبين بالنهي عن ذلك اي بنهيه عما فعله وخطر على قلبه فيعترض
به بالبنا للمجهول اي يكون سببا لان يعترض معترض به عليه ويعده شبهة
في فعله ويعترض مرفوع اي فكيف يعترض ويجوز نفسه ونحو هذا
اي مثل ما صدر عن نبينا صلى الله عليه وسلم مما يتوهم فيه امر ويحتاج
للتاويل او نحو ما روي من حزنه صلى الله عليه وسلم وارادته لالقا
نفسه من الجبل فرار يونس بن متى نبي الله صلى الله عليه وسلم
المعلوم وقد تقدم ان يونس مثلث النون بهمز ودونه ففيه ست لغات
مشهورة خشية بالنصب اي خوفا من تكذيب قومه له لما بكسر اللام
وتخفيف الميم اوعدهم به من العذاب بيان لما ويونس صلى الله عليه
وسلم كما في مرآة الزمان كان بعد سليمان نبي الله صلى الله عليه وسلم
وقد علم انه ابن متى ومتى اسم ابيه وقيل اسم امه وهو من ولد بنيامين

عربي

ابن

ابن يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان من عباد بني اسرائيل بنزل بشاطئ دجلة
فبعثه الله نبيا مرسلا لاهل نينوى من ارض الموصل فلما بلغهم الرسالة لم يجيبوه
فانذرهم العذاب يصيبهم بعد اربعين يوما فقالوا اذا راينا اسباب العذاب امنا بك
فلما مضى من ميعاده خمسة وثلاثون يوما غامت السما غيما اسود يدخن فلما ايقنوا
برزوا من القرية باهليهم وبهايمهم وفرقوا بين كل دابة وولدها وضجوا الى
الله تعالى فقبل الله توبتهم وقد ساح يونس عليه الصلاة والسلام في الارض
وروى ابن مسعود ان يونس صلى الله عليه وسلم وعد قومه العذاب واخبرهم
انه ياتيهم الى ثلاثة ايام ففرقوا بين كل والدة وولدها وجاروا الى الله فرفع
عنهم العذاب بعد ما غشاهم الباس وذلك لم يكن لغيرهم وانتظر يونس العذاب
فلم يره شيئا وخاف الكذب على ما يأتي فانطلق مغاضبا وركب سفينة فركدت
وغيرها سايرة فقال ما بالها قالوا لا ندري فقال ان عبدا ابق من ربه لا تسير
حتى تلقوه منها فقالوا اما انت فلا نلقيك فقال اقترعوا فقرعوا فخرجت عليه القرعة
التي خرجت القرعة عليه ثلاث مرات فالقي في البحر وابتلعه الحوت وهوى به
الى قراره فسمع تسبيح الحصا فنادى في الظلمات يعني ظلمة بطن الحوت والليل وجوف
البحر الى اخر ما قصه الله من امره واختلفوا في مدة مكثه في بطن الحوت فقيل
عشرون وقيل اربعون وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل يوم وقوله
الله تعالى في يونس اي في قصته فظن ان لن نقدر عليه جواب سوال مقدر
نقديره انك قلت ان من الاصول المقررة كما تقدم ان الانبيا عليهم الصلاة
والسلام منزهون من ان يكون عندهم شك وشبهة في شي مما يتعلق بالعقايد
وذات الله وصفاته فكيف ظن يونس نبي الله عليه الصلاة والسلام ان قدرة الله
لا تتعلق عليه وهو على كل شي قدير اجاب عنه بقوله معناه ان لن نضيق
عليه فانه يقال قدر وقتر وقتر بمعنى ضيق اي ظن انا لا نضيق عليه وهذا
مروي عن جماعة من ايمة التفسير واللغة قال مكي رحمه الله طمع في
رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه مما هو فيه وقيل انه لا يناسب
قوله اني كنت من الظالمين واجيب بانه باعتبار مقامه فانه امر بالصبر فكان
عليه ان يسلم امره لله عز وجل ولا يذهب مغاضبا لقومه وللانبيا عليهم
الصلاة والسلام مقامات لا تناسب مقام غيرهم فليس من القدرة لانه
غير مناسب هنا وقيل انه تمثيل لحاله بحال من ظن انه لن يقدر عليه
لما استعجل ولم ينتظر امر الله عز وجل وقيل حسن ظنه بمولاه يعني الله
عز وجل انه لا يقضي عليه العقوبة هذا جواب ثان فهو من التقدير قال
الجوهري قدرت الشي اقدره واقدره من التقدير وهو القضا والحكم اي ظن
ان الله لا يقضي عليه بعقوبة ويجازيه على ذهابه وعدم صبره وهذا قاله
مجاهد وقتادة واختاره الفرا وثعلب وقيل في تاويله ان معناه نقدر
بضم اوله وتشديد داله ما اصابه من الابتلا بابتلاع الحوت له وقرى نقدر
عليه بالتشديد فهذه القراة تدل على ان المخفف بمعنى المشدد كما قاله

ابن اقبرس

دجلي

ثعلب وانشد شاهدا عليه قوله

ولا عايد اذ ذاك الزمان الذي مضى تباركتَ ما تقدر يقع ولك الشكر

وفي الاية قراات لا حاجة لتفصيلها هنا وهذا قريب من الجواب الذي قبله فان الفعل فيهما من التقدير والفرق بينهما انه في الاول عرف ان فعله مستحق للعقوبة ولكن رجا العفو من كرم ربه وفي هذا لم يكن يخشى عقوبة ويظن ان الله لا يبتليه بما ابتلاه به وقيل معناه يواخذه الله اي يجازيه بغضبه على قومه وذهابه مغاضبا لهم ولم يصبر منتظرا لامر الله فلن يقدر عليه بمعنى لن يواخذه بغضبه وذهابه فاطلق السبب على المسبب فليس فيه ظن لعدم قدرة الله عليه وليس هذا راجعا الى معنى القضا عليه لان المواخذة بالقضا والحكم السابق كما قيل وقال ابن زيد هو كما تقدم عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقد تقدمت ترجمته وما في بعض النسخ ابو زيد وفي بعضها ابن دريد من تحريف الناسخ والصحيح الاول كما في المقتفى للبرهان الحلبي معناه انظن ان لن نقدر عليه على تقدير حرف الاستفهام وقد ورد حذفه كثيرا كقوله ابن اقبرس

قالوا تحبها قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب

اي اتحبها وهو مفصل في كتب النحو والاستفهام انكاري اي انظن عدم قدرتنا عليه اي لم يظنه ولم يخطر له ببال كما اشار اليه بقوله ولا يليق اي لا يناسب عقلا وشرعا ان يظن بالنبي المعصوم اي يظن احد بنبي من الانبيا ان يجهل صفة من صفات ربه وهي هنا قدرته تعالى وتعلقها بكل شيء وفي نسخة انه جهل وكذلك اي مثل ما تقدم في انه مصروف عن ظاهره قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح في معناه انه اراد مغاضبا لقومه لكفرهم اي انا منهم على كفرهم فراغمهم بفراقهم وغاظهم لظنه انه سايغ شرعا حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله وان ينتظر الاذن من الله كما قاله الزمخشري وهو اي التفسير المذكور قول ابن عباس والضحاك وغيرهما من السلف لا مغاضبا لربه اذ لا يليق ذلك بمقام النبوة اذ مغاضبة الله تعالى معناها معاداة له وهو تفسير باللازم لان العداوة تقتضي عدم الرضا ومعاداة الله تعالى كفر لا يليق بالمومنين فكيف تليق بالانبيا عليهم الصلاة والسلام وكيف استفهام مجوز به عن الاستبعاد لما بعده كما تقدم والمغاضبة مفاعلة اريد بها اصل الفعل او هي على ظاهرها لانها بمعنى العداوة وهي من الجانبين لانه عاداهم لله وعادوه لجهلهم وكفرهم فلا حاجة لصرفه عن ظاهره وقيل ذهابه في سورة الغضب لانه كان مستحييا اسم فاعل بيايين اي حييا من قومه ان يسموه بدل من قومه بدل اشتمال اي يصفوه بالكذب لانه اوعدهم بعذاب يحل بهم لما خالفوه وعين له مدة كما تقدم وهو من السمة بمعنى العلامة كالكي وغيره فاستعير للصفة لانها تميزه كالعلامة اي كراهة ان يصفوه به اذ كان اجلهم اربعين ليلة فقالوا ان راينا مخايلة امنا فلما راوا ذلك

يقتلوه اي صح

امنوا فكشف عنهم العذاب كما قصه الله بقوله الا قوم يونس لما امنوا الاية وقوله او
يزيدون فامن ان يقتلوه فهو كقوله منتقلا استيفا ومحا كما روي في الخبر المذكور
في قصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقد تقدم بعض منه وليس هذا راجعا
الى القول بانه غضب من ربه كما حكاه ابن عطية فتوهمه لا وجه له وفي مراة الزمان
ان يونس عليه الصلاة والسلام لما ساح فراى راعيا في فلاة فسقاه لبنا وهو
مستند الى صخرة فاعلمه انه يونس وامره ان يقرا على قومه السلام فقال يا نبي الله
لا استطيع لان من كذب منا قتل قال فان كذبوك فالشاة التي سقيتني من لبنها
وعصاك والصخرة ليشهدن لك فاتاهم الراعي واخبرهم فانكروا فنطقت الشاة
والصخرة والعصا وشهدن له فقالوا له انت خيرنا اذ رايت نبينا وملكوه عليهم
اربعين سنة وقيل انه ذهب مغاضبا لبعض الملوك في عهده فيما امره اي
بسبب امر امره به من التوجه بيان لما الى امر امره الله تعالى به على لسان نبي اخر
اي نبي اسمه شعيا بلغه له وصير امره للملك فقال له اي قال يونس للملك غيري
اقوى عليه مني اعتذارا له لخشيته من التقصير فيه فعزم عليه اي صمم او
اقسم عليه انه يفعل ما امره به ولم يقبل عذره فخرج لذلك اي لما صنعه الملك
معه مغاضبا له اي للملك لا لربه كما توهم وهذا اشارة لما في بعض التفاسير
كما حكاه الخفاجي من ان يونس خرج مغاضبا للملك كان لقومه والنبي المذكور
كما روي عن ابن عباس شعيا والملك اسمه حزقيل فاوحى الله الى شعيب
ان قل لحزقيل ان يبعث نبيا من انبيا بني اسرائيل الى اهل نينوى يامرهم
بتخلية بني اسرائيل فاني ملق على قلوب جبابرتهم وملوكهم فقال ليونس
اخرج اليهم فقال يونس هل امرك الله باخراجي قال لا وسماني قال لا فقال
هاهنا انبيا اقويا فالح عليه فخرج مغاضبا الخ ما قصه الله وقد روي عن
ابن عباس ان ارسال يونس عليه الصلاة والسلام ونبوته اي بعثته نبيا
مرسلا الى اهل نينوى من ارض الموصل انما كان بعد ان نبذه الحوت
ونبذ بلفظ الماضي المعلوم وفي نسخة بعد نبذه باضافة المصدر
لمفعوله اي قذفه من بطنه والمراد مطلق الالقا وقال الراغب النبذ
القا الشي وطرحه لقلة الاعتداد به ولذا يقال نبذته نبذ النعل الخلق
وقال تعالى فنبذوه وراء ظهورهم انتهى وفيه نظر لانه لا يناسب قوله
تعالى فنبذناه بالعرا فتامل واستدل لما قاله ابن عباس رضي الله عنهما
بقوله تعالى فنبذناه بالعرا وهو سقيم العرا بالفتح والمد المكان المتسع
الخالي من النبات والشجر فهو كانه عار وكان الحوت يسير مع السفينة
رافعا راسه ليتنفس واختلف في مدة لبثه في بطنه كما مر وقوله
وهو سقيم اي ضعيف كالطفل حين يولد من حرارة بطن الحوت وانبتنا
عليه شجرة من يقطين تفعيل من قطن اذا اقام وهي شجرة تين وقيل
هي القرع وعلى هذين فاطلاق الشجرة عليه مجاز لانها ما له ساق والمشهور
الثاني لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يحبه ويقول هي شجرة اخي

يونس واستتت عليه لتظله ويأكل منها وقيل لانها لا يقع عليها الذباب
وارسلناه الاية ووجه الاستدلال انه ذكر الارسال بعد اخراجه من
بطن الحوت والواو وان لم تفد الترتيب على الصحيح لكن الترتيب الذكري
يقتضيه لان غيره مخالف للظاهر وهو معنى ما نقل عن الشافعي اذ لا وجه
للعدول عن الظاهر من غير قرينة وقوله او يزيدون او بمعنى الواو
او المراد وصفهم بالكثرة او تردد من راهم وقد اجيب عما استدل به ابن عباس
رضي الله عنهما بانه ارسال لغوي اي ارجعه الى من ارسل اليه اولا او هو
ارسال لغيرهم الى غير ذلك مما ذكره المفسرون واستدل ايضا اي لقول
ابن عباس كما استدل بما قبله بقوله ولا تكن الخطاب له صلى الله عليه
وسلم كصاحب الحوت اذ ضجر ولم يصبر فاصبر فان الله ناصرك وذكر
القصة يعني قوله اذ نادى وهو مكظوم الخ ثم قال فاجتباه ربه فجعله
من الصالحين وهذا بناء على ان معنى اجتباه اصطفاه واختاره لرسالته
وليس هذا بمتعين بقوله فيكون هذه القصة قبل نبوته وارساله
لقومه غير مسلم لما تقدم وانما قال هذا ابن عباس لانه قبل النبوة
يجوز صدور ما ذكر عنه لانه لم يوح اليه بما يزيل الشك عنه ثم
اورد سؤالا على الاصل الذي قرره من براءة الانبياء عليهم الصلاة
والسلام مما يعرض لغيرهم من الشك ونحوه فقال فان قيل فما
معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن الاغر المزني
انه اي الامر والشان ليغان على قلبي الغين بالغين المعجمة وياء ونون
الستر والتغطية وهو قريب من الغيم ويكون بمعناه اي تردد
على قلبي امور تشغله ويقال غين على قلبه اذا عرض له وسوسة
ونحوها ولما يتوهم من ظاهر الحديث انه قد يعرض له صلى الله عليه
وسلم شك في بعض شؤونه ورد سؤالا بانه مخالف لما قرره لان
قوله فاستغفر الله في كل يوم وفي نسخة في اليوم مائة مرة وفي
طريق اي في رواية له في اليوم اكثر من سبعين مرة تقتضي انه خواطر
غير مرضية محتاجة للعفو عنها ودفعه فقال اذا سمعت هذا وعرفت
ما يوهمه فاحذر اذ يقع ببالك اي يخطر على قلبك وفكرك وذكر
البال هنا فيه لطف صادق محزه ان هذا الغين الوارد في هذا
الحديث وسوسة او ريبا اي شكا في شيء من اموره المتعلقة بالوحي
وقع في قلبه صلى الله عليه وسلم في شيء من امور الدين ثم وضحه بعد بيان معناه
حقيقة فقال بل اصل الغين اي اصل معناه وما وضع له لغة في
هذا الكلام ما يغشى القلب ويغطيه عطف تفسير وهو استعارة لما
يشغله قال الامام ابو عبيدة وفي نسخة ابو عبيد القاسم بن
سلام كما تقدم واصله اي ما وضع له اولا ماخوذ من غين السما
وهو اطباق الغيم عليها اي على السما واطباقه تغطية جميع نواحيها

وقريب منه

وقريب منه ما قيل انه الغيم المطبق فيحتمل ان النون مبدلة من الميم وقال غيره
اي غير ابي عبيدة الغين شي يغشي بفتح اليا والشين المخففة او بضمها وكسر الشين
المشددة والاول اظهر القلب اي يعرض له او يستره ولا يغطيه كل التغطية اي لا يغطيه
كله كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهوى اي في الجو فلا يمنع ضوء الشمس لرقته وكذلك
اي مثل ما ذكر من انه لا يفهم منه انه وسوسة لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه
مائة مرة او اكثر من سبعين مرة في اليوم ثم بينه بقوله اذ ليس يقتضيه لفظه الذي
ذكرناه اي لا يدل عليه دلالة متعينة وهو اكثر الروايات اشار الى ان فيه
روايات اخر وانما هذا المذكور في الحديث عدد الاستغفار لا للغين فانه واقع
بعد الاستغفار المرتب على الغين بالفا وان احتمل ان يكون كل استغفار لغين
فيكون المراد العدد واما الروايتان فلا تنافي بينهما لانه اما باعتبار الاحوال
او الاكثر من سبعين هو المائة نفسها فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات
قلبه وفترات نفسه اي فتورها وكسلها وسهوها اي ورود صورتها عن
الفكر وبين ما غفل عنه في فتور وسهو بقوله من مداومة الذكر اي ذكره صلى
الله عليه وسلم بلسانه وقلبه ومشاهدة الحق ان اريد به الله تعالى فالمراد
مشاهدته في مرايا مصنوعاته حتى كانه يراه بعين عيانه وان اريد به ما هو حق
ثابت متيقن من العلوم الحقة والامور اليقينية اللدنية فالامر واضح ولما
كان هذا يوهم امرا لا يناسب مقامه صلى الله عليه وسلم حتى قيل انه لا ينبغي
ذكره فانه يقتضي تفضيل الملائكة على الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانهم
لا يفترون عن العبادة والتسبيح طرفة عين اشار الى دفعه بما لم يبينه له
المعترض فقال بما كان اي بسبب ما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه
بالدال المهملة المضمومة مبني للمجهول اي فوض اليه واعطيه قال
الراغب الدفع اذا عدي بالى معناه الانالة كقوله تعالى فادفعوا اليهم اموالهم
فان عدي بعن فمعناه الحماية نحو ان الله يدافع عن الذين امنوا من مقاساة
البشر المقاساة والمكابدة مباشرة ما فيه مشقة من امور غيره وسياسة
الامة السياسة هي الحكم والتدبير لامر غيره من ساسه يسوسه اذا قام عليه
لاصلاح اموره وهو لفظ عربي لا معرب كما توهم وهي حكم مخصوص بما يكون
بطريق القهر والضبط ومعاناة الاهل اي الاعتنا بامورهم والتقيد بما فيه
معاشهم ومعادهم ومقاومة الولي اي القيام بالامر الذي يتعلق بالولي وهو من
يواليه ويتبعه والعدو وهو من يظهر عداوته ومقاومته مقابلته
بالغلبة والقهر كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم في غزواته وتدبير
جيوشه ومصلحة النفس اي مصلحة نفسه في امور معاشه وكلفه بالبنا
للمجهول معطوف على دفع اليه من اعبا اداء الرسالة جمع عب بكسر فسكون في اخره
وهو كالحمل لفظا ومعنى بكسر اوله وهو ما يكون له في تبليغها ودعوة
الخلق وحمل بفتح اوله الامانة اي ما استودعه الله من اسراره واعطا
كل ذي حق حقه وليس المراد بها طاعة الله التي اوجبها عليه كما قيل

ابن اقتوس

ابن كمال

دبحي

وهو صلى الله عليه وسلم في كل هذا اي مما دفع اليه وكلفه مما ذكر من المقاساة وما
يعدها في طاعة ربه وعبادة خالقه دفع لما يتوهم من انه كان اللايق به صلى الله عليه
وسلم ان لا يشغله شي عن ذكر ربه ومشاهدته بانه لم يشغله به لحظوظ نفسانية
ولا لامور ربانية وانما الله شغله بذلك بما انقطع عنه الا لحد منه التي امر الله
عز وجل بها كما قيل

اريد صلاحه ويريد هجري • فاترك ما اريد لما اريد •

ولما ورد عليه ان هذا اذا كان طاعة وعبادة فلم استغفر منه والاستغفار انما
يكون من الذنب وجهه على طريق الاستدراك بقوله ولكن لما كان صلى الله عليه
وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة اي له رتبة عند الله ومنزلة عالية على كل
مخلوق والمكانة بالتاء تختص بالمحل المعنوي كالمنزلة واعلاهم درجة
الدرجة ما في جانب العلو ضد الدرك ومكانة ودرجة تمييز واتمهم اي اكملهم
به اي بالله معرفة فهو اعرف بالله مما سواه واخر هذا لانه مترتب على ما قبله
في المعقول والمحسوس وكانت حالة الحال مؤنثة اي امره وشانه عند خلوص
قلبه لله بحيث لا يمر به سواه وخلو همه اي جعل همته وعزمه وفكره خالية عن
غير الله تعالى وتفرده بربه اي جعل امره منفردا بالتوجه لجنابه الاعلى فيكون
قلبه معه وحده في خلوته فان ذاكر الله جليس الرحمن كما ورد عنه واقباله
بكليته اي بذاته كلها قلبا وقالبا ومقامه هنالك اي اقامته مع الله في
حظيرة قدس قربه واشار بالبعد لعلو مقامه ثمة ارفع اي اعلى حالتيه اي
حال اشتغاله بالظاهر وحاله كونه مع الله عالم السرائر وكل منهما رفيعة
ولكن هذه ارفع راي صلى الله عليه وسلم اي علم او شاهد حال فترته عنها
اي عن ارفع حالتيه وشغله لسواها اي اشتغاله بغيرها غضا عن على حاله
وهو مفعول ثان لراي او حال وغض الطرف ارخاؤه واطراقه ويكون
بمعنى النقصان كما يقال غض صوته قاله الراغب وهو المراد هنا
وكنى به عن التنزل عما ذكر وخفضا اي حطا وتنزيلا من رفيع مقامه
وهذا بالنسبة للحالة الاخرى وان لم يكن كذلك في نفسه فاستغفر الله تعالى
اي طلب مغفرته وعفوه ومسامحته له من ذلك لعده بالنسبة لمقامه
الاخر كالذنب كما قال البحتري •

اذا محاسني اللاتي ادل بها • كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر

ولذا ورد انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من مجلسه قال استغفر
الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه وروي انه كان يقول
رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم مائة مرة وهذا التفسير
اولى وجوه الحديث التي ذكرت في توجيهه واشهرها والى معنى ما اشرنا
اليه مال كثير من الناس وحام حوله اي دار باطرافه وقرب منه كقوله
صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى واصله رفرفة الطاير على
الماء ارادة النزول عليه وقارب اي حاول القرب والوصول اليه ولم

يرد اي لم يصل اليه استعارة من ورد الماء اذا اتاه ليستقي منه وفيه اشارة الى
ان ذلك فيه شفا الغليل وثلج الصدور وان النفس لها طموح اليه وفيه من البلاغة
ما لا يخفى وقد قربنا غامض معناه اي ادنيناه لمن قاربه ففيه لطف لا يخفى اي خفيه
الذي لم يتضح واصله المكان المنخفض فكنى به عما ذكر ثم صار حقيقة فيه وكشفنا للمستفيد
اي طالب الفايدة العلمية من مخارته الرابحة محياه بالضم والفتح والتشديد بمعنى
الوجه وفيه استعارة مكنية وتخييلية بتشبيهه بحسان مخدرة والكشف للحديث
هنا لرفع غينه واظهار محياه لعينه وهو اي هذا التفسير مبني اي متفرع على جواز
الفترات والغفلات والسهو على ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام في غير
طريق البلاغ اي ما لم يتصل بتبليغه لامته من الشرايع واما ما طريقه البلاغ فلا يجوز
فيه ذلك لمنافاته له على ما سياتي في هذا الكتاب وفي كلامه نظر لا يخفى فانه
جعل الغفلة والفترة والسهو عبارة عن اشتغاله بامر امته واهله فلا غفلة ولا
فترة ولا سهو حقيقة فكيف بناه على غير اساسه وهذا عندي كالغفلة فيما قاله
فتامله فانه غريب ومن هنا علمت سر دعا الملايكة لبني ادم بالمغفرة وتفسير
صلاتهم لها وهو معنى قوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء
رحمة وعلما وسر تذييل هذه الاية بما ذكر وذهبت طايفة اي اختاروا مذهبا
ورايا كقوله وللناس فيما يعشقون مذاهب من ارباب القلوب اي اوليا الله الذين
نور الله قلوبهم وطهرها حتى صاروا من ارباب الكشف ومشيخة بفتح الميم وسكون
الشين ويجوز كسرها جمع شيخ وهو الكبير سنا ثم شاع فيمن كبر قدره في العلم
والصلاح المتصوفة اي ارباب التصوف وهو علم السلوك وهو لفظ اطلق
على هولا بعد العصر الاول لتقشفهم ولبسهم الصوف او لصفا قلوبهم او
لمنا هاتهم لاهل الصفة كما بيناه في كتاب شفا الغليل ممن قال بتنزيه
النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا اي ما ذكر من الغفلة وما بعده جملة
اي كله ومجموعه واجله اي عظمه صلى الله عليه وسلم بتنزيهه عن مثله
عن ان يجوز بالبنا للمجهول بضم اوله وتشديد واوه المفتوحة اي يراه
جايز الطلاقه عليه في حال من احواله سهوا وفترة السهو الذهول عن شي
بتنبه له سريعا وقيل انه في الشي تركه من غير علم وعن الشي تركه مع علم
ومنه الذين هم عن صلاتهم ساهون والفترة السكون بكسل ونحوه كما
تقدم الى ان معنى هذا الحديث والى متعلقة بذهبت ما يهم بضم اوله وكسر
هايه من اهمه اذا اقلقه واحزنه وخاطره بالنصب مفعول اي قلبه وفكره
ويجعل فكره ذا هم مجاز كقوله ونعم فكره اي يجعله ذا غم والهم والغم
الحزن وقد يفرق بينهما من امر امته صلى الله عليه وسلم لاهتمامه بهم
وكثرة شفقته عليهم وحنوه ورحمته لهم ويستغفر لهم اي يدعو لهم
بالمغفرة لما صدر منهم او لما سيصدر فالغين خواطره فيما يتعلق بهم ه
واستغفاره صلى الله عليه وسلم انما هو لهم فلا اشكال في الحديث اصلا قالوا
اي المشايخ المنزهون له صلى الله عليه وسلم عما ذكر وقد يكون الغين

هاهنا اي في هذا الحديث هو السكينة اي الوقار والتاني والطمانينة في الامور
التي تتغشاه اي تعرض له لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه اي طمانينته وحلمه
ووقاره وفي الضمير في عليه قولان احدهما على النبي صلى الله عليه وسلم والثاني
على ابي بكر قال ابن العربي قال علماؤنا وهو الاقوى لانه خاف على النبي صلى
الله عليه وسلم فانزل الله سكينته عليه بتامين النبي صلى الله عليه وسلم
وسكن فسكن باسه وذهب روعه وحصل الامن والسكينة لها معان منها
الوقار والسكون والرحمة وقيل انها وردت بمعنى ذات لطيفة هوائية
لها وجه كوجه الانسان او على صورة هرة مع بني اسرائيل اذا ظهرت انهزم
عدوهم وورد بمعنى السحابة كذا في الشرح الحديد وقال الراغب في قوله
وانزل السكينة في قلوب المومنين قيل هي ملك يسكن قلب المؤمن فيؤمنه ومنه
ان السكينة تنطق على لسان عمر وقيل هو العقل ويقال له سكينة اذا سكن
عن الميل والشهوة والسكينة ضد الرعب وعليه قوله تعالى ان ياتيكم
التابوت فيه سكينة من ربكم وما ذكر من انها شي له راس كراس الهر لم يصح
ويكون استغفاره صلى الله عليه وسلم عندها على هذا اظهارا للعبودية
والافتقار الى ربه عز وجل وهذا ليس بذنب بل خضوع وخشوع وقال
ابن عطا تقدمت ترجمته استغفاره وفعله هذا اي الواقع في هذا الحديث
تعريف للامة اي تعليم لهم تحملهم على الاستغفار اي طلب مغفرة ربهم وقال
غيره اي غير ابن عطا فيستشعرون اي يدركون ويعرفون من تعريف رسول
الله صلى الله عليه وسلم لهم وامثاله طلب الشعور فعبر به عما ذكر الحذر
اي الاحتراز من المعاصي والخوف منه كما قال تعالى ويحذركم الله نفسه
وفي نسخة الحمر اي حبس انفسهم على طاعة الله والامتناع من الذنوب ولا
يركنون اي لا يميلون ميلا تاما الى الامن من الوقوع في المعاصي والذنوب
منها فان من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وقد يحمل الحديث ان
تكون هذه الاغانة في قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي
حالة خشية واعظام اي يخطر بباله عظمة الله والخشية منه تغشي قلبه
اي تعرض له حالة من تصور ذلك فيستغفر حينئذ اي حين ما غشيته
هذه الحالة شكرا لله تعالى على نعمة جليلة اذ عرفه عظمته وخشيته
وهو اعظم المعلومات فهو نعمة لا يساويها غيرها وملازمة لعبوديته
اي مداومة عليها اذ مقتضاها عده نفسه مقصرة لا تفي باداء خدمته
فلذلك يستغفر كما قال صلى الله عليه وسلم في ملازمته العبادة
كما ورد في حديث انه صلى الله عليه وسلم اكثر من قيام الليل حتى تورمت
قدماه فقال له الصحابة انفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا عطفه بالفا
على كلامهم بتقدير اذا انعم الله علي بمغفرة ما تقدم وما تاخر ففي مقابلة
هذه النعمة اللائق بي الشكر واعظمه الاعتقاد بالجنان والعمل بالاركان

ولا عمل له افضل من الصلاة وقد كمل شكره بلسانه لما قال هذا افلا اكون عبدا شكورا
فاعترف بعبوديته وهي من اعظم النعم عليه واتى بصيغة المبالغة وفا السببية وهو
معطوف على الاسم وتسمى عطف تلقين كما صرح به سيبويه وذكره في الكشاف كما
مر وهذا الحديث رواه البخاري وغيره وفي رواية له افلا احب ان اكون عبدا شكورا
فان الشكر يديم النعم او هو معطوف على مقدر اي اترك التهجد فلا اكون الخ وفيه
حث لغيره ودليل على ان الشكر كما يكون باللسان يكون بالابدان كما قال تعالى اعملوا
آل داود شكرا لكن غيره اذا خشي الملال لا ياتي الا بما يستطيعه كما ورد في الحديث فلا
منافاة بينه وبين قوله عليكم من الاعمال ما تستطيعون فان الله لا يمل حتى تملوا
وعلى هذه الوجوه الاخيرة قالوا هي قوله وقد يكون الغين الى هنا وقيل من قوله عوضي
وذهبت طائفة من ارباب القلوب الخ يحمل اي يفسر ما ورد في بعض طرق هذا الحديث
من رواية البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه
ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فيفسر الغين بما مر ويجعل
الاستغفار له لما مر او لامته تعليما لهم والعدد للاستغفار لا للغين لبعده
لفظا ومعنى وقال الخيضري في خصائصه قال السهروردي لا تعتقد ان هذا
الغين نقص بل هو كمال متمم لكمال ومثله بجفن العين يسبل لدفع القذى
عن العين فيمنع من الرؤية فهو نقص بحسب الظاهر وكمال في الحقيقة وهكذا
بصيرة النبي صلى الله عليه وسلم للاغبرة الثائرة من انفاس الاغيار الى ستر جفنه
بصيرته صيانة ووقاية لها وقول ابن الجوزي هفوات الطباع البشرية لا يخلو
احد منها والانبياء عليهم الصلاة والسلام وان عصموا من الكبائر لم يعصموا
من الصغائر مبني على خلاف المختار وقال ابن بطال الانبياء عليهم الصلاة والسلام
اشد اجتهادا في العبادة فهم دائبون في شكره معترفون بالتقصير عما يجب له
تعالى ويحتمل انه عد اشتغاله بالمباحات ذنبا كالاكل والشرب والجماع وغيره
من امور الدنيا والنظر في امر العباد وغيره مما يشغله عن ذكر الله ومراقبته فعده
ذنبا بالنسبة لعالي مقامه لمنعه من اتصاله بحضرة القدس وكونه تعليما لامته
مخالف للسياق وكذا ما قيل انه لاطلاعه على ما يحدث من امته بعده وفي الاحيا
كان صلى الله عليه وسلم دائما يترقى في المقامات فاذا انتقل من مقام الى اعلى
منه راه نقصا فتاب منه واستغفر وحسنات الابرار سيئات المقربين كما قاله
الجنيد وتعقب هذا بانه يدل على وقوع الاستغفار مرة بحسب الاحوال فظاهر
الحديث يخالفه كما قاله ابن حجر وفيه نظر لانه ليس في الحديث ما يدل على افتراق
واجتماع انتهى وسئل العراقي عن هذا الحديث فاجاب بما مر ثم قال والظاهر
ان الجملة الثانية مترتبة على الاولى وان سبب الاستغفار الغين بدليل ما
روي حتى استغفر الله وفاستغفر الله ويحتمل ان الجمع بينهما من الراوي فاخبر
بحصول ذلك الغين مع كثرة الاستغفار فما ظنك بمن لم يكن كذلك والجملة حال
مقدرة وقال بعض المشايخ من الصوفية الغين في اصطلاح ارباب السلوك
شهود الخلق لشهود الاغيار التي هي حجاب عن شهود الحق وهو منزه عنه فالمراد

به اختلاف التجليات كالتجلي الصفاتي والذاتي وقال الشاذلي اشكل علي هذا
الحديث فرايته صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا مبارك ذاك عين الانوار
لا عين الاغيار وفي لطائف المنن لابن عطا الله وحل الرموز للمقدسي من ظنه عين
غفلة وحجاب فقد اخطا وانما كان صلى الله عليه وسلم يستغرق في انوار
التجليات فيغيب في ذلك الحضور فيساله المغفرة اي ستر هذه الحالة لانه من
الغفر بمعنى الستر لان الخواص لو دام لهم تجلي ما يكاشفون به تلاشوا عن
ظهور سلطان الحقيقة وهذا الستر لهم رحمة وللعوام عقوبة لانه حجاب
يستر عن بصائرهم فالعوام مستورون عنه بغيره والخواص مستورون به عما
سواه وهو ستر عن دنو الذات المحرق للسوى كما قال ابن الفارض رحمه الله

ولولا احتجابي بالصفات لاحرقت ۞ مظاهر ذاتي من سنا سبحتي ۞

هذا محصل ما قاله اهل الباطن والظاهر وفيه ما في الحديث من الظواهر
والسرائر فاختر لنفسك ما يحلو ثم انتقل لشبهة اخرى ترد على الاصل الذي
ذكره فقال فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شا
الله لجمعهم اي جعل الناس كلهم مجتمعين متفقين على الهدى بهدايتهم للعقائد
الحقة واتباع الشريعة اللازمة فلا يضل احد منهم عن الطريق المستقيم
فلا تكونن من الجاهلين اول الاية فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض
او سلما في السما فتاتيهم باية وهو شفقة عليه صلى الله عليه وسلم
لما راى من حرصه على ايمان الناس فنهيه عن الجهل بقدرة الله لما شا يوهم
انه لم يحط بذلك وهو منزه عنه ودفعه بما سياتي وكذلك قوله تعالى
لنوح عليه الصلاة والسلام فلا تسالني ما ليس لك به علم اني اعظك ان
تكون من الجاهلين حين ناداه وقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق
يعني ما وعدته به من نجاة اهله لما قال له احمل فيها من كل زوجين اثنين
واهلك وابنه من اهله فساله عن سبب عدم نجاته فانكر عليه سؤاله
ونسبه لما لا يليق بالانبيا عليهم الصلاة والسلام من الجهل والى دفع
وجه السؤال والشبهة اشار بقوله فاعلم امر لكل من يمكن توجيه الخطاب
اليه وسد مسد مفعوله قوله انه لا يلتفت بالبنا للمجهول اي لا يتوجه
التفات احد ونظر في ذلك اي في خطابه تعالى لهما بما ذكر الى قول من
قال من المفسرين في اية نبينا اي في الاية الاولى التي نزلت في حقه صلى
الله عليه وسلم وقوله فيها فلا تكونن من الجاهلين وان معناها هاهنا
لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شا لجمعهم على الهدى باسناد الجهل
بمشيئة الله اليه ولا تلتفت ايضا لقول من قال في اية نوح عليه
الصلاة والسلام لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله ان وعدك
الحق فانك لا تخلف الميعاد وعلل عدم الالتفات لهذا القول بقوله
اذ فيه اي في هذا القول وتفسير الاية بما ذكر اثبات الجهل بصفة
من صفات الله وهي قدرته وعلمه وذلك لا يجوز على الانبيا صلوات الله

وسلامه

وسلامه عليهم لمعرفتهم بالله تعالى وصفاته والمقصود اي المعنى المراد من هاتين
الايتين وعظهم اي ارشادهم وتنبيههم على ان لا يتشبهوا في امورهم حين الدعوة
للخلق بشأن الجاهلين اي لا يتصفوا بصفاتهم من عدم الصبر والحرص على سرعة
حصول المراد مما هو شأن الجهلة كما قال اني اعظك فهو دليل على انه ارشاد له
صلى الله عليه وسلم ان لا يتسم بما ليس من شأنه ولا يتخلق بما يضاهي اخلاق
الجهلة لا انه جاهل بذلك وليس في اية منهما اي من الايتين المذكورتين دليل على
انهم على تلك الصفة اي صفة الجهل بصفة من صفات الله فانهم اعلم الناس بها
التي نهاهم عن الكون عليها اي الاتصاف بذلك والنهي عن الكون ابلغ من النهي
عن الاتصاف بها كما قرره ابن جني في كتاب المحتسب فكيف يكونون وهم اعلم
الخلق على صفة نهوا عن الكون عليها والاستفهام لاستبعاد ذلك واية نوح
عليه الصلاة والسلام المذكور فيها قصته وهي قوله اني اعظك الخ قبلها
فلا تسالني ما ليس لك به علم فهي موذنة بان المراد نهيه عن التشبيه بالجهلة
لنهيه عن السؤال عما لا يحتاج اليه فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى من اجري
على ظاهرها ونسبة ما لا يليق بهم اليهم لان مثل هذا السؤال عما ليس له
به علم من حال ابنه قد يحتاج الى اذن من الله فلا يقدم عليه بدونه وقد
تجوز اباحة السؤال فيه ابتداء منه من غير اذن فيختلف باختلاف الاحوال
والمقامات فنهاه الله عن ان يساله عما طوي عنه اي اخفي عنه علمه به
فشبه الامر المخفي عنه بثوب مطوي ملفوف لا يظهر باطنه وما في داخله
واكنه اي ستره كقوله قلوبنا في اكنة اي حجاب يمنع الادراك من غيبه اي
من الامر المغيب عنه وفي نسخة في غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه باغرا
وعدم ادخاله في سفينته بيان لما طوي عنه واكنه لانه لم يكن على دينه لانه
كان يبطن الكفر ونوح عليه الصلاة والسلام لم يعلمه ثم اكمل الله نعمه
عليه جمع نعمة وفي نسخة نعمته بالافراد باعلامه بذلك اي ما سال عنه وانما
جعله من كمال النعمة لانه علم ما لم يعلم وبين له ما نهي عن السؤال عنه
لقوله عز وجل له انه اي ابنه ليس من اهلك لانقطاع الولاية بكفره وخروجه
عن دينه انه عمل غير صالح تعليل لنفي كونه منه ومعه ودا من اهله حكاه
اي هذا التفسير حكاه عن السلف مكي تقدمت ترجمته كذلك اي مثل قصة
نوح في انها مخالفة للظاهر محتاجة للتاويل بانها تنبيه بمن امتطى مطية
الجهل امر فعل مبني للمفعول لنبينا صلى الله عليه وسلم في الاية الاخرى
السابقة وهي لو شاء الله الخ بالتزام الصبر متعلق بامر والمراد بالامر ما يلزم
النهي وامره بالصبر مذكور صريحا في ايات اخر كقوله فاصبر كما صبر اولو العزم
من الرسل على اعراض قومه عن دينه وعنه ولا يخرج من الحرج وهو ضيق
الصدر والقلق عند ذلك اي عند اعراضهم عنه فيقارب حاله حال
الجاهل بشدة التحسر اي التاسف والندم على عدم اطاعة قومه له حكاه اي
ما ذكر من التفسير ابو بكر بن فورك تقدمت ترجمته والكلام على اسمه في منع

الشرف وعدمه وقيل معنى الخطاب في قوله فلا تكونن من الجاهلين لامة محمد لا له صلى
الله عليه وسلم فهو تعريض كما تقدم تحقيقه اي فلا تكونوا من الجاهلين اي
ممن اتصف بصفاتهم وانخرط في سلكهم حكاه مكي ايضا وقال مكي مثله في القران
كثير فيخاطب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النسا
فبهذا الفصل الذي قرره في حق الانبيا من تاويل ما يوهم نسبتهم لما لا يليق بعلي
مقامهم وجب وفي نسخة اوجب القول بعصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام منه
لشرفهم وكمال علمهم ورجحان عقولهم وتنزيه الله لهم عن النقايص بعد
النبوة قطعا لقيام الادلة عليه والحاصل ان معنى الاية الاولى انه تعالى
لما راى اشتداد حرصه صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وشق عليهم حتى كاد
يهلك نفسه لم يرض بهلاكه فقال له ان كان عظم عليك ذلك فان امكنك ان
تغوص في الارض لتطلع منها اية لهم او تنصب سلما تصعد به الى السما لتاتيهم
باية منها حتى يؤمنوا اي انت لا تستطيع هذا انما فايدة هذا الحرص ولو اراد الله هدى
جميع الخلق فلا تحرص على ما لم يرده وقيل كانوا يقترحون عليه ايات يود لو اجيبوا
لها حرصا على ايمانهم فقيل له ان استطعت ان تفعل هذا لتاتيهم بما اقترحوه
فافعل ليؤمنوا وقيل ابتغا النفق والسلم هو الاية نفسها ففيه ثلاثة اوجه
الاول بيان لشدة حرصه وانه لو قدر على المحال فعله والثاني بيان لحرصه على
تثبيت مطلوبهم ومقترحهم والثالث حرصه على جعل الصعود والهبوط
اية لهم حتى يؤمنوا به وترك القاضي الاخير لان عادة الله ان من اجيب
لما اقترح عجل هلاكه وهو مناف لحرصه على ايمانهم ولان المتبادر من الاية ان
النفق والسلم غير الاية مع ما فيه من النزعة الاعتزالية وقصة نوح وهلاك
ابنه كنعان بعد ما سال الله نجاته فقيل له انه سبق القول بهلاكه لكفره والكلام
فيه مفصل في التفاسير فلا نطيل بذكره ثم اورد سؤالا اخر على ما قرره من
الشك في شي مما يتعلق بالعقايد والدين فقال فان قلت فاذا قررت عصمتهم من
هذا اي حفظ الله لهم عما ذكر وانه لا يجوز عليهم شي من ذلك ولا يصح اعتقاده
فيهم فما معنى اذن وقعت في جواب سؤال مقدر فاصلة بين المضاف والمضاف
اليه ملغاة لعدم شروط عملها وعيد الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
اي تخويفه بتهديد وزجر من ذلك منه وتهديده على ذلك ان فعله ونحوه
مما يقتضي جواز مثله عليه وتحذيره منه كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن
عملك الاية حبوط العمل بطلانه بالكلية بحيث لا يثاب عليه ولا يبقى له عمل من
حبطت الدابة اذا وجدت مرعى طيبا فاكلت منه اكلا كثيرا حتى انتفخت بطنها
فماتت فالاتيان بالشرط واسناد الشرك له صلى الله عليه وسلم بحسب الظاهر
يدل على جواز مثله عليه وعلى غيره من الانبيا مع انهم منزهون عنه والاطلاق
الاحباط في هذه الاية اما لانه مخصوص لان ذنبه العظيم عظيم او هو مقيد
بموته على ذلك كما يعلم من قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو
كافر فاولئك حبطت اعمالهم والجواب علم مما تقدم واللام الاولى موطية

لقسم

اي لو قاربت الركون الى مرادهم فرضا وتقديرا لاذقناك اه

اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة مضاعفين والاصل عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا
علي القاري

لقسم مقدر والثانية في جوابه وقوله بالجراي وما معنى قوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية اي فان فعلت فانك اذا من الظالمين وهذه نهيه عن ان يدعو غير ربه اي يعبده لان الدعا هنا بمعنى العبادة يقتضي صدوره منه صلى الله عليه وسلم وتاويله يعلم مما مر وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة الاية اي وضعف الممات اي يضاعف له عذاب الدنيا والاخرة وقوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل اي لو افترى علينا لاخذنا منه باليمين جواب لو وعطف عليه قوله ثم لقطعنا منه الوتين والكلام على الايتين وسبب نزولها مبين في التفاسير والذي يهمنا هنا ما قصده المصنف بايرادهما هنا وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله والمراد بهم الكفرة الجهلة والطاعتهم بموافقة ما هم عليه ومثله لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم فكيف اسند اليه فيهما وقد مر جوابه وقوله تعالى فان يشا الله يختم على قلبك وهذا انما على الظاهر من ان المراد يمنعه من قبول الحق كما في قوله ختم الله على قلوبهم لا على تفسير مجاهد بانه ان يشا يربط على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يلحق مشقة وقوله تعالى وان لم تفعل ما امرت به فما بلغت رسالته اي فكانك لم تبلغ شيا منها التقصيرك فهذا يقتضي جواز تقصيره ظاهرا في تبليغ جميع ما اوحي اليه فامره بان يبلغه جميعا ولا يخشى مكروها من احد فان الله عصمه وصانه وجعله في حصن حمايته وكان عمر اول من اظهر ذلك وقال لا نعبد الله سرا وقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تخف من احد ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يؤدي الى تفريط في شي من امر الدين روي انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة كان يحب اسلام اليهود وقد تبعه ناس على نفاق منهم فكان يلين جانبه لهم ويتجاوز عن قبائحهم فنزلت هذه الاية فيهم وقيل في سبب نزولها غير ذلك كما ذكره الواحدي وغيره ثم شرع في الجواب عما ذكر في هذه فقال فاعلم وفقنا الله واياك للوقوف على معاني كلامه فانه لا يكون الا بتوفيق منه تعالى انه عليه الصلاة والسلام لا يصح عقلا وشرعا ولا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم ان لا يبلغ شيا مما امره الله بتبليغه كما يوهمه ظاهر قوله فما بلغت رسالته ولا ان يخالف امر ربه كما يوهمه قوله فان لم تفعل ولا ان يشرك به ولا يتقول على الله اي يكذب عليه ويفتري كما مر في قوله ولو تقول علينا الاية ما لا يجب بالجا المهملة اي ما لم يرده ولم ياذن له فيه او يفتري عليه اي يكذب عليه وهو بمعنى يتقوله واعاده لانه صريح في المراد وقد يفرق بينهما بان يراد بالتقول تكلفه فيما يقوله بزيادة او مبالغة فيه وهو المناسب لعطفه باو او يضل عن الصواب والطريق المستقيم باطاعة غير الله فهو اشارة الى قوله تعالى وان تطع اكثر من في الارض يضلوك الخ او يختم الله على قلبه ويطبع عليه ما يمنعه عن قبول الحق او يطيع الكافرين والمنافقين في امر يهواه انفسهم وهو اشارة الى قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين فان الامة اجمعوا

على عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام قبل النبوة وبعدها عن الكفر غير الخوارج
حيث جوزوا عليهم بعض الذنوب وهي كفر عندهم وبعض الشيعة القايلين
بجواز اظهار الكفر تقية ولا يعتد بافواههم الواهية فلذا كان المراد بقوله لين
اشركت تهييج الرسل واقناط الكفرة على طريق الفرض اي اذا كان هولا يحبط
عملهم به فكيف حال غيرهم وكذا قيل في نفي الافترا والتقول عنهم وقس
عليه ما بعده ه لكن يسر الله امره اي حاله صلى الله عليه وسلم وشانه
او ما امره به بالمكاشفة متعلق بيسر او بامر او بهما على التنازع والبيان
عطف تفسير لان المراد بالمكاشفة كشفه له وتبيينه او المراد بالاول
ما يكشفه بالالهام وبالثاني ما يوحي به اليه في البلاغ متعلق بامره وقيل
بالمكاشفة للمخالفين متعلق بالبلاغ اي من خالفه فيما بلغه لهم عن ربه
وتجوز في قوله بالمكاشفة والبيان ان يراد المبادرة والاظهار للبلاغ من
غير مبالاة باحد فهو متعلق بامره فاذا لم يبادرهم به فكانه لم يفعل
وان ابلاغه بفتح همزة ان وهو معمول لمقدر اي واعلمه ان تبليغه لما امر به
ان لم يكن بهذه السبيل اي على هذه الحالة والطريقة من تبليغ جميعه ه
واظهاره والصدع به فكانه ما بلغ اصلا لانه كالعدم كمن ترك ركنا من اركان
الصلاة لا يعتد بصلاته وانث اسم الاشارة لان السبيل تذكر وتونث وطيب
نفسه طيب النفس جعلها مسرورة غير مكدرة ولا خايفة من شي وقوى قلبه
ان كان قويا متحققا لانه لا يصيبه مكروه ويقابله ضعفه وهو خوفه مما
يتوهمه بقوله والله يعصمك من الناس اي يحميك ويمنعك عنهم حتى
لا يقدر احد على شي يضرك وهذه الاية ان كانت نزلت بعدا حد في على غزوها
وكان قبل نزولها له صلى الله عليه وسلم يحرس فلما نزلت ترك ذلك وان
كانت نزلت قبلها فالمراد عصمته من القتل فلا ينافي ما اصابه باحد من جراحته
وكسر ثنيته لحكمة تطييبا لقلوب المومنين وتكثيرا للثواب فمن ظن
من تلاقي الحروب ان لا يصاب فقد ظن عجزا كما قال الله عز وجل لموسى
وهارون حين ارسلهما فرعون وقومه للجبابرة فرعون وقومه
لا تخافا انني معكما اي حافظا وناصرا لكما على هولا مع عتوهم وتجبرهم
فبلغا او امري واصدعا بالحق لتشتد اي تقوى وتزيد شدة بصايرهم
اي موسى وهارون ومحمد صلى الله عليه وسلم فيكونوا على بصيرة
ويقين في امورهم في الابلاغ اي تبليغ ما ارسلوا به لهم واظهار دين
الله من غير خوف ويذهب عنهم بالبنا للمجهول والنصب معطوفا
على تشتد خوف العدو لوعده تعالى بحفظهم ونصرهم عليهم
المضعف للنفس صفة خوف اسم فاعل بتخفيف العين وتشديدها
اي المودي لضعف نفس من خاف فهو بنون وقاف وسين مهملة وروي
للنفس بيا بين تحتيتين وقاف ونون والاول اولى رواية ودراية
لان يقين الانبيا عليهم الصلاة والسلام بنفسهم قوي ابدا

وان كان يضعف القسم بمقتضى البشرية ويؤيده بل يعينه قوله تعالى فاوجس في
نفسه خيفة موسى والخوف من المضرات امر طبع عليه البشر مع انهم على يقين من
ان الله هو الستار النافع وهؤلاء انبياء في التسليم والتوكل الا تراهم حذروا في الاحزاب
وهاجروا واختفوا عن عدوهم ودخلوا الغار وهو بحسب المقامات فلا يرد عليه ان بعض
الاولياء كان لا يفر من الاسد واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل
الاية تقدم انه ليس فيه شين له صلى الله عليه وسلم وقوله اذا لاذقناك
ضعف الحياة فمعناه ان هذا العذاب لمن افترى في الدنيا والاخرة جزاء من فعل هذا
المفقود والافتراء على الله وجزاء وكذا لو كنت ممن يفعله فاذا هدده من لا يقدره
عنده فما بالك بغيره وكذلك مثل ما ذكر في الايتين قوله وان تطع اكثر من في الارض
يضلوك عن سبيل الله الخطاب له صلى الله عليه وسلم ظاهرا والمراد غيره بطريق
التعريض فورعا للعصاة ايقاظا لهم وتحريكا لغفلتهم لا ارتفاع قدره صلى الله
عليه وسلم عن ارتكاب مثله كما صرح تعالى بالمراد اذ قال مخاطبا لهم بها
ان تطيعوا الذين كفروا الاية يعني قوله يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا
خاسرين فان الخطاب للمنافقين اذ قالوا للمؤمنين باحد لما ارجف بقتله صلى
الله عليه وسلم ارجعوا لاخوانكم وادخلوا في دينهم فلو كان محمد نبيا ما قتل ه
وكذلك قوله فان يشا الله يختم على قلبك خوطب والمراد غيره وكذلك قوله تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك كما تقدم بيانه وما اشبهه مما خوطب به فالمراد به
غيره تعريضا وايقاظا وان هذه الحالة المذكورة من الاحباط ونحوه حال من
اشرك بالله لا حاله والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا فلا
بد من تاويله بما مر واما قوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين فيرائهم
بما تقدم فليس فيه انه اطاعهم وانما نزلت لما بايعه بعض اليهود على نفاق
منهم فكان صلى الله عليه وسلم يتدارئهم رجاء ان يحسن اسلامهم وليس في الاية
انه صلى الله عليه وسلم فعل ما نهي عنه ولما استشعر سؤالا وهو انه
يقال حيث كان الامر كما ذكر فلم نهي عنه اجاب عنه بقوله والله سبحانه يعامل
نبيه صلى الله عليه وسلم بما لا يجوز ان يعامل به غيره ولا يسال عما يفعل
فله ان ينهاه عما يشاء وان تصور محذوره منه ويامره بما يشاء وان لم يتصور
مخالفته له كقوله اتق الله وكما قال تعالى له ولا تطرد الذين يدعون ربهم
اي يعبدونه وقوله الاية اشارة لقوله بالغداة والعشي يريدون وجهه
ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون
من الظالمين وما كان صلى الله عليه وسلم طردهم عن مجلسه ولا كان من
الظالمين اي ممن ظلمهم بطردهم وهم احقاء بتقريبهم لهم واكرامهم وانه
لا يطمع فيهم من يتبعه خلافه ارضاله وكان المشركون قالوا لا نرضى مجالسة
مثل هؤلاء يعنون سلمان وصهيبا وبلالا وخبابا فاطردهم عنك وطلبوا
ان يكتب لهم بذلك فهموا وجلسوا ناحية فنزلت الاية فنهاهم عما قالوه
كما في مسلم وانما هم بذلك رجاء لاسلامهم مع ان ذلك لا يضر اصحابه

لعله صلى الله عليه وسلم بانحوا لهم ورمناهم بما يرمناه كما فسره المفسرون

## فصل وأما عصمتهم أي حفظ الله لأنبيائه

عليهم الصلاة والسلام من هذا الشيء أي اعتقاد ما لا يليق في التوحيد
والعلم بالله وصفاته وبما أوحي اليه من أمور الدين كما تقدم قبل النبوة
أي قبل أن نبأهم الله وبأتيهم الوحي من الله والنبوة والرسالة والفرق
بينهما مشهور وليس هذا محل تفصيله وللناس من علماء الأصول
والسلف خلاف جرى بينهم مذكور في كتبهم والصواب أي القول
الموافق للواقع والأدلة التي على خلافه خطأ من قائله أنهم معصومون
أي محفوظون مصونون قبل النبوة من الجهل بمعرفة ذات الله تعالى
بوجوه ما أو بحقيقته وصفاته فلا يجهلون شيئا منها ومعصومون أيضا
من التشكيك في شيء من ذلك وفي نسخة أو التشكيك بالعطف بأو الفاصلة
أي لا يقع في نفسهم شك في ذات الله ولا في صفة من صفاته لأن فطرهم
جبلت على التوحيد والإيمان وأما قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الإيمان فالمراد به الإيمان بما لا يعرف إلا بالوحي كوجوب الصلاة
ونحوه من فروع الشريعة وقوله من الجهل بيان لما فقد من العصمة
فلا وجه لما قيل إنه أطلق فيما منه العصمة وكان عليه أن يعينه وهذا
أظهر من الشمس لا يخفى على ذي بصيرة وقد تقرر أن العصمة عند
المتكلمين أن لا يخلق الله في النبي ذنبا وعند الحكماء ملكة تمنع من
الفجور حاصلة من العلم بالقبائح والمحاسن فإنه الزاجر عن المعاصي
والداعي للطاعة ويتأكد في الأنبياء بالوحي الإلهي وقيل العصمة
خاصة في النفس والبدن بسببها يمتنع عن صدور الذنب ويأباه
أنه لو كان ما استحق المدح والثواب لأنها ليست داخلة تحت الاختيار
وهم مكلفون بالاتفاق وفي التحرير لابن الهمام العصمة عدم القدرة
على المعصية أو خلق مانع منها غير ملجئ وهو مناسب لقول
الماتريدي العصمة لا تزيل المحنة أي الابتلاء المقتضي لبقاء الاختيار
ومعناه كما في الهداية أنها لا تجبره على الطاعة ولا تعجزه عن المعصية
بل هي لطف من الله يحمله على فعله ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار
تحقيقا للابتلاء واعلم أن العلامة القرافي قال في التعقيد شرح
الأربعين الرازية العصمة لغة الامتناع ومنه العصم لبعض الوحش
لبعده عن مظان الأذى وامتناعه واستعصم الرجل امتنع
ومنه عصمة الزوجية وحملة الشرع يطلقون العصمة على
معنيين أحدهما عدم المعصية في الجملة ومنه قولهم في الدعاء
نسألك من العصمة تمامها والثاني عصمة الأنبياء والملائكة
عن الكفر دون سائر البشر مع أن الله امتن على الخلق بدوام الإيمان

ابن اقبرس

فلا

فلابد من تفسير عصمة الانبيا بغير عدم الكفر وقمع الله منه حتى يصح قولنا ليس احد
منا معصوما وان كنا غير كافرين مساوين للانبيا في ذلك فتميزهم انما هو باعلام الله
لنا انه صانهم في قضايه وقدره عن الكفر وقدر لهم السعادة الابدية حتما مقضيا
فهذا الاعلام الرباني هو عصمة الانبيا والملايكة ومجموع الامة دون كل واحد منهم
انتهى وقد تعاضدت اي تقوت وهو ماخوذ من العضد وهو ما بين المرفق الى
الكتف ولكون عمل الانسان واعتماده بذلك قيل عضدته بمعنى قويته كما
اشار اليه الامام الراغب الاخبار والاثار هما بمعنى وقد يفرق بينهما كما
تقدم اي قوي كل منهما الاخر حتى حصلت القوة التامة والمراد بهما ما اشتهر
من احوالهم وصفاتهم الماثورة المعروفة عند كل احد عن الانبيا كلهم
والمرسلين باسرهم وليس المراد انه نقل عنهم بل عرف منهم وفي حقهم فمن
قدرهم وعن غيرهم لم يصب بتنزيههم اي تبريتهم عن هذه النقيصة
بصاد مهملة اي الصفة المنقصة لمن اتصف بها منذ ولدوا اي من ابتدا
زمن ولادتهم الى اخر عمرهم والكلام على منذ ومنذ معروف في كتب النحو
ونشاتهم بالجر معطوف على تنزيههم والنشاة ابتدا خلقهم لا زمن شبابهم
كما توهم على التوحيد وهو عدم الشرك بالله والايمان بالله وبكل ما يجب
الايمان به بل للانتقال على سبيل الترقي على اشراق انوار المعارف جمع معرفة
والمراد معرفة الله تعالى وصفاته وكل ما يتعلق به واشراقها سطوع انوارها
منهم وشدة ظهورها في احوالهم واقوالهم ونفحات الطاف السعادة
والنفحة الرايحة الطيبة التي تفوح والسعادة اي كونهم سعدا الدارين
فشبه ما يلوح منهم من اماراتها برايحة طيب تعلق منهم فتعطر الكون
وفي الحديث ان لله في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها كما نبهنا عليه في
الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا فمن ارادة بنظره ثمة ولم ينقل
احد من اهل الاخبار عن احد غيرهم ان احدا نبي بالبنا للمجهول وهو احد
اي صيره الله نبيا واصطفى اي اصطفاه الله واختاره لذلك وهو مجهول
ايضا ممن عرف بكفر واشراك وهو من عطف الخاص على العام قبل ذلك
اي قبل نبوته واصطفائه ومستند اسم مفعول لاي ما يستند اليه ويعلم
به هذا الباب اي باب معرفة احوال الانبيا عليهم الصلاة والسلام النقل
عن اهل الاخبار والاثار وتؤيده العقل الدال على انه تعالى لا يختار
من خلقه لنبوته الا من كان كذلك فليس المراد الحصر ولذا عقبه بما يدل
على ان العقل موافق للنقل فقال وقد استدل بعضهم عليه بدليل
عقلي وهو ان القلوب والعقول السليمة تنفر اي تكره كلها نفورا عمن
كانت هذه اي صفة الكفر والشرك سبيله اي طريقه والمراد عادته وهذا
قيل ان فيه اشارة الى ان منهم من خالف في ذلك فجوز عدم عصمتهم عن الكفر
قبل النبوة الا انه ليس بصواب ولكنه نقل عن الباقلاني انه جوزه عقلا وانه لم
يقع ان الله بعث كافرا ولا فاسقا وفي المواقف اجمعت الامة على عصمتهم

دبجي

دبجي

به

عن الكفر قبل النبوة وبعدها كما تقدم وانا اقول ناقلا لما يؤيد ذلك ان قريشا
قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته عليه واصل الرمي في الاعيان
كرمي السهم والحجر واستعير للشتم والقذف كالرجم والمراد الهاذ منه ونسبته
لكل نقيصة مثل قولهم انه ساحر او مجنون او شاعر اي لم تترك شيا
من مفترياتها التي وسعتها قولهم حتى افترته عليه وعير بفتح العين
المهملة وتشديد المثناة التحتية وراء مهملة كفار الامم انبياها وفي
نسخة انبياءهم اي نسبوهم للعار وهو الامر الذي يستقبح وينفر
منه وقال الراغب عيرته ذممته من العار وقولهم تعاير بنو فلان
قيل معناه تذاكروا العار وقيل تعاطوا العيارة اي فعل العير في
الانفلات والتخلية ومنه عارت الدابة انتهى فالمعنى عيروهم بكل
ما امكنها وفي نسخة امكنهم اي تيسر لهم وجاد مقدوره منهم ه
واختلقته وكذبت عليهم بوصفهم بما ليس فيهم واصل الاختلاق
الشيء اختراعه من غير سبق لمثله فيعم كل كذب بما نص الله عليه اي ذكره الله
في كتابه الكريم وفي غيره من الكتب الالهية من تكذيبهم ورميهم بانواع
البهتان ونقلته الينا الرواة نقلا مستفيضا بحيث لا يمكن انكاره ولم
نجد في شيء من ذلك اي من الكتب الالهية والاخبار المروية او المراد به ما نقلته
الرواة لقوله بتعيير الواحد منهم اي من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
اي نسبتهم لعار بذمهم ووصفهم برفضه اي تركه بعد اتباعه الهته ان
كان هذا الضمير راجعا الى غير المعلوم من السياق فالامر واضح لا الواحد لانه
من الانبيا وليس لهم الهة اللهم الا ان يكون على طريق الفرض فحينئذ يصح
فيستفيد ذلك بالكتب الالهية والاخبار فاعرفه وتقريعه اي توبيخه وتعيير
بذمه اي ذم احد من الانبيا بتركه ما كان النبي صلى الله عليه وسلم
قد جامعهم اي وافقهم واجتمع معهم عليه اي على عبادته كما فعلوا
ولو كان هذا لكانوا اي كفار الامم بذلك اي تعييره وتوبيخه برجوعه
عن عبادة الهتهم التي كان موافقا لهم على عبادتها مبادرين بدال
وراء مهملتين اي مسارعين لذكره متفقين له على جميع ما افتروه
ويتلونه بالمثناة الفوقية ولام مفتوحتين وواو مكسورة
مشددة ونون وضمير مضاف اليه مفعول تلون تلونا اذا تغير وتنقل
من حال الى حال اخر تنقل من اللون كالبياض والصفرة [illegible] به عن
الاحوال كما عبر به عن الاجناس والانواع قال الراغب يقال فلان
اتى بالوان من الاحاديث وتناول الوانا من الطعام في معبوده
اي ما يعبده متعلق يتلونه المتصل بقوله محتجين اي مقيمين
الحجة والدليل فيقولون انت لا تستقر على دين تارة تعبد
هذا وتارة تعبد ذاك بما اسر فكه عن معبودك الاول ومعبود
قومك ولكان توبيخهم له اي توبيخ كفار كل امة لنبيهم

بنفيهم

بنهيهم مصدر مضاف للمفعول اي نهي النبي لامته عما كان يعبد قبل نبوته
افظع بفا وظاء معجمة اي اشد فظاعة وهي الشناعة والقباحة واقطع
بقاف وطاء مهملة اي اقوى واشد قطعا في الحجة اي الدليل الذي استدلوا
به عليه من توبيخه هو المفضل عليه فيما على التنازع اوالتجاذب بنهيهم
عن تركهم الهتهم ان قبل الظاهر عن الهتهم وتركه تركهم او عن تركه قبل
ضمير نهيهم للكفار وضمير تركهم للانبيا عليهم الصلاة والسلام وما كان
تعبد اباوهم من قبل اي قبل انبيايهم ففي اطباقهم اي اتفاق كفار الامم
واجماعهم يقال اطبق القوم على كذا اذا اتفقوا على الاعراض عنه اي
عن التوبيخ بما ذكر وهو اقوى واظهر في احتجاجهم على رسلهم
دليل على انهم لم يجدوا سبيلا وطريقا موصلا اليه في نقص او خبر اذ
لو كان لهم سبيل اليه لنقل الينا للجمهور اي نقل الرواة
لهم ذلك ونقل لنا من بعدهم احتجاجهم به ولم ينقله احد ولو
نقل لهم ذلك ما سكتوا عنه بل بادروا اليه قبل كل شيء كما لم يسكتوا
اي الكفار عن وفي نسخة عند تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة
فانهم وبخوا به وشنعوا حين سفههم الله فقال سيقول السفهاء
الاية وقالوا ما ولاهم اي صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها في اول
امرهم كما حكاه الله عنهم في القران والكلام عليه مفصل مشهور في كتب
التفسير والحديث وقد استدل القاضي القشيري هذا هو الامام
عبد الرحيم بن الامام عبد الكريم بن هوازن الاستاذ ابو نصر بن
الاستاذ ابي القاسم القشيري صاحب الرسالة المجمع على جلالته
وعلمه وزهده وامامته تخرج على امام الحرمين توفي سنة اربع عشرة
وخمسماية بنيسابور وله عدة اولاد كما فصله البرهان الحلبي وقال
انه لم يل هو ولا احد من اولاده القضا فقول المصنف له القاضي لا اصل
له وما قيل انه شخص اخر غير هو لا احتمال وراه لنقله عن شخص
غير معلوم موهم لغير مراده على تنزيههم عن هذا اي عن الكفر
والاشراك بالله قبل النبوة لا عن نقيصة الجهل بالله وصفاته والشك
في شيء لعدم مناسبته لما بعده وان كان منزها عن ذلك ايضا بقوله
تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية تقدم
ان الميثاق العهد وهو ماخوذ من الوثاق وهو حبل يشد به الاسير
استعير للعهد كما استعير له الحبل كما ورد في الحديث بيننا
وبينهم حبال وتمام الاية ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن
مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا غليظا وخص هؤلا بالذكر لشرفهم
وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم لشرفه وفضله على جميع الانبيا
والميثاق الذي اخذ عليهم هو تبليغ الرسالة ودعوة الخلق الى
دين الاسلام وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر به وكان هذا حين

عوضي

دجلي

كث وقدر كل ما هو كاين وقال مجاهد انه كان في عالم الذر ووجه الاستدلال
على الوجهين انه اذا عهد اليهم قبل ظهورهم بتبليغ دينه وتوحيده
فكيف يصدر عنهم ما يخالفه قبل النبوة وبعدها وهو معنى قوله صلى الله
عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة الحديث وبقوله تعالى واذ اخذ الله
ميثاق النبيين الى قوله لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه فعهد اليهم انفسهم او الى اولادهم فهو
على تقدير مضاف او اكتفى بذكر انبيائهم او سماهم انبيا تهكما لقولهم
نحن احق بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم الكلام على هذه
الاية وان للسبكي فيها تاليف مستقل لخصناه فيما مر قال القشيري
فطهره الله اي براه ونزهه عما لا يليق بعلي قدره في الميثاق اي حين اخذ
الميثاق عليهم في عالم الازل وبعيد غاية البعد عن العقول السليمة
ان ياخذ الله منه صلى الله عليه وسلم الميثاق والعهد الوثيق المحكم
بالايمان وامور الدين كله وكذا اخوانه من الانبيا والمرسلين قبل خلقه
وظهوره في عالم الارواح والذر وادم بين الما والطين ثم ياخذ ميثاق النبيين
بما عهده اليهم بالايمان به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته
على اعدائه ان ادرك زمانه فيتبعه ويكون من امته قبل مولده
اي زمان ولادته صلى الله عليه وسلم بدهور جمع دهر وهو الزمان
الطويل كما قيل

ان دهرا يلف شملي بسعدى ● لزمان يهم بالاحسان ●

فتجوز بتشديد الواو ويجوز تخفيفها ايضا من الجواز والتجويز
وهو منصوب معطوف على ياخذ اي وان يجوز الخ ويجوز رفعه
بتقدير وهو يجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب والضمير عايد
عليه صلى الله عليه وسلم فلا يجوز عليه ولا على غيره من الانبيا الشرك
ولا غيره من الذنوب بعد اخذ الميثاق عليهم قبل خلقهم بالايمان
واقامة شرعه القويم هذا اي تجويز الشرك والذنوب عليهم بعد
اصطفائهم واخذ الميثاق عليهم ما اي امر وشي لا يجوزه عليه وعليهم
الا شخص ملحد فاسد العقيدة عادل عن طريق الحق ونهج الصواب
يقال لحد اذا حفر حفرة مايلة عن الوسط كلحد القبر ثم عم لكل ميل
يقال لحد والحد وشاع في الميل عن الحق وصار حقيقة فيه هذا
المذكور معنى كلامه اي كلام القشيري واستدلاله على ما ذكر قال
وكيف يكون ذلك وفي نسخة وكيف ذلك وفي اخرى فكيف وهو
اسم استفهام عن الكيفية والهيئة التي وقع عليها الامر تجوز به
عن التعجب الانكاري فهو انكار لتجويز ما ذكر عليه بانكار حالته
التي يكون عليها لان كل امر لا ينفك عن حالة وصفة يكون
عليها فاذا انكرت حالته لزم انكار وجوده كناية على وجه برهاني

اقوى

اقوى من انكاره ابتداء كما قرره وفي قوله كيف تكفرون بالله وقد تكون المسالمة سنة
لنحو من ما ذكر وقد اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام كما تقدم من انس
في رواية مسلم وشق قلبه صغيرا اي في حال صغره وهو عند مرضعته حليمة
كما تقدم تفصيله واستخرج منه علقة اي قطعة صغيرة من دم منجمد
تشبه العلقة الكبرى وقال جبريل عليه الصلاة والسلام هذا المستخرج
حظ الشيطان منك اي نصيبه في وسوسته لبني ادم الذي تيسره من غيرك
لقبوله ما يلقيه له وباخراجه لم يبق له عليه سبيل كغيره من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين وجعلها انفس الخلائق بالجنة وقد تقدم فيه كلام تفصيل ثم غسله بما
زمزم او الكوثر كما تقدم اي قلبه الشريف وملاه حكمة وايمانا تمثيلا
لاستقرارهما فيه او انه تعالى جسم ذلك بقدرته وقد تقدم الكلام عليه
مفصلا في قصة الاسرا كما تظاهرت اي اشتهرت وقويت من فوقهم ظاهرهم
اذا اعانه به الى بشق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم وقد وقع
مرارا كما تقدم اخبار المبدا اي الاحاديث الصحيحة الواردة في ابتدائه
ونبوته فهو مصدر ميمي واسم زمان او مكان والاول اظهر ولا يشبه عليك
بضم اوله وفتح ثانيه المعجم وفتح الموحدة المشددة مبني للمجهول اي لا يشبه
عليك ويوقعك في شبهة ولبس كقوله تعالى ولكن شبه لهم وهذه
شبهة شرع في دفعها لايهامها في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام
ما يخالف ما قدمه في تنزيههم عن الشك في معرفة الله وصفاته بقول
ابراهيم اي بسبب قول الخليل عليه الصلاة والسلام لما جن عليه الليل
في الكوكب اذ راه طالعا والقمر اذ راه بازغا والشمس هذا ربي هذا اكبر
الاية اي لا يقع في شبهة مما وقع لابراهيم عليه الصلاة والسلام من اطلاقه
على هذه الكواكب ربا وهو من كبار اولي العزم وذلك اشارة الى ما روي
وهو انه عليه الصلاة والسلام لما كان في السرب قال لامه من ربي
قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي فقالت اسكت فقالت
لابيه الغلام الذي تحدثوا بانه يغير دين اهل الارض هو ابنك واخبرته
بما قال ثم اتاه ابوه فقال له مثل ذلك فلطمه ثم قال لابويه اخرجاني
من السرب فاخرجاه فنظر ابلا وغيرها سارحة فقال لا بد لهذه من خالق
يطعمها ويسقيها ويفكر في خلق السموات والارض فقال ان الذي خلقني
ورزقني هو ربي لا اله سواه ثم نظر الى كوكب طالع وهو المشتري
او الزهرة طالعة فقال هذا ربي الى اخر ما قصه الله عنه وهذا
ما ذكره اهل الاخبار والى جواب هذه الشبهة اشار المص بقوله فانه
قد قيل كان هذا في سن الطفولية هو مصدر طفل اذا كان طفلا اي
ولدا صغيرا كما تقدم لكن الذي ذكره الراغب وغيره ممن يعتمد عليه
من اهل اللغة انه يقال طفل طفولة وطفالة فاذا كانت الطفولية

مصدرا لاحتجاج لنا الانسة التي تضيئ بها الحوامد مصادر فان مثله سماعي كالخصوصية كما فصله المرزوقي وغيره من ايمة اللغة الا ان المم نقبة فلعله وقف عليه وابتدا النظر والاستدلال على وحدانية الله تعالى و وجوده لقوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وقيل لزوم التكليف في ابتدا تمييزه من غير تثبت على ما قاله بل اراد الاستدلال على وجود صانع قديم لا يجرى عليه تغير الا انه جواب متعيف ه لاقتضائه صدور شرك منه في صغره ومثله لا يليق بمثله عليه الصلاة والسلام وكونه تكلميها لابويه وقومه على خطائهم في عبادة غير الله جواب اخر فادخاله في الكلام هنا غير مناسب لمنافاته لقوله وابتدا النظر الخ وذهب معظم الحذاق جمع حاذق وهو من له ذكاء وفهم ومعظم بمعنى اكثر من العلما والمعتبرين اشارة الى ضعف ما قبله وان قائله لا يعتد به الى انه عليه الصلاة والسلام انما قال ذلك اي هذا ربي الخ تبكيتا وفي نسخة مبكتا وينا سبها المعطوف الاتي لقومه لانهم كانوا يعبدون الكواكب والتبكيت بالمثناة الفوقية والموحدة وكاف ومثناة تحتية ساكنة واخره مثناة فوقية وهو اللوم والتقريع يقال بكته اذا عنفه واستقبله بمكروه او غلبه بحجة وكل منهما صحيح هنا وفي الكشاف انه قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل وهو جواب اخر قريب مما ذكر ومستدلا عليهم بالزام الحجة لان الظهور والاحتجاب تغير يوذن بالحدوث مناف للالوهية فاراد ارشادهم الى النظر بارخا العنان حتى يتعادوا للحق من غير عناد وقيل معناه اي معنى قوله هذا ربي هذا اكبر الاستفهام الانكاري بتقدير الهمزة كما بينه بقوله الوارد موردا الانكار الذي صدر منه مصدر الانكار لا على طريق الشك ولا الاعتقاد ولا بعد فيه وان كان الاشهر عدم التقدير والمراد افهذا ربي اي لا يليق بمثله ان يكون ربا معبودا وقال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم وفي نسخة قولهم اي هو حكاية لقول الخصم حتى يكر عليه بالابطال كما تقدم في كلام الكشاف كما قال الله تعالى في آية اخرى اين شركاي فاضافهم الى نفسه لما سالهم تهكما منه اي عندكم اي كونهم شركاه على زعمهم وادعائهم كما في هذه الاية فسماهم الله شركا باعتبار اعتقادهم الفاسد وقومه ان كانوا يعبدون الكواكب منوطا بهم وان كانوا يعبدون الاصنام فابطال الوهية الاجرام العلوية النيرة يقتضي ابطال غيرها بالطريق الاولى وفي شرح المواقف هذا الكلام صدر عن الخليل عليه الصلاة والسلام قبل تمام النظر في معرفة الله وكم بينه وبين نبوته اذ لا يتصور نبوة الا بعد تمام ذلك النظر فلا اشكال او يختار انه لم يعتقده فيكون كذبا

دجي

ابن اعتوس

صادرا

تبادر اي قبل البعثة او هو على سبيل الفرض ارشادا للقومه كما في برهان الخلف اي
الكواكب لو كانت اربابا كما هو عقيدتهم لزم ان يكون الرب متغيرا او دكلا باطلا وفيه
ما فيه ويدل على انه اي الخليل عليه الصلاة والسلام لم يعبد شيئا منه كذا اي من
جنس الكواكب والاوثان ولا اشرك فطلا لاستغراق الازمنة بالله عز وجل طرفة
عين اي في اقل الازمنة وطرفة العين مقدار تحريك جفنيها من اعلى لاسفل
ويكنى به عن غاية القلة وطرفة مصدر منصوب على الظرفية الزمانية ومثله
كثير قول الله فيما حكاه عنه اذ قال لابيه لازر وقومه ما تعبدون سايلا
لهم منصفا العبادة لهم قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين الاية
ثم قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لهم افرايتم ما كنتم تعبدون
انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين يريد انهم اعدا
لعابديهم لتضررهم بعبادتهم فوق ضرر اعدي اعدائهم وهو الشيطان
فصور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في النصح من التعريض واشعارا
بانها نصيحة بداتها بنفسه ليكون ادعى الى القبول كما قاله البيضاوي
وقوله الا رب العالمين استثنا منقطع والقول بان هذا الايتم لاحتمال
انه بعد النبوة لا وجه له وفي المقام كلام ينبغي عنه البيان فحسبكه
ما فيه شفا الصدور وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك فسلامته
منه ذ ليدل على انه لم يعرض له اصلا وقوله واجنبني وبني ان نعبد
الاصنام اي باعد بيننا وبين عبادتها فهذا ايدل على انه هو وذريته
لم يصدر منهم شيء من ذلك فان قلت فما معنى قوله اي قول ابراهيم
عليه الصلاة والسلام بعد اقول الغر لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم
الضالين فانه ربما يتوهم منه انه في شبهة مما قيل في الجواب انه اراد
به الاستيقان بربه وقد استعجز نفسه وعلم ان انما يهتدي بتوفيق
الله له فقال لقومه ان لم يؤيدني بمعونته اي يقويني اكن مثلكم ايها
القوم في ضلالتكم وعبادتكم لغير الله وانما قال هذا وهو معتقد بلا شك
على معنى الاستغناء فيحا قومه تزجيا لهم والحذر اي الخوف من الله والاحتراز
عما هم فيه والا اي وان لم تحمل ما ذكره على هذا لم يكن لذكره هنا فائدة
فهو معصوم في الازل قد بما في قضاء الله له بالسعادة وتطهيره فطرته
من الضلال وهذا السؤال وارد على ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام عن الريب والشبه وبعض الشراح هنا خاطب لبس تركنا ما كثر
به سواده فان قلت فما معنى قوله تعالى في سورة ابراهيم وقال
الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فالعود
يقتضي انهم كانوا على دينهم وكونهم وهم معصومون من ذلك قبل
البعثة وبعدها كما تقدم قرفا لانه يشكل ظاهرها عليهم ثم قال الله
عز وجل بعد بالبنا على الضم اي بعد قول الذين كفروا ما ذكر وقبل
بعد قوله لنخرجنكم من ارضنا الاية وسياتي ما فيه عن الرسل

ابن اقبرس

ابن اقبرس

دجلي

اي حاكيا عنهم وما تقدم كان محكيا عن قومهم لا عنهم و الغالب اظهر في
الاشكال لان قومهم قد يظنون انهم قبل البعثة كانوا على دينهم واما
الرسل فعلى يقين من خلافه فكيف يصح منهم ان يقولوا او يرد على التقدير
الثاني ان قوله تعالى قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ
نجانا الله منها الحسن بعد هذه الاية فان الاولى في سورة الاعراف
وهذه في سورة ابراهيم وكونها بعدها في النزول يحتاج الى نقل
وقيل انها بعدها في الجملة لان القصة واحدة وهي قصة شعيب وليس
المراد بالرسل جميعهم بل الجنس الصادق على الواحد وقد وقع جوابا
للكفرة بهو اقوى في الشبهة فانهم لا يقولون على انفسهم ما لم يتصفوا به
لانهم منزهون عن الكذب ومعنى قد افترينا على الله الكذب اي ما
اكذبنا على الله ومعنى نجانا الله منها عصمنا عن الميل اليها فضلا عن
الدخول فيها وجواب الشرط مقدر يدل عليه ما قبله وهو ماض لفظا
مستقبل معنى لدخول حرف الشرط عليه تقديرا وقد يقرب به له
للحال اذا عرفت هذا فلا يشكل عليك لفظة العود بمعنى الرجوع
الى الكفر المقتضية لاتصافهم به اولا وهم معصومون منه قبل
البعثة وبعدها كما قرر اولا فتشكل هي وانها تقتضي اي تستلزم
بحسب الدلالة انهم اي الرسل انما يقع دونه اي يرجعون الى ما كانوا
فيه اي داخلين فيه ومتصفين به من ملتهم يعني الكفر لان الملة تطلق
عليه كالدين فان هذه اللفظة اي لفظة العود وردت كثيرا في كلام العرب
الفصحاء لغير ما ليس له اي لما لم يثبت له ابتداء اي قبل حالة التي هو
عليها تماما فيها بمعنى الصيرورة وهي وجود الشيء بعد ان لم يكن
بعود صار لفلان كذا او صار غنيا بعد فقر وفي المحصول ان ما صار
اليه شرع نسخ وقيل التغليب لذلك ان منهم فادخلوا فيهم بطريق التغليب
او هو باعتبار ظنهم وزعمهم او على حد قولهم ضيق فم الركية بجعل
المتوهم كالمحقق وفيه كلام في شرح المفتاح وحواشيه كما جاء في حديث
الجهنميين اي الحديث الذي في حق اهل جهنم المروي في الصحيحين عن
ابي سعيد الخدري عادوا حمما بضم اوله وفتح ثانيه بزنة صردا
اي سودا كالفحم جمع حممة واوله اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار يقول الله من كان في قلبه حبة خردل من ايمان فاخرجوه
فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمما فيلقون في نهر الحياة فينبتون
كما تنبت الحبة في حميل السيل وعاد هنا بمعنى صار ولم يكونوا اي
الجهنميون قبل ذلك كذلك اي حمما ومثله اي مثل الحديث
في ان عاد بمعنى صار وجد وان لم يكن موجودا قبل قول الشاعر
هو امية بن ابي الصلت من قصيدة مدح بها سيف بن ذي يزن
ملك اليمن لما ظفر بالحبشة وقد غلبوا على ملكهم وغزاهم ونفاهم

عن

عن بلاده وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فاتته وفود العرب
تهنئه وفيهم قريش وعبد المطلب فانشده امية بن ابي الصلت قوله

لا يطلب الثار الا كابن ذي يزن • يتمم البحر للاعداء احوالا •
اتى هرقلا وقد شالت نعامتهم • فلم يجد عنده النصر نسالا •
ثم انتحى نحو كسرى بعد تاسعة • من السنين يهين النفس والمالا •
حتى اتى ببني الاحرار يقدمهم • تخالهم فوق متن الارض اجبالا •

الى ان قال فيها

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا • في راس غمدان دارا منك محلالا •
واشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم • واسبل اليوم من برديك اسبالا •
تلك المكارم لا قعبان من لبن • شيبا بماء فعادا بعد ابوالا •

وعارضها بعضهم بقصيدة منها في مدح الصوفية فقال

لله تحت قباب العز طايفة • اخفاهم في ثياب الفقر اجلالا •
هم السلاطين في اطمار مسكنة • استعبدوا من ملوك الارض اقيالا •
غبر ملابسهم شم معاطسهم • جروا على فلك الخضراء اذيالا •
هذي المناقب لا ثوبان من عدن • خيطا قميصا فعادا بعد اسمالا •
هذي المكارم لا قعبان من لبن • شيبا بماء فعادا بعد ابوالا •

والقصيدة الاولى بتمامها في ديوانه وفي كثير من كتب الادب والتاريخ والسير باسانيد صحيحة ولها قصة مشهورة وفيها البشارة ببعثته صلى الله عليه وسلم كما فصلته وليس الشعر المذكور منها كما توهمه من لا خبرة له بالادب واساليب كلام العرب وليس كما قيل لابي الصلت ولا للاعشى ولا للنابغة ولا لعمر بن عبد العزيز وانما تمثل رضي الله عنه بهذا البيت فتوهم الحافظ الحلبي انه له وهذا مثل في الفخر بمعالي الامور وعدم التنزل لسفسافها وشيبا بمعنى خلطا ومزجا والقعب اناء معروف يعود اليك في معاد وقصور رفيعة متلذذا بالحبور اثر الشرور تجود بالاموال لست كعرب البادية الذين جودهم سقي ضيفهم لبنا بماء مزج به يعود في يومه بولا منافيا وجودك بمكارم واموال تبقى عند من انعمت عليه فشتان بينك وبين غيرك فعاد هنا بمعنى صار لانه لا يتصور انهما كانتا بولا قبل ذلك والله اشار بقوله وما كان ما ذكر قبل ذلك كذلك اي بولا وهو ظاهر وانما اطلنا فيه لما في الشرح هنا من الخلط ثم اورد شيئا لا آخر على ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام فقال فان قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى الخطاب له صلى الله عليه وسلم واصله فهداك فحذف المفعول رعاية للفاصلة فانه يقتضي نسبته صلى الله عليه وسلم للضلال قبل البعثة والضلال شرعا اما بالكفر او بارتكاب المعاصي وهو صلى الله عليه وسلم منزه عنهما وجوابه قوله فليس هو من الضلال الذي هو الكفر فانه صلى الله

خ نعامته

خ فاشرب بالمسك اذ شالت نعا

وفي

عليه وسلم معصوم من المعاصي قبل النبوة وبعدها فضلا عن الكفر واذا كان
كذلك فقيل معناه هنا وجدك ضالا عن النبوة فهداك اليها لان الضلال
معناه لغة العدول عن الطريق المستقيم وضده الهداية فكل عدول ضلال
سواء كان عمدا ام لا فمعناه غير مهتد لما سبق لك من النبوة كقوله فعلتها
اذا وانا من الضالين كما ياتي قاله اي التفسير المذكور محمد بن جرير الطبري
وقد قدمنا ترجمته وقيل في معناه وتاويله وجدك بين اهل الضلال
فعصمك عن ان تنتظم في سلكهم وتعد منهم فصانك من ذلك اي من
الضلال وموافقة اهله فيه وهداك للايمان بالله ومعرفته اذ جعله
فطرة لك لم اودع فيك ما يرشدك له لعقلك السليم اي ارشدك له بالوحي
والى ارشادهم اي ارشاد من لم يكن مهتديا للحق افعال من الرشد ضد الغي
وهو قريب من الهداية كما قاله الراغب وله معان احز اليه اي الى الايمان
وسلوك الطريق المستقيم بتبليغ ما اوحي اليه ونحوه اي قريب منه ومشابه
له ونحوه نقل عن السدي رحمه الله وقد تقدمت ترجمته ونقل ذلك
ايضا عن غير واحد اي عن ناس كثيرين من اهل التفسير فعلى هذا الضلال
بمعناه المشهور وليس متصفا به ولكنه لكونه بين اهله اطلق عليه
مجازا لعلاقة المجاورة وليس من قبيل قولهم بنوا فلان قتلوا قتيلا
كما لا يخفى ولم يتبين وجهه الشراح هنا وقيل معناه المراد ضالا عن
شريعتك التي اوحاها الله سبحانه وتعالى اليك اي لا تعرفها قبل
ان اوحي اليك فالضلال بمعنى الغفلة وقد ورد بهذا المعنى كقوله
ان تضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى كما قيل له صلى الله عليه وسلم
بعد ما اوحي اليه فلا تكن من الغافلين وياتي ايضا انه بمعنى النسيان
واستدل له بهذه الاية ومثله قبل البلاغ ليس بنقص كذا قيل فهداك
اليها وذلك الي ما لا تعرفه وانت طالب له فعلمك ما لم تكن تعلم وقوله
والضلال هاهنا اي في هذه الاية على هذا القول التحير اي الوقوع في
الحيرة حتى لا يدري اين يذهب وما يفعل حيرة تمنت فاي فتى رام عرفا
فلم يجد لا يناسبه فانه ليس للعاقل والناسي حيرة فالظاهر تفسيره
بعدم المعرفة كما صرح به ومن لم يعرف شيئا وطلبه تحير فتدبر ولهذا
كان صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي عليه يخلو اي يختلي ويعتزل
الناس بغار حراء بالصرف وعدمه اسم جبل بمكة كما تقدم في طالب
ما يتوجه به الى ربه اي سبب يقتضيه باطنه واعمال فكره في وسيلة
توصله الى الله ويتشرع به اي يتخذه شريعة وعبادة تقربه له
وفي نسخة يتشرع بلا تاء بضم اوله وكسر ثالثه وشينه معجمة وقيل
انه بسين مهملة من الاسراع في اصلاح وقيل الرواية الصحيحة
في الاصول الاول وهو الاظهر ولم يزل صلى الله عليه وسلم يفعل
ذلك حتى هداه الله ودله دلالة موصلة الى الاسلام والدين الحق

بما

بما اوحاه عن الله كما تبين في بدء الوحي قال اي حكي كما في نسخة معناه الامام
القشيري الذي تقدمت ترجمته يعني انه صلى الله عليه وسلم كان موحدا
في اول امره طالبا لاتمام النعمة عليه بهداية لما يرضيه ويكمله فمن عليه
بذلك وقيل معنى ضالا لا يعرف الحق اي الدين الحق لانه لا يعرف الا بالوحي فهداك
اليه بما اوحاه له وهذا في المعنى مثل قوله عز وجل وعلمك ما لم تكن تعلم
من الشرع واحكامه او من خفيات واسرار الله التي لم يقف عليها ومعنى ما لم
تكن تعلم ما لم يكن في قوتك وقدرتك علمه ولذا عدل عما لم تعلم وهو
اخصر واظهر واما كونه لغوا لان كل احد انما يعلم ما لم يعلم اذ تعليم ما يعلم
تحصيل للحاصل وكذا قال السبكي في عروس الافراح وغيره ان قوله علم
الانسان ما لم يعلم يتقدر بما لم يكن يعلم فليس بشيء لانه للامتنان او يتناول
ما لم يكن من مقامك علمه والوقوف عليه ومر لهذا تتمة عن بعض حواشي
المطول قاله علي بن عيسى الامام في العربية والكلام شارح الكتاب المعروف
بالرماني وقد تقدمت ترجمته قال ابن عباس في تفسير هذه الاية لم يكن
له اي من شانه وصفته ضلالة معصية اي ليس الضلال هنا بمعنى مرتكب
المعاصي لعصمة الله له فالضلال مأول ومفسر بما مر وقيل معنى هدى
هنا اي بين امرك للناس بالبراهين والادلة القاطعة لعرق الشبه فيك
وفيما جئت به حتى صرت لا تخفى على احد والبرهان الدليل اليقيني ومن
تفسيره الهداية علم معنى ضالا وانه وجدك خفيا وكنزا مخفيا لم يعرفه
الناس ولم يطلعوا على شانه وعلو قدره فاظهره الله حتى ذاع وشاع وملا
الافكار والاسماع فتقدير مفعوله على هذا هدى الناس كلهم وهدى
العقول وقيل معناه وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى
المدينة بان جعلها دار هجرتك ومثواك فالمراد انه بعد البعثة ودعوة
الناس لدينه مع ما كان عليه قومه في القيام عليه صلى الله عليه وسلم
واذيته وهجرة بعض المسلمين للحبشة كان في حيرة مترددا في الاقامة بمكة
والهجرة للمدينة يرجو ان يؤذن له في الهجرة الى ما حتى اذن الله له في ذلك
كما فصل في السير وقيل المعنى وجدك قائما باعباء الرسالة وتبليغها
وهو على الرتبة تلك قيل ووقوعه ولكن هو تمثيل وتنويه باسمه وبمحبة الله
له فكانه امر مطلوب لعظم عثوره عليه كما يقال العلم ضالة المؤمن
فهدي بكلامنا لا بارشادك له فما لا معقول لهدى قدم عليه لرعاية الفاصلة
وليس صفة له حتى يتوجه السؤال وهو وجه متكلف يحدثه على قائله لانا
وعن جعفر بن محمد هو جعفر الصادق الذي تقدم ومحمد هو الباقر بن
زين العابدين فقال جعفر معناه ووجدك ضالا عن محبتي لك اي لم يظهر
لك الى الحد تلك حبيبا لي مقربا عندي في الازل اي في العدم وقد خلقتك
اي لا تعرفها هو معنى ضالا فمننت عليك بمعرفتي اي التعت وتفضلت
لاني احبتك وهو تفسير لقوله فهدى فعلى هذا لا يتوهم فيه نقص

قله

لان معناها ليس احد اكرم علي منك قال في المجمل الازل القدم واصله الهم
قالوا القديم لم يزل ثم نسبوا اليه باختصار فقالوا يزلي ثم ابدلوا الياء همزة
فهو من النحت عنده وقال غيره هو من الازل وهو الضيق لضيق القلوب
عن تقديره وهي كلمة محدثة وقرا الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما
ووجدك ضال بالرفع فالضال له صفة لغيره على هذه القراءة الشاذة
فلا يرد السؤال فهدى وهو على هذا الامر اي اهتدى بك لسعادة الدارين
او المعنى فهداه الله بك ويجوز ايضا على القراءة المشهورة ان يكون فاعل
وجد ضمير الواجد المفهوم منه وضالا حال من هذا الضمير وهو بعيد
وقال ابن عطا في تفسير الاية ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي فهداك
بانوار هدايته وعنايته ولما كان هذا خلاف المشهور في اللغة بينه
بقوله والضلال ويرد بمعنى الحب كما قال الله تعالى انك لفي ضلالك القديم
هو من كلام اخوة يوسف عليهم الصلاة والسلام لابيهم حكاه الله عنهم
اي فارادوا انك على محبتك القديمة ليوسف لا تنساه وهذا منقول عن
قتادة وسفيان وقيل ارادوا ابطلا له خطوه وقيل جنونه من حب
يوسف عليه الصلاة والسلام كما قاله الحسن ولم يريدوا اي لم يقصد
اولاد يعقوب ههنا اي فيما حكي عنهم في هذه الاية ضلالة في الدين بانه
يعتقد واخطاه في دينه باعتقاد ما يخالفه او اصرار على ما ينافيه اذ لو
قالوا ذلك معتقدين مثله في نبي الله الذي عصمه الله عن الخطا
في دينه علما وعملا لكفروا في اختراعهم على نبي الله ونسبته لما لا يليق
به وتكفيره ومثله كفر في الشرع فلذا فسر الضلال بالمحبة ومثله
اي مثل كون الضلال بمعنى المحبة في هذه الاية انا لنراها في ضلال
مبين هو في حق زليخا وقد شغفها حب يوسف عليه الصلاة
والسلام اي فان المناسب للمقام انه بمعنى محبة بينة اي ظاهرة
مكشوفة لافتضاحها عند هذا اي ابن عطا الذي فسر الضلال بالمحبة
فوضع اسم الاشارة موضع الضمير لتمييزه اكمل تمييز وفي بعض
النسخ ومثله عنده هذا الخ وقال الجنيد في تاويل هذه الاية وهو
ابو القاسم بن محمد الزاهد العابد شيخ وقته ونسيج وحده
واصله من نهاوند ونشا بالعراق وتفقه باخذه عن الثوري
رحمه الله وسفيان واخذ الطريقة عن السري السقطي والطابعي
المحاسبي
وتوفي سنة سبع وتسعين ومايتين وهو من فقهاء الشافعية
كما في طبقات السبكي ودفن بالشونيزية عند خاله السري
ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك من القران تفسير لقوله
ضالا فهداك لبيانه باظهاره وبيان ما خفي من معانيه
في حال تبليغه لامته كقوله وانزلنا اليك الذكر الاية المراد
بالذكر القران لما ذكر من التذكير والموعظة لتبين للناس ما نزل

اليهم

اليهم مما خفي عليهم فالضلال التحير فيما شق عليه في ابتداء امره ومثله لا ضير فيه
وقيل معناه ووجدك ضالا بمعنى انك في خفاء كان بين الناس كمن ضل فتاه
وفارق قومه حتى خفي امره عنهم فهو استعارة وعبارة عن انك لم يعرفك
احد من الناس ولم يعرفوا اتصافك بالنبوة حتى اظهرك الله فهدى بك السعداء
اي من اسعده الله بمعرفتك واتباعك والايمان بك وفي الاية وجوه كثيرة
منها انه بمعناه الحقيقي لانه وهو طفل ضل في شعاب مكة فرآه ابو جهل
لعنه الله ورده لجده عبد المطلب كما رواه ابن عباس وعن ابن جبير انه
خرج مع ابي طالب في سفر فاخذ ابليس بزمام ناقته وعدل به عن الطريق
في ليلة ظلماء فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام ونفخ ابليس نفخة رماه بها
للهند ورده صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله عليه بذلك وعن
كعب ان مرضعته حليمة لما اتت به لترده لعبد المطلب جلست لتصلح ثيابها
فلم تره وسمعت هدة شديدة فقالت اين الصبي قالوا لم نره فصاحت وامحمداه
فرآه ابليس لعنه الله على هيئة شيخ متكئ على عصا وقال اذهبي لهبل يرده
عليك ثم جاء وقبل راس الصنم وقال له رد ابن السعدية عليها فانكبت
الاصنام وقالت له اليك عنا فانا نغد وقال لها الابنك رب يحميه فاطلبيه
فطلبته في جماعة من قريش فيهم عبد المطلب فتضرع الى الله قايلا في ذلك

يا رب رد ولدي محمدا ... فاردده لي واتخذ عندي يدا

تشمله قومي كلهم تبددا فسمعوا مناديا يقول لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يضيعه
وها هو بتهامة عند شجرة فوجدوه عندها يلعب باوراقها وقيل المعنى
ووجدك ضالا عن طريق المعراج فهداك له ولا اعلم احدا من المفسرين قاله
فيما اي في تفسير الاية ووجدك ضالا فهدى ان معناها ضالا عن الايمان لانه
صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا معصومون قبل النبوة وبعدها عن
الكفر وكل ما ينفر عنهم القلوب وفي الكشاف من قال من انه صلى الله عليه
وسلم كان على امر قومه اربعين سنة ان اراد خلوه عن الامور السمعية فنعم
وان اراد انه على كفرهم ودينهم فمعاذ الله فانه صلى الله عليه وسلم
وساير الانبيا معصومون قبل النبوة وبعدها عن الكباير والصغاير
الشانية فما بالك بالكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء
وكفى نقيصة عند الكفار ان يسبق منه كفر انتهى وما نقل عن الكلبي والسدي
من ان الاية على ظاهرها ومعناها وجدك كافرا في قوم كفار مخالف للاجماع
وبعيد عن الادراك ان ينسب صلى الله عليه وسلم الى اشراك ولهذه
الرواية الشاذة بل الفاسدة رد الزمخشري فيما قاله والعجب ممن نقل
هذه المقالة وقال لا وجه لترديده مع حملها على الشق الثاني وكذلك
اي مثل اية ووجدك ضالا فهدى في تاويلها قوله تعالى في قصة موسى
صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى عنه قال فعلتها اذا وانا من الظالمين
الضالين وقرا ابن مسعود من الجاهلين اي ومعناه من المخطئين

ابن اقبرس

الفاعلين شيئا بغير قصد وتعمد لقتل النفس لتي قتلتها او الذاهبين الى ما يفضي
اليه الوكز فقصدا من التاديب وهذا معنى جايز قبل النبوة فلا يتوهم من هذه الاية
ان فيها نقيصة لموسى عليه الصلاة والسلام لان الضلال بمعنى الخطا وضمير
فعلتها للفعلة التي فعلها وهي قتله قبطيا من اتباع فرعون بمصر قبل
نبوته وبخه فرعون عليها لما دعاه وعدد نعمه عليه بقوله الم نربك فينا وليدا
الى قوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين فاجابه بقوله فعلتها اذا
وانا من الضالين فوصف نفسه بالضلال وهو معصوم منه فاجاب بان الضلال
بمعنى الخطا وعدم القصد لقتله وانما اراد دفعه فوكزه فمات من وكزه
ومثله لا ضير فيه لانه خطا معفو عنه وياتي الكلام على ذلك ايضا قاله اي
قال هذا التفسير لهذه الاية ابن عرفة وهو الحسن العبدي المودب المحدث
الثقة الذي روى عنه الترمذي وغيره وهو معمر عاش مائة وسبع او عشر
وتوفي سنة سبع وخمسين ومائتين وهو المراد هنا عند الحافظ الحلبي وغيره
لا ابن عرفة الذي هو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه
وقال التلمساني انه المراد هنا وفيه نظر وقال الازهري ابو منصور محمد بن
احمد امام اهل اللغة صاحب التهذيب توفي سنة سبعين وثلاثمائة معناه
اي معنى من الضالين في الاية من الناسين وعروض النسيان للانبيا عليهم الصلاة
والسلام جايز وهو تكذيب لفرعون في قوله وفعلت فعلتك التي فعلت
وانت من الكافرين والمراد به عدم القصد اذ القتل لا يكون نسيانا اللهم
الا ان يريد نسيان انه من القبط وجند فرعون وهو الظاهر لقوله وقد
قيل ذلك اي ان الضلال بمعنى النسيان في قوله عز وجل في حق نبينا
صلى الله عليه وسلم كما تقدم ووجدك ضالا اي ناسيا فهدى اي فهداك
وذكرك كما قال ان تضل احديهما اي تنسى احدى المراتين ما شهدت
به فتذكرها الاخرى ما نسيته ثم ورد ايه اخرى يخالف ما قرر من
عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الشرك وكل ما ينفر كالجهل فقال
فان قلت فما معنى قوله عز وجل لنبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ووجه السوال
انه نفى عنه صلى الله عليه وسلم معرفته بالقران المنزل عليه وبالايمان
والاول صحيح لان عدم معرفته بالقران قبل الوحي امر مقرر والمشكل انما
هو الثاني لانه يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يكن مومنا قبله وهو
معصوم عن الكفر قبل النبوة وبعدها كما تقدم فلذا قيل ان المراد
به الايمان بما يجب الايمان به من احكام الشريعة لا بمجرد التوحيد والتصديق
والكل ينتفي بانتفاء جزئه ولا حاجة لما تكلفه بعضهم من ان الايمان المراد عرضي
به ما ذهب اليه المحدثون وهو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل
بالجوارح ومجموعه لم يكن معلوما له صلى الله عليه وسلم قبل الوحي
فالجواب عما ذكر في هذه الاية ان السمرقندي هو الامام ابو الليث رحمه

الله وقد تقدمت ترجمته قال معناه اي ما ذكر في هذه الاية ما كنت تدري قبل الوحي
ان تقرا القران اي لا تعرف قراءته ولا دراسته ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان
وقيل انه بعيد غاية البعد فان قدر مثله في النظم فلا قرينة تدل عليه وقد
يقال يعني الايمان عهدي والمراد به ايمان امته اي لا تدري كيف يؤمن قومك
وباي طريق يدخلون في الايمان وملة الاسلام وهو بدعوته له وسيتضح بيانه
قريبا وقال بكر القاضي تقدمت ترجمته نحوه اي نحو ما قاله السمرقندي بما هو

دلجي

قريب منه قال اي بكر لا السمرقندي كما قيل ومقوله هو قوله بتوحيده ولا
الايمان مصدر بمعنى المفعول اي ما يجب الايمان به الذي هو الفرائض والاحكام
الشرعية التي كلف بها علما وعملا مما لابد منه قال اي بكر فكان صلى الله عليه وسلم
قبل اي قبل نزول الوحي ومجيء الملك له مؤمنا اي مصدقا بتوحيده وانه
لا اله الا هو ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل اي قبل نزولها وقبل
بعثته فزاد بالتكليف اي بسبب ما كلفه الله من الفرائض ايمانا وهو اي ما
قاله السمرقندي وابو بكر احسن وجوهه اي احسن ما وجهت به هذه الاية
واحسن تفاسيرها لانه تعالى لم يرد انه صلى الله عليه وسلم لا يدري وانه
لا يعرف الايمان لانه لو كان كذلك قال ما كنت تدري الكتاب ولا الايمان فلما
اتى بما الاستفهامية كان معناه انه لم يدر حال الكتاب وحال الايمان وحال
الكتاب تلاوته وحفظه وهو امي لا يعرفه وحال الايمان لم يرد به ايمان النبي
بالله وهو مجبول عليه متيقن له من ابتدا خلقه الى اخره فالمراد به ايمان غيره
من امته وهو انما يعرفه بما يعلم المضمر في قلوبهم الا اذا دعاهم فاجابوه
وطابق لسانهم جنانهم فهذا التفسير له بلازمه البين وهو وجه دقيق
كما اشار اليه المص ومن لم يتفق على مراده قال على هذا الايمان في هذه الاية

عوضي

معناه التصديق والاقرار والعمل والتصديق بما جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم هو معناه الحقيقي شرعا وما عداه غير داخل فيه الا على قول واما
تفسيره بدعوة الخلق ومعرفتها فلم يقله احد فكيف يكون ما ذكره وجها
حسنا ولا دلالة للفظ عليه بوجه من الوجوه والمراد ما قدمناه وقيل معناه
ما كنت تعرف الكتاب قبل نزوله عليك ولا الايمان بالفرائض والاعمال التفصيلية
قبل مجيء الكتاب الذي هو تبيان لكل شيء وهذا وجه اخر غير ما ذكره المصنف
رحمه الله ومنهم من نزل عليه كلام المص فخلط وخبط فان قلت اذا كان صلى الله
عليه وسلم عالما بالله وصفاته فما معنى قوله تعالى له وان كنت من قبله لمن
الغافلين فوصفه بالغفلة ان كان غفلة عن ايات الله قبل الوحي ينافي ما
قررته اولا ورده بقوله فاعلم انه اي ما ذكر من وصفه بالغفلة ليس بمعنى
الغفلة التي في قوله تعالى والذين هم عن اياتنا غافلون فان الغفلة
في هذه الاية غفلة عن العلم بالله وصفاته واول الاية ان الذين لا يرجون
لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون
اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون وهو صلى الله عليه وسلم معصوم

عن هذه الغفلة بل معنى الغفلة المذكورة ما حكى ابو عبيد الهروي امام اهل
اللغة ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف مع ابيه واخوته فانه صريح قوله
نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله
لمن الغافلين اذ لم يعلمها الا بوحينا قبل ما قصه الله عليه والغفلة عن مثله
مما لا يعلم الا بالنقل لا نقص فيه وهذا اظهر من ان يذكر فالفرق بين الغفلتين
ظاهر وفي التعبير بالغفلة اشارة الى شدة استعداده للعلم بما لم يعلم حتى
كانه غافل عما به وتنبيه وكذلك اي ما ذكر مما يوهم ما لا يليق بعصمته قبل
النبوة الحديث الذي يرويه ابو يعلى الموصلي في سنده وعثمان بن ابي شيبة
وهو من المحدثين الا انه ضعيف على ما يأتي لانه نسب اليه اوهام بسنده
عن جابر رضي الله عنه كما قال ابو يعلى حدثنا ابن ابي شيبة قال حدثنا
جرير بن عبد الحميد الضبي عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل
عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد اي يحضر
مع المشركين بمكة في صغره مشاهدهم اي محال اجتماعهم عند اصنامهم وهذا
هو محل الانكار من هذا الحديث فانه لم ينقل ذلك عنه الا في رواية ذكرها
السهيلي وقال انها مرة واحدة علما فيهما وكان ذلك بالحاح عليه من عمه
ابي طالب ثم لم يعد لها فسمع ملكين خلفه كانا موكلين به يحفظانه احدهما
اي احد الملكين يقول لصاحبه اذهب حتى نقوم خلفه نحفظه فقال الاخر
كيف اقوم خلفه واقرب منه وعهده مبتدا خبره محذوف اي قريب والعهد
بمعنى الزمان كقولهم في عهد خلافة فلان باستلام الاصنام وفي الزاهر
لابن الانباري الاستلام افتعال من السلمة وهي الحجر ومعناه مس الحجر او
هو استفعال من اللامة وهي السلاح اي حصن نفسه بمسه وحنف وعن
الفراء استلمت الحجر واستلامته بالهمز انتهى ولم يقف الدماميني في حاشيته
البخاري على هذا فذكره بطريق البحث من عنده وفي كشف الكشاف انه ماخوذ
من عين لا من مصدر وفيه صيرورة تقديرية وهو افتعال للاتخاذ والاختصاص
اي اتخذ سلمة وجعل لنفسه بمسه بالاشارة اليه بيده ومسه ثم عمم لكل
تقبيل فلم يشهد هم اي لم يشهد المشركين في مشاهدهم بعد اي بعد ما
سمع من الملكين ما قالاه وهذا الحديث مشكل لما تقرر من انه لم يكن
على شيء مما كان عليه المشركين من ولادته الى وفاته صلى الله عليه وسلم ورده
المص رحمه الله بقوله فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا اي انكارا شديدا
ولم يقل بصحته واشد الحد منه الهمز استغربها ذكر وقال هو موضوع
وكذب لم يثبت والثابت خلافه او شبيه بالموضوع على ان فيه فقيد
يعني به انه يشبه الموضوع لشدة ضعفه وليس من القضايا التي تعتبر
روايته وحرف بعضهم شبيه بالنسبة تفعل منه وروي يشبه مضارع
مجهول مشدد الباء وقال الدارقطني ان عثمان وهم دون ن غلط ومعناه
ونقال وهم واوهم بمعنى غلط ايضا في اسناده والحديث بالجملة اي اجمالا

منكر

منكر غير متفق على اسناده اي روايته فلا يلتفت اليه اي لا يعتبر بل ينبغي تركه وعدم
روايته اصلا لثبوت خلافه كما سيبينه المص وقال انه مما انكر على عثمان وقد
انكر عليه احاديث اخر رواها مع ان الشيخين رويا عنه بعض الاحاديث وعثمان
هذا هو عثمان بن محمد بن ابي شيبة ابو الحسن العبسي الكوفي الحافظ توفي سنة
تسع وثلاثين ومائتين وقد ضعفوه الا ابن معين قال انه ثقة مامون والتعبد
من عدن هفواته ثم اشار الى رده بعد ما رد سنده وبين الوهم فيه فقال
والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه اي ما يخالفه معنى عند اهل العلم
بالحديث وباحواله صلى الله عليه وسلم من قوله صلى الله عليه وسلم بغضت
بالتشديد والبنا للمجهول الي الاصنام اي جعلني الله مجبولا على عدم محبتها وهو
يقتضي ظاهرا انه لم يشهد مشاهدها ولم يوافق قومه في امرها ومن
في الحديث الاخر الذي روته ام ايمن حاضنته صلى الله عليه وسلم وهي ام اسامة
واسمها بركة وهي صحابية وترجمتها مشهورة وحديثها هذا رواه ابن سعد عن ابن
عباس عنها حين كلمه عمه ابو طالب واله في حضور بعض اعيادهم وكان قال له صلى
الله عليه وسلم يا بني لم لا تشهد مع قومك مشاهدهم عند اصنامهم يريد بذلك
ان تؤلف بينه وبينهم باظهاره لموافقته لما هم عليه لما راى اجتنابه لهم ولا
وعزموا عليه اي الحوا عليه واقسموا عليه فيه اي في شان الحضور يقال
عزم عليه اذا اقسم وهو قسم استعطاف وطلب وضمير عزموا لاهل بيته لاخبارهم
اباطالب بانه لا يريد ذلك واليه اشار بقوله بعد ظهور كراهيته لذلك اي لحضور
مشاهدهم فخرج صلى الله عليه وسلم معهم اي مع اهل بيته وقومه الى اعيادهم
ومجامعهم ورجع من عندهم مرعوبا اي ظاهر عليه اثار الرعب والخوف وفي نسخة
منقولة من الام فقال الغافصيحة اي فساله عمه عن سبب رعبه فقال كلما دنوت
اي قربت منها لامسها بيدي من صنم بدل من قوله منها مفسر له تمثل اي ظهر لي
شخص وهو ملك موكل بحفظه صلى الله عليه وسلم ظهر له على مثال رجل ابيض
طويل يصيح لي وراءك بالنصب على انه ظرف جعل اسم فعل اي ارجع لا تمسه
اي لا تمس صنما منها بيدك كما يفعلون وهذا سبب رعبه صلى الله عليه وسلم
لانه كان قبل بعثته وانسه بالملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام فلم يشهد
اي لم يحضر صلى الله عليه وسلم بعد مبني على الضم اي بعد ما راى ذلك الملك
الموكل بحفظه عيدا لهم يجتمعون فيه عند اصنامهم وهذا استئناف لقوله انه
كان يشهد مشاهدهم المقتضي لوقوع ذلك منه باختياره مرارا فان كان
يقتضي تكرر ما بعدها كقولهم كان حاتم يكرم الضيف وهذا الحديث تقدمت
الاشارة اليه في الاسرا حين نفر البراق وهو ضعيف ايضا وقوله في قصة بحيرا
الراهب بفتح البا والمد والقصر وقصته معروفة حين سافر صلى الله عليه وسلم
الى الشام مع عمه ابي طالب ومر بصومعة بحيرا وراى السحاب تظله والشجر
التي نزل صلى الله عليه وسلم تحتها تميل اليه لتظله وقصته مشهورة
حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم اي اقسم عليه او طلب منه ان يحلف

سنامهم

باللات والعزى اسم صنمين معروفين اذ لقيه بالشام اي قريبا منها او بارضها
واقليمها في سفرته مع عمه ابي طالب لما استصحبه معه صغيرا لانه كان لا يفارقه
سفرا ولا حضرا وهو صبي صغير وراى بحيرا عنده قد وقف على ما فيه صلى الله
عليه وسلم علامات النبوة كتظليل الغمامة له وميل الشجرة لجانبه ونزوله
صلى الله عليه وسلم في منزل كان الانبيا عليهم الصلاة والسلام ينزلون فيه
كما فصل في قصته وارهاصا انه قبل النبوة فاختبره بذلك وفي نسخة فاخبره
اي اخبر بحيرا ابا طالب بذلك اي بعلامات النبوة التي شاهدها فيه فقال له
اي لبحيرا النبي صلى الله عليه وسلم لا تسلني اصله كما في نسخة لا تسالني ه
خفف بحذف الهمزة بعد نقل حركتها اي لا تقسم علي بهما لما فيه من الشرك
وتعظيم الاصنام فوالله اقسم صلى الله عليه وسلم بالله ارشادا له وبيانا لما
حقه ان يقسم به وتاكيدا لقوله ما ابغضت شيئا وكرهته قط بغضهما اي
كبغضي لهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال له صلى
الله عليه وسلم وشرف وكرم سل عما بدا لك اي عن كل شيء خطر ببالك وقد تقدم
الكلام على هذا التركيب واعلم ان قصته صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب
رواها ابن سعد في طبقاته وابن سيد الناس في سيرته وحاصلها بيانا لما تم
ان قريشا كانوا يجتمعون في كل سنة بمحل ورا ينبع يسمى بولاه بفتح الباء وفتحها
وواو مفتوحة والف وها اسم هضبة فيها اصنام لهم عيد فيه في كل سنة فقال
ابو طالب وعماته له صلى الله عليه وسلم اذهب معنا العيد فابى فقال له ابو
طالب انا نراك تخالفنا في امر الهتنا ونحن نخاف عليك من ذلك والحوا عليه حتى
غضب ابو طالب فلم يزالوا به صلى الله عليه وسلم حتى ذهب معهم وبينما هو
معهم ثمة غاب عنهم ما شا الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقالوا له ما دهاك
فقال اخشى ان يكون بي لمم فقالوا له ما كان الله ليبتليك بالشيطان
مع ما فيك من خصال الخير فما رايت قال اني كلما دنوت من صنم منها يمثل
الي رجل ابيض طويل ينادي وراك يا محمد لا تمسه ثم ما عاد صلى الله
عليه وسلم الى عيد لهم حتى نبي واما قصة بحيرا فمذكورة ايضا في
السير وقد عرفت محصلها وكذلك اي مثل ما ذكر في الدلالة على خلاف
ما رواه ابن ابي شيبة او مثل ما تقدم من نزاهته صلى الله عليه وسلم
عما كان عليه اهل الجاهلية المعروف من سيرته عليه الصلاة والسلام
واحواله المروية عنه في السير وتوفيق الله له بهدايته وخلوص طريقه
من ابتدا خلقه الى وفاته والمعروف مبتدا خبره قوله انه كان قبل نبوته
بفتح همزة انه وقوله كذلك مبتدا خبره الجملة التي بعده او انه مبتدا
مؤخر وكذلك خبر مقدم والمعروف بدل من اسم الاشارة يخالف المشركين
في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان صلى الله عليه وسلم اذا حج يقف
بعرفة اسم مكان معروف يقف به الحاج ويسمى عرفات ايضا ويقال المعرف
والتعريف قال ابن دريد في مقصورته ثم الى التعريف يعرو خببا واصله

الوقوف بعرفة وعرفة علم منقول من جمع عارف سمي به لتعارف ادم وحوى فيه
وقيل ان عرفة اسم مولد ويرده حديث الحج عرفة وقيل عرفات اسم المكان وعرفة
اسم يوم الاجتماع وفيه كلام ليس هذا محله لانه اي عرفة كان موقف ابراهيم الخليل
صلى الله عليه وسلم فهداه الله لاتباع شريعته ومخالفة الجاهلية فيما كانوا
عليه وكانت قريش تقف بمزدلفة لانها من الحرم وساير العرب تقف بعرفات
وهي خارجة عن الحرم فخالفهم صلى الله عليه وسلم في ذلك كما في صحيح البخاري
وفي هذا انزل ثم افيضوا من حيث افاض الناس الاية

## فصل

**قال القاضي ابو الفضل** هو كنيته المؤلف عياض رحمه الله تعالى
قد بان اي ظهر واتضح بما قدمناه في هذا الباب عقود الانبيا عليهم الصلاة
والسلام جمع عقد وهو الجزم والتصميم مستعار من العقد وهو جمع الاطراف
في التوحيد اي اعتقاد وحدانيته تعالى وعدم الشرك والايمان اي التصديق
بكل ما يجب الايمان به والوحي النازل عليهم من الله وعصمتهم في ذلك اي حفظهم
عن اعتقاد خلاف ذلك المذكور كله على ما بيناه في الفصل الذي قبل هذا فاما
ما عدا هذا الباب اي غير ما ذكر من التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم فيه
من عقود قلوبهم اي جزمها وهو بيان لما عدا فجماعها بكسر الجيم بمعنى
جميع ومجتمع والمراد جملتها وما يجمعها اي جملة عقود قلوبهم في غيرها انها
اي قلوبهم كلها مملوة علما ويقينا نصب على التمييز والمراد بما عداها ما لابد
من علمه كاحوال الاخرة والبرزخ والملايكة على الجملة اي هذا احالها اجمالا لا تفصيلا
لانه لا يحصى لكثرته وانها قد احتوت اي اشتملت وجمعت وقوله من المعرفة والعلم
بيان لما تقدم عليه بنا على جواز تقدم من البيانية على مبينها كما ذهب اليه
بعض النحاة ومن منعه يقدر له مبينا يبينه ما بايدي والفرق بين المعرفة والعلم
ان الاولى تتعلق بالجزئيات والعلم بغيرها او بما يسبقه جهل ولذا قيل
انه لا يطلق على علم الله معرفة الا ان ابن جماعة اعترض عليه وقال انه ورد
في الحديث ما يخالفه وقد بيناه في غير هذا المحل بامور الدين والدنيا
جزئياتها وكلياتها ما لا شيء فوقه اي يزيد عليه ويفضله وفوق ضد تحت
ويكون في المكان والزمان والجسم والعدد ونحوه فاستعيرت لما ذكر كما قاله
الراغب ومن طالع الاخبار اي اطلع على ما في كتبها والمطالعة تختص عرفا
بالنظر في الكتب وقراءتها واعتنى اي اهتم واشتغل بالحديث النبوي رواية
ودراية وتامل اي فكر ودقق النظر وامثله مفعل من الامل استعير لما ذكر
ما قلناه فيما تقدم وجده محققا كما قلناه وقد قدمنا منه اي من الامور
المتعلقة بعقود قلوب الانبيا في كل ما ذكر في حق نبينا صلى الله عليه وسلم
في الباب الرابع فيما اظهره الله على يديه من المعجزات وشرفه به من
الخصايص والكرامات في القسم الاول اول قسم من هذا الكتاب ما يبينه
على ما وراه اي مع ما ذكر بعده في هذا الكتاب فعلى بمعنى مع او
محتوياه لكن عليه الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف اشتتا منقطع

ما لاستدراك على ما قبله اي لكن احوالهم مختلفة فبعضهم له مرتبة فيها اعلى مما
عداه كنبينا صلى الله عليه وسلم فالتفاوت لا ضرر فيه وقال الباقلاني يجوز
عقلا عدم معرفة النبي ببعض شرايع من قبله وعدم معرفته ببعض الفروع
الفقهية التي فرعها الفقها لكنه اذا سئل عنها لا بد ان يعرفهما وكذا اعلمه
باللغات بشرط انه لا يخل بالتوحيد كما قيل وفيه نظر لا يخفى فاما ما يتعلق
منها اي من العلوم المفهومة من السياق لا بالعقود بامور الدنيا كامر المعاش
واحوال الناس فلا يشترط باليا التحتية مبني للمفعول ونايب فاعله العصمة
في قوله في حق الانبيا العصمة من عدم معرفتهم ببعضها ويجوز ان يكون
مبنيا للفاعل ويثبت العصمة على المفعولية والضمير فيه للعلما واحاد في
قوله ببعضها لان عدم معرفتها بالكلية ينافي شدة فطنتهم وسلامة عقولهم
والمراد ما لا يتعلق له بالدين اصلا فيجوز عدم معرفتهم بذلك او اعتقادها
على خلاف ما هي عليه كقصة تابير النخل وسنأتي ورجوعه صلى الله عليه وسلم
لراي الحباب بن المنذر في بدر والمراد بالاعتقاد ما يشمل الظن لا الجازم منه
ولا وصم بفتح الواو وسكون الصاد المهملة اي لا عيب ولا نقص ولا تقصير
عليهم اي عايد على الانبيا عليهم الصلاة والسلام فيه اي في عدم معرفته
ومن عليه بقوله اذ هممهم جمع همة وهي العزيمة من هم بالامر اذا عزم
عليه متعلقة اي مشغولة بامور الاخرة وانبايها جمع نبا وهو الخبر وعبر
به لانها انما تعلم بالوحي واخبار الله لهم بها وامر الشريعة وقوانينها
وهو لفظ رومي معرب وامور الدنيا بتضادها اي تخالفها فالاشتغال بها
لا يليق بعلو هممهم بخلاف غيرهم من اهل الدنيا اي غير الانبيا من الناس
الذين يعلمون بدل من اهل الدنيا تلويحا لان علمهم لا يعتد به لانهم انما
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ففيه اشارة لسلادتهم وانهم انما يعلمون
ظاهرها زخارفها الذي يتمتعون به دون باطنها الذي يستعدون به للاخرة
ويتزودون به لدار القرار من صالح الاعمال وتنكير ظاهرا اشارة الى انه
متاع قليل وهم عن الاخرة غافلون عنها لا يخطر ببالهم تدارك ما يلزمهم
منها فهم كالانعام وهم الثانية تكرير للاولى وغافلون خبرها او مبتدا
خبره غافلون والجملة خبر الاولى وعلى كل حال فيه تاكيد لغفلتهم وهو
اقتباس واشار بالمضادة الى ان المراد بالدنيا ما يختص بها كرياستها
وجاهها ولذائذها بخلاف بيان امور المعاملات فانها امور شرعية
يلزمهم بيانها فلا حاجة لذكره هنا لانه سياتي والعله اشار بقوله
كما سنبين هذا في الباب الثاني ولكنه منهم شان وهو استدراك على ما قبله
لا يصح ان يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا اصلا فان ذلك اي عدم
علمهم بشي منه يودي الى نسبتهم الى ما لا يليق بهم من الغفلة والبله
اي شدة البلادة وعدم الادراك وهم المنزهون عنه اي عما ذكر من الغفلة
والبله لكمال عقولهم وتمام خلقتهم فالله نزههم والعبد خلوهم عن

عرضي

عرضي

مثله

مثله واشار بتعريف الطرفين لكمالهم فيه حتى كانه مخصوص بهم والحاصل ان
الانبيا عليهم الصلاة والسلام كلهم لا بد لهم من العلم بالعقايد والشرايع والوحي
يقينا من غير شك وشبهة واما امور الدنيا المحضة فلا يلزمهم العلم بها لكنهم عليهم
الصلاة والسلام لكونهم اكمل الناس فطنة وعقلا لا يكون عدم علمهم بها وانما
يكون ذلك في النادر وليس في كلامه هنا ما يقتضي ان كل نبي اكمل اهل زمانه
واعلمهم كما قيل وهو غير مسلم لقول ابن الهمام انه اكمل اهل زمانه مما
ليس بنبي وقيده في الكشاف بمن ارسل اليه وهو الحق فلا يلزم ان يكون موسى
عليه الصلاة والسلام اعلم من الخضر عليه الصلاة والسلام لانه لم يرسل
اليه ولا يحتاج الى ان يقال انه موسى بن ميشا لا موسى بن عمران بل قد ارسلوا الى
اهل الدنيا وقلدوا بالبنا للمجهول اي ولوا وحكموا ومنه تقليد القضاء وهو في
الاصل من قلادة العنق سياستهم اي ضبط امورهم امرا ونهيا بالقهر واصلها
القيام على الشيء بما يصلحه وهدايتهم اي ارشادهم لكل خير في الدارين والنظر
في مصالح دينهم ودنياهم ببيان ما ينتظم به صلاح المعاش والمعاد وهذا اي
النظر والسياسة لا يكون ويوجد مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية بان لا
يعلم شيئا منها اصلا لانه مانع للنظر في احوالهم لكن العلم بها ليس مقصودا
لهم بالذات واحوال الانبيا صلوات الله وسلامه وتحياته عليهم اجمعين
وسيرهم جمع سيرة وقد تقدمت في هذا الباب اي في هذا النوع من العلم
وهو العلم بامور الدنيا متعلق منه بما اشتهر من اخبارهم ومعرفتهم بذلك
المذكور مشهورة لا تخفى على اهل العلم واما ان كان هذا العقد اي عقد قلوبهم
بالاعتقاد الجازم فيما يتعلق بالدين وان كان له تعلق بالدنيا كالمعاملات فلا
يصح من النبي صلى الله عليه وسلم الا بالعلم به يقينا وجزما من غير شك
وشبهة فيه ولا يجوز عليه جهله جملة اي لا يجهل شيا منه ولا يخفى عليه
شيء من جملته ويجوز ان يراد بالجملة الاجمال اي يعلم علما اجماليا انه يجب
اعتقادنا انه صلى الله عليه وسلم لا يجهل شيئا مما له تعلق بالدين وقيد
انه قيد للنفي اي انتفى جهله به انتفا كليا فيعلم جميع ذلك لانه اي علمه
بذلك لا يخلو عليه من ان يكون حصل عنده ذلك العلم صادرا عن وحي
من الله بارسال ملك وبحفظ منه ما اي امر لا يصح الشك منه صلى الله عليه وسلم
فيه اي في الوحي وما يتعلق به بناء على ما قدمناه كما علمته قبل هذا واذا
لم يحصل منه اذ في شك في شيء من ذلك فكيف الجهل اي فكيف يصح منه
جهل بشيء منه وهو انكار لجهله بانكار كيفيته وحاله على طريق برهاني
لانه اذا وقع لا بد ان يقع على كيفية مخصوصة بل حصل له العلم اليقيني
اي المتيقن واستدركه لانه لا يلزم من عدم العلم تيقن ضده او
يكون فعل ذلك الامر المتعلق بالدين ببيان احكامه حلا وحرمة ونحوه
باجتهاده وهو افتعال من الجهد وهو الطاقة والوسع وبذله
في تحصيل المطلوب وهو تحصيل الحكم مما اعلمه الله واستخرجه من

قواعد الدين بالتفاته اليه فيما لم ينزل عليه فيه شيء من الوحي في بيان حكمه
فيعلم حكمه بذلك وهو في غيره تحصيل ظن بحكم شرعي استخرجه من نص ونحوه
على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم في ذلك اي
فيما لم ينزل عليه وحي فيه على قول المحققين الذاهبين لجواز اجتهاده وهو
القول الصحيح ثم على هذا هل يجوز وقوع الخطا منه فيما اجتهد فيه فمنعه
بعضهم وجوزه بعض مع الاتفاق على عدم اقراره صلى الله عليه وسلم على الخطا
وهذا رجحه كثير من الاصوليين وذهب كثير منهم الى ترجيح عدم وقوع الخطا
في اجتهاده اصلا واليه مال المص رحمه الله وادلتهم مبسوطة في كتب الاصول
فمن ارادها فلياخذ من مجاريه وعلى مقتضى بصيغة المفعول اي على ما
يقتضيه ويدل عليه لزوما حديث ام المومنين هند بنت ابي امية المشهورة
بام سلمة بفتحات ثمار ونه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اني انما اقضي
بينكم برايي واجتهادي فيما لم ينزل علي فيه شيء اي فيما لم ينزل الله فيه
شيء من وحيه وهو صريح في وقوع الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم خرجه
الثقات اي رواه مسندا من يوثق به كابي داود وغيره فهو حديث صحيح دال على
صحة اجتهاده صلى الله عليه وسلم وسبب هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم
اتاه رجلان يختصمان في مواريث واشيا قد درست فقال اني الخ وهو كما علمت
دليل على جواز اجتهاده ووقوعه منه خلافا لمن لم يجوزه او جوزه وقال لم
يقع لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى او خصه بالحروب
لان اجتهاده في حكم الوحي لاستنباطه منه بالقياس فليس هوى وقوله صلى
الله عليه وسلم لا ادري في بعض الاحيان لانتظاره فيه لعدم ظهور القياس له والقياس
مستند الى الوحي لقوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار وكقصة اسرى بدر
جمع اسير كاسارى وهما بمعنى وقيل الاسرى من لم يوثق والاسارى
الموثقون وهم سبعون رجلا والقصة كما في صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم
قال لابي بكر والصحابة ما ترون في هؤلا فقال ابو بكر رضي الله عنه بنو العم
والعشيرة ارى ان تاخذ منهم فدية يكون لنا بها قوة على الكفار فعسى الله
ان يهديهم للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا عمر
فقال ارى ان نضرب اعناقهم فانهم ايمة الكفر وصناديده فنزل ما كان
لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض بعدم الفدية فجلس صلى الله
عليه وسلم هو وابو بكر يتباكيان فقال لهما عمر لم تبكيان اخبراني
فان وجدت بكا بكيت والا تباكيت فقال صلى الله عليه وسلم ابكي لما عرض
من العذاب لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة عنده
وتقدم ذلك مع ما فيه فهذا دليل على وقوع الاجتهاد منه صلى الله
عليه وسلم كما علمته وكقصة الاذن للمتخلفين عنه صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك فانه اذن لجماعة استاذنوه في القعود عنها فاذن
لهم باجتهاد منه ولم ينتظر الوحي فعاتبه الله على ذلك مع لطفه

في

في تقديم العفو عنه بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا
الاية لانه كان مع من استاذنه واعتذر باعذار بعض المنافقين لم يعرف نفاقهم
حتى نزلت اية التوبة عليه على راي بعضهم راجع للقضيتين او للثانية فقط فانه
قيل ان ذلك كان باجتهاد من اصحابه بناء على جواز وقوع الاجتهاد منهم عنده صلى
الله عليه وسلم بناء على ان العتاب لهم وخطابه لقبوله له واقرارهم مع انه
خلاف الاولى او ان الله خيره في ذلك قبل واذن له ولا اجتهاد فيه وانما كان عليه
ان ينتظر الوحي ان يبين الاولى به وفيه مباحث وانظار دقيقة فلا يكون ايضا
ما يعتقده مما ينتج اجتهاده اي يترتب عليه ويكون ثمرة له ومن بيانية
او تبعيضية او تجريدية الا حقا موافقا للواقع وصحيحا في نفسه بقطع
النظر عن الواقع ومطابقته وهذا بناء على انه صلى الله عليه وسلم لا يخطي
في اجتهاده اصلا كما ارتضاه الغزالي وبني عليه انه يجوز القياس على
ما اجتهد فيه وهو اللائق بمقام النبوة ومثله في هذا كله سائر الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وذهب ابن الحاجب وغيره الى انه يقع منه الخطا نادرا
الا انه لا يقر عليه وليس ما اسند لو انه خطا بل خلاف الاولى فان ارادوه
ارتفع الخلاف فتدبر هذا القول من ان اجتهاده صلى الله عليه وسلم لا يكون
الا حقا صحيحا هو الحق الذي لا يلتفت ولا يعتد الى خلاف من خالف فيه بان
قال لا يجتهد اصلا او يقع في اجتهاده الخطا او اجتهاده مخصوص بالحروب
ممن اجاز عليه الخطا في الاجتهاد ونحوه وهذا وقع في بعض النسخ وسقط
من بعضها ان لو قام عليه دليل لا على القول بتصويب المجتهدين
بصيغة التثنية او بصيغة الجمع او سوا فقه حكم كل منهما او منهم للصواب وقوله
الذي هو الحق والصواب مفعول تصويب في محل نصب اي ما اعتقده كل موافق
للحق والصواب لكل مجتهد نصيب كما قيل

رمي فاصاب قلبي باجتهاد • صدقتم كل مجتهد مصيب

او الذي مبتدا خبره قوله عندنا وهو احد قولين ورجحه المص والاشعرية فالضمير
للاشعرية ولا على القول الاخر الذي ذهب اليه الجمهور القائلون بان الحق في طرف
واحد غير معين فالاخر خطا الا انه لا اثم عليه فيه وهذا في غير النبي صلى الله عليه
وسلم لانه لا يخطئ او لا يقر على الخطا لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم اي لعصمة
الله له من الخطا في الاجتهاد في الشرعيات قيده به لانه محل الخلاف بخلاف العقايد
وامور الاخرة كما تقدم وما لا تعلق له بالدين فان الاول لا يجوز فيه الخطا بالاتفاق
والثاني يجوز فيه بالاتفاق كما تقدم تفصيله ومحل الخلاف في اجتهاد غير الانبيا
ولان القول في تخطئة المجتهدين اي كلام الاصوليين فيما يتعلق به انما هو بعد
استقرار الشرع فلا يتصور بدونه اجتهاد لانه يكون قياسا على حكم شرع قبله
ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه شي فيه
من الوحي ولم يشرع له قبل اي قبل اجتهاده فيه ونظره ليظهر له الصواب
في محل الاجتهاد فلا يتصور خطاوه لان خطا المجتهد انما يظهر بمخالفة نص او

اجماع او قياس جلي وقد تقرر انه لم يسبق به شرع وهذا دليل على انه لا يقع الخطا في
اجتهاده صلى الله عليه وسلم وفيه بحث لان الاجتهاد بالنظر في نظايره فان اراد انه
لم ينزل شيء في عينه فسلم لكنه لا يمنع الاجتهاد وان اراد شيء من نوعه واشباهه
فممنوع فهذه مغالطة وتمويه فتامله هذا المذكور فيما اوحي اليه او عمل فيه
برايه واجتهاده فيما لم ينزل فيه شيء فيما عقد صلى الله عليه وسلم اي علمه
علما جازما او عزم عليه قلبه واعمل فيه فكره من امور الدين التي لا بد منها
سوا كان من العقايد وامور الوحي مما لا بد من علمه من غير شك فيه او من الشرع للعلم
بالوحي او الاجتهاد كما فصلناه وليس هذا مخصوصا بالاعتقاديات كما قيل فاما ابن افترس
ما لم يعقد النبي صلى الله عليه وسلم عليه قلبه ولم يعلمه علما جازما من
النوازل جمع نازلة وهي القضية التي تحدث له ويحتاج لبيان الحكم فيها وقوله الشرعية
اي المتعلق بها حكم شرعي من حل وحرمة ونحوه فقد كان صلى الله عليه وسلم
لا يعلم شيا منها اولا اي في ابتدا بعثته وقبل الوحي والاذن له في التشريع الا ما
علمه الله بالوحي اليه شيا فشيا اي شيا بعد شيء على سبيل التدريج بحسب
الوقايع واسبابها المقتضية لبيانه لها وهذا منصوب على الحال كعلمته النحو
بابا بابا لانه مأول بمفصل ونحوه وليس الثاني تاكيدا وتفصيله في كتب العربية
حتى استقر علم جملتها اي علم جميعها عنده اي في علمه وحفظه لما نزل عليه منها
اما بوحي من الله او اذن له في ان يشرع في ذلك بفتح اوله وثالثه المخفف او بضم اوله
وكسر ثالثه المشدد اي ياخذ في بيانه او يبين ما حكم الشرع فيه برايه واجتهاده مطلب
ويحكم في القضايا بما اراه الله اي عرفه وعلمه بوحي منه او الهام ونظر فيما انزل عليه
كما قال تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله والاية
دالة على اجتهاده الماذون له فيه وانه مصيب فيه وقد كان صلى الله عليه وسلم
ينتظر الوحي في كثير منها اي من النوازل الواقعة ليبين الله له الحكم فيها
ويجتهد في قليل منها احيانا ولكنه لم يمت حتى استقر علم جميعها عنده اي
تحقق صلى الله عليه وسلم وتقرر عنده العلم بجميع الاحكام الشرعية اللازمة
ولذا قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وفي نسخة استفرغ بفا وغين معجمة
اي استوفي واستكمل وهو استعارة من استفراغ الما وصبه كانه افرغ ماه
على العطاش وتقررت وتحققت معارفها اي العلوم بالاحكام الشرعية وجزئياتها
لديه اي عنده وعند امته على التحقيق اي متيقنة محققة بلا تردد ورفع
الشك والريب اي الاشتباه في شيء منها وانتفا الجهل عن امته وبالجملة
اي اجمالا وقد يراد بهذه الكلمة على كل حال وبكل وجه فلا يصح ولا يجوز عقلا
وشرعا منه صلى الله عليه وسلم ومن كل نبي الجهل بشيء من تفاصيل الشرع
اي شرعه صلى الله عليه وسلم الذي امر بالبنا للمجهول اي امره الله
بالدعوة اي دعوة امته اليه اي الى اتباعه والعمل به لان جهله به ينافي امره
بدعوته ولا تصح دعوته الى ما لا يعلمه لانه طلب للمجهول وهو ممتنع عقلا
وعبث غير مفيد فكان صلى الله عليه وسلم اعلم الناس باحكام ربه وله

الولاية

الولاية العامة على جميع خلقه والامامة العظمى فكان يحكم بالقضا والسياسة والافتا
ويحكم بالظاهر والباطن كالخضر عليه الصلاة والسلام كما قاله السيوطي والفرق بين
احكامه بما ذكر فصله السبكي والقرافي في قواعده وللعلامة ابي شامة فيه تاليف
مستقل لا يستطيع هذا المقام تفصيله وان تكلم بعضهم فيه هنا كلاما غير مهذب
فان اردت تحقيقه فانظر كلام القوم فيه واما ما نعلق بعقده اي يجزم قلبه فيما
بصره الله به عليه الصلاة والسلام من ملكوت السموات والارض الملكوت مبالغة
في الملك كالرهبوت والجبروت وقد يخص بغير المشاهد كعالم الامر كما مر والمراد علمه
صلى الله عليه وسلم بحقيقة الاجرام العلوية وانها حادثة مستغنى عنها وما
فيها من الملائكة الموكلين بها والكواكب التي خلقت فيها زينة لها وهداية لخلقه وعلامات
لحكم الهية وكذلك الارض التي جعلها الله مقر العبادة وعلمه بما فيها على الاطلاع به
على حقيقتها وما اودعه فيها وليست كما تزعم الفلاسفة واهل الطبيعة من امور
محرومة الفوائد كثيرة المفاسد وخلق الله اي مخلوقاته التي بثها فيهما وابدعها
واوجدها حكما تحار فيها العقلا وفي كل شي له اية تدل على انه الواحد
وتعيين اسمايه الحسنى الدالة على ذاته وبديع صفاته وفي قوله تعيين اشارة الى انها
توقيفية فلا يطلق عليه الا ما ورد به اذن شرعي والكلام عليها مفرد بالتاليف واجل
ما صنف فيها كتاب الامام القرطبي وقيل يصح ان يطلق عليه كل اسم ثبت اتصافه
به مما لا يوهم نقصا وقيل يجوز ما كان على سبيل التوصيف والكلام عليه مفصل
في كتب الاصول واياته الكبرى اي عجايب مخلوقاته الدالة على عظمته والكبرى بمعنى
العظيمة مما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم مما شاهده في نفس الامر كما تقدم وامور
الاخرة كالحشر والنشر واهوال الموقف والصراط والميزان والنفخ في الصور واشراط
الساعة اي علاماتها الدالة عليها جمع شرط بفتحتين وفي الاساس يقال لاوايل كل
شي اشراطه ومنه اشرط اليه رسولا اذا قدمه واشراط الساعة مشهورة والساعة
مقدار من الزمان ثم خص بالقيامة وقيل الاشراط تختص بعلاماتها الصغار كما
نقله الخطابي عن ابي عبيدة والمشهور شموله للصغار والكبار كخروج المهدي
والدجال واحوال السعدا والاشقيا في البرزخ والدنيا والاخرة وما لهم من نعيم
وعقاب وعلم ما كان من احوال الامم السالفة وما كان في ابتدا خلق العالم وما
يكون بعده من الفتن وغيرها كما في حديث حذيفة المشهور مما لا يعلمه الا
بوحي اعلمه الله به من المغيبات فعلى ما تقدم والفا في جواب اما من انه بيان
لما تقدم معصوم فيه عن الخطا والشك في شي منه لا يأخذه اي لا يعرض له
ولا يطرأ عليه فيما اعلم بالبنا للمجهول اي اعلمه الله بوحيه وجوز فيه
البنا للفاعل اي اعلم به امته منه اي مما ذكر شك ولا ريب وتردد في علمه به
بل هو فيه اي فيما اعلم به على غاية اليقين والجزم به بلا تردد فقلبه صلى
الله عليه وسلم مطمين بعلمه لا يقلق ويضطرب لان اصل معنى الريب
الاضطراب كما حققه اهل اللغة لكنه استدرك من كونه على غاية من
اليقين لانه ربما يتوهم احاطة علمها بتفاصيلها فلذا قال لا يشترط له

العلم بجميع تفاصيل ذلك لانه مما يعجز عنه البشر وان كان عنده صلى الله عليه وسلم
من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر سواه لما خصه الله به من اطلاعه على ما لم
يطلع عليه احد غيره لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي
اني لا اعلم الا ما علمني ربي اي لا يعلم شيئا مما يخفى على الناس الا بتعليمه تعالى ولقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث روي في الصحيحين ولا خطر اي طرا علمه على قلب بشر
اي احد من الناس وهو حديث قدسي اوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الاية جزاء بما كانوا يعملون ففيه دليل
على انه من احوال السعدا ما لم يطلع عليه صلى الله عليه وسلم وبله اسم فعل
بمعنى دع والاية ايضا تدل على ان الله اخفى ذلك حتى عن انبيائه من احوال
السعدا التي تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقرة العين سرورها اما لان
دمعة السرور باردة او لانها تقر وتسكن لعدم التفاتها لغير ما هي فيه
ومما يدل على ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام قد يخفى عليهم بعض
العلوم قول موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام وهو من كبار الانبياء
عليهم الصلاة والسلام لخضر في قصته التي قصها الله في القران هل
اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وموسى هو ابن عمران وما روي عن نوف البكالي من
انه موسى بن ميشا وهو نبي اخر من بني اسرائيل ليس من اولي العزم وهو قول اهل
الكتاب يرون ان موسى الكليم مقامه اجل من ان يتعلم من غيره وقد نقل ما قاله نوف
لابن عباس رضي الله عنهما فقال كذب عدو الله وانما هو ابن عمران واستشكل هذا
بان نوفا تابعي صالح ثقة فكيف يقال انه عدو الله فقيل انه قصد زجره في حال
شدة غضبه وتهوره لما سمع ما يخالف ما صح عنده عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم واما كونه استعارة كما قاله الله فليس بشيء والخضر هو صاحب موسى
عليهما الصلاة والسلام وهو بليا بن ملكان والكلام فيه هل هو ولي او نبي
او ملك وهل هو حي الان مشهور وللعلامة الخيضري في كتاب سماه الروض
النضر في احوال الخضر لم يدع فيه مقالا لغيره نحتاج اليه وخضر كحذر لقبه
سمي به لانه كان اذا جلس على ارض اخضرت كما مر وقصته معلومة وتفسير
هذه الاية قد كفينا مؤنته ووجه استشهاد المص بهذه الاية والقصة غني
عن البيان ومما يدل على ان النبي لا يجب ان يعلم تفاصيل كل شيء قوله صلى الله عليه
وسلم في حديث صحيح رواه الديلمي عن انس في بعض الادعية الماثورة عنه
صلى الله عليه وسلم اسالك يا الله باسمائك الحسنى تانيث احسن واسماؤه
عز وجل كلها حسنة لما دلت عليه من المعاني الجليلة والحسن في العرف العام
يقال لما يدرك بالبصر واكثر ما جاء في القران لما تستحسنه البصيرة كقوله
تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه كما قاله الراغب في مفرداته
ما علمت منها وما لم اعلم بدل من اسمائك وهذا الحديث يدل على ان لله اسما
لم يعلمها صلى الله عليه وسلم مما لا يعلمه الا الله ولا ضير في مثله ومثله

قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه احمد في مسنده وفيه اسألك بكل اسم
هو لك اي مخصوص بك مما سميت به نفسك اي ذاتك وفيه دليل على صحة اطلاق النفس
على ذاته من غير مشاكلة خلافا لمن منعه وفيه لبعض المحققين تفصيل حسن وهو
انه ان كان بمعنى الذات صح اطلاقه مطلقا نحو كتب على نفسه الرحمة وان كان بمعنى
الروح ونحوه كقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك لم يطلق الا مشاكلة فتدبر
او استأثرت به اي انفردت بعلمه دون غيرك في علم الغيب عندك اي في جملة معلوماتك
الغيبة عن غيرك والمشاهد فيه كالحديث الذي قبله وقد قال الله تعالى مما يدل على
انه لا يحيط بجميع العلوم غيره وفوق كل ذي علم عليم هو اعلم واعلا رتبة في العلم
فهذا دليل على ان علم البشر متناه محصور وقال القاضي في تفسيره المراد كل ذي علم
من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله عز وجل الذي له العلم البالغ فلا
فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلما عليم وهو مخصوص انتهي وهو اشارة الي
دفع شبهة تقريرها ان الله ذو علم فهو داخل في هذه الكلية فيقتضي ان فوق الله
عليم يعلم ما لم يعلمه بالمفاضلة مخصوصة بالمخلوقين فالعليم الذي فوق كل ذي
علم هو الله لا غير فهو عام مخصوص وقال زيد بن اسلم وغيره في تفسير هذه الاية
اشارة لما قلناه المراد ان رتبة العلما لا تزال تترقى في العلم حتى ينتهي العلم الى
الله تعالى فهو الذي فوق كل ذي علم فوقية بالغة الى مرتبة ليس فوقها شيء اصلا
فهو العليم المحيط علمه بكل شيء علما بسائر الجزئيات علما تفصيليا خلافا للفلاسفة
القائلين بانه يعلم الكليات دون الجزئيات وبطلان قولهم مذكور في كتب الكلام
الا ان النصير الطوسي قال في مقالة له في هذا البحث ان المخطئين لم يقفوا على مرادهم
وانهم لم ينكروا ذلك وهو كلام طويل لا يحيط به نطاق البيان هنا وقد ذهب الى
ما قاله النصير ابن عربي في فتوحاته وارتضاه بعض مشايخ عصرنا ولكل وجهة
وفوق كل ذي علم عليم وهذا اي انتهاء العلم اليه تعالى مما لا خفا به عند من له
عقل سليم اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا يحيطون بشيء من علمه اي لا يقفون
على جميعها وقد احاط بكل شيء علما وهو في الاصل استعارة من احاطة الحائط
بما في داخله ولا منتهى لها عطف تفسير لعدم الاحاطة هذا اي ما ذكر من عصمة
النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بعقد قلبه فيما ذكر في هذا الفصل كما
اشار اليه بقوله حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم اي اعتقاده الجازم
فيما ذكر في هذا الفصل في التوحيد المراد به ما يتعلق بالعقايد والشرع
ونحوه مما اوحي اليه والمعارف والامور الدينية من عطف بعض افراد العام
عليه لمزيته والكلام على العلم وحقيقة علم الله الحضوري وما له وعليه مما
تكلفت به الكتب الكلامية ولكل مقام مقال

## فصل

واعلم ان الامة اي امة الاجابة مجمعة على
عصمة النبي صلى الله عليه وسلم اي حفظه صلى الله عليه وسلم من الشيطان
والتعريف في النبي للجنس وللاستغراق ويجوز ان يكون للعهد ويعلم غيره

بطريق الدلالة فانه تعالى قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فاذا لم يكن له سلطان
على خلص عباده علم انه ليس له تسلط على انبيائه عليهم الصلاة والسلام بالطريق
الاولى اي اذى الشيطان مما يكون من اصابته او اصابة جنده من الجن كالصرع والطاعون
وذات الجنب فانها من الشيطان ولذا لم يرض صلى الله عليه وسلم بلدوده في مرض
موته لظنهم ان به ذات الجنب فقال انها من الشيطان وقد عصمني الله منه كما يأتي
ومنه علم ان الطاعون لا يصيب الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولا يسلط الشيطان
على خاطره اي فكره وقلبه صلى الله عليه وسلم بالوساوس جمع وسوسة وهي ما
يلقيه الشيطان في نفسه قيل ومن الوسوسة ما هو غير اختياري يتعذر
الانسان على دفعه ولا يؤاخذ به ما لم يعمل او يتكلم وهذا انما لم يعصم عنه احد
لانه من الاعراض البشرية الا انه صلى الله عليه وسلم معصوم عن ان تقر فيه
اذا عرض له نادرا وليس من هذا القبيل السحر فتامله وقد اخبرنا القاضي الحافظ
ابو علي هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته رحمه الله قال حدثنا ابو الفضل
ابن خيرون العدل تقدم ايضا قال حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره بكسر الباء الموحدة
وسكون الرا المهملة وقاف والف ونون نسبة لبرقانة قرية من نواحي خوارزم
وهو الامام الحافظ ابو بكر احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمي الشافعي امام
بغداد كما تقدم قال حدثنا ابو الحسن علي بن عمر الدار قطني نسبة لدار قطن
محلة ببغداد كما تقدم قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسمعيل الامام العابد
الثقة النحوي المشهور الصفار نسبة لعمل الصفر وهو النحاس توفي سنة احدى
واربعين وثلاثمائة وقد جاوز التسعين باربع سنين قال حدثنا عباس بمهملتين
بينهما موحدة الترقفي بفتح المثناة الفوقية وسكون الرا وضم القاف
وفا مكسورة ويا نسبة وهو امام ثقة روى عنه ابن ماجة وغيره وهو
يروي عن الفريابي وترقف قيل اسم امراة وقيل اسم بلدة قال حدثنا محمد
ابن يوسف وهو الفريابي وقد تقدم عن سفيان الثوري وقد تقدم عن منصور
وهو ابن المعتمر وقد تقدم عن سالم بن ابي الجعد الاشجعي الكوفي وقد تقدم
ايضا عن مسروق بن الاجدع الهمداني العابد الزاهد التابعي توفي سنة
ثلاث وستين واخرج له الستة عن عبد الله بن مسعود الصحابي المشهور
في حديث رواه مسلم عن سالم بن ابي الجعد عن ابيه عن ابن مسعود ورواه
من طريق اخرى لعلو سنده فيه وعظم رجاله قال ابن مسعود قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما منكم اي معاشر الناس من احد من زايدة واحد
مبتدا خبره مقدم عليه وهو منكم وزيادة من لتاكيد العموم الا وقد وكل
مشدد مبني للمجهول اي عين الملازمة كالحفيظ الملازم لمن يحفظه
كما قال تعالى وما انت عليهم بوكيل فاستعمل المقيد في المطلق مجازا
به قرينه اي الذي يكون مقارنا له من الجن وقرينه من الملائكة اما قرين
الجن فانه موكل بوسوسته واغوائه واما قرينه من الملائكة فهو من الحفظة
لا من الكتبة كما قيل لعدم مناسبته لما هنا قالوا اي قال الصحابة

وكفايته اي وعلى كفاية الله
له منه اي من ضرره الظاهري
والباطني كما بينه بقوله
لا في جسمه اي ظاهر جسده
بانواع الاذى كالجنون والاغماء
علي القاري

الحاضرون

الحاضرون عنده صلى الله عليه وسلم واياك يا رسول الله اياك ضمير نصب معمول لمقدر
واصله او كل بك قرين من الجن كغيرك فحذف الفعل وحرف الجر فانتصب الضمير وانفصل
وانما عدل عن الظاهر تادبا واشارة الى استبعاد ان يكون كغيره في ذلك لان معنى توكيله
به تسليطه عليه بوسوسته واغوايه وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من مثله او
الضمير مستعار من ضمير الرفع وامثاله وانت كما ورد في رواية صححها البرهان عن ابن
عباس رضي الله عنهما وستاتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واياي اي وكل بي
قرين من الجن كغيري ثم استدرك ببيان تميزه صلى الله عليه وسلم عنهم بقوله ولكن
بالتشديد والتخفيف الله بالرفع والنصب على وجهي لكن اعانني عليه اي على قريني
من الجن بحفظي منه ومنعه من التسلط علي لهدايته للاسلام فاسلم بصيغة الماضي
من الاسلام اي هدى الله قريني للاسلام ببركة مقارنته له صلى الله عليه وسلم
او هو مضارع مرفوع فاعله ضميره صلى الله عليه وسلم اي سلمني الله منه وقال
النصير الطوسي في شرح الاشارات في الحديث ما من مولود ولد من بني آدم الا ولد معه
قرين من الشياطين فقيل وانت يا رسول الله كذلك قال وانا كذلك الا ان الله اعانني
عليه فاسلم اي فاسلم الشيطان ومنهم من انكر هذه الرواية وقال الرواية الصحيحة
فاسلم ومعناها ان الله اعانني عليه حتى اسلم من شره فان الشيطان لا يسلم قط انهى
ومنهم من اوله فقال المراد بالشيطان القوة الغضبية واسلامها انقيادها
للعقل والنفس القدسية واليه ذهب الامام الغزالي رحمه الله في الاحياء ويحتمل
كون الروايتين بمعنى على ان اسلم مضارع منصوب على حد قوله
والحق بالحجاز فاستريحا ولك ان تقول اعانني عليه بمعنى لم يسلطه علي
فالمضارع منصوب في جواب النفي وقد خرج عليه البيت زاد غيره اي زاد
غير سفيان راوي هذا الحديث عنه عن منصور بن المعتمر الذي تقدم في جملة رواة
هذا الحديث فلا يامرني هذا القرين الا بخير فصار قرينه صلى الله عليه وسلم
قرين خير وروي عن عائشة رضي الله عنها بمعناه وروي عن عائشة رضي
الله عنها فهو بيان لما قبله فاسلم بضم الميم وهمزة المتكلم مضارع مرفوع اي فانا
اسلم منه وفي نسخة اي فاسلم انا منه ومن وسوسته وصحح بعضهم هذه الرواية
ورجحها على الرواية الاولى ولم يخرجه المحدثون وقد تقدم في كلام الطوسي
وهو ليس من فرسان هذا الميدان وروي بالبناء للمجهول والرواية في صحيح
البخاري فاسلم بصيغة الماضي بعد القرين تفسير لضمير الفاعل المستتر فيه
ومعنى اسلم انه انتقل عن حال كونه تابعا لان الشياطين منهم من يسلم وقوله
الى الاسلام متعلق بانتقل اي تحول من حال لاخرى فصار لا يامر الا بخير كالملك
القرين الموكل به وهو اي هذا المعنى وهو انتقاله من الكفر الى الاسلام ظاهر
الحديث المفهوم من سياقه بدليل قوله رواية بعضهم فاستسلم اي انقاد وكف
عن الوسوسة قال ابن الاثير رواية اسلم بفتح الميم يشهد لها ما روي
كان شيطان آدم كافرا وشيطاني مسلما ورواية حتى اسلم ورواية مسلم بضم
الميم وقد علمت ان المص مرجح لرواية الفتح وان في الحديث ثلاث روايات

فاستسلم

ابن الجوزي

وان اسلم حا بمعنى استسلم وانقاد ايضا وقيل انه قد تقدم ان الشيطان ممنوع من
التسلط بالاذى على المؤمنين وفيه انا نجد منهم من حصل له مس وخطف كتميم رضي
الله عنه فلعله لتقدم سبب يمنع من حفظه انتهى ولا يخفى انه في حق الانبيا
محقق وفي غيرهم اغلبي والنادر لا حكم له وتقدم ان القرين الملازم ولذا سميت الزوجة
قرينة وقدم قرين الجن لمناسبة المقام له وحديث عايشة هذا في مسلم قالت خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها ذات ليلة قالت فغرت فلما جا قال
مالك يا عايشة اغرت فقالت كيف لا يغار مثلي على مثلك فقال هذا من شيطانك
قلت اومعي شيطان يا رسول الله قال نعم ومع كل انسان قلت ومعك يا رسول
الله قال نعم ولكن الله اعانني عليه حتى اسلم قال الخطابي رحمه الله الصحيح المختار
عندهم اي ورجحه القاضي عياض الفتح كما مر وهو المختار لقوله ولا يامر الا بخير
واختلفوا اي الفتح فقيل اسلم بمعنى استسلم كما رواه مسلم وقيل معناه صار
مسلما وهو الظاهر انتهى وايد هذا بما اخرجه البيهقي وابن الجوزي في الوفا
عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال فضلت على ادم
بخصلتين كان شيطاني كافرا فاعانني الله عليه حتى اسلم وكن ازواجي عونا
لي وكان شيطان ادم كافرا وكانت زوجته عونا على خطيانه وقد اشار الى ذلك
الصرصري رحمه الله في نونيته بقوله

في خصلتين يفوق ادم فيهما ... وهما لاهل الحق واضحتان
شيطان ادم كافر يغوي وقد ... وصلت هدايته الى الشيطان
ولزوجه عون عليه وانه ... بنسايه قد كان خير معان

ونقل الشيخ محمد الشامي في سيرته عن المطلع ما اسلم من الشياطين الا شيطانا
شيطان نبينا صلى الله عليه وسلم وشيطان نوح عليه الصلاة والسلام وقال
بعضهم بل سائر الانبيا على هذا المنوال فتدبر قال القاضي ابو الفضل عياض
مصنف هذا الكتاب رحمه الله فاذا كان هذا حكم شيطانه صلى الله عليه وسلم
في احتياجه الى اعانة الله له عليه حتى يسلم منه وحكم قرينه من الجن الذي وكل
به وهو عطف تفسير لما قبله ووصفه بقوله المسلط على كل احد من بني ادم
وفي نسخة المسلط على بني ادم والمراد المسلط نوعه وجنسه لان قرينه مختص
به فكيف الظن بمن بعد منه ولم يقارنه من الشياطين اي نوهم احد انه لا يسلم
منه فعدم تسلطه معلوم بالطريق الاولى لانه لا يقدر على الدنو منه
وهو لم يلزم صحبته لان الله لم يجعله قرينا له اذ القرين معناه الملازم
للصحبة كما تقدم ولا اقدر بضم الهمزة والبنا للمفعول اي لم يجعله الله
قادرا على الدنو والقرب منه صلى الله عليه وسلم لعصمة الله له من تسلطه
عليه وعلى سائر الانبيا وخلص عباده وقد جات الاثار والاحاديث المروية
عنه صلى الله عليه وسلم بتصدي اي تعرض الشياطين له صلى الله عليه
وسلم في غير موطن اي في مواضع كثيرة كالصلاة وغيرها رغبة مفعول
له او حال في اطفا نوره وباطل الله الا ان يتم نوره وامانة نفسه اي

اهلاكه

اهلاكه او صده عما هو مشغول به من العبادة واد خلا شغل عليه اي بالوسوسة المانعة
له عن الكفر فيما فيه صلاحه وصلاح امته فعلوا ذلك اذ ييئسوا من اغوايه واضلاله عن
طريق الحق فا تغلبوا اي رجعوا عما تسددوا له خاسرين خايبين لعدم قدرتهم عليه
صلى الله عليه وسلم وعن القرب منه كتعرضه اي تعرض الشيطان له صلى الله عليه
وسلم وهو مستغرق بالتوجه الى الله في صلاته فاسره اي اخذه وقهره باستيلايه
عليه قهرا وبينه بقوله ففي الصحاح اي الاحاديث الصحيحة المروية في البخاري
ومسلم وغيرهما قال ابو هريرة في حديث رواه عنه صلى الله عليه وسلم ان
الشيطان تعرض لي وفي نسخة عرض لي اي اتاني ووقف عندي قال عبد الرزاق
ابن همام الامام الحافظ كما تقدم في ترجمته وهذا في زيادته على الصحيحين في صورة
هر وهو السنور الذي يقال له قط والشياطين تتمثل باي صورة ارادت من صور
الحيوان وغيره فشد علي اي حمل ووثب وثبة علي يقال شد يشد بكسر الشين
المعجمة وضمها اذا حمل على العدو ونحوه يقطع على الصلاة اي يبطل صلاتي
باخراجي منها او اشغله ليقطع على الخ واراد ان يقطع صلاتي ويفسدها فامكنني
الله منه اي اقدرني عليه ومكنني من اخذه وقهره فذعته بتقاود المهملة
ومعجمة وعين مهملة ومعجمة ويقال ذاته بدال مهملة ومعجمة وهمز اي خنقته
ودفعته حتى صرعته وروي فاخذت بحلقه واصل الدعت بمهملة ومعجمة
الذبح بعنف والمعك في التراب كما في النهاية وفي غيرها انه الغط في الما والخنق
الشديد وانكر الخطابي المهملة وصحح غيره ولقد هممت ان اوثقه اي اربطه
والوثاق ما يشد به قال تعالى فشدوا الوثاق وهممت بمعنى عزمت ونويت
الى سارية وروي بسارية من سواري المسجد والسارية العمود المنصوب
ليوضع عليه سقف ونحوه وكان ذلك ليلا في تهجده ولذا قال حتى تصبحوا
اي تدخلون في وقت الصباح تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان عليه
الصلاة والسلام والاخوة هنا المراد بها اخوة النبوة لانها تطلق على المشابهة
والمشاركة في امر ما رب اغفر لي وهب لي ملكا الاية لان الملك الذي اعطاه
الله له ملك الانس والجن والدنيا كلها وليس طلب سليمان لذلك محبة للدنيا
وزينتها انما هو لاجل ان يتم له اعلا كلمة الله وتنفيذ امره وقدم الدعا
بالمغفرة عليه لانه ادعى للاجابة وللاشارة الى ان القيام باعبا الملك والنبوة
شاغل عن العبودية فهو عنده صلى الله عليه وسلم كالذنب فرده الله اي
رد ذلك الشيطان خاسيا اي خايبا حقيرا لعدم ظفره بما اراد ومنه قولهم
للكلب اخسا لانها تدل على الطرد مع التحقير قال الخطابي هذا يدل على ان
سليمان واصحابه كانوا يرون الجن على خلقتهم الاصلية فيجوز وقوعه لغيرهم
فان قلت كيف ياتي الشيطان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال
لو سلك عمر فجا لم يسلكه الشيطان فكيف يخاف عمر ولا يخافه صلى الله عليه
وسلم حتى يتغلب عليه قلت عمر رضي الله عنه لما لم يكن معصوما محفوظا
من الجن حفظه الله بالقا الرعب منه في قلوبهم لحدته وشدته والنبي

صلى الله عليه وسلم معصوم من الجن والانس فلو سلكوا نحوه اخذوا واوثقوا
ويكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم لا تليق بغيره كما قيل وفي شرح مسلم
للنووي ان سليمان عليه الصلاة والسلام اختص بهذا عن غيره فامتناعه
صلى الله عليه وسلم عن امساكه اما لانه لم يقدر عليه لذلك او قدره وتركه
تواضعا وتادبا وكونه لم يقدر عليه يرده قوله امكنني الله منه وفي
حديث ابي الدردا عنه صلى الله عليه وسلم الذي رواه البيهقي عن عبد
الرحمن بن جبير وابو الدردا هو عويمر واختلف في اسم ابيه على اقوال
فقيل عامر وقيل مالك وقيل قيس وقيل ثعلبة وهو انصاري خزرجي
اسلم عقب بدر وتوفي سنة اثنين وثلاثين واخرج له احمد والستة وله
مناقب مشهورة ان عدو الله ابليس جاء بشهاب اي شعلة من نار ليجعله
في وجهي اي يلقيه عليه ليقطع صلاته والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة
جملة حالية او معترضة في كلام ابي الدردا وذكر ابو الدردا تعوذه بالله صلى
الله عليه وسلم بالله منه اي قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بالله منك
ولعنه له وقوله ثم اردت اخذه مصدر مفعول لاردت وفي نسخة اخذه
مضارع بتقدير ان كما في بعض النسخ وذكر كونه اي نحو قول ابي الدردا الهمت هريرة
انا اوثقه وفاعل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وكذا قال وفيه تقدير
اي لولا اوثقته لاصبح موثقا اي مربوطا يتلاعب به ولدان اهل المدينة
والولدان بكسر الواو جمع وليد وهو الصبي الصغير وهذا الحديث في مسلم
وفيه مسائل فقهية منها ان الدعا على غيره بالخطاب لا يبطل الصلاة لقوله
فيه لعنك الله ان لم نقل انه مخصوص به صلى الله عليه وسلم او قبل
تحريم الكلام وان الجن ترى بخلقتها الاصلية وقوله تعالى انه يراكم
هو وقبيله من حيث لا ترونهم اغلبي وقد قيل انه مخصوص بالانبيا
كرؤية الملك قال الشافعي ومن زعم انه يراهم ردت شهادته وعزر
لمخالفته القران وكان النووي اخذ منه قوله من منع التفضيل بين
الانبيا عزر لمخالفته القران وحمل بعضهم كلام الشافعي على زاعم رؤية
صورهم التي خلقوا عليها واستشكل ما ذكر شيخنا ابن قاسم بان غاية ما في
الاية اثبات حالة مخصوصة وهي تمكنهم من رؤيتنا في حالة لا نراهم
فيها وليس فيها عموم ولا حصر وذلك لا ينافي ان لنا حالة اخرى نراهم
فيها خصوصا وقد وردت الادلة برؤيتهم وكذلك اي مثل حديث ابي
الدردا ما روي في حديثه صلى الله عليه وسلم الوارد في الاسرا وطلب
عفريت له صلى الله عليه وسلم وطلبه هنا بمعنى توجهه نحوه ليرميه
بشعلة من نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه بان قال له قل اعوذ بالله منك
فانه حرز له وذكره اي امر الشيطان معه في الاسرا او تعليم جبريل له
الامام مالك في الموطا وهذا كان قبل تعوذه صلى الله عليه وسلم للسما
وكونه قصد تعليم جبريل له لا معنى له والعفريت الشديد الخبيث

المتمرد

المتمرد من الجن واطلاقه على غيرهم مجاز والكلام على اشتقاقه وغيره مبسوط في كتب اللغة
وما علمه له جبريل هو قوله اعوذ بوجه الله الكريم وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وشر ما يعرج فيها وشر ما ذرأ في الارض وشر
ما يخرج منها وشر فتن الليل والنهار وشر طوارق الليل الا طارقا يطرق بخير فقال
له اذا قلتهن انطفأت نارهم ولما لم يقدر الشيطان على اذاه اذ لم يتصل اليه ولم
يسلط عليه لعصمة الله له بمباشرته اي بالقرب منه جد الاتفاق في الاصل ملامسة
البشرة وهي ظاهر البدن تسبب بالتوسط الى عداه بكسر العين وضمها اسم جمع عدو
اي لما لم يتصل اليه ابتداء وكان متمكنا من الوصول لاعاديه وهم الكفرة جعلهم
واسطة وسببا لايصال الاذى اليه باغوائهم وتحريضهم على اذيته واغوائهم
كقصته اي الشيطان مع قريش بعد موت ابي طالب لما جد صلى الله عليه وسلم
في دعوتهم وانذارهم في الايتمار وهو افتعال من الامر ومعناه المشاورة
في المهم بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو رايهم الذي استقروا عليه وتصور
اي ظهور ابليس لعنه الله في صورة الشيخ النجدي نسبة لنجد وهي ارض فوق
تهامة وانما تصور بصورة شيخ لما يعلمونه من تجربة الشيوخ وحسن رايهم
وكانت صورته صورة نجدي لانهم لما اجتمعوا بدار الندوة قالوا لا يدخلن عليكم
ومعكم في الشورى احد من اهل تهامة لان هواهم مع محمد ولما ورد في الحديث
انها محل الفتن ومنها يخرج قرن الشيطان وكان وقف بباب دار الندوة وهي دار
قصي التي كانوا يجتمعون فيها لما يهمهم كما مر فقالوا له من انت قال شيخ من نجد
رايت اجتماعكم للشورى ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال البختري ارى ان
تحبسوه في دار تسدوا منافذها غير كوة تعطوه منها طعامه وشرابه فقال
الشيخ بيس الراي ياتيكم من يقاتلكم ويخرجه منها فقال الاسود بن ربيعة
ارى ان تخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما يصنع فقال الشيخ بيس الراي اذا
اخرجتموه يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل ارى ان تاخذوا
من كل بطن غلاما معه سيف فيضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبايل
فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فان فعلوه اي فرضوا منا بالدية فقال
الشيخ صدق الغلام فتفرقوا على رايه فاخبره جبريل عليهما الصلاة والسلام
بذلك ونزل عليه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
الاية وامر بالهجرة فكان ما فصل في السير وتصور الشيطان مرة اخرى في
غزوة يوم بدر في حديث رواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس كما قاله السيوطي
رحمه الله ولم نورد الحديث في صورة سراقة بن مالك الذي قدمنا ترجمته
وهو قوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية وكان من امره ما رواه
البيهقي رحمه الله في دلايله ان الشيطان تمثل للكفار قريش ببدر في
صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني وكانت قريش تخاف من بني بكر
ان ياتوا لهم من خلفهم لانهم كانوا قتلوا رجلا منهم فقال لهم ما اخبر الله
به من الغالب الشيطان لهم انهم لا يتهزمون وهم يقاتلون عن دين ابايهم

اى وقال لا غالب لكم اليوم من الناس
واني جار لكم

وكان تمثل مع جنده لهم بصورة قوم من بني مدلج فيهم سراقة اتوا لامدادهم
فقال الشيطان لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فامدهم الله بجنود
من الملائكة فلما راهم ابليس ولى عنهم فقالوا له انك جار لنا فقال اني ارى
ما لا ترون اني اخاف الله اي اهلاكه لي ولجندي وهو احد الوجوه في الاية واليه
اشار المفسر رحمه الله وقيل المراد وتسويله لهم بما ذكر وتصور الشيطان ايضا
مرة اخرى ببدر قريشا وتحقق فهم بشانه اي بامره صلى الله عليه وسلم عند
ببيعة العقبة وهي هي السفلى التي بايعه الانصار عندها قبل الهجرة
ثلاث مرات كما فصل في السير والمراد البيعة الثالثة وكان الانصار بايعوه
صلى الله عليه وسلم بها بمحل فيه الان مسجد يسمى مسجد البيعة فلما راى
ذلك الشيطان صرخ باعلا صوته هذا محمد ومعه الصباة قد اجمعوا على حربكم
فقال صلى الله عليه وسلم لما سمعه هذا ازب العقبة اي شيطانها واصله
الازب بهمزة وزاي معجمة مفتوحتين الكثير الشعر سمي به الشيطان ٥
وتفصيله في السير ايضا وكل هذا المذكور من امر الشيطان الذي تعرض فيه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر فقد كفاه الله امره الفا زائدة
في الخبر او هو بتقدير اما او بتوهمها وعلى ما في بعض النسخ وقد بالواو والخبر
مقدر اي وقع حفظه منه وعصمه ضره بفتح الضاد اي مضرته وفيهما غير
مناسب هنا والضمير لكل او للشيطان وشره كما كفى سائر الانبيا عليهم الصلاة
والسلام اذ عصمهم منه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان عيسى نبي الله عليه الصلاة
والسلام كفي بالبنا للمجهول اي كفاه الله وحفظه من لمسه اي من ان
يلمسه او يمسه كما ياتي بيانه والضمير للشيطان للعلم به من السياق فجا الشيطان
عيسى عليه الصلاة والسلام حين ولادته ليطعن اي ليمسه ويمسه
بيده في خاصرته بخا معجمة وصاد مهملة هي جانبه مما فوق اضلاعه وهي
الشاكلة ايضا حين ولد فطعن في الحجاب اي في شي حجبه عن الوصول لمس
جسده قيل هو المشيمة وقيل ما لف فيه وقيل انه امر حجبه الله به
عنه او حجبته امه مريم عنه والفا سببية اي بسبب كفاية الله له وقع
طعنه في الحجاب والحديث كل بني ادم يطعنه الشيطان في جنبه باصبعه
حين يولد غير عيسى عليه الصلاة والسلام ذهب ليطعنه فطعن في
الحجاب وفي رواية ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد
ويستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها وهو المذكور في اية
اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وليس هذا مخصوصا بعيسى
كما قد يتوهم من ظاهره وفي شرح مسلم عموم عدم طعن ابليس وتخصه
لم يقم عليه دليل غير عصمة الانبيا ولا يلزم منهما انه لا يمس انما يلزمهما عدم
الاغوا والاذية لهم ولا يلزم من اختصاص عيسى بهذه المنقبة تفضيله
على نبينا صلى الله عليه وسلم وذكر امه معه مما يدل عليه دلالة ظاهرة

فقد

فقد يخص الله بعض عباده بامر لم يكن لافضل منه نعم حديث مولده صلى الله عليه
وسلم الدال على انه لم يستهل دال على انه لم يستهل صارخا فاختصاص عيسى
وامه انما هو بالنسبة لمن تمكن الشيطان من القرب منه لا لمن امتلات الارض بالملائكة
الحافين به فتدبر ولما ساق مسلم حديث ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان
فيستهل صارخا من نخسه قال القرطبي في شرحه اي في اول وقت الولادة
يسلط عليه بنخسه الا مريم وابنها عليهما الصلاة والسلام لدعوة امها بقولها
قولها اني اعيذها بك الاية وامها امرات عمران وهي حنة بنت فاقود وهو
عام وشامل للانبيا عليهم الصلاة والسلام والاوليا ومع ذلك عصمهم الله منه
لقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ولكل قرين من الشياطين وقد خص الله
نبينا صلى الله عليه وسلم بان اسلم قرينه فلا يامر الا بخير وهذه لم يؤتها غيره
انتهى وقد تقدم ما في ذلك ثم قال وقوله مسلم صياح المولود نزغة من الشيطان
روي بنون وزاي وغين معجمتين وروي فزعه بفا وعين مهملة وللزمخشري
في تاويل الحديث تخيل تاباه الحق الصريح فان اردته فانظر الكشاف وشروحه
وقال صلى الله عليه وسلم حين لد بالبنا للمجهول من اللدود بفتح اللام ودال
مهملتين بينهما واو دوا بما يقع من ما واجزا حارة يوضع في احد شقي الفم
تتغرغر به ثم يشربه واسما الادوية بهذه الزنة كالسعوط ولما لدوه صلى الله
عليه وسلم قال لايبقى احد في البيت الا لد عقوبة لهم لما تالم في مرضه الذي
مات فيه والاضافة فيه للعهد وقيل له خشينا اي خفنا عليك ان تكون بك
اي وقع بك واصابك ذات الجنب وهو اسم لمرض يكون في باطن الجنب كالدمل
ينفجر في الداخل وذو الجنب من يشتكي منه ويقال الدبيلة ولذا انث وهو
مخوف قل من يسلم منه فهو مؤنث باعتبار انه سمي دبيلة لا لانه لا يصدر الا
مرة واحدة كما قيل الا انه امر تبع فيه الشراح بعضهم بعضا وهو مخالف
لما قرره الاطبا فان الدبيلة مرض في الكبد وذكر بعض الاطبا انه قد يكون في
المعدة وذات الجنب في الخاصرة واسمها معرب عن معناها فقال صلى الله عليه
وسلم انها اي ذات الجنب من الشيطان اي هي وخز يصيب الناس من الشياطين دبيلة
كالطاعون لا انه لسبب وسوسته كما قيل وليست ايضا من طعنة المولود
حين يولد ولم يكن الله لعصمته له ليسلطه على تعظيما له صلى الله عليه
وسلم ومن اللطائف ما قلته مماجنا لبعض الاخوان وقد تكوح بعجوزة

ياخليلي قد اصطفيت عجوزا هي كانت من الممات اشد
قال ذات الجنب بليت بها ما لي لدود لها وخصمي الد

وهذا الحديث رواه في الموطا وقال السهيلي وذات الجنب تسمى الخاصرة
وهي من سيئ الاسقام الذي استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت تصيبه صلى الله عليه وسلم فيظنها عرق الكلية وهو مرض اخر
ومن هنا علم خطا من قال انها لا تصيبه الا مرة كما تقدم وكانوا لما ارادوا
ان يلدوه صلى الله عليه وسلم اشار اليهم بالمنع منه فظنوه لكراهة المريض

الدوا فلما افاق قال لا يبقى احد في البيت الا لد كما مر وكونها من الشيطان ومن طعنه ورد في احاديث اخر واليه يومي قوله فان قيل فما معنى قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فان اصل معنى النزغ لغة ادخال شي مفسد كالطعن كما ذكره الراغب فاتصال السؤال بما قبله وبما عقد له الفصل في غاية الظهور وان اطال فيه بعضهم بغير طائل يفيده وحاصله ان الله عصمه صلى الله عليه وسلم من تسلط الشيطان عليه باذية او وسوسة وفي الاية ما يوهم خلافه وان كانت ان الشرطية لا تقتضي الوقوع ولو سلم فالمراد امته لحمل ما يصيبهم كانه يصيبه واسند النزغ للمصدر مجازا كقوله جد جده واصل النزغ الطعن ثم شاع في كل مفسد كما علم فقد قال بعض المفسرين في تفسير هذه الاية انها اي هذه الاية راجعة الى قوله تعالى قل واعرض عن الجاهلين ثم قال الله واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي يستخفنك غضب اي لا تكافئ السفهاء الذين خفت احلامهم اذا اغضبوك بمثل افعالهم واغض عنهم ولذا قيل ان هذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق ولذا قال له جبريل لما ساله صلى الله عليه وسلم عنها ان الله امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن ظلمك يحملك على ترك الاعراض عنهم لجزائه لهم بمثل فعلهم فاستعذ بالله اي قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا تطعه وتفعل بنزغه وهذا من مكارم الاخلاق لانه امر بينه فان الغضب على السفيه وجزاؤه بمثل فعله ناديا باله لا يعد من الامور الشيطانية والاستعاذة عند الغضب مشروعة وعلى هذا ليست الاية منسوخة باية القتال كما قيل وقيل النزغ هنا اي في هذه الاية الفساد مستعار من النزغ بمعنى الطعن والنخس كما قال تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد ما بيني وبينهم بما حملهم عليه في قصته معهم فالمراد هنا فساده بوسوسته له في حال غضبه وحمله على ما لا يليق به فاذا خطر بباله يستعيذ بالله طلبا للنجاة من كيده وقيل معنى ينزغنك يغرينك من الاغراء بغين معجمة وراء مهملة وهو الحث والتحريض على امر ما وتحريكك بازعاجك للانتقام ممن اغضبك والنزغ ادنى الوسوسة اي اقلها كحديث النفس والتفكر واصل معنى الوسوسة الصوت الخفي ومنه قيل لصوت الحلي وسوسة كما قيل قالوا كلامك وسواس فقلت لهم وقد يقال لصوت الحلي وسواس وهذا تفقه له العامة وسوسة بالاحكام فامره الله في هذه الاية انه متى تحرك اي طرا عليه وعرض له غضب على عدوه لسوء ما صدر منه او رام الشيطان من اغرائه به وايقاعه به بحثه على قتله فهو بغين معجمة وراء مهملة وفي نسخة اعواده بعين مهملة ونون وما في بعض النسخ من اغرائه بغين وراء معجمتين فهو تحريف من النساخ والصواب الاول وهو اطرادي بمعنى اقل ووساوسه جمع وسواس مما لم يجعل له سبيل اليه اي حماه من التلبس بمثله لعصمته منه ان يستعيذ منه لقبول امره لان مجرد الوسوسة والخطور بالبال لا يضر في عصمته صلى الله عليه وسلم

ابن ابحرس

واذ

وان كان امرا مسموعا وهذه الاية في سورة الاعراف وهي المذكورة هنا ووقعت في سورة
فصلت مسبوقة بقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه
ولي حميم وهما متماثلان معنى وسياقا فيكتفي بالبنا للمجهول اي يكفي الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم اذا استعاذ به والتجا اليه امر اي امر الشيطان بوسوسته
لصرفها عنه ويكون ذلك سبب تمام عصمته لعصمته صلى الله عليه وسلم من مجرد
الخواطر وهو نهاية الحفظ والعصمة اذ لم يسلط الشيطان عليه باكثر من التعرض له
فضلا عن التمكن منه وايصال اذيته له ولم يجعل له قدرة عليه فيرجع خايبا
خاسيا وقد قيل في هذه الاية غير هذا من التفاسير التي اقتصر منها على ما يناسب
غرضه فيما عقد له هذا الفصل وكذلك اي مثل ما ذكر من حفظ الله له من تسلط
الشيطان عليه لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك بان يتمثل بمثاله
ويقول له انا ملك ارسلني الله اليك لحفظ الله له عنه ومنعه من ان يأتيه
بهذه الصورة وهذه شبهة اوردها منكروا النبوة بانه من اين يعلم ان الاتي
له ملك يبلغه الوحي عن الله لم لا يجوز ان يكون جنيا ويلبس عليه امره فيلتبس
الوحي بغيره لا يقع ذلك في اول الرسالة اي في اول امره بدعوة الخلق الى الله
ولا بعدها الظاهر بعده اي بعد الاول في اثنائه والاعتماد اي اعتماده صلى
الله عليه وسلم في حقيقة ما اتاه وعدم احتماله لغيره في ذلك اي في عدم تلبيس
الشيطان عليه وتصوره بصورة الملك دليل المعجزة اي قوة يقينه دليل على انه
معجزة له او هو يعتمد في انه امر الهي على ما ظهر له من المعجزة كتسليم الحجر عليه
واظلال الغمام له فمعنى قوله لا يصح اي لا يجوز عقلا اذ لكن والقول بانه لا مدخل
للعقل فيه وانه امر علم من الشرع ومعنى لا يصح انه ممنوع من جانب الشرع
كلام باطل بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم ان ما يأتيه من الله الملك
هذا هو الخبر او خبر بعد خبر ورسوله الذي ارسله الله اليه من رسل الملائكة
حقيقة لا تمويها وتلبيسا عليه من غير شك فيه اما بعلم ضروري يخلقه
الله له بديهي غير محتاج لدليل لعدم تردده فيه او برهان ودليل قطعي
يظهر لديه مما شاهده من معجزاته كنطق الحجر وتسليم الشجر وكل ذلك لتتم كلمة ربك
فتبلغ الغاية احكامه واخباره ومواعيده صدقا في خبره له ووعيده وعدلا
ما حكم به من احكامه التي بلغها وهما تمييزان محولان عن الفاعل او حالان لا مبدل
لكلماته اي لا يمكن تغييرها ولا تنسخ بعدما بلغت غايته لا تقبل الزيادة عليها
ولذا كانت شريعته صلى الله عليه وسلم اخر الشرايع وهذا التعليل بما ذكره
من حفظه صلى الله عليه وسلم من ان يتصور له الشيطان بصورة ملك فيكون ما
بلغه امر مخلطا قابل للتبديل والتغيير ولذا عقبه بقوله فان قيل فما معنى قوله
تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
الاية فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم التمني هنا
بمعنى التلاوة والامنية الكلام المتلو لان التمني ما يتصوره الانسان في نفسه
والمتلو كذلك فحاصل السؤال المذكور انك قلت ان الشيطان لا يتسلط على الانبيا

وعلى نبينا افضل صـ

عليهم الصلاة والسلام بوسوسته وهذه الاية تدل على ان الشيطان لعنه الله خلط عليهم فيما يوحى اليهم عند تلاوته وهذه الاية تدل على ان بين النبي والرسول فرق وقد اختلفوا في الفرق بينهما بعد الاتفاق على انهما من ينزل عليه الملك بالوحي والمشهور ان الرسول اخص من النبي وهو من يكون مامورا بالتبليغ وله شرع جديد واشترط بعضهم ان يكون معه كتاب ويستعمل كل منهما بمعنى الاخر وقد مر جميع ذلك فاجاب بقوله فاعلم ان للناس اي العلماء لانهم هم الناس اقاويل هو جمع قول فهو جمع الجمع منها اي من جملة هذه الاقاويل السهل والوعث اي ما هو ظاهر سهل فهمه ومنها ما هو خفي يعسر فهمه وهو مستعار من المكان السهل وهو المنبسط الذي يسهل المشي فيه والوعث المكان الكثير الرمل الذي يشق المشي فيه ومنه ارض وعثا ثم استعمل مجازا او استعارة لمعنى الشاق ومنه ما ورد في الحديث اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر اي مشقته فلهذه الكلمة هنا موقع ليس للمشقة فالمعنى منها ما هو ظاهر تسلكه الافهام بسهولة ومنها ما هو صعب يشق على اقدام الافهام وهو بفتح الواو وسكون العين المهملة والمثلثة والسمين مستعار من السمين وهو الممتلي باللحم والشحم والغث بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة ضده وهو الناقة المهزولة استعير لما فيه فوايد جليلة ولما خلا عنها يعني ما جمع بين حسن العبارة وجزالة المعنى واولى ما يقال فيها اي ما يقال في تفسيرها واولى بمعنى احق بالقبول او بمعنى اقرب كما في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الميراث فلاولى رجل ذكر اي اقرب من الميت وهو العصبة ما عليه الجمهور اي ما استقر عليه راي الجمهور اي الاكثر من المفسرين ان التمني معناه هنا اي في هذه الاية التلاوة لانه تفعل من مني بمعنى قدر كما قال الشاعر

لا تامنن وان امسيت في حرم ° حتى تلاقي ما يمني لك الماني

اي ما قدر لك القدر والتمني امر يقدره المرء في نفسه وهو بمعنى تلا قال

تمنى كتاب الله اول ليله ° تمنى داود الزبور على رسل

والقا الشيطان في قوله القى الشيطان في امنيته اي متلوه شغله مصدر بوزن ضرب مضاف لفاعله اي شغل الشيطان للتالي بخواطر اي امور دنيوية تخطر على قلبه فتشغله عما تلاه واذكار جمع ذكر اي حديث نفس يذكره فيلهيه من امور الدنيا بيان لهما للتالي صفة لخواطر واذكار اي كاينة وعارضة له حتى علة لشغله يدخل مضارع ادخل وفاعله ضمير الشيطان ومفعوله الوهم في قوله عليه اي على التالي الوهم اي الغلط او مضارع دخل والوهم فاعله والنسيان فيما تلاه او يدخل عليه غير ذلك اي غير الوهم والنسيان على افهام السامعين وبين ما يدخل على افهام السامعين بقوله من التحريف لما تلاه عليهم وسوء التاويل الناشي عن تحريف ما سمعوه ما يزيله الله مفعول القا وينسخه اي يحوله من الباطل الى الحق ويكشف لبسه اي يزيله ويبينه

وبظهره

منه مد

وَيظهر ويحكم اياته اي يجمعها ويبينها وسياتي الكلام على هذه الاية مفصلا فاشبع
من هذا اي باكثر تفصيلا وهو استعارة من الشبع ضد الجوع لان العلم غذا الارواح وهذا
التفسير هو المنقول عن السلف وهو احسن ما قيل فيها كما قاله النحاس وهو المنقول
عن ابن عباس كما سياتي وتفسير التمني بالتلاوة مشهور في اللغة والتفسير كما علم
وذكر الكسائي والفرا انه يقال تمنى اذا حدث نفسه قال القرطبي وهو المعروف في
اللغة ومن قال انه لم يجده في كتب اللغة والذي فيها اعم منه فقد قصر فانه قد
صرح به الراغب في مفرداته فليت شعري ما هذه الكتب التي راها وفتشها وليس
هذا منافيا لما ذكره اولا من عصمة الانبيا عن الوساوس لان الذي عصم عنه الانبيا
الخواطر القارة واما مجرد الخواطر فلا تضرهم ولا يقروا عليها وبه صرح الثعلبي في
تفسيره وقد حكى الامام ابو الليث الحنفي السمرقندي وقد تقدمت ترجمته في تفسيره
انكار قول من قال بتسليط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وهو حين
اخذ خاتمه الذي يتصرف في ملكه به بامر الله فهرب سليمان عليه الصلاة والسلام
الى ان رد الله عليه الخاتم وان ذلك الشيطان كان يتمتع بنسا الى اخر ما ذكره
القصاص من الخرافات في قصته وقد رده ايضا بان مثل هذا لا يصح وقد
ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا وكذا ذكرنا قول من قال في هذه القصة
ان الجسد الذي ذكره الله في قوله والقينا على كرسيه جسدا هو الولد الذي ولد له
حين قال صلى الله عليه وسلم لاطوفن على نسائي هذه الليلة وتحمل كل واحدة
منهن بذكر يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شا الله وكان له تسعون امراة فلم
تحمل منهن غير واحدة بشق رجل واهل القصص ذكروا فيه غير ذلك كما سياتي
ان شا الله تعالى وما ذكره السمرقندي هو المعتمد عند المفسرين وقد حكى ابو محمد
مكي وقدمنا ترجمته في قصة ايوب نبي الله عليه الصلاة والسلام وهو كما
قال ابن اسحاق ايوب بن اموص بن رازح بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم وقيل
غير ذلك وكان في زمن يعقوب وتحته ابنته وابوه امن بابراهيم وامه بنت
لوط وقد فصل احواله صاحب مراة الزمان وذكرنا منها طرفا في غير هذا المحل
وقيل انه بعد سليمان وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اي الم ومشقة
عظيمة ونصب بمعنى تعب يعني ما اصابه في بدنه وقرئ بضم وسكون ومنه قراءة
اخرى انه بالكسر مفعول القول لا يجوز لاحد التناول اي يفسر ما ذكر في هذه
الاية برايه فيقول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر بالضم وهو المرض
في بدنه لان الله تعالى عصم الانبيا عليهم الصلاة والسلام من اذيته وتسلطه
عليهم ولا يكون اي لا يقع ولا يصح ذلك اي كون الشيطان امرضه الا استثنا
منقطع اي لكن كل ما يصيبهم بفعل الله وامره اي تقديره ليبتليهم اي يوقع
بهم بلا من مرض وغيره ويثيبهم اي يعطيهم ثوابا جزيلا على ما ابتلاهم
وفي نسخة ويبتليهم من البلا بمثلثة وموحدة ومثناة اي يصبرهم حتى
يكون منهم ثبات على شكره والرضا بقضايه وهذا اشارة لما ذكر في القصص
وبيان لرده وان ذكره بعض المفسرين لما في ظاهره لانه من اسناد ما مسه للشيطن

ابن اقيوس

وهو اسناد مجازي تادبا مع ربه في عدم امنا فة الشر له لان كل ما صدر عنه خير
من حيث صدوره عنه والذي قالوه ان الشيطان حسده لما راه من نعم الله عليه
وكثرة تصدقه وكان ابليس اذ ذاك لا يحجب عن السما فقال يا رب لو سلطتني
عليه لكفر بك فقال اذهب فقد سلطتك على ماله واهله وجسده وكانت زوجته
رحمة بنت لوط عليه الصلاة والسلام وقيل بنت افرايم بن يوسف فاصابه
فروح مبين بدنه واهلك ماله وولده ودوره وكان نفخ في بدنه فتفرح كله فقعد
الملعون في الطريق بتطبب فقالت له زوجة ايوب ان هنا عبد مبتلي فهل لك ان
تداويه فقال نعم ان قال لي انت شفيتني فاخبرته زوجته بذلك فقال ويلك
هو الشيطان ان عافاني الله لاجلدنك مائة جلدة فكان ما كان من امر الضغث
ثم اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام وركض برجله فنبعت عين ما اغتسل
منه فرد الله عليه صحته وحماله وكان مدة بلائه سبع سنين وزيادة وقد
ذكر ابن العربي هذه القصة وبين ما لم يثبت فيها كما قال مكي وقد قيل ان الذي
اصابه من الشيطان ما وسوس به الى اهله ارادبا هله زوجته رحمة ويصح
ان يراد به ظاهره فهو على هذا لم يصب بشي في نفسه وانما اضاف ما اصاب اهله
اليه مجازا وقد قدمنا ما وسوس به لاهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن
يوشع نبي الله عليه الصلاة والسلام وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف
ابن يعقوب كان في زمن موسى عليه الصلاة والسلام وهو الذي اقام لبني اسرايل
احكام التوراة بعده وقسم الشام بين بني اسرائل وقاتل الجبارين ورد له
الشمس كما مر وتفصيل احواله معلوم من التواريخ وهو فتى موسى المذكور
في القران وما انسانيه الا الشيطان ووجه السوال انه نبي وقد سلط عليه الشيطن
حتى انساه ذكره وسياتي جوابه وان اذكره بدل من مفعول انسانيه ومثله قوله
تعالى عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وكذا قول نبينا صلى الله عليه وسلم
حين نام عن الصلاة اي صلاة الصبح فنام حتى فاته وقتها فقضاها بعد طلوع
الشمس يوم الوادي اي فيه متعلق بنام او بالصلاة وهو واد بقرب مكة وكان
صلى الله عليه وسلم لما نزل به امر بلالا ان ينبههم اذا طلع الفجر فغفل عنه
فنام صلى الله عليه وسلم حتى ادركه حر الشمس كما في الموطا وفي البخاري عن
عمران بن حصين كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كنا في اخر الليل
رقدنا رقدة احلى منها عند المسافر فما ايقظنا الا حر الشمس فكبر عمر رضي الله
عنه حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا قالوا له لو
عرست بنا يا رسول الله فقال اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال بلال
انا اوقظكم فاضطجعوا واسند بلال ظهره لراحلته فغلبته عيناه فنام حتى
طلعت الشمس وقال ما القيت علي نومة مثلها قط فامرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالارتحال عن الوادي ثم نزل فتوضى وصلى بهم وفي
مصنف عبد الرزاق عن عطا بن يسار انه كان بطريق تبوك ونحوه في دلايل
البيهقي وقيل انه كان بغزوة موتة فقال صلى الله عليه وسلم لما انتبه

ان هذا وادٍ به شيطان وفي هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ليأخذ كل
رجل برأس راحلته فان هذا منزل حضرنا فيه شيطان واخر الصلاة حتى خرجوا
من ذلك الوادي كما مر اذ لم يكن تركها قصدًا وانما تحول عن الوادي كراهة ما
اصابه فيه من الغفلة ولانه يخشى فيه من اعداء المسلمين لا لان الوقت وقت كراهة
فان قلت كيف هذا مع قوله صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي قلت
اجاب عنه المص فيما يأتي وتبعه النووي بان القلب لا يدرك ما تدركه الحواس
الظاهرة كالعين والاذن وانه صلى الله عليه وسلم كان له حالان في احدهما وهو
الاكثر ان قلبه لا ينام وفي بعض الاحيان ينام عينه وقلبه لعارض كتعب سفر
ونحوه وفيه تشريع للقضاء وتاخيره ولو كان قلبه الشريف يقظان لم يعذر صلى
الله عليه وسلم في تاخيره للصلاة والجواب الثاني هو الاولى وهذا الحديث
له اصل ايضا في مسلم عن ابي هريرة وله طرق اخرى وقال القرطبي اخذ بعض العلما
بظاهره فقال من انتبه من نومه عن صلاة فاتته في سفر فليتحول عن موضعه
وقيل انما يستحب في ذلك الوادي بعينه كما في قصة ابار ثمود وقيل انه
مخصوص به صلى الله عليه وسلم لان مثل ذلك لا يطلع عليه غيره ولا باس بالقول
باستحبابه مطلقا وهو … ض … حديث البخاري من فاتته صلاة فليصلها اذا
ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وسياتي ما فيه عند ذكر الجواب عنه وما معنى فوكز
موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم في وكزه وفي نسخة وكزته ومعناهما واحد
والوكز الدفع والضرب بجمع الكف وكزه المراد به وكز القبطي المذكور في القرآن
هذا الوكز من عمل الشيطان وهو معقود العقول وهو معصوم فكيف وقع منه
ما وقع من قتل من لم يؤمر بقتله فلذا اسماه ظلما واستغفر منه ووجه
السؤال ظاهر وكان موسى قبل النبوة يركب مع فرعون في مواكبه الا انه لم يكن
على دينه فلحقه مرة في وقت القائلة او بين العشائين فدخل مدينته منف
في وقت غفلة فوجد رجلين يقتتلان احدهما قبطي والاخر من بني اسرائيل
من قوم موسى فاراد القبطي ان يسخره بحمل متاع له فاستغاث بموسى لينصره
عليه ونصرة المظلوم واجبة في سائر الملل فوكزه بيده او بعصا ليدفعه
فقتله ولم يكن هذا ظلما منه صلى الله عليه وسلم وانما جعله من عمل الشيطان
استعظاما لتركه الاولى ولم يضفه الى الله تادبا منه فاعلم جواب الشرط
في قوله فان قلت ان هذا الكلام المذكور عن الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
في السؤال قد يرد في القرآن والحديث ما هو اعم منه او بمعناه في جميع هذا
المحكي عنهم على مورد مستمر بالاضافة لكلام اي طريق معروف في استعمال كلام
العرب او هو فاعل يرد اي دأبهم في كلامهم ومعتادهم فيه والاول هو الظاهر
وفاعل يرد ضمير الكلام في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بيان لكل قبيح كقبح
الشخص في منظره والافعال القبيحة الصادرة من الناس فيقولون للقبيح
هو شيطان ويضيفون الافعال القبيحة له وقوله للشيطان متعلق
بوصفهم او فعله مجرور معطوف على الشيطان فاذا رأوا شخصا قبيحا

قالوا هذا الشيطان بالتشبيه البليغ واذا راوا فعلا قبيحا قالوا هذا فعل الشيطان
كما قال تعالى في شجرة الزقوم التي في جهنم طلعها كانه رؤس الشياطين مافيها
ما يشبه طلع النخل فشبه ما يطلع منها تشبيها تخييليا بذلك لما استمر عندهم
من تشبيه كل قبيح بها وان لم يروها كقول امرئ القيس
ومسنونة زرق كانياب اغوال كما بين في كتب المعاني وقيل الشياطين
حيات كبيرة هائلة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في المار
بين يدي المصلي فليقاتله فانما هو شيطان والحديث رواه مسلم عن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه اذا صلى احدكم الى شيء يستره فاراد
احد ان يجتاز بين يديه فليدفع في نحره فان ابى فليقاتله فانما هو شيطان
والامر للندب لا للوجوب وانما يندب اذا كان بين يديه سترة وانما يفعل
ذلك اذا لم يرتد باسهل الوجوه وذكر المقاتلة مبالغة في شدة الدفع
والا فالمقاتلة افعال كثيرة لا تجوز في غير صلاة الخوف وقوله هو شيطان
استعارة تصريحية شبهه بالشيطان في صدور الافعال القبيحة منه وقيل
انه مجاز مرسل لان الشيطان سبب لما فعله واما كونه حقيقة لقوله
شياطين الانس والجن فليس بشيء لانه مجاز ايضا وانما كره ذلك لانه شغله مرضي
عن خدمة ربه وتوجهه اليه وايضا من آمن اذا رجع اي يرجع الى الجواب
عما مر في السؤال فان قول يوشع عليه الصلاة والسلام وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره الذي حكاه الله عنه لا يلزمنا الجواب عنه لعدم وروده
على ما قررناه من عصمة الانبياء عن تسلط الشيطان عليهم اذ لم يثبت له
في ذلك الوقت اي وقت صدور هذا القول عنه وهو في خدمة موسى
عليهما الصلاة والسلام نبوة اي انه كان نبيا حال كونه مع موسى مصاحبا
له في سفره وهو خادمه ويدل على ذلك قوله تعالى وفي نسخة قال الله تعالى
واذ قال موسى لفتاه اي اخيه والفتى في الاصل معناه الشاب فاستعمل بمعنى
العبد والخادم لان الغالب استخدام الشباب وتوقير الكبار وهو من الآداب
الشرعية ففي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم عبدي وامتي
ولكن يقول فتاي وفتاتي وانما سمي يوشع فتى موسى لانه كان يلازمه فيقوم
مقام العبد ويقال انه ابن اخته ويقال يوشع بن نون كما في صحيح البخاري
والمروي عن العلماء الثقات انه انما نبئ اي جعله الله نبيا واوحي اليه بعد
موت موسى وقيل انه نبئ قبل موته اي موت موسى وفي بعض النسخ قبيل
بالتصغير اشارة لقلة زمن نبوته في حياته وسياتي فيه كلام ايضا وقد قيل
انه نبئ في حياته فكان اذا سأله عما اوحي اليه يقول صحبتك كذا وكذا ولم
اسألك عما اوحي اليك فلما راى ذلك كره الحياة وسأل ربه ان يقبضه اليه صوابه هذا
وقيل الاصح انه انما نبئ بعد موسى وقول موسى في ذكر الفتى انه من عمل
الشيطان كان قبل نبوته فلا يرد السؤال به لان الكلام في عصمة الانبياء عن
تسلط الشيطان عليهم بدليل القرآن فانه قص فيه العصمة بما يدل على انه

انما

انما بني بعد ذلك كما يعرفه من عرف الاية وتفسيرها في سورة القصص فانها قبل خروجه لمدين واستيجار شعيب له وتمكنه عنده فانه صرح في الآية بانه بني بعد ذلك وقوله في الشرح الجديد ان المراد بفقود موسى ما قاله ليوشع وان ما في القران ذكره بانه فتاه ونه ان يقول نبي الله مع مخالفته للشروح لا وجه له وقصة يوسف وما فيها مما عقد له الفصل الجواب عنها انه قد ذكر بالبنا للمجهول اي ذكر علما التفسير وغيرهم انها كانت قبل نبوته اي قبل نبوة يوسف عليه الصلاة والسلام فلا يمتنع قبلها ان يخطر عليه خاطر ينسي به ذكر ربه المشار اليه بقوله فانساه الشيطان ذكر ربه وهذا احد قولين فيه وقيل انه نبي في الجب وهو على حجر مرتفع فيه بدليل قوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهو قبل مجيئه لمصر وهو قول الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة وهو ابن ثمان عشر سنة ومن الانبيا من نبي صغيرا قبل الاربعين فعلى هذا يجاب بانه انما كان استعان لمخلوق ومثله جائز وان لم يليق بمنصب النبوة فاضاف ما هو خلاف الاولى الى الشيطان تادبا ولا ضير فيه وهذا ابنا على ان ضمير النسيان راجع ليوسف وقد قال اكثر العلما والمفسرين في قوله تعالى فانساه الشيطان قولين اخرين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه ليس المراد به يوسف والرب بمعنى السيد اي الملك وانما المراد احد صاحبي السجن وليس المراد بصاحب السجن مالكه بل من طال حبسه فيه فالاضافة لادنى ملابسة كقوله يا سارق الليلة اهل الدار وربه المراد به في الآية على هذا سيده وهو الملك اي الشيطان انساه اي انسى الشرابي المسجون ان يذكر من ذنه بقتل وفي بعض النسخ بضم اليا وكسر الكاف المشددة والاول هو الصواب لانه الموافق لقوله اذكرني عند ربك للملك شان يوسف في السجن والورطة التي وقع فيها وكان دخل معه فتيان من عبيد الملك احدهما شرابه الذي يسقيه الشراب وكان الملك عرفهم طويلا فدسوا في شرابه سما فلما اخبر به الملك حبسهما فالقا يوسف وهو مسجون معهما وراي كل منهما رويا قصها على يوسف وبينها له ثم قال لمن راه ناج منهما وهو الشرابي اذا خلصت اذكرني عند ربك يعني الملك فتسلط الشيطان عليه حتى انساه ان يذكر للملك قصة يوسف فعلى هذا لم يتسلط الشيطان على يوسف حتى يرد السؤال والى ذلك اشار المص وايضا اي مثل ما ذكر في جواب الشبهة عن قصة يوسف ويوشع فان مثل هذا النسيان المذكور من قبل الشيطان بكسر القاف وفتح البا الموحدة بمعنى عند وجانب يقال لفلان قبل فلان كذا اي عنده قال تعالى فالذين كفروا قبلك مهطعين وفي بعض النسخ من فعل الشيطان والجار والمجرور حال من اسم الاشارة بعيد الهامية والخبر قوله ليس فيه تسليط على يوسف ويوشعا وهو خبر بعد خبر بوسواس متعلق بتسليط ونزع نبوته وراي ساكنة وعين معجمتين وقد تقدم معناه لعصمة الله لهما عن ان يكون له سلطان عليهما وعلى غيرهما من الانبيا وانما هو الضمير لمثل دشغل خواطرهما بمعجمتين من الثلاثي ويجوز كونه من المزيد

على لغة غير فصيحة كما تقدم اي يشغل لبس بطريق الوسوسة وا التسليط بل بامر
اخر مما يرد على الخاطر ولا يضر ولا يستغرق وهو تذكيرهما اي يوسف ويوشع من امرهما
ما ينسيهما بالتشديد بالمهملة والتخفيف ما نسيا اي يذكران امرا نسياه من احوالهما
السالفة كاستعانة يوسف بمخلوق في ونسيان الحوت الذي نسيه يوشع ونساه للشيطان
تادبا كما مر ومثله لا محذور فيه واما قوله اي قول نبينا صلى الله عليه وسلم
في الحديث الذي تقدم بيانه وروايته عن مسلم ان هذا واد به شيطان وتقدم
بيان الوادي ومكانه فليس فيه اي في هذا الحديث ما يقتضي ذكر تسلطه اي الشيطان
عليه صلى الله عليه وسلم ولا وسوسته له صلى الله عليه وسلم لعصمته ه
ونزاهته عن مثله فهو لا يقدر على ان يقرب من سرادق حمايته بل ان كان ذكر
في الحديث ما يوهم تسلطه عليه بمقتضى ظاهره قبل التامل فيه فقد بين
وكشف صلى الله عليه وسلم فيه امر ذلك الشيطان في هذه الواقعة بقوله
صلى الله عليه وسلم في رواية مالك والبيهقي عن زيد بن اسلم ان الشيطان
اتى بلالا بعد ما امره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينتظر طلوع الفجر
ويوقظه صلى الله عليه وسلم من نومه فلم يزل الشيطان يهديه كما يهدا
الصبي الصغير في مهده حتى نام بلال فلم يستيقظ حتى اصابه صلى الله عليه
وسلم حر الشمس فاستيقظ وقال ما هذا يا بلال فقال اخذ بنفسي الذي اخذ
بنفسك يا رسول الله الحديث وقوله يهديه بضم المثناة التحتية وسكون
الهاء ودال مهملة مكسورة مخففة واخره يا ساكنة او همزة مضمومة او هو بفتح
اوله وسكون ثانيه وفتح داله وبعده همزة او الف ودال مشددة الا ان رسمه
باليا في النسخ وكذا يهدي في قوله كما يهدي الخ قال الجوهري هدا اهدا او هدوا
اذا سكن واهدات الصبي اذا سكنته وامررت يدك عليه لينام وكذا في القاموس
وافعال ابن القطاع وغيره ومثله هدا بالتشديد مهموزا ومعتلا وهدنه
بنون وهدهده كله بمعنى تحريك الصبي او مهده حتى ينام والحديث في الصحيحين
فاعلم ان تسليط الشيطان في ذلك الوادي الذي نزل به رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه وغلبهم النوم حتى فاتهم صلاة الفجر به وقد رجعوا من
الغزاة انما كان تسلطه على بلال لا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يرد
السؤال الموكل بفتح الكاف المشددة اسم مفعول اي المعتمد عليه في الحفظ عن
خروج الوقت بكلاءة الفجر كالحراسة وزنا ومعنى فهو ممدود مهموز وقد
تبدل همزته يا كما في النهاية يقال كلاه يكلؤه اذا حرسه وتضمن معنى المراقبة
اي مراقبة طلوع الفجر ليوقظهم وقيل المراد كلاءة صلاة الفجر بتقدير
مضاف وله وجه وجيه هذا اي ما ذكر من ان تسلط الشيطان انما كان على بلال
ان جعلنا قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ان هذا واد به شيطان
تنبيها مفعول له على سببا لنوم عن الصلاة بناء على ان المراد ان الشيطان
تسلط على من غفل عن الصلاة حتى فاته وقتها بطريق من الطرق لكن ليس
المسلط عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بلال وان الشيطان تخيل

عليه

عليه في غلبة النوم كما تحمل الام والداية على طفلهما حتى يستغرق في نومه واما ان جعلنا
تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي فانه صلى الله عليه وسلم لما استيقظ من نومه وعلة ح
امرهم بالرحيل عن ذلك الوادي وقال انه واد به شيطان كما مر لترك الصلاة فيه
لان الافضل في قضا الصلاة الفائتة بعذر ان يبادر بقضائها في اول تذكرها فلما ترك
ذلك وارتحل وقال ان هذا واد به شيطان دل سياق كلامه على ان كونه لم يصل
به لذلك فليس فيه ما يقتضي ان للشيطان تسلطا على بلال فضلا عنه صلى الله عليه
وسلم وهو اي ما ذكر من انه علة لارتحاله وترك الصلاة دليل فعيل بمعنى مفعول
اي مدلول مساق بفتح الميم مصدر بمعنى سياق حديث زيد بن اسلم والسياق ما
يفهم من ذكر شي مع شي وزيد تقدم بيانه وهو هذا الحديث المذكور لكنه من طريق
اخر رواه مالك في الموطا والبيهقي عن زيد بن اسلم وعلى هذه الرواية التي يفيد
سياقها ما ذكر فلا اعتراض به اي بهذا الحديث في هذا الباب الذي عقد لان
الشياطين لا تسلط لهم على الانبيا بوسوسة ونحوها لبيانه اي بيان حديث زيد
لما ذكر ووضوح دلالته عليه وارتفاع اشكاله اي زواله بالكلية حتى استغنى
عن الجواب لعدم احتماله لما يخالفه **فصل واما**
**اقواله** صلى الله عليه وسلم لما كان هذا الباب معقودا لعصمة الانبيا في
عقايدهم واحوال قلوبهم واقوالهم وافعالهم قدم الكلام على الاول لانه الاهم
والاساس وعقبه بالثاني وهو ما يتعلق باقوالهم فقال فقد قامت الدلايل اي صحت
وثبتت فصارت كالعماد والسناد الذي يقوم به غيره والدلايل جمع دليل وقد قال
ابن مالك في شرح كافيته انه لم يات فعايل جمعا لفعيل اسم جنس وان جاز بطريق
القياس وفي الايات البينات انه يحتمل ان يكون جمع دلالة بمعنى دليل وفعالة
يجمع على فعايل قياسا مطردا وقد قال امام الحرمين ان الدليل يسمى دلالة والظا
انه مجاز انتهى وقد تقدم التنبيه على هذا ايضا الواضحة اي الظاهرة القاطعة
العقلية والنقلية من الايات والبراهين بصحة المعجزة اي المعتضدة بصحة معجزاته
او البالغة بديهة كما في قوله فاستدل به خبيرا على احد القولين وهذا احسن واقوى
على صدقه اي انه صادق فيما اخبر به ووجه الدلالة مقرر في الاصول والاصح
القصاد لانه عقلية اظهر من الشمس واجمعت الامة على صدقه صلى الله عليه وسلم
وصدق اخباره فيما كان طريقه البلاغ وهو مصدر او اسم مصدر بمعنى التبليغ
عن ربه ما اوحي اليه لانه لازم لرسالته انه معصوم فيه اي فيما امر بتبليغه
للخلق عن ربه من الاخبار متعلق بمعصوم عن شي منها اي مما طريقه البلاغ
ملتبسا بخلاف ما هو به الباء بمعنى على او للملابسة اي لا يخالف شي من اخباره
الواقع لا قصدا لخلافه حتى يكون كذبا وقوله ولا عمدا ان فسر بالقصد فهو
عطف تفسير كما قاله الراغب وان قيل القصد ما كان لسبب والعمد ما كان
بلا سبب كما قاله التلمساني فهو تاسيس وهو الاولى ولا سهوا او غلطا الاول
ما كان بغير قصد والثاني ما قصده خطا لظنه واقعا من نسخة وغلطا
بالواو واو اولى هنا اما تعمد الخلف في ذلك اي في الاخبار عما طريقه البلاغ

فمنتف عنه لانه غير لايق بمقامه والخلف قيل انه بضم الخا بمعنى الكذب في اخبار
عن امر مستقبل والكذب يكون عن الماضي وقيل انه بفتحها وسكون اللام بمعنى
الباطل واصل معناه القبيح الردي ومنه المثل سكت الفا ونطق خلفا وتفسيره
بالمخالفة غير متجه الا ان يريد مخالفة الواقع ويرجع لما قبله وقوله بدليل المعجزة
متعلق بمنتف لقايمة مقام قول الله لمن تبعث اليهم الرسول صدق رسولي ونبيي
فيما قال لكم وبلغكم عني بدليل معجزته التي هي برهان قاطع على صدق مدعاه
اتفاقا وباطباق اهل الملة اي اتفاقهم على ذلك واصل معنى الاطباق جعل الشي
مطابقا لاخر اي موافقا له اجماعا منصوب بنزع الخافض اي اطباقهم ثابت بالاجماع
منهم وقوله اهل الملة اشارة الى بطلان قول البراهمة والصابية باستحالة
ثبوت النبوات عقلا كما تبين في علم الكلام ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب المعتزلة
وبعض الشيعة الى انها واجبة عقلا من جهة اللطف وذهب الاشعري واهل السنة
الى القول بجوازها عقلا ووقوعها عيانا وادلتهم مفصلة في كتب الكلام
ولما كان كل خبر محتملا للصدق والكذب من حيث هو قالوا الدليل على صدقه
صلى الله عليه وسلم معجزته ولا يرد عليه قول المنكرين الفاعل والفعل من
حيث هو لا يدل على الاختصاص بشخص معين الا باقترانه لدعواه ولاقتران اسبا
اخر كما انه لخرق العادة احوالا مختلفة واذا احتملت الوجوه عقلا لم تثبت
الدلالة لان القرينة والتحدي دالان على بطلان هذه الاحتمالات وسبيل تعريف
الله عباده صدق الرسالة بالايات الخارقة للعادة كسبيل تعريفهم الالهيته
بالايات الدالة عليها والتعريف يكون بالقول تارة وبالفعل اخرى فالتعريف
بالقول كقول الله للملايكة اني جاعل في الارض خليفة وبالفعل كتعجيزهم
عن معارضته فيما علمه من الاسما وتعجيز الخلق عن معارضة القران المنزل على نبينا
صلى الله عليه وسلم ودلالة المعجزة على صدقه دلالة عقلية وهذا معنى
ما قاله المص كما تقرر في علم الكلام واما وقوعه اي وقوع خبره على خلاف ما هو
عليه فيما طريقه البلاغ على جهة الغلط في ذلك من غير تعمد وقصد منه بل بسهو
ونحوه فبهذه السبيل اي طريق انتفايه كطريق انتفا العمد فيه عنه فان
الدليل الدال عليه دال على انتفا هذا نصا الا ان الاول متفق عليه وهذا
مختلف فيه فكونهما على نهج واحد عند الاستاذ بضم الهمزة وسين مهملة
ساكنة ومثناة فوقية والف وذال معجمة وهي كلمة معربة معناه الرييس في علم
او صناعة وتفصيله في كتاب شفا الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ابي اسحق
الاسفرايني وهو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران واسفراين بكسر الهمزة وفتح
الفا بلدة بخراسان وهو امام جليل متبحر في علوم الدين كلاما وفروعا واصولا
توفي بنيسابور يوم عاشورا سنة ثمان عشرة واربعماية ومن قال بقوله واتبعه
في هذه المسيلة يعني ان المعجزة تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم فيما قاله
وانه لا يصدر عنه ما خالف الواقع لا قصدا ولا غلطا ولا سهوا لطريق من
الطرق فمعجزته صلى الله عليه وسلم كما دلت على نبوته دلت على صدقه

دلجي

وهذا

وهذا القول ارتضاه المص ومن جهة الاجماع الدال على انه لم يصدر عنه صلى الله
عليه وسلم الكذب لا قصدا ولا سهوا وهو معطوف على قوله بهذه السبيل فقط اي الدال
على ذلك انما هو المعجزة والاجماع لا دليل عقلي غيرهما وورد الشرع بانتفاء ذلك اي انه ورد
في الايات المتواترة والاحاديث الصحيحة ما يدل على ما ذكر من انه صلى الله عليه وسلم
على هدى وانك لتهدي الى صراط مستقيم وغيره مما يدل عليه صريحا ومما يدل على ذلك
ايضا عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي ملكة نفسانية تمنع عن النقايص
والمعاصي والكلام بما يخالف الواقع نقيصة تاباها العصمة وفي دلالة ذلك على
عدم صدوره سهوا منه نظر لا من مقتضى المعجزة اسم مفعول اي ليس مما يدل عليه
دلالة التزامية عقلية كدلالة اعتق عبدك عني على بيعه لي وقوله نفسها اشارة
الى ان المعجزة دخل تماما في ذلك عند القاضي ابي بكر الباقلاني بتشديد اللام المالكي
كما تقدم ومن وافقه على مذهبه وهذا مرتبط بقوله ومن جهة الاجماع الى هنا
والحاصل انه صادق فيما طريقه البلاغ والدال على صدقه معجزته عند الاسفرا ببني
وعند الباقلاني ورود الشرع بذلك واجماع الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم
وسبب الاختلاف ونتيجته ما اشار اليه بقوله الاختلاف وقع بينهم اي بين
الاسفرايني واتباعه وبين الباقلاني ومن وافقه في مقتضى دليل المعجزة اي في
دلالتها على صدقه وانها بمنزلة قول الله انه صادق ام لا ولا نطول بذكره فانه بحث
طويل صعب المدرك فيخرج عن غرض هذا الكتاب الذي وضع لبيان شرف قدر
المصطفى صلى الله عليه وسلم من غير تطويل واطناب بممل من غير تعرض للمباحث
الكلامية فلنعتمد ما هو اصل مقصود كاف فيما قصدناه على ما وقع عليه اجماع
المسلمين من غير تعرض للادلة العقلية وما اجمعوا عليه هو انه لا يجوز بتخفيف
الواو وتشديدها عليه صلى الله عليه وسلم خلف في القول اي بما يخالف الحق
الواقع في ابلاغ الشريعة اي فيما طريقه ذلك مما امر بتبليغه والاعلام بما اخبر به
عن ربه تعالى وبما اوحاه اليه من وحيه الذي نزل عليه الملك به بوجه من
الوجوه وفي حال من الاحوال لا على وجه العمد بان يتعمد الاخبار بخلاف الواقع
ولا على غير عمد من خطا ونسيان كما تقدم ولا في حال الرضى والسخط بفتحتين
او بضم فسكون وهي كراهة ذلك الامر المخبر به او في حال رضاه عمن خاطبه وسخط
عليه والرضى يقابله كما في حديث اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك ويكون
في مقابلة الجبر والاكراه كما فعله برضاه اي اختياره وارادته لا قهرا وجبرا
وعلى الوجهين يدور ان الله يرضى بالكفر لعباده ام لا كما وقع بين الماتريدية
والاشعرية وفي تفسير قوله ولا يرضى لعباده الكفر هل المراد جميع عباده
او خلصهم والاضافة تشريفية كما فصل في محله والصحة والمرض اي لا يقع
ذلك منه صلى الله عليه وسلم في صحته ولا في حال مرضه واختلاف مزاجه
الذي قد يشوش الفكر بما يؤدي لمثله مزدكر دليلا على ما قاله من السنة فقال
وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بن وايل السهمي الصحابي المشهور رضي
الله عنهما وهذا الحديث رواه عنه الامام احمد وابو داود والحاكم وصححوه

وفيه قلت يا رسول الله اكتب كلما اسمع منك قال نعم اي اكتب كلما سمعته مني قلت في الرضى
والغضب اي في حالتيك هاتين قال نعم اي اكتب ما سمعته في حال رضاي وغضبي فاني لا اقول
في ذلك المذكور كله من حالتي الرضى والغضب الا حقا فلا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم
ما يخالف الواقع لا عمدا ولا غيره لعصمة الله له في افعاله واقواله كلها واشار بذلك
لتغلطه او لو وقعه بحكه في التصدق وفيه رد على من منع كتابة الحديث ونقله عن بعض
الصحابة والتابعين وقال انهم كرهوه لحديث لا تكتبوا عني شيئا غير القران ومن كتب
عني غيره فليمحه كما رواه مسلم والبخاري في قصة ابي شاه عام الفتح وقد اجيب عنه
بانه منسوخ او انه مخصوص بعصره في حياته صلى الله عليه وسلم اما بعده
فصارت واجبة او المراد النهي عن كتابة الحديث مع القران مختلطا به او المراد لا تكتبوا
عني شيئا كنت قلته ثم جاء القران بما يخالفه واول ما دونت كتب الحديث في زمن عمر
ابن عبد العزيز رحمه الله كما ذكره الطبري في كتاب مناقبه ولتزدن بالمعجزة
من الزيادة وفي نسخة ولتزدن فيما اشرنا اليه مما معنى فيه بيانا من دليل المعجزة عليه
اي دلالتها على ما ذكر بيانا مفعول تزدد وهو توضيح وتاييد لما قاله الاسفرايني فنقول
تفصيله لهذه الزيادة اذا قامت المعجزة من اقامة الدليل اي دلت على صدقه صلى
الله عليه وسلم في كل ما اخبر به عن الله وانه لا يقول الا حقا وصدقا لتنزاهته
عما سواه وعصمة الله له مما عداه فقوله ولا يبلغ عن الله الا صدقا تاكيد لما قبله
وان المعجزة قائمة مقام قول الله صدقت في كل ما قلت له لانها على ذلك بطريق
الاقتضاء والاستلزام فصارت عبارة عنه بطريق الكناية وفي نسخة صدق عبدي
فيما يذكره ويخبر به عني وهو يقول اني رسول الله الذي ارسله اليكم لابلغكم
ما ارسلت به اليكم مما اوحاه الله الي وامرني بتبليغه وابين لكم ما نزل عليكم
وفي نسخة اليكم وتنزيله عليهم بواسطته صلى الله عليه وسلم والمراد بنزوله
عليهم وصوله اليهم ونزوله على نبي بين اظهرهم والنزول في القران تارة
ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم وحده فيقال نزل وتارة الى الامة
فالمراد بالاول مشافهة ملك الوحي له وبالثاني مطلق الوصول والبلاغ
او هو من قبيل بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم ودلالة المعجزة
على صدقه تقدم بيانها وظهورها على يد الكاذب ممتنع عقلا وعادة وقال
الشهرستاني في نهاية الاقدام من اصطفاه الله لرسالته واجتباه لدعوته
كساه ثوب جمال في الفاظه واخلاقه واحواله فتعجز الخلايق عن معارضته
شي من ذلك فتصير جميع حركاته معجزة لناد ولهم من الحيوانات وما ينطق عن
الهوى اي لا يصدر عنه امر لمجرد هوى لنفسه وتشهيه ان هو الا وحي
يوحى اليه وتقدم بيانه وبيان انها لا تدل على انه صلى الله عليه وسلم
لا يجوز له الاجتهاد وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فلا يصدر عنه صلى
الله عليه وسلم ما يخالف الواقع وما اتاكم الرسول فخذوه اي تمسكوا
به وما نهاكم عنه فانتهوا عنه ولا تقربوه لانه انما يامركم بما امر
الله وانما ينهاكم عما نهى الله عنه فان فسرت بما اعطاكم من الفيء فخذوه

وما

وما نهاكم عنه من الغي فلا تاخذوه فانه انما يعطي ويمنع بامر الله دل على ما ذكرنا ايضا
بطريق المفهوم والقياس فلا يقال ان الاية لا تدل على المراد على هذا التفسير فلا يقع
ان يوجد منه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وهو ما طريقه البلاغ عن الله خبر
سمع منه او صح عنه بخلاف مخبره بضم اوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه وتخفيفه
اي لا يصدر عنه خبر غير مطابق للواقع على اي وجه كان خبره الصادر عنه فلو
جوزنا عليه صلى الله عليه وسلم الغلط والسهو فيما بلغه عن الله وقد جاء
الله عنه لما تميز لنا من غيره اي ما تميز صوابه الواجب اتباعه عن غيره او خبره
عن خبر غيره ولاختلط الحق بالباطل ولم يتميز احدهما عن الاخر فالمعجزة
الخارقة للعادة المتحدى بها كما تقدم مشتملة على تصديقه اي ثبوت صدقه
فيما اخبر به عن ربه جملة واحدة اي في جميع ما جاء به من جميع اخباره وما يبلغه
عن الله من غير خصوص اي تخصيص لامر دون امر بدليل يقوم على التخصيص
فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم وتبرئة ساحته فيما بلغه عن ربه عن ذلك
اي عن ان يقع منه اخبار بما يخالف الواقع قصدا او غلطا او سهوا واجب
وقوعه واعتقاده برهانا اي بطريق البرهان القطعي العقلي المعلوم من المعجزة
والتحدي بها كما تقدم واجماعا من جميع اهل الملل الاسلامية وعلما الدين
كما قاله ابو اسحاق الاسفرايني بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق رسولي
فيما قاله لا كما قاله الباقلاني من انه بورود الشرع والاجماع لا بالبرهان
العقلي كما عرفت تفصيله **فصل** متمم لما قبله وقد
توجهت اي صدرت ووقعت في جهة من فوقهم وجهة اذ الرسالة في جهة
فتوجه ويكون توجه بمعنى قبل وليس بمراد هاهنا اي في هذا البحث لبعض
الطاعنين من الطعن وهو الضرب برمح ونحوه فاستعير للدخل والاعتراض
كما قال تعالى طعنوا في دينكم سؤالات جمع سؤال وهو طلب امر من الامور
فقد يكون لتعلم ونحوه مما يحمد وقد يكون تعنتا منهيا عنه وطلبا لامر منهي عنه قدمي
كما قال تعالى لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم منها ما روي من ان النبي
صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن جرير وابن المنذر وابو حاتم عن سعيد
ابن جبير بسند فيه ما سيأتي لما قرا في صلاته سورة والنجم وقال اي بلغ
في قراءته الى قوله افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى واللات
صنم كان لقريش او لثقيف والعزى تانيث الاعز وهي سمرة كانت لغطفان
تعبدها ومناة صخرة كانت لخزاعة وهذيل تعبدانها والثالثة الاخرى
بمعنى المتاخرة لصفة مقدارها صفة ان لمناة وامر هذه مبين في التفاسير
غني عن البيان قال قائل سمع ما قاله عند تلاوته صلى الله عليه وسلم
كما ستبينه تلك المذكورة من اللات وما بعدها الغرانيق العلا جمع
غرنوق بضم المعجمة والنون وبكسرها وفتح النون او غرنيق بضمها
وفتح النون وهي طير من طيور الماء كبير طويل العنق ابيض واصله
الشاب الناعم استعير للاصنام والعلا تجريد لزعمهم انها ترتفع للسماوات

شفاعتهن لهم لترتجى اي تؤمل وتنتظر وتروى لترتضي اي تقبل عند الله بزعمهم الفارغ وفي رواية ان شفاعتهن لترتجى والعالمع الغرانيق العلا يعنون الملائكة وفي رواية اخرى والغرانقة العلا تلك الشفاعة ترتجى ومعانيها متقاربة فلما ختم اي النبي صلى الله عليه وسلم قراءة هذه السورة سجد صلى الله عليه وسلم وسجد معه المسلمون ممن كان حاضرا عنده من الصحابة رضي الله عنهم والكفار الحاضرون عنده ايضا لما سمعوه اثنى على الهتهم بقوله المتقدم تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى وما وقع في بعض الروايات لهذه القصة ان الشيطان القاها اي هذه الكلمات على لسانه بها سهوا منه ثم نبهه او نبهه جبريل لها وكان ذلك ابتلاء من الله ليعلم من يثبت على ذلك او من يزل وان النبي صلى الله عليه وسلم كان لحرصه على ايمان قومه تمنى ان لو نزل عليه شيء مما يوحى اليه يقارب بينه وبين قومه اي يقربهم من الاسلام حتى يتركوا عنادهم وفي رواية اخرى لهذه القصة انه صلى الله عليه وسلم كان تمنى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه من الطعن فيهم وفي الهتهم ولم يزل كذلك حتى نزلت عليه سورة النجم وهذه الرواية والتي قبلها بمعنى فان عدم التنفير عنه والقرب بينه وبين قومه متساويان وذكر صاحب هذه الرواية وناقلها هذه القصة اي قراءته صلى الله عليه وسلم سورة النجم وسجوده وسجود المسلمين والكفار معه وان جبريل جاءه عليه الصلاة والسلام بالوحي فعرض عليه اي قرا عليه هذه السورة وفاعل عرض ضمير النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغ اي وصل في قراءته هاتين الكلمتين يعني تلك الغرانيق العلي الخ قال له اي قال جبريل له صلى الله عليه وسلم ما جئتك من الله بوحي فيه هاتين الكلمتين يعني تلك الغرانيق العلا وفي نسخة الاثنين فحزن اي رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وفي نسخة فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم اي لما قاله جبريل له فانزل الله لما راى حزنه صلى الله عليه وسلم تسلية له صلى الله عليه وسلم والتسلية اذهاب حزنه بتطييب خاطره قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية تقدم في تفسير هذه الاية ما فيه كفاية وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم تمنى ان يوحى اليه ما يقرب قريشا منه ويستعطفهم فلما نزلت هذه السورة وقراها الى قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان عليه تلك الغرانيق العلا الخ فتكلم بها ثم مضى في قراءتها حتى ختمها وسجد فسجد معه من سمعها من المسلمين والمشركين رضا بما قاله لظنهم انه رضي بالهتهم فلما امسى اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام فعرضها عليه حتى بلغ قوله تلك الغرانيق العلا فقال له ما جئتك بهذا وهذا لم يقله الله فما زال صلى الله عليه وسلم مغموما حتى نزل عليه قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية فطابت نفسه لتسلية الله له فيها باخباره ان كل نبي ورسول وقع له مثل ذلك من القاء الشيطان في الوحي وتلاوته في اثنائه ثم بين له

ذلك

ذلك ونسخه الله فكانه قال له لك اسوة بمن سبقك من الرسل والانبيا وانزل عليه
صلى الله عليه وسلم تسلية له ايضا وان كادوا ليفتنونك الاية اي قوله عن الذي
اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد
كدت تركن اليهم شيئا قليلا وان مخففة من الثقيلة اي قاربوا ان يخدعوك
عما اوحيناه اليك حتى تقول ما لم نقله مما ارادته قريش وحتى تركن الى بعض
الكفرة لتستميل قلوبهم للاسلام فبين الله لك ذلك وثبتك على الحق والفكاك
عن المداراة كما فصله المفسرون وبين في اسباب النزول اذا عرفت ما ذكر وازيد
كشف غطايه عنك فاعلم اكرمك الله بما علمك وهداك لذ دفعه ان لنا في الكلام
على مشكل هذا الحديث الذي اورده عليه بعض الطاعنين كما تقدم ماخذين
اي طريقين في الاخذ على الكلام فيه نقلا وعقلا من اخذ عليه اذا منعه عما
يريد وغلط حتى كانه تمسكه من تشبث به واعتمد عليه من رواه احدهما اي في
توهين اصله اي تضعيف روايته ونقله من الوهن وهو الضعف وجعل
ثبوته اصلا للسؤال والجواب المبني عليه وامثل الوهن ضعفا لخلقة
كقوله وهن العظم مني والثاني مبني على تسليمه وصحة روايته نزولا
وارخا للعنان لمن اورده اما الماخذ الاول في الكلام على صحة روايته فيكفيك
في تضعيف روايته ان هذا الحديث لم يخرجه بالتشديد والتخفيف اي لم يروه
بسنده احد من العلما بالحديث اهل الصحة ممن يعتمد على روايته واتى باسم
الاشارة مكان الضمير لتمييزه اكمل تمييز لقرب العهد به ولا رواه ثقة ممن
يوثق بنقله بسند سليم اي سالم من الطعن والعلة والجرح من نقاد السلف
متصل الى قايله ومن نقل عنه وانما اولع به بضم الهمزة وكسر اللام وعين مهملة
يقال اولع بكذا فهو مولع بالفتح اذا لهج واكثر من ذكره ويكون بمعنى الكذب
وعبر به لا يجامد ذلك ويسلكه من الاحاديث الموهمة لما لا يليق بالرسل عليهم
الصلاة والسلام المفسرون فانهم يوردون كثيرا من الاحاديث الضعيفة
الموهمة لما لا يليق بمقام النبوة والمؤرخون بالهمزة وقد تبدل واوا
واهل التاريخ لقلة الاخبار واختلف في لفظ التاريخ فقيل انه من
الارخ وهو الفتي من البقر وقيل انه معرب ماه روز اي حساب الشهور
والايام واول من ارخ الكتب عمر بن الخطاب كما فصلناه في غير هذا المحل
المولعون اي المفسرون جمع مولع بفتح اللام وهو المكثر من شي بكل غريب
من الاخبار والقصص التي لم تشتهر ويعرف المتلقفون بالمثناة الفوقية
بعدها لام وقاف وفا وفي نسخة المتلقون بحذف الفا تلقفه
اذا تناوله بسرعة وتلقاه اذا اخذه من غيره والتلقي مفعل من اللقا
وهو المقابلة من الصحف كل صحيح لفظه ومعناه وسقيم لفظه كالمحرف
لفظه ومعناه كالمغير بغير المراد والصحف جمع صحيفة والاخذ من الصحف
غير مقبول عند السلف لانه قد يحرف لفظه ويخفى معناه او يفهم منه
غير المراد والمقبول التلقي من افواه الرجال واعلم ان ابن سيد الناس قال

بلغني عن الحافظ المنذري انه كان يرد هذا الحديث من جهة الرواية بالكلية وان
الحافظ الدمياطي خالفه فيه ولا وجه لتصحيحه الا انه يكتب بسند لا مطعن فيه ولا
سبيل لذلك انتهى وفي سيرة مغلطاي ان الشيطان القاه في امنيته كما ذكره
الكلبي عن باذان عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد قالوا انه باطل نقلا وعقلا
وسياتي مما في سنده ولقد صدق القاضي ابي بكر بن العلا المالكي وفي
نسخ حذف ابي وتقدمت ترجمته وهو المشهور بابن العربي حيث قال لقد
بلي الناس بالبنا للمجهول من الابتلا وهو الامتحان اي صار لهم بلية ومحنة اي
اصيب الناس ببعض بعين مهملة وضاد معجمة مقابل كل وهو ما صح في بعض
النسخ وفي بعضها ببغض بغين معجمة ثم موحدة ثم ضاد معجمة وفي نسخة
بتقضي بتا جارة ومثناة فوقية وقاف مفتوحة وضاد مهملة مشددة
مكسورة ومثناة تحتية من تقضيته اذا تاملته تاملا تاما كما قال
ابو تمام ۝ يا صاحبي تقضيا نظركما ۝ كانه بلغ اقصاه واصله تقضص
تفعل من قص عليه الخبر فابدل من احد حروف التضعيف حرف علة كما قالوا
تملي في تملط ونظايره اهل الاهوا بالمد اي اصحاب الارا الفاسدة والمذاهب
الباطلة والتفسير اي بعض المفسرين الذين يذكرون في تفاسيرهم قصصا لا اصل
لها يبنون عليها تاويلات بعيدة وامورا غريبة وتعلق بذلك اي بما ذكر من
كلام اهل الاهوا وبدع التفاسير لا بحديث سورة النجم بخصوصه كما قيل
الملحدون جمع ملحد من اللحد وهو العدول عنا لاستقامة فيطلق على كل
من لم يكن عقيدته حقا مع ضعف نقله ونقلته بفتحات جمع ناقل كفاسق
وفسقة يعني به رواته او من ذكره في كتاب له فيكون اشارة لمن ابتلي به من
اهل الاهوا السابقين ونحوهم من المفسرين والقصاص واضطرابه وايانه
الاضطراب في اصطلاح المحدثين ان يقع من الراوي اختلاف في روايته
فيرويه تارة على وجه واخرى على وجه اخر وهكذا او يرويه راو على وجوه
مختلفة بشرط ان لا يكون بعض طرقه ارجح من بعض فان العمل حينئذ بالراجح
فلا يعد مضطربا عندهم ومن فسر الاضطراب بعدم عزوه الى ماموم لم
يصب وانقطاع اسناده الاسناد يكون بمعنى المسند وهم رواة الحديث
وبمعنى مصدري وهو ذكر السند وانقطاعه وهو ان يسقط منه واحد
فاكثر غير الصحابي وضده الاتصال وقوله واختلاف كلماته وهو قريب
من الاضطراب ثم بين ذلك بقوله فقايل يقول انه اي ما ذكر وقع في الصلاة
او الضمير له صلى الله عليه وسلم والتقدير قراها في الصلاة واخر يقول
انه قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة اي سورة النجم والنادي
والندي مجلس يجتمع فيه القوم للمشاورة وفصل الامور المهمة ولذا سميت
دار قصي دار الندوة كما مر واخر يقول انه قالها اي الكلمات المذكورة وقد
اصابته سنة اي وقد عرض له اوايل النوم من غير قصد منه فالسنة
بكسر السين اول النوم وهو النعاس ويقال السنة ثقل في الراس والنعاس

دلجي

دلجي

نقايل

في العين والنوم في القلب فهو غشية ثقيلة تقع على القلب فتمنع الادراك وآخر
يقول بل حدث نفسه بتشديد الدال لعصمته في سنته فخطرت بباله وحديث النفس ما يجري
على فكره من غير تلفظ به حتى كانه يحادثها فسها اي حصل له سهو حتى تكلم بها في اثنا
قراءة سورة النجم وآخر يقول ان الشيطان قالها يعني الكلمات المذكورة على لسانه صلى
الله عليه وسلم اي تكلم بها الشيطان وهو لا يرى فظنها وحيا القي عليه وسمعها من كان
عنده فتوهموا انه صلى الله عليه وسلم نطق بها عن قصد وانها من القران حقيقة
وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها وقراها على جبريل قال له ما هكذا اقراتك
فحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر وآخر يقول ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يقراها بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قراها
اي قرا الكلمات المذكورة في اثنا تلاوة سورة النجم وعرضها على جبريل فلما بلغ النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك اي وصل لقراءة هذه الكلمات التي اعلمهم الشيطان بها
قال جبريل عليه الصلاة والسلام والله ما هكذا انزلت هذه السورة الى غير ذلك
من الاقوال المؤذنة بان الشيطان له دخل في ذلك مع انه ليس له سلطان على الذين
امنوا وهذا كله صدر من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه كابن جرير
والمنذري وابي حاتم من المفسرين والتابعين كالزهري وابي بكر بن عبد الرحمن بن
هشام وسعيد بن جبير لم يسندها احد منهم اي لم يذكر لها سندا مرضيا احد
ممن حكيت عنه ولا رفعها الى صاحب اي الى صحابي من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم
قالها وقيل المعنى لم يعزها الصاحب لها قد قالها واكثر الطرق التي رويت منها
عنهم فيها اي في هذه القصة واهية ساقطة ضعيفة غير مرضية لا يعول عليها
والمرفوع فيه اي ما رفع فيه وفي نسخة منه ذكر من روى هذه القصة حديث
شعبة بن الجراح الذي رواه عن ابي بشر بكسر الباء الموحدة وسكون الشين المعجمة
الحجاج
وهو جعفر بن ابي وحشية اياس التابعي الثقة توفي سنة خمس وعشرين ومائة
واخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال فيما احسب اي اظن ومثله يستعمل للشك فيما قاربه
ثم بين المص ما وقع فيه من الشك من الراوي بقوله فيما احسب فقال الشك
المذكور في الحديث اي في متنه واصله لا في سنده والحديث هو حديث شعبة
المذكور ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وان المفتوحة وما بعدها بدل
من الحديث وذكر شعبة القصة المذكورة في هذا الحديث بتمامها وانه صلى الله عليه
وسلم يتمنى ان ينزل عليه ما يطيب نفوس قومه عسى ان يؤمنوا فنزل عليه
سورة النجم فقراها حتى بلغ افرايتم اللات الاية فقال تلك الغرانيق العلا
الى اخر السورة وسجد فسجد معه المسلمون والمشركون وفرح الكفار قال ابو
بكر البزار بتقديم الزاي المعجمة على الراء المهملة نسبة لعمل بزر الكتان بلغة
البغداديين وهو الحافظ المشهور كما تقدم هذا الحديث لا نعلمه يروى عن
النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل الى احد من الصحابة الذين حضروا
عنده او اليه صلى الله عليه وسلم يجوز ذكره لصحة نقله والاعتماد عليه

الا هذا الحديث المسند الى ابن عباس ولم يسنده اي لم ينقله مسندا عن شعبة الا
امية بن خالد وهو ثقة اخرج له مسلم وغيره وتوفي في سنة احدي وثمانين وترجمته
في الميزان وغيره اي غير امية بن خالد يروي هذا الحديث يرسله اي يرويه مرسلا
والمرسل ما سقط من سنده الصحابي فهو يرويه عن سعيد بن جبير عن النبي صلى
الله عليه وسلم من غير ذكر ابن عباس وظاهر كلام المص ان السند بتمامه مذكور غير
الصحابي فان اراد انه لم يعزه لغير ابن جبير واسقط رجاله كلهم فهو معضل ه
والمحدثون يعبرون عنه بانه ارسل او يرسل بصيغة الفعل ويفرقون بينه
وبين المرسل بالاسم وتفصيله في كتاب ابن الصلاح وغيره وانما يعرف هذا الحديث
روايته عن الكلبي نسبة لكلب قبيلة معروفة وهو ابو النضر المفسر النسابه ه
الاخباري الراوي المشهور وسيأتي كلام المص فيه والكلبي يرويه عن ابي
صالح وهو باذان بنون او باذام بميم وهو يروي عن مولاته ام هاني وعلي كرم
الله وجهه وروى عنه السدي وغيره اخرج له اصحاب السنن الاربعة وقال
ابو حاتم انه لا يحتج به عن ابن عباس وهو لم يسمع منه والحديث منقطع فقد
تبين لك ايها الواقف على هذا الحديث ابو بكر البزار المذكور انه اي هذا الحديث
لا يعرف روايته من طريق يجوز ذكره اي يصح ويعتمد عليه سوى هذا الطريق الذي
رواه شعبة منه بسند يعتمد عليه في الجملة وفيه اي حديث شعبة ايضا من
الضعف ما نبه عليه البزار وغيره من انه لا يعرف من طريق غيره مع اختلاف
كلماته واضطراب رواياته وانقطاع سنده او ارساله والاختلاف في مواطن قراءته
وكيفيته اكان في الصلاة او في نادي قومه او في سنته او حدث به نفسه فسهى
وذكره او قاله الشيطان على لسانه او اعلمهم به وانكار جبريل له عند عرضه عليه
كما مر مع وقوع الشك فيه الذي اشار اليه بقوله المار فيما احسب كما ذكرناه
فيما تقدم الذي لا يوثق به صيغة الشك كقوله ولا حقيقة معه اي تحقق وتيقن
مع ما فيه من تشكيكه في اصله كما اشار اليه البزار واما حديث الكلبي اي روايته
لهذا الحديث وغيره فمما لا يجوز شرعا ولا يصح نقلا الرواية عنه ولا ذكره هذا
بحسب الظاهر غير منتظم اذ الظاهر ان يقول اما حديثه فمما لا يجوز ذكره او الكلبي
لا تجوز الرواية عنه فاما ان يقول هو لف ونشر تقديري واصله اما الكلبي
وحديثه كقولهم راكب الناقة طليحان اي الناقة وراكبها او هو من قبيل قوله
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن على قول الفراء او اطلق ما فيه
على من يعقل وكذا قوله لقوة ضعفه وكذبه اي كثرة كذبه وفي قوله لقوة ضعفه
طباق بديع جدا كما اشار اليه البزار رحمه الله فانه وغيره من المحدثين قالوا
انه كذاب وضاع لا يوثق به وان كان اماما في الفقه والتفسير وقد قال
الجوزجاني وابن معين وغيرهما انه يضع الاحاديث وكذاب لا يحتج به وروى عن
ابي صالح عن ابن عباس وابو صالح لم يرو عن ابن عباس وقال ابن حبان انه في الدين
غير مبين وكذبه اظهر من ان يذكر ولم يسمع من ابي صالح ايضا هذا اي الامر هذا
او هذا هو ما قاله فهو خبر مبتدا مقدر او مبتدا خبره ما بعده او منصوب بتقدير

خذ

خذ هذا او اعلمه ونحوه واما كونها اسم فعل بمعنى خذ وذا مفعوله وان جاز فيابأه
رسمه متصلا بدون الف نوهينه اي بيان وجه ضعفه من جهة طريق النقل ومنه الواهنة
وهي ضرب من عرق يأخذ في المنكب فيرقى وقد قال الحافظ ابن حجر قول ابي بكر بن العربي ان
طرق هذا الحديث كلها باطلة وقول عياض في الشفا انه لم يخرجه احد من اهل الصحة
وليس له سند متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وان من نقله من المفسرين
وغيرهم لم يسنده احد منهم ولا رفعه لصاحب لا وجه له فان له طرقا متعددة
كثيرة متتابعة المخارج وكل ذلك يدل على ان له اصلا وقد ذكرنا له ثلاث اسانيد منها
ما هو على شرط الصحيح وهي وان كانت مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل كما لك ومن
لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض فتبين بهذا ان مبالغة المص في رد نقله غير مرضية
والذي صح وثبت منه اي من هذا الحديث في الصحيح اي في الحديث الصحيح او في صحيح
البخاري على ما يأتي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا سورة النجم وهو بمكة قبل
الهجرة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس قال الكرماني هي اول
سورة نزل فيها سجدة واما سجد المشركون لانهم معارضة للمسلمين او وقع ذلك منهم
بلا قصد او خافوا من مخالفتهم في ذلك المجلس وقال ابن حجر فيه نظر لمخالفته لما قاله
ابن مسعود من انهم احد واحصا ورفعوه على جباههم ولان خوف المشركين لا يظهر له
وجه بل الظاهر العكس ثم قال الكرماني ايضا ما قيل من ان سبب ذلك القا الشيطان في
اثنا قرائته صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم لا يتجه عقلا ونقلا واما سجود الجن المروي عن
ابن عباس رضي الله عنهما فكانه استند فيه الى سماع منه صلى الله عليه وسلم لانه لم
يحضر القصة لصغر سنه ومثله لا يطلع عليه وكشف ذلك له بعيد والصحيح ان الشيطان
القى ما القاه في اسماع المشركين فتوهموا انه صلى الله عليه وسلم قاله مدحا لالهتهم
وارتضا لها فسجدوا معه وهو لا ينافي عصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
يخفى ان هذا الحديث اخرجه الشيخان ففي البخاري مسندا انه صلى الله عليه وسلم
قرا سورة النجم بمكة فسجد وسجد من معه غير شيخ اخذ حصى وترابا ووضعه على
جبهته فقتل كافرا وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم
سجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس والشيخ الذي وضع الحصا
على جبهته امية بن خلف وفي سيرة ابن اسحاق انه الوليد بن المغيرة وفيه نظر
لانه ما قتل كافرا وقيل انه سعيد بن العاص وقال ابو حيان النحوي انه
ابو لهب ولم يسنده وفي مصنف ابن ابي شيبة الا رجلين من قريش وقيل انه
المطلب بن المطلب بن ابي وداعة ولم يكن اسلم وما قاله الطبراني من ان اهل
مكة لما اظهر النبي صلى الله عليه وسلم دينه اسلموا وكانوا يسجدون معه
وبعضهم لا يسجد من الزحام فلما سمع ذلك رؤسا قريش كالوليد وابي جهل
وغيرهما قالوا لهم اتتركون دين ابائكم فارتدوا واغربت هذا توهينه من
جهة النقل واما توهينه من جهة المعنى فقد قامت الحجة اي الدليل الواضح
على ضعفه واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عما لا يليق
بجنابه عن مثل هذه الرذيلة اي الخصلة القبيحة الدنية من الرذالة وهي

الدناة والتقول على الله بما لم يقله ولا شيء اعظم من الافترا لا سيما على الله عز وجل ونحوه
نوبخ ما فيه من القبائح فقال اما من فتنيه بكسر الهمزة وتشديد الميم ما نقل كما مر ان ينزل
بالتخفيف والتشديد في الزاي المعجمة مثل هذا المذكور من مدح الهة غير الله بقوله تلك الغرانيق
الخ وهو كفر لان الرضا بالكفر كفر او ان يتسور اي يتسلط عليه الشيطان واصل التسور
التسلق والصعود من حائط السور فكني به عن النزوغ واريد به هنا التسلط كما علم
ويشبه عليه القران اي يلبسه ويخلط فيه ما ليس منه حتى يجعل فيه ما ليس منه وهو
الكلمات المذكورة ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان من القران ما اي شيء ليس منه
وينبه على اعتقاده حتى ينبهه اي يوقظه من غفلته عما يسبه عليه جبريل عليهما
الصلاة والسلام بقوله انه ليس هذا من الوحي الذي اتيت به لك وذلك كله ممتنع
في حقه عليه الصلاة والسلام لنزاهته عن مثله وحفظ الله له او يقول ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم من قبل بكسر القاف وفتح البا الموحدة اي من عند نفسه
عمدا من غير القا الشيطان عليه وهو لا ينطق عن الهوى وذلك اي ما يقوله من
عنده كفر لانه افترا عليه وتبديل لكلام الله بالزيادة فيه او سهوا حفظه الله منه
وهو معصوم عن هذا كله بالاجماع كما تقدم وقد قررنا فيما تقدم بالبرهان والدليل
القاطع والاجماع من امة الاجابة عصمته عليه الصلاة والسلام من جريان الكفر
اي طريانه ووقوعه منه على قلبه باعتقاد او لسانه بالنطق به لا عمدا ولا سهوا فضلا
عن استقراره فان الجريان عبارة عن مدد وم منه من غير ثبات كانه ما جاز فهو استعارة
لما ذكرا و ان يتشبه اي يختلط ويلتبس عليه ما يلقيه الملك من وحي الله اليه مما
يلقيه الشيطان على لسانه محاكيا لنطقه به او يكون للشيطان عليه سبيل اي طريق يصل
اليه منه مما حماه الله عنه او ان يتقول على الله اي يفتري عليه عمدا ما لم يوحيه اليه
ويقول انه اوحي اليه لا عمدا ولا سهوا تاكيد لما افاده ما قبله من نفي التقول على الله ما
لم ينزل عليه متعول مطلق لقوله يتقول لانه لا ينفصل لمرادنا الا اذا اريد بها لفظها
وليس بمعنى الظن لعدم ذكر مفعوليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل
الاية تقول تكلف من نفسه قولا لم يقله كتشجع اذا اظهر الشجاعة وهو جبان فكني به
عن الافترا والكذب والاقاويل جمع اقوال فهو جمع الجمع اذ جمع اقوولة افعولة
وهو يستعمل للتحقير كالاضاحيك الاول وهو الذي صرح به سيبويه رحمه الله
فمن اختار الثاني فقد رجح المرجوح وتمامها لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه
الوتين اي لامسكناه واهلكناه كما فعل بمن افترى علينا والوتين عرق في العنق
اذا قطع مات صاحبه وهو الوريد وقطعه عبارة عن الذبح ومنه دليل على ان
الكذب على الله كفر وانه لا يقول على الله ما لم يقله وقال تعالى لقد كدت تركن وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ
اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية اي لو قربت من
الميل الى الكفرة وضعف صفة لمقدر اي لاوصلنا لك عذابا مضاعفا مما نك
يعني به عذاب القبر وفي حياتك بعد البعث في الاخرة وفي الاية دليل على عدم
تقنيه التابع وانه معصوم من مقاربة شيء من ذلك والاية نزلت في ثقيف
لما قالوا له صلى الله عليه وسلم لا نتبعك حتى تخصنا بخصال نفخر بها على العرب

لا ننشز ولا نخش ولا نحيي في ملا تنا ونفتح عنا الزنا ونمنعنا با للانه سنة ونحرم وادينا
كمكة وتقول للعرب ان الله امرني بهذا فانزل الله عليه هذه الاية ووجه بان في توهين ما
ذكر من انه صلى الله عليه وسلم ذكر قوله تلك الغرانيق الخ في اثنا قراة هذه السورة وهو
اي الوجه الثاني استحالة هذه القصة اي عدها من المحال عقلا او مما لا يستقيم لان
اصل معناه لغة ما لا يستقيم مما اعوج ومن لم يعرف اللغة يعترض على المتنبي في قوله
كا نك مستقيم في محال كما مر والمراد بالقصة ما ذكر منه ومن تسليط الشيطان
عليه نظرا اي من جهة النظر والفكر المتبادر عن عقل مستقيم في عصمة رسل الله عليهم
الصلاة والسلام فيما طريقه البلاغ واستحالتها عرفا اي من جهة ما عرف من احواله
واحوال غيره من الانبيا اي امرا متعارفا ومن فسر العرف بتاليف كلامه وتناسب الفاظه
فقد ارتكب شططا وكانه نظر لقوله عقبه وذلك انه هذا الكلام الذي تلاه مع ما القي
فيه من قوله تلك الغرانيق الخ لو كان كما روي لكان ما روي بعيد الالتيام متهمه
لعقد المثناة الموفية وقد تبدل بالخبنية والمراد به انه مناسبته لما وقع فيه
من كلام الله الذي هو في اعلا طبقات البلاغة في غاية البعد وهو مع كونه وقع
في كلام رب العزة متناقض الاقسام متنافر النظم لما فيه من التضاد من حيث انه
يصير ممتزج المدح لالهتهم بجعلها علية مرجوة الشفاعة بالذم لها الذي دل
عليه سياقه في قوله ان هي الا اسما سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
وانها ليس لها عند الله شان ولا منزلة وهذا ايضا فض علو منزلتها ورجا شفاعتها
ويصير الكلام القراني بذكرها في اثنا به متخاذل التاليف اي متنافر النظم غير
متلايم فكان بعضه يخذل بعضا وينكر عليه هدما ونقضا والنظم معناه في الاصل
ادخال الدرر ونحوها في سلك متناسب الوضع والمقدار فاستعير لتاليف الكلمات
متناسبة المعاني متناسقة الدلالات ثم صار حقيقة فيه وغلب استعماله في التراكيب
القرانية حتى انصرف اليه عند الاطلاق ولما تكسر اللام وتخفيفا الميم وقيل انه بفتح
اللام وما مؤمنوله كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته معطوف على النبي
من المسلمين والحضرة مصدر بمعنى الحضور مثلث الحا ويطلق على كل كبير يحضر
عنده الناس فيقال الحضرة العالية وهو اصطلاح اصحاب الترسل ويصح ارادة
كل منهما هنا والاول اولى وصناديد المشركين جمع صنديد وهو كصنديد بزنة زبرج
السيد الشجاع والحليم والجواد والشريف والمراد خواصهم وساداتهم وكبارهم
ممن يخفى عليه ذلك لكونهم بلغا اصحاب سليقة مستقيمة والسنة فصيحة
بليغة وهذا المذكور امر لا يخفى على ادنى متامل بنا مثل الفاظ القران التي هو
في اعلا طبقات البلاغة وما ادرج فيه مما بينه وبينه بون بعيد فكيف
بمن رجح حلمه بضم الحا المهملة وسكون اللام بمعنى لبه وعقله ورجحانه
زيادته وقوته وكيف مستبعاد لاستبعاد خفا مثله على مثله كقوله كيف
تكفرون بالله كما تقرر في كتب العربية يقال حلم يحلم حلما وحلما واتسع اي
علم وكثر في باب البيان اي في نوع المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير وفي
معرفة فصيح الكلام علمه لقوة فهمه وذكايه واستقامة سليقته مع فطنة

عوض

دبجي

وقادة وصبيرة نقادة ووجه ثالث لبيان توهينه وضعفه انه الصبير صبير شان قد علم
بيننا المجهول من عادة المنافقين الذين لم يطعهم واكفرهم ومعاند المشركين اي المشركين
المعاندين فهو من اضافة الصفة للموصوف وضعفة القلوب بفتحات جمع ضعيف اي
الذين قلوبهم ضعيفة عن ادراك الحق لا تهم بله لا اذعان لهم والمراد بهم الكفار
غير المعاندين من اشرك اتباعا للغير او المراد بهم الجملة من المسلمين فهو عطف
تفسير عليه تفوزهم نايبه فاعل علم لاول وهلة اي عند اول شيء يقع في اذانهم
واذ ها انهم يقال لقيته لاول وهلة بوزن ضربة ويجوز فتح هايه اي اول
شيء كما في القاموس اي قبل التفكر والتامل فيما قرع سمعه حتى يهتدي
لانه ليس متسقا منتظما مع ما وقع في اثنائه من نظم القران وتخليط العدو
من الكفرة والمنافقين على النبي صلى الله عليه وسلم بادخالهم في كلامه
ما لم يقله لاقل فتنة يفتتن بها المسلمون لادخالهم الشبهة عليهم في دينهم
وتغيرهم بعين مهملة وتحتيتين اي الحاق ما هو عار عليهم باتباع المسلمين
الهوى ومدح الهة غير الله والشمات بهم بضم الشين المعجمة وتشديد الميم
جمع شامت كفجار وكفار من الشماتة وهي فرح العدو بما يصيب عدوه من نوايب
الدهر وفي نسخة والشماتة بهم الفينة بعد الفينة بفتح الفاء وسكون المثناة
التحتية ودون تليها هاء تانيث اي حينا بعد حين مما امتحنهم الله به من
المصايب تعظيما لاجرهم بما امتحنهم به من ذلك قال في القاموس الفينة
الساعة والحين وقد تحذف اللام فيقال لقيته فينة يعني انه استعمل علما
وغير علم كشعوب للمنية وارتداد من في قلبه مرض اي من ضعف ايمانه او
من نافق وسمع ما ذكر فرجع عن الاسلام الى الكفر ممن اظهر الاسلام بلسانه
ولم يذق حلاوته فيرتد لادنى شبهة ترد عليه لضعف ايمانه وايقانه
ولم يحك احد اي لم ينقل احد من المحدثين او احد ممن عاداه صلى الله عليه
وسلم في هذه القصة اي قصة تلك الغرانيق شيئا سوى هذه الرواية
الضعيفة الاصل رواية ودراية لركاكتها وتناقضها كما تقدم ولو كان
اي وقع وصح ذلك الذي ذكره بعضهم لوجدت قريش اي كفارهم بها اي
بسبب هذه القصة على المسلمين الصولة اي الاستطالة والقهر وتسلطوا
بذلك على تزويج امرهم وما هم عليه ولا قامت بها اليهود عليهم الحجة
اي على المسلمين بانه مدح الهتهم واعترف بانها وسيلة الى الله كما فعلوا
اي كفار قريش مكابرة وعنادا في قصة الاسراء حين قصها عليهم كما تقدم
حتى كانت في ذلك لبعض الضعفا اي من ضعف ايمانه لقرب عهده ردة ورجع
عن الاسلام لانكاره واستبعاده لها وكذلك اي مثل ما ذكر او مثل قصة الاسرا
ما ورد في قصة القضية بقاف وضاد معجمة وياء مشددة وهي مصدر بمعنى
القضا والتقاضي او اسم للواقعة التي وقع فيها القضا بينهم بما وقع في
صلح الحديبية لما راى صلى الله عليه وسلم انه دخل هو واصحابه مكة
فسار اليها ثم رجع الى المدينة في الواقعة التي قصها الله تعالى في قوله

وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس كما تقدم وهذه القضية مذكورة في
الصحيحين وقد وقع بسببها فتنة للمسلمين لما صدوهم عن دخول مكة وصالحهم
صلى الله عليه وسلم على ان يرجع ويأتي من العام القابل وكتب لهم بذلك كتابا
شرط فيه شروطا فيها تسلط على المسلمين حتى قال عمر يا رسول الله الست رسول
الله حقا قال بلى قال الست على الحق وهم على الباطل قال بلى قال فلم نعطي الدنية
في ديننا وانما قاله ليقف على الحكمة في ذلك لا لشك فيه كما توهمه بعضهم والكلام
عليه مفصل في السير وشروح البخاري ولا فتنة اعظم من هذه البلية التي
وقعت بسبب ما ذكر لو وجدت اي لو وقعت وصحت لما يترتب على ذلك من صولة الكفرة
وشماتتهم وغيره مما مر انفا ولا تشعيب بشين وغين معجمتين ومثناة تحتية
وبا موحدة من الشعب وهو تهييج الشر والفتنة للمعادي حينئذ اشد من هذه
الحادثة المعلومة مما مر لو امكنت وقوعا فان قلت لم قال في الفتنة لو وجدت
وفي الحادثة لو امكنت ومجرد الامكان لا يقتضي شرا وفتنة قلت الاول ظاهر
لترتب الفتنة على وجود ما ذكر واما الثاني فعبر بالامكان مبالغة لان نفيه ابلغ
من نفي الوجود لعدم وقوعه محالا لما علم من الكلام في عصمته من عدم تسلط
الشيطان عليه فما روي عن معاندي من الكفرة فيها كلمة تليق ان يلقي اليها السمع
ولا عن مسلم بسببها بنت شفة بنت الشفة هي الكلمة شبه اخراجها من الشفة
باخراج المولود من بطن امه ففيه استعارة مصرحة او مكنية فدل ما ذكر من
انها لم تبرز ولم تتكلم بها احد على بطلها بضم البا الموحدة وسكون الطا المهملة
ولام مصدر بمعنى البطلان كما في القاموس واجتثاث اصلها بجيم ومثناة فوقية
ومثلثتين بينهما الف مصدر بمعنى قلعها من اصلها كما تقلع الشجرة بنزع عروقها
ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس او الجن اشارة الى ما قدمناه هذا الحديث
يعني ما قيل في اثنا تلاوة هذه السورة او الحديث الذي روي فيه ذلك على
بعض مغفلي المحدثين الذين لا خبرة لهم بالرواية ليلبس اي يوقع في لبس واشتبا
على ضعفا المسلمين الذين لم يقفوا على ما يناسب مقام النبوة وقدرها وقد
قال القرافي في شرح الاربعين للامام الرازي ان الجواب لا بد فيه على تسليم
صحته مع ان الله قد عصمه ان الله امره بترتيل القران وكان يفعل ذلك فتمكن
من يرصده من الشياطين في حال سكوته بين الايات من دس ما اختلقه من
هذه الكلمات محاكيا صوته صلى الله عليه وسلم وقد سجد من دنا من الكفار
معه فظنوها من كلامه صلى الله عليه وسلم واشاعوها فلم يقدح ذلك عند
المسلمين لحفظهم السورة على ما انزلت قبل ذلك ومعرفتهم من حاله صلى الله
عليه وسلم ما علم من ذم الاوثان واهانتها فحزن صلى الله عليه وسلم من هذه
الاشاعة والقا الشبهة وهو معنى قوله تعالى وما ارسلنا الى قوله الفى الشيطان
في امنيته وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيله وقيل
انه صلى الله عليه وسلم لما قرا السورة الى قوله افرايتم اللات الخ خاف الكفار
ان يأتي بشيء من ذم الهتهم فشغبوا عليه على عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا

القران والعوافيه الخ وسبب هذا ان الشيطان حملهم عليه فاشاعوا ذلك وشبوه
له تحزن لذلك انتهي وسياتي تلخيص الجوابين في كلام المص وقد قدمنا لك ان
هذه القصة لها اصل ثابت في الجملة لكنها اليس فيها ما ينقص مقامه صلي الله عليه
وسلم فابطالها بالكلية كما قاله المص لا ينبغي كما قاله ابن حجر وقد تقدم ما يغني
عن اعادته هنا فتذكره ووجه رابع لتضعيف ذلك ما ذكره الرواة لهذه القصة
المذكورة التي عقد لها هذا الفصل ان فيهما اي بسببها نزلت وان كادوا اي قربوا
مما لم يقع ليفتنونك اي يوقعونك في الفتنة ويصدونك عن الذي اوحينا
اليك الايتين اي اذكر الايتين المتقدم بيانهما وهما اي الايتان المذكورتان
وفي نسخة وهاتان الايتان يردان الخبر الذي رووه لمنافاتهما له الا انه قيل ان
الايتين لم ينزلا في هذه القصة وانما الذي نزل فيها قوله تعالي وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمني القي الشيطان في امنيته وهاتان الايتان
نزلتا في ثقيف كما تقدم لكن بقي وجه منافاتهما له بقوله لان الله تعالي ذكر
انهم كادوا ليفتنونه حتي يفتري علي الله بخلطه في القران ما لم يوح اليه
وانه اي الشان او والله لولا ان ثبته الله علي الحق ببيان جبريل له لكاد يركن
اي قارب الميل اليهم بمدح الهتهم واتباع هواهم ولكنه لم يفعل شيا من ذلك
فمضمون هذا اي ما تضمنه المذكور في الايتين ومفهومه الذي دل عليه وفهم منه
ان الله عصمه من ان يفتري عليه ما لم يقله لان يفعل ما ارادوه منه من ان يبدل
الوعد وعيدا وعكسه كما قيل وثبته حتي لم يركن اليهم قليلا فكيف يركن اليهم
ركونا كثيرا وهذا التقرير لمعني الايتين بنا علي ما ادعاه من سبب النزول وقد علمت
انه لم يثبت نقله وقوله حتي يركن بيان لحاصل المعني لان نفي القرب من الركون
يدل علي نفيه بالطريق الاولي فلا يرد عليه ان المنصوص عليه نفي القرب
من الركون القليل لا نفس الركون كما زعمه المص لان الجواب لقد كدت يعني
انا ادركناك لعصمتنا عن الميل لهم ولما ارادوه لتجد ما كادوا يخدعونك
بمكرهم وشدة تحيلهم وهم اي رواة الحديث مع ذكر الايتين يروون في
اخبارهم الواهية اي الشديدة الضعف انه صلي الله عليه وسلم زاد علي
الركون الذي هو مجرد الميل بل القرب من الميل الذي هو ابلغ في نزاهته وعصمته
والافترا اي الكذب علي الله بجعل ما ليس من الوحي منه مدح الهتهم يعني
قوله تلك الغرانيق العلي الخ وحاشاه صلي الله عليه وسلم من ذلك حماه
الله وانه قال عليه الصلاة والسلام حين قال له جبريل ما جئتك
بهذا حين عرض عليه السورة كما تقدم فقال في جوابه له افتريت علي
الله وقلت ما لم نقل علي نفسي وهذا الذي رووه في اخبارهم الواهية
عنه صلي الله عليه وسلم ضد مفهوم الاية التي ذكروا ان هذه القصة
سبب نزولها لان عدم ركونه اليهم قليلا ينافي تصريحه بمدح الهتهم وهي
اي الاية بصريح مفهومها تضعف الحديث اي تدل علي شدة ضعفه لو صح نقله
وروايته فكيف والحال انه لا صحة له عند المص كما تقدم بيانه وما فيه فاذا

عرضي

عرضي

٢٤٠

ورد في الحديث ما ينافي القرآن ولم يمكن تاويله ولا الجمع بينه وبين حكم بمنعه
وقد علمت ان الحديث رواه مسلم والعلماء اجابوا عنه كما بيناه وهذا المذكور في هذه
الاية مما دل عليه منهوم ما مثل ما دل عليه قوله تعالى في الاية الاخرى وهي قوله
عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته بعصمته لك وصرفه عنك ما هموا به من
خداعك والمكر بك لهمت طايفة منهم ان يضلوك وتميل فوك عن الحق وطريق
العدل مع علمهم بانك ثابت على ذلك ولا تمكن زلة قد ملك عنه بوجه من الوجوه
وقيل الهاء لنفي بني ظفر وما يضلون الا انفسهم اي لا يقع ما ارادوه بك الا بهم
ولا يحيق المكر السيء الا باهله وما يضرونك من شيء وانما يضرون الا انفسهم وتفصيل
معنى الاية مذكور في كتب التفاسير وانما المقصود بذكرها التنظير بها لما ذكر
قبلها ولنزول هذه الاية سبب ذكره الترمذي والمص استشهد بها استشهادا
معنويا لما هو بصدده وليس لنا حاجة بتفصيل ما ذكر فيهما وقدر وي بالبنا
للمجهول والراوي له ابن ابي حاتم وغيره من المحدثين عن ابن عباس انه قال
كل ما وقع في القران من لفظ كاد وما تصرف منه من مضارع وغيره يدل
على ان ما بعده لا يكون وفي نسخة فهو ما لا يكون اي لا يقع ويوجد وانما
يدل على انه قاربه ولم يقع قال تعالى يكاد سنا برقه السنا بالقصر الضوء
والنور وبالمد العلو والشرف يذهب بالابصار اي يذهب بصر الناظر اليه
ولم تذهب بالتا الفوقية والبنا للفاعل وفاعله ضمير الابصار المستتر ويجوز
بناوه للمجهول مع التحتية ونايب فاعله ضمير السنا وفي نسخة ولم يذهب بها وهما
بمعنى والمقصود انها اشرفت على الذهاب ولم تذهب وقال تعالى في امر
الساعة ان الساعة اتية اكاد اخفيها ان كان المراد باخفايها انه لا يقول انها
اتية فهو كما قال ابن عباس وان كان المراد انه لا يعين زمان وقوعها فكاد بمعناها
المشهور وكلامه هنا مبني على الاول واليه اشار بقوله الى هذين المعنيين وخفا
الشيء ستره وعدم اظهاره ويقال خفيته واخفيته اذا ازلت خفاه ولا تنافي
بين المعنيين لان الله اخفاها على الناس واطلع عليها بعض من خلص انبيائه
وقال القشيري القاضي وقد قدمنا الكلام عليه ولقد طالبته قريش وثقيف
اي سالته صلى الله عليه وسلم وطلبت منه وسبب تسميتهم بذلك مشهور
وقد قدمناه وطالبته ايضا ثقيف قبيلة مشهورة بالطايف اذ مر صلى الله
عليه وسلم بالهتهم اي انصابهم واصنامهم التي كانوا يعبدونها ان يقبل
بوجهه الشريف ويتوجه اليها وفي نسخة عليها ووعدوه الايمان به ان فعل
ما سالوه من الاقبال عليها معظما لها فما فعل ذلك ولا كان ليفعل مع حرصه
على ايمان العرب وطاعتهم فلم يكترث صلى الله عليه وسلم بهم ولم يلتفت
لمقالتهم مع انهم من اشد الناس شكيمة وعصبية وهذا الامر متعلق بقوله
لقد كدت تركن اليهم دال على ما قاله اولا وقال ابن الانباري هو الامام في
العربية وساير العلوم الادبية ابو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار النحوي
الحافظ المفسر المحدث نادرة الدهر وفريدا لعصر ولد سنة احدى وتسعين

أي من المنافقين

ولن يفعلوا شيئاً من الفسوق

وثنا

١٨٦٤

وثمانين وتوفي ليلة عيد النحر ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وله تصانيف
جليلة مفيدة مشهورة ما قارب الرسول صلى الله عليه وسلم اي لم يقرب من شيء
مما كان عليه الكفرة واهل الجاهلية ولا ركن اي ما مال الى شيء من امورهم وما
كانوا عليه فضلا عن التلبس بها وما ذكره في كاد هو المشهور والتحقيق فيها
ما قاله الجرجاني في دلائل الاعجاز من ان نفيها يدل على نفي ما في حيزها
على ابلغ وجه لا نفي القرب من الشيء الدال على انتفائه لانه بطريق برهاني وقد
يكون لوقوع الشيء بعسرة نحو فذبحوها وما كادوا يفعلون وقد ذكره بالبنا
للمجهول وفي نسخة ذكرت ببنا التانيث في معنى الاية يعني قوله تعالى وان
كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن
اليهم شيئا قليلا تفاسير اخر تركتها لكونها غير مرضية عنده ما ذكرناه ما اسم
موصول مبتدا بينه بقوله من نص الله تعالى على عصمة رسوله صلى الله عليه
وسلم كما تقدم وخبره قوله يرد سفسافها اي التفاسير الحقيرة الردية
فيها واصل معنى السفساف ما يطير من غبار الدقيق اذا نخل وكل غبار
دقيق كالهبا سفساف ثم عبر به عن كل حقير جدا فلذا قوبل في الحديث بمعالي
الامور تارة وبمكارم الاخلاق اخرى كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله
يحب معالي الامور ويبغض سفسافها وفي حديث اخر ان الله رضي لكم مكارم
الاخلاق وكره سفسافها فلم يبق في الاية يعني قوله وان كادوا ليفتنونك
الخ اي لم يبق فيها تفسير ينتفي الا ان الله امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم
في هذه الاية اي من عليه او انعم والمن تعداد نعم سابقة وهو محمود من الله
دون غيره ويكون بمعنى النعمة نفسها بعصمته اي حفظه عن ان يصدر
منه امر لا يرضاه فضلا عما ذكر من مدح اوثانهم وتثبيته على ما هو عليه
من ذم الهتهم وما هم عليه بما كاده به الكفار من خداعهم وطلبهم منه
صلى الله عليه وسلم موافقته لهم في بعض امورهم التي لا تليق به وراموا
من فتنته اي ايقاعه في بلية ومحنة واصل معناها الاختبار ثم عبر بها
عما ذكر ومرادنا من ذكرنا الذي ذكرناه تنزيهه اي تبرئته وصيانته صلى
الله عليه وسلم واصل معنى النزاهة البعد اي بعده عما لا يليق بمقام النبوة
وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو اي ما اراده مفهوم الاية لا ما ذكروه
من سفساف التفاسير واما الماخذ اي محل الاخذ والطريق في بيان ما ذكر
وتاويله وهو الوجه الثاني في الكلام على مشكل هذا الحديث الذي فيه انه ذكر
قوله تلك الغرانيق العلا الخ في اثنا قراءة سورة النجم كما تقدم فهو اي تاويله
والجواب عنه مبني على تسليمه واذا هذا الحديث لو صح نقله من طريق يعتد
بها وقد اعاذنا الله بعين مهملة وذال معجمة اي حمانا وحفظنا من صحته
اي وقوع اعتقاد ما في صحة ووقوعه منا فضلا عنه واصل معنى العوذ
الالتجا والتعلق فاريد به ما يتسبب عنه لان من التجا الى الله حماه وكفاه
وحفظه مما لا يرضاه ولكن على تقدير صحة ذلك من حال فقد اجاب عن ذلك

المذكور

المذكور من مدحه صلى الله عليه وسلم الهتهم ايمة المسلمين بالجزم والتابع امام وغيره دون العلما ونحوه اشارة الى ان مقتضى الاسلام تنزيهه عن مثله باجوبة منها الغث بغين معجمة ومثلثة اي الضعيف الركيك والسمين اي القوي المقبول والامثل معنى الغث المهزول المقابلته بالسمين فاستعير لما ذكر كما تقدم فمنها اي الاجوبة المذكورة ما روي قتادة مشهور تقدمت ترجمته ومقاتل بن حبان الخراساني العابد المفسر الثقة روى عنه اصحاب السنن وغيرهم وتوفي قبل خمسين ومائة ولهم مقاتل اخر وهو مقاتل بن سليمان وهو محدث مفسر الا انه اتهم بالكذب والظاهر انه الاول انه صلى الله عليه وسلم اصابته اي عرضت له سنة وهي فتور مع اوايل النوم قبل الاستغراق فيه المانع عن الحس والادراك وهي قريبة من النعاس كما تقدم بيانه وليس بمعنى وان قيل به وقوله

وسنان اقصده النعاس فرنقت • في عينه سنة وليس بنايم •

لادليل فيه عند قراته هذه السورة يعني سورة النجم فجرى هذا الكلام اي قوله تلك الغرانيق على لسانه ونطق به من غير قصد بل بحكم النوم وغلبته حتى يتكلم بما لا يقصد وهذا المذكور لا يصح مثله ورد منه اذ لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم ان يقع منه مثله في حالة من احواله لا في يقظة ولا في منام لانه صلى الله عليه وسلم وان نامت عيناه لا ينام قلبه ولا يخلقه الله اي لا يوجد جريانه على لسانه كما قاله بعضهم لحفظه له في ساير احواله ولا يستولي الشيطان اي يتسلط عليه لحفظ الله له في نوم ولا يقظة بفتحات ثلاثة ضد النوم وتسكين قافه خطا الا في ضرورة الشعر كقول التهامي

فالعيش نوم والمنية يقظة • والمرء بينهما خيال سار •

لعصمته في هذا الباب الذي ظن بعضهم البلاغ عما اوحي اليه من جميع العمد بقصد القول عليه ما لم يقله والسهو في شيء منه وفي قول الكلبي في الجواب عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه اي فكر فيما ذكر وخطر بباله من غير نطق به فقال ذلك الشيطان على لسانه اي نطق به محاكيا لصوته ونطقه به في اثنا قراته وهو لا يدري فتوهموا انه صلى الله عليه وسلم قاله وانه اوحي به اليه كما تقدم وكذا اما وقع في رواية ابن شهاب الزهري وقد تقدمت ترجمته عن ابي بكر بن عبد الرحمن وفي نسخة ابو عبد الرحمن وكلاهما صحيح وهو ابو بكر بن عبد الرحمن بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي التابعي الامام احد الفقها السبعة على قول وهو من سادات قريش ويسمى الراهب لزهده قيل اسمه ابو بكر وكنيته ابو عبد الرحمن وقال النووي محمد اسمه وكنيته ابو عبد الرحمن والصحيح ان اسمه كنيته وتوفي سنة اربع وتسعين وقيل غير ذلك قال ابن شهاب او ابو بكر وسهى صلى الله عليه وسلم في نطقه بذلك فلما احس وفي نسخة اخبر بذلك اي عرف سهوه فيما نطق به قال انما ذلك الذي جرى على لسانه او سمع من الشيطان وكل هذا المذكور من الاقوال انما لا يصح رواية ودراية ان يقع له النبي صلى الله

الشيطان

عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا لحفظ الله له عن مثله ولا يصح ايضا ان يتقوله بالتشديد
ان يفتريه على لسانه اي ينطق به محاكيا لقوله وتنطقه فيلتبس الوحي بغيره لمنع الله له
عن تسلطه عليه بمثله فقوله على لسانه صريح فيما اراده فما قيل ان فيه نظرا
لانه لا مانع من ان يقول الشيطان عليه ما لم يقله من غير ان يصدر عنه فكثيرا
ما كذب عليه وهذا لا ينافي عصمته صلى الله عليه وسلم غفلة عما عناه المص
فلا وجه له وقيل في الجواب عما ذكر لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله في اثناء
تلاوته وقراءته لسورة النجم فذكره في خلال اياته ولعل للترجي من عادة
المصنفين استعمالها كناية عن ضعف ما معه وانثناء جمع ثني بمعنى مثني اي ملفوف
بعضه على بعض فشبه ما هو فيه ببرد مطوي في داخله شيء اشتمل عليه على
تقدير التقرير اي حملهم على الاقرار والتوبيخ للكفار اي توبيخهم بعد
اقرارهم بعبادة الاصنام ووصفها بالعلو ورجاء شفاعتها على هذا التهكم والاستهزاء
وقيل المراد حملهم على الاقرار بان المدح بهذه الكلمات انما يليق بمن يضر وينفع
توبيخا وتبكيتا تنبيها على خطائهم ايذانا بانها لا تصلح ان تكون الهة والتوبيخ
على امر محكي باطل وقع منهم فما قيل انه حري ان يسمى انكارا ابطاليا لانه
لا داعي له ثم انه قال ليس في الكلام ما يفيد ذلك فلا بد من تقدير اداة الاستفهام
معه كقوله

طربت وما شوقا الى البيض اطرب ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

او ذلك معلوم من المقام لان من ذكر امرا علم ان غيره يكرهه ويصرح بذمه واشتهر
منه ذلك فاذا مدحه بما مدحه به اعداؤه علم انه تهكم واستهزاء وارخاء العنان
للخصم حتى يقع في هوة الضلال ولك ان تقول انه عند هذا القائل مفهوم
من قوله افرايتم وان ما ذكر مقدر مفعول ثان لرايت وهو محط الاستفهام وهو
وان كان غير مستقيم لكن هذا مما يؤيد توهينه فتدبر كقول ابراهيم الخليل
صلى الله عليه وسلم هذا ربي للكواكب التي كان يعبدها قومه فوصفها
بالربوبية انما هو توبيخ لهم لانه بريء من مثله كما لا يخفى على احد التاويلات
التي ذكرها المفسرون فهو على هذا مقدر معه اداة استفهام كالاية التي
قبله وفيه اقوال اخر مذكورة في التفاسير لا حاجة للتطويل بذكرها وقوله
اي الخليل عليه الصلاة والسلام في حق الاصنام بل فعله كبيرهم هذا والضمير
للاصنام وكانوا يجتمعون في عيد لهم ثم يرجعون للسجود لها فتخلف عنهم
ودخل عليها فكسرها الا صنما هو اكبرها فلما راوه قالوا اانت فعلت هذا
بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم كما قصه الله عنه في هذه الاية
وحاصله انه من معاريض الكلام الذي قصد به اقامة الحجة عليهم وان
ما عبدوه لا يصلح للعبادة بعد السكتة اي الوقفة الخفيفة بين ايات
سورة النجم والحاصل انه لما فرغ صلى الله عليه وسلم من ذم الاصنام
بما اوحي اليه سكت وذكر كلاما وبخهم به كما فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام
والتوبيخ لهم بذم الهتهم وبعد بيانه الفصل بين الكلامين اي كلام الله في

دجى

عوضي

ذم

ذم الاصنام وكلامه الذي تكلم به وقرينة تدل على المراد وانه اي ما ذكره توبيخا وتعزيرا
ليس من كلام الله المتلو لفصله بينه وبينه بالسكت وهو اي ما قيل انه قاله في اثناء
قراءته لما ذكر من التوبيخ والتعزير احد ما اي الاقوال ذكره القاضي ابو بكر الباقلاني
او ابن العربي وهما مالكيان تقدم ذكرهما وبيانهما ولا يعترض على هذا القول
الذي قاله القاضي بما روي بالبنا للمجهول فيهما انه صلى الله عليه وسلم او هذا
الكلام كان في الصلاة وهو كلام ليس بقران ولا ذكر فيبطلها فقد كان في صدر الاسلام
وقبل الهجرة الكلام فيها اي في الصلاة قبل مبني على الضم اي قبل النهي عنه غير
ممنوع في الشرع وغير مبطل للصلاة وكان الكلام غير محرم لما فرضت الصلاة
ثم حرم عليهم قبل الهجرة بثلاث سنين والذي يظهر ويترجح في تاويله اي تاويل
هذا الحديث وهذا ما اختاره الغزالي كما نقلناه اولا عنه اي عند القاضي ابي بكر
وعند غيره من المحققين اي اهل الكلام والتفسير والحديث على فرض تسليمه اي
تسليم وقوعه منه صلى الله عليه وسلم وانه نطق بذلك ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان كما امره ربه يرتل القران ترتيلا لقوله تعالى ورتل القران ترتيلا
والترتيل القراءة بتؤدة من غير استعجال وهو في الاصل مستعار من قولهم
ثغر مرتل اي مفلج كالاقحوان واوراقه ومن لطائف بعض المتاخرين

افدي الذي بجبينه وشعره * مزج صبح تحت اذيال الدجى
ما لي به مع قرب داري ملتقى * فهل رايت ثغره المفلجا

ويفصل الاي جمع اية بالمد فيهما تفصيلا بفصل بعضها بعضا في قراءته وفي
سنته في تلاوته مع سكتة خفيفة بينهما كما رواه الثقات عنه كما قالت عائشة
رضي الله عنها وقد سئلت عن قراءته لو اراد سامع ان يعد حروفه عدها
لتانيه فيها وتجويد حروفها وبيان حركاتها ومدها فيمكن ترصد الشيطان
لتلك السكتات بالنون او التاء المثناة الفوقية وترصده ترقبه وانتظاره
اي ترقب وقفه وسكتته بين الايات في ترتيله القراءة ودسه بمهملتين
مصدر معطوف على ترصد اي ادخاله فيما بين سكتاته خفية يقال دسه دسا
اذا ادخله قال الراغب الدس ادخال الشيء في الشيء بضرب من الاكراه واصل الدس
الاخفا ومنه العرق دساس فيها اي في القراءة ما اختلقه اي كذبه وافتراه وما
موصولة مفعول دسه من تلك الكلمات بيان لما محاكيا نغمة النبي صلى الله
عليه وسلم في القاموس النغم محركة وتسكن الكلام الخفي والواحدة نغمة ونغم
في الغنا كضرب ونصر وسمع انتهى فالنغمة هنا بمعنى الكلام الخفي وتكون بمعنى
الغنا وليس بمراد هنا وهو المعروف عرفا كقوله الشرب بغير نغم غم وبغير
دسم سم والظاهر انه اريد به هنا الصوت مطلقا بحيث يسمعه اي بمكان
قريب منه صلى الله عليه وسلم فيسمعه من دنا اي قرب اليه من الكفار
الحاضرين عنده يسمعون تلاوته صلى الله عليه وسلم لسورة النجم فظنوها
اي ظنوا تلك الكلمات التي قالها الشيطان ودسها في تلاوته محاكيا لصوته
وهو لا يدري من قوله صلى الله عليه وسلم اي مما تلاه من القران وجعلها

قوله لنطقه بها او بناء على اعتقادهم الفاسد واشاعوها اي اظهروها وقالوا انه مدح
الهتنا ووافق طريقتنا ولم يقدح فيها اي مادسه الشيطان واشاعوا انه صلى الله
عليه وسلم قاله عند المسلمين فلم يغير اعتقادهم ولم يلتبس عليهم القرآن
بغيره مما ادخل فيه لحفظ المسلمين السورة اي سورة النجم فالمصدر مضاف لمفعوله
قبل ذلك اي قبل اختلاف الشيطان ودسه فيها مادسه على ما انزل الله متعلق
بحفظ فعلموا ان ما اشاعوه ليس من الوحي في شيء مع عدم مناسبته له لفظا
ومعنى وتحققهم اي المسلمين من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان
وعيبها على ما عرف منه صلى الله عليه وسلم او من حاله لانه يذكر ويؤنث
وهذا بيان للقرينة القائمة على انه ليس من قوله لا مما اوحي اليه فاندفع ما قيل دجى
من انه لعل للشيطان سبيل حتى يتمكن ان يدخل في كلامه وما تلاه ما ليس منه
وقد بينا لك انه اختاره العز في لصحة الرواية عنده وقد حكي اي روى موسى
ابن عقبة كذا في جل النسخ وفي بعضها محمد بن عقبة في مغازيه اي في كتابه الذي
الفه في مغازي النبي صلى الله عليه وسلم فالاضافة لما بينهما من الملابسة
ورجحوا النسخة الاولى ومحوها في الحواشي وضربوا على النسخة الثانية وقال
الحافظ الحلبي انه مما لا شك فيه وهو موسى بن عقبة بن ابي عياش مولى آل
الزبير وقيل مولى ام خالد روى عنه خلق كثير وهو ثبت ثقة توفي سنة احدى
او اثنتين واربعين ومائة واخرج له الستة ومغازيه من اصح المغازي كما
قاله الامام مالك ومحمد بن عقبة اخو موسى ولعقبة اولاد كلهم فقهاء محدثون
لكل واحد منهم حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتراجمهم
مشهورة نحوه وفي نسخة نحو هذا اي نحو ما نقله عن المحققين مما هو بمعناه
وفيه ميل ما اليه لنقله عن المحققين وكثرة من تابعهم عليه وان قيل انه
لم يرض وقال اي موسى بن عقبة ان المسلمين لم يسمعوها اي مقالة الشيطان التي
دسها وانما القى الشيطان ذلك القول الذي شاع في اسماع المشركين بدليل انهم
هم الذين اشاعوه ولم يشع عن غيرهم حتى خفي على كثير منهم وانكروه ولا
مانع من ذلك فما قيل من انه دعوى بلا دليل اذ لا قدرة للشيطان لعنه الله دجى
على الغائب للمشركين فقط وهم مختلطون معهم في محل واحد غير مسلم وفي
نسخة وملائهم وهو كما قال الراغب جماعة يجتمعون على راي فيملاؤن
العيون رواء والقلوب جلالة وبهاء ومنه قيل فلان ملأ العيون وقلوبهم
بان يفقهوه ويقبلوه ويكون ما روي اي رواية ما نقل من حزن النبي صلى
الله عليه وسلم بيانا لما اسم كان وقوله لهذه الاشاعة خبرها اي انما حزنه عليه
الصلاة والسلام كان لمجرد اشاعة ذلك والشبهة الحاصلة من تلك الاشاعة لانه
كما قيل في المثل من يسمع يخل اي من اجل الاشاعة ومن اجل الشبهة الناشئة
منها ومن سبب هذه الفتنة الحادثة من شيوع ما هو بريء منه وهذا جواب
عن سؤال مقدر تقديره اذا كان المسلمون لم يسمعوا هذه المقالة فلم حزن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس الجواب عن هذه الشبهة ان

عوضي

الشيطان الجاه لهذه المقالة ولا انه سمعها منهم فعلقت بذهنه ثم سهى صلى الله عليه وسلم
فقالها كما توهم اذ لا مناسبة لهذا هنا وقد قال الله تعالى في هذه القصة وهذا من
تتمة الكلام عليها ولنبي متعلقا بما قبله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية
الفرق بين الرسول والنبي مشهور والكلام عليهما اشهر من ان يذكر والثاني اعم لانه كل
من اوحي اليه والرسول اوحي اليه وامر بالتبليغ وقيل غير ذلك وقوله الاية اي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته
والله عليم حكيم ثم اشار الى تفسير هذه الاية فقال فمعنى تمنى تلا لان اصل معناه
تفعل من المنا بمعنى التقدير ومنه الم يك نطفة من مني تمنى اي تقدر ومنه المنية
ويراد به تقدير شي في النفس وتصويره ولكون النفس تتصور امورا لا حقيقة لها
سمي به الكذب كقوله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي كذبا كما قاله مجاهد
وقال غيره تلاوة بلا معرفة للمعنى فاجراه مجرى التمني لما لا وجود له لان التمني كذلك
في الاكثر ثم استعمل لمطلق التلاوة واليه اشار بقوله فمعنى تمنى تلا كما قال الشاعر

تمنى كتاب الله اول ليله ● تمنى داود الزبور على رسل

وقال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقد عرفت وجهه والمراد
بالكتاب التوراة والاستثنا منقطع لان التلاوة ليست من العلم وقيل انه مصدر
بمعنى الكتابة لقوله ومنهم اميون وهي في حق اليهود وقوله فينسخ الله ما يلقي
الشيطان اي يذهبه لان النسخ لغة كما قاله الراغب ازالة شي بشي يعقبه كنسخ
الشمس الظل وما يلقيه الشيطان على هذا اما بدعته كما تقدم او يزيل اللبس
الحاصل به وبسببه ويحكم الله اياته اي يثبتها حتى لا تشتبه بغيرها وقيل معنى
هذه الاية اي قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم
من السهو اذا قرا فيتنبه لذلك السهو الصادر عنه بمقتضى البشرية بادني تنبيه
ويرجع عنه اي عما تركه سهوا وهذا المذكور هنا نحو قول الكلبي في الاية اي اية
سورة النجم كما نقل عنه اولا من انه حدث نفسه بان خطر بباله قولهم تلك الغرانيق
العلا وقال الكلبي ايضا معنى اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد
الرحمن الذي تقدمت ترجمته نحوه اي نحو ما ذكر مما هو بمعناه وهذا السهو المذكور
كا ينافي القراة انما يصح وقوعه منه فيما ليس طريقه الوارد عليها والاتي فيها تغيير
المعاني فلا يقع ما يغير معاني الوحي ويخالفها وتبديل الالفاظ بالفاظ غيرها
وزيادة ما ليس من القران فيه بل الجايز عليه السهو الناشي عن اسقاط اية
منه او اسقاط كلمة منه ولكنه صلى الله عليه وسلم اذا سهى لا يقر بالبنا للمفعول
او الفاعل على ذلك السهو بل ينبه ويذكره للحين اي يبادر به في وقت سهوه
لا يغافله لسهوه من غير اعلام له وتعريف حين الحضور واللام بمعنى في وقيل
بمعنى وقت كقوله فطلقوهن لعدتهن وهذا مبني على ما سبق ذكره مفصلا
في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله اي تاويل
ما ذكر في سورة النجم وما وقع فيها ايضا كما ظهر في بعض التاويلات السابقة
المتبادرة الى الافهام ان مجاهدا رحمه الله تعالى روي هذه القصة اي قصة

سورة النجم السابعة والغرانقة العلا بالعطف على اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
وحينئذ فلا اشكال يرد على ما تقدم فان سلمنا وقوع هذه القصة وصحة روايتها قلنا
على هذا التقدير لا يبعد ان هذا المذكور في هذه الرواية وهو قوله والغرانقة العلا
كان قرآنا نزل عليه صلى الله عليه وسلم ثم نسخت تلاوته والمراد على هذه الرواية
على تقدير انها قراءة منسوخة بالغرانقة العلا والمراد بان شفاعتهن ترتجى اشارة
الى الله على هذه القراءة بفتح همزة ان من قوله وان شفاعتهن ترتجى الملائكة على هذه
الرواية التي فيها الواو العاطفة وهي جمع غرنوق كزنبور وقنديل وقرطاس
وفسرت بالاصنام ايضا وهي في الاصل طير من طيور الماء والشاب الجميل فاستعيرت
لما ذكر واستعارة الطير للملك اظهر وبهذا فسر الحلبي الغرانقة انها الملائكة انها
بالفتح بدل من هذا وذلك يعني ان الباعث على تفسيرها بما ذكر ان الكفار اي عبدة
الاصنام من قريش وغيرهم كانوا يعتقدون ان الاوثان والملائكة بنات الله سبحانه اي
تنزيها له عز وجل عما قالوه تجهيلهم كما حكى الله عنهم ذلك في القرآن في آيات كقوله
افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا وقوله اصطفى البنات على البنين
وقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الاية فجعلوها الاحتجابها
بجدران وهو في الملائكة مشهور واما في الاصنام فبناء على ما نقله الحلبي في
تفسير قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا اي مشركي العرب زعمت
في اللات والعزى ومناة انها بنات الله تعز لهم له لما كانوا يسمعون تكلمها
وانما كان يكلمهم شياطين الجن من اجوافها ورد الله عليهم ما قالوه في هذه
السورة يعني سورة النجم بقوله تعالى ألكم الذكر وله الانثى اي اتختارون لكم
الذكور دون الاناث لانهم كانوا يقتلونها وهي المودة واعتقدوا ان له
بنات لم يرتضوها لانفسهم وهي الملائكة والاصنام كما مر ولذا قال تلك
اذن قسمة ضيزى اي جائرة فانكر الله كل هذا الذي ادعوه من قولهم اشارة
الى ان الاستفهام فيه انكاري تكذيبا لهم فيما قالوا انها الهتهم مما كادت
تخر له الجبال هدا فالاستفهام منصب على الجميع وبهذا يرتفع الاشكال
على هذه القراءة ورجاء الشفاعة في قوله وان شفاعتهن لترتجى صحيح على دلجي
هذه القراءة ولا حاجة لهذا فانه منكر لانصباب الاستفهام الانكاري عليه
كما قررناه لك بناء على فتح همزة ان فيه ولذا قيل هذا التاويل وان كان صحيحا
في نفسه مباين للمقام ناء عن سياق الكلام فتدبر فلما تأوله اي تاول هذا
الكلام بصرفه عن ظاهره المشركون حسب اغراضهم الفاسدة على ان المراد بهذا
الذكر اي المذكور وهو قوله تلك الغرانيق العلا الخ الهتهم اي اصنامهم
التي عبدوها ولبس الشيطان عليهم ذلك بوسوسته لهم وتزيينه
لافكارهم وزينه في قلوبهم بتحسينه وتزويره والقاه اليهم اي القى
ذلك المعنى الذي فهموه لما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم حقيقة
على هذا الوجه الذي استظهره نسخ الله من كلامه ما تلى كما تقدم وقوله
ما القاه الشيطان المراد به اللفظ اقلوه بما القاه الشيطان في قلوبهم حتى

بلبنهم

يلتبس هذا بما قاله اولا واحكم اياته الباقية بعد ما نسخه منها ورفع تلاوة تلك
اللفظتين اي الجملتين يعني قوله تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى وقوله
تلك بالافراد لجعلهم كشيء واحد فلا وجه لما قيل صوابه بينك اللتين وجد الشيطان
بهما سبيلا للالباس اي طريقا لتلبيسه عليهم بهما اذا تليا في هذه السورة ووقع
في بعض النسخ التي وجد الشيطان بها بالافراد فيهما والصواب ما ذكر كما نسخ بالبنا
للمعلوم او المجهول له كثيرا يجوز رفعه ونصبه وكذا قوله ورفع تلاوته مع بقا
حكمه او بدونه وكان في انزال الله لذلك الذي نسخه بعد ذلك حكمة هي كما يعلم
مما بعده تبيين من ضل ممن اهتدى وفي نسخه برفع تلاوته حكمة من خير او شر
ثم بين تلك الحكمة بنص القران في قوله تعالى يضل الله من يشا ويهدي من يشا
وما يضل به الا الفاسقين الخارجين عن طاعته بارتكاب المعاصي وفي قوله ليجعل
ما يلقي الشيطان فتنة اي بمنزلة الاختبار لاظهاره للناس ما خفي عليهم فكانه
اختبار للذين في قلوبهم مرض اي شك او نفاق فاستعار لذلك اسم المرض والقاسية
قلوبهم من المشركين الذين لم يدخل الايمان في قلوبهم لشدة قسوتها فشبه قلوبهم
بالحجارة الصلبة التي لا تتغير عما هي عليه ولا تلين لقبول الحق وان الظالمين اي
الكافرين وان الشرك لظلم عظيم واقام الظاهر مقام المضمر تسجيلا عليهم بظلمهم
وكونهم لفي شقاق اي عداوة ومباينة للمؤمنين فهو في شق وهم في شق بعيد
عن الحق وقبوله وليعلم الذين اوتوا العلم اي الذين اتاهم الله العلم من
المؤمنين انه ما انزله الله ثم نسخه واراد له الحكمة وليس رجوع الضمير لتمكين
الشيطان من الالقا مرادا له بمناسب هنا الحق من ربك لعدم اشتباهه
عليهم وتمكن الشيطان بتلبيسه عليهم فيؤمنوا به اي يصدقوا ويؤمنوا
لما نزل وان نسخ فتخبت له قلوبهم اي تنقاد وتخضع مطمئنة من غير شك
وتزلزل واصل معنى الخبت ما اطمان من الارض وهو السهل ضد الحزن فاستعير
لما ذكر من الانقياد لخضوع وخشوع الاية اي وان الله لهادي الذين امنوا
الى صراط مستقيم ثم ذكر وجها اخر في هذه القصة اشار الى ضعفه بقوله
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة اي شرع في قراة
سورة النجم وبلغ اي وصل في حال قراته ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى وصفها بالثالثة والاخرى للتاكيد كطاير يطير بجناحيه او الاخرى
المتاخرة في الرتبة والاحسن ما قيل انه اللات والعزى كثيرا ما يذكر ونهما
معا اذا حلفوا فيقولون واللات والعزى فوصف مناة بالثالثة ليعلم ان
مناة ثانية وليست واحدة واكد ذلك بالاخرى اشارة لتاخر رتبتها ومغايرة
ما قبلها فهي ثانية اخرى فعل تفصيل فلما خاف الكفار لما سمعوا ذكرها منه صلى
الله عليه وسلم ان ياتي بشيء من ذمها وتنقيصها كما هو كان عادته اذا ذكر
فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين اي تلك الغرانيق الخ لخلطوا في تلاوته
ذكرها بمدحها الصادر منهم وبشغبوا عليه بشين وغين معجمة مشددة
من الشغب بالفتح ويجوز تسكينه وهو تهييج الشر مع الصياح به ورفع

سخة وتشنعوا بنون وعين مهملة من الشناعة على عادتهم اذا حضروا وقراءته صلى
الله عليه وسلم انهم يرفعون اصواتهم عنده حتى يلهوه ويشغلوا خاطره ويمنعوا
من سماعه كما حكى الله عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن اذا قرأه والغوا فيه اي
اظهروا اللغو برفع الاصوات تخليطا او فتشوشوا عليه بما يشغل الخواطر عنه
لعلكم تغلبون باصواتكم لغوكم على قراءته من قولهم هذا غالب على هذا اذا كان
زائدا عليه فكانوا يوصون بذلك من يحضره منهم كما قال ابو جهل لعنه الله
اذا قرأ محمد فصيحوا حتى لا يدري ما يقول وقيل كان ذلك بالصياح والتصفيق
والقاهم فعلوا ذلك لما ظهر عجزهم عن معارضته ونسب هذا الفعل اي الالقا
للشيطان في قوله ما يلقي الشيطان بطريق المجاز المرسل والنسبة للتسبب ما
للمتسبب لحمله لهم عليه اي لان الشيطان هو الذي تسبب فيه حتى فعلوه
وهو الباعث عليه والحمل حقيقته جعل شيء فوق شيء ثم تجوز به عما ذكر
وصار حقيقة عرفية فيه واشاعوا ذلك المذكور واذاعوه في الكفرة
والاشاعة والاذاعة بمعنيين بمعنى وهو جعله مشهورا منتشرا وان
النبي صلى الله عليه وسلم قاله بفتح همزة ان لعطفه على المفعول فيه قاله
على هذا الوجه وعلى غيره هو افتراء عليه وبهتان منهم كما يعلم مما تقدم
فحزن لذلك صلى الله عليه وسلم وهو جواب عن سؤال تقديره اذا لم
يصدر عنه ذلك او صدر بمعنى آخر فلم حزن صلى الله عليه وسلم وقوله من
كذبهم وافترائهم عليه بيان لذلك لتعصبهم لا لحقيتهم اذ اضلتهم فسلاه
الله تعالى التسلية اذهاب الحزن بوجه ما اي ازال غمه بما ذكر بقوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك الآية يعني من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته الى آخرها اي انما وقع لك في هذه القصة سبق مثله لمن قبلك
من الرسل فاصبر كما صبروا ولا تحزن وقد تقدم من تفسير هذه الآية
ما يغني عن اعادته وبين الله تعالى في كتابه للناس الحق من ذلك اي من
الوحي الذي انزل على لسانه من الباطل الذي القاه الشيطان فيما تلاه
ومن الثانية متعلقة بقوله بين والاولى ظرف مستقر فلا يرد عليه ان
الفعل لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد وحفظ الله عز وجل القرآن من
التبديل والتغيير بزيادة او نقص واحكم الله اياته اي اتقنها فلا
ياتيه الباطل من بين يديها ولا من خلفها ودفع ما لبس به العدو من الكفرة والشياطين
كما ضمنه بفتح الميم المشددة وتخفيفها مكسورة فتقديره على الاول الله ضمن
القرآن اي جعل في ضمنه ما يفهم من قوله تعالى الخ وعلى الثاني انه تعهد
بحفظه اذ قال انا نحن نزلنا الذكر اي القرآن لانه من اسمائه وانا له لحافظون
من التبديل وان يزاد فيه او ينقص فلم يكل ذلك الى غيره حيث اسنده الى
نفسه بضمير العظمة بخلاف غيره من كتب الانبيا اذ فوض حفظها لاحبارهم
كما قال بما استحفظوا من كتاب الله ولذا وقع فيها التحريف والتغيير حكمة
بالغة واتى في ذلك بتاكيدات وقدم معمول حافظون للحصر ومن ذلك اي من جملة

اسئلة الطاعنين على الرسل ما وقع فيما روي من قصة يونس نبي الله صلى الله عليه وسلم
وهو يونس بن متى وقد اختلف في متى هل هو اسم امه او اسم ابيه فقيل انه اسم امه
وانه لم ينسب احد الى امه غير يونس وعيسى عليهما الصلاة والسلام وورد بما
في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي
لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونسبه لابيه فانه يقتضي ان متى اسم ابيه
خلافا لمن قال انه اسم امه وهو مروي عن وهب بن منبه وذكر الطبري وابن
الاثير في الكامل وان قول ابن عباس انه كان في رواية يونس بن فلان فمراده
ان الراوي كنى عن اسم ابيه بفلان ولم يصرح به وهو السبب في نسبته لامه وقد
قيل ان الصحيح الاول وان ما ذكر من التاويل بعيد وكان من اهل قرية
بالموصل تسمى نينوى كان يتعبد في جبل عنده ثم بعثه الله بالتوحيد لقوم
يعبدون الاصنام وكان فيه حدة فلم يصبر على الناس فتركهم ولحق بالجبل ولذا
قال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت وكان كداود في حسن الصوت اذا قرا وقفت عنده
الوحوش تسمع قراءته وتقدمت ترجمته بابسط من هذا اذا وعد قومه بالعذاب
مخبرا لهم به عن ربه لمجيء العذاب لهم فلما تابوا ورجعوا عما كانوا عليه وكانت
توبتهم في يوم عاشوراء او يوم جمعة كشف بالبناء للمجهول اي كشف الله عنهم
ما وعدوا به فقال يونس عليه الصلاة والسلام لما راى تخلف الوعيد لا ارجع
اليهم اي الى قومه حال كوني كذابا ابدا فذهب مغاضبا مفاعلة من الغضب وهو
ثوران دم القلب لارادة الانتقام والمفاعلة ظاهرة ان اريد انه مغاضب لقومه
وان اريد انه غضبا لاجل ربه فهو مثل يخادعون الله وكان اقام في قومه ثلاثين
سنة يدعوهم للايمان فلم يؤمن منهم الا رجل فدعا عليهم فقيل له ما اسرع
ما فعلت ارجع اليهم وادعهم اربعين ليلة فان لم يجيبوا حل بهم العذاب فدعاهم
سبعا وثلاثين ليلة وقام فيهم خطيبا وقال ان لم ترجعوا الى ثلاثة ايام حل
بكم العذاب وعلامته تغير الوانكم فلما راوا التغير وعلم يونس بالعذاب
خرج من بينهم وطلبوه فلم يجدوه والهمهم الله التوبة فخرجوا للصحرا
باهليهم واولادهم ودوابهم وضجوا الى الله تعالى وقالوا امنا بيونس فقبل
الله توبتهم وكشف عنهم العذاب بعد ما عاينوه في سحابة على رؤوسهم كما
قال تعالى الا قوم يونس الاية والى ذلك اشار بقوله واعلم اكرمك الله بما
علمك من براءة ساحة الانبيا عليهم الصلاة والسلام مما توهمه الطاعنون
فيهم بمثل هذا السؤال بانه كيف اخبر وهو نبي معصوم بما لم يقع واعترف
بل انه ليس في خبر من الاخبار الواردة في كتاب ولا في سنة صحيحة في هذا الباب
المتعلق بقصص الانبيا وقصة يونس عليه وعليهم الصلاة والسلام
ان يونس قال لهم مخبرا عن ربه ان الله مهلككم حتى يتاتى ان يقال انه
صدر منه الكذب وانما الذي ورد فيه من الاخبار الصحيحة انه دعا عليهم
بالهلاكة اي بان الله يهلكهم لعدم اطاعتهم له والدعا ليس بخبر اي كلام
خبري بل انشا وطلب من الله يعلم صدقه من كذبه اي يحتمل الصدق والكذب

دمجي

والظاهر ان للمخبر لا ليونس كما قيل ولو كان مخبرا ايضا لم يكن كذابا كما توهمه السايلون لانه على تقدير شرط هو ان لم تؤمنوا كما يعلم من قوله الا قوم يونس لما امنوا الاية ولا ينافيه قوله لا ارجع اليهم كذابا لان العدم صحته عند المخ كما تقدم ويأبى او وصفه بالكذب لتضمن كلامه خبرا يحتمل الصدق والكذب وهو ان من لم يجب دعوة الرسل يحل به العذاب لكنه اي المشار او يونس عليه الصلاة والسلام قال لهم اي لقومه لما وعظهم ان العذاب مصبحكم اي يأتيكم في وقت الصباح وقت كذا وكذا اي عند تمام المدة التي بينها لهم كما تقدم فكان ذلك اي وقع وتحقق مجيئه لهم في الوقت المعين فانهم لما راوا اسحابه دنت منهم حوميل فيها عذاب ودخان اسود فاخلصوا التوبة وامنوا ولبسوا المسوح وتضرعوا الى الله فقبل توبتهم ثم رفع عنهم العذاب الذي تيقنوه حتى كانه نزل بهم وتداركهم اي انعم عليهم الله بالخلاص مما خافوه والتدارك بمعنى الاعانة والنعمة كما قاله الراغب اي تداركهم الله برحمته لما تابوا ومتعهم بالحياة الى حين كما قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين والاستثناء منقطع من قوله فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الخ اذ المعنى لولا كانت قرية من القرى التي اهلكناها امنت الا قوم يونس ويحتمل الاتصال لانه في معنى ما نجينا قرية اي اهلها الذين عاينوا العذاب الا هؤلاء كما تقرر في التفاسير وفي كلامه خلل لا يخفى فان محصله جوابان احدهما المنع وانه ليس بخبر وارد والثاني انه خبر عن وقوع العذاب وقد وقع لانهم عاينوه لكن الله رفعه عنهم فالاستدراك ليس في محله لمباينته لما قبله ومقصوده هذا لكنه تسمح في العبارة وايضا العذاب لم يحل بهم ولكنه لمعاينته كما تقدم وجعل كانه وقع ولذا اعبر بالرفع دون الدفع وهو من خصايص قوم يونس لانه ايمان يأس وهو لا يقبل وروي في الاخبار انهم اي بعد ان امهلهم اربعين ليلة فلما مضت خمسة او سبعة وثلاثين كما مر راوا اوايل العذاب في سحابة دنت منهم كما تقدم ومخايلها بالخاء المعجمة اي علاماته جمع مخيلة وهي المظنة من خاله بمعنى ظنه وهي في الاصل موضع التخيل ثم استعير للامارات كقولهم الولد مبخلة ومجبنة قاله ابن مسعود رضي الله عنه رواه عنه ابن مردويه مرفوعا وابن ابي حاتم موقوفا وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشي الثوب القبر يعني ان السحابة قربت منهم فكانت عليهم كثوب يغطى به قبر وفي التعبير بالقبر اشارة الى انهم كالاموات ولذا عبر في الاية بالكشف وفي نسخة كما يغشي النوء القمر والنوء بواو ساكنة وهمزة او بواو مشددة بمعنى النجم الطالع او الساقط واراد به هنا السحاب لانه لا يخلو من سحاب ومطر معه وانواء العرب مشهورة والقمر معروف ثم اورد شيئا مما يتعلق بالاسئلة والمطاعن فقال فان قلت ايها السائل عما يوهم ما لا يليق بمقام النبوة فما معنى ما روي رواه ابن جرير عن عكرمة مولى ابن عباس

رمي

رضي الله عنهما من ان عبد الله بن ابي سرح بفتح السين وسكون الراء وبالحاء المهملات
وهو عبد الله بن سعد بن ابي سرح بن الحارث العامري القرشي الصحابي كاتب
النبي صلى الله عليه وسلم اسلم قبل الفتح وهاجر ثم ارتد واسلم بعد ذلك
وحسن اسلامه كما تقدم وولي في خلافة عثمان فلما قتل اعتزل الناس والتزم
العبادة ودعا الله ان يتوفاه بعد الصلاة فمات بعد تسليمه من صلاة الصبح
كما ذكره السهيلي واشار الى ما ذكر بقوله وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ينزل عليه من الوحي ثم ارتد مشركا اي عاد لما كان عليه من الشرك وصار الى قريش
اي رجع اليهم بمكة ولحق بهم ووافقهم على شركهم وقال لهم بعد عوده لهم اني
كنت وانا اكتبه الوحي اصرف محمدا من التصريف وهو التغيير والتبديل كما قال وتصريف
الرياح اي ابدل ما يمليه علي وهو يسمعه فيوافقني على ما اختاره حيث اريد
اي في كل شيء اريده كان يملي علي عزيز حكيم في خواتم الايات فاقول له صلى الله
عليه وسلم او عليم حكيم اي اكتب هذا بدل ذاك فيقول لي نعم اي اكتبه ما قلت بدل
ما امليته كل صواب اي ما امليته وما قلته انت من عندك وسياتي ما فيه وفي
حديث اخر اي في رواية اخرى لهذا الحديث رواها السدي فيقول له النبي صلى
الله عليه وسلم وهو بين يديه اكتب كذا كناية عما يامره بكتابته فيقول اي ابن
ابي سرح له صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول صلى الله عليه وسلم اكتب كيف شئت
يحتمل الخبر والاستفهام والظاهر الاول فيقول النبي صلى الله عليه وسلم اكتب عليما
حكيما فيقول اي ابن ابي سرح اكتب بدل هذا سميعا بصيرا فيقول صلى الله عليه وسلم
له اي لابن ابي سرح اكتب كيف شئت واردت كتابته وسياتي ما فيه وتاويله على
تقدير صحته وفي الصحيح اي في الحديث الذي رواه البخاري وتقدم ان الصحيح اذا
اطلق يراد به كتابه وحديثه هذا مروي عن انس رضي الله عنه ان نصرانيا قال
البرهان لا اعرفه باسمه وفي مسلم انه رجل من بني النجار كان يكتب للنبي صلى الله
عليه وسلم ما يوحى اليه بعد ما اسلم ثم ارتد عن الاسلام الى الكفر وكان يقول
بعد ما ارتد ما يدري محمد الا ما كتبته له يعني انه كان يكتب من نفسه ويزعم
ان ما يعرفه النبي صلى الله عليه وسلم كلامه ولم يزل لعنه الله على ردته
حتى مات فدفنوه فلفظته الارض فقالوا هذا من فعل النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه فحفروا واعمقوا ودفنوه فلفظته ثانيا فقالوا مثل ذلك ثم
وقع ذلك مرة ثالثة فعلموا انه فعل الله وتركوه كما فضحه الله واعلم ايها
المريد للوقوف على الحق وظهوره ثبتنا الله واياك على الحق في هذه القصة وغيرها
اي جعلنا ممن علم الحق وعرفه ولم يتغير عما هو عليه وفي هذا الدعا مناسبة لما قبله
فان فيه ذكر من ارتد بعد اسلامه ممن لم يثبت على الحق بعد ما عاينه ولا جعل
للشيطان ولا جعل لتلبيسه اي خلطه الحق بالباطل الينا اي لوصوله الينا
سبيلا وطريقا يصل منه لنا اي بعده الله عن ساحتنا ولا سلطه علينا ان
مثل هذه الحكاية اي حكاية ابن ابي سرح والكاتب النصراني اولا اي قبل النظر
في معناها والبحث عن صحتها واحوالها لا توقع في قلب مؤمن ريبا اي شكا

وتردد اي في حقيقة ما اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم وان الشيطان لا يتسلط عليه
اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بعد ايمانه يعني ابن ابي سرح والكاتب النصراني كما مر
وعن معاشر علماء الدين او علماء الحديث لا نقبل خبر المسلم المتهم اي الذي جرح وطعن
فيه المحدثون مما بينوه في باب الجرح والتعديل مع اسلامه وعلمه لا يقبل خبره لعدم
عدالته فكيف بكافر قد افترى هو ومثله من الكفرة الفجرة اي اتصف بانه كاذب
مفتر على الله بادعاء شريك وولد ونحوه ورسله بنسبتهم لما لا يليق بمقامهم
ما هو اعظم من هذا المذكور عنهما وكيف هنا للاستفهام الانكاري التعجبي نحو
كيف تكفرون بالله والمصنفون يستعملونه للترقي من امر لاعظم منه كما هنا والعجب
لسليم العقل اي انه يتعجب ممن سلم عقله من الآفات والحماقة وشوائب الشك
والالتباس يشتغل بمثل هذه الحكاية يعني حكاية الكاتبين سره السر هو الامر الخفي
والمراد به هنا فكره او قلبه ويشغل بزنة يعلم اي يجعله مشغولا وهذه جملة
مستانفة لبيان وجه التعجب وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مبغض
بوزن مصلح من البغض ضد المحبة وروي بتشديد الغين المعجمة وروي بنون
وقاف وصاد مهملة من النقض ضد الزيادة مفتر على الله ورسوله لانه قال
انه صلى الله عليه وسلم يقر قوله وان الله لم يوحه اليه وكل منهما كذب على كل
منهما ولم يرد عن احد من المسلمين انه روى ما ذكر عن ابن ابي سرح والكاتب
النصراني ولم يصح احد منهم ما قالاه ولم يثبت قولهما له صلى الله عليه وسلم
ما ذكر ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهما او ما قاله كل واحد منهما له وافتراه على نبي الله صلى الله عليه وسلم
وهذا يؤيد التاويل الثاني وانما يفتري الكذب من لا يؤمن بآيات الله وفي نسخة الذين
لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون حقيقة لقد كذبهم بالنسبة للكذب
على الله ورسوله كالعدم فالفاحشة عنده اثر ذر فكم من كذب يغتفر وحاصله
ان مثله مما يشهد العقل بكذبه مما لا ينبغي ذكره فانه مما يسود وجوه القراطيس
بلا فائدة وانما ذكره لازالة الشبهة عن العقول القاصرة وتبين حاله فلا
وجه للانكار على المص وايراده له بعد ما بين مراده وما وقع من ذكرها اي ذكر اي افترى
هذه القصة وافرد لا سيما مقالتيهما حتى صار امرا واحدا من حديث
انس المروي عنه وما وقع من ظاهر حكايته لها بنقلها فليس فيه اي في الحديث
ونقله لغيره ما يدل على انه شاهدها اي ابصرها وحضرها والشاهد عندهم
ما يدل على صحة الحديث من روايته من طرف اخر تقويه كالمتابعة والفرق بينه
وبين المتابعة مذكور في مصطلح الحديث ولعله اي انس رضي الله عنه حكى
ما سمع من غيره جزم به ولا قول بصحته وفي قوله لعله اشارة الى انه متردد
فيه ايضا وقد علل البزار حديثه اي حديث انس رضي الله عنه ذلك المذكور
فاشار الى ان فيه علة قادحة في صحته وقال في بيان ذلك انه رواه ثابت عنه
اي عن انس ولم يتابع عليه اي لم يرو من طريق اخر يعضده غير طريق ثابت
عنه ورواه حميد بالتصغير عن انس قال اي البزار واظن حميدا انما سمعه من

ثابت

ثابت لا من طريق آخر فلا يكون متابعة وحميد هذا هو حميد بن عبد الرحمن وقيل غير ذلك
وهو يروي عن انس وغيره وكان له طول في يديه توفي وهو قائم يصلي سنة اثنين واربعين
ومائة ووثقوه وقيل انه يدلس واخرج له الستة ولا يخفى ان حديثه الذي رواه
المصنف اخرجه البخاري فقال انه كان رجل نصراني اسلم وقرا البقرة وآل عمران وكان يكتب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد فانطلق هاربا حتى لحق باهل الكتاب
فعجبوا به الحديث وهو حديث صحيح وزاد المصنف له غير صحيح والذي ينبغي له ان يقول ان
من قاله كذب وافترى ولا يقدح في اصل القصة وصحتها فانها ثابتة في الصحيحين كما
تقدم قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله وهذا اي لما ذكر تماما سمعته انفا
من انه لا شاهد له ولا متابعة لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح
حديث عبد العزيز بن رفيع وهو تمام رواه البخاري ومسلم كما تقدم واخرجه البخاري
في علامات النبوة عن ابي معمر عن عبد الوارث بن سعيد عن عبد العزيز بن رفيع عن
انس وعبد العزيز هذا توفي سنة ثلاث ومائة وقوله الذي خرجه اهل الصحة
صفة حديث واهل الصحة الذين يروون الاحاديث الصحيحة كالبخاري ومسلم وذكرا
وليس فيه اي في الحديث المذكور في هذه الرواية عن انس قول شيء من ذلك الذي
ذكره السائل من المطاعن من قبل نفسه بكسر القاف وفتح الموحدة اي لم يرو
فيه انه صلى الله عليه وسلم قال له من قبل نفسه لم يوح به اليه الا من حكايته
عن المرتد النصراني وهو مفتر على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واما
ما قاله ابن ابي سرح فسياتي بيانه ولو كانت القصة صحيحة من جهة الرواية
لما كان فيها اي في هذه الحكاية التي افتراها النصراني عدو الله المرتد قدح اي
عيب ونقص في مقام النبوة من قدح كمنع اذا طعن فيه ولا توهيم اي نسبته الى
الوهم بفتح الهاء وهو الغلط وبسكونها ذهاب الوهم لشيء كما في الصحاح وفي
بعض النسخ توهين بالنون من الوهن وهو الضعف اي نسبته لما يوهن جانبه
بما لا يرضى له للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه من ربه وليس مثله مما
يعتريه ولا جواز للنسيان والغلط عليه فيما طريقه البلاغ من الوحي كما
توهمه السائل والتحريف تفعيل من الانحراف وهو الميل عن الحق والمراد به
التبديل والتغيير فيما بلغه عن الله ولا طعن في نظم القرآن بان يقال انه اثبت
فيه ما ليس منه من كلام الكاتب الكاذب ولا طعن في انه من عند الله وانه فيه
ما ليس منه بتبديل الفاظه بغيرها اذ ليس فيه اي فيما قاله الكاتب لو صح ما قاله
اكثر من ان الكاتب المذكور قال له صلى الله عليه وسلم عليم حكيم مثلا او كتبه
اي ما ذكره ونحوه وهو يملي ويكتب ما يلقنه له خاتمة الكلام من ابتدائه على طريقة
الارصاد البديعي وهو ان يورد نظما او نثرا يفهم آخره من اوله قبل تمامه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو اي لفظ القرآن مثل ما قلت
وما تبادر لفهمك كذلك يكون الذي ذكره على مقطع الكلام الدال عليه اوله
فسبقه لسانه او قلمه اي سبق النبي صلى الله عليه وسلم لسان الكاتب
او قلمه لما يشتمل به عليه وتوارد معه لكلمة واحدة مثل عليم او حكيم او

كملتين لغفور رحيم لانتقاله من سياق الكلام لذلك مما نزل على الرسول صلى الله عليه
وسلم بالوحي الذي املاه عليه قبل اظهار الرسول لها اي لخاتمة الكلام من كلمة او كلمتين
او الضمير للكلمة ويعلم منه الكلمتان وما قدمناه اولى اذا كان مما تقدم مما املاه الرسول
صلى الله عليه وسلم بيان لما يدل عليها اي على الخاتمة او الكلمة وتقتضي وقوعها في اخر
وخاتمته بقوة قدرة الكاتب على الكلام بيان لسبب سبقه وانه لكونه من صميم العرب
الناشئين في حجر البلاغة المرتضعين لثديها ومعرفته به اي ببليغ الكلام نظما ونثرا
وصياغته وصبه في قالبه وجودة حسه المدرك له وفطنته اي سرعة انتقاله له
قبل اتمامه كما يتفق ذلك الانتقال للعارف باساليب الكلام اذا سمع البيت من الشعر اذا
انشد ان يسبق فهمه لقوة ادراكه الى قافيته اي اخر كلمة منه قبل الوصول اليها
او اذا سمع مبتدا الكلام واوله الحسن اي الفصيح المنسجم وقيده به لانه هو يرتبط بعضه
ببعض وتتجاذب كلماته فتتعانق وتتلازم بخلاف المتنافر كلماته الى ما يتم به من خواتمه
ولا يتفق اي يقع اتفاقا ذلك اي سبق الفهم من اول الكلام الى اخره في جملة الكلام اي لا
يتم ذلك في الكلام بتمامه بان يسبق فهمه الى خطبة او قصيدة بتمامها فان النوادر كلامٌ
في مثله لبعيد جدا كما وقع للصفدي ابن الوكيل مع ابن اسرائيل لما ادعى قصيدة له
وحاكما فيهما عند ابن الفارض فحكم بها للصفدي فقال قايل انه من وقع الحافر على الحافر
فقال وقع الحافر من الاول الى الاخر في القصة المشهورة وقيل مراده بجملة الكلام دلجي
انه ليس كل كلام يدل فاتحته على خاتمته والظاهر الاول لقوله كما لا يتفق ذلك
في الاية ولا سورة بتمامها من الايات والسور ثم شرع في الجواب عن قصة ابن ابي
سرح بعد ما اجاب عن قصة النصراني وقدمها لصحتها وظهور رجوعها فقال وكذلك
اي مثل هذه القصة قوله صلى الله عليه وسلم فيما تقدم في قصة ابن ابي سرح لما قال
بعد ردته كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم
ان صح انه كان يقول ذلك كل صواب مما امليته وقلته انت فقد يكون هذا الذي
وقع له مع ابن ابي سرح فيما كان فيه من مقاطع الاي جمع اية وفي نسخة الايات
وضمير فيه لما اوحي اليه من القران والمقاطع جمع مقطع وهو اواخر الكلام وفواصله
وجهان وقراءتان علمهما اليه بالوحي فاملى عليه احداهما وذكر الكاتب الاخرى
فلذا قال له صلى الله عليه وسلم كل صواب لانهما انزلتا جميعا على النبي صلى
الله عليه وسلم فاملى صلى الله عليه وسلم احداهما على ذلك الكاتب وتوصل
الكاتب المذكور لما ذكره بفطنته ومعرفته باساليب البلاغة بمقتضى الكلام اي بما
يقتضيه مقامه ويدل عليه سياقه الى القراءة الاخرى التي ذكرها الكاتب ظانا
انه ابتكرها فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم اي القراءة الاخرى ذكرها
لكونه نوادر من حيث الزينة على نظم القران النازل على اساليب كلامهم فتوهم
ان الرسول صلى الله عليه وسلم قرا كلامه وقوله قبل ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم لها اي لتلك الكلمة او الكلمتين فصوبها له اي قال له انها صواب لموافقته
لما اوحي اليه وهو مفقود لا المجاز فيه ثم احكم الله من ذلك الذي انزله على
رسوله صلى الله عليه وسلم فاملاه عليه ما احكم اي اثبته واتقنه ونسخ

ما نسخ

ناسخ اي ما اراد نسخه لفظا ومعنى او لفظا لا معنى وعكسه كما فصل في كتاب الناسخ
والمنسوخ وحاصله ان ما قاله ابن ابي سرح لا يستنكر فانه سبق النبي صلى الله عليه وسلم
لكلمات وافق فيها لفظه لفظ القران فصوبه النبي صلى الله عليه وسلم واقره عليها
فلما ارتد واضله الله قال ما قال ثم اسلم عام الفتح وحسن باسلامه حاله بعد ذلك
ومحا الله عنه ما افتراه حال ردته سوا كان ما [illegible] ام مما املاه عليه او مخالفا
له على انه قراة اخرى وقد تخالف القراآت لفظا ومعنى واما الممنوع فيهما التناقض كما
قد وجد ذلك اي تخالف القراآت في بعض مقاطع الاي وهي فواصلها واواخرها التي هي
في النثر كالقوافي في الشعر مثل قوله تعالى حكاية عن عيسى صلى الله عليه وسلم ان
تعذبهم فانهم عبادك نفعل بهم ما نريد وان تغفر لهم ذنوبهم وعيبا لهم فانك
انت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم اي الواقع جميع افعاله على
مقتضى الحكمة لا يسال عما يفعل لحكمته البالغة وان لم يظهر لنا وجهه وهذه القراة
قراة الجمهور اي اكثر القرا وهي القراة المتواترة وقد توهم في بادي النظر ان المناسب
للمغفرة الغفور الرحيم بدل العزيز الحكيم وقد قرا جماعة من الصحابة في الشواذ فانك
انت الغفور الرحيم بدل قوله فانك انت العزيز الحكيم القراة المتواترة وليست هذه
القراة الشاذة في المصحف العثماني المسمى بالامام المجمع على القراة بما فيه وترك
ما عداه وظن بعضهم ان القراة الشاذة هي المناسبة هنا وليس هذا اوجه لمن له معرفة
بدقايق البلاغة فان المعنى انك ان غفرت ذنوبهم فليس ذلك عن عجز لانك عزيز غالب
على كل من سواك ولا قبح في فعلك لانك حكيم ولو قال انك انت الغفور الرحيم اوهم
الدعا بالمغفرة لمن مات مشركا وهو غير مستقيم اي ان يبقيهم على كفرهم حتى يموتوا
وتعذبهم فانهم عبادك وان هديتهم لطاعتك وتغفر لهم فانت العزيز الذي
لا يمتنع عما اراد والحكيم في افعاله فيضل من يشا ويهدي من يشا فلا وجه للطعن
فيهما لعدم المناسبة وقال ابن الانباري هذا هو المناسب لان الغفور الرحيم يفرد
بالشرط الثاني والعزيز الحكيم يتعلق بالشرطين اي ان تعذبهم او تغفر لهم فانك انت
العزيز الحكيم في الامرين التعذيب والمغفرة فهو اليق فتدبر وكذلك وقع في القراآت
كلمات جات على وجهين متواتري في غير المقاطع والاواخر كما جا في المقاطع قرا بهما
الجمهور من القرا العشرة المتفق على قراتهم وثبتا اي القراة بالوجهين في المصحف
العثماني المعمول برسمه مثل قوله تعالى وانظر الى العظام جمع عظم اي عظم الحمار
او عظم الموتى التي تعجب من احيايها كيف ننشرها براء مهملة من النشر اي نحييها او به
قرا ابو عمرو وغيره وننشزها بزاي معجمة بقراة نافع وغيره اي نحركها ونرفع
بعضها على بعض من النشز بمعنى المرتفع ومثل قوله تعالى يقضي الحق بضاد
معجمة وتحتية في قراة ابي عمرو وغيره اي يقضي القضا الحق في كل ما يقضيه ويقص
بصاد مهملة مشددة في قراة نافع وغيره اي يتبع الحق فيما حكم به ويقدره وكل
هذا المذكور في هذا الفصل لا يوجب اي لا يستلزم ولا يقتضي شيا اي شبهة
ولا يسبب بصيغة المضارع اي يكون سببا له صلى الله عليه وسلم غلطا ينسب
اليه فيما طريقه البلاغ ولا وهما بسكون الها بمعنى الغلط فهو عطف تفسير وقيل

صح املي

السبعة

بفتحهما من وهم بهمراد اذهب وهمه اليه وفيه نظر وقد قيل ان هذا الذي وقع في قضية
الكاتبين يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم في مكاتبته الى الناس
يدعوهم الى الاسلام ملوكا وغيرهم غير القران فله فيه ان يصف الله عز وجل هو
او ياذن لكاتبه في ذلك وليسميه في ذلك الكتاب الذي يكتبه لانه ليس قرانا يجب اتباع
نظمه كيف ما شا اي لفظا كان مما يليق به كما مر ولذا قال له اكتب كيف شيت وكل
صواب

# فصل هذا القول

المذكور في هذا الفصل الذي قبل هذا من الوحي عن ربه واقع فيما
طريقه البلاغ اي تبليغ الناس ما امر بتبليغه عن ربه بالوحي واما ما ليس
سبيله سبيل البلاغ مما امر ببيانه من الاخبار بيان لما الثانية وهي بفتح الهمزة
جمع خبر التي لا مستند اي لا استناد لها الى الاحكام الشرعية التي يتعبد بها ولا
مستند لها الى اخبار المعاد بفتح الميم اي احوال القيامة والاخرة التي لا تعلم
الا بالوحي ولا تضاف اي تسند وتنسب الى وحي اي امر اوحي به اليه من ربه
كاخباره عن بعض المغيبات ونحوها مما يقول انه اوحي به اليه بل امر ابتدائي
لبيان ما ليس طريقه البلاغ وليس من الاحكام واخبار المعاد والوحي مما وقع ذكره
في احوال الدنيا وفي نسخة امور الدنيا واحوال نفسه صلى الله عليه وسلم المتعلقة
بامور نفسه فالذي يجب شرعا علينا اعتقاده والجزم به تنزيهه صلى الله عليه وسلم
وتبرئته عن ان يقع خبره الذي اخبر به في شيء من ذلك المذكور من احوال الدنيا واحوال
نفسه وذاته متلبسا بخلاف مخبره بضم الميم وفتح البا اسم مفعول اي غير مطابق
لما اخبر عنه بوجه ما لا عمدا لانه يكون كذبا لا يليق بمقامه ولا سهوا ولا غلطا
لاعتقاد ما ليس واقعا واقعا وانه بفتح الهمزة معطوف على تنزيهه معصوم حفظه
الله عن صدوره منه في جميع احواله في حال رضاه اي كونه غير غضبان ولا مكره على
اخباره وفي حال سخطه بفتحتين او بضم فسكون اي كراهته وعدم رضاه وجده
بكسر الجيم وهو ضد الهزل والمزح الذي اشار اليه بقوله ومزحه اي مزاحه
وهزله فانه صلى الله عليه وسلم كان يمزح احيانا ولا يقول الا حقا وفي حال
صحته اي صحة مزاجه وسلامته من الامراض ومرضه اي عروض بعض الامراض
البشرية عليه ودليل ذلك المذكور من عصمته في اخباره وجميع احواله اتفاق
السلف اي من تقدم عصره من هذه الامة واجماعهم عليه اي على انه لا يصدر عنه
خبر بخلاف مخبره اصلا وذلك انا نعلم يقينا من دين الصحابة رضي الله عنهم والدين
اما بمعنى الديانة او بمعنى العادة فقوله وعادتهم عطف تفسير اي دابهم الذي
استمروا عليه او الدين بمعنى الطاعة والانقياد له مبادرتهم اي اسراعهم من غير
توقف وتردد وفي نسخة مبادرين فهو حال مما قبله اي مسارعين الى تصديقه
صلى الله عليه وسلم بقبول ما يقوله في جميع احواله السابقة من جده
وما بعده والثقة اي الوثوق والاعتماد لتصديقهم بجميع اخباره في
اي باب اي نوع من الانواع كانت اخباره واي شيء وفي نسخة وعن اي شيء

وقعت

وقعت وصدرت منه وباي سبب في اي حال من احواله وانه اي الامر والشان انه لو نكن لهم
توقف تفعل من الوقوف اربي به الشك والريبة ولا تردد هو ايضا حقيقة عن فيه
في الشك وعدم الوثوق في شي منها اي من اخباره بل بمجرد السماع يجزمون بتحقيق
خبره كانهم عاينوه فيتلقوه بالقبول وانشراح الصدر ولا استثبات عن حاله اي حال
خبره او عن احواله صلى الله عليه وسلم في اخباره والاستثبات بسين مهملة ومثناة
فوقية ومثلثة وموحدة ومثناة مجرورة وهو طلب الثبوت بسؤال ونحوه عند
ذلك اي في زمان اخباره فلا يخطر ببالهم ولا يقولون هل وقع فيها سهو ام لا اي
هل صدر اخباره سهوا منه ام عمدا او غيره وهذا بيان لاستثباتهم وهذا دليل على
انه لم يقع منه ذلك واما عدم جوازه عليه وان كنا نعتقده ايضا فليس بمراد
فلا وجه لما قيل من انه انما يدل على عدم الوقوع لا على عدم الجواز فللقايل به ان
يطلب الدليل على امتناعه ولما احتج اي تمسك واستدل ابن ابي الحقيق بصيغة المصغر
علم لهذا الشخص اليهودي وبنو الحقيق طايفة من يهود خيبر له بها حصن منهم
كنانة بن الربيع بن ابي الحقيق زوج صفية بنت حيي بن اخطب ام المومنين رضي الله
عنها وله قصة في السير وليس هو هذا لانه قتل في زمنه صلى الله عليه وسلم
واما هذا فلم يذكروا اسمه وهذا الحديث رواه البخاري في حديث اجلا يهود خيبر
على عمر بن الخطاب رضي الله عنه متعلق باحتج ويحتمل ان يريد بابن ابي الحقيق
جماعتهم كابن ادم للناس لعوله حين اجلاهم من خيبر اي اخرجهم وطردهم منها في
زمان خلافته رضي الله عنه وهي بلاد بقرب المدينة لليهود علم ممنوع من الصرف
والجار متعلق باجلاهم باقرار اي جعلهم قارين فيها ساكنين من غير اخراج لهم
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم اي لبني الحقيق متعلق باقرار فجعل
فعله صلى الله عليه وسلم حجة على عمر رضي الله عنه واحتج عمر رضي الله عنه اي
اقام الحجة عليه ردا لما احتج به بقوله صلى الله عليه وسلم لذلك اليهودي
من بني الحقيق كيف بك اذا اخرجت من بلادك اي في اي حال تكون اذا وقع بك ما
يصيبك واجليت من بلادك ونفيت منها فهذا يدل على عدم دوام اقرارهم لهم
كما ظن فهو متضمن لخبر صادق منه فقال اي لعمر رضي الله عنه اليهودي المذكور
ردا لما احتج به كانت مقالته صلى الله عليه وسلم كيف بك الخ هزيلة تصغير
هزلة وهي المرة من الهزل ضد الجد كما في النهاية من ابي القاسم هي كنيته صلى
الله عليه وسلم كان ابو القاسم اي انما قاله هذا على طريق الهزل والمزح فلا دليل
فيه فقال عمر رضي الله عنه مجيبا له كذبت يا عدو الله اي لم يقل صلى الله عليه
وسلم ذلك هزلا ولو كان مزحا ايضا فهو لا يمزح الا بحق وذلك العدو يعتقد
خلاف ذلك عنادا منه وجهلا بمقام النبوة وتحقيرا له لعنه الله والصحابة
لا يقولون لشي من ذلك وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابن عمر مفصلا في خطبة
لعمر رضي الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم اقرهم بها على ان يكون ثمارها بينه
وبينهم ثم اقرهم ابو بكر رضي الله عنه على ما اقرهم عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم اقرهم عمر رضي الله عنه في اول خلافته على ذلك ثم لما ظهر

لم يعذرهم بان عمر اجلاهم منها واعطاهم قيمة ما لهم من الثمار والاموال وابلا وحبالا وغير ذلك الى اريحا من جانب الشام لحديث لا يجتمع بجزيرة العرب دينان كما فصل في السير والبخاري وشروحه وكانت محاجة اليهودي له عند ذلك كما تقرر وايضا اي مثل ما ذكر في الدلالة على عصمته صلى الله عليه وسلم في جميع اخباره فان اخباره المروية عنه صلى الله عليه وسلم واثاره جمع اثر بمعنى خبر يروى وينقل عنه وسيره جمع سيرة وهي الصفة الحميدة وشمايله جمع شمال بكسر الشين وهي صفاته الذاتية الحسنة معتنى بها نقلا وخطا اسم مفعول من العناية بمعنى الاشتغال والاهتمام مستقصي اي مستوفاة متتبعة من اولها الى اخرها واقصاها بتفاصيلها اي مفصلة مبينة كلها ولم يرد عنه في شيء منها اي من الاخبار والاثار والسير استدراكه اي تداركه صلى الله عليه وسلم بالرجوع عما فرط منه للصواب فيه لغلط في قول قاله فيما ذكر من الاخبار وغيرها او اعترافه واقراره بوهم اي غلط في شيء اخبر به احدا من الصحابة ولو كان اي وقع منه شيء من ذلك لنقل الينا كما نقل فيما رواه مسلم عن طلحة وانس وغيرهما في قصة رجوعه صلى الله عليه وسلم اي تحوله عن رايه لغيره عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل التلقيح والتابير جعل شيء من طلع الذكر في الانثى لتحصيل ثمرها وبلحها وهو بمنزلة النطفة للحمل جرت العادة لحكمة الهية انها لا تثمر بدونه وكان صلى الله عليه وسلم مر بهم وهم يفعلون ذلك فسالهم عنه فاخبروه فقال لهم دعوه فتركوه امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم فلم يثمر نخلهم في ذلك العام فلما اخبروه بذلك قال لهم انتم اعرف بدنياكم فعدم معرفته صلى الله عليه وسلم بامر من هذه الامور لا ينافي عصمته وانه لا يخبر بما يخالف الواقع لان جل همه صلى الله عليه وسلم امور الاخرة والشرايع وقوانينها وغيره انما جل قصده العلم بظاهر من الحياة الدنيا وهذه القصة رواها مسلم كما علمت بسند صحيح وفيه ان ثمرها خرج شيصا وهو البسر الذي لا نوى له وقال الملا هو ردي البسر الذي اذا يبس صار حشفا وكان ذلك الامر الذي اشار عليهم به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لو لم تفعلوا كان خيرا رايا اشار به عليهم بناء على دابه صلى الله عليه وسلم في ترك الاسباب الظاهرة والنظر لمسببها كما هو داب الكمل ولو كان اعتقادهم واعتمادهم على الله مثله صلى الله عليه وسلم لم يتخلف ذلك ولذا فوض لهم صلى الله عليه وسلم دنياهم نظرا لقلوبهم لا خبرا اخبرهم به يكون وقوع خلافه كذبا حاشاه الله منه ولا غلط فيه لانه اجتهاد تغير بحسب الظاهر فلا نقص ولا يطعن به عليه وفيه انشدوا

ان الرسول لسان الحق للبشر * بالامر والنهي والاعلام والخبر *

هو ادكيا ولكن لا يصد فهم * ذاك الذكا لما فيه من الضرر *

الا تراهم لتابير النخيل وما * قد كان فيه على ما فيه من الضرر *

هو سالمون من الافكار ان شرعوا * بتحليل وتحريم على البشر *

وغير ذلك

وغيره ذلك مما صدر منه من الامور التي ليست من هذا الباب مما ينزه عن الاخبار فيه
مما يخالف مخبره من امر الشرع والمعاد كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الشيخان عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه في غزوة تبوك لما سأله صلى الله عليه
وسلم بعض الصحابة ان يحملهم فقال والله ما عندي ما احملكم عليه فاتي بعد ذلك
بابل فاعطاها السائل وقال ما انا حملتكم ولكن الله حملكم ثم قال والله اني لا احلف لا احلف
اي اقسم على يمين المراد باليمين المستعمل بمعنى القسم هنا والمراد المقسم عليه من فعل
او ترك قال الزمخشري سمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه به واصله العقد بنية
وعزم واكده اشارة الى انه ليس لغوا لا ينعقد واصل اليمين اليد اليمين سمي به
لانهم كانوا يتماسكون بها اذا حلفوا فارى غيرها اي اعلم غير اليمين المحلوف عليها
واليمين مؤنث بجميع معانيه وكنى بضميرها عن المحلوف عليه اعني تركه صلى الله
عليه وسلم حملا لهم لانه سببها خيرا منها اي احسن من فعلها الا فعلت الذي حلفت رته
عليه اي الامر الذي اقسم على ان لا يفعله كترك حملانهم هنا وكفرت عن يميني بكفا
المعروفة شرعا وليس هذا الغلط فيما طريقه البلاغ ولا الخبر لانه انشاء قسم
قال ابو موسى رضي الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم لما حلف ان لا يحملنا ثم
ارسل الينا وحملنا فقلنا نسي ما اقسم عليه والله لئن فعلنا ما فيه حنث له صلى
الله عليه وسلم لا نفلح فلنذكره فرجعنا وذكرنا له ذلك فقال انطلقوا انما
حملكم الله ثم قال والله لا احلف على يمين الخ وبه استدل على ان الحنث بما هو خير
يستحب وليس فيه انه حنث في هذه اليمين ولكن لانه يحتمل انه لم يكن عنده ما
يحملهم عليه لما اقسم ويحتمل انه قال ان شاء الله ومن هذا القبيل قوله صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ام سلمة رضي الله عنها انكم معاشر الامة
تختصمون اي تاتون لفصل الخصومة الي اي عندي اقرا الحديث الخ وتمامه
ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض اي افصح فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن
اقتطعت له من اخيه شيئا اي ليس حقه فلا ياخذه فكانما اقتطع له قطعة من النار
فليحملها او يذرها وفيه تنبيه على بشريته صلى الله عليه وسلم وانه لا يعلم ٤
الغيب وانما يحكم بالظاهر وقد كان له صلى الله عليه وسلم الحكم بالباطن لاطلاع
الله له عليه كما ذكره السيوطي ولكن هذا اغلب احواله صلى الله عليه وسلم تعليما
لامته حتى يقتدوا به وقوله صلى الله عليه وسلم للزبير رضي الله عنه في حديث
روي في الكتب الستة عن امره صلى الله عليه وسلم للزبير ان يسقي نخله ولا
يستوعب الماء ثم يرسله لجار له من الانصار فقال له الانصاري ان كان ابن
عمتك فقال صلى الله عليه وسلم اسق حتى يبلغ الماء الجدر اسق بهمزة وصل
امر من سقى وقيل بهمزة قطع من اسقاه والجدر بفتح الجيم وسكون الدال المهملة
وقيل المعجمة تليها راء مهملة وروي بضم الجيم جمع جدار ومعنى الاول ما رفع
كالجدار حول ما يسقى او هو لغة في الجدار وقيل اصل الجدار وعلى الاعجام
تمام الشرب من جذر الحساب ويجوز كسر جيمه ومعناه الاصل وقيل هو
اصل الحائط وحاصل ما ياتي في ذلك انه كان رجل انصاري خاصم الزبير رضي الله عنه

صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة في الما الذي يسقى به النخل وقال له ارسل الما
الى فترافعاه له صلى الله عليه وسلم فقال له اسق يا زبير ثم ارسل لجارك فقال
أن كان ابن عمتك فتلون وجهه صلى الله عليه وسلم فقال اسق يا زبير واحبس
الما حتى يبلغ الجدر وفيه نزل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ان الرجل المخاصم قيل هو حاطب بن بلتعة ولا يصح لانه ليس انصاريا وقيل
ثابت بن قيس وقيل ثعلبة بن حاطب وقيل حميد وقيل انه بدري ونقل ابن
الملقن رحمه الله انه منافق من الانصار وسيأتي نقله عن الزجاج كما ستبين
كل ما في هذا الحديث وما معه قريب اخر الكتاب من مشكل ما في هذا الباب
والباب الذي بعده والى قوله ان شاء الله امتثالا لقوله تعالى ولا تقولن لشيء
الاية مع اشباهها اي اشباه وامثال ما في الباب وانث باعتبار المعنى اي اشباه
هذه المشكلات وايضا اي مثل ما ذكر من الحاجب فان الكذب متى عرف من احد
في شيء من الاخبار بخلاف ما هو عليه في الواقع والاولى تركه هذا لان الكذب
لا يكون الا لذلك وقد اطنب المصنف وطول بما لا فائدة فيه وكان يمكن اختصار هذا في
كلمات قليلة على اي وجه كان سوا كان هزلا او جدا كالحكوتية الذين ينقلون الحكايات
الباطلة مع علمهم بها للتلهي بها كما هو معروف الان استريب بخبره اي اوقع للناس
في ريبة وشك فيما يخبر به حتى لو صدق لم يصدق واتهم في حديثه الذي يحدث
به الناس ولم يقع قوله في النفوس موقعا اي لم يقبل ولم يلتفت اليه ولهذا اي
لكون الكذب يوقع في ذلك ما تركه المحدثون ما زائدة وفي نسخة حذفها وهي
اولى والعلما من عطف العام على الخاص اي علما الحديث والفقها وغيرهم من اهل
العلم الحديث مفعول تركه ممن عرف بالوهم بفتح الها بمعنى الغلط وهو
بسكونها بمعنى الوقوع في القوة الواهمة وفيه تفصيل في كتب اللغة والغفلة
اي الذهول وعدم معرفة الامور وسو الحفظ وكثرة الغلط عطف تفسير على
سو الحفظ اي كون حفظه شيئا غير قوي مع ثقته اي كونه ممن يؤتمنه لديانته
وعدم تعمده الكذب فيما يحدث به ومع ذلك يتركون رواية الحديث عنه
لانه قد يقع فيه ما لا اصل له لغفلته وقلة حفظه واذا كان هذا المخالفة
الواقع غير مقبول فما بالك بالكذب ممن عرف به ولا يرد على المصنف انه اذا
حدث من اصل صحيح عنده تقبل روايته منه لا عن ظهر قلبه وحفظه
وانه لا يشترط في هذه الاعصار ذلك ابقا لسلسلة الحديث لانه اذا حدث
عن اصل كان الاعتماد عليه لا على حفظه وما ذكره هو الذي عليه علما الحديث
المعتمد عليهم وايضا اي مثل ما ذكر في عدم الاعتماد على من يكذب فان
تعمد الكذب قصدا والفا في جواب شرط مقدر نحو ان احطت بما ذكر خبرا
وعلمته في امور الدنيا فضلا عن الحديث والامور الشرعية معصية وذنب
يذم به عاجلا ويعاقب عليه اجلا ان لم يغفره الله والاكثار منه كبيرة
باجماع من ائمة الدين وهي كما قالوا مختلف في تعريفها وهل هي محصورة
ام لا كما تقرر في كتب الاصول وسنأتي الاشارة الى شيء من ذلك مستقط

للمروة اي يذهب عدالته والمروة بهمزة او واو مشددة مصدر من المرء كالرجولية والانسانية
وكل هذا المذكور من الكذب وقبائحه مما ينزه ويبعد عن مقامه ويبرا عنه منصب النبوة المراد
بمنصبها مقامها وهو في اللغة بمعنى الحسب كما في قول ابي تمام وهضب تماه ووالدسما به
واما استعماله بمعنى الولاية السلطانية فمولد كقول ابن الوردي رحمه الله
نصب المنصب اوهى جلدي ٭ وعناي عن مداراة السفل
كما تقدم والمرة الواحدة منه اي من الكذب وفي نسخة منها اي من هذه المعصية
فيما يستبشع اي يستقبح من البشاعة بموحدة وشين معجمة ويشاع اي يشيعه
الناس لشناعته وقوله فيما متعلق بمقدر اي معدود هما الخ وفي نسخة يستشنع
بنون من الشناعة وهما بمعنى وفيها ايضا ويشيع بدل ويشاع مما يخل من الخلل
بعرضه ودينه بصاحبه المتصف به ويزري اي يعيب وينقص ويحقر بقائله اي
يجعله متصفا بالخلل والنقص من ازريت عليه ازرا اذا عيبته وفي نسخة صاحبها
وقايلها كما تقدم وقوله والمرة مبتدا خبره قوله لاحقة بذلك اي بما لا يليق
بمنصب النبوة او خبره مما وهي حال واما الكذب فيما لا يبلغ هذا الموقع اي لا يعد
مما يستبشع فان عددناها اي جعلناها من الصغاير دون الكباير التي يترتب عليها
حد او وعيد على الخلاف فيها فهل يجري على حكمها اي يوافق حكمها حكمها او يجده
في الخلاف فيها اي وقع الخلاف فيما قبلها هل يجوز صدوره من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام قبل البعثة ام لا فذلك الخلاف هل وقع من ايمة الدين في هذه ام لا يختلف
فيه اي وقع فيه خلاف من ايمة الاصول فمنهم من قال اختلف فيه ايضا ومنهم
من قال لا خلاف في عدم وقوعه منهم لانه مما ينفر القلوب عنهم والكذب حرام
منه ما هو صغيرة وما هو كبيرة وقد يقترن به ما يصيره كفرا وقد يقترن بالصغيرة
ما يصيرها كبيرة ٭ كلق بها تودي الى القتل او القتال كما قاله الحويني وليس
هذا محل تفصيله والصواب من هذه الاقوال تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
ومقام النبوة عن قليله اي الكذب وكثيره لاخلاله بعظيم قدرها وشرفها
سهوا لعصمة الله عنه وعمدا لعلو طبعه عنه اذ عمدة النبوة بضم العين
ما تعتمد عليه والمراد به المقصود منها بالذات البلاغ والاعلام لمن ارسل اليهم
ما اوحاه الله اليه والتبيين لهم ما شرعه الله وتصديق من ارسل له فيما
جابه النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد والشرايع التي جا بها عن ربه
وتجويز شي من هذا بانواعه على انبيا الله قادح في ذلك العمدة المقصود من
بعثته وبلاغه واعلامه ووجوب تصديقه لان من يجوز عليه الكذب في شي
مما لا يجوز عليه فيما بلغه عن الله واتى بالاشارة للقرب في الكذب تحقيرا له
وباشارة البعيد فيما بعده تعظيما له وهو ظاهر وتجويزه ايضا مشكك فيه
اي فيما جا به لان النبي صدقه الواجب اتباعه يكذب به لو وقع منه ولو سهوا
مناقض للمعجزة لايجابها تصديقه ولذا اقترنت بها الدعوة فليقطع امر
للغايب اي يعتقد قطعا بانه اي الامر والشان او الكذب باقامة الظاهر
في قوله لا يجوز بسكون الواو وتشديدها على الانبيا كلهم خلف بضم الخا وفتحها

اي كذب في القول الصادر عنهم وفي نسخة في قول بوجه من الوجوه وفي نسخة في وجه اي
في اي شي كان سوا كان من قبيل البلاغ أم لا لا بقصد ولا بغيره كالسهو ولا بتسامح اي لا بتساهل
وتهاون من تسامح متبعا لمن تساهل في حقهم في تجويز ذلك الخلف في اقوالهم تجويزه معـم
عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ عن الله لعصمة الله لهم عن وصمته ومنهم
بعض الشراح القايل بانه لا دليل على عدم وقوعه منهم نادرا نعم جواب سؤال ابن اقبرس
تقديره هل هذا شامل لما قبل النبوة فاجاب بانا نقطع بانه لا يجوز بعد النبوة
وبانه لا يجوز عليهم الكذب مطلقا قبل اظهار النبوة ولا الا تسام اي الاتصاف
من السمة به اي الكذب في امورهم الخاصة بانفسهم واحوال دنياهم اي الاحوال
المتعلقة بالدنيا لهم او لامهم لان ذلك اي الخلف في القول كان يزري اي يعيب
وينقص كما مر ويريب اي يوقع في ريب وتهمة بهم فيوقع الشك والتحير
في القلوب وهو مما ينزه عنه مقام النبوة وينفر القلوب اي قلوب الناس
عن تصديقهم فيما يبلغونه لهم بعد مبني على الضم اي بعد ارسالهم وتبليغهم
او بعد العلم باتصافهم بالكذب ثم اكد ذلك بقوله وانظر امر لكل من له نظر
ومعرفة احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم اي من عاصره في مدة حياته
من قريش وغيرها من العرب انه باعتبار القبيلة وغيرهم من الامم كالروم
والعجم والحبش وسؤالهم تفتيشا عن حاله في اموره وسيرته بعد دعوتهم
وقبلها لما شاع صيته في الافاق في صدق لسانه اي صدق كلامه فان اللسان يطلق
على الجارحة والكلام وقوله في صدق الخ بيان لحاله اي حاله الكا[ئن] في صدقه
وما عرفوا به من ذلك بتشديد الراء والبنا للمفعول ويجوز تخفيفها والبناء
للفاعل واعترفوا به مما عرف هو ايضا كالاول واتفق النقل على عصمة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم منه اي من جميع ما ذكر عمدا وسهوا قبل وبعد مبنيان
على الضم اي قبل البعثة وبعدها والمراد نقل علما الملة او نقل الناس بعضهم
عن بعض عصرا بعد عصر ثم لم يزالوا ينقلون خلفا عن سلف انه لم يقع منه
ذلك وعدم وقوعه يدل على عدم جوازه عليه فالتوقف فيه لا يجوز وتحقيقه ابن اقترس
كما قاله العلامة العلاي في تاليف افرده لشرح هذا الحديث ومن خطه نقلت
وعبارته اتفق جميع اهل الملل والشرايع على وجوب عصمة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام عن تعمد الكذب فيما دلت عليه المعجزة القاطعة على صدقهم فيه
وذلك فيما طريقه التبليغ عن الله من دعوى الرسالة وما ينزل عليهم من
الكتب الالهية اذ لو جاز ذلك ادى الى ابطال دلالة المعجزة وهو محال واما
السهو والنسيان فقال الامدي اختلف الناس فيه فذهب ابو اسحاق الاسفرايني
وكثير من الايمة الى امتناعه وذهب القاضي ابو بكر الى جوازه وادعى الفخر
الرازي في بعض كتبه الاجماع على امتناعه ونقل الخلاف فيه في بعضها وحاصل
الخلاف يرجع الى ان ذلك داخل تحت دلالة المعجزة على التصديق فمن جعله
غير داخل فيها جوزه لعدم انتفا من الدلالة وفي كلام امام الحرمين ان ذلك
فيما يتعلق ببيان الشرايع سواء كان قولا او فعلا نازلا منزلة قوله في اقتضا

البيان وميل كلامه الي جواز السهو فيه واحتج بقصة ذي اليدين وقال شيخنا الزملكاني
ان الذي يظهر انه ما طريقه البلاغ يقطع بدخوله تحت دلالة المعجزة على الصدق فهذا
لا نزاع في انه لا يجوز فيه التحريف ولا الكذب ولا السهو وما لا يكون كذلك وهو ما طريقه
التبليغ وبيان الشرايع فهل يجوز فيه النسيان وهذا محل الخلاف ويحمل اطلاق النحي
الاجماع فيه على الاول وذكره الخلاف على الثاني وكلام الامدي محمول على هذا
التفصيل وقال الباقلاني في كتاب الانتصار المعجزة تدل على صدق النبي صلى الله عليه
وسلم فيما يذكر فيه وهو عامد له وذهول النفس وطريان النسيان وبوادر البيان
لا يدخل تحت الصدق الذي هو مدلول المعجزة ومن زعم ان في تجويز ذلك القدح
في الثقة بتبليغ الانبيا عليهم الصلاة والسلام فليس بشيء فانه انما يكون ذلك
لو جوز تقريرهم عليه وهو ممتنع واما القاضي عياض فانه نقل الاجماع
على عدم جواز السهو والنسيان في الاقوال البلاغية وخص الخلاف بالافعال
وهو يرجع الى انه راجع تحت دلالة المعجزة كما ذكرنا انتهى ثم اشار الى ما يؤيد
هذا مما قدمه بقوله وقد ذكرنا الخ واورد سؤالا وجوابا عما يرد على كلامه فقال

# فصل فان قلت

فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السهو اي الحديث الذي
روي فيه سهوه في صلاته والفا الاولى في جواب شرط مقدر اي اذا علمت
تنزهه صلى الله عليه وسلم عن الخلف عمدا وسهوا في اقواله فقد تعرض
لك شبهة وسؤال عما خالفه من هذا الحديث فنقول الخ والثانية في
جواب الشرط المذكور ومقول القول بعضه مقدر اي ان قلت انك قررت
عصمته عن السهو فما معنى قوله الخ واعلم ان الراغب قال النسيان ترك
الانسان ضبط ما استودع اما عن غفلة واما لضعف قلب واما عن قصد حتى
يذهب عن القلب وكل نسيان ذمه الله فهو ما كان عن تعمد نحو فذوقوا بما
نسيتم لقاء يومكم هذا وخلافه مرفوع عنه كما في حديث رفع عن امتي الخ
وما نسب الى الله نحو قوله انا نسيناكم بمعنى الترك كما قاله الزجاج
وغيره لانه من لوازمه واصله عدم الحفظ والله منزه عنه واما السهو
فقد حكي ابن الملقن فيما ياتي الفرق بينه وبين النسيان معنى وقال ان السهو
في الصلاة جائز على الانبيا بخلاف النسيان لانه غفلة وآفة والسهو انما
هو شغل باله فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في الصلاة ولا يغفل
عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها
وياتي شرحه عند ذكره له وقال الحافظ العلاي انه ضعيف معنى ولغة
اما الاول فلما في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر انسى
كما تنسون اي كما سياتي بما فيه واما الثاني فقد قال الازهري السهو
الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه وسها في صلاته غفل وكذا في الصحاح
والمحكم وقال الراغب السهو خطا عن غفلة وقسمه لقسمين وفي النهاية

وقد ذكرنا من الاثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه ح

السهو في الشي تركه عن غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو قريب مما
قاله الراغب وسياتي تتمته قريبا وهذا الحديث رواه الشيخان ومالك والترمذي
وغيرهم ولم يروه المص من طريق القعنبي بل من طريق غيرهما لما ياتي فقال
الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحاق بن جعفر الذي تقدمت ترجمته قال حدثنا
القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال حدثنا حاتم قال حدثنا ابو عبد الله بن العطار
ابن عمر بن يوسف المالكي القرطبي عالم الاندلس وزاهدها وكان رحمه الله مجاب
الدعوة توفي سنة سبع عشرة واربعماية قال حدثنا ابو عيسى يحيى بن يحيى
الليثي كما تقدم قال حدثنا عبيد الله قال حدثنا يحيى تقدم ايضا عن مالك
امام دار الهجرة المشهور عن داود بن الحصين بحا مضمومة وصاد مفتوحة ٥
مهملتين وبا التصغير ونون وهو مولى عمرو بن عثمان مدني ثقة يحتج بحديثه
وان كان يرى راي الخوارج لانه لم يكن داعية وروى هو عن عكرمة ونافع
وغيرهما وروى عنه مالك وغيره توفي سنة خمس وثلاثين وماية عن ابي
سفيان مولى ابن احمد اسمه وهب وقيل قزمان وهو ثقة يروي عن ابي
هريرة وغيره واخرج له الستة انه قال سمعت ابا هريرة تقدم بيانه وانه
اختلف في اسمه واسم ابيه على ثلاثين قولا اشهرها انه عبد الرحمن بن صخر
الدوسي نسبة لدوس قبيلة سميت باسم جدها دوس بن ثابت وكني بابي هريرة
لانه اتى بهرة وحشية لقومه وقيل انه صلى الله عليه وسلم هو الذي
كناه بذلك وقد قدمنا انه ممنوع من الصرف كما صرح به سيبويه وللنحاة
المغرب فيه كلام بينا خطاه في كتاب السوانح يقول اي يحدث قائلا صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر في جماعة هذه رواية الامام مالك
في موطايه واختارها المص على رواية مسلم وغيره لعلو سنده من طريقه ولترجيح
اهل المغرب له فسلم في ركعتين اي بعد ما فرغ منهما ومن التشهد وهذه رواية
الموطا وقيل من ثلاث وله طرق مشهورة اشهرها رواية ابي هريرة وقال ابن
عبد البر ليس في اخبار الاحاد اكثر طرقا من حديث ذي اليدين وفي طرقه اختلاف
في تلك الطرق وفي سلامه هل هو من ركعتين او ثلاث وهل الصلاة العصر او
غيرها ومن وقعت معه القصة هل هو ذو اليدين او ذو الشمالين وتفصيله
ان رواية مالك عن السختياني عن ابن سيرين عن ابي هريرة واخرجه البخاري
وابو داود والترمذي والنساي ورواه الزهري من طرق خالف فيها في
تسمية ذي اليدين ذا الشمالين وياتي ما فيه وفي انه لم يسجد للسهو وفي
مسلم انه سجد سجدتين بعد السلام وفي البخاري عن ابي سلمة انه صلى الظهر
او العصر وسلم على راس ركعتين وفي رواية على ثلاث وفي رواية انها كانت
صلاة المغرب وقد رواها مفصلة الحافظ العلاي باسانيدها ومتابعاتها
وليس هذا مما يلزم ايراده هنا فقام ذو اليدين من صلاته وسمي ذا اليدين
لطول يديه وكان يصلي خلفه صلى الله عليه وسلم وفي رواية ذا الشمالين
قيل وهما اسم رجل واحد وقال العلاي انه غير على الصحيح وثبت

من طرق ان اباهريرة رضي الله عنه كان حاضرا في هذه القصة كما صرح به في رواية المصنف بقوله
اسمعت اباهريرة يقول صلى بنا رسول الله الخ وفي رواية لمسلم صلى بنا صلاة الظهر وفي اخرى
الظهر او العصر وفي رواية احدى صلاتي العشي من طرق صحيحة كلها تدل على ان اباهريرة كان
حاضرا لها قال العلائي ولا خلاف في ان اسلام ابي هريرة كان سنة سبع ايام خيبر ولا خلاف
بين اهل السير ان ذا الشمالين استشهد ببدر سنة اثنين قال ابن اسحاق هو عمير بن عبد
عمرو بن نضلة بن عمرو بن غبشان بن سليم بن مالك بن افصى بن خزاعة حليف بني زهرة
وقال مسدد بن مسرهد الذي قتل ببدر ذو الشمالين بن عبد عمرو حليف بني زهرة
وذو اليدين رجل من العرب بالبادية كان يجيء فيصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم
وايد قول مسدد ابن عبد البر وقال انه الذي عليه اصحاب السير والفقهاء ولذا روي
عن ابي هريرة انه قال فقام رجل من بني سليم وقيل ان ذا اليدين عمر الى خلافة معاوية
وتوفي بذي خشب وقول الزهري انه ذو الشمالين بن عبد عمرو غلط فيه وروايته فيها
اضطراب وقيل انه لم ينفرد بتسميته ذو الشمالين ورد المص في الاكمال قول من
غلط الزهري واختلفوا ايضا في تسمية ذي اليدين فقيل الخرباق واختاره المص والنووي
وابن الاثير وقال ابو حاتم بن حبان ان الخرباق غير ذي اليدين وقال ابن عبد البر
والقرطبي يحتمل انه غيره وقد جمع بين الروايتين بتعدد الواقعة فاحديهما قبل
بدر والمتكلم فيها ذو الشمالين ولم يشهدها ابو هريرة بل ارسل روايتها والثانية
حضرها والمتكلم فيها ذو اليدين كما حكاه المص في الاكمال واختاره لما فيه من الجمع
بين الروايات ونفي الغلط عن مثل الزهري قال العلائي وفيه نظر لان فيهما ما لا يمكن
الجمع فيه ولا شك ان ذا اليدين غير ذي الشمالين وقال بعضهم ان القصص ثلاث
والكلام فيه طويل لا يسعه هذا المقام فاعرفه فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة
روي كما قاله الحافظ العلائي بضم القاف وكسر الصاد بالبناء للمفعول وهي المشهورة
وروي بفتح القاف وضم الصاد وهذا الفعل سمع لازما بضم عينه وفتحها وهو
متعدي كقصرها بالتشديد وقصرها على السوا كما حكاه الازهري ولا يقال ان
قصر اذا كان مخففا لا يتعدى الا بحرف الجر كقوله تعالى ان تقصروا من الصلاة
لانا نقول تعديه بنفسه ثابت حكاه الجوهري وغيره ومن زائدة عند الاخفش
وعند سيبويه تقديره شيئا من الصلاة ومعناه يرجع الى الاختصار والكف ومنه
فقصر طرفه على كذا ام نسيت تقدم ان النسيان ترك ما لا بد منه اما الغفلة او
لضعف قلب حتى يزول تذكره وانه يذم منه ما كان عمدا ويعذر فيما لم يكن بسببه
منه كقوله رفع عن امتي الخطا والنسيان وانه اذا نسب الى الله فمعناه الترك
كما قاله الزجاج وابن سيدة وام متصلة ولا بد ان يتقدمها استفهام لفظا
او تقديرا مع تساوي ما دخلا عليه سوا كانا اسمين ام لا وتكون بمعنى اي الامرين
وتكون للسؤال عن احد الامرين لتعين كما هنا والكلام عليها مفصل في كتب
العربية فقال صلى الله عليه وسلم جوابا لذي اليدين كل ذلك لم يكن لما
سلم صلى الله عليه وسلم واقتصر على ركعتين او ثلاث دار الامر عند ذي
اليدين بين امرين النسخ او السهو فسال عن تعيين احدهما فحق الجواب تعيين

احدهما لكنه اجاب بنفي كل منهما معينا وتفس الامر لا ينفك عن وجود احدهما وما ذكره
صلى الله عليه وسلم بحسب ظنه لانه لا يقع الخلف في اخباره وذو اليدين تحقق عدم
النسخ فتعين وقوع السهو كما سياتي والسؤال المقترن بام لطلب التعيين بعد
الاستثبات يجاب بالتعيين فجوابه صلى الله عليه وسلم على حسب ظنه كما علم ونظيره
قول ذي الرمة

تقول عجوز مدرجي متروحا ● على بابها من عند اهلي وغاديا
اذو زوجة في المصر ام ذو خصومة ● اراك لها بالبصرة العام ثاويا
فقلت لها لا ان اهلي جيرة ● لاكثبة الدهنا جميعا وماليا

فالجواب باحدهما انما هو اذا كان فيهما احدهما والايجاب بنفيهما او قد يزاد بذكر
ما نفيهما وان لم يسال عنه وهذا مما لا شبهة فيه فان قلت كيف جوابه صلى الله عليه
وسلم بنفيهما واحدهما محقق فيلزم الخلف في اقواله وخبره وهو لا يجوز عليه
قلت قد اجيب عنه كما في شرح مسلم بوجوه احدها انه نفي للجميع اي لم يكن لا هذا
ولا هذا معا وهو لا ينافي وجود احدهما وقد رد هذا بان تصريحه بقوله لم انس يا باه
فانه مذكور في الحديث في بعض الروايات وكونه مصروفا الى السلام كما قيل لا وجه
له اي كما ياتي في كلام المص الثاني انه مبني على الفرق بين السهو والنسيان اي سهوت
ولم انس وهو بعيد لانه وان كان بينهما فرق يستعمل كل منهما بمعنى الآخر الثالث
انه نفي اضافة النسيان اليه وكره اضافته له كما ورد لا يقل احدكم نسيت فانه انا انسى
اي خلق الله فيه النسيان وليس فعلا له وهذا انما قاله المص انه اختره وهو ضعيف
فانه فعله بلا شبهة وان كان بخلق الله الرابع انه اخبار عما في ظنه واعتقاده وكانه
قال كل ذلك لم يكن في ظني ولو قال ذلك لم يكن فيه خلف وكذب والمنوي والمقدر
كالمذكور كما لو حلف على شيء يعتقده وهو غير واقع تكون يمينه لاغية كما ذهب
اليه بعض الفقهاء فانه ليس مما كسبت القلوب وليس هذا مبنيا على ان الصدق
والكذب باعتبار مطابقة الواقع وعدمها انما يخالف مذهب الجمهور فان ظنه ذلك
واقع والنفي منصب على القيد فكل ذلك لم يكن لنفي القصر والعلم بالنسيان وهو
صحيح واقع وكل ذلك روي كما قاله التلمساني بالرفع والنصب وعليه بني انه
لشمول النفي او لنفي الشمول كما فصله اهل المعاني في قوله

قد اصبحت ام الخيار تدعي ● علي ذنبا كله لم اصنع

وهذا البحث مع طوله لشهرته تغني عن ذكره فان اردته فارجع الى المطول
وحواشيه وفي الرواية الاخرى لهذا الحديث ما قصرت اي الصلاة بالبناء للمفعول
وما نسيت الحديث بعينه وفي رواية لم انس ولم تقصر فاخبره اي اخبر صلى الله
عليه وسلم ذا اليدين السائل له بنفي الحالين يعني النسيان والقصر في الروايات
كلها وانها اي كل حالة منهما لم تكن واقعة منه وافرد الضمير المؤنث لتاويله باسم
الاشارة وفي نسخة وانهما لم تكونا والحال انه قد كان احد ذلك المذكور وفي اسم
الاشارة تنبيه على ما قلناه كما قال له صلى الله عليه وسلم ذو اليدين
قد كان بعض ذلك يا رسول الله وهذا بيان لمحل الشبهة لدفع الخلف في قوله

صلى

صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن كما بيناه انفا وفي قوله بعض ذلك اشارة الى تفنيض
القضية الاولى التي هي سالبة كلية بالموجبة الجزئية وليس هذا محله كالكلام على تقدم
كل على النفي وتاخرها عنه كقول المتنبي ۞ ما كل ما يتمنى المرء يدركه ۞ وقد اطال
الكلام فيه في الشرح الجديد وقد تركنا الاطالة خوف الملالة فاعلم وفقنا الله واياك
جملة دعائية معترضة ان للعلماء من المحدثين والفقهاء في ذلك السهو الذي وقع له
صلى الله عليه وسلم في هذه القصة اجوبة بعضها بصدد الانصاف الصدد بمعناه
القرب هنا اي قريب من الانصاف يقال داره بصدد داري اي في مقابلتها وقربها فهو
ظرف منصرف والبا بمعنى في والانصاف العدل والاستقامة في الامور ومنها اي بعض
الاجوبة ما هو بنية التعسف والاعتساف روي بنون وتحتية مشددة وهي تكون
بمعنى القصد وعقد القلب وبمعنى الجهة التي يذهب فيها وبمعنى البعد كالنوى
كما في القاموس وغيره من كتب اللغة وهما شايعان في الاستعمال وروي بمثناة
فوقية من تاه يتيه اذا ضل عن الطريق ويكون بمعنى الارض الواسعة التي تضل
سالكها كتيه بني اسرائيل والتعسف والاعتساف السير على غير الطريق والجور والظلم
هذا حقيقته لغة فعلى الاول يصح انه اريد به انه قصد الجور والتعدي على من
خالف من العلماء والتعسف بمعنى انه في حاله ومقاله غير مستقيم والاعتساف بمعنى
حمل غيره على ذلك فهو مثال متصل فلا تكرار فيه لاجل السجع كما قيل والاحسن ان يقال
انه استعارة تمثيلية بتشبيه مسلكه فيما قاله بمن دخل مسافة ضل فيها لكونها
حزنا بعيد لم يهتد لطريقه وكذا على الثاني التيه بمعنى الفاسح او الضلال وتفسيره
بالتكبر تعبيد بمراحل عن مقصده وها انا اقول شروع في بسط ما ترتضيه بعد ولها
عن طريق من تعسف وها للتنبيه وما بعده مبتدا وخبر والفصيح ان تدخلها على
اسم الاشارة نحو هذا وها انا ذا وهذا ايضا مسموع كما في شرح التسهيل اما على القول
بتجويز الوهم تقدم انه بفتح الهاء وجوز اسكونها مع تفسيره بما مر والغلط
اي الخطا ممكن العدم علمه بالصواب ويقال في الحساب غلت بمثناة وقيل انها لغة
والفرق بينه وبين النسيان والسهو ظاهر فيما ليس طريقه معناه معروف مستعار
هنا لنوعه وجنسه من القول لا من قبيل الافعال فانها ليست محل الخلاف هنا ومن
بيانية مقدمة من تاخير البلاغ خبر ليس اي لا يتعلق به حكم او وحي او خبر عن المعاد
وهو اي هذا القول الذي نبغناه اي رددناه ولم نرضه مستعار من النقد
الزايف المغشوش الذي ابطل السلطان التعامل به من القولين المذكورين سابقا
وهذا اعتراض بين اما وجوابها نذكره بما تقدم فلا اعتراض على ما تقرر من
عصمة الانبياء بهذا الحديث المذكور في قصة ذي اليدين وشبهه مما روي فيه عنه
صلى الله عليه وسلم فيه سهو ونسيان ونحوه لتجويز على الانبياء عند صاحب هذا
القول الذي يقول انه لا يمتنع فيما ليس طريقه البلاغ واما على مذهب من منع
السهو والنسيان في افعاله دون اقواله كغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام
جملة اي جميعا وقد استعمله لهذا المعنى كثيرا وهذا القول ذهب اليه كثير من
مشايخ الصوفية وبعض المتكلمين وخصه بعضهم بنبينا صلى الله عليه وسلم

عرضي

ابن اقبوس وعرضي

حلبي وعرضي

ويرى اي يعتقده رايا انه صلى الله عليه وسلم في مثل هذا عامدا وقاصدا لكل ما يفعله
لصورة النسيان فياتي به على وجه العمد ذاكرا له موهما الغير انه ناس ليسن اي ليعلم الناس
سنته في السهو كالسجود له ونحوه من الاحكام وكان حقه ان يذكر لهم ليعلمهم لكن البيان
بالفعل اظهر وفي شرح مسلم شذت طايفة من الباطنية وارباب القلوب فقالوا لا يجوز
النسيان عليه وانما ينسى قصدا اي ياتي بما هو في صورة النسيان ليبين حكمه وقال المحقق
ابو اسحاق الاسفرايني هذا المحكي غير سديد وجمع الضد مع الضد مستحيل والاول
هو الصحيح فان السهو في الافعال غير مناقض للنبوة ولا قادح فيها بخلاف الاقوال
في البلاغ انتهى فهو على هذا القول صادق في خبره اي قوله لم انس ولم تقصر ونحو
لانه لم ينس ولا قصرت الصلاة ولكنه على هذا القول يقصد لصورة النسيان
ذاكرا له تعمد هذا الفعل اي سلامه مقتصرا على ركعتين في هذه الصورة اي
صورة الناسي ليسنه اي يجعله سنة لمن اعتراه اي عرض له ووقع منه مثله
اي مثل هذا الفعل تاسيا من امته ليقتدوا بافعاله وهو قول مرغوب عنه اي
متروك لبعده وضعفه عنده وفي الحواشي التلمسانية عن ابن سيدي الحسن
قال سمعت ابي رحمه الله يقول عن شيوخه ان السهو في الصلاة يكون عن معصية
سبقت منه ولذا نفي عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وقد تبين وجه كونه مرغوبا
عنه كما اشار اليه بقوله تذكره في موضعه من هذا الكتاب وقد قال العلامة العلاي
ان هذا القول خطا لانه صلى الله عليه وسلم اخبر عن نفسه بوقوع النسيان
منه في حديث ابن مسعود المتفق عليه انما انا بشر انسى كما تنسون وايضا لو كان
هذا عمدا ابطل الصلاة ولا يعلم العمد في صورة النسيان الا اذا بينه بالقول ولم
ينقل عنه ذلك واما على القول باحالة السهو عليه في الاقوال الصادرة عنه
والمراد بالاحالة المنع كما يدل عليه مقابلته بالتجويز في قوله وتجويز السهو
عليه فيما ليس طريقه القول من الاعمال كسهوه في الصلاة ففيه اجوبة منها
اي من الاجوبة عن قول القايل على هذا القول انك قلت انه لا يقع منه صلى
الله عليه وسلم سهو في الاقوال وقد وقع منه ذلك في قوله كل ذلك لم يكن
مع انه كان بعضه كما تقدم فاجاب عنه بقوله ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخبر بقوله كل ذلك لم يكن عن اعتقاده وضميره اي ما اضمر في نفسه وقدره في
كلامه من هذا القيد اما انكاره صلى الله عليه وسلم القصر اي ان الصلاة
الرباعية نسخ كونها رباعية في الحضر فصارت ركعتين ولذا اسلم منهما فحق
وصدق لا شك فيه ولا شبهة ظاهرا وباطنا اي انكاره صلى الله عليه وسلم ذلك
وقع منه ظاهرا لتصريحه به وباطنا اي انكاره صلى الله عليه وسلم لاعتقاده
له اذ لم يوح اليه خلافه وما ينطق عن الهوى واما النسيان اي انكاره صدوره
منه في فعله مع وقوعه منه ولا يخبر بخلاف الواقع عمدا فاخبر صلى الله عليه وسلم
عن اعتقاده ظنا منه لذلك والاعتقاد يطلق على اليقين والظن الراجح عنده
فقوله لم انس المراد به انه لم ينس في ظنه فكانه صلى الله عليه وسلم قصد
الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به ولم يقل في اعتقادي وظني لكنه لارادته

وتقييده

وتقديره في كلامه واضماره في نفسه كان كالملفوظ به المذكور صريحا لان المقدر كالمصرح به
فيكون كلامه هذا حق وهو صدق مطابق للواقع لانه في نفس الامر لم ينطق انه نسي
ولم يخطر ذلك بباله ايضا اي كما ان القصر كذلك او كما ان المنطوق به صدق فلا
يتوهم ان كونه صدقا مبني على ان الخبر الصادق ما طابق الاعتقاد والجمهور على خلافه
فان قلت فما بال ذي اليدين ترد هذا القول بقوله بلى كان بعض ذلك وهو لم يكن في ظنه
واعتقاده قلت لم يرد ذو اليدين تكذيبه صلى الله عليه وسلم وانما اراد تنبيهه
على ان ظنه غير مطابق للواقع لانه امر شرعي لا تسامح فيه فلما قال له ذلك شك صلى
الله عليه وسلم في امره وسال من عنده من الصحابة فصدقوا ذا اليدين على ما قاله
وكانهم لم يسبقوا ذا اليدين بذلك مهابة له صلى الله عليه وسلم ولذا شك في امره
لانهم سكتوا عن امر لا يخفى عليهم وفيهم مثل ابي بكر وعمر رضي الله عنهما والظاهر
ان القول الاول مبني على عدم وقوعه في الاقوال البلاغية وفي الافعال ايضا وخص الثاني
بالذكر لانه محل الخلاف وقد وقع لبعضهم هنا خبط اعرضنا عنه لركاكته ووجه
ثان في الجواب عما ذكر على هذا القول وهو ان قوله صلى الله عليه وسلم في هذا
الحديث على احدى الروايات كما تقدم ولم انس راجع الى السلام من الصلاة الا تماما
على ركعتين منها او ثلاث اي اني سلمت قصدا لنفس السلام فليس سبق لسان مني
وسهوت عن العدد اي عدد الركعات فتوهمت اني اتممتها اي لم انسه في نفس
السلام لظني اني اكملتها اربعا والمقصود من هذا دفع الخلف عما قاله وهذا التاويل
محتمل بصيغة المفعول اي يجوز حمل الحديث عليه لما ذكرناه ولكنه فيه بعد
لانه خلاف الظاهر وقول ذي اليدين له بلى نسيت كما تقدم في بعض الروايات
مبعد له لا منافي ولا حاجة لان يقال ان ذا اليدين لم يفهم مراده وكذا قوله
صلى الله عليه وسلم للصحابة احق ما يقوله ذو اليدين وقد قيل انه يأباه
قرينة الحال والمقال وهو الذي عناه المص ووجه ثالث وهو ابعدها اي
الاجوبة ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ اي لفظ الحديث وبينه بقوله
من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان في لا ينتفيان بل ينتفيا معا
بل كان احدهما وهو النسيان لان النفي قد يكون لنفي المجموع وقد يكون لنفي
واحد لا على التعيين ومفهوما اللفظ خلافه اي مخالف لهذا الجواب ويؤيده
ما في بعض الروايات كما اشار اليه بقوله مع الرواية الاخرى الصحيحة في هذا
الحديث وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت فان اعادة النفي تقتضي ان كل واحد
منهما منفي لا احدهما فقط يعني ان محصل هذا الجواب ان كل محمولة على الكل
المجموعي نحو كل الرجال يحمل هذه الصخرة العظيمة وهذا وان كان صحيحا لكنه
خلاف المتبادر لا سيما في النفي وسياق الحديث يأباه وكذا قول ذي اليدين بلى كان
بعض ذلك فان الموجبة الجزئية انما تنافي السالبة كما فصلوه في كتب المعاني
والاصول وكذا ينافيه ما في الرواية التي ذكرها هذا المذكور من الاجوبة هو
ما رأيت وفيما في الحديث الذي تقدم بيانه رايته مذكورا لائمتنا اي المحدثين
والفقهاء وكل من هذه الوجوه التي ذكرها محتمل اللفظ بعيد لفظ الحديث

ابن اقيرس

عرضي

على بعد بعضها في الواقع وسياق الحديث وتعسف الاخر بفتح الخاء اي تكلفه وبعده عن والا
الطريق المستقيم قال القاضي ابو الفضل عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله اولى
في الجواب عنه وتطهر لي انه اقرب الى الصواب من هذه الوجوه المذكورة كلها ان قوله
صلى الله عليه وسلم لم انس في الحديث انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه بقوله
لم انس بصيغة المتكلم وانكره على غيره يعني كل احد من امته بقوله بئس ما لاحدكم
معاشر الملة والمسلمين اي ليس يستقيم لكل احد من المسلمين ان يقول نسيت اية
كذا او كذا كناية عن بعض الايات القرانية ولكنه نُسِّي مبني للمجهول مشدد السين
اي انساه الله لانه فعل الله لا فعله فلا ينبغي اضافته له مع ما فيه من الاشعار
بتهاونه بالقران بمباشرة اسبابه المقتضية لذلك وقيل معنى نسي انه نسخت تلمساني
تلاوته لحكمه فيكون مخصوصا بزمانه صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن ذلك لئلا
يتوهم الضياع لحكم القران وبئس من افعال الذم اصلها بئس بمعنى اصابه البؤس
ثم نقلت بغير لفظها ومعناها وفي ما الواقعة بعدها اقوال فقيل انها تامة
وقيل موصولة وقيل نكرة في محل نصب تمييز كما فصله النحاة ونُسِّي مشدد كما
مر وروي بالتخفيف في مسلم وقال المصـ كان الوقشي لا يجيز فيه الا التخفيف
والتثقيل هو الذي وقع في جميع روايات البخاري وكذا هو مروي وعليه ابو عبيدة
وفي النهاية انه صلى الله عليه وسلم كره نسبة النسيان الى النفس لان الله هو الفاعل
الحقيقي ولان النسيان معناه الترك فكره ان يقول الانسان تركت القران لاشعاره
بالتهاون به وعلى رواية التخفيف معناه انه ترك وحرم الخير انتهى فاراد ارشادهم
الى نسبة الافعال لخالقها واقرارهم بالعبودية والاستسلام وهو ادب
اولوي لا يمنع نسبتها لمكتسبها كما قال موسى ويوشع عليهما الصلاة
والسلام نسيت الحوت وقد ينسب للشيطان لانه يوسوسه نحو وما انسانيه
الا الشيطان ونسيان القران غير محمود لانه غفلة عنه وتفريط فيه لا ينبغي
قيل ويحتمل ان يكون فاعل نسيت النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا يقل
احد عني اني نسيت اية كذا فانه تعالى نسخها لحكمة كما مر وهذا الحديث
رواه الشيخان وغيرهما وبما ذكرناه سقط ما قيل ان هذا الجواب الذي ارتضاه ابن اقبرس
يرده قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت لانه لو كان ادبا علمه الله له لانه هنا
اللائق واضافته له لنكتة لم يتفطن لها وقيل انه مخصوص بالقران لانه
هو الذي علمه له فيكون هو الذي انساه ايضا فتامل وبقوله في بعض روايات
الحديث كما في موطا مالك لست انسى بصيغة المتكلم المعلوم المخفف ولكني انسى
بالمجهول المشدد اي ينسيني الله لحكمة كالتشريع وتعليم الامة فلما قال له
السائل اي ذو اليدين اقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله انكر قصرها كما كان
اي تحقق في الواقع حقيقة وانكر ايضا نسيانه صلى الله عليه وسلم لبعضها
والمنكر من نسيانه هو ما كان من قبل نفسه وفي نسخة قبل اي انه فعل ذلك بكسبه
وتعاطي اسبابه من غير ايجاد الله له فيه وخلقه لما لم يكن في جبلته كغيره فانه
وجد شي من ذكر النسيان فقد نسي بالمجهول وتشديد السين اي اوجده الله فيه

من

من غير تعاطٍ لاسبابه حتى سال صلى الله عليه وسلم غيره من الصحابة الحاضرين عنه
بقوله احق ما يقول ذو اليدين فقالوا نعم وهذا غاية له بانه لم يعلم نسيانه لانه لم
يقصر في ذكر الله وطاعته فلذا استبعد صدوره منه عنه فان قلت اذا انساه الله فلا
بد ان ينسى لانه مطاوعه الذي لا ينفك عنه ولازمه الذي لا يفارقه قلت اللازم
وقوع نسيان اوجده الله فيه لحكمة لا ما صدر بتعاطي اسبابه وتقصيره كغيره فتحقق
انه نسي بزنة علم اي انساه الله فنسي لحكمة واجرى الله عليه ذلك النسيان ليسن
اي ليعلم امته احكام السهو كالسجود ونحوه فقوله صلى الله عليه وسلم على هذا
التوجيه الذي استظهره لم انس ولم تقصر وفي لفظ في رواية اخرى كل ذلك لم يكن
حق مطابق للواقع محقق وصدق لا ظن فيه كما توهم ومعناه لم تقصر الصلاة
حقيقة في نفس الامر ولم انس حقيقة اي نسيانا صادرا مني صدورا حقيقيا
وانا الفاعل له صورة وانما الفاعل له حقيقة هو الله وانا آلة له نسبته اليّ
كنسبة القطع للسكين كما هو مذهب الاشعري في افعال العباد المضافة لهم
وهذا الاسناد في كونه حقيقة لغوية كمات زيد ولكنه نسي بالبنا للمجهول والتشديد
ووجه آخر في الجواب عما في هذا الحديث استثرته بسين مهملة ومثناة فوقية
ومثلثة وراء مهملة واصله استثورته ومنه فاثرن به نقعا وهو من ثار الغبار
يثور اذا انتشر وعلا فشبهه لخفائه بشيء مدفون نبش التراب عنه حتى
ظهر له اي استخرجته بفهمي وولدته من كلام بعض المشايخ وان لم يصرحوا به
وينصوا عليه وهو مبني على الفرق بين السهو والنسيان وذلك الوجه المستخرج
انه اي بعض المشايخ قال ان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى لان لكلامه في
السهو ما يقع بادنى غفلة ويتنبه له بادنى تنبيه والنسيان ما يزول عن
الحافظة بالكلية حتى يحتاج لتذكير كبير ولذلك نفى عن نفسه النسيان اذ
قال لم انس لان النسيان غفلة وآفة اي كالمرض الذي يعرض له ولذا عده الاطبا
من الامراض الدماغية المحتاجة للعلاج واما السهو فما هو شغل بال اي يحصل عند
ما يعرض عن شغل البال بامور والنظر لغيره بحيث يتنبه له سريعا قال فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته كما وقع له مرارا لا لقبنه لربه
وتوجهه له ولا يغفل بنوم الغافلين اي عن صلاته لتنزهه عن ان يستولي
على قلبه الشريف ما يلهيه عن عبادته وانما كان يشغله عن حركات الصلاة
في السجود والركوع ما في الصلاة من قرة عينه بمشاهدة تجليات ربه وتدبر آياته
شغلا بها لا غفلة عنها بغيرها فلذا كان صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى
فهذا المذكور ان تحقق وتصور حقيقة على هذا الوجه والمعنى الذي قرر لم
يكن في قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت الصلاة وما نسيت في الحديث خلف
في قول صدر منه حين سال عنه وقد تقدم ان هذا مخالف لما روي من قوله
صلى الله عليه وسلم اني انسى كما تنسون وان الفرق بينهما لغة فيه شيء
يعلم مما تقدم ووجه اخر وفي نسخة وعندي ان في الجواب وجها اخر وهو ان
قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت بمعنى الترك وهو احد معاني النسيان

اي احدُ معنييه الوَارِدين في كلام الله وغيره كما اذا اسند الى الله تعالى وهو مجاز
مشهور ملحق بالحقيقة اراد وفي نسخة ارادَ والله اعلم على هذا التقدير ابي لم اسلم
من ركعتين تاركا كمال الصلاة عن قصدٍ ولكني نسيت اي سهوت عن اتمامها فالمنفي
في كلامه الترك عمدا وهو لا ينافي السهو والنسيان ولم يكن تركه الاتمام من تلقاء نفسي
اي من عند نفسه وقصد هاله والدليل على صحة ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الاخر الصحيح اني لانسى اي اترك قصدا او انسى من غير قصد بل بارادة الله
وايجاده في ذلك لحكمة اشار اليها بقوله لاسن تقدم تفسيره وهذا مبني على احد
التفسيرين في هذا الحديث وقد تقدم فيه وجه اخر وهو اقرب من هذا والمراد به
اسهو بما تعاطيت اسبابه من الاشغال او بدونه لحكمة ربانية ويقي في هذا الحديث
امور اخر مما يتعلق بانه صلى الله عليه وسلم رفع منه افعال وكلام في اثناء صلاته
قبل اتمامها ومثله يبطل الصلاة والكلام فيه طويل الذيل افرده الحافظ العلائي
بتاليف نفيس ولما لم يتعرض المص لذكر الحديث بتمامه اضربنا عنه صفحا فان اردته
فخذه من معدنه ولصعوبة الكلام في هذا المقام ختمه في بعض النسخ بقوله والله
الموفق للصواب اي المقدر على ادراكه والقيام به وهو الحكم المطابق للواقع
فوفقني موافقة ما هو الواقع من ذلك والتوفيق خلق القدرة على الطاعة
المقارنة لها وتقدم الكلام عليه في الخطبة واما قصة كلمات ابراهيم الخليل
عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام الواردة على ما قدمه من ان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام لا يمتنع عنهم خلف في اقوالهم وبيان ما في هذه القصة
عن احد الانبيا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم الواردة وفي نسخة المذكورة في
الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه
وسلم قال انه لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات الخ والتي اشار المص بقوله المذكورة
الهاكذ بانه بفتح الهمزة بدل من قصة او معمول له للمذكورة وكذبات بفتح الكاف
والذال المعجمة جمع كذبة بسكونها لان عين فعلة اسما تحرك في الجمع كتمرة وتمرات
وركعة وركعات الا اذا كانت صفة او معتلة العين كضخمات وجوزات
كما في المغرب وقيل انه يقال بكسرها في المفرد والجمع وهي جمع كذبة اسم جامد
الثلاث المنصوصة اي المذكورة صريحا في القران منها اي من تلك الكذبات الثلاث
اثنتان في قوله تعالى في سورة الصافات فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم
كما سياتي بيانه وقوله تعالى في سورة الانبيا قالوا انت فعلت هذا بالهتنا
يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون وقوله في قصة
ابراهيم وهذه هي الثالثة الواردة في الحديث للملك بكسر اللام اي سلطان زمانه
لما سال ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفي اسم هذا الملك اختلاف فقيل سنان
وقيل عمرو وقيل صادوق وعمرو بن امرء القيس ملك مصر عن زوجته سارة
رضي الله عنها حين اخذها لما وصف له جمالها وساله عنها فقال انها اختي
قال صلى الله عليه وسلم تقية خشية ان يقتله لو قال انها زوجتي فنجاه
الله منه كما سياتي تفصيله ولما كان هذا واردا على ما قرره من عصمة الانبيا

عليهم الصلاة والسلام من الكذب عمدا وسهوا اورده على سبيل السؤال ثم ذكر الجواب عنه
بما سياتي مفصلا واورد على الحصر الوارد في الحديث بقوله ما كذب ابراهيم الا ثلاث
كذبات ان ثمة رابع هو قوله في الكوكب هذا ربي وقد تعرض لهذا الحافظ ابن حجر
في شرح البخاري ولم يجب عنه بما يشفي الغليل والذي يدفعه ان تقديره اهذا
ربي على طريق الاستفهام التوبيخي لالزامهم بالحجة كما قرره المفسرون وحاصل
قصة سارة ان جبارا من الجبابرة قيل له ان هنا رجلا معه امراة من احسن النسا
فارسل اليه وساله عنها فقال هي اختي ثم قال صلى الله عليه وسلم لها انه ليس على
وجه الارض مؤمن غيري وغيرك الان يعني انها اخوة الاسلام لا النسب كما قال
تعالى انما المؤمنون اخوة كما ياتي بيان ذلك فلما اتي بها له تناولها بيده فشلت يده
فقال لها ادعي الله لي ولا اضرك فدعت له فاطلق ثم فعل مثل ذلك ثانية وثالثة
فقال لهم ما اتيتموني الا بشيطان وقوله اني سقيم لانه عليه الصلاة والسلام
كان لا ياتي معهم في اعيادهم لاصنامهم فنظر لنجم طالع فقال هذا يطلع لسقمي
كما ياتي وكانوا اهل فلاحة وزراعة ينظرون في النجوم واحكامها وكان ذلك مما
اوحاه الله لهم فلما حبست الشمس ليوشع ابطله الله تعالى وقال الضحاك انه
نبي لزمن عيسى عليه الصلاة والسلام فدعى الله برفعه فرفع وحرم النظر فيه
شرعا وفيه بحث وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حاج عبدة الاصنام فلما
عجز عنهم كسرها وجعل فاسه في عنق صنم اكبرها ثم بكسره ليلزمهم الحجة كما قصه
الله في كتابه الحجة وبينه المفسرون وقد علمت ان قوله اختي المراد به اخوة الاسلام
وانه انما قال له ليمتنع الملك من اخذها او لئلا يقتله لانهم كانوا لا ياخذون ذات
منكوحة الغير او كانوا يقتلونه او قال ذلك ليعلمه غيرته عليها او اراد انها
ليست جارية له في ملك يمينه فيطلب منه بيعها له وقد علم ان الله طهر حرم
الانبيا عن الفواحش ونزههم عما يأباه مقامهم وقوله كلمات ابراهيم دون كذبات
فيه ادب لطيف وصرح به لتعدده اتباعا للحديث وبيانا لنشا السؤال فاعلم اكرمك الله
دعا له بالاكرام لاكرامه الانبيا عليهم الصلاة والسلام بمعرفة علو مقاماتهم
عما فيه شين لهم ان هذه اشارة لكلمات ابراهيم عليه الصلاة والسلام كلها
خارجة عن الكذب لان الله تعالى عصمهم عنه قبل النبوة وبعدها لا في العمد
ولا في غيره من السهو والنسيان لما مر وهي اي الكلمات المذكورة داخلة في باب
المعاريض جمع معراض ويقال معرض بكسر الميم وجمعه معارض وهو من التعرض
وهو خلاف التصريح والتلويح نوع من الكناية كالتورية بان يتكلم بما يوهم
خلاف مراده كقوله اختي المحتمل لمعنيين كما تقدم فان قلت قوله اختي ادعى
لاخذ الملك لها بان يقول له زوجنيها فلا وجه للعدول عن الظاهر قلت
نقل البرهان عن ابن الجوزي رحمه الله انه عليه الصلاة والسلام علم انهم
على دين المجوس ومن دينهم ان الاخت اذا تزوجها اخوها كان احق بها من غيره
فالتجا لما يعتقده في دينه فاذا هو جبار لا يراعي دينه وقد ارتضى هذا الجواب
غيره واعترض بان المجوسية دين زرادشت وهو بعد ابراهيم واجيب بانه

دين قديم وامامهم زرادشت المجوس وزاد فيه خرافات فتامل التي فيها مندوحة اي في
المعاريض سعة يتخلص بها من الكذب من ندح بمعنى توسع ومندوحة بفتح الميم
وضمها لحن وفي كتاب لحن العوام للزبيدي يقال له عن هذا الامر مندوحة ومنتدح
والمنتدح المكان الواسع وهو الندح ايضا من انتدحت الغنم في مراحها وقال ابو
عبيدة المندوحة الفسحة والسعة ومنه انداح بطنه اذا انتفخ واندحا لغة فيه
وهو غلط من ابي عبيدة لان نونه اصلية وانداح انفعال نونه زايدة واشتقاقه
من الدوح وهو السعة انتهى اقول تبعه فيه الجوهري وخطاه فيه صاحب القاموس
عن الكذب الذي في سعة المقول ما يغني عن تعمد الكذب فهو صدق لا كذب فيه وقد
علمت انه ضمنه معنى التخلص ولذا عداه بعن وفي الحديث ان في معاريض الكلام مندوحة
عن الكذب رواه البخاري في الادب المفرد مسندا موقوفا على عمران بن حصين رضي الله
عنه واخرجه الطبراني والبيهقي من طريق اخر عن قتادة مرفوعا وحسنه العراقي
فلا عبرة بقول الصاغاني انه موضوع والى بيان هذا الحديث اشار المص رحمه الله
تعالى بقوله اما قوله اي ابراهيم عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله عنه اني سقيم
فقال الحسن بن ابي الحسن البصري الذي تقدمت ترجمته وغيره من العلماء في الجواب
عنه معناه اني ساسقم في المستقبل اي ان كل مخلوق معرض اسم مفعول مشدد الراء
لذلك اي للسقم والمرض فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى محل عيدهم اي ذكر لهم
عذرا في عدم خروجه معهم لمحل اجتماعهم في اعيادهم عند اصنامهم لما ارادوا اخراجه
معهم اليها وفعيل بمعنى فاعل حقيقة في الحال ويجوز ان يراد به الاتصاف في المستقبل
مجازا والقرينة انما تشترط لفهم المخاطب لا للخروج عن الكذب اذا نواه فانه صدق
فيه شرعا كما قيل وفيه بحث لان الفرق بين الكذب والمجاز انما هو بالقرينة وعد منها عيني
فما قاله يعود عليه بالنقض والذي ينبغي ان يقال ان سقيم ومريض ملحق بالاسماء
الجوامد كمؤمن وكافر فلا يختص بزمان فهو حقيقة فيما ذكر وهو ظاهر كلام الكشاف
فانه قال من في عنقه الموت سقيم وفي المثل كفى بالسلامة داء وقال لبيد
ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ۞ ليصحني فاذا السلامة داء
ومات رجل فجاءة فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه ومنه
اخذ المتنبي قوله
قد استشفيت من داء بداء ۞ واقتل ما اعلك ما شفاكا
فلا يرد عليه ما قيل انه مجاز والاصل الحقيقة والذي غره قوله معناه ساسقم
هذا اي الجواب والامر هذا كما تقدم وفي نسخة هذا فهو متعلق باعتذر وقيل اي ابن الفارض
وقد قيل فالجملة حالية بتقدير قد بل سقيم بما قدر علي من الموت يعني انه اراد
بسقيم انه حزين مشغول الفكر لعلمه من انه لا بد من الموت والغم مرض من الامراض
القلبية ومن كان كذلك لا يليق به ان يفرح بالاعياد يكون في محال اللهو واللعب ولذا
ورد كما تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان متواصل الاحزان وفي الحديث لو تعلم
البهايم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا ونرى عليه الصلاة والسلام عنى
اراد هذا وقيل معناه اني سقيم القلب اي قلبي متالم مما شاهدته وفي نسخة مما شاهد

من

من كفركم وعنادكم في الباطل وعدم قبول الحق وقيل بل كانت الحمى تاخذه اي تعرض له وتستولي
عليه حتى كانها اخذته واسرته عند طلوع نجم معلوم له اولهم ولذا قال فنظر نظرة
في النجوم فقال اني سقيم فلما راه اي راى ذلك النجم طالعا اعتذر لهم بعدم حضور
اعيادهم معهم لعبادته من السقم الذي يعرض له اذا اطلع ذلك النجم وهذا الجواب
ذكره النووي ايضا وقال ابن حجر انه بعيد لانه يكون حقيقة وليس من المعاريض
والتورية في شيء ورد بان المعاريض ان يذكر ما يدل على معنى قريب ومعنى بعيد فيراد
البعيد ويوهم مخاطبه انه اراد القريب وهذا كذلك لان ظاهره انه سقيم بالفعل حالا
والمراد انه في زمان مرض وسقم لم يكن والفرق بين هذا وبين الجواب الاول ظاهر لمن تدبر
وكل هذا على ما ذكر من التاويل الذي صرفه عن ظاهره ليس فيه كذب كما يتوهم من ظاهره
بل هو خبر صحيح صدق اي صادق مطابق الواقع وانما سماه كذبا في الحديث باعتبار ما
يتبادر لذهن السامع من ظاهره لا حقيقة فلا اعتراض عليه به وقيل في الجواب بل عرض
اي قاله بطريق التعريض والتورية وراوه مشددة من التعريض بسقم حجته اي ضعف
دليله الذي اقامه عليهم متعلق بحجته بمعنى احتجاجه عليهم في عبادة غير الله
وضعفه ما اراد بيانه لهم من توحيد الله ونفي الشريك بدليل عقلي اراد اقامته
عليهم من جهة النجوم لما راى كوكبا فقال هذا ربي كما قصه الله عنه التي كانوا
يشتغلون بها اي بعبادتها وتعظيمها واسناد الامور اليها وانه اي ابراهيم عليه
الصلاة والسلام اثنا نظره في ذلك اي في خلال نظره وتقدم انه جمع ثني بمعنى مثنى — اي كانا اثنا نظره //
والنظر بمعنى التفكر والتامل فيما يناظرهم به وقبل استقامة حجته اي اقامة دليل
ملزم لهم في حال سقم ومرض حال خبر انه جعل سقم حجته لعدم فائدتها بمنزلة مرض
نفسه وبدنه يعني انهم كانوا ينسبون التاثيرات للنجوم ويعظمونها ويشتغلون
بها لعلمهم بالنجوم وان صادها فاراد ابطال اعتقادهم فيها وان حججهم واهية
فلم يقل ذلك لهم ابتداء بل نسبه لنفسه تعريضا بهم كما قال اياك اعني واسمعي يا جارة
وهذا احسن في الزام الخصم وتقريعه على وجه لا يغضبه ويهيج حميته لجاهليته
مع انه اي الخليل صلى الله عليه وسلم لم يشك هو اي لم يقع منه شك في ربه
ولا ضعف ايمانه حتى يحتاج الى الادلة الضعيفة ولكنه ضعف حاله في استدلاله
عليهم لابطال عبادتهم للنجوم والاوثان تبكيتا لهم وزجرا وسقم نظره اي ما
ناظرهم به حتى لم تتم حجته التي اقامها عليهم لم يبين صحة اتصاف الدليل بما ذكر
لغة فقال يقال حجة سقيمة فهو وصف بذلك مجازا ونظر معلول اي فكر ودليل
معلول اي ضعيف مدخول وقيل ان هذه العبارة ملحونة وان وقعت في عبارة
المحدثين والصواب معلل والمعلول انما هو من العلل وهو الشرب مرة بعد اخرى
كقوله كانه منهل بالراح معلول ورد بانهم استغنوا بمفعول عن مفعل كما
قالوا احمد الله فهو محمود وقد صرح به سيبويه وذكره في المحكم فقول ابن الصلاح
والنووي انه لحن مردود وان تبعهما بعض الشراح هنا حتى الهمه الله والقى
في نفسه ومن عليه باستدلاله الناشئة وصحة حجته عليهم اي احتجاجه
بالكواكب والقمر والشمس متعلق باستدلاله لانه مما ذمه الله مفعول له وقدمنا

بيانه وايضاحه في هذا الكتاب والحاصل انه لا يلزم من ضعف الدليل ضعف الايمان
بل يتيح متدرك ذي العقل السليم بيقين لا شبهة فيه عنده وهو لا يقدر على اقامة
دليل عليه واما قوله اي الخليل عليه الصلاة والسلام في الاصنام التي كسرها
وترك اكبرها وقد علق الفاس في عنقه كما مر قال ما فعلته بل فعله كبيرهم
هذا الاية والحال انه او ان كبير الاصنام لم يفعل ولا قدرة له على الفعل فهو مخالف
للواقع من جهتين مع انه معصوم في اقواله فانه علق خبره الذي ذكره بشرط نطقه
في قوله فاسألوهم ان كانوا ينطقون فهو كانه قال ان كان ينطق فهو فعله وانما
قاله مع علمه بعدم نطقه لغرضه على طريق التبكيت لقومه عبدة الاصنام فوبخهم
بانكم كيف تعبدون جمادا لا ينطق ولا يقدر على شيء ولو قدر واد فعوا عن انفسهم
ففيه تجهيل لهم واستهزاء بهم لتعظيمهم ما لا يضر ولا ينفع وذكر الكواكب
هنا لا وجه له وهذا اصدق اي خبر صادق ايضا كما صدق ما قدمه ولا خلف فيه
بضم الخاء وفتحها لان صدق الشرطية بتقدمها وموخرها على سبيل الفرض وهو
فرض محال بالاضافة صحيح لا فرض محال بالتوصيف وليس هذا مبنيا على ان
جملة الجواب جملة خبرية مقيدة بالشرط والجملة المقيدة بقيد صدقها وكذبها
بتحقق القيد وعدمه كما هو مسلك اهل العربية واهل الميزان على خلافه
لان الشرطية بمجموعها قضية في قوة الجملة والخبر عند مجموع الشرط وجوابه كما
قيل فان هذا ابتناء على ما قاله السيد في حواشي المطول وغيره فان الحق ما قاله يومي
السعد وانه لا خلاف بين النحاة والمنطقيين في هذه المسألة فان مالهما واحد
كما حققه المدقق فتح الله في حواشي التهذيب وليس هذا محله الا انه يقتضي
ان قوله فعله كبيرهم جواب الشرط او دال عليه فهو في معناه وقوله فاسألوهم
جملة معترضة مصدرة بالفاء كما في قوله

واعلم فعلم المرء ينفعه ٭ ان سوف ياتي كل ما قدرا

وقد يقال انه بيان لما يفيده الكلام من غير نظر لما ذكر وهو الظاهر
يعني ان قصده بنسبة الفعل الصادر منه لكبيرهم الاستهزاء والتهكم بهم
لتبليغ ما قصده من الزامهم الحجة برجوعهم الى انفسهم ونظرهم لما هم عليه
من الباطل الذي لا يقبله عقل سليم فضلا عن عقل سليم وفي الاية وجوه
هذا اولاها واحسنها ولذا اقتصر عليه المص فاذا اردت الوقوف عليها
فانظر في الكشاف وشروحه واما قوله اي الخليل عليه الصلاة والسلام
للجبار الذي اراد اخذ زوجته حين ساله عنها فقال هذه اختي لارادة ان
يخلصها منه وليس هذا بكذب فقد بين بالبناء للمجهول في الحديث الذي رواه
الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه انه لا كذب فيه وقال فانك اختي
في الاسلام والدين الحق الذي كان عليه فهو على هذا صدق في اي كلام صادق حق
والاخوة تطلق على المشاركة في الصفات مجازا مرسلا او استعارة من
المشاركة في النسب والله تعالى يقول في القران انما المؤمنون اخوة وهذا
يدل على صحة اطلاقه وحسنه اي اخوة في الدين وفي الحديث المسلم اخو المسلم لا يظلمه

ولا يخذ له وهو قد شاع حتى قيل انه حقيقة عرفية وقد تقدم تتمة لهذا فان قلت
انه على هذا ليس فيه شيء من الكذب فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها
اي اطلق عليها انها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وهذا ينافي ما قررته
وبينته اثنتين في ذات الله وواحدة في شان سارة الحديث قاله القرطبي ذات الله
وجوده المنزه المقدس عما لا يليق به وفيه دليل على جواز اطلاق الذات عليه وجوده
المقدس فلا يلتفت لمن انكره من المتقدمين فتامله ثم قال وروي الخا ربع والرابعة
قوله للكوكب هذا ربي وانما لم يعدها لانه كان في حال الطفولية وعدم التكليف
انتهى وتقدم الكلام فيه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة للناس
يوم القيامة ويذكر كذباته هو مفقود العقول يشير الى ما في حديث الصحيحين
عن ابي هريرة رضي الله عنه انهم يأتون ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويقولون
له انت نبي الله وخليله اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان
ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا يغضب بعده مثله واني قد كنت كذبت
ثلاث كذبات ويذكرهن اذهبوا الى غيري الحديث فقد صرح الخليل نفسه عليه
الصلاة والسلام بان هذا وقع كذبا منه فيدل على خلاف ما قلته سابقا وجواب
الشرط قوله فمعناه اي معنى قوله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا
ثلاث كذبات انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن المراد
به ما اخفاه واضمره في نفسه او المراد به ما خفي مما هو خلاف الظاهر لا هذه الكلمات
المذكورة وهي الثلاث المتقدمة ثم اشار الى الجواب عما وقع في حديث الشفاعة
بقوله ولما كان مفهوم ظاهرها اي ظاهر الكلمات المذكورة قبل النظر لما قصد
منها خلاف باطنها المقصود منها فانه صدق كما بيناه سابقا اشفق اي خاف
ابراهيم صلاة الله وسلامه عليه من مؤاخذته بها وفي نسخ مؤاخذته بها
اي المعاتبة او المعاقبة عليها او رد شفاعته بسببها لانه كان عليه ان
يصدع بالحق صريحا من غير تورية وتعريض يقال اشفق وشفق اذا خاف
والحاصل انه لم يقصد عنه كذبا وانما سمي كذبا باعتبار ظاهر العبارة
قبل التامل فيها من سامعها وانما خاف ابراهيم عليه الصلاة والسلام
ذلك لجلالة قدره لا لانها معصية صدرت منه وكان ذلك في اول امره وسنه
حوفه في حالة يجوز فيها الكذب فضلا عن التعريض الذي هو من حسنات
الابرار وكذلك اي مثل ما صدر عن الخليل ما وقع لنبينا صلى الله عليهما
وسلم وهو الحديث الذي رواه الشيخان عن كعب بن مالك وفي نسخ واما
الحديث فهو انه كان صلى الله عليه وسلم عادته اذا اراد غزوة اي سفرا
لغزاة معينة ورى بغيرها عنها والتورية ان يقول ما يظهر منه خلاف
مراده ويحتمله احتمالا بعيدا فكانه جعل ما قصده وراء ما ابداه فكان
يسال عن طريق وناحية ويذهب لغيرها فليس فيه اي فيما فعله وقاله
خلف في القول اي ليس في قوله ذلك كذب في فعله انما هو ستر واخفا المقصد
اي لما قصده وتوجه اليه لئلا ياخذ عدوه حذره اي لئلا يتاهب لدفع

ما يحذره بان يستعد له ويجهز له ما يهمه واخذ الحذر عبارة عما ذكر كما بين في قوله
تعالى خذوا حذركم وفيه من البلاغة ما لا يخفى وكنى وجه ذهابه اي جهة مقصده
وهو عطف على قوله ورّى وبين التورية والكناية بقوله بذكر السؤال عن موضع
اخر غير الذي قصده والبحث عن اخباره اي اخبار الموضع الاخر بالسؤال عن طريقه
وحاله والتعريض بذكره له دون غيره ليستر قصده به كقوله صلى الله عليه
وسلم استعينوا على قضاء الحوائج او حوائجكم بالكتمان لا انه يقول لاصحابه
تجهزوا الى غزوة كذا ثم يخبرا بالواقع او بخلافه وهو غير مراد له او يقول
وجهتنا الى موضع كذا اي توجهنا وقصدنا له خلاف مقصده بيان لكذا فهذا
القول كله لم يكن اي لم يقع منه صلى الله عليه وسلم وانما وقع منه التورية
والتعريض دون تصريح به فالاول اي سؤاله عن غير مقصده ليس فيه خبر
بتوجهه له ولا امر لغيره بالتجهز له يدخله الخلف اي يعرض له كذب لعدم
مطابقته للواقع وانما هو تعريض وايهام لغير معتقده لا ضير فيه والتجهز
التاهب باحضار جهازه ولوازمه وقيل معناه احتالوا وهذا هو الاغلب
من احواله وقد يقتضي الحال خلافه كما ورد في الصحيحين لم يكن صلى الله عليه
وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك في حر شديد الى
مكان بعيد وعدو كثير فجلا للمسلمين امرها ليتاهبوا لها فاخبرهم بوجهه الذي
يريد كما في حديث طويل فيه خبر الثلاثة الذين خلفوا فهو باعتبار الاكثر في اول
امره قبل قوة شوكة المسلمين وكذا اخبرهم انه سائر لمكة في غزوة الفتح فلا
يرد الاعتراض على حديث كان لا يريد غزوة الا ورى بغيرها كما قيل وقوله عرضي
تجهزوا وان كان انشاء لا ينافي فيه الخلف كما توهم لانه ينافي فيه ذلك باعتبار
ما تضمنه من الخبر لان قوله تجهزوا الارض كذا معناه المراد منه اني ساغزوا
اهلها وهو ظاهر ثم اورد سؤالا على عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام
عن الكذب سهوا او عمدا فقال فان قلت ايها السايل عما يتوهم عن شبهة ترد
على ما قررته فما معنى قول موسى الكليم صلى الله عليه وسلم وقد سئل اي سأله
جماعة من امته اي الناس اعلم على وجه الارض في هذا العصر وهذا الحديث روي
في الصحيح عن ابي سفيان رضي الله عنه فقال موسى عليه الصلاة والسلام
لمن سأله انا اعلم ممن على وجه الارض جميعا لعلمه بانه ليس عليها من الرسل من هو
مثله وفي البخاري بلفظ هل في الارض اعلم منك وفي رواية ابن اسحاق فقال
موسى ما اعلم في الارض خيرا مني وقيل وبين الروايتين فرق لان في رواية ابي
سفيان الجزم بانه اعلم وتلك تنفي الاعلمية عن غيره فيبقى احتمال المساواة
يعني بحسب الظاهر والا فقد علمت انه يفيد نفي المساواة كما مر فتدبر
واما ما رواه نوف البكالي عن كعب الاحبار ان موسى المذكور في هذه القصة
ليس هو الكليم الذي هو من اولي العزم بل موسى بن ميشا بن افرايم
ابن يوسف فقد قيل ان ابن عباس رضي الله عنهما رده وقال لما سمعه
كذب عدو الله وياتي فيه كلام عن الكشاف وغيره وانما قال ذلك لان

كما

كعبا تلقاه عن اهل الكتاب وهم اعدا الله لكفرهم او هو استعارة لانه كذب كقولهم
قاتله الله فعتب الله عليه ولامه بسبب ذلك اي قوله انا اعلم اذ لم يرد العلم بذلك
اعني اعلم الناس حينئذ اليه اي الى الله تعالى بان يقول الله اعلم بذلك ونحوه
الحديث اي اذكر الحديث الذي رواه الشيخان بتمامه وفيه اي في هذا الحديث فقال
اي الله عز وجل لموسى بلى اي فيهما من هو اعلم عبدنا خضر وفي رواية عبد لنا بمجمع
البحرين اعلم منك يا موسى ومجمع اسم مكان والبحران كما قاله السهيلي بحر الاردن
وبحر القلزم وقيل بحر المغرب وبحر الزقاق وقيل بحر الروم وبحر فارس وعن ابن عباس
اجتمع بحر اعلم في مجمع بحرين حقيقتين والعلمان علم الظاهر من الشرعيات وعلم
الباطن اللدني ووصفه بالعبودية تنبيه بجلاله كما في قوله سبحان الذي اسرى
بعبده وقوله • لا تدعني الا بيا عبدها • فانه اشرف اسمائي •
وللمصنف • ومما زادني شرفا وتيها • وكدت باخمصي اطأ الثريا •
دخولي تحت قولك يا عبادي • وجعلك خير خلقك لي نبيا •
وهذا اي قول موسى انا اعلم خبر صدر من موسى عليه الصلاة والسلام وقد
انبانا الله اي اخبرنا كما ورد في هذا الحديث الصحيح انه ليس كذلك كما سمعته كذلك
فيكون خلفا منه وهو معصوم عن مثله فيرد على ما قرره وسياتي الجواب عنه ۞
والعتب بمثناة فوقية كالمعاتبة وهو اللوم على ارتكاب ما لا يليق وضمنه معنى
العيب بالتحتية ولذا عداه بنفسه دون على ورد العلم الى الله تقدم معناه
وتفسير ابن بطال بترك الجواب لا ينبغي وكذا لو قال انا والله اعلم كان اولى وهذا
هو الاليق الاولى بمقام ادب النبوة اذ مراده فيما اظن واعلم ولا لائمة فيه ۞
وقصته في حمل الحوت في مكتل مفصلة في التفاسير والمجمع اسم مكان ثم شرع
في الجواب بقوله فاعلم انه وقع في هذا الحديث الصحيح المروي عن ابن عباس ما
يدفع السؤال وهو هل تعلم احدا اعلم منك فالسؤال عما تعلمه لا عما في الواقع
ومن القواعد المقررة ان السؤال يعاد في الجواب فاذا يجوز ان يكون اذن
نون مرسومة بالالف كان جوابه صادرا منه على حسب علمه فكانه قال لا اعلم انا
احدا اعلم مني فهو اي كلام موسى وجوابه خبر حق وصدق مطابق للواقع ۞
باعتبار تقييده بانه على حسب علمه واعتقاده لا خلف فيه لمخالفته للواقع
ولا شبهة اي لا يشتبه على احد صدقه فيما قاله وفي الحديث روايات مختلفة
يرجع بعضها الى بعض كما ستسمعه مرتبا ومر بعضها وهذا تاكيد لما قبله
وعلى الطريق الاخرى التي فيها اطلاق اعلميته من غير تقييد بعلمه واعتقاده
المقيد لنفي الاعلمية والمساواة فيها كما تقدم على العموم فانه روي من
طرق مختلفة بالفاظ مختلفة وقد اشرنا اليه قبل هذا فيحمله على غلبة ظنه
ومعتقده مصدر ميمي بمعنى اعتقاده اي نحمله مقيدا بهذا التقدير
لانه مصرح به في رواية اخرى والروايات تفسر بعضها كالقران والمقدر في
حكم المذكور عندهم كما اشار اليه بقوله كما لو صرح به يعني بالمفعول والفاعل
اي صرح به موسى عليه الصلاة والسلام كان قال انا اعلم في ظني او معتقدي

قد علمت بان مي

وَنحوه لا في تعتسوا لامر ويحمله بلفظ المضارع وفي نسخة يحمله باسم مبتدا وعلى هذا
لا يرد عليه شي لم يبين وجه قول موسى على هذا القول لان حاله اي حال موسى
صلى الله عليه وسلم كغيره من الرسل اصحاب الشرايع في عصرهم في النبوة والاصطفا
اي اختيار الله له دون غيره من خلقه يقتضي ذلك اي انما اختاره لانه اعلم اهل
عصره اذ لو لم يكن كذلك لم يختره لتبليغ رسالته وسياسة خلقه ورجوعهم
اليه في كل امورهم وهو صلى الله عليه وسلم كليمه وامين وحيه ومثله لا يكون
دون غيره او مساويا له في العلم ويحتمل ان معناه ان نبوته واصطفاه يقتضيان
اي يستلزمان ان لا يقول مقالة غير مطابقة للواقع فيحمل كلامه على
ما يطابقه وان لم يكن فيه ما يدل عليه وهو ظاهر فقوله فيكون اخباره
بذلك اي بقوله انا اعلم اينما اي كما في الرواية المصرح فيها بذلك العقيد
عن اعتقاده وحسبانه بضم الحا المهملة وكسرها بمعنى ظنه صدقا فاخبر
يكون وقوله لا خلف فيه مفسر له او توكيد اي لا شبهة فيه عند سامعه وقد
يريد موسى صلى الله عليه وسلم بقوله انا اعلم انه اعلم بما تقتضيه اي تستلزمه
وظايف النبوة جمع وظيفة بالظا المشالة وهي الاحوال التي اقتضاها ذلك المقام
من شروطها وما لا بد منها لكل نبي رسول من علوم التوحيد بيان لعلومه
من معرفة الله وصفاته وانه منفرد في ذاته وصفاته واستحقاقه للعبادة
وامور الشريعة التي امره الله بتبليغها وسياسة الامة اي امته والسياسة
ضبط الخلق واجرا احكام الشرع عليهم بالسلطنة ويكون الخضر عليه الصلاة والسلام
وفيه لغات فتح الخا وكسر الضاد المعجمتين وسكونها مع الفتح والكسر
وسياتي بيانه اعلم منه اي من موسى عليه الصلاة والسلام بامور اخر
غير الشريعة والسياسة والحكومات الظاهرة فيما بين الناس يعني انه
صادق فيهما لانه عام مخصوص بما هو المتبادر من علوم اكثر الانبيا وهو
العلم بالامور الشرعية والحكم بين الناس كما هو شان الرسل وعلم الخضر بامور
باطنية كشفية فلا تنافي بينهما واعلم انه تقدم ان الخضر انما سمي خضرا لانه
كان اذا جلس على ارض نبات بها هشيم اخضر وقيل لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله
وان اسمه بليا وقيل غير ذلك ويكنى ابا العباس واختلف فيه كما ياتي
هل هو ولي او نبي او ملك وهل هو حي الى الان ام لا وقد افرد احواله
بالتاليف الحافظ الخيضري سماه الروض النضر في احوال الخضر وقال الثعلبي
انه معمر محجوب عن الابصار وهذا وجه ما قيل انه ملك وان كان قولا
ضعيفا وروي في اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم به حديث ضعيف
وتقدم الكلام على تعزيته لاهل البيت مما لا يعلمه احد الا باعلام الله
من علوم غيبه تعالى كالقصص المذكورة في خبرهما الذي قصه الله
في سورة الكهف فكان موسى عليه الصلاة والسلام اعلم من اهل عصره
مطلقا بالشريعة والتوحيد والسياسة على الجملة اي بجميع العلوم
المذكورة بما تقدم بيانه وهذا اي الخضر عليه الصلاة والسلام اعلم منه

على الخصوص اي بعلم لدني يختص به من الامور الغيبية الكشفية التي لم يكلف غيره
بعلمها ويدل عليه اي على انه اعلم بعلم اختص به قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما
اي من علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله او من اراد ممن ارتضاه للعلم به وعتب الله ذلك
عليه عتب مصدر مبتدا وقوله ذلك مفعوله وهو جواب سوال تقديره اذا كان اعلم
من وجه وهو صادق في قوله هذا فلم عاتبه الله عليه ودله على عبد له اعلم منه
فيما قاله العلما اي بينوه ووضحوه بما يدفع اشكاله انكاره هذا القول عليه اي قوله
انا اعلم لانه اي موسى عليه الصلاة والسلام فيما قاله وهو خبر المبتدا لم يرد العلم
اليه اي الى الله تعالى تادبا معه كما قالت الملائكة لله تعالى لما قال لهم انبئوني
باسماء هولاء فقالوا لا علم لنا الا ما علمتنا او عتبه وانكاره لانه لم يرض قوله انا اعلم
اي لم يرضه الله منه ولم يستحسنه شرعا لتركه الاولى وان كان صادقا في مقاله
هذا وذلك اي عدم رضاه بقوله هذا والله اعلم بوجه هذا ولقد اجاد في هذا الرد
تحقق هذه العلة الى علم الله لئلا يقتدي به فيه اي في ادعا الاعلمية جزما من غير
رد الى الله من لم يبلغ كماله اي من لم يصل الى مرتبته في الكمال في العلم في غير الانبيا
في تزكية نفسه اي مدحها بجعلها زكية مبراة زايدة على غيرها فان مدح الانسان نفسه
غير محمود وان حسن احيانا المقتضى له كما قال تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن
اتقى والتزكية التطهير من الاخلاق الذميمة الردية التي من جملتها العجب وعلو
درجته بالنصب عطف على كماله ويجوز جره من امته متعلق بقوله يقتدي حال
من ضمير يبلغ فيهلك اي من يقتدي به من امته في قوله انا اعلم لما تضمنه اي قوله
انا اعلم من مدح الانسان نفسه وهو امر مذموم ويورثه اي يكسبه ويعقبه
ما يتصف به شبه ذلك بالميراث ذلك القول اي قوله انا اعلم من الكبر والعجب بضم
فسكون قال الراغب يقال لمن يروقه نفسه فلان معجب بنفسه اي يستحسن
افعاله واموره والتعاطي اي الاخذ في تزكية نفسه والدعوى الباطلة اي
لئلا يورثه اقتداوه به في قوله انا اعلم ما ذكر من الرذايل وان نزه بالبنا للمفعول
اي براهم الله وعصمهم عن هذه الرذايل اي الصفات الذميمة من الكبر والعجب
والتعاطي والدعوى الانبيا عليهم الصلاة والسلام لشرفهم وعلو مقامهم
فغيرهم اي غير الانبيا بمدرجة سبيلها اي غير الانبيا يتصف بها ولا ينزه
عنها لاستعداده لها وقبول طبعه لها والسبيل الطريق والمدرجة اسم مكان
بمعنى المدخل والمسلك من درج اذا مشى يقال هو قاعد على طريق كذا اذا كان دجى
مستعدا له فهو استعارة وقيل المدرجة الثنية التي يمشي فيها وتسيل منها
السيول اي في موضع الرذايل المشبهة بالسيل المهلكة من اتصف بها كالسيل
المغرق لما يمر به وفيه نكتة لا يخفى ودرك ليلها بسكون الرا ويجوز فتحها
بمعنى ادراك الليل يقابل النهار فشبه ما يعرض له من الصفات الذميمة
بظلمة الليل الذي تغشاه والمراد ما لا بد منه من اثار تلك الصفات كما قال النا نغة
فانك كالليل الذي هو مدركي ** وان خلت ان المنتاي عنك واسع
الا من عصمه الله اي حفظه عن الاتصاف بها فالتحفظ اي الاحتراز منها

اي من هذه المتعانيات اولى لنفسه والبق فلذا اغاننبه على تركه الاولى وليقتدي به في التحفظ
والسلامة منها ولهذا اي لكون التحفظ اولى لمن يقتدي به قال عليه الصلاة والسلام
تحفظا من مثل هذا العجب انا سيد ولد ادم اي افقهم واعلاهم رتبة وتحفظ عن العجب
في مقاله بقوله ولا فخر اي لم اقل هذا افتخارا وعجبا وانما هو تحدث بما انعم الله به
عليه اوانا لا افخر بهذا فان الله انعم علي بما هو اجل منه وفي رواية الصحيحين انا
سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر والسيد يطلق عليه وعلى غيره وعلى الله كما
تقدم وهو من يفوق غيره كرما وحلما ويطلق على المالك والشريف والكريم والحليم
وهذا الحديث المروي في قصة موسى والخضر الذي تقدم احدى حجج القائلين بنبوة
الخضر عليه الصلاة والسلام وهو احد الاقوال فيه لقوله فيه اي في هذا
الحديث انه اعلم من موسى كما تقدم ولا يكون الولي اعلم من النبي ولا مساويا له
في علمه واما الانبيا فيتفاضلون في المعارف اي يكون بعضهم افضل من بعض ولا
محذور فيه واستدل على نبوته ايضا بقوله اي الخضر عليه الصلاة والسلام فيما
حكاه الله عنه في قصته وما فعلته اي المذكور من الامور الثلاثة عن امري اي
بما امرته نفسي فليس براي واجتهادي فدل ما ذكر انه بوحي من الله تعالى والوحي
لا يكون لغير الانبياء وفيه انه يجوز ان يكون بالهام والالهام وان لم يفد العلم اليقيني
للغير عند اهل السنة حتى لا يجوز الاستدلال به لكنه قد يفيده في نفسه ويعمل
به الملهم دون غيره كما حقق في علم الاصول وفصلوه في محله ومن قال انه ليس بنبي
بل ولي من اولياء الله قال مجيبا عما ذكر من الدليل الثاني يحتمل ان يكون فعله بامر نبي
اخر اوحي اليه به في زمانه وهذا الجواب ضعيف اي محكوم بضعفه لانه اي الامر والشان
ما علمنا انه كان في زمن موسى عليه الصلاة والسلام نبي غيره الا اخاه هارون ولم
ينقل ملاقاة هارون للخضر عليهما الصلاة والسلام الا انه قيل ان يوشع كان نبيا
نبئ قبل موت موسى وسياتي عن السيوطي ما يؤيده فتدبر وما نقل احد من اهل
الاخبار المعتمد على نقلهم في ذلك اي وجود نبي غير موسى واخيه عليهما الصلاة والسلام
ما يعول عليه لصحة نقله واذ وفي نسخة واذا جعلنا قول الله لموسى ان لي عبدا اعلم
منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص لتخصيصه بما ليس من الشرائع والعقايد
وفي قضايا معينة كما تقدم بيانه لم يحتج الى اثبات نبوة خضر لان علمه كان بامور معينة
غير الشرائع والعقايد وهذا يقتضي انه يجوز الوحي بها لغير الانبيا وانه اذا اطلق
عليه نبي بالمعنى اللغوي لا ينافيه كما في قصة خالد بن سنان كما اشار اليه بعض
العارفين ولهذا اي لكونه علما مخصوصا لا ينافي غيره قال بعض الشيوخ كان موسى
اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله من الشرائع والاحكام وما في حكمها والخضر اعلم من موسى
فيما رفع اليه بالبناء للمفعول براء مهملة او بدال مهملة وفاء وعين مهملة اي فيما جعله
الله منوطا به منتهيا اليه علمه مما غيب علمه عن غيره وقيل انما الجا موسى عليه
الصلاة والسلام اي اضطره الله والزمه ان يذهب الى الخضر للتاديب اي ليؤدبه
الله حتى لا ينسب لنفسه الاعلمية وان كان صادقا في مقاله ومناسبا لمقامه لا للتعلم
لما لم يعلمه مما يلزمه علمه فانه اكمل اهل زمانه ولذا قيل انه هكذا القصة

ابن العربي في الفصوص

من صبي

تعنفني

يقتضي ان الخضر نبي رسول لئلا يكون العالي اعلم من الاعلا وفي الكشاف ان القصة لا تقتضي
ان موسى هذا هو ابن ميشا كما قاله اهل الكتاب لانه لا غضاضة في اخذ النبي العلم من نبي
مثله اذ يمتنع اخذه ممن هو دونه وفي فتح الباري ان في كلامه نظرا لان المتكلمين اشترطوا
في النبي ان يكون اعلم اهل زمانه على العموم ولو لزم هذا لزم ان لا يجمع الله بين نبيين في
عصر واحد وقد كان مع موسى وهارون وشعيب ثم يوشع والحق ان اللازم كونه اعلم ممن
ارسل اليه وانه اعلم بالعلم المخصوص به ولذا قال له الخضر عليه الصلاة والسلام اني على
علم علمنيه الله لا تعلمه انت ولم يكن موسى مرسلا الى الخضر فلا ضير في كونه اعلم منه بعلم
لدني خصه الله به وقال الامام القرطبي ولننبه هنا على مغلطتين الاولى ان بعضهم
قال ان الخضر اعلم من موسى تمسكا بهذه القصة وهذا انما يصدر ممن قصر نظره على هذه
القصة ولم ينظر ما خص الله به موسى من توراته التي فيها علم كل شيء وكلامه ودخول
انبياء بني اسرائيل تحت نبوته ودعوته كما قال تعالى له اني اصطفيتك على الناس برسالاتي
وبكلامي والخضر وان كان نبيا ليس برسول بالاتفاق والرسول افضل من النبي الذي
ليس برسول فان قلنا انه ولي فلا اشكال الثانية ان بعض الزنادقة قال قولا يهدم
الشريعة وهو ان قصة الخضر تدل على ان احكام الشرع تختص بالعامة وان خواص
الاولياء انما يراد منهم ما يقع في قلوبهم وخواطرهم لصفاء قلوبهم عن الاكدار والاغيار
فتتجلى لهم علوم الهية يقفون بها على اسرار الكائنات وعلم الجزئيات فيستغنون
عن احكام الشريعة كما في حديث استفت قلبك وهذا الكلام زندقة وكفر وانكار لما
علم من الدين بالضرورة من ان الاحكام انما تؤخذ عن الله بواسطة رسله وسفرائه
بينه وبين خلقه فمن ادعى خلافه كفر فيقتل ولا يستتاب وكل هذا اكثر صريح
والامتحان لموسى اذ اراه الخضر ان قتل الغلام كقتله للقبطي واقامته الجدار
كالقائه التابوت في اليم واقامته الجدار بغير اجر كسقيه لبنات شعيب بل
استيجاره له وهذا لا يقتضي لانكار على بعض الاولياء في الامور الكشفية ولا ينبا الظن
بهم بما يصدر عنهم من بعض المقالات وهاهنا بحث مهم وهو ان النبي معناه لغة
المخبر او المخبر مطلقا وهو في العرف العام المخبر عن الله بوحي مطلقا وفي عرف
الشرع المخبر عن الله بشريعة خاصة به او امر بتبليغها غيره فعلى هذا لا يكون
الخضر نبيا لانه انما اوحي اليه ببعض الامور الغيبية اذا علمت هذا فخالد بن سنان
اذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه الصلاة والسلام كما ورد
في الحديث لا ينافي الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم لا نبي بيني وبين
عيسى كما قاله ابن حجر وقال ان الاول لا يقاوم حديث البخاري فهو مردود وانه
لان خالدا انما اوحي اليه بكشف امور البرزخ تاييدا لخبر غيره من الانبيا وتمهيدا
لما ياتي بعده ؛ بما يخبر به نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لم يوح اليه
بشرع ولا بامر بحث لعلم بتفصيله فليس نبيا بحسب عرف الشرع فتسميته نبيا انما
هو باعتبار المعنى العرفي او اللغوي فلا منافاة بينه وبين الحديث مع انه لم يكلف
ما ارسل به كما في الحديث الا انه اضاعه قومه وهو تحقيق حقيق بالقبول
واليه اشار في الفصوص **فص** واما ما يتعلق

بالجوارح للانبيا عليهم الصلاة والسلام جمع جارحة وهي الاعضا التي يكتسب بها الانسان
ويعمل ما يريد يقال جرح واجترح بمعنى عمل واكتسب قال تعالى ويعلم ما جرحتم
بالنهار اي ما يتعلق بعصمتهم في افعالهم من الاعمال بيان لما اي الاعمال الصادرة
بواسطتها فلا يخرج من جملتها القول باللسان لانه من الاعضا فيما عدا الخبر اي
الاخبار بما سبيله البلاغ وغيره الذي وقع الكلام فيه قبل هذا كما تقدم ولا
يخرج من جملتها ايضا الاعتقاد بالقلب لانه من جملة الاعتقاد وله افعال تصدر عنه
وهذا بحسب العرف واللغة واما كون العلم من مقولة الكيف او الانفعال لا من الفعل
والعمل فما يجمعه الحكما ولا ينظر له علما الشريعة فيما عدا التوحيد والايمان
وما يتعلق بالوحي كما تقدم وما قدمناه من معارفه المختصة به صلى الله
عليه وسلم من اطلاعه على احوال الملكوت مما لا ينكشف لغيره كما تقدم
فاجمع المسلمون جواب اما على عصمة الانبيا جميعا فيها من الفواحش اي المعاصي الكباير
القبيحة والفاحش كل امر اشتد قبحه من الاقوال والافعال وقد تختص الفاحشة
بالزنا وقال ابن عرفة هي كل ما نهى الله عنه والكباير هي معروفة الموبقات اي
المهلكات يقال اوبقه اذا اهلكه واهلاكها بايقاعها في العذاب في الدنيا بالقتل
وفي الاخرة بالعذاب الاليم وحاصله عصمتهم في اقوالهم وافعالهم واعتقاداتهم
قبل النبوة وبعدها من الكباير المتوعد عليها ومستندهم اي دليلهم الذي
اعتمدوا عليه في ذلك اي في عصمتهم عن الكباير الاجماع الذي ذكرناه عن
المسلمين فالدليل شرعي وهو الاجماع وهو مذهب القاضي ابي بكر الباقلاني
الاصولي ومنعها اي الكباير غيره من الايمة بدليل العقل فصير منعها الكباير
الصادرة عنهم وقيل انه راجع لعصمتهم اي منع عصمتهم من الكباير لعدم
استحالتها عقلا وهو وهم لانه يا باه قوله مع الاجماع لان الاجماع لم يقم
على عدم عصمتهم من الكباير مع ان كلامه نفسه بعده ينافيه وهو قول
الكافة اي جميع العلما وقد تقدم ان بعضهم قال ان كافة يستلزم التنكير
والنصب على الحالية وقد بيناه في شرح الدرة انه غير صحيح واختاره ابو اسحاق
الاسفرايني الشافعي لعلو مقامهم عن صدور مثله منهم فمذهب الجمهور
ان عصمتهم عن الكباير بدليل سمعي وذهب طايفة الى انه بدليل سمعي وعقلي
والمشهور عن الاشاعرة ان العصمة فيما ورا التبليغ غير واجبة عقلا
لدلالة المعجزة عليه واما ما طريقه التبليغ ودعوى الرسالة
فالمعجزة دالة على عصمتهم فيه وذهب المعتزلة الى وجوب عصمتهم
عن الكباير عقلا بنا على قاعدتهم في الحسن والقبح العقليين ورعاية الاصلح والدليل العقلي من وجوه فصلت في الاصول منها
انا امرنا باتباعهم فلو صدر عنهم ذلك وجب اتباعهم فيما فعلوه فلزم
اجتماع الحرمة والوجوب وايضا لو صدر عنهم ذلك كانوا معذبين
اشد العذاب لان علمهم وزرهم ووزر من اقتدى بهم وكانت
شهادتهم غير مقبولة وقد جعلهم الله شهدا على غيرهم الى غير

دلجي

كتبتم

ذلك

ذلك مما فصلوه وكذلك اي كما انهم معصومون مما مر لا خلاف في انهم معصومون عن
كتم الرسالة اي معصومون عن اخفاء رسالتهم عمن ارسلوا اليه لانهم مامورون بالتبليغ
وفي اكثر النسخ كتمان الرسالة لقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك ومخالفة الامر
معصية كبيرة ومعصومون عن التقصير في التبليغ بترك شيء منه لان كل ذلك المذكور
من العصمة من الكتمان والتقصير فيه يقتضي العصمة منه مفعول يقتضي وقوله المعجزة
فاعل اي تدل المعجزة على لزومه مع قيام الاجماع على ذلك اي على ان الله عصمهم عنه
من الكافة اي جميع الناس واعلم ان الحريري قال في الدرة كافة يلزمها التنكير والنصب
على الحالية الا انه غير مسلم فانه سمع غير كافة شاذ وفي توقف مثله على السماع نظر
وقد ذكرناه مفصلا في شرح الدرة لنا والجمهور اي اكثر الناس ومعظمهم متفقون
على انهم لا يكتمون شيئا من الوحي الذي امروا بتبليغه وهذا ورد في حديث رواه
مسلم عن عائشة رضي الله عنها انها قالت من حدثكم ان محمدا صلى الله عليه وسلم
كتم شيئا من الوحي فقد كذب والله يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
وان لم تفعل فما بلغت رسالته ولو كان كاتما شيئا من الوحي لكتم قوله واذ تقول
للذي انعم الله عليه الآية وقايل منهم اي منهم من قال بانهم معصومون من
ذلك الكتمان والتقصير من قبل الله اي خلق في جبلتهم العصمة فهم معصومون
اي متمسكون باختيارهم في تركه وكسبهم لا انهم مضطرون لعدم قدرتهم على خلافه
الاصنا النجار بفتح النون والجيم المشددة والف وراء مهملة وهو حسن بن محمد
النجار الذي تنتسب له الطايفة النجارية وهم فرق من المبتدعة الضالة
وافقوا اهل السنة في بعض اصولهم ووافقوا القدرية في نفي الرؤية
ووافقوا المعتزلة في بعض المسائل ولهم مقالات كفروا بها والمشهور منهم
ثلاث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركة فانه اي النجار قال
لا قدرة لهم على المعاصي مثلا كالعنين الذي لا يزني فانه قال ان الله يوجد
الافعال كلها من غير اختيار وكسب بل بايجاد لطبع واما الصغاير فجوزها
على الانبياء عليهم الصلاة والسلام جماعة من السلف المتقدمين وغيرهم
من المتاخرين على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد
ابن كثير بن غالب الطبري البغدادي صاحب التصانيف الجليلة المشهورة
ولد سنة اربع وعشرين ومايتين وتوفي سنة عشر وثلاثمائة عن ست وثمانين
وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد اي نذكر بعد هذا ما احتجوا
به من ادلتهم وما يتعلق بها وذهبت طايفة منهم الى الوقف اي التوقف
وعدم الجزم وقالوا لعدم جزمهم بجوازها وامتناعها عليهم ان العقل
اذا خلي ونفسه لا يحيل وقوعها منهم اي لا يعده محالا ولم يات في الشرع
قاطع اي نص صريح ودليل قطعي باحد الوجهين من الجواز وعدمه في
صدورها الصغاير منهم وذهبت طايفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين
في اصول الدين الى عصمتهم من الصغاير كعصمتهم من الكباير وقالوا
اي قال الذاهبون لعصمتهم من جميع المعاصي صغايرها وكبايرها ان ذلك

لاختلاف الناس في الصغاير في تعريفها بما يميز احدهما عن الاخرى وتغييبها هو
كالتبيين وزنا ومعنى من الكباير هل هي معدودة او هي ما توعد عليه بحد ونحوه
او هي امر نسبي يتميز بما فوقه وتحته واشكال ذلك عليهم حتى عسر تمييز
احدهما عن الاخر وقول ابن عباس وغيره من السلف ان كل ما عصي به فهو كبيرة
نظرا لجلال الله وعظمته فان من يخالف امر السلطان كمن يخالف امر احد من رعيته
وانه اي الذنب انما سمي منها بالصغير لتجوز اطلق عليه صغيرة بالاضافة اي نسبة
وقياس وفي نسخة بالاضافة الى ما هو اكبر منه لا بالنظر له في نفسه ولا النظر لمن
عصاه ومخالفة البارئ عز وجل في اي امر كان صغيرا وكبيرا تجب كونه كبيرة
في نفسه وهذا انظر من لم يشاهد شيئا الا شاهد الله معه او قبله ولذا تفاوت
الذنوب بتفاوت اصحابها فتدبر وقال القاضي ابو محمد عبد الوهاب المالكي البغدادي
الاديب العلامة وهو من شعراء اليتيمة وقصيدته الميمية التي منها
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
وله تصانيف في مذهبه جليلة كالتلقين والمعونة وارتحل الى مصر فتوفي
بها ودفن بالقرافة قريبا من الامام الشافعي في سنة اثنين واربعمائة رابع
عشر صفر لا يمكن ان يقال في معاصي الله انها صغيرة الا على انها تغفر باجتناب
الكباير ولا يكون لها حكم اي لا يعتد بها ويؤاخذ فاعلها بعقابه عليها
كما هو حكم الكبيرة الذي حكم الله به بخلاف الكباير اذا لم يتب فاعلها منها
بالتاب للقاصل او المعقود والتوبة معناها معروف فلا يحبطها شيء اي لا يمحوها
ويذهب حكمها مما يحبط غيرها من اعمال العبد الصالحة والسيئة في العفو عنها
موكول الى فضل الله وسعة رحمته كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهو قول القاضي ابي بكر بن الطيب الباقلاني
وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء لان الحديث والنص دل عليه
دلالة ظاهرة كقوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس مكفرة لما بينهن
ما اجتنبت الكباير اي ما دام اجتنابه لها فقوله تعالى ان الله لا يغفر ان
يشرك به الخ والحديث مبين للاية فلا يرد عليهم ان الوعيد شامل لهما فلا تغفر
لمجرد اجتناب الكباير وهو الحق فان الحق خلافه لقوله تعالى ان تجتنبوا كباير
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم قال القاضي ابو الفضل عياض مصنف هذا الكتاب
رحمه الله قال بعض ائمتنا بعض المالكية ولا يجب على القولين في العصمة
عن الصغاير وعدمها ان يختلف في انهم معصومون عن تكرار الصغاير
وكثرتها وكان الظاهر ان يقول لا يجوز لان احدا لم يقل بوجوبه لاختلاف
في عبارته نسخ اذ يلحقها ذلك المذكور من الكثرة والتكرار بالكباير لما فيه
من عدم المبالاة بالمعاصي وفي الاحيا الصغيرة تصير بالاصرار كبيرة كما ان
المباح يصير بذلك صغيرة قال السبكي اما الاول فظاهر واما الثاني فلا
نعرفه وفيه نظر سياتي وقيل ان المختار المفتى به ان من اكثر من فعل
الصغاير سوا كانت من نوع واحد او انواع لا يكون فاسقا لا مرتكبا الكبيرة

ان غلبت طاعاته على معاصيه الا ان يراد بالاكثار الاكثرية بحيث يغلب على الطاعات
وفيه ان ما ذكره في حق غير الانبيا فلا نسلم مساواتهم لغيرهم فيه وهم المقتدى
بهم فتدبر ولا ينبغي ان يختلف في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة اي الحيا من الناس
لانها مما يسترذل ويبغض النفوس منه وقد وردت بهذا المعنى في الحديث
كقوله نادجهارا ولا تحتشم • وفي قول عنترة •
فاري مغانم لو اشا حويتها • فيصدني عنها كثير تحتشم •
وقد ورد بهذا قوله في ادب الكاتب ان الناس يضعون الحشمة موضع الاستحيا
وليس كذلك انما هي الغضب ومنه ان يحتشمني وليس كما قال وقد قال
حسان رضي الله عنه •
ارسلت نفسي على سجيتها • وقلت ما شيت غير محتشم •
ومنه قولهم للمهيب محتشم وقد صرح به السهيلي والبطليوسي واسقطت
المروة مي كمال الرجولية وفسرها المصنف رحمه الله بقوله واوجبت الازراء
اي النقص والخساسة اي الدناة وكونه مزدرا خسيسا في اعين الناس يقال
ازدراه اذا تهاون به وعابه لحقارته عنده كسرقة لقمة وشي تافه فهذا ايضا
كغيره مما يعصم منه الانبيا اجماعا لعلو قدرهم وشرف انفسهم وهممهم العلية
لان ارتكاب مثل هذا يحط منصب اي مقام المتسم به الموصوف به اي يجعله
سافلا ويزري بصاحبه اي يحقره ويبغضه وينفر القلوب عنه وفينا في
مقام الدعوة واتباع الخلق له والانبيا منزهون اي مبرون عن ذلك كله لانه
لا يليق بعلي مقامهم بل يلحق بهذا المذكور من الصغاير التي عصمهم الله منها
ما كان من قبيل المباح فادي الى مثله ضميره مثله يحتمل ان يعود الى مما ينزهون عنه
فيكون من قبيل سد الذرايع الذي ذهب اليه مالك فان عنده ان ما ادي الى
منهي عنه منهي عنه وان كان مباحا في نفسه ويحتمل ان يعود الى الازراء
والخساسة كالاكل في السوق لمن ليس من اهله من غير ضرورة والصنايع الرذ
كالحجامة ولبس منها لعادة العصر الذي فعله الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فانه ليس بمعيب في الزمن القديم وكلبس ما لا يليق به من الملبوس كما قلت
نصيحة لطيفة قالت لها الاكياس • كل ما اشتهيت والبس ما تشتهيه الناس
وكاداهمة الشافعي لعب الشطرنج في وجه مما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظ
اي المنع منه يعني الحرمة وهذا صريح في الاشارة الى سد الذرايعة
وهذه المسلة مما نقل على الاطلاق عن الامام مالك لكنها مشكلة وقد قال
القرافي كما تقدم انها ليست على اطلاقها ولعلما المالكية فيها كلام طويل
لم يحضرني الان تفصيله وفي الشرح الجديد ان مراده انه يودي الى الازرا
بمرتكبه والازرا بالانبيا كفر ففعله يودي الى ان يزري بهم فيحرم عليهم
لاحتمال ان يراهم من يجهل مقامهم فيزدري بهم فيقع في الشقا الابدي
فتامله وفي الكبيرة والصغيرة وتفريعهما كلام في الاصلين لا حاجة
للاطالة بذكره وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم اي الانبيا من مواقعة المكروه

بلة

عضي

اي الوقوع فيه بان يفعله قصدا اما سهوا فلا باس به والمكروه بنوعيه كراهة
تحريم وهو نوع من الحرام لكن الفقها يطلقون عليه مكروها اذا لم يكن فيه نص
اجتنابا من القطع بالحكم به وكراهة تنزيه كترك بعض المندوبات والمراد هذا لان
الاول داخل فيما تقدم مما جزموا بامتناعه عليهم والاول شامل لخلاف الاولى
وهو مما نهي عنه في الجملة لانه صلى الله عليه وسلم مامور باتباعه فلو فعل
مكروها امتنع فيه الا ان يكون لبيان الجواز والتشريع فانه يكون في حقه افضل
كغسله اعضا الوضوء مرة او مرتين فتركه التثليث لبيان الجواز وقد استدل
بعض الايمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم اي فعل
مثلها اقتدا بهم فلو صدر ذلك منهم او جاز فعله الناس وظنوه مشروعا
فلذا امتنع فعله منهم وان كان صغيرة لان ذنب العظيم عظيم وان قل واتباع
اثارهم وسيرهم مطلقا اي سوا كانت ضرورة او جبلة كالقيام والقعود
والاكل والشرب فانا نتاسى بهم فيه وان كان مباحا لان الاصل في افعالهم
انها حسنة شرعية فينبغي اتباعهم في كل ما صدر منهم لان الاصل ارجح
من الظاهر وقد اختلف الشافعية في اتباعه صلى الله عليه وسلم فيما علمنا
انه ليس شرعيا هل يستحب ام لا كنومه واضطجاعه بين سنة الفجر وفرضه
وجمهور الفقها على ذلك اي استحباب اتباع اثارهم مطلقا ان لم يعلم انه خصوصية
لهم من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة واصحابه كبار اهل مذهبه من
غير التزام قيام قرينة تدل على انه فعله للتشريع والاقتدا به فيه بل
يقتدي بفعله مطلقا من غير التزام قرينة المشروعية عند بعضهم وان
اختلفوا بعد القول باتباعه في حكم ذلك فذهب الغزالي الى انه يستحب
اتباعه في الامور الجبلية كغيرها وذهب اليه كثير من الفقها والمحدثين وقال
غيرهم انه مباح احسن من غيره وفي قول ضعيف انه واجب وحكي ابن خويز منداد
ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله وقيل ابو بكر تلميذ الابهري من ايمة المالكية
والاصول وله تصانيف في مذهبه وعلم الخلاف الا ان اقواله مرجوحة عندهم
كقوله ان العبيد لا يدخلون في الخطاب وان خبر الواحد يوجب العلم وخويز منداد
بضم الخا المعجمة وفتح الواو المخففة وسكون اليا المثناة التحتية وزاي
معجمة ساكنة او مكسورة وميم مفتوحة او مكسورة وروي بباء موحدة
بدلها ثم نون ساكنة فدالين معجمتين بينهما الف وقيل الاولى مهملة
توفي في حدود الاربعمائة وهو من اهل البصرة كما في التمهيد لابن عبد
البر وابو الفرج عمرو بن محمد بن عمرو الليثي المالكي صاحب كتاب الحاوي في فقه مالك
توفي سنة ثلاثين او احدى وثلاثين وثلاثمائة عن الامام مالك التزام
ذلك اي اتباع افعاله واثاره وجوبا اي قال انه يجب اتباعه صلى الله عليه
وسلم في كل ما يفعله اذا لم يكن امرا جبليا كالاكل والشرب ولم يعلم انه من
خصوصياته اذا لم يعلم حاله من وجوب او ندب او اباحة لان افعاله منحصرة
فيها لانه لا يصدر عنه محرم ومكروه كما تقدم وهو قول الابهري بفتح

الهمزة

الهمزة وسكون الموحدة وفتح الهاء وراء مهملة وياء النسبة نسبة لبلدة عظيمة بين
قزوين وزنجان ولهم اخرى باصبهان وهو معرب ابهر بمعنى ما الرحى وللابهري
من علماء المالكية اثنان ابو بكر محمد بن عبد الله بن صالح والاخر ابو سعيد عبد الرحمن
ابن يزيد بن عبد السلام وليس بن عبد السلام هذا هو الشافعي وهذا ايضا مشهور
عندهم لمحمد الابهري من علماء المالكية من اهل طليطلة ويلقب باخي تمام وهو
المراد هنا وابن القصار الامام في فقه مالك واكثر اصحابنا من المالكية وقول اكثر
اهل العراق من فقهاء المذاهب وابن سريج بضم السين وفتح الراء المهملتين ومثناة
تحتية ساكنة وجيم وهو ابو العباس احمد بن عمر بن سريج البغدادي الشافعي حامل
لواء المذهب صاحب التصانيف الجليلة كانوا يفضلونه على جميع اصحاب الشافعي
ويلقب بالباز الاشهب تولى قضاء شيراز وتوفي في جماد الاولى سنة ست وثلاثمائة
والاصطخري بكسر الهمزة وفتحها وصاد مهملة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وخاء
معجمة ساكنة وراء مهملة تليهما ياء النسبة نسبة لاصطخر بلدة عظيمة وهو
ابو سعيد الحسن بن احمد بن يزيد بن عيسى الامام المشهور عند الشافعية وكذا
تصانيفه توفي سنة اربع وثمانين وثلاثمائة على احد الاقوال وترجمته مفصلة
في الطبقات والميزان وغيرهما وابن خيران من الشافعية راجع للثلاثة وهو علم
لمثنى خير وهو ابو الحسن بن صالح بن خيران البغدادي الامام الزاهد الجليل قدره
صاحب التصانيف المفيدة في فقه الشافعي طلبه الوزير بن الفرات ليوليه القضا
فلم يجبه فسمر بابه اياما فلم يجب فافرج عنه ثم قال انما فعلت ذلك به ليعلم
ان ما في بلدنا مثله توفي رحمه الله سنة عشرين وثلاثمائة لعشر بقين من ذي الحجة
واكثر الشافعية على ان ذلك اي الاتباع له صلى الله عليه وسلم فيما لم تعلم حاله ندب
اي مستحب لا واجب ولا مباح كما مر وهو المشهور وبالغ ابو شامة رحمه الله تعالى
في نصرته وذهبت طائفة من العلماء الى الاباحة اي انه مباح وطائفة الى الوقف وقيد
بعضهم الاتباع اي اتباعه صلى الله عليه وسلم في افعاله وجوبا او ندبا فيما كان
من الامور الدينية ليخرج الامور الجبلية كالاكل والنوم وعلم به مقصد القربة مصدر
ميمي بمعنى القصد اي التقرب الى الله بالعبادة وهذا مختار الامدي وابن الحاجب
وابي شامة ومن قال بان الاصل فيما لم يعلم من افعاله صلى الله عليه وسلم
الاباحة لم يقيد بما قيد به من قال بالندب او الوجوب بقيد الدينية
وقصد القربة لان التقييد به ينافي الاباحة اذ كل ما قصد به القربة من
الديانة طاعة فهو لا يخلو من الوجوب والندب فقيد هذا حكم فعله في نفسه
وبالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم واما بالنسبة لامته فحكمهم مرتب على
حكمه الا فيما استثني فتدبر قال المستدل على عصمتهم من الصغائر بما مر فلو
جوزنا عليهم فعل الصغائر لم يكن الاقتداء بهم في افعالهم مطلقا كما امرنا
به اذ ليس كل فعل من افعاله كغيره منهم متميز مقصده به اي ما قصده
من القربة بان يكون واجبا او مندوبا او من الاباحة مما لا يترتب عليه ثواب
ولا عقاب او مدح او ذم او من الحظر بالمسالة او المنع شرعا لكونه محرما او مكروها

او خلاف الاولى او المعصية الظاهر عطفه بالواو عطف تفسير وعلى هذه النسخة ينبغي
ان يفسر الحظر بخلاف الاولى والمكروه وهذا بالحرام ولا يصح على تقدير جواز الصغاير
عليهم ان يؤمر المرء بامتثال امر من الامور فعله النبي صلى الله عليه وسلم وصدر
عنه لعله معصية وقد امرنا باتباعه لقوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله ونحوه
فيلزم ان نتبعه في معصية صدرت منه وهو باطل ولما ورد عليه ان الملازمة
غير مسلمة لجواز ان تصدر عنه معصية صغيرة ولا يتبع فيها لانه قال لنا انها
محرمة علينا الا انه يبقى ما لم يصرح بتحريمه ملتبسا علينا او يقال هذا انما يتم
لو قلنا القول مقدم على الفعل وليس بمسلم كما اشار اليه بقوله لا سيما تقدم
الكلام عليها وعلى قول انها للاستثناء مع افادتها اولوية ما بعدها بالحكم وسي بمعنى
مثل وما موصولة او زائدة كما بينه النحاة وقد قدمناه على قول من يرى
تقديم الفعل على القول اذا تعارضا وجعل المتاخر منهما دالا لانه على الجواز
المستمر مع كونه اقوى في البيان من حيث انه يبين به وقوله من الاصوليين اي
علما اصول الفقه وهو بيان لمن بان يفعل فعلا قاله انه حرام ولم يعلم التاخر
منهما حتى يكون ناسخا له وقد اختلف فيه فمنهم من قدم الفعل لانه لا احتمال فيه
وقيل يعمل بالقول لقوته بالصيغة وانه حجة في نفسه وهو قول الجمهور وقيل
لا يرجح احدهما على الاخر الا بدليل وعلى الاول يقتدي بافعالهم مطلقا والمعارضة
بمعنى المخالفة ومنافاة احدهما للاخر وعلى هذا تكون الحجة اقوى ويزيد هذا
الدليل الذي استدل به على عصمتهم من الصغاير وعدم جوازها عليهم ويزيد
بنون المضارعة نحو اي نؤيد هذا الدليل بما يزيل الشبهة في حجيته وقوة برهانه
بان يقول يجوز على الانبيا وقوع الصغاير ومن نفاها اي قال بعدم جوازها عن
نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون ومتفقون في حقه كغيره من الانبيا على انه
اي النبي صلى الله عليه وسلم لا يقر بكسر القاف والبنا للفاعل وفاعله ضمير النبي صلى
الله عليه وسلم اي لا يقر غيره اذا راه على امر منكر من قول او فعل لان تقريره صلى
الله عليه وسلم بمنزلة قوله له ما فعلته جائز كما قيل
ان السفينه اذا الرسيه مامور وانه صلى الله عليه وسلم متى راى شيئا منهيا
عنه يفعل او يقال فسكت صلى الله عليه وسلم عنه دل على جوازه والسكوت رضي
وتقرير لوجوب الشا عليه فكيف تعجب وانكار شديد يكون هذا حاله في حق غيره
ممن راه او سمعه ثم يجوز وقوعه منه في نفسه بان يرضى لنفسه مع شرفها وعصمتها
ما لا يرضاه لغيره من اتباعه ولذا تعد وانفرد انه من الحديث كقوله وفعله
ومثل ما راه وسمعه ما علمه في عصره ولم ينكره فانه يدل على جوازه اي اباحته
كما قرره الاصوليون الا انهم شرطوا فيه شروطا منها ان لا يكون بين صنعه
قبل ذلك كما لو راى ذميا من اهل الجزية في كنيسته على ما يفعله اهل
ملته وان يقدر على ازالة ذلك المنكر وفيه نظر لانه مامور بالامر وان
خاف مكروها وقتالا وان يعلم ان انكاره يفيد كما قاله بعض المعتزلة
وهذا كما كان يقرر بعض المنافقين على نفاقهم احيانا وعلى هذا الماخذ

من م

الدال على انهم لا يرون غيرهم على المعاصي فضلا عن انفسهم تجب عصمتهم عن موافقة
المكروه كما قيل وقد تقدم قريبا لانه مما نهي الرسول عنه غيره فكيف يتنزل للاتفاق
به كما قيل

لا تنه عن خلق وتاتي مثله ٭ عار عليك اذا فعلت عظيم

ثم اردفه بدليل على عدم فعله المكروه بقوله واذ الحظ تبعا مسالة بمعنى المنع تحريما
ومكروها واذ للزمان الماضي اريد بها التعليل هنا وهو معطوف على قوله وعلى هذا
الماخذ وفي نسخة الحض بحا مهملة وضاد معجمة وقال البرهان انه تحريف وفيه نظر
او الندب اي الطلب غير الايجابي وضمنه معنى الحث على الاقتدا بفعله كما امر الله
باتباعه في ايات كثيرة معلومة ينافي الزجر اي زجره غيره اذا راه ارتكب ما لا يرضاه
والنهي للغير عن فعل الامر المكروه وفي كلامه هذا احرازة وتوضيحه بما يشفي
الغليل انه يجب عصمته صلى الله عليه وسلم عن المكروه لما مر من انه لا يرضاه
لغيره فكيف يتصف به هو من غير مقتض وهذا معنى قوله وعلى هذا الماخذ
الى ثم بين وجهه بوجه اخر اشار اليه بقوله واذ الحظ او الحض كما في بعض النسخ
وهي صحيحة ايضا كما علمت اي اذا راينا صلى الله عليه وسلم فعل فعلا لم ندر
حكمه فقيل يمتنع مخالفته وقيل يندب اتباعه والى الاول اشار بالحظ والى الثاني
بالندب وعلى كل منهما لا يفعل مكروها فاعله مزجور فتدبر وايضا اي مما يدل على
عصمته صلى الله عليه وسلم عن موافقة المكروه فقد علم من دين الصحابة اي من
عادتهم لان الدين يكون بمعنى العادة ولو حمل على ظاهره صح وقوله قطعا اي علما
لا شك فيه الاقتدا بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت اي في اي جهة
من جهات الافعال المختلفة وفي كل فن اي في اي نوع كانت من امور معاشه وحركا
وتكلمه وغير ذلك كالاقتدا باقواله في اوامره ونواهيه فلا يفرقون بين قوله وفعله
في الاتباع فلو فعل مكروها لزم اتباعه فيه وهو لا يصح ثم ذكر امورا تدل على ان
فعله كقوله فقال فقد نبذوا بعجمة اي رموا وطرحوا والضمير للصحابة الذين
تاسوا خواتمهم وهو اشارة لحديث رواه الشيخان عن ابن عمر خواتيمهم جمع خاتم على
لغة فان بعضهم يشبع الكسرة كما ورد الاعمال بخواتيمها جمع خاتمة بمعنى اخرها
وهو مطرد عند الكوفيين وعند غيرهم سماعي او جمع خاتام وهي لغة فيه
من عشر لغات فيه وهذا اشارة الى حديث هو انه صلى الله عليه وسلم لما كتب
الى الملوك يدعوهم للاسلام قيل له انهم لا يقرؤون كتابا غير مختوم فاتخذ
لهم خاتما من ذهب للختم نقشه محمد رسول الله ثم اوحي اليه بتحريم خواتم
الذهب للرجال دون النسا فطرحه وهو على المنبر واتخذ اخر من فضة
حين نبذ خاتمه فهذا منهم اقتدا بفعله صلى الله عليه وسلم كما ذكر
وقيل ان خاتمه الذهب اهداه له النجاشي ومنه علم تحريم التختم بالذهب
وحله بالفضة خلافا لابن حزم في حلهما وما روي من ان الخاتم الذي نبذه
كان من فضة طعن فيه وابنه كما فصل في شروح الصحيحين وفي شرح مسلم
للقرطبي انه صلى الله عليه وسلم نهى ان ينقش احد خاتمه كنقش خاتمه وان

ته

ينقش احد على خاتمه اسم محمد وان تتختم النسا بالفضة ورده النووي ومنها اقتداوهم
بافعاله صلى الله عليه وسلم انهم خلعوا اي الصحابة نعالهم في الصلاة حين خلع
صلى الله عليه وسلم نعله وهو يصلي رواه احمد وابو داود والحاكم عن ابي سعيد
الخدري قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه اذ خلع نعليه
ووضعهما عن يساره فلما راوه القوا نعالهم فلما قضى صلاته قال ما حملكم على
هذا قالوا رايناك فعلته فقال ان جبريل اخبرني ان بها قذرا ومنه علم ان الصلاة
بالنعل اذا علم طهارتها لا تكره واما حديث خالفوا اليهود فانهم لا يصلون في نعالهم
وخفافهم فلا يدل على استحبابه الا اذا قصد مخالفة اليهود فتامل ومما يدل على
استحبابا لا قتدا بافعاله صلى الله عليه وسلم احتجاجهم اي استدلال الصحابة
الوارد في حديث رواه الشيخان عن ابن عمر استدلوا به على انه يجوز استقبال القبلة
واستدبارها بالبول والغايط واشار اليه بقوله برويته ابن عمر اياه اي النبي صلى
الله عليه وسلم جالسا لقضا حاجته اي للبراز وهو يكنى عنه بقضا الحاجة تادبا
مستقبلا بيت المقدس وهو قبلة الانبيا قال رقيت يوما على بيت حفصة فرايته
صلى الله عليه وسلم الخ واستدل بفعله هذا على جوازه ويلزمه لمن كان بالمدينة
استدبار الكعبة ايضا وهذا مناف لحديث ابي ايوب عنه صلى الله عليه وسلم اذا
اتيتم الخلا فلا تستقبلوا القبلة ببول ولا غايط ولكن شرقوا او غربوا فقيل
انه منسوخ وجمع بينهما بانه يكره في الخلا بلا ساتر دون العمران ولا يكره في البيوت
المعدة لذلك واختلفوا في علته فقيل تعظيمها اي القبلة وقيل لان الصحرا
لا تخلو من مصل فيراه والصحيح الاول واحتج غير واحد منهم اي ناس كثيرون
من الصحابة في غير شي اي في اشيا كثيرة مما بابه اي نوعه العبادة اي مما يتعبد به
او العادة اي ما اعتاده وافعله بقوله اي ابن عمر رضي الله عنهما رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعله ومثله كثير كما قيل لابن عمر رايناك تلبس النعال
السبتية وتصبغ بالصفرة فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله
وقوله قال صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صايم اشارة الى
حديث في الموطا عن عطا بن يسار ان رجلا قبل امراته وهو صايم في رمضان فخاف
وارسل امراته تسال امهات المومنين فسالت ام سلمة فقالت ان رسول الله
فعله فاتته فاخبرته بما قالت فقال لسنا كرسول الله فاتتها واخبرتها
بما قاله زوجها فوجدت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما لهذه المراة فاخبرته ام سلمة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اخبرتيها اني افعل ذلك فقالت ام سلمة قد اخبرتها فذهبت الى زوجها
فاخبرته فزاده ذلك شرا الخ فقال اني لاتقاكم لله واعلمكم بحدوده وقالت
عايشة لما سيلت عن تقبيل الصايم وحنه محتجة لجوازه وعدم افساده
الصوم كنت افعله اي تقبيل الصايم انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرجل الصحابي الذي اخبر بمثل
هذا عنه اي اخبرته زوجته بما افتته به بعض امهات المومنين كما تقدم في

حديث

حديث الموطا فقال الصحابي المخبر بذلك يحل الله لرسوله ما شا فيجوز ان يكون هذا من
خصايصه صلى الله عليه وسلم فلا يقاس امر غيره عليه وانما غضب لعلمه بانه اجيب عن
هذا ولو كان هذا من خواصه لم يبرمنه وقال والله اني لاخشاكم لله اي اعظمكم منكم
خوفا لله واعلمكم بحدوده اي بما حده الله ومنعه من امور الدين المحرمة عليه
صلى الله عليه وسلم وعلى امته كما قال تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها
وقبلة الصايم لا تبطل صومه وفيها خلاف فقيل مكروهة وقيل مباحة وقيل
يفرق بين الشاب الذي لا يملك شهوته والشيخ الذي يملكها كما فصله الفقها
وهذا كله يدل على اقتدا بهم بافعاله فكيف يفعل مكروها كما تقدم والاثار
المروية في هذا اي في اقتدا الصحابة رضي الله عنهم بافعاله اعظم اي اكثر من ان
تحيط بها اي اكثر من ان تعد وتحصى لكنه مع كثرتها وشهرتها يعلم من مجموعها على القطع
اتباعهم افعاله واقتداوهم بها اي بافعاله عليه الصلاة والسلام ولو جوزوا
عليه المخالفة لما هو مشروع واجبا او مستحبا في شي منها اي في بعض منها بموافقة
امر مكروه ونحوه لما اتسق اي انتظم واطرد هذا اي اتباعهم افعاله كلها لجواز
كون بعضها منهيا عنه لا يقتدي به ولما بفتح اللام والميم المخففة اي لو قلنا
بجواز مخالفة امر الله في شي من افعاله ما اعتاد الصحابة اتباعه فيها ولنقل
عنهم اي نقل عن الصحابة مخالفة افعاله احيانا وظهر بحثهم عن ذلك اي
فتشوا افعاله ليقتدوا ببعضها ويتركوا بعضها منها احيانا ولما بالتخفيف
انكر صلى الله عليه وسلم على الاخر قوله يحل الله لرسوله ما يشا كما تقدم واذ
رسول الله غضب لقوله وقال انا اخشاكم لله واعلمكم بحدوده واعتذاره
بما ذكرناه فهذا كله يدل على انه لا يفعل مكروها واما صدور المباحات من
الانبيا عليهم الصلاة والسلام والمباح ما يجوز فعله وتركه من غير ترجيح
لجانب لتوسعهم فيه ماخوذ من باحة الدار اي عرصتها وهو حكم شرعي على
الاصح فجايز وقوعها منهم اي من الانبيا اذ ليس فيها قدح اي نقص وذم حتى
تمتنع عليهم بل هي ماذون فيها لهم اذ لا ضير فيها وايديهم كايدي غيرهم
مسلطة عليها اي هم كغيرهم من المكلفين لهم فعلها والاتصاف بها من غير حرج
عليهم في فعلها والتصرف فيها فاليد مجاز عن الكسب والتصرف لان اكثر الة
الفعل غالبا العقول بيده الملك اي له وبقبضته التصرف فيها الا انهم بما
خصوا به من رفيع المنزلة وبما شرحت له بالبنا للمفعول اي بسبب ان الله
شرح صدورهم من انوار المعرفة وفي نسخة انواع واصطفوا به اي من اختيار الله
وتقريبه من تعلق الهمم بالله اي هممهم وعزمهم الصادق تعلقه بالله هو
وباموره الدار الاخرة اي بما هو وسيلة لها لا ياخذون اي لا يتناولون من
المباحات الا الضرورات اي ما يضطرون اليه من ضرورة البشرية كما به قوام
البدن من الاكل والشرب مما يتقوون به على سلوك طريقهم من تبليغ اما
ربهم وما ينفع في المعاش والمعاد وصلاح دينهم مما يعين على العبادة
ويصلح امورها كلها بل لحب لي النسا نزوله وضرورة دنياهم مما لا بد منه

وما اخذ علي هذه السبيل من كل امر ضروري وما موصولة مبتدا خبره التحق طاعة
منصوب بنزع الخافض وصار قربة اي امرا يتقرب به الي الله اي الامور المباحة كالاكل
والشرب والملبس اذا اخذ منه مقدار الكفاية وما لا بد منه للتقوي علي السلوك
للاخرة صار عبادة يثاب عليها وهو ظاهر فالمباح بالنظر لذاته ومن حيث هو لا ثواب
فيه ولا عقاب اما بالنظر لما يقارنه فانه يصير عبادة والاعمال بالنيات وقد يحصل
بالمباح ترك محرم فيصير واجبا وما نقل عن بعض المعتزلة من ان كل مباح واجب
لانه ترك محرم مردة الامام وهو ظاهر البطلان كما بيناه منه اي من المباح الذي
يصير قربة اقل الكثاب كل فا اي مقدارا قليلا في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم
كما تقدم فبان مما ذكر من الحصر انما يادون من المباح المقدار الضرورة وانه بالنسبة
لقصدهم يصير عبادة يثاب عليها عظيم فضل الله علي نبينا وعلي سائر الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وانعامه عليهم بما وهبهم من الصفات الحميدة كالقناعة
في امور الدنيا وعدم الشره والتنزل لتعاطيهما من غير حاجة ثم نوفيقهم لان ينوون
بها التقوي علي عبادة الله لجميع امورهم عبادة وطاعة فقوله علي نبينا الي اخره
متعلق بفضل ثم بين وجه ذلك بقوله بان جعل افعالهم كلها قربات وطاعات
اذا قصد بها التقوي علي العبادة كما بيناه بعيدة بسبب ما ذكر عن وجه المخالفة
وجه بمعني الجهة والجانب اي بعدت بما ذكر عن مخالفة الطاعة او مخالفة امر الله
بموافقة مكروه ورسم المعصية بالرا المهملة اي علامتها وامرها او بالواو
بمعني السمة والعلامة ايضا والكل ظاهر وما تقدم الي هنا مطلق من غير
تقييد او مقيد بما بعد النبوة لقوله

## فصل وقد اختلف

في عصمتهم عن المعاصي قبل النبوة ومجي الوحي لهم عليهم الصلاة
والسلام فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شا الله الي به للتبرك
تنزيههم من كل عيب وعصمتهم عن كل ما يوجب الريب هو في الاصل الشك
والشبهة وهو غير مناسب هنا فكانه اريد به ما يحط مقدارهم لان شان النبوة
الشرف والعلو فاذا ظهر خلافه ارتاب من عرفهم في نبوتهم وحصلت له شبهة
فيهم فكيف انكار وتعجب اي لا ينبغي ما ذكر والمسئلة اي وقوع الذنوب منهم
قبل النبوة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع
يعني ان الانبيا قبل النبوة معصومون اذا قلنا انهم غير مكلفين بشرع من
قبلهم وقلنا ان العقل لا حكم له في تحسين امر ولا تقبيحه كما هو الحق عند
الاشاعرة واهل السنة خلافا للمعتزلة القايلين بانه يجب الايمان بالله قبل
الشرع ولبعض الماتريدية القايلين بان الايمان بالله وتوحيده واجب عقلا
دون غيره لئلا يلزم الدور كما تقرر في اصول الدين وما قاله المصنف جار علي
المذهبين لان مراده بالمعاصي غير الكفر ولما كان الله لم يرسل الي خلقه الا من
هو اعقل اهل زمانه واتقاهم فطرة واحسنهم خلقا وخلقا كانوا معصومين

قبل النبوة وبعدها ولم يقع ذلك منهم اصلا وان اختلف في جوازه عقلا فعلى منعه لا ينبغي شيء
وعند من جوزه قبل البعثة كالباقلاني وان لم تقل بوقوعه كذلك فالكل متفقون على
ان الله لم يبعث فاسقا ولا معروفا بالظلم والفجور وعدم الانصاف ولم يبعث الا تقيا
زكيا محبوبا للقلوب مهيبا في عيونهم لما وقع عند كل احد وهذا بالنسبة للمعاصي
التي حدثت بعد نبوتهم ونشر بعثهم معلوم ضرورة واما الكلام فيما تقرر قبل ذلك
وقد اختلف الناس في حال نبينا قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا الشرع قبله ام لا قيل
صوابه اولا لان ام لا تعادل هل وفيه نظر فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء من الشرائع
وهو قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول القائل بانه لم يتبع شرعا من قبله غير
موجودة فلم تتصور منه بل لم تجوز عليه ولا معتبرة في حقه اي لم يكلف بها ولم
يؤاخذ بها حينئذ اذا قلنا انه لم يتبعهما ولم يكلف بها اذ الاحكام الشرعية انما
تتعلق بالاوامر تقدم الكلام عليهما مرارا وانها جمع امر او امورا او آمرة والنواهي
من حيث الوجوب والحرمة والكراهية والندب ونحو ذلك وتقرر الشريعة اي تحققها
وظهورها ولم تكن بعد وجوده وقبل بعثته شريعة مقررة في زمن الفترة حتى
يتبعها ثم اختلف حجج القايلين بهذه المقالة الذي ارتضوها مذهبا لهم عليها
متعلق بحجج باعتبار ما فيه من معنى الاسناد لا دفذهب سيف السنة اي عالمها
الذي يقيم الادلة لخصمه يقنعهم استعاد له السيف لانه يقطع الجدال كما يقطع
السيف الابطال والسنة ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ومقتدي فرق الامة
لعرفها للعهد اي امة محمد صلى الله عليه وسلم وفي نسخة الايمة القاضي ابي بكر
محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم الباقلاني صاحب التاليف الجليلة وحامل
لوا اهل السنة الذي يضرب المثل بسعة علمه وشدة ذكائه وانتهى له النظر
في الاصلين على اصل الاشعري وارسل الى ملك الروم وناظر احبارهم في قصة غريبة
له وتوفي في ذي القعدة سنة ثلاث واربعمائة وكانت له جنازة لم ير مثلها واما
مدحه وان كان حنفيا يقاد ذلك اشارة الى ترجيح هذا المذهب وانه لا ينبغي العدول
عنه وهو ايضا على مذهبه لانه مالكي لا شافعي كما قد يتوهم من اشعريته الى
ان طريق العلم بذلك اي اتباعه صلى الله عليه وسلم لشرع نبي قبل نبوته
النقل لانه لا يعلم بالعقل وموارد الخبر من طريق السمع اي يعلم من خبر مرد ونقل
يصل من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل الينا تعبده به ولما امكن كتمه
وستره في العادة التي جرت بين الناس في مثله من ان من تعبد بشرع يظهره وينقله
من اطلع عليه نقلا مستفيضا لا يخفى اذ كان نقله وعدم كتمانه من مهم امره
اي تعبده بشرع غيره مهم عظيم عند اهل ذلك الدين واولى اي احق ما اهتبل
به بها وتا مثناة فوقية وموحدة مبني للمجهول من الاهتبال وهو شدة
الاعتنا فهو عندهم من سيرته وصفاته الماثورة وافتخر به اهل تلك الشريعة
لان مثل هذا النبي العظيم كان من اهل ملتهم وفيه شرف لهم ولا احتجوا
به عليه اي استدل اهل تلك الشريعة بكونه عليه الصلاة والسلام كان
على شريعتهم اذ كان قبل نبوته تابعا لشرعهم ودينهم فيقولون اذ دعاهم

وهذا

لاتباعه اما كنت على ديننا فلم تنهانا عنه الان وتامرنا بتركه ما كنت توافقنا فيه وكم
يؤثر اي ينقل شيء من ذلك اي احتجاجهم عليه ولا نقل احد انه صلى الله عليه وسلم
كان متعبدا بشرع احد ممن كان قبله جملة اي بالكلية اصلا وكثيرا ما يستعمله
بمعنى كافة وعامة وكما اختلفوا في انه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة هل كان
على شريعة من قبله ام لا اختلفوا بعد البعثة هل كان يتبع شرع من قبله فيما لم
يوح اليه فيه شيء ولم ينسخ وقد قيل ان هذا معلوم بالطريق الاولى كما فصل
في كتب الاصول وذهب طائفة الى امتناع ذلك اي تعبده بشرع من قبله عقلا
اي بدليل عقلي لا دخل للنقل فيه قالوا اي المدعون للامتناع العقلي لانه
يبعد ان يكون متبوعا مقتديا به فيما شرعه الله له وامره بدعوة الناس له
من كان قبل صيرورته متبوعا مبعوثا لغيره من عرف تابعا لشرع غيره
متعبدا به قبل بعثته على هذا القول وهذا القول بامتناعه عقلا مبني
على التحسين والتقبيح وفي نسخة وبنوا هذا الخ اي على القول بان حسن
الشيء وقبحه يعرف ويثبت به وهو قول المعتزلة فالتحسين والتقبيح العقليان
عبارة عن تعلق المدح والذم عاجلا والثواب والعقاب اجلا وهو محل النزاع
في هذه المسألة المشهورة في الاصلين واهل السنة يقولون لا يعرف حسن امر
وقبحه الا من جهة الشرع ولا دخل للعقل فيه وهي طريقة اي مذهب غير سديدة
اي غير صحيحة واسناد ذلك اي الاستدلال عليه الى النقل عن الائمة وعن
اهل الشرع كما تقدم للقاضي ابي بكر الباقلاني قريبا اولى واظهر وهو القول
الصحيح المعول عليه وقالت طائفة اخرى بالوقف اي بالتوقيف من غير تعيين
لطرف في امره عليه الصلاة والسلام فقالوا لا نعلم حاله قبل البعث هل كان
على شريعة من الشرائع السالفة ام لا وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك
الحال المتعلق بعبادته وما كان عليه قبل بعثته اذ لم يحل احد الوجهين
منهما العقل اي لم يعده محالا لنفسه وبما عنده في الامكان ولا استبان وظهر
واتضح في احدهما اي احد الوجهين طريق النقل بان ينقل ما يعينه عمن
يوثق به وهو مذهب ابي المعالي عبد الملك الجويني المعروف بامام الحرمين
شيخ الامام الغزالي وعليه عمدة مذهب الشافعي وهو اظهر من ان يخفى
وقالت فرقة ثالثة انه صلى الله عليه وسلم كان عاملا في اموره وعباداته
بشرع من قبله من الانبياء ثم اختلفوا بعد القول بانه على شريعة منها هل
يتعين ذلك الشرع بتعيين صاحبه واحكامه ام لا فيقال كان على شرع لم يعلمه
فتوقف بعضهم عن تعيينه واحجم بحاء مهملة وجيم بمعنى تاخر ونكص
فهمه ولم يجسر عليه لعدم دليل قام عنده على تعيينه وجسر بعضهم
اي تجرأ واقدم على التعيين وصمم اي جزم واقدم بلا تردد فيه ثم
اختلفت هذه الفرقة المعينة فيمن كان يتبع شريعته من الرسل عليهم
الصلاة والسلام الذين تقدموه فقيل هو نوح لانه اول الرسل اصحاب
الدعوة العامة في الجملة كما في البخاري وقيل ابراهيم لانه افضل الرسل

غير

غيره بالاتفاق وابوا الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقيل موسى لان كتابه اجل
الكتب قبل القران وقيل عيسى لانه اقرب الرسل زمانا اليه عليه الصلاة والسلام
فهذه جملة المذاهب المنقولة في هذه المسالة والاظهر الاقوى دليلا ما ذهب اليه
القاضي ابو بكر الباقلاني وهو القول الاول لما تقدم وابعدها مذاهب المعينين
كما تقدم لانه لم ينقل ومثله لا يخفى اذ لو كان شي من ذلك اي اتباعه لشرع
معين لنقل كما قدمناه لكنه لم ينقل فدل على عدمه ولم يخف حكمه اي لم
يستتر عن احد من جميع الناس ولا حجة لهم في ان عيسى عليه الصلاة والسلام
اخر الانبيا فهو اقربهم اليه ولا نبي بينهما فهو اولى الرسل به كما ذهب اليه بعضهم
فلزمت شريعته من جا بعده لانه المتبادر بحسب بادي الراي قبل التامل
فيه فاذا تامل عرف ان شريعته لا تلزم من جا بعده لانه انما يلزم ذلك لو عمت
دعوته غير بني اسرائيل من العرب اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى صلى الله عليه وسلم
بل الصحيح انه لم يكن لنبي من الانبيا دعوة عامة لجميع بني ادم الا لنبينا محمد
صلى الله عليه وسلم فانها عمت جميع بني ادم بل جميع المخلوقات من الجن والانس
كما تقدم ومن قبله اخذ عليهم الميثاق ان من ادركه يومن به وقوله بل الصحيح
اشارة الى انه قيل بعموم بعض من قبله كادم ونوح عليهما الصلاة والسلام
لقوله لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اذ لو لم يرسل لهم ما استحقوا
الهلاك بالغرق وهذا ان سلم فهو عموم نسبي لا حقيقي كما لنبينا صلى الله
عليه وسلم ولا حجة ايضا كما لا حجة لما قبله للاخرين القايلين باتباعه لشريعة
ابراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا
اي مستقيما والملة الشريعة والدين وكانت العرب تقول لمن اتبع ابراهيم انه
حنيفي وانما لم يكن فيه حجة لان هذا الامر بعد ما اوحي لنبيه صلى الله عليه وسلم
والكلام فيما قبل البعثة وانما امرنا باتباعه في التوحيد واقامة الحجة برفق
على من خالفه لا في شريعته المتعلقة بالعبادة وهذا لا يدل على مدعاه
ولا على تفضيل ابراهيم لان الافضل قد يتبع الفاضل فيما عرف من هديه وخلقه
ولا حجة للاخرين القايلين بانه صلى الله عليه وسلم كان على شريعة نوح في قوله
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية فلا حجة فيها لانه فسره بقوله ان اقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه فهذا امر مخصوص باقامة امر دينهم باتفاق كلمتهم
لها بتفاصيل شرع على ثم اشار لوجه اخر بقوله تحمل بصيغة المصدر وفي
بعض النسخ تحمل بميم وفي اخرى فيحمل مضارع هذه الاية التي احتجوا بها
انما هو على اتباعهم في التوحيد اي الايمان بالله وحده وما يتعلق بالعقا
الحقة مما يشترك فيه جميع الانبيا وليس الكلام في هذا انما الكلام فيما
تعبد به صلى الله عليه وسلم من الاعمال الصالحة فليس المراد بالاتباع التقليد
فيما ذكر وهو محل الخلاف الذي نحن فيه كقوله اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده فالمراد بهداهم ما اتفقوا عليه من التوحيد دون
فروع الشرايع فانه لا ينافي للكل وقد قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

ولا دليل فيما ذكر يثبت مدعاهم وقد سمى الله نبيهما اي ذكرالله في جملة الانبيا
المذكورين في هذه الاية في سورة الانعام المشار اليهم بقوله اولئك الذين الى اخره
من لم يبعث اي نبيا لم يرسل لشريعة مخصوصة وامر بدعوة الناس لها ولم
يكن له شريعة جديدة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه نبي
لكنه ليس برسول لشريعة امر بتبليغها ودعوة الخلق اليها فاتفق العلما على
ان يوسف نبي والجمهور ايضا على انه رسول لقوله لقد جاكم يوسف من قبل
بالبينات وانه يوسف بن يعقوب بن ابراهيم الكريم بن الكريم بن الكريم قال
ابن جريج بعثه الله رسولا الى القبط وقيل انه لم يكن رسولا له شرع وانما
كان على شريعة ابيه يعقوب او على ملة ابراهيم ويوسف المذكور في الاية هو
غيره يوسف بن ابراهيم بن يعقوب وهو نبي اخر ارسل لبني اسرائيل فاقام
فيهم اثني عشر سنة يدعوهم وفرعون يوسف قيل انه فرعون موسى اطال
الله عمره حتى ملكه في زمن موسى عليه الصلاة والسلام وقد سمى الله جماعة منهم
اي من الانبيا في هذه الاية بسرد اسمايهم على التوالي ثم امره صلى الله عليه وسلم
باتباعهم بقوله فبهداهم اقتده وشرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها حتى يومر
باتباعهم جميعا في فروع الشرايع العملية التعبدية فلا يصح الاستدلال بها
على ذلك فدل اختلاف احكام تلك الشرايع المامور بالاقتدا بها على ان المراد ما اجتمعوا
عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى العلمية التي لم يقع فيها اختلاف ونحوه
من اصول الدين وبعد هذا القول بان المراد ما اتفقوا عليه من العقايد فهل
يلزم من قال بمنع الاتباع اي اتباع نبينا صلى الله عليه وسلم لشرع من شرايع
من قبله هذا القول اي ان يقول بهذا القول اي منع اتباع شريعة من الشرايع
السالفة في ساير الانبيا غير نبينا صلى الله عليه وسلم فيقول يمتنع اتباعهم
لشرع غيرهم كما امتنع ذلك في حق نبينا صلى الله عليه وسلم او لا فرق بينهم
اي بين نبينا صلى الله عليه وسلم وبين غيره من الانبيا فيقول ان نبينا لشرفه
قدره لا يتبع في عبادته شريعة غيره وغيره يتبع من قبله اما من منع الاتباع عقلا
اي قال انه امر اقتضاه الدليل العقلي فيطرد اصله اي دليله او اصله الذي
قرره ودليله يطرد في كل رسول لان الاحالة التي اقتضاها العقل من حيث هو
لا يختلف في رسول دون غيره بلا مرية بكسر الميم وضمها بمعنى شك وشبهة لان
الامر العقلي لا يختلف باعتبار الاديان والاعصار ومرية براء مهملة وفي نسخة
مزية بزاي معجمة اي تفاضل بينهم والمآل واحد واما من مال الى الابتلا
والقول بالنقل اي قال انه لم ينقل لنا انه صلى الله عليه وسلم تعبد بشرع
من قبله ولو نقل صح لانه امر سماعي لا عقلي صرف كما ذهب اليه الباقلاني
رحمه الله فابينا بمثناة فوقية لعقد التحتية ولو قرى بالنون صح ايضا سوى
له ويعتبر بالبنا للفاعل او للمفعول اي حيث انه لا مقتضى للعقل ولا دخل
له فيه فاي شي نقل من منع او جواز اتبعه ولم يخالفه ولا ادعى الخلاف فيه
ومن قال بالوقف من غير جزم بتعيين احد الطرفين فعلى اصله اي على مذهبه

في

ابن افتوس

في عدم التغيين في غيرهما المتساويين فيما ذكر اذ لا فارق ومن قال بوجوب الاتباع
لغيره لانه امر ديني لا دخل للراي فيه لمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام
يلتزمه اي القول بالوجوب بعلى غيره لانه لزمه ايضا تمسكا فحجته اي بسبب ما اقتضاه
مساق حجته ودليله واجرائه في كل شي لاطراده وصدقه عليه قيل وهذا اي غير
النبي الذي بعث تحت دعوة كهارون مع موسى عليهما الصلاة والسلام فتدبر وقد
وقع لبعضهم هنا كلام تركه خير منه والله اعلم

## فصل هذا اي ما تقدم من العصمة قبل

حكم ما يكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد اي تعمد والمراد مخالفة
الشرع وهو اي العمل الذي خولف به عن قصد ما يسمى عرفا وشرعا معصية
لانه عصي الله به ويدخل تحت التكليف اي ما خولف فيه الشارع قصدا هو من
جنس ما كلف الله به عباده بحكم والحكم هو خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين
من الاحكام الخمسة وفي عبارته تسمح لان المندرج تحت التكليف ليس هو المعصية
بل تركها واما ما يكون من الاعمال المخالفة لامر الشارع بغير قصد وتعمد كالسهو
وهو الذهول وغيبة ما عله عن القوة الحافظة بحيث يتنبه بادني تنبيه
لبقائه في المدركة والنسيان وهو ذهول عما لم يبق صورته في القوة المدركة
والحافظة ويحتاج في حصوله لسبب جديد وهذا هو الفرق بين السهو والنسيان
على ما قيل وقد تقدم طرف منه في الوظائف الشرعية الوظائف جمع وظيفة وهي
ما وظف وعين من الاعمال الموقتة كالصلاة والصوم والحج ونحوه من العبادات
بخلاف السهو والنسيان مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به ونفس عدم
تعلق الخطاب به بقوله وترك المؤاخذة عليه المؤاخذة بالهمز وبالواو مفاعلة
من الاخذ والمراد به العقاب او العتاب وغير المكلف انواع وهو المجنون والمغمى
عليه والنائم والساهي والناسي ومن لم يبلغه الخطاب من الجهلة والمخطي
وقد تقدم الكلام على السهو والنسيان والغفلة قريبة من السهو وقد يرد
السهو والنسيان بمعنى ومنه السكران وان جرى عليه حكم العمد تغليظا
عليه كما قاله النووي وكذا المكره والملجا وفي الحديث رفع عن امتي الخطا
والنسيان وما استكرهوا عليه فاحوال الانبيا في ترك المؤاخذة به وكونه
ليس بمعصية لهم مع اممهم سوا اي هم واممهم مستوون في عدم
المؤاخذة به لانهم لم يكلفوا به لا قبل الشرع ولا بعده ثم ذلك الذي لم يؤاخذ
به من السهو والنسيان على نوعين احدهما ما طريقه البلاغ اي نوع منهما
وقع فيما امر بتبليغه لمن ارسل اليه وتقرير الشرع اي ما يقرره الشارع
ليعمل به وتعلق الاحكام به امرا او نهيا وتعليم الامة بالفعل اي ما علمته
الرسل عليهم الصلاة والسلام لاممهم من الافعال الشرعية واخذهم
اي تكليفهم ومؤاخذتهم باتباعهم فيه اي بسبب الاتباع وعدمه وما
هو خارج عن هذا اي ما خرج عن طريقة البلاغ لعدم صدقه عليه ه

والذي لاجله تحت كلمة مما يختص بنفسه دون امته مما يجب او يمتنع ونحوه مما يختص بالرسل انفسهم اما النوع الاول وهو ما طريقه البلاغ ونحوه فحكمه عند جماعة من العلما حكم السهو في القول في هذا الباب اي باب العصمة وحكمها وقد ذكرنا قبل هذا الاتفاق علي امتناع ذلك اي امتناع المخالفة في القول في حق النبي صلي الله عليه وسلم وعصمته بحفظه من جوازه عليه فضلا عن وقوعه منه قصدا او سهوا ونسيانا وتركه لعلمه بالطريق الاولي فكذلك اي كما قالوا في الاقوال البلاغية قالوا في الافعال في هذا الباب المذكور لا يجوز طرو بتشديد الواو او بالهمزة بعد واو ساكنة كما مر لحدوث لفظا ووزنا ومعني وفي نسخة طريد بالمهملة بزنة ضرب اي اطراد المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها اي الافعال بمعني القول من جهة التبليغ والادا وطرو ضبطه كالذي قبله هذه العوارض عليها اي علي افعاله صلي الله عليه وسلم يوجب التشكيك اي يستلزم وقوع الشك في بقية افعاله هل فعلها بوحي من الله او مخالفة للوحي او سهوا ويوجب ايضا تسبب المطاعن الطعن القدح مما يورث نقصا في افعاله صلي الله عليه وسلم ولما ورد عليه انه وقوع السهو منه في افعاله صلي الله عليه وسلم مما ثبت في احاديث صحيحة لا يمكن انكارها فكيف يسوي بينهما في الانتفا اشار الي الجواب عنه بقوله واعتذروا عن احاديث السهو الثابتة في صلاته صلي الله عليه وسلم بتوجيهات نذكرها بعد هذا كما سياتي عن قريب والي هذا المذهب في امتناع المخالفة ووقوعها عمدا او سهوا مال الامام ابو اسحاق الاسفرايني اي رجحه علي خلافه وذهب الي اعتقاده وذهب الاكثر من الفقها والمتكلمين الي ان المخالفة في الافعال البلاغية التي امروا بتبليغها لاممهم والاحكام الشرعية علمية وعملية سهوا او عن غير قصد منه اي من النبي صلي الله عليه وسلم نسيانا او غلطا هو من عطف العام علي الخاص وسهوا تمييز او حال جايز عليه اي علي النبي صلي الله عليه وسلم لانه امر معفو عنه غير مواخذ به كما تقرر في احاديث السهو في الصلاة الثابتة في الصحيحين وغيرهما كما مر انفا وفرقوا بالتشديد والتخفيف اي ذكروا فرقا بين جواز وقوع ذلك في الافعال وبين الاقوال البلاغية اذ منعوا المخالفة فيها عمدا وسهوا لقيام المعجزة اي لدلالة معجزة كل نبي من الانبيا التي تحدي بها علي الصدق اي صدقه في القول اي فيما يقوله ويبلغه عن ربه ومخالفة ذلك اي مخالفة الصدق في القول سهوا ومن غير قصد ينافيها اي ينافي معجزته وتنافيها فلا تجتمع المعجزة وعدم صدقه فيما يبلغه عن ربه لا منه لان اجرا الله المعجزة علي يده في قوة قوله انه صادق فيما يبلغكم عني ودلالتها علي ذلك دلالة التزامية في قوة المطابقة كما تقرر في علم الكلام فالفرق مثل الصبح ظاهر واما السهو في الافعال فغير منافض لها اي للمعجزة ولا قادح في النبوة اي لا يضرها بوجه من الوجوه لعدم منافاته لها بل غلطات الفعل اي وقوع الغلط في الافعال وغفلات القلب عما يفعله حتي يصدر عنه ما لم يرده من سمات البشر اي من صفاتهم اللازمة لهم حتي لا يخلو عنها انسان كما قيل

وانما سمي انسانا لنسيانه • واول ناس اول الناس •
كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن مسعود انما انا بشر
انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني جملة انسى مستانفة او خبر بعد خبر لانا
او صفة لبشر وضمير المتكلم يربطه واما كونه يقبح كما في قوله انا الذي سمتني امي حيدره
عند المازني فلانه ليس محلا للالتفات لانه لا يكون رابطا فلو صح هذا الرجز
كونه خبرا ايضا وظاهر الحديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم يجوز عليه
النسيان والسهو مطلقا وحاصل ما اشار اليه اولا واخرا ان ما افاده ظاهر
الحديث قد منعه بعضهم وجوزه اخرون بشرط ان لا يقر عليه وينبه عليه كما
ياتي واختلفوا هل يجوز تاخير تنبيهه ام لا وضعفوا جواز السهو عليه فيما هو
فعل من الامور البلاغية واجابوا عما ورد من مثله وصححوا الاول وهو الجواز لانه
لا ينافي النبوة بل فيه فضيلة البيان وتقرير الاحكام واختلفوا فيما ليس طريقه البلاغ
من افعاله فجوزه الجمهور واما في الاقوال البلاغية فمجمع على منعه كما اجمعوا
على منع تعمده واما السهو في الاقوال المتعلقة بامور الدنيا مما ليس طريقه البلاغ
ولا من الاحكام واخبار المعاد وما لا يضاف لوحي فجوزه بعضهم اذ لا مفسدة فيه
وصحح المص منعه على الانبيا في كل خبر عمدا او سهوا لا في صحة ولا في مرض ولا رضى او
غضب ولم يزل الناس يتداولون اخباره صلى الله عليه وسلم عصرا بعد عصر من
غير استدراك احد لغلط فيها او وهم في شيء منها ولو كان لنقل كما نقل في الصلاة
ونومه عنها واستدراك رايه في تلقيح النخل ونحوه في امور الدنيا غير ممتنع
وهذا الحديث رواه الشيخان في باب السهو في الصلاة وانه قال صلى الله عليه
وسلم وقد صلى الظهر خمسا ثم سجد سجدتين واقبل بوجهه على الصحابة
وقال لو حدث شيء في الصلاة انباتكم به ولكني انما انا بشر الخ نعم العرب كثيرا
ما تزيد نعم في كلامهم اذا القي لصيع له وكانه جواب سؤال مقدر كقول جحدر
اليس الليل يجمع ام عمرو • وايانا فذاك بنا تدان •
نعم واري الهلال كما تراه بل في حالة السهو والنسيان هنا اي في حالة البلاغية
في حقه صلى الله عليه وسلم سبب افادة علم تستفيد منه امته وتقرير شرع
اي تحقيقه وتثبيته كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه في الموطا اني
لانسى او انسى بالهمزة المضمومة والتشديد مبني للمجهول للعلم بفاعله
اي ينسيني الله ولوجود النسيان في لانسى اي لاحدث لكم امرا شرعيا كتعليم
سجود السهو ونحوه بل قدر وفي هذا الحديث بوجه اخر وهو لست انسى ولكن
انسى لانسى الاول بفعل المتكلم المعلوم المخفف والثاني بالمجهول المشدد
وبالجملة لا تنافي بين نسبة النسيان له صلى الله عليه وسلم في الرواية الاولى
ونفيه عنه في الحديث الاخر لان نسبته اليه باعتبار حقيقة اللغة ونفيه
عنه باعتبار انه ليس موجدا له حقيقة والموجد الحقيقي هو الله كما
يقال مات زيد واماته الله وفرق بين الفاعل الحقيقي بحسب عرف اللغة
والفاعل الحقيقي في نفس الامر كما قرره الاصوليون وتحقيقه في شرح

المقصد للاسهو بحيث اثبت له النسيان اراد قيام صفة النسيان به ونفيه باعتبار
انه ليس بايجاده ومن مقتضى طبعه والموجد له هو الله وقوله في حديث آخر
لا يقولن احدكم نسيت آية كذا بل هو نسي فكره نسبة النسيان لغير الموجد
الحقيقي المقدر لكل شيء اولان اصل النسيان الترك فكره ان يقال ترك القران لاشعاره
بالتهاون اختيارا او قوله نعم الخ استدراك عما قد يسال عنه بان نسيانه صلى
الله عليه وسلم ليس كنسيان غيره لما يترتب عليه من الفوائد الجليلة
وتسويته بهم في الحديث باعتبار ظاهر الحال واليه اشار بقوله وهذه الحالة
اي ما يعرض له صلى الله عليه وسلم من النسيان ليس زيادة له مخصوصة
به صلى الله عليه وسلم في التبليغ للناس لما يحصل لهم من تعلم ما يفعله
الساهي في العبادة من امته وتمام عليه في النعمة بتتميم نعمة الرسالة
والبلاغ ببيان حال الساهين فيما تبلغه لهم من العبادة فهي بعيدة عن
سمات النقص لان النسيان نقص في الجملة ولذا عده الاطباء من الامراض الدماغية
وهي في حقه باعتبار ما فيها من عبارة الارشاد للعباد ولذا قال بعض
مشايخنا من الحنفية ان هذه السجدة سجدة سهو للامة وسجدة شكر له صلى الله
عليه وسلم ومدح في حقه وان لم يمدح بها سواه لكونه اميا وتربى يتيما كما قال
الابوصيري رحمه الله تعالى

كفاك بالعلم في الامي معجزة • وبالنزاهة والتاديب في اليتم •

وبعيدة عن اعتراض الطعن اي فلا يعترض ولا يطعن فيه بما يعرض له من النسيان
وعلله بقوله فان القايلين بتجويز ذلك اي السهو والنسيان على الانبيا عليهم
الصلاة والسلام في الافعال البلاغية يشترطون في جوازه عليهم ان الرسل
لا تقر على السهو والغلط بل يتنبهون عليه اذا عرض لهم ويعرفون
بالتشديد والبنا للمجهول منه وفي يتنبهون حكمه كان الظاهر يعرفونه لانه
اخصر واظهر فكانه الحكمه اشارة الى انه كما يعرف بعد ذهوله عنه يعرف بحكمه
كالسجود فالمعرف هو الله بالفور اي ملتبسا بالفور وهو عدم التمهل والبطو
على قول بعضهم وهو الصحيح عند ايمة الاصول وقبل انقراضهم اي يمهلون
مدة الحياة فانما يلزم التنبيه قبل الموت وهو معنى الانقراض على قول الاخرين
الذين لا يشترطون الفورية واما ما ليس طريقه البلاغ لامته ولا بيان الاحكام
الشرعية من افعاله صلى الله عليه وسلم وهو بيان لما وما يختص به من امور
دينية واذكار قلبية كتسبيحه وتمجيده لربه وتفكره في معرفته مما لم يفعله ليتبع
فيه منبها للجمهور ومسنده التلقا لاكثر من طبقات علما الامة الطبقة على الاعصر
فهم طبقة بعد طبقة على جواز السهو والغلط عليه فيها اذ لا يلحقه صلى الله عليه
وسلم به نقيصة اصلا ولحوق الفترات اي عروضها جمع فترة وهي كما قال الراغب
سكون بعد حدة ولين بعد شدة وضعف بعد قوة انتهى والغفلات بقلبه
بان يغفل عما هو فيه كما هو مقتضى البشرية وذلك اي لحوق ما ذكر من الفترة
والغفلة لا ضرر فيه مما كلفه من مقاساة الخلق بنظره صلى الله عليه وسلم في احوالهم

وتدبير امورهم وسياسات الامة بتدبير امورهم والنظر في عواقبهم ومعاناة الاهل من العناية
او الغنايم ومعناه الاشتغال بهم وملاحظة الاعدا بعز وهو الحذر منهم والتجسس على اخبارهم
ثم استدرك فقال لكن ليس نسيانه صلى الله عليه وسلم وسهوه على سبيل التكرار بكثرة
وقوعه منه والاتصال باستمرار ذلك لان مثله غير محمود عند الطباع السليمة بل
وقوعه منه على سبيل الندور وقلة الوقوع والنادر لا حكم له وقلما يخلو منه احد
كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله تقدم
طرف من الكلام على هذا الحديث وان الغين الجمعة غيم رقيق وان المراد به ما يعرض له
من الخواطر التي تشغله عما يهمه من امر الاخرة وهو عبادة ايضا لانه يفكر في امور امته
وتدبير احوالهم وانما استغفر منه لانه شغله عن الاهم عنده فهو بالنسبة لتعظيم مقامه
كانه ذنب لانه اشتغال بالعالي عن الاعلى فهو حالة كمال لا نقص وليس في هذا السهو
الصادر منه صلى الله عليه وسلم شي يحط اي ينزل قدره العلي من رتبته وعظمة مقامه
ونبوته ومعجزته الدالة على صدقه وذهبت طايفة من العلما اي جعلوا هذا مذهبا
ومعتقدا لهم وليس هذا من الذهاب بمعنى الرجوع وان كان اصل معناه المنقول منه
الى منع صدور السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم
جملة اي كلها لا يستثنى منها شي اصلا وهو مذهب جماعة المتصوفة اي اهل
التصوف واصحاب علم القلوب هو عطف تفسير له وهم الذين صفوا قلوبهم
بالمجاهدة لا متكلفوا طريقة التصوف ولان هذه الصيغة قد يراد بها المبالغة
كالمتوحد في صفات الله تعالى والمقامات اي المراتب التي تعرفها مشايخهم
وتقطعون بها في سيرهم الى الله وتقدم الكلام عليهم مبسوطا ولهم اي
للعلما في هذه الاحاديث المروية في السهو والنسيان مذاهب اي اقوال تعتقد وتجا
نذكرها بعد ان شا الله

# فصل في الكلام

على الاحاديث المذكور فيها السهو الواقع منه صلى الله عليه وسلم في
افعاله وقد قدمنا في الفصول السابقة قبل هذا الفصل ما يجوز عليه
فيه السهو وما يمتنع واحلناه اي جعلناه محالا فيما طريقه البلاغ في الاخبار
وما هو من قبيل الاقوال جملة من غير استثنا شي منها وفي الاقوال الدينية
اي التي ذكر فيها الاحكام الشرعية قطعا من غير تردد واجزنا وقوعه في الافعال
الدينية على الوجه الذي رتبناه متصلا قبل هذا من انه غير مناقض للمعجزة
وعدم قدحه في النبوة مع ندرته وما يترتب عليه من افادة علم وتقرير حكم
واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه في هذا الفصل والصحيح
من الاحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ثلاثة احاديث
فمنها وهو اولها حديث ذي اليدين والسلام قطعا الصلاة من اثنتين
اي ركعتين من الظهر او العصر وما قاله ذو اليدين هو المقدم كما تقدم وقال
الح في الاكمال احاديث السهو كثيرة الصحيح منها خمسة الخ وقد قدمنا الكلام

دبج

عليه الصلاة والسلام

على حديث ذي اليدين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين بحينة بباء موحدة مضمومة وحاء مهملة وبعدها مثناة تحتية ونون بصيغة التصغير وهو عبد الله بن بحينة وبحينة امه وهي بحينة زوجة مالك والد عبد الله الازدي وعبد الله هذا حليف بني المطلب اسلم هو وابوه ولهما صحبة وانكر الحافظ الدمياطي صحبة مالك والد عبد الله وان يكون له رواية واسلام واثبات ذلك لعبد الله وفي تجريد الذهبي مالك ابن بحينة ابو عبد الله روى عنه حديث وصوابه عبد الله الازدي وامه بحينة قرشية وبحينة ام عبد الله زوج مالك لا ام مالك وفي اطراف المزي من مسند مالك بن بحينة حديث اتصلي الصبح اربعا وحديث السهو في الصلاة في مسند مالك ابن بحينة وفي الكاشف مالك بن بحينة الصحابي له في السهو وروى عنه ابن حبان وقال النسائي هذا خطأ وصوابه عبد الله بن مالك الثالث حديث ابن مسعود الذي رواه الشيخان عنه مسندا وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا فقيل له اريد في الصلاة فقال وما ذاك قال صليت خمسا فسجد بعد ما سلم وليس قوله بعد ما سلم في رواية البخاري واخرج مسلم من حديث الاعمش ومنصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم زاد او نقص الشك مني فلما سلم قيل له يا رسول الله احدث في الصلاة شيء قالوا صليت كذا وكذا فثنى رجليه واستقبل القبلة فسجد سجدتين ثم سلم واقبل علينا بوجهه فقال انه لو حدث في الصلاة شيء انبأتكم به ولكن انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني واذا شك احدكم فليتحر الصواب وليتم ثم ليسجد سجدتين وفي الحديث دليل على تداخل سجود السهو واما كونه بعد السلام او قبله فقد وقع فيه اختلاف بين الفقهاء كما اختلفت الرواية فيه وقيل سجود النقص قبل السلام وسجود الزيادة بعده وهو معنى ما قيل القاف بالقاف والدال بالدال وهذه الاحاديث التي ذكرها المصنف مبنية على السهو في الفعل اي ان ما طرافيها وقع في فعله لا في قوله الذي قررناه فيما مر قريبا وحكمة الله فيه اي اوجده الله فيه لحكمة ولو شاء صانه عنه وهي انه انما اوجده ليسن اي ليبين للامة حكمه شرعا به اي بسبب فعله فالسنة هنا بمعنى الطريقة ثم اشار الى جواب سؤال تقديره ان هذه الحكمة تحصل ببيانه بالقول بان يقول من سهى في صلاته فليفعل كذا من غير وقوع سهو في فعله فقال اذ البلاغ بالفعل اجلى بالجيم اي اظهر منه بالقول واظهر بيانه لمشاهدة فعله وكيفيته في زمن قليل ولو فترم بكلامه احتاج لتفصيل ولا وجه لما قيل ان فيه خللا في صلاته بزيادة او نقص بخلاف وجوده بالقول اذ عصمه الله عنه فالحكمة انما هي لبيان ان هذا السهو انما هو من صفات البشر فاذا وقع من مثله فغيره اولى له كما قال لا يضل ربي ولا ينسى وكقولهم سبحان من لا ينسى ولا يغفل وهذا مما استأثر به الله وارفع للاحتمال لانه لو قال من سهى فليسجد سجدتين

اي اقترب

في اخر

في اخر صلاته احتمل ان يكون اراد من سها في امر من امور ه سوا كان سهوا في نفس الصلاة
او في غيرها وشرطه اي شرط جواز السهو على الانبيا عليهم الصلاة والسلام في افعالهم
البلاغية ان لا يقر بالبنا للمفعول على هذا السهو اي لا يجعله الله قارا عليه من غير
اعلامه بما صدر منه من زيادة او نقص بل يشعر به مجهول اي يعلمه الله به بواسطة
الملك له ليرتفع الالتباس الحاصل لمن يراه هل هو سهو او نسخ لما كان وتظهر فايدة
الحكمة فيه ببيان ما يلزم من سهي كما قدمناه قريبا فان السهو والنسيان في الفعل
في حقه اي بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم اذا صدر وتحقق منه غير مضاد اي
ليس مضادا منافيا للمعجزة المثبتة لنبوته واما السهو في القول البلاغي فمنافيها
لانها في قوة قول الله انه صادق في كل ما يخبر كم به عن ربه فمنافيها اخباره بما خالف
الواقع ودلالة المعجزة على صدقه في مقاله دون افعاله وفي اثبات ذلك كلام في علم
الكلام وشبه لمنكري النبوات اجيب عنها بما لا يسعه هذا المقام ولا قادح في
التصديق اي تصديق من امن به صلى الله عليه وسلم من امته والاول بالنظر
للنبي صلى الله عليه وسلم نفسه وهذا بالنظر لمن بلغه النبوة وقد قال صلى الله
عليه وسلم في الحديث الذي تقدم بيانه انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت
فذكروني اي نبهوني على سهوي او نسياني وقد تقدم بيانه مفصلا فتذكره وقد
قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن عايشة رضي الله عنها رحم
الله فلانا هو كناية عن علم لم يرد التصريح به وهذا الرجل هو عباد بن بشر الصحابي
وقيل هو عبد الله بن يزيد الانصاري قالت عايشة سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم صوت قاري يقرا فقال من هذا قالوا عبد الله بن يزيد فقال رحمه الله
لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت اسقطتهن اي تركتهن تلاوتهن سهوا مني ويروى
انسيتهن وهذا تفسير للرواية الاولى ولذا ذكرهما المص ولم يعين احدى الاية
التي نسيها ولا عددها ولا سورتها لان كذا وكذا فيه خلاف للفقها في باب الاقرار
فيما لو قال له علي كذا وكذا درهما معطوفا فقيل يلزمه احد وعشرون وقيل
درهمان وليس هذا محله وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه في
الموطا كما تقدم اني لا انسى بزنة انفي محققا معلوما او انسى بالتشديد وبناء
المجهول اي ينسيني الله لاسن وتقدم بيانه قيل هذا اللفظ المذكور هنا
معطوفا بالفاصلة شك من الراوي لا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير
الشك من معاني او غير مراد هنا وقد روي الحديث اني لا انسى بلا النافية
بعد لام التاكيد ولكن انسى بصيغة المجهول المشدد لاسن فنبه نسبة النسيان
له صلى الله عليه وسلم فيما كان بسبب منه ونسبته الى الله فيما لا دخل له فيه
وهذا لا ينافي كون النسيان غفلة لا فعل من افعاله كما توهم ود هب ابن نافع
بنون وفا بعدها الالف وعين مهملة وهو عبد الله بن الصايغ المالكي وليس هو
نافع بقاف ونون وهو تحريف من الناسخ ظنه بعضهم رواية وهو مع اشهب
يقال لهما القرينان كما يقال المطرف وابن الماجشون الاخوان كما قاله ابن
مرزوق وعيسى بن دينار الغافقي الزاهد العابد الطليطلي الذي تفقه به اهل

ابن افريس

دبلي

الاندلس واخذ الفقه عن ابن القاسم وتوفي بطليطلة سنة اثنى عشرة ومائتين الى
انه ليس شك من الراوي وان معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله ليس معناه
انه بحسب الظاهر منسوب له وفي الحقيقة فعل الله بل المراد انه قد يكون بسبب
تعاطاه او بدونه لحكمة ارادها الله كما تقدم وقال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل
وجهين كما تقدم يحتمل لفظ الحديث ما قالاه اي ابن نافع وابن دينار ويحتمل الاخر
وهو ان يريد اني انسى في اليقظة بفتحتين وتسكينه لحن في غير الضرورة كما مر
ضد النوم وهذا معنى النسيان المنسوب اليه بصيغة المضارع المخفف المبني
للمعلوم وانسى بصيغة المجهول المشدد في النوم الذي هو حالة تمنع الحس
والفعل الاختياري فاطلق على عدم الادراك في النوم نسيانا لاشتراكهما في عدم
الادراك ولا يخفى بعده وركاكته واما كونه صلى الله عليه وسلم اذا نام
لا ينام قلبه وان نومه ويقظته سوا فلا يأباه كما توهمه بعضهم او المراد ديجي
بقوله انسى بالمعلوم ما هو على سبيل عادة البشر المجبول عليها طبايعهم من
الذهول عن الشيء اذا غفل عنه والسهو عما هو بصدده لعروض ما يشغل
باله عنه او انسى بالمجهول المشدد معناه ذهوله عنه مع اقباله عليه ٥
بمشاهدته او تلبسه به وتفرغه له باعراضه عن غيره لكن ينسيه الله ما هو فيه
بتخليته له الشاغل عما سواه لمصلحة وفصله بقوله فاضاف احد النسيانين
بقوله انسى المعلوم الى نفسه لان تقديره انسى انا اذ كان له بعض التسبب فيه
بمباشرة ما هو كالسبب المفضي اليه ونفى الاخر عن نفسه اذ لم يسنده له اذا
هو فيه اي في حال التلبس به كالمضطر الملجأ لفعل ما ولما كانت التلبسية نسيانا
جعلهما نسيانين وقيل انه تغليب ولا حاجة له مع وجود المعنى الحقيقي ٥ عرضي
وذهبت طائفة من اصحاب المعاني الذين تقيدوا ببيان معاني الحديث وشرحه
كالبغوي والخطابي فقوله والكلام على الحديث عطف تفسير لما قبله الى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى بناء على الفرق بين السهو
والنسيان فان منهم من قال انهما بمعنى ومنهم من فرق بينهما كما قاله
الحافظ العلائي كما مر وقال السهو جائز في الصلاة على الانبياء عليهم الصلاة
والسلام بخلاف النسيان لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل بال
فكان صلى الله عليه وسلم يسهو في الصلاة ولا يغفل عنها فكان يشغله عن حركات للندم
الصلاة ما في الصلاة وياتي بيانه قال وهو ضعيف من جهة المعنى واللغة
فالاول ما ثبت في الصحيحين من قوله انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون والثاني
لتسوية ائمة اللغة بينهما اذ فسروهما بالغفلة وذهاب القلب عنهما
كما في التهذيب والصحاح والمحكم وقال الراغب السهو خطأ عن غفلة
وهو على ضربين ما لا يكون للانسان فيه تسبب كالمعتبر اذ لم يتعاط ما يولده
والثاني ما يتعاطى ما يولده كما لو سكر وفعل منكرا بلا قصد وهذا هو
المذموم وفي النهاية السهو في الشيء تركه عن غير علم والسهو عنه تركه
مع العلم وهو فرق حسن يرجع لما قاله الراغب وبه يظهر الفرق بين السهو

دجي

في الصلاة الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم غير مرة والسهو عنه الذي ذم بقوله الذين
هم عن صلاتهم ساهون انتهى وقد تبعه بعض الشراح وانا اقول اما الفرق بينهما فلا
شبهة فيه فان السهو غفلة يسيرة عما هو في القوة الحافظة يتنبه له بادنى تنبيه
والنسيان زواله عنها بالكلية ولذا عده الاطباء من الامراض دونه الا انهم يستعملونهما
بمعنى تسامحا منهم واهل اللغة لا يدققون النظر في التعاريف اللفظية والآية
لان النسيان كما تقدم ذهول اي عدم علم وادراك وغفلة اي ان يذهب عن فكره
وادراكه بالكلية وآفة اي مرض يصيب القوى المدركة لنقص فيها وفي مناهجها
قال الفارق بينهما وانه ليسهو ولا ينسى وفي نسخة قالوا والنبي صلى الله عليه وسلم
منزه عنها لانها نقص يخلقه الله والانبياء منزهون عنه والسهو شغل بامر يمنعه
عن ملاحظة ما هو فاعله وهو غير مذموم بل قد يمدح كاشتغال المصلي بتجليات
ربانية فكان صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا ينساها ويذهل عنها لا
لاشتغاله بغيرها من امور الدنيا وانما يشغله عن حركات الصلاة لا عنها ما في الصلاة
بتمامه قرة عينه شغلا بها اي بسبب ما فيها من تجليات ربانية لا غفلة عنها
بالكلية ولذا الحقه حركات اولا واحتج من منع النسيان عليه صلى الله عليه وسلم
بقوله صلى الله عليه وسلم في الرواية الاخرى لهذا الحديث اني لا انسى ولكني انسى
لتقييد النسيان عنه وقد نسي ومن سوى بينهما يقول انما نفي النسيان ايماء الى ان
الفاعل الحقيقي هو الله او المراد لا انسى كما تنسون كما تقدمت الاشارة اليه
وذهبت طائفة هم مشايخ الصوفية اصحاب المقامات العلية كما صرح به في آخر
الفصل الذي قبل هذا الى منع هذا كله اي السهو والنسيان عنه اي عن النبي صلى الله
عليه وسلم لتنزهه عنه وقالوا ان سهوه صلى الله عليه وسلم كان منه وقع منه
عمدا وقصدا لا غفلة وسهوا ونسيانا وانما قصده ليسن كما تقدم وهذا القول
بانه عن قصد دون غفلة قول مرغوب عنه لا وثوق به لانه مناقض للمقاصد لانه لو
فعل في صلاته ما فعل عمدا بطلت وفسدت صلاته فكيف يسن بما لا يجوز وقيل
لمناقضة السهو العمد واستحالة كونه عمدا لا جلا منه بطائل اي ليس فيه فائدة
وكبير امر حتى يرتكب امورا المتخالفة المتناقضة له ونحلا بفتح المثناة التحتية
وسكون الحا المهملة ولام مفتوحة والعين وقول البرهان انه بضم اوله وبالحا
المهملة ثانيه وهم منه لانه في كتب اللغة كالاساس وافعال السرقسطي وغيره
انه يقال ما حليت وما حلوت منه بطائل اي ظفرت وفعله ثلاثي ورد ماضيه كعلم
وضرب وكذا هو في شروح التسهيل في الخطبة والطائل بمعنى الفائدة تقال
هذا لا طائل تحته اي لا فائدة يعتد بها وهذا الفعل اعني حلا قيل انه يختص
بالنفي وهو المشهور وصرح ابن السيد بخلافه ثم تبين تناقضه بقوله لانه
كيف يكون صلى الله عليه وسلم متعمدا ساهيا في حال واحدة لان بينهما
من التضاد ما يمنع اجتماعهما ولا حجة لهم في قولهم انه صلى الله عليه وسلم
امر اي امره الله بتعمد صورة النسيان وليس بناسي ليسن لهم ما يترتب عليه
لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم قريبا اني لا انسى

اوانسي لاسن فنقد وفي نسخة وقد بالواو الحالية اثبت في هذا الحديث له صلى الله عليه
وسلم احد الوصفين يعني النسيان والسهو الذي نفاها هولا القايلون بما ذكر وقيل المراد دلجي
بالوصفين النسيان من قبل نفسه اومن قبل ربه وفي مناقضة باضافته للضمير المتعمد
والقصد مفعول نفي وتفيه بفهم من اثبات ضده الذي لا يجتمع معه وقال انما انا
بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني ويجوز ان يكون النفي بفهم من الحصر ابن التين
بانما قيد ماذكره المص من ابطال هذا القول في غاية الظهور وانه لا يتخيله الا معذور
وكيف يتعمد ما صورته تخل بعبادته مع امكان البيان بالقول انتهى اقول هو كما قال
لكن ما تقدم عن السادة الصوفية يمكن توجيهه وقد مال الى هذا اي القول
بانه صلى الله عليه وسلم امر يتعمد النسيان عظيم اي كبير فان العظيم يكون بمعنى
الزيادة في القدر والكم كالكثير والمراد الاول من ايمتنا اي الاسفراينية لا الفقها المالكية
كما قيل فان هذا العظيم الذي ذكره وهو ابو المظفر الاسفرايني شافعي كذا في الشرح دلجي
الجديد بناء على ان ابا المظفر هو ابو اسحاق ابراهيم وان المص كناه بذلك بغير كنيته
المشهورة والذي يظهر ان الاول هو الصواب وهذه مجازفة من قايلها ولم يرتضه
غيره منهم اي لم يقل بهذا القول احد غيره اي المظفر لانه كيف يومر بتعمد ما يبطل
الصلاة من غير ضرورة ولا ارتضيه لانه بعيد عن الصواب بمراحل ولا حجة لهاتين
الطايفتين القايلين بانه صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى وبان سهوه عمد
وقصد في قوله في الحديث اني لا انسى بالنفي في احدى الروايتين كما تقدم
تفصيله ولكن انسى بالتشديد كما بيناه اذ ليس فيه اي في الحديث على هذه
الرواية نفي حكم النسيان بالجملة اي جميعه بان لا يصدر منه صلى الله عليه وسلم
نسيان اصلا وكانه اراد بحكمه معناه بقرينة قوله وانما فيه نفي لفظه باطلاق دلجي
اسناده له وما قيل المراد النسيان الذي هو حكم بمعنى مدلول لفظه والاضافة
بيانية تعسف وكراهة لفظه هو بمعنى اسمه ولفظه المستعمل فيه وليس
المراد به الجهل احد اقسام العلم وهذا على مصطلح الاصوليين كقوله صلى الله
عليه وسلم في حديث مشهور بيس ما لاحدكم وبيس من افعال الذم فاعله
ضمير مستتر مفسر بما وقوله ان يقول نسيت اية كذا هو المخصوص بالذم
ونسيت مخفف مسند لضمير المتكلم ولكنه نسي مجهول مشدد وفي رواية مسلم نسي
مخففا مع ضم النون وكذا روي من طرق فقد روي بتشديد السين وتخفيفها
مع البنا للمفعول فيهما فعلى التشديد الله تعالى خلق فيه النسيان وعلى
التخفيف معناه ان ناسي القران نسيه الله اي تركه لا يلتفت له كقوله وكذلك
اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى فاشار الى انه لا ينبغي ان ينسب
فعلا لنفسه وينسبه لخالقه تادبا وان جاز لانه كسبه فالذم لهذا اهو
عام في كل فعل اوهو لما فيه من عدم الاعتنا بالقران لان نسيانه لتركه
تعهد تلاوته فهو مخصوص بالقران واختاره القرطبي وقيل النسيان المذموم
هنا بمعنى الترك وقيل فاعل نسيت النبي صلى الله عليه وسلم اي لا يقل
احد عني اني نسيت اية فان الله هو الذي انسانى ما نسخه وليس بصنيعي

وقال الخطابي انه مخصوص ببعض النبوة فانهم انما يشبههم الله ما قدر نسخه او نفي مصدر
معطوف على نفي لفظه اي انما فيه نفي الغفلة وقلة الاهتمام نجره معطوف على الغفلة
بامر الصلاة فاريد به نفي لازمه عن قلبه متعلق بنفي فلا انسي بمعنى لا يغفل قلبي
عن عبادة ربي وتوجهي اليه لكن شغل بها اي بالصلاة وما فيها من التجليات عنها
اي عن بعض اعمالها وعدد ركعاتها وتنسي بعضها من اركانها الظاهرة ببعضها
مما يشاهده فيها وتدبر ما يتلوه فيها وما قيل ان هذه مرتبة لا تليق بارباب
التمكين الذين لا تفوتهم امورهم الباطنة عن ادب الظاهر كان عليه ان يتادب بتركه
ومثله من زخرف الاصطلاحات لا يجري في مقامات النبوة كما ترك صلى الله عليه
وسلم الصلاة الثابت في حديث الصحيحين يوم الخندق حتى خرج وقتها اي وقت
الصلاة المعين لها في كتب الفقه وهذا نظير لما هو فيه لا مثال له كما بينه بقوله
كما ياتي فشغل بطاعة عن طاعة وهذه تسمى غزوة الخندق وغزوة الاحزاب
لانه صنع فيها خندق براي سلمان الفارسي وتحزب فيها طوائف كثيرة كما هو مشهور
في السير والخندق معرب كنده بمعنى حفر وكانت سنة اربع وقيل سنة خمس على ما بينوه
واختلفوا في سببا لاختلاف فيه على اقوال منها انهم لما ارخوا من الهجرة وجعلوا
راس السنة المحرم الذي بعده فتفاوت ذلك بسنة وشغل بالتحرز من العدو عنها
اي عن الصلاة التي دخل وقتها حتى خرج لانه يخشى من هجوم العدو عليهم وهم في
الصلاة غير مستعدين للحرب ولم تكن صلاة الخوف شرعت لهم حينئذ فشغل بطاعة
وهي حفظ المدينة واراحة المومنين من بغتة العدو عن طاعة وهي اداء الصلاة
في الوقت وتلك اهم باعتبار حقوق العباد اذ لو فاتت لم يمكن تداركها بخلاف
هذه وهذا نظير لشغل عبادة عن عبادة وان لم تكن منها لا للتسهي والمنهي عنه
اشتغاله عن العبادة حتى ينساها ولا يرد عليه انه يلزمه وقوع سهوه في افعال
العباد وهذه واقعة حال قدم فيها الاهم ولم يكن ناسيا وانما ابداه لدرء المفسدة
الذي هو اهم من جلب المصلحة وكان هذا اعذارا في تاخير الصلاة قبل مشروعية
صلاة الخوف على انه قيل انه سهو ايضا فعلى هذا لا يتجه عليه شيء وقيل القايل
له ابن مسعود كما رواه الترمذي والنساي ان الذي ترك بالبنا للفاعل او للمفعول
اي تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق اربع صلوات خبر ان
الظهر والعصر والمغرب والعشا بدل منه وما قيل من انه يجوز نصب اربع لتركه
على مذهب سيبويه لا وجه له هنا والصحيح ما في الصحيحين من انها صلاة
العصر وفي الموطا انه فاتته صلاة بين الظهر والعصر وقال النووي بجمع بين
الروايات بان الخندق كانت في ايام وتعدد تركه للصلاة فيها وقيل ان تاخيرها
كان نسيانا واستدل بما رواه احمد انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب يوم
الاحزاب فلما سلم قال هل علم رجل منكم اني صليت العصر قالوا لا فصلاها
ثم صلى المغرب لا انه منعف روايته وهذا كان قبل نزول صلاة الخوف كما
مر والحديث مروي عن علي رضي الله عنه لما كان يوم الاحزاب قال صلى
الله عليه وسلم ملا الله بيوتهم وقبورهم نارا كما حبسونا وشغلونا عن

عرضي

عنه

ابن اقبرس

تلمساني والبرهاني

الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وبه استدل على ان الصلاة الوسطى صلاة العصر وفيه
اختلاف وقد افرد ذلك الحافظ بتاليف نفيس اوصل الاقوال فيه الى نحو عشرة وبه
اي بتركه صلى الله عليه وسلم هذه الصلوات احتج من ذهب الى جواز تاخير
الصلاة في الخوف ان لم يتمكن من ادائها في وقتها الى وقت الامن من خوف العدو
وهو مذهب الشاميين اي بعض علماء الشام وفقهائها المجتهدين المجتهدين
والمحدثين منهم الذين يرون ان صلاة الخوف كانت مشروعة قبل ذلك والصحيح
ان حكم صلاة الخوف اي فرضيتها كان بعد هذا اي بعد غزوة الخندق فهو
ناسخ له اي لجواز تاخير الصلاة عند الخوف وهو مذهب ابي حنيفة والجمهور
وصلاة الخوف على طرقها التي ذكرها الفقهاء مختلف فيها هل كانت مخصوصة
بعصره صلى الله عليه وسلم او نسخت في حياته فلا تجوز الآن او حكمها باق الى
الآن وهل تختص بالجماعة ام لا والكلام عليه وعلى ادلته مفصل في كتاب
الآثار وشرحه للعيني وليس مما يهمنا تفصيله هنا ثم استطرد لما يناسب
ما هو فيه من تاخير الصلاة عن وقتها لعذر شرعي واورد عليه سؤال الافعال
فان قلت فما تقول في نومه صلى الله عليه وسلم عن صلاته حتى خرج وقتها
كما اشار اليه بقوله عن الصلاة يوم الوادي كما رواه البخاري وغيره والصلاة
هي صلاة الصبح والوادي بطريق مكة وقيل ببطن تبوك وكان صلى الله عليه
وسلم عرس فيه ووكل بلالا بان يقوم عنده ليوقظه اذا طلع الفجر فاسند
ظهره لراحلته فغلبه النوم ولم يوقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى طلعت الشمس وكان اول من استيقظ ابو بكر ثم عمر رضي الله عنهما فكبر
حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفظ البخاري عن ابي قتادة
قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال بعض القوم
لو عرست بنا يا رسول الله فقال اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال بلال
انا اوقظكم فاضطجعوا واسند بلال ظهره لراحلته فغلبته عيناه فاستيقظ
النبي صلى الله عليه وسلم وقد طلع حاجب الشمس فقال يا بلال اين ما قلت
قال ما القيت علي نومة مثلها قط فقال ان الله قبض ارواحكم حين شاء
وردها حين شاء يا بلال قم فاذن الناس بالصلاة فتوضا فلما ارتفعت الشمس
وابياضت قام فصلى ومثله في مسلم وتقدم ايضا لفظ البخاري في رواية
عمران بن حصين واستشكل الحديث بانه كيف يتاتى هذا والنبي صلى الله عليه
وسلم قد قال في حديث آخر ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فكيف نام عن
هذه الصلاة حتى قضاها وهذا الحديث في الصحيحين بطوله وفيه ان
عائشة رضي الله عنها قالت تنام يا رسول الله قبل ان توتر فقال تنام عيني
ولا ينام قلبي وكذا سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام كما ورد ايضا ولذا
ذهب كثير من ايمة الشافعية الى ان نومه صلى الله عليه وسلم لا ينقض
وضوءه وسيأتي الكلام فيه وقيل انه من خصايصه ونقل عن النووي واجاب
عن تعارضهما بقوله فاعلم ان للعلماء عن ذلك التعارض اجوبة منها ان المراد

بان هذا اي تيقظ قلبه في نومه حكم قلبه اي حاله وصفته عند نومه وغيبته
عن الادراك في الجملة في غالب الاوقات اي في اكثر اوقات نومه وغيبته بغين معجمة
ضد الحضور قال البرهان طهوره لئلا يتصحف بعينيه تثنية عين
باسم وترد بانه معنى صحيح لاتخريف فيه فانه حينئذ معطوف على قلبه اي هذا حكم
قلبه وحكم عينيه غالبا وهو صحيح وقد يندر اي يقل والندرة اخص من القلة
لانها القلة المفرطة جدا منه غيره لكن بان ينام عينه وقلبه كنوم سائر الناس
كما يندر من غيره اي يقل من غير النبي صلى الله عليه وسلم خلاف عادته يحتمل ان يريد
خلافه لما يعتاده من اموره مطلقا ويحتمل خلاف عادته في نومه بيقظة قلبه
كالانبيا لكنه لاحكم له لندرته وعدم انضباطه ويصحح هذا التاويل اي جعله
مقيدا بغالب امره وما اعتاده قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المذكور اولا
في قصة الوادي لا حديث ان عيني تنامان كما توهم كما تقدم في الحديث اذ نقلناه
نفسه اكده لئلا يتوهم ارادة جنس الحديث ان الله قبض ارواحنا قبض الارواح
غيبوبتها عن الحس لان الروح تفارق البدن كما في الموت ولذا كان النوم اخا
الموت وقول بلال فيه اي في الحديث المذكور كما مر من انه صلى الله عليه وسلم
امره ان يوقظه فغلبه نومه ولم يوقظه فلما قال له ابن ما قلت يا بلال قال
ما القي علي نومة مثلها قط اي لم ينم نوما ثقيلا مثل نومته هذه فهذا كله
يدل على انه استغرق في نومه على خلاف معتاده لان قبض الروح يدل على عدم
يقظة القلب وما وقع لبلال ايضا مخالف لمعتاده والشاهد فيما قبله او فيه ايضا
فتامله والحاصل انه صلى الله عليه وسلم كان لنومه حالتان والاغلب الاول
ثم بين وجه حاله المخالف لعادته بقوله ولكن مثل هذا المخالف لمعتاده انما
يكون منه اي يقع له بايجاد الله وخلقه لامر يريده الله مما يرضاه ويقدره من
اثبات حكم شرعي يثبته لمن طرا عليه وهو قضا الصلاة ووجوبه فورا او بدونه
وتاسيس سنة اي طريق من طرق الشرع يقتدي بها ويستمر سلوكها واظهار
شرع وفي بعض النسخ شرح وهو تصحيف كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
الاخر الوارد في النوم عن الصلاة لو شا الله عز وجل لايقظنا من منامنا قبل
خروج الوقت ولكن اراد الله بعدم ايقاظنا ان يكون بنا التاسيس والضمير للسنة
المفهومة من السياق اي تكون سنة لمن بعدكم من هذه الامة يقتدون بها
فيقضون ما فاتهم من الصلاة وهذه حكمة ان الله قوى النوم عليه صلى الله
عليه وسلم ونام قلبه على خلاف عادته لتظهر هذه السنة البديعة الثاني من
الاجوبة عن هذا السؤال ان معنى قوله لا ينام قلبي ان قلبه صلى الله عليه
وسلم لا يستغرقه النوم اي لا يستولي عليه ولا يغطيه عن الادراك بحيث
يغيب بالكلية عن احساسه كالغريق والاستغراق في كل شي بلوغ نهايته
حتى يكون منه اي من صاحب القلب الحديث فيه الضمير للنوم اي يقع منه لشدة
نومه حدث لا يشعر به من خروج شي من احد السبيلين بنفس وصوته
لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان محروسا اي محفوظا في نومه من ان

دحي

يصدر عنه مثله وانه صلى الله عليه وسلم كان ينام حتى ينفخ اذ النفخ بخاء معجمة خروج
النفس بشدة لها صوت يسمع وحتى يسمع غطيطه بالبناء للمجهول والغطيط بغين معجمة
كالخطيط بخاء معجمة ترديد النائم صوت نامته اي النائم نفسه وهو معروف ثم يصلي ولا يتوضأ
اي يقوم من شدة نومه الذي يسمع له فيه خطيط وغطيط ولا يجدد وضوءه فهذا دليل
على انه صلى الله عليه وسلم محروس في نومه عن الحدث الناقض للوضوء اقامة للمظنة
فيه مقام المئنة ولولا ذلك لزمه الوضوء منه كغيره من الناس فعدم نوم قلبه
عبارة عن عدم استغراقه في نومه حتى لا يشعر بالحدث فليس يقظة حقيقية
كما في الجواب الاول فلا ينافي انه لا يشعر بخروج الوقت لافراط نومه وحديث
ابن عباس المروي في الصحيحين المذكور فيه وضوءه صلى الله عليه وسلم عند
قيامه من النوم ليلا مروي فيه نومه مع اهله اي احدى زوجاته وهي
في هذا الحديث ام المؤمنين ميمونة بنت الحارث خالة ابن عباس رضي الله عنهم
والاهل اصل معناه الاقارب والاتباع ثم اطلق على الزوجة اطلاقا صار
به حقيقة عرفية فلا يمكن الاحتجاج به اي بحديث ابن عباس المذكور على
وضوئه لمجرد النوم اي بسبب النوم وحده لكونه مع اهله اذ لعل ذلك الوضوء
لنقض وضوئه الاول لملامسة الاهل اي مسها من غير حائل ام الحدث اخر مما هو
عند الشافعي من نواقض الوضوء فكيف يظن ان حديث ابن عباس هذا يناقض ما
تقدم من ان وضوءه لا ينتقض لمجرد نومه ليقظة قلبه وفي آخر هذا الحديث
نفسه الذي رواه ابن عباس ثم نام حتى سمعت غطيطه تقدم بيانه وانه يقال
خطيطه بمعناه ثم اقيمت الصلاة وصلى ولم يتوضأ وهو صريح في عدم نقض
النوم للوضوء وحده وقيل ولا حاجة لهذا ايضا فان في هذا الحديث انه قام من
نومه لقضاء حاجته فتوضأ لانتقاضه بقضاء الحاجة لا لمجرد النوم فالسؤال
ساقط من وجوه عدة وقيل في الجواب ايضا ان معناه لا ينام قلبه من اجل
ان يوحى اليه في النوم فانه وسائر الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام رؤياهم
وحي بلا شبهة فمعنى قوله لا ينام قلبي انه لا ينقطع عنه بنومه الوحي وامر
النبوة وهذا لا ينافي استغراقه في نومه وخروجه عن هذا العالم ثم اشار لجواب
آخر فقال وليس في قصة الوادي ونومه فيه عن صلاته الا نوم عينيه بانطباق
جفنيه عن رؤية الشمس وذلك انما يدرك بحاسة البصر وهي نائمة محجوبة عن
الحس الظاهر وليس هذا اي رؤية الشمس من فعل القلب لانه انما يدرك المعقولات
دون المحسوسات فلا منافاة بينهما كما مر ولا حاجة الى ان يقال لعله صلى
الله عليه وسلم كان تحت خيمة تمنعه الرؤية وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان الله قبض ارواحنا في منامها كما تقدم ولو شاء لردها الينا بايقاظنا من نومنا
الذي كان قبل في حين غير هذا اي في وقت لم يوح اليه فيه شيء ولم يره رؤياه
التي هي وحي وقوله في حين الخ متعلق بقال لا بمردود القول كما توهم وقد
تقدم ان الروح تقبض في المنام والممات لكنها ترد في الاول كما قال تعالى
فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى قال علي كرم الله

وجهه

اول الآية الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك اه

وجهه فمرا انه نفس النايم وهي في السماء هي الروية الصادقة دون غيرها وفي الحديث
سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اينام اهل الجنة فقال لا النوم اخو الموت
فان قيل فلولا انه كان عادته استغراق النوم باستيلايه على حواسه وقلبه كغيره
لما قال لبلال كما ذكرناه في الحديث الذي في نومه بالوادي اكلا لنا الصبح وصلى في اوله
وهمة ساكنة في اخر امر من الصلاة وهي المراقبة والحفظ لنا ان النايمين منهم الصبح
اي وقت طلوعه لتوقظنا للصلاة فلا تفوتنا كما سمعته قبل هذا فهذا ينافي ما قاله
من انه لا يستغرق في نومه لحد لا يشعر بما يحدث منه فيه من نواقض الوضوء فقيل في
الجواب عن هذا السؤال انه كان من شانه اي عادته صلى الله عليه وسلم التغليس
بالصبح اي التبكير به فيصليه بغلس وهو ظلمة تخالطها اول ضوء الفجر في اخر الليل
ومراعاة اول الفجر اي مراقبته للنظر له في اوله قبل انتشار الضوء بقرب الشمس
من الافق الذي لا تصح ولا تتيسر ممن نامت عيناه سوا استغرق ام لا ولو كان
قلبه لا ينام اذ هو امر ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة ولا دخل للقلب والحواس
الباطنة فيه فوكل صلى الله عليه وسلم بلالا رضي الله عنه اي امره بان لا ينام
ويتقيد بمراعاة اوله اي مراقبته والنظر اليه ليعلمه بذلك اي بطلوع الفجر
كما لو شغل بشغل غير النوم في يقظته عن مراعاته اي مراعاة الفجر وقد
قيل ان هذا كله مبني على انه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام نوم غيبة اصلا
وهذا مما لا ينبغي وفي هذا المقام اجوبة كثيرة عن تعارض الحديثين في شروح
الصحيحين تركناها خوف الاطالة المورثة الملالة فان قيل فما معنى نهيه
صلى الله عليه وسلم عن قول نسيت في حديث لا يقولن احدكم نسيت اية كذا
وتقدم هذا الحديث بتمامه والكلام في معناه وقد قال صلى الله عليه وسلم
وهي جملة حالية مبينة للسؤال في تعارض نهيه عن قول نسيت مع قوله
اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال في حديث اخر قد تقدم
وفيه رحم الله فلانا لقد اذكرني اية كنت انسيتها بضم الهمزة مبني للمجهول من
الافعال اي انسانيها الله وتقدم الكلام على هذا الحديث مفصلا فاعلم اكرمك
الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ الواردة في النهي عن ذلك وغيره اما نهيه
عن ان يقال نسيت آية كذا فليس على ظاهره اذ هو كلام صادق لا مانع منه شرعا
فهو محمول على ما نسخ حفظه اي لفظه وتلاوته من القرآن وفي نسخة نقله
بنون وقاف بدل حفظه والمعنى واحد وعلى هذا فمعنى قوله لا يقل احدكم
نسيت تقديره انسيت والمسند اليه ضمير صلى الله عليه وسلم اي اذا
سمعتموني تركت في القراءة شيئا لا تقولوا ان النبي نسي آية كذا اي ان الغفلة
في هذا لم تكن اي توجد فكانت تامة منه صلى الله عليه وسلم ولم يقع
ذلك اختيارا ولكن الله اضطره اليها اي الله عز وجل الجاه للغفلة ليمحو
ما يشا اي ينسخ ما اراد نسخه فينسيه له ويثبت ما لم يرد نسخه فلا ينسيه
فعلى هذا هو مخصوص بالرسول صلى الله عليه وسلم وبعض ايات نسخها
الله بازهاقها الا بكل ما نسيه ولذا قال وما كان تركه من سهو او غفلة من قبله

عوضي

بكسر القاف وفتح البا الموحدة ولا مراي من جانب نفسه صلى الله عليه وسلم مقتضى الجبلة
البشرية من غير الجامن الله له فذكرها صيغة غفلة اي خطرت بباله بعد نسيانها فاصلح اي
جاز ان يقال فيه انسي بضم الهمزة مجهول مخفف فانما يمتنع لنسبة النسيان له فيما اذا
كان من القسم الاول فليس النهي على اطلاقه حتى يعارض الحديث الاخر وهذا النهي
خاص بزمنه صلى الله عليه وسلم حيث كان يقع النسخ فلو قيل فيه ذلك لربما يتوهم انه
اهمل من القران شيا حتى ضاع وصلح بفتح اللام وضمها والاول افصح وقيل في الجواب
عما تعارض هنا ان هذا يعني نهيه صلى الله عليه وسلم عن ان يقول نسيت منه صلى
الله عليه وسلم على طريق الاستحباب اي تعليما وارشادا لما هو مستحب فالنهي ليس
نهي تحريم بل للكراهة ان يضيف الفعل الى خالقه عز وجل ولا يضيفه لنفسه فانه
الفاعل الحقيقي وغيره آلة وهذا على مذهب اهل السنة والاجزاي الحديث الاخر الذي
اضيف فيه النسيان للعبد وقوله نسيت كذا ورد على طريق الجواز وخلاف الاولى من
غير النبي صلى الله عليه وسلم ومنه للتشريع فهو غير مكروه منه وجواز اضافته
له لاكتساب العبد فيه ضمنه معنى دخل اي لدخل العبد فيه باكتسابه فهو كالالة
والموجد الحقيقي هو الله عند الاشعري واهل السنة خلافا للمعتزلة وبهذا جزم
ابن بطال فقال انه بالنهي اراد ان يجري على السنة العباد لنسبة الافعال لخالقها لما
فيه من الاقرار بالعبودية والاستسلام للقدرة وهو اولى من نسبتها لمكتسبها مع
انه جائز ايضا واسقاطه صلى الله عليه وسلم لما اسقط من هذه الايات التي قال
فيها انسيت آية كذا وكذا جايز عليه سهوا بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله
الى عباده اما في حال تبليغه الاول فلا يجوز سهوه فيه وبعده يجوز ثم يستذكرها
صلى الله عليه وسلم من امته او من قبل نفسه لانه لا يقر على نسيانه الا ما قضى
الله نسخه ومحوه من القلوب فينسيه الله له ولا ينبهه عليه فيعلم بذلك انه نسخ
لفظه وتلاوته سوا نسخ معناه ام لا وتركه اسنده كان بصيغة المصدر او الفعل
الماضي المجهول ولما فيه من البعد قال وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم
ما هذا سبيله من القران بما يراد نسخه كرة اي حينا ما ويجوز ايضا ان ينسيه منه
اي الله بنسيه من القران قبل البلاغ لانه يجوز النسخ قبل البلاغ كفرض الصلاة
خمسين في ليلة المعراج وهذا منه مما لا يغير نظما اي نظم القران ترتيب كلماته
متناسقة على مقتضاها ولا يخلط حكما باخر كحل بحرمة مما لا يدخل خللا في الحد
حتى لا يدري ما يراد به وهو بيان لقوله ما لا الخ ثم يذكره اياه اي يذكر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم ما انساه مما لا يغير ولا يخلط ويستحيل دوام نسيانه له لمنافاته
للغرض المقصود منه لحفظ الله تعالى كتابه لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
كما تقدم وتكليفه بلاغه مجرور معطوف على حفظ الله اي كلف الله رسوله صلى الله عليه
وسلم ان يبلغ كتابه من ارسل اليهم ودوام نسيانه ينافيه اشد المنافاة

## فصل في الرد على من
اجاز عليهم الصغاير اي على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

والكلام

والكلام بالجر عطف على الرد على ما احتجوا به في ذلك اي جواز الصغاير عليهم والصغيرة
ما عدا الكبيرة والكبيرة منهم من عينها بالعد ومنهم من عينها بالحد فقيل هي ما ورد
فيه وعيد بنحو غضب الله ولعنه ودخوله النار في كتاب او سنة صحيحة وقيل ما فيه
حد وعقوبة معينة والصغاير كالكباير في توقف العفو عنهما على مشية الله وكون
اجتناب الكباير مكفرا لها لا ينافي التوقف عليها او جوازها عليهم مطلقا او سهوا مشروط
بان لا تكون مشعرة بخسة ورذالة منفرة للطباع اعلم ان المجوزين للصغاير على الانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من الفقها والمحدثين ومن تابعهم اي تابعهم
ووافقهم على اعتقاد ذلك من المتكلمين اي علما الكلام وهو العلم الباحث عن العقايد
الدينية وسمي علم الكلام اما لان مسالة كلام الله من اجل مباحثه او لكثرة دوران الكلام
فيه بين السلف والمتابعة من الشيعة وهي فرقة من الناس تتبع غيرها وشيعة
الرجل اتباعه وانصاره ولو واحدا وخص في العرف بالمفضلين لعلي رضي الله عنه وكرم
وجهه وهذه المسالة من علم الكلام وذكرها في كتب الفقه والحديث استطرادي وقد الحقها
من مسايل هذه الفنون بحيثيات متغايرة فالفقيه يبحث عنها من حيث انه يجوز
اعتقادها او يحرم او يكره والمحدث من حيث انه هل صح روايته وصدورها منهم ام لا ه
والمتكلم من حيث اقامة الدليل على عصمتهم وامتناعها وعدمه وليس في قوله
تابعهم ما يخالفه وانما عبر به لانه ليس من كتابه المسايل الكلامية احتجوا على ذلك
اي تجويزها عليهم بظواهر كثيرة من القران والحديث الخ لفظ ظواهر اشارة
الى انها ليست بحجة في الباطن ان التزموا ظواهرها اي ان قالوا بلزوم اعتقاد
الظاهر منها افضت بهم اي اوصلتهم الى تجويز الكباير عليهم واصل معنى الافضا
الادخال في فضا واسع ثم شاع فيما ذكر وخرق الاجماع اي مخالفة ما اجمع الناس
عليه وهو من قولهم خرق المفازة اذا قطعها فاريد به لازمه وهو المجاوزة
وما لا يقول به مسلم اي افضت به الى راي لم يقله احد من المسلمين وهو تجويز
الكباير عليهم عمدا فانه لم يقله الا الحشوية واما سهوا فجوزه بعضهم ه
واختلفوا في امتناعه هل هو سمعي او عقلي كما تقدم فكيف استبعاد للتجويز
الكباير عليهم وكلما احتجوا به من الظواهر مما اختلف المفسرون في معناه هل يحمل
على ظاهره او يأول وتقابلت الاحتمالات اي تخالفت وتعارضت الوجوه المحتملة في
مقتضاه اي مقتضي ما احتجوا به من تجويز ووقع ما خرج به عن صلاحية الاحتجاج
وجات اقاويل اي نقل وورد وجوه قالوا بها على خلاف ما التزموه واحتجوا به
واقاويل جمع اقوال جمع قول فهو جمع الجمع فيها للسلف بخلاف ما التزموا من ذلك
اي استدلوا به فاذا لم يكن مذهبهم في تجويزها عليهم اجماعا اي مجمعا عليه
لكثرة من خالفهم فيه وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما لا حادثا بعد انعقاد
الاجماع حتى يكون خلافا لا يعتد به وقامت الدلايل على خطا قولهم في تجويزها عليهم
وصحة غيره في عدم الجواز وجب تركه جواب اذا والمصير الى ما صح من عدم التجويز
وها نحن ناخذ اي نشرع لا بمعنى افعال المقاربة وها حرف تنبيه زايد على
المبتدا اذا كان الخبر اسم اشارة فان لم يكن كذلك كان نادرا كما هنا في النظر فيها

يجوز وقوع الصغاير عليهم

اي في ادلتهم التي احتجوا بظاهرها علي تجويزها عليهم ان شا الله تعالي فمن ذكر الذي
احتجوا به علي تجويزها عليهم قوله تعالي لنبينا محمد صلي الله عليه وسلم ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر وجه تمسك من جوز عليهم الصغاير بهذه الاية نسبة
ذنب اليه مغفور لم يسمه فالظاهر انه صغيرة واللام للتعليل والمعلل الفتح اي
فتح مكة في قوله انا فتحنا لك الخ اي يسرنا لك فتح مكة ونصرناك علي عدوك ليجمع
لك عز الدارين في العاجل والاجل وتحقيقه في التفاسير قال ابن عبد السلام
رحمه الله لم يخبر الله لم يحكم احدا من الانبيا عليهم الصلاة والسلام بالمغفرة
ولذا قالوا في الموقف نفسي نفسي اذهبوا الي محمد فقد غفر الله له ما تقدم
وما تاخر وهذا من خصايصه صلي الله عليه وسلم قلت وفيه نكتة اذ سوى
المتقدم بالمتاخر ايما الي انه مثله في عدم الوقوع وانما هو خلاف الاولي بما
عده بالنسبة اليه ذنبا وسياتي تفصيله وقوله واستغفر لذنبك وللمومنين
والمومنات اعاد الجار اشارة لتغايرهما لان الاول ليس بذنب حقيقي كذا قيل
ولم يقل ولذنب المومنين اشارة لكثرة ذنوبهم حتى كان ذاتهم عنده الذنب
ووجه الاستدلال ما مر ومما استدلوا به ايضا قوله ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك الوضع الحط وهو بالعفو والوزر الحمل والثقل فاستعير
للذنب استعارة مرشحة وانقض بمعنى اثقل جعله نقضا وهو ما اتعب الجمل حتى
نقض لحمه وقال الازهري هو من نقيض الرحل وهو صوته لما وضع عليه والكلام
عليه كالذي قبله وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم خطابه في غزوة تبوك
سنة تسع وقد استاذنه من تخلف عنه فاذن لهم لبعد المشقة وشدة الزمان
ولذا اسرح صلي الله عليه وسلم بمقصده ولم يور كما مر فاذن لقوم منافقين
اعتذروا له باعذار سمجة وهو علي خلاف الاولي لا ذنب حقيقي بل قوله عفا الله
عنك ملاطفة له ومراعاة لخاطره وقدمه علي ما صدر منه حتى لا يبداه بما يوهم
مواخذة ما ولذا احطوا علي الزمخشري فيما فسره به من قوله اخطات وبيس ما صنعت
لما فيه مع تفسيره بغير المراد منه من سو الادب وخطابه بما لم يخاطبه به رب
العزة وجعله كناية عن الجناية والجاني هو وقد مر الكلام في ذلك مبسوطا صدر
الكتاب ومما استدلوا به ايضا قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم
عذاب عظيم وهذه نزلت في غزوة بدر وقد اسر صلي الله عليه وسلم من
قريش سبعين رجلا منهم العباس عمه صلي الله عليه وسلم وعقيل فاستشار
صلي الله عليه وسلم اصحابه في ذلك فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله
هولا قومك لعل الله يهديهم بك خذ منهم فدية نتقوى بها وقال عمر
رضي الله عنه اضرب رقابهم واخذ بارهم فرضي صلي الله عليه وسلم
ما قال ابو بكر فنزل عليه قوله تعالي ما كان لنبي ان تكون له اسرى
الاية فجلس صلي الله عليه وسلم يبكي هو وابو بكر وقال عرض علي عذابهم
ادنى من هذه الشجرة والكتاب السابق ياتي بيانه ومنه ما قيل هو احلال
الغنايم لهم دون الامم السابقة او انه لا يعذبهم ورسول الله صلي الله عليه

وسلم

وسلم فيهم اوما وعدهم به من مغفرة ذنوبهم وانه لا يعاقب المخطي في اجتهاده
وقوله عبس وتولى الاية عبس اي قطب وجهه وتولى اعرض والاعمى هو ابن ام
مكتوم رضي الله عنه مؤذنه واسمه عبد الله او عمرو على ما ياتي واسم ابيه زايدة
على ما قاله بعضهم وهو ابن خال خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها وسبب نزولها
انه اتاه صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش الوليد بن المغيرة وعتبة
وامية بن خلف وابو جهل لعنهم الله وقال له ارشدني وهو صلى الله عليه وسلم
يحادثهم استمالة لهم فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم ولم يجبه لاشتغاله
بهم رجاء اسلامهم للاسلام واستمالة من وراهم قيل وهو باطل من قايله
وجهله لان امية والوليد كانا بمكة وماتا كافرين وابن ام مكتوم كان بالمدينة
ولم يحضر معهم فالاولى ان لا يذكر هولا ويقتصر على ابن ام مكتوم وقوم من
كفار الكفرة وتبعه لبعض الشراح وارتضاه وقد رده خاتمة المحدثين الشيخ
محمد الشامي في سيرته وقال انه كلام صدر من غير روية وتدبر فان
ابن ام مكتوم ابن خال خديجة كما ذكر واسلامه قديم وهو من المهاجرين الاولين
هاجر قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بعده وصحح الاول وسورة
عبس مكية بلا خلاف وقد نقل ما ذكر عن جماعة من الصحابة والتابعين فاي
مانع منه والعجب من صاحب الزهر اذ لم يناقش القرطبي ومن تبعه في هذا وكان
صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا اتاه ابن ام مكتوم يبسط له رداه ويقول
له مرحبا بمن عاتبني الله فيه ولذا كان استخلفه على المدينة مرارا لعدم
هجرته ولاظهار توقيره وما قيل من ان ضمير عبس وتولى للكافر في غاية
التعسف كما ياتي وهذا انما استدلوا به على مدعاهم في حق نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم واما في حق غيره فما قص في القران من قصص غيره من
الانبيا كقوله تعالى في حق ادم صلى الله عليه وسلم وعصى ادم ربه فغوى
فجعل مخالفة ما حذر عنه من اكل الشجرة ضلالا وغواية فهي ذنب صدر عنه
فعنه دليل لهم ظاهر والقصة مع حوا مشروحة في التفاسير وقوله
تعالى في حق ادم مع حوى فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما الاية
ضميرا اتاهما لادم عليه الصلاة والسلام وحوى المتقدم في قوله الذي
خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها اي اتاهما ولدا صالحا سويا
اشركا فيما اتاهما غير الله فسموا عبد العزى وعبد مناف وحكى الزجاج
رحمه الله ان ابليس لعنه الله جا لحوى فقال اتدري ما في بطنك قالت
لا قال لعله بهيمة فان دعوت الله ان يجعله انسانا اتسميه عبد الحارث
وابليس اسمه الحارث وقيل كان لا يعيش لهما ولد فقال سميه عبد الحارث
فسمته به فعاش وهذا من القا الشيطان وقال ان الضمير لال قصي من
قريش وان القصة في حقهم لا في حق ادم والكلام عليه في التفاسير مشهور
وقوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية اي من الدلايل التي استدل بها من
جوز الصغاير على الانبيا عليهم الصلاة والسلام ما حكاه الله في الاية

قاله القرطبي

عرضي

عن ادم عليه الصلاة والسلام وحوى من اعترافهما بعبد وراء الذنب منهما وانما ضهما
بما كان سببا لخروجهما من الجنة وفيه دليل على انه يخونا المغافرة على الصغاير
ان لم تغفر خلافا للمعتزلة ومما استدلوا به ايضا قوله تعالى في قصة يونس عليه
الصلاة والسلام سبحانك اني كنت من الظالمين لما ذهب مغاضبا قومه اذ لم يطيعوه
فاعترف بانه ارتكب ظلما او معصية وما قصه الله من قصته في قوله وذا النون
اذ ذهب مغاضبا وكان قد ضاق صدره في حمل اعباء النبوة والمغاضبة لقومه اذ لم
يصبر ولم يحتمل توبتهم فخرج من بينهم واظلهم العذاب الذي اخبرهم به
فتضرعوا الى الله وتابوا فرفعه الله عنهم ويونس عليه الصلاة والسلام لم يعلم
برفعه عنهم وكان حقه ان لا يذهب الا باذن مجدد من الله عز وجل وهذا ما ذكر
من قصته وما ذكره من قصة داود عليه الصلاة والسلام وقوله وظن
داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الاية وذلك انه راى ما
قصه الله من فضايل الانبيا قبله فسال ربه ذلك فقال انهم ابتلوا فصبروا
فقال ان ابتليت صبرت فتمثل الشيطان له في صورة حمامة من ذهب عجيبة
وكان صلى الله عليه وسلم في محرابه مشتغلا بصلاته فاراد اخذها فطارت فذهب
خلفها وتبعها حتى اشرف على دار فيها امراة تغتسل لم ير مثلها فافتتن بها
وسال عنها فاذا هي امراة اوريا وكان ارسله مع عسكر له فارسل يقول لرئيسهم
ويعلمه ان يقدمه في الحرب وكان سيفا من سيوف الله فاستشهد وتزوج داود
عليه الصلاة والسلام امراته فارسل الله له ملكين في صورة خصمين
كما قصه الله في كتابه وعاتبه عليها وهذا انما عده هو لا ذنبا نظرا للظاهر
الحال فتاب منه ولم يزل يبكي على ما صدر منه حتى نبت العشب من دموعه
ومن ادلتهم قوله تعالى في حق يوسف عليه الصلاة والسلام ولقد همت
به وهم بها وما قص بالنبا المعلوم والمجهول من قصته اي يوسف مع اخوته
وهم انبيا ايضا على الاختلاف سياتي بيانه وقصته معروفة والشاهد في
قوله هم بها بنا على ما اشتهر من انه جلس معها مجلس العاجز واراد ما
يريده اهل الاهوا وفيه مبالغات وامور يذكرها عنه القصاص
وهو صلى الله عليه وسلم بري منها وانما يتوهم ما توهم ان لم يجعل
هم بها جواب لولا بحسب المعنى والا فلا يتوهم شي من ذلك فان دليل الجواب
جواب معنى فيقتضي انه لم يصدر منه هم فضلا عما هو اعظم منه مع ان
هم النفس له مراتب منها ما هو مقتضى الجبلة البشرية ومثله هو معفو
مغفور ومن ادلتهم ايضا قوله تعالى حكاية عن موسى صلى الله عليه
وسلم فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان ضمير وكزه
للقبطي الذي وجده موسى عليه الصلاة والسلام يخاصم رجلا من بني
اسرائيل وكان دخل مصر نصف النهار فوجد قبطيا من جند فرعون يسخر
لبعض بني اسرائيل لحمل حطب ونحوه وكان موسى عليه الصلاة والسلام
جسيما ذا قوة شديدة فدفعه عنه وضربه فقتله فقال رب اني ظلمت نفسي فهذا

اعتراف بعبد وبرد ذنب منه وهو المراد هنا ومعنى وكزه ضربه بجمع كفه وقيل ضربه في
صدره وقيل دفعه وقوله من عمل الشيطان اي هو شر من جنس اعمالهم ثم ذكر بعض
ما استند لرواته من الحديث فقال وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه المأثور
عنه اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وهو من دعا طويل
رواه الشيخان كان يقوله صلى الله عليه وسلم اذا قام يتهجد وطلبه المغفرة
من الذنوب المذكورة يدل على صدورها منه في الجملة وهو من دعائهم ونحوه
من ادعيته صلى الله عليه وسلم المأثورة وقد افردت بالتاليف كالحصن الحصين
وغيره ومما استند لرواته ايضا ذكر الانبيا عليهم الصلاة والسلام في الموقف يوم
القيامة ذنوبهم في حديث طلب الناس منهم الشفاعة واستغاثتهم بهم من هوله
وطوله وحديث الشفاعة مشهور طويل رواه مسلم عن ابي هريرة فلا نطول به ومحل
الشاهد فيه ان الناس اذا اشتد عليهم هول الموقف وكربه قالوا نذهب للرسل
فيشفعون لنا في الخلاص فيذهبون اليهم فردا فردا وكل يقول لست لها لي ذنب
عظيم اخاف منه ودلالته على ما ادعوه غنية عن البيان ومما استند لرواته ايضا
قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم مع شرحه انه ليغان على قلبي
فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من
سبعين مرة وروي مائة مرة فالسبعين ليست على ظاهرها والمراد بها التكثير
وهي فيه كثيرة حتى قال بعضهم سبع لك الاجر اي كثره فهذا يدل على انه صلى
الله عليه وسلم كان يقع منه بعض الذنوب والا لم يكن لاستغفاره وجه
وقوله تعالى حكاية عن نوح عليه الصلاة والسلام والا تغفر لي وترحمني الاية
فطلبه المغفرة يقتضي سبق ذنب منه فهو حجة لمن جوز عليهم الصغائر وذلك
ان الله نهاه عن ان يشفع في احد من اهله غير من اذن له في دخول السفينة
معه فقال له الله عز وجل ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
اي فقضي الله بذلك عليهم فيشفع في ابنه كنعان وهو ممن قضي بهلاكه لظنه
انه داخل في اهله فلما قيل له انه ليس من اهلك ندم على عدم استفصاله
واستغفر لتركه الاولى لا لذنب ارتكبه واليه اشار بقوله وقد كان قال
الله له ولا تخاطبني اي لا تدع ولا تشفع في الذين ظلموا اي كفروا ان الشرك
لظلم عظيم انهم مغرقون اي لانهم قضي عليهم وحكم بهلاكهم لكفرهم الذي
قطع رحمهم وقرابتهم ومن ادلته ايضا انه تعالى قال حاكيا عن ابراهيم
عليه الصلاة والسلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين يعني في
القيامة يوم الجزاء فهذا يقتضي صدور ذنب منه وهو ما تقدم من قوله
فعله كبيرهم وما معه مما تقدم هو والجواب عنه وقوله تعالى
حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام اني تبت اليك قاله بعد ما طلب
الرؤية من الله عيانا فلما تجلى له ربه وخر صعقا ثم افاق قال سبحانك
تبت اليك وليس هذا بذنب ولكنه سأله بعد ما قال له لن تراني ولو ترك
ذلك كان اولى والكلام على الرؤية وجوازها مفصل في علم الكلام وكذا

هذه الاية ومما استدل لوابه ابيناء على جواز الصغاير عليهم قوله تعالى ولقد فتنا سليمان
الى قوله ثم اناب اي تاب فانه يقتضي صدور ذنب منه وكان الله فتنه اي ابتلاه بامر
اختلفوا فيه فقيل انه احتجب عن الناس فعاتبه الله على ذلك وقيل انه سبا بنت
ملك في غاية الجمال تسمى جرادة فاحبها وكان عندها صنم تعبده خفية فاطلع عليه
فاحرقه وقد ذكروا في قصته امورا لا يليق بمقام الانبيا عليهم الصلاة والسلام
الى ما اشبه هذه الظواهر اي ما ذكرته من الامور التي يدل ظاهرها على ما قالوه له
اشباه ونظاير كثيرة تركتها ثم شرع في سرد الجواب عما ذكره من ادلة المجوزين للصغاير
عليهم فقال قال القاضي عياض المص رحمه الله في الجواب عما قالوه وتمسكوا بظاهره
قبل تحقيق النظر فيه فاما احتجاجهم لتجويزهم الصغاير بقوله ليغفر لك الله
ما تقدم الخ فهذا قد اختلف المفسرون فيه وفي تاويله فقيل المراد بما تقدم ما كان
قبل النبوة وبما تاخر ما بعدها اي بعد النبوة وهو عبارة كني بها عن انه
لم يصدر منه ذنب لانه لا تكليف قبل النبوة اصلا والعقل لا يستقل بذلك
وقوله ما بعدها ذكر للتعميم كقولك اعط من تره ومن لم تره وقيل معنى
ما تقدم ما وقع لك من ذنب ومعنى ما تاخر ما لم يقع اعلمه بما حاصله انه
مغفور له غير مواخذ به لو وقع منه لكنه لم يقع منه ذنب كغيره ولا مما
يصدر عنه نادرا خلاف الاولى وقيل معنى ما تقدم ما كان قبل النبوة مما
لا يواخذ به لانه لا شريعة يلتزم احكامها والمراد بالمتاخر عصمتك بعدها
فمغفرته تجوز بها عن المعصية ووجه الشبه بينهما عدم اعتبار الذنب فيهما
فمن قال ليس هذا من مقتضيات اللفظ مع انه معلوم قبل النبوة لم يفهم ابن اتبرس
مراده حكاه اي هذا الوجه احمد بن نصر الخزاعي الزاهد الشهيد قتله الواثق
في محنة خلق القران سنة احدى وثلاثين ومايتين وقيل المراد بذلك المذكور
من المغفرة امته اي يغفر الله لامتك ما صدر ويصدر منها فالمراد بخطابه
خطاب امته فاضافة الذنب له صلى الله عليه وسلم لا د في ملابسة لانه يسوؤه
ما يسوؤهم وهو الشفيع لهم والمراد ان رحمة الله لهذه الامة اكثر فلا يرد
عليه ان مغفرة ما تاخر له شروط كان لا يكون حق عبد ونحوه وقيل المراد
بما تقدم ما وقع منه صلى الله عليه وسلم عن سهو وغفلة والمراد بما تاخر
ما كان صادرا عن تاويل اي بيان لمعنى تحتمله النص فيحمل عليه باجتهاد منه ثم
تبين له انه الصواب او الاولى غيره لان التاويل بيان ما يوول اليه فيناسب
ما تاخر فلا يرد عليه شي والمراد انه لم يتم الاستدلال بالاية حكاه الطبري محمد
ابن جرير كما تقدم واختاره القشيري عبد الكريم شيخ الصوفية وغيره
كما تقدم في ترجمته وقيل المراد بما تقدم ما تقدم لابيك ادم عليه الصلاة
والسلام والمراد بما تاخر من ذنوب امتك فاللام للتعليل اي غفر لاجلك
ذنوب ابيك ادم لما توسل بك الى الله ويغفر لامتك لانك رحمة لهم حكاه
السمرقندي وقد قدمنا ترجمته والسلمي بفتح السين المهملة وفتح اللام
وهو الامام ابو عبد الرحمن الصوفي كما تقدم عن ابن عطا شيخ الطريقة

كما تقدم وهذا انما لا يقال بالراي وقد نقله مثل هولاء وان كان خلاف الظاهر وبمثله
اي بمثل هذا التاويل والذي قبله يتاول قوله تعالى خطابا لنبينا صلى الله عليه وسلم
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فيقال المراد استغفر لذنب ابيك ادم ولذنوب
امتك او استغفر عما صدر منك سهوا وغفلة او بتاويل منك وهذا القول لذنبك فقط
لا لقوله وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي تقدمت توجيه مخاطبة النبي اي خطاب الله للنبي
صلى الله عليه وسلم ها هنا اي في قوله ليغفر لك الله وكثيرا ما يحمل عليه ما لا يناسبه
فيقال انه لامته وانما وجه له صلى الله عليه وسلم لنكتة ككونه بالطريق الاولى
الاحرى وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول ما كنت بدعا من الرسل وما
ادري ما يفعل بي ولا بكم وهو بتقدير قل ولذا قال امر بتقدير لك الكفار اي فرحوا
وقالوا واللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحد وما له علينا مزية ولولا
انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله تعالى
ردا عليهم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الاية فقالت الصحابة هنيا لك يا رسول
الله قد علمنا ما يفعل الله بك فما يفعل بنا فانزل الله تعالى واخبر بما للمؤمنين اي بما
يؤل اليه امرهم في الاخرة في الاية الاخرى بعدها اي ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات الاية وانزل وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين ما يفعل به صلى الله
عليه وسلم وبهم وهذا قول قتادة والحسن وغيرهما وعزاه المص لابن عباس بقوله
قاله ابن عباس رضي الله عنهما وانما قاله صلى الله عليه وسلم اولا قبل ان يعلمه الله
بعصمته وعموم مغفرته وهو في عام الحديبية فتبين محتمل جوابه عمن
اسند لاهم بقوله فمقصد الاية اي محتمل ما قصد بها انك غير مواخذ بفتح
الهمزة او الواو المبدلة منها وفتح الخا المعجمة اسم مفعول بذنب ان لو كان اي وجد
فهي تامة وان بفتح فتكون زايدة ومثله كثير بنوا امرها على طريق الرمز تطيبا
له صلى الله عليه وسلم فلا يفهم انها حجة لتجويز الذنوب عليهم وقريب منه
ما قال بعضهم المراد بما ذكر من المغفرة ها هنا اي في اية ليغفر لك الله وتحوه
تبريه من العيوب بموحدة بعد التا الفوقية وراء مهملة قبل الهمزة
ولو قري بنون وزاي معجمة وياء تحتية ساكنة قبلها جاز والمعنى والرسم
متقارب يعني لا دليل فيها لهم لانه قد قيل ان المراد منها تنزيه الله له وتبعيده
من العيوب اي الذنوب او ما يؤدي لها فالمغفرة كناية او مجاز عما ذكر واما الجواب
عما تقدم من استدلالهم بالاية المتقدمة وهي قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك كما بيناه اولا فقيل معناه ما سلف وتقدم من ذنبك قبل
النبوة اي بما هو في صورة تفريط وان لم يكن ذنبا لانه لم يكن قبل النبوة شرع
مخالفته معصية وقد عصمه الله تعالى مما كان عليه الجاهلية من العقايد ونحوها
من الديانات وهو قول ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم المفسر
الزاهد المتقي المتقن توفي سنة اثنين وثمانين ومائة والحسن البصري وقد
تقدمت ترجمته وهو ايضا معنى قول قتادة اي معنى ما نقله عنه المفسرون
في تفسير هذه الاية من انه صدر منه بعض امور قبل النبوة وان لم يكن ذنبا

أنك مغفور لك بالمهزة المفتوحة ح

حقيقة وقيل معناه اي معي وضع وزره عنه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم اي
حفظه الله عن الاتصاف به راسا وابتدا وهو وجه حسن يتحمله اللفظ بلا تكلف
ولولا ذلك اي رفعها عنه لانقلت ظهرك وفي نسخة ظهره والظاهر انه حقيقة ويجوز
ان يكون استعارة كما قدمناه وفيه على هذا تقدير اي لولا انا حفظناك عنها اثقلت
ظهرك وهدمت قواك حكي معناه السمرقندي في تفسيره وقيل في تفسيرها مما
لا يبقي فيها حجة لهو لا المراد بذلك المذكور من وضع الوزر الخ ما اثقل ظهره اي
اتعبه واعياه من اعبا الرسالة جمع عب حمل لفظا ومعنى كما تقدم حتى بلغها
غاية لثقل المتحمل حتى يبلغه ويودي امانته فانه ما عليه الا البلاغ حكاه
ابو الحسن الماوردي الشافعي وتقدم بيانه والسلمي وقيل معناه حططنا
عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي لان ايام الجاهلية كانت خالية من الدين
والامن ايام هرج ومرج فلما بعثه الله صلى الله عليه وسلم بالدين القويم
سلم هو ومن اتبعه وشرح الله صدوره بالاسلام وصفاهم من الاثام
فخفت ظهورهم وسددت امورهم وقيل معناه شغل سرك اي قلبه او
خواطر قلبه وحيرتك اي تحيرك في ابتدا امرك وطلب شريعتك اي طلبك
من الله شريعة تعمل بها حتى شرحنا ذلك لك بما اوحاه فاطمان قلبه وذهبت
حيرته حكي معناه القشيري في تفسيره وقيل معناه اي معنى ومنعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك خففنا عنك ما حملت اي كلفت حمل اثقاله من دعوة الخلق وتبليغ
امانة الرسالة التي لم يطق حملها الجبال حفظنا لما استحفظت يقال استحفظه
اذا استرعاه واعطاه امانة اي نحن حفظنا ما امرناك بحفظه عليك مما عسر
عليك القيام به وجعلنا لك جلدا وصبرا صيرا اثقاله خفيفة عليك ولما ورد
حينئذ انه اذا خففها عنه لم يكن انقض ظهره اشار لدفعه بقوله ومعنى انقض
ظهره على هذا اي كاد اي قرب من انه ينقضه اي يعييه ويثقله ولم ينقضه
بالفعل ويجوز على هذا ابقاوه على ظاهره وان انقاضه بالفعل لكنه خففه عنه
اي خففنا عنك ما كان انقض وهو راجع لما قاله المص لا وجه اخر كما قيل
ثم بين وجه دفع ما ذكره لما تمسكوا به تفصيلا فقال فيكون المعنى اي معنى
ومنعنا عنك الخ على قول من جعل ذلك الوضع مصروفا لما قبل النبوة اهتمام
النبي صلى الله عليه وسلم وهو خبر يكون بامور فعلها قبل نبوته ونزول
وحي فيها اي اعتناوه ببيان الله لحكمها حتى لا يكون عنده هم وغم ولكنها
حرمت عليه بعد النبوة ولم يكن مكلفا بها قبلها فعدها اوزارا بعد ما
حرمت عليه وخشي المواخذة بها قبل ذلك فاطلاق الوزر عليها باعتبار
ما بعد النبوة والتشريع وثقلت عليه واشفق اي خاف منها ومن المواخذة
بها لشدة مراقبته لله وخشيته له فمعنى وضعها على هذا بيان انه غير مواخذ
بها وانها لم تكن وزرا عليه يخافه او يكون معنى الوضع للوزر عصمة الله تعالى
له وحفظ خلقته بطهارة فطرته وكفايته بتطهير عنصره عن التحرز من ذنوب
لو كانت اي لو وجدت ومكرمته عنه لانقضت ظهره فهو امر على سبيل العرض

مرضي

والنبوة م

والتقدير بلا التخفيف والتقريب كما توهموه ولا يبعده قوله انقض مع هذا كما قيل ابن اقبرس
والوزر مجاز بمعنى الذنب وعلى ما قبله بمعنى الثقل كما في قوله او يكون من ثقل
امور الرسالة عليه وما في تبليغها من المشقة بجعل المعقول كالمحسوس او معنى
الوزر ما اثقل عليه وشق وشغل قلبه من امور الجاهلية كما نقله انفا عن مكي
رحمه الله واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واسترعاه عليه
من امانته كما تقدم ثم اخذ في دفع شبهة اخرى تمسك بها المجوزون للصغائر
فقال واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم في التخلف عنه فالعفو كالمغفرة تقتضي
ثبوت ذنب كما قالوه وليس كذلك فانه ما ذكر امر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه
وسلم من الله فيه نهي فيعده اي يجعله ويعتقده معصية منه مخالفة ما نهي
عنه ولا عده وصيره الله عليه معصية يستحق اللوم عليها بل لم يعده اهل
العلم اي احد منهم معاتبة لفعل خلاف الاولى مما ليس بمعصية وغلطوا من
ذهب الى ذلك اي عده وافول من قاله من المفسرين غلطا وهو قول منقول
عن قتادة وعتب الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في بعض ما لا يليق وان جاز
كما في قصة ابن ام مكتوم وقوله له مرحبا بمن عاتبني الله فيه ليس بمراد
هنا وان كان لا محذور فيه فلا اعتراض على المص كما قيل فان نفطويه تقدم ابن اقبرس
الكلام عليه وعلى ضبط اسمه ومعناه وقد حاشاه الله تعالى اي براه الله ونزهه
واصل معناه جعله الله في حشا اي جانب من ذلك اي من فعل ما يستحق عليه
العتاب فضلا عن ان يجازيه بمعصية ارتكبها بل كان مخيرا اي خيره الله في
امرين وهما انه ان شا اذن لهم في التخلف وان شا لم ياذن قط قالوا اي العلما
من السلف وقد كان له صلى الله عليه وسلم كما علم من تتبع احواله ان يفعل
ما شا مما يري انه مناسب لانه اذن له في الاجتهاد كما تقرر في الاصول فيما
لم ينزل عليه فيه شي من وحي يبين حكمه فكيف انكاره لانه معاتب وان لم يخير
في امور شي منها ما نحن فيه ولا يمكن انكاره وقد قال الله تعالى له في هذه
القضية فاذن لمن شيت منهم وهذا الامر وتعلقه بالمشية صريح في انه
صلى الله عليه وسلم مخير فلما اذن لهم كما امره الله اعلمه الله بما لم يطلع
عليه من سرهم اي مما خفي عليه من امرهما وبما اسروه واستتر من ضمايرهم
وهو انه لو لم ياذن لهم في القعود والتخلف عنه لقعدوا والجزمهم بالقعود
ولو امروا بخلافه واعلمه بما اوحاه اليه في هذه الاية من انه لا حرج لا وزر
ولا اثم عليه فيما فعل من الاذن لهم كما توهموه من ظاهر قوله عفا لانها
اشتهرت بمعنى غفر الذنب واشار الى ذلك بقوله وليس عفا هاهنا في هذه
الاية بمعنى غفر اي ستر وترك المواخذة والمعاقبة كما هو معناه المشهور
بل لها معان اخر منها ما ورد في الحديث كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في
حديث رواه ابو داود والترمذي والنسائي عن علي كرم الله وجهه ورضي
عنه انه صلى الله عليه وسلم قال عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
فهاتوا صدقة الرقة الحديث الا انه الذي رواه هولاء قد عفوت عنكم زكاة

الخيل والرقيق والمصنف رواه بلفظ آخر وقف عليه ومثله لا يبقى له العصا فاندفع قول من قال لم أقف على هذه الرواية ولم يجب عليهم قط لأن زكاة الخيل والرقيق لم تجب على مسلم قط حتى يكون العفو معناه إسقاط الوجوب كما أنه ترك عقوبة لازمة هنا أي والمعنى أنه لم يلزمكم ذلك أي زكاة الخيل والرقيق ونحوه معزو للقشيري رحمه الله قال القشيري وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب كما هو متعارف مشهور من لا يعرف كلام العرب فيقف على معانيه الواردة في كلامهم كعدم اللزوم الذي سمعته في الحديث الوارد في كلام أفصح العرب وأصل معنى العفو الترك وعليه تدور معانيه فيستقيم في كل مقام ما يناسبه فعفو الذنب ترك العقاب عليه وعدم إلزام الزكاة ترك لها قال ومعنى عفا الله عنك في هذه الآية لم يلزمك ذنبا فيما فعلته من الإذن قال الداودي رحمه الله من أئمة الحديث وتقدم من ترجمته روي أنها أي قوله عفا الله عنك كانت تكرمة من الله في خطاب نبيه عليه الصلاة والسلام أي تعظيما وتكريما يبتدئ وبه الكلام ونحوه ما قال مكي هو استفتاح كلام يوقعونه في أول خطابهم مثل أصلحك الله وأعزك هي جملة دعائية يبتدئون بها الكلام إكراما لمن يخاطبونه وهو عادة أهل التوسل في مكاتباتهم وهو قريب مما قبله بل معناهما واحد وهو ملاطفة في المحاورة تدعو لاستماعه حتى كأنه باستماعه مستحق للدعاء له والقرآن جاء على أساليب كلام العرب في جملة دعائية قصد بها إكرام المخاطب وحكى السمرقندي أن معناه عافاك الله قيل أخر لضعفه لبعد أحدهما عن الآخر لفظا ومعنى فكأنه غلط في المادة وهو من سوء الفهم لأن الراغب قال عفوت عنك قصدته إزالة ذنب وصرفه عنه ومفعوله متروك لأنه متعد في الأصل يقال عفاه واعتفاه وقولهم في الدعاء أسألك العفو والعافية أي ترك العقوبة والبلاء وعفا النبت والشعر زاد انتهى فهذه الجملة إذا قصد بها الدعاء إكراما كان معناها فواك الله حتى لا تبالي بمن تخلف عنك من عفا النبت والشعر إذا قوي وعافاك الله يقال في الدعاء بمعنى قواك الله لأن القوي لا يكون مريضا وقال الجوهري عافاه الله وعفاه بمعنى وهو دفاع الله عن العبد ما يكره فسقط ما قيل أنه لا يساعده اللغة وكيف يعترض على هذا ولا يعترض على تفسيره بأصلحك الله وأعزك فتدبروا أما قوله أي قول الله تعالى الذي استدل به من جوز المعاصي عليهم في أسارى بدر أي في حقهم وأسارى جمع أسير وهو معروف وبدر اسم محل وقعت فيه تلك الغزوة المشهورة سميت ببدر من قريش وهو الذي احتفر بها بئرا ثم سمي به مكانها وكان صلى الله عليه وسلم أسر من كبار قريش نحو سبعين رجلا كالعباس وعقيل كما فصل في السير فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الصحابة فأشار عمر رضي الله عنه بقتلهم كما مر فإنه قلما يظفر بمثلهم فتضعف شوكة المشركين وقال أبو بكر رضي الله عنه نأخذ منهم فدية نتقوى بها ونمن بإطلاقهم لعل الله يهديهم بعد ذلك فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيه وعمل به فأنزل الله فيهم

عرضي

عرضي

ابن امترى

ما كان

ما كان لنبي ان تكون له اسرى الايتين والاسير فعيل بمعنى مفعول من الاسر واصله سير
يشد به الاسير ولذا يقال لاخذه باسره اذا اخذه بجملة ومعنى يثخن في الارض يكثر
القتلى وقيل معناه يتمكن في الارض وما كان نفي الكون وجا بمعنى لا يليق ولا ينبغي
كما ياتي وبه فسره المستدل بهذه الاية على ان اخذ الفدية قبل قتل كثير من اعدائه
ذنب عاتبه الله عليه وهذه القضية مشهورة في السير والتفاسير فلا حاجة
للتطويل بايرادها فليس فيه اي فيما ذكر في الايتين الزام ذنب له صلى الله عليه وسلم
ومعصية صدرت منه باختيار الفدية التي لم تجز له كما فهمه المستدل بها بل ما ذكر
فيه بيان ما خص به اي جعله الله من خصائصه تكريما له وفضل به من بين سائر
الانبيا وتقييدهم فكانه عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي غيرك
اي لم يقع هذا الذي خصصت به من اجل اخذك الفدية ممن اسرته لنبي من
الانبيا السالفة غيرك فانه احل لك وخيرك الله فيه بين الفدا او القتل ونظيره
من خصائصه التي لم تكن لنبي قبله ما بينه بقوله كما قال صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح احلت لي الغنايم وروي المغانم ولم تحل لنبي قبلي والمستدل
به يقول معناه ما كان لنبي اصلا لا انت ولا غيرك اخذ الفدا قبل كثرة قتل اعداء
دينه ففيه مخالفة لما شرعه الله والمص رحمه الله قال ليس معناه هذا
حتى يتم الدليل وقال الخطابي من كان قبله صلى الله عليه وسلم من الانبيا
على ضربين منهم من لم ياذن له في الجهاد فلم يكن له غنايم ومنهم من اذن له
فيه ولم تحل له الاكل من الغنايم فكانت تنزل عليه من السما نار تحرقه وكان
له صلى الله عليه وسلم النص فانه فيها وفي المتن فان كيف تنا الا انه قيل
ليس في الاية ما يدل على ما قاله المص بخلاف الحديث وهو مروي في الصحيحين
عن جابر رضي الله عنه ولك ان تقول ان الفدا في معنى الغنايم لانه مال
ماخوذ من الكفرة فذكره للحديث اشارة الى انه مؤيد لهذا التاويل وفي
المسايل الاربعين للرازي العتاب وقع هنا على تركه الاولى لان الافضل
في ذلك الوقت الاثخان وترك الفدا قطعا للاطماع ولولا انه من باب الاولى
ما فوضه صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقال القرافي في حاشيته عليه المسماه
بالتنقيح انه وقع في الحديث ان عمر رضي الله عنه دخل عليه وهو وابو بكر يبكيا
فقال ما يبكيكما فقال صلى الله عليه وسلم عرض علي عذاب قومك ادنى
من هذه الشجرة والاولى لا عذاب في تركه ولتفويضه للصحابة لان الاجتهاد
كما يقع في الاولى يقع في الواجب بل لو استدل بهذا على انه اعلام انه
الوجوب لم يبعد لانه لم يكتف فيه باجتهاد نفسه فالصواب انه فوض
له الاجتهاد في امر الاسارى ففوضه لاصحابه فافتى عمر رضي الله عنه بالقتل
وكان هو المصلحة وهو من احدى موافقاته واجتهد الصحابة بما لم
يود للمصلحة فخلص عمر ولم نر اخذ النبي صلى الله عليه وسلم لبذل جهده
في اجتهاده فله اجر وقال فيما مر عذاب قومك دون عذابي لخروجه
من موجب العقاب ببذل جهده والى هذا ذهب فحول العلم وجمع بين

ظاهر الاية وما يجب لمقامه صلى الله عليه وسلم من العصمة انتهى وهو حسن جدا
واحسن مما اختاره المص فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الاية سؤال
وارد على ما اختاره من انه امر اختص به بانه لو كان كذلك ما عوتب عليه بما ذكر من
انهم رجحوا اخذ الفدا وهو مال غاد ورائح وعرض فان لا ينبغي النظر اليه قيل
في الجواب عنه المعني بكسر النون وتشديد اليا اي المقصود بالخطاب في قوله تريدون
لمن اراد ذلك اي عرض الدنيا منهم اي من الصحابة الحاضرين الوقعة وتجرد
اي خلص وتمحض غرضه بمعجمتين اي قصده لعرض الدنيا بمهملتين وبينه
وبين العوض تجنيس وحده اي منفردا عن قصد ثواب الاخرة وهو مؤكد
لما قبله والاستكثار منها باخذ ما ينال له وليس المراد بهذا الخطاب النبي صلى
الله عليه وسلم لشرف نفسه عن النظر لها ولا علية بكسر العين واللام ساكنة
بعدها يا مخففة جمع على كفتية جمع فتى وصبي وصبية وقيل انه اسم جمع
اصحابه اي كبار الصحابة كابي بكر وعمر وغيرهم ممن حضر الوقعة وقد علمت
بما قرره العراقي انه صلى الله عليه وسلم ليس معاتبا ولا مخاطبا هنا اصلا
وانه هو التحقيق ثم ايد كون الخطاب ليس لهؤلاء بما روي في سبب نزوله
فقال بل اضراب انتقالي قد روي عن الضحاك انها اي اية تريدون الخ نزلت
في امر اخر غير الفدا فلا يرد السؤال راسا وذلك حين انهزم المشركون يوم بدر
واشتغل الناس اي بعض منهم بالسلب بسين مهملة ولام مفتوحتين ما
يستلب اي يؤخذ من القتيل من لباسه وما معه وقد بينه الفقهاء
واختلفوا فيمن يستحقه ممن له حق في الغنيمة او القاتل مطلقا او ان
شرطه له الامام كما فصلوه والسلب ايضا شجر يتخذ منه حبال ولذا
تسمي العامة الحبال سلبا كما في بعض كتب اللغة وجمع الغنايم عن القتال
متعلق باشتغل حتى خشي عمر رضي الله عنه اي خاف على المسلمين ان يعطف
اي يرجع كارا عليهم اي على المشغولين بما ذكر العدو والذين انهزموا
والعدو يقع على الواحد وغيره وكثيرا ما يقع في العساكر ضرر عظيم
بمثل هذا وعمر رضي الله عنه ادرى بذلك ثم قال تعالى في هذه الاية
والقصة لولا كتاب من الله سبق تقدم على هذه القصة وتقدم بيان
المراد بالكتاب هنا وسياتي ايضا واختلف المفسرون في معنى هذه الاية
والمراد منها فقيل معناها كما نقله الطبري ما قاله محمد بن علي بن الحسين
ابن علي بن ابي طالب لولا انه سبق مني اي من الله فيما اوحاه لنبيه صلى
الله عليه وسلم اني لا اعذب احدا الا بعد النهي ولم ينهكم احد لعذبتكم
على ما فعلتم من اخذ الفدا لانه لو كان منهيا عنه محرما استحق مخالفه
العذاب فالمراد بالكتاب حكم الله الذي كتبه وقدره فهذا التفسير ينفي
ويمنع ان يكون امر الاسرى اي فدائهم معصية لانه لم ينه عنه ولم
يحرم فلا ذنب في الاية لما مر وعلى هذا التفسير تكون هذه الاية
مخصصة لعموم اقتلوا المشركين فلا وجه للاعتراض به على ما ذكره المص

فدام

مضى

وقيل

وَقيل المعنى المراد من هذه الاية لولا ايمانكم بالقران وهو المراد بالكتاب السابق في قوله
لولا كتاب من الله سبق وقدر الايمان في النظم لان ذات الكتاب لا تمنع العذاب الا بالايمان
بما تضمنه من هذه الاحكام فاستوجبتم اي استحققتم به المنع اي العفو وعدم
المؤاخذة لعوقبتم على اخذكم الغنايم وما هو في حكمها من الفدية وهذا حكاه ابن
عطية في تفسيره وليس فيه تحصيل الحاصل كما توهم لما سياتي ويراد برأي محمد
فعل مجهول من الزيادة هذا القول تفسيرا وبيانا وايضاحا بان يقال في تقرير
المعنى لولا ما كنتم مؤمنين بالقران بحقيقته وحقيقة ما فيه من الاحكام وما تستنده
وقوله وكنتم ممن احلت لهم الغنايم معطوف على ما قبله لعوقبتم كما عوقب
من تعدا ابفتح التا الفوقية والعين والدال المهملتين المشددة دالة قبل الالف
فعل ماض والكتاب على هذا بمعنى القران وسبقه لتقدمه في الازل او لتقدم ما
نزل او حكم الله الذي كتبه وقدره وحاصله انه لولا ان الله انزل القران وما فيه
من الاحكام واحل لكم فيه الغنايم لمسكم العذاب واحل بكم العقاب كما عوقب من قبلكم
من الامم لتجاوز والحدود وتعدوا ما نهاهم الله عنه وهو اما تشريع
وامتنان عليهم بما احله لهم ولم يضيق عليهم كما ضيق على الامم السابقة او
هو ردع لمن استقل بالغنايم والسلب فقد روى ابو داود عن ابي هريرة انه لما
كان يوم بدر تعجل الناس الى الغنايم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الغنيمة لا تحل لاحد سود الروس غيركم وكان النبي واصحابه اذا غنموا الغنيمة
جمعوها فنزلت نار من السما فاكلتها فانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق
الايتين واخرجه الترمذي وقال صحيح حسن ووقع في الشرح الجديد هنا
مؤاخذة على ما في الكشاف هنا مع ما فيها لا مساس لها بالمقام ناشية من عدم
التدبر وقيل معناه لولا انه سبق في الازل في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه
كل ما هو كاين الى يوم القيامة انها اي الغنايم حلال لكم لا انتفاع بها والتصرف
فيها لعوقبتم على اخذها فهذا المذكور في التفاسير كله ينفي الذنب والمعصية
فيما فعله باسرى بدر لان من فعل ما احل له على ما وجهه به لم يعص الله ولم
يعد ما صدر منه معصية حتى يستدل بما ذكر فيها على تجويز الصغاير عليهم
ومما هو صريح في حله ما اشار اليه بقوله قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم اي
من غنايمكم حلالا طيبا فكلوا بمعنى انتفعوا به وليس المراد خصوص الاكل
وذكره لكثرته وغلبته على غيره من الانتفاع واستدل بهذا على ان الامر الوارد
بعد الحظر للاباحة وعليه الاكثر والقايل بان الاصل فيه الوجوب يجيب عنه
كما فصل في الاصول وفي الكشاف وتبعه القاضي في قوله لولا كتاب من الله سبق
الخ قيل لولا ما شا الله من ان يحل لكم الفدية واعترض عليه بانه يقتضي انه
صلى الله عليه وسلم لم يعلم حل الغنايم له حين ذهب لبدر والظاهر
انه انما اقدم على ذلك ورغب فيه بعد علمه بحله له ولم يخرج لبدر الا طالبا
للغنيمة ولولا ذلك لم ياخذ عير قريش وهو وهم منه فانه لا يلزم من
علمه بحل الغنيمة علمه بحل الفدية وان كانت في حكمها وقد اورده على قوله لولا

ابن اقترس

بق

عرضي

عرضي

انه سبق في اللوح المحفوظ الخ وهو غير وارد لان المعنى لو لم نحل لكم الغنيمة وهو
يقتضي حل الفدية فتامل وقيل بل كان صلى الله عليه وسلم قد خير في ذلك اي في اخذ
الفدية من الاسرى وفي قتلهم فلما اخذها قيل له كان الاولى خلافه لكن بكاؤهما
السابق ورؤيته صلى الله عليه وسلم دنو العذاب منهم باباه كما تقدم ويدل على
انه مخير في ذلك انه قد روي عن علي رضي الله عنه انه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله
عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ببدر ان شاؤا القتل وان شاؤا
الفدا اي اخذ الفدية والمال منهم على ان يقتل منهم في العام المقبل والسنة التي
تلي هذه السنة اي ان الله قدر عليهم ان اخذوا الفدية يقتل من الصحابة مثلهم
اي بعددهم فقالوا نختار الفدا ويقتل منا مثلهم رغبة في الشهادة وهذا
المذكور كله دليل على صحة ما قلنا من انهم لم يفعلوا في وقعة بدر من اخذ الفدية
الا ما اذن لهم فيه اي جوز لهم فلا ذنب ولا معصية لكن بعضهم اي بعض
الصحابة الذين استشارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك مال الى اضعف
الوجهين من الفدية دون القتل باجتهاد منه ولا اجتهاد يجوز من الصحابة
بحضرته صلى الله عليه وسلم كما صححه اهل الاصول مما كان الاصلح للاسلام
والمسلمين غيره وهو القتل وبينه بقوله من الاثخان والقتل الذي هو اعز الوجهين
فاختاروا الاذل لما خيروا فعوتبوا على ذلك من اختيار غير الاصلح وبين لهم ضعف
اختيارهم الفدية وصوب اختيار غيرهم وهو ما اختاره الفاروق وكلهم غير
عصاة ولا مذنبين لان كلا منهم قال ما اداه اليه اجتهاده ظانا ان الحق فيه والى نحو
هذا اشار الطبري رحمه الله وانما وبخوا وخوفوا وقوع العذاب بهم لان
المخوف منهم من تجرد نظره للمال في العاجل مثل الصديق رضي الله عنه ممن
فعله شفقة على قومه ورجا ان الله يهديهم للاسلام ويعز بهم الدين
في الاجل وقد حقق الله رجاه ولا اعتراض على هذا بانه لو كان كذلك ما وقع
توبيخ شديد ومن طالع السير وما وقع في هذه الغزاة علم هذا وحققه
وقوله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة لو نزل من السما عذاب ما نجا
منه الا عمر جواب عن سؤال ورد على ما قررناه من انهم غير عصاة ولا مذنبين
وهو انه اشارة الى هذا المذكور من تصويب رايه اي راي عمر رضي الله عنه
وراي من اخذ بما اخذه اي وافقه فيما قاله في اعزاز الدين وغيظ الكفرة بايقاع
القتل برؤوسهم وارهاب قلوبهم في اول واقعة وقعت بينهم واظهار
كلمته بان تكون كلمة الله ورسوله هي العليا وتكون ظاهرة شائعة وابادة عدوه
اي اهلاكه وافناؤه لان الاسرا كانوا عظما ائمة الكفر فلو قتلوا لم يكن لهم
تعود بعده وان هذه القضية اي قضية اسرى بدر واخذ الفدية منهم
واطلاقهم لو استوجبت عذابا اي اقتضت وقوع العذاب بمن فعلها
لمخالفتها الامر الله نجا منه اي من العذاب الذي اقتضته عمر لانه رضي الله عنه
لم يرض به ولم يره رايا صحيحا ومثله اي ونجا منه مثله ممن كان على رايه
وهو سعد بن معاذ رضي الله عنه كما ورد في الحديث وعين عمر اي خصه

بالذكر

بالذكر مع ان جماعة منهم كانوا على رايه لانه اول من اشار بقتلهم جوابا لقول النبي
صلى الله عليه وسلم له كما في صحيح مسلم ما ترى يا ابن الخطاب فقال ما ارى راي ابي
بكر ولكني ارى ان تمكنا فنضرب اعناقهم الحديث ولكن الله لم يقدره عليهم في ذلك
اي في مقابلة رايهم بالفدية لحله لهم اي لان الله احله لهم وخيرهم فيما سبق هذه
الواقعة وقال الداودي تقدمت ترجمته والخبر بهذا لم يثبت اي لم يثبت المنع
من اخذ الفدية لا الحديث الذي فيه ما راه عمر وغيره ولو ثبت لما جاز ان يظن ان
النبي صلى الله عليه وسلم يحكم بما لا نص فيه بوحي نازل عليه ولا دليل يدل له
على ما حكم به مستنبط من نص سبق باجتهاده ولا جعل الامر فيه من الله مفوض اليه
فانه وقع التفويض اليه صلى الله عليه وسلم في امور اذن له بالحكم فيها بما
كما صرحوا به وقد نزهه الله عن ذلك بقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا
وحي يوحى والاجتهاد والتفويض بوحي وحي وقال القاضي بكر بن العلا امام
مذهب مالك كما تقدم اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الاية
النازلة في اسرى بدر ان تاويله الذي قبله من ابي بكر رضي الله عنه في اختيار عدم
القتل وافق ما كتبه له اي حكم به وحرره بقوله لولا كتاب من الله سبق في علمه
وحكمه من احلال الغنايم لهم واحلاله لهم اخذ الفدا وكيف لا تكون الفدية حلت
لهم قبل هذا وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قبل هذا اي قبل
غزوة بدر فادوا اي اخذوا الفدا من المشركين في سرية عبد الله بن جحش التي
قتل فيها ابن الحضرمي لما مرت عير لقريش بتجارة من الطايف ومع العير عمرو بن عبد
الله الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله ونوفل بن عبد الله والسرية
قطعة من السرى وهم ناس يرسلون للعدو من خمسة الى ثلاثماية او اربع
ماية ولم يعين ابو حنيفة عددا الا اقلهم وقال ابو يوسف سبعة فصاعدا
وقال الماوردي يطلق على الواحد سرية والظاهر انه مجاز فلا بد من عدد له
منعة وعبد الله بن جحش هو ابن رباب بن معمر الاسدي وامه اميمة بنت عبد
المطلب عمته صلى الله عليه وسلم اسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم
دار الارقم وهو من المهاجرين الاولين واستشهد باحد ودفن عند حمزة رضي
الله عنه وسريته كانت في رجب في السنة الثانية او في جمادى الاخرة ومعه
ثمانية من المهاجرين او اثنا عشر هو اميرهم وهو من سمي امير المومنين
ويعرف بالمجدع في الله لجدع انفه واذنيه باحد وكان دعا الله بذلك وكانت
السرية قبل بدر بشهر او اكثر كما سياتي وبعث ليترصد عير قريش فساروا حتى
نزلوا ببطن نخلة بين مكة والطايف فرمى واقد بن عبد الله الصحابي عمرو بن
الحضرمي فقتله فكان اول قتيل من المشركين واستاسروا الحكم وعثمان وكانا اول
اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فقدموا المدينة بالعير والاسيرين فاسلم
الحكم واقتدى صاحبه عثمان بن عبد الله ورجع لمكة فمات بها كافرا وقد
فدى نفسه بالحكم بن كيسان وصاحبه عثمان بن عبد الله والبا متعلقة بقوله
فادوا لا بقوله قتل لان المذكور هنا ان الحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة المخزومي

اسر في هذه السرية اسره المقداد بعد قتل ابن الحضرمي فاراد عبد الله بن جحش ضرب
عنقه فقال له المقداد دعه نقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
قدم به اسلم وحسن اسلامه وقتل ببير معونة وسياتي تفصيله فعاتب الله
عليهم اي على النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة في اخذ الفدية فلو كانت
ممتنعة وبخهم الله على ذلك والمراد بالعتب التوبيخ والانكار مجازا عن لازم
معناه اذ معناه لا يليق به تعالى لانه يستعمل فيما بين الاقران وانما عبر به
ليشمل خلاف الاولى وذلك اي ما وقع من الفدا في تلك السرية كان قبل بدر اي
قبل وقعتها بازيد من عام كذا في النسخ وهو سهو لان بدرا الاولى وقعت في ربيع
الاول بعد ثلاثة عشر شهرا من الهجرة فتكون هذه الوقعة في سنة اثنين من
الهجرة ثم في رجب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السرية ثم في
رمضان من هذه السنة وقعت غزوة بدر الكبرى فبين هذه السرية وغزوة
بدر نحو ثلاثة اشهر فكان المص توهم انه هذه السنة سنة ثانية وليس كذلك
وحاصل قصة هذه السرية انه صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش
ومعه ثمانية رهط من المهاجرين وكتب له كتابا وامره ان لا يقراه حتى يسير
يومين وان لا يستكره من اصحابه احدا ففتحه بعد يومين فاذا فيه اذا نظرت
كتابي فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم خبرهم
فلما قراه قال سمعا وطاعة واعلمهم بما في كتابه صلى الله عليه وسلم فلم يتخلف
وسلك الى الحجاز فلما كان بنجران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان
بعيرا لهما فتخلفا في طلبه فمضى ابن جحش واصحابه حتى نزلوا بنخلة فمر بهم
عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن المغيرة واخوه نوفل والحكم بن كيسان
مولى هشام بن المغيرة فلما راهم القوم هابوهم ونزلوا قريبا منهم فاشرف
عليهم عكاشة بن محصن وقد حلق راسه فقالوا عمار لا باس عليكم منهم وذلك
في اخر يوم من رجب ثم تشاوروا وقالوا ان تركتموهم الليلة دخلوا الحرم
فامتنعوا به وان قتلتموهم قتلتموهم في الشهر الحرام ثم اجتمعوا على قتل من قدروا
عليه واخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي ابن الحضرمي بسهم فقتله
واستاسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان واعجزهم نوفل بن عبد الله
واقبل ابن جحش واصحابه بالعير والاسيرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل ان ابن جحش قال لاصحابه ان لرسول الله مما غنمنا الخمس وذلك قبل
ان يفرضه الله فقسم ذلك بين الصحابة وقال ابن اسحاق انهم لما قدموا عليه
صلى الله عليه وسلم قال ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام ووقف امر العير والاسيرين
ولم ياخذ من ذلك شيئا فندم المسلمون على ما صنعوا وقالت قريش استحل
محمد واصحابه الشهر الحرام بسفك الدم واخذ المال والاسر فقال المسلمون
بمكة انما وقع ذلك في شعبان فلما كثر القيل والقال انزل الله تعالى يسالونك
عن الشهر الحرام قتال فيه الاية ففرح المسلمون بذلك وقبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين وبعثت قريش في فدا عثمان بن

عبدالله

عَبْدُ اللهِ وَالحكم بن كيسان فقال صلى الله عليه وسلم لا نفدي حتى يقدم صاحباي يعني
ابن ابي وقاص وعتبة بن غزوان لخشية ان يقتلا قريش بمن قتل منهم فلما قدما
فداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم وحسن اسلامه حتى استشهد ببير معونة واما
عثمان فلحق بمكة ومات كافرا كما مر وهذا المذكور كله يدل على ان فعل النبي صلى
الله عليه وسلم في شان الاسرى من الفدا وما وقع معه كان على تاويل باجتهاد منه
صلى الله عليه وسلم ومن الصحابة وبصيرة بالنظر الصحيح في انه فيه اعانة ورجا
لان الله يهديهم في الاجل الى الاسلام وكان كذلك وهو جار على ما قد تقدم قبل
اي قبل بدر مثله من وقوع الفدية في سرية ابن جحش ولم يعاتبوا عليه فلم ينكره
الله تعالى عليهم كما بيناه انفا لكن الله تعالى اراد بقوله تعالى ما كان لنبي ان تكون
له اسرى لعظم امر بدر وانها كسر شوكة المشركين وارعب قلوبهم فلو زادوا
ذلك بقتل من اسروه كان اتم وكثرة اسراها الواقعة فيها بما اداه اجتهادهم اليه
اظهار نعمته متعلق باراد اي ظهورها على المسلمين وانهم لو تركوا الفدية اغنا
الله عنها وتاكيد منته اي نعمته عليهم بتعريفهم ما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ
بقوله لولا كتاب من الله سبق على احد الوجوه المتقدمة واللوح المحفوظ
مبين في كتب الحديث والتفسير من حل ذلك لهم اي كونه حلالا مباحا وتا فيه لهم
لا على وجه عتاب اي لم يذكره للومهم بل لبيان شكره ونعمته وانكار عليهم
في اختيار الفدية او تذنيب اي نسبتهم لذنب ارتكبوه بما فعلوه هذا معنى
كلامه اي كلام القاضي بكر بن العلا وهو الذي اختاره المص خلافا لمن قال ان الحق
انه عتاب من الله وارتضاه بعض الشراح هنا وقال ان ما ذكر تكلف لا ينبغي
ارتكابه واما قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى من عنه بوجهه الاية اي ما يشعر
به ظاهرها من انه صدر عنه صلى الله عليه وسلم ما استحق عليه العتاب
واستدلال بعضهم بهذه الاية والقصة على تجويز الصغاير عليهم كما تقدم
اجمالا فليس فيها اثبات ذنب له صلى الله عليه وسلم ولا تجويزه عليه كما توهم
من استدل بها على ذلك بل اعلام له صلى الله عليه وسلم ان ذلك المتصدى بصيغة
اسم المفعول ونايب فاعله قوله له اي اقبل عليه وتوجه له واصله مقابلة الشي
كما يقابله الصدى وهو الصوت الراجع اليه من جبل ونحوه كما قاله الراغب
وفي التعبير به نكتة وهي ان كلامه ولا عبرة به كما قال المتنبي

انا الطاير المحكي وغيري هو الصدا

ممن لا يتزكى اي لا يسلم فيطهره الله من دنس الشرك وان الصواب والاولى والاليق
به صلى الله عليه وسلم ما لو كشف لك حال الرجلين اي ابن ام مكتوم ومن كان عنده
من المشركين والاقتصار على الاول والا فالكفرة كانوا جماعة كما ستسمعه الاقبال
ويقال عمرو بن ام مكتوم واسم ام مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم وعمرو هذا هو
ابن قيس بن زيد بن الاصم على الاعمى دون غيره والاعمى هو عبد الله بن شريح
والذي يتصدى له جماعة من كبار المشركين بمكة اختلفوا فيهم فقال مجاهد
كانوا ثلاثة عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابي بن خلف وزاد بعضهم ابا جهل

ه

اي طلع وجههم

بيان
الاقبال على الاعمى دون غير
والاعمى هو عبد الله بن شريح
ويقال عمرو بن ام مكتوم الى قوله
ابن زيد بن الاصم والذي يتصدى لجماعة

والعباس وامية بن خلف والوليد بن المغيرة وكان صلى الله عليه وسلم يرجوا اسلامهم واسلام
غيرهم وقد قدمنا عن القرطبي ان هذا باطل وجهل ممن قاله لان امية بن خلف والوليد
كانا بمكة وابن ام مكتوم كان بالمدينة لم يحضر معهم وماتا كافرين احدهما مات بمكة
والاخر ببدر ولم ياتيا المدينة وتقدم انه شنع على القرطبي فيما قاله فان سورة
عبس مكية وابن ام مكتوم اسلم قديما بمكة قبل الهجرة وكان مع النبي بمكة والمدينة وهاجر
قبل النبي صلى الله عليه وسلم مع مصعب بن عمير رضي الله عنه فكيف تجهل من نقل
هذه القصة من كبار المفسرين ثم اشار الى ان ما فعله صلى الله عليه وسلم ليس ذنبا
بل فعلا حسنا لانه تبليغ للرسالة ولطف في الدعوة بالاقبال على من كان من اهل
العناد والكبر فاعله بحال الزيغين فقال وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل من
التصدي وما معه الذي اشار اليه بقوله وتصدى به لذلك الكافر تقدم وجه اوازه
كان طاعة لله وتبليغا عنه فما فعله صلى الله عليه وسلم كان امرا لازما له
وابتلا له اي امتحانا له للكافر وتاليفه له رجا لاسلامه كما شرعه الله له وفرضه
عليه بامره بالتبليغ ولين الجانب لمن يدعوه لا معصية كما زعمه من تقدم ومخالفة
له اي لما شرعه الله وما قصه الله عليه في هذه السورة اعلام بحال الرجلين المذكورين
وتوهين امر الكافر عنده اي تضعيفه وبيان لحاله لانه لا مقدار له يعتد به واشارة
الى الاعراض عنه بقوله وما عليك ان لا يزكى لان معناه لا باس عليك من امره فلا تلتفت
اليه والضمير في قوله وما يدريك لعله يزكى لابن ام مكتوم وقيل ضمير لعله للكافر
يعني انك اذا طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتنفعه الذكرى الى قبول الحق وما
يدريك اي ما طمعت في ان يتزكى بالاسلام كائن والاول هو الاولى لان ما في القران من
يدريك فهو مما اعلمه الله به وما فيه من ادراك لم يعلمه به وايضا فالكافر لم يسبق
له ذكر رجا ولا ضمنا وقوله وما عليك ان لا يزكى انه لا باس عليك بعدم اسلامه
ثم صرح على اسلامه الحاصل لكن على الاعراض عن غيره تطييبا لخاطره الاولى تركه
لان ما عليك الا البلاغ وقد فعلت وقد تقدم تتمة لهذا فتذكره وقيل المراد
بقوله عبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المجلس
قاله اي هذا القول ابو تمام الشاعر صاحب كتاب الحماسة على ما يأتي وهو قول
في غاية الضعف بعيد من السياق والذي عليه المفسرون انه النبي صلى الله عليه
وسلم وفي التفات الكلام له بدون الخطاب اكرام له صلى الله عليه وسلم عن ان
يواجه بالعتب لا مبالغة في العتب لان فيه تعرض اعراض كما قاله ابن عطية
واما قصة ادم عليه الصلاة والسلام والاستدلال لان بها على تجويز الصغائر
على الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقوله تعالى فاكلا منها اي من الشجرة بعد
قوله له ولزوجته حوى ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين الى الخ لاجل
الله ولطفه وقوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة شجرة الكرم او التين او
غيرهما كما بينه المفسرون وتصريحه تعالى بالحا المهملة وضمنه معنى النداء
فعداه بعلي في قوله عليه بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه فغوى اي ضل
عما بينه له وقيل معناه جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره

جواب

جواب اما او هو جواب عما اسند لو ابه لانه ارتكب معصية و ذنبا بقوله ولقد عهدنا الى ادم
اي اخذنا عليه وبينا له ما يلزمه فتركه من قبل اي قبل اكله من الشجرة فنسي العهد المتقدم
ولم نجد له عزما ثابتا على ما عهد اليه لان العزم توطين النفس على فعل او ترك وقريب
منه تفسيره بالصبر الاتي وعلى هذا فالذي نسيه هو نهي الله له عن الاكل من الشجرة وفعله
ناسيا لا يكون ذنبا لعدم المؤاخذة به وفيه انه لو كان كذلك ما جازاه الله باخراجه
من الجنة ونزع لباسه وقيل انه ذكر تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن عصيان قومه
لان مثل ادم اذا عصى ربه فما بالك بغيره وقال ابن عطية انه ضعيف لان جعل ادم
مثلا للكفار لا ينبغي والذي اراه انه ابتدا قصص او انه لما عهد له صلى الله عليه وسلم
ان لا يعجل بالقران فنسي سلاه بانه سبق مثله لادم فعفي عنه فلا لوم عليه ثم ذكر
وجها اخر فقال قال ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كما تقدم في ترجمته
نسي عداوة ابليس له لحسده على جعله تعالى خليفته قيل وكان النسيان يؤاخذ
به المكلف ثم عفي الله عنه كما ياتي وبهذا علم الجواب عما تقدم ونسي ما عهد
الله اليه من ذلك اي من كون ابليس عدوا له ولزوجه وولده بقوله ان هذا
عدو لك ولزوجك الاية وحذره منه كما قصه في قصته وبينه المفسرون
قيل نسي ذلك المذكور من عداوته بما اظهر لهما اي لادم وزوجه من المخادعة
فدلاهما بغرور وقال ابن عباس رضي الله عنهما انما سمي الانسان انسانا لانه عهد
اليه فنسي واصله انسيان ووزنه افعلان قلبت ياؤه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها
وحذفت الهمزة لالتقاء الساكنين فالهمزة زائدة ولامه محذوفة وقيل انه من الانس
ووزنه فعلان وانما ذكر هذا توجيها للقولين المذكورين فلا وجه لما قيل انه لم يقع
موقعه لعدم مناسبته لما قبله ويدل لقول ابن عباس انه تصغيره انيسيان ولذا
قيل كما تقدم وان اول ناس اول الناس

وقلت

ومن لم يكن ينسى لضعف والذي تقدم من حفظ فليس بناسي

وقيل في توجيه ما صدر من ادم عليه الصلاة والسلام انه لم يقصد المخالفة
لما نهاه عنه استحلالا لها اي لعدها حلالا حتى لا يكون ذلك معصية ولكنهما
اي ادم وزوجته اغترا بحلف ابليس لهما اي قسمه وقوله والله اني لكما لمن
الناصحين في تحسينه الاكل لهما من الشجرة وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا
مخالفا للواقع وقد روي عن ادم انه اعتذر عما صدر منه بمثل هذا المذكور
من ظنه صدقه لاقسامه لهما في بعض الاثار المروية عن السلف او الاحاديث
وذلك انه رآهما في الجنة ونعيمها فبكى فقالا له ما يبكيك قال رحمة لكما
لزوال هذا النعيم عنكما فقالا فماذا يكون مانعا عن زواله فدلهما بتاويله
اليمين وقسمه على ما قاله قالوا وهو اول من وقع منه الحسد والكذب في اليمين
وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما وخدعهما بان الاكل ليس فيه
مخالفة لما نهي الله عنه والمؤمن يخدع مبني للمفعول اي من شانه ان
ينخدع لتصديقه من غره لسلامة صدره وظنه ان احدا لا ينافق ولا

ابن اقبرس

يكذب وليس هذا الغفلة ادعاه بل لانه لكونه لا يفعل ذلك يعتقد ان غيره مثله ولذا قيل
ان الكريم اذا خادعته انخدعا وقد قيل في توجيه ذلك ايضا انه نسي ولم ينو المخالفة
للعهد الذي عهده الله له والنسيان مغتفر وفي تفسير الثعلبي ان النسيان كان مواخذا
به لشأنه عن اسباب اختياريه ثم نسخ ذلك فلذلك قال الله تعالى ولم نجد له اي
لادم عليه الصلاة والسلام عزما اي قصدا للمخالفة لنهيه فيما نهاه فان العزم التصميم
على فعل او ترك وهو مستلزم ماذكر وتقدم فيه تفاسير اخر واكثر المفسرين على ان
العزم معناه المراد منه هنا الجزم وهو الاخذ بما فيه سداد بعد النظر التام فيه والصبر
حتى يتيسر له مراده من غير قلق واضطراب وقيل كان عند اكله سكران فلم يخالف قصدا
والسكر لم يكن حراما اذ ذاك والجنة ليست دار تكليف ايضا الا انه ورد ان خمر الجنة
ليس له سكر ولا خبال كخمور الدنيا ولا يخفى ان هذا الوجه في غاية الضعف فالاولى
تركه الا انه قول سعيد بن المسيب كما نقله البغوي وان ماذكر غير مسلم لا سيما
اذ قلنا ان الجنة ليست هي دار الخلد كما هو احد اقوال المفسرين فيها ولذا قال
المصنف وهذا القول ضعيف لانه تعالى وصف خمر الجنة بانها لا تسكر فينافي هذا
الجواب وهو اشارة الى قوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون فانه فسر
بانها لا تذهب عقولهم من نزف عقله اذا ذهب والكلام عليه مفصل في التفاسير
فاذا كان ادم عليه الصلاة والسلام ناسيا على احد الوجوه السابقة لم يكن ما فعله
ادم معصية فلا يصح الاستدلال حينئذ بالاية وكذلك اذا كان ملبسا عليه يعني
تلبيس ابليس الذي غره به وقسمه له بانه ناصح له وانه يريد خلوده في الجنة وعدم
زوال نعمته عنه وان يغفر الله له ليس بتحريمه مواخذ فيه كما يواخذ بما يأتي اي عالما
وقع من ادم عليه الصلاة والسلام الغلط بقبوله تلبيسه وتغريره له بانه
لا اثم عليه في اكله اذ الاتفاق من ائمة الدين على خروج الناسي والساهي من حكم التكليف
يعني انه ليس مكلفا بنص القران والحديث فلا يكتب عليه ذنب وايضا انه كان في
جنة الخلد وليست دار تكليف الا انه قيل ان السهو والنسيان كان مواخذا به شرعا
ثم نسخ كما تقدم عن الثعلبي وايضا قيل ان الجنة انما تصير دار اباحة
دون تكليف بعد الحشر واما قبل فلا على انه فيه بحث اذ المراد به انه ليس فيها
تكاليف الدنيا كالصلوات الخمس والزكاة ونحوه مما علم من الاحكام الشرعية اما
اذا قال الله تعالى لاهل الجنة امرتكم بكذا او نهيتكم عنه فانه لا تجوز مخالفته
بلا شبهة وهذا انما لا ينبغي الغفلة عنه وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وهو
ابو محمد بن الحسين الاصفهاني امام اهل السنة والكلام وكان في عصره اجل من
تصدر للوعظ والتدريس والتأليف وله مصنفات كثيرة جليلة ومناظرات
عجيبة وله رحلة للهند وغيره ولما رجع الى نيسابور مات في الطريق سنة
ست واربعمائة فنقل لنيسابور ودفن بها وقبره يزار ويستجاب عنده
الدعا كما ذكره المؤرخون كابن خلكان وفورك بضم الفاء وسكون الواو وفتح
الراء وكاف وتقدم في صدر الكتاب التردد في انه مصروف او ممنوع من الصرف
وغيره من العلماء انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة وفي عصمتهم من الصغاير

قبلها

فيها خلاف وقد حقق في كتبه ودليل ذلك قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه
ربه اي اختاره للنبوة فتاب عليه مما صدر منه قبل النبوة وهدى اي هداه الى علم
ذكر ان الاجتبا والهدى مصدر بمعنى الهداية وليس على هذا الوزن مصدر الا الهدى
والسرى والتقى على كلام وفيه في شرح سيبويه كانا نعد العصيان لعطفه بثم كما لا يخفى
فالمعنى ان الله ارتضاه للنبوة وانه لم يصدر عنه ذنب بعدما نبئ والاجتبا الاجتبا
من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته فالاجتبا جمعه للمعارف والعلوم اللدنية وقد قيل
عليه انه في غاية البعد لان ظاهر الحال من سجود الملائكة لادم واظهار فضله عليهم
ومخاطبته في حضرته يمنع هذا الاحتمال اذ لا معنى للنبوة غير هذا فالاستدلال
به على نبوته اولى مما استدل به المص رحمه الله وقيل في الجواب عما استدل به على تجويز
الصغائر على الانبيا عليهم الصلاة والسلام بل اكلها ناسيا ولا لحل اكله وانه لا يصدر
عنه به معصية واشار للتاويله بقوله وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها بالبنا
للمفعول اي التي نهاه الله عنها في الاية لانه تاول نهي الله تعالى له بقوله لا تقربا
هذه الشجرة اي لا تاكلا من هذه الشجرة الاية بانه انما نهي عن شجرة مخصوصة لقوله
من هذه الشجرة لان اسم الاشارة موضوع لفرد معين مشاهد لا على الجنس اي انه نهي عن
جنس هذه الشجرة الشامل لجميع افرادها وبعضهم قال ان اسم الاشارة قد يشار به الى
الجنس مجازا وبه صرح النحاة كما في اول شرح الكتاب والمراد بالجنس الكلي مطلقا فيشمل
الجنس والنوع وغيره وللبعض الشراح هنا كلام لا محصل له ولذا اي لاجل انه تاول
بما ذكر قيل انما كانت التوبة من تركه التحفظ قال الراغب التحفظ قلة الغفلة
وحقيقته تكلف الحفظ لضعف القوة الحافظة انتهى والمراد تركه التيقظ والتنبه
وقيل في الجواب وبيان تاويله انه تاول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم
وانما هو نهي تنزيه عن خلاف الاولى وكونه لا يناسب قوله فتكونا من الظالمين
كما قيل سياتي ما يدفعه في كلام المص فان قيل فعلى كل حال مما ذكرته في توجيه ما
صدر من ادم كيف يكون لا معصية منه وهو مشكل فقد قال تعالى في هذه
القصة وعصى ادم ربه فاثبت له المعصية بما فعله وانت قررت خلافه وقال
فتاب عليه وهدى والتوبة انما تكون عن ذنب وقوله اي قول ادم المحكي عنه
في حديث الشفاعة في الحشر للخلق كما تقدم ويذكر ذنبه لما طلب الخلق منه ان
يشفع لهم في الخلاص من هول الموقف فقال لهم اذهبوا الى غيري من الانبيا فيذكر
ذنبه وانه يستحيي من ربه وقال اني نهيت عن اكل الشجرة اي عن الاكل من شيء منها
فعصيت بفعلي ما نهى الله عنه فهذا كله يقتضي انه صدر منه ذنب ومعصية
فينافي ما وجهته به فسياتي الجواب عنه وعن اشباهه مما يقتضي ارتكاب الذنوب
مجملا مختصرا في اخر هذا الفصل ان شا الله تعالى واما قصة يونس بن متى
فقد سبق اي مضى الكلام على بعض منها انفا اي قريبا من قولهم استانفت الشيء
اذا ابتدانه وانف اسم فاعل منه صار بمعنى قريب وليس في قصة يونس المذكورة
في القران نص على ذنب صدر منه حتى يتمسك بها من جوزه عليهم وانما ذكر فيها
اي في قصته انه ابق اي فر وهرب وقد يفرق بين الاباق والهرب بعد تخصيصه

خنبار

ابن افترس

ابن افترس

بالعبد فيحمل الاباق بما كان بلاخوف كما في القاموس وغيره ولذا اعبر به لما فيه من
المزايا هنا بخلاف الهرب وكان يونس كما تقدم دعا قومه فلم يطيعوه فوعدهم
العذاب فلما تاخر عن موعده خرج من بينهم وذهب مغاضبا اي غضبان فمغاضب
هنا كمسافر ليست كغيرها من المفاعلة وغضبه على قومه لا على ربه وان قيل به واول
وقيل انه خشي القتل وقد تقدم تفصيله كما اشار اليه بقوله وقد تكلمنا عليه
اي تقدم منا الكلام في يونس وقصته وقيل انما نقم الله عليه اي عاب فعله ولامه
عليه وكرهه ونقم بكسر القاف وقد تقدم خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب
بهم وهو بين اظهرهم فكان ينبغي له الثبات اعتمادا على ان الله ينجيه كما
نجى نوحا وغيره من انبيائه حتى يوحي اليه ما يريد وقيل بل لما وعدهم اي
قوم يونس العذاب استعمل الوعد مع العذاب مع انه يختص بالخير تهكما
كقوله فبشرهم بعذاب اليم فلا وجه لما قيل انه عام بحسب الوضع الاصلي ثم
عفى الله عنهم لانه لما وعدهم العذاب لثلاث وراوا مقدمة تضرعوا الى الله تعالى
ولبسوا المسوح وفرقوا بين الامهات والاولاد وتابوا وقالوا امنا بيونس
فعفى الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم لا يعلم بذلك قال والله لا القاهم
بوجه كذاب ابدا لعدم علمه بما عاينوه وخصهم الله تعالى بقبول توبة الياس
كما قال تعالى الا قوم يونس الاية وقيل بل كانوا اي كان من عادتهم انهم
يقتلون من كذب فخاف ذلك اي القتل لتخلف ما وعدهم به وقيل قايله وهب
ضعف عن حمل اعبا الرسالة اعبا بالمد جمع عبء كحمل وهو الحمل الثقيل كما تقدم
وكان كما قال وهب في خلقه ضيق ولذا اخرجه الله عن اولي العزم بقوله
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تكن كصاحب الحوت وقد تقدم الكلام
انه لم يكذبهم فان ما وعدهم به من العذاب نزل بهم حتى راوا غمامة فيها
دخان اظلتهم لكنهم لما تضرعوا الى الله كشفه عنهم وهذا المذكور في قصته
كله ليس فيه نص على معصية صدرت منه حتى يستدل به على ما ادعوه كما
تقدم الاعلى قول مرغوب عنه اي متروك لضعفه وهو انه خرج من غير اذن
من الله في الخروج وترك القيام حتى ياذن الله له وقوله تعالى اذ ابق الى الفلك
المشحون قال المفسرون اي تباعد والفلك يكون مفردا وجمعا ومعناه السفينة
والمشحون بمعنى المملوء وتفسير ابق بتباعد مذهب المبرد فاشار به الى ان
تفسيره بهذا يقتضي انه لم يعص الله ولم يخرج بغير اذنه كالعبد الابق من
سيده ولذا ذكره المص رحمه الله تابيدا لما قبله ومن لم يقف على مراده قال
ليس في ذكره هنا كبير فايدة فان كل ابق متباعد من سيده وانما محل الاستدلال
قوله فظن ان لن نقدر عليه وقد تقدم الكلام عليه واما قوله عز وجل
اني كنت من الظالمين فانه يقتضي انه صدر منه ذنب كما اشار اليه بقوله
فالظلم حقيقة معناه وضع الشيء في غير موضعه مطلقا فيشمل الذنب
وغيره ومنه ظلم السقا اذا شرب قبل ان يروبه فهذا اي جعله من الظالمين
اعتراف منه عند بعضهم بذنبه لتبادره من الظلم عرفا وشرعا لا لغة كما

عوضي

ابن اقتيرس

تقدم

او صح

تقدم فاما ان يكون ذنبه لخروجه عن قومه بغير اذن ربه في الخروج له من بينهم
على عادة الانبيا اذا ارادوا الهجرة كما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى
المدينة وهو منقول في الصحيحين او ذنبه ضعفه عما حمله من اعبا الرسالة لضيق
صدره كما تقدم لدعائه بالعذاب على قومه وهذا توجيه ضعيف لان الدعا على الغير
اذا راي منه ما يسوه ولا يعد ذنبا والى هذا اشار بقوله وقد دعا نوح على قومه
بالهلاك فلم يواخذ اي لم ينقمه الله ولم يعاقبه عليه وذلك قوله لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا وقد دل على هذا ان عده ذنبا لا يتجه وقال الواسطي رحمه الله تقدم
ترجمته في معناه نزه ربه تعالى عن الظلم بقوله سبحانك اني كنت من الظالمين ولم
يقل سبحانك على شانك عن صدور ظلم منك واضاف اي نسب الظلم الى نفسه
اعترافا وابراه الله من مثله او لقصور البشرية حتى يجوز ذلك عليه ولا يبري نفسه
واستحقاقا لذلك وان لم يقع بالفعل فالحاصل انه ذكره هضما لنفسه وبيانا
لاستعداد البشر لمثله وانما يحفظهم الله بلطفه ومثل هذا في تنزيه الله وبيان قصور
نفسه قول ادم وحوى ربنا ظلمنا انفسنا مع ما تقدم من بيان العذر فيما صدر
منهما وانما اضافا الظلم اليهما اذ كانا اي ادم وحوى السبب في وضعهما غير الموضع
الذي انزلا فيه اي انزلهما الله فيه قبل الاكل من الشجرة في الجنة واخراجهما من
الجنة اي جنة الخلد التي وعدها المومنون وقيل انها جنة وبستان اخر في الدنيا
على خلاف مشهور فيه للمفسرين وانزالهما من الجنة التي هي فوق السما الى الارض
الدنيا وقوله وضعهما الخ اشارة الى ان الظلم فيه بمعناه اللغوي وهو وضع الشي
في غير موضعه مطلقا كما تقدم انفا فان قلت اذا كان دعا نوح ليس بذنب
فلم قال اذ طلب اهل المحشر منه الشفاعة اني دعوت على قومي فخشي ان لا تقبل
شفاعته قلت قد اجابوا عنه بانه ليس لانه ذنب بل لان لكل نبي دعوة عظيمة سبقا
منه وقدمها في الدنيا لما دعا عليهم لا لانه ذنب وقيل غير ذلك وعاتب الله يونس
دون نوح عليهما الصلاة والسلام لان يونس لم يصبر وعجل الدعا ونوح
دعاهم الف سنة حتى مل دعوتهم ويئس منهم واما قصة داود صلى الله
عليه وسلم فلا يجب كان الظاهر ان يقول لا يجوز او لا يصح ان تلتفت الى ما
سطر فيها اي كتب في كتبهم الاخباريون اي اصحاب القصص ونسب الى الجمع
على خلاف القياس لانه اراد به قوما معينين كانصاري فاشتبه العلم كانماري
وعدم الالتفات كناية عن عدم الاعتبار بذكر ذلك واعتقاده فانه لا يليق
ببعض الصالحين فضلا عن الانبيا لكنه اراد بعدم الوجوب الامتناع وعدل عن
الظاهر لنكتة وقوله عن فجار اهل الكتاب متعلق بسطر لتضمنه معنى نقل
الذين بدلوا اي حرفوا كتبهم وغيروا ما فيها بادخالهم ما لا اصل له وهو علة
لعدم جواز النقل لما رووه ونقله بعض المفسرين في تفاسيرهم وكان ينبغي
لهم ان لا ينقلوه وذلك قولهم ان داود صلى الله عليه وسلم كتب الى ايوب
قايد جيشه ان ابعث اوريا اي زوج المراة الحسنا التي راها كما مر وهو
يصلي في محرابه فتعلق قلبه بها كما مر الى وجه العدو وقبل التابوت وكان

بنه

من يتقدم مع التابوت لا يجوز له ان يرجع حتى يفتح على يديه او يستشهد فقدمه
ففتح على يديه فكتب له ثانيا ايضا لموضع كذا امرة بعد مرة حتى قتل فتزوج امرأته
ولم ينص الله تعالى في قصته في القرآن على شيء من ذلك الذي ذكروه في قصتهم ولا
ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح يعتمد على روايته والمراد بالصحيح
هنا ما يشمل الحسن فانه كثيرا ما يستعمله الفقها بهذا المعنى والذي نص الله عليه
في القرآن قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن مآب فهذا هو الصحيح نعما
ان الله لما ورد عليه ان في هذا النص ما يقتضي ايضا صدور ذنب وفتنة تاب
منها فما المراد بها وما الجواب عنها قال وقوله فيه اي في هذا النص اواب اي
كثير الرجوع عما صدر منه الى الله بالتوبة فهو مثل تواب في ايهام صدور ذنب
منه فمعنى فتناه في هذه الاية اختبرناه اي جربناه وامتحناه والمراد فعلنا به
فعل الممتحن ليظهر حاله للناس من فتنت الذهب اذا صفيته من غشه وهذا
تحقيقه فليست الفتنة هنا بايقاعه فيما يضره من الاثام كما هو المعنى المتداول
في عرف اللغة ومعنى اواب هنا كما قال قتادة في تفسيره مطيع لكثرة رجوعه
لامره وهذا التفسير اولى من تفسيره بتواب من الذنوب وهذا التفسير نقله البغوي
عن ابن عباس ايضا وقال ابن عباس وابن مسعود في تفسيره لفتنة ما زاد داود على
ان قال للرجل يعني اوريا زوج المرأة الحسنا التي راها انزل لي عن امرأتك اي افرغ
عنها وطلقها لاتزوجها لا انه ارسله لما يغره حتى قتل واكفلنيها اي ضمها الي
بالدخول تحت نكاحي ومنه الكفالة لانها ضم ذمة الى ذمة كما قصه الله في مرافعة
الملكين له وقوله ان هذا اخي الى قوله اكفلنيها وعزني في الخطاب فما موته الله
مثلا لما صدر منه فعاتبه الله على ذلك الفعل الذي صدر منه ونبهه عليه
على ما فيه من خلاف الاولى اللايق بمقامه عدمه وانكر عليه شغله بالدنيا وما
فيها من النكاح ونحوه وهذا الذي قاله ابن عباس وابن مسعود هو الذي ينبغي ان
يعول عليه اي يعتمد عليه فيروى ويعتقد من امره وامر امثاله من رسل الله
عليهم الصلاة والسلام لا ما نقل عن اهل الكتاب وقد قيل انه انما خطبها
اي طلب تزوجها على خطبته بكسر الخا وهي طلب الزوجة وهو من الخطابة بالضم
وكان داود صلى الله عليه وسلم لم يعلم بخطبته فلا ذنب اصلا وقيل بل الذي
عتب الله انه احب قلبه ان يستشهد ليتزوج بامرأته لا انه صرح به وباشر اسبابه
كما مر وهو ميل قلبي لا يؤاخذ به لانه خطر بقلبه انه لو استشهد تزوجها
لانها اعجبته وعلى هذه الوجوه لا معصية فيه اما طلب النزول عن زوجته
فكان جايزا عندهم كما كان في اول الهجرة بين الانصار والمهاجرين واما الخطبة على
الخطبة فانها وان كانت حراما عندنا بغير رضى وفراغ فلعله جايز عندهم
او لم يعلم بما اعلمه الله به فلا حرج عليه واما خطرات القلوب فلا يؤاخذ بها
وما عداه لا يجوز نسبته لهم ولا التحدث به ولذا قال علي رضي الله عنه
من حدث بقصة داود عليه الصلاة والسلام جلدته ماية وستين وهو
حد الفرية على الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهذه القصة نظير قصة نبينا

فاستغفر ربه اي طلب غفران
مولاه وخر راكعا اي وسقط
للسجود بالخضوع والخشوع حال
انتقاله من الركوع واناب اي رجع
من الغفلة الى الحضرة فغفرنا له ذلك
اي ان كان له ذنب وان له عندنا
لزلفى اي لقربى وحسن مآب
اي مرجع الى الجناب
عع القاري

صلى الله

صلى الله عليه وسلم مع زيد رضي الله عنه في زوجته ام المؤمنين زينب بنت جحش كما
يأتي ذلك لما راها الا انه صلى الله عليه وسلم لم يطلب من زوجها فراقها بل قال له
امسك عليك زوجك حتى زوجها الله له وفيه منقبة عظيمة له وقد ابتلى الله بالنسا
ثلاثة من الانبيا نبينا وداود ويوسف عليهم الصلاة والسلام ابتلا لحكم خفية
منه وبقية الكلام على هذه القصص مفصل في التفاسير وكتب الحديث فلا حاجة
للتطويل بها هنا وكثرة القيل والقال كما فعل في الشرح الجديد وحكى السمرقندي
في تفسيره وقد قدمنا ترجمته وانه ابو الليث الامام المشهور ان ذنبه الذي
استغفر منه اي طلب من الله مغفرته والعفو عنه لم يكن ذنبا كما توهموه وانما
هو قوله لاحد الخصمين اي الملكين اللذين اتياه في صورة رجلين متخاصمين له
لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وظلمه بتشديد اللام اي نسبه للظلم
بقول خصمه اي بمجرد قوله من غير كشف لحال خصمه وتثبت في امره وهو خلاف
الاولى وقد قال ابن العربي انه لا يجوز في ملة من الملل ما قاله السمرقندي ه
لا يجدي هنا واجيب عنه بانه انما قاله لانه راى خصمه سلم له مقالته
ولم ينكر عليه فظنه رضي بما قاله وكلام الله مبني على غاية الايجاز فكانه قال
فتمهل وعلم بسكوته رضاه او هو بتقدير ان كان كما تقول فقد ظلمك وقال
الحليمي انه سمع قول المتظلم فاستعجل ولم يسأله عن ظلمه ولذا عاتبه ولم يرض
فعله والاحسن ما قدمناه والى نفي ما اضيف في الاخبار اي ما نسب في الاخبار
السالفة الى داود من ذلك الذي مر ذكره ذهب احمد بن نصر وقد تقدمت
ترجمته وابو تمام قال البرهان هو حبيب بن اوس الطائي ونسبه معروف وانه
هو الشاعر المشهور صاحب الديوان وترجمته معروفة وبلاغته ورتبته
معروفة في معرفته باللغة والعربية وهو في الطبقة العليا من المولدين ه
متقدم العصر والرتبة على المتنبي لكن لم نر من عده من علما الحديث والتفسير
فهو غلط من اشتراك الاسم وقد نقل المص من هذا الكتاب كثيرا عن محمد الابهري
من علما المالكية من اهل طليطلة وهو يلقب بابي تمام وهو المراد هنا ه
واعجاب الحواشي من انه ابو تمام الشاعر المشهور خطا فانا لم نسمع من نقل
عن الشاعر شيئا مما يتعلق بالامور الشرعية وانما غرهم الاشتراك اللفظي
وهذا مما لا شبهة فيه ويؤيده قوله وغيرهم من المحققين فان عد ابي
تمام الشاعر محققا مما لا يعرف فهو مؤيد للوهم فيه وقال الداودي تقدم
الكلام عليه وترجمته ليس في قصة داود صلى الله عليه وسلم واوريا خبر
رواه المحدثون في كتبهم المعتمدة تثبت بفتح المثلثة وسكون الموحدة
وتا مثناة فوقية اي تتثبتا بثبوت النقل فيه واوريا هو ابن حنان زوج
المراة التي تزوجها داود بعده كما تقدم وهي ام سليمان نبي الله عليه الصلاة
والسلام واوريا قال الانطاكي في حواشيه انه بضم الهمزة وسكون الواو وكسر
الرا المهملة ومثناة تحتية ومدة تليها همزة وضبطه غيره بفتح الهمزة الاولى
وقال البرهان لا اعلم فيه نقلا ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم كما قالوه ولا ينافيه

ماضي

ابن اقيرس

ابن اقيرس

ما قدمه من قوله انه صلى الله عليه وسلم احب بقلبه ان يستشهد كما قيل فان المص
لم يرتضه بل رده بقوله وقيل الخ ما مر وما قيل من ان كلام الداودي طعن في الرواية
من غير دليل ليس بشيء فانه ما رووه فيه ما لا يليق بمقام الانبياء فلا اقدام عليه
من غير رواية صحيحة لا تليق والنافي لا يطلب منه دليل وقيل ان احد الخصمين
اللذين اختصما اليه بان ادعا احدهما على الاخر رجلان حقيقة لا ملكان في صورة
رجلين وهما جبرايل وميكايل في نعاج جمع نعجة وفي نسخة نتاج غنم على ظاهر الاية
من غير تاويل بانهما ملكان اتياه في صورة رجلين ينبهاه على ما صدر منه من
خلاف الاولى لا كما قاله اصحاب القصص وهذا وقع في بعض النسخ وليس في الام
والحاصل ان ما اشتهر بين القصاص واهل الكتاب واغتر به الحشوية
لم يثبت والذي قصه الله عنه ليس فيه ما يأباه مقام النبوة واما قصة
يوسف عليه الصلاة والسلام وما نقله اهل القصص فيها مما يقتضي
صدور ذنب منه كما تمسك به من جوز مثله على انبياء الله مما لا اصل له في
نص من القران ولا من الاحاديث الصحيحة واخوته ابناء يعقوب اثنا عشر من زوجتين
له راحيل ام يوسف عليه الصلاة والسلام وبنيامين تزوجها بعد اختها
ليا واسماء اخوته مذكورة في التفاسير والتواريخ مع اختلاف في ضبط اسمائهم
واكبرهم اسمه روبيل فليس على يوسف فيها اي في تلك القصة تعقب اي اعتراض
مما يدل على اعتراض فيه او نقص ينسب اليه مما لا يناسب مقامه عليه الصلاة
والسلام وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم واصل العقب ان يمشي على اثره
كانه يطأ عقبه ثم استعمله المصنفون بمعنى الاعتراض فيقال تعقب كلامه اذا
اورد عليه ايرادا اما اي فلا اعتراض على يوسف نفسه فيما حكاه عنه كما بينه
المفسرون واما اخوته والاعتراض على ما صدر منهم من القا يوسف في الجب وكذبهم
على ابيهم عليه الصلاة والسلام وعفوه عنهم له فلم تثبت نبوتهم حتى ينافي
ما فعلوه لانهم غير معصومين وقال السيوطي في رسالة سماها دفع التعسف
عن اخوة يوسف لم ينقل عن احد من الصحابة والتابعين نبوتهم ونقل عن
ابن زيد انه قال بنبوتهم وانكره اخرون والمفسرون منهم من قال انهم انبيا
ومنهم من رده كالقرطبي والرازي وابن كثير ومنهم من حكى القولين فلا ترجيح
كابن الجوزي ومنهم من لم يتعرض له وفسر الاسباط باولاد يعقوب فحسبوه
قال بنبوتهم وسياتي بيانه فيلزم ربالنصب في جواب النفي الكلام فاعله على
افعالهم وتوجيهها وقوله ذكر الاسباط وعدهم في القران عند ذكر الانبيا
يوهم انهم انبيا وانما اراد ذرية يعقوب لا اولاد صلبه وهم من ولدهم
بغير واسطة كحصول من ما يخرج من صلب ظهره كما اشار اليه المص قال المفسرون
يريد من نبي بينا المجهول اي صار نبيا من انجيا الاسباط لا اولاده لصلبه كما
تقدم وقال ابن كثير لم يقم دليل على نبوتهم وظاهر القران خلافه ومنهم من زعم
انهم اوحي اليهم بعد ذلك لقوله تعالى والاسباط ولا دليل فيه لان بطون بني
اسرائيل يقال لهم اسباط كالقبائل في العرب والشعوب في العجم فلا يدل على

طوس مي

حيث قال تعا قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط

الله

انه اوحى اليهم باعيانهم بل على ان ذرية يعقوب انبيا ولا وجه لتفسير الاسباط باولاد يعقوب
لصلبه كما قال ابن تيمية واصل السبط الشجرة الملتفة الاغصان ثم اطلق على اولاد يعقوب
لكثرتهم والسبط الحافظ ايضا كما قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقوله اثنتي عشرة اسباطا امما صريح في ان الاسباط الجماعات الكثيرة مطلقا
فتخصيصه باولاد الصلب خطا ولم يكن فيهم نبي قبل موسى غير يوسف وفي الحديث
اكرم الناس يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي
فلو كان اخوته انبيا شاركوه في ذلك وما في قصتهم في العقوق والكذب صريح في عدم
نبوتهم وانما نشا الغلط من لفظ الاسباط كما قاله ابن تيمية في رسالة له في ذلك وقيل
وهو احد الاقوال الثلاثة كما قدمناه انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما حكاه الله
عنهم في سورة يوسف صغار الاسنان جمع سن وهو زمان العمر اي اطفالا غير مكلفين
ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به بمصر لبعد بعد العهد به اي لم يعرفوه لانهم
فارقوه وهم غير مميزين وفي عبارته لطيفة هنا ولهذا اي لكونهم حين صدر عنهم
ما صدر قالوا لابيهم ارسله معنا غدا نرتع اي نتجارى ونتسابق ونلعب واللعب
لا يليق بالرجال وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا الفعل على احد الاقوال المتقدمة
والله اعلم بحقيقة حالهم وهذه الدلالة بحسب الظاهر المتبادر فان الكبار قد يلعبون
ويتسابقون وهو على قراءة نرتع ونلعب بالنون وعلى القراءة الاخرى يرتع ويلعب
بالياء المثناة التحتية وهو بضمير الغيبة ليوسف دونهم فلا دليل فيه وكذا عدم
معرفتهم له انما يدل على صغرهم وبعد عهدهم به لان مدة مفارقتهم اربعون
سنة او ثمانون بحسب الظاهر اذ يجوز ان لا يعرفوه لتغيره به وكونه بهيئة
الملوك ذوي الهيبة ولعدم قربهم من مجلسه ومثله من الامارات الظنية يكتفى فيه
بهذا القدر واما ما استدلوا به على وقوع الذنب والمعصية منهم وهو قول الله
تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه ضمير همت لامراة العزيز وضمير
هم ليوسف عليه الصلاة والسلام والهم يكون بمعنى العزم المصمم على امر وبمعنى
ميل طبيعي غير اختياري وهمها بالمعنى الاول وهو ارادتها الفاحشة وهمه بالمعنى
الثاني وهو غير مذموم اذا كف عنه بل محمود ومثاب عليه لو سلم فان قلنا بعدم
وقوعه لانه في المعنى جواب لولا ان جوز تقدمه عليها على ما بالخ او قايم مقامه
اي لولا رؤيته البرهان هم فيدل حينئذ على انه لم يهم بها وما وقع في القصص
من حل السراويل وما بعده كذب لا اصل له وبرهان ربه قيل انه راى يعقوب
عليه الصلاة والسلام عاضا على اصبعيه وهو يقول اتفعل فعل السفهاء وانت
مكتوب من الانبياء بان تصورت له صورته او راه حقيقة وفرج له السقف
وقيل ضرب صدره بيده فنزعت منه شهوته وقيل نودي بصوت من وراء الحجاب
فقام هاربا ومضت خلفه وقيل انما تمثل له جبريل فصده فعلى طريقة جماعة
من الفقهاء والمحققين ان هم النفس لا يؤاخذ به مطلقا لانه امر اضطراري وفسره
بقوله وليس سيئة اي خطية ومعصية لقوله صلى الله عليه وسلم نقلا عن
ربه يعني في الحديث القدسي الذي رواه مسلم في صحيحه وهو حديث طويل اذا هم

عبدي بسيئة اي عزم عليها وقصدها فلم يعملها بان تركها خوفا من ربه كتبت له حسنة ه لمجاهدته لنفسه فصرفها عما نزيده فلا معصية في هذا اي في هم يوسف اذن اي على هذا القول والتقدير واما على مذهب المحققين من الفقها والمتكلمين كابي بكر الباقلاني الذين راوا تعارض النصوص فقد قفوا النظر في التوفيق بينهما فانهم فصلوا في ذلك تفصيلا فان الهم الذي يخطر بالبال اذا وطنت عليه النفس عازمة على الفعل اي صممت وجزمت عليه واشكل معناه اخذه وطنا لم نقل لما ذكر بعد ما كان مجاز العلاقة ظاهرة تعال وطنت نفسي واوطنتها اذا احملتها على امر فاستمرت سيئة تكتب عليه فهو مرفوع خبر ان ونصبه خبر كان مقدرة بعيد واما ما لم توطن بالبنا للمفعول عليه النفس من همومها جمع هم بمعنى نية وعزم وخواطرها عطف تفسير هو المعفو عنه لا ما قبله وهذا هو الحق فيكون ان شا الله هم يوسف من هذا القبيل المعفو عنه فلا يتم الاستدلال لان هذه القصة على نحو من المتغاير والحاصل انه ذهب كثير من العلما الى ان هم المرء وخاطر نفسه لا يؤاخذ به فلا معصية في ذلك على هذا وذهب بعض الفقها والمحدثين الى ان الهم اذا لم توطن عليه النفس معفو عنه واذا وطنت عليه وصممت كتب سيئة والنصوص فيه متخالفة فما تقدم في حديث مسلم واحاديث اخر في معناه يدل على انه لا يؤاخذ به وقوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقوله يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ونحوه يدل على خلافه والتوفيق بينهما ما قاله الغزالي من ان اول ما يرد على القلب كرؤية امراة على الطريق مال لها ويسمى حديث النفس وخاطرا والثاني ما يتولد منه من الرغبة واعادة النظر وهو الميل الطبيعي والثالث حكم القلب بانه ينبغي ان يفعل ه وينبغي اعادة النظر والرابع التصميم على ذلك وترك الصوارف عنه كالحيا والاول لا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذا هيجان النفس والميل والشهوة لانها ليست اختيارية وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وهي الخواطر التي لا يتبعها هم وعزم واما الاعتقاد وحكم النفس بانه ينبغي ان يفعل فيكون اضطراريا ولا يؤاخذ به واختياريا فيؤاخذ به والرابع يؤاخذ به فان لم يفعل نظر فيه فان تركه خوفا من الله وندما على همه كتب له حسنة لمجاهدته لنفسه وان تركه لعايق وعذر غير خوف الله كتب عليه وفي الحديث ما يدل على هذا التفصيل وهو كلام حسن وهم يوسف عليه الصلاة والسلام كان عزما وتصميما امتنعه منه خوف ربه فهو حسنة لا معصية ثم اشار الى الجواب عن سؤال مقدر بقوله ويكون على تقدير انه معفو عنه قوله وما ابرئ نفسي لاية معناه وتفسيره الذي يكنه بقوله اي ما ابرئها من هذا الهم يعني ما انزهها عنه لانه امر جبلي لا محذور فيه او يكون ذكره اي قوله ما ابرئ نفسي صدر منه على طريق التواضع باظهار انه غير منزه عما يشين لان الكمال لله لا انه صدر منه مثله حتى يتمسك به والاعتراف بمخالفة النفس اي ما ابرئها من الهم بالمعاصي وقد فعلت ولكني خالفتها وصرفتها عن همها وهو امر حسن منه لما يكمل للام وتخفيف الميم زكي فتبل وبرئ منه

في الايات السابقة وهذا ابتداء قوله ومَا ابرئ نفسي من كلام يوسف عليه الصلاة والسلام
وقد قيل انه من كلام امراة العزيز متصل بقولها ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
والوجهان مذكوران في التفاسير وعلى هذا لا يرد السؤال اصلا فكيف تاييد لما هو
بصدده من انه لا اعتراف بصدور ذنب منه في كلامه وقد حكى ابو حاتم قيل ولعله
ابن ابي حاتم في تفسيره عن ابي عبيدة معمر بن المثنى وقد تقدمت ترجمته وابو
حاتم الرازي هو الامام الحافظ الجليل محمد بن ادريس بن المنذر الحنظلي احد الاعلام
في التفسير والحديث ولد سنة خمس وتسعين ومائة وتوفي في شعبان سنة سبع
وسبعين ومائتين ان يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهمّ اي لم يقع منه همّ
بعد معصية وان الكلام اي النظم القرآني الذي نحن فيه فيه تقديم وتاخير اي
وبيانه لقد همت امراة العزيز به اي بيوسف وتكليفه بما ارادته ولولا ان رأى
برهان ربه لهمّ بها قال الشريف المرتضى في كتابه الدرر والغرر انه على هذا يجري
مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا اني تداركتك اي لولا تداركي هلكت وان لم يقع
هلاك واستشهد له بقوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفة
منهم ان يضلوك والهمّ لم يقع واستبعد قوم تقديم جواب لولا عليها وهو
اولى من حذفه وذكر شواهد استشهد بها على جواز تقديمه ردًّا بها على من قال
انه لا يجوز انتهى فما قيل ان جواب لولا محذوف لعدم جواز تقديمه غير
مرضي وهذا مذهب الزمخشري والزجاج لكن المرتضى علم من الائمة في العربية
وغيرها فلذا اختير قوله ويقدر بلفظ ما قبلها ولوا قع المعصية وامراة
العزيز اسمها راعيل وقيل زليخا كزليخا بفتح اوله وضمه خطا وقد قال
تعالى حكاية عن المراة المذكورة انفا ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
واسم زوجها قطفير والمراودة الطلب من راد يرود اذا جاء وذهب اي طلبت
منه ان يضاجعها ومعنى استعصم امتنع لعصمة الله له وفيه دليل على انه
لم يقع منه همّ بالمعنى الذي قالوه ومما يؤيده انه قد قال تعالى في حقه كذلك
اي عصمناه لنصرف عنه السوء والفحشاء اي لئلا يميل لنفسه لما اريد منه من
معصية الله والجار والمجرور في محله نصب او رفع اي ثبتناه مثل ذلك او امر
كذلك والسوء الزنا او الذكر القبيح او عقوبة الملك والفحشاء مواقعة المراة
ونحوها مما يقبح وقال تعالى في هذه القصة وغلقت الابواب معطوف على قوله
راودته وغلق الباب قفله والتفعيل للتكثير وقفلها للتخلي به لما ارادته وقالت
هيت لك هيت اسم فعل مبني على الفتح واللام للتبيين كما في سقيا لك وقال الراغب
هيت قريب من هلم وقرئ هئت لك اي تهيّأت لك ويقال هيّت به اذا قلت له
هيت لك انتهى قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية اي قال حين راودته
معاذ الله اي اعوذ بالله منك ومما اردته التجا الى الله دفع ما همّت به وهو منصوب
على المصدرية والمثوى بمعنى المقام من ثوى بالمكان اذا اقام به وقيل في معنى
ربي هنا انه الله تعالى وقيل الملك بكسر اللام وهو زوج زليخا وضميرانه للشان
خبر ثان لي احسن مثواي والرب يطلق على الله وعلى غيره ومعناه المالك والسيد

مرضي وابن الانباري

العزيز

والمرتجي والمنعم وفي اطلاقه على غير الله تفصيل في التفاسير مشهور وتقدم مرارا ه
والنهي عن اطلاقه على غير الله تنزيهي ومعنى احسن مثواي انه احسن القيام بي وتعهدي
باكرامه لي وانعامه وقيل معنى همّ بها انه همّ بزجرها اليه نهيها عن مراودته ووعظها
بتخويفها من الله ولحوق العار لهما وقد قال المفسرون كابن عطية انه وجه بعيد
لمخالفته للظاهر وقيل معنى همّ بها غمها امتناعه عنها اي عن معاملتها بما ارادة
فهو من الهمّ بمعنى الغم والبا للتعدية بمعنى اهمها اذا اوقعها في همّ وحزن
وهو بعيد وان كان فيه مشاكلة وتجنيس للتعقيد المعنوي فيه وقيل انه
بعيد من اللغة لانه بهذا المعنى متعدّ بنفسه يقال همّه الامر اذا احزنه
وقيل معنى همّ بها نظر اليها وهو في غاية البعد وقيل معناه همّ بضربها
ودفعها حين امسكته وهذا كله بتقدير مضاف والحاصل بمعناه والحامل على
هذه التأويلات صرفه عما لا يليق به تمام النبوة وقيل هذا كله كان قبل نبوته
بناء على عدم العصمة قبلها وقد تقدم بيانه وقد ذكر بعضهم انه ما زال النساء
يملن الى يوسف عليه الصلاة والسلام ميل شهوة لما جبلت عليه طباعهم حتى
نبأه الله تعالى اي جعله نبيا والقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من
يراه عن الاشتغال بالنظر الى حسنه وجماله ومهابة الانبيا امر معلوم كما يشاهد
في بعض العباد فضلا عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام واما خبر موسى صلى الله
عليه وسلم الذي استدل به على جواز صدور الذنب من الانبيا وما جرى له مع
قتيله الذي وكزه وهو رجل كافر كان طباخ فرعون لعنه الله وكان يسخر الناس
لحمل الحطب لمطبخ فرعون فسخر رجلا من بني اسرائيل فاستغاث منه بموسى عليه
الصلاة والسلام وكان بنو اسرائيل صارت لهم عزة ومنعة بموسى عليه الصلاة
والسلام لما كبر وكان موسى قويا في جسمه فنهاه عن تسخيره فلم ينته فضربه
بيده لدفع ظلمه فمات والوكز واللكز بمعنى وهو الدفع ومنهم من فرق بينهما
بان الاول في الصدر والثاني في الظهر وقيل باطراف الاصابع وقيل غير ذلك
وهو امر سهل فقد نص الله تعالى في القرآن على انه من عدوه اي كان كافرا من
كفرة القبط وموسى وجد قتل من بني اسرائيل اي من قوم بينهم وبين بني اسرائيل
عداوة ومحاربة فلا يمتنع عليه قتله لدفع ضرره مع انه لم يتعمد بضربه قتله
وانما قصد دفعه ودفع ظلمه ومثله لا يحرم اشار الى ذلك بقوله وقيل كان من
القبط على دين فرعون اي كان كافرا على ملة امره بها من عبادته او غير ذلك والقبط
نبط مصر وقوم فرعون وهم جيل من الناس بمصر وقوله وذلك السورة اي
السورة تدل بمنطوقها في هذا كله اي فيما قصه الله من هذه القصة انه قبل
نبوة موسى فانه لما قتله فر خائفا فكان ما كان له مع شعيب عليه الصلاة
والسلام اي جرى له معه ما جرى وتزوج ابنته ثم نبأه لما فارقه كما قصه
الله وقبل النبوة لم يكن معصوما من الخطا فصدور عنه مثل هذا ان وقع
لم يكن معصية لانه لم يضربه بآلة جارحة فهو خطا شبه عمد ولم يكن
ثمة شرع ولذا قال وقال قتادة وكزه بالعصا وليست جارحة بل مثقل

ولم

ولم يتعمد بل به ويقصد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك اي فيما فعله موسى في هذه
القصة حتى يستدل بها على ما ادعوه وقوله اي قول موسى المحكي عنه مما يقتضي انه
ما صدر عنه معصية هذا من عمل الشيطان اي هذا الذنب مما القاه الشيطان وقوله
ظلمت نفسي بعمل ما قالوا انه معصية ولذا قال فاغفر لي ما صدر مني فلولا انه ذنب لم
يطلب مغفرة الله له قال ابن جريج بصيغة المصغر وهو عبد الملك بن عبد العزيز
ابن جريج ابو الوليد او ابو خالد القرشي مولاهم احد الاعلام الفقها قال موسى صلى
الله عليه وسلم ذلك المذكور من نسبة عمله للشيطان وطلب مغفرته من اجل انه
لا ينبغي اي لا يصح ولا يليق لنبي ان يقتل احدا حتى يؤمر بالبنا للمفعول اي يامره الله
او من له الامر ولذا كان صلى الله عليه وسلم في اول امره لم يؤذن له في القتال
ثم اذن له في ذلك بعد ما هاجر المسلمون الهجرتين فموسى صلى الله عليه وسلم اذا
لم يؤذن له في ذلك فهو غير جائز وقال النقاش في تفسيره لم يقتله موسى عن
عمد حال كونه مريدا للقتل والمقصود بالنفي الحال وانما وكزه وكزة مفعول
مطلق توكيد يريد بها دفع ظلمه للناس وعدم تسخيرهم وقد قيل ان هذا كان
قبل النبوة اذ لم يكن مامورا بشرع وهو مقتضى التلاوة اي ما يدل عليه نظم القران
المتلو وقوله تعالى في قصته اي قصة موسى التي قصها الله في القران وفتناك
فتونا قال الراغب اصل الفتن ادخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته ويستعمل
في ادخال الانسان النار قال تعالى ذوقوا فتنتكم اي عذابكم وتارة يستعمل فيما
يحصل منه العذاب كقوله الا في الفتنة سقطوا وتارة في الاختبار نحو وفتناك
فتونا وجعلت الفتنة كالبلاء في انهما يستعملان فيما يدفع اليه الانسان من شدة ورخا
وهو في الشدة اظهر واكثر استعمالا انتهى واليه اشار بقوله اي ابتلاك ابتلا
بعد ابتلا اشارة الى ان الفتنة هنا بمعنى الابتلا اي الاختبار وانه يكون بالخير
وبالشر وبالشدة وان الفتون جمع فتن او فتنة على تقدير عدم التا والاعتداد
بها فيدل على التكرار فلذا قال ابتلا بعد ابتلا ويجوز ان يكون مصدرا
كالقعود فالتكرار غير مراد او يؤخذ ذلك من السياق قيل ذلك الابتلا في هذه
القصة يعني قتله القبطي وما جرى اي وقع واتفق له اي لموسى مع فرعون
وذلك ان فرعون راى رؤيا هالته فعبرها المعبرون والكهان بمولود من بني
اسرائيل يكون على يديه زوال ملكه ودينه فامر القوابل بان كل ذكر ولد منهم
ياتونه به ويذبحونه ففعلوا ذلك حتى وقع في بني اسرائيل موتان عظيم
فقال له القبط خشينا فنا بني اسرائيل فلا يبقى لنا خدم فنحتاج الى استخدامنا
فامر ان تقتل الذكور منهم سنة ويتركون سنة فولد هارون في سنة العفو
ثم ولد موسى في سنة الذبح فخافت عليه امه فاوحى اليها وحي الهام وقيل
وحيا جاءها فيه جبريل وان لم تكن نبية لان الملك كان يراه غير الانبيا كمريم
ثم ارتفع ذلك بعد مجي النبي صلى الله عليه وسلم فالقته امه في صندوق
والقته في النيل فدخل بيت فرعون واستوهبته امراته اسية وكان له معه
ما اشتهر من ذلك وهو المراد بالفتون اي ما وقع له فيه من الشدائد حتى نجاه الله

فوضعته

واتخذته كليما وصفيا وسمته آسية حين اتخذته ولدا موسى ومعناه ماء وشجر بالقبطية
لأنه وجد في صندوق ملقى في الماء وقيل معنى الفتون على هذا الالقاء في التابوت أي
الصندوق الذي اتخذته له أمه من خشب والذي صنعه لها حزقيل وهو مؤمن
آل فرعون واليم وهو البحر والمراد به النيل وغير ذلك مما جرى له معه كما تقدم
وقيل معناه أي معنى الفتون في هذه الآية اخلصناه اخلاصا أي ابتليناه
بأمور شاهد بها قدرة الله ولطفه حتى صار صفوة له خالصا من كل أمر لا يليق
برسله عليهم الصلاة والسلام فقربه واصطفاه لأن الفتنة أصل معناها
إذابة الذهب حتى يصفى فيجوز به عما ذكر كما قال ابن جبير ومجاهد في تفسير
هذه الآية وعلى هذا فهو مستعار من الغش قولهم فتنت الفضة في النار إذا
أذبتها وخلصتها من الغش فاستعير لخلاصه من الكدورات البشرية والأخلاق
الردية حتى اجتباه وأصل الفتنة أي حقيقتها التي وضعت لها الاختبار أي
امتحان الأشياء وتمييزها بما يعلم به حالها وإظهار ما بطن أي خفي عن العيان
في المحسوسات كالذهب والفضة إلا أنه استعمل في عرف الشرع وهو ما عرف في
تخاطب أهله ومعاملتهم في اختبار يؤدي أي يوصل ويجر ويفضي إلى ما يكره
المختبر بزنة المفعول وإن كان عاما في أصله خص بما ذكر كما فصله الراغب وقد
سمعته آنفا وعلم مما ذكر أن الفتنة هنا ليس فيها ما يقتضي أن الأنبياء عليهم
الصلاة والسلام يجوز عليهم المعاصي لما عرفته من التأويل المذكور وكذلك
مثل ما ذكر في تمسك بعضهم بما لا يسلم تمسكهم به ما روي في الخبر الصحيح الذي
رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه كما قاله السيوطي رحمه الله من
أن ملك الموت الموكل بقبض الأرواح واسمه عزرائيل كما ورد في بعض الأحاديث
جاءه أي موسى عليه الصلاة والسلام كما يأتي غيره إذا أمر به فلطم عينه أي ضرب
وجهه بيده فوقعت ضربته على عينه ففقأها أي أخرج حدقته التي بها يبصر
بها بلطمته وهو مما يجوز وفقأ العامة مفقوع بالعين خطأ في العين الحديث
بالنصب أي اقرأ الحديث إلى آخره لأنه اقتصر على محل الشاهد منه الدال على أن موسى
لم يطع الملك الذي أرسله الله إليه ومثله يحسب لظاهر معصية وأجاب عنه
الإمام بقوله ليس فيه أي في الحديث المذكور كما قالوه ما يحكم على موسى عليه الصلاة
والسلام بالتعدي على الملك ومخالفته فيما أمره الله به وفعل ما لا يجب له
بالرفع أو الجر عطفا على ما أو على التعدي وكان الظاهر ما لا يجوز له وعبر به
لنكتة كما مر مثله ثم بين علة ما ذكر بقوله إذ هو ظاهر الأمر أي لا خفاء فيه بين
الوجه أي توجيهه واضح جائز الفعل أي فعله جائز من مثله لأن موسى عليه
الصلاة والسلام دافع اسم فاعل مرفوع أو فعل ماض من المدافعة عن نفسه
من أتاه لإتلافها نوعين قيل دفع الصائل المتعدي عليه ومثله جائز شرعا
وقد تصور الملك وظهر له في صورة آدمي لأن الملائكة أجسام لطيفة مجردة
تتصور في أي صورة أرادت لاقدار الله تعالى لها لذلك كما قال تعالى فتمثل
لها بشرا سويا وكما كان جبريل يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في

صورة دحية الكلبي رضي الله عنه وفي تطور الملائكة والجن في صور مختلفة كلام لأهل الأصول
والحكما وتعرض له المحدثون فإن صورهم الأصلية عظيمة جدا فإذا برزوا بصورة
أقل منها فتصغر صورهم تتضامت وتتصاغرت كالقطن المنفوش إذا انضم وتضاغط من
غير ذهاب شيء منه وهو الظاهر وللإمام الشهرستاني فيه تحقيق في بعض كتبه إذا
إذا أفضت إليه النوبة أثبتنا به مفصلا ولا يمكن أنه أي موسى عليه الصلاة والسلام
علم حينئذ أي في وقت ضربه له أنه ملك الموت لظنه أنه آدمي نظرا لظاهر حاله وعبر
بعدم الإمكان مبالغة في نفي العلم بملكيته ومراده أنه لم يعلم بذلك فلا يرد عليه
ما قيل من أين له عدم الإمكان غايته أنه ظاهر فيه مع احتمال غيره كما كانوا يتصورون
للأنبيا عليهم الصلاة والسلام ودافعه عن نفسه مدافعة أدت إلى ذهاب
عين تلك الصورة التي تصور له أي لموسى عليه الصلاة والسلام فيها الملك
امتحانا من الله له مفعول لأجله تعليل لتصوره بغير صورته أي اختبار الموسى
حتى يصدر عنه ما يقتضي مؤثرا فيها حكم خفية فلما جاءه بعد أي بعد ما جاءه
أولا ولطمه وأعلمه أي أعلم الله موسى عليه الصلاة والسلام حين جاءه ثانيا
أنه أي ملك الموت رسوله أي رسول الله من ملائكته أرسله الله إليه لأمر أمره
به استسلم جواب لما أي انقاد له وسلم له فيما أراده بعد ما كان دفعه عنه
أشد دفع وهو استفعال من السلم والقاف فياده لغيره كالإسلام قال تعالى يحكم
بها النبيون الذين أسلموا أي انقادوا وللمحققين والمتقدمين والمتأخرين على هذا
الحديث أجوبة هذا الجواب الذي قرره من أنه عليه الصلاة والسلام لم يعلم أنه
ملك الموت امتحانا من الله أسدها عندي أفعل تفضيل من السداد وهو
القوة فيما أريد به كما قال الشاعر

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما استد ساعده رماني

على رواية استد بسين مهملة أي قوي ورواية اشتد بالمعجمة غير مقبولة
عندهم كما بيناه في شرح الدرة وهو تأويل شيخنا الإمام أبي عبد الله المازري
وهو الإمام الرحلة الفقيه المحدث البارع في سائر العلوم وهو مالكي المذهب
واسمه أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي شارح المحصول وله شرح مسلم الذي
بنى عليه المعلم شرحه المسمى بالإكمال وله تآليف كثيرة مفيدة جليلة وهو منسوب
إلى مازر بفتح الزاي المعجمة وكسرها وهي بلدة بجزيرة صقلية توفي في ثامن
ربيع الأول من سنة ست وثلاثين وخمسمائة وعمره ثلاث وثمانون سنة رحمه
الله وقد تأوله أي حمله قديما أي قبل شيخه المذكور ابن عائشة وغيره فهو مما
ارتضاه علما السلف على صكه ولطمه بالحجة وفقي عين حجته أصل الصك واللطم
الضرب بالراحة أو كبشي عريض وجا بمعنى مطلق الضرب لكنه كما قال النووي
في غاية البعد وأن ساعده اللغة وابن عائشة هو عبيد الله محمد بن حفص
ابن عمر بن موسى بن عبد الله بن معمر ابن موسى التيمي البصري المعروف بالعيشي نسبة
لعيشة وهي لغة في عائشة أو من تغييرات النسب لأنه من ولد عائشة بنت
طلحة بن عبيد الله وهو أحد العلما الأشراف المحدثين المحتشمين وهو ثقة

ابن افتوس

روي عنه البغوي وخلق كثير توفي سنة مائتين وثمان وعشرين وهو متقدم على المازري
بزمان كثير فلذا قال المص قديما وهو كلام مستعمل في هذا الباب المراد به الزام الحجة
بعد ابطال حجة الخصم وما ارتضاه من الحجج في اللغة اي لغة العرب معروف في الاسم
مشهور يقولون لطمه وصكه اذا غلبه في المحاجة وفقا عينه وعورها اذا افحمه
بحجته والزمه الزاما لا يمكنه الجواب عنه بوجه من الوجوه لكن صريح الحديث
ياباه فان فيه ما يقتضي انه على ظاهره فان البخاري روى عن ابي هريرة انه صلى الله
عليه وسلم قال ارسل الله ملك الموت الى موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاءه
صكه ففقا عينه فرجع الى ربه وقال يا رب ارسلتني الى عبد لا يريد الموت فرد
الله عليه عينه وقال له ارجع وقل له يضع يده على متن ثور وله بكل ما غطت
يده من الشعر بكل شعرة سنة فقال له ذلك فقال موسى ثم ماذا قال الموت
فقال الان وسال ربه ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر فقال صلى
الله عليه وسلم لو كنت ثمة لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر
ونحوه في مسلم وهو ينافي هذا التاويل وكون العين متخيلة لا فقا بها يقتضي
ان ما يراه الانبيا عليهم الصلاة والسلام من صور الملائكة لا حقيقة له وهو
مذهب السالمية كما قاله القرطبي مع انه لا يجدي نفعا وارتضى القرطبي الجواب
بان الله تعالى كان اخبره بانه لا يموت حتى يخيره الله ويخيره بين الموت
والحياة فلما اتاه الملك بغتة ودخل عليه من غير استيذان شق عليه ذلك
وكان صلى الله عليه وسلم سريع الغضب ولذا لما رجع اليه وخيره بين الحياة
والموت انقاد له واستسلم قال وهو اصح الوجوه واما قصة سليمان عليه
الصلاة والسلام وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه اي مما تمسك به القائلون
بجواز صدور الذنوب من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقوله عز وجل
ولقد فتنا سليمان فليس من الفتنة المنهي عنها انما هي بمعناها اللغوي
كما تقدم ومعناه ابتليناه اي عاملناه معاملة من يختبر حتى يظهر مما
خفي امره على الناس وابتلاؤه المراد منه ما حكى عن النبي يعني به سليمان صلى
الله عليه وسلم انه اي سليمان قال لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع
وتسعين امراة كن في نكاحه وكان ذلك جائزا في شريعته وقال التلمساني
يقال اطوفن واطيفن ثلاثيا ورباعيا من الطواف حول شيء انتهى وهو
كناية عن مجامعتهن بدليل قوله كلهن ياتين اي ياتي كل واحدة منهن
بحمل تحمله ثم تضعه بفارس اي راكب فرس يجاهد في سبيل الله اي في طاعته
التي يسلكها لقتال اعداء دينه وهو حديث صحيح روي في الصحيحين
وغيرهما من كتب الحديث وقوله الليلة منصوب على الظرفية ووقع
اختلاف في عدة النسا ففي البخاري مثل ما ذكره المص من انهن مائة او تسع
وتسعون على الشك وفي رواية غيره سبعين بالموحدة وفي رواية
تسعين فقط بالمثناة الفوقية وفي رواية للبخاري ستون وفي رواية
لوهب بن منبه كان لسليمان عليه الصلاة والسلام الف امراة ثلاثمائة

مهورة وغيرهن سراري وجمع بين الروايات بانه عد في بعضها المهورات والغي
السراريات وفي بعضها عد الكل وعلى القول بانه لا مفهوم للعدد لا ينافي الاقل الاكثر
وان منعقد هذا القول فقال له صاحبه اي ملك كان معه او قرينه او رجل كان يصحبه
وقيل هو خاطره وهو بعيد وقيل هو آصف بن برخيا بفتح الموحدة وسكون الرا
المهملة وكسر الخا المعجمة ومثناة تحتية تليها الف قل ان شا الله فلا تجزم بما
قلته وفوضه الى مشيئة الله تبركا وتيمنا حتى يتم فلم يقل ذلك لما وقع في رواية
انه نسي او لم يقله بلسانه اكتفا بما في قلبه او جزم به لانه من قوة رجائه
واعتماده على كرم ربه فنبه على انه ينبغي تفويض التمني كغيره الى الله فليس
في تركه المشيئة ذنب يعد عليه كما توهم لا سيما وهو ليس بخبر فلم تحمل منهن
اي ممن طاف بهن الا امراة واحدة دونا فيهن والتي حملت منهن جات
بشق رجل اي تولد غير كامل كما سياتي والشق بمعنى النصف او البعض قال النبي
صلى الله عليه وسلم عند ما ذكر هذا والذي نفسي اي روحي وحياتي بيده اي
بقبضة قدرته وتصرفه ان شا احياها واوجدها وان شا اماتها واحياها وهو
قسم كان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقسم به لو قال سليمان عليه الصلاة والسلام
ان شا الله جاوا فرسانا جاهدوا في سبيل الله كما طلب وفي رواية فرسانا اجمعون
وقول ان شا الله لا يستلزم الوقوع فقد لا يقع ما قرن به كقول موسى للخضر عليهما
الصلاة والسلام ستجدني ان شا الله صابرا وهو مستحب ويتحلل به مع اليمين
وفي الحديث ما يدل على قوة الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقدرتهم على الجماع
لكمال بنيتهم ورجوليتهم كما كان لنبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوف
على جميع نسائه في الليلة الواحدة كما تقدم قال اصحاب المعاني المراد بهم
الذين يفسرون الاحاديث ويقفون على معانيها المرادة بها الشق هو الجسد
الذي القي على كرسيه الذي كان يجلس عليه لاجرا احكام الملك فيه حين عرض عليه
اي حين اذ عرضته قابلته عليه ثم القته على كرسيه وهي اي هذه الفتنة
المذكورة عقوبته ومحنته بنون بعد الحا المهملة المعبر عنها بالفتنة وقيل
بل مات ولده فالقي على كرسيه ميتا وهو الشق المذكور وقيل ولد له ولد
تام فاجتمعت الشياطين وقالوا ان عاش له ولد لم ننفك من البلا والسخرة
فقالوا نقتل ولده او نخبله فعلم بذلك سليمان فامر الريح ان تحمله على السحاب
خوفا من الشياطين فعاقبه الله بان القاه على كرسيه ميتا لخوفه من غير الله
وهو معنى قوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا وقيل ذنبه حرصه على
ذلك وتمنيه اي على ان يرزقه الله مائة ولد يجاهدون في سبيل الله وليس
مثله ذنبا معيبا كما توهموه وقيل عد تمنيه ذنبا لانه لم يستثن
اي لم يقل ان شا الله في كلامه ومثله يسمى استثنا في اللغة لان حقيقته
كما قاله الراغب ايراد لفظ يقتضي رفع ما يوجبه عموم لفظ متقدم او رفع
حكمه لانه من الثنيا وهي الرجوع ومما يقتضي رفع ما يوجبه اللفظ قولك
لافعلن كذا ان شا الله انتهى فليس هذا مجازا ولا يختص بما قاله النحاة فانه

اصطلاح حادث خلافا لما يوهمه كلام بعض شراح الكتاب لما استغرقه من الحرص هو
استفعال من العرق وهو الرسوب في الماء وشاع في الشهود وعموم الاوقات وغلب
عليه من النهي للاولاد المجاهدين وهو اشارة الى الاعتذار عن فعله وبيان لانه ذنبا ليس بم
حقيقيا كما قيل وانما هو ترك للاولى وقيل عقوبته ان سلب ملكه لانه صلى الله
عليه وسلم غزا جزيرة واخذ بنت ملكها كانت في غاية الجمال فاحبها وراها حزينة
فسالها عن سبب حزنها فاخبرته بانه لمفارقة ابيها فسالته ان يصور لها الشياطين
صورة والدها صورته فالبسها لباسه وعممها فكانت تذهب له تعبده مع جواريها
فاخبره اصف بذلك فكسر صورته وندم على ما جوزه لها وفرش رمادا ليسجد عليه
ويتضرع الى الله وكان له امراة من نسائه يضع خاتم ملكه عندها اذا دخل الخلاء او
اراد الغسل من جنابة حتى يلبسه على طهارة كاملة وكان ملكه في خاتمه فتمثل
لها شيطان يسمى صخرا بصورته واخذ الخاتم منها وجلس بهيئته على الكرسي اربعين
يوما عدد ما عبد الصنم في بيته وتغيرت هيأته حتى انكره الناس ثم وقع الخاتم
في البحر فابتلعته سمكة فاصطادها سليمان عليه الصلاة والسلام فوجد الخاتم
فيها فتختم به وعاد له ملكه وحبس صخرا والقاه في البحر فهو محبوس فيه الى الآن
في صندوق من حديد وذنبه انه احب ان يكون الحق لاختانه على خصمهم جمع ختن
بزنة جبل وهو الصهر او كل من يكون من قبل المراة كالاب والاخ وذلك كما قيل
انه كانت له امراة يقال لها جرادة وكان مغرما بحبها فقالت له ان فلانا من
اهلي له حق عند اخر وانا احب ان تحكم له اذا جاءك فاجابها صلى الله عليه وسلم
لذلك ولكنه لم يفعل فعاقبه الله على مجرد الميل فكان ما كان من وضع خاتمه
عندها واخذ الشيطان له كما سمعته انفا وقيل او ذنب فارقه بعض
نسائه هو ما تقدم من تصويرها الصورة ابيها واتخاذها له صنما تعبده في داره
وهو صلى الله عليه وسلم لا يعلم حتى اخبره اصف كما تقدم فليس ذنبا له في الحقيقة
واصل معنى الاخذ حوز الشيء كما مر فيجوز به عن المجازاة وهو المراد هنا قال
تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم فيقال اخذه واخذه وواخذه لغة
غير فصيحة ولذا وجد في النسخ اخذ واوخذ وواخذ وفارقه بمعنى اكتسبه
وفعله واصل القرف والاقتراف قشر اللحاء عن الشجر والجلدة عن الجرح واستعير
لما ذكر ولا يصح بحسب الرواية ما قال الاخباريون اي اصحاب القصص والتواريخ
وتقدم ان النسبة للجمع على خلاف القياس وهو كالانصاري كما تقدم لاختصاصه
ببعض انواعه من تشبه الشيطان به اي تمثله بصورته حتى اخذ خاتم ملكه
من امراته وجلس على كرسي ملكه يحكم وانكروا سليمان لتغير هيئته كما مر
وفي بعض النسخ من خرافاتهم على فعله من تشبيهه الخ وهو بضم الخاء المعجمة
وفتح الراء المخففة وفي كشف الكشاف عن الزمخشري انه سمع فيه خرافات
بالتشديد وجمع على خرافات ولم يسمعه من غيره فالعهدة عليه وتسلطه
على ملكه وسلطنته بالتصرف في امته بالجور في حكمه وظلمهم قال السيوطي
ثم قال المص انه من خرافات الاخباريين اخرجه ابن ابي حاتم بسند صحيح

عن

عن ابن عباس موقوفا لكنه ماخوذ من الاسرائيليات كما بينته في التفسير انتهى وفيه نظر
لان اول كلامه يأبا في اخره وخرافات جمع خرافة وهي الكذب كما في القاموس واصله اسم رجل من
عذرة خطفته الجن فلما تخلص منهم كان يحدث عنهم بعجايب راها منهم ثم قيل لكل مستملح
وامر غريب خرافة وضربه ابن الزبعري مثلا للبعث فقال

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا ام عمرو

وقوله لان الشياطين لا يسلطون على هذا اي لا يقدرهم الله عليه لعصمته تعالى لانبيائه
منهم كما قال فقد عصم الانبيا صونا لهم عن مثله ولا منافاة لامر الرسالة وان سئل اي
لأنه مناف ح
سال احد من الناس لاستشكاله عليه فقال لم لم يقل سليمان عليه الصلاة والسلام
في القصة المذكورة حين تمنى الاولاد المجاهدين ان شا الله ففيه للعلما اجوبة جمع
جواب كغراب واغربة وفي المصباح يقال في جمع الجواب اجوبة وجوابات الا ان ابن
الجوزي نقل في غلط العوام عن العسكري ان العامة تقول في جمع الجواب جوابات
واجوبة وهو خطا مثل الذهاب مصدر وقال سيبويه قولهم جوابات واجوبة
مولدة انتهى فليحرر فان صاحب المصباح ثقة فلعله سمع نادرا ولم يقف عليه سيبويه
وفي نسخة جوابان احدهما الخ وهو الصواب لانه لم يذكر غير جوابين كما اشار لذلك
بقوله احدها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لحكمة ارادها الله
وانه نسي لينفذ امر الله تعالى وفي نسخة مراد الله في ارادته لعدم وقوع ما تمناه
امتحانا له لينبهه على الاولى به صلى الله عليه وسلم والجواب الثاني انه لم يسمع
صاحبه الذي قال له قل ان شا الله تعالى وشغل عنه بامر شغله او لشدة توجهه
الى الله وقوة رجائه وفيه الا انه قيل عليه ان ترك المشية ليست معصية حتى
عوضي
يحتاج لمثل هذا فكان المص ذهب الى ان النهي في ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا
الا ان يشا الله نهي تحريم انتهى ولم نر من ذهب لهذا حتى يتبعه المص ولا حاجة له
فانه خلاف الظاهر لا سيما للانبيا الذين تقتضي مقاماتهم تفويض جميع امورهم
لله تعالى ولذا تاخر الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم يقله وقوله اي
سليمان عليه الصلاة والسلام وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قيل انه
عوضي
جواب سؤال تقديره انك قلت ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام معصومون
من ساير الذنوب ومنهم سليمان عليه الصلاة والسلام فكيف هذا مع ما ساله
من الله اذ يؤتيه ملكا لا يكون لغيره وهذا يقتضي حبه للدنيا وللتفرد به ملك عظيم
لا يتيسر لغيره وفيه حرص وحسد لا يليق بزهد الانبيا في الدنيا وعدم رغبتهم
فيها فاجاب عنه بانه لم يفعل سليمان هذا اي طلبه لما ذكر غيرة بفتح الغين المعجمة
وتكسر في لغية والغيرة محبته امر يابى ان يكون لغيره على الدنيا اي على امور الدنيا
كالمال والملك ولا نفاسة بها اي عدها نفيسة عظيمة يضن بها عن الغير هذا
مراده وقال الراغب المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالافاضل واللحوق
بهم من غير ادخال ضرر على غيره قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
انتهى وهو هنا من نفس بكذا اذا رغب فيه وبخل به على غيره لا ما ذكره الراغب
ولكن مقصده في ذلك اي في سؤاله ما ذكر على ما ذكره المفسرون في معنى هكذا

الاية ان لا يتسلط عليه بالبناء للمجهول احد نايبا لفاعل اي ان لا يسلطه الله عليه وتسليطه عليه بان يمكنه من غلبته عليه كما سلط عليه الشيطان وهو صخر كما بيناه الذي سلبه اياه اي ملكه وعاد عليه لينقدم ذكره مدة امتحانه اي في مدة ابتلاء الله له بتسليط الشيطان لما اخذ خاتمه عليه الصلاة والسلام من زوجته وظهر بصورته وتصرف في ملكه حتى انكر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام الى ان وجد خاتمه في بطن سمكة اصطادها كما مر الا ان الله لم يسلطه على زوجاته صلى الله عليه وسلم كما حكوه تطهيرا لحرمه على قول من قال ذلك من اهل القصص والسير وقد علمت انهم اخذوه من الاسرائيليات المنقول عن اهل الكتاب وفي صحته كلام للمحدثين وقيل في توجيه ما طلبه سليمان بل اراد بقوله هب لي ملكا الخ ان يكون له من الله فضيلة يتفضل بها اهل زمانه وخاصة يختص بها من دون ساير رسل الله وانبيائه ويؤيده ما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم من انه جاءه شيطان وهو يصلي اراد ان يقطع صلاته فاراد صلى الله عليه وسلم ان يقطع صلاته فاراد صلى الله عليه وسلم يمسكه ويربطه بسارية من سواري المسجد حتى يصبح ويراه الناس ثم تركه وقال ذكرت قول اخي سليمان هب لي ملكا الخ فهذا يقتضي انه خاصة له خصه الله بها ولذا قال بعض الشراح هنا لا ينبغي للمصنف ان يمر هذا ويحكيه بقيل لاختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه اي من الله خصه بها دون غيره وهذا لا ينافي الافضلية لانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل وقيل انما طلب هذا ليكون دليلا وحجة على نبوته لا رغبة في الدنيا ومنافسة فيها كالانة الحديد لابيه عليه الصلاة والسلام اي جعله لينا كالعجين يصنع منه الزرد ليستعين به على الجهاد واحيا الموتى لعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة يوم القيامة كما تقدم ونحو هذا من خصايص انبياء الله ورسله التي اكرمهم الله بها وجعلها معجزة دالة على نبوتهم وقد تقرر انه لم يكن لنبي من الانبياء معجزة وخاصة الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها واعظم منها كما فصل في الخصايص وقد افردت بالتدوين واجل ما الف فيها خصايص الامام السيوطي وفي شرح المواقف طلب سليمان لملك لا ينبغي لغيره لم يكن حسدا منه ومنة بالملك بل لان كل نبي كان له ما يفتخر به اهل زمانه وكانوا جبابرة يفتخرون بالملك وكثرة الجند والمال وقوة الاعوان فاراد صلى الله عليه وسلم ان يكون له من ذلك ما لا يقدر عليه غيره فملكه الله ملكا عظيما ولم يجعله شاغلا له عن زهده وعبادته ليعلم الناس ان زخارف الدنيا لا تلهي خلص عباده عن خدمته ولذا قدم الاستغفار على طلبه فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا الخ وليكون ادعى للاجابة واما قصة نوح عليه الصلاة والسلام وما فيها مما يقتضي انه شك في وعد الله له بقوله انا منجوك الخ على ما ياتي ومثله يحسب لظاهره معصية ولم يذكر قصص الانبياء مرتبة بحسب زمان الوقوع لانه راعى فيها ما هو اظهر حجة لمن جوز على انبياء الله وقوع الذنب منهم فلا يرد عليه ما قيل انه كان الاحسن ان يذكرها مرتبة فيبدا بقصة ادم ثم نوح ثم وشراح القصص وظاهره اي ظاهر كلامه ومحكاه رضي الله عنه وذكر الضمير لتاويله بما ذكر العذر اي الاعتذار عن سؤال ما ليس له به علم الا الشك في وعد من

لا علم

ابن الفرس

لايخلف الميعاد كما ياتي وانه اخذ اي تمسك بهما اي في قصته بالتاويل اي تاويل ما وعده به
بان يريد الله باهله ما يشمل ابنه وظاهر اللفظ بالجر عطفا علي التاويل اي اخذ بظاهر تلفظه
بقوله انا منجوك واهلك متعلق باللفظ الا انه قيل عليه انه سهو لان ما ذكر وقع في
قصة لوط في سورة العنكبوت والذي في قصة نوح قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين
اثنين واهلك الاية وكونه حكاية بالمعني يابا ه انه متمسك بلفظه وان ساواه في لفظ
الاهل ولذا اراينه ضرب عليه في بعض النسخ وطلب مقتضى هذا اللفظ اي لفظ الاهل
من غير نظر لحقيقته فقال ان ابني من اهلي وان وعدك الحق واراد بطلبه ذلك علم ما طوي
عنه اي اخفي عن علمه فهو استعارة من الشي المطوي عليه لفاوة تخفيه وقبل ان يظهر
ما في داخلها من ذلك الامر اي امر ابنه ومخالفته في ركوب السفينة لا لبنا ويه كما توهم
لانه اي نوح عليه الصلاة والسلام شك في وعد الله له بنجاة اهله فبين الله تعالى
عليه بني لا يتعدي بعلي فكانه ضمنه معنى نبه او بني او هو تحريف من الناسخ انه
ليس من اهله الذين وعده الله بنجاتهم فيه ما تقدم فقد ذكره لكفره وعمله الذي هو
غير صالح فان مثله قاطع للقرابة العرفية ولذا منع الارث بالكفر واختلاف الملل وقيل
سلمان منا اهل البيت وقد اعلمه الله انه مغرق الذين ظلموا بقوله ولا تخاطبني في الذين
ظلموا انهم مغرقون والظلم اطلق علي الكفر في القران كما قال تعالى ان الشرك لظلم
عظيم ونهاه عن مخاطبته فيهم اي شفاعته لهم وتكليمه في شانهم بالاية المذكورة
وهو اشارة الى ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يسالون من الله شيا بغير اذن
لهم في الكلام فاخذ وابهذا التاويل اي جازاهم الله واخذهم بتاويلهم الاهل
الموعود بنجاتهم كما قال تعالى ولو يواخذ الله الناس بظلمهم وعتب عليه اي عاتبه
الله علي مخاطبته له بقوله تعالى اني اعظك ان تكون من الجاهلين فنسبه للجهل
زجرا له ولله ان يخاطب خلص عباده بما اراد لا نه حين وعده بنجاة اهله استثنى
من سبق عليه القول من الناجين لا سيما وابنه كان بمعزل منه ففي دلالة الحال
ما يغني عن السوال واشفق هو اي خاف نوح عليه الصلاة والسلام من اقدامه
علي ربه بسواله من ربه ما لم يوذن له في السوال فيه حيث لا يتكلم الا من اذن له مرتبتي
محذرة بقوله وكان نوح عليه الصلاة والسلام فيما حكاه النقاش في تفسيره وهو محمد
ابن الحسن الموصلي كما تقدم في ترجمته لا يعلم بكفر ابنه ولو علم ذلك لم يرج من الله
نجاته وقطع رجمه منه وقيل في الاية غير هذا التوجيه مما يقتضي نبوته مقام
النبوة مما لا يليق بها وقيل انه لم يكن ابنه وانما كان ابن امراته وقد قرئ في الشواذ
ونادى نوح ابنها والقول بانه ولد علي فراشه ولم يكن ابنه وكان لغير رشده مردود
بان فراش الانبيا منزه عن مثله واما قوله فخانتاهما فالمراد به خيانة الاذية
والميل لاعدايه والا فلا يجوز ان تنسب زوجات الانبيا لشي من ذلك بالاتفاق
وكل هذا المذكور في قصة نوح عليه الصلاة والسلام والاية المتلوة فيها
لا يقتضي اي لا يحكم ويلزم الحكم علي نوح عليه الصلاة والسلام بمعصية صدرت
منه سوى ما ذكرناه هو استثنا منقطع اذ ليس فيما بعده معصية ومعرفة
تلحقه وتبين مقامه من تاويله لما وعد به واقدامه بالسوال فيما لم يوذن

ابن افبرس

له في السؤال فيه وانهي عنه صريحا لانه لم يتحقق دخوله في الذين ظلموا اذ لو كان كذلك
كان معصية وما روي في الصحيح كما رواه الشيخان عن ابي هريرة ان نبيا قرصته اي عضته
نملة وفي رواية للبخاري لدغته نملة بدال وغين معجمة والقرص مخصوص ببعض صغار
الحشرات كالنمل والبرغوث ولذا قالوا قولهم الحلو في البراغيث مجاز واذا عبر عنه بضمير
العقلاء وهذا النبي قال الطبري والحكيم الترمذي انه موسى عليه الصلاة والسلام
وقال المنذري انه عزير وقال البرهان ان في ابي داود مرفوعا لا ادري اعزير نبي
ام لا وصححه الحاكم في مستدركه عن ابي هريرة ولكن ثبت انه نبي فكان الله اطلعه بعد
ذلك على نبوته فحرق قرية النمل القرية محل يجتمع فيه ببيوت الناس ولا يطلع على مقر
غيره من الدواب وغيره وقرية الا مجمع النمل لان اصله محل الاجتماع مطلقا من قري الما
في الحوض اذا جمعه فهو حقيقة لغوية او مجاز مشهور وفي كتب اللغة تفرقة بين المساكن
فقالوا يقال لمنزل الانسان وطن وبلد ومقر الابل عطن وللاسد عرين وغابة وللظبا
كناس وللذئب والضبع وجار وللطاير وللزنبور عش ووكر لليربوع والنمل قرية
بنوعلي هذا حقيقة فاوحى الله اليه احرقت امة من الامم الامة طايفة جماعة من
جنس واحد من المخلوقات ففيه اشارة الى ان هذا النبي صدرت منه معصية
ففيه دليل لمن جوز على الانبياء صدور المعاصي منهم لمعاتبة الله له في ذلك
وقوله تسبح بيان لسبب النهي عما فعله لانه ما من شيء الا يسبح بحمده وفي قتله قطع
لعبادته وايضا فانه لا يجوز الاحراق للحيوان كما ورد من انه لا يعذب بالنار الا خالقها
وقيل انما عاتبه الله لانه اهلك من اذاه وغيره لما في بعض الروايات هلا نملة واحدة
وسبب هذه القصة ان موسى عليه الصلاة والسلام مر على قرية اهلكها الله اهلها
بذنب لهم فقال يا رب اهلكتهم وفيهم صبيان ودواب لم تذنب وفيهم الطايع
فاراد الله تعالى ان ينبهه على ما خطر بباله فاشتد عليه الحر ونزل تحت شجرة
فنام في ظلها فسلط الله عليه نملة كبيرة من النمل الذي يقال له نمل سليماني
وغيره يسمى ذرا ففعل بها ما فعل فاوحى الله اليه بما ظاهره العتاب ارشادا له
صلى الله عليه وسلم وقد قالوا انه كان جايزا في شرعه وقد قالوا ايضا يجوز
قتل كل موذ من ذوي الارواح اما بالنار فلا يجوز الا قصاصا لمن احرق بها انسانا
على ما فيه فليس فيما فعله معصية ولذا قال المص فليس في هذا الحديث ما
يقتضي ويدل على انه اتى معصية وفي نسخة على ان هذا الذي اتى معصية
خبر ان وعايدا لذي محذوف اي الذي اتاه معصية بل فعل ما راه اي علمه
واعتقده صوابا بقتل من يوذي جنسه اي بني ادم وقد قال الفقها ان
قتل النمل جايز لاذيته وعبر بمن لما مر وجعل منه ايذيه فعل العقلا كقوله
والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ويمنع المنفعة اي الانتفاع بما اباح الله
تعالى كالاستظلال لهذه الشجرة وافساد ما ادخر من الاطعمة واوضحه بقوله
الا ترى اي تعلم وتحقق ما هو كالمري المشاهد ان هذا النبي المتقدم وصحح
القرطبي انه موسى كما تقدم كان نازلا تحت الشجرة لينتفع بظلها والنوم فيه
فلما اذته النملة بقرصها والنملة للوحدة فيشمل المذكر والموث تحول برحله من تحت

تحت

تلك الشجرة عنها اي عن الشجرة ورحل الرجل متاعه الذي ياوي اليه وما يوضع على ظهر الدابة
ليحمل عليه مخافة تكرار الاذي عليه من جنسها وليس فيما اوحى الله اليه ايجب اي يقتضي
ويستلزم عليه معصية صدرت منه بل ندبه الى احتمال الصبر على ما يؤذي اي حثه وترغيبه
من قولهم ندبه الى كذا اذا دعاه اليه وترك التشفي تفعل من الشفا وهو الانتقام مما يشفي
غيظه ويبرد صدره كما قال تعالى في مدح الصبر وانه مما يجب عليه ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين نزلت في غزوة احد وقتل حمزة رضي الله عنه وقد مثل به وحزن لذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما فصل في السير اذ ظاهر فعله اي هذا النبي انما كان لاجل
انها اي النملة اذته هو في خاصته دون غيره ممن تعدى عليه فكان فعله هذا انتقاما
لنفسه دون غيره وقطع مضرة يتوقعها في المستقبل من بقية النمل هناك بيان لوجه
احراق جميع النمل غير المؤذية له ولم يات اي لم يفعل ذلك النبي في كل هذا امرا
معضوله واو رفع جار نهي عنه بل جائزا كما مر وقوله فيعصي به بالنصب في جواب
النفي ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك اي بانه اتى بمعصية ولا بالتوبة من ذنب اتاه
والاستغفار منه اي طلب مغفرته لذنب اتاه قيل انما قال اذ ظاهر فعله لانه في
الحقيقة انما وقع له ذلك لوما على ما قاله في القرية التي اهلكها الله اقول هذا على تقدير
تسليمه لا ينافي المقصود من انه لا معصية في هذه القصة وما حكاه ايضا لا ذنب فيه
لانه انما سال الله عن ذلك ليتبين له حكمة ما فعله فان قيل فما معنى قوله صلى الله
عليه وسلم في حديث ما من احد الا لم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا الخ وهذا الحديث
رواه الامام احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا بلفظ ما من احد الا وقد
اخطا او هم بخطيئة وسنده ضعيف واخرجه البزار عن ابن عمر مرفوعا كما قاله
السيوطي في مناهل الصفا اقول ومتابعة تقويه في الجملة فلا عبرة بمن انكره ورواه
الثعالبي ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كل بني ادم يلقى الله عز وجل بذنبه يعذبه به او يرحمه الا يحيى بن زكريا
فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم اهوى صلى الله عليه وسلم الى
قذاة من الارض اخذها بيده وقال كان ذكره مثل هذه وقال قتادة وغيره
ان الله احيى قلبه بالطاعة والنبوة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية وهو غير
مناف لما رواه الثعالبي وحاصل ما هنا ان هذا الحديث يخالف ما مر من عصمة
الانبيا ويلايم ما استدل به المخالفون في ذلك ومعنى الم انه وقع منه ذلك قليلا
وكاد بمعنى قرب وهم منه بمعنى اهم في الرواية الاخرى وقوله او كما قال صلى
الله عليه وسلم اشارة الى انه وقع بروايات مختلفة كما اشرنا اليه فالجواب
عنه اي عما وقع في هذا الحديث انه كما تقدم من ذنوب الانبيا التي وقعت من
غير قصد منهم وعن سهو وعن غفلة منهم ومثله لا يواخذ به ولا يلزم منه تفضيله على
من عداه من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهذا انما وقع في بعض النسخ وسقط من
بعضها

## فصل

معقود لدفع شبه نشات
مما قدمه فاذا انتفت عنهم اي عن الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

عرضي

الذنوب والمعاصي عطف تفسير او هو من عطف السبب على مسببه لان الذنب الاثم المترتب
على المعصية بمخالفة امر الله بما ذكرته في الفصل الذي قبل هذا من اختلاف المعبرين في رجيه
ما قدر منهم وتاويل المحققين لما هو معصية بحسب الظاهر فما معنى قوله تعالى وعصى ادم
ربه فغوى وضل بحسب معصيته وما معنى ما تكرر في قصص الانبيا الواردة في القران
والحديث من اعتراف الانبيا بذنوبهم كاتيانهم من خوفهم ربنا ظلمنا انفسنا ونحوه
واستغفارهم كقول موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وبكائهم على ما سلف منهم
كما روي عن داود عليه الصلاة والسلام انه بكى حتى بلت دموعه الارض واشفاقهم
اي خوفهم من الله وهل يشفق ويخاف ويتاب بصيغة المجهول ويستغفر من لا شي اي
من غير شي صدر يخشى منه حتى يفعل ما ذكر فاعلم ايها السايل وفقنا الله واياك
جملة دعائية معترضة ان درجة الانبيا عليهم الصلاة والسلام والدرجة في الاصل
ما يصعد به لمكان عال ويراد به المنزلة الرفيعة نفسها وهو المراد به هنا في
الرفعة اي علو شانهم حسا ومعنى والعلو عطف تفسير والمعرفة بالله
فانهم اعرف به من غيرهم وسنته في عباده مجرور معطوف على ما قبله اي معرفتهم
بعادة الله في معاملة عباده في سخطه ورضاه وعظيم سلطانه اي علو شانه والله
القاهر فوق عباده وقوة بطشه اي اخذه القوي الشديد اذا اخذ كل جبار
عنيد مما يحملهم اي يلجيهم بما يقتضيه اقتضا تاما على الخوف منه فان من كان
اعرف بالله كان اشد خوفا منه جل جلاله هذا في موقعه مناسب غاية المناسبة
اي عظمته وهو مبالغة في وصفه بالعظمة في ذاته وصفاته والجليل
من اسمائه تعالى ابلغ من الكبير والعظيم لانه كمال الذات والصفات واسناده
مجازي كجد جده وفيه مبالغة فورد في المعالي والاشفاق اي الخوف من
المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم فانهم لعلو مقامهم عند الله ورفعة شانهم
لا يسامحهم بما يسامح به غيرهم لانهم اجل من ان يتهاونوا في شي من الاشيا ويفرطوا
فيه فخوفهم من الله اقوى من خوف غيرهم لانه خوف اجلال وانهم في تصرفهم بالافعال
الصادرة منهم باموز لم ينهوا عنها ولا امروا بها لانها امور مباحة جايزة ثم
اوخذوا عليها اي لامهم الله عليها مع انها مباحة جايزة وعوتبوا بسببها
او حذروا اي خوفوا من المؤاخذة بها اي ان يجازيهم الله عليها كاخذه صلى
الله عليه وسلم الفدية من اسرى بدر واذنه لمن تخلف عن الغزو كما تقدم
والتنبيه على لامة او انو هما اي فعلوها على وجه التاويل لما ورد فيه
من نص فحمل على محمل غير ما اريد به لامر اقتضاه ومثله يعذر فيه ولا يعد
ذنبا او السهو اي او فعلوها على وجه وقع منهم لسهو منهم ومثله يعفو عنه
غير مؤاخذ به غيرهم كما تقدم بيانه او تزيد اي زيادة من امور الدنيا المباحة
لهم ولغيرهم كطلب سليمان عليه الصلاة والسلام ان يحمل جميع نسائه
ليرزقن بان تجاهد في سبيل الله كما تقدم فهو طلب زيادة مباحة والامور فيه خايفون
وجلون هو خبر ان في قوله انهم في تصرفهم وما بينهما اعتراض والوجل الخوف

والحسن

والاحسن تفسيره هنا بالمصطفين ليكون افيد وهي الامور المباحة المذكورة ذنوب بالاضافة الي منصبهم اي بالنسبة لهم وان كانت مباحة في اصلها فالمراد بالمنصب مقامهم العلي والرتبة والمنصب هنا بمعناه المتعارف وقد تقدم بيانه ومعاص بالنسبة الي كمال طاعتهم لربهم ومراتبهم له لا انها ذنوب حقيقية كذنوب غيرهم من امتهم وقربهم ومناسبة لاملاح فيها بحسب الاشتقاق فقال فان الذنب في اصله ومنبع مادته ماخوذ من الشي الدني اي الخسيس الرذل اي الردي المحقر والاخذ الاشتقاق البعيد وهو معني قولهم دايرة الاخذ اوسع من دايرة الاشتقاق ومنه ذنب كل شي اخره الذنب بفتحتين معروف واذناب الناس ورذالهم بضم الرا وهو جمع على فعال جاء في كلمات معدودة اي اراذلهم ومنه ارذل العمر لاخره فكانت هذه اذناب امثالهم اي احقرها واخسها وكان للتشبيه وفي نسخة وكانت هذه اي الامور التي تنزهوا فيها واسوا ما يجري ويقع من اذنى الهمم لجلالة قدرهم ونزاهة خلقهم وعصمتهم عن سفساف الامور وان حماهم الله عن كل سوء في ذواتهم وصفاتهم لطهرهم وتنزيههم عما لا يليق بهم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح في السر والعلانية والكلم الطيب الذي تشغل به السنتهم وجميع افواههم من التكلم بالخير والتسبيح والتهليل وحمد الله والذكر الطاهر اي ذكر الله جهرا والخفي بذكره سرا وجعله دايما مراقبا ملاحظا في قلوبهم والخشية هي الخوف مع الاجلال والتعظيم لله تعالى واعظامه حق تعظيمه وقدره حق قدره في السر والعلانية بالتخفيف مصدر كصلاحية وهي مقابل السر بمعنى الخفي من الاعلان فمن كان هذا حاله اذا اشتغل بما لا يعنيه من المباحات كان سيئة بالنسبة لمقامه وما طبع عليه واما غيرهم من غير الخواص فهو انما يتلوث اي يتدنس يقال تلوث بالدم اذا تلطخ به ويقال به لوثة من جنون قال

واني على ما في من عنجهيتي • ولوثة اعرابيتي لاديب

من الكباير اي كباير الذنوب وقد تقدم بيان ما تفاوت القبايح اي ما يقبح شرعا من الذنوب كبايرها وصغايرها والفواحش وهو ما ازداد قبحه وقد يراد بالفاحشة الزنا ونحوه وهو اطناب هنا لانه بمعنى الكباير ما يكون بالاضافة اي بالنسبة والقياس اليه وفي نسخة الي هذه الامور التي صدرت من الانبياء وما هذه موصولة وقعت بدلا من مجرور من اي غير الانبيا يتلوث من امور هي بالاضافة لما عد ذنبا منهم كالحسنة لغيرهم كما قال المتنبي

انا الغني من ترك القبيح به • من اكثر الناس احسان واجمال

فلا وجه لما قيل ان حقه ان يقول بما يكون بالبا الجارة كما وقع في بعض النسخ او يقول يلوث باسقاط التا حتى يتعدى بنفسه الهنات جمع هنة وهي خصلة السو في حقه اذا وصف بها غير النبي وقبلت في حقه كالحسنات لان منها ما هو مباح ومكروه كراهة تنزيه وجعلها حسنة لاخفاونه وما قيل انه لم يعهد ان يكون شي واحد ذنبا في حق شخص وغير ذنب في حق اخر في شريعتنا ليس بشي بل مثله كثير فكم من شي وجب على الانبيا وعلى الخلفا والحكام وهو

لا يجب على غيرهم والهنات في البيت بالهنات لانها بفتح الهاء والنون والف وتاء والهنة في الاصل
مطلق الخصلة ثم خصصت بخصلة السوء قال في الاساس يقال هناه وهنوات وهنات
خصال سوء قال لبيد

اكرمت عرضي ان ينال بنجوة ان البريء من الهنات سعيد

وما في بعض النسخ من الهيات جمع هيئة ساكنة وهذه تحريف من الناسخ
كما قيل حسنات الابرار هم اتقيا الامة سيئات المقربين الى الله وهم الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وخلصا الاوليا وليس هذا الحديث وانما هو من كلام ابي سعيد الخراز
من كبار مشايخ الصوفية اي يرونها ويعتقدونها بالاضافة الى علو احوالهم كالسيئات
وان لم تكن سيئة حقيقية فجعلها سيئات وحسنات باعتبارين مجاز وكذلك اي مثل
ما ذكر في معنى الذنب وكونه يكون بالنسبة لمن اتصف به العصيان الذي اتصف به
بعض المقربين كما في قوله وعصى ادم ربه فغوى معناه في اللغة الترك والمخالفة
لامر ما سواء كان واجبا ام لا فعلى مقتضى هذه اللفظة بحسب معناها التي وضعت له
كيف ما كانت اي على اي حالة وقعت من سهو وتاويل للامر الذي امر به فهي بمعنى
المخالفة وترك وان لم تكن معصية شرعية مذمومة عقلا وشرعا لانها مغفورة
غير مواخذ بها كاحد فليس كل عاص اثم وترك الطاعة اعم من فعل المعصية
وهو سوال تقديره قد قلتم بعصمة الانبيا وقد وصف الله بعضهم بانهم عصاة
وجوابه ظاهر وقيل هذا مبني على ان فعل الساهي حرام ومعصية لكنها مغفورة
وهو مذهب لبعضهم وقيل فعله لا يوصف بشيء من الاحكام كفعل المكره
والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وقوله تعالى في حق ادم عليه الصلاة
والسلام غوى والغي الضلال والمعصية فاطلاقه يقتضي خلاف ما تقرر
من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام اي جهل ان تلك الشجرة التي اكل
منها هي التي نهي عنها والغي معناه في اللغة الجهل فهذا معناه حقيقة ولغة
ولو قال لم يراعي ... احسن والين بالادب وقيل معناه اخطا ما طلبه من
الخلود به وامر البقا كما ذكر في الاية اذ اكلها وخابت امنيته بضم الهمزة وتشديد
اليا اذ لم يحصل لما ارادة وهي ما يتمناه وجمعها اماني بالتشديد والتخفيف
وفسره اهل اللغة بالضلال والجهل والخطا بمعنى اخرا وهو تفسير بلازم
معناه وقال ابن الاعرابي معنى غوى فسد عيشه بتغير حاله وقد قيل عليه
ان ترتيبه بالفا بقوله عصى ادم ربه فغوى ينافي تفسيره بالخطا والجهل الا
ان يكون كان في شريعته غير معفو عنه ثم نسخ وفيه نظر لانه اذا فسر بمعناه
الغوي كما فسره المص لا يرد عليه ما ذكر على انه قصد به التهديد والتشديد
باعتبار اسبابه الناشية عنها ثم استشهد لما قاله بقصة يوسف عليه
الصلاة والسلام فقال وهذا يوسف جعله كانه مشاهد لاشتهار قصته
قد اوخذ اي عوتب وجوزي بقوله لصاحبه لصاحب السجن اي لصاحبه في السجن
الذي ظن انه ناج فامنا فه لادنى ملابسة وفي نسخة لاحد صاحبي السجن
اذكرني عند ربك اي صف له قصتي واخبره بحالي فيخلصني من هذه الورطة

ابن افتريس

والمراد

والمراد بربه الملك والقضية غنية عن البيان فانساه الشيطان ذكر ربه المصدر مضاف
لمفعوله الثاني اي انساه ذكر يوسف لسيده فلبث في السجن بضع سنين البضع ما فوق
الثلاث الى السبع او التسع او العشر وقيل معناه ان الشيطان انسى يوسف عليه الصلاة
والسلام ان يذكر الله فابتغى الفرج من غيره تعالى غفلة منه واشار الى ذلك بقوله
وقيل انسى يوسف ذكر الله تعالى فالمراد بربه الله والضمير ليوسف عليه الصلاة
والسلام وقيل انسى صاحبه الذي كان معه في السجن وقال له اذكرني عند ربك
ان تذكره لسيده وهو الملك اي انسى الشيطان الساقي ان يذكر يوسف للملك
قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن جرير والطبراني عن ابن عباس
وابن مردويه عن ابي هريرة وابو الشيخ عن ابي الحسن مرسلا وكذا عن عكرمة
فهو حديث صحيح لولا كلمة يوسف اي قوله لصاحبه في السجن اذكرني عند ربك
وطلبه من غير الله للفرج ما لبث اي مكث وما نافية في السجن ما لبث اي مدة
لبثه فما مصدرية زمانية وقال مالك بن دينار ابو يحيى البصري احد الاعلام
الزاهد الثقة اخرج له الاربعة والبخاري تعليقا وتوفي في سنة مائة واثنين وثلاثين
واسمه محمد بن ابراهيم وله ترجمة في الميزان وهذا رواه الامام البغوي عنه في تفسيره
واخرجه ابن ابي حاتم عن انس مرفوعا لما قال ذلك يوسف اي قوله اذكرني عند
ربك قيل له اي قال الله تعالى له بوحيه كما يأتي اتخذت من دوني اي غيري
من عبيدي وكيلا اي من تكل اليه امرك وتعتمد عليه في خلاصك لاطيلن حبسك
اي مدة مكثك في الحبس فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى والمصائب من حين
القيت في الجب الى ان دخلت السجن فهذا ذنب عد عليه وعوقب به مع انه ليس
بمعصية شرعية لكن على مقامه يقتضي ان لا يذكر في الشدة غير الله ولا يعول
على مخلوق وقد قال الخليل عليه الصلاة والسلام لجبريل حين القي في النار
وقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا حسبي من سؤالي علمه بحالي وقد ورد
ان جبريل عليه الصلاة والسلام اتاه في الحبس وبلغه ذلك في حديث طويل
نقلوه وقال بعضهم لو اخذ الانبياء لو ما لهم بمثاقيل الذر جمع مثقال وهو
وزن كل شيء ومقداره والذر جمع ذرة وهي اصغر النمل ويقال للهباء الذي يرى
في شعاع الشمس ولا وزنة له اصلا فهو مبالغة في الخفة والمثقال في العرف
الدينار وليس بمراد هنا لمكانتهم اي لقربهم ورفعتهم عند ربهم ومن تحب
احلا ويعتني به لا يسامحه في ادنى شيء يتعلق به ولذا قيل حسنات الحبيب وجع
ويتجاوز عن سائر الخلق اي غيرهم ويأتيهم لقلة مبالاته بهم قال ابن فارس
انشدنا على اشتقاق لا ابالي حكمة رابية قول ليلى الاخيلية
تبالي ورأياهم هالة بعد ما ... ورد ن وحول الماء بالجم برتمي
وقد قالوا فيه التبالي المبادرة للاستقاء عند قلة الماء فيستقي احدهم وينتظر
غيره فمعنى ذلك لا ابادر له ولا انتظر لعدم اعتدادي به انتهى من اضعاف
ما ثوابه في انبائهم بما يزيد على ما اتى به المرء بمثله وامثاله وضعف
الشيء ما يزيد عليه بمثله او باكثر كما فصله في الكشاف تابعا للازهري

في تجنيبه من سوء الادب في حق خالقهم للمتفضل عليهم بالنعم الجليلة التي حقها
ان يقابل بطاعته وشكره فعصوه وارتكبوا ما لا ينبغي من المعاصي وقد قال المحتج
الذي اقام الحجة والدليل للفرقة الاولى القايلة بان الانبيا معصومون من جميع
الذنوب وان السهو والنسيان لا يؤاخذون به كغيرهم ما شيا في حالهم على
سياق ما قلناه اي ما قررناه في بيان امرهم فاشكل عليهم ما قلته انفا من انهم
يؤاخذون بما لا يؤاخذ به غيرهم لعدم المبالاة بهم اذا كان الانبيا يؤاخذون
بهذا المذكور من مثاقيل الذر مما لا يؤاخذ به فلا يعاقب به ولا يعاتب غيرهم
اي غير الانبيا من اممهم من السهو والنسيان ونحوه من ما ذكرته من الامور المباحة
لهم وحالهم اي حال الانبيا المؤاخذين بما ذكر ارفع عند ربهم وهذه جملة
حالية وما في بعض النسخ فحالهم بالفا من تحريف الكتبة فحالهم اي حال الانبيا
اذن اي اذا وجدوا انها اسوا من غيرهم عند الله لكثرة ما اخذهم به وتشديده
عليهم فيما لم يشدد به على غيرهم مع انهم ليسوا كذلك وهذا من سوء
الفهم لتوهم قايله ان الاعظم عند ربه لا يؤاخذ بترك الاولى وليس كذلك
فان ذلك لحكمة والى جواب هذه الشبهة وبيان الحكمة فيها اشار بقوله فاعلم
ايها السايل اكرمك الله بعد اتيك لوجه ما ذكرنا انا لا نثبت لك المؤاخذة اي
مؤاخذة الانبيا في هذا الذي اخذهم به دون غيرهم مؤاخذة اي على مقدار
غيرهم اي مؤاخذة غير الانبيا بما ارتكبوه من الذنوب بمعاقبتهم عليها
في الدنيا والاخرة بل نقول في الفرق بين مؤاخذتهم ومؤاخذة غيرهم
وهو اضراب انتقالي من نفي مؤاخذتهم كغيرهم انهم اي الانبيا والمقربين
رتبة يؤاخذون بذلك المذكور من مثاقيل الذر في الدنيا بما يبتليهم به
فيها ليكون ذلك المؤاخذ به زيادة في درجاتهم اي في علو مقاماتهم العلية
وجعله عين الزيادة وهو سببها مبالغة ويبتلون بذلك اي بالمؤاخذة به
في الدنيا على قدر مراتبهم عنده كما ورد اشد الناس بلاء الانبيا فالامثل فالامثل ليكون
استشعارهم الاستشعار طلب الشعور والمراد به مقاساته او هو من الشعار
وهو اللباس الملاصق للبدن سببا لمنماه مصدر ميمي بمعنى النمو وهو الزيادة
اي لزيادة رتبتهم اي علو مقاماتهم عند الله ثم استدل لما ذكره بقوله
تعالى فقال كما قال عز وجل ثم اجتباه ربه اي اصطفاه وقربه باعلا
رتبته عنده من جبي يجبي اذا جمع فانه جمع فيه من الصفات الحميدة
ما كان سببا لاصطفايه وقربه فتاب عليه وهدى اي قبل توبته
وارشده الى الاعتذار عما صدر منه والاستغفار فقال ربنا ظلمنا انفسنا
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فالاجتبا بزيادة الرفعة بعد
النبوة وعطفه بثم اشارة لمزيد وزيادة مرتبته حتى كانه متراخ عنه وقال
الله تعالى لداود عليه الصلاة والسلام فغفرنا له ذلك اي ما صدر منه
في خطبة امراة اوريا كما تقدم فاذكر الاية الى اخرها من قوله وان له عندنا
لزلفى وحسن ماب وهي صريحة فيما ذكره وقال عز وجل بعد قول موسى

سبحانك

سبحانك تبت اليك من سؤال رؤيتك في الدنيا وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك
فقال يا موسى اني اصطفيتك على الناس اي اخترتك وقدمتك على اهل زمانك برسالاتي
وبكلامي لك بغير واسطة وكيفية بكلام تسمعه من سائر الجهات وقال الله تعالى
بعد ذكر فتنة سليمان في القا الجسد على كرسيه كما تقدم واناب اي رجوعه الى
الله وتوبته فسخرنا له الريح تجري بامره رخا الاية الى قوله وحسن ماب فهو تنبيه
على ذلك ما عدده من النعم يقتضي ان الفتنة التي اناب منها ليست معصية لانها
لو كانت كذلك لم يترتب عليها ذلك وكونه له زلفى اي قرب من الله وحسن ماب
اي مرجع للجنة وهذا كله زيادة في درجاته ومنماه لرتبته عنده به كما لا يخفى
وقال بعض المتكلمين ما يؤيد ما قررناه وارتضيناه زلات الانبيا جمع زلة من زل
اذا سقط ويجوز بها عن الذنب اي ما عد زلة وذنبا لهم وان لم يكن كذلك في
الظاهر اي في ظاهر ما تدل عليه العبارة زلات وهي في الحقيقة اي في نفس الامر
وعند التحقيق انما هي كرامات اكرمهم الله بها لانه ابتلاهم بها ليثيبهم عليها
وزلف بضم وفتح جمع زلفة اي قرب من الله تعالى باعلامه لهم عنده واشارة
الى علو ما قدمناه من حمايته تنبيه بلى ابتلائهم بها من انعام الله عليهم بنعم لا تحصى
وهذا لخصوصه لا ينافي كونه مما اختصهم الله به لان مثل هذه النعم الجليلة
لا تكون لغيرهم فلا يرد عليه ان المؤمنين مثابون بمصائب الدنيا اذا صبروا
عليها ورضوا او نقول انه اشارة لعدم اختصاصهم بذلك بقوله وايضا
اي مثل ما ذكر من انه في الظاهر زلة وهو في الحقيقة نعمة وكرامة فلينبه
غيرهم من البشر اي يوقظه ويعلمه منهم اي الانبيا المذكورين انه ممن ليس
في درجتهم من الاتقيا الذين ليسوا بانبيا بمواخذتهم بذلك الباسببية
متعلقة بينبه او هي بمعنى على لان نبه يتعدى بعلى او ضمن معنى يشعر
ويعلم وذكره اشارة لما امتحنوا به مما صدر عنهم من خلاف الاولى وليس
بذنب فيستشعروا الحذر اي يستشعرون بالحذر وهو الخوف من الشعور
او الشعار كما مر انفا وليس من قولهم ليت شعري فانه تكلف لا داعي له
وليعتقدوا المحاسبة على ذلك لان مواخذة غير الانبيا تقتضي مواخذتهم
بالطريق الاولى وان كان ما ارتكبوه مباحا لكنه خلاف الاولى وليلتزموا
الشكر على النعم المترتبة على ما ابتلوا به كما تقدم او على كونهم لم يمتحنوا
بذلك مع امتحان من هو اعظم منهم وليعدوا بضم اليا المثناة وكسر
العين وتشديد الدال اي يحضروا ويتهيؤا الصبر ليستعينوا به على المحن
جمع محنة وهي البلية التي يمتحن الله بها صبره ورضاه كما قيل
لله در النائبات فانها صدا اللئام وصيقل الاحرار
وتذكر ما في الصبر من الثواب لقوله انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب والمحنة كالفتنة لفظا ومعنى المعاد من غشيها فعلت لما
ذكر وصارت فيه حقيقة وبلاحظ ما وقع من مثل ما وقع وفي
نسخة بملاحظة باهل هذا النصاب اي المقام الرفيع من الانبيا والنصاب

ابن اقبرس

بمعنى الاصل والحسب يقال فلان كريم المنصب والنصاب كما في الاساس ومنه نصاب السكين
المعصوم المحفوظ من الذنوب فكيف بمن سواهم اي غير الانبيا فاذا وقع اللوم لهم فيه
وغيرهم بالطريق الاولى لكنه من خلص عباد الله الذين يعتد بهم كما تقدم ولهذا اي
لما ذكر من الحكمة في مواخذة الانبيا عليهم الصلاة والسلام بما لم يوخذ به غيرهم
قال صالح بن بشير وهو علم منقول من البشير مقابل النذير الواعظ الزاهد توفي
سنة اثنين وسبعين ومائة كما قاله ابن ماكولا المري بضم الميم وتشديد الرا المهملة
نسبة الى مرة قبيلة ذكر داود نبي الله صلى الله عليه وسلم وذكران كان مصدرا
فهو مبتدا فقوله بسطة للتوابين خبره اي توسعة لمن يتوب ويكثر التوبة
والاستغفار لينبهوا على فضلها وان كان فعلا للمعلوم او المجهول اي ذكره الله    مبنيا ه
فقوله بسطة منصوب مفعول له وقال ابن عطا ابو العباس بن محمد بن سهل بن عطا
الاربلي شيخ الصوفية وله في فهم القران لسان اختص به توفي سنة تسع او احدى
عشرة وثلثمائة لم يكن ما نص الله تعالى عليه في القران من قصة صاحب الحوت يونس
ابن متى نبي الله صلى الله عليه وسلم نقصا له اي تنقيصا له بكونه ولى مغاضبا ولم
يصبر حتى ياذن الله تعالى له فيما اراد ولكن ذكر وقصته استزادة من نبينا صلى الله    دلجي
عليه وسلم اي طلب منه ان يزيد صبره على قومه وقيل المراد انه زيادة في علمه بما
جرى للانبيا طلبها من ربه والصحيح الاول لانه المناسب لقوله ولا تكن كصاحب
الحوت اي في ضجره وفراقه قومه حتى كان ما ذكره الله في قصته وايضا فيقال لهم في
الجواب عما ادعوه من تجويز الصغاير على الانبيا لا الزاما لمن سال عن معنى قوله تعالى    دلجي
وعصى ادم ربه ونحوه كما قيل انكم ومن وافقكم على هذا القول تقولون بغفران
الصغاير وان لم يتب منها باجتناب الكبائر لا برأي بسبب تركها كما ذهب اليه كثير من اهل
السنة تمسكا بظاهر قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
وذهب كثيرون الى انها معلقة بالمشية كغيرها لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن
يشا والكلام فيه مشهور في كتب الاصول ولا خلاف بين من يعتد به في عصمة الانبيا
عن الكباير فما جوزتم من وقوع الصغاير عليهم متعلق بجوزتم هي مغفورة
على هذا القول والجملة خبر فقوله ما وهي بمعنى الوقوع لانه بينه به بنا على
مذهب الفراء في الاكتفا بضمير ما يلابس المبتدا عن ضميره كما قرروه في قوله والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن الاية او يجعل ما بمعنى الصغاير فما
معنى المواخذة لانبيا الله عليهم الصلاة والسلام لها اي بالصغاير اذا كان مع
اجتناب الكباير عند كم انها القايلون بهذا الراي وما معنى خوف الانبيا وتوبتهم
منها اي من الصغاير وهي مغفورة بدون توبة منها لو كانت اي وجدت منهم
فما اجابوا به عن هذا فهو جوابنا عن المواخذة بافعال السهو اي بما فعلوه سهوا
ونسيانا والتاويل اي ما فعلوه لتاويلهم الاوامر والنواهي الواردة فيه كما تقدم
فهو جواب الزامي والقول بانقطاعهم عن هذا انتقدم لعدم القول بذلك في حق
الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانه في حق غيرهم وانه عليه ان يصح النقل عنهم    ابن العربي
بالتزامه في حق الانبيا باباه انه يعلم في حقهم بالطريق الاولى لانه جواب

حدبي

جدلي فتامله وقد تقدم ان التوبة لا يلزم ان تكون عن ذنب فتذكره واشار اليه المصنف
هنا بقوله وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم حيث استغفر الله بعني
مرة كما مر وتوبته اي قوله استغفر الله واتوب اليه وغيره من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وان كانوا معصومين من سائر الذنوب فذلك انما هو على وجه اي على طريق ولاجل
ملازمة الخشوع اي التذلل باظهار انه مذنب والعبودية والاعتراف بالتقصير
في اداء حق مولاه شكر الله على نعمه جمع نعمة ونعم الله لا تخفى كما قال تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها فمن عرف نعم الله عليه واظهر العجز عن شكرها فقد شكره تعالى
شكرا عظيما فان الشكر كما يكون باللسان يكون بالاركان كما تقرر عندهم وقد ورد انه
صلى الله عليه وسلم كان يقول في كل مجلس استغفر الله واتوب اليه اكثر من مائة
مع ما هو عليه من العصمة والعبادة فلا معنى لما قيل انه لا يصح ايراد ما ذكر
هنا على وجه الدليل في محل النزاع كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور
المتقدم الذي فيه انه اكثر من قيام الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتفعل هذا
يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا
شكورا وقد ذكره شاهدا لاظهاره العبودية شكر الله وقد امن بضم الهمزة وكسر
الميم المشددة مبني لما لم يسم فاعله قال البرهان في الصحاح امنت فلانا فانا امن
وامنت غيري من الامن والامان وعلى هذا ينبغي ان يقول او من انه يعني ان امن
بالتشديد لا يصح ان يكون من الامن والامان وانما هو بمعنى قال امين وليس كما قال
فانه يقال امنه بهذا المعنى ايضا وهذه الجملة حالية والمؤمن له هو الله اي
الصحابة الذين قالوا له ان الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر من المؤاخذة
بما تقدم وما تاخر مما صدر منه من ترك الاولى ونحوه الذي هو كالذنب
بالنسبة لمقامه او لو وقع وان لم يقع فقال صلى الله عليه وسلم افلا اكون عبدا
شكورا اي كثير الشكر مبالغا فيه لعظم نعمه وكثرتها علي والاستفهام للانكار
من ظن ان كثرة عبادته خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة فقال وان كان الله
عمني برحمته ومغفرته فان اللائق بي شكر الله على ما اولاني والحديث مذكور
في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
البخاري كما تقدم اني لاخشاكم لله اي اعظمكم له خشية والخشية الخوف
مع المهابة للعظمة واعلمكم بما اتقي وروي اني لاتقاكم لله واخشاكم له ومن
علم ما يتقي وجزاءه وعظمة من يخشاه كان اشد منه واحذر وقال الحارث
ابن اسد هو العالم الرباني الذي فاق اهل عصره في علم الظاهر والباطن
وهو المشهور بالمحاسبي لكثرة ما كان يحاسب نفسه ولزهده لما مات ابوه
وخلف له مالا عظيما لم ياخذ منه شيئا مع احتياجه لان اباه كان قدريا
وقال لا يتوارث اهل ملتين وترجمته مفصلة في الميزان توفي سنة ثلاث
واربعين ومائتين خوف الملائكة من الله والانبيا عليهم الصلاة والسلام
خوف اعظام اي اجلال وتعظيما لله وتعبد لله اي يقصدون به العبادة
لانهم امنون من الله لاخباره لهم برضاه عنهم وانه يعطيهم في الدنيا

ابن اقترس

والآخرة من نعمه ما لا عين رأت ولا اذن سمعت وقد فعلوا ذلك اي الاستغفار والتوبة
ليقتدي بهم بالبنا للفاعل على التنازع في الفاعل أو هو مبني للمجهول وتستن بهداهم
اي تتخذه سنة وعادة وقد قدمنا المختار ان النبي صلى الله عليه وسلم كان شديد
الخوف من ربه لانه اعلم به وهو مناسب لما هنا وهو يشهد لما قاله امام اهل السنة
ابو الحسن الاشعري رحمه الله في كتاب الايجاز من انه صلى الله عليه وسلم كان
يخاف الله بلا خلاف الا انه عند اهل الحق كان قبل ما امنه الله من عقابه خايفا
من عقابه وبعده من عتابه ولومه في الدنيا كما في قصة ابن ام مكتوم وبعد تأمينه
لا يجوز ان يخاف عقابه مع اخباره بتأمينه خلافا للرافضة والقدرية حيث زعموا
انه هو وساير الانبيا ما داموا مكلفين في الدنيا لا بد ان يخافوا عقابه سوا امنهم
ام لا لنا انه لا يجوز ان يخاف من شي الا بعد تجويز وقوعه ومع القطع بعدمه
لا يجوز ذلك من عاقل لانه يؤدي الى الشك في خبره هل هو صادق ام لا وهو
باطل بالاتفاق انتهى اقول في فتاوى شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي ما ينافيه كما
مر فانه سيل عن الانبيا والملايكة والعشرة المبشرة بالجنة هل كانوا يخافون مكر
الله وعقابه بعد اخبار الله لهم بخلافه فاجاب بان نفي خوف العقاب عن هولا
مطلقا باطل مصادم للنصوص لوجوه منها ان حقيقة الخوف كما في الاحيا
الم القلب لتوقع مكروه وهو اما خوف ضعف القوة عن الوفا بحقوق الله
على ما ينبغي وهذا محقق في جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام ويلزمه عدم
الامن من مكر الله ولا يامن من هذا احد والمامون منه الانسلاخ من النبوة والملكية
والايمان في العشرة وان جوز وقوعه والرجا والخوف متلازمان فان قلت
يلزمه الشك فيما ذكر قلت حقيقة الخوف ما مر والكمل على يقين من خبره
تعالى لكنهم لشعورهم بقدرة الله واستغنايه عن خلقه وانه لا يسال
عما يفعل ولا يجب عليه شي وخبره تعالى يجوز ان يكون مشروطا بما انطوى
عنا علمه وهذا امما يوجب الخوف وقد سال زيد بن اسلم الشافعي اتدخل
الملايكة في انهم لا يامنون مكر الله فقال نعم لما رواه ابن حاتم انه تعالى
قال للملايكة ما هذا الخوف الذي بلغ بكم هذا وقد انزلتكم منزلة لم ينزلها
غيركم فقالوا ربنا لا يامن مكرك الا القوم الخاسرون وقد ذكر ذلك في الملايكة
والانبيا وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل بكيا فقال الله
لهما لم تبكيا وقد امنتكما فقالا لا نخشى ان يكون تامينك مكرا بنا وهذا هو الذي
قطع قلوب العارفين ويدل لهذا قوله ما ادري ما يفعل بي ولا بكم وقوله صلى
الله عليه وسلم في دعايه اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من
عقوبتك وفي ادعيته مثله كثيرا ولو كان تشريعا قال قولوا اللهم اني والمراد
بتامينه الذي في الحديث الذي مر ان فيها فلا اكون عبدا شكورا خوفه من امور
الدنيا واستيصال امته واما من الله فلا انتهى ملخصا اقول هذا انما يشكل
على ما قاله المص ومشايخ المتوفية فيما نقله وعلى الاشعري لكنه موافق لما
قاله ايمتنا الحنفية والشافعية كما نقل في كتب الاصول والفروع من ان

الامن

الامن من مكر الله واليأس من رحمته كبيرة او كفر على ما تقرر عندهم فانا لو قلنا بما نقل
عن الاشعري من ان الملائكة والانبيا والعشرة المبشرة امنون من المكر والمراد به العقاب
كان ما قرره الفقها غير صحيح على الاطلاق لكون الامن من المكر امر محقق بل واجب في حق
هولا ولو ادعي بعض خلص المتقين الزاهدين انه اشبه هولا في امنه لم يكن به باس فضلا
عن ان يكون كبيرة او كفرا الا انه يقتضي على كل حال ان القول بانه كفر غير صحيح وايضا
استدلالهم بقوله عز وجل لا يامن مكر الله الخ ولا ييأس من روح الله الخ غير صحيح
لان معناه انه من صفات الكفار والخاسرين لا ان من اتصف به كافرا وخاسر ومثله
يعرفه من يفهم كلام العرب وفي كلام ابن حجر قصور يدركه من له ذوق وفكر سليم وهذا
بحث نفيس لم ار من حرره ومن لم يجم حول الحمى هنا قال ما قال مما لا يحتمل له فعض

عرضي

بالنواجذ على ما سمعته كما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا فمن علم ان الموت مورده والقيامة موعده والوقوف بين يدي الله
مشهده فحقه ان يطول حزنه ويبكي على نفسه وهذا من حديث اخرجه الشيخان وقد
تقدم وفيه من انواع البديع الطباق والموازنة وايضا اي مثل ما تقدم في توجيه
استغفار الانبيا عليهم الصلاة والسلام وتوبتهم مع عصمتهم فان التوبة
والاستغفار الصادرين من الانبيا وممن اقتدى بهم من خلص عباده معنى اخر
لطيفا في غاية الحسن اشار اليه بعض العلما وهو استدعا محبة الله اي طلب
ان يريد الله رضاه عنهم ومحبته لهم لما ورد في الحديث ان الله يفرح بتوبة عبده
المومن والفرح في حقه بمعنى الرضا عنه والانعام عليه وتوبة الانبيا عليهم
الصلاة والسلام بما صدر منهم من ترك الاولى ولما يخطر بقلوبهم من انهم
لم يودوا عبادته تعالى حقها فاذا فعلوا ذلك مع ما هم عليه من المجاهدة زادت
نعمه تعالى عليهم فلا يتوهم انه كيف يتوب من لا ذنب له وكيف يلبسهم الله
على ما ابدوه من خلاف الواقع وقول بعضهم انه كلام في محل النزاع من غير

ابن اقبرس

دليل كلام ركيك تركه خير منه قال الله تعالى ان الله يحب التوابين اي
المكثرين من قول اتوب اليك وان لم يكن له ذنب هضما للنفس لتوهمه قصورا
ويحب المتطهرين هو اما على ظاهره او المراد به المحترزين من دنس المعاصي
وسافها المص رحمه الله ليكون دليلا على ما قاله قبله واحداث الرسل والانبيا
اي تجديد ايجاد الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة اي ارجاع امورهم
الى الله وهي الفاظ مترادفة ذكرها للتاكيد وللاشارة الى انها وقعت منهم كثيرا
بعبارات مختلفة تفننا في كل حين اي في غالب اوقاتهم واكثرها كما تقدم
استدعا اي طلبا وامثل معناه طلب لدعوة او الدعا فاستعمل مجازا مرسلا
في مطلق الدعوة ويجوز ان يكون استعارة لمحبة الله لهم والاستغفار فيه
معنى التوبة لانه طلب لمغفرة وهي من الغفر وهو الستر اي ستر ذنوبهم
لعفوها وبينهما عموم من وجه فمن اقلع عن الذنب نادما عازما على
عدم العود اليه من غير دعا بالمغفرة وتضرع تايب غير مستغفر ومن
استغفر ربه مع عدم اقلاعه مستغفر غير تايب ومن جمع بينهما مستغفر

تايب وقد قال الله في القران لنبيه صلي الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبه وما تاخر كما تقدم تفسيره وتاويله لقد تاب الله علي النبي والمهاجرين
والانصار الاية وكررها فقال ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم لان التوبة الاولي
عن اذنه لمن تخلف من المنافقين في غزوة تبوك والثانية عن ان قلوبهم كادت تزيغ
لما قاسوه في غزوة العسرة او ذكر الاولي تفضلا منه والثانية عن الذنب المذكور
وقال عز وجل ايضا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فامره باستغفاره
وتسبيحه بحمده وقد ذكرنا انه كان تعظيم التوبة عليه والكلام علي هذا وانه نعي
له نفسه معلوم في كتب التفسير والحديث وكان صلي الله عليه وسلم يجتهد
في العبادة بعد نزول هذه السورة ويقول كثيرا في ركوعه وسجوده سبحانك
اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي ويقول هذا امرت

## فصل قد استبان لك

اي تبين فيما قبل هذا والسين هنا للتاكيد وليست للطلب هنا لان
ما يطلب من شانه ان يتنافس فيه وقيل انهما للاطالة كما قيل لعمار لو
تنفست اي اطلت لان من تنفس يستانف القول ويسهل عليه الاطالة
وفيه ما لا يخفي ايها الناظر ما قررناه ما في محل نصب مفعول ناظر وفي
نسخة بما قررناه بالباء السببية واذا تاملته بان لك ما هو الحق وما هذه
فاعل استبان بمعني تبين لك وظهر الحق والامر المحقق المقرر مما فصل
من عصمته صلي الله عليه وسلم وحفظه وخلقه مبرا من النقايص لا سيما من
الجهل بمعرفة ذات الله وصفاته كساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فان فطرتهم علي التوحيد والعلم به وبصفاته والاقرار بذلك او تبين لك
عصمته من كونه اي وجوده وخلقه كساير الانبيا علي حالة تنافي العلم بشي من
ذلك اي من ذاته وصفاته كله جملة فهو لا يجهل شيا من ذلك اصلا لا سيما بعد
النبوة ونزول الوحي عليه لغضايه بحيازته جميع الشرف والكمال لانه تعالي
لا يصطفي الا من هو كذلك اجماعا من كل المسلمين وعقلا لاقتضا العقل السليم
له وقبلها اي النبوة سمعا ونقلا لوروده في الاحاديث الصحيحة ولاتفاق
ولاتفاق ايمة الدين علي عصمتهم من ذلك قبلها ولو قال من عصمتهم كان احسن
لعدم احتياجه للتقدير والمنصوبات تمييز وسمعا توكيد لقوله نقلا الحديث
البخاري كل مولود وابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وهو معني قوله تعالي
فطرة الله التي فطر الناس عليها كما تقرر في التفاسير وشروح الحديث وفي
المواقف عصمة الانبيا لا سيما نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام من
الجهل بالله وصفاته قبل النبوة وبعدها اجماع عقلي لانه كفر والكفر لا يجوز
علي الانبيا قبل البعثة وبعدها عقلا واجماعا وما وقع لابراهيم عليه
الصلاة والسلام لالزام الحجة وليطمين قلبه لا لشك منه كما تقدم وكذا
كل ما يشابهه من قصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولا شي معطوف علي

دبجي

قوله

قوله بشيء قبله اي ولا كونه على حالة تنافي العلم بشيء مما قررناه من امور الشرع
الذي اوحي اليه بتبليغه وادائه اي اوصله وبلغه من ربه الوحي المامور بتبليغه
لامته قطعا اي مقطوع به متيقن بلا خلاف عقلا وشرعا لانه مناف لارساله به وامره
بتبليغه فكيف يجوز عليه جهل شيء منه لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام معصومون
عن ذلك لدلالة المعجزة على علمهم وصدقهم فيما بلغوه عن الله لانه لو لم يكن كذلك
كان افترا على الله وهو باطل عقلا وشرعا وظاهره انه لا يقع منهم ذلك سهوا ونسيانا
ايضا وهو مذهب ابي اسحاق الاسفرايني وجوزه القاضي ابو بكر لعدم منافاته
للمعجزة فانهم لا يقرون عليه وكلام المص على خلافه وعصمته من الكذب معطوف
على عصمته في اول الفصل لما علته من منافاة المعجزة له وخلف القول اي انه صلى
الله عليه وسلم معصوم عما يخالف الواقع من قوله لئلا يتهم في تبليغه منذ
نباه الله وارسله فلم يتعمد عنه شيء منه وهو مستحيل منه قصدا او غير
قصد واستحالة ذلك اي الكذب والخلف عليه شرعا واجماعا من ائمة الدين
ونظرا وبرهانا اي استحالته شرعا واجماعا بما دل عليه النظر والدليل العقلي
فهو متحقق عقلا ونقلا وسقطت الواو العاطفة في بعض النسخ قبل قوله
نظرا وهو احسن من تسوقها في بعضها وتنزيهه اي تبريته عنه اي عن الكذب
قبل النبوة قطعا لتواتره وكان صلى الله عليه وسلم عندهم يسمى الامين كما
مر لانه مامون في اقواله وافعاله وتنزيهه عن الكبائر اجماعا لرفعة قدره
عنها ولا ينافيه تجويز الحشوية له كما قيل لعدم الاعتداد بخلافهم
وقوله اجماعا اشارة لرد قول المعتزلة انه عقلا لابتنائه على الحسن والقبح
العقليين وعن الصغائر تحقيقا اي امرا محققا ولتجويز بعضهم لها لم يقل
اجماعا ويجوز ان يريد بقوله تحقيقا قصدا بقرينة قوله وعن استدامة
السهو والغفلة عطف تفسير للسهو لبعد ساحة التبليغ عنها فان وقع
تنبه عليه بسرعة كما مر وقد قيل يا سائلي عن رسول الله كيف سها
والسهو من كل قلب غافل لاهي • قد غاب عن كل شيء سره فيها
عما سوى الله في التعظيم لله • وتقدم كلام مهم فيه وما فيه وعن استمرار
الغلط والنسيان عليه حفظا له صلى الله عليه وسلم بايقاظ قلبه وتنبيهه
فيما شرعه للامة لان استمراره مناف لتشريعه له وعصمته بالجر وتجويز رفعه
في كل حالاته من رضى وغضب وجد بكسر الجيم ضد الهزل ومزح لانه صلى الله
عليه وسلم كما ورد كان يمزح ولا يقول الا حقا كقوله صلى الله عليه وسلم
لامراة لا تدخل الجنة عجوز لانهن يعدن لسن الشبوبية فيجب عليك
ايها الناظر لانه خطاب له ولغيره منه ان تتلقاه اي تاخذه وتقابله باليمين اي
بالقبول واليمن والبركة لانهم ياخذون بها ما يعتنون به فانها جهة
يسهل العمل بها عادة والعرب تقول لما تمتدح به اخذه بيمينه ولذا
قال الشماخ
اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين •

ابن اقبرى

وَتشديد عينه اي على ما ذكر من تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما ذكر بيد الضنين بضاد
معجمة ونونين كالبخيل وزنا ومعنى من الضنة وهي شدة البخل وهو استعارة
تمثيلية بليغة كقول المتنبي وفوق شحيح ضاع في الترب خاتمه اي بحرص على حفظ
ما ذكر من تنزيه قدره عما ذكر كحرص البخيل على ما في يده لشدة بخله به وخوفه من ذهابه
منه وفيه مع اليمين مراعاة النظير وقد فسر اليمين بالقوة وهو غير مناسب هنا لما
عرفته ونقدر بسكون القاف وكسر الدال وهو المنزلة الرفيعة كما في قوله
وما قدروا الله حق قدره هذه الفصول المعقودة لبيان ما يجب اعتقاده في
حقه صلى الله عليه وسلم حق قدرها اي تعظيمها حق تعظيمها اللايق بها ونعلم
عظيم فايدتها لانها مما يجب اعتقاده وينال به عند الله مثوبة عظيمة وخطرها
اي شرفها ومرتبتها واصله ما يعطى عند الرهان لمن سبق فاستعير لما ذكر فان
من يجهل ما يجب اعتقاده للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز له مما يصح في حقه
او يستحيل عليه او يمتنع في حقه شرعا وعقلا وعادة ولا يعرف صور احكامه
اي الحكم المتصور في حقه من الوجوب والجواز والحرمة لا يامن ان يعتقد في بعضها
اي بعض الصور او الاحكام خلاف ما هي عليه ولا يعتقد في حقه ما لا يجوز
اعتقاده ولا ينزهه عما لا يجوز في حقه وفي بعض النسخ عما لا يجب اي لا يجوز كذا
فسره بعضهم وفيه نظر ان يضاف اليه اي ينسب اليه ويوصف به فيهلك اي
يقع في امر يكون سببا لهلاكه في الدنيا والاخرة من حيث لا يدري لعدم علمه
بحقه وما يجب وما يجوز عليه ويسقط من هوة بضم الها وتشديد الواو وهو العميق
كالبير الدرك بفتحتين وقد تسكن الرا وهو ما ينزل به الى الاسفل من دركات
المنازل من النار المعرف في النار للعهد والمراد نار جهنم التي في الاخرة وهي هنا مجاز
عن محلها وهي تستعمل كثيرا بهذا المعنى وهو عبارة عن عقابه اشد العقاب في
الاخرة بسبب ما ذكر ولذا علله بقوله اذ ظن هو مصدر مبتدا مضافا لقوله
الباطل به صلى الله عليه وسلم اي ظن ما ليس صحيحا في حقه واعتقاده على طريق
الجزم به ما لا يجوز شرعا وعقلا عليه صلى الله عليه وسلم يحل بضم اليا وكسر الحا
المهملة وتشديد اللام وفاعله ضمير ما ذكر من الظن والاعتقاد اي يحل صاحبه
اي يحله ذلك الاعتقاد دار البوار اي يحل في دار البوار يعني جهنم والبوار
بفتح الموحدة هو الهلاك وهو من اسمايها وضبط البرهان يحل بفتح اوله وضم
ثانيه وصاحبه كما علمه على هذا وهو جايز ايضا ولا ينبغي الابتداء به كذلك وهذا
المذكور كله من عظيم قدره وخطره ووجوب اعتقاد تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عما ذكره وان اعتقاد خلافه يهلك صاحبه ويخلده في الدرك الاسفل لما يؤدي
اليه من الكفران اراد تنقيصه بما ذكر احتاط عليه الصلاة والسلام وفي بعض
النسخ ما احتاط وما زايدة كقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم والاحتياط
افتعال من حاطه اذا اتخذ عليه حائطا ثم استعمل للمبالغة في الصيانة والحفظ
وفي الاساس احتاط واستحاط في امره بالغ في الاحتياط وتفسيره بالتحري في طلب
الخير خشية على من ذكر غير لايق هنا على الرجلين اللذين راياه ليلا اي في ظلمة

الدر

الليل وهو معتكف في المسجد يعني مسجده بالمدينة مع صفية ام المومنين وكانت جالسة
تتحدث معه صلى الله عليه وسلم ثم قامت فقام معها يشيعها لبيتها فمرا به وابصراه
فاسرعا وقوله في المسجد قيل انه متعلق برؤياه لا بمعتكف ومع صفية حال من فاعل
اي رآياه حال كونه مع صفية في بعض ازقة المدينة وقد جاءته تزوره لا فاعل معتكف
كما قيل والحديث في الصحيحين عن صفية بنت حيي بن اخطب بن سعية بسين مهملة
مفتوحة وعين مهملة ساكنة بعدها مثناة تحتية وها او نون وكانت تحت ابن ابي
الحقيق اليهودي فلما قتله صلى الله عليه وسلم واسلمت تزوجها وقصتها
في السيرة فقال صلى الله عليه وسلم لهما انها اي التي رايتماها تتحدث معي
صفية زوجتي لا اجنبية وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لهما لما اسرعا
على رسلكما اي تمهلا انها صفية فقالا سبحان الله تعجبا من قوله صلى الله عليه
وسلم ما ذكر لظنه انهما ظنا به ما لا يليق بمقامه وقد قال الحفاظ انهما لم يعرفا
ولم يسميا في شيء من كتب الحديث الا ان ابن العطار تلميذ النووي قال في شرح العمدة
زعم بعضهم انهما اسيد بن حضير وعباد بن بشير ووقع في رواية سفيان في البخاري
فابصره رجل من الانصار بالافراد وفي اخرى وهما من الانصار فيحتمل تعدد
القصة وقال ابن حجر الاصل عدم التعدد وهو محمول على ان احدهما كان تابعا
للاخر فاختص احدهما بخطاب المشافهة ثم قال صلى الله عليه وسلم لهما
بعد ما قالاه ان الشيطان يجري من ابن ادم لوسوسته له في باطنه مجرى
الدم وهو داخل عروقه وفي رواية اني خفت ان يظنا بي ظنا ان الشيطان
الخ والمراد بابن ادم الجنس فيشمل النسا وجريانه مجرى الدم قيل انه على ظاهره
وانه اقدره الله على الدخول في عروق الناس ويتصل بقلوبهم وقيل انه
تمثيل لشدة اتصاله به ولزومه له واني خشيت عليكما ان يقذف اي يلقي
ويوقع الشيطان في قلوبكما شيئا من الظن السيء فتهلكا وتقعا في اثم يهلككما
الله بما يحل بكما من العقوبة على ذلك الذنب فخشي صلى الله عليه وسلم عليهما
ان يغويهما الشيطان فيلقي في قلوبهما سوء ظن به وانه يتكلم مع اجنبية فيؤدي
ذلك الى تنقيصه وهو كفر يستحقان به دخول النار فيهلكا فبادر لاعلامهما
ينقذهما من الهلاك والحديث في البخاري وغيره كما مر وفيه جواز خروج
المعتكف من المسجد لحاجة والارشاد للاحتراز من محل التهم وانه ينبغي للعالم
ان يرشد غيره لما فيه خير له الى غير ذلك من الفوائد التي لا تخفى قال القاضي
عياض المولف رحمه الله هذه اي معرفة ما يجب اعتقاده فيه صلى الله عليه وسلم
من عصمته من سائر الذنوب لئلا يهلك اذا اعتقد خلافه اكرمك الله اي جعلك
الله مكرما بما هداك له مما يجب عليك معرفته احدى فوائد ما تكلمنا عليه
هو خبر هذه المبتدا وما بينهما من الجملة الدعائية اعتراض في هذه الفصول
بصاد مهملة جمع فصل اي السابقة في بيان عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وما يجب لهم علينا ولعل جاهلا لا يعلم بجهله لانه هو الذي يخشى عليه من
هذا التوهم ولعل هنا للاشفاق على غيره وخوفه من هلاكه اذا سمع شيئا منهما اي

من الفصول المعقودة لتنزيه الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن النقايص يري ويعتقد
ان الكلام فيهما جملة اي جميعا وهو منصوب على الحال من فصول العلم خبر ان جم فضل
غلب على الامر الذي يعد عبثا ومنه الفضولي ولذا انسب للجمع فيه وهو هنا بمعجمة
بمعنى زيادته وان السكوت عن ذكرها اولى من ذكرها وهو جهل عظيم منه لانها
من اهم الامور وقد بان لك مما قررناه انه امر متعين واجب ذكره واعتقاده
للفايدة التي ذكرناها وهي ان فيها النجاة من الهلاك كما يرشدك اليه حديث سفينة
الذي ذكره وفيه فايدة ثانية غير الذي قدمه يضطر بالبنا للمفعول اي يحتاج
اليها احتياجا شديدا لانها من ضروريات الدين في اصول الفقه اي في القواعد
الفقهية او في علم اصول الفقه ويبتني عليها اي يترتب ويتفرع مسايل
لا تنعد من الفقه اي مسايل الدين الشرعية وفروعه اي لا تعد لكثرتها الا ان
الانفعال من العد قليل في الاستعمال الا انه كما قيل لغة رديئة لا يكاد تعد
ويتخلص بها اي يخرج من عهدتها ويسلم من تشعيب تفعيل من الشعب بفتح
الغين المعجمة وسكونها وهو تهييج الشر والصياح في الخصومة مختلفي الفقها
اي اقوال الفقها المختلفة في عدة منها اي في عدة مسايل تتعلق بالاعتقاد فيما يجوز
على الانبيا عليهم الصلاة والسلام ويجب لهم وهي اي الفايدة المضطر اليها
الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله التي هي معظم سنته الواردة
في حديثه لانها مصادر سننه واقواله وافعاله وتقريراته في جميع احواله من الغضب
والرضى والصحة والمرض وغير ذلك مما قاله المص ولابي شامة رحمه الله كتاب
مستقل في افعاله صلى الله عليه وسلم وما يجب الاقتدا به ويستحب فان منها
ما هو تعبد وضرورة وامور عادية وجبلية اختلفوا في لزوم الاقتدا به
فيها واستحبابه فيما لم يعلم انه قصد به التشريع فذهب الباقلاني والغزالي
الى انه يندب التاسي به في الامور الجبلية ولابي اسحاق فيها وجهان ففيها
اقوال ثلاثة بالندب والاباحة والامتناع كذا نبه للعبد من طريق ويرجوه
من اخرى وهذا كله فيما لم يعلم حكمه بنص منه او من الصحابة رضي الله عنهم
ولم يعلموا انه من خصوصياته صلى الله عليه وسلم وهو باب عظيم شانه
واصل كبير من اصول الفقه وقواعده المهمة لابتنا كثير من احكام الشرع
عليه ولا بد من بنايه اي جعله مبنيا على اساس وقاعدة يرجع اليها
وهي انه متفرع على صدقه صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه اي ما
يبلغه لامته ومن بعث لهدايته وارشاده وانه لا يجوز عليه السهو فيه
اي فيما بلغه عن ربه لعصمة الله له عنه لمنافاته لكونه صلى الله عليه وسلم
ارسل مشرعا مبينا لامر ربه وعلى عصمته من المخالفة في افعاله الصادرة
عنه عمدا فلا يتوهم جوازه عليه ولا اعتقاده وبحسب سكون المتبين
اختلافهم على مقدار ما في وقوع الصغاير من الانبيا المهم عليهم الصلاة
والسلام لا سيما منه صلى الله عليه وسلم وقع خلاف بين الفقها وفي نسخة
اختلاف في امتثال الفعل اي اتباعه لمجرد صدوره منه وعليه اكثر فقها

المذاهب وقد بسط اي فصل وبين وذكر بيانه في كتب ذلك العلم يعني الفقه واصوله
فلا نطول به الكلام في هذا الكتاب لانهم جزاهم الله خيرا كفونا مؤنته فلا حاجة لنا (دنه)
هنا وفايدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم اي القاضي وغيره والمفتي اي المجيب لسائل عن
الامور الشرعية من علما الشرع واحكامه فيمن اضاف بنسبته ووصفه للنبي صلى الله
عليه وسلم شيا من هذه الامور التي تجوز او تجب او يمتنع عليه ووصفه بها
صريحا او ضمنا كلا او بعضا فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه من الاوصاف ولم
يعرف ما وقع الاجماع فيه نفيا او اثباتا ولم يعرف ما وقع الخلاف فيه جوازا او نفيا
كيف يصمم اي يجزم او يعزم عليه في الفتيا في ذلك اي امر الانبيا عليهم الصلاة والسلام
منعا وجوازا وفي نسخة الفتوي وفي القاموس فتى في الامر ابانه والفتيا والفتوى
وتفتح ما افتى به الفقيه انتهى وفيه تفصيل في المصباح كغيره ومن اين يدري ويعلم
بالعقل والنقل هل ما قاله في حق الانبيا في فتواه او حكمه فيه نقص لهم او مدح
لهم حتى يقدم عليه حكما او فتيا فاما ان يجتري اما نكسها لهمزة ومعناها مقرر
في كتب العربية والاجترا افتعال من الجراة وهي الاقدام على الشي من غير مبالاة بما
فيه من الضرر وبينه وبين الشجاعة عموم وخصوص كما بين في كتب الاخلاق على سفك
دم مسلم حرام بان يحكم او يفتي بكفره وقتله وهو غير مستحق لذلك والسفح والسفك
بمعنى الاراقة والصب تنبيه قال في العقايد العضدية لا نكفر احدا من اهل
القبلة الا بما فيه نفي الصانع المختار او بما فيه شرك او انكار النبوة او انكار ما علم
من الدين بالضرورة او انكار مجمع عليه قطعا او استحلال محرم واما غير ذلك
فالقايل به مبتدع وليس بكافر انتهى وسياتي بيان ذلك واعلم ان شيخ والدي
الشهاب ابن حجر الهيتمي قال في شرح المنهاج نقلا عن الزركشي ان ما وقع
في كتب الحنفية وفتاواهم من التكفير بالفاظ كثيرة كان المتورعون من متاخ
يتكرون اكثرها لمخالفتها لاصول ابي حنيفة وعقايدهم وليسوا من اهل (لهم)
الاجتهاد فليحذر منها من يراها منا ومنهم لانه يخاف على قايلها ان يدخل في
قوله صلى الله عليه وسلم من كفر مسلما بغير حق فقد كفر انتهى وفي
الفتاوي البزازية حكي عن بعض السلف انه قال ما في الفتاوي من التكفير
كذا وكذا فذلك للتخويف والتهويل وهو كلام باطل وحاشا ان يلعب امنا
الله تعالى على الاحكام من الحلال والحرام وتكفير اهل الاسلام بل لا يقولون
الا الحق الثابت عن سيد الانام وما ادى اليه اجتهاد الامام اخذا من نص كلام
الملك العلام او حديث سيد الرسل العظام انتهى وهذا يحتمل ان يكون تاييدا
لما قاله ايمتنا بانهم لا يقولون الا ما نص الله عليه امام مذهبهم مستندا
الى دليل من القران او الحديث الصحيح او هو اعتراض على الجواب بان المقصود
به التخويف والتهديد بانه لا يصح مثله من التاويل الا في الحديث والتنزيل
اما في كتب الفقه الموضوعة لبيان الحلال والحرام وتعليم الناس حتى
العوام فلا يصح فيها مثله لما فيه من اللبس او يسقط حقا من حقوق النبي
صلى الله عليه وسلم بما يوهم نقصا فيه او يمنع حرمة للنبي صلى الله عليه

وسلم اي امرا محترما امرا له صلى الله عليه وسلم كنحو من المعاصي عليه ونحوه مما لا يليق
به فلا يجوز لمسلم ان ينسب لنبينا وغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام امرا ينافي
عصمتهم عمدا وسهوا قبل النبوة وبعدها وهو الذي ارتضاه كثير من ايمة الدين واهل
الاصول كما مر ثم ان المصنف شرع في بيان عصمة الملايكة عليهم الصلاة والسلام
كما وردت به النصوص فقال وبسبيل هذا النبا بمعنى في اي مجرى في طريق هذا
وفي نسخة وسبيل هذا بدون با وهذا اشارة لما ذكر من عصمة الانبيا ما قد اختلف ارباب
اي اصحاب الاصول اي علما اصول الدين في العقايد وايمة العلما اي كبار علما الشرع
المقتدى بهم والمحققين اي اهل التحقيق من اعلامهم في عصمة الملايكة عليهم
الصلاة والسلام لانهم لا يعصون الله ولا يفعلون الا ما يومرون فهم مثلهم في
جريان الخلاف فيما هو لازم لهم والصحيح والصواب فيه

## فصل في تحرير القول

في عصمة الملايكة جمع ملك والتا لتانيث الجمع وفي اشتقاق الملك خلاف
لاهل اللغة المشهور انه من الالوكة وهي الرسالة لانهم رسل الله برسلهم
لما يريد واصله مالك ثم قلب بدليل جمعه على ملايكة واختلفوا في حقيقتهم
والصحيح انهم اجسام لطيفة قادرة على التشكل وفي تشكلهم كلام ليس هذا
محله وليس الجن منهم على الصحيح خلافا لمن ذهب الى انهم جنس واحد وقد
بيناه في حواشي التفسير وتقدم الكلام في معنى العصمة قال الجلال الدواني
العصمة عندنا ان لا يخلق الله فيهم ذنبا وعند الفلاسفة ملكة تمنع الفجور
اتفق المسلمون وفي نسخة اجمع المسلمون على ان الملايكة مؤمنون بالله ورسله
وشرايعه كما وصفهم الله في القران وفضلا اي ذو فضل معظم مبجل واتفق
ايمة المسلمين من علما الملة الاسلامية على ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين
من البشر فهم سوا اي مساوون لهم في العصمة وتنزيههم عما ينزهوا عنه
لشرف قدرهم مما ذكرنا عصمتهم منه من الكباير والصغاير كما تقدم تفصيله
والجار والمجرور متعلق بالعصمة قال الله تعالى الله يصطفي من الملايكة رسلا
قال الواحدي الملايكة منهم رسل كجبرايل واسرافيل وميكايل وعزرايل
ومنهم غير رسل وقال بعضهم كلهم رسل ارسل بعضهم لبعض منهم
وبعضهم الى الناس كجبريل والحفظة والمختار فيما قاله الواحدي
وهو المشهور وفي كلامه اشارة الى ان من انكر الملايكة ليس بمسلم ٥
كالفلاسفة فانهم ذهبوا الى انها ارواح الفلكيات وعقولها القولهم
الهاجية فعالة لا عقول لهم وحانية كما فصل في كتب الحكمة ومطولات الكلام
والنصوص القرانية شاهدة بخلافه وانهم اي رسل الملايكة في حقوق
الانبيا من حيث الوساطة بين الله وبينهم والتبليغ اليهم فيما امرهم
الله ان يبلغوه اليهم من الوحي فحالهم معهم كالانبيا عليهم الصلاة
والسلام مع الامم في تبليغ الاحكام اليهم وبيان المصالح لهم حسبما

ارهم

امرهم الله به والمراد بعصمتهم انهم لا يخالفون امر ربهم فلا ينافي ان الله لم يخلق لهم
ابن اقبرس — شهوة ودواعي كما في الطبايع البشرية وهو ظاهر غني عن البيان خلافا لمن تصدى
للجواب عنه واختلفوا في غير المرسلين منهم اي من الملائكة هل هم مساوون لهم في
العصمة مما تقدم وعدمها فذهبت طايفة من ايمة الدين الى عصمة جميعهم من
الرسل وغيرهم من المعاصي جميعها لان الله تعالى لم يخلق فيهم شهوة ولا داعية
لها واحتجوا لعصمتهم من جميعها وفي نسخة احتجت اي الفرقة الاولى اولى
بايات كقوله لا يعصون الله ما امرهم منصوب على نزع الخافض اي فيما امرهم او
بدل اشتمال من اسم الله اي امره ويفعلون ما يؤمرون به اي يبادرون لفعله
من غير تنقيص ولا تاخير فعلى هذا هو تاسيس وان حمل على ظاهره فهو تاييد
والعطف بالواو يبعده فتدبر ولا دليل في هذه الاية لمدعاه من العموم
ابن اقبرس — لانه عايد الى خزنة النار فتلك في قوله عليها ملائكة غلاظ شداد وهم
التسعة عشر وبه فسر في الكشاف فكانه لاحظ عدم الفرق بينهم وبين
غيرهم ولا يخفى ما فيه وبقوله وما منا الا له مقام معلوم لا يتعداه لغيره
حسبما امر به وفيه حذف الموصوف اي ما احد منا او معشر او فريق وانا لنحن
الصافون اي الواقفون صفوفا كصفوف الصلاة في المقام المعين لنا ولما
دعجي — امرنا به وتفسيره بالصافين اقدامنا في الصلاة لا وجه له هنا كما قيل وانا
لنحن المسبحون اي الملازمون لتقديس الله وتنزيهه عما لا يليق بشانه وقيل
معناه المصلون العابدون كما ورد في الحديث ان لهم صفوفا كصفوفنا
وبقوله ومن عنده اي الملائكة المقربون مكانة لا مكانا لتنزه الله عنه
لا يستكبرون عن عبادته اي يتذللون ويخضعون لعظمة الله ولا يستحسرون
اي لا يتعبون ويملون من العبادة التي امروا بها وبقوله ان الذين عند ربك
لا يستكبرون عن عبادته الاية لتلذذهم بعبادته وقوله كرام بررة صفة سفرة
جمع سافر وهو الكاتب وهم الكرام الكاتبون من الملائكة والبررة جمع بار
وهو المطيع المتقي ربه واما البر فجمع ابرار وقوله لا يمسه الا المطهرون
هذا على ان المراد به لا يمس القران في اللوح المحفوظ او في غيره الا الملائكة
المطهرون من الكدورات الجسمانية والعلايق البشرية وقد فسر بانه لا يجوز
ان يمسه من الناس الا من تطهر من الحدث او لا يمسه الكفرة لنجاستهم كونهم
فهو نفي بمعنى النهي ولا شاهد فيه على هذا كما انه لا شاهد في قوله وما
منا الا له مقام معلوم اذ فسر بانه ما من احد من المسلمين الا له مقام في الاخرة
او يوم القيامة وقيل ايضا انه لا شاهد فيه على رسل الملائكة اذ لا تخصيص
فيه وقد اشار الى عمومه في الكشاف ونحوه مما هو بمعناه من السمعيات
اي النصوص القرانية الواردة في حق الملائكة كقوله تعالى لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون او ما هو مسموع من الشارع من كتاب او سنة
وذهبت طايفة من العلماء الى ان هذا اي ما ذكر من امر العصمة خصوص اي
مخصوص كما وقع في بعض النسخ للمرسلين والمقربين منهم اي من الملائكة

دون غيرهم والمقربون هم الكروبيون بتشديد الرا وتخفيفها وانشد ابو علي
كروبية منهم ركوع وسجد وكافه مبدلة من القاف او اصله من كرب بمعنى دنا فقال
هو كرب الخلق اي قربه سموا به لقوتهم او لصبرهم على العبادة او هو من الكرب لشدة
خوفهم من الله واحتجوا باشيا ذكرها اهل التفاسير نحن نذكرها ان شا الله وفي نسخة
تعد بالبنا على الضم وبين الوجه فيها اي القول الموجه المرضي مستعار من الوجه
المعروف والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم اي كمال مقامهم الرفيع
العالي منزلته عند الله عن جميع ما يحط اي ينقص ويتنزل من حط الحمل اذا انزله
من مكان عال الى اسفل منه من رتبتهم ومنزلتهم هو مقامهم عن جليل مقدارهم
اي قدرهم الجليل فهم معصومون عن جميع الذنوب كبيرها وصغيرها ولا يجوز
ذلك عليهم ولا ينقدون عليه ورايت لبعض شيوخنا اشارة اي قال والاشارة
تطلق بهذا المعنى كثيرا الى ان بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة اي انه لا حاجة
بالفقيه الى الكلام قيل الكاف بمعنى اللام اي لا حاجة له الى الكلام في عصمتهم وقيل دجلي
اكتفا بما ورد واشتهر في حقهم ومدحهم من النصوص في القران والحديث وقيل
انه لكونهم غير مرئيين لنا ولم نؤمر بالاقتدا بهم بخلاف الانبيا عليهم الصلاة
والسلام فانا متبعون لاقوالهم وافعالهم مقتدون بهم فلا بد من معرفة
عصمتهم واعتقادها للوثوق بهم حتى يجب امتثال اوامرهم ونواهيهم
للامم وقيل انما اراد انه يجب الكف عن الكلام في جميعهم لانه امر مشكل ابن اوقيونس
لا يتكلم فيه الا بدليل قطعي لانه لا فايدة فيه وانا اقول ان الكلام في ذلك
اي في عصمة الانبيا لازم كالكلام في عصمة الانبيا وفي نسخة ان للكلام في ذلك
ما للكلام في عصمة الانبيا من الفوايد الثلاثة التي ذكرناها فانهم وسايط
بين الله ورسله وتبليغهم للرسل كتبليغ الرسل لاممهم فلو لم يكونوا
معصومين لم يحصل الوثوق للرسل بما بلغوه ويسري ذلك لنا فلا فرق
اذن سوى فايدة الكلام في الاقوال والافعال اي الفايدة التي ذكرها في اقوال
الرسل وافعالهم فهي ساقطة هنا اي في حق الملايكة لعدم اطلاعنا على اقوالهم
وافعالهم ولسنا مكلفين باتباعهم فيهما كالانبيا عليهم الصلاة والسلام
فلا داعي لعصمتهم فيهما عمدا ولا سهوا لعدم طرو ما لا يليق فمما احتج به
من لم يثبت عصمة جميعهم وقال بوجوب عصمة الرسل منهم فقط قصة
هاروت وماروت هما علمان لملكين ببابل ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة
ولو كانا عربيين من الهرت والمرت صرفا وما ذكر فيها اي القصة اهل الاخبار
وعلما التاريخ ونقلة جمع ناقل مثل كاتب وكتبة مضاف لقوله المفسرين
اي من اعتمد على النقل من المحقق دون تحقيق وفي نسخة ونقله المفسرون
بفعل ماض وفاعل وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلايهما
بمحبة المراة وعقابهما على ما فعلاه كما ستسمعه قريبا مع ما فيه ردا
وقبولا وما وقع من السحر فتنة للناس وان السحر من اعتقده وعمل به
فقد كفر كما ياتي واما من تعلمه ليتوقاه ويتداوى منه فلا كما قيل

عرفت

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ● ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ●
وللفقهاء فيه وفي قتل الساحر كلام طويل الذيل ليس هذا محل تفصيله فاعلم خطاب عام
لكل واقف على هذا الكلام طالب للعلم به اكرمك الله بهدايته: للحق ان هذه الاخبار المذكو
في قصة هاروت وماروت لم يرو فيها شيء عمن يعتد به من المحدثين لا سقيم اي ضعيف
ولا صحيح ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو اي ما تضمنه قصتهما
شيء يؤخذ اي يستنبط بقياس وفي نسخة بالقياس اي ليس مما يجري فيه القياس على
غيره مما ورد من الايات والاحاديث الصحيحة فلا ينبغي الخوض فيه نفيا واثباتا وهذا
الذي ذكره من انه لم يرد فيه حديث ضعيف ولا صحيح ردوه كما نقله السيوطي في مناهل
الصفا في تخريج احاديث الشفا بانه ورد من طرق كثيرة منها ما في مسند احمد عن ابن عمر رضي
الله عنهما مرفوعا ورواه ابن حبان والبيهقي وابن جرير وابن حميد في مسنده وابن ابي
الدنيا وغيرهم من طرق عديدة وقال ابن حجر في شرح البخاري ان له طرقا تفيد العلم
بصحته وكذا في حواشي البرهان الحلبي وذكره مسندا عن ابن عمر رضي الله عنهما انه سمعه
صلى الله عليه وسلم يقول لما اهبط الله ادم الى الارض قالت الملائكة اتجعل فيها
من يفسد فيها الاية قالوا ربنا نحن اطوع لك من بني ادم فقال الله هلما ملكين
يهبطا للارض قالوا ربنا هاروت وماروت فاهبطا فتمثلت لهما الزهرة امراة حسنا
من البشر فراوداها عن نفسها فقالت لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الشرك
فابيا فذهبت واتت بابن جارها تحمله فراوداها فقالت لا حتى تقتلا هذا الصبي
فقالا لا ثم راوداها مرة اخرى فاتت بقدح خمر فقالت لا حتى تشرباه فشرباه وسكرا
فتكلما بكلمة الكفر وقتلا الصبي فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا
عذاب الدنيا فعلقا بين السما والارض والزهرة بضم الزاي وفتح الهاء وتسكينها لحن
ولا مانع منه تخفيفا ويقال لها بالفارسية ناهيد وتخفف فيقال ناهيد وفي
رواية ابن عباس ان الله انزلهما حكمان بين الناس وان الزهرة قالت لهما اخبراني
بما تصعدان به الى السما قالا باسم الله الاعظم وعلماها اياه فطارت الى السما فمسخت
كوكبا وقد جمع الجلال السيوطي طرق هذا الحديث في تاليف مستقل فبلغت نيفا
وعشرين طريقا وقوله والذي منه اي من ذكر هذه القصة في القرآن جواب
سؤال تقديره انك قلت ان هذه لم تثبت عنه صلى الله عليه وسلم فما تقول
في ذكرها في القرآن في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان
وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين
ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة الاية
فاجاب بقوله اختلف المفسرون في معناه اي معنى ما ذكر في هذه الاية فانكر ما قال
بعضهم فيه اي في معناه كثير من السلف كما سنذكره فلا حاجة لذكره هنا وهذه
الاخبار التي ذكرها بعض المفسرين منقوله من كتب اليهود في الاسرائيليات
وافترائهم اي كذبهم على انبيا الله وملائكته عليهم الصلاة والسلام كما
قصه الله اي حكاه في اول الايات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم
اياه اي نسبته الى الكفر الذي رده الله تعالى بقوله وما كفر سليمان الخ وقد

الطوفان اي اشتملت واحتوت هذه القصة على شنع عظيمة بضم الشين المعجمة وفتح النون
وعين مهملة جمع شنعة اي قبيحة شايعة من شنع عليه اذا اشاع قبايحه وذلك
كما ياتي بيانه انهم كتبوا سحرا ونيرنجيات على لسان اصف بن برخيا وزير سليمان عليه
الصلاة والسلام ودفنوها تحت مصلى سليمان فنزع ملكه ثم لما مات استخرجوها
وقالوا انما ملككم بهذه فانكرها صلحاؤهم واقبل عليها السفلة ورفضوا كتب
انبيايهم ونسبوا سليمان عليه الصلاة والسلام للكفر والسحر وبراه الله منه
وهاك نحبر اي نحرر ونبين احسن تحبيره بمهملتين بينهما موحدة اذا
حسنه وزينه وفيه تورية لانه يقال حبره اذا كتبه بالحبر ففيه ايهام لمعنى
نكتبه لتبيينه في ذلك المذكور في قصة هاروت وماروت ما يكشف غطا هذه الاشكالات
اي ما يزيل لبسه واشكاله ببيان الحق فيه وفيه استعارة مكنية وتخييلية او
مصرحتان باستعارة الكشف للازالة والغطا للبس ان شا الله اي ان اراده بيمنه
وبركته فاختلف اولا في هاروت وماروت اي في حقيقتهما وجنسهما لان بيان
الحقيقة ينبغي تقديمه على بيان احوالهما وهل هما ملكان بفتح اللام اي
في جواب هذا السؤال وهو تفسير للاختلاف وجهته او انسيان نسبة الى الانس
خلاف الجن اي من بني ادم وهل هما المراد بالملكين في قوله وما انزل على الملكين في الاية
بان يكونا بدلا منه ام لا وهل القراة ملكين بفتح اللام وهي قراة السبعة او ملكين
بكسرها وغيره كما ياتي وهي قراة شاذة منقولة عن الحسن البصري وغيره كما ياتي
وهل ما في قوله وما انزل على الملكين وفي قوله ما يعلمان من احد نافية او موجبة
اي غير نافية من الايجاب ضد النفي مبنى على هذا موصولة او موصوفة وهو ظاهر
وكونهما ملكين بالفتح مذهب الجمهور وقراته متواترة وعلى قراة الكسر يلزم كونهما
انسيين تسورا بصورتهما الاصلية لانه المتبادر وكونهما من الملائكة امرهما
الله بالهبوط للارض والحكم بين الناس كما تقدم في الحديث فتصورا بصورة البشر
لقدرتهما على التشكل بعيد من دلالة اللفظ والاحتمال البعيد لا يعول لاضي
عليه فايراده هنا غير متجه والقايل بانهما ملكين بالكسر استدل بظاهر حديث
رواته عايشة رضي الله عنها ان امراة قالت لها انها راتهما رجلين معلقين
برجليهما وفيه الاحتمال السابق ايضا فالاحتجاج به غير تام فان
كانت ما في ما انزل نافية كان معطوفا على ما كفر سليمان اي لم يكفر ولم ينزل
على الملكين شي من السحر وهاروت وماروت بدل من الشياطين بدل بعض
وما بينهما اعتراض وهو رد على اليهود لعنهم الله فيما افتروه على الانبيا
والملائكة وان لا فهي موصولة او موصوفة وقوله من احد ياتي كونها غير
نافية ولذا قال بعض الشراح انه لم يذكره احد من المفسرين وان المعنى
عليه غير ظاهر والكلام في ذلك مفصل في التفاسير فاكثر المفسرين تقول
ان الله امتحن الناس بالملكين اي ابتلاهم وعاملهم معاملة المحنة
لامرهم حتى يظهر حالهم والملكين تثنية ملك بفتح اللام فانزلهما
لتعليم السحر لهما وتبيينه وان عمله كفر وفي نسخة عمله بتقديم الميم على اللام

وجعله

وجعله كفرا مبالغة لانه سببه فهو مجاز كرعينا الغيث والمطر فمن يعلمه و يعمل به معتقد احله
كفر لاعتقاده ما هو حرام اجماعا حلالا ومن تركه امن اي دام وهو مؤمن على ايمانه اذ الكافر
بمجرد تركه السحر لا يصير مؤمنا وهذا مذهب مالك وعزاه المحم في شرح مسلم الى سيدنا
احمد بن حنبل فهو عندهما كافر يقتل ولا يستتاب كالزنديق عنده وهو عندنا
كبيرة ان لم يكن فيه ما يقتضي الكفر فلا يقتل وتقبل توبته فان قتل بسحره قتل قصاصا
عنده وقيل تلزمه الدية والكفارة وعند غير الشافعية فيه خلاف ودليل مالك
ما قال الله عز وجل انما نحن فتنة فلا تكفر فان قولهما له على طريق النصح حين
روي انه يكرره سبع مرات يقتضي انه كفر وما قيل من انه لا دليل فيه لاحتمال ان الله
يعاقبه بسلب الايمان منه اي لا تفعله فانه سبب لسوء الخاتمة خلاف الظاهر وتعليمها
للناس تعليم انذار مبتدأ وخبر والناس مفعول المصدر الاول وهو جواب عما
استدل لرواية اي انما علموه لهم ليعرفوه ويحذروا منه فهو انذار وتخويف لهم من
وباله ثم وضحه بقوله اي يقولان يعني الملكين لمن جا يطلب تعلمه منهما لا تفعل
اي لا تتعلمه وفي نسخة لا تعلموا فانه يفرق بين المرء وزوجه اي هو سبب لذلك
بما يلقيه في قلبهما من البغض الموجب لمفارقة احدهما الاخر وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله اي بتقديره وارادته والسحر له تاثيرات غير ذلك وانما
خصه لكثرته والجمهور على ان السحر له حقيقة يحدث عند نطقه ببعض الكلمات
او فعل بعض الاشيا بخاصية اوجدها الله عنده وقيل انه تخييل باطل وانه
لا اثر له غير تفريق الزوجين والاول هو الصحيح كما قاله المازري ولا تتحيلوا
لكذا تفعل من الحيلة بالحا المهملة اي لا تباشروا حيل السحرة التي يفعلونها من
التمويه والنفث في العقد ونحوه وروي لا تتخيلوا بخاء معجمة من التخيل وهو ظن
الشي على خلاف ما هو عليه واكثرهم على الاول ويؤيده تعديه بالبا او هي سببية
فانه سحر اي امر غير محمود ولا جائز فلا تكفر بفعل هذا لانه كفر او مؤد اليه
كما بيناه فعلى هذا اي ان تبيينه لانذار الناس من الوقوع فيه فعل الملكين
في السحر تحذيرهما عنه وبيان ضرره وكون فاعله طاعة لما فيه من النهي عن المنكر
ونصرتهما فيما امرا به اي امرهما الله باظهاره وبيان حاله ليس بمعصية
يستدل بها على عدم عصمة بعض الملائكة وهو جواب عن سؤال تقديره انما
فعلا ما هو غير جائز في نفسه بانه في حقهما جائز كالمفتي والواعظ الذي يتكلم
بكلمات الكفر ليتجنب وهو مامور بذلك فهو في حقه غير ممنوع وهي لغيرهما
فتنة بلية تهلكه بعقاب الله له وروى ابن وهب هو الامام عبد الله بن
وهب المصري وقد تقدمت ترجمته عن خالد بن ابي عمران التجيبي التونسي
قاضي افريقية ومحدثها توفي سنة مائة وسبعة وثلاثين واخرج له
اصحاب السنن ووثقوه وكان مستجاب الدعوة وله تفسير انه ذكر عنده
هاروت وماروت وذكر انهما يعلمان السحر من طلب تعلمه منهما فقال نحن
ننزههما عن هذا اي تعليم السحر وقرا بعضهم رد الما قاله بانه
مخالف لظاهر قول الله وما انزل على الملكين الاية احتج لها بنا على الظاهر

وفي

٣ وهي

من ان ما موصولة وعلى قراءة الجمهور بفتح اللام فقال خالد مجيبا له لم ينزل
عليهما بالبنا للفاعل او المفعول وهو انكار لما قاله وانه ليس ما فهمه مراد الله
وان لها معنى غير ما يظهر منها لنا وليها وسياتي ان شا الله تعالى فهذا خالد
على جلالته اي عظم قدره وجعله لشهرته كانه حاضر مشاهد عنده وعلمه بالتفسير
والحديث نزههما اي الملكين عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انه ماذون لهما
في تعليمه لان الله امرهما بتعليمه انذارا للناس وليس معصية في حقهما
كما سمعته انفا بشرطه بمعنى شرط كما وقع في بعض النسخ ايضا ان يبينا انه
كفر فيعلماه بما فيه من المحذور وانه امتحان من الله وابتلا عطف تفسير
وغير خالد جعل ما موصولة ايجابية مثبتة لانزال السحر عليهما وهي
عنده نافية كما ياتي ولكنه امر بتعليمه لانذارهم وتحذيرهم من مضارة
وبيان انه ابتلا من الله فكيف لا ينزههما هو مضارع مسند الى خالد اوله
مثناة تحتية وقيل انه مسند وبالنون مسند للمتكلم وغيره اي كيف لا ينزه
نحن الملكين عن الكباير والصغاير كشرب الخمر وقتل النفس والزنا والكفر
بالتكلم بكلمة الكفر ونحوه المذكورة في تلك الاخبار التي رووها كما سمعته مفصلا
قريبا فتنزيههما عن هذا يعلم من تنزيه خالد لهما عن السحر وتعليمه بشرطه
المذكور بالطريق الاولى وقول خالد الذي نقله المصنف عنه لم ينزل عليهما بالتشديد
والتخفيف مبنيا للمجهول الذي دل عليه قوله وما انزل على الملكين الخ يريد
بقوله ذلك ان ما النافية في هذه الاية نافية وهو قول ابن عباس رضي الله
عنهما وبه اقتدى خالد وهو يقول كما في بعض الشروح ان المراد بالملكين
جبريل وميكايل وهاروت وماروت بدل من الشياطين بدل بعض وغيره لم
يذهب لهذا كما تقدم وهذا القول لم يقل به جمهور المفسرين والمحدثين
كما عرفته قال مكي في تفسيره وقد تقدم من ترجمته وتقدير الكلام عند
ابن عباس وخالد اذا كانت ما نافية وانه معطوف على قوله وما كفر سليمان
نبي الله صلى الله عليه وسلم يريد بالسحر الذي افتعلت الشياطين عليه
اي افترته وكذبت في نسبته اليه قال في الاساس مفتعل مختلق مصنوع
يعني لا اصل له قال ذو الرمة
غرايب قد عرفن بكل افق ● من الافاق تفتعل افتعالا ●
فاتبعتهم في ذلك اليهود كما قيل ان الشياطين دفنت كتب السحر تحت
كرسيه فلما مات وذهب علما ملته قالوا ان تحت كرسيه كذا فحفروا ما تحته
فوجدوا الكتب فقالوا ان سليمان كان ساحرا فلما نزل القران بذكره قالت
اليهود انه ساحر فنزلت الاية بتكذيبهم اي تكذيبا لهم كما رواه الطبري
عن ابن جبير بسند صحيح لكن فيه ان الشياطين هي التي كتبت كتب السحر ودفنتها
فلما مات استخرجتها وقالوا هذا هو العلم الذي كتمه عن الناس وزاد
ابن اسحاق انهم نقشوا خاتما كخاتم سليمان وختموا به الكتاب وعنوانه هذا
ما كتبه اصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخاير كنوز العلم الذي

دلجي

ابن افتدي

انزله

انزله الله على سليمان فاخفاه عنا افترا واكتب السحر والكفر على الناس وقوله وما انزل
على الملكين اي شي من السحر وهذا بيان لانها نافية وهو قول ضعيف قال مكي هما
اي الملكان جبريل وميكائيل كما تقدم ادعى اليهود عليهما المجي به اي انهما نزلا
بالسحر وتعليمه افترا عليهما كما ادعوا على سليمان عليه الصلاة والسلام انه
ساحر اعتقد السحر وعمل به افترا عليه فاكذبهم الله اي بين كذبهم في ذلك كله
مما نسبوه لجبريل وميكائيل وسليمان بقوله ولكن اضراب ابطالي الشياطين كفروا
بكذبهم على الله وملائكته ورسله وعلمهم السحر وتدوينه وهم الذين يعلمون
الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وبابل علم ارض
ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث سميت بها لتبلبل الالسنة واللغات بها
بعد الطوفان وهي بالعراق وما قيل انها بالمغرب فهو قول ضعيف جدا وقيدهما اي
هاروت وماروت رجلان لاملكان تعلما ه اي تعلما السحر وهو قول مردود وبابل
مضاف لهما على هذا وقال الحسن هو الحسن البصري وقد تقدم بيانه هاروت
وماروت علجان تثنية علج وهو الغليظ من كفار العجم اي ما عدا العرب ويطلق
على كل شديد من الكفار مطلقا من قولهم هو مستعلج الوجه اي غليظه واعلجوا
اضطربوا وقرا الحسن وما انزل على الملكين بكسر اللام كما تقدم بيانه وتكون ما ايجابا
اي موصولة لا نافية على هذا القول والقراة والمعنى الذي انزل على هذين الرجلين
وكذلك اي كما قرا الحسن قرا عبد الرحمن بن ابزي بكسر اللام وبه قرا في الشواذ
ابن عباس والضحاك وعبد الرحمن هذا صحابي كما جزم به النووي والذهبي
واختلف في ابيه فقيل انه صحابي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وصلى خلفه
وقيل انه تابعي لم يدركه وابزي بفتح الهمزة وسكون الموحدة وزاي معجمة
والف مقصورة يقال ابزي اذا اوسع خطوه وقد اخرج له السنة وغيرهم كاحمد
في مسنده وهو خزاعي ولكنه قال الملكان هنا اي في هذه الاية المراد بهما داود
وسليمان صلى الله عليهما وسلم وكون ما نافيا على ما تقدم ولا شك انهما معصوما
فلا تكون ما موصولة وقيل كانا ملكين على انه بكسر اللام في هذه القراة من بني
اسرايل هو لقب يعقوب ومعناه صفوة الله واليه ينسب بنوا براهيم
فمسخهما الله بما وقع منهما حكاه التمرقندي وقيل انه بسكون الرا والنون
وتقدم بيانه والقراة بكسر اللام شاذة كما مر والشاذ ما فوق العشرة على الصحيح
وقيل ما فوق السبعة والكلام عليه في الاصول وعلم القراات مشهور لمحمل
بفتح الميم الاولى وكسر الثانية اي ما حمل عليه وتفسر به الاية يعني قوله وما
انزل على الملكين الخ على تقدير مكي بجعل ما نافية معطوف على ما كفر سليمان
حسن على القول بانهما لم يومروا بتعليمه ابتلا وامتحانا كما تقدم وحسنه
لانه ينزه الملائكة عن المعاصي ويذهب الرجس اي الاثم وجزاءه عنهم ويطهرهم
تطهيرا اي يبريهم عن المعاصي واوساخها وهو اقتباس استعير فيه الرجس
للمعاصي والتطهير للعصمة منها وتحقيقه في الكشاف وشروحه وقد وصفهم
الله اي وصف الملائكة في القران بانهم مطهرون من ادناس العيوب كالمعاصي وهذا

دبحر

بناء على احد التفاسير فيها كما تقدم ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وقد تقدم بيانه واعلم ان ما ذكره المص في قصة هاروت وماروت من انهما لا اصل لها
بحسب الرواية ولا من جهة الدراية على ما هو الاصح من ملكيتهم لانهم معصومون والملك
المعصوم لا يليق ان ينسب اليه ما ذكر من المعاصي ونحوها مما مر مردود اما الاول فلما
عرفته فيما مر من انه ورد فيه حديث من طرق كثيرة باسانيد كما قاله الحافظ ابن حجر
والسيوطي قال وجمعت طرقه في جزء مستقل الى اخر ما مر فالتردد فيه لا ينبغي واما
ما انكره من انه نسب للملائكة ما لا يليق بهم ولا يصح نسبته لهم فتحقيق الوجه فيه
ان الله تعالى لما جعل ادم عليه الصلاة والسلام خليفة والخلافة في اولاده
وقالت الملائكة سؤال استفسار اتجعلهم خلفا يفسدون في الارض فقال لو جعلت
فيكم ما فيهم من الشهوة كنتم مثلهم فتعجبوا من ذلك فامرهم باختيار من يحكم في الارض
فاختاروا هذين الملكين فاودع فيهما جبلة شهوة بشرية وتمثلا بصورتهم فلما
اهبطهما ورايا الزهرة فتنا بها وكان ما كان مما قصصناه عليك فاذا عرفت
هذا سقط هذا الاعتراض لانهما لو خرجا عن الملكية واودع فيهما شهوة البشر لا ينكر
مثله منهما لان المعصوم الملك ما دام على اصل ملكيته فاذا خرج عنها التحق بالبشر
فلا ينكر ان يصدر منهما ما يصدر منهم وهذا هو الحق الحقيق ومما يذكرونه في الاستدلال
على ما ادعوه من ان الملائكة غير معصومين والمعصوم منهم الرسل فقط قصة ابليس
لما عصى الله وابى السجود لادم عليه الصلاة والسلام على القول بانه كان من الملائكة
وفيه خلاف مشهور كما اشار اليه بقوله وانه كان من الملائكة رئيسا فيهم ومن
خزان الجنة الى اخر ما حكوه من احواله وخزان بضم فتشديد جمع خازن كخزنة
من الخزن وهو حفظ الخزائن والمراد به حفظتها وحراسها وانه استثناه الله
من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس والاصل في الاستثنا الاتصال المقتضي
لانه منهم ولو لم يكن منهم داخلا في امرهم بالسجود لم يكن مستحقا للطرد
وغيره وهذا ايضا لم يتفق عليه مبني للمجهول اي لم يتفق عليه العلما
حتى يتم الاستدلال به مع معارضته لقوله في اية اخرى كان من الجن وان اوله
الذاهبون الى الاول وهو منقول عن ابن عباس والكلام فيه مشهور غني
عن البيان بل الاكثر منهم ينفون ذلك ويقولون انه ابو الجن وهو المسمى
بالجان ايضا ومنهم من قال انه ابو الشياطين وان الجن جنس غيرهم والجان ابوهم
وان الشياطين لا يسلمون ولا يموتون الا معه والجن منهم مسلم وكافر ويموتون
كالبشر ويحشرون ويدخلون النار والجن كما ان ادم ابو الانس وهو اي هذا القول
قول الحسن وقتادة وابن زيد وهو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وتقدمت تراجم
هؤلا كلهم وقال شهر بن حوشب شهر بمعجمة بزنة ضرب وحوشب بفتح الحاء
المهملة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وموحدة وهو ممن روى عنه
ووثقوه وضعفه بعضهم وتوفي في سنة احدى عشرة ومائة وقيل في تاريخ
موته غير ذلك وله ترجمة في الميزان كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض
حين افسدوا فيها والاستثنا من غير الجنس وهو الاستثنا المنقطع شايع من

شايع

شاع الخبر اذا اشتهر بين الناس في كلام العرب شايع بسين مهملة وغين معجمة آخره ومعناه
جايز من ساغ الشراب اذا سهل شربه وطاب استعير لما ذكر يعني انه مسموع من اهل اللسان
غير ممتنع بحسب العقل والفهم ثم استدل بقوله تعالى ما لهم به اي الذين اختلفوا في قتل
عيسى من علم الا اتباع الظن والظن ليس من العلم وكذا اتباعه وقد اخرج منه وليس من
جنسه اي لكنهم اتبعوا الظن فيما زعموه وتاويله بما يسكن اليه النفس بصحته ولا يجعله
عرضي
منفصلا كما قيل واما كون ابليس ملكا او جنيا وان الجن والملك نوع واحد من عنصر
واحد والجن من نار يخالطه دخانه والملك من صافي نوره كما قرره البيضاوي والكلام
على هذه الاقوال الثلاثة وعلى حقيقة الجن والملك لا يسعه هذا المقام ومما رووه
من الاخبار كما رواه ابن جرير عن ابن عباس وابن ابي حاتم عن يحيى بن كثير ان خلقا
اي طايفة من الملائكة عصوا الله فيما امرهم به وهذا ابناء على عدم عصمة جميعهم فحرقوا
دجي
منبطه بعضهم بالفاء من الحرق يعني اي ابدوا وصرفوا عن مقامهم وفي بعض الشروح
انه بالقاف من تحريق النار والراء المهملة مشددة فيهما مع بنا المجهول لكن قوله
وامروا ان يسجدوا لادم فابوا السجود له يا باه لانه بعد تحريقهم وفنائهم كيف
يؤمروا بالسجود له الا ان يعدوا واخرون امروا بالسجود فحرقوا هو كالذي قبله
ولو ضبط الاول بالفاء والثاني بالقاف جاز على انه قصد التجنيس فليحرر واخرون
كذلك اي امروا بالسجود لادم فابوا فحرقوا حتى سجد له من ذكره الله في قوله تعالى
فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس في اخبار اي ما ذكره الله في القران مع
اخبار اخر في معنى الاية لا اصل لها اي لا يعتمد عليها انقال لكل ما لا يصح هذا لا اصل
له فيكفي بنفي الاصل عن نفيها بردها صحاح الاخبار المنافية لها الدالة على
عصمة الملائكة كما في الايات المتقدمة فلا يستعمل بها

# الباب الثاني فيما تخصهم

من الامور الدنيوية التي تختص بالانبيا من الصفات والسمات التي تكون لهم
في الدنيا سوا كانت واجبة او مندوبة او مباحة اولا وفيما يطرا اي يحدث
ويوجد وهو مهموز الاخر وقد تبدل همزته بحرف علة يقال طرا عليه
كذا اذا عرض له فلذا فسره وبينه بقوله من العوارض جمع عارض واصل
معناه ما يبدو وعرضه ثم استعمل فيما يعرض ويحدث من سقم وغيره وقوله
البشرية تخصيص له لان العوارض تعرض للبشر من بني ادم وغيرهم لما ذكر في
الفصول التي قبل هذا انما يتعلق بالانبيا من عصمتهم من الكباير والصغاير
والحقه ببيان عصمة الملائكة وهو مما يتعلق بالامور الاخروية شرع فيما
يتعلق بهم من الامور الدنيوية لما بينهما من التقابل فقال قد قدمنا
في هذا الكتاب انه اي نبينا صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا والرسل اي
بقيتهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من البشر اي افراد كاملة من
هذا النوع ويجري عليهم ما يجري على غيرهم من لوازم البشرية وان جسمه
وظاهره الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم او للجسم والاول اولى خالص للبشر

يعني به انه صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق ببلينته ممتحض للبشرية لا يخالف غيره في
شيء منها فلذا قال يجوز عليه اي يجوز ان يطرأ عليه من الافات جمع آفة كعاهة وزنا ومعنى
وهو ما يفسد ما اصابه ويضره قال الشرفسطي في افعاله ان العوم او فاذا دخلت
عليهم مشقة وقد مر والتغيرات اي الانتقال من حال الى حال كالمرض والصحة
والالام بالمد جمع الم وهو كما قال الراغب الوجع الشديد ومنه عذاب اليم
اي مؤلم والاسقام جمع سقم بفتحتين وسقم بضم فسكون وهو المرض المختص
بالبدن لان منها ما هو نفساني ومشترك وتجرع كاس الحمام التجرع الشرب تدريجا
جرعة بعد جرعة وكاس بهمزة تبدل الفا قدح الشراب ما دام فيه والا فهو زجاجة
وقدح والحمام بكسر الحاء المهملة الموت من حم الامر اذا قضي وقدر لانه بقضائه
وقدره وفيه استعارة مكنية مرشحة شبه بالمسكر كما في الحديث ان للموت لسكرات
لازالة العقل فاثبت له الكاس تخييلا واثبت التجرع ترشيحا وكون اضافة الكاس
لامنافية لجين الماركيك وتاخيره عن الاسقام والالام واقع موقعه ما يجوز على
غيره من البشر لان المساواة في الجسمية تقتضي المساواة في قبول العوارض كما
تقرر في الحكمة وعلم الكلام وما موصولة فاعل ليجوز الاول وهذا كله اي ما جوز
عليه وعلى سائر الانبياء من جواز ان يطرأ عليهم كغيرهم العوارض البشرية من الالام
وغيرها ليس بنقيصة فيه لانه امور طبيعية غير كسبية لا يعد مثله نقصا الا عند
بعض العقول القاصرة كما قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق
لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة اي بالنسبة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه
كما يتفاوت بعض افراد الناس ويفوق بعضهم بعضا بالفضائل والاخلاق الحميدة
وقد كتب الله اي قضى وقدر في الازل قضاء مبرما على اهل هذه الدار يعني دار الدنيا
انهم فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون الى البرزخ ثم الى منازلهم
في الاخرة وهذا وقع في القران خطابا لادم وحوى والمراد عمومه لهم ولغيرهم
ومنه اقتبس المص وخلق جميع البشر بمدرجة الغير مدرجة بفتح الميم اسم
مكان بمعنى الطريق قال الراغب يقال لقارعة الطريق مدرجة وفلان يتدرج
اي يتصعد درجة درجة ودرج مشى في محال المشي والغير بكسر الغين المعجمة
وفتح المثناة التحتية وراء مهملة يقال غير الدهر حوادثه المتغيرة من حال
الى حال وهو مفرد بزنة عنب او جمع غيرة وهي الامر المتغير والباء بمدرجة
بمعنى في او للملابسة وهذه فقرة بليغة لانه جعل دارهم الدنيا على طريق
يمر عليها حوادث الدهر والمراد انهم مستعدون لها لا محالة وفيه اشارة
الى ان الدنيا دار ممر لا مقر وفيه استعارة مكنية شبه حوادث الدهر بقوم
سالكون في طريق هؤلاء ساكنون فهو في غاية الحسن فقد مرض رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهذا يحتمل انه اشارة الى ما كان يطرأ عليه من الامراض مطلقا
كما رواه البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان يتوعك وعكا شديدا وذلك
ليزداد اجره ويحتمل انه اشارة الى ما وقع له صلى الله عليه وسلم في مرض
موته والكلام عليه مفصل في كتب الحديث والسير فلا حاجة للتطويل بذكره

عوضي

كما فعله بعضهم هنا وقوله واشتكى بمعنى مرض ايضا قيل وانما ذكره اشارة الى انه
ورد في الحديث تارة التعبير عنه بانه مرض وتارة بانه اشتكى وليس المراد به معناه
المشهور لما يوثر من صبره والرضى بما يفعله الله به وروي ان جبريل كان يرقيه صلى
الله عليه وسلم في مرضه فيقول بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل
نفس او عين حاسد الله يشفيك واصابه الحر والقر والحر بفتح الحا المهملة
وتشديد الرا المهملة وهو شدة سخونة الهوى في الصيف وضده القر بضم القاف
وتشديد الرا وهو شدة البرد وتجوز فتح قافه للازدواج وادركه الجوع والعطش
وهو من الله ليزداد اجره بصبره ومجاهدته تعليما لامته ولو اراد خلافه ملا الله
له الدنيا رزقا ونعما وفي ذلك ايثارا منه يتصفى بها الذهن ويخف الروح لكنه
تظهر في صورة العجز تادبا مع الله تعالى ومخالفة لاهل الملل في ذلك لانه صلى
الله عليه وسلم قال لا رهبانية في الدين وهذا في بعض الاحيان وان كان يواصل
الصوم ويقول اني لست كاحدكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فان لكل
مقام حال يخصه وقد حققه المحدثون وابن سينا في مقامات العارفين في
اخر الاشارات ولحقه فعل ماض بلام وحا مهملة وقاف الغضب وهو ثوران
النفس لارادة الانتقام وكان غضبه صلى الله عليه وسلم اذا وقع من
غيره ما لا يرضاه والضجر بضاد معجمة وجيم ورا مهملة بمعنى القلق وقيل
انه الملل والسامة من الحاح بعض الناس من الاعراب والمولفة قلوبهم
وهذا كله ورد في الاحاديث الصحيحة ونا له اي حصل له صلى الله عليه وسلم
الاعيا والتعب هو عطف تفسير للاعيا فانهما بمعنى واحد فكان يعرض له
هذا كله كما يعرض لغيره من البشر ومسه الضعف في بدنه في اخر عمره والكبر
المراد به هرم الشيخوخة وهذه كلها امور جبلية تحدث لنوع الانسان لا يسلم
منها احد لا نبي ولا غيره ولا يعد ذلك نقصا فكان صلى الله عليه وسلم يصلي
قاعدا في تهجده كما رواه مسلم ولو قصد السجع لجعلها فقراته رابعه قدم
الضعف والكبر وسقط اي وقع صلى الله عليه وسلم من فوق فرسه فجحش
بضم الجيم وكسر الحا المهملة وشين معجمة مبني لما لم يسم فاعله اي خدش
والخدش والجحش جرح في الجلد وقال الخليل هو كالخدش واكثر شقه بكسر
الشين المعجمة وتشديد القاف اي جانبه الايمن وهو في حديث من احاديث
الصحيحين وكان ذلك في ذي الحجة سنة خمس وفي البخاري عن انس انه صلى
الله عليه وسلم سقط عن فرسه فجحشت ساقه او كتفه وشجه الكفار في
وجهه فادموه والشج في الاصل ان يضرب الراس فيشق ثم استعمل في غيره من
الاعضا والذي شجه ابن قمئة فاسند ما وقع من البعض للكل كقولهم بنو
فلان قتلوا قتيلا كما تقدم وكسرت رباعيته بتخفيف اليا بزنة ثمانية
وهي السن التي بين الثنية والناب وجمع عليه رباعيات وفي التعبير بالكسر
اشارة الى انه ذهبت منها فلقة ولم تسقط من اصلها وكان هذا في وقعة
احد فشج وجهه الشريف وكسرت رباعيته السفلى وجحشت ركبته وسال

الدم على وجهه وهشمت الخوذة التي على رأسه الشريف كما فصل في السير وهو لا ينافي
كون الله عصمه من الناس ان قلنا ان آية العصمة نزلت قبل والا فالعصمة انما هي عن
القتل كما مر وقد فصله الامام الخيضري في خصائصه وسقي بالبناء للمجهول
السم بتثليث السين وذلك انه صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر اهدت له زينب
بنت الحارث اليهودية شاة مشوية وكانت سألت اي اعضاء الشاة احب اليه
فقالوا الذراع فاكثرت من السم فيه وقدمته اليه فلما مضغه صلى الله عليه
وسلم لم يسغه واكل منه بشر بن البراء فمات بعد ذلك وقال صلى الله عليه
وسلم لاصحابه امسكوا فانها مسمومة وقال لها ما حملك على هذا قالت ان
كنت نبيا سلمت منها ومن بك والا اراح الله الناس منك فاحتجم صلى الله عليه وسلم
على كاهله كما يأتي وروي انه صلى الله عليه وسلم لم يعاقبها وفي رواية
انه قتلها قال الواقدي رحمه الله وهو الثبت وجمع بينهما بانه تركها اولا
ثم لما مات بشر بن البراء قتلها وقيل انها اخت مرحب اليهودي ولذا ترك قتلها
اول الامر وتفصيله في السير وسحر بالبناء للمجهول والساحر له لبيد بن الاعصم
كما مر ترك ذكره لشهرته او لخسته او لعدم تعلق الغرض به وهو يهودي
من بني زريق وقيل انه منافق اسلم ظاهرا وارتضاه ابن الجوزي وكان
ذلك في مرجعه من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع وقيل
انه كان حليفا في بني زريق يحسن السحر فجعل له اليهود جعلا على ان يسحره صلى الله
عليه وسلم فاثر فيه سحره اربعين ليلة وقيل ستة اشهر وقيل انه مكث سنة
ويأتي في رواية يحيى بن يعمر ما يؤيد هذا الاخير وان السهيلي قال انه
المعتمد وتداوى صلى الله عليه وسلم كما يتداوى غيره فهو من جملة ما يلحقه
من العوارض البشرية فتداوى من لدغة عقرب بماء وملح لما لدغته في
اصبعه وهو يصلي كما في مسند ابن ابي شيبة عن ابن مسعود فاتي بماء
وملح جعل فيه اصبعه الشريف واحتجم على كتفه لما مضغ من الشاة المسمومة
كما تقدم وبالحجامة يخرج السم مع الدم او يضعف الدم فلا يوصل السم
الى القلب لانه لم يزل به صلى الله عليه وسلم اثره حتى مات لاجل ان
يرزقه الله الشهادة وفضلها كما روي في كتب الحديث والنشر افعال
من النشر بنون وشين معجمة وراء مهملة وفي نسخة تنشر والنشرة بمعنى
الرقية والتعوذ والتخفيف والتخفيف ان النشرة بالضم او الفتح ما يقرأ عليه
ادعية وتعاويذ ثم يغتسل بها من به مرض ونحوه سميت نشرة لنشر الماء فيها
وتعوذ بذال المعجمة من العوذة وهي الرقية باعوذ بالله ونحوه ثم نفث ورقيته
صلى الله عليه وسلم لنفسه ورقية جبريل له مروية من طرق كعوذه
اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وغيره ثم
بعد هذا كله قضى نحبه كغيره وقضاء النحب كناية عن الموت واصل
معنى النحب النذر الواجب فيقال ذلك كانه لتحتمه كان نذرا في ذمته
يقضيه بموته كما يقال قضى اجله واستوفاه وقيل النحب الموت من النحيب

وهو

وهو البكا والتخفيف ما قدمناه فتوفي صلى الله عليه وسلم اي توفاه الله ولحق بالرفيق
الاعلى وهم الانبيا والملايكة عليهم الصلاة والسلام والرفيق بمعنى المرافق يقع
على الواحد وغيره قال تعالى وحسن اوليك رفيقا وقيل الرفيق المراد به الله لرفقه
بعباده او لانه معهم اينما كانوا وعن عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم
قال عند موته بل الرفيق الاعلى وذلك انه خير بين بقايه في الدنيا وبين ما عند
الله فاختار ما عنده وتخلص بوفاته من الدنيا التي هي دار المحن وفي نسخة الامتحان
والبلوى لما كان يقاسيه من اعدا الدين وتبليغ امانة الله وهذه الامور المذكورة
التي كانت تصيبه صلى الله عليه وسلم من سمات البشر اي من صفاتهم وعلاماتهم
المختصة بهم من السمة وهي الوسم والعلامة التي لا محيص عنها اي لا يتخلص منها
احد من الخلق نبيا كان او غيره قال الراغب يقال ما له محيص وما لنا من محيص من حيص
بيص او من حاص بمعنى حاد عما فيه شدة من مكروه واصاب غيره من الانبيا
ما هو اعظم منها اي من الامور التي اصابت النبي صلى الله عليه وسلم فقتلوا
قتيلا بغير حق كما وقع ليحيى بن زكريا والقتل وقع لبعض الانبيا كما قال
تعالى يقتلون النبيين بغير حق ولبعض رسل الله الا ان الله عصمهم من القتل
حين الدعوى وفي مقاتلة الكفار المامورين بها كما ذكره علما التفسير والاخبار
ولقتل يحيى وانتقام الله ممن قتله بان سلط عليهم بخت نصر فقتل منهم
سبعين الفا كما فصله المورخون وفي نسخة قتلوا تقتيلا والمصدر محقق
لتاكيد القتل ومنهم من رمي في النار كابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم رماه
فيها بالمنجنيق من بنا عال نمرود فصارت النار عليه بردا وسلاما وكذا
جرجيس كما في قصص الانبيا للثعالبي ونشروا بالمناشير جمع منشار ويقال
ميشار بيا بدل النون ويهمز وهي الة من حديد معروفة يشق به الخشب
وهو مشتق من النشر لتفريقه المنشور قطعا وفي المنشار لغات يقال نشره
ووشره وفي جمعه مياشير ومواشير فيصح ضبط ما هنا بالياء وقول ابن قتيبة
انه مناشير عامية كما نقل عنه لا ادري وجهه والذي نشر هو زكريا عليه
الصلاة والسلام لما قتل الملك يحيى وقع به ما وقع من قتل نبيه اذ سلط
الله عليه عدوا فهرب زكريا من الملك فارسل خلفه من يطلبه وادركه الطلب
فانشقت له شجرة فدخل فيها فامسك الشيطان هدب ازاره خارجا من الشجرة
فدلهم الشيطان عليه فنشروا الشجرة وزكريا وقيل سبب هربه اتهامهم
بمريم ومنهم اي الانبيا من وقاه الله اي صانه ذلك اي القتل والحرق
والنشر ووقى بمعنى حفظ وستر يتعدى لمفعولين وفي الحديث يقي بالصدقة
وجهه النار في بعض الاوقات كما وقع في يوسف عليه الصلاة والسلام لما نجاه
الله من السجن وابراهيم عليه الصلاة والسلام من احراق النار ومنهم من
عصمه وحفظه من القتل وان وقع له بعض ما يوذيه كما عصم بعد مبني
على الضم اي بعد ما تسلط عليه الاعدا نبينا صلى الله عليه وسلم من الناس
كما قال تعالى والله يعصمك من الناس كما تقدم فلين بكعب من كعبه بكفه بالتشديد

تلمساني

ويجوز تخفيفه بحذف اخره كيرمي وهو الظاهر على النسخة الاولى نبينا صلى
الله عليه وسلم وهو مفعول مقدم ورمى به فاعل مؤخر وفي نسخة عن نبينا
يدا ابن قمئة مفعول ثان وقمئة بالهمز بزنة فعلة من قمئ بمعنى صغر وذل
وهو عبد الله بن قمئة الذي جرح وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم لما
رماه وقال له خذها وانا ابن قمئة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقماك الله اي اذلك فرماه الله بتيس من شاهق جبل لما انصرف فتقطع قطعا
وقصته في السير اليوم بمعناه الحقيقي او المراد به غزوتها كقولهم ايام العرب
لوقايعهم وهو بهذا المعنى مشهور ومنه وذكرهم بايام الله ولا حجبه عن عيون
عداه بكسر العين مقصور جمع عدو وفيه كلام في كتب اللغة والنحو عند دعوته
للاسلام اهل الطائف هي بلاد ثقيف بقرب مكة سميت بها لانها طافت على الما
في الطوفان او لان جبريل عليه الصلاة والسلام اقتطعها من الشام وطاف
بها البيت وقيل لانه بني عليها طوف اي حائط وهذا كان سنة عشر من النبوة
بعد موت ابي طالب وقد نالت منه صلى الله عليه وسلم قريش منا لها فخرج
الى الطائف وحده او معه زيد بن حارثة يلتمس نصرة ثقيف له فقام على ناس
من اشرافهم ودعاهم للاسلام فابوا واغروا به سفهاءهم فاطالوا عليه
وحصبوه حتى ادموا ساقيه وهو ذاهب ثم كفهم الله عنه وحجبهم وحجبه عنهم
عنه فجلس عند حائط كرم وكان ما فصل في السير من عرضه نفسه على
قبايل العرب فلقد اخذ الله عز وجل اي غطى وحجب على عيون قريش بغار
اخذ على عينه وعلى يده اذا كفه ومنعه والعيون جمع عين بمعنى الباصرة
او بمعنى الربيئة والجاسوس وكان ذلك عند خروجه من مكة الى غار
بجبل ثور هذا هو الصحيح وفي نسخة ابي ثور وهي غلط لانه انما يعرف
بثور وهو جبل معروف على يمين مكة لما تشاوروا في امره صلى الله عليه وسلم
بدار الندوة ثم اجمعوا على قتله فامر عليا كرم الله وجهه بالنوم على فراشه
فخرج صلى الله عليه وسلم وهو عند دارهم وقد اخذ الله على عيونهم ونثر عليهم
على رؤسهم ترابا وسمي ثورا لنزول ثور بن عبد مناف عنده وثور اسم جبل
ايضا بالمدينة كما في القاموس وغيره واهل المدينة تعرفه فلا عبرة بمن
انكره كابن عبد السلام وامسك الله عنه صلى الله عليه وسلم سيف
غورث بن الحارث الاعرابي كما في البخاري وغورث بغين معجمة على الصحيح
وقيل مهملة وواو وراء مهملة وثاء مثلثة وروي مصغرا وهو بزنة جعفر
وهو عند الخطيب بكاف بدل المثلثة وقيل اسمه دعثور بن الحارث والظاهر
انه غيره في قصة اخرى وكان في بعض غزواته ادركتهم القايلة فنزلوا
بواد كثير العضاه فانزل صلى الله عليه وسلم تحت سمرة علق بها سيفه
وتفرقوا عنه وناموا فبغتة حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتوه فاذا اعرابي جالس عنده فقال ان هذا اتاني وانا نايم فاخترط
سيفي فاستيقظت وهو في يده مصلتا فقال من يمنعك مني قلت الله

وهاهو

وقاه هو جابر بن ولم يعاقبه وهو من المشركين والغزوة ذات الرقاع وهو من غطفان
بني محارب وكان قال لقومه انا اقتل لكم محمدا وروي ان جبريل دفع صدره فسقط
السيف من يده فاسلم وذهب لقومه فدعاهم للاسلام في هذه القصة نزل قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الخ كما تقدم ذلك كله ه
وامسك الله عنه صلى الله عليه وسلم حجر ابي جهل بن هشام لعنه الله اذ اراد
ان يرميه صلى الله عليه وسلم به وكان قال لقريش لارضخنه غدا بحجر احمله
لا اكاد اطيق حمله فامنعوني من بني عبد مناف فارتقبه غداة يومه حتى اتى
المسجد يصلي فاخذ الحجر ومضى له فلما اراد رميه صلى الله عليه وسلم يبست
عليه يده ثم عاد متغير اللون فسالوه فقال عرض دونه فحل لم ار مثله عظما
هم ان ياكلني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنى لاخذه
وامسك الله عنه صلى الله عليه وسلم فرس سراقة هو سراقة بن مالك بن
جعشم الكناني كان جعل له قريش دية من اخذ من ابي بكر ورسول الله صلى الله عليه
وسلم لما خرج مستخفيا للهجرة وهو من مدلج القافة وقصته في ذهابه خلفهما
فلما ادركهما ساخت قوائم فرسه في الارض وكادت تبتلعه فطلب الامان فامنه
ونجا وعاد الى اخر القصة المشهورة وهو شجاع شاعر مجيد اسلم وحسن اسلامه
ومات سنة اربع وعشرين في خلافة عثمان قلت ولما كف يده عنهما شرفه الله بالاسلام
والباسه سواري كسرى كما مر بيانه ولين لم يقه من سحر ابن الاعصم لبيد اليهودي
كما تقدم فلقد وقاه ما هو اعظم خطرا من سحره من سم اليهودية في قصتها التي
تقدمت قريبا وسياتي الكلام على سحره وهذا جواب عن سؤال تقديره انك قررت
ان الله ميزه عن ساير الانبيا بوقايته وجعله في حصن صيانته فلم يعصمه من ابن
الاعصم فاجاب بانه ابتلاه به لتكثير ثوابه وتعظيم ما صرف عنه من مصابه
وقد وقاه مما هو اعظم منه وهو السم القاتل فلا وجه لما قيل من انه
لا فايدة فيه وسياتي بيان فايدته مع انه توطية لقوله وهكذا سائر انبيائه
اي عادة الله مع ساير انبيائه اي بقية انبيائه منهم مبتلي بالمصايب تكثيرا
لاجورهم ومنهم معافي تكريما لهم وحفظا وذلك اي ابتلاؤهم او كون احوالهم
مختلفة من تمام حكمته الجارية في خلقه فانه ليظهر بابتلايهم مع صبرهم ورضاهم
في السرا والضرا شرفهم في هذه المقامات اي احوالهم المتفاوتة ويبين
امرهم بصبرهم على ما لا يطيقه غيرهم وتتم كلمته فيهم يعني امره لهم بالصبر
على الاذى حتى تكون لهم العاقبة الحسنى وليحقق بامتحانهم بما ابتلاهم به
بشريتهم اي انهم من جنس البشر الذين في دار المصايب ويرتفع وفي نسخة
يرفع اي يزيل الالتباس في امور الدنيا عن اهل الضعف اي من ضعف عقله
من العوام فيهم اي في انبيا الله لئلا يتوهموا لضعف عقولهم انهم ليسوا
كغيرهم ممن يغشاه البلا ويعرض له الموت والفنا ولذا ارتد بعض جهلة
الاعراب لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتلاهم ليعرف الناس
انهم كغيرهم في العوارض البشرية لئلا يضلوا بفساد اعتقادهم فيهم

بما يظهر من العجائب اي خوارق العادات وبديع المعجزات التي تظهر على ايديهم ونفذ
منهم بامر الله تاييدا كانشقاق القمر واحيا الموتى ونحوه فيقولون كيف يقدر على هذا
كيف يمرض او يسقم او يسحر ويعرض له ما يعرض لضعفا الخلق ضلالا اي ضلالا كضلال النصارى
بعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لما راوا معجزاته جعلوه الها وقالوا ما قالوا
لجهلهم وعدم دقة نظرهم والنصارى على فرق يطول الكلام في بيان اعتقاداتهم
الباطلة وتزييف ما قالوه وقد الف في ذلك عدة كتب اجلها كتاب ابن تيمية
والقرطبي ومقامنا يضيق عن الكلام عليهما اذ المراد شرح ما قاله المص حتى يسهل
فهمه على المبتدئين وليكون في محنتهم مما ابتلاهم به الله تعالى تسلية لاممهم
فيقتدوا بهم اذا نزلت بهم المصائب ويصبروا كما صبروا وليوفر اجورهم الوفور
الكثيرة والزيادة عند ربهم اذا رجعوا اليه وجازاهم بما صبروا عليه وليعرفوا
نعمة السلامة والعافية تماما اي يتم ذلك بانعامه على الذي احسن اليهم اولا بنعمة
الوجود والصحة وغيرهما من النعم الدنيوية فيزيدها باعظم منها من النعم الاخروية
التي لا يعادلها شيء مجازاة لصبرهم وشكرهم وقال بعض المحققين هذه الطوارئ
جمع طارئ بالهمزة وتبدل ياء وهي ما يطرأ اي يحدث ويتجدد والتغيرات اي تغير
احوالهم من صحة لسقم وسعة لضيق ونحو المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية
دون ارواحهم ونفوسهم القدسية المقصود بها والغاية في ايجادها لهم
في اجسادهم مقاومة البشر اي ان يكونوا بطباعهم مساوون لامتهم فيها حتى يقدروا
على القيام بامورهم ومعاناة بني ادم بمباشرتهم ومخالطتهم لمشاكلة الجنس
اي مشابهتهم لهم في الخلق والخلق ولذا كانت الرسل من البشر دون الملائكة
ولو جعل خلقهم ملكيا لم يطيقوا شيئا مما ذكر كما ترى بعض الناس لا يقدر
على عشرة العوام وينفر منهم لمنافرة الطباع واما بواطنهم اي امورهم التي
لا تخفى من عقولهم وقواهم الروحانية وقلوبهم وحواسهم الباطنة وهو جمع
باطن خلاف الظاهر فمنزهة اي سالمة مبراة عن ذلك غالبا وقد يعرض لها
شيء منه معفو عنه لكنها في غالب احوالها معصومة منه مطهرة عما يشينها
كتغير العقل وقد يعرض له احيانا ما لا يضره كالاغماء الذي وقع له صلى
الله عليه وسلم في مرض موته فبواطنهم متعلقة بالملا الاعلى وفي نسخة
بالرفيق الاعلى وقد تقدم ان الرفيق فعيل بمعنى فاعل يستوي فيه الواحد
وغيره وهم ارواح الانبيا الساكنين في عليين والملائكة فهو عطف تفسير على
هذا لاخذها اي لاخذ البواطن وتلقيها وارجاع ضمير اخذها الاخبار السما
وغيرها لبعيد عنهم اي الملائكة وتلقيها الوحي لنازل عليهم لتبليغه
ما ارسل به منهم اي من الملائكة وما قيل عليه من انه حذف قوله غالبا
احسن بل واجب لا وجه له لما بيناه من بيان مراده به قال القائل بعض
المحققين المحكي عنه ما ذكر الى هنا وهو دليل لنا قاله وقد قال صلى
الله عليه وسلم في حديث قد تقدم بسنده ان عيني بتشديد اليا
مثنى عين مضافة ليا المتكلم تنامان اي يعرض لهما النوم حتى لا يحسان

احساسا

احساسنا ظاهرًا متعارفًا ولا ينام قلبي اي لا ينقطع شعوره وادراكه بالكلية وهذا باعتبار
الغالب من احواله صلى الله عليه وسلم اذ قد ينام نومًا ينقطع به شعور عينيه وقلبه
كما تقدم في حديث الوادي نام فيه حتى فاتته الصلاة ولهذا اعلمت ان قوله غالبًا في
محله كما مر وفيه دليل على ان ظاهره كغيره وقال صلى الله عليه وسلم اني لست كهيئتكم
اي ليس حالي كحالكم وتقدم المراد بالهيئة هنا اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني بضم
يا يطعمني وفتح يا يسقيني وتجوز ضمها من افعال سقاه واسقاه بمعنى وهو في
صومه صوم الوصال على حقيقته او ما ورد بما يتقوى به من وجه من المعارف الالهية
التي تقوم مقام الطعام والشراب في تقوية الروح التي تسري للبدن وفيه كلام
مشهور تقدم طرف منه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر اني لست انسى
ولكن انسى ليستن بي تقدم فيه ما يغني عن الاعادة فاخبر صلى الله عليه وسلم
في هذه الاحاديث ان سره اي ما خفي من امره وباطنه عطف تفسير لسره والروح التي
بها الحياة وقيام البدن وهذا حقيقتها ولها معان اخر يخالف جسمه وظاهره
اي مخالفة لها فيما يعتريها من التغيرات والآلام كغيره من سائر البشر كما قرره
في اول هذا الفصل والآفات جمع آفة وتقدم بيانها التي تحل ظاهره اي
ما يشاهد من جسده الشريف فقط وبينه بقوله من ضعف باختلاط القوى لمرض
او كبر وجوع لفقد الغذا وما به قوام البدن من بدل ما يتحلل منه وسهر بفقد النوم
الذي به راحة البدن واستراحة الحواس ونوم يستريح به بدنه وقواه وقال
المعري وفضيلة النوم الخروج باهله عن عالم هو بالاذى مجبول لا يحل بضم الحاء
المهملة من الحلول منها اي من هذه المذكورات كلها من التغيرات باطنه اي حواسه
الباطنة بخلاف غيره من البشر فانه يعرض له تغيرات في الظاهر والباطن تابعة
بعضها بعضًا فيه في حكم الباطن اشارة الى محل المخالفة لتساويهما في الظاهر كما تقدم
لم وضحه بقوله لان غيره من البشر بل سائر الانبيا ولم يصرح به لعلمه مما قدمه اذا
نام استغرق النوم بالرفع فاعل استغرق جسمه وقلبه مفعول له اي شغلهما
واثر فيهما تاثيرًا تامًا بعطل حواسه الظاهرة والباطنة بخلاف الانبيا فانه يشغل
ظاهرهم دون باطنهم فالاول كالميت كما قال ابن عرفي رحمه الله تعالى

فيا نايم الليل هيئته فقبل الممات سكنت القبورا

ولذا قيل النوم اخو الموت وهو صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر القلب
لعدم استغراقه في نومه وحضور القلب مجاز عن ادراكه وشعوره وغيره كان
قلبه فارقه او ارتد به لازمه فهو استعارة او مجاز مرسل ومثله كثير في استعمالهم
فحاله صلى الله عليه وسلم في نومه كما هو في يقظته بفتح القاف وقد تسكن
في الشعر كما مر وهي ضد النوم اي حاضر الحواس والمشاعر فيهما كما ذكرناه سابقا
وتقدم انه باعتبار غالب احواله حتى قد جاء اي روي في بعض الآثار اي الاحاديث
والآثار ورد بهذا المعنى وقد يخص بغيره من الاخبار انه صلى الله عليه وسلم
كان محروسًا اي مصونًا محفوظًا واصل الحرس ملازمة من يحفظه من الناس فيجوز
ابه عماذ كر من الحدث هو ما ينقض الوضوء وطهارته كما هو معروف في الاستعمال

في حالة نومه لانه انما يحدث لعدم الشعور به كما قال صلى الله عليه وسلم العينان
وكاء السه لكون قلبه يقظانا كما ذكرناه والحدث انما يعرض لعدم شعور القلب
والحواس الباطنة وقد ذهب الفقها الى ان نومه صلى الله عليه وسلم كان لا ينقض
وضوءه وعدوه من خصايصه كما مر واما نوم غيره فينقض وضوءه ما لم يكن
جالسا متمكنا بشرطه على الصحيح ومن قال خلافه فليس معتمدا عليه كما بينه
الفقها في كتبهم وقد روى المحدثون باسانيد صحيحة كما تقدم انه صلى الله
عليه وسلم كان ينام حتى يسمع غطيطه ثم يقوم فيصلي من غير تجديد لوضوئه
وما قيل من ان فيه بحثا لانه اذا كان حاضر القلب فهو يقظان وهو حينئذ
ليس مظنة للحدث ونقض الوضوء حتى يجعل غاية لكونه محدثا ويستشهد
له بالاثار ليس بشيء لانه اذا نامت حواسه الظاهرة يقتضي ذلك لان الاحكام
منوطة بالظاهر دون الباطن وكذلك اي كما ان نوم غيره ليس كنومه لكونه
غير محروس من الحدث غيره اي غير النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاع بترك
غذائه اكثر من معتاده ضعف لذلك اي لجوعه تضعف بنيته وجسمه وخارت
قوته بخاء معجمة وراء مهملة اي ارتخت وضعفت من الخور وهو اللين والضعف
وقيل معنى خارت ذهبت او انكسرت فتعطلت بالكلية جملته اي جميعه ظاهره
وباطنه مخالفا للانبيا الذين تتعطل ظواهرهم دون بواطنهم وهو صلى الله
عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه اي يعرض له ذلك اي تعطل جملته لقوله
صلى الله عليه وسلم ولا ينام قلبي وانه اي حاله بخلافهم اي بخلاف حال
غيره من البشر كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري في وصاله
الصوم ونهيه غيره عنه وقولهم له انك تواصل صومك فقال لهم اني لست
كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني تقدم بيانه قال المص وكذلك
اي كما قال بعض المحققين ان التغيرات الطارئة على البشر تختص بظواهر
الانبيا دون بواطنهم اقول انه صلى الله عليه وسلم في هذه الاحوال البشرية
كلها من وصب بيان للاحوال والوصب الالم الدايم وقد جا بمعنى التعب
وهو اولى هنا لئلا يتكرر مع قوله ومرض وان صح جعله عطف تفسير او موكدا
وضجر هو قلق واضطراب من بعض الامور وغضب تقدم بيانه وانه صلى الله
عليه وسلم لا يغضب لنفسه بل لله اذا خولف امره لم يجر بالجيم مضارع
بمعنى وقع وحدث على باطنه ما يخل اي يوقع خللا ونشو بشانه صلى الله
عليه وسلم او الضمير لباطنه اي لم يسول له من ظاهره ما يخل به ولا فاض منه بفاء
وضاد معجمة اي ظهر من فاض الاناء بالما اذا امتلا منه حتى تدفق من جوانبه
على لسانه وجوارحه اي اعضائه الظاهرة جمع جارحة بمعنى عضو كما يقع
لبعض الناس في المه وغضبه ان يتكلم ويتحرك بحركات مختلفة لانه لا يملك نفسه
في بعض احواله ما لا يليق به اي لا يناسب علو مقامه كهذيان بعض المرضى وجزعهم
وشتم من غضب عليه كما يعترض اي يعرض لغيره من البشر اذا ابتلي بشيء من ذلك
مما ناخذ اي نشرع بعد بالبنا على الضم في بيانه اي ما نحن فيه فه ١١٠ ر

ابن ادريس

فان

فان قلت فقد جات الاخبار الصحيحة كما في حديث رواه البخاري انه صلى الله عليه وسلم
سحر كما تقدم وهذا انما طعن به بعض الملحدين في عصمته من الناس كما حدثنا به الشيخ
ابو محمد الغساني بقراتي عليه نسبة لغسان قبيلة باليمن وهو في الاصل اسم ما نزلوا
عليه فسموا به قال حدثنا حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم كما تقدم قال حدثنا
ابو الحسن علي بن خلف هو علي بن محمد بن خلف المعافري القروي وهو الحافظ القابسي كما
تقدم قال حدثنا محمد بن احمد هو ابو زيد المروزي كما تقدم قال حدثنا محمد بن
يوسف هو الفربري وقد تقدم قال حدثنا البخاري صاحب الصحيح المشهور وهو
غني عن البيان قال حدثنا عبيد الله بن اسماعيل الهباري توفي سنة مائتين وخمسين
قال حدثنا ابو اسامة حماد بن اسامة الكوفي توفي سنة احدى ومائتين وعمره ثمانون
واخرج له الستة وترجمته في الميزان عن هشام بن عروة عن ابيه تقدم الكلام عليهما
عن عائشة ام المومنين رضي الله عنها قال سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا
للمجهول وتقدم ان الذي سحره لبيد بن الاعصم وهو يهودي او منافق كان حليفا
لليهود وجمع بينهما بانه كان يخفي اليهودية ويظهر النفاق وكان في سنة سبع
واختلف في مدة سحره فقيل اربعين يوما وقيل ستة اشهر وقيل سنة كما تقدم
واعتمد السهيلي وجمع بينهما بان ذلك باعتبار ظهوره وشدة تاثيره حتى انه
صلى الله عليه وسلم ليخيل اليه اي يقع في خياله توهم ما لا اصل له وليس بمعنى
يظن لانه لا يتعدى بالي انه فعل الشيء وما فعله لما وقع به من الم السحر وفي
رواية اخرى لهذا الحديث حتى كان يخيل له انه ياتي النسا وما ياتيهن اي يتوهم
انه جامعهن وهو لم يجامعهن وهو المراد بالشيء في تلك الرواية لكنه لم يصرح
به تادبا لا سيما وراويه عائشة فاستحيت من ذكره الحديث اي اقرا الحديث واذكره
بتمامه وتمامه كما هو في الصحيحين عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم ذات
يوم او ذات ليلة وهو عندي دعا ثم قال اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته
فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما
لصاحبه ما وجعه قال مطبوب اي مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم
في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر في بير ذروان فاتاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فدفنت ولم يستخرجها والكلام
عليه مشهور وتقدم بعضه واذا كان هذا الامر المذكور من التباس الامر
على المسحور بتخيل فعل ما لم يفعله فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك الالتباس وعلى اي حال وقع له وكيف جاز عليه ذلك الامر الذي
جاز على غيره من تاثير السحر فيه وهو معصوم جملة حالية هي محل انكار
السايل الذي توهم ان مثله ينافي عصمته فالاستفهام هنا انكاري لاعتقاده
عدم طرو التغيرات الباطنة عليه وهذا مناف له فاجاب عنه بقوله فلتعلم
ايها السايل عن سحره وفقنا الله واياك للموفق على الحق وتحقيقه وهي
جملة اعتراضية دعائية اشارة الى ان قصده في كتابه هذا ارشاد طالبي
ابه تماداه ان هذا الحديث صحيح متفق عليه اي مما اتفق على صحته اهل الحديث

تلمساني

او انفق علي وابنيه البيّنات وقد طعنت فيه الملحدة الطعن الضرب برمح ونحوه
استعير لاسناد ما لا يليق من النقايص والملحدة الطايفة من اصحاب العقايد الفاسدة
من الحد بمعنى حاد عن الطريق وفي للسببية اي طعنوا بسببه في مقام النبوة وتذرعت
به بذال معجمة وراء مشددة وعين مهملتين من الذريعة كالوسيلة وزنا
ومعنى واصلها ناقة الصايد استعير لما ذكر ووجه الشبه ظاهر والباء سببية
وقال البرهان في المقتفي انه بدال مهملة اي لبست درعا اي تقوت به وظنته
دليلا ينفعهم لسخف عقولها بضم السين المهملة بمعنى رقتها وضعفها وتلبيسها
على امثالها ممن ضعف عقله فرجع عليهم الى التشكيك في الشرع اي توقع بعضهم
بعضا في شك من احكام الشريعة بتوهم انه يخيل عليه فيها والى متعلقة بتذرع
وهو يعني انه بذال معجمة وقد نزه الله الشرع طاهره عما يشينه والنبي صلى الله
عليه وسلم عما يدخل بضم اوله في امره اي دينه وما يتعلق به لبسا اي شيئا يصير
امره ملتبسا بغيره مما لا يليق به وانما السحر مرض من الامراض جعله مرضا مبالغة
لانه سبب لتغير المزاج وانفعاله فينشا عنه امور غير طبيعية كالنسيان وهو
معدود من الامراض والامور الروحانية يسري للبدن نفعا وضرا والاطبا
يعترفون بذلك وعارض من العلل جمع علة والعارض هنا بمعنى العرض وهو
عند الاطبا ما يرد بسرعة من الامراض وهو عند المتكلمين والحكما ما لا يقوم بنفسه
يجوز عليه تخصيص له لاخراج ما لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم منها
كالجنون وكانواع الامراض التي تجوز وهما عليه مما لا ينكر عروضه له صلى الله
عليه وسلم وعلى ساير الانبيا ولا يقدح اي لا يعد نقصا وعيبا قادحا
في نبوته صلى الله عليه وسلم من الامراض كالجذام والبرص وغيره مما صان
الله عنه انبياه لخلقه لهم على اكمل خلق واتمه ومزاجه صلى الله عليه وسلم
اعدل الامزجة وهذا مبني على ان السحر له حقيقة موثرة ينشو عنه تغيرات
وامراض وهو مذهب الجمهور ويشهد له القران والسنة خلافا لمن قال انه
تخيل لا حقيقة له واليه ذهب ابن حزم وغيره والسحر عند الجمهور على انواع
منه ما لا حقيقة له وهو شعبذة ومنه ما له حقيقة بمعاونة الشياطين
وخواص لبعض الامور كما تقدم ويأتي ايضا عن الراغب واما ما ورد في الحديث
السابق انه كان يخيل اليه انه فعل الشيء وهو لا يفعله كما تقدم بيانه
فليس في هذا ما اي امر يدخل بفتح اوله مضارع ادخل عليه صلى الله عليه
وسلم داخلة اي نقيصة وعيبا وفسادا كما يقال امر مدخول اي معيب
في شي من تبليغه او شريعته قال الراغب الدخول يقتضي الخروج له
والدخل كناية عن الفساد والعداوة كالدغل ودعوة النسب بفتح الخاء
قال تعالى ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم او يقدح اي يعيب في صدقه
فيما بلغه وشرعه كما توهمه الطاعنون به لانه يسري الى ان يقال ان
جبريل والملايكة التي كان صلى الله عليه وسلم يراها امورا متخيلة وحاشاه
من ذلك لقيام الدليل المؤيد بمعجزاته والاجماع من المسلمين وايمة الدين

على عصمته صلى الله عليه وسلم من هذا اي مما يدخل عليه داخلة في شرعه وتبليغه
عن ربه وهذا ايرمته من كلام المازري في المعلم قال انكر بعض المبتدعة هذا الحديث
وزعم انه يحط من منصب النبوة وقالوا كلما ادي الى ذلك فهو باطل وتجويزه بعد الثقة
بما شرعوه من الشرايع اذ يحتمل على هذا انه صلى الله عليه وسلم يري جبريل وليس
هو وانه يوحى اليه شيء ولم يوح اليه وهو مردود لان الدليل قام على صدقه صلى
الله عليه وسلم فيما بلغه عن الله وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدة بصدقه
فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل انتهى وانما هذا اي انه يخيل اليه فعل شيء
لم يفعله ليس عاما بل في امور مخصوصة هي فيما يجوز طروه بالهمز وتركه اي
عروضه في امور دنياه التي لم يبعث بسببها من التوحيد والاحكام المشروعة وفي
نسخة امر مفرد او في اخرى من امور دنياه لا ما لا يتعلق بشرعه وتبليغه ولا فضل
بتشديد المعجمة وبنا المجهول من اجلها اي من اجل امور الدنيوية وانما هو برفعه
وزيادة اجره وهو صلى الله عليه وسلم فيها اي في امور الدنيا عرضة بضم فسكون
اي يعرض من يحدث له فيه مستعد للافات اي التغيرات التي تلحقه كساير البشر
يعرض له ما يعرض لهم لحكمة تقدمت فغير بعيد اي اذا كان عرضة لها فلا يبعد
ان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم من امورها اي امور الدنيا التي لا تتعلق
بالتشريع فالفا فصيحة في جواب شرط مقدر ما لا حقيقة له مما يتوهم انه
فعله ولم يفعله ثم ينجلي عنه اي يزول وينكشف تشبيهه بغمام او ضباب
ففيه مكنية وتخييلية او هو حقيقة عرفية فيه كما كان متعلق بينجلي
اي حاله لما كان عليه قبل ما عرض له او المراد كما كان حاله وهو مسحور وانما
اي كما دفع ما توهموه بما ذكر يبين بوجه اخر فقد فسر هذا الفصل يعني
قوله يخيل اليه الشيء الحديث الاخر هو فاعل فسر اي بين المراد به روايته
الثانية من قوله بيان لمفسر وهو حتى يخيل انه يأتي اهله يعني زوجاته
والاهل ورد بمعنى الزوجة كثيرا والحال انه لا يأتيهن يعني يتوهم انه
جامعهن وهو لم يجامعهن كقوله فاتوا حرثكم اني شئتم فهو تفسير بجا به من
امور الدنيوية لا الشرعية فلا ضير فيه وقد قال سفيان اي ابن عيينة
كما صرح به في سنده في البخاري وهذا التخييل اشد ما يكون من السحر اي
غاية ما يؤثره تخييل انه فعل ما لم يفعله ولذا قالت عايشة رضي الله عنها
حتى كان يخيل الخ فان حتى للغاية فلا يبلغ اكثر من ذلك كقلب الاعيان ونحوه
من تغيير الماهيات وهذا مبني على ان السحر تخييلات لا حقيقة لها كالشعبذة
والمحققون على خلافه كما مر وقد قال الراغب انه على انواع منها هذا وهو
المشار اليه بقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقوله سحروا اعين
الناس والثاني استجلاب امور بمعاونة الشياطين واليه يشير قوله ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر والثالث فعل تقويته تغير الصور
والطبايع فيجعل الانسان حمارا ولا حقيقة له عند المحصلين انتهى وقد
وقد تقدم ان الاول من جنس الامراض ولذا قال صلى الله عليه وسلم شفاني

قه

عرض واذن فيه

الله منه فانه المتبادر من الشفا ولبعضهم هنا كلام لا طايل فيه ولم يأت عن احد من
من المحققين في خبر منها اي من الاخبار المروية عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى
الله عليه وسلم نقل عنه في ذلك اي في قصة سحره قول بخلاف ما كان اخبر به من انه
قال انه فعله ولم يفعله اي لم ينقل عنه في حال سحره قول صدر عنه غير هذا الذي
فسر في الحديث وانما كانت الامور المنقولة عنه خواطر وتخيلات من قبيل الوسوسة
التي تعرض للعقلا كثيرا من غير تاثير في عقولهم وعلمهم بمهمات امورهم فلا اعتراض
عليه في شي كما توهم وقد قيل في الجواب عما استشكلوه ان المراد بالحديث المذكور
في سحره انه كان يتخيل له ويقع في خاطر النبي انه فعله وما فعله بمجرد خطوره بباله
لكنه تخييل لا يعتقد صحته ليقظة قلبه وسلامة ذهنه التي لا تؤثر فيها مثل هذه
التخيلات وهي سحابة صيف عن قريب تقشع فتكون اعتقاداته صلى الله عليه
وسلم كلها على السداد بفتح السين بمعنى الاستقامة وامور كلها مستقيمة كاملة
وادراكه لمعرفته صلى الله عليه وسلم بان ما عرض له تخييل لا يعتد به واما
بكسر السين فهو ما يسد به اسم آلة كحزام وركاب وفيه بيان في شرحنا الدرة الغواص
واقواله كلها جارية على الصحة فهي كلها صحيحة صادقة اذ لم يقع الخلف في شي من
اقواله وقول عايشة السابق يخيل له فعل ما لم يفعله لا ينافي ما قررناه لان
التخيل بمعنى التوهم وكون الخيال قوة باطنية مدركة مما اصطلح عليه الحكما
فهو وما يبتني عليه لا وجه لايراده هنا كما توهم هذا المذكور في جواب
ما وقع في هذا الحديث ما وقفت عليه لايمتنا المحدثين او الاشعرية او
الفقها المالكية في هذا الحديث الذي روته عايشة عنه صلى الله عليه وسلم
وفي نسخة عن هذا وفي اخرى على هذا وهو ظاهر مع ما اوضحناه من معنى كلامهم
في تفسيره وزدناه بيانا زاد هنا متعد لمفعولين من تلويحاتهم اي من
اشاراتهم له من غير تصريح به وكل وجه منها اي من الوجوه التي ذكرها
الايمة مقنع اسم فاعل بوزن مكرم اي كاف ومغن عن غيره لمن كان له قناعة
تغنيه عن الوجوه الضعيفة والاقوال الواهية والتكلفات الباردة
ويجوز فتح ميمه ودونه مصدر ميمي يقال هو مقنع في الامر بزنة جعفر
والاول هو الصواب من غير تكلف لكنه الضمير للشان والامر فقد ظهر لي
في هذا الحديث المتقدم في السحر تاويل وتفسير له اجلى اي اظهر من غيره
من التاويلات التي ذكروها وتقدم بعض منها وابعد من مطاعن ذوي
الاضاليل اي اكثر تبعيدا لمن له عقل سليم عما طعن به اهل الضلال مما تقدم
بيانه فالاضاليل جمع لا واحد له كالمذاكير او جمع لمفرد مقدر او موجود فقيل
جمع ضليل بكسرتين مشدد اللام صيغة مبالغة كشريب ولذا قيل لامرئ القيس الملك
الضليل وقيل جمع اضلولة بالضم وهو ما يضل به مرتكبه ولو قيل انه جمع
اضلال على خلاف القياس لم يبعد بعد بعيد ويوخذ ذلك التاويل الاجلى
من نفس الحديث اي حديث السحر وهو ان عبد الرزاق بن همام الصنعاني
قد روى هذا الحديث اي رواه في مصنفه عن الزهري عن ابن المسيب

عامي

واسه

واسمه سعيد كما تقدم وعن عروة بن الزبير تقدم ايضا وقال فيه اي في الحديث الذي
رواه عنهما اي عن سعيد وعروة سحر يهود بني زريق بتقديم الزاي المعجمة والقف
طايفة منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مفعول سحر وفاعله يهود وهو بلا يا علم
لهم وقد يذكر وتدخله اللام فجعلوه اي السحر في بير اي بير ذروان كما تقدم حتى كاد رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي قرب من ان ينكر بصره اي ما ابصره او ينكر نفسه وفيه لتاثير السحر
فيه ثم دله الله على ما صنعوا باخبار الملكين به وبالمحل الذي صنع فيه فاستخرجه من البير
على رواية وقيل انه صلى الله عليه وسلم امر بدفنه ولم يخرجه من البير وكانوا اسروا
غلاما من اليهود كان يدخل بيته صلى الله عليه وسلم فاخذ شعرات من شعر راسه
الشريف وسنا من اسنان مشطه فعقدوا فيه عقدا ودفنوه في تلك البير فلما انزل الله
عليه المعوذتين واستخرج السحر وحلت عقده شفاه الله والكلام عليه طويل مفصل
في شروح الصحيحين فلا نطيل به وذكر عن عطا الخراساني عن يحيى بن يعمر كما رواه
عبد الرزاق ايضا ويعمر بفتح اليا التحتية وبالميم المفتوحة وتضم وهو ممنوع من الصرف
للعلمية ووزن الفعل ويحيى هو قاضي مرو وهو اول من نقط المصحف وتوفي سنة
تسعين قال فيه اي في مصنف عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
عايشة بالبنا للمجهول اي عن مجامعتها سنة هي مدة السحر كما تقدم عن السهيلي فبينا
هو نايم حقيقة او مضطجع بين النوم واليقظة كما في رواية وبينا للمفاجاة كبينما
وتضاف وتحتاج لجواب كما بينه النحاة اتاه ملكان هما جبريل وميكايل فقعد احدهما
عند راسه والاخر عند رجليه الحديث اي اذكره او اقراه الى اخره كما تقدم وقال
عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم اي منع من الجماع عن عايشة
خاصة سنة على احد الاقوال السابقة وخص منعه عنها دون غيرها لانها كانت احب
ازواجه اليه صلى الله عليه وسلم حتى انكر بصره يعني تغيره فقوته الباصرة عما كانت
عليه قبل ان يسحر لانه فقده بالكلية لما في بعض روايات الحديث السابقة حتى كاد
ينكر بصره اي قارب فقده ولم يفقده من قولهم نكرته فتنكر اذا غيرته فتغير كما في
الاساس ولم يبعده مجازا وروى البيهقي صاحب السنن بسند ضعيف عن محمد بن سعد
هو كاتب الواقدي وصاحب الطبقات كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرض النسا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبس اي منع عن النسا ان اريد به الحبس لم يخالف
الرواية التي قبله والا خالفها او الطعام والشراب فكان لا يشتهي ولا يتناول شيا
منهما لتغير مزاجه كسائر المرضى فهبط اي نزل من السما عليه ملكان هما ميكائيل
وجبرائيل وذكر القصة بتمامها وتقدم ان القصة انه صلى الله عليه وسلم قال
لعايشة ان الله اخبرني بدائي ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ما البير
فاذا هو مثل نقاعة الحنا ثم رفعوا الراعوفة وهي صخرة في قعر البير فاخرجوا جفا
ومشاطة وهو شعر راسه الشريف واسنان مشط ووتر معقود فيه احدى عشر
عقدة وتمثال مصور له من شمع غرز فيه ابر فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام
بالمعوذتين فكان كلما قرا اية منهما انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها الما ثم
يعقبه راحة فاعترف لبيد بانه صنعه فعفا عنه فقد استبان لك اي تبين

وظهر من مضمون هذه الروايات اي ما تضمنته واشتملت عليه ان السحر الذي سحر به رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما تسلط من السلاطة وهي التمكن ممن يريد قهره والمراد تأثر على
ظاهره اي ظاهر بدنه الشريف وجوارحه واعضائه دون باطنه لا على قلبه واعتقاده وعقله
اذ لم يؤثر فيه نقص اصلا وانه اي السحر انما اثر في بصره بتغيير ما حتى كاد ينكره كما تقدم
وحبسه عن وطي نسائه وعن طعامه فاضعف جسمه فامرضه فهو كسائر الامراض
لا ينكر عروضه للانبياء عليهم الصلاة والسلام ويكون معنى قوله يخيل اليه انه
يأتي اهله ولا يأتيهن اي يظهر له من نشاطه هذا جواب سؤال تقديره اذا قلت ان السحر
لم يؤثر الا في ظاهر بدنه يرد عليك ان تخيل ما لم يقع واقعا يقتضي خللا في الذهن
والادراك فهو مناف لما قلته وقوله معنى اسم كان وخبره مقدر يدل عليه ما بعده
اذ لا يصح اقتران الخبر باي المفسرة ومثله كثير في كلام المصنفين وفي الاساس رجل
نشيط طيب النفس للعمل ومتقدم عادته اي ما اعتاده صلى الله عليه وسلم قبل
السحر القدرة على النسا فاعل يظهر اي قدرته وقوته على جماعهن فاذا دنا منهن
اي قرب منهن ليجامعهن اصابته أُخذة السحر بضم الهمزة وسكون الخا وذال معجمة
وهي امر يتخذه السحرة تحبس المرء عن انتشار آلة الجماع تسميه العامة ربطا وهو
نوع من السحر ويقال به أُخذة من الجن ايضا كانها اخذت قوته فلم يقدر على
اتيانهن كما يعتري اي يعرض ويغشى من اخذ قيل هو بضم الهمزة وتشديد الخا المعجمة
وذال معجمة من التأخيذ وفي نسخة وخذ بالواو اي منع من الجماع كما قيل والظاهر
عليهما اي بعض من صنع له اخذة السحر السابقة واعترض ببناء المجهول اي عرض له
عارض من مرض ونحوه والظاهر انه من العارض المعروف بين السحرة الذين يدعون
الجن وهو المناسب للاخذة ولعله الصحيح للسياق وفي نسخة بحذف فهو لمثل هذا اشار
سفيان بن عيينة فيما نقله عنه سابقا بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر
اي اعظم انواعه ان يخيل له فعل ما لم يفعله وقد تقدم ما فيه ويكون قول
عائشة في الرواية الاخرى من احدى الروايتين في الحديث اعني قولها انه يخيل
له انه فعل الشيء وهو ما فعله والشيء مبهم في روايتها دون الاخرى فيحمل
انه من باب ما اختل من بصره اي قوة نظره لا لنقص عينه وهو ما انكره كما ذكر في الحديث
من انه كان يخيل اليه الخ ويبينه بقوله فيظن انه رأى شخصا من بعض ازواجه
او شاهد فعلا من غيره انه فعله ومن مدة منه على وجه مخصوص ولم يكن صدر
منه على ما يخيل اليه وذلك لما اصابه في بصره وضعف نظره من الم السحر لا لشيء طرأ
عليه في مميزه بفتح الميم وسكون اليا المثناة التحتية بمعنى تمييزه والمراد به
قوة عقله المميز يقال مازه يميزه ميزا كسار يسير سيرا بمعنى ميز وبين
واذا كان هذا اي ما ذكر من حاله صلى الله عليه وسلم على ما قرره لم يكن فيما ذكر
من اصابة السحر له في هذه المرتبة من غير زيادة فيه وتأثيره فيه لمجرد ضعف
بصره غير قادح ما يدخل لبسا عليه بان يؤثر في عقله وتمييزه او يسري لباطنه
ولا يجد به الملحد الزائغ عن الحق بطعنه في الانبياء عليهم الصلاة والسلام
المعترض به على انه يلزم من تأثير السحر فيه بتخيل ما لا حقيقة له يورث شكا

في ما يراه من الملائكة كما تقدم ان انسانا اي امرا يبتنا لبس به او هامه الفاسدة او يحدث
عنده علما ينقض به مقام النبوة من قولهم التبس منه كذا اذا غلبته او ابصرته

## فصل

هذه الامور المذكورة في الفصل المتقدم حاله صلى الله عليه وسلم في جسمه الشريف ظاهرا او باطنا واما احواله في امور الدنيا اي الامور المتعلقة بها فنحن نسبرها بفتح النون وضمها وسكون السين المهملة وضم البا الموحدة او كسرها وراء مهملة والضمير راجع لامور الدنيا يقال سبره واسبره اذا اختبره كما في الصحاح واصل معناه ان يدس في الجرح مرود الميل ليعلم عمقه ثم شاع فيما ذكر وهو عند اهل الاصول استقصا افراد امر كلي واقسامه والمراد هنا نبينها على اسلوبنا اي نوردها على طريقنا المتقدم في هذا الكتاب والاسلوب بضم الهمزة الفن والطريقة يقال اساليب الكلام لفنونه بالعقد اي الاعتقاد متعلق بنسبر والقول والفعل اي نسبر في اقسامها النظرية واللفظية والعملية اما العقد منها اي ما يتعلق من احواله صلى الله عليه وسلم في امور الدنيا بالعلم بها والاعتقاد فقد يعتقد صلى الله عليه وسلم الشي من امور الدنيا على وجه اي وقوعه على وجه من الوجوه في بادي الراي ويظهر خلافه اي يظهر له انه على خلافه في الواقع ونفس الامر او يكون منه اي من الشي الذي هو من امور الدنيا على شك فيه او يكون منه على ظن بان يترجح عنده احد طرفي الوقوع وعدمه بخلاف امور الشرع فانه صلى الله عليه وسلم لا يتردد فيها لانه معصوم عن الخطا وان قلنا بجواز اجتهاده فيها لانه مستند للوحي ايضا امرا او ردا شاهدا لانه قد يعتقد شيا من امور الدنيا على خلاف ما هو عليه وهو حديث رواه مسلم تقدمت الاشارة اليه مرارا فقال كما حدثناه ابو بكر سفيان بن العاصي تقدم بيانه وغير واحد قراة وسماعا اشارة الى انه رواه من طرق قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد بن عمرويه الكلام فيه كالكلام في سيبويه في بنايه على الكسر واعرابه اعراب ما لا ينصرف وان المحدثون يضمون ما قبل اليا ويفتحونها كما اشتهر عنهم قال حدثنا ابو سفيان ابراهيم محمد ابن سفيان راوي صحيح مسلم عنه قال حدثنا مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا عبد الله بن الرومي بن محمد او ابن عمر نزيل بغداد ثقة حافظ توفي سنة مايتين وست وثلاثين ولم يخرج له من اصحاب الكتب الستة غير مسلم وعباس العنبري بن عبد الله بن اسماعيل بن توبة ابو الفضل العنبري البصري الحافظ توفي سنة مايتين وستة واربعين واحمد المعقري هو احمد بن جعفر والمعقري بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف وراء مهملة ويا نسبة وقيل بكسر الميم وسكون العين وفتح القاف وقيل بضم الميم وفتح العين وكسر القاف المشددة نسبة لمعقر ناحية من اليمن قالوا حدثنا النضر بن محمد الجرشي اليمني وله ترجمة في الميزان قال حدثني عكرمة بن عمار وقد تقدم قال حدثنا ابو النجاشي عطا بن صهيب ثقة قال حدثنا رافع بن خديج بفتح الخا المعجمة وكسر ١

الدال المهملة ومثناة تحتية ساكنة وجيم توفي سنة اربع وسبعين من الهجرة واخرج
له الستة وهو انصاري صحابي شهد احدا قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
لما هاجر من مكة وهم يابرون النخل بفتح البا الموحدة بعد الهمزة الساكنة والجملة
حالية وتابيرها ان يوخذ من طلع النخلة الذكر ما يوضع في طلع غيرها حين ينشق
فيلقح يقال ابرتها وابرتها بالتشديد وروي هنا يوبرون مشددا اي يلقحونها
ان يخرج ثمرها صالحة لا شيصا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
راهم على روس النخل وهم يابرون كما في مسلم      استفهام تقريري
قالوا شي      وهو التابير ليتم ثمرا حسنا فقال لهم لو لم تفعلوا

اي لو تركتم التابير للنخل كان خيرا من تابيرها وروي ما اظن ذلك يغني
شيا فاخبروا بذلك فتركوه اي التابير نفضت بنون وقاف ومعجمة وبعضهم
بنون وفا قاله ابن قرقول اي ثمرها او تغيرت فصارت شيصا غير مستوية
فذكروا ذلك اي نقصها له صلى الله عليه وسلم فقال انما انا بشر اصيب واخطي
في امور الدنيا التي لم يوح الي فيها شي ولكن اذا امرتكم بشي من دينكم فخذوا
به اي تمسكوا به ولا تخالفوني فيه واذا امرتكم بشي من رايي اي يكون رايا
في امور الدنيا المحضة فانما انا بشر مثلكم فداري رايا والامر بخلافه في امور
الدنيا فلا يجب اتباعه وفي رواية لمسلم عن انس انتم اعلم بامر دنياكم اي بجميع
احوالها واصاف الدنيا لهم لانه صلى الله عليه وسلم لا يريد شيا منها ولا يلتفت
اليه وفي حديث اخر رواه مسلم عن طلحة في هذه القصة انما ظننت بما قلته
لكم ظنا مني انه لا يلزم مما فعلتموه فلا تواخذوني بالظن اي لا تجدوا وا على في
انفسكم كدرا فيما ظننته خيرا لكم فتبين خلافه قال ابن رشد في كتاب التحصيل
والبيان هذا الحديث روي بالفاظ مختلفة متقاربة معنى كقوله صلى الله عليه
وسلم ما انا بزارع ولا صاحب نخل ولا منافاة اذ كل حكى ما سمع وانما نفي الظن
بانه لا يلزم لاختصاصه بالحيوان ولم يكن ذلك عن وحي كما قاله الطحاوي وقال
ابو لبيد انه صلى الله عليه وسلم بين انه لا تاثير في الصلاح والافساد
لغير الله الا ان الله قد يجري العادة باسباب لذلك تعلم بالتجربة كالتابير
وهو صلى الله عليه وسلم لم يسبق له تجربة فيه وقيل عليه ان عدم علمه
به بعيد فالاولى ان يقال انه صلى الله عليه وسلم نبههم على توكل الخواص
بترك الاسباب الذي هو من مقامات الانبيا دون غيرهم وقوله لا تواخذوني
الخ المراد انه ظنهم من اهل هذا المقام فلما اخبروه بحالهم ردهم لها وقال
لهم انتم اعلم بحالكم واستدل بهذا على ان الاجماع في امور الدنيا لا يعتد به
لرجوعه صلى الله عليه وسلم لقولهم كما رجع لهم في منزل بدر اي وتاتي
في كلامه قريبا كما في التلويح وقال ابن ابي شريف انه ممنوع وقول الرسول
صلى الله عليه وسلم حجة في الامور الدنيوية وغيرها لانه اما بوحي او باجتهاد
لا يقر على الخطا فيه ومراجعته كانت قبل استقرار اجتهاده والتلقيح من
ربط المسبب بالسبب ولو شا الله صلحت الثمرة بدونه وهو اعتقادنا وقوله

انتم

انتم اعلم بامر دنياكم وفيه بحث فتدبر وفي حديث ابن عباس الذي رواه البزار بسند حسن
في قصة الخرص بفتح الخاء المعجمة وسكون الرا وصاد مهملتين وهو الحزر والتخمين
لما على النخل والكرم من الرطب والعنب وتفسيره كما قال الترمذي ان الثمار اذا ادركت
من الرطب والعنب وجبت الزكاة وبعث السلطان من يخرصها فخمنهما وقال يخرج
منها كذا وكذا فيبقى قدره ومقدار عشره فيثبته عليهم فاذا جاء وقت الجذاذ
اخذه وفايدته التوسعة على ارباب الثمار فيتناولوا منه ما ارادوا وهذا كان في
عهده صلى الله عليه وسلم وعلى عهد الخلفا ولذا جوزه بعضهم ومنعه بعضهم
لانه تخمين وفيه غرر واما الخرص بكسر الخا فاسم للمخروص فقال صلى الله عليه وسلم
انما انا بشر اي انا مقصور على صفة البشرية التي تجوز عليها الاصابة وعدمها
وقيل هو قصر قلب خلافا لمن اعتقد او يظن ان الخطا في الامور الدنيوية لا يجوز
عليه فعكس اعتقادهم فيما لا تعلق له بالشرع والوحي فما حدثتكم عن الله
فهو حق لا يحتمل الخلف فيه وما قلت فيه من امور الدنيا من قبل نفسي برايي لامر
خطر على نفسي فانما انا بشر اخطي تارة واصيب اخرى فقيل هذا انما استدل به على
جواز خطايه في اجتهاده وقيل لا دليل فيه لانه لم يقله باجتهاد وانما هو ظن
سنح له وقد تقدم ما فيه قريبا وهذا اعلم ما قررناه من انه صلى الله عليه وسلم
قد يرى شيا من امور الدنيا على وجه يظهر خلافه كما اشار اليه بقوله فيما قاله من
قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها الا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده
في شرع شرعه بالتخفيف والتشديد اي اظهره وبينه وسنه سننا وهذا كله
مبني على انه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في بعض الاحيان وهو الصحيح كما
تقرر في الاصول واذا اجتهد لا يخطي ولا يقر على خطا وقد وقع له ذلك ولا
حجة لمن منعه في قوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ونحوه لانه
اذا اذن له فيه كان وحيا مع انه الهام والهام الانبيا قسم من الوحي والمراد بالسنة
الطريقة المحمدية من اقواله وافعاله وسنها بمعنى جعلها امرا متبعا وطريقا
مهيعا الا ما ابقيا بدا الغرض فهي بالمعنى اللغوي وقوله فيما قاله من قبل
نفسه تخصيص مفروغ عنه مقرر في بحث الاجتهاد من كتب اصول الفقه فمن
قال انه تخصيص من غير مخصص مع ما اطال فيه من الزوايد وضرب في حديد
بارد غني عن الرد وكما حكى محمد بن اسحاق رحمه الله في كتاب المغازي مما نشا به
ما قبله من امور الدنيا انه صلى الله عليه وسلم لما نزل في غزوة بدر وبدر
اسم ذلك المكان وبير فيه سميت باسم صاحبها كما مر بادنى مياه بدر اي
ابعدها او اقلها ماء ولعله محل نزوله ونزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادي
والمسلمون بكثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وسبقهم المشركون الى الماء
واحرزوه وحفروا لهم قلبا واصبح المسلمون وبعضهم على غير طهارة
محتاج للماء واصابهم الظما ولم يصلوا للماء ووسوس الشيطان لبعضهم في ذلك
والفرار عنه فارسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشربوا واستقوا
وتطهروا وثبتت الاقدام وزالت وساوس الشيطان كما قال تعالى وينزل

عليكم من السما ما ليطهركم به الاية وكان صلى الله عليه وسلم لما نزل بادني مياهها
قال له الحباب بضم الحا المهملة وموحدتين علم منقول من اسم الثعبان ابن المنذر
رضي الله عنه بن جموح بن زيد بن حرام بن عنم بن كعب بن سلمة الخزرجي الانصاري
الصحابي الذي يقال له ذو الراي توفي كهلا في خلافة عمر رضي الله عنه اهذا المحل
الذي انزلتنا فيه يا رسول الله منزل انزلكه الله عز وجل اي امرك بالنزول فيه
ليس لنا ان نتقدمه ونتزل فيما هو اولى منه لانا لا نخالف امر الله بوحيه ام هو
الراي اي راي منك بلا امر من الله يجب اتباعه وليس تعريفه للاستغراق العرفي اي
انه هو الراي الكامل كما قيل لانه لا يناسب هنا والحرب اي ام هو محل مناسب
لمحاربة الاعدا والنصرة فهو مجاز بذكر المسبب وارادة السبب والمكيدة اي الكيد
والمكر لان الحرب خدعة والمكيدة مصدر ميمي بمعنى الكيد وهو الحيلة لايقاع
ما يريده من السو ويسمى الحرب كيدا كقوله في الحديث لم يلق كيدا اي حربا فقال
صلى الله عليه وسلم مجيبا له رضي الله عنه لا اي لم يامرني الله بنزوله بل هو
الراي والحرب والمكيدة اي نزلت براي فيه لما ذكر فقال له الحباب ليس هذا المحل
بمنزل مناسب لما ذكر لبعده عن الما وكثرة رمله انهض اي قم من هنا وانتقل
حتى ناتي ادنى اي اقرب ما من القوم وهم قريش فننزله اي ننزل فيه ثم نغور
ما وراه اي نسده ونطمه حتى يذهب ماوه الذي ينتفع به الاعدا وقوله
ما وراه ما موصول له بالظرف مقصورة وروي ما بالمد ما بعده صفته من القلب
بضم القاف واللام وقد يسكن وهو جمع قليب وهو البير الذي لم تطو اي لم
يبن اطرافها بالحجارة ونغور بضم النون وتشديد الواو وبينهما غين معجمة
او مهملة كما في المقتفى وقال السهيلي انه بضم العين المهملة وسكون الواو
وفي حواشي الشيرة لابي ذر الخشني من رواه بغين معجمة معناه ندهبه
وندفنه ومن رواه بمهملة معناه نفسده انتهى وفي اهماله مناسبة للعين
لا تخفى فيشرب اي المسلمون منه ولا يشربون اي الكفار فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم للحباب اشرت بالراي اي بالراي الصواب الحسن وفعل صلى الله عليه
وسلم ما قاله الحباب بن المنذر له فنزل على الما وبنى حوضا يشربون منه الى اخر
ما ذكره ابن اسحاق في سيرته وروى ابن سعد ان جبريل نزل عليه صلى الله عليه
وسلم وقال له الراي ما اشار به الحباب ثم ذكر ما دعاه للمشاورة فقال وقد
قال الله له صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر الامر للندب لا للوجوب
وانما امر بذلك تطييبا لخاطرهم وقلوبهم ورفعا لمقدارهم لان كبرا العرب
كانوا اذا لم يشاوروا اشق ذلك على نفوسهم فامره بذلك رعاية لهم وتشريفا لمن
بعدهم وان كان صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا واسدهم رايا واختلف
في ذلك فقيل كان فيما لم ينزل فيه وحي ليجتهد فيه ويجتهد وامعه فان
الاجتهاد بحضرته جايز ايضا كما تقرر في الاصول وقيل انه مخصوص
بامور الدنيا ومصالح الحرب فانهم جربوها وقاسوا شدايدها وكلام المصنف
يومي لهذا ولذا قال واراد اي النبي صلى الله عليه وسلم مصالحة بعض عدوه

عوضي

مالك

على ذلك ثمر المدينة الحاصل من نخلها وكان ذلك في غزوة الخندق لما بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان بان
يعطيهما ما ذكر فاستشار الانصار رضي الله عنهم اي شاورهم ليرى رايهم والمستشار
منهم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فلما اخبروه برايهم في ذلك وهو ما قال له
سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهولاء القوم على الشرك وعبادة الاوثان
لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان ياكلوا منها ثمرة الا قرى او بيعا حين اكرمنا
الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة
والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم رجع عنه اي عن رايه في
اعطايهم وقال لسعد انت وذاك كما ذكره ابن اسحاق في مغازيه وساق القصة
بتمامها وذلك لما اشتد الامر على المسلمين وظهر من المنافقين ما ظهر بعث صلى
الله عليه وسلم اليهما بذلك واراد ان يكتب به صحيفة فلما استشار فيه السعد
قال له ابن معاذ امرك الله بهذا قال لا ولكن اردت دفعهم فقال له صلى الله
عليه وسلم ما ذكرناه انفا وتناول الصحيفة ومحاها وجرى ما جرى حتى هزم
الله الاحزاب وحده واعز جنده فمثل هذا المذكور من قصة الحباب والانصار
وغيره واشباهه مما يضاهيه من امور الدنيا التي لا اعتنا له صلى الله عليه وسلم
بها ولا مدخل فيها لعلم ديانة اي امورا متعلقة بالشرع والدين واحكامه
ولا اعتقادها ولا تعليمها بالجر عطف على قوله علم ديانة اي ليس مما امر صلى
الله عليه وسلم باعتقاده وتبليغه لامته وتعليمه لهم يجوز عليه منه ما ذكر
من ان يعتقده على وجه فيظهر له خلافه لانه ليس من مهمات الدين والجملة
خبر قوله هذا اذ ليس في هذا كله نقيصة له صلى الله عليه وسلم لانه ليس
مهما عنده ولا محطة نحا وطا مهملتين من الحط وهو التنزيل لا سفل اي
لا حط على مقامه ولا بشينه وانما هي امور اعتنيا دينية اي جارية على عادة الناس
فيها الا من العلم والاحكام نعم فيها من جربها واعتنى بها وهو صلى الله عليه
وسلم لا يعتني بها ولا يخالطها فضلا عن تجربتها وجعلها همه اي امرا يهتم
به ويتقيد وهو صلى الله عليه وسلم لا يلتفت لها ويشغل نفسه بها اي
بامور الدنيا وعاناها وزاولها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب
اي قلبه مملو بمعرفة الربوبية وما يتعلق بها من اجلال وتكريم وتنزيه
وتعظيم لم يبق فيه محل فارغ لغيرها حتى يخطر بباله كما قيل

تملكت بعض حبك كل قلبي فان ترد الزيادة هات قلبا

كما تقدم ومشحون بعلمت انه بمعنى مملو غير خال منها يقال شحن السفينة
اذا ملاها ملات الجوانح جمع جانحة وهي الضلوع التي تلي الصدر وجعل معرفة
الله وصفاته ملي قلبه اشارة الى انها اول ما علمه وانها اعتقادات حقة
وهي اول ما يجب كما قيل

اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وجعل ما علمه بعده فيما يتعلق بعلوم الشريعة ملاصدره لورود عليه

بن

كرنا

دجي

بعدها وهو في غاية الحسن والاتقان وفيه كني بالجوارح عن نفسه مجاز امرسلا من اطلاق
الجزء على الكل ولا يخفى ما فيه معنيه البال مصالح الامة الدنيوية والاخروية والبال هنا بمعنى
الخاطر الذي يخطر على النفس لا بمعنى القلب وان ورد بهذا المعنى لانه اراد ان افكاره صلى
الله عليه وسلم وخواطره بعد معرفة الله تعالى وتلقي ما اوحى اليه لا تشتغل الا
بمصالح الامة المذكورة والمراد امورهم التي بها صلاح دينهم بتعليمهم ما يجب لهم
وعليهم من الطاعات والاعتقادات والمراد بالدنيوية ما يتعلق بدنياهم
في معاملاتهم ونحوها من الامور الشرعية ولله دره فيما اتى به من تمام التفنن
في العبارة حيث ذكر ما يتعلق به صلى الله عليه وسلم اولا من معرفة ربه مما قلبه
ثم ما يتعلق به من تلقي الوحي مما صدره ثم جمل ما يتعلق بامته وتبليغهم وتعليمهم
خواطر وافكارا فاعرفه ولكن هذا اي ما يعتقده ويظهر خلافه انما يكون اي يقع
له صلى الله عليه وسلم ويتفق في بعض الامور الدنيوية العادية التي تعرف
بالتجربة وكثرة المزاولة ومع انه ايضا انما يجوز صدوره منه بخلاف ما هو عليه
في النادر ايضا والا فسلامة عقله صلى الله عليه وسلم وشدة حذقه تقتضي
انه اعلم الناس بامور دنياهم ايضا لانه اوفر الناس عقلا وقد اطلعه الله
على اسرار الوجود من مذموم ومحمود وقوله صلى الله عليه وسلم انتم اعلم
بامر دنياكم انما اراد به تطييب قلوبهم كما مر وان لا يزكي نفسه تواضعا منه
وما ندر منه وقوعه كان فيما سبيله اي طريق العلم به التدقيق اي تدقيق
النظر فيه بتكريره وصرفه في حراسة الدنيا اي حفظ امور الدنيا وصرفها واستثمارها
اي طلب زيادتها ونموها وثمرتها وهو امر ناشئ عن محبتها والحرص على تحصيلها
وهو صلى الله عليه وسلم لا يريد حرث الدنيا ولا يشتغل بها خاطره ومع ذلك ما
وقع منه عدم العلم بها الا نادرا لا في الكثير من امورها المؤذن الذي يعلم كثرته
من اطلع عليه انه صدر بسبب البله والغفلة البله والبلاهة نقص في العقل
وهو صلى الله عليه وسلم اكمل الناس وارجحهم عقلا والغفلة دون البله
وهي كونه لعدم حذقه يغفل عن بعض الامور وما ورد في الحديث من ان اكثر
اهل الجنة البله فالمراد بهم كما في النهاية الغافلون عن الشر لانهم مطبوعون
على الخير وحسن الظن بالناس لان نقص العقل لا يمدح به ولبعضهم في
بعض الحمقى وقد بنى له دارا حسنة دارك يا هذا اغرت نجنه وان اهل الجنة البله
وقد تواتر بالنقل تواترا معنويا كتواتر كرم حاتم وشجاعة علي كرم الله وجهه
عمن لا يمكن تواطيهم على الكذب في الجميع لا في مادة بخصوصها عنه صلى
الله عليه وسلم متعلق بتواتر من المعرفة بامور الدنيا واحوالها تفصيلا من
غير الامور المشروعة ومعرفة دقائق اي الامور الدقيقة التي تخفى على
كثير منهم مصالحها اي حاجاتهم التي لها صلاح العالم في المعاش وسياسة
والسياسة حكم الناس وضبط امورهم الجارية بينهم حتى لا يتعدى بعضهم
على بعض يقال ساسه يسوسه اذا حكم عليه بما يجعله منقادا اما هو ما مؤمله ٦٠

٤٠٠

او موصوفة فاعل نواني معجز في البشر اي امور يعجز البشر عن مثلها او البشر بنواد سموا به لظهور بشرتهم اي ظاهر جلدهم من غير استتار بشعر ووبر كالحيوانات كما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب كما تقدم تفصيله فلا حاجة لاعادته هنا لانه صلى الله عليه وسلم لما فوض له الامامة العظمى على جميع الخلق والحكم بينهم ودعوتهم لطاعته لزمه ان يعلم جميع احوال الناس دنيوية ودينية ليتم امره ويتاتى له ما امر به فلا يخفى عليه الامور فليله لا يضره عدم العلم بها ولذا كان صلى الله عليه وسلم يحكم بالسلطنة والقضا والفتوى كما فصلوه وسبق التفرقة بين احكامه فيها

تلمساني

## فصل وأما ما يعتقده

قال المص

صلى الله عليه وسلم في امور احكام البشر اي ما يحكم به عليهم في امورهم التي ترفع اليه من الامور الجارية على يديه اي الواقعة عنده فاستعار الجري على يديه لهذا وقضايا هم اي امورهم التي ترفع اليه صلى الله عليه وسلم ليقضي فيها بما اراه الله ومعرفة المحق من المبطل ضمن المعرفة معنى التمييز فعداه بمن والمحق والمبطل اسما فاعل بمعنى من هو على الحق او الباطل وكونه اسم مفعول كما قيل ركيك من غير داع له وعلم المصلح من المفسد اي اهل الصلاح والفساد فبهذه السبيل الباء ظرفية اي جاي هذه الطريق السابقة في امور الدنيا التي قد يظهر له منها ما الامر بخلافه احيانا ولا يضره لما سياتي وهو وان كان لا يخفى الله عنه علمه اصلا كما قاله بعض العارفين بطهره الله منه لئلا تنضل به بعض امته لتوهمه انه يعلم الغيب فيقعون فيما وقع فيه النصارى فلذا كان يستره كما قال الابوصيري رحمه الله تعالى

لم يمتحنا بما تعيي العقول به حرصا علينا فلم يرتب ولم نهم

لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان مسندا وابو داود وعنه رواه المص لعلو سنده فيه كما مر وتقدمت الاشارة اليه مرارا انما انا بشر لا اعلم الغيب وانكم تختصمون الي في امور عندي وتردون حكمها الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض اي اعرف باقامة الحجة وافصح في بيانها ممن يخاصمه واصل معنى اللحن الميل عن الاستقامة ومنه اللحن في الاعراب لميله عن الصواب واللحن الطرب ومنه الحان الغزاة وفي الاساس لحن بحجته فطن لها فيمر فهما لمن تياو فلان الحن بحجته من صاحبه ١٠

انتهى اي افصح منه واقدر على اقامة الحجة فاقضي له واحكم على نحو بالتنوين اي على نوع وضرب مما اسمع من كلامه بحسب الظاهر منه فمن قضيت له من حق اخيه بشيء ولو قليلا اي حكمت له بشيء ليس له حق فيه وانما هو حق لخصمه وتعبير بالاخ عن الخصم كقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة للاستعطاف والحث على عدم الحيف فلا ياخذ منه شيئا ليس حقه فانما اقطع له بما اعطيه من حق غيره قطعة من النار فجعل ما ياخذه بغير حق قطعة من

نار جهنم مبالغة في حرمته عليه واستحقاقه للعذاب نزله منزلة عذابه حقيقة
كما في قوله ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وحاصله
ان حكم الحاكم بحسب الظاهر صحيح نافذ ولكنه ان خالف الواقع لا يحل حراما ولا يحرم
حلالا لانا نحكم بالظاهر وعند الله علم السرائر وهذه في الاموال والدما وغيرها
فالحكم ينفذ بحسب الظاهر ويبقى الباطن في الآخرة وقد وقع الخلاف بين الفقها
في بعض احكام الفروج كما لو شهد شاهدا زور على رجل انه طلق امرأته وحكم
الحاكم بالفرقة بينهما وهو لم يقع منه طلاق في نفس الامر فهل يجوز له ان
ينكحها بعد الحكم المذكور ام لا فيه قولان كما في كتب الفروع حدثنا الفقيه
ابو الوليد رحمه الله تقدم بيانه قال حدثنا الحسين بن محمد هو الحافظ ابو علي
الغساني وقد تقدم قال حدثنا ابو عمر هو ابن عبد البر وقد تقدم قال حدثنا
ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي كان ممن لقي ابن داسة واخذ
عنه وترجمه الذهبي قال حدثنا ابو بكر هو ابن داسة راوي سنن ابي داود كما
تقدم قال حدثنا ابو داود الامام المشهور صاحب السنن وقد تقدم قال حدثنا
محمد بن كثير بكاف مفتوحة ومثلثة مكسورة وتحتية ساكنة وهو ابن كثير
العبدي البصري الامام المشهور اخرج له الستة توفي سنة مايتين وثلاث وعشرين
وعمره تسعون سنة وترجمته في الميزان قال حدثنا وفي نسخة اخبرنا سفيان اي
الثوري لا ابن عيينة لانه الذي يروي عنه ابن كثير وبه صرح عبد الغني
فيحمل المطلق عليه عن هشام بن عروة عن ابيه عروة وقد تقدم الكلام
عليهما عن زينب بنت ام سلمة ام المؤمنين رضي الله عنهما وزينب هذه بنت
ابي سلمة ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي صحابية تزوجها عبد
الله بن زمعة توفيت سنة ثلاث وسبعين عن ام سلمة ام المؤمنين المذكورة
واسمها هند وقيل رملة كما تقدم قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحديث المذكور يعني انما انا بشر الخ وقدم المتن على السند هنا وهو
جائز لانه مبين لما عقد له الفصل كالترجمة له وعدل فيه عن رواية
الصحيحين لعلو سنده في سنن ابي داود ولانه ضمه لما هو مشهور معلوم
تقوية له وفي رواية الزهري ابن شهاب الامام المشهور عن عروة تقدمت
ترجمته فلعل بعضكم وقع في هذه الرواية بالفا التفريعية ابلغ من بعض
مكان الحن فهو من البلاغة ليوافق معنى الرواية الاخرى وما قيل انه من
البلوغ وهو الوصول اي اسرع وصولا للحجة مع انه غير مناسب مخالف
للظاهر فلا حاجة لتكلفه وقيل انه من المبالغة والزيادة في اجتهاده بتزويج
حجته فاحسب انه صادق فيما ادعاه بحسب الظاهر وان وما بعده ساد مسد
مفعولي احسب فاقضي له اي احكم له بما اظنه حقه وهو صلى الله عليه وسلم
تجري بمثناة فوقية واحكامه مرفوع نايب مناب فاعله او بتحتية مضمومة
واحكامه منصوب مفعوله على الظاهر من الامر وما يقتضيه وتجري على
موجب بفتح الميم وفتح الجيم اي ما يقتضيه غلبات الظن اي ما يغلب تحققه

فيظنه

في ظنه بحسب ظاهر الحال وجمع غلبات باعتبار تعدد الخصوم ما فيه تقريب سبب غلبة ظنه
بما قضى به فقال بشهادة الشاهدين أي بسبب ذلك وبيمين الحالف إذا حلف فإنه يغلب
على الظن صدقه والمراد اليمين الذي يقتضيه الشرع في محله ولذا قال الحالف من غير
تعيين فلا وجه لصرفه للعان من غير ما يشعر به في العبارة وظن بعضهم أن يمين الحالف
المراد بها اليمين مع شاهد واحد الذي حكم به بعض الأئمة ولا حاجة تدعو له وبمراعاة
الأشبه أي ما هو أكثر شبها بالحق بما فيه من التراجيح وظن بعضهم أن الأشبه المراد
به شبه الولد في الملاعنة ومما حكم فيه بالظاهر اللقطة وما فيها من معرفة العفاص
وهو بكسر العين المهملة وفاء مفتوحة مخففة قبل الألف وصاد مهملة وهو وعاء
من جلد ونحوه يوجد فيه ما التقط والوكاء بكسر الواو وما يربط به فإذا عرف فيها وجا
طالبها يسأل عن أماراتها فإذا بينها اندفع له لغلبة الظن بأنه صاحبها وهو إشارة
لما ورد في الحديث الصحيح وعرفها سنة ثم احفظ عفاصها ووكاءها فإن جاء
أحد يخبرك بها وإلا فانفقها مع مقتضى حكمة الله تعالى في ذلك أي اقتضت حكمة الله
تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام أن يحكم بالظاهر ليقتدي به من بعده من
حكام أمته ولو أراد أن يطلعه الله في كل قضية على حقيقتها فعل ولكنه لا يتيسر
لمن بعده اتباعه في أحكامه وهذه الأحكام وإن خالفت الواقع لا خطأ فيهما
لأنه مأمور بالحكم به وليس من قبيل اجتهاده حتى يقال إنه لا يخطئ فيه ولا
يقر على الخطأ قياسا على ما تقدم وهو ظاهر جدا فإنه صلى الله عليه وسلم لو شاء
لأطلعه الله على أسرار عباده أي ما خفي منها فأراد الله أن لا يطلعه وأنه إذا
أطلعه لا يظهر لهذه الحكمة ومخبآت ضمائر أمته أي ما أضمروه وأخفوه في أنفسهم
مما لا يطلع عليه إلا الله عالم الغيب وهي جمع مخبأة اسم مفعول مشددة الباء أي
مكتومة غير ظاهرة وخبايا الأرض في الحديث الزرع لاستتاره إذا بذر وفي الحديث
ابتغوا الرزق في خبايا الأرض وقال الشاعر

تتبع خبايا الأرض وادع مليكها لعلك يوما أن تجاب وترزقا

فتولى الحكم بمجرد يقينه وعلمه يعني لو أطلعه الله على السرائر ليحكم بها كان
يحكم بعلمه فيها دون حاجة له في حكمه إلى اعتراف أي إقرار من الخصم أو بينة
تشهد عليه أو يمين تتوجه على المنكر أو شبهة أي مشابهة في الأمر المحق
كما تقدم والأمر بخلافه لكن لما أمر الله أمته في اتباعه في أحكامه التي
شرعها لهم والاقتداء به في أفعاله المشروعة وأحواله وقضاياه أي
أحكامه صلى الله عليه وسلم التي قضى بها لأمته وسيرته المأثورة عنه
صلى الله عليه وسلم في غزواته وغيرها وكان هذا الأمر الذي أمر باتباعه
فيه لو كان مما يختص صلى الله عليه وسلم بعلمه الذي أعلمه الله به مما خفي
على غيره ويؤثره الله تعالى به أي يخصه صلى الله عليه وسلم به دون
أمته لأنه وحي منه أو إلهام له لم يكن للأمة سبيل أي طريق لهم للاقتداء به
في شيء من ذلك لعدم علمهم به لأنه مما آثره الله به ولا قامت حجة بعده
صلى الله عليه وسلم بقضية من قضاياه في أمر من الأمور الدينية لأحد من حكام

امته وخلفايه في شريعته واحكامه لانا لانعلم ما اطلع عليه باطلاع الله له على ما خفي منه
هو في تلك القضية لحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون اي الخفي من اعلام الله له بما اطلعه
عليه من سرائرهم التي اخفاها عن غيره من الامة وهذا مما لا يعلمه الامة لانه تعالى لا يظهر
على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فاجرى الله احكامه الشرعية على ظواهرهم
التي يستوي فيها هو صلى الله عليه وسلم وغيره من البشر من امته في زمنه وبعده
وهذا باعتبار اكثر احواله والا فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم انه يجوز له
ان يحكم بعلمه وقد اطلعه الله على كثير من السرائر والمضمرات لكنه لم يومر بالحكم بها
للحكمة المذكورة وقد امر بعض الانبيا بالحكم بالامور الباطنية كالخضر على القول
بنبوته وهو الاصح كما مر لكنه لم يكن له امة تقتدي به ولذا انكر عليه موسى
عليه الصلاة والسلام قبل اطلاعه على انه اذن له فيه فلما علمه سلم له
وللسيوطي رسالة في ان نبينا صلى الله عليه وسلم كان له الحكم بالباطن ايضا اذا لم
يخش من التهم وساق امورا منها فقمنا بالانطباق هاهنا وحكمه على الظاهر كان تارة
بالقضا وتارة بالسياسة والسلطنة اي الامامة العظمى وتارة بالفتوى كما
فصله ابن السبكي في قواعده مع الفرق بينهما فارجع اليه ان اردته ليتم اقتدا
امته في تعيين قضاياه التي وقعت في احكامه بين الناس وبين تقسيم التحتية وفاعله
منهم يعود الى الله عز وجل واقتدا امته بالنصب مفعول له ويجوز فتحها ورفع
اقتدا على الفاعلية وتنزيل احكامه على قواعد شرعه واجرائها في جزئياتها وليأتوا
ما اتوا بعض الحزم اي ليفعلوا ما فعلوا من ذلك اي من قضاياه وتنزيل احكامه على
علم ويقين من سنته اي طريقته في شريعته التي بينها لامته اذ البيان بالفعل
الذي فعله في احكامه اوقع في النفوس واثبت طمانينة منه اي من البيان بالقول
وان وقع لاحتمال اللفظ للتاويل والتجوز وتاويل المتاول بخلاف الفعل فانه
لا يجري فيه مثله مع موافقته للظاهر فلا خفاء فيه وكان حكمه اي الفعل لا النبي صلى
الله عليه وسلم كما قيل على الظاهر اجلى بالجيم افعل تفضيل اي اظهر واوضح
عطف تفسير في البيان لكل احد يشاهده في وجوه الاحكام جمع وجه وهو ما يتوجه
منه ويحمل عليه كما يقال في هذا وجهان اي توجيهان وجعله من قبيل لجين الما
او الاستعارة المكنية والتخييلية كما قيل صرف له عن الظاهر من غير داع له
واكثر فائدة لموجبات بفتح الجيم اي ما يقتضيه التشاجر وهو بضم الجيم مصدر
بمعنى الخصام الواقع في المنازعات والدعاوي من شجر بينهم كذا اذا وقع وجرى
وفي الحديث اياكم وما شجر بين اصحابي اي وقع بينهم من امور اقتضاها الاجتهاد
وانما كان الفعل اظهر لانه مشاهد محسوس وفي الحديث ليس الخبر كالمعاينة
فان الله تعالى اخبر موسى عليه الصلاة والسلام بما فعل قومه بعده فلم يلق
الالواح فلما عاين ذلك القاها رواه الطبراني وغيره وهو حديث صحيح وزعم
بعضهم ان القول اقوى لان الفعل قد يطول فيتاخر البيان ورد بان القول
قد يطول ايضا وليقتدي بذلك الفعل الصادر عنه حكام امته بعده
وليستوثق اي يتمسك بما يؤثر عنه اي بما روي او ينتظم وينضبط على القواعد

دبجي

الشرعية

تلساني

الشرعية وفيه روايتان احداهما انه مبني للمعلوم بسين مهملة بمعنى انتظم وهو استفعال من الاتساق قال تعالى والقمر اذا اتسق والثانية انه روي بمثلثة بعد الواو ومبني للمجهول اي يتمسك بما يؤثر عنه اي ينقل نقلا صحيحا ثابتا وفي بعض الحواشي انه تصحيف وليس كما قال لانه المستعمل من الاول الاتساق دون الاستفعال فكلاهما صحيح خلافا لمن رد الثاني وينضبط قانون شريعته وهي القضايا الكلية المنطبقة على جزئياتها فيتعرف منها احكامها حلا وحرمة وغيرهما ثم اجاب عن سؤال مقدر فقال وطوى ذلك عنه اي اخفاه مستعار من طوى المتاع في صوان له وفيه اشارة لجلالته ونفاسته وانما اخفاه لانه من علم الغيب المغيب عن غيره الذي استاثر اي انفرد واختص به عالم الغيب عز وجل فلا يظهر على غيبه احدا من خلقه الا من ارتضى لعلمه من رسول بيان للمرتضى فيعلمه منه اي يطلعه على بعضه بما شاء بوحي او الهام او فراسة ليكون معجزة له او كرامة اكرمه الله بها وبما شاء اي يختص بما شاء مما طوى علمه عن غيره فانه لا يعلم جميع المغيبات الا الله والرسول في الاية من البشر او رسل الملائكة وفيه كلام ذكرناه في حواشي القاضي وقد اطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على كثير من المغيبات وحديث حذيفة بن اليمان في الفتن التي تحدث الى اخر الزمان حديث طويل مشهور وخطبته صلى الله عليه وسلم التي ذكر فيها ما سيقع لامته مذكورة في بعض كتب الحديث وقد فصله ابن كثير في كتاب الفتن ولا يقدح هذا اي عدم اطلاعه على بعض المغيبات في نبوته صلى الله عليه وسلم وكونه مرتضى للرسالة ولا يفصم بالفاء والصاد المهملة قالوا هو الكسر من غير ابانة وفسر بالكسر والحل والثاني انسب بقوله عروة من عصمته والعروة ما يدخل فيه الزر وما يعقد به شبه عصمته وحفظه بلباس سائر له لم يعري وارتداد بتمسكه بطريق الاستعارة المكنية المخيلة لان للعصمة جهات يتمسك بها وهو دفع لشبهة وردت وهو انه صلى الله عليه وسلم اذا حكم بظاهر يخالف الواقع توهم انه مخالف لعصمته وليس كذلك لانه مامور به لحكمة تقدمت

## فصل وأما أقواله

صلى الله عليه وسلم الدنيوية اي المتعلقة بامور الدنيا التي لا تعلق لها بالشرع من اخباره عن احواله التي لها تعلق به صلى الله عليه وسلم في نفسه وساير اموره واخباره عن احوال غيره الدنيوية وما يفعله هو في المستقبل او فعله فيما مضى مما صدر منه صلى الله عليه وسلم فقدمنا ان الخلف هو بضم الخاء وسكون اللام اعم من الكذب لانه يكون في الامور التي يعتبر بها بجملة الثابتة وفيها ممتنع عليه صلى الله عليه وسلم فلا يصدر عنه امر يخالف نفس الامر لانه معصوم في اقواله وافعاله في كل حال من احواله البشرية وعلى اي وجه من وجوه احواله التي يقع عليها وبينه بقوله من عمد او سهو وصحة او مرض ورضى او غضب فانه صلى الله

عليه وسلم معصوم منه اي محفوظ من الله عن ان يصدر عنه خلف في شيء من اخباره
هذا الامر الذي عصم فيه من اقوال فيما طريقه الخبر المحض اي طريقه التي ورد فيها قوله وخبره
اذا كان من الخبر المحض اي الصريح الذي ليس من قبيل المعاريض التي يراد بها التورية فيما يدخله
الصدق والكذب يعني الخبر فانه ما يحتمل الصدق والكذب في حد ذاته بقطع النظر عن
عوارضه فاما المعاريض جمع معراض من التعريض خلاف التصريح وهو النص الذي لا يحتمل
التاويل من القول يقال عرفته في معراض كلامه وفي معرضه بغير الف وفي الحديث ان في
المعاريض لمندوحة عن الكذب الموهم ظاهرها وهو صريح لفظها الموضوع له خلاف
باطنها اي ما خفي منها مما اريد به لقصد التورية فجائز ورودها بالتلفظ بها
ويقصد غير ظاهرها منه صلى الله عليه وسلم في الامور الدنيوية دون الامور الشرعية
لا سيما لقصد الكلام عليها وانها استثناء عند النحاة يكون ما بعدها اولى بالحكم مما قبلها
لقصد المصلحة اي اذا كان في اخفاء المعاريض مصلحة ومنفعة كتوريته صلى الله
عليه وسلم عن وجه مغازيه اي جهته صلى الله عليه وسلم التي يتوجه اليها
في غزواته فان فيها مصلحة والتورية عندهم ان يكون اللفظ له معنيان قريب وبعيد
فيقصد البعيد وهي تفعلة من الورا كانه وراه لستر المراد منه بابهام غيره لئلا
ياخذ اي يتاهب العدو الذي قصد غزوه حذره بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة
فراء مهملة اي يتيقظ لما يحذره ويخافه فلا يفرط فيه وفي البخاري لم يكن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها وفي قوله ياخذ حذره
دون يجد به كلام في الكشاف وشروحه وكما اي مثل توريته ومعاريضه في غزواته
ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من ممازحته المزاح معروف ويسمى احيانا
ودعابته بضم الدال وبالعين المهملتين وموحدة وهي بمعنى الممازحة
وذكرها لورودها في حديث كان فيه صلى الله عليه وسلم دعابة وقيل في علي ابيها
لولا دعابة فيه وانما كان يفعله احيانا للبسط امته اي ليسرهم ويشرح صدورهم
وقد ورد البسط بهذا المعنى في اللغة على طريق التجوز لان المعبس يعقد
اسارير وجهه وعند الفرح يبسطها فيتسع وفي امثال العامة البسط صدق
وهو البشاشة وطلاقة الوجه وتطبيب قلوب المؤمنين من اصحابه وفي نسخة
من صحابته ومن بيانية او تبعيضية اي جعلها طيبة مسرورة وتاكيدا في محبتهم
وفي نسخة تحبيبهم لان المرء انما يمازح من يحبه ويطرح التكلف بينه وبينه
ومسرة نفوسهم كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود والترمذي
عن انس وصححاه لاحملنك على ابن الناقة وروي عن ابي هريرة ايضا وهو انه
صلى الله عليه وسلم قال له رجل كان فيه بله يا رسول الله احملني فباسطه
صلى الله عليه وسلم بما عساه ان يكون ثم قال له انا احملك على ابن الناقة فسبق
لخاطره من لفظ البنوة استصغاره فقال يا رسول الله ما يغني عني ابن الناقة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويلك وهل يلد الجمل الا الناقة وانما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك معهم اذهابا لوحشتهم ولما يجله صلى الله عليه وسلم
من مهابته في نفوسهم فيؤانسهم بذلك وليعلم الناس حسن الخلق في المعاشرة وما

وردمن النهي عن المزاح انما هو عن كثرته المفرطة واستعماله مع كل احد في غير محله فكان
صلى الله عليه وسلم يلاعب الاطفال ويمسح المائي وجوههم وافواههم والاخبار في هذا
الباب مبسوطة في كتب الحديث وامور صلى الله عليه وسلم مع البدوي الذي كان يسمى
زهيرا مشهورة ثم اشار الى بيان ذلك بقوله وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
ابن ابي حاتم وغيره للمراة التي سالته عن زوجها كما اخرجه ابن ابي الدنيا عن زيد بن
اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له ان زوجي
يدعوك فقال لها من هو اهو الذي بعينه بياض فقال لها صلى الله عليه وسلم ما من
احد الا بعينه بياض يعني به البياض المحيط بالحدقة وهي توهمته غشاوة على حدقته
مضرة بالبصر واللفظ يحتملهما والاستفهام تقريري ثم اشار الى بيان ذلك بقوله
وهذا الذي قاله صلى الله عليه وسلم مداعبة كله صدق فان كل جمل ابن ناقة لصدق
الابن على الصغير والكبير وان تبادر منه صغره عرفا وكل انسان بعينه بياض يحيط
بحدقته وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه احمد والترمذي والطبراني
عن ابن عمر وابي هريرة بسند حسن اني لامزح ولا اقول الا حقا ولفظ الحديث انهم قالوا
له يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني اذا داعبتكم لا اقول الا حقا فالنهي عنه في
قوله لا تمار اخاك ولا تمازحه وقول عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقول
ابن العاص يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدني فيجترئ عليك محمول
على الكثرة منه في غير محله وعلى غير سنته صلى الله عليه وسلم فمثله مذموم
منهي عنه هذا كله اي ما صدر من ممازحته على وجه الحقية وغيرها فيما بابه
اي نوعه الوارد فيه الخبر اي الاخبار بما له نسبة خارجية كما مر فاما ما بابه غير
الخبر من الانشاء مما صورته صورة الامر والنهي المعروفين عند اهل العربية في
الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا القول بضد ورمنه لعصمته ولا يجوز عليه
صلى الله عليه وسلم ان يامر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو صلى الله عليه وسلم
يبطن خلافه ويجمله حالية لبراءته من الامر والنهي بخلاف ما عنده وقد قال صلى
الله عليه وسلم ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان تكون له خائنة
قلب ان تكون فاعل فعل اي ينبغي ان يكون الخ هذا هو الظاهر وكونه مبتدا تكلف
لا داعي له وخائنة مصدر بمعنى خيانة كالعافية وخائنة الاعين ان يضمر في نفسه
غير ما يظهر فاذا اراد اظهاره او ما يعينه ولظهوره من العين نسب لها قال تعالى
يعلم خائنة الاعين اي ما يخون فيه بمسارقة النظر والغمز وخائنة القلب
خيانته فاذا لم يجز له ان يشير بطرفه بخلاف ما في قلبه فكيف بهذا قالوا وهذا من
خصائص الانبياء انهم لا يجوز لهم هذا المنافية من ارتكابه ما لا يليق بهم وهذا من حديث
رواه الحاكم والنسائي وابو داود وهو انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة
امرهم ان لا يقاتلوا الا من قاتلهم الا نفرا سماهم وامر بقتلهم وان وجدوا
تحت استار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري وكان ممن اسلم
وهاجر وصار كاتب الوحي ثم ارتد وذهب لقريش وقال ما بلغه صلى الله
عليه وسلم من انه كان يكتب في الوحي بعض كلام له كما مر وكان اخا لعثمان من الرضاع

وعينه ثم اتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اطمان الناس فاستامنه من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسكت طويلا ثم قال نعم فلما انصرف قال صلى الله عليه وسلم
ما سكت الا ليقوم احد ليضرب عنقه فقال رجل من الانصار هلا اومات لنا يا رسول الله
فقال ما كان لنبي ان يومى ثم حسن اسلامه وهو احد النجبا الكرما الفضلا فان قلت فما
معنى قوله تعالى في قصة زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي كانت خديجة رضي الله عنها
اشترته ووهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة بمكة وهو اسن من
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر او عشرين سنة فتبناه صلى الله عليه وسلم
حتى كان يقال له ابن محمد حتى نزل عليه قوله تعالى ادعوهم لابائهم وكان قدم ابوه وعمه
لفدائه فقالوا لرسول الله يا ابن عبد المطلب انتم اهل حرم الله وجيرانه وقد جيناك
في ابن لنا عندك قال من هو قالوا زيد قال فهلا غير ذلك قالوا ما هو قال اخيره
فان اختاركم فهو لكم وان اختارني فهو لي فدعاه وخيره فاختار رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال انت مكان الاب والعم فقالوا ويحك تختار العبودية على
الفدية والحرية قال نعم قد رايت منه ما لا اختار عليه احدا غيره فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمن حضره اشهدوا انه ابني يرثني وارثه الى اخر ما ذكر في السير
واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه الاية وهذا السوال وارد على قوله
انه صلى الله عليه وسلم لا يامر بخلاف ما في نفسه ولم يكن له منه خاينة قلب
لان قوله امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى
الناس والله احق ان تخشاه مناف له بحسب الظاهر وانعام الله عليه بهدايته
للاسلام وما وسع عليه في الدارين وانعام الرسول عليه باعتاقه عليه الصلاة
والسلام وتقريبه ومحبته له وكانت زوجة زينب بنت عمته عليه الصلاة والسلام
اميمة بنت عبد المطلب وكانت من اجمل النسا واشرفهن فاتى صلى الله عليه وسلم
زيدا لحاجة فلم يجده فوقع نظره عليها فاعجبه حسنها ووقعت في قلبه اعظم
موقع فقال سبحان مقلب القلوب وانصرف فلما جاها زيد اخبرته بذلك ففطن
زيد لوقوعها في قلبه والقى الله في نفسه كراهيتها فقال يا رسول الله اني
اريد مفارقة زوجتي قال له ما رابك منها قال ما رابني منها شي وما رايت صاحبي
منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي وتوذيني بلسانها فقال له صلى الله عليه
وسلم امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فابى وطلقها فاجاب عنه
المصنف بقوله فاعلم ايها السايل عن هذه القصة اكرمك الله عز وجل كما اكرمت
مقام النبوة ونزهته عما لا يليق به ولا تستزلك الشيطان فتقع في ريبة وشك في شي من
اموره صلى الله عليه وسلم والشك الريب قلق النفس واضطرابها ثم نقل
للشك وفي الحديث الشك ريبة والصدق طمانينة اي لا تشك في تنزيه النبي
صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر من الاية من انه صلى الله عليه وسلم اخفى
في نفسه امرا لخشية طعن الناس فيه بحبها وارادة طلاقها وامره بامساكها
وهو يريد خلافه كما قال واذ يامر زيدا بامساكها في عقد نكاحه ولا يفارقها
وهو صلى الله عليه وسلم يحب تطليقه اياها ليتزوجها كما ذكره جماعة من المفسرين

بانه

بانه اظهر خلاف ما في نفسه واخفى مما لم يرده وانه خشي قالة الناس فيه كما نقل بعضهم عن قتادة
وابن عباس وهو غير لايق بمقامه واصح ما قيل في هذا الامر المذكور في هذه الاية ما حكاه بعض
اهل التفسير وفي نسخة رواة التفسير عن زين العابدين علي بن حسين بن علي بن ابي
طالب رضي الله عنهم وقيل المراد بعلي بن الحسين بن طلحة بن ابي طالب احد الشيعة ان الله كان
قبل وقوع هذه القصة اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان زينب بنت جحش ستكون من
ازواجه امهات المومنين بعد ما تزوجها زيد وهي تحت نكاحه فلما اشكاها اليه زيد بانها
تتعظم عليه لشرفها وهو من الموالي قال له امسك عليك زوجك لانه تم من شكايته
انه سيتاذنه في طلاقها واتق الله فلا تؤذها بوصفها بالتكبر وطلاقها بلا سبب
واخفى منه اي من زيد في نفسه لم يصرح له به حيا منه ان يطلع الناس على انه سيتزوجها وان
لم يكن فيه امر مستقبح وانما كتم سره وما اعلمه الله به من انه سيتزوجها وفي نسخة سيتزوجها
الله له مما الله تعالى مبديه ومظهره بابرازه في الخارج بتمام التزويج وطلاق زيد
لها كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم الاية قال
ابن العربي فان قلت فلم قال له امسك عليك بعد ما اخبره الله بانه سيتزوجها له
قلت ليعلمه ما لم يعلمه من كراهية زيد لها ورغبته في طلاقها حتى لا يبقى في نفسه
شيء منهما وعلى هذا التفسير لم يبق اشكال في القصة اصلا وروي نحوه عن عمرو بن
فايد بفا والف وهمزة ودال مهملة وفي الاكمال انه بالقاف والفاء وذكره الذهبي فقال
عمرو بن قايد الاسواري وقال الدارقطني وغيره انه ضعيف متروك الحديث معتزلي
قدري لا يقيم الحديث وهو بصري يكنى ابا علي قال البرهان وهو في النسخ التي وقفت
عليها بالقاف وفيه نظر عن الزهري بن شهاب كما تقدم قال نزل جبريل على النبي صلى
الله عليه وسلم يعلمه مضارع من الاعلام ان الله يزوجه زينب بنت جحش وقيدها
ببنت جحش ليخرج غيرها فان من امهات المومنين زينب اخرى هي بنت خزيمة ام
المساكين فذلك هو الامر الذي اخفى في نفسه لاستحيائه من اظهاره ويصحح هذا الذي
رواه الزهري قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا في اخر الاية وكان امر الله مفعولا
لافادته انه امر اراده قبل ذلك ونفي عنه الحرج في تزويج منكوحة من تبناه
لانه ليس كالولد الحقيقي اي لا بد لك ان يتزوجها لانه قدره ازلا وانما تزوجها
لحكمة رتب عليها احكاما شرعية ويوضح هذا الامر الذي قرره المفسرون ان الله لم يبد
اي لم يظهر من امره اي من شانه صلى الله عليه وسلم في هذه القصة معها اي مع
زينب رضي الله عنها غير زواجه لها اي تزوجه اياها فدل ما ابداه الله من امره
على انه اي تزوجها له بامر الله هو الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم في نفسه
لانه اخفى في نفسه غير ما امر الله به وانما الذي اخفاه شيء مما اعلمه الله به
لا غيره مما توهموه فانه تعالى لم يبد شيئا غير زواجه لها فدل على انه هو
الذي اخفاه كما تقرر ولو كان امرا اخر لابداه وما في الكشاف من قوله فان
قلت فماذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد اريد ان افارقها وكان من
الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها قلت الذي اراده تعالى منه ان
يصمت او يقول له انت اعلم بشانك انتهى نزعة اعتزالية في تخلف الارادة

فاحد زوجها وقوله تعالى في القصة اي قصة زينب المذكورة ما كان على النبي من حرج الاية فيما فرض الله له سنة الله والحرج في الاصل الضيق واريد به الاثم اي لا اثم عليك فيما قدر لك ووسع عليك في امر النكاح وسنة الله منصوب على الاغرا او هو مصدر لفعل علم من السياق اي سن ذلك سنة وطريقة شرعية كانت لمن قبلك من الانبيا في تزويج من تريدا او في تعدد المنكوحات وكثرتها كما وقع لداود وسليمان وغيرهما من الرسل وفرض بمعنى قضى وقدر لا من الفرض مقابل السنة ففي ذكره مع السنة تورية وطباق بليغ فيه من اللطف ما لا يخفى حسنه فدل ما ذكر من قوله ما كان على النبي من حرج على انه لم يكن عليه صلى الله عليه وسلم حرج اي تضييق ولا اثم يقتضي العتاب عليه في الامر الذي فعله وقد قدره الله له واعلمه به وقال الطبري محمد بن جرير وقد تقدم ترجمته ما كان الله اي ما فعل وقدر ان يؤثم نبيه عليه الصلاة والسلام اي يوقعه في اثم وذنب فيما احل مثال فعله اي احل مثله لمن قبله من الرسل يعني ان الاية دالة على ان ما فعله لا اثم فيه لانه قال تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي مضوا وتقدموا اي من قبلك من النبيين فيما احل لهم فلما قال ان ما فعلته من سنن الانبيا الذين قبلك دل على انه امر مشروع لا اثم فيه فدلت الاية على بطلان غير ما قيل لدلالة الاية عليه تصريحا ظاهرا ولو كان الامر على خلاف ما ذكر وتفسير ما اخفاه بما ذهب اليه غيره على ما روي في حديث عبد بن حميد عن قتادة وقوله فيما نقل عنه من وقوعها اي زينب رضي الله عنها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم اي انه لما راها وقعت في قلبه موقعا عظيما لشغفه بها عند ما اعجبته بحسنها الذي راعه ومن محبته طلاق زيد لها ليتزوجها لتعلق قلبه بمحبتها لكان فيه اعظم الحرج اي الاثم غير اللائق به والضيق على زيد بارادته مفارقة منكوحته وحاشاه من مثله ولكان ايضا فيه ما لا يليق به اي لا يحسن صدوره منه ولا ينبغي له من مد عينيه الى ما نهي عنه اي عن طلبه وتمنيه ومد العين اطالة النظر حتى لا يرده لاستحسانه له وهو تنعدير مضاف او تجوز في العين وهو كناية عن تطلب الامر وارادته ارادة قوية وبين المنهي عنه بقوله من زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وزخرفها وبهجتها وهذا اشارة الى ما وقع في القران العظيم تمثل به لانه نزل لما وردت سبع قوافل من بصري فيها طيب وامتعة نفيسة فقال المسلمون لو كان لنا هذا انتقوينا به وانفقناه في سبيل الله فانزل الله عليه ولقد اتيناك سبعا من المثاني الاية اي هذه خير لكم من القوافل السبع فلا تمدوا اعينكم نحوها وكل هذا لا يليق بمقامه وزهده في الدنيا فما قيل من ان مجرد وقوعها في قلبه صلى الله عليه وسلم من غير ان يبدو منه شي لا اثم فيه وكذا محبته وميله لطلاقها من غير تكلم به لا اثم فيه فكيف يكون اعظم الحرج فيه نظر وكان هذا اي لو كان مما اخفاه صلى الله عليه وسلم في نفسه تعدد ما اعجبته زينب وارادة ان يطلقها اي لو صح هذا لكان من الحسد المذموم لان الزوجة الحسنا نعمة من الله لها وهو بذلك يريد زوالها عنه وقيد بالمذموم لان الغبطة حسد غير مذموم لان معناه ان يتمنى ان يكون له

عمي

نعمة

نعمة كنعمة غيره من غير تمني زوالها وهذا في امور الدنيا لا في الدين وابتع الحسد
تمني زوال النعمة لغيره لا تحصل له الذي لا يرضاه صفة للحسد ولا يتسم به اي لا يتصف
به من الوسم وهو العلامة والمعنى ان يكون بكي ونحوه كما مر الانبيا تنازعه يرضي
ويتسم فكيف بسيد الانبيا الذي هو اعظمهم واشرفهم نفسا صلى الله عليه وسلم
والاستفهام لتعجبي انكاري والمراد به استبعاد صدور الحسد منه ومنهم صلى الله عليه
وعليهم وسلم قال القشيري عبد الكريم بن هوازن صاحب الرسالة الامام المفسر
الزاهد شيخ الصوفية وراس الشافعية المشهور وهذا المنقول عن قتادة من انه
صلى الله عليه وسلم راها فاعجبته واراد طلاقها اقدام من قايله او لا ودون حاكيه
عنه اي جراة على مقام النبوة وقلة معرفة بل عدم معرفة بحق النبي صلى الله عليه
وسلم الذي يجب ان يعتقد فيه وبفضله اي زيادته على غيره في الشرف وعلو الرتبة
عن امور الدنيا وكيف يقال انه صلى الله عليه وسلم راها فاعجبته بما يقتضي انه
لم يرها قبل ولا يعرفها وهي بنت عمته عليه الصلاة والسلام لانها بنت اميمة
بنت عبد المطلب كما مر ولم يزل يراها منذ ولدت الى ان بلغت فهو صلى الله عليه
وسلم يعرفها ويعرف جمالها وكيف لا يعرفها ولا كان النسا ولو اجنبيات يحتجبن
منه صلى الله عليه وسلم لعصمته فتنهن بعفته وعصمته وهو الذي زوجها لزيد
مولاه رضي الله عنه وانما جعل الله طلاق زيد لها اي لزينب بعد ما زوجها
له وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها بما قدره وامره به كما تقدم لحكمة
ولهذا لم يتزوجها قبل زيد ليعلمهم حكما شرعيا وهو ما اشار اليه بقوله لازالة
حرمة التبني اي اتخاذ ابن غيره ابنا له لئلا يظن الناس انه يحرم تزوج حليلة من
تبناه كما يحرم بين الاب وابنه الحقيقي حليلة كل على الاخر وابطال سنته اي الطريق
الجارية بين الناس في جعل التبني ابنا حقيقة يحرم منه ما يحرم منه كما كان في الجاهلية
وما قيل من ان القول الذي رده المصنف ثابت بالنقول الصحيحة ثم فسره بما ارتضاه
المصنف تخليط لا حاجة للاطالة به الا ان ايمة الشافعية قالوا انه من خصايصه
صلى الله عليه وسلم انه يجوز له النكاح بغير الرضى وانه اذا رغب في نكاح امراة
لزم اجابته وحرم على غيره خطبتها فان كانت تحت زوج وجب عليه طلاقها لانه
يجب على كل احد ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه
واهله وولده كما قاله العراقي وقال ابن حجر في شرح البخاري الذي صح بالادلة
القوية ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم جواز الخلوة بالاجنبية والنظر
اليها كما كان يدخل على ام حرام وينام عندها وتغسل راسه وهي اجنبية منه
وكان صلى الله عليه وسلم زوج زيدا زينب كما مر وساق مهرها من عنده
وكانت هي واخوها ابيا ان ذلك لشرف النسب وقرابة النبي صلى الله عليه وسلم
وكان لها رضي الله عنها حدة وشهامة كما قال تعالى في بيان هذه القضية
وما فيها من الحكم ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي ليس ابا حقيقيا لاحد
منهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يعش له ولد ذكر وابنه ابراهيم مات
صغيرا لم يبلغ سن الرجولية ومن جوز ان يقال له اب المؤمنين كما يقال

لستأ به امهات المؤمنين فانما هي ابوة شفقة وتعظيم وكان زيد رضي الله عنه يقال له ابن
محمد فلما نزلت الاية لم يقل له ذلك فعوضه الله عنه بذكر اسمه في القران المتلو في المحاريب
ولم يقع هذا لغيره من الامة واما الحسن والحسين رضي الله عنهما فليست بنوتهما
حقيقية كما لا يخفى فلا يثبت لاحد حكم البنوة الحقيقية منه صلى الله عليه وسلم ولذا
قال الله عز وجل في هذه الاية لكيلا يكون على المؤمنين حرج اي تضييق في امر النكاح
وهو تعليل لقوله زوجناكها اي شرعنا لك ذلك توسيعا على الامة لا خاصية لك في
ازواج ادعيائهم جمع دعي بمعنى مدعو وهو من يلصق نسبه بنسب غيره وليس بينهما
بنوة حقيقية وقوله اذا قضوا منهن وطرا بالتزوج والنكاح ونحوه اي مثل ما ذكر
وبمعناه معز ولابن فورك تقدمت ترجمته وقال ابو الليث السمرقندي تقدم بيانه
ايضا فان قيل اذا كان الله قدر له صلى الله عليه وسلم تزوجها ورغبه له فما
فائدة امر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بامساكها لقوله امسك عليك زوجك
فهو ان الله اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها زوجته صلى الله عليه وسلم
فنهاه اي نهي النبي صلى الله عليه وسلم زيدا عن طلاقها او اخراجها من زوجيته
اذ لم يكن بينهما اي بين زينب وزيد وهو تعليل لنهيه الفة اي محبة لانها
لم ترض بنكاحه لشرفها وكانت تطيل لسانها عليه فالقى الله في قلبه كراهتها حتى احب
فراقها ليقضي الله امرا كان مفعولا واخفى في نفسه ما اعلمه الله به من انه قدر لها
نكاحها له وامره به فلما طلقها زيد خشي صلى الله عليه وسلم قول الناس باعتبار
ما اعتادوه في الجاهلية انه يتزوج امراة ابنه لتوهمهم ان التبني كالبنوة
الحقيقية وانما خشيه وهو لا اثم فيه كراهة القيل لمن لا يعرف حقيقة الحال
كما هو حقيقة الاشراف فامره بزواجها ازالة لما خشاه ليباح ذلك لامته اقتداء
به صلى الله عليه وسلم توسعة عليهم كما قال لكي لا يكون على المؤمنين حرج
في ازواج ادعيائهم فنفى عنهم الحرج لينفيه عنه بالطريق الاولى تطييبا لنفسه
صلى الله عليه وسلم وازالة لطعن الجهلة وحاصل تاويل ما وقع في هذه القصة
مما يخالف ظاهره ما يقتضيه مقامه لامره بما يريد خلافه ومحبته لها وهي تحت
نكاح غيره فاشار الى الجواب عما ذكر وقد قيل كان امره صلى الله عليه وسلم لزيد
بامساكها قمعا للشهوة اي منعا لها وزجرا لها يقال قمعه فانقمع اذا كفه ورده
والشهوة ميل النفس لما تستلذه ورد للنفس عن هواها اي عما تهواه من الصور
الجميلة وحكاه بقيل اشارة الى انه غير مرضي عنده فلا وجه لاستحسانه لانه
صلى الله عليه وسلم لم يكن في نفسه هوى وحاشاه من مثله وهذا اذا جوزنا
عليه صلى الله عليه وسلم انه راها فجاة واستحسنها لا سيما وقد مر انه صلى الله
عليه وسلم كان راها قبل وكان يعرفها ويعرف جمالها الا انه ليس بمنكر ولذا
قال ومثل هذا القيل على ما فيه لا نكرة فيه اي لا تنكر محبته في الجملة والنكرة
ضد المعرفة في اصطلاح النحاة واصلها كل ما لا يعرف فنقل وخص لما طبع
عليه ابن ادم من استحسانه الحسن من الصور وغيرها مما يشاهد وغيره ونظرة
الفجاة اي النظر الذي وقع بغتة من غير قصد والفجاة بضم الفا والمد ويجوز

عرضي

فضم بضم وسكون والفجاة بالفتح المرة منه معفو عنها اي لا حرج فيها ولا اثم لانها لو تقصد
وهو جواب عن سؤال تقديره كيف نظر صلى الله عليه وسلم لغير محرم مشتهي ثم فجع نفسه
عنها بصيغة الماضي ويجوز ان يكون مصدرا وكذا في قوله وامر زيدا بامساكها في نكاحه
وتقوي الله فيها بعد ذكر ما يعيبها وانما ينكر تلك الزيادات التي ذكرها بعض المفسرين
في العصمة من انه تعلق قلبه صلى الله عليه وسلم بها واراد ان يطلقها واخفى ذلك
في نفسه ونحوه مما لا يليق بنزاهته والتعويل اي المعول عليه المعتمد في هذه القصة

ابن الفرس

على ما ذكرناه وهو القول الذي ارتضاه والقول بانه لا باس فيما قالوه لا وجه له
وهو الاولى وان جاز غيره لكنه لا يناسب مقامه وان كان جايزا فتنبه ما ذكرناه عن علي
ابن الحسين وهو الامام زين العابدين كما تقدم وحكاه السمرقندي في تفسيره كما
تقدم وهو قول ابن عطا رحمه الله وتقدمت ترجمته وصححه اي جزم بانه القول
الصحيح واستحسنه القاضي القشيري لما فيه من صيانة مقام النبوة عما لا يليق
واعتمده وعليه قول ابو بكر بن فورك تقدم ضبطه في ترجمته مع ما فيه وقال
انه اي هذا القول الذي اعتمده معنى ذلك اي المذكور في هذه الاية والقصة
عند المحققين من اهل التفسير قال اي ابن فورك رحمه الله والنبي صلى الله
عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك اي عن ان يظهر امرا في نفسه خلافه
وان كان امرا جايزا له والنفاق في الاصل معناه الاخفا ماخوذ من نافقا اليربوع
وهو محجره الذي يخفيه ثم نقل في الشرع لاخفا الكفر واظهار الاسلام واستعمل
بعد ذلك استعمالا شايعا لاخفا كل امر لا يرتضي ومنه الحديث ثلاث من كن فيه
فهو منافق وعد منها الكذب وغيره كما صرحوا به فلذا قال واظهار خلاف ما في نفسه

ابن الفرس

فهو عطف تفسيري موضح لما اراده فلا وجه لما قيل انها عبارة مستبشعة الى اخر ما
اطال فيه من غير طايل نعم لو تركها كان احسن لكنه حكاها عن غيره فلا عهدة عليه
فيها ومراد ابن فورك التغليظ على قايل هذه المقالة وتغليظه بان من يجوز عليه
صلى الله عليه وسلم مثل هذا مثل من يجوز عليه الكفر والنفاق والمعترض لم
يقف على مراده وقد نزهه الله عز وجل عن ذلك الذي قاله بعض المفسرين بقوله
تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له اي قضى وقدر من تزويجه صلى
الله عليه وسلم زينب فهذا امر صريح في رد ما قاله بعض المفسرين وصريح فيما
ارتضاه قال ابن فورك ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم اي انه وقع
في قلبه محبتها واراد تمنى ان زيدا يفارقها واخفى ذلك في نفسه فقد اخطا خطا
فاحشا ولذا جعل نسبته له كنسبة النفاق له صلى الله عليه وسلم والتعبير به
للتشنيع على قايله وبعد تنزيهه عنه كيف يعترض عليه كما قيل
وما آفة الاخبار الا رواتها قال ابن فورك وليس معنى الخشية هنا يعني في قوله
وتخشى الناس والله احق ان تخشاه الخوف بل معناه المقصود هنا وفي نسخة
معناها اي الخشية وعلى الاولى الضمير للفظ المذكور الاستحيا اي يستحيي منهم
اي من الناس ان يقولوا انزوج زوجة ابنه اي من تبناه وهو زيد وهذا اعني
قوله وعليه قول ابن فورك الى هنا سقط من بعض النسخ واستحياؤه لشرفه العقلي

ان لا يسمع مقالة من احد وان لم يضره شرعًا وتدنس عرضه وان خشيته اي استحياءه
صلى الله عليه وسلم انما كان من ارجاف المنافقين واليهود اي اشاعة ما هو باطل
بزعمهم واصل الرجف الاضطراب وايقاعه اما بالفعل واما بالقول ويقال
الاراجيف ملاقيح الفتن كما قلت

السن الناس اذا ما انطلقت • فهو بذر للبلايا والمحن
فاحذروا لالسن مهما انطلقت • فالاراجيف ملاقيح الفتن

وتشغيبهم من الشغب بغين معجمة ساكنة ومفتوحة وهو ما يؤدي الى
الشر من الاكاذيب على المسلمين بذكر ما ينقص نبيهم صلى الله عليه وسلم
فان ما يسوءهم يسوءهم بقولهم تزوج زوجة ابنه لزعمهم انه غير جائز كالابن
الصلبي جهلا منهم وتعصبا بعد لهيبه اي تحريمها عن نكاح حلائل الابنا
جمع حليلة وهي الزوجة المنكوحة تلبيسا منهم بجعل المتبني كالابن
الحقيقي وقد قال تعالى وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم كما كان اي وقع
من اراجيفهم وتشغيبهم فعتبه الله على هذا عتب محبة وتسلية لعدم
فتحه وتنزهه عن الالتفات اليهم والاعتداد بمقالتهم فيما احله له وقدره
من هذا النكاح من غير حرج فيه وهذا العتاب كما عتبه على مراعاة مرضي
ازواجه المنازل ذلك العتب في سورة التحريم بقوله تعالى يا ايها النبي لم
تحرم ما احل الله لك الاية تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم كذلك
قوله هنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فيما اخفيته مما الله مبديه ومحو
ذلك بلا حرج اي انه مثله في انه عتب ملاطفة وتسلية على ما استحيى منه لشرف
مقامه صلى الله عليه وسلم عن ان يصل اليه غبار الاوهام وقد روي عن الحسن
البصري رضي الله عنه اي رواه الترمذي وصححه وقدمه على قوله وعائشة
رضي الله عنها لانه هو الذي رواه عنها فقدمه على عادة الاسانيد فلا يقال
كان ينبغي تقديمها عليه لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما اوحي
اليه بمعاتبته لكتم هذه الاية اي اية التحريم لا اية زيد وزينب كما قيل لما فيها
علة للكتم من عتبه صريحا وابداء اي اظهار ما اخفاه مما جرى بينه وبين ازواجه
فيها وهذا الحديث فيه انه صلى الله عليه وسلم كان يحب العسل او الحلوى
فدخل على حفصة رضي الله عنها ومكث عندها اكثر من عادته فسال عنه
فقال اهدي لها عكة عسل فسقته منه فاتفقن على ان يقلن له نجد منك
رائحة المغافير وهو شيء كريه الرائحة اذا رعته النحل اثر في عسلها فقال
لا اعود له بعد هذا والقصة مفصلة في كتب التفسير والحديث

# فصل

فيما وقع له صلى الله عليه وسلم في مرض موته مخالفا لما قدمه فان قلت سائلا عما
يخالف ما قررته قد تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم في اقواله
في جميع احواله واوقاته وانه لا يقع منه فيها اي في اقواله المخالف اي

برهان

مخالف

٩٢٧

مخالف للواقع ولا اضطراب اي اختلاف وتناف فهي كلها متساوية لا تختلف في حد وضد
ولا سهو ونسيان ولا صحة في بدنه ولا مرض بتغير مزاجه الشريف ولا حد هو ضد الهزل
ولا مزح كما تقدم ولا رمي على غيره ولا غضب لو وقوع ما لا يرضاه الله فما معنى
الحديث الذي روي عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين في وصيته لاصحابه في
مرض موته الذي حدثنا به الشهيد ابو علي بن سكرة كما تقدم قال حدثنا القاضي
ابو الوليد الباجي وتقدمت ترجمته ايضا قال حدثنا ابو ذر الهروي وقد
تقدم ايضا قال حدثنا ابو محمد بن حمويه السرخسي وابو الهيثم الكشميهني
كما تقدم ايضا وابو اسحاق المستملي وقد تقدم قالوا حدثنا محمد بن يوسف
هو الفربري وقد تقدم قال حدثنا محمد بن اسماعيل هو الامام البخاري قال
حدثنا علي بن عبد الله ابو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن المديني
الحافظ الامام العظيم روى عنه اصحاب السنن وغيرهم وتوفي في سنة اربع وثلاثين
ومائتين وعمره ثلاث وسبعون والمديني بالياء نسبة لمدينة الرسول عليه الصلاة
والسلام قال ابن الاثير وهو في الاكثر يقال مدني والنسبة لمداين اخرى سبعة
وفي الصحاح المدني نسبة لمدينة الرسول والمديني نسبة للمدينة التي بناها المنصور
وقال ابن الصلاح في المسلسل المديني نسبة الى مدينة اصبهان المسماة بجي انتهى
وقد تقدم الكلام فيه ايضا والمديني هذا له ترجمة في الميزان كما قاله البرهان
قال حدثنا عبد الرزاق بن همام الحافظ وقد تقدم عن معمر بن راشد بفتح
الميمين كما تقدم وهذا هو الصواب وما في بعض النسخ من قوله عبد الرزاق
عن همام خطأ لان عبد الرزاق عن همام خطأ لا يروي عن همام واسم ابيه همام
ويروي عن معمر عن الزهري محمد بن شهاب كما تقدم عن عبيد الله بن عبد الله
بحر العلم ابن عتبة الاعمى احد الفقهاء السبعة مشهور توفي في سنة ثمان ومائة
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
احتضر بالبنا للمفعول بمعنى حضره الموت وظهور علاماته وهو محتضر اسم
مفعول بمعنى دنى موته وهو المراد ويقال لمن به مس من الجن وكان هذا يوم
الخميس قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بايام والحديث صحيح رواه البخاري
وغيره واحتضر يكون متعديا ولازما فيقال احتضره بمعنى حضره وفي
نسخة حضر والصحيح الاول وفي البيت يعني بيته صلى الله عليه وسلم رجال
من كبار الصحابة وقرابته رضي الله عنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا
اي اقبلوا علي واصل معناه تعالوا وهذا على من يلحق به الضمائر من بني تميم
واهل الحجاز يستعملونه مفردا مبنيا على الفتح للواحد المذكور وغيره قال
تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا اكتب لكم كتابا بالبيان ما يهمكم في دينكم
ودنياكم حتى لا يقع بينهم اختلاف بعده والمراد امر بكتابته وجوز
بعضهم حمله على ظاهره وانه صلى الله عليه وسلم يكتب بيده وذلك معجزة
له وتقدم ما فيه مرارا لئلا تضلوا اي لا يقع منكم امر تضلون به بعده
اي بعد كتابته والعلم بما فيه والعمل به فقال بعضهم هو صلى الله عليه

عرضي

عمر رضي الله عنه كما سياتي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه اي اشتد وقوي
عليه الوجع اي الم مرضه وهذا هو محل الشبهة والسؤال لانه يقتضي انه صلى الله
عليه وسلم في حال مرضه قد يصدر عنه ما يخالف الواقع وقد تقدم انه معصوم
في مرضه وصحته وسائر احواله والحديث في رواية اخرى لهذا الحديث ائتوني اي
احضروا ما يكتب فيه اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا وهذه اكد من الاولى لقوله
فيها لن وابدا فتنازعوا اي وقع بينهم نزاع واختلاف في مجلسه صلى الله عليه وسلم
هل يكتبونه ام لا فقالوا كما في البخاري ما له اهجر من الهجر بالضم وسياتي بيانه
قيل انه ظهر لعمر رضي الله عنه ان ما اراد كتابته ما فيه ارشادهم للاصلح وما لم
يجب لانه صلى الله عليه وسلم لم يترك مما يجب تبليغه شيئا وقد قال تعالى
ما فرطنا في الكتاب من شيء وقيل انه اراد كتابة امور شرعية على وجه يرفع الخلاف
بينهم وقال سفيان اراد ان يبين امر الخلافة بعده حتى لا يختلفوا فيها ويأتي
في كلام المصنف حكايته غير منسوب ويؤيده ما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم
قال في اول مرضه لعائشة ادعي لي اباك واخاك اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى
متمن ويقول قائل ويابى الله عز وجل والمؤمنون الا ابا بكر وايد الاول
بقول عمر رضي الله عنه حسبنا كتاب الله وهو شاهد لهذا ايضا وقال الخطابي انما
ذهب عمر الى انه لو نص على شيء او اشيا تبطل اقوال العلما والاجتهاد ورده ابن
الجوزي بانه لا يلزم ما ذكر لان الحوادث لا تنحصر وقال انما اراد عمر ان ما يكتبه في
المرض ربما يجد المنافقون سبيلا للكلام فيه وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم
اوتي جوامع الكلم فيجوز ان يكتب ما يشمل جميع الاحكام ويستخرج منه بسهولة
حتى لا يحتاج لاجتهاد مجتهد وتخريج عالم وهو معصوم من ان يقول في مرضه
ما يطعن فيه طاعن لاستقامة ذهنه في سائر احواله لا وجه له ولفظ الحديث
كما في البخاري لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده
فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندنا القران
حسبنا كتاب الله فاختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم
كتابا لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما اكثروا اللغو والاختلاف
قال قوموا وكان ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لاختلافهم ولغطهم وقال الشهرستاني
انه اول اختلاف وقع في الاسلام استفهموه اي قولهم اهجر بهمزة الاستفهام
الانكاري للهجر بفتح الها استفهموا من توقف في امتثال امره بالكتابة اي
ايصدر عنه هجر وهو الهذيان وما يقبح من القول وهو صلى الله عليه وسلم
معصوم منزه عن مثله في سائر احواله وقال الراغب يقال هجر واهجر اذا
تكلم من غير قصد وقيل المراد استخبروه عما اراده اتركه اولى ام لا فقال صلى
الله عليه وسلم دعوني اي اتركوا النزاع عندي واللغط فانه لا ينبغي ان
يقع مثله عند نبي من امته فان الذي انا فيه من مراقبة الله والتاهب للقائه

واستنظار

عرضي

واستنظارُ سُلَّمَ الداعي الى المرفيق الاعلى خير من الاشتغال باموركم واستماع كلامكم
واغطكم وفي لفظ فقال اي طرق هذا الحديث المروية عنه فقال عمر ان النبي صلى الله
عليه وسلم يهجر بفتح اوله وضم ثالثه اي ياتي بهجر من القول وهو على تقدير الاستفهام
الانكاري وليس من الهجر بمعنى ترك الكتابة والاعراض عنها كما قيل وهذه رواية الاسما
من طريق رواية ابن خلاد عن سفيان وفي رواية كما في البخاري هجر مما من بدون استفهام
ويروي اهجر بالاستفهام والمصدر المرفوع ويروي اهجرا بالاستفهام ونصب المصدر
اي اهجر هجرا بضم الها وفيه اي في هذا الحديث فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد
اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا بالنبا على الضم اي كافينا عن غيره مصدر بمعنى
اسم الفاعل اي محسب وكاف لنا وفي نسخة حسبنا اي هو كافينا وكثر اللغط وهو ارتفاع
الاصوات واختلاطها حتى لا تكاد تفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا
وابعدوا عني اراد ذهابهم من مجلسه حتى لا يشتغل بهم عما هو فيه وفي رواية
في الصحيح ايضا واختلف اهل البيت اي من كان في بيته صلى الله عليه وسلم من الصحابة
اذ ذاك او اقرباؤه منهم كابن عباس رضي الله عنهما واختصموا اي نازع بعضهم بعضا
فمنهم من يقول قربوا الكتابة او الكتاب يكتب لكم بالرفع والجزم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده فتهتدوا اي يامر بالكتابة ومنهم من يقول ما قال
عمر من قوله حسبنا كتاب الله شفقة ولحكمة علمها ولذا لم ينكر عليه قوله كما سياتي
والروايات كلها تدل على انه استفهام ملفوظ او مقدر لكنهم اختلفوا في هائه
اهي مضمومة او مفتوحة والاول هو المشهور ولابن قرقول فيه كلام وقد افرد
بعضهم هذا الحديث بتاليف مستقل له وفي بعض الحواشي ما يدل على انه يجوز
في ها الهجر الضم والفتح وليس ببعيد ان ساعدته الرواية وفي كلام المصنف
ما يوافقه قال ايمتنا المالكية او الاشعرية او ايمة الحديث بقرينة المقام
في هذا الحديث المروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم
من الامراض التي تطرو عليه في ظاهر جسمه دون باطنه اذا لم تكن منفرة ومكروه
من عوارضها اي ما يعرض معها من الالام والتغيرات من شدة وجع يولمه
وغشي اي اغما خفيف ونحوه مما يعرض على جسمه وهو معصوم عن ان يكون
اي يوجد منه من القول اثناء ذلك اي في خلاله ويتخلل منه وهو جمع ثنى كما تقدم
ما يطعن في معجزته اي يقدح فيها من مخالفتها للواقع ويؤدي الى فساد في شريعته
لتطرقه للشك في اخباره واحكامه من هذيان اي كلام غير مفيد او اختلال في كلام
كتناقضه ومخالفته الواقع والعقل لتنزاهته صلى الله عليه وسلم وعصمته
وكماله في جميع حالاته كما شوهد منه في مرضه الى ان سلم روحه الشريف
لمالكها وعلى هذا الامر الذي قررته من عصمته في اقواله وتنزاهته لا يصح رواية
من روى هجر بدون استفهام من الهجر بالضم والفتح اذ معناه هذى اي
تكلم بكلام كثير لا فائدة فيه ولا انتظام فقائله ممن لا يعرف قدره عليه
الصلاة والسلام لخلل في دينه او عقله او لقرب عهده بالاسلام فتوهم انه
يعرض له صلى الله عليه وسلم من المرض ما يعرض لغيره من تخليطه في كلامه

عيلي دبجي

م

تلطاني

لخلل في عقله وحاشاه من مثله وتقاده هجر تهجر كنصر ينصر هجرا بفتح اوله وسكون ثانيه كما في بعض الشروح وسياتي ما فيه اذا هذا بالذال المعجمة من الهذيان واهجر مزيد كاكرم هجرا بضم اوله وبوزن فعل وهو اسم مصدر ومصدره الاهجار اذا افحش اي تكلم بكلام قبيح عن قصد والاول بغير قصد والهجر بفتح الهمزة مزيد هجر كاكرم وما في بعض الشروح انه بضم اوله وسكون ثانيه سهو من الناسخ وصوابه بفتح اوله تعدية هجر اي ثلاثيه تعدى بالهمزة وقد قيل عليه ان هجر واهجر لازمان وصوابه هجر واهجر بمعنى سوا الا ان يريد بتعديه تعديه عن الحد فيه وتجاوزه وهو بعيد انتهى وما ذكره هو الذي يقتضيه كلام اهل اللغة وانما الاصح اشارة الى رد ما قبله وقد قيل عليه انه غير مسلم لانه ان اراد رده بحسب الرواية فهو غير صحيح لانه ثابت في صحيح البخاري وان اراد بحسب المعنى فكذلك لانه يقدر فيه همزة الاستفهام وحذفها كثير في كلامهم كقوله وتلك نعمة تمنها علي اي اوتلك الخ وقول الشاعر

فوالله ما ادري وان كنت داريا ● بسبع رمين الجمر ام بثمان ●

وكذا ان يجاب عنه بان مراده انه غير صحيح ان لم يقدر الهمزة وقوله والاولى اي انه قدرت لان الاصل خلافه ولولا هذا لم يصادف قوله الاصح والاولى محزه اهجر يعني بهمزة الاستفهام الانكاري حتى لا ينسب له ما لا يليق بمقامه وقايله قاله على طريق الانكار على من قال لا تكتب ما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابته لانه لا يجوز مخالفته كما تقدم في كلام ابن عباس رداعلى من اباه وعلله بشدة وجعه وهو معصوم في مرضه وصحته والقايل لا يكتب عمر رضي الله عنه والراد عليه بقوله اهجر بعض الصحابة ووجه ما قاله عمر ما تقدم وسياتي تتمته وهكذا روايتنا في صحيح البخاري اي ثبت عنده روايته بهمزة الاستفهام ملفوظة عن مشايخه ثابتة من جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم ذكره قبل وفي حديث محمد بن سلام هو الامام الحافظ الذي روى عنه البخاري وغيره وتوفي سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وسلام بتخفيف اللام عند الاكثر كما قاله الذهبي والمزي وغيرهما وجوز بعضهم تشديدها ايضا وعند بعضهم انهما اثنان فالكبير منهما بالتخفيف والصغير بالتشديد وهو محمد بن سلام بن السكن البيكندي وعلى كل حال فالاصح في هذا عندهم التخفيف عن ابن عيينة يعني به سفيان لان اولاد عيينة عشرة منهم خمسة اشتهروا بالعلم والحديث وخمسة لم يشتهروا بذلك ولذا قال ابن الصلاح انهم خمسة واكبرهم واشهرهم سفيان وكذا ضبطه الاصيلي بهمزة وفتحانه بخطه في كتابه يعني به صحيح البخاري الذي رواه وضبطه بنقله كما ذكر والاصيلي تقدم بيانه واصيل بلد بالاندلس وكذا ضبطه بخطه غيره اي غير الاصيلي ممن روى البخاري وكتبه ممن يعتمد عليه من هذه الطرق اي طريق الزهري وغيره وكذا رويناه عن مسلم كما رواه البخاري في حديث سفيان بن عيينة يعني في روايته ورويناه ايضا عن غيره اي غير مسلم فصح عنده من طرق بثبوت

دلجي

دلجي

تلمساني

الهمزة

الهمزة فيه ردا وانكارا على من ابى الكتابة اي اجعله كغيره ممن يصدر عنه وهو صلى الله
عليه وسلم منزه عنه وقول عمر رضي الله عنه انما هو رد على من نازعه لا رد على النبي
صلى الله عليه وسلم كما يعلم مما ياتي وقد يحمل عليه اي على هذه يحمله بمعناه رواية
من رواه هجر بدون همزة فيجعل على حذف الف الاستفهام يعني الهمزة لانه يطلق عليها
الف كما في المغني وغيره والتقدير على هذا اهجر وحذفها وتقديرها جايز كما تقدم
والقرينة على حذفها عقلية للعلم بعدم اتصافه صلى الله عليه وسلم بمعناه او ان
يحمل ويوجه قول القايل هجر بغير استفهام او اهجر بالهمزة والاستفهام مما لا يتوهم
فيه اذا اثبتت هذه الروايات فانما صدرت منه دهشة اي حيرة تذهل من امر عظيم
يبغته من قايل ذلك اي قوله هجر ونحوه حيرة تشغله مما يقوله لعظم ما شاهد
من حال الرسول صلى الله عليه وسلم مما يشق عليه فيذهله عما يقوله وشدة وجعه
والمه المؤثر في قلوب محبيه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه اي شق عليه مخالفتهم
لهم فيما امر به وهول الامر الذي هم صلى الله عليه وسلم بالكتابة فيه اي هم بان
يكتب في شانه فانه انما يهتم في حال المه بكتابة امر الا وهو امر عظيم لم يظهر الى الان
فربما اشق عليهم او خشي منه ومن عواقبه كامر الخلافة مثلا حتى ان القايل
لشدة دهشته لم ينضبط لفظه بالتحري ومراعاة حسن تعبيره وفي نسخة حتى
لم ينضبط هذا القايل لفظه واجرى اي بدل قوله او يحمل قوله على انه اجرى
الهجر بضم الها مجرى بضم الميم ويجوز فتحها ولا ينبغي الاول كما توهم شدة الوجع
اي استعمله مجازا في لازم معناه ولم يرد حقيقته لانه صلى الله عليه وسلم
كما ورد في الحديث كان يوعك كما يوعك الرجلان وزيادة المه للطف بنيته
وكثرة نوايبه لا انه اي القايل اعتقد انه يجوز عليه الهجر بالضم اي الهذيان
كما حملهم اي دعاهم وحركهم الاشفاق اي الخوف عليه صلى الله عليه وسلم
لشفقتهم عليه ومحبتهم له على حراسته حذرا عليه من ان يصيبه مكروه
او عدو والله يقول جملة حالية والله يعصمك من الناس فمع هذا الاحاجة
لحراستهم له لكن شدة المحبة دعتهم لذلك كما قيل ● ● ●
ان المحب بسوء ظن مولع ● ونحو هذا مما فعلوه احترازا من غير حاجة له واما
على رواية اهجرا بهمزة الاستفهام وضم الها منصوبا منونا ويجوز فتحها
وقيل انه الصواب وفيه نظر وهي رواية ابي اسحاق المستملي في الصحيح اي
صحيح البخاري لانه احد رواته وفي نسخة السلمي ولم يتبين والمعروف
انما هو الاول والظاهر انه تحريف من النساخ في حديث ابن جبير عن ابن عباس
من رواية قتيبة فقد يكون هذا اي الوصف بالهجر راجعا الى المختلفين
عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم فيكون بعض
الصحابة قاله لبعض منهم لما وقع بينهم نزاع بعد طلبه صلى الله
عليه وسلم من يكتب فهو على هذا مفعول فعل مقدر وتقديره اي
جيتم باختلاف فكم اي بسبب الاختلاف واللفظ على رسول الله صلى الله عليه
وسلم متعلق باختلاف وبين يديه اي في حضوره هجرا بالضم فيكون

حلبي

الهجر

ومنكرا من القول عطف تفسير وضحه بقوله والهجر بالضم الفحش في المنطق اي التكلم بما
يقبح ولا يليق بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اختلف العلما في هذا الحديث
اي في معناه المراد به وكيف اختلفوا بعد امره صلى الله عليه وسلم لهم ان ياتوا بالكتاب
ليكتب فيه ما لا يضلون بعده فقال بعضهم اي بعض المختلفين في بيانه وتاويله
اوامر النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم انه جمع امر وامور نحو جمع الجمع وما
فيه يفهم ايجابها اي ما اريد به الايجاب منها من ندبها اي مندوبها من اباحتها
اي مباحها والعاطف فيه محذوف بقراين فوقيه اي بالقراين اللايحة من سياقه
وان كان اصله الايجاب وليس هذا مبني على ان الامر مشترك بين هذه المعاني
الثلاثة ولا يتعين لاحدها بدون قرينة كما هو قول لبعض اهل الاصول
مع ما فيه وما عليه فلا نطول به فلعله قد ظهر من قراين قوله صلى الله عليه
وسلم لبعضهم حين سمعه منه ما فهموا من ظاهره وهو فاعل ظهر انه اي امره
صلى الله عليه وسلم بقوله هلموا لم يكن ذلك الامر منه عزمة اي امرا عزم
عليه عزما متحتما فيجب امتثاله بل هو امر رده الى اختيارهم فهو مشاورة
مخيرا فيه ولذا اختلفوا فيه وراجعوه ولبعضهم اي بعض الصحابة لم يفهم
ذلك فظنه واجبا لا يجوز مخالفته فانكر على من خالف فيه فقال استفهموه
اي استخبروه صلى الله عليه وسلم عما اراده بامره فلما اختلفوا فيما بينهم
كف عنه صلى الله عليه وسلم فقال قوموا عني وكف القائل عن طلب الافهام
منه اذ لم يكن بالياء والتاء اي توجد او هي ناقصة عزمة واجبة الامتثال
بالرفع والنصب ولما راى صلى الله عليه وسلم او الكاف ولما بكسر اللام وتخفيف
الميم ولا يجوز الفتح والتشديد وفي نسخة ولما راوه من صواب راي عمر في تركه
لما عرفوه من شدة رايه وموافقاته رضي الله عنه ثم هولا القايلون بهذا
الوجه قالوا وعلى هذا يكون امتناع عمر من كتابة ذلك الكتاب اشفاقا وحذرا
على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال اي حال وجعه والمه املا
الكتاب او اشفاقه من ان يدخل عليه مشقة من ذلك الاملا كما يشهد له انه
قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع فهذا صريح في شفقته
عليه من التعب وتالمه مع علمه بانه صلى الله عليه وسلم لم يدع شيا الا اعلمهم
به بكتاب الله وسنته ولم يكن صلى الله عليه وسلم ليوخر بيان امر من
مهمات الدين وقد قال الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وقيل خشي عمر
وخاف ان يكتب امورا يعجزون عنها ولا يوفونها حقها فيحملون اي يقعون
في الحرج اي ما يضيق عليهم من الاثم بالمخالفة لما امرهم به وراى عمر رضي الله
عنه برايه هذا ايضا ان الارفق بالامة اي الاسهل والاكثر رفقا بهم في تلك
الامور التي اراد كتابتها لهم سعة الاجتهاد اي ما يتوسعون فيه باجتهادهم
واستنباطهم من النصوص لتالفه وحكم النظر اي نظر من يجتهد في المقدمات
التي يريد الاستنباط منها نظرا صحيحا مقرونا بشرايطه وطلب الصواب
بالنظر في الادلة والنصوص ومقتضياتها وموانعها فيكون المجتهد

المصيب

وهذا

المصيب والمجتهد المخطي في الحكم الشرعي ماجور اما ثابا اما الاول فله اجران اجر اجتهاده
واصابته الحق والثاني له اجر اجتهاده فقط لبذله وجهده في طلب الصواب والجمع بهذا ابنا
على ان المصيب واحد منهما والقول بان كل مجتهد مصيب ليس مرضيا كما بين في كتب
الاصول واجر المخطي انما هو على سعيه وطلبه للحق لا على خطائه لكنه لا اثم عليه في
اجتهاده اذا كان من اهله على الصحيح وتفصيله في كتب الاصول وقد علم عمر رضي الله عنه
تقرر الشريعة اي انه صلى الله عليه وسلم قررها لهم وبينها لهم ولم يترك شيئا
مما يحتاجون اليه وتاسيس الملة اي احكام قواعدها وما ينبني عليه احكامها
المحكمة التي لم يهمل منها شيء وعلم ان الله تعالى قال في اخر ما انزله اليوم المراد به
الزمن الحاضر في اخر عمره صلى الله عليه وسلم اكملت لكم دينكم فلم يترك شيئا مما
يحتاجون اليه لم يبينه لهم صريحا او ضمنا ولم يرشدهم لطرق استنباطه فلذا
ترك ما اريد كتابته لحكمة هداه الله لها وهذه الاية نزلت يوم جمعة او ليلتها
بعرفة في الحج الاكبر ولما قراها صلى الله عليه وسلم بكى عمر رضي الله عنه لان التمام
يدل على انقضا امر الوحي وعلم عمر ايضا قوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم بالتمسك
بكتاب الله بامتثال اوامره ونواهيه والتادب باداته وما فيه من مكارم الاخلاق
وعترتي بكسر العين ومثناتين فوقيتين اولاهما ساكنة بينهما را مفتوحة مهملة
وهم اهل بيته صلى الله عليه وسلم الذين يحرم عليهم الزكاة من بني هاشم وبني المطلب
وهذا الحديث صحيح رواه مسلم في خطبة خطبها صلى الله عليه وسلم وسماها الثقلين
كما ياتي لعظيم شانهما فقال اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله واهل بيتي لن
يفترقا حتى يردا علي الحوض وفي النهاية عترة الرجل اخص اقاربه وعترته صلى
الله عليه وسلم بنو عبد المطلب وقيل اهل بيته الاقربون وهم اولاد علي
رضي الله عنه وقيل عترته الاقربون والابعدون من قريش والمشهور انهم
اهل بيته الذين تحرم عليهم الزكاة انتهى وما قيل من ان هذا يقتضي انما
امر به صلى الله عليه وسلم لا فائدة فيه وهو بعيد وغير لائق ليس بشيء لما
علمته فتدبره وقول عمر حسبنا كتاب الله تعالى لكفايته عما عداه رد على من نازعه
اي نازع النبي صلى الله عليه وسلم او عمر في امر الكتاب لا رد من عمر رضي الله عنه
على امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتوا بمن يكتب لهم كتابا وقد
استبعد هذا من السياق جدا فالحق ما سياتي وليس فيه شين لعمر وشبهة
تحتاج للدفع بهذا وقد قيل في الجواب عن قول عمر لرسول الله صلى الله عليه
وسلم على تقدير تسليمه انه انما خشي عمر رضي الله عنه من تطرق المنافقين
اي وصولهم من طريق نفاقهم ومن وصول من في قلبه مرض لحقده على الاسلام
واهله كاليهود لما كتب في ذلك اي بسبب الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في
ذلك الاقاويل اي ان يكذبوا باسنادهم ما ليس فيه له واصل معنى التقول
تكلف القول وفسر بما ذكر قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل
وجمع الاقاويل تحقيرا لما يقولونه او انه خشي ان يتاولوا ما يكتب
فيه تاويلات باطلة كما وقع من بعض الزنادقة كادعا الرافضة الوصية

ابعد اقرب

اي ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى لعلي كرم الله وجهه وتسميتهم له الوصي لذلك
وان بعض الصحابة كتب ذلك وغير ذلك مما افتراه الرافضة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد ادعوا ان الكتاب الذي اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتابته كان فيه الوصية بخلافة علي فلذا امتنع منه عمر وهو كذب منهم عليه
وسموا رافضة من الرفض وهو الترك لرفضهم زيد بن علي لامور فقتلوها
وقيل لغير ذلك وهم فرق يطول ذكرهم وقيل في توجيهه انه اي امر كان
من النبي صلى الله عليه وسلم امر على طريق المشورة والتخيير تطييبا لقلوبهم
لا امر ايجاب لا يجوز مخالفته والمشورة بفتح الميم وضم الشين وسكون الواو
بزنة مثوبة في الافصح ويجوز سكون الشين وفتح الواو وقول الحريري في
الدرة انه خطا خطا منه كما فصلناه في شرحها وهي اي المشاورة من شربة العسل
اذا اجتنيته والاختيار اي التخيير لا الايجاب ولينظر هل يختلفون على
ذلك الامر الذي اراد ان يكتب ام يتفقون عليه فلما اختلفوا فيه وتنازعوا
تركه وكف عنهم لانهم عصوا وفرطوا في امر لا بد منه وقالت طائفة اخرى
في معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا لما طلب منه اي كانوا
سالوه ان يعهد اليهم بما يكتبوه عنه فاجابهم بقوله هلموا الخ لا انه ابتدا
بالامر به حتى يقال لا ينبغي مخالفته فيه بل اقتضاه اي طلبه منه بعض صحابه
ممن كان عنده فاجاب رغبتهم اي ما رغبوا منه وكره ذلك غيرهم اي غير من
طلبه كعمر لثقله عليه صلى الله عليه وسلم في مرضه شفقة منه للعلل
التي ذكرناها سابقا واستدل بالبنا للمجهول اي على صحة هذا التاويل في
مثل هذه القصة اي قصة الكتاب المذكور بقول العباس في حديثه رواه البخاري
لعلي بن ابي طالب انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نساله عن الخلافة
بعده فان كان الامر اي امر الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم فينا اهل البيت علمناه
فلا ينازع فيه احد وان كان لغيرنا لم نطلبه ولم نرجه وكراهة علي رضي الله عنه هذا
اي ما قاله العباس رضي الله عنه له وقوله لعمه العباس والله لا افعل اي لا انطلق
ولا اسال الحديث رواه البخاري مسندا وفيه ان عليا خرج من عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه فقال له العباس كيف اصبح رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اصبح بحمد الله بارئا فاخذ بيده وقال له انت
بعد ثلاث عبد العصا واني والله اراه متوفى في مرضه هذا واني لاعرف وجوه
بني عبد المطلب عند الموت اذهب بنا اليه نساله فيمن هذا الامر بعده فان
كان فينا علمنا ذلك وان كان في غيرنا اوصاه بنا فقال انا والله لا اساله ولو كان
فينا اعطيناه للناس بعده واستدل ايضا لما ذكرني انه كان مجيبا لا امرا بخالفه
امر بقوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث دعوني فان الذي انا فيه
خير من ان يكتب الكتاب فانه لو كان امرا فيه بواجب لم يقل ان تركه خير منه اي
الذي انا فيه خير من ارسال الامر اي اهماله وتركه وخير من تركهم اي تركي
لكم او تركهم كتاب الوصية ومن بيان لما هو فيه وكتاب الله بالنصب مفعول

معه اي مصاحبين لكتاب الله والتمسك به فانه حسبكم فاياكم ان تختلفوا فيه فتهلكوا
كمن قبلكم من الامم وتفشلوا ان تنازعتم فيه وقد قيل انه كان مراده صلى الله عليه
وسلم كتابة هذا شفقة عليهم وان تدعوني ان شرطية والجملة معطوفة على جملة
دعوني مما طلبتم اي من كتابة الكتاب الذي طلبتموه فاجبتكم والجواب مقدر اي فهو خير
لكم وتجوز فتحها وذكر بعضنا المحقق ان الذي طلب كتابته لهم امر الخلافة بعده
وتعيين ذلك اي تعيين من يكون خليفة بعده واعلم ان هذا هو الصواب كما قاله
ابن تيمية في كتابه الرد على الروافض وانه ورد مفسرا به في الحديث المروي في الصحيحين
كما مر في قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة ادعي لي اباك واخاك ولا يجوز غيره
لانه لا يخلو من ان يكون امرا واجبا اوحي اليه به قبل مرضه او اوحي اليه به في مرضه
والاول لا يصح لان فيه تاخيرا للبيان عن وقت الحاجة وهو غير جائز والثاني لو كان
لبلغه من غير طلب كتاب ونحوه وحينئذ فاما قال عمر رضي الله عنه ما قاله لانه
علمه وعلمه غيره كعائشة وغيرها من كبار الصحابة ولو ذكره لذكر بعده عمر فربما
اشمازت منه بعض النفوس القاصرة وقد علم ان الله منجز وعده فاخفاه في حياته
اولى وما سوى هذا القول لا وجه له فلذا اختم به هذا الفصل وكرر ذكره فيه
والقول بانه تعبدي لا وجه له ايضا **فصل** في ذكر
شبهة اخرى فيما قرره من عصمته صلى الله عليه وسلم في رضاه وغضبه فان قيل
فما وجه حديثه الذي رواه مسلم اي توجيهه بما يوافق ما قرر ورواه المص
من طريقه مسندا ايضا اي المماثل للحديث الذي قدمه الذي حدثناه الفقيه ابو
محمد الخشني بقراءتي عليه قال حدثنا ابو علي الطبري قال حدثنا عبد الغافر
الفارسي قال حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابراهيم بن سفيان تقدم بيان
رجال هذا السند كلهم قال حدثنا مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح المشهور قال
حدثنا قتيبة بن سعيد كما تقدم قال حدثنا ليث عن سعيد هو المقبري وقد
تقدم ابن ابي سعيد اسمه كيسان كما تقدم عن سالم مولى النصريين بنون وصاد
مهملة وهو ابن عبد الله النصري روى له اصحاب الكتب الاربعة نسبة لجماعة
ينسبون للنضر كما بين في اسماء الرجال قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول تقدم
الكلام على ابي هريرة وعلى هذا التركيب من جهة العربية سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر الحصر فيه اضافي ادعائي اي ليس حاله
الا من جنس حال البشر الذي يطرأ عليه ما يطرأ عليهم من العوارض البشرية
وليس مبرأ منها فهو يغضب احيانا لله لا لنفسه كما يغضب البشر وعدل عن
التكلم الى الغيبة بذكر اسمه تواضعا منه لربه وفيه التفات على رأي واجب
اتخذت افتعال من الاخذ فتاؤه مبدلة لا اصلية كما تبين في العربية
عندك عهدا لا يعني انه صلى الله عليه وسلم عاهد الله عهدا بينه وبينه
لن تخلفنيه يعني وانك وعدتني بانجاز عهدي وانت لا تخلف الميعاد
وفي قوله اتخذت التفات من الغيبة للتكلم لبيان انه متلذذ بمناجاته
مترقبا لاجابته ثم فسر العهد الذي عهده بقوله فايما مؤمن اذيته اي فعلته

ابن اقبرس

معه شيا يؤذيه وهو مستحق له كحد وتعزير اقتضاه فانه صلى الله عليه وسلم على
خلق عظيم لا يؤذي احدا لا يستحق الاذية كما لا يخفى او سببته او جلدته هذا من
جملة الاذية فينبغي تخصيصهما بغيرهما ذكر لان الخاص لا يعطف على العام باو فاجعلها
انثه باعتبار المذكورات والفاء في جواب ايما لتضمنها معنى الشرط كفارة له اي مكفرة
لذنوبه وفيه اشارة الى ان ما فعله في مقابلة ذنب صدر منه لا لحظ نفسه وهي
صيغة مبالغة ملحقة باسماء الاجناس وقربة اي فعلة مقربة له تقربه بها اليك
اي تنيله بها ثوابا او رفعة بها منزلة عندك لانه تعالى منزه عن الجهة والقرب
المكاني لانه من صفة الاجسام يوم القيامة حين تعرض الاعمال وتحاسب العباد
وفي رواية اخرى لهذا الحديث فايما احد بالجر وما مزيدة ويجوز رفعه دعوت
عليه دعوة في حال الغضب عليه قال في المقتفي وفيه نظر لان هذا ليس من
حديث ابي هريرة وانما هو حديث اخر عن انس رضي الله عنه فمقتضى الظاهر ان
يقول وفي رواية انس ونحوه يعني ان سياقه يقتضي انه من رواية ابي هريرة
التي مرت وليس كذلك قلت الامر فيه سهل وذكر الرواية وتنكيرها يقتضي
مخالفتها لما قبلها سندا ومتنا وهو ظاهر فلا وجه لما قاله وفي رواية اخرى ليس
اي المدعو عليه او المذكور لها باهل اي مستحق لها اي لهذه الفعلة وهذا هو
المشكل لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل فعلا باحد الا ويستحقه وسياتي توجيهه
وفي رواية اخرى ايما رجل من المسلمين سببته وشتمته او لعنته اي دعوت
عليه باللعنة واصل معناها الطرد والابعاد مطلقا او جلدته فاجعلها اي
المذكورات له زكاة اي طهارة من ذنوبه او زيادة في حسناته لان الزكاة تكون
بمعنى الطهارة والنماء فاستعيرت لما ذكر وصلاة ورحمة عطف تفسير او تفسر
الصلاة بالعطف والرافة فيتغايرا وهو معتمد في تفسير قوله تعالى اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة ثم بين وجه الشبهة والسؤال بقوله وكيف يصح
ويجوز والاستفهام انكاري ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق
اللعن فعل اي حال يصح صدور مثله عنه ويسب من لا يستحق السب
لقوله في رواية ليس لها باهل ويجلد من لا يستحق الجلد وقوله او بسكون
الواو وفتحها وهمزة الاستفهام يفعل مثل ذلك الامر المذكور عند الغضب
اي في حال غضبه وهو صلى الله عليه وسلم معصوم في جميع احواله كما تقدم
والجملة حالية من هذا كله في جميع احواله فاعلم شرح الله صدرك اي فسح
فيه ووسعه لقبول الحق فيما نحن فيه ونوره بمعرفته والجملة دعائية
معترضة لتعرف الحق في هذا ان قوله صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات
اولا فيما تقدم ليس لها باهل اي مستحقا لما فعله به اي عندك يا رب
اي في علمك مما هو باطن امره اي حقيقته التي تخفى على غيره وعند الله
في القران تكون تارة بمعنى علمه وتارة بمعنى حكمه والمراد هنا الاول كما بيناه
في حواشي القاضي البيضاوي فانه صلى الله عليه وسلم بنى امره كما تقدم
على الظاهر من الحال غالبا كما قال صلى الله عليه وسلم من انه انما يحكم بالظاهر

لغير ما ذكر

ليس

كما

يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر
علي القاري

كما تقدم وللحكمة التي ذكرناها من انه تقتدي به امته ولو اوحي اليه ما في نفس الامر وحكم به لم يمكن امته الاقتدا به في احكامه بعده كما مر فحكم صلى الله عليه وسلم بمقتضى الظاهر بجلده او ادبه بسببه او لعنه اي دعا عليه باللعنة او طرده بما اقتضاه عنده اي في حضوره او في علمه حال ظاهره الذي ظهر له ولغيره والدعا باللعن شرعا انما يجوز على من كان غير معين كافرا كان او غير كافر ككلعنة الله على الظالمين وعلى معين مات على كفره واما على معين كافرا او لا فلا يجوز لجواز ان يسلم فلا يكون ملعونا اي مطرودا عن رحمة الله الا انه قيل انه كان جايزا للنبي صلى الله عليه وسلم ولو على غير الكافرين فهو اما من خصايصه او منسوخ ثم دعا صلى الله عليه وسلم لمن دعا عليه بقوله اللهم اجعله كفارة له لشفقته على امته ورافته ورحمته للمومنين التي وصفه الله بها بقوله بالمومنين رءوف رحيم وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ونحوه وحذره بالجر عطف على شفقته اي خوفه ان يتقبل الله تعالى فيمن دعا عليه دعوته بقوله اللهم اجعل الخ ان يجعل الله هو مفعول دعا دعاه عليه ولعنه له رحمة لمن دعا عليه فهو معنى قوله ليس لها اي المدعو عليه ليس في علم الله اهلا اي مستحقا لما دعا به عليه لا انه صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب لله بمقتضى البشرية اي يدعوه ويبعثه ويستفزه الضجر اي القلق وضيق الصدر ممن عصا الله وحالفه اي يحركه بسرعة لان يفعل مثل هذا الدعا من السب واخوته ممن لا يستحقه في الباطن وان استحقه بحسب الظاهر من مسلم صدر منه ذلك وهذا معنى فسر به الحديث وهو صحيح مستقيم مقبول لا يمنعه شي ولا يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله وبعثه على ما لا يجب فعله اذ هو صلى الله عليه وسلم منزه عن مثله بل يجوز ان يكون المراد بقوله هذا ان الغضب لله هو الذي حمله على معاقبته بلعنه او سبه كما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله او يجاب بجواب اخر هو انه اي الذنب الذي عاقبه عليه وفي نسخ وانه بالواو كان مما يحتمل ويجوز عطف تفسير لحتمل عفوه صلى الله عليه وسلم عنه وترك المعاقبة عليه بالسب ونحوه او كان ذلك الذنب مما خير بالبنا للمجهول اي خيره الله بين المعاقبة والعفو عنه وفي نسخة اي العفو والصواب عطفه بالواو لاقتضا التخيير لشيين ولا حاجة لجعل او بمعنى الواو وهذا الجواب قريب مما قبله وقد يحمل الدعا الوارد في هذا الحديث على انه خرج مخرج الاشفاق والخوف منه صلى الله عليه وسلم على امته وتعليم امته الخوف من الله ومعاصيه من الصغاير والحذر من تعدي وتجاوز حدود الله اي ما حده الله مما لا يجوز الخروج عنه وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا وما ورد من دعواته على غير واحد اي على كثير من الناس في غير موطن اي في مواطن ومحال كثيرة صدر فيها الدعا عليهم على ما صدر من غير العقد اي العزم وتصميم القلب والقصد منه للدعا عليهم بل دعوات صدرت منه بما جرت به عادة العرب في محاورتهم انهم يدعون على مخاطبهم

بنحو قاتله الله وويل امه ولا اب له لمن قصد مدحه وتحسين فعله وهو مشهور في غير لسان العرب ايضا وليس المراد بها اي بهذه الدعوات الاجابة اي دعا عليه بطلبون ه استجابته بنيتهم لتوقع ما دعوا به كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان تربت يمينك قال في النهاية ترب الرجل اذا افتقر كانه التصق بالتراب واترب اذا استغنى اما على جهة السلب او على معنى صار ماله كالتراب كثرة وقد ورد كل منهما بمعنى الاخر وروي يداك وبداك ونسب لليد لان بها الكسب وليس المراد به الدعا عليه وقد صدر هذا منه صلى الله عليه وسلم مرارا فمرة لام المومنين ام سلمة رضي الله عنها كما في البخاري انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يستحيي من الحق هل على المراة من غسل اذا هي احتلمت فقال نعم اذا رات الما فغطت وجهها وقالت او تحتلم المراة قال نعم تربت يمينك فبم يشبهها ولدها ووقع في احاديث اخر ايضا كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن ابن عباس لا اشبع الله بطنك قاله لمعاوية ولكن الذي رواه مسلم بطنه قال البيهقي فما شبع بعدها ابدا وكان رضي الله عنه مشهورا بالبطنة حتى قالوا الاكول كان في امعائه معاوية والحديث قد علمت انه عن ابن عباس ولفظه قال كنت مع الصبيان فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواريت خلف الباب فقال اذهب فادع لي معاوية قال فجيته وقلت هو ياكل فقال ثانيا اذهب فادعه فجيته وقلت هو ياكل فامرني فجيته وقلت هو ياكل فقال لا اشبع الله بطنه فحينيذ فيما قاله المص شي لان الله استجاب دعاه فيه فليس هذا من الباب الذي جرت به العادة من غير قصد وقوله صلى الله عليه وسلم لصفية في حديث رواه مسلم عن عايشة عقرى حلقى وهذا قاله صلى الله عليه وسلم لصفية بنت حيي ام المومنين رضي الله عنها في حجة الوداع وهو في البخاري ه بسنده عن عايشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للحج فلما كانت ليلة النفر حاضت صفية فقال صلى الله عليه وسلم ما اراها الا حابستكم الخ وهذا يقال للمتعجب بدون قصد الدعا واصله صفة للمراة المؤذية المشومة واختلف في لفظه ومعناه فقيل معنى حلقى اصابها وجع في حلقها وقيل معناه تحلقهم اي تستاصلهم كما يستاصل الحالق الشعر وعقرى من العقر وهو عرقبة الدواب او من العقرة وهي رفع المنون ويجوز تنوينهما وعدمه على ان الفه للتانيث كسكرى وعلى جعلها الف للتانيث فكل منهما صواب ومحلهما رفع خبرا ونصب على المصدرية والمحدثون يروونه غير منون والمعروف عند اللغويين تنوينه وغيرها اي غير الدعوات المذكورة من المروي من دعواته صلى الله عليه وسلم التي لم يرد بها الدعا على من خاطبه وانما يراد المدح او التعجب على عادة العرب في مخاطباتهم ووجهه كما قالوه في نحو قاتله الله انه يقصد به دفع العين عنه بجعله كالمذموم المدعو عليه فهو من قبيل الذم الذي يراد به المدح وقد ورد في صفته عليه الصلاة والسلام صلى الله عليه وسلم في غير حديث اي في احاديث كثيرة تقدم بعضها منها ما رواه وهو في صحيح البخاري وغيره انه لم يكن صلى الله عليه وسلم فحاشا صيغة مبالغة من الفحش وهو القبح والمواقحة في كلامه ومخاطباته

وقد

وَقد كان صلى الله عليه وسلم يكني عن كل ما يستحيي منه وقال انس فيما رواه عنه البخاري ايضا لم يكن صلى الله عليه وسلم سبابا اي لا يقول ما هو سب وشتم ولا فاحشا اي لا يتكلم بما يقبح التصريح به ولا لعانا اي لا يقول اللعنة لاحد وكان عادته صلى الله عليه وسلم انه يقول لاحدنا عند المعتبة مصدر ميمي من العتاب وهو بالتاء المثناة من فوق مفتوحة ومكسورة من عتب عليه عند الغضب اذا لامه سالة اي اي شيء اقتضى ما فعله ترب جبينه الجبين واحد الجبينين وهما جانبا الجبهة وفي نسخة ترب يمينه بالتانيث لانه عضو مثنى او المراد به الجبهة لانه ورد بمعناها في قول زهير

يقيني بالجبين ومنكبيه • والصره بمطرد الكعوب

كما في شرح ديوانه فلا وجه لتخطية المتنبي في استعماله لهذا المعنى وترب دعا في الاصل بمعنى كبه الله على وجهه ولم يرد به الدعا كقولهم تربت يداه فيكون حمل الحديث برفع حمل والمراد بالحديث ما ذكره اولا وهذا على هذا المعنى اي انه جا على عادة العرب في ملاطفاتهم وقيل معنى ترب جبينه كثر سجوده فلا يكون دعا عليه وهذا يقتضي ان المراد به الجبهة ثم اشفق اي خاف صلى الله عليه وسلم من موافقة امثالها اي الدعوات الصادرة اجابة اي ان يستجاب دعاؤه عليه بحسب ظاهره كما قال لبعضهم ترب نحرك فقتل شهيدا فخاف من مثله معاهد ربه كما قال في الحديث السابق ذكره اللهم من دعوته عليه ان يجعل ذلك القول له مما مر من سب ونحوه مما هو بمعنى القول او الشخص زكاة ورحمة وقربة كما تقدم بيانه مفصلا وقد يكون ذلك المذكور من دعائه لمن سبه اشفاقا على المدعو اي شفقة ورحمة يجعل دعائه عليه رحمة له وتانيسا له اي تاليفا له ليطمين قلبه لئلا يلحقه بما يقع في قلبه من استشعار الخوف اي الشعور بادراكه والحذر اي الوقوع فيما يحذره من لعن النبي صلى الله عليه وسلم له ومن تقبل دعائه اي يخاف قبول دعائه عليه بلعنه وابعاده من رحمة الله تعالى ما يحمله على اليأس والقنوط من رحمة الله وهما بمعنى جمع بينهما تاكيدا وقيل القنوط شدة اليأس واليأس من رحمة الله كبيرة وقيل انه كفر وفيه كلام في الاصول كما فصلناه في رسائلنا وتقدمت الاشارة الى شيء منه وهذا تاويل رابع في غاية الحسن وقد يكون ذلك منه صلى الله عليه وسلم سؤالا لربه عز وجل اي قوله اللهم اجعله رحمة الخ لمن جلده او سبه متعلق بسؤال على حق وبوجه صحيح لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل شيئا بغير وجه شرعي ان يجعل ذلك اي دعاه عليه له كفارة لما اصابه اي فعله من الذنوب التي استحق السب ومحية مصدر محى بالتشديد يمحيه من محاه اذا ازاله لما اجترمه اي فعله واكتسبه وان يكون عقوبته له في الدنيا خيرا يكون قوله سببا للعفو والغفران لانه تعزير له بالقول الذي يسوءه كما جا في الحديث الاخر الذي رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت انه قال قال صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة للانصار بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب

من ذلك شيا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك شيا فستره الله عليه
فهو الى الله ان شاء عاقبه وان شاء عفى عنه وذكر في الحديث اشارة الى ما سبق في الحديث
من الذنوب التي بايعهم على تركها مما بعد الشرك او هو عام مخصوص وهذا يدل
على ان الحدود كفارة فهو يعضد قوله في حديث اخر لا ادري الحدود كفارة لاهلها اولا
فهذا كان قبل ان يعلمه الله بانها مكفرة وفي كلام في شروح الصحيحين ولا يلزمه ان
يكون قوله في الدعا ههنا بان يجعلها كفارة تحصيلا للحاصل ايضا كما توهم ثم اورد
شبهة اخرى على ما قررته ودفعها فقال فان قلت فما معنى حديث الزبير بن العوام
الصحابي المشهور وحديثه هذا رواه البخاري وقول النبي صلى الله عليه وسلم
له حين تخاصمه وتنازعه مع الانصاري الاتي ذكره وحين مضافة لمقدر تخاصم
وتخاصمه كان مع بعض الانصار الذين شهدوا بدرا كما في بعض كتب الحديث فقال ابن
بشكوال انه حاطب بن ابي بلتعة وقيل ثابت بن قيس بن شماس الانصاري الا انه
لا شاهد عليه وقال النووي هو حاطب وقيل ثعلبة بن حاطب وقيل حميد
والقول بانه حاطب بن ابي بلتعة لا يصح لانه ليس انصاريا وقد ثبت في البخاري
انه انصاري بدري وكذا ثابت لانه ليس بدريا وقال الزجاج الخصم من قبيلة
الانصاري منافق ليس من المؤمنين منهم وفيه نظر لانه بدري وقد شهد
صلى الله عليه وسلم لاهل بدر بالجنة وثعلبة بن حاطب ليس بمعروف
في الصحابة وقوله في شراج الحرة هو المتخاصم فيه والشراج بكسر الشين المعجمة
وزا مهملة والف بعدها جيم مسيل صغير في السهل او الى السهل كما في
النهاية للما كالقناة جمع شرجة او شرج والحرة بفتح الحا وتشديد الرا المهملتين
ارض صلبة تعلوها حجارة سود وهي مكان معروف بطيبة كان فيها وقعة
يزيد المشهورة اسق يا زبير اي بستانك من هذا الما وقول المص هنا حتى يبلغ
الما الى الكعبين سهو منه كما قيل لانه صلى الله عليه وسلم لم يقله ابتدا
وانما قاله بعد غضبه من كلام الانصاري وكان قال له اولا لما ترافعا اليه
اسق يا زبير فقط فامره بمقدار من السقي من غير استيفا لحقه بتمامه كما
صرح به البخاري وقال له فامره بالمعروف وكان اراد الانصاري ان يرسل
الما لارضه من غير حبس له اصلا مع انه يمر على ارضه اولا وله فيه حق
شرب تام فابى الانصاري فامره صلى الله عليه وسلم بمجرد السقي وقال
اسق فقط اي افعل السقي من غير استيفا لحقك ثم ارسل الما لجارك
وامره بالمعروف بمعنى الجميل من الاحسان او العادة المعروفة ورعاية
الجار والمراد به الوسط المعتدل فقال له اي قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم الانصاري الذي ذكرناه لما قال اسق الخ أن كان ابن عمتك
يا رسول الله بفتح الهمزة اي حكمت له لانه ابن عمتك لانه ابن صفية بنت
عبد المطلب لان ان المخففة مطرد معها تقدير حرف الجر ولو في صدر
الكلام كما يطرد مع المشددة كقوله تعالى ان كان ذا مال وبنين وحكى
الكرماني فيه كسر الهمزة على انها شرطية مقدرة الجواب وفي فتح الباري انه

ابن اقبرس

عنه

غير معروف في الرواية لكنه يؤيده ما في رواية ابن اسحاق وان كان ابن عمتك وهمزة
الاستفهام على هذا مقدرة وتمد الهمزة اذ ذكرت كما ذكره المص والقرطبي آان كان
ابن عمتك نحو قوله آالله اذن لكم وهي رواية عندهما من غير هذه الطريق وفي رواية
ابن معمر انه ابن عمتك فقال ابن مالك في توضيحه يجوز في هذه الرواية فتح همزة انه
وكسرها فاذا فتحت قدرت لام قبلها جارة واذا كسرت قدرت قبلها الف استفهام
لانها وقعت بعد كلام معلل بمضمون ما بعدها كقوله لا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة وقد روي بهما فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عرض
له لون غير لونه الذي كان له من حمرة الغضب لقول الانصاري المذكور وعلم انه ساه
وقيل انه كناية عن الغضب وانما سامحه صلى الله عليه وسلم في مقاله هذا
ولو صدر من غيره الان وجب قتله لانه كان من المنافقين المؤلفة قلوبهم
وكان له صلى الله عليه وسلم ان يعفو عن مثله كما قال لئلا يتحدث الناس ان محمدا
يقتل اصحابه وهو خاص به وبعده يقتل قايله كما قاله النووي ثم قال
صلى الله عليه وسلم بعد ما غضب من قوله وكونه لم يرض بما هو اكثر من حقه
وقد حكم له بالعدل والحق فلم يرض بحكمه طمعا او بغيا منه اسق يا زبير حديقتك
نخلك ثم احبس الما اي السد بجراه حتى يبلغ الما الذي حبسه الجدر الحديث اي
الى اخره المروي في البخاري والموطا وغيرهما وهذه رواية وفي الرواية الاخرى
هنا حتى يبلغ الكعبين وهما بمعنى وتقديم المص لها ليس في محله كما تقدم وفي
رواية الموطا حتى يرجع الى الجدر وهو بفتح الجيم وسكون الدال وبالرا المهملتين
بمعنى الجدار وروي بضم الجيم جمع جدار وروي بفتح الجيم وكسرها وذال معجمة
من جذر الحساب وجذر كل شي اصله والمراد به الحايط ولما كان ذلك مختلفا قدره
بما يبلغ الكعبين وبه قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير هذه القصة
وقيل المراد به ما يجعل من التراب حول الزرع وهو الظاهر والمعنى واحد كما تقرر
وحاصل السؤال انه صلى الله عليه وسلم حكم اولا بحكم ثم رجع عنه وهو ينافي
العصمة في اقواله الذي قرر نحوه ولذا قيل انه يدل على ان الحاكم يجوز له
نقض حكمه ولا دليل فيه لما سياتي فالجواب عما ذكر انه صلى الله عليه وسلم
منزه اي مبعد ومبرا من ان يقع بنفس مسلم اي في فكره وذهنه منه صلى
الله عليه وسلم في هذه القصة التي قضا فيها وحكم بها على غيره امر
يريب اي يوقع سامعه في ريب وشك في اقواله ويظن انه صلى الله عليه
وسلم بقصد رمنه قول من غير تامل وتثبت ثم يرجع عنه ولكنه صلى
الله عليه وسلم ندب الزبير اي دعاه وطلب منه اولا حين قال له اسق الى
الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط اي الاعتدال من غير افراط
ولا تفريط وعلى وجه الصلح بينه وبين الانصاري لانه كان مستحقا لغير
ذلك فلما لم يرض بذلك اي بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعطايه فوق حقه الاخر اي الرجل الاخر المخاصم وهو الانصاري
ولج اي ابدى اللجاج عنادا منه في خصومته للزبير رضي الله عنه وقال

منه

ما لا يجب ان كان هذا بضم المثناة التحتية وكسر الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة من احبه
يحبه وان كان بفتحها وكسر الجيم فالحق ان يقول ما لا يجوز لكن مثله كثير في عبارتهم
وقد سبق مثله فالمراد به ما لا يجوز ايضا لان غير الواجب يصدق على الحرام والمباح
بل والمندوب فاريد به بعض افراده ايما الى انه يقتصر في حقه على الواجب له
فما لكن بحرام يقتضي لرده وما قيل من ان الوجوب بمعناه اللغوي وهو السقوط
كقوله تعالى وجبت جنوبها اي ما لا يسقط عن قايله حرمته حتى يحدده
اسلامه وينوب عنه تكلف لا تؤديه العبارة بلا قرينة استوفى اي وفى وكمل
صلى الله عليه وسلم للزبير حقه من الشرب من غير مسامحة وقد ترجم البخاري
على هذا الحديث المذكور في هذه القصة والترجمة في الاصل كما تقدم
تفسير لغة باخرى فيكون بمعنى ايصال الكلام لمن لم يسمعه كما في قوله
قد احوجت سمعي الى ترجمان ◦ وفي عرف المصنفين عنوان الكلام بذكره اجمالا
مع لفظ الباب ونحوه وهو المراد هنا بقوله **باب**
بالتنوين اذا اشار الامام بالصلح بين خصمين فابى اي امتنع احدهما مما
اشار به حكم الحاكم عليه اي على من ابى الحكم بالحكم الحق الذي ابا ما هو اكثر من
حقه فالالف واللام في الحكم للعهد وهو الحكم البين فلا يقال انه سقط منه
لفظ البين المروي فيه كما قيل وذكر البخاري في اخر هذا الحديث المذكور
فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حقه اي استكمله واصل معناه جعله
في الوعا فتجوز به عن لازم معناه والضمير للحكم او للرسول لادنى ملابسة او
للانصاري على زعمه بتكلمه به ولو رجع للزبير في عبارته لزم عوده على متاخر
وروي انهما لما خرجا من عنده صلى الله عليه وسلم مرا على المقداد فقال
لمن كان القضا قال الانصاري لابن عمته ولوى شدقيه ففطن له يهودي كان
مع المقداد فقال قاتل الله هؤلا يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه
في قضا يقضي به بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى عليه
الصلاة والسلام فدعانا الى التوبة فقال اقتلوا انفسكم فبلغ قتلانا
سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس ان
الله يعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت وقد جعل
المسلمون المراد بهم العلما الفقها وعبر بهذا لان المسلمين في العصر الاول
اكثرهم علما مجتهدون هذا الحديث اصلا اي قضية كلية وقاعدة مضبوطة
في قضيته اي قضية الزبير في منازعته مع الانصاري والمراد بالاصل
الماخوذ من هذه القضية انه يسقي حايطه حتى يبلغ الما فيه الكعبين
من القايم ثم يرسله كله لمن يليه او يرسل ما زاد عن حاجته له كما في
التمهيد لابن عبد البر وقيل المراد انه اذا تحاكم خصمان فللحاكم ان
يصلحهما على امر فيه رفق وتوسعة فان اتفقا او احدهما امضى حكم
الله عليهما وفيه اي في هذا الحديث ما يوخذ منه ويستنبط الاقتدا
به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله ما لم يعلم انه من خصايصه في حال

غضبه

عرضي

تلمساني

غضبه ورضاه اما الرضا فظاهر واما الغضب فلعصمته صلى الله عليه وسلم ولانه لم
يكن يغضب لنفسه وانما يغضب لانتهاك حرمات الله كما في هذه القضية وانه صلى
الله عليه وسلم وان نهى في حديث رواه الشيخان ان يقضي القاضي وهو غضبان
لانه غير معصوم فربما حمله الغضب على امر لا يرضي والجملة حالية بخلاف النبي
صلى الله عليه وسلم والنهي فيه محمول على الكراهة كما صرحوا به فانه في حكمه
في حال الغضب والرضا سوا لكونه فيهما اي في الغضب والرضا معصوما حفظه الله
عن ان يصدر منه فيهما ما يخالف امر ربه وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في
هذا الامر الذي صدر من الانصاري انما كان لله تعالى لنسبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم للهوى الذي حماه الله منه مما يقتضي الردة والقتل ولكنه عفا عنه لما
مر لا لنفسه فانه لا ينتقم كما جا في الحديث الصحيح الذي قدمنا ذكره من انه
انما كان يغضب لله وانتهاك حرماته وقيل الغضب في كراهة حكم الحاكم فيه
كل ما يشوش الفكر من جوع ومرض وذهب بعضهم الى ان من غضب لله لا يمتنع
من الحكم ايضا لانه ممتنع فلا يرتكب امرا يخالف امر ربه قياسا عليه صلى الله
عليه وسلم وظاهر الحديث يقتضيه والمفتي قيل انه مثل القاضي ايضا وقد
يفرق بينهما وكذلك اي مثل ما ذكرنا رواه ابو نعيم في الحلية وهو الحديث
في اقادته عكاشة الاقادة افعال من القود للدابة مقابل السوق ثم استعمل
في الاقتصاص بالنفس وغيرها لان الجاني يقاد ليستوفي منه غالبا فاريد به
لازم معناه وصار حقيقة فيه والمصدر مضاف لفاعله وعكاشة معروف
من الصحابة وعينه مضمومة وكافه مخففة ومشددة وهو علم منقول
واصله العنكبوت وفي كتاب ليس لابن خالويه عكاشة صاحب النبي صلى الله
عليه وسلم واهل الحديث يخففونه وانما هو مشدد وعكاش اسم موضع
انتهى من نفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم في قصة وقعت قبيل وفاته
صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه اذا جا نصر الله الخ قال لجبريل قد نعيت
فقال له الاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى فامر بلالا
ان ينادي الصلاة جامعة فاجتمع الصحابة في مسجده صلى الله عليه وسلم
فصلى بالناس وصعد المنبر وخطب خطبة وجلت منها القلوب فقال
ايها الناس اي نبي كنت لكم فقالوا جزاك الله عنا خيرا فلقد كنت لنا كالاب
الرحيم والاخ الشفيق اديت رسالة الله وبلغت وحيه فجزاك الله عنا
افضل ما جزا نبيا فقال معاشر المسلمين انشدكم بالله عز وجل من كانت له علي
مظلمة فليقم فليقتص مني وكرره فقام شيخ يقال له عكاشة فتخطى المسلمين
حتى وقف بين يديه صلى الله عليه وسلم لولا امرك ما كنت لاقدم على شي
لما انصرفنا من الفتح حاذت ناقتي ناقتك فرفعت القضيب فضربت خاصرتي
ولا ادري اعمدا كان ذلك امر لا فطلب صلى الله عليه وسلم قضيبه ودفعه
لعكاشة وقال له اضرب اذ كنت ضاربا فقال ضربتني وانا حاسر عن بطني
فكشف له رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقبله وقال فداك ابي وامي

من يطيق ان يقتص منك فقال له اما ان تضرب او تعفو فقال قد عفوت رجا ان يعفو
الله عني في القيامة فقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى رفيقي في الجنة
فلينظر لهذا الجعلوا يقبلونه بين عينيه ويهنونه بذلك وهو حديث طويل ذكره
ابن الجوزي في الموضوعات وقال السيوطي انه اخرجه ابو نعيم في الحلية ولم
يقل انه موضوع ونحو تعقب له وعلى هذا اعتمد المص لم يكن ما صدر منه صلى
الله عليه وسلم في ضربه عكاشة لتعمد اي عن عمد منه حمله الغضب عليه اي على
فعله بغير حق بل وقع في هذا الحديث نفسه لا في حديث اخر ان عكاشة قال له
صلى الله عليه وسلم حين اراد القود منه وكان تعلق بزمام ناقته صلى الله عليه
وسلم فنهاه ثلاث مرات وضربني بالقضيب وهو عصا كان في يده الشريفة فلا
ادري أعمدا كان هذا كان عمدا تعمدا منك لضربي ام اصابة لي خطا وقد اردت
غيره وهو انك ضربت الناقة فاصابني ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
اعيذك بالله اي اجعلك في حفظه يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى الله
عليه وسلم بضرب لم تستحقه وفيه التفات من التكلم الى الغيبة واصله ان
اتعمدك فاتى باسمه الظاهر اشارة لعصمته صلى الله عليه وسلم مما قاله عكاشة
لان من هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصدر منه مثله وعكاشة هذا هو
ابن محصن صحابي بدري وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر
ان سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب ادع الله لي ان يجعلني منهم فقال انت
منهم فقال اخر مثله فقال له سبقك بها عكاشة فضرب مثلا كما في الاصابة
وكذلك اي مثل ما وقع لعكاشة ما وقع في حديثه صلى الله عليه وسلم الاخرمع
الاعرابي وهذا الحديث لا يعرف من رواه ويحتمل انه حديث عكاشة بعينه
حين طلب الاقتصاص منه صلى الله عليه وسلم لضرب فلما قال له اقتص مني
ومكنه من نفسه فقال الاعرابي قد عفوت عنك اي تركت ذلك برضى مني
وكان صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد
اخرى ففيه ترك ادب يستحق به الضرب تعزيرا فلم يكن ذلك الا بحق فلا يستحق
به الاقتصاص ولكنه صلى الله عليه وسلم فعله كرما منه وتطييبا لقلبه من
غير حق له ففي كان تأديبا وتشريعا مستحقا للحمد لا للعفو والنبي صلى الله عليه
وسلم بنهاه عن تعلقه بزمام الناقة وسوء ادبه وعبر بالمضارع حكاية
للحال السابقة استحضارا لصورتها كما في قوله ويقول له اي للاعرابي
تدرك حاجتك اي اقضيها لك وتصل اليها فدع الزمام وهو يأبى ارسال
زمام ناقته الحاحا منه فضربه بعد نهيه ثلاث مرات حلما منه صلى الله
عليه وسلم وتحملا لابرامه عليه ثم بين الوجه في هذا وانه غير منافٍ لما
قرره من عصمته في غضبه ورضاه فقال وهذا الذي وقع منه صلى الله
عليه وسلم لم يقف عند نهيه لعدم امتثاله لعدم امتثاله كالوقوف لمن لم يقف
ففيه استعارة وكذا في قوله عند نهيه فهي مكنية تخييلية صواب
لا جور وخطا يستحق به القود وموضع ادب في الحضور عنده يستحق من له

بتادب

يتادب فيه التاديب والحكم فيه مفوض له صلي الله عليه وسلم لكنه صلي الله عليه وسلم
اشفق اي رحم من ترك الادب عنك بعد ضربه بحق اذ كان بحق لنفسه علة لاشفاقه مع
استحقاقه للتاديب من الامر اي من الحال الذي وقعت فيه هذه القصة حتي عفا عنه
صلي الله عليه وسلم وان كان ما فعله من ضربه تاديبا له وزجرا عما فعله من سو الادب
بعد تكرار نهيه له كما تقدم فلم يقع منه لغضبه امر خالف عصمته ومراد المص بقوله
حق لنفسه انه امر يتعلق به صلي الله عليه وسلم وبذاته لعدم امتثاله نهيه اللا
له شرعا وليس المراد انه ما فعله انتقاما لحظ نفسه وهواها واعلم ان العلامة ابن القيم
قال في كتاب اعلام الموقعين ان الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة قالوا ان الضربة واللطمة
لا قصاص فيهما شرعا وانما فيهما التعزير وادعي بعضهم فيه الاجماع الا ان لبعضهم فيه
خلافا جري فيه علي خلاف القياس الا انه مقتضي النصوص وعليه عمل الصحابة لقوله
فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم فاعتبر واعتبروا ولا ريب ان
لطمه بلطمة وضربه بضربة اقرب الي المماثلة من التعزير بغير جنس اعتدائه وهو
هدي رسول الله صلي الله عليه وسلم والخلفا الراشدين حتي عقد له المحدثون
بابا ترجموه بباب القصاص في الضربة واللطمة ورووا فيه اثارا انتهي اقول
الظاهر ما عليه الفقها وهو مقتضي القياس لانه لا يمكن ضبطه وقد يوجد فيه
تفاوت فاحش كمن ضرب شخصا علي عينه ولم تضره فربما تخرج عينه ضربة
القصاص وانما فعله الصحابة لوثوقهم بعدم تجاوز افعالهم فلا نقيس انفسنا
عليهم فلا وجه لما قاله ابن القيم واما حديث سواد بن عمرو عن عطية الانصاري
الذي رواه ابو القاسم في معجم الصحابة وابن سعد وابن عبد الرزاق في جامعه
عن الحسن وسواد بن عمرو هذا انصاري صحابي وليس هو سواد بن غزية الا انه
وقع نقل مثل هذه القصة عنه وانه صلي الله عليه وسلم طعنه بالعصا
في خاصرته لكن لا علي هذا الوجه كما ياتي وما وقع في بعض النسخ عمرو بن سواد
غلط من الناسخ وقال ابن الملقن في شرح البخاري بعد ما نقل ما في الشفا هذا
لم يدرك النبي صلي الله عليه وسلم فانه صاحب ابن وهب فان ثبت هذا فلعله
صحابي اخر وافق اسمه واسم ابيه لكن القصة معروفة لسواد بن عمرو والظاهر انه
انقلب عليه انتهي وذكر ابن عبد البر انه سوادة بن زيادة الحا قال سواد اتيت
النبي صلي الله عليه وسلم وانا متخلق بخلوق جملة حالية اي متضمخ بالخلوق وهو
نوع من الطيب يخلط بالزعفران ولونه بين الحمرة والصفرة وقد ورد في بعض
الاحاديث النهي عنه وفي بعضها اباحته والنهي قيل انه متاخر ناسخ لاباحته
لانه معتاد في النسا والتشبه بهن غير جائز ولذا ذهب شيخ والدي الشيخ
شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمي الي حرمة الحنا علي الرجال لغير التداوي
يعني في غير اللحية فقال ورس ورس خطخط الورس نبت اصفر باليمن
يصبغ به ويتعطر فهو منهي عنه كالخلوق والحنا وحكمه حكمه وهو حرام
للنهي عنه في الحديث وذكره وكرر للانكار عليه وورس بوزن ضرب وخط
امر له كرر تاكيدا ايضا وتقديره اعليك ورس فيجوز رفعه علي انه مبتدا

او خبر مبتدا مقدر وسكون السين للوقف وتقديره وطاحط ساكنة او مفتوحة كما
يجوز في كل امر مسند الى الآخر كرد وامثاله اردد واحطط ويجوز ان لا يقدر فيه شيء
ويقصد به ما مر ايضا فتدبر وهو من طيب النسا ايضا وعنسبني بمعجمتين بمعنى
ضربني وهو استعارة معروفة كما يقال جلله وقنعه بالسوط ومثله قوله
تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب بقضيب اي عصي كان عادته صلى الله
عليه وسلم حمله في يده في بطني اي عليها وجعله لتمكنه منه كانه فيها له
فاوجعني ضربه او هو يضربه فقلت القصاص يا رسول الله اي اسالك او
اطلبه منك فكشف لي عن بطنه لاضربه اقتصاصا كما فعل بي وانما ضربه
صلى الله عليه وسلم لمنكر رآه عليه وهو تطييبه بما فيه تشبه بالنسا يستحق
التعزير عليه وقيل انه كان محرما فيمتنع عليه الطيب فما فعله صلى الله عليه
وسلم به امر مشروع له زجرا للفاعل له بالفعل بعد القول ولكنه اجابه للقود
تواضعا ولطفا ورحمة منه كما تقدم وقد كان المضروب يعلم انه منهي
عنه ولعله صلى الله عليه وسلم لم يرد بضربه الا تنبيهه على ما راه منه
مما لا يليق فاراد الاشارة اليه بقضيب في يده لينزعه ولم يرد ضربه اولا
فمسه بشدة ولم يقصد ضربه فلما كان اي وجد منه ايجاع مولم له وهو
لم يقصده بضربه اياه طلب التحلل منه بالقود حتى لا يبقى له عليه حق
فدفع الشبهتين بوجهين احدهما انه تعزير مشروع له لكنه تكرم باجابته
لما علم انه لم يقصد قوده وانما قصد تقبيل جسده الشريف والثاني انه
خطا معفو عنه وفعله صلى الله عليه وسلم تعليما للامة وهذا اجاد على ما قدمناه
في قصة عكاشة وذكر ابن اسحاق انه صلى الله عليه وسلم عدل صفوف اصحابه
يوم بدر وفي يده قدح يعدل به فمر بسواد بن غزية متنصلا عن الصف
فطعنه في بطنه بالقدح وقال له استو يا سواد فقال له اوجعتني يا رسول
الله وقد بعثك الله بالعدل فاقدني فكشف له عن بطنه وقال استقد
فقبل بطنه واعتنقه فقال له صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا
قال حضر ما ترى فاردت ان يكون آخر العهد بمس جلدك فدعا له صلى
الله عليه وسلم

## فصل قال القاضي

رحمه الله واما افعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية اي المتعلقة
بامور دنياه لا بالعبادة والعقايد فحكمه فيها من توقي المعاصي اي
اجتناب المحرمات شرعا والمكروهات كراهة تنزيه بقرينة مقابلة المعاصي
ما قدمناه خبر قوله حكمه المبتدا اي انه صلى الله عليه وسلم معصوم عنها
فان وقع منه مكروه لبيان الجواز كشربه قايما فهو لتعليم امته فلا يكون
مكروها في حقه وما قيل هنا من انه غير منهي عنه فلا حاجة لذكره لغو
من الكلام لا حاجة للاطالة بمثله ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه

ابن اقبرس

فانه

فانه جوزه في العبادات فيعلم جوازه في هذا بالطريق الاولى وكله اي ما ذكر من
السهو وما بعده غير قادح وغير ضار في النبوة بل حسن منه لما فيه من التشريع
بل ان هذا مع انه غير متحقق صدوره فيهما اي في افعاله على الندور اي قليل
جدا والنادر ما قل وقوعه ولا حكم له اذ عامة افعاله اي اكثرها واقع على
السداد بفتح السين المهملة اي الاعتدال والقصد ويجوز ان يريد بالعامة
الكل بجعل غيرها كالعدم والصواب وعدم الخطا بل اكثرها اي افعاله صلى
الله عليه وسلم او كلها جارية مجرى العبادات والقرب بضم ففتح جمع قربة
وهي العمل الصالح الذي يتقرب به الى الله على ما بينا فيما تقدم وانما ان اكثرها
كذلك فلان منها مباحات كالاكل والشرب ونحوه وانما كون كلها عبادة فلانه
محمول على تعليم الاباحة وتقوية الجسد للطاعة ونحوه مما يجعل العادة عبادة
اذ كان صلى الله عليه وسلم لا ياخذ منها اي من الدنيا او افعالها الا ضرورته اي
مقدار ما يضطر اليه ويحتاج له وما يقيم رمق جسمه اي ما به قوام حياته اي بقيته
وقوته والرمق معناه بقية الروح والحياة والقليل من العيش الذي يسد
الرمق وفيه مصلحة ذاته اي ما يصلحها كما يدفع الحر والبرد ويدخل فيه طعامه
ودوابه وخدمه ونساوه ومؤنتهم التي بها يتعبد به ويقيم شريعته ويسوس
امته اي يضبطهم ويحكم عليهم لانه معنى السياسة لغة قال
وكنا نسوس الناس والامر امرنا وهذا بيان لجهة العبادة المقصودة بما قبله
يقال ساس الرعية اذا حفظها واقام امرها واما ما كان بينه وبين الناس من
ذلك اي امور الدنيوية الجارية منه في معاملة امته ومحبتهم فبين معروف
اي امر جميل حسن لان المعروف يراد به هذا وبين هنا للتقسيم كما يقال امري
بين كذا وكذا ايصنعه اي يوصله ويفعله لهم من احسانه وتكرمه عليهم
وبر اي مبرة وعطا يوسعه عليهم باعطا ما يغنيهم او كلام حسن يقوله
لهم مما يلطف به ويلين قلوبهم ويعظهم ونحوه او يسمعه بفتح اوله
وثالثه اي يسمعه من غيره ويبتغي له او بضم اوله وكسر ثالثه كما قيل وما
قبله اولى لانه حينئذ لا فرق بينه وبين ما قبله الا بتكلف او تالف شارد
اي نافر عن طاعة الله ورسوله كجفاة الاعراب المؤلفة قلوبهم بالعطا
وجهات البر واللطف حتى يذيقه الله حلاوة الايمان ويهديه الله له
او قهر معاند فيردعه ويزجره حتى يرجع قهرا عليه لما يريد او مداراة حاسد
بملاطفته وتحمل اذاه والاغضاء عن قبائحه كما كان يفعله صلى الله عليه
وسلم مع المنافقين واهل الكتاب وقال صلى الله عليه وسلم راس العقل
بعد الايمان مداراة الناس وكل هذا الامر الذي كان بينه وبين الناس
لاحق بصالح اعماله اي ملحق بعباداته ومعدود منها ومثاب عليه لما فيه
من المنافع والمزايا الدينية منتظم في زاكي وظايف عباداته اي معدود
من عباداته الموظفة اللازمة كالصلاة فهذه الجملة حسن موافقة كانه
من نقابيها المعدودة منها وفي سلكها وفيه استعارة مخيلة وزاكي

برهان

بمعنى نامي وقد كان صلى الله عليه وسلم يخالف افعاله الدنيوية اي يخالف غيره فيما
يخصه منها بحسب اختلاف الاحوال التي تعرض له فيقتضي المخالفة لحاله اخرى له ويعد
بضم اوله وكسر ثانيه وتشديد داله اي يهيئ ويقدم ويتدارك منه للامور التي
تستقبل اشباهها اي ما يناسبها ويشابهها فيركب في تصرفه اي حركته من مكان لاخر
لما قرب اي لمكان قريب حال اقامته الحمار لسهولة ركوبه مع ما فيه من عدم التكبر
وكان له صلى الله عليه وسلم حمار يسمى يعفور مذكور في السير ويركب في اسفاره
البعيدة الراحلة وهو من الابل ما يقوى على الحمل ذكرا كان او انثى وهاؤه للمبالغة
لتحمله الرحيل وركوبه في السفر مناسب لتلك الحال لقوته وصبره وكان صلى الله
عليه وسلم له عدة ابل مذكورة في السير وقد يركب صلى الله عليه وسلم احيانا
قليلة البغلة في معارك الحرب اي في مواضع اوقات وقع فيها المعاركة والمقاتلة
في حروبه وذلك لقوة قلبه صلى الله عليه وسلم وشدة باسه وعدم خوفه
من عدوه وكان ذلك بحنين وقد اشتد الباس وبغلته التي ركبها هي دلدل
وكان منهبا ذكر اهدا هاله المقوقس وله بغلة اخرى والكلام عليه في السير
دليلا على الثبات وانه لا يمكنه ان يفر ولا يريده اذ لو اراده ركب الخيل وتعقب
دليلا على انه مقصود له او حال ولا يرد على الاول شي لاتحاد فاعل العلة والمعلل
لانه الراكب والدال وكان صلى الله عليه وسلم كما مر اشجع الناس وقال علي كنا
اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ويوم حنين لما راى
شدة العدو وان من اصحابه من بعد ركب بغلته فقصد امنه حتى لا يقال فر
وليشجع غيره لان البغل لا يصلح للكر والفر فانظر هذا ففيه معجزات له
نعلم مما في السير وكان صلى الله عليه وسلم يركب الخيل ايضا ويعدها اي
يهيئها ويجهزها ليوم الفزع اصل معنى الفزع الخوف ثم كني به عن خروج
الناس بسرعة لدفع عدو ونحوه اذا جاءهم بغتة وصار حقيقة فيه كما في
كامل المبرد فليس هو استعارة كما قيل واغاثة الصارخ هو المصوت
للاعلام بامر يطلب من يغيثه فهو معطوف على يوم او الفزع وفيه اشارة
لما وقع له صلى الله عليه وسلم بالمدينة من سماعه صراخا ظنه عدوا هجم
على المدينة فركب فرسا لابي طلحة كان قطوفا اي غير سريع المشي وذهب
وحده فلم ير عدوا ورجع فلقيه من خرج خلفه راجعا فقال لهم لن تراعوا
اي لا تخافوا فقيل له كيف وجدت الفرس فقال وجدته بحرا اي واسع
الخطو فلم يسبقه فرس بعد ذلك فقوله ذلك ويقال للفرس الواسع الخطو بحر
لان اصل معنى البحر السعة وكذلك اي كما ان ما بينه وبين الناس كان على
احسن نظام كان حاله في لباسه اي ملبوسه وسائر احواله وافعاله
كلها متناسبة من غير تكلف فيها وتصنع فكان يصنع كل شي في محله وهو
معنى قوله السابق يعد للامور اشباهها كما قيل ❁
فاقسم لكل محل ما يليق به ❁ فان للرجل حليا ليس للعنق ❁
بحسب اعتبار مصالحه الخاصة به في نفسه ومصالح امته وكذلك كان يفعل

العقل

الفعل من امور الدنيا وان لم يكن له فيه رغبة مساعدة اي معاونة لامته فهو منصوب
مفعول له وسياسة اي قد يفعله لاجل سياستهم اي حفظهم وكراهية لخلاف فيها
بتخفيف اليا مصدر والضمير للامة اي يفعل ما لم يرده احيانا جبرا لقلوبهم وتانيسا
بعدم مخالفتهم فيما يجوز وان كان قد يرى غيره كتركه او فعل امر اخر لعله خير لامته
لانه احب اليه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا اي ما يرى
تركه خيرا من فعله في الامور الدينية كما تقدم في امور الدنيا مما كان له الخيرة بكسر الخا
وفتح المثناة التحتية كما في المقتبس وقال غيره انه بكسر الخا وسكون المثناة اسم من خار
الله في كذا او ما قيل انه بفتحهما ليس بوجه اقول لا وجه لهذا فان فعله بكسر ففتح
مما ثبت في المصادر كخيرة وطيرة وفي الاسما كخيرة كما صرح به النحاة في احد وجهيه
دون الاخر اي مما خيره الله في فعله وتركه ولولا ذلك لم يجز مثله في الامور الدينية
ثم مثل له بقوله كخروجه صلى الله عليه وسلم باصحابه من المدينة لاحد اسم جبل
معروف كانت عنده الوقعة المذكورة في السير فخرج لمحاربة ابي سفيان وقريش وكان
اذ ذاك مذهبه اي رايه صلى الله عليه وسلم المختار عنده والمذهب يطلق على هذا
المعنى كما قال ابو نواس
ومن مذهبي حب الديار لاهلها ۝ وللناس فيما يعشقون مذاهب
التحصن بها اي عدم الخروج منها وذلك لان لبعض الصحابة رضي الله عنهم الذين
لم يحضروا غزاة بدر احبوا خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة للقتال
وكان صلى الله عليه وسلم راى رؤيا تدل على قتل بعض اصحابه وامور اخر فقصها
عليهم واولها لهم كما في السير واراد ترك الخروج فرغبوه فيه فدخل منزله
فلبس درعه ولامة حربه فندموا على مخالفته وقالوا له لما خرج الراي لك
فقال ما كان لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه ومضى
فكان ما كان من جراحته وقتل حمزة وغيره فهذه مفسدة دينية ترك فيها ما احبه
لما راه اصحابه وكلاهما امر جائز ومن ذلك تركه قتل المنافقين وهم المظهرون
للاسلام مع اخفا الكفر وهو لفظ اسلامي لا تعرفه العرب قديما ماخوذ من نافقا
اليربوع وهو مخرج يستره في جحره ليخرج منه اذا احس بما يؤذيه ويطلق على كل من
خالف ظاهره باطنه كما تقدم بيان ذلك كله وهو صلى الله عليه وسلم على يقين من
امرهم باخبار الله له به وبما يظهر من احوالهم من ايذائه وما يبلغه عنهم مما لو ظهر
الان اقتضى كفرهم وزندقتهم وقتلهم ولكنه صلى الله عليه وسلم حكم
بظاهر حالهم مؤالفة لغيرهم ممن يرجى اسلامه او خلوص ايمان من قرب
عهده بالاسلام ورعاية للمؤمنين من قرابتهم اسم جمع بمعنى الاقربا كالصحابة
كما قاله ابن مالك فلا يحتاج لتاويل او تقدير كما توهم وبذلك تسر وتطيب
وتطمئن قلوبهم وهما مفعول لاجله وكراهة لان يقول الناس من اعدائه
قد شاع بينهم ان محمدا يقتل اصحابه ويتهددون به من يريد الاسلام عنه
كما جا في الحديث الذي رواه البخاري في عبد الله بن ابي بن سلول لما قال
في غزوة بني قينقاع ليخرجن الاعز منها الاذل وبلغه صلى الله عليه وسلم ذلك

تلمساني

فقال لبعض الصحابة تقتله لنفاقه فقال صلى الله عليه وسلم فكيف اذا تحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه والحديث مشهور ومما كان يتركه فيه احد الجايزين نظيرا
للحوامل تركه بنا الكعبة على قواعد ابراهيم حين بناها مع اسماعيل عليه الصلاة
والسلام وكان مقدار اذرع من الحجر ستة او سبعة او خمسة داخل فيها ولها بابان
ملصقان بالارض فلما بنتها قريش قبل البعثة لم تف نفقتهم ببنائها كذلك
فاخرجوا بعض الحجر منها وجعلوا لها بابا واحدا مرتفعا والكلام على ذلك وكم
بنيت وامتناعه وجوازه مفصل في محله وللسيد السمهودي فيه تاليف مستقل
تغيير مراعاة لقلوب قريش مفعول لاجله فانها لا ترضى بذلك وتعده تغييرا
لما ثرهم للتودد لعجزه عنهم وتعظيمهم لتغييرها عما بنته اباوهم ولخوفهم
من هدمها وحذرا من نفار قلوبهم عنه صلى الله عليه وسلم لمن لم يقوا ايمانه
ومن به بقية من الجاهلية وتركه حذرا من تحزبك متقدم علا ولهم للدين
اي دين الاسلام واهله فقال صلى الله عليه وسلم لعايشة في الحديث الصحيح
الذي رواه الشيخان وغيرهما لولا حدثان قومك بكسر فسكون مصدر بمعنى
الحدوث منذ القدم اي تجدده وعدم رسوخه والمراد به هنا القرب اي لولا قرب
عهدهم بالكفر والشرك لاتممت البيت اي لبنيته على تمامه وكماله على قواعد
ابراهيم التي كان بناه عليها وعلى هيئته الاولى بادخال بعض الحجر الخارج منه
فيه والصاق بابيه بالارض وجعل ارتفاعه على ما كان عليه ومن تركه احد
احد الجايزين ما يقاربه ويشبهه نهيه صلى الله عليه وسلم كان يفعل الفعل
الذي صدر منه ثم يتركه لكون غيره خيرا منه وان كانا جايزين له كانتقاله
من ادنى ابار مياه بدر وهي ارض معروفة اي قيامه برحله من منزله عنده
وقد اشار عليه الحباب بن المنذر به كما تقدم الى اقربها للعدو وذلك
العدو من كفار قريش الذين وقعت معهم غزوة بها وتغوير ما استغني
عنه من العيون تضييقا عليهم لعطشهم وكونهم وكان نزل اولا على غير
الما فقال له الحباب بن المنذر ابوحي هذا ام راي قال راي فاشار عليه
بما ذكر ونزل عليه جبريل وقال الراي ما اشار به الحباب كما تقدم
وكقوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع كما رواه الشيخان لو
استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي الى اخر الحديث والهدي
بفتح فسكون وبا مخففة وبجوز كسر ثانيه وتشديد اليا وهما لغتان وهو
ما يساق من الابل لينحر في الحرم ويتصدق بلحمه وهو انه صلى الله عليه وسلم
احرم بالحج مفردا وساق معه هديا فلم يحل له ان يلبس ويحل من احرامه
حتى يبلغ الهدي محله يوم النحر وكان اصحابه رضي الله عنهم تمتعوا بالعمرة
وفكوا احرامهم فلما علموا انه صلى الله عليه وسلم لم يتمتع كرهوا تمتعهم
بلباسهم ونسايهم خلاف رسول الله فقال لهم صلى الله عليه وسلم لو
استقبلت الخ اي وددت اني مثلكم اتمتع لو لم يمنعني سوق الهدي
وعقد النية وهذان امران جايزان فعل احدهما اولا وغيره احب اليه

بيانا

بيانا للجواز واختلف ايهما افضل كما ذكر في كتب الفقه وقوله استقبلت من امري
المراد من امر احرامه ومعناه لو لم يتقدم مني ما صدر مما يمنع موافقتكم وهو سوق
الهدي واستقباله كناية عن عدم وقوعه وتقدمه واستدباره كناية عن وقوعه
لان ما وقع ومضى كان خلفك وما لم تفعله فقد امكن موجود ولو للتمني اي وددت
ان ما صدر مني من سوق الهدي كانه لم يكن حتى اوافقكم والشاهد فيه لما ذكره ظاهر
وكان صلى الله عليه وسلم يبسط وجهه للكافر والعدو وممن هو من اعدائه وحياءه
استيلافه اي ان يولف بينه وبين المسلمين لهداية للاسلام وعدم نفوره لما يراه
من لطف الله به واظهاره له ما يحبه وتقدم ان بسط الوجه عبارة عن البشاشة
واظهار المسرة لان غيره يقطب وجهه فيجمع اسارير جبهته وكان صلى الله عليه وسلم
يصبر للجاهل المراد به هنا غير متعارف فهم فانه في كلامهم بمعنى ذو العتو والغلظة
والتكبر الحامل على التجاوز كقوله ويجهل فوق جهل الجاهلينا اي يصبر ويتوقر
صلى الله عليه وسلم اذا بدا من مثله ما لا يريده وسئل عنه كما ورد في حديث رواه
الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ان من شر الناس شر مخفف اشر اسم تفضيل اي
اخبثهم واكثرهم شرا من اتقاه الناس اي توقوا منه وتجنبوه وسالوه وراعوه
خوفا منه لشره اي من اجله فان مثله يجتنب منه ويبذل بموحدة وذال معجمة اي
يعطى له الرغائب جمع رغيبة وهي ما يرغب فيه كالعطايا الكثيرة ونحوها ليجتنب
البذ شر ذمته فان الجاهل ميله للدنيا فاذا راها منه احبه واطاعه فيما يامره به
من الشرع ودينه به من دانه اذا ساسه وقهره والفرق بين الدين والشريعة مشهور
وسولى اي كان صلى الله عليه وسلم يباشر ويفعل بنفسه في منزله اي في داخل
بيته مع اهله ما يتولاه ويفعله الخادم لتواضعه صلى الله عليه وسلم من
مهنته المشهور المنزل اوله وهي بفتح الميم وسكون الهاء والنون قبل تاء التانيث
والمشهور وهي بمعنى الخدمة واصلها الابتذال والمسموع فيها الفتح والكسر خطأ
وان كان هو القياس كالخدمة والجلسة كما نقله الزمخشري عن الاصمعي وفي
القاموس المهنة بالكسر والفتح وككلمة الحذق والخدمة والعمل وعن عائشة كان صلى الله
عليه وسلم يخصف النعل ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل احدكم في بيته
ويقم بيته ويحلب شاته وياكل مع الخادم ويعجن ويحمل حاجته من السوق
كله للتواضع وتعليمه للامة وهو من سنن الانبياء ويتسمت بفتح تاء المضارعة
تفعل من السمت وهو التلبس بالهيئة الحسنة والسمت بسين مهملة
وهو القصد الحسن وقيل الهيئة والمنظر الحسن في نفسه ولباسه وفي القاموس
السمت الطريق وهيئة اهل الخير والسير على الطريق والقصد انتهى واهل
المعقول يستعملونه بمعنى المقابل للشيء والجهة وهو قريب منه وفي
ملابه في بعض النسخ بفتح الميم واللام وكسر الهمزة قبل المشهور وعليه اقتصر
الشارح الجديد وهو المناسب بما قبله من قوله في منزله اي كان صلى الله
عليه وسلم في منزله على نهج الخادم في خدمته وغيرها فان ابرز للملا
من اصحابه وجلسائه من الاشراف برز على هيئة حسنة مستترا بازاره

لشدة حيائه وادابه و قال البرهان وغيره انه في ملاءته بضم الميم والمد جمع
ملاءة وهي الملحفة وفي المطالع لابن قرقول انه مقصور مهموز ونقله النووي
عن المشارق للمتن قال هو غلط من الناسخ بلا شك والملا جماعة يملؤن العيون
مهابة وجلالة والاول انسب ايضا بقوله وحتى الخ وقال التلمساني انهما
روايتان اعني ملائه وملائه حتى لا يبدو اي لا يظهر منه شيء يكشفه من اطرافه
اي اطراف بدنه كساقه واقدامه كما هو عادة الاشراف المحتشمين في الخلوة
والنادي وحتى كان على رؤس جلسائه الطير اي لمهابته ولهيبته ذلك لا يرفع
احد عنده راسه ولا يطيل نظره اليه توقيرا له وتكريما لرزانة عقولهم
لان الطير لا يقع الا على ساكن من جذع وحائط ونحوه فشبهوا بذلك ووجه
الشبه ظاهر كما قلت في مقصورتي في مدحه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
كانما الطير على رؤسهم * من كل غصن في ربا المجد نما *
ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم اي بما كان لمن قبله من اوائلهم بحكاية
ما كان قبل الاسلام من حروبهم كيوم بعاث وغيرها كحلف الفضول وقيل المراد
انه يتكلم بحديث اول متكلم منهم اي بما يناسبه لا انه يعيده لهم ويتعجب مما
يتعجبون منه لحسن صحبته ولا يعارضهم ولا ينكر عليهم تانيسا لهم وجبرا
لخواطرهم لكمال خلقه ولطفه ويضحك معهم مما يضحكون منه مما يقتضيه
حديثهم فلا يعبس كالجبابرة الا ان ضحكه صلى الله عليه وسلم على عادته
التبسم بلا قهقهة وبلا ابداء داخل الفم فلا ينافي قول عائشة ما رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا اي ضاحكا بجميع فمه حتى تبدو
لهواته قد وسع الناس اي عم جميع من عنده بشره اي طلاقة وجهه وبشاشته
في وجوههم ووسعهم عدله وتسويته بين جلسائه او لا يحيف ويجور على احد
عنده او على احد من الخلق اصلا لا يستفزه اي لا يقلقه الغضب اي اذا امده
من احد ما يغضبه لوقاره وشدة صبره على الاذى من بعض المنافقين وجفاة
الاعراب الواردين عليه قال تعالى واستفزز من استطعت اي ازعجه وهو
من الفز بمعنى الخفة ومع حلمه لا يقصر عن الحق فيوفيه حقه ولا يترك منه شيئا ولا
يبطن اي لا يخفي في باطن امره على جلسائه ممن هو عنده شيئا مما يؤذيه ويقول
لاعلامهم بانه لا يخفى عليهم امرا ما كان اي لا ينبغي ولا يليق ولا يصح وما كان
لهذه المعاني لنبي ان تكون له خائنة الاعين اي ليس له ان يغمز ويشير بطرف
عينيه لاحد ان يفعل شيئا اخفاه ولم يتكلم به وقد تقدم ذلك في حديث
الفتح وارادته صلى الله عليه وسلم قتل ابن ابي سرح لما توقف عن مبايعته
ليقوم له من يضرب عنقه لانه صلى الله عليه وسلم كان اهدر دمه فلما
بايعه ومضى قال هلا قام اليه من يضرب عنقه فقيل له هلا اومات الينا
يا رسول الله فقال ما كان لنبي الخ وحرمة ذلك عليه عدت من خصائص
الانبيا كما مر وفي النهاية خائنة الاعين ان يضمر في نفسه ما لا يظهره
لبسانه فيومي له بعينيه وهو خيانة والخائنة مصدر بمعنى الخيانة

اواصله الاعين الخاينة وقد تقدم فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم لعا نسخة
في حديث رواه الشيخان وغيرهما عنها في الداخل عليها وهو عيينة بن حصن الفزاري
وقيل هو مخرمة بن نوفل القرشي وقيل انهما واقعتان تعددتا بيس ابن العشيرة
هو والعشيرة بنوا الاب الادنون او القبيلة فلما دخل الان له القول اي تلطف بعد ما قاله
في حقه وضحك معه لمقاله الدال على حمقه فلما سالته صلى الله عليه وسلم عايشة
عن ذلك الذي فعله معه بعد ما قاله قال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره
تقدم تفسيره قريبا وكيف جاز منه صلى الله عليه وسلم ان يظهر له خلاف ما يبطن
اي يخفيه عنه او مطلقا ويقول في ظهره اي في غيبته بعد ما ذهب وولى ظهره
ما قال في حقه من قوله بيس ابن العشيرة بعد الانة القول له وضحكه في وجهه
وقد مر ان عيينة هذا من المولفة قلوبهم وكان قبل اسلامه دخل بغير اذن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عايشة فقال له بلا اذن فقال
ما استاذنت على احد من مضر اي لانه كان رئيسا في قومه ويقال له الاحمق المطاع
في قومه ثم قال له ما هذه الحميرا فقال ام المومنين فقال الا انزل لك عن اجمل
منها فقالت يا رسول الله من هذا قال هو الاحمق المطاع في قومه وهو على ما
ترى سيد قومه ثم اسلم وله ترجمة فيها بعض اموره وقيل في الحديث دليل
على جواز غيبة الكافر والفاسق المجاهر وياتي ما فيه وما فعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم مداراة لا مداهنة والفرق بينهما مشهور وياتي عن قريب
وقد قيل لو ذكر المصنف هذا في الفصل الذي قبله كان اولى والجواب عماذكر ان فعله
صلى الله عليه وسلم لما ذكر كان استيلافا لمثله من اجلاف العرب واشرارهم رجا
لاسلامهم ودفعهم بالتي هي احسن حتى يلين قلبه ويحسن اسلامه وقد وقع وكان
معه من قومه اكثر من عشرة الاف والمراد بمثله من هو سيد مطاع كثير الاتباع
وهو انسب بما بعده وقول القرطبي ان هذا الحديث يدل على ان عيينة
كان له سوء الخاتمة لجعله في الحديث شر الناس لا وجه له لان الحديث عام غير
مخصوص بالمذكور حتى يدل على ما قاله فهو شامل لكل متصف بهذه الصفة
وتطيبا لنفسه حتى يذعن للاسلام فيهديه الله له حتى يشاهد معجزاته صلى
الله عليه وسلم ويشرق عليه من نوره ما ينشرح به صدره ليتمكن ايمانه
اي يقر ويثبت في قلبه بحيث لا يقبل الزوال ويدخل بسببه كانه كان رئيسا
كثير الاتباع كما مر في الاسلام اتباعه لانقيادهم له وكونه معهم كظل لا يفارق فه
ويراه اذا اسلم واطاع مثله من سادات العرب والجبابرة منهم فينجذب اي
ينقاد مذعنا الى الاسلام لما يراه من اتباع غيره له من الروسا فمثل هذا
اي من قوله لاحد من الناس في وجهه شيا وذكره خلافه بعد ذهابه على هذا
الوجه يخرج فيقال انه في حق من تحل غيبته وانه لتاليف القلوب لما ذكر
من الفوايد قد خرج بهذا عن حد مداراة الدنيا اي عن المداراة التي هي
لاجل امور الدنيا الى السياسة الدينية اي التدبير بتاليف القلوب لدايه
لدخول الناس في الاسلام من غير ضرر ولغيبه فهو من جملة مصالح الدين وسياسته

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتالفهم اي يطلب تالف قلوبهم للاسلام ببذل
اموال الله من الغنايم العريضة اي الكثيرة جدا والعرض مقابل الطول يستعار
لما ذكر كثيرا فيقال له مال وغنى عريض ووجه الشبه ظاهر واختياره على الطول
ادخل في المبالغة لانه اذا عظم عرضه علم عظمة طوله التزاما كما لا يخفى وهذا
نحو ما وقع له صلى الله عليه وسلم انه اعطى بعضهم واديا مملوا بالغنم فاسلم
واسلم قومه لما قال لهم يا قوم انه يعطي عطا من لا يخاف الفقر فكيف لا يتالفهم
مع تالفهم بالاموال العريضة بالكلمة اللينة فانه يعلم بالطريق الاولى ويبعد عدمه
جدا والاستفهام انكاري يفيد الاستبعاد كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم وعطاياه صلى الله عليه وسلم وكثرتها للمولفة قلوبهم لا تخفى وهو
مداراة حسنة وقربة عظيمة والفرق بينها وبين المداهنة ان المداهنة ما فيه
رضى بامر غير مشروع لغرض فاسد والمداراة ما فيه لطف بامر مشروع محمود
لمصلحة محمودة قال صفوان بن امية بن وهب الجمحي الصحابي احد الاشراف الفصحا
الاجواد اسلم بعد حنين وتوفي سنة اثنين واربعين واخرج له اصحاب السنن
وفي الصحابة من اسمه صفوان غيره ستة عشر لقد اعطاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو ابغض الخلق الي لما كان في قلبه من عداوته له صلى الله عليه وسلم
فما زال يعطيني من مواهبه الجزيلة من غير سوال حتى صار احب الخلق الي لما راه
من احسانه له من غير امتنان وعطفه على ما كان منه في الكفر والعدوان ثم اشار
الى جواب سوال تقديره انك قلت ان قوله بئس ابن العشيرة لم يقله في وجهه
والذي خالعه قاله لمولفه وهذا غيبة محرمة شرعا فكيف صدر منه صلى الله
عليه وسلم ما حرمه الله تعالى بقوله وقوله صلى الله عليه وسلم عنه اي في حق
عيينة بن حصن الداخل عليه بغير اذن كما مر بئس ابن العشيرة هو في حقه
غير غيبة منهي عنها بل هو تعريف ما علمه منه من خصاله القبيحة المذمومة
لمن لم يعلم حاله وعرفه ذلك ليحذر حاله ويحترز منه باجتنابه ليسلم من شره
ولا يوثق بجانبه اي بما يكون من جهته من قول وفعل كل الثقة اي وثوقا
كليا لما علم من حمقه وجاهليته لا سيما وقد كان مطاعا اي سيدا مهابا في العرب
يطاع امره متبوعا اي له اتباع كثيرة من العرب اذا امرهم اطاعوه فيخشى
من شره ومثل هذا الذي صدر منه صلى الله عليه وسلم من ذمه له مع لين
قوله له اذا كان لضرورة اقتضاها الحال من دفع شره بلا ضرر عاجل منه
للمسلمين يشق دفعه ودفع مضرة اي ازالة ضرر لم يكن ذلك بغيبة
منهي عنها شرعا حتى يعترض ويقال كيف يصدر مثله منه صلى الله
عليه وسلم وهو معصوم ثم انتقل على طريق الترقي في تنزيه مقام
النبوة فقال بل كان جايزا منه لتعريف حاله من غير قصد ذمه بل كان
واجبا عليه صلى الله عليه وسلم ان يبين بعض عيوبه لامته اذا خشي
من لا يعرفها في بعض الاحيان جمع حين والمراد زمان توقع الضرر فلا
يجوز تاخير بيانه عن وقت الحاجة اليه كعادة المحدثين اي علما الحديث

النبوي في تجريح الرواة بذكر عيوبهم لئلا يعمل بما رووه كفلان كذاب او غير ثقة او اختل
عقله او دينه والجرح معروف استعير لذكر العيوب كقوله ولا يلتام ما جرح اللسان
وصار حقيقة فيه وكعادة المزكين في تجريحهم الشهود اذا سالهم الحاكم عنهم ليقبل
شهاداتهم او لا يجب عليهم ذكر ما يعلمون من حالهم خيرا او شرا وسمي مزكيا واصله
من تطهر بدفع المعايب ونفيها اشارة الى ان حق الانسان ان يتصف بالخير وشاع
في المعنى العام وكان هذا واجبا لما فيه من دفع الفساد عن الاحكام الشرعية ه
وصيانة حقوق الناس وقد استثنوا من الغيبة مع ما ذكر امورا اخر في صور
ستة ذكرناها في غير هذا المحل وجمعها بعضهم في قوله

القدح ليس بغيبة في ستة　متظلم ومعرف ومحذر
ولمظهر فسقا ومستفت ومن　طلب الاعانة في ازالة منكر

فقول المص الغالب بغيبة يجوز بقاؤه على ظاهره ان قلنا هذه لا تعد غيبة
شرعا لجوازها ووجوبها فان قلنا الغاذكر المرء بما يكره في غيبته مطلقا فيقيد
بقيد مقدر اي ليست بغيبة يأثم قائلها ويمتنع عليه شرعا فلا يرد عليه شيء
فان قيل فما معنى المعضل اسم فاعل من اعضل الامر اذا اشكل واعيى وكان
هذا مشكلا لما سياتي وليس المراد بالمعضل هنا مصطلح اهل الحديث واصل
الاعضال عسر الولادة فاريد به ما ذكر ووقع في نسخة الفصل بقاف وصاد مهملة
الوارد في حديث بريرة رضي الله عنها الذي رواه الشيخان وبريرة بمعنى فعيلة
بمعنى فاعلة ام ومفعوله وكانت مملوكة لبعض الانصار او بني هلال او لهما وقيل
كانت لعتبة بن ابي لهب وقيل لبعض بني كاهل وكانت تخدم عايشة رضي الله عنها
قبل عتقها وتوفيت في زمن معاوية رضي الله عنه واختلف في جنس بريرة فقيل
كانت قبطية غير سودا وقيل حبشية سودا من قوله صلى الله عليه وسلم بيان
للحديث المعضل لعايشة وقد اخبرته ان موالي بريرة اي المالكين لها ابوا بيعها
اي امتنعوا من بيعها واختلف في المخبر له صلى الله عليه وسلم هل هو عايشة
او بريرة او غيرهما كما وقع في روايات للحديث الا ان يكون لهم الولا اي ولا
العتاقة وهو معروف في كتب الفقه فانهم قالوا كاتبوها فعجزت واستعانت
لعايشة رضي الله عنها فقالت لها ان اراد اهلك دفعت لهم ثمنك واعتقتك
ويكون ولاؤك لي فابوا ذلك وكانوا كاتبوها على تسعة اواق في كل سنة وللفقها
اختلاف في صحة بيع المكاتب مطلقا او اذا عجز كما بينوه فقال صلى الله عليه
وسلم لها اي لعايشة لما اخبرته بقولهم اشتريها منهم واشترطي لهم الولا
كما ارادوا ففعلت اي اشترتها بشرط ان الولا لهم اذا اعتقتها والولا
عصوبة شرعية معروفة وفي الحديث الولا لحمة كلحمة النسب ثم قام صلى الله
عليه وسلم على منبره خطيبا على عادته فيما اذا اراد بيان امر للناس فقال
صلى الله عليه وسلم في خطبته ما بال اقوام اي ما شانهم وكان عادته صلى
الله عليه وسلم ابهام من صدر عنه ما لا يرضاه فلم يقل ما بال فلان ه
والاستفهام انكاري يشترطون شروطا غير جائزة ليست في كتاب الله ولا

ايضاً

عرضي

ولم يشر عنها لهم من امور الجاهلية كل شرط ليس في كتاب الله ولا في حديث نبيه صلى الله عليه
وسلم الذي هو حكمه فهو باطل كشرط الولا هنا لهم والشرط على اقسام جايز وممتنع
ولغو وباطل وتفصيله في كتب الفقه لاحاجة للتطويل به هنا ثم بين وجه الاشكال
في الحديث بقوله والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها اي عايشة رضي الله عنها
بشرايها بالشرط لهم اي بشرط الولا لهم اذا اعتقتها وعليه باعوها اي على هذا
الشرط وقع بيعهم لها ولولاه اي شرط الولا بضمير متصل وهو جايز والافصح
انفصاله نحو لولا انتم وبيانه في كتب النحو والله اعلم جملة معترضة بتفويض
علمه لله تعالى تادبا لما باعوها من عايشة لانهم ابوا البيع بدونه كما تقدم
كما انهم لم يبيعوها قبل مبني على الضم اي قبل شرط الولا لهم حتى شرطوا
ذلك اي كون الولا لهم ثم ابطله صلى الله عليه وسلم وهو اي والحال انه صلى
الله عليه وسلم حرم الغش اي التلبيس واخفا ما يضر فقابل النصح والخديعة
فقال من غشنا فليس منا ولا خلابة اي لا خداع في المعاملة فكيف امر عايشة
بقبول ما لا يجوز ولولاه ما باعوها ففيه غش وخديعة قد فعله بقوله
فاعلم اكرمك الله كما اكرمت مقام النبوة بتنزيهه عما لا يليق به والجملة
دعائية معترضة لدفع الاعتراض ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه اي
مبرا ومبعد عما يقع في بال الجاهل بالحديث ومقام النبوة اي في فكره
او قلبه وخاطره لا شانه وحاله من هذا الامر الذي يتوهم انه غش وخديعة
ولاجل تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك الذي يتوهمه جاهل بما ذكر
ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من الزيادة
اشترطي لهم الولا وانما انكروها اذ ليست في طرق الحديث هذا ما ذهب اليه
الخطابي وقيل ان الشافعي ذكر في الام وانه وقع في طريق لم يتابع عليها وهو
مردود وقد علمت ان الواقع في النسخ تنزيه بصيغة المصدر فما زايدة وهو
ظاهر وراه بعضهم تنزهه مضارع فاعرب فاعلا له والظاهر انه من تحريف
الناسخ وعدم تثبت المقابل ومع ثبوتها وصحة روايتها وهو الذي عليه
الاكثر ورواه الثقاة من طرق متعددة صحيحة فلا وجه لانكارها لكنه
اختلف في توجيهه بوجوه تاتي وحينئذ فلا اعتراض بها على هذا التقدير
لان ثبوت هذه الرواية هو الذي ذكره الجمهور وقالوا انه ورد من طرق صحيحة
وما قيل انها لم ترد الا من طريق واحد لم يتابع عليه مردود كما في شروح
الصحيحين والحامل عليه ما ذكر من الاشكال وهو مدفوع بوجوه منها ما اشار
اليه بقوله اذ يقع لفظ لهم بمعنى عليهم على ان اللام بمعنى على في كلام العرب
كعكسه والشاهد عليه ما قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة اي عليهم
وقال تعالى وان اساتم فلها اي عليها كقوله ولهم سوء الدار فعلى
هذا التاويل بجعل اللام بمعنى على كما في الايتين يكون معنى الحديث
فاشترطي عليهم الولا لك يا عايشة فان الولا لمن اعتق لا لمن باع ويكون
على هذا التقدير قيام النبي صلى الله عليه وسلم على منبره ووعظه بقوله

عرضي

دلجي

مابال

ما بال اقوام الخ انكارا وزجرا لما سلف منهم اي لما تقدم من مواليها من شرط الولا على
بريرة بنت صفوان قبل ذلك اي قبل وعظه تاديبا لهم وارشادا لمن خالف كتاب الله وربعته
وهذا التوجيه منقول عن المزني واسنده البيهقي الى الشافعي رضي الله عنه وجزم
به الخطابي وصححه وانكره غيره وقال النووي انه ضعيف لانه صلى الله عليه وسلم
انكر اشتراطهم ذلك ولو كانت اللام بمعنى على لم ينكره وكونه انكاره لارادتهم الاشتراط
لهم اولا يأباه سياق الحديث وقال ابن دقيق العيد رحمه الله اللام تدل على اختصاص امر
ما ضارا كان او نافعا كما نقول العقاب لزيد فلا حاجة لجعلها بمعنى على حيث لا لبس
وعلى كل حال فضعف هذا الجواب ظاهر ووجه ثان كما استسلكوه في هذا الحديث
بعد ثبوت روايته هكذا ان قوله صلى الله عليه وسلم في هذه الرواية لعايشة
اشترطي لهم الولا ليس صادرا منه صلى الله عليه وسلم على معنى الامر فان صيغة الامر
ترد لمعان كثيرة نحو ثلاثين كما بين في الاصول وان كان حقيقتها المتبادرة
منه الامر الطلبي ثم استدرك ببيان المراد به على هذا فقال لكن انما ورد منه امر اشترطي
على معنى التسوية اي تسوية الاشتراط وعدمه وامثله اشترطي ولا تشترطي كما ياتي
وهذا المعنى يرجع الى الاباحة والتسوية من معاني او وقد يضاف للامر ايضا
وجمع بينهما بانه يفهم من قرينة السياق فيصح نسبته لكل منهما ويؤيد هذا وان
قيل انه ضعيف جدا انه ورد في بعض طرقه اشترطي او لا تشترطي فانما الولا لمن
اعتق ولما كان هذا يتوقف على ان الموالي كانوا يعلمون ان هذا الشرط شرعا غير
معتبر اشار الى ذلك بقوله والاعلام بالجر عطف على التسوية بان شرط لهم اي شرط
الولا للموالي المذكورين لا ينفعهم ولا يفيدهم شيا منه لعدم وروده بما يجوزه
بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبني على الضم اي قبل وقوع هذه
القصة ان الولا انما هو لمن اعتق فكانه صلى الله عليه وسلم على هذا التقدير
قال لها اي لعايشة اشترطي ولا تشترطي فالاشتراط وعدمه سوا ويؤيده انه
روي هكذا كما مر وانما استوى هو وعدمه فانه شرط غير نافع لانه لغو لا يفيدهم
انتقال الولا لهم والى هذا التوجيه ذهب الداودي وهو الامام ابو الحسن عبد
الرحمن بن محمد بن المظفر بن داود المعروف بالداودي كما تقدم في ترجمته وغيره
من العلما وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم اي تعييرهم بتقبيح فعلهم
على منبره وتقريعهم بلومهم بين الناس على ذلك اي على امتناعهم بدون اشتراط
الولا لهم يدل على علمهم به اي بعدم نفع اشتراطهم قبل هذا اي قبل
ما قاله صلى الله عليه وسلم لهم لانهم لا يكونون معذورين بجعلهم لهذا
غير مستحقين للتقريع والتوبيخ فسقط ما قيل انه مخالف للظاهر متوقف
على ثبوت علمهم بهذا الحكم قبل خطبته صلى الله عليه وسلم الوجه الثالث
في الجواب عن هذا الاشكال ان معنى قوله اشترطي لهم الولا اخبار ان مقدره
تقديره صحيح ونحوه اذ لا يصح اقتران الخبر بالفا في قوله اي اظهري لهم
حكمه من انه لمن اعتق لا يتخطاه لغيره وان شرط له ويبقى لهم عندهم
سنته اي طريقته وما شرعه هي بالمعنى اللغوي لا مقابل الفرض

ابن اقبرس

ان الولا انما هو لمن اعتق بفتح الهمزة والتشديد بدل من قوله سنته ثم تعقد هذا الذي
ذكره من عدم فائدة الشرط قام هو صلى الله عليه وسلم في خطبته مبينا ذلك الحكم
ومن خالفهم على مخالفة ما تقدم منه صلى الله عليه وسلم من ان هذا الشرط لا يجدي
نفعا وفيه اشارة لما قدمه من ان لهم علما بهذا الحكم قبل خطبته وفيه اي في الولا او
في امر بريرة ولا يخفى ما في هذا الوجه من الاغلاق فان اراد قائله ان امر اشترطي
ليس على ظاهره وانما هو مجاز عن معنى اظهري لهم حكم الاشتراط وبيني لهم حكم
الله فيه وطريق النبي صلى الله عليه وسلم وشريعته في انه انما هو لمن اعتق
فوجه المجاز فيه وعلاقته غير بينة وقد قيل في بيانه ان هذا الامر للتهديد
لهم كقوله اعملوا فسيرى الله عملكم لانه سبق بيانه وكان امرا معلوما لهم ولغيرهم
فطلبهم له بعد ذلك امر منكر يستحق للتوبيخ وقال الشافعي في الام الخبر لما
عصوا الله باشتراط ما قضا بخلافه امرها ان تشترطه لهم بحسب الظاهر حتى يزجرهم
ويردهم لان توبيخ من ارتكب المعصية بعد ارتكابها اقوى من زجره قبله واعظم
في النهي عنه فقال لها اشترطيه ليتاتى ردعه وقال بعضهم هذا الامر لترك
المخالفة والنزاع فالامر مجاز عن التخلية بينهم وبين ما ارادوا واظهار العدم
امتثالهم للنهي السابق وهو ابلغ زجرة لاباحة وهذا ما قرره المفسرون في قوله
تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله فعبر عن التخلية بينهم وبين
الاضرار مجازا وقال النووي انه حكم خاص بعائشة رضي الله عنها وفيه نظر
ثم استطرد ببعض ما وقع لغيره صلى الله عليه وسلم من الانبيا مخالفا لما قرره
من براءتهم عما تقدم فقال فان قيل فما معنى فعل يوسف بن يعقوب نبي الله
عليهما الصلاة والسلام باخيه شقيقه بنيامين اذ جعل السقاية هي انا
من فضة او ذهب مرصع او من زبرجد وفيه اقوال اخر كان يشرب اولا منه ثم جعل
صاعا يكال به ولها قصة عظيمة قد سماها يوسف ادا امر باخفائها بين امتعة اخيه
لياخذه بها وكان من شرعهم اخذ من سرق والرحل رحل البعير والامتعة المتاع
التي تحمل عليه واخذه اي اخذ يوسف اخاه باسم سرقة اي بسبب نسبته
لسرقة الصاع واقحم اسم اشارة الى انها تهمة لا اصل لها كما يقولون ما للفلان
من الامر الا اسمه وما جرى على اخوته في ذلك اي ما كان بينهم في تلك القصة
كما بينه المفسرون والمؤرخون وقوله اي يوسف صلى الله عليه وسلم انكم
لسارقون ولم يسرقوا فكيف يقول ما لا اصل له وهو نبي معصوم ففيه
اشكال يشبه ما في قصة بريرة فاعلم علما يزيل عنك الشبه اكرمك الله بما
من الله به عليك من العلم ان الاية التي في قصة يوسف تدل بظاهر النظم على
ان فعل يوسف مع اخوته كان عن امر الله تعالى له بوحي يتعبد فيه قل لهم
كذا وافعل معهم كذا فلا يرد عليه اعتراض لانه بامر الله وبحكمه لقوله
تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشا الله الاية
فاذا كان ذلك كذلك اي ما فعله بامر الله وتعليمه واذنه له فيه فلا اعتراض به
عليه فيما قاله وفعله وبما وقع من تكلمه بخلاف الواقع لانه يجب عليه

امتثال

في رحل

كذلك اي مثل ذلك الكيد كدنا
ليوسف اي بينا الكيد له بان اوحيناه
اليه لياخذ اخاه في دين ابيه
لانه اولى من حكم غيره ما كان لياخذ اخاه فيضمه الى نفسه في دين الملك
اي حكمه اذ كان في دينه ضرب السارق وتغريمه مثلي ما سرقه
دون الاسترقاق الا ان يشاء الله بان يجعل ذلك الحكم حكم ملك مصر
علي القاري

امتثال امر ربه ولو كان ما امر به مخالف لشريعته فانه لا يسال عما يفعل وقد يامر بعض
انبيايه ان يحكم بالباطن لحكمة كما في قصة الخضر عليه الصلاة والسلام مع موسى وبه
استدل من ذهب من الايمة الى جواز الحيل كابي حنيفة واصحابه خلافا للشافعية
فان لهم فيها خلافا فاصغنا كذلك كدنا ليوسف علمناه ما يكيد به اخوته حتى ياخذ اخاه منهم
والكيد قريب من المكر وهو اظهار ما يخالف الباطن للتحيل على امر يريده ودين الملك
بمعنى طاعته بابقايه بمصر او ما كان من دينه من اخذ من سرق وقوله الا ان يشا الله
يدل على ان فعله بارادته ورضاه ولهذا اسقطت الشبهة المذكورة وان كان فيه ما فيه
اي وان وقع فيه بما ذكر مما يخالف ظاهر الواقع ويقتضي الخديعة مما يليق بمقام
النبوة وايضا مما يجاب به عن هذه الشبهة فان يوسف لما كان اعلم اخاه بنيامين
حين اخذه من اخوته بكيده وتدبيره فقال له سرا وهم لا يعلمون باني انا اخوك
فلا تبتيس اي لا تحزن فيكون عندك بوس وشدة حين اسند لك السرقة واخذك
عندي وامره ان لا يعلمهم بما قاله له فرضي وقال اذن لا افارقك بما كانوا يعملون
مما يقولون ويخافون وكان ما جرى عليه اي على اخي يوسف بعد هذا اي
بعد اعلامه بما ذكر من وفقه تلقاو قاف اي من اتفاق جرى بينهما سرا ورغبته
في الاقامة معه وانه لا عقوق فيه لابيه وعلى يقين من عقبى الخير له به اي بتيقنه
ان هذه القصة يعقبها خير لهم ولابيهم باجتماع شملهم ويعفو عما سلف منهم
عاجلا واراحة اي ازالة السو والمضرة عنه اي عن اخيه بذلك اي بما علمه مما
سيكون بعد رغبته في اقامته عنده وان لم تعلم اخوته به واما قوله عز وجل
في حكاية القصة ايتها العير اي اصحاب هذه الدواب والابل الحاملة لكم من عار
بمعنى ذهب وجا انكم لسارقون للصاع وهم لم يسرقوا حقيقة فهو افترا غير
لايق فليس من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وانما قاله غيره ممن لم
يقف على حقيقة الحال فيلزم هو سرنب على النبي فهو منفي ايضا اي فلا يلزم عليه
جواب لحل شبهة ترد عليه لانه كذب حقيقة وقوله لحل بلام جارة وفي
نسخة بالبا وفي اخرى مضارع والكل صحيح متقارب معنى الا انه قيل عليه
انه محتاج للجواب عن اقرار يوسف قايله على امر قبيح والاقرار على القبيح
كفعله فان كان يوسف لم يسمعه لم يحتج لذلك ولعل قايله الذي
هو غير يوسف ان حسن ظننا المجهول من التحسين له التاويل اي تاويل
اسناد السرقة لهم كما بينا من كان غير يوسف لعدم عصمته وتنزاهته بخلافه
هو ظن على صورة الحال ذلك اي راي ظاهر حالهم كحال السارق لوجود ما ليس
لهم بين امتعتهم فظن سرقتهم له وان جاز ان يكون غفلة وسهوا
او وضعه فيها غيرهم وقد قيل في الجواب ايضا ان كان القايل يوسف
فهو قال ذلك نظرا لفعلهم قبل اي قبل هذه الحال الواقعة بيوسف
وبيعهم له من السيارة فانه في معنى السرقة وهذا ابنا على انهم باعوه
بانفسهم لا من اخرجه من البير او لانهم لم يسرقوه وانما ذهبوا به باذن
ابيهم ولم يبيعوه وانما القوه في الجب لكنهم في فعلهم هذا وما كان

سببًا له كمن سرق حجرا وباعه فلا يرد عليه اعتراض بما ذكر ولا يلزم لنا ان نقول
بضم النون للمتكلم مع غيره وفتح القاف وتشديد الوا والمكسورة وفاعله نحن مستتر
ومفعوله الانبيا ما اي نسند لهم عتابهم قولا لم يأت اي لم يرد وهو غير لايق بمقامهم
اليهم قالوه مع انه يجوز ان يكون القايل غيرهم كما ذكره القاضي بطلب الخلاص
منه بتاويله وصرفه عن ظاهره ولا يلزم احدا من العلما الاعتذار عنه لان غيرهم
اي غير الانبيا عليهم الصلاة والسلام لعدم عصمتهم وجواز صدور مثله منهم

## فصل في بيان حكمة الابتلا

لبعض الانبيا بالامراض ذكره بعد ما قرر عصمتهم ونزاهة ذواتهم وصفاتهم
واقوالهم وافعالهم عن كل نقص لانه ربما يتوهم جاهل ان الابتلا بمثله غير
لايق بهم ايضا فقال فان قيل مقوله مقدر تقديره هم معصومون عن النقايص
فما الحكمة جواب الشرط اي اجرا الله الامراض والاسقام المولمة لابدانهم الطبيعة
وشدتها عليه صلى الله عليه وسلم وعلى غيره من الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين وكانت صلى الله عليه وسلم امراضه اشد من غيره كما ياتي وسيل
عنه فقال انا كذلك تشدد علينا ويضاعف لنا الاجر وهو حديث صحيح رواه
ابن ماجه وعن عايشة رضي الله عنها ما رايت احدا كان اشد عليه الوجع من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وايضا بدنه الشريف الطف من غيره واللطيف
يتاثر اكثر من تاثر الكثيف وما الوجه فيما ابتلاهم الله اي الانبيا به من البلاء
بيانه للضمير والوجه يكون بمعنى السبب الذي يوجهه يقال ما وجهه اي ما
حكمته وسببه وامتحانهم بما امتحنوا به اي معاملتهم معاملة المحنة ليظهر
صبرهم ورضاهم والمراد بالمحن غير الامراض من المصايب كما سياتي كايوب اذ
ابتلاه بامراض شديدة ويعقوب في حزنه وشدة بكايه حتى ذهبت عيناه
ويحيى هذا امثال المحن لقتله وزكريا ابتلي بالقتل ايضا كما مر وعيسى ابتلاه
باليهود وكيدهم وابراهيم ابتلي بالقاء نمرود له بالنار ويوسف ابتلي بفراق
ابيه له والقايه في السجن والجب ودانيال ويقال دانال ايضا وهو اسم اعجمي
غير منصرف بدال مهملة وما في بعض الكتب مصحف انبيا من اعجامها لا اصل له
وقيل معناه الحكم لله وهو نبي غير مرسل كان في زمن بخت نصر وكان من اعز
الناس عنده فوشوا به له فالقاه واصحابه في الاخدود وهذا ما ابتلي به
وقصصهم مفصلة تطول لذكرها وغيرهم من الانبيا كنوح وغيره ممن
ذكره الله في القران وبينه المفسرون وهم خيرته من خلقه حال مبينة
لوجود ورود السوال والخيرة المختار المجتبى بسكون اليا وقد تحرك والاول
اسم والثاني مصدر وقيل الوجهان فيهما وقيل بالعكس والاول هو
المعروف واحباوه واصفياوه اي الذين يحبهم ويحبونه وهم الذين
اصطفاهم الله واختارهم لرسالته وقربه فاعلم وفقنا الله واياك
للوقوف على الحكمة في افعاله ان افعال الله تعالى كلها عدل فلا يظلم

الامتحان من الله ان يظهر
من العبد ما كان منه في الغيب
يعلم

احدا من خلقه وان كان لا يجب عليه شيء وله ان يعذب كل من اراد لانه ملكه يتصرف فيه
كما يشا كما فصل في الكلام وكلماته اي اخباره ووعده صدق اي صادقة كلها لا مبدلة
لكلماته وهو السميع العليم فله ان يبتلي عباده كما قال عز وجل لهم ثم جعلناكم
خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون اي ليظهر للناس اعمالكم فيعلموا ٥
استحقاقكم لما انعم به عليكم ويجازيكم عليه اعظم جزا وقال لهم ايضا الذي خلق
الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي اودع فيكم اذ احياكم العقل والاحساس
الذي صح به تكليف الاحكام وان تعاملكم معاملة المختبر فيجازيكم بما تستحقونه ولتضمن
يبلو بمعنى يختبر العلم علق عن جملة ايكم الخ او فيه تقدير يعلم كما فصله المفسرون
وفيه كلام مشهور في المغني وشروح الكشاف وقال لهم ايضا ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم نفي العلم والمراد نفي المعلوم الذي هو
الجهاد ولما نافية جازمة بمعنى لم مع زيادة توقع المنفي في الماضي فيما يستقبل
ويعلم الصابرين منصوب بان مقدرة وقرئ بالرفع وقال لهم ايضا ولنبلونكم
بالجهاد والتكاليف حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على هذه المشاق ونبلو
اخباركم اي ما يخبر به من اعمالكم واحوالكم ساق المص هذه الايات لبيان حكمة الابتلا
وقوله لنعلم ولننظر وما في معناه مع تقدم علمه القديم وافعاله تعالى لا تعلل
بالاغراض عند بعضهم لبيان ما تعلق به علمه وانه لحكم تترتب عليه كالاغراض
الباعثة على الافعال والايات دالة على انه تعالى يبتلي بعض عباده ليظهر صبره
فيجازيهم اعظم جزا ففيه تسلية لهم وحث على الرضا بما قدره لهم فامتحانه
عز وجل لهم اي لانبيائه عليهم الصلاة والسلام المذكورين في هذه الايات
بضروب وانواع من المحن والمصايب التي ابتلاهم بها زيادة بالنصب مفعول
لاجله في مكانتهم اي منزلتهم العالية بالشرف عنده وكذا قوله ورفعة في
درجاتهم اي مراتبهم العالية حسا ومعنى ولاجل ان يكون اسبابا لاستخراج
اي لاظهار حالات الصبر المذكورة في طبايعهم من القوة الى الفعل حتى يعلمها
الناس وفي نسخة رفع اسباب وما عطف عليه على انه خبر مبتدا مقدر اي وهي
اسباب الخ والرضى في السرا والضرا بما قدره الله والشكر على كل حال لما يترتب
عليه من الثواب الجزيل والتسليم بنفسه لكل ما حصل والتوكل على الله تعالى
والتفويض بجعل امرهم مفوضا اليه والدعا والتضرع منهم اي اظهار الذل
والخشوع لله في كل حال وتاكيدا بالنصب والرفع وفي نسخة توكيدا وهي لغة
فيه لبصايرهم جمع بصيرة وهي القوة المدركة للمعاني كالباصرة في المحسوسات
فهم على بصيرة فيما ذكر وكون الابتلا ليتنبهم لما ذكر مفعول ومؤكد ومبين
لبصايرهم في رحمة الممتحنين اسم مفعول وهم من حلت بهم المحن والبلايا
غيرهم والشفقة على المبتلين بفتح اللام جمع مبتلي اسم مفعول وهو من
حلت به مثل بليتهم فانه لا يعرف الخطب الا من يقاسيه وتذكرة لغيرهم
وموعظة لسواهم اذ السعيد من تعبره اتعظوا بهم مع جلالة قدرهم
اذا لم يسلموا منها فكيف غيرهم ممن هو دونهم ليتاسوا اي يقتدوا بهم

ويكون لهم تطهيرا لهم اي والبلا الذي ينزل بهم ويتسلوا اي يكون لهم سلوة تذهب
حزنهم في المحن والمصايب بما جرى عليهم وترفع بهم وتعند واعي الصبر على
امثالهم فيقولون اذا كان انبيا الله واحباوه ابتلوا بمثل هذا فما بالنا نحن ومن جملة
الحكم في ابتلايهم محو الهنات جمع هنة وهي الهفوة اليسيرة ويكنى بها عن القبايح
كهن ويانى ما في هذه اللفظة والمعنى انها كفارة للصغاير وما يصدر عنهم سهوا
وامور تعد سيات بالنسبة لهم اذا فرطت منهم اي وقعت بسبب نوزيل تيسير
منهم تطهيرا لهم ورفعا لهم عن مثلها وان كانت جايزة او غفلات بفتحات
جمع غفلة وغفلتهم لاستغالا قلوبهم بامور اهمتهم سلفت لهم وتقدمت
منهم وقد غفرت ليلقوا الله بعد ابتلايهم وحصول مصايبهم مكفرة لما صدر عنهم
طيبين مبرئين من خبايث الذنوب ودنسها مهذبين اي مخلصين بما يصيبهم
من التهذيب واصله تنقية الاشجار بقطع الاطراف التي تزيده نموا وليكون
اجرهم اعظم عند الله واكمل فان ما يصيب المؤمن حتى الشوكة يوجر عليه
كما سياتي وثوابهم اوفر اي اكثر واجزل اي اعظم فيزيد كما وكيفا والاجر
والثواب بمعنى وقد يفرق بينهما بان الاجر ما كان في مقابلة العمل كالاجرة والثواب
ما كان تفضلا واحسانا من الله ويستعمل كل منهما بمعنى الاخر ثم ان المص رحمه الله
استشهد على كونه صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلا بحديث رواه الترمذي
والنساي وابن ماجه والحاكم فقال حدثنا القاضي ابو علي الحافظ هو شيخه
ابن سكرة كما تقدم قال حدثنا وفي نسخة اخبرنا ابو الحسين مصغرا وما في بعض
النسخ مكبرا غير صواب الصيرفي وقد تقدمت ترجمته وابو الفضل بن خيرون
تقدم ايضا قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي المعروف بزوج الحرة كما تقدم
قال حدثنا ابو عيسى الترمذي صاحب السنن المشهورة قال حدثنا قتيبة بن سعيد
كما تقدم قال حدثنا حماد بن زيد تقدم وفي بعض نسخ الترمذي شريك بدل حماد
عن عاصم بن بهدلة هو عاصم بن ابي النجود ابن بهدلة مولى بني اسد احد القرا
السبعة قال الذهبي هو ثبت في الحديث والقراات توفي سنة ثمان وعشرين
ومائة وله ترجمة في الميزان وبهدلة بفتح البا الموحدة وسكون الها وفتح
الدال المهملة واللام وبعدها ها ساكنة اسم الصغير سم بالف ومعناه الخفة
واسراع المشي وعوام مصر تستعمله بمعنى الاهانة فكانه مجاز للزومه للخفة
والنجود بفتح النون وضم الجيم وسكون الواو وبعدها دال وهي الحمارة الوحشية
التي لا تحمل ويقال هي المشرفة قيل وكل عاصم في المحدثين ردي الحفظ هذا استقرا
من الذهبي عن ابن القطان عن مصعب بن سعد عن ابيه هو سعد بن ابي وقاص
مالك بن اهيب احد العشرة المبشرة بالجنة وهو ثقة نزل بالكوفة وتوفي سنة
ثلاث عشر ومائة واخرج له السنة قال سعد قلت يا رسول الله اي الناس
اشد بلا بالامراض وغيرها قال الانبيا عليهم الصلاة والسلام اشد الناس
بلا ثم يليهم في شدة البلا الامثل فالامثل اي على الترتيب في الشدة والامثلية
بمعنى الافضلية يقال هو امثل بني فلان واماثل القوم ووساوهم من

المثالة

الثالثة وهي الفضيلة قال العباس

ابلغ لغير بني شهاب كلهم * وذوي الثالثة من بني عتاب

وقال الراغب الامثل يعبر به عن الاشبه بالافاضل والاقرب الى الخير وامائل القوم
خيارهم قال تعالى اذ يقول امثلهم طريقة وطريقة مثلى حسنة يبتلى الرجل على حسب
دينه الدين هنا بمعنى الطاعة اي بقدر طاعته وتقواه قوة وضعفا تكون بليته
فالاتقى اشد والاكثر بلاء فما يبرح البلاء اي لا يزال نازلا بالعبد المومن حتى يتركه يمشي
على الارض وهو كناية عن وجوده او صحته اي يصيره كذلك فان تركه يكون بمعنى كتركه
جزرا للسباع وهو حقيقة او مجاز من تركه بمعنى ابقاه كذلك وما عليه خطيئة
ظاهره ان نفس الامراض والمصايب تكفر السيئات وانها تكفر الصغاير والكباير لاطلاق
هذا الحديث وما جا في معناه وقيل انما يكفر الصغاير وبنفسها لا تكفر وانما يكفر
الصبر عليها واحتسابها واليه ذهب ابن عبد السلام وسياتي بيانه وكما قال
الله تعالى بما يدل على ما دل عليه الحديث وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير
الايات يعني فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله
يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في
امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الاخرة والله يحب المحسنين ففي هذه الايات ما يدل على ابتلا الانبيا وصبرهم
وكثرة ثوابهم عليه وكاين بمعنى كم كما بينه النحاة ومن نبي تمييز لها
والربيون جمع ربي منسوب الى الرب وفيه تغيير كتغييرات النسب وواحده
ربي بكسر الرا وقيل انه نسب للربة بمعنى الجماعة الكثيرة ويجوز اسناد قتل
للنبي وقال الحسن البصري وابن جبير لم يقتل نبي في حرب اصلا ووهنوا بمعنى
فتروا واستكانوا بمعنى خضعوا واصله استكنوا او استكونوا من الكون وهذا
تعريض لما اصابهم من الارجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم باحد وانه
لو كان حيا كان مثل ما وقع لغيره وانهم مع شدة اجتهادهم وصبرهم مدعون
بمغفرة ذنوبهم وان لم يصدر منهم ذنب تواضعا وخشية وعن ابي هريرة
رضي الله عنه في حديث رواه الترمذي وصححه ما يزال البلا واقعا بالمومن
في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله اذا مات او حشر وما عليه خطيئة لان
ما اصابه يكفر سيئاته كثيرة كانت او صغيرة كما تقدم وعن انس بن مالك
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي ايضا
وحسنه واسناد هذا للنبي صلى الله عليه وسلم يشعر بان ما قبله موقوف
الا ان له حكم الرفع لان مثله لا يقال بالراي اذا اراد الله لعبده الخير في
اخرته عجل له العقوبة في الدنيا بما يبتليه به فيها مما يمحو به عنه الذنوب
واذا اراد لعبده الشر في عقباه امسك عنه مصايب الدنيا استدراجا له
فلا يعافيه ويبتليه بل يتركه بذنبه والبا للملابسة ومفعول امسك
مقدر اي البلا بابه فعفا عنه حتى يوافي ربه ويلقاه بذنبه يوم
القيامة فيجازيه عليه ان لم يرد العفو عنه ويوافي بفا مكسورة مبني

للفاعل ومن فتحها وبناه للمجهول فقد تعسف وفي حديث اخر رواه الديلمي عن ابي برهان
هريرة اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه اي دعاه منذ للالة لحبته لكلامه وراجعه
والتضرع بمعنى الدعا ورد كثيرا وبه فسر لانه لازم فمن فسره بالتذلل والخشوع
وفسر يسمع بمعنى يعلم لانه غير مسموع لم يصب وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم ابن الفرس
على الله واحب اليه كان بلاؤه في الدنيا اشد واقوى من بلا غيره فيها كي يتبين فضله
في الاخرة او في الدنيا لمن لم يبصره وليستوجب الثواب اي يستحقه تفضلا من الله لوعده
به كما روي عن لقمان الحكيم انه قال لابنه اذ وصاه يا بني الذهب والفضة يختبران
بالنار والمؤمن يختبر بالبلا اي يعلم خلوصهما وعدمه اذا اذيبا بالنار علم هل فيهما خبث ام لا والمؤ
يختبر ايمانه وقوته بالبلا اي باصابته وصبره عليه وتضجره منه وقد حكى ان ابتلا
يعقوب بمفارقة يوسف وحزنه عليه كان سببه التفاته اليه اي الى يوسف في
صلاته ويوسف نايم عنده والتفاته محبة له مصروب اي لاجل محبته له فلما قطع
التوجه لله قطعه الله عنه بهذه الفتنة وهذا رواه القرطبي في تفسيره غير مسند
وقيل بل سببه ان يعقوب اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل بفتح الحا المهملة
والميم وهو الصغير من الضان لسنة او اقل مشوي وهما يضحكان جملة حالية
وكان لهم جار صغير يتيم فشم ريحه اي رائحة الحمل المشوي واشتهاه اي احب
الاكل منه وبكى على عادة الاطفال اذا ارادوا ما ليس عندهم وبكت جدة له
عجوز رحمة لبكايه وبينهما اي بين يعقوب واليتيم جدار حايل بينهما ولا علم
عند يعقوب وابنه يوسف عليهما الصلاة والسلام للحايل المانع عنه فعوقب
يعقوب ببكا اليتيم والعجوز بالبكا اسفا تاسفا وحزنا على يوسف لفقده
الى ان سالت وخرجت حدقتاه والحدقة سواد العين وبياضها وابيضت عيناه
من الحزن فلما علم يعقوب ببكا اليتيم وجدته كان بقية حياته مصروف على
الطريقة اي عزم كله بعد ذلك يامر مناديا ينادي باعلى صوته على سطحه والندا
على المكان المرتفع يصل الى بعيد منه ويقول في ندايه الا من كان من الناس كلهم
مفطرا غير صايم فليتغد بدال مهملة مشددة من الغدا وروي بمعجمة ايضا
عند ال يعقوب اي اهل بيته او ال معجم اي عنده وفي هذا الخبر ومن كان
صايما فليفطر عندهم وعوقب يوسف بالمحنة اي البلية التي قصها الله علينا
في القران من السجن وغيره وحكى هذا عن المصنف الدميري رحمه الله في حياة الحيوان
وقال لا ينبغي له ذكره فانه لا صحة له وان رواه الطبراني عن انس عن شيخه ان
جهم الباهلي وهو ضعيف الرواية جدا ورواه البيهقي في الشعب وما يدل
على عدم صحته ان قوله سالت حدقتاه لا اصل له وانه مع قوله لا علم لهما
كيف يصح ان يعاقبا على ما لم يعلما كما ان قوله ابيضت عيناه بعد قوله سالت تلمساني
حدقتاه كلام متناقض وجعله تفسيرا للسيلان تعسف بارد والصحيح انه
لم يعم فان العمى لا يجوز على الانبيا وفي الشرح الجديد هنا كلام طويل بغير
طايل وروي عن الليث بن سعد الامام وقد تقدم ان سبب بلا ايوب عليه
الصلاة والسلام انه دخل مع اهل فى بيته على ملكهم فكلموه في ظلمه اي بسببه

واغلظوا

تلمساني

واغلظوا عليه بشدة لوهم له من عظة الا ايوب عليه الصلاة والسلام فانه لم يغلظ
عليه لانه رفق به اي كلمه برفق ولين رجا ان يتم كلامه لنخبره كما قال تعالى لموسى عليه
الصلاة والسلام فقولا له قولا لينا الخ مخافة على زرعه الذي في مملكته فعاقبه الله
ببلائه الذي ابتلاه به من الامراض وهذا لا ينبغي ان يقال في حق الانبيا عليهم الصلاة
والسلام فليته الم نوكه وتحته سليمان عليه الصلاة والسلام كما ذكرناه فيما مر
والمحنة كالمصيبة كما تقدم من نبيه من كون الحق في جنبتة اصهاره بفتح الجيم والنون
ويسكون لها ايضا وموحدة بمعنى الجانب والناحية وفي نسخة جهة وفي اخرى حبة
بنقطة فوق وهو تحريف من الناسخ كما في المغني قال الراغب الصهر الختن واهل بيت
المراة يقال لهم اصهار كما قاله الخليل وكل محرم اذ بلبنه انما كانت للعمل بالمعصية
في داره ولا علم عنده بما صدر منهم من المعاصي بما افترته اليهود منه انه عليه
الصلاة والسلام قتل ملكا له بنت جميلة تسمى جرادة فكانت عنده واسلمت ثم كانت
تبكي على ابيها فامر الشياطين ان يمثلوا لها صورة ابيها ففعلوا فكسته واعدت
له بيتا فكانت تذهب اليه وتسجد لصورته وهو لا يعلم واستمر ذلك مدة اربعين
يوما فسلبه الله ملكه وابتلاه ثم ابتلاه به وهو ما اشار اليه بالجواب الثاني
وقوله من كون الحق الخ جواب اخر وهو ان جرادة بنت صيدون الملك التي تزوجها
سليمان واحبها تخاصم عنده ناس مع اخرين من اقارب امراته فحكم بالحق لغيرهم
وتمنى ان يكون الحق لهم وهو وان لم يكن حراما في شرعنا وغيره لكنه بالنسبة
لمقامه يعد ذنبا وفي كتب القصص اسباب اخر لا ينبغي ذكرها وهذه الامور
المذكورة التي ابتلي بها الانبيا عليهم الصلاة والسلام ليزدادوا بها وغيره
مما مر فايدة شدة المرض والوجع النازل بالنبي صلى الله عليه وسلم فكان يوعك
كما يوعك الرجلان كما قالت عايشة في حديث رواه الشيخان عنها ما رايت الوجع
في الامراض على احد من الناس اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
تقدم من حكمته وعن عبد الله اي ابن مسعود رضي الله عنه لا ابن عمر رضي الله عنهما
كما قيل رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي كان يعرض له ن
وهو اي والحال انه يوعك بضم اوله وفتح عينه المهملة المخففة وعكا بفتح على
العين ويسكون لها شديدا اي اشد الشاي من غيره اذا اصابه مثله فقلت له انك
لتوعك وعكا شديدا قال اجل بفتحتين بمعنى نعم وهو جواب له اني او [illegible] من
كما يوعك اي احم كما يحم رجلان منكم ايها المسلمون او الصحابة او [illegible] لذلك
عبد الله بن مسعود قلت ذلك اي بشدة وجعك وكونه كوجع رجلين وانا
[illegible] فتشديدا [illegible] لك اجرك وفي نسخة الاجر [illegible] اي ليضاعف لك لان له الا
قال اجل [illegible] او ان يضاعف لك [illegible] خير فعله [illegible] مسلم من خطاب
كما مر والاثر اي ان من قتل قتيلا واستحق وارثه الدية حصل له نفع دنيوي
وقد برا بفعله فهذا ايضا مما جعله الله سببا لثواب عبده المؤمن رحمة له وتحننا
من فوقه كما يرى بعض كرام الناس اذا اذى احدا ينعم عليه جبرا للخاطر فكيف بمكر
مثله من الله عز وجل ويزيد في ثوابه اذا صبر ورضي وفي كلام شيخ والذي

عن الحد غير مناسب فلا حاجة لما ارتكب في الجواب عنه من التعسف الذي لا داعي له وفي
حديث رواه ابن ماجه والحاكم عن ابي سعيد بن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم ان
رجلا وضع يده على جسد النبي صلى الله عليه وسلم كما يفعله العواد للمريض ليعلموا
حرارة جسده اشد يده هي ام لا فقال والله ما اطيق اي ما اقدر ولا استطيع مبالغة
في شدة حرارته اضع يدي عليك وامس جسدك من شدة حماك بضم الحاء المهملة
وفتح الميم المشددة اي حرارتها وتعالى حمى وحمه والافصح الاول فقال له صلى الله
عليه وسلم انا معشر الانبيا بنصب معشر على الاختصاص والمدح كما بينه النحاة
في بابه يضاعف لنا البلا اي يزاد وضعف الشي مثله او مثلاه على كلام فيه في كتب
اللغة ان كان النبي من الانبيا المتقدمين بكسر الهمزة من ان المخففة من الثقيلة
لشهادة اللام في خبرها في قوله ليبتلى واسمها ضمير شان مقدر بالقمل بفتح فسكون
او بضم فتشديد وهو معروف حتى يقتله اي يموت من شدة الم به وفي سنن
ابن ماجه ان الرجل الذي وضع يده على جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو ابو سعيد ايضا والمص رحمه الله رواه من طريق اخر لم يصرح فيها باسمه
فلا وجه للقول بانه سبق قلم من الناسخ وان كان النبي من الانبيا ليبتلى بالفقر
الشديد وهو بحسب ظاهر حالهم وانما تركهم الدنيا زهدا منهم وان كانوا اي الانبيا
وان هذه كالتي قبلها اي عادتهم وجبلتهم ليفرحون بالبلا اي يسرون بمصايب الدنيا
لما يعلمون من الها رفعة لقدرهم وزيادة لاجرهم كما تقدم فالبلا بمعنى ما ابتلوا
به في الدنيا من الامراض وغيرها كما يفرحون بالتخفيف او بنا الخطاب بالرخا
وهو سعة المعيشة وحسن الحال والمراد به مقابل البلا وذلك لشدة يقينهم
بربهم وعلمهم بما ادخره لهم في مقابلة ما نزل بهم وهذا تعبد وقوته فلا ينافي
الدعا بالعفو والعافية المعينة على الطاعة والقيام بما امروا به ولكل مقام
مقال ولا تعارض بينهما فان الامور بمقاصدها ولا ينافيه ايضا ما مر من انه صلى
الله عليه وسلم كان متواصل الاحزان كما تقدم بيانه وعن انس بن مالك رضي
الله عنه في حديث رواه الترمذي وحسنه ان عظم الجزا اي الثواب مع عظم
البلا اي لا تنفك عنه مضاعفته كما مر وعظم بضم العين المهملة وسكون الظا
المعجمة او بكسر ففتح اي من كان بلاوه اعظم كان جزاوه اعظم عند ربه فمن رضي
بابتلاه به الله فله الرضى من الله عنه بجزيل ثوابه ومن سخط اي كره فمنا
في العز لم يرض به فله السخط اي غضب الله عليه وعقابه له فاذا صبروا ولم
يجهروا … مما اصابه برضا بقضايه كان ذلك له مثوبة واجر فلا يتوهم انه ليس
على عدم … بارياله فان ماذكر … الصبر وعدم الشكوى مع ان فيه … ما اخرته
كيف يصح ان يعاقب على ما لم يعلمه كما ان في الحديث ان النبي … ابيضت عيناه لعن العين لتدمع
حدقتاه كلام متناقض وجعله تفسيرا للسيلان تعسف بارد وانه ذكر ان الملك
لم يعم فان العمى لا يجوز على الانبيا وفي الشرح الجديد هنا كلام طويل في ثواب
طايل وروي عن الليث بن سعد الامام وقد تقدم ان سبب بلا ايوب عليه هذا
الصلاة والسلام انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه اي بشيبة

ابن انوس

تلمساني

واغلظوا

رضي الله عنه في حديث رواه البخاري عنه صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا
يصب منه روي ببنا الفاعل والمفعول اي ينزل به مكروها ومصيبة في الدنيا ليثاب
عليهما واختلف في اي الروايتين ارجح فقال ابن الجوزي الثاني وقال ابن حجر الاول
ولكل وجهة لان الاول فيه ادب لعدم اسناد المصايب لله والثاني فيه تسليم بجعل
كل شي منه واليه وما ذكر في الاية هو احد وجهين فيها فتكون في حق المومنين
وثوابهم على مصايبهم كما ورد في الحديث وقيل انها في حق الكفار ومعناها
كمعنى قوله وهل يجازي الا الكفور وهو مروي عن الحسن ويؤيده قوله بعدها
ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وتتمته في كتب التفسير وشروح البخاري
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان في رواية عايشة فيه ما من
مصيبة تصيب المسلم اي مصيبة كانت قليلة او كثيرة وفي التجانس المغاير لاحدى
كلمتي المادة اسم والاخرى فعل ومثله ازفة الازفة الا يكفر الله بها عنه اي من
ذنوبه او يزيد بها في حسناته حتى الشوكة يشاكها في بدنه فانها مع قلتها يكفر
بها عنه تفضلا منه والمصيبة واحدة المصايب كل ما يصيب الانسان من خير
او شر وخصها العرف بالنايبة وقيد الاول من صوب المطر والثاني من اصابة
السهم واجمعت العرب على همز المصايب واصله الواو وكانهم شبهوا الاصلي
بالزايد وتجمع على مصاوب وهو الاصل كل ما يصيب الانسان من خير او شر
وخصها العرف بالنايبة وقوله حتى الشوكة يجوز جرها بحتى بمعنى الى ورفعها
على انها ابتدائية وجوز نصبها بمقدر اي حتى تجد الشوكة وهو بعيد ويشاكها
بضم اوله اي تدخل في جلده بنفسها او بادخال الغير اي الشوكة عبر بها فيه
وصل الفعل لان الاصل يشاك بها وجوز بعضهم فتح يا يشاك التحتية ونسب
للجوهري ولا وجه له لانه مضارع شاك الرجل اذا كان له شوكة وقوة
وهو معنى اخر والشوكة معروفة وهو في غاية القلة وكونها بمعنى ذات
الحرب وهو غاية في الشدة تعسف وروي الا حط الله بها عنه خطيئة او كتب
له بها حسنة او رفع له بها درجة واعلم ان العز بن عبد السلام ملك الظن بعض
الجهلة ان المرء يوجر على نفس المصايب وليس كذلك فان الثواب انما يكون على
ما يفعله باختياره ولا دخل له في ذلك فثوابه انما هو على صبره ورضاه
بما قدره الله وعدم شكايته ورده السخاوي بانه مخالف للنصوص من
غير بيان لوجهه وقال العز في لا يجوز ان يقال للمصاب جعل الله ذلك
كفارة لك لان الشارع جعله كفارة فهو تحصيل للحاصل وسوء ادب وانا
اقول ما قاله العز لا وجه له ولا يليق صدوره مثله منه فانه تعالى له ان
يثيبه ابتدا او ان يجعل ما اتفق له بغير فعله سببا لذلك ومثله من خطاب
الوضع الا ترى ان من قتل قتيلا واستحق وارثه الدية حصل له نفع دنيوي
بغير فعله فهذا ايضا مما جعله الله سببا لثواب عبده المؤمن رحمة له وتحننا
عليه كما ترى بعض كرام الناس اذا اذى احد ا ينعم عليه جبرا لخاطره فكيف يتكر
مثله من الله عز وجل ويزيد في ثوابه اذا صبر ورضي وفي كلام شيخ والدي

تلمساني

ابن حجر الهيتمي نص الشافعي في الام بما يصرح بان نفس المصيبة يثاب عليها النهي به
بان كلا من المجنون والمريض المغلوب علي عقله ماجور يثاب يكفر عنه بالمرض فحكم بالاجر
مع انتفا العقل المستلزم لانتفا الصبر وحمل النص علي مريض صبر عند ابتدا امرضه
ثم استمر صبره الي زوال عقله يرده انه سوي بين المريض والمجنون في الثواب
ومثل ذلك لا يتصور في المجنون فالحمل المذكور غلط منشاوه الغفلة عما ذكر في المجنون
والحاصل ان من اصيب وصبر حصل له ثوابان غير التكفير لنفس المصيبة وللصبر
عليها ومثاله كتابة مثل ما كان يعمله من الخير وغيره لكن مما ورد في السنة وان
من انتفي صبره فان كان لعذر كجنون فهو كذلك او لنحو جزع لم يحصل له من
ذينك الثوابين شي انتهي ملخصا وما قاله الغزالي ليس بشي ايضا فانه قد يقصد
الدعا بما هو حاصل لزيادة او تنبيه سامعه وغيره ولو قيل بمثله لم تجز
الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم والدعا له بالوسيلة والدرجات العالية
الرفيعة وهي محققة له وقد امرنا بالدعا لها كما تقرر في محله وقال صلي الله
عليه وسلم في حديث رواه الشيخان من رواية ابي سعيد الخدري ما يصيب
المومن من نصب بفتحتين اي تعب يناله من سعيه في بعض اموره الجايزة له
ولا وصب اي وجع او لزومه او فتور في بدنه وقد فسر بهذه في اللغة ولا
هم بفتح الها وتشديد الميم وهو قريب من الغم معني وقد يفرق بينهما بان الهم
يكون لما لم يقع والغم علي ما وقع كما مر ولا حزن بفتحتين وبضم فسكون وهما
من امراض الشياطين ولذلك ساغ عطفهما علي الوصب ولا اذي يلحقه من تعدي
الغير عليه ولا غم واصله ما يمنع خروج النفس فاريد به ما ذكر حتي الشوكة
يشاكها تقدم بيانه الا كفر الله بها من خطاياه من زايدة او تبعيضية لان بعضها
لا يكفر بها كحقوق العباد وفي حديث ابن مسعود الذي رواه الشيخان ما من مسلم
يصيبه اذي اي امر يوذيه في بدنه او نفسه الا حات الله عنه خطاياه اصله
حاتت فادغم وحات وحت بمعني ازال يقال حت بالحا المهملة المفتوحة بعدها
الف وتا فوقية مشدودة واصله حاتت فادغم وحات وحت بمعني ازال يقال
حت المني من الثوب اذا فركه ليزيله والورق تحات تتناثر وتساقط منه كما
تحاته وفي نسخة كما تحت ورق الشجر هو كناية عن اذهاب الخطايا فشبه سقوط ٣
ذنوبه بعفوها بتناثر اوراق الشجر منها فايدة الصبر يكون علي ثلاثة اقسام
صبر علي المعصية فلا يرتكبها وصبر علي الطاعة حتي يوديها وصبر علي البلية
فلا يشكو ربه فيها وعد علي رضي الله عنه من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو
وجعك ولا تذكر مصيبتك لغيره وقيل ذهبت عين الاحنف منذ اربعين سنة
ما ذكرها وقال شقيق البلخي من شكي ما نزل به لغير الله لم يجد لطاعة
الله في قلبه حلاوة ابدا وما احسن قول ابن عطا
ساصبر كي ترضي واتلف حسرة ۝ وحسبي ان ترضي ويتلفني صبري ۝ ٢
وسئل علي رضي الله عنه اي خصال المومن خير فقال ما غاب اي امر شيا اعظم
من الصبر والرضا والتسليم للقضا فذلك خير دنيا واخري وسئل ايضا ما راس

العلم

العلم والعمل فقال الحلم والتواضع فمن تركهما كان علمه وبالا عليه وارشد من النشد

فوحقه لاسلمن لامره ○ في كل نايبة وشد خناق

موسى وابراهيم لما سلما ○ سلما من الاغراق والاحراق

٣ وفي حديث عايشة عند الطبراني في الاوسط بسند جيد من وجه اخر ما ضرب على امرء عرق الا حط الله به عنه خطيايه وكتب له به حسنة ورفع له درجة وفي حديثها عند الامام احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وجع فجعل يتقلب على فراشه ويشتكي فقالت له عايشة لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه فقال ان الصالحين يشدد عليهم الحديث وفي هذه الاحاديث بشرى عظيمة لكل مؤمن لان الادمي لا ينفك غالبا من الم بسبب مرض او هم او نحو ذلك وحكمة اخرى في ابتلا الانبيا ونحوهم بالامراض والمصايب اودعها الله تعالى اي جعلها لهم كالوديعة في الامراض المصيبة لاجسامهم دون بواطنهم وحواسهم وتعاقب الاوجاع عليها اي على اجسامهم بتكررها ومجي بعضها عقب بعض وشدتها عليهم كما مر عند مما لهم اي يبتليهم الله بذلك اذا قرب موتهم لتضعف قوى نفوسهم الروحانية بكثرة امراضهم وشدتها واذا وقع هذا فيسهل خروجها اي خروج ارواحهم ومفارقتها لابدانهم عند قبضهم اي قبض ارواحهم ووفاتهم فان ضعف البدن وقواه يعجز عن امساكها فيسهل ذلك عليهم ويخف عليهم مونة النزع اي اخراج الروح من البدن ومونة بميم مفتوحة وهمزة مضمومة قبل واو ونون وشدة السكرات يعني سكرات الموت وغمرات شدايده وما يلحق الميت من الغشى الشبيه بالسكر في غيبة الحس بتقدم المرض على الموت والاحتضار وضعف الجسم والنفس بذلك ولو فوجيت مشق عليها وصعب فكان اشد عليه بخلاف موت الفجاة بضم الفا والمد وبفتحها والقصر وهو الموت بغتة من غير مرض يقال فجاه الامر يفجوه اذا اتاه على غفلة منه واخذه له دفعة من غير انتظار لاجل فهو اشد عليه لشدة قواه المانعة عن تسليم الروح بسهولة ولذا كرهه بعض العلما كما ياتي قريبا وقال انه مكروه وفي الحديث موت الفجاة اخذة اسف اي غضب وقهر من الله كما ياتي وروي آسف بالمد اسم فاعل لكنهم قالوا انما يكره لعدم التاهب له بالوصية ونحوها فمن لم يحتج لذلك يكون في حقه رحمة وهو الصحيح لحديث موت الفجاة راحة للمؤمن واسف على الفاجر ويجمع بينهما كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة عطف تفسير لما قبله فبعضهم يعسر عليه ويشتد عليه وبعضهم يسهل عليه حالة النزع فان قلت اذا كان توالي الامراض لتخفيف الموت وسكراته فكيف قال صلى الله عليه وسلم ان للموت سكرات حتى ذكروا له حكمة وكيف يكون موت الفجاة لبعض الكفرة والفجرة قلت تالمه صلى الله عليه وسلم بسكرات مونه لانيا في انها اخف من سكرات غيره وموت الفجاة وان لم يكن فيه سكرات اشد من غيره لكونه لكثير يجي قوية كما تقرر بعد مع ما فيه من الموت على الغضب وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن كعب بن مالك وجابر مثل المؤمن اي حاله وصفته العجيبة مثل

اي بسبب ذلك المذكور مو

خامة الزرع الخامة بخاء معجمة وميم العود اللين الذي ليس بغليظ والقضبة الطرية وقال الخليل هي اول ما ينبت على ساق واحد والفها منقلبة عن واو ونقل عن الفرا انها بحاء مهملة وقاف وفسرها بطاقة الزرع وعند احمد مثل المؤمن مثل السنبلة تستقيم مرة وتخر اخرى وروي تحمر مرة وتصفر اخرى تفيئها الريح بضم التاء الفوقية وكسر الفاء تليها مثناة تحتية ساكنة ثم همزة والمشهور تشديد الياء التحتية وروي بياء تحتية في اوله اي تميلها هكذا وهكذا اي للينها تميل يمينا وشمالا ولا تنكسر كما قال ابن خفاجه

اني وان كنت هضبة • اهتز للحسن قامة غصنا
كانني غصن بلينه خضل • تعطفه الريح هاهنا وهنا

وفي صحيح مسلم من رواية ابي هريرة من حيث اي من اي جانب اتتها الريح تكفوها بفتح اوله وثالثه وسكون ثانيه وهمزة اي تقلبها والمراد تميلها ايضا فاذا سكنت الريح ولم تهب تعدلت اي انتصبت لانها لم تنكسر للينها وعدم غلظها وفي نسخة اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بضم فسكون وفتح وهمز اي ينقلب من صحته لما به كثيرا ثم يعود لاعتياده الامراض لا تغنيه ويهلك بالبلاء من حيث اتاه ووجه الشبه ظاهر وفيه من البلاغة واللطف ما لا يخفى ومثل الكافر والفاجر العتل الغليظ كمثل الارزة لا تزال قائمة حتى تنقصم اي تنقصف من اصلها والارزة بفتح الهمزة وسكون الرا المهملة وزاي معجمة وروي فتحها وهو شجر الارز المعروف وقيل هو الصنوبر وقيل انه آرزة بالمد بزنة فاعلة وانكره ابو عبيد صما اي صعبة شديدة اليبس والقوة معتدلة اي قائمة منتصبة لا تميل لغلظها ويبسها حتى يقصمها الله بقاف وصاد مهملة قبل الميم اي ياخذه بغتة من غير تقدم بلا والقصم بالقاف الكسر مع الابانة والفصم بفا بدونها وفي العقد لابن عبد ربه قالت الحكماء من تعرض للسلطان ارداه ومن تطامن له تخطاه وشبهوه في ذلك بالريح العاصفة التي لا تضرما لان من الشجر ومال معها من الحشيش وما استعصى عليها من الدوح العظيم قصفته ولابي تمام

ان الرياح اذا ما اعصفت قصفت • عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم
بنات نعش ونعش لا كسوف لها • والشمس والبدر منه الدهر في الرقم
وفي كليلة ودمنة الريح لا تقلع عود ابانها • وتقلع الدوح العظيم الثابتا

معناه اي هذا الحديث ان المؤمن مرزء بالتشديد بدوا لهمز اي لا يزال تصيبه الرزايا وهو من رزا الشيء اذا نقصه مصاب بالبلايا بالمد اي تنزل به المصائب والامراض بتصريفه اي بتغيير احواله وقيل بتصريف الله فيه وله وتقلبه بين اقدار الله التي قدرها عليه من صحة ومرض وغيرهما منطاع لذلك اي منقاد مذعن مطيع مسلم والحة بصيغة الانفعال بالنون للدلالة على انه مطاوع لين الجانب برضاه اي لين جانبه يقبل كل ما يرضاه الله كالشيء اللين الذي ينطبع بكل ما يختم به كما قيل • ان المحب لمن يحب مطيع •
ووقع هنا في بعض الشروح برمضاه بميم بعد الراء من رمضا النار وحرارتها اي ما يصيبه من الالام يزيده لينا واظنه من تحريف الناسخ كطاعة خامة الزرع

وانقيادها

والقياد ها للرياح عطف تفسير ومما يليها من عنوان تنكيسه لهبوبها وتزيحها برا وحاء
مصلقين بينهما اودن من تمويج السكران اذا تمايل وفيه كلام في شرح مقامات الزمخشري
من حيث ما انتهامن اي جهة كانت جنوبا او شمالا لا لينهما فاذا ازاح الله عز وجل برا اي صحة
اي ازاله عن المؤمن رياح البلايا استعارة مقترنة لما في الحديث كانه لما شبهه بالخامة شبه
ما يطرؤ عليه بالرياح المعبرة عليه بمثيله هنا وهنا فاعتدل اي برا من مرض ونحوه
شبه صحته باعتدال الخامة اذا سكنت الريح واليه اشار بقوله صحيحا او هو حال
او تمييز كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو بفتح الجيم وتشديد الواو
وهو ما بين السما والارض مهب الرياح واصل معناه الداخل من كل شي ومنه الجواني
مقابل البراني رجع اي المؤمن الى شكر ربه على ما انعم به عليه من السلامة ومعرفة
نعمه اذ انعم عليه بالخلاص مما يكره ويخشى برفع بلايه عنه وخافه عنه منتظرا
رحمته له راجيا احسانه وثوابه عليه اي على ما ابتلاه ووفقه لشكره وصبره
لقوله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه
راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فاذا
كان المؤمن بهذه المثابة اي على هذه الحالة من اصابته بالبلايا والامراض
لم يصعب ولم يشق عليه مرض الموت اي المرض الذي كان سبب موته منه لابتلائه
بالامراض المتوالية عليه ولا نزوله اي حلول الموت به ولا اشتدت عليه سكراته
ونزعه اي نزع الروح منه عند الموت لضعف قوة نفسه الدافعة له وهذا
لا ينافي ما تقدم في حق الانبياء من انهم اشد الناس بلاء لانه في حالة اخرى
وهي نزول المصايب بهم قبل حضور الموت لعادته اي اعتياده بها تقدم
من الالام ومقاساتها ومعرفة ماله فيها اي المصايب التي تصيبه قبل موته من
الاجر والثواب فان لعله بذلك يهون عليه وتوطينه نفسه على المصايب اذا
اصابته اي اطمينان نفسه لها لعلمه بانه لا بد له منها فيرضي ولا يجزع ويقلق و
التوطين اصله اتخاذ الوطن ثم تجوز به عن عدم القلق والضجر قال

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ◦ على نائبات الدهر حين تنوب

وعلى رقتها وضعفها الضمير للنفس والرقة براء مهملة وقاف مشددة المراد
بها الضعف فهو عطف تفسير ويجوز عود الضمير للمصايب يعني انتهوا الى الرقة
اي دوامه او تكرره او شدته اي قوته والمه فهذا حال المؤمن في حياته والكافر
حاله بخلاف هذا الحال الذي اعتاده المؤمن فهو معافا من الامراض والبلايا
في غالب حاله اي في حاله الغالب عليه واكثر اوقاته صحيح اي متمتع ومنعم
عليه ظاهر بصحة جسمه لعدم ابتلائه بالامراض مسرور بحاله حتى يقضي عن
الحزنة كالارزة الصما اي القوية التي هي غير مجوفة فلا تزال كذلك حتى اذا
اراد الله هلاكه يقصمها اي بحلها والقصم بمعجمة قصمه اي كسره لحينه اي لوقته
الذي حضره فيه اخذه على غرة بكسر اوله وهو الغين المعجمة وراء مهملة
مشددة وتا تانيث اي على غفلة وفي الاساس لم يزل يطلب غرته حتى اصابها
اي يترقب غفلته ليهجم عليه ويتمكن منه واخذه بغتة ومجاه من غير

لكن ولا رفق به بل بشدة وعنف تضربه الملائكة فكان مؤونة اشد عليه حسرة
تمييز وذلك لعدم تأهبه له ومقاساة نزعه اي نزع روحه منه وقبضها
مع قوة نفسه وصحة جسمه لعدم ما يعتريه من الاسقام والالام ما اشد المشاق لذا
له في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد عليه مما قاساه في الدنيا في حال نزعه كالجعاف
الازرة هو انفعال من الجعف بجيم وعين مهملة وفا وهو القلع بشدة وفي
نسخة بتقديم العين على الجيم وكما قال الله تعالى في حق الكفار فاخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون اي غافلون باشتغالهم بامور دنياهم وعدم ما بينهم
على عاقبتهم وكذلك عادة الله في اعدائه من القوم الكفرة جارية على اخذهم
بغتة كما قال الله عز وجل فكلا من القوم الكفرة اخذنا بذنبه فمنهم من
ارسلنا اي انزلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط والحاصب ريح تاتي بالحصبا وهي
حجارة صغار كما قال تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وخسف ارضهم كما بينه
المفسرون ومنهم من اخذته الصيحة وهم قوم صالح وشعيب اتتهم صيحة واصوات
هائلة وصواعق فاهلكتهم الاية ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا
فنجا جميعهم ماض بمعنى اتاهم فجاءة بالموت على حال عتو بضم العين المهملة
ومثناة فوقية وواو مشددة اي تكبر وتمرد وتجبر منهم وغفلة عما حل بهم
وصبحهم اي اتاهم في الصباح به اي بالهلاك على غير استعداد اي تهيؤ لما
يحل بهم لا يستدرجهم بغتة ولهذا الامر الذي ياتي غفلة وكونه من شان
الكفرة ذكر عن السلف من العلماء والصالحين انهم كانوا يكرهون موت الفجاة لمجيئه
على غير استعداد له بوصية ونحوها من المحض المكلف للذنوب وفي نسخة ولهذا اما
ذكره السلف موت الفجاة ومما يؤيد صحة الاولى قوله ومنه اي مما ذكر عن السلف
ما روي في حديث ابراهيم هو النخعي كما في النهاية وقد تقدمت ترجمته كانوا
يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي الغضب لان من غضب على احد ياخذه بغتة
بعنف وموت الفجاة يشبهه يريد باخذة الاسف موت الفجاة كما تقدم وتقدم
انه ليس على اطلاقه وانه قد يكون راحة للمؤمن وحكمة ثالثة في مصايب
الانبيا عليهم الصلاة والسلام والصالحين ان الامراض نذير الموت بنون
وذال معجمة اي منذر به ومنبهة لمن يحل به وفي نسخة نذير الممات وفي
اخرى بريد بموحدة وراء ودال مهملتين بينهما مثناة تحتية اي رسول يجي
من الموت يخبر بانه سيقدم وهو استعارة حسنة والبريد فارسي معرب
بريده دم اي بغلي مقطوع الذنب كان يعد في المنازل لرسل الملوك وما
قيل من انه لو قال ينذر بالموت كان احسن ليس بشي وبقدر شدتها ابن اقبرس
اي شدة الامراض شدة الخوف من نزوله الموت لانذارها بما هو اشد
منها فيستعد من اصابته الامراض اي ينبهها بالاعمال الصالحة دون هذه
في الدنيا الفانية وعلم تعاهدها له اي مجيئها له مرة بعد اخرى يقال
صديقي من يتعاهدني بسؤاله عني وبره لي كانه يذكر عهدا بينه
وبينه وفيه استعارة لطيفة كما قال بعض العرب

اذا الرجال كثرت اولادها • وجعلت امراضها تنقادها •
فلكل زرع قد دنى حصادها • للقارتيه عن وجد ولقا الله كناية عن الانتقال
للدار الاخرة والموت ويعرض عن دار الاخرة بترك امورها الكثيرة الانكاد جمع نكد
وهو ما يغم المرء ويسوءه وهو من شانها ولا راحة لمومن فيها وفي القاموس النكد
الضيق والشدة ويكون قلبه اي فكره متعلقا اي مشغولا مهتما بالمعاد اي الاخرة
وما بعد الموت وتعلق القلب عبارة عن كثرة الشغل والتقيد فيتنصل بنون
وصاد مهملة اي يخرج عن كل ما يختشي ويخاف تباعته بكسر التاء الفوقية والذي
في الصحاح فتحها وهو التبعية وما يترتب على الامر ويعقبه من المواخذات
والضرر من قبل الله اي حقوقه التي هي من جانبه ومن قبل العباد اي حقوقهم
فيخرج من عهدتها باداتها لئلا يعاقب عليها ويؤدي الحقوق التي في ذمته
الى اهلها اي اصحابها بايصالها لهم وايتا كل ذي حق حقه وينظر اي يتفكر ويتدبر
فيما يحتاج اليه من وصيته فيمن خلفه فعل ماض وظرف بسكون اللام اي ما
بقي بعده من مال وولد ونحوه وفي نسخة فيمن يخلفه او ينظر في امر بعده
اي يعرفه فيوصي به كالدين او يتعاهد ورثته عليه وهذا قلما يخلو منه احد
وما قيل من انه انما يليق باهل الدنيا الغافلين واما الانبيا فهم غير محتاجين
لذلك ليس بشي ولو سلم فهو بالنسبة لبعض المومنين ويويد الاول قوله
وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
اشارة لما في اول سورة الفتح اي لو كان منك ذنب سابق او يكون فهو مغفور
لا يواخذ به او ما يعد ذنبا من مثلك مغفور لك وفي الاية كلام في كتب
التفسير مشهور وقد مر انها نزلت عليه صلى الله عليه وسلم في مرجعه من
الحديبية بعد بيعة الشجرة وما وقع فيها قد طلب التنصل اي التخلص
والخروج من عهدة ما في ذمته فيما مرضه اي مرض موته وعده في مرضه
لقربه من انه كما تقدم ووقع في خطبة خطبها قبل مرضه بايام قليلة بمن
كان له عليه مالا او حق في بدن كضرب وقع منه صلى الله عليه وسلم لبعض
اصحابه نحو عكاشة والاعرابي وتقدمت قصتهما واقاد من نفسه وماله
اي مكن من له حق في بدنه من القود منه بفعل مثل ما فعل وامكن من
القصاص منه وان لم يكن عليه حق في نفس الامر كما بيناه على ما ورد في
حديث مروي عن الفضل بن العباس عمه صلى الله عليه وسلم من انه
ضرب اعرابيا بقضيبه فلما خطب الناس وقال من له علي حق فليطلبه
فقام الاعرابي وقال يا رسول الله القصاص فلما كشف له عن بطنه
الشريف التزمه وقبله وقال انما اردت هذا وكما ورد في السير في
حديث الوفاة اي وفاته صلى الله عليه وسلم فانظره وواقعه انه
صلى الله عليه وسلم قبيله استحل الناس فيما لهم عليه من الحقوق
كما مر وما قيل من ان هذا ليس في موقعه لان التنصل من الحقوق
مطلوب من ادنى المومنين فكيف باعلاهم عند وفاته ناش من عدم

الدنيا هو

عوضي

ابن اقبرس

الفهم لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن لامته عليه ما يجب عليه التنصل منه ولو كان
فهو معصوم ومع ذلك تنصل منه رعاية لظاهر الحال ورعاية للمؤمنين وهذه
اعلى المراتب واوصى صلى الله عليه وسلم في مرض موته بالثقلين بعده وقوله
بعده كتاب الله وعترته بدل من الثقلين او عطف بيان مبين للمجهول المراد بهما
والثقلين تثنية ثقل وهو ما يثقل من الثقل ضد الخفة وهما الانس والجن
فسماهما ثقلين تعظيما لشانهما وان عمارة الدنيا بهما كما تعمر بالانس والجن ح ه
ولرجحان قدرهما لان الرجحان في الميزان بثقل ما فيهما او لانه يثقل رعاية
حقوقهما والعترة بمثناة فوقية الاقارب الادنون واهل البيت واختلف
في المراد بهم فقيل من تحرم عليه الزكاة وقيل بنو عبد المطلب وقيل غير ذلك
وحديث الوصية رواه مسلم وفيه انه صلى الله عليه وسلم خطبهم وقال
ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيبه واني تارك
فيكم الثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا به وحث على
ذلك ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي ثلاثا والكلام عليه مستوفى
في شروحه واوصى بالانصار عيبته والعيبة بعين مهملة وياء ساكنة وموحدة
ما يجعل المرء فيه نفيس متاعه وفي حديث البخاري الانصار كرشي وعيبتي
ولما كان الكرش مقرا للغذاء من الحيوان كالمعدة للانسان تجوز به عن موضع
اسراره التي تخفى وعبر بالعيبة عن مقر ما يظهر من مهماته وهو ابلغ كلام واوجزه
الذي لم يسبق اليه كما قاله ابن دريد وقد تقدم الكلام عليه مبسوطا وهذا ايضا
مما قاله صلى الله عليه وسلم في خطبته التي لم يخطب بعدها وبقيته وقد قضوا
الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ودعا
اي طلب صلى الله عليه وسلم من الصحابة في مرض موته الى كتب كتاب لئلا تضل
امته بعده كما تقدم بيانه وما فيه وانه اما في النص على الخلافة لمن هي بعده
وهو الاصح كما مر او والله اعلم بمراده الذي اراد ان يكتب ثم راى صلى الله عليه وسلم
ذا ما جزم به وهو ان الامساك عنه وتركه افضل وخيرا من كتابته لانهم خالفوه
وامتنعوا مما اراده كما تقدم تفصيله وهكذا اي مثل ما وقع له صلى الله عليه
وسلم في آخر عمره من التنصل والوصية سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه
المتقين اي دابهم وطريقتهم ان يتنصلوا من الحقوق ويوصوا عند الموت
تاسيا به صلى الله عليه وسلم وهذا المذكور كله مما يغفل عنه حلول الاجل
يحرمه غالبا الكفار وقد يقع لبعضهم ولا يفيده شيئا وانما حرموا هذا
لاملاء الله اي امهاله لهم حتى تنصرم اعمارهم وانما املي لهم ليزدادوا اثما
بكفرهم ومعاصيهم وغفلتهم عن حقوق الله وحقوق عباده واستدراجهم
اي تقريبهم من الهلاك درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون لغفلتهم
بما هم مشغولون به من امور الدنيا منهمكين في غيهم متقلبين في نعم الله
الدنيوية التي توهموا استحقاقها وانما هي لقطع معذرتهم ومزيد عذابهم
بالكفر وكفران النعم حتى ياخذهم بغتة على غرة كما قال الله تعالى ما ينظرون

الاصيحة واحدة الاية تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
والمراد بالصيحة نفخة الصور الاولى والاخذ الاهلاك بغتة ويخصمون بمعنى يختصمون
في معاملاتهم وقد ورد ان الساعة تقوم على الناس وهم في الاسواق وهم يتعاملون
ويخصمون بفتح الخا المعجمة وفيه كلام طويل في كتب القراآت والعربية ولذلك اي
لكون عادة الاتقيا التنصل من الحقوق والوصية عند الموت قال صلى الله عليه وسلم
في حديث تقدم روي عن انس في رجل مات فجاة سبحان الله المقصود بها التعجب كما
تقدم بيانه والتعجب من موته فجاة كانه مات على غضب من الله ثم اشار الى ان المراد
بالغضب عليه انه محروم من الثواب ولطف العزيز الوهاب فقال المحروم من حرم وصيته
فانها مستحبة وذهب بعضهم الى وجوبها وقيل انها كانت واجبة اولا لقوله تعالى
كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية الخ ثم نسخت وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث صحيح رواه احمد عن عايشة موت الفجاة راحة للمؤمن الذي ليس عليه
تبعة يحتاج للوصية بها لراحته من سكرات الموت واخذة اسف بغير مد بمعنى
غضبه وبه بمعنى غضبان ومنه فلما اسفونا انتقمنا منهم للكافر والفاجر اي
المنهمك في المعاصي واو للشك من الراوي وجوز بعضهم كونها من الحديث والمراد
بالفاجر المنافق فتامل وذلك اي كون موت الفجاة كذلك لان الموت ياتي المؤمن
وهو غالبا اي في اكثر احواله او اوقاته او غالب المؤمنين ياتيه الموت حالة كونه
مستعد اله اي متهيا لاعماله الصالحة ووصيته وغسله منتظر الحلوله به
غير غافل عنه وفي نسخة برفعهما فهان امره اي الموت عليه كيف ما جاءه في اي
حال حل به ووافى اي اوصل الى راحته من نصب وتعب الدنيا ولو تركه واو
وافى كان اوضح واذاها من انكادها واكدارها كما قيل

خلقت على كدر وانت تريدها ❊ صفوا من الاقذاء والاكدار

كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث رواه الشيخان عن ابي قتادة في جنازة
مرت به فقال تعيسا للمؤمن عند موتهم ان منهم مستريح من اذى الدنيا
وتعبها اذ لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه ومنهم من هو مستراح منه اي تستريح
من ظلمه واذاه العباد والبلاد والشجر والدواب وقد ورد تفسير النبي صلى
الله عليه وسلم له بهذا او تشاممه قد يمنع القطر ويحل البلا وياتي الكافر
والفاجر منيته على غير استعداد لها والمنية الموت من منى بمعنى قدر لانها مقدرة
في وقت مخصوص ولا اهبة بضم الهمزة بمعنى التاهب والاستعداد ولا مقدمات
بفتح الدال وكسرها من قدم او من المتعدي وهو قدمه اي ما تقدمه من امراض
ونحوها منذرة من الانذار وهو الاعلام بما يخاف منه مزعجة اي محركة له على تدارك
ما يلزمه بل تاتيهم بغتة وفجاة فتبهتهم اي تدهشهم وتذهب عقولهم لحيرتهم
فلا يستطيعون ردها ابدا وقتما ولا هم ينظرون اي لا يمهلون بعد مجيئها فلا
يؤخرون ساعة بعد اجالهم الاول وهو اقتباس من الاية فكان الموت
اشد شيء عليه لذلك وفراق الدنيا افظع بظا معجمة وعين مهملة اي اشق
واكره واشنع امر صدمه اي اصابه بشدة وهو غافل عنه واكره شيء له

لانه كما ورد ايضا ان المؤمن اذا مات كان كالغايب يقدم على اهله تبشرهم قدومه وعكسه كالعبد الآبق يرد على سيده والى هذا المعنى المذكور اشار صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت من احب لقاء الله بقدومه عليه عند موته احب الله لقاءه باكرامه له في جوار الملا الاعلى ومن كره لقاء الله بسخطه وعدم رضاه بقبض روحه كره الله لقاءه لانه كفر نعمته وعصاه ومن فيه شرطية او موصولة ويؤيده رواية اذا احب الله الخ واحتمال الظرفية خلاف الظاهر وعلى الشرطية قال الكرماني يحتاج للتاويل لان الشرط ليس سببا للجزا فالمعنى اخبره واعلم بمحبة لقايه اذ محبة الله قديمة سابقة فالمراد ظهورها لنا وهو كلام حسن لا يرد عليه شي مما قاله ابن حجر واقام الظاهر مقام المضمر تنويها بشانه ومسالمة تمت واعلم ان العز بن عبد السلام قال في كتاب فوايد المصايب ان لها فوايد تختلف باختلاف الناس كمعرفة الربوبية وقهرها ومعرفة العبودية وذلها واليه الاشارة بقوله الذين اذا اصابتهم مصيبة الخ اي اعترفوا بانهم عبيده وملكه ومرجعهم لحكمه وقضايه لا محيد لهم عنه ومنها الاخلاص لله اذ لا يكشفها الا هو كما قال وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو والتضرع والدعا قال تعالى واذا مس الانسان ضر دعانا ويجني الصبر والحلم والعفو عن جناتها والفرح بها لاعتياد الثواب والشكر على العافية ومحو السيات بها ورحمة المصابين بها غيره ومعرفة قدر النعمة الزايلة عنه وترقب منافع خفية لها كما قيل كم نعمة مطوية لك في اثنا المصايب ومنعها من التكبر والخيلا والرضى بما قدره الله فلذا كان اشد الناس بلا الامثل فالامثل الخ ما فصله

## القسم الرابع

من هذا الكتاب في تصريف وجوه الاحكام وفي نسخة تصرف والمراد بيان وجوهها وسبب الاختلاف فيها الذي اوجب تغييرها من قول الى اخر فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم بذكر ما فيه تحقير له وغض من علي مقامه وسبه اي بذكر ما فيه سب وشتم له صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو الفضل عياض المص رحمه الله قد تقدم في هذا الكتاب من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم اي التي يستحقها لذاته وما يتعين له على امته بل الناس كافة من بر اي احسان قول وفعل يتعلق به صلى الله عليه وسلم وتوقير اي تعظيم وتبجيل وتعظيم واكرام لاحترام مقامه وبحسب هذا بفتح السين اي بمقدار اعتبار ما يجب ويتعين له حرم الله اذاه في كتابه كما سياتي بيانه وهذه قرينتها ه

واجمعت الامة على قتل متنقصه وسابه من المسلمين صلى الله عليه وسلم وقيده بالمسلمين لاختلافهم في الفاعل لذلك من الكفار هل يقتل او ينتقض عهده ويبلغ مامنه ويأتي ذلك مبسوطا في فصل معقود له وقد قيل ان في دعواه الاجماع في المسلم نظر لان مذهب الشافعي ان من تنقصه بغير قذف من المسلمين وكذا سائر الانبيا يستتاب فان تاب لم يقتل ومن قذفه فيه خلاف ايضا فقيل يقتل لان حد قاذف الانبيا القتل فلا

٢٥٤

فلا يستتاب وقيل ان تاب فورا واسلم بعد الردة فيجلد حد القذف ولا يقتل كما حكي
عن كثير منهم فلا ينبغي دعوى الاجماع فيه الا ان يريد اجماع اهل مذهبه من المالكية
او عدم الاعتداد بالمخالف فيه واقول ان مراده الاجماع على وجود موجب القتل فيه
لكفره وردته فان تاب وقبلت توبته عما خرج استوجبه الاجماع ولو صرح به كان اظهر
الا ان هذه العبارة عبر بها السلف كلامهم كما نقله السبكي في كتابه السيف المسلول
على من سب الرسول واشار الى ان الاجماع على كفره وردته الموجبة لقتله اجماعا
وان عرض ما يمنعه بعده وقال انه لم يخالف فيه احد الا ابن حزم القايل بعدم
كفر من استخف به صلى الله عليه وسلم ولم يتبعه احد عليه ولا عبرة به
فالمعترض لم يقف على مراد القاضي ولم يفرق بين الوجوب والوقوع وسياتي
ان شاء الله بيانه ثم ذكر ما يؤيد ما قاله من الايات فقال قال الله تعالى ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا
فيه استيناس لما ذكره لان من لعن في الدنيا والاخرة واعد له العذاب لا يكون
الا كافرا وقرن اذيته صلى الله عليه وسلم باذيته تعالى للدلالة على ان من
اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد آذى الله فما قيل من انه لا يدل
على مدعاه من الاجماع كلام ناش من عدم العلم بمراده وقال تعالى والذين
يؤذون الله ورسوله لهم عذاب اليم يعني في الدنيا بالقتل وفي الاخرة
بخلود العذاب وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله بكل ما يكرهه
قولا وفعلا ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده اي بعد موته ابدا فحرمتهن
عليهم مؤبدة لانهن امهات المؤمنين ان ذلكم المذكور من الاذية والنكاح كان
عند الله عظيما لقبحه ومنعه شرعا واستحقاق فاعله الخزي في الدنيا والاخرة
وقال تعالى في تحريم التعريض له صلى الله عليه وسلم بما يؤذيه من غير تصريح
به يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الاية وذكر
ما يدل على المنع عن التعريض بعد ما يكون صريحا بترتيب حسن فالنهي عن
اذيته صلى الله عليه وسلم صريحا وتعريضا فيه دلالة على ما ادعاه بالطريق
الاولى والاقوى فالاعتراض بانه غير دال على ما ادعاه لا وجه له غير قلة
التدبر واراد المصنف بالتعريض الايهام والتورية بما يوهم ذلك وذلك ان المؤمنين
كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كلمهم بما لا يدرونه
راعنا اي ارع جانبنا وتمهل علينا حتى نفهم ما تقول فلما سمعهم اليهود
يقولون ذلك انتهزوا الفرصة في تنقيص مقام النبوة فكانوا يقولون
له صلى الله عليه وسلم ذلك بقصد سبه اما لانها كلمة سب بلغتهم
بالعبرانية او يقصدون بها وصفه بالرعونة وهي الحمق فتفطن لذلك
بعض الصحابة فقال لهم لين لم تنتهوا عن مخاطبته بهذا لاضربنه بما
قصدتم فقالوا الستم تقولونها فانزل الله هذه الاية نهيا للمؤمنين
ان يقولوا ما يتوصل به اليهود لسبه صلى الله عليه وسلم كما اشار
اليه المصنف بقوله وذلك المذكور من التعريض وجهه ان اليهود لعنهم الله

اي لا يجوز ولا يصح كما موصي

ابن المقري

تعالى كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك اي
ارع جانبنا بتوجيهك الينا والق سمعك نحونا واسمع منا ما نتكلم به عندك ويعنون
بالكلمة بقصدهم معنى غير ظاهرها يريدون الرعونة اي يقصدون بها اسم فاعل من
الرعونة وهي خفة العقل فينسبونه بمقصدهم نحو كن اوصرت راعنا اي ذا رعونة
فنهى الله المومنين في هذه الاية عن التشبه بهم بقول مثل مقالتهم له صلى الله
عليه وسلم والمراد بالتشبيه فعل ما يشبهه من غير قصد وامروا ان يقولوا
ما يودي معناها من غير ايهام وهو انظرنا واسمع منا اي انتظر فهمنا وقطع الذريعة
بنهي المؤمنين عنها اي عن هذه الكلمة الموهمة والنهي للذريعة وقطع مصدر
او فعل ماض اي قطع الله الذريعة وسد بابها بهذا النهي والذريعة هي الوسيلة
الموصلة لامر غير محمود وسد باب الذريعة قاعدة عند الامام مالك مشهورة
تقدم الكلام عليها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه صلى الله عليه وسلم
والاستهزاء به فانهم كانوا يقولونها ويتغامزون وقيل بل نهي المومنون عنها
لما فيهما من مشاركة اللفظ اي كونه مشتركا بين معنيين لانها اي هذه الكلمة
عند اليهود في لغتهم بمعنى اسمع لا سمعت دعاء عليه قال الراغب كان ذلك
قولا يقولونه للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم يقصدون به
وصفه بالرعونة ويوهمون انهم يقولون راعنا اي احفظنا انتهى ومعناها الدعا
عليه كما سمع غير مسمع وهي عبرانية كانوا يتسابون بها واصلها راعينا وانظرنا
بمعنى انظر الينا بالحذف والايصال اي انتظرنا وتأن حتى نفهم ما نقول وقيل
بل نهوا عنها لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم
وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك اي ان راعيتنا راعيناك
لانها صيغة مفاعلة من الجانبين وسوء الادب فيها ظاهر فنهوا عن ذلك لما فيه
من ترك الادب معه صلى الله عليه وسلم اذ مقتضى بنيتها اي مدلولها اعتقادهم
انهم اي القائلين لا يرعونه ويحفظون حقه الا برعايته صلى الله عليه وسلم
لهم وهذا النهي مخصوص بزمان النبوة كما قاله الواحدي في الوسيط
وهو صلى الله عليه وسلم واجب الرعاية على كل احد بكل حال اي في كل
حال سواء راعى غيره ام لا والجواب الثاني قريب من الاول الا انه قيل ان
الثالث فيه نسبة ما لا يليق بالصحابة رضي الله عنهم لهم فانهم اعرف
بمقام النبوة واجل من وقوع تقصير منهم في التادب معه وهو صلى
الله عليه وسلم قد نهى الناس في الحديث المشهور عن التكني وتقدم
ان القاسم اكبر اولاده وله اكنى به واختلف فيه هل مات قبل البعثة او
بعدها والكنية ما صدر باب او ام واللقب ما اشعر بمدح او ذم
والعلم اعم منهما واختلفوا فيها هل تنتقل الحل ام لا بكنيته الشريفة وهي
ابو القاسم كني باسم بعض اولاده فقال تسموا باسمي زاد فيه محمد لانه اشهر
اسمائه صلى الله عليه وسلم واشرفها والتسمية به مستحبة ميمونة وورد
فيها احاديث كثيرة مشهورة وبركتها معروفة ولا تكنوا بكنيتي بفتح التاء

الفوقية والكاف وتشديد النون واصله تتكنوا فحذف احدى التاءين تخفيفا قياسا
وقيل اصله تتكانوا فحذف فتحة الف لالتقاء الساكنين وهو تكلف من غير داع له وقيل
انه روي تكنوا مخففا بسكون الكاف والاول اشهر واظهر وروي لا تكتنوا ايضا صيانة
لنفسه عن ان يشاركه غيره في كنيته الموهمة برفعة قدره وهو وما بعده مفعول
له منصوب وحماية اي حفظا عن اذاه اي ان يؤذيه غيره ثم بين علة المنع وتاذيه
بذلك بما وقع في الحديث الذي رواه البخاري بقوله اذ كان صلى الله عليه وسلم
استجاب اي اجاب والتفت لرجل نادى يا ابا القاسم من خلفه وهو في السوق فقال
له الرجل الذي نادى لم اعنك اي لم اقصدك بندائي هذا انما دعوت هذا يشير
لرجل ثمة وابو القاسم المذكور قيل انه رجل من الانصار فنهى صلى الله عليه
وسلم حينئذ اي حين اذ وقعت هذه القصة عن التكني بكنيته بضم الكاف
وقد تكسر من كنيته وكنيته واصل الكناية الستر لئلا ينادي باجابة دعوة
غيره الصادرة ممن لم يدعه اذ ظنه دعاه والتفت نحوه وجد بذلك المنافقون
والمستهزئون من الكفرة ذريعة الى وسيلة وطريقا الى اذاه بندائهم اياه ايهاما
لندائه واسماعا له والازراية اي الاستخفاف تحقيرا به فينادونه بكنيته فاذا
التفت صلى الله عليه وسلم لمن ينادي قالوا له حين اجابهم انما اردنا هذا مشيرين
لغيره قصد السوء ممن تكنى بكنيته تعنيتا له اي ايقاعا له في العنت وهو
الامر الشاق بفتح العين المهملة ونون ومثناة فوقية واستخفافا بحقه اي تهاونا
وتحقيرا بالعدول عن توقيره على عادة المجان بضم الميم وتشديد الجيم قبل الف
ونون جمع ماجن من المجون وهو الهزل والسخرية فحمى صلى الله عليه وسلم حمى اذاه
اي منع منه منعا تاما فان من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه بكل وجه يفضي
اليه فلذا منع من المشاركة في كنيته فيعلم منه المنع مما يؤذيهم معنى قبيحا
بالطريق الاولى كقولهم راعنا ونحوه ثم شرع في بيان حكم التكني بكنيته شرعا
فقال فحمل محققوا العلماء نهيه اي حملوا حكمه في المنع ونهيه عن هذا المذكور
من التكني بكنيته على مدة حياته لان علة تاذيه بسماعه انما تتصور في حياته
واجازوه بعده وفاته لارتفاع العلة المذكورة بموته صلى الله عليه وسلم
والشيء قد يرتفع بارتفاع ما علل به وينتهي بانتهائه فلا يقال ان نحو قوله
يا اباه وللناس من العلماء في هذا الحديث يعني حديث تسموا باسمي ولا تكنوا
بكنيتي مذاهب ليس هذا موضعها الذي نذكرها فيه مفصلة لطولها وما
ذكرناه من تخصيصه بحياته لما تقدم هو مذهب الجمهور راي اكثر الفقهاء
والمحدثين وهو الصواب ان شاء الله من الاقوال وهي كثيرة احدها المنع
مطلقا سواء كان اسمه محمدا ام لا وروي عن الشافعي الثاني الجواز مطلقا الثالث
لا يجوز لمن اسمه محمد ويجوز لغيره وعليه عمل السلف وصححه الرافعي وبالغ
بعضهم فقال لا يجوز ان يسمي احد ابنه القاسم لئلا يكنى بابي القاسم والرابع
منع التسمية بمحمد مطلقا والتكني بابي القاسم مطلقا واستدل بما يأتي
قريبا ان عمر رضي الله عنه غير اسما جماعة تسموا بمحمد من اولاد الصحابة ونهى

ايضا عن التسمية باسما الانبيا اعظاما لهم عن ان يسبوا عند سبهم لكنه صح كما
يأتي انه رجع عن هذا لما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم سمى به بعض من ولد
في حياته والخامس المنع مطلقا في حياته والتفصيل بعده بين من اسمه محمد واحمد
فيمتنع ويجوز في غيره والسادس انه يجوز في حياته لمن سماه النبي وكناه لما
يأتي من انه روي عن علي كرم الله وجهه انه قال له يا رسول الله ان ولد لي
ولد اسميه باسمك واكنيه بكنيتك قال نعم وهو محمد بن الحنفية المكنى بابي القاسم
ولذا قيل الاصح ان النهي مخصوص بحياته صلى الله عليه وسلم الا من اذن له
النبي صلى الله عليه وسلم فيه والظاهر ما قاله المص لدلالة الحديث عليه دلالة
ظاهرة ولبعضهم في بعض ذلك

في كنية بقاسم خلف وقع * فالشافعي مطلقا لها منع
ومالك جوز والنهي حمل * على الحياة والنواوي جعل
هذا هو الاقرب ثم الرافعي * يمنع من سمى محمدا فعي

وان ذلك المنع انما جا في حياته بكنيته فقط لانه كان لا ينادي باسمه تاديبا على طريق
توقيره وتعظيمه في عدم المشاركة في كنيته كسائر الانبيا ولان معنى القاسم من يقسم
ارزاق الناس ونحوه مما لا يليق بغيره وانه ايضا انما منع على سبيل الندب
والاستحباب الندب اكد من الاستحباب لانه الاولى لا على التحريم لانه لا يلزمه التاذي
به حتى يقال كيف لا يحرم ما فيه اذية له صلى الله عليه وسلم ولذلك اي كونه ندبا
لا وجوبا لم يرتبه عن التسمية باسمه مع وجود العلة فيه لكنه دفع ذلك المحذور
بقوله لانه قد كان الله منع عن ندائه به وحله لما فيه من ترك الادب بقوله
لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا اي كما ينادي احدكم غيره
باسمه فهو مصدر مضاف للمفعول او الفاعل اي كان يدعوكم باسمائكم فانه
جائز له صلى الله عليه وسلم وتجب اجابته مطلقا حتى ذهب بعض الشافعية
الى انه تجب اجابته في الصلاة كسائر الانبيا ولا تبطل بها الصلاة بالنسبة
له صلى الله عليه وسلم وانما كان المسلمون يدعونه اي ينادونه ويخاطبونه
بقولهم يا رسول الله ويا نبي الله ولا يقولون يا محمد وكذا يقولون يا ابا
القاسم لما في الكنية من التعظيم وتوقف فيه صاحب الامتاع لما قدمناه وليس
محل توقف ولذا قال المص وقد يدعوه بيا الغيبة لاسناده للظاهر وفي نسخة
يدعونه فالظاهر بدل منه بكنيته يعني ابا القاسم لما فيها من الادب وشعار
التعظيم لبعضهم فاعل او بدل بعض كما تقرر في بعض الاحوال وهو لا ينافي
النهي عن التكني بها كما توهم بل يناسبه اتم مناسبة الا انه نقل عن الشافعي
انه حرم نداه صلى الله عليه وسلم بكنيته كما حرم نداه باسمه فسوى بينهما
لدخولها تحت قوله لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا لانهم كانوا
يتداعون بينهم بالكنى وقد يفرق بينهما فكان هذا هو الداعي لتوقف صاحب
الامتاع وفي الشرح لم اقف على ان احدا ناداه صلى الله عليه وسلم بكنيته بعد
هذا النهي الا ان يكون حديث عهد بالاسلام وقد روي في حديث رواه الحاكم

والبزار

والبزار وابو يعلى وحسنوه عن انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل
على كراهة التسمي باسمه العلم وهو محمد وما يشمله وغيره وتنزيهه اي تبعيد
اسمه عن ذلك اي عن تسمية غيره به تكريما له والكراهة كراهة تنزيه لا تحريم اذا لم
يوقر اسمه او المسمى به اي يعظم فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم واصله اتسمون
بالاستفهام الانكاري الدال على كراهته لمن اعتاد سب اولاده باسمائهم وقال الحافظ
ابن حجر انه حديث ضعيف ولا دليل فيه للكراهة مطلقا وقد روي عن عمر رضي الله عنه
انه كتب الى اهل الكوفة لا يسمى بالبنا للمفعول والفاعل احد باسم النبي صلى الله
عليه وسلم توقيرا له وخوفا ان يسب بما يعهم سب مسماه مطلقا حكاه عنه ابو جعفر
محمد بن جرير الطبري الا انه رجع عنه لما روي له ما ياتي انه صلى الله عليه وسلم
سمى ابن ابي طلحة محمدا وغيره فقال فلا سبيل اليكم يعني في المنع وروى سعيد
ابن المسيب احب الاسما الى الله عز وجل اسما الانبيا قال وانما كرهه عمر رضي الله عنه
لئلا يسب المسمى به فيسري لذلك وحكى عن محمد بن سعد الواقدي الامام المشهور وقد
تقدمت ترجمته انه اي عمر رضي الله عنه نظر الى رجل هو ابن اخيه ابو عبد الحميد
ابن زيد بن الخطاب اسمه محمد ورجل يسبه ويشتمه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع
هو كناية عما يشتمه به كما يقال فلان الفاعل الصانع فقال عمر لما سمع شتمه
باسمه لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب الا ارى محمدا يسب بك اي بسبب بسبب
اسمك لما فيه من الايهام والا كلمة تنبيه مركبة من همزة الاستفهام الانكاري
ولا اراد النفي وحقق ما بعدها ولذا تتلقى بما تتلقى به القسم كان والله
لا تدعى اي لا تسمى انت محمدا ما دمت انا حيا اي في مدة حياتي توقيرا له صلى
الله عليه وسلم وتعظيما لاسمه ان يتعرض لسب اسمعه فغير اسمه محمدا وسماه
اي سمى عمر رضي الله عنه ابن اخيه الذي هو محمد عبد الرحمن فهو عبد الرحمن
ابن زيد بن الخطاب العدوي وامه بنت ابي لبابة ولد في عهد النبي صلى الله
عليه وسلم وسمي محمدا فغير عمر اسمه واراد عمر رضي الله عنه في زمن خلافته
ان يمنع الناس ان يسمى احد باسما الانبيا صلى الله عليهم اجمعين اكراما
لهم اي للانبيا بذلك اي بمنع التسمية باسمائهم لئلا يسبوا بما يوهم ذلك
وغير اسما جماعة تسموا باسما الانبيا ثم امسك اي كف ورجع عن منع التسمية
لما مر وسياتي والصواب جواز هذا كله اي التسمية باسمه مع الكنية
وبدونها وكذا التسمية باسما الانبيا والملائكة لما مر خلافا لما منعه او
كرهه بعده اي بعد حياته صلى الله عليه وسلم لان وجهه الذي
بدا له وهو غير منصوص بعده بدليل اطباق الصحابة رضي الله عنهم
على ذلك اي على التسمية بما ذكر وجوازه وقد سمى جماعة منهم اي من
الصحابة ابنه محمدا وكناه بابي القاسم فجمع بين الاسم والكنية ولم ينكره
احد منهم مع كثرة الصحابة اذ ذاك فهذا كله يدل على انه غير ممتنع شرعا
والاطباق بمعنى الاجماع هنا من المطابقة وهي الموافقة مستعار من
الاطباق بمعنى جعل شي فوق شي بقدره ومنه طابقت النعل ثم شاع

عليه الصلاة والسلام صح

وسار حقيقة عرفية وانما جاز هذا العضد المتبرك المستلزم للتعظيم ولما ورد في
حديث رواه ابن وهب تسموا باسما الانبيا واحب الاسما الى الله عبد الله وعبد الرحمن
وسمى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم وروي في حديث رواه ابو داود والترمذي
عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لعلي بن ابي طالب في ذلك
اي في الجمع بين الاسم والكنية وذلك انه قال له يا رسول الله ان ولد لي ولد بعدك
اسميه باسمك واكنيه بكنيتك فقال له نعم فهذا ادل دليل على ان المنع مخصوص
بزمانه وهذا الحديث رواه اصحاب السنن وصححوه كما قاله البرهان الا انه
قال حفظت عن مشايخي انه روي انه عليه الصلاة والسلام قال لعلي سيولد
لك ولد بعدي وقد نحلته اسمي وكنيتي ولا يحل لاحد من امتي بعده انتهى
فعلى هذا الاستشهاد فيه الان كبار الصحابة كابي بكر وابن عوف فعلوا ذلك
وناهيك به حجة وذلك الموعود به كما مر هو محمد بن الحنفية بن علي بن ابي
طالب المشهور كنايته عن علم وقد اخبر صلى الله عليه وسلم في حديث روي عنه
ان ذلك اي محمد وابو القاسم اسم المهدي وكنيته الذي يظهر في اخر الزمان
بعد ما يظهر الفساد والجور فيملؤ الارض عدلا وهذا ورد في حديث رواه
ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيب هذه
الامة بلاء حتى لا يجد الرجل ملجا يلجا اليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتي
وفي رواية من اهل بيتي يوافق اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي وكنيته كنيتي
فيملؤ الارض عدلا وقسطا ويكثر المطر والنبات ويعيش سبع سنين او ثمان
او تسع وفيه احاديث كثيرة افردت بالتاليف ليس هذا محلها وقيل انه من ولد
العباس رضي الله عنه وقيل غير ذلك والشاهد فيما ذكر انه لو لم يكن جايزا
بعده لما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ويثني به من هو اصلح الناس
واعلمهم واعدلهم في عصره ومما يدل على جواز التسمية باسمه انه قد سمى النبي
صلى الله عليه وسلم جماعة منهم محمد بن طلحة التيمي جي به له صلى الله
عليه وسلم فمسح راسه وسماه باسمه وكناه بكنيته وهو المعروف بالسجاد
قتل في وقعة الجمل ومحمد بن عمرو بن حزم بن زيد لوذان الانصاري ولد سنة
عشر وقتل في وقعة الحرة سنة ثلاث وستين وهو من الفقها روي عنه
احاديث في السنن ومحمد بن ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي اتى به ابوه النبي صلى
الله عليه وسلم فحنكه وسماه محمدا وهو ممن قتل بالحرة ايضا وروي عنه
احاديث في السنن وغير واحد اي كثيرون سماهم النبي صلى الله عليه وسلم
باسمه من اولاد الصحابة وكانوا اذا ولد لهم ولد ياتون به للنبي صلى الله عليه
وسلم تبركا به فيمسح راسه ويسميه وقد يحنكه بتمر وقد ذكر منهم جماعة
الحافظ الذهبي ونقلهم البرهان وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه
ما ضر احدكم ان يكون في بيته من اولاده الذكور محمد ومحمدان اثنان وفي
نسخة وثلاثة واراد بنفي الضرر النفع ولكنه لم يصرح به احترازا من
التمدح ومثل هذه العبارة يكنى بها عن كثرة النفع كثيرا وقد فصلنا

الكلام

الكلام في هذا القسم الرابع على ما بين كما قدمناه في بيان التراجم اول الكتاب

## الباب الاول في بيان ما هو

اذا قيل في حقه عليه الصلاة والسلام اي بالنسبة اليه سب وشتم او نقص
مما لا يليق به وان لم [يكن] سبًّا من تعريض بطريق الكناية والايما او نص اي صريح
لا يحتمل التاويل قال [القاضي] ابو الفضل عياض المولف رحمه الله اعلم وفقنا
الله واياك لمعر[فة حقو]ق النبوة وما يجب له صلى الله عليه وسلم ان جميع من سب
النبي صلى الله عليه وسلم بشتمه او عابه هو نوع من السب فان من قال فلان
اعلم منه صلى الله عليه وسلم فقد عابه ونقصه ولم يسبه او الحق به نقصا في
نفسه وذاتها بتعلق بخلقه وخلقته او نسبه كان يفضل احدا على قومه
واصوله وكان يقول انه صلى الله عليه وسلم لم يكن قرشيا فانه كفر كما صرح
به الفقهاء وياتي ايضا في محله وليس من تنقيص النسب ما وقع من الاختلاف في
اسلام ابويه كما هو ظاهر او دينه اي نقص شريعته او نسبه لغموره فيما يجب
بيانها او خصلة من خصاله وصفة من صفاته كشجاعته وكرمه او عرض به اي قال
في حقه صلى الله عليه وسلم ما لا يليق به تعريضا لا تصريحا او شبهه بشيء غير
حسن على طريق السب له بتنقيصه كما سياتي او الازرا عليه اي التنقيص له
وان لم يكن قصد السب او التصغير بشانه اي تحقيره كتصغير اسمه او صفة
من صفاته او الغض بمعنى افعل تنقيص وهو بغين وضاد معجمتين واصل
الغض نقص في الصوت او الطرف كما قاله الراغب فاريد به مطلق النقص
القليل او العيب له فهو ساب اي كالساب معنى وفي نسخة والعيب بالواو
والحكم فيه حكم الساب الاتي من غير فرق بينهما من انه يقتل كما نبينه ولا
نستثني بنون المضارعة اي لا نخرج منه فصلا اي قسما وصورة كما يقال
المسيلة على فصول لفصل بعضها من بعض من فصول هذا الباب بجميع اقسامها
ولا نمتري بنون ايضا اي لا نشك ولا نتردد فيه صريحا كان السب او تلويحا اي
كناية وتعريضا وكذلك من لعنه والعياذ بالله او دعا عليه او تمنى مضرة
له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه اي باصله وحسبه وهذا هو حقيقة السب
كما قدمناه لا ما اشتهر بين العوام على طريق الذم له حاشاه منه او عبثه اي
قاله على طريق الهزل والمجون في جهته العزيزة اي بشيء له تعلق بجانبه الشريف
بسخيف من الكلام اي امر سخيف رذل وهجر بضم الها وفتحها وهو الفحش والقبح
ومنكر من القول وزور الكذب عليه بما ليس لا يليق بجنابه الشريف او عيره
بعين مهملة وياء مشددة اي نسب له صلى الله عليه وسلم ما فيه عار
عليه مما جرى من البلاء والمحنة عليه كذكر ما اتفق له صلى الله عليه وسلم
مع العرب في ابتداء دعوتهم كما فصل في السير او غمصه بغين معجمة وميم وصاد
مهملة اي نقص من قدره ببعض العوارض البشرية الجائزة عليه كالامراض
ونحوها مما تقدم والمعهودة لديه اي المعتادة بينه وبين سائر الانبياء

وهذا كله غير جار موجب للعقاب في الدارين باجماع من العلما وايمة الفتوى من فقها
المذاهب معروف متواتر بينهم من لدن عصر الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا
اي الى اخر الزمان وانقضا الدهر عصرا بعد عصر وزمنا بعد قرن بلا خلاف فيه
وحكاية ابن حزم الخلاف فيه لا معول عليها كما ياتي وقد تقدم بيان الاجماع فيه وان
من اعترض على المص لم يفهم مراده وان هذه العبارة منقولة عن الايمة كلهم كما
في السيف المسلول على من سب الرسول للسبكي وفي نسخة من الصحابة واصحابه وهو
سهو من الناسخ حمل بعض المحشين على التكلف في توجيههما وقوله هجر بمعنى هذيان
وتخليط لا يزد عليه ما مر من قول عمر رضي الله عنه في مرض موته صلى الله عليه وسلم
هجر فانه استفهام انكاري على الاصح فهو لم يصفه صلى الله عليه وسلم بذلك
حتى يقال كيف يتيه بذكرا وقد مر من مثله ولا حاجة الى الجواب بانه لم يعتمد تنقيصه
به ومثله ممنوع حقيقة قال الزركشي كالسبكي انه لا يجوز ان يقال له صلى الله عليه وسلم
فقير او مسكين وهو اغنى الناس بالله لا سيما بعد قوله تعالى ووجدك عايلا فاغنى
وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا اراد به المسكنة القلبية بالخشوع
والفقر فخري باطل لا اصل له كما قاله ابن حجر العسقلاني وقوله ونحوه وقد علمت
ان المراد به الكذب عليه صلى الله عليه وسلم بتعمد ووصفه بما لا يليق به واما الكذب
عليه بنقل ما لم يقله فليس داخلا فيه لانه معصية لا كفر وقول الجويني بل والده فيه
ان تعمد الكذب عليه مطلقا كفر لانه قد يودي الى استحلال الحرام وهو كفر قول شاذ
مردود وما علل به واه جدا وقوله الى هلم جرا هلم كلمة مركبة من ها التنبيه ولم
فعل ماض ثم جعلت بمعنى تعال وفيها لغتان احداهما ان تكون اسم فعل يستوي
فيه الواحد المذكر وغيره والثانية ان تستعمل استعمال الافعال باتصال الضماير
وقد تتعدى باللام وجرا منصوب على الحالية او التمييز او المصدر به اي وجر جرا
واصلها ان يرسل الابل للرعي وهي سايرة ثم جعل كالمثل فصارت بمعنى استدامة
الامر واتصاله فيقال كان كذا في عام كذا وهلم جرا الى اليوم واصل معناه سيروا
على هينتكم من غير استعجال وحث لكن في كلامه شي لم ينبهوا عليه وهو ان خالف
الى على هلم مقابلة لمن الابتدايية الداخلة على لدن وهو غير مسموع بل غير صحيح
لانها تعمل في الحال او الاصل على اللغتين فكانه حذف مجرورها واصله الى وقتنا
هذا وهلم جرا وهذا ايضا غير جار على وفق كلامهم وقال ابو بكر بن المنذر تقدمت
ترجمته وانه عدل ابراهيم النيسابوري اجمع عوام اهل العلم هو جمع عامة بمعنى
جماعة كثيرة والمتقدمون كالشافعي رضي الله عنه يعبرون بهذه العبارة للعموم
وليس المراد العامي فانه غير صحيح اذ لا عبرة بهم وباجماعهم واهل العلم مناد عليه
لان العامي لا يكون اهل علم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل
مطلقا وممن قال ذلك اي حكم بقتله مطلقا مالك بن انس والليث بن سعد المصري
الامام المجتهد المشهور واحمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم بن راهويه المشهور
وهو مذهب الامام الشافعي المنقول عنه في الاشهر قال القاضي ابو الفضل
عياض المص رحمه الله ورضي عنه وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه

اي الفارسي

تعالي

ولم

وكنيته

ولم يقل وهو قول الصديق مع انه اظهر واخصر تلذذا بذكره وعبر بالمقتضي لانه نقل
ما يدل عليه في عهد خلافته وسياتي ما يوضحه ولا تقبل توبته عند هولا القايلين بوجوب
قتله مطلقا صونا للمقام النبوي كما قال المتنبي لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق
على جوانبه الدم ونحوه اي بمثل قول هولا بوجوب القتل وعدم قبول التوبة قال ابو
حنيفة واصحابه محمد وابو يوسف وزفر واهل مذهبه والثوري سفيان بن سعيد الكوفي
الفقيه سيد اهل عصره وامير المومنين في الحديث والتقوى لم ار احفظ منه ولا اجل ولا ار[illegible]
هو ايضا مثل نفسه وهو منسوب لثور وهي قبيلة توفي سنة احدى وستين ومائة واهل
الكوفة من عطف العام على الخاص لان الثوري وابا حنيفة كوفيان والاوزاعي عبد الرحمن
ابن عمرو الامام الجليل في الحديث والفقه والترسل والزهد والعبادة حبر هذه الامة
مات في جمادي سنة سبع وخمسين ومائة و[illegible] الاوزاع لقب لابي بطن من همدان
في المسلم خاصة دون الكافر وفي نسخة [illegible] قالوا هي ردة اي يريد صاحبها
ويكفر بسببه وانث الضمير لتانيث الخبر على القاعدة وعلى هذا يستتاب كالمرتد وقيل
انه يمهل ثلاثة ايام ونقل هذا عن عمر رضي الله عنه واذا قتل تضرب عنقه وقال
الماوردي يضرب بالخشب ولا يحرق ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا المشركين وروي مثله
الوليد بن مسلم ابو العباس الدمشقي مولى بني امية عالم اهل الشام كما تقدم وانه
ولد سنة عشر ومائة وتوفي سنة خمس او اربع وتسعين ومائة في المحرم ويقال له كما
في نسخ ابن ابي مسلم والاول اصح عن مالك في احدى الروايتين عنه و[illegible] الطبري
محمد بن جرير وقد تقدم مثله عن ابي حنيفة واصحابه في من تنقصه [illegible] له
صلى الله عليه وسلم تنقصا دون السب او برئ منه او [illegible] ففيه
ما تقدم من حكم المرتد وقبول توبته وقال سحنون [illegible] الصرف للعلمية
وشبه العجمة كما قاله المعري في كتاب ذكرى حبيب و[illegible] لسان الميزان
هو عبد السلام بن عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن [illegible] هلال بن بكار بن
ربيعة التنوخي ابو سعيد الفقيه المالكي غلب عليه [illegible] ابن وهب
وابن القاسم واشهب وغيرهم فقوله اني يعني لم [illegible] حفظه
في الفقه فيه فقالوا انه انتشرت امامته وسلم له [illegible] فضله
وتقدمه وانه اجتمع فيه خصال لم تجتمع في غيره [illegible] الزهد
والسماحة ولد في رمضان سنة ستين او احدى وستين ومائة و[illegible] سنة اربعين
ومائتين لتسع خلون [illegible] وابن ثمانين سنة انتهى فيهم [illegible] سبه
ردة له حكمها كالزنديق [illegible] تزندق [illegible]
تعرب في اصله اختلاف [illegible] على معان
كالمانوية وعلى من لا يومن [illegible] والدهر[illegible]
الكفر وتظهر الايمان [illegible] بينه وبين المنافق
مشهور ايضا والفرق بين [illegible] د من بين ال[illegible]
انه يوخذ منه الجزية لانه [illegible] قبل الا[illegible]
يعتقدون خلاف ما يظهرون و[illegible] نعني و[illegible]

وتفصيله مع أدلته في كتب الفروع وليس هذا محل تفصيله وننبه بالاشارة الى شيء منه وبنا
على هذا المذكور من قول سحنون وغيره انه وقع الخلاف في استتابته هل هي لازمة اولا
وتكون [illegible] في الحكم بكونه يقال كفر او كفر على التصحيح خلافا لمن جعل الاول من الكفار
وهو [illegible] مشهور وقد وقع الخلاف ايضا في قتله هل قتله حد لانه لمن قذف الانبياء عليهم اي
جزاء عليه كسائر الحدود ودائم هو كفر لانه كقتل المرتد بردته كما سنبينه في الباب الثاني
من القسم الرابع ونحن ان شاء الله نبين ما فيه تفصيلا مع الفرق بينهما وما فيه م
لا تتلقى الركبان هنا لا نعلم خلافا بين علماء الاسلام في استباحة دمه اي انه
هدر لاستحقاقه القتل بسبه صلى الله عليه وسلم بين علماء الامصار اي البلاد
العظيمة كمكة والمدينة وبغداد وعلماؤها اعظم واعلم من غيرهم وسلف الامة
المتقدمين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان وقد ذكر غير واحد هو كناية
عن الكثرة عندهم الاجماع على قتله السبكي اي على كافر مستحقا للقتل واشار
بعض الظاهرية وهم قوم على مذهب داود الظاهري الذي كان يرى وجوب الاخذ
بظاهر الاحاديث والنصوص من غير تاويل وهو اي هذا البعض ابو محمد علي بن
احمد الفارسي وهو الامام العلامة المتبحر الحافظ المعروف بابن حزم بن غالب
ويتصل نسبه بابي سفيان بن حرب فهو فارسي اموي الاصل قرطبي ظاهري كتابه
في مذهب داود المسمى بالمحلى كبير وقفت عليه في مجلدات ضخمة ولد بقرطبة
سنة اربع وثمانين وثلاثمائة وترجمته وتصانيفه مفصلة في التاريخ
وقيل لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان الى الخلاف في تكفير المستخف
به صلى الله عليه وسلم بتصغير شانه او بشيء يتعلق به من غير سب صريح وهو
قول مردود عليه والمعروف ما قدمناه من تكفيره وفيه اشارة الى عدم
الاعتداد باقوال الظاهرية النافية للقياس وفيه خلاف هل يجوز العمل
بقولهم ام لا والصحيح عدم الجواز وما ذهب اليه ابن حزم [illegible] انه
[illegible] في عهده صلى الله عليه وسلم لكثير من الاعراب ومن غيرهم
كالحلم ولم يقتلهم صلى الله عليه وسلم وجوابه ظاهر ولا يقاس حالنا
اليوم عليه لانه في بدء الاسلام كان يتالف القلوب ويسامح اما اليوم
فلا [illegible] الامام سحنون الذي سبق بيانه قريبا وانه ايضا
من اجلة المالكية والمحدثين وله مصنفات عدة وتفقه على ابيه وكان
مفتي القيروان بعده وهو عظيم القدر [illegible] على المناظرة اجمع العلماء على
جماعة كبيرة [illegible] عنه [illegible] كان احسن كافر
ولبق المراد العاصي فانه غير [illegible] عليه لشموله [illegible] لقوله تعالى
لان العاصي لا يكون اهل [illegible] وحكمه عند [illegible] اي ائمة الاجابة القتل
مطلقا وممن قال ذلك اي حكم لان الرقيق [illegible] مالك [illegible] ولتكذيبه للقران في
الامام المجتهد المشهور واحد [illegible] الله [illegible] قال ابن حجر وما صرح
وهو مذهب الامام الشافعي هو ما عند ايمتنا وغيرهم لكنه عندنا
عياض المص رحمه الله ورضي عنه ان اصر ويقتل ولو امراة فان اسلم صح اسلامه

ويترك

٧٥٩

حكم

وترك ذاي وياتي ذلك في محله قيل وفي جزمه بكونه بعد نقل الخلاف فيه نظر وكيف
يصح نقله من شك في كونه وعدا به كفر مع ذكر الخلاف فيه اولا قلت القتل والخبر
ابراهيم بن حسين بن خالد العفيفي في مثل هذا وفي نسخة على [illegible] القتل خالد
ابن الوليد مالك بن نويرة علم من تصغير نار لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم
صاحبكم يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وفيه تنقيص له بتعبيره عنه بصا
دون رسول الله ونحوه واشاقته لهم دونه المسعود لك بالنبوة [illegible] ونبوته واتباعه
واشتكاوه وهو في غاية الظهور ومالك بن نويرة هذا كان له وفادة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شجاعا شاعرا سيدا [illegible] مطاعا في قومه بني
تميم وولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وعلى اخذ زكاتهم فمنعوها
بعده صلى الله عليه وسلم فارسل ابو بكر خالد بن الوليد [illegible] فقال له مالك
ابن نويرة انا اتي الصلاة دون الزكاة فقال له لا تقبل احدهما دون الاخرى ثم
فقال قد كان صاحبكم يقول ذلك فقال خالد اما تراه لك صاحبا قال ابن حجر [illegible]
ضرب عنقك فقال ما [illegible] امرك صاحبك فقد [illegible]
ينكر عليه خالد تكرير قوله صاحبكم بعد ما وعده [illegible]
فضرب عنقه لانكاره فقوله صاحبكم مرتين استصغار [illegible]
وهو الذي رثاه اخوه متمم بالقصيدة العينية التي [illegible] دلالة معنوية لان الخزي

۵ فلما تفرقنا كاني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا [illegible] من عدم التدبر

وهي قصيدة بليغة مشهورة وفيما ذكر الملم اشارة الى رد ما [illegible] القتل بمعنى اللعن
قدم للقتل قال لزوجته ما قتلني الا هذه يعني ان خالدا [illegible] ان المراد بهما معنى
ليتزوجها ولما قتله جعل راسه اثفية لقدر ثم بعد ذلك [illegible] يقولون ما لا [illegible]
فقال ابو حنيفة السعدي فيه شعرا منه [illegible] يجري اللعن والذم

۵ فضل خالد بغيا عليه لعرسه وكان له فيها هوى [illegible] هذا التعبير

ولما انكروا عليه ذلك عند ابي بكر رضي الله عنه وقال فيه [illegible] معجمة
قوله في ذلك وما كنت لاغمد سيفا سله الله عليهم [illegible] ولا نوه له لعدم
وممن شدد النكير عليه عمر رضي الله عنه وود لو قتله لوجوب قتله وتاويله
ان قتله غير صواب لكن خالد رضي الله عنه لما اخذ منه [illegible] في [illegible] الزكاة
الزكاة وقد قال له لا تفعل هذا فانك ان قتلته فقد ارادته [illegible] المكس فامتنع
من الله حكم بقتله وابو بكر رضي الله عنه اقتدى برسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما فعله لانه وقع له مثله في قصة بني خذيمة [illegible] الجاهلية
مع اسلامهم كما هو مذكور في السير فسقط ما قيل [illegible]
القضية لما اخذ [illegible] لانها امر مشكل يحتاج للتاويل [illegible]
الخطابي هو حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب وله نسب يتقدم [illegible]
زيد بن الخطاب اخو عمر رضي الله عنه وهو بستي [illegible]
وثلاثمائة وهو امام جليل له تصانيف جليلة [illegible]
لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان [illegible] عليهم انه [illegible]

ابن اقبرس

في الكافر كما تقدم وقد قيل انه معنيد بعدم التوبة فانه محل الاجماع والله لا يخلو
من نظر وقد قدمنا لك ما يعلم منه الجواب عنه وقال ابن القاسم الامام عبد الرحمن
المصري صاحب الامام مالك رحمه الله عن مالك في كتاب محمد بن سحنون الذي
تقدم قريبا والمبسوط والعتبية تقدم اسمهما من اجل الكتب وبيانهما وحكاه
عبد الله بن مطرف وهو ابن اخت الامام مالك كما قدمناه في ترجمته في كتاب
ابن حبيب الذي تقدم بيانه ايضا من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين
قتل حدا ولم يستتب ولا تقبل توبته وقال ابن القاسم في العتبية تقدم
انها اسم كتاب مستخرج لمحمد بن احمد بن عبد العزيز بن عتبة الاموي القرطبي الفقيه
المعتمد [illegible] الحجة [illegible] من سبه او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل على سبه والمراد بالسب ذكر
ما يعيبه بتحقير او بنحو الامور الذميمة وشتمه بنسبة ما لا يليق به صلى الله عليه
او تكلم في خلقه بما لا يحقره بكونه جبارا او قهارا او نحوه لان المراد فيمن يعطف احدهما
عن اسمه عندهم الاجماع [illegible] هنا كما مر او نقصه اي نسب له نقصا وان لم يكن شتما
بعض الظاهرية وهم قوم [illegible] اعقل فانه يقتل حدا وحكمه عند الامة اي في اعتقاد
بظاهر الاحاديث والنه [illegible] وجوبا بلا تردد كالزنديق اي كما يقتل الزنديق كما
احمد الفارسي وهو الا [illegible] على كل احد توقيره اي تعظيمه صلى الله عليه وسلم وبره
ويسمى نسبه بابي سعيد [illegible] على امته فمن خالف ما فرض الله عليه مما علم من الدين
في مذهب داود الـ[illegible] [illegible] فيما يجب قتله ولا تقبل توبته وفي المبسوطة وفي نسخة
سنة اربع و[illegible] [illegible] ان بن كنانة بكسر الكاف ونونين بينهما الف وهاء تانيث وهو ابو
وقيل لسان بن [illegible] [illegible] الملكية له كتاب اسمه المبسوطة لم يشتهر توفي سنة ست
هو [illegible] الله عليه [illegible] [illegible] ذلك بستين سنة وقيل ثلاث وستين وهو احد الرواة
تولى [illegible] ود عليه [illegible] صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا على
الا عند ادبا قوال [illegible] [illegible] الله ولم يستتب اي لم تقبل توبته والامام مخير في
ابو لهو [illegible] ولا او الصحيح [illegible] [illegible] ب عنقه في رواية ابي المصعب عن مالك ومصعب
ن [illegible] ذلك في [illegible] [illegible] هو احمد بن ابي بكر ابو مصعب الزهري العوفي قاضي المدينة
كالحلم ولو تعقله وسلكا [illegible] [illegible] ي عن مالك وغيره وتوفي سنة اثنين واربعين ومائتين
اليوم عليه لانه [illegible] [illegible] ابي اويس اسماعيل بن عبد الله ابن ابي اويس بن اخت
فلا [illegible] محل [illegible] [illegible] كما يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اجلة المالكية [illegible] سبه او عابه او تنقصه بنسبة نقص مما له حماه الله منه قتل
مفتي الفير [illegible] [illegible] كافرا ولا يستتاب لانه حد لا يسقط بالتوبة عنده قيل قوله
جماعة كبيرة [illegible] للمسلم اما الكافر اذا تاب وتوبته اسلامه فتقبل توبته
وليس المراد العاسلام يجب ما قبله وقال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
لان العاصي لا يكون سلف وسياتي ما فيه وفي كتاب محمد بن ابراهيم المعروف بابن
مطلقا وممن قال كنية المشهور من اهل بنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي
الامام المجتهد المشا او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال
وهو مذهب الا ما [illegible] الاندلسي المالكي مفتي قرطبة الامام المعروف توفي سنة
عياض المص رحمه الله

سبع

سبع وتسعين وثلاثمائة كما تقدم يقتل على كل حال كما بينه بقوله اسود لك
اي اخفاه عن بعض الناس والمراد وجهر به ولا يستتاب لان توبته لا تعرف فهل
هي كاينة كونه باخلا من او هي تقية لخوف القتل وقال عبد الله بن عبد الحكم
بفتحتين ابن اعين العقيد المصري ثقة يروي عن مالك والليث وغيرهما
توفي سنة اربع عشرة ومائتين من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم
او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري الامام المشهور محمد بن جرير مثله عن اشهب
عن مالك رحمه الله واشهب هذا هو ابن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم ابو
عمرو العبسي العامري المصري الفقيه قيل اسمه مسكين واشهب لقبه روى عن مالك
والليث وغيرهما وهو ثقة توفي سنة اربع ومائتين وعمره اربع وستون بمكة ويروي
ابن وهب عن مالك رحمه الله وابن وهب هو ابو محمد بن وهب بن مسلم الفهري
المصري احد الاعلام روى عن مالك والليث والسفيانيين وغيرهم كثير وطلب
للقضا فاختفى وانقطع في بيته وكان من الزهد والعبادة بمكان قال ابن حجر ومع ذلك
بمرتبة لم يبلغها غيره حتى بلغ حديثه ثمانين الف ... ابسلة ... من
جليلة توفي سنة سبع وتسعين ومائة في شعبان ... بعد البر ... تصلوا
ومائة من قال ان ردا النبي صلى الله عليه وسلم ويروي ... لكن من بضلل ... او وعن
وسخ الوسخ والدنس معروف واراد به عيبه اي قصد ... ثم رد ذلك اشارة
قتله فانه لم يعفه ذلك لم يقبل كما قال بعضهم ثابت ... ولا معنوي لان الخزي
وسمه اي مسودة من دنس العرق لانه يريد بذلك ... يههنا ناش من عدم التدبر
وسلم بلباسه وبدنه والمراد يعلم من سياق الكلام كفيه ان المراد بهما معنى ... العقل بمعنى اللعن
اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل يقولون ما الايمة
الاية لا ينبغي لمثله ... وانه عند العوام وكذا المتنبه ... يجري اللعن والد
قال انه كان صلى الله عليه وسلم يدهن حتى كانت ثيابه ... هذا التنعيما ... ف
مروي في الشمائل وكذا اكل اذية بانه لا يكون كذا الا اذية ... تعالى معجمة
صلى الله عليه وسلم ولذا لم يكفر الخايضون في الافك ... ولا ... له لعدم
عليه ولم ينقص الغزاة كما صرح به السبكي في السيف المسلول جوابا قتله وتاويله
قال ابن حجر الهيتمي بعد سياقه كلام المصنف ويوخذ منه انه في ... بالسو
او قصد الاخبار عن تواضعه لا يكفر وهو ظاهر في ارادة ... المكس فامتنع
عند الاطلاق لانه ليس صريحا في النقص واذا قلنا بعدم ... له المكا ... كانه
التعزير البليغ لذكره ما يوهم نقصا واختلفوا فيما لو كان الب المطلب من الجاهلية
طويل الظفر والذي يظهر انه لو قال ذلك احتقارا له صلى الله عليه وسلم ... تعيبا
او استهزاء به او على جهة نسبة النقص اليه كفر والا فلا بل يعزر ... ورسول
انتهى ملخصا وقال بعض علمائنا يعني المالكية اجمع العلماء تقدم الله ... فتله
في هذه المسالة على ان من دعا على نبي من الانبيا بالويل فقال ويلا له في ... بالكفر
يدعى بها ومعناها الهلاك او البلاء المصيبة والعذاب والمع ادر ... باعتبار
عليه بشيء من المكروه مما يكره الناس ويشق عليهم انه يقتل بغير ... رد
دعة

اي لا يطلب توبته ولا تقبل وقال ابن حجر الهيتمي في فتاويه من خصائصه صلى
الله عليه وسلم ان من زنى بحضرته كفر ونظر فيه في الروضة واجيب بانه ظاهر
في الاستخفاف فكان كفرا فيؤخذ منه ان غيره من الانبيا كذلك وافتى القابسي ابو
الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني شيخ الحديث وفقه مالك المبرز الزاهد
العابد صاحب التصانيف الجليلة في الفقه والاصول عديم النظير توفي سنة
ثلاث واربعماية فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم الحمال بفتح الحا المهملة
وتشديد الميم قبل الالف ولام وذلك لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا اشترى
شيئا من السوق حمله بنفسه واذا اتفق من اراد ان يحمله قال رب المتاع اولى بحمله
كما روي في كتب الحديث يتيم ابي طالب لانه رباه بعد موت ابيه وجده عبد
المطلب بالقتل لما فيه من الاستخفاف والتحقير وقصد قايله ذلك لقيام
امنة عليه كما سياتي
عن اسعي عندهم الاجما[ع] قال ابن حجر والظاهر ان مذهبنا لا يابى ذلك لما في
نقص الظاهرية وهم و... الازرا فانه ذكر يتيم ابي طالب فقط لم يكن صريحا
بظاهر الاحاديث والنـ... كان التيهان يدل على الازرا كان كما لو جمع بين اللفظين
احمد الفارسي وهو الا... بن ابي محمد عبد الله القيرواني المالكي الذي انتهت
ويتصل نسبه بابي سـ... كت بالمغرب ورحل اليه من الاقطار وكثر الاخذون عنه
في مذهب داود الم... وحاز رياسة الدين والدنيا حتى سمي مالك الاصغر
سنة اربع وثلـ... ديف سنة تسع وثمانين وثلاثماية بقتل رجل سمع قوما
وقيل لسان بن ... ان بن كثون ويذكر بعضهم لبعض صفة النبي صلى الله
ه صلى الله عليه ... بصفة الهيئة الشريفة التي مر الكلام عليها اذ مر عليهم
قول شرود ود عليه ... بذل قبيح الوجه واللحية على غير هيئة مستحسنة فقال
لا تعتد ادبا قوا... جماعة الذين يتحدثون تريدون تعرفون صفته صلى
ابو لهوامز لا والصر... لعنته فقالوا له نعم فقال هي في مثل صفة هذا المار
... وهيئة لحيته او كانت هيئته هذا المار مستخبثة
... في ... لا تقبل توبته لكفره وعظم جرمه قال ابن حجر ومذهبنا
كالحكم ولو تقبلهم ... هذا الرجل في مقالته هذه لعنه الله واخزاه وقبح
اليوم عليه لا ... ما قاله هذا الملعون من قلب سليم الايمان بل عديم
فلا ... محـ... ان وقال احمد بن ابي سليمان هو من علما المالكية المعروفين
من الجلة المال... حب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لون
متقي لفتر ... انه اسود يقتل لانه صلى الله عليه وسلم كان من الحسن
جماعة ليرة ... بصفة لا تخفى كما مر فهذا القايل قد كذب وافترى
ولبس لما ... صلى الله عليه وسلم بما فيه اشعار بالتحقير لعنه الله
لان العهد يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهذا مما صرح به الفقها
مطلقا بانه قصد الكذب استخفافا فهو كما لو قال لم يكن قرشيا وقال
الامام سليمان ايضا في رجل قيل له وقد تكلم بشي لجماعة لم تقتلوه
وهو قاله وحق رسول الله اي عظمته وجلالته قدره عند الله وهو
عياض

قسم

قسم مؤكد لما قبله ومثل هذا اليمين المؤكد به والاستعطاف ليس يمينا شرعيا
وانما جاء على عرف التخاطب فالبحث عنه هنا لا وجه له فقال الرجل المخاطب بعد ما ذكر
فعل الله برسول الله كذا او كذا كناية عن كلام قبيح وصف به رسول الله صلى الله
عليه وسلم تركه لاستهجانه عما ذكر مفعول ومن كلاما قبيحا لا يليق ذكره
فقيل له انكارا لمقالته ما تقول يا عدو الله جعله عدو الله لتحقيره رسوله
صلى الله عليه وسلم فقال له اي لمن انكر كلامه كلاما في قبحه اشد من كلامه
الاول الذي سبق منه ثم قال يوجه كلامه القبيح وبان له انما اردت بقولي
برسول الله الذي وصفته بصفات انكرتموها العقرب لانكم تقولون الذي يرسلها
وسائها كما في قوله تعالى ويرسل الصواعق وهذه حقيقة معنى الارسال
وهذا اما لا اشك في معناه وانكاره مكابرة لكنه لا يتبادر من قائله ولا قصد به
الله مراده لان رسول الله صار في كلامهم لا يراد به الا الانبياء عليهم الصلاة
والسلام ولا يخطر غيره ببال احد فلذا لم يقبل تأويله قال ابن حجر ويدل له
لا يأبى ذلك فقال ابن ابي سليمان للذي سأله مستفتيا عنها اشهد
بان يشهد بصحته حاكم يجري عليه ما يستحقه وانا
مقدر تقديره فاذا قتل فلك اجر عظيم يريد في قتله لكن من يضلل
فيه البركة قال حبيب بن الربيع هو يحيى بن حبيب لا له معنوي لان الجزئي
ابن ابي سليمان وفتواه بقتله لان ادعاءه التأويل هنا ناشئ من عدم التدبر
وما دل عليه في لفظ صراح بمهملات مضموم الاول القتل بمعنى اللعن
منه فالتأويل لا يقبل لبعده غاية البعد وصرف بعضهم ان المراد بهما معنى
كما لو قال انت طالق وقال اردت محلوله غير مربوطة يقولون ما الايمة
هذيانا لانه امتهان اي ابتذال وتحقير في المهنة يجري اللعن
تحقير لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحسب هذا اللفظ
وهو اي قائله غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجمة
في اوله وزا مهملة في آخره او معجمة اي غير معظم ولا موقر له لعدم
تأدبه فوجب بسبب هذا اباحة دمه بجعله هدرا الوجوب قتله وتأويله
لا يسمع منه وافتى ابو عبد الله بن عتاب من فقهاء المالكية في بالتشديد
وهو من يأخذ العشر وهو المكاس قال لرجل طلب منه المكس فامتنع كان
له انه ظلم لا يرضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له المكاس جاهلية
بفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة امر بمعنى اعط ما طلب منك
الى النبي صلى الله عليه وسلم مني ومن ظلمي لك ومثله تحقير للنبي
عليه وسلم فالشر بعه كانه يقول لا قدرة له على دفعه لو كان ورسول
الان فلذا افتى فيه بوجوب القتل واشك امر من الشكاية في الزمان قتله
باخذ المكس قال اشكوك للنبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سألوا
الرجل ويحتمل ان القائل ابن عتاب في فتوى اخرى فيمن قال ان
التأ وجهلت انا امرا اسأل عنه فقد جهل النبي بعض امور لان علم

انما هو لله وبه العالم بعلمه النبي صلى الله عليه وسلم فافتى في هذا البيتا بالقتل لما
فيه من الاستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم لتسويته بينه وبينه واسناد
السؤال والجهد له فهذا مع ما قبله كلام واحد او كلامان كما اشرنا اليه قال ابن
حجر وبعد تهيئا فاقتضى بذلك انتقال الذي يظهر ان مجرد قوله اذ واسند الى النبي
صلى الله عليه وسلم تقصد عدم المبالاة كفر ايضا وافتى فقهاء الاندلس بفتح الهمزة
والدال المهملة وضم اللام كما هو علم ارض بالمغرب كان بها كبار العلماء لا يحيى
وهي الان بيد النصارى وفي دخول ال عليها كلام وهي معربة بقتل ابن ابي حاتم
المتفقه اي الذي كان يدعي علمه بالفقه والنحو فيه وهو رجل من اهل الاندلس
لم اقف له على ترجمة الطليطلي بضم الطاء المهملة وفتح لام قبل مثناة تحتية
ساكنة وطاء مهملة مكسورة ولام وياء نسبة نسبة لطليطلة وهي مدينة مشهورة
بالاندلس وصلب على جذع من نعم الى ان يموت او ينزل فيقتل وتشهير اله تخويفا
الامة من الجراة على [illegible] له مما يشهد بنا المجهول عليه من استخفافه بحق النبي
[illegible] بكلام يشعر بتحقيره اي برفعة قدره الذي هو حق ثابت له على كل احد
بظاهر الا[illegible] اي تسميته ذلك الملعون انا مناظرته النبي صلى الله عليه
احمد الفارسي وهو الا[illegible] كنه حجيم او بيتيم ابي طالب كما كان يقوله الكفرة استخفافا
ويحتمل نسبه بابي [illegible] ما سبق مشعرا بتحقير كان كفرا فان لم يشعر به جاز كما في
في مذهب داود [illegible] ذيف الله في البردة
سنة اربع و[illegible]
وقيل لسان [illegible]

[illegible] في الامي معجزة ۝ في الجاهلية والتاديب في اليتم ۝

[illegible] صلى الله عليه [illegible] يتيمة [illegible] صغير لا اب له ومن الحيوان ما لا ام له ومن الطير ما لا
[illegible] [illegible] ل لبعضهم لم كان صلى الله عليه وسلم يتيما فقال لئلا
[illegible] ادبا [illegible] منه وحكمة اخرى ظهرت في هذا البيت لان اليتيم من شانه
الاداب [illegible] النفس وقد تربى صلى الله عليه وسلم يتيما مع ما فيه من
فاحسن [illegible] النفس التي لا يصل اليها احد من البشر ولذا قال ادبني ربي
[illegible] بي كما رواه السمعاني ومن انه مات ابوه وهو حمل على الاصح
وقيل ابن [illegible] شهرين وقيل ابن سبعة وقيل ثمانية وقيل ثمانية وعشرين شهرا
فكان في كفالة عمه ابي طالب بعد جده وهو في البيت مدح كما في قوله عز وجل
الم يجدك يتيما فاوى فما قيل انه كان على الناظم ان يجتنبه لا وجه له ونا ويله
من الفرد كالدرة اليتيمة مع عدم الحاجة اليه لا ينافي في البيت وليس مراد له
معنى حيدرة اي قال الطليطلي انه ختن حيدرة اي ابو زوجته يعني فاطمة
جماعة ربه عنه صلى الله عليه وسلم استخفافا به فحكموا بقتله وقتل
وليس له الا الاندلس ايضا والختن كل قريب لامراة رجل كاب واخ والعامة
لان الختن زوج البنت كما في الصحاح وحيدرة معناه الاسد وهو هنا اسم
مطلقا ان وهو لقب علي رضي الله عنه لشدة خلقه وكانت امه سمته
الاسم ابيه لما ولد باسم ابيها لانها فاطمة بنت اسد فلما قدم ابوه من سفره
[illegible] ولذا قال انا الذي سمتني امي حيدرة وزن عمه بتثليث الزاي المعجمة

نعم

بمعنى الظن وغلب استعماله في الباطل كما هنا ولذا قيل زعم مطية الكذب والضمير للطيف
ان زهده صلى الله عليه وسلم بتركه الدنيا لم يكن فقدا منه واختيارا ابل تحرا واضطرارا
وقال لو قدر على الطيبات اكلها وضم ما قاله من الهذيان الى اشباهه لهم اي كلمات
اخر تشبهها في السخافة والقبح الذي كفر به وهذا اجهل منه بالله وبنبوته وبالنبي
صلى الله عليه وسلم وبعزته ولو اراد ان يكون جبال مكة ذهبا لكانت وقد عرض عليه ذلك
فاباه

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وهو غني عن البيان قال ابن حجر وقد هينا الاتيان في ذلك بل بعد ما ذكر في الزهد
ينبغي ان يكون كافيا في كفره وهو ظاهر لنسبة النقص اليه صلى الله عليه وسلم وافتى
فقهاء القيروان كابن ابي زيد صاحب الرسالة والقيروان مدينة عظيمة بالاندلس
وهو لفظ معرب كاروان بمعنى القافلة لا الجيش كما توهم وراؤها تضم وتفتح
وينسب اليها قيرواني وقروي على خلاف القياس وكذا افتى اصحاب سحنون [illegible]
ابراهيم الفزاري نسبة لفزارة قبيلة مشهورة وكان شاعرا [illegible]
متفننا اي ذو فنون من العلوم الفلسفية وغيرها لكن من يتصدى له [illegible]
له فعلومه لراس ماله لجهله بما يجب العلم به وكان ممن [illegible] ثم ذكر الاشارة
العباس ابن طالب للمناظرة اي للمباحثة في العلم وهو [illegible] دلالة معنوية لان الجزي
الفكر في اقامة الادلة فرفعت اي نقلت عنه كما دة [illegible] ههنا ناشئ من عدم التدبر
معنى شنع فعداه بعلى بقوله عليه امور منكرة تنكر [illegible] القتل بمعنى اللعن
الدين في هذا الباب اي من نوع الكفر القبيح في الاستهزاء با [illegible] يعني ان المراد بهما معنى
عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام اجمعين فا [illegible] الذين يقولون ما لا ينبغي
يحيى بن عمر وهو قاضي القيروان وعالمها وغيره من الفقهاء [illegible] يجري اللعن والحد
بقتله بعد ما حكم بكفره بما ثبت عليه في ملاء من الناس [illegible] رد هذا التعجب ادرك
ليقتل وصلب على جذع منكسا رجلاه اعلى وراسه اسفل [illegible] له تعالى [illegible] وخلف
ثم انزل عن جذعه المصلوب واحرق بالنار بعد موته وهذه [illegible] على نحو ولكم
كما ذكره السبكي في كتابه السيف المسلول على من سب الرسول وحكى [illegible] اليهود
المؤرخين اي العلماء بعلم التاريخ واخبار من سلف انه اي ابراهيم [illegible] والسلام
المصلوب لما رفعت خشبته التي صلب عليها وزالت عنها الايدي [illegible] الا انه
وذكر للعلماء ان ذلك الامر لفعلهم وانما هو امر الهي استدار حتى [illegible] الجاهلية
غير ما كان موجها له وحولته عن القبلة بعد ما كان موجها لها [illegible] تعجبا
غير مسلم وليس من اهل القبلة وكان ذلك اي تحوله عن القبلة [illegible] ورسول
علامة وعبرة للجميع اي جميع من حضر وجميع من كان على نهجه في الز [illegible] سله
وكبر الناس اي صاحوا الله اكبر تعجبا مما شاهدوه وجا كلب فولغ في [illegible] بما ذكر يشد
الذي جرى منه حين طعن بالسكين يقال ولغ الكلب والسبع يلغ اذا
ما يعا بلسانه ولا يقال ولغ لغير ذلك فقال يحيى بن عمر القاضي حين [illegible] يا عنيد
ولوغ الكلب من دمه صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ما صدقه

بانه لم يحدث عنه صلى الله عليه وسلم ثبت عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغ بفتح
اللام وكسرها والثاني هو القياس الكلب في دم مسلم تكريما له الا انه قيل انه لا يعرفه الحفاظ
فالظاهر انه لا اصل له لانه لم ينقله الثقات ونقل عن ابن حجر ايضا انه قال لا اصل له
ونقل المصنف له عن القاضي المذكور لعدم وقوفه عليه في كلام غيره وقال القاضي ابو عبد الله
ابن المرابط هو من يقيم بالثغور الاسلامية لحراستها وله فضايل عظيمة مذكورة
في باب الجهاد وابن المرابط هذا هو ابو مصعب وقال المصعب كما مر ابن محمد بن خلف
ابن سعيد بن وهب توفي بعد ثمانين واربع مايه وهو من اجل ايمة المالكية بالمغرب
من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم ليستتاب اي يطلب منه ان يتوب مما
قاله و[illegible] يرجع عنه وهزم براي معجمة مبني للمجهول من الهزيمة وهي الفرار
من الزحف وهو كبيرة الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فية كما في الاية وبيانه في
التفسير وكتب الفقه فمن قال انه صلى الله عليه وسلم فر من عدوه وحوفا
نبينا في وقعة هوازن بحنين فقد كذب ونسب اليه ما فيه نقص وعار وقال
بظاهر قضيته ان هنا انه لا تكفير بذلك الا ان قاله على قصد التنقيص لانه
احد الكافيين لان الهزيمة قد تكون من الجبلات البشرية فان لم يقصد ذلك
ويحتمل تشبه [illegible] التعزير الشديد انتهى ولو قيل ان الزارمما لا يطاق من سنن
في مذهب داود المس[illegible]
ذيفا بن هزم به القتيل لم يبعد فان تاب قبلت توبته والا اي
سنة اربع وثم[illegible]
وقيل لسان بن [illegible] ان بن [illegible] نقص له صلى الله عليه وسلم واستهانة به وهو كفر وهذا
به صلى الله عليه [illegible] يمة [illegible] منتقصه صلى الله عليه وسلم يقتل ولا يستتاب فاما ان
نول سرد ود عد [illegible] بل لد [illegible] مذهبه في هذا ويقول الله مما ظنه كثير من الناس فاذا
عالاعتقاد [illegible] به من [illegible] شانه من الشجعة وانه لا نقص فيه مع كثرة العدو وقوته
الاداب [illegible] اي هزيمته صلى الله عليه وسلم عليه في خاصته اي
[illegible] لا [illegible] منفعة لامر خصته الله به وجبله عليه لا لغا الرعب منه في
فاحسن [illegible] وتثبيت الله له بقوة قلبه اذ هو صلى الله عليه وسلم طبعه
وقيل ابن [illegible] انه يعرف بها ان احدا لا يقدر على اصابته بسوء ويقين من عصمته
فكان [illegible] الله له بحفظه لقوله والله يعصمك من الناس وتقدم ما فيه من الكلام
[illegible] لم كان شاكا فيما اخبره الله به وتقدم انه كان صلى الله عليه وسلم في حرب هوازن
حين الوطيس على بغلته البيضا وكان ابو سفيان بن الحارث اخذا بزمامها وهو
مقبل • انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب •
• • •
حماة [illegible] البخاري فركب البغلة وهي لا تصلح للكر والفر وفادى باسمه اعلاما الاعدا
وليته لينقصد فاي ثبات وشجاعة اقوى من هذا وقد فر كثير من الصحابة لما
لان رموهم بالسهام وقال حبيب بن ربيع من ايمة مذهب مالك كما تقدم
[illegible] دي منسوب لعزته او للقير وان على خلاف القياس كما تقدم مذهب مالك
الاصحابه ان من قال فيه اي في حقه صلى الله عليه وسلم ما فيه نقص لمقامه
[illegible] عليه قتل دون استتابة هذا تعقيب على ما قاله ابن المرابط لمخالفته
لمذهبه وقد عرفت ما فيه وقال ابن عتاب من المالكية ايضا نص الكتاب والسنة

من

من الاحاديث الصحيحة وطريقة السلف موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم
باذى اي بما يؤذيه ويسوءه او نقص اي ما فيه تنقيص له وتحقير سواء كان معرضا او مصرحا
وان قل فقليله وكثيره سواء والتعريض الايذاء بما يوهم ذلك والتصريح بخلافه
فقتله واجب على كل حاكم رفع اليه امره لان من اذاه صلى الله عليه وسلم فقد اذى
الله وقد وقع وعيده في ايات عديدة مشهورة من تعقبها ياتي بعضها ايضا
فهذا كله اي كل ما ذكر في هذا الباب مما فيه اذية او تنقيص له صلى الله عليه
وسلم مما عده العلماء سبا وتنقيصا يجب قتل قايله لم يختلف في ذلك متقدمهم
ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه فيما تقدم من هذا
الكتاب ونبينه تفصيلا بعده اي بعد هذا فهو مبني على الضم وكذلك اي مثل
ما تقدم عن ايمة الدين او لو حكم من غمصه بغين معجمة وميم وصاد مهملة
اي حقره وعابه بما لا يليق به او عيره بتشديد اليا التحتية اي نسبه صلى
الله عليه وسلم لما فيه عار وهو يتعدى بنفسه في الفصيح وقد يتعدى
بالبا وانكار الحريري له في درة الغواص لا وجه له كما فصلناه في شرحها وتكملتها
مع شواهده ومنه قوله برعاية الغنم وقال السيوطي في كتابه تنزيه الانبيا او تعزية
عن تسفيه الاغبيا وهو كتاب جليل ينبغي الوقوف عليه ثم ذكر ان سائلا
اخبر بانه راعي فقال له ما من نبي الا رعى الغنم يريد الاستدلال معنوي لان الخزي
قاضي القضاة المالكي لو رفع لي هذا اضربته بالسياط هاهنا ناشي من عدم التدبر
بانه يعزر ابلغ تعزير لانه لا ينبغي ضرب احاد الفقها العقل بمعنى اللعن
والمستدل بمثله قد يكون في مقام التدريس والافتاء يعني ان المراد بهما معنى
العلم لاهله لا ينكر عليه اما في مقام الخصام والتبري الذين يقولون ما لا ينبغي
او لغيره فهو محل الانكار والتاديب لا سيما بحضرة العوام الذي يجري اللعن والنحو
سبت وقذف ولكل مقام مقال يناسبه وسيل الحافظ رد هذا التعجب الذي من كل
الموالد من الوعاظ بين العوام من ذكر الانبيا بما يخل بما له تعالى ويختلف
لسامعه رقة وحزن كقولهم ان المرضع لم تاخذه صلى الله عليه وسلم
لعدم ماله حتى اخذته حليمة شفقة عليه ويقولون انه كان يتيما
ويبسطون في ذلك ... والسلام

۞ باغنامه سار الحبيب لكي يرعى ۞ فيا حبذا راع فوادي له مرعى الا انه
فاجاب بانه ينبغي ان يحذف من الخبر ما يوهم نقصا وان لم يقصد في الجاهلية
انتهى او وصفه بالسهو والنسيان او السحر اما الاخير فلانه لا يشك في
امتناعه واستخفاف قايله ما مر واما الاولان فهما صدر عنه صلى الله
عليه وسلم نادرا كما تقدم لكنه لا يجوز وصفه به في سياق يوهم تنقيصه
لمقامه لانه يتبادر منه نادرا للتشريع او اي ولا يجوز ايضا ذكر ما اصابه
من جرح بالحا والرا المهملتين المفتوحتين والجيم مؤخرة اي ضيق وشدة
من اعدائه احيانا كما وقع له صلى الله عليه وسلم باحد من كسر رباعيته
وجرحه وفي بعض النسخ او جرح بالجيم المضمومة متقدمة وسكون الرا او هزيمة

لبعض جيوشه فلا يجوز ذكره وان لم يكن في ذاته كما تقدم لان اهانة اصحابه اهانة له
وذكر هزيمة او اذى من عدوه له او لجنده او شدة في زمنه تصيبه او تصيب
اصحابه كقلة المعيشة وضيق الحال وخوف العدو او وصفه بالميل الى نسائه
فلا يجوز وان كان جائزا عليه لما فيه من النقص بالنسبة لجليل قدره فحكم هذا
المذكور كله وان كان فيه ما هو جائز عليه كالسهو لمن قصد به تنقيصه القتل فان لم
يقصده لم يمتنع كما تقدم في كلام السيوطي وغيره قال ابن حجر وما ذكره المصنف
ظاهر لقصد التنقيص وهو كفر كما مر وقد مضى في هذا الكتاب من مذاهب العلماء
في ذلك ويأتي ما يدل عليه ويبينه وما موصولة او موصوفة تنازعها مضى
ويأتي قال السبكي رحمه الله تعالى ما ذكرنا هنا في هذا الفصل ان كان هذا
عن سوء عقيدة فلا اشكال فيه اما اذا صدر عن مؤمن وقلنا الايمان هو التصديق
فقط والكفر الجحود فكيف يكون هذا كافرا واجاب نقلا عن امام الحرمين ان المسلمين
اجمعوا على تكفيره فكانه لا ... فقضى بانه لا يصدر مثله الا ممن قضى الله
ببطلان معرفة الله من قلبه والعمل وان لم يكن ركن الايمان فالاقرار والانقياد
احد الركنين بترك الاستكبار عن امتثال الاوامر لا بد منه ولذا كفر ابليس بالاستكبار
ويشكل تسمية الايمان بمعنى التصديق لا بد ان يقترن به امر آخر هو طمانينة القلب
في مذهب داود ... هي والانقياد لها بقلبه وهو معنى الطمانينة فمن استحق
سنة اربع و... فانتفى تصديقه الموجود صورة بانتفاء ... فصار كالعدم
وقيل لسان بن ... جحود ككفر النصارى وكفر مع التصديق والمعرفة
به صلى الله عليه ... كالعدم ككفر ابليس واليهود فاذا انتفى عنه
نوبل ... به منه وكفر الساب والمنقص من هذا القبيل وهو كافر
... التكفير من الفقهاء لمن لم ... يخفى عليه مأخذه
الاداب ... له في تكفير الفقهاء بعض الناس فتدبر

فاحسن ...

## في الحجة

وقيل ... قتل من سبه او ... اي في بيان الدليل
... عابه صلى الله عليه وسلم بذكر
القرآن لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة كما مر ولا يطرد
... عن رحمته تعالى الا الكافر المستحق للقتل وقرانه تعالى
... ان يحصل ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤذى به ووجه
انه لا خلاف في قتل من سب الله تعالى وانه كفر بالاتفاق كما يأتي
... في ان اللعن اي الطرد من رحمة الله في الدارين انما يستوجبه اي
... وجوبا من هو كافر وهذه مقدمة من برهان منطقي على الحكم
... فالمقدمة الاخرى حكم الكافر القتل لانه غير معصوم الدم بالذات
لا عرض له ما يمنع من قتله ومن كفر بسبه اشد من الكافر الاصلي كما سمعته
نفاق قال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة
واذية الله لا تمكن لانها ايصال مكروه له وهو لا يتصور في حقه فذكره هو لا
لاذية الرسول صلى الله عليه وسلم فان من يؤذيه كمن يؤذي الله ذا اللعن الطرد

من رحمة

٢٦٦

من رحمة الله وهو انما يكون في النار من للكافر كما تقرر وقال الله في القرآن في قاتل
المؤمن عمدا بغير حق مثل ذلك اي مثل ما قال في حق من يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم
ووصفه باللعنة فمن لعنته في الدنيا القتل اي لعنة القاتل في الدنيا قتله قصاصا
والذي يدل على ان لعنة الدنيا القتل ما قال الله تعالى لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها
الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا النصب ملعونين على الشتم او الحال اي لا يجاورونك
في المدينة الا ملعونين وثقفوا بمعنى وجدوا وقد ظفر بهم احد واخذوا وقتلوا
تقتيلا والاية تدل على ان معنى لعنة الدنيا هي القتل فتدل على قتل من آذاه لان
الله لعنه في الدنيا والآخرة وقال الله عز وجل في المحاربين اي الذين حاربوا
الله ورسوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الآية
المراد بهم قطاع الطريق جعل محاربتهم للمسلمين محاربة لله ولرسوله لعظم جرمهم
امرهما وحكمهم مذكور في كتب الفقه وانما ذكر المصنف هذا دليلا على ان اللعنة
جاءت بمعنى القتل وقوله وذكر عقوبتهم يعني في الدنيا بقوله ان يقتلوا او يصلبوا
او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض والجملة حالية او معترضة
ومفعول قال ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم وذلك اشارة
للقتل وما بعده والخزي الذل والفضيحة وهو اشد لانه معنوي لان الخزي
في الدنيا بمعنى اللعنة فما قيل من انه قليل الجدوى هنا ناشئ من عدم التدبر
وقد ذكر هنا كلاما طويلا لا يخلو عن طائل وقد يقع في [illegible] القتل بمعنى اللعن
عكس ما تقدم فوقوع كل منهما في موقع الآخر يدل على ان المراد بهما معنى
واحد وقال تعالى قتل الخراصون اي الكذابون الذين يقولون ما لا يعلمونه
تخمينا وتقديرا من انفسهم فالقتل بمعنى الاهلاك جرى مجرى اللعن والحد
في الدعاء وغيره وقاتلهم الله في الدعاء كلعنهم الله وقد يرد هذا للتعجب من كل
فعل فعلا غريبا ولو في مقام المدح وقد يرد على ظاهره كقوله تعالى [illegible]
الله انى يؤفكون اي يصرفون عن الحق اي لعنهم الله فوقع موقعه [illegible]
والمعنى المجازي كالحقيقي ولانه لا فرق بين اذاهما اي اذية الله ليهود
واذية رسوله صلى الله عليه وسلم واذية المؤمنين لان اذاه عليه الصلاة والسلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤذيه في امته واذيته اذى بهذا الا انه
وعدم الفرق في مطلق الاذى وان كان بين اذاهما واذى المؤمن في الجاهلية
بحسب الجزاء واليه اشار بقوله وفي اذى المؤمنين ما دون القتل اثم كعقوبتها
من الضرب حدا او تعزيرا والنكال اي العقوبة بغير قتل كقطع يد ونحوه وفي قوله
تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا
بهتانا واثما مبينا فكان حكم مؤذي الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم بقتله
اشد من ذلك اي من جزاء اذية المؤمنين التي تكون بضرب ونحوه وقوله وهو
القتل راجع لحكم الاشد وحاصله الاشد لا الدال على ان من سبه صلى الله عليه
وسلم يقتل والدليل عليه ايضا انه قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى

الى قوله حرجا

لقطع السفر بالتلهي بالحديث ونلعب تلهيا منا قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون
استفهام تعجيب للتقريع لهم منزلة المعترفين توبيخا وتفضيحا لهم لا تعتذروا قد
كفرتم باستهزائكم بعد إيمانكم بحسب الظاهر أي لا تعتذروا والعذر غير مقبول
لكذبكم والقائل ذلك وديعة بن ثابت لا ابن سلول كما قاله النقاش لأنه لم
يستعمل يخوض فهو خطأ وقوله إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة كانوا
ثلاثة تكلم اثنان وضحك الثالث وهو المعفو عنه واختلف هل هو مخشي بفتح
الميم وسكون الخاء المعجمة وشين معجمة مكسورة ويا معجمة بنقطتين من تحت
مشددة أو ابن مخشي أو مخاشن بن حمير بحا مهملة مضمومة وميم مفتوحة ويا
مثناة ورا مهملة مصغر حمار هو الأشجعي وهو مسلم وقيل منافق لكنه تاب
وحسن إسلامه وسأل الله الشهادة فقتل باليمامة وطلب الشهادة لندامته على
ضحكه رحمه الله ورضي عنه وقال أهل التفسير في تفسير هذه الآية معنى
كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أذن فهو دليل على أن أذيته
صلى الله عليه وسلم كفر وهذا قول المفسرين في كونه وأما الإجماع على كونه فقد
ذكرناه فيما تقدم وقد بيناه أتم تبيين وأما الآثار أي الأحاديث المسندة المروية
فمنها ما ذكره المصنف ورواه الطبراني والدارقطني عن علي رضي الله عنه وقدم
الإجماع لأنه أقوى في الدلالة على ما أراده لاحتمال الأحاديث التأويل والتهويل
بقوله حدثنا الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غلبون الخولاني القرطبي الإشبيلي
الزاهد العلامة في جميع الفنون الثقة العابد توفي سنة ثمان وخمسمائة وله
تسعون سنة عن الشيخ أبي ذر الهروي الحافظ الفقيه المالكي نزيل مكة
وله معجم كبير وعاش سبعا وأربعين سنة وهو ثقة عابد حافظ عارف
بالفقه وأخذ الأصول عن الباقلاني وتوفي سنة أربع وثلاثين وأربعمائة إجازة
تقدم معناها والإجازة لغة فيها كلام في ابن الصلاح وحواشيه قال حدثنا
أبو الحسن الدارقطني علي بن عمر بن أحمد البغدادي الحافظ المشهور صاحب التصانيف
... يروي عن البغوي وطبقته كما قاله الحاكم وكان أوحد عصره في
... الفهم والورع وانتهت معرفة الحديث والعلل له وكذا أسماء الرجال
... وصحة الاعتقاد والاطلاع على علوم كثيرة غير الحديث كالقراءات
... والأدب والشعر وهو لم ير مثل نفسه وقيل إنه كان أمير المؤمنين
... توفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وسنه ثمانون وهو منسوب
... محلة ببغداد وأبو عمر بن حيوة الإمام الحجة محمد بن العباس
... بن زكريا البغدادي وفي نسخة من
... مضبوطة بالقلم بفتح الحا
... تشديد التحتية مضمومة وسكون الواو وفتح التحتية الثانية وكذا
... في الكتاب السابق ولفظه بحا مهملة مفتوحة ويا معجمة بنقطة
... من الاسم تبعا أيضا مخففة وهاتان نسبتان وهو إمام ثقة توفي سنة اثنين
... وثلاثمائة عن سبع وثمانين وحيوة بفتح الحا المهملة وسكون اليا المثناة
... التحتية وفتح الواو وبعدها يا مشددة للنسبة لحيوة وهو علم على خلاف

العباس

القياس لان مقتضاه قلبها لواويا وادغامها لكن الاعلام تركيبه وابقاها خلاف القياس غالبا
كما ذكره النحاة قال الا حدثنا محمد بن نوح قال حدثنا عبد العزيز بن محمد بن زبالة
بفتح الزاي المعجمة وتخفيف الموحدة ولام قبل هاء وهو من ائمة الحديث المشهورين وله
فيه كتاب متداول الا ان فيه امورا توقف فيها المحدثون قال حدثنا عبد الله بن
موسى بن جعفر هو عبد الله بن موسى الهاشمي وفيه كلام فقيل ضعيف وقيل ثقة
توفي سنة اربع وسبعين وثلاثمائة عن علي بن موسى المعروف بالرضا العلوي وهو في
الاكثر يروي عن ابيه موسى الكاظم بن جعفر الصادق توفي بطوس سنة ثلاث
ومائتين وله خمسون سنة قال ويسند له امورا لا اصل لها كما يروي عن جعفر
الصادق ولا يتهما وانما الكلام فيمن نقل عنهما عن جعفر الصادق عن محمد
ابن علي بن الحسين عن ابيه وهو ابو جعفر الباقر ووالده زين العابدين عن الحسين
ابن علي بن ابي طالب عن ابيه علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه اي حد القذف وهذا الحديث
تعقبه من رواه لكنهم قالوا ان سنده ضعيف ولم يروه اصحاب الكتب لكنه اعتضد
بالاجماع وقول ابن الصلاح انه حديث لا يعرف مردود عليه بروايته مسندا وفي
الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره مسندا امر النبي صلى الله عليه وسلم
بقتل كعب بن الاشرف وهو يهودي من يهود خيبر مشهور وقوله صلى الله عليه
وسلم في هذا الحديث من لكعب بن الاشرف جملة اسمية معطوفة على جملة الامر
الفعلية اي وقوله هذا ثابت ومن استفهامية اي من يقوم له ليقتله وهو
حث وحض على الانتصار والانتقام كما تقول من لي بفلان في الاستغاثة
وطلب الاعانة ثم علل الطلب بقوله فانه يعني كعبا لعنه الله اذى الله
ورسوله وروي يؤذي الخ لانه اعلن بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهجاه ورثى قتلى المشركين ببدر وذهب لمكة ليحرض اهلها على حربه واخذ
الثار فلما رجع وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعله قال من لي
بابن الاشرف الخ وروى ابن حجر عن ابن اسحاق بسند ضعيف ان كعبا صنع وليمة
جمع فيها اليهود ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقال لليهود
اذا حضر فاقتلوه فلما اتاه لدعوته نزل عليه جبريل عليهما الصلاة والسلام
فستره بجناحه وخرج وهم لا يرونه فلما فقدوه تفرقوا وكعب هذا كان
من بني نبهان بطن من طيء وكان شاعرا فصيحا وكان ابوه اصاب دما في الجاهلية
فاتى بني النضير وتزوج منهم عقيلة بنت الحقيق فولدت له كعبا
وكان وجيها جسيما فارسا فيهم ثم اشتد اذاه وهجوه على المسلمين ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يامرهم بالصبر فاشار سعد بن معاذ بقتله
فقتل في السنة الثالثة في ربيع الاول كما فصلت قصته في السير [illegible]
الله صلى الله عليه وسلم وجه اليه اي الى كعب اي ارسله له واصله الارسال
لجهة من قتله غيلة بكسر الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية ولام وقاف
اي خفية من غير شعور احد من الاغتيال وهو الخداع او الاختفاء للقتل دونه

دعوة للاسلام والرجوع عن الكفر بخلاف غيره من المشركين من الكفرة فانه انما
يقتل بعد الدعوة والانذار وعلل صلى الله عليه وسلم قتله اي بين علة قتله باذاه
له كما مر بقوله في الحديث فانه يوذي الله ورسوله فدل تعليله على ان قتله اياه
انما كان لغير الاشراك اي مطلق الكفر لانه من اهل الكتاب والاشراك ورد هذا
المعنى ايضا بل كان قتله للاذى لله ولرسوله فدلت هذه القصة على ان من سب النبي
صلى الله عليه وسلم واذاه من الكفار يقتل واعلم ان محصل قصة كعب كما مر انه
لما اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه وحث اعداءه عليه وقال له سعد
ابن معاذ الراي فيه ان يقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقوم لقتله
قام من الانصار لذلك خمسة رجال فيهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه فقال انا لك
به يا رسول الله فسكت ثم قال له افعل وشاور سعد بن معاذ فشاوره فاشار
عليه براي سديد فقال ابن مسلمة اني ساقول له شيئا فيك يا رسول الله فقال
قل ما تريد انه يقول في صنعة الاذم ما يخدعه به فتوجه اليه وكان بينهما صداقة
فشكى اليه الحاجة وطلب منه ان يرهنه وسقا او وسقين من الطعام لعياله ومعه
ابو نايلة وكان اخوه من الرضاع وشكاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال لانه
عنانا باخذ الصدقة منا وصار بلاء علينا فقال فما تريدان فيه فقالا انا نريد ان نخذله
ولكنا نتربص حتى نرى ما يؤول اليه امره فقال قد سرني بهذا الامر بانكم ان تعرفوا
انه من الباطل ثم طلب رهنا فقال ما ترهن قال نساءكم قال انك رجل جميل
الوجه تشرب الشراب نخشى من فتنة النساء بك قال اولادكم قال نخشى العار فيهم
بان يقال هذا رهن وسق او وسقين ولكنا نرهنك السلاح واللامة يعني الدروع
فقبل وواعدهما فقالا لا ناتي الا ليلا سرا حتى لا يدري احد وكان رآيا ليلا بوتات
اذا راهم مسلحين فلما خرجوا اليه شيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لبقيع الغرقد وقال انطلقوا على اسم الله اللهم اعنهم عليه فلما اتوه نادوه
وهو مع امراته في حصنه فقالت له لا تخرج في مثل هذه الساعة اني لاسمع
صوتا يقطر منه الدم وهي فراسة عجيبة منها فقال انما هما صديقي واخي
والكريم اذا دعي ولو الى الطعن ليلا اجاب وهو بلا موكل بمنطقه ثم نزل
فوجدهما في نفر من الاوس وهو يفوح منه الطيب فقال لهم ابن مسلمة اني
سأشم طيب راسه فاذا رايتموني امسكت راسه فاضربوه فلما اتاهم متوشحا
قال له ابن مسلمة ما رايت كاليوم طيبا فقال عندي اطيب العرب واجملهم
فقال اتاذن لي ان اشم فقال نعم فشم هو واصحابه ثم قال له اتاذن في الشم
ثانيا فقال نعم فامسك راسه ثم قال اضربوه فضربوه وقتل لعنه الله تعالى
واصاب طرف سيف الحارث بن اوس فجرح فلما جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
تفل على جرحه والتصق فالتحم لوقته ولما ضرب اللعين صاح فذهب اليهم
اليهود في طريق اخر فلم يجدوهم فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
فكبروا فقال لهم افلحت الوجوه فقالوا افلح وجهك يا رسول الله ورموا
راسه بين يديه صلى الله عليه وسلم فلما اصبح اليهود اتوه وقالوا قتلت

سيدنا

٢٦٦

سيد ناعيلة فقالا ما علمتم سكينة وادنيه للمسلمين فلم ينطقوا بحرف خوفا منه صلى الله
عليه وسلم فدل هذا على جواز قتل الكافر المعاهد اذا سب الرسول صلى الله عليه وسلم
خلافا لابي حنيفة ولذا قال السبكي ان هذه القصة تشكل على مذهب ابي حنيفة الا ان
البخاري ترجم لهذه القصة بقتل اهل الحرب فكانه يشير الى ان اعلانه به وتحريكه
الفتنة نقض للعهد يصير به في حكم المحارب فلا اشكال وفي هذه القصة اشكالان
احدهما هذا والثاني وهو ما اورده ابن المنير رحمه الله من ان الطعن في النبي
صلى الله عليه وسلم بلا اكراه كفر فكيف رخص لهم فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم ينقمه عليهم وهو اشكال قوي وقد اجاب عنه ابن القيم بانه لما
اشتد اذاه وتحريضه على قتالهم المؤدي للقتل وفي قتله خلاص منه كان كالاكراه
والالجاء على النطق بما ذكر للظفر به وهو غير قوي الا ان ابن السبكي ارتضاه في
قواعده وقال لبس زي الكفار والتكلم بالكفر من غير اكراه كفر الا لمصلحة مهمة
فاذا اشتدت الحاجة له صار كالاكراه وقد اتفق للسلطان صلاح الدين رحمه الله
انه لما اشتد عليه امر ملك صيدا امر اثنين من المسلمين ان يلبسا لبس الرهبان ويتكلما
بكلامهم ليغتاله ففعلا ولم ينكر العلما عليه والذي ارتضاه الامام محمد في كتاب
السير وتبعه كثيرون جواز ذلك وقال السرخسي في شرحه يعني ان كلامهم انما كان
تعريضا وتورية ومثله لا يعد كفرا اذا قصد غير ظاهره وفي رواية انه قال ابن
مسلمة انا الكذبة مكث اياما لا ياكل ولا يشرب فدعاه صلى الله عليه وسلم وقال له
لم تركت الطعام والشراب فقال لقول قلته لا ادري افي به ام لا فقال انما عليك
الجهد وهكذا ينبغي لمن عزم على شيء ثم قالوا يا رسول الله نحن نقتله فاذن لنا
ان نقول فيك ما لا بد منه اي لنخدعه بالمعاريض باظهار التخلي منك فخرج اليه
ابو نايلة فحدث معه وتناشدوا الاشعار ثم قال كان قدوم هذا الرجل يعني
النبي صلى الله عليه وسلم علينا من البلا واراد به النعمة فانه ما يبتلى به من نعمة
او نقمة قال تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اي النجاة من آل فرعون ثم قال
حاربتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وتقطعت السبل عنا حتى جهدت
الابدان وضاعت العيال واخذنا بالصدقة ونحن لا نجد ما ناكله فقال كعب
قد كنت احدثك بهذا وان الامر سيصير له فقال معي رجال من اصحابي على رأيي
سناتيك بهم لتبتاع لهم طعاما او تمرا ثم ذكر شيئا مما تقدم بمعناه وقيل
ان ذلك بحضرته صلى الله عليه وسلم فله ان يرخص فيه وكذلك اي مثل قصة
كعب وقتله غيلة ما رواه البخاري من انه صلى الله عليه وسلم قتل ابا رافع
وفي نسخة بالاضافة لابي قال البراء بن عازب رضي الله عنه وكان ابو رافع
من يهود المدينة يؤذي ايضا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسبه
ويعين عليه اعداه بتحريضهم على قتاله وابو رافع اسمه عبد الله او
سلام بن ابي الحقيق وكان الخزرج والاوس يتناظران في الفخر فلما قتل
الاوس كعبا قالوا نقتل رجلا ممن يعادي رسول الله لئلا تفضلنا الاوس
فذكروا ابن ابي الحقيق بخيبر وكان ذلك في سنة ست في رمضان وقيل في ذي

الحجة سنة اربع او خمس او في رجب سنة ثلاث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الخزرج عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة ومسعود بن سنان وعبد الله بن انيس
وابو قتادة وابن الاسود وكان ابو رافع يعين بالمال مشركي العرب وكان له حصن فلما
دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال ابن عتيك لاصحابه امكثوا فاني
لانطلق واتلطف بالبواب فاتى الباب وتقنع بثوبه كانه يقضي حاجة والناس دخلوا
فقال البواب له يا عبد الله ان كنت داخلا فادخل فاني اغلق الباب فدخلت واغلقت
المغاليق فقمت واخذت المفاتيح وكان ابو رافع يسمر في علالي له فلما ذهب عنه
سماره صعدت وجعلت كلما فتحت بابا اغلقته علي من به حتى لا يلحقني احد منهم بعد
قتله فانتهيت اليه وهو في بيت مظلم مع اهله لا يدري من هو واين هو فقلت
ابا رافع فقال من هذا فاهويت نحو الصوت وانا دهش وضربته فما اصبت شيا فخرجت
ثم عدت وقلت ما هذا الصوت يا ابا رافع فقال لامك الويل ان رجلا ضربني
بسيف فاهويت نحوه فضربته حتى اثخنته ولم اقتله ثم اتيت اليه فوضعت
السيف في بطنه حتى نفذ من ظهره فقتلته ثم فتحت الابواب بابا بابا ونزلت
حتى انتهيت الى درجة ظننتها الارض فاذا هي ليست كذلك فوقعت وانكسر ساقي
فوقعت عند الباب لاتحقق الخبر وانه مات فلما صاح الديك قام ناع على السور
ينادي انعي ابا رافع تاجر الحجاز فانطلقت لاصحابي وقلت النجاة النجاة قد قتل الله
ابا رافع ثم انتهيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثته الحديث فقال
امدد رجلك فمددتها فمسحها بيده الشريفة فكاني لم اشتكها قط وكذلك اي
مثل امره صلى الله عليه وسلم بقتل من ذكر من الكفرة امره بقتل بعضهم يوم
الفتح اي يوم فتح مكة كامره بقتل ابن خطل لانه صلى الله عليه وسلم لما فتح
مكة امن الناس الا اربعة رجال وامراتين امر بقتلهم ولو دخلوا تحت استار
الكعبة مستجيرين بها لانهم كانوا اظهروا عداوته واكثروا من ذمه وهجوه
صلى الله عليه وسلم وكان لابن خطل قينتان يغنيان بهجوه كما ذكره المص وهو
في السير كالصحيحين باسانيد وابن خطل بفتح الخا المعجمة والطا المهملة اختلفوا
في اسمه وقاتله فقيل اسمه عبد الله وقيل هلال وقيل عبد العزى وقيل
غالب وخطل بن عبد مناف بن اسعد بن جابر بن كبير بن تيم بن غالب قاله ابن
الكلبي وقتله سعيد بن حريث المخزومي وقيل ابن حريث وابو برزة الاسلمي
وقيل ابن الزبير وفي مناسك الطبري انه عبد العزى بن زيد فيحتمل انهم
اشتركوا في قتله والاقوال في قاتله خمسة وامر صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
ايضا بقتل جاريتيه اي جاريتي ابن خطل وهما المراتان الذي امر بقتلهما
اللتين كانتا بمكة تغنيان بسبه وهجوه صلى الله عليه وسلم واسمهما قرتنا
وقريبة قال ابن سيد الناس فقتلت احدهما وقال السهيلي اسمهما سارة
وقرتنا واسلمت الاخرى فامنت فعاشت الى زمن عمر وطئها فرس فماتت
وقرتنا بقاف مفتوحة ورا مهملة ساكنة ومثناة فوقية ونون والف
وقريبة بضم القاف كمصغر قربة بالموحدة وقيل بفتح القاف بزنة فعيلة

وكان

وكان ابن خطل اسلم اولا فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا ومعه رجل من الانصار
ومولى مسلما يخدمه فنزلوا منزلا فامر الخادم ان يذبح له وبصنع طعاما فنام ولم يصنع شيا فقتله
ثم ارتد مشركا فكانت قينتاه تغنيان له بهجو النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث اخر لا يعرف
من رواه ان رجلا كان يسبه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم من يكفيني في قتل
عدوي الذي اظهر عداوته بسبه له اي من يكون كافيا في قتله فقال خالد بن الوليد رضي الله
عنه انا اكفيكه ما اهمك من قتله فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم له فقتله باعانة الله له
عليه وكذلك اي مثل ماذكر في قتل من سبه صلى الله عليه وسلم لم يقل من الاقالة وهي
الترك يقال اقال عثرته اذا عفى عنه فهو بضم اوله وكسر ثانيه او وفتحه ان بني للمفعول
وفاعله ضمير النبي وجماعة مفعوله او مرفوع نايب الفاعل ممن كان يوذيه من الكفار
ويسبه فدل هذا على انه لا فرق بين المسلم والكافر في وجوب قتله بالسب خلافا لما
روي عن ابي حنيفة وغيره من عدم قتله لان كفره اشد منه كما ياتي كالنضر بن
الحارث بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وراء مهملة وهو النضر بن الحارث بن كلدة
ابن علقمة القرشي من بني عبد الدار وقد كان شديد العداوة والاذى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقتله صلى الله عليه وسلم ببدر وهو الذي قالت فيه
اخته للنبي صلى الله عليه وسلم بعد قتله له ابياتا منها

ما كان ضرك لو مننت وربما ‏ من الفتى وهو المغيظ المحنق

وذكر بعض المحدثين كابن منده وابي نعيم عن ابن اسحاق ان النضر هذا له صحبة
وشهد حنينا وكان من المولفة قلوبهم وهو غلط فاحش باتفاق الحفاظ والذي له
صحبة انما هو علقمة بن كلدة كما ذكره الزبير وابن الكلبي وغيرهما فغلطا لاشتراك كل
منهما في انه ابن كلدة والظاهر انه قال النضير بالتصغير وهو اخو النضر بن الحارث
المذكور وهو ممن اسلم وهاجر وقيل انه من مسلمة الفتح فالغلط بسببه وهو
سهل وعقبة بن ابي معيط بعين وطا مهملتين بصيغة التصغير وكان اسر
ببدر فقتله النبي صلى الله عليه وسلم منصرفه من بدر بمحل يقال له عرق
الظبية فقال يا عاصم اضرب عنقه فضرب عنقه ولما قدم للقتل الاتي في كلام
المص قال لم تقتلني يا محمد فقال لعداوتك لله ولرسوله فقال من للصبية
قال النار فلما ضربت عنقه قال الحمد لله الذي قتلك واقر عيني منك اي لانه
كان اشد الناس عداوة واذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد صلى الله
عليه وسلم اي وصى الصحابة عند قدومه للفتح بقتل جماعة منهم اي من الكفار
الذين كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم ويحمتون على مقاتلته قبل الفتح
اي قبل فتح مكة وهو قادم له وبعده حين قدم لشدة عداوتهم له وعلمه بانهم لا ينتهون
ولا يرجى خيرهم واسلامهم فقتلوا واراح الله منهم المسلمين الا من بادر الى اسرع
وتقدم باسلامه قبل القدرة عليه باخذه واسره كابن ابي سرح وكعب بن زهير
وقد روى البزار من ايمة الحديث كما تقدم لكن رواه بسند فيه ضعف عن ابن
عباس ان عقبة بن ابي معيط لما قدم ليقتل نادى رافعا صوته يا معشر وفي
نسخة يا معاشر جمع معشر وهم الجماعة الذين امرهم واحد فريش هم القبيلة

المعروفة من ولد النضر بن كنانة واما ذكرها بيان لحجته في عدم الفرق بينه وبين غيره او
ليعطف عليه المسلمون منهم مالي اقتل من بينكم استفهام انكاري اي دون غيري منكم
ومثله يستعمل للاختصاص كما يقال اعطاه من بين اهله صبرا الصبر اصل معناه الحبس
ويقال لمن قتل في غير حرب ودون غفلة منه بان يقدم ليقتل قتل فلان صبرا فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم تقتل صبرا بكفرك وافترائك اي تعمدك الكذب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو احد المستهزئين وهو الذي القى سلا الجزور عليه
صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فدعا عليهم فالقوا بلعنة الله في قليب بدر كما
هو مشهور في السير وهو من بني امية بن عبد شمس وذكر عبد الرزاق بن همام
الحافظ ابو بكر الصنعاني صاحب التصانيف الجليلة وقد تقدمت ترجمته في جامعه
ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل من اجلاف العرب فقال من يكفيني عدوي
الذي اظهر عداوته لسبه له فقال الزبير بن العوام انا اكفيكه بقتله فبارزه فقتله
الزبير والمبارزة ان يخرج رجل من طائفتين تقاتلتا وينادي من يبرز لي من الصف
لاقاتله فيعلم ايهما اقوى واشجع وايهما القاتل والمقتول وهذا انما يفعله من
زادت قوة قلبه وشجاعته وروى عبد الرزاق في جامعه عن عكرمة ايضا كما روي
ما قبله ان امراة مشركة كانت تسبه عليه الصلاة والسلام فقال من يكفيني عدوتي
لتقتلها فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها ووقع بتونس ان رجلا قال لآخر انا عدوك
وعدو نبيك فعقد له مجلس فافتى بعض ائمة المالكية بانه مرتد يستتاب واخذ
كونه من قوله تعالى من كان عدوا لله الآية وافتى بعضهم بانه كونه كونه منتقص
فلا يستتاب واخذ ذلك من كلام المص هنا في هذه المراة السابقة ومن قضية خالد
السابقة ومن افتى ابن عتاب السابق واعترض بعض ائمتهم ممن مال الى الاول
بانه نص في ان كل ساب عدو ولا شك فيه وانما الكلام في عكس هذه القضية وهي
لا تنعكس كنفسها بل قوله انا عدوك وعدو نبيك ربما اشعر بترفيع القول له
ذلك لانا نجد الضعفاء يجعلون لانفسهم منزلة بذلك يقول الواحد منهم انا عدو
الامير والامير عدوي وقصده به رفع نفسه لانه في نسبة من يعادي الامير وبان
قتل خالد المراة المذكورة مذهب صحابي وافتى ابن عتاب انما هو لان ما ذكر في قضيته
صريح في التنقيص فالمحقق ان قائل ما تقرر مرتد لا منتقص هذا الكلام على قواعدهم
من التفرقة بينهما اما على قواعدنا فالذي يظهر انه ردة قاله ابن حجر ملخصا
في الاعلام ويروى رواه عبد الرزاق في جامعه ايضا عن سعيد بن جبير
ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم والمراد انه اسند اقاويل فيها
تنقيص له والا فمجرد الكذب عليه لا يوجب القتل كمن روى حديثا وضعه
فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه لم يقل قتلاه لانه اشارة لما رواه البيهقي
عن ابن جبير ان رجلا اتى قرية من قرى الانصار فقال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارسلني وامركم ان تزوجني فلانة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فارسل عليا والزبير فقال اذهبا الى فلان فان ادركتماه فاقتلاه ولا اراكما
تدركانه فذهبا فوجداه قد لدغته حية فقتلته ورواه متصلا من وجه

اخ

اي تسمى الرجل الذي كذب جد جد الجندعي فان كان المص اراد هذا فهو مشكل لان مجرد الكذب
عليه ليس موجبا للقتل والكفر وانما هو اذا نسب اليه افترا فيه تنقص له ككونه ساحرا ونحو
ذلك الجويني كما مر فذهب الى ان كل كذب عليه كفر ولم يقتله غيره ولعله كان علم منه
امرا آخر افتراه كما علم قتل الحية له او لعله مخصوص به لما فيه من جنايته من افساد
امر الدين واما قول الكرامية انه يجوز وضع الحديث عليه لمصلحة دينية فهو قول
باطل رده الخطابي بعد ما اطال بذكر ادلتهم ككونه كذبا له لا عليه وهو غني عن رد ق
الرد لظهور فساده وروي ابن قانع هو الامام الحافظ عبد الباقي بن قانع بن مرزوق
ابن واثق ابو الحسين الاموي كما تقدم وقانع متفعل من اسم فاعل القنع بقاف
ونون ان رجلا من الصحابة جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني
سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا لما فيه من ذمه والطعن فيه فقتلته فلم يشق ذلك
على النبي صلى الله عليه وسلم اي لم يصعب عليه لكراهته له ولو لم يكن قتله مشروعا
كان امرا كبيرة بعد الكفر لما فيه من القتل والعقوق قيل وهذا الرجل هو ابو عبيدة
ابن الجراح ولست على ثقة منه فان الحافظ الحلبي قال لا اعرفه كالمراة التي تقدم ان
خالد بن الوليد قتلها وسياتي ما يشبه قصتها في اثر رواه ابن سعد وابن عساكر
فيه انه بلغ المهاجر بن ابي امية المهاجر بزنة اسم الفاعل اسمه حذيفة على الصحيح
وقيل سهيل وقيل هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم كان اسمه الوليد
فكرهه النبي صلى الله عليه وسلم وسماه المهاجر فالتسمية به مكروهة لانه
اسم فرعون مصر وهو اخو ام المومنين ام سلمة رضي الله عنها ارسله رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى اليمن الى الحارث بن عبد كلال الحميري واستعمله على الصدقا
ثم بعثه ابو بكر رضي الله عنه في خلافته الى قتال المرتدين باليمن ففتح الفتوح
وله اثار جميلة باليمن فكان رضي الله عنه امير اليمن منسوبا لابي بكر افذلك له
له على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امراة هناك اي باليمن
في الردة اي في زمن ردة بعض اهل اليمن في خلافة الصديق غنت بسب النبي صلى
الله عليه وسلم وهجوه اي بشعر فيه ذلك فقطع مهاجر يدها ونزع ثنيتها
هي السن المتقدمة فبلغ ابا بكر ذلك اي قطعه ليدها ونزع ثنيتها فقال ابو
بكر رضي الله عنه لولا ما فعلت بالمراة لامرتك بقتلها لان حد قذف الانبيا
ليس يشبه الحدود وهذا مبني على انه لا يجب قتل الساب من الكفرة وانما هو
مفوض الى الامام فله ان يغلظه ويزيد فيه بالتنكيل او قتل فلما سبق من رد على العيني
مهاجر تنكيله بها لم ير ابو بكر رضي الله عنه ان يجمع فيه بين حدين وهذا
مذهب نقله ابن تيمية في السيف المسلول لان ابا بكر رضي الله عنه كره ما فعله
لما فيه من زيادة التعذيب لانه ليس اشد من القتل قال ابن تيمية هذا هو
الذي يسميه الفقها سياسة وهو الحد الذي رخص للامام في تغليظه اذا ابن اقبرس
اقتضاه الحال ومن لم يتفق على هذا قال انه مشكل لان المثلة منهي عنها
وهي اما ان تكون تابت وقلنا بقبول توبة الساب اولا فاما ان تترك او تقتل
وما قاله ابو بكر رضي الله عنه يقتضي لا اجتهاد في الحدود وقوله لان حد

الانبيا الخ لايلتيم معه فاطال فيه من غير طايل وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هجت امراة من خطمة بكسر الخا المعجمة وفتح الطا المهملة وميم وهما اسم قبيلة وفي القاموس في بني خطيمة كجهينة ابنا سعد بن ثعلبة وخطمة من الانصار بنو عبد الله ابن مالك بن اوس النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم من لي بها اي من يقوم لاجل حقي عليه بقتلها فقال رجل من قومها اي من قبيلتها انا اقتلها يا رسول الله فنهض اي قام بسرعة لجد مقالة فاتاها فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي بقتلها فقال لا ينتطح فيها عنزان اي ذهب دمها هدرا من غير طلب لانه لا احد به وهو مثل ضربه النبي صلى الله عليه وسلم للامر الذي يقع من غير خلف فيه ولا نزاع لان العنزين لا ينتطحان وانما يتشاما ويفترقا والنطاح انما يكون بين التيوس والكباش واول من تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وهذه المراة عصما بنت مروان من بني امية بن زيد زوجة يزيد ابن حصن الخطمي وكانت شاعرة تؤذي المسلمين وتهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه والذي قتلها عمير بن عدي بن خراشة بن امية الخطمي فلما سمع قولها وهو ببدر معه صلى الله عليه وسلم نذر ان رجع الى المدينة ليقتلنها وقال ابن عبد البر رحمه الله انها اخته وقيل امه وكان اعمى وهو امام قومه وقاربهم فدخل عليها في جوف الليل وهي ترضع ولدها فنحاه عنها ووضع سيفه في بطنها حتى نفذ من ظهرها ثم خرج وصلى الصبح خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر له وقال اقتلت بنت مروان قال نعم ثم خشي ان يكون عليه شي فقال يا رسول الله اعلي شي فقال له لا ينتطح الخ ثم قال صلى الله عليه وسلم ان اردتم النظر لرجل نصر الله ورسوله فانظروا العمير وسماه البصير والقصة بطولها في السير ومن فقههما انه يستحب ان يقال للضرير البصير وهذه المراة قيل انها كانت يهودية وهو الظاهر من سبها وقيل انها غير معصومة الدم لكفرها واظهار سبها ولبعضهم هنا كلام لا فائدة فيه مع كثرة خبطه فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه ابو داود والحاكم والبيهقي وصححه ان شخصا اعمى كانت له ام ولد لم تسلم وكانت تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها اي يمنعها وينهاها بزجر منه فلا تنزجر ولا ترجع عما هي فيه لشقاوتها وكان له منها ابنان مثل اللؤلؤتين فلما كان ذات ليلة بنحو رفع ذات وبنصبه على الظرفية وكذا اضبط اي ساعة من ليلة كذات يوم وهو مبين في النحو وقيل معناه ليلة من الليالي جعلت اي شرعت واستمرت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتسبه وفي نسخة تشتمه وهو عطف تفسير لتقع لانه يقال وقع فيه اذا ذمه وهو مجاز مشهور فقتلها سيدها وفي رواية فما صبر ان قام الى معول فوضعه في بطنها ثم اتكى عليها حتى انفذه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي بقتلها وفي رواية عن ابن عباس فلما اصبح قيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقام الاعمى فقال يا رسول الله انا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك فانهاها فلا تنتهي وازجرها فلا تنزجر ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين وكانت رفيقة

ابن الغرس

اتكا

بجي

بي فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فقتلتها فأهدر صلى الله عليه وسلم
دمها اي قال له انه هدر لا اثم فيه ولا عقوبة ولا شيء يجب منه وفي الرواية السابقة
فقال صلى الله عليه وسلم الا اشهدوا ان دمها هدر وقوله ام ولد صريح في انها
جارية مملوكة له لا منكوحة حتى يقال انها مشركة وكيف حلت له وهو مسلم ونحوه
مما لا حاجة في ذكره من عدم دوامه له وفي حديث ابي برزة الاسلمي نسبة لاسلم قبيلة وهو
نضلة بن عبيد بن الحارث اسلم قديما وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
المشاهد وتوفي بالبصرة سنة اربع وستين وهذا الاثر رواه ابو داود والحاكم والبيهقي
وصححوه قال كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق في زمن خلافته فغضب ابو بكر
رضي الله عنه على رجل من المسلمين صدر عنه ما اغضبه ثم بين هذا بقوله حكي
القاضي اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل بن حماد بن زيد البغدادي المالكي الحافظ وقد
تقدمت ترجمته وغير واحد هو كناية عن الكثرة من الائمة في هذا الحديث المراد
بالحديث اثر الصحابي لان له حكم المرفوع ههنا انه سب ابا بكر رضي الله عنه سبا فاحشا
ورواه ايضا النسائي ابو عبد الرحمن شعيب الحافظ احد الائمة السنة كما تقدم
ولفظه عن ابي برزة قال اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل اي شدد نكيره عليه
لغضبه منه فرد عليه كلامه بغلظة منه قال ابو برزة فقلت يا خليفة رسول
الله دعني اي اتركني ولا تمنعني من ان اضرب عنقه لسوء ادبه على اعظم الخلق غايته اياك
وقام لضرب عنقه فقال له ابو بكر اجلس ولا تفعل فليس ذلك اي قتل من سب احدا
لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الا لمن سبه كما تقدم قال القاضي
ابو محمد بن نصر هو القاضي عبد الوهاب المالكي البغدادي الاديب وهو من شعرا
اليتيمة له الاشعار الفائقة والفضائل الباهرة وقد ذكره الثعالبي واثنى عليه
وذكر من اشعاره جملة ولم يخالف عليه احد اي ان ابا بكر لما ذكر هذا بمحضر من
الصحابة لم يخالفه فيه احد منهم فدل على ان قتل من سب النبي صلى الله عليه
وسلم اتفقت عليه الصحابة كما تقدم فاستدل الائمة بهذا الحديث الذي قاله
ابو بكر ولم ينكره احد من الصحابة الحاضرين عنده على قتل من اغضب النبي صلى
الله عليه وسلم بكل ما اغضبه من قول او فعل قل او اكثر وآذاه او سبه بما فيه
تنقيص لقدره وتشنيع على ما صدر منه كما تقدم لا مطلقا ومن ذلك القبيل
والمعنى الذي افاده كلام ابي بكر رضي الله عنه كتاب عمر بن عبد العزيز بن مروان
الخليفة العادل الى عامله بالكوفة وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد
ابن الخطاب وقد استشاره ليهديه للحكم في قتل رجل سب عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فكتب عمر بن عبد العزيز جوابا لعامله انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس
من حيث هو سب له فان اقتضى كفرا فلامر آخر الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمن سبه صلى الله عليه وسلم فقد حل دمه اي حل اراقة دمه وهو
كناية عن قتله وكذا حكم سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما يأتي وسأل
هارون الرشيد الخليفة العباسي المشهور مالكا امام دار الهجرة وكان الرشيد اخذ
عنه الحديث واجله بما هو حقه في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له

ابن افنوس

اي الرشيد لمالك حين سئل الوعماد كران فقها العراق استفتاهم فافتوه بجلده حد
القذف فغضب مالك على من نقل عنه ذلك حمية وصيانة لمقام النبوة وقال يا امير
المؤمنين ما بقا الامة بعد شتم نبيها اي ان شتم نبيها مفن لها ومهلك فلا يحل
لاحد سمعه الا قتل قايله وبذل روحه في جهاده ثم بين مالك له الحكم فيه فقال
من شتم الانبيا قتل لان ذلك حد شاتمهم ومن شتم اصحاب النبي جلد حد القذف
وهكذا مذهبه من غير فرق بين كافر ومسلم وبين التايب وغيره وقال القاضي ابو
الفضل عياض المصنف رحمه الله كذا وقع في هذه الحكاية الواقعة بين الرشيد والامام
مالك رواها غير واحد ممن ذكر مناقب الامام مالك وفي نسخة في اصحاب مناقب
مالك اي ممن اعتنوا بمناقبه ودونوها ومولفي اخبارهم وغيرهم من اصحاب
التواريخ ولا ادري من هولا الفقها بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر من جلده
وحده كحد غيره مما لو يذهب اليه احد من اصحاب المذاهب لا سيما اذا حمل على
ظاهر اطلاقه وقد ذكرنا فيما تقدم مذهب العراقيين وقولهم بقتله ولعلهم
ممن لم يشتهر بعلم للاحكام الشرعية واتي بلعل لبعد استفتا الخليفة من
مثله او ممن لا يوثق بفتواه ممن لا علم عنده او يميل به هواه الباطل ممن
هو من اصحاب البدع والزندقة والهوى ما يجي من غير تحقيق ونظر للحق قال
تعالى وما ينطق عن الهوى وضبطه بعضهم بهواه بميم في اوله وقال هو تلمساني
مفعل من الهوى وهو الغي والضلال ولذا قالوا اذا كان في المسئلة قولان لا يجوز
للمفتي ان يفتي العامة بالتشديد وللخاصة بالتخفيف فانه خيانة للشريعة
او يكون ما قاله مفتي العراقيين يحمل على غير السب الموجب للقتل بذكر امر ما عن
غير عمد في حقه او يمكن حمله على وجه سديد فيكون الخلاف الواقع فيه بين
المفتيين محتمله وماله هل هو سب لتنقيصه له ام غير سب لعدم تنقيصه
له او يكون المستفتي فيه رجع وتاب عن سبه وهو لا يقولون توبة مثله مقبولة
في مذهبهم فيصح كلامهم في الجملة فلم يقله اي لم ينقله الرشيد لمالك حين
سأله عنه على اصله اي على الوجه الذي ورد ووقع عليه واستفتي فيه فاجيب
بما قالوه والا اي وان لم يكن شي من هذه الاحتمالات لا يصح ما نقله الرشيد
فالاجماع منعقد على قتل من سبه كما قدمناه مفصلا في اول هذا المبحث فكيف
يفتي بخلاف ما اجمع عليه وقوله رجع وتاب بنا على ان من تاب لا يقتل فلا ينافي
ما تقدم وما قدمه يدل على قول السلف والاجماع على قتله ويدل ايضا على
قتله من جهة النظر اي التفكر فيما يدل عليه عقلا والاعتبار اي التامل
في موجبات القتل شرعا ليعلم من تتبعها ان النظر والعقل السليم يدل عليه
والمراد به هنا القياس ارد في به ما تقدم من الايات والاحاديث واجماع الامة ليفيد
انه ثابت بجميع الادلة والقياس يسمى اعتبارا في القران في قوله تعالى فاعتبروا
يا اولي الابصار فان الاصوليين اثبتوه بهذه الاية واليها انظر المص من طرف
خفي ان من سبه او تنقصه صلى الله عليه وسلم عمدا وكذا ساير الانبيا كما مر
قد ظهرت علامة مرض قلبه اي سؤ عقيدته وكفره المضمر لان المومن يحبه

ويجله

وتحليه صلى الله عليه وسلم بخلاف ذلك يدل على عدمه كما عرفته فيما نقلناه عن السبكي
وظهر من تلعثيمه ايضا برهان ودليل محقق على سوء طويته اي ما اخفاه في نفسه
واضمره في قلبه والطوية يعبر بها عما اخفي كانه شيء طوي ولف عليه ما يستره فهو
استعارة شاعت وصارت حقيقة فيما ذكر وفيه نزول من العلامة وهي ظنية الى البرهان
القطعي فلا يرد عليه ان حقيقة الايمان التصديق القلبي عند الجمهور وهذا
ابن افتوس
لا ينافيه كما قيل وكفر لانه ردة عندهم ولهذا المذكور من دلالته على ما اسره في
نفسه ما حكم له اي على الساب والمنتقص ومار آبيه واللام بمعنى على او موصوفة
واللام تعليلية اي حكم لاجله كثير من العلماء بالردة وهي الخروج من الاسلام
بقول او فعل او اعتقاد قام عليه دليل وهذا اذا كان مسلما لا كافرا اصليا
كما لا يخفى وهي رواية الشاميين اي علماء الشام الاخذين عن مالك فان
لمذهبه طرقا متعددة وهي ايضا رواية الشاميين عن الاوزاعي عبد الرحمن
ابو عمرو وهو صاحب مذهب كما تقدم في ترجمته وبه اي بهذا القول في ردته
وقتله قال الثوري سليمان بن سعيد كما تقدم وابو حنيفة فانه ذهب اليه
في المسلم فقط والكوفيون من عطف العام على الخاص والقول الاخر في رواية
عن هؤلا انه اي السب والتنقص دليل على الكفر المضمر فليس نفسه كفرا يرتد به
وانما هو علامة عليه فيقتل على هذا حدا لا انه حد من قذف الانبيا كما ورد
في الحديث الذي تقدم وان لم يحكم له اي عليه بالكفر حقيقة الا ان يكون الساب
متماديا اي مستمرا في مدى ومدة طويلة على قوله الذي سب به غير منكر لما
قاله ولا مقلع اي راجع عنه فهذا الكفر محقق منه مستوجب لقتله كفرا فانه جحد
واعلم بانه كفر ولم ينزجر كان راضيا به ومقرا بكفره وهو كفر بلا شبهة وهذا
مستثنى من قوله لم يحكم له بالكفر فمعناه انه حينئذ يحكم بكفره من فصل قوله
المطلق فقال وقوله الصادر منه اما صريح كفر كالتكذيب له صلى الله عليه وسلم
بانكار نبوته او انكار ما جاء به لا الافترا عليه ونحوه مما هو في معنى التكذيب الصريح
او من كلمات الاستهزا به تحقيرا له او الذم بسب او هجو له فاعترافه بها اي
بكلمات الاستهزا وترك توبته برجوعه عنها دليل استحلاله اي عدله حلالا
لذلك الاستهزا والذم وهو اي الاستحلال من حيث هو استحلال لما لا يحل
كفر ايضا كما ان ما قاله كفر فهذا القائل المستحل معنى كافر بلا خلاف بين المسلمين
وائمة الدين في كفره وهذا بنا على انه فرق بين قتل المرتد وقتل الحد المذكور وقال
السبكي في السيف المسلول على من سب الرسول المرتد يقتل بالنص والاجماع وتوبته
مقبولة عند الاكثر ان لم يكن زنديقا وليس قتله كقتل الكافر الاصلي كما فصله
الفقها فعلم من هذا ان علة قتله ليس مطلق الكفر بل خصوص مطلق الردة
ولذا جعلها الغزالي من الجنايات الموجبة للعقوبة كالبغي والسرقة وحكمه
عن غيره وقالوا قتل المرتد حد يسقط باسلامه وهو التحقيق ومن ظن
ان من سماه حدا فهو عنده لا يسقط بالاسلام فهو مخطئ والحد هو العقوبة
المقدرة من جهة الشارع وهل المعاقب عليه في الردة خصوص الكفر بعد الاسلام

او قطع الاسلام بالكفر وهو معنى غير الاول فالساب المسلم مرتد فقتله حد وكذا الكافر
فالخلاف في قتله هل هو حد او كفر لغفلتي لم يظهر له فايدة انتهى ما قاله ملخصا
قال الله تعالى في مثلها اي مثل المعترف بالاستهزا والذم يحلفون اي المنافقون
بالله ما قالوا الاستهزا الذي قالوه في غزوة تبوك من ان من يزعم انه سيفتح
قصور الشام وحصونه شر من الحمير هيهات هيهات ولقد قالوا كلمة الكفر
وهي هذه المذكورة وكفروا اي اظهروا كفرهم بعد اسلامهم الذي اظهروه
ولبعض من هذا اشار بقوله قال اهل التفسير في هذه الاية ان كان ما يقول
محمد من فتح حصون الشام حقا محقق الوقوع لنحن شر من الحمير اي اجن
منها حمقا وبلادتنا فان الحمير توصف بذلك وكان القايل ذلك الجلاس بضم
الجيم ابن سويد او وديعة بن ثابت فقال له عامر بن قيس الانصاري اجل
والله ان محمد الصادق مصدق وانت شر من الحمار فبلغ ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم وجا الجلاس فحلف بالله عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم
انه ما قال وان عامرا لكاذب وحلف عامر لقد قال وقال اللهم انزل على نبيك
الصادق شيا يصدقني فنزلت الاية فتاب الجلاس وحسنت توبته وفي الذي
سمعه اقوال اخر فقيل حذيفة وقيل عاصم بن عدي وقيل ولد امراته
عمير بن سعد وانه هم بقتله كما فصل في التفسير والسير وهذا تمثيل
لما هو فيه لان من ذكر ليس معترفا مصرا فلا يرد عليه ما قيل انه ليس مناسبا
هنا وقيل بل انما هذه الاية في قول بعضهم وهو رئيس المنافقين عبد
الله بن ابي ابن سلول ما مثلنا اي حالنا وصفتنا ومثل محمد اي حاله وصفته
الا كما قال من وقع فيه كقول القايل في مثل قديم يضرب لمن يحسن لاحد فيسي
اليه سمن كلبك يا كلك لان الكلب اذا شبع واستغنى عن صاحبه قد يجترا عليه
كالاسد الضاري ولين رجعنا من سفرنا هذا الى المدينة ليخرجن الاعز يعني
نفسه منها اي من المدينة الاذل يعني اذله الله المومنين كلهم وكان هذا
في بعض غزواته تبوك او بنو المصطلق واختلف فيمن بلغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذه المقالة والمشهور انه زيد بن الارقم وكان سببه
هذه المقالة ان رجلا من المهاجرين ورجلا من الانصار جرى بينهما امر
فصاح الانصاري يا للانصار والمهاجري يا للمهاجرين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعوها فانها جاهلية مستقذرة فقال ابن ابي او
فعلوها ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم انزلتموهم بلادكم وقاسمتموهم
اموالكم وطعامكم اما والله لو امسكتم عنهم لم يركبوا رقابكم واوشكوا ان
يتحولوا عن محمد فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا عنه الى اخر ما حكاه الله
فلما بلغ زيد رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاله انكر
وحلف لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصدقه وحزن زيد حتى نزل القران
بتصديقه فقال عمر رضي الله عنه دعني اضرب عنقه فابى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتكرم بكفه عنه لاجل ولده فلما اراد دخول المدينة منعه

اي افترض

ابنه

ابنه رضي الله عنه وقال لا تدخلها حتى تقول انك الاذل وياذن لك رسول الله صلى
الله عليه وسلم والا ضربت عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما راى الجد
منه قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا وقد قيل ان قايل مثل هذا الذي قاله
ابن ابي وغيره ان كان مستترا به عن المسلمين بحيث لم يظهره لهم وسمعوه منه وفي
رواية مستسرا اي استفعالا من السر اي مختفيا حين مقاله عن المسلمين والسر
خلاف العلانية ان حكمه حكم الزنديق وهو انه يقتل لانه مثله في اخفائه الكفر
واظهاره الايمان بعينه فيقتل لذلك ولانه قد غير دينه بما قاله فصار كالمرتد
وقد قال صلى الله عليه وسلم من غير دينه باظهار ما يخالفه فاضربوا عنقه ان لم
يتب وقيل بقبول توبته برجوعه لدينه واستدل بهذا الحديث على قتل الزنديق
من غير استتابة وقال الشافعي تقبل توبته مطلقا كالمرتد وعن ابي حنيفة
فيه روايتان وقيل كمالك واستدل القايل بقبول توبة من اخفى كفره بحديث ابن
عمر في الصحيح الاتي في كلام المصنف مع الكلام عليه انه صلى الله عليه وسلم قال امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويوتوا
الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على
الله يعني فيما يستتر وبه وفيه دليل على ان من ظاهر حاله الاسلام لا يتعرض
له وتقبل توبته قالوا وعليه اكثر العلما الا مالك واحمد بن حنبل فانهما لم يقبلا
توبته وهذا هو الزنديق على القول بانه من يظهر الاسلام ويبطن الكفر لا من
لا ينتحل دينا وقد اختلفوا فيه كما مر على اقوال منها ما ذكر ونقله قاضي
خان كما تقدم والكلام عليه مفصل في الفقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه
وسلم في الحرمة اي في احترامه وتوقيره وصيانة جانبه مزية بفتح الميم
وكسر الزاي المعجمة وتشديد اليا التحتية وهي زيادة الفضيلة وقال
العلامة لا يبعد منه فعل لكن تقدم عن الاساس تمييز عليه زاد على امته
فلا يسوى بينه وبينهم فيما يحمده فيزاد في جزا من سبه على حد غيره
لرفعة محله وساب الحر لا العبد من امته يحد حد قذفه بثمن وطه ان استحقه
والا يعزر واطلقه لظهوره او يشتم فادخل التعزير في الحد وفي نسخة تحد
بجيم ولا ادري ما معناه والظاهر انه تحريف من النساخ فكانت العقوبة
لمن سبه صلى الله عليه وسلم او سب غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
القتل رعاية لعظيم قدره فبعظمه يعظم الذنب فيه وتشرف منزلته
على غيره بشين معجمة وفا اي زيادتها يقال شرف عليه اذا زاد قال ابن
القطاع وهو بمعنى النقص ايضا من الاضداد والعربية مانعة منه
هنا اي لزيادة مرتبته العالية بشرفه صلى الله عليه وسلم تشريفا
وزاده تشريفا وتعظيما او هذا اعظم الجزا لاعظم الخلق واحتمال ان يراد بدون
القتل لا يرد عليه كما قيل

## فصل في دفع الشبه

الواردة على ما قدمه في هذا الفصل فان قلت اذا كان سبه صلى الله عليه

يق

ابن اقبرس

وسلم ومنتقصيه مقتضيا للقتل فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي
الذي قال له السام عليكم وهذا دعا عليه واذية له ولم يعاقب قايله فيرد على ما
قررم اولا والسام بمعنى الموت فيوهمون انهم قالوا السلام وانما ارادوا الدعا عليه
بموته ومثله مما يوذيه وهذا رواه البخاري وغيره وقالوا ان عايشة رضي الله عنها
تفطنت له فكانوا اذا قالوا السام عليك يا ابا القاسم قالت عليكم السام والذام
واللعنة ولذا قال صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم
ردا لمقالتهم عليهم الا ان الخطابي قال انه روي بالواو ورواه ابن عيينة بدونها
وهو الصواب لابد ان الواو التي لمطلق الجمع بالاشتراك بينهما قلت لا محذور
فيه لانه صلى الله عليه وسلم قصد الاشتراك في معنى غير الذي قصدوه وهو
اي الموت مقدر علينا وعليكم كما ياتي بيانه فيكون من القول بالموجب البديعي
كقوله

وقالت انت عندي مثل عيني ❊ فقلت نعم ولكن في السقام ❊

ولذا ذهب كثير الى جواز اثبات الواو وحذفها وان الخطابي رجع عما قاله والسام
معتل بمعنى الموت ويجوز ان يكون مهموزا من السامة والذام بالمعجمة
بمعنى الذم والعيب ويجوز اهمالها من الدوام والقايل جماعة من اليهود
وقيل واحد منهم اسمه ثعلبة بن الحارث وجمع بين الروايتين بتعدد
القصة او بان الداخل جماعة والقايل منهم واحد ولا قتل الرجل الاخر وهو
ذو الخويصرة الذي سبق ذكره وبا يجوانه الذي قال له صلى الله عليه وسلم
في قسمة قسمها من مال الغنايم ان هذه القسمة التي قسمها بين الغزاة
وفي نسخة ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله اي خالصة لله جارية على
العدل كما فرضها الله وهذا في حديث رواه البخاري ايضا فلم يقتله صلى
الله عليه وسلم والحال انه صلى الله عليه وسلم قد تاذي من ذلك اي من
قوله الذي قاله ونسبته فيه الى الجور وهو اذية مسلم له وافترا عليه
فيقتضي قتله فلم لم يامر بقتله وقال الحافظ الذهبي هذا الاخر لا اعرفه وفي
الصحيح انه من الانصار وقال انه معتب بن قشير والذي قال له اعدل ذو
الخويصرة التميمي الخارجي الذي قتل يوم النهروان ويقال له حرقوص وكانت
هذه القسمة يوم حنين زاد فيها لبعضهم لمصلحة وهو تاليفهم ومع
ذلك فلم يقتلهم صلى الله عليه وسلم حين اذوه بل قد قال اوذي موسى
من قومه باكثر من هذا الذي اوذيته فصبر على اذيتهم ولم يقتل احدا
ممن اذوه فلي اسوة به واذية موسى انهم رموه بالبرص والادرة والهموه
بقتل اخيه هارون وخالفوه في امور كثيرة قصها الله في القران عنهم
ولا قتل المنافقين الذين كانوا يوذونه في اكثر الاحيان وروي في كل الاحيان
والاول اظهر واشهر واذية المنافقين له تقدم بعضها قريبا فهذا كله
يدل على ان من اذاه او من ذمه او ذم غيره من الانبيا عليهم وعليهم الصلاة
والسلام لا يستحق القتل فكيف هذا مع ما تقدم من الادلة والاجماع الذي

حكاه

حاله ثم شرع المص في الجواب عن هذا الاشكال بقوله فاعلم ايها السائل عما اشكل عليك وفقنا الله
تعالى واياك لعلم ما لم تعلم وهي جملة دعائية معترضة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اول الاسلام اول منصوب على الظرفية اي في ابتدائه يتالف على الناس اي يطلب الفتهم
وتانيسهم لقرب عهدهم بالاسلام وفيهم الاعراب الجفاة حتى يثبتهم على الاسلام
فيداوي امراض قلوبهم بعفوه وكرمه ولم يقل اول الهجرة لان هذا كان بالمدينة بعد
هجرته لان ابتدا التاليف ببعض انواعه كان قبلها واستمر ذلك الى الهجرة كما يومي اليه
قوله كان الدالة على الاستمرار فلا غبار فيه كما قيل لو قال اول الهجرة كان اولى وفي
نسخة يستالف بسين مهملة ساكنة بين اليا والتا ويميل قلوبهم اليه اي الى الاسلام
وخلوص الايمان لمحبته والاذعان له وياؤه الثانية مخففة مضارع امال ويجوز
تشديدها والاول اولى ويحبب اليهم الايمان ليتمكن في نفوسهم ويزينه في قلوبهم
اي يحسنه بترغيبهم فيه ويكرمهم بموحدة قبل الها اي يعاملهم بملاطفته
له وترفقه بهم ويقول لاصحابه اي خلصهم الذين سبق ايمانهم وعلم اخلاصهم
انما بعثتم فيه تغليب اي انما بعثت معكم او هو مجاز عن امرتم وعلمتم او هو
بمعناه اللغوي اي جيئتم لدار الهجرة وارسلتم لها لتكونوا ميسرين بسين وراء
مهملتين اي مسهلين مسامحين لا معسرين مشددين على من قرب عهده بالاسلام
ولم تبعثوا وترسلوا منفرين للناس عن الاسلام اي بشدة وغلظة تحمل
الناس على نفورهم عنكم بمفارقتهم وتشتتهم عنكم وكان الظاهر ان يقول
معسرين ليطابق قوله ميسرين لكنه عدل للمطابقة الحقيقية لانها ابلغ لان التيسير
يقتضي تالفهم وعدم تفرقهم عنهم فاتى بلازم المقابل لانه ابلغ واكثر كما
في قول المتنبي ⁂ كانك مستقيم في محال ⁂ اذ لم يقل في اعوجاج وليس هذا
لاجل القافية كما قيل ونحوه لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وكان صلى الله
عليه وسلم يقول لاصحابه ايضا بشروا الناس بكل خير ولا تعسروا اي لا تشددوا
وتغلظوا عليهم وسكنوا اي اقروا الناس على ما هم عليهم ولا تكلفوهم بما لم
يالفوه ولا تنفروا الناس عنكم فيتنفروا ويفروا اي لا تثقلوا عليهم وتلجوا
فيملوا منكم وهذا فيما لم يجب عليهم والا فمثله لا يسامح فيه وكان صلى
الله عليه وسلم يقول لاصحابه كما مر في قصة ابي ابن سلول والمنافقين لما
بلغه ما قالوه فقالوا له دعنا نضرب عنقه فاني لا يتحدث الناس فيما بينهم
فيقولوا ان محمدا يقتل اصحابه وهذا اذا شاع عنه صلى الله عليه وسلم منع
لبعض الكفرة من الدخول في الاسلام وجعله المشركون واعدا الدين وسيلة
للطعن فيهم ومثله مما ينبغي الاحتراز عنه لما فيه من الفوايد وهذا قاله
صلى الله عليه وسلم لعمر لما قال في قصة ابي ابن سلول دعني اضرب عنقه
كما تقدم مفصلا وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ٥
بتلطفه بهم واحسانه وعفوه عنهم والفرق بين المداراة والمداهنة
مشهور تقدم مرارا ايضا فالمداراة اللطف ولين القول لدفع الضرر
وجلبا لنفع له اولمن داراه كامره بنصح ورفق وبيان ما في حاله من محذور

دلجي

وسوء عاقبة والمداهنة تحسين القبيح وقوله له ما هو باطل وكذب مما يغره ويحمله على
ارتكاب الفواحش والاول محمود شرعا والثاني مذموم غير جائز ويجمل صحبتهم بفتح
المثناة التحتية وسكون الجيم وكسر الميم ثم لام من الجميل الحسن قولا وفعلا وقيل يجمل
بمعنى يجمع بعد تفرقه وهو بعيد ركيك ويغضي عنهم الاغضا العفو والتجاوز
والسكوت وغض البصر عما لا يليق وحمله على يغضي البصر وراعى ما فيه من العفو
وعداه بعن وهو متعد بعلى وفي المصباح اغضى الرجل قارب بين جفنيه ثم
استعمل في الحلم ويحتمل من اذاهم اي يتحمله ويعفو عنه قال في المصباح حمل
الشيء واحتمله بمعنى عفى عنه وهو في اصطلاح الفقهاء يستعمل بمعنى الوهم والجواز
فيكون لازما وبمعنى الاقتضا والتضمن فيتعدى ومر آنفا اونتعيينية
وسياتي ما فيه ويصبر على جفائهم اي غلظة طباعهم المقتضية لعدم الادب
في الاقوال والافعال ويقال لاهل البادية اهل الجفا ما لا يجوز لنا اليوم الصبر
عليه ما موصولة معمول لتحمل فمن بيانية مقدمة على المبين وقد جوزه
النحاة والمراد باليوم ما بعد عصره صلى الله عليه وسلم فان ابتدا الاسلام
وقواعد الاسلام لم يكن على ما هي عليه الان من القوة التي لا يتسامح فيها
لاحد ما كان يتسامح فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لمصلحة تمت بذهاب
اسبابها فما فعله صلى الله عليه وسلم من عدم قتل بعض لا يجوز لنا الان
المسامحة فيه اصلا كما ياتي في قوله فلما استقر الخ وهذا هو الجواب عن
السؤال مع انه حق له صلى الله عليه وسلم يجوز له العفو عنه لانه ممتنع
علينا الاغضا عن اهانته صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم
يرفقهم اي يصلهم وينفعهم بالعطا تكرما عليهم والاحسان اليهم بكرمه
ولين قوله ليؤلف قلوبهم ومحبتهم لان النفوس جبلت على حب من احسن
اليها فيرفق بزنة يفعل مضارع رفق او بوزن يكرم مضارع ارفق وفي الصحاح
الرفق ضد العنف وقد رفق به يرفق وحكى ابو زيد رفقت به وارفقته بمعنى
ترفقت به ويقال ارفقته بمعنى نفعته وقال ابن القطاع رفقته رفقا
وارفقته نفعته من الرفق كذلك فهو ثلاثي ورباعي وبذلك المذكور من
مداراتهم وعطاياهم ورفقه بهم امره الله تعالى فقال ولا تزال تطلع
على خائنة منهم اي على طائفة خائنة او خيانة تصدر منهم في حقك كما
صدر من اسلافهم مع رسلهم فلا يغرنك اساليبهم لك والمراد فعلة خائنة
او نفس خائنة ويقال في المبالغة رجل خائنة كراوية وفرق على خيانة
الا قليلا منهم لم يخن فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين الذين
يجزون السيئة بالحسنة ويتجاوزون عما سلف وهذه الاية نزلت في اليهود
الذين كانوا في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم بيانا لانهم من شانهم
الخيانة وانه موروث ابائهم وامر بالعفو عنهم بشرط المعاهدة او نحوها
او هذه الاية منسوخة والقليل المستثنى من آمن به صلى الله عليه وسلم
منهم كابن سلام وقال الله تعالى امرا نبيه صلى الله عليه وسلم عاما

ادفع ما تراه من السيئات بالتي هي احسن وهي الاحسان لمن اساء والتلطف به فاذا الذي بينك
وبينه عداوة من الكفار كانه ولي حميم اي لا يزال احسانك اليه حتى يسيره كالصديق الذي
بينك وبينه مصافاة وموالاة والولي من يوالي ويتابع والحميم الصديق المصافي نزلت
فيمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم كابي سفيان وقيل المراد بالتي هي احسن
المصافحة وهي مستحبة وقيل ان هذه نسخت باية السيف وذلك اي ما ذكر من مداراته
صلى الله عليه وسلم كان منه لحاجة الناس للتاليف لقلوبهم وجلبها له في اول الاسلام
ومبادي الهجرة والحاجة في اول الامر الى جمع الكلمة باتفاق ارائهم معه صلى الله عليه
وسلم وعدم مخالفتهم له فانه يحصل بالملاطفة والملاينة ما لا يحصل بغيرها
فلما استفحل فيه ضمير مستتر للاسلام اي لما قوي وثبت واظهره اي اظهر الله دين
الاسلام اي علاه ورفعه على الدين كله اي على كل دين وملة بحيث غلب اهله وقهرهم
والدين في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد وغيره قتل من قدر عليه ممن اظهر
عداوته وطعن فيه وفي دينه اذ لم يبق حاجة للمداراة التي كانت لمصلحة تممها
الله واشهرها كفعله صلى الله عليه وسلم بابن خطل يوم الفتح حين امر بقتله
يوم فتح مكة ولو وجد متعلقا باستار الكعبة وقتل ايضا بامره بذكر من عهد
اي اوصى المسلمين بقتله يوم الفتح اي يوم فتح مكة كما تقدم مفصلا وقتل ايضا
من امكنه قتله غيلة بكسر الغين المعجمة وهو القتل خفية ومخادعة كابن
الاشرف وابن ابي الحقيق من يهود هو اسم للطائفة المعلومة وغيرهم اي غير
اليهود من الكفرة او غلبة اي وقتل ايضا من امكنه قتله من غير اختفاء بل
بطريق الغلبة والقهر كابي عزة الجمحي كما مر ممن لم ينتظمه قبل اي لم يدخل قبل
قتله بسلك صحبته صلى الله عليه وسلم باسلامه ومتابعته له صلى الله عليه
وسلم والسلك خيط ينظم فيه لؤلؤ ونحوه والنظم ادخاله فيه فاستعير للجمع
وجعل محل الجمع او ما يقتضيه بمنزلة السلك وسلك صحبته كلجين الماء وهو
استعارة ايضا والانخراط في جملة مظهري الايمان به من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين
وقد فسر الانخراط بالدخول يقال انخرط في السلك اذا انتظم وقد وقع ذلك
في كلام الفصحاء الثقات كالسكاكي والزمخشري وفسر بما ذكر الا اني لم اجده في
كلام العرب قديما ولا في كتب اللغة بهذا المعنى بل الموجود خلافه كخرط القتاد واخترط
السيف سله وفتشت عنه فلم اظفر به وغاية ما يمكن في توجيهه انه من اخترطه
اذا جعله في الخريطة وهي الكيس فتجوزوا به عن جعله في العقد قال ابن عباد في
محيط اللغة الخريطة مثل الكيس يشرج من ادم او خرق ويقال اخرطت الخريطة
اخراطا انتهى وتقدم التنبيه على ذلك ايضا وقوله ممن كان يؤذيه من
الكفرة بيان لمن الذي تقدم كابن الاشرف وابي رافع تقدم بيانهما مفصلا والنضر
ابن الحارث الذي تقدم تقدم بيانه وعقبة بن ابي معيط وتقدم ايضا
وهذا تمثيل لمن قتله صلى الله عليه وسلم مطلقا غيلة وغلبة فلا
وجه لما قيل ان في ذكر ابن الاشرف مع قتله غيلة نظرا لتقدمه غيلة وكذلك
اي مثل قصته من ذكر ممن قتله نذر دمه جماعة من الكفار سواهم اي سوى

دلجي

من ذكر من كعب واضرابه ونذر بنون وذال معجمة وراء مهملة اي اوجب قتله على من
عنده من اصحابه قال في الاساس نذر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا اوجبه
على نفسه وهو من كلام اهل الحجاز انتهى فقول بعض الشراح انه بدال مهملة بمعنى
اسقط واهدر ليس بشيء ككعب بن زهير بن ابي سلمى بضم السين وسكون اللام ربيعة
ابن رباح بكسر الراء وبالمثناة التحتية ابن قرط المزني وهو واخوه شاعران مجيدان
غير مكثرين واخوه اسلم قبله وكان كعب قال بعد اسلام اخيه شعرا يعرض فيه
بالنبي صلى الله عليه وسلم فكتب اليه اخوه كتابا يقول فيه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اهدر دما قوم كهبيرة بن ابي وهب وابن الزبعرى فان كان لك حاجة
في نفسك فطر اليه فانه صلى الله عليه وسلم يقبل من اتاه تائبا فضاقت الارض
عليه وارجف الناس بانه مقتول فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يصلي الصبح فلما فرغ جلس بين يديه ووضع يده في يده وقال يا رسول الله
ان كعبا جاء تائبا مسلما اتقبله قال نعم وهو لا يعرفه فقال انا كعب فوثب عليه
رجل من الانصار وقال يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال دعه فانه جا
تائبا فغضب كعب على الانصار لانه لم يقل فيه احد من المهاجرين الا خيرا وانشده
صلى الله عليه وسلم قصيدته المشهورة والبسه بردته التي يتوارثها الخلفا
بعده وكان معاوية رضي الله عنه طلبها منه فقال ما كنت لاوثر احدا بثوب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما مات اخذها من اولاده بعشرين او ثلاثين الف درهم
فضة وفقه هذه القضية ان من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم العفو عمن
تاب من الكفرة وان اجازة الشعرا مسنونة من مكارم الاخلاق كما قال الغزي

محو فضيلة الشعراء جهل ... وتحسين المديح من الرشاد
محت بانت سعاد ذنوب كعب ... واعلت كعبه في كل ناد
وما احتاج النبي الى مديح ... وتشبيب بشيء من سعاد
ولكن سن اسدا الايادي ... وكان الى المكارم خير هاد

وابن الزبعرى هو عبد الله بن الزبعرى بن سعيد بن سهم القرشي وهو بكسر
الزاي المعجمة او فتحها وكسر الباء الموحدة وسكون العين المهملة مقصور
علم منقول من سيء الخلق او كثيف الشعر وكان شاعرا مجيدا شجاعا من اشد
الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطاول بلسانه وسيفه ولا عقب له اسلم
بعد الفتح وحسن اسلامه وكان فر هو وزوجته ام هاني بنت ابي طالب الى
نجران فقالوا له ما وراك فقال ان محمدا قتل قريشا وفتح مكة واراه سايرا
لكم فاصبح بالحارث وكعب منهم ما رث من حصنهم وجمعوا ماشيتهم فارسل
له حسان رضي الله عنه شعرا يقول فيه

عضب الاله على الزبعرى وابنه ... وعذاب سوء في الحياة مقيم

فلما بلغه قال ما لي وبني الحارث وترك داري وقومي ثم اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اصحابه فلما راه قال هذا ابن الزبعرى في وجهه نور
الاسلام فوقف عنده وقال السلام عليكم اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا

دجي

عبدالله

عبد الله ورسوله والحمد لله الذي هداني للاسلام وقد اجلبت علي عدا وتكت حتى هربت
الى نجران وانا اريد ان لا اقرب الاسلام ابدا ثم اراد الله بي خيرا فالقاه في قلبي وحببه
الي وذكرت ما كنت فيه من الضلالة واتباع ما لا ينفع ولا يعقل من حجر يعبد ويذبح
له فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك للاسلام ان
الاسلام يجب ما قبله وقلت في ذلك

رايت اسلام قوم يجب ما كان قبله ۞ وكم حصر اراه بالكفر في شر ملة

وغيرهما اي غير كعب وابن الزبعري ممن اذاه صلى الله عليه وسلم وهجاه وسبه
نثرا او نظما ثم تاب باسلامه فقبلت توبته وعفي عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما في السير حتى القوا بايديهم اي انقادوا له وسلموا وهو مجاز
عما ذكر واصله ومنع يده في يد غيره ممن يمسكها لانقياده اتم انقياد وتفويضه
غيره عنه ولعفوه عليه الصلاة والسلام مسلمين فعفي عنهم وامنهم واحسن
اليهم واما من نافقه فبواطن المنافقين وما فيها من الكفر مستورة غير معلومة
لغيرهم وحكمه صلى الله عليه وسلم انما كان على الظاهر وهو الاسلام المانع
من قتلهم وهذا لاجل التشريع لامته بعده وان اطلعه الله على سرائرهم ومع
ذلك اكثر الكلمات التي قصد المنافقون بها تنقيصه صلى الله عليه وسلم
وذمه انما كان يقولها القائل منهم اي من المنافقين خفية مع امثاله من المنافقين
ولا يقف عليها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وخفية بضم اوله وكسره
وفي نسخة زيادة واو قبل مع ويحلفون عليها اي يحلفون انهم ما قالوا ما نسب
اليهم وهذا انما يعلم مما سياتي وقد مر هذا في قصة ابن ابي وابن سويد من
المنافقين اذ انميت اليهم اي نقلت وبلغت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عنهم من نمى الحديث بالتخفيف والتشديد والمشهور ما قاله ابو عبيد من انه
بالتخفيف ما نقل على وجه الاصلاح وبالتشديد ما كان على وجه الافساد وهو النميمة
وكذا قاله ابن قتيبة وغيره لكن رواية اكثر المحدثين بالتخفيف هنا تدل على
خلافه ويبكرونها اي هذه المقالة ويحلفون بالله ما قالوا ما نقل عنهم ولقد
قالوا كلمة الكفر اي الكلمة التي يكفر بها قائلها والتي انما تصدر عن الكفرة واعداء
الدين مما نقلناه سابقا وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا اي مع ما قالوه
من كلمة الكفر يطمع في فيئتهم بكسر الفاء وفتح الهمزة قبل التاء الفوقية اي رجوعهم
وروي فيئتهم بفتح الفاء قبل يا ساكنة قبل الهمزة من فاء اليه اذا رجع ومنه الفيء
للظل بعد الزوال ورجوعهم الى الاسلام عطف تفسير اي دخولهم فيه فهو
مجاز مرسل من اطلاق المقيد على المطلق كقوله وان عدتم عدنا وتوبتهم
من نفاقهم وكفرهم الخفي فيصبر صلى الله عليه وسلم على اذيتهم ونفاقهم
وذمهم الذي علمه منهم وبلغه عنهم وعلى هناتهم بفتح الهاء والنون
الخفيفة وفي المصباح الهن خفيف النون كناية عن كل اسم جنس والانثى
هنة بالتخفيف ولامها محذوفة وفي لغة هي هاء فتصغيرها هنيهة
ومنه مكث هنيهة اي ساعة لطيفة وفي لغة هي واو فتصغر في المؤنث

علي هنية بتشديد اليا والهمز خطا اذ لا وجه له وجمعها هنوات وربما جمعت علي
هنات مثل حماة والمذكر هنا وبه سمي وكني به عن الفرج انتهى وهو احد الاسما اخوات
اب واخ وكني به هنا ايضا عن قبائحهم وكان صلى الله عليه وسلم يصبر ايضا على
جفوتهم اي ما يصدر عنهم من الاقوال والافعال القبيحة لغلظة طباعهم وسوء
ادبهم كما صبر اولوا العزم من الرسل وهم الذين كانوا ذوي عزيمة قوية وثبات
في دعوة الناس الى الدين ومراتبه قد اختلف فيهم فمنهم من قال هم خمسة نوح
وابراهيم وعيسى وموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقيل هم
المذكورون على التوالي في الشعرا والاعراف وهم نوح وهود وصالح وسليمان
ولوط وموسى لصبرهم على اذى قومهم وما ابتلوا به ومنهم من عد منهم
اسمعيل ويعقوب وايوب وقيل كل من امر بالجهاد والقتال وقيل ثمانية عشر
ذكروا في الانعام وعقبهم الله بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقيل كل الرسل وقيل الا يونس لقوله ولا تكن كصاحب الحوت فهولا صبروا على
اذى الناس ومواجهتهم بما يكرهون وقد امر صلى الله عليه وسلم بالاقتدا
بهم في الصبر على الاذى والعفو فلم يزل يفعله في ابتدا الهجرة حتى فا كثير
منهم باطنا اي رجع عن نفاقه فخلص ايمانه في قلبه كما فا ظاهرا اي كما كان
ظاهرا في الرجوع الى الايمان بعد الكفر واخلص ايمانه بالله ورسوله صلى
الله عليه وسلم سرا فيما اسره واخفاه في قلبه وبين قومه كما
اخلص جهرا اي فيما جاهرهم به من مقاله فتوافقا باطنه وظاهره وسره وجهره
ونفع الله بعد بكثير منهم اي نفع بهم بعد اخلاصهم وهداية الله لهم
وقام منهم اي من هولا الذين تالفهم وعفا عنهم للدين واهله وزرا
واعوان عطف تفسير لان الوزير من الوزر وهو المعاونة والنصرة فتقوى
وتعاضد بهم اهل الاسلام وحماة وانصار فهم حامون للدين وناصرون
لاهله كما جات به الاخبار الثابتة فكم من منافق وكافر حبب الله له الايمان
واعزه الله به وهو مذكور في كتب الحديث غني عن البيان وهذا الجواب
المذكور اجاب بعض ائمتنا المالكية رحمهم الله عن هذا السؤال السابق
عن قول اليهود السام عليكم وعنه اجوبة اربعة ذكرها في السيف المسلول
بعد ما ذكر في حقهم واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في
انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير
فاخبر الله عنهم بانهم كانوا يحيونه بتحية منكرة ويقولون لو كان نبيا لعذبنا
الله بقولنا له السام عليكم واشار الى انه لا حاجة لعذابهم لانه يكفي من لم
يتب منهم عذابه في الاخرة فاجيب عن السؤال الذي تقدم من انه لم لم
يقتلهم ولم نهى عايشة رضي الله عنها عن قولها بل عليكم السام والذام
واللعنة كما مر فقال لها مهلا فان الله يحب الرفق في الامر كله وحاصله
انه كان لحكمة وهو انه وقع والاسلام لم يقو القوة البالغة فصبر لعل الله
يهديهم ويقوى بهم الدين وقد وقع ذلك لكثير منهم وكان الصبر عليهم

والعفو

والعفو عنهم جائز له صلى الله عليه وسلم والجواب الثاني عنه انهم كانوا يخفونه
ويتلفظون به بعجلة وخفض صوت ولا يطلع الناس عليه والعقاب على الكفر انما يكون على الظاهر
دون الخفي وقال بعض ائمة الحديث لهذا وفي نسخة وقيل لعله اي قولهم السام للدعا
عليه لم يثبت عنده صلى الله عليه وسلم من اقوالهم اي اليهود ما رفع بالبنا للمجهول
من رفع الكلام بمعنى اوصله وبلغه وانما نقله له صلى الله عليه وسلم الواحد الذي
لم يتم به نصاب الشهادة ومن لم يصل اي لم يبلغ رتبة قبول الشهادة في هذا
الباب اي النوع المقتضي للقتل من صبي صغير لا تسمع شهادته شرعا او عبد مملوك وامراة
شهادتها غير مسموعة في مثله مما يندري ويدفع بالشبهات وهو الحدود والدما
لانتشاح الا بعد الثبوت بعد لين ذكرين حرين واعلام الله له بعد حكمه بالظاهر
ونفوذ حكمه لا يخالفه مما قيل من انه عجيب من المص مع تكذيب الله لهؤلاء
واعلامه بحالهم في القران ليس بشيء لا سيما وهو نافل ثقة وما على الرسول
الا البلاغ وعلى هذا الذي ذكره بعضهم في الجواب يحمل امر اليهود وفي نسخة
اليهودي في السلام وفي نسخة السام وهما بمعنى لان المراد بالسلام سلام اليهود
وهو قولهم السام والهم لووا بواوين مخففتين والتشديد وان صح غير
مثاني هنا لانه للمبالغة ولم تقصد هنا والتي فتل الالسنة ولفها بسرعة
حتى يخفى ويظن انهم قالوا السلام السنتهم جمع لسان وهو الجارحة المعروفة
ولم يبينوه اي سلامهم وهو تفسير للمراد بلي الالسنة الا ترى ما حقق
ما قيل ويوضحه كيف نبهت عليه اي على قولهم هذا عايشة رضي الله عنها
حيث ردته عليهم بقولهم المتقدم السام عليكم والذام واللعنة ونهاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرها بالرفق وقال اني ارد عليهم
فيستجاب لي ولا يستجاب لهم لكن قال ابن تيمية ان قوله صلى الله عليه وسلم
اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي ردوا الذي يقولونه لكم عليهم
وتقرير الصحابة له بعده يدل على عدم اختصاصه باول الامر وبدء الاسلام
وانه لم يخف عليه فتامل ولو كان اليهودي الذي قال للنبي صلى الله عليه
وسلم السام عليك صرح بذلك من غير اخفاء ولي السنة لم تنفرد بتا فوقية
اي عايشة رضي الله عنها بعلمه دونه صلى الله عليه وسلم ولهذا اي لكونهم
لم يصرحوا بما يعلمه كل احد او لكون اليهودي لم يصرح بالسام بل اضمره
خبثا ولامة نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم اي فعل اليهود
القبيح الذي اتوا به بقولهم السام عليك وقلة صدقهم في كلامهم وجعل قولهم
السام موهمين انهم قالوا السلام كذبا لجعلهم ما ليس بتحية تحية فهو
باعتبار خبر تضمنه كذب مخالف للواقع وخيانتهم في ذلك لله ولرسوله صلى
الله عليه وسلم ليا بالسنتهم بتحريف مقالهم وكذبهم وعدولهم عن سنن
الصواب وطعنا في الدين اي دين الاسلام واهله وفيه اشارة الى الاية اعني
قوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الاية وهي نزلت في حق
اليهود وقولهم راعنا واسمع لكن لما كانا من قبيل واحد في التحريف والعدول

ابن اقبرس والدلجي

و ق

عن الظاهر فتنبيها المهم هنا وانما كان هذا طعنا في الدين لانهم قالوا لو كان نبيا لعلم بمقالتنا وعذبنا الله عليها كما مر ولا يتوهم انه كيف يكون هذا طعنا في الدين لمجرد ذكر السام يعني السلام فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه منبها لهم ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا في رد سلامهم عليكم وفي رواية وعليكم بالواو وقد تقدم الكلام عليه مفصلا وقد قال الفقهاء لا يبدؤا بالسلام الكفرة وانما يرد سلامهم بقول وعليكم وفي رواية عن الشافعي جوازه وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين كالقاضي عبد الوهاب المالكي البغدادي وقد تقدم بيانه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم وبما في نفوسهم مع انه عالم بهم واطلعه الله على سريرة نفاقهم وان كان له صلى الله عليه وسلم ان يقضي بعلمه بل اختلف الفقهاء في القاضي هل له ان يقضي بعلمه في زمان قضائه او في مجلس حكمه واما المانع عنه انه امر بالعمل بالظاهر في اكثر احواله نشر في الامة وكان ذلك في ابتدا الاسلام بالتقا القلوب حتى يهديهم الله ولا تنفر قلوب من يريد الدخول في الدين وتكف السنة الطاعنين بقولهم انه صلى الله عليه وسلم يقتل اصحابه والحكم تتعاضد والمصالح لا تتزاحم فلا تعارض بين الاحاديث كما توهم ولم يات انه لم ينقل في الاحاديث انه قامت بينة عنده صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فلهذا اي لكونه لم تقم عنده بينة على نفاقهم وهو مامور في اكثر الاحكام ان يحكم بالظاهر وبالصبر كما صبر اخوانه اولوا العزم تركهم من غير ان يقتلهم ولم يحكم بعلمه وان اعلمه الله به في سورة المنافقين وسورة براءة اجمالا من غير ذكرهم باعيانهم فمن قال كفاك ما فيهما من تفضيحهم بينة لم يصب وهذا مبني على ان الحاكم لا يجوز له ان يحكم بعلمه مطلقا او في الحدود او في حقوق الله وفيه كلام للفقهاء ليس هذا محله واقامة البينة على النفاق تتصور بان يشهد على اقراره والا فما في قلبه لا يمكن الاطلاع عليه لغير علام الغيوب وايضا مما يقتضي عدم قتلهم فان الامراي نفاقهم كان سرا او باطنا يخفى على الناس فكيف تقوم عليهم بينة وظاهرهم الاسلام والايمان هما بمعنى وقد يفرق بينهما بحسب المفهوم وان اتحدا فيما صدقا عليه والامر فيه معلوم وان كان المذكور الذي لم يحكم بقتله من اهل الذمة بكسر الذال المعجمة هي العهد والامان هنا قال في المصباح الذمة تفسر بالعهد والامان وسمي المعاهد ذميا نسبة الى الذمة بمعنى العهد وقولهم في ذمتي كذا معناه في ضماني انتهى كما اشار اليه بقوله بالعهد وهو الميثاق بان لا يغدر به والجوار بكسر الجيم وتضم وهو الامان من جاره يجيره اذا امنه بعهد بينهما والامان يكون لمعين وغيره كاهل بلدة واقليم فان كان بغاية معينة فهي الهدنة وان لم يكن فهو الجزية وهم اهل ذمة اي امان وهذان يختصان بالامام بخلاف مطلق الامان لزمن قريب فلا يختص به لحديث المسلمون يسعى بذمتهم ادناهم والناس قريب عهدهم بالاسلام اي دخولهم في الاسلام كان قريبا في ابتدا الاسلام والهجرة لم يتميز بعد بالقتم اي بعد قرب عهدهم

الجنب

ابن اقبرس

دلجي

الخبيث من الطيب منهم اي لم يعلم من خلص اسلامه فطابت سريرته او لم يخلص
ايمانه فخبثه بقية من خبث الكفر لم تظهر لغيره وقد شاع اي سمع واشتهر بين الناس
من المذكورين اي من كان منافقا يظهر اسلامه في العرب المجاورين لهم المشاهدين لهم
كون من بينهم بالنفاق اي بينهم مخلص المؤمنين المهاجرين الذين نور الله بصائرهم
من جملة المؤمنين اي عدة منهم وبالنظر لظاهر حالهم ومن متعلقة بشاع وصحابة
بفتح الصاد اسم جمع لصاحب وهو في الاصل مصدر كالغرابة سيد المرسلين لكونهم
معه تابعين له وشاع ايضا انهم من جملة انصار الدين الذين نصروا رسوله صلى
الله عليه وسلم على اعدائه ظاهرا وهذا انما هو حكم ظاهرهم اي ما يظهر من حالهم
لانا لا نطلع على سرائرهم فلاجل هذا لم يقتلهم صلى الله عليه وسلم وقال
لعمر وغيره ممن قال في بعضهم دعني اضرب عنقه لا لئلا يتحدث الناس بان محمدا
يقتل اصحابه كما تقدم فعدوا من اصحابه نظرا لظاهر حالهم ولو قتلهم النبي
صلى الله عليه وسلم بما علمه من حالهم ونفاقهم الذي اطلعه الله عليه
دون غيره وما يبدر منهم بفتح التحتية وسكون البا الموحدة وضم الدال
والرا المهملتين بمعنى يسرع ويخرج منهم بعجلة وفي نسخة يبدو بالواو
بدل الرا وفي نسخة يندر بالنون مع الرا وهي صحيحة ايضا وان خالف رواية
الشراح قال في المصباح ندر من قومه اذا خرج ومنه النادر لخروجه عن
امثاله فتسميته نادر لمخالفته ظاهر حالهم وهو الاكثر منهما فلا يعد فيه وعلمه
مجرور معطوف على نفاقهم اي علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
اسروا اي اخفوا من الكفر في نفوسهم من النفاق لوجد المنفر جواب لو اي
لوجد الذي يقصد تنفير الناس وصدهم عن الدخول في الاسلام من المشركين
واعدا الدين ما يقول اي امرا يقوله لمن يريد الدخول في الاسلام بان يقول له
انه سفاك يقتل اصحابه اذا خالفوه والمرء لا يخلو من زلة ولارتاب الشارد
اي وقع في ريبة لخوفه من القتل من كان شاردا عن الدين مائلا من الجاهلية
والاعراب اباة الضيم من شرد البعير اذا نفر وذهب في الارض وفي الحديث
لتدخلن الجنة الا من شرد على الله اي خرج عن طاعته وفارق الجماعة وهو في
الاصل استعارة وارجف المعاند اي اتى الاقوال الكاذبة التي يقصد بها التشنيع
على الاسلام من كفر عنادا كبعض المشركين الذين كانوا يحبون اشاعة مثله
وارتاع اي خاف من يسمع الاراجيف وعلم بالقتل من الروع وهو الخوف من
صحبة النبي صلى الله عليه وسلم وارتاع ايضا من الدخول في الاسلام خوفا
من ان يقتل كمن قتله غير واحد اي كثير ممن يريد الاسلام ممن ضعف
قلبه ولم ينظر ببصيرة صادقة ممن اضله الله ولزعم الزاعم اي وجد
وصلة لكذبه من اراد الافترا على الله ورسوله وطعن العدو للاسلام واهله
الظالم لنفسه وغيره من صده عن سبيل الله وسعادة الدارين وهذا
بناء على انه بعين مهملة من العداوة وقال البرهان انه في الاصل الفذ
بفا وذال معجمة مشددة بمعنى المنفرد والاول صحيح في الهامش انتهى والمعنى

ان هذا انما هو فرد من الناس او ظالم ان القتل الذي اوقعه رسول الله صلى الله عليه
وسلم باهل النفاق والشقاق المقتولين بالاستحقاق انما كان للعداوة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمن قتله وطلب اخذ الترة اي اخذ ثاره عند من قتله من العرب
وهو بكسر المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة والهاء كالعدة والهاء عوض عن الفاء المحذوفة
من الوتر وهي تبعة وامر كان اولا انتقم منه والوتر قتل من له عنده دم فهو فعل
القاتل واما الثار بمثلثة وهمزة تخفف بدله الفا فهو بمعناه ايضا وان كان
من مادة اخرى وقولهم يا لثارات فلان حث على طلب الدم ممن هو عنده فهو مثلثة
ومثناة ايضا والمعنى واحد فلا مغايرة بين ما في القاموس والنهاية
الاثيرية كما توهم وكم من لفظ من مادتين بمعنى مثله فلا حاجة للتطويل بمثله
وقد رايت معنى ما حررته اي هذبته من ان النبي صلى الله عليه وسلم ترك قتل عرضي
المنافقين الذين علم نفاقهم لحكمه بالظاهر تشريعا لامته ولهذه المصالح من تاليف
القلوب ودفع طعن الطاعنين ليدخل الناس في دين الله افواجا افواجا منسوبا
الى مالك بن انس امام دار الهجرة رحمه الله وهذا المعنى الذي ذكره وحرره قال صلى
الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم لمن قال دعني اضرب عنقه كما مر لا يتحدث
الناس في مجالسهم ويشيعون ان محمدا صلى الله عليه وسلم وذكروه باسمه حكاية
لما يقولونه انه يقتل اصحابه لغرض اخر من ترة وامر سابق لا لنفاقهم يقصدون
بذلك افساد الناس وصدهم عنه كما كان عادة المشركين وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث اخر لم يخرجه اولئك المنافقون الذين لم اقتلهم مع العلم بنفاقهم نهاني
الله عن قتلهم لحكمة علمها وفائدة عظيمة من مصالح الدين والحديث الذي قبل هذا
في الصحيحين كما علم مما مر وهذا المذكور من عدم القتل بالنفاق المضمر بخلاف
اجراء الاحكام الظاهرة عليهم اي المنافقين او الناس من بيانه لما بعدها كحدود
الزنا جميعها لتعدد من زنا او تعددها برجم وجلد وتغريب والزنا بالمد وتقصر
بمعنى وهما لغتان وقيل الممدود فعل اثنين والمقصور من واحد وقيل انه
حقيقة في الرجل لانه فعل صدر منه دون المراة قاله الهروي والقصر افصح
والقتل قصاصا ونحوه وشبهه كحد القذف وشرب الخمر والسرقة لظهورها
بالشهادة الشرعية واستوى الناس في علمها لا كخفاء الامور الباطنة وقال محمد بن المواز
بفتح الميم وتشديد الواو والف وزاي معجمة وهو مشهور من ايمة المالكية
كما تقدم لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا
توضيح لما قبله فلا يرد عليه ما قيل انهم اذا اظهروه يكونون كفارا ومرتدة لا نفاقا
وفيه نظر وقاله ايضا القاضي ابو الحسن بن القصار المالكي الذي تقدمت
ترجمته وقال قتادة في تفسير قوله عز وجل لئن لم ينته المنافقون من
النفاق المعروف وهو لفظ حدث في الاسلام من نافقاء الضب وهي جحر
يخفيه اذا اريد صيده خرج منه وفر وقيل انه ماخوذ من النفق وهو
السرب والذين في قلوبهم مرض اي فساد حقيقة سماه مرضا استعارة
والمرجفون في المدينة من الارجاف وهو اشاعة الافتراء والكذب للافترا

واغروا

والعزا الاعدا النغرينك بهم اي نامرك بقتلهم ونكالهم من الاعزا وهو الحث والتحريض
على سبيل الاستعجال ثم لا يجاورونك فيها اي لا يتيسر لهم الاقامة فيها القتلهم او طردهم
وهو عطف على لنغرينك الجواب للقسم الا قليلا اي زمانا قليلا او فوع ما اغرينا ك بهم
من القتل او الاجلا ملعونين نصب على الشتم او الحال اي مطرودين ومبعدين عن رحمة
الله في الدنيا اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في موضع الاية مصدر موكد
اي سن الله في الذين خلوا من قبل ممن كان قبلكم بمنافقي الانبيا ان يقتلوا اينما وجدوا
وظفر بهم ولن تجد لسنة الله تبديلا اي بل هي جارية على سنن واحد في جميع الامور قال
اي قتادة معناه اي معنى ما ذكر من الاية اذا اظهروا النفاق لانه صلى الله عليه وسلم
امر بجهاد المنافقين وهو انما يكون اذا اظهروه لانهم قبل اظهاره مسلمين دماؤهم
معصومة ومعنى ثقفوا وجدوا اخذوا او تمكن منهم اذا وجدوا والذين
في قلوبهم مرض هم المنافقون والمرض ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال ويوجب
اختلال افعاله فتجوز به عن الاغراض النفسانية المانعة لكماله كالجهل وسو
العقيدة والمرجفون هم المنافقون لانهم كانوا يشيعون اخبارا تسو المومنين
كقوة عدو وهم واصابة بعض سراياهم وقال ابن عباس اشاعة الكذب التماسا
للفتن وهو من الرجفان وهو الاضطراب بزلزلة ونحوها فاستعير لما ذكر وقيل
ما قاله قتادة تخالف للظاهر وانما المراد نهيهم عن اذية رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين يعني ان جهادهم لا يتطهر لما مر ولذا قال الثعلبي في
تفسيره ان ابن مسعود قال جهاد المنافقين الانكار عليهم والتعبيس في وجوههم
وترك الرفق بهم وقيل انها نسخت العفو عنهم ولذا قال وحكي محمد بن مسلمة
تقدمت ترجمته في المبسوط اسم كتاب له عن زيد بن اسلم تقدم بيانه ايضا
ان معنى قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخ ما كان قبلها
اي قبل نزولها من العفو والصفح عن اذيتهم له صلى الله عليه وسلم الذي
كان قبل في قوله تعالى فاعرض عنهم وتوكل على الله فانه نهي او لا عن قتل المنافقين
ونسخ لهذه الاية كما قاله الواحدي في سورة النسا ومجاهدة المنافقين عند
الحسن وقتادة اقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وافشا اسرارهم
ومن ذكر هذا او قال لا نسلم انها منسوخة لم يصب لانه منع للنقل وهو خطا
ونوقل تاويل الجهاد في الاية قوله واغلظ عليهم اي شدد وعيدهم وانهم اجمعوا
على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل احدا من المنافقين الى ان توفاه
الله تعالى وقال بعض مشايخنا من الفقها المالكية وقيل من متكلمي الاشعرية
لقول القايل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قسم بعض الغنايم هذه
قسمة ما اريد بها وجه الله اي لم تقع على وجه العدل بين الغزاة يعني انها
قسمة جايرة ولقول الاخر اعدل اي سو بين المسلمين في القسمة قال البرهان
الحلبي ظاهره ان قايلهما واحد وليس كذلك فكان ينبغي ان يقول وقول الاخر الاول
هو ذو الخويصرة كما في مسلم ويقال له حرقوص بضم الحا المهملة وبرا
وصاد مهملتين ايضا بينهما قاف مضمومة كما تقدم وهو ذو الثدية

ابن اقيرس

راس الخوارج وهو ذو الخويصرة التميمي وهو البائل في المسجد ولهم ثالث ايضا لم يعهم
النبي صلى الله عليه وسلم منه اي من قوله هذا الطعن عليه في قسمته اي لم يقصد
به ذمه وتنقيصه ولا التهمة له فيها اي لم يظن به سوا قال في المصباح التهمة
بسكون الهاء وفتحها الشك والريبة واصلها الواو لانها من الوهم انتهى واتمارها
اي فهم من كلمته هذه انها صدرت من وجه الغلطة اي صدرت منه لغلظة طبعه
وعدم ادبه كما هو عادة الاعراب وفي نسخة الغلط في الراي الذي يراه جفاة
العرب كما هو راي امثالهم في امور الدنيا لحرصهم عليها والاجتهاد في مصالح اهلها
الذين يرون ان تغليظ المقال يحصلها كما يقال الابرام يحصل ويعدون الوقاحة
سلاحا لهم فلم يرد ذلك الكلام الذي واجهه به سبا وتنقيصا له وهو بسين مهملة
وبا موحدة مشددة وروي بشين معجمة ومثناة تحتية مشددة او خفيفة
بعدها همزة قال البرهان والاول اصوب وعلى الثاني لم ير به شيا يعتقد به
او ينقصه قيل ويبعد هذا انه تغير وجهه الشريف وقال يرحم الله اخي موسى
لقد اوذي باكثر من هذا فصبر كما تقدم فلذلك لم يعاقبه صلى الله عليه وسلم
وفي نسخ ذكر هذا البعد قوله الاتي والصبر عليه وقيل انه انما لم يعاقبه لئلا دبجي
لئلا يقول الناس انه يقتل اصحابه كما صرح به الحديث المار ولما قيل انه حقه
صلى الله عليه وسلم له العفو عنه واليه اشار بقوله وراي انه من الاذى
هو السر القليل كما فسره به السبكي فيما ياتي الذي له العفو عنه لقلته او
لانه حقه وهو لا ينتقم لنفسه والصبر عليه تاليفا للقلوب الناس وقد عد
ابن تيمية هذا اجوبة اخر في كتابه السيف المسلول وكذلك اي كما قيل في
الجواب عما ذكر يقال في اليهود اذ قالوا له في الحديث السابق السام عليكم للدعا
عليه صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه ليس فيه صريح سب يوجب عقابهم
عليه ولا دعا عليه بما لا ينفك من احد شي من الاشيا الا بما اي بامر لا بد منه
اي لا يسلم منه احد من الموت الذي كتبه الله على العباد وقدره ولا بد من
لحاقه جميع البشر لان كل نفس ذائقة الموت فالسام على هذا معناه الموت فهو
مغتفر العفو كما مر وقيل بل المراد والمعنى الذي قصدوه انكم تسامون
دينكم اي تضجرون من مشاقه فتملونه وتتركونه وهو اما دعا بهذا او خبر
وطعن في الدين لا اعتذار اعتنهم اي عن اليهود ايضا في قولكم السام عليكم
كما توهم من بين وجهه بحسب اللغة بقوله والسام بفتح السين والهمز دبجي
والسآمة بمد الهمزة بوزن الفناحة الملال وهي الضجر والقلق المؤدي
للترك وهو على هذا مهموز العين ابدلت همزته الفا لانه من سئم مهموزا دبجي
مما قيل الرواية بلا همز لاختلاف صيغتهما واوا وهمزا ليس بشي وهذا
على هذا القول دعا على سامة الدين سامة بالمد مصدرا او بدونه جمع سايم
نحو كتبة جمع كاتب ولعل هذا السبب بقوله ليس فيه صريح سب له صلى
الله عليه وسلم فلذا لم يعاقب قائله ولهذا اي لاجل كونه ليس بسب
صريح ترجم البخاري في صحيحه على هذا الحديث بقوله باب بالتنوين وتركه

اذا عرض اي ذكر بطريق التعريض دون التصريح فهو مسند الى الذمي او غيره من المسلمين
او المستامنين من اهل الحرب بسب النبي صلى الله عليه وسلم والترجمة الباب والعنوان
في اصطلاح المصنفين واصله ذكر لفظ بلغة بلغة اخرى او ابلاغ كلام الغير لمن لم يسمعه
كما في قوله

ان الثمانين وبلغتها ۝ قد احوجت سمعي الى ترجمان ۝

فتجوز به عما ذكر لانه اجمال يفيد ما بعده كما تقدم وقد قيل ان السام غير عربي
وهو على هذا تعريض بالنقص لا بالسب وقد تقدم ان التعريض له حكم التصريح ولذا
عقبه بقوله وقال بعض علمائنا المالكية وليس هذا اي الذي قاله اليهود بتعريض
بالسب لانه الذم بصفات النقص التي لا تليق وانما هو تعريض بالاذى اي بما يؤذي
ويؤلم وقال السبكي الاذى للشر الخفيف فان زاد فهو ضرر كما قاله الخطابي وغيره
انتهى لان الموت والملل من لوازم البشرية لا تنقيص لكن ذكره ممن لا يقصد به حقيقته
يؤذي ويؤلم قال القاضي ابو الفضل عياض المصنف رحمه الله قد قدمنا في هذا الباب
ان الاذى والسب في حقه وصفه صلى الله عليه وسلم بشيء منهما سوا في الحكم من قتل
ونحوه وقد قال القاضي ابو محمد بن نصر الذي قدمنا ترجمته مجيبا عن هذا الحديث
في قصة سلام اليهود عليه ببعض ما تقدم من الاجوبة ثم قال ابن نصر ولم يذكر في
الحديث المذكور هل كان هذا اليهودي الذي صدر عنه من اهل العهد اي ممن وقع
بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم امان وهو الهدنة كما تقدم والذمة
هي امان كما تقدم او الحرب اي من المحاربين واعدا الدين الذين لا عهد ولا ذمة
لهم فينتقض عهده او يهدر دمه ولا يترك موجب الادلة الدالة على تعين
قتل من سب مطلقا للامر الذي علم من قصة هؤلاء اليهود المحتمل الذي لم يعلم
منه اهم معاهدون او محاربون والامر الذي فيه احتمال لا يتم به الاستدلال لانه
يعارض الادلة اليقينية والاولى في الجواب عن تركه صلى الله عليه وسلم
قتل من سبه واذاه من انه لازم في ذلك كله اي توجيه ما ورد مما يخالفه كله
والاظهر من هذه الوجوه التي وجهنا ما ذكرنا مما اشكل على الايمة مقصد الاستيلا
اي لاجل انه قصد الاستيلاف لهم اي قصد تانيسهم وتاليف قلوبهم
والمداراة على الدين لعلهم اي انه بالسمح بالعفو عنهم يرجوا انهم يؤمنوا
به صلى الله عليه وسلم ويدخلون في دينه ولذلك اي لبيان ذلك وانه انما
فعله للمداراة لا لانه غير جائز ترجم البخاري اي جعل الامام البخاري في
صحيحه عنوان الباب الذي ذكر فيه هذا مبنيا على حديث القسمة اي الحديث الذي
ذكر فيه قسمة الغنايم وقد قال له صلى الله عليه وسلم بعض المنافقين اعدل
ما هذه قسمة اريد بها وجه الله كما تقدم والحديث الذي فيه ذكر الخوارج
كذي الخويصرة واصحابه فجعل ترجمته باب من ترك قتل الخوارج للتاليف
اي لاجل ان يؤلفهم ليثبتوا على الاسلام ولئلا ينفر الناس عنه اذا راوه يقتل
من اذاه وتركه قتلهم ايضا لما بكسر اللام وتخفيف الميم ذكرنا معناه عن الامام مالك
من انه تركه لئلا يرجف الناس ويتنازعوا ولئلا يجد الطاعن في الدين طريقا للطعن فيه

وقررناه قبل اي قبل هذا كما سمعته آنفا وقيل مبني على الضم والخوارج جمع خارج
على خلاف العباس او خارجة بمعنى طايفة خارجة سموا بذلك لانهم خرجوا من احكام
الدين او لانهم خرجوا على علي كرم الله وجهه وقصتهم معه بعد وقعة الجمل
مشهورة وليس المراد بهم الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه حتى قتل كما ذكره الرافعي
في شرح الوجيز ولم يكن خروجهم في حياته صلى الله عليه وسلم لكن المذكورون
في حديث القسمة وذو الثدية كان رئيسهم واشار صلى الله عليه وسلم لقصته
في هذا فهو من معجزاته في اخباره بالمغيبات وقصة الخوارج مفصلة في التواريخ
ولهم عقايد باطلة وكان المعترض على قسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو ذو الثدية ولما قال ما قاله قال عمر رضي الله عنه دعني اضرب عنقه فقال
دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية وفيه نزل قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات
الاية وقد صبر صلى الله عليه وسلم على اعظم من السب والاذى فصبر لهم على
سحر الذي فعله اليهود كما مر وسمه اي سم المراة اليهودية له صلى الله عليه وسلم
في ذراع شاة اكل منها وقصة السحر والسم تقدمت وهي لشهرتها غنية عن البيان
وهو اي ما صبر عليه مما ذكر اعظم في الاذية له من سبه اي سب اليهود له تعريضا
كما مر حتى نصره الله عليهم واذن الله له صلى الله عليه وسلم بعد ما امره
بالعفو والصفح عنهم في قتل من عينه منهم اي ممن سبه واذاه من المنافقين
واليهود وعينه بفتح العين المهملة وتشديد اليا المثناة التحتية ونون وها
الضمير اي بين عينه وشخصه مثل كعب بن الاشرف وفي نسخة حينه بحا مهملة
مكان العين اي قتله واهلكه من الحين بفتح الحا وهو الهلاك وفي اخرى خيبه
بخا معجمة وبا موحدة مكان النون اي اظهر انه خايب خاسر ربا فتفضاحه وكاده
في الدارين وانزلهم من صياصيهم اي اخرجهم من حصونهم وقلاعهم ومساكنهم
العالية فيها وكل ما يتحصن به من الاعدا يسمى صيصية بصادين مهملتين
مكسورتين ومثناتين تحتيتين اولاهما ساكنة والثانية مفتوحة خفيفة
ويقال لقرن البقر وشوكة الديك كما قاله الراغب والذين انزلهم من حصونهم
بنو قريظة كانوا عاهدوه صلى الله عليه وسلم ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه
عدوا فلما تجمعت الاحزاب نقضوا العهد وكان ابن اخطب من بني النضير اتى
كعب بن اسد القرظي رئيس قريظة الذي عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما اتاه ابن اخطب قفل باب حصنه فناداه افتح فقال اذهب فانك مشوم
وقد عاهدت محمدا عهدا لا انقضه وانه يفي بعهده فلم يزل يحتال عليه حتى ادخله
حصنه ولم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى نقض عهده فلما بلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث السعدين مع جماعة لينظروا اهل
نقضوا عهدهم ام لا فلما اتوهم وقالوا لهم نبذتم عهد رسول الله قالوا
من رسول الله وشتموهم فاتوه عليه الصلاة والسلام فاخبروه
بخبرهم وانهم ظاهروا ابا سفيان فاتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام

من صياصيهم ح

وقال لهم انهضوا لبني قريظة فاتى بزكيتهم في زلزال وبلبال فاتاهم ونازلهم وناداهم
يا اخوة القردة والخنازير كما ياتي فقالوا يا ابا القاسم ما كنت فحاشا فنزلوا على حكم
سعد بن معاذ رضي الله عنه لحلف كان بينه وبينهم فظنوه يتلطف بهم فحكم
فيهم بقتل المقاتلة منهم وسبي الذرية وان يعطي عقارهم المهاجرين دون الانصار
لانهم لا عقار لهم اذ ذاك فقال صلى الله عليه وسلم قضي فيهم بحكم الله فاتي
بهم سوق المدينة وضرب اعناقهم وهم قريب من تسعمائة وقذف في قلوبهم الرعب
اي القى الله في قلوبهم الخوف من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه مما نصر الله
به فقال نصرت بالرعب وكتب اي قدر الله على من شاء منهم الجلا بفتح الجيم ممدود
اي خروجهم من بلادهم واصله بمعنى الكشف الظاهر يقال جليت القوم من
منازلهم فجلوا اي ابرزتهم وتغيبتهم فقوله واخرجهم من ديارهم عطف تفسير
والذين اجلاهم بنو النضير لما نقضوا العهد بهمهم ان يلقوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم حجرا فاخبره جبريل بذلك فقام من عندهم كما مر ثم رجع لهم
وحاصرهم اياما ثم القى الله في قلوبهم الرعب فسالوه صلى الله عليه وسلم ان يجليهم
ويبيح لهم مقدار ما يحملونه معهم فاجابهم وفيهم نزلت سورة الحشر فكان
احدهم يخرب بيته بيده كما قال وخرب بيوتهم التي سكنوها بايديهم وايدي
المؤمنين بهدمها وقطع اشجارها وهدم حصونهم حتى لم يبق باطراف المدينة
دار ولا ديار وهذا كله من الايات النازلة في حق يهود خيبر ومن قرب منهم
وكافحهم اي واجههم بالسب اي سب صريح تذليلا لهم وكذا باللعن الوارد
في القران والحديث تذليلا لهم ايضا فقال لهم يا اخوة القردة والخنازير
اي المشابهين لها في الخسة وقبح المنظر وان منهم من مسخ قردا وخنزيرا
كما قال تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وحكم فيهم بالتشديد مجازا
بمعنى سلط عليهم سيوف المسلمين اي سلط المسلمين بسيوفهم على من قتل
من بني قريظة واجلاهم اي اخرجهم والجلا اخراج جماعة مع اهلهم كما علم
مما مر من جوارهم لان ارضهم كانت مجاورة للمدينة الشريفة واورثهم
اي المسلمين ارضهم من مزارعهم وحدائقهم اي ملكها لهم كما مر وديارهم
اي مساكنهم واوطانهم واموالهم اي امتعتهم ودوابهم وكل منقول معهم
لتكون كلمة الله اي دينه وامره فيما تصرف فيه هي العليا اي نافذة وكلمة
الذين كفروا السفلى اي ملغاة مهملة فكانها مرمية على الارض فان قلت
كيف ينتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذاه فقد جاء في الحديث الصحيح
الذي رواه البخاري وغيره عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها انها قالت
فيه انه عليه الصلاة والسلام ما انتقم لاحد لنفسه اي لاجل حق له صلى
الله عليه وسلم في نفسه في شيء يؤتى اليه مبني للمجهول اي ياتي اليه احد
ويفعله ويواجهه به فلم يعاقب احدا على مكروه قط الا ان يكون ما فعله
واتى امرا تنتهك فيه حرمة الله ما يحترم ويراعى من حدوده واحكامه
اي يهان ويفعل بها ما لا يجوز وفي المصباح هتك الشيء هتكا بالغ فيه وهتكه

السلطان عقوبة اي بالغ فيهما والهتكة لغة فيه وانتهك الحرمة تناولها بما لا يحل انتهى
فان وقع من احد تعدي حدود الله فينتقم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لله اي لاجل الله لا لنفسه فهذا الحديث يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لا ينتقم
ممن اذاه او سبه وهو مناف لما تقدم فاعلم ايها السايل ان هذا المذكور في
الحديث من انه لا ينتقم لنفسه لا يقتضي اي لا يدل دلالة لازمة انه لا ينتقم
ممن سبه او اذاه او كذبه اي نسبه للكذب وقد فسلنا بيانه سعة لا
واما المراد بالكذب فيه فان هذه الامور المذكورة من سبه صلى الله عليه وسلم
واذيته وتكذيبه من حرمات الله لان اذية رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذية لله بمعنى انه لا يحبها كما ان طاعته طاعة لله ومحبته محبة لله بالنص
فهو حق مشترك بين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وانتقام رسول الله
تارة رعاية لحق الله وعفوه تارة رعاية لحق نفسه وهكذا الحقوق الشرعية
منها ما هو حق العبد ومنها ما هو حق الله ومنها ما هو مشترك وهو
على قسمين ما الارجح فيه حق العبد وما الارجح فيه حق الله وربما يتساويا
ولكل احكام ليس هذا محل تفصيلها فالمراد بقوله انه من حرمات الله انه
مما راعى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الله دون حق نفسه
فلا يرد عليه انه مشترك كما قيل ولا يرد عليه النصوص الناهية عن اذيته ابن اقبرس
صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله التي انتقم لها ممن صدرت منه لانه
راى رعاية حق الله فيها ارجح عنده كما في قصة كعب بن الاشرف ونحوه
وانما يكون ما اي الامر الذي لا ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب او سوء معاملة
معه لانه حقه فله العفو عنه وبينه بقوله من القول الذي يخاطب به او الفعل
الذي يفعلونه مما يتعلق به ويكون في النفل اي في نفسه وذاته الشريفة
والمال الذي يعطيه لهم من الغنايم كما تقدم في القسمة مما لم يقصد فاعله
وقايله به صلى الله عليه وسلم اذاه او بالفعل اذاه وادخل القول في الفعل
اختصارا لانه فعل اللسان لكن صدر عنه لجهل منه وغلظة طبع مما
جبلت وطبعت عليه الاعراب سكان البوادي الذين لا ادب لهم من الجفا
اي غلظة الطباع والجهل بحقوق الله وحقوق رسوله صلى الله عليه وسلم
وعدم معرفتهم باداب الصحبة او جبل عليه البشر كلهم من الغفلة التي
عليهم فان الناس قلما تخلو عنها وفي نسخة من الشفة كجبذ الاعرابي برد الله
صلى الله عليه وسلم وفي نسخة بازاره والمعنى واحد وجبذ وجذب ابن اقبرس
بمعنى وقيل جبذ مقلوب من جذب وقيل الصواب وانه رداية وهو
ما يكون على العاتق والظهر والازار ما يكون تحته في وسطه الاسفل وجذبه
يفضي لكشف العورة وصحة هذه الرواية يقتضي انه مجاز مرسل بمعنى الردا
ومطلق اللباس فالتخطية فيه خطا من قايله وقوله حتى اثر جذبه في عنقه
فرئيت ظاهرة عليه وقد ورد ايضا بهذا المعنى في كتب اللغة وكان بردا نجرانيا
غليظا وروي انه انشق من شدة جذبه وكرفع صوت الاعرابي لاحد

عنده

عنده حتى ناداه او حين كان يكلمه وهو ثابت بن قيس بن شماس كان جهير الصوت كما تقدم
لما نزل قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي لزم منزله فافتقده صلى
الله عليه وسلم فقال سعد بن معاذ انا اعلم علته وهو خوفه من الله لذلك وقيل
انما هي في وفد بني تميم لما نادوه من وراء حجراته صلى الله عليه وسلم وقيل هو
الاقرع بن حابس وقيل غير ذلك وجحد الاعرابي اي انكاره شراه صلى الله عليه
وسلم منه اي من الاعرابي فرسه التي شهد فيها له انه اشتراها خزيمة والاعرابي
هو سواد بن قيس المحاربي كما قاله الذهبي وقال الخطيب انه سواد بن الحارث
وفي السير ان تلك الفرس فرسه صلى الله عليه وسلم البيضاء واسمها المرتجز
او الظرب بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء واحد الظراب وهي الجبال الصغار سمي به
لقوته وصلابة حافره او لكبره وسمنه وهو الذي اهداه له فروة بن عمرو الجذامي
او غيره او النجيب فامضى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة وحده
وجعلها شهادتين كما مر وليس هذا قضاء بعلمه لعصمته صلى الله عليه وسلم
لان قوله في الحديث من شهد له خزيمة فهو حسبه يرده وهو من خصايصه
وخزيمة هو ابن ثابت الانصاري بن عمارة وهذا الحديث رواه البخاري وغيره
وفيه انه تبعه ليقضيه ثمنه وجعل الناس يساومونه فقال ان كنت مبتاعا فاشتر
والا بعته فقال له صلى الله عليه وسلم او ليس قد ابتعته منك فقال هلم
شاهدا فقال خزيمة انا اشهد فقال بم تشهد قال بتصديقك يا رسول الله
فجعل شهادته بشهادة رجلين وتمسك به بعض المبتدعة في قبول شهادة
من عرف صدقه مطلقا كما بينه الخطابي ورده وهو لاهم الخطابية
فرقة من الرافضة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه صلى الله عليه وسلم
وهما عايشة وحفصة او غيرهما كما تقدم والتظاهر الاتفاق على معاونة
كل منهما الاخرى بتصديقها فيما تقوله وهو من الظهر لاسناد كل منهما
للاخرى وكان مكثه صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش فسقته
عسلا فاتفقتا على انه اذا جا قالت له احد منكما ريح مغافير وهو صمغ
او صمغ كريه الرايحة وكان صلى الله عليه وسلم لا يحب الرايحة الكريهة للغاية
للملك فلما سمعه صلى الله عليه وسلم قال لا اعود كما فصل في التفسير والسير
واشباه هذا المذكور مما حسن التصفح عنه اي العفو واصله ان يميل صفحة
وجهه لجانب اخر فكني به عما ذكر لانه امر يعفو عنه ولم ينشا عن تهاون
وقصد تنقيص له وانما كان لامر اخر وقد قال بعض علمائنا اي علما المالكية
او اهل العلم مطلقا ان اذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل
مباح ولا غيره اما غيره فيجوز بفعل مباح لا يجوز للانسان فعله وان
تاذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى كما تقدم الكلام عليه ان الذين
يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة استدلالا باطلاقه
ما يوذي ولعنة فاعله في الدارين على انه كبيرة ومثل للمباح بقول بعض
ازواجه له صلى الله عليه وسلم كما مر وقد كان الناس يتحرون بهداياهم

ابن اقيرس
عوجي

يايم

يوم عائشة مرهم بالاهدا في بيت غيرها فقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في
عائشة فان الوحي ما نزل علي في لحاف امراة غيرها فلما علمن تاذيه تركن ذلك فهو
مقيد بمن لم يعلم تاذيه بالمباح وان علم فهو حرام كغيره وهو ظاهر ثم ذكر المص
هنا في بعض النسخ حديث البخاري لما اراد علي رضي الله عنه ان يتزوج بنت ابي جهل
على فاطمة الزهرا رضي الله عنها فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر وذكر
ما ياتي بقوله وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث فاطمة انها بضعة مني
بكسر البا اي قطعة لحم مني اي كقطعة من بدني يؤذيني ما يؤذيها هذا ترشيح
للاستعارة لان البدن كله يتالم بما يولم بعضه وفي نسخة ما اذاها الا واني لا احرم
ما احل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله وهي بنت ابي جهل
واسمها جويرية وقيل غيرذلك عند رجل ابدا فلا ينبغي نكاحها على بنت
حبيب الله والحديث يدل لعلي ان اذية غيره تحرم ايضا كاذية فاطمة وكذا
اذية احد اولادها والكلام عليه مفصل في شروح البخاري وفضائل اهل
البيت رضي الله عنهم او بكونه هذا المذكور وان قصد به الاذي مما اذاه به كافر
رجا صلى الله عليه وسلم بصيغة الماضي او مصدر منصوب وفي نسخة وجاوسيا
ما فيهما بعد ذلك الذي صدر منه من الاذية اسلامه فيعفو عنه استمالة له
حتى يدخل في دين الاسلام واذا علم ذلك جاز له صلى الله عليه وسلم العفو عنه
كعفوه عن اليهودي الذي سحره في قصته التي تقدم تفصيلها وانه لبيد بن
الاعصم فكان يرجوا اسلامه وعن الاعرابي الذي اراد قتله صلى الله عليه وسلم
وهو نازل تحت شجرة في بعض اسفاره كما تقدم وتقدم انه اسلم وكعفوه عن
اليهودية التي سمته الا انه اختلف في قتلها وقد قيل انه قتلها ببشر بن البرا
الذي مات من سمها ومثل هذا المذكور مما اوذي به مما بلغه وفي نسخة يبلغه
من اذية اهل الكتاب من اليهود والمنافقين الذين جاوروه بالمدينة كابن سلول
فصفح عنهم وعفا تكرما منه رجا استيلا فهم باستمالتهم للاسلام واستيلاف
غيرهم اي بسبب ما يبلغه من كرمه صلى الله عليه وسلم وعفوه كما قررناه
قبل اي قبل هذا فيما سبق في هذا الكلام وبالله التوفيق هذا اما دعا لنفسه
في ختم كلامه كما هو عادة المصنفين او هو تتمة لما قبله اي وما توفيق هولا
الايمان واستيلافهم الا بقدرة الله ولطفه او هما مرادان معا واعلم انه وقع
في بعض النسخ بدل قوله رجا اسلامه وجابوا وعاطفة بعدها جا وفعل ما من
من المجي فقال البرهان وتبعه بعض الشراح ان ظاهر عبارته تقتضي ان هولا
الثلاثة اسلموا اما الذي سحره صلى الله عليه وسلم وهو لبيد بن الاعصم فلا
استحضر خلافا في انه لم يسلم ولم يعلم من قاله الا ما هنا واما الاعرابي الذي
اراد قتله صلى الله عليه وسلم فهو غورث بن الحارث ولم يذكره احد في الصحابة
وقد قيل انه دعثور وتقدم ما فيه واما اليهودية التي سمته صلى الله عليه
وسلم فهي زينب بنت الحارث ولم يذكرها احد في الصحابة وذكر شيخي الحافظ
ابو جعفر الانصاري ان معمر بن راشد قال في جامعه عن الزهري انه قال انها

اسلمت

الله قد تركها ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال معمر كذا قال الزهري والناس
يقولون انه قتلها ولم تسلم لكن رايت في بعض النسخ رحمها بعد ذكر اسلامه بالراء
وهو الصواب والتي بعدها تصحيف انتهى

# فصل قال القاضي ابو الفضل

عياض المص رحمه الله تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه اي في حكمه وادبته
ولا يحتاج لاعادته والازراء به بتنقيصه وغمصه بغين معجمة مفتوحة وسكون الميم
وصاد مهملة بتلبيه ضميره صلى الله عليه وسلم والازراء افتعال من ازرى به اذا
احتقره وعابه فابدلت تاوه دالا لمجاورتها الزاي المعجمة كما بين في علم التصريف
وقيل الازراء العيب لغة قليل واكثر اهل اللغة فسروه بالعيب مطلقا باي وجه كان
وباي طريق وقع في حقه من ممكن وجوده او محال ممتنع عادة او عقلا وشرعا
والاول كبعض العوارض البشرية والثاني كنسبة الكذب ونحوه مما يمتنع شرعا
بدلالة المعجزة على صدقه صلى الله عليه وسلم فهذا المذكور وجه بين مما قدمه
ولا اشكال فيه ولا في حكمه من قتل متعاطيه الوجه الثاني في امور تتعلق بما
هو فيه لاحق به اي بما في الوجه الاول لكونه قريبا منه لشاكلته له
في البيان اي الظهور والجلا بكسر الجيم وفتحها اي الوضوح وهو ان يكون القائل لما
قال مما فيه نقص مما في جهته عليه الصلاة والسلام اراد في حقه وعبر بالجهة نتقاص
اشارة لتراهته عن الاتصال به فلله دره غير قاصد بما قاله للسب والازراء
والاستخفاف ولا معتقد له ولمحته ولكنه تكلم في جهته صلى الله عليه وسلم
بكلمة الكفر التي يكفر بها من لعنه او سبه او تكذيبه في شي مما جاء به او اضافة ما لا
يجوز عليه من نحو ما ذكر او نفي ما يجب له على امته من حقوقه وذلك كله مما هو
في حقه صلى الله عليه وسلم نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة وقد
عصمه الله عنها وعن سائر النقايص او مداهنة اي مداراة للكفرة في تبليغ
الرسالة او مداهنة للناس وهو في حكم بين الناس او يغض بغين وضاد مشددة
معجمتين اي ينقص نقصا قليلا من مرتبته اي شرف مقامه صلى الله عليه وسلم
او يغض ويطعن في شي من شرف نسبه وهو كما قيل
نسب كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا
او يغض من وفور علمه اي كثرته وزيادته او من زهده في الدنيا وامورها
او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها صلى الله عليه وسلم وتواتر الخبر بها عنه
بحيث يحصل اليقين بها فيتكلم بخلافها عن قصد لرد خبره صلى الله عليه وسلم
المتواتر قال ابن حجر وقوله وتواتر الخبر بها عنه اي لفظا وهو موجود خلافا
لمن زعم نفيه او معنى ولا نظر في ذلك خلافا لمن زعمه او ياتي بسفه اي خفة
عقل وسوء ادب من القول او قبيح من الكلام ونوع من السب في جهته اي في حقه
صلى الله عليه وسلم وان ظهر لمن سمعه بدليل ظاهر حاله انه لم يتعمد اي لم
يقصد ذمه بما قاله ولم يقصد سبه ولما كان مخالفة الظاهر غير ظاهرة قال

اما الجهالة اي لشدة جهل قايله حملته جهالته لما صدر منه مما لا يعرفه لقرب عهده
بالاسلام ونحوه او لتهور اي قلق وضيق صدر حمله على مقالته او سكر اضطر اليه وغيبة
عقل فلا يعرف هذا كانه وقلة مراقبة لله لكونه من اهل الخلاعة والفجور المعتاد
لهذا او زلل اللسان وعدم ضبط لسانه اذا تكلم يجري على عادته به وسبقه لسانه لمقاله
وتحرفه اي تجاوزه وتكلمه من غير تامل كما نشاهده من كثير من الجهلة والتهور
في كلامه التهور الخروج عن الاعتدال بحدة تعصبه ونحوه وكل شيء له مراتب
ثلاثة المحمود اوسطها التهور الاعتدال وما نقص منه تفريط وما زاد تهور
والمسله تقدم التباين بينهما ويتفرع فحكم هذا الوجه الذي يلزم شرعا حكم
الوجه الاول وحكمه كما تقدم القتل دون اي غير تلعثم بمثناة في اوله ولام
مفتوحتين وعين مهملة ساكنة ومثلثة مضمومة ومعناه اي توقف وتردد
في وجوب قتله شرعا يقال تلعثم في الامر اذا امكث وتراخي وقد يقال
تلعذم بذال معجمة بدلا او اصلا اي تبادر له بلا تامل فيه اذ لا يعذر
احد في الكفر بالجهالة فانه يجب عليه علم امور دينه وتعلمها ولا يعذر ايضا
بدعوى زلل اللسان وخطئه في مقاله ولا يعذر بشيء مما ذكره من الضجر
والتهور والسكر ونحوه مما سمعته انفا اذا كان عقله في فطرته اي ابتدا
خلقه وجبلته التي ولد عليها سليما من الافات وعنده من العلم ما يمنعه
من الوقوع في الكفر فلذا لم يعذر الا من اكره على الكفر فنطق به وقلبه مطمئن
بالايمان اي قادر عليه مذعن منقاد مصدق يقينا من غير ريبة فيه
وتردد والاكراه حمل الغير على ما لا يريد وهو ملجئ وغير ملجئ والكلام
عليه مفصل في كتب الفقه والاصول فاذا تكلم بكلمة كفر مكرها لم يكفر
وهذه رخصة من الله من بها على عباده المؤمنين وقوله اذ لا يعذر
بالجهالة مقيد بمن نشا مسلما في دار الاسلام فلو كان قريب عهد به او
نشا ببادية لم يخالط غيره عذر لانه يخفى عليه علم ذلك ولذا قال ابن حجر
بعد سياق كلام المص وما ذكره ظاهر موافق لقواعد مذهبنا اذ المدار
في الحكم بالكفر على الظواهر ولا نظر للمقصود والنيات ولا نظر لقراين حاله
نعم يعذر مدعي الجهل ان عذر لقرب عهده بالاسلام او بعده عن
العلما كما يعلم من كلام الروضة انتهى واقحم لفظ دعوى في قوله دعوى
زلل اللسان لان مراده انه اذا تكلم بذلك وشهد ظاهر حاله على فضله
ثم قال انما قلته زللا لا يقبل منه وقوله فلا يرد عليه ان الله رفع عن
هذه الامة الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه كما في الاية والحديث
الصحيح وكذا لا يعتد انكار ما تواتر بان يكون مما يعلم من ضرورة من
الدين كانكار وجوب الصلاة بخلاف ما لم يجحد احد بر وجانه صلى
الله عليه وسلم ونحوه وبهذا افتى من العلما المالكية الاندلسيون
نسبة الى الاندلس بفتح الهمزة والدال وضمهما اقليم معروف تقدم
بيانه على ابن حاتم مفعول افتى وتقدم بيان حاله في نفيه الزهد

عن

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يقتل قوله الذي قدمنا في هذا الباب
وقال محمد بن سحنون تقدم بيانه وبيان ابيه ايضا في الماسور الذي اسره الكفار يدا
الرب بسبب النبي صلى الله عليه وسلم في حال اسره في ايدي العدو الكفار اي في
دارهم ونص فهم يقتل هذا القول ابن سحنون ولا يعذر بكونه اسيرا الا ان يعلم تنفتر
بنون وصاد مهملة اي انه ارتد ودخل في دين النصارى او اكراهه اي يعلم انهم اكرهوه
على السب فمقوله يقتل اي من غير ان يستتاب فان ارتد ثم سب لا يقتل البتة بل
يستتاب فان تاب ترك والا قتل وكذا لو علم اكراهه لم يقتل ايضا فان لم يعلم ذلك
وقال كنت مكرها ففيه خلاف تنبيه قال البرهان رحمه الله في قوله الا ان يعلم
تنفتره الخ هذا الكلام ينبغي ان يسال عنه المالكية وينص عليه ليسال وهو مما لا اخفا فيه
وسببه انه وقع عنده تنصره بالبا الموحدة فظن انه معناه يعرف بالنصارى فلا يحوم
حوله الحمى المنيع بامر شنيع وانما هو بالنون فانه عند المالكية ان الاسير اذا ارتد وسب
وقذف ثم رجع للاسلام فهو في حكم المرتد كما بيناه ولو قيل انما مراده ان تفصيل هذه
المسلة لم يحضره وحسن الظن به كان ابقى الا ان يقال انه له راي فيه وهو بعيد
وعن ابي محمد بن ابي زيد صاحب الرسالة الامام المالكي المشهور لا يعذر احد بدعوى
زلل اللسان بكون نطقه به كما تقدم بيانه انفا في مثل هذا اي في قذف النبي صلى
الله عليه وسلم وقد يعذر في غيره وقال ابن حجر بعد ما مر عنه ويعذر ايضا فيما
يظهر بدعوى سبق اللسان بالنسبة لدرء القتل عنه وان لم يعذر فيه بالنسبة
لوقوع طلاقه وعتقه والفرق ان ذلك حق الله تعالى وهو مبني على المسامحة
بخلاف هذين وافتى ابو الحسن القابسي تقدم بيانه فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم
في سكره وغيبة عقله بانه يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في حال
صحوه الصحو عبارة عن حضور العقل وعدم غيبته بسكر وغيره ومحو السما
خلوها من الغيم المانع لظهور الشمس والكواكب وهذا مثله لستر السكر بالابخرة
المتصاعدة للراس بانارة الحرارة لها عقله والمرء اذا سكر غاب ولا يستر ما يضمره
ويخفيه عن غيره من خير او شر كما قيل
الراح كالريح ان مرت على عطر ٭ طابت وتخبث ان مرت على الجيف
والى هذا اشار المص بقوله وايضا فانه حد لا يسقطه السكر لانه متعمد بسببه فلا
يعذر به كالقتل والقذف وسائر الحدود لا تسقط بالسكر كما هو مقرر في الفروع
لانه ادخله على نفسه اي هو الذي شرب باختياره فسكر سكرا اوجبه فلا يعذر
كمن اغمي عليه او جن فهذا لانه لم يصبه ذلك باختياره فيؤاخذ به لان من شرب
الخمر على علم اي متيقن ذلك حتى كانه مشتمل عليه وفيه استعارة تبعية كقوله
تعالى على هدى من ربهم وازال عقله بسبب سكره بها اي بالخمر فانها معروفة سماعا وانها
مما ينكر منه من الافعال القبيحة فهو كالعامد القاصد لفعله بعد سكره لتعمده
المشروب الذي يعلم انه سببه وتعمد السبب كتعمد مسببه لما يكون بسببه من
كل جناية وامر منكر فلذا يؤاخذ به شرعا وعلى هذا اي ولاجل هذا المذكور
او على هذا القول الزمناه الطلاق فيقع طلاق السكران والعتاق اي عتقه في سكره

والقصاص اذا قتل في سكره والزمناة تشابه الحدود كحد القذف والزنا والشرب فقيل عليه
ان ظاهره ان غير الحدود ساقط عنه وليس كذلك فانه مؤاخذ بجميع اقواله وافعاله ابن افيترس
وليس كما قال فان بعض نصر فانه غير صحيحة ولا يلزم من مؤاخذته ان يكون مكلفا
وان نقل عن الشافعي فيه خلاف فان الصحيح كما قرره ابن الحاجب في اصوله انه غير
مكلف ولا يرد على قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى انه مكلف بالصلاة وقد نهي
عنها فان نهيه انما هو عن سكره وهو امر بازالة ما يمنعه منها كما انه مامور من عليه
نجاسة او حدث بها لاستلزامه ازالة مانعها ونحو كقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون
وهذا ليس خطاب تكليف وانما هو خطاب وضع كما قاله ابن الحاجب فلا اشكال فيه
اصلا ولا حاجة لما قيل عليه ولا يعترض على هذا المذكور من ان السكران يؤاخذ
بما صدر به عنه حال سكره لتعديه بتعاطي سببه بما رواه البخاري ومسلم
وغيرهما من حديث حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وسيد الشهدا
وقوله اي حمزة رضي الله عنه وهو سكران للنبي صلى الله عليه وسلم وقد جلس يشرب
وعنده دارم ناقتين لعلي يريد ان يحمل عليهما اذخر الحاجة له وعنده قينة تغنيه
الا يا حمز بالشرف النواء فخرج ونحرهما وجب سنامهما الباكلوه على شرابهم فاخبر
علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فجاءه فلما رآه حمزة رضي الله عنه
صعد نظره اليه وقال له هل انتم معاشر قريش لا عبيد لابي فكل ما لكم يحل لي
وهذا اقبح ما ينكر في حق النبي صلى الله عليه وسلم قال فعرف النبي صلى الله عليه
وسلم انه اي حمزة ثمل بفتح الثا المثلثة وميم مكسورة فتل لام اي سكران
زايل العقل ولذا افعل ما فعل وقال ما قال فانصرف صلى الله عليه وسلم
عنه ولم يؤاخذه بما قاله في سكره وهذا لا ينافي ما قدمه لان الخمر كانت
حينئذ اي حين اذ شربها حمزة غير محرمة على المسلمين حتى نزلت الاية فيها
فلم يكن في جنايتها اي فيما يجنيه شاربها اثم لعدم تعديه بتعاطي سبب
محرم وكان حكم ما يحدث عنها اي عن شربها والسكر منها معفوا عنه لحل
سببه كما يحدث من بعض الجنايات الحادثة من النوم اي بسبب النوم
وشرب الدوا المزيل للعقل وما يحدث عنه من الجنايات المامون اي الذي
يامن شاربه من ضرره وازالة عقله اذا ازال عقله من غير علم بانه يزيله
فانه اذا ازاله فوقع منه امر من الامور لم يترتب عليه لم يكلف بالنهي عنه
خطاب الوضع فلا فرق بينه وبين النايم في انه غير مكلف بضمان وجناية اصلا
وقيد بالمامون لان ما يعلم ضرره لا يجوز تناوله فان غاب به عقله فحكمه
حكم السكران وقد قيل عليه ان كلامه يقتضي ان علة عدم المؤاخذة ابن افيترس
كونه غير محرم دون غيبوبة العقل الذي هو مناط التكليف وكونه من
خطاب الوضع لابد له من دليل وهو كلام لا طايل تحته كما يعرفه من
له ادنى تامل وما قيل من ان الخمر وان لم تحرم حينئذ فالسكر حرام عوض
فقد قيل انه لم يصح نقله وان اشتهر فيه تامل وكون حمزة رضي الله عنه
ضمن لعلي ثمن ناقتيه او لم يضمن لا يهمنا هنا والقصة مفصلة في

الشروح

الشرح

# فصل الوجه الثالث

فيما وقع من سبه صلى الله عليه وسلم او اذيته وتنقيصه ان يقصد احد من
الناس الى تكذيبه صلى الله عليه وسلم اي يتعمد بنيته الى الكذب فيما قاله ه
وقصد يتعدى بنفسه وباللام والى كما في القاموس او يقصد تكذيبه فيما
اتى به اي فيما اوحي اليه وامر بتبليغه للناس او ينفي نبوته اي يقول انه صلى الله
عليه وسلم ليس بنبي او ينفي رسالته بان يقول ليس برسول من الله او وجوده
في زمن من الازمنة او يكفر به سوا انتقل بقوله ذلك الذي كفر به الى دين اخر بان
تهود او تنصر عن ملته ام لا اي لم ينتقل لملة اخرى فهذا كافر باجماع المسلمين
واصحاب المذاهب يجب قتله من غير خلاف وانما الكلام في توبته فلذا قال ثم
ينظر في حاله او مقاله فان كان مصرحا بذلك الامر الذي كفر به كان حكمه الجاري عليه
شرعا اشبه بحكم المرتد وانما جعله اشبه بالمرتد لانه لم يتعين امره وقوي الخلاف
في استتابته اي في انه هل يستتاب وتقبل توبته ام لا كما تقدم وعلى القول الاخر
القايل بانه يستتاب لا يسقط القتل عنه بتوبته لانه حد لا يسقط بالتوبة
كالقذف والسرقة لكنه يثبت له حكم المسلمين في ميراثه ودفنه في مقابر المسلمين
لحق النبي صلى الله عليه وسلم لان حق العبد لا يسقط بالتوبة وانما يسقط بها
حق الله ان كان ذكره بتنقيصه اي بنسبته لامر فيه نقص له صلى الله عليه وسلم
وهو اكمل الخلق واعظمهم فيما قاله هذا المذكور من كذب او غيره مما نسبه
له وان كان مستترا بذلك اي بما قاله من تنقيصه اي مخفيا لما قاله فهو افتعال
من الستر وفي نسخة مستسرا افتعال من السر والاسرار المقابل للاعلان كما هو
مقابل هنا للتصريح في كلامه ومن فسره بالستر وراى ذا سين فقد حرف واخطا
فحكمه حكم الزنديق الذي يظهر الاسلام ويبطن الكفر بخلاف المرتد لا يسقط قتله
التوبة عندنا اي في مذهب مالك رحمه الله كما سنبينه ونوضحه تفصيلا
لاحكامه فهذا مذهب مالك وفيه خلاف لغيره مفصل في كتب الفقه وقال
ابو حنيفة واصحابه كالامام محمد وابي يوسف وغيرهما من برئ بزنة علم
مهموز من التبري اي من تبرا من محمد صلى الله عليه وسلم بان قال انا بري
منه اي تارك له ولدينه غير معترف به ولا متبع ولا ممتثل لامره ونهيه
او كذبه اي قال انه كاذب فيما ادعاه وفي نسخ او كذب به فهو مرتد عن دينه
بمقالته هذه حلال الدم اي دمه هدر حلال اراقته وهو عبارة عن لزوم
قتله شرعا الا ان يرجع عما قاله فيتوب ويعترف بخلاف ما كان قاله اولا
فهو عنده حكمه حكم المرتد فتقبل توبته لقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف ولحديث اذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الخ واحكام
المرتد عندنا مفصلة في كتب الفقه غنية عن البيان وقال ابن القاسم عبد
الرحمن المصري الامام المشهور صاحب مالك في المسلم اي في حق الرجل المسلم
اذا قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بنبي او لم يرسل من الله للناس كافة

اولم يوح اليه فراد ووحي من الله وانما هو تنبي نعوله اي شي وامر افتراء على الله وهو صلى
الله عليه وسلم حماه الله مما ينطق عن الهوى وقد اتى بملته البيضاء النقية فمن قال
مثل هذا يستحق ان يقتل ويلعن في الدارين قال اي ابن القاسم ومن كفر برسول الله بانكار
نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين بان انكر وجوده كما تقدم
واما الكفار فحكمهم سياتي وقيد به لقوله فهو في احكامه بمنزلة المرتد يقتل ان لم يتب
وكذلك الحكم فيمن اعلن بتكذيبه اي اظهره جهلا فهو كالمرتد يستتاب اي تقبل توبته
فان لم يتب قتل وكذلك قال ابن القاسم فيمن تنبأ وزعم انه نبي يوحى اليه اي
يقتل ان لم يتب ومحل ذلك اذا زعم انه يوحى اليه بنزول الملك عليه والا فالذي
ينبغي انه لا يكفر كما قاله ابن حجر وقاله اي ذهب الى مثله من ائمة المالكية سحنون
تقدم بيانه وان المشهور ضم اوله وقد قيل الفاء تفتح وتكسر فهو مثل فعلول
او فعلول من السحنة وهي بشرة الوجه ولونه وهيأته وانه ممنوع من الصرف
للعلمية وشبه العجمة كما قاله ابو العلاء المعري في شرح ديوان البحتري وقال
ابن القاسم فيمن تنبأ انه كالمرتد سواء كان دعا الى ذلك اي الى متابعة نبوته
سرا كان او جهرا كمسيلمة لعنه الله وقال اصبغ بن الفرج هو اي من زعم
انه نبي يوحى اليه كالمرتد في احكامه لانه قد كفر بكتاب الله لانه كذبه صلى الله
عليه وسلم في قوله انه خاتم النبيين ولا نبي بعده مع الفرية على الله بكسر الفاء
اي الكذب عليه بقوله ان الله اوحى الي وارسلني وقال اشهب في حق يهودي تنبأ
اي زعم انه نبي وزعم انه ارسل من الله الى الناس ليبلغهم عن الله او قال وزعم
ان بعد نبيكم نبي سياتي من الله بشريعة فقال انه يستتاب كالمرتد ان كان
معلنا بذلك اي مظهرا له لا اذا اخفاه فان تاب ورجع عما قاله والا قتل
ان لم يتب وذلك اي قتله لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله الذي
نقلته عنه الثقات لا نبي بعدي اي لا يتنبأ احد بعد نبوتي ومفتر متعمد للكذب
فيما زعمه على الله في دعواه الرسالة والنبوة لانه يقول ان الله اوحى اليه فدخل
في ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وهذا الحديث رواه البخاري وقد قال
صلى الله عليه وسلم لعلي لما استخلفه على المدينة في غزوة تبوك وقال له
اتتركني في النساء والصبيان اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا
انه لا نبي بعدي واما عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فلم يتنبأ بعده
وانما يجيء تابعا له صلى الله عليه وسلم مؤيدا لدينه كما شرعه في اخر الزمان
اربعين سنة فان قلت ما تقول في قول الغزالي في كتاب الانتصار ان بعضهم اول
قوله خاتم النبيين بان معناه خاتم اولي العزم منهم ويكفي نقل القرطبي له قلنا
قال القاضي في الجواب عنه ان كتابه هذا عقده لبيان اقوال الملحدين فذكر هذا لينبه
على فساده وانه مما لا يلتفت له نعم تركه اولى من ذكره فان تعبيره بالنبيين دون
المرسلين مناف له وقال محمد بن سحنون تقدم بيانه من شك في حرف مما جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم عن الله اي في شيء مما اوحي به اليه وعبر بالحرف مبالغة
فهو كافر جاحد لشكه في الوحي المتواتر والجحد الانكار لما يعلمه عنادا او عتوا

ولا

ولا يرد على هذا من انكر البسملة في اول السورة فانه لا يكفر فقرائيتهما والمراد انكار ما لم
يختلف فيه واما ما ينقل عن ابن مسعود رضي الله عنه من ان المعوذتين ليستا من القران
فهو غير صحيح بالاتفاق وانما غلطوا فيه لعدم كتابتهما في مصحفه اعتمادا على شهرتهما
فان قلت فهل هناك جواب على تقدير الصحة قلت الجواب عنه انه لم يسبق الاجماع
عند انكاره على كونهما قرانا واما الآن فقد استقر وصارت قرائيتهما معلومة من
الدين بالضرورة فنكفر نافيهما عاميا كان او مخالطا للمسلمين وسياتي في اخر الكتاب عن
محمد بن سحنون هذا فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله ان يضرب عنقه الا ان
يتوب مع الكلام عليه بالبسط مما هنا وقال ابن سحنون من كذب النبي صلى الله عليه
وسلم اي نسبه للكذب او انكر شيئا مما جاء به كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن
ابي سليمان صاحب سحنون الذي تقدمت ترجمته من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان لونه اسود قتل لكذبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولون السواد يزري
فقيه تحقير واهانة له ايضا اذ لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم اسود وانما كان
ازهر اللون مورد الكما تقدم في حديث الحلية الطويل وقال بعض المتاخرين كلامه
يوهم ان مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته كفر يوجب القتل وليس كذلك بل لا بد
من ضميمة ما يشعر بنقص في ذلك كما في مسئلتنا هذه لان الاسود لون مفضول انتهى
وقد علمت انه لا فرق لان اثبات صفة له صلى الله عليه وسلم غير صفته لا تكون الا
مشعرة بنقص لان صفاته لا يتصور اكمل منها بل ما اثبت له غيرها كان نقصا بالنسبة
لها فالاعتراض حينئذ ليس في محله وقال نحوه اي مثل هذا ابو عثمان الحداد كان
اولا مالكيا ثم صار شافعيا وهذا الفقيه واسمه سعيد قال لو قال احد انه صلى الله
عليه وسلم مات قبل ان يلتحي صغيرا او انه كان مقره ومسكنه بتاهرت البارحة
بعدها مثناة فوقية مفتوحة والفوها مضمومة او مفتوحة وراء مهملة ساكنة
وتا مثناة فوقية اخرى وهو اسم فلاة او مدينة بنواحي تلمسان منها بكر بن حماد
التاهرتي وهي بالمغرب بها قوم من العرب نزلوها كما ذكره المسعودي في اخبار
الزمان وقيل انها نهاية العمور من العرب وقال انه صلى الله عليه وسلم
لم يكن بتهامة بكسر التاء اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز وقال ابن قرقول
انها ماخوذة من التهم بفتح التاء والهاء وهو الحرور وركود الريح او بمعنى التغير
من تهم الدهن اذا تغير ريحه سميت بذلك لتغير هوائها قتل من قال انه
صلى الله عليه وسلم مات قبل ان يلتحي او لم يكن بتهامة من الحجاز لان
هذا المذكور وان لم يتعين انه سب لكن هو نفي لوجود النبي صلى الله عليه
وسلم لنفيه صفته المعروفة قال ابن حجر وما قاله متجه لكن محله كما يعلم
من اخر كلامه فيمن طالت صحبته للمسلمين حتى ظن به علم ذلك وبه يعلم رد
ما نقله العز بن عبد السلام عن ابي حنيفة وقرره من انه من قال اومن
بالنبي واشك في انه المدفون بالمدينة او الذي نشا بمكة لا يكفر لانه وان
كان معلوما بالضرورة الا انه ليس من الدين لانا لم نتعبد به فيكون نجاحد
كجاحد بغداد ومصر انتهى ووجه رده ان الشك في ذلك من المخالط للمسلمين يستلزم

تضليل الامة وغير ذلك من العظايم في الدين وقال حبيب بن ربيع من ايمة المالكية تبديل
صفته المشهورة كوصفه بلون غير لونه ومواضعه التي كان مقرها بها كتهامة ومكة والمدينة
كفر قال ابن حجر وهذا يشمل انكار الحجر وكونه كان اولا بمكة واخرا بالمدينة وغير ذلك
مما يشاكله وهو متجه والمظهر له كافر لعله اذا قصده من لم يعذر في جهله به وفيه
اي في الكفر بما ذكر الاستتابة اي انه تقبل توبته والمسر له الذي لا يظهره لغيره
زنديق اي حكمه كالزنديق يقتل دون استتابة لانه باخفائه يدل على قصده
نفي وجوده ونفي صفاته المعلومة تواترا لكل احد

## فصل معقود لذكر بعض انواع ما يحتمل

بصدده الوجه الرابع من اقسام هذه المسئلة ان ياتي من تكلم به من الكلام
مجمل اسم مفعول من الاجمال وهو في اللغة مقابل للتفصيل ومنه جملة العدد
وفي اصطلاح اهل الاصول ما لم تتضح دلالته على مراد من تكلم به وهو المراد
هنا والمناسب لقوله وان ياتي بلفظ من القول مشكل وفي نسخة ويلفظ من القول
بمشكل والمشكل في الاصل ما له اشكال اي اشباه ونظاير وهو ايضا ما لا يظهر
معناه قال الراغب المشاكلة في الهيئة والصورة والند في الجنسية والشبه في
الكيفية والشيء اذا كان له اشكال يلتبس فالمراد ما فيه التباس بحيث يمكن
حمله بما يفهم منه على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى غيره ممن يمكن حمله
عليه او يتردد اي يشك في المراد به ما قصده المتكلم به من سلامته من المكروه
او سلامته من شره الذي لا يليق به صلى الله عليه وسلم وهو معطوف على
سلامته فهاهنا اي في المقام الذي يورد فيه ما يحتمل قصده وعدمه متردد
النظر بزنة المفعول اسم مكان اي محل التردد في حكمه اي نظر الحاكم فيه وحيرة
العبر بزنة عنب بعين مهملة وموحدة جمع عبرة وهو ما يعتبر ليستدل
به على غيره ومظنة بكسر الظا المشالة اي محل الظن الذي يظن فيه امر اقتضى
اختلاف المجتهدين في حكمه لاحتماله انه في حقه فيجري عليه حكمه من تنقيصه
او في حق غيره فلا يكون مقتضيا للقتل قايله فهو محل تامل ونظر ووقفه
معطوف على متردد استبرا بالمد اي طلب براة المقلدين لهولاء المجتهدين
يعني ان المجتهدين يعملون النظر في استخراج حكمه ويتحيرون فيه لاشكاله
عليهم والمقلد لهم يقف حتى يعلم حال من قلده فيتبعه ويبرا من عهدته
ليهلك من هلك عن بينة اي ليكون من حكم بكونه بمقالته قتله بدليل
واضح لان اراقة الدما لا يجازف فيها ويحيى من حيي امثلة حيي فادغم
عن بينة اي يكون حياة من لم يقتل بدليل ظاهر لانه لا ينبغي المسامحة
فيما يتعلق بمقام النبوة وحمايتها من طعن الطاعنين فيه وهو اقتباس
لبيان علة التردد والتوقف في الامور المشكلة فمنهم اي من المجتهدين
في مثل هذا من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم اي احترامه وصيانته
وحمى حمى عرضه اي صان عرضه وحمى الاول ماض كرمى والثاني بكسر الحا

اسم وهو ما يجب حمايته ورعايته والعرض كل ما يلزم رعايته من الصفات ويذم وضده
ويكون بمعنى الجانب والذات ايضا وفيه كلام لاهل اللغة طويل لا حاجة لنا به هنا اي
مع ان يهجم احد على مقام النبوة ولو بالاحتمال فان من حام حول الحمى يوشك ان
يقع فيه فخبر اي اقدم من غير فكر لا يقع على القتل اي الحكم بقتله وان احتمل كلامه وفيهم
من عظم حرمة الدم فلم يجسر على القتل ودرا بدال وراء مهملتين وهمز كدفع وزنا مفتوحتين صح
ومعنى الحد وهو هنا القتل بالشبهة فيما قاله لاحتمال عدم قصده لما يوجبه وهو
اشارة لقوله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات وهو حديث ورد بمعناه
لحديث ابن ماجه ادفعوا الحدود ما استطعتم وكذا هو في الترمذي وغيره واما هذا
اللفظ بعينه ففيه كلام في تخريج احاديث الهداية لابن حجر وبين الشبهة بقوله لاحتمال
القول الصادر منه لامرين احدهما يقتضيه والاخر يمنعه فعمل بالثاني احتياطا والشبهة
على انواع ذكرت في كتب الفقه والاصول وفي بعض النسخ وقتل الرجل المؤمن من الموبقات
اي المهلكات للقائل في الدنيا والاخرة لما ورد في الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم
قال لزوال الدنيا اهون على الله من قتل مؤمن بغير حق وقد اختلف ائمتنا يعني الفقهاء
المالكية في رجل اغضب غريمه يعني من له عليه حق طالبه به فقال له غريمه في حال
غضبه ومخاصمته له صل امر بالصلاة على محمد يريد به دفع غضبه بذكره صلى الله عليه وسلم
فقال له اي لغريمه الذي امره بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الطالب من
غريمه حقه الذي خاصمه لاجله لا صلى الله على من صلى عليه لتهوره وعدم
تدبره فقيل لسحنون اي استفتي في هذا القائل هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه
وسلم صريحا في غير حال الغضب لنفيه رحمة الله وصلاته عمن صلى عليه او شتم
الملائكة الذين يصلون عليه لدخولهم في قوله من صلى عليه قال سحنون لمن ساله
لا اي ليس هو كمن شتم هو لا اذا كان هذا القائل كائنا على ما وصفت اي ما ذكرته وحكيته
عنه ونا وصفت مفتوحة ضمير المخاطب من الغضب الذي اغضبه به غريمه لان الحدة
تحمل المرء على ان يصدر عنه ما لا يرضاه لانه لم يكن مضمرا اي ناويا في سريرته الشتم
وفي نسخة الشتم لاحد مما ذكر وانما سبق لسانه له من غير فكر وقد جرت عادة
الناس انهم يقولون عند الغضب صل على النبي ونحوه وقال ابو اسحاق
البرقي بالموحدة المفتوحة وسكون الرا المهملة والقاف ابراهيم بن عبد
الرحمن بن عمر بن ابي الغياض وتوفي سنة خمس واربعين ومائة واصبغ بن الفرج
تقدم بيانه لا يقتل هذا القائل لانه انما شتم الناس لا النبي صلى الله عليه وسلم
ولا الملائكة لان من وان عم يخص باعتبار متعارف الناس في قصد جنسهم دون
غيرهم ممن لا يخطر بباله في عرف التخاطب وليس ثم قرينة تصرف الشتم له صلى
الله عليه وسلم ولا الى الملائكة الذين يصلون عليه كما يأتي وقد يقال ان
المتبادر من قوله من صلى عليه الامر له او نفسه اذ صلى عليه لتسكين غضبه
فكانه قال ان صليت انا او انت لدفع الغضب فلا صلى الله عليك او علي وهو
في غاية الظهور وهذا الذي اجاب به البرقي واصبغ نحو قول سحنون الذي
ذكره يعني مؤداهما واحد لانه اي سحنون في قوله اذا كان انما لم يعذره

نعات

بالغضب اي بسببه في شتم النبي صلى الله عليه وسلم فانه لا عذر فيه لاحد ولكنه لما احتمل
الكلام المذكور عنده اي عند سحنون في اعتقاده لشتم الناس وما يوهمه من خلافه ولم
تكن معه قرينة فيما قاله دون حاله تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملايكة
يدخل لهم تحت من ولا مقدمه اي اي متقدم على كلامه يحمل عليها كلامه اي قرينة ولم
بانه قصد النبي او الملايكة بل القرينة الحالية في خصامه تدل على ان مراده الناس
الذي خصامه وكلامه معهم كما تقول العامة اي الملايكة والحداد بن عمير
هولا اي الملايكة ونحوهم لاجل قول الاخر وامره له صل على النبي فرد عليه بما يفيد
ان قصده بقوله لا صلى الله على من صلى عليه اي عليك او علي او على من عندي
ممن يعارضني ويريد دفع غضبي من غير استبعاد حتى منه فحمل قوله وسبه لمن يصلي
عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه فمن اين يخطر بباله عند المخاصمة النبي
او الملايكة وهو في غاية الظهور في عرف الناس هذا التاويل معنى قول سحنون الذي
تقدم وهو موافق بحسب المعنى لقول صاحبيه البرقي واصبغ وذهب الحارث بن مسكين
القاضي هو ابو عمرو المصري مولى مروان الثقة الحجة المحدث المالكي احتج له اصحاب
السنن وحمل لبغداد في محنة خلق القرآن فحبس الى ان تولى المتوكل فاطلقه وولاه
قضاء مصر فلم يزل قاضيا بها الى ان توفي في سنة مايتين وخمسين وعمره يزيد على
تسعين سنة وكذا ذهب غيره في مثل هذا القايل لا صلى الله الخ الى القتل لشموله
من ذكر من النبي والملايكة قال ابن حجر واللايق بقواعدنا الاول لان اللفظ ليس صريحا
في شتم الملايكة ولا الذات المقدسة وانما هو ظاهر في شتم نفسه ان صلى او غيره من الناس
ومع عدم التكفير يعزر التعزير البليغ وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل
قال كل صاحب فندق بضم الفا وتفتح وهو لفظ معرب معناه الخان الذي ينزله ابناء
السبيل والتجار والغربا والموذن زايدة او اصلية وفي عباب الصاغاني فندق
حمل شجر كالبندق وهو ايضا بلغة اهل الشام خان من هذه الخانات التي ينزلها
الناس وبلبنيه اصحاب الدول من اهل الحيزات قرنان بفتح اوله وزنه فعلان
او فعالة وهو ذم بمعنى الديوث وهو الذي يجمع الرجال الاجانب مع زوجته
او بعض محارمه كاخته وبنته ونحوهن وقال الزبيدي هو الذي يدخل الرجال
على امراته وقال الجوهري هو الذي لا غيرة له وهي متقاربة والقواد من يجمع
بين الرجال والنسا مطلقا جمعا حراما وكذا من يجمع بينهم وبين المرد والغرطبان
ويقال قلتبان الذي يعرف من يجمع بزوجته وبنت وفي معناها محارمه
ونحوهن وصاحب الفندق اي الخان كل من يجمع المال سوا كان له خان ام لا اي صاحب كل فندق صح
ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه ليمسك ويحبس
حتى يستظهر ويستفهم البينة اي بينا لهم عما قاله عن جملة الفاظه
اي بجميعها ليفهم منه مراده وما يدل على مقصده وما اراده هل اراد
اصحاب الفنادق الان اي الموجودين في زمنه فمعلوم انه ليس فيهم نبي
مرسل الان فيكون امره اخف من ان يقصد عمومه للموجودين وغيرهم ممن
تقدمه قال القابسي ولكن ارادة الموجودين الان بعيد لان ظاهر لفظه

العموم

العموم لان لفظ كل يقتضيه من عام لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين من الموجودين
ومن بعدهم ونوزع بعقله وقد كان فيمن تقدم من الناس من الانبيا والرسل صلى الله عليه وسلم
عليهم اجمعين من اكتسب المال وقد علمت ان صاحب الفندق كناية عمن له مال كبير اكتسبه
لانه لا يبنيه ويملكه الا من هو كذلك نحو كقولهم طويل النجاد بمعنى طويل القامة
قال القابسي وذم المسلم المعصوم لا يقدم عليه الا بامر بين فكيف بالانبيا عليهم الصلاة
والسلام وكيف يتجرا على الحكم بالقتل وما ترد اليه التاويلات اي تاويل ما يخالف الظاهر
لا بد من انعام النظر فيه وفي نسخة امعان وهما بمعنى والمراد تدقيق النظر واطالة
التدبر والتفكر يقال امعن النظر وانعمه واصله من امعن في الطريق اذا اجد وسار
سيرا طويلا هذا معنى كلامه في هذه المسالة رواه بمعناه دون لفظه وكانه يريد بهذا
انه غير ظاهر لانه احال علمه على ارادته وهو امر لا يطلع عليه وتفصيله بين ارادة
العموم وارادة اهل زمانه فيه ما لا يخفى ولذا قال ابن حجر بعده والظاهر ان
لفظه ليس صريحا في ذم الانبيا ولا سبهم فيكون بمجرد هذا اللفظ بل يعزر التعزير الشديد
وحكي عن الشيخ محمد بن ابي زيد القيرواني وقد تقدم مرارا فيمن قال لعن الله العرب
ولعن الله بني اسرايل ولعن الله بني ادم من غير تعيين لاحد منهم واسرايل لقب
يعقوب معناه عبد الله او صفوة الله وذكر انه لم يرد الانبيا منهم وقال لما انكر ذلك
عليه انما اردت الظالمين منهم دون الصالحين والانبيا والرسل منهم فقال ابن ابي زيد
انه يحكم بان عليه الادب اي التعزير والزجر لما في كلامه من الابهام بقدر اجتهاد السلطان
اي بقدر ما يودي اليه اجتهاده من ضرب وامر غيره دون القتل وهذا مبني على
قاعدة هي ان العام اذا ذكر من غير قرينة على الخصوص هل يصدق في قوله اردت
الخصوص فقيل يصدق اذا غلب على الظن انه لم يرده وفيه كلام في الاصول
ليس هذا محله وكذلك افتى ابن ابي زيد اي كما افتى في المسلة السابقة افتى
ايضا فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وهذا بظاهره يقتضي الكفر والقتل
لان الذي حرمه هو الشارع وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقال لم اعلم من
حرمه وسياتي حكمه مع ما بعده وهو قوله وافتى ابن ابي زيد فيمن لعن حديث
لا يبع حاضر معناه المقيم وهو يكون مفردا واسم جمع كالسامر لباد وهو
من ياتي من البادية كالبدوي ولعن الحديث لا معنى له الا لعن قايله او راويه
ولعن من جا به اي بالنهي عن بيعه والذي جا به قايله اولا او راويه وهذا مما
اختلف فيه فقيل انه حرام لتغرير صاحبه فانه ياخذه منه بثمن قليل ثم يبيعه
تدريجا باكثر وقيل انه نسخ وقيل الكراهة تنزيهية ومن ذهب الى حرمته
كبعض الشافعية شرط فيه شروطا من علمه بالنهي وكون المتاع مما تعم الحاجة
اليه وان لم يكن ماكولا والمعنى في النهي بما لتضييق على الناس والحديث في الصحيحين
وغيرهما مع اختلاف في بعض الفاظه ففي رواية لا يبع حاضر لباد وان كان اخاه
او اباه دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض انه كان يعذر بالجهل لقرب
عهده بالاسلام وقد علمت انه شرط عند القايل بحرمته وعدم معرفة السنن
جمع سنة اي الاحاديث الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم فعليه الادب

الوجيع الادب بمعنى التاديب وهو التعزير والوجيع بمعنى الموجع واسناده مجاز عقلي
وذلك انه هذا امر يقصد بظاهر حاله اي بسبب ظاهر حاله وما يظهر من كلامه ونحواه
سب الله لانه هو الذي حكم به واوجاه ولا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه الذي
جاء به وبلغه للناس وانما لعن من حرمه من الناس اي العلما المجتهدين الذين افتوا
بحرمته لما صح عندهم من الحديث وهو على نحو فتوى سحنون واصحابه من المالكية في
المسئلة المتقدمة في قول القايل لا صلى الله على من صلى عليه كما مر انفا قال ابن
حجر بعد كلام الملم وهو ظاهر ولا بد من تقييد لاعن محرم المسكر بان يكون ممن
يجهل ذلك ايضا او يعذر بالجهل به بان يكون قريب عهد بالاسلام ولم يكن مخالطا
للمسلمين والا فتحريمه معلوم من الدين بالضرورة ولو كان لعنه من جا بالحديث المذكور
بعد قول احد له هذا قاله النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك كان ذلك
كفرا ولا يقبل قوله ما اردته لان لفظه ظاهر في تكذيبه فليتب والا فليقتل
ومثل هذا المذكور في حكم هذه المسئلة ما يجري اي يتمشى ويقع في كلام سفها
الناس ممن لا تدبر عنده في اموره من قول بعضهم في مخاطبته لبعض فيما يقع
في مخاصماتهم يا ابن الف خنزير واراد بالخنزير من تقدم من ابايه واجداده
بطريق الاستعارة وابن مائة كلب اي رجل خسيس دني كالكلب وشبهه مما يصدر
عن سفها العوام من هجر القول بفتح فسكون معناه الفحش في المنطق والقبح
كما تقدم ومراده بالالف والمائة التكثير دون العدد فلا شك انه يدخل في مثل
هذين العددين اي الالف والمائة وفي نسخة العدد من ابايه واجداده جماعة
من الانبيا كنوح واسماعيل ويعقوب عليهم الصلاة والسلام ولعل نقص
هذا العدد المذكور وهو الالف والمائة منقطع الى ادم الظاهر ان معنى
منقطع منتهي قال في المصباح منقطع الشيء بصيغة البنا للمفعول حيث ينتهي
اليه طرفه نحو منقطع الوادي والرمل والطريق والمنقطع بالكسر الشيء نفسه
فهو اسم عين والمفتوح اسم معنى انتهى فقول بعضهم انه بمعنى متصل من
انقطع اليه ولم يركن الى غيره ومن ثم عداه بالى وليس بمعنى منفصل اذ
لو كان بمعناه عداه بعن انه تكلف لا تساعده اللغة والحامل له عليه
ما راه من عدم صحة معناه بحسب الظاهر والصواب ما سمعته اولا فينبغي
لما ذكر من احتمال دخول بعض الانبيا فيه وان الحامل على ذكره سفاهة قايله
الزجر عنه وهو المنع بعنف ولوم وتبيين ما جهله قايله منه ليزول عذره
فيقال له انه يدخل في كلامك بعض الانبيا فتب عنه ولا تعد لمثله وشدة
الادب فيه اي تاديب قايله بلومه وتقريعه او تعزيره ولو علم بالبنا للمجهول
اي علم الحاكم انه اي القايل قصد سب من في ابايه في سلسلة نسبه من
الانبيا على علم اي علم قايله بان فيهم انبيا فقصد دخولهم في عموم كلامه
لقتل لردته او حدا كما هو حكم ساب الانبيا واللام داخلة في جواب لو
وحاصل ما ذكره انه لا يكفر بهذا اللفظ وان شمل جماعة من الانبيا ما لم
يعلم انه قصد سبهم وما ذكره فيه ظاهر لان ظاهر هذا اللفظ المبالغة

في تبة المخاطب دون غيره لكن يعزر ويبالغ في تعزيره كما مر وقد يضيق القول في
نحو هذا اي يزاد في التشديد على قايله فيما لو قال احد من الناس لرجل هاشمي اي من
بني هاشم بن عبد مناف بن قصي جد النبي صلى الله عليه وسلم لُقِّب به واسمه عمرو
لهشمه رجلا ولانه كان يهشم الثريد لاطعام قومه كما فصل في السير لعن الله بني هاشم
فيه دخول النبي صلى الله عليه وسلم واهل بيته فيه دخولا متبادرا صريحا
فليس كالذي قبله ولذا اشتد على قايله وقال اردت الظالمين منهم والكفرة كابي لهب
وابي جهل ولا قرينة منه على تخصيصه بعد الاطلاق ولا قرينة تشهد له في دعوى
الخصوص ولو ظهرت القرينة ككون المخاطب من ظلمتهم درئ عنه الحد بالشبهة فلا يقال
انه مناف لما تقدم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم او من نسله
او من ولده من فاطمة او ولده من السادة الاشراف وينبغي تخصيص الولد بمن قرب
نسبه منه صلى الله عليه وسلم كالحسن والحسين والنسل بمن بعدهم فان عطف
المترادفين باو غير صحيح خلافا لابن مالك في تجويزه كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما
ووقع في بعض النسخ وولده بالواو ولا اشكال فيه على علم منه اي وهو يعلم ويتحقق
انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن قرينة قايمة في المسئلتين اي مسئلة
بني هاشم ومسئلة الذرية تقتضي تخصيصه ببعض ابايه مما ذكره من السب واخرج النبي
صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم بلفظ يخصه او يخرج من توجيه خطابه قال ابن
حجر وظاهر كلامه انه لا يقبل تخصيصه بارادة غير النبي صلى الله عليه وسلم من غير
قرينة وهو محتمل لعموم لفظه لكن الاقرب الى قواعدنا قبوله مطلقا لان اللفظ
بوضعه لا ينافي تلك الارادة لكن يبالغ في تعزيره وقد رايت لابي موسى عيسى بن
مناس بفتح الميم والنون المخففة والف وسين مهملة وما في بعض النسخ من كسر
ميمه لم يثبت وهو من اصحاب سحنون ومن اهل قيروان ويقال مياس بمثناة تحتية
فيمن قال لرجل يخاصمه ويشاتمه لعنك الله والى ادم انه ان ثبت عليه ابن الفيري
ذلك القول قتل لدخول بعض الانبيا منه كنوح عليه الصلاة والسلام وقيل
الظاهر انه يؤدب ولا يقتل لاحتمال ان يريد ان اللعنة تستمر عليه الى ان يلقى
ادم لاسيما ودخول الغاية غير متعين فتدبر وقال ابن حجر بعد كلام المص وقضية
قواعدنا خلافه لما قدمته من ان لفظه ليس صريحا في سب نبي لاحتماله الى ان يلقى
ادم في القيامة بل لو قال لعن الله اباه الى ادم كان عدم التكفير اقرب ايضا
ان ادعى ارادة غير الانبيا منهم لاحتمال ما ادعاه وعدم صريح يدل على خلافه
ولا يقال كلامه بينا ولا ادم للخلاف المشهور في دخول الغاية انتهى قال القاضي
ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله وقد كان اختلف شيوخنا من علما العرب المالكية
فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء من الحقوق ادعى به عليه ثم قال ذلك
الشاهد له اي للمدعى عليه وقد اتهمه في شهادته تتهمني بحذف همزة الاستفهام
اي اتتهمني اي تنسب لي سوءا وامرا يقتضي عدم قبول شهادتي والتهمة سوء
ظن كما تقدم فقال له الاخر المشهود عليه الانبيا يتهمون بمعنى المجهول
اي ينسب لهم التهمات وهذا مقول القول فكيف انت اي انت اولى بان تتهم

لبعد مقامكم عنهم وكيف استفهام انكاري استبعادي نحو كيف تكفرون بالله فكان شيخنا
الامام ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر تقدمت ترجمته يرى قتله اي يعتقد وجوبه لبشاعة
ظاهر اللفظ اي قباحته بحسب الظاهر المقتضي لانهم وقع منهم ما يقتضي سوء الظن
لهم وبشاعة بموحدة وشين معجمة وروي شناعة بمعجمة ونون وهما متقاربان
قيل وتعبيره بالمضارع في يتهمون الدال على الاستمرار التجددي هو المستبشع
ولو عبر بالماضي لم يكن فيه كبير استبشاع لانه قد وقع اتهامهم من جهلة الكفرة
الفجرة وان احتمل انه لحكاية الحال الماضية من اتهامهم بالكذب والسحر وغيره وكان
القاضي ابو محمد بن منصور اسمه عبد الله بن محمد بن منصور ومنصور جده عبد الله
ابن محمد بن منصور بن ابراهيم بن قاسم بن منصور اللخمي ولد سنة ثمان وخمسين
واربعمائة وتوفي في شعبان سنة ثلاث عشر وخمسمائة وهو امام محدث مالكي
المذهب يتوقف اي تردد عن القتل فلا يقدم على الحكم به لاحتمال اللفظ المذكور عنده
ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار الذين اتهموهم بما لا يليق بهم كمن كذبوهم
وهذا اخبار بما وقع وقائله لا يعتقد ما قالوه قال ابن حجر وهذا الثاني هو الاوجه
وافتى فيها اي في هذه المسئلة المتقدمة قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو
هذا الذي افتى به ابن منصور من التوقف فيه وهو محمد بن احمد بن خلف بن ابراهيم
التجيبي المالكي العلامة المحدث الشهيد ولد سنة ثمان وخمسين واربعمائة
وقتل وهو ساجد بجامع قرطبة قتله رجل مجنون يقال ضربه بسكين في خاصرته
فقتله ودفنه في الموضع الذي قتله فيه العامة سادس عشرين من شهر رمضان
ودفن بعد العصر في مشهد عظيم وليس ابن الحاج هذا صاحب المدخل وشدد القاضي
ابو محمد بن منصور المذكور انفا تصفيده اي جعله في صفد وهو القيد يقال صفدته
وصفدته بالتشديد اذا قيدته واصفده اذا اعطاه ففرق بين المعنيين وقيل
الصفد في العطية ماخوذ من القيد كما قيل ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا وفيه
كلام فصلناه في حواشي البيضاوي واطال سجنه بفتح السين مصدر ويجوز
كسرها بتقدير مدة سجنه ثم استحلفه بعد بالضم اي بعد تصفيده وسجنه
حلفه يمينا على تكذيب ما شهد به عليه اي امره ان يحلف على انه ما قال ما نسب
اليه اذ دخل في شهادة تعرض من شهد عليه بصدد هذا القول منه ووهن
اي ضعف حلفه وهذا احتياط في حق النبوة والا فكونه اخبارا عما وقع من
الكفرة من غير اعتقاد لما قالوه وهو امر واقع يكفي في عدم استحقاقه للقتل
ثم اطلقه لحكمه ببراءته مما نسب اليه وشاهدت شيخنا اي عاينت وانا حاضر
عنده ابا عبد الله الامام محمد بن عيسى بن حسن التميمي ولد سنة تسع وعشرين
واربعمائة وتوفي سنة خمسين وخمسمائة صبيحة يوم السبت لعشر بقين من
جمادى الاخرة كما تقدم ايام قضائه اتي برجل ادعي عليه عنده هاتر وفي
نسخة بهاتر والمهاترة السفاهة في القول يقال تهاتر الغبيان اذا تقاحشا
في القول من الهتر بفتح الهاء وكسرها وهو الباطل والسقط من الكلام
وهاتر وهتر اذا لم يبال ما صنع وما قال وقيل هو بالفتح تمزيق العرض

وبالكسر

ابو ذري

والكس السقط من الكلام والنها تردوع من الحمق والجهل وهو ايضا العجب والداهية رجلا
اسمه محمد والمراد انه خاصمه ثم قصده اي توجه الى كلب كان قريبا منه فضرب برجله وقال له قم
يا محمد وقصد بذلك تحقير خصمه المسمى بهذا الاسم لكن لمشاركته له صلى الله عليه وسلم
في الاسم لا ينبغي ذكره لايهامه ما لا يليق فانكروا ان يكون قال ذلك الذي نقل عنه وشهد عليه
باثبات ما انكره لفيف من الناس اي جماعة اجتمعوا ليشهدوا عليه بما وقع منه قال
تعالى وجئنا بكم لفيفا اي منضما بعضهم الى بعض من لفه اذا طواه فامر القاضي ان
يمضى به الى السجن ليحبس فيه وتقصي بفتح التاء الفوقية والقاف والصاد المهملة
المشددة قبل الف اي سال عن حاله في دينه والتقصي هو البحث والتفتيش الشديد
كانه بلغ اقصاه قال ابو تمام يا صاحبي تقصيا نظريكما وانه هل يصحب
احدا ممن يستراب بدينه اي من الناس ريبة وشك في دينه ممن يتهم بالالحاد فان
الرعلي دين خليله فان كان كذلك يعلم انه قصد بكلامه حقيقته فاكثر السؤال عنه
وعمن يخالطه فلما لم يجد ما يقوي الريبة من حاله وحال اصحابه ممن يتهم باعتقاده
ضربه بالسوط تعزيرا له وزجرا عن العود لمثله والحلقة قال ابن حجر وما دل عليه
كلامه من عدم كفره بذلك هو الصواب

## فصل الوجه الخامس

من اقسام ما نحن بصدده ان لا يقصد بكلامه الذي اتى به نقصا اي ما يدل
على امر ينقصه ولا يذكر عيبا اي امرا معيبا قبيحا ولا سبا اي ما يسب به
ولكنه ينزع اي يميل ويلمح من قولهم نزع الى وطنه يقال نازعته نفسه الى كذا
اي مالت له ميلا شديدا كما قاله الراغب وغيره بذكر بعض اوصافه صلى الله عليه
وسلم او يستشهد ببعض احواله التي كانت له صلى الله عليه وسلم اي ان ياتي
بها شاهدا اي نظيرا لامر وقع له الجايزة عليه في الدنيا فنبه به لان ما لا يجوز
عليه نقص له على طريق ضرب المثل بحاله وتمثيله به ليقاس عليه غيره او الحجة
لنفسه او لغيره ليتاسى به لقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
او على طريق التشبيه به صلى الله عليه وسلم ان التشبه بالكرام فلاح او عند
هضيمة وفي نسخة عظيمة اي واقعة عظيمة والهضيمة من الهضم واصله كما قال
الراغب شدخ ما فيه رخاوة ثم استعير للظلم والجور قال تعالى لا تخاف ظلما
ولا هضما اي مظلمة ما لته اي اصابته او غضاضة لحقته اي تنقيص تعالى
غض منه اذا انقصه ليس على سبيل طريق التاسي اي الاقتداء به في مثله ولا
على طريق التحقيق لاتصاف النبي صلى الله عليه وسلم به على مقصد الترفيع
اي التعظيم لنفسه ان كان ذلك وقع له او لغيره ممن وقع له او يذكره على
سبيل التمثيل به وجعله مثله فيما اتفق له وعدم التوقير لنبيه صلى الله
عليه وسلم لتشبيه نفسه به واين الثريا واين الثرى او على قصد الهزل
واللعب سفاهة منه والتندير بقوله بمثناة فوقية ونون وبدال وراء
مهملتين اي الاتيان بامر نادر شان وقوعه فيذكره على سبيل التندير

لا التشهير والترفع وقيل معناه الاسقاط اي اسقاط حرمة مقامه وقيل انه
بمعجمة بمعنى التكلم بما فيه تعييب وتشهير وفيه نظر والظاهر انه بالموحدة والدال
معجمة بمعنى السفاهة واللغط بما لا يليق به كقول القايل ان قيل في السوء
فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم وفيه سوء ادب لا يخفى او ان كذبت اي نسب
لي الكذب فقد كذب الانبيا وهذا فيه تسوية لنفسه بهم وان اذنبت اي وقع
مني ذنب وخطيئة فقد اذنبوا وهذا اسوء ادب منه فانهم عليهم الصلاة والسلام
معصومون ولو قيل بتجويزه على غير الصحيح فذنوبهم حسنات بالنسبة لغيرهم
فهذا اجهل من قايله او انا اسلم من السنة الناس اي من طعن السنتهم وعيبتهم
ولم تسلم منهم انبيا الله ورسله فكيف نعيرهما وقد صبرت على ما ابتليت به
كما صبر اولوا العزم من الرسل تقدم بيانهم قريبا فانا حقيق بالصبر او
اني صبرت كصبر ايوب عليه الصلاة والسلام وتقدم بيان ما صبر عليه او وقد
صبر نبي الله على عداه بكسر العين جمع عدو وحلم بزنة علم من الحلم اي عاملهم
ع ما وقع منهم بالحلم والعفو عنهم على اكثر مما صبرت انا عليه ففي كل هذا
من ترك الادب ما لا يخفى قال ابن حجر ميل كلامه بل صريحه عدم الكفر في هذه
المسايل وهل يحرم ذلك الذي يظهر انه ان قصد به الترفع وانه شاركهم في
اصل هذه الفضايل كان حراما شديد التحريم وان قصد هضم نفسه على
طريق المبالغة بمعنى انه لا نسبة لي باتباعهم وقد وقع لهم ذلك فوقوعه لي
اولى لو يكن حراما اوما هذا يحمل ما وقع لبعض الاكابر من استشهادهم على ما حصل
لهم بنحو هذه الكلمات في خطب كتبهم وغيرها نعم قوله ان اذنبت فقد اذنبوا
شديد التحريم لا يجوز الاستشهاد به بحال وقال بعض المالكية من قال ان
كان قيل في حقي او حق فلان او ان جرى له كذا فقد قيل في حق الانبيا او
جرى لهم حرم عليه اطلاق ذلك لان ما انتقص به يصدق للانبيا فيؤدب
وفهم بعضهم من كلام المص هنا انه يكفر بذلك وليس كما فهم وليس في هذا هنا
ما يوافق القول بالتكفير لا تصريحا ولا تلويحا وليس لمن قال به دليل وتعليله
بان القصد التشبيه والانتقاص فاسد اذ لا يقصد ذلك من في قلبه اسلام
بل المراد كيف لا يتكلم في حقي مثلي وقد تكلم في الاكابر قال بعض المتاخرين بل
اطلاق التحريم في ذلك عجيب مذهبا منظور فيه انتهى والوجه عدم التحريم
حيث كان المراد ما ذكروا اطلق انتهى ملخصا ثم استطرد بما وقع من هذا القبيل
لبعض الشعرا فقال وكقول المتنبي ابو الطيب احمد بن الحسين الشاعر المشهور
وشهرته تغني عن ذكره وترجمته مستوفاة في التواريخ انا في امة تداركها الله
غريب كصالح في ثمود الامة اقوام في ازمان نبي بعث اليهم ويكون بمعنى
الجماعة مطلقا ومعنى تداركها الله ادركها بلطفه او بهلاكه ثمود دعا لهم او
عليهم وصالح نبي الله ثمود امنه والغربة الخروج عن الاهل والوطن فاتفلو
لعدم المناسبة والالفة كما يقال الكريم غريب بين اهله وهو على طريقة الشعرا
في الادعا قال ابن حجر وكلامه محتمل لقصده تشبيه حاله في الغربة بحال صالح

فيكون

فيكون من قصد التوزع او التشبيه بحال من هو فيهم بحال ثمود من المشاقة وعدم الطواعية
لا فيكون مستلزما للتوزع من حجا في سبهم وعلى كل هو غير كافر والبيت من قصيدة له وقيل انه
لقب بالمتنبي لهذا البيت وفيه اقوال اخر ونحوه اي نحو قول المتنبي هذا وما في معناه
مما وقع في اشعار المتعجرفين في القول الذي يعقد لونه والعجرفة تجاوز الحد والخروج
عنه والعجز فقد ارتكاب ما لا يليق من غير مبالاة به وروي في الشرح بدل القول بضم
النون ثم واو وكاف اي الحماقة المتساهلين في الكلام يقال تساهل وتسامح اذا لم
يتدبر ويتامل ما فيه ضرر لدينه او عرضه كأنه يعد الصعب سهلا كقول ابي العلاء
المعري نسبة لمعرة النعمان البلدة المشهورة وهو احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي
الشاعر المشهور وهو عفا الله عنه كان اعمى من بيت علم وعراقة ومرتبة
في الذكا وسعة العلم بالعربية وغيرها وفصاحته في النظم والنثر اشهر من قفا
نبك الا انه ممن اضله الله على علم كان متهما بالزندقة وكلامه في ديوانه لزوم
ما لا يلزم شاهد عليه لا يتردد فيه فكما اعمى الله بصره اعمى بصيرته ولولا خوف الاطالة
اوردت لك من كلامه درا وغررا

كنت موسى وافته بنت شعيب ❊ غير ان ليس فيكما من فقير

وهو من قصيدة له في سقط الزند اولها

ألق في نعمة بقاء الدهور ❊ نافذ الامر في جميع الامور بتيسير لقوله تعالى رب
اني لما انزلت الي من خير فقير وتوفي في سنة تسع واربعمائة ومما ينسب بسلي به
نفسه عن العمى

لو ابصرت عيناك هذا الورى ❊ لم ير انسانك انسانا

والانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يوصفون بالفقر ولا يجوز ان يقال النبي
فقير وقولهم عنه الفقر فخري لا اصل له كما تقدم على ان اخر هذا البيت
شديد في جراته عند تدبره وداخل في باب الازراء والتحقير لانه لم يرض لممدوحه
ان يكون مثل نبي الله اذ مراده لولا هذا استهتكت به ولتفضيل حاله غيره عليه
كما يعرفه من له المام بالادب قال ابن حجر ولا يستنكر قوله هذا الدال
على الازراء والتحقير لموسى صلى الله عليه وسلم على نبينا وعليه فانه كان
زنديقا كافرا وقد اتى في كثير من شعره بصرايح الكفر وقد تخلخل في زيادة
القبح والتصريح بالكفر في شعره ابن هانئ الاندلسي كما يأتي وكذلك قوله
اي المعري الذي ليس من تجافي الكفر في قصيدة اخرى

لولا انقطاع الوحي بعد محمد ❊ قلنا محمد من ابيه بديل

وهو من قصيدة له في سقط الزند مدح بها علويا اسمه محمدا اولها

نيس التجمل من دراك حلول ❊ والسير على حلب لديه رحيل

ومنع صرف محمد الثاني للضرورة وقال صدر الافاضل انه على مذهب
الكوفيين في تجويز منع الصرف بالعلمية وحدها كقوله بفوقان مرداس في

هو مثله في الفضل الا انه ❊ لم يأته برسالة جبريل

وفيه من ترك الادب ما لا يخفى فضلا البيت الثاني وهو نصفه الاول

من هذا الفضل لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي صلى الله عليه وسلم وحاشاه من
ان يرمى به من له اسلام اوذوق فانه كفر بغير لذة والعجز محتمل لانه اخف من صدره لوجهين
احدهما ان هذه الفضيلة اي اتيان جبريل له بالوحي نقصت الممدوح عن درجة
المشبه به فكانه قال لولا هذا قلت له انه مثله والوجه الاخر استغناؤه عنها هذا
ان قصد انه مثله وان كان كذبا فان قصد هذا فجعله اشد في كفره وجرفته وما كان
اغناه عن مثل هذا الهذيان ابن حجر فقال وانما لم يكن كفرا لان ظاهر قوله
الا ان الممدوح نقص لفقد ذلك فان اراد انه استغنى عن ذلك فلا يحتاج اليه
في المماثلة كان اقرب الى الكفر بل كفرا ونحو منه اي مثل ما ذكر قول الاخر في
الكفر ٭ واذا ما رفعت راياته ٭ خفقت بين جناحي جبرين
هو من قصيدة للاديب زيد بن عبد الرحمن بن معانا الاسيوفي المغربي من
شعر الذخيرة قال هو من شعراء غربنا المشاهير بلنبي عن ادب غزير يتصرف
فيه بصرف المطبوع عن المجيدين في شفوان شبابه وابتدا احاله ثم بزاجع
طبعه عند كماله وهو من قصيدة له في ابن حمودة تداولها القوالون لعذوبة
الفاظها وسلاستها اولها

البرق لايح من اندرين ٭ ذرفت عيناك بالدمع المعين
ولصوت الرعد زجر وحنين ٭ ولقلبي زفرات وانين
ومنها
ملك ذو هيبة لكنه ٭ خاشع لله رب العالمين
واذا ما رفعت راياته ٭ خفقت بين جناحي جبرين
واذا اشكل خطب معضل ٭ صدع الشك بمفتاح اليقين

والنون فيه ساكنة لانه يلزم اختلاف حركات الروي لوقوع بعضها مرفوعا
ومنصوبا ومجرورا ولولا ذلك جاز تحريكها لانه احد صروبه وقوله خفقت
اي تحركت واضطربت وهكذا رواه ابن بسام وفي نسخة مصححة صفقت وهو
رواية اخرى حسنة وفيه انه ليس فيه ذكره صلى الله عليه وسلم وما قيل
من انه فيه اجترا على ملك معظم وفيه ايضا انه ان قصد الهاراياته رفعت
للجهاد ونصرة الدين فصحبة جبرايل لها ليس فيه تحقير له وجبرين لغة في
جبريل وفيه لغات منها هذه ومن العجب ما قيل انه اذ اراد تثنيته
جبريل ففيه ما لا يخفى وان اراد افراده فهو في غالب النسخ بياين انتهى
وهو خلط وخبط عجيب منه وقول الاخر من شعرا اهل العصر فر من الخلد
واستجار بنا فصبر الله قلب رضوان وفيه تحرفة لجعله رضوان وهو من
الملائكة الزبين كانه يهوى هذا الحوري بحيث لا يقدر على فراقه ومثله
قول ابن النبيه ٭

ساق سهار ضوان عن حفظه ٭ ففر من جملة حور الجنان ٭
وقوله في حسن يوسف الا انه ملك ٭
فلا يباع بجنس النقد معدود ٭ والمراد المبالغة في وصفهم بالحسن لانه

دلجي

ابن اقبرس

يقاد

يقال لمن وصف بالحسن انه حوري وملك ومنه قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم
ندلس
ولقول حسان المصيصي بصادين مخففتين مهملتين نسبة لمصيصة بلدة بالا
وقيل يجوز فيه فتح الميم وكسرها وتشديد الصاد وتخفيفها وايضا مصيصي
ثغر من الثغور الشامية قال ابن بسام في الذخيرة هو الوزير الكاتب ابو الوليد
حسان بن المصيصي رفيق الوزير بن عمار من عظما الدولة العبادية وله اشعار
بديعة اكثر قصايده في مدايح المعتمد وله تصانيف جليلة ومعان رايقة كقوله
اذا المرء لم يزهد وقد صبغت له ● بعصفر الدنيا فليس بزاهد
من شعرا الاندلس تقدم انه اقليم وضبط لفظه في محمد بن عباد المعروف
بالمعتمد على الله على عادة الخلفا في الالقاب وقد تولى الخلافة بعد ان كان
قاضيا قال في الذخيرة القاضي بن عباد هو القاسم بن محمد بن ذي الوزارتين
ابن الوليد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن عمرو بن عطاف بن نعيم وعطاف هو
الداخل الى الاندلس وكان من اهل حمص وكان عباد يلقب بالمعتضد وابنه
يلقب بالمعتمد وحده ثم تغلب وتولى بعد ذلك الخلافة وله وقايع واموره
غريبة وفي وزير ابي بكر بن زيدون وابن زيدون هو ذو الوزارتين
الشاعر البليغ وكان مع ابن عمار فرسي رهان ●
كان ابا بكر ابو بكر الرضا ● وحسان حسان وانت محمد
اي كان وزيرك ايها الممدوح ابو بكر بن زيدون ابو بكر الصديق وكان
شاعرك حسان المصيصي حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهذا من جهله بمقام النبوة ومجازفته وان كان المشبه دون المشبه
به كما قيل
ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك ● فمن عادة التشبيه نقصان ما يحكي
لكن لا وجه للتشبيه بمن ليس له شبيه وللشراح هنا كلام تركه خير من ذكره
ولذا اضربنا عنه صفحا الى امثال هذا المذكور من الكلام وانما اكثرنا اي اتينا
بكثير منها لشاهدها المراد به ما يشهد لما ادعاه من ان الناس تبينا غلوهم
في امثالها بما لا ينبغي واما كون الشاهد ما يذكر لاثبات حكم والمثال ما يذكر
لايضاحه فكان عليه ان يقول بمثالها فامر اصطلح عليه اهل العربية
وليس مرادا هنا فليس ما ذكره شيا مع استثقالنا حكايتها اي عده ثقيلا
لما فيه من ذكر الانبيا عليهم الصلاة والسلام بما لا يليق بهم اي روايتها
وذكرها لتعريف الناس امثلتها اي امثالها بما يقع من امثالهم ولتساهل
كثير من الناس في التكلم بمثله فذكرها رحمه الله ليحذر الناس من مثلها كما
قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ● ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه
في ولوج اي دخول هذا الباب الضنك اي الضيق الذي لا ينبغي دخوله لمثله
دين واستخفافهم قادح هذا العيب اي عدهم له ثقيلا والقادح بقاف ودال
وحا مهملتين هو الفتيل [illegible] ذلك الحل ومعناه مهموز الاخر وقلة
علمهم بقطيع ما فيه من الوزر اي الاثم والخطيئة والمراد بالقلة العدم

وكلامهم بالجر معطوف على تساهل اي تكلمهم فيه اي في هذا الباب فيما ليس لهم به علم
من حقوق الرسل والملائكة عليهم الصلاة والسلام ويحسبونه هينا سهلا عند
الله وهو عند الله عظيم لانه من الكبائر وهو اقتباس من قصة الافك وقد اكثر
الناس منه لاسيما الشعراء فانهم ظنوه مبالغة في مدائحهم وتغزلاتهم وهو قبيح جدا
واشدهم فيه تصريحا اي الاتيان به مصرحا لرقة دينه وللسانه تسريحا اي اطلاقا
وارسالا قال تعالى او تسريح باحسان اي طلاقهن ومنه تسريح الشعر بالمشط
ولذا قال ابن نباتة فيمن يسرح لحيته

فليس يمسك امساكا بمعروف ۝ ولا يسرح تسريحا باحسان

وفي التصريح والتسريح تجنيس ابن هاني بن نية فاعل مهموزا الاندلسي وصفه به
لان ابا نواس يقال له ابن هاني ايضا وهو ابو الحسن او ابو القاسم محمد بن هاني
الاندلسي الاشبيلي ولد بمدينة اشبيلية ونشا بها واشتغل بعلوم الادب
والعربية ففاق فيها اهل عصره الا انه كان يميل لمذهب الفلاسفة ومن هنا
وقع له ما وقع حتى طعن فيه وديوانه مشهور في غاية البلاغة لكنه لا يخلو
من تكلف كالمعري وقد كتب عليه التيفاشي كتابا سماه الديباج الخسرواني في شعر
ابن هاني وارتحل لمصر ثم عاد منها فلما نزل ببرقة وجد ميتا لم يعرف من قتله
وكان ذلك في يوم الاربعاء لسبع بقين من رجب سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة
وسنه اثنين واربعين او ست وثلاثين وهاني نخلة من اهل افريقية من نسل
ابي صفرة الازدي وابو العلاء بن سليمان المعري الذي تقدم قريبا بيانه
وسليمان جده وهم ينسبون الى الجد اذا اشتهر كقوله صلى الله عليه وسلم
انا ابن عبد المطلب بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص اي
تنقيص من هو كامل والاستخفاف يخرج به عن التحقير وصريح الكفر لخوضهم
في حق الانبياء ونحوهم وقد اجبنا عنه كما بينه فيما تقدم وعرضنا اي قصدنا
الكلام في هذا الفصل فيما وقع للشعراء ونحوهم الذي سقنا امثلته قريبا بغير
شيء منه له فان هذه الامثلة كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة
والانبياء نقصا اي ما ينقص مقامهم ولست اعني بكلامي هذا الجزئي بيتي المعري
فقط بل جميع ما ذكر من الامثلة ولا قصد ما من معطوف على قوله اضافت قائلها
ازراء اي ازدراء ولا غضا اي نقصا لانه انما ضرب به المثل لامور ذكرها قبل هذا
فما وقر تعاف اي عظم النبوة ولا عظم الرسالة اي مقدارهما ووصف النبوة
بالتوقير والرسالة بالتعظيم تفننا واشارة الى ان مقام الرسالة لظهوره
لهم اليق بالتعظيم ولا غزر حرمة الاصطفاء عزز بمعجمتين بمعنى كثر
وقوي وحرمتها احترامها والاصطفاء اختيار الله لهم لرسالته واداء
امانته ولا عزز حظوة الكرامة بمهملة ومعجمتين اي جعلها عزيزة
محترمة والحظوة بضم الحاء المهملة وكسرها وسكون الظاء المعجمة بمعنى
القرب اي قربهم من الله بسبب كونهم مكرمين عنده بالرسالة حتى شبه من
شبه اي شبه احد الشعراء من شبهه من الممدوح في كرامة اي بسبب

وزاي مهملة مو

كرامة

كرامة نالها اي امر وصل له مما يكرمه عند مادحه او يشبه بسبب معرة امر يشق عليه
ويكرهه فصد الانتفا منها صفة معرة اي اراد التخلص والتبري منها او يشبه ممدوحه
بما لا يليق به نصرب مثل ببعض الانبيا او الملايكة لتطييب مجلسه اي لتطييب المجلس
او المجالسة والمجاورة معه او يقصد بما اشبه اغلا بالمعجمة اي غلو ومبالغة في وصفه
لممدوحه او لغيره ويريد بغلوه انه وسيلة لتحسين كلامه ممن عظم الله خطره بفتح
الخا المعجمة وطاو را مهملتين وهو القدر والمنزلة وشرف قدره كانبيايه وملا
وهو عطف تفسير والزم اي اوجب توقيره اي تعظيمه والتادب معه وبره اي صلته
بزيارة ونحوه والدعا له ورعاية من ينسب له ونحوه ونهي من راه عن جهر القول
له بقوله لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ورفع الصوت عنده اي
اعلاوه لما فيه من قلة الادب وعدم المهابة فحق هذا القايل من غير قصد لسب
وتنقيص لقدره بل لامر مما ذكر ان درئ بضم الدال وكسر الرا المهملتين فبل همزة
مبني للمفعول اي دفع عنه القتل فلم يقتل الادب اي التاديب بضرب او لوم
وزجر والسجن اي الحبس مدة بفتح السين وكسرها وقوة تعزيره بحسب
بفتح السين اي بمقدار شنعة مقاله اي قباحته ومقتضى قبح ما نطق به اي
بقدر قباحة لفظه الذي قاله وبقدر بتقديره براي الحاكم فيه وما لوف عادته
لمثله اي ان الفه واعتاده بتكرر صدوره منه كابي العلا المعري او ندوره
اي وقوعه نادرا قليلا فكثرته تدل على سو اعتقاده وعدم مبالاته بموقلته
تدل على انه خطا وغفلة من غير اعتقاد لها او قرينة كلامه القايمة على قصده
لاستخفاف ونحوه او لا او ندمه الذي يظهر على ما سبق منه في كلامه من غير قصد
لتحقير واستخفاف ولم يزل المنقد موجود من السلف وكبار الامة بنكير ورد
مثل هذا الكلام ممن جا به وقاله عندهم فليحذر الشاعر وغيره من ارتكاب
هذه القبايح الشديدة الوزر العظيمة الاثم فانها ربما جرت الى الكفر نعوذ
بالله من ذلك وقد انكر الرشيد هارون بن المهدي محمد بن منصور بن عبد الله
ابن عباس الخليفة المشهور على ابي نواس الحسن بن هاني بن عبد الاول بن الصباح
الحكمي الشاعر المشهور بالفصاحة والخلاعة ولد بالبصرة ونشا بها ثم ارتحل
لبغداد واتصل بالخلفا ومدحهم وتوفي ببغداد سنة تسعين ومائة سنة خمس
وقيل ست او ثمان وتسعين واحواله اعرف من ان توصف ونواس بضم
النون وفتح الواو ولا يهمز لانه سمي به لانه كانت له ذوابتان تنوسان على
راسه اي تتحرك ان في قوله في قصيدة مدح الرشيد بها ومنها
فان يك باقي سحر فرعون فيكم ۞ فان عصى موسى بكف خصيب
هذا بيت من قصيدة له في المديح اولها
وخصيب عبد للرشيد ولاه مصر وقيل في سبب توليه لها انه قرا
يوما ما حكاه الله عن فرعون اليس لي ملك مصر الاية فقال ما افتخر به
فرعون لاعطينه عبدا من عبيدي فولاه مصر وكان لابي نواس فيه
مدايح كقصيدته هذه وقصايد اخر منها قصيدة اولها

بكيته

انت الخصيب وهذه مصر ۝ فتدفقا فكلاكما بحر ۝

وفي هذا البيت حكاية لولادة ذكرها في قلايد العقيان والخصيب بخا معجمة وصاد مهملة من الخصب بكسر الخا ضد الجدب لقب له وهو معروف مشهور ومعنى البيت انه خاطب اهل مصر لما تولى عليهم فقال يا اهل مصر ان كان عندكم بقية من سحر فرعون فقد ولي عليكم امير المومنين من يبطله فاستعار سحر فرعون لكيدهم وتجبرهم على حكامهم وعصا موسى لسياسة حاكمهم وقمع ظلمتهم ففيه استعارة وتشبيه تمثيل بديع لكن فيه سوء ادب لما فيه من جعل العصا التي هي معجزة لرسول بكف عبد من عبيد الخلفا وجعل ذلك العبد كرسول من اولي العزم ومما يتعجب منه قول من لم يعرف معنى البيت ولم يقف على كتب الادبا ودوا وينهم ان المراد بخصيب رجل كثير الخير وانه هنا عبارة عن الرشيد نفسه وقال معناه ان اعدا امير المؤمنين الكفرة الذين عندهم بقية قليلة من سحر فرعون سحروا انها جيش امير المؤمنين الجواد الكثير خيره ستلقف جنوده ما صنعوا ويلغي كيدهم في نحورهم ثم اطال بذكر عصا موسى وما كان فيها من معجزاته فخبط بها هشيم معان لا وجه لها وزاد في الطنبور نغمة من قال كف منون وخصيب صفته وترك تنوينه لكثرة الاستعمال وتشبيه النون بحرف العلة وانه روي خصيب بمعجمتين واعجب منه قول القايل انه بخا وصاد معجمتين والكف الخصيب اسم نجم وكذا عصا موسى وهذا كله مما يقضي منه العجب ومثله في كلام البرهان ايضا ولولا ان من السكوت ما هو بلاغة لذكرنا كلامهم وكررنا عليه بالابطال لكني خشيت من السامة والملال ۝ وقال له اي الرشيد لابي نواس لما انشده البيت يا ابن اللخناء هذا مما تشتم به العرب واللخنا هنا امه من اللخن وهو النتن فاستعير للفاحشة او للمراة التي لم تختن اي يا دني الاصل ولييم الام انستهزي بعصى موسى تجعلها في كف عبد من العبيد وهي معجزة نبي عظيم وامر باخراجه وطرده من عسكره من ليلته التي انشده فيها قصيدته اي امر بالمبادرة لطرده من غير امهاله الى الصباح صونا لمقام النبوة ولكن ابو نواس لم يقصد بما ذكره سبا وتنقيصا واتبع الناس في قولهم لكل فرعون موسى قال القتيبي يعني عبد الله بن مسلم بن قتيبة وقد قدمنا ترجمته ان مما اخذ اي ذكر وعد عليه اي على ابي نواس وكفر فيه اي نسب فيه الى الكفر او قارب اي قرب من الكفر وان لم يكن كفر الشدة قبحه قوله في قصيدة في مدح محمد الامين اي ابن هارون الرشيد الذي استخلف بعد موت ابيه سنة ثلاث وتسعين ومائة وقصته مفصلة في التواريخ وكذا قصة خلعه وتشبيهه اي تشبيه ابي نواس للامين بالنبي صلى الله عليه وسلم في قوله في قصيدة طويلة مدحه بها وفيها تنازع

الاحمدان الشبه فاشتبها ۝ خلقا وخلقا كما قد الشراكان ۝

شبه تشابههما في الخلقة والاخلاق ببردا ومتاع تنازعاه اي جذبه كل واحد منهما او طلبه وهو عبارة عن شدة الشبه بينهما والاحمدان مثنى احمد بمعنى كثير الحمد وهما بزعمه الفاسد رسول الله صلى الله عليه وسلم

عوضي

تلمساني

ابن اقتريس

والامين

عوضي

الامين وَاراد ان يقول المجدين فلم يساعده النظم وقيل انه تغليب ولا وجه له ثم اكد
شدة تشابههما بقوله كما قد الشراكان فجعلهما كشراكين اي سيرين قطعا من جلد
اديم واحد بمقدار واحد فهما كشيء واحد لا يتميز احدهما عن الاخر وهذا كقولهم
هما كركبتي البعير وكالحلقة المفرغة وفيه من سوء الادب ما لا يخفى لتشبيهه
رجلا فاسقا سخيفا لعقد باكمل الخلق واجلهم عليه الصلاة والسلام وفي جعلهما
كالشراكين وهما يوضعان في النعال كفر على كفر وتشبيه بكسر فسكون بمعنى شبه
بفتحتين قال ابن حجر وهو وان كان في غاية القبح الا انه لا يكون كفرا على قضية
مذهبنا الا ان قصد المشابهة المطلقة وقد انكروا عليه ايضا اي على ابي نواس
كما انكروا ما قبله قوله في قصيدة اخرى هي من غرر قصائده اولها

ايها المنتاب من عفره ٭ لست من ليلى ولا سمره

ومنها ٭ كيف لا يدنيك من امل ٭ من رسول الله من نفره

خاطب نفسه على طريق التجريد اي كيف لا يقربك مما ترجيه وتامله كريم
منسوب الى اكرم الخلق وهو معنى حسن الا انه اساء في العبارة لانه جعل الرسول
اي رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يذكره من امنه وموجب تعظيمه
بفتح الجيم ويجوز كسرها اي ما يوجب الترغيب في تعظيمه وانافة منزلته اي
رفعها على غيرها ان يضاف غيره اليه فيقال هو من نفر رسول الله ولا يضاف
هو لغيره كما فعل ابو نواس قال ابن عبد ربه في العقد فالواجب في حق رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يضاف اليه ولا يضاف هو لغيره ولو اتسع متسع لكان
له مجاز حسن وذلك لانه كقول القائل من بني هاشم لغيره من افناء قريش منا رسول
الله يريد انه من القبيلة التي نحن منها كقول حسان رضي الله عنه

وما زال في الاسلام من آل هاشم ٭ دعائم عز لا ترام ومفخر
بهاليل منهم جعفر وابن امه ٭ علي ومنهم احمد المتخير

فقال اللهم كما قال هذا من نفر انتهى اقول يعني ان اللوم انما جاءه من قوله
من نفره لنفرة السمع عنها لكن من عرف نهج ابي نواس في الناس كلامه ديباج كلام
غيره من النقد ما عرف انه لا فرق بينه وبين حسان المذكور وانما نفروا من
نفره لانه بمعنى التابع والخادم وهو في كلام النقد مما يفتخر به من المنافع
وهي المفاخرة والعرب تفتخر بالآباء والقبائل وافتخارهم باحدهم امدح عندهم
فلو لم يقصد ما نحوا نحوه لكنه كما قيل اساء سمعا فاساء اجابة وقال ابن هلال
في كتاب الصناعتين انه تبع قول حسان

اكرم بقوم رسول الله شيعتهم ٭ اذا تفرقت الاهواء والشيع

تنبيه قال السهيلي في الروض الانف في رسالة المهلهل بن المزرع قال
علي بن الاصغر وكان من رواة ابي نواس لما عمل ابو نواس هذه القصيدة واتى بهذا
البيت وقع لي انه كلام مستهجن اذ حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضاف
اليه ولا يضاف الى احد فقلت له اعرفت هذا البيت فقال ما يعيبه الا جاهل بكلام
العرب انما اردت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذي هو الممدوح منه اما

سمعت قول حسان الكرام الخ وليس هذا بعجيب لانها اضافة تشريف لا لتعريف بخلاف قول ابي
نواس لانه ذكر واحدا واضاف اليه انتهى وقد عرفت ما فيه وقيل انه اراد بنفي منافرته
وتحرير ويد ذو نوع والاولى ترك مثله فالحكم في مثل هذا اي في قايله وفي نسخة في امثال
هذا ما بسطناه اي بيناه مفصلا مبسوطا في طريق الفتيا اي يفتي فيه بما يستحقه على
قدر شناعة قوله قال في المصباح الفتوي بالواو وبفتح الفاء وبالياء فتضم اسم من
افتى اذا بين الحكم واستفتيته سالته بيانه وهو من الفتى وهو الشاب القوي
وجمعه فتاوى بكسر الواو على الاصل ويجوز فتحها للتخفيف وعلى هذا المنهج اي
المسلك الذي سلكه جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس واصحابه هو مجاز عمن اقتدى
به في مذهبه وفي النوادر اسم كتاب في فقه مالك من رواية ابن ابي مريم هو ابو بكر
سعيد بن الحكم بن ابي مريم الجمحي المصري الحافظ الثقة روى عنه البخاري والستة
توفي سنة اربع وعشرين ومايتين عنه اي رواية عن مالك في رجل عير اي عاب
ونسب للعار رجلا بالفقر فقال الرجل تعيرني بالفقر بحذف الهمزة اي الفقير وهذا
وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم باجرة لاحتياجه فقال مالك رحمه الله
مجيبا لمن ساله قد عرض اي نقص تعريضا بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير
موضعه لتمثيله له بحال غير بها ارى ان يؤدب اي يعزر لينزجر غيره عن مثله قال
مالك ولا ينبغي لاهل الذنوب اي من صدر منهم ذنب اذا عوتبوا على ذنوبهم بعذرها
ان يقولوا اعتذارا عما صدر منهم قد اخطات الانبيا قبلنا فشبه نفسه بالانبيا ونسب
الانبيا الصدور الذنوب منهم وكلاهما مما لا يليق التكلم به وقد يؤدي الى القتل لانه
ردة وهم معصومون من الذنوب كبايرها وصغايرها كما مر وما نسب اليهم حسنات
لغيرهم ولو سلم فهو مغفور فكيف يجعل ذنوب غيرهم كذنوبهم فمثله لا يصدر ممن
يعرف مقامهم وقال عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموي العادل الذي تقدمت ترجمته
لرجل انظر لي كاتبا يكون ابوه عربيا انظر هنا بمعنى ابغني به وعلى هذا اجرى الاستعمال
فهو مجاز او كناية ومراده كاتب يكتب في الديوان وشرط ان يكون عربيا ليكتب كتابة
صحيحة ويعرف احوال الناس فقال له كاتب له قد كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم
كافرا انما اجابه بهذا وهو لم يقل له مسلما لان الكتبة في العصر الاول كانوا من الروم
والعجم نصارى وصابيه لمعرفتهم بالحساب لانهم اهل كتاب فقال عمر له اي للكاتب
الذي اجابه بهذا اجعلت هذا الذي قلته مثلا اي جعلت كون ابي النبي صلى الله
عليه وسلم مثلا وشاهدا لك على انه لا يشترط في الكاتب العربية والاسلام وتحقير
ابي النبي صلى الله عليه وسلم ولو سلم كفره فما فيه تعريض باذية النبي صلى الله عليه
وسلم فسقط ما قيل انه حماقة وجهالة اذ لا مناسبة بين عربية الكاتب وكفر
ابي النبي صلى الله عليه وسلم فعزله من كتابته وقال لا تكتب لي ابدا وهذا
تاديب له وتعزير حتى ينزجر امثاله عن هذه المقالة وفي ذلك اشارة الى
اسلام ابويه صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر وهذا هو الحق بل في حديث صححه
غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه ان الله احياهما له فامنا به خصوصية
لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم فقول ابن دحية يرده القران والاجماع ليس

في محله لان ذلك ممكن شرعا وعقلا على جهة الكرامة والخصوصية فلا يرده قران ولا اجماع وكون
الايمان به لا ينفع بعد الموت محله في غير الخصوصية والكرامة وما احسن قول الموفقين
في هذه المسئلة الحذر الحذر من ذكرهما بنقص فان ذلك قد يؤذيه صلى الله عليه وسلم
لحديث الطبراني لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات انتهى وحديث مسلم قال رجل يا رسول
الله اين ابي قال في النار فلما قفى دعاه فقال ان ابي واباك في النار يتعين تاويله
واظهر تاويله عندي انه اراد بابيه عمه ابا طالب لان العرب تسمي العم ابا فانه عمه لعمه
الذي كفله بعد موت جده عبد المطلب ولانه صلى الله عليه وسلم انما قصد بذلك
ان يطيب خاطر ذلك الرجل خشية ان يرتد لو فزع سمعه اولا ان اباه في النار بل لا بد
انه انما قال له ذلك بعد ان ولي او كان ذلك قبل ان ينزل عليه قوله تعالى وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا كما وقع له صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اطفال
المشركين فقال هم مع آبائهم ثم سئل عنهم فذكر انهم في الجنة انتهى ملخصا وقد كرر
سحنون تقدم انه فقيه مذهب الامام مالك عبد السلام التنوخي الامام الزاهد
المحدث تلميذ ابن وهب واشهب وانه توفي لتسع خلون من رجب سنة اربعين ومايتين
وهو ابن ثمانين وثمانين سنة ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب من
امر مستحسن معجب منه كما هو عادة العوام الا على طريق ان يقصد بصلاته عليه
الثواب والاحتساب اي ان يقول امتثالا لامر الله بقوله تعالى صلوا عليه توقيرا
له صلى الله عليه وسلم وتعظيما كما امرنا الله تعالى لا لقصد التعجب ولا الدفع
العين عما تعجب منه فانه ليس محلا لذلك وقد تقدم الكلام عليه وان فيه كلاما
للفقها وسئل القابسي تقدم بيانه عن رجل قال لرجل قبيح الوجه كانه وجه
وجه نكير اي نكير ومنكر الملكان المعروفان اللذان يسالان الميت في قبره حين اي كان وجهه
يدفن عن اعتقاده وسئل عن رجل قال لرجل عبوس تقدم ان العبوس ان يقطب الرجل
وجهه ولا يبدي بشاشته كانه اي كان وجهه وجه مالك الغضبان مالك اسم ملك خازن
النار ويوصف بالغضب لانه موكل بمن غضب الله عليه فيتلقاه بصورة الغضب فقال
القابسي في جوابه اي شيء اراد القائل بهذا الكلام الذي قاله ونكير اسم احد فتاني
القبر وهما ملكان خلقهما الله تعالى للسؤال فالفتانان هما ملكا السؤال
سميا فتانين في الحديث من الفتنة واصل معناها الامتحان والاختبار لانهما يختبران
ما في قلب الميت من عقيدته وايمانه فما الذي اراد القائل بكلامه اروع اي خوف
وفزع دخل عليه اي وقع في قلبه حين رآه لشدة قبحه من وجهه متعلق
بدخل او بروع اي من رؤية وجهه ام عاف النظر اليه بعين مهملة وفا اي كرهه
واستقذر منظره فكره النظر اليه لدمامة بدال مهملة وميمين بينهما الف بوزن
قباحة ومعناها وهو المراد والذمامة بالمعجمة من الذم وذكر المعايب وهو
جائز هنا ايضا يقال رجل ذميم ونميم بمعنى قبيح ومذموم خلقه كقبح
فسكون اي خلقته فان كان هذا المذكور من انه عافه وكرهه فهو شديد في القبح
تما قبله لانه جرى مجرى التحقير والتهوين بمثناة فوقية وهاء وواو ومثناة
تحتية ساكنة وراء مهملة الوقوع في امر بغير مبالاة به وفي نسخة بنون

بدل الواو وهي غير مناسبة لانه حينئذ يكون من الاهانة لكن ورد التنوين بهذا المعنى
نظر فهو مجاز وفي نسخة التنوين بتقدير الواو وعلى الهاء ومعناه التضعيف من الوهن
وعلى كل حال فيه ركاكة لا تخفى هو اشد عقوبة من اراد انه حصل له فزع منه لما فيه
من تحقير مكرم من الملايكة وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما شبهه به في انه كرهه
ولا شك في ان كل احد يكره الموت وما معه بالطبع في اكثر العوام وليس في مثل هذه
الكراهة تحقير وانما السب واقع على الرجل المخاطب بهذا الكلام لا على الملك وليس
قوله كان وجهه مواجهة بالخطاب فاما ان يكون قال له كان وجهك فحكى القابسي
معناه او المصنف تجوز به عن الكلام الملقى في حق غيره مطلقا ممن يصلح للخطاب
وفي الادب اي التاديب بمعنى التعزير بالسوط اي الضرب به والسجن بفتح السين
وكسرها كما مر اي الحبس نكال السفها فهو على انواع مفوضة للحاكم والنكال
العقوبة والسفها جمع سفيه من السفه وهو الخفة ممن عقله سخيف قال القابسي
واما ذاكر مالك خازن النار بما تقدم وذاكر اسم فاعل من الذكر بمعنى قايل ما تقدم
من تشبيه المعبس وجهه به فقد جفا اي غلظ طبعه وقل ادبه اوهو من جفاء
الغدر اذ ادمت زبدها ورميها اي رمي الملك الذي ذكره بما قاله من ان وجهه كوجه
مالك الغضبان عند ما انكر من عبوس الرجل الاخر المقول له ما مر الا ان يكون الرجل
المعبس له يد اي قدرة وتسلط بالقهر كالسلطان فيرهب ببنا الفاعل او المفعول
فعبسته وفي نسخة بعبوسه اي يخاف منه اذا عبس فيشبهه القايل كان وجهه
وفي نسخة فشبهه على طريق الذم لهذا الذي له يد او لهذا الامر لان شر الناس شره
في فعله ولزومه في ظلمه في نسخة في صفته والظاهر انها هي الصواب لان الظلم لايناسب
قوله انه اتى عليه صفة مالك الملك خازن النار المطيع لربه في فعله لان الملايكة
كلهم لا يعصون الله ما امرهم ولا يفعلون الا ما يومرون فيقول اذا عصاه احد
كانه لله يغضب غضب مالك اي كغضب مالك فانه لا يغضب الا على من غضب الله عليه
واراد عقابه فيكون اذا فقد هذا ما قاله اخف واقل وزرا من غيره ولما استشعر
انه اذا اراد ان يغضب لله لا قبح فيه اصلا اجاب بقوله وما كان ينبغي له التعرض
لمثل هذا وفي نسخة التعريض بمثل هذا والذي ينبغي ترك التشبيه بالملايكة
لاحاد الناس ولو كان هذا القايل اتى على العبوس بفتح العين صيغة مبالغة
كجهول لعبسه واحتج بصفة مالك وهي عبوسه كان قوله هذا اشد مما قبله
ويعاقب عليه المعاقبة الشديدة لجرمه الشديد وليس في هذا الكلام مطلقا
او فيما اتى به احتجاجا بصفة الملك ذم للملك وقصده ذم من خاطبه لا غيره
ولو قصد ذمه اي ذم الملك لقتل هذا مذهب مالك وعند غيره يودب ويستتاب
فان تاب والا قتل ولا يخفى ما في كلام المصنف هنا وانه كلام مشوش يحتاج للتنقيح
والتهذيب بان يقول وعن القابسي فيمن قال لقبيح كانه وجه نكير ولعبوس
كانه وجه مالك الغضبان انه لا يكفر اذ لا تصريح فيه لسب الملك وانما السب
فيه للمخاطب بل يعاقب العقاب الشديد فان قصد ذم الملك قتل وما ذكره
ظاهر ويوخذ من كلامه هنا ان ذم بعض الملايكة وتنقيصه كذم الانبيا

وتنقيصهم وهو ظاهر وصرح به اخر الكتاب وقال ابو الحسن القابسي ايضا كما قال في
المسئلة المذكورة في شاب معروف بالخير اي الصلاح والدين وصفه بهذا ابيانا للواقع وانه
لم يقصد تحقير النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الاتي قال لرجل شيا يتعلق بالعلم
والدين فقال له الرجل اسكت زجرا له عن قوله فيما لا يعلمه الا العلما فانك امي بضم
الهمزة وقد تكسر وتقدم انه هو الذي لا يكتب ولا يقرو الخط نسبه الى امة العرب ٥
لاشتهارهم بذلك او الى الام لانه كانه خرج من بطن امه فقال الشاب اليس كان النبي
صلى الله عليه وسلم اميا وهو اعلم الناس والاستفهام فيه تقريري فشنع بتشديد النون المعجمة
وفاعله ضمير الرجل او الناس على الشاب او المجهول اي قبح وذم مقالته انه امي وكون
الناس بمقاله هذا اجهلا منهم بما اطلقوه واشفق الشاب اي خاف على نفسه ودينه
لانه كان صالحا دينا مما قال واظهر الندم عليه اي على صدور هذا المقال منه خوفا
مما يترتب عليه في الدنيا والاخرة فقال ابو الحسن القابسي لما سيل عنه اما الاطلاق
القول بالكفر عليه فخطا لان الله وصفه صلى الله عليه وسلم به في القران في قوله
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية وهو لم يقصد بذلك ذما ولا تنقيصا لكنه
مخطي في استشهاده اي اتيانه بشاهد اي نظير لحاله بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
وهي كونه اميا مثله في صفته وبينهما من الفرق ما بين السما والارض ولذا قال
وكون النبي صلى الله عليه وسلم اميا ايه له معجزة باهرة وفضيلة ظاهرة وكون
هذا الشاب المذكور اميا نقيصة فيه اي صفة نقصية بجهله وجهالة لعدم علمه
ونزانه ويأتي بيانه مبسوطا اي ولو كان ذكا ملا فاضلا قرا وكتب فكيف شبه صفته
الناقصة بصفة النبي صلى الله عليه وسلم الكاملة ومن جهالته الظاهرة ٥
استشهاده وتمثيله واحتجاجه على حسن اميته وعدم منافاتها للخوض في
العلوم بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكيف تستوي اميته بامية غيره وقد
اتى بعلوم لا تحصى واخبر عما سلف من احوال الامم وعما هو ات وهو في امته
امية ولم يخرج من بينهم ولا تعلم من احد ولذا كان ذلك من اعظم معجزاته صلى
الله عليه وسلم كما قال

كفاك بالعلم في الامي معجزة ● في الجاهلية والتاديب في اليتم

وتقدم ما فيه فاستشهاده بذلك لجهله فهو معذور لا يكفر بقوله هذا
لكنه استغفر الله لعلمه بانه مذنب وتاب بندمه وعزمه على ان لا يعود
لمثله واعترف بذنبه وانه مخطي ولجا اي استند ورجع الى الله هاربا وفارا
للحق يترك ولا يواخذ ولا يعاقب ولا يزجر لان قوله هذا ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اميا من غير قصد تنقيص لا ينتهي ويصل الى حد العقوبة بالقتل
وما طريقه الادب اي ما يستحق فاعله التاديب دون القتل فطوع اي فطوعه
فاعله بالندم عليه مبادرا معترفا بخطايه والتوبة والندامة يوجب الكف
عنه وتركه من غير معاقبة له ونزلت اي وقعت والنوازل الحوادث التي
تطرو ايضا هذه مسئلة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا
محمد بن منصور الذي تقدمت ترجمته في رجل تنقصه اخر بشي اي عابه وذمه

اي مي

به فقال له انما تريد نفضي بذلك الذي قلته وانا البشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى
النبي صلى الله عليه وسلم فانه بشر يلحقه ما يلحقهم والكمال المنزه عن النقص انما هو
لله عز وجل فافتاه اي افتى في هذا القايل باطالة حبسه في سجنه زجرا له ولامثاله
وايجاع ادبه اضافة الايجاع وهو الايلام بضرب به تعزيرا له الى ادبه بمعنى تاديبه
من اضافة المصدر لفاعله او هو من اضافة الخاص للعام اذ لم يقصد بما قاله السب
لكنه اخطا في استشهاده كما مر وكان بعض فقهايا الاندلس افتى بقتله فخالفه ورد فتواه

# فصل الوجه السادس

من وجوه ذكر ما فيه تنقيص له صلى الله عليه وسلم ان يقول القايل ذلك
حاكيا له عن غيره واثرا بمد الهمزة ومثلثة مكسورة وراء مهملة اي ناقلا له
عن سواه من قولهم اثرت الحديث اذا رويته ونقلته فهذا الحاكي الناقل ينظر في
صورة حكايته الظاهرة من سياقه وقرينة مقالته القايمة على قصده عند نقله
ويختلف الحكم الذي حكم به باختلاف ذلك المتقرر والقراين على اربعة
وجوه من الاحكام الوجوب والندب والكراهة والتحريم وهو بدل مما قبله بدل
بعض او كل ويجوز رفعه ونصبه وهذا اجمال فصله بقوله فان كان هذا الناقل
اخبر به على وجه الشهادة اثباتا او نفيا والتعريف بحال قايله وصفته والانكار
عليه فيما قاله والاعلام بقوله ليحكم عليه بما يقتضيه والتنفير منه حتى يجتنب
ويطرد والتجريح له بالطعن فيه وبيان عيوبه وروي التحريج بتقديم الحا المهملة
على الجيم اي التضييق والتاثيم فهذا اي النقل على هذه الوجوه المذكورة مما
ينبغي امتثاله اي الانقياد له وقبول نقله ومحمد فاعله اي يعد محمدا وحامدا
في فعله وكذلك حكمه انه حكاه في كتاب الفه او رسالة لغيره او حكاه في مجلس
تجمع الناس على جهة الرد له ببيان انه مخطي فيه قايل لما لا ينبغي والنقض على
قايله بضاد معجمة اي الابطال لمقاله بالحجج او ذكره للفتيا بما يلزمه وبيانه شرعا
وهذا المذكور للرد والنقض والافتا بما يلزمه منه ما يجب ذكره وبيان حكمه
ومنه ما يستحب بيانه بحسب بفتح السين اي على قدر حالات الحاكي لذلك
فيما يحكيه والمحكي عنه بحسب ما يعلم من حاله وقراين مقاله وهذا الى هنا اجمال الحالات
الاربعة وهي معلومة منه وما قيل من انه لا يعلم منه الوجوب صريحا وقوله ابن اقترس
حكاه في كتاب او مجلس لا يناسبه كلام واه غني عن الرد ثم فصله بقوله فان كان
القايل ممن حكاه او حكي عنه وفسره بعضهم بالحاكي والاظهر بالمحكي عنه والاولى
تعميمه لهما كما يقتضيه ما بعده لذلك القول المذكور ممن تصدى اي
انتصب وتقيد لان يوخذ عنه العلم لانه من اهله الذين يتلقى عنهم لكونه شيخا
او مفتيا او رواية الحديث عنه لاخذه له عن اهله او يقطع بحكم لانه حاكم مفوض
اليه الحكومة او شهادته لشهرة عدالته او فتياه في الحقوق لفقاهته وتصدره
للافتا بحق وجب على سامعه اذا سمع مقاله حكما او افتا الاشادة بما سمع منه
برفع ذكره والاشادة بكسر الهمزة وشين معجمة ودال مهملة اي الاشهار بذكره

ونشيعه

وتشيعه بين الناس واشاله رفع النائرة استعير لرفع الصوت وتوسع فيه فاريد به الشهرة
مطلقا فسقط ما قيل من انه ينبغي ان يقول الاعلام الذي هو اعم من الاشادة وتنفير الناس — ابن ابيرس
عنه تحذيرا منه والشهادة عليه بما قاله ليجتنب ويجري عليه احكامه ووجب على
من بلغه ذلك الذي سمعه منه من ايمة المسلمين انكاره وبيان كونه لسبب مقاله وفساد
مقاله وفساد قوله لبطلانه ويفعل هذا ويشاع لقطع ضرره عن المسلمين بزجره وغيره — ويفعل
مما يستحقه ووفيا مما يحق لسيد المرسلين للانتصار له والانتقام ممن قصر في حقه
وكذلك يجب ما ذكر ان كان قائله ومبلغه ممن يعظ العامة ويذكرهم بنصيحتهم
او يؤدب الصبيان بتعليمهم القران ونحوه فان من هذه الخصلة التي تنقص بها سريرته — ته
اي مما يضمره في نفسه فيرسخ فيها كالامانة وكلا انا بالذي فيه يرسخ لا يؤمن على القاء
ذلك في قلوبهم اي قلوب من ذكر من العامة او الصبيان الذين يقبلون ما يلقي اليهم
لعدم معرفتهم ونقد بصيرتهم فاذا كان من صدر عنه هذه الحالة فيتاكد في هؤلاء
الايجاب اي ايجاب انكاره واشاعة فساده لحق النبي صلى الله عليه وسلم على كل
احد لا سيما الحكام ولحق شريعته التي يجب الذب عنها وحمايتها ما امكن
وان لم يكن القائل بهذه السبيل اي لم يكن ممن يؤخذ عنه العلم والحديث
النبوي فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب ذبا عن مقام النبوة
وتعظيم منزلتها وحماية عرضه الشريف متعين لا يتهاون فيه مسلم ونصرته
منه معنى حمايته فلذا قال عن الاذى اي ما يؤذيه حيا وميتا اي في حال موته
وحياته مستحق بصيغة المفعول اي واجب على كل مؤمن وهو فرض على كل من
بلغه خلافه لكن اذا قام بهذا المذكور من الحماية والذب عنه من ظهر به الحق
بقدرته على اجرا حكمه فيه وفصلت به القضية اي وقع حكم له فاصل بين الحق
والباطل بقوته وبان به الامر اي ظهر ما يستحقه واقيم عليه ما يستوجبه سقط
عن الباقي اي عن بقية الناس الفرض الذي وجب عليهم لانه فرض كفاية لا فرض
عين وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه على من صدر منه مثله مما لا يليق
وعضد بسكون الضاد المعجمة من عضده اذا قواه ونصره التحذير منه اي
من قائله وقوله وهذا احد الاقوال في فرض الكفاية اذا قام به البعض عن
غيره وسقط عنه الوجوب هل يبقى استحبابه وندبه او اباحته وجوازه
وهذا مبني على انه هل يجب على الجميع ابتداء او على البعض غير معين والكلام
فيه مقرر في كتب اصول الفقه وليس هذا محل تفصيله وقد اجمع السلف
المتقدمون من علما المحدثين على بيان حال المتهم بالكذب في الحديث النبوي
من رواته فكيف بمثل هذا المتهم بالبعض من مقام النبوة وتنقيصها والازرا — عتنا
بذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم الزم منه تحذيره وقد سئل الشيخ
ابو محمد بن ابي زيد تقدمت ترجمته عن الشاهد اي من تقبل شهادته
يسمع مثل هذا الكلام الذي يستحق قائله ما مر في حق الله تعالى لسعة
اي لحل له ويجوز وهو معان بتشبيه فقوله ان لا يؤدي شهادته بمحل ذا
سعة اي ان لا يقيم الشهادة عليه عند حاكم يقضي عليه بما يستحقه قال

ابن ابي زيد ان رجا اي ظن ظنا راجحا او علم نفاذ الحكم اي ان يمضي الحاكم بشهادته عليه
فليشهد اي يلزمه الشهادة بما سمعه وكذلك يلزمه الشهادة ان علم ان الحاكم الذي
تقام عنده الشهادة لا يري القتل بما شهد به اي مذهبه ان القايل لا يستحق القتل
عنده ويري انه انما يستحق الاستتابة اي طلب التوبة منه والادب اي التعزير
دون القتل وقوله فليشهد ويلزمه ذلك تاكيد لما فهم من قوله كذلك وهذا
مذهب الامام مالك ومذهب غيره انه يلزمه الشهادة مطلقا وان لم يكن مدعي
عليه لانه لا يلزم طلب الشهادة في حقوق الله تعالى وما ورد من الذم في حق
من شهد ولم يستشهد محمول على حقوق العباد واما الاباحة لحكاية قوله الذي
فيه سب وتحقير للانبيا عليهم الصلاة والسلام اي جوازها وحلها الغير هذين
القصدين من الانكار والتنفير عنه والتجريح والنقض والا فنا كما تقدم فلا
اي واعتقد لها مدخلا في الباب الذي يجب به صيانة مقام النبوة فليس التفكه
اي التحدث على طريق التلهي به واجرا المصاحبة مستعار من تناول الفاكهة ولا
ياباه ورود بمعنى التعجب والتندم وان سلم عدم ثبوته بهذا المعنى فلا
وجه لما قيد انه ينبغي ان يقول الفكاهة بالضم لا بالفتح كما في المصباح تعرض
النبي صلى الله عليه وسلم والعرض ما ينبغي صيانته من كل احد والتمضمض
اي اجرايه على فمه ولسانه مستعار من تمضمض بالما اذا غسل به داخل فمه
فشبه الكلام بالما وادارته في فمه بالمضمضة وهو احسن من قول العرب تمضمضت
عنه بالنعاس كما في الاساس بسو ذكره اي بما فيه سو لاحد متعلق بمقدر
اي جايزا لاحد لانه يجب تعظيمه واحترام مقامه حماه الله عن كل سو لا ذاكرا
له بلفظه ولا اثرا اي ناقلا وراويا له عن غيره لغير غرض شرعي كالرد
والتنفير ونحوه مما تقدم بمباح وجايز وهو متعلق بذاكر والخبر لاحد
او هو خبر والبا زايدة لتاكيد النفي وهذا اولى واما ذكره للاغراض المتقدمة
من الشهادة عليه عند الحاكم والانكار ونحوه مما تقدم بيانه فمتردد
اي داير ومنقسم بين امرين الايجاب اي كونه واجبا عليه والاستحباب
اي كونه مستحبا لعدم قصد قايله او قيام غيره به ودخل فيه الكراهة
لانها تعلم من الاباحة بالطريق الاولى فلا يتوهم انه لم يستوف الاقسام
الاربعة التي ذكرها ثم استدل على ما ذكره فقال وقد حكى الله تعالى
مقالات المفترين الذين كذبوا عليه وعلى رسله في كتابه الكريم في مواطن
كثيرة على وجه الانكار لقولهم الذي اختلقوه وعلى وجه التحذير من
كفرهم منه ومن مثله وعلى وجه الوعيد عليه لعقابهم في الدارين
وعلى وجه الرد عليهم بابطاله ونقضه بما تلاه اي ذكره سبحانه تنزيها
ولا يخفى موقعه هنا علينا في محكم كتابه اي كتابه المحكم الذي لا يقبل التغيير
والتحريف وذكره هنا لانه لا يقبل النسخ كالقصص وكذلك اي كما وقع في
القران وقع من امثاله وفي نسخة في امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه
وسلم الصحيحة اسنادا ومتنا على الوجوه المتقدمة من الانكار والتحذير

ونحوه

ابن الغرس

رد آخر عليه

ابن الغرس

ونحوه او الوجوب واخوانه واجمع السلف والخلف من ايمة الهدى الذين هدوا واهتدوا
على حكايات مقالات الكفرة والملحدين المايلين عن الحق من الزنادقة والمنافقين في كتبهم
اي كتب الايمة التي صنفوها ومجالسهم اي مجالس وعظهم ومحادثتهم ليبينوها حتى يعلموا
ما فيها من الفساد فيجتنبوها وينقضوا اي يبطلوا شبهها جمع شبهة ويردوها عليهم
وان كان ورد اي نقل ما يخالفه للامام احمد بن حنبل ايضا اي كما نقل عن غيره انكار لبعض
هذا اي انكار حكاية هذا المذكور عن الكفرة وامثالهم مطلقا بما اجازه غيره على الحارث
ابن اسد وهو المعروف بالمحاسبي صاحب التاليف المشهورة وقد قدمنا ترجمته فقد
صنع الامام احمد مثله اي ذكر مثل ما صنع المحاسبي من ذكر مقالات هولا في كتاب الرعاية
له في رده اي الامام احمد على الجهمية وهو جهم بن صفوان واصحابه من المبتدعة
واصحاب المذاهب الباطلة والعقايد الفاسدة وجهم هذا هلك في اخر عصر التابعين
قال الذهبي في الميزان ما علمته روى شيا لكنه زرع شرا عظيما وجهم يلقب بابي محرز
وهو سمرقندي وكان جبريا يرى ان الانسان لا يقدر على شي ولا استطاعة له ولا اختيار
وافعاله يخلقها فيه وتنسب اليه مجازا ويقول ان الجنة والنار يفنيان وعلى القايلين
بالخلق وفي نسخة بان القران مخلوق من المعتزلة وفي كثير من النسخ وبالمخلوق وذكر
فيها التلمساني احتمالات منها مخلوقية القران ومنها ان يراد ان المخلوق قديم وهو
قول الفلاسفة والظاهر ان المراد خلق افعال العباد من غير كسب وهو الجبر وما ذكره
المحاسبي في هذه الوجوه السايغة بسين مهملة وغين معجمة اي الجايزة الحكاية
عنها هو مرفوع فاعل السايغة كمقالات الكفرة ولا وجه لانكار هذه الحكاية فاما
ذكرها اي الاقوال السايغة على غير هذا الوجه من الرد والابطال ونحوه مما مر
من حكاية سبه صلى الله عليه وسلم ممن وقع منه والازرا اي الاحتقار بمنصبه
العلي ومقامه الرفيع على وجه الحكايات اي القصص التي يقصها عوام الناس
والاسمار اي التلهي بها جمع سمر وهو الحديث ليلا للمنادمة والمحاورة واصله
ظل القمر لانهم كانوا يتحدثون فيه وحكى بعضهم كسر همزته مصدر لانه يقال
سمر واسمر بمعنى والطرف بطا وراء مهملتين وفا بوزن غرف جمع طرفة وهي الامر
المستطرف اي المستحسن المستجاد وهو حقيقة في الكلام مجاز في غيره كالمال
المستفاد مما لم يسبق مثله وقيل انه يختص بمعنى طلاقة اللسان وهو تحريف
واحاديث الناس جمع احدوثة وهو ما يتحدث به على طريق ويكون جمع حديث على
خلاف القياس والمناسب هنا الاول ومقالاتهم في الغث والسمين اي في المعتد به
وغيره واصل الغث بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة معناه المهزول
ضد السمين فاستعير لما ذكر وفي كلام ابن عباس رضي الله عنهما غثك خير من سمين
غيرك قاله لابنه حين قال له اذهب لابن عمك يعني عبد الملك وهو الكلام الجامع
لاختلاف الدلالات حسنا وقبحا اذ الغث الهزيل كما مر ومضاحك المجان جمع
ماجن وهو الذي يعتاد الهزل والسخرية من غير مبالاة واصل المجون غلظ
الوجه ومضاحك جمع مضحكة وهو ما يضحك منه ونوادر السخفا جمع نادرة
او نادر وهو الامر المستغرب لقلة وقوعه والسخفا بخا معجمة وفا جمع سخيف

دلجي

وهو الرقيق العقل والدين والخوض في قيل وقال وفسره بقوله وما لا يعني بفتح اوله اي
ما لا يهم ويعتني به وفي الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه قال في النهاية في الحديث
نهى عن قيل وقال اي عما يتحدث به فيقال كان كذا او قيل كذا امنقولان من فعلي ماضيين
فيحكي علي انه فعل مع الضمير ويعرب فتدخل عليهما الالف واللام ومعناه كثرة الحديث
بما لا يعني وقيل قال اسم لابتدا وقيل الجواب والمعنى ما لا يعلم ولا حقيقة له وقيل
هما مصدران يقال قال قولا وقيلا بمعنى فهما اسمان ومنه كلام في المطالع
فيجوز فتحهما وجرهما منونين والخوض اصله دخول الما فاستعمل بمعنى مطلق
الدخول فكل هذا المحكي من السب وما بعده ممنوع غير جائز شرعا وبعضه اشد
في المنع والعقوبة من بعض باعتبار شدة قباحته تتفاوت مقاماته فما كان من
قايله الحاكي له عن غيره على غير قصد به للسب او غير معرفة بمقدار ما حكاه او في
فما حكته شدته واشدته او لم تكن عادته حكايته وانما وقع منه نادرا او لم يكن الكلام
الذي حكاه من البشاعة بما موحدة اي القبح حيث هو حيث هنا مضافة لجملة خبر
محذوف اي هو كريه ومستقبح وحيث ظرف مكان ولا يضاف الى الجملة من ظروف المكان
غيره اي يكون في مقام لا يقتضي بشاعته للعلم بانه لم يقصد به ازرا وان كان ظاهره
كذلك ولم يظهر على حاكيه استحسانه وانما ذكر لانكاره والتنفير عنه واستصوابه
اي عده صوابا يعتقده فاذا كان كذلك زجر ووبخ حاكيه عن ذلك اي حكايته له
ونهي عن العود اليه وان لا يتلفظ به مرة اخرى صونا للمقام النبوي وان قوم مشدد
الواو مبني للمجهول اي ارشد للاستقامة فيما يحكيه ببعض الادب اي تعزير
خفيف يليق به غير الزجر فهو مستوجب اي مستحق له اي للتاديب لتكلمه بما لا يليق
بمنصب النبوة وان كان حاكيا عن غيره وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان
الادب اشد وقد حكي ان رجلا سال مالكا رحمه الله عمن يقول القران مخلوق وهو
بمعنى الالفاظ المتلوة عند الاشعري كذلك لكنه يوهم انه من الاختلاق بمعنى
الافترا فقال الامام مالك قايله كافر فاقتلوه وقد نهي عن هذا السلف لان
ظاهره انه ليس كلام الله ففيه تعريض بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم والكلام
في هذه المسالة لشهرته غني عن البيان ويأتي الكلام عليه ايضا في الباب الثالث
عند ذكر المصنف لكلام مالك جازما به فقال ذلك القايل انما حكيته عن غيري
وحاكي الكفر ليس بكافر فقال مالك انما سمعناه منك فانت متلبس بالحكاية
لما لا يليق يحتمل انك تظهر به سريرتك وهذا المذكور من كلام مالك رحمه الله
على طريق الزجر والتغليظ اي التشديد في الانكار عليه بدليل انه لم ينفذ
بالمعجمة قتله اي لم يحكم به حكما قطعيا فان المذهب انه لا يقتل مثله وانما يقتل
من انكر امرا معلوما من الدين بالضرورة وما روي من حديث من قال القران
مخلوق فهو كافر لم يثبت مع انه لو ثبت فهو ماول عندهم وان اتهم هذا الحاكي
فيما حكاه بانه اختلقه اي اخترعه ولم ينقله غيره فيحكي عنه وهو يعتقده
ونسبه الى غيره بحكايته عنه تحوفا من المواخذة به او كانت تلك عادة له
بان يكثر من ذكره ويزعم انه حاك له او ظهر حال نقله استحسانه لذلك وانه

لا يحذر

المحذور فيه او كان مولعا بمثله بفتح الميم اسم مفعول والولع بالشي الاكثار منه مع اظهار
الميل له وانه يحبه والاستخفاف له اي عده هينا عنده لا محذور فيه او التحفظ اي حفظه
كثيرا لمثله مما هو قبيح كريه او طلبه ممن يعرف حرمته عليه وكثرة روايته اشعار هجوه
صلى الله عليه وسلم الذي هجاه به المشركون مما ذكره اهل السير ونسبه المنقول عن
المشركين فحكمه هذا الحاكي حكم الساب من غير حكاية له نفسه لا حكم الحاكي وحكمه انه يوخذ
بقوله مما يستحقه الساب ولا تنفعه نسبته لغيره ملحاكاة فيبادر بقتله كالساب
قال ابن حجر
وما ذكره من المبادرة بقتله اي انه لا تربيب ويعجل الى الهاوية اي يعجل بدخوله النار
والهاوية من اسما جهنم ويقال هوت امه في الدعا بالهلاك وقوله امه فيها اقوال
فقيل معناه ماواه لانها كالام التي ياوي لها او راسه لانها ام دماغه وهمزته مضمومة
وتكسر وهو نايب فاعل مرفوع او مجرور بدل من الهاوية وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام
بتشديد اللام وقد تقدمت ترجمته من حفظ شطر بيت اي نصفه مما هجي به النبي
صلى الله عليه وسلم فهو كفر اي هجوه كفر فالضمير راجع لما علم من هجي او كفر بمعنى كافر
مبالغة وما ذكره من الكفر ظاهر عند الرضى بذلك او استحسانه لا ان قصد به غير ذلك
قاله ابن حجر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اي الفقه لما اجمع فيه ما وقع عليه الاجماع
من المجتهدين وايمة الدين اجماع المسلمين على تحريم روايته ما هجي به النبي صلى الله
عليه وسلم وكتابته وقراته وحده او مع غيره وتركه متى وجد معطوف على رواية
اي تحريم ان لا يمحى فيتركه دون محو اي ازالته مما كتب بمحو ونحوه كاحراقه وما ذكر من
الاجماع محله في روايته لغير غرض مسوغ لذلك ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين
اي الذين يحذرون مثله خوفا منه فهم صاينون لدينهم اي يحفظونه فقد اسقطوا
من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله اي الاشعار التي وردت على هذا
الطريق اي متضمنة لهجوه كما في سيرة ابن اسحاق وغيره من المتقدمين وتركوا
روايته صونا لالسنتهم من النطق بمثله وكتابته الا اشياء ذكروها يسيرة اي قليلة
وغير مستبشعة اي لا قبح فيها ولا سب ولا هضما للمقام كما في سيرة ابن هشام وفي
نسخة مستشنعة بنون بعد الشين المعجمة على نحو الوجوه الاول اي ذكرت
حتى يعفو ويحذر من قايلها كما تقدم او لا ليروا نعمة الله تعالى بضم اليا التحتية
والرا اي ليظهروا بما ذكر معها انتقام الله من قايلها كاصحاب القليب وغيرهم واخذه
اي اخذ الله بهلاكه المفتري عليه لما في هجايه بذنبه وهو هجوه وذكره بما لا يليق
قال بعض المتاخرين فخرج من كلامه ان ذكر الاحوال المدخولة حكاية كانت او استشهادا
غير ممتنع اذا اقترن بالذكر قصد جميل كالتاسي والتحقيق في الاستشهاد والرد
وتبيين ما لله عز وجل في ذلك من الحكمة في الحكاية انتهى وهذا ابو عبيد القاسم بن
سلام جعله كالحاضر لشهرة كتبه فاشار اليه قد تحرى بالحا المهملة اي تثبت فيما
اضطر الى الاستشهاد به اي التجا اليه للضرورة المقتضية لذكره لتوقف امر عليه فيما
يقصه من اهاجي جمع اهجية وهي ما هجي به من القصايد اشعار العرب في كتبه
التي الفها والمراد غير هجو النبي صلى الله عليه وسلم فكنى عن اسم المهجو ليس المراد
دجي
بالكناية هنا مصطلح اهل المعاني ولا التورية عنه كما توهم بل عادتهم كما في شعر

المتنبي وغيره انه يعبر عن غيبه مثلا بفعله الذي هو مبرأ منه التصريحي وهو كثير في
الشعر يعرفه من له المام بالادب فالكناية بمعناها اللغوي وقد ذكره الرضي في باب
الضماير فلهذا قال بون ذاته كقول المتنبي

كانت فعلة لم تملا مواكبها ديار بكر ولم تخلع ولم تهب

اراد بفعله خولة اخت سيف الدولة اي طلبا لان يكون دينه بريا من تنقيص احد
والحوض في عرضه بالتعيين وتحفظا اي حفظا وصيانة لنفسه من المشاركة في ذم
احد ممن هجي بروايته لما هجوا به اونشره اي اشاعة ذكره وهذا في حق احاد الناس
فكيف بما ينظر الي عرض سيد البشر المبرا من دنس النقايص صلي الله عليه وسلم
وشرف وكرم وهذا كما يقال سبك من بلغك والحاكي احد الشاتمين

# فصل الوجه السابع

ان يذكر ما يجوز علي النبي صلي الله عليه وسلم بما ليس فيه نقص له اوما
يختلف في جوازه عليه من بعض العوارض البشرية كما قال وهو ما يطرأ اي
يحدث عروضه له من الامور البشرية به وتمكين اضافته اي وصفه ونسبته
اليه علي وجه يليق به وفي نسخة اضافتها او يذكر ما امتحن به اي ابتلي به من
امور الدنيا زيادة لاجره وصبر في ذات الله اي لاجل الله ابتغا الرضاه لا لجزا منه
ولا لغرض اخر هذا معني هذا اللفظ والمراد به هنا وتحقيقه ان ذات في تخفيف
ذات وصفه مونث ذو بمعني صاحب ثم توسع فصحا العرب فيه قديما فاستعملوه
بمعني الجهة والجانب الذي يقصد ويتوجه اليه كانه صاحب لقصد لتعليقه به
ثم يساح في كل ما يتعلق بشي ما ومنه الحديث الوارد في حق ابراهيم الخليل المتقدم
لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات في ذات الله اي فيما يتعلق بالرب جل وعلا ولاجله
مجازا من هنا بمعني التعليل ومنه قول خبيب رضي الله عنه الذي رواه البخاري
في صحيحه وغيره

ولست ابالي حين اقتل مسلما علي اي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشا يبارك علي اوصال شلو ممزع

كذا حققه ابن السيد وغيره من ايمة اللغة وهو المعول عليه واما استعماله
في النفس والحقيقة فلم يصح عن العرب ولذا قيل انه غير صحيح والحاقه
علي السمع انه مونث غير جايز وقولهم في النسبة اليه ذاتي لحن كقولهم
صفاتي وهو من اصطلاح المتكلمين وغلطهم وقول ثعلب في قوله تعالي
ذات بينكم معناه عند الكوفيين حالة بينكم وقال الزجاج حقيقة
وصلكم لا دليل فيه لما استعمله المتكلمون فلا يصلح للرد علي من خطاهم فيه
كما توهم وتفسيره به هنا غير مستقيم فاسنه ومن فسره بطاعة الله
والانقياد لما يريده لم يبعد عن الصواب علي شدته من مقاساة
اعدايه اي صبره علي شدايد قاسيه اعدا الله من واداهم له اي شدة اذيتهم
له صلي الله عليه وسلم ومعرفة ابتدا حاله حين بعث ودعا الناس الي الله

عزمي دلجي

وسيرته

وسيرته وما لقيه من بؤس ر ماته اي شدائده ومر عليه من معاناة اي عناه وتعبه
في تعيشه او معاناته بمعنى ملابسته ومباشرته والمعيشة ما يعاش به يعني تحمله
وصبره على لأوايها وضيقها كل ذلك اي فذكر هذا على طريق الرواية ومذاكرة العلم
ليقتدى به ويعلم شرف نفسه ومعرفة ما اي امر صحت منه العصمة للانبيا لحفظ الله
لهم عن كل سوء وتبريتهم من كل نقص والعصمة تقدم انها خلق ما يمنعه عن المعصية
باختياره لا بالجائه ولذا قال الماتريدي انها لا تزيل المحنة اي الابتلا فانها محض لطف
من الله كما فصل في علم الكلام وما يجوز عليهم فيذكر لمعرفته لا للازرا به فهذا المذكور
هنا خارج عن هذه الفنون الستة التي ذكرت قبله والفن بمعنى النوع اذ ليس فيه غمص
ولا نقص تفسير للغمص بغين معجمة وميم ساكنة وصاد مهملة اي شين وعيب ولا ازرا
ولا استخفاف اي اهانة وتحقير لا في ظاهر اللفظ الذي قاله ولا في مقصد اللافظ به على
الوجه الذي بينه لكن يجب ان يكون الكلام فيها اي في ذكر ما قاساه صلى الله عليه وسلم من الشدة
والبوس في ابتدا امره مع اهل العلم الراسخين فيه بحيث لا تزلزلهم الشبه وطلبة الدين وفهما
بزنة علما جمع فهم او فهيم اي الشديد الفهم الذي يعرف حكمة ذلك وانه لا ضير عليهم ه
لعلمهم بمقاصد الدين القويم ممن يفهم مقاصده ما قصد منه من الحكم ويحقق فوائده
اي يحققها لانه على بصيرة في مقامات الانبيا وجلالة قدرهم ويجنب بينا الفعول
اي يبعده ويقصيه عن ذكر ذلك الذي ذكر من احوال الانبيا عليهم الصلاة والسلام
من عساه لا يفهمه الجر عسى لاستبعاد فهمه ومن موصولة او يخشى به اي بذكره
له فتنته بوقوعه فيما لا يرضى في حق رسل الله عليهم الصلاة والسلام قال
ابن حجر وما اقتضاه كلامه من حرمة ذكر ما مر للعوام ظاهر ان ظن بقرينة حالهم
تولد فتنة لهم منه او استخفاف او نحوهما والا فالذي ينبغي الكراهة ثم وجه بقوله
فقد كره بعض السلف تعليم النسا سورة يوسف لما انطوت اي اشتملت عليه من تلك
القصص جمع قصة اي ما فيها من ذكر شغف النسا بالصور الجميلة ومراودتهن
والتحيل منهن للمواصلة لمن يحببن لضعف معرفتهن بالامور وما يترتب عليها
ونقص عقولهن وادراكهن اي وصولهن للمدركات وقد ورد في الحديث انهن ناقصات
عقل ودين ثم بين جواز ذكره لغير العوام فقال فقد قال صلى الله عليه وسلم
في حديث صحيح سياتي مخبرا عن نفسه حال من فاعل قال باستيجاره اي ايجاره نفسه
للرعي في صغره لرعاية الغنم اي اخذها للسرح في المرعى في ابتدا حاله اي صغر سنه
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان ما من نبي الا وقد رعى الغنم
فذكر هذا لاصحابه العارفين بنور الايمان الحكم فيما ذكر وعلمهم بمقدره شرفه ذلك لبند
لما قدمه وبقية الحديث فقال له اصحابه وانت يا رسول الله فقال نعم كنت ارعاها
على قراريط لاهل مكة وقراريط جمع قيراط جزء من الدراهم وقيل اسم مكان وتقدم
ما في ذلك وتفصيله في شروح الصحيحين واخبر الله في القران بذلك اي برعي
الانبيا عليهم الصلاة والسلام للغنم عن موسى عليه الصلاة والسلام في رعيه
لشعيب عليه الصلاة والسلام في قوله اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين الاية
وقصته مفصلة في كتب التفسير وهذا لا غضاضة فيه اي فيما ذكر من الرعاية

للغنم وهي بمهملات مفتوحات بمعنى النفس وهو مستعار من غض البصر وكفه مطرقا فكني به عما ذكر لانه انما يكون بما يستحيي منه صاحبه جملة واحدة اي ليس في شيء منه اشلا غضاضة لمن ذكره على وجهه من مذاكرة اهل العلم لما مر بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير هو عطف تفسير بل كانت رعاية الغنم عادة جميع العرب حتى اولاد اشرافهم وقد نشا صلى الله عليه وسلم بينهم غير مخالف لاحوالهم المباحة تواضعا منه وتاسيا باحلامهم فيما لا يضير ثم استشعر سؤالا مقدرا كانه قيل ما حكمة وقوع ذلك وتقديره الله له فاجاب بقوله نعم في ذلك للانبيا حكمة بالغة قوية ظاهرة فنعم جواب السؤال المقدر وكثيرا ما تقحمه العرب لتاكيد الكلام في ابتدائه كقول جحدر

اليس الله يجمع ام عمرو • وايانا وذاك بنا تدانى
نعم وارى الهلال كما تراه • ويعلوها النهار كما علاني

والبلوغ الوصول الى اقصى الامر ومنتهاه وقوله تعالى ام لكم ايمان علينا بالغة اي في غاية التوكيد قاله الراغب فكانها بلغت غاية الصواب ومنتهاه وتدريج الله تعالى لهم الى كرامته اي اكرامهم بالنبوة والرسالة وهو وما بعده تفصيل للحكمة ولذا عطفه كانه يغايرها وتدريب بمهملتين اي تعويد له فيكون له دربة وخبرة برعايتها لسياسة اممهم اي ضبط امورهم وحفظها من خليقته فيسوس الامم كما يسوس الغنم بما سبق لهم اي للانبيا عليهم الصلاة والسلام من الكرامة باصطفائهم للرسالة في الازل ومتقدم العلم اي علم الله تعالى فانه اعلم بمن يجتبيه كما في الاية الله اعلم حيث يجعل رسالاته قال ابن حجر في شرح البخاري حصل لهم عليهم الصلاة والسلام التمرن برعيها على ما يكلف به من القيام بامر الامة والشفقة عليهم كما يصبر الراعي على سوق غنمه وجمعها اذا تفرقت وحفظها عن سبع وذئب وسارق وسوقها لما فيه نفعها في مرعاه وتفرده بامورها منقطعا عن الناس غير مشارك في امر ولا متوان فيقيس امور الناس بعد الرسالة على هذا المنوال ولذا قال كلكم راع ومسئول عن رعيته مع ما فيه من تواضعه وكسبه فقد امتثل فعلي ما ضرب له وكذلك اي مثل ما ذكر الله عن موسى الرعاية من غير تنقيص فيه قد ذكر الله عز وجل يتمه اي كونه تربى بغير ابوين صغيرا او مرض حكمته وعيلته اي كونه في القيام على اهله وعايلته في قلة معيشة قال تعالى الم يجدك يتيما فاوى الاية على طريق المنة عليه اي تعداد النعمة عليه لا تحقير اله صلى الله عليه وسلم والتعريف للناس بكرامته له اي باكرامه وتشريفه واليتيم في اصله بمعنى الانفراد وهو في الادمي من لا اب له وفي الحيوان من لا ام له وفي الطير من لا ام ولا اب له كما مر ووجهه ظاهر ومر ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم مات وهو جنين او في المهد وان امه ماتت وهو ابن ثمان وقيل اليتيم بمعنى منفرد لا نظير له كالدرة اليتيمة والعايل الذي لا مال له يقال عال يعيل عيلة اذا افتقر قال احيحة

فما يدري الفقير متى غناه • وما يدري الغني متى يعيل

أي يفتقر والعيلة الفقر فذكر الذاكر لها أي لما مر من أحوال نبينا وكذلك الأنبيا عليه
وعليهم الصلاة والسلام الجارية عليهم على وجه وطريق تغريب حال في ابتداء أمره والخبر
عن مبدايه بالمذاكرة به للعلما والتعجب من منح الله تعالى جمع منحة وهي العطية
نحله بكسر وفتح أي عليه وفي جانبه وعظيم منته عنده بما أفاضه عليه بعدما كان
عليه ليس فيه على هذا الوجه غضاضة تغض من مقامه وتنقيص له وإهانة
لعدم قصده لذلك بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته لما أكرمه الله به بعد
عدمه وكسبه له إذ أظهره الله تعالى فقواه ونشر ذكره بعد هذا الذي كان عليه في
ابتداء أمره على صناديد العرب جمع صنديد وهو السيد الشريف في قومه الجامع بين
الشجاعة والحماسة والجود الغالب لمن عاداه وعارضه ومن ناواه أي عاداه وأصله
الهمز من النوء وهو النهوض من أشرافهم شيئا فشيئا أي بطريق التدريج حتى أظفره
الله بهم وذللهم وأباد من أصر على عداوته وفتح ديارهم ومن عليهم كما وقع
له صلى الله عليه وسلم في فتح مكة وهو متعلق بقوله أظهره الله ونمى أي
زاد واشتهر أمره أي شأن نبوته حتى قهرهم وأذلهم فانقادوا وخاضعين له وتمكن
أي وصل من ملك مقاليدهم جمع مقلد بكسر الميم وهو المفتاح وملكها كناية عن حيازة
ممالكهم والتصرف فيها كما يريد واستباحة ممالك كثير من الأمم غيرهم أي غير العرب
كالروم والعجم جمع مملكة وهي الأقاليم المملوكة أي جعلها مباحة مفوضا له صلى
الله عليه وسلم ولأصحابه جميع ما فيها بإظهار الله تعالى له وإعلا كلمته ودينه
وتأييده وتقويته بنصره وما النصر إلا من عند الله وبالمؤمنين الذين اتبعوه
وجاهدوا في سبيله والف بين قلوبهم المحبة بعضهم لبعض وزوال ما كان بينهم
في الجاهلية من التباغض والعصبية ولا يقدر على تأليف القلوب غير الله كما قال
تعالى واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم وإمداده أي إرساله
له ذلك يوم بدر وغيره بالملائكة المسومين أي الذين لهم سمة وعلامة تميزهم
عن غيرهم وذلك كان بعمائم صفر مرخية بين أكتافهم وفي نواصي خيلهم وأذنابها
صوفا أبيض وهو بكسر الواو وفتحها لأن لهم سمة وقد سوموا خيولهم بما ستر
وغيره ولو كان صلى الله عليه وسلم ابن ملك بكسر اللام أي سلطان أو ذا أشياع
أي صاحب جنود وأتباع جمع شيعة وهي الفرقة العظيمة من الناس متفقد من
عليه متظهرون بأن كانوا أتباعه من أبيه وجده لحسب أي ظن كثير من الجهال
ومن لا بصيرة لهم أن ذلك أي ملك أبيه وأشياعه سبب ظهوره على غيره ومقتضى
اسم فاعل أي موجب علوه في شأنه وقدره كقيصر ولهذا أي لأجل ما ذكر من أنه
لو كان كذلك ظن الجهلة فيه ما تقدم قال هرقل ملك الروم لما سأل عنه لما
بلغه خبره وهو بكسر أوله وفتح ثانيه وسكون ثالثه كدمشق ويجوز إسكان
ثانيه وكسر ثالثه كخندف والأول هو المشهور والثاني حكاه الجوهري وغيره
ولقبه قيصر وهو أول من ضرب الدنانير وملك الروم إحدى وثلاثين سنة
وفي ملكه توفي النبي صلى الله عليه وسلم حين سأل أبا سفيان رضي الله عنه
وقرابته بتثليث لتبين يكنى أبا حنظلة وأن اسمه صخر بالمهملة ثم المعجمة

ابن حرب بالمهملة المفتوحة والرا الساكنة ثم الموحدة ابن امية ولد قبل الفيل بعشر
سنين واسلم ليلة الفتح وشهد الطايف وحنينا وفقيت احدي عينيه في الاولي
والاخري يوم اليرموك وتوفي بالمدينة سنة احدي او اربع وثلاثين وهو ابن ثمان
وثمانين سنة وصلي عليه عثمان رضي الله عنهما عنه صلي الله عليه وسلم بايليا
وقال له صفة مشبهة هل كان في اباىه من ملك بمن الجارة لملك بكسر اللام صفة
مشبهة في الاصل او من موصولة وملك ماض بفتحهما اصلنهما ثم قال هرقل له
بعد جوابه ولو كان في اباىه ملك لقلنا رجل يطلب بظهوره وعلوه ملك ابيه كعادة
ابنا الملوك وقال ابيه دون اباىه ليكون اعذر في طلب الملك او المراد بالاب ما هو اعم
من حقيقته ومجازه والحديث في الصحيحين وهو مشهور واذا اليتيم بضم اوله وسكون
ثانيه وتقدم تفسيره من صفته صلي الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة كالتوراة
والانجيل واخبار الامم السالفة المتقدمة التي تلقوها عن انبيايهم كما في
قصة تبع وكذا وصفه باليتيم ووقع ذكر هذه الصفة في كتاب ارميا بن حلقيا
نبي الله وكان له مصحف الهيبة وهو من بني اسرايل ذكره مفصل في التواريخ
وهو بفتح الهمزة وجوز كسرها وسكون الرا المهملة ومثناة تحتية والف
مقصورة كذا في الحواشي وفي مراة الزمان ان ارميا بضم الهمزة كما قراته علي شيخي
ابي منصور اللغوي يعني الجواليقي وقال ان ارميا كان من ابنا الملوك وانه
اوحي اليه فلما انذر قومه حبسوه فسلط الله عليهم بخت نصر وساق قصة
طويلة له ولهذا اي اليتيم وصفه ابن ذي يزن ملك اليمن ويزن ممنوع من الصرف
وفيه كلام للصاغاني في الذيل والصلة لعبد المطلب جده حين ذهب اليه مع
اشراف قريش ليهنوه باخذ ملكه من الحبشة فاختلي به وبشره بقدوم نبي عظيم
وانه لا اب له وانما يكفله جده وعمه وقد تقدم طرف من قصته معه واكرامه له
وكذا وصفه بحيرا الراهب لابي طالب حين ذهب معه للشام كما تقدم وفي كلامه
بموت ابويه وامه ويكفله جده وعمه وبحيرا هو بفتح الموحدة وكسر الحا المهملة
ويمد ويقصر ويقال بحير بلا الف وفي خبره ان الراهب ساله عنه لما راي
السحاب تظله فقال له انه ابني فقال انه لا ينبغي ان يكون له اب كما نجده في
كتبنا فاخبره بموت ابيه فصدقه وكذلك اي كوصفه باليتيم وصفه اذا وصف
بانه امي لا يقرا ولا يكتب كما وصفه الله تعالي به في قوله فامنوا بالله ورسوله
النبي الامي لانه فهو مدحة له وفضيلة ثابتة فيه لما سياتي وقاعدة معجزته
اي مثبتة ومقوية لها كالاساس للبنيان اذ معجزته العظمي الفايقة لساير المعجزات
من القران العظيم واعجازه انما هي متعلقة بطرق المعارف والعلوم التي وصلت
اليه مما لم يتفق ولا يمكن لغيره مع ما منح اي اعطي صلي الله عليه وسلم
وفضل به علي ساير الخلق من ذلك اي من علومه ومعارفه التي لا تصل اليها
عقول البشر كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا
الخط ولم يكتبه في عمره حرفا ولم يدارس اي لم يقارن احدا يدرس عنده ما يتعلمه
من الافواه ولا لقن اي لم يلق اليه احد شيا منه يقتضي العجب اي موجب له

ومنتهى العبر اي غاية ما فيه عبرة لمن يقف عليه ومعجزة البشر التي اعجزتهم عن مثله واذا
كان كذلك فليس في ذلك اي كونه اميا نقيصة له صلى الله عليه وسلم بل فيه من الشرف
والفخر ما يعجز عنه الوصف والمطلوب المقصود من تعلم الكتابة والقراءة المعرفة
بما يحتاج اليه من العلوم والمعارف فليست مقصودة لذاتها وانما هي اي القراءة والكتابة
آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها اذ لا فايدة لها في نفسها فاذا
حصلت الثمرة والمطلوب بالذات والثمرة فاكهة الاشجار نحو لحفا عن كل فايدة مترتبة
على امر من الامور استغني عن الواسطة والسبب الذي يراد لاجلها فهي فيه كمال
وفضيلة والامية في غيره ممن لم يصل الى العلوم نقيصة معيبة فيه لانها
حينئذ سبب الجهالة بالعلوم والمعارف وعنوان اي دليل ظاهر على الغباوة
بغين معجمة وموحدة وهي عدم الفطنة والة كالبلادة والحماقة والعنوان
ما يكتب على ظهر الكتاب ليعلم لمن هو وما هو فاريد به كل ما يدل على فعل خفي
وعينه تضم وتكسر لانه يعلم من اميته انه لبلادته لم يقدر على التعلم وقد علم
مما قبله انه مخصوص بحق نظيره عليه فلا حاجة الى ان يقول الا من خصته الله
بعلوم ولحفا كما قيل وفي العنوان لغات يقال عنوان وعلوان وفيه كلام في شرح
الفصيح سبحان من بان امره صلى الله عليه وسلم اي فضله وميزه وبعده من امر
غيره من الناس فجعله في اعلا مراتب من الكمال لا يحتاج لوسايط وآلات وجعله
ما به يمدح في غيره يعاب بنقص وهذا امر عجيب فلذا قال سبحان وهي تنزيه لله
يستعمل للتعجب كثيرا كان هذا الامر العجيب لا يقدر عليه سواه وجعل شرفه اي علو
مقامه وقدره فيما فيه محطه سواه الحط تنزيل شي من علو لسفل ومحط مصدر ميمي
والمراد ان نقص ما زاد به شرفه صلى الله عليه وسلم فيه نقص وتنزيل لغيره وهو
اشارة لما قدمه من بيانه الذي بين به ان ربه ادبه فاحسن تاديبه ورباه من غير منة
لمخلوق عليه فكان صلى الله عليه وسلم بهذا امتيازا لغيره ممن تربى يتيما وجعله
ذا عيلة ليعلم انه غني بالله وانه لم ينتفعه من نفعه لامر دنيوي وجعله اميا ليعلم ان
علمه لدني وهذا غاية الشرف وهو في غيره نقص وشين وجعل حياته فيما فيه هلاك
من عداه هذا اقوى مما قبله لانه قد يتيسر لبعض الخواص واما هذا وهو شق قلبه
فان الحكماء متفقون على ان القلب به قوام الحياة والادراك وهو رئيس الاعضاء
ولا يحتمل جراحة ولا خروجا من محله فكيف يعيش من يخرج قلبه ويشق وقد وقع
له صلى الله عليه وسلم مرارا اولها وهو صغير عند مرضعته كما تقدم بيانه
واخراج حشوته بضم الحاء المهملة وكسرها وسكون الشين المعجمة والمراد ما في
داخله من العلقة السوداء كما تقدم وبيان حكمته واصل الحشوة الامعاء والكرش
والمراد به هنا ما ذكرناه تجوزا فكان ما فيه هلاك غيره تمام حياته لانه اخرج
منه ما يتعلق به وسوسة الشيطان وملي علما وحكمة ففيه تمام الخلقة
بازالة منشي السوداء والمعنوية بالعلم الذي له بمنزلة الروح وغاية قوة
نفسه لان قلبه نطق واودع ما فوأه على تلقي الوحي ورؤية الملائكة وشدة
الاذعان والفطنة وثبات روعه بضم الراء المهملة قبل واو ساكنة وعين مهملة

ابن اقبرس

وهو القلب والادراك فاريد بشقه ان يجعل فيه ما يثبته على تلقي الوحي وملاقاة
الملائكة كما ورد في الحديث ان روح القدس نفث في روعي اي قلبي وخلدي وبه فسر
وهواي شق القلب اذا وقع فيمن سواه من الناس كان منتهيا اي غاية فهوي ومن اقوى
اسباب هلاكه باخراج روحه سريعا وحتم بفتح الحا المهملة وسكون المثناة الفوقيه
وميم اي وجوبه بحسب العقل يعني بعينه قطعا موته اي ذهاب حياته وفنايه بعيني
بذهاب روحه وما يتبعه وحديث الشق وتعدده رواه الشيخان وغيرهما
وتفصيله في شروحهما وهلم جرا تقدم الكلام عليها مبسوطا اي وغير ذلك
مما خالف فيه غيره مما يضاف الى سائر ما روي من اخباره وسيره في كتب الحديث
مما يباين حال غيره وتقلله من امور الدنيا في جميع احواله كما تقدم ومن الملبس
والمطعم والمركب تفصيل لامور الدنيا التي تقنع فيها وتواضعه للخلق مع علو
قدره وشرفه ومهنته بفتح الميم وكسرها وذهب الزمخشري تبعا للاصمعي انها
لا تكسر كما مر وهو مصدر بمعنى الابتذال والخدمة وفعله لنفسه مفعوله
في امور الدنيا كخصف نعله وخدمة بيته بنفسه وانما كان ذلك منه زهدا
في امور الدنيا بتركها ورغبة عن الدنيا لا فيها وتسويته بين حقيرها وخطيرها
اي عظيمها عند غيره لشرف نفسه عنها لسرعة فنا امورها وعدم بقائها وتقلب
احوالها من حال الى حال بحيث لا تدوم على حاله ابدا وكل هذا المذكور من فضائله
التي فضله الله بها على غيره ومآثره جمع مأثرة بالضم وهي ما استاثره اي
اختص به من الشرف والمكارم مما يؤثر عنه وشرفه كما ذكرناه فيما تقدم من هذا
الكتاب فمن اورد اي ذكر شيئا منها موردة اي في محله الذي ينبغي واصله من ورد
الما اذا ذهب ليسقي منه فاستعير لما ذكر وقصد بها مقصده اي يليق بقدره
وشرفه كان حسنا يمدح به ويثاب عليه عند الله ومن اورد ذلك على غير وجهه
اللائق به لايهامه تحقيرا وتنقيصا له وعلم منه بذلك الايراد له على غير وجهه سوء قصده
بتنقيص وشين لحق بالفصول الستة المتقدمة جمع فصل بصاد مهملة التي قدمناها
في هذا الباب وكذلك اي مثل هذا اما اورد على غير وجهه ما ورد من اخباره صلى الله
عليه وسلم واخبار سائر الانبيا صلاة الله وسلامه عليهم اجمعين في الاحاديث
التي يرويها القصاص مما ظاهره اشكال لمخالفته لما تقرر من احوال عصمتهم عنها
مما يقتضي امورا منفية لهم ولا تليق بهم بحال من الاحوال ويحتاج الى تاويل
لها يصرفها عن ظاهرها وتردد احتمال اي تردد سامعها لاحتمالها الوجوه اخر فلا
يجب اي لا يجوز كما مر ان يتحدث منها بنقلها وروايتها الا بالصحيح رواية عن
الثقاة ولا يروي منها الا المعلوم معناه الثابت نقله عن الايمة ورحم الله
عز وجل مالكا امام دار الهجرة فقد كره التحدث بمثل ذلك الذي فيه اشكال
يحوج لتاويله من الاحاديث الموهمة اي الموقعة في فهم سامعها او وهمه
للتشبيه اي تشبيه الله بغيره وهي ما يذكره المجسمة كحديث ان الله خلق ادم
عليه الصلاة والسلام على صورته والمشكلة المعنى كحديث ينزل ربنا كل ليلة
الى سما الدنيا في الثلث الاخير ونحوه مما ذكره الامام ابن فورك في كتاب المشكل

له

لا الى بيانه وهو كتاب جليل وقال الامام مالك ما يدعو الناس اي ما يقتضي نقل مثله
والى التحدث بمثل هذا الموهم المشكل معناه فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها ويرويها
للناس وهو الامام الثقة المحدث ابو عبد الله محمد بن عجلان الفقيه المدني اخرج له مسلم
وغيره روى عن ابيه وعن انس وغيرهما واخراج مسلم له انما هو في الشواهد وتوفي سنة
ثمان واربعين ومايه ومايه وقيل ان امه حملت به ثلاثة اعوام فشق بطنها واخرج وقد
نبتت اسنانه وله ترجمة في الميزان وكان مالك لا يرى التكلم في المتشابهات وهذا محمول
ابن اقيس
على نقلها عند العوام الذين لا يعرفون مثلها فلا وجه للاشكال بانه كيف يجوز ان يكتم
ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من غير نهي عن نقله ولكان مما يجب تركه لم يحدث
بها اصحابه الى اخر ما طال فيه تعجب لطايل فقال مالك لم يكن ابن عجلان من الفقهاء الذين
يعرفون ما في الحديث من الاحكام والدقايق وكان يحدث الناس بحديث ان الله خلق ادم
على صورته وهو من المتشابه المشكل وفيه تاويلات فقيل ان الضمير لمن ضرب على وجهه
لانه وقيل ان الصورة لها معان كالحقيقة والصفة كما يقال صورة المسألة كذا وفيه
كلام لهم مشهور وليت الناس وافقوه اي وافقوا الامام مالكا على ترك الحديث اي
ترك التحدث بها اي بالمتشابهات المشكلة وساعدوه المساعدة المعاونة والمراد بها
هنا الموافقة على طيها اي على رايه في تركها وعدم ذكرها راسا فاكثرها اي الاحاديث
المتشابهة المشكلة ليس تحتها عمل اي ليس مدلولها اجعلها تحت الالفاظ لخفائها كما
يقال ليس تحت هذا الامر فايدة لانها ليس فيها احكام شرعية وقد علمت ان هذا
مذهب مالك في كراهة الكلام على متشابه الحديث كما ذهب اليه بعضهم في متشابه
القران وقد قيل انه لم يوافقه عليه احد فانه لو كان كذلك لم يحدث بها النبي
صلى الله عليه وسلم اصحابه ولم يقل بلغوا عني وانما هو ابتلا للراسخين في العلم ه
للراسخين
ليتعبوا افكارهم ويعملوا انظارهم فيها حتى يطبقوها على المحكم وقد فعلوا اجزاهم
الله خيرا وقد حكي عن جماعة من السلف المتقدمين من الصحابة والتابعين بل حكي
كلامي
عنهم اي السلف على الجملة اي جميعهم انهم كانوا يكرهون كراهة تنزيه الكلام
على ما ليس تحته عمل مما لا يشتمل على الاحكام الشرعية ثم اشار الى جواب سؤال
مقدر فقال والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها اي حدث بها موردا لها على
قوم من الصحابة فهو جواب عما اشرنا اليه من انها لو كانت كذلك ما حدث بها عرب
لورن قفل وحجازي من صميم العرب واهل اللسان فهم يفهمون كلام العرب يعني
ومن جملة ذلك كلامه صلى الله عليه وسلم على وجهه الذي اريد به من غير
التباس وتصرفاتهم بالجر والنصب في حقيقته وما وضع له ومجازه الذي يجوز
به عنه مجازا لغويا او عقليا واستعارته من عطف الخاص على العام لانه مجاز
علاقته المشابهة وبليغه اي ما يورد من فصيحه على مقتضى الحال والمقام
وايجازه اي ايراد معانيه الكثيرة بالفاظ قليلة فلم تكن تلك الاحاديث في حقهم
مشكلة لانها لا يخفى عليهم مقاصدها ثم جا بعدهم من هذه الامة من غلبت
عليه العجمة لمخالطته العجم ودخول غير لسان العرب فقلما تجد عربيا
فصيحا بين اظهرهم والعجمة عدم الفصاحة وداخلته الامية اي الجهل بلسان

العرب فليس المراد به الامي بالمعنى المشهور فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب في كلامهم
العربي الا النقرتها ويعني به صريحها دون دقايق رموزها فهو عطف تفسير و لا
يتحقق اشاراتها اي لا يفهم دقايقها وتلويحاتها الى غرض الايجاز المقصود منه
ومن عدم بسطه ووحيها بحا مهملة واشكل معناه الرمز قال وحي الملاحظ
خيفة الرقبا وعرض تبليغها السامعها بلا تصريح وتلويحها التلويح هو التعريض
والاشارة فتوقفوا في تاويلها اي صاروا فرقا مختلفة لما ذكر في خفا المراد منها فقد حجبت
طايفة الجبنا بها او تاويلها بما ينبغي . معناها او حملها على ظاهرها من غير تاويل
لها شذر مذر اسمان ركبا وبنيا على الفتح كخمسة عشر بشين وذال معجمتين
وراين مهملتين مع فتح اولهما وكسرهما وابدال ميمه با وقيل هو الاصل من
التبذير وهو التفريق ومعناه متبددة متفرقة اي ذهبوا في المتشابه الى
مذاهب وجهات فمن قايل تاوله ومن قايل بنفيه على ظاهره ومن قايل نؤمن
به من غير تعرض لمعناه وكشف قناع وجهه فمنهم اي ممن تفرق شذر مذر
من امن به اي صدق به وبانه حق وتنزهه عن ان يراد به ظاهره ويفوض معناه
الى الله تعالى فيقف على قوله الا الله وهم كثير من السلف وهو اسلم ومنهم
من اوله بما يليق به والله اعلم كحديث ينزل ربنا الى السما الدنيا والقلوب بين
اصبعين من اصابع الرحمن ومنهم من كفر بسببه للخوض فيه بما لا يصح ابتغا الفتنة
واضلال الناس وفيه لف ونشر فمن امن راجع للتاويل ومن كفر للحمل على الظاهر
وبقي مذهب الوقف وهو معلوم مما تقدم واعلم ان الكلام على المتشابه من
الكتاب والسنة وقع هنا استطرادي اذ ليس مما نحن فيه لانه بصدد وصف
النبي صلى الله عليه وسلم بما يجوز او لا يجوز وليس من المتشابه في شي لكنه
يشبهه في تاويل بعضه ومنع الخوض فيه لبعضهم فاما ما لا يصح لعدم صحة
سنده من هذه الاحاديث المشكلة فواجب ان لا يذكر منها شي لعدم صحتها وعدم
صحة معانيها سوا كانت في حقه تعالى او في حق انبيايه كما قال في حق الله
تعالى ولا في حق انبيايه ولا يتحدث بها رواية ونقلا لا جهلا ما كذب فيحرم
نقله الا لبيان انه كذب وموضوع ولا يتكلف بعد نقلها الكلام على معانيها
بتفسيرها وتوجيه تاويلها والصواب طرحها اي تركها وترك الشغل بها
اي الاشتغال بذكرها وتاويلها والشغل بفتح الشين وضمها وسكون عينه
وضمها اتباعا الا ان يذكر على وجه التعريف والتبيين لمن لا يعرفها بانها مغيبة
المقاد بفتح الميم والقاف والف ودال مهملة من قدنا الدابة في سيرها وهو
اسم مكان منه استعير لطريق روايته وفي نسخة المقالة واهية الاسناد اي
اسنادها شديد الضعف ساقط عن درجة الاعتبار من وهى بمعنى وهن
وضعف وقيل انه من وهى الثوب اذا انخرق وقد انكر الاشياخ جمع شيخ
بمعنى العالم المعتمد على الامام ابي بكر بن فورك وهو الامام محمد بن الحسن
ابن فورك الشافعي المحدث الاصولي وفورك بضم الفا وراء مهملة واختلف
في صرفه وعدمه كما تقدم توفي سنة ست واربعماية ودفن بنيسابور

تكلفه

نكلنه متعود انكر في مشكله اي في كتابه الذي سماه مشكل الحديث في المتشابه الكلام
متعودلتكلف اي المتكلم علي احاديث ضعيفة موضوعة الظاهر او موضوعة لا اصل لها
اي لا نقل لها ولا سند صحيح ببغداد كلام لا اصل له اي كذب او منقولة عن اهل الكتاب
اي اليهود والنصارى كبعض قصص الانبيا الذين يلبسون بتخفيف البا الموحدة
وتشديدها اي يخلطون الحق بالباطل الذي اختلقوه وافتروه كان يكفيه طرحها اي
تركها ذكرها ويغنيه عن الكلام عليها بتاويلها وتوجيهها التنبيه علي ضعفها وان
روايتها لم تنقل عمن يعتد به اذا المقصود بالكلام علي مشكل ما فيها مما يخالف ظاهر
الصواب ازالة اللبس بها اي التباسها علي من لا علم عنده واجتثاثها اي قلعها وقطعها
بجيم ومثناة فوقية وثاءين مثلثتين واصلها قطع اصول الشجر فاستعير لما ذكر
وقوله من اصلها ترشيح فيه تورية وطرحها اي تركها راسا اكشف اي اظهر وابين
للبس من ذكرها وتاويلها واشفى للنفس اي اكثر شفاء من تاويلها وهذا الحامل منه
فانها بعد شيوعها لا بد من بيانها حتى لا يغتر بها الجهلة وفي كتاب ابن فورك فوايد
جليلة ومعان بديعة لعرفها من وقف عليه مع ان في كتابه احاديث منها ما هو
صحيح كحديث نزول الرحمن ومنها ما هو ضعيف نبه علي ضعفه كما ذكر في كتابه

## فصل وحما يجب علي المتكلم

علي ما يجوز علي النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز عليه كما تقدم
بيانه والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل الذي ذكر قبل هذا علي
طريق المذاكرة مع اقرانه والتعليم لمن هو دونه من طلبة العلم ان يلتزم فاعل
يجب اي يلازم من غير ترك في كلامه عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر تلك
الاحوال التي وقعت له الواجب من توقيره وتعظيمه بما يليق به ويراقب المتكلم
في كلامه الصادر منه حال لسانه بتغبيره لعبارة حسنة ولا يهمله اي لا يترك توقيره
ويظهر بتحتية مضمومة او فوقية مفتوحة علامات الادب تجوز نصب علامات
ورفعها عند ذكره حالا او مقالا فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد كما وقع له صلى
الله عليه وسلم في ابتدا دعوته واذاية المشركين له ظهر عليه الاشفاق عليه صلى
الله عليه وسلم باظهار شفقته عليه مما اصابه والارتماض اي احتراقه ولوعته
وهو بالضاد المعجمة يقال ارتمض الرجل من كذا اذا اشتد غايته والقلقه والغيظ
علي عدوه باظهار غضبه وعداوته لعدوه وظهر عليه مودة اي تمني الفدا للنبي
صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه اي علي ان يكون فدية له بنفسه واهله وماله
من جميع المكاره اي ان يسلم ويحل به ما حل به عوضا عنه والفدا اذا كسر مد وقصر
وقد ينون اذا جاور لام الامر نحو فدا لك كما في الصحاح فان فتح قصر وينصب ويرفع
وهو دعا له ومن الله تعظيم وتوقير لتنزهه عن معناه والنصرة له صلى الله عليه
وسلم لو امكنه نصره وكان معه واذا اخذ اي شرع في التكلم في ابواب العصمة اي
انواع ما عصمه الله منه وصانه وتكلم علي مجاري اي ما جرى من احواله الصادرة عنه
واقواله الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم تحرى بمهملتين اي قصد احسن اللفظ

وادب بهمزة ممدودة فتاء دال مهملة وموحدة افعل تفضيل العبارة التي يعبر بها اي
اكثرها ادبا وتوقيرا ما امكنه اي بقدر امكانه في بذل جهده وقدرته واجتنب اي ترك
في جانبه بشنيع ذلك بياء موحدة وشين معجمة اي ما فيه بشاعة وقباحة تمجها السمع
وهجرا اي ترك من العبارة ما يقبح كلفظ الجهل والكذب والمعصية فلا يتكلم بمثلها ولو
حكاية سوءا نالمقامه المصون نور وضح هذا وبينه بقوله فاذا تكلم في الاقوال اي فيما
يتعلق باقواله صلى الله عليه وسلم قال هل يجوز عليه صلى الله عليه وسلم الخلف
في القول والاخبار بكسر الهمزة مصدر اخبر بخلاف ما وقع سهوا او غلطا سبق به لسانه
ونحوه من العبارات من غير تعمد وقصد فانه لا يؤاخذ به وتقدم ان الخلف المخالفة
في الوعد قال ما اخلفنا موعدك بملكنا والمراد به تخلف القول مطلقا لا يقول هل
يجوز عليه الكذب بل لفظ الكذب جملة واحدة اي بجميع الفاظه من مصدر وفعل
واسم فاعل وكذا ما رادفه كمين واذا تكلم على العلم وما يتعلق به في وصفه به نفيا واثباتا
قال في حقه صلى الله عليه وسلم هل يجوز عليه ان لا يعلم الا ما علم بالتشديد وبنا المجهول
اي ما علمه الله عز وجل وهل يمكن ان لا يكون عنده اي في نفسه وعلمه كقوله اولئك
عند الله هم الكاذبون علم ببعض الاشيا التي يمكن علمها حتى يوحى اليه بها ولا يقول
في التعبير عن هذا يجهل وان كان وان كان الجهل عدم العلم لقبح هذا اللفظ وبشاعته
اي استهجانه في السمع قال الباقلاني يجوز عقلا كون النبي غير عالم ببعض شرايع
من قبله وبعض المسايل التي يتنازعها الفقها والمتكلمون اذا لم يخل بمعرفة التوحيد
وكونه غير عالم باللغات غير قومه وبعض امور الدنيا كالحرف والصنايع وقيده ابن
الهمام بما لم يخطر ببالهم فان خطرت ببالهم فلا بد من علمهم بها ولو اجتهادا بناء على
ان لهم الاجتهاد وانهم لا يقرون على خطا فيه فتامل واذا تكلم في امر الافعال اي
افعاله صلى الله عليه وسلم قال هل يجوز منه في بعض الاوامر التي امره الله
بها والنواهي التي نهاه الله عنها مواقعة اي وقوع بعض الصغاير منه فهو
اولى وادب بالمد اي اكثر ادبا من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا
وكذا كناية تادبا عما يكون من انواع المعاصي فهذا اي ترك الالفاظ القبيحة
والتعبير بغيرها من توقيره صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وما يجب له
من تعزير بزاي معجمة وراء مهملة اي تعظيم في نفسه واعظام عند غيره
زاده الله شرفا وتعظيما وفي قوله من توقيره اشارة الى ان كل تعظيمه
لا يمكن ان تحيط به العبارة قيل ولهذا اتى به في تسمية كتابه فقال الشفا في
بعض حقوق المصطفى وفيه نظر وقد رايت بعض العلما لم يتحفظ من هذا
اي لم يتركه فقبح بالتشديد ويجوز تخفيفه ولم استصوب عبارته فيه مما
يتحفظ منه اي لم اعده صوابا ورايت بعض الجايرين بالجيم اي المايلين عن
الانصاف وجوز بعضهم اهماله من الحيرة قوله بتشديد الواو من التقول
وهو تكلف القول والافترا عليه لاجل ترك التحفظ في العبارة باتيانه
بعبارة قبيحة ما لم يقله مصدر لقوله قوله من معناه اي قولا لم
يقله وشنع ذلك البعض عليه اي على من لم يتحفظ بما ياباه اي يمنعه

اي اقوى

في حقه

نحته صلى الله عليه وسلم ونكتة قائله اي بنسبته للكفر حوراً منه عليه واذا كان مثل
هذا من رعاية الادب جارياً بين الناس في محاوراتهم ومصاحبتهم مستعملاً في ادابهم
في مخاطباتهم ومكاتباتهم وحسن معاشرتهم اي اختلاط بعضهم ببعض كالعشاير
وخطابهما الجاري بينهم فاستعماله في حقه صلى الله عليه وسلم اوجب اي احق
واولى وحمله بعضهم على ظاهره فقال انه فرض ثم ذكر هنا الخلاف بين الشافعية
والحنفية في الفرق بين اللزوم والواجب والفرض والقول بترادفهما وليس هذا محله وما ذكره
ينافي ظاهر كلام المص في عده من الاداب والتزامه اكد بالمد افعل تفضيل من التوكيد
او التاكيد بابدال الهمزة الفا وجودة العبارة بفتح الجيم مصدر جاد الشيء فهو جيد
كانه لم يدخر شيئا من حسنه الا ابداه تفتح الشيء اي تجعل الحسن قبيحا وتحسن العبارة
اي تحسنه اي تجعله حسنا وان اتحد معناهما وهذا مما ذكره اهل المعاني والبلاغة
كما قيل في العسل

تقول هذا مجاج النحل تمدحه • وان تعبه تقل قيء الزنابير

وتسميه اهل المنطق المعاني الشعرية والشعر عندهم الامر المبني على التخييل نحو الخمر
جوهرة مذابة كما بينه ابن هلال في كتاب الصناعتين وتحريرها اي جعل العبارة محررة
منقحة ولقد تبهما اي تخليصهما مما لا يحسن قوله تعظم الامر اي يصيره عظيما وان كان
هينا او تهونه اي يجعله هينا وان كان عظيما في نفسه كمدح الموت او القتل الواقع في
كلام شجعان العرب فكم حمل على الالقا في التهلكة ومدح المال المحسن للشح به وللثعالبي
والجاحظ كتاب في مدح كل شيء وذمه وهو معروف بين اهل الادب ولهذا اي لاجل
ان جودة العبارة تحسن القبيح وتقبح الحسن قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
ان من البيان لسحرا البيان بمعنى الفصاحة واللسن من له ذكا وفطنة وقيل هو الكلام
المفصح المعرب اي الافهام المبين له احسن تبيين واقربه والسحر كما قال الراغب يطلق
على معان احدها خداع وتخييلات لا حقيقة لها كالشعوذة قال تعالى يخيل اليه من
سحرهم انها تسعى ومنه ما يكون بمعاونة الشيطان وما قيل من انه يغير الصورة
والطبائع لا اصل له وقيل انه ثابت واما في الحديث فهو استعارة اي كالسحر في الدقة
وصرف العقول والاسماع ولذا قيل فيه انه هنا يحتمل المدح والذم فقال ابن دريد انه
اورده مورد الذم لشبهه بعمل السحر في قلب القلوب وجلب الافئدة وتحسين
القبيح وتقبيح الحسن وامثاله في كلام العرب الصرف يقال سحره اذا صرفه وصيره
كمن سحره ويشهد له قوله في الحديث لعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض
فيكسب به من الاثم ما يكسبه الساحر بعمله فهو ذم وقيل انه ورد مورد المدح
اي يميل به القلوب ويرضي به الساخط ويستنزل به الصعب وقيل له السحر
الحلال ويشهد له قوله ان من الشعر لحكمة وقد ادخل مالك الحديث في باب ما يكره
من الكلام والظاهر انه في الحديث يحتمل للامرين وبه يحسن سياق المص ويقع في
حيزه واعلم ان ما ذكره المص باب عظيم من ابواب البلاغة وهو ان الكلام المتحد المعنى
يختلف باختلاف العبارة كما حكي عن الرشيد انه راى في منامه ان اسنانه كلها
وقعت وتعبيره ذهاب الاعوان والانصار فطلب معبرا يعبره رؤياه فاتى له

بجد غائب فقال بموت اولادك واحبابك وترى مصيبتهم فامر بقلع اسنانه ثم اتي
باخر فقال العمرك اطول من عمر اهلك وحواشيك واحبابك فامر ان يحشى فوه درا ولذلك
نظائر كثيرة في كتب البلاغة ولكل لفظ موقع لا يقع فيه مرادفه كما بينه الثعالبي
في كتاب فقه اللغة فاما ما اورده اي المتكلم في حقه صلى الله عليه وسلم مما
لا يجوز عليه على جهة النفي عنه اي ان يكون منفيا عنه والتنزيه له بنفيه عنه
فلا حرج اي لا ضرر ولا تضييق فيه مع نفيه في تسريح العبارة اي اطلاقها من غير
احتراز وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة اي في جميع احواله واقواله
فذكر الكذب مع النفي لا منع فيه ولا اتيان الكبائر بوجه من وجوهها فذكر الكبائر مع
النفي لا ينافي الادب ولا يتصور عنه الجور في الحكم على حال من الاحوال كالرضى والغضب
ولكن مع هذا اي تجويز مثله في النفي يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكر
مثل هذا الكلام في النفي وقد وجب توقيره مع ذكره مجردا من صفات لا تليق به فكيف
بهذا فيعلم بالطريق الاولى وقد كان السلف يظهر منهم حالات شديدة عند مجرد
ذكره صلى الله عليه وسلم من بكاء ورعدة لمهابته وتغير لون وتواجد كما قدمناه
في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك التوقير والتعظيم عند تلاوة اي
بالمد جمع اية من القرآن حكى الله فيها مقال عداه المنير لله تعالى فهو تنظير
لا تمثيل ويحتمل عوده للنبي صلى الله عليه وسلم اي ما ذكر فيه اعداء رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووقايعه فهو تمثيل لما نحن بصدده وذكر من كفر باياته اي
ايات الله عز وجل او معجزات رسله فالضمير له ايضا والفرى عليه الكذب اي
اخترعه واختلقه فكان يخفض فيهما صوته في الايات التي حكى فيها ذلك كانه خائف
من اظهار اعظاما لربه واجلالا له بتوقيره واشفاقا اي خوفا على نفسه وحذرا
من التشبيه بمن كفر به في اجراء ما ذكر على لسانه او يلبسه بما تلبسوا به وفي نسخة
سبحانه لا اله الا هو العلي العظيم المتعالي عما يقوله الجاحدون علوا كبيرا وخفض
الصوت المذكور يحكى عن ابراهيم النخعي رحمه الله كما في التبيان وما قيل من ان
سبب العيب يقتضي قابليته وانه من شانه مما لا ينبغي ذكره كما لا يخفى

## الباب الثاني من هذا القسم الرابع

في حكم سابه شرعا وشانئه اي مبغضه والمراد من يعيبه لبغضه وعداوته له
ومنتقصه اي ذاكر ما فيه نقص له صلى الله عليه وسلم ومؤذيه وفي ذكر
عقوبته التي يستحقها وذكر استتابته اي هل تقبل توبته ام لا ووراثته
اي هل تورث امواله ام لا قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رضي الله عنه
قد قدمنا في هذا الكتاب ما هو سب واذى في حقه صلى الله عليه وسلم
وذكرنا فيما تقدم ايضا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك المذكور من السب
والاذية وتقدم ايضا الكلام على هذا الاجماع وقايله اي من يقول له ويتكلم
به وتخيير الامام في قتله بالسيف او صلبه تشهيرا له بين الناس على منوال
ما ذكرناه مفصلا وقررنا اي ذكرنا الحجج اي الادلة من الكتاب والسنة القائمة

ابن اقبرس

عليه

عليه وبعد مبني على الضم اي بعد ما ذكرناه فاعلم ايها المخاطب بما ذكرناه من كل من يقف
عليه ان المشهور من مذهب الامام مالك واصحابه من اهل مذهبه وقول السلف
من الصحابة والتابعين وجمهور العلما اي اكثرهم قتله حدا ان وهي وما بعدها
سادة مسد مفعولي اعلم حدا لانه حد قذف مخصوص بالانبيا كما تقدم لا كفرا اي
لا يقتل بسبب كونه لانه ردة ان اظهر التوبة منه اي مما قاله لانه اذا اصر عليه يكون
كافرا ولهذا اي لكون قتله حدا لا تقبل توبته عندهم لان الحدود لا تسقط بالتوبة
وانما تنفعه توبته في الاخرة ان اخلص فيها ولم تكن تقية ولا تنفعه استقالته
اي طلبه الاقالة من ذنبه وما قاله وهي في معنى التوبة ولا فيئته بالفا والهمزة
المفتوحتين بينهما يا ساكنة وتا التانيث اي رجوعه عما صدر منه كما قدمناه
قبل اي قبل هذا وحكمه شرعا حكم الزنديق وهو مظهر الاسلام ومسر الكفر اي مبطنه
ومخفيه في سره وباطنه في هذه العقوبة الذي قاله من السب وقيل المراد به القول المشهور
عن مالك واصحابه ومن وافقهم عليه وغيرهم بقول تقبل توبته ولا تقتل وسوا
كانت توبته على هذا القول المشهور عن مالك بقتله حدا بعد القدرة عليه باخذه
من جانب الحاكم والشهادة عنده على ثبوت قوله الذي استحق به القتل او جا تايبا
من قبل نفسه بدون اخذ له وقيل بكسر القاف وفتح البا الموحدة بمعنى جهة لانه
حد وجب عليه شرعا بسبب قذفه والحد لا تسقطه التوبة كساير الحدود مثل حد
الزنا والسرقة وكون الحدود لا تسقط بالتوبة ليس على اطلاقه متفق عليه وانما
هو فيما اذا كان محض حق الادمي اما ما هو حق لله ففيه خلاف وسياتي تفصيل
هذا الحكم ان شا الله تعالى وقال الشيخ ابو الحسن القابسي الذي قدمنا ترجمته
اذا اقر بالسب له صلى الله عليه وسلم او لغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وتاب منه برجوعه عنه وندمه واظهر التوبة وقبلت منه قتل بالسب اي
بسبه صلى الله عليه وسلم لا بالكفر اذ هو حده اي حد هذا السب المخصوص
بالانبيا وقال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد رحمه الله القيرواني المالكي شيخ المذهب
كما تقدم في ترجمته مثله اي مثل قول القابسي واما ما بينه وبين الله تعالى في
الاخرة اذا اخلص في توبته فتوبته تنفعه عند الله تفضلا منه فانه يقبل التوبة
من عباده وقال ابن سحنون تقدم بيانه ايضا من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
يذكر ما فيه نقص لمقامه الشريف من الموحدين المراد بهم المسلمين فيخرج اهل
الكتاب ثم تاب عن ذلك ورجع عنه لم تزل بضم اوله مضارع ازال التوبة عنه
اي عن فاعله القتل لانه حده كما تقدم وكذلك اي كما اختلف فيمن سب قد
اختلف في الزنديق اذا جا تايبا من نفسه قبل الاخذ فحكى القاضي ابو الحسين
ابن القصار تقدمت ترجمته في ذلك الذي جا تايبا قولين في مذهب مالك
قال ابن القصار من شيوخنا وفي نسخة منهم اي من اصحاب مالك من قال
اقتله وجوبا باقراره بسبه او بانه زنديق لانه قبل اقراره يقدر على ستر
نفسه باخفا حاله ومقاله فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه بالاطلاع
على حاله فبادر اي اسرع قبل اخذه لذلك الاعتراف تقية لا رجوعا وندما

على ما عنده وعنه ومنهم اي من مشايخنا من ائمة المالكية من قال اقبل توبته لاني استدل
حكاية للفظه قولا على صحتها اي توبته لمجيئه بنفسه من غير طلب فكاننا وقفنا انظاهر حاله
على باطنه وما اسره في قلبه بخلاف من اسرته البينة اي شهدت عليه والزمته حتى
لانه اسير شد في وثاق قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله وهذا
القول الثاني قول اصبغ من المالكية ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى
في حكم القتل من مسألة الزنديق لانه حق الله وهذا ترجيح منه للقول الثاني
لتسويته الاول بينهما لا يتصور فيها الخلاف الذي في الزنديق على الاصل والقاعدة
الفقهية من المسامحة في حقوق الادمي المتقدم بيانه لانه اي سب النبي صلى الله
عليه وسلم حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم وحق لامته بسببه لانهم كورثته
في ارث حقوقه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين التي لا تسقط الا برضى
الخصم والزنديق حكمه اذا تاب بعد القدرة عليه باخذه بعد العلم بانه زنديق
فعند مالك والليث بن سعد واسحاق بن راهويه واحمد بن حنبل لا تقبل توبته
ولا يسقط بها قتله وعند الشافعي تقبل توبته وما نقله المص عن الشافعي
هو الصحيح من اقوال خمسة مفصلة في كتب الفقه واختلف اي اختلف النقل
فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف من اصحابه وترجمته مشهورة لا حاجة للتطويل
بها وحكى ابو بكر بن المنذر الامام الحافظ المشهور كما تقدم عن علي بن ابي
طالب كرم الله وجهه انه اي الزنديق يستتاب اي تقبل توبته ان تاب بعد
القدرة عليه والا قتل وقال محمد بن سحنون ولم يزل بفتح اوله وضم ثانيه
مبنيا للفاعل مضارع من الزوال اي لم يذهب ويسقط القتل عن المسلم الذي
سب النبي صلى الله عليه وسلم بالتوبة والرجوع عن سبه بعد صدوره منه
لانه لم ينتقل من دين هو حق الى غيره هو دين باطل فليس مرتدا وانما هو على دين
دين الاسلام لكنه صدر عنه ما يوجب الحد عليه وانما فعل شيئا وهو السب الموجب
للحد وحده عندنا القتل والحدود لا تسقط بالتوبة كما تقدم لا عفو فيه
لاحد لان حدود الله لا يسامح فيها فهو من هذا الوجه كالزنديق المظهر للاسلام
لانه اي الزنديق لم ينتقل من ظاهره في الحقيقة الى ظاهر في الباطلية غيره لبقاء
ظاهر اسلامه على حاله قيل في تعليله هذا نظر لانه ان اراد انه لم ينتقل لدين عرضي
نبي اخر كموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام يرد عليه انه لو صار مشركا
تقبل توبته وظاهره ان من لم ينتقل لدين لا تقبل توبته وفيه نظر وحكم الزنديق
مفصل في الفروع والمص لم يفصل في السب بين القذف وغيره والشافعية
لهم فيه تفصيل وفرقوا بينهما الا ان المص نقل ما في مذهبه وهو ثقة
فيه لا يعترض عليه بمذهب غيره وسيفصله في اخر هذا الباب بما يشفي
الصدور وقال القاضي ابو محمد بن نصر تقدم بيانه محتجا لسقوط اعتبار
توبته اي توبة من سب النبي صلى الله عليه وسلم والفرق بينه وبين من
سب الله تعالى فانه تقبل توبته وكان الظاهر خلافه لانه اشد والله تعالى
اجل واعظم وقد ذهب الاكثر الى قبول توبة من سبه على مشهور القول باستتابته

وقبول

وقبول توبته والفرق على هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس من شانه
في الجملة انهم يلحقهم المعرة وهي النقيصة التي يلحق صاحبها عار قال في المصباح المعرة
المساة والاثم من قولهم عره بالشر لعره من باب قتل كلطخه او هو من العر بمعنى الجرب
واستعير لما ذكر فهذا يجوز ان يلحق بعض البشر الا من اكرمه الله بنبوته فانه وان
كان من البشر لكن الله عصمه وحفظه عن ان تلحقه معرة ونقص كغيره من البشر والبارئ
بمعنى الخالق وهو الله تعالى منزه ومبرؤ عن جميع المعايب قطعا اي بدليل عقلي
لا يتردد فيه عاقل وليس من جنس اي ليس له جنس يكون منه لانه واحد احد
في ذاته وصفاته ليس كمثله شيء ولا ماهية له ولا تحد فلا يكون من جنس تلحق
المعرة جنسه بلحوق بعض افراده المعرة فيتوهم نسبة نقص له فلكونه معلوم الانتفا
لم ينظر اليه وجاز قبول توبته من سبه بخلاف البشر وليس هذا الكون سب الله اهون ای افترى
من سب غيره وهو مناف لقوله في نسبة الولد له تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض كما توهم بل لانه لظهوره بقدسه وتنزهه لا يلحقه بكلام بعض من لا عقل
له نقص ولو عند العقول القاصرة فلا يبالي بمثله وهو ضرب من الهذيان وهذا
مكابرة فيما افتريه القهما ناش من عدم الاذعان وهو ان هذا حق الله اكرم الاكرمين
وحقوق الله تقبل العفو وليس سبه صلى الله عليه وسلم كالارتداد المقبول
فيه التوبة وسبه لا تقبل فيه التوبة على قول كما تقدم لان الارتداد خروج
عن دينه معنى ينفرد به المرتد اي يختص به في نفسه لا حق فيه لغيره من الادميين
يتوقف قبوله على رضاه فقبلت توبته اي المرتد لهذا ومن سب النبي صلى الله عليه
وسلم تعلق فيه اي بسبب سبه حق لادمي وهو النبي صلى الله عليه وسلم فكان
من سب النبي صلى الله عليه وسلم كالمرتد يقتل بقتل الفاعل اي يقتل المرتد رجلا
آخر حين ارتداده وفي نسخة حال ارتداده فحينئذ يتعين قتله لحق الادمي الذي قتله اي هو
قصاصا او يقذف المرتد الذي يقذف حال ردته فلا بد من اقامة الحد عليه لتعلق
حق الادمي به حينئذ فان توبته اي توبة المرتد الذي قتل او قذف حين ردته
لا تسقط توبته عنه حد القتل والقذف لانه حق ادمي غيره وهذا هو الاصح
في المرتد انه لا بد من استتابته والكلام عليه مفصل في الفروع وفيه خلاف
لبعضهم وايضا مما يدل على الفرق بين المرتد والساب فان توبة المرتد اذا
قبلت فاسقطت قتله من حيث هو مرتد لا تسقط توبته ذنوبه من غير الردة
من زنا او سرقة او غيرهما من حقوق الادميين وانما تثبت اسلامه ولم تبطل ساب
النبي صلى الله عليه وسلم لكونه فيكون ردة كما قيل لكن لمعنى يرجع ويعود
الى تعظيم حرمته وحفظ مقامه باحترامه وتوقيره ويرجع اليه وال المعرة والنقص
اللاحق به وذلك لا تسقطه التوبة لانه متعلق بحرمته فهو حق له كحقوق الادميين
وهذا هو القول الصحيح عند ابي حنيفة ومالك ومن وغيرهما وفي قول انها
تسقطه ايضا لقوله في الزنا فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما وفي السرقة فمن تاب
من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ولا خلاف في سقوطها فيما بينه
وبين الله بعدم مؤاخذته بها وعليه يحمل ما ذكر وقال النووي في الروضة

سقوط الحد بالتوبة قول ضعيف قال القاضي ابو الفضل عياض المص رحمه الله تعقيد
لما تقدم من ان سبه صلى الله عليه وسلم ليس بكفر يزيد والله اعلم لان سبه صلى
الله عليه وسلم لم يكن بكلمة تقتضي الكفر كانكار نبوته ونحوه فهذا اللبس محل الخلاف
وعليه يحمل ما ورد من الحكم بكفره واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون
احب اليه من نفسه فمعناه لا يكمل اسلامه كغيره من النصوص فمن توهم هنا فانه
لما ذكره المص فقد قصر فالسب له مراتب تختلف بها احكامه ولكن المراد بالسب المذكور ما
يكون بمعنى الازرا او الاستخفاف اي يذكر فيه تنقيص لمقداره واذية غير شديدة
اولان من صدر عنه ذلك القول بانه كفر بتوبته ورجوعه عما قاله وانابته اي
رجوعه الى الحق ارتفع عنه اسم الكفر كالمرتد اذا اسلم لا يسمى كافرا ظاهرا وحن
انما نحكم بالظاهر والله تعالى اعلم بسريرته فان الله عز وجل هو العالم بالسرائر وبقي حكم
السب عليه لم يرتفع فيقتل حدا فلو اصر فهو كافر وفي قوله ازرا واستخفاف
نظر لان الازرا به صلى الله عليه وسلم والاستخفاف به كفر بل من اعظم الكفر فاستدراكه
ليس في محله ثم انه قيل انه اذا كان حدا كيف يترك والحدود لا يتسامح فيها كما تقدم
وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتل بعض من سبه واذاه الا ان يقال انه من خصايصه
جواز تركه اذا كان له فيه حق الا ان هذا يعود على الدليل بالنقض فلا يتم الجواب به
ولا يلزمه ان يكون مقتولا بالكفر الباطن وهو لا يحكم به كما قيل وقال ابو عمران القابسي
وفي نسخة القاسي وقد تقدم بيانه من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد
عن الاسلام باظهار رجوعه منه قتل ولم يستتب اي لم تطلب توبته ولم تقبل لان
السب من حقوق الادميين التي لا تسقط عن المرتد وان تاب لكن توبته ان اظهرها
واخلص فيها نفعته في الاخرة وكلام شيوخنا المالكية هؤلا المنقول عنهم انفا
وغيرهم مبني على القول بقتله اي الساب حدا في قذف الانبيا لا كفرا بردته
الا ان مجرد هذا لا يكفي في تحقيق ما قالوه وهو يحتاج الى تفصيل اكثر مما قالوه
وهذا مبني على عدم كفره والفرق بين القتل حدا وكفرا وكلاهما مشكل وقال السبكي
في السيف المسلول ان قتل المرتد عقوبة خاصة رتبها الشرع على خصوص الردة
كالرجم على الزنا فقتل المرتد حد وسقوطه بالتوبة لا ينافيه فان الرجم حد
بالاتفاق مع الاختلاف في سقوطه بالتوبة ومن ظن ان من سماه حدا لا يسقطه
بالاسلام فهو غالط فالساب المسلم مرتد والكلام فيه كالكلام في المرتد وان قتل
كقتله حدا انتهى ومنه يعلم ما في كلام المص في هذا الفصل وانه فرق بين الحد
وقتل الكفر وهو غير مسلم ايضا واما استشكاله بانه كيف يكون حدا مع انه
صلى الله عليه وسلم ترك قتل بعض الناس ممن سبه والحدود لا يمكن تركها
فغير مسلم على الاطلاق فان ما لا يعفى عنه منها ما هو حق الغير واما حق نفسه
صلى الله عليه وسلم فليس كذلك كما مر واما على رواية الوليد بن مسلم الذي
قدمنا ترجمته عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن وافقه لمالك وللوليد
ممن ذكرناه فيما تقدم وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه اي سب
الرسول صلى الله عليه وسلم ردة وكفر قالوا ويستتاب منها فتقبل توبته

ابن افترى

عوضي

كفره

كغيره ممن ارتد فان تاب نكل ببنا المجهول مشددا اي عوقب بتعزيره وضربه ونحوه وان
ابى التوبة فلم يتب قتل حكما له بحكم المرتد مطلقا اي باي وجه كانت الردة لحكمهما ماذكر
وفي هذا الوجه على هذا القول الذي رواه الوليد عن مالك والوجه الاول من انه
يقتل حدا لا كفرا اشهر واظهر لما قدمناه في توجيهه ونحن نبسط الكلام اي نفصله
ونوضحه فيه اي في سبه صلى الله عليه وسلم فنقول من لم يره اي من لم يعتقد ويذ هب
الى انه ردة ولكن هو يوجب القتل فيه حدا لا كفرا وانما نقول ذلك مع فصلين اي في
وجهين وصورتين مخصوصتين نفصله ونميزه عن غيره اما مع انكاره ما شهد به
عليه من سبه صلى الله عليه وسلم ولاجل انكاره لم يحكم بكونه لكن لما قامت البينة العا دلة
عليه او مع اظهاره الاقلاع افتعال من القلع وهو النزع اريد به الترك بالكلية والرجوع
عنه والتوبة عنه هو عطف تفسير فنقتله حدا كما تقدم لثبات كلمة الكفر عليه
بشهادة امضاها الحاكم عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم نسبه له فيجد حد
قاذف الانبيا وهو القتل وتحقيره ما عظم الله من حقه الذي اوجبه على عباده
واجرينا حكمه اي حكم التائب المنكر في ميراثه وفور تبرئته منه لظاهر اسلامه وغير
ذلك من حقوق المسلمين حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب ثم استشعر سؤالا
بانه كيف لا يحكم بكونه بعد ثبوت تكلمه بكلمة الكفر واجاب عنه بقوله فان قيل كيف
تثبتون عليه الكفر ويشهد ببنا المفعول اي يشهد الشهود وفي نسخة ويشهدون
عليه بما قاله من تلفظه بكلمة الكفر في سبه للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تحكمون عليه
بحكمه اي بحكم الكافر المرتد من الاستتابة وتوابعهما من ترك قتله اذا تاب ونحوه
قلنا في الجواب عن هذا السؤال نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل اي في قتله
كالمرتد فلا نقطع اي نجزم بالحكم عليه بذلك اي بكونه لاقراره بالتوحيد واتيانه
بكلمته واقراره بالنبوة اي بان محمدا نبي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وانكاره
ما شهد به عليه من السب والتحقير او زعمه بتثليث اوله اي ادعائه ان ذلك الذي
صدر منه كان منه وهلا اي خطا وذهولا منه وهو بفتحتين من وهل الى الشيء
يهل بالكسر كيعد اذا ذهب وهمه اليه او من وهل بالكسر يوهل اذا غلط وسهوا
ومعصية اي زعمه انه معصية لما سبق اليه وهمه من غير تعمد منه وانه مقلع
عن ذلك اي راجع عنه نادم عليه اي على ما صدر عنه واجاب عن سؤال
تقديره فكيف يثبت له احكام الكفر مع اسلامه بقوله ولا يمنع شرعا اثبات
بعض احكام الكفر كالقتل على بعض الاشخاص وان لم يثبت له خصايصه اي
ما يختص بالكفر من ميراثه وغيره كقتل تارك الصلاة عند القايل به كالشافعي
رضي الله عنه وهذا اذا تركها كسلا وتهاونا لا جحدا لها فانه كفر بالاتفاق
وعلى ما تقرر من مذهب الشافعي قال السبكي في طبقاته للمزني فيه اشكال
صعب فان هذا لا ينضبط لانه اما ان يكون على ترك صلاة مضت او لم
تات والاول باطل لان المقضية لا يقتل تاركها والثاني كذلك لانه له التاخير
ما لم يخرج الوقت فعلام يقتل وقد اجيب عنه بوجوه الاول انه وارد
في التعزير والضرب فالجواب الجواب وهو جدلي الثاني انه على الماضية

لانه تركها بلا عذر ورد بان القضا لا يجب على الفور وبان الشافعي لا يقتل بالمقضية مطلقا ومذهب اصحابه انه لا يقتل بالامتناع عن القضا الثالث انه يقتل بالمؤداة في اخر وقتها ويلزمه ان المبادرة الى القتل لتارك الصلاة احق منها الى المرتد اذ يستتاب وهذا لا يستتاب ولا يمهل اذ لو امهل صارت مقضية وقد مر ما فيه انتهى اقول قد يقال مراده من اعتقاد ذلك بقطع النظر عن كونها ادا او قضا المنافيه من تهاونه بما هو عماد الاسلام والمعترض فرضها في صلاة واحدة معينة فتدبر واما من علم انه سبه صلى الله عليه وسلم معتقدا استحلاله اي وهو يعتقد ان سبه يحل له مع حرمته اجماعا فلا يشك في كونه بذلك اي باعتقاده حل ما حرمه الله وما ذكره من ان سبه انما يكون كفرا اذا استحله صحح بعضهم خلافه وقال الصحيح انه يكفر مطلقا وهو اظهر وكذلك لا يشك في كونه ان كان سبه كفرا اي ما سبه فان انواع السب متفاوتة كتكذيبه اي ادعا كذبه فيما بلغه عن ربه وتكفيره اي قوله انه صدر منه كفر ونحوه فانه متضمن لعدم الايمان به صلى الله عليه وسلم وهو عين الكفر فهذا مما لا اشكال فيه اي في الحكم بكونه لما عرفته ويقتل ان لم يتب بل وان تاب منه لكن قتله مع عدم موروثه لردته به لانا لا نقبل توبته فهو لا يدفع عنه القتل ونقتله بعد التوبة حدا لا كفرا لرجوعه عنه وانما نقتله لقوله الذي صدر منه ومتقدم كونه قبل توبته صيانة لمقام النبوة لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم وهذا احد المذهبين فيه عند الشافعي والاخر انه اذا قبلت توبته واقلاعه لا يقتل وهذا حكمه في الدنيا وامره بعد اي بعد قبول توبته في الاخرة مفوض الى الله المطلع على صحة اقلاعه واخلاص طويته في توبته العالم بسره وما اضمره في قلبه من عقيدته وكذلك من سبه ولم يتظاهر بالتوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم اي بقي ثابتا ملازما لقوله عليه فهذا كافر بلا خلاف في كونه وقتله بقوله الصادر عنه وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم والحرمة ما يجب احترامه وتوقيره وهتكهما بتركها واظهار ما يخالفهما يقتل كافرا بلا خلاف في كفره وقتله فعلى هذه التفصيلات المذكورة خذ كلام العلما اي اعلم واعتقد ما نقل عن علما الامة من اصحاب المذاهب على الاصح عندهم فهو وما بعده امر بخا وذال معجمتين من الاخذ وقيل انه بجيم مفتوحة وذال معجمة مشددة اي اعتبر حدوده ونزل اي احمل مختلف عباراتهم المنقولة عنهم في كتبهم في الاحتجاج عليها فعدم القتل ينزل على بعض الصور ووجوبه ينزل على بعض اخر مما فصله واجر اختلافهم المنقول عنهم في الموازنة اي تعيين احكامها وتطبيق بعضها على بعض كما تعلم المقادير موازنتها وفي نسخة والوازنة وغيرها بمخالفة البعض لغيره على ترتيبها اي ترتيب التفصيلات المتقدمة يتضح لك مقاصدهم نفيا واثباتا بالتوفيق بينها ان شاء الله تعالى

## فصل

اذا قلنا بالاستتابة لمن سب النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا حيث تصح اي في محل حكم بصحتها فيه الفقها فالاختلاف

فيها

فيها اي الاستتابة بنا على الاختلاف في توبة المرتد لاشتراكهما في الكفر بعد الاسلام لا فرق
بينهما عند مالك واصحابه ولو قال استتابة المرتد كان احسن لانه اذا جا تايبا من
نفسه لم يجر فيه هذا الخلاف وقد اختلف في وجوبها وصورتها اي كيفية الاستتابة
على اي وجه تكون ومدتها التي يمهل فيها فذهب جمهور العلما اي اكثرهم الى ان
المرتد يستتاب اي يطلب منه التوبة عن ردته وحكى ابن القصار من ايمة المالكية وقد
تقدمت ترجمته انه اجماع من الصحابة في زمنهم رضي الله عنهم اجمعين ثم بين الاجماع
بانهم اتفقوا على تصويب قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الاستتابة حتى حكم بها
ولم ينكره واحد منهم ولم يخالفه فيه احد وهو قول عثمان بن عفان رضي الله عنه
وعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه وابن مسعود من الصحابة رضوان الله عليهم ثم ذكر
من تابع الصحابة عليه من كبار التابعين ولذا اعتبر اسلوبه فقال وبه قال اي افتى
واعتقد عطا بن ابي رباح كما تقدم وابراهيم النخعي بفتح الخا المعجمة وسكنها
بعضهم تخفيفا وسفيان الثوري ومالك واصحابه والاوزاعي نسبة للاوزاع
قبيلة كما تقدم والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم بن راهويه واصحاب
الراي قال النووي المراد باصحاب الراي في عرف اهل خراسان من الشافعية ابو حنيفة
واصحابه وهي عبارة غير لايقة ان قصد وانها انهم يتبعون اراهم ولا يتقيدون
بنصوص الاحاديث فان اريد بها شدة ذكايهم في استنباط الاحكام كما قال المتنبي ◦

الراي قبل شجاعة الشجعان ◦ هو اول وهي المحل الثاني

فلا باس به وذهب طاوس بن كيسان اليمني ومحمد بن حسن وعبيد بن عمير بن قتادة
ابن سعد اليمني وهو ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة اربع وسبعين ومائة والحسن
في احدى الروايتين عنه والاخرى موافقة الجمهور فيه الى انه لا يستتاب فيقتل
وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة بفتحتين وهو المعروف بالماجشون كما تقدم
وهو امام معظم مشهور توفي سنة اربع وعشرين ومائة وليس هو عبد العزيز
ابن ابي سلمة العمري وذكره عن معاذ بن جبل الانصاري الصحابي اي رواه عنه
وانكره سحنون عن معاذ اي انكر روايته عنه وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف
وهو قول اهل الظاهر اي من مذهبهم الاخذ بظاهر الادلة وهو مذهب داود
ابن محمد الظاهري ومن تبعه كابن حزم قالوا وان لم يستتب تنفعه توبته عند
الله في الاخرة لانه ليس بكافر ولكن توبته لا تدرا اي تدفع وترفع عنه القتل
عند الحاكم نقتله حدا لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن
ابن عباس من بدل دينه فاقتلوه وظاهره يقتضي المبادرة لقتله من غير استتابة
والقايل بخلافه يقول انه لم يتب لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف الى غير ذلك من الادلة وحكى ايضا عن عطا بن ابي رباح ان كان
المرتد الشاب ممن ولد في الاسلام بان ولد مسلما وكان بين اظهر المسلمين لم يستتب
لانه غير معذور في مثله ويستتاب الاسلامي اي من ولد كافرا ثم نظر اعلية الاسلام
لقيام شبهة عنده بما كان في طبعه من الكفر فيعذر وتيالف وجمهور العلما على
ان المرتد والمراة المرتدة في ذلك اي في القتل بالردة سوا لا فرق بينهما وروي عن

علي رضي الله عنه موقوفا عليه وهو مذهبه لا تقتل المرتدة وتسترق او تحبس لما ورد
في الحديث من النهي عن قتل النسا وقاله عطا وقتادة وروي عن ابن عباس لا تقتل النسا
في الردة اي بسببها ولا تحلها وبه اي بهذا المذهب قال ابو حنيفة وروي عن مالك
اي القول به وفي نسخة وقال مالك رحمه الله وقد علمت ان مذهب ابي حنيفة
انها لا تقتل بل تحبس ودليله ما ورد في الحديث من النهي عن قتل النسا وغيره
حمله على الكافرة الاصلية لان قتل الكافر لدفع ضرره ونكايته والمراة لا تخشى
نكايتها وغيره يقول العلة الكفر والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك الحكم
سوا فيقتلون جميعا واما مدتها اي مدة الاستتابة عند القايلين بها
فمذهب الجمهور من العلما فيها وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تقدير
المدة انه يستتاب ثلاثة ايام ويحبس فيها فان تاب اطلق والا قتل وقد
اختلف فيه اي في هذا المذهب المروي عن عمر في المدة المذكورة وهو احد قولي
الشافعي والقول الاخر انه يستتاب في الحال فان تاب والا قتل وهو قول احمد
ابن حنبل واسحاق بن راهويه ايضا واستحسنه الامام مالك بن انس وقال
مالك في وجه استحسانه لرجحانه عنده لا ياتي الاستظهار اي الاحتياط بالتاخير
والتثبت حتى يظهر لاولي الامر اي التاني وعدم العجلة خير في مثل هذا
وليس عليه اي على هذا القول بالتاخير والتاني جماعة الناس اي فالجمهور
على خلاف هذا القول قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد من المالكية وقد قدمنا
ترجمته يريد في الاستينا اي التاخير وهو استفعال من التاني والاناء واصله
من الان وهو الزمان كما قال تعالى الم يان للذين امنوا ثلاثا من الايام كما تقدم
وقال مالك ايضا الذي اخذ به اي اعمل به واتخذه مذهبا في حكم المرتد قول عمر
رضي الله عنه وهو انه يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه في كل يوم التوبة والرجوع
بوعظه ونصيحته فان تاب اطلق والا قتل وقال ابو الحسين بن القصار من
المالكية كما تقدم وفي تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك التاخير واجب
على الحاكم فلا تجوز المبادرة لقتله او مستحب فيجوز قتله قبلها واستحسن الاستتابة
والاستينا بالمدة اي التاخير ثلاثا اهل الراي اي القياس والمراد ابو حنيفة
واصحابه كما مر بما فيه وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب
اي طلب توبة امراة ارتدت واسمها ام قرفة وهي من بني فزارة فلم تتب فقتلها
لانه لا فرق عنده بين الذكر والانثى وقال الشافعي مرة اي يستتاب مرة واحدة
فقال ان لم يتب قتل مكانه اي في محله الذي عرض عليه التوبة فيه واستحسنه
المزني من ايمة الشافعية وهو القول الاصح في مذهبهم وقال الامام ابو بكر محمد
ابن مسلم بن شهاب الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات في وقت واحد او في يوم واحد
ويحتمل انه في ثلاث ايام وهو خلاف الظاهر فان ابى التوبة قتل وروي عن علي
انه يستتاب شهرين فان ابى قتل وقال النخعي يستتاب ابدا المراد به زمنا
طويلا وبه اخذ سفيان الثوري الا انه قال زيادة ما رجيت توبته فزاد فيدا
فسر به كلام النخعي بان المراد بالابد ما دامت التوبة ترجى منه وربما يكون كلام

ابن وهب الابي عن مالك مفسرا لهذا وحكي ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث
مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع جمعة في كل يوم او في كل جمعة مرة هذا اما تخيير من
ابي حنيفة او شك من ابن القصار ومن المخ وفي كتاب محمد المعروف بابن المواز من
المالكية عن ابن القاسم واسمه عبد الرحمن كما تقدم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات
في ثلاثة ايام كما هو مذهب مالك فاذا ابى الرجوع ضربت عنقه بعد دعوته واختلف
على هذا باستتابته وتاخير قتله هل يهدد بزجره ووعيده بالقتل ونحوه او يشدد
عليه بتضييق حبسه ووضعه في الاغلال ونحو في مدة ايام الاستتابة ليتوب
بسبب تهديده والتشديد عليه ام لا فيكتفي بحبسه فقال مالك ما علمت ان في زمن
الاستتابة تجويعا لعدم ايصال الطعام ولا تعطيشا بترك سقيه الما ويؤتي من
الطعام بما لا يضره فلا يؤتي ما هو شديد المرارة او مستقذر ايكرهه وقال اصبغ يخوف
ايام الاستتابة بالقتل ليرجع ويعرض عليه الاسلام فيقال له اسلم تسلم وفي كتاب
ابي الحسن الطابثي بفتح الطا المهملة والف بعدها با موحدة ثم ثا مثلثة ويا
نسبة لنسبة لطابث وهي قرية قريبة من البصرة وهذا من جملة العلما المشهورين
وفي نسخة ابي الحسن انه يوعظ في تلك الايام التي امهل بها ويذكر بالجنة ودخولها
اذا تاب ويخوف بالنار ووعد الها اذا لم يتب ويرجع عما هو عليه وقال اصبغ واي
المواضع حبس فيها من السجون مع الناس المحبوسين فيها بسبب ما او حبس وحده
في سجن مخصوص به اذا استوثق منه وفي نسخة اذا اوثق اي حفظ حتى لا يؤذي اذ
المقصود حفظه حتى يتبين حاله فكل سجن في حقه سوا لحصول المراد به ويوقف
مع ذلك ماله اي كل شي يملكه بجعل محفوظا بيد غيره ويجوز جعله بما الموصولة
والجار والمجرور صلة لها خيفة بالنصب مفعول له وفي نسخة اذا خيف ان يتلفه
على المسلمين اي لئلا يتلفه عليهم وهذه علة لا يلزم اطرادها فلا وجه للاعتراض
بانه يقتضي انه لا يوقف ان لم يخش اتلافه لان وقفه لاجل انه في لردته ويطعم منه
اي من ماله ويسقي اي ينفق عليه مدة حبسه من ماله يعني ان ماله موقوف لم
يزل ملكه عنه فان اسلم تبين انه باق على ملكه والا كان فيئا كغيره من اموال الكفرة
فيوسع في بيت المال والكلام عليه مفصل في كتب الفقه وكذلك اي مثل ما تقدم
من المدة تفصيلا كلما رجع وارتد لردته ثم تاب اي اذا تكررت ردته ابدا ثم
استدل بقوله وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان بفتح النون
وسكون البا الموحدة وها وهو فلان من نبه ونبيه وفي الصحابة من اسمه
نبهان ثلاثة احدهم نبهان التمار وكنيته ابو مقبل وسمي تمارا لان امراة
جميلة باعته تمرا فقال لها في بيتي اجود منه فذهبت معه فضمها وقبلها
فقالت له اتق الله فتركها ثم ندم واخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل فيه والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وقال البرهان في الصحابة ثلاثة
اسم كل منهم نبهان لا اعلم الذي ارتد منهم اربع مرات او خمسا اهو ابو مقبل
التمار الذي روى عنه مقاتل وغيره او نبهان الذي ذكره ابن شاهين وروى
عنه ابنه والثالث نبهان الانصاري قال الذهبي ولعله احد هذين وذكر

دجه

يستتاب مي

البيهقي من ارتد واسمه نبهان ولم نعينه ولم يذكر ابن الجوزي من اسمه نبهان من الصحابة غير الاول وقال ابن وهب المصري المالكي وقد تقدم عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع الى ردته وتكررت منه وهو قول الشافعي واحمد بن حنبل وقاله ابن القاسم وقال اسحاق بن راهويه يقتل في الردة الرابعة دون استتابة لانه علم بها عدم ثباته على الاسلام وقال اصحاب الراي يعني الحنفية ان لم يتب في الردة الرابعة من نفسه من غير استتابة قتل دون استتابة اي لا نطلب توبته منه ولا عرضها عليه وان تاب بنفسه في الرابعة ضرب ضربا وجيعا شديدا مولما زجرا له على تكرر ردته ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة بانكساره وندمه وتذلله وهذا لا يخالف قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف لانه في حق الكافر الاصلي مع انه لا ينافي مغفرة الله له اصلا قال ابو بكر محمد بن المنذر الذي تقدمت ترجمته ولا نعلم احدا ممن يعتد به من العلماء اوجب على المرتد في المرة الاولى من ردته المتكررة ادبا اي تاديبا بضرب ونحوه اذا رجع عنها بنفسه الى الاسلام وهو مذهب مالك والشافعي وابو حنيفة الكوفي نسبة الى الكوفة مدينة معروفة وفي تقييده بالاولى اشارة الى ان في غيرها خلافا كالثالثة

## فصل قال القاضي

ابو الفضل عياض لمم رحمه الله هذا المذكور كله حكم من ثبت عليه ذلك الذي قدمه من السب والردة بما يجب وتحقق ثبوته شرعا من اقرار واعتراف بما صدر منه او عدول اي شهادة شهود عدول لم يدفع فيهم بينا المجهول اي لم يطعن بتهمة في عدالتهم فاما من لم يتم الشهادة عليه اي نصابها او لم تقبل انما شهد عليه الواحد فقط او اللفيف اي الجماعة والطايفة الملتفين من الناس الذين لا تقبل شهادتهم وقيل المراد باللفيف اشخاص مختلفة لهم عليه حمية وعصبية او اهل التزوير او ثبت قوله الصادر عنه لكن احتمل معنى اخر لا يقتضي الكفر ولم يكن صريحا في السب او الكفر وكذلك اي مثل ما لم يتم من الشهادة ان تاب ورجع بنفسه على القول بقبول توبته كما تقدم نقله فهذا يدرا اي يدفع ويمنع عنه القتل ويتسلط اي يمضي عليه اجتهاد الامام فيفعل ما يقتضيه رايه من زجر وضرب ونحوه بقدر شهرة حاله وقلة ذلك بشهرة ديانته وحفظ لسانه ونحوه مما علم منه وقوة الشهادة عليه ككونهم غير معروفين بالكذب والغفلة ونحوها وضعفها بكونهم على خلاف ذلك وكثرة السماع عنه بكثرة ما عزي اليه وصورة حاله اي ظاهرها من التهمة في الدين اي كونه متهما في دينه معروفا بالفسق والتهاون والنبز بفتح النون وسكون البا الموحدة وزاي معجمة اي وصفه بين الناس وشهرة ذكره بالسفه اي الخفة في العقل والدين وكثرة لغطه بما لا يعني والمجون اي سخريته وهزله وعدم مبالاته بما يتكلم به واصل النبز اللقب المذموم قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب يقال نبز وتنزب اذا دعى غيره بسوء واريد به هنا شهرة اتصافه به حتى كانه صار علما له والسفه اصله لغة الخفة كما علم

دلجي

عرمني

والمجون

ابن اقبوس

قه

وكتاب محمد بن المواز المتقدم

والمجون غلظ الوجه فاريد به ما مر ولا يرد على هذا انه اذا لم يتم انتفى حكمه فكيف
يتسلط عليه حكم الحاكم لانه امر يرجع لاجتهاد الحاكم وسياسته لامر الدين فمن قوي امره بظهور
ما نسب اليه مما يقتضي الكفر ككونه معروفا بقلة دينه وكثرة صدور ما يشبهه منه اذا
اي فعل به الحاكم ما يقتضيه حاله من شديد النكال اي العقوبة الشديدة المانعة له عما
فعله والاذاقة في الطعام استعيرت لمس الالام كما تقرر عندهم من التضييق عليه
بحبس في السجن ونحوه وهو بيان للنكال والشد اي الربط في القيود الى الغاية
والنهاية التي هي منتهى طاقته اي ما يطيقه ولا يهلكه بشيء مما اي من امور من انواع
الشد والتضييق بحيث لا يمنعه القيام لضرورته اي فعل اموره الضرورية التي
لا بد له منها في وجوده ولا يقعده عن صلاته اي يعوقه عنها او عن ادراكها
على التمام فليس القعود عنها ضد القيام بل العوق عنها مجازا وفيه ايهام
وتورية لجواز ارادة ان يصلي قاعدا لكنه غير مراد وهو اي النكال المذكور حكم
كل من وجب عليه القتل بوجه من الوجوه لكن وقف بمعنى المجهول اي يوقف الحاكم
عن قتله بعدم المبادرة له لمعنى اي سبب عن وقصد اوجبه اي التوقف في قتله
وتربص بمعنى المجهول اي اخر وانتظر في امره لاشكال اي لامر اوجب التردد فيه
وعائق اي امر عاق عنه اقتضاه اي اقتضى التربص والتاخير امره اي حاله
وشانه وحالات الشدة عليه في نكاله وعقابه تختلف شدة وضعفا بحسب اختلاف
حاله في الظهور والقوة وعدمها وقد روى الوليد بن مسلم كما تقدم عن مالك
والاوزاعي انها اي مقالته غير الصريحة ردة فاذا تاب ورجع عنها نكل بمعنى
المجهول والتشديد اي عوقب ولمالك في العتبية اسم كتاب كما تقدم من رواية
اشهب عن الامام مالك اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه بقتل وغيره وقاله سحنون
رحمه الله تعالى وافتى ابو عبد الله بن عتاب من المالكية فيمن سب النبي صلى الله
عليه وسلم فشهد عليه شاهدان بانه سب لكن عدل احدهما دون الاخر بالادب
اي افتى بتاديبه وهو متعلق بافتى وما بينهما اعتراض الموجع المؤلم والتنكيل
لعقوبته والسجن الطويل زمانه حتى يظهر عليه توبته اي علاماتها وقال
القابسي مثل هذا الذي قاله ابن عتاب بعينه ومن كان اقصى اي غاية امره
في الحكم عليه القتل فعاق عائق عن قتله كما مر اشكل منه عائق في القتل
متعلق بهما على التنازع وقوله لم ينبع لم يضبطه احد ممن تكلم عليه هنا
الا انه وقع في النسخ بنون بعدها موحدة وعين معجمة وهو بكسر الغين مجزوم
واصله ينبغي ولو قيل انه بسكون الغين صح لكنه يبعد من نبع وهو اذا اسند
لغير العقلاء كان بمعنى ظهر يقال نبغ الامر اذا ظهر فهو ظاهر هنا وان لم يؤلف
استعماله ويقال نبغ فلان اذا قال الشعر وبه سمي النابغة ان يطلق من السجن
اي لا يظهر اطلاقه منه بل يبقى فيه مدة ولكن يستطال سجنه وفي نسخة ولا
يستطال سجنه وينبغي ان يعطف على يطلق او لا ينبغي ان لا يستطال سجنه
لتتفق معناهما ولو كان فيه اي في السجن من المدة الطويلة ما عسى ان يقيم
في السجن اي ولو طال جدا ويحمل عليه من القيد ما يطيق اي غاية ما يطيقه

اذا افترق

ولا يكلف فوق طاقته وتحمله وكل هذا التعزير له براي الحاكم لتهمته وان لم يثبت عليه ذلك
ومثله كثير في الاحكام الشرعية فلا وجه لانكاره والقول بانه لا يلزم من عدم ثبوت
ما يوجب القتل ثبوت ما يوجب التعزير لا سيما على مذهب مالك في سد الذرايع لا وجه له
فالدندنة بمثله والاطالة فيه من ضيق العطن وقلة الفطن وقد كررة وحسب دنيا
منه نعوذ به وقال القابسي في مثله من اشكل امره ولم يظهر حاله يشد في القيود
شدا وثيقا ويضيق عليه في السجن اي يضيق بسجنه او يضيق سجنه حتى ينظر اي يعلم امره
فيما يجب عليه من تنكيل او قتل او اطلاق وقال القابسي في مسئلة اخرى مثلها مسابقة
لها ولا اهراق الدما اي نصب من الاراقة والهاء زيدة فيه وفيه كلام مفصل في كتب
العربية واللغة ليس هذا محله الا بالامر الواضح الذي لا اشكال فيه لان الدما مصونة
شرعا حتى يظهر ما يقتضيها وفي الادب اي التاديب بالضرب بالسوط والادب بالقيد
نكال للسفها وزادع لهم عن التكلم بما لا يليق مغن عن اراقة الدما والجراة على
الحدود المدروة بالشبهات ويعاقب عقوبة شديدة تردعه عما جناه من مقاله فاما
ان لم يشهد عليه سوى شاهدين لانحصار الشهادة فيهما فاثبت المشهود عليه من
عداوتهما اي اثبت ان بينه وبينهما عداوة تقتضي ان لا يقبل قولهما في حقه والمراد
بالعداوة العداوة الظاهرة الدنيوية بحيث يسره ما يسوؤه ويتمنى له المكروه ويعلم
انه لو قدر على ايصال ضرر له فعل كما بين في كتب الفقه او جرحتهما اي بيان
الجرح ما اسقطهما اي اسقط شهادتهما وعدم قبولها لفسق وزور وعرفا عند
الناس فاسقط قبول شهادتهما عنه ولم يسمع ذلك الامر الذي شهدا به من غيرهما
من تقبل شهادتهما فامره اخف في المسامحة في امره وترك قتله لسقوط الحكم عنه
لعدم قبول الشهادة عليه شرعا وكانه لم يشهد عليه شاهدا اصلا لان الشاهد
اذا سقطت شهادته كالعدم الا ان يكون المشهود عليه ممن يليق به ذلك الامر
الذي نسبه الشهود اليه لانه معروف لعدم الديانة والاستخفاف بالدين
فيكون مظنة لما شهدوا به ويكون الشاهدان عليه اللذان اثبت عداوتهما
وجرحتهما من اهل التبريز من برز اذا فاق اقرانه اي يكونان معروفين
بالعدالة والتدقيق ولم يعهد لهما اهانة احد من الناس ولو كان عدوا لهما
فاسقطهما اي اسقط شهادتهما بالطعن بعداوة معروفة بينهما قبل هذا اي
المشهود عليه او الامر والشان وان لم ينفذ الحكم عليه بموجب ما شهدا به من
سب ونحوه مما يوجب القتل بشهادتهما لثبوت العداوة المانعة لقبول
الشهادة فلا يدفع الظن القوي بصدقهما فيما شهدا عليه لظهور عدالتهما
والجملة الجزائية في قوله فلا يدفع لكونها منفية يجوز دخول الفا عليها
وهي فعلية وقيل الفا تنفد بر مبتدا اي فهو لا يدفع الخ كقوله ومن عاد
فينتقم الله منه وفيه نظر والحاكم هنا في هذه المسالة الجارية على هذا المنوال
في تنكيله اي عقوبته لغير القتل من التعزير الشديد موضع اجتهاد والله
ولي الارشاد فيفعل به ما يقتضيه اجتهاده من غير ابطال للحكم بالكلية قيل
انه شبه تنكيله بما ذكر فاستعاره له وفيه نظر والتعزير ومراتب مشهورة

في كتب

ابن افتوس

في كتب الفروع فلا حاجة للاطالة ههنا ولا اغبار على عبارة المصنف كما توهم فاعرفه ولما
فرغ من بيان حال من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين شرع في بيان حال غيره
فقال

## فصل

قال القاضي ابو الفضل عياض المصنف رحمه الله هذا المذكور قبل حكم المسلم اذا سب الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فاما الذمي اي الكافر الذي ليس حربيا والذمة هي الاحترام
لان دمه وولده وماله محترم لادائه الجزية اذا صرح بسبه صلى الله عليه وسلم
او عرض اي قاله بطريق التعريض والابهام بلا تصريح به او استخف اي اهان وحقر
بقدره الرفيع العلي او وصفه صلى الله عليه وسلم بغير الوجه الذي كفر
به اي غير الذي كان كافرا بسببه كانكار بعثته او عموم دعوته بان وصفه بشي مما مر
فلا خلاف عندنا اي عند المالكية في قتله ان لم يسلم فاذا اسلم لا يقتل عند
الامام مالك لان الاسلام يجب ما قبله لانا لم نعاشر المسلمين لم نعطه الذمة
مراده بالذمة العقد الذي عقد عليه في دار الاسلام وضرب عليه صونا
لدمه واهله وماله فالذمة اي احترام ما ذكر والعهد الذي عوهد عليه
حين عقد له الذمة ليشير الى ما وقع من عمر رضي الله عنه من الشروط التي شرطها
على اهل الذمة وهي مشروطة وسنذكرها ان شا الله وفي نسخة مشهورة او
العهد بأو الفاصلة والاولى اولى ويحتمل ان المراد به المستامن المعاهد
ان قلنا حكمه حكم الذمي وهي للتقسيم او بمعنى الواو وعلى هذا اي لم نرخص له
حين عاهدناه في سب النبي صلى الله عليه وسلم او الاستخفاف به وهو قول
عامة العلما اي جميعهم او اكثرهم الا ابا حنيفة النعمان بن ثابت والثوري
سفيان بن سعيد وهو صاحب مذهب مجتهد واتباعهما يعني من قلدهما
واتبع مذهبهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل بسبب ما ذكر لان ما هو
عليه مرتكب له من الشرك المراد به مطلق الكفر فانه استعمل بهذا المعنى ايضا
اعظم مما صدر منه من السب وقالوا ولكن يعزر ويؤدب تعزيرا دون الحد
حتى ينزجر ولا يعود لمثل ما صدر منه وما ذكر من مذهب ابي حنيفة هو
المشهور وقد خالفه بعض المتاخرين منهم وقال ابن تيمية في كتابه السيف
المسلول على من سب الرسول قال ابو حنيفة واصحابه لا ينتقض العهد
بالسب ولا يقتل الذمي به لكنه يعزر وحكاه الطحاوي عن الثوري ومن
اصولهم ان ما لا قتل فيه عندهم للامام ان يقتل فاعله ويزيد على الحد
المقدر اذا راى المصلحة في ذلك ويحملون ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه من القتل في مثله على ذلك ويسمون هذا القتل سياسة كتغليظ
الحد في الجرائم اذا تكررت وشرعوا القتل في جنسهما وبهذا افتى اكثرهم فقالوا
يقتل من اكثر من سب النبي صلى الله عليه وسلم سياسة وهو متجه على
اصولهم انتهى وهو كلام حسن واستدل بعض شيوخنا من ائمة المالكية
على قتله اي الذمي اذا سب بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم

اي نقضوا ما عهدنا هم عليه وطعنوا في دينكم اي عابوه وذموه فقاتلوا ايمة الكفر
اي كبار الكفرة ورؤساهم الاية انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون وفي الاستدلال
بهذه الاية بحث لانه معلق بنقض العهد وابو حنيفة على قوله المشهور عنه لا يرى
السب نقضا للعهد لاسيما والاية نزلت في كفار قريش لما نقضوا ما عاهدهم عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في القصة المشهورة وفي هذه
الاية كلام طويل الذيل وتخصيص المقاتلة بايمة الكفر ناظر لهذا والقول بان غيرهم
يلحق بالطريق الاولى محل تامل فليحرر ويستدل ايضا اي كما استدل بالاية عليه
اي على قتل من سب بسند لقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف اليهودي
وقد تقدمت قصته مفصلة ولاشباهه من الكفرة المعاهدين الذين قتلهم صلى
الله عليه وسلم بسببهم له وفي الاستدلال بهذه القضية ايضا نظر لان النبي صلى
الله عليه وسلم صالحه وغيره من اليهود فنقض ابن الاشرف عهده ومضى لكفار
مكة وحثهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجا النبي صلى الله عليه
وسلم واذى المسلمين اشد الاذى فليس قتله لمجرد سبه ولانا لم نعاهدهم اي
اهل الذمة واشباههم ولم نعطهم الذمة اي العقود والعهود على هذا اي سب
الرسول صلى الله عليه وسلم فلم نرخص لهم في مثله ولا يجوز لنا معاشر المسلمين
ان نفعل ذلك اي المذكور من المعاهدة على ترك المؤاخذة بمثله معهم فيما بيننا
وبينهم فاذا اتوا اي فعلوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة نفعل ما يناسبها
فقد نقضوا ذمتهم وابطلوا عهدهم وصاروا اهل حرب اي مثلهم في انهم يقتلون
بكفرهم وايضا فان ذمتهم وعهدهم وان لم ينتقض لا يسقط حدود الاسلام
عنهم اي الحدود الشرعية وهذا حد قذف الانبيا وهو القتل فلا يسقط كساير
الحدود من القطع في سرقة اموالهم اي اموال المسلمين والقتل لمن قتلوه منهم
وان كان ذلك حلالا عندهم اي في اعتقادهم الباطل باباحة اموال المسلمين
ودمايهم لانا مامورون باجرا احكام شرعنا عليهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله
عليه وسلم يقتلون به حدا لا كفرا وهذا جواب عن قولهم ما هم عليه من الكفر
اعظم فانه كونه اعظم لا ينافي اجرا حكم غيره عليهم وقد وردت اي نقلت لاصحابنا
من المالكية ظواهر اي امور تدل بحسب الظاهر على ما يقتضي الخلاف في قتل
الذمي لسبه للنبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به كانكار
بعثته ونبوته ستقف عليها في هذا الكتاب فتعرفها من كلام ابن القاسم
وابن سحنون بعد اي بعد هذا فيما سياتي وحكى ابو المصعب الزهري بن احمد
ابن ابي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف المدني
الفقيه قاضي المدينة كما تقدم الخلاف فيها اي في مسيلة القتل بما كفر به
عن اصحابه من اهل مذهبه المالكية المدنيين اي فقها المدينة واختلفوا
وقع صح
في الذمي اذا سبه صلى الله عليه وسلم ثم اسلم فقيل يسقط بمعنى اقله
اي يمنع اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله اي يقطع ويبطل حكم
ما قبله من ساير المعاصي وهذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم في حديث

صحيح

صحيح تقدم بخلاف المسلم إذا سبه صلى الله عليه وسلم ثم تاب فإن توبته لا تمنع قتله
بإسلام الكافر كما تقدم والخلاف مبني على أن قتله حد لا لنقض العهد وفي سقوط
بعض الحدود بالإسلام كالزنا خلاف لبعض الشافعية ويجب الإسلام ما قبله
إنما هو في حقوق الله خاصة كما مر وإنما منع الإسلام قتله لأنا نعلم باطنه
الكافر الذي في قلبه بكفره في بغضه وعداوته الدينية له صلى الله عليه وسلم
وتنقصه له بقلبه لأنه شأن كل كافر كما قيل

كل العداوة قد ترجى مودتها ... إلا عداوة من عاداك في الدين

لكنا منعناه من إظهاره أي إظهار ما في قلبه لكونه مقهورا مذللا بيننا اظهرنا
فلم يزدنا ما أظهره من كفره بسبب ويحقق علمنا بحاله إلا لمخالفة للأمر أي لأمرنا له حقيقة
أو حكما بكتم كفره ولم يزدنا علمنا إلا انتقاض العهد الذي عقد عليه عقد الذمة
فإذا رجع بإسلامه عن دينه الأول وهو الكفر وفي نسخة ذنبه بمعجمة ونون
وموحدة إلى الإسلام سقط ما قبله من الكفر وحكمه قال الله تعالى قل للذين كفروا
إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف أمر الله تعالى أن يقول لهم هذه المقالة بهذا
اللفظ أو بتعبير بالغيبة لأنهم ليسوا بمخاطبين فيما أمر به ويجوز الخطاب على حكاية
ما يقول لهم لذلك وقرأ ابن مسعود بالخطاب وما قد سلف الكفر وما وقع معه
من المعاصي والمسلم حاله بخلافه أي بخلاف حال الكافر إذ كان ظننا بباطنه
وما في قلبه أمر مطابق حكم ظاهره وهو الإسلام ظاهرا وباطنا وخلاف ما بدا
بالألف أي ظهر أو بالهمز بمعنى حدث وابتدأ منه بما صدر عنه مما يقتضي كونه
ومخالفة باطنه لظاهره الآن حين ظهر حاله فلم يقبل بعد رجوعه ما ظهر من توبته
ولعد ممنوعة ورجوعه مرفوع نائب الفاعل ويجوز الفتح والإضافة ولا
استنمنا بسين مهملة ساكنة بعد الهمز ومثناة فوقية قبل نون ساكنة قبل
ميم مفتوحة ونون مشددة أي اطمأننا فهو استفعال من النوم أي لم نطمئن
ونأنس ونركن إلى باطنه فالسين والتاء زائدتان أو هو من السنام أي أشرفنا
وعلونا عليه لنقف على حاله وروي استأمنا أي طلبنا الأمن منه لسوء الظن
به إذ قد بدت سرائره بظهور ما أخفاه في قلبه على خلاف ظننا فيه وما ثبت
عليه أي على المسلم من الأحكام اللازمة شرعا باقية أثبته باعتبار معنى ما عليه
لا يسقطها شيء لتعديه بما خالف إسلامه بانتهاك حرمة النبوة وحاصله
الفرق بين المسلم والكافر وهو ظاهر وقيل لا يسقط إسلام الذمي الساب
له صلى الله عليه وسلم قتله لأنه حق للنبي صلى الله عليه وسلم فهو من
حقوق الآدميين وهي لا تسقط بالإسلام كما تقدم كما أنه لا يسقط بتوبة
المسلم وجب عليه لأنه حد من حدود الله لانتهاكه أي الساب حرمته ومعناه
تناوله بما لا يحل بحال وقصده إلحاق النقيصة فقصده بالجر ويجوز رفعه
ورفع الحاق والجملة حالية وفي نسخة إلحاقه النقيصة بنصب النقيصة
والمعرة به أي المذمة والعيب به صلى الله عليه وسلم وحاشاه منهما
فلم يكن رجوعه إلى الإسلام بالذي يسقطه لجراءته كما وجب عليه من حقوق

المسلمين قبل اسلامه من قتل وقذف بيان لما وجب فلا يسقط باسلامه القصاص
وحد القذف وقوله كما الخ خبر مبتدا مقدر اي وهو كما الخ فلا وجه لاستشكاله واذا عرضي
قلنا لا تقبل توبة المسلم اذا سبه صلي الله عليه وسلم فانه لا تقبل توبة الكافر
اولي الان ما قاله غير متجه لان الاسلام يجب ما قبله بنص الحديث المار والفرق
بينه وبين توبة المسلم في غاية الظهور غني عن البيان بل قالوا انه يثاب
علي كل ما فعله من الحسنات حال كفره اذا اسلم وسبه صلي الله عليه وسلم فيه حق
لله وللادمي فيغلب الاول اذا اعتضد باسلامه وفي نسخة واذن كما الخ واذن
هذه قيل انها اذا الشرطية حذفت الجملة المضافة اليها وعوض عنها التنوين
وهذه وان لم تشتهر فان الزركشي نقلها في البرهان وقد رايت غيره صرح بها
ايضا قال مالك فيما نقل عنه في كتاب ابن حبيب وهو احد من روي عنه
وكتابه يسمي الواضحة والمبسوط اسم كتاب في الفقه وقال عبد الرحمن بن
القاسم احد اصحاب مالك كما تقدم وابن الماجشون عبد الملك بن عبد
العزيز بن عبد الله بن ابي سلمة الماجشون التيمي الفقيه صاحب مالك
توفي سنة اثنتي او اربع عشرة ومايتين واخرج له السنة والماجشون
معناه الابيض المشرب بحمرة وهو معرب ماه كون ومعناه لون القمر وله
تفصيل في كتب اسما الرجال واسمه ميمون او يعقوب وهو مدني وابن
عبد الحكم وهو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن عبد الله بن عثمان او
اعين بن الليث توفي في ذي القعدة سنة ثمان او تسع وستين ومايتين
وهو امام جليل وله اخوة ثلاثة من العلما واصبغ بن الفرج كما تقدم
فيمن شتم نبينا صلي الله عليه وسلم من اهل الذمة او احدا من الانبيا
غيره عليهم الصلاة والسلام قتل الا ان يسلم فلا يقتل لما مر وقاله اي
قال قول مالك هذا ابن القاسم في العتبية الكتاب المشهور في فقه مالك
وعند محمد بن المواز وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم
ولا لا تسلم المراد انه لا يكلف بشي يتعلق بالاسلام اذ لا يقال له لا تسلم ولكن
ان اسلم من قبل نفسه بلا تكليف له فذلك اي اسلامه يكون له توبة مقبولة عرضي
تدرا الحد عنه وقد قيل هنا ان ما وقع من مخالفة اصحاب مالك له مع انهم
مقلدون له بنا علي اعتبار المصالح المرسلة عنده علي ما تقرر في علم الاصول
فان المصلحة اذا اقتضت امرا يرجع اليه وفيه تفصيل لا حاجة لنا بالاطالة
به هنا فان اردته فارجع الي ما في كتاب ابن الحاجب وشروحه وفي كتاب محمد
ابن المواز المالكي اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلي الله عليه
وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب اي لم تطلب منه
توبة ولم تقبل لو تاب هذا مراده فلا وجه للتردد فيه وقوله من مسلم او
كافر اما المسلم فعدم قبول توبته هو الصحيح واما الكافر فالصحيح قبول
توبته باسلامه ويدل له قوله وروي بالبنا للمجهول لنا عن مالك الا
ان يسلم الكافر فلا يقتل علي الصحيح وصحح بعضهم ان المسلم تقبل توبته

وقد

وقد تقدم وقد روى ابن وهب واسمه عبد الله كما تقدم عن ابن عمر رضي الله عنهما
انه راهبا وهو العابد المنقطع عن الناس من النصارى تناول النبي صلى الله عليه
وسلم وتقدم ان التناول معناه الاخذ باليد يجوز به عن الكلام في حقه صلى
الله عليه وسلم بما لا يليق فهو استعارة فقال ابن عمر فهلا ضربت عنقه معناه التندم
على فوت ما يجب عليه فتلتموه ولم يذكروا فيه استتابة وروى عيسى بن ابراهيم
الغافقي الامام الفقيه المحدث توفي سنة احدى وستين وماتين عن ابن
القاسم عبد الرحمن المصري الفقيه كما تقدم في ذمي قال ان محمدا صلى الله عليه
وسلم لم يرسل الينا يعني اهل الكتاب انما ارسل اليكم اي الى العرب فانكر عموم رسالته
صلى الله عليه وسلم وانما نبينا الذي يجب علينا اتباعه موسى او عيسى عليهما الصلاة
والسلام ونحو هذا من انكار عموم الرسالة لاشي عليه من قتل وغيره وفي نسخة
لاشي عليهم ونوافقها قوله لان الله تعالى اقرهم على مثله من الكفر بضرب الجزية
اذا لم يحاربوا كما هو مذكور في سورة براءة واما ان سبه فقال ليس بنبي لسبه
هذا النبي بنبي ولم يرسل الى احد وهو تكذيب له او لم ينزل عليه قران ووحي
وانما هو اي القران شي تقوله من عنده ويخترعه او نحو هذا من نحو الانكار
بجحده لما جاء به صلى الله عليه وسلم فيقتل لان هذا الملعون كذب الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم وقال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم
وانما دينكم دين الحمير يعني بذلك قاتله الله ولعنه انه انما يتبعه احمق لا عقل
له او نحو هذا من الكلام القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله
فقال كذلك يعطيكم الله استهزاء منه بما من الله به علينا في ان جعله رسولا
لنا صلى الله عليه وسلم يعني انه مناسب لمثلكم ففي هذا الكلام وما يشبهه
عند ابن القاسم يستحق قايله الادب اي التاديب بالضرب الموجع وفي نسخة
الوجيع والسجن الطويل مدته زجرا له ولا مثاله لانه ليس صريحا في الشتم
قال واما ان شتم ذمي النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف انه شتم صريح
فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة اي مرارا عديدة ولم يقل عنه
فيه غيره ولم يقل يستتاب بل الملفه فيحتمل انه ان تاب لم يقتل ولذا
قال ابن القاسم ويحمل قوله اي مالك عندي ان اسلم بنفسه طايعا من غير
اكراه له وهو مخالف لما تقدم في غير هذه الرواية وهذا ابتاعا لانه لا يصح
اكراهه على الاسلام وعند الشافعي يصح اكراه الحربي عليه دون الذمي
وفي قول يصح اكراه الذمي هنا لانه بشتمه صلى الله عليه وسلم نقض العهد
فيصير حربيا والكلام عليه مفصل في كتب الفقه وقال ابن سحنون في جواب
سؤال انه سليمان بن سالم في اليهودي وفي نسخة حذف في فهو متعلق الخبر
قوله يقول للمؤذن اذا تشهد اي قال في اذانه اشهد ان محمدا رسول الله
كذبت انكارا للرسالة يعاقب العقوبة الموجعة بالضرب الشديد والسجن
الطويل ولا يقتل لانه مما كفر به وفي النوادر اسم كتاب لابن ابي زيد صاحب
الرسالة المالكي من رواية سحنون عنه اي عن مالك من شتم الانبيا عليهم

الصلاة والسلام من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه كما
مر الا ان يسلم فلا يقتل لان اسلامه توبته مقبولة والاسلام يجب ما قبله قال
محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته اي الذمي في سب النبي صلى الله عليه وسلم
اي بسبب سبه له صلى الله عليه وسلم ومن دينه اي اعتقاده وعادته سبه
وتكذيبه بانكار بعثته صلى الله عليه وسلم وهذا مما كفر به قيل في جوابه
لانا لم نعطهم العهد على ذلك اذ ضربت عليهم الجزية بشروط منها ان لا يطعنوا
في ديننا وهو نقض عهد منه ولا اي لم نعطهم العهد على قتلنا اي قتل احد منا
ولم نعطهم العهد على اخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من
دينه استحلاله اي استحلال قتلنا واخذ اموالنا فكذلك ينقض عهده اظهاره
لسب نبينا صلى الله عليه وسلم فانا شرطنا عليهم ان لا يطعنوا في الدين وان
لا يظهروا كفرهم لما فيه من نكاية اهل الاسلام وان كان ذلك من اعتقادهم
الباطل قال سحنون حاله هذا في الحكم كما لو بذل لنا اهل الحرب اي اعطونا بعد
امتناعهم ومحاربتهم لنا الجزية على شرط اقرارهم على سبه اي على ان نقرهم ولا
نمنعهم من سبه صلى الله عليه وسلم لم يجز لنا ذلك اي اخذ الجزية وتقريرهم
على سبه في قول قايل اي لم يقل بهذا احد من المسلمين وايمة الدين وان كانوا
يستحلونه لكنا لا نقرهم على اظهاره وهذا مما يوضح انا لم نعطهم العهد على اظهار
مثله كذلك كما انه لا يجوز نقض مصالحة الحربي واقرارهم على السب ينتقض عهد من
سب منهم اي من اهل الذمة ويحل لنا دمه اي قتله لانه لانتقاض عهده صار
حربيا مباح الدم وكما لم يحصن اي يصون ويحفظ الاسلام من سبه من المسلمين
كذلك لا تحصنه الذمة فكيف يبقى على مثله الكافر وسمي الحصن حصنا للصيانة
لمن فيه وفي هذه المقدمة امر لا يخفى فان الاسلام يعدم بالسب لانه مخالف
لدينه وكفر منه واما الذمي الكافر وان خالف اظهاره السب عقد الذمة
وعهدها فهو موافق لاعتقاده فالقياس مع الفرق الجلي غير ظاهر فكان امر
اقناعي ومقدمة جدلية على طريق التنزل وفيه ما فيه وكونه اولى غير
مسلم قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله ما ذكره ابن سحنون
عن نفسه وعن ابيه سحنون من انه يقتل بمثل ما ذكر مما كفر به واستحله في
دينه مخالف لقول ابن القاسم الذي تقدم نقله عنه فيما خفف عقوبتهم فيه
اي افتى فيه بعقوبة خفيفة غير القتل مما به اي بسببه كفروا اي ثبت
كفرهم به عندنا وعلمنا به حين من بنا عليهم الجزية ودرئ عنهم الحد فتامل
وجه التامل الذي امر به على عادة المصنفين في ذكره فيما يمكن توجيهه
انا انما اقررناهم على كفرهم بشرط عدم اظهاره لما فيه طعن في الدين وكيد
للمسلمين بمواجهتهم باهانة نبينا سيد المرسلين والمخالفة بينهما ان ابن
القاسم فيما نقله المصنف عنه يقول ان من سب احدا من الانبيا يقتل الا ان يسلم
ولم يفرق بين ما كفر به وغيره وسحنون في جواب سليمان الزمه العقوبة
والسجن لانه مما كفر به وقيل المخالفة بينهما في قول ابن القاسم انه قال فيمن

ابن اقبرس

قال

قال دينكم دين الحيوان انه يؤدب بالموجع والسجن الطويل وهو تخفيف في العقوبة وسحنون
وابنه قالا في تكذيب اليهودي للمؤذن انه يعاقب بالعقوبة الموجعة والسجن الطويل
وليس بشيء ويدل على انه اي ما قاله سحنون وابنه وقيل الضمير راجع لقول ابن القاسم
والصواب الاول وهو الذي عليه الشراح خلاف ما روي عن المدنيين اي اصحاب مالك
من اهل المدينة وهم اعرف بمذهبه في ذلك المذكور مما اختلفوا في قتله وعدمه
وقيل المراد بالمدنيين علما المدينة واهلها مطلقا وهو ما قاله مالك من احتجاجه
بعمل اهل المدينة لانها قبة الاسلام ومهبط الوحي ومستقر الدين وفي هذه المسالة
كلام لاهل الاصول ولابن حزم في كتاب الاحكام كلام لا يسعه هذا المقام فحكى ابو مصعب
الزهري كان احمد بن ابي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن
ابن عوف الزهري المدني الفقيه قاضي المدينة كما تقدم وفي نسخة ما حكى بدل
قوله فحكى وهو الصواب كما نبه عليه التلمساني قال ابو مصعب اتيت بضم الهمزة
وبنا المجهول بنصراني قال والذي اصطفى اي اختار وفضل عيسى على محمد
عليهما الصلاة والسلام فاختلف ببنا المجهول على فيه اي اختلف كلام الناس
فيه او اختلف رأي فيه واضطرب نظري في امره وحكمه فضربته حتى قتلته بشدة
الضرب من حينه او عاش يوما وليلة بعد ضربه ومات وامرت من جراي جره
وسحبه برجله من محله الذي مات فيه وطرح ببنا المجهول على مزبلة اي محل بفنا
البلدة يطرح فيه الزبل والقاذورات ومزبلة بفتح الميم لا كسرها كما قيل وبابه
مثله اسم للمكان المذكور فاكلته الكلاب لانه لم يدفن حتى اكلته كما تاكل سائر الجيف
وهذا انما كان به وهو مخالف لما تقدم وعدم دفن من قتل من الكفرة مما لا يشرع
فكان هذا كله بما ادى اليه اجتهاده وتشدده في دينه وسئل ابو المصعب السابق
ذكره عن نصراني قال عيسى خلق محمدا لزعمه الفاسد في ادعا الوهيته فقال
مجيبا للسائل انه يقتل لاختلاقه الكذب على الله وجعله عيسى عليه الصلاة
والسلام افضل من نبينا صلى الله عليه وسلم وقصده تنقيصه وليس مما
كفر به وقال ابن القاسم من اصحاب مالك كما مر سالنا مالكا عن نصراني بمصر
شهد عليه انه قال مسكين محمد اراد بذلك تحقيره صلى الله عليه وسلم واهانة
لا التحنن والرافة عليه وميم مسكين مكسورة وقد تفتح في غير الفصيح وهل
ميمه اصلية او زائدة فيه كلام في التصريف يخبركم انه في الجنة اي يقول انه
سيدخل الجنة وانه يتحقق له دخولها ماله لم ينفع نفسه هو كناية عن انه
لا يقدر على نفع نفسه في الدنيا اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح
منه الناس هذا بنا على اعتقاده الفاسد قاتله الله اي حصل لهم منه بزعمه
الباطل انه اغضبهم بكثرة اعدائه الذين اغضبوا المسلمين بقتالهم وانه اغضب
الكفرة بقتاله لهم وقوله لو قتلوه متعلق بما بعده معنى ويجوز تعلقه
بما قبله وما بعده ويسميه اهل البديع التجاذب وقد استوفينا الكلام
عليه في الشرح قال مالك اري ان تضرب عنقه وترمي جيفته حتى
تاكله الكلاب جزاء له بما قاله قال مالك ولقد كدت اي قاربت ان لا اتكلم

ابن القوس

عوضي

نسخة

فيها اي قريب من ترك الكلام في هذه المسئلة التي سُئل عنها ثم رايت اي بدا لي راي اقتضاه
الدليل انه لا يسعني اي لا يجوز لي ولا يحل الصمت السكوت عن هذه المسالة وعدم التكلم
فيها بالحق الذي يستحقه هذا الخبيث فشبه الصمت بمكان فيه سعة تضييق على من
صمت فكانه لا يدخله لما وجب عليه من اظهار الحق فسكت عن المشبه به ودل عليه بروادفه
تخييلا ففيه تخييلية ومكنية وانما كان مالك رحمه الله اراد السكوت عن هذا لانه
كذب لا يروج على احد في حق من عصمه الله وحماه عن ان تصل اليه يد احد ممن
يؤذيه وكانه تلميح لما وقع له صلى الله عليه وسلم حين عرض نفسه على القبايل
ثم حموه حتى ادموا ساقيه وكان ذلك من اولاد عبيد يا لنبل كما فصل في السير
اولما وقع له صلى الله عليه وسلم باحد وهو مشهور ايضا قال ابن كنانة تقدمت
ترجمته في المبسوط اسم كتاب كما تقدم من شتم النبي صلى الله عليه وسلم تسببه
مرتجا من اليهود والنصارى بيان لمن فارى اي اعتقد وافتي للامام اي السلطان
لانه احد معانيه وكذا المنصوب من جانبه ممن له تنفيذ الاحكام ان يحرقه بالنار
اي يلقيه فيها وهو حي وهذا اما لم يجمع علما الشرع لما ورد في الحديث انه لا يعذب
بالنار الا الله او خالفها ولذا قال وان شا اي الامام قتله بضرب عنقه ثم حرقت
بالتشديد وفي نسخة حرق بحذف التا جثته اي احرق بدنه بتمامه بعد موته وان
شا الامام احرقهم بالنار احيا وان شا احرقه بالنار حيا وهذا مذهب مالك يجوز
احراق من استحق القتل وغيره من العلما ياباه وهو مثلة ومذهب الشافعي
انه لا يجوز الا قصاصا لحديث من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه واستدل
مالك لما قاله بان عليا كرم الله وجهه فعله وبقوله صلى الله عليه وسلم
في حق من ارتد ان وجد تموه فاحرقوه وغيره يقول انه منسوخ كما نسخت
المثلة لقوله تعالى فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وهو مذهب ابي حنيفة
اذ تهافتوا في سبه اي وقعوا فيه والمراد انهم اكثروا منه علنا واصل التهافت
السقوط شيا فشيا ثم استعير لما ذكر وهو لا يستعمل الا في الشر القبيح وفيه اشارة
الى انه مثلة لشدة ردعهم بتغالتهافت في كذا اذا انهمك فيه وبالغ وقال ابن
كنانة ولقد كتب بهذا المجهول الى مالك من مصر يستفتونه وذكر ابن كنانة
مسالة ابن القاسم المتقدمة انفا التي سئل عنها في نصراني شهد عليه انه قال
مسكين محمد الى اخره كما مر قال ابن القاسم فامرني مالك فكتبت اليه بان يقتل
وان تضرب عنقه كضرب العنق كرمي الراس عبارة عن قتل مخصوص والاولى
في التعبير ان تقول فامرني مالك ان اكتب بذلك قوله فكتبت ما قاله مالك لارسله
للسايل ثم قلت له اي لمالك يا ابا عبد الله هي كنيته واكتب بعد ما قلته ثم
يحرق بعد قتله بالنار فقال مالك انه لحقيق بذلك اي احراقه بالنار
عنوانا لخلوده فيها وما اولاه افعل تفضيل بمعنى احق به اي بالاحراق
فكتبت ان الذي قلته ذلك بيدي تاكيد لرفع توهم التجوز به بين يديه اي عنده
في مجلسه وهو كناية عن ذلك فما انكره اي ما قلته من احراقه بعد قتله
ولا عابه عليه لانه ارتضاه ونفذت بهذا المجهول والتشديد والذال

المعجمة اي ارسلت الصحيفة وهي الورقة التي كتب فيها جواب السايل بذلك الذي قاله مالك
فقتل وحرق عملا بما قاله الامام مالك رضي الله عنه وافتى من ايمة المالكية عبيد
الله بالتصغير بن يحيى بن يحيى المكني بابي مروان الليثي فقيه ثقة عمدة في مذهب مالك
وهذا هو يحيى بن يحيى الذي روى عنه الموطا كما تقدم وابن لبابة بضم اللام وبائين
موحدتين مخففتين بينهما الف وهو محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة القرطبي ولد
سنة خمس وعشرين ومايتين ومات ليلة الاثنين لاربع بقين من شعبان سنة اربع
عشرة وثلاثمائة ولهم ايضا ابن لبابة اخر وهو محمد بن يحيى بن لبابة ابو عبد الله واخر
وهو احمد بن محمد بن عمر بن لبابة ابو محمد القرطبي توفي في منتصف صفر سنة خمس وعشرين
والمراد هنا الاول في جماعة سلف اصحابنا يعني المالكية وفي هنا بمعنى مع استعارة
تبعية لتمكنه بينهم الاندلسيين تقدم ضبطه وانما فقههم في المذهب دون الزمان
بافتى هولاء كلهم بقتل امراة نصرانية استهلت اي صرخت رافعة صوتها من قولهم
استهل المولود اذا صرخ والمراد انها اعلنت واظهرت بنفي الربوبية بضم الراء
مصدر كالخصوصية وبا النسبة للتاكيد وبنوة عيسى لله تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا وبنوة بتقديم البا الموحدة على النون مصدر ايضا اي اعلنت
بنفي بنوة عيسى اي انه ليس ابنا لله بل هو الله او هو معطوف على نفي اي نفت
الربوبية وقالت ان عيسى ابن الله فالمراد بنفي الربوبية نفي الوحدة والانفراد

ابن اقبرس

لها وحرف بعضهم البنوة بالنبوة بتقديم النون على الموحدة وقال فيه قلاقة
لان نفي الربوبية يقتضي نفي فروعها من النبوة والرسالة ثم ان البنوة والولادة
تستلزم نفي الربوبية وهو خبط عجيب منه واوله بنا في اخره واستهلت ايضا
بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في دعواه النبوة وافتى ايضا بقبول اسلامها
اذا اسلمت بعد فعلها هذا ودرا القتل عنها به اي بالاسلام لانه يجب ما قبله
وبه قال غير واحد من فقها المالكية المتاخرين منهم القابسي وتقدمت ترجمته
وابن الكاتب ابو القاسم عبد الرحمن بن علي بن محمد الامام المالكي الجليل عرف بابن
الكاتب وفي نسخة وبقبول الخ بدل قال غير واحد وقال ابو القاسم بن الجلاب
بفتح الجيم وتشديد اللام وبا موحدة بعد الالف وهو امام جليل اشتهر
بكنيته وفي اسمه اقوال وهو صاحب القاضي ابي بكر الابهري وله تاليف جليلة
وتوفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة وهو عبد الله او عبد الرحمن بن الحسين
البصري في كتابه الذي صنفه في فقه مالك رحمه الله من سب الله تعالى او سب
رسوله صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر بيان لمن وتعميم قتل ولا
يستتاب اي لا تطلب منه توبة ولا يقتل وهو على احد الاقوال في الكافر وحكى
القاضي ابو محمد المعروف بابن نصر وهو عبد الوهاب كما تقدم في الذمي
يسب ثم يسلم روايتين عن مالك في دريه اي دفع القتل عنه باسلامه
اذا اسلم وهو توبته فيقبل اسلامه ولا يقتل وفي اخرى عنه يقتل حدا واليه
اشار بقوله وقال ابن سحنون في وجه قتله انه حد وحد القذف ونحوه وشبهه
من الحد وكحد السرقة والزنا من حقوق العباد لا يسقط عن الذمي باسلامه

وفي نسخة لا يسقطه عن الذمي اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حد ود الله تعالى لانها
مبنية على المسامحة لكرم الله وعفوه بحلمه واما حد القذف فحق للعباد لا يسقط
بالتوبة سوا كان ذلك لذمي او غيره ممن يحترم بصيانة عرضه فاوجب الله عز وجل
او ابن سحنون على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم لعد قذفه
حد القذف ولم يسقطه عنه توبته واسلامه وقذف الانبيا حده القتل
كما تقدم ومن غفل عن هذا قال حد القذف ثابت بالكتاب ولم يجعل الله
فيه القتل الى اخر ما قاله مما لا فايدة فيه وكيف يخفى عليه هذا مع قول
الامام رحمه الله ولكن انظر امر لكن من يتاتى منه النظر والفكر في المسائل الزهبية اي افترس
ماذا يجب عليه اي على من قذف الانبيا هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه
وسلم خاصة وهو القتل لا الجلد لحد غيره لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
اي احترامه وتوقيره على غيره من امته لا غيره من الانبيا واليه ذهب بعض الشافعية
فان الحدود قد تتفاوت كما قال تعالى في امهات المومنين من يات منكن بفاحشة
مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ام هل يسقط القتل عنه باسلامه ويحد
ثمانين حد القذف فتامله امر بالتامل لما فيه من الشبهة وقوة الخلاف فيه
فمذهبه كمذهب الشافعية قال امام الحرمين قذف النبي صلى الله عليه وسلم
كفر بالاتفاق وقال ابو بكر الفارسي لو تاب لا يسقط عنه القتل لانه حد
قذف النبي صلى الله عليه وسلم وحد القذف له لا يسقط بالتوبة وحكى فيه
الاجماع وخالفه الصيدلاني وغيره وقال يحد ثمانين اذا اسلم وذكر فيه الامام
مباحث طويلة وقال ان ما قاله الفارسي مع بعده حسن وهذا مما يحتج اليه الملم
ومن لم يتفق عليه قال ما قال لعدم وقوفه على حقيقة الحال ابا افترس

# فصل في حكم ميراث

من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبيا وغسله والصلاة
عليه لغيره اختلف العلما من ايمة الدين في ميراث من قتل بسبب سب
النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون من المالكية الى انه اي ميراثه
في حق لجماعة المسلمين يوضع في بيت المال كالفيء من قبل بكسر القاف وفتح
البا الموحدة تعليلا اي من جهة ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه الزندقة
لظاهر اسلامه وخفي كفره الذي دل عليه شتمه فميراثه كميراث الزنديق عنده
وشبه بوزن مثل ومعناه وفي نسخة يشبه مضارع وليس بزنديق حقيقة
لما مر من معنى الزنديق وانما هو يشبهه فحكمه حكمه عنده وقال من ايمة
المالكية اصبغ بن الفرج كما تقدم ميراثه حق لورثته من المسلمين كغيره اذا كان
مستترا اي مختفيا من الستر وهو الخفي وفي نسخة مستتو ابذلك المقال الذي
قاله بان لم يظهره علنا وان كان متظاهرا له اي لسبه وشتمه ومستهلا اي معلنا
به لا يكتمه واصل معنى الاستهلال الصراخ كما مر بيانه فميراثه للمسلمين
كالفي كما تقدم ويقتل على كل حال اي سوا تاب ام لا ولا يستتاب لا يطلب منه

توبة

عرض

توبة ولا تقبل وليس المراد بالسران يخفيه في قلبه لانه لا يطلع عليه وانما المراد انه يقوله
في خلوته لمن لا يفشي سره لعامة الناس حتى يطلع عليه الحكام وهذا كله في المسلم فمن
توهمه عاما له ولكفره فقد غفل وقال ابو الحسن القابسي تقدمت ترجمته ان قتل
وهو منكر للشهادة عليه اي لما شهد به عليه من السب فالحكم في ميراثه شرعا على ما
اظهر من اقراره يعني انه اي ميراثه اورثته المسلمين لان انكاره لما شهد وابه عليه اقرار
بانه مسلم معظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تلغى الشهادة ولا الاقرار ه
والقتل انما هو حد اي لقذف الانبيا لا لكفره وردته ثبت عليه الحد وحكمه فليس من
الميراث في شي ولا يمنعه وكذلكذا اي مثل ما قاله القابسي في هذه المسئلة لو اقر بالسب
اي سبه صلى الله عليه وسلم واظهر التوبة لقتل جواب لو اذ هو اي القتل حده
اي حد سب الانبيا كما تقدم وحكمه اي المقتول حد الاردة وكذا في ميراثه فيعطي
لورثته واسبابه وفي ساير احكامه من غسله والصلاة عليه حكم الاسلام لانه مسلم
كساير المسلمين ولو اقر بالسب للنبي صلى الله عليه وسلم وتمادي اي استمر في
بدي بعيد هو استعارة وبعد اخالف ما قبله وابى التوبة اي امتنع من ان يتوب
منه اي من السب فقتل على ذلك المذكور من السب الذي استمر عليه كان المستمر على
سبه كافرا مرتدا وميراثه كالفي حق للمسلمين لا لورثته لان الكفر من موانع الارث
ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن كفنا تاما كالمسلمين وانما تستر عورته
ويواري اي يدفن ويستر جثته بالتراب كما يفعل بالكفار اي بغيره من الكفار
الاصليين فلا يدفن في مقابر المسلمين وجوز الشافعية غسله وتكفينه كما
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر عليا لما مات ابوه ابو طالب ان
يغسله ويكفنه ويدفنه وقد ضعفه البيهقي ولا يصلى عليه اجماعا واما
صلاته صلى الله عليه وسلم على ابن سلول فلانه منافق مع انه نهي عن ذلك
بعده بقوله ولا تصل على احد منهم مات ابدا وقول الشيخ ابي الحسن القابسي
في المجاهر اي المعلن المظهر للسب المتمادي اي المستمر على اظهاره من قبله وكون ميراثه
فيا بين اي ظاهر لا يمكن الخلاف فيه ولا شبهة لانه كافر مرتد غير تايب ولا مقلع
اي غير راجع عن كفره وردته وهو مثل قول اصبغ بن الفرج في المظهر المستهل
كما تقدم وكذلكذا اي مثل قول اصبغ هذا وقع في كتاب ابن سحنون الذي قاله
في الزنديق اي الذي يتمادي ويستمر على قوله الصادر عنه بما كفر به ومثله اي
مثل قول اصبغ وابن سحنون قول لابن القاسم في العتبية الكتاب المشهور وكذا
هو قول الجماعة من اصحاب مالك بعضهم من علما المالكية في كتاب عبد الملك بن
حبيب فيمن اعلن اي اظهر مثله اي ما ذكر وقال ابن القاسم في المذكور حكمه حكم
الزنديق انه لا يرثه ورثته من المسلمين لانه كافر ولا يرثه ايضا ورثته من اهل
الدين الذي ارتد عن الاسلام اليه اي الى دين اخر كاليهودية والنصرانية
لانه فارقهم للدين الحق فتعلق به حق اهله فلا يعود اليهم بعوده لانه
لا يقر عليه وماله صار فيئا يستحقه المسلمون ولا تجوز وصاياه لان ماله
خرج عن ملكه بردته وصار موقوفا ولا ينفذ عتقه ايضا لما ذكر وكذا ساير

بشر فانه كبيع وهبة ووقف وغيره فانه يحجر عليه لما ذكر وهذا كله مذهب الامام مالك
واما مذهب غيره فالكلام عليه مفصل في كتب الفقه وليس هذا محل تفصيله وقال اي
قال لما قاله ابن القاسم اصبغ بن الفرج من ان حكمه حكم المرتد لا يورث سوا قتل على ذلك او
مات عليه اي على اعلانه الكفر وقال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد صاحب الرسالة المالكي الامام
المشهور وانما اختلف في ميراث الزنديق الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام وفيه كلام تقدم
الذي يستهل بالتوبة اي يظهرها واصل معناه الصياح كما تقدم فكني به عما ذكر فلا
تقبل منه توبته لان توبته لخوف القتل وهذا مذهب مالك وذهب غيره الى قبول
توبته وانه يجري عليه احكام الاسلام في الميراث وغيره فاما المتمادي اي المستمر على
زندقته واعتقاده الباطل فلا خلاف في انه لا يورث عنده وقال ابو محمد هو ابن
ابي زيد رحمه الله المذكور انفا فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل بضم المجهول
وتشديد الدال المهملة اي لم تقم عليه بينة زكيت وعدلت او لم تقبل اي او اقيمت
عليه بينة ولم تقبل او ثبتت زندقته باقراره لكنه لم يقبل انه يصلى عليه ويرثه
المسلمون ويدفن في مقابرهم فتجري عليه احكام المسلمين لانه لم يحكم بكفره وروى
اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم
اي نسبه الى الكذب في شيء مما اوحي اليه وهو من المسلمين لان الكلام فيهم وفي نسخة
فيمن كذب برسول الله او اعلن اي اظهر دينا اي اعتقادا ونحلة مما يفارق فيه الاسلام
لكونه به والذي في نسختنا ما تابعا الموصولة وفي نسخة الشارح الجد بد ممن يفارق
به بمن الموصولة فقال انه اوقع من على ما لا يعقل من غير نكتة وتغليب ولا
يجوزه اهل العربية غير قطرب وهو قول ضعيف فكانه تبعه فيه وكذا ان تقول
ان صحت هذه الرواية فالمعنى مندرجا او متلبسا لدينه ممن يفارق الاسلام ان
ميراثه اي ما يورث من ماله وغيره في يوضع في بيت المال ويصرف للمسلمين وقال
بقول مالك اي وافقه في قوله ان ميراث المرتد في يصرف للمسلمين ولا ترثه ورثته
من اهل الاسلام ربيعة بن ابي عبد الرحمن بن فروخ فقيه المدينة ومحدثها
الذي روى عنه مالك والليث وغيرهما واخرج له الستة ووثقه احمد وغيره
توفي سنة ست وثلاثين ومائة وقال بقوله ايضا الامام الشافعي وابو ثور ابراهيم
ابن خالد الكلبي البغدادي احد المجتهدين الثقة المحدث روى عنه خلق كثير
واخرج له اصحاب السنن وتوفي في صفر سنة اربعين ومائتين وابن ابي ليلى
وهو القاضي ابو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى الانصاري احد
اعلام الدين في الفقه والحديث واخرج عنه الاربعة من اصحاب السنن ووثقوه
وقال بعضهم انه سيئ الحفظ توفي سنة ثمان واربعين ومائة وله ترجمة في
الميزان واسمه بيسار بمثناة تحتية والمراد انه وافق اجتهادهم اجتهاده لا انهم
قلدوه اذ المجتهد لا يقلد غيره وهذا معنى قولهم في امثاله كالشافعي في
الفرائض مع زيد واختلف فيه اي القول به الرواية عن احمد بن حنبل فقيل
قال به وقيل لم يقل به واما مذهب الصحابة فيه فقال علي بن ابي طالب
وابن مسعود وقد ذهب غيرهم من اهل العلم الاول مثل سعيد بن المسيب والشعبي

الاسلام

والحسن

والحسن البصري وعمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الاموي الامام المشهور والحكم بفتحتين
ابن عتيبة مصغر عتبة بمثناة فوقية الكندي فقيه الكوفة الامام العابد الزاهد
توفي سنة خمسة عشر ومائة واخرج له الستة وتوافقه في اسمه واسم ابيه دون جده
الحكم قاضي الكوفة وليس من رواة الحديث ووهم البخاري في تاريخه فجعلهما واحدا
كما ذكره الحلبية والاوزاعي والليث بن سعد واسحاق بن راهويه وابو حنيفة النعمان
ترثه ورثته من المسلمين لتعلق حقهم به قبل موته وقيل مذهب ابي حنيفة في ذلك
الميراث التفصيل فترثه ورثته منهم فيما اكتسبه قبل ارتداده لتعلق حقهم به
وما يكتسبه في الارتداد اي في زمن ارتداده في للمسلمين لانه مال كافر والكلام
عليه وعلى ادلته مفصل في شروح الهداية وغيرها قال القاضي ابو الفضل
عياض المصنف رحمه الله وتفصيل ابي الحسن القابسي في هذه المسئلة في باقي جوابه
كما مر للفاحص بين ظاهر واضح وهو قوله ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم
في ميراثه على ما ظهر من اقراره الخ وهو على راي اصبغ في ان ميراثه للمسلمين ان
كان مسترا فان اعلن فهو في وخلاف قول سحنون بانه للمسلمين كالزنديق واحتلافهما
اي اصبغ وسحنون مبني على قول مالك في ميراث الزنديق هل ينظر لظاهر حاله
او لباطنه لان الله رداه برد اسرير به فمن ورثه ورثته من المسلمين سواء قامت
عليه بذلك المقال الذي قاله بينة او اعترف بذلك مع البينة او بدونها
واظهر التوبة عما صدر منه وقاله اصبغ بن الفرج المصري ومحمد بن مسلمة قد قدمنا
ترجمته وغير واحد من اصحابه اي كثير من اصحاب الامام مالك ودليله ما قاله
بقوله لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته بعد اعترافه ونحن انما نحكم بالظاهر
وحكمه حكم المنافقين الذي كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في
زمنه او المراد انهم على ما عاهدوه عليه من الاسلام فالعهد على الاول بمعنى
الزمان اي المعهود المعلوم فانه صلى الله عليه وسلم كان يعامل المنافقين
معاملة المسلمين في ميراثهم وغيره تاليفا لقلوبهم وقلوب من قرب عهده
بالاسلام لئلا يقولوا الاعداء انه يقتل اصحابه حتى اعلمه الله بذلك فكان
لا يصلي على بعضهم لان صلاته صلى الله عليه وسلم شفاعة لهم واسر
لحذيفة امرهم فكان عمر رضي الله عنه يصلي على من مات منهم اذا صلى عليه
حذيفة واجرا احكام الاسلام عليه نظرا لظاهر حالهم وروى ابن نافع عنه في
العتبية الكتاب المشهور وهو عبد الله بن نافع الصايغ المدني المحدث مولى
بني مخزوم وهو ثقة وقيل في حفظه شيء ووثقه ابن معين وهو صاحبه
الذي كان يلازمه وروى عنه كثيرا واخرج له اصحاب السنن وترجمته في الميزان
توفي سنة ست ومائتين وكتاب محمد بن المواز ان ميراثه في يصرف لجماعة
المسلمين لان ماله تبع لدمه ودمه هدر فماله غنيمة وفي وقال به اي
لهذا القول جماعة من اصحابه اي اصحاب مالك وقاله من اتباعه ايضا اشهب
والمغيرة بضم ميمه وكسرها اتباعا وهو المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث
ابن عياش بمثناة تحتية وشين معجمة توفي يوم الاربعا سنة ثمان وثمانين

ومائة وولد سنة اربع وعشرين وعبد الملك بن حبيب او المعروف بابن الماجشون
ومحمد بن المواز وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه اي المرتد او الزنديق
ان اعترف بما شهد به عليه وتاب ولم تقبل توبته فقتل فلا يورث لانه حكم بكفره
وقتل فلا ينبغي لتوبته حكم في الدنيا فلا وجه لما قيل انه عجيب كيف لا يورث وقد تاب
ولا وجه لما قيل انه كيف لا يعمل بمقتضي الشهادة وان لم يعز وقد شهد عليه حتي قتل
او مات حتف انفه ورثت ورثته المسلمون وهو مخفف او مشدد لان الاصل بقاؤه
علي الاسلام قال ابن القاسم وكذلك اي مثل من لم يتوب حتي قتل او مات كل من اسر
اي اخفي كفرا باي وجه يكون ولم يظهره حتي مات فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام
فتجري عليهم احكام الاسلام نظرا لظاهر حالهم وسيل ابو القاسم بن الكاتب تقدم
بيانه عن النصراني يسب النبي صلي الله عليه وسلم فيقتل بذلك هل يرثه اهل دينه
النصاري ام المسلمون فاجاب بانه اي ميراثه في بيت المال للمسلمين لانه طعن في الدين
ونقض للعهد فماله كمال الحربي عنده وليس ما اخذه المسلمون علي جهة الميراث لانه
لا توارث بين مسلم وكافر اذ لا توارث بين اهل ملتين كما ورد في الحديث الصحيح ولكن
لانه اي ماله من فيئهم الذي افاه الله عليهم لنقضه العهد بسبه له صلي الله عليه
وسلم لانه طعن في الدين وليس مما كوهد به وهذا معني قوله اي قول ابن الكاتب ولخصنا
اي ايراده بعبارة اخصر من عبارته ولذا لم ينقل لفظه بعينه وحكم تصرفاته
مفصل في كتب الفقه

# الباب الثالث من هذا القسم

في حكم من سب الله بذكر ما هو عز وجل منزه عنه وحكم من سب ملايكته وانبياءه
عليهم الصلاة والسلام وكتبه المنزلة علي رسله عليهم الصلاة والسلام
وسب آل النبي صلي الله عليه وسلم وازواجه وصحبه رضي الله عنهم اجمعين اما
الملائكة فجمع ملك واصله مألك من الالوكة وهي الرسالة فقلب وخفف كما
مر وحقيقتهم عند المتكلمين اجسام لطيفة قادرة علي التشكل باشكال مختلفة
والفلاسفة واوايل المعتزلة لا ينكر وجودها لكنهم اثبتوا جواهر روحانية غير
جسمانية سموها عقولا واهل الشرع سموها ملايكة واثبتوا الجواهر في العالم
ومثلها الجن وانكر الفلاسفة وبعض المعتزلة الملايكة والجن بالمعني الذي فسرها
به المتكلمون من انها اجسام من النور او الريح قادرة علي التشكل كما قاله الامام
في المحصل لانها ان كانت لطيفة كالهوا لم تقدر علي الافعال القوية وان كانت
كثيفة لزم ان تشاهد والا لزم ان يجوز وجود جبال لا نشاهدها عندنا الا نشاهدها
وقالوا الجن الارواح البشرية المفارقة لابدانها فهم لا ينكر وجودها اسا كما
يتوهمه بعض الناس فيقول انه مخالف لنص القران والحديث واجيب عما
قالوه كما ذكره الكاتبي في شرح المحصل بان اللطيف له معنيان ما لا لون له
كالبلور وما هو رقيق القوام كالريح فجاز ارادة الاول فيقوي علي الاعمال
الشاقة ولا يري او الثاني ولا يري لانها شفافة والشفاف لا يري او لان

دلج

ابن الفرس

للرونية من وما وسائغ او لان الله لم يخلق رؤيتها لعينها وقيل الجن والملائكة جنس واحد
والكلام على هذا مفصلا في كتب الحكمة والكلام وقد تقدم الكلام على الآل وهم الاقارب والصحب
اسم جمع لصاحب وهو معروف قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله لا خلاف
في ان ساب الله تعالى كافر حلال الدم اي مستحق للقتل شرعا وهو كناية عما ذكر بعد بنية
اذ الحل والحرمة من صفات الافعال دون الذوات والمراد اذا سبه بما لم يكفر به كاثبات
الولد والشريك فانه لا يقتل به الا اذا اظهره فانه نقض للعهد والظاهر ان المراد بالسب
ما هو سب عندهم فيخرج هذا عنه ولا حاجة للجواب عنه كما قيل واختلف في استتابته
اي طلب التوبة منه وقبولها فقال ابن القاسم في كتابه الذي سماه المبسوط وفي كتاب
سحنون ومحمد بن المواز ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحاق بن يحيى من سب
الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب اي لا تقبل توبته ولعظم جرمه لا تطلب منه
توبة لانه قد يتوب ويتردد في قتله الا ان يكون سبه افتراء على الله بارتداده الى دين
غير الاسلام دان به اي اتخذه دينا طاعة واظهره ولم يخفه فيستتاب اي يؤمر
بالتوبة ورجوعه للاسلام وان ارتد لدين لم يظهره لم يستتب ويقتل لانه زنديق
لا يوثق بتوبته والافترا الكذب عمدا وسمي فعله هذا افترا مجازا او لاستلزامه له وقال
في المبسوطة مطرف مشدد بزنة اسم الفاعل وهو ابن اخت الامام مالك كما تقدم
وعبد الملك بن حبيب او ابن الماجشون مثله بالنصب اي مثل ما مر تفصيله وقال
المخزومي ومحمد بن مسلمة تقدم بيانه وابن ابي حازم بحاء مهملة وزاي معجمة وهو
عبد العزيز بن سلمة بن دينار بن ابي حازم توفي في سنة اربع او خمس او ست وثمانين
ومائة وهو ساجد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقتل المسلم بالسب
اي بسب الله الذي كفر به حتى يستتاب فان تاب والا قتل واليه ذهب الشافعي وغيره
وكذلك اليهودي والنصراني اذا سب الله تعالى واحد منهما لا يقتل حتى يستتاب
فان تابوا قبل منهم الايمان بالتوبة وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة
قبل قتلهم وهذا حكمهم الان اذ قويت شوكة الاسلام بخلاف زمنه صلى الله عليه
وسلم اذ لم يقتل اليهود الذين قالوا يد الله مغلولة لما نزل اقرضوا الله قرضا حسنا
فلم يستتبهم دفعا للفتنة وذكر ان ما تقدم من سب الله كله كالردة في حكم الاستتابة
وهو اي حكمه المذكور الذي حكاه القاضي ابن نصر تقدم من ترجمته عن المذاهب اي
مذهب الامام مالك ولبعض الشراح هنا كلام طويل بلا طائل وكيف يسوغ له
البحث في مسائل الفقه التي ينقلها مثل المص عن مذهبه وافتى الشيخ ابو محمد بن
ابي زيد امام مذهب مالك المشهور فيما حكى بحثا المجهول عنه في رجل لعن رجلا
ابعد دعا عليه باللعنة ولعن الله تعالى عز وجل فقال معتذرا عما قاله انما
اردت ان العن الشيطان فزل لساني اي سبق خطا لما قلته فقال ابن ابي زيد
في فتواه يقتل بظاهر كفره بما قاله ولا يقبل عذره لمخالفته للظاهر واما حاله في
الاخرة فيما بينه وبين الله تعالى ان صدق وترك هذا القيد لظهوره فلا
اعتراض عليه وبهذا افتى الشافعية لان مخالفة الظاهر الصريح لا تعتبر بدون
قرينة وهي قاعدة مقررة عند الفقهاء هذا وفي كلام ابن حجر بعد قول المص

د بجي

ابن افبرس

ابن افبرس

ولا يقبل عذره وفتيه مذهبنا قبوله وافتى فقها قرطبة مدينة بالاندلس معروفة
بضم القاف والطا المهملة وموحدة في سبيله هارون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه
الذي تقدمت ترجمته واخوه هارون لا يعد من العلما بل من الامرا وكان ضيق
الصدر اي في نفسه ضيق ومرق كثير التبرم اي الضجر والقلق مما يصيبه كما
فسر به في الصحاح وكان هارون قد شهد عليه المجهول عليه بشهادات في امور
مقتضي تكفيره منها انه قال في استقلاله اي في زمن افاقته وقيامه من
مرض اصابه من فوقهم استقل اذا ارتفع والمراد انه بريء منه فقال لما بري منه
لقيت في مرضي هذا ما اي امرا لو كنت قتلت ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وفي نسخة
ما قد لو قتلت الخ ما استوجبت اي استحققت هذا الذي لقيته كله فافتى ابراهيم
ابن حسين بن خالد من اجلا فقها المالكية بقرطبة توفي سنة ثمان وخمسين ومايتين
بقتله لان مضمن قوله هو بالتشديد بزنته اسم المفعول اي ما تضمنه تجوير الله
بجيم وزا مهملة اي نسبته للجور والتظلم منه اي القول بانه ظلمه بما فعله
والتعريض فيه اي في نسبة الله تعالى لما لا يليق به كالتصريح اي كحكمه في التكفير
وايجاب القتل ومعنى التعريض ما يقابل التصريح وهو من الكناية وليس
هذا المحل بيانه وقول المصنف التعريض كالتصريح هل نقل عن ايمة المالكية
فلا وجه للاعتراض عليه بان الفقها قالوا في كتب الفقه ليس حكمه حكم الصريح
ونقله عن الشافعية وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب الذي تقدمت ترجمته
وابراهيم بن حسين بن عاصم وصحح في بعض النسخ حسين بالتصغير بدله وهو
الفقيه الجليل القرطبي توفي في رمضان سنة سبع ومايتين وسعيد بن
سليمان القاضي بطرح القتل عنه اي دفعه واصل معنى الطرح الرمي للمحرات
ففي المعبر به ايما الى ان قتله جائز ولكنه درئ عنه الا ان القاضي راى عليه
التثقيل بوضع القيود والاغلال في الحبس والشدة اي التشديد في الادب
والنكال لاحتمال كلامه لما ذكر من نسبة الله تعالى للجور والظلم وصرفه الى
التشكي من المرض لنا لمه به لا الشكاية من الله ولهذا الاحتمال دفع عنه القتل
وذكر النووي القولين في الروضة من غير ترجيح وقال شيخ الاسلام زكريا
في شرح الروض الذي رجحه المحب الطبري انه لا يكفر قال ابن حجر والذي عندي
ان يفصل فيقال ان اراد بذلك ان الله شدد عليه ذلك لذنوب سبقت له او
نحو ذلك لم يكفر وان اراد انه لم يفعل معه الاصلح في حقه فان كان مع اعتقاد
ان ما فعله معه جور كفر او انه تعالى لا يجب عليه الاصلح او اطلق لم يكفر انتهى
وليس ما ذكر مبني على مسالة وجوب الاصلح على الله وعدم وجوبه على الخلاف
المذكور في الاصل كما توهم واعلم ان ابن مفلح قال في كتاب الاداب الشرعية
ان ابن عقيل رحمه الله قال الرضا بقضا الله في الامراض ونحوها من
المصايب واجب وقال الشيخ تقي الدين انه ليس بواجب على الاصح وانما
الواجب الصبر وفيه كلام اطال فيه والحاصل ان المصايب والامراض
ليست بذنب سبق من العبد وانما هي بتلا من الله يثيب عبده عليه كما ورد

مرضي

مرضي

في الاحاديث وقد تقدم شي منه فيما يعيب الانبيا وقوله هذا القايل يقتضي انه يعتقد
انها نصيبه بذنوب سلفت منه وهذا اجهل منه ووجه قول من قال في سابه لنبيه
بالاستتابة اي انه يطلب منه التوبة فان تاب والا قتل انه اي السب كفر وردة
محضة اي خالصة ظاهرة لم يتعلق به لحق لغير الله تعالى من عباده وحق الله لكنه
وغناه مبني على المسامحة فاشبه السب قصد الكفر بغير سب الله في ان كلا منهما ردة
واشبه اظهارا لانتقال عن دين الاسلام الي دين اخر من الاديان كالنصرانية المخالفة
للاسلام سوا اظهره ام لا ووجه قول من قال بترك استتابته كما تقدم نقله عن
بعض ايمة المالكية وفي نسخة ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك السب
المقتضي للكفر بعد اظهار الاسلام قبل غاية مبني على الفهم اي السب الذي صدر منه
اتهمناه جواب لما اي صار له تهمة في الكفر وظننا انه لم ينطق به الا وهو معتقد له
متهم عليه بقلبه لفساد عقيدته اذ لا يتساهل اي يتعدى سهلا هنا يتكلم به من
غير تدبر في هذا اي سب الله تعالى شانه احد له عقل ودين فحكم له حكم الزنديق
لان ظاهره الاسلام وباطنه مضمر لخلافه بدليل ما صدر منه والزنديق لا يستتاب
فلما اشبهه حكم له بحكمه وهذا الا يقتضي انه سب لرسول صلى الله عليه وسلم ليس
ردة محضة حتى يشكل جريان الخلاف فيه كما قيل بل لان حق الله له حكم يخصه
كما تقرر عند الفقها ولم تقبل توبته لاخفائه الكفر فالظاهر استمراره عليه
وان توبته انما هي ليتخلص من القتل وهذا الظاهر في ان معني الزنديق من يظهر
الاسلام ويخفي الكفر كالمنافق وقيل هو من لا ينتحل دينا كما تقدم واذا انتقل
من دين الي دين اخر واظهر السب بمعني الارتداد اي بمعني يقتضي انه صار مرتدا
فهذا المنتقل من دين لاخر بسبب ردته قد علم بفعله هذا انه خلع ربقة الاسلام
من عنقه اي خرج من الاسلام حرا وجاظاهرا الي الكفر وهو استعارة لان الربقة
عروة في حبل تربط بها البهايم وتشد فاذا خلعها اي رفعها من عنقها شردت
وذهبت نافرة فجعل احكام الدين وحدوده المانعة بالتزامها عن المعاصي والكفر
كالحبل الذي يربط به وفيه اشارة الي انه ملحق بالحيوانات العجم ان هم الا كالا
بل هم اضل وهو مقتبس من الحديث الاتي من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع
ربقة الاسلام من عنقه والجماعة اهل السنة والربقة بكسر فسكون وجمعه
رباق بخلاف الاول المتمسك به اي بالاسلام فانه بمجرد سبه الله تعالى شانه
لم يعلم انه خلع ربقة الاسلام لتمسكه به ظاهرا فاشبه من قصد الكفر بغير سب
وحكم هذا الذي انتقل من دين الي اخر واظهر السب حكم المرتد الذي خلع ربقة
الاسلام من عنقه يستتاب فان تاب قبلت توبته والا قتل على مشهور مذهب
اكثر اهل العلم من اكثر علما الحنفية والشافعية والحنبلية وهو مذهب
مالك واصحابه في كتبهم على ما بيناه قبل في الباب الاول وذكرنا الخلاف مفصلا
في فصوله الاتية بعد

## فصل

ولما من اضاف الي الله تعالى اي نسب اليه ما لا يليق به اي لا ينبغي ان يعتقد

ابن اقبرس

نعام

احد في حقه ليس على طريق السب اي لم يذكره قايله بقصد السب بحصل ما قصد به
امر كمن حلس في طريق يمر به ذلك الامر فهو مجاز او كناية عما ذكر ولا الردة اي ليس
ذكره له على طريق الردة اي على وجه يقتضيها او قصد الكفر اي قصد ما بعد كفرا
ولكن كان ذكره لما لا يليق على طريق التاويل اي قصد غير ما يظهر منه والاجتهاد
اي بقول له اجتهاد براية فيه والخطا في اجتهاده المفضي بغيا وضاد معجمة الى
الهوى اي قوله المودي الى امر من هوى نفسه من غير نظر للحق وتحقيقه والبدعة
اي اختراع امر لم يسبق اليه ولم يرد في الشرع والمراد البدعة التي هي ضلالة فان
البدعة قد تستحسن لعدم مخالفتها الشرع وقد تكون واجبة كما فصل في محله
ومقصوده بهذا الفصل بيان حكم من خالف اهل السنة من الفرق الذين لهم مذاهب
مذكورة في الاصول كالمعتزلة ومن ضاهاهم من تشبيه اي تشبيه الله تعالى
بغيره كاثبات يد له وجسم وهذا بيان لما لا يليق او نعت اي وصف لله سبحانه
وتعالى بجارحة اي باثبات جارحة له والجارحة العضو من اجترح وجرح
بمعنى اكتسب قال تعالى ويعلم ما جرحتم كاليد والعين والوجه ونحوه مما
ورد في الايات والقران ومن لم تقصد ظاهره كالاستوا على العرش مما هو مصروف
عن ظاهره كما سياتي بيانه او نفي صفة كمال كنفي المعتزلة للصفات فرارا
من تعدد القدما والحدوث وانما هو في اثبات ذوات قدما لا ذات وصفات
واحترز بقوله كمال عن الصفات السلبية فلا وجه لما قيل انه لم يحترز به
عن شي لان صفاته كلها كمال فهذا المضاف اليه تعالى مع تاويله مما اختلف
السلف المتقدمون والخلف المتاخرون في تكفير قايله ومعتقده اي جعله
كافرا فذهب الاشعري الى عدم تكفير اهل الاهوا والمذاهب المردودة وعلى ذلك
اكثر الفقها من الحنفية والشافعية وليس على اطلاقه كما ستراه واختلف
قول مالك واصحابه في ذلك اي في تكفير اهل الاهوا ولم يختلفوا في قتالهم
اذا تحيزوا فية اي فارقوا اهل السنة وانفردوا بمكان مختص بهم لاظهارهم
المخالفة وخشية اضلال العامة والخروج اذا قويت شوكتهم ولم يختلفوا
ايضا في انهم يستتابون اي تطلب توبتهم ورجوعهم عما قالوه واعتقدوه
فان تابوا ورجعوا عما هم عليه قبلت توبتهم والا قتلوا دفعا لشرهم
واضلالهم لغيرهم وانما اختلفوا اي مالك واصحابه في المنفرد الذي ليس معه
جماعة يتحيز بها عن غيره منهم اي ممن نسب لله ما ذكر فاكثر قول مالك
واصحابه ترك القول بتكفيرهم للنهي عن تكفير اهل القبلة وترك قتالهم
لتاويلهم ولرجا توبتهم ورجوعهم ولعدم ضررهم لغير انفسهم وفي
سجنهم بفتح السين اي حبسهم مدة طويلة حتى يظهر قلاعهم اي رجوعهم
عما هم فيه من القلع بمعنى النزع والازالة ارتيد به ما ذكر وتستبين اي
تظهر توبتهم ورجوعهم للحق كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيغ
بفتح الصاد المهملة وكسر البا الموحدة وسكون المثناة التحتية وغين

معجمة

معجمة وهو رجل من بني يربوع اسمه صبيغ بن شريك بن عسل بكسر العين وسكون السين
المهملتين قال ابن ماكولا كان يتتبع مشكل القرآن ومتشابه فامر عمر رضي الله عنه
بضربه ومنع الناس من مجالسته وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك
ابن الماجشون وهم جماعة كانوا مع علي كرم الله وجهه في صفين ثم خالفوه وخرجوا
عليه لانكارهم التحكيم وقولهم لا حكم الا لله ولهم عقائد مخالفة للسنة كتكفير
مرتكب الكبيرة ووجوب الخروج على الامام اذا خالف السنة ومع ذلك كان لهم من
العبادة والشجاعة والتصلب فيما يعتقدونه امور عجيبة وقد اخبر النبي صلى
الله عليه وسلم بهم قبل ظهورهم وقصتهم مع علي رضي الله عنه وقتاله لهم مشهور
في التواريخ وهو ايضا قول سحنون في جميع اهل الاهوا من الزنادقة الضالة المضلة
المقتلة في محالها فتشدد عقوبتهم ولا تقتلهم بل يطيل سجنهم حتى يتوبوا
وبه اي بما ذكر فسر قول مالك في الموطا كتابه المشهور وفسر قول مالك بقوله
وما رواه مالك وفي نسخة ما رواه بدون واو بدل من قول مالك اي فسر بعض اصحابه
ما قاله رواية عن عمر بن عبد العزيز عن جده مروان بن الحكم وعمه عبد الملك
ابن مروان من قولهم بيانا لما في القدرية يستتابون فان تابوا تركوا والا قتلوا
لكونهم بما مر وهولا طائفة قالوا بنفي القدر وان الامر انف لم يسبق تقدير به
فنسبتهم للقدر للملابسة السلبية وقد ورد في الحديث انهم مجوس هذه الامة
شبههم بهم لاضافتهم الامر لغير الله من النور والظلمة والكلام عليهم وعلى عقائدهم
مفصل في كتب الاصول وهم اصحاب واصل بن عطا الغزال وهم يقولون انه يقع في
ملكه ما لا يريد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال عيسى بن ابراهيم كما تقدم
وقيل هو ابو موسى الغافقي عن ابن القاسم تقدم بيانه في اهل الاهوا اي
الآرا الفاسدة الذين ابتدعوا فيها هواهم الفاسد من الاباضية بكسر الهمزة وبالبا
الموحدة والضاد المعجمة جماعة من الخوارج اصحاب عبد الله بن اباض ظهروا
في خلافة مروان بن محمد آخر بني امية زعموا ان من خالفهم كافر غير مشرك
يجوز مناكحته والقدرية وشبههم في عقائدهم الباطلة ممن خالف
الجماعة اي اهل السنة فان الجماعة عند الاطلاق ينصرف لهم لاجتماعهم على
الحق من اهل البدع اي الضلالة كالنصيرية والاسماعيلية وغيرهم ممن فصل
في كتاب الملل والنحل والتحريف لكتاب الله بتفسيره وتاويله بالتاويلات
الباطلة يستتابون اي تطلب منهم توبتهم ورجوعهم عن اعتقاداتهم
الفاسدة سوا اظهروا ذلك الاعتقاد حتى اطلعنا عليه او اسروه اي اخفوه
بحيث لا يطلع عليه الا من هو منهم فان تابوا قبلت توبتهم وعفي عنهم
والا اي ان لم يتوبوا قتلوا وميراثهم لورثتهم من المسلمين لانهم يقولون
انهم على الاسلام دينا ولورود النصوص الدالة على خلافهم وانما قتلوا لاصرارهم
على البدع المخالفة للحق كما يقتل تارك الصلاة لا للحكم بكفرهم فلا يرد عليه
ما قيل انهم اذا قتلوا لكفرهم كيف يرثهم المسلمون مع ما بينهم من مانع الارث
ولا فرق بينه وبين المرتد والفرق مثل الصبح ظاهر وقال مثله اي مثل قول عيسى

ايضا تاكيد لمثله اي ابن القاسم في كتاب محمد بن المواز في اهل القدر وغيرهم من اهل
البدع المخالفين في العقايد لاهل السنة قال اي ابن القاسم او محمد واستتابتهم
معناها ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه من العقايد الباطلة فان لم يتركوا اقتلوا
وان يقروا ثبتهم كما تقدم ومثله اي مثل قول ابن القاسم في كتاب محمد السحنون
له في كتاب المبسوط في حق الاباضية والقدرية الذين بيناهم وساير اهل البدع
من الفرق الضالة فليستتابوا والا قتلوا قال ابن القاسم وهم مسلمون لاظهارهم
الاسلام وشعايره وانما قتلوا جواب سؤال مقدر تقديره فلم قتلوا مع كونهم
مسلمين فقال في جوابه لرايهم اي ما راوه من العقيدة السوء بفتح فسكون
اي السيئ المخالف لجماعة السنة واهل الحق وبهذا اي بما يوافق ما قاله
ابن القاسم عمل الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم اي عمل به
وحكم في زمن خلافته به وقد استشكل بعض الشراح كلام المص فيما نقله
عن ابن القاسم بان القدرية اطلقوا تارة على من ينفي القدر كله ويقول ان
الامور انف اي مستانفة ليس فيها لله قدرة ولا علم بها وهو لا كفر كما في
الحديث المار انهم مجوس هذه الامة وهذه الطايفة كانت في اخر الدولة
الاموية وانقرضوا فان فسروا بهم فلا يصح قوله وهم مسلمون وتارة على
المعتزلة القايلين بان الشر ليس بارادة الله وتقديره وهولاء لا يحكم بكفرهم
قلت اذا حمل على هذا فلا اشكال فيما قاله ابن القاسم وان كان هو لم يبين مراده
لا بهم لكونهم انقرضوا كان كلامه منصرفا اليهم بقرينة خارجية وقال ابن القاسم
من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما مصدر مؤكد لنفي احتمال التجوز فيه
استتيب بطلب توبته ورجوعه عما اعتقده فان تاب ورجع عن انكاره كلام
الله قبلت توبته والا قتل لانكاره لما اخبر الله به في كلامه الكريم المتواتر فان
اراد ابن القاسم انه يكفر لانكاره القران وتكذيبه لما قاله اصدق القايلين
من غير تفصيل فيه فله وجه وان اراد ان ما ذهب اليه المعتزلة من ان ما سمعه
موسى عليه الصلاة والسلام خلقه الله في الشجرة لا انه صوت وحروف
حادثة صدرت منه لان ذاته لا تقوم بها الحوادث والكلام النفسي لا يسمع عندهم
فتكفيرهم بهذا غير مسلم والكلام على مسيلة الكلام مفصل في كتب الاصول
لا يسع تفصيله هذا المقام وقد افردوه بالتاليف وابن حبيب وغيره من
اصحابنا المالكية فمعنى صحبتهم موافقتهم مذهبا لا صحبة حقيقية يرى
اي يعتقد تكفيرهم اي الحكم بكفرهم بمقالتهم هذه ويرى تكفير امثالهم من اهل
البدع والعقايد الفاسدة من الخوارج بيان لامثالهم وقد تقدم بيان الخوارج
والقدرية الذين تقدم ذكرهم والمرجية مهموز بزنة اسم فاعل من الارجا وهو
التاخير والامهال وهم فرق جمع ذهبوا الى انه لا تضر معصية مع الايمان كما
لا تنفع طاعة مع الكفر وتكفيرهم لانكارهم النصوص المتواترة وما علم من الدين
بالضرورة قيل كان ينبغي ان يسموا المنزلة لدلالته على انه لا عذاب اصلا مع
موافقته لقولهم الفعلة التركة وهو كلام في غاية الركاكة واللغة لا تعدل والتاخير

عرضي تبعا لابن اقبوي

ابن افورك

براده

يراد به الترك كثيراً وقد علمت ان المرجئة بالهمز ونسبة لنيا والقدرية بفتح الدال ويجوز
تسكينها وقد روي ايضاً عن سحنون مثله اي مثل قول ابن حبيب في التكفير فيمن قال
ليس لله كلام انه كافر لانكاره ما ثبت بالتواتر وما يلزمه من تكذيب الله ورسله فتكفيره
بناء على ظاهر كلامه واطلاقه صيانة للشرع لئلا يخرق السياج فلو قال اردت بذلك انه ليس
بكلام حروف واصوات حادثة كالبشر لتنزهه عن قيام الحوادث به عند غير الكرامية وهم
من الفرق الضالة فهذا مما ذهب اليه كثير من اهل السنة كالاشعري المثبت للكلام النفسي
فلا يكفر قائله وان ذهب الى قدم الالفاظ كثير من السلف كالحنابلة واول الشهرستاني
كلام الاشعري في رسالة له لخصها الشريف في شرح المواقف والكلام فيه مشهور بين
العلماء وفيه تاليف مستقل واختلفت الرواية عن مالك في اهل البدع والاهواء
فاطلق القول بتكفيرهم عن مالك في رواية الشاميين اي من اتبع مذهب مالك
من اهل الشام اي مسهر بزنة اسم فاعل بسينين ساكنة وراء مهملتين بينهما هاء مكسورة
بدل من الشاميين وهو عبد الله بن مسهر الغساني المالكي كما تقدم ومروان بن
محمد الطاطري الدمشقي والطاطري بطاءين مهملتين مفتوحتين وراء مهملة
نسبة الى ثياب بيض كان يبيعها وهي تعرف بالطاطرية بمصر والشام وهو امام
محدث ثقة اخرج له مسلم وغيره وله ترجمة في الميزان وهو من زهاد العلماء توفي
سنة ست عشرة ومائتين الكفر عليهم اي قال بكفرهم مطلقا وسماهم كفرة واطلق اسم
الكفر عليهم وقد شوور سحنون المجهول اي شاور مالك واستشاره بعض الناس في
تزويج القدري اي عقد النكاح له من نساء اهل السنة فقال لا اجيز ان تزوجه
لانه كافر عنده ومثله لا يحل تزويجه بمسلمة وقد قال الله تعالى ولعبد مؤمن
خير من مشرك ولو اعجبكم اي العبد المؤمن وان كان فقيرا خير من المشرك وان كان
غنيا وفيه ترغيب وترهيب وفي الاية كلام في كتب التفسير وروي عنه اي عن
مالك ايضا اي كما روي عنه فيما مر انه قال اهل الاهواء اي البدع والعقائد المخالفة
لاهل السنة كلهم كفار لعقائدهم الباطلة وقال مالك ايضا من وصف شيئا من
ذات الله اطلاق الذات بمعنى النفس على الله مشهور وفيه كلام تقدم واشار حال
وصفه له الى شيء من اعضاء جسده يده بدل من جسده بدل بعض من كل او سمع او بصر
او نحوه قطع ذلك العضو منه الذي اشار له حال وصفه واشارته كناية عن ان ما
ذكر من الاعضاء حقيقي كالجوهر المشار اليه وانما عوقب بذلك لانه شبهه بشين معجمة
من التشبيه فهو باشارته شبه الله بنفسه في اثبات الاعضاء والتجسيم له ومثله
من المتشابه وللسلف فيه خلاف فبعضهم نهى عن الخوض فيه وتاويله لانه مما
يستحيل في حقه وذهب بعضهم الى تاويله بما يصح في حقه كتفسير اليد بالقدرة
والتصرف ونحوه ومنهم من قال انها صفات له لا يعلم حقائقها وسماها
الصفات السمعية وعلى كل حال فالتشبيه غير صحيح ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير وقيل انما كان قصده بكلامه هذا الزجر الشديد لا القطع حقيقة
لانه عقوبة لم ترد في الشرع او اراد الدعاء عليه بذلك فانه اجل من ان يقول
مثله حقيقة انتهى ولا يخفى ان ما قاله خلاف الظاهر واذا كان عنده هذا

عرضي

كذا وهو مستحق للقتل فاي مانع من عقوبته بمثل ما ذكر وما وجه استبعاده وقال
مالك فيمن قال القران مخلوق هو كافر فاقتلوه اعلم ان هذه المسئلة مما ابتلي بها السلف
حتى اختار بعضهم السجن والضرب ولم يرضوا بان يقولوا ذلك ومن الغز وري
في كلامه فقال لفظي بالقران مخلوق وقال بعضهم التوراة والانجيل والزبور والفرقان
وعدها باصابعه وقال هذه الاربعة مخلوقة الى غير ذلك والقران يطلق على الكلام
النفسي والصفة المعنوية القايمة بذاته تعالى وعلى الكلام القايم بذاته عند من
قال بقدم الالفاظ كالحنابلة والشهرستاني وعلى ما يقروه الناس ويكتبونه والاولان
قديمان والثالث حادث مخلوق لكنه منع من قوله تادبا وتنزيلا للمسئلة منزلة ذلها
ولئلا يتوهم معنى الاختلاف الذي هو بمعنى الافترا والكذب قال ابن طلحة في كتاب اداب
حملة القران اول من قاله الوليد بن المغيرة وقد فسر قوله تعالى قرانا عربيا غير
ذي عوج بغير مخلوق وورد في الحديث القران كلام الله ليس بمخلوق وعليه انعقد
الاجماع قبل ظهور المعتزلة وحكم من قاله انه يؤدب ثم يستفصل فان قال اردت
الحروف والاصوات ترك ولا يقتل وان قال اردت المعنى القايم بالذات قتل
مطلقا او ان لم يتب قولان وهل يعذر لجهله ام لا فيه خلاف وموسى سمع كلام
الله من غير صوت ولا حرف كما نرى الله في الجنة من غير جهة وتجسيم ولا يجوز التورية
عنه كاصر الاضطرار انتهى وهذه الرواية عن مالك بنا على انه يجوز التعزير
بالقتل وهو الذي يسميه بعض الفقها سياسة لا ما يفهمه الناس منا انه ما امر
بفعله الامام على خلاف الشرع وبه صرح ابن تيمية في السيف المسلول كما مر ابن القيم
وعليه حمل ما مر من قتل اهل الاهوا فلا اشكال فيه كما قيل وقال ايضا الامام
مالك في رواية ابن نافع عن مالك انه يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب
وهذا هو الصحيح وابن نافع تقدمت ترجمته وفي رواية بشر عن مالك وهو
بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة وراء مهملة ابن بكر التنيسي بكسر التا
المثناة الفوقية وتشديد النون المكسورة ومثناة تحتية وسين مهملة
وتنيس قرية كانت بقرب دمياط ينسج فيها ثياب مشهورة بغاية الجودة وهي
في جزيرة صغيرة تنسب لها احاط بها البحر وتاوها مكسورة على الصحيح وجوز
بعضهم فتحها وبشر بن بكر هذا امام محدث جليل ثقة اخرج له اصحاب تلمساني
السنن وتوفي سنة خمس ومايتين وله ترجمة في الميزان عنه اي عن مالك
انه يقتل ولا يقتل توبته والصحيح ما تقدم وقال القاضي ابو عبد الله
البرنكاني بن بنت الزعفراني بباء موحدة وراء مهملة ومثناة فوقية وكاف
ونون بعد الالف وياء نسبة الى نوع من الاكيسة والقاضي ابو عبد الله التستري
في اصحاب مالك نسبة لتستر بتاءين مثناتين فوقيتين كما تقدم من ائمة
المالكية العراقيين نسبة لعراق العجم اقليم معروف جوابه اي جواب
مالك في هذه المسالة مختلف روايته عنه في القتل وعدمه بقتل المستبصر
هو بسين ساكنة وصاد وراء مهملات قبلهما مثناة ونون اي من له اعوان
تنصره وقيل انه بباء موحدة اي من له بصيرة في اقامة الادلة على مراده

كذا في الشروح والاول انسب بقوله الداعية بدال وعين مهملتين الذي يدعو الناس
لمذهبه ويطلب ظهوره والتا للمبالغة لا للتانيث كعلامة فهذا اشد فتنة فلذا ازادي مالك
قتله دفعا لغايلته بخلاف غيره وبني على هذا الخلاف في الرواية عن مالك المبني
على انه كان داعية ام لا انه اختلف قوله اي مالك في اعادة الصلاة اذا صليت خلفه
اقتدا بامامهم فتارة قال يعيد وتارة قال لا يعيد وهو مبني على ان الامام
داعية ام لا او المبني على التكفير وعدمه ومذهب ابي حنيفة والشافعي صحة الاقتدا
باهل البدع والاهوا مطلقا والادلة مفصلة في كتب الفقه وحكى ابو بكر بن المنذر
هو امام جليل ادعى الاجتهاد وعد في اصحاب الشافعي وهو حافظ ثقة كما
تقدم وان نص الشافعي رضي الله عنه لا يستتاب القدري لكفرهم ونفيهم
تقدير الله كما مر واكثر اقوال السلف تكفيرهم اي جاء بالحكم بتكفيرهم وفيه
خلاف وممن قال به اي اعتقد كفرهم الليث وابن عيينة وابن لهيعة بفتح فكسر
وهؤلاء كلهم ثقات تقدم تراجمهم وروي عنهم اي عمن ذكر من السلف كذا اي تكفيرهم
كما روي عنهم فيمن قال بخلق القران وقد سمعت ما فيه وقاله ابن المبارك
اسمه عبد الله كما تقدم والاودي بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الدال المهملة
منسوب للاود قبيلة وهو عثمان بن الحكم ووكيع ابو سفيان بن الجراح الرواسي
كما تقدم وحفص بن غياث بكسر الغين المعجمة وفتح اليا المثناة المخففة والف
تليها مثلثة ابو عمرو النخعي قاضي الكوفة الامام الحافظ اخرج له السنة وترجمته
في الميزان توفي سنة اربع عشر ومائة وابو اسحاق الفزاري ابراهيم بن الحارث
ابن اسما بن خارجة الفزاري احد العلما الاعلام اخرج له ايضا السنة وتوفي
سنة ست او ثمان وثمانين ومائة وهشيم بن بشير السلمي الواسطي الحافظ الفقيه
توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة واخرج له السنة وترجمته في الميزان وعلي بن
عاصم بن صهيب الواسطي احد الايمة الاعلام الذي اخرج له اصحاب السنن كما
في ترجمته في الميزان وتوفي سنة احدى ومائة وعمره سبع وتسعون في اخرين
من الايمة الذاهبين لهذا او هو اي ما قاله هؤلا من قول اكثر المحدثين اي ايمة
علم الحديث والفقها والمتكلمين فيهم متعلق بقوله اي في المبتدعة وفي الخوارج
والقدرية واهل الاهوا اي المنتصبين لهوى انفسهم في العقايد الفاسدة
المضلة بزنة اسم الفاعل ويجوز كونه اسم مفعول ايضا واصحاب البدع
المتاولين للنصوص تاويلات باطلة وهو قول احمد بن حنبل في هؤلا وكذلك
اي مثل هذا القول قالوا اي قال من الايمة الذاهبين للتكفير في الفرقة الواقفة
بالقاف والفا وفي نسخة العاقبية بيا النسبة وفي الفرقة الشاكة في هذه الاصول
متعلق بالواقفة والشاكة على التنازع او التجاذب والمراد بالواقفة قوم توقفوا
في اتباع البدعة او السنة لجهلهما او لتعارض الادلة عليهم فلم يقولوا القران
مخلوق او غير مخلوق وكذا الشاكة فرقة شكوا في ذلك وقال بعض الشراح ليس
المراد بهم كل من توقف او شك بل هم طايفة من الامامية لهم اعتقاد انه فاسد
وتوقفوا في كثير من احكام الدين واخرجوها عن اصوله واقوالهم في الامامة واهلها

لاولادعلى وقالوا بالرجعة بعد الموت في الدنيا وغيبة الامام في جبل رضوى ويحيى
ارادة كل من شك ولم يتبع الحق ولم ينظر في اصول اهل السنة عناداً منه والحاداً
وممن نروي بينا المجهول عنهم معنى القول الاخر المخالف لهذا القول بترك تكفيرهم
اي تكفير اهل البدع والاهوا من الفرق المذكورة علي بن ابي طالب وعبد الله بن عمر بن الخطاب
والحسن البصري وهو اي القول بترك تكفيرهم راي جماعة من الفقها كالشافعي لقوله
رضي الله عنه لا اكفر احدا من اهل القبلة الا الخطابية كما حكاه النووي في الروضة
والنظار جمع ناظر ككفار جمع كافر اي اصحاب النظر والمعرفة بالادلة والقادرين
على المناظرة والمتكلمين من علما اصول الدين واحتجوا اي استدلوا على عدم التكفير
بتوريث الصحابة والتابعين اي حكمهم بتوريث ورثة اهل حروراء من ابايهم واقاربهم
وحروراء بفتح الحا المهملة وراء مهملة مضمومة قبل واو واخرى مهملة بعدها الف
ممدودة وهمزة وتجوز قصره علم قرية على ميلين من الكوفة اجتمع فيها الخوارج الذين
اجتمعوا على حرب علي رضي الله عنه وتعاقدوا على ارايهم الفاسدة وعلى قتاله فنسبوا
لمحلهم وارائهم واعتقاداتهم مفصلة في المبسوطات وورثوا من عرف بالقدر
وكان من القدرية وورثته ممن مات منهم اي من الخوارج والقدرية ودفنهم في
مقابر المسلمين لعدم تكفيرهم وجري مصدر جرى ورمينا في لقوله احكام المسلمين
عليهم بصيانة دمايهم واموالهم وغير ذلك قال اسماعيل القاضي هو اسماعيل بن
اسحاق الحافظ كما تقدم في ترجمته وانما قال مالك في القدرية وساير اهل البدع
جواب عن مخالفة قول مالك لمذهب هولاء مع فوته وذهابا لسلف اليه من الصحابة
والتابعين وعلما الدين واهل الاصول فقول مالك انهم يستتابون اي تطلب
منهم التوبة فان تابوا قبلت توبتهم والا اي ان لم يتوبوا قتلوا الحكم بقتلهم ليس لكفرهم
بل لانه اي اعتقادهم الباطل من الفساد في الارض وهو مما يجب دفعه فان لم
يندفع الا بالمقاتلة والقتل قتلوا لما يلزمه من اضلال الناس وافساد عقايدهم
كما قال مالك في المحارب من البغاة الخارجين على السلطان وعقايدهم غير باطلة
ان راي الامام قتله مصلحة لدفع فساده وان لم يقتل ذلك المحارب احدا قتله
وليس قتله لكفره بل لدفع فساده وفساد المحارب انما هو في الاموال التي ياخذها
او يفسدها او مصالح الدنيا التي تعود نفعها بتغلبه على البلاد واهلها لقوله
تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الخ فالساعي
بالفساد يستحق القتل فليس كل قتل للكفر فمذهب مالك يخالف قول غيره في
قتل اهل البدع لانه يوافقهم في عدم تكفيرهم وفي شرح المواقف اعلم ان عدم
تكفير اهل القبلة موافق لكلام الاشعري والفقها لكن اذا فتشنا عقايدهم وجدنا
فيها ما يوجب الكفر قطعا مما يقدح في الالوهية او النبوة انتهى قيل فعلى هذا
لا ينبغي اطلاق القول بالتكفير وعدمه وفيه بحث وما قيل من ان ما قاله الشافعي
غير مستقيم لانه ان قيد بالكفر في حكمه كفر والا فلا حاجة للالحاق مع انه يقتضي
استحقاق كل من ظهر فساده للقتل كلام لا وجه له لمن له ادنى تامل وقول المص وان
كان افساد الساعي بالفساد قد يدخل ايضا اي كما يفسد الدنيا معناه انه قد

عرضي

ابن الفرس

يؤدد

يؤول فساده للدخول في امور الدين اي قد يؤول فساد الدنيا الى الافساد في الدين فلذا منعه مالك بناء على قواعده في الذريعة وسد ها وبين ذلك بقوله من سبيل الحج والجهاد اي لفساده يفسد سبيل الحج والجهاد بما يمنعه فلهذا اجاز قتله لئلا يسري فساده للدين وفساد اهل البدع معظمه اي اكثره وجوده راجع وعايد على الدين لعقايدهم الفاسدة التي يضلون بها الناس وقد يدخل في امور الدنيا فحاله هو عكس حال المحارب الذي معظم فساده في الدنيا وقد يدخل في امور الدين فيعلم جواز قتله بالطريق الاولى وبين دخوله في الدنيا بقوله بما يلقون بفتح اوله مضارع القى بمعنى رمى وطرح وهو كناية عن ظهوره بين المسلمين من العداوة الدينية التي تسري لدنياهم به بالمقاتلة والمحاربة ونهب الاموال وتخريب الديار والله الموفق للصواب من اتباع الحق وترك الباطل وكسر شوكته وهذا ابناء على عدم تكفير الخوارج وفيه خلاف مشهور سياتي بيانه والبغاة امرهم مفصل في كتب الفقه والله اعلم

# فصل ذيل به ما قبله في

تحقيق القول في إكفار المتاولين من اصحاب البدع والاهوا الذين اولوا عقايدهم الباطلة بما يجعلها صحيحة واولوا النصوص لمشكل ظاهرها قد ذكرنا في الفصل الذي قبل هذا مذاهب السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من المتقدمين في اكفار اصحاب البدع والاهوا من الفرق الضالة المتاولين لمقالاتهم الباطلة حتى لا يقتلوا ممن قال قولا يؤدي بضم التحتية وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة اي يوصل ويفضي مساقه مصدر ميمي اي سوقه وسوق الكلام وسياقه ما يدل عليه بواسطة ما ذكر معه الى كفر متعلق بيوديه اي يؤدي اليه كقول المعتزلة انه لا يفعل القبيح ولا يريده وانه يؤدي الى ما لا يليق من عدم القدرة ونحوه وهم يا ولونه بانه بتمكينه وخلقه القدرة ونحو فعل القبيح قبيح والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وهو اي القايل اذا وقف عليه اي على ما يؤدي اليه كلامه لا يقول اي لا يعتقد اعتقادا جازما بما يؤديه قوله اليه من الكفر ومعتقد ماته وقوله وقف عليه كناية عن الاطلاع عليه والعلم به وليس تعديته بعلى لهذا كما قيل فانه يتعدى بها كما تقول وقف على الارض وبناء على اختلافهم اي السلف اختلف الفقها والمتكلمون في ذلك اي في تكفيرهم وعدمه بناء على مسالة اصولية وهي ان لازم المذهب هل هو مذهب ام لا فمنهم اي الفقها والمتكلمين من صوب بتشديد الواو اي عده صوابا صحيحا والتصويب ضد التخطية التكفير اي القول بكفرهم الذي قال به الجمهور من السلف اي اكثرهم نظرا لما يؤدي اليه صونا لحظاير القدس وحما لجانب الربوبية والتكفير والتكفار بمعنى ومن قال الاول انما هو من الكفارة فقد اخطا كما في المغرب وغيره من كتب اللغة ومنهم من اباه اي منع تكفيرهم بذلك ولم ير اخراجهم اي اخراج هولا القايلين بما ذكر من سواد المسلمين وفي نسخ المؤمنين صونا لاهل القبلة للاحاديث الواردة في النهي عنه كالحديث

لون

تلساني

ية

الا في قريبا امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
واموالهم ونحوه من الاحاديث الصحيحة والسواد هنا بمعنى الجماعة قال في الاساس سواد
المدينة ما حولها والسواد الاعظم جماعة المسلمين ويقال كثر سواد القوم وسواده
اي جماعتهم وشخصي وقلت لما تغلب سود الحبشان على ارض مصر في الدولة الابراهيمية
المزودية

سواد وجه الملك سود عبيده * بالتسويد دون البرية سودها
فقد خلط الدهر الذي بفعله * فظن سواد المسلمين عبيدها

وورد سواد الناس بمعنى عامتهم وليس بمراد هنا وان جاز على بعد
وهو قول اكثر الفقهاء وقد علمت انه بناء على الظاهر والكثير وليس على اطلاقه وذكره
لانه لتعلقه بذلك من مسائل الكلام من وجه ومن مسائل الفقه من وجه وقالوا
هم اهل البدع فساق ككفار جمع فاسق وعصاة لارتكابهم كبائر من فساد العقائد
والاعمال ضلال بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام جمع ضال ونوارثهم مضارع
بنون العظمة او الجماعة من المسلمين اقاربهم اي نحكم بارث المسلمين لهم ومنهم
ونحكم لهم باحكامهم فيما لهم وعليهم لعدم تكفيرهم ولهذا القول قال سحنون
ولا اعادة للصلاة على من صلى خلفهم لصحة الاقتداء بهم وصحة صلاتهم وفي بعض
النسخ في وقت واحد ولا في اكثر اوقات وذكره لـ قطع التوهم انه قد تسقط
الاعادة في الاوقات الكثيرة دون غيرها للمشقة فيها قال سحنون وهو اي هذا
القول او عدم اعادة الصلاة قول جميع اصحاب مالك كلهم وفي نسخة منهم
المغيرة وابن كنانة واشهب وقد تقدمت تراجمهم قال سحنون لانه اي المبتدع
مسلم وذنبه الذي ارتكبه من بدعته لم يخرجه من الاسلام لتصديقه بالله
ورسوله والتزام احكام الدين في ظاهر حاله واضطرب اي تردد وشك اخرون
في ذلك الحكم من تكفيرهم وعدمه ووقفوا عن احد الطرفين فلم يحكموا باسلامهم
ولا بعدمه عن القول بالتكفير وضده وهو الاسلام وقول رابع وهو
التفصيل كما تقدم واختلف قول مالك في ذلك فله قوله بتكفيرهم وقول
بخلافه فلذا اضطرب بعضهم وتوقف اخرون فيهم وفي نسخة واختلاف
قولي مالك وتوقفه عن اعادة الصلاة خلفهم منه اي من هذا القبيل الذي
اختلف فيه قوله فتارة قال يعيد وتارة قال لا يعيد والى نحو من هذا
التوقف المنقول عن مالك ذهب القاضي ابو بكر الباقلاني من ائمة اهل
الاصول امام اهل التحقيق والحق ومعتمدهم في الاصول والفروع ولا يلزم
من توقفهم اثبات منزلة بين المنزلتين كالمعتزلة كما توهم وقيل انه اشكل
لتعطيل كثير من الاحكام فان امرهم في الاخرة الى الله وقد قيل من قال لا ادري
فقد افتى وكم توقف المجتهدون في مسائل من امور الدين لم تضرهم ولا غيرهم
والقاضي ابو بكر الباقلاني اشتهر انه شافعي وقيل انه مالكي وصححه بعضهم
وسيصرح به المصنف فهو الاصح وقال القاضي ابو بكر المذكور انها اي هذه المسئلة
من المسائل المعوصات اي الصعبة المشكلة لقوة الاراء المتعارضة فيها

ابن افرس

وهو

وهو بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر الزاي المخففة وصاد مهملة وضبطه بعضهم
بفتح العين وتشديد الزاي وهو من فرقهم اعتناص اذا التوى والعويص ما لا يفهم
من الشعر وغيره ويصعب استخراجه اذا القوم حين ارتكب البدعة لم يصرحوا بالكفر في
شيء مما قالوه وانما قالوا ما يؤدي اليه اي ما يلزمه الكفر وظن بعضهم ان القوم
هم علماء السلف والمراد انهم لم يطلقوا عليهم اسم الكفر وما نجده بيانا واضطرب قوله
اي قول القاضي في المسئلة فهو مختلف على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس وهذا
صريح في انه مالكي المذهب وبه صرح الزناتي في طبقاته فقال ابو بكر محمد بن الطيب المعروف
بابن الباقلاني الاصولي الاشعري المالكي مجدد الدين على راس المائة الرابعة على الصحيح
انتهى الا انه يحتمل ان يريد ابو بكر بن العربي المالكي لا ان في العبارة ما يأباه ظاهرا
فتدبر تدبرا حسنا قال القاضي ابو بكر في بعض كلامه انهم على راي من كفرهم بالتاويل
في اقوالهم لا تحل مناكحتهم اي تزوجهم المسلمات ولا اكل ذبائحهم كالمشركين
ولا الصلاة على ميتهم لانهم كفرة عنده ويختلف في موارثهم على الخلاف المتقدم
في ميراث المرتد وقال القاضي ايضا انما يورث بالتشديد والتخفيف ميتهم اي يعطى
ميراث من مات منهم ورثتهم من المسلمين تقديما على بيت المال لعلاقة الاسلام
السابقة ولا يورثون هم اي لا نعطيهم ميراث من مات من اقاربهم من المسلمين
لانقطاع علاقة الارث بينهم عند استحقاق الارث واكثر ميله اي القاضي
الى ترك التكفير لاهل البدع بالمال اي بما يؤول اليه كلامهم لان لازم المذهب
ليس بمذهب عندهم وكذلك اي مثل ما اضطرب قول القاضي اضطرب قول
شيخه ابي الحسن الاشعري وهو شيخه في الاصول وقدوته وهو لم يره
وانما روى عنه بواسطة كذا قيل واكثر قوله ما نقل عنه اي ترك التكفير
لهم وان التكفير انما يلزم خصلة اي صفة واحدة وهو ذكره نظرا لمعنى الوصف
الجهل بوجود الباري تقدس وتعالى لقوله في الحديث حتى يقولوا لا اله
الا الله كما تقدم بانه لا يعرف الله ولا يؤمن به ولا بوحدانيته وقال الاشعري
او القاضي مرة من اعتقد ان الله تعالى جسم كالمجسمة والنصارى او المسيح
بالرفع اي قال ان الله هو المسيح عينه او حل فيه او قال ان الله بعض من
يلقاه في الطرق فليس بعارف به اي جاهل بالله لا يعرفه لقوله لمن ليس
بالله هو الله وهو اعظم جهل به وهو بسبب ما قاله كافر لان كل من لم يعرف
الله كافر كما قدمه ولمثل هذا القول الذي قاله الاشعري ذهب ابو
المعالي عبد الملك بن يوسف امام الحرمين كما تقدم في اجوبته لابي محمد عبد
الحق لما سال عنه قال الحافظ الحلبي ليس هو الحافظ عبد الحق الاشبيلي
صاحب كتاب الاحكام وغيره لانه من اهل المائة الخامسة واما الحرمين من
اهل الرابعة فليس من اهل عصره وفي بعض النسخ ذهب ابو الوليد سليمان
في اجوبته لابي محمد عبد الحق وهو لا يصح ايضا لاختلاف عصريهما وقال
التلمساني هو عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي توفي سنة ست وتسعين
قال الدلجي ومن العجب ما قيل ان عبد الحق هو الاشبيلي والسهمي واللام في

عاصي

قوله لابي محمد ليست متعلقة باجوبته وانه هو السايل بل المراد في اجوبته الكاينة
لابي محمد اي الذي جمعها وصنفها كما يقال اجوبة مالك لابن سحنون والجار والمجرور
ليس لغوا وهو تعسف لا معنى له ولا يخطر ببال وكان ابو محمد بن عبد الحق سأله
عن المسئلة المذكورة في اهل البدع فاعتذر له عن ترك الجواب له بان الغلط فيها
اي في هذه المسئلة يصعب ويشكل على من خاف ان يقول في الشرع ما ليس منه لان
ادخال الكافر في الملة اي ملة الاسلام وهو ليس من اهله لكونه او اخراج مسلم منها اي
من ملة الاسلام امر مشكل عظيم في الدين لما فيه من خطر الجانبين فلذا لم يجبه في هذه
المسئلة لخوفه من الله تعالى واعلم ان الاشعرية قالوا ان المجسمة منهم من قال انه
جسم بلا كيف اي ليس جسما كالاجسام في المادة وهذا مذهب الحنابلة وبه صرح
ابن سعد وقال معنى قولنا جسم انه ليس بعرض وهذا هو البلكفة وهؤلا ليسوا
بكفار عندهم بل مبتدعون ومنهم من اثبت له الجسمية بلوازمها وهؤلا كفار
كما صرح به الرافعي في الشرح وقيل ليسوا بكفار مطلقا والاصح الاول ومن
لقي رجلا في الطريق فقال هو الله هم بعض الجهلة من الحلولية وليس منهم
مشايخ الصوفية كابن عربي وابن الفارض نفعنا الله ببركاتهم وما لهم عما نسب
اليهم فلا يغتر بمن تعصب عليهم من ظاهرية الفقها وقال غيرهما اي غير الاشعري
وابي المعالي من المحققين الذي يجب الموصول مبتدا خبره الاحتراز اي الحذر
والوقوع من التكفير في اهل القبلة من اهل التاويل الذين اولوا معا الا انهم
بما يوافق الشرع وان لم يقبل تاويلهم فان استباحة دما المسلمين وفي نسخة
بدل المصلين الموحدين خطر اي امر عظيم يخشى منه غضب الله والخطا في ترك
قتل الف كافر اهون اي اخف واقل عند الله من الخطا في سفك اي اراقة محجمة
بكسر الميم اسم آلة يؤخذ فيها دم الحجامة المعروفة من دم مسلم واحد بحسب
الظاهر لم يحكم بكفره وحاله عند الله وفيه مبالغة لانه كناية عن قلة القتل
وتوهم ان يعني اراقة دم محجمة واحدة بالحجامة لا القتل اهون من قتل
الف كافر وليس بمراد وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه
البخاري وغيره امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا قالوها يعني صلى الله عليه
وسلم كلمة الشهادة بتوحدانية الله وبرسالة رسوله صلى الله عليه وسلم
ولم يقل واقاموا الصلاة واتوا الزكاة لان من قالها التزم احكام الاسلام فدل
عليه بالالتزام ولذا ادخله بعضهم فيه ولانه لا يقاتل وان جاز قتله غالبا
عصموا اي حفظوا وصانوا مني دماهم جمع دم اي لم يقتلوا واموالهم عن اخذها
منهم كالفي والغنيمة الا بحقها استثنا مفرغ اي بكل سبب الا بسبب حق يقتضي
قتلا او اخذ مال كقتل او غصب وحسابهم عما عملوه في الاخرة على الله اي حسابهم
مفوض الى الله المطلع على اعمالهم وسرايرهم وما في قلوبهم من كفر ونفاق
وغيره واما النبي صلى الله عليه وسلم فانما امر ان يحكم بالظاهر والله يتولى
السراير فعلى ليست تدل على الايجاب لانها بمعنى الى خلافا للمعتزلة القايلين

بوجوب الاصلح على الله او نقول بني على ظاهرها على طريق تنزيله منزلة الواجب عليه لعدم
تخلف ما سبق في علمه وتقديره او لانه وعد منه وهو لا يخلف الميعاد فصار كالواجب شرعا
ولا معنى للايجاب على الله عند تدقيق النظر الا هذا كما ذكره الجلال الدواني في شرح
العقائد العضدية وظاهر الخبر يفهم ان التلفظ بكلمتي الشهادة لا يتحقق الايمان
بدونه كما ذهب اليه بعض اهل السنة وذهب الاشعري وبعض الماتريدية الى انه
انما هو لاجراء احكام الشرع عليه في الدنيا وكف القتل عنه فمن امن بقلبه ولم
يلفظ بهما فهو مؤمن عندهم بدليل قوله تعالى أولئك كتب في قلوبهم الايمان ولما يدخل
الايمان في قلوبكم ونحوه والخلاف فيمن لم يأب التلفظ بهما وهو قادر لكن العاجز مؤمن
اجماعا والقادر الابي مصر على الترك كافر اجماعا الدلالة ذلك على عدم خلوص سريرته
فالعصمة للدماء والاموال مقطوع بها مع الاتيان بالشهادة بتلفظه بانه لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله وهذا عام مخصوص بغير اهل الذمة والمعاهد والمستامن
بما نطق به من الايات والاحاديث وهل هو ناسخ للعموم او مقيد خلاف لفظي مذكور
في اصول الفقه ولا ترتفع العصمة اي تزول ويستباح خلافها من دم او مال الا بدليل
قاطع برفع ما قطع به ولا قاطع في حق المبتدعة من شرع ورد به في كتاب او سنة
ولا قياس جلي عليه اي على القاطع الشرعي والفاظ الاحاديث الواردة في هذا الباب
الدالة على تكفير اهل البدع والاهوا الذي تمسك بها من ذهب لتكفيرهم وهو جواب
عن سؤال تقديره كيف لا تقول بتكفيرهم وانه لم يقم عليه دليل ولا قياس وقد ورد
ما يدل على خلافه فقال انها معرضة بزنة اسم المفعول مشددة الراء وفي نسخة عرضه
اي انها قابلة للتاويل فلا تعارض الادلة القاطعة بخلافه فشبهها بهدف يوضع
لاصابة سهام التاويل ففيه استعارة مكنية تخييلية وذلك لعدم صراحتها فمما
جاء منها اي من الاحاديث الدالة على كونهم في التصريح بكفر القدرية وانهم مجوس هذه
الامة كما تقدم وقوله صلى الله عليه وسلم لا سهم لهم اي للقدرية في الاسلام
والسهم اما ان يراد به ما هو من سهام الغنائم لانه انما هو للمسلمين او بمعنى النصيب
والمعنى لا اسلام لهم كقول ابن الفارض [illegible]
على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم
وتسميته المشير له صلى الله عليه وسلم الرافضة بالشرك اي اطلاقه عليهم
انهم مشركون قيل وهذا لا نعرف روايته وسيأتي رده قريبا واطلاق اللعنة
اي الطرد والبعد من رحمة الله عليهم اي على الرافضة بقوله انهم ملعونين
وانما يلعن الكافر وكذلك ما ورد في حق الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله
عنه وغيرهم من اهل الاهواء اي الاراء الفاسدة كالشيعة فقد يحتج بها اي
بهذه الاحاديث من يقول بالتكفير لهؤلاء بناء على ظاهرها وقد يجيب عنها الاخر
الذاهب لعدم تكفيرهم فلذا قال انها قابلة للتاويل بانه متعلق بيجيب
والمشير للسان [illegible] ورد عنهم ورد ذا شائعا متعارفا فيما بينهم لا ينكره الا
جاهل بل قد ورد في الاحاديث مثل هذه الالفاظ المذكور فيها الكفر واللعنة
في حق غير الكفرة من عصاة المسلمين مع القطع بعدم كفرهم اجماعا على طريق التغليظ

د جلي وغيره

اي المبالغة والتشديد في الزجر تخويفا لهم فهو مجاز وكناية بانهم مستحقون
لعذاب الكفر ومتصفون بصفات تليق بالكفر ومثله كثير في الايات والحديث وكفر
دون كفر اي اهون منه واشراك دون اشراك اخفى منه واهون لتفاوت مراتبه وبعض
الشر اهون من بعض وظلم دون ظلم كما في الاثر يعني انه صلى الله عليه وسلم كما
سمى الطاعات ايمانا سمى بعض المعاصي كفرا وشركا وسمى الله الكفر في القران ظلما كقوله
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقال ان الشرك لظلم عظيم وخلص المؤمنين يرون التوحيد
اي لا يرى في الوجود غير الله ولا يرى لغير الله شيئا من الامر ويعدون غير هذا شركا
خفيا بل ظاهرا كما قال ابن عطاء الله كلك شرك خفي وكما قال بعضهم منبها لبعيد

عبيدي شهودي وعبيدي انت يا حبيبي ● والعبيد عندي دوام المحو عن عيني
اثبات غيرك شرك في عقيدة نشأ ● ترك السوى دينا يا قرة العين

وصاحب العرفان يرى الدنيا كلها صفرا وهذا مقام شهود وكشف يعرفه من ذاق
حلاوة الايمان ومنكره مريض القلب الذي يتوهم العسل مرا لعدم صحة ذوقه اللهم
ارزقنا من الشوق للقائك ● ما يحلو له الصبر على مر بلائك ● واعلم ان البيهقي
روى في الدلائل عن علي رضي الله عنه وكرم وجهه عنه صلى الله عليه وسلم
انه يكون في امتي قوم اخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام ورواه
من طرق عدة وقوله في امتي فيه ايما للتاويل وان حمل على انهم في عدادهم
وبينهم او المراد بالامة امة الدعوة واما الاحاديث في الخوارج فصحيحة في مسلم
وغيره وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب وسياتي في كلام الناظم
الاشارة لها وسنذكره هناك فمن قال حديث الرافضة لا يعلم من رواه فقد
قصر وقد ورد مثله اي مثل الحديث الوارد في تكفير الرافضة وغيرهم من اهل
البدع في الريا براء مهملة وياء مثناة تحتية ممدودة وهو فعل العبادة ونحوها
لاجل الناس هكذا ضبطه الحافظ الحلبي والاحاديث في الريا مشهورة وكذا اطلاق
الشرك عليه فانه يقال له الشرك الخفي وهو انسب بقوله السابق شرك دون
شرك وفي الشرح الجديد انه الربا بالقصر وبا موحدة ويكتب بالف وواو ويا
وهو فضل احد المتجانسين على الاخر بالمعيار الشرعي من كيل ووزن ونحوه
واللام فيه معرفة ومغني عن البيان وهو اشارة لما في حديث مسلم لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهده وفي نسخة الزنا
بزاي معجمة ونون وهو اشارة لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين
يزني وهو مؤمن وعليه بعض الشراح والكل صحيح وعقوق الوالدين الاب
والام وان عليا وهو من الكباير ايضا والعقوق من عقه بمعنى قطع وشق
وهو فعل كل ما يؤذيهما ويسوؤهما وترك صلتهما وضده البر وقد جمع الله
ما يبلغ لفظ في قوله ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما وما
احسن قول السراج الوراق في بر والده ● ●

بنيت اقتدا بالكتاب العزيز ● فزدت سرورا وزاد ابتهاجا ●
وما قال لي اف في عمره ● لكوني ابا ولكوني سراجا ●

وفي

وفي العقوق احاديث كثيرة تدل على ما قاله المص والزوج اي ومخالفة المراة زوجها وفي الحديث من بات زوجها ساخطا عليها لم ترح رائحة الجنة وهذا من صفة الكفار وفي بعض النسخ والزور اي شهادة الزور اي الكذب وسمي به لميله عن الحق ومنه تزاور عن كهفهم وغير معصية واحدة اي جا في حق معاص كثيرة ومنها في الحديث بانها كفر وشرك مع علم كل احد بان فاعلها لا يكفر فدل هذا على ان المراد تغليظ زجره لانه كفر حقيقة فما ورد من تكفير المبتدعة واهل الاهوا مثله واذا كان ما ورد في حقهم من الكفر محتملا للامرين اي كونه على ظاهره وكونه مبالغة في زجرهم تخويفا لهم فلا نقطع على احدهما اي احد الامرين الكفر وعدمه الا بدليل قاطع لصعوبة اخراج احد من الاسلام وادخاله في الكفر كما تقدم وعدي نقطع بعلى لتضمينه معنى نقول ونعتمد لانه يتعدي بالباء يقال قطع به اذا جزم وقوله صلى الله عليه وسلم في الخوارج هم من شر البرية اي الخلق من برا بمعنى خلق فخفف وشر افعل تفضيل مخفف اشر كما سمع نادرا وبه قرئ في قراة شاذة لابي قلابة وكذا خير والخوارج جمع خارج او خارجي كما مر وهذه الصفة وهي شر البرية صفة الكفار وصفهم الله تعالى بها في القران في قوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين الى قوله اولئك هم شر البرية فوصفهم بصفتهم يقتضي كفرهم ان لم يقل المراد دوام هذه الصفة والها لا تليق بمسلم وهذه العبارة في حديث في الصحيحين وغيرهما ورواه احمد عن عايشة بلفظ الخوارج شرار امتي يقتلهم خيار امتي وفي مسلم هم ابغض الخلق ونحوه وقال صلى الله عليه وسلم في الخوارج في الحديث شر قتيل بفتح القاف وبا موحدة ومثناة تحتية ولا مروهم الجماعة والقبيلة جماعة لاب واحد وبعضهم ضبطه بمثناة فوقية تحت اديم السما الاديم الجلد والنطع منه وهو تشبيه لها بجلد ممدود اي تحت السما وهو يستعار للارض ايضا وفي الاساس اديم السما ما تحتها ومن العجب ما قيل انه مشكل لان اديم السما الارض قال الجوهري يسمى وجه الارض اديما فظاهره انه تحت الارض وما افاده الاخبار الاروايتها طوبى لمن قتلهم او قتلوه اي طوبى لمن قتلوه لانه شهيد فهي كلمة مدح وقد يقصد بها التبشير بالجنة والسعادة لانها اسم الجنة او شجرة فيها ويقال طوبى له وطوباه وهي فعلى من الطيب وفي الحديث طوبى لاهل الشام لان الملائكة باسطة اجنحتها عليها وفي الحديث بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا وطوبى للغربا وقد قتلهم علي كرم الله وجهه يوم النهروان وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي سعيد الخدري اذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وفي رواية ثمود وهم كفرة كما في القران فظاهر هذا الحديث الكفر اي كفر الخوارج ولذا ذهب اليه اكثر العلما كالطبري والسبكي لاسيما اي انه يدل على الكفر دلالة واضحة مع تشبيههم بعاد اشارة الى انه في الكلام معنى التشبيه اذ المعنى اقتلوهم قتلا كقتل عاد والمراد تشبيههم بهم في افنائهم واستيصالهم بحيث لا يبقى لهم اثر ومن هذا

ابن فارس

الوجه دل على المبالغة فلا يرد علیه ما قيل ان عادا اهلكوا بريح صرصر لا بسيف ونحوه ففي التشبيه اشكال فانه ناش من قلة التدبر فيحتج به اي بالحديث او بالتشبيه من يرى تكفيرهم لامره صلى الله عليه وسلم بقتلهم وتشبيههم بالكفرة فيقول له الاخر الذي لا يرى تكفيرهم مجيبا له انما ذلك المذكور في الحديث من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم اي جورهم وتعديهم على المسلمين كالبغاة ومن في قوله من قتلهم قيل انها تعليلية اي من اجل قتلهم لانهم قتلوا المسلمين لما خرجوا على ما في القصة المشهورة ويتمسك بدليله وفي نسخة ودليله الذي استدل به من الحديث نفسه من غير حاجة لدليل اخر لقوله صلى الله عليه وسلم فيه يقتلون اهل الاسلام فانه يدل على انهم انما قتلوا لقتلهم لا لكفرهم فقتلهم اي الخوارج ها هنا حد وقصاص لدفع شرهم لا كفر كما فهمه القايل به ثم استشعر سوالا بانه حينئذ لم شبههم بعاد فقال وذكر وفي نسخة وقتل عاد تشبيه للقتل وحله اي القتل لا للمقتول لخصوصه من الخوارج وقوم عاد ثم وضحه بقوله ولكن كل من حكم بقتله شرعا حكم بكفره كالقاتل وتارك الصلاة عند الشافعي وقطاع الطريق وقتل علي كرم الله وجهه للخوارج ذهب كثير الى انه لانهم بغاة كما ذهب بعضهم الى انه لكفرهم وتعارضه بقول خالد بن الوليد رضي الله عنه والمعارضة اقامة دليل يدل على خلاف ما قاله وتبين ان حجته على ما قاله في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في حق رجل اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانه سيقصد عنه شي من امر الخوارج دعني اي اتركني وهو كناية عن الاذن له فيما ذكر اضرب عنقه اي اقتله وهو مجزوم في جواب الامر يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله يصلي فجعل الصلاة واظهار شعاير الاسلام مانعة من التكفير والقتل بسببه ولعل للتعليل او للترجي وهو في كلام الله ورسوله للتحقيق ووقع في رواية ان القايل في هذه القصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجمع بينهما بان القول وقع منهما والرجل الذي اريد قتله ذو الخويصرة فان احتج اي القايلون بكفرهم بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري في حق الخوارج وقوله فيه انهم يقرون القران لا يجاوز حناجرهم اي لا يتعداها ولا يذهب منها جمع حنجرة وهي راس الحلق الخارج منه الكلام وهي الحلقوم ومجرى النفس وطرف المري مما يليه والمراد انه لا يصل لقلوبهم لعدم الفهم والعلم بما فيه من الايمان والعقايد وبعض روايات مسلم لا يجاوز ايمانهم حلاقيمهم فهم يومنون باللسان دون القلب ولهذا عقبه بقوله فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم يمرقون اي يخرجون من الدين فالمروق الخروج بسرعة مروقا مثل مروق السهم من الرمية قيل هي فعيلة بمعنى مفعولة اي ما يرمى من صيد ونحوه كذا فسروه هنا كلهم والظاهر ان المراد به القوس والوتر وما يرمي به لقوله بعد ثم لا يعودون اليه اي الى الدين حتى يعود السهم الى

اي اقتلهم

فوقه

فوقه بضم الفاء والواو وساكنة وقاف وهو موضع السهم من الوتر فان الظاهر انه شبه خروجهم
بخروج السهم من قوس راميه الذي لا يمكن رجوعه حين يرميه اليه وهكذا هو في امثال
الناس يقولون لما لا يعود سهم رمي ويؤيده تانيثه الا اني لم ارد اللهم الا ان يقال السهم
الذي يخرج مما رمي به لا يعود لقوسه ايضا فهو ابلغ في المعنى المراد وهذا هو المراد كما
سياتي والحديث كما في البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال يخرج ناس من قبل المشرق
يقرؤن القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم
لا يعودون اليه حتى يعود السهم الى الرمية الخ وفيه ان سيماهم انهم يحلقون رؤسهم
لان حلق شعر الراس في عهده صلى الله عليه وسلم انما كانوا يفعلونه لنسك او حاجة
اما الان فصار عادة لا تكره وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لما فيه من
الاخبار عن المغيبات وكذلك يحتجون بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الشيخان وفي نسخة وكذلك قوله سبق اي السهم بخروجه سريعا الفرث والدم قال
الراغب الفرث ما في الكرش ويقال فرث كبده اي فتتها وافرث فلان اصحابه اوقعهم
في بلية جارية مجرى الفرث انتهى يعني انه لا تعلق لهم بالاسلام اصلا لسرعة خروجهم
منه كما ان السهم النافذ من حيوان رمي به يخرج قبل ما في باطنه من الفرث والدم
فانه يخرج بعده وهذا المذكور في الحديث يدل على انه اي الخارجي لم يتعلق من
الاسلام بشيء كالسهم السريع النفوذ وقوله اجابه جواب قوله فان احتجوا الخ
اي فان عارضوهم به اجابهم الاخرون القائلون بعدم كفرهم بان معنى قوله في
الحديث لا يجاوز حناجرهم الذي تمسكوا به انهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم
فلا يمتثلون اوامره ونواهيه فهم عصاة لا كفار ولا تنشرح له صدورهم كغيرهم
من المتقين ولا تعمل به جوارحهم اي اعضاؤهم الظاهرة فهم لا يتدبرون القران
وان واظبوا على تلاوته وحسنوا به اصواتهم وبالغوا في عباداتهم وعارضوهم معطوف
على اجابه بقوله صلى الله عليه وسلم ويتمارى اي يتردد السهم في موضعه من
الوتر في الفوق بضبطه السابق فهذا التشبيه يقتضي التشكيك في حاله وانه لا يحكم
بكفره وفيه كلام في شروح البخاري وان احتجوا اي المكفرون بقول ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه في هذا الحديث ومقوله قوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يخرج اي يظهر في هذه الامة فجعلهم فيهم لا منهم ولم يقل يخرج من هذه
الامة فانه يقتضي انهم منهم لا مفارقتهم لمخالفة دينهم ورجحوا هذه الرواية
بقوله وبخبر ابي سعيد اي بهذه وبتنقيحه الرواية واتقانه اللفظ بقوله
في دون من وهو يدل على دقة نظره رضي الله عنه وهذا عجب لظاهر اذ يجوز
ارجاع كل منهما الى الاخر لان حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض والامة تحتمل
امة الدعوة والاجابة كما مر واشار الى الجواب بقوله اجابهما الاخرون الذين
لا يرون تكفيرهم بان العبارة اي التعبير بفي لا يقتضي ويستلزم نصا بحتا
بكونهم من غير الامة لان بعضهم فيهم وان كان خلاف الظاهر بتخصيص
الامة وتاويلها بخلاف لفظه من التي هي للتبعيض المصرحة بكونهم من الامة
ولا يخفى ما فيه مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم بمن

رواة في هذا الحديث يخرج من امتي وتسيكون من امتي بلفظ من وهو صحيح في الفهم منهم
وان الروايتين متوافقتين معنى وحروف المعاني كحروف الجر لا المباني مشتركة اي لها
معان متعددة وموضوعة لها ويجوز نيابة بعضها عن بعض بتضمين ونحوه واذا كان كذلك
فلا تغلو بل اي لا اعتماد على اخراجهم من الامة بتكفيرهم بفي اي بسبب قوله في ولا على ادخالهم
فيها الاحل تعبيره بمن لاحتمالهما غيره لكن بالتشديد ابا سعيد الخدري رضي الله عنه في
روايته هذه اجاد ما شاء اي جودة عظيمة في التنبيه الذي نبه عليه بانيابة بفي الدالة
على اخراجهم وهذه العبارة معروفة في المبالغة كانه يعده على الجودة في كل ما يريد
وما مصدرية او موصولة وهذا اي تحرير العبارة وجودة رعاية للمعاني المرادة مما
يدل على سعة فقه الصحابة رضي الله عنهم اجمعين اي شدة فهمهم لمقاصد الكلام
ودقة نظرهم وتحقيقهم المعاني بما يناسبها من حسن لباسها واستنباطها اي
استخراجها من الالفاظ الدالة عليها وضعا وتحريرهم لها بتنبيههم وتوقيهم
اي احترازهم واجتنابهم في الرواية عما لا يليق فرواية من وفي كلاهما في الصحيحين
هكذا المذاهب المعروفة في هذه المسالة لاهل السنة واما ما لغيرهم من الفرق كالمعتزلة
والشيعة فقد رجعنا فيها مقالات اي اقوال كثيرة مضطربة متعارضة غير محررة مختلفة
اي ركيكة صعبة لا يعقل عليها واقربها اي اقرب اقوال غير اهل السنة قول جهم
ابن صفوان من المعتزلة ومحمد بن شبيب هو من المعتزلة ايضا وقيل مرجي قدري ان
الكفر بالله معناه الجهل به بان لا يعلم الله ووجوده وسياتي بسط هذا مع رده عن
القاضي ابي بكر الباقلاني ولا يكفر احد بغير ذلك اي بغير الجهل بالله وهذا قول غير صحيح لا يكفر احد بغير ذلك خ
ان حمل على ظاهره لانه يقتضي ان من عرف الله ووحده وانكر نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم او انكر شريعته وكتابه المنزل عليه لا يكفر فان اراد الجهل بالله وما يستلزمه
لم يكن مخالفا لغيره وكانه مراد القايل انه يلزمه تكفير سائر الفرق الضالة فان لم عاصي
يرد هذا فلا وجه له وقال ابو الهذيل احمد بن العلاف شيخ المعتزلة اخذ عن
عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطا رئيس المعتزلة وهو القايل بفنا مقدورات
الله تعالى وان الجنة والنار يفنيان لانهما حادثان وما ليس له اخر فقديم عنده كما
ان ما ليس له اول قديم ايضا توفي سنة ست وعشرين ومايتين وقد ارخى على المائة
وهو بصري ان كل متاول بتشديد الواو والمكسورة اسم فاعل ولا وجه لفتحها
كما صحح في بعض النسخ لانه يابا ما بعده كان تاويله تشبيها الله بخلقه بان يثبت
له جسما وصورة وجهة ونحوه مما هو من صفات الخلق المحدث فان اراد هذا فهو
صحيح لكن الفقها لهم خلاف في تكفيرهم وعدم صحة الصلاة خلفهم كما تقدم وما
قبل من ان مراده من قال بتاويل المتشابهات من اهل السنة غير ظاهر من هذه عرضي
العبارة وان اطال فيه بغير طايل ونحو بن الله تفعيل من الجور بجيم وراء مهملة
ضد العدل واصله الميل عن الاستقامة وضمير له لله اي بنسبة الله الى الجور
في تاويله وقد قيل مراده ايضا الرد على اهل السنة في قولهم ان الله يريد
الخير والشر والمعاصي لان ارادته المعاصي وعقاب فاعلها جور عندهم تعالى
سبحانه عنه ورده والكلام عليه مفصل في محله وعندهم الرضى والارادة بمعنى

وتكفيرا

وتكذيبا لخبره اراد قوله وما الله يريد ظلما للعباد وقد نسبه للجور كما سمعته انفا فيلزمه
تكذيبه في قوله هذا انه كافر بالتشبيه ونسبته للجور وتكذيب خبره وهذا حق اريد به باطل
فاقربيته بحسب ظاهره فتامل وقال ابو الهذيل كل من اثبت شيا قديما لا يقال له الله
هو كافر وهو رد ايضا على اهل السنة في قولهم بقدم الصفات فرارا من عدمها وقيام
الحوادث بذاته وهم يبقون الصفات هربا من تعدد القدما وعندنا الممنوع تعدد
ذوات قدما لا ذات وصفات كما مر وبين في الاصول وليس هذا محل تفصيله وقول بعض
المتكلمين ان كان المتاول ممن عرف الاصل وبنى عليه اي علم اصول الدين وفرع عليه
تاويله الذي يقتضي ما تقدم من التشبيه وما بعده وكان تاويله فيما هو من اوصاف
الله التي لا تليق به فهو كافر لانه قال ما قاله عن علم به وان لم يكن من هذا الباب
اي لم يكن ما اوله من اوصاف الله فهو فاسق غير طايع لله لارتكابه كبيرة باعتقاد ما ليس
بحق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل اي الاصول الدينية وانما قال ما قاله لجهله
فهو مخطي غير كافر اي غير مصيب للحق لذهابه لغير الحق من غير بناء على اصل من
اصول الدين وهذا كله من كلام المعتزلة وبما يسبتهم مما يوهم ظاهره الجبر وهو شر
محض وذهب عبيد الله بالتصغير بن الحسن العنبري منسوب لبني العنبر قوم
من تميم ويقال لهم في غير النسب بلعنبر وهو عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن
مالك بن الخشخاش بمعجمات ومالك والخشخاش صحابيان وللخشخاش رواية
دون مالك وعبيد الله فقيه بصري تولى قضا البصرة بعد سوار بن عبد الله
وكان عالما ثقة روى عنه غير واحد واخرج له مسلم توفي سنة ثمان وستين
ومايه وكان يرى جواز التقليد في العقايد والعقليات وخالف في ذلك العلما وذهب
الى تصويب اقوال المجتهدين اي القول بالاصابة في اصول الدين مما يتعلق بالاعتقاد
كالاجتهاد في الفروع فيما كان عرضة اي قابلا للتاويل وفي الاساس فرس عرضة
للسباق اي قوية عليه مطيقة له انتهى كانه لقابليته تعرض له وفارق اي
خالف العنبري في ذلك القول الذي قاله في تصويبه الاجتهاد في اصول الدين فرق
الامة من علما الشرع والسنة والمتكلمين فانها امور سمعية لابد فيها من نقل
صحيح اذ اجمعوا اي علما الامة سواه اي غير العنبري على ان الحق في اصول
الدين والعقايد في واحد لا يقبل التعدد لبراهينه القطعية وليس كالفروع
التي هي محل الاجتهاد وذهب بعضهم الى ان كل مجتهد فيها مصيب وفي نسخة
في الواحد والمخطي فيه الذي لم يصادف الحق الواحد اثم عاص فاسق لعدوله
عن الحق برايه وانما الخلاف في تكفيره باجتهاده المخطي فيما ليس محل الاجتهاد
وانما محله الفروع العملية فهو مثاب في اجتهاده سوا قلنا المصيب واحد
ام لا على ما اشتهر في الاصول اما في اصول الدين فالمصيب واحد قطعا فلا وجه
للاجتهاد فيها وان بذل وسعه وجهده وذهب الجاحظ كما ياتي والعنبري
الى جواز الاجتهاد فيها وانه اذا اخطا لا ياثم لكنه مقيد بالاسلام على الصحيح
قالوا لان قصدهم تعظيم الله وتنزيهه ولذا لم يجب الصحابة عن الالفاظ
الموهمة للتشبيه وهو كله واه غير سديد وقد حكى القاضي ابو بكر بن الطيب

المالكي الباقلاني مثل قول عبيد الله العنبري في جواز الاجتهاد في الاصول عن داود
الاصبهاني اصبهان تقال بالباء والفاء اسم بلدة مشهورة وهو فارسي معرب وداود
هذا هو ابن علي بن خلف ابو سليمان الاصفهاني البغدادي وطنا صاحب مذهب
الظاهرية ولد سنة مائتين او اثنتين ومائتين وتوفي سنة سبعين وكان
اماما جليلا زاهدا ورعا قلد الشافعي رضي الله عنه اولا ثم صار صاحب مذهب
مستقل وكان مدرا رحلة في عصره حتى رجح على بعض المجتهدين واختلفوا في
انه هل يعتد بخلافه ام لا على اقوال في الاصول ومن اجل اتباعه ابن حزم
قال وحكى قوم عنهما اي عن داود والعنبري انهما قالا ذلك اي جواز الاجتهاد
في الاصول الدينية في كل من اي رجل علم الله من حاله وما يظهر من امره استفراغ
الوسع بضم فسكون اي بذل قدر جهده وطاقته وهو في الاصل استعارة
بتشبيه قريحته ببير وما يستخرج بفكره بما يخرج منها ثم صار حقيقة
عرفية فيما ذكر في طلب الحق الذي قصده وان اخطا في الواقع من اهل ملتنا
المسلمين او من غيرهم من الكفرة وقال نحو هذا القول الجاحظ عمرو بن بحر
ابن محبوب ابو عثمان الكناني الليثي البصري العالم المشهور صاحب التصانيف
الجليلة وجامع العلوم الغريبة وهو معتزلي صاحب مذهب في اصول
الدين ومن اجل تصانيفه كتاب التبيان وكتاب الحيوان لقب بالجاحظ لجحوظ
عينيه اي نتوهما واصابه في آخر عمره وقد ناهز التسعين فالج وحمر بود
ومنه توفي سنة خمس وخمسين بالبصرة ومن الغريب ما قيل ان خالقه
ويعرف حجي بالحاء لغصن وقيل انه لا وجود له وثمامة بضم المثلثة
بوزن كناسة وهو ثمامة بن اشرس بن معن النميري كان كما قال الذهبي
من كبار المعتزلة ورؤوس الضلالة وله نوادر وملح واتصل بالرشيد
والمأمون ومن مذهبه ان المقلدين من اهل الكتاب وعباد الاصنام
لا يدخلون النار وانهم يصيرون ترابا وان الاطفال كذلك يصيرون
وهو احد الاقوال العشرة في اطفال المشركين في ان كثيرا من العامة
اي عوام الناس وجهلتهم والنساء ذكرهم لان اكثرهم يغلب عليه الجهل
والبله بضم فسكون جمع ابله المراد به من قل فهمه وغلب عليه الغفلة
وقلة العلم وما في الحديث من ان اكثر اهل الجنة البله فالمراد بهم من غلب
عليه سلامة الصدر وحسن الظن بالناس فاغفلوا امر دنياهم واقبلوا
على آخرتهم وقريب منه قول الزبرقان خير اولادنا الابله العقول
اراد انه مع غفلته لدة حيائه كالابله ومقلدة النصارى واليهود
الذين كفروا تقليدا من غير معرفة دليل وحجة وغيرهم من جهلة الكفرة
المقلدين لرؤسائهم لا حجة لله عليهم لانه عندهم لم يؤتهم نظرا في الحجة
والادلة مما اذا خالفوه بعد العلم به عنادا كانوا اهل ضلال كفار
يستحقون العقاب اذ لم يكن لهم وفي نسخة اذا اي لم توجد يخلق
الله فيهم طباع بزنة رجال مفرد بمعنى طبيعة او جمع طبع وهما قولان

لاهل

٤٢٨

دجي

اهل اللغة فهو مؤنث وقيل انه اسم مؤنث على وزن مثال لا جمع طبع وهو مصدر
فهو كلام متناقض والتحقيق ما ذكرناه كما في شرح ادب الكاتب يمكن لهم معها اي مع
وجودها فهم الاستدلال اي اقامة دليل وحجة توصلهم لمطلوبهم فاذن هم معذورون
والحجة لله عليهم يعاقبهم بها وهو قول باطل لانهم مكلفون عقلا لا سيما من نشا
بدار الاسلام وعلى كل حال فهم متمكنون من النظر ومعرفة الادلة والتفكر في خلق
السموات والارض وقد قرع اسماعهم ما تواتر من ارسال الله رسله وما ظهر من المعجزات
الباهرة الظاهرة ظهور الشمس لمن له عينان فاي عذر لهم تدحض به حجة الله عليهم
وقد نحا الغزالي رحمه الله تعالى قريبا من هذا المنحى نحا وانتحى بمعنى ذهب
وقصد اي قال قولا قريبا بحسب المعنى من هذا القول وهو الامام العلامة الزاهد
العابد ابو حامد احمد بن محمد بن احمد الغزالي الطوسي صاحب المؤلفات الجليلة الذي
غلب على اهله فقه الشافعي والاصلان ولد بطوس سنة خمسين واربعمائة واشتغل بها
ثم جال في البلاد لاخذ العلم ودخل بغداد فصار مدرسا بالنظامية واقام بدمشق
بجامعها بالمنارة الغربية عشر سنين بعدما اخذ العلم عن امام الحرمين واخذ عن
الشيخ نصر المقدسي بزاويته المعروفة بالغزالية ثم انتقل لمصر والاسكندرية
ثم رجع لبغداد وعقد بها مجلس وعظ وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى
الاخرة سنة خمس وخمسمائة عن خمس وخمسين سنة ودفن بطوس وقيل
بقصبة طابران وقال ابن تيمية بضاعته في الحديث مزجاة ولذا اكثر من
ايراد الموضوعات في كتبه واكثر في كتبه من مقالات الفلاسفة حتى قال
صاحبه ابو بكر بن العربي مع شدة تعظيمه له شيخنا ابو حامد دخل في بطن
الفلسفة ثم اراد ان يخرج منها فما قدر قلت كتاب التهافت والاحياء يناديان
على خلافه وهو بتشديد الزاي المعجمة في المشهور والغزال بغير نسبة
فزادوا فيه ياء النسبة تاكيدا كالعصاري على عادة اهل جرجان وخوارزم
وقيل نسبة لغزالة بنت كعب الاحبار جدته وقيل انه بتخفيف الزاي
نسبة لغزالة قرية من قرى طوس ٭ كما ذكره النووي في التبيان وانكر
ابن الاثير تخفيفه قال ابن العربي لقيته في الطواف وعليه مرقعة فقلت
له اولى لك من هذا غير هذا فانت صدر يقتدى ٭ وسور الى معالم المعارف
يهتدي ٭ فقال هيهات ٭ لما طلع قمر السعادة ٭ في فلك الارادة ٭ اشرقت
شموس الافول على مصابيح الاصول ٭ فتبين الخالق لارباب الالباب والبصائر
اذ كل لما طبع عليه راجع وصابر ٭ وانشد

تركت هوى ليلى ولبنى بمعزل ٭ وصرت الى مصحوب اول منزل
ونادتني الاكوان حتى اجبتها ٭ الا ايها الساري رويدك فانزل
وعرست في دار الذي لعز بيمه ٭ قلوب ذوي التعريف عنها بمعزل
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد ٭ لغزلي نساجا فكسرت مغزلي

واذا سمعت هذا فكيف يظن به اتباع خرافات الفلاسفة وقد راى بعض
المشايخ الغزالي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو من شخص طعن فيه

وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه بالسياط فانتبه وبه اثر الضرب
والمه في كتاب التفرقة اسم كتاب له في الاصول قال ابن حجر وما نسبه المص للغزالي
شرح الغزالي في كتابه الاقتصاد بما يرده وعبارته التي اشار اليها المص على
تقدير كونها عبارته والا فقد دس عليه في كتابه عبارات حسدا لا تفيد ما فهمه
المص ولا تقرب مما ذكره وعبارته وصنف بلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم
ولم يبلغهم مبعثه ولا صفته بل سمعوا ان كذابا يقال له فلان ادعى النبوة
فهولاء عندي من الصنف الاول اي من الذين لم يسمعوا اسمه اصلا فانهم لم
يسمعوا ما يحرك داعية النظر انتهى فانظر كلامه تجده انما عذرهم لعدم بلوغ
دعوته صلى الله عليه وسلم وهذا لا يحتوي على ما ذكره المص وقد قال ابن السبكي
وغيره لا يبغض الغزالي الا حاسدا او زنديقا انتهى وفي الشرح الجديد بعد ما ذكر
المص هذا الكلام غير سديد والغزالي بري من مثله والذي في كتاب التفرقة خلافه
فانه قال فيه من لم يبلغه اسم محمد معذور وكذا ان سمع ضد اوصافه وفي
معناه مدعي النبوة كذابا فان سماع مثله يمنع دواعي النظر والطلب وكذا من فرع
ببعثته ومعجزاته المتواترة وادركه الموت قبل التحقيق فهو مغفور له تشمله
الرحمة الواسعة وقال في المستصفى ذهب الجاحظ الى ان مخالف ملة الاسلام
من اليهود وغيرهم وذريتهم ان كان معاندا فيما يخالف انتقاده فهو اثم
وان نظر فعجز عن درك الحق فهو معذور غير اثم وان لم ينظر لكونه لم يعرف وجوب
النظر فهو معذور غير اثم وانما الاثم المعذب المعاند فقط ولا يكلف الله نفسا
الا وسعها وهولاء عجزوا عن درك الحق فلازموا عقايدهم خوفا من الله اذ لا
ينسد عليهم طرق المعرفة وما ذكره ليس بمحال عقلا لو ورد الشرع به
فهو جايز لو ورد التعبد بذلك لكن الواقع خلافه وما ذكره العنبري باطل
بادلة سمعية ضرورية فانا كما نعلم امره صلى الله عليه وسلم بالصلاة ونحوها
ضرورة نعلم امر اليهود وغيرهم بالايمان واتباعه وذمهم وقتالهم وقتلهم
وتعذيبهم ونعلم قطعا ان المعاند تقليدا لابايه مع الايات التي لا تخفى
الدالة على خلافه وفي القران التصريح به وقول العنبري كلفهم ما لا يطيقون
ممنوع فانه على انه اقدرهم بما رزقهم من العقل ونصب لهم من الادلة
وبعث الرسل المؤيدة بالمعجزات حتى لم يبق لهم حجة عليه وقوله كل مجتهد
في العقليات مصيب كالفروع باطل لان الحرمة والحل يختلف بخلاف العقايد
وقد انكره اصحابه وقالوا انه اقبح من مذهب الجاحظ الى اخر ما فصله
فيه ورتب به مذهب هولا فكيف مع هذا يقول المص رحمه الله انه يحكي
نحوهم وحاشاه منه وانما اوهمه ذلك قوله انه جايز عقلا ولا يلزم
من مجرد الجواز العقلي قبل النظر في الادلة واستماع ما قاله الله ورسوله
انه يجوز شرعا فكم من جايز عقلا ممتنع شرعا ونقلا واي محذور
في مثله وانما ذكره بيانا للمبني على غلطهم الذي اضل عقولهم في بوادي
الجهالة وهو كلام حق لا يرتاب فيه عاقل فضلا عن فاضل وقايل

هذا

هذا كله كافر بالاجماع على كفر متعلق بالاجماع من لم يكفر احدا من النصارى واليهود
كما ذكره الجاحظ ولم يكفر كل من فارق دين المسلمين كارباب الملل من المجوس وغيرهم
ومفارقته بمخالفته لهم قولا او فعلا او وقف في تكفيرهم اي احجم عنه وتركه
نفيا واثباتا او شك فيه بجوز وجوده وعدمه وفي نسخة توقف وقيل الوقوف
والتوقف كالتردد بحيث لا يرجح احد الجانبين والشك ان يجوزه بجوز امرجحا
وكلاهما كفر لانه يقتضي التردد في دين الاسلام وهو كفر بلا شك قال القاضي ابو
بكر الباقلاني في بيان كونه كفرا لان التوقيف في كفرهم والحال ان الاجماع منعقد
على كفرهم فيه خبر متعذر تعديه لا يصح بدليل قوله فمن وقف في ذلك اي في كفر
اليهود وامثالهم فقد كذب النص الوارد من الله ورسوله بكفرهم من الايات
الناطقة به وقيل ان قوله على كفرهم ظرف مستقر خبران لا لغو متعلق بالاجماع وكذب
المتوقف او شك فيه وهو ظاهر والتكذيب لما ذكر والشك فيه لا يقع الا
من كافر لانه امر مشهور معلوم من الدين بالضرورة ولا يرد عليه انه ليس كل توقف
فيما جاء به نص يقتضي الكفر وفي عبارته ركاكة واغلاق فيه يندفع بالتامل

## فصل في بيان ماهو

من المقالات كفر جمع مقالة بمعنى قول مصدر ميمي وما يتوقف في كونه
كفرا ام لا او يختلف فيه اقوال العلماء وما ليس بكفر من غير توقف واختلاف
اعلم ايها الواقف على ما سياتي من كل من يصلح للخطاب ان تحقيق هذا الفصل
اي الوقوف على ما هو الحق فيه وكشف اللبس فيه اي ازالة ما يلتبس على سامعه
شبهه تفقطا يكشف مورده الشرع اي ما يطلب ويعلم منه انما هو الشرع
والشرع ما شرعه الله لعباده وبينه من الاعتقاد والعمل والمورد محل
الورود وهو اخذ الماء للشرب فشبهه بما يشفي الظما وشبه ما يعلم بموضعه
استعارة مكنية مخيلة ولا مجال اي سعة واصله محل الجولان والحركة للعقل
فيه اي العقل بانفراده لا يكفي فيه بل لا بد من تلقيه من الشارع والفصل
اي الفاصل المميز له عن غيره البين اي الظاهر الذي لا اشكال فيه ولا مجال
لرده في هذا الامر الذي نحن بصدده ان كل مقالة اي قول صدر عن احد صرحت
بنفي الربوبية اي دلت دلالة ظاهرة على ذلك وان الله غير موجود او صرحت بنفي
الوحدانية هي توحده وانفراده من غير شريك في الوهيته وصفاته وهي على
خلاف القياس وقد انبتها في الاساس وفي الحديث من شرار امتي الوحداني اي
المفارق للجماعة او صرحت بعبادة غير الله تعالى وحده او صرحت بعبادة احد
كعيسى والكواكب مع الله فهي اي هذه المقالة كفر اي يقتضي كفر من قالها
كمقالة الدهرية بفتح الدال نسبة للدهر وهو الزمان كما اشير اليه بقوله
ان الدهر ابلف شملي بسعدي ٭ لزمان يهم بالاحسان
ويقال للمسن او الحاذق او الحسن دهري بضم الدال على خلاف القياس وكثيرا
ما يقع التغيير في النسب كما ذكره النحاة والدهرية طائفة من الملحدين

عرضي

المعطلين ينسبون الامور للدهر كالطبايعية وفي العرب منهم كثيرون فلذا تراهم
في اشعارهم كثيرا ما يشكون منه ويذمونه ولذا قال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
الدهر فان الدهر هو الله وروي فان الله هو الدهر اي لا تسبوا الصانع فانه هو
الله الخالق للخير والشر وقال الشهرستاني في كتاب الملل والنحل لست ارى اصحاب
هذه المقالة ينكرو الصانع وانما هو تخييل سبب وجود العالم على الاتفاق
احترازا عن التعليل ولذا لم اقم برهانا على بطلان مقالته لان الفطرة
السليمة شاهدة بوجود صانعها وساير فرق اصحاب الاثنين القايلين بالهين
اثنين كالمانوية القايلين بالنور والظلمة وان خالق الخير غير خالق الشر
وكالفلاسفة القايلين بان الواحد بالذات لا يصدر عنه الا الواحد ونحوهم
من الفرق الضالة فالظاهر ان المراد بالاثنين مطلق التعدد كقوله ثم ارجع
البصر كرتين والديصانية بكسر الدال المهملة ومثناة تحتية ساكنة وصاد
مهملة بعدها الف ونون وياء نسبة اسم رجل من المجوس نسب له هذا المذهب
من القول بالنور والظلمة وخالق الخير والشر الا انه يقول ان الظلمة ميت والنور
حي وهم قوم من المانوية وهم اصحاب ماني الحكيم الذي ظهر في زمن سابور بن
ازدشير بعد عيسى وقتله بهرام بن هرمز زعم ان موجد العالم اثنان النور
خالق الخير والظلمة خالق الشر وانهما ازليان حيان دراكان ونحوه من الخرافات
وفي نسخة المانية والصحيح الاول قال المتنبي

وكم لظلام الليل عندي من يد • تخبر ان المانوية تكذب

واشباههم من اصحاب الملل الباطلة من الصابئين وفي نسخة الصابية وهو
من صبأ مهموز الاخر والصابي كل من خرج من دين الى آخر ثم خص بطايفة عبدة
الملايكة او عبدوا الكواكب وهو المراد هنا وتطلق على فرقة من النصارى وهم
اتباع المسيح ودينهم معروف والكلام على فرقهم واعتقادهم مشهور وقد
افرده ابن تيمية بكتاب ضخم فيه فوايد جليلة وكذا الامام القرطبي له كتاب
في بيان فرقهم والرد عليهم فلا حاجة لنا هنا بايراد ما قيل فيهم والمجوس
عبدة النار القايلون بالهين يزدان واهرمن اي النور والظلمة الخالقين
للخير والشر والذين اشركوا اي اثبتوا لله شريكا بعبادة الاوثان جمع وثن وهو
الصنم وحجارة تعبد وهو من قولهم وثنته اذا اجزلت عطيته وقيل الفرق
بينهما ان الوثن ما له جثة من جنس الارض او من خشب او من حجارة بصورة
الادمي والصنم ومنهم من لم يفرق بينهما واول من اتى بها لمكة عمرو بن لحي
فصارت العرب في ذلك اصنافا او الملايكة جمع ملك وقد تقدم الكلام عليهم
وقد عبدها قوم من اوايل العرب وسموها بنات الله قال تعالى وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الاية او الشياطين وهم مردة
الجن جمع شيطان وهم قوم عبدوها حقيقة او عبدوا الاصنام التي
حل بها الشياطين او هم سولوا لهم عبادتها فكانهم عبدوها كما قال
الخليل عليه الصلاة والسلام يا ابت لا تعبد الشيطان فهم وان عبدوا

الاصنام ظاهرا عبادتهم انما هي للشياطين او الشمس او القمر او النجوم عبد وها فقوم من لاوايل
واتخذوا الهاً غفلوا لا ورقا ما وجعلوا لها هيا كل عند هم زعموا الخالق بهم لها كما في الملل
والنحل والنار وهم طايفة من المجوس ببلاد الهند لاعتقادهم ان النور سلطان الله
الاعظم وان ذاته نور ليس كالانوار فكل نار شرارة من نوره وقد بنوا لها كنايس عظيمة
بالهند يحجون اليها حتى ان بعضهم يختار احراقه بالنار ليصل لربه وهي عقود اصلها
باريها او من اشرك بعبادة احد اي مخلوق اتخذه معبوداً غير الله من مشركي العرب جمع
مشرك سقطت نونه للاضافة وهو من اضافة الصفة للموصوف وهم عبدة الاصنام
منهم واهل الهند والصين وهما اقليمان مشهوران اكثر اهل الاقاليم وفيهم ملل
مختلفة كالبراهمة وغيرهم والسودان جمع اسود وهم قوم واجناس لا يحصون
من اولاد سام بن نوح عليه الصلاة والسلام تغلب عليهم الكفر والجهل وهم من
يعبد الشجر ومنهم من يعبد الماء ومنهم قوم مسلمون وغيرهم اي غير من ذكر
من اهل الملل ممن لا يرجع الى كتاب هو كناية عن الدين الباطل لان من له دين
حق لابد له من شرع وكتاب يعمل به فهو يرجع برايه الى احكامه وكذلك اي مثل
من مثالهم كون القرامطة وهم الاسماعيلية المثبتون لامامة اسماعيل بن جعفر
الصادق وعزمتهم ابطال الشرع لانهم في الاصل يهود او مجوس لما ظهر الاسلام
اشتد عليهم ذلك وضعفوا عن دفعه فذهبوا الى تاويلات وجوهها على
منعها العقود وارادوا بها هدم قواعد الاسلام وراسهم حمدان بن قرمط
من قرية من قرى واسط فلذا سموا قرامطة فرتبوا لهم دعاة يدعون لخرافاة
رتبوها وكان ظهوره في سنة سبعين ومايتين بقرية من سواد الكوفة
وكان احمر البشرة والعينين فسمي كرمية بالكاف العجمية ومعناه بالفارسية
السفلة فخففوه وحرفوه وقالوا قرمط وقيل انه عربي من قرمط البعير
اذا تقارب خطوه فزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر به واظهر زهدا
وصلاحا فاجتمع عليه خلق كثير وقال انه الامام المنتظر فابتدع مقالات
في كتاب فقال انه الكلمة والمهدي وجعل الصلاة ركعتين في الصبح
وركعتين في المغرب والصوم يومين يوم المهرجان والنوروز وجعل القبلة
لبيت المقدس وبعث دعاة وخلفا فكان لهم حروب عظيمة مذكورة في
التواريخ فظهر منهم سليمان بن الحسن في البلاد حتى اتى مكة يوم
التروية فاخذ كسوة الكعبة وقلع بابها وقتل الحجاج ورماهم بزمزم
وذلك في سنة سبع عشرة وثلاثمائة في خلافة المقتدر واخذ الحجر الاسود
فبقي عندهم اثنان وعشرون سنة فبذل لهم خمسون الف دينار ليردوه
فابوا ثم ردوه مكسورا فوضع في مكانه وتغلبوا على مصر والشام وكانت
مدة دولتهم نيفا وثمانين سنة ثم اباد هم الله واهلكهم واصحاب
الحلول من النصارى والباطنية وبعض جهلة المتصوفة يقولون
ان الله حل في بعض الاجسام وهو امر لا يعقل والتناسخ وهم القايلون
بان الارواح اذا فارقت الابدان تحل في غيرها وهو مذهب بعض الحكما

والكلام عليه وعلى بطلانه مفصل في كتب الحكمة من الباطنية هم قوم من الملاحدة
ذهبوا الى ان القرآن له ظاهر وباطن هو المراد منه وان للشريعة مقاصد غير ما يفهمه
الناس والطيارة من الروافض وفي نسخة الطيارية بيا النسبة كذا في بعض النسخ
ومنهم الجناحية وهم قوم من الغلاة نسبوا الى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن
جعفر الطيار ذي الجناحين لقب بذلك لانه لما اخذ الراية بمؤتة قطعت يداه واستشهد
فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ابدله بهما جناحين يطير
بهما في الجنة والبيانية نسبة لبيان بن سمعان التميمي يقولون روح الله حلت في علي
كرم الله وجهه ثم في ابنه محمد بن الحنفية ثم في ابنه هاشم ثم في بيان وكذا الطيارة
والجناحية يقولون روح الله حلت في الانبيا نبيا بعد نبي ولم تزل تنتقل حتى
حلت لعلي واولاده رضي الله عنهم والغرابية قوم يقولون ان جبريل عليه
الصلاة والسلام نزل بالرسالة من عند الله لعلي فاعطاها لمحمد غلطا منه
لانه يشبهه كما يشبه الغراب الغراب كما ذكره المص فيما ياتي وفي التبصرة
لابي المظفر انهم قوم يقال لهم المفوضة قالوا فوض خلق العالم لمحمد وهو شر
النصارى والفرق كثيرة افردت بالتاليف ولا حاجة لنا بايرادها فانهم وكذلك
اي مثل هؤلاء الذين حكم بكفرهم كل من اعترف بالهية الله تعالى ووحدانيته اي
قال انه اله متوحد في ذاته وصفاته ولكنه اعتقد انه غير حي او جعل غير الحياة
في غير الله الا عند المزاج او قوة توجب الحس والحركة وفي حقه تعالى صفة
توجب صحة العلم والقدرة وهي ثابتة له بالاجماع عقلا ونقلا فمن نفاها فقد
كفر او غير قديم القديم هو الذي لا اول لوجوده ولا آخر لوجوب وجوده
وسرمديته ووجوده ذاتي لا يقبل العدم اجماعا وخلافه كفر وهذه المقالة
لعمرو بن عباد السلمي نقل عنه انه انكر القول بانه تعالى قديم لانه بمعنى
التقادم وهو يشعر بتقدم زماني والله منزه عنه كذا قيل وعلى هذا الكفر عرضي
فيه لانه انما يتحاشى عن اطلاق هذا اللفظ لايهامه الحدوث كالعرجون القديم
ولذا قال الراغب رحمه الله ورد في وصف الله يا قديم والمتكلمون يستعملونه
ويصفونه به واكثر ما يستعمل القديم باعتبار الزمان انتهى وانه محدث
بصيغة المفعول تفسير لقوله غير قديم وانما ذكره لانه لو لم يقصد هذا
لم يكن كفرا كما بيناه وليس تنبيها على مذهب الفلاسفة في القدما كما قيل او مصور ابن اقبرس
اسم مفعول اي جسم ذو صورة كما ذهب اليه الهشامية اصحاب هشام بن الحكم
الذين ذهبوا الى ان له طولا وعرضا واعضاء على صورة انسان الا انه مصمت لا لحم
له ولا دم تعالى وتقدس سبحانه عما قالوه او ادعى له ولدا او صاحبة اي زوجة
كالنصارى او والدا هذا لم يقله بشر او انه متولد من شيء او كائن عنه عطف
تفسير لان المتولد هنا ليس بمعنى الولادة وانما هو بمعنى التكون عن شيء
آخر كتولد الطبايع الناشي عنها وهو كفر بلا شك الا ان هذه المقالة لا يعرف
لها قائل ويقرب منه قول بعض النصارى ان عيسى اله انقلبت الكلمة
فيه لحما ودما او ادعى ان معه في الازل شيا قديما غيره اي غير ذاته

وصفاته

وصفاته اشارة الى ما ذهب اليه الفلاسفة من قدم العالم والعقول والازل القديم
والله لم يزل اولا وان نحو بفتح وتشديد اي في الوجود صانعا للعالم سواء كالمشركين وكبعض
الثنوية القايلين بالنور والظلمة والفلاسفة الذين يقولون بان الواحد بالذات
لا يصدر عنه الا واحد كما هو مقرر في كتاب التهافت او مدبرا غيره سبحانه وتعالى
والتدبير اصلاح الامور مع العلم بها والمراد بها هنا خلق ما يصلحها الامجرد ايصاله
والارشاد له فانه لا مانع من ثبوته لغيره كالملايكة قال تعالى فالمدبرات امرا
فذلك المذكور والمدعي كله كفر ومعتقده كافر لما مر باجماع المسلمين كقول الالهيين
من الفلاسفة الفلسفة لفظة يونانية معناه محبة الحكمة والقايم به هو الفيلسوف
والحكمة عندهم اقسام الهي وطبيعي ورياضي فالالهي ما يبحث فيه عن المجردات
وذات واجب الوجود على ما بين واشتهر عندهم والمنجمين الباحثين عن النجوم
واحكامها القايلين بانها مؤثرة في الكون اما القايلون بانها علامات الهية جعلها
الله بحكمته وبينها لبعض خليقته والمؤثر هو الله فلا يحذو من فيه عند اهل
الشرع كما مر جوابه وقد قال الغزالي انها علمت بوحي من الله لبعض انبيايه عليهم
الصلاة والسلام والطبايعيين القايلين بان الطبيعة هي المؤثرة في الايجاد
والتدبير وكذلك من ادعي مجالسة الله فانه مجسم مجازف وهذا لم يذهب
اليه احد او العروج اليه اي الصعود والذهاب للعلو وفوق ومكالمته في الدنيا
ممن لا يليق به او ادعي حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية
والنصارى والقرامطة يعني هؤلاء كلهم ذهبوا الى ان الله يحل في غيره
اما النصارى والقرامطة فقوم ملحدون ادعوا الحلول واولوا القران
بتاويلات فاسدة لا حاجة لذكرها واما المتصوفة فقد نسب لبعضهم امورا
وعبارات تقتضي في بادي النظر ذلك وهي مؤولة بما يوافق الحق واجلة
مشايخهم بريئون مما نسب اليهم فان ما هم عليه من الزهد والعبادة وما
يظهر منهم من الكرامات يقتضي انهم على قدم النبوة فما نقل عنهم اما دسيسة
من بعض الملاحدة او كلام على اصطلاحاتهم يعرفه اهله وهذا هو الذي نعتقده
فيهم نفعنا الله ببركاتهم وكفاك ما في قصة الخضر شاهدا له فلذا اعرضنا
عما في الشروح هنا وكذلك يقطع بكفر وفي بعض النسخ على كفر بتضمينه معنى
يتفق او يعزم ونحوه مما يتعدي بعلى من قال بقدم العالم من الحكما
والمراد الزماني بمعنى عدم سبق العدم لا القدم الذاتي فانه مخصوص بالله
او بقايه يعني انه باق ابدا لا يقبل الفنا والمراد قدم نوعه وبقاوه لما
يشاهد فيه من تغيير بعض اجزايه وعدمها او شك في ذلك اي البقاء والقدم
على مذهب بعض الفلاسفة ومنهم من ذهب لغيره وادلتهم مع الجواب عنها
مذكورة في كتب الكلام والحكمة وقد كفرهم اهل الشرع بهذا لما فيه من تكذيب
الله ورسله وكتبه والدهرية الذين اسندوا الحوادث كلها للدهر وقالوا
ما يهلكنا الا الدهر وهم كفرة لانكارهم الحشر والنشر والاخرة او قال
بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص اي تخرج من بدن لاخر

من جنسه او غيره لان النسخ معناه الازالة والنقل قال الراغب الابد مدة الزمان
الممتد الذي لا يتجزى ويقال ابد آبد وابيد اي دايم وحقه ان لا يثنى ولا يجمع ولكنه
جمع هنا لانه اريد به بعض ما يتناوله وقيل اباد مولد ليس من كلام العرب وزعم هولا
المتناسخة ان تعذيبها وتنعيمها فيها اي في الاشخاص التي تنتقل اليها بحسب
اي مقدار زكايها اي طيبها وطهارتها او خبثها اي كونها خبيثة غير طيبة مزكاة
يعني انها ان كانت طيبة تنتقل لصورة حسنة تجمله منعمة وان كانت خبيثة
تنتقل لصورة كريهة معذبة كصورة الكلب او حمارا و ثور حراثة وهذا كله
في الدنيا وكذلك يكفر من اعترف بالالهية والوحدانية فاقر بان له اله منفرد
عما سواه في ذاته وصفاته ولكنه جحد النبوة اي نفاها وانكرها من اصلها اي لم
يقل بوجودها عموما فلم يقل بنبوة نبي من الانبيا او قال بها ولكنه انكر نبوة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خصوصا مع قوله بنبوة غيره كاهل الكتاب
او انكر نبوة واحد من الانبيا اي نبي كان كانكار اليهود نبوة عيسى عليه الصلاة
والسلام الذين نص الله عليهم في كتابه الكريم كاولي العزم فمن انكر واحدا
منهم كان مكذبا بالله ولرسوله بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب اما اذا لم يعلمه
فهو معذور بجهله كالبراهمة هم قوم من الكفرة ذهبوا الى ابطال وجود
النبوات عقلا لعدم عقلهم قالوا لان ما يجي به النبي اما ان يقبله العقل او لا
والاول النقل يدل عليه فما الحاجة لغيره والثاني مردود باطل وهو المدعى
ورد بانه وان كان يقبله العقل لكنه قد يخفى فيحتاج الى مرشد فان ظهر تايد به
وسلم عما ينافيه وغيرهم من العقلا النقل يدل على انها لابد منها والبراهمة
نسبة الى رجل يقال له برهام وهو مؤسس فسادهم ومذهبهم لا الى ابراهيم
النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل لانكارهم النبوات الا ان يقال ان منهم
طايفة تنكر غير نبوة ابراهيم ثم سموا به مطلقا ومعظم اليهود اي اكثرهم
لان منهم من قال بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لكنه خصه بالعرب
والاروسية بفتح الهمزة وراء مهملة مضمومة وواو وسين مهملة ويا
نسبة وهاء فرقة من النصارى قيل هم رهط هرقل وقيل منسوبون
لرجل اسمه اريس مصغرا واروس ومعناه ملك او عشار او صاحب لزراعة او
امثلة اريوس مغرب وغيره وهو صاحب مذهب في النصرانية لانهم على فرق
مختلفة قيل انه زعم ان لله روحا اكبر من ساير الارواح واسطة بين الاب
والابن تؤدي الوحي وان المسيح ابتدي جوهرا لطيفا روحانيا خالصا غير
مركب ولا ممزوج بالطبايع وقوله الغرابية من الروافض تقدم بيانه واليه
اشار بقوله الزاعمين ان عليا كرم الله وجهه كان هو المبعوث اليه جبريل
عليه الصلاة والسلام ارسله الله اليه برسالته فغلط وبلغها محمدا
صلى الله عليه وسلم لشبهه بعلي شبه الغراب وكالمعطلة الذين جحدوا
الالوهية والرسالة والاحكام والقرامطة تقدم بيانهم ايضا وانهم سعوا
في ابطال الشريعة محللوا المحرمات واباحوا الفروج والخمور والاسماعيلية

هم

هم قوم من الملاحدة المعطلة وهم باطنية يأولون النصوص ويقولون لها معنى غير ظاهرها والعنبرية من الرافضة وهم اتباع عبد الله بن الحسن العنبري منسوب لبني العنبر قبيلة وفي نسخة العبيدية تصغير عبد وهم اتباع عبيد الله المعروف من بني عبيد بن بنت القداح الذين ملكوا مصر والكلام في نسبهم معروف في نسب الفاطميين من الشيعة الذين فضلوا عليا وهم بحسب الظاهر شيعة وفي الباطن باطنية وان كان هؤلا الطوايف المذكورة قد اشتركوا وفي نسخة قد اشركوا بجنا المجهول في كونا اخر مع من قبلهم من الطوايف المذكورة وكذلك اي مثل من ذكر في تكفيرهم من دان اي اعتقد واتخذ دينا وقيل من اقر وخضع بالوحدانية اي بالله الواحد الاحد وصحة النبوة اي بوجودها وحقيقتها واقر ايضا بصحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الانبيا كلهم الكذب فيما اتوا به اي فيما بلغوه عن الله سوا ادعى في ذلك اي في الكذب الذي صدر عنهم المصلحة بزعمه اي زعم ان كذبهم كان لمصلحة اقتضته ام لم يدعها اي لم يدع ان في ذلك الكذب مصلحة فهو كافر بنسبة الكذب لرسل الله عليهم الصلاة والسلام وهم منزهون عن مثله باجماع من علما الدين المعتد بهم وان قيل فيه مصلحة بزعمه كالمتفلسفين اي اصحاب علم الفلسفة وبعض الباطنية الذين زعموا ان لنصوص الشريعة باطن غير ظاهرها والروافض وهم طايفة رفضوا اهل السنة فسموا رافضة وهم فرق مختلفة مذكورة في المفصلات وغلاة المتصوفة اي الذين لهم غلو في اعتقادات لهم واصحاب الاباحة اي الذين ذهبوا لاباحة المحرمات وان من كمل نفسه ووصل لمرتبة لا تضره المعاصي ثم بين مراده بالكذب الذي جوزه هؤلا فانه لبيّن المقصود به ظاهره فقال فان هؤلا الفرق المذكورة زعموا ان ظواهر الشرع اي ما يدل عليه صريح نصوصهم مما يتعلق بالمعاد وغيره واكثر ما جات به الرسل مما اوحي به اليهم من الاخبار عما كان في الامم السالفة والازمان الماضية وما يكون في المستقبل من امور الاخرة المبينة بقوله ومن الحشر اي جمع الناس بعد اخراجهم من القبور والقيامة اي مقام من حشر ليقضى بينهم ويحاسبون والجنة والنار اي دار النعيم والعذاب فذكر الحال واريد المحل ليس منها شي على مقتضى ظاهر من لفظها الذي بلغه الرسل عليهم الصلاة والسلام لامهم ومفهوم خطابها اي ما يدل عليه من معناها المتبادر منها بحسب الوضع وليس المراد بالمفهوم ما اصطلح عليه اهل الاصول وانما خاطبوا اي خاطب الرسل اممهم بما اتوا به بها اي بالامور التي اتوا بها عن الله الخلق الذين ارسلوا اليهم على جهة المصلحة لهم ليتبعوهم ويكفوا عما لا يليق بهم مما يخل النظم الشرعية اذ لم يمكنهم اي رسل الله التصريح بكشف حقيقة الحال لهم لقصور افهامهم اي قصور افهام الخلق عن ادراك حقيقة ما يريدونه وهذا الذي ادعاه هؤلاء الفلاسفة باطل فمضمن بضم الميم الاولى وفتح الضاد المعجمة وفتح الميم الثانية المشددة اسم مفعول اي ما دل عليه مضمون مقالاتهم هذه التي زعموا انهم لم يريدوا بكلامهم ظاهره الدال عليه صراحة ابطال الشرايع التي جا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام

لان ظاهرها غير مراد لهم و تعطيل الاوامر والنواهي اي جعل امرهم و نهيهم معطلا
غير لازم امتثاله قال القرافي في شرح المحصول فمن كلام الاصوليين ان الامر بمعنى
القول المخصوص يجمع على اوامر و بمعنى الفعل والبيان يجمع على امور ولم يوافقهم
عليه من اهل اللغة احد الا الجوهري واما الازهري فقال الامر ضد النهي يجمع على
امور وكذا قال ابن سيده في المحكم ولم يذكر النحاة ان فعلا يجمع على فواعل وفي
شرح البرهان ان قول الجوهري غير معروف وان الاوامر اما جمع امر بزنة اسم
الفاعل بمعنى الامر مجازا وجمع على فواعل لانه اسم او صفة لما لا يعقل و بابه
قولهم انه جمع امر او جمع آمرة مجازا عن الصيغة لان الامر الشخص نفسه او مصدر
كالعافية او هو جمع الجمع مجمع على افعل كاكلب ثم على فواعل ورد بانه ليس
فاعل بل فواعل و قال الاصفهاني انه لا يتم في النواهي لان كونه جمع ناهية مجازا
او مشاكلة تكلف اذ لم يسمع ناهية وقد تقدم هذا مرارا ولان ماله تكذيب الرسل
اي تكذيب رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم لان ما تواتر به لا يطابق الواقع
لانهم لم يريدوا ظاهره وليس بكذب حقيقي لتاويله عندهم والارتياب اي الشك
والتردد فيما تواتر به هل المراد به ظاهر ما تواتر به ام لا لتاويله بغير ظاهره
وكذلك اي مثل ما ذكر في انه كفر من اضاف اي نسب الى نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم تعمد الكذب اي قصده وذكره عن قصد منه فيما بلغه صلى الله عليه وسلم
عن الله من وحيه واخبر به عن ربه او شك في صدقه للاجماع على انه صلى الله
عليه وسلم معصوم عن الكذب فيما طريقه البلاغ وكذا سائر الانبياء او سبه فانه
يكفر وذكره هنا وان تقدم لان تكذيبه سبب له او قال انه لم يبلغ ما اوحي اليه
وكتمه وحذف المفعول اختصارا للعلم به لانه افترا عليه لقوله تعالى يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك
من الناس وقد تقدم الكلام عليه ان عائشة رضي الله عنها قالت لو كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا مما اوحي اليه لكتم قوله تعالى واذ تقول
للذي انعم الله عليه الاية النازلة في قصة زيد او استخف به اي استهزا به
وذكر ما فيه ازرا لقدره او بقدر احد من الانبيا غيره صلى الله عليه وسلم اجمعين
او ازرى عليهم الازرا الاحتقار اي ذكر ما فيه تحقير واهانة لهم او اذاهم
اي ذكر ما فيه اذية لهم في حياتهم او مماتهم كاذية بعض ذريته واقاربه صلى
الله عليه وسلم ولا اجل عين الفعل عين تكريم او قتل نبيا من الانبياء كما وقع
لبني اسرائيل او حاربه اي بارزه بحرب ومقاتلة كما وقع لقريش وغيرهم
فهو كافر باجماع من المسلمين بل من علما الملل كلهم وليس من هذا ما وقع من
بعض الصحابة في بعض معارضتهم له صلى الله عليه وسلم في بعض الامور
كما وقع في امارة اسامة وفي قصة الحديبية وكتابة الكتاب الذي اراد
انه يكتبه في مرض موته كما مر فانما ذلك لخلوص قلوبهم ومحبتهم لله ورسوله يكتبوه
كما قيل ● ما ناصحتك خبايا الود من رجل ● ما لم ينلك بمكروه من العذل ●
وكذلك اي مثل ما تقدم في تكفير من ذكر تكفير من ذهب مذهب بعض القدما

من

من الفلاسفة والحكما الخارجين عن ملة الاسلام فيما اعتقدوه وذهبوا اليه
من ان في كل جنس من الحيوانات غير بني ادم نذيرا اي رسولا ارسلت اليهم من نوعهم
لانذارهم او نبيا ارسله الله اليهم ونوعه امته من القردة والخنازير والدواب
جمع دابة وهي كل ذي روح دب اي تحرك باختياره ثم خص في العرف اي عرف اللغة
بذوات الاربعة والدود وغيره لكنه مما يمشي على بطنه ويزحف من ذوات البر والبحر
ويحتج اي يستدل هذا القائل بان في كل جنس نبي بقوله تعالى وان من امة
الا خلا اي مضى وتقدم فيها نذير اي رسول من جنسها ينذرها والامة الجماعة
يحملها على العموم لساير الحيوانات كقوله الا امم امثالكم وجعلها امة دعوة
وقال الراغب الامة كل جماعة يجمعها امر واحد اما دين واحد او زمان واحد
او مكان واحد سوا كان الامر الجامع تسخيرا او اختيارا فان كل نوع منها على طريقة
قد سخرها عليهم بالطبع فهي بين ناسجة كالعنكبوت وبانية كالسرفة ومدخرة
كالنمل ومعتمدة على قوت وقت كالعصفور والحمام الى غير ذلك من الطبايع
التي يختص بها نوع نوع انتهى وذلك اي القول بان للحيوان رسل وانبيا يؤدي
اي يستلزم واصل معناه يوصل الى ان توصف انبيا هذه الاجناس من الحيوانات
وفي نسخة الاشيا بصفاتهم المذمومة اي القبيحة من الصورة والافعال المستكرهة
وهو ظاهر لم يقل بصفاتها لوصفهم بما حقه ان يعبر عن العقلا كقوله والشمس
والقمر رايتهم لي ساجدين وفيه اي فيما ذكر من صفاتهم القبيحة من الازرا اي التحقير
والاهانة على هذا المنصب اي المقام المنيف اي العالي الشريف وهو مقام النبوة
والمنصب تقدم بيانه ما فيه اي امر ظاهر فيه من التحقير والاهانة فما موصوفة
او موصولة لنسبة امور غير لايقة بالانبيا لمن زعموا انهم انبيا مع اجماع المسلمين
بل العقلا على خلافه اي خلاف ما ادعوه وتكذيب قايله الذاهب اليه فان كل احد
يعلم انه لا فايدة في تكليف غير العقلا واما الجن فهم ايضا مكلفون ولكن
اختلفوا هل بعث لهم منهم رسول ام لا وفي الايجاز لابي الحسن الاشعري مسئلة
فرايض الله انما تجب على العقلا خلافا لاهل التناسخ حيث قالوا ان فرايض تجب
على جميع الحيوانات فان جميع الحيوانات مكلفون بفرايضه وانه بعث لكل جنس
رسولا منهم وخلافا لمن قال منهم ان جميع ما خلقه الله من الاجسام حتى الجماد
مكلف بالفرايض وقد حكي اجماع الصحابة والتابعين وغيرهم قبل ان يظهر المخالف
على ان البهايم والجماد غير مكلفين انتهى ومنه تعلم ان هذا المذهب مبني على التناسخ
وان ارواح المكلفين لما انتقلت لغيرهم بقيت على تكليفها واعلم ان الشيخ الشعراوي
قال في كتابه ارشاد الطالبين ان بعض اهل الكشف ذهب الى ان لجميع الحيوانات تكليف
الهي برسول منهم لا يشعر به الا بعض الاوليا فانه تعالى له الحجة على جميع خلقه
فلا يعذب احدا الا لجزايه وتطهيره وهذا من الاسرار قال تعالى وان من امة
الا خلا فيها نذير وكل جنس موجود امة وما من دابة في الارض ولا طاير يطير
بجناحيه الا امم امثالكم وورد في الحديث الكلاب والنمل امة فعمت الرسالة
الالهية جميع الامم ودخلوا تحت الخطاب على لسان نذير بعث لها حتى الدودة

قلت الجمهور على خلافه وانه يكفر من زعمه واعلم ان في الملل والنحل لابن حزم ان صاحب
هذا المذهب احمد بن حابط البصري تلميذ النظام واحمد بن مانوس واتباعه يقال لهم
الحابطية ومذهبه كفر لما فيه من الطعن في النبوة وله آرا فاسدة واهية واستدل
بما ذكر من الايتين السابقتين ولا دليل في ذلك لان الامة القبيلة والجماعة
من الناس واما تسبيح الحصا وكلام الحجارة للنبي صلى الله عليه وسلم فلا دليل فيه
لانه من المعجزات الخارقة للعادة كحنين الجذع وكلام الهدهد والنملة وقوله
وان من شيء الا يسبح بحمده الاية معناه انطقا بما فيهما من بديع الصنعة تدل على
صانع قدير ولذا قال ولكن لا تفقهون دون تسمعون ومن الغريب ما ذهب اليه ابن
خويز منداد من المالكية ان من الحجارة ما له ادراك وتمييز ومما قلته في ابن
حابط هذا واتباعه

قل لابن حابط الحمار ومن غدا ۔ اشقي الورى اذ صح ما ينقول
اخشوا الاله فكم نبي مرسل ۔ من قمل في كل حين يقتل
والسنة متجذب لما هو شبيهه ۔ فلذاك للخسران انت تفضل

وكذلك اي مثل تكفير من تقدم يكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بيان
لقوله بما تقدم اي اعترف بالالوهية والوحدانية واعترف بنبوة نبينا
صلى الله عليه وسلم ولكن قال في وصفه صلى الله عليه وسلم وخلقه انه
كان اسود اللون والمتواتر من حليته انه كان ابيض مشربا بحمرة كما تقدم
او مات صغيرا وقبل ان يلتحي اي قبل ان تنبت له لحية او قال ان نبينا صلى الله
عليه وسلم ليس الذي كان بمكة اي نشابها قبل هجرته الى المدينة وليس الذي
كان بالحجاز هو ارض معروفة من الحجز وهو المنع والفصل سمي به لكونه حاجزا
بين نجد وتهامة او قال ليس بقرشي اي ليس من قريش وهم ولد النضر بن كنانة
وفي وجه تسميتهم بذلك وجوه مشهورة تقدمت فكل هذا كفر لانه وصفه
صلى الله عليه وسلم بغير صفاته المعلومة سلبا وايجابا لقوله اي لوجوده
لا لوصفه وتكذيب به اي تكذيب لمن اثبته وعلم وجوده وكذلك يكفر من ادعى
نبوة احد مع نبينا صلى الله عليه وسلم اي في زمنه كمسيلمة الكذاب
والاسود العنسي او ادعى نبوة احد بعده فانه خاتم النبيين بنص القران
والحديث فهذا تكذيب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم كالعيسوية
وهم طائفة من اليهود نسبوا العيسى بن اسحاق بن يعقوب الاصبهاني اليهودي
وقيل في اسمه غير ذلك وكان في زمن بني مروان وادعى النبوة في زمن
مروان الحمار وتبعه كثير من اليهود وكان مذهبه تجويز حدوث النبوة
بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك ما ادعاها القائلين بتخصيص
رسالته اي رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم الى العرب فهو مع تجويزه
نبوة نبينا بعده منكر لعموم رسالته وخالف دين موسى عليه الصلاة
والسلام في امور كثيرة وادعى اتباعه له معجزات نورانية قتل في اول
الدولة العباسية وقيل مات حتف انفه وكالخرمية اختلفوا في ضبط

لفظ

لفظ هذه الكلمة فقيل انه بجيم مفتوحة وراء مهملة وميم وياء نسبة وهم قوم من اهل
الكفر القايلين بتواتر الرسل اي تتابعهما وتكررها وانها لا تنقطع وانه يحدث في
كل زمان رسول يوحى اليه وهذا الضبط لم يرتضه البرهان الحلبي وارتضى انهم
الخرمية بضم الخا المعجمة وفتح الرا المهملة المشددة وميم نسبة لرأس ضلالهم
ومعناه بالفارسية الفرح والسرور وهم على فرق مزدكية وبابكية وماذياريه
وكلهم يستحلون المحرمات ويبيحون الفروج وظهروا في دولة بني العباس بنواحي
ادربيجان نحو عشرين سنة في جموع وعساكر كثيرة جدا حتى اسر بابك وصلب
بسر من راى في ايام المعتصم وقيل ان الحرمية بحا مكسورة وراء ساكنة مهملتين وهم
قوم من القرامطة سموا به لانهم اباحوا المحرمات وزعموا ان النبوة تدرك بالرياضة
وتصفية الباطن وترك الشهوات المعبر عنه باكتساب النبوة الاتي وان النور
القدسي انتقل من ادم للانبيا الى ان وصل لمحمد وعلي واولاده ثم تم النور
المحمدي فيهم وانتقلت شريعته لغيره وقال التلمساني انه يقال لهم الخر حاشية
بضم الخا المعجمة وسكون الرا وفتحها مشدده والخرمات الكذب يخفف ويشدد
وكاكثر الرافضة القايلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم
وبعده وكذلك يقولون ويعتقدون ان كل امام اي خليفة قرشي عند هولا
الفرقة من الرافضة يقوم مقامه في النبوة فتنتقل النبوة بعده لغيره عند
هولا ومن الحجة على الخلق بتبليغ الاحكام وهولا من غلاة الرافضة ولهم
مقالات في الكفر والضلال ولا حاجة لذكرها كما في المثل يكفيك من الشر سماعه
والحق ابلج وكالبزيعية والبيانية منهم القايلين بنبوة بزيع وبيان هولا
طايفتان من غلاة الرافضة يزعمون ان النبوة بل الالهية تحل في بعض ايمتهم
وتنتقل اليهم وهم اكفر من النصارى واشد ضررا منهم لانهم بحسب الصورة
يسلمون ويلتبس امرهم على العوام لكن في ضبط اسمايهم اختلاف فقال البرهان
الحلبي ان بزيع بموحدة مفتوحة وزاي معجمة مكسورة ومثناة تحتية تلمساني
وعين معجمة علم شخص ينسبوا اليه وبيان بموحدة وقيل انه بموحدة وزاي
معجمة ومثناة وعين مهملة وقيل فيه غير ذلك وبيان بموحدة مفتوحة
وتحتية مثناة والف ونون وقيل انما هو بنونين وهو بيان ابن اسمعيل
النهدي وهو يزعم ان الله حل في علي واولاده ويقولون بنبوة بعض
ايمتهم وقيل ان الثاني غلط والصواب انه بيان بن سمعان النهدي وقيل ابن افنوس
غير ذلك واشباه هولا من اهل الضلال او من ادعى النبوة لنفسه بعد
نبينا صلى الله عليه وسلم كالمختار بن ابي عبيد الثقفي وغيره قال ابن حجر
ونظيره كفر من طلب منه معجزة لانه بطلبه منه مجوز لصدقه مع استحالته
المعلومة من الدين بالضرورة نعم ان اراد بذلك تسفيهه وبيان كذبه
فلا كفر به انتهى او جوز اكتسابها ممن يقول ان النبوة صفة تكتسب
بالرياضة والزهد وتصفية الباطن واهل الحق يقولون انها وهبية لمن
اصطفاه الله من عباده كما قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته والبلوغ

بصفا القلب اي تصفيته من الكدورات البشرية بالرياضة الي مرتبتها كالفلاسفة
وقدما الحكما وغلاة المتصوفة جمع غال وهو المبالغ المتجاوز للحد لكن لم نر من
ذهب الي هذا من المتصوفة والذي نقل فيه انما هو عن الفلاسفة وقدما الحكما
كما علم وكذلك من ادعي منهم اي من الفلاسفة والغلاة انه يوحي اليه اي
يأتيه الملك من الله ببعض الاوامر الالهية مما تزينه له الشياطين وان لم يدع
النبوة فلا يقول مع ذلك انا نبي او ادعي انه يصعد الي السما ويدخل الجنة
بجسده يقظة وهو حي ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين التي في الجنة
معدة للمؤمنين فيها قال ابن حجر والظاهر ان زعمه دخول الجنة ماضيا او حالا
او مستقبلا قبل موته مرة او اكثر سواء ضم الي ذلك الاكل والمعانقة المذكورين
ام لا يكون كفرا وان كان ربما يتوهم من كلام المص خلاف ذلك وفي الانوار ويكفر
من قال انه يري الله عيانا في الدنيا ويكلمه شفاها او ان الله يحل في الصور الحسان
او قال ان الحق يطعمه ويسقيه واسقط عنه التمييز بين الحلال والحرام وانه يأكل
من الغيب ويأخذ منه او قال دع الصلاة والزكاة والصوم والقران قال ابن حجر ٣
ولا يشترط في كفر من زعم انه يري الله عيانا في الدنيا ويكلمه شفاها اجتماع هذين خلافا
لما توهمه عبارة الانوار بل يكفر زاعم احدهما ثم رايت الكواشي صرح في تفسيره
بكفر معتقد الرؤية بالعين وهو صريح فيما ذكرته لكن عندي في اطلاق ذلك
نظر والذي يتجه حمله علي رؤية او كلام مقتض للاحاطة بذلك تعالي لما مر
ان الاصح انا لا نكفر الجهرية ولا المجسمة الا ان صرحوا باعتقادهم للوازم قولهم
كالحدوث او ما هو نقص فيه كاللون والتركيب والاحتياج ثم قال ابن حجر وكذا
يكفر زاعم اسقاط التمييز عنه بين الحلال والحرام او ان الله يطعمه ويسقيه
او انه يأكل من الغيب ويأخذ منه ولا يشترط اجتماع هذه الثلاثة خلافا لما
يوهمه كلام الانوار ايضا وكذا يقال في نفيه كلامه فهؤلا المذكورون كلهم كفار
محكوم بكفرهم لانهم مكذبون للنبي صلي الله عليه وسلم لادعائهم خلاف ما قاله
لانه صلي الله عليه وسلم اخبر انه خاتم النبيين كما اعلمه الله به فيما اوحاه
اليه واخبر ايضا انه لا نبي بعده وما روي عنه في ذلك من الاحاديث الصحيحة
ذكر ما يخالفها تكذيب له معنى واما ما روي عنه من انه قال لا نبي بعدي
الا ما شا الله فقال ابن الجوزي في كشف المشكل ان هذه الزيادة لا اصل لها
ورد علي ابن عبد البر في قوله ان المراد بها الرؤيا الصالحة لانها جزء من النبوة وانكر
عليه ذلك كما فصلته فلا يغرنك من ذكره لعدم وقوفه عليه ومر انه لا يرد
عليه عيسى عليه الصلاة والسلام حين ينزل لانه لم ينبأ بعده ولانه يكون عيسى
من امته وعلي شريعته ولا الخضر ايضا لانه اختلف في نبوته كما تقدم واخبر
صلي الله عليه وسلم عن الله تعالي انه خاتم النبيين في قوله تعالي ولكن
رسول الله وخاتم النبيين واخبر ايضا عن الله انه ارسل صلي الله عليه وسلم
كافة للناس اي الي الناس كلهم بل والي الملائكة كلهم بل والي الجن وهذا مما
خصه الله به ولا يرد عليه ادم ونوح كما تقدم قال تعالي وما ارسلناك الا

كافة

كافة للناس اي ارسالة عامة محيطة بهم تكف عن ان يخرج منها احد وقال الزجاج معناه
جامعًا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف والتاء للمبالغة كعلامة لا حالا
من المجرور لامتناع تقدمه عليه وفيه تفصيل في العربية وخص الناس لانهم محل
النزاع وقيل ان الناس يطلق على جميع من ذكر كما ذهب اليه بعضهم في الكلام على
المؤذنين وارتضاه السبكي واجمعت الامة اي امته صلى الله عليه وسلم على ان
هذا الكلام المذكور من الاية والحديث وانه ارسل لجميع الناس على ظاهره من نفي
النبوة بعده وعموم الرسالة وان مفهومه اي مدلوله الذي يفهم منه المراد منه
منه مفهومه دون تاويل اي لم يأول بما يصرفه عن ظاهره ولا تخصيص لبعض افراده
فلا شك عند من يعتد به من الامة في كفر هؤلا الطوائف كلها الذاهبين لما يخالف
اجماع المسلمين قطعا اي جزما من غير تردد فيه اجماعا اي بالاجماع وسمعا من الله
ورسوله وكتابه وسنته فلا عبرة بمن خالفه من الفرق الضالة ولا بمن نازع في
حجية الاجماع كما سياتي وكذلك وقع الاجماع من علما الدين على تكفير كل من دافع نص
الكتاب اي منع ونازع فيما جا صريحا في القران كبعض الباطنية الذين يدعون لها
معان اخر غير ظاهرها وكبعض جهلة الصوفية واما ما يروى عن بعض كبار المشايخ فليس
تفسيرا له وانما هو اشارة لبعض نكت يلوح لها لا الهاما معناه ومنعا كما قاله العز
ابن عبد السلام او خص حديثا عاما منطوقه مجمعا على نقله عن ثقات الرواة مقطوعا
به في دلالته على صريحه مجمعا من العلما والفقها على حمله على ظاهره من غير تاويل
ولا تخصيص ولا نسخ فانه تلاعب مؤد للفساد وكتكفير الخوارج تقدم بيانهم
بابطال الرجم للزاني والزانية المحصنين فانه مجمع عليه صار معلوما من الدين
بالضرورة ولهذا اي للقول بكفر من خالف ظاهر النصوص والمجمع عليه نكفر من لم
يكفر من دان بغير ملة الاسلام اي اتخذه دينا من اهل الملل جمع ملة وهي الدين
وبينهما فرق حسبا لمفهوم او وقف فيهم اي توقف وتردد في تكفيرهم او شك
في كفرهم او صحح مذهبهم اي اعتقد صحته كما تقدم عن بعضهم ان الايمان انما
هو عدم جحد وحدانية الله وقد تقدم بيانه وابطاله والفرق بين التوقف
والشك ان التوقف ان لا يميل لشيء من الطرفين والشك الميل مع الترجيح
للمخالف وان اظهر الاسلام باعتقاده والتزام احكامه واعتقده بقلبه واعتقد
ابطال كل مذهب سواه اي غير الاسلام بان يقول انه منسوخ باطل في الواقع غير
مقبول عند الله ولكن يزعم ان من اقر بالالوهية والتوحيد غير كافر كما تقدم
من مذهب الجاحظ وقيل قول المص وان اظهر الخ لا بد له من تاويل لتضمنه
الاقلاع عن التصحيح ظاهرا وباطنا فما معنى الحكم عليه بالكفر مع اظهاره الصحيح
ويكون مع ذلك اظهاره الاسلام واعتقاده ابطال ما سواه رجوعا والا يلزم
ان لا يكون معتقد الاسلام نجحدا الكفر وهو قول من لم يصل الى العنقود
بهوا اي من لم يكفر وما نجده كافرا باطنا ربما اظهر من خلاف ذلك اي ما يخالف
الاسلام لانه طعن في الدين وتكذيب لما ورد عنه من خلافه وكذلك اي كتكفير
هؤلاء يقطع ويجزم بتكفير كل من قال قولا لا مصدر عنه يتوصل به الى تضليل الامة

مع ذلك التوقف او الشك
او التصحيح

اي لكونهم في ضلال عن الدين والصراط المستقيم ويودي الى تكفير جميع الصحابة كقول
الطايفة الكميلية سياتي بيانهم وانهم قوم من غلاة الرافضة بتكفير جميع الامة
بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لانهم قالوا بالتناسخ والحلول وان النبوة
نور ينتقل من رجل لاخر وانه حق علي كرم الله وجهه وان الصحابة كفروا لما بايعوا
ابا بكر وعلي كفر لما ترك حقه ولم يقاتل والنبي كذلك لما نص علي امامة علي
وقد كفر بعده ومثله من الخرافات ولا شك في كفرهم الا انه قيل الصواب ان
يقول المص الكاملية لانهم نسبوا الى كامل رئيسهم المؤسس لكفرهم كما نص
عليه الامام الرازي ووفق بينهما بانهم صغر واما ملا علي كميل ونسب اليه على
خلاف القياس تصغير تحقير فهو تتميم اوله وقيل انه بفتحها نسبة لكميل بن زياد
قيل بمعنى كامل وهو بعيد ثم بين مقالتهم وسبب كفرهم وتكفيرهم للصحابة
بقوله اذ لم تقدم ربنا فوقيه اي الامة وفي نسخة اذ لم يقدموا عليا اي يجعلوه
خليفة وكفرت هذه الطايفة عليا ايضا اذ لم يتقدم بنفسه على ابي بكر رضي الله
عنهما ولم يطلب حقه من الامة في التقديم على ابي بكر فهولا الطايفة الكميلية
قد كفروا من وجوه لانهم بما قالوه ابطلوا الشريعة اي شريعة الاسلام باسرها
اي جميع احكامها اذ لزم من قولهم بكفر الصحابة انه قد انقطع نقلها لانه لم ينقلها
الا الصحابة رضي الله عنهم وهم عندهم بزعمهم كفرة والكافر لا يقبل نقله ونقل
القران لانه لم ينقله الا الصحابة اذنا قلوه وهم الصحابة كفرة على زعمهم الفاسد
والزعم مثلث الزاي القول الباطل كما مر والكافر لا يقبل قوله والى هذا القول
تكفير هولا وامثالهم والله اعلم بما اراد اشار الامام مالك في احد قوليه
المرويين عنه بقتل من كفر الصحابة اي كلهم او واحدا منهم لان من كفر مسلما
بغير حق فقد كفر فما بالك بالصحابة رضي الله عنهم اساس الاسلام وعماده
ثم كفروا اي هولا اصحاب هذه المقالة الشنيعة من وجه آخر غير المتقدم
بما لزم مقالتهم هذه بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم
وزعمهم اي ما يستلزمه قولهم هذا لانه عهد الى علي رضي الله عنه اي اوصى له
بالخلافة بعده على زعمهم وهو يعلم انه يكفر بعده بتركه طلب حقه والكافر
لا يكون خليفة فيكون ما عهده كذب وهذا سب يكفر من قاله على قولهم
بالعهد وكفره وهو مقالة متناقضة باطلة وكفر من وجوه لعنة الله عليهم
اجمعين الى يوم الدين وصلى الله وسلم على رسوله وعلى اله وصحبه وشرفهم
وكرمهم عما يقول الكافرون وكذلك اي كما كفرنا هولا نكفر بنون الجماعة
وبنا المفعول او بالتحتية وبنا المجهول بكل فعل فعله بحضرة مسلم اجمع المسلمون
على انه اي ذلك الفعل لا يصدر الا من كافر حقيقة لانه من جنس افعالهم
وان كان صاحبه اي من صدر عنه مسلما مصرحا بالاسلام حقيقة او حكما
لشهادة ظاهر حاله مع فعله ذلك الفعل الذي هو من افعال الكفرة كالسجود
للصنم وهو الوثن وهو ما يتخذ الها يعبد او الصنم المجسم والوثن الصورة
كما تقدم الكلام عليه وكالسجود للشمس والقمر باتخاذهما كالمعبود حقيقة

والسجود

والصليب واصله الخشبة التي يصلب عليها ثم نقل الى ما يجعله النصارى على صورة الخشبة
والمصلوب بعود معترض على آخر لزعمهم انه هيئة ما صلب عليه عيسى عليه الصلاة
والسلام فيعظمونه بالسجود له وكالسجود للنار التي يسجد لها المجوس سواء كان في
دار الحرب ام دار الاسلام بشرط ان تقوم قرينة على عدم استهزائه او عذره وما في الحلية
عن القاضي عن النص ان المسلم لو سجد للصنم في دار الحرب لم يحكم بردته ضعيف ووضح
انه الكلام في المختار واستشكل الفرق بين السجود للصنم وبين ما لو سجد الولد للوالد
على جهة التعظيم حيث لا يكفر مع انه كما يقصد به التقرب الى الله قد يقصد بالسجود
للصنم ولا يمكن ان يقال ان الله شرع ذلك للعلماء والاباء دون الاصنام واجيب بان
الوالد وردت الشريعة بتعظيمه بل ورد شرع غيرنا بالسجود له فهذا الجنس ثبت
له السجود ولو في زمن من الازمان وشريعة من الشرائع فكان شبهة دارئة لكفر
فاعله بخلاف السجود لنحو الصنم او الشمس فانه لم يرد هو ولا ما يشابهه في التعظيم
في شريعة من الشرائع فلم يكن لفاعل ذلك شبهة لا ضعيفة ولا قوية فكان كافرا
ولا نظر لقصد التقرب فيما لم ترد الشريعة بتعظيمه بخلاف من وردت بتعظيمه
وما تقرر من ان العلماء كالوالد في ذلك هو ما دل عليه كلام النووي في الروضة
في سجود التلاوة وعبارته وسواء في هذا الخلاف وفي تحريم السجود ما يفعل بعد
صلاة وغيرها وليس من هذا ما يفعله كثير من الجهلة من السجود بين يدي
المشايخ فان ذلك حرام قطعا بكل حال سواء كان للقبلة او لغيرها وسواء قصد
السجود لله او غفل وفي بعض صوره ما يقتضي الكفر عافانا الله من ذلك
انتهى فافهم انه قد يكون كفرا بان قصد به عبادة مخلوق او التقرب اليه وقد يكون
حراما بان قصد به تعظيمه او اطلق وكذا يقال في الوالد لا يقال ما ذكر في الوالد
لا يأتي في العلماء لانه لم ينقل صورة السجود لهم لانا نقول بل يأتي فيهم لان تعظيمهم
ورد به الشرع على انه ثبت لجنسهم السجود في قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس وادم عليه الصلاة والسلام كان بالنسبة للملائكة هو
العالم الاكبر فثبت لجنس العلماء السجود فكان شبهة وكالسعي اي الذهاب الى
الكنائس جمع كنيسة والبيع بكسر الموحدة وفتح المثناة التحتية قبل عين مهملة
جمع بيعة بكسر فسكون مع اهلها متعلق بالسعي اي يمشي معهم لمعابدهم وهو
يقتضي موافقتهم في كفرهم وهو كالتصريح بالكفر فهو كفر وقيده بقوله مع
اهلها لان المراد به انه يذهب معهم في وقت ذهابهم للعبادة فيها كما يسعى
المسلمون للصلاة في المساجد اذا نودي للصلاة على هيئة تدل على موافقته لهم
والا فمجرد الذهاب للكنيسة والدخول لها ليس بكفر وانما هو مكروه ان كان لغير
غرض صحيح وقيل لا يجوز اذا كان ثم صور ونحوهم مما لا يعترفون على اظهاره ٥
والكنيسة والبيعة يقالان لمعبد اليهود والنصارى وقيل الاول لليهود
والثاني للنصارى وقيل الاول عام والثاني مخصوص بالنصارى وهو
المشهور وهما معربان وقيل الثاني عربي قال الراغب فان كان عربيا في الاصل
فهو كقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم اي كانهم يبيعون انفسهم لمعبودهم

والتزيي بزيهم وفي نسخة والزي بزيهم وهو بكسر الزاي المعجمة وياء مثناة تحتية
مشددة اي التحلي بحليتهم والتلبس بها وهو من زوى بمعنى جمع في الاصل وفي
الاساس انه يائي والزي الهيئة الظاهرة بلباس ونحوه وفي نسخة بهيئتهم وبينه
بقوله من شد اي ربط الزنانير جمع زنار او زنارة بضم اوله وهو حزام للنصارى
يشدونه في اوساطهم وقيل انه بكسر اوله والمعروف الاول وهو كالغيار كما ذكره
الفقهاء وهو امر يختص بهم ويشترط عليهم ليتميزوا به عن المسلمين وقد كان ذلك
معروفا في الصدر الاول بحيث لبس زي الكفار سواد خل دار الحرب اولا بنية الرضى
بدينهم او الميل اليه او تهاونا بالاسلام كفر والا فلا واعترض ما ذكر في مسئلة زي
زي الكفار بما نقل عن الشافعي رضي الله عنه انه لو سجد لصنم في دار الحرب لم يحكم
بردته وان لبس زي الكفار في دار الاسلام حكم بردته واجيب بحمل هذا الاطلاق
على التفصيل المذكور واختلفوا فيمن وضع قلنسوة المجوس على راسه والصحيح
انه يكفر ولو شد على وسطه حبلا فسئل عنه فقال هذا زنار مثلا فالاكثرون
على انه يكفر ولو شد على وسطه زنارا ودخل دار الحرب للتجارة كفر وان دخل
لتخليص الاسرى لم يكفر قال الاوزاعي واعلم ان اكثر العامة يسمون ما يشد به
الانسان وسطه من حبل ونحوه زنارا ولا يخفى في اطلاق هذا منهم كراهية
وتحص رؤسهم بفتح الفاء وحا مهملة ساكنة قبل صاد مهملة من فحص الارض
اذا كشفها اي حلق اوساطها وتركها كافاحيص القطا هيئتها وهو من شعارهم
المعروفة في ذلك الزمان وفي الخبر ستلقون اقواما في رؤسهم مفاحيص فالقوها
بالسيوف اي طيروها وهو عبارة عن ذلك وفيه مبالغة وبلاغة عظيمة
وتلميح لقول العرب فرخ الشيطان وعشش في قلبه وهو زي عبادهم فالتشبه
بهم فيه ايضا كفر وهي رهبانية ابتدعوها كما حكاه الله عنهم فقد اجمع
المسلمون قاطبة على ان هذا الفعل وهو التلبس بهيئة مخصوصة بالكفرة
لا يوجد ويصدر فعله الامن كافر حقيقة او حكما وان هذه الافعال علامة
على الكفر المضمر في قلوبهم وان صرح فاعلها بالاسلام لانه لاعب بالدين لكنه
ان كان مخلصا بقلبه نفعه ذلك فيما بينه وبين الله فمن صدق ما جاء به
النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك سجد للشمس كان غير مؤمن بالاجماع لان
سجوده لها يدل بظاهره على انه ليس بمصدق ونحن نحكم بالظاهر فلذلك حكمنا
بعدم ايمانه لان عدم السجود لغير الله داخل في حقيقة الايمان حتى لو
علم انه لم يسجد لها على سبيل التعظيم واعتقاد الالهية بل سجد لها وقلبه
مطمئن بالتصديق لم يحكم بكفره فيما بينه وبين الله تعالى وان اجرى عليه حكم
الكافر في الظاهر وكذلك اي كما حكم بكفر هولا قد اجمع المسلمون على تكفير كل
من استحل القتل اي قال انه حلال له او لغيره لمسلم ظلما او استحل شرب الخمر
والزنا بزاي معجمة ونون ونحوه مما حرم الله ولا بد ان يكون استحلاله بعد
علمه بتحريمه اي بان الله حرمه شرعا كاصحاب الاباحة من القرامطة الذين تقدم
بيانهم من الاباحة الذين يعتقدون حل ما حرمه الله وبعض غلاة المتصوفة

الذين يزعمون ان الواصل الى الله يرفع عنه التكليف ولم يؤاخذه بما يرتكبه من المحرمات
ثم ما ذكر في استحلال الخمر استبعده امام الحرمين بانا لا نكفر من رد اصل الاجماع ثم اول
ما ذكروه بما اذا صدق المجمعين على ان التحريم ثابت في الشرع ثم حلله فانه يكون ردا للشرع
قال الرافعي وهذا ان صح فليجر مثله في سائر ما حصل الاجماع على افتراضه او تحريمه
فنفاه واجاب عنه ابو القاسم الزنجاني بان مأخذ التكفير ليس مخالفة الاجماع بل
استباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة وسياتي لهذا اتمة عند ذكر المص له وكذلك
يقطع بجزما بلا تردد بتكفير كل من كذب ايات الله او سنة رسوله المعلومة او انكر
قاعدة من قواعد الشريعة وفي نسخة الشرع والمراد بالقواعد ما بني عليه الاسلام
كاقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج فليس المراد بالقاعدة مصطلح
اصحاب المعقول ولذا فسره بقوله وما عرف يقينا بالنقل المتواتر الذي يمتنع
كذب قايله من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم او كان مشهورا عنه كحل البيع
مثلا قيل ان المص اطلق هذا وهو مقيد بان يكون مجمعا عليه معلوما من الدين
بالضرورة لانه يصير كانه جاحد مكذب للرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى علمه
بالضرورة استوى العامة والخاصة في معرفته حتى يصير كالضروري والمشهور
في حكمه على الصحيح عندهم فلو كان لا يعلمه كل احد ككون بنت الابن سهمها كذا
فيعذر منكره واحترز بقوله يقينا عن حكم الاجماع الظني وقد يقال ان قوله
ووقع الاجماع الخ مقيد له فلا حاجة لما ذكر وقوله المتصل اي الذي لم يتخلله
عدم اجماع يقطعه وقوله عليه متعلق بالاجماع كمن انكر وجوب الصلوات الخمس
من حيث هي او انكر عدد ركعاتها وسجداتها فيكفر بانكار ما اجمعوا عليه يقينا
ويقول في وجه انكاره انما اوجب الله في كتابه القران الصلاة على الجملة اي اجمالا من
غير بيان عدد وقوله ذلك حكاية لصورة الحال الماضية لاستغرابها وكونها خمسا
وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه وعلل قوله المذكور بقوله اذ لم يرد به في القران
نص جلي اي مفصل في غاية الظهور والجلا وانما ورد مجملا كقوله اقم الصلاة
وغيرها من الايات واراد بالنص الجلي ضد الخفي وهو المتواتر ولما كان هذا مبينا
بالسنة اشار لدفعه بقوله والخبر اي الحديث الوارد عن الرسول اي رسول الله صلى
الله عليه وسلم به اي ببيان اجماله باظهاره وجلائه خبر واحد لا متواتر فلا
يفيد القطع واليقين وقد اجيب عنه بانه متواتر معنى وقد اوجب علينا العمل
به اجماعا لقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وقوله فليحذر الذين يخالفون
عن امره الاية وفي الانوار انه لو انكر السنن الراتبة او صلاة العيدين كفر قال
ابن حجر والذي يتجه كفر من انكر سنة راتبة مجمعا عليها معلومة من الدين بالضرورة
كما يدل له قوله او صلاة العيدين لكن انكار احدهما كذلك خلافا لما يوهمه
قوله السنن الراتبة وقوله العيدين بل يكفي في الكفر انكار سنة واحدة بالشروط
المذكورة وكذلك اجمع اي اجمع المسلمون على كفر من قال من الخوارج ان الصلاة
الواجبة طرفي النهار فقط والمراد بطرفي النهار اوله واخره فكانوا يجمعون
الصلاة في وقتين من غير عذر وهذا لا يجوز عند احد من فقها المذاهب

محمد صح

الاربعة وفي صحيح مسلم وسنن ابي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشا بغير عذر
ولا مطر بالمدينة في غير خوف وقال ابن عباس اراد ان لا يحرج امته وحمله بعضهم
على المرض واخذه من نفي الحرج وعلى كل حال ففيه نظر قال بعضهم ومن قال
الكفر خير مما يفعل ان اراد به ان في الكفر خيرا ولو بوجه ما كان كافرا والا فلا ومن قال
الميتا حلال ان لا اصلي الظاهر انه يكفر به لانه جعل ترك الصلاة من حيث هي من
الحلال بل الطيبة وهذا كفر بلا نزاع لان فيه انكار وجوب الصلاة الشاملة للجمعة
وذلك كفر واجمعوا ايضا على تكفير الباطنية وهم الاسماعيلية والقرامطة
القايلون بان للنصوص باطنا غير ظاهرها الذي يفهمه الناس وهو معنى قوله
في قولهم ان الفرايض كالصلاة وغيرها مما جاءت به النصوص من القطعية اسماء
رجال امروا بولايتهم بكسر الواو وفتحها مصدر كالدلالة والدلالة اي نصرتهم
واتباعهم فيقولون ان الصلاة الرسول والوضوء موالاة الامام ونحوه من الخرافات
التي فصلها النويري في تاريخه وفسروا الخبايث والمحارم جمع محرمة ومحرمة
وهي الحرمة فالمراد بها المحرمات اسماء رجال امروا بالبراءة منهم اي بالتبري منهم
والبعد عنهم لعداوتهم ومخالفتهم وقول بعض الملاحدة من المتصوفة الذين
يظهرون الزهد والصلاح ان العبادة كالصوم والصلاة وطول المجاهدة اي
مخالفة النفس وملازمة الطاعة فانه الجهاد الاكبر اذا صفت بتشديد الفاء
نفوسهم اي نفوس اصحابها اي خلصت من الكدورات الشهوانية افضت بهم اي
اوصلت نفوسهم واصله الادخال في فضا واسع الى اسقاطها اي اسقاط
الفرايض والتكاليف عنهم واباحة كل شي من المحرمات لهم ورفع عهدة الشرايع
عنهم اي ما عهده الله من التكاليف وانما ذهب الى هذا بعض الزنادقة
وقال انه روي اذا احب الله عبدا لم يضره الذنب وهذا لم يقله احد ولو صح
فهو مأول بان يحفظه عن ارتكاب الذنوب فمعنى لا يضره الذنب انه لا يفعل ذنبا
حتى يضره كما ان معنى قول بعضهم رفع عنه التكاليف انه يلتذ بها حتى لا يعدها
تكليفا وانه يغلب عليه محبة الله حتى يخرج عن العقل فيصير مجنونا غير
مكلف فهو من عقلاء المجانين كما شاهد في بعض المجاذيب فان ادعى رفع التكليف
عمن لم يخرج من داير العقل فهو كافر بالاتفاق وكذلك يحكم بكفر من انكر مكة
او البيت وهو الكعبة والبنية المعروفة او المسجد الحرام وهو مسجد مكة
او انكر صفة الحج التي ذكرها الفقها من واجباته واركانه ونحوها او قال الحج
واجب في القران لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه
سبيلا ونحوه واستقبال القبلة كذلك اي واجب في القران بقوله فول
وجهك شطر المسجد الحرام الاية ولكن كونه اي المذكور من الحج والاستقبال
على هذه الهيئة المتعارفة شرعا عند ساير الناس وان البقعة المعروفة
هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري واعلم هل هي تلك او بقعة وارض
غيرها وقال ايضا لعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها

وبينها للناس بهذه التفاسير المعلومة علمها في نقلها ووهموا اي وقع في اوهامهم
ماليس كذلك فهذا القايل ماذكر ومثله ممن يشكك في معاني النصوص المتواترة لامرية
بكسر الميم وقد تقدم اي لا شك في تكفيره اي الحكم بكونه لانكاره ما علم من الدين بالضرورة
وابطاله الشرع وتكذيبه لله ورسوله ان كان ممن يظن به علم ذلك وذكر الظن لان
العلم يعلم بالطريق الاولى وكان ممن يخالط المسلمين في دار الاسلام وامتدت
مجنته لهم اي للمسلمين بين اظهرهم في ديارهم الا ان يكون ذلك القايل حديث عهد
اي قريب جدا بين تلبسه باء سلام بان اسلم بعد كونه في غير دار الاسلام فنسق
معذورا لجهله بما ذكر كمن نشا في بادية او جزيرة ولم يسمع احكام الاسلام
فيقال تعليمها له ارشادك وسبيلك اي طريقك الذي يجب عليك سلوكه ان تسال
من الناس عن هذا الذي لم تعلمه مما ذكر كله بعد ظرف مبني على الضم اي بعد
ماكنت الى الان كافة المسلمين مفعول تسال اي جميعهم فلا تجد بينهم خلافا
اي لا تجد منهم من يخالف في تحقيق ما ذكر لعلمه له بمشاهدة او تواتر كافة
عن كافة اي يعرفه جميع اهل عصر يتلقوه عن جميع اهل عصر قبلهم بحيث لا يخفى
ذلك على احد منهم وفي دخول الجار على كافة مع قول النحاة انها تلزم النصب
على الحالية تفصيل بيناه في شرح الدرة وعن بمعنى بعد كما يقال كابرا عن كابر
اي جميع القرون قرنا بعد قرن حتى ينتهي الى معاصري الرسول صلى الله عليه
وسلم اي من كان في عصره وزمنه ان هذه الامور التي سالتم عنها كما قيل لك
اي على هذه الهيئة التي ذكروها لك وعلموها لك وهو ان تلك البقعة المعينة
بسمانها هي مكة بلد الله الامين والبيت الذي هو مبني فيها هو الكعبة سميت
بها لعلوها وارتفاعها او لكونها مكعبة اي مربعة والقبلة التي يستقبلها
الناس بوجوههم

فكانما هو مغناطيس انفسنا فحيثما كان دارت نحوه الصور

التي صلى اليها النبي صلى الله عليه وسلم وصلى اليها المسلمون كلهم بعد ما
حولت القبلة عن بيت المقدس من ساير نواحيها لا ايها وحجوا اليها اي قصدوها
من كل فج عميق وطافوا بها تعبدا كما امرهم الله وان الافعال التي تفعلها الحجاج
من الاحرام والطواف والسعي والحلق ورمي الجمار وغيره هي صفات عبادة
الحج المامور بها وانها هي ايضا المراد به في النصوص المنقولة لنا وهي اي تلك
الافعال المذكورة التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم وفعلها المسلمون
بعده قرنا بعد قرن هي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد
الله بذلك اي بين المراد منها بفعله ليقتدي به وابان حدودها اي عرفنا
حقيقتها واوقاتها الموقتة لادائها فيقع لك بسؤالك عما لم تعلمه العلم
بما ذكر وصفته كما وقع لهم العلم بذلك ولا ترتاب بذلك اي لا يقع لك
فيها شك وتردد بعد بالبناء على الضم اي بعد ما علمته بسؤالك منهم
وهذا حال من يعذر بجهله والمرتاب في ذلك المعلوم من الدين بالضرورة
والمنكر لذلك بعد البحث عنه ومعرفته بالسؤال عنه وصحبة المسلمين كافر

وان صفات الصلاة المذكورة المشروعة المنصوص عليها في القرآن م

بالاتفاق ولا نعذر بقوله لا ادري المراد بذلك ولا يصدق فيه اي في قوله لا ادري
بل ظاهره التستر باظهار جهله عن التكذيب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم
فيما نقل عنه اذ لا يمكن انه لا يدري ذلك مع تواتره وثبوت صفاته وقد قيل
عرضي
عليه ان ظاهره متناقض لانه قال اولا ان القايل بما ذكر كافرا لا ان يكون قريب
عهد بالاسلام وقال هنا انه لا نعذر وليس بشي لانه لا يكفر اذا كان حديث عهد
قبل نقله وهنا انه يكفر بعد التعليم كما يكفر غيره وايضا فانه اي المنكر اذا
جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ذلك المذكور من امور الحج والصلاة واجمعوا على انه قول الرسول صلى
الله عليه وسلم المروي عنه برواية صحيحة وفعله الذي فعله ليقتدى
به وتفسيره صلى الله عليه وسلم لما جاء عن الله اي واجمعوا ايضا على ان
فعله لهذا التفسير وبيان مراد الله تعالى به اي بما دل عليه ما اجمعوا على
انه قول الرسول الذي بلغه عن ربه من الصلاة والحج فبين بفعله صفة ادائه
ووجوبه وغير ذلك مما مر فقوله هذا مع علمه او بعد نقله ادخل الاسترابة ه
استفعال من الريبة وهي الشك وهو جواب اذا اي اوقعها في جميع احكام الشريعة
لانها انما تعلم بنقل الامة فاذا طعن فيهم في بعضها سرى ذلك لجميعها
اذهم الناقلون لها وللقران بروايتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا اوقع الريبة في نقلهم انحلت عرى الدين جمع عروة وهي ما يتمسك به
من الحبل وقد استعير الحبل للدين والقران فانه يتوصل به الى الله وعروته
الادلة التي فيه فانحلالها سقوط الاستدلال بها وهو استعارة اخرى ترشيحية
او تخييلية والعروة في الاصل ما له اصل ثابت من الكلا والدواب ترعاه اذا
لم تجد غيره فاستعمل لكل ما يعتصم به وقوله كرة هي في الاصل مصدر من الكر
وهو العطف على الشي بالذات او بالفعل ويقال للحبل المفتول كر كما قاله
الراغب اي دفعة واحدة وجملة ومن موصول مبتدا صلته قال هذا اي
انكار ما اجمعوا عليه كافر بانكاره المجمع عليه وكذلك اي كما كفرنا هذا نكفر
من انكر القران كله او انكر حرفا منه او كلمة او غير شيئا منه بابدال او زيادة
او نقص فيه او زاد فيه كلاما ليس منه والمراد ان ما زاد او نقص ولم يثبت
برواية صحيحة ونقل معتمد فلا تدخل القراات كقراءة تجري تحتها الانهار
مع قراءة من تحتها وكالبسملة في الفاتحة عند الشافعي وغيره ولظهوره
لم يقيدا لمص كلامه هنا فلا معنى للاعتراض به فان سياقه صريح فيه
اب افترس
لمن عنده ادنى بصيرة كقول الباطنية والاسماعيلية هم فرقة واحدة
سموا تارة باطنية لزعمهم ان للنصوص ظاهرا هو تكليف ومشقة وباطن
بخلافه هو رحمة والاول قشر للعوام والثاني لب لخواص الانام وفسروا
به قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من
قبله العذاب وسموا اسماعيلية لانتسابهم لاسماعيل بن جعفر بن محمد الباقر
وقالوا هو الامام المعصوم المنصوص على امامته بعد رسول الله صلى

الله عليه وسلم ولهم خرافات ومجازفات قصدهم بها ابطال الشريعة لالحادهم لا حاجة
لنا بها فانه بطلانها غير محتاج لدليل ومنهم القرامطة كما مر او زعم انه اي القران
ليس بحجة اي لا يحتج به لما فيه من الاحكام لان ظاهره غير مراد منه فلا حجة فيه للنبي
صلى الله عليه وسلم او زعم انه ليس فيه حجة لابانة حكم او نفيه ولا هو ايضا
معجزة دالة على نبوته صلى الله عليه وسلم لانه ينكر اعجاز القران ويزعم ان البشر
لهم قدرة على مثله والمذهب لبعض غلاة الرافضة كالمردارية وهو مكابرة تكفل
الحس بابطالها وقال ابن حجر بعد كلام المصنف يحتمل ان يريد به ما يشمل ما ليس بمعجز
بذاته فمن قال ليس بمعجز بذاته وانما هو لكون الله صرف القوى عن معارضته
كفر والتصريح بكفره مشى عليه الحنابلة وكلام المصنف هذا الذي اقره عليه النووي
تدبوئيه والذي يظهر لي عدم كفره لان هذا لا يترتب عليه طعن في الدين ولا تكذيب
لمن ورد من شرع ورسالته بخلاف منكر الاعجاز من اصله ثم رايت بعض المتكلمين على
الشفا حكى ذلك قولا في معنى الاعجاز وحينئذ فتكفيره قائل ذلك بعيد وجزم ابن
عقيل بان من امتهن القران او غمصه او طلب تناقضه او ادعى انه مختلف فيه
او مختلق او مقدور على مثله ولكن الله منع قدرتهم كفر بل هو معجز بنفسه
والعجز شمل الخلق انتهى كقول هشام الفوطي قال في التبصرة هشام بن عمرو الفوطي
من القدرية وزاد في مذهبهم امورا باطلة وقال لجهله الله لا يسمى الله الوكيل
ولم يعرف انه بمعنى الكافي والحفيظ وانكر المعجزات وهو بضم الفاء وقيل الباء
الموحدة وسكون الواو وطاء مهملة قبل ياء النسبة ومعمر بميمين مفتوحتين
بينهما عين مهملة ساكنة وهو من المعتزلة الصيمري بفتح الصاد المهملة
ومثناة تحتية ساكنة وفتح الميم وراء مهملة منسوب لصيمر موضع او بلدة وفي نسخة
الضمري بفتح الضاد المعجمة منسوب لضمرة قبيلة كما قاله التلمساني وفي التبصرة
معمر بن عباد تنسب له المعمرية ونسبت له خرافات يملها السمع انه اي القران
لا يدل على الله وانما كفر بذلك لانه انكر الكلام وابانته لله وقال بعدم اعجاز
القران ولا حجة فيه لرسوله صلى الله عليه وسلم لانكاره اعجاز القران ولا يدل
على ثواب ولا عقاب ولا حلال ولا حرام لانه يقول انه ليس لله كلام ولا امر ولا نهي
كما في التبصرة ولا حكم فيه لله ولا محالة في كفرهما اي لا بد من تكفيرهما بذلك القول
الذي قالاه كما سمعته انفا وكذلك نكفرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي
صلى الله عليه وسلم حجة له اي معجزة تصدقه في دعواه او بانكارهما ان يكون
في خلق السموات والارض دليل على الله لدلالة مصنوعاته سبحانه وتعالى عليه
من غير شك وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد لانه كما في التبصرة قال ان
الله لم يخلق شيئا من الاعراض وان الاجسام تفعلها بطبايعها الى غير ذلك مما
ينبغي تطهير الالسنة عن مثله لمخالفتهما الاجماع والنقل المتواتر عن النبي
صلى الله عليه وسلم باحتجاجه متعلق بالمتواتر والضمير له صلى الله عليه وسلم
نفعها
بهذا كله اي القران والمعجزات وخلق السموات والارض دليل على وجوده
وعلى رسالته فانها حجج قاطعة وتصريح القران به اي بكونه ما ذكر حجة ومعجزة

كقوله فأتوا بسورة من مثله وكقوله اقتربت الساعة وانشق القمر ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله وانما الله اله واحد ونحوه وكذلك نحكم بكفر من انكر شيئا
مما نص القرآن فيه كالقيامة وفي نسخة مما نص في القرآن بعد علمه انه من القرآن
حتى لا يعذر بجهله الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين يقرؤ في كل زمان ولم
يكن جاهلا به تاكيد لما قبله ولا قريب عهد بالاسلام حتى يجهل ذلك واحتج لانكار
شيء من القرآن اما ان يحتج بانه لا يصح النقل اي نقل القرآن الينا عنده اي في اعتقاده
ولا بلغه اي وصل اليه العلم به او اما لتجويزه الوهم اي الخطأ على ناقليه فيكفر بالتعيين
وبنا الفاعل او بالتشديد وبنا المجهول اي نحكم بكفر هذا القايل لما ذكر بالطريقين
المتقدمين اي مخالفة الاجماع والنقل الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم لانه
مكذب للقرآن بانكاره او انكار ما نص عليه فيه ومكذب للنبي صلى الله عليه وسلم
بانكار معجزته التي جاء بها لكنه يستتر بدعواه التي لا يعذر بها وكذلك نكفر من
انكر الجنة او النار نفسهما او محلهما وهو جهنم مثلا اي انكر ايجادهما يوم القيامة
واما من انكر وجودهما الآن كبعض المعتزلة فانه خطأ ايضا لكنه قيل انه لا يكفر
به لا فراغ بهما وان كانت النصوص دالة على بطلان ما قال كما بين في كتب الاصول
او البعث اي وكذلك نكفر من انكر البعث اي احيا الله الموتى وبعثهم اي اخراجهم
من قبورهم او انكر الحساب اي كون الله يحاسب عباده ويسالهم عن اعمالهم يوم
القيامة لاقامة الحجة عليهم واظهار حالهم وان كان الله عالما بذلك او انكر
القيامة اي قيامهم في الحشر بين يديه سبحانه وتعالى بعد احيائهم واخراجهم
من القبور فهو كافر بالاجماع للنص عليه في القرآن كقوله تعالى ونفخ في الصور
فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ويوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا
ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ونضع الموازين القسط ليوم القيامة يوم
يقوم الحساب وغيره من النصوص وحديث الشفاعة العظمى شاهد له واجماع
الامة اي ائمة الاجابة المسلمين على صحة نقله اي النص به متواترا بحيث لا يمكن
النزاع فيه وكذلك نكفر من اعترف بذلك اي الجنة والنار والبعث والحساب
والقيامة ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر اي جمع الناس في الموقف والنشر
اي خروجهم من القبور منتشرين والمراد بالثواب والعقاب المذكور في القرآن
والنصوص معنى غير ظاهرها المتبادر منها وانها اي الامور المذكورة كلها اللذات
والالام فعنيه اكتفار روحانية بضم الرا وفتحها نسبة الى الروح وهو ما به
الحياة وزيادة الالف والنون فيه سماعا على خلاف القياس وتطلق الروحانيون
على الملائكة والمراد هنا امر متعلق بالروح من اللذة والالم والروحاني يكون
بمعنى الطيب ومعاني تدرك بالعقل دون الحس باطنة غير محسوسة كقول
النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة الذاهبين الى ان الحشر
غير جسماني بل روحاني وزعمهم الفاسد في تاويلهم النصوص فقالوا ان
معنى القيامة الموت الذي هو ضد الحياة او فنا محض اي عدم محض خالص
وانتقاض بنا دمعجمة اي تغيير هيئة الافلاك التي هي عليها الآن وتحليل

الغالز بمثناة فوقية وحاء مهملة اي حل تركيبه وابانة بعضه من بعض كقول بعض
الفلاسفة المنكرين للقيامة والبعث وماذكره المصنف عن بعض المتصوفة مراده بهم
الزنادقة الملحدون المتسمون باسمهم واما مشايخ الصوفية فحاشاهم من مثله ولا ينبغي
تسميتهم متصوفة بل هم صوفية حقيقة وكذلك كما كفرنا هؤلا نقطع بتكفير غلاة
الرافضة جمع غال وهو المتجاوز حده في الغلو والمبالغة في امره في قولهم ان الائمة
هم عندهم علي واولاده رضي الله عنهم الذين يقولون بان الامامة حقهم افضل من
الانبيا كما قدمناه في هذا الباب وهولا الطائفة تسمى نصيرية بيا الغلون في ائمتهم
بزعمهم الباطل حتى ادعى بعضهم انهم آلهة وهولا اشد كفرا من النصارى فاما من
انكر من هولا ما عرف بالتواتر من الاخبار المنقولة عن الصحابة جمع خبر والسير
بزنة عنب جمع سيرة وهو ما يتعلق بغزوهم واسفارهم وانكار البلاد البعيدة
كخراسان والعراق التي لا يرجع انكارها الى ابطال شريعة مما شرعه الله لعباده
ولا يفضي اي يوصل الى انكار قاعدة من قواعد الدين لعدم تعلقه به كانكار غزوة
تبوك او غزوة موتة اما تبوك فاسم عين ماء وسمي به موضعها وهو من ارض الشام
بقرب مدين وهي ماخوذة من باك الحمار الاتان اذا نزى عليها او من باكت الناقة
اذا سمنت بها لانه صلى الله عليه وسلم غزاها في رجب سنة تسع فصالح اهلها
على الجزية من غير قتال فاستمت الناقة السمينة في خبرها وقيل لان رجلين سبقا
وماءها يبض لقلته فجعلا يدخلان فيها سهما ليكثر ماؤها فقال لهما صلى الله
عليه وسلم ما زلتما تبوكانها منذ اليوم وموتة بضم الميم وهمزة ساكنة وتبدل
واوا وبالمثناة فوق قرية من ارض البلقا باطراف الشام قريبة من الكرك على
مرحلتين من القدس كانت بها تلك الغزوة لانهم قتلوا رسولا ارسله رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجهز اليهم جيشا في سنة ثمان وقيل سبع فقتل بها جماعة من
المسلمين ثم فتحها خالد بن الوليد وقصتها مفصلة في السير وتقدم في ذلك ما فيه
الكفاية وانما لم يكفر منكرهما لانه لا يترتب على انكاره امر ديني اي وكما لا يكفر من انكر
وجود ابي بكر الصديق رضي الله عنه او وجود عمر بن الخطاب او انكر قتل عثمان
في قصة الدار المتواترة او انكر خلافة علي بن ابي طالب ونحوه مما علم وجوده
بالنقل ضرورة لان التواتر يحصل به علم ضروري يقيني لا يشك فيه وليس في
انكاره لذلك جحد شريعة اي لا امر شرعي متعلق بالدين فلا سبيل الى تكفيره
اي المنكر لما ذكر بجحد ذلك ونفي وجوده وانكاره وقوع العلم له اي ان
يكون عنده علم به اذ ليس في ذلك الانكار والجحد امر يقبح اكثر من المباهتة
هي مفاعلة من البهتان وهو الافترا والكذب ومثله لا يعد كفرا وهي
المفاجاة بالتكذيب حتى يبهته ويحيره قال فبهت الذي كفر اي سكت لحيرته
وهذا كله ظاهر فما قيل من انه يلزم منه تكذيب نقلة الحديث في الغزوات
لا وجه له لانه لا يعد كفرا وكذا ما قيل من ان انكار وجود ابي بكر فيه
تكذيب للقران في قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار الاية لان انكار
ذاته ليس بكفر من حيث هو فان عرفه وانكر صحبته التي في القران فهو كفر واما

ابن امترس

دلجي

انكار صحبة غيره فصريح كلامهم انه لا يكون كفرا لكن اختار بعضهم ان انكار صحبة غيره
المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة كفر ويجاب بان شرط انكار المجمع عليه الضروري
ان يرجع الي تكذيب امر يتعلق بالشرع بخلاف ما لا يتعلق بذلك وانكار صحبة غير ابي
بكر لا يتعلق بذلك بخلاف انكار صحبته لان فيها تكذيب القران فتدبر كانكار هشام
العوطي الذي تقدم انه من غلاة الرافضة وعباد الصيمري الذي تقدم ايضا وقعة
الجمل التي كانت بالبصرة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فخرجت عائشة ام المؤمنين رضي
الله عنها علي جمل لها لتصلح بين الفئتين فكان ما كان من ذلك الحرب العظيم ولذا سميت
وقعة الجمل وبنسبة انكار هذه الوقعة لابن حزم كما قاله مغلطاي غلط وكانت
الوقعة سنة ست وثلاثين ووقعة صفين سنة سبع وثلاثين فكانت عائشة علي
جمل يسمى عسكر وفيها قتل جماعة من الصحابة والقصة مشهورة في التواريخ وانكار
محاربة علي رضي الله عنه من خالفه من الخوارج الذين كانوا بايعوه اولا ثم لما جرى
امر التحكيم انكروه وقالوا لا حكم الا لله وهي كلمة حق اريد بها باطل وتفرقوا فرقا
ولهم اعتقادات مخالفة لاهل السنة فكانت بينهم حروب عظيمة قد اشتهرت حتي
اوذنت بالتاليف وفرقهم واعتقاداتهم مفصلة في كتاب لتبصرة لا يمكننا ذكره هاهنا
فاما ان ضعف النكر لما ذكر مع تواتره وضعف مسند مبني للفاعل او للمفعول
ذلك المتواتر من اجل الاخبار التي لا تفيد الامر شرعي من اجل تهمة الناقلين اي
لاجل اتهامهم بالكذب ووهم ما من مسند معطوف علي ضعفه او مصدر بزنة ضرب
معطوف علي تهمة المسلمين اجمع اي قال ان جميع المسلمين مخطيون في نقلهم فتكفيره
بذلك الذي اخطاه من خطاء جميع المسلمين واتفاقهم علي الكذب لسريانه اي افضائه
وتعديه الي ابطال الشريعة المحمدية لانها انما تعلم بنقل المسلمين فاذا جوز اتفاقهم
علي الكذب لم يوثق بنقلهم في شيء اصلا وتكفيره لانكار اجماع المسلمين وهو كفر
فاما من انكر الاجماع اي اجماع المسلمين المجرد وفسر المجرد بقوله الذي ليس طريقه
اي ما يستند اليه النقل المتواتر عن الشارع المراد بالمتواتر ما من شانه التواتر
وقيل المراد بالمجرد ما تجرد عن القراين التي تجعله قطعيا فاكثر المتكلمين المراد بهم هنا
العلما ولذا بينهم بقوله من الفقها والنظار جمع ناظر في هذا الباب اي في هذه
المسائل المتعلقة بالتكفير قالوا اي اعتقدوا وجزموا بتكفير كل من خالف الاجماع
الصحيح اي المستجمع لشروطه المذكورة في كتب الاصول كما بينه بقوله الجامع لشروط
الاجماع المتفق عليه عموما في كل اجماع واعلم ان حقيقة الاجماع العزم قال
تعالي فاجمعوا امركم ثم شاع في الاتفاق وهو من الجمع وهو حقيقة في الاجماع
مجاز مشهور في المعاني ومعناه اتفاق مجتهدي هذه الامة وقال البغوي
هو نوعان عام كاجماع الامة علي الصلاة وعدد ركعاتها مما تعرفه العامة
والخاصة وانكاره كفر الا ان يكون منكره حديث عهد باسلام وخاص وهو
ما يعرفه الخاصة كبطلان نكاح المتعة ولا يكفر جاحده وانما يحكم بخطايه
وكذا كل اجماع لا يعرفه الا العلما كحرمة نكاح المراة علي عمتها والاجماع واقع
ويمكن الاطلاع عليه علي الصحيح وحجة واختلفوا في حجيته هل هي

قطعية

قطعية او ظنية عقلية او سمعية او مركبة منهما ولم يخالف في حجيته الا من لا يعتد
به كالنظام وبعض الشيعة كما ياتي وحجتهم التي استدلوا بها قوله تعالى ومن
يشاقق الرسول اي يخالفه ويعاديه فيكون في شق والرسول في شق آخر من
بعد ما تبين له الهدى وتمامها ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله
جهنم وساءت مصيرا وسبيل المؤمنين طريقهم التي اتفقوا عليها فوعيده عليه
يقتضي انه دخل طريقا غير طريق المسلمين وهو الكفر وحجتهم من السنة قوله
صلى الله عليه وسلم كما رواه ابو داود في سننه وصححه من فارق الجماعة
اي المسلمين واهل الحق وروي من فارق الجماعة بترك السنة واداء الحقوق واتباع
البدعة والبغاة والمحاربين قيد شبر بكسر القاف وسكون المثناة التحتية
ودال مهملة والقيد والقاد بمعنى القدر وشبر بكسر الشين المعجمة وسكون
الموحدة وراء مهملة ما بين طرف الخنصر والابهام مفرجا اذا قيس به وهو
كناية عن القلة فقد خلع ربقة بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وقاف
وهي حبل يقاد به وقد تقدم اي نزع عقد الاسلام من عنقه فهو كناية عن مفارقة
الاسلام وتركه بالكلية تشبيها له بحيوان يقاد بحبل فترك الحبل وهرب من قائده
وفيه اشارة الى انه كالانعام بل اضل والربقة في الاصل عروة تجعل في يد البهيمة
او عنقها تمسك بها فشبه الاسلام بما يمنع المجاوزة لما لا ينبغي لها واضافها اليه
على طريق التشبيه المؤكد اي خلع الاسلام المانع له كالعروة المانعة لها من الضياع
او شبه ما يلزمه من احكام حدوده واوامره ونواهيه المانعة له بالربقة لها
على طريق الاستعارة التخييلية واثبت لها الخلع ترشيحا وحكوا اي الفقهاء
والنظار وذلك الاجماع على تكفير من خالف الاجماع لما في الاية المذكورة من
الوعيد لمن لم يتبع سبيل المؤمنين وهو الاجماع ومثله يكون للكفر وحكاية
المص في تكفير من جحده الاجماع مناف لما ذكره بعده من التوقف فيه بقوله
وذهب اخرون من اهل الاصول الى الوقوف اي التوقف فيه من غير قطع
بتكفيره وعدمه وقد وقع في نسخة التوقف عن القطع اي الجزم بتكفير
من خالف الاجماع الذي يحتمل نقله العلماء فلم يقطعوا بتكفيره ولا عدمه
وقيده بعد التخريج الاجماع فيما يتعلق بالصانع لكنه يدخل فيه اجماع اهل
العربية وفيه كلام في شرح المغني ظاهره انه غير معتد به ومثله في خصائص
ابن جني ولنا فيه بحث ذكرناه في السوانح وذهب قوم اخرون من العلماء الى
التوقف اي عدم الجزم في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظره القياس
الحاصل باجتهاد لا بد له من مستند كتكفير النظام بفتح النون وتشديد
الظاء المعجمة وهو ابراهيم بن سيار او ابن سيبان بمعجمة وموحدة بعد
الياء المثناة التحتية والف ونون ابو اسحاق مولى بني الحارث قيس بن ثعلبة
احد فرسان المتكلمين من المعتزلة وله احاطة بالفنون العقلية
وله شعر رقيق كان في دولة المعتصم بانكاره الاجماع كما انكر القياس
وحجيتهما لانه بقوله هذا يخالف اجماع السلف على احتجاجهم به اي بالاجماع

خارق للاجماع اي مخالف للاجماع منهم ومن غيرهم والخرق كما قال الراغب القطع
على سبيل الفساد من غير تدبر وهو ضد الخلق الذي هو فعل بتقدير ورفق وباعتبار
القطع قيل خرق الثوب وخرق المفازة ومنه الخرق والمخرقة كما فصله في مفرداته
فعبر في الاجماع بالخرق لانه قطع له من غير تدبر وحكم بخلافه قال تعالى وخرقوا له
بنين وبنات بغير علم تنبيه قال شيخ والدي رحمه الله الشيخ احمد بن
حجر الهيتمي في الفتاوى والاعلام قال ابن دقيق العيد مسائل الاجماع ان صحبها
التواتر كالصلاة كفر منكرها لمخالفة المتواتر لا لمخالفة الاجماع وان لم يصحبها
التواتر فلا يكفر نافيها وفرق الزركشي بين تكفير منكر المجمع عليه وعدم تكفير
منكر اصل الاجماع بان منكر الحكم متوافق على كون الاجماع حجة ثم انكر اثره المترتب
عليه فكفرناه بخلاف منكر الاصل فانه لم يتوافق على شيء البتة وفي فرقه نظر
لاقتضائه ان منكر الحكم لابد ان يسبق منه اعتراف بحجية الاجماع وهو مخالف
لاطلاقهم فالذي يتجه ان ملحظ التكفير انكار الضروري سواء سبق اعترافه
بحجية الاجماع ام لا فان قلت هل بقي فرق بين انكار اصل الاجماع حيث لم يكن كفرا
وانكار الحكم المجمع عليه الضروري حيث كان كفرا قلنا نعم وتقدم قبله مقدمة
وهي ان النظام وغيره انما انكروا كون الاجماع حجة زعما منهم انه لا يستحيل
الخطا على اهل الاجماع وانه لا دليل على عصمتهم قطعا اذ ما استدل به على
ذلك يحتمل التاويل فالاجماع الذي انكروه هو تطابق العلما مع تفرقهم
وكثرتهم على راي نظري وهذا ليس كانكار الضروري الذي هو تطابقهم على
الاخبار عن محسوس على نقل التواتر وذلك قطعي لحصول العلم الضروري به
والقطع فيه يسري الى ابطال الشريعة من اصلها فتطابق العلما على راي
واحد نظري لا يوجب العلم القطعي لا من جهة الشرع فلم يكن انكار كونه من
اصله حجة ولا انكار افادته القطع مع الاعتراف بحجيته مكفرا على الاصح بخلاف
انكار الضروري فانه يجر الى انكار الشريعة بل الشرايع كلها فمن ثم كان كفرا كما
تقرر فاتضح الفرق بين انكار اصل الاجماع او كونه حجة قطعية وبين انكار
الضروري وبما قررته يعلم رد تنظير الغزالي في كفر جاحد المجمع عليه بان
النظام انكر كون الاجماع حجة فيصير مختلفا فيه ووجه رده ان النظام
لا ينكر الحكم كما مر وعلى التنزل فهو بهذا الانكار مبتدع ضال فلا نظر لانكاره
ولا لخلافه فان قلت نافي حكم الاجماع اخف حالا من المجمع عليه لان الاول
ليس معه اعتقاد مخالف بخلاف الثاني فان الجحد يقتضي سبق الاعتراف
والاعتقاد قلت اذا تاملت ما سبق من التقرير علمت ان الملحظ في التكفير
انما هو انكار الضروري المستلزم لانكار الاجماع بخلاف انكار الاجماع من
اصله او حجيته او المجمع عليه الغير الضروري فانه لا يكون كفرا
خلافا لما يوهمه كلام بعض المتاخرين فاذا تدبرت هذا الذي قررته
واستحضرت قواعدهم ظهر لك انه احق بالاعتماد والتصويب مما ذكره
بعض المتاخرين هنا انتهى ملخصا وقال القاضي ابو بكر الباقلاني

القول المعتمد عندي به ان الكفر بالله تعالى حقيقة معناه شرعا الجهل بوجوده
عز وجل وان الايمان الذي هو ضد الكفر بالله تعالى معناه العلم بوجوده وانه
اي الشان لا يكفر احد بقول يقوله و لا راي يعتقده الا ان يكون ذلك المذكور
من قول او راي هو الجهل بالله تعالى فيكون بعدم العلم به او انكار وجوده
وهذا القول نقلته عنه في سراج العقول وتقدم ايضا وذلك اما حقيقة الجهل
او ما يستلزمه كما اشار اليه بقوله فان عصى الله ورسوله بقول او فعل نص
الله تعالى ورسوله اي ذكره صريحا في كتاب او سنة او اجمع المسلمون على انه لا
يوجد بالجيم اي لا يصدر ولا يقع الا من كافر كانكار الشرع او رسالة محمد صلى
الله عليه وسلم او يقوم دليل على ذلك اي على انه لا يوجد الا من كافر فقد كفر
وليس كفره والحكم به لاجل قوله او فعله الذي لا يصدر الا من كافر لكن يكون لما علم بما
يقارنه باستلزامه له من الكفر بالجهل بالله ثم فصله بقوله فالكفر بالله تعالى لا يكون
اي يوجد ويتحقق الا بثلاثة امور احدها اي الامور الثلاثة الجهل بالله تعالى
وجحوده الثاني ان ياتي ويفعل فعلا يصدر عنه او يقول قولا يخبر الله ويخبر
رسوله صلى الله عليه وسلم ايه اخبر او عبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية او
يجمع المسلمون على ان ذلك لا يكون الا من كافر وقد تنازع في قوله ان ذلك يجب
ويجمع كالسجود للصنم والمشي الى الكنايس اي معابد النصارى واليهود كما تقدم
فالمشي للذهاب معهم على هيئاتهم بالتزام الزنار وهو ما يشد بالوسط على هيئة مخصوصة
بالكفرة مع اصحابها اي اصحاب الكنايس والزنانير في اعيادهم المعروفة بينهم
وهما حالان متداخلان او يكون ذلك القول الذي قاله او الفعل الذي فعله
لا يمكن معه اي مع ذلك القول او الفعل العلم بالله تعالى قال ابو بكر
الباقلاني فهذان الضربان اي الجهل بالله واتيان فعل او قول لا يكون الا من
كافر وان لم يكونا جهلا بالله تعالى اي ان لم يقتضي قوله وفعله المذكوران
جهلا بالله تعالى فهما علم بتخفيف اي علامة وامارة على ان فاعلهما كافر
منسلخ خارج من الايمان بالله تعالى لان الايمان عند الاشاعرة تصديق النبي
صلى الله عليه وسلم فيما علم مجيئه به ضرورة ومما جاء به الاقرار بالله ورسله
وكتبه فالكفر حينئذ جحد ذلك وقد جعل الشرع بعض الامور علامة على ذلك
واما سجود الملائكة لادم وسجود اخوة يوسف له فليس على طريق العبادة
لانه كان تحية جائزة عندهم ثم نسخ ذلك وابدل بالسلام فانه تحية الاسلام
وقال ابن الهمام الايمان نقل شرعا من معناه اللغوي وهو التصديق الى
مجموع امور اعتبرت في وضعه شرعا والتصديق جزء منها وهو عند الباقلاني
ثلاثة ثم فصلها كما فصل المص ثم قال فاما من نفى من صفات الله تعالى
الذاتية القديمة الثبوتية بان قال انه لا يتصف بها او جحدها اي انكرها
مع العلم بها والنفي المراد به ان يعتقد عدم ثبوتها له فهو مغاير للجحود
ولذا عطف باو مستبصرا اي على بصيرة في ذلك دون سهو او سبق لسانه فهو
قيد للنفي والجحود لا للجحود فقط وتفسيره حينئذ بمتيقنا غير متوجه

وكذا تفسيره الجحد بمطلق الانكار لا وجه له مع عطفه باو وكما قيل كقوله ليس بعالم
ولا قادر ولا متكلم وشبه ذلك نحو ليس سميعا ولا بصيرا ونحوه من صفات الكمال الواجبة دلجي
له عز وجل فقد نص ايضا اي صرح به علما المالكية على الاجماع اي اتفاق المالكية
على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه اي جعل ذاته عارية عنه غير متصفة
به عنها اي عن الصفات الذاتية وهذا مذهب بعض الفلاسفة ولا يدخل في
هذا المعتزلة الذين قالوا لا صفات له زايدة على ذاته وانما هو عين ذاته
ولا يدخل فيه ايضا بعض الصفات التي فيها اختلاف بين الاشاعرة والماتريدية
وهذا القول المذكور حمل قول سحنون من قال ليس لله تعالى كلام فهو كافر علي م
لانكاره صفة ثابتة بالنص كقوله تعالى حتى يسمع كلام الله ونحوه وهو اي سحنون
لا يكفر المتاولين اي الذين يتاولون النصوص ومن جملتهم المعتزلة النافون
للكلام فانهم يقولون معنى كلم الله موسى انه خلق كلاما في الشجرة اسمعه موسى
لان الكلام اصوات وحروف حادثة لا تقوم بذاته فخالق كلامه هنا قاعدته
كما قدمناه في عدم تكفيره لمن باول فاما من جهل صفة من هذه الصفات الذاتية
كالعلم والقدرة ولم ينفها مستبصرا اي مستندا لدليل ولا جحدها عنادا
فاختلف العلما ها هنا اي في تكفيره وعدمه لعذره بجهله فكفره بعضهم
ولم يجعل الجهل عذرا له لوجوب النظر عليه وحكى ذلك اي تكفيره عن
ابي جعفر محمد بن جرير الطبري العلامة المفسر كما تقدم في ترجمته وغيره
من العلما وقال به اي ذهب الى مثل رايه في التكفير ابو الحسن الاشعري
امام اهل السنة وقوله مرة اشارة الى انه احد قولين له في هذه المسئلة
وذهبت طائفة من اهل السنة الى ان هذا اي جهله بصفة من صفات الله
تعالى الذاتية لا يخرجه عن اسم الايمان يعني انه مؤمن غير كافر فيطلق عليه
اسم ماخوذ من الايمان او اسم مختص هنا كقوله الى الخلود ثم اسم السلام عليكما
واليه اي الى هذا القول بعدم تكفيره رجع الاشعري عن قوله الاول لترجحه
عنده وقيام الدليل عليه قال الاشعري انما لم نكفر لانه اي النافي لصفة
جهلها لم يعتقد ذلك اي انتفا تلك الصفة الذاتية اعتقادا يقطع بصوابه
لقيام دليل عنده كالفلاسفة وانما قاله لجهله فهو معذور ويراه
دينا وشرعا اي يعتقده برايه كذلك وانما قاله توهما وجهلا وانما
نكفر من اعتقد ان مقالته في صحة ما قاله اي قوله حق صواب موافق
للبرهان ومطابق للواقع واحتج هؤلاء الذاهبون لعدم تكفيره بحديث
المراة والجارية السوداء الذي رواه ابو داود في سننه وهو ان رجلا طاهر
من زوجته ولزمه عتق رقبة فاتي بجارية نوبية وقال يا رسول الله
اعتق هذه فقال لا تجزيك الا ان تكون مؤمنة فقال سلها يا رسول
الله فقال لها اين الله فاشارت الى السما وقال لها من انا فقالت رسول الله
فقال له اعتقها فانها مؤمنة وكون هذا العتق كفارة ظهار قاله
التلمساني والذي في سنن ابي داود ان معاوية بن الحكم السلمي قال

يا رسول الله

يا رسول الله لي جارية صككتها فعظم ذلك علي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له افلا
اعتقها قال ايتني بها فجيت بها فقال لها اين الله الخ فعتقها انما هو كفارة لصكها
واما كون الكفارة لا يجزي فيها الا رقبة مؤمنة فمختلف فيه وعند الشافعي ومالك
والاوزاعي اشتراط الايمان فيها وعند ابي حنيفة انه يجزيه غير المؤمنة الا في كفارة
القتل قيل وفيه اشكال لقوله اين الله واقرار الرسول لقولها في السما واشارتها
وليس كقوله تعالى وهو الذي في السما اله ولم يجب عنه وقد اجاب عنه ابن فورك
في كتاب كشف المشكل فقال اين موضوعة للسؤال عن المكان وتوسعوا فيها فقالوا
اين فلان من فلان لبعد المرتبة المعنوية فقوله اين الله استعلام عن منزلته في
قلبها فاشارت الى السما اي هو رفيع الشان وعظيم المقدار كما يقال هو في السما
لعلو الرتبة وكانت خرسا فلذا اكتفى باشارتها ومن اصحابنا من قال ان قول القايل
الله في السما يريد به انه فوق السما من طريق الصفة لا من طريق الجهة على حد قوله
أأمنتم من في السما ينكر عليه ذلك واما قوله انها مؤمنة فيحتمل انه صلى الله عليه
وسلم علمه بوحي وجعل اشارتها علامة ايمانها وسماها مؤمنة نظرا للظاهر حالها
لانه يكفي في المطلوب وقال ابن اللبان في كتاب المتشابه كلاته تعالى باسمائه
وصفاته محيطة به واوين السموات والارض وفي نمو فها وسايط سفلية وعلوية
هي مظاهر تجلياته فتقرير الجارية انه في السما ووصفها بالايمان لم يعتبر فيه
ظاهر لفظها فانه لا يفيد التوحيد مع القول بالجهة وعدمه اما الثاني فظاهر
واما الاول فلانهم موافقون على عبادة الملايكة والكواكب وليس في اللفظ
ما يخرجها فيقتضي الايمان فالاقرب ان الجارية اشرق عليها نور التوحيد في
الافاق السماوية لقوله سنريهم اياتنا في الافاق فقولها في السما اي ظهر نور
توحيده فيها فقال انها مؤمنة دون مسلمة لان الايمان من القلب انتهى وقال
الشيخ الاكبر في الفتوحات بنت في لسان الشارع اطلاقات الابلغية على الله ولا
نتعدى ما ورد منها ولا نقاس عليه كما في حديث السودا في قبول اشارتها
وقوله انها مؤمنة واعتقها والقايل بالابينية اعلم الناس وتاويل ذلك
وقبوله منها بانه لكون الالهة المعبودة في الارض وهو تاويل جاهل فان من
العرب من عبد الشعري انتهى وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها
اي من السودا النوبية التوحيد فاكتفى باشارتها الدالة على معرفة ذات الله
ولم يكلفها بشي من الصفات فدل على ان الجهل بالصفات لا ينافي الايمان
لعذرها بالخرس والجهل وكونها خرسا وقع في بعض الروايات ما يخالفه
وقوله لا غير مبني على الضم لحذف المضاف وتقديره وقال ابن هشام تبعا
للسيرافي غير تلزم الاضافة وتقطع عنها وتجي ان تقدمت عليها كلمة ليس
وقولهم لا غير لحن ورد بانه سمع من كلام العرب في قوله

جوابا به تنجو اعتمد فورينا ❊ لعن عمل اسلفت لا غير تسال

وقد استعمله المص في مواضع عديدة وفيه كلام في شرح الكتاب
وحديث القايل الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه وهذا

ابن فورك

القايل كان نباشا الا انه لم يذكر اسمه وكان اوصى لبنيه فقال احرقوني وانظروا يوما
شديد الريح فذروني فيه فوالله لئن قدر الله علي بتخفيف الدال من القدرة
وتشديدها بمعنى ضيق علي في الحساب والعقاب على ما يأتي وفي رواية رواها ابن
ابي حاتم عن الشعبي في تفسيره لعلي أضل الله مضارع بفتح اوله وكسر ثانيه من قولهم
ضلني فلان فلم اقدر عليه اي لم اجده وخفي علي لذهابه عني وفي النهاية لعلي
أضل الله اي افوته ويخفى عليه مكاني وقيل معناه لعلي اغيب عن عذابه يقال
اضللت الشيء وضللته اذا لم تدر في اي مكان هو واضللته اذا ضيعته وضل
الناسي للشيء اذا غاب عنه حفظه ويقال اضللته اذا وجدته ضالا كاحمدته
اذا وجدته محمودا انتهى وفيه كلام لابن فورك وهذا مؤذن بنفي القدرة عليه
وهو محل الشاهد لانه صفة من صفات الله والحديث عن حذيفة بن اليمان قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان رجلا حضره الموت فلما يئس من
الحياة اوصى اهله اذا انا مت فاجمعوا لي حطبا كثيرا واوقدوا فيه نارا حتى اذا اكلت
لحمي وخلصت الى عظمي فامتحشت فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يوما راحا فاذروه
في اليم ففعلوا فجمعه الله عز وجل فقال له لم فعلت ذلك فقال من خشيتك
ثم قال فغفر الله عز وجل له وروي من طرق اخر فيها اختلاف وهذا انما قاله على
سبيل الجزع وشدة الخوف والا فالله لا يخفى عليه شيء وقيل هذا يدل على ان
القايل كان مسلما وفيه ما لا يخفى وفي الشرح الجديد قال ابن عقيل الحنبلي
هذا اخبار عما سيقع له يوم القيامة لانه خاطب روحه لانه لا يناسب قوله في
الحديث فجمعه الله بعد ما تفرق فانه انما هو في الجسد والرجل المذكور غلب
على طبعه الامور العادية بمقتضى طبعه وصار شعارا له مع انه مؤمن بان الله
قادر على كل شيء فظن انه يعجز الله عنه وما ذكره ابن عقيل من انه اخبار
عما سيقع له يوم القيامة عدول عن الظاهر من غير مانع له في الدنيا فانظره
فانه كلام يحتاج الى التنقيح واي الرجال المهذب قالوا اي ايمة الدين
ولو بوحث مجهول باحث بموحدة وحا مهملة ومثلثة اي فتش اكثر الناس
المسلمين عما يعملون ويعتقدون اي عن معرفتهم الصفات اي صفات الله
وكوشفوا عنها اي طلب كشف ما في قلوبهم باظهاره فانه قبل اظهاره كالشيء
المستور فان القلوب صناديق مقفلة لما وجد جواب لو من يعلمها الا
القليل وفي نسخة الا اقل وهم الخواص وغيرهم من الجهلة المقلدين
غافلون عنها وقد اجاب الزينب الاحزاب الذاهب الى تكفير من نفى صفة من صفات
الله ولو جاهلا عن هذا الحديث اي حديث القايل لئن قدر الله علي الخ
بوجوه منها ان قدر بالتخفيف في رواية بمعنى قدر بالتشديد من
تقدير الله لا من القدرة ولا يكون شكه في القدرة على احيائه ليجازيه على
عمله اي على هذا التقدير لا يشك في قدرة الله بل في نفس البعث اي
احيا الموتى وحشرهم الذي لا يعلم كغيره من امور لاخرة التي لا تعلم
الا بشرع يوحيه الله لرسله ولعله اي البعث لم يرد في زمن الرجل القايل

لذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر عن احوال الامم السالفة بوحي من
الله فلم يكن ورد عندهم به شرع يقطع به عليه اي يقتضي علما يقينيا قطعيا فيكون
الشك فيه اي في البعث حينئذ اي قبل ورود الشرع لهم به كفرا اي يقتضي كفر الشاك فيه
فاما ما لم يرد به شرع فهو اي البعث من مجوزات بضم الميم وفتح الجيم والواو المشددة
اي ما هو جائز عقلا من غير سماع له من صاحب شريعة يجب اتباعه بل هو مما تجوزه
العقول جمع عقل وهو القوة المدركة وهذا بناء على ما يأتي انه من اهل الفترة او هو
من قوم لم تبلغهم دعوة النبي بناء على ما عليه المحققون من انهم غير مكلفين لقوله
عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والكلام فيه مفصل في محله من التعاليق
والاصليين او يكون قدر مخففا بمعنى ضيق كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه
ويكون ما فعله هذا الرجل بنفسه من توصيته بنيه باحراقه وامرهم بتذريته
في الهوا اذا صار رمادا ازرا عليها اي تنقيصا وتحقيرا واهانة لها وغضبا
على نفسه العاصية لله لعصيانها بكثرة الفسق والمعاصي لا شكا في قدرة الله
على اعادة ما تفرق من اجزائه فلا يحكم بكفره لذلك وقيل في الجواب ايضا انه انما
قال ما قاله مما وصى به بنيه وهو غير عاقل لكلامه اي وقد اختبل عقله فهو
غير مكلف ولا ضابط للفظه اي لا يعرف ما يلفظ به لانه هذيان منه ككلام النايم
والساهي مما استولى اي غلب عليه من الجزع من الموت على هذه الحالة والخشية
اي شدة الخوف من الله وعقابه التي اذهلت لبه اي عقله فلم يؤاخذ به
لانه غير مكلف وقيل كان هذا الصادر عنه هذا القول في زمن الفترة اي
انقطاع الوحي وطول الزمان الذي اندرست فيه الشرايع وحيث ينفع في
الاخرة بنجاة صاحبه من النار مجرد التوحيد اي معرفة ذات الله دون غيرها
من امور الشرايع فانهم معذورون بجهلهم وهذا يقتضي ان الجواب الذي
سبق بتقدير انهم ليسوا من اهل الفترة فيشكل حينئذ فتدبر وهذا يقتضي
ان اهل الفترة كانوا مكلفين بالتوحيد وهي مسئلة اصولية قال الامام
الرازي في المحصل وجوب النظر سمعي خلافا للمعتزلة ولبعض الفقها من
الشافعية والحنفية لنا قوله تعالى وما كنا معذبين الاية ولان فايدة
الوجوب الثواب والعقاب ولم يقبح منه تعالى شي من افعاله فلا يمكن
القطع بالثواب والعقاب من جهة العقل بالوجوب احتجوا بانه لو لم يثبت
الوجوب الذي لا يعلم صحته الا بالنظر فللمخاطب ان يقول لا انظر حتى اعرف
كون السمع صدقا وذلك يقتضي افحام الانبيا الجواب هذا لازم ايضا لان
وجوب النظر وان كان عندكم عقليا لكنه غير معلوم بضرورة العقل لما
ان العلم بوجوب النظر عند المعتزلة يتوقف على العلم بوجوب معرفة الله
تعالى والنظر طريق اليها لا طريق لها سواه وما لا يتم الواجب الا به واجب
وكل هذه المقدمات نظرية والموقوف على النظري نظري فكان العلم بالو
عندهم نظري فللمخاطب ان يقول لا انظر حتى اعرف وجوب النظر ثم
الجواب لا يتوقف على العلم بالوجوب والا لزم الدور بل يكفي الامكان

وهو حاصل في الجملة انتهى والكلام عليه مفصل في شروحه وانما اوردناه ليعلم
ان توقف بعض الشراح هنا في كلام المص لا وجه له وقيل ليست هذه الاجوبة مرضية
بل هذا اي قوله لئن قدر الله علي من مجاز كلام العرب المراد بالمجاز هنا ليس معناه ابن اقبرس
الاصطلاحي بل المراد انه من كل فهم في الكلام التي يتوسعون فيها ويجوزون ارادة
حقيقته عند اهل المعاني ويناسبه ظاهر قوله الذي صورته الشك هو عبارة
عما يظهر من فحواه ومعناه التحقيق اي امر اخر محقق عنده وهو اي هذا النوع
من الكلام يسمى عند اهل المعاني تجاهل العارف وهو نوع من البديع بسياق
فيه المعلوم مساق المجهول لنكتة فوله
ايا شجر الخابور مالك مورقا • كانك لم تجزع على ابن طريف
وكره بعضهم تسميته بهذا وسماه مساق المعلوم مساق غيره لانه وقع في كلام
الله عز وجل ولا يليق ان تعالى في حقه التجاهل والمهجر عي على متعار فهم فيه ابن اقبرس
ولتسميته به انما هو في كلام الناس واليه اشار بعضهم بقوله وقد يسمى فان
قد يسوء الجزئية وله امثلة في كلامهم واذن وقع في كلام الله كقوله عز وجل
لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
وتعريفه بانه ان يسال العارف عما يعلمه فيه قصور لعدم صدقه على الابنين دجي
فالصواب ان يعرف بما قدمناه وله في كل مقام نكتة يدركها من ذاق حلاوة المعاني
فالنكتة في البيت اظهار شدة الحزن بالمصائب الذي ينبغي اذ يجزع منه كل شي
حتى الجماد وفي الاية ان قلنا ان لعل للترجي من الله لا للتعليل ولا للترجي
من موسى وهارون مع علم الله بان فرعون لا يتذكر ولا يخشى ولكنه اراد
اقامة حجة الملامة بعدم معذرته وعلى الوجهين الاخرين ليس مما نحن
فيه فمن مشى عليه لم يات بشي وقوله وانا او اياكم الخ ابهم فيه الفريق عصمي
المهتدي مع انه علم من سياق الاية ان المومنين هم المهتدون فان قوله
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا
في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ثم قال قل من
يرزقكم من السموات والارض يعلم منه ان خالق هذه المخلوقات العظيمة
الرازق لمن فيهما هو الحقيق بالعبادة والوحدانية وان من يعبده هو
المهتدي فابهامه انما هو لاقامة الحجة عليهم وهو كقول حسان
رضي الله عنه
الهجوه ولست له بكفو • فشركما لخيركما الفداء
فليس في كلامه تهاون بالادب كما توهم فاما من اثبت الوصفاي وصف الله دجي
بصفاته الذاتية ونفي الصفة القايمة بذاته وهم المعتزلة وبعض الفلاسفة
القايلين بان صفاته عين ذاته لئلا يلزم تعدد القدما او قيام الحادث بذاته
واهل السنة اثبتوها وقالوا لا محذور في ذلك لانه انما يمتنع تعدد ذوات
قدما لا ذات وصفات كما تقدم والكلام عليه مفروع منه في علم التوحيد الكلام
واشهر من قفا نبك والفرق بين الوصف والصفة ان الوصف معنى مصدري

نايم بالواصف والصفة معنى قايم بالموصوف كالكسر والانكسار وهما في الاصل بمعنى
واحد وقد يستعمل كل منهما استعمال الاخر فقال اقول ان الله عز وجل عالم بكل شي
من الكليات والجزئيات ولكن لا علم له زايد على ذاته كعلم البشر فعلمه عين ذاته لما تقدم
ومتكلم بكلام نفسي او بكلام حقيقي ولكن لا كلام له خارج عن ذاته وهكذا يقول المعتز بج
ومن وافقه على هذا القول في ساير الصفات فيقول مريد بلا ارادة وقادر بلا
قدرة زايدة على ذاته بل عنده عين ذاته على مذهب المعتزلة في نفيهم الصفات دون
الوصف بها ولذا لم يكفروا لانهم مثبتون لها في الجملة وهذا ان نظرنا الظاهر كلامهم
فمن قال من اهل السنة بالمال اي بما يؤول ويرجع اليه كلام المعتزلة والمراد لازم
مذهبهم وكلامهم الذي قالوه لما يؤديه اليه قولهم انه عالم بغير علم وقادر بغير
قدرة ومتكلم بغير كلام ويسوقه اليه مذهبه من انه يلزم من نفي الصفة نفي الموصوف
بطريق برهاني قطعي عنده كفر اي كفر القايل بهذا المقال لما يلزمه وهذا مبني
على ان لازم المذهب مذهب وفيه خلاف في كتب اصول الفقه لانه اذا انتفى العلم
اي صفة العلم الزايد على الذات انتفى بحسب الظاهر وصف عالم لان معنى عالم من
قام به صفة العلم وهم ينفونها اذ لا يوصف بلفظ عالم الا من ثبت له علم اي
صفة غير ذاته هي العلم للزوم نفي الوصف الموصوف بانتفا المشتق منه اذ لا
معنى له حقيقة غير ثبوته له فكانهم اي المعتزلة النافين للصفة المستلزمة
لنفي الوصف بعالم ونحوه صرحوا عنده اي عند المكفر لهم بما ادى اي اوصل
للزومه له فادي اليه قولهم وهكذا عند هذا المكفر لان لازم المذهب عنده
مذهب فيكفر ساير فرق اهل التاويل من المشبهة المثبتين لله صفات تشبه
صفات عباده كما تقدم والقدرية بالمعنى الذي بيناه وغيرهم من الفرق
الضالة المبتدعة ومن لم ير اي يعتقد احدهم اي مؤاخذتهم بمال قولهم
ولازم مذهبهم وفي نسخة ومن لم ير اخذهم الخ ولا الزمهم موجب مذهبهم
الدال عليه فحوى ما ذهبوا اليه مما لا يليق برب العزة لم ير اكفارهم ولم يحكم
بكفرهم لشمول معنى الايمان لهم بحسب الظاهر وقال لانهم اي اصحاب هذا
المقال اذا وقفوا على هذا اي اطلعوا على ما لزم مذهبهم فوقفوا مبني للمعلوم
مخففا او مبني للمجهول مشدد اي اطلعهم من كفرهم على ما كفرهم به وفي نسخة
اذا ووقفوا بالواو قالوا مجيبين له نحن لا نقول لله انه ليس بعالم ونبرا به
ما فهموه من السلب لعطل لله عن العلم بل هو عالم بعلم هو عين ذاته
وهكذا ساير الصفات عند ابي الهذيل العلاف ونحن معاشر المعتزلة وانتم
اهل السنة نتفق فنتعالى من النفي مضمن معنى نتبرا ولذا اسنده للعقلا
والانتفا صفة المعنى من القول بالمال الذي الزمتموه لنا معاشر المعتزلة
والفلاسفة ونعتقد نحن وانتم انه كفر ان حمل على ظاهره وما يفهم من فحواه
من نفي العلم عنه عز وجل بل نقول قولا اسلم من هذا انه قولنا الذي اشتهر
عن مقالتنا هذه لا يؤول اليه اي الى ما قلتم ان كلامنا يؤدي اليه على ما
اصلناه بتسديدنا لمباد المهملة اي اتخذناه اصلا وقاعدة نبنينا عليها

المعنى فانه لا يحدود ربه اذا المحدود في العقول بانه لا علم له ولكن لا نقول به بل نقول
يعلم بعلم هو عين ذاته وهكذا ساير الصفات والمشبهة عندنا هم المجسمة الذين
يأخذون بظواهر النصوص المتشابهة وغيرهم من اهل السنة يقولون نؤمن بظاهرها
ونفوض علم باطنها الى الله اذ لم يكلف بمعرفتها والمعتزلة يقولون لاهل السنة مشبهة
كما قال الزمخشري عفا الله عنه

وجماعة سموا هواهم سنة ۝ فهم لعمري كالحمير الموكفة
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ۝ شنع الورى فتستروا بالبلكفة

وهما فرقتان كما تقدم فعلى هذين المأخذين من النظر لمآل كلامهم والنظر لما أولوه
من تأويلهم اختلف الناس من علماء الملة واهل السنة في اكفار اهل التأويل بلازم
مذهبهم وعدمه بالنظر لمرادهم واذا فهمته اي فهمت المذكور من منشأ الخلاف
في تكفيرهم وعدمه اتضح وظهر لك الموجب اسم فاعل بمعنى المقتضي لاختلاف
الناس في ذلك التكفير وعدمه والصواب عند المحققين من الفقهاء واهل
الكلام ترك اكفارهم اي ترك الحكم بكفرهم والاعراض عن الحتم بحاء مهملة ومثناة
فوقية بمعنى القطع والجزم عليهم بالخسران اي بانهم خسروا بسبب كفرهم
فانه هو الخسران العظيم واجراء حكم الاسلام عليهم في الدنيا لاعتقادنا انهم
مسلمون لهم ما لنا وعليهم ما علينا في قصاصهم اي القصاص لهم ومنهم
كساير المسلمين وورثانهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم
في مقابر المسلمين وساير معاملاتهم من المبايعة واكل ذبايحهم وغير ذلك
التي بينها بقوله ووراثتهم وما بعده من غير فرق بيننا وبينهم لصدق اسم
الايمان والاسلام عليهم لكنهم يغلظ عليهم بزجرهم وتعزيرهم بوجيع
الادب من القيد والضرب والحبس وتشديد الزجر بنهرهم وقهرهم والهجر
اي ترك مجالستهم ومعاشرتهم ونحوه مما يشق عليهم من انواع الاهانة
حتى يرجعوا او يتركوا متباعدين عن بدعهم المخالفة لاهل السنة ويتقاون ذلك
منعا وقوع نظر الخالفهم مما هم عليه وهذا ليس على اطلاقه كما يعلم مما
تقدم فان فيهم من حكموا بكفره وليس الكلام ۝ فيه وهذه الامور المذكورة
كانت سيرة اي الطريقة التي كان عليها الصدر الاول المراد بهم اهل العصر
الاول من الصحابة والتابعين ومن قرب منهم وهو مستعار من صدر الشيء
بمعنى اعلاه واوله فيهم اي في معاملتهم والحكم عليهم بما ذكر فقد كان
نشأ اي وجد وظهر على زمان الصحابة وبعدهم في التابعين على بمعنى في
من قال بهذه الاقوال المذكورة من القدر اي الاعتزال كواصل بن عطاء وعمرو
ابن عبيد ومعبد الجهني واضرابهم وراي الخوارج الذين خرجوا على علي
وجرى بينه وبينهم ما جرى. وهم فرق مختلفة لهم اعتقادات باطلة
واحوالهم ومذاهبهم مفصلة في المطولات واصحاب الاعتزال ومذاهبهم
مذكورة في كتب الكلام فما ازاحوا بزاي معجمة وحاء مهملة اي ازالوا لهم
قبرا في الصدر الاول ولا قطعوا اي منعوا لاحد منهم ميراثا يرثونه من

غيرهم او برؤية غيرهم منهم كسايرمواريث المسلمين لكنهم هجروهم بترك مخالطتهم وادبوهم
بالضرب والنفي تعزيرا لهم باخراجهم من ديارهم والقتل هذا على راي من يجوز التعزير
بالقتل براي الامام لا فقد من استحق القتل منهم بسبب اخر كما قيل فانه لا يناسب قوله
على قدر احوالهم الموجبة لتاديبهم لانهم بسبب بدعهم فساق كغيرهم من الفسقة غير الكفرة
ضلال اهل ضلال وبدع عصاة اصحاب كباير عطف بيان مفسر لما قبله عند المحققين
الذين لا يكفرون احدا من اهل القبلة واهل السنة عطف تفسير ممن لم يحكم بكفرهم
بهوى اي لم يحكم بكفر اصحابه لاراء الباطلة لتاويلهم خلافا لمن راي غيره كذا من تكفيرهم
ولم يكتف بتاديبهم بما تقدم وبما ذكرناه علم ان من قال المراد بالقتل التاديب
لا ازهاق الروح لم يصب وكذا قول من قال انه يدخل في كلامه القرامطة ونحوهم
ممن حكم بكفره فالاحسن ان يعبر باهل القبلة في كلام المص لف ونشر فان مذهب القدرية
والخوارج كان في زمن الصحابة والاعتزال انما فشا في زمن التابعين وذكر من
التاديب انواعا منها الهجر وقد ورد في الحديث النهي عن هجر المسلم فوق ثلاث الا
انه محمول على غير المبتدع والمتجاهر بالظلم والفسق او لحد ومن يعذر به شرعا
وعليه يحمل ما رواه ابن الصلاح من ان سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه هجر عمار
ابن ياسر حتى مات وكذا عايشة هجرت حفصة وعثمان رضي الله عنه هجر عبد الرحمن
ابن عوف وكذا ما وقع لغيرهم واما الضرب فهو مفصل في باب التعزير من كتب
الفقه والنفي تعزير عندنا ويكون حدا عند الشافعي في الزنا على كلام وهل
يكون دون الحول او هو مفوض لراي الامام فيه واما القتل فيكون تعزيرا
عند مالك دون غيره وقال ابن تيمية انه ذهب له غيره ايضا ويسمى سياسة
قيل وفي بعض النسخ القتل بقافين وهو تصحيف فتامله والله الموفق للصواب
منه الخطا قال القاضي ابو بكر الباقلاني واما مسايل الوعد والوعيد وانه
لا يجوز تخلفه عند المعتزلة لقولهم بانه يجب على الله تعذيب العاصي واثابة
الطايع على ما قرروه في قواعدهم ومن فسر الوعد والوعيد بسؤال القبر وعذابه
لم يصب والرؤية اي انكار المعتزلة لرؤية الله في الاخرة والمخلوق اي قول المعتزلة
ان العبد يخلق افعاله لا قول المفوضة ان الله فوض الى الناس لمحمد صلى الله عليه
وسلم كما قيل فانه كلام ليس موافقا لما بعده وخلق الافعال اي قول المعتزلة
ان افعال العباد مخلوقة لهم كما ذهب اليه الجبائي واتباعه فهو كالتفسير لما
قبله وبقاء الاعراض وهي جمع عرض بفتحتين وهو ما لا يقوم بنفسه كالالوان
وهذا على مذهب الاشعري من ان الاعراض لا تبقى وهو مما ذهب الى خلافه
كثير من اهل السنة حتى قال السعد في شرح المقاصد انه مكابرة في المحسوس
واغرب منه ما قاله الشيخ الاكبر في الفصوص من ان الاجسام لا تبقى زمانين
ايضا وتمسك بقوله تعالى بل هم في لبس من خلق جديد وهو مما خفي على كثير
من المحققين وقد افردت بيانه بتعليقة وتحقيقه انا نقول ان ما سوى
الله وصفاته فانٍ حالا عند ارباب الكشف وهو معنى قوله كل شيء هالك
الا وجهه كما اشار اليه البيضاوي في تفسيره لانها من ابتدا خلقها الى ظهور

ابن اقبرس

موصي

عرصي

دبجي

وما يلحقها في تبدل وتغير الا انه لنقصه نقصا في غاية لا يدركه الحس الا اذا اجتمع منه مقدار
يدرك الاترى الشمعة التي تذهب اجزاؤها لا يحس نقصها في كل آن حتى يعني مقدار منها
له قدر كبير وهو امر محسوس الا انه كان على المصنف ان لا يذكره لخفائه والتوليد الذي
ذهب اليه المعتزلة والحكما كتولد العلم من الدليل وحصوله عقبه كحركة المفتاح
بحركة اليد وهذا ايضا مما ينبغي تركه هنا وشبههما من الدقائق الفلسفية التي
ادخلها المعتزلة في الكلام فالمنع في اكفار المتاولين فيهما اوضح من القول باكفارهم لانها
لا يترتب عليها امر ديني اذ ليس في الجهل بشي منها جهل بالله حتى يكفر الذاهب اليها
ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيا منها كما تقدم في تفسير الكفر عنده وقد
قدمنا في الفصل الذي ذكر قبله من الكلام وصورة الخلاف ومعناه الذي قرره
في هذا النوع ما اغني عن اعادته لظهوره وقرب العهد به بحول الله تعالى وحمايته
عن مخالفة الحق فيه وفي غيره وبقية اعتقادات المعتزلة مذكورة في الكلام فلا
حاجة لتكثير السواد بها هنا كما في بعض الشروح

تبعا لابن الفرس

# فصل هذا

اشارة لما ذكر سابقا حكم المسلم الساب لله تعالى وما يعد سبا وغيره مما
فصله قبل هذا وسمى ما قدمه من الفاظ الكفر سبا اما لانها مثله في ذكر
ما لا يليق بجلال الله او لانها تستلزم تكذيبه وهو سب وتسمية الساب
مسلما باعتبار ظاهر حاله وما كان عليه فلا اشكال فيه واما الذمي الكافر الذي
له ذمة وامان فروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ولم يذكر احد هنا
من رواه عنه في ذمي تناول من حرمة الله تعالى اي تكلم في حق الله بما لا يجوز
واصل التناول الاخذ باليد فتجوز به عما ذكر والحرمة ما يجب احترامه
وترك الخوض فيه بغير ما هو عليه اي ما استقر عليه بما كفر من دينه اي مما
اعتاده او اعتقد انه دين له فانه يسمى دينا كما قال تعالى لكم دينكم ولي دين
وحاج فيه وجادل فيه وخاصم او اقام ما هو حجة بزعمه فخرج ابن عمر رضي الله
عنهما من داخل بيته عليه بالسيف يريد قتله فكانه سمعه يتكلم خارج بيته
فطلبه اي فقصده ليضربه بسيفه فهرب منه لخوفه على نفسه وقال مالك فيما روي
عنه في كتاب ابن حبيب اسمه عبد الملك كما تقدم وفي المبسوطة اسم كتاب
وابن القاسم في المبسوط كتاب ايضا وكتاب محمد بن سحنون رحمه الله تعالى
في فقه مذهب مالك من شتم الله تعالى عز وجل من اليهود والنصارى بغير
الوجه الذي به كفروا كادعا الولد والشريك كما ياتي قتل ولم يستتب اي لم
يطلب التوبة ولم تطلب منه وقال ابن القاسم انه يقتل من غير استتابة
الا ان يسلم قال في المبسوطة طوعا باختيار من غير اكراه فان اسلام المكره غير
مقبول وفي صحته خلاف للفقها وفرق بعض الشافعية بين الحربي والذمي
فيصح من الاول دون الثاني قال اصبغ تقدم انه ابن الفرج لان الوجه اي
الامر من قول او فعل الذي به اي بسببه كفروا هو دينهم اي عادتهم ومعتقدهم

ولعله

ولعله منهم ومشاهد تسمى وجها وعوهدوا عليه اي اخذت عليهم العهود مع استقرارهم
عليه لا انهم اخذ عليهم العهد به في نفسه فانا لا نرضاه او هو متضمن معنى الاقرار فالذي
ما قيل من انه كان ينبغي له ان يقول تركوا عليه لقوله صلى الله عليه وسلم اتركوهم
وما يدينون لان العهد يكون على ما شرط عليهم وقوله اكره ان اقول اقررناهم
وانما اقول تركناهم غير مسلم من دعوى الصاحبة والشريك والولد بيان لما كفروا
به واما غير هذا من الفرية اي الكذب والاختلاق على الله في غير ما كفروا به والشتم
كما قال تعالى فيسبوا الله عدوا بغير علم فلم يعاهدوا عليه اي لا يقروا عليه
فهو نقض للعهد الذي عاهد الامام عليه اهل الذمة ومن انتقض عهده منهم
يخير فيه الامام بين القتل والرق والمن عليه وعند بعضهم يتعين القتل
قال ابن القاسم في كتاب محمد بن سحنون وقيل هو محمد بن ابراهيم بن المواز قيل
انه نسبة للموز وهو ولد في رجب سنة ثمانين ومائة ومات سنة احدى وثمانين
ومائتين وقيل سنة سبع ومائتين بدمشق واختلف في لقايه لابن القاسم
والصحيح انه روى عنه بواسطة ومن شتم الله تعالى من غير اهل الاديان
اي غير المسلمين نبذ لعل فقوله بعده بغير الوجه الذي ذكر في كتابه فانه صريح في
انه من اهل الكتاب ولا بد ان يراد بقوله في كتابه كتابه الذي حرف فان الكتب
الالهية ليس فيها كفر فهو على زعمهم او المراد كتب احكامهم التي وضعوها باتفاقهم
كما وقع لهم في زمن قسطنطين من اجتماعهم على ارادة وضعها كما فصل في الملل
والنحل وهذا ابنا على ان الكفر ليس ملة واحدة ولذا جمع الاديان او المراد بالكتاب
ما كتبوه من عند انفسهم او اتفقوا عليه تسمحا فعلم الجواب عما قيل ان في عبارته
تناقضا وان قوله من اهل الاديان يقتضي انه لا كتاب وقوله في كتابه يخالفه
والكفر كله ملة واحدة قتل الا ان يسلم فلا يقتل فان الاسلام يجب ما قبله
وهذا كله مذهب مالك رحمه الله ومذهب الشافعي والحنفية فيه ما يخالفه
وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل من سب
الله حتى يستتاب اي تعرض عليه التوبة مسلما كان الذي سب او كافرا فان
تاب ورجع عما صدر منه ترك والا قتل لنقض عهده وقال مطرف بن عبد الله
كما تقدم وعبد الملك هو ابن الماجشون مثل قوله مالك وقال الشيخ ابو محمد
ابن ابي زيد صاحب الرسالة وقد تقدم ولا يخفى ان هذا خلاف ما تقدم
عنه فهو قول آخر من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان
يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل اي قبل هذا وقد تقدم ان ابن الجلاب
هو البغدادي لمن يروانه بفتح الجيم واللام المشددة وآخره موحدة
وذكرنا قول عبيد الله بن يحيى وابن لبابة بضم اللام كما تقدم وشيوخ
الاندلسيين من علما المالكية في الملاة النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها
بالوجه الذي كفرت به لتصريحها بما لا تقر على مثله لله متعلق بسبها
الا ان تسلم وبنبه عليه اشارة الى ان في المسئلة غير الذي ذكره وفتياهم
بقتل الساب للنبي صلى الله عليه وسلم واجماعهم اي فقها الاندلس

ابن افيرس
غير سو

علي ذلك اي قتل من سب بما كفر به وهو اي هذا القول الذي اجمعوا عليه نحو
القول الاخر في هذه المسئلة فيمن سب منهم اي من اهل الذمة النبي صلي الله
عليه وسلم بالوجه الذي كفر به كانكار نبوته فيقتل الا ان يسلم طوعا ولا فرق في
ذلك اي قتله بما كفر به من سب الله سبحانه وتعالي وسب نبيه صلي الله عليه
وسلم لانا عاهدناهم حين عقدت لهم الذمة علي ان لا يظهروا الناشيا من كفرهم
وتركناهم علي ما هم عليه فيما بينهم وان لا يسمعونا شيئا من ذلك الكفر الذي
كفروا به باي طريق كان فمتي فعلوا شيئا منه من ذلك فهو نقض منهم لعهدهم
لمخالفته لعهدهم وهذا كله اشارة الي ما في العهود العمرية التي وقعت حين
فتح المسلمين لبلادهم فكل ما شرط الامام مخالفته نقض عهده موجب للقتل
واختلف العلما من السلف في الذمي اذا تزندق بظهور علامات تدل علي انه
مبطن لما يخالف دينه ويخالف دين الاسلام فلا يبقي علي دين اصلا فقال مالك ومطرف
وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الي كفر يعني الزندقة وقال
عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد يعني من المسلمين
فاذا قتل به المسلم فغيره بالطريق الاولي وتسميته دينا تسامح فانه لا دين له
ولا يوخذ عليه جزية كمن انتقل من اليهودية للنصرانية مثلا وقد
شذ في قوله هذا كما قال ابن حبيب ولا اعلم من قاله غيره اذ لم يقله احد من
المالكية ودليله في غاية الضعف وعند الشافعي انه لا يقر عليه والصحيح
عنده انه لا يقبل منه الا الاسلام وقيل يقبل منه كل دين يساوي دينه واذا
انتقل الذمي لدين اخر فيه خلاف عنده مبني علي ان الكفر ملة واحدة
او ملل متعددة

## فصل هذا

المذكور في الفصل الذي قدمه حكم من صرح بسبه عز وجل
واضافة اي نسبة اليه ما لا يليق بجلاله اي عظمته والالهية اي كونه
الها والاضافة ضم شي الي شي فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالي
والافترا تعمد الكذب فهو اخص منه بادعا الالهية اي انه اله كفرعون
لعنه الله والرسالة كمسيلمة الكذاب او النافي ان يكون الله خالقه او
نفي ان يكون الله ربه بل رب غيره او قال ليس لي رب بانكار انه خلقه
وهو في معني ما تقدم لكنه اراد تعديد الفاظ الكفر او المتكلم بما لا يعقل
بالبنا للمجهول من ذلك من ادعا الالوهية او الرسالة او نفي الخالقية او
الربوبية في حال سكره وغيبة عقله او في غمرة جنونه اي شدة اذهبت
عقله وهي بفتح العين المعجمة وسكون الميم فتلها را مهملة من غمرة الما
اذا غطاه ثم استعير لكل شدة يقال غمرة الموت وغمرة الفتنة فلا
خلاف في كفر قايل ذلك اي شي منه ومدعيه اي الذي يقوله ويدعي حقيقته
مع سلامة عقله لافترايه الكذب علي الله قال تعالي انما يفتري الكذب

الذين لا يؤمنون بايات الله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وسيأتي
حكم من زال عقله كما قدمناه اي القول بكفره وبيان وجهه لكنه تقبل توبته على القول
المشهور وتنفعه انابته اي رجوعه الى الله وهي عبارة عن التوبة وعبر بها تفننا
وتنجيه من النجاة مضارع بضم اوله اي تخلصه من القتل فيئته بفتح فاء فتحتيّة
مثناة ساكنة وهمز مفتوحة وبا موحدة مشددة مصدر فاء بمعنى رجع وكله تفنن وذكر
هذه الفقرات اشارة الى انه بعد انابته لا يبقى عليه عهدة في الدنيا ولا في الاخرة
لا للاعتناء به ولذا قال لكنه لا يسلم في الدنيا من عظيم النكال اي العقوبة من النكل
وهو القيد ولا يرفه اي ينفس عنه ويخفف وهو بضم اوله وتشديد فائه عن
شديد العقاب ليكون ذلك النكال والعقاب زجرا اي ردعا مانعا لمثله ممن يتوقع
منه قول مثل قوله من قوله اي مثل قوله ذلك المفترى على الله وزجرا له اي لذلك
التايب او لا عن العودة لما تاب عنه لكفره بما قاله افترا على الله تعالى مع علمه بما
فيه من الجحد ولو جهله لسفاهة منه لتوهمه انه امر واقع الامن تكرر اي وقع
ذلك الافترا منه مرارا وعرف استهانته اي عده هينا واهانته لعدم مبالاته
به بما اتى به مما كفر به فهو دليل على سوء طويته اي ما اخفاه من سوء الاعتقاد
وسمي المضمر طوية تشبيها بما طوي في داخل غطا يغطيه ودليل على كذب توبته
وانه انما تاب خوفا من العقوبة وصار بما ذكر كالزنديق الذي يظهر الاسلام
ويخفي الكفر الذي لا نامن مع ما ذكر باطنه مما اخفاه من كفره فتقدم منه شيا
من ذلك ولا يقبل رجوعه لما علم من سوء عقيدته وما اخفاه مما اذا وجد
فيه مه عاد اليه وحكم السكران في عقوبته وتكفيره حكم الصاحي في مؤاخذته
بما صدر منه لتعديه بسكره فيغلظ عليه والسكر غيبة العقل بما تعاطاه من
امر وللفقها فيه حدود كلها ترجع للعرف والعادة وهو يد يعتري صاحبه
لتغريق وللسكر حالات فاوله نشاة وفرح واوسطه فوق ذلك فهو تراخ في
الاعضا واخره زوال العقل وسقوط الحركة ولذا اختلفوا فيه هل هو مكلف
ام لا على اقوال ثلاثة ثالثها ان تعدى بسكره يجري عليه احكام التكليف من طلاقه
وضمانه وكفره واسلامه فان لم يتعد كان اكره او شرب لتداو واضطرار لاساغة
لقمة او شدة عطش لم يكلف ويترك عليه قول المص حكمه حكم الصاحي واما المجنون
وهو الذي زال عقله بالكلية وهو معلوم والمعتوه من العته وهو
اختلال في العقل دون الجنون بحيث يكثر ذهوله ونسيانه ويخلط كلامه
احيانا حتى يشبه المجنون لكنه ينتبه بتنبيه غيره له ويختل افعال
معاشه فما علم انه قاله من ذلك السب ونحوه في حال غمرته بغين معجمة
مفتوحة وميم ساكنة اي ذهاب عقله بالكلية وقد سمعت تخفيف معنى الغمرة
قريبا وذهاب ميزه بفتح الميم وسكون المثناة التحتية وزاي معجمة
اي تمييزه وادراكه بالكلية بحيث لا يعقل اصلا ولا يفهم شيا فلا ينظر فيه
اي لا يتعرض له ولا يحكم عليه بكفر ولا غيره لانه غير مكلف فلا يؤاخذ بما
يصدر منه وما فعله من ذلك السب ونحوه في حال ميزه اي تمييزه لما

تمتد زمنه وهو من جنونه منقطع غير مطبق وقوله وان لم يكن معه عقله اما
ان يريد به لم يكن عقله مستمرا لتقطع جنونه او يريد عقله الكامل بان يدرك امرا
دون امر والا يتنافض كلامه لان من لا عقل له لا تمييز له ويسقط تكليفه لجنونه
وان كان له تمييز ما ادب مبني للمجهول اي بضرب ونحوه على ذلك القول وزجر
عنه اي منع بنهيه وتخويفه كما ترى بعض المجانين يخاف من الضرب والزجر
وفي نسخة لينزجر عنه كما يؤدب على قبايح الافعال غير ذلك اذا صدر عنه
ونوالي مبني للمجهول اي بكرر اديه مرارا لان التكرار له شدة تاثير حتى في
البهايم وغيرها كما قال
اما ترى الحبل بتكراره في الصخرة الصما قد اثرا
كما تؤدب البهيمة التي لا تعقل كالفرس والحمار على سوء الخلق كحران ورفس وغير ذلك
حتى تراض اي تنقاد وتستقيم افعالها من الرياضة في الامور وقد حرق علي بن
ابي طالب رضي الله عنه من ادعى الالهية له بان قال له انت الله اي احرقه بالنار لكون
وهو كما في تاريخ الصفدي نصير مولى علي رضي الله عنه لما قال له انت الله فحرقه بالنار
فقال وهو يحترق لو لم تكن الها لم تعذب بالنار واليه تنسب الفرقة النصيرية الحسيني
وهم فرق منهم ادعوا ان في علي جزءا واولاده جزءا من الالهية وقالوا ظهور الروحاني
بالجسماني امر معقول كظهور جبريل في صورة البشر الى اخر ما حكاه عنهم
وقول التلمساني هو عبد الله بن سبا واتباعه قالوا له انت الله حقا فنفاه
الى المداين كلام متناقض لان يريد نفي اتباعه ولا قرينة تدل على هذا وهو
سبق قلم ثم ان التحريق بالنار لا يجوز لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عنه
صلى الله عليه وسلم انه لا يعذب بالنار الا خالقها وكان امر بتحريق ناس
ثم نهى عنه منسوخ فان كان قتلهم ثم احرقهم تمثيلا بهم فهو مذهب له لان
الصحابة مجتهدون ومن احرق رجلا فني القصاص بمثل فعله عن مالك
روايتان وما روي عن بعض الصحابة من التحريق فيه كلام ليس هذا محله
فالصحيح المنع منه وقد قتل عبد الملك بن مروان هو احد الملوك
من بني مروان وترجمته معروفة مشهورة في التواريخ الحارث المتنبي
وصلبه الذي ادعى النبوة وهو الحارث بن سعيد الكذاب وله ترجمة في الميزان
وتاريخ الذهبي وعبد الملك ليس ممن يستدل باقواله وافعاله فلعله
استانس به لانه في عصر السلف ولم ينكروا عليه ذلك كما يشير اليه قوله
وفعل ذلك غير واحد من الخلفا والملوك باشباههم ممن قال مثل قولهم
واجمع علما وقتهم على صواب فعلهم اي تصويبه او هو من اضافة الصفة
للموصوف وذلك لكذبهم على الله بانه نباهم وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم
في انه خاتم الرسل وانه لا نبي بعده واجمعوا ايضا على ان المخالف في ذلك
اي تكفيرهم بما ادعوه من كونهم هو مفعول المخالف اي من خالف في كونهم
في تكفيرهم فقال لا يكفرون كافر لانه رضي كفرهم وتكذيبهم لله ورسوله
واجمع فقها بغداد ايام المقتدر بالله ابو الفضل جعفر بن المعتضد

رد على العرضي

بالله ابي العباس احمد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد
الخليفة العباسي من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي محمد بن يوسف بن يعقوب
ابن اسماعيل بن حماد بن زيد على قتل الحلاج الحسين بن منصور المشهور ويأتي ترجمته
وسمي حلاجا لانه جلس يوما على حانوت حلاج واستقضاه حاجة فقال له الحلاج
انا اشتغل بالحلج فقال له اقض لي حاجتي حتى احلج لك فمضى الحلاج في حاجته
فلما عاد وجد قطنه كله محلوجا وكان لا يحلجه عشرة رجال في ايام متعددة فمن
ثم قيل له الحلاج وصلبه اي صلب الحلاج بعد قتله ليزجر امثاله واتباعه لدعواه
الالهية اي قوله انا الله كما هو مشهور عنه ودعواه الحلول اي ان الله يحل في بعض
الناس ويظهر بصورته كما ظهر جبريل عليه الصلاة والسلام بصورة دحية رضي
الله عنه او يسري فيه سريان الماء في العود الاخضر كما قاله بعض الملحدين وهو
امر باطل زينه لهم الشياطين وليس هذا وحدة الوجود التي ذهب اليها الصوفية
كما بينه السيد الشريف في شرح التجريد وقوله اي الحلاج انا الحق يريد انا
الله لان الحق من اسمائه تعالى مع تمسكه في الظاهر من احواله واموره بالشريعة
ولم يقبلوا توبته لتكرر ذلك منه واعلم ان الحارث المتقدم قيل انه ابن عبد
الرحمن مولى ابي الجلاس العبدري نزل دمشق واظهر الزهد والعبادة
ثم خلى به وزين له الشيطان اعمالا اضل الناس بها فكان يأتي المسجد ويتوزرخامة
به فتسبح ابلغ تسبيح حتى يسمع الحاضرون فيأخذ عليهم العهود وان يكتموا
امره ويطعم اصحابه في الشتا فاكهة الصيف وفي الصيف فاكهة الشتا ويري الناس
اشباحا على خيول ويقول هم الملائكة وادعى النبوة وكثر اتباعه وشاع امره
فطلبه عبد الملك فاختفى وذهب الى القدس فركب اليه الخليفة واتي برجل
ممن يجتمع به فاعلمه اين هو فارسل معه طايفة من الجند وكتب لنايبه بالقدس
ان يطيع امره فيأخذ معه جماعة معهم شموع وقال اذا امرتكم اوقدوها
في الطرق ثم اتى داره ليلا وقال لبوابه استاذن لي على نبي الله فقال ليس هذا
وقت اذن فصاح على من معه حتى اوقدوا شموعهم وصار الليل كالنهار فهجم
عليه فنزل سردابا اعده واختفى فيه فقال اصحابه انه رفع للسما فجهلاته
ان تصلوا اليه فدخل سردابه واخرجه وسلمه للجند فاخذوه وقيدوه
وشدوه في سلاسل فكانت تسقط وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي
الله فلما اتوا به عبد الملك صلبه ومثل هذه القصة قصة المقنع وغيره
مما ظهر في صدر الاسلام واما المقتدر فهو كما علمت ابو الفضل جعفر
ابن المعتضد العباسي توفي مقتولا في شوال سنة عشرين وثلاثمائة واما
ابو عمر قاضي القضاة في زمن المقتدر فهو محمد بن يوسف بن يعقوب بن اسمعيل
كما مر الازدي البغدادي كان من خيار القضاة جلالة وعلما وعقلا وذكا
وصلاحا وروي عنه وهو من الثقاة توفي سنة عشرين وثلاثمائة في رمضان
واما الحلاج فهو كما علمت الحسين بن منصور وقيل كان ابوه من مجوس فارس
والحلاج في اول امره صحب الجنيد والسري والمشايخ مع الزهد ولزوم العبادة

النامية ببغداد واختلف في امره فقيل انه ذهب في سياحته للهند وخراسان وتعلم
السحر واظهره في صورة الكرامات وافتتن به الناس وسكن بغداد وبنى بها دارا له
واتخذ بها املاكا كثيرة وصار يدعو الناس حتى شاع امره فوقع بينه وبين الشبلي وذاع م
وداود الظاهري والوزير علي بن عيسى لما شاع عنه من الاخبار بالمغيبات واظهار
الامور الخارقة فقيل انه ساحر ذو شعبذة ومخرقة وله معرفة بالطب والكيميا
وغير ذلك من علوم الحكما فقيل انه ادعى الالوهية واظهر الزندقة وكتب
عليه محضر بذلك فقتل واحرقت جثته في يوم الثلاثا لسبع بقين من ذي القعدة
سنة سبع وثلاثمائة بامر المقتدر بالله وحكي انه طلع المؤذن يؤذن فسمعه فقال
للمؤذن كذبت فاستفتي عليه فقالوا يرمى عنقه ويحرق فقال لاخته اذا انا
رمي عنقي وصلبت تجد بي بعد الحرق فالقي من رمادي على الدجلة ببغداد ثم
الفا فعلت ما قال لها فاشرفت بغداد على الغرق ولما ان رمي عنقه صارت
راسه تنط وتقول الله الله الله والناس ينظرون اليها وقيل انه قبل ذلك
وضع بالسجن فصور في حايط الحبس صورة مركب وقال للمحبوسين قوموا اذكروا
الله تعالى ثم الهم وفعلوا ذلك حتى غابوا عن الحس فاذا هو وهم دخلوا في
المركب المصورة ونجوا جميعا وقيل انه حفر حفرة واوقد فيها بالنار ووضع
فيها هاون ثم انه نفى كالجمر وقال لاهل المدينة وللاوليا كل من كان صادقا
فليتقدم ويقف على الهاون داخل النار فلم يقدر احد ثم انه تقدم ووقف
عليه فذاب تحت اقدامه حتى صار كالما وذهب كثير من المشايخ الى انه من اولياء
الله منهم الغزالي واعتذر عما صدر منه في كتاب مشكاة الانوار واورد ابن
الجوزي ترجمته بتاليف مستقل وصح عن الشبلي انه قال كنت انا والحلاج
شيا واحدا الا انه اظهر وكتمت وقد شهد بولايته كثير من كبار المشايخ وقالوا انه
عالم رباني منهم الشيخ عبد القادر الجيلاني وقال عثر الحلاج ولم يكن له من
ياخذ بيده ولو ادركت زمانه لاخذت بيده وقال ان قوله انا الحق انما قاله
لما غلب عليه شوقه وسكر من كاس محبته حتى غاب عن قدرته في كل شيء فكل شيء
راه ظنه قدحا وكل شخص راه ظنه الساقي وهو مقام الجمع عندهم لكن اهل
الشرع حفظوا حمى الشريعة ولذا اسكت عن حالة بعضهم وقال تلك امة
قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم والاعتقاد خير من الانتقاد والكف اسلم
قال الشاذلي اضطجعت في المسجد الاقصى في وسط الحرم فدخل خلق كثير
افواجا فقلت ما هذا الجمع قالوا اجتمع الانبيا والرسل قد حضروا ليشفعوا
في حسين الحلاج عند محمد عليه الصلاة والسلام في اساءة ادبه ووقعته منه
فنظرت الى التخت فاذا نبينا عليه الصلاة والسلام جالس عليه بانفراده
وجميع الانبيا على الارض جالسون مثل ابراهيم وموسى وعيسى ونوح
فوقفت انظر واسمع كلامهم فخاطب موسى محمدا فقال له انك قلت علما امتي
كانبيا بني اسرائيل فارني منهم واحدا فقال هذا واشار الى الغزالي فساله
موسى سؤالا فاجابه بعشرة اجوبة فاعترض عليه موسى بان السؤال ينبغي ان

بالبة الجواب والسؤال واحد والجواب عشرة فقال له الغزالي هذا الاعتراض وارد عليك
ايضا حين سئلت وما تلك بيمينك يا موسى وكان الجواب هي عصاي فعدد لها صفات
كثيرة قال فبينا انا متفكر في جلالة قدر محمد عليه السلام وكونه جالسا على التخت
بالزيادة والبقية على الارض اذ رفسني شخص برجله رفسة مزعجة فانتبهت فاذا القيم
يشعل قناديل الاقصى فقال لا تعجب فان الكل خلقوا من نوره فخرجت مغضبا
لما اقاموا الصلاة افقت وطلبت القيم فلم اجده الى يومي هذا ومن هنا قال صاحب
البردة • وانسب الى ذاته ما شئت من شرف • وانسب الى قدره ما شئت من عظم • كذا في
المحاضرات وكذلك اي كما حكموا في الحلاج حكموا في ابن ابي الغراقيد هو في بعض
النسخ بغين معجمة وراء مهملة والف بعدها قاف وياء مثناة تحتية ودال مهملة
وروي بزاي معجمة بدل الرا وبياء مثناة وبد ولها وقيل انه اصوب وقال
البرهان انه قيل ان صوابه ابن ابي العواقب والصواب الاول وانه جمع عزقلة
اوعزقد ومنه بقيع العزقد وهي مقبرة المدينة والعزقد شجر معروف والمذكور
هو محمد بن علي بن ابي العزاقر وكان شاع امره ببغداد وادعى الالوهية وانه
يحيي الموتى وادعى التناسخ والحلول فشاع وكثر اتباعه وضل به ناس كثير
فطلبه الراضي فهرب وغاب سنين ثم عاد فهجم عليه ابن مقلة وامسكه
فاثبت كفره وكتب عليه القضاة وافتوا بقتله فقتل واحرقت جثته في سنة
اثنين وعشرين وثلثمائة وتبعه على حاله المذكور ابن ابي عون صاحب كتاب
التشبيه فقتل معه وكان ابن ابي العزاقر يد على نحو مذهب الحلاج فيما
ادعاه مما نسب اليه وقد علمت ما فيه بعد هذا اي قتل الحلاج وصلبه
ايام الراضي بالله بن المقتدر بالله وله ترجمة تقدم لبعض منها قريبا
وقاضي قضاة بغداد اذ ذاك يومئذ ابو الحسين بن ابي عمر المالكي بن
يوسف بن يعقوب الازدي الذي تقدم ذكره قريبا وقال محمد بن عبد
الله بن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ بهمزة بدل الالف في الاكثر اي ادعى
النبوة قتل لما تقدم كما تقدم وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد
اي تعمد الكذب ونفى ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب خلقني فهو مرتد
فله حكم المرتد المشهور في كتب الفقه وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب المعروف
عند المالكية وفي كتاب محمد وفي العتبية ومحمد هو ابن سحنون او ابن المواز
فيمن تنبأ وادعى النبوة يستتاب تطلب توبته سواء اسر ذلك اي اخفاه او اعلنه
اي اظهره وهو كالمرتد في احكامه وقاله سحنون وغيره وقاله اصبغ في حق رجل
يهودي تنبأ وادعى انه رسول من الله ارسله الينا ان كان معلنا بذلك اي
مظهرا لما قاله استتيب فان تاب فذاك والا قتل لانه اظهر امرا غير
ما كوذب به وقال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد صاحب الرسالة المشهورة من
لعن باريه بهمزة تبدل ياء من برا الخلق اذا اوجدهم بغير مثال وادعى
ان لسانه زل اي اخطأ ولم يرد ان يقول ذلك وانما اراد ان يقول لـ
لعن الشيطان فلا يصدق بل يقتل بكفره ولا يقبل عذره بقوله ان

لساني زل خطأ لما علم من كذب اليهود وحيلهم وهذا على القول الاحزم من احد القولين في
مذهب مالك من انه لا تقبل توبته وفيما ذكره عن ابن ابي زيد من ان الخطأ وسبق
اللسان لا يقبل نظيرها في مسلم ان رجلا اراد ان يقول اللهم انت ربي وانا عبدك
فقال انت عبدي وانا ربك لدهشته وسبق لسانه اليه ولم يؤاخذ به ولا
شك ان مثله معفو فلعله لم تقم قرينة على مدعاه ولظهوره لم يبين جوابه فلا
يرد عليه اعتراض كما توهم فانه اجل من ان يخفى عليه مثله وقد تقدمت عرضي
هذه المسئلة في كلامه ولذا اختص لقائل بانه يهودي اذ المسلم لا يؤاخذ بمثله
وقال ابو الحسن القابسي الذي تقدمت ترجمته في سكران قال في حال سكره
انا الله انا الله فتكراره يدل على تعمده فيما قاله ان تاب عن مقالته وادعى عدم
تعمده ادب ببنا المجهول بضربه وزجره ونحوه مما يراه ولسكره وغيبة عقله
ومبادرته لم يقتل ولا وجه لما قيل انه مخالف لما قيل في الحلاج واضرابه كما دبجي
يخفى فان عاد الى مثل قوله انا الله مكررا طولب مطالبة الزنديق لانا لا نأمن
باطنه وخبث طويته لان هذا العود وتكراره كون ككون المتلاعبين بالدين
المستخفين المتهاونين كما هو داب الزنادقة الذين لا يدينون بدين اصلا
وهذا ابتناء على ما تقدم من انه تعامل معاملة الصاحي كما تقدم وهذا مذهب
مالك وعند غيره فيه خلاف مبسوط في كتب الفقه

## فصل وأما

من تكلم بشيء من سقط القول السقط بفتحتين الخطأ والامر الذي
لا يعتد به حتى يستحق ان يسقط ويطرح وبمعنى الفضيحة والوهم في
الكلام وسخف اللفظ السخف بضم فسكون بسين مهملة وخاء معجمة وقا
قلة العقل والمراد به ما ينشأ منه من الالفاظ السخيفة الركيكة من لم يضبط
كلامه واهمل لسانه اي اطلقه في الكلام فيتكلم من غير تدبر وفكر فيشبه بدابة
تهمل ولا تربط والاصل في الضبط انه بمعنى الامساك باليد والمراد به
انه لم يصن ولم يحفظ لسانه وهو من الكناية بما يقتضي الاستخفاف اي
الاهانة والتحقير من غير مبالاة واصله عد الشيء خفيفا فعبر به عما ذكر
وهو متعلق بتكلم او باهمل بمعنى اطلق بعظمة ربه والشيء العظيم لا يكون
خفيفا فهو هنا في موقع حسن اي ما قدر الله حق قدره حيث استخف بمن
هو اعظم من كل عظيم فهو سخف وحماقة وجلالة مولاه اي سيده والعبد
الذليل اذا استخف بسيده الجليل حقيق بكل تذليل او تمثل مضارع مثل
المشدد لبعض مفعوله وفي نسخة تمثل بمثناة ما من الاشياء اي الامور
غير ذات الله وصفاته ببعض ما عظم الله من ملكوته تقدم ان الملكوت
مبالغة في الملك ويراد به عالم الامر وهو ما كان مغيبا عنا من الملائكة
والسموات والعرش ونحو اي جعله مثله كان يشبه نفسه وحاله بجبريل
او عد واله بملك الموت ونحو مما يدل على سخافة عقله ودينه او تقول

فقص

لمن الملك كعبة يطوف بها اونزع بنون وزاي معجمة مفتوحة وعين مهملة اي اخذ
وذهب في وصفه من الكلام لمخلوق مما لا يليق اي لا يحق ولا يناسب الا في حق خالقه
بان يقول ياذا الجلال والاكرام ونحوه كفر وجل غير قاصد بما قاله للكفر والاستخفاف
اي الاهانة ولا عامد اي متعمد للالحاد اي الميل عن الحق او الشرك بالله فانه
احد معانيه كما في الغريبين واصل معناه الميل فانما صدر عنه لجهالته وخفة
عقله فان تكرر هذا القول منه وعرف به اي اشتهر بين الناس قوله لمثله دل
تكرر صدوره منه على تلاعبه بدينه اي عدم مبالاته به كاللعب واللهو فان
من تقيد بدينه لا يقدم على مثله واستخفافه بحرمة ربه اي ما يلزمه احترامه
وصيانته ودل ايضا على جهله بعظيم عزته وكبريائه هو بالمد بمعنى غاية
العظمة في شانه سبحانه وتعالى اي تنزه وعلا جناب عزته عن مخلوقاته وهذا
المذكور كفر لا مرية فيه اي لا شك في كونه كفرا وتقدم ان ميمه مكسورة وتضم
وكذلك يكفر ان كان ما اورده مما صدر عنه يوجب وفي نسخة يقتضي الاستخفاف
والاهانة وتجريه اي تجاسره على عظيم عزته والتنقص لربه اي التنقيص
لكماله باهانته وقد افتى عبد الملك بن حبيب وقد تقدم من ترجمته واصبغ
ابن خليل ابو القاسم من فقهاء قرطبة ذكره الذهبي في الميزان وقال انه كان
يتهم بالكذب توفي سنة ثلاث وسبعين وقيل سنة ست وخمسين ومائتين
بقتل الرجل المعروف بابن اخي عجب ويروى اخت عجب بفتحتين علم زوجة عبد
الرحمن الاموي امير قرطبة ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث المعنوي
وهي عمة الرجل المذكور كما ياتي وكان هذا الرجل خرج يوما من منزله
فاخذه المطر اي وقع عليه بشدة حتى كاد ان اخذه وعاقه عن مقصده
فقال بدا بهمزة اخره اي شرع وابتدا الخراز بفتح الخا المعجمة والتشديد
للرا المهملة والف وزاي معجمة من الخرز وهو ثقب الجلود للخياطة
كالخفاف والقرب وهي تبل ويرش عليها الما عند خرزها لتلين يرش
جلوده جمع جلد وهو معروف ويرش مضارع غايب من رشه يرشه اذا
بله بالما ويروى يرش بالجر فشبه اديم السما بجلد واه يخاط حتى يمسك
الما فكان المطر نزل عليه من قربة بالية تترقع وفيه سخافة لا تخفى فاراد
بالخراز في نجوم السموات او ملكا يكتبه وعلى كل حال فهو تلاعب وكان بعض الفقها
بها اي بقرطبة في ذلك الزمن ابو زيد صاحب الثمانية بوزن العدد
المعروف وقيل انه ضبط بضم المثلثة وميم والف ونون مكسورة بعدها
يا مشددة ولم تعرف وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا
اي لم يحكموا او احجموا عن سفك دمه اي قتله لعدم ما يقتضيه لانه
لم يصرح باسم الله وانما شبه السحاب بشي بال ومثله لا يعقل كفرا واشاروا
اي قالوا برايهم فيه الى انه اي ما قاله عبث من القول اي كلام لا معنى
له يعتد به كفرا لمن اعتاد الهزل والعبث بما لا يفيد يكفي فيه الادب
اي التاديب والتعزير دون القتل ووافقهم مثله اي انه عبث يودب قايله

القاضي حينئذ اي حين اذ وقعت هذه القصة وهو موسى بن زياد قاضي قرطبة
فقال ابن حبيب دمه في عنقي اي انا احكم بقتله واراقة دمه فان كان فيه
وزر فقتلته وعلي وزره وجزاؤه في الدنيا والاخرة والعنق عضو معروف
ويقال اثم كذا في عنقه اذا لزمه كما قال تعالى الزمناه طائره في عنقه فهو
كناية او استعارة ايشتم ببنا المجهول لرب نايب فاعله وجعله شتما بنا على انه
اراد بالرب الله عز وجل عبد ناده كناية عن عظمته وانه اهل للعبادة
والخضوع فكيف يشتم ثم لا ننتصر له اي نغار لما يخالف حقه وما يجب له انا
اذن اي اذا لم ننتصر لعبيد سوء اذ لم يقوموا بحق سيدهم وربهم وما كان
له بعابدين لحق عبادته لرضانا بما قيل فيه وبكى لغيرته وخوفه من الله
ورفع المجلس اي ذكر واعلم بهذه الواقعة اي خبره وما وقع فيه فاطلع عليه
كقوله واسنب نجدك يا طيب المجلس الى الامير بالاندلس وحاكمها عبد
الرحمن بن عبد الحكم الاموي بضم الهمزة وفتحها نسبة لامية وهو اي عبد الرحمن
ابن الحكم بن هشام صاحب الاندلس وكان غازيا منقبا مجاهدا توفي في سنة ثمان
وثلاثين ومائتين وعمره سنون وذكروا ان عبد الملك مفتي الاندلس وعالمها
صاحب الواضحة في مذهب مالك توفي في تلك السنة ايضا وكان اخذ عن اصحاب
مالك وكانت عجباء اي المراة المذكورة عمة هذا الرجل المطلوب بما قاله وقيل
خالته من حظاياه اي من زوجات عبد الرحمن امير الاندلس جمع حظية
كهدية وهي المراة التي تحظى عند زوجها اي تتقرب وتكرم لشدة محبته لها
وذكره اشارة الى شدة دين الامير وورعه اذ لم يسامح الاقربا والتابع لها
مع شدة محبته لها وقرب الرجل منها واعلم الامير وهو مبني للمجهول باختلاف
الفقها في قتله فخرج الاذن لشرطته ونوابه بالاخذ بقول ابن حبيب في قتله
وصاحبه اصبغ بن خليل فقتل وصلب بحضرة الفقيهين ابن حبيب واصبغ
ابن خليل وعزل القاضي موسى بن زياد الذي قال يؤدب لتهمته بالمداهنة
في هذه القصة المذكورة اي المسامحة في حدود الله لقرب الرجل من حظية
الامير مع انه قول وتقدم انه يستتاب في قول آخر رجحه بعض الشراح
هنا وتقدم الفرق بين المداهنة والمداراة فان الاولى مذمومة والثانية
ممدوحة ان المداهنة استحسان ما لا يجوز لغرض فاسد والمداراة معاملة
بعض الناس بلين ورفق حتى يدفع به الضرر او يحصل به نفع ديني باعتبار
وان كان الظاهر يخالفه ووبخ بقية الفقها وشتمهم لعدم حكمهم بقتله
وهذا حكم من عرف بذلك وتكرر وقوعه منه واما من صدرت عنه من
ذلك القول الدال على الاستخفاف اي وجدت ووقعت منه الهنة الواحدة
اي قباحة وقعت منه نادرا يقال فيه هنة وهناه وهنوات خصال سوء
قال لبيد

اكرمت عرضي ان ينال بنجوة ۝ ان البري من الهنات سعيد

كذا في الاساس وفيه كلام في كتب اللغة والنحو وقد تقدم الكلام على شي

منه

منه في اول الباب الاول من القسم الرابع والفلتة هي الامر الذي يقع بغتة من غير تدبر
وروية تضم وتفتح والثاني اعلى واصح الشاردة من شردت البهيمة اذا ندت من
مالكها فاستعارها للزلة الصادرة بغتة والنادرة المفردة التي لا تتكرر فكانها شاردة
وليس معناها السائرة من قولهم قافية شاردة اي سائرة في البلاد لانها اذا سارت
اشتهرت وانتشرت ما لم تكن تنقصا وازدراء اي اهانة وتنقيصا فيعاقب عليها
ويؤدب بزجر وتعزير دون قتل بقدر مقتضاها اي بحسب ما تقتضيه وشنعة
اي قباحة معناها وصورة حال قائلها بحسب ما يليق بحاله وشرح سببها فانه
بمعرفة سببها الباعث عليها يعلم مراد من صدرت عنه ومقارنها من احوال قايلها
المدونة بانه يستحق مقدارا من توبيخ او ضرب وجيع او حبس مديد لانه تعزير
تتفاوت مراتبه بحسب ما جنيه بخلاف الحدود كما بينه الفقها وقد سئل ابن القاسم
رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه نحو يا زيد ويا عمرو فاجابه بقوله لبيك اللهم
لبيك فقوله اللهم بمعنى يا الله في جواب من ناداه باسمه ومعنى لبيك المثنى
اجابة بعد اجابة من لب والب بمعنى اقام بمكان وتفصيله مشهور غني عن ذكره
هنا فقال ابن القاسم ان كان جاهلا بمعناه او قاله على وجه سفه اي خفة وطيش
من غير تامل وفكر فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف في تفسيره
وشرح قوله لا شيء عليه معناه انه لا قتل يترتب عليه فيما صدر منه ثم بين ما
يستحقه اذا لم يقتل فقال والجاهل يزجر حتى ينتهي عما قاله ويعلم ما جهله
والسفيه الذي لا ينضبط لسانه لخفته يؤدب بضرب وحبس ونحوه واعلم ان
المراد بالسفيه هنا من في عقله خفة ونقص لا الذي عرفه الفقها بالمبذر
ولو قالها اي قال لبيك اللهم لبيك لمن ناداه باسمه على اعتقاد انزاله اي
مناديه منزلة ربه تعالى بجعله الها لكفر ووجهه ظاهر هذا الذي قلته
مقتضى قوله اي قول ابن القاسم في هذه المسئلة وهذا هو الحكم في ما ذكر عند
المالكية وغيرهم خالفهم فيها وقال لا يعذر الا قريب عهد باسلام او صغير كذا
قيل وقد ينزل عليه كلام المصنف فتدبر وقد اسرف كثير اي تجاوز الحد في
قباحته وترك ادبه وهو مستعار هنا من اسراف المال لاسراف المقال من
سخفا الشعرا اي من سخف عقله وقل دينه كالمعري في ديوانه الكبير كما يعرفه
من راه ومنهم من هو متهم وهو من اتهم بالزندقة والالحاد كابن عون
في هذا الباب اي ذكر رتبة العزة بما لا يليق به واستخفوا عظيم هذه الحرمة
اي احترام الله واجلاله اي عدوه خفيفا هينا لا يبالى به فاتوا في اشعارهم
من ذلك النوع بما ننزه اي نصون كتابنا هذا عنه فانه ذا لا شغاله ه
ولساننا واقلامنا عن ذكره وكتابته فعنه اكتفا وذلك لقبحه فلا يسود
به وجه قرطاس ثم اجاب عن ذكره لبعض الالفاظ التي فيها سب لله ولرسوله
صلى الله عليه وسلم كما تقدم فقال ولولا ان قصدنا نص مسائل حكيناها
عن الايمة في كتبهم ودمنا بالمدونة وفي نسخة قصدنا بالقاف والاولى احسن
لما ذكرنا شيئا مما يثقل بالمثلثة ذكره علينا اي يعد ثقيلا للسنة قباحته

لما فيه من الازرا بمقام الربوبية والنبوة مما حكيناه في هذه الفصول التي تقدمت
واما ما ورد في مثل هذا الامر الثقيل من اهل الجهالة اي جهلة الاعراب واهل
البادية الذين لا يعرفون الله ورسوله حق معرفته ولا يعرفون امر الدين
والشريعة لعدم مخالطة اهل الاسلام لجفاهم وغلظ طباعهم واغاليط
اللسان اي الذين اعتادت انفسهم الغلط في وصفهم لله ورسوله وهو جمع
اغلوطة كاعجوبة وهو الغلط الفاحش الذي ينفر عنه الطباع السليمة
كقول بعض الاعراب جمع اعرابي وهو من يسكن البادية من العرب وكان قاله
في سنة مجدبة

رب العباد ما لنا وما لكا ۰ قد كنت تسقينا فما بدا لكا
انزل علينا الغيث لا ابا لكا ۰ في اشباه لهذا من كلام الجهال رب العباد

منادي مضاف منصوب اي يا رب العباد وحرف النداء محذوف وهو جائز كثير
والعباد جمع عبد كالعبيد وقيل ان الاول في القران للمؤمنين والثاني للكفار
بالاستقرا والعباد دائما لله والعبيد له ولغيره ولا يختص بغيره كما قيل
وقوله ما لنا وما لكا استفهام والف لكا اطلاق بزيادة مطردة في الشعر
اي اي شيء كان لك واي شان من شؤونك اقتضى منع ما دعوتنا من احسانك
وبين هذا بقوله قد كنت تسقينا الخ اي عودتنا بانعامك وانزال المطر فما
سبب تغير الحال وتسقينا بفتح تا المضارعة ومنها يقال سقاه
واسقاه بمعنى وقيل سقاه اعطاه الما واسقاه دل عليه وقوله
فما بدا لك بمعنى ما ظهر لك منا حتى غضبت علينا ومنعت عوايد
فضلك يقال هذا في السؤال ثم جعل عبارة عن تغير الراي والرجوع
عنه والندامة عليه كقوله

ولو انني استرت في القلب توبة ۰ وابصرت هذا في المنام بدا لي

ومنه البدا الذي قاله اليهود وهو لا يجوز على الله فان كان قصد هذا
وكان الاستفهام فيه وفيما قبله انكاري فهو تجهل منه والسؤال من
اصله منكر فانه تعالى لا يسال عما يفعل وما لي وما لك تستعمله الناس
في التبري ويقوله القوي للضعيف وانزل امر والمراد به الدعا والغيث
المطر الا ان الاول يختص بالخير لانه يغاث به الناس وقوله لا ابا لك جا
في كلامهم كثيرا للمدح والذم واصله دعا وهو على خلاف القياس لاعرابه
بالحرف وشرطه وقياسه لا اب لك وقد سمع منه لا اباك ولا ابك ايضا
وخرج الاول على ان اللام اقحمت بين المضاف والمضاف اليه فاذا امدح
به فمعناه انت شريف بنفسك من غير حاجة لانتساب وقد روي ان
سليمان بن عبد الملك لما سمع هذا حمله على محمل حسن فقال اشهد ان الله
لا اب له ولا صاحبة ولا والد ولا ولد وهذا الذي قاله الاعرابي على
عادتهم في مخاطباتهم ولم يقصد ظاهره ان كان مسلما فان لم يعرف
حاله وقريب منه قول ابن رواحة رضي الله عنه فاغفر فدا لك ما اقتفينا

فان

فان العبد لا يستحق في حق الله والكلام ثم عند العيب وهذا خطاب لمن معه كما
يقال في كلام ابن رواحة ويقال لا ابا لك للتعجب كما يقال للمدح والذم ومنه كلام
في كتب النحو وقيل انه مبني على الفتح والفه اشباع اجرا للوصل مجرى الوقف وليس
هذا محل تفصيله والحاصل انه خاطب الله بما لا يليق به مما هو بحسب ما هو كفر لكنه
ناش من غلظ طبعه وجاهليته ان كان مسلما فان كان كافرا فحاله معلوم وجهال
جمع جاهل ومن كلام من لم يقومه اي يجعله مستقيما ثقاف بكسر المثلثة وقاف
والف وقاف والثقاف في الاصل تقويم الرماح والخشب المعوج بالنار ونحوها يقال
رمح مثقف ثم استعمل في غيره مجازا كقوله
• عمرت من الليالي الى صعدة لم يقوم دواها عض الثقاف •
فاستعير لما يقومها ولما يقيم الانسان من تاديب الشريعة والعلم اي تاديبه
بتعليمه وارشاده لما يجب عليه ومنه قول عايشة في ابيها رضي الله عنهما اقام اود
ثقافه اي اصلح امور المسلمين تدبيره في هذا الباب اي باب السخافة والتهاون في
الامور المتعلقة بالله والاول السب بقوله فقل ما يصدر هذا الكلام السخيف
الا من جاهل بمقام الربوبية وقل ما فيهما كافة ولذا دخلت على الفعل وهي على اصلها
او بمعنى النفي ومنه كلام مشهور فيعذر بجهله لقرب عهده بالاسلام وكونه
من اهل البوادي الذين لم يخالطوا المسلمين فيجب تعليمه ما يجب عليه وزجره
والاغلاظ له بتوبيخه اشد توبيخ عن العود لمثله اي لينتهي عنه فان لم ينته
بعد التعليم قتل قال ابو سليمان الخطابي وهذا الكلام الصادر عن السخفا
تهور من القول التهور مجاوزة الحد بالوقوع من غير مبالاة في منكر عظيم
من قولهم هار البنا اذا سقط وانهار قال تعالى فانهار به في نار جهنم والله
جل جلاله منزه عن هذه الامور السخيفة التي تقدم ذكرها وقد روينا عن
عون بن عبد الله بن عتبة الهذلي الكوفي الزاهد الفقيه المحدث التابعي
توفي في حدود العشرين ومائة انه قال ليعظم بلام الامر المكسورة احدكم
ربه فينزهه عن ان يذكر اسمه في كل شيء يذكره مقترنا به حتى يقول اخزى
الله الكلب وفعل به اي بالكلب كذا من قتل ونحوه فان اقتران اسمه بمثل
المحقرات لا يليق وان كان ذلك بحسب المعنى صحيحا وكذا اسم النبي صلى الله عليه وسلم
كقول العامة ذلك في بيع امور حقيرة كما نبه عليه بعض الفقها قال وكان عادة
بعض من ادركنا من مشايخنا المالكية بالمغرب قلما يذكر اسم الله تعالى في شيء
من الاشيا التي لم يذكرها الا فيما يتصل بطاعته من امور الدين والشريعة والعبا
ولذا لم يضيفوا اليه الشر والقبايح وخلق المحقرات تادبا وان كان داخلا في الكلام
فلا يقال خالق الكلاب والقاذورات كما صرحوا به وكان الشبلي ينشد اذا سئل
عن هذا او ينشد • ويقبح من سواك الفعل عندي وتفعله فيحسن منك ذاكا •
وكان بعض مشايخه يقول للانسان اذا دعا له جزيت بالبنا للمجهول خيرا دون جزاك
الله خيرا صونا لاسم الله عن الابتذال كما بين ذلك بقوله وقلما يقول جزاك الله خيرا
مصرحا باسم الله تعالى اعظاما لاسمه تعالى عن ذكره في غير طاعة كالصلاة والاوراد

والذكر ان يمتهن افتعال من المهانة وهي الابتذال والحقارة وعد كثرة ذكره حقارة في غير
قربة اي في غير ما يتقرب به الى الله من عبادته كما تقدم والدعا للمسلمين وان كان عبادة
لكنه ليس من الطاعات التي فيها تعظيم لله وتعظيم لذكره وفيه اسمه المقدس في الدعا
يكفي في وجوده وكونه عبادة فلا يرد عليه ما قيل ان الدعا للمؤمن على خير فعله
طاعة مندوبة لقوله تعالى هل جزا الاحسان الا الاحسان والقربة اخص من الطاعة
فذكر الله في الدعا وان كان فيه تعظيم له ايضا الا ان ذكره في الصلاة ونحوها اكثر
تعظيما الا انه لا يخلو من شيء ولذا قيل انه مخالف للسنة المأثورة من الشروع
باسمه تعالى في الدعا وفي الايمان وقوله في الشروع في الافعال وعقب الطعام
والشرب الحمد لله فكيف يستدل لفعل بعض مشايخه على ما يخالف السنة فتدبر
وحدثنا الثقة اي الموثوق به وهذا توثيق لمجهول فلا فائدة فيه وقيل ان
تعريفه للعهد وانظر للامام ابي بكر بن العربي وسيبويه في كتابه يقول قال
لي الثقة يعني ابا زيد وما ذكره عمن يأتي ليس حديثا نبويا يقدح فيه جهل
راويه وتقدم في استعمال لفظ الثقة تفصيل للشافعي رضي الله عنه
ان الامام ابا بكر الشاشي هو وحيد دهره الامام ابو بكر محمد بن علي بن اسماعيل
القفال الشاشي نسبة لشاش مدينة فيما ورا النهر وهو امام عظيم له
تاليفات جليلة وهو عمدة في مذهبه واختلف في وفاته فقيل سنة ست
وستين وثلاثمائة وقيل سنة ست وثلاثين وقيل انه كان في اول امره
معتزليا ثم رجع عن الاعتزال كان يعيب على اهل الكلام وهو علم اصول
الدين كثرة خوضهم فيه تعالى اي في البحث عن ذات الله تعالى اي يعده
عيبا اي ينهى عنه ومر ان اصل معنى الخوض الشروع في دخول الماء ثم
استعير للشروع في الامور ويقال تخاوضوا في الحديث اذا تفاوضوا فيه
واكثر ما ورد في القران فيما يذم شرعا وفي ذكر صفاته اي ذكر حقيقة
صفات الله تعالى والبحث عنها اجلالا لاسمه تعالى ولقوله هؤلاء الباحثون
عن ذات الله وصفاته يتمندلون بالله عز وجل تفعل من المنديل
وهو خرقة يمسح بها الايدي وجمعه مناديل ومنه اشتق فعل فيقال
تندل وتمندل وانكر بعضهم الثانية وقال انها مولدة غير فصيحة
وهو هنا استعارة للابتذال والامتهان وقد يقال ان مراده ذكر ما لا
حاجة اليه من المباحث الكلامية والا فكيف ينكر علم الكلام وقد قال
صلى الله عليه وسلم ستفترق امتي ثلاثا وسبعين فرقة
فهذه الفرقة الضالة لها اعتقادات باطلة قد ينظمون ويذكرون لها ادلة فمقابلتهم وابطال ادلتهم واجب فكيف يمنع
منه مطلقا فكلام المصنف ليس على اطلاقه وقد يقال ان في قوله
يتمندلون التقييد له فافهمه ويرد الكلام في هذا الباب الذي
وقع فيه مثل ما تقدم في حق الله عز وجل تنزيله في باب سب
النبي صلى الله عليه وسلم فيجعل احكام هذا كاحكامه على الوجوه

ابن اقبرس

عرضي

التابعة في المسايل التي فصلناها في هذا الكتاب كما تقدم والله الموفق للصواب

# فصل وحكم

من سب سائر انبيا الله تعالى عز وجل وملايكته او استخف بهم اي ذكر ما فيه
تحقيرا واهانة لهم او كذبهم اي نسبهم الى الكذب فيما اتوا به عن الله من وحيه
او انكرهم اي اعتقد عدم وجودهم او انكر وجود النبوة والرسالة او جحدهم اي
انكر وجودهم عنادا مع علمه به كبعض اليهود والنصارى حكم من سب نبينا صلى الله
عليه وسلم وقد تقدم تفصيله وحكم الاول مبتدا وهذا احنبه على ساقا اي على
الحكم الذي سقناه على تفصيل ما قدمناه عن ايمة الدين في هذا الكتاب كما سمعته
ثم استدل على ان حكم سائر الانبيا لحكم نبينا فقال قال الله تعالى عز وجل في كتابه
الكريم ان الذين يكفرون بالله ورسله من رسل البشر ورسل الملايكة ويريدون ان
يفرقوا بين الله ورسله ايمانا وكفرا لقوله ويقولون نومن ببعض منهم ونكفر
ببعض كاليهود كفروا بعيسى ومحمد والانجيل والقران والنصارى كفروا بمحمد
والقران الاية اي اذكر الاية او اقراها الى اخرها يعني ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا اوليك هم الكافرون حقا فهذه الاية وما بعدها تدل على
ان الايمان لا يكون ايمانا مخلصا من الخلود في النار الا اذا امنوا بالله عز وجل
وبجميع رسله وكتبه وما جاءهم من الوحي من عند الله فمن امن ببعض وكفر
ببعض كمن لم يومن بشيء اصلا وقال تعالى عز وجل قولوا امنا بالله
وما انزل الينا من القران وغيره من الاحكام وما انزل الى ابراهيم من الصحف
وغيرها الاية من قوله واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي
موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم وقال كل
امن بالله وملايكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله فهذه الاية مرجحة
فيما قاله قال مالك في كتاب عبد الملك بن حبيب ومحمد بن سحنون وقال ابن
القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون تقدم من اجمع
هولا فيمن شتم الانبيا او احدا منهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
او تنقصه اي نسب احدا منهم لشيء من النقص بما لا يليق به قتل ولم
يستتب فان تاب لم تنفعه توبته لان حده القتل ومن سبهم اي الانبيا
او احدا منهم من اهل الذمة كاليهود والنصارى قتل الا ان يسلم فلا يقتل
لان الاسلام يجب ما قبله وفيه تالف لغيره وروى سحنون عن ابن القاسم من
سب الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من اليهود والنصارى بغير
الوجه الذي به كفر ككون المسيح ابن الله والعزير ابن الله ضربت عنقه ولا
يستتاب لانه لم يعاهد عليه الا ان يسلم طوعا منه كما قيده به في المسولة
وقد تقدم الخلاف بين ايمة الدين في هذا الاصل اي من سب الله بغير الوجه
الذي به كفر هل يستتاب ام لا وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان
في بعض اجوبته عن هذه المسالة من سب الله تعالى عز وجل وملايكته

قتل لجراته على الله وملايكته وقال سحنون من شتم ملكا من الملايكة فعليه القتل
لانهم عباد مكرمون بررة مبرؤون من النقايص وفي كتاب النوادر لابن ابي زيد
رحمه الله عن مالك بن انس فيمن قال ان جبريل عليه الصلاة والسلام
اخطا بالوحي الذي اتى به لمحمد صلى الله عليه وسلم فوضعه في غير محله وقال
انما النبي الذي امر جبريل عليه الصلاة والسلام بانزال الوحي عليه علي بن ابي
طالب كرم الله وجهه لا محمد صلى الله عليه وسلم استتيب اي عرضت عليه
التوبة عما قاله فان تاب لم يقتل والا اي ان لم يتب قتل لكذبه على جبريل
ونسبته للخطا وهو لا يفعل الا ما يومر به ونحوه عن سحنون اي مثل ما في النوادر
روي عن سحنون وهذا اي نسبة الخطا لجبريل قول الغرابية هم طايفة من
الرافضة قالوا علي اشبه بمحمد من الغراب بالغراب كما بينه بقوله من الروافض
سموا بذلك اي بالغرابية لقولهم كان النبي صلى الله عليه وسلم اشبه بعلي
اي اشد شبها من الغراب بالغراب والذباب بالذباب فلذا اغلط جبريل عليه الصلاة
والسلام في تبليغ رسالة علي الى محمد صلى الله عليه وسلم ويسمون جبريل
ذا الريش قيل وهذا مقيد بغير اليهود فانهم صرحوا بعداوة جبريل كما رواه
الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم ان اليهود قالوا له لكل نبي من الانبيا ملك
ياتيه برسالة ربه فمن صاحبك حتى نتبعك قال جبريل فقالوا هو ينزل بالحروب
والقتال وهو عدونا فلو قلت ميكايل الذي ياتي بالقطر والرحمة اتبعناك
فانزل الله قل من كان عدوا لجبريل الاية وقال ابو حنيفة واصحابه ممن
هو على مذهبه لمحمد وغيره بنا على اصلهم اي قاعدة مذهبهم من كذب باحد
من الانبيا اي قال بانه كذب لا اصل له وجحده او تنقص احدا منهم اي نسب
له ما فيه نقص له او برى منه اي من محبته والايمان به او يشك في شي من ذلك
فقال لا احققه فهو مرتد فحكمه حكم المرتد في مذهبه وقد تقدم وقال
ابو الحسن القابسي الذي قدمنا ترجمته في الرجل الذي قال لاخر ممن يكرهه
كانه اي كان وجهه وجه مالك خازن النار الغضبان الذي يظهر الغضب
والعبوس وانما تشبيهه به في لزوم الغضب وهذا التخيل فاسد والا فهو
منشرح للقيام بما امر الله به وقيل انه اطلق اسم البعض على الكل مبالغة
لو عرف من حال القايل انه قصد ذم الملك قتل فان لم يعلم ذلك لم يقتل
لتصوره ان غضبه امتثالا لا امر به في معاملة اهل جهنم بذلك كالسجان
المشدد على من في سجنه بامر الملك وهذا مذهب مالك وابي حنيفة
واما عند الشافعي ففيه خلاف في كتبهم قال القاضي ابو الفضل عياض
مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه وهذا كله اي ما ذكر في هذه المسايل
فيمن تكلم فيهم اي في الانبيا والملايكة بما قلناه مما تقدم ذكره على
جملة الملايكة والنبيين اي بحسبهم لا جميعهم او تكلم بما قلناه على واحد
معين منهم ممن حققنا اي بينا واثبتنا فيما تقدم كونه من الملايكة
والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه بذكره باسمه صريحا في القران او حققنا

عليه

عوريض

دجي

علمه بانه منهم بالخبر المتواتر الذي لا يقبل الكذب والاجماع القاطع بوجوده والخبر
المشهور المتفق عليه ممن يعتد به من رواة الحديث وعلما الدين وفي نسخة المشهور وهو
ما رواه جمع كثير لم يبلغوا حد التواتر كجبريل وميكائيل هما من رسل الملائكة وايل اسم
من اسما الله بالعبرانية ومعنى جبريل عبد الله فجبريل موكل بالوحي وتبليغ اسرار
الملكوت وميكائيل موكل بالامطار والارزاق كما مر واحوال الملائكة فصلها السيوطي
في كتاب مستقل سماه الحبائك في اخبار الملائك وهو كتاب جليل ومالك اسم الملك
الموكل بالنار وهو ثابت بالتواتر وخزنة الجنة كحافظ وحفظة وزنا ومعنى وهم الملائكة
الموكلون بحفظ الجنة واهلها وخزنة جهنم والزبانية وحملة العرش وهذا انما علم
بنص القران والتواتر اما جبريل وميكائيل فملكان عظيمان مشهوران وفي حديث رواه
الحاكم وزيري من اهل السما جبريل وميكائيل ومن اهل الارض ابو بكر وعمر ومالك
خازن النار ذكره الله في قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وخزنة الجنة ورد
ذكرهم في احاديث كثيرة وخزنة جهنم ذكرهم الله تعالى في قوله عليها ملائكة
غلاظ شداد وهم تسعة عشر قال تعالى عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب
النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وقال القرطبي التسعة عشر
رؤساهم وعدة الخزنة لا يعلمها الا الله وجهنم علم لدار العذاب ممنوع من
الصرف للعلمية والتانيث والزبانية ملائكة العذاب ورد في الحديث راس احدهم
في السما ورجله في الارض وهم اعظم الناس خلقا واشدهم من زبنه اذا دفعه لانهم
يدفعون الكفار بارجلهم وواحدهم زبنية كعفرية او زبني كحبي وقال قتادة
هم الشرط في كلام العرب وحملة العرش جمع حامل كخزنة وهم ثمانية قال تعالى
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وورد في صفتهم وتسبيحهم احاديث
كثيرة ولم يسم منهم غير اسرافيل المذكورين باسمايهم في القران من الملائكة الذين
تقدم ذكرهم وذكر الايات التي فيها اسما الملائكة وفيه ملائكة كثيرة ذكروا بصفاتهم
دون اعلامهم ومن سمي فيه اي في القران من الانبيا كادم ونوح وابراهيم وغيرهم ٥
وكعزرائيل وهو ملك الموت ولم يذكر في القران باسمه وذكر فيه ملك الموت واسرافيل
لم يصرح باسمه في القران وذكر بصفته ورضوان بكسر الرا وضمها وبهما قرئ في القران
ومنه نقل علم خازن الجنة سمي به لانه خازن محل الرضوان وروى ابن عساكر
وغيره في اسباب النزول ان المشركين لما عيروا النبي صلى الله عليه وسلم بالفاقة
وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام الاية حزن لذلك فنزل عليه جبريل
وقال ربك يقريك السلام ويقول لك وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق فبينما هو ومعه اذ ذاب من حوفه
فعاد فتح باب من ابواب السما لم يفتح قبل ثم عاد لحاله وقال له ابشر هذا
رضوان خازن الجنان فسلم رضوان عليه ومعه سفط من نور يتلالا فقال
يا محمد ربك يقريك السلام ويقول لك هذه مفاتيح خزائن الدنيا ان شئت
خذها ولا ينقص لك مما قدر منها مقدار جناح بعوضة فنظر جبريل كالمستشير له
فقال له تواضع لله فقال يا رضوان لا حاجة لي بها فقال له اصبت اصاب الله بك

ويروون ان رضوان نزل بهذه الاية تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري
من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا وفيه ان من الايات ما نزل به غير جبريل من الملائكة
وهي فائدة غريبة والحفظة بزنة كتبة جمع حافظ وهم الكرام الكاتبون قال تعالى
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وايات اخر وهما ملكان احدهما يكتب
الحسنات والاخر يكتب السيئات وروي انه وكل بالانسان خمسة ملكان بالليل وملكان بالنهار
واخر لا يفارقه ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر فيسألهم الله كيف تركتم عبادي فيقولو
تركناهم يصلون واخرج الطبراني من طريق كنانة العدوي ان عثمان رضي الله عنه
سال النبي صلى الله عليه وسلم عن عدد الملائكة الموكلين بالادمي فقال لكل ادمي
عشرة بالليل وعشرة بالنهار واحد عن يمينه واخر عن شماله واثنان من بين يديه
ومن خلفه واثنان على جنبيه واخر قابض على ناصيته فان تواضع رفعه وان تكبر
وضعه واثنان على شفتيه ليس يحفظان عليه الا الصلاة على محمد والعاشر يحرسه
من الحية ان تدخل فاه يعني اذا نام والاحاديث في ذلك كثيرة استوفاها الجلال
السيوطي في كتبه فجزاه الله خيرا ومنكر بضم الميم وفتح الكاف وكسرها خطا ونكير
بفتح النون وكسر الكاف وهما ملكا السؤال اللذان ياتيان الميت ليسالاه في قبره
كما ورد في الصحيح حديث وقال السيوطي ان حديث ملكي السؤال متواتر وذكر من رواه
وطرقه وذكر بعضهم ان اللذين ياتيان المؤمن يسميان مبشرا وبشيرا وذكر القرطبي
انه روي ان السائل ملك وان السؤال قبل انصراف الناس وهو معارض لما روي
انهما ملكان وسؤالهما بعد انصراف الناس وجمع بينهما بانه باعتبار الاشخاص
فمنهم من ياتيه اثنان ومنهم من ياتيه واحد ومنهم من يسال والناس عند قبره
ثبته لا يستوحش ومنهم من هو بخلافه اوهما اثنان والسائل له احدهما
قال السيوطي وهو الصواب فان ذكر الملكين هو الوارد في غالب الاحاديث وله
في هذين الملكين تاليف مستقل فيه فوائد جمة لا يستغني عنها طالب علم ذلك
من الملائكة المتفق بين المحدثين على قبول الخبر بهما مما ورد في كتب السنة المعتمد
عليها فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه باسمه معينا ولا وقع الاجماع من الامة على
كونه من الملائكة او لم يقع الاجماع على كونه من الانبيا والمرسلين كهاروت وماروت
في الملائكة وهما علميان اعجميان وقيل انهما مشتقان من الهرت والمرت وهو
المغارة والاول اصح لمنع الصرف واختلف هل هما ملكان بفتح اللام او بكسرها
سميا ملكين لحسن صورتهما وسيرتهما فلا تنافي بين القراءتين والجمع بغيره
اقرب وفي الحديث اشرفت الملائكة على الارض فراوا بني ادم يعصون فقالوا
ما اجهل هؤلاء بعظمتك يا رب فقال الله لهم لو كنتم مثلهم عصيتم فقالوا
كيف هذا ونحن لا نفتر عن عبادتك فقال اختاروا ملكين فاختاروا هاروت
وماروت فركب فيهما شهوة بني ادم واهبطهما الى الارض ومثلت لهما
الزهرة امراة حسنا فعشقاها ولم يزالا حتى واقعاها فخيرهما الله بين
عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختاروا عذاب الدنيا لانقطاعه وهما الذكورا
وانكر بعضهم هذا الحديث لعصمة الملائكة وقال الحافظ ابن حجر والسيوطي

كما تقدم انه روي من طرق اكثر من عشرين فبلغ الحديث مرتبة الحسن وقد افردوه بالتا ليف
فلا وجه لانكاره وتبعهما ابن حجر الهيتمي فقال في الاعلام بعد سياق كلام المصنف برمته
وهو ظاهر جلي وبه يعلم خطا من قال ان ما يحكيه المفسرون في قصة هاروت وماروت
في ايتهما في سورة البقرة كفر وليس كما زعم ولقد وقع بذلك في ورطة عظيمة وان كان
جليلا فقد حكى هذه القصة اكابر من المفسرين كابن جرير الطبري والامام البغوي وغيرهما
ومن ثم انتصر لهم بعض المتاخرين من المحدثين وخرج هذه القصة باسانيد صحيحة ورد
على من خالف في ذلك فجزاه الله على ذلك خيرا انتهى واما عصمة الملائكة فذهب بعض الاصول
كما مر الى ان المعصوم انما هو رسلهم لا غيرهم كرسل البشر وعليه حمل قوله تعالى
لا يعصون الله ما امرهم ولكن ان نقول انه لا يرد ولو قلنا بعصمة الجميع لانه بتركيب
الشهوة فيهم انسلخوا من الملكية الى البشرية فصار حكمهم حكمهم في التكليف وغلبة
الشهوة البشرية ولا مانع في قدرة الله تعالى ان يصير نوع النوع اخر وفي الانبيا كالخضر
تقدم الكلام عليه تفصيلا ولقمان الحكيم لا لقمان بن عاد وهو من اهل ايلة ولد بعد
عشر خلت من ملك داود وفي اسم ابيه خلاف فقيل باعور وقيل عنقا وكان اسود
اللون نزع له عرق من امهاته ولم يكن عبدا وقيل كان عبدا حبشيا او نوبيا لرجل
قصار من بني اسرائيل اشتراه وقيل كان نجارا واختلفوا هل كان نبيا او رجلا
صالحا غير نبي وقال سعيد بن المسيب كان نبيا خياطا والاكثر على خلافه وقال
حذيفة بن اليمان من الله عليه بالحكمة وحزن عنه النبوة وله كلمات كثيرة في الحكمة
ذكرها في مراة الزمان وذي القرنين كان في زمن الخليل عليه الصلاة والسلام
من ولد يافث بن نوح وقيل من ولد مسلم بن سام ولقي الخليل صلى الله عليه وسلم
فاوصاه بوصايا واختلفوا في اسمه على اقوال فقيل عبد الله وقيل اسكندر
وقيل وهب وقيل الصعب واختلف فيه هل كان نبيا ام لا والاكثر انه رجل صالح
على دين ابراهيم وفي تسميته بذي القرنين عشرة اقوال فقيل لانه ضربه قومه على
جانبي راسه وهما يسميان قرنين فهلك وقيل لانه سار لقرني الارض وهما
المغرب والمشرق وقيل لان جانبي راسه كالنحاس وقيل لانه راى في منامه انه
اخذ بقرني الشمس فقصه على قومه فسموه به وقيل لانه كانت له ضفيرتا شعر
في راسه والضفيرة تسمى قرنا وقيل غير ذلك وقصته مفصلة في مراة الزمان
وقيل انه ملك بفتح اللام والاصح انه رجل صالح ومريم ابنت عمران التي قص
الله قصتها في القران واختلف في نبوتها والمشهور ان النبي لا يكون الا رجلا ذكرا
ورجح بعض علما المغاربة انها كانت نبية وان الذكورة انما تشترط في الرسول
دون النبي لانه قد لا يؤمر بالتبليغ ورجحه القرطبي وابن السيد البطليوسي
وليس ببعيد والذي ذهب لنبوتها استدل بكلام الملائكة لها وهو غير مسلم
ومريم علم عبراني وقيل انه عربي واختلف في وزنه هل هو فعيل او فعلل
واسية بالمد فسين مهملة ومثناة تحتية وهي امراة فرعون وكانت امراة
مومنة صالحة ولم تكن نبية على الصحيح وخالد بن سنان المذكور في التواريخ
ولبعض التفاسير انه نبي اهل الرس كان هو وقومه يسكنون عدن فخرجت لهم نار

ليف

عظيمة اهلكت الضرع والزرع فالتجا اليه قومه في دفعها فاخذ عصاه وطردها حتى ادخلها
مغارة واطفاها وامر قومه ان يدعوه ثلاثة ايام بالمغارة فانهم ان نادوه قبلها يخرج اليهم
ويموت وان تركوه خرج اليهم وكشف لهم احوال البرزخ وكان اوحي اليه انه سيطلعه
عليها ان مكث بالمغارة ثلاثة ايام فاستزلهم الشيطان حتى نادوه قبلها وصاحوا فخرج
اليهم وراسه متالمة من صياحهم وقال لهم اضعتموني اذ لم تفعلوا بوصيتي واخبرهم
بموته وامرهم ان يتركوه اربعين يوما حتى يروا قطيع غنم يؤمها حمار ابتر الذنب
اي مقطوعه فاذا راوا ذلك نبشوا قبره ليخرج اليهم ويخبرهم باحوال البرزخ فلما تم
ميقاته راوا العظيم فارادوا انبش قبره ليخبرهم بالبرزخ فابى اولاده نبش قبره
مخافة ان تعيرهم العرب بذلك وتسميهم اولاد المنبوش فضيعوا وصيته لغيرة
جاهلية منهم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته ابنته واخبرته
بانها ابنته فقال لها مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه وهو من بني عبس وقد اختلف
في قصته هذه وذكرها الراغب وابن عربي في فصوصه وغير واحد من المحدثين
وقيل انه لا اصل لها واستدل بما رواه البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم
قال انا اولى الناس بعيسى بن مريم والانبيا اولاد علات وليس بيني وبينه نبي فهذا
الحديث الصحيح ينافيه وهو ارجح منه الا ان ابن حجر قال ان حديث خالد رواه الحاكم
في مستدركه وله طرق اخر يقتضي انه غير موضوع كما قيل وجمع بينهما بان قوله
لا نبي بيني وبينه المراد به نبي صاحب شريعة واقرب منه ان يقال انه كان وعد
بالنبوة لو تم امره الذي وصى به قومه ولم يتم فلم يكن نبيا كما يشير اليه قوله في
الحديث ضيعه قومه فان قلت فما فائدة هذا الوعد حينئذ قلت فائدته اعلامهم
بحقية امر البرزخ والارهاص ببعثه نبيا الذي كشف لبعض احواله والرس براء
مفتوحة وسين مشددة مهملتين وهي بير لم تطو اي لم تبن بالحجارة وعن كعب
الاحبار ان نبي اهل الرس هو المذكور في سورة يس القائل يا ليت قومي يعلمون
بما غفر لي ربي وان قومه قتلوه وطرحوه في بير يقال لها الرس بانطاكية وهو
حبيب النجار على القول بنبوته وعن علي كرم الله وجهه انهم قوم كانوا يعبدون
شجرة صنوبر فدعا عليهم نبيهم وكان من اولاد يهودا فيبست الشجرة فقتلوه
ورسوه في بير فاظلتهم سحابة سودا احرقتهم وقيل انه كان بارض بيجان وفي
اصحاب الرس اقوال اخر في التفاسير ومثل الكلام في خالد بن سنان الكلام في
حنظلة بن صفوان وزرادشت الذي تدعي المجوس ويذكر المورخون نبوته قال
البرهان زرادشت بزاي معجمة مفتوحة وراء مهملة والف ودال مهملة
مفتوحة وشين معجمة ساكنة وتاء مثناة فوقية هو صاحب كتاب المجوس
هذا هو المحفوظ وقيل الزاي المعجمة في اوله مضمومة انتهى وقيل الدال
داله مضمومة وقيل انها معجمة وقيل انه كان نبيا حرفوا شريعته والمجوس
تزعم انه نبي وهم قوم من الكفار الذين قالوا بالنور والظلمة ومنهم المانوية
ولهم امور فاسدة وكان زرادشت حكيما ظهر في زمن مستناسف بن مهران
واختلف في المجوس هل لهم شريعة وكتاب ام لا والكلام فيهم وفي اخذ الجزية منهم

معشر

مفصل في كتب الفقه تنبيه قال نجم الدين الطوفي الحنبلي في تفسيره بعد ما ذكر كلام
المتن زرادشت متفق على عدم نبوته وهو من طبقة ماني ومزدك فلا شيء في سبه ولعنه
بهذا اما وهم من القاضي او راي غريب جدا انتهى اقول قال الشهرستاني في الملل
والنحل زرادشت حكيم مجوسي ظهر في زمن موسى عليه الصلاة والسلام من اذربيجان
وهو كما تزعم الصابئة نبي مرسل دينه عبادة الله والكفر بالشيطان والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والخبائث وقال النور والظلمة اصلان متضادان كيزدان واهرمن
وهما مبدا موجودات العالم حدثت التراكيب من امتزاجهما والباري خلق النور
والظلمة وانما حدثت الشرور والخبائث من امتزاجهما وهو اي مزجهما الحكمة وهو
واحد لا شريك له وله كتاب سماه زندبرشتا صنفه وقيل انه انزل عليه انتهى
ومنه تعلم انه من قوم من الصابئة لكنه اقرب الى الحق من بقيتهم وترك سبه
اولى لانه موحد ولعل المجوس حرفوا ما نقلوه عنه وفي كلام المتن ايما لهذا
ثم رايت ما ذكره القاضي في كتب ساداتنا الشافعية وانه كان انزل عليه كتاب
ثم رفع ومنه يعلم صحة ما في الشفا وان ما قاله الطوفي غير مسلم وما كل داء
يعالجه الطبيب فاعرفه فليس الحكم في سابهم اي من سب هؤلاء المختلف في نبوتهم
وملكيتهم والكافر بهم اي من انكرهم او انكر نبوتهم وملكيتهم كالحكم فيمن قدمناه
ممن اتفق على انه نبي او ملك اذ لم يثبت لهم اي لهؤلاء المختلف فيهم تلك الحرمة
اي الاحترام لرفعة مقامهم ووجوب تعظيمهم وتوقيرهم ولكن يزجر اي يمنع يزجر
وتغليظ المقال له من تنقصهم اي من ذكر ما فيه ذم ونقص لهم واذاهم اي ذكر ما فيه
اذية لهم ويؤدب اي يعزر بما يليق به من ضرب وحبس ونحوه من انواع الاهانة بقدر
حال المقول فيهم على قدر مراتبهم في الشرف يكون مقدار الزجر والتاديب مفوضا الى
الحاكم لا سيما اي احق بذلك واولى بذلك من تكلم في حق من عرفت صديقيته
والكلام على سيما تقدم وشهرته تغني عن اعادته والصديقية بكسر الصاد وتشديد
الدال المهملتين وياء تحتية ساكنة وقاف تليها ياء نسبة وهي صيغة مبالغة من الصدق
ضد الكذب وهو معروف قال الراغب الصديق من كثر منه الصدق وقيل هو من
صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله قال تعالى في حق ابراهيم عليه الصلاة
والسلام انه كان صديقا نبيا وقال تعالى اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين فهم قوم دون الانبياء في الفضيلة انتهى اي من عرف بعظم لصديقيته بالله
واياته وشرائعه ومن عرف فضله منهم اي ممن ذكر اتفاقا وان لم تثبت نبوته اي
كونه نبيا بنص معلوم لكنه علم فضله وصديقيته فانها كافية في لزوم توقيره
كمريم واسية واما انكار نبوته اي نبوة من لم يتفقوا على انه نبي او انكار
كون الاخر من الملائكة المتفق على ملكيتهم كجبريل مثلا وفي هذا تفصيل فان كان
المتكلم في ذلك المقول في حقهم ما تقدم من تنقيصهم وانكار من اهل العلم العالمين
بما قاله علماء السلف الثقاة فلا حرج اي لا اثم عليه ولا تضييق عليه لعله بما يقوله
نقلا عنهم لاختلاف العلماء المجتهدين والمؤلفين المعول عليهم في ذلك المذكور من كونهم
انبياء او ملائكة او لا وان كان الذي ذكرهم بما تقدم من انكار ونحوه من عوام الناس الذين

لم يتعلموا ذلك ولم يتلقوه عن اهله زجر وردع يمنعه عن الخوض في مثل هذا اي التكلم
والمجادلة به واصله المشي في الماء الغير العميق فاستعير للتلبس بالامر والتصرف فيه اي
نهي ومنع عنه وعن المجادلة فيه والتكلم فيما لا يعنيه وهو الامر الذي فيه خلاف من غير
علم به لانه ليس اهلا له فقد يقع في ورطة تجره لما يصعب عليه الخلاص منه ولذا
استعار له الخوض الذي هو المشي في الماء على سبيل الكناية والتخييل فان الخايض في
الماء لا يرى ما يمشي عليه من الارض فربما صادف ماء عميقا فيغرق ولذا اختصت هذه
الاستعارة بما لا يحمد من الكلام كما مر فان عاد للتكلم ولم ينته بالزجر ادب بضرب
ونحوه لان اصراره على التكلم في مثله دليل على انه متهاون بمن لا يليق به الا تعظيمه
ويكون تاديبه بحسب المقول فيه كما مر اذ ليس لهم اي للعوام الكلام في مثل هذا
لعدم اهليتهم واحتياج الناس لكلامهم وقد كره السلف اي من تقدم من ايمة الدين
الاعلام الكلام في مثل هذا الامر الذي اختلف فيه مما ليس تحته اي في معناه وما يدل
عليه فكانه امر تحت ستره عمل من اعمال العبادة والطاعة فتركه لا يفوت به شيء
وذكره لا يترتب عليه امر من الطاعة لاهل العلم متعلق بقوله كره فكيف بالعامة
الذين لا علم عندهم فهم احق بالكراهة والمنع من الخوض في مثله والتكلم فيه فمن حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولذا قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ من قال لا اله
الا الله محمد رسول الله صادقا حرمه الله على النار فقال معاذ أأبشر الناس بهذا قال
لا اذن يتكلوا اي يتركوا العمل والعبادة لامنهم من العذاب فليس للوعاظ
والعلما الاكثار من الترغيبات في العفو ومنه الحكمة المسكوت عنها التي ذكرها المشايخ

## فصل اعلم ان

من استخف بالقران اي تهاون بتعظيمه وتوقيره او المصحف بضم الميم
وكسرها ونقل فيه التثليث وهو مجمع الصحف من اصحف اذا جمع وهو مخصوص
بالقران او استخف بشيء منه كبعض جزائه قال ابن حجر ومن الاستخفاف به القاوه
في القاذورات لغير عذر ولا قرينة تدل على عدم الاستهزا وان ضعفت والمراد
النجاسات مطلقا بل والقذر الطاهر ايضا كما صرح به بعضهم وكالقا المصحف ونحوه
بالقذر تلطيخ الكعبة وغيرها من المساجد بنجس ولو قيل ان تلطيخ الكعبة
بالقذر الطاهر كذلك لم يبعد الان كلامهم ربما يأباه والقا المصحف في المكان القذر
كالقايه في القاذورات انتهى ملخصا او سبهما اي سب القران او شيا منه والمراد به
الفاظه والمراد بالمصحف صور الفاظه المرسومة وما كتبت فيه او كذب به اي كذب
القران بتكذيب ما فيه اي انكره تعنتا وعنادا والفرق بين التكذيب والجحد ان
الاول مطلق الانكار والثاني الانكار لما يعلم حقيقته عنادا او جزا منه اي كذب
او جحد جزا من القران كانكار سورة منه او اية اي انكر اية منه ومرادنا لا تزد
الزيادة او النقص الواقع في القراآت فانه وقع زيادة لبعض حروف وكلمات فيها
بل آيات كالبسملة في الفاتحة فانه ليس زيادة ونقصا من القاري لتواتره فان
ما بين دفتي المصحف متواترا او كذب به اي بحرف منه ملفوظ او مكتوب او كذب بشيء

او جحد

منه

منه اي مما تضمنه من الاحكام وغيرها او كذب نبيًا مما صرح به كبعض الرسل المصرح بهم فيه
من حكم من احكامه الشرعية كالصلاة والزكاة والحج والعمرة او خبر مما اخبر به كاباء ابليس السجود
لادم عليه الصلاة والسلام وغيره او اثبت ما نفاه القران او نفى ما اثبته كنفي بعض
الخوارج سورة يوسف وقولهم انها ليست قرانا على علم منه بذلك المذكور من النفي ٥
والاثبات بخلاف ما اثبته او نفاه على غير علم او شك في شيء من ذلك المذكور كله فهو كافر
بسبب ما صدر منه عند اهل العلم باجماع من اهل العلم المعتد بهم ثم استدل
على ما ذكر فقال قال الله تعالى وانه اي القران المذكور في قوله ان الذين كفروا بالذكر
لما جاءهم لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد هو مثل ضربه الله لنفي
تعلق الابطال به وانه لا يتوصل اليه فلا يجد طاعن اليه سبيلا لانه في غاية
الاحكام والرصانة فلا يتطرق الباطل له من جهة من الجهات فقوله من بين يديه ولا من
خلفه كناية عن سائر الجهات كما في الكشاف وتحقيقه في شروحه والباطل فسر هنا بالشيطان
والتحريف نا اختصار لحدثنا وقد يكتفي برسم نا كما بين في مصطلح الحديث وهو اشهر من
ان يذكر الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد تقدم بيانه قال حدثنا ابو علي الحافظ
الغساني الثقة وقد تقدم قال حدثنا ابن عبد البر النمري الحافظ امام اهل المغرب
بل الدنيا كما تقدم قال حدثنا ابن عبد المؤمن هو عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي
وله ترجمة مفصلة في الميزان قال حدثنا ابن داسة بمهملتين مفتوحتين الامام ابو
بكر راوي سنن ابي داود عنه كما تقدم تفصيله قال حدثنا ابو داود سليمان
ابن الاشعث السجستاني صاحب السنن وقد قدمنا ترجمته قال حدثنا احمد بن
حنبل امام اهل السنة كما تقدم قال حدثنا يزيد بن هارون ابو خالد السهمي ٥
الواسطي احد الاعلام كما تقدم قال حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة بن ابي وقاص الليثي
اخرج له الشيخان وغيرهما توفي سنة مائة واربعين عن ابي سلمة احد الفقهاء
السبعة عند بعضهم وفي اسمه اختلاف تقدم في ترجمته عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه ابو داود واحمد في مسنده
قال صلى الله عليه وسلم المراء بكسر الميم وراء مهملة فتبل مد ممدود ماراه يماريه
مراء من المرية قال الراغب هي التردد في الامر وهي اخص من الشك قال تعالى فلا
تك في مرية من لقائه والامتراء والمماراة المحاجة فيما فيه مرية قال تعالى بما كانوا
فيه يمترون وقال تعالى فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا واصله من مريت الناقة اذا
مسحت ضرعها للحلب انتهى في القران كفر وفي رواية ابي داود لا تماروا في القران
فان مراء فيه كفر تاول بضم المثناة الفوقية والهمزة وبواو مشددة ولام مجهول
تاوله اي فسره بعضهم بمعنى الشك وفسره اخرون بمعنى الجدال الشك معلوم
والجدال من الجدل وهو النزاع والمغالبة من جدلت الحبل اذا احكمت فتله
كان كل واحد يفتل صاحبه عن رايه اي يصرفه وقيل اصله الصراع لاسقاط
كل انسان صاحبه على الجدالة وهي الارض الصلبة قال تعالى قالوا يا نوح
قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ونحوه قاله الراغب وفي نهاية ابن الاثير تبعا للهروي

المرا الجدال والتماري والمماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة ويقال للمناظرة مماراة
لان كل واحد يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري الحالب اللبن من الضرع وقال
ابو عبيد ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف في التاويل بل على الاختلاف في اللفظ
وهو ان يقرا الرجل على حرف فيقول الاخر ليس هو هكذا لكنه على خلافه وكلاهما
منزل مقروء به فاذا جحد كل واحد قراءة صاحبه لم يومن ان يكون ذلك اخرجه الى
الكفر لانه نفى حرفا انزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم وتنكير لفظ مرا
في رواية ابي داود ايذانا بان شيئا منه كفر فضلا عما زاد عليه وقيل انما جا
هذا في الجدال والمرا في الايات التي فيها ذكر القدر ونحوه مما هو على مذهب اهل الكلام
والاهوا والاراء دون ما تضمن الاحكام من الحلال والحرام فانه مما جرى بين الصحابة
والعلما من بعدهم والغرض الباعث عليه ظهور الحق ليتبع دون الغلبة والتعجيز
انتهى وقيل الاظهر ان المراد بالمرا الاختلاف في القراءات المتواترة كما في البخاري عربي
ولا يخفى انه القول الاول بعينه فلا وجه لعده وجها اخر وعن ابن عباس رضي الله
عنهما في حديث رواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جحد اي
انكر اية من كتاب الله من المسلمين الذين لم يقرب عهد اسلامهم فقد حل ضرب عنقه
اي قتله لتكذيبه لله ولرسوله وكذلك اي مثل من جحد اية من القران فاوجب
ذلك قتله ان جحد التوراة والانجيل وساير كتب الله المنزلة بجملتها اجمالا او كفر
بها بانكار نزول الوحي على الرسل او لعنها او سبها بكل ما ينقصها او استخف بها اي
اهانها وحقرها هو كافر لانها كلها كلام الله سوا قلنا بالكلام النفسي او بقدم الالفاظ
على مذهب السلف والشهرستاني صاحب الملل والنحل على ما نقله عنه في المواقف
وارتضاه المحققون وقد اجمع المسلمون على ان القران المتلو اي المقرو بالسنتنا في
جميع اقطار الارض اي نواحيها وجهاتها المعمورة جمع قطر بضم فسكون بمعنى ناحية
وجانب المكتوب في المصحف وفي نسخة في المصاحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان
مثنى دفة بفتح الدال المهملة وضمها وهو جانب الشيء الذي يعتبه من جلد وخشب
ونحوه ومنه دفة السفينة لشكلها او وفي نسخة الدفات بالجمع مكان التثنية
من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس اي من اول هذه السورة
فانه علم لها بالغلبة يقال قرات الحمد لله اي هذه السورة فهو شامل لمن قال ان
البسملة اية منها ولمن قال بخلافه على الخلاف المشهود فيها وهذا كما قيل في حديث
كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين انه اسم من اسما سورة الفاتحة اي كانوا
يفتتحون السورة المسماة بالحمد لله الخ فلا حجة فيه على ان البسملة ليست اية منها
ومثله عبارة المصنف فلا وجه لما قيل من انه بناء على مذهب مالك من ان البسملة
ليست اية منها فان العبارة جارية على المذهبين ويجوز في قوله الحمد لله رب
الجر والرفع على الحكاية وكذا النصب على حكاية قراءة شاذة فيه قيل ويجوز كون
كسر الدال اتباعا للام انه كلام الله تعالى ووحيه المنزل به جبريل عليه الصلاة
والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق اي ثابت لا ريب
فيه لفظا ومعنى من امر ونهي وخبر ومواعظ وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك

فان

فان لم يقصده لنسيان ونحوه فلا حرج فيه او بدل حرفا اخر مكانه هو كناية عن انه اسقط
ذلك واثبت هذا او زاد فيه حرفا لم يقرا به مما لم يشتمل عليه المصحف العثماني المسمى بالامام
الذي وقع الاجماع من الصحابة عليه واجمع مبنيا للمجهول وقيل اجمع مبني للفاعل بمعنى
قصد وعزم على انه ليس من القران اي ما زاده فيه ولو حرفا عامدا بالقصد لكل هذا
انه كافر فان قلت ما بين الدفتين يشمل البسملة في اول كل سورة فانها ثابتة في المصحف
العثماني ولها قرا بعض القرا السبعة فصلا ووصلا فيلزم تكفير من قال انها ليست
قرانا في اوايل السور قلت المراد بما بين الدفتين ما اثبت فيه متفقا على قرانيته
وهذا ليس كذلك فهو كاسما السور وهذا معلوم من قوله الذي وقع الاجماع عليه
فخرج ما ذكر والمراد بتبديل القران بغيره تبديله مع اعتقاد انه قران فلا يدخل
فيه من يترجم القران بالفارسية ويصلي به لعجزه عن التكلم بالعربية كما في رواية
عن ابي حنيفة فان المترجم لا يقول ان كلامه قران وكلام الله وهذا مع ظهوره خفي ابن افترس
على بعض الشراح حتى اجاب بان ابا حنيفة رجع عن هذا القول وهو مما يقضي منه
العجب ولو كان كذلك كان حكما ابكر فابله قبل الرجوع فتدبر ولهذا اي لاجل ان
جميع ما في المصحف حق وان من زاد فيه او نقص كافر راى الامام مالك ان من سب
عايشة ام المؤمنين رضي الله عنها بالفرية بكسر الفا وسكون الرا اي الافترا والكذب عليها
بما قاله المنافقون في قصة الافك المشهورة ولفظ الفرية للعهد لانه خالف القران
الذي اثبت فيه براءتها من تلك الفرية ومن خالف القران عمدا قتل اي لانه كذب بما فيه
وكذب الله ورسوله مع ان فيه ما ينقص مقام النبوة كما لا يخفى وقد اعترض على هذا
المنقول عن مالك في حق عايشة فانه لا يتم مدعى ودليلا بانه اراد بتكذيب القران
فيه انه كذبه حيث قذف عايشة فلا نص فيه على ذلك لان خصوص السب غير معتبر
في تخصيص الحكم وان اراد انه مخالفة القران بارتكاب ما صرح به فيه من النهي
فيلزم تكفير كل من ارتكب كبيرة وورد في القران النهي عنها وليس كذلك الا انه ابن افترس
يستحل ما ارتكبه بعد العلم به مع انه قد صرح في الاية بانه يجلد على انه لو
سلم انه كفر يكون حكمه حكم المرتد فان اسلم لا يقتل وجوابه ان هذا مخصوص
بعايشة عند مالك قال القرطبي من سب عايشة رضي الله عنها مطلقا كفر لقوله
عز وجل يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين لان فيه اذية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بهتك عرض ذي حرمته فهو كفر قال هشام بن عمار سمعت
هذا من مالك وقال ابو بكر بن عربي قال اصحاب الشافعي من سب عايشة ادب
كساير المؤمنات وقوله ان كنتم مؤمنين لا يقتضي كونه كفرا حقيقة لحديث لا يزني
الزاني حين يزني وهو مؤمن قلنا ان اهل الافك رموا عايشة المطهرة بفاحشة
براها الله منها ومن سب من براه الله مما براه منه فقد كذبه ومن كذب الله
فهو كافر وهذا الطريق قول مالك وقيل عليه ان ما نقله ابن عربي عن الشافعية فيه عرض
ليس كذلك فانه صرح في شرح الروض بخلافه وان مذهبهم كمذهب مالك
في خصوص عايشة وقال في الكافي ايضا ولو قذف عايشة بالزنا صار كافرا
بخلاف غيرها من الزوجات لان القران العظيم نزل ببراءتها وسياتي ايضا حكم قذف

غيرها في كلام الملحم نقلا عن ابن شعبان وقال ابن القاسم من ايمة المالكية من قال ان الله
لم يكلم موسى تكليما يقتل لانه كذب الله في قوله وكلم الله موسى تكليما واتى بالمصدر
المؤكد تلميحا للاية وايما الى انه نص فيه ما يمنع عن تاويله وحمله على المجاز فيه
وهذه المسئلة تقدمت في نفي صفات الله فلا تكرار في كلامه وقاله اي ماذكر
من نفي تكليم الله لموسى عبد الرحمن بن مهدي بن حسان ابو سعيد البصري
اللؤلؤي الحافظ احد الاعلام في الحديث قال ابن المديني كان اعلم الناس
بالحديث ولد في ثلاث وستين سنة ومائة وتوفي في سنة ثمان وتسعين ومائة واخرج
له الستة وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان بكسر الواو والمشددة وهما
سورة قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس سميتا باولهما ليستا اي
السورتان من كتاب الله اي القران يضرب عنقه اي يقتل الا ان يتوب فيرجع عما
قاله وهذا اشارة الى ما اشتهر عن ابن مسعود من ان المعوذتين ليستا من
القران وانهما دعاء أن كان يتعوذ بهما النبي صلى الله عليه وسلم كقوله اعوذ
بكلمات الله التامة من كل هامة ولامة وقد قال ابن حزم انه افترا عليه
وكيف يتوهم في مثله من اهل اللسان من عدم الفرق بين الكلام المعجز وغيره
وسبب الغلط انه لم يكتبهما في مصحفه اكتفا بحفظه او لانه كتب مصحفه قبل
نزولهما وكان لكل احد من كبار الصحابة مصحف يخصه فلما كتب المصحف العثماني
بمعرفة الصحابة تركت تلك المصاحف كلها وفي الانوار من كتب الشافعية وانه
لو قال ليست المعوذتان من القران اختلف في كفره وقال بعضهم ان كان عاميا
كفر او عالما فلا قال ابن حجر في الاعلام والوجه كفر منكر المعوذتين اذا كان
مخالطا للمسلمين لان ذلك لا يخفى على احد منهم وقال في فتاويه وكذا يكفر
من انكر اية او حرفا من القران مجمعا عليه كالمعوذتين بخلاف البسملة فان قلت
قد انكر ابن مسعود كون المعوذتين قرانا قلت قال النووي نسبه اليه كذب
عليه فان قلت هل من جواب على تقدير الصحة التي انتصر لها شيخ الاسلام
ابن حجر وبين انه جا من طرق صحيحة قلت الجواب عنه انه لم يستقر الاجماع
عند انكاره على كونهما قرانا اما الان فقرانيتهما معلومة من الدين بالضرورة
يكفر منكرهما على ان ما روي من انكاره انما هو انكار رسمهما في مصحفه لا لكونهما
قرانا كما قاله الباقلاني وغيره لانه لم يثبت في المصحف الذي عنده الا ما امر
النبي صلى الله عليه وسلم باثباته وهو لم يجده مكتوبا عنده ولا سمع امره
به انتهى وكذلك كل من كذب بحرف منه اي يضرب عنقه الا ان يتوب قال سحنون
وكذلك اي يقتل ان لم يتب ان شهد شاهد عدل على من قال ان الله تعالى لم
يكلم موسى تكليما كما مر وشهد اخر عليه اي على من قال ذلك القول انه قال ان
الله تعالى ما اتخذ ابراهيم خليلا يقتل لانه ينفي ما اثبته الله وهو تكذيب
لله ولرسوله لانهما بما شهدا به عليه اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم
فيما جاء به من الوحي من ورود تكليمه واتخاذه خليلا في القران مصرحا به
وفي هذا اشارة الى مسئلة ذكرها الفقها وهي تلفيق الشهادة بان يشهد

بل منهما على شيء غير ما شهد عليه الاخر بحسب العبارة لكن المعنى المقصود منهما واحد
فهل يبطل الاول فلا تقبل الشهادة او الثاني فتقبل كان شهد شاهد على انه وكله في
امور وشهد اخر على انه جعله وصياله في حياته او وكله في بيع هذه الجارية واخر
انه وكله في بيعها وبيع عبد اخر معها وتسمى تلفيقا ونوادرا عند الفقهاء وله نظاير
كثيرة وللفقهاء فيه خلاف مفصل في كتب الفقه وقال ابو عثمان بن الحداد القاضي
المصري الشافعي الكناني صاحب التاليف البديعة والاثار العجيبة توفي سنة اربع
واربعين وثلثماية وترجمته في التواريخ تغنيه عن الاعادة كذا في بعض الشروح
ولست على ثقة منه جميع من ينتحل التوحيد اي ادعاه وانتسب اليه ويستعمل
كثيرا بمعنى النزع والنحلة والعطية والهبة ايضا وهو هنا مهملة كناية هنا عن
اهل الاسلام الموحدين وما قيل من انه عبر به هنا لانه تصديق وكيفية نفسانية
يخلقها الله عز وجل من غير دخل للعبد فيها وانما هو يدعيها لنفسه ه
وينسبت بها تكلف ركيك متفقون على ان الجحد لحرف من التنزيل اي
القران المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم كفر وعداه بالبا وهو متعد
بنفسه لواحد او لاثنين او باللام كما وقع في بعض النسخ للتقوية لتضمنه للكفر
لقوله بعده كفر وكان ابو العالية تقدم في ترجمته ان ابا العالية اثنان ولا ندري
المراد به هنا منهما اذا قرا عنده رجل بقراءة غير التي قراها لم يقل له اي لمن
قرا عنده انه ليس كما قرات لئلا ينكر شيئا من القران ويقول للقاري اما انا
فاقرا كذا تفاديا عن الانكار صريحا فبلغ ذلك اي قول ابي العالية ابراهيم
الظاهر انه النخعي لشهرته كما تقدم في ترجمته ويحتمل انه التيمي فقال ابراهيم
اراه بضم الهمزة اي اظنه ويجوز فتحها سمع انه من بدل من الضمير اي ان من كفر
بحرف منه فقد كفر بكله اي القران وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
فيما رواه عبد الرزاق عنه من كفر باية من القران فقد كفر به كله لانه تكذيب
لقائلها عز وجل وقال اصبغ بن الفرج بالجيم المصري من كذب بالتنزيل بحد
ببعض القران فقد كذب به كله ومن كذب به كله فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر
بالله سبحانه وتعالى وقد سئل ابو الحسن القابسي الحافظ وقد تقدمت ترجمته
عمن خاصم يهوديا فحلف اليهودي له بالتوراة وقال الاخر الذي خاصمه
لعن الله التوراة فشهد عليه شاهد واحد بذلك الذي قاله ثم شهد اخر
انه سأله عن القضية التي جرت بينهما فقال اللاعن انما لعنت توراة اليهود
المحرفة التي يقرؤونها بينهم فقال ابو الحسن القابسي المسؤول منه الشاهد الواحد
لا يوجب القتل لعدم تمام نصاب الشهادة عليه والشاهد الثاني علق الامر
الذي شهد به بصفة هي توراة اليهود التي يتدارسونها بينهم وتلك الصفة
التي تحتمل التاويل في كلام اللاعن لان توراة اليهود تحتمل التي نزلت على
نبيهم وتحتمل التي حرفوها وانها توراتهم لا توراة نبيهم وكلام الله
اذ لعله اي القائل لعن الله التوراة لا يري اي لا يعتقد ان اليهود متمسكين
بشيء من عند الله مما اوحي به لموسى صلى الله عليه وسلم لتبديلهم وتحريفهم

عوضي

عن بينح

للتوراة التي أتى بها موسى عليه الصلاة والسلام بتبديل بعض ألفاظها وتأويل
بعض بما لم يرده الله ولو اتفق الشاهدان في شهادتهما على لفظ التوراة لفظا مجردا عما
قاله ثانيا من تعليقه بأمر وتقييده بصفة تحتمل أضافها اليهود لمذاق التأويل
عن صرفه عن ظاهره لأمر آخر ونقل ابن حزم أن بعضهم أنكر تحريف التوراة وقال
إنها وصلت إليهم تواترا وإنما أخطأوا في تفسيرها وهذا لا ينبغي لمسلم أن يعتقده
بعد قوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه والقرآن والأحاديث شاهدة بخلافه
فلا حاجة لنا بالاشتغال بمثله وعلى التأويل فتحريف التوراة في كلامه للعهد أي نسختها
المحرفة المبدلة وقد اتفق فيها بغداد اسم المدينة المعروفة وهي فارسية معربة وفيها
لغات فدالها تهمل وتعجم وتبدل الأخيرة نونا على استتابة ابن شنبوذ أي على أنه
طلب منه التوبة مما صدر منه مما سيأتي المؤذي اسم فاعل من أذية مكروه بتحوير
الآخر وهو العالم بعلم القراءات ووجوهها من كيفية الأداء المعروفة وابن شنبوذ
هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ بفتح الشين المعجمة
وسكون النون وضم الباء الموحدة وواو ساكنة وذال معجمة علم أعجمي بمعنى
شاذ وهو مما لم يتواتر ممنوع من الصرف وقول التلمساني إنه يجري ولا يجري أي
يصرف ويمنع من الصرف لا وجه له وهو أحد أئمة المقربين المتصدرين للإقراء
بها أي ببغداد مع ابن مجاهد أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي الأستاذ
أبو بكر البغدادي ورئيس القراء وهو أول من جمع القراءات ولد سنة خمس وأربعين
ومائتين فابن شنبوذ من مشاهير علماء القراءات من أقران ابن مجاهد وكان بينهما منافسة
ومخاصمة وكان من الأعيان العلماء الرؤساء مع غفلة فيه ولما تصدر للإقراء في
القراءات أنكروها عليه وعقد له مجلس وأثبت عليه ذلك فأغلظ عليه القول
وضرب بالسياط وخشي من علو الناس عليه فأخرج للمدائن أو للبصرة ثم عاد لبغداد
وكتب عليه محضر بعد استتابته أن لا يقرئ بما كان يقرؤه به في الصلاة وغيرها من
الشواذ كما قال المصنف لقراءته وإقرائه شواذ جمع شاذ وهو ما لم يتواتر من
الحروف جمع حرف بمعنى الوجه واللغة وهو أحد الوجوه في حديث أنزل القرآن
على سبعة أحرف كلها كاف شاف والمصدر أن شاذ شذا قوله شواذ مما ليس في
المصحف لغربته للعهد والمراد به مصحف عثمان بن عفان المسمى بالإمام والذي
ذكره ابن الأنباري في طبقات النحاة أنه كان يرى القراءة بالرأي فيما وافق العربية
وإليه يميل كلام الزمخشري والرضي والذي شدد عليه النكير الوزير ابن مقلة
الذي ذكره وقد دعا عليه ابن شنبوذ أن يقطع الله يده ويشتت شمله فاستجاب
الله دعاءه فيه ولقي في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة يوم الاثنين لثلاث خلون
من صفر وكان مجاب الدعوة وفي القاموس أنه أحمد بن أحمد بن شنبوذ وهو مخالف
لما في التواريخ وعقدوا عليه العقد أصل معناه الربط مقابل الحل والمراد
به ما يعني من غير تردد فيه والعهد أيضا بالرجوع عنه أي عما كان يذهب إليه
من الإقراء بما ليس في المصحف العثماني مما تقدم والتوبة منه باعترافه بخطاياه
وندمه مع العزم على عدم الرجوع إليه سجلا بكسر السين والجيم وتشديد اللام

وهو في الاصل اسم لما يكتب فيه قال تعالى كطي السجل اي كطيه لما كتب فيه حفظا له ثم اختص في العرف بما يكتب فيه حجة شرعية ووثيقة وهو المراد هنا اسجدف ببنا الفاعل اي رمي بشهادة من حضر بذلك اي برجوعه وتوبته على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثماية من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام والوزير الكاتب المشهور استوزره الخليفة المقتدر بالله سنة عشر وثلاثماية ثم قبض عليه سنة ثمان عشرة وصادره ونفاه لفارس ثم استوزره القاهر بالله واتهمه بامر فاستعفاه من الوزارة فلما تولى الراضي بالله سنة اثنين وعشرين استوزره ثم غضب عليه وقطع يده وسجنه فقال وهو مسجون

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها ۝ فلسنا من الاحيا فيها ولا الموتى
اذا جانا السجان يوما لحاجة ۝ فرحنا وقلنا جا هذا من الدنيا
ونفرح بالرويا فجل حديثنا ۝ اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرويا

ومن الحكمة السجن قبر الاحيا والوزير وكيل السلطان في نصرة ثابتة واختلف في اشتقاقه هل هو من الوزر بالسكون اي الثقل او بالتحريك اي الملجا او من الازر بالهمز لكونه يشد ازره او يتحمل ثقله واوزاره واليه اشار المعري بقوله

هو الوزير ولا ازر يشد به ۝ مثل العروض له بحر بلا ما

وكان فيمن افتى عليه بذلك اي بما لزمه ابو بكر الابهري المالكي احد فقها بغداد المشهورين بها والابهر بفتح الهمزة والبا الموحدة وسكون الها قبل را مهملة مدينة مشهورة وقيل باوه ساكنة وهاوه مفتوحة وكذا غيره من العلما بها وافتى الشيخ ابو محمد بن ابي زيد القيرواني وقد قدمنا ترجمته بالادب اي بالتاديب والتعزير بما يليق به فيمن قال لصبي يتعلم القران لعن الله معلمك الذي علمك القران واقراك وما علمك اي ولعن ما علمك وهذا هو الذي يجني عليه منه لان الذي علمه معلوم لا يجوز الاستخفاف به فضلا عن لعنه فهو بحسب الظاهر منكر جدا فان اوله وقال اللاعن اردت بما المذكورة السابقة على المربي وصفته التي وقع عليها وهو سوء الادب في حال قراته وعدم تعظيم ما قراه ووقوعه على حال غير مستحسنة فان للقاري ادابا ذكروها من خالفها سا ادبه ولم ارد بما في كلامي القران الذي تعلمه قال ابو محمد بن ابي زيد واما من لعن المصحف وفي نسخة من لعن القران فانه يقتل لجراته على الله تعالى وعلى كلامه ولعنته عائدة عليه والمراد انه يكفر فيستحق القتل

## فصل وسب

آل بيته وازواجه امهات المومنين واصحابه صلى الله وسلم عليه وعليهم اجمعين السب الشتم كما مر وال النبي صلى الله عليه وسلم للفقها فيهم اختلاف مذكور في كتب الفروع فذهب الشافعي الى انهم علي وفاطمة وولدها والعباس وجعفر والعقيل وال هم وهم من لا تحل لهم الزكاة من بني عبد المطلب لحديث نحن وبنو المطلب شي واحد لم نفترق في جاهلية ولا اسلام

لعله
فلسنا من الموتى فيها ولا الاحيا لاجل القافية وهو الاصح

وَشبك بين اصابعه وبقية الكلام عليه مفصل في محله وازواجه جمع زوج او زوجة
وهي المنكوحة والاصحاب جمع صاحب وهو من لقيه صلى الله عليه وسلم مسلما وتنقصهم
حرام شرعا لكرامتهم عنده زيادتهم وثنا الله عليهم في كتابه العزيز في ايات عديدة
ملعون مطرود مبعد من رحمة الله فاعله ومن يصدر منه فقد اثم وصحه بحديث
صحيح رواه الترمذي فقال حدثنا القاضي الشهيد ابو علي هو الحسين بن محمد بن
فرة الصدفي المعروف بابن سكرة كما تقدم قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي تقدم ايضا
وابو الفضل العدل هو احمد بن الحسين بن خيرون الحافظ كما تقدم قالا حدثنا
ابو يعلى احمد بن عبد الواحد المعروف بن روح الحرة كما تقدم قال حدثنا ابو علي السنجي
احمد بن محمد المروزي كما تقدم قال حدثنا ابن محبوب قال حدثنا الترمذي صاحب
السنن وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس
ابو عبد الله الذهلي توفي سنة خمس وخمسين ومائتين قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم
ابن سعد قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهري توفي سنة مائتين وثمان
واخرج له السنة كما تقدم قال حدثنا عبيدة بن ابي رائطة بفتح العين المهملة
تليها موحدة مكسورة عند الحفاظ كما قاله ابن ماكولا والذهبي وضم عينه كما في
بعض النسخ خطا من الناسخ كما قاله السبكي وتبعه البرهان الحلبي وهو ثقة اخرج
له اصحاب السنن عن عبد الرحمن بن زياد اخو عبيد الله بن زياد وهو غير معروف
عن عبد الله بن مغفل مزنة اسم المفعول مفتوح الغين المعجمة مشدد الفاقال
ابن مغفل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبغضهما تحذيرا
وكوره ووضع الظاهر موضع الضمير مبالغة في التحذير وتنبيها الى تفخيم شانهم
وتوقيرهم اي اتقوا الله في حق اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي اي بعد موتي
فانهم في حياته صلى الله عليه وسلم لم يصبهم ما يخصهم من ضرر وفيه اخبار
بالغيب فانهم بعد موته صلى الله عليه وسلم حل بهم امور عظيمة كفتنة الدار
وصفين وقتل الفاروق وتقدم ان الغرض هو الهدف الذي ينصب ليرمى بالسهام
فشبه به من يذم ويطعن فيه ويلزمه تشبيه كلامه بالسهام التي ترمى كقوله
سهم اصاب وراميه بذي سلم ❊ من بالعراق لقد ابعدت مرماك
وعليه قول العارف ابن الفارض نفعنا الله به ❊ عرضت نفسك للبلا فاستهدف
وهو هنا استعارة وقيل انه تشبيه بليغ وليس هذا محل تفصيله والعامل هنا
مقدر يجوز اظهاره وقيل انه لا يجوز اظهاره اذا تكرر لان الثاني قايم مقام
الاول وقيل اظهاره ايضا جايز مع قبحه كما تقدم عن الجزولي والكلام عليه
مفصل في كتب النحو قال ابن حجر في الزواجر اكد التحذير من ذلك بقوله الله الله
اي احذروا الله على حد قوله ويحذركم الله نفسه كما تقول لمن تراه مشرفا
على وقوعه في نار عظيمة النار النار فمن احبهم فبحبي اي بسبب حبي لهم على
انهم عندي احبهم لا لغرض اخر من امور الدنيا ومن ابغضهم فببغضي
اي بسبب عداوتي كعداوة المشركين ابغضهم لا لشيء اخر قال ابن حجر بعد ما
تقدم فقابل عظيم فضائلهم ومناقبهم التي نوه بها حيث جعل محبتهم محبة

الله الله

له وناهيك بذلك جلا لا وشرفا لحبهم وبعضهم عنوان محبته وبعضه ومن ثمة كان
حب الانصار من الايمان وبغضهم من النفاق لبذلهم الاموال والانفس في محبته ونصرته
ومن اذاهم فقد اذاني لان المحب المخلص يسوءه ما يسوء حبيبه ويسره ما يسره وتاخير
الاذية عن البغضاء محرج لترتيبها عليها ومن اذاني حقيقة لفعل ما يسوءه في نفسه
واتباعه فقد اذى الله تعالى ثم ان الاذية ايصال الضرر وهي هنا مجاز عن مخالفة امره
ونهيه اذ لا يتصور الاذية في حقه عز وجل ومن اذى الله عصاه يوشك يوشك بكسر
اي يقرب من ان ياخذه اي يهلكه يقال وشك واوشك ان يخرج اي قرب اسراعه
للخروج قال

ومار على الادبين كلا واوسكت صلاة ذوي القربى له ان سكرا

والاخذ كما قال الراغب حوز الشيء وتحصيله وذلك تارة يكون بالتناول
نحو معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده وتارة بالقهر كقوله تعالى لا تاخذه
سنة ولا نوم والمؤاخذة المجازاة انتهى وقد تقدم هذا ايضا فاخذه هنا
اما بمعنى يقهره او يجازيه على اذيته وفي هذا الحديث اشارة الى شدة قربهم
منه صلى الله عليه وسلم وتنزيلهم منزلة نفسه حتى كان اذيتهم اذية له واوقعه
عليه ثم اظهر ذلك على وجه اكده بقوله فقد اذى الله اذ لا يضر الله شيء فهو ايما
لشدة قربه صلى الله عليه وسلم من الله فهو مجاز بهذا الاعتبار المجازي ايضا
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين تاكيد للعموم لا يقبل الله منه صرفا اي توبة او
طاعة تصرف وجهه لجانب الله ولا عدلا اي فدية او فريضة وقد تقدم الكلام
على هذا الحديث فتذكره وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فانه يجيء
قوم اي ناس من المسلمين وضمير انه ضمير شان في اخر الزمان يسبونهم اي يسبون
الاصحاب فلا تصلوا عليهم بعد موتهم ولا تصلوا معهم اي لا تقتدوا بهم
والنهي كما قيل تنزيهي لجواز الاقتدا بالمبتدع والصلاة خلف كل بر وفاجر
ولا تناكحوهم اي لا تتزوجوهم ولا تزوجوا منهم ولا تجالسوهم اي لا تعاشروهم
ولا تخالطوهم وان مرضوا واقطعوا في بيوتهم لمرض اصابهم فلا تعودوهم
اي لا تذهبوا لعيادتهم وهو مبالغة في اهانتهم وتركهم بالكلية وزجرا لهم
باظهار عداوتهم وهذا كله مما خرج مخرج التغليظ عليهم وقيل انه يحتمل
انه كشف له صلى الله عليه وسلم عن سرائرهم وانهم كفرة باطنا ولا يخفى
انه غير صحيح فانه في قوم غير معينين والحكم بالامر الباطني لا يجوز لامته
كما تقدم فكيف يامر به غيره وظاهر هذا الحديث ان سب الصحابة كفر مطلقا
وليس كذلك فان فيه تفصيلا ياتي فاما ان يحمل على المبالغة والتغليظ
في الزجر او يقال انه من معجزاته صلى الله عليه وسلم بان يكون من الاخبار
عن المغيبات فاخبر عن بعض من وقع منه ما هو كفر كبعض الرافضة
كما ورد التصريح به في بعض الاحاديث كالحديث الذي رواه البيهقي في
دلايل النبوة بسند حسن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج قبل

خلق

ابن اقبرس

قيام الساعة قوم يقال لهم الرافضة يرفضون الاسلام فاقتلوهم فانهم مشركون ولذلك اشار الصرصري في قصيدته النونية في قوله

وكذاك اخبرنا بسب صحابه ... ما للمصر عليه من غفران

علما بقوم يجهرون بسبهم ... من كل غمر فاحش لعان

وقد قيل من ابغض الصحابة من حيث هم صحابه فقد ابغضه صلى الله عليه وسلم واذاه وايضا منهم قوم صرحوا بما هو كفر وهم كثرة تستروا بالرفض وحب اهل البيت فما في الحديث صريح في كفرهم من ترك الصلاة عليهم ومناكحتهم ومجالستهم وهم يرون ترك الجمعة والجماعة وغير ذلك مما هو كفر وعنه صلى الله عليه وسلم في حديث احد من سب اصحابي فاضربوه تعزيرا له واهانة لير تدع هو وامثاله وفي الحديث ايضا من سب اصحابي فاجلدوه كما يأتي وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم من عطفا لعام على الخاص يؤذيه وايذا النبي صلى الله عليه وسلم حرام بالاتفاق وايذا مصدر راذاه وقوله في القاموس لا تقل ايذا غلط فانه مصدر قياسي وقد سمع ايضا وقد مر التنبيه على ذلك ايضا وفي نسخة واذى فقال لا تؤذوني في اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني وقد تقدم ما فيه وفي الانوار لو استحل ايذا احد من الصحابة كفر وفي الاعلام واستحلال ايذا اخير الصحابة مكفر ايضا كما هو ظاهر ومحل تكفير المستحل ايذا صحابي ما لم يكن عن تاويل ولو خطا لانه ظني فله شبهة تمنع الكفر تنبيه الحديث الذي تقدم ورواه الترمذي وقال انه صحيح حسن لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه فيه سؤال مشهور وهو ان المخاطب به الصحابة والحديث هنا يقتضي خلافه واجيب بان مراده باصحابي من اسلم قبل الفتح من السابقين الاولين والمخاطب من اسلم بعده ويشير اليه قوله مثل احد لقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح الاية فالمراد بالخطاب غيرهم وان شملت الصحبة الجميع قاله السبكي وقال سمعت ابن عطا الله يقول في وعظه للنبي صلى الله عليه وسلم تجليات يرى فيها من بعده ويخاطبه ومنه خطابه هذا وهو متنزع صوفي وعليه فالحديث شامل لجميع الصحابة وعلى غيره مخصوص بالمتقدمين ويدخل من بعدهم في حكمهم وعليهما الحرمة ثابتة للجميع والكلام في سب بعضهم معينا او غير معين اما سب الجميع فقيل انه كفر بلا شك كسب الصحابي من حيث انه صحابي فانه تعريض بسب النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حمل قول الطحاوي بغضهم كفر فان سب صحابيا لا من حيث كونه صحابيا وكان ممن تحققت فضيلته بان كان ممن اسلم قبل الفتح كالروافض الذين يسبون الشيخين وهما السمع والبصر منه صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث ففيه وجهان فانه قد يكون لامر اخذ دنيوي غير الصحبة وليس بكفر لانه لتقديم على واعتقادهم لجهلهم انهما ظلماه وهما بريئان من ذلك وفي كتب الحنفية ان سبهما وانكار امامتهما كفر وفي صحة الصلاة خلفهم خلاف مبني على هذا زبدة ما قاله السبكي في فتاويه ونقلت من خط البقاعي وقد سئل عن هذا الحديث فاجاب بانه جا في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ياتي على الناس زمان

للعامل فيه اجر خمسين فقال الصحابة رضي الله عنهم اجعين منهم فقال بل منكم فيحمل الاول
على الانفاق خاصة والثاني على كلمة الحق الان لان الانفاق على كمال الايمان لتوقع المضرة بقتل
ونحوه لغلبة اهل الفساد والطغيان وعدم الانصار والاعوان وهاهنا فائدة وهي ان
قوله تعالى لا يستوي منكم الاية نص في ان ابا بكر رضي الله عنه افضل من جميع الصحابة
فالخلافة حقه بلا شبهة وفي الانوار ان من انكر خلافة الصديق مبتدع لا كافر ومن سب
الصحابة وعايشة من غير استحلال فاسق واختلفوا فيمن سب ابا بكر وعمر قال غيره وفي كون
من سب الختنين وجهان وقال صلى الله عليه وسلم في حديث اخر لا تؤذوني في عايشة
الظاهر انه مخصوص بها رضي الله عنها ويحتمل انه شامل لجميع امهات المؤمنين رضي الله
عنهن ويدل للظاهر الاول ما روي عن ابن عباس انها قالت اعطيت عشر خصال لم
يعطهن ذات خمار قبلي صورت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان اتزوج في رحم
امي ولم يتزوج بكرا غيري وكان ينزل عليه الوحي وكان بين سحري ونحري ونزلت براتي
من السما في سبع ايات وكنت احب النسا اليه وابي احب الرجال اليه وخيرهم وخيرني رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو بين حاقنتي وذاقنتي وتوفي في يومي ودفن في بيتي
قال ابن المنير ومن خصايص عايشة انها ولدت مسلمة باسلام ابويها قبل ولادتها
قال وهذا لازم لاهل السير والتواريخ فما ينقلوه ولم ار احدا انتزعه قبل ذلك
وفضايلها لا تحصى وقال صلى الله عليه وسلم في حق فاطمة الزهرا رضي الله عنها
هي بضعة مني قال في مختصر النهاية البضعة بالفتح القطعة اللحم وقد تكسر وفاطمة
بضعة مني اي جزء مني كما ان البضعة قطعة من اللحم انتهى والكسر فيه اشهر على
الالسنة لانها متكونة من مايه صلى الله عليه وسلم الذي هو جزء منه وفيه فضيلة
لها لا يساويها غيرها وبهذا الاعتبار يجوز تفضيلها على من سواها الا ان التفضيل قد
يكون من وجه وهو لا ينافي تفضيل غيره عليه من وجه فلا تعارض في مثله لمن له بصيرة
يؤذيني ما اذاها فيه من احكام البلاغة مرتبة عليه فان الجسد كله يتالم بما يتالم
به بعضه فمن ضر بنت يده تالم بالمها البدن كله فكونها بضعة علة لما بعده فتدبر
وحديث فاطمة في الصحيحين وقد اختلف العلما في هذا اي فيما يستحقه من صدر
عنه مثله فمشهور مذهب مالك في ذلك النكال الذي يستحقه الاجتهاد للحاكم ويفوض
لرايه وما يقتضيه والادب الموجع بضرب ونحوه قال مالك رحمه الله من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم قتل حدا او كفرا كما تقدم ومن شتم اصحابه ادب بما يستحقه
من تعزير وقذف كغيره وقال ايضا مالك رحمه الله من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ابا بكر او عمر او عليا او معاوية او عمرو بن العاص بن وايل السهمي فان قال
كانوا على ضلال او كفر قتل ولم يا وله بان قال ارتدت قبل اسلامهم فان فيه تكذيبا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميع الامة وهذا مذهب مالك ولم يذكر
استتابته هنا وان شتمهم اي شتم الصحابة بغير هذا المذكور من الضلال والكفر
بل شتمهم بما هو من جنس مشاتمة الناس بعضهم لبعض فيما يجري بينهم نكل
اي عوقب نكالا شديدا بما يوجعه من ضرب مولم ونحوه وقال ابن حبيب المالكي من
غلا اي بالغ في غلوه من الشيعة المفرطين في محبة علي واعتقاد افضليته وان الخلافة

حقه وهو فرق مشهورة ولهم مذاهب وانتهى في غلوه الى عثمان بن عفان رضي الله عنه
بالوقوع في حقه والبراءة منه وان لم يكن خليفة بحق وعلى حق ادب ادبا شديدا حتى
يزجرهو وامثاله بضرب ونحوه ومن زاد في ذلك اي في غلوه في حق الصحابة رضي الله
عنهم الى بغض ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فالعقوبة عليه اشد لزيادة حرمه ويكرر
ضربه ويطال سجنه بفتح السين ويجوز كسرها كما مر حتى يموت في السجن بسبب غايته
غيره ولا يبلغ به في عقوبته القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون
من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما من الصحابة
رضي الله عنهم يوجع ضربا وهذا المذكور عن مذهب مالك مخالف لما تقدم عن مالك
من ان من قال انهم كانوا على ضلال وكفر قتل ولذا عقبه بقوله وحكى الشيخ ابو محمد
ابن ابي زيد عن سحنون فيمن قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم انهم
كانوا على ضلال وكفر قتل كما تقدم عن مالك وذكره لما فيه من تردد قوله ومن شتم
غيرهم من الصحابة بمثل هذا بنسبتهم للضلال والكفر نكل اي عوقب النكال الشديد
بلا قتل للفرق بين كبار الصحابة وغيرهم وروي عن مالك في قول اخر له من سب
ابا بكر جلد ونعزيرا له ونكالا ومن سب عائشة رضي الله عنها قتل قيل اي سئل مالك
عن وجه الفرق فيما قاله فقيل له لم قلت هذا قال من رماها اي سبها وافترى له صح
عليها بما برأها الله منه والرمي مستعار لما ذكر تشبيها له بالرجم قال

رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن اجل الطوي رماني

فقد خالف القران لان الله برأها فيه من كل عيب في قصة الافك وقال ابن شعبان
تقدمت ترجمته عنه اي عن مالك في رواية عنه لان الله يقول في القائلين في حق
عائشة رضي الله عنها يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله
فقد كفر لقوله ان كنتم مؤمنين فمن عاد ليس بمؤمن كما يدل عليه ذلك المفهوم لتذكيره
لهم بما يخلو به الايمان المانع لهم من العود عما صدر عنهم من القبايح تهييجا الغيرتهم
الحاملة لهم على الاتعاظ وقد قيل على ذلك ان فيه بحثا لان السب اعم من الرمي ابن افترى
ومطلق مخالفة القران لا تقتضي الكفر كما تقدم الا انه ضم الى المخالفة مفهوم
الشرط في قوله ان كنتم مؤمنين الخ كما بينه ابن شعبان وخطاب المشافهة في الاية
مختص باصحاب الافك وحكم غيرهم استفيد مما تقدم وقوله ان تعودوا لمثله يعني
في عائشة بعينها او هي ومن في مرتبتها من امهات المؤمنين لما فيه من اذية النبي
صلى الله عليه وسلم في عرضه واهله وقوله روي بيتا المجهول راويه هشام
ابن عمار فانه نقل عنه انه قال سمعت مالكا الخ وساق ما ذكر برمته انتهى وليس
بشيء اما قوله السب عام فمسلم ولكنه مخصوص هنا بقرينة المقام وقوله مخالفة
القران لا تقتضي الكفر هو كذلك لو بقي على اطلاقه اما اذا انضم اليه انه تكذيب
لله ورسوله فهو كفر كما بينه ابن شعبان وتقدم عن ابن العربي المالكي قريبا
انه قال ان اصحاب الشافعي قالوا ان من سب عائشة ادب كما في سائر المؤمنين
وقوله ان كنتم مؤمنين لا يقتضي انه كفر لانه تغليظ في الزجر كقوله لا يزني
الزاني حين يزني وهو مؤمن وانه اجاب بان ما كان سئل عمن رمى عائشة

بالافك

بالافك فقال ليس هو كرمي غيرها لان الله براها مما قالوه فراميها مكذب لله فيما اخبر به
من برائها وهو ملحظ اخر لا تعلق له بمفهوم الشرط وتقدم ما فيه ويؤيده قول ابن عباس
من اذنب ثم تاب قبلت توبته الا من خاض في الافك وفي كون النبي صلى الله عليه وسلم
حد اصحاب الافك ام لا روايتان ذكرهما الماوردي والكلام عليهم مذكور في التفاسير
والسير والكلام السابق في سب ابي بكر رضي الله عنه مقيد بغير انكار صحبته اما هو فانه
كفر عند الشافعية وبعض الفقهاء فانه ثابت بالنص ومجمع عليه كما مر بسطه وحكي
ابو الحسن الصقلي نسبة الى صقلية بفتح الصاد المهملة وفتح القاف وكسر اللام المشدد
وهي جزيرة من جزائر المغرب معروفة هذا هو المشهور على الالسنة قال بعض شعرائها

ذكرت صقلية والاسى ۝ فشبهت دمعي بانهارها

وذكر البرهان الحلبي ان صادها مكسورة وقيل صادها وقافها وكذا رايته في نسخة
المجمع للصغاني الا انه ضبط قلم لا يعول عليه ان القاضي ابا بكر بن الطيب هو الامام
الباقلاني كما تقدم في ترجمته قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما نسب اليه المشركون
سبح اي نزه وبرا نفسه اي ذاته المقدسة بنفسه اي قاله ابتدا من غير اسناده لغيره
كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون نزلت في خزاعة
اذ قالوا الملايكة عليهم الصلاة والسلام بنات الله في آي بالمد جمع اية واسم جنس
جمعي كثمر وتمرة اي هذا مذكور في القران في ايات اخر كثيرة كقوله وخرقوا له بنين
وبنات بغير علم سبحانه وذكر تعالى في القران ما نسبه المنافقون الى عايشة رضي الله
عنها في قصة الافك فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا اي لا يجوز ولا يصح
لان ما كان ولا ينبغي ورد في القران لمعان منها هذا كما مر ولولا بمعنى هلا وقدم
الظرف لانه هو الاهم بالانكار على سماع مثله ان نتكلم بهذا اي نتلفظ به فضلا
عن اشاعته واعتقاده سبحانك منصوب على المصدرية والاصل فيه التعجب من
صنعه ثم شاع في مطلق التعجب وهو مصدر كالغفران وتقدم الكلام عليه مفصلا
هذا بهتان عظيم اي افترا عظيم لا يليق بعاقل التكلم به لانه كيف تكون زوجته صلى الله
عليه وسلم منسوبة لمثله والبهتان في الاصل كذب وبهتان يبهت سامعه تحيرا
من افترا مثله فكانه قال تعجبوا ايها السامعون منه ويجوز ان يكون على اصله بان
نزه الله بان يوجد مثل هذا السوء ويفتري عليه اكرم خلقه عليه الصلاة والسلام
واليه اشار بقوله سبح نفسه اي براها ونزهها مبالغة في تبريها اي تبريه
عايشة وفي نسخة تبريتها من السوء اي الامر السيء القبيح كما سبح نفسه في تنزيهه
اي تنزيه الله لذاته وفي نسخة لتبريته من السوء ووضع الظاهر موضع الضمير
تفخيما لشانه وتلويحا لوجوب التنزيه منه وفيه تنويه بقدرها وترفعة
لمقامها حيث جعل ما لا يليق بالله لا يليق بها رضي الله عنها وهو في غاية الظهور
وهذا الذي ذكره الباقلاني من تبريهما عما نزه الله عنه ذاته يشهد اي يدل
دلالة ظاهرة كانها مشاهدة لقول مالك المذكور انفا في قتل من سب عايشة
رضي الله عنها لتهويله وجعله كسب الله بطريق التلويح واشارة النص
المعلومة من عرف الاستعمال لان القرانية فلا وجه لما اورد عليه من المغادرة

ة

ابن افنوس

لمطلق التعجب كما وقع في الحديث سبحان الله ان المؤمن لا ينجس واليه اشار في الكشاف وانما
نشاهد امن عدم التنبه بما اراده ولذا وضحه بقوله ومعنى هذا الذي قاله الباقلاني
وقيل الاشارة لقول مالك انه يقتل من سبهما ان الله تعالى لما عظم سبها اي جعله عظيما دلجي
في قبحه كما عظم سبه باستعماله فيه ما استعمله في حق نفسه من التبرئة تنويها بقدرها
كما تقدم وكان سبها بما نسب لها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم لان نسبة اهله لمثل
ذلك يشين عرضه ويؤذيه كما لا يخفى والله عز وجل قرن سب نبيه صلى الله عليه
وسلم واذاه باذاه تعالى اي اذى الله في نفسه كقوله تعالى ان الذين يؤذون الله
ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وكان حكم مؤذيه تعالى شرعا القتل كان
حكم مؤذي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك اي القتل للتسوية بينهما وجعلهما
في قرن واحد كما قدمنا في هذا الكتاب مرارا في حكم سب الله واورد عليه انه على
ما قاله ليس قتله لسب عائشة رضي الله عنها بل للازمه من سبه النبي صلى الله عليه ابن المقري
وسلم وايضا لو سلم هذا لزم قتل اصحاب الافك ولم يقع وايضا قد تقدم الفرق بين
سب الله وسب رسوله صلى الله عليه وسلم على اقوال تقدمت وايضا يلزمه ذلك
في سب الصحابة مطلقا لانه يؤذيه صلى الله عليه وسلم وليس بشيء لما علمته
من ان المراد به اذية عظيمة لما فيه من الشين الذي لا يرضاه احد في نسبة اهله للزنا
والرضا به واما عدم قتل اهل الافك المنافقين في حياته صلى الله عليه وسلم فلحكمة
اقتضته من اثارة الفتن وصد من ضعف اسلامه عنه باشاعة انه يقتل اصحابه كما
تقدم وشتم رجل عائشة كرمها الله بالكوفة هذا الرجل غير معروف وقوله كرمها
الله اي جعلها مكرمة منزهة عن النقائص فقد صادف محزه والكوفة احد
المصرين المعروفين بانهما محط رحال الفضلا ويقال لها كوفة الجند اي مجتمعهم سميت
بذلك لان سعدا رضي الله عنه لما اراد ان يبنيها قال لهم تكوفوا بهذا المكان اي
اجتمعوا فيه فسميت كوفة لذلك ولزمته اللام او الاضافة لانه علم بالغلبة وقيل
كان اسمها قديما كوفان فقدم الى موسى بن عيسى العباسي منسوب الى العباس بن
عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم والذي في التواريخ انه عيسى بن
موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس واول من ولي الخلافة من بني العباس
السفاح وجعل ولي العهد بعده اخاه المنصور وبعده عيسى بن موسى حتى خلع
نفسه كرها او قيل عوض منه عشرة الاف درهم وجعل ابنه المهدي بعده وبعده
عيسى بن موسى فمات قبل المهدي سنة ثمان وستين ومائة ومات المهدي
بعده بسنة فقال عيسى بن موسى لما ادعي عليه بما صدر منه من حضر هذا الرجل
لما قال ذلك الشتم او من سمع هذا الكلام منه فقال ابن ابي ليلى انا كنت حاضرا
سامعا المقالة وابن ابي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن الانصاري الفقيه المشهور
كان صاحب قران وعنه اخذ حمزة احد القرا السبعة وكان افقه اهل عصره واعلمهم
بالسنة حتى وصل لمرتبة الاجتهاد والشتم المراد به هنا القذف وكانه بذكر قصة
الافك بدليل قوله فجلده ثمانين لانه حد القذف ولعله شهد معه شهود
اخر واقتصر على ذكر ابن ابي ليلى لجلالة قدره ولو كان الرجل اقر لم يحتج للسؤال

عن

عمن سمع منه ذلك وحلق رأسه لان هذا كان تعزيرا في العصر الاول لان العرب كانت لا تحلق الرؤس الا في نسك وكان الاسيراذا حلق راسه عدوه عارا عليه وورد في الحديث ان الخوارج شعارهم حلق رؤسهم وجمع له بين الحد والتعزير لانه يجوز الجمع بينهما عندنا وفي مسايل ذكروها وللامام او نايبه استيفا حد القذف عن ميت لا وارث له معروف وعايشة رضي الله عنها لم يكن لها وارث ما حاضرا في هذه القصة ويحتمل ان لها وارثا تائبة ٧ج والمم اقتضى من العضبة على محل الشاهد منها فلا اشكال في كلام المصنف كما قيل واسلمه للحجامين ليسلبه لهم اما ليحبس عندهم او ليخرجوا منه دما يضعفه او ليكون معهم في خلطتهم فهو نفي له او هو اهانة له ليسقط قبول شهادته برذالة صنعته وهذا اظهر وروى ابو ذر الغفاري المشهور رضي الله عنه وهذا انما نقله الخطيب وابن عساكر في التاريخ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نذر قطع لسان عبيد الله بضم العين ابن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود الصحابي المشهور رضي الله عنه والمراد بالنذر هنا الزام نفسه جزما بفعله لا النذر الشرعي او هو نذر شرعي لانه علق على شيء لقصد المنع وتسميه الفقها نذر اللجاج والغضب وهو مخير فيه بين الفعل وكفارة اليمين والنذر على اقسام ذكرها الفقها فكلم بالبنا للمجهول في ذلك اي كلمه الناس بالشفاعة فيه والعفو عنه فقال عمر رضي الله عنه لمن كلمه في شانه دعوني اقطع لسانه اي اتركوني افعل ذلك ولا تمنعوني منه حتى لا يشتم احد من الناس بعد مبني على الضم اي بعد هذا اصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعبيد الله بن عمر بن الخطاب بالتصغير كما علمت وله اخ من ابويه اسمه زيد الاصغر وامهما مليكة ابنة جرول وتكنى ام كلثوم وهي بنت لعلي بن ابي طالب من فاطمة رضي الله عنها مات هو وامه في وقت واحد فلم يورث احدهما من الاخر وقيل رمي بحجر في حرب بني حنيفة فمات والمقداد رباه بنيا الاسود وهو عبد حبشي وتبناه فنسب له وابوه عمرو بن ثعلبة البهراني او الحضرمي قال بعضهم ان ابن هنا وامثاله يكتب بالالف لانه ليس واقعا بين علمين ورد بان القاعدة انه اذا وصف العلم بابن متصل كفى في حذف الالف من ابن خطا سوا كان العلم الذي اضيف اليه ابن علما لاب الاول حقيقة ام لا كما اقتضاه اطلاقهم وكون الابوة حقيقية لم يتعرضوا لاشتراطه الا انه قد يقال الاب حقيقة في ابي الولادة فيحمل اطلاقهم عليه لانه الاصل والتبني لا يدفع صورة الواقع من كون الابن وقع بين علمين وشهد المقداد بدرا وما قبلها وما بعدها ومات ببلده فحمل للمدينة ودفن بها وصلى عليه عثمان سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين وقطع اللسان من المذكور تعزير له لا حد فانه لا تجوز الشفاعة فيه بخلاف التعزير وللامام ان يغلظ في الحد بما اراد فلا يقال ان قطع اللسان لم يرد في الشرع ثم ان التعزير فيه حق لله للامام ان يستوفيه لغير طلب والمقداد كان من كبار الصحابة رضي الله عنهم فلهذا اغضب ذلك عمر رضي الله عنه وروى ابو ذر الهروي هو عبد الله بن احمد بن محمد بن عبد الله الهروي الحافظ كما تقدم ان عمر بن الخطاب اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة اي لو لم يكن من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

لكفيتكموه الخطاب لمن عنده من الانصار اولمن حضره او لقتلته وكفيتكم شره وهجوه
ولكن لشرف صحبته عفي عنه وهذا المزكي يبلغ مرتبة حد القذف ومران هذا ابنا
على ان الامام له ان يبلغ باجتهاده في التعزير للقتل وهو الذي يسميه الفقها سياسة
وهذا رواه ابن قدامة عن ابي سعيد الخدري بسند رجاله ثقات وقال الامام
مالك وفي نسخة وقال مالك في رواية عنه من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم اي ذكرهم بما فيه نقص لهم فليس له في هذا الفي حق وسهم منه
ان لا نصيب له في مال يؤخذ فيا من الكفار واستدل عليه بقوله قد قسم الله الفي
في ثلاثة اصناف من المسلمين فقال في قسم منه للفقرا من المسلمين المهاجرين الاية اي
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله
اولئك هم الصادقون اي الذين هاجروا من ديارهم للمدينة لنصرة نبيه صلى الله عليه
وسلم وابتغا فضل الله ورضوانه ثم قال في القسم الثاني والذين تبوؤا الدار والايمان
الاية من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ٥
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وهولا هم الانصار الذين اووا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونصروه ثم قال في القسم الثالث والذين جاوا للاسلام من بعد
المهاجرين والانصار من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
الاية ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم فهؤلا يدعون لهم ويستغفرون
لهم ويعظمونهم لسبقهم للسعادة في الدارين فمن تنقصهم فلاحق له في في
المسلمين لخروجهم عن الاصناف الثلاثة وهذا بنا على ان قوله للفقرا الخ بدل من قوله
لذي القربى وما بعده والمبدل منه في حكم الطرح لا متعلقا بمحذوف اي اعجبوا لهم في
تركهم اموالهم واهلهم وديارهم لرجا فضل الله ونصرة دينه ومدح الله لهم بالصدق
في ذلك وللذين تبوؤا الدار وايثارهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وللذين جاوا من بعدهم
داعين للسابقين وهو على مذهبه من ان الفي لا يخمس كالغنيمة وعند بعضهم يخمس والكلام
فيه مفصل في كتب الفقه والتفسير والفي ما اخذ من الكفار من غير قتال فيدخل فيه
الخراج والعشر والغنيمة وفيه خلاف هل يخمس ام لا والخمس الذي كان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم يصرفه في مصالحه اختلف فيه بعد موته على ما فصله الفقها وفي كتاب
ابن شعبان من قال في واحد منهم اي الصحابة رضي الله عنهم انه ابن زانية وامه مسلمة
حد عند بعض اصحابنا حد القذف حدين حدا له وحدا لامه قيل فيه تغليب والمراد
انه يحد لامه لان الحد حق لها وعزر له وفيه نظر لان قوله ولا اجعله كقاذف
الجماعة في كلمة يا باه لفضل هذا على غيره اي لزيادة جرمه فالفضل بمعناه اللغوي
ومن قذف جماعة بكلمة واحدة حد حدا واحدا عند الاكثر وللشافعي فيه خلاف
ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاجلدوه قال ابن شعبان ومن
قذف ام واحد منهم وهي كافرة حد حد الفرية اي الكذب لا القذف بنا على انه
يشترط في وجوبه الاسلام لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي الذي
سبه حيا وقد مات ابوه قام مقام ابيه بما يجب له اي بطلب حقه الواجب بسببه
لانه وارثه في ماله وحقوقه فليس لغيره حق في هذه الدعوى والا اي وان لم يكن له

ولدي فمن قام به اي بطلب حقه ودعواه من المسلمين لان لهم طلب مثله كان واجبا على
الامام او نايبه قبول قيامه باستماع دعواه والحكم بمقتضاه معاونته ونصرة له قال ابن
شعبان وليس هذا اي استحقاق غير الولد من المسلمين للدعوي بالحد والتعزير كحقوق في
غير الصحابة فانه لا يستحقها غير الوارث لحرمة هولا اي الصحابة بنبيهم صلى الله عليه
وسلم وفيه حق من حقوق الله يستحقه كل احد من هذه الامة ولو سمعه اي سمع قوله
الامام او نايبه واشهد عليه كان الامام او نايبه ولي القيام به اي كان يتولي الحد
واستيفاه قال ومن سب غير عايشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان
احدهما يقتل كما يقتل من سب عايشة لانه يسب زوجة ام المومنين سب النبي صلى
الله عليه وسلم لتعدي عارهن له لسبه حليلته اي زوجته وهي من الحلال لحلها له
او من الحلول لانها لا تحل حيث حل والقول الاخر في غير عايشة انه اي سب غيرها
كساير الصحابة فيلزمه ان يجلد جلد المفتري بناء على انه يتهم فيه ذلك وقتل ساب عايشة
لتكذيبه لله ورسوله وللقران كما مر قال ابن شعبان وبالقول الاول وهو القتل
اقول لاختياره له وقوة دليله عنده وروي ابو مصعب احمد بن ابي بكر القاسم بن
الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن الزهري المدني القاضي قاضي المدينة كما
تقدم عن مالك في حق من انتسب الي آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم بقرابة او
ولاء قيل او صحبة يضرب ضربا وجيعا نكالا له وردعا لامثاله منهم ويشهر بالتحقيق
اي يطاف به في الاسواق ليعلم الناس حاله ويشتهر ضلاله لئلا يقتدي به غيره
ويحبس حبسا طويلا مدته حتى تظهر توبته واذا ظهرت اطلق لانه اي ما فعله
استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب عقوبته لذلك وحاصل قوله
من انتسب الي هنا ان من ادعي انه من اهل البيت وهو ليس منهم واثبت له انتسابا
لهم يستحق النكال والتشهير وقد ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ايما
رجل دعي الي غير ابيه فقد كفر وهذا يدل علي عظم هذا وانه يشدد فيه وقد كثر
هذا في زماننا هذا وتساهل الناس فيه ودخلوا في هذا النسب الطاهر وادعاه
كثير من الاشرار وتسارع القضاة بذلك الي اثبات الانساب وجعلوا لهم علامة
كما قيل

جعلوا لابنا الرسول علامة ، ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم ، يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وافتى ابو المطرف بضم الميم وفتح الطا وكسر الرا المشددة المهملتين وفا الشعبي
بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وبا موحدة ويا نسبة مشددة فقيه
مبالغة بزنة فاعلة اسم فاعل بلدة مشهورة بالمغرب بيد النصارى الان اعادها
الله للاسلام في رجل انكر على بعض القضاة تحليف امراة مخدرة ادعي عليها بحق
شرعي فامرها ان تحلف عنده بالليل سترا لها وقال من انكر تحليفها ليلا لو كانت
المراة بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه ما حلفت الا بالنهار حتى يسوي بينها
وبين غيرها وصوب ماض مشدد الواو اي عد قوله هذا صوابا وهو انكار
تحليف النسا المخدرات ليلا بعض المنتسبين اي المنتسبين بمعرفة الفقه فقال

بيان
ويشهر بالتحقيق

ابو المطرف وفيه مبالغة ذكرها هذا المنكر تخليف الساليلا لابنة ابي بكر الصديق رضي الله عنهما
في مثل هذا الامر الذي يستوي بها غيرها من النسا يوجب عليه شرعا التعزير البليغ ه
والضرب الشديد والسجن الطويل لجراته على بنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وام المومنين فان المتبادر منها عند الاطلاق عايشة رضي الله عنها وان كان له غيرها ه
والعقبه الذي يتوب قوله في الانكار المذكور هو احق واولى باسم الفسق اي وصفه
بانه فاسق وجعل فقهه الذي ادعاه فسقا احق بالقبول من اطلاق اسم العقبه عليه
فيتقدم اليه اي يبرز لمخالفته وتفسيقه بما قاله في ذلك المقال الذي قاله ويزجر
ويوبخ على ما قاله ولا تقبل فتواه التي افتى بها ولا شهادته بتفسيق ما قاله ذلك
الفاسق الذي ظنوا فسقه فقها وهي اي فتواه لتصويبه لمقالته هذه جرحة فعلة
بالضم من الجرح القابل للتعديل اي قوله هذا جارح له مسقط له من العدالة فلا يقبل
ما قاله ثابتة فيه مسجلة عليه للجرح وعدم العدالة و يبغض منازع بزنة يكرم
المجهول لبغي وضاد معجمتين معطوف على قوله يتقدم اي يظهر بغضه وعداوته
في الله تعالى عز وجل اهانة له وتركا لمقاله وهذا اخر كلام ابي المطرف كما نقله عنه
السبكي في فتاويه وقال الغرض من هذا كله انه فاسق مرتكب لكبيرة عظيمة لا يخلص له
منها بسبيل الى العدالة ومن كان بهذه الصفة لا تقبل شهادته قطعا ومن تخيل ان القول
ساب الصحابة وجها وتاويلا فليعلم ان هذا وان كان فاسقا فالشيخان خارجان عن
ذلك اذ تاويلهما انما هو فيمن حامر الغش والتبس فتل عثمان وقاتل عليا والشيخان
بريان من ذلك قطعا ولذا اجري الخلاف في تكفير سابهما وساب عثمان وعلي دون غيرهم
من الصحابة انتهى واذا عرفت ان ما ذكره المص عبارة ابي المطرف فالمقصود منه ان السلف
كانوا يحافظون على مقام الصحابة ويمنعون الجراة عليهم ولذا نقله السبكي ولم
يتعقبه بما قيل عليه من انه غير مسلم لان انكاره التخليف ليلا له وجه لان اليمين
قد يقصد تغليظها ومن تغليظها اظهارها بين الناس حتى قيل قد تغلظ بعد
عصر الجمعة فالاخفا لم يعهد شرعا وايضا قوله لو كانت بنت ابي بكر ليس فيه ذكر
لعايشة فله بنت اخرى وهي اسما ولو سلم تبادرها فليس فيه تحقير لها بل هو تعظيم
لها لادعا انها في اعظم مراتب الشرف حتى لو كانت هذه بمرتبتها لم تحلف والعرف
قاض بهذا وبه افتى بعض الفقها كالسبكي وابن ابي شريف فقال السبكي وغيره
لو قال لو جاني لهذا الامر جبريل او رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلته انه
تغليظ فيه تعظيم للمشبه به وان له مرتبة لا يصل اليها احد ولو وصل لها هذا احكم
عليه ايضا لان الاحكام لا تختلف لشريف ولا وضيع ومثله ما ورد في الحديث لو سرقت
فاطمة بنت محمد قطعتها قد علمت الجواب عنه وكون مثله للتعظيم يعلم من السياق
واذا كان كذلك فقد يوخذ من السياق غيره ولذا قال المص وقال ابو عمران في رجل
قال لو شهد علي ابو بكر حد في الجواب لظهوره وعدم العقيد له هنا انه اي الشان
او القول المذكور اذ كان مراده ان شهادته في مثل هذا لا تجوز ولا تكفي وحدها
هذا الشاهد الواحد لان شهادة رجل واحد لا تقبل مطلقا وما في قصة خزيمة
ماول كما تقدم فلا شي عليه من تعزير وغيره لانه لا يشعر باهانة ولا تنقيص

عرضي

وان

وان اراد غير هذا انما يقتضي الاهانة بقرينة سوق الكلام فيضرب ضربا بليغا يبلغ به
الموت اي يوصله ذلك الضرب الي مرتبة الموت لذكره من هو افضل الخلق بعد رسول
الله صلي الله عليه وسلم في مقام لا يليق به فهذا يشعر بان مثل هذه العبارة قد يكون
فيها نوع من الاهانة والحقارة وذكروها رواية وكون الشاهد الواحد لا يقبل في
علي الملائكة فقد ذكر الفقها مسايل تقبل فيها شهادة واحد ليس محل تفصيلها هنا
كما وقع في بعض الشروح فانه تكثير للسواد ليس في محله تذنيبه في الخصايص
الكبري للسيوطي اخرج الطبراني عن ابي امامة انه صلي الله عليه وسلم قال اربعة
يؤتون اجرهم مرتين ازواجه امهات المؤمنين فقيل في الاخرة وقيل احدهما في الدنيا
والاخر في الاخرة واختلف في مضاعفة عذابهن فقيل عقاب في الدنيا وعقاب في الاخرة
وغيرهن اذا عوقبت في الدنيا لا يعاقب في الاخرة لان الحدود كفارات وقال مقاتل هذا في
الدنيا وقال ابن جبير وكذا عذاب من قذفهن مضاعف في الدنيا فيجلد مائة وستين
وفي الشفا انه خاص بغير عائشة لانه فيها يقتل وقيل يقتل من قذف واحدة من
سايرهن وقال في التلخيص قال تعالي لين اشركت ليحبطن عملك وعمل غيره انما يحبط بالموت
علي الكفر انتهي وقد تقدم الكلام عليه وعلي ما في كلام ابي عمران وكذا يعطي اجره مرتين
من توضا مرتين ومن يقرا القران وهو عليه شاق والمجتهد اذا اصاب والمتصدق علي
قريبه والمراة علي زوجها ومن عمر جانب المسجد الايسر لقلة اهله والغني الشاكر ومن سن سنة
حسنة ومن صلي بالتيمم ثم وجد الما فاعاد والجبان ومن اشتري امة فادبها فاحسن
تاديبها ثم اعتقها وتزوجها وكتابي امن بنبيه ثم بمحمد صلي الله عليه وسلم ومن صلي
في الصف الثاني او الثالث مخافة ان يؤذي مسلما والامام والمؤذن ومن طلب علما فادركه
ومن اسبغ الوضوء في البرد الشديد ومن دنا من الخطيب فاستمع وانصت ومن غسل يوم
الجمعة واغتسل ومن قتله اهل الكتاب وشهيد البحر ومن حافظ علي صلاة العصر ومن
استمع لقراءة القران وسرية خرجت للغزو فرجعت وقد اخفقت اي رجعت ولم تغنم
ومن قتله سلاحه ومن توضا بعد الطعام ومن يعمل العمل سرا فاذا اطلع عليه اعجبه قال
الترمذي فسره بعض اهل العلم بان يعجبه ثنا الناس عليه بالخير لقوله صلي الله عليه وسلم
انتم شهدا الله في الارض لا للاكرام والتعظيم وقال بعضهم اذا اطلع عليه فاعجبه رجا ان
يعمل بعمله فيكون له مثل اجورهم ومن كان موفقا في وقت الفساد ومن تصدق في يوم
جمعة ومن عمل فيه خيرا مطلقا ومن اتي الي الجمعة ماشيا ومن تبع الجنازة ماشيا ومن
صلي علي جنازة وتبعها حيا من اهلها فيحصل له اجر صلاته علي اخيه واجر صلته للحي ومن
يقرا في المصحف ومن قرا القران فاعربه والمراد باعرابه معرفة معاني الفاظه وليس المراد به ذكر
المصطلح عليه في النحو وهو ما يقابل اللحن لان القراة مع فقده ليست قراة ولا ثواب فيها
ومن يسارع الي خير ماشيا حافيا ثم ختم المصنف رحمه الله كتابه بقوله قال ابو الفضل عياض
مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه ههنا انتهي اي تم وبلغ نهايته القول بنا اي القول المتعلق
بنا فيما قصدناه من هذا التاليف فيما حررناه اي كتبناه محررا مهذبا من الباعث
علي هذا التاليف وانجزنا اي تممنا من انجاز الوعد الذي وعد باتمامه في اول الكتاب
وفي نسخة انتجز افتعال من النجاز وهو التمام الغرض المجتنبي اي المطلوب الذي

عوضي

انتحيناه نحا مهملة اي قصدناه في تاليفنا هذا في ذكر حقوق المصطفى كما تقدم في
الزواجر واتى بصيغة التفعل لزيادة فضله والغرض اصله كما تقدم الذي يرمى له
السهام ثم عبر به عن كل مقصود وبينه وبين الفائدة عموم وخصوص مطلق وصو
لفظ هوانه وجهي فتنفرد الفائدة في ثمرات افعال الله تعالى اذ لا تسمى غرضا
وينفرد الغرض فيما لو قصد بامر ما لا يترتب عليه خطا واجتمعا فيما ظاهر غني عن البيان
واستوفى اي كمل واتى به وافيا الشرط الذي شرطناه فيما بيناه اول الكتاب
واستوفي مبنيا للفاعل وجوز كونه للمفعول وانما يرجى لما تما ارجوا اي اومل
من الرجا بمعنى الامل ويكون في غير هذا المحل بمعنى الخوف ايضا مع النفي كقوله
لا ترجون لله وقارا اذ يكون كل قسم منه اي مما حررته للمريد الطالب لهذه المقاصد
مقنع مفعل بالفتح من القناعة اي كفاية وهو اسم مكان او مصدر ميمي والمراد
بالمريد من يطلب الوقوف على معرفة مقدار النبوة وحقوقها وعبر بالمقنع اشارة
الى انه لا يمكن الوصول الى حقيقتها الغيبية والا فالطالب يقنع بمقدار منها
فلله دري وفي كل باب من ابوابه اي كل جملة ونوع من انواعه وهو في العرف جملة
من المسائل يرتبط بعضها ببعض بحيث تعد امرا واحدا منهج هو كالمنهاج الطريق
الواضح الى بغيته بكسر الباء وضمها وغين معجمة وهي المطلوب ومنزع بفتح الميم
والزاي المعجمة بينهما نون ساكنة محل النزع او النزاع فهو اما بمعنى مخرج
يخرج اليه او محل احبابه الذي يشتاق اليه من نزع الى اهله ووطنه اذا اشتاق فهو
من نزع السهم اذا اجذبه ليرميه فالمقصود انه يجد ما يهمه طلبه فيه وقد سفرت
فيه اي كشفت وبينت في هذا الكتاب مما حررته وجمعته فيه وازلت الحجاب عن
نكت جمع نكتة وهي الامر الدقيق المستخرج بالفكر تستغرب اي تعد غريبة نادرة
وتستبدع اي تعد بديعة غير مسبوقة بالمثل في جنسها ولو اقتصر على قوله
تستغرب ربما يتوهم ان غرابتها لعدم الف الطباع لها اذ ليس كل مستغرب مستبدع
فلله دري وكرعت اي احتوت بدخولها ومنقولها في مشارب اي مطالب ومقاصد
من التحقيق اي بيان الحق المتقن الثابت لم يورد بجنا المجهود اي يذكرها قبلي
قبل هذا الكتاب في اكثر التصانيف التي صنفت في هذا الكتاب مشرع اي محل يستقا
منه مثلها هذا هو المراد وتحقيقه ان الكرع في الاصل شرب الدواب بفيها من الما
لانها تدخل اكارعها فيه والورود الذهاب للشرب ضد الصدر والمشرع محل
الما المورود كالمنهل والمورد والشريعة النهر ونحوه فالكل هنا اما استعارة
تمثيلية بتشبيه المسائل المطلوبة بما ينتفع به العطاش وتشبيههم
ثانيا بسيل لهم حاجة له وتشبيه الصحف بموارد الما تحط عندها الرحال
وهذا ابلغ من جعلها استعارات تصريحية او مكنية تخييلية مرشحة ولكل
وجهة فلله دري واودعته اي جعلته فيه كانه وديعة غير ما فصلت اي فصول
كثيرة وما مزيدة لتاكيد الكثرة وددت اي تمنيت من الود وهو المحبة والصداقة
ثم استعير للتمني وهو المراد كقوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين لو وجدت
من بسط اي بيت وشرح من غير اختصار فيه فتلي الكلام فيه اي في بيانه مستوفى او

وجدت

وجدت مقتدي اي احدا من ايمة العلما المتقدمين وفي نسخة مقتديا بالقاضي الغاية
يفيدنيه اي استفيده منه اما عن كتابه الذي صنفه في هذا الغرض او فيه اي اسمعه
من تقرير لي بعينه لا اكتفي بما ارويه عما اروّيه ارويه الاول مضارع بفتح الهمزة
وسكون الرا المهملة وكسر الواو المخففة ثم يا مثناة تحتية وفاعله ضمير مستتر
للمتكلم والثاني بضم الهمزة وكسر الواو المشددة بعد را مهملة مفتوحة اي اروي
ما سمعته من فيه او اخذ من كتابه ومعنى الثاني احمل غيري على روايته عني اي اكتفي
بالاول عن الثاني وفيه تجنيس بديع وقوله يفيدنيه باتصال الضميرين جوازا
وظاهر كلام سيبويه ان الانفصال في مثله لازم واختار ابن مالك الاول كما بين في كتب
النحو يعني ان بيان حق المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يجب له امر واجب لهم من
وفاة حقه فوجب على بيانه ولله دره رحمه الله فانه قام بامر عظيم لم يقم به غيره
وفسر بعضهم اروّيه المشدد بانكر فيه واعمل بروّيتي فيه من روّيت في كذا او ترويت
اذا اعملت النظر والفكر فيه وما ذكرناه هو المروي وجوز بعضهم في ارويه الثاني
ضم الهمزة وسكون الرا المهملة من ارواه المزيد وهو بمعنى حمله على الرواية ايضا
والى الله تعالى وحده لا الى غيره كما يفيده تقديم الجار على متعلقه جزيل الضراعة
الضراعة بمعنى التذلل والخضوع والجزيل الكثير القوي وهو صفة معنى اي
الضراعة الجزيلة وهو دعا في المنة اي الانعام والاحسان بقبول ما حصل منه
بفضله وكرمه لوجهه الكريم اي ما فعله خالصا لله لا ريا للناس كما اشار اليه
بقوله والعفو معطوف على المنة اي وفي العفو عما تخلله اي وقع في خلال كلامه
وبين اجزايه في اثنا فصوله التي ذكرها في كتابه هذا من تزين اي اظهار ما فيه زينة
وحلية وتصنع اي تكلف صنعة في كلامه كالسجع والالفاظ التي قصد تحسينها
مما يخشى ان يكون ذلك ريا منه بقصد التبجح بقدرته على الكلام البليغ لغيره
اي لغير الله بل لاجل من يمدحه من الناس وهو دعا طلب به من الله ان يرزقه
الاخلاص في تاليف هذا الكتاب وان يصونه عن الريا فيما حسنه من كلامه وزينه
من عباراته وان يهب لنا ذلك اي ما وقع فيه التزين والتصنع مما فيه شايبة
ريا وهبته مجاز عن التجاوز عن المواخذة به لئلا يحبط ما صنعه بجميل كرمه
وعفوه عنه ان وقع ريا لغيره لما اودعناه اي عفوه بما ذكر لاجل ما اورده
في كتابه هذا من شرف مصطفاه اي رسوله الذي اختاره لرسالته وتبليغ
امانته وامينه وحبيبه الذي ايتمنه على تبليغه لخلقه فان الحسنات يذهبن
السيات وحاصله انه خشي من ان يخالط عمله ريا يحبطه فرجا من الله ان يعفو
عنه ان كان والريا اذا خالط العمل هل يحبطه ام لا فيه خلاف وصحح بعضهم
انه ينظر فيه للباعث عليه والاغلب فيه فان غلب الاخلاص وكان هو الباعث
له لم يحبط شي من عمله والا حبط وهذا هو الذي عليه المحققون وله تفصيل
في كتب القرافي والعز بن عبد السلام هذا محصله وان يغفر لنا ذلك لاجل ما قاسينا
في تحصيله وتاليفه واسهرنا به اي تركنا النوم والراحة فلم نغمض جفوننا جمع
جفن وهو غطا العين اضاف له السهر لتوقفه عليه لتتبع فضايله التتبع

التنقيبة اريد به التفتيش والبحث عن فضايل المصطفى صلى الله عليه وسلم
من كتب العلوم واعمال الفكر فيها واعملنا اي شغلنا واتعبنا فيه خواطرنا جمع
خاطر وهو كما في الاساس ما يتحرك في القلب من راي او معنى يقال خطر على
بالي وبباليَّ من ابرازه اي اظهار خصايصه اي ما خصه الله به دون غيره مما
يجب او يباح او يحرم ووسايله اي ما يتوسل به الى الله مما قربه اليه او مما
اكرمه به يوم القيامة كالشفاعة العظمى والحوض ولوا الحمد وغيره مما تقدم
تفصيله والكلام عليه وتحمي اي تصون اعراضنا جمع عرض بكسر فسكون
وضاد معجمة والمراد به ابداننا فان العرض يطلق على هذا او على ما يصونه ويحميه
من صفاته وادعى بعض اهل اللغة انه حقيقة في الاول دون الثاني وفيه كلام
في كتب اللغة عن نار الموقدة التي يعاقب بها من عصاه بحمايتنا اي صيانتنا
كريم عرضه اي عرضه الكريم اي المكرم المحترم عند كل مسلم والعرض هنا
بمعناه المعروف ويجعلنا ممن لا يذاد بضم المثناة التحتية وذال معجمة والف
بعدها دال مهملة اي يطرد اذاذيد مبني للمجهول بذال معجمة مكسورة
ودال مهملة بينهما تحتية ساكنة اي طرد وصد المبدل اي الذي بدل دينه
بردة ونحوها عن حوضه المورود يوم القيامة يوم الحسرة والندامة وهو
تلميح واشارة لما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم ينادي بعض الصحابة
في القيامة من القيامة فيمنعون عنه فيقول ما لهم طردوا فيقال انك
لا تدري ما فعلوا بعدك انهم بدلوا دينهم وبه استدل بعض الرافضة
على تكفيرهم لبعض الصحابة فطلب من الله ان يحميه عما يبدل دينه حتى لا يكون
من المطرودين عن الحوض وهذا الحديث في صحيح مسلم وغيره ولفظ الذي
في مسلم انه صلى الله عليه وسلم اغفى اغفاة ثم رفع راسه متبسما فقال
انزل علي الليلة سورة وقرا انا اعطيناك الكوثر الخ وقال هل تدرون ما الكوثر
قلنا الله ورسوله اعلم قال نهر اعطانيه ربي عليه خير كثير ترده امتي يوم
القيامة تختلج العبد منهم اي تجذبه الملايكة وتدفعه فاقول يا رب انه
من امتي فيقال انك لا تدري ما احدث بعدك وفي رواية ما زالوا بعدك
مرتدين على اعقابهم قال القرطبي رحمه الله قالوا كل من ارتد او احدث
ما لا يرضاه الله فهو من المطرودين عن الحوض واشدهم طردا من خالف جماعة
المسلمين كالخوارج والظلمة واهل الجور فهذا صريح في ان طردهم عن الحوض
على ظاهره وقول ابن حجر رحمه الله تعالى انهم طردوا ليرشد كل احد الى حوض
نبيه باباه ما صرح به في الروايات الاخرى وهذا غير مناف مما ورد من
انه صلى الله عليه وسلم تعرض عليه اعمال امته في البرزخ لانه قد ينسى او
يراد اظهارا لما يخلو على روس الاشهاد ونحو ذلك ويجعله لنا اي نفسه ومن
اخذ عنه ولمن يهمهم اي اعتنى وتقيد بكتابته اي كتابته واكتسابه
اي تحصيله باي طريق كان سببا اي وسيلة موصلة يصلنا باسبابه اي طرقها
موصلا للامور الموصلة لقرب الله ورضاه وذخيرة اي امرا ندخره وعدة

تجدها

تجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا اي تجد اعمالها حاضرة عندها وهو تجوز عن
حضور صحفها او ظهورها بشهادة الاعضا ونحوها لان الاعمال اعراض لا تعاد وتحضر وذهب
بعضهم الى ان الاعمال تتجسم حتى تشاهد واليه ذهب بعض العلما وللجلال السيوطي فيه
رسالة اقام فيها الادلة على ذلك والله على كل شيء قدير وعبر باسم المفعول لان الفاعل معلوم
اذ لا يحضرها الا الله تحوزنا بها اي نحصل بالاعمال الصالحة اذا احضرت رضاه وجزيل
ثوابه كما وعد به من لا يخلف الميعاد وتحصنا اي يجيرنا بما عملناه من العمل الصالح
خصيصا زمرة نبينا صلى الله عليه وسلم وجماعته اي اتباعه من امته وخص يتعدى بالبا
وتدخل على الماخوذ كما هنا وعلى المتروك والكلام فيه مشهور والزمرة والجماعة متقاربان
وخصيصى بكسر الخا المعجمة وكسر الصاد المهملة المشددة ثم مثناة تحتية وصاد مهملة
والف مقصورة وتمد كما في القاموس وغيره وهو مصدر بمعنى الاختصاص وهو الذي
جزم به السيوطي وقيل انه مثنى خصيص بوزن صديق واليه ذهب السخاوي وغيره
وفسره بابي بكر وعمر رضي الله عنهما ولما قراه بالتثنية الشيخ برهان الدين البقاعي
في الدرس بين يدي المحيوي الكافيجي بالشيخونية والجلال حاضر رده وقال انه
خطا فلم يقبله وقال انه هو الصواب فكتب اليه بعد ذلك ما صورته بعد البسملة
الحمد لله الذي محن العلما والاشراف بمعاندة الجهال والاطراف والصلاة والسلام
على سيدنا محمد واله وصحبه اولي الفضل والانصاف وبعد فقد قرا بعض العوام
في اخر كتاب الشفا قوله وتحصنا خصيصي الخ بسكون اليا بصيغة التثنية المحذوفة
النون فقلنا له انما هي خصيصى بالف التانيث المقصورة واقمنا له العذر في ذلك
بكونه راها مرسومة باليا فظن انها يا وادعى انها رواية وكذب في ذلك وادعى ان ذلك
هو الصواب وان المراد بالخصيصين ابو بكر وعمر رضي الله عنهما واقول ما ادعاه باطل
رواية ولغة ومعنى اما الرواية فان الذي تلقيناه من المعتبرين وضبطه من يرجع اليه
في النقل انه بالالف لا غير كما نبه عليه الحافظ البرهان الحلبي في شرحه للشفا وشيخنا
الامام تقي الدين الشمني في حاشيته عليه وكذلك قراناه عليه وسمعناه من غيره
واما اللغة فقال في الصحاح والقاموس والمجمل خصه بالشيء خصا وخصوصا وخصوصية
بالفتح وخصيصا وتمد فهولا ايمة اللغة قالوا خصيصى بالالف المقصورة مصدر خصه
ولم يقل احد منهم انه خصيص سمع مصدرا ولا صفة واصرح منه ما في ديوان الادب
للفارابي في باب فعيل انه سمع منه خمسة الفاظ شرير صاحب شر جدا وفسيق ورجل
ضليل ضال جدا وتنين ضرب من الحيات ورجل عنين ثم ذكر خصيصى واخواته
ولم يذكر خصيص وبابه سماعي لا يقاس عليه كما هو مقرر عند اهل العربية واما
بطلانه معنى فلان المقصود من الكلام المصدر لا الوصف والمراد ان يخصنا بفعل
الخصوصية وهو ان يكون من جملة الجماعة المنسوبين الى النبي صلى الله عليه وسلم
والزمرة الداخلين تحت لوائه وليس المراد الاختصاص بالذات وهذا ما لا يخفى
الا على جاهل بليد وايضا لو كان خصيصي مثنى مضافا وجب ان يضاف الى اثنين
متغايرين وليس بعده الا زمرة وهي جماعة بمعنى واحد وما فسره به كلامه غلط
صراح يضحك منه السامع ويفرح به العدو ويغتم منه الصديق واي معنى لقوله

وتخصيصنا بابي بكر وعمر والاختصاص انما يكون بالمعنى لا باللفظ وايضا فليتامل المنصف لهذا
الكلام فانه لا يساوي مثقال ذرة والله اعلم انتهى ما قاله السيوطي ملخصا وارسله لعلما
عصره واستفتاهم وطلب منهم بيان الصواب فقال السخاوي في فتاويه في الحديث
ان ممن استفتاه العلامة الامين الاقصرائي وكتب بتصويب ما قاله البرهان وقال
ان انكاره بغير موجب ومعناه صحيح فلا وجه لانكاره وكتب الشمس البامي ان الذي عهدناه
من مشايخنا قديما وحديثا وقرى عليهم ان هذه اللفظة مثناة والمعنى عليها
فلا يحل لاحد انكارها فمن انكرها وصوب غيرها في الحقيقة مسيء على القاضي
عياض فيؤدب على اسائته على العلما وكتب الغمري عثمان الديمي مثله وكذا الشيخ
قاسم الحنفي وقال ان التثنية لا تمتنع رواية ودراية اما الرواية فلانها
الثابتة في الاصل المعتمد المقابل مع الحافظ الذي صححه عبد المجيد اليمني
في حاشيته عليه وقرى ذلك على ابن حجر وناهيك به فمن نسب قايله الى الكذب
فهو كذاب يستحق التاديب كذا قال السخاوي في فتاويه ثم قال انه سيل عنه
مرة اخرى فاجاب بان التثنية تثبت دون غيرها كما قاله التاج اليمني وسمعه
له تاج الدين السبكي بانه الذي يروي ويروي كل ظمان ويبدي فوايد تجزم
الايمان وهو الثابت في الاصول المعتمد عليها ومما ينفي منه انه استدل بما في ديوان
الادب لاقتصاره في فعيل على خمسة الفاظ مع وجود الفاظ غيرها واذا تقرر
هذا فالتثنية في كلام القاضي بالنظر لشيئين وهما الزمن الشاملة لجميع من
اتبع النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة وغيرهم الى يوم القيامة والجماعة
الذين هم الصحابة خصصهم لعقد دخولهم في العموم لشرفهم فكانه سال الله
ان يخصه باقتفا طريق الخواص من اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم ومن ساير امته
وهو كقول القايل هب لنا ما وهبته لاوليايك واحبابك ويجوز ان يكون سال ان
يخص بخصيصي هذه الامة وهما ابو بكر وعمر رضي الله عنهما حسبما ورد في حديث
ضعيف رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال ان لكل نبي خاصة من اصحابه وان خاصتي ابو بكر وعمر رضي الله عنهما اخرجه
البيهقي في الفضايل ولا يكون من خواصهما الا بسلوك طريقهما واقتفا
سنتهما وعلى تقديرا لتنزل في كون الزمرة والجماعة واحدا فليس يمتنع الاتيان
بلفظ التثنية مع اضافة لفظ الواحد نحو زيد وعمرو وما لنا البلد انتهى
باختصار لما اطال به مكررا لجد فنا منه ما لا حاجة لنا به وانا اقول ان السخاوي
رحمه الله اطال لسانه على السيوطي رحمه الله وادعى ان علما عصره كلهم وافقوه
وكتبوا خطوطهم بنصرته ولم ار ما قاله في كتاب غير فتاواه والحق احق
بالقبول فان الذي يقبله الطبع ما قاله السيوطي وهو ان خصيصا مصدر
فان النقل والعقل شاهدان له اما الاول فلان الموجود في كتب اللغة كلها
ذكر خصيصى وقول السخاوي انه لا حصر في كلامهم مسلم لكنه لا يعتمد اثبات
كلمة لم تذكرها اهل اللغة ولم يسمع في كلام احد من العرب واما الثاني
فان معناه في غاية الظهور وكونه مثنى مرادا به العمرين لم يدل عليه سياق

ولا سباق الا ان قول الجلال انه لا يضاف الا الى اثنين لا وجه له كما قاله السخاوي
وحبرنا اي يجمعنا في الحشر في الرعيل الاول الرعيل والرعل القطعة من الخيل وجماعة
منها والرعيل الاول السابقون من الفرسان ثم كني به عن كل سابق للخير والفعل الحسن
يمتدح به كما قال حسان رضي الله عنه ٭ سم الانوف من الرعيل الاول ٭ فالمراد به هنا من
يبادر لفعل الخير ممن يكرمه الله بدخول الجنة قبل غيره وهم بعد الانبيا عليهم الصلاة والسلام
العلما العاملون واهل الباب لايمن اي اصحاب اليمين النيرات وجوههم من يؤتى كتابه بيمينه
من اهل شفاعته وتقدم الكلام على ذلك ونحمده تعالى على ما هدى اليه من جمعه اي جمع ما فيه
مما يتعلق بغرضه والهم الالهام القا الخير في القلب وفتح البصيرة اي قوة النفس المدركة
في الباطن بمنزلة البصر في الظاهر وجعلها كالعين تخييلا قال لدركه بفتح فسكون اي
ادراك حقايق ما اودعناه وفهم ونستعيذه اي نلتجا اليه جل اسمه وعز ذاته من دعا
لا يسمع اي لا يجاب ولا يقبل كقوله سمع الله لمن حمده ولا ينفع لعدم العمل به والاخلاص
فيه وعمل لا يرفع اي لا يقبل ولا يعتد به قال تعالى والعمل الصالح يرفعه وقال ان
كتاب الابرار لفي عليين فهو الجواد بتخفيف الواو بمعنى الكريم الكثير الجود اي الاعطا
وهو من اسما الله تعالى كما ذكره ابن حجر وقد ثبت في حديث صحيح وذكره النووي كالترمذي
في جامعه والبيهقي في الاسما والصفات واعتضد بسند وبالاجماع خلافا لمن انكره
الذي لا يخيب من امله يخيب بوزن يزيد اي لا يحرم من فضله وتجوز تشديده
فان الكريم لا يخيب من قصده ولا ينتصر من خذله الخذل لانه ضد النصرة ومن خذله
الله لا يقدر احد ان ينصره ولا هادي لمن اضله ولا يرد دعوة القاصدين لسؤاله
الراغبين لما عنده وفي الحديث ان الله يستحيي ان يرد يد عبده صفرا اذا رفعها ولا
يصلح عمل المفسدين فيمحقه ويبطله وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد
خاتم النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا ولما تم بفضل الله وتوفيقه
هذا الشرح المبارك قلت مؤرخا له وراجيا قبوله وعود بركته علي وعلى احبابي
وجميع المسلمين امين ٭

بجاه النبي الكريم الاجل ٭ ومن قد كسي المجد اسنى الحلل
توسلت لله ربي الذي ٭ به لا يخيب من قد سال
فان الشفا وما فيه من ٭ مناقبه للاماني كفل
وقد تم شرح به ارتجي ٭ باذ يشرح الله صدر العمل
ببرء السقام ومحو الذي ٭ جناه الصبا من عظيم الزلل
فيا سيد الرسل يا من نرى ٭ مواطيه الثمّ للمقل
تقبل هديته الخفا ٭ هدية عبد لمولى اجل
فامال فالي فدارخته ٭ تم الشفا وصح الامل
فصل وسلم ربي على ٭ مقام به نور ما افل
فلا زال مطلع شمس الهدى ٭ وروضته قبلة للقبل

قال مؤلفه وتم يوم الجمعة ثامن عشري ربيع الثاني سنة ثمان
وخمسين بعد الالف على يد اضعف العباد احمد شهاب الدين الخفاجي المصري وكان

علم صح

الفراغ من تعليقه من خط مبيضة مؤلفه المذكور على يد الرافعي عبد القا

ابن الرفيع حسن الشاذلي الحسيني البسيوني بلدا

ومنشا المالكي مذهبا غفر الله له ولوالديه

بكسر الدال ولمن دعا له ومن قرا فيه

ورأى خطأ فاصلحه يا رب

العالمين وذلك يوم الأحد

المبارك ٢٣ من شهر محرم

سنة خمس ومائة

بعد الالف

وحسبنا الله

ونعم

الوكيل

